التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الهدى

ميت غمر / هاتف ٠٥٠/٩٠٩٢٢٩

مصطفى العدوي

التسهيل 3

سورة البقرة

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة الفاتحة وأول سورة البقرة حتى آية «٦٦»

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] ، وبعد :

فمن نعم الله سبحانه وتعالى علينا وعظيم إحسانه ، وجزيل عطائه وجميل امتنانه ؛ أن وفقنا لخدمة كتابه وبيان معانيه وإيضاح المجمل فيه ، والبحث عن أقوال أهل العلم في ذلك وفي تفسيره واستنباط أحكامه والوقوف على

محكمه ومتشابهه ومجمله ومفصله وناسخه ومنسوخه ، فللّه الحمد على ذلك كله حمدًا يرضيه آناء الليل وأطراف النهار وفي الأولى والآخرة .

وله الحمد سبحانه عدد ما برأ وخلق وذرأ على ما من به من توفيق لخدمة سنة نبينا محمد ﷺ وتنقيتها مما شابها واعتراها من الضعيف والسقيم والموضوع .

فلا هدي أكمل ولا أجمل من الاهتداء بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذا وذاك خير هدي وأكمل هدي ، وهذا وذاك نور على نور يهدي الله إليه من يشاء فللّه الحمد على هدايته ، ونسأله سبحانه المزيد من فضله كما نسأله سبحانه الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب .

● هذا وبين أيدينا تفسير لكتاب الله عز وجل في صورة السؤال والجواب ابتدأناه بسورة الفاتحة ثم بسورة البقرة ، وكنت قبل قد أصدرت منه مجلدًا يحوي تفسير سورة آل عمران في سؤال وجواب تحت مسمى التسهيل لتأويل التنزيل قامت بنشره دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر (بالمملكة العربية السعودية) والحمد لله كانت ثمرته طيبة ، والثناء عليه حسن من فضل الله ، وهذا مما شجعني على المُضي قُدمًا لإتمام هذا العمل الجليل ، نسأل الله العون على إتمامه ، وكان سبب إقدامي على إصدار تفسير آل عمران قبل سورة البقرة هو ما تحتاجه سورة البقرة من جهدٍ مُضْنٍ للوقوف على خلاصة أقوال أهل العلم في المسائل الفقهية التي امتلأت بها سورة البقرة (من نكاح وطلاق وحج وبيوع وصيام وصلاة وزكاة وأيمان ونذور وسحر وحسد و ...) وإبراز هذه الخلاصة في صورة جوابٍ مُركزٍ مختصر على سؤال مُركز حتى يستفيد القارىء من ذلك وتصل إليه المعلومة – بإذن الله – بأسلوب سهل مُيسر مشوق ، فنصل بالقارىء بإذن الله إلى حدٍّ

طيب من الإدراك لمعاني كتاب الله عز وجل والوقوف على مراد الرب عز وجل من الآيات – والله أعلم بمراده – فقد أمرنا الله بتدبر آيات كتابه واستنباط المعاني والأحكام منه كما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] ، وكما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ..** ﴾ [النساء : ٨٣] .

فنرجو الله عز وجل أن نكون من المصطفين الأخيار ، ومن الخيِّرين الذين وصفهم رسول الله ﷺ بقوله : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وقال فيهم : « **من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » .

وطريقة السؤال والجواب – كما قدمنا في آل عمران – طريقة تُجسد المعلومة وتشحذ الهمم لمعرفة الجواب وتحرك ملكة التفكر والتدبر لآيات الكتاب بإذن الله وهي طريقة أصلها ثابت في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ ، فقد طُرحت أسئلة في كتاب الله وأُجيب عليها ، وقد سأل رسول الله أصحابه جملة أسئلة وأجابوه عليها وأجاب هو على البعض الآخر ، كما وضحت ذلك في مقدمة آل عمران وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله تعالى في المقدمة العامة لهذا العمل والتي آثرت إرجاءها إلى الانتهاء منه حتى تكون مقدمة موسعة لأبواب التفسير بصفة عامة إن شاء الله .

● هذا وقد أوضحت أيضًا في مقدمة آل عمران الطريقة العامة التي اتبعتها في هذا العمل وحاصلها أنها تتمثل في لزوم طريقة أهل السنة والجماعة في التفسير والسير على الخطوط العامة لهم من تفسير القرآن بالقرآن وسنة رسول الله ﷺ ثم بالآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبما تقتضيه لغة العرب التي نزل بها القرآن

الكريم فقد نزل بلسان عربي مبين .

● وأيضًا ابتعدت عن الإسرائيليات قدر الاستطاعة .

● واجتهدت في إيضاح معاني الجمل والكلمات والمفردات مع جمع الروايات في الباب الواحد وإيراد الأبحاث المتعلقة بالآيات .

●وأيضًا راعيت الاقتصار على ما صح من أسباب النزول .

● وأعرضت عن قضايا كثيرة يثيرها عدد من المفسرين لا برهان لهم عليها ولا طائل تحت إثارتها اللهم إلا إضاعة الوقت وتبديد الجهد ثم حرصت بفضل الله على البعد عن طرق أهل الكلام والجدل من المفسرين ، وهذا لا يمنع أن أستفيد منهم أحيانًا في موطنٍ أصابوا فيه واتبعوا فيه الدليل من الكتاب والسنة ووفقوا فيه لطريقة أهل السنة والجماعة ، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة في شأن الشيطان : « **صدقك وهو كذوب** » وقال لأصحابه : « **لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد** » لما قال له اليهود : إن أصحابك يشركون ويندون ...

فالحق يقبل ممن جاء به ، لكن الغوص في كتب أهل الكلام منهج مذموم وسبيل لدينا غير مسلوك إن شاء الله .

أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فأنا مقتصر في العزو على الصحيحين في الغالب إن كان الحديث فيهما وأحيانًا أوسع في التخريج بعض التوسع ، هذا إذا كان الحديث صحيحًا ، أما إذا كان الحديث ضعيفًا فإنني أُبيِّن سبب ضعفه وأشير إلى من أخرجه ، وذلك مني صادر بعد بحث وجهد حول الحديث ، ولكني لم أثبت كل بحثي وجهدي حول الحديث في حاشية هذا الكتاب فهو كتاب لا يتحمل ذلك ، ولكني وضعت خلاصة بحثي حول الحديث في الحاشية ، وذلك حتى لا يُثقل الكتاب بالحواشي .

● هذا وقد كان من ملاحظات بعض إخواني أنهم قالوا : نريد عزو الكلام إلى قائليه ، كذا قالوا ، وهذا مطلب يتحقق في كثير من الأحيان ولكن ثمَّ مواطن إذا لزمت ذلك فيها خرجت عن مقصودي الذي هو التسهيل لتأويل التنزيل ، وإيضاح ذلك أنني عند تفسير آية والنظر فيها أطلع على ما يفوق الأربعين تفسيرًا ، وفي كثير من الأحيان يطبقون على قول واحد ، فإذا نقلت أقوال الأربعين مُفسرًا أو عزوت إليهم امتلأ الكتاب بأرقام الصفحات وكذلك في كثير من الأحيان ينقل بعضهم من بعض فالشوكاني مثلًا في فتح القدير ينقل كثيرًا من القرطبي ، وصاحب فتح البيان (صديق حسن خان) ينقل من الشوكاني ، والقرطبي نفسه ينقل كثيرًا من أحكام القرآن لابن العربي وهكذا فلا معنى لأن أعزو إلى أربعتهم وإذ عزوت إلى أولهم فأولهم قال بقول شاركه فيه مثلًا عشرة من المفسرين فسيخرج ذلك بنا إلى ما لا نريده من الإطالة وتسويد الحواشي في وقت هدفنا فيه التيسير والتسهيل على عموم الأمة وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن ، وأن يجعله في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

هذا : ومن لديه أي ملاحظة أو أي إرشاد أو تنبيه لشيء فجزاه الله خيرًا إن أفادنا به وجعل ذلك في ميزان حسناته . وإلى تفسير سورتي الفاتحة والبقرة والله المستعان .

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبـــه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر – الدقهلية

منية سمنود

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

* * *

س : ما معنى الكلمات الآتية :

رب – العالمين – يوم الدين – نستعين – اهدنا – الصراط – المستقيم – المغضوب عليهم – الضآلين – آمين ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
رب	الرب هو المالك المتصرف .
العالمين	السماء والأرض وما بينهما (أو كل ما خلقه الله) .
يوم الدين	يوم الجزاء وهو يوم القيامة .
نستعين	نطلب العون .
اهدنا :	وفقنا – ألهمنا – ثبتنا .
الصراط	الطريق .
المستقيم	الذي لا اعوجاج فيه .
المغضوب عليهم	اليهود .
الضآلين	النصارى .
آمين	اللهم استجب وتقبل .

✵ ✵ ✵

س : سورة الفاتحة هل هي مكية أو مدنية وما هو الدليل على ذلك ؟

ج : سورة الفاتحة سورة مكية على الراجح من أقوال أهل العلم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وهذه في سورة الحجر ، وسورة الحجر مكية بالإجماع (نقل ذلك القرطبي) وقد فسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[١].

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[٢].

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأسماء : فاتحة الكتاب[٣].

ومنها : أم الكتاب[٤].

ومنها : أم القرآن[٥].

ومنها : الحمد ، أو الحمد لله رب العالمين[٦].

---

(١) وهو في الصحيح كما سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٢) وهو في الصحيحين ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) وهذا لا خلاف فيه بين العلماء ؛ لأن الكتاب فُتح بها ، ولقول النبي ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله ولغير ذلك أيضًا .

(٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه .. ما رقيت إلا بأم الكتاب ، وسيأتي إن شاء الله . وهو في الصحيح .

(٥) وذلك لقول النبي ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهو في الصحيح وسيأتي .

(٦) لقول أنس : صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين . وهو في الصحيحين وسيأتي .

ومنها : الصلاة[1].

ومنها : (السبع المثاني والقرآن العظيم)[2].

ومنها : الرقية ؛ لأن أبا سعيد رَقى بها ، ومنها : الشافية ؛ لأن اللديغ شُفي بها بإذن الله ، إلى غير ذلك . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ، اذكر باختصار ما يدل على ذلك[3]. وكذلك هل يجوز تفضيل بعض الآيات على بعض ؟

ج : نعم يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ؛ لقول النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلى : « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن » ، وأخبره النبي ﷺ بأنها الفاتحة[4].

● ولقول النبي ﷺ عن سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[5]، أما الآيات فكذلك أيضًا يجوز تفضيل بعضها على بعض ، فقد قال النبي ﷺ لأُبي بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ الله لا إلٰه إلا

---

(١) للحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي .. » وهو في صحيح مسلم ، وسيأتي .

(٢) وذلك لما تقدم في (٣) .

(٣) والإطالة لها موطن آخر إن شاء الله .

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩ / ٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها – فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .

هو الحي القيوم ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] قال : فضرب في صدري ، وقال : « ليهنك[2] العلم أبا المنذر »[3].

❋ ❋ ❋

س : ظن بعض العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بالفاتحة إنما نزل بها ملك آخر غيره ، اذكر مستند القائلين بذلك وبيِّن مدى صحته ؟ ومدى سلامة هذا الاستدلال ؟

ج : مستند القائلين بذلك : حديث ابن عباس رضي الله عنهما : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »[4].

وهو حديث حسن ، وهذا مستند القائلين بأن ملكًا نزل بها غير جبريل عليه السلام ، وفي هذا الاستدلال نظر ، فإن الملك نزل يبين فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، أما جبريل عليه السلام فقد نزل بالقرآن كله ، كما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) يريد آية الكرسي (كما في الروايات الأُخر) .

(٢) أي : هنيئًا لك بالعلم يا أبا المنذر .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ٩٣/٦) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٩١/٦ مع النووي) .

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأحاديث الصحيحة : ما ذكره أبو سعيد بن المعلى رضي الله عنه ، قال : كنت أُصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أُجبه[1] فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، فقال : « ألم يَقُلِ الله : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ؟ » [الأنفال : ٢٤] ثم قال لي : « **لأعلمنك سورة هي أعظم السُّور في القرآن** قبل أن تخرج من المسجد » ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة **هي أعظم سورة في القرآن ؟** قال : « ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] **هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** »[2].

● ونحوه مختصرًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم** »[3].

● ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإن نفرنا غُيَّب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل منا ما كنا نأبُنُهُ برقية فرقاه فبرأ ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تُحسن رقيةً أو كنت ترقي ؟ **قال : لا ما رقيت إلا بأم الكتاب** ، قلنا : لا تُحدثوا شيئًا حتى نأتي ، أو نسأل النبي ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال : « وما كان يُدريه أنها رقية ؟ اقسموا واضربوا لي بسهمٍ »[4]

---

(١) في رواية للبخاري (٤٦٤٧) فدعاني فلم آته حتى صليت ، فقال : ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ [الأنفال : ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) وفي عدة مواطن من صحيحه ، وأبو داود (حديث ٣٥١) ، والنسائي (١٣٩/٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٠٧) ، ومسلم (مع النووي ١٨٧/١٤) ، وورد نحوه من =

● ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : **أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** »[1].

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** »[2].

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، فقولوا : آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** »[3].

● ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج (ثلاثًا) غير تمام »، فقيل

= حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٥٧٣٧) ، وفيه : أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ – أو سليم[1] – فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ؟ إن في الماء[2] رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[3] فبرأ ، فجاء بالشاءِ إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا ، حتى قدموا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» .

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٩١/٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ، ومسلم (١٠٠/٤ مع النووي) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٥٩/٨) ، والنسائي (١٤٤/٢) ، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

---

(١) العرب تطلق على اللديغ سليمٌ تفاؤلًا بالشفاء .

(٢) أي : من أهل هذا المكان الذي به ماء .

(٣) أي : مقابل عدد من الشياه (وهي الغنم) .

لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ، فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، قال مجَّدني عبدي ، وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** »[1].

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ بسم الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من قال : إن المعنى : أقرأ باسم الله ، أو أبتدىء قراءتي باسم الله .

- ومنهم من قال : ابتدائي القراءة باسم الله .
- ومنهم من قال : إن معنى (بسم الله) أي: بالله ، أي : بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه ، قاله القرطبي .
- ونقل عن بعض العلماء قولهم : إن معنى قوله : (بسم الله) يعني : بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته ، قال : وهذا تعليم من الله تعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها ؛ حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل .
- وقال بعضهم : إن كلمة اسم زائدة واستشهدوا بقول لبيد بن ربيعة .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٠١ - ١٠٢) .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما .·. ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر[1]

والمعنى ، ثم السلام عليكم ، واسم زائدة .

لكن تعقب الطبري قول من قال هذا ووصفه بالفساد واختار في شرح بيت لبيد وجهين :

الوجه الأول : أن المراد بالسلام اسم من أسماء الله تعالى ، فمعنى قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : ثم الزما اسم الله وذكره بعد الحول (وهو السنة) ودعا ذكري والبكاء عليَّ لأن من بكى سنة كاملة على شخصٍ فقد اعتذر (أي : أدى ما عليه إن كان عليه شيء ولا لوم عليه بعد ذلك) .

والوجه الثاني : في قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : تسمية الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه : (اسم الله عليك) يعوِّذه بذلك من السوء ، فكأنه قال ثم اسم السلام عليكما من السوء .

والله تعالى أعلم .

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ بسم الله ﴾ فهذه بعض أقوال العلماء فيه.

قال الطبري رحمه الله : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدَّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلًا يتبعونه عليها فبه افتتاح أوائل منطقهم

---

(١) بيت الشعر للبيد بن ربيعة في قصيدة وجَّهها لابنتيه وفيها :

تمنى ابنتاي أن يعيشَ أَبُوهُما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَر

ثم قال :

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولَا تخْمشا وجهًا ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا : هو المرءُ الذي لا خليلَه ... أضاع ولا خان الصديقَ ولا غَدَرْ

وقال :

إلى الحَولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ... ومن يَبْكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر

وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : (بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف .

ونقل القرطبي رحمه الله عن العلماء : أن (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق ، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري ...

* * *

س : هل ثبت أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

ج : لا أعلم دليلًا على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ، لكن قد قال بذلك بعض أهل العلم ، ووجه قولهم يتمثل في الآتي :

أولًا : أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره، كما قال تعالى : ﴿ هل تعلم له سميًّا ﴾[1] [مريم : ٦٥] ولذلك لا يُثن ولا يجمع .

ثانيًا : أنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال الله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى... ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا »[2].

---

(١) على أحد الوجوه للعلماء في تفسير الآية الكريمة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (حديث ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة =

وقال تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم .. ﴾ [الأنعام : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

❋ ❋ ❋

س : يُقال لمن قال : بسم الله مبسمل ، ويُطلق بعض العلماء على (بسم الله) البسملة ، وهي لغة مولدة ، اذكر شاهدها من الشعر وأمثلة أخرى لها ؟

ج : أما شاهدها من الشعر فما نقله القرطبي عن عمر بن ربيعة حيث قال :

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غداةَ لقيتُها .. فيا حبذا ذاك الحبيبُ المبسمِلُ

ومن أمثلة اللغة المولدة **هلَّل** الرجل إذا قال : **لا إلـه إلا الله** وسبحل إذا قال : **سبحان الله** ، **وحمدل** إذا قال : **الحمد لله** ، **وحيفل** إذا قال : **حي على الفلاح** ، **وطبقل** إذا قال : **أطال الله بقاءك** .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد أم لهذا معنى ولهذا معنى آخر ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان فمنهم من يقول : الرحمن والرحيم بمعنى واحد ، لكن الجمهور على التفريق، وأن (الرحمٰن) خاص الاسم عام الفعل و (الرحيم) عام الاسم خاص الفعل ، بمعنى أن (الرحمن) مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره، كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر » اللفظ لمسلم . وفي رواية : « من أحصاها دخل الجنة » .

الرحمٰن أيامًّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء : ١١٠] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ، وقال : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يُعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] فأخبر أن الرحمٰن هو المستحق للعبادة عز وجل[1]، وقد تجاسر مسيلمة الكذاب – لعنه الله – فتسمى برحمان اليمامة ، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب فألزمه الله تعالى نعت الكذاب لذلك ، وإن كان كل كافر كاذبًا فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علمًا يُعرف به ألزمه الله إياه[2] قاله القرطبي .

فالرحمن اسم خاص بالله سبحانه لا يشاركه فيه غيره ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة[3].

---

(١) قاله القرطبي ، وكذا قال الذي بعده إلى قولنا قاله القرطبي .

(٢) وقال ابن كثير رحمه الله : ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمان اليمامة كساه الله جلباب الكذب، وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب ، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب .

(٣) قال بعض العلماء : ولهذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ثم استوى على العرش الرحمٰن ﴾ [الفرقان : ٥٩] وقال : ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمٰن ليعم جميع خلقه برحمته ، والله أعلم .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : .... فربنا جل ثناؤه رحمٰن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ، فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه[1] كما قال جل ثناؤه : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨] . وأما في الآخرة فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانًا في تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلا يظلم أحدًا منهم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا وتوفى =

---

(١) وكان ذكر قبل ذلك : الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البسط في الرزق ، وتسخير السحاب بالغيث ، وإخراج النبات من الأرض وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

أما (الرحيم) فهو اسم لله عز وجل ووصف أيضًا للمخلوقين ، قال الله تعالى عن نبيه محمدٍ ﷺ : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [براءة : ١٢٨] لكن (الرحيم) قال الجمهور : إنه خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، ورحمته بالمؤمنين تتمثل في أمور منها : اللطف بهم وهدايته إياهم ونحو ذلك .

ولا يعكر على هذا نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ، وذلك لأن صورة الرحمة هنا تفارق صورتها في قوله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فإذا قلنا: إن المراد بالناس عموم الناس فصورة الرحمة – والله أعلم – تتمثل في تأنيه سبحانه بهم وعدم الاستعجال بإنزال العذاب عليهم، بل يستأني بهم ويفتح لهم باب التوبة ... والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسماء الله عز وجل التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله سبحانه وتعالى ، وبعض الأسماء التي يجوز أن يتسمى به غيره عز وجل ؟

ج : أما الأسماء التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها: **الله** –

= كل نفس ما كسبت فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانًا في الآخرة ، وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيمًا لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيمًا لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفًا مما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الأماني .

تنبيه : ورد حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ قال : قال عيسى ابن مريم : « الرحمٰن : رحمٰن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة » وهو ضعيف ، وورد أيضًا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما وهو ضعيف كذلك .

الرحمٰن - الخالق .

أما الأسماء التي يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها : **العزيز** ، فقد قال الله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز .. ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ [يوسف : ٨٨] .

وقال نسوة في المدينة : ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ [يوسف : ٣٠] .

ومنها : **المؤمن** ؛ كما قال تعالى عن نفسه : ﴿ السلام المؤمن ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[1] وقال عليه السلام : « أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن .. »[2].

ومنها : **الملك** ؛ قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] .

﴿ وقال الملك ائتوني به ... ﴾ [يوسف : ٥٠ ، ٥٤] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(٢) بهذا السياق أخرجه مسلم ص (٢١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأصله في الصحيحين (البخاري حديث ٦٢) ومسلم (حديث ٢٨١١) .

س : هل (بسم الله الرحمٰن الرحيم) آية من سورة الفاتحة ومن غيرها من السور أم لا ؟

ج : أما(بسم الله الرحمٰن الرحيم) ، فابتداءً هي بعض آية من سورة النمل إجماعًا ، لقول الله تعالى : ﴿ ... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] .

وهي ليست آية من سورة براءة كذلك .

أما بالنسبة للفاتحة فلأهل العلم قولان :

● فمنهم : من يرى أنها آية من سورة الفاتحة ، لقول الله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وفسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[1]، ولا تكمل الفاتحة سبع آيات إلا إذا اعتبرت البسملة آية منها .

ولأن البسملة أثبتت في المصحف وكتبت بخطه ونُقلت نقله .

● ومنهم : من يرى أنها ليست آية من الفاتحة ؛ لقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ...»[2] الحديث فلم يُذكر فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم .

● واستدل بعض العلماء على أنها ليست آية بتكرير لفظ الرحمٰن الرحيم ، بعد قوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] .

● أما بالنسبة لغير الفاتحة من السور فكذلك للعلماء قولان :

● منهم من قال : هي آية من كل سورة لما رواه مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) وسيأتي .

(٢) أخرجه مسلم ، وسيأتي إن شاء الله .

مبتسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت عليَّ آنفًا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ » [الكوثر : ١ - ٣][1].

● ومنهم من قال : ليست آية من أي سورة ؛ لأن الله تعالى أول ما أنزل على نبيه ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق .. ﴾ الآيات [العلق : ١ -٥] ولم يذكر البسملة ، بل قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ » [العلق : ١ - ٥] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من يرى أن البسملة آية من كتاب الله عز وجل هل يجهر بها في الصلاة عند قراءة الفاتحة إذا كان إمامًا في الصلاة ؟

ج : الأمر في هذا قريب فمن رأوا أنها آية من الفاتحة لهم وجهان :

الوجه الأول : أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[2].

● وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضًا : صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم[3].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٢٦ مع الفتح) ، ومسلم (مع النووي ٥/٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجها مسلم رحمه الله (مع النووي ٤/١١٠) .

هذه أقوى حجج هذا الوجه[1].

الوجه الثاني : أنه يُجهر بها ، وحجة هذا القول :

أولاً : كونها آية منها فلا معنى للإسرار بها دون غيرها .

الثاني : ما رواه النسائي[2] من طريق نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ [الفاتحة : ٧] فقال : آمين . فقال الناس : آمين . ويقول كلما سجد : الله أكبر ، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال : الله أكبر وإذا سلم ؛ قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ .

وهذه أقوى حجج هذا الوجه[3].

---

(١) لكن هذا تعقب من وجوه :

أولها : أن قوله في الرواية الأولى من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢]معناه : أنهم يفتتحون الصلاة بسورة الفاتحة قبل غيرها من السور ، فمراده بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة ، كما يقال : قرأ النبي ﷺ في صلاة العشاء بـ ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [التكوير : ١٥] أي : بالسورة التي فيها ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ ونحو ذلك ، وليس فيها تعرض لنفي البسملة أو إثباتها ، هذا من ناحية .

● أما من الناحية الأخرى وهي قوله في الرواية الثانية : فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ فهذه الرواية وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنه تكلم فيها من ناحية تصرف راويها ، فذكر عدد من أهل العلم أن بعض الرواة تصرف عند رواية حديث أنس المتقدم من أنه رضي الله عنه كان يصلي خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، فظن الراوي أنهم لا يجهرون ببسم الله الرحمٰن الرحيم ، فأخطأ ظنه ، وإنما المراد أنهم يفتتحون القراءة (أو الصلاة) بالفاتحة على ما قدمنا في أول كلامنا . والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه النسائي (٢/١٣٤) .

(٣) وقد تعقب هذا الحديث (حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة) بأن الذي استنكر على أبي هريرة (كما في طرق الحديث الأخرى) هو التكبير، فقال له القائل : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟ فقال : إني لأشبهكم صلاة بصلاة رسول الله ﷺ » قالوا : =

وثم أدلة أخر لكل وجه فيتضح أن الأمر في هذا قريب .
والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب ، اذكر جملة مواطن شرعت فيها التسمية بأدلتها ؟

ج : وردت جملة من الأدلة على ذلك نورد منها ما يلي :

● شرعت التسمية **عند ابتداء الطعام***، فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة : « يا غلام سم الله .. »[1].

● وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : بسم الله[2].

● وقال النبي ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه .. »[3] الحديث.

= إن مراده التكبير بالدرجة الأولى لقولهم له : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة ؟) وفي ذكر التسمية نزاع من ناحية إثباتها حديثيًّا فالرواة الأكثر رووا الحديث عن أبي هريرة بدونها ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٢١/٩) ، ومسلم (١٩٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ، قال : كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد » .

(٢) أخرجه أحمد (٦٢/٤ المسند) من حديث رجل خدم النبي ﷺ ثمان سنين .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧/١٣ مع النووي) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي =

● وأكد النبي ﷺ على ذكر الله فقال : « من نسي أن يذكر الله عز وجل في أول طعامه فليقل حين يذكر : بسم الله أوله وآخره ، فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه »[1].

● وشُرعت **التسمية على الذبيحة** كذلك، قال الله تعالى : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه...﴾ [الأنعام : ١١٨ ، ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

● وقال النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل »[2].

● وقال النبي ﷺ : « ... ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله »[3].

= نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها » .

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (حديث رقم ٤٦١) وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (١٢٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله : ليس عندنا مُدًى[1] فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل » ليس الظفر والسن ، أما الظفر فمدى الحبشة ، وأما السن فعظم .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣٠/٩) ، ومسلم (١٠٩/١٣) ، وغيرهما من حديث جندب بن سفيان البجلي قال : ضحينا مع رسول الله ﷺ أضحاة ذات يوم فإذا أُناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة ، فلما انصرف رآهم النبي ﷺ قد ذبحوا قبل الصلاة ، فقال : « من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أُخرى ، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله » .

---

(١) أي : سكاكين .

● وقد سمى النبي ﷺ وكبَّر وهو يذبح[1].

● وقالت عائشة رضي الله عنها : إن قومًا قالوا : يا رسول الله : إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا . فقال رسول الله ﷺ : « سموا الله عليه وكلوه »[2].

● وشرعت التسمية على القوس الذي يُرمى به للصيد ، فقد قال أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : إنا بأرض قومٍ أهل كتاب نأكل في آنيتهم ، وأرض صيدٍ أصيد بقوس وأصيد بكلبي المعلم والذي ليس معلمًا ، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك ؟ فقال : « أما ما ذكرت من أنك بأرض قومٍ أهل كتاب تأكل في آنيتهم ، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها ، وأما ما ذكرت بأنك بأرض صيدٍ فما صدت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك الذي ليس معلمًا فأدركت ذكاته فكل »[3].

● وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعراض فقال : « إذا أصبت بحده فكل ، فإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيذٌ فلا تأكل » ، فقلت : أرسل كلبي المعلم ؟ قال : « إذا أرسلت كلبك وسميت فكل » قلت : فإن أكل ؟ قال : « فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه » قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلبًا آخر؟ قال: « لا تأكل فإنك

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٣/١٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ، قال : ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعًا قدمه على صفاحهما ، قال : وسمى وكبَّر .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤/٢٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٦١٢) ، ومسلم (مع النووي ١٣/٧٩) .

إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر »[1].

● **وتشرع التسمية في الصباح والمساء** فالله عز وجل يحفظ بها ، فقد قال النبي ﷺ : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء »[2].

● **وتشرع التسمية كذلك عند دخول البيت** ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله[3] عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء »[4].

وتشرع التسمية عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية (أي : تغطيتها) ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم »[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٦٠٣ مع الفتح) ، ومسلم (١٣/٧٦ مع النووي) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٨٦٩) ، والترمذي (مع التحفة ٩/٣٣١) ، وأبو داود (الأدب رقم ٥٠٨٨) ، وأحمد (١/٦٢) وعزاه المزي للنسائي في اليوم والليلة .

(٣) في رواية لمسلم أيضًا : « وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه .. وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله » .

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/١٩٠) .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٨٨) ، ومسلم (مع النووي ١٣/١٨٣) .

وتشرع التسمية على الوضوء ، لقول النبي ﷺ : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »[1].

● وتشرع التسمية عند الجماع كذلك .

● فروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما في ذلك أو قضى ولد لم يضره شيطان أبدًا »[2].

وتشرع التسمية عند النوم ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[3].

● وتشرع التسمية عند الرقية ، فقد روت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال : « باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد ، إذا حسد وشر كل ذيْ عين »[4] .

● وكذلك روى أبو سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم ، قال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك »[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وهو صحيح لشواهده ، وانظر الكلام عليه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٢٨/٩) ، ومسلم (مع النووي ٥/١٠) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢٥/١١) ، ومسلم (٣٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (١٦٨/١٤ مع النووي) .

(٥) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧٠/١٤) .

وقال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما شكا وجعًا إلى رسول الله ﷺ يجده في جسده منذ أسلم : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »[1].

وتشرع التسمية عند وضع الميت في القبر كذلك ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ »[2].

وتشرع التسمية في صدور الرسائل والاتفاقيات ، فقد قال الله تعالى : ﴿... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها : « بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى .... »[3].

وكذلك قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » .... الحديث[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/١٨٩) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٧) ، وأبو داود (٣/٥٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/٤٧) ، ومسلم (مع النووي ١٢/١٠٣) .

(٤) أخرجه مسلم (١٢/١٣٨ مع النووي) من حديث أنس رضي الله عنه أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ - فيهم سهيل بن عمرو - فقال النبي ﷺ لعلي : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » قال سهيل : أما باسم الله فلا ندري ما بسم الله الرحمٰن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال : « اكتب من محمد رسول الله » قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي ﷺ : « اكتب من محمد بن عبد الله » فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاء منا رددتموه علينا، فقالوا : يا رسول الله: أنكتب هذا ؟ قال : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا » .

وتشرع التسمية عند ركوب الدابة ؛ قال تعالى : ﴿ .. وقال اركبوا فيها بسم الله مجريٰها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [هود : ٤١] .

وتشرع التسمية عند الوقوع من على الدابة ؛ فعن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت : تعس الشيطان ، فقال : « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتي ، ولكن قل : باسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب »[١].

وكذلك أثبتت التسمية في أوائل سور القرآن الكريم [٢]، وأول ما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق : ١][٣].

❋ ❋ ❋

س : هَل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟

ج : في هذا نزاع بين أهل العلم ، فالجمهور يرون أنها لا تجب مستدلين بحديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة »[٤] وبقوله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وبحديث : « وإذا قرأ فأنصتوا »[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/٢٦٠) ، وابن السني (في عمل اليوم والليلة ٥١٠) ، وأحمد (٥/٥٩ ، ٧١) .

(٢) وهل هي آية أم لا ؟ انظره في سؤال مستقل مع جوابه في هذا الكتاب .

(٣) يتضح ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري (حديث رقم ٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) وكل طرق هذا الحديث متكلم فيها .

(٥) هذه الزيادة عند مسلم ، وهي منتقدة عليه انتقدها الحافظ الدارقطني رحمه الله وغيره من أهل العلم ، والأمر كما قالوا .

واستدلوا أيضًا بأن أبا بكرة رضي الله عنه أدرك النبي ﷺ راكعًا فركع معهم في الصف ولم يأمره النبي ﷺ بالإتيان بركعة جديدة بل قال له : « زادك الله حرصًا ولا تعد »[1].

● أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فاستدلوا بحديث : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[2]، وجملة أحاديث على شاكلته، وأجابوا عن حديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » بأنه ضعيف، وعن الآية الكريمة ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] بأن استثنوا الفاتحة من ذلك ورأوا أن للمأموم أن ينازع بالفاتحة خاصة ، أما زيادة « وإذا قرأ فأنصتوا » فهي شاذة ، أما حديث أبي بكرة رضي الله عنه فهو من أقوى المشوشات على هذا الرأي فهو ثابت صحيح لكن بعضهم أجاب عليه بأن الرسول ﷺ قال : « لا تعد » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ الحمد لله ﴾ ؟

ج : أجمع ما جاء فيها (مما اطلعت عليه) قول ابن جرير الطبري رحمه الله :

ومعنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلَّفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق

---

(١) أخرجه البخاري (٧٨٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وهو حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما وتقدم تخريجه .

وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا .

● ومن أهل العلم من يقول : إن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر فتقديره قولوا : الحمد لله رب العالمين ، وهو كقوله تعالى : ﴿ ومن دخله[1] كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] أي : أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم[2] وقد نصر هذا القول الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره، ومن المناسب أن نأتي بكلامه تامًّا لما سينتفع به بعد في التفسير .

قال رحمه الله تعالى[3]: فإن قال لنا قائلٌ : وما معنى قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمدٍ رسول الله ﷺ ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا، قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] وقولوا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ مما علمهم الله جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

---

(١) أي : الحرم .

(٢) على قولٍ لبعض المفسرين .

(٣) نقل القرطبي وابن كثير عن ابن جرير رحمه الله قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله .

فإن قال : وأين قوله : (قولوا) فيكون تأويل ذلك ما ادعيت ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها – إذا عرفت مكان الكلمة و لم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت – حذفُ ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولًا أو تأويل قولٍ كما قال الشاعر :

وأَعْلَمُ أنني سأكُونُ رمسًا[1] إذا سَارَ النَّواعجُ لا يسيرُ
فقال السائلون لمن حَفَرتُم فقال المخبرون لهم وزيرُ

قال أبو جعفر : يريد بذلك : فقال المخبرون لهم : الميت وزير فأسقط الميت إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك ، وكذلك قول الآخر :

ورَأَيتِ زَوْجَكِ في الوغَى مُتقلِّدًا سيفًا ورمحًا

وقد عُلم أن الرمح لا يُتقلد به وأنه إنما أراد : وحاملًا رمحًا ، ولكن لما كان معلومًا معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حُذف منه وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه : (مصاحبًا معافًى) يحذفون (سر ، واخرج)[2] إذ كان معلومًا معناه وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] لما عُلم بقوله جل وعزَّ : ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] ما أراد بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ من معنى أمر عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حُذف .

❋ ❋ ❋

---

(١) الرمس: قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: القبر المسوى عليه التراب، يقول: أصبح قبري يزار أو يناح عليه، ورواه الجاحظ (سأصير ميتًا) وهي لا شيء، والنواعج جمع ناعجة ، وهي الإبل السراع نعجت في سيرها ، أي : سارت في كل وجه من نشاطها .

(٢) ونحو هذا قول سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣٢] أي : توارت الشمس بالحجاب ، وقولنا للمسافر : (مع السلامة) أي اذهب مع السلامة ، أي : مصحوبًا بالسلامة .

س : هل هناك فرق بين (الحمد) و (الشكر) ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرق بين الحمد والشكر ، وأن الحمد والشكر بمعنى واحد .

وكثير من أهل العلم يفرقون فيقولون :

إن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة[1] والمتعدية .

أما الشكر فلا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ومعنى هذا الكلام أن لله سبحانه وتعالى صفات لازمة وصفات متعدية (فالحي) مثلًا اسم يحمل صفة لازمة لله تبارك وتعالى و (الغفور) مثلًا اسم يحمل صفة متعدية للخلق ، أي : يغفر لهم ، فقولنا : الحمد لله ثناءٌ على الله سبحانه لكونه الحي ولكونه الغفور ولغير ذلك من الصفات ، فقولنا : الحمد لله ثناء على الله لصفات الكمال المتفرد بها اللازمة له سبحانه ، وقولنا : (الشكر لله) ثناء على الله لمغفرته لنا ، ولأنه يرزقنا ويرحمنا ويشفينا ويستر علينا وينصرنا ويهدينا ويشرح صدورنا ....

وقد يكون شكرُنا لله عز وجل بأن نصلي له أو نسبحه أو نحج ونعتمر أو نتصدق ونجاهد ونصوم ونسعى و ... ونحو ذلك ، فيكون الشكر باللسان

---

(١) في الحقيقة إنني لا أعلم دليلًا يحدد بالضبط ما هي الصفات اللازمة والصفات المتعدية ، ولا أعلم أن هناك اتفاق كذلك للعلماء في هذا الباب ، والذي يبدو لي أن سعة علم العالم تجعل هناك بعض الخلاف في تحديد الصفة اللازمة والمتعدية ، فمثلًا اسم (القيوم) قد يرى شخص أنه لازم (لقلة علم هذا الشخص) لكن إذا علم (أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وكما قال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ [الروم : ٢٥] اتضح له أن اسم (القيوم) متعدٍّ إلى الخلق كذلك ، والله أعلم .

والجنان والأركان ، والله أعلم .

فعلى ذلك (فالحمد) ثناء على الممدوح من غير سبق إحسان ، والشكر ثناء على المشكور بما أولى وأعطى من الإحسان ، ويكون الحمد (بالقول) على ما قدمنا ، ويكون الشكر بالجنان واللسان والأركان كما قدمنا أيضًا .

فعلى ذلك يكون الحمد أعم من ناحية ، والشكر خاص من هذه الناحية ، ويكون الشكر عام من ناحية أخرى والحمد خاص منها ، ولتوضيح ذلك نقول : إننا نحمد الله لكل صفاته اللازمة والمتعدية فنحمده لأنه الحي القيوم المجيد الفعال لما يريد ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفور الشكور ...

إلى غير ذلك من جميع صفاته ، فمن هذه الناحية يكون الحمد عامًّا والشكر منها يكون خاصًّا إذ شكره على صفات الإحسان لكونه الرزاق الغفار الشافي الهادي ونحو ذلك ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى نشكره بصلاتنا وصيامنا وتصدقنا على الفقراء وحجنا وجهادنا وتصديقنا بقلوبنا وبألسنتنا و ... فالشكر عام هنا ومن هذه الناحية الحمد يكون خاصًّا فيكون باللسان .

والله تعالى أعلم والحمد لله والشكر لله .

❋ ❋ ❋

س : قال بعض العلماء : إن ﴿ الحمد لله ﴾ هي كلمة كل شاكر ، اذكر ما يدل لهم على ذلك ؟

ج : استدلوا على ذلك بقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ [فاطر : ٣٤] .

وبقول نوح عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

وبقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾ [إبراهيم : ٣٩] .

وبقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ... ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وبقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وبقول الله تعالى: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [يونس : ١٠].

وبقول داود وسليمان عليهما السلام : ﴿ الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ [النمل : ١٥] .

وبقول العاطس إذا عطس : (الحمد لله)[١].

● وأن الحمد لله يقولها الشخص إذا أوى إلى فراشه ، فإن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي »[٢].

● ويقولها الخطيب في خطبة الجمعة[٣] .

● ويقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها[٤].

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ٦٠٨/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٣٧/١٧) .

(٣) أخرج مسلم (مع النووي ١٥٣/٦) من حديث جابر رضي الله عنه قال : كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول ...

(٤) أخرج البخاري (مع الفتح ٣٦٩/١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، ... » الحديث .

● ويقولها الشخص إذا انتهى من طعامه وشرابه[1].

● ويقولها الشخص إذا لبس جديدًا[2].

❋ ❋ ❋

س : حَمَدَ الرَّب سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] فهل يجوز لشخص أن يثني على نفسه ؟ وهل يجوز أن يثني على غيره ؟

ج : لا يجوز للشخص أن يحمد نفسه فقد نهى الله تبارك وتعالى عن مثل هذا فقال عز وجل : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢].

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا ﴾ [النساء : ٤٩].

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٧/٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » ، وأخرج البخاري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه – وقال مرة – إذا رفع مائدته – قال : « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور » وقال مرة : « لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى ربنا » وفي رواية « الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٥٨٠) .

● وأخرج أبو داود (٤/١٨٧) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال : « الحمد الله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجًا » .

(٢) أخرج أبو داود (٤/٣٠٩) عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » ، وهو صحيح .

وكذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يبالغ في الثناء والإطراء على شخص ، وذلك لأن رجلًا ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى رجلٌ عليه خيرًا ، فقال النبي ﷺ : « ويحك قطعت عنق صاحبك » يقوله مرارًا : « إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكى على الله أحد »[1].

● وعن أبي معمر قال : قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب ، وقال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب[2].

لكن يجوز للشخص أن يثني على نفسه وأن يثني على غيره من غير إطراء لعلة من العلل كما فعل عثمان عند محاصرة القوم له ، وذكرهم بما صنع من حفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة ، وكما أثنى رسول الله ﷺ على عددٍ من أصحابه رضي الله عنهم .

وهذا وذاك محله إذا أُمنت الفتنة ولم يخش من الثناء فسادًا وإنما رُجي بالثناء انتفاعًا للشخص المُثنى عليه ولغيره ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض معاني كلمة (رب) ؟

ج : تطلق كلمة (رب) على معاني منها :

● الرب بمعنى السيد ، ومنه قول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ [يوسف : ٤٢] وقوله : ﴿ أما أحدكما

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٨٦/١٠) ، ومسلم (١٢٧/١٨ مع النووي) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٢٧/١٨) .

فيسقي ربه خمرًا ﴾ [يوسف : ٤١].

وقول النبي ﷺ في بيان أشراط الساعة : « وأن تلد الأمة ربتها »[1].

ومنه أيضًا قول لبيد بن ربيعة :

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه ... وربَّ معدٍّ بين خَبتٍ وعَرْعَرِ

يعني برب كندة : سيد كندة ؛ قاله الطبري .

● والرب يطلق على المالك : ومنهم قولهم : رب البيت ، ورب الإبل .

● ويطلق الرب على المصلح والمربي ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] فسميت بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

● ويطلق الرب على المعبود ، ومنه قول الشاعر :

أربٌّ يبول الثعلبان بِرَأْسِهِ ... لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب

وثم معان أُخر لكلمة (الرب) .

هذا وقد قال عدد كبير من أهل العلم : إن الألف واللام متى أُدخلت على (رب) اختص به الله تبارك وتعالى ، وإن حذفتا منه صار مشتركًا بين الله عز وجل وبين عباده ، فيقال : الله رب العباد ، ويقال ، أيضًا : زيدٌ رب الدار .

فعلى هذا لا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة كقولهم : رب البيت ورب الدار ...

فالله سبحانه وتعالى هو سيد الخلق ومالكهم ومربيهم ومصلحهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : ما معنى (العالمين) وما هي أقوال المفسرين في المراد بالعالمين ؟

ج : أما العالمين فهي جمع عالم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالجيش والرهط والأنام ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعة على جمع لا واحد له من لفظه ؛ قاله الطبري .

ونحوه قاله ابن كثير رحمه الله فقال : والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

وقال الطبري أيضًا : والعالم اسم لأصناف الأمم وكل صنفٍ منها عالم ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم[1] ذلك القرن وذلك الزمان ، فالإنس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان ، والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنسٍ منها عالم زمانه ، ولذلك جُمع فقيل : عالمون ، وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان .

وقال ابن كثير رحمه الله : والعوالم أصناف المخلوقات في السموات والأرض وفي البر والبحر ، وكل قرنٍ منها وجيل يسمى : عالمًا أيضًا .

قلت : فالحاصل أن كلمة العَالَم أو (العالمين) قد تأتي عامة وقد تأتي بمعنى خاص .

● فالعالمين تطلق أحيانًا على السموات والأرض وما فيهن وما بينهن ، ودليل ذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون لما سأله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ قال له موسى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤] .

● وأحيانًا تطلق العالمين على الإنس والجن فقط، كما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] فلم يكن

---

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١٦٣) أنه قال : كل صنف عالم .

نذيرًا للبهائم ولا للطيور .

● وأحيانًا تطلق العالمين على البشر كقول لوط عليه السلام : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء : ١٦٥] .

● وأحيانًا تأتي خاصة فيقال : عالم الملائكة – عالم الجن – عالم الحيوانات ، إلى غير ذلك والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : العالم مشتق من ماذا ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن العالم مشتق من العلامة لأن وجود العالم علامة على وجود خالقه .

وبعض العلماء يقولون : العالم مشتق من العلم ، والقول الأول عليه الأكثر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ٣] عقب قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، وقد تقدمت في قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ١] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن ذلك لاتباع الترهيب بالترغيب ، فقالوا : إن قوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ فيه نوع ترهيب فعُقِّب بالترغيب في قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾، وممن قال بهذا القول القرطبي وغيره ، فقال القرطبي رحمه الله : وصف نفسه تعالى بعد ﴿ رب العالمين ﴾ بأنه ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿ رب العالمين ﴾ ترهب قرنه بـ ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة

منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، كما قال : ﴿ نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر :٤٩ ، ٥٠] ، وقال : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ﴾ [غافر : ٣] ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »[1].

● وقال صاحب فتح البيان صديق حسن خان : .. وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور ، وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه .

● هذا ومن رأى من أهل العلم أن البسملة ليست آية من الفاتحة لم يرد عنده إشكال إذ أن قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة :٣] ليس مكررًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ؟

ج : المراد بالدِّين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الجزاء[2] أي :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٦) .

(٢) وللدين معان أخر فيطلق على الإيمان والإسلام والإحسان دين ؛ لقول النبي ﷺ لأصحابه لما جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان و ... :« هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » ، وكما قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] ويُطلق الدين على الحج ، كما في قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ، على قول لبعض المفسرين ، ويطلق الدين على الطاعة ، ويطلق على العادة والشأن ، ويطلق على الداء ، ويطلق على حكم الملك كما في قوله تعالى : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ [يوسف : ٧٦] وله معان أخر تأتي في مظانها إن شاء الله .

جزاء الناس على أعمالهم وحسابهم عليها خيرًا كانت أو شرًّا ، كما قال تعالى : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ [النور : ٢٥] أي : جزاء أعمالهم بالعدل والحساب على تلك الأعمال .

ومنه أيضًا قول الكافرين : ﴿ .. أئنا لمدينون ﴾ [الصافات : ٥٣] أي : مجزيون ومحاسبون ، ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ كلا بل تكذبون بالدِّين ﴾ [الانفطار : ٩ ، ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ [الواقعة : ٨٦] يعني : غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها .

ومنه قول الشاعر :

وَاعلَمْ وأيقِن أن ملكك زائلٌ وَاعلَمْ بأنك ما تدينُ تُدان[1]

* * *

س : الله سبحانه وتعالى مالك الملك ومالك أيام الدنيا ، ومالك يوم الدين فلماذا خصص يوم الدين بالذكر في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : تخصيص ﴿ يوم الدين ﴾ بالذكر لأمور منها :

١ - لتعظيمه وتهويله ، فالإضافة أحيانًا تكون للتعظيم وللتشريف، كما قال

---

(١) ذكره المفسرون في تفاسيرهم ومنهم الطبري رحمه الله ، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : .. بعض الكلابيين يقولون : إن الحارث بن أبي شمر الغساني كان إذا أعجبته امرأة من قيس علان بعث إليها واغتصبها ، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي وكان أبوها غائبًا ، فلما قدم أخبر فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يا أيها المِلكُ المُقِيتُ أَمَا تَـرى لَيْلًا وصُبْحًا كيف يَخْتلِفَـانِ ؟
هل تستطيعُ الشمسَ أنَ تَأْتِي بها لَيْلًا وهل لك بالمَلِيك يَدانِ ؟
يا حَارِ أَيْقن أنَّ ملكَكَ زَائِـلٌ .....

تعالى في شأن ناقة صالح : ﴿ وهذه ناقة الله ﴾ [الأعراف : ٧٣] مع أن كل النوق خلقها الله سبحانه وتعالى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] مع أن الأرض كلها لله .

٢ – لبيان تفرده سبحانه وتعالى بإجراء الأمر وفصل القضاء فيه فلا يدعي أحدٌ هنالك شيئًا ، ولا يتكلم أحد هنالك إلا بإذنه ، فقد كان هناك في الدنيا من يدعي المنازعة له سبحانه في الملك كفرعون ونمروذ وغيرهما ، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد ولا يتكلم إلا بإذنه قال تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦]، وكما قال سبحانه : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال تعالى : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا ﴾ [طه : ١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ [هود : ١٠٥] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي أشهر القراءات في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : أشهر القراءات في ذلك قراءتان وهما ﴿ مالك يوم الدين ﴾ و ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وكلاهما قراءة معتمدة ذكرها القراء والمفسرون .

أما تأويل قراءة من قرأ ﴿ ملك ﴾ فقال الطبري رحمه الله : إن لله الملك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَغَرة الأذلة وأن له – من دونهم ودون غيرهم – الملك والكبرياء والعزة والبهاء ، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦] ، فأخبر تعالى ذكره أنه المتفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار .

أما تأويل ﴿ مالك ﴾ فنقل ابن جرير[1] عن ابن عباس ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا ، ثم قال : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ [طه : ١٠٨] وقال : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

* * *

س : الله سبحانه وتعالى هو الملك ، وهو أيضًا مالك دلِّل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى هو الملك : فقوله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] ، أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى مالك : فقوله عز وجل ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ [آل عمران : ٢٦] والله أعلم . .

* * *

س: بعض العلماء يقولون: إن قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] بعد قوله: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] من أنواع التلوين في الأسلوب بمعنى أن الشخص إذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ثم قال : ﴿ إياك نعبد ... ﴾ فقد رجع من الغيبة[2] إلى الخطاب[3] اذكر أمثلة أخرى لذلك في التنزيل ؟

---

(١) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف ، والأثر عند الطبري (١٦٦).

(٢) هذا من ناحية اللغة ، أما من ناحية الشرع فرب العزة سبحانه يقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان .. ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٣) يعني : من خطاب الغائب عن عينيه إلى خطاب الحاضر .

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا * إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] ، فانتقل من الحكاية عن الغائب في قوله : ﴿ وسقاهم ﴾ إلى خطاب الحاضر في قوله : ﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ .

وعكسه[1] في قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ﴾ [يونس : ٢٢] فصدر الكلام بقوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم ﴾ ثم أتبع بقوله تعالى : ﴿ وجرين بهم ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، أي : فساقه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا تحوَّل الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٤ ، ٥] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ما مفاده : إن العبد لما أثنى على ربه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٤] فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تبارك وتعالى فلهذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، والله أعلم . .

* * *

س : لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ ؟

ج : قدم المفعول على الفعل **اهتمامًا** ، وشأن العرب تقديم الأهم ، ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من أن أعرابيًّا سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له السابُّ : إياك أعني ، فقال له الآخر : وعنك أُعرض .

---

(١) أي : الانتقال من الحاضر إلى الغائب .

• وأيضًا فيه **الأدب مع الله عز وجل** فقدَّموا اسم الله سبحانه وتعالى على فعلهم .

• وفيه أيضًا **اختصاص المسمى بالحصر**[1] أي : **اختصاص الرب سبحانه هنا بالعبادة** فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] بمعنى لا نعبد إلا إياك ، ومعنى ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] : لا نستعين إلا بك ، وهي كقوله تعالى : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ [البقرة : ٤٠] أي : لا ترهبوا غيري ، وقوله تعالى : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة : ٤١] أي : لا تتقوا سواي .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة تكرير إياك في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؟

ج : فيه دليل على قوة تعلق العبادة بالمعبود ، وقوة تعلق الاستعانة بالمستعان ، فقول رجل لآخر مثلًا : إياك أحب وإياك أخاف أقوى من قوله له : إياك أحب وأخاف ، فقوة المحبة والخوف الأول أقوى منها في الثاني ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أهل العلم من يقول : إن في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ إشارة إلى تحقيق معنى لا إلٰه إلا الله وضح ذلك ؟

ج : وجهة القائلين بذلك تتضح إذا علمت أن معنى ﴿ إياك نعبد ﴾ : لا نعبد إلا إياك ، فحينئذ يتضح لك وجه الشبه فقولنا لا إلٰه إلا الله مركب من أمرين نفي وإثبات ، فالنفي خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات ، والإثبات إفراد رب السموات والأرض وحده بجميع أنواع

---

(١) وقد ذكر بعض الأصوليين أن تقديم المعمول من صيغ الحصر .

العبادات على الوجه المشروع ، فكذلك قوله : لا نعبد إلا إياك ففيه نفي العبودية لغير الله وإثبات العبودية لله وحده ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : مَنْ مِن أهل العلم قال : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الرياء ، ﴿وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الكبرياء ؟ وما هو وجه قولهم ؟

ج : قائل ذلك هو ابن تيمية رحمه الله ، وقاله أيضًا تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى[١] ، ووجه قولهما أن قول : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك فاندفع بذلك الرياء ، وقوله : ﴿ إياك نستعين ﴾ معناه : لا نستعين إلا بك فلا قوة لنا على الطاعات ولا على شيء من الأمور إلا بعونك فاندفع بذلك الكبرياء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

ج : نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها : أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هاديًا خريتًا[٢] ، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة[٣]

---

(١) انظر التفسير القيم ص (٤٨) .

(٢) (٣) أخرجهما البخاري في حديث طويل (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم طَرَفَي النهار : بكرةً وعشيًّا ، فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدّغِنة – وهو سيدُ القارةِ – فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أَخْرَجني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرضِ وأعبد ربي . قال ابن الدّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ ، إنك تَكْسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقرِي الضيف وتُعين =

= على نوائبِ الحق فأنا لك جارٌ ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدّغنة فطاف ابن الدّغنة عشيةً في أشرافِ قريشٍ فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُهُ ولا يُخرَجُ ، أتُخرِجون رجلًا يَكسِبُ المعدوم ويَصِلُ الرَّحم ويحمل الكلَّ ويقري الضيف ، ويُعينُ على نوائبِ الحق ؟ فلم تُكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدّغِنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في دارِهِ فليُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلِنْ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر لذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناءِ دارِهِ وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يَعجَبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريشٍ من المشركين فأرسَلُوا إلى ابن الدّغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجَرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في دارِهِ فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتَكَ ، فإنا قد كَرِهْنَا أن نُخْفِرَك ، ولسنا بمقرِّين لأبي بكر الاستعلانَ . قالت عائشةُ : فأتى ابن الدَّغِنة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تَرجِعَ إليَّ ذمتي ، فإني لا أُحب أن تسمع العربُ أني أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له ، فقال أبو بكر : فإني أردُّ إليك جوارَكَ ، وأرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بمكةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين : « إني أُريتُ دار هِجْرَتِكم ذات نخلٍ بين لابتين » وهما الحرَّتان فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينةِ ، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « على رِسْلِكَ فإني أرجو أن يُؤذن لي » ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نَفْسَه على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر – وهو الخَبْطُ – أربعة أشهر . قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقنعًا في ساعة لم يكن يأتِينا فيها – فقال أبو بكر : فداءٌ له أبي وأمي ، =

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ: (.. جئت أستعين بك في مكاتبتي)[1]

= والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ ، قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر : أخرِج من عِندَكَ ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإني قد أُذِنَ لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالثَّمن ، قالت عائشة فجهزناهما أحثَّ الجهاز ، وصنعنا لهما سُفرةً في جراب فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكر قطعة من نِطاقها فربطت به على فَمِ الجراب فبذلك سميت ذات النطاق ، قالت : ثمَّ لَحِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر بغارٍ في جبل ثورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فيُدلج من عندهما بسحرٍ فيصبحُ مع قريشٍ بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بنُ فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غَنَم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسلٍ ، وهو لبن منحتِهما ورَضيفِهما – حتى ينعق بهما عامرُ بن فهيرة بغلسٍ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا من بني الدِّيل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا ، والخريتُ : الماهر بالهداية ، قد غمس حلفًا في بني العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفارِ قريش فأمِناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليلُ فأخذ بهم طريق السواحل . صحيح

وأخرج أحمد بعضه (٦/١٩٨) .

(١) أخرجه ابن إسحاق رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٥٧) بإسناد حسن فقال :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في القسم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هي إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ما قد =

وكذلك قالت بريرة لعائشة رضي الله عنها[1] واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك[2] هذا كله مع اعتقاد أن الناصر والمعين هو الله سبحانه وتعالى . .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يقولون : إن قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] من باب عطف الخاص على العام وضح ذلك ؟

ج : هذا لأن العبادة المطلقة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه والاستعانة مما يحبه الله ويرضاه فكانت العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعينٌ به ولا ينعكس لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا كانت قسمَ الرب[3] ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس ولأن الاستعانة طلب منه والعبادة طلب له ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص والاستعانة تكون من مخلصٍ وغير مخلصٍ ....[4] .

= رأيت فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي فقال: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت : نعم . ففعل ذلك فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها .

(١) أخرجه البخاري (٢٧١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأحمد (٦/٣٨٧ - ٣٨٨) .

(٣) وذلك لما في الحديث إذا قال العبد : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] قال الله عز وجل : « هذا بيني وبين عبدي » .

(٤) هذا كلام ابن القيم رحمه الله في تفسيره القيم أوردناه مع زيادة زدناها في أوله والله أعلم.

س : وصَفَ الله سبحانه وتعالى أفضل خلقه وصفوته منهم وهم أولوا العزم من الرسل بالعبودية له سبحانه فهم في هذا الجانب كغيرهم عبيدٌ لله سبحانه وكذلك وصفت الملائكة بأنهم عبيد لله سبحانه ، وكذلك سائر الخلق وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما أولوا العزم من الرسل :

● فنوح عليه السلام ذكره الله سبحانه فقال : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ [الإسراء : ٣] وقال سبحانه : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ [القمر : ٩] .

● وإبراهيم عليه السلام ذكره الله فقال : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [ص : ٤٥] .

● وموسى عليه السلام ذكره الله فقال فيه وفي أخيه هارون عليه السلام : ﴿ إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٢٢] .

● وعيسى عليه السلام قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ [مريم : ٣٠] وقال الله عز وجل في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩] وقال سبحانه : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وكذلك نبينا محمد ﷺ سماه الله عبدًا ووصفه بالعبودية في أشرف المقامات .

● ففي مقام الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا ﴾ [الجن : ١٩] .

● وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم : ١٠].

● وفي مقام التحدي قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة : ٢٣] .

● وفي مقام إنزال الكتاب عليه قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾ [الفرقان : ١] .

● وفي الإسراء قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [الإسراء : ١] .

● وفي مجال حفظ الله له قال تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفهم الله عز وجل بالعبودية له سبحانه فقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٨٨] .

● وكذلك يوسف – إضافة إلى ماذكر – قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .

● ونوح ولوط قال تعالى فيهما : ﴿ عبدين من عبادنا صالحين ﴾ [التحريم : ١٠] .

● وكذلك إلياس عليه السلام قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٣٢] .

● وأيوب عليه السلام قال الله فيه : ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾ [ص : ٤١] .

● وداود وسليمان عليهما السلام قال الله فيهما : ﴿ اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٣] .

وداود عليه السلام قال الله فيه ﴿ .. واذكر عبدنا داود .. ﴾ [ص : ١٧] .

● وسليمان عليه السلام قال الله فيه : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ [ص : ٣٠] .

● وزكريا قال الله فيه : ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ [مريم : ٢] .

● والخضر قال الله فيه : ﴿ .. فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

● وكذلك الملائكة قال الله تبارك وتعالى فيهم وفيمن عبدوهم : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] .

● وهكذا كل الخلق قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

❋ ❋ ❋

س : خلق الله عز وجل الخلق لطاعته وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له اذكر جملة آيات تدل على ذلك ؟

ج : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [الزمر : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله .. ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

● وقال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ [قريش : ٣] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يسٓ : ٦٠ ، ٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴾ [البقرة: ٨٣] .

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ نعبد ﴾ ، و ﴿ نستعين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إياك

نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ؟

ج : نعبدُ أي : نَذِلُّ ونستكين ونخضع ونخشع فأصل العبودية الذِّلة ومنه طريق مُعبد أي مذلَّل موطوء .

وتطلق العبادة أيضًا على الطاعة وثمَّ معان أُخر ترجع إلى ما ذكر وستأتي في محلها إن شاء الله .

● والعبادة في الشرع هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه[1].

---

(١) وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٦٥) : والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد أي : مذلل ، والتعبد : التذلل والخضوع فمن أحببته و لم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا ، ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية والمنكرون لكونه محبوبًا لهم بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم منكرين لكونه إلهًا وإن أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم فهذا غاية توحيدهم ، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب و لم يخرجوا به من الشرك كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف :٨٧] وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله ﴾ [لقمان : ٢٥] ، [الزمر: ٣٨] وقال سبحانه : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥] ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه.

والاستعانة تجمع أصلين : الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به والتوكل معنى يلتئم من أصلين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذُكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا **أحدها** .

الثاني : قول شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ . [هود : ٨٨] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] . =

وأحيانًا يطلقها بعض أهل العلم على أضيق من ذلك فيطلقونها على الصلاة والزكاة والصيام والحج .

أما نستعين فمعناها نطلب العون . .

❋ ❋ ❋

س : اذكر قول القدرية باختصار شديد وكيف ترد عليه من سورة الفاتحة ؟

ج : باختصار شديد أنهم ينفون القدر ويقولون : إن الإنسان يختار لنفسه ما شاء ولا دخل للرب سبحانه وتعالى في ذلك .

أما الرد عليهم من سورة الفاتحة فبقوله تعالى : ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] .

فيقال لهم : إذا كنتم ترون أنه ليس للرب سبحانه دخل في الهداية فلماذا تطلبونها منه ، ولماذا تطلبون منه العون على العبادة في قولكم في كل صلاة : ﴿ إياك نستعين ﴾ ؟

❋ ❋ ❋

= **الرابع :** قوله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ [الممتحنة : ٤] .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا * رب المشرق والمغرب لا إلٰه إلا هو فاتخذه وكيلًا ﴾ [المزمل : ٨ ، ٩] .

السادس : قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أُنيب ﴾ [الشورى : ١٠] (١) .

فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصلين وهما : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

---

(١) في الأصل ﴿ قل هو ربي لا إلٰه إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ، والصواب ما أثبتناه .

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أن الناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام اذكر ما قاله رحمه الله في ذلك ؟ وأين قال ذلك ؟

ج : هذه الأقسام ذكرها رحمه الله تعالى في التفسير القيم ص ٦٩ فقال :

الناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

أجلها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربُّ تبارك وتعالى الإعانةَ على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحبِّه معاذ بن جبل . قال : « يا معاذ ، والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1].

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته ، وأفضل المواهب : إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وعلى دفع ما يضاده ، وعلى تكميله وتيسير أسبابه . فتأملها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : تأملت أنفعَ الدعاء : فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] .

ومقابل هؤلاء : القسم الثاني : وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة ، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٥٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : « يا معاذ : والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وأخرجه النسائي (٥٣/٣) ، والحاكم (٢٧٣/٣ - ٢٧٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وشهواته ، لا على مرضاة ربه وحقوقه ، فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض : يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمُدُّ هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه : عدوه إبليس ، ومع هذا فسأله حاجة فأعطاه إياها ، ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته : كانت زيادة له في شقوته ، وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ، ولم يكن عونًا على طاعته ، كان مبعدًا له عن مرضاته ، قاطعًا له عنه ولا بد .

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له ، وفيها هلاكه وشقوته ، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له ، فيمنعه حمايةً وصيانة وحفظًا لا بخلًا ، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ، ويعامله بلطفه : فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ، ويراه يقضي حوائج غيره ، فيسيء ظنه بربه ، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به ، والمعصوم من عصمه الله ، والإنسان على نفسه بصيرة ، وعلامة هذا : حمله على الأقدار . وعتابه الَباطن لها . كما قيل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه ، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، ولكن ما حيلتي ؟ والأمر ليس إليّ ، والعاقل خصم نفسه ، والجاهل خصم أقدار ربه ، فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئًا معينًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك ، وإذا لم تجد من سؤاله بدًّا ، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة ، وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة ، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة بل استخارة من لا علم له بمصالحه ولا قدرة له عليها ، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها . ولا يملك لنفسه ضرًّا

ولا نفعًا ، بل إن وُكل إلى نفسه هلك كل الهلاك ، وانفرط عليه أمره . وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال : تسأله أن يجعله عونًا على طاعته وبلاغًا إلى مرضاته ، ولا يجعله قاطعًا لك عنه ، ولا مبعدًا عن مرضاته . ولا تظن أن عطاءه كلَّ ما أعطى لكرامة عبده عليه ؛ ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه ، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان ، يمتحن بهما عباده . قال الله تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا ! ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٧] أي : ليس كل من أعطيتُه ونعمته وخولته : فقد أكرمته ، وما ذاك لكرامته عليَّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له : أيشكرني فأعطيه فوق ذلك ، أم يكفرني فأسلبه إياه ، وأخول فيه غيره ؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه ، وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه عليَّ ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له : أيصبر ؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سَعة الرزق ، أم يتسخط ؟ فيكون حظه السخط .

فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام ، وأن الفقر إهانة ، فقال : لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته عليَّ ، ولم أبتله بالفقر لهوانه عليَّ . فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فإنه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويُقَتِّر على المؤمن لا لإهانته ، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته . فله الحمد على هذا وعلى هذا ، وهو الغني الحميد .

فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] .

فصـــل

القسمُ الثالث : من له نوع عبادة بلا استعانة . وهؤلاء نوعان :

أحدهما : القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف ،

وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل . فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل ، وتمكينه من الفعل . فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها ، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة : فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء ، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان ، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر ، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد ، أوجب لهم الإيمان ، وخذل هؤلاء بأمر آخر ، أوجب لهم الكفر ، فعباد هؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة ، لا استعانة معه فهم موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده .

النوع الثاني : من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة ، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر ، وتلاشيها في ضمنه ، وقيامها به ، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له ، بل كالعدم الذي لا وجود له ، وأن القدر كالروح المحرك لها ، والمعول على المحرك الأول . فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك ، ومن السبب إلى المسبب ، ومن الآلة إلى الفاعل . فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم ، فقل نصيبهم من ﴿ إياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة ، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم . ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأمورًا بإزالته ، لأزاله .

فإن قلت : فما معنى التوكل والاستعانة ؟

قلت : هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله ، وتفرده بالخلق والتدبير

والضر والنفع، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما لم يشأ لم يكن ، وإن شاءه الناس ، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه وتفويضًا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه ، وأنه مَلِيٌّ به ، ولا يكون إلا بمشيئته، شاءه الناس أم أَبَوْه ، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما. فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه ، وحبس هَمِّه على إنزال ما ينويه بهما. فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد. قال الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق : ٣] أي : كافيه. والحسب: الكافي ، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو:

القسم الرابع : وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضرر ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولم يَدُر مع ما يحبه ويرضاه ، فتوكل عليه ، واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه ، وطلبها منه ، وأنزلها به فقضيت له ، وأسعف بها ، ولكن لا عاقبة له ، سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق أو أحوالًا ، من كشف وتأثير وقوة وتمكين . فإنها من جنس الملك الظاهر ، والأموال لا تستلزم الإسلام ، فضلًا عن الولاية والقرب من الله . فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر . فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه ، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين ، وأبعدهم معرفة بالله ودينه ، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه ، فالحال من الدنيا . فهو كالملك والمال ، إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته ، وتنفيذ أوامره ، ألحقه بالملوك العادلين البررة ، وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله ، وملحق له بالملوك الظلمة ، والأغنياء الفجرة .

❋ ❋ ❋

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره القيم أن لأهل ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق فهم في ذلك أربعة أصناف اذكر ما قاله هذا العلامة الجليل ؟

ج : كلام هذا العالم الجليل في هذا المقام في غاية النفع ولذلك نورده هنا بتمامه[1] ، قال رحمه الله (التفسير القيم ص ٧٦) :

ثم أهل مقام ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق . فهم في ذلك أربعة أصناف :

الصنف الأول : عندهم أنفع العبادات ، وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها .

قالوا : لأنه أبعد الأشياء من هواها ، وهو حقيقة التعبد .

قالوا : والأجر على قدر المشقة ، ورووا حديثًا لا أصل له : « أفضل الأعمال أَمَرُّهَا » أي : أصعبها وأشقها ، وهؤلاء : هم أهل المجاهدات والجور على النفوس .

قالوا : وإنما تستقيم النفوس بذلك ، إذ طبعها الكسل والمهانة ، والإخلاد إلى الأرض ، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق .

الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات التجرد ، والزهد في الدنيا ، والتقلل منها غاية الإمكان ، واطّرح الاهتمام بها ، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان :

فعوامهم : ظنوا أن هذا غاية ، فشمروا إليه وعملوا عليه . ودعوا الناس

---

(١) وقد أوردناه مع المزيد في رسالة قيمة لنا اسمها : (مفاتيح للفقه في الدين) فراجعها إن شئت فإن بها نفعًا كبيرًا – إن شاء الله – في هذا الباب .

إليه ، وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة ، فرأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها .

وخواصهم رأوا هذا مقصودًا لغيره ، وأن المقصود به عكوف القلب على الله ، وجمع الهمة عليه ، وتفريغ القلب لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والاشتغال بمرضاته . فرأوا أن أفضل العبادات في الجمعية على الله ، ودوام ذكره بالقلب واللسان ، والاشتغال بمراقبته ، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له .

ثم هؤلاء قسمان : فالعارفون المتبعون منهم : إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فَرَّقهم وأذهب جمعيتهم . والمنحرفون منهم يقولون : المقصود من العبادة جمعية القلب على الله . فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه . وربما يقول قائلهم :

يطالب بالأوراد من كان غافلًا فكيف بقلب كل أوقاته ورد ؟

ثم هؤلاء أيضًا قسمان : منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته ، ومنهم من يقوم بها ، ويترك السنن والنوافل ، وتعلم العلم النافع لجمعيته .

وسأل هؤلاء شيخًا عارفًا فقال : إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله ، فإن قمت وخرجت تفرقت ، وإن بقيت على حالي بقيت على جمعيتي ، فما الأفضل في حقي ؟ .

فقال : إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم ، وأجب داعي الله ، ثم عد إلى موضعك . وهذا لأن الجمعية على الله : حظ الروح والقلب ، وإجابة الداعي : حق الرب ، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل « إياك نعبد » .

الصنف الثالث : رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد ،

فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر ، فرأوا خدمة الفقراء ، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل . فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » رواه أبو يعلى[1] .

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير ، وأين أحدهما من الآخر ؟ .

قالوا : ولهذا كان فضل العالم على العابد : كفضل القمر على سائر الكواكب

قالوا : وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النعم »[2]، وهذا التفضيل للنفع المعتدي ، واحتجوا بقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء »[3] ، واحتجوا بقوله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير »[4] ، وبقوله ﷺ : « إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا ، وقد أخرجه الطبراني (١٠/١٠٥) أثر (١٠٠٣٤) ، والخطيب البغدادي (٦/ ٣٣٤) وفيه موسى بن عمير ، وهو متروك .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٠) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » .

(٤) صححه الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله (صحيح الجامع ١٨٣٤) .

الحيتان في البحر والنملة في جحرها »[1] .

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي نسب إليه .

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ، ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب ، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد ، وترك مخالطة الناس . ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك .

---

(١) ضعيف ، وقد أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والبغوي (شرح السنة) (١/٢٧٥)، والدارمي (١/٩٨) وغيرهم كما سنشير إليهم قريبًا من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، قال : كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل ، فقال : يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة .

قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » .

● وهذا إسناد ضعيف من أجل داود بن جميل فهو ضعيف ، وكذلك كثير بن قيس ، وثمَّ بعض الخلافات في السند أيضًا ، ولمزيد من الوقوف عليها مع الوقوف على مزيد ممن أخرجوا الحديث انظر سنن الترمذي (٢٦٨٢) ، وسنن ابن ماجه (حديث ٢٢٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٢٩) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص٣٣ - ٣٧) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦) ، وابن حبان (١/١٥١ - ١٥٢) ، وثمَّ شاهد عند أبي داود (٣٦٤٢) من حديث أبي الدرداء ، وفي إسناده مجهول . والله تعالى أعلم .

الصنف الرابع : قالوا : إن أفضل العبادة : العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته . فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد ، من صلاة الليل وصيام النهار ، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض ، كما في حالة الأمن .

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا : القيام بحقه ، والاشتغال به عن الورد المستحب ، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في وقت استرشاد الطالب ، وتعلم الجاهل : الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات الأذان : ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه ، والمبادرة إليها في أول الوقت ، والخروج إلى الجامع ، وإن بعد كان أفضل .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه ، أو البدن أو المال : الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته ، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك .

والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه ، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به ، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره ، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر

دون الصوم المضعف عن ذلك .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة : الإكثار من التعبد ، لا سيما التكبير والتهليل والحميد . فهو أفضل من الجهاد غير المتعين .

والأفضل في العشر الأخير من رمضان : لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم ، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن ، عند كثير من العلماء .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته ، وحضور جنازته وتشييعه ، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم ، دون الهرب منهم . فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه[1] .

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر ، فهي أفضل من خلطتهم فيه . فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من عزلتهم .

فالأفضل في كل وقت وحال : إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال . والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه . وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق . والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد . فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقض وترك عبادته . فهو

---

(١) صح في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) ، وأحمد (٥/٣٦٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) ، وابن ماجة (٤٠٣٢) .

يعبد الله على وجه واحد . وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت . فمدار تعبده عليها . فهو لا يزال متنقلًا في منازل العبودية ، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها ، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى . فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره : فإن رأيت العلماء رأيته معهم . وإن رأيت العباد رأيته معهم . وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم . وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم ، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم ، فهذا هو العبد المطلق ، الذي لم تملكه الرسوم ، ولم تقيده القيود ، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات . بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه ، فهذا هو المتحقق بإياك نعبد وإياك نستعين حقًّا ، القائم بهما صدقًا . ملبسه ما تهيأ ، ومأكله ما تيسر ، واشتغاله بما أمر به في كل وقت بوقته ، ومجلسه حيث انتهى ووجده خاليًا ، لا تملكه إشارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولى عليه رسم ، حر مجرد ، دائر مع الأمر حيث دار ، يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه ، ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق ، ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها ، وكلها منفعة حتى شوكها . وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله ، والغضب إذا انتهكت محارم الله ، فهو لله وبالله ومع الله ، قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس . بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم ، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواهًا له . ما أغْرَبَه بين الناس ، وما أشدَّ وحشته منهم ، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه !! والله المستعان . وعليه التكلان .

❋ ❋ ❋

س : العبودية لله على قسمين عبودية خاصة وعبودية عامة ، وضح ذلك ؟

ج : أما العبودية العامة فبمعنى أن كل الخلق مقهورون خاضعون لله سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كيف يشاء ، ويحكم فيهم كما يريد ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ومن الآيات التي يظهر فيها معنى العبودية بعمومه قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ [العنكبوت : ٦٢] وقوله تعالى : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] .

● أما العبودية الخاصة فأهلها ذلّلوا أنفسهم لله واستكانوا لأوامره وائتمروا بها وانتهوا عن نواهيه فامتثلوا ما أمر وانتهوا عما نهى وزجر ورجوا ما عنده من ثواب وخشوا ما أعد للعصاة من عقاب . فهم بهذا المعنى عباد لله ، ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المعنى ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ﴾ [ص : ٤٥] وقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الإسراء : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ [نوح : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم[1] .

---

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٩٥) :

فصل في انقسام العبودية إلى عامة وخاصة :

العبودية نوعان : عامة ، وخاصة .

فالعبودية العامة : عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، بَرِّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم . فهذه عبودية القهر والملك . قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن =

= ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتَنشَقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هَدًّا * أن دَعَوْا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمنِ عبدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٣] ، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] فسماهم عباده مع ضلالهم ، لكن تسميةً مقيدة بالإشارة ، وأما المطلقة فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وقال تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] ، وقال : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] ، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة .

وأما النوع الثاني : فعبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر . قال تعالى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [الزخرف : ٦٨] وقال : ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] ، وقال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، وقال تعالى عن إبليس : ﴿ ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩ ، ٤٠] فقال تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر : ٤٢] .

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته ، وأهل طاعته وولايته : هم عبيد إلهيته .

ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقًا إلا لهؤلاء .

وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية : فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه : إما منكرًا . كقوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، والثاني معرفًا باللام كقوله : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] .

الثالث : مقيدًا بالإشارة أو نحوها كقوله: ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] .

الرابع : أن يذكروا في عموم عباده . فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر . كقوله : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] =

س : كيف يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾[البقرة : ٥] ؟

ج : يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ إذا التزم أصلين :

الأول : متابعة الرسول ﷺ .

= الخامس : أن يذكروا موصوفين بفعلهم . كقوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد يقال : إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته ، وأنابوا إليه ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة .

وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة : لأن أصل معنى اللفظة : الذل والخضوع . يقال : « طريق معبد » إذا كان مذللًا بوطء الأقدام ، و « فلان عَبَّده الحب » إذا ذلله ، لكن أولياؤه خضعوا له وذلوا طوعًا واختيارًا ، وانقيادًا لأمره ونهيه ، وأعداؤه خضعوا له قهرًا ورغمًا .

ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة : انقسام القنوت إلى خاص وعام ، والسجود كذلك . قال تعالى في القنوت الخاص : ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ [الزمر : ٩] وقال في حق مريم : ﴿ وكانت من القانتين ﴾ [التحريم : ١٢] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في القنوت العام : ﴿ بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] ، أي : خاضعون أذلاء .

وقال في السجود الخاص : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] ، وقال : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّدًا وبُكيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في السجود العام : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] .

ولهذا كان السجود الكُرْه غير السجود المذكور في قوله : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾ [الحج : ١٨] فخص بالسجود هنا كثيرًا من الناس وعمهم بالسجود في سورة النحل الآية ٤٩ ، وهو سجود الذل والقهر والخضوع ، فكل أحد خاضع لربوبيته ، ذليل لعزته . مقهور تحت سلطانه تعالى .

الثاني : الإخلاص لله تبارك وتعالى[1] .

---

(١) وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أن الناس بحسب هذين الأصلين ينقسمون إلى أربعة أقسام فقال رحمه الله (التفسير القيم ص٧٣) :

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضًا إلى أربعة أقسام :

أحدها : أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة . وهم أهل « إياك نعبد » حقيقة ، فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله . فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده . لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورًا ، ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة ، والمنزلة في قلوبهم ، ولا هربًا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا . فالعمل لأجل هؤلاء ، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ، ورجائهم للضر والنفع منهم ، لا يكون من عارف بهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم ، وجاهل بربه . فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم . ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله ، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم ، وكذلك أعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لأمر الله ، ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه . وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله . قال الله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ [الملك : ٢] وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملًا ، قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا . لم يقبل . وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : ما كان لله ، والصواب : ما كان على السنة . وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وفي قوله : ﴿ ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء : ١٢٥] ، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه على متابعة أمره ، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا . وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »[1] وكل عمل بلا اقتداء . فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا . =

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

س : ما مدى صحة الشعارات التي ترفع في بعض الدول تحت مسمى (حرية الرأي) و(حرية الكلمة) ونحو ذلك ؟

ج : إن كان المراد بـ (حرية الكلمة) و (حرية الرأي) التكلم بكلمة الحق والصدع بالرأي الحق الذي يحبه الله ويرضاه ولا يخشى في إعلانه وإظهاره لومة لائم فذلك أمر محمود ، محمود أن تصدع بالحق وتعلن رأيك

= فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء .

فصل :

الضرب الثاني[1] : من لا إخلاص له ولا متابعة . فليس عمله موافقًا لشرع ، ولا هو خالصًا للمعبود ، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله . وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل . ولهم أوفر نصيب من قوله : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص .

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات ، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم . فهم أهل الغضب والضلال .

الضرب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمر ، كجهال العباد ، والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره ، واعتقده قربة إلى الله فهذا حاله ، كمن يظن أن سماع المُكاء والتصدية قربة ، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة ، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة . وأمثال ذلك .

الضرب الرابع : من أعماله على متابعة الأمر ، لكنها لغير الله . كطاعة المرائين ، وكالرجل يقاتل رياء وحَمية وشجاعة ، ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها ، لكنها غير صالحة فلا تقبل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] ، فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة ، وهم أهل إياك نعبد وإياك نستعين .

---

(١) هذا هو القسم الثاني من الأقسام الأربعة .

الصواب في المسائل ما دام موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

● أما إذا كان المراد بحرية الكلمة مثلًا إعطاء الحرية لكل شخص يتكلم بما يشاء من كفرٍ وزندقةٍ ونحو ذلك فهذا كفر ولا يجوز إقراره ولا السكوت عليه ، ومن ثمَّ فيكون شعار (حرية الكلمة) و(حرية الرأي) شعار باطل يتخذ وسيلة إلى إظهار الكفر والتلفظ به والخوض فيه ، ففي الإسلام وعند المسلمين اللسان مُعبَّدٌ مذلَّل لله تبارك وتعالى لا يتكلم كيفما شاء ، بل أحيانًا يجب عليه أن يتكلم كلامًا وحرام عليه في أحيان أُخر أن يتكلم بنوع من الكلام ، و يستحب له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويكره له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويباح له نوع من الكلام ، وهو في كل هذا مقيدٌ بما أمره الله به ، أما إذا انسلخ اللسان من العبودية لله رب العالمين وخاض مع الضُّلال الخائضين ؛ فمصيره – عياذًا بالله – إلى سقر ، كما قال تعالى :

كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * و لم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين ... ﴾ [المدثر : ٣٨ – ٤٦] وكذلك القلب وسائر الجوارح كلها مُعبدة لله مذلَّلة له خاضعة له عز وجل .

● وقد أفرد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هنا بحثًا لا مانع من أن نسوقه برُمَّته ؛ لما فيه من النفع وبيان عبودية القلب والجوارح لله تبارك وتعالى حتى يكون بيانًا شافيًا لمن جهل عبودية ربِّه ودندن بقوله : (أنا حر) فاستباح المحرمات من أجل هذا الشعار .

قال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٠٠) :

ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة . من كملها كمل مراتب العبودية .

وبيانها : أن العبودية منقسمة على القلب ، واللسان ، والجوارح . وعلى كل منها عبودية تخصه .

والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ، ومستحب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان ، والجوارح . فواجب القلب : منه متفق على وجوبه ، ومختلف فيه .

فالمتفق على وجوبه : كالإخلاص ، والتوكل ، والمحبة ، والصبر ، والإنابة ، والخوف ، والرجاء ، والتصديق الجازم ، والنية في العبادة ، وهذه قدر زائد على الإخلاص ، فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره .

ونية العبادة لها مرتبتان :

إحداهما : تمييز العبادة عن العادة .

والثانية : تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض .

والأقسام الثلاثة واجبة .

وكذلك الصدق . والفرق بينه وبين الإخلاص : أن للعبد مطلوبًا وطلبًا ، فالإخلاص: توحيد مطلوبه . والصدق : توحيد طلبه .

فالإخلاص : أن لا يكون المطلوب منقسمًا . والصدق : أن لا يكون الطلب منقسمًا : فالصدق بذل الجهد ، والإخلاص : إفراد المطلوب .

واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة .

وكذلك النصح في العبودية . ومدار الدين عليه ، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له . وأصل هذا واجب ، وكماله مرتبة المقربين .

وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان ، واجب

مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين ، وكمال مستحب . وهو مرتبة المقربين .

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة ، قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن ، أو بضعًا وتسعين ، وله طرفان أيضًا : واجب مستحق ، وكمال مستحب .

[ثم ذكر القسم الواجب المختلف فيه – إلى أن قال :] .

والمقصود : أن يكون ملك الأعضاء – وهو القلب – قائمًا بعبوديته لله هو ورعيته .

وأما المحرمات التي عليه : فالكبر ، والرياء ، والعجب ، والحسد ، الغفلة ، والنفاق ، وهي نوعان : كفر ومعصية . فالكفر كالشك ، والنفاق ، والشرك ، وتوابعها .

والمعصية نوعان : كبائر وصغائر .

فالكبائر : كالرياء ، والعجب ، والكبر ، والفخر ، والخيلاء ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والفرح والسرور بأذى المسلمين ، والشماتة بمصيبتهم ، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم ، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ، وتمني زوال ذلك عنهم ، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا ، وشرب الخمر ، وغيرهما من الكبائر الظاهرة ، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها ، والتوبة منها ، وإلا فهو قلب فاسد ، وإذا فسد القلب فسد البدن .

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب ، وترك القيام بها .

فوظيفة « إياك نعبد » على القلب قبل الجوارح ، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد . وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها .

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه ، وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها .

ومن الصغائر أيضًا : شهوة المحرمات وتمنيها ، وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر ، بحسب تفاوت درجات المشتهي ، فشهوة الكفر والشرك : كفر ، وشهوة البدعة : فسق ، وشهوة الكبائر : معصية ، فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب . وإن تركها عجزًا عن بذله مقدوره في تحصيلها : استحق عقوبة الفاعل ، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب ، وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع ، ولهذا قال النبي ﷺ : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » ، قالوا : هذا القاتل يا رسول الله ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »[1] ، فنزله منزلة القاتل ؛ لحرصه في الإثم دون الحكم ، وله نظائر كثيرة في الثواب والقلب .

وقد علم بهذا مستحب القلب ومباحه .

فصـــل

وأما عبوديات اللسان الخمس : فواجبها : النطق بالشهادتين ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن . وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه ، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله ، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود ، وأمر بقول : « ربنا ولك الحمد » بعد الاعتدال ، وأمر بالتشهد ، وأمر بالتكبير .

ومن واجبه : رد السلام . وفي ابتدائه قولان . ومن واجبه : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

المتعينة ، وصدق الحديث .

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله ، والمذاكرة في العلم النافع ، وتوابع ذلك .

وأما محرمه : فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله ، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله ، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها ، وكالقذف وسب المسلم ، وأذاه بكل قول ، والكذب ، وشهادة الزور ، والقول على الله بلا علم ، وهو أشدها تحريمًا .

ومكروهه : التكلم بما تركه خير من الكلام به ، مع عدم العقوبة عليه . وقد اختلف السلف . هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين ؟ على قولين . ذكرهما ابن المنذر وغيره . أحدهما : أنه لا يخلو كل ما يتكلم به : إما أن يكون له أو عليه . وليس في حقه شيء لا له ولا عليه .

واحتجوا بالحديث المشهور ، وهو : « كل كلام ابن آدم عليه . لا له ، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه »[1] .

واحتجوا بأنه يكتب عليه كلامه كله . ولا يكتب إلا الخير والشر .

وقالت طائفة : بل هذا الكلام مباح لا له ولا عليه كما في حركات الجوارح.

قالوا : لأن كثيرًا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي . وهذا شأن المباح .

والتحقيق : أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين ، بل إما راجحة وإما مرجوحة ؛ لأن للسان شأنًا ليس لسائر الجوارح ، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان ، تقول : اتق الله ، فإنما نحن بك ،

---

(١) ضعيف أخرجه الترمذي حديث (٢٤١٢) من حديث أم حبيبة - زوج النبي ﷺ - مرفوعًا ، وكذلك ابن ماجة (٣٩٧٤) وغيرهم ، وإسناده ضعيف من وجوه عدة .

فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا . وأكثر ما يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم ، وكل ما يتلفظ به اللسان ، فإما أن يكون مما يرضي الله ورسوله أو لا ، فإن كان كذلك فهو الراجح ، وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح . وهذا بخلاف حركات سائر الجوارح ، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين ، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة ، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له ، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة ، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلا مضرة . فتأمله .

فإن قيل : فقد يتحرك بما فيه منفعة دنيوية مباحة مستوية الطرفين . فيكون حكم حركته حكم ذلك الفعل .

قيل : حركته بها عند الحاجة إليها راجحة ، وعند عدم الحاجة إليها مرجوحة لا تفيده . فتكون عليه لا له .

فإن قيل : فإذا كان الفعل متساوي الطرفين كانت حركة اللسان الوسيلة إليه كذلك ، إذ الوسائل تابعة للمقصود في الحكم .

قيل : لا يلزم ذلك . فقد يكون الشيء مباحًا ، بل واجبًا ، ووسيلته مكروهة كالوفاء بالطاعة المنذورة : هو واجب ، مع أن وسيلته ، وهو النذر مكروه منهي عنه ، وكذلك الحلف المكروه مرجوح ، مع وجوب الوفاء به أو الكفارة ، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكروه . ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة ، وهذا كثير جدًّا . فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها ، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكروه .

فصـــل

وأما العبوديات الخمس على الجوارح : فعلى خمس وعشرين مرتبة أيضًا : إذ الحواس خمسة . وعلى كل حاسة خمس عبوديات ، فعلى السمع : وجوب

الإنصات ، والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه ، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما ، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام ، واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء .

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع ، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة . من ردِّه ، أو الشهادة على قائله ، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك ، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره ، ولا يجب أن يطلعك عليه ، ما لم يكن متضمنًا لحق لله يجب القيام به ، أو لأذى مسلم يتعين نصحه ، وتحذيره منه .

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن ، إذا لم تدع إليه حاجة ، من شهادة ، أو معاملة ، أو استفتاء ، أو محاكمة ، أو مداوة ونحوها .

وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو ، كالعود والطنبور واليراع ونحوها . ولا يجب عليه سَدُّ أذنه إذا سمع الصوت ، وهو لا يريد استماعه ، إلا إذا خاف السكون إليه والإنصات ، فحينئذ يجب تجنب سماعها وجوب سد الذرائع .

ونظير هذا المحرم : لا يجوز له تعمد شم الطيب ، وإذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامِّه لم يجب عليه سد أنفه ، ونظير هذا : نظرة الفجأة لا تحرم على الناظر ، وتحرم عليه النظرة الثانية إذا تعمدها .

وأما السمع المستحب : فكاستماع المستحب من العلم ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، واستماع كل ما يحبه الله ، وليس بفرض .

والمكروه : عكسه ، وهو استماع كل ما يكرهه ولا يعاقب عليه ، والمباح ظاهر .

وأما النظر الواجب : فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها ، والنظر إذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها وينفقها ويستمتع بها ، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها . ونحو ذلك .

والنظر الحرام : النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا ، وبغيرها إلا لحاجة ، كنظر الخاطب ، والمستام والمعامل ، والشاهد ، والحاكم ، والطبيب ، وذي المحرم .

والمستحب : النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا والنظر في المصحف ووجوه العلماء الصالحين والوالدين ، والنظر في آيات الله المشهودة ، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته .

والمكروه : فضول النظر الذي لا مصلحة فيه . فإن له فضولًا كما للسان فضولًا ، وكما قاد فضولها إلى فضولٍ عَزَّ التخلص منها ، وأعيَى دواؤها . وقال بعض السلف : كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

والمباح : النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة .

ومن النظر الحرام : النظر إلى العورات . وهي قسمان :

عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب .

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيء ، وذهبت هدرًا ، بنص رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته . وإن ضعفه بعض الفقهاء ، لكونه لم يبلغه النص ، أو تأوله ، وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله ، كعورة له هناك ينظرها . أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في اطلاعها .

وأما الذوق الواجب : فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه ، وخوف الموت . فإن تركه حتى مات ، مات عاصيًا قاتلًا لنفسه . قال الإمام أحمد وطاووس :

من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات ، دخل النار .

ومن هذا : تناول الدواء إذا تيقن به من الهلاك ، على أصح القولين . وإن ظن الشفاء به ، فهل هو مستحب مباح ، أو الأفضل تركه ؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف .

والذوق الحرام : كذوق الخمر والسموم القاتلة . والذوق الممنوع منه للصوم الواجب .

وأما المكروه : فكذوق المشتبهات ، والأكل فوق الحاجة ، وذوق طعام الفجاءة ، وهو الطعام الذي تفجأ آكله ، ولم يرد أن يدعوك إليه ، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها، وفي السنن: أن رسول الله ﷺ (نهى عن طعام المتبارين)[1] وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب : أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل ، مما أذن الله فيه . والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل ، فينال منه غرضه . والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب .

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها ؛ للأمر به عن الشارع .

والذوق المباح : ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان .

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم ، فالشم الواجب : كل شم تعين طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام ، كالشم الذي يعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة ؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه ؟ أو يميز به بين ما يملك

---

(١) أخرجه أبو داود رحمه الله (حديث ٣٧٥٤) ، والحاكم (١٢٩/٤) ، والطبراني في الكبير (٣٤٠/١١) ، وابن عدي في الكامل (٧٧/٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتبارين) لكن رجح أكثر العلماء أنه مرسل ، لكن صححه بعض أهل العلم ؛ لشاهد أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « المتباريان لا يُجابان ، ولا يؤكل طعامهما » .

الانتفاع به ، وما لا يملك ؟ ومن هذا : شم المقوِّم وربُّ الخِبْرة عند الحكم بالتقويم ، والعبيد ونحو ذلك .

وأما الشم الحرام : فالتعمد لشم الطيب في الإحرام ، وشم الطيب المغصوب والمسروق ، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات للافتتان بما وراءه .

وأما الشم المستحب : فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس ، ويبسط النفس للعلم والعمل . ومن هذا : هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك . ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ : « من عُرض عليه ريحان فلا يرده ؛ فإنه طيب الريح ، خفيف المحمل »[1].

والمكروه : كشم طيب الظَّلَمة ، وأصحاب الشبهات ، ونحو ذلك .

والمباح : ما لا منع فيه من الله ولا تبعة ، ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع .

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس . فاللمس الواجب : كلمس الزوجة حين يجب جماعها ، والأمة الواجب إعفافها .

والحرام : لمس ما لا يحل من الأجنبيات .

والمستحب : إذا كان فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله .

والمكروه : لمس الزوجة في الإحرام للذة ، وكذلك في الاعتكاف ، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه .

ومن هذا لمس بدن الميت – لغير غاسله – لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريمًا له ، ولهذا يستحب ستره عن العيون وتغسيله في قميص في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أحد القولين ، ولمس فخذ الرجل ، إذا قلنا : هو عورة .

والمباح : ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية .

وهذه المراتب أيضًا مُرَتَّبة على البطش باليد والمشي بالرجل . وأمثلتها لا تخفى .

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله : واجب . وفي وجوبه لقضاء دينه خلاف ، والصحيح : وجوبه ليمكنه من أداء دينه ، ولا يجب لإخراج الزكاة ، وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر ، والأقوى في الدليل : وجوبه لدخوله في الاستطاعة ، وتمكنه بذلك من أداء النسك . والمشهور عدم وجوبه .

ومن البطش الواجب : إعانة المضطر ورمي الجمار ، ومباشرة الوضوء والتيمم .

والحرام : كقتل النفس التي حرم الله ، ونهب المال المغصوب ، وضرب من لا يحل ضربه ونحو ذلك ، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنَّرد ، أو ما هو أشد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج ، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره ، أو دونه عند بعضهم . ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفًا أو نسخًا ، إلا مقرونًا بردها ونقضها ، وكتابة الزور والظلم ، والحكم الجائر ، والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب ، وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ، ولا سيما إن كسبت عليه مالًا ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٩٧] وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله ، إلا أن يكون مجتهدًا مخطئًا ، فالإثم موضوع عنه .

وأما المكروه : فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام ، وكتابة ما لا فائدة في كتابته ، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة .

والمستحب : كتابة كل ما فيه منفعة في الدين ، أو مصلحة لمسلم ، والإحسان بيده بأن يعين صانعًا ، أو يصنع لأخْرق ، أو يُفرغ من دَلْوه في دلو المستسقِي ، أو يحمل له على دابته ، أو يمسكها حتى يحمل عليها ، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك ، ومنه : لمس الركن بيده في الطواف ، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان .

والمباح : ما لا مضرة فيه ولا ثواب .

وأما المشي الواجب : فالمشي إلى الجمعات والجماعات ، في أصح القولين لبضعة وعشرين دليلًا ، مذكورة في غير هذا الموضع . والمشي حول البيت للطواف الواجب ، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه ، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعي إليه ، والمشي إلى صلة رحمه ، وبر والديه ، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه ، والمشي إلى الحج إذا قربت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر .

والحرام : المشي إلى معصية الله ، وهو من رجل الشيطان . قال تعالى : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورَجْلك ﴾ [الإسراء : ٦٤] قال مقاتل : استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم . فكل راكب وماشٍ في معصية الله فهو من جند إبليس .

وكذلك تعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا :

فواجبه في الركُوب في الغزو والجهاد والحج الواجب .

ومستحبه : في الركوب المستحب من ذلك ، ولطلب العلم ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وفي الوقوف بعرفة نزاع : هل الركوب فيه أفضل ، أم على الأرض ؟ والتحقيق : أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة : من تعليم للمناسك ، واقتداء به ، وكان أعون على الدعاء ولم يكن فيه ضرر على الدابة .

وحرامه : الركوب في معصية الله عز وجل .

ومكروهه : الركوب للهو واللعب ، وكل ما تركه خير من فعله .

ومباحه : الركوب لما لم يتضمن فوت أجر ، ولا تحصيل وزر .

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء : القلب ، واللسان ، والسمع ، والبصر والأنف ، والفم ، واليد ، والرجل ، والفرج ، والاستواء على ظهر الدابة .

❋ ❋ ❋

س : يُشرع للعبد - كما هو معلوم - أن يقول في دعائه : (اللهم ارزقني) ، (اللهم اشفني) ، (اللهم عافني) ونحو ذلك بلا تقدمات ، لكن المستحب أن يُقدم بين يدي دعائه مقدمات . بيِّن بعض هذه المقدمات ؟

ج : من أكمل أحوال السائل - كما ذكر ذلك بعض أهل العلم - أن يمدح مسئوله ويثني عليه ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين .

وهذا حال أهل العلم والإيمان مع ربهم عزَّ وجل فيقدمون بين يدي دعائهم مقدمات منها :

● **حمد الله عز وجل والثناء عليه وتمجيده** كما في سورة الفاتحة ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمٰن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل[1]. ثم يأتي بعد هذا الحمد والثناء والتمجيد السؤال بقولنا : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فانظر كيف

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقد تقدم تخريجه .

أتى هذا الدعاء بعد الحمد والثناء والتمجيد !!!

● ومن هذا الباب أيضًا ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وذهاب المؤمنين إلى آدم عليه السلام ؛ فيحيلهم آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام ، ونوح يحثهم على الذهاب إلى إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم يحيلهم[1] إلى موسى عليه السلام ، وموسى يحيلهم إلى عيسى عليه السلام ، وعيسى يحيلهم إلى نبينا محمد ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقُل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناءٍ وتحميد يعلمنيه » قال : « ثم أشفع فيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة » .

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه .

● ومن هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وأعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، لا إلٰه إلا أنت » .

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل وغاية الإقرار

---

(١) كلمة (يحيلهم) من تصرفي ، وفي الصحيح : اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى .... ، وفيه أيضًا عليكم بإبراهيم و .... وهي تؤدي نفس المعنى .

له بالعبودية ؟!!!

● وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي : عن قدرة نفسه) بقوله : (فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب) . ثم يأتي بعد ذلك الدعاء : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي ... »[1].

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سبحانه وتعالى .

● ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم »[2].

[أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما] . فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع .

● ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » . فانظر كيف جاء قوله عليه السلام : « اللهم

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١١/١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري » – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، ويسمي حاجته » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) .

اغفر لي » بعد قوله : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » .

● وكذلك في صلاة الليل كان عليه الصلاة والسلام يفتتحها بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[1]، فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده .

● **وتارة يضاف إلى حمد الله والثناء عليه الصلاة على رسول الله ﷺ** كما ورد من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه وقال له ولغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي ﷺ ثم ليدعُ بما شاء »[2].

● **وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى** ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه – وأسماؤه كلها حسنى – كان ذلك من أسباب الإجابة .

فيُسأل الرب سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص ، فإن كان يريد الرزق مثلًا قال كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ .... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] ، وقول موسى عليه

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٥٦/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وهو من طريق عكرمة عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨/٤) ، وأبو داود (١٦٢/٢) ، والنسائي (٤٤/٣) ، والترمذي (ص ٤٤٩ جـ ٩ مع تحفة الأحوذي) ، وغيرهم ، وسنده حسن .

السلام : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله : ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ .

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ : « ... اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك .... » [أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا][1]. وهكذا .

وفي هذا الباب حديث بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، قال : فقال : « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى »[2] [أخرجه الترمذي بسند حسن] .

● **وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته** ، كما قال موسى ﷺ : ﴿ رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] ، فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله ، ومنه أطلب المزيد ، فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا ، ومن ذلك قول أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء / ٨٣].

● ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام : ﴿ ... ولم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ [مريم : ٤ - ٦] .

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته ، كما قال ابن القيم رحمه الله (في التفسير القيم) : فقد قيل : إنه دعاء المسألة ، والمعنى : إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه ، كما حكي أن رجلًا سأل رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/١٠) ، ومسلم (مع النووي ٧٦/١١) .

(٢) أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذي ٤٤٥/٩) .

وقال : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا ، فقال : مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته .

قلت : فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عز وجل : يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ ولم ترد دعواتي ولم تجعلني من قبل محرومًا ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا .

● ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية ، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان ، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول وبالله التوفيق ، لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنيه مثلًا فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك – متوسلاً إليك بسابق إحسانك – : أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه ، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف ؛ فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راضٍ عنه وعن شكره للمعروف ، ولله المثل الأعلى .

● **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال** ، ومن ذلك قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران :٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ .

● ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا

مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان .

● ومنه قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون / ١٠٩] .

● ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (واللفظ لمسلم) قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعو الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم ، فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأت بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء . وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم . وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرقِ أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقهُ فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى

جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي . قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزىء بي ، فقلت : إني لا أستهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي » .

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تبارك وتعالى ففرج الله عنهم .

● **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات** ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[1]، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء .

وقد أجمل الحافظ ابن كثير رحمه الله[2] القول في ذلك فقال: ... وهذا

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ /٤٠) .

(٢) وإلى نحوه أيضًا أشار ابن القيم رحمه الله تعالى فقال (التفسير القيم ص ٢٣) : ولما كان سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب ونيله أشرفَ المواهب : علَّم الله عباده كيفية سؤاله ، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه ، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم . توسل إليه بأسمائه وصفاته . وتوسل إليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه ، والإمام أحمد والترمذي : أحدهما : حديث عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو ، ويقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إلٰه إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفوًا أحد . فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[1] قال الترمذي : حديث صحيح . فهذا توسل إلى الله بتوحيده ، وشهادة الداعي له بالوحدانية . وثبوت صفاته المدلول عليها باسم (الصمد) ، وهو كما قال ابن عباس : (العالم الذي كمل علمه ، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه : (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد)، وقال أبو وائل : =

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٩/٤٤٥) بإسناد حسن .

أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه

= « هو السيد الذي انتهى سؤدده » ، وقال سعيد بن جبير : (هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله) ، وبنفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله : « ولم يكن له كفوًا أحد » ، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل بالإيمان بذلك ، والشهادة به هو الاسم الأعظم .

والثاني : حديث أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إلٰه إلا أنت ، المنّان . بديع السموات والأرض . ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . فقال : «لقد سأل الله باسمه الأعظم»[1] ، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته .

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين ، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه ، وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده . ثم جاء سؤال أهم المطالب ، وأنجح الرغائب ، وهو الهداية ، بعد الوسيلتين . فالداعي به حقيق بالإجابة .

ونظير هذا : دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل . رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت . وإليك أنبت . وبك خاصمت ، وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إلٰه إلا أنت »[2] فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له . ثم سأله المغفرة .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/٢٦٥) ، وفي عدة مواضع من المسند ، والنسائي (٣/٥٢) والطبراني في الصغير (٢/٩٦) وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٨٢) والبيهقي في الصفات (٢٨ ، ٣٢) ، والخطيب في التاريخ (٥/٢٥٥) ، وغيرهم من طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣) ومسلم (مع النووي ٦/٥٤) ، ولفظه عند البخاري : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض وما فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلٰه إلا أنت » أو لا إلٰه غيرك .

المؤمنين بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل ، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه ، كما قال موسى عليه السلام : ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير ﴾ ، وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسئول كقول ذي النون : ﴿ لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن يشتمك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء

❋ ❋ ❋

س : اذكر مراتب الهداية العامة والخاصة كما ذكرها ابن القيم رحمه الله ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ٣٧) :

فصـــل

في مراتب الهداية الخاصة والعامة . وهي عشر مراتب

المرتبة الأولى : مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة ، بل منه إليه . وهذه أعلى مراتبها ، كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه . قال الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعده ، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه . وهذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية . ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر « كلم » وهو « التكليم » رفعًا لما توهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام ، أو إشارة ، أو تعريف للمعنى

النفسي بشيء غير التكليم . فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز . قال الفراء : العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلامًا بأي طريق وصل . ولكن لا تحققه بالمصدر ، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام ، كالإرادة . يقال : فلان أراد إرادة ، يريدون حقيقة الإرادة . ويقال : أراد الجدار ، ولا يقال : إرادة . لأنه مجاز غير حقيقة . هذا كلامه . وقال تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون . وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر ، لا في الأول وفيه أعطي الألواح . وكان عن مواعدة من الله له . والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة . وفيه قال الله له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] أي : بتكلمي لك بإجماع السلف .

وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه . فالنداء من بُعد والنجاء من قرب . تقول العرب : إذا كبرت الحلقة فهو نداء . أو نجاء[1] ، وقال له أبوه آدم في محاجته : « أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ؟ »[2] . وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه . وكذلك في حديث الإسراء في رؤية موسى في السماء السادسة أو السابعة ، على اختلاف الرواية . قال : « وذلك بتفضيله بكلام الله » ولو كان التكليم الذي حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء لم يكن لهذا التخصيص به في هذه الأحاديث معنى . ولا كان يسمى (كليم الرحمٰن »،

---

(١) في لسان العرب : وفي حديث الشعبي : (إذا عظمت الحلقة فهي نداء ونجاء) .

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥٠٥ مع الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةٍ ؟! فحج آدم موسى » ثلاثًا . وأخرجه مسلم أيضًا (ص ٢٠٤٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى : ٥١] ففرق بين تكليم الوحي ، والتكليم بإرسال الرسول ، والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية : مرتبة الوحي المختص بالأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ [النساء : ١٦٢] . وقال : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١] فجعل الوحي في هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم ، وجعله في آية النساء قسيمًا للتكليم ، وذلك باعتبارين : فإنه قسيم التكليم الخاص الذي بلا واسطة ، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة ، والوحي في اللغة : هو الإعلام السريع الخفي ، ويقال في فعله : وَحَى ، وأوحى . قال رؤبة : وحى لها القرار فاستقرت ، وهو أقسام ، كما سنذكره .

المرتبة الثالثة : إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري . فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه .

فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء ، لا تكون لغيرهم ، ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلًا ، يراه عيانًا ويخاطبه ، وقد يراه على صورته التي خُلق عليها ، وقد يدخل فيه الملك ، ويوحي إليه ما يوحيه ، ثم يَفِصم عنه ، أي : يقلع . والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة : مرتبة التحديث . وهذه دون مرتبة الوحي الخاص ، وتكون دون مرتبة الصديقين ، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما قال النبي ﷺ : « إنه كان في الأمم قبلكم محدَّثون ، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : =

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا ، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية ، مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم ، واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته ، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ، ولا صاحب كشف ولا منام ، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصلها .

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء ، فيكون كما يحدث به .

قال شيخنا : والصديق أكمل من المحدث . لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عنه .

قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول . فإن وافقه قبله ، وإلا رده ، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث .

قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي : فصحيح أن قلبه حدثه ، ولكن عن من ؟ عن شيطانه ، أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثني قلبي عن ربي كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به ، وذلك كذب ، قال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ، ولا تفوَّه به يومًا من الدهر ، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك . بل كتب كاتبه يومًا : (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب . فقال : لا . امحه واكتب : هذا ما رأى عمر بن الخطاب . فإن كان صوابًا فمن الله ، وإن كان خطأ فمن عمر ، والله ورسوله منه بريء)، وقال في الكلالة :

= قال رسول الله ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم ناسٌ محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » .

وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا ، لكن انتقدت رواية عائشة رضي الله عنها .

(أقول فيها برأيي . فإن يكن صوابًا فمن الله . وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان) ، فهذا قول المحدث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح ، والسماعي : مجاهر بالقِحَة والفرية . يقول : حدثني قلبي عن ربي ، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين . وأعط كل ذي حق حقه ، ولا تجعل الزغل والخالص شيئًا واحدًا .

المرتبة الخامسة : مرتبة الإفهام . قال الله تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ، إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهَّمناها سليمان ، وكلًّا آتينا حكمًا وعلمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم والحكم . وخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة ، وقال علي بن أبي طالب ، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : (لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة ، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه ، وما في هذه الصحيفة) . وكان فيها العقل ، وهو الديات وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : (والفهمَ فيما أدلى إليك) ، فالفهم نعمة من الله على عبده ، ونور يقذفه الله في قلبه . يعرف به ، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه ، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره ، مع استوائهما في حفظه . وفهم أصل معناه .

فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ، ومنشور الولاية النبوية ، وفيه تفاوتت مراتب العلماء ، حتى عُدَّ ألف بواحد ، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه ، وإعلامه بحضور أجله ، وموافقة عمر له على ذلك ، وخفائه عن غيرهما من الصحابة ، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنًّا ، وأين تجد

في هذه السورة الإعلام بأجله ، لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس ، فيحتاج مع النص إلى غيره . ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه ، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

المرتبة السادسة : مرتبة البيان العام . وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه . بحيث يصير مشهودًا للقلب ، كشهود العين للمرئيات ، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه ، التي لا يعذب أحدًا ولا يضله ، إلا بعد وصوله إليها . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ [التوبة : ١١٥] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم ، حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به . فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى ، وما أضل الله سبحانه أحدًا قط إلا بعد هذا البيان .

وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر ، وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده ، والقرآن يصرح بهذا في غير موضع ، كقوله : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] ، فالأول : كفر عناد ، والثاني : كفر طبع ، وقوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة . ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام : ١١٠] ، فعاقبهم على ترك الإيمان به حين تيقنوه وتحققوه . بأن قلَّب أفئدتهم وأبصارهم فلم يهتدوا له .

فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه موضع عظيم . وقال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] فهذا هدى بعد البيان والدلالة وهو شرط لا موجب . فإنه إن لم يقترن به هدى آخر بعده ، لم يحصل به كمال الاهتداء وهو هدى التوفيق والإلهام .

وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة ، وبيان بالآيات المشهودة المرئية . وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله ، وصدق ما أخبرت به عنه ، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة عليهم ، ويحضهم على التفكر في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم ، وبعد ذلك يضل الله من يشاء . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ [إبراهيم : ٤] فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة : البيان الخاص*، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة ، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء ، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة . قال تعالى في هذه المرتبة : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ [النحل : ٣٧]، وقال : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] ، فالبيان الأول شرط . وهذا موجب .

المرتبة الثامنة : مرتبة الإسماع . قال الله تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرًا لأسْمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾ [فاطر : ١٩ -٢٣] وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ . فإن ذلك حاصل لهم ، وبه قامت الحجة عليهم ، لكن ذاك إسماع الآذان ، وهذا إسماع القلوب . فإن الكلام له لفظ ومعنى ، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما . فسماع لفظه حظ الأذن ، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب . فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع

المقصود والمراد الذي هو حظ القلب ، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء : ٢ ، ٣] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه ، أو تمكنه منها ، وأما مقصود السماع وثمرته ، والمطلوب منه : فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه ، بل يخرج السامع قائلًا للحاضر معه ﴿ ماذا قال آنفًا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ [محمد : ١٦] .

والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام : أن هذه المرتبة إنما تحصل بواسطة الأذن . ومرتبة الإفهام أعم ، فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه ، ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر ، وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته وإشاراته ، ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب . ويترتب على هذا السماع سماع القبول .

فهو إذن ثلاث مراتب : سماع الأذن ، وسماع القلب ، وسماع القبول والإجابة .

المرتبة التاسعة : مرتبة الإلهام . قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨] وقال النبي ﷺ لحصين الخزاعي لما أسلم : « قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي »[1] .

---

(١) **صحيح بلفظ قريب من هذا اللفظ** فقد أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (حديث ٤٧٥) ، وأحمد في المسند (٤/٤٤٤) والنسائي في الكبرى (٦/٢٤٧) وغيرهم بإسناد صحيح إلى عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن حصينًا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد لعبدُ المطلب كان خير لقومه منك كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم فقال له النبي ﷺ : ما شاء الله أن يقول له فقال له : ما تأمرني أن أقول ؟ قال :« قل : **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمرى** » ، قال : فانطلق فأسلم الرجل ثم جاء فقال : إني أتيتك فقلت لي قل : =

وقد جعل صاحب المنازل الإلهام هو مقام المحدثين . قال : وهو فوق مقام الفراسة ؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة . واستصعبت على صاحبها وقتًا أو استعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد .

قلت : التحديث أخص من الإلهام : فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان ، فأما التحديث : فالنبي ﷺ قال فيه : « إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر » يعني من المحدثين . فالتحديث إلهام خاص . وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين ، كقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص: ٧] وقوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ [المائدة : ١١١] وإما من غير المكلفين ، كقوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النَّحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ [النحل : ٦٨] فهذا كله وحي إلهامٍ .

وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة : ربما وقعت نادرة كما تقدم . والنادر لا حكم له . وربما استصعب على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد ، يعني في مقام القرب والحضور .

والتحقيق في هذا : أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيرًا ،

= **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري** ، فما أقول الآن ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت » . اللفظ لأحمد وله طريق آخر ضعيف عن عمران بن حصين بنحوه أخرجه الترمذي (٥/٥١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٣) والطبراني في الكبير (١٨/١٧٤) .

وخاصه قد يقع نادرًا ، ولكن الفرق الصحيح : أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل ، وأما الإلهام فموهبة مجردة ، لا تنال بكسب البتة .

[ثم ذكر فصولًا أربعة تكلم فيها عن درجات الإلهام الثلاثة . ثم قال] :

المرتبة العاشرة : من مراتب الهداية . الرؤيا الصادقة : وهي من أجزاء النبوة : كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة »[1] .

وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور : إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة ، وذلك نصف سنة . ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة ، من حين بعث إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه ، فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا . وهذا حسن لولا ما جاء في الرواية الأخرى الصحيحة « أنها جزء من سبعين جزءًا » .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] وبين قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ؟

---

(١) وله عن النبي ﷺ عدة طرق منها حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا ، أخرجه البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) ، وأحمد (٣/١٨٥) وغيرهم .

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٨) ، ومسلم (٢٢٦٣) وغيرهما .

● ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٣) وغيره .

● ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٩) وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

ج : يجمع بأن يُقال : إن الهداية على أقسام منها :

هداية الدلالة : منها قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] أي : تدل على الصراط المستقيم .

وهداية التوفيق : ومنها قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦]وقوله تعالى : ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ﴾ [النمل : ٨١] .

فعلى ذلك فالتوفيق من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى . كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ [هود : ٨٨] أما الدلالة فالله سبحانه وتعالى مكّن منها البشر وغيرهم .

فعلى ذلك الهداية المنفية في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص / ٥٦] هي هداية التوفيق ، والهداية المثبتة في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى : ٥٢] هي هداية الدلالة والله تعالى أعلم.

* * *

س : الهداية قد تعدى بنفسها ، وقد تعدى بإلى ، وقد تعدى باللام وضح ذلك ؟

ج : مثال ذلك ما ذكره الطبري رحمه الله[1] حيث قال: والعرب تقول:

---

(١) وزاد هذا المعنى إيضاحًا الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا ، ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] أي : بينا له الخير والشر ، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] ، ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك قوله : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف :٤٣] ، أي : وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً . والله أعلم .

هديتُ فلانًا الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، إذا أرشدته إليه وسددته له ، وبكل ذلك جاء القرآن .

● قال الله جل ثناؤه : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

● وقال في موضع آخر : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] .

● وقال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وكل ذلك فاشٍ في منطقها موجود في كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغفِرُ الله ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ ربَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعملُ

يريد أستغفر الله لذنبٍ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ [غافر : ٥٥] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ اهدنا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : نورد من هذه الأقوال ما يلي :

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله : ومعنى قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ في هذا الموضع عندنا : وفقنا للثبات عليه ... ثم قال رحمه الله : فكأن معنى الكلام : اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان ، فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج .

فإن قال قائل : وأنَّى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق ؟

قيل له : ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يُحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر :

لا تَحْرِمَنِّي هداك اللهُ مَسْأَلتي ولَا أَكُونَن كَمَن أَوْدَى به السَّفَرُ

يعني به : وفقك الله لقضاء حاجتي ، ومنه قول الآخر :

ولا تُعْجِلَنِّي هَدَاك المليكُ فإن لكلِّ مقامٍ مقالَا

فمعلوم أنه إنما أراد : وفقك الله لإصابة الحق في أمري .

ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ في غير آية من تنزيله وقد عُلم بذلك أنه لم يعنِ أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه ، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عمَّ بالبيان جميع المكلفين من خلقه ؟ ولكنه عنى جلَّ وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم .

● ونقل الطبري رحمه الله أقوالًا أخرى ثم تعقبها منها :

● ﴿ اهدنا ﴾ : زدنا هداية .

● ومنها : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ : أسلكنا طريق الجنة في المعاد ، أي : قدِّمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] أي : أدخلوهم النار ، كما تُهدى المرأة إلى زوجها يعني بذلك أنها تُدخل إليه ، وكما تُهدى الهدية إلى الرجل ...

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والهداية هنا الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا .

● وقال القرطبي رحمه الله : .. والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنسك وقُربك .

وقال أيضًا .. وقيل المعنى : أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك .

● وقيل : الأصل فيه الإمالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] أي : رملنا ، وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين : أي : يتمايل ، ومنه الهدية لأنها تُمال من مِلك إلى مِلك ، ومنه الهدي للحيوان الذي يساق إلى الحرم ، فالمعنى مِل بقلوبنا إلى الحق .

● وقال صديق حسن خان في فتح البيان : وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى ، قال الله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ [محمد : ١٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] والهداية هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصراط المستقيم في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ الصراط المستقيم ﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجَّ الموارِدُ مستقيمٌ[1]

ثم ذكر رحمه الله جملة شواهد وقال :

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : يمدح هشام بن عبد الملك ، والموارد جمع موردة وهي الطرق إلى الماء يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم كما يسلكون الموارد إلى الماء .

ثم تستعير العرب ﴿ الصراط ﴾ فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وُصِف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوجَّ باعوجاجه .

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أن يكون معنيًّا به : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قولٍ وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له مَن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفِّق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبدٍ لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم ، وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى المراد بالصراط المستقيم وهو يشمل معاني جميعهم في ذلك[1] .

ثم نقل ابن جرير عن البعض[2] أنه القرآن ، وذكر آخرون أنه الإسلام وذكر البعض أنه رسول الله ﷺ وصاحباه[3] .

وثم قول آخر أنه طريق الجنة .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ١٨) :

والصراط المستقيم : هو صراط الله . وهو يخبر أن هداية الصراط عليه سبحانه ، كما ذكرنا ، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم ، وهذا في موضعين من القرآن في هود والنحل ، قال في هود : ﴿ ما من دابة إلا هو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وإن كان حاصلها يرجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول .

(٢) بصرف النظر عن صحة الأسانيد إلى قائليها .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة ، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد .

آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ﴾[1] [هود : ٥٦] وقال في النحل : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبْكَم لا يقدر على شيء ، وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يُوجِّهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ ﴾ [النحل : ٧٦] فهذا مثل ضربه الله للأصنام التي لا تسمع . ولا تنطق ولا تعقل ، وهي كَلٌّ على عابدها يحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده ويضعه ويقيمه ويخدمه . فكيف يسوونه في العبادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد . وهو قادر متكلم ، غني . وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله . فقوله صدق ورشد ونصح وهدى . وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة . هذا أصح الأقوال في الآية . وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره . ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ، ثم حكاها بعده ، كما فعل البغوي . فإنه جزم به ، وجعله تفسير الآية . ثم قال :

وقال الكلبي : يدلكم على صراط مستقيم .

قلت : ودلالته لنا على الصراط هي من موجب كونه سبحانه على الصراط المستقيم . فإن دلالته بفعله وقوله ، وهو على الصراط المستقيم في أفعاله وأقواله . فلا يناقض قول من قال : إنه سبحانه على الصراط المستقيم .

قال : وقيل : هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

قلت : وهذا حق لا يناقض القول الأول . فالله على الصراط المستقيم ، ورسوله عليه . فإنه لا يأمر ولا يفعل إلا مقتضاه وموجبه . وعلى هذا يكون المثل مضروبًا لإمام الكفار وهاديهم ، وهو الصنم الذي هو أبكم ، لا يقدر على هدى ولا خير . وإمام الأبرار ، وهو رسول الله ﷺ الذي يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

---

(١) وكذلك قوله في سورة الحجر : ﴿ قال : هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] .

وعلى القول الأول : يكون مضروبًا لمعبود الكفار ومعبود الأبرار . والقولان متلازمان . فبعضهم ذكر هذا . وبعضهم ذكر هذا . وكلاهما مراد من الآية . قال : وقيل : كلاهما للمؤمن والكافر . يرويه عطية عن ابن عباس . وقال عطاء : الأبكم أُبيُّ بن خلَف ، ومن يأمر بالعدل : حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون .

قلت : والآية تحتمله . ولا يناقض القولين قبله ، فإن الله على صراط مستقيم ، ورسوله وأتباع رسوله . وضد ذلك معبود الكفار وهاديهم ، والكافر التابع والمتبوع والمعبود . فيكون بعض السلف ذكر أعلى الأنواع . وبعضهم ذكر الهادي . وبعضهم ذكر المستجيب القابل . وتكون الآية : متناولة لذلك كله . ولذلك نظائر كثيرة في القرآن .

وأما آية هود : فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدًا . وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم . وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم . فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] وأفعاله كلها مصالح وحكم ، ورحمة وعدل وخير . فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة ، لخروج الشر عن الصراط المستقيم . فكيف يدخل في أفعال من هو على الصراط المستقيم أو أقواله ؟ وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله .

وفي دعائه عليه الصلاة والسلام : « لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك »[1] ولا يلتفت إلى تفسير من فسره بقوله :

---

(١) الصواب في هذا الحديث أنه موقوف على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فمداره على أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال في قوله عز وجل : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : يجمع الناس في صعيد واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتًا لا تتكلم نفس إلا بإذنه قال =

والشر لا يُتقرب به إليك ، أو لا يصعد إليك . فإن المعنى أجل من ذلك ، وأكبر وأعظم قدرًا . فإن مَنْ أسماؤه كلها حسنى . وأوصافه كلها كمال ، وأفعاله كلها حكم ، وأقواله كلها صدق وعدل : يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه ، أو أفعاله أو أقواله . فطابق بين هذا المعنى وبين قوله : ﴿ إن ربي على صراط مستقيم] [هود : ٥٦] وتأمل كيف ذكر هذا عقيب قوله : ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ﴾ [هود : ٥٦] أي : هو ربي ، فلا يُسلمني ولا يضيعني ، وهو ربكم فلا يسلطكم عليَّ ولا يمنعكم مني . فإن نواصيكم بيده ، لا تفعلون شيئًا بدون مشيئته . فإن ناصية كل دابة بيده ، لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه . فهو المتصرف فيها . ومع هذا ، فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ، ونفوذ قضائه وقدره فيها : على صراط مستقيم ، لا يفعل

= فينادي محمد فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا إلا إليك تباركت وتعاليت سبحان رب البيت فذاك المقام المحمود الذي قال : عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا . لفظ الحاكم في المستدرك (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) .

وقد رواه جمع عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة رضي الله عنه موقوفًا ، منهم إسرائيل وشعبة ومعمر وسفيان .

بينما رواه البعض عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة مرفوعًا منهم الليث بن أبي سليم وعبد الله بن المختار ، ولا شك أن رواية من رواه موقوفًا أصح من رواية الذين رووه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

وقد قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/٢١٧) : سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ... وذكر الحديث ، قال أبي : لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار والموقوف أصح .

قلت : وانظر مصادر هذا الحديث عن ابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٨٤)، (١٣/٣٧٨)، والطبري (٨/٩٧)، والنسائي في التفسير (١/٦٦٠)، والطيالسي في مسنده حديث (٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٦٧) وغيرهم.

ما يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة ، ولو سلطكم عليَّ فله من الحكمة في ذلك ما له الحمد عليه . لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم . لا يظلم ولا يفعل شيئًا عبثًا بغير حكمة . فهكذا تكون المعرفة بالله ، لا معرفة القدرية المجوسية ، والقدرية المجبرية ، نفاة الحكم والمصالح والتعليل . والله الموفق سبحانه .

● وقدر ورد **بإسناد حسن** من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما يفسر الصراط أيضًا ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة : محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » . أخرجه أحمد (١٨٢/٤) .

والحاكم في المستدرك (٧٣/١) والبيهقي في الشعب (٤٤٤/٥) **بإسناد حسن** ، وله طريق آخر إلى جبير بن نفير عن النواس مرفوعًا عند أحمد (١٨٣/٤) ، والترمذي (١٤٤/٥) وأبي الشيخ في الأمثال (٣٢٩) وغيرهم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يسأل المؤمن ربه عز وجل الهداية في كل وقت وهو متصفٌ بها فهل هذا من تحصيل الحاصل ؟

ج : أجاب على هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال في تفسيره :

الجواب أن لا ، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] الآية ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل ، لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي فائدة ذكر (الصراط المستقيم) منفردًا معرفًا تعريفين تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة ؟

ج : أجاب على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ١٤) .

وذكر الصراط المستقيم منفردًا ، معرفًا تعريفين : تعريفًا باللام ، وتعريفًا بالإضافة . وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه ، وأنه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها ، كقوله : ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ؛ ولا تتبعوا السُّبُل فتَفَرَّق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام : ١٥٣] فوحَّد لفظ الصراط وسبيله . وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن مسعود : « خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره ، وقال : هذه سُبل ، وعلى كل سبيل شيطان

يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ » [الأنعام : ١٥٣][1] وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق . ولو أتى الناسُ من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا الطريق الواحد . فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٥/١) ، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٢) ، والدارمي في سننه (٦٧/١) ، وغيرهم من طريق حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ وإسناده حسن .

● وثمَّ خلاف لا يضر فقد روي الحديث عند الحاكم في المستدرك (٢٣٩/٢) وغيره من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله به مرفوعًا (فأبدل مكان أبي وائل ذرًّا) وهذا خلاف لا يضر ، فذرٌّ ثقة وأبو وائل ثقة ، وإن كنا نرجح رواية أبي وائل ، لأن راويها حماد بن زيد عن عاصم ، وحماد أثبت لدينا من أبي بكر بن عياش ، والله أعلم .

● وثمَّ خلاف آخر فقد روي الحديث عن عبد الله موقوفًا ، والمرفوع أصح لدينا من الموقوف ، لأن من رواه مرفوعًا أثبت .

● وثمَّ طريق آخر للحديث عن أبي وائل من طريق عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع وهو ابن خثيم عن عبد الله قلت .... ، انظره في كشف الأستار (٢٢١٢) وانظر أيضًا كشف الأستار (٢٢١٠) .

● وثم شاهد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد فيه ضعف عند عبد بن حميد في المنتخب (١١٣٩) وابن ماجة (١٦) وابن أبي عاصم في السُّنة (١٦) لكنه يصلح شاهدًا ، وبالجملة فالحديث أقل أحواله أن يكون حسنًا ، والله أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ هذا صراطٌ عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قال الحسن معناه : صراط إليَّ مستقيم . وهذا يحتمل أمرين : أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة « علي » مقام « إلي » . والثاني : أنه أراد التفسير على المعنى . وهو الأشبه بطريق السلف . أي : صراط موصل إلي ، وقال مجاهد : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يُعَرِّج على شيء . وهذا مثل قول الحسن وأَبْيَن منه . وهو من أصح ما قيل في الآية . وقيل : « علي » فيه للوجوب ، أي : عليَّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه . والقولان نظير القولين في آية النحل . وهي ﴿ وعلى الله قَصْد السبيل ﴾ [النحل : ٩] والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر : أن السبيل القاصد – وهو المستقيم المعتدل – يرجع إلى الله ، ويوصل إليه . قال طُفَيل الغَنَوي :

مضوا سلفًا ، قَصْدَ السبيل عليهم وصَرْف المنايا بالرجال تَشَقْلَب

أي : ممرنا عليهم ، وإليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أيُّ وادٍ سلكته عليها طريقي ، أو عليَّ طريقها

فإن قيل : لو أريد هَذا المعنى لكان الأليق به أداة « إلي » التي هي للانتهاء ، لا أداة « علي » التي هي للوجوب . ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال : ﴿ إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] ، وقال : ﴿ إلينا مرجعهم ﴾ [يونس : ٧٠] ، ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، وقال لما أراد الوجوب : ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٦] ، ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ [القيامة : ١٧] ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] ونظائر ذلك ؟

قيل : في أداة « علي » سر لطيف . وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدًى . وهو حق . كما قال في حق المؤمنين : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٤] وقال لرسوله ﷺ :

﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] والله عز وجل هو الحق ، وصراطه حق ، ودينه حق . فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى . فكان في أداة « علي » على هذا المعنى ما ليس في أداة « إلي » فتأمله ، فإنه سر بديع .

فإن قلت : فما الفائدة في ذكر « علي » في ذلك أيضًا . وكيف يكون المؤمن مستعليًا على الحق ، وعلى الهدى ؟ .

قلت : لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى ، مع ثباته عليه واستقامته إليه . فكان في الإتيان بأداة « علي » ما يدل على علوه وثبوته واستقامته . وهذا بخلاف الضلال والرَّيب . فإنه يؤتى فيه بأداة « في » الدالة على انغماس صاحبه ، وانقماعه وتدسسه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ فهم في رَيْبهم يترددون ﴾ [التوبة : ٤٥] وقوله : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صُمٌّ وبُكْم في الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] ، ﴿ فذَرْهم في غَمْرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] ، وقوله : ﴿ وإنهم لفي شك منه مُريب ﴾ [هود : ١١٠] وتأمل قوله تعالى : ﴿ وإنَّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علوًّا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير ، وطريق الضلال تأخذ سُفلًا ، هاوية بسالكها في أسفل سافلين .

وفي قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قول ثالث . وهو قول الكسائيِّ : إنه على التهديد والوعيد نظير قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] ، كما يقال : طريقك علي ، وممرك علي ، لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك ، ولا مُعجِز . والسياق يأبى هذا ، ولا يناسبه لمن تأمله . فإنه قال مجيبًا لإبليس الذي قال : ﴿ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين ﴾ [الحجر : ٣٩] فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم ، ولا طريق لي عليهم . فقرر الله عز وجل ذلك أتم التقرير . وأخبر

أن الإخلاص صراط عليه مستقيم . فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط ، لأنه صراط علي . ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط ، ولا الحَوْم حول ساحته ، فإنه محروس محفوظ بالله . فلا يصل عدو الله إلى أهله .

فليتأمل العارف هذا الموضع حق التأمل ، ولينظر إلى هذا المعنى ويوازن بينه وبين القولين الآخرين ، أيهما أليق بالآيتين ، وأقرب إلى مقصود القرآن وأقوال السلف .

وأما تشبيه الكسائي له بقوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] فلا يخفى الفرق بينهما سياقًا ودلالة . فتأمله ، ولا يقال في التهديد : هذا طريق مستقيم علي ، لمن لا يسلكه . وليست سبيل المهدَّد مستقيمة . فهو غير مهدد بصراط الله المستقيم وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله . فلا يستقيم هذا القول البتة .

وأما من فسره بالوجوب ، أي : عليَّ بيان استقامته والدلالة عليه . فالمعنى صحيح . لكن في كونه هو المراد بالآية نظر . لأنه حذف في غير موضع الدلالة . ولم يؤلَف الحذف المذكور ، ليكون مدلولًا عليه إذا حذف . بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة . فإنه حذف مألوف معروف . حتى إنه لا يذكر البتة . فإذا قلت : له درهم علي . كان الحذف معروفًا مألوفًا . فلو أردت عليَّ نقدُه ، أو عليَّ وزنه وحفظه ، ونحو ذلك ، وحذفت . لم يسغ . وهو نظير : عليَّ بيانه . المقدر في الآية ، مع أن الذي قاله السلف أليق بالسياق . وأجلُّ المعنيين وأكبرهما .

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه يقول : وهما نظير قوله تعالى : ﴿ إن علينا لَلْهُدَى . وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] قال : فهذه ثلاثة مواضع في القرآن في هذا المعنى .

قلت : وأكثر المفسرين لم يذكر في سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلا معنى الوجوب ، أي : علينا بيان الهدى من الضلال . ومنهم من لم يذكر في سورة النحل إلا هذا المعنى كالبغوي . وذكر في الحِجْر الأقوال الثلاثة . وذكر الواحدي في بسيطه المعنيين في سورة النحل . واختار شيخنا قول مجاهد والحسن في السور الثلاث .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد وصف الصراط بـ ﴿ المستقيم ﴾ ؟

ج : لهذا جملة فوائد منها – والله أعلم – أن الخط المستقيم هو أقرب الخطوط التي تصل بين نقطتين ، فإذا هدي الشخص إلى الصراط المستقيم وصل إلى مطلوبه سريعًا فيعمل العمل وإن كان قليلًا إلا أنه يوصله إلى مقصوده بإذن الله سريعًا ، بخلاف الخطوط المعوجة التي تطيل بصاحبها المسير وتذهب به بعيدًا عن مراده .

ثانيًا : أن الخط المستقيم أسلم في المسير عليه من الخطوط المعوجة .

ثالثًا : أن الخط المستقيم أوضح في الدلالة عند المسير عليه من الخطوط المعوجة.

وإلى نحو ذلك أشار بعض العلماء ، فقال ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم (ص ١٠) : فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه ، لأن الخط المستقيم هو أقرب خطٍّ فاصل بين نقطتين ، وكلما تعوج طال وبعد ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته ، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقًا .

● وقال الرازي رحمه الله وعفا عنه في التفسير الكبير (ص ١/٢٥٨) :

اعلم أن أهل الهندسة قالوا : الخط المستقيم هو أقصر خطٍّ يصل بين نقطتين ، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة فكان العبد يقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لوجوه :

الأول : أنه أقرب الخطوط وأقصرها وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم .

الثاني : أن المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضًا في الاعوجاج فيشتبه الطريق عليَّ ، أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان .

الثالث : الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود ، والمعوج لا يوصل إليه .

والرابع : المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم .

* * *

س : من هم المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ هم ما ذكرهم الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

* * *

س : ما هو الإنعام المذكور في قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : إنعام الله عز وجل على عباده لا يحصى كما قال سبحانه : ﴿ وإن

تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم :٣٤] ، لكن أعظم وجه للإنعام هو إنعامه عليهم بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح ، وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُتبع ذكر ﴿ الصراط المستقيم ﴾ بقوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب بعض العلماء على ذلك بما حاصله : إن سالكي طريق الحق يسلكون طريقًا أكثر الناس عنه ناكبون ، وسالكوه قلة قليلون ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، فقد يستوحش سالكوا هذا الطريق فذكرهم الله عز وجل بأن هناك في الطريق رفقاء بل هم خير الرفقاء وأحسنهم : وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون – حتى يزيل وحشتهم ويؤنس غربتهم ، وقد ذكر مضمون ذلك باستفاضة وتوسع العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ٢١) :

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مريد لسلوك طريقٍ مرافقُه فيها غاية العزة . والنفوس مجبولة على وحشة التفرق ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق ، وأنهم هم الذين ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له . وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه . وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم . فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له . فإنهم هم

الأقلُّون قدرًا ، وإن كانوا الأكثرين عددًا ، كما قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين . وإياك وطريق الباطل ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم . وغض الطرف عمن سواهم . فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك ، فلا تلتفت إليهم . فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك . وقد ضربت لذلك مثلين . فليكونا منك على بال .

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلامًا يؤذيه. فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه ، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أطمعه في نفسه . وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجَمْز[1] بقدر التفاته أو أكثر، فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده ، وخاف فوت الصلاة أو الوقت : لم يبلغ عدوه منه ما شاء .

المثل الثاني : الظبي أشد سعيًا من الكلب ، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه ، فيدركه الكلب فيأخذه .

والقصد : أن في ذكر هذا الرفيق : ما يزيل وحشة التفرد ، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: « اللهم اهدني فيمن هديت »[2]

---

(١) الجمز : سرعة السير والعدو .

(٢) أخرج الطبراني (الكبير ٣/٧٥) وأحمد (١/١٩٩) وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال : علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت وعافني فيمن عافيت... الحديث» وسنده صحيح.

أي : أدخلني في هذه الزمرة ، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم .

والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية ، أي : قد أنعمت بالهداية على من هديت ، وكان ذلك نعمة منك : فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة ، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم . فهو توسل إلى الله بإحسانه .

والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكريم : تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليهم وعلمني في جملة من علمته وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] دلالة على إمامة أبي بكر رضي الله عنه في الدين وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صدِّيق كما هو معلوم عند الكبير والصغير والقريب والبعيد من أهل الإسلام ، وتقدم أن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، فيتحصل لنا أن أبا بكر رضي الله عنه من المنعم عليهم ، فإذا كان كذلك فهو إمام متبع إذ أننا في كل صلاة نطلب من الله عز وجل أن يهدينا طريق المنعم عليهم الذين منهم أبو بكر رضي الله عنه نطلب من الله عز وجل أن يسلك بنا الطريق الذي سلكه النبيون والصديقون (ومنهم أبو بكر) والشهداء والصالحون ، فعليه فأبو بكر رضي الله عنه إمام في الخير والدين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين ﴾[الفاتحة: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

- أن (لا) معناها غير فالمعنى ﴿ وغير الضآلين ﴾ .

● أن (لا) زائدة وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ [الأنبياء : ٩٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] والمعنى ما منعك أن تسجد .

● وقيل : هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن الضآلين معطوف على الذين.

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بالضلال في لغة العرب ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ، ومنه ضل اللبن في الماء ، أي : غاب ، ومنه ﴿ أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ﴾ [السجدة:١٠] أي : غبنا بالموت وصرنا ترابًا، قال :

ألم تَسْأَلْ فتُخبِرَك الدِّيارُ عن الحيِّ المُضَلَّل أين ساروا

قلت : وللضلال معان أُخر منها :

● النسيان كما في قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● ومنها : الضياع كما في قوله : (ضلت قلادة عائشة) إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ المغضوب عليهم ﴾ و ﴿ الضالين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المراد بالمغضوب عليهم في هذه الآية الكريمة هم اليهود[1] والضآلون هم النصارى ، وهذا هو قول جمهور المفسرين في هذه الآية

---

(١) وهذا لا يمنع أن يكون اليهود – كما أنهم مغضوب عليهم – ضالين كذلك ، ولا يمنع أن يكون النصارى – (كما أنهم ضالون) – أن يكونوا مغضوبًا عليهم أيضًا .
ولا يمتنع أيضًا أن يكون كل الكفار ضُلال كما قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ [يونس : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء =

الكريمة . ، ويشهد لقولهم أمور :

أولها : أن النبي ﷺ فسر الآية بهذا أي : بأن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضآلون[1].

= السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] وقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٦٧] وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات .

● وكذلك لا يمتنع أن يكون هناك مغضوب عليهم غير اليهود ، كما قال الله تعالى : ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ [النور : ٩١] وكما قال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] وقال تعالى : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ﴾ [النحل : ١٠٦] .

(١) هذا الحديث (حديث المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى ضآلون) له عن رسول الله ﷺ عدة طرق وإن كان في كل منها مقال إلا أنه يُحسن أو يُصحح بمجموعها ، من هذه الطرق ما أخرجه أحمد (٣٧٨/٤ – ٣٧٩) وابن أبي حاتم في التفسير (٤٠) والترمذي (٢٩٥٤) والطبري (حديث ١٩٤) والطبراني في الكبير (٩٩/١٧) وابن حبان (موارد الظمآن ١٧١٥) من طريق شعبة ، وكذلك أخرجه الترمذي (٢٩٥٣) وابن أبي حاتم في التفسير (٤١) من طريق عمرو بن أبي قيس ، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (٩٩/١٧ – ١٠٠) عن طريق قيس بن الربيع ثلاثتهم (أي : شعبة وعمرو بن أبي قيس وقيس بن الربيع) عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم قال : قال لي رسول الله ﷺ : إن المغضوب عليهم اليهود .

وفي إسناده عباد بن حبيش وهو مقبول (ومعناه عند الحافظ مقبول إذا توبع وإلا فليِّن) .

وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه =

= وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه محمد بن مصعب وهو ضعيف (أخرجه الطبري ١/١٨٦) .

وثم مخالفة أخرى لهؤلاء الثلاثة فقد رواه الطيالسي (١٠٤٠) من طريق عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عمن سمع عديًا مرفوعًا لكن عمرو بن ثابت متروك ، ثم إنه يمكن الجمع بأن يُقال : إن الذي سمع عديًا هو عباد بن حبيش .

● فهذه طريق (أي : ما تقدم) علتها عباد بن حبيش وهو مقبول لكنها تصلح في الشواهد .

● وثم طريق آخر للحديث فقد أخرجه سعيد بن منصور (حديث ١٧٩) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن النبي ﷺ مرسلًا .

وكذلك عزاه صاحب الدر المنثور إلى ابن عيينة في تفسيره .

وقد رواه ابن جرير الطبري (حديث ١٩٣) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي قال : حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي رضي الله عنه مرفوعًا (أي : بإثبات واسطة بين إسماعيل وعدي) لكن عبد الله بن جعفر الرقي كان قد اختلط وتغير أخيرًا . فالطريق المرسلة أرجح ، وعلى كل فهي تصلح في الشواهد .

● وله شاهد آخر مرسل رواه عبد الله بن شقيق عن النبي ﷺ مرسلًا ، رواه عن عبد الله بن شقيق الجريري وخالد الحذاء كما عند الطبري (١/٦١ - ٦٢) وطريق الجريري أظنها معلولة بما رواه الطبري (٢١١) من طريق الجريري عن عروة بن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن شقيق عن رسول الله ﷺ . ورواه بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق ، قال : أخبرني من سمع النبي ﷺ . أخرجه الطبري (١٩٨) ، وعبد الرزاق (١/٣٧) ، وأحمد (٥/٣٢ - ٣٣) من طريق معمر عن بديل ، وبديل بصري ورواية معمر عن البصريين متكلم فيها .

● وروي من طريق إبراهيم بن طهمان عن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر عن النبي ﷺ (عزاه ابن كثير لابن مردويه) وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٨/١٥٩) ، لكننا نراه معلولًا فإبراهيم بن طهمان ثقة يُغرب وأظن ذكر أبي ذر من غراباته .

وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه ، والله أعلم .

ثانيها : أن الله تبارك وتعالى قال في شأن بني إسرائيل مع موسى ﷺ : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [البقرة : ٦١] وقال تعالى في شأن بني إسرائيل أيضًا ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

● وقال تعالى – والسياق يدل على أنه في شأن النصارى – : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ... – إلى قوله تعالى : – قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٥ – ٧٧] .

والثالث : ما ورد في قصة زيد بن عمرو بن نفيل لما خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنَّى أستطيعه ؟!! ... الحديث ، وفيه فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون

على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ... الحديث[1].

❋ ❋ ❋

س : لماذا وصف اليهود بأنهم ﴿ مغضوب عليهم ﴾ والنصارى بأنهم ﴿ ضآلون ﴾ ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لأن اليهود تركوا العمل بالحق بعد معرفته كما قال الله تعالى : ﴿ فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦ ، ٣٨٢٧) من طريق محمد بن أبي بكر قال : حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقُدِّمت إلى النبي سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكلُ إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكارًا لذلك وإعظامًا له ، قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله – ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر – أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنى أستطيعه ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا وأنى أستطيع ؟!! فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم .

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٨٩ ، ٩٠] .

أما النصارى فهم ضُلَّال عن الحق[1].

وقد استفاض ابن القيم رحمه الله في شرح ذلك فقال في التفسير القيم ص ١١ (في بيانه تضمن الفاتحة لإثبات النبوات) :

الموضع الثامن : من ذكر المنعم عليهم ، وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة . لأن العبد إما أن يكون عالمًا بالحق ، أو جاهلًا به . والعالم بالحق إما أن يكون عاملًا بموجبه أو مخالفًا له . فهذه أقسام المكلفين . لا يخرجون عنها البتة . فالعالم بالحق العامل به : هو المنعم عليه . وهو الذي زكّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح . وهو المفلح ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس :٩] والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه . والجاهل بالحق : هو الضال . والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل . والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل . فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به . ومن ههنا كان اليهود أحقَّ به . وهو متغلظ في حقهم . كقوله تعالى في حقهم : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بَغْيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠]

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان ص ١/٣٧) : واليهود والنصارى وإن كانوا ضآلين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا فإن الغضب إنما خُصَّ به اليهود ، وإن شاركهم النصارى فيه لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا فكان الغضب أخص صفاتهم ، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم .

قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] . والجاهل بالحق : أحق باسم الضلال . ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] فالأولى : في سياق الخطاب مع اليهود . والثانية : في سياقة مع النصارى . وفي الترمذي وصحيح ابن حِبَّان : من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم . والنصارى ضالون »[1] .

ففي ذكر المنعَم عليهم – وهم من عرف الحق واتبعه – والمغضوب عليهم – وهم من عرفه واتبع هواه – والضالين – وهم من جهله – : ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة . لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود . وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة وأضاف النعمة إليه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا حذف فاعل الغضب في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب ابن القيم رحمه الله على ذلك إجابة واسعة فقال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ١٢) :

وحذف فاعل الغضب لوجوه :

منها: أن النعمة هي الخير والفضل. والغضب من باب الانتقام والعدل . والرحمة تغلب الغضب ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين،

---

(١) حسن بمجموع طرقه .

وأسبقهما وأقواهما . وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه . وحذف الفاعل في مقابلتهما[1]، كقول مؤمني الجن : ﴿ وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رَشَدًا ؟ ﴾ [الجن : ١٠] ومنه قول الخضِر في شأن الجدار واليتيمين : ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزهما ﴾ [الكهف : ٨٢] وقال في خرق السفينة : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ [الكهف : ٧٩] ثم قال بعد ذلك : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ [الكهف : ١٩] وتأمل قوله تعالى : ﴿ أحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقوله : ﴿ حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم – ثم قال – وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٣].

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم . وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر . فكل الخلق في نعمة . وهذا فصل النزاع في مسألة : هل لله على الكافر من نعمة أم لا ؟ .

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان . ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تَعدُّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لَظلوم كَفَّار ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

والنعمة من جنس الإحسان ، بل هي الإحسان . والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه هو المنفرد بالنعم ﴿ وما بكم من نعمة

---

(١) ولا يطرد كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فقد قال تعالى : ﴿ قل هل أُنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ... الآية ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فمن الله ﴾ [النحل : ٥٣] فأضيف إليه ما هو منفرد به . وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقًا ومَجْرًى للنعمة . وأما الغضب على أعدائه فلا يختص به تعالى ، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه . فكان في لفظة ﴿ المغضوب عليهم ﴾ بموافقة أوليائه له : من الدلالة على تفرده بالإنعام ، وأن النعمة المطلقة منه وحده ، هو المنفرد بها – ما ليس في لفظة « المنعم عليهم » .

الوجه الثالث : أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره ، وتصغير شأنه ، ما ليس في ذكر فاعل النعمة ، من إكرام المنعَم عليه والإشادة بذكره ، ورفع قدره : ما ليس في حذفه . فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه ، ورفع قدره ، فقلت : هذا الذي أكرمه السلطان ، وخلع عليه وأعطاه ما تمناه . كان أبلغَ في الثناء والتعظيم من قولك : هذا الذي أُكرم وخلُع عليه وشُرف وأُعطي .

* * *

س : هل ﴿ آمين ﴾ آية من سورة الفاتحة ؟

ج : « آمين » ليست آية من الفاتحة لأمور منها :

- عدم وجود دليل على أنها آية .
- عدم إثباتها في المصاحف[1] .
- وقال صديق حسن خان في تفسيره[2] قيل : وليس من القرآن إجماعًا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف .

---

(١) وكذلك لم يتعرض عدد كبير من المفسرين لتفسيرها ، وهذا مما يدل على أنها ليست عندهم آية .

(٢) (فتح البيان ١/٥٥) .

● وإلى هذا إشار القرطبي رحمه الله[1] فقال : ويُسنُّ لقارىء القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتةٍ على نون (ولا الضآلين) : آمين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن .

❋ ❋ ❋

س : هل (آمين) تقرأ بالمد أم بالقصر ؟ وهل يجوز أن تشدد الميم ؟

ج : حكى العلماء في (آمين) اللغتين المد أو القصر .

فقال بعضهم : هو بالمد على وزن فاعيل كياسين وقابيل وهابيل واستدلوا على ذلك بقول مجنون ليلى :

يارب لا تسلبني حبَّها أبدًا ويرحم الله عبدًا قال آمينا

أي : بالمد .

وقال آخرون : هو بالقصر على وزن يمين كما قال الشاعر[2] :

تباعد مني فُطْحُلٌ إذ سَأَلْتُهُ أمينَ فزاد اللَّهُ ما بيننا بُعدًا

● أما تشديد الميم فهو خطأ وقد نص على ذلك عدد من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (آمين) ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ – آمين معناها : اللهم استجب[3] (وهذا قول أكثر العلماء) .

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٨٩) .

(٢) قال صديق حسن خان (وقال جبير لما سأل فُطحلًا) ... فذكره .

(٣) وفي قولٍ : (اللهم اسمع لنا وتقبل واستجب) ، وفي قول : « لا تخيِّب رجاءنا » ، وفي ثالثٍ : (رب افعل) .

٢ – ومنها : أن معنى آمين : كذلك فليكن .

٣ – آمين : اسم من أسماء الله الحسنى . وقد قال بهذا بعض العلماء ولا دليل عليه .

٤ – قيل : وهو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآثام[١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل التأمين ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه »[٢] .

● وفي رواية : « إذا قال الإمام ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »[٣] .

● وأخرج مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيَّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبَّر فكبِّروا ، وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا آمين يُجبكم الله ... »[٤] .

● وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين »[٥] .

---

(١) قال صديق حسن خان (فتح البيان ص٥٥) : رواه الطبراني عن عليٍّ بسند ضعيف .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٨١) ، ومسلم (ص٣٠٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٥) أخرجه ابن ماجة (حديث ٨٥٦) ، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨) بإسنادٍ حسن من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

س : هل يجب قول (آمين) في الصلاة ؟

ج : قول (آمين) في الصلاة مستحب لقول النبي ﷺ : « وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا آمين »[1] .

وليس بواجب لقول النبي ﷺ : « اقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر معك من القرآن »[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل يُجهر بـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يُسر بها ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يُجهر بآمين خلف الإمام في الصلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها :

الأول : أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين[3] .

الثاني : قول النبي ﷺ : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم

= وله طرق أخرى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، وانظر مسند أحمد (٦/١٣٥) ، وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ٥٦) .

وثمَّ طرق أخرى عن رسول الله ﷺ لكنها لا تخلو من مقال . انظر سنن ابن ماجة (٨٥٧)، وتاريخ بغداد (١١/٤٣)، وابن عدي في الكامل (٣/٢٥٠)، ومصنف عبد الرزاق (٢/٩٨).

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٧) ، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، ولفظه عند البخاري أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى فسلم على النبي ﷺ فردَّ وقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل » فرجع يُصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل (ثلاثًا) » فقال : والذي بعث بالحق ما أُحسن غيره فعلِّمني فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ... » الحديث .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢٤٨) بإسناد صحيح من حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) فقال : آمين ومدَّ بها صوته .

قال أبو عيسى : حديث وائل بن حجر حديث حسن ، وبه يقول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم ، يرون أن الرجل يرفع صوته =

على السلام والتأمين »[1] .

الثالث : أن أبا هريرة قال : للإمام لا تَفُتْنِي بآمين[2] .

الرابع : أن ابن الزبير صلى بالناس في المسجد فجهر بآمين فسمع للمسجد لُجة[3] بينما ذهب آخرون إلى أنه يُسر بآمين ، وذلك لأن معناها (عند الأكثر) اللهم استجب ، فعليه فهي دعاء والأصل في الدعاء الإسرار به ، والرأي الأول أقوى لكثرة الأدلة عليه ، ولأن الدعاء وإن كان الأصل فيه الإسرار إلا أن هذه صورة مستثناة منه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُسمى المؤمِّن داعيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يُسمي المُؤمِّن داعيًا ، قال : لأن موسى عليه السلام كان يدعو على فرعون-وجنده فيقول : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال : قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ [يونس : ٨٨ ، ٨٩] ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : إن الدعاء ذكر عن موسى عليه السلام وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون كان يؤمِّن فنزل منزلة من دعا لقوله

= بالتأمين ولا يخفيها ، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق .

قلت : وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٣١٦/٤) ، وأبو داود (حديث ٩٣٢) وفي روايته ورفع بها صوته ، وغيرهم .

(١) إسناده حسن ، وتقدم .

(٢)(٣) أخرجهما البخاري معلقًا بصيغة الجزم (مع الفتح ٢٦٢/٢) باب جهر الإمام بالتأمين ، وفيه : وقال عطاء : آمين دعاء ، أمَّن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة ، وكان أبو هريرة ينادي الإمام : لا تفُتني بآمين .

وأخرجه موصولًا عبد الرزاق في المصنف بإسناد صحيح (٢٦٤٠) عن ابن جريج عن عطاء قال : قلت له : أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن ؟ قال : نعم ، ويؤمن من وراءه حتى إن للمسجد للجَّة ثم قال : إنما آمين دعاء ، وكان أبو هريرة =

تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ قالوا : فدل ذلك على أن من أمَّن على دعاءٍ فكأنما قاله ، وأيدوا ذلك بحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يُعط أحدٌ قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيب لكم »[1].

❋ ❋ ❋

س : هل يقول المأموم : ﴿ آمين ﴾ بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ آمين ﴾ أم يقولها بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ ولا الضالين ﴾ ؟ وضح ذلك بالأدلة ؟

ج : ذهب البعض إلى أن المأموم يقول : آمين بعد أن يقولها الإمام لعموم حديث « إنما جُعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ... الحديث »[2] ولحديث « إذا أمَّن الإمام فأمنوا »[3] وهذا مذهب مرجوح ، والراجح أن المأموم يقول: ﴿آمين﴾ إذا قال الإمام ﴿ولا الضآلين﴾ وقد ورد ذلك صريحًا

= يدخل المسجد ، وقد قام الإمام قبله فيقول : لا تسبقني بآمين . وانظر أيضًا مسند الشافعي (ص ٥١) وابن أبي شيبة (المصنف ٤٢٧/٢) وسنن البيهقي الكبرى (٥٩/٢) وابن سعد (الطبقات ٢٦٦/٤) وتغليق التعليق (٣١٨/٢) .

(١) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن مردويه وليس بين يدي تفسير ابن مردويه إلا أنه باستقراء عدد من الأحاديث التي ساقها العلماء بأسانيدها وعزوها إلى ابن مردويه متفردًا بها رأينا أن الغالب عليها الضعف والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١١١٤) ، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (سقط رسول الله ﷺ من فرسٍ فخُدِش – أو فجحش – شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدًا فصلينا قعودًا ، وقال « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد ») .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٨٠) ، ومسلم (حديث ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

في حديث النبي ﷺ الذي فيه « .. وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين يجبكم الله »[1].

وأيضًا حتى يتوافق تأمين الإمام مع تأمين المأمومين مع تأمين الملائكة فيغفر للمُؤمِّن بإذن الله .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا تترتب المغفرة للذنب في قول العبد ﴿ آمين ﴾ ؟

ج : تترتب مغفرة الذنوب على مقدمات جمعها حديث النبي ﷺ : « من وافق تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » وهي :

١ – تأمين الإمام . ٢ – تأمين المأمومين . ٣ – تأمين الملائكة .

٤ – موافقة التأمين[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا وقد تقدم . وتقدم نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٨٢) مرفوعًا بلفظ : « وإذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين » .

(٢) والمراد بالموافقة لأهل العلم فيه أقوال منها : الموافقة في الإجابة وقيل : في الزمن . وقيل : في الصفة من إخلاص الدعاء ، والله أعلم .

سـورة البقـرة

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل سورة البقرة ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »[1].

● ومنها : ما أخرجه مسلم[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[3] » .

* * *

س : السور تتسمى ببعض ما فيها مثّل لذلك ؟

ج : مثال ذلك : أن سورة البقرة ذُكرت فيها البقرة ، وسورة آل عمران ذُكر فيها آل عمران ، وسورة النساء ذكر فيها النساء وأحكام تتعلق بهن كثيرة ، وسورة المائدة ذكرت فيها المائدة وسورة الأنعام ذكرت فيها الأنعام ، وسورة الأعراف ذكرت فيها الأعراف ، وكذلك جُلُّ السُّورِ بل كلُّها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٤) .

(٣) البطلة هم السحرة .

س : سورة البقرة هل هي مكية أو مدنية ؟

ج : سورة البقرة : مدنية[1]، ويؤيد ذلك أمران :

الأول : أن الأنصار اخْتُصوا بأنهم أصحاب سورة البقرة وقد ناداهم العباس يوم حنين فقال : يا أصحاب سورة البقرة يا من بايع تحت الشجرة .

الثاني : الإجماع على كونها مدنية ، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يقال سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، أم يقال البقرة وآل عمران ؟

ج : الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أنه لا بأس أن يقال البقرة وآل عمران ، وكذلك لا بأس أن يُقال سورة البقرة وسورة آل عمران ، والأمر في هذا واسع[2]، وقد تقدم أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا البقرة » .

● وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنًى عن يمينه ثم رمى ثم قال : هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة[3] .

● وقال العباس يوم حنين للأنصار : (يا أصحاب سورة البقرة) .

---

(١) واستثنى بعض العلماء من ذلك قوله تعالى : ﴿ ... واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

(٢) وقد ورد في هذا الباب **حديث ضعيف** فيه : « لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران ، ولكن قولوا السورة التي تُذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله » .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٥٨١/٣) ، ومسلم (مع النووي ٤٢/٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما رمى الجمرة ..... ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١)

الٓمٓ ﴿١﴾ (٢)

* * *

(١) تقدم الكلام على ما يتعلق بالبسملة في تفسير سورة الفاتحة فليراجعه من شاء .

(٢) وعلى سبيل الاختصار : هي أحرف لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة : ١] والحروف التي في أوائل السور ؟

ج : ابتداءً فعلى وجه الإجمال للعلماء اتجاهان في تأويلها :

● فمنهم من يقول : إن (الٓم) ونحوها من الحروف التي بُدئت بها السور ، أحرفٌ لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى ، فلا نخوض في تأويلها ما دام لم يرد في تأويلها شيءٌ صريح من كتاب الله أو من سُنَّةِ رسول الله ﷺ .

● ومن العلماء من يقول : بل لنا أن نفسرها ونلتمس ما فيها من المعاني وأوجه التأويل فهي من القرآن ، وقد أمرنا الله عز وجل بتدبره وفهمه ، وقد نزل القرآن بلغة العرب كما قال سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف:٢] وقال تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقد استعملت العرب الحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات[1].

ثم إن أهل هذا القول الأخير التمسوا لها جملة تأويلات نورد منها ما يلي :

الأول : أن هذه الأحرف المقطعة التي في أوائل السور فيها اسم الله الأعظم لكننا لا ندري كيف يتألف منها اسم الله الأعظم .

الثاني : أنها سيقت للتحدي فكأن المعنى ألف ولام وميم أحرف ليست بغريبةٍ عليكم معشر العرب مدعي الفصاحة والبلاغة ، وأنتم تعرفون هذه الأحرف وتقرءونها ، وقد ألفنا القرآن منها ، ومع أنكم تعرفونها وتقرءونها إلا أنكم لا تستطيعون الإتيان بقرآن مثل هذا القرآن ولا تأليف ولو آية واحدة من مثله .

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره (المحرر) : والصواب ما قاله الجمهور أنها تُفسَّر ويلتمس لها التأويل لأنَّا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات .

ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم ، بأن الله عز وجل قال عقب ﴿ الٓمٓ ﴾ : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ١، ٢]، وعقب ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزل إليك ﴾ [الأعراف : ١ ، ٢] ، وعقب قوله تعالى : ﴿ الٓرٰ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ [فصلت : ١، ٢] ونحوها من الآيات .

الثالث : أن هذه الأحرف دالة على أسماء أُخذت منها وحذفت بقيتها ، أي : أنها رموز تستعملها العرب في كلامها[١] . فروي عن البعض أنهم قالوا : الألف من[٢] الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد .

● ومنهم من قال في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: الألف تؤدي (أنا) واللام (الله) والميم (أعلم) فمعنى ﴿الٓمٓ﴾ عندهم: أنا الله أعلم، ومعنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا الله أفصل.

الرابع : قال بعض العلماء : هي أسماء للسور ، قال الزمخشري[٣] : وعليه إطباق الأكثر ، ويعتضد بما روي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾[٤] .

الخامس : قال بعض العلماء : هي أقسام[٥] أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها ، ووجه هذا الكلام أن إنسانًا لو أقسم فقال : والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدًا ، وتكون (لا) جواب القسم .

السادس : ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجمع بين هذه الأقوال ممكن

---

(١) وهذه واضحة في سؤال مستقل .

(٢) (من) أي : من لفظ الجلالة ، وكذلك (من جبريل) أي : اللام من اسم جبريل ، والميم من اسم محمد .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٣/١) .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٧٧/٢) ، ومسلم (مع النووي ١٦٨/٦) .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٢) ، والطبري (٢٣٧) بإسناد صحيح عن عكرمة قال : (الٓمٓ) قسم .

فهي أسماء للسور ، وأسماء لله تعالى يفتتح بها السور (كسورة الرحمن) مثلًا ، فكل حرف دال على اسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم بأن الكلمة الواحدة قد يُراد بها عدة معانٍ كلفظ الأُمة مثلًا يطلق أحيانًا ويُراد به **(الدِّين)** كما في قول المشركين: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وإن هذه أمتكم ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ، ويطلق ويراد به **(الجماعة من الناس)** كما في قوله تعالى : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [القصص : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا ﴾ [النحل : ٣٦] ويطلق ويُراد به **(الحين)** كما في قوله تعالى : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥] أي : بعد حين[1] ، وتطلق ويراد بها **الرجل الحنيف العاقل** ، كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] .

وقد اعترض على هذا التمثيل هنا – بمعنى أنه اعترض على جعل لفظ الأمة مشابهًا للفظ ﴿ آلم ﴾ من ناحية إطلاق الكلمة على عدة معانٍ ، فإن الأمة إنما دلت على معنى معين للوضع الذي سيقت فيه ، أما ﴿ آلم ﴾ فالموضع فيها واحد فكيف تتعدد معانيها في هذا الموضع الواحد ؟؟!! .

قلت : وإجمال القول في هذا المقام : أن هذه الأحرف لم يرد في تأويلها شيء صحيح من المعصوم ﷺ فيما علمنا ، ولم يُجمع العلماء في تأويلها على وجهة معينة ، وإنما اختلفوا كما رأيت وتعددت أقوالهم ، فالأمر على ما ذكره بعض أهل العلم حيث قالوا : فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) على قول لبعض العلماء .

س : ما هو مجموع الحروف المقطعة المذكورة في أوائل السور ؟ وما هي هذه الأحرف ؟

ج : عددها (أربعة عشر حرفًا) وهي ا لِ م ص ر ك هـ ى ع ط س ح ق ن[1] ، يجمعها قولهم : **(نص حكيم قاطع له سر)** .

* * *

س : هل تكلمت العرب بالحروف المقطعة ؟

ج : ورد ذلك في بعض أشعارهم ، واستدل له بعض العلماء بحديث رسول الله ﷺ : « من أعان على قتل مسلمٍ ولو بشطر كلمة ... »[2] قال بعض العلماء : هو أن يقول في (اقتل) : اقْ ، أما الأشعار في ذلك فمنها :

فقلت لها قفي فقالت قاف

أي : قالت : (وقفت) .

ومنه الشعر الذي نقل عن زُهير :

بالخير خيرات وإن شرًّا فَا ... ولا أريد الشر إلا أنْ تا

أراد : وإن شرًّا فشرٌّ ، وأراد : إلا أن تشاء .

ومنه قول الشاعر :

نادوهـم ألا الجِمُوا ألا تـا ... قالـوا جميعًا كلهـم ألا فَـا

---

(١) قال الرازي رحمه الله تعالى (١١/٢) : هذه الفواتح جاءت مختلفة الأعداد فوردت (ص ، ق ، ن) على حرف ، (طه ، طس ، يسٓ ، حم) على حرفين ، (الٓم ، الٓر ، طسم) على ثلاثة أحرف ، (الٓمص ، والٓمر) على أربعة أحرف ، (كهيعص ، حم عسق) على خمسة أحرف ، والسبب فيه أن أبنية كلماتهم على حرفٍ وحرفين إلى خمسة أحرف فقط فكذا ههنا .

(٢) ضعيف جدًّا وقد حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع وقد أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠) ، والبيهقي (٢٢/٨) وفيه يزيد بن زياد الدمشقي وهو متروك .

يريد بقوله : (ألا تا) ألا تركبون ، وبقوله : (ألا فا) أي : فاركبوا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد عن النبي ﷺ شيء في فضل ﴿ الم ﴾ ؟

ج : لا أعلم شيئًا في هذا الباب عن رسول الله ﷺ إلا قوله : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ولا أقول : ﴿ الم ﴾ حرف ولكن (ألف) حرف ، و (لام) حرف ، و (ميم) حرف »[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الحروف المقطعة أوائل السور[2]، ولماذا كُررت ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● **منها :** أنها أوردت ليُعرف بها أوائل السور ، ويفصل به بين السورة والسورة التي تليها .

وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا القول بقوله : وهذا ضعيف ، لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة .

● **ومنها :** أنها بُدىء بها لتفتح بها أسماع المشركين إذا تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تُلي عليهم المؤلف منه .

وضعف الحافظ ابن كثير هذا من وجوه :

أولها : أن الأمر لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور ولا يكون في بعضها دون بعض ، بل غالبها ليس كذلك[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٨/٢٢٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن وقد أُعلَّ بالوقف ويبدو لي أنه الصواب ولكن على كل حال فيظهر لي أن له حكم الرفع والله تعالى أعلم .

(٢) ليس السؤال عن معاني الحروف المقطعة .

(٣) أي : غالب السور لم تبدأ بالحروف المقطعة .

الثاني : لو كان الأمر على ما ذكر من أن أسماع المشركين تفتح عند سماع هذه الأحرف لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

الثالث : أن هذه السورة (البقرة) مدنية فليست خطابًا للمشركين .

● ومنها أن هذه الأحرف ذكرت في أوائل السور بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الأحرف المقطعة التي يتخاطبون بها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية .

قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله :- ص ن ق - وحرفين مثل ﴿ حم ﴾ وثلاثة مثل ﴿ الم ﴾ وأربعة مثل ﴿ المر ﴾ و ﴿ المص ﴾ وخمسة مثل ﴿ كهيعص - و - حم عسق ﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت :) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ﴾ [آل عمران : ١، ٢] ﴿ المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ [الأعراف: ١، ٢]

﴿ الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾ [إبراهيم : ١ ، ٢] ﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ١، ٢] ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ [فصلت : ١، ٢] ﴿ حم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ [الشورى : ١ - ٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر ، والله أعلم .

* * *

س : كم سورة افتتحها الله سبحانه وتعالى بالحروف المقطعة ؟ وما هي باختصار ؟

ج : افتتح الله عز وجل تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة وهذه السور هي :

﴿ الٓمٓ ﴾ سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة .

وبقوله عز وجل : ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ الأعراف .

وبقوله عز وجل : ﴿الٓر﴾ سُوَرَ يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحِجْر .

وبقوله عز وجل : ﴿ الٓمٓر ﴾ الرعد .

وبقوله عز وجل : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ مريم .

وبقوله عز وجل : ﴿ طه ﴾ سورة طه .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسٓمٓ ﴾ الشعراء والقصص .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسٓ ﴾ النمل .

وبقوله عز وجل : ﴿ يسٓ ﴾ سورة يسٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ صٓ ﴾ سورة صٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ ﴾ سُوَر غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ . عٓسٓقٓ ﴾ الشورى .

وبقوله عز وجل : ﴿ قٓ ﴾ سورة قٓ .

وبقوله عز وجل : ﴿ نٓ ﴾ سورة القلم .

* * *

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

الكلمـة	معناهـا
لا ريب فيه	لا شك فيه

❋ ❋ ❋

س : (ذلك) ، (تلك) تستعملان للإشارة إلى الغائب ، فلماذا عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة: ٢]، ولم يُقل (هذا الكتاب)؟

ج : (ذلك) ، و (تلك) وإن وضعتا للإشارة إلى الغائب ، وهذا وضعت للإشارة إلى حاضر ، إلا أن الوضع قد ينعكس أحيانًا فتستعمل (ذلك) بمعنى (هذا) والعكس ، أي : أن (ذلك) ، و (تلك) تستعملان للحاضر أيضًا ، و (هذا) تستعمَل للغائب أيضًا .

● فمن استعمال ذلك للإشارة إلى حاضر قوله تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ [السجدة : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ [الشورى : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ [البقرة : ٢٥٢].

● أما مجيء هذا بمعنى (ذلك) فمنه قوله عليه السلام : « عُرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر »[1] أي : ذلك البحر فعلى هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨ و ٢٧٨٩) ، والنسائي (٦/٤٠ - ٤١) ، ومسلم (حديث ١٩١٢) ، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٢٧٧٦) واللفظ للبخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت[1] عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أُمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ... » الحديث .

---

(١) يعني : أنها كانت زوجته .

(ذلك) قد تأتي بمعنى (هذا) ، و (هذا) قد تأتي بمعنى (ذلك) ، فمن الممكن إذن أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي : هذا الكتاب ، ومن الممكن أن تكون (ذلك) على بابها من أنها إشارة إلى الغائب على ما سيأتي بيانه – إن شاء الله تعالى – في السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ٢] ، وما المراد بالكتاب ؟

ج : ﴿ ذلك ﴾ معناها هنا (هذا)[1] أما الكتاب ، فعلى الصحيح من أقوال العلماء أن المراد به القرآن[2]، والله أعلم .

---

(١) صح عن عكرمة رحمه الله (عند ابن أبي حاتم ٥٣) والطبري (٢٤٨) أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ معناه : هذا الكتاب .

● وبعض العلماء يقولون : (استعمل ذلك) لما تفيده الإشارة بلام البعد عن علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن ، والله أعلم .

● وبعض أهل العلم يقولون : (ذلك) إشارة إلى ما تقدم وهو قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ وكون ذلك تأتي وفيها إشارة إلى ما تقدمها فهذا وارد كما في قوله تعالى : ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ [البقرة : ٦٨] أي : بين الفارض والبكر ، وقال تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة :١٠] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ﴾ [الشورى :١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ ، [يوسف : ٥٢] وكقوله تعالى : ﴿ ذلكم أزكى لهم وأطهر ﴾ [البقرة : ٢٣٢] إشارة إلى ما تقدمه ، والله تعالى أعلم .

(٢) هذا على الصحيح من أقوال العلماء **أن المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ هو القرآن** ، ولكن هناك أقوال أخر للعلماء نورد بعضها :

● **الأول من هذه الأقوال** أن المراد بالكتاب هو المكتوب على الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كتب الله مقادير الخلائق =

= قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[1]، وهذا يحوي ما كتب على الخلائق من السعادة أو الشقاء والأجل والرزق وغير ذلك .

الثاني : أنه الكتاب الذي كتبه الله عز وجل على نفسه : « إن رحمتي تغلب غضبي »[2] .

الثالث : أنه الكتاب الذي وعد الله به نبيه ﷺ وفيه : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ... »[3] الحديث وفيه : « وإني منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ».

الرابع : أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ المراد به : التوراة والإنجيل ، و ﴿ الٓمٓ ﴾ المراد به : القرآن وهو اسم من أسمائه ، فكأن المعنى على هذا الوجه : هذا القرآن هو ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل ، يعني : أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته ، أو المعنى أن هذا الكتاب جامع لما في الكتابين التوراة والإنجيل .

الخامس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى القرآن الذي في السماء ولم ينزل بعد .

السادس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى الكتاب الذي وُعد به أهل الكتاب ووعدوا به المشركين من أهل المدينة ، وكانوا يستفتحون به عليهم .

وثمَّ أوجه أُخر أقواها ما قدمناه أولًا وهو أن المراد بالكتاب القرآن ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤ ، ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا » .. فذكر الحديث وفيه : وقال : « إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان ... » الحديث .

س : وضح المعنى اللغوي للكتاب[1] ؟

ج : الكتاب مصدر من كتب يكتب إذا جمع ، وقيل للكتيبة كتيبة لاجتماعها ، وتكتبت الخيل صارت كتائب ، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفري رحمها بحلقةٍ أو سير .

قال الشاعر :

لا تأمنن فزاريًّا حللت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

* * *

س : ما معنى ﴿ لا ريب ﴾ [البقرة : ٢] ؟

ج : معناها (لا شك)[2].

* * *

س : هل يطلق الريب على غير الشك ؟

جـ : نعم يطلق الريب على غير الشك أحيانًا ، لكن المراد بالريب في الآية الكريمة الشك ، فـ ﴿ لا ريب فيه ﴾ معناها (لا شك فيه) ،أما إطلاق الريب على غير الشك ، فذكر بعض أهل العلم أن **الريب يطلق على التهمة** ومنه قول الشاعر :

بثينة قالت يا جميل أربتني ... فقلت كلانا يا بثين مريب

---

(١) والكتاب يرد شرعًا ويراد به القرآن ، ويراد به غيره كذلك .
وقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] فُرض ، وقوله تعالى : ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ [الصافات : ١٥٧] قيل برهانكم وقيل غير ذلك ، وقوله : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ [الرعد: ٣٨] أي : وقعت كتب عليه أن يموت فيه والمكاتبة بين العبد وسيده كتاب قال تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا ﴾ [النور : ٣٣] إلى غير ذلك ، والله أعلم .

(٢) قال ابن أبي حاتم في التفسير – (عقب أثر ٥٥) عن أبي الدرداء قال : الريب يعني الشك من الكفر –: ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان والسدي وإسماعيل بن أبي خالد .

ويطلق الريب أيضًا على الحاجة ، واستدلوا بقول الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشك المنفي في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾؟

ج : الشك المنفي : هو الشك في كون القرآن من عند الله ، فالمعنى : ذلك الكتاب لا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وهو كقوله عز وجل : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ٢] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة: ٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – **هذا الكتاب لا شك في أنه من عند الله** ، ولبعض العلماء أقوال أُخر منها :

● لا شك فيه أنه هدى للمتقين .

● بعض العلماء يقول : هذا نفي معناه النهي ، والمعنى لا ينبغي لأحدٍ أن يشك فيه ولا يرتاب في أنه من عند الله والنفي يرد ، ومعناه النهي كما في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٦٧] أي : لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج .

● ويأتي الخبر ومعناه الأمر كذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] – أي: أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم ، على وجه لبعض المفسرين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسماء (الكتاب العزيز) ؟

ج : من هذه الأسماء . **(القرآن)** ، قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ [الواقعة : ٧٧] ، إلى غير ذلك من الآيات .

● **ومنها الكتاب** قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ [ص : ٢٩] .

● **ومنها الفرقان** قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● **ومنها الذكر** قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جآءهم وإنه لكتاب عزيز﴾ [فصلت : ٤١].

● **ومنها (حبل الله)** قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلى غير ذلك ، وقد بلغ الرازي رحمه الله تعالى بهذه الأسماء إلى اثنين وثلاثين اسمًا لكنه أدخل الصفات في الأسماء ولا يسلم له أكثر ما ذكره ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الهدى في قوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] من أي أقسام الهداية ؟

ج : سبق بيان أن الهداية قسمين هداية دلالة ، وهداية توفيق أما الهداية في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ فمعناها – والله أعلم – ينتظم المعنيين جميعًا فيدخل فيها هداية الدلالة وهداية التوفيق ففي هذا الكتاب رشد وبيان ودلالة وتوفيق للمتقين ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا خصت الهداية بالمتقين مع أن هذا الكتاب فيه هدى للخلق أجمعين كما قال تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : إذا أريد بالهداية هداية التوفيق فلا إشكال فالكتاب فيه توفيق للمتقين ولا يوفق به أهل الكفر والضلال .

أما إذا أُريد بالهداية هداية الدلالة فصحيح أن في الكتاب العزيز (هداية للناس) ولكن منهم من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع كما قال الله سبحانه في شأن ثمود الذين لم ينتفعوا بالهداية : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧]. فخص المتقون بالهداية دون غيرهم لأنهم المنتفعون بها كما قال الله عز وجل : ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ [النازعات : ٤٥] وقد كان النبي ﷺ منذر للناس أجمعين (مسلمهم وكافرهم) .

وقيل أراد المتقين والكافرين[1] لكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال تعالى : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] أي وتقيكم البرد ، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أي شيء أخذت التقوى ؟ ومن هم المتقون ؟

ج : التقوى مأخوذة من الاتقاء بما تجعله من حاجز بينك وبين ما تتقيه ومنه قول البراء بن عازب رضي الله عنهما : (كنا والله إذا احمر البأس[2] نتقي به[3] وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ)[4].

---

(١) وهذا يتأتى إذا فسرت الهداية بالدلالة .

(٢) احمر البأس : اشتد الحرب .

(٣) أي جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو .

(٤) أخرجه مسلم (ص١٤٠١) .

● **وقال القرطبي :** وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبيًّا =

● ومنه قول الشاعر :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

= رضي الله عنه عن التقوى فقال : (هل أخذت طريقًا ذا شوك ؟ قال : نعم قال : فما عملت فيه ؟ قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى) .

قلت : (مصطفى) عفا الله عنه لم يسعفني الوقت للوقوف على إسناده .

قال القرطبي رحمه الله : وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه :

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

وكن كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال الرازي رحمه الله تعالى : واعلم أن التقوى هي الخشية ، قال في أول النساء : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ [النساء : ١] ومثله في أول الحج ، وفي الشعراء : ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾ [الشعراء : ١٠٦] يعني : ألا تخشون الله ، وكذلك قال هود وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم ، وفي العنكبوت قال إبراهيم لقومه : ﴿ اعبدوا الله واتقوه ﴾ [نوح : ٣] يعني :اخشوه ، وكذا قوله : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة: ٤٨] واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن ، والغرض الأصلي منها الإيمان تارة ، والتوبة أخرى والطاعة ثالثة ، وترك المعصية رابعًا والإخلاص خامسًا أما الإيمان فقوله تعالى : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ [الفتح : ٢٦] أي : التوحيد ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ [الحجرات : ٣] وفي الشعراء : ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ [الشعراء : ١١] أي : ألا يؤمنون وأما التوبة فقوله : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ [الأعراف : ٩٦] أي : تابوا ، وأما الطاعة فقوله في النحل : ﴿ أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل: ٢] وفيه أيضًا ﴿ أفغيرالله تتقون ﴾ [النحل : ٥٢] وفي المؤمنين ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥٢] وأما ترك المعصية فقوله : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله ﴾ [البقرة : ١٨٩] أي : فلا تعصوه ، وأما الإخلاص فقوله في الحج : ﴿ فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج: ٣٢] أي : من إخلاص القلوب ، فكذا قوله : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة: ٤١] واعلم أن مقام التقوى مقام شريف قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين =

وقال آخر :

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومِعصم

● أما من هم المتقون ففيهم أقوال لأهل العلم ، نورد منها ما يلي :

● قال بعض العلماء: إن المتقين هم الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته.

● وقيل : هم قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان[1] وبرئوا من النفاق .

● وقيل : هم قوم تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به البأس[2].

● وقيل: هم من وصفهم الله عز وجل بقوله[3]: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣ ، ٤] .

= هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقال : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣] وعن ابن عباس قال عليه السلام : « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده » وقال علي بن أبي طالب : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة . قال الحسن : التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله . وقال إبراهيم بن أدهم : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيبًا ، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا ولا ملك العرش في سرك عيبًا . وقال الواقدي : التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق . ويقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ويقال : المتقي من سلك سبيل المصطفى ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا . ولو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ كفاه ، لأنه تعالى بيَّن أن القرآن هدى للناس في قوله : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ثم قال ههنا في القرآن : إنه هدى للمتقين ، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيًا كأنه ليس بإنسان .

(١) قال ابن عطية : وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق .

(٢) أي : تركوا بعض المباحات خشية الوقوع في المحرمات .

(٣) صح هذا القول عن قتادة عند ابن أبي حاتم في التفسير (٦٤) ، والطبري (٢٦٥).

● وقيل : التقي هو الخائف .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

وأوْلى التأويلات بقول الله جل ثناؤه : ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلُ من وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقُوا الله تَبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فتجنبوا معاصِيَه ، واتَّقَوْه فيما أمرهم به من فرائضِه ، فأطاعوه بأدائها . وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وصَفهم بالتقوَى ، فلم يحصُرْ تقواهم إياه على بعضِ ما هو أهلٌ له منهم دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصُر معنى ذلك على وَصْفهم بشيء من تَقوى الله عز وجل دون شيء إلا بحجة يجبُ التسليمُ لها . لأن ذلك من صفة القوم ، لو كان محصورًا على خاص من معاني التقوى دون العامِّ منها ، لم يدعِ الله جل ثناؤه بيانَ ذلك لعباده : إما في كتابه ، وإما على لسان رسوله ﷺ ، إذْ لم يكن في العقل دليلٌ على استحالة وصفهم بعموم التقوى .

فقد تبيَّن إذًا بذلك فسادُ قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتَّقَوُا الشرك وبرئوا من النِّفاق . لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسقٌ غيرُ مستَحِق أن يكون من المتقين ، إلا أن يكون – عند قائل هذا القول – معنى النفاق : ركوبُ الفواحش التي حَرَّمها الله جل ثناؤه ، وتضييعُ فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعةً من أهل العلم قد كانت تسمِّي من كان يفعل ذلك منافقًا . فيكون – وإن كان مخالفًا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم – مصيبًا تأويلَ قول الله عز وجل : ﴿ للمتقين ﴾ .

❋ ❋ ❋

س : أوصى الله عز وجل عباده بالتقوى في جملة آيات ، اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات . قوله تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ [النساء : ١٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها .. ﴾ الآية [النساء : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [الحج : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [الحشر : ١٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ٢] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض منافع التقوى المستنبطة من كتاب الله عز وجل ؟

ج : من منافعها ما يلي :

● الهداية لصاحبها قال تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] .

● نصرة الله لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ [النحل : ١٢٨] .

● تولي الله عز وجل لصاحبها قال الله تعالى : ﴿ والله ولي المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] .

● إبعاد الحزن عن صاحبها في الآخرة قال الله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] .

● المخرج من الكرب والغم قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ [الطلاق : ٢] .

● الرزق قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢] .

● محبة الله عز وجل لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ [التوبة : ٤] .

● البصيرة والمغفرة قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● تيسير الأمور قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

● تعظيم الأجر وتكفير السيئات قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ﴾ [الطلاق : ٥] .

● قبول العمل قال الله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

● الفلاح قال الله تعالى: ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

● البشرى قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٣ ، ٦٤] .

● دخول الجنة قال الله تعالى : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ [القلم : ٣٤] .

● النجاة من النار قال الله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم: ٧٢] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض البواعث على التقوى ؟

ج : من البواعث على التقوى ما يلي[1]:

١ – خوف عقاب الله عز وجل (سواء العقاب الأخروي أو العقاب الدنيوي) .

٢ – رجاء الثواب (الثواب في الآخرة أو في الدنيا) .

٣ – خوف الحساب .

٤ – الحياء من نظر الله عز وجل (وهو مقام المراقبة) .

٥ – الحياء من الملائكة .

٦ – الشكر على نعم الله عز وجل بطاعته .

٧ – العلم لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٨ – تعظيم الله عز وجل (وهو مقام الهيبة) .

٩ – صدق المحبة[2]، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي تفيد أن المنتفعين بهذا القرآن هم (المؤمنون والمتقون) دون غيرهم ؟

ج : نورد من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

---

(١) ذكر ذلك بعض أهل العلم .

(٢) وقد أحسن القائل إذ يقول :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد قال غيره :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان يظن الموت من ظمأ ... وقلت قفي عن ورود الماء لم يرد

ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

● قوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

● وقوله تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

● وقال تعالى في شأن اليهود : ﴿ وليزيدن كثيرًا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا ﴾ [المائدة : ٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس : ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

يؤمنون – ينفقون – يوقنون – رزقناهم – على هدًى من ربهم – المفلحون ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
يؤمنون	يُصدِّقون
ينفقون	يُخرجون
يوقنون	يعلمون ويتيقنون ، واليقين هو ما حصلت به الثقة
رزقناهم	أعطيناهم
على هدى من ربهم	على نورٍ وتوفيق من ربهم واستقامة على ما جاءهم به بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم
المفلحون	المفلح هو من فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب

س : ما معنى الإيمان لغة وشرعًا ؟

ج : أما الإيمان لغة فمعناه : التصديق ، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف : ١٧] وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾ [يونس : ٨٣] .

ويزاد عليه شرعًا : القول والعمل ، فالإيمان شرعًا تصديق وقول وعمل .

● والإيمان كذلك هو ما ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... فذكر الحديث وفيه: « فأخبرني عن الإيمان ، قال[1]: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه ... »[2] فذكر الحديث .

❋ ❋ ❋

س : كلمة (مؤمن) تتعدى لمفعولها بماذا ؟

ج : تتعدى بالباء ، وباللام .

● أما تعديها بالباء فكما في قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] .

وتعديها باللام فكما في قوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى ﴾ [يونس: ٨٣].

وكما في قول اليهود لبعضهم : ﴿ ... ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أي : قال رسول الله ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم (٨) .

س : اذكر دليلًا على أن الأعمال من الإيمان ؟

ج : من الأدلة على ذلك : قول النبي ﷺ : « الإيمان بضع وستون – وفي رواية بضع وسبعون – شعبة والحياء شعبة من الإيمان » أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفي رواية لمسلم : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[2] .

* * *

س : ما هو المراد بالغيب في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن الغيب كل ما غاب عن العباد ، وأخبر به الرسول ﷺ فيدخل فيه الإيمان بالملائكة والكتب المتقدمة وكذلك الرسل المتقدمون واليوم الآخر والجنة والنار[3] ولقاء الله عز وجل، وكل ما ذكر في القرآن من الغيوب.

● ومنها أن المراد بالإيمان بالغيب الإيمان بالقدر .

● بعض العلماء يقولون : إن ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ هم الذين آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه .

● ومن العلماء من يُدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بالله عز وجل باعتبار أننا لا نرى الله سبحانه وتعالى ، وإلا فقد قال الله سبحانه : ﴿ فلنقصن عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٩) ، ومسلم (حديث ٣٥) .

(٢) أخرجها مسلم (ص٦٣) .

(٣) روى الطبري (٢٧٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب .

بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧] .

● ونحا بعض أهل العلم منحًى آخر فقالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ : يؤمنون في حال غيبهم أي : باطنًا كما يؤمنون ظاهرًا فيؤمنون بقلوبهم كما يؤمنون بألسنتهم ، فيفارقوا أهل النفاق الذين يؤمنون بألسنتهم وقلوبهم منكرة وهم مستكبرون .

هذا وقد أورد ابن عطية رحمه الله تعالى نحو هذه الأقوال[1] ثم قال : وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، والغيب في اللغة ما غاب عنك من الأمر ، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : أما القيام على الشيء فهو المداومة عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾[2] [آل عمران : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٠٠) .

● وقال ابن العربي رحمه الله تعالى :

(التنقيح) إذا تأمَّل اللبيبُ المنصِفُ هذه التوجيهات تحقَّقَ أن الصحيحَ المراد بقوله : ﴿ يُؤمنون بالغيب ﴾ كلُّ غَيْبٍ أخبر به الرسولُ ﷺ أنه كائن .

وقوله : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ عامٌّ في كل صلاة فَرْضًا كانت أو نَفْلًا .

وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ عامٌّ في كلِّ نفقة ، وليس في قوَّة هذا الكلام القضاء بفرضيَّة ذلك كلِّه ، وإنما عَلِمْنَا الفرضيَّة في الإيمانِ والصلاة والنفقة من دليلٍ آخر ، وهذا القولُ بمطلقه يقتضي مَدْح ذلك كله خاصة كيفما كانت صِفَته .

(٢) ما دمت مستمرًّا في مطالبته بالدين الذي عليه ، وسيأتي في آل عمران إن شاء الله .

● نقل القاسمي في محاسن التأويل عن الراغب قوله : إقامة الصلاة توفية حدودها وإدامتها ، وتخصيص الإقامة تنبيه على أنه لم يُرد إيقاعها فقط ، ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظٍ نحو ﴿ أقم الصلاة ﴾ [هود : ١١٤]، وقوله : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ [النساء : ١٦٣] و ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ [المائدة : ٥٥] ، =

من أهل الكتاب أمة قائمة ..﴾ [آل عمران : ١١٣] وقول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله »[١] .

● أما المراد بإقامة الصلاة فالمحافظة عليها وأداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها ، وكذلك ملازمتها جماعة في الفرائض ، والإكثار من النوافل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ ؟

ج : المراد بالدرجة الأولى الصلوات الخمس التي كتبها الله عز وجل على العباد وذكرت الصلوات الخمس بلفظ المفرد ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ كما في قوله تعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] أي : الكتب .

ويلتحق بالفرائض النوافل أيضًا عند أهل التقى والفضل وإن لم تكن واجبة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم إقامة الصلاة (التي هي عقب الأذان) ؟ وهل على تاركها إعادة ؟

ج : إقامة الصلاة سنة عند الجمهور ، ولا إعادة على تاركها ؛ لأن النبي ﷺ قال في شأن الصلاة : « تحريمها التكبير »[٢] فعليه لا صلة للإقامة

= ولم يقل المصلي إلا في المنافقين ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] .. وذلك تنبيه على أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل . انتهى .

قلت (مصطفى) : وهذا يحتاج مني إلى مزيد تحرير ، والله المستعان .

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (١/١٢٣ ، ١٢٩) ، الترمذي (١/٣٧) ، وأبو داود (١/٤٩)، =

بصحة الصلاة أو بطلانها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأذانين في حديث رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة » ؟

ج : المراد الأذان والإقامة ، والعرب تطلق على الشيء إذا اقترن بشيء آخر اسم الشيء الآخر إذا غلب عليه (أي : على سبيل التغليب) .

● فيقولون مثلًا : رأيت الشمسين (ويقصدون الشمس والقمر) .

● ويقولون : جاء العُمران ، ويقصدون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلى غير ذلك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل الصلاة؟

ج : نورد من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول النبي ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر »[1].

● وسئل النبي ﷺ أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: «الصلاة لوقتها»[2].

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل ترون أن ذلك يُبقي من درنه شيئًا ، فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله عز وجل بهن الخطايا »[3] .

= والدارمي (١/٢٧٥) ، والبيهقي (٢/١٧٣ ، ٣٧٩) ، وابن ماجة (٢٧٥) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم » وله شواهد يصح بها أوردها الدارقطني (١/٣٥٩، ٣٦١)

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) وغيرهما .

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « ابن آدم صلِ لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ... - الحديث - ويجزىء عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[2].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الصلاة لغة ؟

ج : **الصلاة تطلق على الدعاء** ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وإن كان صائمًا فليصل »[3] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهم صل على آل أبي أوفى »[4] .

● ومنه أيضًا قول الشاعر :

تقول بنتي وقد قربت مُرتحلًا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا

---

(١) أخرج أحمد (٥/٢٨٦) ، وأبو داود (٢/٦٣) من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أي : فليدع لأهل الوليمة ، وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى (حديث ١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائمًا فليصل ، وإن كان مفطرًا فليطعم » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٩٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : « اللهم صل على آل فلانٍ » فأتاه أبي بصدقته فقال : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ، وأخرجه مسلم (حديث ١٠٧٨) .

● وتطلق الصلاة على القراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾[1] [الإسراء : ١١٠] .

● وتطلق على العبادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ﴾ [الأنفال : ٣٥] .

* * *

س : ما معنى (ينفقون) وما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : ينفقون معناها : يُخرجون ، والإنفاق هو إخراج المال من اليد نفقت الدابة خرجت روحها ، وأطلق على المنافق منافق ؛ لأنه يخرج من الإيمان ، وقولهم للمرأة : إنكِ نافقة أي : ستجدين من يتزوجك فتخرجين من بيت الوالد إلى بيت الزوج ، وأنفق القوم : فنى زادهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ [الإسراء : ١٠٠] .

● أما المراد بالنفقة هنا فمن العلماء من يقول : إنها الزكاة المفروضة وقال بعض أهل العلم : إنها النفقة على الأهل ، وقيل : المراد صدقة التطوع والصحيح أنها عامة في كل أنواع الإنفاق فيدخل فيها صدقة الفرض وصدقة النفل

---

(١) أخرج البخاري (٤٧٢٢) ، ومسلم (٤٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قال : نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ أي : بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ وأخرج البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾، قالت : أنزل هذا في الدعاء .

قلت : ولا يمنع أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة ، والله أعلم .

والإنفاق على الأهل إلى غير ذلك من أنواع النفقة الواجبة والمستحبة ، وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى[1] ، **قال رحمه الله (١/٢٢٤) :** وأوْلى التأويلات بالآية وأحقُّها بصفة القوم : أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مُؤدِّين ، زكاةً كان ذلك أو نفَقةَ مَنْ لزمتْه نفقتُه ، من أهل وعيال وغيرهم ، ممن تجب عليهم نَفَقتُه بالقرابة والمِلك وغير ذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه عَمَّ وصفهم إذْ وصَفهم بالإنفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفتهم . فكان معلومًا أنه إذ لم يخصُصْ مدْحَهم ووصفَهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبُها دونَ نوعٍ بخبر ولا غيره – أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمودِ عليها صاحبُها من طيِّب ما رزقهم رَبُّهم من أموالهم وأملاكهم ، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يستحب الإنفاق على الدوام ؟

ج : الإنفاق[2] له فقه كسائر المسائل الشرعية التي تحتاج إلى فقه فأحيانًا يجب الإنفاق وأحيانًا يستحب وأحيانًا يباح وأحيانًا يكره وأحيانًا يحرم شأنه شأن أكثر المسائل .

وقد قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

---

(١) انظر الخلف .

(١) هذا على تأويل الإنفاق بأنه عام (يشمل الفرض والنفل) .

● وقال الله سبحانه : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين .... ورجل آتاه الله مالًا فَسُلِّط على هلكته في الحق ..»[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك : «أمسك عليك بعض مالك»[٢].

● وقد جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بماله كله فقال له النبي ﷺ : « ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر » قال : أبقيت لهم الله ورسوله[٣].

● وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ، ومسلم (حديث ٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله مالًا فسلِّط على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه وفيه أنه قال : قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك » .

(٣) أخرج أبو داود (حديث ١٦٦٢) ، والترمذي (٣٦٧٥) وقال : حديث حسن صحيح . والدارمي (٣٩١/١ - ٣٩٢) وغيرهم بإسناد حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقلت : مثله قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله قلت : لا أسابقك إلى شيء أبدًا .

(٤) صحيح وسيأتي تخريجه في آية الوصية إن شاء الله تعالى .

● فهذه وغيرها نصوص يتحرك المؤمن في ضوئها فيعلم متى يُنفق ومتى يمسك وأين ينفق وأين يُمسك ، ومتى ينفق كل ماله ، ومتى يمسك بعض ماله وليعلم أن الاقتصاد غير البخل ، وأن الجود غير التبذير .

وأن المنع في محل الإعطاء مذموم ، والإعطاء في محل المنع مذموم كذلك ويعلم متي يُطبق حديث رسول الله ﷺ : « ابدأ بمن تعول »[1] ومتى يطبق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] ومتى ينزل حديث الصحابي الجليل وزوجته الصحابية الكريمة اللَّذين عجب الله عز وجل من صنيعهما مع الأضياف لما نوما صبيانهما وأطفأا مصباحهما وأوهما الضيف أنهما يأكلان[2]!! .

● ويعلم كذلك أين ينفق هل ينفق فيما يحبه الله ويرضاه ويبتغي بذلك وجه الله فيكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ [الروم : ٢٩] أما أنه ينفق أموالًا ثم تكون عليه حسرة .

● ويعلم كذلك لمن ينفق أولًا وهل الأقربين أولى بالإنفاق عليهم إذا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ (انظر صحيح مسلم ص٧١٧ - ٧١٨) ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٣٧٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) ، والترمذي (٣٣٠٤)، وقال : حديث حسن صحيح . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (واللفظ للبخاري) أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من يضم - أو يضيف هذا - » فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً فهيئت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

كانوا أهل حاجة كما قال تعالى : ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ [البلد : ١٥] وكما قال تعالى : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ٢١٥] أو أن المسكين ذا المتربة أولى لقوله تعالى : ﴿ أو مسكينًا ذا متربة ﴾ [البلد : ١٦] أو أن (في كل كبدٍ رطبةٍ أجر) ...

إلى غير ذلك من الضوابط التي تضبط بها مسائل الإنفاق ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الموصوفون بقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● أن هؤلاء هم الموصوفون قبل هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ وهم مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب .

● أن هؤلاء هم أهل الكتاب خاصة ، لأن مؤمنو العرب تقدم ذكرهم .

والراجح لديَّ – والله أعلم – أن الآية عامة فيدخل فيها المؤمن من العرب والمؤمن من أهل الكتاب ومن آمن من غيرهم كذلك .

وذلك لأن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ممن آمن كلهم يؤمنون بما أُنزل إلى الرسول ﷺ وما أُنزل من قبله .

● قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥].

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

● وقال تعالى : ﴿ .. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قد تأتي (الواو) عاطفة لصفاتٍ على صفات اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى ﴾ [الأعلى : ١- ٤] فالموصوف واحد وكذلك قوله تعالى[1]: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون .. ﴾ [البقرة : ٢ ، ٣] .

ومنه أيضًا قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) على قول لفريق من أهل العلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ .. وما أنزل من قبلك ﴾ ؟

ج : المراد – والله أعلم – ما نزل على الأنبياء قبل نبينا ﷺ وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف الأولى ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى: ١٩] إلى غير ذلك مما نزل على الأنبياء عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات والأحاديث نورد ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ – ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● وقال النبي ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين .. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به .. »[1] الحديث . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون أجر من آمن مِن أهل الكتاب أعظم من أجر مَن آمن من العرب ؟

ج : لا يلزم ذلك ، صحيح أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بالنبي محمد ﷺ » وقال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [القصص :٥٤] ولكن قد يكون هناك من العرب من آمن وحصل له من التصديق ما يفوق أضعاف إيمان الكتابي وتصديقه كما هو الشأن في أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وعمار رضي الله عنهم أجمعين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٥] فيه رد على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن القدرية يزعمون أنهم يخلقون إيمانهم وهداهم ، ففي قول الله عز وجل : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ ردٌّ عليهم فلم يقل أولئك على هدًى من أنفسهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المفلحون ؟

ج : هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ..... ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ والمفلح هو من فاز وظفر بما طلب

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٥٤) ، والبخاري (حديث ٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

ونجا مما هرب ، فالمفلحون هم الذين فازوا بالجنان ونجوا من النيران ، والعلم عند الله تعالى . والفلح أصله في اللغة الشق والقطع وفيه قول الشاعر :

قد علمت خيلك أني الصَحْصَح[1] وأن الحديد بالحديد يُفلح

ويفُلح أي : يشق ، وفلاحة الأرض : شقها للحرث والأفلح هو الذي شقت شفته السفلى ، وحي على الفلاح : هلموا إلى الفوز ودخول الجنة .

❋ ❋ ❋

س : هذه الآيات الكريمة ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ١ - ٤] ذكرت فيها أوصاف للمتقين منها . يؤمنون بالغيب - يقيمون الصلاة- مما رزقهم الله ينفقون- يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة، فهل تنحصر صفات المتقين في هذه الصفات؟

ج : تنحصر صفات المتقين في هذه الآيات إذا راعينا أن قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ [البقرة : ٤] عام فيدخل فيه كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه وكل خبر ...

ولكن إذا أردنا تفصيلًا فالمتقون لهم صفات ذكرت في آيات أخر كما في سورة آل عمران ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وكما في قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها صفات المتقين ، فالحاصل أن صفات المتقين تؤخذ من مجموع الآيات التي وردت في صفاتهم ،

---

(١) الصحصح هو الشديد الصلب ، والبيت ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه .

وكذلك سائر الأحكام الشرعية تؤخذ من مجموع الآيات والأحاديث التي وردت فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الآيات التسع عشرة من سورة البقرة انتظمت أصناف الناس الثلاثة ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن يقال : انتظمت هذه الآيات أصناف الناس الثلاثة وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون .

- فالآيات الأربع عقب قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ في المؤمنين وأوصافهم .
- وآيتان في وصف الكفار .
- وثلاث عشرة آية في وصف أهل النفاق ؛ والله أعلم .

❋ ❋ ❋

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سواء – ختم – غشاوة ؟

ج :

الكلمة	معناها
سواء	يستوي أي : يستوي عندهم الإنذار وعدمه
ختم	غطّى
غشاوة	غطاء على العين يمنعها من الرؤية ، ومنه قول الشاعر : هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

✵ ✵ ✵

س : ما معنى الكفر لغة ؟

ج : الكفر يطلق على التغطية والستر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ﴾ [الحديد : ٢٠] فالكفار هنا هم الزراع على قولٍ قويٍّ جدًّا لأهل العلم لأنهم يغطون الحبَّ .

● ومن هذا الباب قول الشاعر : في ليلة كفر النجومَ غمامُها .

ولذلك سُمِّي الليل كافرًا لتغطية ظلمته ما لبسته .

والكافر من الأرض هو ما بَعُد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد ومن حل بتلك المواضع فهو من أهل الكفور ، ويُقال الكفور : القرى[1]، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالكفر في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ومن المراد بالذين كفروا .. ؟

ج : المراد بالكفر هنا – والله أعلم –: الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ﴿ والذين كفروا ﴾ هنا هم الذين لم يؤمنوا بالغيب ولا برسالتك ولا بالحق الذي جئتهم به ، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يوقنون بالآخرة وهم أيضًا الذين غطوا الحق وستروه[2] .

* * *

---

(١) ومنه قولهم في بعض البلاد بمصدر كفر كذا .. يقال لأنها كانت بعيدة عن العمران ، فالله أعلم .

(٢) وقد يأتي الكفر ويراد به جحود النعمة والإحسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام في النساء : « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر =

س : هل المراد بالكفار في هذه الآية الكريمة : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ﴾ [البقرة : ٦] صنف خاص من الكفار أم عموم الكفار ؟

ج : المراد – والله أعلم –: صنف خاص من الكفار[1]، أما من هذا الصنف الخاص من الكفار الذين أشير إليهم في الآية الكريمة فللعلماء فيهم أقوال أمثلها وأقواها هم الكفار الذين سبق في علم الله سبحانه وتعالى أنهم يموتون على الكفر وحقت عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم الخلود في النار كأبي لهب وأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم من المشركين الذين ماتوا على شركهم ، وكذلك رؤساء اليهود الذين ماتوا على كفرهم كحييٍّ بن أخطب وغيره ، وكل من سبق في علم الله أنه يموت على الكفر ، عياذًا بالله .

والحامل لنا على هذا القول أن هناك من أهل الكفر كفار إذا أنذرتهم أسلموا ، وإذا ذكرتهم تذكَّروا ، وعموم أصحاب النبي ﷺ كانوا كفارًا

= كله ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيرًا قط ».

● وقال البغوي في تفسيره (معالم التنزيل ١/٦٤) :

والكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر عناد ، وكفر نفاق . فكفر الإنكار : أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو : أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود . قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] وكفر العناد هو : أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

وَلَقد عَلِمْتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ... مِن خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّة دينًا

لولا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدتَنِي سَمْحًا بذاكَ مُبِينا

وأما كفر النفاق : فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب ، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له .

(١) وقد نقل ابن عطية رحمه الله تعالى (في كتابه المحرر الوجيز) الاتفاق على أنها (أي الآية) غير عامة لوجود كفارٍ قد أسلموا بعدها .

فهداهم اللّه بنبيه محمد ﷺ فذكّرهم فتذكروا وأنذرهم فآمنوا وصدقوا المرسلين ، واللّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالإنذار وما الفرق بينه وبين الإشعار[1] ؟

ج : المراد بالإنذار : الإعلام والإبلاغ ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز (أي لأخذ العدة والاحتياط) فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعارًا ولم يكن إنذارًا . قاله القرطبي رحمه اللّه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : المعنى – واللّه أعلم – : أن الكفار الذين كتبت عليهم الشقاوة وحقت عليهم كلمة العذاب يستوي ويتعادل عندهم الإنذار من عدمه فهم لا ينتفعون بإنذار ولا بغير إنذار ، واللّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ننذر الكافرين ، وقد قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : ننذرهم لأمور منها .

● **الأول : أن اللّه عز وجل أمرنا بإنذارهم** ، قال اللّه عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك[2] وإن لم تفعل فما بلغت

---

(١) من قولهم (أشعرته بكذا) وليس المراد إشعار البدن .

(٢) والمسلمون له تبع في هذا ﷺ .

رسالته .. ﴾ [المائدة : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر .. ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ١٢١] .

الثاني : أننا لا نعلم من الذي كتبت له الهداية والسعادة ممن كتبت له الغواية والشقاء ، فلو علمنا من الذي كتبت له الغواية والشقاء لتركنا إنذاره إذا أمرنا اللّه بذلك .

الثالث : أننا ننذرهم رجاء انتفاعهم كما قال الواعظون من بني إسرائيل : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ [الأعراف : ٧] .

الرابع : رجاء انتفاعنا قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات تؤدي نفس المعنى الوارد في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة :٦] ؟

ج : من الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية الكريمة ما يلي .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جآءتهم كل آية حتى يرو العذاب الأليم ﴾ [يونس :٩٦ ، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا

قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الفائدة المرجوة من إعلام اللّه عز وجل نبيه ﷺ بقوله : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة: ٦] ؟

ج : الفائدة من ذلك – واللّه أعلم – : هي جلب الراحة النفسية لرسول اللّه ﷺ حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات ولا يهلكه الحزن بسبب استمرارهم على كفرهم وعنادهم كما قال اللّه تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ﴾ [الكهف : ٦] وكما قال تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] وكما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] وكما قال تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ [لقمان : ٢٣] وإنما عليه ﷺ أن يؤدي ما عليه من البلاغ ويكل ما وراء ذلك إلى اللّه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى : ٤٨] وكما قال سبحانه : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [العنكبوت : ١٨] وليس معنى ذلك أن الشخص يقصر في الدعوة إلى اللّه بل عليه أن يبذل قصارى جهده في ذلك كما قال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا ... ثم إني دعوتهم جهارًا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا ... ﴾ [نوح : ٦ – ٩] .

❋ ❋ ❋

س : كيف لا يحزن المسلم على كفر الكافر ، ونفس المؤمن مجبولة على حب الخير للعباد فلا يسمع المؤمن بكافر يُسلم إلا وفرح لذلك ، ولا يسمع عن مسلم ارتد إلى الكفر إلا وحزن لذلك ؟

ج : صحيح أن المسلم يحزن لكفر الكافر ، ويفرح لإسلام الكافر ، لكن كيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] يوجَّه بأن يقال: إن النهي عن الحزن إنما هو عن الحزن الشديد الذي يذهب بالنفس حسرات ويقطعها ويهلكها كما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] ، والله أعلم .

* * *

س : وضح مواطن الوقف التام في قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة : ٧]؟

ج : الوقف التام عند قوله تعالى : ﴿ وعلى سمعهم ﴾ فيكون السياق ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ وتكون الجملة قد تمت ، قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ جملة تامة أيضًا .

● فيكون الختم على القلوب وعلى الأسماع ، وتكون الغشاوة على الأبصار ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

● فدلت الآية الكريمة على أن الختم يكون على السمع والقلب ، والغشاوة تكون على البصر .

وقد قال تعالى : ﴿ فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾ [الشورى : ٢٤] فالختم هنا على القلب كذلك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : البصر يكون عليه غشاوة كما ذكر الله عز وجل في قوله :

﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة :٧] فهل يُطبع عليه أيضًا ؟

ج : نعم يُطبع عليه ، ودليل ذلك قوله عز وجل : ﴿ أولئك الذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٨] .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء من قرأ ﴿ غشاوةً ﴾ بالنصب فعلى أي أساس نصبت ؟

ج : نصبت على معنى (وجعل) أي : ختم اللّه على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوةً ، فيكون من الباب الذي مثل له بعض العلماء حيث أنشدوا .

علفتها تِبنًا وماءً باردًا أي : علفتها تبنا وسقيتها ماءًا

● وكقول الشاعر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلدًا سيفًا ورمحًا

أي : متقلدًا سيفًا وحاملًا رمحًا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور العذاب ، ومما اشتق لفظ (العذاب) ؟

ج : من صور العذاب الضرب بالسياط والحرق بالنار والقطع بالحديد إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ [النور : ٢] والعذاب مشتق من الحبس والمنع .

قال القرطبي رحمه اللّه : يُقال في اللغة :(أعذبه عن كذا) أي : أحبسه وأمنعه ، ومنه سمي عذوبة الماء ، لأنها قد أعذبت ، واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه وأورد أثرين عن علي رضي اللّه عنه: أعذبوا

نساءكم عن الخروج أي : احبسوهن .

والآخر قاله وقد شيَّع سرية فقال : أعذِبوا عن ذكر النساء فإن ذلك يكسركم عن الغزو .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالختم على السمع والقلوب ؟

ج : قال القرطبي رحمه اللَّه : الختم مصدر ختمت الشيء ختمًا فهو مختوم ومختَّم شدِّد للمبالغة ، ومعناه : التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه ولا يوضع فيه غير ما فيه ، ثم قال : والختم يكون محسوسًا كما بينا ، ومعنًى كما في هذه الآية ، فالختم على القلوب : عدم الوعي عن اللَّه سبحانه وتعالى مفهوم مخاطباته والفكر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تُلي عليهم أو دُعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار : عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته ، وإضافة إلى المعنى المتقدم نورد هنا قول الطبري رحمه اللَّه .

قال الطبري رحمه اللَّه في تفسيره :

وقال بعضهم : إنما معنى قوله : ﴿ ختم اللَّه على قُلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] إخبار من اللَّه جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لِمَا دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : إنَّ فلانًا لأصَمُّ عن هذا الكلام ، إذا امتنع من سَمَاعه ، ورفع نفسه عن تفهُّمه تكبرًا .

قال أبو جعفر : والحق في ذلك عندي ما صَحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول اللَّه ﷺ ، وهو ما : حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عَجْلان ، عن القَعْقَاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكْتةٌ سوداءُ في قلبه،

فإن تاب ونَزَع واستغفر ، صَقَلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلق قلبه ، فذلك « الرَّانُ » الذي قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » .

فأخبر ﷺ أنَّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل اللَّه عز وجلَّ والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك ، ولا للكفر منها مَخْلَص ، فذلك هو الطَّبع . والختم الذي ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثمَّ حلها . فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف اللَّه أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضِّه خَاتمَه وحلِّه رباطَه عنها .

ويقال لقائلي القول الثاني ، الزاعمين أنَّ معنى قوله جل ثناؤه ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ ، هو وَصْفُهم بالاستكبار والإعراض عن الذي دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبُّرًا : أخبرونا عن استكبار الذين وَصَفهم اللَّه جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضِهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعاني اللواحق به – أفعلٌ منهم ، أم فعلٌ من اللَّه تعالى ذكرهُ بهم ؟ .

فإن زعموا أنَّ ذلك فعلٌ منهم – وذلك قولهم – قيل لهم : فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي خَتم على قلوبهم وسمْعهم . وكيف يجوز أن يكون إعراضُ الكافرِ عن الإيمان ، وتكبُّره عن الإقرار به – وهو فعله عندكم – خَتمًا من اللَّه على قلبه وسمعه ، وختمهُ على قَلبه وسَمْعه ، فعلُ اللَّه عز وجل دُون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك – لأن تكبُّره وإعراضه كانا من ختم اللَّه على قلبه وسمعه ، فلما كان الختمُ سببًا لذلك ، جاز أن يسمى مُسَبِّبه به – تركوا قولَهم ، وأوجبوا أنَّ الختمَ من اللَّه على قلوب الكفار وأسماعهم ،

معنًى غيرُ كفْرِ الكافِر ، وغيرُ تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخولُ فيما أنكروه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] ردٌّ على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد أن اللَّه سبحانه وتعالى بيَّن في هذه الآية الكريمة أنه هو سبحانه هو الذي ختم على قلوب الذين كفروا ، والقدرية يزعمون خلاف ذلك فيزعمون أن العبد يختار لنفسه ما يشاء ولا تدخل للرب سبحانه وتعالى في أفعالهم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُفرد السمع وجُمع البصر وقدِّم السمع على البصر ؟

ج : يذكر بعض أهل العلم أن ذلك لفضل السمع على البصر ، قالوا : فالرجل يسمع من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوقه ومن تحته وفي النور وفي الظلمة أما البصر فليس كذلك ، فلهذا أفرد وقدم عليه السمع في هذه الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ اللَّه سمعكم وأبصاركم ﴾ [الأنعام : ٤٦] وفي قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [السجدة : ٩] واللَّه أعلم[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وعندي وجه ذكره لي بعض الأطباء ، ألا وهو أن كل الحبال التي توصل إلى الأعضاء المزدوجه على خطين فالبصر يأتيه خطان ، أما السمع فهو خط واحد إذا قطع فقد الشخص السمع بأذنيه معًا فلا يوجد رجل أصم بأذن ويسمع بأخرى (إلا إذا كان ذلك خارجيًّا) أما العمى فليس كذلك ، واللَّه أعلم .

س : ما هو سبب الختم على قلوب الكافرين ؟

ج : من أسباب ذلك : الكفر والمعاصي واستحباب الدنيا على الآخرة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ بل طبع اللَّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا ﴾ [النساء : ١٥٥] وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن اللَّه لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٧ ، ١٠٨] .

● وروى الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى في مسنده عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين » الذي ذكر اللَّه عز وجل في القرآن ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] »[1] .

وأخرج الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى من حديث حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء ، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضَاء حتى يصيرَ على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السمواتُ والأرض ، والآخر أسودُ مربَادًا كالكوز مُجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه »[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧) وبتحقيق أحمد شاكر رحمه اللَّه رقم (٧٩٣٩) والطبري في تفسيره (٣٠٤) وغيرهم وإسناده حسن .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٤٤) .

والصفا : هو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، قال القاضي عياض : ليس تشبيهه بالصفا بيانًا لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء .

س : اذكر بعض الأوصاف التي وصف اللَّه عز وجل بها قلوب الكافرين ؟

ج : قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى (١/١٨٦) :

وقال أهل المعاني : وصف اللَّه تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف : بالختم والطبع والضيق والمرض والرَّيْن والموت والقساوة والانصراف والحَمِيَّة والإنكار . فقال في الإنكار : ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٢] . وقال في الحَمِيَّة : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ [الفتح : ٢٦] . وقال في الانصراف : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة :٢٧] . وقال في القساوة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] . وقال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ [البقرة : ٧٤] . وقال في الموت : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . وقال : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٣٦] . وقال في الرَّيْن : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] . وقال في المرض : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] . وقال في الضيق : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . وقال في الطبع : ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] . وقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] . وقال في الختم : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة : ٧] . وسيأتي بيانها كلها في مواضعها إن شاء اللَّه تعالى .

* * *

وَمِنَ ٱلنَّاسِ

مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

السفهاء – شياطينهم – يمدهم – طغيانهم – يعمهون – فما ربحت تجارتهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء	ضعاف العقول
شياطينهم	رؤساؤهم في الكفر

الكلمـة	معناهـا
يمدهم	يطيل لهم المدة ويمهلهم ويُملي لهم – يطيل أعمارهم وينعم عليهم حتى يزدادوا طغيانًا فيزيدهم عذابًا
طغيانهم	كفرهم وضلالهم
يعمهون	يعمون – يتحيرون في الكفر – يترددون – وقال البعض : إن العمى في العين والعمه في القلوب
فما ربحت تجارتهم	فما ربحوا في تجارتهم

❋ ❋ ❋

س : مم اشتقت كلمة الناس ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال أشهرها قولان :

الأول : أنها مشتقة من النَّوس وهو الحركة ، ومنه قول أم زرع تصف أبا زرع : (أناس من حلي أُذني) .

والثاني : أنها مشتقة من النسيان ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] وقال رسول اللَّه ﷺ : « فنسي آدم فنسيت ذريته » .

ومنه قول الشاعر :

لا تنسين تلك العهود فإنما سُميت إنسانًا لأنك ناسي

ومنه أيضًا :

فإن نسيت عهودًا منك سالفة فاغفر فأول ناسٍ أول الناس

* * *

س : قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] من هم هؤلاء الناس وأين كانوا يتواجدون على عهد رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : هؤلاء هم المنافقون ، وكانوا يتواجدون في مدينة رسول اللَّه ﷺ والعتاة منهم كانوا بالبوادي .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠] وقال تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] .

س : ما هو أصل المخدع في اللغة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن أصل المخدع الفساد ، ومنه قول الشاعر :

أبيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق إذا الريق خَدَعَ

فيخادعون اللَّه – على هذا التأويل – يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين اللَّه سبحانه وتعالى بالرياء ، لكن هذا الوجه ضعيف عندي .

● وقيل : أصله الإخفاء ، ومنه مخدع البيت الذي يحرز فيه الشيء ومنه قول النبي ﷺ : « صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها »[1] ومنه قول العرب : انخدع الضب في جحره .

فمعنى ﴿ يخادعون اللَّه ﴾ : يظنون أنهم يُخفون حالهم عن اللَّه سبحانه وتعالى ، واللَّه عز وجل أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يخادع المنافقون ربهم عز وجل ؟ وكيف يخادعون المؤمنين ؟

ج : هم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة : ٩] ولكنهم لقلة علمهم باللَّه عز وجل يظنون أنهم يخدعونه فيظنون أنهم بإظهارهم ما أظهروا من الإيمان وحلفهم على كونهم مؤمنين – مع إسرارهم الكفر – أنهم يخادعون اللَّه عز وجل بذلك وأن ذاك نافعهم عنده ، وأنه يروَّج عليه كما يروَّج على بعض المؤمنين ، ولا يدري هؤلاء الأغبياء البلهاء أن اللَّه عز وجل يستوي عنده السر والعلن[2] ، وهو سبحانه مطلع

---

(١) أخرج أبو داود (حديث ٥٧٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٥/٣) ، والبيهقي (١٣١/٣) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها ، وصلاتها في مُخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » .

والمعنى الإجمالي لهذا الحديث له أحاديث تشهد له . والله أعلم .

(٢) أخرج البخاري (٤٨١٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٥) من حديث عبد اللَّه بن

على ما في القلوب وسيجازيهم على ما فيها .

وخداعهم للمؤمنين إظهار الإيمان والشهادتين بألسنتهم وإظهار المحبة لأهل الإيمان واستبطان الكفر والعداوة .

وخداع اللّه والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك ، وادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم ، وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى بالوحي عن حالهم ، واللّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع المرض الموجود في قلوب المنافقين ؟

ج : قيل : هو (**الشك**) وقال آخرون : هو (**الرياء**) وقيل : هو (**الغل والحقد والحسد**)[1] والأول رأي الأكثرين ، واللّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لأهل العلم قولان في تأويل قوله عز وجل : ﴿ فزادهم اللّه مرضًا﴾ [البقرة : ١٠] فما هما ؟

ج : التأويل الأول : هو أن المراد الدعاء عليهم بزيادة المرض . التأويل الثاني : أنه إخبار من اللّه سبحانه وتعالى عن زيادة مرضهم كما قال عز وجل : ﴿ فزادتهم رجسًا إلى رجسهم ﴾ [التوبة : ١٢٥] والله أعلم .

= مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم – فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل اللّه عز وجل ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ الآية [فصلت : ٢٢] .

(١) الغل والحقد والحسد لارتفاع راية المؤمنين وإعلاء كلمة الدين .

س : هل كان النبي ﷺ يعلم أعيان المنافقين ؟

ج : كان النبي ﷺ يعرف بعضهم ولا يعرف الآخرين .

أما الدليل على أنه كان يعرف بعضهم هو ما ورد في قصة صلاته ﷺ على عبد اللَّه بن أُبي بن سلول[1] ، وكذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأسماء كثير منهم - ، ولذلك أطلق على حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . من ذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بأسماء الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك الذين هموا بقتل رسول اللَّه ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة هناك[2] أما الدليل على أنه ﷺ كان لا يعلم بعضهم فهو قوله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : « لما تُوفي عبدُ اللَّه بن أُبيٍّ جاء ابنهُ عبدُ اللَّه بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاه قميصه ، وأمَرهُ أن يكفِّنَه فيه ، ثمَّ قامَ يُصلِّي عليه ، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبِه فقال : تُصلِّي عليه وهو منافق ، وقد نَهاك اللَّه أن تَستغفِرَ لهم ؟ ! قال : « إنما خيَّرني اللَّه - أو أخبرني اللَّه - فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تَستغفِر لهم ، إن تَستغفِر لهم سبعين مرَّةً فلن يَغفِر اللَّه لهم ﴾ فقال : سأزيدُه على سبعين » . قال : فصلى عليه رسولُ اللَّه ﷺ وصلَّينا معه ، ثم أنزلَ اللَّهُ عليه ﴿ ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبدًا ، ولا تَقُمْ على قبرِهِ ، إنهم كفروا باللَّه ورسوله وماتوا وهم فاسِقون ﴾ » [التوبة :٨٤] .

(٢) أخرج مسلم (ص ٢١٤٤) من حديث أبي الطفيل قال: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاس . فَقَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ! كَمْ كان أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ . قَلَ : كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ . وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَي عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . وَعَذَرَ ثَلَاثَةً . قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ . وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ : إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ . فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ . فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ .

س : لماذا كف النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان كثيرٍ منهم ؟

ج : أجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة منها :

● أن الأحكام على الناس إنما تجري على الظاهر الذي ظهر منهم ، وأما ما وراء ذلك فعلمه عند الله تبارك وتعالى . وقد قال النبي ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »[1].

● وقال النبي ﷺ : « إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس »[2].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥) ، ومسلم (حديث ٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث عليُّ بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديمٍ مقروظٍ[1]. لم تحصل من تُرابها[2]. قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصنٍ ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل[3] . فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجل غائرَ العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة[4]. كثُّ اللحيةِ . محلوقُ الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! =

---

(١) (في أديم مقروظ) أي : في جلد مدبوغ بالقرظ . والقرظ حب معروف يخرج في غُلُف كالعدس من شجر العضاه .

(٢) (لم تحصل من ترابها) أي : لم تميز ولم تصفَّ من تراب معدنها .

(٣) (وإما عامر بن الطفيل) قال العلماء : ذكر عامر ، هنا ، غلط ظاهر . لأنه توفي قبل هذا بسنين . والصواب الجزم بأنه علقمة بن علاثة . كما هو مجزوم به في باقي الروايات .

(٤) (ناشز الجبهة) أي : مرتفعها .

● أن النبي ﷺ تركهم تأليفًا للقلوب حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه فيكون تحدثهم بذلك سببًا لتخلف كثيرٍ منهم عن الإسلام[1].

● أن النبي ﷺ فعل ذلك ليبين لأمته أن القاضي لا يقضي بعلمه ، قال القرطبي رحمه الله تعالى : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه ، وإن اختلفوا في سائر الأحكام ، والله أعلم .

* * *

= اتَّق الله . فقال : « ويلك ! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال : ثمَّ ولى الرجلُ . فقال خالدُ بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا . لعله أن يكون يصلي » . قال خالدٌ : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله ﷺ : « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس[1]. ولا أشق بطونهم » قال : ثم نظر إليه وهو مقف[2] فقال : « إنه يخرج من ضئضىء هذا قومٌ يتلون كتاب الله . رطبًا لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . قال : أظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » .

(١) وأخرج البخاري حديث (٣٥١٨) من حديث جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثُروا ، وكان من المهاجرين رجل لعابٌ فكسع أنصاريًّا ، فغضب الأنصاريُّ غضبًا شديدًا حتى تداعوا ، وقال الأنصاريُّ : يا للأنصار ، وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين . فخرج النبيُّ ﷺ فقال : « ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ » ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري . قال : فقال النبي ﷺ :« دعوها فإنها خبيثة » . وقال عبد الله بن أبي بن سلول : أقد تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . فقال عمر : ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث ؟ لعبد الله . فقال النبيُّ ﷺ : لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » .

(١) (لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس) أي : أفتش وأكشف . ومعناه : إني أمرت بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

(٢) (وهو مقف) أي : مولٍّ ، قد أعطانا قفاه .

س : في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾[البقرة : ٨] رد على المرجئة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه : أولًا أن معتقد هؤلاء هو أن الإيمان مجرد قول باللسان وإن لم يعتقد القلب ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ٨٥] ولم يقل بما عملوا وبقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلـه إلا الله ... » الحديث ، هذه حججهم .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ رد عليهم فها هم قوم قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ، ونفى الله عز وجل عنهم الإيمان ، فقال سبحانه : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ وكم من آية يذكر اللَّهُ سبحانه وتعالى فيها الذين آمنوا ويقيدها بالعمل الصالح فيقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [الكهف: ١٠٧] وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »[1].

وقال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .. ﴾ [البقرة : ٢٧٥] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عُمر : قال سفيان : يعني : قاطع رحم .

س : المنافق نفاق الاعتقاد ماذا يسمى بعد زمان رسول الله ﷺ ؟

ج : يسمى – عند بعض العلماء – : زنديق .

* * *

س : من هو رئيس المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ؟

ج : رئيسهم : هو عبد الله بن أُبي بن سلول ، وهو الذي تولى كبر حديث الإفك[1] .

* * *

س : ما معنى النفاق ، ومن هو المنافق ؟

ج : النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر ، فالمنافق هو الذي يظهر الخير ويُسر الشر ، ويظهر الإيمان ويبطن الكفر ، وهو أيضًا الذي يخالف قوله فعله وسرُّه علانيته ، ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه .

* * *

س : أين نزلت صفات المنافقين ؟ ولماذا ؟

ج : نزلت صفات المنافقين : في السور المدنية ، وذلك لأن مكة لم يكن بها نفاق ، بل كان الأمر في مكة على خلاف النفاق ، فكان كثير من أهل الإسلام بمكة يخفون إسلامهم ويسرون بإيمانهم خوف القتل من المشركين ، أما المدينة فلما كثر فيها المسلمون وقويت شوكتهم بدأ أهل الكفر يُظهرون

---

(١) حديث الإفك أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (٦/١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧) ، وغيرهم ، وسيأتي الكلام عليه في محله ، إن شاء الله ، والشاهد منه هنا هو قول عائشة رضي الله عنها وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول .

الإسلام ويبطنون الكفر خوف السيف وكثر المنافقون بالمدينة ومن حولها من الأعراب ، كما قال الله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ... ﴾ [التوبة : ١٠١] أما المهاجرون من مكة فلم يُعلم فيهم أهل نفاق ، لأن المهاجر كان يهاجر فيترك أهله وماله وولده ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إلى كم قسم ينقسم النفاق ؟

ج : ينقسم النفاق إلى نفاق اعتقاد ونفاق عمل .

● **أما نفاق الاعتقاد** فهو الذي يُخلِّد صاحبه في النار وهو أن يُبطن صاحبه الكفر ويُظهر الإسلام ، وأهله قال الله فيهم : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

● **٢ - نفاق العمل :** وهو من الكبائر ، ومنه قول النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[(١)].

وقال فيه أيضًا عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[(٢)].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣) ، ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤) ، ومسلم (حديث ٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو الإفساد المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [البقرة : ١١] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بالإفساد هنا الإفساد بالكفر وموالاة الكافرين ، وصد الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن الإيمان بالقرآن[1]. ويعمدون إلى إلقاء الشُّبه والوشايات بين العباد . وقال فريق آخر من العلماء : إن الإفساد أعم مما ذكر فيدخل فيه ما ذُكر ويدخل فيه أيضًا العمل بالمعاصي والنميمة وإيقاع الشر وكل ما سماه الله أو سماه رسوله ﷺ فسادًا . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُذم أهل النفاق وهم لا يشعرون أنهم مفسدين ؟

ج : أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها :

● أنهم (أي : أهل النفاق) كانوا يعملون الفساد سرًّا ويظهرون الصلاح ، وهم لا يشعرون أن الله سبحانه وتعالى يُطلع نبيه ﷺ على أفعالهم .

● والوجه الآخر أن يكون فسادهم في نظرهم إصلاحًا ، وهم لا يشعرون أن ذلك فساد[2]، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم إظهار

---

(١) ويؤيد هذا القول قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ [الأنفال : ٧٣] فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين . وقال تعالى أيضًا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا * إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٤ ، ١٤٥] .

(٢) ويكون هذا تزيين من الشيطان عياذًا بالله ، كما قال الله سبحانه : ﴿ أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [فاطر : ٨] =

الحق وتبيينه واتباعه . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بمَ يتعلل أهل النفاق لدفع وصف الإفساد عن أنفسهم ؟

ج : يتعللون بقولهم : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ أي : إننا بممالأتنا للكفار وصداقتنا معهم نريد بذلك الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الإجرام يفسدون في الأرض ويرتكبون الكبائر ويزعمون أنهم أهل صلاح ويصفون أهل الإيمان بالرذالة والفساد ، هل من أدلة على ذلك ؟

ج : نعم الأدلة على ذلك كثير .

● قال الله سبحانه وتعالى في شأن أهل النفاق : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢].

● وقالوا أيضًا : ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ [البقرة : ١٣] .

● وقال فرعون لقومه : ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [غافر : ٢٩] .

● وقال فرعون عن نبي الله موسى ﷺ : ﴿ إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ [غافر : ٢٦] .

● وقال قوم شعيب لشعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت

= وكما قال سبحانه : ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ [النمل : ٢٤] ، وكما قال عز وجل : ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ﴾ [الكهف : ١٠٤] .

الحليم الرشيد ﴾[1] [هود :٨٧] .

وقال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : من هو السفيه ؟ وعلى من يطلق السفه ؟

ج : السفيه : هو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفة بما ينفعه ويضره . والسَّفه يطلق على الكفار كما قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

● ويطلق على المنافقين كما قال تعالى : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٣] .

● ويطلق على الجاهل كقوله تعالى : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ .. ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

● ويطلق على من لا يحسن التصرف ، ومنهم النساء والصبيان كما قال عدد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا ... ﴾ [النساء : ٥] : إن السفهاء هنا هم النساء والصبيان ، والله أعلم .

أما أصل السَّفه فهو الخفة والرِّقة ، ومنه قول القائل : ثوبٌ سفيه إذا كان رديء النسج خفيفه ، أو كان باليًا رقيقًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحامل لأهل النفاق على قولهم : آمنًا عند لقاء المؤمنين ؟

ج : الحامل لهم على ذلك هو خوفهم السيف وطلبهم المصلحة في الدنيا ، وهذا يؤيد أن النفاق إنما يكون في الغالب إذا كان للمسلمين شوكة والله تعالى أعلم .

---

(١) يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، ومرادهم : السفيه الضال .

س : ما المراد بالشياطين في قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم .. ﴾ [البقرة : ١٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالشياطين هنا رؤساء الكفر ، وقال آخرون : إنما هم الكهان ، وقال فريق ثالث : إنهم شياطين الجن ، وأقوى الأقوال لديَّ هو القول الأول أنهم رؤساء الكفر ومن على شاكلتهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل من الإنس شياطين ؟

ج : نعم من الإنس شياطين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم[1] قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] .

❋ ❋ ❋

س: قول المنافقين لشياطينهم: ﴿إنا معكم﴾ [البقرة: ١٤] معكم في ماذا؟

ج : معهم في الاعتقاد والموالاة والنصرة والمعاونة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الجزاء إنما يكون من جنس العمل دلِّل على ذلك بجملة أدلة ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى في شأن المنافقين لما استهزءوا بأهل الإيمان وقالوا لرؤساء

---

(١) والراجح لدينا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ هم رؤساء الكفر ، على ما قد بيناه ، والله أعلم .

الكفر : ﴿ إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] ، قال سبحانه : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [البقرة : ١٥] .

● ولما سخروا من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ [التوبة: ٧٩] قال سبحانه : ﴿ سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [التوبة : ٧٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢].

● وقال تعالى : ﴿ .. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٥ ، ١٢٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] .

● وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٩٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكذلك في مجال الخير :

قال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وقال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد: ١٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة »[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته »[2].

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل الطغيان ؟

ج : أصل الطغيان مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] أي : ارتفع وعلا وتجاوز .

ومنه قوله سبحانه في شأن فرعون : ﴿ إنه طغا ﴾ [النازعات : ١٧] أي : تجاوز الحد في الظلم والكفر حين قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] وحين (ذبح الأبناء) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور استهزاء الله عز وجل بالمنافقين يوم القيامة وخداعه لهم ؟

ج : منها إجمالًا قول الله عز وجل : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني

---

(١) إسناده ضعيف لكن معناه صحيح فلمعناه جملة شواهد ، وأما كون إسناده ضعيفًا فقد أخرجه أبو داود (حديث ٤٩٤١) ، والترمذي (حديث ١٩٢٤) وغيرهم من طريق أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأبو قابوس ضعيف ، لكن للمعنى شواهد كما قدمنا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ [الحديد : ١٣ ، ١٤] .

● ومنها ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية رَبِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » ، ثم قال : « ينادي مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصَّليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كلِّ آلهة مع آلهتهم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبَراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يُؤتى بجهَنَّم تعرضُ كأنها سرابٌ ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبُدُون ؟ قالوا : كنَّا نعبُد عزَيرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ ؟ ، قالوا : نريد أن تسقِينَا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريدُ أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادي : ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوْه فيها أوَّلَ مرة ، فيقولُ : أنا ربكم فيقولون : أنت ربُّنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه ؟ فيقولون : السَّاق . فيكشف عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجدَ فيعود ظهرهُ طَبقًا واحِدًا » .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ [البقرة: ١٦]

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (حديث ١٨٣) .

وكيف اشتروها ؟

ج : المعنى – والله أعلم – محتمل لوجوه منها :

١ – أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٢ – اشتروا الكفر بالإيمان كما قال تعالى : ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ﴾ [آل عمران : ١٧٧] .

٣ – استحبوا الضلالة على الهدى كما قال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] .

● أمَّا كيف اشتروها فلذلك وجوه منها :

● أنهم فضلوا موالاة الكافرين ومجالستهم واتباع أقوالهم على موالاة رسول الله ﷺ ومجالسة أهل الإيمان واتباع القرآن ، هذا وجه .

ووجه آخر : أنهمَ بعد أن حصل لهم الإيمان بالله عز وجل ارتدوا على أدبارهم ورغبوا في الكفر كما قال تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم ﴾ [محمد : ٢٥] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س :ما معنى قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ [البقرة : ١٦] .

ج : المعنى – والله أعلم – فما ربحوا في تجارتهم .

وهنا نورد بحثًا سريعًا للطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله : فإن قال قائل : فما وجه قوله : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ وهل التجارة مما تربح أو توكس ، فيقال : ربحت أو وضعت ؟

قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننت . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم – لا فيما اشتروا ، ولا فيما شروا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربًا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم ، مسلك خطاب بعضهم

بعضًا ، وبيانهم المستعمل بينهم . فلما كان فصيحًا لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيك ، ونام ليلك ، وخسر بيعك ، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله – خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال : « فما ربحت تجارتهم » إذ كان معقولًا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النوم في الليل . فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وشر المنايا ميتٌ وَسْطَ أهله كَهُلْكِ الْفَتَاةِ أَسْلَمَ الحَيَّ حاضره

يعني بذلك : وشر المنايا منية ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قِيلِهِ مرادَه من ذلك ، عن إظهار ما ترك إظهاره ، وكما قال رؤبة بن العجَّاج :

حَارِثُ ! قد فَرَّجْتَ عَنِّي هَمِّي فنـامَ لَيْلِـي وتَجَلَّـى غَمِّـي

فوصف بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير بن الخَطَفِي :

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُه فَأَعْمَى ، وأما ليلُه فبَصِيـرُ

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده وصف النبهانيِّ بذلك .

* * *

* *

*

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

استوقد – صم – بكم – صيِّب – حذر الموت – محيط بالكافرين – يكاد .

ج :

الكلمة	معناها
استوقد	أوقد ، كقوله : (استجاب بمعنى أجاب)
صمٌّ	لا يسمعون
بكمٌ	الأبكم هو الأخرس ، وقيل : الأبكم هو الذي لا يتكلم ولا يفهم فإن فهم و لم يتكلم فهو الأخرس
صيِّب	مطر
حذر الموت	خوف الموت
محيط بالكافرين	مُهلكهم، وشاهده ﴿إلا أن يُحاط بكم﴾ [يوسف: ٦٦] وقيل : عالمٌ بهم وشاهده ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .
يكاد	يقترب

س : لمن ضُرب هذا المثل ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : هذا المثل مضروب للمنافقين ، فالمنافق كمستوقد النار[1] .

❋ ❋ ❋

س : وضح وجه الشَّبه بين المنافق ومستوقد النار في المثل المذكور ؟

ج : وجه الشَّبه في ذلك أن المنافق لما قال في أول أمره لا إلٰه إلا الله وعرف الحلال والحرام كمستوقد النار لما أوقدها أضاءت له ما حوله فأبصر ما ينفعه مما يضره ، فلما أن ذهب نورها عنه بقي متحيرًا لا يدري أين يذهب ولا كيف يتحرك ، فقد رأى بعض أماكن الأمن وبعض مواطن الخطر فيخشى إن سار في الطريق الذي ظن أنه آمن كان خطرًا فبقي متحيرًا مترددًا لا يدري كيف يصنع .

فكذلك المنافق لما نقض لا إلٰه إلا الله ضلَّ الطريق عن الحلال والحرام والتبست عليه أموره وبقي متحيرًا مترددًا شاكًّا كما قال الله تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾[2] [التوبة : ٤٥] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٣٩٠) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] وأن المنافق تكلم بـ (لا إلٰه إلا الله) فأضاءت له الدنيا فناكحَ بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ؛ لأنه لم يكن له أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه .

(٢) وقد نحا بعض المفسرين منحًا آخر فقالوا : هذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه ، والله أعلم .

س : كلمة الذي في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] هل هي للمفرد (على بابها) أم هي بمعنى الذين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

● أحدهما أنها بمعنى (الّذين) في هذا الموطن ، وحجة أصحاب هذا القول أن (الذي) تقع للواحد وللجمع ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والذي[1] جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ [الزمر : ٣٣].

وأيضًا قول الشاعر :

إن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

فالمعنى إذن عند هذا الفريق من العلماء : مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارًا .

● وقال آخرون : إن الذي هنا للمفرد ووحَّد (الذي) و (استوقد) ؛ لأن المستوقد كان واحدًا من الجماعة تولى الإيقاد لهم فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعًا ، فقال : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا عُبر في الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؟

ج : هذا – والله أعلم – لبيان شدة الأذى والعذاب الذي لحق بالمنافق فنقضه (لا إلٰه إلا الله) لم يُذهب الانتفاع بها فقط بل جلب له ضررًا فوق عدم الانتفاع به فكذلك مستوقد النار ، أوقد النار (والنار تحمل إشراقًا

---

(١) وليس من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] فمعنى : ﴿ خضتم كالذي خاضوا ﴾ خضتم خوضًا كالذي خاضوه . والله أعلم .

وإحراقًا فهي تضيء للناس وتُحرق أيضًا وتحمل دخانًا مؤذيًا كذلك فلما ذهب اللَّه بنور هذه النار بقي منها ما يُحرق ويؤذي فازداد المنافق همًّا إلى همِّه وغمًّا إلى غمه فيا ليته كان في ظلمات فقط بل جاء في هذه الظلمات ما هو أخطر منها وهو إحراق النار التي أوقدها بيديه ودخانها المؤذي فكان كل ذلك وبالًا عليه[1] ونفس البلية يقع فيها المنافقون في الآخرة لما يقسم النور فيعطى كلٌّ نوره فيطفىء نور المنافقين وهم أحوج ما يكونون إليه فيقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم .... .

* * *

س : لماذا قيل في الآية الكريمة ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ [البقرة : ١٧] ، ولم يقل ذهب نورهم ؟

---

(١) ونحوه ذكره ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في تفسيره القيم فقال(ص ١١٦): وتأمل قوله ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب بما فيها من الإشراق–وهو النور– وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية ، وتأمل كيف قال : ﴿ بنورهم ﴾ ولم يقل بضوئهم مع قوله : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ ؛ لأن الضوء هو زيادة في النور ، فلو قال : ذهب اللَّه بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا للشيء وزيادته . وأيضًا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضًا فإن اللَّه سبحانه سمَّى كتابه نورًا ، ورسوله نورًا ، ودينه نورًا ومن أسمائه النور ، والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله ، واللَّه أعلم . وقال رحمه اللَّه (ص ١٢٥) : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق ، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق ، وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها اللَّه تعالى إياها يوم القيامة نارًا مؤصدة تطلع على الأفئدة .

ج : أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه[1] : وقال سبحانه وتعالى ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سرٌّ بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من اللَّه تعالى ، فإن اللَّه تعالى مع المؤمنين و ﴿ إن اللَّه مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ﴿ إن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فذهاب اللَّه بذلك النور هو انقطاع المعية التي خصَّ بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم ، فليس لهم نصيب من قوله : ﴿ لا تحزن إن اللَّه معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ولا من ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ [الشعراء : ٦٢] واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : أفرد النور ؛ لكون الحق واحد وهو صراط اللَّه المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

● وقال بعض العلماء : أُفرد النور لفضله ، وجمعت الظلمات لنقصها ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق اللَّه من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا للَّه وهم داخرون ﴾ [النحل : ٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائل ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء اللَّه عليك وبنات عمك

---

(١) في تفسيره القيم (ص ١١٥) .

وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ... ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ [البقرة : ٢٥٧] . واللَّه أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الحكم التي اشتمل عليها هذان المثلان المضروبان للمنافقين ؟

ج : أورد العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى قدرًا كبيرًا من هذه الحكم العظيمة فقال[1] :

وقد اشتمل هذان المثلان على حكمٍ عظيمةٍ منها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة ، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبةٍ بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار .

ومنها : أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله ، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان . فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، يقوم بها ويدوم بدوامها . فإذا لم توجد مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

ومنها : أن الظلمة نوعان ، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور . وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه . فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة ، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار ، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط .

---

(١) التفسير القيم ص ١٢٠ .

ومنها : أن في هذا المثل إيذانًا وتنبيهًا على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نورًا ظاهرًا ، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرًا . ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ، وبقوا في الظلمة على الجسر ، لا يستطيعون العبور . فإنه لا يمكن أحدًا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر . فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، وإلا ذهب اللَّه تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه . فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار ، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور .

ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالى ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل : أذهب اللَّه نورهم .

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح ، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ، وقد سئل عن الورود ؟ فقال : « نجيء نحن يوم القيامة على تَلٍّ فوق الناس . قال : فتدعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد : الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك ، فيقول : من تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم – منافق أو مؤمن – نورًا ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحَسَك ، تأخذ من شاء اللَّه تعالى . ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون . فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفًا لا يحاسبون . ثم الذين يلونهم ، كأضوإ نجم في السماء ، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء – وذكر باقي الحديث » .

فتأمل قوله « فينطلق فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم نور : المنافق

والمؤمن » ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ وتأمل حالهم إذ أطفئت أنوارهم ، فبقوا في الظلمة ، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل .

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة :« لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده » والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ [القلم : ٤٢] وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع ، وقوله في الحديث :« فيكشف عن ساقه » وهذه الإضافة تبين المراد بالساق المذكور في الآية .

وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه وتعالى بعد هذا . وذلك يفتح لك بابًا من أسرار التوحيد ، وفهم القرآن ، ومعاملة اللَّه سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده ، ولم يشركوا به شيئًا ، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها ، فانطلق بها واتبعته إلى النار . وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه . فسبحان اللَّه رب العالمين . قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة ، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم .

ومنها : أن المثل الأول متضمن لحصوله الظلمة ، التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى . والمثل الثاني : متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن . فلا أمن ولا هدى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

قال ابن عباس وغيره من السلف : مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله ، فاتقى ما يخاف،

فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقي في ظلمته خائفًا متحيرًا . كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم ، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم . فذلك نورهم . فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف . قال مجاهد : إضاءة النار لهم : إقبالهم إلى المسلمين والهدى ، وذهاب نورهم : إقبالهم إلى المشركين والضلالة . وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور : بأنها في الدنيا ، وفسرت بأنها في البرزخ وفسرت بيوم القيامة . والصواب : أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة ، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم ، جزاء وفاقًا ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت : ٤٦] فإن المعاد يعود إلى العبد فيه ما كان حاصلًا منه في الدنيا . ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ﴿ ويزيد اللَّه الذين اهتدوا هدى ﴾ [مريم : ٧٦] ومن كان مستوحشًا مع اللَّه بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد . ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث ، فيموت العبد على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه . ويعود عليه عمله بعينه ، فينعم ظاهرًا وباطنًا ، فيورث من الفرح والسرور واللذة والبهجة ، وقرة العين والنعيم ، وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه — ما هو من أفضل النعيم ، وأجله وأطيبه وألذه ، وهل النعيم إلا طيب النفس ، وفرح القلب وسروره وانشراحه ، واستبشاره ؟!

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه ، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين ، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه ، وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه ، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار ،

وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها ، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار .

وقد جعل اللّه سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرًا وجزاء ولذة ونعيمًا يخصه ، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه . لهذا تنوعت لذات أهل الجنة ، وآلام أهل النار ، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات . فليست لذة كل من ضرب في كل مرضاة اللّه بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من إنما سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مساخط اللّه بنصيب كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه .

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به العبد من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدنيا ، فقد رأى قِنْوًا من حَشَف معلقًا في المسجد للصدقة . فقال : « إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة » فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله ، فيجزىء على تلك الصدقة بحشف من جنسها .

وهذا الباب يفتح لك أبوابًا عظيمة من فهم المعاد ، وتفاوت الناس في أحواله ، وما يجري فيه من الأمور .

* * *

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : ذكر هذا المعنى إجمالًا ابن القيم رحمه اللّه تعالى فقال :

شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار ، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم ، وصيامهم معهم ، وسماعهم القرآن ،

ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره ، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا . ولهذا قال تعالى في حقهم : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ إليه ؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا . فهم لا يرجعون إليه . وقال تعالى في حق الكفار : ﴿ فهم لا يعقلون ﴾ ، لأنهم لم يعقِلوا الإسلام ، ولا دخلوا فيه ، ولا استناروا به ، لا بل يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي .

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا ، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا ، وإلى طريق الرشاد غاديًا . لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية . ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها . وتمكنت منها أيد الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها . وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل ، فلم تصغ بعد إلى الملام . ووُعظت بمواعظ أنْكَى فيها من الأسنة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة . وما لجرح بميت إيلام .

❋ ❋ ❋

س : هل يصح أن يضرب للجماعة مثلٌ بالواحد ؟

ج : نعم يصح ذلك ، فقد قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة ﴾ [لقمان : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة :٥].

● وقال تعالى : ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت ﴾ [الأحزاب : ١٩] واللّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الظلمات التي بقى فيها المنافق ؟

ج : هي ظلمات الشك والكفر والارتياب والنفاق .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٨] عن ماذا ؟

ج : ﴿ صمٌّ ﴾ عن استماع الحق[1] ﴿ بكم ﴾ عن النطق بالخير والإيمان فهم لا يتكلمون به ، ﴿ عمي ﴾ لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل .

فلما كانوا غير منتفعين بسمعهم وأبصارهم وألسنتهم وأفئدتهم وصفوا بأنهم صم بكم عمي ،وهذا كما قال اللّه سبحانه : ﴿ وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللّه وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ، [الأحقاف : ٢٦] وكما قال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة وصف مستوقد النار بكونه (أصم أبكم أعمي) ؟

ج : الفائدة بيان اجتماع الظلمات التي تراكمت عليه فهو يعيش فيها فإضافةً إلى ما هو فيه من ظلمات نشأت عن ذهاب النور ومهلكة بقاء إحراق النار ، فهو أيضًا مصاب بالعمى والصمم ثم هو أبكم أيضًا .

❋ ❋ ❋

---

(١) لأنهم لم يقبلوه ، وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ، والصمم الانسداد ، وقد قال الشاعر :

صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به ... وإن ذكرت بسوء كلهم أذن

وأخرج الطبري رحمه اللّه تعالى (أثر ٤٠١) بإسناد حسن عن قتادة قال قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ صم عن الحق فلا يسمعونه ، عمي عن الحق فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به .

س : قوله تعالى : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] لا يرجعون إلى ماذا وعن ماذا ؟

ج : لا يرجعون عن ضلالتهم ونفاقهم ،ولا يرجعون إلى الحق والإسلام والهدى والإيمان ، ولا يرجعون إلى التوبة والاستغفار . والله أعلم .

* * *

س : ما هو توجيه العلماء للفظ (أو) في قوله تعالى ﴿ أو كصيب ﴾ ؟

ج : من العلماء من يقول : إن (أو) هنا بمعنى الواو ، فالمعنى على هذا أن للمنافقين مثلين مثل الذي استوقد نارًا ، ومثل أصحاب الصيب .

● وكون « أو » تأتي بمعنى الواو صحيح كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ .

وقال الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأنِّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدرًا كما أتى موسى ربه على قدر

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن (أو) هنا للتنويع فمن المنافقين من مثله مثل الذي استوقد نارًا ، ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب . والذي شجع على هذا القول أن المنافقين أصناف ، والكفار أصناف ، وأهل الإيمان قسمين[1] :

فأهل الإيمان منهم السابقون المقربون ، ومنهم الأبرار أصحاب اليمين ، كما

---

(١) وهذا على وجه الإجمال لكن على وجه التفصيل فالدرجات يوم القيامة متعددة متفاوتة كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله =

ذكرهم اللَّه سبحانه في سورة الواقعة فقال سبحانه : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ [الواقعة : ١٠ ، ١١] ثم قال تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٢٧] وفي ختام السورة قال سبحانه : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٨٨-٩١].

● وأهل الكفر ذكر اللَّه بعض شأنهم في سورة النور فقال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد اللَّه عنده فوفاه حسابه واللَّه سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ [النور : ٤٠] .

فهذه الآيات في كفار جهلة وكفار يحسبون أنهم يحسنون صنعًا (على ما سنبينه إن شاء اللَّه في سورة النور) وكذلك أهل النفاق هنا منهم من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ومنهم من مثله كأصحاب الصيب[1] ، واللَّه أعلم .

= للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »[1] .

وقال تعالى : ﴿ هم درجات عند اللَّه ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] إلى غير ذلك .

وكذلك الكفار دركات متعددة في جهنم ، وكذلك أهل النفاق ، واللَّه أعلم .

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى - بعد أن ذكر بعض الآثار والأقوال -: فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا ، مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان : خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالًا من الذين قبلهم ، وهذا المقام =

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

= يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء اللّه ، ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ﴾ الآية [النور :٣٩ :] ، ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللّه له نورًا فما له من نور ﴾ [النور : ٤٠] فقسم الكفار ههنا إلى قسمين : داعية ومقلد ، كما ذكرهما في أول سورة الحج ﴿ ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج : ٣] وقال : ﴿ ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [الحج : ٨] وقد قسم اللّه المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان إلى قسمين : سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار .

فتلخَّص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق ، كما جاء في الصحيحين عن عبد اللّه بن عمرو عن النبي ﷺ « ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق . إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب عليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي إن شاء اللّه .

ثم قال رحمه اللّه ص ٨٨ :

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] أو تكون للتخيير أي : اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا ، قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري أن كلًّا منهما مساو للآخر =

س : وضح هذا المثل بشيء من التفصيل ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : مثل المنافقين مثل أصحاب الصيب (والصيب هو المطر) الذي نزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .

فالصيب	هو مثلُ	القرآن
الظلمات	هي مَثَلُ	الآيات المشتبهة
الرعد	هو مثل	آيات الإنذار والتهديد
البرق	هو مثل	الهداية والنور والحجج الباهرة في كتاب الله عز وجل

فحظ أهل النفاق من القرآن هو الآيات المشتبهة التي يتحيرون فيها ويترددون ، كما قال تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ [التوبة :٤٥].

- وحظهم أيضًا آيات التهديد والإنذار فهم يحسبون كل صيحة عليهم .
- وحظهم من الهداية والنور البرق الذي يخشون منه أن يخطف أبصارهم من شدة ضوئه فكذلك هناك قاصرو النظر لا ينظرون إلى ما في الصيب من نفع عام على البلاد والعباد ولكن حظهم من الصيب الظلمات والرعد والبرق فكما قدمنا أن **الصيب هو القرآن** ، دل على ذلك قول النبي ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ... »[1] .

فالصيب به تدب الحياة إلى البلاد والعباد بإذن الله ، ويفرح به عقلاء

= في إباحة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة برآءة- ومنهم- ومنهم- ومنهم- يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم ، كما ضرب المثلين في سورة لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ [النور :٣٩] إلى أن قال : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾الآية [النور : ٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، والله أعلم بالصواب .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٩) ، ومسلم (حديث ٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

الناس ؛ لما فيه من خير وصلاح للبلاد والعباد والشجر والدواب ، وهؤلاء العقلاء الذين حمدوا اللَّه عز وجل على ما منَّ به من هذا الصيِّب هم **أهل الإيمان** الذين قبلوا هدى اللَّه الذي جاء به نبي اللَّه محمد ﷺ .

أما أهل النفاق فعقولهم ضعيفة لا تدرك ما وراء هذا الصيب من نفع ، وغاية ما تدركه من الصيب أنه يلوِّث الأرض ويجلب إليها الوحل والطين ويُعطل المسافر عن سفره.. ونحو ذلك ، هذا غاية ما تدركه أبصار أهل النفاق هؤلاء .

● **وتنزيل هذا على كتاب اللَّه عز وجل :** أن المؤمن يعلم تمام العلم ويؤمن غاية اليقين أن ما جاءه من اللَّه تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ كله خير فإذا أُمر بأمرٍ سمع وأطاع للَّه عز وجل ، وإذا نهي عن أمرٍ انتهى وانكف وإذا اشتبهت عليه آية قال: ﴿ آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: ٧] .

● فإذا أمره بالحج والعمرة مثلًا علم ماذا أعد اللَّه للحجيج من مغفرة الذنوب وأن الحج يهدم ما كان قبله كما أخبر النبي ﷺ[1] ، وأن الحجيج يرجعون من حجهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وأن المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الذنوب كما تنفي الكير خبث الحديد ، وأن الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة ، فيقدم على الحج بلا تردد ولا توان .

أما المنافق فحظه من ذلك أن يقول : لماذا أذهب وأطوف بأحجارٍ وأرمي أحجارًا وأهرق دماءً وأفارق الزوجة والولد وأُضيع أموالي وأفارق أوطاني ، وأزاحم الناس ويزاحموني .... .

هذا هو حظ المنافق الغبي من هذا الباب .

● وإذا أتينا إلى الجهاد مثلًا ، علم المؤمن ماذا أعد اللَّه للمجاهدين من الفضل وتكفير الذنوب والخطايا ، وتذكر فضائل الجهاد ، وأدرك ما فيه من عزة لأهل الإيمان ، وردع لأهل الكفر والظلم ، كما قال تعالى ﴿ ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا .

ومساجدُ يذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا ولينصرن اللَّه من ينصره إن اللَّه لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٤٠] ، فيقدم حينئذ على الجهاد وتهون عليه نفسه للَّه سبحانه وتعالى وطلبًا لمرضاته ونيل جناته .

أما المنافق فحظه قوله كيف أشرَّد وأُجرح وأخرج من بيتي فأقتل وقد تقطع يدي وتُفقأ عيني وتذهب رجلي وتُرمل زوجتي وييتم أولادي فيدع الجهاد غافلًا عما وراءه من ثواب .

● ولو أتينا إلى الصوم مثلًا ، علم المؤمن ما فيه من فضل وأيقن بالثواب الوارد فيه ، وأن صاحبه ينادي من باب الريان ، وأن الصوم يورث التقوى ، وأن اللَّه عز وجل يرضى عن الصائم ولخلوف فم الصائم عند اللَّه أطيب من ريح المسك ... .

أما المنافق فيقول : لماذا أجوِّع نفسي وأمنعها شهواتها وأحرمها من لذيذ الطعام والشراب وحسان النساء ، ولا يدرك ببصره القاصر ما في الصوم من علو الدرجات وحط الخطيئات وإقالة العثرات و ... .

● وإذا عمدنا إلى الصلاة مثلًا : علم المؤمن ما أعد اللَّه عز وجل للمصلين من أجر وعلم كيف تتساقط خطاياهم واحدة تلو الأخرى وسائر ما في الصلاة من فضل .

أما المنافق فيقول : لماذا أُصلي وأرهق نفسي بالقيام والقعود والركوع والسجود وأصبُّ الماء البارد على جسمي يؤذيني ، وأضيع وقتي ولا يدري الجاهل أن البركة من اللَّه عز وجل ، ولا يُدرك الحائر أنه ربَّ دعوة دعا بها مُصل في صلاته دفع اللَّه بها عنه البلاء ورفع اللَّه عنه بها العناء وجعله اللَّه بها من السعداء .

وهكذا سائر العبادات .

فحظ المنافق من كتاب اللَّه ظلمات تُظلم عليه وتُخيم على عقله ، حظه

من كتاب اللَّه الآيات المتشابهات (وهي الظلمات) ، فإذا سمع قوله تعالى عن شجرة الزقوم : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٤] قال بجهله : هذا يدل على الكذب إذ كيف تخرج شجرة في أصل الجحيم والنار تأكل الخشب ؟ ! ! ! ، ولا يدري الجاهل أن اللَّه على كل شيء قدير ، وأن النار إنما تحرق ما تحرقه بإذن اللَّه ، وقد قال اللَّه عز وجل لها ﴿ يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فكانت كذلك بردًا وسلامًا عليه ﷺ ولا يدري الجاهل أن اللَّه عز وجل جعل هذه الشجرة فتنة للظالمين كما قال سبحانه : ﴿ إنا جعلناها فتنةً للظالمين ﴾ [الصافات : ٦٣] .

وإذا مرَّ هذا المنافق الجاهل على آية كقوله تعالى – في بيان عدد خزنة جهنم – ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر : ٣٠] يقول هذا الجاهل المنافق الكافر : تسعة عشر ؟ ! ! ! إذن نحن قادرون على سحقهم واحتلال الجنة بالقوة ، ويخفى على هذا الجاهل أن هذا العدد جعله اللَّه فتنة لأهل الكفر كما قال سبحانه : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا كذلك يضل اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [المدثر : ٣١] .

أما المؤمن فيعلم أن ملكًا واحدًا يقدر – بإذن اللَّه – أن يدمر الأرض ومن عليها بل ويفعل أعظم من ذلك بإذن اللَّه .

● يعمد الكافر المنافق الجاهل إلى الآية كقوله تعالى لما أسرى بنبيه ﷺ : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] فيقول المنافق: كيف يُسرى برجل من مكة إلى بيت المقدس ويرجع في نفس الليلة ولا يملك دابة تحمله لهذا المكان ، وكيف يعرج به إلى السماء السابعة ويصبح بين أظهرنا

هذا وجهة هذا الكافر المنافق لا يعلم أن الله على كل شيء قدير ، يقول للأمر إذا أراده كن فيكون .

يعمد المنافق إلى آية تحويل القبلة ، فيقول : لماذا هذا التردد ، ويخفى عليه قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] هذا حظ هذا المنافق من كتاب الله عز وجل ، حظه الآيات المتشابهة التي تزيده شكًّا وحيرة وترددًا لقلة علمه بالله سبحانه ويقينه به .

● حظه من كتاب الله عز وجل هذا الرعد ، فإذا سمع آية وعيد ظن أنها ستحل به فورًا ، إذا سمع قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [فصلت : ١٣] ظن أن هذه الصاعقة ستنزل عليه .

إذا سمع آية تتحدث عن النفاق ظن أنها تفضحه ، وأن الناس كلهم يعلمون حاله كما قال تعالى : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [المنافقون: ٤] يظن أن الآيات الكريمات كلها تفضحه وتظهر أمره للناس وتفشي سره ، كما أنزل الله أمرهم في سورة براءة وقال فيها : (ومنهم ،... ومنهم ،.... ومنهم) .

حظه من الهداية والنور الوارد في كتاب الله هذا البرق ، فكتاب الله نور ، وآياته كلها نور يستضاء به ويُبصر به المؤمن ، أما هذا المنافق فيخشى إن نظر في هذا النور الشديد الذي هو من شدته كالبرق أن يذهب بصره ويصاب بالعمى ، ويذهب هذا النور ببصره[1] ، فهو يكره النور ويحب

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابًا له كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورًا ويعمي أعين الخفاش

وقال الآخر :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف فشدة ضوء النهار تزيدها عمى ، وقد =

الظلمات كالخفاش ضعيف البصيرة إذ قال الشاعر فيه :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم ص ١١٨ فما بعدها :

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلًا آخر مائيًّا . فقال تعالى : ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ [البقرة : ١٩] فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها . فذهب نوره ، وبقي في الظلمات حائرًا تائهًا ، لا يهتدي سبيلًا ، ولا يعرف طريقًا ، وبنصيب أصحاب الصيِّب ، وهو المطر الذي يصوب ، أي : ينزل من عُلو إلى سُفل . فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه ، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب . فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ، ولوازم ذلك : من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره ، وصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام ، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل

= صرح الله تعالى بهذا العمى في قوله : ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ [الرعد: ١٩] وقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ فاطر: ١٩].

محبوب . وهذه حال أكثر الخلق ، إلا من صفت بصيرته . فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق ، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة ، وملامة اللوام ، ومعاداة من يخاف معاداته . لم يقدم عليه ؛ لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة ، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون ، وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ، ومفارقة الأهل والوطن ، ومقاساة الشدائد ، وفراق المألوفات ، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته . فإنه لا يخرج إليه ، ولا يعزم عليه . وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان ، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد ، والزواجر والنواهي ، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات ، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه . والناس كلهم صبيان العقول ، إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علمًا وعملًا ومعرفة ، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

وقال الزمخشري : لقائل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من تشبيه الكفر بالظلمة وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى : أو كمثل ذوي صيب . والمراد : كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها ما لقوا .

قال : والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه : أن المثلين جميعًا من جهة التمثيلات المتركبة ، دون المفرقة ، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه .

وهذا القول الفحل ، والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولًا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك . فتشبهها بنظائره ، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئًا واحدًا بأخرى مثلها . كقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] الغرض : تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة . وتساوي الحالين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيده من الكد والتعب ، وكقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ﴾ [الكهف : ٤٥] المراد : قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوية بعضها ببعض ، وتصييرها شيئًا واحدًا فلا كذلك ، لما وصف من وقوع المنافقين في ضلالتهم ، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل . وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة ، مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

قال : فإن قلت : أي المثلين أبلغ ؟

قلت : الثاني ؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ، وفظاعته . وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ .

وقال أيضًا ص ١٢٧ (التفسير القيم) :

قول الله تعالى ذكره : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ [البقرة: ١٩] .

الصيب : المطر الذي يصوب من السماء أي : ينزل منها بسرعة ، وهو مثل للقرآن الذي به حياة القلوب ، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان . فأدرك المؤمنون ذلك منه ، وعلموا ما يحصل لهم به من الحياة التي لا خطر لها . فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات ، التي حذر الله بها من خالف أمره . وأخبر أنه منزلها على من كذب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي خلاف أهوائها ، فهي كالظلمات والرعد والبرق . ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق . بل يستأنس بذلك ويفرح به ، لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب .

وأما المنافق فإنه قد عمي قلبه ، ولم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر ، ورعدًا عظيمًا وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه . فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق ، وشدة لمعانه ، وعظم نوره . فهو خائف أن يختطف بصره ؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه . فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف . فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه . وإن فقد الضوء قام متحيرًا ، لا يدري أين يذهب ، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات ، وحياته هو في نفسه ، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة ، ولا شعور له بما وراء ذلك . فالوحشة لازمة له . والرعب والفزع لا يفارقانه ، وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع، وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، فإنه يستأنس بذلك ، ولا يستوحش منه ،

ولا يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ، ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء ، حكمة بالغة ، وأسبابًا منتظمة ، نظمها العليم الحكيم . فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط . لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب مما اطمأن به العالمون ، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون . فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة ، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد . وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد . فإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، جالت فيها وصالت ، وقامت بها وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر قيلها وقالها . فملأت الأسماع من هذيانها ، والأرض من دواوينها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ، والمحامين عن حوزتهم ، والمقاتلين تحت ألويتهم ، والمكثِّرين لسوادهم . ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم – هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك ، وكشف أستارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم ، وظهرت أسرارهم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم كلما تليت عليهم آيات الكتاب العزيز

جعلوا أصابعهم في أذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به وبمحمد ﷺ وذلك عندهم كفر ، والكفر موت ، وهذا كما فعل قوم نوح إذا حكى نوح عليه السلام فعلهم معه فقال : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا﴾ [نوح : ٧] .

ومنه أيضًا تواصيهم بعدم الاستماع لهذا القرآن ، بل وباللغو عند تلاوته كما قال سبحانه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ [البقرة : ٢٠] ؟

ج : أوجز الشنقيطي رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام فقال[1]: ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين إذا كان القرآن موافقًا لهواهم ورغبتهم عملوا به ، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم . والقسم لهم من غنائم المسلمين ، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن ، وإذا كان غير موافق لهواهم . كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا . وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور: ٤٨ ، ٤٩] .

وقال بعض العلماء : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ أي : إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا : هذا الدين حق ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ أي : وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ص ٥٢ - ٥٣) .

البنات دون الذكور . قالوا : ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه . وهذا الوجه يدل له قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ [الحج : ١١] .

وقال بعض العلماء : إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ [البقرة : ٢٠] يرجع إلى من ؟

ج : فيه قولان :

فمن **قال** : إنه يرجع إلى أصحاب المطر فالمعنى عنده ، ولو شاء الله لأذهب **سمعهم** بالرعد وأبصارهم بالبرق .

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى ولو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، والله أعلم .

* * *

* *

*

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

س : ما معنى هذه الكلمات :

أندادًا – وأنتم تعلمون – من مِثله – شهداءكم – من دون الله – أُتوا به متشابهًا – خالدون .

ج :

الكلمة	معناها
أندادًا	أمثالًا – أكفاءً – نظراء – عدلاء ، قال حسان :

الكلمـة	معناهـا
	أتهجوه ولست له بندٍّ فشر كما لخير كما الفداء
وأنتم تعلمون	تعلمون أنه لا ند له
من مِثله	من مثل القرآن – وقيل من مثل محمد ﷺ
شهداءكم	أعوانكم – أنصاركم
من دون الله	الآلهة التي تُعبد غير الله سبحانه وتعالى
أُتوا به متشابهًا	جيء إليهم بالثمار متشابهة في اللون مختلفة في الطعم
خالدون	الخلود هو البقاء

❋ ❋ ❋

س : وضح معاني مفردات قوله تعالى : ﴿ يا أيها ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : (يا) حرف نداء ، (أي) منادى مفرد (ها) للتنبيه .

✸ ✸ ✸

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : أن المراد عموم الناس (الكفار والمؤمنون) ، فيكون الخطاب للمؤمنين باستدامة العبادة كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله ... ﴾ [النساء: ١٣٦] .

ويكون الخطاب للكافرين لابتدائها .

و (الثاني) أن المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ الكفار الذين لم يعبدوه ، والقول الأول أقوى[1]، والله أعلم .

✸ ✸ ✸

س : ما مدى صحة القول القائل بأن كل آية أولها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت على رسول الله ﷺ بمكة ، وكل آية أولها ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فإنما نزلت بالمدينة ؟

ج : أما قوله : إن كل آية فيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت بمكة فغير صحيح ، فإن سورة البقرة مدنية على ما بيناه ، ومع ذلك ففيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ وكذلك سورة النساء مدنية[2] وفيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ .

● أما قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وكونها كلها نزلت بالمدينة

---

(١) إذ لا دليل على التخصيص ، والله أعلم .

(٢) وعلى وجه الخصوص قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم .. ﴾ [النساء: ١] .

فقد صححه القرطبي رحمه الله ، ولكنه يحتاج مني إلى تحرير ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نُص في الآية الكريمة : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ [البقرة : ٢١] ، على صفة الخلق دون غيرها من الصفات ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما نصَّ على صفة الخلق هنا ؛ لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم كما قال الله سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩]، فإذا كانوا مقرين بأن اللَّه عز وجل خالقهم فلا جرم أن يكون تذكيرهم بصفة الخلق حجة عليهم وتقريعًا لهم . واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المراد هنا – والله أعلم – الأمر بالتوحيد والتزام شرائع الدين[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ خلق ﴾ وهل تطلق على البشر ؟

ج : يطلق الخلق على الإنشاء والاختراع والإبداع ، ويطلق الخلق على التقدير ، ومنه ما ذكره القرطبي حيث قال : خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته

---

(١) وقد تقدم الكلام على تفسير العبادة في سورة الفاتحة بما فيه الكفاية .

قبل القطع ، والمعنى قدرت[1] الجلد الذي يكفي لصنع السقاء قبل أن أقطعه .

● أما إطلاقه على البشر فقد قال الله عز وجل في شأن المشركين : ﴿ وتخلقون إفكًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

❋ ❋ ❋

س : إذا ثبت عند المشركين أن الله عز وجل خلقهم فقد خلق الذين من قبلهم ، فلماذا قال تعالى : ﴿ الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : جرى الكلام على التنبيه والتذكير ليكون أبلغ في العظة فذكرهم بمن قبلهم ليعلموا أن الذي أمات من قبلهم سيميتهم أيضًا وليفكروا فيمن قبلهم كيف كانوا وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من هلك ، وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ... ﴾ [البقرة : ٢١] تضمن دعوة الخلق إلى عبادة الله عز وجل بطريقين وضحهما ؟

ج : هذان الطريقان اللذان تضمنتهما الآية الكريمة هما :

الأول : تذكير الناس بأن الله عز وجل خلقهم وخلق الذين من قبلهم ، فالذي خلق جديرٌ بأن يُعبد .

الثاني : امتنان الله عز وجل عليهم بذكر ما لله عز وجل عليهم من الحقوق

---

(١) قدرت أي : حددت .

فهو سبحانه قد أسدى إليهم أنواعًا من النعم من جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً وإنزال المطر وإخراج الثمرات ؛ لأن المنعم يستحق أن يُعبد ويُشكر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لعلكم بعبادتكم ربكم عز وجل أن تجعلوا بينكم وبين النار وقاية ، وتجعلوا أيضًا بينكم وبين غضب الله عليكم وقاية .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى جعل في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – صيَّر .

وكلمة (جعل) لها معان أُخر في غير هذا الموطن منها :

● خلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ [المائدة : ١٠٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] .

● ومنها سمَّى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا ﴾ [الزخرف : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] أي : سموهم .

وبعض العلماء يقولون : إن (جعل) قد تأتي زائدة أحيانًا ، كما قال الشاعر :

وقد جعلت أرى الاثنين أربعة
والواحد اثنين لما هدني الكبر

س : اذكر حديثين في معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[1].

● والحديث الثاني أخرجه أحمد بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه[2].

إن نبي الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطىء فقال له عيسى : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ، فقال : يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سره أن يكون عبده كذلك وإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وآمركم بالصلاة فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وآمركم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٣٠) بسند صحيح .

بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوُّ فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل » قال : فقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم » قالوا : يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال : « وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض استدلالات العلماء من ناحية النظر والعقل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ؟

ج : لهم استدلالات كثيرة على ذلك ، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه .

كما قال بعض الأعراب ، وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات

أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع ، فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح ، يعني بذلك : البيضة إذا خرج منها الدجاجة .

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز :

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال آخرون : من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت ، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٧ ، ٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييج والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض براهين البعث المستنبطة من هذه الآيات الكريمة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢]؟

ج : ذكر هذه البراهين الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء

البيان فقال[1]:

قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢] أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت وبيَّنها مفصلة في آيات أُخر .

الأول : خلق الناس أولًا المشار إليه بقوله : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني ، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ [الروم: ٢٧] الآية وقوله : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وكقوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ [الإسراء: ٥١] وقوله : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ [يس : ٧٩] وقوله : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس ﴾ [ق : ١٥] الآية . وكقوله : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ [الحج : ٥] وكقوله : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ [الواقعة : ٦٢] الآية ..

ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول ، كما في قوله : ﴿ وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه ﴾ [يس : ٧٨] الآية . وقوله : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيًّا * أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا ﴾ [مريم : ٦٦ ، ٦٧] ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ [مريم: ٦٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني : خلق السموات والأرض المشار إليه بقوله : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ ؛ لأنهما من أعظم المخلوقات ، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى . وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض

---

(١) أضواء البيان (١/٥٣) .

أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر : ٥٧] وقوله : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ [يس : ٨١] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى ﴾ [الأحقاف : ٣٣] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [الإسراء: ٩٩] وقوله : ﴿ ءأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها ﴾ [النازعات : ٢٧ ، ٢٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات .

البرهان الثالث : إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت ، كما أشار له هنا بقوله : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ وأوضحه في آيات كثيرة كقوله : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربتْ إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ [فصلت : ٣٩] وقوله : ﴿ وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ١١] يعني : خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا . وقوله : ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ [الروم : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف: ٥٧] إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

س : ما معنى فراشًا ، وبناءً في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : **فراشًا** أي : ممهدة كالفِراش ، وجعلها مستقرة كما في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض قرارًا ﴾ [غافر: ٦٤] .

وبناءً معناها : سقفًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ [الأنبياء: ٣٢] . والله أعلم .

س : لماذا سميت السماء سماء ؟

ج : سميت بذلك لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء[1].

* * *

س : ما هو أعظم ذنب يرتكبه الناس ؟

ج : أعظم ذنب هو أن تجعل لله ندًّا ، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فأجاب ، فسأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - كما في الصحيحين[2] - أي الذنب أعظم يا رسول الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك » قال : قلت له : إن ذلك لعظيم ، قال : قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال : قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » .

---

(١) قال الطبري رحمه الله (١/٣٦٦) :

وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوةٌ ؛ لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وقَصدَ نحوه عَاليًا عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ اليُمَانِي وَأَهْلِهِ ... ونَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ

وكما قال نابغة بني ذُبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فرأَيْتُ منها ... تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ

يريد بذلك : أشرفت لي نظرةٌ وبدت . فكذلك السماء سميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧) ، ومسلم (حديث ٨٦) ، وفي بعض الطرق في الصحيحين أيضًا : فأنزل الله عز وجل تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

س : ما هو حق الله عز وجل على عباده ، وما هو حق العباد على الله عز وجل ؟

ج : حق الله عز وجل على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يا معاذُ أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا أتدري ما حقهم عليه ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال : « أن لا يعذبهم »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور جعل الأنداد لله عز وجل ؟

ج : من هذه الصور : قول القائل : ما شاء الله وشاء فلان ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان »[2] .

● ومنها قول القائل : مطرنا بنوء كذا ونوء كذا[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٣) ، ومسلم (ص ٥٩) وفي بعض الطرق « أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا » .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٩/٥) وابن ماجه (٢١١٨) ، وأحمد (٧٢/٥ و ٣٨٤ و ٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٥٢٢/٢) ، ومسلم (٥٩/٢)، وأبو داود (٢٢٧/٤) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

● ومنها الحلف بغير الله عز وجل[1] .

● ومنها ما درج عليه العامة : لولا الكلب لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لما قبضنا على اللصوص[2] .

وقول الأطفال في بعض الدول (علي يا أبو مخ خلِّي الدنيا تُرخ ، علي يا أبو مركب خلِّي الدنيا تكركب) وكأن هذا مأخوذ من إحدى فرق الضلال الذين يزعمون أن عليًّا في السحاب يسيرها ويُجريها .

● ومنها السجود لغير الله عز وجل .

● ومنها تشريع شرعة غير شرعة الله عز وجل يُحكم بها العباد ويقضى عليهم بها قال تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم

---

(١) أخرج الترمذي (١٣٥/٥ مع تحفة الأحوذي) وأبو داود (٣٢٥٧) والنسائي (١٩/٧) وابن ماجه (٢٠٩٨) وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » .
وهو حديث يصح بشواهده .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٢٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾ قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، ويقول : لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان .
لا تجعل فيها فلان فإن هذا كله به شرك .
وفي إسناده شبيب بن بشر .
قال الدوري عن ابن معين : ثقة ، قال : و لم يرو عنه غير أبي عاصم ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء كثيرًا.
والأثر أخرجه الطبري (٤٨٥) من طريق شبيب عن عكرمة و لم يصل به إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .

● ومن أعظمها دعاء غير الله ، قال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] .

● ومنها محبة غير الله وطاعته كمحبة الله وطاعته ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبًّا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] ، الخطاب فيها لمن ؟ ويعلمون ماذا ؟

ج : قيل : الخطاب فيها للمشركين ، والمراد بالعلم هنا علمًا خاصًّا وهو أنهم يعلمون أن الله عز وجل خالقهم[1] ورازقهم وهو سبحانه أنزل من السماء ماءً وأنه سبحانه يجير ولا يجار عليه وبيده ملكوت كل شيء ، فيعلمون أنه سبحانه وتعالى المنعم عليهم دون الأنداد .

وقيل : المعنى تعلمون أنه الواحد الرزاق .

وقيل : إن الخطاب هنا للمؤمنين ، والمعنى : لا ترتدوا أيها المؤمنون وتجعلوا لله أندادًا بعد علمكم أن الله واحد لا شريك له والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ [الزخرف : ٨٧].

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى الإجمالي – والله تعالى أعلم – : إن كنتم في شك مما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله سبحانه وتعالى ، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك ولن تستطيعوه .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ .. من مثل من ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل القرآن ، والقول الثاني ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل محمد ﷺ في كونه بشرًا ، وفي كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك تلا هذا القرآن عليكم . والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي تحدى الله عز وجل فيها الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● **تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن** فقال سبحانه : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور : ٣٤] وقال سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه

قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [هود : ١٣] .

وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وتحداهم الله فرادى وتحداهم جماعات ، وتحداهم بمكة وبالمدينة ، فلم يعارض القرآن بشيء طائل من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض وجوه الإعجاز في هذا القرآن الكريم ؟

ج : من هذه الوجوه ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال[1] :

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى ، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء ، وأمر بكل خير ، ونهى عن كل شر كما قال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] أي : صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها ، كما قيل في الشعر : إن أعذبه

---

(١) (٩٢/١) .

أكذبه ، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح ، ثم تجد له فيه بيت أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته ، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] وقال : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ [الزخرف : ٧١] وقال في الترهيب : ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ﴾ [الإسراء : ٦٨] ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦ ، ١٧] وقال في الزجر : ﴿ فكلًّا أخذنا بذنبه ﴾ [العنكبوت : ٤٠] وقال في الوعظ : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ [الشعراء: ٢٠٥] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي ، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، ولهذا قال تعالى :

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية ، وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم . ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » - لفظ مسلم - وقوله ﷺ : « وإنما كان الذي أوتيته وحيًا » أي : الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم ، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة .

وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة ، فقال : إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله و لم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا

أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ شهداءكم ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أعوانكم ونصراءكم ، وقيل : آلهتكم ، وقيل : هي على بابها ، والمعنى : ائتوا بشهداء يشهدون لكم أن ما أتيتم به يعادل القرآن أو يقاربه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ [البقرة : ٢٤] علمٌ من أعلام النبوة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أنه لم يستطع أحد من الكافرين أن يأتي بأي سورةٍ مثل هذا القرآن ، لا في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده إلى الآن .

❋ ❋ ❋

س : بم يتقون النار ؟

ج : يتقونها بالإيمان بالله ورسله ، وطاعة الله ورسوله .

❋ ❋ ❋

س : من هم الناس ؟ وما هي الحجارة التي ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة : ٢٤] ؟ وهل للنار وقود آخر غير ما ذكر في الآية الكريمة ؟

ج : أما المراد بالناس هنا – والله أعلم – فهم الكفار الذين يموتون على

الكفر ، أما الحجارة فقد قال بعض أهل العلم : إنها حجارة الكبريت .

وقال آخرون : إنها الأصنام ، كما قال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

أما هل للنار وقود آخر غير ما ذكر: فنعم لها وقود غير ما ذُكر، منه فسقة الجن، قال الله تعالى : ﴿ .. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾ [الجن : ١٥] .

* * *

س : هل الجنة والنار مخلوقتان الآن ؟

ج : نعم مخلوقتان الآن ، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا ، نورد منها ما يلي :

● قول الله عز وجل – في شأن الجنة – : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ [الحديد : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أُعدت للكافرين ﴾ [آل عمران:١٣١].

● وقوله تعالى: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٩].

● وقوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا ﴾ [الإنسان : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٤٤) ، ومسلم (٣٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »[1] .

● ولما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : « إن له مرضعًا في الجنة »[2] .

● ومنها قول النبي ﷺ: « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »[3]

● ومنها قول رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت ربِّ أكل بعضي بعضًا ، فأذن لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير »[4] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلِّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين »[5] .

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً[6] فقال النبي ﷺ : « تدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها »[7] .

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٥٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا وله طرق أخرى صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٧٧) ، ومسلم (حديث ١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦) وَجبة أي : سقطة .

(٧) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٤) .

● وجملة أحاديث أخرى كثيرة جدًّا في هذا الباب تركنا ذكرها خشية الإطالة فمنها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعًا في عذاب القبر ونعيمه وفيه ... « أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ... » الحديث[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧) بإسناد صحيح مرفوعًا وفيه أن البراء قال :

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت =

● وحديث « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها .. »[1] الحديث .

= توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » .

(٣) أخرج أبو داود (٤٧٤٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفَّها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ ، قال : فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها =

● وحديث « أرواحهم في حواصل طيرٍ خُضرٍ تسرح في الجنة ... »[1] .

● وحديث المعراج[2].

● وحديث الرجل الذي خسف به فهو يتجلجل في النار .. الحديث .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التبشير في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا ... ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : التبشير هو : الإخبار الذي يظهر أثره على البشرة – وهي ظاهر الجلد – لتغيرها بأول خبرٍ يرد عليك ، ويستعمل التبشير غالبًا في السرور مقيدًا بالخير المبشر به وغير مقيدٍ ، بمعنى أنه قد تأتي البشارة بالخير منصوصًا عليه كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم ﴾ [يونس : ٢] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وقد تأتي مطلقة غير مقيدة بنوع التبشير ، كما في قوله تعالى : ﴿ فبشر

= فحفَّها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها » .

وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي (٣/٧) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، والحاكم (٢٧/١) .

(١) وسيأتي بتمامه في تفسير آل عمران إن شاء الله تعالى فانظره هناك عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (حديث ١٦٣) وفي آخره قال أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله ﷺ : « ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... ﴾ [الزمر : ١٨] وكما في قوله تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٤] .

● وتستعمل البشرى في الغم والشر أحيانًا ، ولكنها تكون مقيدة كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، وكما في قول النبي ﷺ : « وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »[1].

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ... وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٥] ردٌّ على فرقتين : المرجئة وطوائف من الصوفية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد يتمثل في أن الإيمان النافع قُيد بالعمل الصالح لقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحاتْ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، والمرجئة يقولون : إن لا إله إلا الله تنفع صاحبها بلا عمل ولا يشترط معها العمل ، والآية الكريمة – كما قدمنا – ربطت الإيمان بالعمل الصالح .

● ووجه الرد على طوائف من الصوفية أن بعضهم يزعم أن المجنون أعلى درجة وأرفع منزلة من المؤمن العاقل ، وهذا جهل منهم واضح ، فالمجنون – وإن قدر الله سبحانه له الجنة[2]– إلا أن المؤمن الذي يعمل الصالحات قد يفوقه بإذن الله ، وذلك لأن الله سبحانه قال : ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف : ٧٢] والمجنون لم يعمل والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ جنات ﴾ ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

ج : الجنات هي البساتين والحدائق ، وسميت بهذا الاسم ؛ لأنها تُجنُّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣) بإسناد يُحسَّن بمجموع طرقه ، والله أعلم .
وقد وردت أحاديث فيها أنه يختبر يوم القيامة وستأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

من فيها (أي : تستره بأشجارها)[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : هذه الأنهار – والله تعالى أعلم – هي الأنهار المذكورة في سورة محمد قال الله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات .. ﴾ [محمد : ١٥] .

❋ ❋ ❋

س : قولهم : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟ ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الحياة الدنيا ، ودليل هذا القول : قولهم في آية أخرى : ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ [الطور : ٢٦] فمعنى ﴿ قبل ﴾ هنا أي : في الحياة الدنيا .

الثاني : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الجنة لكن في وقت تقدم الوقت الذي قدمت لهم فيه الثمرة ، وذلك لأنهم في الجنة يرزقون ثم يرزقون فإذا أتوا بطعام وثمار في وقت فأكلوا منها ثم أُتوا بها في وقت آخر قالوا : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ يعنون : أن هذا الذي أكلناه في مرة سابقة ، لكن يجدون طعمًا آخر وإن تشابه اللون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأُتوا به متشابهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] ما معناه ؟

(١) ولا يلزم في الجنات المُعدة عند الله أن تستر من فيها عن غيره ، فقد قال تعالى : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٢٣] ، فأهل الجنة يرى بعضهم بعضًا ويتزاورون ... وإنما المراد بيان المعنى اللغوي .

ج : المراد – والله أعلم – يشبه بعضه بعضًا في المنظر لكن يختلف في المطعم . وقيل : يشبه بعضه بعضًا في الحسن ، بمعنى أن كل ما رزقوه حسن .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى في شأن النار : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين ﴾ [البقرة : ٢٤] فهل النار لا يدخلها إلا الكافرون ؟

ج : النار يدخلها الكافرون ، ويدخلها أيضًا قوم من المسلمين ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فويلٌ للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ... ﴾ [الهمزة : ١] .

وقال النبي ﷺ : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار »[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب .

إلا أن المسلمين (من قدَّر الله عليه دخول النار منهم) يدخلونها ثم يخرجون كما أخبر بذلك النبي ﷺ[2] .

أما قوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ فيحمل على وجوه :

● منها أن يُقال : إن هذه نار مخصوصة معدة للكافرين وهي التي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) وتأتي الأحاديث في ذلك في أبواب الشفاعة قريبًا إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئًا ... ﴾ [البقرة : ٤٨]

وقودها الناس والحجارة .

● أن يقال : إن هذه النار مُعدَّة للبقاء الدائم للكافرين ومن ثمَّ كانوا هم أهلها وهي مُعدَّة لهم ليس كالعابر الذي يأتيها ثم يخرج منها والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الأنهار تجري من تحت الجنات حقيقة ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن المعنى أن الأنهار تجري من تحت أشجارها ولم تذكر الأشجار ؛ لأن الجنات دالة عليها .

ولقائل أن يقول : إن الآية على ظاهرها ، والله أعلم بصفة جري الأنهار . والعلم عند الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : النهر مأخوذ من ماذا ؟

ج : النهر مأخوذ من الاتساع ، وأنهرت أي : وسعت ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ... »[1] أي : ما وسَّع الذبح حتى يجري فيه الدم كالنهر .

وهل النهر هو الأخدود بما فيه من ماءٍ يجري ؟ أم هو الأخدود فقط ؟ للعلماء في ذلك قولان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الأفصح أن يقال : (زوج) أو (زوجة) ؟

ج : الأفصح أن يُقال : (زوج) وهو الأكثر استعمالًا في كتاب الله وسنة

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (مع النووي ١٢٢/١٣) ، وأحمد (١٤٠/٤ ، ١٤٢) وغيرهم من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله ليس لنا مدًى ، فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل ، ليس الظُّفر والسن ، أما الظفر فَمُدى الحبشة وأما السن فعظمٌ » .

رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾ [الأحزاب : ٣٧] قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس : ٥٦] ومنه ما ورد في كتب السنن والمسانيد (مما لا يكاد يحصى) قولهم عن (عائشة زوج النبي ﷺ) .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما « ... وإن لزوجك عليك حقًّا »[1].

ويجوز أيضًا أن يقال : زوجة (بالتاء) ، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[2]، وفي رواية أخرى : (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة)[3].

وقال الفرزدق :

وإن الذي يسعى ليُفسد زوجتي كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها[4]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥) ومسلم (ص ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) بإسناده إلى أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال : (لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي .

(٣) الرواية الأخرى في البخاري (٣٧٧٢) .

(٤) أسد الشرى : هي أشد الأسود شراسة وضراوة ، ويستبيلها معناه : يطلب بولها .

س : قوله تعالى : ﴿ أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الحيض ، والبول ، والبزاق ، والنفاس ، والمخاط ، والغائط ، والأحقاد ، والضغائن ، إلى غير ذلك .

قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألُوَّة » .

– قال أبو اليمان[1]: يعني : العود ، ورشحهم المسك[2].

---

(١) أحد رواة الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (ص ٢١٨٠) قال ابن القيم رحمه الله : قول الله تعالى ذكره :

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كُلَّما رُزِقوا منها من ثَمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل وأُتوا به مُتشابهًا ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فتأمل جلالة المبشِّر ومنزلته وصدقه ، وعظمته وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة ، وقد بشرك به ، وضمنه لك ، وجعله أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات ، وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب ، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد ، وعدم انقطاعه .

و (الأزواج) جمع زوج . والمرأة زوج للرجل ، وهو زوجها . هذا هو .

= الأفصح ، وهو لغة قريش . وبها نزل القرآن كقوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ومن العرب من يقول : زوجة ، وهو نادر ، لا يكادون يقولونه .

وأما(المطهرة) فإن جرى صفة على الواحد ، فيجري صفة على جمع التكثير إجراء له مجرى جماعة ، كقوله تعالى : ﴿ ومساكن طيبة ﴾ [الصف : ١٢] وقولهم : قُرًى ظاهرة ، ونظائره .

و (المطهرة) من طهرت من الحيض ، والبول ، والنفاس ، والغائط ، والمخاط ، والبصاق وكل قذر ، وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة ، والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبَذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ . قال عبد الله بن المبارك : حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ من القذر ، وقال : « من الحيض والغائط والنخامة والبصاق » وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (مطهرة : لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنجسن) وقال ابن عباس أيضًا (مطهرة من القذر والأذى ، لا يبلن ، ولا يتغوطن ، ولا يمذين ، ولا يمنين ، ولا يحضن ، ولا يبصقن ، ولا يتنخمن ، ولا يلدن) وقال قتادة : (مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم) وقال عبد الرحمن بن زيد (المطهرة : التي لا تحيض ، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ، ألا تراهن يدمين ، ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال : وكذلك خلقت حواء ، حتى عصت ، فلما عصت قال الله لها : إني خلقتك ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة »[1] .

قول الله تعالى ذكره :

﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة . فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة .

* * *

(١) لا أعلم له إسنادًا يقوم به .

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بعوضة – ينقضون – الميثاق – الخاسرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
بعوضة	صغيرة البق (فالبعوض صغار البق) ، وقيل : هي الناموسة المعلومة لدى الناس[1] .
ينقضون	النقض هو حل الشيء بعد عقده .
الميثاق	العهد المؤكد باليمين .
الخاسرون	الخسران هو النقصان ، والخاسرون هم الذين نقصوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم لله عز وجل

(١) وانظر ما سيأتي في سؤال خاص بها إن شاء الله .

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : لم يصح لها سبب نزول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الحياء لا ينبغي أن يصد عن الحق وتعلمه دلِّل على ذلك ؟

ج : ابتداءً فقد جاء في فضل الحياء جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ .

- **فقد قال عليه الصلاة والسلام :** « الحياء من الإيمان »[1].
- **وقال ﷺ :** « الحياء لا يأتي إلا بخير »[2].
- **وكان النبي ﷺ** أشد حياءً من العذراء في خدرها[3].
- **وقال عليه الصلاة والسلام :** « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[4].
- **وأثنى النبي ﷺ على عثمان لحيائه** فقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »[5] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحياء .

- ولكن هذا الحياء لا ينبغي أن يصد عن معرفة الحق وتعلُّمه وتعليمه فالصحابة رضي الله عنهم أعقل الناس وأشدهم حياء بعد نبيهم ﷺ ومع ذلك لم يصدهم الحياء عن الفقه في الدين ، فقد جاءت أم سليم رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .
(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .
(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .
(٥) في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » ؟!!!

عنها امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم إذا رأت الماء »[1].

● وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له – وعائشة عنده – : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : « بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك » .

● وفي الباب أيضًا ما أخرجه مالك في الموطإ[2] من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – وهو صائم – فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم ، فعائشة العالمة الفقيهة أم المؤمنين لم يمنعها الحياء أن تعلِّم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

● وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يُجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » ، فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه من أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

● ونحوه في صحيح مسلم أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون :

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (١/٢٩٢) وإسناده صحيح .

لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة رضي الله عنها فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك ، فقالت : لا تستحِ أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » .

● فها هي أم المؤمنين الفقيهة العالمة عائشة رضي الله عنها تُعلِّم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك .

● وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياءُ من الفقه في الدين .

● وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بالشخص مسائله حتى يخرج عن الحيِّز المباح إلى المحظور المذموم فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله يؤتي الحكمة من يشاء .

❋ ❋ ❋

س : ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه بعدة أشياء اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الأشياء التي ضرب الله عز وجل بها المثل في كتابه ما يلي :

● **الذباب** قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم

الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٧٤] .

● **البعوضة** قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] .

● **العنكبوت** قال الله تبارك تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

● **الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة** ، قال الله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [إبراهيم : ٢٤ - ٢٦] .

● **العبد المملوك** قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [النحل : ٧٥] .

● **الرجل الأبكم الذي لا يقدر على شيء** قال الله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ [النحل : ٧٦] .

● **العبد الذي فيه شركاء متشاكسون** ، قال الله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجلٍ هل يستويان مثلًا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٢٩] .

● **الريح التي فيها صرٌّ** قال الله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه

الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد هذا المثل ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : ورد عن بعض أهل العلم أنهم قالوا – في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ – : هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك ، قال : ثم تلا ﴿ فلما نسوا ما ذكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[1] [الأنعام : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : قال بعض العلماء : إذا سمعت المثل من كتاب الله فلم أفهمه حزنت على نفسي فما مستنده في ذلك ؟

ج : مستنده في ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] فأفادت الآية الكريمة أن الذين يعقلون الأمثال هم العالمون فكونه لا يفهم المثل يعني أنه ليس من العالمين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (٥٥٥) ، (٥٥٦) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧١) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ، وقد تكلم بعض العلماء في رواية أبي جعفر عن الربيع ، والله أعلم .

س : ما هو المراد بالبعوضة في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة .. ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إن المراد بالبعوضة هي صغيرة البق (أي : البق الصغير) ويطلق البعوض أيضًا على الناموس المعروف عند الناس[١].

قال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقوله عز وجل : ﴿ بعوضة فما فوقها ﴾ أي : بعوضة فما زاد عليها في الجثة أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناحها ، والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق ، والبق يطلق على حيوان صغير شديد اللسع منتن الرائحة ضعيف جدًّا قد يقتله مجرد اللمس ويكون بجدران بعض الدور وفي فُرُشها ، وإذا ضُغط عليه بضاغط انفجر دمًا ، كما يطلق البق على الناموس[٢] وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر ، وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم مجوَّف ، وهو مع صغره يغوُصُ خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل قد يموت من قرصته السامة أحيانًا .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ، ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : فما فوقها فما هو أكبر منها ، ودليله قول النبي ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى : شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد سمعت أهل بعض البلدان يطلقون البق على الناموس الممتلئ دمًا .

تحط الشجرة ورقها »[1].

الثاني : فما فوقها أي : فما دونها في الحقارة ، كما يُقال مثلًا فلان جاهل فتقول هو فوق ذلك ، أي : أشد من الجاهل .

قال الفراء في معاني القرآن : فالذي (فوقها) يريد أكبر منها وهو العنكبوت والذباب ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها في غاية الصغر فأحبُّ إليَّ أن أجعل (ما فوقها) أكبر منها ، ألا ترى أنك تقول : (يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها) والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول فوقه ، فيهما أو دونه فيهما ، وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل : إن فلانًا لشريف فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد المدح ، أو يقول : إنه لبخيل فيقول الآخر : وفوق ذاك يريد بكليهما معنى أكبر ، فإذا عرفت أنت الرجل فقلت دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل ، ألا ترى أنك إذا قلت : إنه لبخيل وفوق ذاك تريد فوق البخل ، وفوق ذاك وفوق الشرف ، وإذا قلت دون ذاك فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلًا عن درجته ، فلا تقولن وفوق ذاك إلا في مدحٍ أو ذمٍّ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله عز وجل لا يستحي أن يُمثل بأي شيءٍ كان صغيرًا أو كبيرًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قوله تعالى : ﴿ يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، من قائله ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن قائله هو الله سبحانه وتعالى ، والمعنى لما قال الكفار ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلًا ﴾ فالإجابة عليهم قل إن الله يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، أي : يهدي بهذه الأمثال أناسًا كثيرين ويضل بها أناسًا كثيرين .

ومما يؤيد هذا القول قوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون * وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [المدثر : ٣١] ، فقوله تعالى : ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ من قول الله عز وجل وهو كقوله سبحانه في سورة البقرة : ﴿ يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ .

والقول الثاني : أنه من قول الكافرين ، كأنهم قالوا : ما مراد الله سبحانه وتعالى بهذا المثل الذي يفرِّق به الناس إلى ضُلالٍ ومهتدين . والله تعالى أعلم .

* * *

س : الأمثال في القرآن الكريم يُضل الله عز وجل بها فريقًا من الناس ويهدي بها فريقًا وضح ذلك ؟

ج : المثل إذا جاء في كتاب الله عز وجل ازداد به المؤمن هداية وتوفيقًا بإذن الله فإذا ضرب المثل صدق به المؤمن وعلم أنه من عند الله فيزيد الله المهتدي هدًى ويؤته تقواه أما الكافر أو المنافق والفاسق فإذا ضرب الله

عز وجل المثل ارتاب فيه وتحير وتردد في أمره واعترض فينصرف عن القرآن فيصرف الله قلبه كما قال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الفاسقون في قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : الفاسقون هم من سبق في علم الله عز وجل أنهم يموتون على الكفر . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الفسق لغة وشرعًا ؟

ج : الفسق أصله في كلام العرب الخروج عن الشيء.

يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .

وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها .

وشرعًا هو الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك سمي الفاسق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما .

وقال الله جل ذكره في صفة إبليس : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] يعني : خرج عن طاعته واتباع أمره ، هذا والفسق قد يكون بكفر وقد يكون بعصيان ، وهو الوارد في السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك فسق دون فسق ؟ اذكر أدلة على ما تقول ؟

ج : نعم هناك فسق دون فسق ، فهناك فسق بمعنى الكفر يخرج عن الملة ،

وفسق دون ذلك .

أما الأدلة على الفسق المخرج عن الملة فمنها :

● قوله تعالى في شأن قوم فرعون : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ [الزخرف : ٥٤] فلا شك أن قوم فرعون كانوا كفارًا ، وقد قال الله فيهم : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] .

● وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة : ٢٠] ، فهذا فسق مكفر ، وذلك لأن الله جل ذكره قال في الكفار : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] .

وأما الفسق الذي هو كفرٌ دون الكفر فمنه قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٤] فالفسق هنا أعم من كونه كفرًا فيدخل فيه القاذف المسلم ، ولا شك في ذلك .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جآءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] فالفسق هنا عام أيضًا .

● ومنه قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[1] فالفسق هنا غير مكفر ، ولا شك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٧٠٧٦) ، وكذلك أخرجه مسلم (٦٤) ، والنسائي (١٢٢/٧) ، وابن ماجة (٦٩) .

س : ما معنى ﴿ ينقضون ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : النقض هو إفساد ما أُبرم (من بناء أو حبل أو عهد أو غير ذلك) ومنه نقضت المرأة ضفائرها أي : حلتها بعد أن ضفرتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العهد الذي نقضه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك العهد وجوه منها :

١ – أنه العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من صلبه كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .. ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

٢ – أنه وصية الله تعالى إلى خلقه وأمرهم بطاعته ونهيهم عن معصيته .

٣ – أنه العهد الذي أُخذ عليهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ إذا بُعث فيهم كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١] .

٤ – أنه العهود التي تكون بين الناس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة الأثر الوارد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي فيه أنه حمل قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ [البقرة : ٢٧] ، على الخوارج وكيف يوجه هذا الأثر في حالة صحته ؟

ج : الأثر صحيح ، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير [١] من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه[٢] رضي الله عنه قال : الحرورية الذين قال الله : ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ [البقرة: ٢٧].

● أما بالنسبة لتوجيه الأثر : فكما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : إنه تفسير على المعنى لا أن الآية أُريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان ، فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام ، والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضًا .. انتهى الغرض مما ذكره رحمه الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي أمر الله به أن يوصل وقطعه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : أمر الله عز وجل بأن يوصل الآتي :

١ - التصديق بجميع أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فأمرنا الله أن نؤمن بهم جميعًا ولا نكفر بواحدٍ منهم ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] فمن كذَّب واحدًا من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨ ، ٢٩٣) .

(٢) وأبوه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

المرسلين فقد كذبهم جميعًا ، قال الله تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] ، وهم إنما كذبوا نبيهم .

٢ - أمر الله عز وجل أن توصل عبادته في الأرض فيعبده كل جيل في كل زمان ومكان ويقيمون شرائعه ويحفظون حدوده .

٣ - أمر الله عز وجل بوصل القول بالعمل .

٤ - أمر الله عز وجل أن توصل الأرحام فقال سبحانه : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٢ ، ٢٣] .

فقطع المفسدون في الأرض هذا كله ، فأشركوا بالله عز وجل ما لم ينزل به سلطانًا ، وناقض عملُهم قولَهم ، وقطعوا الأرحام وآمن بعضهم ببعض النبيين وكفر ببعض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة الإفساد في الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : للإفساد في الأرض صور منها :

● عبادة غير الله عز وجل ، والجور في الأفعال ، وارتكاب الكبائر وإحداث البدع والإسراف في المعاصي وسفك الدماء .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز نقض العهد مع الكفار أو الفساق ؟

ج : لا يجوز نقض العهد مع الكفار ولا مع الفساق ولا مع المؤمنين .

● قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة : ١] .

● وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ [النحل : ٩١ ، ٩٢] .

● وقال تعالى : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلًا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [النحل : ٩٤ ، ٩٥] .

● وأمر الله نبيه ﷺ إذا خاف من قوم خيانة أن ينبذ إليهم عهدهم قال تعالى : ﴿ وإما تخافن من قومٍ خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

● وقال النبي ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه ... »[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ منها حديث ابن عمر في الصحيحين (عند البخاري ٣١٨٨) ، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تكفرون بالله - استوى - فسواهن - عليم ؟

ج :

الكلمة	معناها
تكفرون بالله	تجحدون وجوده - تعبدون معه غيره .
استوى	علا وارتفع - وقيل : أقبل وقصد ، لتعديها بإلى ، والله أعلم .
فسواهن	سوى سطوحهن بالإملاس فلا اعوجاج ولا صدوع فيهن ولا فطور ، وقيل : قضاهن كما في قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت: ٢]
عليم	عالم تمام العلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] ؟

ج : في معناها قول الله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ [غافر : ١١] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم .. ﴾ [البقرة : ٢٨] استفهام ما هو المراد به ؟

ج : المراد من هذا الاستفهام التوبيخ والتعجب والتقرير فيُتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم المحجج ، ويوبخوا لذلك ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] فيه موتتان وإحياءان وضحهما ؟

ج : أرجح الأقوال لديَّ في ذلك – والله تعالى أعلم – ما يلي :

- أن الموتة الأولى هي قبل خروجهم إلى الدنيا من بطون أمهاتهم وقت أن كانوا عدمًا أو وقت أن كانوا خاملي الذكر لا يذكرون كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .
- الإحياء الأول هو خلقهم .
- والموتة الثانية هي عند انقضاء آجالهم .
- والإحياء الثاني هو إحياؤهم يوم القيامة[1]، والله تعالى أعلم .

---

(١) واختار نحوه الطبري رحمه الله تعالى : وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بيَّنَّا – =

فإن قيل : هذا لم يشتمل على الحياة التي تكون في القبر ، فالإجابة على ذلك أنها لم تذكر في هذه الآية الكريمة ؛ لأنها في حكم الحياة الدنيا أو لعلها لم يعتد بها في هذا المقام ، والله أعلم .

= بتأويل قول الله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أن معنى قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ أموات الذكر خمولًا في أصلاب آبائكم نطفًا لا تُعرفون ولا تُذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرًا سويًّا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتًا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك كما قال : ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ [المعارج : ٤٣] ، وقال : ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس : ٥١] .

وعلَّل ابن جرير رحمه الله تعالى اختياره لهذا القول بقوله (قبل أن يورده) :

١ ص ٤٢١ فأما وجه تأويل من تأول قوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ أي : لم تكونوا شيئًا فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس ، والأمر الخامل الذكر : هذا شيء ميت ، وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودُرُوس أثره من الناس ، وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حيٌّ ، وذكر حيٌّ يراد بوصفه ذلك أنه نابه متعالم في الناس كما قال أبو نُخيلة السعدي :

فأحييت لي ذكري وما كنت خاملًا ولكن بعض الذكر أنبَهُ من بعض

يريد بقوله : (فأحييت لي ذكري) أي : رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورًا حيًّا بعد أن كان خاملًا ميتًا فكذلك تأويل قول من قال في قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ لم تكونوا شيئًا أي : كنتم خمولًا لا ذكر لكم ، وذلك كان موتكم فأحياكم فجعلكم بشرًا أحياء تُذكرون وتُعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفِّي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرًا كالذي كنتم قبل الإماتة تتعارفون في بعثكم وعند حشركم . والله أعلم .

وثمَّ أقوال أخر في تفسير الإماتتين والإحياءين نورد بعضها .

● منها أن الموتة الأولى هي أثناء وجودهم في ظهر آدم عليه السلام .

والإحيـــاء الأول إخراجهم من ظهره

● والموتة الثانية هي الموت بعد أن يعيشوا ما كتبه الله لهم من عمر في الحياة الدنيا .

● والإحياء الثاني هو البعث للحساب .

● ومنها أن الموتـة الأولـى نُطفًا في أصلاب الرجال

والإحيـــاء الأول نقلهم من الأرحام

والموتة الثانية الموت في الدنيا بعد انقضاء الأجل

الإحياء الثاني الإحياء في القبر للمسألة

والموتة الثالثة هي إماتتهم في القبر

والإحياء الثالث حياة النشر إلى الحشر

فعلى هذا القول الثاني هي ثلاث إماتات وثلاث إحياءات .

وإذا انضم إليها كونهم في صلب آدم وإخراجهم من ظهره والشهادة عليهم فهي على هذا الأخير أربع موتات وأربع إحياءات .

وأضاف إليهم البعض (موتة وإحياء ليس عليهما دليل صحيح) وهما أنه سبحانه خلقهم قبل آدم كالهباء ثم أماتهم (فهي خمس إذا أضيف إليها هذا القول الذي ليس عليه دليل) وثمَّ موتة سادسة وهي للعصاة من أمة محمد ﷺ .

إذا دخلوا النار يميتهم الله عز وجل فيها إماتة ثم يحييهم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم =

س : ما مدى صحة حديث خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ؟

ج : الراجح في هذا الحديث أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى (حديث ٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ ، لكن رجَّح الإمام البخاري رحمه اللَّه أنه من حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار (وليس عن رسول الله ﷺ) وهذا هو الصحيح والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا خلق الله لنا ما في الأرض جميعًا ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : خلق اللَّه لنا ما في الأرض لنعتبر ونتعظ ونوقن بالموت وبالجزاء وبالحساب .

- ومن العلماء من يقول : خلقها اللَّه عز وجل للانتفاع بها .
- ومن العلماء من يقول : (لتتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته) .

= لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » فقال رجل من القوم : كأن رسول اللَّه ﷺ قد كان بالبادية .

● والصواب في ذلك عندي – واللَّه أعلم – أن كل ذلك وارد فمما خلقه اللَّه لنا أشياء للانتفاع ، ومما خلقه اللَّه لنا أشياء للاعتبار والاتعاظ ، ومما خلقه اللَّه لنا أشياء لنتقوى بها على طاعته سبحانه وننزجر بها عن معصيته واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن الأصل في الأشياء المخلوقة هو الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل هل من دليل يشهد لهم على صحة ما ذهبوا إليه ؟

ج : الدليل هو قوله تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه ﴾ [الجاثية : ١٣] واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أيهما خُلق أولًا الأرض أم السماء ؟

ج : نورد هنا أولًا – بمشيئة اللَّه تعالى – جملة الآيات التي يمكن أن يُستدل بها في هذا الباب .

الآية الأولى ● قال اللَّه تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] .

الآية الثانية ● قول اللَّه تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى

السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] .

الآية الثالثة ● وقال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] .

الآية الرابعة ● وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

الآية الخامسة ● وقال تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

هذا غاية ما يمكن أن يُستدل به في هذا المقام ، وبالنظر في مجمل هذه الأدلة لم يتضح لي منها أيهما خُلق أول على وجه التحديد الدقيق فغاية ما يستفاد منها لدي ما يلي :

الآية الأولى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] يُستفاد منها أن خلق ما في الأرض جميعًا كان قبل تسوية السموات[1] .

الآية الثانية*: وهي قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم

---

(١) وهذا إذا اعتبرنا أن (ثمَّ) هنا تفيد الترتيب الزمني .

استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ٩ - ١١] .

تُفيد هذه الآية الكريمة أن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كان قبل الاستواء إلى السماء وهي دخان .

● لكن لنا عند هذه الآية الكريمة وقفة تتلخص في الآتي :

● أن الأرض خلقت في يومين كما قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ .

● أن جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها وتقدير الأقوات فيها كل ذلك كان في أربعة أيام كما قال تعالى : ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقَدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ .

لكن ينشأ هنا سؤال ألا وهو : هل الأربعة أيام تبدأ من ابتداء خلق الأرض أم بعد اليومين اللذين خلق اللّه عز وحل فيهما الأرض ؟

● فإن قلنا بالأول فيستقيم لنا القول إلى حدٍّ ما فيكون خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كل ذلك في أربعة أيام .

وقضاء السموات السبع كان في يومين فيكون الإجمالى ستة أيام ، وقد قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

● وإن قلنا بالثاني تكون الأرض خلقت في يومين ، وتقدير الأقوات في أربعة أيام ثم يأتي قضاء السموات في يومين فيكون الإجمالي ثمانية أيام ، وهذا لا يوجد له مستند صحيح - فيما علمت - بل المستند يعارضه وهو قوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ إلا أن يُقال : إن خلق السموات وكونها كانت دخانًا كان قبل خلق الأرض لقوله تعالى :

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ فهذا له وجه والله أعلم .

الآية الثالثة : وهي قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ... ﴾ [النازعات : ٢٧] تُفيد أن بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإخرج ضحاها كان قبل دحو الأرض .

أما الآية الرابعة : فليس فيها دليل واضح يُحدد أيتهما خلق أول .

والآية الخامسة : تفيد أنهما كانتا رتقًا (أي : ملتصقتين) .

هذا غاية ما ظهر لي من أدلة من كتاب الله عز وجل يمكن أن يستشهد بها وهذه أوجه الاستشهاد التي ظهرت لي منها وها هي أيضًا أقوال بعض العلماء في هذا الباب ، وبالله التوفيق .

● أخرج البخاري[1] في صحيحه من طريق المنهال عن سعيد قال : **قال رجل لابن عباس :** إني أجد في القرآن أشياء يختلف عليَّ ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

وقال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام : ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية وقال : ﴿ أم السماء بناها – إلى قوله دحاها ﴾ [النازعات : ٢٧–٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين – إلى طائعين ﴾ [فصلت : ٩ –١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى ﴿ وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ٩٦] ﴿ عزيزًا حكيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] ﴿ سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى ، ثم يُنفخ في الصور ﴿ فصعق من في

---

(١) وصله البخاري رحمه الله تعالى بعد إيراد الحديث وذلك (مع الفتح ٨/٥٥٥ – ٥٥٦) .

السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ﴾ [الزمر : ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة ﴿ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ ولا يكتمون اللَّه ﴾ فإن اللَّه يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرف اللَّه لا يكتم حديثًا ، وعنده ﴿ يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض ﴾ [النساء : ٤٢] ، وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿ دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين ﴿ وكان اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥] سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله أي لم يزل كذلك ، فإن اللَّه لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلًّا من عند اللَّه .

● **وذكر الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه جملة الآيات ثم قال :** وفي هذا دلالة على أنه ابتدأ بخلق الأرض أولًا ثم خلق السموات سبعًا ، وهذا شأن البناء أن يُبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك ، وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء اللَّه ، فأما قوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقًا أما السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ – ٣٣] فقد قيل : إن ثمَّ ههنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر .

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل : إن الدحي كان قبل خلق السموات .

ثم قال ابن كثير رحمه اللّه بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ... ﴾ [فصلت : ١١] وقوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ [فصلت : ٩] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، وهذا مما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض ، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها ﴾ قالوا : فذكر خلق السماء قبل الأرض **وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء ، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء ، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا و حديثًا** ، وقد حررنا ذلك في سورة النازعات ، وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كانت مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها ، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة ، واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

● **أما القرطبي رحمه اللّه تعالى** فذكر أقوالًا وختمها بقوله : فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل ، واللّه أعلم بما فعل .

وقال ابن جزي الكلبي في تفسيره : فائدة : هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾

ظاهره خلاف ذلك والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار والله أعلم .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير : وقد استدل بقوله تعالى : ﴿ ثم استوى ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء ، وكذلك الآية التي في حم السجدة[1] وقال في النازعات : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ﴾ فوصف خلقها ثم قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فكأن السماء على هذا خلقت قبل الأرض ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ [الأنعام : ١] وقد قيل: إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ، ودحوها متأخر، وقد ذكر نحو هذا جماعة من أهل العلم ، وهذا جمع جيد لا بد من المصير إليه ولكن خلق ما في الأرض لا يكون إلا بعد الدحو[2] ، والآية المذكورة هنا دلت على أنه خلق ما في الأرض قبل خلق السماء ، وهذا يقتضي بقاء الإشكال وعدم التخلص منه بمثل هذا الجمع .

● **وقد أورد صديق حسن خان في كتابه (فتح البيان)** قول الشوكاني هذا ثم قال : ذكر رحمه الله في السورتين المذكورتين أن (ثمَّ)[3] للتراخي الرتبي لا للتراخي الزماني ، أو أن (بعد) بمعنى مع

---

(١) يعني فصلت والمراد بالآية قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ الآيات .

(٢) لا يلزم ذلك فالله على كل شيء قدير .

(٣) **قال الرازي رحمه الله تعالى (التفسير الكبير ٢ / ١٤٣) :** الصحيح أن قوله (ثم) ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم ، مثاله قول الرجل لغيره : أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا ، =

كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أو أنها بمعني قبل كقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] أي : من قبل الذكر فيزول ما ذكره رحمه اللّه تعالى من بقاء الإشكال .

وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقد ظن بعض الناس في قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ حسبوا أنه يدل على أن الأرض مخلوقة بعد السماء ، وهو فهم خاطىء لأن قوله عز وجل ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] أي مع ذلك لأن قوله هنا بعد ذلك فبعد تستعمل بمعانٍ منها (مع) الذي هو المراد هنا وكأنه يقول إن في خلق السموات والأرض آيةٌ بينةٌ كافية شافية في قدرة اللّه على كل شيء ، ومع ذلك فقد خلق الأرض فهي آية أخرى كافية شافية وقد استعمل[1] القرآن كلمة بعد بمعنى (مع) في قوله عز وجل : ﴿ عتلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم: ١٣]، أي غليظ جافٍ ومع ذلك فهو زنيمٌ أي: دَعِيٌّ، ولا شك أن هذا الوصف بكونه زنيمًا عرف فيه قبل وصفه بالأوصاف السابقة إذ نسب إلى ذلك عندما جاءت به أمه لعنه اللّه[2] وصريح القرآن ناطق بأن اللّه خلق الأرض قبل خلق السموات في

= واللّه أعلم .

● **وقال الزمخشري في الكشاف :** (ثمَّ) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [البلد : ١٧] .

(١) كلمة (استعمل القرآن) ، أو (يقول القرآن) لم أعهدها مستعملة في قول النبي ﷺ ولا في أصحابه رضي اللّه عنهم ، فالذي أراه – واللّه أعلم – أنها تبدل بالوارد في السنة وفعل الصحابة رضي اللّه عنهم كأن يقول قال اللّه في كتابه الكريم ونحو ذلك ، واللّه أعلم .

(٢) سيأتي بيان ما في هذا في محله إن شاء اللّه .

أكثر من مقامٍ في الذكر الحكيم .

قلت : وثم قول آخر يتألق بدليله ألا وهو أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين فانفصلت إحداهما عن الأخرى ، انفصلت السماء على أنها دخان ، والدليل على هذين قوله تعالى : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وكما قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] فتمت بعض الأعمال في الأرض ثم استوى ربنا سبحانه إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات ، وبعد ذلك دُحيت الأرض ، واللَّه أعلم بما فعل وأحكم ، ورد العلم إليه أولى وأسلم .

❋ ❋ ❋

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] على تحريم أكل الطين فما هو وجه استدلالهم وما مدى صحته ، وما هو حكم أكل الطين على الصحيح ؟

ج : أما وجه استدلالهم فهو أنهم قالوا : إن اللَّه تعالى خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي .

أما حكم أكل الطين فهو محرم – واللَّه أعلم – لكونه مضرٌّ بالصحة ، ولأنه ليس من الطيبات من الرزق .... إلى غير ذلك ، واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (استوى) في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ ؟

ج : ابتداء من أهل العلم من سكت عن تفسير الاستواء في هذه الآية

الكريمة ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : **نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها** ، ونقل عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه قال – وقد سأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] قال مالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1]، أخرجوه .

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى تأويلها والتماس معانيها ، ولهؤلاء جملة أقوال في تفسيرها أشهرها قولان :

الأول : استوى هنا بمعنى علا وارتفع واستدل أصحاب هذا القول بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] وبقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ... ﴾ [الزخرف : ١٣] .

. وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وعددٍ من المفسرين .

● وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : أي : ارتفع إلى السماء .

الثاني : أن استوى هنا معناه قصد ، وهذا اختيار طائفة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] أي : قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّي بإلى .

● وذكر الماوردي رحمه الله في تفسيره (النكت والعيون) أربعة معان أخر للاستواء .

---

(١) نقله عنه غير واحد منهم الطبري رحمه الله .

● وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره : (استوى) ترد في القرآن على ثلاثة معان فتارة لا تعدى بالحرف فيكون معناها الكمال والتمام كما في قوله عن موسى ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [القصص : ١٤] وتارة تكون بمعنى (علا) ، و (ارتفع) وذلك إذا عُدِّيت بـ (على) كقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، و ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ [الزخرف : ١٣] وتارة تكون بمعنى (قصد) كما إذا عُدِّيت بـ (إلى) كما في هذه الآية ، أي : لما خلق الله تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها .

ويجدر بنا أن ننقل قول الطبري رحمه الله تعالى في هذا المقام[1].

قال رحمه الله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : « ثم استوى إلى السَّماء » .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلًا على فلان ، ثم استوى عليَّ يشاتمني – واستوى إلي يشاتمني . بمعنى أقبل عليَّ وإليَّ يشاتمني . واستُشْهِد على أنَّ الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :

أَقُولُ وقد قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى سَوَامِدَ، واسْتَوَيْنَ مِنَ الضُّجُوعِ[2]

---

(١) وهذه الإطالة لأن كلمة (استوى) ستكرر كثيرًا فحتى لا أرجع إلى الإطالة في تأويلها أطلت في هذا المقام وما توفيقي إلا بالله .

(٢) البيت لتميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثواني » مكان « سوامد » . وشرورى : جبل بين بني أسد وبني عامر ، في طريق مكة إلى =

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضَّجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى : أقبلن . وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « واستوين من الضجوع » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمن عليه .

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد : تحوَّل فِعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعني به : استوت] .

كما قال الشاعر :

أقولُ له لمَّا اسْتَوى في تُرَابه عَلَى أَيِّ دِين قتَّل النَّاس مُصْعبُ

وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها . وقال : بل كلُّ تارك عملًا كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوٍ لما عمدَ له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوُّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس .

حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « ثم استوى إلى السماء » . يقول : ارتفع إلى السماء[1].

ثم اختلف متأوِّلو الاستواء بمعنى العلوِّ والارتفاع ، في الذي استوى إلى السماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها

= الكوفة . والضجوع – بفتح الضاد المعجمة – : موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد . سمدت الإبل في سيرها : جدت وسارت سيرًا دائمًا ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوائب لا يلحقهن كلال . والنون في « قطعن » للإبل . قاله أحمد شاكر رحمه الله.

(١) ضعيف لقوله حُدثت .

ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخانُ الذي جعله الله للأرض سماء .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوَّته ، فيقال إذا صار كذلك : قد استوى الرَّجُل . ومنها : استقامة ما كان فيه أوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أوَدٍ ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم :

طالَ على رَسْمِ مَهْدَدٍ أبَدُهْ وعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُه

يعني : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بَعد الإحسان إليه . ومنها : الاحتياز والاستيلاء ، كقولهم : استوى فلانٌ على المملكة . بمعنى : احتوى عليها وحازَها . ومنها : العلوّ والارتفاع ، كقول القائل : استوى فلان على سريره . يعني به : علوَّه عليه .

وأوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن ﴾ ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنَّ بقدرته ، وخلقهنَّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه – إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك – أن يكون إنما علَا وارتفع بعد أن كان تحتها – إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر . ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبلَ ، أفكان مدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوَّ مُلْك وسُلْطان ، لا علوَّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد

قول كل قائل قال في ذلك قولًا ، لقول أهل الحق فيه مخالفًا . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال متقاربة ، منها :

- سوى سطوحهن بالإملاس .
- وقيل : جعلهن سواء .
- وقيل : قضاهن ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] .
- وقيل : عدل خلقهن فلا اعوجاج فيها ولا فطور[1] ولا صُدوع .
- وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ فإنه يعني : هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن ، والتسوية في كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة كما يقال : سوَّى فلان لفلانٍ هذا الأمر إذا قوَّمه وأصلحه ووطَّأه له ، فكذلك[2] تسوية الله جل ثناؤه سماواته تقويمه إياهن على مشيئته وتدبيره لهن على إرادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم عدة آيات تُفيد أن السموات سبع منها قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ﴾ [الملك : ٣] وقال تعالى :

---

(١) الفطور : التشققات ، ومنه تفطرت قدماه ... ، وقوله تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ [الملك : ٣] .

(٢) كذا قال ، وهي مع الفارق ولا شك .

﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ [المؤمنون : ٨٦] إلى غير ذلك من الآيات وكذلك من الأحاديث في حديث المعراج ما يشهد لكون السموات سبع إلى غير ذلك من الأحاديث ، فهل من دليل يفيد أن الأرضين سبع ؟

ج : أما من كتاب الله عز وجل فلا أعلم دليلًا صريحًا على أن الأرضين سبع إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] وهذا إذا أريد بالمثلية هنا المماثلة في العدد .

● أما من السنة فمن الأدلة التي تشير إلى ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ظلم من الأرض شيئًا طُوِّقه من سبع أراضين »[1].

❋ ❋ ❋

س : أين الله ؟ اذكر الأدلة على ما تقول .

ج : الله سبحانه وتعالى في السماء مستوٍ على العرش ، أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة منها أدلة من كتاب الله وأدلة من سنة رسول الله ﷺ أما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦،١٧] .

● قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم (١٦١٠) .

● قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل : ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ [الفرقان: ٥٩] .

● قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

● قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل : ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

أما الأدلة من السُّنة ففي غاية الكثرة أيضًا نورد منها :

● قول النبي ﷺ : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً ... » الحديث[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري =

● ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى حديث (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » ، قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه ، قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : **زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .**

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي » . أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ، ومسلم (٢٧٥١) .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري رحمه الله تعالى (٧٤٢٣) عن النبي ﷺ قال : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة هاجر في سبيل الله

= رضي الله عنه قال : بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديم مقروظ. لم تحصل من ترابها . قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصنٍ ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن عُلاثة وإما عامر بن الطفيل . فقال رجلٌ من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤُلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجلٌ غائر العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة . كث اللحية . محلوق الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! اتق الله . فقال : « ويلك ! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال : ثم ولى الرجل . فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا . لعله أن يكون يُصلي » . قال خالدٌ : وكم من مصل يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني لم أُومر أن أنْقُبَ عن قلوب الناس . ولا أشق بطونهم » قال : ثم نظر إليه وهو مقفٍّ فقال : « إنه يخرج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتلون كتاب الله . رطبًا لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . قال : أظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » .

أو جلس في أرضه التي ولد فيها » ، قالوا : يا رسول الله أفلا ننبىء الناس بذلك قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[1] وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة » .

● قول النبي ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

● قول النبي ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر **ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم** كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » . أخرجه البخاري (حديث ٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) .

● قول النبي ﷺ للجارية : **« أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله فقال النبي ﷺ : « أعتقها فإنها مؤمنة »** . أخرجه مسلم (حديث ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه به .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (ص ١٠٦٠) وفيه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها (وفي رواية : إلى فراشه) فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها » .

أخرج مسلم[2] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حجة النبي

---

(١) ومن المعلوم أن الجنة في السماء وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله بما فيه كفاية .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال : ... « وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس « اللهم اشهد اللهم اشهد » (ثلاث مرات ...) الحديث .

● وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها ... : وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين[1]... الحديث .

● وأخرج البخاري[2] رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد [3] إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل » .

● وأخرج مسلم في صحيحه[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ » [المؤمنون : ٥١] .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة: ١٧٢]

● ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) .

(٣) هكذا في هذه الرواية للبخاري ، وفي رواية البخاري الأخرى ورواية مسلم (١٠١٤) : « ولا يقبل » .

(٤) حديث (١٠١٥) .

يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » .

● وأخرج مسلم[1] رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

● ومنها حديث مالك بن صعصعة[2] رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان – وذكر يعني رجلًا بين الرجلين – فَأُتِيتُ بطستٍ من ذهب ملآن حكمةً وإيمانًا ، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن ، ثم غسل البطن بماءِ زمزم ، ثم ملىء حكمةً وإيمانًا وأُتيت بدابةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار : البراق ، فانطلقت مع جبريل ، حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ؛ ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابن ونبي . فأتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك . قال : محمد ﷺ ، قيل : أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على عيسى ، ويحيى ، فقالا : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (حديث ١٦٤) .

نعم . قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء. فأتيت على يوسف فسلمت ، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي . فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الخامسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتينا على هارون ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا على السماء السادسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ، نعم المجيء جاء . فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فلما جاوزت بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب ، هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي . فأتينا السماء السابعة ، قيل : من هذا ؟ : قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ . فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملكٍ ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم فرضت علي خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضت علي خمسون صلاة . قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أمتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله . فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل

عشرًا فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسًا فأتيت موسى فقال : ما صنعت ، قلت : جعلها خمسًا فقال مثله قلت : فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرًا » .

وأخرج البخاري (حديث ٦٤٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم عز وجل – وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول : كيف لو رأوني : قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا . قال : يقول : فما يسألوني ؟! قال : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا ،وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم » .

وأخرج البخاري[1] رحمه الله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٠٠) .

خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرَفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء » .

وأخرج البخاري (حديث ١١٤٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ومسلم حديث (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » .

❋ ❋ ❋

س : وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالعلم في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عالم غيب السموات والأرض ﴾ [فاطر : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ [هود : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [الرعد : ٨] .

●وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ [القصص : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧].

✵ ✵ ✵

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] ؟

ج : أوجز الطبري رحمه الله تعالى القول في هذا فقال في تفسيره ص٤٣٧ : فمعنى الكلام إذًا : هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعًا وسخره لكم تفضلًا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغًا في دنياكم ومتاعًا إلى موافاة آجالكم ودليلًا لكم على وحدانية ربكم ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه ، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه .

✵ ✵ ✵

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٣٠

س : اذكر معاني هذه الكلمات : جاعل - يسفك الدماء - نسبح بحمدك - نقدس لك ؟

ج :

الكلمة	معناها
جاعل	خالق
يسفك الدماء	السفك هو الصب ولا يكون إلا في الدماء - والمراد بسفك الدماء : القتل والله أعلم
نسبح بحمدك	ننزهك عن كل ما لا يليق بك ونحمدك إذ وفقتنا له أو نقول : (سبحانك اللهم وبحمدك) أو سبحان الله وبحمده ، نمزج الحمد بالتسبيح - نسبحك ونحمدك
نقدس لك	نطهرك من كل ما يصفك به أعداؤك من كل ما لا يليق بك .

* * *

س : ما هو اتصال هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .... ﴾ [البقرة : ٣٠] بالآيات التي قبلها ؟

ج : قال القاسمي رحمه اللّه تعالى في محاسن التأويل في الفوائد المستنبطة من هذه الآية : الرابع : تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا ، فإذا كان الملأ الأعلى قد مُثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين ، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل اللّه الملائكة المقربين ، أي فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين ، وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب[1] ، وكونه لا ريب فيه ، والرسول ، وكونه يُبلغ وحي اللّه تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيها .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون هناك ترابط بين معنى الآية والآية التي تليها ، وتكون هناك مناسبة لذكر آية بعد آية ؟

ج : قد يلزم ذلك في بعض الأحيان ويكون هناك صلة قوية ومناسبة لائقة لإيراد آية بعد آية تمم معناها وتوضح مبناها وتفسر ما غمض منها وتزيل ما أشكل فيها إلى غير ذلك من المناسبات التي تربط الآيات بعضها ببعض هذا في كثير من الأحيان ، لكن لا يستلزم أن يكون هذا موجودًا في كل الأحيان فأحيان تكون الآية الجديدة تبدأ بمعنى جديد لا علاقة له بالمعنى الذي سبقه ، ولندع المجال للشوكاني رحمه الله حيث ذكر في فتح القدير ما نصُّه[2] .

---

(١) أي القرآن ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] .

(٢) فتح القدير (١/٧٢) .

اعلم أن كثير من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأى المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب اللّه سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته ، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرَّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إلى أن قبضه اللّه عزّ وجل إليه ، وكل عاقل فضلًا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالًا ، وتحليل أمر كان حرامًا ، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله ، وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحينًا في عبادة ، وحينًا في معاملة ، ووقتًا في ترغيب ، ووقتًا في ترهيب ، وآونة في بشارة ، وآونة في نذارة ، وطور في أمر دنيا ، وطورًا في أمر آخرة ، ومرة في تكاليف آتية . ومرة في أقاصيص ماضية ؛ وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي ، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور ، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف ، تقرَّر عنده أن هذا أمر لا بد منه ،

وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة ، وتبين الأمر الموجب للارتباط ؛ فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك ، فوجده تكلفًا محضًا ، وتعسفًا بينًا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة ، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف ؛ فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك ، ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول ، المطلعين على حوادث النبوَّة ، فإنه ينثلج صدره ، ويزول عنه الريب ، بالنظر في سورة من السور المتوسطة ، فضلًا عن المطوَّلة لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوداث مختلفة ، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب ، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أوَّل ما نزل – ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] – وبعده – ﴿ يا أيها المدثر ﴾ [المدثر : ١] – ﴿ يا أيها المزمل ﴾ [المزمل : ١] – وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف ؟ وإذا كان الأمر هكذا ، فأيُّ معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدَّم في ترتيب المصحف ما أنزله اللَّه متأخرًا ، وتأخر ما أنزله اللَّه متقدمًا ، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدَّى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس ، وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاء ، وحينًا نسيبًا وحينًا رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة ، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ، ثم تكلف تكلفًا

آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك ؛ وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك ، لعدَّ هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله ؛ وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر ، فكيف تراه يكون في كلام اللّه سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيٌّ ، وأنزله بلغة العرب ، وسلك فيه مسالكهم في الكلام ، وجرى به مجاريهم في الخطاب . وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة ، وطرائق متابينة فضلًا عن المقامين ، فضلًا عن المقامات ، فضلًا عن جميع ما قالهْ ما دام حيًّا ، وكذلك شاعرهم . ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام ههنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام ، فإذا قال متكلف : كيف ناسب هذا ما قبله ؟ قلنا : لا كيف .

فدع عنك نهبًا صيح في حجراته وهات حديثًا ما حديث الرواحل

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في (إذ) عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : العامل فيها (واذكر)[1] ، والمعنى : واذكر يا محمد إذ قال ربك

---

(١) هذا هو رأي الأكثر ، وبعض العلماء يقول : العامل فيه : وابتدأ خلقكم بقوله سبحانه للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وثم قول ثالث وهو اعبدوا ربكم الذي خلقكم .. إذ قال للملائكة .... واللّه أعلم .

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قال صديق حسن خان في فتح البيان بعد أن أورد ما ذكرته : وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله ، وقيل : إذ زائدة والأول أوجه[1] قلت : يعني رحمه اللّه : أن كل ما فيه (إذ ..) فالعامل فيه واذكر ، وهذا الذي ذكره صديق حسن خان رحمه اللّه هو قول البغوي رحمه اللّه في تفسيره .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (إذ) وما الفرق بين (إذ) ، و (إذا) ؟

ج : قال البغوي رحمه اللّه تعالى في تفسيره : و (إذ) ، و (إذا) حرفا توقيت إلا أن (إذ) للماضي ، و (إذا) للمستقبل ، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر ، قال المبرد : إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضيًا كقوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ [الأنفال: ٣٠] يريد (وإذ مكروا) ، وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلًا كقوله : ﴿ فإذا جاءت الطامة ﴾ [النازعات : ٣٤] ﴿ إذا جاء نصر اللّه والفتح ﴾ [النصر : ١] أي : يجيء ، واللّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الملائكة ؟

ج : هم عباد مكرمون لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ،

---

(١) هكذا تلطّف صديق حسن خان رحمه اللّه مع من قال : إنها زائدة يعني : (إذ) بينما اشتد نكير غيره على من قال : إنها زائدة ، قال القرطبي رحمه اللّه : وأنكر هذا القول (أي : القول بأن (إذ) زائدة) الزّجاجُ والنحاس وجميع المفسرين ، قال النحاس : وهذا خطأ لأن (إذ) اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزاد ، وقال الزجاج : وهذا اجترام من أبي عبيدة (قلت) ورده الطبري أيضًا واستفاض في الرد ، وقال ابن عطية : وكذلك رد عليه جميع المفسرين .

يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، خلقهم الله عز وجل من (نور) كما قال النبي ﷺ[1] .

● خلقهم الله عز وجل أقوياء أمناء كما قال سبحانه عن جبريل (وهو أحدهم) : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ ، ٢٠] .

● وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ – قال في شأن جبريل –: «لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين – رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»[2] .

● وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « جاءني جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » ، فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » .

● والملائكة أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع فمنها ما له جناحان ومنها ما له ثلاث ومنها ما له أربع كما قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ [فاطر : ١] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٩٤) ، وأحمد (٦/١٥٣ و ١٦٨) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٧) ، والبخاري (٤٨٥٥) وغيرهم وتعني بالمرتين المرتان المذكورتان في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلةً أُخرى ﴾ .

(٣) البخاري حديث (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

● والملائكة في أعمالهم متخصصون فمنهم من يحف مجالس الذكر ، ومنهم ملك الجبال ، ومنهم ملائكة موكلة بحفظ أعمال العباد من خيرٍ أو شرٍّ ، ومنهم خزنة السماء ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم ملائكة تبلغ رسول الله ﷺ صلاة من صلى عليه وتسليم من سلم عليه ، ومنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم رسل الله إلى عباده المرسلين ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من وكِّل بالنفخ في الصور ، ومنهم من يقاتل ، ومنهم من يؤيد المقاتلين المسلمين .. إلى غير ذلك من الأعمال ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو الخليفة المذكور في قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : المراد بالخليفة هنا – واللَّه أعلم – آدم عليه السلام ، وهذا رأي أكثر أهل العلم ، حتى قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : والمعني بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام ، وهو خليفة اللَّه في إمضاء أحكامه وأوامره أما الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى فاعترض على ما ذكره القرطبي رحمه اللَّه فقال : إني جاعل في الأرض خليفة أي : قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرنٍ وجيلًا بعد جيل كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [فاطر : ٣٩] وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [النمل : ٦٢] وقال : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ [الزخرف : ٦٠] وقال : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ [مريم : ٥٩] وقرىء في الشاذ (إني جاعل في الأرض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره ، ونقله القرطبي عن زيد بن علي ، وليس المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين ، وعزاه القرطبي إلى ابن

عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر ، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره ، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان ذلك لما حسُن قول الملائكة[1] : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ... إلى آخر ما قال رحمه اللّه ، قلت : فيتحصل : أن المراد بالخليفة لأهل العلم فيه قولان .

أشهرهما أنه آدم ﷺ فهو خليفة اللّه في أرضه في تنفيذ أوامره[2] وهذا قول الأكثرين ، والثاني : أن خليفة (مفرد) أريد به الجمع ، والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ [القمر : ٥٤] يعني : وأنهار[3] بدليل قوله تعالى : ﴿فيها أنهار من ماء غير آسنٍ ﴾ [محمد : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقوله تعالى : ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] وقول العباس بن مرداس السلمي :

فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد سلمت من الأرض الصدور

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة التميمي :

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقول الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفو ... فإن زمانكم زمن خميص

---

(١) وهذا تعليل ضعيف من الحافظ ابن كثير رحمه اللّه تعالى .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد .

(٣) ذكره الشنقيطي رحمه اللّه تعالى (أضواء البيان ص١/٥٧) وقال بعد ذكره : ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن علَّفة المري :

وكان بنو فزارة شر عمٍّ ... وكنت لهم كشرِّ بني الأخينا

س : قوله تعالى : ﴿ خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] يقتضي أن هذا الخليفة يخلف غيره في الأرض ، فمن الذي يخلفه الخليفةُ في الأرض ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

- أنه خليفة اللَّه عز وجل في أرضه في تنفيذ أوامره .
- وقيل : إنه خليفة لقومٍ من الجن كانوا يسكنون الأرض قبله .
- وقيل : إنه خليفة لقوم من الملائكة كانوا يسكنون الأرض ، وأولى هذه الأقوال هو الأول لأنه لم يرد لنا نص من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه ﷺ يفيد أن هناك جنًّا أو ملائكة كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام ، وإنما هي أخبار إسرائيلية[1]، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س : هل يجب نصب خليفة للناس ؟

ج : رأى أكثر العلماء وجوب نصبه ، وقال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم .. ، ثم قال رحمه اللَّه تعالى : ودليلنا قول اللَّه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة: ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٣٢٢) من طريق علي بن محمد الطنافسي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد اللَّه بن عمرو قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث اللَّه جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فقال اللَّه تعالى للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قال تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي يظهر لي أن هذا من الإسرائيليات ، واللَّه تعالى أعلم .

خليفة في الأرض﴾ [ص : ٢٦] وقال : ﴿ وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ [النور : ٥٥] أي : يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات .

وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من كفار قريش ، ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريشٍ ، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ، ولقال قائل : إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمرٍ غير واجب ، ثم إن الصديق رضي اللَّه عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك ، فدلَّ على وجوبها وأنها ركنٌ من أركان الدين الذي به قوام المسلمين ، والحمد للَّه رب العالمين .

قلت : فتتلخص الأدلة على وجوب نصب الخليفة في الآتي .

● أولًا : إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ، ومنهم الخلفاء الراشدون مع قول النبي ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين »[1] .

● ثانيًا : آيات يُستأنس بها مثل قوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ [ص : ٢٦] .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٠٧) ، وابن ماجه (حديث رقم٤٢) ، والترمذي (حديث ٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وابن أبي عاصم في السُّنة (حديث ٥٤ و ٥٥) ، والدارمي (٤٤/١ - ٤٥) ، وابن حبان (موارد الظمآن ١٠٢) ، والحاكم (٩٥/١ - ٩٦) وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة .

● ثالثًا : حاجة الناس إلى الخليفة لإقامة فرائض الله عز وجل وحدوده وأمور الدين ومصالح العباد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُختار الإمام ؟

ج : ذكر العلماء لذلك أمورًا منها :

● ورود نصٍّ عن رسول اللَّه ﷺ في تحديده .

● اكتمال خصال الإمامة فيه واختيار أهل الحل والعقد له .

● أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

● أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذٍ من شق عصا المسلمين وإراقه دمائهم .

❋ ❋ ❋

س : هل نص رسول اللَّه ﷺ على استخلاف أحدٍ بعده ؟

ج : لا نعلم نصًّا صريحًا عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب .

● وقد احتج قوم لكون رسول اللَّه ﷺ أوصى لأبي بكر رضي اللَّه عنه بأدلة منها :

● قول النبي ﷺ : « مروا أبا بكر فليصل بالناس »[1] .

● قول النبي ﷺ للمرأة التي جاءت تسأله حاجة فقال لها : « ائتيني من

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨) ، ومسلم (حديث ٤٢٠) ، وأحمد (٤/٤١٢- ٤١٣) وغيرهم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال : مُروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فعادت فقال : « مُري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف »، فأتاه الرسول[1] فصلى بالناس =

---

(١) يعني : الرسول الذي أرسله إليه رسول اللَّه ﷺ .

العام المقبل ، قالت : إن لم أجدك يا رسول اللَّه ؟ قال : « ائتي أبا بكر »[1] .

● قول النبي ﷺ لعائشة : « ادعي لي أباك وأخاك .. إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر »[2] .

وكل هذه الأدلة ليست صريحة في استخلاف أبي بكر رضي اللَّه عنه .

● واحتج قوم لكون النبي ﷺ أوصى لعلي رضي اللَّه عنه بأدلة منها حديث : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه »[3] .

= في حياة النبي ﷺ .

● وأخرج البخاري (٦٧٩) ، ومسلم (٤١٨) من طرق عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : إن رسول اللَّه ﷺ قال في مرضه : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » قالت عائشة : قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُر عمر فليصل للناس .... الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٩) ، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه قال : أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدْك كأنها تقول الموت – قال ﷺ : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

(٢) أخرج البخاري (٥٦٦٦) ، ومسلم مختصرًا (٢٣٨٧) واللفظ للبخاري من طريق القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضي اللَّه عنها : وارأساه فقال رسول اللَّه ﷺ : « ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت عائشة : واثكلياه ، واللَّه إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرِّسًا ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ : « بل أنا وارأساه لقد هممت – أو أردت – أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون » ، ثم قلت : يأبى اللَّه ويدفع المؤمنون أو يدفع اللَّه ويأبى المؤمنون .

وهذا الإسناد ظاهره الإرسال لكن له شاهد عند أحمد (٦/٢٢٨) ولمزيد بحث انظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٥/٣٦٦) ، والنسائي في الخصائص (٨٣) وغيرهم ، وله جملة طرق انظرها في المسند للإمام أحمد (١/٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢) والسنة لابن أبي عاصم (٢/٦٠٤) .

● وقول النبي ﷺ لعلي أيضًا : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى »[1] .

● وإرسال رسول الله ﷺ عليًّا بعد أبي بكر يؤذن في الناس ببراءة وكل هذه أيضًا ليست صريحة في استخلاف علي رضي الله عنه ، وأقواها من ناحية الاستدلال حديث : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ، إلا أنه كان استخلافًا خاصًّا على المدينة لما خرج رسول الله ﷺ للغزو ، والنبي ﷺ استخلف على المدينة غيره أيضًا في غزوات أخر .

● والأمر على ما ذكره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قالوا له في مرض موته – بعد أن طُعن – : استخلف يا أمير المؤمنين ، قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر رضي الله عنه ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[2] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي شروط الإمامة (الإمامة العظمى للمسلمين) ؟

ج : ذكرها القرطبي رحمه الله تعالى فقال : وهي أحد عشر :

الأول : أن يكون من صميم قريش لقوله ﷺ : «الأئمة من قريش»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٨) ، وأحمد (١/١٨٢) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) ومن المعلوم أن عمر رضي الله عنه لم ينص على أحد بعينه كخليفة من بعده ، ولكنه ترك الأمر شورى في ستة مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) صحيح بمجموع طرقه فله عدة طرق أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (١٣/١٢٢) .

وقد اختلف في هذا[1] .

الثاني : أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث[2]، وهذا متفق عليه .

---

(١) تعقب الشنقيطي رحمه الله تعالى هذه الفقرة فقال (أضواء البيان ١/٦١) : الاختلاف الذي ذكره القرطبي في اشتراط كون الإمام قرشيًّا ضعيف ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على تقدم قريش في الإمامة على غيرهم وأطبق عليه جماهير العلماء من المسلمين ، وحكى غير واحدٍ عليه الإجماع ، ودعوى الإجماع تحتاج إلى تأويل ما أخرجه الإمام أحمد عن عمر بسندٍ رجاله ثقات أنه قال : (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته) فذكر الحديث ، وفيه : (فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل) ومعلوم أن معاذًا غير قرشي ، وتأويله بدعوى انعقاد الإجماع بعد عمر أو تغيير رأيه إلى موافقة الجمهور ، فاشتراط كونه قرشيًّا هو الحق .

لكن النصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله ، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله تعالى وينفذ أوامره أولى منهم ، فمن الأدلة الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال : (باب الأمراء من قريش) حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يُحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفدٍ من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه قد بلغني أن رجالًا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ[1] وأولئك جهالكم ، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين »[2] .

(٢) هذا مما لا أعلم دليلًا عليه ، وقد كان أمير المؤمنين عمر ، وقبله أبو بكر رضي الله عنهما يسألان الصحابة كثيرًا عن كثير من المسائل التي تعرض لهما ، والله أعلم .

---

(١) قلت : بل هذا الحديث مأثور عن رسول الله ﷺ وهو في الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » ، وانظره في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٩) .

الثالث : أن يكون ذا خبرة[1] ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسدِّ الثغور وحماية البيضة وردع الأمة والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم .

الرابع : أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأبشار ، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة رضي الله عنهم لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعًا فيه ، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام وله أن يباشر الفصل والحكم ويتفحص أمور خلفائه وقضاته ، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالمًا بذلك كله قيمًا به ، والله أعلم .

الخامس : أن يكون حرًّا[2] ولا خفاء باشتراط حرية الإمام ، وإسلامه وهو **السادس** .

---

(١) إلا أنه يجوز في هذا الجانب إمامة المفضول على الفاضل فقد كان عمر رضي الله عنه إمامًا وفي القوم من هو أعلم بتدبير أمور الحرب منه كخالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة .

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (أضواء البيان ١/٦٥) : من شروط الإمام كونه حرًّا فلا يجوز أن يكون عبدًا ولا خلاف في هذا بين العلماء فإن قيل : ورد في الصحيح ما يدل على جواز إمامة العبد فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) ، ولمسلم من حديث أم الحصين : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » ، ولمسلم أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي أن أطيع وأسمع وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف ، فالجواب من أوجه :

الأول : أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود ، فإطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة ، وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك ، ذكر ابن حجر هذا الجواب عن الخطابي ، ويشبه هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد =

السابع : أن يكون ذكرًا[1] سليم الأعضاء وهو **الثامن** .

التاسع والعاشر : أن يكون بالغًا عاقلًا ، ولا خلاف في ذلك .

الحادي عشر : أن يكون عدلًا[2] لأنه لا خلاف بين الأمة في أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق ، ويجب أن يكون أفضلهم في العلم[3] .

* * *

= فأنا أول العابدين ﴾ [الزخرف : ٨١] على أحد التفسيرات .

الوجه الثاني : أن المراد باستعمال العبد الحبشي أن يكون مُؤمرًا من جهة الإمام الأعظم على بعض البلاد ، وهو أظهرها فليس هو الإمام الأعظم .

الوجه الثالث : أن يكون أطلق علية اسم العبد نظرًا لاتصافه بذلك سابقًا مع أنه وقت التولية حرٌّ ، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقًا في قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] وهذا كله فيما يكون بطريق الاختيار ، أما لو تغلب عبدٌ حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخمادًا للفتنة وصونًا للدماء ما لم يأمر بمعصية كما تقدمت الإشارة إليه ، والمراد بالزبيبة في هذا الحديث واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جفَّ ، والمقصود من التشبيه التحقير وتقبيح الصورة لأن السمع والطاعة إذا وجبا لمن كان كذلك دل ذلك على الوجوب على كل حال إلا في المعصية كما يأتي ، ويشبه قوله ﷺ : « كأنه زبيبة » قول الشاعر يهجو شخصًا أسود :

دنس الثياب كأن فروة رأسه غرست فأنبتت جانباها فلفلا

(١) لقول النبي ﷺ :« لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

(٢) لقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

(٣) لقوله تعالى في شأن طالوت : ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

س : إذا طرأ على الإمام فسق هل يُخرج عليه ؟

ج : الراجح من أقوال أهل العلم أنه لا يُخرج عليه إلا إذا رؤي عليه كفرٌ بواح فيه من الله عندنا برهان ، وقد أوجز الشنقيطي رحمه الله القول في هذا أجمل إيجاز وأحسنه فقال في أضواء البيان[1] :

إذا طرأ على الإمام الأعظم فسق أو دعوة إلى بدعة . هل يكون ذلك سببًا لعزله والقيام عليه أو لا ؟

قال بعض العلماء : إذا صار فاسقًا أو داعيًا إلى بدعة جاز القيام عليه لخلعه ، والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام عليه لخلعه إلا إذا ارتكب كفرًا بواحًا عليه من الله برهان .

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : « إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان » .

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » قال : قلنا : يا رسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة . إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى ولا ينزعن يدًا من طاعة »[2] .

وفي صحيح مسلم أيضًا : من حديث أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع » . قالوا : يا رسول الله أفلا

---

(١) أضواء البيان (٦٧/١) .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٨٤٢) وعنده: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة».

نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا » . أخرجه مسلم (١٨٥٤) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر ؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » . أخرجه البخاري (٧٠٥٣)[1] ، ومسلم (ص١٤٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[2] .

والأحاديث في هذا كثيرة . فهذه النصوص تدل على منع القيام عليه ، ولو كان مرتكبًا لما لا يجوز ، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أنه كفر بواح ، أي : ظاهر بادٍ لا لبس فيه .

وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك . ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة ، وأمر بإظهار السنة .

واعلم أنه أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى . وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن . كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا

---

(١) ولفظه في المصدر المشار إليه : « من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية » .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

سمع ولا طاعة »[1] أخرجه الشيخان وأبو داود .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا ؛ إنما الطاعة في المعروف »[2] . وفي الكتاب العزيز : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

* * *

س : هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل عن الآخر ؟

ج : أيضًا أجمل الشنقيطي القول فقال[3] :

هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر ؟ . في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول الكرامية بجواز ذلك مطلقًا محتجين بأن عليًّا ومعاوية كانا إمامين واجبي الطاعة كلاهما على من معه . وبأن ذلك يؤدي إلى كون كل واحد منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢) ، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١٤٥) ، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه وفيه أنه قال : بعث النبي ﷺ سرية وأمَّر عليهم رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبًا ثم أوقدوا نارًا فلما هموا بالدخول فقاموا بعضهم ينظر إلى بعض فقال بعضهم : إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها ؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ﷺ فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف » .

(٣) أضواء البيان (٦٩/١) .

وبأنه لما جاز بعث نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة كانت الإمامة أولى .

القول الثاني : قول جماهير العلماء من المسلمين : إنه لا يجوز تعدد الإمام الأعظم ، بل يجب كونه واحدًا ، وأن لا يتولى على قطر من الأقطار إلا أمراؤه المولون من قبله ، محتجين بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »[1] .

ولمسلم أيضًا : من حديث عرفجة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه »[2] .

وفي رواية : « فاضربوه بالسيف كائنًا من كان » .

ولمسلم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » ، ثم قال : سمعته أذناي من رسول الله ﷺ ووعاه قلبي[3] .

وأبطلوا احتجاج الكرامية بأن معاوية أيام نزاعه مع علي لم يدع الإمامة لنفسه ، وإنما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الأئمة . ويدل لذلك :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٤٨٠) في طرق حديث (١٨٥٢) .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) .

إجماع الأمة في عصرهما على أن الإمام أحدهما فقط لا كل منهما .

وأن الاستدلال بكون كل منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه ، وبجواز بعث نبيين في وقت واحد ، يرده قوله ﷺ : « فاقتلوا الآخر منهما » ولأن نصب خليفتين يؤدي إلى الشقاق وحدوث الفتن .

القول الثالث : التفصيل فيمنع نصب إمامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة ، ويجوز في الأقطار المتنائية كالأندلس وخراسان .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه : لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان ، جاز ذلك على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . انتهى منه بلفظه .

والمشار إليه في كلامه: نصب خليفتين. وممن قال بجواز ذلك: الأستاذ أبو إسحاق كما نقله عنه إمام الحرمين . ونقله عنه ابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقال ابن كثير : قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب .

* * *

س : من الذي أعلم الملائكة أن هناك من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء حتى سألوا سؤالهم هذا ﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة منها :

● أن الله تعالى أعلمهم أن من ذرية هذا الخليفة من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء .

● الثاني: أن قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]. سؤال محض للاستفسار[1] (أي : هل سيفسد فيها ويسفك الدماء ؟) .

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله تعالى ، فاختار رحمه الله أن ذلك من الملائكة استخبار =

● الثالث : أنهم توقعوا أن هذا الذي سيستخلف في الأرض قد يُفسد فيها ويسفك الدماء .

● الرابع : – على رأي من اعتمد الأخبار الإسرائيلية في هذا المقام – أنهم علموا من حال من كان يسكن الأرض أنه أفسد فيها وسفك الدماء فقالوا : هذا يتوقع منه ما كان من سالفه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] عطفٌ لخاصٍّ على عام وضحه وبين سبب هذا العطف ؟

ج : إيضاحه أن الإفساد في الأرض عام يدخل فيه المعاصي والكبائر وغير ذلك وأحد أفراد ذلك سفك الدماء فهو خاص (أي : سفك الدماء) فعطف سفك الدماء (الذي هو نوع خاص من المعاصي والكبائر) على الإفساد

= لربها بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل ، وإن كانت قد استعظمت لما أُخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه ، والله أعلم .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى في المقصود من سؤال الملائكة أمورًا فذكر عددًا وقال : وسابعها : قال القفال : يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها ، أي : ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام ، قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي : أنتم كذلك ، ولو كان استفهامًا لم يكن مدحًا ، ثم قالت الملائكة : إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لما أنا نعلم أنك لا تفعل إلا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] كأنه قال والله أعلم نعم ما فعلتم حيث لم تجعلوا ذلك قادحًا في حكمتي فإني أعلم ما لا تعلمون ، فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل ، وما علمتم باطنهم ، وأنا أعلم ظاهرهم وباطنهم فأعلم من بواطنهم أسرارًا خفية وحكمًا بالغة تقتضي خلقهم وإيجادهم .

في الأرض الذي هو عام ، أما لماذا عطف هذا الخاص على ذلك العام فلبيان خطورة سفك الدماء وحرمة القتل ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : هل في قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] تزكية[1] منهم لأنفسهم ؟

ج : الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أنهم قدموا هذا مع سؤالهم إذعانًا منهم لربهم عز وجل فكأنهم قالوا نحن لسنا معترضين على فعلك يا ربنا ولسنا محيطين بعلمك فها نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فأخبرنا يا ربنا هل سيفسد هذا الخليفة فيها ويسفك الدماء ؟ فهم طلبوا من ربهم عز وجل بيان الحكمة لهم من الخليفة في الأرض ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى التسبيح ؟ وما المراد بقول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : أما معنى التسبيح فهو التنزيه وهو مشتق من الجري

---

(١) من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢] ، ولكن تجوز تزكية النفس أحيانًا إذا كان هناك أمرٌ يحتاج إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ فأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] ، وقال النبي ﷺ للأنصار : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ... » الحديث ، وأثنى رسول الله ﷺ على عددٍ كبير جدًّا من الصحابة وزكاهم ، انظر ذلك في كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة . وسيأتي إن شاء الله لهذا مزيدٌ من الفقه في أبوابه ، وبالله التوفيق .

والذهاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحًا طويلًا ﴾ [المزمل : ٧] ، فالمسبح جارٍ في تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة .

أقول لمَّا جاءني فخرُه سبحان من علقمة الفاخِرِ

يريد : سبحان الله من فخر علقمة أي : تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار . على وجه النكير منه لذلك[1] .

● **وقال الماوردي في التفسير** (النكت والعيون ١/٩٦) : والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم – ثم ذكر بيت شعر الأعشى ، وقال :

ولا يجوز أن يُسبح غير الله وإن كان منزهًا لأنه صار علمًا في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى .

وقال ابن عطية : (ومعنى نسبح بحمدك) : ننزهك عما لا يليق بك وبصفاتك .

● **أما المراد بقول الملائكة : ﴿ نحن نسبح بحمدك ﴾** [البقرة : ٣٠] فلأهل العلم فيه أقوال منها :

الأول : أننا نخلط التسبيح بالحمد ونصله به .

الثاني : أن كلمة (بحمدك) اعتراضية بين كلامين فكأنهم قالوا ،

---

(١) الطبري (١/٤٧٤) .

ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على جهة التسليم أي : وأنت المحمود في الهداية على ذلك قاله ابن عطية في المحرر .

قلت : أي أن معنى الكلام – والله أعلم – أننا نسبح وتسبيحنا هذا إنما هو فضلٌ منك تفضلت به علينا إذ وفقتنا له وأعنتنا عليه وألهمتنا إياه فأنت المحمود على هدايتك وإلهامك .

وهذه الآية قريبة الشبه من قوله تعالى : ﴿ فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ [الطور : ٢٩] يعني – والله أعلم – : أنك من فضل الله عليك لست بالكاهن ولا بالمجنون ، وهذه من نعمة ربك عليك أن جنبك الكهانة والجنون ، والله أعلم .

الثالث : أن معنى قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك .

الرابع : أننا نعظمك بالحمد لك والشكر لك .

الخامس : أننا نقول : سبحانك وبحمدك أو سبحان الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده .

السادس : نصلي لك . والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

الأول : نعظمك ونمجدك .

الثاني : نطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون ، وقيل : نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك (هذا على قول من قال : نقدس

لك أي : نتطهر لك ، والقول المتقدم على قول من قال : نقدس لك أي : نقدسك) فالمقدس هو المطهر ، ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ [المائدة : ٢١] أي المطهرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [طه : ١٢] وبيت المقدس الذي يتقدس فيه من الذنوب أي : يتطهر .

الثالث : نقدس لك أي : نصلي لك ، وأشهر الأقوال هو القول الثاني ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل (سبحان الله وبحمده) ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول رسول الله ﷺ لأبي ذر : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله » قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال : «إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده »[1] .

●ومنها حديث رسول الله ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[2] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[3].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ج١٧/ص٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٠٦/١١) ومسلم (مع النووي ١٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي لله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٣٧/١٣) ، ومسلم (١٩/١٧) من حديث =

● ومنها قول عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[1] . إلى غير ذلك من الأحاديث والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : علام يحمل قوله تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٣٠] في هذا المقام ؟

ج : يُحمل – والله تعالى أعلم – على أنه سبحانه وتعالى يعلم هل كل الملائكة صالحون كما قالوا : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة: ٣٠]؟ أم فيهم من هو عاص حاسد لا يعلمونه والله يعلمه ويعلم كذلك هل هذا الخليفة الذي سيجعله في الأرض يكون سفاكًا للدماء أم أنه عابد ومطيع ، وكما أن من ذريته من يسفك الدماء فمنهم أيضًا أتقياء علماء أنبياء ، وكل هذا كان لا يخفى على الملائكة عليهم السلام فظهر منهم إبليس المعترض على أمر الله العاصي الحاسد الكذاب المتكبر وظهر من ذرية آدم – غير المفسدين – قوم أتقياء صالحون[2] ، والله تعالى أعلم .

= أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) ، وغيرهما .

(٢) تنبيه : ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى في الحديث القدسي لملائكته (الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) : « كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يصلون » توبيخ لمن قال منهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] وأقول ، وبالله التوفيق : إن هذا إلى المباهاة أقرب منه إلى التوبيخ ، والملائكة لما سألها ربها عن أسماء المسميات قالوا : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ، ففيه إنابتهم إلى الله عز وجل ، والله هو الغفور الودود . وقد جاءت نصوص عدة عن رسول الله ﷺ في مباهاة الرب عز وجل ملائكته بعباده الصالحين والذاكرين فعليه فليحمل هذا الحديث ، والله أعلم .

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أنبئوني – سبحانك – تبدون ؟

ج :

الكلمة	معناها
أنبئوني	أخبروني
سبحانك	تنزيهًا لك من أن نعلم شيئًا غير ما علمتنا[1]
تبدون	تُظهرون وتُعلنون

(١) قال الزجاج : ولا نعلم اختلافًا بين أهل اللغة أن التسبيح هو التنزيه عن كل سوء (نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير) .

س : لماذا سُمي آدم بآدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أن الله عز جل هو الذي سماه بذلك ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية .

٢ - أنه سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها[١] .

٣ - أن آدم من الأُدمة وهي السُّمرة .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في خلق آدم ﷺ ؟

ج : من هذه الأحاديث قول رسول الله ﷺ : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له : اذهب فسلِّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه رحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن »[٢] .

وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما صوَّر الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لم يتمالك »[٣] .

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله . وقد صح عن سعيد بن جبير (كما عند الطبري ٦٤٢ ، ٦٤٣) أنه قال : إنما سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦) ، ومسلم (٢٨٤١) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦١٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[1] .

● وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك »[2] وتقدمت الإشارة إلى حديث « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه .. »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) ، ويعني بقوله مما وصف لكم أي : ومما وصف لنا في كتاب الله عز وجل وقد وصف آدم عليه السلام أنه خلق من تراب ،ووصف أنه خلق من طين ومن طين لازب ، ومن عجل ، ومن صلصال من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، ويأتي توجيه هذا في بابه وقد ذكر بعض العلماء أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب الأرض وبلها بالماء فصارت طينًا ثم مرت عليها مدة حتى تحجرت فصارت صلصالًا لأن الصلصال هو الطينْ المتحجر لأن الطين إذا طبخ بالنار سُمى فخارًا ، وإذا لم يطبخ بالنار لكن ترك حتى تحجر يسمى صلصالًا ، فقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ [الرحمن : ١٤] أي : من طين تحجر حتى أصبح شبيهًا بالفخار وهو المطبوخ بالنار في تحجره وصلصلته إن قلنا : إنه من صلصل بمعنى صوت ، وإن قلنا : إنه من صلَّ بمعنى تغير فإن الطين إذا مضت عليه مدة انتن واسود فيصير حمأ مسنونًا أي : أسود متغيرًا له رائحة خاصة فإذا يبس وتحجر صار كالفخار والطين اللازب هو اللاصق ، ويُقال أيضًا : لزب الطين إذا صلب .

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٠٠ ، ٤٠٦) ، وأبو داود (في السنة باب في القدر حديث ٤٦٩٣) والترمذي في التفسير سورة البقرة (٢٩٥٥) ، والحاكم (٢/٢٦١ ، ٢٦٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (٣٢٢) ، وأحمد (٣/١١٦) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا . =

س : في أي يوم خلق آدم ﷺ ؟ وهل خلق داخل الجنة أم خارجها ؟

ج : خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة وخلق خارج الجنة ثم

= **تنبيه :** في هذه الأحاديث وخاصة أولها – وهو خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾ [الإسراء : ٧٠] وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار : ٦ – ٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ما يقطع بكذب الأفاك الأثيم والمجرم اللعين والملحد المبين المسمى بـ (داروين) ويبطل نظريته الباطلة الإلحادية في (التطور والارتقاء) التي يزعم فيها أن الإنسان أصله قرد !!! وقد ذهبت – والحمد لله – نظريته أدراج الرياح وكانت هباءً منثورًا بشهادة الملاحدة من أمثاله فضلًا عن أهل الصلاح ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم فرعون اللعين ، والطاغية أبا لهب ما ذكرنا شيئًا عن هذا الأفاك الأثيم (داروين) ولا أضعنا هذه السطور في شأنه ، فلعنة الله على الظالمين تصبح معهم وعليهم حيث أصبحوا وتُمسي عليهم حيث أمسوا ، وتقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون ، في الحياة الدنيا ملعونين وفي القبور معذبين ويوم القيامة هم من المقبوحين .

ورحمة الله وبركاته على أهل الإسلام والإيمان وأهل التقى والرشاد فسلام الله على هؤلاء العباد المصطفين الأخيار المتقين الأبرار ، جعل الله حياتهم زيادة في فضائل أعمالهم وأنار الله بهم البلاد وأوضح بهم سبل الرشاد للعباد ، وأفسح الله لهم في قبورهم ونورها لهم وأسكنهم الله في الآخرة الغرف وأظلهم بالظلل وكساهم الحلل وأعطاهم ما تقر به الأعين وتلذ وتشتهيه الأنفس وتود .

سلام الله على كل من ذبَّ عن دينه ودافع وتمسك بكتاب ربه واستعصم به وعنه نافح ، سلام الله عليهم في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

أُدخل فيها يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها »[1] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام ؟

ج : أمثل الأقوال[2] في ذلك – والله أعلم – أنها أسماء الأشياء كلها فيدخل فيها أسماء الملائكة وأسماء النبيين وأسماء ذرية آدم وأسماء البحار والأشجار والأحجار والأواني والقدور وسائر أسماء الأشياء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقول الناس لآدم عليه السلام حينما يذهبون للاستشفاع به : « .. خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ».

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي علمه الله لآدم عليه السلام هو أسماء الملائكة وأسماء ذريته فقط محتجًّا باحتجاج لغوي وهو الضمير في قوله تعالى :﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] فقالوا : إن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، وضعف هذا القول آخرون وقولهم الراجح لعموم قوله تعالى : ﴿ الأسماء كلها ﴾ .

● وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المراد بالأسماء كلها ما لا غنى لآدم عنه مما يحتاج إلى معرفته وذهب إلى أن ﴿ كلها ﴾ في هذا الموطن كما في قوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥][1] وكما في قوله تعالى :﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣][2] ، وهذا التقييد لا وجه له هنا ، والأولى ما ذكرناه أعلاه ، والله أعلم .

---

(١) وهي الريح التي أرسلت على قوم عاد .

(٢) وهي ملكة سبأ .

س : من هو أول من تكلم بالعربية ؟

ج : قال بعض أهل العلم هو آدم ﷺ ، وعللوا ذلك بأن الله عز وجل قال : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة : « وعلمك أسماء كل شيء » الحديث وقد تقدم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] عرض ماذا ؟

ج : عرض المسميات (أي الأشياء التي علم آدم أسماءها) .

❋ ❋ ❋

س : قال الله تعالى : ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٣١] صادقين في ماذا ؟

ج : قيل : صادقين في دعواكم أن الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قول الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ [البقرة : ٣٢] أدب للعالم ولطالب العلم ، وضح ذلك ؟

ج : هذا الأدب الجليل المأخوذ من هذه الآية الكريمة هو أن الواجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يكل العلم إلى الله سبحانه وتعالى ويمسك عن القول بغير علم فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ولا تقف ما ليس

لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

● وعتب الله عز وجل على موسى عليه السلام لما سئل عن أعلم أهل الأرض فقال : أنا فقال الله عز وجل :« بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك »[١] .

● وقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

● وقال الله عز وجل لنوح عليه السلام لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] قال سبحانه : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٦،٤٧] .

● ولما سئل النبي ﷺ (أي البقاع خير ؟) قال : « لا أدري حتى أسأل »[٢] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (٨١/٤) ، بإسناد فيه عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي البلدان شر ؟ قال : « لا أدري » فلما أتاه جبريل عليه السلام قال:« أي البلدان شر ؟ قال : لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل فانطلق جبريل عليه السلام ... » فذكر الحديث وفيه وإني سألت ربي عز وجل فقال « أسواقها » .

وله شاهد عند الحاكم (٧/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا فالحديث =

● وكان أصحاب النبي ﷺ يُسألون مرارًا من رسول الله ﷺ فيقولون : الله ورسوله أعلم[1] .

= حسن بمجموع طريقيه والله أعلم .

هذا وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » .

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى قولًا جيدًا في هذا الباب ننقله لما فيه من الفائدة قال رحمه الله (١/٢٨٥ - ٢٨٧) :

الثانية : الواجب على مَن سُئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ، ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم ؛ فيبقى ناس جُهال يُستفتون فيفتون برأيهم فيَضِلُّون وَيُضِلُّون . وأما ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فرَوى البُستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ : أي البقاع شر ؟ قال : « لا أدري حتى أسأل جبريل » فسأل جبريل ؛ فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل ؛ فجاء فقال : « خير البقاع المساجد ، وشرها الأسواق » . وقال الصِّديق للجدة : ارجعي حتى أسأل الناس . وكان علي يقول : وأبردها على الكبد ؛ ثلاث مرات . قالوا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يُسئل الرجلُ عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . وسأل ابن عمر رجل عن مسئلة فقال : لا علم لي بها ؛ فلما أدبر الرجل . قال ابن عمر : نعم ما قال ابن عمر سُئل عما لا يعلم فقال : لا علم لي به ! ذكره الدارمي في مسنده . وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى ابن المتوكل صاحب بُهَيَّة[1] قال : كنت جالسًا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد ، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يُسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه عِلم ولا فرج ، أو عِلم ولا مخرج ؟ فقال له القاسم : وعم ذاك ؟ قال : لأنك ابن إمَامَيْ هُدى : ابن أبي بكر وعمر[2] . قال يقول =

---

(١) بهية (بالتصغير) : مولاة أبي بكر رضي الله عنه ، تروي عن عائشة . وروى عنها أبو عقيل المذكور .

(٢) القاسم هذا ، هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وأم القاسم هي أم عبد الله بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأبو بكر جدُّه الأعلى لأمه ، وعمر جدُّه الأعلى لأبيه ، وابن عمر جدُّه الحقيقي لأبيه . رضي الله عنهم أجمعين (عن شرح النووي على صحيح مسلم) .

= له القاسم : أقبح من ذاك عند مَن عقَل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة . فسكت فما أجابه . وقال : مالك بن أنس : سمعت ابن هُرْمُز يقول : ينبغي للعالم أن يُوَرث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلًا في أيديهم ؛ فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدري . وذكر الهَيْثم بن جميل قال : شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

قلت : ومثلُه كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسةُ وعدم الإنصاف في العلم . قال ابن عبد البر : من بركة العلم وآدابه الإنصافُ فيه ، ومن لم يُنصف لم يفهم ولم يتفهم . روى يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت ابن وَهْب يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف .

قلت : هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام ! وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدِّراية ، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يُقسي القلب ويُورث الضغن ؛ وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى . أين هذا مما رُوي عن عمر رضي الله عنه وقد قال : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أُوقِيَّة ولو كانت بنت ذي العَصَبَة – يعني : يزيد بن الحُصَيْن الحارثي – فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال ، فقامت امرأة من صَوْب النساء طويلة فيها فَطَس[1] فقالت : ما ذلك لك ! قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَآتَيتم إحْداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : سأل رجل عليًّا رضي الله عنه عن مسئلة فقال فيها ؛ فقال الرجل : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ؛ فقال عليٌّ : أصبتَ وأخطأتُ ، وفوق كل ذي عِلْمٍ عليم . وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القَيْروان فأخذت على بكر بن حماد حديثَ مُسدد ، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس ، فلما انصرفت عدتُ إليه لتمام حديث مسدد ، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي ﷺ : أنه قدم =

(١) الفطس (بالتحريك) : انخفاض قصبة الأنف وتطامنها وانتشارها .
قاله المعلق على القرطبي .

س : على المسلم أن يتواضع لله عز وجل ويشكره على ما منَّ به من علم ، فالعلم الذي هو فيه إنما هو بتعليم الله عز وجل إياه ، اذكر أدلة توضح أن المُعَلَّم من علمه الله ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وعلَّم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] .

= عليه قوم من مُضَرَ مِن مُجتابي[1] النمار ، فقال : إنما هو مجتابي الثمار فقلت : إنما هو مُجتابي النمار ؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق ، فقال لي : بدخولك العراق تُعارضنا وتفخر علينا ! أو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ – لشيخ كان في المسجد – فإن له بمثل هذا علمًا ، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال : إنما هو مُجتابي النمار ، كما قلت . وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة[2] ، جيوبهُم أمامَهم . والنمار جمع نمرة[3] . فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه : رَغِم أنفي للحق ، رَغم أنفي للحق . وانصرف . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأحسن :

إذا ما تحدثتُ في مجلس ... تناهى حديثي إلى ما عَلمتُ
ولم أَعْدُ علمي إلى غيره ... وكان إذا ما تناهى سَكتُّ

الثانية – قوله تعالى : ﴿ سُبْحانكَ ﴾ [البقرة : ٣٢] « سبحان » منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه ، يؤدى عن معنى نُسَبحك تسبيحًا . وقال الكسائي : هو منصوب على أنه نداء مضاف . و ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] فعيل للمبالغة والتكثير في المعلومات في خلق الله تعالى . و ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] معناه : الحاكم ، وبينهما مزيد المبالغة . وقيل : معناه المُحكم ويجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل ، صُرف عن مُفْعِل إلى فَعِيل ، كما صُرف عن مُسْمِع إلى سَميع ومُؤلِم إلى أليم .

---

(١) مجتابي النمار ؛ أي : لابسها . يقال : اجتبت القميص والظلام : دخلت فيهما .
(٢) مشققة : مخططة .
(٣) وهي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب ؛ كأنما أخذت من لون النمر .

● قوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ [النساء : ١١٣] .

● قول الله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ [الإسراء : ٨٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

● قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [النحل : ٧٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● قوله تعالى : ﴿ الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [القلم : ٤ ، ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ [الرحمن : ١ ، ٢] .

● قوله سبحانه : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● دعاء النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل »[1] .

● وقوله تعالى : ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٢٨ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٣٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٢ ، ١٢٢٧٣) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن .

● وقول الخضر عليه السلام لموسى : « يا موسى إني على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ؟

ج : أما العليم فهو مَن قد كمل في علمه ، والحكيم هو مَن قد كمل في حكمه ، هذا قول ، وأصل الإحكام المنع ، والحكمة هي التي تمنع صاحبها من الجهل ، وأحكم الشيء إذا أتقنه ، والحَكَمَة هي التي تمنع الفرس من الجري على غير قصدٍ ، فالحكيم يطلق على المانع من الفساد ، ومنه قول جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكيم في الآية الكريمة – والله أعلم – هو الذي يفعل الشيء لحكمة أو لعلة ، والله أعلم . والحكمة أيضًا هي وضع الشيء في موضعه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ... ﴾ [البقرة : ٣٣] دليل على فضل العلم وأهله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أن الله عز وجل أظهر فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم الذي آتاه الله إياه[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) وغيرهم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : أي : تخضع وتتواضع ، وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ؛ لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأدبت بذلك =

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم وحملته ؟

ج : هي آيات وأحاديث في غاية الكثرة ، نقتصر منها على الآتي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١] .

● قول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

● قول الله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● قول الله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أُنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد : ١٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

● قوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

● قول يوسف عليه السلام مثنيًا على الله عز وجل بنعمه : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : ١٠١]

= الأدب ، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللّت إعظامًا للعلم وأهله ورضي منهم بالطلب له والشغل به ، هذا في الطلاب فكيف بالأحبار فيهم ، والربانيين منهم ، جعلنا الله منهم وفيهم إنه ذو فضل عظيم .

● قال الطيبي (كما نقل عنه صديق حسن خان في فتح البيان) : أفادت هذه الآية علم اللغة فوق التخلي بالعبادة فكيف بعلم الشريعة .

ولا يخفى على اللبيب أن جمال يوسف عليه السلام كان سببًا في سجنه ، وعلمه كان سببًا في إخراجه من السجن وجعله عزيزًا وقد تجشم موسى عليه السلام الصعاب والمشاق لما أخبره الله عز وجل بأن الخضر هو أعلم منه فسأل موسى عليه السلام ربه السبيل إلى لُقيه على ما ورد في قصتهما عليهما السلام .

● وقال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨] ، فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم مع شهادته سبحانه وتعالى .

● وقد أباح الله سبحانه وتعالى صيد الكلاب المعلمة والصقور المعلَّمة ، فقال تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلبين ﴾ [المائدة : ٤] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها :

● قوله عليه السلام : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[١] .

● قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢] .

● قوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره »[٣] .

● وقوله عليه السلام : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح متواتر ، وسيأتي الحديث عليه إن شاء الله .

(٤) أخرجه أبو داود (٢/١٥٣) ، والترمذي (٨/٢٣٢) ، وأحمد (٢/١٩٢) وغيرهم بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين »[1].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمنٍ كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، **ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[2].

● وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها »[3] .

● وقال رسول الله ﷺ : « إن لله عز وجل أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨١٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٢١/١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٥/٩) ، ومسلم (مع النووي ٨٣/٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه أحمد (١٢٧/٣) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد حسنٍ مرفوعًا ، والله تعالى أعلم .

س : ما هو الذي أبدوه وما هو الذي كتموه في قوله تعالى : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] ؟

ج : بعض العلماء يقولون : هذا عام ، فالله سبحانه وتعالى يعلم جميع ما يبدونه وما يكتمونه ، يعلم – سبحانه – ظواهرهم وبواطنهم ، يعلم ذلك أجمع ولا يخفى على الله من أمرهم شيء .

● **والقول الثاني :** أن المراد في هذا المقام بالذي أبدوه هو قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي كتموه هو ما كتمه بعضهم[1] وهو إبليس ، كتم العداوة والحسد لآدم عليه السلام .

● **وقول ثالث :** أن الذي أظهروه هو السجود لآدم عليه السلام ، والذي كتموه هو قولهم : لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا[2] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الظاهر والخفي في علم الله سواء ، والسر والعلن كذلك ، اذكر عدة أدلة تؤكد ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] .

---

(١) وهذا يستلزم تنزيل قوله تعالى : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ على الواحد – وهو إبليس – مع أن لفظه لفظ الجمع ، لكن أجاب البعض على هذا بأن قالوا : إن هذا وارد في لغة العرب كما في قوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [الحجرات : ٤] والمنادي كان واحدًا ، والله تعالى أعلم .

(٢) وهذا يحتاج إلى دليل وليس ثمَّ دليل عليه ، والله تعالى أعلم .

● وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ [الرعد : ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ﴾ [الزمر : ٤٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ [طه : ٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴾ [النمل : ٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ [التوبة : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾ [النحل : ٢٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ [الحشر : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله

خيرًا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذًا لمن الظالمين ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] .

● وقال عيسى عليه السلام : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ [المائدة : ١١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ [الرعد : ١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ [النور : ٣٥] .

* * *

س : هل الملائكة أفضل أم الصالحون من بني آدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن الملائكة أفضل ، ومن أدلة هذا القول : قوله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ [يوسف: ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك .. ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى في الحديث القدسي : « من ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم .. » .

والثاني : أن الصالحين من بني آدم أفضل ، ومن أدلته ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة : ٧] .

● قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] .

● قول النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع » .

● مباهاة الرب عز وجل بالحجيج وغيرهم ملائكته . والله أعلم بالصواب .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .. ﴾ [البقرة: ٣١-٣٤] سياق هذه الآيات الكريمة فيه أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ بعد تعليم آدم الأسماء كلها (وهذا في سياق الكتاب العزيز) فهل صحيح أن تعليم آدم الأسماء كلها قبل الأمر بالسجود ؟

ج : الجواب أن لا ، وسياق الآيات الكريمة ، وإن كان يفيد ذلك إلا أنه من المعلوم أن سياق الآيات لا يفيد ترتيبًا زمنيًّا ، والصحيح أن الأمر بالسجود قبل تعليم آدم الأسماء كلها ، بل قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، والدليل على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] .

● وقوله سبحانه : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨ ، ٢٩] فدلت هاتان الآيتان على أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] كان قبل خلق آدم ﷺ . إلا أن يقول قائل : إن الأمر بالسجود تكرر قبل خلق آدم ، وبعد خلق آدم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

أبى – رغدًا – فأزلهما – مستقر – متاع – تلقَّى – فإما يأتينكم – هدى – كفروا – آياتنا .

ج :

الكلمة	معناها
أبى	امتنع
رغدًا	واسعًا هنيئًا ، لا عناء ولا تعب فيه
فأزلهما	استزلهما أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ ، ومنه زلت قدم فلان إذا أخطأ ، وقرىء أزلهما أي : نحاهما

الكلمــة	معناهــا
مستقر	موضعٌ يُستقر فيه
متاع	ما يستمتع به من المأكول والمشروب ونحوه
تلقَّى	تلقَّن – فهم – فطن – أخذ ما علمه الله إياه
فإما يأتينكم	فإن يأتكم
هــدى	بيان ورشد – رسل ، وأنبياء ، وكتب – توفيق للهداية
كفروا	جحدوا بآياتي وكذبوا رسلي
آياتنا	القرآن والحجج البينة التي فيه

❋ ❋ ❋

س : هل لهذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس .. ﴾ [البقرة : ٣٤] مع سائر قصة إبليس مع آدم إذ امتنع عن السجود صلة بدعوة بني إسرائيل ؟

ج : نعم – والله أعلم – لها صلة ، ففي القصة بيان عقوبة الكبر والتعالي على أمر الله عز وجل والتعالي على الانقياد له سبحانه واتباع رسوله ﷺ ، فلما اعترض إبليس على أمر الله سبحانه كان عاقبته أن طُرد من الجنة وخرج منها مذمومًا مدحورًا ، ووعد الجحيم وعدًا لن يتخلف ، فكذلك أنتم يا معشر يهود يا من علمتم صفة محمد ﷺ واستكبرتم وتعاليتم على الإيمان هذا جزاؤكم إن متم على ما أنتم عليه من كبر وعناد ، والله أعلم ، ونورد هنا ما ذكره الطبري رحمه الله ، قال رحمه الله (١/٥١٠) :

وتأويل قوله : ﴿ أَبَى ﴾ [البقرة : ٣٤] ، يعني جل ثناؤه بذلك : إبْليس، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له . ﴿واستكبر﴾ [البقرة :٣٤]، يعني بذلك : أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم . وهذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس ، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم – اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانيْ مُهاجَر رسول الله ﷺ ، وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله ﷺ وصفته عارفين ، وبأنه لله رسولٌ عالمين . ثم استكبروا – مع علمهم بذلك – عن الإقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته ، بَغْيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغيًا ، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدًا وبغيًا .

ثم وَصَف إبليس بمثل الذي وصف به الذي ضربَه لهم مثلًا في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وكان ﴾ [البقرة : ٣٤] – يعني : إبليس – ﴿ منَ الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] – من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده ، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التي آتاها وآباءَها قبلُ : من إطعام الله أسلافَهم المنَّ والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم ، خصوصًا ما خصَّ الذين أدركوا محمدًا ﷺ بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم ، فجحدت نبوته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوته حسدًا وبغيًا . فنسبه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين » ، فجعله من عِدَادهم في الدين والملة ، وإن خالفهم في الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم ، فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] يعني بذلك : أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال . فكذلك قوله في إبليس : ﴿ كان من الكافرين ﴾ ، كان منهم في الكُفر بالله ومخالفتِه أمرَه ، وإن كان مخالفًا جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم . ومعنى قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] : أنه كان – حين أبى عن السجود – من الكافرين حينئذ .

* * *

س : لماذا قيل : ﴿ وإذ قلنا ﴾ [البقرة : ٣٤] ولم يقل : (وإذ قلت) ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : هذا للتفخيم والتعظيم والإشادة بذكره سبحانه وتعالى .

* * *

س : ما هي الحكمة من الأمر بالسجود لآدم ﷺ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

● تكريم آدم ﷺ[1] .

● ومنها اختبار للملائكة ، وقد ظهر كبر إبليس لعنه الله بامتناعه عن السجود لآدم ﷺ .

● ومنها أن الملائكة لما استعظموا[2] بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ؟

ج : لم يكن سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ، وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال نوح لقومه ﴿ ... ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ [هود : ٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في حصر العبادة لله سبحانه وتعالى وقصرها عليه سبحانه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] ما المراد به ؟

ج : هو سجود لآدم ﷺ بأمر الله عز وجل ، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله تعالى ، وهذه بعض أقوالهم :

---

(١) ويستفاد هذا من حديث الشفاعة الطويل ، وفيه أن المؤمنين يقولون لآدم عليه السلام : « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته » .

(٢) هذا على رأي فريق من العلماء .

● قال البغوي رحمه الله :

وقوله : ﴿ اسجدوا ﴾ [البقرة : ٣٤] فيه قولان الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره ، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة ، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل : ﴿ وخرُّوا له سجدًا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

● وروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[1] عن قتادة قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] : فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته .

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : قال أهل العلم : السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه ، وهذا إجماع كل من يسمع قوله .

● وقال بعض العلماء : معنى اسجدوا لآدم أي : اسجدوا إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، ولكن الرأي الأول الذي قدمناه أرجح ، وبه قال الأكثر ، والله تعالى أعلى وأعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان هذا السجود خاصًّا بآدم عليه السلام فلا يجوز لغيره - من جميع الخلق - إلا لله سبحانه وتعالى أم أنه كان جائزًا بعده ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع من السجود جاز بعده إلى زمن نبينا ﷺ فنهى عنه نبينا عليه الصلاة والسلام فقال :« لو كنت آمرًا

---

(١) الطبري (٧٠٧) . وقال الطبري قبله : وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم . ثم ذكر أثر قتادة رحمه الله .

أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »[1] .

أما كونه كان جائزًا بعده فقد قال الله عز وجل بشأن يوسف ﷺ : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] والرؤيا التي رآها مذكورة في قوله : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صفة سجود الملائكة لآدم عليه السلام ؟

ج : لم ترد صفة لسجود الملائكة لآدم ﷺ ، والظاهر أنه سجود كالسجود المعهود ، إذ هو الظاهر المتبادر المعروف من السجود ، وليس هناك ما يدفع كونه هذا السجود المعهود .

ومن العلماء من قال : إن المراد به الانحناء ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إبليس مشتق من ماذا ؟

ج : إبليس مشتق من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن ، أبلس إذا أُبعد عن الخير ﴿ فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] مبعدون عن الخير آيسون منه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وأخرجه الترمذي (١١٥٩) ، وابن حبان (موارد الظمآن) (١٢٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩١/٧) ، وانظره في كتابي جامع أحكام النساء (١٧٥/٢) .

س : إبليس هل هو من الجن أم من الملائكة ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة ، وهم جمهور العلماء[1] ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤][2] .

---

(١) نقله عنهم غير واحد منهم ابن عطية والقرطبي وغيرهم .

(٢) وأجاب الجمهور على قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] أي : عمل عملهم فكان منهم في هذا ، أو على أن الملائكة تسمى جنًّا لاستتارها كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وذلك لقول قريش عن الملائكة : إنهم بنات الله .

ومن القائلين : إنه كان من الجن . **سعيد بن المسيب** رحمه الله تعالى ، فقد أخرج الطبري (أثر ٦٩٢) ، بإسناده إلى سعيد بن المسيب رحمه الله قال : (كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا) .

● وأخرج أيضًا (أثر ٦٥٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف : ٥٠] : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم : الجن .

بينما صح عن **الحسن البصري** رحمه الله تعالى أنه قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . أخرجه الطبري بإسناد صحيح (أثر ٦٩٦) .

● وقال القاسمي في محاسن التأويل :الصواب التفصيل في هذه المسألة وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله ، كان أصله من نار ، وأصل الملائكة من نور . فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتوارد على محل واحد ، وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية ، وقيل : إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُمُّوا (جنًّا) لاستتارهم عن الأعين فإبليس كان منهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية .

● **ومن العلماء من قال : إنه من الجن ، ومن أدلتهم ما يلي :**

● قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وليس للملائكة ذرية[1] .

● قول النبي ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[2]، وقال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ [الرحمن : ١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه : ﴿ خلقتني من نار ﴾ [ص : ٧٦] يظهر أن إبليس من الجن ، وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على دليل الجمهور : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤] بأن قالوا : إن هذا الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع ، كقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة .

وكقول الشاعر :

ليس عليك عطش ولا جوع إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع .

● **والراجح لدينا في هذا الباب - والله تعالى أعلم - هو القول بأن إبليس كان من الجن .**

---

(١) ذكر عن الشعبي أنه سئل هل لإبليس زوجة ؟ قال : ذلك عرسٌ لم أشهده : قال : ثم قرأت هذه الآية يعني ﴿ أفتتخذونه وذريته ﴾ [الكهف : ٥٠] فعلمت أنه لا يكون له ذُرية إلا من زوجة فقلت : نعم .

قال (مصطفى) : ومما يؤيد أن له زوجة قوله عليه السلام إذا دخل الخلاء : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » ، والخبث : ذكران الشياطين ، والخبائث : إناثهم ، والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

س : ما معنى (استكبر) ؟

ج : الاستكبار : الاستعظام فاستكبر استعظم وترفع على أمر الله عز وجل[1] .

* * *

س : ما معنى كان في قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ؟

ج : لأهل العلم هنا أقوال منها :

---

(١) قال القرطبي رحمه الله (١/ ٢٩٦) ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة : ٣٤] الاستكبار : الاستعظام ؛ فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله : « لا يدخل الجنة مَن [كان] في قلبه مثقالُ حبة من خَرْدَل من كبر» . في رواية فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حَسنًا ونعله حسنَة . قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكِبْر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس » . أخرجه مسلم . ومعنى بطر الحق : تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم . ويروى : « وغمص » بالصاد المهملة ، والمعنى واحد ؛ يقال : غمَصه يغمصه غَمْصًا واغتمصه ؛ أي : استصغره ولم يره شيئًا . وغَمص فلان النعمة إذا لم يشكرها . وغَمَصتُ عليه قولًا قاله ، أي : عبته عليه . وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [ص : ٧٦] ﴿ أَأَسْجُدُ لمن خَلَقْتَ طينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] ﴿ لَمْ أَكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] فكفره الله بذلك . فكل من سفه شيئًا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حُكْمُه حُكْمَه ، هذا ما لا خلاف فيه . وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال : بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم ، وشح آدم في أكله من الشجرة . وقال قتادة : حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ . وكان بدء الذنوب الكبر ، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه .

● أن (كان) بمعنى (صار) أي : صار إبليس بامتناعه عن السجود من الكافرين ، وهي على هذا التأويل كقوله تعالى في شأن نوح وولده : ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾[1] [هود : ٤٣] .

● أن (كان) هنا على معناها المعهود ، والمعنى أنه كان مكتوبًا عند الله عز وجل من الكافرين فلذلك كفر .

● أنه كان قبله قوم كفار وكان منهم . وهذا القول الأخير لا دليل عليه فيما علمت ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان كفر إبليس كفر جحود ؟

ج : لم يكن كفر إبليس كفر جحود ، فقد كان إبليس يقرُ بأن الله عز وجل خالقه ويقر بأن الله عز وجل هو الذي أغواه ، وذلك واضح من قوله : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] ، وقوله : ﴿ فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف : ١٦] وقال أيضًا : ﴿ أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ [الأعراف : ١٤] وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص :٨٢ ، ٨٣] ولكنه كفر باعتراضه على أمر الله ورده له وتعاليه عليه قبل كفره بالامتناع عن

---

(١) قال البغوي رحمه الله و(كان) أي : صار من الكافرين ، وقال أكثر المفسرين : وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة .

قلت : وهنا يرد سؤال : هل كان إبليس منافقًا وقت العبادة أم أنه كان مؤمنًا ثم كفر ؟ حكى القاسمي في محاسن التأويل قولين **أحدهما** أنه وقت العبادة كان منافقًا **والثاني** : أنه كان مؤمنًا ثم كفر ، وهذا قول الأكثرين .

السجود[1] وهذا يدل على أنه ليس كل من اعترف بوجود الله يُعدُّ مؤمنًا ، فالمشركون كانوا يقرون بوجود الله سبحانه وأنه خالقهم ورازقهم وأن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، بل ويدعونه كما قال تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ... ﴾ [الأنفال : ٣٢] ويحجون ويلبون قائلين : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ... ولكنهم يزيدون فيقولون : (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر : ٣] إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن المشركين كانوا يقرون بوجود الله عز وجل وأنه خالقهم ورازقهم ... ، وهذا الذي يسميه العلماء توحيد الربوبية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا استكبر إبليس وامتنع من السجود لآدم عليه السلام ؟

ج : استكبر إبليس احتقارًا لآدم إذ خُلق من طين وتعاليًا في نفسه ؛ لأنه خلق من نار ، قال الله سبحانه وتعالى في شأن إبليس : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نارَ وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ١/١٠٤) : وقال جمهور الناس : كفر إبليس ؛ لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده ، واستدل بـ ﴿ أنا خير منه ﴾ [الأعراف : ١٢] ، كما يأتي فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » كذا في كتاب الاستعاذة للإمام ابن مفلح الحنبلي رحمه الله .

س : من هو أول من استعمل القياس الفاسد ؟ وكيف كان ذلك ؟ وضح فساد هذا القياس ؟

ج : أما أول من استعمل القياس الفاسد فهو إبليس وكان ذلك بأن قاس نفسه على عنصره الذي هو النار ، وقاس آدم على عنصره الذي هو الطين ، وفضل النار على الطين ، ومن ثمَّ فضل نفسه على آدم عليه السلام ومن ثمَّ امتنع عن السجود لآدم عليه السلام .

● وفساد هذا القياس بالدرجة الأولى لمخالفته النص الصريح وهو الأمر بالسجود لآدم ، فلا قياس مع النص ، ونزيد هنا إيضاحًا فننقل ما ذكره الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٧٣/١) . فقال رحمه الله تعالى :

تنبيه : مثل قياس إبليس نفسه على عنصره ، الذي هو النار وقياسه آدم على عنصره ، الذي هو الطين واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه ، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار . وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود :

والخلف للنص أو إجماع دعا فساد الاعتبار كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ، وقياس إبليس هذا لعنه الله باطل من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه فاسد الاعتبار ؛ لمخالفة النص الصريح كما تقدم قريبًا .

الثاني : أنا لا نسلم أن النار خير من الطين ، بل الطين خير من النار ؛ لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق ، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة ، والنواة فيعطيكها نخلة .

وإذا أردت أن تعرف قدر الطين فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من

الثمار اللذيذة ، والأزهار الجميلة ، والروائح الطيبة . تعلم أن الطين خير من النار .

الثالث : أنا لو سلمنا تسليمًا جدليًّا أن النار خير من الطين : فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم ؛ لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع ، بل قد يكون الأصل رفيعًا والفرع وضيعًا . كما قال الشاعر :

إذا افتخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وقال الآخر :

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

* * *

س : هل ندم إبليس على طاعته لله إذ أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

ج : ورد ما يفيد ذلك ، وهو ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله – وفي رواية : يا ويلي – أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأُمرت بالسجود فأبيت فليَّ النار »[1] .

* * *

س : اذكر بعض ما يستفاد من أمر الله عز وجل ملائكته بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك ؟

ج : يُستفاد من هذا جملة أمور منها ما يلي :

● عقوبة الكبر الذي هو بطر الحق والاستعلاء على أمر الله عز وجل ،

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٢/ ٦٩) ، حديث (١٣٣) .

فقد أودى هذا بإبليس إلى الكفر .

● إن القلوب والبواطن يعلمها الله عز وجل ، فنحن وإن حكمنا على الناس بظاهر ما بدا منهم - وهذا هو المشروع لنا[1] - لكن قد يكون هناك وراء هذا الظاهر أمور أخرى تخالفه ، فهذا إبليس كان ظاهره الصلاح وأنه في عداد الملائكة لكن لما أُمر بالسجود ظهرت حقيقته ، وحقيقة مادته .

● فضل امتثال أمر الله عز وجل والتواضع له فلما أطاعت الملائكة أمر ربها وسجدت رفع الله قدرهم وأعلى الله منزلتهم ، ووصفهم الله عز وجل بأنهم مقربون، قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون ... ﴾ [الأنبياء : ٢٦] .

● **ويستفاد أيضًا أن الأعمال بالخواتيم** ، فقد قال النبي ﷺ :- فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2]- « فوالله إن أحدكم - أو الرجل - ليعمل بعمل أهل النار[3] حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

● وكانت خاتمة إبليس - لعنه الله - خاتمة سيئة عياذًا بالله من سوء الخاتمة .

● **ويستفاد أيضًا أن المقدر سيقع** لقوله تعالى في شأن إبليس : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ، فلما سبق في علم الله أن إبليس

---

(١) وقد قال النبي ﷺ : « إنكم تختصمون لدي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقتطع له قطعة من نار ، فإن شاء أخذها وإن شاء تركها » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤) ومسلم (حديث ٢٦٤٣) .

(٣) في حديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٢٠٢) مرفوعًا : «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

سيموت على الكفر تحقق فيه ما أخبر به الله سبحانه وتعالى .

● **ويستفاد أيضًا عقوبة الحسد** فالحسد حمل إبليس على الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام ومن ثمَّ أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة ذكر أنت في قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ألم يكن يكفي اسكن وزوجك الجنة ؟

ج : فائدة ذكر (أنت) التأكيد للمضمر الذي في قوله (اسكن) ، وهي كما قال تعالى حاكيًا عن بني إسرائيل قولهم لموسى عليه السلام : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ [المائدة : ٢٤] .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء ؟

ج : لم يرد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء لكن ورد قوله تعالى : ﴿ هوالذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ليسكن إليها .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] أي : ذكرت بلفظ (زوج) أما في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها »[1] .

❋ ❋ ❋

س : أين توجد الجنة وما الدليل على ذلك ؟

ج : الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾ [النجم : ١٤ ، ١٥] وسدرة المنتهى في السماء (بعد السماء السابعة)

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٣٠) ، ومسلم (حديث ١٤٨٠) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

كما في حديث المعراج[1] .

وأيضًا كون الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل الجنة التي سكنها آدم عليه السلام هي جنة الخلد ؟

ج : نعم هي جنة الخلد عند جمهور أهل السنة والجماعة ، واعترضت طائفة من المعتزلة على ذلك واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] قالوا : وقد أُخرج آدم ﷺ وزوجه منها : وليس في هذه الآية دليل لهم ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ في شأن من سيدخلونها يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ رغدًا ﴾ [البقرة : ٣٥] ؟

ج : الرَّغد هو الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعنِّي صاحبه ، يقال : أرغد فلان إذا أصاب واسعًا من العيش الهنيء كما قال امرؤ القيس بن حُجر :

بينما المرؤ تراه ناعمًا ... يأمن الأحداث في عيش رَغَدْ

قاله الطبري رحمه الله .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك قال : محمد ﷺ قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى .

س : ماهي الشجرة التي نهى الله عز وجل آدم عليه السلام عن الأكل منها ؟

ج : قيل في ذلك جملة أقوال منها : أنها شجرة التين ، ومنها أنها شجرة الكرم (العنب) ، ومنها أنها السنبلة ، إلى غير ذلك من الأقوال ، وكلها أقوال تفتقر إلى دليل صحيح ، وليس ثَمَّ دليل صحيح في تسميتها ، ولو كان في تسميتها خير ومنافع للعباد لسماها الله تبارك وتعالى وقد قال الطبري رحمه الله تعالى قولًا حسنًا في ذلك فقال رحمه الله (١/ ٥٢٠ - ٥٢١) : والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنصٍّ عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أيٍّ رضًا ، لم يخل عباده من نَصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضًا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك ؟ وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك علم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم

يضره جهلهُ به[1]

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة : ٣٥]؟

ج : المراد بالظلم ابتداءً وضع الشيء في غير موضعه ، هذا أصل تعريف (الظلم) في كلام العرب .

أما المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ فقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فإنه يعني فتكونا من المتعدِّين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عنى بذلك : أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تَعدَّى حُدودي وعَصى أمري واستحلَّ محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين .

وقال غيره : يعني : إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ نوع ابتلاء وضحه ؟

ج : يوضحه ما قاله قتادة بن دِعامة رحمه الله حيث قال قوله: ﴿ يا آدم اسكن

---

(١) فائدة : قال الطبري رحمه الله (١/٥١٦): والشجر في كلام العرب كل ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] يعني بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجرة ما استقل على ساق .
قلت : ومراده بالنجم ما هو مثل الحشيش الذي ينبت بدون ساق ونحوه ، وسيأتي هل هو المراد أم لا عند قوله تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ إن شاء الله.

أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ﴾ [البقرة : ٣٥] ثم إن البلاء الذي كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلي الخلق قبله أن الله جل ثناؤه أحل له ما في الجنة أن يأكل منها رغدًا حيث شاء غير شجرة واحدة نُهي عنها وقُدِّم إليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نهي عنه[1] .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] سدٌّ للذرائع، وضح ذلك واذكر الأدلة الواردة في باب سد الذرائع ؟

ج : وجه ذلك أن النهي عن الاقتراب من الشجرة يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى ، فنهى عن الاقتراب سدًّا للذريعة حتى لا يتوصل بالاقتراب من الشجرة إلى الأكل منها .

أما الأدلة على سد الذرائع فكثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ [الأنعام : ١٥١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٩٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .
- وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[2] .
- وقول النبي ﷺ : « يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن (٧١٧) ، عن قتادة .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم .. »[1].

● ومنها النهي عن إشارة الرجل إلى أخيه بالسلاح[2] .

---

(١) صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

(٢) كما في الصحيحة ، وهذا بحث ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في سد الذرائع في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين : قال رحمه الله تعالى :

فصـل

في سد الذرائع

لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقُرُبات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها ، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل .

فإذا حَرَّم الربُّ تعالى شيئًا ، وله طرق ووسائل تفضي إليه ، فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقًا لتحريمه ، وتثبيتًا له ، ومنعًا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم ، وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعُدَّ متناقضًا ، ولحصل من رعيته وجنده ضدُّ مقصوده .

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه ، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال ؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها ، والذريعة ؛ ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء .

ولا بد من تحرير هذا الموضع قبل تقريره ليزول الالتباس فيه ، فنقول :

الفعل أو القول المفضي إلى المفسدة قسمان :

أحدهما : أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر ، وكالقَذْف المفضي إلى مفسده الفرية ، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش ، ونحو ذلك أفعال وأقوال وضعت مفضية لهذه المفاسد وليس لها ظاهر غيرها .=

= والثاني : أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب ، فيتخذ وسيلة إلى المحرم إمَّا بقصده أو بغير قصد منه .

فالأول : كمن يعقد النكاح قاصدًا به التحليل ، أو يعقد البيع قاصدًا به الربا أو يخالع قاصدًا به الحنث ، ونحو ذلك .

والثاني : كمن يُصَلي تطوعًا بغير سبب في أوقات النهي ، أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم ، أو يصلي بين يدي القبر لله ، ونحو ذلك .

ثم هذا القسمُ من الذرائع نوعان : أحدهما : أن تكون مصلحة الفعل أرجَحَ من مفسدته .

والثاني : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته ؛ فهاهنا أربعة أقسام :

الأول : وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة .

الثاني : وسيلة موضوعة للمُبَاح قصدَ بها التوسل إلى المفسدة .

الثالث : وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مُفَضية إليها غالبًا ، ومفسدتها أرجح من مصلحتها .

الرابع : وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها ، فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم ، ومثال الثالث : الصلاةُ في أوقات النهي ، ومَسَبَّة آلهة المشركين بين ظَهْرَانيهم ، وتزين المتوفى عنها في زمن عِدتها ، وأمثال ذلك .

ومثال الرابع : النظر إلى المخطوبة والمُسْتامة والمشهود عليها ومَن يطؤها ويعاملها ، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر ونحو ذلك ، فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المصلحة ، وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريمًا بحسب درجاته في المفسدة ، بقي النظر في القسمين الوسط : هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما ؟ فنقول :

الدلالة على المنع من وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذين يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فيسبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

فحرم الله تعالى سَبَّ آلهة المشركين مع كون السب غيظًا وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعةً إلى سبهم لله تعالى ، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من =

= مصلحة سبنا لآلهتهم ، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز .

الوجه الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فمنعهن من الضرب بالأرجُلِ ، وإن كان جائزًا في نفسه ، لئلا يكون سببًا إلى سَمْع الرجال صوتَ الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهنَّ .

الوجه الثالث : قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الذين آمَنُوا لِيستأْذِنكُمُ الَّذين مَلَكَتْ أيمانكم، والَّذينَ لَمْ يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُمْ ، ثلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ الآية [النور : ٥٨] .

أمر تعالى مماليكَ المؤمنين ومن لم يبلغ منهم الحلم أن يستأذنوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة لئلا يكون دخولهم هجمًا بغير استئذان فيها ذريعةً إلى اطلاعهم على عَوْراتهم وقت إلقاء ثيابهم عند القائلة والنوم واليقظة ، ولم يأمرهم بالاستئذان في غيرها ، وإن أمكن في تركه هذه المفسدة لنُدُورها وقلة الإفضاء إليها فجعلت كالمقدمة .

الوجه الرابع : قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تَقُولوا رَاعِنا ، وقُولوا : انظُرْنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة مع قصدهم بها الخير لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم ، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويقصدون بها السبَّ ، يقصدون فاعلًا من الرعونة ، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها ؛ سدًّا لذريعة المشابهة ؛ ولئلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ تشبهًا بالمسلمين ، يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون ، [ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا] .

الوجه الخامس : قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون : ﴿ اذْهَبا إلى فِرْعونَ إنَّهُ طَغَى ، فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعلَّه يَتَذكرُ أوْ يَخْشى ﴾ [طه : ٤٤] ، فأمر تعالى أن يُلينا القولَ لأعظم أعدائه وأشدهم كفرًا وأعتاهم عليه ؛ لئلا يكون إغلاظُ القول له مع أنه حقيق به ذريعةً إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة ، فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى .

الوجه السادس : أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد ، وأمرهم بالعفو والصفح ، لئلا يكون انتصارهم ذَريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدةً من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيْم ، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة . =

= الوجه السابع : أنه تعالى نهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، لئلا يتخذ ذريعة إلى التشاغل بالتجارة عن حضورها .

الوجه الثامن : ما رواه حُمَيْد بن عبد الرحمن عن عَبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسبُّ أبا الرجلِ فَيُسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » متفق عليه .

ولفظ البخاري : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قيل : يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

فجعل رسول الله ﷺ الرجل سابًّا لاعنًا لأبويه بتسببه إلى ذلك ، وتوسُّله إليه لم يقصده .

الوجه التاسع : أن النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمدًا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومَنْ لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

الوجه العاشر : أن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من المفاسد الكثيرة المترتبة على زوال العقل ، وهذا ليس مما نحن فيه ، لكن حرَّم القطرة الواحدة منها ، وحرَّم إمساكها للتخليل ونجسها ؛ لئلا تتخذ القطرة ذريعة إلى الحَسْوَة[1] ، ويتخذ إمساكها للتخليل ذريعة إلى إمساكها للشرب .

ثم بالغ في سد الذريعة ، فنهى عن الخَليطين ، وعن شرب العصير بعد ثلاث ، وعن الانتباذ في الأوْعية التي قد يتخمر النبيذ فيها ، ولا يعلم به ، حسمًا لمادة قربان المسكر ، وقد صرح ﷺ بالعلة في تحريم القليل فقال : « لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه » .

الوجه الحادي عشر : أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن ، والسفر بها ، ولو في الحج وزيارة الوالدين ، سدًّا لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع .

الوجه الثاني عشر : أن الله تعالى أمر بغضِّ البصر وإن كان إنما يقع على =

(١) الحُسوة بضم الحاء : الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة ، والحسوة بفتحها : المرة .

= محاسن الخلقة والتفكر في صنع الله ؛ سدًّا لذريعة الإرادة والشهوة المُفْضِية إلى المحظور .

الوجه الثالث عشر : أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ، ولعن مَنْ فعل ذلك ، ونهى عن تجصيص القبور ، وتشريفها ، واتخاذها مساجد ، وعن الصلاة إليها وعندها ، وعن إيقاد المصابيح عليها ، وأمر بتسويتها ، ونهى عن اتخاذها عيدًا ، وعن شد الرحال إليها ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها ، وحرم ذلك على مَنْ قصده ، ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع عشر : أنه ﷺ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وكان من حكمة ذلك أنهما وقْتُ سجود المشركين للشمس ، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدًّا لذريعة المشابهة الظاهرة ، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بُعد هذه الذريعة ، فكيف بالذرائع القريبة ؟!

الوجه الخامس عشر : أنه ﷺ نهى عن التشبُّه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة ، كقوله : « إن اليهود والنصارى لا يَصبغونَ ، فخالفوهم » .

وقوله : « إن اليهود لا يُصلُّون في نعالهم فخالفوهم » .

وقوله في عاشوراء : « خالفوا اليهود ، صُومُوا يومًا قبله ويومًا بعده » ، وقوله : « لا تَشبهُوا بالأعاجم » .

وروى الترمذي عنه : « ليس منا من تشبه بغيرنا » .

وروى الإمام أحمد عنه : « مَنْ تشبه بقوم فهو منهم » .

وسر ذلك أن المشابهة في الهَدْي الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل .

الوجه السادس عشر : أنه ﷺ حَرَّمَ الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، وقال : « إنكم إذا فعلتم ذلك قطَعْتم أرحامكم » حتى لو رضيت امرأة بذلك لم يجز ؛ لأن ذلك ذريعة إلى القطيعة المحرمة ، كما علل به النبي ﷺ .

الوجه السابع عشر : أنه حرم نكاح أكثر من أربع ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الجور ، وقيل : العلة فيه أنه ذريعة إلى كثرة المؤنة المُفْضِية إلى أكل الحرام ، وعلى التقديرين فهو من باب سد الذرائع ، وأباح الأربع وإن كان لا يؤمن الجورُ في اجتماعهن ؛ لأن حاجته قد لا تندفع بما دونهن ، فكانت مصلحة الإباحة أرجح من مفسدة الجور المتوقعة .

الوجه الثامن عشر : أن الله تعالى حرم خِطْبَةَ المُعْتدَّة صريحًا ، حتى حرم ذلك =

= في عدة الوفاة ، وإن كان المرجع في انقضائها ليس إلى المرأة ، فإن إباحة الخِطبَة قد تكون ذريعة إلى استعجال المرأة بالإجابة والكذب في انقضاء عدتها .

الوجه التاسع عشر : أن الله تعالى حرم عقد النكاح في حال العدة وفي الإحرام وإن تأخر الوطء إلى وقت الحل ؛ لئلا يتخذ العقد ذريعة إلى الوطء ، ولا ينتقض هذا بالصيام ، فإن زمنه قريب جدًّا ، فليس عليه كلفة في صبره بعضَ يوم إلى الليل .

الوجه العشرون : أن الشارع حَرم الطِّيبَ على المحرم لكونه من أسباب دواعي الوطء ، فتحريمه من باب سد الذريعة .

الوجه الحادي والعشرون : أن الشارع اشترط للنكاح شروطًا زائدة على العقد تَقْطَع عنه شَبَهَ السِّفاح ، كالإعلام ، والولي ، ومَنَع المرأة أنْ تليه بنفسها ، وندب إلى إظهاره حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة .

وكان أصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحين ﴾ [المائدة : ٥] ، و﴿مُحْصَنَاتٍ غيْر مُسافحاتٍ ، ولا متَّخِذاتِ أخْدانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] ؛ لأن في الإخلال بذلك ذريعة إلى وقوع السِّفاح بصورة النكاح ، وزوال بعض مقاصد النكاح من جحْد الفراش ، ثم أكد ذلك بأن جعل للنكاح حريمًا من العِدَّة تزيد على مقدار الاستبراء ، وأثبت له أحكامًا من المصاهرة وحرمتها ومن الموارثة زائدة على مجرد الاستمتاع .

فعلم أن الشارع جعله سببًا ووُصْلَة بين الناس بمنزلة الرحم كما جمَع بينهما في قوله : ﴿ وجَعَلَهُ نسبًا وصِهرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وهذه المقاصد تمنع شَبَهَهُ بالسفاح ، وتبين أن نكاح المحلل بالسفاح أشبهُ منه بالنكاح (حيث كانت هذه الخصائص غير متيقنة فيه) .

الوجه الثاني والعشرون : أن النبي ﷺ نَهى أن يجمع الرجل بين سَلفٍ وبيع ، وهو حديث صحيح .

ومعلوم أنه لو أفرد أحدَهما عن الآخر صح ؛ وإنما ذاك لأن اقتران أحدهما بالآخر ذريعة إلى أن يُقْرِضهُ ألفًا ، ويبيعه سلعة تساوي ثمانمائة بألف أخرى ، فيكون قد أعطاه ألفًا وسلعة بثمانمائة ليأخذ منه ألفين ، وهذا هو معنى الربا .

فانظر إلى حمايته الذريعة إلى ذلك بكل طريق ، وقد احتج بعض المانعين لمسألة مُدِّ عَجْوَة بأن قال : إن مَنْ جَوَّزها يجوز أن يبيع الرجل ألف دينار في منديل بألف وخمسمائة مفردة ، قال : وهذا ذريعة إلى الربا ، ثم قال : يجوز =

= أن يقرضه ألفًا ويبيعه المنديل بخمسمائة .

وهذا هو بعينه الذي نَهَى عنه رسول الله ﷺ ، وهو من أقرب الذرائع إلى الربا ، ويلزم مَنْ لم يسدَّ الذرائعَ أن يخالف النصوص ويجيز ذلك ، فكيف يترك أمرًا ويرتكب نظيره من كل وجه ؟ .

الوجه الثالث والعشرون : أن الآثار المتظاهرة في تحريم العِينَةِ عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة تدل على المنع من عَوْدِ السلعة إلى البائع ، وإن لم يتواطئا على الربا ، وما ذاك إلا سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع والعشرون : أن النبي ﷺ مَنَعَ المُقْرِضَ من قبوله الهدية ، وكذلك أصحابه ، حتى يحسبها من دَيْنه ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأجل الهدية فيكون ربًا ، فإنه يعود إليه مالُه وأخذ الفضْل الذي استفاده بسبب القرض .

الوجه الخامس والعشرون : أن الوالي والقاضي والشافع ممنوع من قبول الهدية ، وهو أصل فسادِ العالم ، وإسنادِ الأمر إلى غير أهله ، وتولية الخونة والضعفاء والعاجزين ، وقد دخل بذلك من الفساد ما لا يحصيه إلا الله ، وما ذاك إلا لأن قبول الهدية ممن لم تجر عادته بمهاداته ذريعة إلى قَضاء حاجته ، وحُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصمُّ ، فيقوم عنده شهوة لقضاء حاجته مكافأة له مقرونة بشَرَة وإغماض عن كونه لا يصلح .

الوجه السادس والعشرون : أن السنة مَضَتْ بأنه ليس للقاتل من الميراث شيء : إما عمدًا كما قال مالك ، وإما مباشرة كما قال أبو حنيفة ، وإما قتلًا مضمونًا بقصاص أو دية أو كفارة ، وإما قتلًا بغير حق ، وإما قتلًا مطلقًا كما هي أقوال في مذهب الشافعي وأحمد ، والمذهب الأول ، وسواء قصد القاتل أن يتعجل الميراث أو لم يقصده ، فإن رعاية هذا القصد غير معتبرة في المنع وفاقًا ؛ وما ذاك إلا أن توريث القاتل ذريعة إلى وقوع هذا الفعل ، فسدَّ الشارعُ الذريعة بالمنع .

الوجه السابع والعشرون : أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وَرَّثوا =

= المطلقة المبتوتة في مرض الموت حيث يُتَّهم بقصد حرمانها الميراث بلا تردد وإن لم يقصد الحرمان ؛ لأن الطلاق ذريعة ، وأما إذا لم يُتَّهم ففيه خلاف معروف مأخذه أن المرض أوجب تعلُّق حقها بماله ، فلا يمكَّنُ من قطعه أو سدًّا للذريعة بالكلية ، وإن كان في أصل المسألة خلاف متأخر عن إجماع السابقين .

الوجه الثامن والعشرون : أن الصحابة وعامة الفقهاء اتفقوا على قتل الجميع بالواحد وإن كان أصل القصاص يمنع ذلك ؛ لئلا يكون عدمُ القصاص ذريعةً إلى التعاون على سَفْك الدماء .

الوجه التاسع والعشرون : أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغَزْو ؛ لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق المحدود بالكفار ، ولهذا لا تقام الحدود في الغزو كما تقدم .

الوجه الثلاثون : أن النبي ﷺ نَهَى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن تكون له عادة توافق ذلك اليوم ، ونهى عن صوم يوم الشك ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعةً إلى أن يلحق بالفرض ما ليس منه .

وكذلك حرم صوم يوم العيد تمييزًا لوقت العبادة عن غيره لئلا يكون ذريعة إلى الزيادة في الواجب ، كما فعلت النصارى ، ثم أكد الغرض باستحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور ، واستحباب تعجيل الفطر في يوم العيد قبل الصلاة ، وكذلك ندَب إلى تمييز فرض الصلاة عن نفلها ، فكره للإمام أن يتطوع في مكانه ، وأن يستديم جلوسَهُ مستقبل القبلة ، كل هذا سدًّا للباب المفضي إلى أن يزاد في الفرض ما ليس منه .

الوجه الحادي والثلاثون : أنه ﷺ كره الصلاة إلى ما قد عُبِدَ من دون الله تعالى ، وأحبَّ لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك أن يجعله على أحد جانبيه ، ولا يَصْمُدُ إليه صَمْدًا ، قطعًا لذريعة التشبه بالسجود إلى غير الله تعالى .

الوجه الثاني والثلاثون : أنه شرع الشُّفعة ، وسَلَّط الشريك على انتزاع الشقْصِ من يد المشتري سدًّا لذريعة المفسدة المتعلقة بالشريك والقسمة . =

= الوجه الثالث والثلاثون : أن الحاكم منهيٌّ عن رفع أحد الخصمين على الآخر ، وعن الإقبال عليه دونه ، وعن مشاورته والقيام له دون خصمه ؛ لئلا يكون ذريعة إلى انكسار قلب الآخر وضعفه عن القيام بحجته وثقل لسانه بها .

الوجه الرابع والثلاثون : أنه ممنوع من الحكم بعلمه ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى حكمه بالباطل ويقول : حكمت بعلمي .

الوجه الخامس والثلاثون : أن الشريعة منعت من قبول شهادة العدو على عدوه ؛ لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة .

الوجه السادس والثلاثون : أن الله تعالى منع رسوله حيث كان بمكة من الجَهْرِ بالقرآن ، حيث كان المشركون يسمعونه فيسبون القرآن ، ومَنْ أنزله ومَنْ جاء به ، ومن أُنزل عليه .

الوجه السابع والثلاثون : أن الله تعالى أوجب الحدود على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع وليس عليها وازع طبعي ، والحدود عقوبات لأرباب الجرائم في الدنيا كما جعلت عقوبتهم في الآخرة بالنار إذا لم يتوبوا ، ثم إنه تعالى جعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فمن لقيه تائبًا توبة نصوحًا لم يعذبه مما تاب منه .

وهكذا في أحكام الدنيا إذا تاب توبة نصوحًا قبل رفعه إلى الإمام سقط عنه الحد في أصح قَولي العلماء ، فإذا رفع إلى الإمام لم تسقط توبته عنه الحدَّ [وإن غلب على ظنه أنه لا يعود إليها] لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تعطيل حدود الله ، إذ لا يعجز كل من وجب عليه الحدُّ أن يُظهر التوبة ليتخلص من العقوبة ، وإن تاب توبة نصوحًا سدًّا لذريعة السكوت بالكلية .

الوجه الثامن والثلاثون : أن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى ، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف ، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن ؛ وذلك سدًّا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع ؛ وطلبًا لاجتماع القلوب وتألُّف الكلمة ، وهذا من أعظم مقاصد الشرع ، وقد سد الذريعة إلى ما يُناقضه بكل طريق ، حتى في تسوية الصف في الصلاة ؛ لئلا تختلف القلوب ، وشواهِدُ ذلك أكثر من أن تذكر .

الوجه التاسع والثلاثون : أن السنة مَضَتْ بكراهة إفراد رجب بالصوم ، وكراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلتها بالقيام ، سدًّا لذريعة اتخاذ شرْع لم يأذن به الله من =

= تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به ؛ ففي ذلك وقوعٌ فيما وقع فيه أهل الكتاب .

الوجه الأربعون : أن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم على المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها ؛ لئلا تفضي مشابهتهم إلى أن يُعامل الكافر معاملة المسلم ، فسدت هذه الذريعة بإلزامهم التميز عن المسلمين .

الوجه الحادي والأربعون : أن النبي ﷺ أمر ناجية بن كعب الأسلمي وقد أرسل معه هديه إذا عطب منه شيء دون المحل أن ينحره ويصبغ نعله التي قلده بها في دمه ويخلي بينه وبين الناس ، ونهاه أن يأكل منه هو أو أحد من أهل رفقته .

قالوا : وما ذاك إلا لأنه لو جاز أن يأكل منه أو يطعم أهل رفقته قبل بلوغ المحل فربما دعاه ذلك إلى أن يقصر في علفها وحفظها لحصول غرضه من عطبها دون المحل كحصوله بعد بلوغ المحل من أكله هو ورفقته وإهدائهم إلى أصحابهم ، فإذا أيس من حصول غرضه في عطبها كان ذلك أدعى إلى حفظها حتى تبلغ محلها ، وأحسم لمادة هذا الفساد ، وهذا من ألطف أنواع سد الذرائع .

الوجه الثاني والأربعون : أن النبي ﷺ أمر الملتقط أن يشهد على اللقطة ، وقد علم أنه أمين ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة الطمع والكتمان ، فإذا بادر وأشهد كان أحسم لمادة الطمع والكتمان ، وهذا أيضًا من ألطف أنواعها .

الوجه الثالث والأربعون : أنه ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » ، وذم الخطيب الذي قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن عصاهما فقد غوى ؛ سدًّا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ ، وحسمًا لمادة الشرك حتى في اللفظ ؛ ولهذا قال للذي قال له : ما شاء الله وشئت : « أجعلتني لله ندًّا ؟» فحسم مادة الشرك وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في الفعل والقصد ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها ، وأعمها .

الوجه الرابع والأربعون : أنه ﷺ أمر المأمومين أن يُصلوا قعودًا إذا صلى إمامهم قاعدًا ، وقد تواتر عنه ذلك ، ولم يجيء عنه ما ينسخه ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة مُشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود ، كما علله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وهذا التعليل منه يبطل قول من قال : إنه منسوخ ، مع أن ذلك دعوى لا دليل عليها . =

= الوجه الخامس والأربعون : أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر المصلي بالليل إذا نعس أن يذهب فليرقد ، وقال : « لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » ، فأمره بالنوم ؛ لئلا تكون صلاته في تلك الحال ذريعة إلى سبه لنفسه ، وهو لا يشعر لغلبة النوم .

الوجه السادس والأربعون : أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم[1] أخيه أو يبيع على بيع أخيه ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي ؛ فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته ، ولا يخطب ولاية ولا منصبًا على خطبته ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه .

الوجه السابع والأربعون : أنه نهى عن البول في الجحر ، وما ذاك إلا لأنه قد يكون ذريعة إلى خروج حيوان يؤذيه، وقد يكون من مساكن الجن فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه .

الوجه الثامن والأربعون : أنه نهى عن البراز في قارعة الطريق والظل والموارد ، لأنه ذريعة لاستجلاب اللعن كما علل به ﷺ بقوله : «اتقوا الملاعن الثلاث»، وفي لفظ : «اتقوا اللاعنين»، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : « الذي يتخلى في طريق الناس ، وفي ظلهم » .

الوجه التاسع والأربعون : أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أن يقوموا حتى يروه قد خرج ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم لغير الله ، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة ، لكن قيامهم قبل خروج الإمام ذريعة ، ولا مصلحة فيها ، فنهوا عنه .

الوجه الخمسون : أنه نهى أن توصل صلاة بصلاة الجمعة ، حتى يتكلم أو يخرج ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى تغيير الفرض ، وأن يزاد فيه ما ليس منه . قال السائب بن يزيد : صليت الجمعة في المقصورة ، فلما سلم الإمام قمت في مقامي فصليت ، فلما دخل معاوية أرسل إليَّ ، فقال : لا تعد لما فعلت ، إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بذلك ألا توصل الصلاة حتى يتكلم أو يخرج .

الوجه الحادي والخمسون : أنه أمر من صلى في رحله ثم جاء المسجد أن يصلي مع الإمام وتكون له نافلة ؛ لئلا يتخذ قعوده والناس يصلون ذريعة إلى إساءة الظن به ، وأنه ليس من المصلين . =

(١) المساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة ، وفصل ثمنها ، يقال : سام يسوم سومًا ، ومساوم واستام . والمنهي عنه أن يتساوم المتبايعان في السلعة ويتقارب الانعقاد ، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ، ويخرج من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر عليه الأمر بين المتساومين ، ورضيا به قبل الانعقاد . قاله المعلق على إعلام الموقعين .

= الوجه الثاني والخمسون : أنه نهى أن يسمر بعد العشاء الآخرة إلا لمصل أو مسافر ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وما ذاك إلا لأن النوم قبلها ذريعة إلى تفويتها ، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل ، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره .

الوجه الثالث والخمسون : أنه نهى النساء إذا صلين مع الرجال أن يرفعن رءوسهن قبل الرجال ؛ لئلا يكون ذريعة منهن إلى رؤية عورات الرجال من وراء الأزر كما جاء التعليل بذلك في الحديث .

الوجه الرابع والخمسون : أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره ، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ، ولا يتخطاه إلى غيره » .

وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام ، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة ، أو يرمى ببدعة ، أو يعلن بفجور ، فلا بأس بتخطيه إلى غيره .

الوجه الخامس والخمسون : أنه نهى الرجل بعد الأذان أن يخرج من المسجد حتى يصلي ؛ لئلا يكون خروجه ذريعة إلى اشتغاله عن الصلاة جماعة كما قال عمار لرجل رآه قد خرج بعد الأذان : أما هذا فقد عصى أبا القاسم .

الوجه السادس والخمسون : أنه نهى عن الاحتباء[1] يوم الجمعة ، كما رواه أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذ عن أبيه : نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم .

الوجه السابع والخمسون : أنه نهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخورًا ؛ وذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوفهم إليها ، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها ، فأمرها أن تخرج تفلة وأن لا تتطيب ، وأن تقف خلف الرجال ، وأن لا تسبح في الصلاة إذا نابها شيء ، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى ، كل ذلك سدًّا للذريعة وحماية عن المفسدة .

الوجه الثامن والخمسون : أنه نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ، ولا يخفى أن ذلك سد للذريعة ، وحماية عن مفسدة وقوعها في قلبه ، وميله إليها =

(١) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره أو يشده عليهما ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب .

= بحضور صورتها في نفسه ، وكم ممن أحب غيره بالوصف قبل الرؤية .

الوجه التاسع والخمسون : أنه نهى عن الجلوس بالطرقات ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى النظر إلى المحرم ، فلما أخبروه أنه لا بد لهم من ذلك ، قال : « أعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حقه ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام » .

الوجه الستون : أنه نهى أن يبيت الرجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحًا ، أو ذا رحم محرم ، وما ذاك إلا لأن المبيت عند الأجنبية ذريعة إلى المحرم .

الوجه الحادي والستون : أنه نهى أن تباع السلع حيث تباع حتى تنقل عن مكانها ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى جحد البائع البيع وعدم إتمامه إذا رأى المشتري قد ربح فيها ، فيغره الطمع ، وتشح نفسه بالتسليم كما هو الواقع . وأكد هذا المعنى بالنهي عن ربح ما لم يضمن ، وهذا من محاسن الشريعة وألطف باب لسد الذرائع .

الوجه الثاني والستون : أنه نهى عن بيعتين في بيعة ، وهو الشرطان في البيع في الحديث الآخر ، وهو الذي لعاقده أوكس البيعتين ، أو الربا في الحديث الثالث ، وذلك سد لذريعة الربا فإنه إذا باعه السلعة بمائة مؤجلة ، ثم اشتراها منه بمائتين حالة فقد باع بيعتين في بيعة ، فإن أخذ بالثمن الزائد أخذ بالربا ، وإن أخذ بالناقص أخذ بأوكسهما .

وهذا من أعظم الذرائع إلى الربا ، وأبعد كل البعد من حمل الحديث على البيع بمائة مؤجلة أو خمسين حالة ، وليس ها هنا ربا ولا جهالة ولا غرر ولا قمار ولا شيء من المفاسد ، فإنه خيره بين أي الثمنين شاء ، وليس هذا بأبعد من تخييره بعد البيع بين الأخذ والإمضاء ثلاثة أيام .

وأيضًا فإنه فرق بين عقدين كل منهما ذريعة ظاهرة جدًّا إلى الربا ، وهما السلف والبيع والشرطان في البيع ، وهذان العقدان بينهما من النسب والإخاء والتوسل بهما إلى أكل الربا ما يقتضي الجمع بينهما في التحريم ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه الشفاء والعصمة والهدى والنور .

الوجه الثالث والستون : أنه أمر أن يفرق بين الأولاد في المضاجع ، وأن لا يترك الذكر ينام مع الأنثى في فراش واحد ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة بواسطة اتحاد الفراش ، ولا سيما مع الطول ، والرجل قد يعبث في نومه بالمرأة في نومها إلى جانبه وهو لا يشعر ، وهذا أيضًا من ألطف أنواع سد الذرائع . =

= الوجه الرابع والستون : أنه نهى أن يقول الرجل : خبثت نفسي ، ولكن ليقل : لقست[1] نفسي ؛ سدًّا لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش وسدًّا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ ، فإن الألفاظ تتقاضى معانيها وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ والمعنى ، ولهذا قل من تجده يعتاد لفظًا إلا ومعناه غالب عليه ، فسد رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ذريعة الخبث لفظًا ومعنى ، وهذا أيضًا من ألطف الباب .

الوجه الخامس والستون : أنه نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته : عبدي وأمتي ، ولكن يقول : فتاي ، وفتاتي ، ونهى أن يقول لغلامه : وضِّئ ربك ، أطعم ربك ، سدًّا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى ، وإن كان الرب ها هنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل ، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة ، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد ، حماية لجانب التوحيد ، وسدًّا لذريعة الشرك .

الوجه السادس والستون : أنه نهى المرأة أن تسافر بغير محرم ، وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها .

الوجه السابع والستون : أنه نهى عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فيما يحدثون به ، لأن تصديقهم قد يكون ذريعة إلى التصديق بالباطل ، وتكذيبهم قد يكون ذريعة إلى التكذيب بالحق ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الثامن والستون : أنه نهى أن يسمي عبده بأفلح ونافع ورباح ويسار ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى ما يكره من الطيرة بأن يقال : ليس ها هنا يسار ، ولا رباح ، ولا أفلح ، وإن كان إنما قصد اسم الغلام ، ولكن سدًّا لذريعة اللفظ المكروه الذي يستوحش منه السامع .

الوجه التاسع والستون : أنه نهى الرجال عن الدخول على النساء ؛ لأنه ذريعة ظاهرة .

الوجه السبعون : أنه نهى أن يسمى باسم برة ؛ لأنه ذريعة إلى تزكية النفس بهذا الاسم ، وإن كان إنما قصد العلمية .

الوجه الحادي والسبعون : أنه نهى عن التداوي بالخمر ، وإن كانت مصلحة التداوي راجحة على مفسدة ملابستها ؛ سدًّا لذريعة قربانها واقتنائها ومحبة النفوس =

(١) لقست : غثت ، واللقس : الغثيان .

= لها ، فحسم عليها المادة حتى في تناولها على وجه التداوي ، وهذا أبلغ سد الذرائع .

الوجه الثاني والسبعون : أنه نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث ؛ لأن ذلك ذريعة إلى حزنه وكسر قلبه وظنه السوء .

الوجه الثالث والسبعون : أن الله حرم نكاح الأمة على القادر على نكاح الحرة إذا لم يخش العنت ، لأن ذلك ذريعة إلى إرقاق ولده ، حتى لو كانت الأمة من الآيسات من الحبل والولادة لم تحل له سدًّا للذريعة ، ولهذا منع الإمام أحمد الأسير والتاجر أن يتزوج في دار الحرب خشية تعريض ولده للرق ، وعلله بعلة أخرى ، وهي أنه قد لا يمكن منع العدو من مشاركته في زوجته .

الوجه الرابع والسبعون : أنه نهى أن يورد ممرض على مصح ؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إما إلى إعدائه، وإما إلى تأذيه بالتوهم والخوف ، وذلك سبب إلى إصابة المكروه له.

الوجه الخامس والسبعون : أنه نهى أصحابه عن دخول ديار ثمود إلا أن يكونوا باكين ؛ خشية أن يصيبهم مثل ما أصابهم ، فجعل الدخول من غير بكاء ذريعة إلى إصابة المكروه .

الوجه السادس والسبعون : أنه نهى الرجل أن ينظر إلى من فضل عليه في المال واللباس ، فإنه ذريعة إلى ازدرائه نعمة الله عليه واحتقاره بها ، وذلك سبب الهلاك .

الوجه السابع والسبعون : أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل ؛ لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها ، ومن هذا نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه ، إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها ، كما نهاهم في بعض الغزوات عن نحر ظهورهم لما كان ذريعة إلى لحوق الضرر بهم بفقد الظهر .

الوجه الثامن والسبعون : أنه نهى من رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها ، فإنه ذريعة إلى انتقالها من مرتبة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود الخارجي ، كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي ، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولًا ، ثم تنتقل إلى الذكر ، ثم تنتقل إلى الحس ، وهذا من ألطف سد الذرائع وأنفعها ، ومن تأمل عامة الشر رآه متنقلًا في درجات الظهور طبقًا بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج .

الوجه التاسع والسبعون : أنه سُئِل عن الخمر تتخذ خلًّا ، فقال : « لا » . مع إذنه في خل الخمر الذي حَصَل بغير التخليل ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة إمساكها بكل =

= طريق ، إذ لو أذن في تخليلها لحبسها أصحابها لذلك ، وكان ذريعة إلى المحذور .

الوجه الثمانون : أنه نهى أن يتعاطى السيف مسلولًا ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى الإصابة بمكروه ، ولعل الشيطان يعينه ، وينزع في يده فيقع المحذور ويقرب منه .

الوجه الحادي والثمانون : أنه أمر المار في المسجد بنبال أن يمسك على نصلها بيده ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تأذي رجل مسلم بالنصال .

الوجه الثاني والثمانون : أنه حرم الشياع وهو المفاخرة بالجماع ؛ لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه ، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام ، ومن هذا كان المجاهرون خارجين من عافية الله . وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي ، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه ، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله .

الوجه الثالث والثمانون : أنه نهى عن البول في الماء الدائم ، وما ذاك إلا أن تواتر البول فيه ذريعة إلى تنجيسه ، وعلى هذا فلا فرق بين القليل والكثير وبول الواحد والعدد ، وهذا أولى من تفسيره بما دون القلتين أو بما يمكن نزحه ، فإن الشارع الحكيم لا يأذن للناس أن يبولوا في المياه الدائمة إذا جاوزت القلتين أو لم يمكن نزحها ، فإن في ذلك من إفساد مياه الناس ومواردهم ما لا تأتي به شريعة ؛ فحكمة شريعته اقتضت المنع من البول فيه ، قل أو كثر سدًّا لذريعة إفساده .

الوجه الرابع والثمانون : أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، فإنه ذريعة إلى أن تناله أيديهم ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الخامس والثمانون : أنه نهى عن الاحتكار ، وقال : لا يحتكر إلا خاطئ ، فإنه ذريعة إلى أن يضيق على الناس أقواتهم ، ولهذا لا يمنع من احتكار ما لا يضر الناس .

الوجه السادس والثمانون : أنه نهى عن منع فضل الماء ، لئلا يكون ذريعة إلى منع فضل الكلأ ، كما علل به في نفس الحديث ، فجعله بمنعه من الماء مانعًا من الكلإ ، لأن صاحب المواشي إذا لم يمكنه الشرب من ذلك الماء لم يتمكن من المرعى الذي حوله .

الوجه السابع والثمانون : أنه نهى عن إقامة حد الزنا على الحامل حتى تضع ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قتل ما في بطنها ، كما قال في الحديث الآخر : « لولا ما في =

= البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب فأخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » فمنعه من تحريق بيوتهم التي عصوا الله فيها بتخلفهم عن الجماعة كون ذلك ذريعة إلى عقوبة من لم يجب عليه حضور الجماعة من النساء والأطفال .

الوجه الثامن والثمانون : أنه نهى عن إدامة النظر إلى المجذومين ، وهذا – والله أعلم – لأنه ذريعة إلى أن يصابوا بإيذائهم ، وهي من ألطف الذرائع ، وأهل الطبيعة يعترفون به ، وهو جار على قاعدة الأسباب ، وأخبرني رجل من علمائهم أنه أجلس قرابة له يكحل الناس ، فرمد ثم برىء ، فجلس يكحلهم فرمد مرارًا ، قال : فعلمت أن الطبيعة تنتقل ، وأنه من كثرة ما يفتح عينيه في أعين الرُّمد نقلت الطبيعة الرمد إلى عينيه ، وهذا لا بد معه من نوع استعداد ، وقد جبلت الطبيعة والنفس على التشبه والمحاكاة .

الوجه التاسع والثمانون : أن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه ، كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة ، بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلًا ، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه ، ثم يرفع رأسه من الركوع .

كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات ، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها ، وأولئك ركوعها .

وطائفة ثالثة قيامها ، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة فتقاسمت الفرقُ الثلاث أجزاء الصلاة .

والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًّا لذريعة الشرك ، كما نهى عن السجود لغير الله ، كما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس ، مع أن قيامهم عبادة لله تعالى ، فما الظن إذا كان القيام تعظيمًا للمخلوق عبودية له ؟ فالله المستعان .

الوجه التسعون : أنه حرم التفريق في الصرف وبيَّن الربوي بمثله قبل القبض ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى التأجيل الذي هو أصل باب الربا ، فحماهم من قربانه باشتراط التقابض في الحال ، ثم أوجب عليهم فيه التماثل ، وأن لا يزيد أحد العوضين على =

= الآخر إذا كان من جنس واحد حتى لا يباع مد جيد بمدين رديئين ، وإن كانا يساويانه ، سدًّا لذريعة ربا النساء الذي هو حقيقة الربا ، وأنه إذا منعهم من الزيادة مع الحلول حيث تكون الزيادة في مقابلة جودة أو صفة أو سكة أو نحوها ، فمنعهم منها حيث لا مقابل لها إلا مجرد الأجل أولى .

فهذه هي حكمة تحريم ربا الفضل التي خفيت على كثير من الناس ، حتى قال بعض المتأخرين : لا يتبين لي حكمة تحريم ربا الفضل ، وقد ذكر الشارع هذه الحكمة بعينها ؛ فإنه حرمه سدًّا لذريعة ربا النساء ، فقال في حديث تحريم ربا الفضل : « فإني أخاف عليكم الرِّماء » هو الربا .

فتحريم الربا نوعان : نوع حرم لما فيه من المفسدة ، وهو ربا النسيئة ، ونوع حرم تحريمًا للوسائل وسدًّا للذرائع ، فظهرت حكمة الشارع الحكيم وكمال شريعته الباهرة في تحريم النوعين ، ويلزم من لم يعتبر الذرائع ولم يأمر بسدها أن يجعل تحريم ربا الفضل تعبدًا محضًا لا يعقل معناه كما صرح بذلك كثير منهم .

الوجه الحادي والتسعون : أنه أبطل أنواعًا من النكاح الذي يتراضى به الزوجان سدًّا لذريعة الزنا ؛ فمنها النكاح بلا ولي ؛ فإنه أبطله سدًّا لذريعة الزنا ؛ فإن الزاني لا يعجز أن يقول للمرأة : أنكحيني نفسك بعشرة دراهم ويشهد عليها رجلين من أصحابه أو غيرهم ، فمنعها من ذلك سدًّا لذريعة الزنا .

ومن هذا تحريم نكاح التحليل الذي لا رغبة للنفس فيه في إمساك المرأة واتخاذها زوجة بل له وطر فيما يقضيه بمنزلة الزاني في الحقيقة ، وإن اختلفت الصورة .

ومن ذلك تحريم نكاح المتعة الذي يعقد فيه المتمتع على المرأة مدة يقضي وطره منها فيها ، فحرم هذه الأنواع كلها سدًّا لذريعة السفاح ، ولم يبح إلا عقدًا مؤبدًا يقصد فيه كل من الزوجين المقام مع صاحبه ، ويكون بإذن الولي وحضور الشاهدين أو ما يقوم مقامها من الإعلان ؛ فإذا تدبرت حكمة الشريعة وتأملتها حق التأمل رأيت تحريم هذه الأنواع من باب سد الذرائع ، وهي من محاسن الشريعة وكمالها .

الوجه الثاني والتسعون : أنه منع المتصدق من شراء صدقته ولو وجدها تباع في السوق سدًّا لذريعة العود فيما خرج عنه لله ولو بعوضه ، فإن المتصدق إذا منع من تملك بعوضها فتملكه إياها بغير عوض أشد منعًا وأفطم للنفوس عن تعلقها بما خرجت =

= عنه لله ، والصواب ما حكم به النبي ﷺ من المنع من شرائها مطلقًا .

ولا ريب أن في تجويز ذلك ذريعة إلى التحيل على الفقير بأن يدفع إليه صدقة ماله ثم يشتريها منه بأقل من قيمتها ، ويرى المسكين أنه قد حصل له شيء – مع حاجته – فتسمح نفسه بالبيع ، والله عالم بالأسرار ، فمن محاسن هذه الشريعة الكاملة سد الذريعة ومنع المتصدق من شراء صدقته ، وبالله التوفيق .

الوجه الثالث والتسعون : أنه نهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ؛ لئلا يكون ذريعة إلى أكل مال المشتري بغير حق إذا كانت معرضة للتلف ، وقد يمنعها الله ، وأكد هذا الغرض بأن حكم للمشتري بالجائحة إذا تلفت بعد الشراء الجائز ، كل هذا لئلا يظلم المشتري ويؤكل ماله بغير حق .

الوجه الرابع والتسعون : أنه نهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان ، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك ، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان .

وما ذاك لمجرد لفظ « لو » بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان ، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية وأنه ما شاء الله كان ولا بد ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه شفاء للصدور ، ونور للبصائر وحياة للقلوب ، وغذاء للأرواح ، وعلى آله ، فلقد أنعم به على عباده أتم نعمه ، ومن عليهم به أعظم منة ، فللّه النعمة ، وله المنة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن .

الوجه الخامس والتسعون : أنه ﷺ نهى عن طعام المتباريين ، وهما الرجلان كل منهما مباراة الآخر ومباهاته ، إما في التبرعات كالرجلين يصنع كل منهما دعوة يفتخر بها على الآخر ويباريه بها ، وإما في المعاوضات كالبائعين يرخص كل منهما سلعته لمنع الناس من الشراء من صاحبه ، ونص الإمام أحمد على كراهية الشراء من هؤلاء .

وهذا النهي يتضمن سد الذريعة من وجهين ، أحدهما : أن تسليط النفوس =

= على الشراء منهما وأكل طعامهما تفريج لهما وتقوية لقلوبهما وإغراء لهما على فعل ما كرهه الله ورسوله ، والثاني : أن ترك الأكل من طعامهما ذريعة إلى امتناعهما وكفهما عن ذلك .

الوجه السادس والتسعون : أنه تعالى عاقب الذين حفروا الحفائر يوم الجمعة فوقع فيها السمك يوم السبت ، فأخذوه يوم الأحد ، ومسخهم الله قردة وخنازير ، وقيل : إنهم نصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوا الصيد يوم الأحد ، وصورة الفعل الذي فعلوه مخالف لما نهوا عنه ، ولكنهم لما جعلوا الشباك والحفائر ذريعة إلى أخذ ما يقع فيها من الصيد يوم السبت نزلوا منزلة من اصطاد فيه ، إذ صورة الفعل لا اعتبار بها ، بل بحقيقته وقصد فاعله ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يحرم مثل هذا كما صرحوا به في نظيره سواء ، وهو لو نصب قبل الإحرام شبكة فوقع فيها صيدٌ وهو محرم جاز له أخذه بعد الحل ، وهذا جارٍ على قواعد من لم يعتبر المقاصد ولم يسد الذرائع .

الوجه السابع والتسعون : قال الإمام أحمد : نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة ، ولا ريب أن هذا سد لذريعة الإعانة على المعصية ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن يُجَوِّز هذا البيع كما صرحوا به ، ومن المعلوم أن هذا البيع يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان .

وفي معنى هذا كل بيع أو إجارة أو معاوضة تعين على معصية الله كبيع السلاح للكفار والبغاة وقطاع الطريق ، وبيع الرقيق لمن يفسق به أو يؤاجره لذلك ، أو إجارة داره أو حانوته أو خانه لمن يقيم فيها سوق المعصية ، وبيع الشمع أو إجارته لمن يعصي الله عليه ، ونحو ذلك مما هو إعانة على ما يبغضه الله ويسخطه .

ومن هذا عصر العنب لمن يتخذه خمرًا ، وقد لعنه رسول الله ﷺ هو والمعتصر معًا ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يلعن العاصر ، وأن يجوز له أن يعصر العنب لكل أحد ، ويقول : القصد غير معتبر في العقد ، والذرائع غير معتبرة ، ونحن مطالبون في الظواهر ، والله يتولى السرائر ، وقد صرحوا بهذا ، ولا ريب في التنافي بين هذا وبين سنة رسول الله ﷺ .

الوجه الثامن والتسعون : نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة – وإن ظلموا أو جاروا – ما أقاموا الصلاة ، سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه ، والأمة =

س : إذا أسكن رجلٌ رجلًا مسكنًا على شرط فنقض الساكن الشرط هل يجوز لصاحب السكن إخراجه ، اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، واستدل له بعض أهل العلم بأن الله عز وجل[1] أسكن آدم الجنة وأباح له الأكل من شجرها إلا شجرة فلما خالف آدم وعصى ربَّه وأكل من الشجرة أخرجه الله عز وجل من الجنة . وثمَّ أدلة أُخر في هذا الباب[2] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل الأنبياء عليهم السلام معصومون ؟

ج : لأهل العلم في ذلك تفصيلات منها ما يلي .

أولًا بالنسبة لتبليغهم الرسالة فهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ، قال الله تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علَّمه شديد القوى ﴾ [النجم : ٣ - ٥] .

= في بقايا تلك الشرور إلى الآن ، وقال : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » ؛ سدًّا لذريعة الفتنة .

الوجه التاسع والتسعون : جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن ، ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم .

ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة تفاؤلًا بأنه من أحصى هذه الوجوه ، وعلم أنها من الدين وعمل بها دخل الجنة ؛ إذ قد يكون قد اجتمع له معرفة أسماء الرب تعالى ومعرفة أحكامه ؛ ولله وراء ذلك أسماء وأحكام .

قلت : (القائل مصطفى) وقد أفاد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وأجاد وخدم المسألة بما لا تكاد تراه لغيره ، بل لم أقف لغيره على مثل هذا الذى ذكر ، لكن لنا تحفظ على بعض الأمثلة التى ذكرها ، وكذلك لنا تحفظ على بعض الأحاديث التى استدل بها من ناحية صحتها وعلى كل فالقاعدة التى أراد بناءها سلمت له من عدة أدلة صحيحة ذكرها فجزاه الله خيرًا ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) ولله المثل الأعلى .

(٢) منها : « المؤمنون عند شروطهم » .

وقال الرازي رحمه الله في تفسيره : أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء .

ثانيًا : بالنسبة للكبائر ، فالذي يظهر لي أنهم بعد البعثة معصومون منها عليهم الصلاة والسلام ، فلا أعلم نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أتى كبيرة بعد بعثته ، بل ولا قبل بعثتهِ ، اللهم إلا قوله سبحانه وتعالى في شأن موسى ﷺ : ﴿ وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا ﴾ [طه : ٤٠] .

ويقول موسى عليه السلام يوم القيامة : « نفسي نفسي ، إني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها » .

وقد نقل القرطبي رحمه الله عن عددٍ من العلماء الاتفاق على أنه لم تصدر من الأنبياء عليهم السلام كبائر .

أما بالنسبة للصغائر : فقد تصدر منهم صغائر على سبيل الخطإ في الاجتهاد أو تعليم أممهم أو تأويل مثلًا ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

- أكل آدم عليه السلام من الشجرة بعد أن نهاه الله عز وجل عن الأكل منها .
- قول نوح ﷺ : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾[1] [هود : ٤٥] ، فقال له ربه سبحانه وتعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود : ٤٦] .
- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها

---

(١) وإن كان هذا ليس بصريح في أنه ذنب .

من دابة ﴾ [النحل : ٦١] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة .. ﴾ [عبس : ١ - ١١] .

● قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح : ٢] .

● قول النبي ﷺ :« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر .. »[1] .

● قول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيُغفرُ لهم »[2] .

● قول الله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

● قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾[3] [الأنفال : ٦٧ ، ٦٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب ﴾ [ص : ٢٤] .

● قوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣١] .

● وقد سئل موسى عليه السلام: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٢١٢) ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) وسبب نزولها قبول الفدية من أسارى بدر .

عليه إذ لم يرد العلم إليه ، وقال له : بل عبدنا خضر ، هو أعلم منك .... الحديث ، فكل هذا يؤيد أنهم عليهم السلام قد تصدر منهم صغائر لكنها تُغمر في بحر فضائلهم ، وإنما تصدر منهم - بإذن الله - بيانًا لأقوامهم وتعليمًا لأممهم[1] ، والله أعلم .

وقد أحسن القرطبي رحمه الله تعالى إذ قال : **وإن كان قد شهدت النصوص لوقوع ذنوب منهم فلم يُخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكّاهم واختارهم واصطفاهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .**

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ فأزلهما ﴾ فمعناه - و الله أعلم - : استزلهما ، أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ .

قال الطبري رحمه الله تعالى : من قولك : زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزلَّهُ غيره إذا سبب له ما يزل من أجله في دينه أو دنياه .انتهى المراد منه .

قد قرىء فأزالهما أي : نحاهما .

أما قوله : ﴿ عنها ﴾ فقيل : إن المراد به (عن الجنة) ، وقيل : عن (الشجرة) .

فعلى القول بأن عنها : (الجنة) فالمعنى : نحاهما الشيطان عن الجنة ، وعلى القول بأن عنها : (الشجرة) فالمعنى : أزلهما الشيطان بسببها (أي : بسبب أكلهما منها) ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ [الذاريات : ٩] أي :

---

(١) هذا وقد استفاض الرازي في تفسيره الكبير في هذا الباب استفاضة زائدة ، فمن شاء راجعها ٣/(٧ - ٨) إلى ما بعدها .

يُصرف بسببه من هو مأفوك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف كانت وسوسة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام ؟

ج : كانت الوسوسة بالإغراء والقسم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور ... ﴾ [الأعراف : ٢٠ - ٢٢] .

❋ ❋ ❋

س : أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اخرج منها مذمومًا مدحورًا ﴾ [الأعراف : ١٨] ، فكيف وسوس إلى آدم ، وآدم في الجنة ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة .

منها : أنه دخل الجنة في فم الحيَّة ، وهذا القول لا مستند له من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، وإن قال به عدد من المفسرين .

ومنها : أنه مُنع من دخولها مكرمًا ،أما على وجه الإهانة فلا يمتنع أن يدخلها مهانًا زيادة في إذلاله وإهانته ، وهذا القول يحتاج إلى دليل[1] .

---

(١) ويشابه هذا القول من بعض وجوهه قوله تعالى في شأن يونس ﷺ : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ [القلم : ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ [الصافات : ١٤٥] ، فيونس عليه السلام نبذ بالعراء ، لكنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم ، بل نبذ وقد استجاب الله له لما دعا فقال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، والله تعالى أعلم .

ومنها : أنه وسوس إلى آدم وهو خارج باب الجنة .

ويحتمل أنه وسوس لهما وهو بالأرض ، والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

س : ما مدى صحة التعليل الذي يذكره البعض حيث يقولون : إن العلة من قتل الحية أن إبليس دخل الجنة في فمها ليوسوس إلى آدم ﷺ فكانت العداوة بينها وبين بني آدم لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] .

وأن العلة من قتل الوزغة أنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه السلام .

وأن العلة من قتل الغراب أنه خان نوحًا عليه السلام فلما بعثه نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض (ونوح في السفينة) ترك أمر نوحٍ وأقبل على جيفةٍ .

وأن العلة من قتل الفأرة أنها عمدت إلى حبال سفينة نوح فقطعتها ؟

ج : أما كون إبليس دخل الجنة في فم حية أو في جوفها ليوسوس إلى آدم عليه السلام ، فهذا قد ذكره بعض المفسرين ، لكن لا أعلم له أصلًا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في خبر ثابت عنه .

أما الوزغة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام »[1] ، لكن هل هذا هو علة قتلها أم لا ؟ الله أعلم ، أما الغراب والفأرة فصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بقتلهما ، لكن هل قطعت الفأرة حبال سفينة نوح ؟ وهل أقبل الغراب على الجيفة وترك أمر نوح

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٣٥٩) ، ومسلم (حديث ٢٣٣٧) من حديث أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ ، وقال : « كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام » .

عليه السلام ؟ هذا مما لا أعلم فيه شيئًا ثابتًا في الكتاب ولا في السنة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل أكل آدم من الشجرة ناسيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يرى ذلك محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] ، وهذا القول عندي ضعيف لوجوه :

أولًا : أن الله عز وجل قال : ﴿ فعصى آدم ربَّه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، والناسي لا يكون عاصيًا ، وكذلك قال النبي ﷺ : « فعصى آدم فعصت ذريته ... » .

ثانيها : أن النسيان يُطلق على الترك أحيانًا ، قال تعالى في شأن الكفار : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقال سبحانه : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .

الثالث: أن آدم وحواء عليهما السلام قالا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، والناسي لا يكون ظالمًا لنفسه .

الرابع : أن الناسي لا يؤاخذ[1] ولا يعاقب ، فالنسيان شيء لا يتحكم فيه الشخص ، والذي يظهر أن آدم عليه السلام طمع في جنة الخلد فلذلك أكل من الشجرة ، كما أفادت ذلك الآيات ، منها قول إبليس : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وقاسمهما

---

(١) إلا أن يقال : إن النسيان شيء كانت تؤاخذ به الأمم قبل أمة محمد ﷺ ، وقد قال المؤمنون من أمة محمد ﷺ : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله : « قد فعلت » .

إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ فدلَّاهما بغرور ﴾ [الأعراف : ٢٢] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكر بعض أهل العلم أن حواء هي التي أغوت آدم عليهما السلام حتى أكل من الشجرة فهل ورد دليل صحيح صريح يفيد ذلك ؟

ج : لا نعلم في هذا الباب دليلًا صحيحًا صريحًا يفيد ذلك ، والحديث الذي احتج به البعض على ذلك ليس بصريح وإن كان صحيحًا ألا وهو حديث ﴿ لولا حواء لم تخن أنثى زوجها .. ﴾ الحديث وقد قال تعالى : ﴿ فعصى آدم ربه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، وقد قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على ابن كثير (عمدة التفسير ١/١٣٦) :

وقد دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا ثم اجترأوا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء وتصويرهما في صورٍ قبيحة منكرة جرأة منهم على الدين واستهزاء بأول النبيين ، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون .

❋ ❋ ❋

س : هل شاركت حواء في الأكل من الشجرة ؟

ج : لا شك في ذلك ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا

أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف:٢٢،٢٣] والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : ما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؟

ج : لأهل العلم في بيان هذه الكلمات أقوال أمثلها وأقواها – والله أعلم – هي قوله مع زوجه : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] وذلك لأن الله عز وجل ناداهما بعد أكلهما من الشجرة كما قال سبحانه : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ [الأعراف : ٢٢] قالا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] فقولهما : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا .. ﴾ عقب عتاب الله عز وجل لهما .

هذا وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب وما قدمناه هو المعتمد عند كثير من أهل العلم فإن من شأن المذنب أن يستغفر قال ذو النون عليه السلام : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وذلك بعد ذهابه مغاضبًا والتقام الحوت له .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٧] .

هذا ولا يمتنع أن يكون آدم وحواء عليهما السلام ذكرا كلمات أخر مع الكلمات التي ذكرناها والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : أصل التوبة الرجوع ، فالتوبة من آدم رجوعه عن المعصية ، وهي

من الله تعالى رجوعه عليه بالرحمة ، والتوَّاب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير :

وقال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] يعني : رزقه التوبة من خطيئته ، والتوبة معناها : الإنابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته . والله أعلم ، وقال الطبري أيضًا : وتأويل قوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه ، وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه ، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويئوب إليه من غضبه عليه إلى الرضا عنه ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

وأما قوله : ﴿ الرحيم ﴾ فإنه يعني : أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ، ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جُرمه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لم تذكر حواء في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

أن حواء داخلة في الخطاب ؛ لأنها من آدم عليهما السلام ، قال الله تعالى : ﴿ الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [النساء : ١] .

ومنها أن ذكرها حذف اختصارًا وإيجازًا كما في قوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] وكما قال تعالى : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة

فتشقى ﴾ [طه : ١٢٣] ، والله أعلم .

* * *

س : عرِّف الحين وبيِّن المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أمثل ما قيل في الحين أنه اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت .

فيطلق على المدة كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .

ويطلق على القطعة من الدهر ، قال الله تعالى : ﴿ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] .

ويطلق على الغدوة والمساء كما قال تعالى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون ﴾ [الروم : ١٧ ، ١٨] والأظهر لي أن حين هنا بمعنى وقت . والله أعلم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ [الزمر : ٥٨] .

ويطلق على السنة أو على فصولها ، قال تعالى : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٥] .

أما المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] فقيل : إلى الموت ، وقيل : إلى قيام الساعة ، وقد فصَّل البعض القول في ذلك فقالوا : المتاع لآدم إلى موته ، والمتاع لذرية آدم غايته إلى قيام الساعة ، والمتاع لإبليس إلى قيام الساعة كذلك لقوله : ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين

إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ﴾ [البقرة : ٣٦] الآية ؟

ج : ابتداءً فآدم وحواء عليهما السلام داخلان في هذه الآية بالإجماع[1] أي : داخلان في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ أما على العموم فيدخل فيها آدم وحواء وإبليس وذرية هؤلاء ، وبعض أهل العلم يدخل معهم الحيَّة[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة ما ذكره بعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى : ﴿ اهبطوا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعُبر بالجمع في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ لاستتباعهما الذُّرية ؟

ج : هذا القول خطأ[3] فإنه وإن حدثت عداوة بين بعض بني آدم أو بين آدم وحواء فإن هذه العداوة من نزغات الشيطان كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] وكما قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وقد قال تعالى في شأن الزوجين : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم : ٢١] .

---

(١) نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله تعالى (في تفسيره ١/٥٣٥) .

(٢) بناءً على ما قرره قائل هذا القول من أن إبليس دخل إلى الجنة في فم الحية .

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٣٤) : قول الله تعالى ذكره : =

= ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعًا ﴾ [البقرة : ٣٨] .

قد ظن الزمخشري أن قوله : ﴿ اهبطوا منها جميعًا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] قال : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة:٣٨ ، ٣٩] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ، ومعنى قوله : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضًا .

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية . فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو . وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة . فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعدواة بين الشيطان والإنسان . وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس ، وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور ، مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه ؟ مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئًا .

وأما قوله تعالى في سورة طه ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] فهذا خطاب لآدم وحواء . وقد جعل بعضهم لبعض عدوًّا ، فالضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها ﴾ إما أن يرجع إلى آدم وزوجته ، وإما أن يرجع إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له .

وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط ، وهما آدم وإبليس ، فالأمر ظاهر .

وأما على الأول – وهو رجوعه إلى آدم وزوجه– فتكون الآية قد اشتملت على أمرين : =

= أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه ، وبين إبليس . ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني ، دون الأول . ولابد أن يكون إبليس داخلًا في حكم هذه العداوة قطعًا . كما قال تعالى : ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [طه: ١١٧] وقال لذريته : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع ، دون التثنية .

وأما الإهباط : فتارة يذكر بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية . وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله في سورة الأعراف : ﴿ قال اهبطوا ﴾ [الأعراف : ٢٤] وكذلك في سورة ص ، وهذا لإبليس وحده . وحيث ورد بصيغة الجمع ، فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم . وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية . وإما أن يكون لآدم وإبليس ، إذ هما أبوا الثقلين ، وأصلا الذرية . فذكر حالهما ومآل أمرهما ، ليكون عظة وعبرة لأولادهما . وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه : ١٢٣] لآدم وإبليس : أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم ، دون زوجه . فقال ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال : اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه ١٢١ – ١٢٣] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعًا . فإن المقصود إخبار الله تعالى الثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنسان فقط . وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة . فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم . وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريدها إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله .

وبالجملة فقوله : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] ظاهر في الجمع ، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله : ﴿ اهبطا ﴾ من غير موجب .

قول الله تعالى ذكره: ﴿وقالوا قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم﴾ [البقرة : ٨٨]. =

أما العداوة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة:٣٦] فهي بالدرجة الأولى بين آدم وذريته من ناحية وبين إبليس وذريته من ناحية أخرى ، وكذلك بين بني آدم والحيات[1] ، قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يسٓ : ٦٠] ، ولا يمنع أن يكون هناك عداوات بين البشر أنفسهم والمتسبب فيها إبليس ، والأمور كلها بقدر الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : الأدلة على ذلك في غاية الكثرة نورد منها ما يلي :

١ - أُخرج آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام من الجنة بمعصيتهما لله

= قد اختلف في معنى قولهم : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ [البقرة : ٨٨] .

فقالت طائفة : المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم . فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به ؟ أو لا تحتاج إليك ؟ وعلى هذا فيكون ﴿ غلف ﴾ جمع غلاف والصحيح : قول أكثر المفسرين : إن المعنى قلوبنا لا تفقهه ، ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف ، كأحمر وحمر . قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، كما يقال : سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف ، غير مختون .

(١) وقال النبي ﷺ في شأن الحيات : « ما سالمناهن منذ حاربناهن » ، وكان النبي ﷺ يأمر بقتل الحيات .

● وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان » .

عز وجل وأكلهما من الشجرة وتعريا بعد سترٍ كانا فيه .

قال تعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

● وقد قال موسى لآدم عليهما السلام : « أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا بخطيئتك من الجنة » .

● وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف: ٩٦].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل : ١١٢ ، ١١٣] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذُكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا

عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٥، ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللّٰه ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [التوبة : ٧٦ ، ٧٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم: ١٧-٢٠].

● وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا ... ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا تكرر ذكر الإهباط في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا ... ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : للعلماء فيه أقوال :

١ - تكرر ذكر الإهباط لأن معنى ما بعده يتعلق به في السياقين .

٢ - وقيل : تكرير وتأكيد .

٣ - وقيل : إن الإهباط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني

من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا القول لا أعلم دليلًا عليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : معناها – والله أعلم – : إن يأتكم .

قال الطبري رحمه الله : وتأويل قوله : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ فإن يأتكم و (ما) التي مع (إن) توكيدٌ للكلام ولدخولها مع (إن) أُدخلت النون المشددة في ﴿ يأتينكم ﴾ تفرقةً بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام – التي تسميها أهل العربية صلة وحشوًا – وبين (ما) التي تأتي بمعنى الذي فتؤذن بدخلوها في الفعل أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء توكيد ، وليست (ما) التي بمعنى (الذي) .

❋ ❋ ❋

س : ما هو تأويل قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدًى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : فإما يأتينكم يا معشر من أُهبط إلى الأرض من سمائي وهو آدم وزوجته وإبليس – كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها – إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد إلى سبيلي وديني فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن قد سلف منهم قبل ذلك إلي معصية وخلافٌ لأمري وطاعتي ، يعرِّفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم لمن أناب إليه كما وصف نفسه بقوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] .... ثم قال رحمه الله : وقوله : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ [البقرة : ٣٨] يعني : فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولا هم يحزنون يومئذٍ

على ما خلَّفوا بعد وفاتهم في الدنيا .

❋ ❋ ❋

س : هل ينال المسلم خوف أو حزن يوم القيامة ؟

ج : من أهل العلم من ينفي ذلك مطلقًا ، ومنهم من يُثبته ويؤول الآية : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] بأن مآلهم يكون إلى السلامة وإلى الأمن ، وها هي أدلة كل فريق :

أولًا : بعض أدلة القائلين بنفي الخوف والحزن عن المؤمن يوم القيامة :

● قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الأحقاف : ١٣] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفورٍ رحيم ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

● قوله تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

ثانيًا : بعض أدلة القائلين بأن المؤمنين ينالهم شيء من الفزع يوم القيامة :

● منها حديث الشفاعة ، وفيه : (أن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون) .

● ومنه قول النبي ﷺ : « يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك ربنا وسعديك فينادَى إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[1] الحديث .

● ومنه قول النبي ﷺ : « إنكم محشورون إلى اللَّه عز وجل حفاة عراة غرلًا كما بدأنا أول خلق نعيده ... » الحديث ، وفيه أن عائشة قالت : يا رسول اللَّه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك »[2].

● **قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى :** قوله تعالى : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه اللَّه تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين ، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا ، واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٣٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه اللَّه تعالى : يعني : والذين جحدوا آياتي وكذَّبوا رسلي ، وآيات اللَّه حُججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها ، وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشيء .

﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ [البقرة : ٣٩] يعني أهلها الذين هم أهلها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٧) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

دون غيرهم المخلدون فيها أبدًا إلى غير أمدٍ ولا نهاية .... ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوامًا أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أُذن لهم في الشفاعة »[1].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) وقد تقدم .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : ارهبون – اتقون – لا تلبسوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ارهبون	اخشونِ
اتقون	اجعلوا بينكم وبين غضبي وعقابي وقاية بطاعتكم لي وبُعدكم عن معصيتي
لا تلبسوا	لا تخلطوا

❋ ❋ ❋

س : من هو إسرائيل ؟ وهل لإسرائيل معنى ؟

ج : إسرائيل هو يعقوب ﷺ ، وقد نقل الشوكاني الاتفاق على ذلك[1] ، وسيأتي لذلك مزيد في آل عمران إن شاء الله .

أما إسرائيل فذهب بعض العلماء إلى أنه اسم كسائر الأسماء ، ومنهم من قال : هو مركب من إسر بمعنى (عبد) وإيل بمعنى (الله) فعليه فإسرائيل هو عبد الله كما أن جبرائيل عبد الله ، وميكائيل كذلك ، وإسرافيل كذلك ... ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ [البقرة : ٤٠] فائدة في كيفية الدعوة إلى الله عز وجل وضحها ؟

ج : هذه الفائدة فحواها أننا نستجيش الناس بما نعلم فيهم من صلاح وخير وإحسان ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ أي : يا أولاد يعقوب ، ومن المعلوم أن يعقوب نبي كريم فكأنه قيل لهم : يا أولاد النبي الكريم يعقوب كونوا صالحين كرماء أتقياء كأبيكم ، ونحوه قول الله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] أي : يا ذرية الصالحين المحمولين مع نوح ، (فما حُمل مع نوح إلا مؤمن) كونوا صالحين كآبائكم ، ونحوه قول قوم مريم لمريم : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًّا ﴾ [مريم : ٢٨] .

فوجه الاستفادة في الدعوة إلى الله أننا نخاطب الناس فنقول : يا ابن الشجاع بارز الأبطال ، يا ابن الحسن تصدق ، يا ابن العالم تعلَّم ، ونحو ذلك من وجوه الاستجاشة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر فتح القدير .

س : خاطب الله عز وجل بني إسرائيل بجملة آيات يستفاد منها في الدعوة إلى الله ، اذكر بعض هذه الفوائد ؟

ج : استعملت مع بني إسرائيل وسائل في دعوتهم منها التذكير بالنعمة عليهم وعلى آبائهم ومنها التخويف ، ومنها التوبيخ على سوء الأفعال ، وقد أوجز ذلك ابن جزي الكلبي في تفسيره فقال : (يا بني إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب ﴿ سيقول السفهاء ﴾ [البقرة : ١٤٢] فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ [البقرة : ٤٩] ، و ﴿ إذ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ، و ﴿ بعثناكم من بعد موتكم ﴾ [البقرة : ٥٦] ، ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن السلوى ﴾ [البقرة : ٥٧] ، و ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، و ﴿ تاب عليكم ﴾ [البقرة: ٥٤] ، و ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ [البقرة: ٥٨]، و ﴿ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ، و ﴿ انفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ﴾ [البقرة : ٦٠] ، وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم : ﴿سمعنا وعصينا﴾ [البقرة : ٩٣] ، و ﴿ اتخذتم العجل ﴾ [البقرة : ٩٢]، و ﴿ قالوا أرنا الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ بدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] ، و ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يحرفونه ﴾ [البقرة : ٧٥] ، و ﴿ توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] ، و ﴿ قست قلوبكم ﴾ [البقرة : ٧٤] ، و ﴿ كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ [النساء : ١٥٥] ، وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يعطوا الجزية ﴾ [التوبة : ٢٩] ، و ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] ، و ﴿ كونوا قردة﴾ [البقرة : ٦٥] ، و ﴿أنزلنا عليهم رجزًا من السماء﴾ [الأعراف : ١٦٢] ،

و ﴿ أخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ جعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] ، ﴿ وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهي : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به و ﴿ يحرفون الكلم ﴾ [المائدة : ١٣] و ﴿ يقولون : هذا من عند الله ﴾ [البقرة : ٧٩] ، و ﴿ تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر ، وقولهم : ﴿نحن أبناء الله﴾ [المائدة : ١٨]، وقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ٤٠] هل الذكر بالقلب أو باللسان في هذا المقام ؟

ج : الذكر هنا – والله تعالى أعلم – هو الذكر الذي هو ضد النسيان بمعنى اذكروا ما أنعمت به عليكم واشكروه ولا تنسوا شكره والعمل بمقتضى ذلك الشكر . ولا يبعد أيضًا أن يدخل فيه الذكر باللسان لقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾[1] [الضحى : ١١] .

* * *

س : اذكر بعض النعم التي أنعمها الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : من هذه النعم ما يلي :

- فضلهم الله عز وجل على عالمي زمانهم كما قال سبحانه : ﴿ وأني

---

(١) وهذا عند من لا يخشى من ورائه الحسد ، أما من يخشى منه الحسد فلا يُتحدث عنده بالنعمة ، قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام : ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا﴾ [يوسف: ٥] وقال النبي ﷺ : «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب».

فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] وكما قال سبحانه ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] .

● نجاهم الله عز وجل من آل فرعون إذ كانوا يسومونهم سوء العذاب كما قال سبحانه : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يُذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

● أغرق الله عز وجل عدوهم فرعون وهم ينظرون كما قال سبحانه : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة : ٥٠] .

● عفا عنهم بعد اتخاذهم العجل إلهًا لما تابوا كما قال تعالى : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٢] .

● آتاهم الله الكتاب والفرقان كما قال سبحانه : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] .

● بعثهم الله بعد موتهم لعلهم يشكرون .

● ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .

● فجَّر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينًا .

● كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلَّفه آخر[1] كما قال النبي ﷺ .

● جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلَّفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث .

● وقوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [القصص : ٥ ، ٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] ؟

ج : قيل : إن العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ [البقرة : ٤٠] هو عام في كل العهود التي أخذها الله تبارك وتعالى عليهم على لسان أنبيائهم ، فمن هذه العهود ما أخذه الله عليهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ إذا بُعث ، كما قال تعالى :

● ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١].

● ومنها ما ذكره الله في كتابه : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

● وما ذكره سبحانه في كتابه : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [المائدة : ١٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الأعرف : ١٥٦ ، ١٥٧] ، فعلى ذلك فعهد الله هو عام في كل ما أخذه عليهم وعهدهم هو ما ذكره الله سبحانه حيث قال : ﴿ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ١٢] فهو تكفير السيئات وإدخال الجنات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – :أن القرآن مصدق للتوراة التي بأيديهم فآمنوا بهذا القرآن الذي قد علمتم أنه مصدق لما معكم ، ووجه تصديقه لما معهم في الآتي :

١ – أنهم أُخبروا به في كتبهم ثم ظهر كما أُخبروا به ، فصدَّق هذا القرآن ما كان موجودًا في كتبهم .

٢ – أن النبي ﷺ أخبر (بما في كتاب الله) أنهم أنبياء وأُنزلت عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي : شاهد بصدقهم .

٣ – أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرع ، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يقال لليهود : ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به ﴾ [البقرة : ٤١] وقد كفر قبلهم مشركو مكة ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا تكونوا أول فريق كافرٍ به من أهل الكتاب .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : يرجع إلى القرآن الكريم .

❋ ❋ ❋

س : هل يقتضي قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا أول كافرٍ به﴾ [البقرة : ٤١] إباحة الكفر في ثاني الحال ؟

ج : لا يقتضي هذا بحال من الأحوال ، وذلك لأن النهي عن الكفر مطلقًا جاء صريحًا في عدة آيات ، وهذا يسميه العلماء مفهوم معطل ، وجاء التقييد بأول كافرٍ به لكون أول كافر يسن الكفر لمن بعده فيكون إثمه أعظم والعقوبة عليه أغلظ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآيات المرادة بقوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٤١] ، وما هو الثمن القليل ؟

ج : قيل : إن الآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ ، والثمن القليل هو ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ونحو ذلك فكتموا الآيات التي فيها صفة محمد ﷺ مقابل الحرص على جاههم ورئاستهم .

● وقيل أعم من ذلك بمعنى : أن كل ما فيه مال أو جاه يقدمونه وإن كان خلاف الآيات فيخفون الآيات ، كما قال تعالى : ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها

وتخفون كثيرًا ﴾ [الأنعام : ٩١] مقابل المتاع الفاني .

● وقيل : إنهم كانوا يأخذون الأجر على تعليم الدين .

● وقيل : كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه لشرف الشريف ونحو ذلك ، كما جاء عن رسول الله ﷺ :« إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وكل هذا وارد ومحتمل ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

* * *

س : هل يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن ؟

ج : ذهب الجمهور إلى جواز ذلك لحديث : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله »[1] ، فقالوا : إن الحديث وإن كان قد ورد في أخذ الأجر على الرقية لكن لفظه عام .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ[1] فيهم لديغ[2] أو سليم فعرض لهم[3] رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ، إن في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[4] فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » .

وقد ورد الحديث مطولًا عند البخاري في عدة مواضع منها (٢٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضًا .

---

(١) أي : على أهل ماء .

(٢) سليم : بمعنى لديغ ، والعرب تطلق على اللديغ (سليم) تفاؤلًا بالشفاء ، كما يقولون في : (الأعمى) البصير صنع كذا وكذا .

(٣) في بعض الروايات أن أصحاب النبي ﷺ سألوهم أن يقروهم (أي : يضيفوهم) فأبوا .

(٤) أي : مقابل عددٍ من الشياه .

● واحتجوا أيضًا بحديث : « زوجتكها بما معك من القرآن »[1] ، فجعل تعليمها القرآن عوضًا عن الصداق في حال انعدامه ، وثمَّ أدلة أخر .

بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن لقوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا﴾ [الفرقان : ٥٧]، وقوله تعالى : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد .... ﴾ [سبأ : ٤٧] ، ونحو ذلك من الآيات .

وكذلك بعض الأحاديث مثل حديث : « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به .... »[2] ، وحديث : « اقرءوا فكلٌّ حسن ، فسوف يأتي قوم يتعجلونه ولا يتأجلونه .... » إلى غير ذلك ، والذي تطمئن إليه النفس أن التعليم إذا لم يكن فرض عين على المعلم جاز له أن يأخذ أجرًا عليه وخاصة إذا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/١٣١) ، ومسلم (مع النووي ٩/٢١١) من حديث سهل بن سعد مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٣/٤٤٤) ، (٣/٤٢٨) ، وأبو يعلى (٨/١٥/٣) ، والطحاوي (٣/١٨) ، وابن أبي شيبة (٢/٤٠٠) ، والطبراني في الأوسط (٣/١٩٩٧) من حديث عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه مرفوعًا .

والحديث عندهم مداره على يحيى بن أبي كثير ، فرواه مرة عن أبي راشد الحبراني عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا ، ومرة عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا كذلك ، ومرة عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن شبل بدون ذكر أبي راشد ، وهو اختلاف غير مؤثر ، فالذين رووه عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل ثقات أثبات ، فالحديث صحيح ، والله أعلم .

وقد ورد للحديث طريق آخر معلول شاذ وهو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، رواه عنه أبو سلمة وعن أبي سلمة يحيى بن أبي كثير فرجع الحديث إلى يحيى بن أبي كثير .

ورواية أبي هريرة حكم عليها عدد من أهل العلم بالوهم منهم الدارقطني رحمه الله ، والله أعلم .

كان من أهل الاحتياج وكان متفرغًا لذلك ، أما إذا كان فرض عين عليه فطلب منه رجل مثلًا أن يعلمه الفاتحة يصلي بها وامتنع عن أن يعلمه إلا بأجر فإنه – والحال هذه يأثم – والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ لا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وما هي صور ذلك ؟

ج : أما (اللبس) فهو الخلط ، (الحق بالباطل) هو الصدق بالكذب ، ومن صور ذلك :

- أنهم يخلطون التوراة المنزلة على موسى بالأكاذيب والتحريفات التي يسطرونها بأيديهم ، ويقولون : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله .
- أنهم يخلطون النصرانية واليهودية بالإسلام .
- أنهم يؤمنون ببعض ما في أيديهم ويكفرون ببعض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٢] ، تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون أنكم لابسون الحق بالباطل وكاتمون للحق ، فأنتم تلبسون الحق بالباطل عن علم وليس عن جهل ، وهذا أشد قبحًا وأعظم جُرمًا ولا شك .

ومحتمل أيضًا : وأنتم تعلمون عقوبة من لبس الحق بالباطل والوعيد الشديد الوارد في حقه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر الأحاديث الواردة في فضل صلاة الجماعة والحث عليها

والترهيب من تركها ؟

ج : روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة »[1] ،، كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاةُ الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خَمْسًا وعشرين ضِعْفًا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوُضُوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرِجه إلا الصلاة لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفِعَتْ له بها دَرَجة وَحُطَّتْ عنه بها خطيئةٌ ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصلاه ما لم يُحْدِثْ تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة »[2]، كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بِحَطبٍ فَيُحْتَطَبَ ثم آمُرَ بالصلاة فَيُؤَذَّنَ لها ثم آمُرَ رجلًا فَيَؤُمَّ الناس ثم أخالف إلى رجال فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهم »[3]، كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهنَّ ، فإن الله شرع لنبيكم سُنَن الهُدى وإنهن من سُنَن الهُدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رَأَيْتُنَا وما يتخلف عنها إلا منافق معلومُ النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٥) ، ومسلم (حديث ٦٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٧) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٤) ، ومسلم (حديث ٦٥١) .

(٤) أخرجه مسلم (ص٤٥٣ عقب حديث ٦٥٤) ، وفي رواية لمسلم (٦٥٤) : قال عبد الله : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض ، إن كان =

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » قال : نعم قال : « فأجب » .

● وأخرج مسلم[2] من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلَّه » .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خصَّ الركوع في قوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٣] ؟

ج : خصَّ الركوع – كما ذكر بعض أهل العلم – لأنه كان أثقل عليهم من كل فعل ، وقيل : إنه الانحناء لغة ، وذلك يعم الركوع والسجود ، وقد كان الركوع أثقل شيء على القوم في الجاهلية حتى قال بعض من أسلم للنبي ﷺ : على ألا أخرَّ إلا قائمًا ، فمن تأوله على ألا أركع فلما تمكن الإسلام من قلبه اطمأنت نفسه بذلك .

● وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : صلُّوا مع المصلين (ففيه على هذا القول : الحث على الجماعة) ..

● وقيل : إن صلاة اليهود لا ركوع فيها فأُمروا بالصلاة التي فيها ركوع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= المريض يمشى بين رجلين حتى يأتي الصلاة ، وقال : إن رسول الله ﷺ علمنا سن الهُدى ، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه .

(١) حديث (٦٣٥) . (٢) حديث (٦٥٦) .

۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات والجُمل :

تنسون أنفسكم – تتلون – واستعينوا – وإنها لكبيرة – الخاشعين – يظنون

ج :

الكلمة	معناها
تنسون أنفسكم	تتركونها ولا تأمرونها بالبر .
تتلون	تقرءون وتدرسون ، وأصل التلاوة الاتباع، تلوته إذا تبعته .
واستعينوا	اطلبوا العون .
وإنها لكبيرة	مشقة ثقيلة – ومنه قوله تعالى : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [الشورى : ١٣] وقوله عليه الصلاة والسلام : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء » .
الخاشعين	المتواضعين الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده ، والخاشع هو الذي يُرى عليه أثر الذُّل والانكسار– خشعت الأصوات أي: سكنت
يظنون	يتيقنون ، فالظن هنا بمعنى اليقين ، ومنه ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟ وما هو الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة ؟

ج : المخاطبون بهذه الآية الكريمة هم اليهود بالدرجة الأولى ، والكتاب المشار إليه هو التوراة ، ويلتحق بهم كل من أمر بالبر ونسي نفسه من نصارى وأهل نفاق ، ومن قال ما لم يعمل وهو قادر على العمل وإن كان من المسلمين .

* * *

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد من الاستفهام التقريع والتوبيخ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالبر في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر .. ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : ابتداء كل طاعة لله عز وجل تسمى برًّا[1]، لكن المراد بالبر في هذه الآية الكريمة ، لأهل العلم فيه أقوال منها ما يلي :

١ – أن المراد بالبر هنا التمسك بالتوراة ، فكان بنو إسرائيل يأمرون الناس بالتمسك بها ولا يتمسكون بها هم أنفسهم .

٢ – أن المراد بالبر اتباع محمد ﷺ ، فكان الرجل من اليهود يوصي أقاربه سرًّا باتباع محمد ﷺ ويقول له : إنه هو الرسول الحق – ولا يتمسك هو

---

(١) ونقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك (٢/٧ بتحقيق أحمد شاكر) .

بذلك[1] .

٣ – أن المراد بالبر هنا الصدقة ، فقد كان علماء اليهود يأمرون بها ولا يتصدقون .

٤ – أن المراد بالبر الحث على اتباع النبي ﷺ ، فقد كان جماعة من اليهود يخبرون الناس بخروج النبي ﷺ ويحثونهم على اتباعه قبل أن يبعث فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به وجحدوا نبوته وأعرضوا عن دينه[2].

٥ – أن المراد بالبر عموم الطاعات ، فكان الأحبار يحضون أتباعهم على طاعة الله عز وجل وتقواه ويواقعون هم المعاصي ويقترفونها : فالمعنى أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه .

وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب ، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب –

---

(١) وقد أخرج البخاري (حديث ١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » .

(٢) أخرج ابن إسحاق في السيرة من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت الآيات من البقرة : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ [البقرة : ٨٩] (انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢١١) .

والله تعالى أعلم – هو آخرها لأن كل الأقوال التي قبله داخلة فيه هذا ، وقد يأتي البر بمعنى متسعٍ كما في قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذي صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [1] [المائدة : ٢] ، وقد يأتي البر بمعنى أضيق بعض الشيء كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكما قال النبي ﷺ : « ... فإن الصدق يهدي إلى البر... »[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق ... »[3] .

● هذا والآية الكريمة : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ... ﴾ وإن كان سياقها في اليهود إلا أن معناها عام فيدخل فيها كل من أمر بالبر وترك نفسه ، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالنسيان في قوله تعالى : ﴿ ... وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿... وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة : ٤٤] الترك

---

(١) وسيأتي مزيد لهذا البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (ص٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

فالمعنى : أتأمرون الناس بالبر وتتركون أنفسكم لا تأمرونها ولا تعملون به ، وذلك لأن النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر لا يؤاخذ صاحبه، وذلك لأن المؤمنين قالوا : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال الله : (قد فعلت) ، وفي رواية : (نعم)[1] .

هذا ، والنسيان بمعنى الترك يأتي كثيرًا في كتاب الله عز وجل .

- قال الله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾[2] [التوبة : ٦٧] .
- وقال تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ [البقرة : ٢٢٧] .
- وقال تعالى : ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف : ٥١] .
- وقال تعالى : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .
- وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ... ﴾ الآية [الأنعام : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أفلا تمنعون أنفسكم من الوقوع في هذه الحالة المخزية وهي أمر الناس بالبر ونسيان النفس . فالعقل : المنع ، ومنه عقال البعير ؛

---

(١) وسيأتي تخريج هذا في أواخر سورة البقرة بتمامه إن شاء الله تعالى ، وهو في صحيح مسلم (١٤٥/٢) .

(٢) وقد قال موسى عليه السلام : ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : ٥٢] ، فتبين بذلك أن المراد بالنسيان ليس النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر ، والله أعلم .

لأنه يمنعه من الحركة ، وقولهم : فلان معتقل أي : محبوس ممنوع من التصرف.

وأيضًا معنى قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] : أفلا تفهمون وتفقهون ؟! .

❋ ❋ ❋

س : هل يترك الإنسان الأمر بالبر حتى يفعله ، أو أن للإنسان أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ؟

ج : لا يترك الإنسان الأمر بالبر ، بل عليه أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ، فالآية الكريمة ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ٤٤] حوت ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى : أمر الناس بالبر في قوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ .

الفقرة الثانية : نسيان النفس في قوله تعالى : ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ .

الفقرة الثالثة : تلاوة الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ .

ولا شك أن الذم في الآية الكريمة وكذلك التوبيخ والتقريع منصبٌّ على الفقرة الثانية بالدرجة الأولى ، فأمر الناس بالبر مستحب وقد يصل إلى الوجوب في بعض الأحيان ، وكذلك تلاوة الكتاب .

فمن نسي نفسه وأمر الناس بالبر وتلا الكتاب خير[1] ممن نسي نفسه وترك تلاوة الكتاب ،وترك أمر الناس بالبر ، وكذلك فهو خير ممن نسي نفسه وأمر بالمنكر وترك تلاوة الكتاب وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء رحمهم الله تعالى[2].

---

(١) وإن لحقه الإثم .

(٢) **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف معروف =

= وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] ، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعصية لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ، فإنه لا حجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، قال مالك عن ربيعة : **سمعت سعيد بن جبير** يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر .

قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء ؟

قلت : (القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله) : لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وقال السعدي رحمه الله تعالى : (في تفسيره تيسير الكريم المنان) : فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله ، أو نهاه عن الشر فلم يتركه دلَّ على عدم عقله وجهله خصوصًا إذا كان عالمًا بذلك قد قامت عليه الحجة ، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل فهي عامة لكل أحدٍ لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين ، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر ، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما ، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر فليس في رتبة الأول ، وهو دون الأخير ، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله ، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة .

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث وأيضًا بعض الأشعار في ذم من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهى عن المنكر ويأتيه ؟

ج : أما الآيات الكريمات فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟!! [البقرة : ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

● وقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ [هود : ٨٨] .

● وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها : ما أخرجه البخاري[1] من طريق أبي وائل قال : قيل لأسامة : لو أتيت فلانًا[2] فكلمته ، قال : إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟!! إني أكلمه في السِّر دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه ، ولا أقول لرجلٍ أن كان عليَّ أميرًا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول :« يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) .

(٢) هذا الفلان هو عثمان رضي الله عنه ، كما هو واضح في سائر الروايات .

● أما من الأشعار فنورد هنا ما ذكره القرطبي رحمه الله ، نقلًا عن غيره .

قال رحمه الله : وقال منصور الفقيه فأحسن :

إن قومًا يأمروننا بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية :

وصفت التُّقى حتى كأنك ذو تقى وريحُ الخطايا من ثيابك تستطعُ

وقال أبو الأسود الدُّؤلي :

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتِيَ مثلَه عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ
وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها فإن انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقبل إن وَعظتَ ويُقتدى بالقول منك وينفع التعليمُ

وقال أبو عمرو بن مطر : حضرت مجلس أبي عثمان الحِيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته ؛ فناداه رجل كان يُعرف بأبي العباس : ترى أن تقول في سكوتك شيئًا ؟ فأنشأ يقول :

وغير تَقِيٍّ يأمر الناس بالتُّقَى طبيبٌ يداوي وَالطبيبُ مريضُ

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج .

الرابعة – قال إبراهيم النَّخَعِي : إني لأكره القَصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتأْمُرُونَ الناس بالبر ﴾ الآية [البقرة : ٤٤] ، وقوله : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] ، وقوله : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود : ٨٨] . وقال سلم بن عمرو :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقًا أضحى وأمسى بيته المسجد

إن رفض الدنيا فما بالـهُ يَستمنـح النـاس ويسترفـد
والرزق مقسوم على من ترى ينالـه الأبـيض والأسود

❋ ❋ ❋

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ... ﴾ الآية [البقرة : ٤٥] ؟

ج : المخاطبون بذلك هم بنو إسرائيل ، والمؤمنون لهم تبع في هذا الخطاب أما قولنا : إن المخاطبين هم بنو إسرائيل فذلك لأن سياق الكلام فيهم ابتداءً من قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] .

أما قولنا : إن المؤمنين لهم تبعٌ ، في هذا الخطاب فذلك لأن العبرة بالعموم والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يُطلب من بني إسرائيل الاستعانة بالصبر والصلاة ؟

ج : يطلب منهم الاستعانة على طاعة الله عز وجل بصفة عامة وعلى ما يُذهب عنهم شهوة الرئاسة فقد كانوا ذوي جاهٍ ورئاسةٍ فقيل : لهم استعينوا بالصبر والصلاة لتذهب عنكم شهوة الرئاسة والجاه .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يطلب المؤمنون العون من الله تبارك وتعالى ؟

ج : إجمالي القول في ذلك أن يقال : إن الاستعانة مطلوبة لفعل ما

يرضي الله سبحانه وتعالى وتجنب ما يسخطه عز وجل ، وببعض التفصيل :

● **فهي مطلوبة لتحمل المصائب والصبر على أقدار الله عز وجل .**

● وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام لما دخلت سارة على الجبار قام إبراهيم عليه السلام يصلي[1] .

● فكذلك ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[2] [البقرة : ٤٥] .

وكذلك خُبيب قام يصلي بين يدي القتل[3] .

● **والاستعانة مطلوبة لدفع البلاء كذلك** فعند كسوف الشمس تشرع الصلاة حتى تنجلي ، ومن المعلوم أن كسوف الشمس أو القمر آيتان

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .... الحديث وفيه أن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار ، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٠٨٤) مرفوعًا ومطولًا موقوفًا (٢٣٥٨) وسيأتي بطوله في آل عمران عند سؤال تسليط قوم على قوم .

(٢) أخرجه الطبري (رقم ٨٥٢) بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه .. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت .

يخوف الله عز وجل بهما عباده ، وقد قال النبي ﷺ : « إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره »[1] الحديث .

● وقد قال الله تعالى في شأن نبيه يونس عليه السلام : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصافات : ١٤٣، ١٤٤] .

وقوله : ﴿ من المسبحين ﴾ فسرها بعض العلماء بـ (المصلين) ، والله أعلم .

● **والاستعانة بالصلاة مطلوبة للحفظ ودفع الشرور** ، قال الله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة للتوفيق إلى أعمال الخير** كما في صلاة الاستخارة ، فإننا نركع ركعتين ثم ندعو الله عز وجل بالدعاء المذكور[2] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة لجلب الرزق** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٤٥/٢) ، ومسلم (٢١٤/٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري (مع الفتح ١٨٣/١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال – في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به ، ويسمي حاجته » .

س : ما معنى الصبر لغة ؟

ج : الصبر يطلق على الحبس ، ومنه قولهم : قتل فلان صبرًا أي أُمسك وحُبِس حتى قُتِل ، وقوله : صبرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالصبر في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر ... ﴾ [البقرة : ٤٥] ؟

ج : الصبر هنا عام يدخل فيه كل أنواع الصبر ، فمنه صبر على طاعة الله عز وجل (أي : حبس النفس وإلزامها طاعة ربها عز وجل) .

- ومنه الصبر عن محارم الله عز وجل (أي : منع النفس عن المحارم) .
- وصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى (من السراء والضراء) .
- ومن الصبر الصوم كذلك ، وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] : إنهم الصائمون[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة ؟

ج : وجه ذلك أن الصلاة يتلى فيها ما يرغِّب في الآخرة ويزهِّد في الدنيا ، وفي إقبال العبد عليها اعتراف من العبد بأنه سيلقى ربه عز وجل فتهون عليه المصائب وتسهل عليه الطاعات ، والله أعلم .

---

(١) ومستندهم في ذلك أن الله عز وجل قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « والحسنة بعشر أمثالها ، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .
ومن ثمَّ أطلق على رمضان شهر الصبر كذلك ، والله أعلم .

س : لماذا عُقب قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ بقوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : وجه ذلك – والله أعلم – أن العبد إذا أيقن بالمعاد وبالجزاء وبلقاء الله عز وجل سهلت عليه الطاعات وتيسر عليه عمل الخير ، فالذي خفف عليهم الطاعات وأوجب لهم التسلي في المصيبات وزجرهم عن فعل السيئات هو ما قذفه الله عز وجل في قلوبهم من يقين بأنهم ملاقو ربهم عزَّ وجل وأنهم إليه راجعون .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال .

● **منها أن الضمير يرجع إلى الصلاة [1] وحدها لأنها أقرب مذكور** في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، ومن المعلوم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا إذا جاء دليل على التعميم .

ويَرِد على هؤلاء القائلين بأن الضمير يرجع إلى الصلاة وحدها سؤال وهو لماذا لم يقل في الصبر : إنه كبير أيضًا ؟

فأجاب أهل هذا القول بأجوبة منها :

أولًا : أن الضمير رجع إلى الصلاة وحدها لأهمية الصلاة فاقتصر على

---

(١) ويشهد له قول النبي ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء ... » الحديث .

الصلاة لأهميتها ، كما اقتصر على ذكر التجارة في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] ، لأن الحامل الأصلي على الانفضاض هو التجارة .

الثاني : أن الصبر داخل في الصلاة .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة : ٦٢] ، لأن رضا رسول الله ﷺ داخل في رضا الرب سبحانه وتعالى .

الثالث : قيل : تغليبًا ، كما في قوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها[1] في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] .

الرابع : قيل : اختصارًا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [المؤمنون : ٥٠] ، ولم يقل : وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية .

● **ومنها أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرة ... ﴾ راجع إلى الوصية بالاستعانة بالصبر والصلاة** كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] أي : وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا .

● ونحوه في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ [القصص : ٨٠] أي : هذه الوصية لا يلقاها إلا الصابرون .

● **ومنها أن الضمير يرجع إلى الاستعانة نفسها** أي : أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين ، وهذا القول قريب من الذي قبله .

---

(١) بعض العلماء يقول : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ راجع إلى الأشياء المكنوزة ، والله تعالى أعلم .

● ومنها أن الضمير يرجع إلى الأوامر التي كلف بها بنو إسرائيل ، وتبدأ من قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ... ﴾ [البقرة : ٤٠] الآيات ، ثم قال تعالى : ﴿ وإنها ﴾ (أي : هذه الأوامر والتكاليف التي كلفتم بها ﴿ كبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ، والله تعالى أعلم) .

❋ ❋ ❋

س : هل في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ... ﴾ [البقرة : ٤٦] ، دليل صريح على رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة ؟ وهل يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة ؟

ج : نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة[1]، أما هذه الآية الكريمة ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ [البقرة : ٤٦] ففيها دليل إلا أنه ليس بصريح ، أما عدم صراحته فلأن اللقاء لا يستلزم الرؤية ، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ : « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » وقد يحلفها كافر ، والكافر لا يرى ربه لقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥] .

● وقال الله عز وجل : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وهذا عام .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في محله من التفسير إن شاء الله تعالى . وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ، وقال النبي ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح : « إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة ... » الحديث ، وسيأتي مزيد لذلك في أبوابه إن شاء الله .

يلقونه ﴾ [التوبة : ٧٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم .. ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : المراد بالظن هنا اليقين لأن الله سبحانه وتعالى قال في شأن المتقين : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ . وليس المراد بالظن هنا الشك ، فإن الله عز وجل قال في شأن الكافرين : ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عمون ﴾ [النمل : ٦٦] ، فالشك في الآخرة كفر ، والعياذ بالله .

- وكون الظن يطلق على اليقين فهو جائز بل ووارد بكثرة .
- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا ﴾ [الكهف : ٥٣] .
- وقال تعالى : ﴿ ... إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .
- وفي الحديث القدسي : « ... أفظننت أنك ملاقي » .

❋ ❋ ❋

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ
عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
لا تجزي – عدلٌ – يُنصرون ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
لا تجزي	لا تغني – لا تقضي
عـدل	فدية (فداء)
يُنصرون	يُمنعون من عذاب الله

✵ ✵ ✵

س : من المعلوم أن بني إسرائيل الذين وجه إليهم الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى ، فإن قال قائل : بماذا فضل هؤلاء على العالمين ؟ فكيف الجواب عليه ؟

ج : الجواب يتلخص في أن الذين فضلوا هم آباؤهم الأولين ، فشرف آبائهم شرف لهم ، ومجد آبائهم مجدٌ لهم ، والدليل على أن بني إسرائيل الذين فضلوا هم الآباء وليسوا الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ وما جاورها ، قوله تعالى : ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون ...﴾ الآيات [البقرة : ٤٩]، وهم لم يروا فرعون بل الذين رأوه هم آباؤهم[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، فيه عطف للخاص على العام ، وضح ذلك ؟

ج : توضيح ذلك أن يقال : إن قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ يجمع النعم التي أنعم الله عز وجل بها على بني إسرائيل ، وضمن هذه النعم تفضيل الله عز وجل إياهم على العالمين ، فكونه يكرر : ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ فمعناه : أنه سبحانه ذكر أحد أفراد النعم بعد أن

---

(١) هذا وتمام التفضيل خاص بمن انتفع بنعم الله منهم وأطاع الله سبحانه وتعالى ، أما من عصاه منهم فكانوا قردة خاسئين وكانوا من المغضوب عليهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ذكرها مجتمعة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا كرر التذكير بقوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ... ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : كرر التذكير للتأكيد عليهم وبيان كمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله عز وجل بها عليهم ، وكرر كذلك ليربط بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بطريقتي الترغيب والترهيب في قوله : ﴿ واتقوا يومًا .... ﴾ [البقرة : ٤٨] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل فضلت بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ؟

ج : لم تفضل بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وقال النبي ﷺ : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : المراد عالمي زمانهم ، وقيل : إنه تفضيل عام لكن بوجهٍ من الوجوه مخصوص ألا وهو كثرة أنبيائهم ، كما قال النبي ﷺ : « كانت بنو إسرائيل

---

(١) حديث حسن ، وسيأتي تخريجه مع مزيد من الأدلة التي تشهد لهذا المعنى في آل عمران إن شاء الله تعالى .

تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث[1] .

لكن القول الأول (وهو أنهم فُضِّلوا على عالمي زمانهم) عليه جمهور أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ [الجاثية : ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض النعم التي فضل الله بها بني إسرائيل على العالمين ؟

ج : من هذه النعم كثرة الأنبياء فيهم – كما تقدم عن رسول الله ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم[2] الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ... » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .
(٢) أي : تقودهم .

- جعلهم الله عز وجل ملوكًا[1] بما أغدق عليهم من النعم .
- ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .
- أنزل الألواح على نبيهم موسى ﷺ .

وثَمَّ نعم أخر يعرف بعضها البشر ، والبعض الآخر لا يحصيه إلا الخالق سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وما هو اليوم المراد ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : واحذروا يومًا أو واخشوا يومًا ، وقيل : هنا إضمار ، والمعنى : واتقوا عذاب يومٍ ، والمقصود من اتقاء اليوم الخوف من أهواله وعظائمه ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا * السماء منفطر به كان وعده مفعولًا ﴾ [المزمل : ١٧، ١٨] .

وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] .

أما اليوم المراد فهو يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالنفس في قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : النفس الكافرة ، فهذا من العام الذي أريد

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى تفسير الملوك في بابه من سورة المائدة .

به الخصوص .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، النفس الكافرة لا كل نفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ [عبس : ٣٤ - ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولـده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ [لقمان : ٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

❋ ❋ ❋

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾ [البقرة : ٤٨] نفي الشفاعة مطلقًا ؟ أم ماذا ؟

ج : ليس المراد من الآية الكريمة نفي الشفاعة مطلقًا إلا إذا أُريد الكافرين كما هو الصحيح في الآية[1] ، فالشفاعة فيهم ومنهم مرفوضة منفية تمامًا[2] ، أما شفاعات أهل الإيمان في أهل الإيمان بإذن الله عز وجل فثابتة ، كما قال تعالى:

---

(١) أعني تفسير النفس في الآية بأنها النفس الكافرة كما تقدم .

(٢) باستثناء أبي طالب ، فشفاعة رسول الله ﷺ خفف الله عنه بها بعض العذاب ، وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله .

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ [الحديد : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به ﴾ [آل عمران : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [الرعد : ١٨] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ [الطارق : ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٥ ، ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ﴾ [الأحقاف : ٢٨] .

* * *

س : من هم الذين لا تقبل فيهم الشفاعة ؟ ولا تقبل منهم ؟

ج : هم الكفار ، ودليل ذلك قولهم : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] ، وقوله تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [المدثر : ٤٨] .

* * *

س : الشفاعة مأخوذة من ماذا ؟ وما معنى استشفعه إلى فلان ؟

ج : الشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان ، والشفع ضد الوتر ، فالوتر واحد والشفع اثنان ، تقول : كان وترًا فشفعته ، فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال منفعة للمشفوع .

قال الطبري رحمه الله تعالى : و (الشفاعة) مصدرٌ من قول الرجل : (شفع لي فلان إلى فلان شفاعة) وهو طلبه إليه في قضاء حاجته ، وإنما قيل للشفيع : شفيع وشافع لأنه ثَنَّى المستشفع به فصار به شفعًا ، فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردًا فصار صاحبه له فيها شافعًا وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة ، ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض (شفيعًا) لمصير البائع به شفعًا .

قلت : والمشفِّع هو الذي يقبل الشفعة ، والمشفَّع هو الذي تُقبل

شفاعتـه ، والشفاعة كذلك التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم وأيضًا التوسط لجلب خيرٍ أو لدفع ضُرٍّ عن أحدٍ من الناس .

أما معنى استشفعه إلى فلان أي: سأله أن يشفع له إليه ، ومنه القول المنقول عن الأعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلًا ... يارب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا
واستشفعت من سَرَاةِ الحي ذا ثقةٍ ... فقد عصاها أبوها والذي شفعا

ومنه أيضًا :

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾[البقرة : ٤٨] ؟

ج : أمثل ما قرأته في تأويلها إجمالًا هو قول الطبري رحمه الله فقال : واتقوا يومًا لا تقضي نفس عن نفسٍ حقًّا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق .

وتأويل قوله[1] : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] يعني : أنهم لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية ، بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرُّشى والشفاعات وارتفع[2] بين القوم التعاون والتناصر وصار الحكم إلى العدل الجبار الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنُّصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وقفوهم إنهم

---

(١) هذا أيضًا قول الطبري رحمه الله تعالى .

(٢) أي : ذهب وانقضى .

مسئولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٦] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع مطلقًا ؟

ج : من هذه الآيات :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئًا ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهًوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

● وقول أهل النار : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ [السجدة : ٤] .

● وقول بعض الصالحين : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍّ لا تغني عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون ﴾ [يس : ٢٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي أثبتت الشفاعة والشفيع ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

● وقوله تعالى : ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ [البقرة : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا * يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا * يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا ﴾ [طه : ١٠٥ - ١٠٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٨٦] .

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها ؟

ج : يجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها بالآتي :

أولًا : لا بد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكولٌ إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل : ﴿ قل لله الشفاعة جميعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

ثانيًا : لا شفاعة في كافر[1] لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

ولقول الكافرين : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠، ١٠١] ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥) ، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ – وذكر عنده عمه أبو طالب – فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » ، وقد جاء هذا مجزومًا به في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » ، أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩) ، فأبو طالب مستثنى ، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار ، وقد يقال : إن الكافر الداعي إلى كفره ليس كالكافر الذي =

عن النبي ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه فيقول : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل : إني حرمت الجنة على الكافرين »[1] .

ثالثًا : أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

رابعًا : أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سبحانه وتعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

خامسًا : أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

= لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ [العنكبوت : ١٢ - ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ [النحل : ٢٤ ، ٢٥] .

فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه .

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال :« ولولا أنا ... » أقوى من هذا المفهوم ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٩) .

● وقال تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق[1] وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .... ﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر أنواع الشفاعات مع (بيان أمثلة لكل نوعٍ منها) ؟

ج : الشفاعات على وجه الإجمال تحصل لي أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي :

● شفاعات في الآخرة .

● شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا .

● شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم .

أما على وجه التفصيل **فبالنسبة لشفاعات الآخرة** فنذكر منها الآتي :

١ - **الشفاعة العظمى** (والشافع فيها هو رسول الله ﷺ[2] بإذن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : هذا استثناء منقطع أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . وسيأتي لهذا مزيد في تفسير الآية المذكورة إن شاء الله .

(٢) وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت =

ربه) وهي لأمور ثلاثة :

أ) للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها ولا يحتملونها لما يجمعهم الله عز وجل في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم .

ب) لإدخال أقوامٍ الجنة .

ج) لإخراج أقوام من النار .

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان هذه الشفاعة العظمى :

= بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم و لم تحلَّ لأحد قبلي **وأعطيت الشفاعة** ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وهي التي أخرَّها النبي ﷺ لأمته فقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه (حديث ٨٢٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضبت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا فقال لي : « يا أبي أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف . فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثانية . اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردَّةٍ رددتكها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي **وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم** ﷺ » .

● وأخرج البخاري (٧٤٧٤) ، ومسلم (حديث ١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

● حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (حديث ١٩٤) واللفظ له ، وفيه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحمٍ . فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه . فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة . وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد . فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون . وما لا يحتملون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم . فيأتون آدم . فيقولون : يا آدم ! أنت أبو البشر . خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله . إنه نهاني عن الشجرة فعصيته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري . اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ! أنت أول الرسل إلى الأرض . وسماك الله عبدًا شكورًا . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي . نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ! أنت رسول الله . فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب

اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها . نفسي . نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ! أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه . فاشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . ولم يذكر له ذنبًا . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتوني فيقولون : يا محمد ! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء . وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي . ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي . ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك . سل تعطه . اشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : يارب ! أمتي أمتي . فيقال : يا محمد ! أدخل الجنة من أمتك ، من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجرٍ أو كما بين مكة وبصرى » .

● حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1] وفيه أن أنسًا رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، علمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناك – ويذكر لهم خطيئته التي أصاب – ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤١٠) ، ومسلم (حديث١٩٣) .

إلى أهل الأرض . فيأتون نوحًا فيقول : لست هناك - ويذكر خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم - ويذكر لهم خطاياه التي أصابها - ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا . فيأتون موسى فيقول : لست هناكم - ويذكر لهم خطيئته التي أصابها- ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتونني ، فأنطلق ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، فقال النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة » .

● وهذا سياق آخر لحديث أنس رضي الله تعالى عنه مع حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1] ، فقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (١٨٢/١ ترتيب محمد فؤاد) .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه . فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى . فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي ! فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجدًا فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتي فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار ، فأنطلق فأفعل » ، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا : لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة فحدثنا بما

حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له : يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع ، فقال : هيه ، فقلنا : لم يزد لنا على هذا فقال : لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا ، فقلنا : يا أبا سعيد فحدثناه فضحك ، وقال : خلق الإنسان عجولًا ، ما ذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم حدثني كما حدثكم به ، قال : « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ، ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » .

● ومنها حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه ومعه أبو هريرة رضي الله عنه قالا[1] : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس . فيقوم المؤمنون حتى تزلف[2] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك واذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله . قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك . إنما كنت خليلًا من وراء وراء[3] . اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمدًا ﷺ . فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[4] فتقومان جنبتي

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥) .

(٢) (تزلف) : أي تقرب. كما قال الله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي : قربت .

(٣) (من وراء وراء) قال الإمام النووي : قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه . وقال : الفتح صحيح .وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ وَشَغَرَ بَغَرَ وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما على الفتح .

(٤) (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما . فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى .

الصراط[1] يمينًا وشمالًا فيمر أولكم كالبرق » قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح . ثم كمر الطير وشد الرجال[2] . تجري بهم أعمالهم[3] ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب ! سلم سلم . حتى تعجز أعمال العباد . حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصراط[4] كلاليب معلقة . مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج ومكدوس[5] في النار » .

والذي نفس أبي هريرة بيده ! إن قعر جهنم لسبعون خريفًا .

٢ - **الشفاعة لأهل الكبائر** [6] ، وعليها أدلة كثيرة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام .

أما الخاص فحديث رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[7].

---

(١) (جنبتي الصراط) معناهما : جانباه ، ناحيتاه اليمنى واليسرى .

(٢) (وشد الرجال) الشد هو العَدْوُ البالغ والجري .

(٣) (تجري بهم أعمالهم) هو تفسير بقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٤) (حافتي الصراط) هما جانباه .

(٥) (ومكدوس) قال في النهاية : أي مدفوع . وتكدَّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط .

(٦) ليس المقصود قصر الشفاعة على أهل الكبائر وحصرها منهم ، بل المراد - والله أعلم أن الشفاعة تنفع أكثر ما تنفع أهل الكبائر ، وذلك لأن الكبيرة يعذب عليها صاحبها - إلا أن يشاء الله أن تغفر له - فإذا أذن الله عز وجل لنبيه ﷺ في الشفاعة في صاحب الكبيرة فقد ارتفع عن صاحب الكبيرة العذاب ومن ثمَّ حصل له الانتفاع ، والحامل على هذا القول أن هناك أنواعًا من الشفاعات لرسول الله ﷺ كما بيناه وتبيته إن شاء الله ، والله أعلم .

(٧) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه ، فله عن رسول الله ﷺ طرق منها حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣/٢١٣) وأبو داود (في كتاب السُّنة من سننه أبواب الشفاعة حديث ٤٧٣٩) من طريق سليمان بن حرب ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحداني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وله طرق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا وله أيضًا طرق أخرى عن غير أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ كجابر بن عبد الله وغيره من الصحابة ، انظر هذا كله بتفصيل في كتاب الشفاعة .

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنه قال لرسول الله ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه »[1] .

● الأحاديث التي قدمناها عند ذكر الشفاعة العظمى وفيها : « فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، وقول النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة».

● وفي الأحاديث المتقدمة أيضًا «... فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ...– إلى أن قال: فيقول (أي الرب سبحانه وتعالى)–: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار فأنطلق فأفعل ...» الحديث .

● وفي الحواشي المتقدمة كذلك قول النبي ﷺ : « وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ومنها قول النبي ﷺ : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة »[2] .

فيدخل في هذا أهل الكبائر أيضًا .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٩٩ ، ٦٥٧٠) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٩٩/٨) ، وأبو داود (٣٦٢/١) وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

٣ - الشفاعة لإدخال قومٍ الجنة بغير حساب .

● تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما ذكرناه من أحاديث في أبواب الشفاعة العظمى أن النبي ﷺ قال : « فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » .

● وعن رفاعة[1] الجهني رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال : بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر » فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا فقال رجل إن الذي يستأذنك بعد هذا السفيه فحمد الله وقال حينئذ : « أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة قال : وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوَّؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة وقال إذا مضى نصف الليل أو قال ثلثا الليل ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له من الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يسألني أعطيه حتي ينفجر الصبح » .

٤ - الشفاعة في خروج الموحدين من النار .

● عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تُمارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَهُ سَحابٌ ؟ » قالوا : لا يا رسولَ الله . قال : « فهل تُمارونَ في الشَّمسِ ليسَ دونَها سحابٌ ؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم ترَونهُ كذلك ، يُحشَرُ الناسُ يومَ القِيامِة فيقولُ :

---

(١) أخرجه أحمد (١٦/٤) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٨٠٦) ومسلم (١٦٣/١ ، ١٦٤) .

مَن كانَ يَعبُدُ شَيئًا فَلْيَتَّبِعْ ، فمنهم مَن يتَّبعُ الشَّمسَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ القمرَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ الطواغِيتَ ، وتبقىٰ هٰذهِ الأُمَّة فيها مُنافِقوها ، فيأْتِيهمُ الله فيقولُ : أَنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكانُنا حتى يأْتِينَا ربُّنا ، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه . فيأْتيهمُ الله فيقولُ : أَنا ربُّكم فيقولونَ : أَنتَ ربُّنا ، فيدعوهم فيضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظهرانَيْ جَهنَّم ، فأَكونُ أَوَّلَ مَن يَجوزُ منَ الرُّسُلِ بأُمَّتِهِ ، ولا يتكلَّمُ يومَئِذٍ أَحدٌ إلَّا الرُّسُلُ ، وكلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ : اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وفي جَهنَّم كَلاليبُ مِثلُ شَوكِ السَّعدان هل رَأَيتمْ شَوك السَّعدانِ ؟ » قالوا : نعم . قال : « فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ ، غيرَ أَنَّه لا يَعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله ، تَخْطَفُ الناسَ بأَعمالِهمْ ، فمنهم مَن يُوبَقُ بعَمِلِه ، ومنهم مَن يُخرْدَلُ ثمَّ يَنجو . حتى إذا أَرادَ الله رحمةَ مَن أَرادَ مِن أَهلِ النَّارِ أَمَرَ الله الملائكةَ أَن يُخرِجوا مَن كان يَعبُدُ الله ، فيُخرِجونهمْ ، وَيَعرِفونَهم بآثارِ السُّجودِ ، وحرَّمَ الله عَلَى النارِ أَن تأْكلَ أَثرَ السجودِ . فيخرُجونَ منَ النارِ ، فكلُّ ابنِ آدمَ تأْكلُه النارُ إلَّا أَثرَ السجودِ ، فيخرُجونَ مِنَ النَّار قِد امتَحشوا ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ ، فيَنبتُونَ كما تنبُت الحبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ . ثمَّ يَفرُغُ الله مِنَ القضاءِ بينَ العبادِ ، ويَبقىٰ رَجُلٌ بينَ الجنَّةِ والنار – وهو آخرُ أَهلِ النارِ دخُولًا الجَنَّةَ – مُقبِلٌ بوَجهِهِ قِبَل النارِ ، فيقول : يا ربِّ اصرفْ وَجهي عن النار ، قد قَشَبَني رِيحُها وأَحرَقَني ذَكاؤُها . فيقولُ : هلْ عَسيتَ أَنْ فُعلَ ذٰلك بكَ أَن تَسأَلَ غيرَ ذٰلكَ ؟ فيقول : لا وعزَّتِك . فيُعطِي الله ما يَشاءُ من عَهدٍ وميثاقٍ ، فيصرِفُ الله وَجهَهُ عنِ النارِ ، فإذا أَقبَلَ به على الجنَّةِ رأَى بهجَتها ، سَكتَ ما شَاءَ الله أَن يَسكُت ، ثم قال : يا ربِّ قدِّمْني عندَ بابِ الجنَّةِ . فيقولُ الله له : أَليسَ قد أَعطيتَ العُهود والميثاقَ أَنْ لا تَسأَل غيرَ الذي كنتَ سأَلتَ ؟ فيقول : يا رب ، لا أَكونُ أَشقىٰ خَلقِكَ . فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيُعطي ربَّهُ ما شاءَ من عهد وَمِيثاقٍ ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الجَنَّةِ، فإذَا بَلَغَ بابَها فرأَىٰ زهرتَها وما فِيها

مِنَ النَّضرَةِ والسُّرور فيَسكُتُ ما شاءَ الله أَن يسكُتَ ، فيَقولُ : يا ربِّ أَدخِلني الجَنَّة . فيقولُ اللَّهُ : وَيحَكَ يا ابنَ آدَمَ ، ما أَغْدَرَكَ ! أَليسَ قد أَعطيت العهودَ والميثاقَ أَن لا تسأَلَ غيرَ الذي أُعطيتَ ؟ فيقولُ : يا ربِّ لا تجعلني أَشقىٰ خَلِقك . فيَضحَكُ اللَّهُ عز وجلَّ منه ، ثمَّ يأْذَنُ لهُ في دُخولِ الجنَّةِ ، فيقولُ : تمنَّ ، فيَتَمنَّىٰ . حتى إذا انقَطَعَ أُمنيَّتُهُ قال الله عزَّ وَجلَّ : مِن كذا وكذا – أَقبَلَ يُذَكِّرُهُ ربُّهُ – حتى إذا انْتهَتْ بهِ الأَمانيُّ قال اللَّهُ تعالىٰ : لَكَ ذلك وَمِثلُهُ مَعَهُ » . قال أَبو سعيدٍ الْخُدرِيُّ لأَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهما : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « قال اللَّهُ : لَكَ ذلكَ وَعشْرَةُ أَمثالِه » . قال أَبو هُريرةَ : لمْ أَحفَظْ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا قَوْلهُ : « لكَ ذٰلكَ ومِثلُهُ معهُ » . قال أَبو سعيد : إني سمعتُهُ يقول : « ذٰلك لكَ وعشرَةُ أَمثالِه » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[1] : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : «هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقَمر إذا كانت صَحوًا ؟» قلنا: لا ، قال : «فإنكم لا تضارُون في رؤية ربِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم قال : ينادى مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصليبِ مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يؤتى بجهَنَّم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنَّا نعبُدُ عُزَيرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكنْ للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ، قالوا : نريد أن تسقِينَا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيحَ ابن الله ، فيقال كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون فيقولون نريدُ أن تسقينا ، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ فيقولون :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) .

فارقناهم ونحن أحَوجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادِى : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون السَّاق : فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثمَّ يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم » قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدحضةٌ مَزِلةٌ عليها خَطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مفلطَحَةٌ لها شوكةٌ عقَيفاء تكون بنَجد يقال لها السعدانَ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيْل والركاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يَمرَّ آخرهُم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشَدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوْا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معَنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمنْ وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخرجوه ، ويحِّرمُ الله صوُرَهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غَاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيهِ فيخرِجون مَن عَرفوا ثم يَعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخُرِجون من عَرفوِا » ، قال أبو سعيد فإن لم تصدَّقوني فاقرءوا : ﴿ إن الله لا يظلمُ مثقال ذرَّة ، وإنْ تك حسنَةً يُضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فَيشَفَعُ النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبارُ بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيُخرجُ أقوامًا قد امتُحشوا فيلقْون في نهر بأفواهِ الجَّنةِ يقال له ماء الحياة فينبُتون في حافتَيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصَّخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضرَ ، وما كان منها إلى الظل كان أبيضَ فيَخرجُون كأنهم اللؤلؤ فيُجعلُ في رقابهم

الخواتيمُ فيدخلون الجنَّة فيقول أهلُ الجنةِ هؤلاء عتقَاء الرحمن أدخلَهمُ الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدمَّوه ، فيقال لهم لكم ما رأيتمُ ومثلهُ معه » .

وعن أنس[1] رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « يُحبَس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمُّوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحُنا من مكانِنا ، فيأتون آدمَ فيقولون أنت آدم أبو الناس ، خلَقكَ اللَّه بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكتَه ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيقول لستُ هُناكم ، قال : ويذكر خطيئتهُ التي أصاب أكله من الشجَرة وقد نُهَي عنها ، ولكنِ ائتوا نوحًا أوَّل نبي بعثهُ اللَّه تعالى إلى أهلِ الأرض . فيأتون نوحًا ، فيقول لستُ هُناكم ، ويذكر خَطيئتهُ التي أصاب سُؤاله ربَّه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليلَ الرحمن ، قال : فيأتون إبراهيمَ ، فيقول : إني لستُ هناكُم ، ويذكر ثلاث كذبات كذَبَهُن ، ولكن ائتوا موسىٰ عبدًا آتاه اللَّه التوراةَ وكلمةُ وقرَّبه نجيًّا ، قال فيأتون موسىٰ فيقول إني لستُ هناكُم ، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفسَ ، ولكن ائتوا عيسىٰ عبد اللَّه ورسولِه ، وروحَ اللَّه وكلمته ، قال : فيأتون عيسىٰ فيقول لستُ هناكمُ ، ولكن آئتوا مُحمدًا ﷺ عبدًا غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، فيأتوني فأستأذنُ على ربِّي في داره ، فيؤذَن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعني ، فيقول ارفعْ محمدُ وقلْ يُسمعْ ، وآشفعْ تُشَّفعْ ، وسلْ تُعط ، قال : فأرفعُ رأسي فأثني على ربِّي بثناء وتحميد يُعلمنيه ، فيُحدَّ لي حدًّا فأخرُج فأدخلهم الجنَّة » . قال قتادة : وسمعتهُ أيضًا يقول : « فأخُرجُ فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيأذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيَدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعَني ، ثم يقول ارفعْ محمدُ ، وقُلْ يُسمعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعطهَ، قال : فأرَفُع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤٤٠) .

يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفَعُ فيُحدُّ لي حدًّا فأخرُجُ فأدخِلُهم الجنَّة » ، قال قتادة : « وسمعتُه يقول فأخرُجُ فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنَّة ثم أعود الثالثةَ فأستأذن على ربِّي في دارِه فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدَعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمدُ وقلْ يسمعْ ، واشفعْ تُشفعْ ، وسلْ تُعطهْ ، قال : فأرفعُ رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفعُ فيحُدُّ لي حدًّا فأخرج ، فأدخلهم الجنَّة » . قالَ قتادة : وقد سمعتهُ يقول « فأخرج فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا مَن حبسه القرآنُ ، أى وجب عليه الخلود ، ثم تلا الآية : ﴿ عسى أن يبعثكَ رَبُّكَ مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، قال : وهذا المقامُ الذي وُعِدَهُ نَبيكم ﷺ » .

٥ - الشفاعة لدخول الجنة .

● وفي ذلك حديث أنس رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا »[1] وفي رواية عن أنس أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»[2].

٦ - شفاعة النبيين .

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون » .

٧ - شفاعة الملائكة .

● قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ وكم من ملك لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٢٦] .

● وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون .... » الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٦) .

(٢) أخرجه مسلم أيضًا (حديث ١٩٧) .

٨ - شفاعة المؤمنين .

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول اللَّه تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخرجوه ، ويُحرِّم اللَّه صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخُرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿ إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة وإن تكُ حسنةً يضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ... » .

٩ - شفاعة الاباء لأبنائهم المؤمنين .

قال اللَّه تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ [الطور : ٢١] .

١٠ - شفاعة الشهداء .

● عن المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « للشهيد عند اللَّه ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة[1]، ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين **ويشفع في سبعين من أقاربه** »[2] .

١١ - شفاعة الجبار عزَّ وجل .

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه أن النبي ﷺ

---

(١) هذه كلها واحدة (يغفر له عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة) .

(٢) صحيح وسيأتي أخرجه الترمذي وسيأتي في آل عمران إن شاء اللَّه .

قال : « ... فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخُرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض **فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خيرٍ قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه** » .

شفاعة الأطفال لآبائهم يوم القيامة .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها :

● ما أخرجه مسلم (٢٦٣٥) من طريق أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة إنه قد مات لنا ابنان فما أنت[1] مُحدِّثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال بيده – كما آخذ أنا بصنفةِ ثوبك هذا ، فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة » .

● وأخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه (المسند ٤/١٠٥) بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ : « يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول اللَّه عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة » قال : فيقولون يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، قال فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

---

(١) وفي رواية عند مسلم أيضًا : فهل سمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ .

شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب [1].

وقد تقدم في بعض الحواشي السابقة الحديثُ عنها وفيه أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال « هو في ضحضاح من نارٍ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » متفق عليه . وفي رواية في الصحيحين أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه . فقال : « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » .

شفاعة القرآن وخاصة سورة البقرة وآل عمران .

● أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[3] أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان[4] من طيرٍ صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها

---

(١) من المعلوم أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ قد مات على الكفر فكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب ، وقد نزل فيه قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة : ١٣٣] ونزل فيه أيضًا ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص : ٥٦].

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨٠٤) .

(٣) المراد سحابتان ، والله أعلم .

(٤) الفِرق هو الجماعة أو القطعة .

بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَةُ »[1] .

● وفي صحيح مسلم أيضًا[2] من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدُمُه سورة البقرة وآل عمران » . وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد – قال : « كأنهما غمامتان أو ظلَّتان سوداوان بينهما شَرْقٌ[3] أو كأنهما حزقان[4] من طير صوافَّ تحاجان[5] عن صاحبهما ».

شفاعات من أقوام أحياء لأقوام قد ماتوا لرفع درجاتهم .

● ويدخل فيها عموم الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ لمن مات ومنها الوارد في أدعية الصلاة على الجنائز ، ونحو ذلك ، وها هي بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب .

● أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[6] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما فَرَغ النبيُّ ﷺ من حُنَين بَعث أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس ، فلقيَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة ، فقُتِلَ دُرَيدَ ، وهزم الله أصحابه . قال أبو موسى : وبَعثني معَ أبي عامر ، فرُمي أبو عامر في ركبتِهِ ، رَماه جُشميٌّ بسهمٍ فأثبتَه في ركبتِه فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عمَّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فقَصَدتُ له ، فلحِقته ، فلما رآني ولى ، فاتبعتُهُ وجعلت أقولُ له : ألا تستحي ، ألا تثبت فكفَّ . فاختَلَفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلتُ لأبي عامر :

---

(١) البطلة هم السحرة .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٥) .

(٣) شرق أي ضياء ونور .

(٤) الحزق الجماعة أو القطعة .

(٥) تحاجان تدافعان وقال بعض العلماء تحاجان الجحيم والزبانية .

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (ص ١٩٤٣ – ١٩٤٤)

قَتَلَ اللَّه صاحبكَ . قال : فانزع هذا السهمَ ، فنزَعتهُ فنزل منه الماء . قال : يا ابنَ أخي ، أقْرِىء النبي ﷺ السلام وقل له : استغفِرْ لي . واستَخلفني أبو عامر على الناس . فمكثَ يسيرًا ثم مات . فرجعتُ فدخلت على النبيِّ ﷺ في بيته على سرير مُرمَلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّرَ رمالُ السرير بظهره وجَنبيَه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال : قل له استغفرْ لي ، فدَعا بماء فتوضأ ، ثم رفعَ يدَيه فقال : « اللهمَّ اغفرْ لعُبيدٍ أبي عامر » ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه . ثم قال : « اللهمَّ اجعَلْهُ يومَ القيامِة فوق كثيرٍ من خلِقكَ منَ الناس » . فقلتُ : ولي فاستغفر . فقال : « اللهمَّ اغفر لعبد اللَّه بن قَيسٍ ذنْبَهَ ، وأدخله يومَ القيامةِ مُدخَلًا كريمًا ». قال أبو بُردةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى ».

● وأخرجه مسلم من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت : دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ . فَأَغْمَضَهُ . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ » . فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ . فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ . فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ » . ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ . وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ . وَنَوِّرْ لَهُ فِيه » .

شفاعة المصلين على الميت .

● أخرج مسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : نعم ، قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « ما من رجل مسلمٍ يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون باللَّه شيئًا إلا

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٥٥ حديث رقم ٩٤٨) .

شفعهم اللَّه فيه » .

● وأخرج مسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » .

شفاعة الأبناء لآبائهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنىٰ لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك »[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أن أطلب الشفاعة من المخلوق الحي فيما يقدر عليه ؟

ج : نعم يجوز ذلك فقد أخرج الإمام أحمد[3] رحمه اللَّه تعالى في مسنده من حديث عثمان بن حنيف رضي اللَّه عنه أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع اللَّه أن يعافيني ، قال : « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير » ، فقال : ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوَّجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم شفِّعه فيَّ .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤/٢ حديث رقم ٩٤٧) وفيه بعض الانتقاد ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون باللَّه شيئًا .

(٢) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢) بإسناد حسن .

(٣) المسند (١٣٨/٤) ، وهو صحيح .

س : اذكر بعض أسباب جلب الشفاعات ؟

ج : **منها :- قراءة القرآن والعمل به** ، وقد تقدم في ذلك حديث رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه .... » الحديث .

٢ - **سكنى مدينة رسول الله ﷺ والصبر على لأوائها** فقد أخرج مسلم في صحيحه[١] من طريق أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرِّة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا » .

وأخرج مسلم نحوه أيضًا من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم[٢] .

٣ - **الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن** فقد أخرج مسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

٤ - **الصلاة على الميت** ، وقد تقدم في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم ص ١٠٠٢ .

(٢) حديث (١٣٧٧) ، (١٣٧٨) .

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤) .

٥ - **كثرة السجود** فقد أخرج أحمد في مسنده[1] من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة ، قال : كان النبي ﷺ مما يقول للخادم : « ألك حاجة » قال : حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي ، قال : « وما حاجتك ؟ » قال : أن تشفع لي يوم القيامة . قال : « ومن دلك على هذا ؟ » قال : ربي . قال : « أما لا فأعني بكثرة السجود » .

❋ ❋ ❋

س : متى يمنع المسلم من أن يشفع ؟

ج : إذا أكثر من اللعن ، فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة »[2] .

❋ ❋ ❋

الشفاعات الدنيوية

س : هل تشرع الشفاعات الدنيوية ؟

ج : من الشفاعات الدنيوية ما هو مشروع ومنها ما هو محرم قال الله تبارك وتعالى : ﴿ من يشفع شفاعة حسنةً يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئةً يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيءٍ مقيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٥٠٠) من طريق عفان ثنا خالد يعني الواسطي (قال مصطفى وهو خالد الطحان) قال ثنا عمرو بن يحيى الأنصاري عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي ﷺ ... وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة قال : « أو غير ذلك » قلت : هو ذاك قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٠٦) .

س : اذكر نماذج للشفاعات الدنيوية المشروعة ؟

ج : منها ما ورد في حديث رسول الله ﷺ أنه كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال : « اشفعوا تؤجروا » ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء[1]، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له : مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثًا » ؟ فقال النبي ﷺ : « لو راجعته » قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » قالت : لا حاجة لي فيه . أخرجه البخاري (٥٢٨٣) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مثالًا للشفاعات الدنيوية المحرمة ؟

ج : من أمثلة ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص .

أخرج البخاري[2] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أَهَمَّتْهُمْ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال : أتشفع في حدٍّ من حدود الله » ؟ ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس إنما

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٦٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨) ، ومسلم (حديث ١٦٨٨) .

ضلَّ[1] من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلى آخرين لا حقَّ لهم .

* * *

(١) في رواية إنما هلك .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : نجيناكم – يسومونكم سوء العذاب – يستحيون نساءكم – لعلكم تشكرون – الفرقان ؟

ج :

الكلمة	معناها
نجيناكم	أخلصناكم
يسومونكم سوء العذاب	يذيقونكم أسوأ العذاب أو أشد العذاب أو العذاب الذي يسيء صاحبه
يستحيون نساءكم	يتركونهن أحياء
لعلكم تشكرون	لتشكروني
الفرقان	ما يفرق به بين الحق والباطل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم ﴾ ؟ [البقرة : ٤٩].

ج : العامل فيها هو قوله ﴿واذكروا﴾ فالمعنى- والله أعلم- واذكروا إذ نجيناكم.

✵ ✵ ✵

س : من المراد بالخطاب في قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ... ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : الخطاب موجه للموجودين من بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد من سلف من آبائهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] ، أي حملنا آباكم .

وقيل إن الخطاب للأبناء ، وذلك لأن نجاة الآباء كانت سببًا في ميلاد هؤلاء الموجودين ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى : ﴿ نجيناكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى - أنقذناكم وأخلصناكم ، والمعنى الأصلي ألقيناكم على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها هذا هو الأصل في تعريف النجاة ثم سُمِّيَ كل فائزٍ ناجيًا ، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : في أي يوم أنجى الله عزَّ وجل بني إسرائيل من فرعون وأغرق فرعون وآله .. ؟

ج : كان ذلك في يوم عاشوراء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا » قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم » . فصامه وأمر بصيامه) .

---

(١) هو عند البخاري (حديث ٢٠٠٤) ، ومسلم (١١٣٠) .

س : فرعون عَلم ، على كل من حكم مصر وكان كافرًا من العماليق ومن غيرهم[1] ، فما هو العَلم لكل من حكم الفرس والروم والأحباش واليمنيين والهنود ؟

ج : أما من حكم الفرس كافرًا فيطيق عليه (كسرى) .

- ومن حكم الروم كافرًا فيطلق عليه (قيصر) وكذلك يطلق عليه (هرقل) .
- ومن حكم اليمن يطلق عليه (تُبَّع) وجمعه تبابعة .
- ومن حكم الحبشة يطلق عليه (النجاشي) .
- ومن حكم الهند يطلق عليه (بطليموس) ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بآل فرعون ؟

ج : هم أهل دينه من قومه وأشياعه وأتباعه[1].

* * *

س : ما معنى ﴿ يسومونكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – يولونكم – يدعونَ عذابكم – يذيقونكم يوردونكم ، وكل هذا صحيح .

وأصل السوم الدوام ، ومنه قيل للغنم سائمة لمداومتها الرعي .

ومن المعاني المتقدمة « يذيقونكم » وقال الشاعر (عمرو بن كلثوم) :

إذ ما الملك سام الناس خسفًا[3] أبينا أن نقرَّ الخسف فينا

* * *

---

(١) وكذلك كلُّ عاتٍ وظالم فرعون، ويقال: تفرعن، وهو ذو فرعنة أي: دهاء ومكر.

(٢) وتفسير الآل بتفصيل سيأتي في سورة آل عمران إن شاء الله .

(٣) الخسف المراد به هنا النقيصة والإذلال .

س : ما هو سوء العذاب الذي أنجى الله عز وجل منه بني إسرائيل ؟

ج : فُسر سوء العذاب في باقي الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالنساء في قوله تعالى : ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : من العلماء من قال إن المراد بالنساء هنا الأطفال الإناث وعبر عنهن بالنساء (مع كونهن أطفالًا) باعتبار المآل (أي باعتبار ما سيئول إليه أمر الطفلة فأمرها سيئول إلى أن تكون من النساء إذا كبرت) وليذكرهم بالاسم الذي في وقته سيستخدمن ويمتهن ، ونفس الاستحياء ليس عذابًا ولكن العذاب فيما يأتي من وراء هذا الاستحياء من امتهان ... ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا اتجه فرعون إلى قتل الأبناء واستحياء النساء ؟

ج : بعض أهل العلم يذكر لذلك سببًا وهو خوف فرعون من زوال ملكه على يد بعض بني إسرائيل ، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره[1] بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعَد إبراهيم خليله – أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشِّفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه ففعلوا فلما ، رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولودٍ ذكر فتقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا .

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٩٨) ، وهو صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه لكن صحة المتن علمها عند الله سبحانه وتعالى ، وليس للأثر حكم الرفع فقد يكون متلقى من أهل الكتاب ، والله تعالى أعلم .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة حتى إذا كان القابل حملت بموسى[٢] .

س : ما هو المراد بالبلاء في قوله تعالى : ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالبلاء هنا ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا هو قول جمهور العلماء ، قالوا البلاء ها هنا في الشر والقول الثاني أن المراد بالبلاء هنا نعمة فالمعنى وفي ذلكم نعمة عظيمة من ربكم إذ أنجاكم من آل فرعون ، وحجة أصحاب هذا القول أن البلاء يطلق على الخير كما يطلق على الشر ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا ﴾ [الأنفال : ١٧] وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقال

(٢) وقال القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره (محاسن التأويل) ص١٢٢ : وسبب سومه بني إسرائيل سوء العذاب من تذبيح أبنائهم – وعلى ما روي في التوراة[١] خوفه من نموهم وكثرة توالدهم ، وكانت أرض مصر امتلأت منهم ، فإن يوسف عليه السلام لما استقدم أباه وإخوته وأهلهم من أرض كنعان إلى مصر أعطاهم ملكًا في أرض مصر في أفضل الأرض كما أمره ملك مصر ، وكان لهم في مصر مقام عظيم بسبب يوسف عليه السلام فتكاثروا وتناسلوا ، ولما توفي يوسف عليه السلام والملك الذي اتخذه وزيرًا عنده انقطع ذلك الاحترام عن بني إسرائيل إلى أن قام على مصر أحد ملوكها الفراعنة فرأى نمو الإسرائيليين فقال لقومه : أضحى بنو إسرائيل شعبًا أكثر منا وأعظم فهلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من أرضنا ، فسلط عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم ، وكانوا كلما اشتد تعبدهم ازدادوا كثرة وشدة فشق على المصريين كثرتهم واختشوا منهم فجعل أهل مصر يستعبدونهم جورًا ويمررون عليهم حياتهم بالعمل الشديد بالطين واللبن وكل فلاحة الأرض ، وكل الأفعال التي استعبدوهم بها بالمشقة ، وأمر فرعون بذبح أبنائهم كما قصَّه الله تعالى ، ولم يزل الأمر في هذه الشدة عليهم حتى نجاهم سبحانه بإرسال موسى عليه السلام .

(١) الله أعلم بصحة ذلك .

سبحانه : ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [الأعراف : ١٦٨]
قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : والعرب تسمي الخير (بلاءً) ، والشر بلاءً غير أن الأكثر في الشر أن يُقال (بلوته أبلوه بلاءً) وفي الخير (أبليته أبْليه إبلاء وبلاءً) ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

جزى الله بالإحسان ما فعَلا بكم وأبلاهُما خير البَلاَء الذي يَبْلو

فجمع بين اللغتين لأنه أراد : فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده .

❋ ❋ ❋

س : ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .. ﴾ [البقرة : ٤٩] دليل على أن كل من باشر القتل وإن كان بأمر غيره أو تحت قهر غيره يُعد قاتلًا وضح ذلك ؟

ج : وجه قول هذا الفريق من أهل العلم هو أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب ويقتلون الأبناء ويستحيون النساء وهذا كله كان بأمر فرعون ، لكن نسب الربُ سبحانه وتعالى هذه الأفعال إليهم لأنهم باشروها بأنفسهم .

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه ، وإن كان عن أمره غيره ففاعله المتولي ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه ، وإن كان الآمر قاهرًا الفاعل المأمور بذلك – سلطانًا كان الآمر أو لصًّا خارجًا أو متغلبًا فاجرًا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم إلى آل فرعون دون فرعون وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته إياهم وقهره

لهم فكان كل قاتلٍ نفسًا بأمر غيره ظلمًا فهو المقتول عندنا به قصاصًا ، وإن كان قتله إياها بإكراه غيره له على قتله .

قلت : وقد أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره خلافًا للعلماء على ثلاثة أقوال لهم في هذه المسألة ، إن شئت فراجعه عند تفسير الآية الكريمة هناك ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا ففرق البحر اثني عشر طريقًا فسلك كل سبط منهم طريقًا منها فذلك فرق الله عز وجل بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر . انتهى .

فذهب ابن جرير رحمه الله تعالى إلى أن البحر كان فيه اثنا عشر طريقًا بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه كان طريقًا واحدا مرَّ عليه بنو إسرائيل جميعًا مع موسى عليه السلام .

والدليل يشهد للقول الثاني ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ﴾ [طه : ٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

هذا وأصل الفلق والفصل ، ومنه فرق الشعر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ [الإسراء : ١٠٦] أي فصلناه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا سُمي البحر بحرًا ؟

ج : سُمي البحر بحرًا لاتساعه ، ومنه قول النبي ﷺ في شأن فرس

أبي طلحة : « وإن وجدناه لبحرًا »[1] أي واسع الجري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في فضل صوم يوم عاشوراء ؟

ج : أخرج مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه حديثًا فيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال كيف تصوم .. الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : « وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله »[2] .

❋ ❋ ❋

س : الإنجاء من القوم الظالمين نعمة يتغافل عنها الكثيرون وقد ذكرنا الله عز وجل بها في جملة آيات من كتابه العزيز حتى نشكره عليها اذكر بعض هذه الآيات ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ .. وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

● وقوله تعالى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٢٠) ، وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (حديث ٢٣٠٧) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٦٢) وفي رواية عند مسلم : وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : « يكفر السنة الماضية » .

ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [المائدة : ١١] .

● وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا واعد الله عز وجل موسى عليه السلام أربعين ليلة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول : أنه سبحانه واعده أربعين ليلة لإنزال التوراة عليه وأخذ الألواح أي أن التوراة ستنزل عليه بعد أربعين ليلة .

الثاني : أن هذه المواعدة كانت للتكليم (كي يكلمه ربه عز وجل) .

❋ ❋ ❋

س : متى كانت هذه المواعدة ؟ وما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : جمهور المفسرين يذكرون أن هذا بعد إغراق فرعون وآله في اليم وإنجاء موسى ومن معه من بني إسرائيل ، فبعد أن أنجاهم الله عز وجل ذكر

بعض المفسرين أن بني إسرائيل سألوا موسى (أو أن موسى وعد بني إسرائيل) كتابًا فجاءت المواعدة بذلك والله أعلم .

أما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] واعدناه انقضاء أربعين ليلة . وانظر السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الليالي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : لا أعلم دليلًا من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ يُحدِّدُ هذه الليالي بالضبط ما هي . إلا أن جمهور المفسرين يذكرون أنها شهر ذي القعدة والعشر الأُول من ذي الحجة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

❋ ❋ ❋

س : هل كانت المواعدة أربعين ليلة من بداية الأمر ؟

ج : البعض يرى أنها كانت على مرحلتين لقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربِّه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] وفريق من أهل العلم يرى أن المواعدة أربعين ليلة كانت مجتمعة من أول الأمر وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ [الأعراف : ١٤٢] أنها كقوله تعالى : ﴿ .. فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الليالي دون الأيام في قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ؟

ج : بعض العلماء يعوِّل في ذلك على أن عادة العرب التأريخ بالليالي لأن

أول الشهر ليلة ، واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعًا لليالي ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء إن الليالي أسبق من الأيام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ، من الآية الكريمة ؟

ج : موقعها – والله تعالى أعلم – وأنتم تعلمون بظلمكم قد قامت عليكم الحجة ، ومن المعلوم أنهم في هذه الحالة التي يعبدون فيها العجل والحجة قائمة عليهم أعظم جرمًا وأكبر إثمًا من الذي يعبد على جهل لم تصله الحجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صفات موسى ﷺ الخلقية ؟

ج : كان موسى ﷺ وجيهًا كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

● وأخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضَرْبٌ رَجِلٌ[2] كأنه من رجال شنوءة » .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٣٩٤) .

(٢) أي دهين الشعر مسترسله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (فتح الباري ٦/٤٩٤) : قوله : « كأنه من =

س : ما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : المضمر هو إلهًا أو معبودًا فالمعنى ثم اتخذتم العجل إلهًا ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ... فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ [طه : ٨٧ ، ٨٨] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة :٥١ ، ٥٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من نعم الله عز وجل عليكم أن عفا عنكم بعد اتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه لتتجهوا إليه سبحانه بالشكر على عفوه عنكم إذ العفو يوجب الشكر عند أهل اللبِّ والعقل ، والله أعلم .

= رجال شَنُوْءة » بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء التأنيث حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله ، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو ، قال ابن قتيبة : سمي بذلك من قولك رجل أي والتقزز[1] بقاف وزايين التباعد من الأدناس ، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول . انتهى .

ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد (كأنه من رجال الزط) وهم معروفون بالطول والأدمة .

---

(١) كأن في الكلام سقط ، والله أعلم .

س : ما معنى ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، وما هو الفرق بين العفو والغفران ؟

ج : عفونا عنكم معناها محونا ذنوبكم ، أما بالنسبة للفرق بين العفو والغفران أن الغفران لا يكون معه عقوبة ، بينما العفو قد يكون بعد العقوبة أو قبلها ومما يدل على أن العفو قد يكون معه بعض المؤاخذة قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، مع أن القائل عُفي عنه ولم يقتل لكنه مع ذلك لزمته الدِّية[1] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالكتاب وما هو المراد بالفرقان في قوله تعالى : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ؟

ج : أما **الكتاب** فهو التوراة ، وقد نقل عدد من أهل العلم الإجماع على ذلك في هذا الموطن .

أما **الفرقان** فلأهل العلم فيه أقوال :.

- منها أن **الفرقان هو التوراة** وأعيد ذكره باسمين تأكيدًا .

وذلك كقول الشاعر :

وقددت[2] الأدِيم[3] لِرَاهِشَيْهِ[4] وألفَى قولها كذبًا ومَينًا

فالكذب هو المين .

---

(١) إلا أن يعفو أهل القتيل عفوًا آخر عن الدية كذلك ، والله تعالى أعلم .

(٢) في سياق آخر للبيت (وقدَّمت) . أما القدُّ فهو القطع .

(٣) الأديم هو الجلد .

(٤) الراهشان : عرقان في بطن الذراع .

● وأيضًا قول الشاعر :

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

فالنأى هو البعد .

● ومن العلماء من قال إن الفرقان هو النصر الذي نصر الله عز وجل به موسى عليه السلام وبني إسرائيل كما قال تعالى في يوم بدر : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ [الأنفال : ٤١] فعليه الفرقان هو الفصل بين الحق والباطل .

● ومن العلماء من يقول إن الفرقان هنا هو انفلاق البحر ، وهذا راجع إلى القول الثاني .

وسيأتي للفرقان مزيد من التفسير في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بارئكم – لن نؤمن لك – جهرة – الصاعقة – ظللنا عليكم الغمام – المن – السلوى ؟

ج :

الكلمة	معناها
بارئكم	خالقكم ، والبريَّة الخلق
لن نؤمن لك	لن نصدقك – لن نتابعك
جهرة	عيانًا (يكشف ما بيننا وبينه) علانية[1]

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن (٩٥٠) ، عن قتادة قال (جهرة) عيانًا .

الكلمـة	معناهـا
الصاعقة	قيل : هي نار ، وقيل : رجفة (ودليله : فلما أخذتهم الرجفة) : وقيل الموت
ظللنا عليكم الغمام	الغمام هو السحاب ، وظللنا عليكم الغمام جعلناه فوقكم كالظلة تقيكم حر الشمس مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من الطعام والشراب من غير تعب ولا كد ، وقيل : هو طعام كالعسل
السلوى	طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم

❋ ❋ ❋

س : هل القوم يدخل فيهم النساء ؟

ج : كثير من أهل العلم يرون أن القوم مختصة بالرجال لأنهم هم الذين يقومون بالأمور ، واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ﴾ [الحجرات : ١١] واحتجوا أيضًا بقول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقومٌ آل حصن أم نساء

وقول الشاعر الآخر :

قومي هم قتلوا أُميم أخي فإذا رميتُ يُصيبني سهمي

واحتجوا أيضًا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ [الأعراف : ٨٠ ، ٨١] فالمراد بالقوم الرجال ؛ والله أعلم .

● واعترض على هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ [نوح : ١] ونوح عليه السلام كان مرسلًا للرجال والنساء ولما كذبته امرأته كفرت[1] ، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ... ﴾ [غافر : ٤١] لكن أجاب أهل القول الأول على هذا بأن قالوا : إن القوم في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة ... ﴾ [غافر : ٤١] يدخل فيه الرجال والنساء بلا شك لكن دخول النساء فيه من باب الاستتباع أي لأنهم تبع للرجال فأطلق على الرجال والنساء قوم تغليبًا[2] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ...﴾ [التحريم : ١٠].

(٢) ولقائل أن يقول إن القوم يدخل فيها الرجال والنساء ويجيب على قوله تعالى : =

س : هل اعترف بنو إسرائيل أنهم أخطأوا بعبادتهم للعجل ؟

ج : نعم اعترفوا بذلك ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى بارئكم ؟ ولماذا عُبِّر بهذه الصفة من صفات الله عز وجل في هذا المقام ؟

ج : بارئكم خالقكُم ، وعُبِّر بهذه الصفة – والعلم عند الله تعالى – لبيان عظيم جرمهم وكبر ذنبهم ، فالمعنى توبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض أهل العلم يقولون هنا محذوف لا بد أن يقدر في قوله تعالى : ﴿ اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] فما هو هذا المحذوف الذي يُقدر ؟

ج : المحذوف هو (فامتثلتم) فالمعنى اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فامتثلتم ما أمركم الله به ، فتاب عليكم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف كانت توبة الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : ظاهر الكتاب العزيز فيه ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم

= ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ... ﴾ [الحجرات : ١١] بأن هذا من باب عطف الخاص على العام لكن الأول عليه أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] وهذا الظاهر يفيد أنهم أمروا بقتل أنفسهم ، لكن لما كان من المعلوم أن النفس في كثير من الأحيان تُطلق ولا يراد بها نفس الشخص المخاطب كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي ظنوا بإخوانهم خيرًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] فعلى هذا يحتمل – وهو احتمال قوي جدًّا – أن يكون قوله : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] معناه فليقتل بعضكم بعضًا[١] ، ويتأيد هذا بأمور منها :

● قول القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحدٍ من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده .

● أخرج ابن أبي حاتم في التفسير[٢] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[٣]:... فقال الله تبارك وتعالى إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والدٍ أو ولدٍ فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كان قد خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول .

● وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وابن أبي حاتم رحمه الله[٤]

---

(١) أثر رقم (٥٣١) .

(٢) وبعض العلماء يقولون : يقتل من لم يعبد العجل مَن عبد العجل ، والله أعلم .

(٣) هو جزء من حديث الفتون .

(٤) أخرجه ابن جرير (أثر ٩٣٥) ، وابن أبي حاتم (أثر ٥٣٢) ، وهذا رجاله ثقات إلا أن حجاج بن محمد وإن كان ثقة إلا أنه تغير لما قدم بغداد – والله أعلم .

في تفسيريهما من طريق حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدًا قالا قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا ، لا يحنُّ رجل على رجلٍ قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل ، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالصاعقة في قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ؟

ج : قيل إن الصاعقة هي الموت وقيل إن الصاعقة هي الرجفة لما ورد في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي .... ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

● وقيل إن الصاعقة هي نار .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأصل الصاعقة كل أمرٍ هائل رآه المرءُ أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب ، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتًا كان ذلك أو زلزلة أو رجفًا ، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل : ﴿ وخرَّ موسى صعقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] يعني مغشيًّا عليه ومنه قول جرير بن عطية :

وهل كان الفرزدق غير قردٍ أصابته الصواعق فاستدارا[1]

فقد عُلم أن موسى لم يكن – حين غشي عليه وصعق – ميتًا لأن الله

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وعزا هذا البيت لجرير في ديوانه (٢٨١) والنقائض (٢٥١) وبعده في هجاء الفرزدق وهو من أشده . =

تعالى أخبر عنه أنه لما أفاق قال ﴿ تبت إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولا شبه جريرُ الفرزدق ، وهو حي بالقرد ميتًا ، ولكن معنى ذلك ما وصفنا .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة: ٥٥] كيف أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ؟

ج : قال بعض العلماء صُعق بعضهم والبعض الآخر ينظر ، ثم بُعث الذين صعقوا ، وصعق الآخرون ثم بُعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لعلكم تشكرون .﴾[1] [البقرة : ٥٥ ، ٥٦]

● وقال بعضهم ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم ، يقول أخذتكم الصاعقة عيانًا جهارًا وأنتم تنظرون إليها .

وهذا الأخير قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى .

= وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدار قومٍ رحلت بخزيةٍ وتركتَ عارًا

وما أشد ما قال ! وقال في النقائض في شرح البيت « ولغته – يعني جريرًا – الصواقع . فاستدار أي استدار إنسانًا بعد أن كان قردًا[1] » وكأنه أخطأ المعنى فإنه أراد مسخ قردًا على هيئته التي كان عليها قبل أن يكون إنسانًا . فقوله (استدار) عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه) ومن ذلك قوله ﷺ في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أي عاد كما بدأ، فهو يقول: كان الفرزدق في أصل نشأته قردًا ثم تحوَّل إنسانًا فلما أصابته صواعق شعري عاد كما كان في أصل نشأته قردًا صريحًا .

(١) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٤٠) ، بإسناد صحيح إلى عروة بن رويم قال سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك فأبوا فسمعوا من كلام الله فصعق بعضهم ، وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء ، وفي رواية ثم بعُث الذين صعقوا وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ .

---

(١) لا يعني ما يعنيه الملاحدة من أن الإنسان أصله قرد ، فالله سبحانه يقول : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] ويقول سبحانه : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ... ﴾ [الانفطار : ٦ ، ٧] ويقول النبي ﷺ : « خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا ... » ولكن قول جرير من أقوال الشعراء الظلمة الذي خرج هجاؤهم إلى القبح .

س : هل مات الإسرائيليون من الصاعقة ؟

ج : نعم ماتوا من الصاعقة لقوله تعالى : ﴿ ..ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يذكر أن موسى قام يدعو ربه عز وجل لما صعق من قومه مَن صُعق فهل من دليل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ... ﴾ [الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿ ..فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ... ﴾ [البقرة : ٥٤] ، مشروعية قتال المرتدين ؟

ج : قتال المرتدين مشروع لكنه لا يؤخذ من هذه الآية الكريمة فالذي في هذه الآية الكريمة حكم خاص ببني إسرائيل ثم أنهم أيضًا كانوا قد تابوا قبل أن يؤمروا بقتل بعضهم البعض على ما قدمناه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل

جهرة ، وما هو السبب الحامل لهم على ذلك ؟

ج : بعض العلماء يذكرون أن ذلك حدث لما تاب الإسرائيليون من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلًا يخرجون معه لميقات ربه عز وجل حتى يعلموا يقينًا أنهم قد تيب عليهم[1] وذكر البعض من العلماء لسؤالهم رؤية الله جهرة أسبابًا منها أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن ليس معنا نص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ يوضح سبب ذلك[2] ، ومن ثم قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعد أن أورد أسبابًا لذلك نقلها بإسناده إلى بعض أهل العلم : ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى ، تقوم به حجة فيُسلم له ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذ كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يُقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : ﴿ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخًا لهم في كفرهم بمحمد ﷺ ، وقد قامت حُجَّته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك ، وقد قال الذين

---

(١) وسياق آيات سورة الأعراف يشهد لشيء من ذلك ، قال تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين * والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمه للذين هم لربهم يرهبون * واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ... ﴾ [الأعراف : ١٥٢ - ١٥٥] ، وهذا ليس بصريح كذلك .

(٢) إلا أنه من المعروف أن من صفات بني إسرائيل التعنت .

أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقًّا كما قال .

❋ ❋ ❋

س : من الأدلة التي تساق في كتاب الله عز وجل لإثبات البعث إحياء الله عز وجل لبعض الأنفس بعد موتها ، اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك ما يلي :

● قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٥ ، ٥٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ..أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال

أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

● ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله ، وكما قال الله سبحانه عن عيسى : ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وإذ تخرج الموتى بإذني ... ﴾ [المائدة : ١١٠] .

❋ ❋ ❋

س : هل يرى الناس ربهم عزَّ وجل في الدنيا ؟

ج : لن يرى الناس ربهم عز وجل في الدنيا ، وقد قال الله عز وجل لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام – لما سأله الرؤية – : ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقال النبي ﷺ : « تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه عز وجل حتى يموت »[1] .

❋ ❋ ❋

س : هل سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا جائز ؟

ج : الذي يظهر أنه لا يجوز فقد سأل موسى عليه السلام ربه فقال : ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فلم يُجب إلى ذلك ، فقال الله تعالى له : ﴿ لن تراني ﴾[2] ولما علق بنوا إسرائيل إيمانهم لموسى على رؤية الله

---

(١) أخرجه مسلم ص (٢٢٤٥) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ .

(٢) وقد يقول قائل إن موسى عليه السلام لم يعتب عليه الله عز وجل إذ سأله ذلك ، فالإجابه على هذا أن الله قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، فهذا يحمل نهيًا عن سؤال الرؤية ثم الآيات التي استدللنا بها أعلاه يُفهم منها المنع ، والله أعلم .

عز وجل جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، وأيضًا :

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

● وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١] فظهر بهذه الأدلة المنع من سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا ، لكن يسأل العبد ربه أن يراه في الآخرة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ [البقرة : ٥٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : يرجع الضمير إما إلى القتل أي أن قتلكم أنفسكم يا بني إسرائيل خير لكم عند بارئكم ، أو يرجع إلى التوبة أي توبتكم خير لكم عند بارئكم ، أو يقال : توبتكم بقتل أنفسكم خير لكم عند بارئكم[1] .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُردُّ على من قال : إن الرب لا يرى يوم القيامة لأن (لن) تفيد التأبيد، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣]؟

ج : الجواب أن لن لا تفيد التأبيد في كل الأحوال ، وهي وإن أفادته في بعض الأحوال لا تفيده في هذا الموطن في الآخرة لورود الأحاديث الصريحة برؤية الرب عز وجل في الآخرة[2] .

---

(١) وهذا كما تقدم خاص ببني إسرائيل .

(٢) منها قول النبي ﷺ : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة .. » ، وسيأتي في بابه إن شاء الله .

ومن الأدلة على أن لن لا تفيد التأبيد قوله تعالى في شأن اليهود : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [الجمعة : ٦ ، ٧] فقال تعالى : ﴿ ولا يتمنونه أبدًا ﴾ مع أن اليهود سيتمنون الموت يوم القيامة ، فهم داخلون في جملة الكفار الذين يقولون : ﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الغمام ؟

ج : الغمام هو السحاب[1] ، وسمي السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أي يغطيها ويواريها ويسترها ، ومنه قولهم غُمَّ الهلال إذا غطاه الغيم ، فالغمام كل ما غمَّ السماء فغطاها من سحاب وقتام وكل مغط فهو غمام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أين كان تظليل الغمام على بني إسرائيل ؟

ج : كان ذلك في التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ...فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ [المائدة : ٢٦] ، لكن أين كان هذا التيه ، الله تعالى أعلم ، ولم نقف على خبر ثابت يوضح لنا أين كان .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس : .. ثم ظلل عليهم الغمام في التيه .

❋ ❋ ❋

---

(١) وخصه بعضهم بالسحاب الأبيض .

س : ما هو المن ؟ وما هي السلوى ؟

ج : أما السلوى فأكثر العلماء على أنها طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم ، أما المن ففيه أقوال :

- منها أنه طلٌّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلًا ويجفف جفاف الصمغ وقيل : هو الترنجبين .
- ومنها أنه العسل .
- ومنها أنه شراب حلو مثل العسل .
- ومنها أنه خبز الرقاق .
- وقيل : إنه مصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ولا عمل ولا كد طعامًا كان أو شرابًا ، والله أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ؟ وما معناه ؟

ج : الحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ، وفي بعض روايات مسلم : « الكمأة من المن الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين » ، وفي رواية أخرى : « الكمأة من المن الذي أنزل الله عز وجل على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين » .

أما الكمأة فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: والكمأة نبات لا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٨ ، ٤٦٣٩ ، ٥٧٠٨) ، ومسلم حديث (٢٠٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) فتح الباري (١٠/١٧٣) .

ورق لها ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تُزرع ، قيل : سميت بذلك لاستتارها ، يُقال : كمأ الشهادة إذا كتمها ، ومادة الكمأة من جوهرٍ أرضي بخاري يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع متجسدًا ، ولذلك كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بجدري مادة وصورة ، لأن مادته رطوبة دموية تندفع غالبًا عند الترعرع وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة ومشابهتها له في الصورة ظاهر .

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة : أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : الكمأة جدري الأرض ، فقال النبي ﷺ : «الكمأة من المن » الحديث . وللطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال : كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا : هي جدري الأرض ، فبلغه ذلك فقال : « إن الكمأة ليست من جدري الأرض ، ألا إن الكمأة من المن » والعرب تسمي الكمأة أيضًا بنات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض . وهي كثيرة بأرض العرب ، وتوجد بالشام ومصر ، فأجودها ما كانت أرضه رملة قليلة الماء ، ومنها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة . وهي باردة رطبة في الثانية رديئة للمعدة بطيئة الهضم ، وإدمان أكلها يورث القولنج والسكتة والفالج وعسر البول ، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس ، وإذا دفنت في الطين الرطب ثم سلقت بالماء والملح والسعتر وأُكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها ، ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها ، فلذلك كان ماؤها شفاء للعين .

قوله : (من المن) قيل في المراد بالمن ثلاثة أقوال : أحدها : أن المراد أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل ، وهو الطلُّ الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوًا ، ومنه الترنجبين فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج. قلت: وقد تقدم بيان ذلك واضحًا في تفسير سورة البقرة، وذكرت من زاد في متن هذا الحديث « الكمأة من المن الذي

أنزل على بني إسرائيل » . والثاني : أن المعنى أنها من المن الذي امتن الله به على عباده عفوًا بغير علاج ، قاله أبو عبيد وجماعة ، وقال الخطابي : ليس المراد أنها نوع من المن أنزل على بني إسرائيل ، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر ، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي ، فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر ، فيتناولونه . ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا ، منها ما يسقط على الشجر ، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه ، وهذا هو القول الثالث وبه جزم الموفق عبد اللطيف البغدادي ومن تبعه فقالوا : إن المن الذي أنزل على بني إسرائيل ليس هو ما يسقط على الشجر فقط بل كان أنواعًا مَنَّ الله عليهم بها من النبات الذي يوجد عفوًا ، ومن الطير التي تسقط عليهم بغير اصطياد ، ومن الطلِّ الذي يسقط على الشجر . والمن مصدر بمعنى المفعول أي ممنون به ، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان مَنًّا محضًا ، وإن كانت جميع نعم الله تعالى على عبيده مَنًّا منه عليهم ، لكن خص هذا باسم المن لكونه لا صُنع فيه لأحد ، فجعل سبحانه وتعالى قوتهم في التيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز ، وأدمهم السلوى وهي تقوم مقام اللحم ، وحلواهم الطل الذي ينزل على الشجر ، فكمل بذلك عيشهم . ويشير إلى ذلك قوله ﷺ : « من المن » فأشار إلى أنها فرد من أفراده ، فالترنجبين كذلك فرد من أفراد المن ، وإن غلب استعمال المن عليه عرفًا اهـ . ولا يعكر على هذا قولهم : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؛ لأن المراد بالوحدة دوام الأشياء المذكورة من غير تبدل وذلك يصدق على ما إذا كان المطعوم أصنافًا لكنها لا تتبدل أعيانها .

قوله : (وماؤها شفاء للعين) كذا للأكثر وكذا عند مسلم ، وفي رواية المستملي : « من العين » أي شفاء من داء العين ، قال الخطابي : إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة ؛ لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ،

ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر ، والعكس بالعكس .
قال ابن الجوزي : في المراد بكونها شفاء للعين قولان : أحدهما : أنه ماؤها حقيقة ، إلَّا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفًا في العين ، لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين : أحدهما : أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها ، حكاه أبو عبيد ، قال : ويصدق هذا الذي حكاه أبو عبيد أن بعض الأطباء قالوا : أكل الكمأة يجلو البصر ، ثانيهما : أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ، ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها ، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع منه ، ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع ، وقد حكى إبرهيم الحربي عن صالح وعبد الله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكت أعينهما فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بمائها فهاجت أعينهما ورمدا . قال ابن الجوزي : وحكى شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة فاكتحل به فذهبت عينه . والقول الثاني : أن المراد ماؤها الذي تنبت به ، فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربى به الأكحال حكاه ابن الجوزي عن أبي بكر بن عبد الباقي أيضًا ، فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء . قال ابن القيم : وهذا أضعف الوجوه . قلت : وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفًا نظر ، فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلًا ، وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة ، وإن كان لغير ذلك فتستعمل مركبة ، وبهذا جزم ابن العربي فقال : الصحيح أنه ينفع بصورته في حال ، وبإضافته في أخرى ، وقد جُرب ذلك فوجد صحيحًا . نعم جزم الخطابي بما قال ابن الجوزي فقال : تربى بها التوتياء وغيرها من الأكحال ، قال : ولا تستعمل صرفًا فإن ذلك يؤذي العين . وقال الغافقي في « المفردات » : ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به ، فإنه يقوي الجفن ، ويزيد الروح الباصر حدة

وقوة ، ويدفع عنها النوازل . وقال النووي : الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقًا فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه ، قال : وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي وعاد إليه بصره ، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبد الدمشقي صاحب صلاح ورواية في الحديث ، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به فنفعه الله به . قلت : الكمال المذكور هو كمال الدين بن عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر يعرف بابن عبد بغير إضافة الحارثي الدمشقي من أصحاب أبي طاهر الخشوعي ، سمع منه جماعة من شيوخ شيوخنا ، عاش ثلاثًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل النووي بأربع سنين . وينبغي تقييد ذلك بمن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به كما يشير إليه آخر كلامه ، وهو ينافي قوله أولًا مطلقًا ، وقد أخرج الترمذي في جامعه بسند صحيح إلى قتادة قال : حدثت أن أبا هريرة قال : أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسًا أو سبعًا فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرئت . وقال ابن القيم : اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين ، منهم المسبحي وابن سينا وغيرهما . والذي يزيل الإشكال عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها من المخلوقات خلقت في الأصل سليمة من المضار ، ثم عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها الله تعالى ، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله ، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة ، واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ، ويدفع الله عنه الضرر بنيته ، والعكس بالعكس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قيل في المن والسلوى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ٥٧] مع أن الأطعمة الحلال كلها من رزق الله سبحانه وتعالى ؟

ج : هذا – والله أعلم – ليبين أنه أتى إليهم من غير جهد ولا مشقة .

❋ ❋ ❋

س : هل بدَّل كل بني إسرائيل القول الذي كلِّفوا به ؟

ج : الظاهر أن منهم من بدَّل ومنهم من لم يبدل بل امتثل الأمر ، والشاهد على ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم .. ﴾ [الأعراف : ١٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [البقرة : ٥٧] واذكر بعض الآيات وحديثًا في معناها ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنهم ما ظلمونا بمعصيتهم لنا وإنما ظلموا أنفسهم بمقابلتهم النعم بالمعاصي ، فطاعتهم لنا لا تنفعنا ، ومعصيتهم لنا لا تضرنا إنما كل ذلك إما لهم وإما عليهم كما قال الله سبحانه : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ [يونس : ٢٣] ، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي[1] « ... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ....» الحديث ، وفيه أيضًا : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت =

وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » .

* * *

= الظلم على نفسي[1] وجعلته بينكم محرمًا . فلا تظالموا[2] . يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته[3] . فاستهدوني أهدكم يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته . فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كسوته . فاستكسوني أكسكم . يا عبادي ! إنكم تخطئون[4] بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا . فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم . ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

---

(١) (إني حرمت الظلم على نفسي) قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت . وأصل التحريم في اللغة المنع . فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا ، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .

(٢) (فلا تظالموا) أي : لا تتظالموا . والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا .

(٣) (كلكم ضال إلا من هديته) قال المازريُّ : ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال ، إلَّا من هداه الله تعالى . وفي الحديث المشهور : « كل مولود يولد على الفطرة » . فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا . وهذا الثاني أظهر .

(٤) (إنكم تخطئون) الرواية المشهورة : تُخطئون ، بضم التاء . وروي بفتحها وفتح الطاء . يقال : خطىء يخطأ إذا فعل ما يأثم به ، فهو خاطىء . ومنه قوله تعالى : ﴿ استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾ [يوسف : ٩٧] . ويقول في الإثم أيضًا : أخطأ . فهما صحيحان . من التعليق على مسلم .

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

حطة – رجزًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حطة	دخولنا الباب سجدًا حطةٌ يحط الله بها خطايانا (فحطة مصدر حط يحط حطة)
رجزًا	عذابًا ، وقيل : إن العذاب هو الطاعون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي القرية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن هذه القرية ، **هي بيت المقدس** ودليلهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسين ﴾ [المائدة : ٢١ - ٢٦] .

فأُمِروا بدخول الأرض المقدسة فامتنعوا فضرب عليهم التيه ، وظُلِّل عليهم الغمام وأُنزل عليهم المن والسلوى في هذا التيه وبعدها قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية .... ﴾ [البقرة : ٥٨] ، فدل ذلك على أنها الأرض المقدسة ولكن هل هي بيت المقدس ؟ قال ذلك الجمهور .

● ومن العلماء من يقول إنها (**أريحاء**) ، واحتج أصحاب هذا القول على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس ؛ لأن الفاء في قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] تقتضي التعقيب فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام ، لكن موسى مات في أرض التيه[1] ولم يدخل بيت المقدس فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس ، وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع ، وإذا حملناه على لسان يوشع زال الإشكال .

---

(١) ومما يدل على أن موسى عليه السلام لم يمت في الأرض المقدسة ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٣٩ ، ٢٤٠٧) ، ومسلم (ص١٨٤٣) (واللفظ له) من طريق معمر عن همام قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام » . فقال له : أجب ربك . قال : « فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها » . قال : « فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت . وقد فقأ =

● وثمَّ قول ثالث (تالف لا دليل عليه البتة) وهو أن هذه القرية (مصر) . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا سميت القرية بالقرية ؟

ج : سميت القرية بالقرية لاستقرار الناس فيها وتطلق القرية – في الأصل – على مجموعة البيوت المستقرة (سواء كانت قرية بالمعنى الاصطلاحي الموجود الآن أم كانت مدينة) ، وقد أطلق الله سبحانه وتعالى على مكة قرية فقال سبحانه : ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ [الشورى : ٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ [محمد : ١٣] .

= عيني » . قال : « فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شعرة . فإنك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ » . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق ، عند الكثيب الأحمر » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٣/٢٤٦) : ويحتمل أنْ يكون سر ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم ، ولم يدخلها معه أحدٌ ، ممن امتنع أولًا أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء ، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا فكأن موسى لمَّا لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طُلب القرب منها ؛ لأن ما قارب الشيء يُعطى حكمه .. ، والله أعلم .

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمرت بقريةٍ تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس[2] كما ينفي الكير خبث الحديد » . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى قيل لهم : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : قيل لهم ذلك بعد خروجهم من التيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى سجدًا في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال منها :

- ركعًا[3] .
- ومنها منحنين كالراكعين .
- ومنها متواضعين شاكرين خاضعين متذللين ، والحامل على هذا الانصراف عن ﴿ سجدًا ﴾ هو أنه لا يتيسر لأحد المشي وهو ساجد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أمروا بدخول الباب سُجدًا ؟

ج : الله أعلم بالحكمة من وراء ذلك ، ولعله ابتلاء من الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١) ، ومسلم (حديث ١٣٨٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٤/١٠٥) : المراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده .

(٣) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن جرير الطبري (١٠٠٧ ، ١٠٠٨) وابن أبي حاتم (التفسير رقم ٥٨٠) قال : **أمروا أن يدخلوا ركعًا** (وفي رواية من باب صغير) .

لهم[1] ثم إن بعض العلماء يشير إلى أن هذا من مستلزمات شكر النعمة فلما أنعم الله عز وجل عليهم بدخول الأرض المقدسة بعد التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم أربعين سنة – لزمهم شكر هذه النعمة بأن يدخلوا الباب (باب القرية) متواضعين خاضعين ذليلين لله عز وجل شاكرين لنعمائه عليهم ، وسجود الشكر مشروع في شريعتنا[2] وقد سجده النبي ﷺ وسجده أصحابه[3] ، وعند الفتح أيضًا صلى النبي ﷺ ثمان ركعات بمكة[4] ، والله تعالى أعلم وعند دخول الناس في دين الله أفواجًا يشرع التسبيح بحمد الرب سبحانه والاستغفار كما في قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ [النصر : ١ – ٣] فرأى بعض الصحابة أن المراد كثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه نُعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها[5] ، وأقرَّه على ذلك عمر ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك ونُعي إليه روحه الكريمة أيضًا .

---

(١) وبعض العلماء يقولون : (أمروا أن يخضعوا لله عند الفتح بالقول والفعل) .

(٢) وقد قال النبي ﷺ في شأن سجدة (ص) كما عند النسائي : « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا » .

وقد سجد النبي ﷺ في (ص) كما عند البخاري (مع الفتح ٥٤٤/٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرج أبو داود بإسناد حسن لشواهده (٢١٦/٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا جآءه أمر سرورٍ أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٦٩/١) ومسلم (٢٨/٤ ، ٢٣١/٥ مع النووي) من حديث أم هانىء رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) أخرج البخاري (حديث ٤٩٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم فما رئيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم ، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم =

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ﴿ البقرة : ٥٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● حطة مغفرة[1] ، والمعنى : دخولنا الباب سجد حطة أي مغفرة يغفر الله عز وجل بها عنا خطايانا .

● وقيل : معناها لا إله إلا الله .

● وقيل : حط عنا خطايانا .

● وقيل : أُمروا أن يستغفروا .

● وحطةٌ بالرفع أي مسألتنا حطة .

● وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى واحد ألا وهو أنهم أمروا أن يقولوا قولًا يحط الله عز وجل بهم عنهم خطاياهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= أعلم منها إلا ما تقول .

● وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى ما يؤيد وجهة الصحابة الذين سألهم عمر فأخرج مسلم رحمه الله (ص٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول : « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » قالت : فقلت : يا رسول الله أراك تكثر من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، قال : « خبَّرني ربي أني سأرى علامةً في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فتح مكة ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ » [النصر : ١ - ٣] .

(١) أخرج هذا ابن جرير الطبري رحمه الله (١٠١٢) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٤) قال : مغفرة استغفروا .
وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس (أمروا أن يستغفروا) .

س : قوله تعالى : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ [البقرة : ٥٨] سنزيدهم من ماذا ؟

ج : سنزيدهم إحسانًا إلى إحسانهم ، وقيل : نزيدهم ثوابًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف بدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ؟

ج : بدلًا من أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة دخلوا يزحفون على أستاههم قائلين حبة في شعرة ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قيل لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ فبدَّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة » .

وقد أخرج الطبري (١٠٢٥) ، وابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٥٩٤) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : أمروا أن يدخلوا ركعًا ويقولوا حطة قال : أمروا أن يستغفروا ، قال : فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزءون فذلك قوله : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ﴾ [البقرة : ٥٩] وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما ، والمرفوع إلى رسول الله ﷺ أولى أي : أنهم قالوا : حبة في شعرة ، إلا أن يجمع بين الروايتين فيقال : بعضهم قال : حنطة وبعضهم قال : حبة في شعرة أو بأن يقال : إنهم جميعًا قال هذا وذاك[2] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤١) ، ومسلم (حديث ٣٠١٥) .

(٢) وقد وقع في رواية للبخاري (٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .... أنهم قالوا : حِطة حبَّة في شعرة .

س : ما معنى ﴿ رجزًا ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟

ج : معناها : عذابًا ، وقيل الرجز هنا هو الطاعون .

وقيل الرجز الغضب ، وقيل العقوبة ، وكلها يرجع إلى معنى العذاب ، وأما من قال إن المراد بالرجز هنا الطاعون فحجته ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون رجسٌ[2] أُرسل على طائفة من بني إسرائيل – أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

فهذا يقوي رأي من قال : إن المراد بالعذاب هنا (أي المراد بالرجز) هو الطاعون ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : المعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذين قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٢٢١٨) .

(٢) وفي رواية : « رجزٌ » .

● وقوله تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٩] .

● وقال سبحانه في شأن أصحاب القرية ﴿ ... إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم : ١٧ - ٢٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] .

● وقال عز وجل : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا .. ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل

إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ ....إلى قوله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ [القصص : ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها .... ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٤٢] .

● وكذلك فرعون وقومه لما تمردوا وتجبروا وبغوا في الأرض قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين ﴾ [الزخرف : ٥٥ ، ٥٦] .

● وقال سبحانه في شأنهم أيضًا : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأرثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ - ٥٩].

وكذلك كل الأمم الظالمة من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين

والمؤتفكات وغيرهم من أهل البغي والظلم والفساد .

● ومن عصى من المسلمين أيضًا حل عليه شؤم معصيته : (إلا أن يسترها الله سبحانه ويغفرها) فأصحاب نبينا ﷺ لما خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحد حلَّ بهم ما حل من قتل وجراح وذهاب غنيمة وجرح نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشج رأسه وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام[1] .

● وآدم ﷺ أسكنه الله عز وجل الجنان وقال له : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ [طه : ١١٨ ، ١١٩] فلما وسوس له الشيطان وأغواه وجرأه على الأكل من الشجرة باليمين الكاذبة[2] والوعود الباطلة الذاهبة[3] فلما أكل منها آدم أُخرج عليه السلام من الجنة وطفق هو وزوجه يخصفان عليهما من ورق الجنة وغوى آدم عليه السلام ، لكن تفضل الله عز وجل عليه بالهداية والاجتباء كما قال سبحانه : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في سورة آل عمران .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] .

(٣) كما في قوله : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

س : لماذا كرر لفظ الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ فبدّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟ واذكر أمثلة للتكرير ؟

ج : كرر لفظ الذين ظلموا تأكيدًا لظلمهم وإلصاقًا للظلم بهم أما أمثلة التكرير لتغليظ الفعل وتأكيده فهي كثيرة في الكتاب العزيز منها قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم ما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] فقال في الآية الكريمة : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ ولم يقل فويل لهم مما كتبوا . وكرر الويل تغليظًا لفعلهم وتقبيحًا لأمرهم .

ومنه أيضًا قول الخنساء :

تعرقني الدهر نهسًا وخزًّا وأوجعني الدهر قرعًا وغمزًا[1]

وهذا كله تكرير بعد تمام الكلام ، وقد يأتي التكرير قبل تمام الكلام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الحاقة * ما الحاقة ﴾ [الحاقة : ١ ، ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ [الواقعة : ٨] فكررت الحاقة تعظيمًا لشأنها وبيانًا لهولها ، وكرر ذكر أصحاب الميمنة تفخيمًا لما ينالهم من الثواب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز رواية الحديث بالمعنى ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى المنع مستدلين بأدلة منها :

١ – أن الله عز وجل ذم بني إسرائيل وأنزل عليهم رجزًا من السماء لما بدلوا ما أمرهم به وقالوا : حبة في شعرة وقد أُمروا أن يقولوا : حطة .

٢ – قول النبي ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه

---

(١) تريد أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغارها ، ومن المعلوم أن الدهر لا يفعل ذلك بل الأمور كلها من عند الله سبحانه وتعالى .

غيره .. »[1].

٣ – رد النبي ﷺ على البراء بن عازب رضي الله عنهما لما علمه النبي ﷺ الذكر الذي يُقال عند النوم قال له فيه : « ... ونبيك الذي أرسلت » فقال البراء لما عاد الحديث على رسول الله ﷺ يستذكره : « ... وبرسولك الذي أرسلت » فقال له النبي ﷺ : « لا ، قل وبنبيك الذي أرسلت »[2] بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى جواز رواية الحديث بالمعنى إذا كان الذي يرويه عالمًا بالألفاظ ومدلولاتها فاهمًا لمعانيها متقنًا لما يحيل المعنى عن معناه ، كل هذا بشرط المطابقة للمعنى بكماله ، واستثنى هذا الفريق من العلماء الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها ، فهذه الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها تنقل كما هي ، والله تعالى أعلم .

وأجاب هذا الفريق من العلماء على استدلالات الفريق الأول بالآتي :

قالوا : إن قول بني إسرائيل : (حبة في شعرة) لم يكن من باب الرواية بالمعنى ولا السمع والطاعة بالمعنى إنما كان على سبيل العناد والتبديل كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] فجمعت الآية الكريمة ثلاثة أوصاف لهم :

١ – أنهم بدَّلوا ٢ – أنهم ظلموا ٣ – أنهم فسقوا .

---

(١) صحيح متواتر ، وهو بهذا اللفظ عند أحمد في المسند (١٨٣/٥) وأخرجه كذلك الدارمي (٧٥/١) وابن حبان (موارد الظمآن ٧٢، ٧٣) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري (١٠٩/١١) ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول » ، فقلت أستذكرهن : وبرسولك الذي أرسلت ، قال : « لا وبنبيك الذي أرسلت » . وأخرجه أيضًا مسلم (مع النووي ١٧/ ٣٢) .

وأجابوا عن الدليل الثاني أنه الأفضل والأكمل لكن لا ينفي ما سواه ، وأيضًا فهذا الحديث نفسه : « نَضَّر الله امرأ .... » روي بعدة ألفاظٍ عن النبي ﷺ .

٣ – وأجابوا عن الدليل الثالث (حديث البراء) أن هذا من النوع الذي يتعبد به فيروى كما هو .

ثم استظهروا لأقوالهم بأن قالوا إنَّ جُلَّ الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ رويت بالمعنى وكذلك القصص التي ذكرت في كتاب الله تكرر كثيرٌ منها بألفاظ تؤدي نفس المعنى ، وأيضًا لما جاز نقل الأحاديث إلى غير العربية بمعناها فكان نقلها من العربية إلى العربية من باب أولى .

وها هو بحث للإمام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك .

قال رحمه الله : استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو أن يقع التعبُّد بلفظها أو بمعناها ؛ فإن كان التعبُّد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها ؛ لذمّ الله تعالى من بدل ما أمره بقوله . وإن وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدي إلى ذلك المعنى ؛ ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه .

وقد اختلف العلماء في هذا المعنى ؛ فحكي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم أنه يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير بآحاد كلماته نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى بكماله ؛ وهو قول الجمهور . ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة . وقال مجاهد : انقص من الحديث إن شئت ولا تزد فيه . وكان مالك بن أنس يشدّد في حديث رسول الله ﷺ في التاء والياء ونحو هذا . وعلى هذا جماعة من أئمة الحديث لا يرون إبدال اللفظ ولا تغييره حتى إنهم يسمعون ملحونًا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه . وروى أبو مجلز عن

قيس بن عُبَاد قال : قال عمر بن الخطاب : من سمع حديثًا فحدث به كما سمع فقد سلم . وروي نحوه عن عبد الله بن عمرو وزيد بن أرقم . وكذا الخلاف في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان ؛ فإن منهم من يعتد بالمعنى ولا يعتد باللفظ ، ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ . وذلك هو الأحوط في الدين والأتقى والأولى ؛ ولكن أكثر العلماء على خلافه . والقول بالجواز هو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ وذلك أن المعلوم من سيرة الصحابة رضي الله عنهم هو أنهم كانوا يروون الوقائع المتحدة بألفاظ مختلفة ، وما ذاك إلا أنهم كانوا يصرفون عنايتهم للمعاني و لم يلتزموا التكرار على الأحاديث ولا كتبها . وروي عن واثلة بن الأسقع أنه قال : ليس كل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ نقلناه إليكم ؛ حسبكم المعنى . وقال قتادة عن زرارة بن أوفى : لقيت عدة من أصحاب النبي ﷺ فاختلفوا عليَّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى . وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله يأتون بالحديث على المعاني . وقال الحسن : إذا أصبت المعنى أجزأك . وقال سفيان الثوري رحمه الله : إذا قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ؛ إنما هو المعنى . وقال وكيع رحمه الله : إن لم يكن المعنى واسعًا فقد هلك الناس . واتفق العلماء على جواز نقل الشرع للعجم بلسانهم وترجمته لهم ؛ وذلك هو النقل بالمعنى . وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قص من أنباء ما قد سلف ، فقص قصصًا ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي وهو مخالف لها في التقديم والتأخير ، والحذف والإلغاء ، والزيادة والنقصان . وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية فلأن يجوز بالعربية أولى . احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي ، وهو الصحيح في الباب .

فإن قيل : فقد قال النبي ﷺ : « نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها » وذكر الحديث . وما ثبت عنه ﷺ أنه أمر رجلًا أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه : « آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي

أرسلت » ؛ فقال الرجل : ورسولك الذي أرسلت ؛ فقال النبي ﷺ : « ونبيك الذي أرسلت » . قالوا : أفلا ترى أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ وقال : « فأداها كما سمعها » . قيل لهم : أما قوله : « فأدَّاها كما سمعها » فالمراد حكمها لا لفظها ؛ لأن اللفظ غير معتَّد به . ويدلك على أن المراد من الخطاب حكمه قوله : « فُرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . ثم إن هذا الحديث بعينه قد نقل بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ؛ وإن أمكن أن يكون جميع الألفاظ قول النبي ﷺ في أوقات مختلفة ؛ لكن الأغلب أنه حديث واحُد نقل بألفاظ مختلفة ؛ وذلك أدل دليل على الجواز . وأما رده عليه السلام الرجل من قوله : « ورسولك – إلى قوله – ونبيك » ؛ لأن لفظ النبي ﷺ أمدح ؛ ولكل نعت من هذين النعتين موضع . ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة ، واسم النبي لا يستحقه إلا الأنبياء عليهم السلام ! وإنما فضل المرسلون من الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة . فلما قال : « ونبيك » ، جاء بالنعت الأمدح ، ثم قيده بالرسالة بقوله : « الذي أرسلت » . وأيضًا فإن نقله من قوله : « ورسولك – إلى قوله – ونبيك » ليجمع بين النبوة والرسالة . ومستقبح في الكلام أن تقول : هذا رسول فلان الذي أرسله ، وهذا قتيل زيد الذي قتله ؛ لأنك تجتزي بقولك : رسول فلان ، وقتيل فلان عن إعادة المرسل والقاتل ، إذ كنت لا تفيد به إلا المعنى الأول . وإنما يحسن أن تقول : هذا رسول عبد الله الذي أرسله إلى عمرو ، وهذا قتيل زيد الذي قتله بالأمس أو في وقعة كذا . والله ولي التوفيق .

فإن قيل : إذا جاز للراوي الأول تغيير ألفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير ألفاظ الأول ، ويؤدي ذلك إلى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفائها . قيل له : الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا ؛ فإن عُدمت لم يجز . قال ابن العربي : الخلاف في هذه المسألة إنما يتصور

بالنظر إلى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم في معرفة اللغة الجبلية الذوقية ؛ وأما من بعدهم فلا نشك في أن ذلك لا يجوز ؛ إذ الطباع قد تغيرت ، والفهوم قد تباينت ، والعوائد قد اختلفت ؛ وهذا هو الحق . والله أعلم .

قال بعض علمائنا : لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله ؛ فإن الجواز إذا كان مشروطًا بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم ؛ ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل . نعم ، لو قال : المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الزيادة في الدين والابتداع فيه وكذلك التبديل جرم كبير عظيم الخطر وضح من الآيات الكريمة ما يفيد ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن بني إسرائيل لما غيَّروا وبدلوا قوله تعالى : ﴿ حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] فقالوا مكانها : (حبة في شعرة) ولما تمردوا على أمر الله إذ قال لهم الله : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم لقوا من البلاء ما لقوا ووصفهم الله عز وجل بالظلم وبالفسق وأنزل عليهم رجزًا من السماء كل ذلك لتبديل كلمة أمرهم الله عز وجل بها وفعلٍ أمرهم الله به فكيف بمن بدَّل عموم الشريعة كفرًا وأحل قومه دار البوار ؟؟؟

❋ ❋ ❋

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

س : ما معنى هذه الكلمات :
استسقى – لا تعثوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
استسقى	طلب الماء للقوم من ربِّه عز وجل
لا تعثوا	لا تفسدوا – لا يشتد إفسادكم

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ استسقى ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : استسقى أي طلب السقي لقومه (أي طلب الماء لهم) كقوله تعالى في الحديث القدسي : « استطعموني » أي : اطلبوا مني أن أطعمكم ، و « استغفروني » اطلبوا مني أن أغفر لكم ، و « استكسوني » اطلبوا مني أن أكسكم .

● وقال ابن عطية في تفسيره : و ﴿ استسقى ﴾ معناه : طلب السُّقيا ، وعرف استفعل طلب الشيء ، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى : ﴿ واستغنى الله ﴾ [التغابن : ٦] أي غني ، وكقولهم : (استعجب) أي : عجب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أين استسقى موسى لقومه ؟

ج : استسقى موسى لقومه وهم في البرِّية أثناء فترة (التيه) التي ضربها الله عز وجل عليهم ، وكانوا قد شكوا إلى موسى عليه السلام الظمأ .

وقد أخرج ابن جرير الطبري[1] رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : ذلك في التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجُعل بين ظهرانيهم حَجر مربع ، وأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحيةٍ منه ثلاث عيون لكل سبط عين ، ولا يرتحلون مَنقلةً[2] إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول .

● وأخرج ابن جرير[3] أيضًا بإسنادٍ حسن إلى قتادة قوله : ﴿ وإذ

---

(١) هو عند الطبري (١٠٤٤) .

(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر والجمع مناقل .

(٣) هو عند ابن جرير رقم (١٠٤٣) .

استسقى موسى لقومه ﴾ [البقرة : ٦٠] الآية ، قال : كان هذا إذ هم في البرِّية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأُمروا بحجر طُوريٍّ أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سبطٍ عين معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم .

● وقال الرازي في تفسيره (٣/٨٨) : جمهور المفسرين على أن هذا الاستسقاء كان في التيه ؛ لأن الله تعالى لما ظلَّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر ، وأنكر أبو مسلم حمل هذه المعجزة على أيام مسيرهم إلى التيه فقال : بل هو كلام مفردٌ بذاته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء ؟

ج : الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء إما دعاءٌ ، يدعو به الإمام في خطبة الجمعة ، أو يخرج الإمام إلى المصلى فيستقبل القبلة ويدعو الله عز وجل ويصلي ركعتين على ما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك ، وعلى ما ورد تفصيله في كتب الفقه ، أما بالنسبة للأحاديث الواردة في ذلك فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث عباد بن تميم عن عمه (وهو عبد الله بن زيد رضي الله عنه) قال : رأيت النبي ﷺ لما خرج[2] يستسقي قال فحوَّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حوَّل رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة . ففي هذا الحديث أن النبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٤) .

(٢) في طرق هذا الحديث في الصحيحين أيضًا (خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى يستسقي ...) الحديث .

ﷺ خرج إلى المصلى يستسقي ، ولكن الخروج إلى المصلى ليس بشرط فقد استسقى النبي ﷺ في المسجد كذلك .

أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ذكر أن رجلًا دخل يوم الجمعةِ من بابٍ كان وِجاهَ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال : يا رسولَ الله هَلكتِ المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت . قال : والله ما رأينا الشمس سبتًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة – ورسول الله ﷺ قائم يخطب – فاستقبله قائمًا فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب ، والأودية ومنابت الشجر » . قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: وقد اتفق فقهاء الأمصار على مشروعية صلاة الاستسقاء وأنها ركعتان إلا ما روي عن أبي حنيفة أنه قال : يبرزون للدعاء والتضرع وإن خطب لهم فحسن ، ولم يعرف الصلاة هذا هو المشهور عنه ، ونقل أبو بكر الرازي عنه التخيير بين الفعل والترك ، وحكى ابن عبد البر الإجماع على استحباب الخروج إلى المصلى والبروز إلى ظاهر المصر لكن حكى القرطبي عن أبي حنيفة أنه لا يستحب الخروج وكأنه اشتبه عليه بقوله في الصلاة .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

(٢) فتح الباري (٢/٥٧١) .

قلت (لفظ القرطبي) : سنة الاستسقاء الخروج إلى المصلى – على الصفة التي ذكرنا[1]– والخطبة والصلاة وبهذا قال جمهور العلماء ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة ولا خروج وإنما هو دعاء لا غير واحتج بحديث أنس الصحيح أخرجه البخاري ومسلم ولا حجة له فيه .

فإن ذلك كان دعاءً عُجلت إجابته فاكتفي به عما سواه و لم يقصد بذلك بيان سنة ، ولما قصد البيان بيَّن بفعله حسب ما رواه عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين .

قلت : ومن السنة أن يرفع الإمام يديه في الاستسقاء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان نبي الله ﷺ لا يرفع يديه[3] في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء[4] حتى يُرى بياض إبطيه .

❋ ❋ ❋

---

(١) أي التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣١) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٥) واللفظ لمسلم .

(٣) في رواية لمسلم فأشار بظهر كفيه إلى السماء .

(٤) ظاهره يفيد نفي رفع اليدين في كل موطن يُدعى فيه إلا في الاستسقاء ، لكن هذا معارض فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في عدة مواطن ، وقد ذكرنا بعضها في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة ، أما حديث أنس هذا فلأهل العلم في توجيهه قولان :

● أحدهما : أن المثبت مقدم على النافي فمن أثبت أن النبي ﷺ رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في مواطن آخر غير الاستسقاء قدم قوله على قول أنس رضي الله عنه لأن كلًّا منهما حكى علمه في هذا الباب .

● والثاني : أن يكون أنسًا رضي الله عنه روى صفة مخصوصة من الرفع عند الدعاء للاستسقاء ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٢/٦٠١) : =

س : الله سبحانه وتعالى قادر على أن يُفجر الماء لموسى دون أن يضرب بعصاه الحجر فلماذا ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن ذلك لربط الأسباب بالمسببات حكمة منه سبحانه وتعالى للعباد في وصولهم للمراد وليترتب على ذلك الثواب والعقاب في المعاد ، وقد قال الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] ، والله عز وجل قادر على أن يُسقط عليها الرطب الجني دون أن تهز إليها جذع النخلة .

● وكذلك اجتهد النبي ﷺ وأصحابه في حفر الخندق يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب ، والله جل وعلا قادر على أن ينصرهم بدون أن يُجهدوا أنفسهم في الحفر ، إلى غير ذلك من الوقائع التي لا تنتهي في هذا الباب

= قوله : (إلا في الاستسقاء) ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء ، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدم أنها كثيرة ، وقد أفردها المصنف بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث ، فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى ، وحمل حديث أنس على نفي رؤيته وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره . وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يحمل النفي على صفة مخصوصة أما الرفع البليغ فيدل عليه قوله : (حتى يرى بياض إبطيه) ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء ، وكأنه عند الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه وبه حينئذ يرى بياض إبطيه ، وأما صفة اليدين في ذلك فلما رواه مسلم من رواية ثابت عن أنس : (أن رسول الله ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء) ولأبي داود من حديث أنس أيضًا : (كان يستسقي هكذا ومد يديه – وجعل بطونهما مما يلي الأرض – حتى رأيت بياض إبطيه) قال النووي : قال العلماء : السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلًا ظهور كفيه إلى السماء ، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء . انتهى . وقال غيره : الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل بتقلب الحال ظهرًا لبطن كما قيل في تحويل الرداء ، أو هو إشارة إلى صفة المسئول وهو نزول السحاب إلى الأرض .

كالدعاء والتداوي والضرب في الأرض للبحث عن الرزق والإصلاح بين الناس ، و .. والله سبحانه قادر على أن يفعل كل ما يريد ، ولكن التأويل على ما ذكرناه ، والعلم عند الله .

* * *

س : قال بعض أهل العلم : (إنه ما من معجزة أوتاها نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي نبينا ﷺ معجزة من جنسها وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن موسى ﷺ لما ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا كانت تلك معجزة لموسى ﷺ ، ونبينا محمد ﷺ أوتي معجزة من نفس الجنس وهي تفجر الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام كما ثبت ذلك في الصحاح وغيرها ، وهذه المعجزة لنبينا ﷺ لا شك أقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في هذا الجانب وذلك لأن من الحجارة أصلًا ما يتفجر منه الأنهار لكن ليس من الأصابع ما يتفجر من بينها الماء .

● ومن ذلك أيضًا أن سليمان عليه السلام سُخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ونبينا ﷺ سُخِّر له البراق فانطلق به من مكة إلى بيت المقدس ، وكذلك عُرِج برسول الله ﷺ إلى السموات ولم يحدث هذا لسليمان عليه السلام .

● وموسى عليه السلام كلمه ربه بجانب الطور ، ونبينا ﷺ كلمه ربه بعد السماء السابعة ..

● وسليمان عليه السلام سخرت له الجن ، والجن على عهد رسول الله ﷺ منهم من آمن به ، ومنهم من كفر ، ومن كفر وذهب يتسمع إلى الملأ الأعلى لحقه شهاب ثاقب كما قالت الجن : ﴿ ... وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ [الجن : ٩].

● وأفضل من الجن وهم الملائكة وأفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكذلك ميكائيل يقاتل ، وملك الجبال يقول لرسول الله ﷺ : لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت .

● وداود عليه السلام كانت الجبال تسبح معه والطير ، ونبينا ﷺ كان الحجر يسلم عليه ، والشجر يذعن إليه ، والجبل يحبه ، والطعام يسمع له تسبيح وهو يؤكل على عهده ﷺ .

● وعيسى عليه السلام كان يبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله .

● وبعض المسلمين من أمة محمد ﷺ كان به برص فدعا الله عز وجل فشفاه[1]، وهذا ببركة اتباعه لرسول الله ﷺ ، وأيضًا نبينا ﷺ رد إلى محمد بن مسلمة رضي الله عنه رجله لما كسرت في الحال بإذن الله ، وبصق في عين عليٍّ وهو أرمد فبرأ بإذن الله .

● وعيسى ﷺ كان يحيي الموتى بإذن الله ، ونبينا عليه الصلاة والسلام حن له الجذع وسمع له صوت كصوت العشار لما فارقه النبي ﷺ وتحوَّل إلى المنبر يخطب عليه ، وصوت الجمادات أعظم إعجازًا من صوت الحي الذي قد مات .

● وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار ولم تضره ونبينا ﷺ رأى من نور الله عز وجل ما لو رآه بشرٌ لاحترق ، وشرب بعض أتباعه السم فلم يضره ، وأنجاه الله عز وجل من القتل المحقق مرارًا ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : هل من حكمة في تفجير الحجر إلى اثنتي عشرة عينًا ؟

ج : قال جمهور أهل العلم : إن هذا على عدد أبناء يعقوب عليه السلام

---

(١) وهو أويس القرني ، وحديثه بذلك ثابت في صحيح مسلم .

فقد كانوا اثني عشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] ، فالأحد عشر هم إخوة يوسف وهو ثاني عشر لهم ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأُناس في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : المراد : كل سبط من أولاد يعقوب ﷺ ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أما المشرب فهو موضع الشرب الذي يشربون منه ، وقيل : إنه المشروب ، والمعنى الإجمالي : كل قد علم كل سبط (أي كل قبيلة) العين الخاصة به التي يشرب منها حتى لا يتشاحنوا ولا يتنازعوا على الماء .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن[1] إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : وأُعْلِم كلُّ سبطٍ منهم عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول .

❋ ❋ ❋

س : قسمة الماء هل تشرع أم أن المسلمين شركاء كلهم فيه ؟

ج : المسلمون شركاء في الماء ، كما ورد عن رسول الله ﷺ[2] لكن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٨) بسند حسن .

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » =

هذا لا يمنع من تقسيم الماء إذ دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك ، فقد قال النبي ﷺ للزبير لما حدث نزاع بينه وبين الأنصاري في شراج الحرَّة : « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري »[1] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يومٍ معلوم ﴾ [الشعراء : ١٥٥] .

وقال عز وجل : ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ﴾ [القمر : ٢٨] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أولًا : العثو : هو شدة الفساد ، وقال بعض أهل العلم : العثو في

= وذلك عند أبي داود (حديث ٣٤٧٧) وأحمد (٣٦٤/٥) والبيهقي (السنن الكبرى ١٥٠/٦) من طريق حريز بن عثمان عن أبي خداش (وهو حبان بن زيد الشرعي) عن رجل من المهاجرين .. به مرفوعًا .

وحبان بن زيد الشرعي لم أقف على من وثقه إلا ابن حبان ولكن ذكر أبو داود أن شيوخ حريز كلهم ثقات (وعلى هذا القول تحفظ عندي) .

وأخرج ابن ماجة (٢٤٧٣) بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار .

(١) أخرج البخاري (٢٧٠٨) من حديث عروة بن الزبير أن الزبير كان يُحدِّث أنه خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله ﷺ في شراجٍ من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ : « اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك » فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر » فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم ، قال عروة والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] .

والحديث أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن الزبير أيضًا .

الأصل يطلق على الاعتداء ثم غلب إطلاقه على الفساد . وقيل : لا تعثوا : لا تسيروا .

ثانيًا : فإن قال قائل : فلماذا كرر ذكر الإفساد إذا قلنا : إن لا تعثوا لا تفسدوا فيكون المعنى : (لا تفسدوا في الأرض مفسدين) فالإجابة من وجوه : أولها : أن التكرير حدث للتأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

قال الراغب (كما نقل عنه القاسمي في « محاسن التأويل » ص١٣٦) : فإن قيل : فما فائدة قوله : ﴿ مفسدين ﴾ والعثو ضرب من الإفساد ؛ قيل : قد قال بعض النحويين : إن ذلك حال مؤكدة ، وذكر ألفاظًا مما يشبه ، وقال بعض المحققين : إن العثو ، وإن اقتضى الفساد فليس بموضوعٍ له ، بل هو كالاعتداء ، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المتعدي بفعله نحو : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[1] [البقرة : ١٩٤] ، وهذا الاعتداء ليس بفساد بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل ، ولولا كونه جزاءً لكان إفسادًا ، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد فالإفساد مكروه على الإطلاق ، ولهذا قال : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، وقد يكون في صورة العثو والتعدي ما هو صلاح وعدل كما تقدم وهذا ظاهر ، والله أعلم .

قلت : والآية الكريمة نحو قوله تعالى : ﴿ لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

هذا وقد يقول قائل إن من معنى الآية الكريمة – وإن دب بينكم بعض

---

(١) وقريب من المعنى قوله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [الحشر : ٥] .

نزاع لاختلافكم في مواضع الشرب فلا تتمادوا في هذا النزاع بل احسموا مادة النزاع بأن يرجع كل أناس إلى مشربهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [البقرة : ٦٠] محذوفات دل عليها السياق اذكر بعضها ؟

ج : من هذه المحذوفات التي دل عليها سياق الكلام : محذوفٌ يقدر بأنه لفظ الجلالة (إما الله أو ربه) في قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى ﴾ فالمعنى : (وإذ استسقى موسى ربه ..) أي : طلب السقيا من ربه عز وجل .

● ومنها : (فضربه) في قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ فالمعنى : (فقلنا لموسى اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت) .

● ومنها : (منهم) في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] أي : قد علم كل أناس من بني إسرائيل مشربهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُردُّ على الجاهل المنكر لمثل هذه المعجزة (تفجر اثنتا عشر عينًا من الحجر) ؟

ج : يرد عليه ابتداء بأن الله عز وجل على كل شيء قدير يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون .

هذا وقد قال الراغب[1]: وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده ، وهذا

---

(١) نقلًا من « محاسن التأويل » للقاسمي (ص١٣٦) .

المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله تعالى في تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات ، فقد ترك النظر على طريقته إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد ، وأن الحجر المنفر للنحل ينفره ، والحجر الحلاق يحلق الشعر[1]، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة وإذا لم يكن مثل ذلك منكرًا عندهم فغير ممتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض اهـ .

❋ ❋ ❋

س : هل كان الحجر الذي ضربه موسى حجرًا معينًا ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله تعالى : ولا خلاف أنه كان حجرًا منفصلًا مربعًا تطرد[2] من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى ، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون .

وأخرج ابن أبي حاتم[3] بسند صحيح عن ابن عباس (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث عيون) .

وقد تقدم عن قتادة أنه كان حجرًا طوريًّا (من جبل الطور) .

● ونقل ابن كثير عن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه ، قال : وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة ، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس ... إلى آخر ما قاله رحمه الله .

---

(١) ومن الأحجار ما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

وقد ضرب موسى الحجر الذي فر وعليه ثوب موسى وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر !!! وهو في الصحيح .

(٢) تطرد أي تجري بتتابع ، ومنه قولهم : نهران يطردان أي : يجريان .

(٣) التفسير (أثر رقم ٦٠٦) .

قلت : وليس هناك كبير فائدة في تحديد نوع الحجر وخاصة أنه لم يذكر لتحديده منفعة في الكتاب ولا في السنة فيما علمنا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك فرق بين قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ فانفجرت ﴾ [البقرة : ٦٠] وبين قوله عز وجل : ﴿ فانبجست ﴾ [الأعراف : ١٦٠] في سورة الأعراف ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : إنهما يؤديان نفس المعنى ؛ لأن القصة واحدة وبعضهم يُفرِّق بينهما ، قال أبو حيان في « البحر المحيط » : وجاء هنا (انفجرت) وفي الأعراف (انبجست) فقيل : هما سواء انفجر وانبجس وانشق مترادفات ، وقيل : بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء والانفجار اتساعه وكثرته ، وقيل : الانبجاس خروجه من الصلب ، والانفجار خروجه من اللين ، وقيل : الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان ، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة .

❋ ❋ ❋

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ۚ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

بقلها – فومها – الذي هو أدنى – ضربت عليهم – الذِّلة – المسكنة – باءوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
بقلها	كل نبات ليس له ساق – وقيل : هو البقول كالكراث والفجل ونحو ذلك
فومها	الحنطة (البر)[1]– الثُّوم – الحبوب التي تُخبز بصفة عامة[2]– الخُبز[3]
الذي هو أدنى	الذي هو أخس وأردأ

(١) روي ذلك بإسناد صحيح عند الطبري (١٠٦٧) عن أبي مالك

(٢) روي ذلك بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٠٦٥) .

(٣) روي ذلك بأسانيد تصح بمجموعها عن عطاء ومجاهد عند الطبري (١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤) .

الكلمـة	معناهـا
ضربت عليهم	كتبت عليهم وألزموها
الذلة	مأخوذة من الذل ، وقيل : الجزية
المسكنة	الفقر والمهانة (فترى اليهود وإن كانوا مياسير إلا أنهم كأنهم فقراء وهم الآن وإن كانت لهم دولة إلا أن التسول في دمائهم وطلب المعونات ديدن لهم)
باءوا	رجعوا – انصرفوا – استمعوا

❋ ❋ ❋

س : كيف قالوا : ﴿ يا موسى لن نصبر على طعام واحدٍ ﴾ [البقرة : ٦١]وهم يأكلون صنفين المن والسلوى ؟ وهل الشراب يدخل في الطعام ؟

ج : مقصدهم – والله أعلم – أن الطعام يتكرر فلا يتغير ولا يتبدل ، ومن ثم أطلق عليه طعام واحد .

أما كون الشراب يدخل في الطعام ، فقد يذكر الطعام أحيانًا ويدخل في ثناياه الشراب ، وقد يطلق الطعام على الشراب خاصة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ... ﴾ الآية [المائدة : ٩٣] .

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها في الخمر قبل التحريم .

● وقال رسول الله ﷺ في شأن زمزم : « إنها طعام طعم »[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقول بني إسرائيل : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المراد – والله أعلم – لن نحبس أنفسنا على طعام واحد .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبقل في قوله تعالى : ﴿ .... من بقلها ﴾ [البقرة : ٦١]؟

ج : قيل : البقل كل ما أنبته الله عز وجل من الخضر .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

وقيل : هو كل نبات ليس له ساق ، والشجر هو كل نبات له ساق .

وقيل أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : هو استفهام استنكاري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر قومًا كانوا في نعمة من الله سبحانه وتعالى فطلبوا أدنى منها كما فعل بنو إسرائيل ؟

ج : هؤلاء القوم هم سبأ ، قال الله عز وجل فيهم : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور – إلى قوله تعالى – وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾[1] [سبأ : ١٥ – ١٩] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٥٣٣/٣) في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير .. ﴾ [سبأ : ١٨] :

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد ، والبلاد المرضية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا ، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم =

س : ما هو المراد بمصر في قوله تعالى ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ [البقرة : ٦١] ، وما معنى قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : لأهل العلم فيها قولان مشهوران :

الأول : هو أن المراد بمصر مصر من الأمصار (يعني بلدة من البلدان) .

= ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ [سبأ : ١٨] قال وهب بن منبه : هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس : القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضًا : هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أي : بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى : ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أي : جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿ سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين ﴾ أي : الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ وقرأ آخرون ﴿ بعد بين أسفارنا ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ، ولهذا قال لهم : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] وقال عز وجل : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ [القصص : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢]. وقال تعالى في حق هؤلاء : ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ أي بكفرهم ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ أي : جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد .

الثاني : هو مصر المعروفة لدى الناس الآن .

والقول الأول ذكره عدد من أهل العلم منهم قتادة[1] وغيره والقول الثاني نُقل عن مالك رحمه الله[2] وغيره .

وحجة أهل القول الثاني أن الله عز وجل قال في شأن قوم فرعون : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ - ٥٩] .

● ومن أقوى حجج القول الأول التنوين في قوله تعالى : ﴿ مصرًا ﴾ ، وذكر الطبري رحمه الله تعالى حجج الفريقين ثم ختمها بقوله والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر ، وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله عز وجل في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارًا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه ، وجائز أن يكون ذلك القرار (مصرَ) وجائز أن يكون (الشام) .

فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القرأة على ذلك ، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينها .

قلت : أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا الذي سألتموه

---

(١) روي بإسناد حسن عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨١) .

(٢) قال ابن عطية في تفسيره : وقال أشهب : قال لي مالك : هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون .

ليس بأمرٍ عزيز بل هو كثير في أي بلدٍ دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه ، ولهذا قال : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ماسألتم ﴾ [البقرة : ٦١] أي : ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب الأشر والبطر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ ضربت عليهم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المعنى فرضت عليهم وكتبت عليهم وألزموها وجعلت محيطة بهم ، ومنه قولهم : ضرب الإمام الجزية أي فرضها مأخوذ من ضرب القباب ومنه قول الفرزدق يهجو جريرًا :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] وهل هناك حق يستدعي أن تقتل الأنبياء به ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير

---

(١) كذا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إنهم لم يجابوا إليه ، فإن قصد رحمه الله تعالى أن موسى لم يدع ربه لهم بما أرادوه فله وجه ، وإن قصد أنهم لم يجابوا إلى طلبهم بنيل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل فلا وجه له عندي ، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فتأويل الآية إذًا : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ ، قال لهم موسى : أتستبدلون الذي هو أخس وأردأ من العيش بالذي هو خير منه ، فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه فاستجاب الله له دعاءه فأعطاهم ما طلبوا وقال الله لهم : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ ، والله أعلم .

الحق ﴾ [البقرة : ٦١] أنهم كانوا يقتلون رسل الله بغير إذن[1] الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم .

قلت : وليس المراد من الآية الكريمة أن قتل النبيين ينقسم إلى قتلٍ بحق وقتلٍ بغير حق ، بل كل ما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق ، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرًا يستحق عليه القتل وإنما جاء هذا القيد ﴿ بغير الحق ﴾ على سبيل التشنيع لفعلهم والتقبيح لعملهم وسوء صنيعهم معهم .

ولقائل أن يقول أيضًا : إن هذا التقييد ﴿ بغير الحق ﴾ ذكر لبيان أن قتلة الأنبياء ليست عندهم أدنى شبهة في بطلان صنيعهم إذ قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلو سألهم سائل لم قتلتم أنبياءكم ؟ لم يجدوا أي وجهٍ يجيبون به على سائلهم ، فقد يفعل الشخص كبيرة أو يتقلد قولًا باطلًا لشبهة عنده ، أما هؤلاء فليست عندهم أي شبهة يجيبون بها عن سوء صنيعهم مع أنبيائهم عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين » ؟

ج : أخرجه أحمد في المسند (١/٤٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآيات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

---

(١) المراد بالإذن هنا الإذن الشرعي الديني وليس الإذن الكوني القدري ، والله أعلم .

منها : أنها الآيات التسع التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ ، وذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات.. ﴾ [الإسراء: ١٠١] .

ومنها : أنها التوراة بكل ما فيها .

ومنها : أنها كل ذلك (التوراة والمعجزات التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ) . والله أعلم .

* * *

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾[1] [المجادلة : ٢١] وبين قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ ولماذا يُخلي الله عز وجل بين الكفار وأنبيائهم حتى يتمكن هؤلاء الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام ؟

ج : أما الجمع فمن وجوه :

منها : أن الله عز وجل ما أمر نبيًّا بالحرب إلا نصره فلم يُقتل ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين من لم يؤمر بقتالٍ من الأنبياء ، هذا الوجه نقل عن الحسن رحمه الله تعالى .

ومنها : أن النصر بالحجة والبيان والبرهان وكذلك الغلبة .

ومنها : أن المراد الأخذ بثأر الأنبياء عليهم السلام ممن بغى عليهم وغدر بهم ونالهم بشيء من السوء والأذى ، والله أعلم .

أما لماذا خلَّى الله عز وجل بين الكفار وبين أنبيائهم حتى يتمكن الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام فذلك – والله أعلم – لينالوا من أعالي الدرجات ورفيع المنازل ما لا ينالونه إلا بالقتل ، وليس ذلك بخذلان للأنبياء عليهم

---

(١) وفي معناها قوله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ – ١٧٣] .

الصلاة والسلام ، بل الأمر كما ذكره الله جل ذكره في عدة مواطن من كتابه الكريم : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ [محمد : ٤ - ٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٠ - ١٤١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم من أكل المستلذات من الطعام وشرب ما طاب من الشراب واستمتع بالحسناوات من النساء ؟

ج : كل ذلك إذا كان من الحلال الطيب بدون إسراف ولا تبذير ولا أشر ولا بطر فهو جائز بل مستحب بشرط أن يؤدي ما عليه فيه من حق من شكر النعم والعمل بطاعة الله عز وجل ، وذلك لما يلي :

● أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بالمن والسلوى فلما طلبوا تبديلها بالذي هو أدنى منها (من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل) عتب الله عز وجل عليهم في ذلك وقال لهم نبيهم موسى عليه السلام : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة .. ﴾ ، [البقرة : ٦١] .

وكذلك قوم سبأ لما ﴿ قالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ [سبأ : ١٩] جعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

● وقال الله جل ذكره : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] .

● وقال سبحانه وتعالى لقارون : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ... ﴾ [القصص : ٧٧] .

● وجمع النبي ﷺ بين تسع نسوة وكان عموم نسائه رضي الله عنهن حسناوات .

● وكان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل[١] .

● وقال عليه الصلاة والسلام لما قرب إليه طعام دون اللحم وكان قد رأى اللحم دخل : « ألم أر البرمة ؟ »[٢] كل هذا وغيره يشعر بأن الشخص إذا وسع الله عز وجل عليه يوسع ولا يضيق على نفسه ولا يكون بائسًا متبائسًا ، وإذا قدر عليه رزقه فينفق بحسبه وقد قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها .. ﴾ [الطلاق : ٧] ، والله تعالى أعلم[٣] .

❋ ❋ ❋

س : في تعاملات بني إسرائيل مع نبيهم موسى ﷺ الغاية من سوء الأدب وضح طرفًا من ذلك ؟

ج : هذا واضح جلي في تصرفهم مع موسى ﷺ وخطابهم معه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦١٤) ومسلم (ص ١١٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٧) ومسلم (ص ١١١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) وفقه هذه المسألة يحتاج إلى شرح أوسع لعله يأتي بعد ، إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك قولهم : يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ؛ ويا موسى لن نصبر على طعام واحد .

دون أي توقير في الخطاب مع النبي الكريم موسى ﷺ ، فيخاطبون موسى ﷺ كأنه رجل منهم[1] .

ومن ذلك اشتراطهم للإيمان بموسى ﷺ شروطًا !!! (أن يروا الله جهرة) .

ومن ذلك سوء أدبهم في قولهم : ﴿ ادع لنا ربك ﴾[2] وكأنه ليس بربهم وهذا كقولهم السيىء لموسى عليه السلام في سورة المائدة ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة : ٢٤] .

هذا فضلًا عن الطامَّات الجسام والكبائر العظام والشرك الأعظم الذي يقترفونه من عبادة العجل وإتخاذه إلهًا جاحدين في ذلك نعم الله السابغة وآلائه الظاهرة عليهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا ﴾ [النور : ٦٣] ، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله .

(٢) وإن كان يجوز الخطاب بذكر (ربك) لكن ليس على هذا الوجه الذي استعمله هؤلاء الظلمة من بني إسرائيل .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

س : ما معنى كل مما يلي :

هادوا – الصابئون ؟

ج :

الكلمة	معناها
هادوا	تابوا – مالوا ، والمراد بهم هنا اليهود.
الصابئون	قوم لا دين لهم ، وقيل : قوم يعبدون الملائكة

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا خوف عليهم فيما هو آتٍ ولا يحزنون على ما تركوه خلفهم من ذرِّية وأموال وأزواج وأهلين ونحو ذلك[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٦٢] فيه تساؤلات منها :

١ – من المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ ؟ .

٢ – كيف يقال : ﴿ إن الذين آمنوا .. ﴾ ويقال بعدها : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ﴾ فكيف يؤمن المؤمن ؟

ج : في المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ للعلماء جملة أقوال :

الأول منها : أنهم المؤمنون بالله ورسوله محمد ﷺ ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن يُقال إن قوله : ﴿ من آمن ﴾ معناه ثباته على الإيمان وتركه تبديله والحرص على الموت عليه وأيضًا ازدياده من الإيمان كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

الثاني : أنهم المؤمنون قبل بعثة رسول الله ﷺ الموحدون ربهم عز وجل كزيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن من

---

(١) وقيل أيضًا : لا يحزنون يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

آمن بالله وكان موحدًا حنيفًا وجاءه رسول الله ﷺ فآمن به أيضًا وعمل صالحًا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن .

الثالث : أن المراد بالذين آمنوا في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ... ﴾ هم من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه وهؤلاء أهل النفاق فمن تاب عن نفاقه منهم وصدق بالله وباليوم الآخر وآمن برسول الله ﷺ من قلبه فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ [البقرة : ٦٢] ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم ؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ اليهود وأطلق عليهم هذا الاسم لأمور ذكرها العلماء :

منها : لأنهم قالوا : ﴿ إنا هدنا[1] إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

ومنها : أنهم ينسبون إلى أحد أولاد يعقوب ﷺ وهو (يهوذا) .

ومنها : أنهم يتهودون عند قراءة التوراة (أي : يتمايلون) .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى ﴿ النصارى ﴾ [البقرة : ٦٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ والنَّصَارَى ﴾

قال أبو جعفر : و « النصارى » جمع ، واحدهم نصران ، كما واحد السكارى سكران ، وواحد النشاوى نشوان . وكذلك جمع كل نعت كان واحده على « فعلان » فإن جمعه على « فعالى » . إلا أن المستفيض من كلام

---

(١) وانظر تفسير الهداية في سورة الفاتحة .

العرب في واحد « النصارى » « نصراني » . وقد حكي عنهم سماعًا « نصران » بطرح الياء ، ومنه قول الشاعر :

تـراه إذا زار الـعشي محنفًـا ويضحي لديه وهو نصران شامس[1]

وسمع منهم في الأنثى : « نصرانة » ، قال الشاعر :[2]

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف[3]

يقال : أسجد ، إذا مال[4] . وقد سمع في جمعهم « أنصار » ، بمعنى النصارى .

قال الشاعر :

لما رأيت نبطًـــا أنصارًا شمرت عن ركبتـي الإزارا

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : (تراه إذا دار العشا متحنفًا) .
والبيت في صفة الحرباء . و « محنفًا » : قد تحنف ، أو صار إلى الحنيفية . ويعني أنه مستقبل القبلة . وقوله : « لديه » ، أي لدى العشي ، ويريد قبل أن يستوي العشي أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره في بيت قبله . وقوله : « شامس » ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني ، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا :
إذا جول الظل العشي رأيتـه حنيفًا ، وفي قرن الضحى يتنصر

(٢) هو أبو الأخزر الحماني .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) ، يصف ناقتين ، طأطأتا رءوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها ، برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى . قال حميد بن ثور ، يصف نوقًا :
فلمـا لويـن على مـعصم وكـف خضيب وأسوارهـا
فضول أزمتها أسجـدت سجـود الـنصارى لأحبارهـا

(٤) بيان الطبري عن معنى « أسجد » ليس بجيد .

كنت لهم من النصارى جارًا[1]

وهذه الأبيات التي ذكرتها ، تدل على أنهم سموا « نصارى » لنصرة بعضهم بعضًا ، وتناصرهم بينهم . وقد قيل : إنهم سموا « نصارى » ، من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها « ناصرة » .

* * *

س : لماذا أطلق على النصارى نصارى ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

١ - لأن عيسى عليه السلام لما قال للحواريين من أنصاري إلى الله ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [الصف : ١٤] .

٢ - نسبة إلى قرية يقال لها : ناصرة كان ينزلها عيسى بن مريم عليهما السلام[2] .

٣ - تسموا بذلك لنصرة بعضهم بعضًا ، وهذا القول عندي ضعيف واهٍ ، فإن الله سبحانه وتعالى قال في أهل الكتاب ، ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] وقال سبحانه : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ١٤] .

---

(١) لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء (١ : ٤٤) أمالي ابن الشجري (١ : ٧٩ ، ٣٧١) ، أنشده شاهدًا على حذف واو العطف : أي « وكنت لهم من النصارى جارًا » ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدًا على حذف الفاء العاطفة أي « فكنت لهم ... » .

(٢) أخرج الطبري (١٠٩٧) بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال : إنما سمُّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية يُقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مرْيم فهو اسم تسمَّوا به ولم يؤمروا به .

والقول الأول وكذلك الثاني كلاهما له وجه قوي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو الصابئ ؟

ج : الصابئ : هو من ترك دينه ودخل دينًا غير دينه وصبأ فلان أي ترك دينه ودخل دينًا آخر .

❋ ❋ ❋

س : من هم الصابئون المعنيون في قوله تعالى : ﴿ ... والصابئين ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم: إن المعنيين هنا هم قوم لا دين لهم (ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس)[1] .

وقال بعض أهل العلم إنهم قوم يعبدون الملائكة فروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد صحيح[2] عن الحسن قال : حدثني زياد[3] أن الصابئين يُصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس ، قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية ، قال فخبرٌ بعد أنهم يعبدون الملائكة أخرج الطبري بإسناد حسن[4] عن قتادة أيضًا : قوله ﴿ والصابئين ﴾ قال : الصابئون قوم يعبدون الملائكة يُصلُّون إلى القبلة ويقرأون الزَّبور .

---

(١) وزاد ابن زيد وكما روى ذلك عنه ابن جرير بإسناد صحيح (١١٠٧) : إنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله ، قال : ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون لرسول الله ﷺ وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم .

(٢) أخرجه الطبري (١١٠٨) .

(٣) زياد هو (زياد بن أبيه) والي العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبري (١١٠٩) .

وقال بعض أهل العلم إنهم طائفة من المجوس وقال غيرهم هم طائفة من أهل الكتاب ، وثمَّ أقوال أُخر وأشهر الأقوال القول الأول والثاني الذين قدمناهما ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ... ﴾ الآية ما هو المراد من إيمان اليهودي هنا وإيمان النصراني والصابىء ؟

ج : المراد من إيمان اليهودي هنا تصديقه ما في التوراة ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ وما جاء به رسول الله ﷺ إذ صفة رسول الله ﷺ قد جاءت بها التوراة .

وكذلك إيمان النصراني تصديقه بالإنجيل ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ إذ قد جاء الإنجيل بصفة رسول الله ﷺ وصفة ما جاء به رسول الله ﷺ .

أما إيمان الصابىء فيكون بأن يدخل الصابىء في دين الإسلام ويتبع سبيل المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اشترط لصحة قبول العمل شرطان ما هما ؟

ج : الشرط الأول : هو (الإيمان) والشرط الثاني : هو (العمل الصالح) وهو ما يصيغه بعض العلماء بقوله : (أن يكون خالصًا صوابًا) وكونه خالصًا أي خالصًا من شوائب الشرك والرياء ، ويكون صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ وهو نحو الوارد في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربِّه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : **قال الله سبحانه وتعالى** : ﴿ .. **من** آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا **فلهم** أجرهم عند ربهم ﴾ أفرد في الآية الكريمة ﴿ **من** ﴾ وجمع ﴿ **فلهم** ﴾ فما وجه ذلك ؟

ج : أُجيب على ذلك بأن ﴿ مَن ﴾ لفظها لفظ الواحد لكنها تقع على الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويُذكر ويُحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ فلهم أجرُهم عند ربهم ﴾ ، وإنما لفظ ﴿ من ﴾ لفظ واحد ، والفعل معه موحد ؟

قيل : ﴿ من ﴾ ، وإن كان الذي يليه من الفعل موحد ، فإن له معنى الواحد والاثنين والجمع ، والتذكير والتأنيث ، لأنه في كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . فالعرب توحد معه الفعل – وإن كان في معنى جمع – للفظه ، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ [يونس : ٤٢ ، ٤٣] .

فجمع مرة مع ﴿ من ﴾ الفعل لمعناه ، ووحد أخرى معه الفعل لأنه في لفظ الواحد كما قال الشاعر :

ألما بسلمى عنكما إن عرضتما وقولا لها: عوجي على من تخلفوا[1]

---

(١) في ديوان لامرئ القيس ، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتًا ، وفيه : « ويقال إنها لرجل من كندة » وأولها :

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف

والأضداد لابن الأنباري : (٢٨٨) ، قال : أنشده الفراء ، وروايته صدره :

(ألما بسلمى لمة إذ وقفتما) =

فقال : « تخلفوا » ، وجعل ﴿ من ﴾ بمنزلة « الذين » ، وقال الفرزدق :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[1]

فثنى « يصطحبان » لمعنى ﴿ من ﴾ . فكذلك قوله : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ ، وحد ﴿ آمن وعمل صالحًا ﴾ للفظ ﴿ من ﴾، وجمع ذكرهم في قوله : ﴿ فلهم أجرهم ﴾، لمعناه، لأنه في معنى جمع .

* * *

= والذي في رواية الطبري من قوله : « عنكما » زائدة في الكلام ، والعرب تقول : « سر عنك » ، و « انفذ عنك » أي : امض ، وجز – لا معنى ل « عنك » . وفي حديث عمر رضي الله عنه : أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية ، فلما انتهى إلى الركن الغربي الذي يلي الأسود ، قال له : ألا تستلم ؟ فقال : انفذ عنك ، فإن النبي ﷺ لم يستلمه . وفي الحديث تفسيره : أي دعه وتجاوزه . وقوله « عرضتما » من قولهم : عرض الرجل : إذا أتى العروض (بفتح العين) ، وهي مكة والمدينة وما حولهما . والتعليق للشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) قوله : تعال فإن عاهدتني ... أبيات من قصيدة للفرزدق[1] قالها لما خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين وعلى بعيرٍ لهم مسلوخة كان اجتزرها ثم أعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحرَّكها وهي مربوطة على بعير فذعرت الإبل وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق فأبصر الذئب ينهسها فقطع رجل الشاة فرمى بها إلى الذئب فأخذها وتنحى ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه فلما أصبح القوم خبَّرهم الفرزدق بما كان وأنشأ يقول :

وأطلس[2] عسالٍ ، وما كان صاحبًا دعوت بناري موْهنًا فأتاني

إلى أن قال :

تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان

---

(١) نقلًا من ديوان الفرزدق قصيدة « أنت والغدر أخيَّان » ص٦٢٨ .

(٢) الأطلس : الذئب الأغبر المائل إلى السواد ، والعسَّال : المضطرب في جريه ، موهنًا : الموهن الليل قاله المعلق على الديوان .

وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

س : اذكر معنى هذه الكلمات :

آتيناكم – بقوةٍ – الخاسرين – علمتم – اعتدوا – كونوا – الخاسئين – نكالًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
آتيناكم	أعطيناكم – أمرناكم به في التوراة
بقوةٍ	بجد واجتهاد
الخاسرين	المراد بها هنا – والله أعلم – الهالكين في الدنيا والآخرة
علمتم	عرفتم
اعتدوا	الاعتداء هو تجاوز الحد الذي حدَّه الله عز وجل ، وكل متجاوز حدٍّ شيءٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما جاوز إليه
كونوا	صيروا
الخاسئين	الخاسىء هو المُبعد المطرود – خاسئين مُبعدين مطرودين – أذلاء صاغرين

الكلمـة	معناهـا
نكالًا	النكال عبرة تنكل المعتبر بها ، عبرٌ مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا وقيل: النكال الزاجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل

* * *

س : ما هو الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل ؟

ج : لأهل العلم فيه أقوال :

● منها : أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله[1] وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١ ، ٨٢] ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

---

(١) روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه قال : لما رجع موسى من عند ربه بالألواح . قال لقومه بني إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة ، حتى يطلع الله إلينا فيقول : هذا كتابي فخذوه ! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ، فيقول =

س : ما هو الطور ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

● منها : أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان)[1] .

● ومنها : أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال .

● ومنها : أنه الجبل الذي ناجى الله سبحانه وتعالى موسى ﷺ عليه ، ويشهد لهذا الأخير قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ [القصص : ٤٦] وقوله تعالى : ﴿ ... آنس من جانب الطور نارًا .. ﴾ [القصص : ٢٩] إلا أن يقال إن الذي ناجى الله عز وجل عليه موسى هو الطور لا شك لكن لا ينفي ما سواه فلهذا القول وجه ، والله تعالى أعلم .

* * *

= هذا كتابي فخذوه ؟ قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم ، فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله بعد موتهم ، فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أي شيء أصابكم ؟ قالوا : متنا ثم حيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم ، فقيل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور ! قال : خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ حتى بلغ ﴿ وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٣ - ٨٥] ، قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة ، لأخذوه بغير ميثاق .

(١) روى ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] قال : الطور : الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] فأقروا بذلك .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – ظاهره ، فالله سبحانه وتعالى رفع الجبل فوق بني إسرائيل كما أخبر عز وجل بقوله : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ [الأعراف : ١٧١] فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلة .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] هل فيه إضمار ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن فيه إضمار ، والمعنى ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – اذكروا ما فيه من الوعد والوعيد ، وتدبروه واعملوا بمقتضاه ، ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] من بعد ماذا ؟

ج : من بعد أخذ الميثاق عليكم وإقراركم به ، ومن بعد البرهان الذي أقمناه عليكم والترهيب الذي رهبناكم به ، والله أعلم .

* * *

س : هل من رابط بين قوله تعالى : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ﴾ وبين

قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ... ﴾ ؟

ج : نعم بينهما رابط ، وهذا الرابط فيه وجهان عند أهل العلم أولهما : أخذنا عليهم الميثاق فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل .

الثاني : أخذ عليهم الميثاق عند رفع الطور فوقهم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى (زاد المسير) : وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل فوقهم لإبائهم التوراة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ [البقرة : ٦٤] ؟

ج : أما المراد بفضل الله ورحمته ، فإمهاله لكم وعفوه عنكم وتوفيقكم للتوبة والإنابة إليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا .. ﴾ [البقرة : ٦٥] لمن ؟

ج : الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة هذا الاعتداء الذي فعله بنو إسرائيل ؟

ج : لأهل العلم فيه وجهان[1]:

الوجه الأول : أنهم اصطادوا الحيتان وأخذوها يوم السبت على سبيل

---

(١) أخرج الطبري رحمه الله تعالى (١١٤٠) بإسناد حسن إلى قتادة : قوله : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] : أُحلت لهم الحيتان وحُرِّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله ليعلم من يطيعه ممن =

الاستحلال والمخالفة لأمر الله عز وجل بمنعهم الصيد في السبت .

الوجه الثاني : أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المقصود بالسبت في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ [البقرة : ٦٥] ، وما هو أصل معنى كلمة السبت ؟

ج : المراد بالسبت في الآية الكريمة يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة أما أصل السبت فقد ورد في لسان العرب السَّبت والسُّبات : الدهر ، والسَّبتُ أيضًا برهة من الدهر ، والسَّبتُ كذلك الراحة ، وسبت استراح وسكن .

وقال الطبري رحمه الله : وأصل (السبت) الهدوء والسكون في راحة ودعة ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوِّه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه : ﴿ وجعلنا نومكم سُباتًا ﴾ [النبأ : ٩] أي : راحة لأجسادكم وهو مصدر من قول القائل : (سبت فلان يسبت سبتًا) .

● وقد قيل : إنه سمي (سبتًا) لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه التحذير لبني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم

= يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف : فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية ، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومَرَدَ على المعصية فلما أبوا إلَّا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] فصاروا قردة لها أذناب ، تَعاوَى بعد ما كانوا رجالًا ونساءً .

الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] ؟

ج : وجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكر بني إسرائيل بما صنع أسلافهم وأجدادهم من نقض العهود والمواثيق ، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى وقد كانت العهود أخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] فلما خالفوا أمر الله تبارك وتعالى مسخهم الله عز وجل قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه : ﴿ ... فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] فأنتم يا معشر يهود يا من بعث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة ، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به ، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة ، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم ، فعليكم حينئذٍ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولًا ﴾ [النساء : ٤٧] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ... ﴾ [البقرة : ٦٥] قول مجمل فما هي الآيات التي فصلت ذلك ؟

ج : هي آيات من سورة الأعراف ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا

شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٣- ١٦٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل مُسخ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة ؟

ج : نعم مسخوا قردة على الحقيقة ، وهذا ظاهر كلام الله عز وجل فالله جل ذكره قال : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] .

● وقد قال جل ذكره أيضًا : ﴿ ... قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين ، رأيهم أن المعتدين في السبت مسخوا قردة على الحقيقة ، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رحمه الله وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في تفسيره وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره ، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ابتلي أصحاب محمد ﷺ بمثل ما ابتلي به بنو إسرائيل فنجح أصحاب محمد ﷺ وخسر بنو إسرائيل وضح ذلك باختصار ؟

ج : ابتلي بنو إسرائيل كما تقدم بأن حرَّم الله عز وجل عليهم الصيد يوم السبت كما قال جل ذكره : ﴿ ... وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم

ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] ولكنهم خالفوا أمر الله ونقضوا العهود والمواثيق على ما بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه .

وكذلك أصحاب محمد ﷺ فقال الله عز وجل لهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٩٤] فحفظوا – في عمومهم – أمر الله عز وجل وانتهوا عما نهاهم الله عز وجل عنه فهنيئًا لهم بطاعة الله وهنيئًا لهم بالدرجات العلى والنعيم المقيم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى: ﴿ فجعلناها ﴾ [البقرة : ٦٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من يقول : إن الضمير يرجع إلى العقوبة (التي هي المسخ)[1] .

ومنهم من قال : يرجع إلى القرية (والمراد أهلها)[2] .

ومنهم من قال : إنها الحيتان وثم أقوال أُخر وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نكالًا ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : النكال معناه الزجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل ، قاله ابن عطية .

❋ ❋ ❋

---

(١) واختاره كثير من أهل العلم .

(٢) واختاره الحافظ ابن كثير وصححه .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم . وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم .

● ومنها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق وما خلفها القرى المحيطة بها .

● ومنها أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان[1] فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر .

والمؤدى واحد وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا وفي هذه عبرة لكل معتبر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خُصَّ المتقون بالموعظة في قوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟ ومن المراد بالمتقين هنا ؟

ج : لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة .

أما المراد بالمتقين فقيل : هم الذين يتقون عقوبة الله عز وجل ويحذرونها وقيل : إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ .

● وقيل : إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله .

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١١٥٧) أنه قال : قال الله تعالى : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها ﴾ من ذنوب القوم ، ﴿ وما خلفها ﴾ أي : للحيتان التي أصابوا .

س : ما فائدة التذييل بقوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم[1]: وفائدة تذييل قوله عز وجل : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها ﴾ بقوله عز وجل : ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله عز وجل وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ وتحريم ما حرَّم .

❋ ❋ ❋

س : المسوخ[2] هل يتناسل ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن المسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم وغيره ، وفيه أن ابن مسعود قال :... فقال رجل : يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مُسخَ ؟ فقال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل لم يُهلك قومًا أو يعذِّب قومًا فيجعل لهم نسلًا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قائله عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره « تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل » (ص١٦٤/١) .

(٢) أي من مسخ من إنسان إلى قردٍ مثلًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣) ، وفي رواية لمسلم « إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » .

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك فقال رحمه الله : (٤٤١/٢ ، ٤٤٢) : ولم يبق لهم نسل ؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب ، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام . قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . =

= قال ابن عطية : وروي عن النبيِّ ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام .

قلت : هذا هو الصحيح من القولين . وأما ما احتج به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ : « فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته » . رواه أبو هريرة ، أخرجه مسلم ، وبحديث الضب رواه مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر ؛ قال جابر : أُتي النبي ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكل منه ؛ وقال : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » فمتأول على ما يأتي . قال ابن العربي : وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال : رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم . ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها ، وثبت في نص الحديث « قد زنت » وسقط هذا اللفظ عند بعضهم .

قال ابن العربي : فإن قيل : وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو ؟ قلنا : نعم كذلك كان ؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه ، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم ، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون ، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون ، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون .

قلت : هذا كلامه في الأحكام ، ولا حجة في شيء منه ، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين : حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواية حُصين عنه قال : رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قَرَدة فرجموها فرجمتها معهم . كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري من كتابه ؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها ؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية . وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة ؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري . والذي قال البخاري في التاريخ الكبير : قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال : رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم . وليس فيه « قد زنت » . فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري =

= دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية و لم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية . وذكر أبو عمر في الاستيعاب عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله « معدود في كبار التابعين من الكوفيين ، وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك ؛ لأن رواته مجهولون . وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا قال : رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها – يعني القردة – فرجمتها معهم . ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا . وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان ؛ وليسا ممن يحتج بهما . وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف ، وإقامة الحدود في البهائم . ولو صح لكانوا من الجن ؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما » . وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة : « ولا أراها إلا الفأر » وفي الضب : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » وما كان مثله ، فإنما كان ظنًا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا ؛ فلما أوحى إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف ، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير : هي مما مسخ ؟ فقال : « إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » . وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود ، رواه مسلم في كتاب القدر . وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته و لم ينكر ؛ فدل على صحة ما ذكرنا . وبالله توفيقنا . وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط ، وردَّت أفهامهم كأفهام القردة . و لم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

فهـرس الآيـات

الآية	الصفحة
✵ الفاتحـة ✵	١٠
١ – قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾	١٧
٢ – قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾	٣٤
٣ – قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾	٤٤
٤ – قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾	٤٥
٥ – قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾	٤٨
٦ – قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصرط المستقيم ﴾	٩٩
٧ – قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾	١٢٤
٨ – قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾	١٢٨
٩ – معنى آمين ..، ولو أنها ليست آية على رأي جمهور العلماء ، وذكر ما يتعلق بها من فضل .	١٣٦
✵ البقرة ✵	١٤٣
١ – قوله تعالى : ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾	١٤٥
٢ – قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾	١٦٠
٣ – قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾	١٦٩

٤ – قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ ١٨٠
٥ – قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ١٨٦
٦ – قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ١٩٢
٧ – قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ ١٩٩
٨ – قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ﴾ ٢٠٣
٩ – قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ ٢١١
١٠ – قوله تعالى : ﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ ٢١٣
١١ – قوله تعالى : ﴿ اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ ٢١٦
١٢ – قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ ٢٢٠
١٣ – قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ ٢٣١
١٤ – قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ ٢٤٨
١٥ – قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ ٢٥٧
١٦ – قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ ٢٥٨
١٧ – قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ ٢٦٢

١٨ – قوله تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ ٢٦٦
١٩ – قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾ ٢٧١
٢٠ – قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ ٢٧٥
٢١ – قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ﴾ ٢٨٠
٢٢ – قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ ٢٨٨
٢٣ – قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾ ٢٩٠
٢٤ – قوله تعالى : ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ ٢٩٢
٢٥ – قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ ٢٩٥
٢٦ – قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء ﴾ ٢٩٨
٢٧ – قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ ٣٠٧
٢٨ – قوله تعالى : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ ٣٢١
٢٩ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ ٣٢٤
٣٠ – قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ٣٣٠
٣١ – قوله تعالى : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ ٣٤٤
٣٢ – قوله تعالى : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ ٣٤٦
٣٣ – قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ٣٥٢
٣٤ – قوله تعالى : ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ ٣٥٦
٣٥ – قوله تعالى : ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ ٣٦٢

٣٦ – قوله تعالى : ﴿ ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ ٣٦٦
٣٧ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ ٣٧٣
٣٨ – قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ٣٧٧
٣٩ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ ٣٨٦
٤٠ – قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ ٣٨٨
٤١ – قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ ٤١١
٤٢ – قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ ٤١٩
٤٣ – قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ٤٢٢
٤٤ – قوله تعالى : ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ٤٢٨
٤٥ – قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ ٤٣٣
٤٦ – قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ ٤٣٧
٤٧ – قوله تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ﴾ ٤٣٨
٤٨ – قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ﴾ ٤٣٩
٤٩ – قوله تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ ٤٤٢
٥٠ – قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ ٤٤٢
٥١ – قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ ٤٤٦

٥٢ – قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ٤٥٤
٥٣ – قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ﴾ ٤٦٠
٥٤ – قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ ٤٦٣
٥٥ – قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ ٤٦٦
٥٦ – قوله تعالى : ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾ ٤٦٧
٥٧ – قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ٥٠١
٥٨ – قوله تعالى : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر ﴾ ٥٠٦
٥٩ – قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ ٥٠٨
٦٠ – قوله تعالى : ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴾ ٥١٢
٦١ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ ٥١٦
٦٢ – قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ ٥١٧
٦٣ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ﴾ ٥١٩
٦٤ – قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ ٥٢٣
٦٥ – قوله تعالى : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ٥٢٦
٦٦ – قوله تعالى : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ٥٣٢

٦٧ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ ٥٣٥
٦٨ – قوله تعالى : ﴿ وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة ﴾ ٥٣٧
٦٩ – قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ ٥٤٠
٧٠ – قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه ﴾ ٥٥٢
٧١ – قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ﴾ ٥٥٦
٧٢ – قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ ٥٦٧
٧٣ – قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ ٥٦٩
٧٤ – قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ٥٧١
٧٥ – قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ﴾ ٥٧٨
٧٦ – قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾ ٥٨٨
٧٧ – قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ ٥٩١
٧٨ – قوله تعالى : ﴿ فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ ٥٩٣
٧٩ – قوله تعالى : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ ٥٩٥

❋ انتهى بحمد الله ❋

فهـرس الأحـاديـث

الحديث	الصفحة
بـاب الألـف	
١ – « ائتيني من العام المقبل » قالت : فإن لم أجدك يا رسول الله ؟ قال : « ائتي أبا بكر »	٣٣٥
٢ – « ابدأ بمن تعول »	١٧٩
٣ – « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »	٢٦٨
٤ – « أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك »	١٤
٥ – « اتق الله وأمسك عليك زوجك »	٣١٥
٦ – « اتقوا اللاعنين » ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟	٤٠١
٧ – « أتدرون من المفلس ؟ »	٢٧٤
٨ – « أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم »	١٣
٩ – « أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة الفجر ، وصلاة العشاء »	٤٥٨
١٠ – « أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها »	٣٥٨
١١ – « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا ... »	١٠٠
١٢ – « ادع لي أباكِ وأخاكِ ..، إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن .. »	٣٣٥
١٣ – « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة »	٥٤٦
١٤ – « إذا أصبت بحده فكل ، وإذا أرسلت كلبك وسميت فكل »	٢٩

١٥ - « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره » ٣١
١٦ - « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » ٤١١/٣٤٣
١٧ - « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » ٨١
١٨ - « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » ٢٨٢
١٩ - « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وطعامه » ٣٠
٢٠ - « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة » ٢٦٨
٢١ - « إذا دعي أحدكم فليجب ، فإن كان صائمًا فليصل » ١٧٥
٢٢ - « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله ؛ فليحمد الله عليها » ٣٩
٢٣ - « إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب » ٤٣٥
٢٤ - إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره » ٤٥٦
٢٥ - « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول » ٤٩٦
٢٦ - « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه » ٩٣
٢٧ - « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم » ١٣٨
٢٨ - « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله » ٣٩
٢٩ - « إذا قال أحدكم : آمين ؛ قالت الملائكة في السماء : آمين » ١٣٨
٣٠ - « إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقولوا : آمين » ١٣٨/١٦

٣١ – « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي » ٣٨٤
٣٢ – « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها » ٣٢٠
٣٣ – « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم » ٣٠
٣٤ – « إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعضهم » ٤٨٠
٣٥ – « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة » ٩٢
٣٦ – « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه » ١٧٤
٣٧ – « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا » ٢٠٩
٣٨ – « ارجع فصل فإنك لم تصل » ١٣٩
٣٩ – « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ٣١٦
٤٠ – « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا ... » ٤٨٣
٤١ – « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري » ٥٦٠
٤٢ – « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » ٣٣٨
٤٣ – « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » ٣٣٨
٤٤ – « اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضًا » ٢٦٨
٤٥ – « أشد الناس عذابًا يوم القيامة : رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا ، وإمام ضلالة ... » ٥٧٢
٤٦ – « اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك » ٩٤

٤٧ – « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء » ٤٩٨
٤٨ – « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » ٢٦٨
٤٩ – « اعتقها فإنها مؤمنة » ٣١٦
٥٠ – « أعطوا الطريق حقه » ٤٠٣
٥١ – « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء » ١٤١
٥٢ – « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي » ٤٧٥
٥٣ – « اقرءوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » ١٤٣/٤٩٢/٤٩٦
٥٤ – « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » ٤٤١
٥٥ – « اقرءوا سورة البقرة » ٤٩٢
٥٦ – « اقرءوا فكلٌّ حسن » ٤٤١
٥٧ – « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل » ٣٢
٥٨ – « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » ٢٨٠
٥٩ – « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » ٣١٤
٦٠ – « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ٣٣٦
٦١ – « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي » ٣٤٦
٦٢ – « ألم أر البرمة ؟ » ٥٧٥
٦٣ – « إلا أن تروا كفرًا بواحًا » ٣٤٠
٦٤ – « اللهم اسقنا ... » ٥٥٤
٦٥ – « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ٦١

٦٦ - « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس » ٤٩٤
٦٧ - « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » ٩٧
٦٨ - « اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم » ٤٥٦
٦٩ - « اللهم اهدني فيمن هديت » ١٢٦
٧٠ - « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض » ٩٣
٧١ - « اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيم السمٰوات والأرض » ٩١
٧٢ - « اللهم صل على آل فلان » ١٧٥
٧٣ - « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ٣٦١
٧٤ - « اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه أسألك من خيره » ٤٠
٧٥ - « اللهم لك الحمد ، أنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهن » ٩٨
٧٦ - « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله .... » ٣١
٧٧ - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله » ٢٠٥/٢٠٧
٧٨ - « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون : يثرب وهي المدينة » ٥٣٧
٧٩ - « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ١٧٨
٨٠ - « أما الركوع فعظموا فيه الرب » ٩٢
٨١ - « أم القرآن هيّ السبع المثاني والقرآن العظيم » ١٢/١٥
٨٢ - « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون » ٢٩٨/٤٣١
٨٣ - « أما لا فأعني بكثرة السجود » ٤٩٧

٨٤ - « أما ما ذكرت من أنك بأرض قوم أهل كتاب تأكل في آنيتهم ، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها » ٢٩
٨٥ - « أنا سيد الناس يوم القيامة » ٤٧٧
٨٦ - « أن تلد الأمة ربتها » ٤٢
٨٧ - « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير » ٤٩٥
٨٨ - « إن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار » ٤٥٥
٨٩ - « إن أحب الكلام إلى الله عز وجل : سبحان الله وبحمده » ٣٤٩
٩٠ - « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » ١٦
٩١ - « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس » ٣٨٥
٩٢ - « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » ٤٩٤
٩٣ - « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض » ٥٢٠
٩٤ - « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه » ٢٧
٩٥ - « إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » ١٤٣
٩٦ - « إن العالم ليستغفر له من في السمٰوات ومن في الأرض » ٦٨
٩٧ - « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة » ٢٦٩
٩٨ - « إن الكمأة ليست من جدري الأرض » ٥٢٨
٩٩ - « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات » ٢٥٢

١٠٠ - « إن الله جميل يحب الجمال » ٣٨٠
١٠١ - « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا » ٣١٧
١٠٢ - « إن الله عز وجل لا ينام » ٣١٨
١٠٣ - « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض » ٣٥٣
١٠٤ - « إن الله عز وجل لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا » ٥٩٧
١٠٥ - « إن الله عز وجل ليرفع للعبد الصالح في الجنة » ٤٩٥
١٠٦ - « إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين » ٣٦٥
١٠٧ - « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » ٣١٥
١٠٨ - « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها » ٤٠
١٠٩ - « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم » ١٥٧
١١٠ - « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير » ٦٨
١١١ - « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا » ٢٥٢
١١٢ - « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه » ١٩٤/١٩٧
١١٣ - « إن اللعانين لا يكونون شهداء » ٤٩٧
١١٤ - « إن المغضوب عليهم اليهود » ١٢٩
١١٥ - « إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم » ٣٦٩
١١٦ - « إن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون » ٤٢٩

١١٧ - « إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم » ٣٩٥
١١٨ - « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » ٣٩٥
١١٩ - « إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا » ٤٢٥
١٢٠ - « إن في الجنة مائة درجة » ٢٣١
١٢١ - « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير » ١٧٨
١٢٢ - « إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » ٣٩٥
١٢٣ - « إنكم تختصمون لدي » ٣٨٥
١٢٤ - « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها » ٤٦٤
١٢٥ - « إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة » ٤٦٠/١١٤
١٢٦ - « إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلًا » ٤٣٠
١٢٧ - « إني لأفعل ذلك أنا وهذه » ٢٨١
١٢٨ - « إن لله تسعة وتسعين اسمًا » ١٩
١٢٩ - « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق » ٣٢٠
١٣٠ - « إن له مرضعًا في الجنة » ٢٦٨
١٣١ - « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة » ٢٨٥
١٣٢ - « إنما أهلك من كان قبلكم » ٤٤٠
١٣٣ - « إنما جُعل الإمام ليؤتم به » ٦٤١
١٣٤ - « إنما خيرني الله - أو أخبرني الله - فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ٢٠٤
١٣٥ - « إنها طعام طعم » ٥٦٧
١٣٦ - « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة » ٢٨٠
١٣٧ - « إن هذا الأمر في قريش » ٣٣٧

١٣٨ - « إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب » ١٠١
١٣٩ - « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » ٥٢
١٤٠ - « إني لم أومر أن أنقب على قلوب الناس » ٢٠٥
١٤١ - « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » ٣٦٥
١٤٢ - « أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » ٥٤
١٤٣ - « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر » ٢٧٧
١٤٤ - « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب » ٢٠٩
١٤٥ - أيُّ الذنب أعظم يا رسول الله ؟ ٢٥٨
١٤٦ - « الأئمة من قريش » ٣٣٦
١٤٧ - « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ١٧٠
١٤٨ - « الإيمان بضع وستون - وفي رواية : وسبعون - شعبة » ١٧١

باب الباء

١٤٩ - « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده » ٣٢٩
١٥٠ - « بل أنت فتربت يمينك .. نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك » ٢٨١
١٥١ - « بين كل أذانين صلاة » ١٧٤
١٥٢ - « بينما ثلاثة يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل » ٩٦
١٥٣ - « البر حسن الخلق » ٤٤٨

باب التاء

١٥٤ - « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا » ١٩٧

١٥٥ - « تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت » ٥٢٤

باب الثاء

١٥٦ - « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » ١٨٣
١٥٧ - « ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا » ٢٣٣
١٥٨ - « ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » ٢٧١
١٥٩ - « ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل » ٣٨٧

باب الجيم

١٦٠ - « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك » ٥٣٥

باب الحاء

١٦١ - « الحسنة بعشر أمثالها ، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم » ٤٥٧
١٦٢ - « الحياء لا يأتي إلا بخير » ٢٨٠
١٦٣ - « الحياء من الإيمان » ٢٨٠

باب الخاء

١٦٤ - « خالفوا اليهود صوموا يومًا قبله ويومًا بعده » ٣٩٥
١٦٥ - « خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي » ٥٣٩
١٦٦ - خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى ٥٥٥
١٦٧ - خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا .... وقال : « هذه سبل » ١١٨
١٦٨ - « خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا » ٥٢٠

١٦٩ - « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا » ٣٥٢
١٧٠ - « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار » ٣٥٣/ ٣٧٩
١٧١ - « خلقك الله بيديه وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه » ٣٥٣
١٧٢ - « خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم » ٣٤٠
١٧٣ - « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ٣٦٤/٧
١٧٤ - « الخلق كلهم عيال الله » ٦٨

باب الدال

١٧٥ - « دعوها فإنها خبيثة » ٢٠٦

باب الراء

١٧٦ - « الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوة » ١٠٨
١٧٧ - « الراحمون يرحمهم الرحمن » ٢١٥

باب الزاي

١٧٨ - « زادك الله حرصًا ولا تعد » ٣٤
١٧٩ - « زوجتكها بما معك من القرآن » ٤٤١

باب السين

١٨٠ - « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ٢٨٩
١٨١ - « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » ٣٥٠/٩٢

١٨٢ - « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف بريء ، ومن أنكر سلم » ٣٤٠
١٨٣ - « سجدها داود توبة ، ونحن نسجدها شكرًا » ٥٣٨
١٨٤ - « سموا الله عليه وكلوا » ٢٩
١٨٥ - سمعت النبي ﷺ قرأ : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال : « آمين » مدَّ بها صوته ١٣٩
١٨٦ - « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية » ٣٤١

باب الشين

١٨٧ - « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ٤٨٢

باب الصاد

١٨٨ - « صدقك وهو كذوب » ٨
١٨٩ - « صغارهم دعاميص الجنة » ٤٩١
١٩٠ - « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » ٤٤٣
١٩١ - « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمس وعشرين ضعفًا » ٤٤٣
١٩٢ - « صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها » ٢٠٢
١٩٣ - « الصلاة لوقتها » ١٧٤
١٩٤ - « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن » ١٧٤

باب الضاد

١٩٥ - « ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما » ١٧٩

١٩٦ - « ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جانبي الصراط سوران » ١١٧

باب الطاء

١٩٧ - « الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل » ٥٤١

باب العين

١٩٨ - « عرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا ... » ١٥٥
١٩٩ - « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » ٣٣٣

باب الفاء

٢٠٠ - « فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب » ٤٨٤
٢٠١ - « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه » ٩١
٢٠٢ - « فأعني على نفسك بكثرة السجود » ٤٩٧
٢٠٣ - « فأنا أحق بموسى منكم » ٥٠١
٢٠٤ - « فإن الصدق يهدي إلى البر » ٤٤٨
٢٠٥ - « فعصى آدم فعصت ذريته » ٤١٧
٢٠٦ - « فقدت أمة من بني إسرائيل » ٥٩٨
٢٠٧ - « فوالله إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار .... » الحديث ٣٨٥
٢٠٨ - « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون » ٤٨٩

باب القاف

٢٠٩ - « قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت » ٢٦٧
٢١٠ - « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي » ٣٢/١٣
٢١١ - « قال الملك : أبشر بنورين قد أوتيتهما » ١٦

٢١٢ - « قل : اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري » ١٠٦
٢١٣ - « قل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » ٣٢
٢١٤ - « قيل لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا البابَ سجدًا وقولوا حطَّة ... ﴾ » الحديث ٥٤٠

باب الكاف

٢١٥ - كان النبي ﷺ إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله ٥٣٨
٢١٦ - كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها ٢٨٠
٢١٧ - كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ٥٥٥
٢١٨ - كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل ٥٧٥
٢١٩ - « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ٤٣٦/ ٤٦٤
٢٢٠ - كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ ٤٤٧
٢٢١ - « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة » ١٥٧
٢٢٢ - « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة » ٤١٣
٢٢٣ - « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ٧٦
٢٢٤ - « كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه » ٨٢

٢٢٥ – « كل مولود يُولد على الفطرة » ٥٣٣
٢٢٦ – « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ... » ٣٤٩
٢٢٧ – كنا والله إذا احمر البأس نتقي به (أي : بالنبي عليه السلام) ١٦١
٢٢٨ – « الكمأة من المن الذي أنزل على بني إسرائيل » ٥٢٩
٢٢٩ – « الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين » ٥٢٧

باب اللام

٢٣٠ – « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن » ١٣
٢٣١ – « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم » ٦٨
٢٣٢ – « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » ٥٩٨
٢٣٣ – « لا تشبهوا بالأعاجم » ٣٩٥
٢٣٤ – « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم » ٣٣
٢٣٥ – « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان » ٢٥٩
٢٣٦ – « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد » ٤٠٠/٨
٢٣٧ – « لا حسد إلا في اثنتين » ١٧٨
٢٣٨ – « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ١٦/١٢
٢٣٩ – « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ٣١
٢٤٠ – « لا يدخل الجنة قاطع » ٢٠٧
٢٤١ – « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » ٣٨٠

٢٤٢ - « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ٣٨٢
٢٤٣ - « لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه » ٣٩٠
٢٤٤ - « لا يصبر أحد على لأوائها فيموت » ٤٩٦
٢٤٥ - « لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ؛ فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده » ٢٢٦
٢٤٦ - « لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه » ٢٩٣
٢٤٧ - « لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي » ٤٧٦
٢٤٨ - « للشهيد عند الله ست خصال » ٤٩٠
٢٤٩ - « لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين » ٣٢٩
٢٥٠ - « لما خلق الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه ... » ٣٥٢
٢٥١ - « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر فيها » ٢٧٠
٢٥٢ - « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي » ١٥٧
٢٥٣ - « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ٣٣٩
٢٥٤ - « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا » ٣٤٢
٢٥٥ - « لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه » ٣٩٤
٢٥٦ - « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ٣٧٧
٢٥٧ - « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها » ٣٨٦/٤١٨

٢٥٨ - « لولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب .... » الحديث ٤٠٧
٢٥٩ - « ليس منا من تشبه بغيرنا » ٣٩٥
٢٦٠ - « ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ولا يتخطاه إلى غيره » ٤٠٢
٢٦١ - « ليلة أسري بي رأيت موسى » ٥١٠

باب الميم

٢٦٢ - « ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ » ١٧٨
٢٦٣ - « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس الظفر والسن » ٢٧٥/٢٨
٢٦٤ - « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على : السلام والتأمين » ١٣٨
٢٦٥ - « ما رقيت إلا بأم الكتاب » ١٢
٢٦٦ - « ما سالمناهن منذ حاربناهن » ٤٢٥
٢٦٧ - « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا » ٤٩٥
٢٦٨ - « ما من عبد يقول : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء .... » ٣٠
٢٦٩ - « ما من مسلم يصيبه أذى : شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته ... » ٢٨٥
٢٧٠ - « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين » ٤٩٥
٢٧١ - « ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر » ٢٦٥

٢٧٢ - « مثل القائم على حدود الله » ١٧٣
٢٧٣ - « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة » ٣٦٥
٢٧٤ - « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث » ٢٣٤
٢٧٥ - « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ٣٣٤
٢٧٦ - « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة » ٣١٥
٢٧٧ - « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ... » ٣٤٣
٢٧٨ - « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله » ١٦٣
٢٧٩ - « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة » ١٤٩
٢٨٠ - « من الكبائر شتم الرجل والديه » ٣٩٤
٢٨١ - « من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ... » ٣٤٣
٢٨٢ - « من تشبه بقوم فهو منهم » ٣٩٥
٢٨٣ - « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ... » ٣١٧
٢٨٤ - « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » ٢٦٠
٢٨٥ - « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » ٤٦٠
٢٨٦ - « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له » ٣٤١
٢٨٧ - « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ... » ٦٨
٢٨٨ - « من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى » ٢٨

٢٨٩ - « من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر » ٣٤١
٢٩٠ - « من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » ٢١٤
٢٩١ - « من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا » ٤٤٣
٢٩٢ - « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له » ٣٦٥
٢٩٣ - « من صلى العشاء في جماعة » ٤٤٤
٢٩٤ - « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج » ١٦
٢٩٥ - « من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين » ٦١٣
٢٩٦ - « من عرض عليه ريحان فلا يرده » ٨٧
٢٩٧ - « من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه » ٣٤٩
٢٩٨ - « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة » ١٥٠
٢٩٩ - « من نسي أن يذكر الله عز وجل في أول طعامه » ٢٨
٣٠٠ - « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا » ٣٦٥
٣٠١ - « من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له » ١٤٢
٣٠٢ - « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » ٣٦٤/٧
٣٠٣ - « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ٢٣
٣٠٤ - « المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما » ٨٦
٣٠٥ - « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم .... » ٧١
٣٠٦ - « المسلمون شركاء في ثلاث .... » ٥٥٩

باب النون

٣٠٧ – « نجيء نحن يوم القيامة على تل فوق الناس » ٢٢٥

٣٠٨ – « نزلت عليَّ آنفًا سورة .... » ٢٥

٣٠٩ – « نسي آدم فنسيت ذريته » ٢٠١

٣١٠ – « نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها » ٥٤٨

٣١١ – « نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره » ٣٦٤

٣١٢ – نهى النبي ﷺ أن يجمع الرجل بين سلف وبيع ٣٩٦

٣١٣ – نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة ٤٠٢

٣١٤ – نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة ٤١٠

باب الهاء

٣١٥ – « هؤلاء عتقاء الرحمن » ٤٩١

٣١٦ – « هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا ... » ٢٦٨

٣١٧ – « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » ٢٥٩

٣١٨ – « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » ٤٤٤

٣١٩ – « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا » ٢١٦/٤٨٦

٣٢٠ – « هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر » ٤٨٤

٣٢١ – « هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل » ٤٧٣/٤٩٢

باب الواو

٣٢٢ – « وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار : البراق » ٣١٨

٣٢٣ - « وإذا قال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين » ١٤٢
٣٢٤ - « وأنتم تسألون عني ... فما أنتم قائلون ؟ » ٣١٧
٣٢٥ - « وإن وجدناه لبحرًا » ٥٠٧
٣٢٦ - « وإن لزوجك عليك حقًّا » ٢٧٦
٣٢٧ - « وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » ٤٨٣
٣٢٨ - « والذي نفسي بيده أنها لتعدل ثلث القرآن » ١٣
٣٢٩ - « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم » ٩٤
٣٣٠ - « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب ... » ٤٤٣
٣٣١ - « والذي نفسي بيده لوْ لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون .. » ٤١٣
٣٣٢ - « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى .. » ٣١٦
٣٣٣ - « وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار » ٢٧٢
٣٣٤ - « وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » ٥٠٧
٣٣٥ - « وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا ... » ٤٨٤
٣٣٦ - « وما كان يدريه أنها رقية ؟ » ١٥
٣٣٧ - « ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » ٢١٥
٣٣٨ - « ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله » ٢٨

٣٣٩ - « ويحك قطعت عنق صاحبك » ٤١

باب الياء

٣٤٠ - « يا أُبي أُرسل إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون .. » ٤٧٦
٣٤١ - « يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه » ٤٩٩
٣٤٢ - « يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ١٧٥
٣٤٣ - « يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لنقضت الكعبة » ٣٩٠
٣٤٤ - « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني » ٥٣٢
٣٤٥ - « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة » ٤٩٨
٣٤٦ - « يا غلام سم الله وكل بيمينك » ٢٧
٣٤٧ - « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ... ٢٥٩
٣٤٨ - « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه » ٤٥٢
٣٤٩ - « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة » ٤٨١
٣٥٠ - « يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك » ٤٨٨
٣٥١ - « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة » ٤٧٩
٣٥٢ - « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة » ٤٨٣

٣٥٣ - « يقال لصاحب القرآن : اقرأ ورتل ... » ٣٦٤
٣٥٤ - « يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا » ٤٩١
٣٥٥ - « يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك » ٤٣٠
٣٥٦ - « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان » ١٨٧
٣٥٧ - « يلقى إبراهيم أباه فيقول : يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون » ٤٧٤
٣٥٨ - « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير » ٣٢١
٣٥٩ - « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » ١٣٤

الموقوف من الأحاديث

٣٦٠ - أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا التراب في وجوه المداحين ٤١
٣٦١ - أمر النبي ﷺ ألا توصل الصلاة حتى تتكلم أو تخرج ٤٠١
٣٦٣ - أمر النبي ﷺ بقتل الوزغة ، وقال : إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم ٤١٦

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ - المقدمة	٥
٢ - سورة الفاتحة	١٠
٣ - الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة	١٢
٤ - فضل سورة الفاتحة	١٥
٥ - هل يجهر بالبسملة في الفاتحة « في الصلاة » ؟	٢٥
٦ - مواطن شرعت فيها التسمية	٢٧
٧ - الاستعانة بالبشر في بعض الأمور .. جواز ذلك من عدمه	٥١
٨ - الناس بين العبادة والاستعانة	٦١
٩ - أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص	٦٦
١٠ - أنواع العبودية لله عز وجل	٧٣
١١ - موقف الناس وتصنيفهم بقدر إخلاصهم العبادة لله عز وجل	٧٦
١٢ - مدى صحة الشعارات المرفوعة في بعض الدول تحت مسمى حرية الرأي والكلمة	٧٧
١٣ - مقدمات بين يدى الدعاء رجاء الإجابة من الله عز وجل	٩٠
١٤ - توضيح مراتب الهداية الخاصة والعامة	٩٩
١٥ - جملة تفسيرات للحروف ، الم	١٤٦

١٦ – بحث لطيف في ثمار التقوى وأثرها في النفس ١٦٥
١٧ – كيفية الإنفاق وضوابطه ١٧٧
١٨ – حكم عظيمة في معنى النور والظلمات وارتباط ذلك بالمؤمنين والمنافقين ١٢٠
١٩ – مقارنة بين المؤمن الصادق الواعي لدينه ، وبين غيره من المنافقين في تقبل أوامر الشرع ٢٣٤
٢٠ – استدلالات العلماء نظرًا وعقلًا على وجود الله عز وجل ٢٥٣
٢١ – أدلة إمكان البعث والنشور يوم القيامة ٢٥٦
٢٢ – وجوه إعجاز القرآن الكريم ٢٦٣
٢٣ – هل الجنة والنار مخلوقتان الآن ؟ ٢٦٧
٢٤ – ما ينبغي من الحياء وما لا ينبغي ٢٨٠
٢٥ – أصناف المخلوقات التي ضرب الله بها أمثالًا في القرآن ٢٨٢
٢٦ – أيهما خلق أولًا : السماء أم الأرض ؟ ٢٩٩
٢٧ – استواء الله سبحانه على العرش ٣٠٧
٢٨ – أين الله ؟ أدلة وبراهين ٣١٣
٢٩ – علاقة آيات القرآن ببعضها من ناحية الترتيب ٣٢٤
٣٠ – باب في شروط الإمامة العظمى ٣٣٦
٣١ – هل يجوز الخروج على الإمام ؟ ٣٤٠
٣٢ – ما ينبغي للعالم أن يكون عليه إذا لم يكن عالمًا ببعض المسائل ٣٥٦
٣٣ – جانب عن فضل العلم وأهله ٣٦٣
٣٤ – إبليس : هل هو من الملائكة ، أم من الجن ٣٧٨
٣٥ – باب في سد الذرائع وأدلة ذلك من الكتاب والسنة ٣٩٠
٣٦ – عصمة الأنبياء ... هل هي مطلقة أم مقيدة ؟ ٤١١
٣٧ – أثر المعاصي في زوال النعم وحلول النقم ٤٢٥

٣٨ – مقترف المعاصي .. بين ترك الأمر بالمعروف وبين فعله ٤٥٠
٣٩ – الاستعانة بالله ... بيانها وثمارها ٤٥٤
٤٠ – باب في بيان أنواع الشفاعات ٤٧٥
٤١ – علاقة الكمأه بالمن ... ومدى شفائها لأمراض العين ٥٢٧
٤٢ – الذنوب وآثارها المدمرة على الإنسان ٥٤١
٤٣ – هل تروى أحاديث النبي ﷺ بالمعنى أم بالنص ؟.. آراء مختلفة ٥٤٧
٤٤ – حكم الاستسقاء في الإسلام .... وسائله وكيفيته ٥٥٣
٤٥ – طرف من معجزاته ﷺ ٥٥٧
٤٦ – تناسل من مسخ من الإنسان إلى غير نوعه .. ممكن أم لا ٥٩٧

انتهى والحمد لله

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة من آية « ٦٧ » حتى آية « ١٧٦ »

الجزء الثاني

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أتتخذنا هزوًا – فارض – بكر – عوان – صفراء فاقع لونها – تشابه – لا ذلول – تثير الأرض – مُسلَّمة – لا شية فيها – وما كادوا

يفعلون – ادارأتم – ما كنتم تكتمون – غافل ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
أتتخذنا هزوًا	أتهزأ بنا وتسخر منا ؟
فارض	هرمة مُسنة
بكر	البكر هي الصغيرة التي لم يفتحلها الفحل
عوان	وسط (أي وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء هي التي ولدت مرة أو مرتين
صفراء فاقع لونها	شديد الصفرة
تشابه	اختلط
لا ذلول	لم يذللها العمل
تثير الأرض	تقلبها للحرث (والمعنى أنها لا تثير الأرض أي ليست ذلولًا لأنها لا تثير الأرض)
مُسلمة	صحيحة سليمة من العيوب
لا شية فيها	ليس فيها بياض ولا سواد[1] ولا حمرة (أي صفراء لا يخالطها لون آخر) والشيُّ هو من وشيِّ الثوب وهو تحسينه بالألوان
وما كادوا يفعلون	كادوا أن لا يفعلوا
ادارأتم	اختلفتم – تنازعتم – تخاصمتم
ما كنتم تكتمون	ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله
غافل	الغفلة هي ترك الشيء على وجه السهو

(١) ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : لا شية فيها أي : لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير) .

س : ما هي مناسبة قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : مناسبته – والله أعلم – أنهم سألوه عن رجل منهم قُتل فاختلفوا في قاتله من الذي قتله[١] .

وذكر الطبري رحمه الله تعالى بأسانيده إلى عددٍ من السلف – وأجمل القول – فقال : فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة وَرَثة استبطأوا حياته[٢] إلا أنهم جميعًا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم[٣]

---

(١) شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها .. ﴾ [البقرة : ٧٢] وقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (أثر ١١٧٢) وابن أبي حاتم في التفسير (٦٩٥) بإسناد صحيح إلى عبيدة السلماني رحمه الله تعالى قال : كان في بني إسرائيل رجل عقيم – أو عاقر – قال : فقتله وليه ، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه . قال : فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النهى : أتقتتلون وفيكم رسول الله ؟ قال : فأتوا نبي الله . فقال : اذبحوا بقرة . فقالوا : أتتخذنا هزوًا ، قال : ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٦٧ – ٧١] قال : فضُرب ، فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبًا ، قال : ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.

(٢) قلت : وكل هذا خلاف لا يضر فالعبرة حاصلة وكائنة وعلى أي وجه كان القاتل أو المقتول ، والله أعلم .

(٣) صوَّب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى هذه اللفظة فقال : الأجود أن يكون (عن أمر الله إياه بذلك) وما صوَّبه الشيخ هو الراجح لدي ، والله أعلم .

بذلك فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبين لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل فادُّعي على بعضنا أنه القاتل ؟

❋ ❋ ❋

س : البقرة اسم للأنثى من البقر فما اسم ذكرها ؟

ج : ذَكَرُها هو الثور .

❋ ❋ ❋

س : البقر أخذ من ماذا (من ناحية اللغة) ؟

ج : بَقَرَ أي شقَّ فالبقر مأخوذ من البَقْر وهو الشق فالبقرة تشق الأرض للحراثة فمن ثم أطلق عليها بقرة ، وأبو جعفر الباقر (وهو محمد بن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين) أطلق عليه الباقر لأنه بقر العلم وعرف أصله (قاله بعض العلماء)[1] .

❋ ❋ ❋

س : البقر يُذبح كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ فهل تُنحر البقر أيضًا ، وما هو الأولى في الغنم والإبل والخيل ؟

ج : البقر يذبح ، وينحر كذلك لقول النبي ﷺ : « رأيت بقرًا تُنحر »[2] الحديث ، ولقول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس السن والظفر ... »[3] وبعض أهل العلم يفضل للبقر الذبح لأنه المذكور في كتاب الله عز وجل وأيضًا لم يرد أن النبي ﷺ نحر بقرًا .

---

(١) نقلًا عن القرطبي .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٤٣٦/٧) : وعند أحمد والنسائي وابن سعد من حديث جابر بسند صحيح في هذا الحديث « ورأيت بقرًا منحرة ... » الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٩٨) ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه مرفوعًا .

● أما الغنم فالأولى فيها الذبح ، والإبل الأولى فيها النحر[1] .

● أما الخيل فالذي يظهر لي أن الأولى فيها النحر لحديث أسماء رضي الله عنها نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه[2] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا تعوَّذ موسى عليه السلام بالله عندما قالوا له ﴿ أتتخذنا هزوا ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : تعوَّذ موسى عليه السلام ، لأن السخرية أثناء تبليغ دعوة الله عز وجل ، جهل وسفه[3] ، فلم يكن لهم أن يظنوا بنبيهم ﷺ غير الحق وهو يبلغهم عن الله عز وجل .

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم ، والنحر أولى في الإبل والتخيير في البقر ، وقيل : الذبح أولى لأنه هو الذي ذكره الله .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥١٠) ، ومسلم (١٩٤٢) من حديث أسماء رضي الله عنها ، وقد ورد بلفظ (ذبحنا ...) وجنح إلى ترجيح (نحرنا) فريق من أهل العلم ، والله أعلم .

(٣) ولم يكن موسى ﷺ مازحًا كذلك لما قال لهم : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ وإن كان هناك فرق بين المزاح والاستهزاء إلا أن موسى عليه السلام لم يكن في هذا ولا ذاك بسبيل ﷺ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى (١/٤٤٧) :

مسئلة – في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه ، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد . وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل ؛ ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده . قال ابن خويز منداد : وقد بلغنا أن رجلًا تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال : جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش ؟ فقال له : لا تجهل أيها القاضي ! فقال له عبيد الله : وأين وجدت المزاح جهلًا ! فتلا عليه هذه الآية ؛ فأعرض عنه عبيد الله ؛ لأنه رآه جاهلًا لا يعرف المزح من الاستهزاء ، وليس أحدهما من الآخر بسبيل .

س : من العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿ صفراء ﴾ [البقرة : ٦٩]، في وصف البقرة المطلوب ذبحها يعني به سوداء، ما مدى صحة هذا القول ؟

ج : هذا القول ، وإن ورد عن بعض أهل العلم إلا أنه ليس بصحيح وظاهر كتاب الله يرده ثم أقوال جمهور المفسرين على خلافه[1] .

* * *

س : أيهما أصح في الوقف عند قوله تعالى : ﴿ إنها بقرة لا ذلول ﴾ أو ﴿ إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ﴾ [البقرة : ٧١] فهل الوقف الأصح عند لا ذلول أو عند الأرض ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن الوقف عند الأرض والمعنى أنه سبحانه وتعالى نفى عنها إثارة الأرض ، كسياق الآية الكريمة : ﴿ لا ذلول تثير الأرض ﴾ أي : لم يُذلها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذل بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث ، والله أعلم .

* * *

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى (٢/٢٠٠ ، ٢٠١) : وأحسب أن الذي قال في قوله : « صفراء » ، يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود : « هذه إبل صفر ، وهذه ناقة صفراء » يعني بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر ، أولادها كالزبيب

يعني بقوله : « هن صفر » ، هن سود وذلك إن وصفت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر . مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد – إذا وصفته بالشدة – بالحلوكة ونحوها ، فتقول : « هو أسود حالك وحانك وحلكوك ، وأسود غربيب ودجوجي » – ولا تقول : هو أسود فاقع . وإنما تقول : « هو أصفر فاقع » . فوصفه إياه بـ « الفقوع » ، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿ إنها بقرة صفراء فاقع ﴾ المتأول ، بأن معناه سوداء شديدة السواد .

س : لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها : أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى ﷺ ، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلًا[1] إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن .

● ومنها : أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفًا من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه .

ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمران معًا (أي غلاء الثمن وخوف الفضحية) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري رحمه الله تعالى ، فقال رحمه الله تعالى في تفسيره :

والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلَّتين كلتيهما إحداهما غلاء ثمنها ، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها ، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى – صلوات الله عليه وأتباعه – على قاتله أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فصوَّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٧١] يقول : كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس[2] قال ابن كثير رحمه الله في شرح « أثر ابن عباس » رضي الله عنهما : يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة

---

(١) أما كون ثمنها كان قليلًا فروى الطبري (١٢٨٨) ، وابن أبي حاتم (٧٤٩) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

(٢) فقد أخرجه الطبري (١٢٧٧) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا إسناد ضعيف فضلًا عن انقطاعه .

والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذمٌّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها .

قلت : وهذا استنادًا إلى « أثر ابن عباس » الضعيف ، وأيضًا يظهر لي – والله أعلم – أن في قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون ، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها ﴾ [البقرة : ٧٢] مؤخر في التلاوة ومعناه متقدم ، فما هو وجه تأخيره ؟

ج : وجه تأخيره أنه لغة للعرب الذين جاء القرآن بلسانهم ، وشاهده من التنزيل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيمًا ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] ، فالظاهر أن المعنى : قيمًا ولم يجعل له عوجًا فأخر المقدم وقدِّم المؤخر[1] .

وقال الألوسي في روح المعاني : وقدِّم[2] لاستقلاله بنوع من مساوئهم التي قصد نعيها عليهم ، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك

---

(١) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ، وأورد قول الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الأوعالا

قال : أراد طالت الأوعالا .

وقول جرير :

طاف الخيال وأين منك لماما فارجع لزورك بالسلام سلاما

قال : أراد طاف الخيال لمامًا وأين هو منك .

وقول الآخر :

خير من القوم العصاة أميرهم ياقوم فاستحيوا النساء الجلَّس

أراد خير من القوم العصاة النساء فاستحيوا من ذلك .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ .

المسارعة إلى الامتثال ، ولو أجرى على النظم لكانت قصة واحدة ولذهبت تثنية التقريع .

وبنحوه قال بعض المعاصرين من المفسرين .

قال وهبة الزحيلي في تفسيره[1] : إنما أخره بالذكر عن ذكر موقفهم الاستهزائي العنادي اهتمامًا واستهجانًا وتقريعًا لموقف العناد وتشويقًا إلى معرفة سبب ذبح البقرة .

❋ ❋ ❋

س : رجل وُجد يتشحط في دمه وقال : فلان قتلني هل يؤخذ بقوله ؟

ج : الصحيح أنه لا يؤخذ بقوله إلا بالقرائن المحتفة إن كان لها وجه قبول كإقرار القاتل مثلًا أو وجود شهود أو نحو ذلك فالقرائن قد تقضي بصحة ما قال وقد تقضي ببطلانه ، وقد أخرج البخاري في صحيحه[2] من حديث أنس رضي الله عنه أن يهوديًّا رضَّ رأس جارية بين حجرين ، فقيل لها : من فعل أفلان أو فلان حتى سمى اليهودي فأتي به النبي ﷺ فلم يزل به حتى أقرَّ فرُضَّ رأسه بالحجارة .

❋ ❋ ❋

---

(١) « التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج » .

(٢) حديث (٦٨٧٦) ، وقد بوَّب له البخاري رحمه الله تعالى بباب : سؤال القاتل حتى يقر والإقرار في الحدود .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٢/ ٢٠٨) ، وقال النووي ذهب مالك إلى ثبوت قتل المتهم بمجرد قول المجروح ، واستدل بهذا الحديث ، ولا دلالة فيه بل هو قول باطل لأن اليهودي اعترف كما وقع التصريح به في بعض الطرق ونازعه بعض المالكية فقال : لم يقل مالك ولا أحد من أهل مذهبه بثبوت القتل على المتهم بمجرد قول المجروح وإن قالوا : إن قول المحتضر عند موته فلان قتلني لوثٌ يوجب القسامة فيقسم اثنان فصاعدًا من عصبته بشرط الذكورية ، وقد وافق بعض المالكية الجمهور .

س : هل في قوله تعالى : ﴿ ... فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ... ﴾ [البقرة : ٧٣] دليل على أن المقتول إذا قال : قتلني فلان أُخذ بقوله ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن هذه معجزة خاصة لا تتطرق إلى ما سواها لأنه لم يكن الرجل ليحييه الله عز وجل بعد أن أماته ثم يكذب على الناس وفيهم نبي الله موسى ﷺ[1] .

* * *

س : ما معنى القسامة ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[2] : القسامة (بفتح القاف وتخفيف المهملة) اليمين ، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي ، وقيل : هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين .

وقال أيضًا[3] : وهي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم أو على المدعى عليهم الدم ، وخصَّ القسم على الدم بلفظ القسامة .

● وقال القرطبي رحمه الله: لا يحلف في القسامة أقل من خمسين يمينًا لقول النبي ﷺ في حديث حويصة ومحيصة: « يقسم خمسون منكم على رجل منهم ».

قلت : ولتوضيح معنى القسامة وبيانها نسوق بعض ما ورد فيها من أحاديث : أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[4] من حديث سهل ابن أبي حثمة رضي الله عنه أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى حيبر فتفرقوا فيها

---

(١) وبنحو ذلك قال بعض المفسرين ، فقال ابن جُزي الكلبي رحمه الله تعالى في تفسيره : وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره .

(٢) « الفتح » (٧/ ١٩٢) .

(٣) « الفتح » (١٢/ ٢٤٠) .

(٤) حديث (٦٨٩٨) .

ووجدوا أحدهم قتيلًا ، وقالوا للذي وجد فيهم : قد قتلتم صاحبنا ، قالوا : ما قتلنا ولا علمنا قاتلًا فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلًا ، فقال : الكُبر الكُبر . فقال لهم : تأتون بالبينة على من قتله ؟ قالوا : ما لنا بينة . قال : فيحلفون . قالوا : لا نرضى بأيمان اليهود ، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ دمه فوداه مائةً من إبل الصدقة .

وأخرج البخاري أيضًا (٦٨٩٩) من طريق أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يومًا للناس ثم أذن لهم فدخلوا ، فقال : ما تقولون في القسامة ؟ قالوا : نقول القسامة القود بها حق وقد أقادت بها الخلفاء . قال لي : ما تقول يا أبا قلابة ؟ ونصبني للناس ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عندك رءوس الأجناد وأشراف العرب ، أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه ؟ قال : لا . قلت : أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه ؟ قال : لا . قلت : فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحدًا قط إلا في إحدى ثلاث خصال : رجل قتل بجريرة نفسه فقتل ، أو رجل زنى بعد إحصان ، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام فقال القوم : أو ليس قد حدث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قطع في السرق وسمر الأعين ثم نبذهم في الشمس ؟ فقلت : أنا أحدثكم حديث أنس ، حدثني أنس أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، قال : أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها ؟ قالوا : بلى ، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النَّعم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا ، فجيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا . قلت : وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ؟ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عنبسة بن سعيد : والله إن سمعت كاليوم قط ،

فقلت : أترد عليَّ حديثي يا عنبسة ؟ قال : لا ؛ ولكن جئت بالحديث على وجهه والله لا يزال هذا الجند بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم . قلت : وقد كان في هذا سنة من رسول الله ﷺ : دخل عليه نفر من الأنصار فتحدثوا عنده ، فخرج رجل منهم بين أيديهم فقتل ، فخرجوا بعده فإذا هم بصاحبهم يتشحط في الدم ، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، صاحبنا كان تحدث معنا فخرج بين أيدينا فإذا نحن به يتشحط في الدم ، فخرج رسول ﷺ فقال : بمن تظنون – أو ترون – قتله ؟ قالوا : نرى أن اليهود قتلته . فأرسل إلى اليهود فدعاهم فقال : آنتم قتلتم هذا ؟ قالوا : لا . قال : أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه ؟ فقالوا : ما يبالون أن يقتلونا أجمعين ثم ينتفلون . قال : أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم ؟ قالوا : ما كنا لنحلف . فوداه من عنده . قلت : وقد كانت هذيل خلعوا خليعًا لهم في الجاهلية ، فطرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم ، فحذفه بالسيف فقتله ، فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا : قتل صاحبنا . فقال : إنهم قد خلعوه . فقال : يقسم خمسون من هذيل : ما خلعوه قال : فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلًا ، وقدم رجل من الشام فسألوه أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلًا آخر فدفعه إلى أخي المقتول فقرنت يده بيده ، قالوا : فانطلقا والخمسون الذين أقسموا ، حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء ، فدخلوا في غار في الجبل فانهجم الغار على الخمسين الذين اقسموا ، فماتوا جميعًا وأفلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل أخي المقتول ، فعاش حولًا ثم مات . قلت : وقد كان عبد الملك بن مروان أقاد رجلًا بالقسامة ثم ندم بعد ما صنع ، فأمر بالخمسين الذين أقسموا فمحوا من الديوان وسيرهم إلى الشام » .

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم : كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله ، فمر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه فقال : أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي لا تنفر الإبل فأعطاه عقالًا فشد به عروة جوالقه . فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيرًا واحدًا ، فقال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل ؟ قال : ليس له عقال . قال : فأين عقاله ؟ قال : فحذفه بعصًا كان فيها أجله . فمر به رجل من أهل اليمن ، فقال : أتشهد الموسم ؟ قال : ما أشهد وربما شهدته . قال : هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر ؟ قال : نعم . قال : فكتب إذا أنت شهدت الموسم فناد يا آل قريش ، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم ، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبره أن فلانًا قتلني في عقال . ومات المستأجر . فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال : ما فعل صاحبنا ؟ قال : مرض فأحسنت القيام عليه ، فوليت دفنه . قال : قد كان أهل ذاك منك . فمكث حينًا ثم إن الرجل الذي أوصى إليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال : يا آل قريش ، قالوا : هذه قريش . قال : يا بني هاشم ، قالوا : هذه بنو هاشم . قال : أين أبو طالب ؟ قالوا : هذا أبو طالب . قال : أمرني فلان أن أبلغك رسالة أن فلانًا قتله في عقال . فأتاه أبو طالب فقال له : اختر منا إحدى ثلاث : إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، وإن أبيت قتلناك به . فأتى قومه فقالوا : نحلف . فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت : يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان ، ففعل . فأتاه رجل منهم فقال : يا أبا طالب

---

(١) حديث (٣٨٤٥) .

أردت خمسين رجلًا أن يحلفوا مكان مائة من الإبل ، يصيب كل رجل بعيران ، هذان بعيران فاقبلهما مني ولا تصبر يميني حيث تصبر الأيمان فقبلهما . وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا . قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية وأربعين عين تطرف) .

❋ ❋ ❋

س : هل يُعمل بالقسامة ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : اختلف العلماء في الحكم بالقسامة ، فروي عن سالم وأبي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عتيبة التوقف في الحكم بها ، وإليه مال البخاري لأنه أتى بحديث القسامة في غير موضعه .

● وقال الجمهور الحكم بالقسامة ثابت عن النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ماهو الموجب للقسامة ؟

ج : الموجب للقسامة هو اللوث ولا بد منه ، واللوث أمارة تغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رؤية القتل أو يرى المقتول يتشحط في دمه والمتهم نحوه أو قربه عليه آثار القتل[1] قاله القرطبي رحمه الله .

---

(١) وقال القرطبي عقب الكلام المذكور : وقد اختلف في اللوث والعمل به فقال مالك : هو قول المقتول دمي عند فلان ، والشاهد العدل لوث ، كذا في رواية ابن القاسم عنه وروى أشهب عن مالك أنه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة . وروى ابن وهب أن شهادة النساء لوث . وذكر محمد عن ابن القاسم أن شهادة المرأتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة قال القاضي أبو بكر بن العربي : اختلف في اللوث اختلافًا كثيرًا ؛ مشهور المذهب أنه الشاهد العدل . وقال محمد : هو أحب إلي . قال : وأخذ به ابن القاسم وابن عبد الحكم . وروي عن عبد الملك بن مروان : أن المجروح أو المضروب إذا قال : دمي عند فلان ومات كانت القسامة . وبه قال مالك والليث بن سعد . واحتج مالك بقتيل بني إسرائيل أنه قال : قتلني فلان . وقال =

س : قوله تعالى : ﴿ اضربوه ببعضها ﴾ [البقرة : ٧٣] ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ؟

ج : ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ، ولا نعلم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك ، ولم يُطبق المفسرون على شيءٍ واحدٍ في هذا الباب أيضًا .

● وكما قال الطبري رحمه الله تعالى : ولا يُضِرُّ الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا البعض أي شيءٍ كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به ، وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينًا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ، ولكن أبهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله تعالى .

= الشافعيُّ : اللَّوْث الشاهد العدل ، أو يأتي ببيِّنة وإن لم يكونوا عدولًا . وأوجب الثوريُّ والكوفيون القسامة بوجود القتيل فقط وآستغنوا عن مراعاه قول المقتول وعن الشاهد ، قالوا : إذا وجد قتيل في مَحلَّة قومٍ وبه أثرٌ حلف أهل ذلك الموضع أنهم لم يقتلوه ويكون عَقْلُه عليهم ؛ وإذا لم يكن به أثر لم يكن على العاقلة شيء إلا أن تقوم البيِّنة على واحد . وقال سفيان : وهذا مما أُجمع عليه عندنا ؛ وهو قول ضعيف خالفوا فيه أهل العلم ، ولا سلف لهم فيه ، وهو مخالف للقرآن والسُّنة ؛ ولأن فيه إلزام العاقلة مالًا بغير بيِّنة ثبتت عليهم ولا إقرار منهم . وذهب مالك والشافعيُّ إلى أن القتيل إذا وجد في مَحلَّة قومٍ أنه هَدَر ، لا يؤخذ به أقرب الناس دارًا ؛ لأن القتيل قد يُقتل ثم يُلقى على باب قوم ليلطخوا به ، فلا يؤاخذ بمثل ذلك حتى تكون الأسباب التي شرطوها في وجوب القسامة . وقد قال عمر بن عبد العزيز : هذا مما يؤخر فيه القضاء حتى يقضي الله فيه يوم القيامة .

قلت : والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى ، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم يبينها نبينا ﷺ ، فثمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقات ويسودون بها صفحات ، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد ، ومن أمثلة هذا مثلًا أوقاتًا يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزير ، وتسمية امرأة العزيز ، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم ، و ... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة ، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء ، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : الأمر يفيد الوجوب عند كثير من أهل العلم ، اذكر دليلًا من قصة موسى عليه السلام مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة يفيد ذلك ، ودليلًا آخر من غيرها من السور ؟ ودليلًا من السنة ؟

ج : أما الدليل الأول فهو قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ [البقرة : ٦٨] .

أما الدليل الآخر فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٧] .

● ومن السُّنة قول النبي ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت »[1] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح ، انظر سنن الترمذي (حديث ٣٠٥٥) وتفسير الطبري (٥٣/٧) .

س : بعض أهل العلم يستنبط من قصة قوم موسى في شأن البقرة أن حكم الله عز وجل يكون على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن إلا أن يأتي دليل من الكتاب أو السنة يخصص هذا العموم وهذا الظاهر وضح ذلك ، واذكر قائله ؟

ج : أما قائله فهو ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى ، قاله في تفسيره وهاك بيان قوله :

قال رحمه الله : وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه – من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم ، إنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدَّد الله عليهم – من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنَّ حكم الله ، فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسُوله ﷺ ، على العموم الظاهر ، دون الخصوص الباطن ، إلا أن يخص بعضَ ما عمَّه ظاهر التنزيل ، كتابٌ من الله أو رسولُ الله ؛ وأن التنزيل أو الرسول ، إن خصَّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكمٍ خلاف ما دلَّ عليه الظاهر ، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمَّت ذلك الجنس خاصة ، وسائرُ حُكم الآية على العموم ؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا « كتاب الرسالة » من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام – في قولنا في العموم والخصوص ، وموافقةِ قولهم في ذلك قولَنا ومذهِبهم مذهبَنا ، وتَخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص في الأحكام ، وشهادَتهم على فساد قول من قالَ : حُكمْ الآية الجائية مجيء العموم على العموم ، مالم يُختصَّ منها بعض ما عمَّته الآية . فإن خُص منها بعضٌ ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خُصَّ منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفًا – ممن عابَ على بني إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صِفة البقرة التي أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها – رأوا أنهم

كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ مُوسى ذَلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرضَوا أدْنى بقرة من البقر – إذْ أمِروا بذبحها بقوله : ﴿ إن الله يأمركم أن تَذْبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، فذَبحوها – كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدِّين ، وللحق مُطيعين ، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع ، وسنٍّ دون سنٍّ .

ورأوا مع ذلك أنَّهم – إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها ، وحَصرهم منها على سنٍّ دون سن ونوع دون نوع ، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعًا منها – كانوا في مسألتهم إيَّاهُ في المسألة الثانية ، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر ، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيَّاه المسألةَ الأولى .

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية ، وأن اللازمَ كان لهم في الحالة الأولى ، استعمالُ ظاهر الأمر ، وَذبح أيِّ بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة .

وكذلك رأوا أنَّ اللازم كان لهم في الحال الثانية ، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أي بَهيمة شَاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عَوَان لا فارض ولا بكر ، ولم يَروا أنَّ حكمهم – إذ خُصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية – انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى ، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص .

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك – مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم – دليلٌ واضح على صحَّة قولنا في العموم والخصوص ، وأنَّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه – فيما أمر ونهى – على العموم ، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له . وأنه إذا خُصّ منه شيء ، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامَّة الظاهرِ ، وسائر حُكم

الآية على ظاهرها العام - ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا في ذلك ، وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه .

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدت حيرتُه ، أنَّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سَألوا بَعد أمر الله إياهم بذبح بَقرةَ من البقر ، لأنَّهم ظَنوا أنهم أمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصَا موسى في معناها ، فسألوه أن يحلِّيها لهم ليعرفوها .

ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا ، لسهل عليه ما استصعب من القول . وذلك أنه استعظمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم ، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكون كان منهم . فزعم أنهم كانوا يَرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا ، ويتعبدهم بعبادة ، ثم لا يبيِّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به ، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم ! فأضاف إلى الله تعالى ذكرُه ما لا يجوز إضافته إليه ، ونَسب القومَ من الجهل إلى ما لا يُنسَب المجانين إليه ! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض ، فنعوذ بالله من الحَيْرة ، ونسأله التوفيق والهداية .

❋ ❋ ❋

س : قاتل العمد هل يرث من المال شيئًا ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : ولا خلاف بين العلماء أنه لا يرث قاتل العمد من الدِّية ولا من المال إلَّا فرقة شذت عن الجمهور كلهم أهل بدع[1] .

❋ ❋ ❋

(١) قلت : إن كان استدلاله بقصة بقرة بني إسرائيل وما ورد فيها من آثار فهي آثار لا تقوم بها حجة على هذه المسألة ، وقد قال ابن جُزي الكلبي في تفسيره : واستدلوا =

س : التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله عز وجل عليه ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الله عز وجل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، ولم يبين لهم سبحانه وتعالى شروطًا لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى ، فلما طلبوا بيانًا عن سنِّها بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي .. ﴾ [البقرة : ٦٨] كان هذا منهم تشديدًا على أنفسهم فشدِّد عليهم ثم تعنتوا تعنتًا آخر فقالوا : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ [البقرة : ٦٩] ... ثم تعنتًا ثالثًا بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾ [البقرة : ٧٠] فكل هذا منهم تشديدٌ على أنفسهم[1] .

= أيضًا بها على أن القاتل لا يرث ، ولا دليل فيها على ذلك .

هذا وتحتاج المسألة مني إلى تحرير أسأل الله أن ييسره ، وإن شاء الله يأتي في بابه .

(١) وقد قال عبيدة السلماني رحمه الله : فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فُشدِّد عليهم . وتقدم الأثر عنه في ذلك وقال عكرمة رحمه الله (عند الطبري ١٢٣٩ بإسناد صحيح) : لو أخذ بنوا إسرائيل بقرة لأجزأت عنهم ، ولولا قولهم ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ [البقرة : ٧٠] لما وجدوها .

● وصح عن ابن عباس كذلك (عند الطبري ١٢٣٥) أنه قال : لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها ، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم .

وكذلك روي نحو هذا القول عن عددٍ كبير من أهل العلم .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى (ص١٨٩/٢) : .. لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرةٍ من البقر – أي بقرة شاءُوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوع أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلُّف ما قد وضع الله عنهم مؤونته تعنتًا منهم لرسول الله ﷺ .. فذكر بأسانيده إلى السلف ... ﴿ ادع لنا ربك ﴾ وقال ص١٩٨ .

ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادْع لنا ربك يُبين لنا ما لونها ؟ أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها . وهذا أيضًا تعنُّت آخر منهم بعد الأول ، وتكلُّف طلب ما قد =

= كُفُوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا في المرة الثانية – إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفُوه من المسألة عن صفتها ، فحُصِروا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبةً من الله لهم على مَسألتهم التي سألوها نبيَّهم ﷺ ، تعنُّتًا منهم له . ثم لم يحصُرهم على لون منها دون لون ، فأبَوْا إلا تكلف ما كانوا عن تكلُّفه أغنياء ، فقالوا – تعنُّتًا منهم لنبيهم ﷺ ، كما ذكر ابن عباس – : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ ، فقيل لهم عقوبةً لهم : ﴿ إنها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونها تسر الناظرين ﴾ . فحُصِروا على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أنَّ البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها .

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « قالوا » قال قوم مُوسى – الذين أمِروا بذبح البقرة – لموسى فترك ذكر مُوسى ، وذكر عائد ذكره ، اكتفاءً بما دل عليه ظاهرُ الكلام . وذلك أن معنى الكلام : قالوا له : ادعُ رَبك . فلم يذكر « له » لما وصفنا .

وقوله : ﴿ يبيِّن لَنا ما هي ﴾ ، خبرٌ من الله عن القوم بجَهْلةٍ منهم ثالثة . وذلك أنهم لو كانوا إذْ أمروا بذبح البقرة ، ذبحوا أيَّتها تيسرت مما يقع عليه اسمُ بقرة ، كانت عنهم مجزئة ، ولم يكن عليهم غيرها ، لأنهم لم يكونوا كلِّفوها بصفة دون صفة . فلما سألوا بيانها بأيِّ صفة هي ، بيَّن لهم أنها بسن من الأسنان دون سَنٍّ سائر الأسنان ، فقيل لهم : هي عوان بَين الفارض والبكر والضرع . فكانوا – إذ بيِّنت لهم سنُّها – لو ذبحوا أدنى بَقرة بالسنِّ التي بُيِّنت لهم ، كانت عنهم مُجزئة ، لأنهم لم يكونوا كُلِّفوها بغير السن التي حُدثْ لَهم ، ولا كانوا حُصِروا على لون منها دون لون . فلما أبوا إلا أن تكون معرَّفَة لهم بنعوتها ، مبينةً بحدودها التي تفرِّق بينها وبين سائر بهائم الأرض ، فشدَّدوا على أنفسهم – شَدَّد الله عليهم بكثرة سُؤالهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته : –

« ذرُوني ما تركتُكم ، فإنما أُهلِك من كان قَبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم » .

● وقد قال النبي ﷺ لأصحابه : « ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »[1] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم .. ﴾ [المائدة : ١٠١] وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء فحرِّم من أجل مسألته .. »[2] .

وقد قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل كره لكم كثرة السؤال .. »[3] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (أو) في قوله تعالى ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ؟

ج : ابتداءً فقد أجمع العلماء أن (أو)[4] في هذا الموطن ليست على الشك ثم التمسوا لها تأويلات .

● فمن العلماء من قال إن (أو) هنا بمعنى (بل) كما في قوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) ص (١٨٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٨٩) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٨) من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب (.. كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

(٤) نقل هذا الإجماع الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] ، فالمعنى – والله أعلم – بل يزيدون .

● ومن أهل العلم من قال إن (أو) هنا بمعنى الواو كما قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] فالمعنى – والله أعلم – ولا تطع منهم آثمًا وكفورًا ، وكقوله تعالى : ﴿ عذرًا أو نذرًا ﴾ [المرسلات : ٦] فالمعنى – والله أعلم – عذرًا ونذرًا وكما في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .... أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .. ﴾ [البقرة : ١٧ ، ١٩] فمنهم – والله أعلم – من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ... ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق .... ، فالمعنى هنا على هذا التأويل أن منهم من قلبه في قسوته كالحجارة ومنهم من قلبه أشد قسوة من الحجارة[1] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد بسط الطبري رحمه الله تعالى القول في هذا في تفسيره فقال رحمه الله :

فإن سأل سائل فقال : وما وجه قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوة ﴾ ، و « أو » عند أهل العربية ، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائز في خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية ، أنها – عند عباده الذين هُم أصحابها ، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله – كالحجارة قَسوةً أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم .

وقد قال في جماعة من أهل العربية أقوالًا ، فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً ﴾ ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي =

= بـ « أو » كقوله ﴿ وأَرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧]، وكقول الله جل ذكره : ﴿ وإنا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدى أَوْ فِي ضَلالٍ مبين ﴾ [سورة سبإ : ٢٤] – [الإبهام عَلى من خاطبه] ، فهو عالمٌ أيُّ ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : (أكلتُ بُسرة أو رُطَبة) ، وهو عالمٌ أيُّ ذَلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسْود الدُّؤلي) :

أُحِبُّ مُحمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا ... وَعَبَّاسًا وَحمْزَةَ وَالوَصِيَّا

فإن يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْه ... وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيًّا

قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شَاكًّا في أن حُبَّ من سَمَّى – رَشدٌ ، ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له : شككت ! فقال : كلا والله ! ثم انتزع بقول الله عز وجل : ﴿ وإنا أو إياكمْ لَعلى هُدى أَوْ في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، فقال : أو كان شاكًّا – من أخبر بهذا – في الهادي من الضلال .

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : (ما أطعمتك إلا حُلوًا أو حامضًا) ، وقد أطعمه النوعين جميعًا . فقالوا : فقائل ذلك لم يكن شاكًّا أنه قد أطعم صاحبَه الحلوَ والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبر عَمَّا أطْعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين . قالوا فكذلك قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ إنما معناه : فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثالين ، إما أن تكون مِثْلا للحجارة في القسوة ، وإما أن تَكون أشدَّ منها قسوة . ومعنى ذلك على هذا التأويل : فبعضُها كالحجارة قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوة من الحجارة .

وقال بعضهم : « أو » في قوله : ﴿ أو أشدَّ قسوة ﴾ ، وأشد قَسوة ، كما قال تبارك . وتعالى : ﴿ ولَا تُطِعْ مِنْهُم آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٢٤] بمعنى : وَكفُورًا ، وكما قال جرير بن عطية :

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

يعني : نال الخلافة ، وكانت له قَدَرًا ، وكما قال النابغة : =

= قَالَتْ : أَلَا لَيْتَمَا هذا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا ، أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

يريد : ونصفُه .

* * *

وقال آخرون ، « أو » في هذا الموضع بمعنى « بل » ، فكأن تأويله عندهم : فهي كالحجارة بل أشد قسوة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأَرْسَلناه إلى مِئَة ألفٍ أو يزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، بمعنى : بل يزيدون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فهي كالحجارة ، أو أشد قسوَةً عندكم .

* * *

قال أبو جعفر : ولكلٍّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهٌ وَمخرج في كلام العرب . غيرَ أن أعجبَ الأقوال إليَّ في ذلك ما قلناهُ أوَّلا ، ثم القولُ الذي ذكرناه عمن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهي أوجُهٌ في القسوة : إما أن تكون كالحجارة ، أو أشدَّ ، على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشدُّ قسوةً . لأن « أو » ، وإن استُعملت في أماكنَ من أماكن « الواو » حَتى يلتبس مَعناها ومعنى « الواو » ، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن – فإنَّ أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين . فتوجيهها إلى أصلها – ما وَجدْنا إلى ذلك سبيلًا – أعجبُ إلي من إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الرفع في قوله : « أو أشد قسوة » ، فمن وجهين :

أحدهما : أن يكون عطفًا على معنى « الكاف » في قوله : « كالحجارة » ، لأن معناها الرفع . وذلك أن معناها معنى « مثل » ، [فيكون تأويله] : فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة .

س : من العلماء من يقول إن الله عز جل أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله عز وجل وتطيعه ما مدى صحة هذا القول ؟

ج : هذا القول عندي صحيح ، ومستند ذلك ما يلي .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلَّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب ... ﴾ [الحج : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ١١] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ .. ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

● وقال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] .

● وقال تعالى ﴿ .. وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤][1] .

---

(١) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (٧٦٧) أنه قال في قوله : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤] قال إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو =

- وقال النبي ﷺ : « إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ » .
- وقال عليه الصلاة والسلام : « أحدٌ جبل يحبنا ونحبه » .
- وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ .
- وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] ، خبر عن الله سبحانه وتعالى ما هو المراد منه ؟

ج : المراد – والله أعلم – من هذا الخبر التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله عز وجل[1] .

❋ ❋ ❋

= اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوا به ، وإنه ليهبط من خشية الله .

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل هذا الموطن ، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة . والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله ، وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه : (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير ، وبالله التوفيق .

(١) قال القاسمي في « محاسن التأويل » : وقوله تعالى : ﴿ وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] فيه التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى ، فإن الله عز وجل إذا كان عالمًا بما يعملونه مطلعًا عليه غير غافل عنه ، كان لمجازاتهم بالمرصاد .

۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾

س : اذكر معاني الكلمات :-
يؤمنوا لكم - كلام الله - يُحرفونه - عقلوه - فتح - يحاجوكم - أمّيون - أماني - فويلٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
يؤمنوا لكم	يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم ﷺ - يتابعونكم على دينكم وهي كقوله تعالى ﴿ فآمن له لوط ﴾ [العنكبوت : ٢٦]

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .. ﴾ [يونس : ٨٣] وقول اليهود لموسى ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] وقول اليهود ﴿ لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] وقول الكافرين لنوح ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ، وقول موسى ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ [الدخان : ٢١]
كلام الله	قيل هي التوراة ، وقيل هي كلام الله مع موسى عليه السلام لما خرج لميقات ربه ومعه السبعون رجلًا كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥]
يُحرفونه	يغيرونه – يبدلون معناه ويؤولونه على غير وجهه ، والله أعلم .
عقلوه	عرفوه – فهموه
فتح	فتح تأتي بمعان منها حكم ، وقضى ، ونصر ، وفرَّق بين شيئين ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ [الأعراف : ٨٩] أي اقض ، واحكم ، والفتاح : القاضي وقوله تعالى ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ [سبأ : ٢٦] ويأتي بمعنى النصر كما في

الكلمة	معناها
	قوله تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] أي يقولون سيخرج نبي فنتبعه وننتصر عليكم
يحاجوكم	يُخاصموكم - يعيِّروكم - يجادلوكم
أميون	جمع أُميٍّ[1] وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ومنه قول النبي ﷺ «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»
أماني	ظنون وأكاذيب باطلة وتوهمات وتمنيات لا أساس لها
ويلٌ	الويل هو العذاب والهلاك والدمار - وقيل جبل في النار وقيل واد في جهنم ، والله تعالى أعلم

❋ ❋ ❋

(١) قال الطبري رحمه الله : وأرى أنه قيل للأمي (أمي) نسبة له بأنه لا يكتب إلى أُمِّه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه .

قلت : وقال بعض أهل العلم : إن الأميين نسبة إلى الأمة ، قال بعضهم : وما عليه العامة فمعنى الأمي العامي الذي لا تمييز له .

وقال بعض أهل العلم في حديث رسول الله ﷺ : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » أي أن ديننا لا يحتاج إلى أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صلاتهم وصومهم بكتاب وحساب . وهذا الحمل وإن كان له وجه من ناحية إلا أنه إذا فهم منه أن رسول الله ﷺ كان يكتب أو يحسب فهذا خطأ ، ويؤيده نفي الكتابة والحساب في الحديث (إنا أمةٌ أمية لا نكتب ولا نحسب) وقوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيتنا إلا الظالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] والله تعالى أعلم .

س : الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ [البقرة: ٧٥] ما نوعه ؟

ج : هو استفهام إنكاري الغرض منه الاستبعاد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ ؟ وما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون ﴾ هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون ، والمضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ هم اليهود[1] .

❋ ❋ ❋

س : من هو هذا الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المراد فريق من علماء اليهود سواء المعاصرين لرسول الله ﷺ أو الذين تقدَّموه .

الثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه عز وجل كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف :١٥٥] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر صور تحريف اليهود للتوراة ؟

ج : من هذه الصور كتمان ما في التوراة من حق وإظهار ما عندهم من باطل فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا نَفْضَحُهُم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام رضي الله

---

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٣٢٧) قال : هم اليهود .

عنه كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة[1].

● وقد قال الله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● ومنها ما أخرجه الطبري رحمه الله تعالى بإسناده (١٣٣١) إلى ابن زيد[2] في قوله تعالى : ﴿ يسمعون كلام الله ﴾ [البقرة : ٧٥] قال : التوراة التي أنزلها عليهم يُحرفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا ، والحرام فيها حلالًا ، والحق فيها باطلًا ، والباطل فيها حقًّا إذا جآءهم المحقُّ برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جآءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق ، وإن جاء أحدٌ يسألهم شيئًا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال لهم ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ وهم يعلمون ﴾ ؟

ج : فائدته بيان عظم جرمهم ، وهو أنهم لم يحرفوا المعنى بجهلٍ وخطأ وإنما حرَّفوه بعد ما علموه يقينًا وعلموا وجه الصواب فيه وتأكدوا ثم عمدوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٤١) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) .

(٢) صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ولكن بقي النظر في ابن زيد نفسه فهو ضعيف .

إلى اللفظ فحرفوه أو إلى وجه الصواب فأوَّلُوه وصرفوه عن وجهه والله أعلم .

ومن أهل العلم من يقول : قوله : ﴿ وهم يعلمون ﴾ أي يعلمون عقوبة تحريفه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أفتطمعون يا أصحاب محمد أن يصدقكم هؤلاء اليهود ويتابعوكم على دينكم وقد كان أسلافهم يحرفون كلام الله عز وجل عن عمدٍ وقصد وعلى علم منهم بأن هذا تحريف وأن فاعله معاقب .

● وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره « تيسير الكريم المنان » : هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب ، أي فلا تطمعوا في إيمانهم ، وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه فيضعون له معاني ما أرادها الله ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدُّون به الناس عن سبيل الله فكيف يرجى منهم إيمان لكم ؟ فهذا من أبعد الأشياء .

قلت : وثمَّ وجه آخر في تفسير الآية الكريمة ، وهو أن الفريق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم ﴾ هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام كما قدمنا ، وعلى هذا فالمعنى كيف تطمعون يا أصحاب محمد ﷺ في تصديق هؤلاء اليهود لكم واتباعهم سبيلكم وإذعانهم لنبيكم ولكتابكم ، وقد كان أجدادهم – الذين خرجوا مع موسى عليه السلام –

يسمعون كلام الله عز وجل بلا واسطة[1] وهم مع نبيهم موسى ثم ما هي إلا مسافة طريق الرجوع من الطور إلى بلادهم حتى يحرفون الكلم الذي سمعوه عن مواضعه عامدين لذلك متعمدين له عالمين به ، فهؤلاء الموجودون بينكم أحرى وأجدر بهم أن يجحدوا الحق الذي جئتموهم به كما جحد أسلافهم ، فكذبهم على الله قديم وعداوتهم لرسل الله قديمة .

---

(١) ولكن هل في كتاب الله عز وجل ما يفيد أن الله جل ذكره كلَّم هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه كما في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، أم أن الله عز وجل اختص نبيهم موسى فقط بالتكليم ثم أخبرهم موسى عليه السلام بالذي أراده الله منهم ؟ لأهل العلم هنا قولان ففريق يرى أن ربهم عز وجل كلمهم ثم حرفوا الكلام على ما ذكر ، وفريق أنكر ذلك إنكارًا شديدًا .

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره « المحرر الوجيز » (١/٢٦٧) : وفي هذا القول ضعف ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم .

ونقل ابن الجوزي في « زاد المسير » عن الحكيم الترمذي (صاحب النوادر) أنه أنكر تكليم الرب للسبعين إنكارًا شديدًا وقال : إنما خص بالكلام موسى وحده ، وإلا فأي ميزة ، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابًا .

وقال القرطبي في تفسيره .. وإنما الكلام شيء خُصَّ به موسى من بين جميع ولد آدم فإن كان كلَّم قومه أيضًا حتى أسمعهم كلامه فما فَضْلُ موسى عليهم ، وقد قال وقوله الحق ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا واضح.

قلت : قوله تعالى ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، سيأتي الحديث عليه في بابه إن شاء الله ، ولكن هل هذه الآية الكريمة ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، هل تنفي أن الله عز وجل كلم غير موسى عليه السلام ؟ هذا أيضًا سيأتي في بابه إن شاء الله لكننا نشير هنا إلى أن الله عز وجل كلم آدم وحواء عليهما السلام بقوله ﴿ فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [الأعراف : ١٩] وقال تعالى : ﴿ فناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة .. ﴾ [الأعراف : ٢٢] . =

س : من المساعدات على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أن يفهم الشخص شيئًا عن الذي يدعوه ويعرف أحواله وظروفه وملابسات أخلاقه وأفعاله .. إلى غير ذلك وضح هذا ؟

ج : نعم فإن هذا أقرب إلى سداد الداعي في كثير من الأحيان إذ يعرف كيف يشخص المرض وكيف يعالج ومن أين يأتي إلى المدعو ، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن : « إنك سوف تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله عز وجل فإن هم

= ● وكلَّم الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ كما في ليلة المعراج التي فيها فُرضت الصلوات .

وكلَّم الله عز وجل إبراهيم فقال سبحانه : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [الصافات : ١٠٤، ١٠٥] .

● ونادى ربنا سبحانه وتعالى نبيه أيوب لما أمره أن يضرب برجله فخرج الماء وقال الله له : ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢] ، وأرسل إليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة فجعل أيوب عليه السلام يحثو في ثوبه فناداه ربُّه يا أيوب ألم أكن أغنيتك قال بلى يا رب ، ولكن وعزتك لا غنى لي عن بركتك[1] .. إلى غير ذلك والله أعلم .

---

(١) أخرج ابن حبان بإسناد صحيح (موارد الظمآن) (٢٠٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... » الحديث وفيه وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢]، فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان ..» الحديث وفيه وكان له أبدران أبدر القمح وأبدر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أبدر (وفي رواية أندر) القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورِق حتى فاضت .

أطاعوك فأخبرهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»[1] الحديث .

فهنا لما علم الشخص من سيدعوهم بدأ بالأهم الذي يحتاجون إليه وقدمه على غيره وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أحوال بني إسرائيل من إعراضهم عن المرسلين ، وليس إعراضًا منهم فقط بل كذبهم على الله عز وجل ، وتحريفهم الكلم عليه سبحانه فقال عز وجل : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ، فهذا يجعل الشخص متزنًا في دعوته إلى الله وخاصة إذا رأى من قومٍ عدم استجابة وكان أسلافهم كذلك فلا تذهب نفسه عليهم حسرات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بقوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : المراد بهم في هذه الآية الكريمة طائفةٌ من اليهود ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي فتحه الله عليهم ؟

ج : فيه ثلاثة أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (حديث ١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له : « إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذ أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس » .

(١) العقوبات التي أنزلها الله عز وجل على أسلافهم من المسخ إلى قردة وخنازير والتوبة بقتل بعضهم البعض ونحو ذلك .

(٢) هو معرفتهم صفة محمد ﷺ في التوراة التي بين أيديهم ، ومعرفتهم صدق ما جاء به .

(٣) أوجه الإنعام التي أنعم الله بها على بني إسرائيل لما صدقوا موسى وتبعوه ، وأوجه العقوبات التي حلَّت بهم لما خالفوه والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن بعض اليهود كانوا إذا التقوا بالمؤمنين قالوا لهم آمنا بما معكم وصدقنا أن هذا نبيٌّ لأن صفته في كتابنا وقد أُخذ علينا الميثاق أن نؤمن به ، ثم إن هذا النبي يُخبرنا بالذي حكم الله علينا به من التصديق بنبيه إذا بعث ، ويخبرنا هذا النبي أيضًا بما عاقب الله به أسلافنا من المسخ وجعل المعتدين منهم قردة وخنازير ، ويخبرنا بالذي كان من أسلافنا من أمر عبادتهم للعجل و إلى غير ذلك ثم إذا انصرف هذا الفريق من اليهود إلى إخوانهم اليهود عاتبهم إخوانهم بقولهم : ﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٦] ، أي كيف تحدثوا هؤلاء المسلمين بما قضى الله به عليكم – أي على أجدادكم – من العقوبات وما ألزمكم الله به من الإيمان بنبيهم إذا بُعث ، فإنكم بحديثكم هذا لهم تجعلوهم يحتجون عليكم به عند ربكم وتجعلونهم أكثر ثباتًا على الإيمان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ عند ربكم ﴾ في قوله تعالى ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : قيل إن المراد الآخرة أي أن المراد عند السؤال يوم القيامة فيكون ذلك من باب التوبيخ وإظهار الفضيحة .

وقيل عند ربكم أي في حكم ربكم وقضاء ربكم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ [النور : ١٣] وكما يقال فلان عندي عالم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] يرجع إلى من ؟

ج : الضمير يرجع إلى اليهود الذين لاموا إخوانهم لما حدثوا المؤمنين بما حكم الله به عليهم وقضى عليهم به ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] ؟

ج : الاستفهام معناه هنا التوبيخ والإنكار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ ومنهم أميون ﴾ [البقرة : ٧٨] مِنْ مَنْ ؟ وضح المعنى ؟

ج : مِن اليهود ، والمعنى أن من اليهود من هم أهل علمٍ لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه على علمٍ منهم بذلك التحريف وبعقوبته ، ومنهم أهل نفاق ﴿ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .. ﴾ [البقرة : ٧٦] ومنهم أميون ، والمراد بهم هنا العوام الجهلة .

س : ما هو الكتاب المراد في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٨] وما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ ؟

ج : المراد بالكتاب التوراة ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ أي لا يعلمون عن الكتاب وعن ما فيه من أحكام وفرائض وحدود وحلال وحرام ومع ذلك يدعون أنهم مقرون بالكتاب وهم لا يدرون عما فيه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالأماني في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأماني أقوال منها :

١ - أنها جمع أمنية ، وهي أماني كاذبة يتمنونها ويغرون بها أنفسهم ويوهمونها بها كقولهم ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ﴾[1] وقولهم ﴿ لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقولهم ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

فعلى ذلك فالأماني هنا هي الأوهام والأكاذيب التي يوهمون بها أنفسهم .

٢ - أن الأماني هي التخرصات والظنون الباطلة التي يعتقدونها .

٣ - أن الأماني هي القراءات أي : قراءات يقرءونها ولا يفهمون معناها

---

(١) قال تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ [البقرة : ١١١] وقال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجْز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

ومن ورود الأمنية بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج : ٥٢] .

فتمنى في الآية الكريمة بمعنى (قرأ) ، ومن ورود التمني بمعنى القراءة قول الشاعر .

تمنى كتاب الله آخر ليله تمني داود الزبور على رسل

وقوله :

تمنى كتاب الله أول ليله وفي آخره لا في حمام المقادر

فعلى ذلك ، فمعنى الآية على هذا التأويل : ومنهم أميون لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الكتاب ، والمراد به ، اللهم إلا قراءات يقرءونها ولا يحفظون معناها ويرددونها كالببغاوات .

ولكن هذا التأويل هنا ضعيف ، أعني تأويل الأماني بالقراءة في هذا الموطن وذلك لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم أميون ، والأُمي لا يقرأ ولا يكتب .

والوجه الأول عندي أصح ، وعليه فمعنى الآية ، ومن اليهود قوم أميون (لا يقرءون ولا يكتبون) لكن يظنون بأنفسهم ظنونًا باطلة ويختلقون إفكًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى (إن) في قوله تعالى ﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ [البقرة: ٧٨]؟

ج : (إن) هنا بمعنى (ما النافية) والمراد : وما هم إلا يظنون .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ [إبراهيم : ١١] أي ما نحن إلا بشر مثلكم .

● وكقوله تعالى ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ [الملك : ٢٠] ، أي ما الكافرون إلا في غرور .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى إلا في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] وما هو نوع الاستثناء في الآية الكريمة ؟

ج : إلا في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ معناها لكن ، أي لكن أماني أما الاستثناء في هذا الموطن فهو استثناء منقطع[1] ، وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كأن تقول حضر القوم إلا الباخرة لم تحضر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس من جنس العلم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ١٩ ، ٢٠] .

✵ ✵ ✵

س : من المعلوم أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي فما هو وجه قوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم) [البقرة : ٧٩] ؟

ج : وجه ذلك تأكيد كتابتهم للكتاب فقد يأمر الشخص غيره بالكتابة

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره (٢/٢٦٤) ما حاصله : أن الاستثناء المنقطع يكون في كل موضعٍ حَسُن أن يوضع فيه مكان (إلا) « لكن » فيعلم حينئذٍ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول ، ألا ترى إنك إذا قلت ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ، ثم أردت وضع لكن مكان (إلا) وحذف (إلا) وجدت الكلام صحيحًا معناه صحته وفيه (إلا) وذلك إذا قلت : ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم ، يتمنون ، وكذلك قوله : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن ، وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا والله أعلم .

فيكتب ويسمى الآمر كاتبًا ، أي أنهم لم يأمروا غيرهم بكتابته بل باشروا الكتابة بأنفسهم وزوَّروها بأيديهم فهو بيان لجرمهم وإثبات لتحريفهم وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ومن المعلوم أن الطيران يكون بالجناح ، وكقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالأفواه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : المعنى يغيرون ما في الكتاب ويحرفونه ويبدلونه وأيضًا كتبوا كتابًا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله افتراء وكذبًا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه غضًّا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيَّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا أفلا ينهاكم ما جآءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] ، هل إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا جاز ؟

ج : لا يجوز تحريف الكتاب من أجل الثمن القليل ولا من أجل الثمن الكثير ، والمراد بقوله تعالى : ﴿ ثمنًا قليلًا أي عرضًا من أعراض الدنيا سواء كان قليلًا أو كثيرًا ، فكل متاع الدنيا قليل كما قال سبحانه : ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة : ٣٨] والله تعالى أعلم .

س : لماذا كرر الويل في قوله تعالى : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : كرر الويل للتوبيخ والتقريع وتقبيح الجريمة ، جريمة التحريف والافتراء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

س : ما معنى :- معدودة ؟

ج :

الكلمة	معناها
معدودة	أي يعدها العاد ، والمراد أيامًا قليلة كما في قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠] أي دراهم قليلة وكما في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] أي قليلة على رأي لبعض العلماء ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأيام المعدودة في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النَّار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : قيل إنها بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل ، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يومًا وقيل غير ذلك ، فالله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسيئة في قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : السيئة – في قول أكثر أهل العلم – في هذا الموطن المراد بها الشرك[1] والله أعلم .

---

(١) وقد أخرج الطبري (١٤٢١) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيئة في هذا الموطن إنها الشرك .

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضًا (أثر ١٤٢٤) ، وعن غيرهم كذلك أنها الشرك .

قال الطبري رحمه الله تعالى (٢/٢٨٢) : وإنما قلنا إن (السيئة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان ، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، قوله : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨٢] ، فكان معلومًا بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان .

وقال القاسمي في « محاسن التأويل » (٢/١٧٧) : تنبيه : ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار ، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود ، والله أعلم .

س : اصطلاح السيئة قد يأتي في الكتاب العزيز ويُراد به الشرك ، وقد يأتي أحيانًا ويُراد به الكبيرة ، وقد يأتي أحيانًا أخرى ويُراد بها الصغيرة دلّل على ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها في الكتاب العزيز ، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه ، ومن هذا كلمة السيئة .

● فتأتي أحيانًا بمعنى الشرك كما في هذه الآية الكريمة ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، وذلك لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك ومن على شاكلته من الملاحدة ومنافقي نفاق الاعتقاد .

ومن هذا أيضًا قوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكُبت وجوههم في النار ﴾ [النمل : ٩٠] .

● وتأتي السيئة أحيانًا بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط : ﴿ .. ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴾ [هود : ٧٨] .

● وتأتي أحيانًا بمعنى الصغيرة كما في قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [النساء : ٣١] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن معناها (ومات على الكفر) .

● وبعضهم قال : غلبت سيئاته حسناته فأذهبتها ومحقتها ، فالمحيط بالشيء، يكون أعظم من الشيء المُحاط به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها ﴾ [الكهف : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ [التوبة : ٤٩] .

● وبعض العلماء يقول : اجتمعت عليه سيئاته حتى أهلكته كقوله تعالى : ﴿ إلا أن يحُاط بكم ﴾ [يوسف : ٦٦] أي تهلكوا والله تعالى أعلم .

● ومن العلماء من يقول إن الخطيئة هنا هي الكبيرة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل مرتكب الكبيرة لا بد أن يُعذب وإن تاب منها وكيف يكون حاله إذا لم يتب منها ؟

ج : أما قول القائل : (لا بد أن يُعذب إن تاب أو لم يتب) فخطأ ظاهر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

● وقال النبي ﷺ بعد أن ذكر جملة من الكبائر : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه »[1].

وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

● وقال تعالى : ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

● وقال تعالى : ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف : ١٥٦] إلى غير ذلك من الأدلة .

فمرتكب الكبيرة لا يُستطاع القطع في حقه بأنه سيعذب سواءًا تاب منها أم لم يتب منها .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٨) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه – وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة – أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.

لكنه إن تاب منها فتوبته أرجى لكشف العذاب عنه ، قال تعالى : ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ [الزمر : ٥٤].

وقال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانًا * إلا من تاب ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] .

● وقال نوح لقومه : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم وقتل العابد فأكمل به المائة لما توجه بقلبه إلى الله تعالى تائبًا تلقته ملائكة الرحمة[1] .

● وفي الحديث القدسي : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم ... »[2] .

❋ ❋ ❋

س : صاحب الكبيرة إن قدر الله عليه العذاب هل يُخلد في النار ؟

ج : لا يُخلد في النار ، بل يأخذ ما قدره الله عز وجل عليه من العذاب ثم يكون مآله إلى الجنة فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ففي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : « ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق » قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (حديث ٢٧٦٦) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٥٧٧) ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (... فذكره) .

قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر »[1] ؟

● وفي الصحيح[2] أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودُّوا فيلقون في نهر الحيا » – أو الحياة – شك مالك (أحد رواة الحديث) « فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية كريمة وحديثًا نبويًّا شريفًا في معنى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : أما الآية الكريمة فهي في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] .

● أما الحديث النبوي فقد أخرجه البخاري[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم في الإيمان (١٥٣ ، ١٥٤) ، وفي الزكاة (٣٢ ، ٣٣) ، وفي رواية (أتاني آت من ربي فأخبرني – أو قال بشرني – أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٢) ، ومسلم (حديث ١٨٤) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) حديث (٣١٦٩) .

النبي ﷺ اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود فجُمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه » فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « من أبوكم » قالوا : فلان ، فقال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت ، قال : « فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألت عنه » ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم : « مَن أهل النار » قالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها . فقال النبي ﷺ : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال : « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا » ؟ قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك » ؟ قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

❋ ❋ ❋

س : ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الأيام) لا يضاف إلا إلى العشرة فما دونها فيقال مثلًا عشرة أيام ، تسعة أيام ... ثلاثة أيام ولا يقال إحدى عشر أيام بل يقال إحدى عشر يومًا وهذا واضح ، ومن ثمَّ بنى بعض الأحناف على هذا رأيًا فقهيًّا حاصله أن أقل مدة للحيض ثلاثة أيام وأكثر مدة للحيض عشرة أيام مستدلين بحديث رسول الله ﷺ للمرأة لما حاضت : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهل يسلم لهم هذا الاستدلال ؟

ج : لا يسلم لهم هذا الاستدلال ، وذلك لأن الأيام أحيانًا قد يوصف بها ما فوق العشرة كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤] والأيام المعدودات هي شهر رمضان بتمامه ، وهو فوق العشرة بلا شك .

❋ ❋ ❋

وأيضًا فإن سلم لهم الاستدلال من جانب فهو محمول على الأغلب ، بمعنى أن أغلب النساء حيضتهن تتراوح مدتها ما بين الثلاثة أيام إلى العشرة أيام ، والقلة منهن اللواتي يزدن في مدة حيضهن عن العشرة أيام ، وقليل منهن من تنقص مدة حيضتها عن ثلاث ، والحكم يكون للأغلب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قيل في هذه الآية الكريمة : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وقيل في سورة آل عمران ﴿ أيامًا معدودات ﴾ والموصوف شيء واحد وهو الأيام ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي في تفسيره بقوله[1] : إن الاسم إذا كان مذكرًا فالأصل في صفة جمعه التاء ، يقال كوز وكيزان مكسورة ، وثياب مقطوعة ، وإن كان مؤنثًا كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يُقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرًا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ في أيام معدودات ﴾ [البقرة : ٢٣] و ﴿ في أيام معلومات ﴾ [الحج : ٢٨] فالله سبحانه تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وفي آل عمران بما هو الفرع والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) التفسير الكبير (٣/١٣٠) .

وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

اليتيم - المسكين - حُسنًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
اليتيم	هو من مات أبوه وهو صغير لم يحتلم .
المسكين	هو المتذلل المتخشع من الفاقة والحاجة - الذي أسكنه الفقر وأسكنته الحاجة ، وهو أيضًا العاجز عن الكسب أو الذي يكتسب ولكن يكتسب ما لا يكفيه .
حُسنًا	قولًا معروفًا لينًا حَسنًا طيبًا جميلًا ، ومن القول الحسن بذل السلام للناس وتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم والبشاشة في وجوههم والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسباب .

س : ما هو هذا الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ... ﴾ ؟ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : قال كثير من العلماء : هذا ميثاق مأخوذ عليهم في التوراة ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين والحث على ذلك وكذلك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع بيان بعض صور الإحسان إليهما ؟

ج : أما الآيات الوادرة في هذا الباب فكثيرة ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادته التي هي توحيده ، والبراءة من الشرك اهتمامًا به وتعظيمًا له ، فمن الآيات في هذا الباب ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● وقال تعالى : ﴿ واعبدو الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

● وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالولدين إحسانًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

● وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا وإن جاهداك لتشرك

بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [العنكبوت : ٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ ..﴾ [لقمان : ١٣ ، ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ - ١٦] .

● وأثنى الله عز وجل على نبيه يحيى عليه السلام فقال : ﴿ وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا ﴾ [مريم : ١٤] .

● وقال عيسى ﷺ وهو في المهد يتكلم : ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾ [مريم :٣٢] .

● أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها :

● ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ : أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » ، قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) ، والنسائي (١/٢٩٢) ، والترمذي (١٧٣) وقال : حديث حسن صحيح .

● وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى ، فقال : « هل لك من والديك أحد حيٌّ » ؟ قال : نعم بل كلاهما ، قال : « فتبتغي الأجر من الله تعالى » ؟ قال : نعم : قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » ، واللفظ لمسلم .

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أيضًا قال : جاء رجل فاستأذنه في الجهاد قال : « أحي والداك » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد »[1] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أنف ثَم رَغِمَ أنف ثَم رَغِمَ أنف » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة »[2] .

● وسئل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ، قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك »[3] .

● وفي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة وأغلقت عليهم الغار ، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ففرج الله عز وجل عنهم[4] .

● وفي الباب كذلك حديث أويس القرني الذي عدَّه رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/١٤٠) ، ومسلم (٥/٤١١) وأبو داود (٢٥٢٩) والنسائي (٦/١٠) ، والترمذي (١٦٧١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٤١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠١) ومسلم (مع النووي ٥/٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٤) ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

خير التابعين لبره بأمه[1] .

● وفي الباب أيضًا استجابة دعوة أم جريج على ولدها لما قالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المياميس لما أقبل على صلاته ولم يلتفت لأمه[2] .

ومن صور الإحسان إلى الوالدين برُّهما والعطف عليهما والنزول عند رأيهما فيما لا معصية فيه ، ودعوتهما إلى الله عز وجل[3] ، والحج عنهما إذا لم يكونا قد حجا وكذلك الاعتمار ، وكذلك الوفاء بنذورهما ، والصدقة عنهما ، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة أهل وُدهما ، وإلانة القول لهما وخفض الجناح إليهما والتزام الأدب الوارد عن رسول الله ﷺ في التعامل معهما مُسلمين كانا أو كافرين .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الإحسان لذي القربى ؟

ج : من صور الإحسان لذي القربى معرفة حقهم وقرابتهم ووصل الرحم لهم كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال : سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول : « إن آل أبي (يعني فلانا) ليسوا لي بأولياء إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين »[4] . زاد عنبسة بن عبد الواحد (كما عند البخاري) عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص

---

(١) حديث أويس أخرجه مسلم (مع النووي ٤٠٣/٥) وقصته هناك بتفصيل .

(٢) قصة جريج في البخاري (مع الفتح ٤٧٦/٦) ، ومسلم (٤١٤/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وأوله « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة .... » .

(٣) كما كان إبراهيم الخليل يفعل فيقول : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا ﴾ [مريم : ٤٢ - ٤٥] .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٠) ، ومسلم (حديث ٢١٥) والزيادة عند البخاري ، وهي معلقة كما ترى وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٢٢/١٠) من وصلها .

قال سمعت النبي ﷺ : « ولكن لهم رحم أبلها ببلالها » يعني : أصلها بصلتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حد اليتم ؟

ج : حد اليتم[1] هو البلوغ (أي : الاحتلام) عند كثير من العلماء ومنهم من حدَّه بالإنبات (إنبات شعرٍ حول العانة) لما حدث يوم بني قريظة من أن الصحابة كانوا ينظرون فمن نبت له شعر حول العانة قُتل وإلا تُرك[2] .

● ومنهم من حدَّه بخمس عشر سنة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أُحد (وهو ابن أربع عشرة سنة) فرده النبي ﷺ ثم عُرض عليه وهو يوم الخندق (وهو ابن خمس عشرة سنة) فأجازه النبي ﷺ[3] والأول أصح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله : واليتيم في بني آدم من فقد الأب ، وفي البهائم من فقد الأم .

(٢) صحيح فقد أخرج أحمد في المسند (٣١٠/٤، ٣٨٣) ، وأبو داود في سننه (حديث ٤٤٠٤) ، والترمذي (١٥٨٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي (١٥٥/٦) ، (٩٢/٨) ، وابن ماجه (حديث ٢٥٤١) ، والحاكم (١٢٣/٢) وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فَخُلِّي سبيلي .

● وقد توبع عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي كما عند الحاكم (١٢٣/٢) ، والحميدي (٨٨٩) ، والنسائي في الكبرى (٨٦١٩) تابعه مجاهد بن جبر عن عطية القرظي .

● وتابعه أيضًا كثير بن السائب قال : حدثني ابنا قريظة أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فمن كان محتلمًا أو نبتت له عانته قتل ومن لم يكن محتلمًا أو لم تنبت عانته تُرك .

وبالجملة فالحديث يثبت بهذه الطرق ، والله أعلم .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (حديث٤٠٩٧) ، ومسلم حديث (١٨٦٨) .

س : اذكر حديثًا في فضل كافل اليتيم ، وحديثًا في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ؟

ج : أما الحديث الوارد في فضل كافل اليتيم فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئًا[1] .

● أما الحديث الوارد في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ففي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار »[2] .

* * *

س : ما مدى صحة استدلال من استدل بقوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حُسنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] على أننا نبدأ اليهود والنصارى بالسلام ؟

ج : هذا استدلال غير جيد ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ... »[3] ، ثم إن القول الحسن لا يستلزم الابتداء بالسلام .

والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٣٠٤) ومسلم في « الزهد » (حديث ٢٩٨٣) .

(٢) أخرجه ا لبخاري (حديث ٥٣٥٣) ، ومسلم في « الزهد » (٢٩٨٢) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » .

س : القول الحسن هل هو مطلوب مع المؤمنين فقط أم مع عموم الناس ؟

ج : القول الحسن مطلوب مع عموم الناس ولا يُخرج عنه إلى غيره إلا إذا بدر ممن تتعامل معه سوء فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة .

أما الأدلة على أن القول الحسن عام فمنها ما يلي :

● عموم قوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● قول الله عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] .

● قول الله عز وجل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

● قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة : ٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

● قول النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

وفي رواية : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف ، وما لا يُعطي على ما سواه »[1] .

وفي رواية : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »[2] .

● وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله »[3] .

● أما الشدة فتجوز أحيانًا إن احتيج إليها كما قال سبحانه :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] فحيث لا ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم .

● وقال تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ [النساء : ١٤٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرنه الله ﴾ [الحج : ٦٠] فحيثما دعت الحاجة إلى اللين ألان الشخص القول وأحسن الوعظ وهو الأصل وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص يبتغي بذلك وجه الله فالرفق في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) ، واللفظ له والبخاري (٦٠٢٤) ، (٦٩٢٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا .

والخور ، والشدة في موطن يحتاج إلى لين طيشٍ وجهل وسفه ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم القليل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : هم الذين قال الله فيهم : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] أي : أنهم القائمون بأمر اللّه عز وجل الحافظون لحدوده .

● وهم أيضًا الذين لم يحرفوا ولم يُبدلوا ، وهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ لما بُعث .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ، معرضون عن ماذا ؟

ج : معرضون عن الميثاق الذي أخذ عليكم ، وقيل : معرضون عن كتاب الله عز وجل واللّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : فسر بعض العلماء التولي بأنه الإعراض فما فائدة التكرار في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة ، منها :

● أن ذلك لتأكيد الإعراض والتولي كما قال تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

● ومنهم من قال إن التولي يكون بالجسم والإعراض يكون بالقلب والمعنى أن هناك من يتولى وفي نيته الرجوع ، ومنهم من يتولى وليس في نيته الرجوع ، فهؤلاء قد تولوا وليس لهم نية ولا رغبة في الرجوع .

● ومنهم من قال : إن قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم ﴾ خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا ، وقوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود ، فالمعنى على ذلك ثم تولى آباؤكم ، وأنتم كذلك معرضون والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : أجمل الطبري رحمه الله تعالى القول فقال[1]: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره ، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ويصلوا الأحارم ويتعطفوا على الأيتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم ، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه .

* * *

---

(١) ٢/ ٢٩٨ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أقررتم – تظاهرون – الإثم – العدوان – أُسارى – تفادوهم – خزيٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
أقررتم	اعترفتم
تظاهرون	تتعاونون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو كان بعضهم

الكلمـــة	معنـــاهـــا
	لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقوله تعالى : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم: ٤]
الإثم	المعصية والذنب ، وهو أيضًا الفعل الذي يستحق فاعله الذم
العدوان	الظلم والاعتداء وتجاوز الحد
أسارى	جمع أسير
تفادوهم	تدفعون المال عن أسرهم لتخلصوهم من يده وتردوهم إليكم
خزي	ذلة وصغار ، ويتمثل ذلك في فرض الجزية عليهم كما قال تعالى : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] ويتمثل في قتل مقاتلتهم كما فعل ببني قريظة ، وكذلك سبي نسائهم ، وكذلك في إخراج بني النضير من ديارهم لأول الحشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم ويطلق الخزي أيضًا على الفضيحة والعار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ، الآية ؟

ج : المخاطبون هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد بالميثاق : الميثاق المأخوذ على آبائهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ثم أقررتم ﴾ [البقرة : ٨٤] أقررتم بماذا ؟

ج : أقررتم أنتم يا معشر اليهود من ساكني مدينة رسول الله ﷺ والمحيطين بها أن هذا الميثاق قد أُخذ فعلًا على آبائكم وأسلافكم والتزمتموه أنتم كذلك ولم تنكروه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ [البقرة : ٨٤] ، تشهدون ماذا أو على ماذا ؟

ج : قيل : تشهدون بقلوبكم على هذا ، وقيل : تشهدون على أننا أخذنا الميثاق على أوائلكم ، وقيل : إن قوله تشهدون توكيد للإقرار ، وقيل : تشهدون أي تحضرون سفك الدماء والإخراج من البيوت ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل كان القوم يقتلون أنفسهم ويُخرجونها من الديار حتى قيل لهم : ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ؟

ج : ليس الأمر كذلك ، ولكن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة .

● كما قال النبي ﷺ في شأن أمته : « مثل المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[1] .

● وكما قال تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي : لا يلمز بعضكم بعضًا .

● وكما قال سبحانه : ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] ، أي : على إخوانكم .

● وكما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي بإخوانهم ونحو ذلك[2] ، هذا قول وهو أقوى الأقوال في هذا الباب ، وثم أقوال أُخر منها ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى حيث قال : وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، أي : لا يقتل الرجلُ منكم الرجلَ منكم فيقاد به قصاصًا فيكون بذلك قاتلًا نفسه ؛ لأنه كان الذي سبَّب لنفسه ما استحقت به القتل ، فأضيف بذلك إليه ، قتلُ ولي المقتول إياه قصاصًا بوليِّه كما يُقال للرجل يركب فعلًا من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة (أنت جنيت هذا على نفسك) .

● وذكره نحوه القرطبي رحمه الله فقال : وقيل المراد القصاص ، أي : لا يقتل أحد فيُقتل قصاصًا فكأنه سفك دمه ، وكذلك لا يزني ولا يرتد ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (١٤٦٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، قال : أي لا يقتل بعضكم بعضًا ، ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك .

فإن ذلك يبيح الدم ، ولا يُفسد فيُنفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره ، وهذا تأويل فيه بُعد وإن كان المعنى صحيحًا .

● ونقل القرطبي قولًا ثالثًا عن ابن خُويز مِنداد – ونحوه ذكره الرازي في تفسيره – قال : وقد يجوز أن يُراد به الظاهر ، لا يقتل الإنسان نفسه ولا يخرج من داره سفهًا كما تقتل الهند أنفسها ، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه ، أو يَهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلًا في ديانته وسفهًا في حِلمه فهو عموم في جميع ذلك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ثم أنتم يا هؤلاء المعاصرون لنبينا محمد ﷺ من بني إسرائيل تقتلون إخوانكم .. فهؤلاء – على هذا – منادى حذفت أداة ندائه كما في قوله تعالى : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ... ﴾ [يوسف : ٢٩] أي : يا يوسف أعرض عن هذا .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى .... ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم ، واعتُرض بين ثمَّ و (أنتم) بكلمة هؤلاء كما يقال : أنا ذا أقوم ، وأنا ذا أجلس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء الذي آمنت به بنوا إسرائيل وما هو الشيء الذي كفروا به حتى وبَّخهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : أمرت بنو إسرائيل بأشياء ونهوا عن أشياء :

● فنهوا عن قتل بعضهم البعض ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

● ونهوا عن إخراج إخوانهم من ديارهم كما قال تعالى : ﴿ .... ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

وأُمروا بفداء الأسرى منهم ، فإذا أُسر أحدهم وجب عليهم أن يفادوه فآمنوا ببعض[1] (وهو فداء الأسارى) وكفروا بالبعض الآخر فكانوا يقتلون إخوانهم ويخرجونهم من ديارهم ويتعاونون مع عدوهم عليهم .

فكان اليهود ثلاث طوائف : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، فكان بنو قينُقاع حلفاء الخزرج ، وكان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حروب اقتتلوا كل طائفة من اليهود تقاتل في صف حليفها فيقتل القينقاعي أخاه القرظي والنضيري ، والعكس بالعكس فإذا وضعت الحرب أوزارها سعى النضيري في فداء أخيه الأسير القينقاعي والعكس بالعكس ، ويقولون : حرام علينا أن نتركهم أسارى بدون فداء ، فوبخهم الله عز وجل على سوء صنيعهم ، فكما أنه حرام عليكم أن تتركوهم بدون فداء فحرام عليكم كذلك أن تقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم بل إن قتالهم وإخراجهم من ديارهم أشد حرمة من تركهم بدون فداء فمن ثمَّ قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] وعلى هذا جمهور المفسرين ، وقد جاء فيه أثر عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه كلام[2] إلا أن سياق الآية الكريمة يقتضي تصحيح ما

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٤٧٥) قال : والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر ، فكانوا يخرجونهم من ديارهم ، وإذا رأوهم أُسارى في أيدي عدوهم افتكُّوهم .

(٢) أخرج الطبري (١٤٧١) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ [البقرة : ٨٥] إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم قال : أنَّبهم الله على ذلك من فعلهم وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء =

ذُكر ، وإن كان قوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، يتنزل على أشياء فعلها الإسرائيليون أكثر مما ذكر كإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بصفة محمد ﷺ التي فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم فداء الأسرى في الإسلام ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إنه واجب .

● قال القرطبي رحمه الله تعالى : فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد .

● قال ابن خويز منداد : تضمنت الآية وجوب فك الأسرى وبذلك

= أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يُظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامة ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلُّون[1] ما أصابوا من الدماء وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى ذكره حين أنَّبهم بذلك ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، أي تُفادونه بحكم التوراة وتقتلونه ، وفي حكم التوراة ألا يقتل ولا يُخرج من داره ولا يُظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرَضٍ من عَرَضِ الدنيا .

● قلت : وفي الإسناد محمد بن أبي محمد وهو مجهول ، وفيه محمد بن حميد وهو الرازي ضعيف لكن في الغالب أنه متابع ، والله أعلم .

---

(١) أطل دمه : أهدره وأبطله ، ومنه قول الأعرابي . في حديث المرأة التي رمت الأخرى بحجر في بطنها فأسقطت الجنين فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة – كيف أودي من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يُطل .

وردت الآثار عن النبي ﷺ[1] أنه فك الأسرى وأمر بفكِّهم وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع ، ويجب فك الأسارى من بيت المال ، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين ، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين .

● وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٦/ ١٩٣) : قال ابن بطال : فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور .

❋ ❋ ❋

س : ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كأن يقول الدين يقتصر على العبادات (من صلاة وصيام وزكاة وحج) ولا دخل للدين في الحياة من أمور الاقتصاد والحكم والحدود والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك ؟

ج : جزاؤه كما قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٥] .

● قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى (عمدة التفسير ١/١٧٥) : ومما يملأ النفس ألمًا وحزنًا أن صار أكثر الأمم التي تنتسب للإسلام إلى هذا الوصف المكروه ووقعوا في مثل هذا العمل الذي ذمَّ الله اليهود من أجله وجعل جزاء من يفعله خزيًا في الحياة الدنيا وردًّا في الآخرة

---

(١) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (٣٠٤٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فكُّوا العاني – يعني الأسير – وأطعموا الجائع وعودوا المريض » ..

وأخرج البخاري (حديث ٣٠٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

إلى أشد العذاب ، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن ويشهدون بذلك ويعرفونه ويزعمون القيام بأمره ثم هم يخالفونه في التشريع في شئونهم المالية والجنائية والخلقية ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه وتشريع رسول الله ﷺ في سنته لا يوافق هذا العصر ، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاءوا ، وافق الكتاب والسنة أم خالفه ، ويصطنعون قوانين أوربة الوثنية الملحدة ويشربونها في قلوبهم يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أُنزل إليهم من ربهم ولا يتعظون بما أنذرهم به من المثل بالأمم قبلهم .

* * *

س : قال سبحانه وتعالى في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض : ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وقال سبحانه في شأن قوم فرعون : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، وقال تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ١١٥] ، وقال النبي ﷺ في المصورين : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون » . فكيف تجمع بين هذا كله ؟

ج : أن كل المذكورين يكونون في أشد العذاب ، والله تعالى أعلم[1] .

* * *

(١) وثمَّ إجابة أوسع ستأتي في بابها إن شاء الله .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .

قفينا – أيدناه – روح القدس – تهوى ؟

ج :

الكلمة	معناها
قفينا	أردفنا – أتبعنا
أيدناه	قوَّيناه[1] – أعنَّاه
روح القدس	جبريل عليه السلام
تهوى	تُحب

* * *

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٨٨٨) بإسناده إلى ابن عباس قال : أيدناه قويناه .

س : ما هو الكتاب الذي آتاه الله عز وجل موسى عليه السلام ؟

ج : هذا الكتاب هو التوراة .

* * *

س : من هم الرسل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : هم الأنبياء الذين جآءوا إلى بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على منهاجه وشريعته يحثون الناس على التوراة والعمل بما فيها إلى أن جاء عيسى عليه السلام ، فعلى ذلك هم الذين أرسلوا في الفترة ما بين موسى إلى عيسى ﷺ[1] ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] والله أعلم .

* * *

س : ما هي البينات التي آتاها الله عز وجل نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام ؟

ج : هذه البينات تتمثل في الآيات التي أيد الله عز وجل بها عيسى ابن مريم عليه السلام وأجراها على يديه ، ومنها إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وإخباره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله ، والمائدة التي أنزلها الله عز وجل عليه ، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله والنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ، والإنجيل الذي آتاه الله

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : « كانت بنوا إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم كلما مات نبي خلفه آخر .... الحديث » .

عز وجل إياه إلى غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بروح القدس وما معنى هذا الاسم ؟

ج : لأهل العلم في روح القدس أقوال :

● أصحها وأشهرها أن المراد بروح القدس جبريل[1] عليه الصلاة والسلام ويؤيده قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ... ﴾ [النحل : ١٠٢] .

● وقول النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين : « اهجهم وجبريل معك »[2] ، وفي رواية « اللهم أيده بروح القدس »[3] .

● من العلماء من قال : إن روح القدس هو الإنجيل ، واستدل بقول الله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ [الشورى : ٥٢] فسمى الله عز وجل كتابه روحًا ، وكذلك الإنجيل فليكن .

وهذا القول ضعيف ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المَهْدِ وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني ﴾ [المائدة : ١١٠] فذكر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الإنجيل بعد أن ذكر روح القدس فدل على أنه غيره .

● ومن العلماء من قال : إن روح القدس هو اسم الله الأعظم الذي

---

(١) وأخرج ابن أبي حاتم (٨٩٠) عن ابن مسعود أنه قال : روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٣) ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

كان عيسى عليه السلام يذكره عند إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص ولا دليل على هذا القول ، والله تعالى أعلم .

أما القدس فقال بعض العلماء : إنه القدوس ، وهو اسم من أسماء الله تعالى .

● قال الطبري رحمه الله : وإنما سمى الله تعالى جبريل (روحًا) وأضافه إلى القدس ؛ لأنه كان بتكوين الله له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك « رُوحًا » وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر كما سُمي عيسى ابن مريم روحًا ، من أجل تكوينه له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده ، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى (التقديس) التطهير ، و (القدس) الطهر من ذلك ، وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه ، .... ثم نقل عن العلماء قولهم الذي يدور على تفسير القدس بالبركة ، وتفسيره بأن المراد فيه الرب سبحانه وتعالى .

● هذا وقد قال بعض أهل العلم إن معنى روح القدس أي الروح المقدسة أي المطهرة كما تقول رجل صدق والله تعالى أعلم .

✸ ✸ ✸

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿روح القدس﴾ [البقرة: ٨٧]؟

ج : الإضافة : إضافة تشريف ، كما قال الله سبحانه وتعالى في شأن الناقة : ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾ [الشمس : ١٣] فكل النوق لله سبحانه وتعالى ، ولكن قوله : ﴿ ناقة الله ﴾ في شأن ناقة صالح عليه السلام للتشريف وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ،

مع أن الأرض ومن عليها كلها لله[1] ، ولكن قيل : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، للتشريف وكما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١][2] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا أُطلق على جبريل روح ؟ ولماذا أُطلق على عيسى عليه السلام روح ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه ينزل بالوحي الذي هو بمنزلة الروح للأبدان .

وقيل : لأنه خلق من غير ولادة ، أما عيسى عليه السلام فكذلك سمي روحًا ؛ لأنه يحيي الموتى بإذن الله وقيل : لأنه ولد من غير أب ، كما قال تعالى في شأن مريم عليها السلام : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [التحريم : ١٢] .

* * *

س : جبريل نزل على الأنبياء عليهم السلام بالوحي فلماذا اختص عيسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه نفخ في أمه كما قال تعالى : ﴿ فنفخنا

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

(٢) فالبشر كلهم تُنفخ فيهم الروح كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة .. ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح ... » الحديث والله تعالى أعلم .

فيها من روحنا ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

وقيل : إن عيسى تكلم بالوحي في صغره حيث قال : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ [مريم : ٣٠] ، وقيل : لأن الله أيده به لما رفعه الله إليه، ولا أعلم مستندًا صحيحًا لذلك والله تعالى أعلم .

* * *

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أفكلما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ... ﴾ [البقرة : ٨٧] لمن ؟

ج : الخطاب في الآية الكريمة لليهود من بني إسرائيل .

* * *

س : لماذا قيل في قوله تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، بصيغة المضارع في « تقتلون » ولم يقل وفريقًا قتلتم ؟

ج : لأن قوله تعالى : ﴿ وفريقًا تقتلون ﴾ يفيد استمرارهم في قتل النبيين ومن ذلك وضعهم السمَّ في الشاة وتقديمها إلى رسول الله ﷺ[1] وقد قال

---

(١) أخرج البخاري (٥٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود » ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم بل أبوكم فلان » فقالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها ، فقال لهم رسول الله : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال لهم : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم ، فقال : « هل جعلتم في =

النبي ﷺ : « ما زلت أجد ألم السم الذي وضع في الشاة فهذا أوان انقطاع أبهرى » . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء والصالحين أسوأ معاملة وأبشع معاملة دلّل على ما تقول ووضح سبب هذه المعاملة السيئة ؟

ج : أما سبب هذه المعاملة السيئة فهو أن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم كانوا يأتون بني إسرائيل بوحي الله عز وجل ويبلغونهم رسالاته التي تخالف أهواءهم وأمزجتهم الشريرة الفاسدة فلا يرضون من الأنبياء بذلك فيقتلون فريقًا ويُكذبون الآخر كما قال تعالى : ﴿ أفلكما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

● وسبب هذه المعاملات السيئة أيضًا الاعتقادات الفاسدة التي اعتقدوها كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] فالاعتقاد الفاسد أدى إلى فساد العمل ، فكانوا يعرضوا عن كتاب الله وينقضوا المواثيق كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والله تعالى أعلم .

= هذه الشاة سُمًّا » فقالوا : نعم ، فقال : « ما حملكم على ذلك » فقالوا : أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

وأخرج البخاري معلقًا حديث (٤٤٢٨) وفيه : قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت يوم خيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السُّم » ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (٧٣٧/٧) من وصله ، ولم يسعفني الوقت للبحث فيه (أي في هذا المعلق) .

س : قال تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، اذكر بعض من كذبوه وبعض من قتلوه ؟

ج : ممن قتلوه – كما قال جمهور العلماء – زكريا ويحيى عليهما السلام ، وممن كذَّبوه عيسى ومحمد عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

* * *

وَقَالُوا

قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

غُلف - لعنهم - يستفتحون - لعنة الله على الكافرين - بئس - اشتروا به أنفسهم - بغيًا - باءوا - مهين - بما وراءه .

ج :

الكلمة	معناها
غُلْف	جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف ، وقولهم قلوبنا غُلف أي في أكنة وغطاء ، وهو نحو قول الكافرين ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ [فصلت : ٥] وقيل : معنى غُلُف لا تفقه . وبعضهم يقول غُلُف جمع غلاف كحُجُب جمع حجاب أي قلوبنا أوعية للعلم والذكر ، أي مملوءة علمًا لا تحتاج لمحمد ﷺ .
لعنهم	اللعن هو الطرد والإبعاد ، ولعنهم طردهم وأبعدهم
يستفتحون	يستنصرون أي : يطلبون النصر
لعنة الله على الكافرين	خزي الله وإبعاده الجاحدين على ما قد عرفوا من الحق وطرده لهم
بئس	بئس أصلها من البؤس ثم استعملت للذم والتوبيخ
اشتروا به أنفسهم	باعوا به أنفسهم ، قال الطبري رحمه الله : شريت بمعنى بعت ومنه قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس ﴾ [يوسف : ٢٠]، واشتريت بمعنى (ابتعت) ولكن قد تستعمل اشتريت

الكلمـــة	معنـاهـــــــا
	بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت أحيانًا، والأصل ما قدمنا .
بغيًا	حسدًا
باءوا	رجعوا – استحقوا
مهين	المهين المُذل لصاحبه
بما وراءه	بما بعده[1] ، وقيل : بما سواه ، ودليله قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون : ٧] وقوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٤] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥٦) .

س : ما هو وجه قول بني إسرائيل ﴿ قلوبنا غُلْف ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : يعتذرون بقولهم قلوبنا غلف عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبما يدعوهم إليه ، فيقولون : قلوبنا غلف ، أي : عليها أغلفة فلا تستطيع أن تفهم الذي تدعوها إليه ولا ما تريده منها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : لأهل العلم في تأويلها قولان مشهوران :

● **أحدهما :** أن المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ قلة[1] .

● الثاني : أن القدر الذي آمنوا به قليل والذي كذبوا به كثير ، وهذا الوجه اختاره الطبري رحمه الله تعالى ، وقال : ولعل قائلًا أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون من الإيمان قليل أو كثير فيقال فيهم ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

قيل إن معنى (الإيمان) هو التصديق ، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدِّق بوحدانية الله ، وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد ﷺ ونبوته ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به ، لأنه في كتبهم ومما جآءهم به موسى ، فصدقوا ببعض – وذلك هو القليل من إيمانهم – وكذَّبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي

---

(١) وهذا واضح فمن تتبع عدد المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ يجدهم قلة قليلة بينما من آمن من أهل الشرك عددهم كبير ، والله تعالى أعلم .
وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥١٤) قال قوله ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب ، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير .

أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به .

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء[1]، وإنما قيل : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب « قلما رأيت مثل هذا قط » وقد روي عنها سماعًا منها (مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكرَّاث والبصل) يعني : ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ (القلة) والمعنى فيه نفي جميعه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – هو ما ذكره الطبري حيث قال : وقالت اليهود : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد ، فقال الله تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها ، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلًا ما يؤمنون . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الكتاب المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟ وما هو الذي معهم ؟

❋ ❋ ❋

---

(١) قلت : وهذا الوجه عندي ضعيف ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] فأثبت الله عز وجل لهم الإيمان ببعض ، وكان منه كما تقدم فداء أسراهم من أيدي عدوهم ، والله تعالى أعلم .

ج : أما الكتاب المذكور فهو القرآن الكريم[1] ، والذي معهم هو التوراة والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، من هم الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، ومن المراد بالذين كفروا هنا ، وما معنى هذا الاستفتاح ؟

ج : الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا هم اليهود .

والمراد بالذين كفروا في الآية الكريمة : مشركو العرب وهذا الاستفتاح حاصله أن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ويقولون للذين كفروا سيخرج نبي صفته كذا وكذا نتبعه ونقتلكم[2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم .. ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟

---

(١) أخرج الطبري (١٥١٧) بإسناد حسن عن قتادة « ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم » وهو القرآن الذي أُنزل على محمد مصدقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل .

(٢) أخرج الطبري (١٥٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدهُ في التوراة يُعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمدًا ﷺ فرأوا أنه بُعث من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ﴿ فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ج : بعض العلماء يقولون : حذف الجواب لدلالة السياق عليه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلِّم به الموتى .. ﴾ [الرعد : ٣١] أي لسيرت بهذا القرآن وحذف الجواب لدلالة السياق عليه .

● ومن أهل العلم من يقول : إن جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ، هو قوله تعالى : ﴿ كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما يكون به الاستفتاح[١] في أمة محمد ﷺ ؟

ج : يكون الاستفتاح بدعاء الصالحين ، وكذلك بالضعفاء ، أما الضعفاء فلقول النبي ﷺ لسعد : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » .

أما الصالحون فلما أخرجه البخاري[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[٣] من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيُفتح لهم » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) المراد بالاستفتاح هنا : الاستنصار أي طلب النصر .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٤٩) ومسلم (٢٥٣٢) وأحمد (٣/٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) الفئام : الجماعة .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : معنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى – من نبوة محمد ﷺ والأمر بتصديقه واتباعه – من أجل أن أنزل الله من فضله – وفضله حكمته وآياته ونبوته – على من يشاء من عباده – يعني به على محمد ﷺ – بغيًا وحسدًا لمحمد ﷺ من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى الآية الكريمة ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ، تدل على حسد اليهود للنبي ﷺ ؟

ج : هذه الآية ضمن قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا * أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقِيرًا * **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥١ – ٥٥] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفضل في قوله تعالى : ﴿ أن يُنزل الله من فضله على من

يشاء من عباده ﴾ ؟

ج : فضل الله هنا المراد به – والله أعلم – القرآن ، والحكمة والرسالة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، ما هو سبب الغضب الأول عليهم وما هو سبب الغضب الثاني ؟

ج : أما الغضب الثاني فسببه كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وتيقنوا من لغته وأنه النبي المبعوث ﷺ .

● أما الغضب الأول فسببه كفرهم بعيسى ﷺ قبل النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدخل في أسباب الغضب الأول عليهم أيضًا عبادتهم العجل ، وتضييعهم التوراة ، وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة ، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ... إلى غير ذلك من أنواع الكفر التي ارتكبوها ، والله تعالى أعلم[1] .

* * *

س : ما المراد بالكافرين في قوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : الكافرون في الآية الكريمة : هم الجاحدون لنبوة محمد ﷺ والقرآن

---

(١) أخرج الطبري (١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩) من طريق سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة قال : (فباءوا بغضب على غضب) قال كفر بعيسى ، وكفرٌ بمحمد ﷺ .

● وأخرج بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥١) قوله ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى ، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ .

الذي نزل عليه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان بنو إسرائيل صادقين فعلًا في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] ؟

ج : لم يكونوا صادقين في ذلك ، فإن الله عز وجل أخذ عليهم فيما أنزل عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● ومما يدل على كذبهم في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] أيضًا قوله تعالى : ﴿ فلـمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] فلم ينزل عليهم في كتبهم أن يقتلوا أنبياء الله عليهم السلام .

● ومما يدل على كذبهم كذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، مؤمنين بماذا ؟

ج : مؤمنين بما أُنزل على موسى ﷺ في التوراة أي : إن كنتم حقًّا مؤمنين بالتوراة فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وليس في التوراة الأمر بقتلهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا عوتب بنو إسرائيل الموجودون على عهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهم لم يباشروا قتل نبي ؟ ولماذا عُبر بقوله تعالى : ﴿ تقتلون ﴾ ولم يقل قتلتم ؟

ج : لأنهم أقروا قتل الأنبياء وتولوا من قتلهم ولم يستنكروا أفعالهم قال الله تعالى : ﴿ ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون ﴾ [المائدة : ٨٠ ، ٨١] .

● وقد قال تعالى عن قوم ثمود : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ [الشمس : ١٤] مع أن الذي عقرها شخص واحد منهم .

● وأيضًا لأن هؤلاء الموجودين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا قتل رسول الله ﷺ كما قدمناه ، والله أعلم .

● أما لماذا عبر بـ ﴿ تقتلون ﴾ ولم يُعبر بـ (قتلتم) فلما ذُكر من قبل أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ ، وقال بعض أهل العلم : إنه يجوز سوق الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي ، قال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق العذر

❋ ❋ ❋

۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾
قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

البينات – سمعنا وعصينا – أُشربوا في قلوبهم العجل – خالصة – بمزحزحه – بصيرٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
البينات	الآيات الواضحات الجليات
سمعنا وعصينا	سمعنا قولك وعصينا أمرك

الكلمة	معناها
أشربوا في قلوبهم العجل	دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها
خالصة	خاصة
بمزحزحه	بمبعده – بمنحيه
بصيرٌ	قال بعض أهل العلم إن أصل البصير المبصر ، يعني ذو إبصار قال ابن القيم : وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصّوان ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عُروق بياضها بعيان ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان ● وبعض العلماء يستعمل البصير أحيانًا بمعنى العالم فيقول بصير بالطب وبصير بالفقه وبصير بملاقاة الرجال ، وأورد القرطبي قول الشاعر : فإن يسألوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواء النساء طبيب ● وقال الطبري : ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر ... والله أعلم .

س : في قوله تعالى : ﴿ ولقد جآءكم موسى بالبينات ﴾ [البقرة : ٩٢] عدة تساؤلات هي :

- **بينات على ماذا ؟**
- **ما هي هذه البينات ؟**
- **لماذا أطلق عليها بينات ؟**

ج : ● هي بينات على صدقه وصحة نبوته

● وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ [الإسراء : ١٠١] .

● وهي **العصا** التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندبًا .

● ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء .

● **والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم** تلك الآيات المفصلات التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى عليه السلام ويرجعوا عن كفرهم .

● وكذلك **أخذ الله عز وجل آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون** وهذا تأييد لموسى عليه السلام كذلك .

● **وتظليل الغمام على بني إسرائيل ، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء** ، والله تعالى أعلم .

● أما لماذا أطلق عليها بينات لأنها واضحات ظاهرات جليات، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] مقدر محذوف فما هو ؟

ج : هذا المقدر المحذوف هو (إلهًا) أي ثم اتخذتم العجل إلهًا .

وأيضًا عقب قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ أي ظالمون لأنفسكم ، على قول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ من بعده ﴾ [البقرة : ٩٢] من بعد من ؟

ج : من بعد موسى ﷺ ، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ﷺ ماضيًا إلى ميقات ربه عز وجل .

● ومن العلماء من يقول : ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد مجيء موسى عليه السلام إليكم بالبينات . والأول أظهر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] ظالمون لمن ، وظالمون في ماذا ؟

ج : ظالمون لأنفسهم لكونهم أشركوا بالله عز وجل ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه ، قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسمع في قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : هو السمع المضمن معنى الإجابة فالمعنى اسمعوا وأطيعوا ، وهذا قول

الجمهور .

ومن العلماء من قال : إنه أمر بمجرد السمع لأنه قد تقدمه قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٩٣] .

● وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى[١] : قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] قال بعض العلماء : هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي إجابة وطاعة ، ومنه سمع الله لمن حمده في الصلاة ، أي أجاب دعاء من حمده[٢] ، ويشهد لهذا المعنى قوله : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور : ٥١] وهذا قول الجمهور ، وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ اسمعوا ﴾ أي بآذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع .

ويدل لهذا الوجه أن بعض الكفار بما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء كما في قوله تعالى عن نوحٍ مع قومه : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا ﴾ [نوح : ٧] .

وقوله عن قوم نبينا محمد ﷺ : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] ، وقوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ [الحج : ٧٢] ، وقوله : ﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾ [البقرة : ٩٣] لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان دون السمع بمعنى الإجابة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أضواء البيان (١/٨١) .

(٢) هذا على قولٍ من الأقوال .

س : ما نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : الباء هنا سببية ، والمعنى أنهم بسبب كفرهم سُقُوا حب العجل كما قال تعالى : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل واتخاذه إلهًا ، ويأمركم بالعصيان وقول سمعنا وعصينا ، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء ، ونقض العهود والمواثيق فبئس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا الإيمان المزعوم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم أشربوا حب العجل حتى خلص إلى قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها[1] ، فحذف المضاف وهو (حبُّ) وأقيم المضاف إليه (وهو العجل) مقامه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل في مواطن منها :

---

(١) كما قال الشاعر ، وقد عتب على زوجته (عثمة) في بعض الشؤون وطلقها وازداد بها ولهًا :

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانًا يطير

● قول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي وقت الحج أشهر معلومات .

● وقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ [التوبة : ١٩] أي صاحب سقاية الحاج .

● وقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] أي أصحاب القرية .

● وقوله تعالى : ﴿ إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ [الإسراء : ٧٥] أي ضعف عذاب الحياة .

● وقوله تعالى : ﴿ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ [الحج : ٤٠] أي بيوت صلوات[1] .

● وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [سبأ : ٣٣] أي مكركم في الليل والنهار .

● وقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ [العلق : ١٧] أي فليدع أهل ناديه .

● وقول الشاعر : وشر المنايا ميت بين أهله

أي شر المنايا منية ميت بين أهله .

على ما ذكره بعض أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

● هذا ومن العلماء من سلك في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] مسلكًا آخر فقال : « إن موسى أبرد العجل بالمبرد ثم ذرَّاه » (أي طرحه في اليم على هيئة التذرية) وأمرهم بالشرب منه فمن بقي فيه شيء من حب العجل ظهرت سحابة الذهب على شاربه .

---

(١) على ما ذكره بعض أهل العلم .

وهذا القول يحتاج إلى دليل ، والذي في كتاب الله عز وجل أن الله قال : ﴿ ... وانظر إلى إلهك الذي ظَلت عليه عاكفًا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفًا ﴾ [طه : ٩٧] أما كونهم شربوا من اليم بعد تذرية العجل فيه فليس هناك دليل على ذلك ، بل ويرده قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم ﴾ ؛ والله تعالى أعلم .

* * *

س : صوَّر الله عز وجل الخُلُق الذي تخلَّق به الإسرائيليون أجلى تصوير وأوضحه أوضح بيان حيث ذكر مقالتهم الشنيعة : ﴿سمعنا وعصينا﴾[1] [البقرة : ٩٣] يقولونها لربهم عز وجل ولنبيهم ﷺ، هل من آية في نفس المعنى وكذلك حديث ؟

ج : أما الآية فقوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلَّا قليلًا ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقد تقدم من السُّنة أنهم لما قيل لهم : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] دخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة .

عنادًا واستكبارًا والعياذ بالله .

* * *

س : لماذا عُبِّر بالشرب دون الأكل في قوله تعالى ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : قال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان ١/ ٢٢٥) : وإنما عبر

---

(١) ومعنى قولهم : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك ، والله أعلم .

عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها ، والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود : ﴿ في قلوبهم ﴾ [البقرة : ٩٣] بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى ﴿ إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان اليهود يدَّعون أن الدار الآخرة لهم ؟

ج : نعم كانوا يدَّعون ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾[1] [البقرة : ٨٠] .

* * *

س : ما المراد بالدار الآخرة في قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة .. ﴾ [البقرة : ٩٤] ومعنى خالصة ؟

ج : المراد بالدار الآخرة في هذه الآية (الجنة) ومعنى خالصة أي خاصة ، فالمعنى إن كنتم تزعمون أن الجنة لكم ولن يشرككم فيها أحد فتمنوا

---

(١) أخرج الطبري (١٥٧٢) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] وذلك أنهم قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] وقالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] فقيل لهم : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] .

الموت إن كنتم صادقين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد في قوله تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم ﴾ [البقرة : ٩٥] دون سائر الجوارح ؟

ج : لأن أكثر الجنايات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليبًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا امتنع اليهود عن تمني الموت ؟

ج : امتنعوا لما قدمته أيديهم واقترفوه من ذنوب وكبائر وجرائم عظام من تكذيب رسل الله وجحد آياته وكتمان الحق والبغي والحسد فكيف يواجهون ربهم عز وجل في الآخرة ، وقد حملوا هذه الأوزار وخاصة وأنهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار والحساب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه محاججة اليهود بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ ؟

ج : في هذه الآية حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتُزهقه ووجه هذه المحاججة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليه من نعيم في الآخرة ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها فلو كنتم صادقين يا معشر اليهود بأن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت ، فأحجموا عن ذلك التمني فرقًا من عذاب الله وخوفًا من سوء العاقبة لقبح أعمالهم وسوء

صنيعهم ، فظهر بامتناعهم بطلان قيلهم من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة تمني الموت التي أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] ؟

ج : لأهل العلم قولان :

أحدهما : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه من ربكم عز وجل واسألوه إياه .

الثاني : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب (أي على الكاذب من الفريقين منا نحن المسلمين ، ومنكم معشر اليهود) وذلك على نحوٍ من المباهلة .

❋ ❋ ❋

س : ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تمني الموت فكيف يأمرهم بأمرٍ وقد نهي عنه في شريعته ؟

ج : على رأي من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت ﴾ هو ادعوا على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية الكريمة ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان ضالًّا فزاده الله ضلالًا .

● أما على قول من قال : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه واسألوه فهذا على سبيل المحاججة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم ، ثم إن نهي النبي ﷺ عن تمني الموت ليس على إطلاقه ، فنهيه عليه السلام العبد عن تمني الموت

كما قال : « إما محسنًا فيزداد أو مسيئًا فيستعتب »[1] ، وقال عليه السلام : « خيركم من طال عمره وحسن عمله »[2] أما من خشي على نفسه أن يفتن في دينه فحينئذ يُشرع له تمنى الموت كما قال النبي ﷺ : « وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون »[3] .

وكما قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي »[4] .

● وأيضًا فقد قال النبي ﷺ في مرض موته : « اللهم الرفيق الأعلى »[5] .

وكذلك لم يرد لنا أن اليهود نُهوا في شريعتهم عن تمني الموت، والله أعلم[6] .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٧٣) ، والنسائي (٣/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب » .

(٢) « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ، صحيح أخرجه أحمد (١٨٨/٤ - ١٩٠) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد صحيح ولمزيد من البحث حوله انظر كتابي الصحيح المسند من الأحاديث القدسية .

(٤) أخرجه النسائي (٥٤/٣) ، وأحمد (٢٦٤/٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) صحيح أخرجه البخاري (٥٦٧٤) ، ومسلم (٢١٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٦) هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (١٧٩/١ ، ١٨٠) : ثم هذا الذي =

= فسر به ابن عباس(*) الآية ، هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [الجمعة : ٦ - ٨] فهم عليهم لعائن الله تعالى ، لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كانوا يهودًا أو نصارى ، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، لما نكلوا عن ذلك ، علم كل أحد إنهم ظالمون ، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه ، لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا ، عُلم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة ، فقال : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران : ٦١] فلما رأوا ذلك ، قال بعض القوم لبعض : والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف ، فعند ذلك جنحوا للسلم ، وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فضربها عليهم ، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينًا ، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه ، كما سيأتي تقريره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

أما من فسر الآية على معنى ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] أي في دعواكم ، فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة ، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ، فإنه قال : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] الآية ، فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من =

(*) هو مروي من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

= النصارى إذ خالفوه في عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، فقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون ، من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم ، فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها ، أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للمباهلة من المباهلة .

فهذا الكلام منه أوله حسن ، وآخره فيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ، إذ يقال : إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم ، أنهم يتمنون الموت ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ، بل يود أن يعمر ليزداد خيرًا وترتفع درجته في الجنة ، كما جاء في الحديث : « خيركم من طال عمره ، وحسن عمله » ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس : فلا يلزم عليه شيء من ذلك ، بل قيل لهم كلام نَصَف : إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس ، وأنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار ، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه ، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، وسميت هذه المباهلة تمنيًا ، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ أي على طول =

س : قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم ﴾ [البقرة : ٩٦] الضمير فيها لمن ؟ وما موقع اللام هنا ، وكذلك النون ؟

ج : أما الضمير فلليهود (أي لتجدن اليهود) ، واللام بعض أهل العلم يقولون : إنها لام القسم ، والمعنى والله لتجدنهم ، والنون للتوكيد ، والله أعلم .

* * *

س : هل للتنكير في قوله تعالى : ﴿ على حياة ﴾ [البقرة : ٩٦] فائدة ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن هذا يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ، فهم أي اليهود أحرص الناس على حياة طويلة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالذين أشركوا في قوله تعالى : ﴿ ومن الذين أشركوا يود أحدهم ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المراد بالذين أشركوا فيه للعلماء ثلاثة أقوال :

- **منها أنهم الأعاجم** ، لأنهم الحريصين على طول الحياة كما قدمنا أن تحيتهم عش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة .
- **وقيل : إنهم مشركو العرب** الذين لا يُقرون بالبعث ، بل يقولون :

= العمر لما يعلمون من مآلهم السيء ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة ، لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وما يحازرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام .

﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤]

ويقول شاعرهم :

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ من النشوات[1] والنساء الحسان

● وقيل : إن المراد بالذين أشركوا عموم المشركين الذين لا يُقرون بالبعث ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾ [البقرة : ٩٦] عطف لخاص على عام ، وضحه وبيِّن فائدته ؟

ج : أما الخاص فهو : ﴿ الذين أشركوا ﴾ والعام هو ﴿ الناس ﴾ فالمشركون داخلون في عموم الناس فلما أُعيد ذكرهم بالتنصيص عليهم كان من عطف الخاص على الناس ، وفائدته هنا زيادة توبيخ لليهود فالمعنى أن اليهود أحرص الناس على الحياة ، حتى إنهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يقرون بالبعث ففائدة هذا العطف زيادة توبيخ لليهود ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : كثير من أهل العلم يرى أنه يرجع إلى المشركين[2] وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ قال : هو قول الأعاجم : (سال زه نوروز مهرجان حر)[3] .

---

(١) النشوات (جمع نشوة) وهي السُّكر وعزا بعض العلماء البيت إلى امرئ القيس .

(٢) وذكر بعضهم أنه يرجع إلى اليهود ، والأول أصح وعليه الأكثر ، والله أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (١٥٩١) .

● وفي رواية[1] عنه هو كقول الفارسي : زه هزار سال ، يقول : عشرة آلاف سنة فمن شدة حب الأعاجم للدنيا أنهم جعلوا تحيتهم فيما بينهم (عشرة آلاف سنة) أي عش عشرة آلاف سنة ، وعش ألف سنة .

✵ ✵ ✵

س : لماذا خصَّ الألفَ بالذكر في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تُعبر به عند إرادة المبالغة ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : قوله تعالى : ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : يرجع إلى طول البقاء والتعمير أي وما تعميره وطول حياته بمزحزحه من العذاب وقيل : يرجع إلى الشخص المذكور في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم ﴾ أي وما الشخص منهم بمزحزحه أن يُعمَّر ألف سنة ، والمعنى قريب ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – والله لتجدن أشد الناس حرصًا على طول الحياة وطول العمر والبقاء اليهود فهم أشد الناس حرصًا عليها حتى إنهم أشد

---

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٥٣) .

حرصًا عليها من الذين أشركوا المنكرين للبعث الذين يطمع أحدهم أن يعيش ألف سنة ، وما هذا التعمير وطول البقاء بمزحزح صاحبه عن العذاب ومنحيه عنه . انتهى .

وزيادة في التوضيح فالمشركون لا يقرون ببعث ولا بجنة ولا بنار ولا بحساب ومن ثم كان مطمعهم في الحياة الدنيا ورغبتهم في طول البقاء فيها شديدة فغلبهم اليهود في الحرص على الحياة الدنيا رغم أن اليهود يقرون بالبعث وبالجنة وبالنار ، وما حملهم على هذا الحرص في طول الحياة إلا سوء أعمالهم التي يخشون من جرائها النار ، وعظيم كبائرها التي يتوقعون لها سوء القرار وتكذيب الأنبياء الذي لا يجدون من جزائه فررًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

قُلْ

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

س : ما معنى ما يلي .

بإذن الله – هدى – نبذه ؟

ج :

الكلمة	معناها
بإذن الله	بأمر الله
هدى	دليل وبرهان
نبذه	طرحه – نقضه[1]

(١) أخرج الطبري (١٦٤٥) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴾ [البقرة : ١٠١] يقول : نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿ كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ أي أن القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا .

وأخرجه مختصرًا ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٩٨٦) .

س : ما هي أشهر القراءات في (جبريل) ؟ وما معناها ؟

ج : في جبريل عدة قراءات بلغ بها بعض العلماء إلى ثلاث عشرة ، أشهرها .

● (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبالتخفيف (وجَبْرَئيل) بفتح الجيم والراء والهمزة[1] .

● أما معنى (جبر) فمعناها – على ما ذكره بعض أهل العلم[2] – عبد ، وأما (إيل) فهو (الله) فمعنى جبريل : عبد الله وميك معناها عبيد ، وإيل هو الله فميكائيل هو عُبيد الله .

* * *

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ... ﴾ [البقرة : ٩٧] الآية ؟

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٧٧٠) من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين : بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

لكن هذا الحديث أعله الهروي رحمه الله في كتاب علل الأحاديث من أجل أنه من رواية عكرمة عن يحيى ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها ، والله تعالى أعلم .

وأنشد بعضهم شعر جرير وفيه .

عبدوا الصليب وكذَّبوا بمحمدٍ ... وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

(٢) ذكره الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره ، ونقله عن بعض أهل العلم ، والله أعلم .

ج : سبب نزولها[1] أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ منْ وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك قال : فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه ، قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليُّك سواه من الملائكة تابعناك وصدَّقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا فأنزل الله عز وجل : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٨] إلى قوله : ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] .

* * *

س : اذكر دليلًا آخر على عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ؟

ج : أخرجه البخاري[2] من حديث أنس رضي الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آنفًا » . قال جبريل ؟ قال : « نعم » قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك ﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولدُ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ،

---

(١) قال الطبري رحمه الله (١/٣٧٧) : أجمع أهل العلم بالتأويل . جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٠) .

قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ » فقالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

❋ ❋ ❋

س : لماذا كره اليهودُ جبريلَ عليه السلام ؟

ج : كره اليهود جبريل عليه السلام لنزوله بالوحي على رسول الله ﷺ ويُشعر بذلك سياق الآية الكريمة وهي : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] الهاء الأولى ترجع إلى من والثانية ترجع إلى من ؟

ج : أما الهاء في قوله تعالى : ﴿ فإنه ﴾ فترجع إلى جبريل عليه السلام والهاء في قوله تعالى : ﴿ نزله ﴾ ترجع إلى القرآن ، وإنما حُذف القرآن لدلالة السياق عليه ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ما ترك على ظهرها من دآبة ﴾ [النحل : ٦١] فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو جزاء الشرط في قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فيه وجوه :

الوجه الأول : أن من عادى جبريل **فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته** ؛ لأنه إنما أنزل الكتاب بإذن الله ولم يتصرف من عند

نفسه ثم ينبغي أيضًا ألا يعاديه لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة فينبغي أن يُشكر ويُحب .

الوجه الثاني : أن من عادى جبريل فهو مبطل ، وحق للمبطل أن يعادي جبريل لأن جبريل عليه السلام نزل بالكتاب برهانًا على نبوتك يا محمد ومصداقًا لصدقك ، وهم يكرهون ذلك فكيف لا يبغضون جبريل وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم .

الوجه الثالث : أن الجواب محذوف وهو (فليمت) أي من عادى جبريل فليمت بغيظه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان القرآن ينزل على قلب رسول الله ﷺ دون أن يقرأه ويسمعه ، أم كان يسمعه ويقرؤه أولًا ؟

ج : ورد في بعض الآيات ما يُفيد أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● ولكن بُيِّن في مواطن أُخر أن معنى ذلك أن الملك كان يقرؤه عليه حتى يسمعه منه فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه ، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه كما قال سبحانه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ﴾ [طه : ١١٤] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الناس في شأن الملائكة على أقسام وضح هذه الأقسام ؟ .

ج : من الناس من ينكر وجود الملائكة أصلًا وهم قوم من أهل الكفر والإلحاد .

● **ومن الناس من يسبُّون بعض الملائكة كاليهود وطائفة من الروافض** ، فاليهود قالوا عن جبريل عليه السلام إنه عدو اليهود من الملائكة ، وطائفة من الروافض وصفوه بالخيانة وأنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان الأحق بها عليٌّ بزعمهم .

● **وطائفة من أهل الشرك عبدوهم** كما قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] .

● **وطائفة وهم أهل الحق توسطوا في شأن الملائكة** فاعتقدوا أنهم عباد لله مكرمون كما قال تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] كما قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] وكما قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

* * *

س : ما فائدة قول الله تعالى : ﴿ بإذن الله ﴾ عقب قوله : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فائدتها بيان أن جبريل لم ينزل من عند نفسه بل نزل بإذن الله فما لعداوتكم يا معشر اليهود لجبريل عليه السلام وجه يُذكر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ [البقرة : ٩٧] وما هو الذي بين يديه ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن معانيه توافق معانيها في الأمر بالتوحيد واتباع محمد ﷺ .

والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل على قول لبعض أهل العلم[1] .

● وبعض أهل العلم يقولون : ما قبله أن من كتب الأنبياء الذين تقدموه على وجه العموم ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :هل يجوز التسمي بأسماء الملائكة ؟

ج : لا أعلم مانعًا من ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ [الزخرف : ٧٧] فمالك هو خازن النار ، وهو ملك من الملائكة بلا شك ، وقد أقرَّ النبي ﷺ اسم مالك في أصحابه و لم ينكره فكان من الصحابة مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وأنس بن مالك كذلك وغيرهم من التابعين مالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم .

---

(١) رواه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٦٣١) .

● ومن السلف من تسمى بجبريل أيضًا ولم نعلم أن أحدًا أنكر عليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من عادى ملكًا من الملائكة فقد عادى الله عز وجل والملائكة جميعًا ومن كذب رسولًا فقد كذب الرسل جميعًا دلل على هذا القول بأدلة ؟

ج : أما الأدلة على هذا فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] فالواو هنا بمعنى (أو) والمعنى من كان عدوًّا لله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال فإن الله عدو للكافرين .

● وقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ [الفرقان : ١٧] وإنما أُرسل إليهم نوح فقط .

● وقال تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] وأرسل إليهم هود فقط .

● وقال تعالى : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] وقال : سبحانه : ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ [القمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ [القمر : ٣٣] فمن كفر برسول وكذَّبه فقد كفر بالرسل

جميعًا وكذبهم ، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله ، لأن جبريل لا يَنزل إلَّا بأمر الله قال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإن اللّه ... ﴾ [البقرة : ٩٧] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى : ﴿ من كان عدوًّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] ؟

ج : خُصا بالذكر تشريفًا لهما وبيانًا لفضلهما ، فهو عطف للخاص على العام لبيان شرفهما وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما يوم بدر : « مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال » .

● وقيل خُصَّا بالذكر ، لأن اليهود ذكروهما ، وفرقوا بينهما في المحبة فقالوا : جبريل عدو اليهود من الملائكة ، وميكال هو وليهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل جبريل أفضل أم ميكائيل عليهما السلام ؟

ج : رأى عدد من أهل العلم أن جبريل أفضل واستدل له الرازي بوجوه منها :

● **الأول :** أن الله تعالى قدم جبريل عليه السلام في الذكر ، وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبح عُرفًا فوجب أن يكون مستقبحًا شرعًا .

● **وثانيها :** أن جبريل عليه السلام ينزل القرآن والوحي والعلم وهو مادة

بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان ، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل .

● **وثالثها :** قوله تعالى في صفة جبريل : ﴿ مطاع ثمَّ أمين ﴾ [التكوير : ٢١] ذكره بوصف المطاع على الإطلاق ، وظاهره يقتضي كونه مطاعًا بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا .. ﴾ [البقرة : ١٠٠] ؟

ج : الواو هي واو العطف ، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠] وقوله تعالى : ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ [يونس : ٤٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وكما تدخل على ثمَّ كما في قوله تعالى : ﴿ أثمَّ إذا ما وقع آمنتم به ﴾ [يونس: ٥١] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ وما هو العهد الأخير الذي نقضوه ؟

ج : المراد – والله أعلم – الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه وتوبيخهم على هذا الصنيع أما العهد الأخير الذي نقضوه في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] فهو ما كانوا يقولونه قبل

مبعث رسول الله ﷺ لئن خرج نبي اتبعناه .

✵ ✵ ✵

س : هل كل اليهود نابذون للعهود أو أكثرهم أو أقلهم ؟

ج : ليسوا كلهم لقوله تعالى : ﴿ نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] ولكن أكثرهم نابذون للعهود والمواثيق كما قال تعالى : ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

● ولقوله تعالى : ﴿ ولا تزال تطلع على خائنةٍ منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : يجب الحذر غاية الحذر من اليهود فإن من دأبهم الغدر ومن شيمهم نقض العهود والمواثيق ، دلل على هذا ؟

ج : أخبرنا الله عز وجل عن حال اليهود فقال سبحانه : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] ، وقال سبحانه : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] وقال عز وجل ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

✵ ✵ ✵

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اتبعوا – تتلوا – على ملك سليمان – فتنة – بإذن الله – لمن اشتراه – خلاق – شروا به أنفسهم – لو كانوا يعلمون ؟

ج :

الكلمة	معناها
اتبعوا	اتبعوا الشيء ساروا وراءه وفضّلوه

الكلمـــة	معناهـــــا
تتلوا	تحدث وتروي – تقرأ – تتقول
على ملك سليمان	في عهد مُلك سليمانِ – (عن ملك سليمان) أي ما تفتريه عن ملك سليمان
فتنة	ابتلاء واختبار
بإذن الله	بقضاء الله
لمن اشتراه	لمن اختار السحر
خلاق	نصيب
شروا به أنفسهم	باعوها
مثوبة	من الثواب أي الثواب خير لهم ، فالمثوبة الثواب والجزاء والأجر ، ومعنى لمثوبة أي لأثيبوا مثوبة أي لنالوا أجرًا
لو كانوا يعلمون	لو كانوا ينتفعون بالعلم

✵ ✵ ✵

س : قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] من هو الرسول ، وما هو كتاب الله الذي نبذوه ؟

ج : الرسول هو محمد ﷺ والكتاب الذي نبذوه هو التوراة ، والمعنى لما جآءهم رسول الله ﷺ موافقًا للتوراة وأوصافه موافقه للأوصاف التي فيها وأفعاله وأقواله كذلك نبذوا التوراة لذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من ترك الحق ابتلي باتباع الباطل اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : أما الدليل فهو أن بني إسرائيل لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان كما أخبر بذلك الله عز وجل فقال سبحانه : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ... ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ؟

ج : هم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

● **قال ابن جرير الطبري رحمه الله :** يعني بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى

وراء ظهورهم تجاهلًا منهم وكُفرًا بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزلٌ من عنده على نبيه ﷺ ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضًا وهم اليهود .

* * *

س : هل اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان أم أسلافهم ؟

ج : الجواب أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان سواء كانوا من اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أم من أسلافهم الذين تقدموهم .

● فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاججوه بالتوراة وخاصموه بها فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن وفيها صفة رسول الله ﷺ وصفة مبعثه وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين على ملك سليمان وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه .

● وأسلافهم من اليهود كذلك فشا فيهم السحر اتباعًا منهم لما تلته الشياطين على ملك سليمان وتركًا للتوراة وللعمل بها .

وهذا القول بالعموم هو الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى فقال : والصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين

أدركوا رسول الله ﷺ فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى فأغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود ، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله : ﴿ واتبعوا ﴾ بعضًا منهم دون بعض إذ كان جائزًا فصيحًا في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ إلى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : المعنى باختصار أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان وقيل: إن المعنى واتبعوا ما تلته الشياطين[1] في عهد ملك سليمان فقال هذا الفريق: إن (على) تأتي بمعنى (في) ، و (في) تأتي بمعنى (على) أحيانًا

---

(١) أي الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان عليه السلام فالحاصل أن من العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام ومن العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام وقالوا : هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان ويسخر بها الجن .

كما في قول فرعون : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي على جذوع النخل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام ؟ اذكر بعض الآثار في ذلك ؟

ج : تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذي تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلى سليمان عليه السلام ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن ، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهاتٍ لهم ، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائليها .

• أثر ابن عباس رضي الله عنهما

أخرجه الطبري[1] من طريق أبي السائب السوائي قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يُقال لها جَرادَة ، وكانت من أكرم نسائه عليه ، قال : فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا ، قال : وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يومٍ خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس ، قال : فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي ! فقالت: كذبت لست بسليمان ! قال: فعرف سليمان

---

(١) هو عند الطبري (١٦٦٠) ، وأبو السائب السوائي هو سلم بن جنادة .

أنه بلاء ابتلي به قال : فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ! قال فبرىء الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأنزل جل ثناؤه : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة : ١٠٢] فأنزل الله عز وجل عذره وهذا إسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

● ومن طريق[1] أبي أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضًا قال : كان[2] آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها ، قال : فأكفره جهال الناس وسبُّوه ، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● أثر قتادة رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ من الكهانة والسحر ، وذكر لنا – والله أعلم – أن الشياطين ابتدعت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيم ثم أفشوه في الناس

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٨٨) .
(٢) في الأصل (قال) والصواب ما أثبتناه .
(٣) الطبري (١٦٥٢) .

وعلموهم إياه .

• أثر أبي مجلز رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] إلى أبي مجلز رحمه الله قال : أخذ سليمان من كل دابة عهدًا فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلِّي عنه فرأى الناس السَّجع والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان ، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائليها لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب، والله أعلم .

* * *

س : ما هو وجه نفي الكفر عن سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : ذلك لأن اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة – وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر واتهموه بالسحر ، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفَّروه ، فبرأه الله عز وجل من ذلك ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل كان هناك سحر قبل عهد سليمان عليه السلام ؟ ولماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر في قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ ؟

ج : نعم كان هناك سحر قبل سليمان عليه السلام ، فقد كان السحر

---

(١) أخرجه الطبري (١٦٦١) بإسناد صحيح عنه .

متفشيًّا على عهد موسى ﷺ قال تعالى : ﴿ وجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ [الشعراء : ٣٩] ، وقبل قوم فرعون أيضًا كان السحر موجودًا فقد وصف الكفار من قوم نوح نوحًا عليه السلام بأنه ساحر .

● أما لماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر ، فهذا لأن اليهود نسبوا السحر إليه فأراد الله عز وجل تبرئته وإظهار أنهم اتبعوا السحر المختلق في عصره والمنسوب إليه كذبًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف السحر ؟

ج : السحر عند كثير من أهل العلم عبارة عن التمويه والتخييل والخداع لإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه بأمور يفعلها الساحر وحركات يصطنعها ، وها هي بعض الأقوال لأهل العلم في تعريفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى[1] : واختلف في معنى « السحر » . **فقال بعضهم** : هو خُدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر ، حتى يُخيَّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به ، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته . وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه . قالوا : فكذلك المسحور ذلك صفته : يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر ، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته ، كالذي : —

حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا يحيى بن

---

(١) تفسير الطبري (٢/٤٣٦) .

سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن النبي ﷺ لما سُحر ، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء و لم يفعله .

حدثنا ابن وكيع[1] قال : حدثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : سَحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يُحدِّثان : أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ ، فجعلوها في بئر حزم ، حتى كان رسول الله ﷺ ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها . فكان رسول الله ﷺ يقول : سحرتني يهود بني زريق[2] .

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته ، واستسخار شيء من خلق الله – إلَّا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم – أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخداع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا . وقالوا : لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الحق والباطل فصل ، ولجاز أن يكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها . قالوا : وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] ، وفي خبر عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان إذ سُحر يخيل

---

(١) ابن وكيع (وهو سفيان بن وكيع) متكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده ، لكن الحديث ثابت صحيح وسيفرد له سؤال مستقل إن شاء الله .

(٢) هذا مرسل وسيأتي خبر سحر رسول الله ﷺ عن قريب إن شاء الله .

إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين – أن الساحر ينشىء أعيان الأشياء بسحره ، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بني آدم ، كالموات والجماد والحيوان – وصحة ما قلنا .

وقال آخرون : قد يقدر الساحر بسحره أن يحوِّل الإنسان حمارًا ، وأن يسحر الإنسان والحمار ، وينشىء أعيانًا وأجسامًا، واعتلوا في ذلك بما : –

حدثنا به الربيع بن سليمان قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنا بن أبي الزناد قال ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك[1] ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها[2] ! كانت تبكي حتى إنِّي لأرحمها ! وتقول : إني لأخاف أن أكون قد هلكت ! كان لي زوج فغاب عني ، فدخلت عليَّ عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به ، فأجعله يأتيك ! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل[3] فإذا برجلين

---

(١) يقال : « كان ذلك في حدثان كذا وكذا » (بكسر فسكون) ، و « في حداثته » : أي على قرب عهد به .

(٢) يشفيها : أي يجيبها بما يبلغ بها سكينة القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : « شفاء العي السؤال » والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس .

(٣) في ابن كثير١ : ٢٦٠ : « فلم يكن شيء » ، والصواب ما هنا وفي « الدر المنثور » (١ : ١٠١) وقولها : « فلم يكن كشيء » عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل والعرب تقول : تأخرت عنك شيئًا ، أي قليلًا . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة . =

معلَّقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلَّمُ السحر ! فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفري وارجعي . فأبيت وقلت : لا . قالا : فَاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه[1] فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ قلت : نعم ، فقالا : فهل رأيت شيئًا ؟ قلت : لم أر شيئًا ! فقالا لي : لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيتُ وأبيتُ[2] ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنَّور فبولي فيه فذهبت فاقشعرَرْت ، ثم رجعت إليهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئًا . فقالا : كذبت لم تَفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك[3] ! فأربيتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت إليه فبلت فيه ، فرأيت فارسًا مُتقنعًا بحديد خرج مني حتى ذَهب في السماء ، وغاب عني حتى ما أراه . فجئتهما فقلت : قد فعلت ! فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : فارسًا متقنعًا خرجَ منِّي فذهب في السماء حتى ما أراه[4]. فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئًا ! وما قالا لي شيئًا فقالت : بلى ، لن تريدي شيئًا إلا كان ! خذي هذا القمح فابذري فبذرت ، وقلت : أطلعي ! فأطلعت ، وقلت : أحقلي !

= وَقَالَتْ لَهُنَّ: آرْبَعْنَ شَيْئًا، لعلَّنِي وَإِنْ لَامَنِي فِيمَا ارتأَيْتُ مُليم

أي قفن قليلًا . ويقولون في مثل ذلك أيضًا : « لم يكن إلا كلًّا ولا » ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(١) في المطبوعة : « فقالا ، اذهبي .... » ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(٢) في المطبوعة : « فأبيت » بحذف « فأربيت » . وأرب بالمكان لزمه و لم يبرحه والزيادة من ابن كثير في الموضعين . قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهري أن قولهم : « على رأس أمرك » من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .

(٤) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : « فرأيت فارسًا » ، وما هنا صواب جيد .

فأحقلت ، ثم قلت : أفرِكي ! فأفركت ، ثم قلت : أيبسي ! فأيبست ، ثم قلت : أطحني ! فأطحنت ، ثم قلت : أخبزي ، فأخبزت[1] . فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان ، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين ! والله ما فعلتُ شيئًا قط ولا أفعله أبدًا[2] !

---

(١) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . « أطلعي فأطلعت » أي أخرجي شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . « أحقلي فأحقلت » . أي أخرجي حقلك . والحقل : الزرع إذا استجمع خروج نباته . أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . « أفركي فأفركت » أي كوني فريكًا . وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكًا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و « أييس فأييست » أي كوني حبًا يابسًا ، أييس البقل : ييس وجف . « أطحني فأطحنت » . أي كوني طحينًا . ولم يرد في كتب اللغة : « أطحن » ، ولكنها أتبعت هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع « أخبزي فأخبزت » ، أي كوني خبزًا يؤكل ، وهذه أيضًا لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير : أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك في عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضًا .

(٢) الخبر : ١٦٩٥ – مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد : ١٦٩١ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير (١ : ٢٦٠ ، ٢٦١) ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة ، قال : « وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب في ذلك . أحببنا أن ننبه عليه » . ثم قال بعد نقله :

« فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها » . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي (١ : ١٠١) ، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه . والبيهقي في سننه .

وهي قصة عجيبة ، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم (١/٢/٤٦٤) . ابن أبي الزناد : هو « عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان » ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث =

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا ، واعتلُّوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله ، ما قَدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه . وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخييل والحُسبان ، لم يكن تفريقًا على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .

وقال آخرون : بل « السحر » أخذٌ بالعين .

وقال البغوي رحمه الله تعالى [1] : قيل معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى : ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ [الزخرف : ٤٩] أي العالم ، **والصحيح** أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل ، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر .... ثم قال رحمه الله: وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة الكلب ، والأصح أن ذلك تخييل ، قال الله تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس ، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمى ويغضب ، وربما يُحم منه ، وقد مات قوم سمعوه فهو بمنزلة العوارض

= هشام بن عروة . فقد قال ابن معين – فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره – « أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد » . وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن (٣ : ٥٩) ، في حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : « وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ » .

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى قلت : وإطلاق القول بتوثيق ابن أبي الزناد فيه نظر ، ولكن من صحح روايته عن هشام بن عروة فله سلفٌ قوي كما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) تفسير البغوي (١٢٨/١) .

والعلل التي تؤثر في الأبدان .

وقال القرطبي رحمه الله :

الثالثة – السحر ، قيل : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فُيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ؛ كالذي يرى السراب من بعيد فيُخيَّل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه . وقيل : هو مشتق من سَحرتُ الصَبيَّ إذا خدعته ، وكذلك إذا علَّلته . والتسحير مثله ؛ قال لَبيد .

فإنْ تسألينا فيم نحن فإننا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ

آخر .

أُرانا مُوضعين لأمر غيبٍ ونسْحَرُ بالطعام وبالشراب
عصافير وذبَّانٌ ودُودٌ وأجرأ من مُجلِّحة الذئاب

وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾ [الشعراء : ١٨٥] يقال المسحر الذي خُلق ذا سحر ، ويُقال من المعلَّلين أي ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب .

وقيل أصله الخفاء ، فإن الساحر يفعله في خفية ، وقيل أصله الصَّرف ، يقال ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة، وكلُّ من استمالك فقد سحرك ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] أي سُحرنا فأُزلنا بالتخييل عن معرفتنا ، وقال الجوهري : السحر الأُخذة ، وكلُّ ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر ، وقد سحره يسحره سحرًا ، والساحر العالم ، وسحره

أيضًا بمعنى خدعه ، وقد ذكرناه ، وقال ابن مسعود : كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضَه ، والعَضِهُ عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب ، وقال الشاعر :

أعـوذ بربِّـي مـن النَّافثـات في عِضَـهِ العاضِـه المُعْضِـه

وقال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ص ٢/٢١٣) :

واعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ [الأعراف : ١١٦] يعني موَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ، وقد يستعمل مقيدًا فيما يُمدح ويُحمد كما قال رسول الله ﷺ لعمرو بن أهتم : « إن من البيان لسحرًا » لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته ، وبالجملة فالسحر المطلق إنما هو تخييل بشعوذة صارفة للأبصار أو تمتمة مزخرفة عائقة للأسماع فلا يغير حقائق الأشياء ولا ينقل الصور .

وقال الجزائري في تفسيره : السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم .

وقال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) :

﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء ، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير ، وهو مشتق من سحرت الصبيَّ إذا خدعته ، وقيل أصله

الخفاء فإن الساحر يفعله خفية ، وقيل أصله الصرف ، لأن السحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة لأن من سحرك استمالك ، وقال الجوهري : السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، والساحر العالم .

وقال الغزالي : السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين ، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور انتهى ، وقد ذكر أبو السعود أنواعًا من السحر فليرجع إليه .

● **وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره :** والسحر في اللغة العربية يطلق على كل شيء لَطُفَ مأخذه ودقَّ ، ويطلق كذلك على الصَّرف والتحويل عن الجهة المعتادة والتمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء فيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به في الواقع كالذي يرى السراب من بعيد فيخيَّل إليه أنه ماء ، وكالذي يركب مركبًا شديد السرعة (كالقطار) إذا كان طريقه بين أشجار أو منازل أو غيرها من الأشياء الثابتة فَيُخَيَّلُ إلى راكبه أنه واقف وأن الأشجار أو المنازل أو الجبال هي التي تجري ، كما يطلق السحر على الخداع من قولهم : سحرت الصبيَّ إذا كان قد خدعه ومنه قول لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإنَّنـا عصافير من هذا الأنام المسحَّر

كما يطلق السحر على الاستمالة بقوة البيان ومنه قول رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرًا »[1] الذي رواه البخاري . كما كان يطلق على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وكذلك =

الساحر اسم العالم حيث كانت مدارس تعليمه في مصر أيام فرعون موسى قد بلغت حدًّا لم يعرف في التاريخ أنة بلغه أحد بعدهم أو قبلهم ، كما كانت مدارسه في جزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود والراهب والساحر . وقد يكون السحر برقى شيطانية وطلاسم ونفث في عقد ، وهو سحر أهل بابل من عهد إبراهيم عليه السلام وكانوا يعبدون الكواكب ، وقد يكون السحر بخفة اليد كالشعوذة ، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة للتأثر ولذلك نهى الأطباء المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، كما نُهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللَّمعان والدَّوران . كما أن بعض السحرة قد يستعين بالمغناطيس ونحوه ، وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله .

* * *

س : اذكر بعض أنواع السحر ؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله تعالى بحثًا طويلًا في أنواع السحر ، وحصرها في ثمانية أنواع وها هي باختصار .

● **الأول** : سحر الكلدانيين والكسدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مُبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذاهبهم .

= أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : ولم يتضح لي وجه هذا السحر ولا كيفيته .

الثاني : سحر أصحاب الأوهام ، ومثَّل له الرازي برجل يمر على جذعٍ وهذا الجذع له حالان ، الحال الأول أنه موضوع على الأرض فالرجل يمرُّ عليه بسهولة ويسر ، والثاني أن الجذع موضوع كالجسر وتحته هاوية فحينئذٍ يتخيل المار أنه سيسقط في الهاوية فيتعذر عليه المرور من فوق الجسر .

وقال الرازي أيضًا : اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف[1] عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران ، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام فحاصل هذا النوع أن الساحر يخدع أصحاب النفوس الضعيفة والأوهام .

الثالث من أنواع السحر : الاستعانة بالجن لوصول الساحر إلى مراده[2] .

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون كمن يركب شيئًا سريعًا كقطار أو طائرة أو سيارة مثلًا ويظن أن الأشجار تجري من حوله ، وهو الذي يجري في الحقيقة ونورد هذا النوع والأنواع التي بعده بتمامها كما قال الرازي رحمه الله ، فقد قال :

النوع الرابع من السحر : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهذا الأخذ مبني على مقدمات : إحداها : أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركًا . وذلك يدل على

---

(١) هو المصاب بالرعاف .

(٢) قال الرازي : ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرق والدخن والتجريد فهذا النوع من السحر المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن .

أن الساكن يرى متحركًا والمتحرك يرى ساكنًا ، والقطرة النازلة ترى خطًّا مستقيمًا ، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة ، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيمًا ، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيمًا فإذا فارقته وارتفعت عنه صغرت ، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيرًا فظاهر ، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة ، وثانيها : أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفًا تامًّا إذا أدركت المحسوس في زمانٍ له مقدار ما ، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدًّا ثم أدركت بعده محسوسًا آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض وذلك فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطًا كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لونًا واحدًا كأنه مركب من كل تلك الألون ، وثالثها : أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه ، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر ، وكذا الناظر في المرآة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة ، وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئًا مما في المرآة ، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر ، وذلك لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيًّا لتفاوت الشيئين ، أحدهما : اشتغالهم بالأمر الأول ، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد

أن يعلمه ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم : إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله ، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًا ، فإن الضوء يفيد البصر كلالًا واختلالًا ، وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالًا واختلالًا ، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها ، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر .

النوع الخامس من السحر : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى : مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد ، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى يصورونها ضاحكة وباكية ، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وبين ضحك الخجل وضحك الشامت ، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل ، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلًا عظيمًا بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر ، لأن لها أسبابًا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها ، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرًا شديدًا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر ، ومن هذا الباب عمل « أرجعيانوس »

الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مختارًا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخًا من فراخ البراصل ، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيرًا حزينًا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربًا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ ، لأنها تظن أن هناك فرخًا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها « أسطرخس » الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوب البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع .

النوع السادس من السحر : الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته . واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق[1] .

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى : « عمدة التفسير » (ص ٢٠٣) : يدخل =

النوع السابع من السحر : تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار[1] .

النوع الثامن من السحر : السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس ، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه[2] ، والله أعلم .

* * *

س : ما هي منزلة السحر بين الذنوب ؟ وما حكم الساحر ؟ وما حدُّه ؟

ج : السحر من كبائر الذنوب ، وذلك لأن النبي ﷺ ثناه بالشرك ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال :

= في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مُدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : هذا النمطُ يقال له : (التنبلة) وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم – وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

(٢) قلت : ويلحق به البيان الحسن (الأسلوب الحسن) فقد قال النبي ﷺ : « إن من البيان لسحرًا » .

الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[1].

● **ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر** لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● **وكذلك حكم الساحر فمن** العلماء مَن ذهب إلى أنه مرتكب لكبيرة ومنهم من ذهب إلى أنه كافر ، ومن العلماء من فصَّل في ذلك .

● **قال النووي رحمه الله :** إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتُقبل توبته إذا تاب عندنا ، وإن لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزِّر واستتيب .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** وقال بعض العلماء : إن قال أهل الصناعة : إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان فالسحر إذًا دالٌّ على الكفر على هذا التقدير ، والله أعلم .

● **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان في مقاصد القرآن) :** وفي قولهما : ﴿ فلا تكفر ﴾ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي أن هذا ذنب يكون من فعله كافرًا فلا تكفر ، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر ، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد ، وبين من تعلَّمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه ، وبه قال أحمد .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ١٠/٢٣٥) :** وقد استدل بهذه الآية[2] على أن السحر كفر ومتعلمه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٨٩) .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان =

كافر ، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب ، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلَّمه أصلًا قال النووي : عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه حرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق ، قال عياض وبقول مالك قال أحمد وعياض وجماعة من الصحابة والتابعين . اهـ ، وفي المسألة اختلاف كثير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها ، وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره ، وإما لإزالته عمن وقع فيه ، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإن سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان ، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعلٍ بخلاف تعاطيه والعمل به ، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلًا ، وإلا جاز للمعنى المذكور .

أما حدُّ الساحر: فقد رأي فريق من أهل العلم أن الساحر يقتل لحديث: «حد الساحر ضربة بالسيف» لكن هذا الحديث ضعيف ولا يثبت عن رسول الله ﷺ.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] قالوا فدل ذلك على أن السحر كفر ومن ثم يقتل فاعله .

= ولكن الشياطين كفروا .. ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

واستدلوا أيضًا بأنه روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم قتل الساحر .

● ومن العلماء من فصَّل في حد الساحر فنظر في تفصيله إلى طريقة السحر التي سحر بها وإلى النتيجة من وراء هذا السحر ، فإن سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا فيُقتل حينئذٍ ولا يستتاب ولا تقبل توبته[1] .

● **قال القرطبي رحمه الله** : واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذِّمي فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلامٍ يكون كفرًا يُقتل ولا يُستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمرٌ يستسر به كالزنديق والزاني ، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرًا بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة ، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين .. ثم قال رحمه الله : قال ابن المنذر : وإذا أقرَّ الرجل أنه سحر بكلامٍ يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا ، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفرٍ لم يجز قتله . انتهى المراد .

قلت : ومن العلماء من فرَّق بين ساحر أهل الكتاب والساحر المسلم ، فذهب إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره ، لكنه يعاقب على قدر ما أحدث وألحق الضرر .

● قلت ويشهد لهم قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها﴾[الشورى:٤٠]

---

(١) المراد بعدم قبول التوبة هنا قبولها في الظاهر أي لا يُدرأ عنه الحد لقوله إني تبت . وذلك ، لأن باب التوبة مفتوح لكل من أرادها لقول الله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ١٠/٢٤٧) :

لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعن مالك إن أدخل بسحره ضررًا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله ، وإنما لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين سواء كان لبيد يهوديًّا أو منافقًا على ما مضى من الاختلاف فيه ... انتهى المراد .

❋ ❋ ❋

س : هل ثبت أن الرسول ﷺ سُحر ؟

ج : نعم وقد ثبت ذلك في الصحيحين[١] ففي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سُحر النبي ﷺ حتى إنه لُيخيلُ إليه أنه يفعل الشيء[٢] وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : « أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ » قلت : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : « جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب[٣] ، قال : ومن طبَّهُ ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق ، قال في ماذا ؟ قال في مُشط ومشاطة[٤] وجُف طلعةٍ ذكر ، قال

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٢١٨٩) .

(٢) في رواية للبخاري : حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن .

(٣) مطبوب أي مسحور .

(٤) المشاطة هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحهما وتمشيطهما .

فأين هو ؟ قال في بئر ذي أروان[1] ، قال فذهب النبي ﷺ في أُناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال : والله لكأن ماءها نُقاعة[2] الحِناء ، ولكأن نخلها رءوس الشياطين ، قلت يا رسول الله أفأخرجته[3]؟ قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وكرهت أن أثوِّر

---

(١) في رواية في بئر (ذروان) .

(٢) نقاعة الحناء هي الماء الذي تُنقع فيه الحناء ، والحناء معلومة وهي التي تستعمل في الخضاب .

(٣) في هذه الرواية (**أفأخرجته**) وفي رواية أخرى في البخاري أيضًا (٥٧٦٥) قالت : (فأتى النبي ﷺ البئر **حتى استخرجه** فقال : « هذه البئر التي أريتها ، وكأن ماءها نُقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين » **قال فاستخرج** ، قالت : فقلت : **أفلا - أي تنشَّرت -**؟ فقال « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على أحدٍ من الناس شرًّا » . .

● وفي رواية ثالثة للبخاري (٥٧٦٣) : قلت يا رسول الله (أفلا استخرجته) قال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أُثير على الناس فيه شرًّا فأمر بها فدُفنت .

● وفي رواية مسلم (قالت فقلت يا رسول الله **أفلا أحرقته** ؟ قال : لا أمَّا أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أُثير على الناس شرًّا فأمرتُ بها فدفنت » وفي رواية أخرى لمسلم : وقالت قلت يا رسول الله **فأخْرِجه** .

● ورجَّح الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى رواية سفيان بن عيينة (التي هي فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال : فاستخرج قالت فقلت : أفلا - أي تنشَّرت -؟ فقال : « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على الناس شرًّا » .

● وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله وجهًا آخر عن بعض العلماء حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت ، فالمثبت هو استخراج الجف ، والمنفي استخراج ماحواه ، قال : وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر .

● هذا وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله : (أفلا أحرقته) يرجع الضمير فيه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

على الناس منه شرًّا وأَمَرَ بها فدُفنت » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على حديث السحر وكيف تم دفعها ؟

ج : أوجز الحافظ ابن حجر رحمه الله هذه الردود فقال في فتح الباري (١٠/٢٣٧ ، ٢٣٨) :

قوله : (حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله) .

قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ، قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة .

قلت : وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه : « حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن » ، وفي رواية الحميدي : « أنه يأتي أهله ولا يأتيهم » ، قال الداودي : « يرى » بضم أوله أي : يظن ، وقال ابن التين : ضبطت « يرى » بفتح أوله .

قلت : وهو من الرأي لا من الرؤية ، فيرجع إلى معنى الظن ، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق :« سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره » ، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب : « حتى كاد ينكر بصره » ، قال عياض : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده .

قلت : ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد : « فقالت أخت لبيد بن الأعصم : إن يكن نبيًّا فسيخبر ، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله » ، قلت : فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح ، وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك ، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ، فلا يبقى على هذا للملحد حجة ،وقال عياض : يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء ، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله في الرواية الأخرى : « حتى كاد ينكر بصره » أي صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته ، فإذا تأمله عرف حقيقته ، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولًا فكان بخلاف ما أخبر به .

وقال المهلب : صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، فقد مضى في الصحيح أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه ،

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام ، أو عجز عن بعض الفعل ، أو حدوث تخيل لا يستمر ، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين .

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث : « أما أنا فقد شفاني الله » ، وفي الاستدلال بذلك نظر ، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل : « فكان يدور ولا يدري ما وجعه » ، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد : « مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان » الحديث .

* * *

س : ما معنى النُشرة ، وهل هي مشروعة أم لا ؟ وهل يُسئل الساحر حل السحر عن المسحور ؟

ج : النشرة هي نوع من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن .

أما هل هي مشروعة أم غير مشروعة ، فالذي يظهر لي بعد مراجعة ما ورد فيها أنها على أقسام .

● نشرة مشروعة وتكون بالرقى والأذكار والأدعية الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذه مشروعة بلا شك ويلتحق بها نشرة لم يرد نصُّها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ولكنها أدعية وأذكار مفهومة معروفة فهذه أيضًا مشروعة لقول النبي ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا » .

● نشرة غير مشروعة وهي بالتعاويذ الشركية والبدعية .

● نشرة بطلاسم وأذكار غير مفهومة فهذه تترك أيضًا خشية أن يكون بها شركًا والشخص لا يشعر ، والله تعالى أعلم .

● أما هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور فقال القرطبي رحمه الله تعالى : أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري[1] ، وإليه مال المُزني وكرهه الحسن البصري ، وقال الشعبي : لا بأس بالنشرة ، قال ابن بطال : وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله قلت : وهذا غير وارد عن رسول الله ﷺ ، ولا

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه في كتاب «الطب» (مع الفتح ١٠/٢٤٣) باب هل يستخرج السحر ، قال : وقال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب – أو يؤخذ عن امرأته ، أيحلُّ عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنْه عنه .

كذا ذكره البخاري معلقًا ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار عن قتادة ، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه ؟ فقال : « إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع » وأخرجه الطبري في « التهذيب » من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحرٌ أن يمشي إلى من يطلق عنه فقال : هو صلاح ، قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك إلا ساحر ، قال فقال سعيد بن المسيب إنما نهي عما يضر ولم ينه عما ينفع .

● هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٠/٢٤٦) : قال ابن القيم رحمه الله : من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يُخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .

تتضح فيه صورة شرك فإن جُرِّب ونفع الله به فهو ذاك ، وإلا فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : اذكر بعض الفروق بين المعجزة والسحر ؟

ج : من هذه الفروق أن السحر يوجد من الساحر ومن غيره أما المعجزة فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها ومن هذه الفروق أن المعجزة يُستدل بها على توحيد الله عز وجل أما السحر فليس كذلك .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهل الملكان هما هاروت وماروت ؟ وإذا لم يكونا هاروت وماروت فمن هما ومن هما هاروت وماروت ؟

ج : أما ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] فلأهل العلم فيها أقوال أشهرها ما يلي :

الأول : أن (ما) بمعنى (لم) أي أن (ما) هي (ما) النافية .

الثاني : أن (ما) بمعنى (الذي) .

الثالث : أن (ما) بمعنى (الذي) لكن المراد به (التفريق بين المرء وزوجه)[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ١٦٧٤) قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ، فالسحر سحران سحرٌ تعلّمه الشياطين ، وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت .

قلت : وحمل بعض العلماء السحر الذي يُعلّمه هاروت وماروت على التفريق بين المرء وزوجه .

الرابع : أن (ما) يجوز في هذا الموطن أن تكون بمعنى الذي ويجوز أن تكون بمعنى (لم)[1] .

● أما هاروت وماروت فمن العلماء من قال : إنهما الملكان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] وهما ملكان من الملائكة ابتلاهما الله عز وجل وابتلى بهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

● ومن العلماء من قال : إن هاروت وماروت رجلان مفسدان يعلمون الناس التفريق بين المرء وزوجه وصنوفًا أخرى من السحر ، وعلى هذا القول فالملكان هما جبريل وميكائيل .

* * *

س : ما هو تأويل قول الله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ؟

ج : تأويل هذا مبني على تفسير (ما) وعلى بيان المراد بالملكين وبيان من هما هاروت وماروت فلينظر إلى السؤال السابق مع جوابه ، وعليه فنقول :

● **بناء على أن (ما) بمعنى لم** قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تأويل القدر المذكور من الآية : واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿ ببابل هاروت

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد رحمه الله – (١٦٧٨) وسأله رجل عن قول الله عز وجل : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] فقال الرجل : يعلّمان الناس ما أنزل عليهما ؟ أم يُعلّمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أُبالي أيتهما كانت .

وماروت ﴾ فيكون حينئذٍ قوله : ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم ، فإن قال قائل – وكيف وجه تقديم ذلك ؟

قيل وجه تقديمه أن يُقال : واتبعوا من تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما أنزل اللّه السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيًا بـ (الملكين) جبريل وميكائيل ، لأن سحرة اليهود فيما ذُكر كانت تزعم أن اللّه أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط ، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عمل الشياطين وأنها تعلِّم الناس ذلك ببابل وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون ﴿ هاروت وماروت ﴾ على هذا التأويل ترجمةً على الناس وردًّا عليهم .

قلت : وهذا التأويل لا يخلو من تكلف وترد عليه إشكالات منها :

- أنه لا يوجد في الآية الكريمة ذكر لجبريل وميكائيل .
- والثاني أنه إذا كان هاروت وماروت على ما ذُكر لكان من حقهما الرفع هاروتُ وماروتُ .
- والثالث أن التقديم والتأخير على النحو المذكور فيه شيء من التعسف والتكلف .
- الرابع أن قوله تعالى : ﴿ يُعلمون ﴾ جمع وهاروت وماروت مثنى ، فهذا وجه النظر عندي في هذا التأويل ، قاله مصطفى .

وإن قلنا إن (ما) بمعنى (الذي) فقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تأويل الآية على هذا الوجه :

واتبعت اليهودُ الذي تلت الشياطين في ملك سليمان ، والذي أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة اللّه عز وجل .

وانتصر ابن جرير الطبري رحمه اللّه لهذا الوجه فقال (٢/٤٢٤) : والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجَّه ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحد ، وإنما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجِّهت إلى معنى الجحد تنفي عن (الملكين) أن يكونا منزلًا إليهما ، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني (هاروت وماروت) من أن يكونا بدلًا منهما وترجمة عنهما أو بدلًا من الناس) في قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وترجمة عنهما .

فإن جُعلا بدلًا من (الملكين) وترجمة عنهما بطل معنى قوله : ﴿ وما يعلِّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ ، لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفرِّق به بين المرء وزوجه فما الذي يَتعلَّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه ؟ وبعد [1] فإن ما التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ فإن اللّه جل ثناؤه نفى بقوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه ، وهاروت وماروت هما الملكان – فمن المتعلِّم منه إذًا ما يفرَّق به بين المرء وزوجه ؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ ؟ إن خطأ هذا القول لواضحٌ بينٌ وإن كان قوله : ﴿ هاروت وماروت ﴾ ترجمة عن (الناس) اللذين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

---

(١) قوله هنا (وبعد) بمعنى أيضًا ، فقد تقدم أن لها معاني كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أي : عتل مع ذلك .

السحر ﴾ فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من (هاروت وماروت) عن تعليم الشياطين إياهما ، فإن يكن ذلك كذلك فلن يخلو (هاروت وماروت) – عند قائل هذه المقالة – من أحد أمرين :

إما أن يكونا ملكين ، فإن كان عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلِّمانه الناس وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذُكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب ، وفي خبر الله عز وجل عنهما أنهما لا يعلمان أحدًا ما يتعلم منهما حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول .

● أو أن يكونا رجلين من بني آدم فإن يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم ، لأنه إذا كان علمُ ذلك من قبَلِهما يُؤخذ ومنهما يُتعلَّم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدمُ السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما ، وفي وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول ، وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يُعدَما من الأرض منذ خلقت ولا يُعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدَّعي ما لا يخفى بُطولُه[1] فإن فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] بمعنى (الذي) وأن (هاروت وماروت) مترجمٌ بهما عن الملكين ، ولذلك فُتحت أواخر أسمائهما ، لأنهما في موضع خفض على الردِّ على (الملكين) .

---

(١) أي بطلانه .

ولكنهما لما كانا لا يُجرَّان فتحت أواخر أسمائهما ، فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال ، وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه ؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة ؟ قيل له : إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده . جميع ما أمرهم به وجميع مانهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه ، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عنه عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علَّمه الملكين اللذَينِ سماهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلُّم منهما ويُخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علَّما ذلك لله مطعيين إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه يعلمان ، وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرًا إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناهٍ ، فكذلك الملكان غير ضائرهما سُحر من سَحر ممن تعلَّم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] إذ كان قد أدَّيا ما أمرا به بقيلهما ذلك ، والله أعلم .

أما القرطبي رحمه الله تعالى (٢/٥٠) : قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ [البقرة : ١٠٢](ما) نفي والواو للعطف على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، التقدير وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فهاروت وماروت بدل من

الشياطين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة :١٠٢] هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه ، كذا قال القرطبي رحمه الله .

قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ٢٨/١) :

اختلف الناس في حرف (ما) فمنهم من قال إنه نفي ، ومنهم من قال : إنه مفعول وهو الصحيح ، ولا وجه لقول من يقول : إنه نفي لا في نظام الكلام ولا في صحة المعنى ولا يتعلق من كونه مفعولًا سياق الكلام بمحالٍ عقلًا ولا يمتنع شرعًا وتقريره : واتبع اليهود ما تلته الشياطين من السحر على ملك سليمان أي نسبته إليه وأخبرت به كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ [الحج : ٥٢] أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ما لم يُلقه النبي يحاكيه ويلبس على السامعين به حسبما بيناه .

وما كفر سليمان قط ولا سحر ، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلِّمون الناس ، ومعتقد الكفر كافر ، وقائله كافر ، ومعلِّمه كافر ، ويعلِّمون الناس ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما كان الملكان يُعلمان أحدًا حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أن يُنزل الله عز وجل السحر أو هل يجوز أن تعلمه الملائكة للناس ؟

ج : أجاب على هذا ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بقوله : إن الله

عز وجل قد أنزل[1] الخير والشر كلَّه وبيَّن جميع ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلُّ لهم مما يحرم عليهم ، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها وليس في العلم بالسحر إثم كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطَّنابير والملاعب ، وإنما الإثم في عمله وتسويته ، وكذلك لا إثم في العلم[2] بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يُضَرَّ به من لا يحل ضرُّه به ، فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علَّماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علَّماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر ، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجًا كما لم يكونا حَرِجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما .

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى (أحكام القرآن ٢٨/١) :

فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر ؟ قلنا كلُّ خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزلٌ من عند الله تعالى قال النبي ﷺ كما في الصحيح : « ماذا فتح الليلة من الخزائن ؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن ؟ أيقظوا صواحب الحُجر ربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة »[3]

---

(١) وقد قال النبي ﷺ ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أنزل من الفتن ... » الحديث .

(٢) أما قوله لا إثم في السحر ففيه نظر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ وما يُعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولو كان في تعليم السحر خيرًا لتعلمه رسول الله ﷺ وعلَّمه أصحابه أو حثهم على تعلمه ، والله تعالى أعلم .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٠٦٩) من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : =

فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق .

❋ ❋ ❋

س : إذا قلنا أن ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ما أنزل على الملكين ببابل ﴾ [البقرة : ١٠٢] بمعنى الذي فما هو الذي أنزل على الملكين ببابل ؟

ج : لأهل العلم فيه قولان : أحدهما أنه السحر أيضًا .

وقول آخر – أنه التفريق بين المرء وزوجه لقوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحاصل في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] ؟

ج : يبين الله عزَّ وجل حال اليهود وما هم عليه من العناد والشقاق لأنبياء الله وللكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى وأنهم كان عندهم في التوراة صفة رسول الله ﷺ ونعته فلما جاء رسول الله ﷺ موافقًا في صفته ونعته وما عندهم في التوراة ويأمر بالتوحيد والإيمان برسل الله وملائكته .. إلى غير ذلك رفض هؤلاء اليهود التوراة ونبذوها وراء ظهورهم نبذ رجلٍ جاهل ، وهم في الحقيقة يعلمون ما فيها فتركوها لما وجدوها توافق

= استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول : « سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه – لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » .

رسولَ الله ﷺ وتُصدقه ويوافقها ويصدق الثابت فيها واتجهوا بعد نبذها – كما اتجه كل نابذ للحق – إلى الأكاذيب والأباطيل وأنواع السحر والشعوذة التي افترتها الشياطين ونسبتها إلى سليمان عليه السلام كذبًا وزورًا ، وما سحر سليمان عليه السلام ، ولا أمر بالسحر ولا أَقَرَّه بحالٍ من الأحوال عليه الصلاة والسلام وما كفر سليمان عليه السلام ، ولكن الشياطين كفروا ، وكفروا باختلاقهم السحر وتعليمه للناس ، وكفروا أيضًا بتعليمهم الناسَ الذي أُنزل على المَلَكَين ببابل هاروت وماروت من التفريق بين المرء وزوجه ، وهاروتُ وماروتُ ملكان ببابل تتعلم الشياطين وأتباعها منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، وما يعلمان من أحد حتى يحذرانه ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر .

هذا هو الذي يقتضيه السياق ، والله تعالى أعلم .

● **وترد على هذا التأويل تساؤلات منها .**

● **هل أُنزل السحر (أو تعلمه) على الملكين ؟** فالإجابة بنعم فإن الله أخبر بذلك وقال : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] (وما) هنا بمعنى الذي ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] ففيه دليل على أن التفريق بين المرء وزوجه يُتعلم من الملكين ، **فإن قال قائل وهل ينزل الشر ؟** فالإجابة بنعم فإن النبي ﷺ قد قال ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن .. » الحديث .

● **فإن قال قائل : كيف ينزل السحر على الملكين ويعلمانه للناس ، والله سبحانه وتعالى يقول في شأن الملائكة : ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦]**

وقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء :١٧٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في فضل الملائكة وطاعتها لربها عز وجل ؟! .

فالإجابة على ذلك من وجوه :

● أحدهما أن هذا من العام المخصوص بمعنى أن عموم الملائكة صالحون مطيعون لله عز وجل فيما أمر مجتنبين ما نهى عنه الله وزجر إلا أنه قد يكون فيهم من عصى ولا يعكر عصيانه على عموم الصالحين ، قد قدمنا أن رأي الجمهور أن إبليس كان ملكًا[1] ومع ذلك فقد عصى ، وأيضًا قال الله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ١٤] فنفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن الأعراب في هذه الآية الكريمة ، وأثبت الله عز وجل الإيمان لبعضهم في قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سَيُدخِلُهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة : ٩٩] .

● الثاني : أنه ليس في الآية الكريمة ما يُفيد صراحة أن الملكين عصاة إنما غاية ما في الآية الكريمة أن الشياطين (أو الناس) يتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، هذا غاية ما في الآية الكريمة بشأن الملكين ، فقد يكونا قد أُمرا بذلك من الله عزو جل وحينئذ لا يكونا عاصيين ، ويؤيد قولهما لمن تعلم منهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] .

● الوجه الثالث ما ذكره بعض العلماء حيث قال : إن السحر أُنزل ليُتعلم على جهة التحذير وممن قال بهذا القول ابن عطية رحمه الله

---

(١) وقد حررنا القول في ذلك وهل هو ملك أم جني من قبل فانظره إن شئت .

تعالى[1] ، وقال عبد القادر بن شيبة الحمد غفر الله له في تفسيره (٢٣٢/١) : وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله ، ولما كثر شرّ هذا النوع من السحر أنزل الله الملكين هاروت وماروت ببابل من أرض العراق يعلمان الناس فك سحر المسحورين ويحذرانهم من إيذاء الناس بالسحر ، ويقولان لكل من يعلمانه إنما نحن فتنة فلا تكفر أي فلا تستغل فرصة معرفتك لفك سحر المسحورين بسحر الناس ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وذلك أن تعليمهما كان ذا وجهين ، يمكن استخدامه في وجوه من الشر ويمكن استخدامه في وجوه الخير ، وهوفك المسحور ، وكما قال عزّ وجل : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقد تكون معرفة طرق الشر ضرورية للقضاء عليها وفي ذلك يقول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

انتهى المراد من كلامه حفظه الله[2] .

● أما ما هي قصة هاروت وماروت وما شأنهما فسيأتي ذلك في سؤال لاحق إن شاء الله . وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت وفيه أن الملائكة

---

(١) في تفسيره (٣٠٧/١) محرر .

(٢) قلت : وهذا الوجه الذي ذكره الشيخ عبد القادر فيه نظر عندي وذلك لأن الله قال : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولعل الشيخ عفا الله عنه فرَّ من وصف الملكين بالعصيان ، وقدمنا في الوجه الثاني ما يصرف العصيان عنهما وبالله التوفيق والله تعالى أعلم .

في السماء قالت : أي رب هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر ، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجُعلت فيهما شهوات بني آدم وأُمرا أن يعبد الله ولا يشركا به شيئًا ... إلى آخر ما ورد في هذا الخبر ونحوه وفي آخره أنهما عصيا ربهما وشربا الخمر وقتلا النفس وزنيا ... وفي آخر أمرهما أنهما اختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان إلى يوم القيامة وكذلك المرأة التي أغوتهما طارت فكانت كوكب الزهرة ونحو هذا .. ؟

ج : الأخبار الواردة في هذا الصدد لا نعلم شيئًا منها ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، وإنما ذكرها بعض السلف والغالب أنهم تلقوها من الإسرائليات التي يرويها أهل الكتاب ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

س : ما المراد بالتفريق بين المرء وزوجه في قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة : ١٠٢] وكيف يُفرِّق الشيطان بين المرء وزوجه ؟

ج : المراد بالتفريق بين المرء وزوجه إما الطلاق ، وإما المنع من الوطء ، وإما بث الكراهية بين الزوجين .

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه فقال الطبري رحمه الله تعالى[1] فإن قال قائل وكيف يفرَّق بين المرء وزوجه ؟

قيل قد دللنا فيما مضى على أن معنى (السحر) تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفِّق لفهمه فإذا كان

---

(١) تفسير الطبري (٢/٤٤٦) .

ذلك صحيحًا بالذي استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحدٍ منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حُسنٍ وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقًا فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرْقة ما بينهما ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وتفريقهما أن يُؤخذ كلُّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغَّض كل واحد منهما إلى صاحبه .

❋ ❋ ❋

س : هل تفريق السحرة بين الزوجين مؤكد ؟

ج : لا بل غير مؤكد إلا أن يشاء الله وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات ، وقد يأخذ الشخص بالأسباب ولا يوفق لنيل مراده فقد يسعى الإنسان للكسب مثلًا ويتاجر من أجل ذلك ويجد ويجتهد ولكنه يخسر فضلًا عن أن يحرم الكسب ، وقد يتداوى الشخص ولكن لا ينجح فيه الدواء فكذلك الساحر قد يسحر ويُجري شعوذاته ولا يستطيع أن يصل بضرره إلى الشخص ، والله عز وجل يقول : ﴿ وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] ويقول سبحانه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ [الأنعام: ١٧] .

ويقول سبحانه : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم ﴾ [يونس : ١٠٦ ، ١٠٧] .

● وقال تعالى : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد.. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍّ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل

هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ [الزمر :٣٥-٣٨].

وقال النبي ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] من هم الذين علموا ؟

ج : هم اليهود النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على أن قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] معنيٌّ به اليهود دون الشياطين .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٣] خيرٌ من ماذا ؟

ج : خيرٌ من اتباعهم الكفر الذي تلته الشياطين على ملك سليمان ، وخيرٌ من الإثم الذي سيلحقهم من جراء هذا الاتباع ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد في المسند (٢٩٣/١) ، والترمذي (حديث ٢٥١٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم (٥٤١/٣ - ٥٤٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (حديث ٣١٦ معلقًا) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ [البقرة :١٠٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا ﴾ [البقرة :١٠٣] لو أن الذين يتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه (آمنوا) فصدقوا الله ورسوله وما جآءهم به من عند ربهم (واتقوا) ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيرًا لهم من السحر وما اكتسبوا به (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله إياهم على ذلك خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به ، وإنما نفى بقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ
بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

راعنا – أليم – ما يود – رحمته ؟

ج :

الكلمة	معناها
راعنا	أمهلنا – فرِّغ لنا سمعك – اهتم بنا وأرشدنا لطرق الخير
أليم	مؤلم موجع
ما يود	ما يحب – ما يتمنى
رحمته	نبوته – الإسلام – عموم الرحمة

* * *

س : ما هو المراد بقول المؤمنين لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ وما هو المراد بقول اليهود له عليه الصلاة والسلام : ﴿ راعنا ﴾ ؟

ج : للعلماء في بيان المؤمنين بقولهم لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ أقوال منها .

- أمهلنا وأنظرنا حتى نفهم ما تقول ونَعيَهُ .
- فرِّغ سمعك لنا يا رسول الله .
- انظر إلينا واهتم بنا وأرشدنا لمقصد الخير وطرق الثواب .
- **أما مراد اليهود** فيقصدون بها الرعونة وهي الجهل المفرط والحماقة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ واسمعوا ﴾ في قوله عز وجل : ﴿ ... وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾ [البقرة : ١٠٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – اسمعوا قولي وامتثلوا أمري .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] دليل على سد الذرائع وضحه ، وبيِّن معنى الذريعة ، واذكر بعض الأدلة عليها ؟

ج : إيضاحه أن اليهود لما كانوا يشاركون المسلمين في قولهم (راعنا) إلا أنهم يلوون ألسنتهم بها ويحرفونها إلى ما يريدوه من وصف رسول الله ﷺ بالجهالة والحمق ، نُهي المؤمنون عن قول (راعنا) وأُمروا باستعمال لفظٍ آخر غير مشتبه ولا يمكن معه الوصول إلى سب

رسول الله ﷺ .

فسد هذا الذريعة التي يتوصل بها اليهود إلى النيل من رسول الله ﷺ حيث أنه لن يقول (راعنا) بعد قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] إلا من في قلبه سوء فحينئذ سينكف عن قولها خشية أن يظهر أمره وتظهر مخالفته ، والله تعالى أعلم .

أما معنى الذريعة فقال القرطبي رحمه الله : والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع .

أما الأدلة على سد الذرائع فمنها .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ... ﴾ [الأنعام :١٠٨] .

● ومنها نهى النبي ﷺ عن شتم الرجل أبا الرجل حتى لا يُسب الشاتم قال رسول الله ﷺ : « من الكبائر شتم الرجل والديه ؟ قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »[1] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه... »[2] الحديث فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات .

● ومنها النهي عن تصوير ذوات الأرواح وتصوير

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والبخاري (مع الفتح ٤٠٣/١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

الصالحين حتى لا يؤدي ذلك إلى الشرك والغلو فيهم فقد ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة ورأين بها تصاوير فقال رسول الله ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تثبت أن اليهود كانوا يلوون ألسنتهم بالكلام لصرفه عن ظاهره وتحويله إلى وجهة سيئة يريدونها هم ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ﴾ [النساء :٤٦] .

● وقول النبي ﷺ : «إن اليهود إذا سلموا عليكم فإنما يقول أحدهم (السام)[2] » . أي الموت .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نُهي المسلمون عن قول (راعنا) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نُهوا عن قول (راعنا) ، لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبه

---

(١) وانظر أدلة أخرى أوردناها عند قول الله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢/٢٨٠) ، ومسلم (مع النووي ١٤/١٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اليهود إذا سملوا على أحدكم إنما يقولون سام عليك فقل عليك » .

والسخرية والنَّيل منه[1] .

● وذهب ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى إلى أنها كلمة كرهها الله تعالى أن تُقال لنبيه ﷺ كما قال النبي ﷺ : « لا تقولوا للعنب الكرم ... » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه سياق الآية الكريمة ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ [البقرة : ١٠٥] عقب قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة: ١٠٤] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن وجه ذلك لبيان شدة عداوة الكافرين من القبيلين ﴿ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴾ [البقرة : ١٠٥] للمؤمنين ، ومن ثمَّ تنبيه المؤمنين على عدم التشبه بهم والسير وراءهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرحمة في قول الله تعالى : ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ [البقرة : ١٠٥] ؟

ج : للعلماء فيها ثلاثة أقوال : منها .

الأول : أن المراد بالرحمة عموم الرحمة .

والثاني : أن الرحمة المراد بها الإسلام .

الثالث : أن المراد بالرحمة هنا النبوة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٢٨) ، بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءًا فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

ننسخ - نُنسها - دون الله - ولِّي - نصير- أم تريدون - ضلَّ - سواء السبيل ؟

ج :

الكلمة	معناها
ننسخ	نُبدل آية بغيرها أو نُزِل حكمها أو نزيلهما (أي اللفظ والحكم) معًا
نُنسها	ننسيكها (من النسيان المعهود) أي نمحها من الصدور ، أو - نتركها بلا نسخ[1]

(١) أعني أن فريقًا من العلماء قال بالقول الأول ، وفريقًا قال بالقول الثاني .

دون الله	سوى الله – بعد الله – غير الله
وليٍّ	قائمٌ بأموركم يليها ويُدبرها لكم
نصير	النصير هو الناصر – المؤيد – المقوِّي
أم تريدون	بل تريدون – أتريدون ؟
ضل	ذهب وحاد
سواء السبيل	السواء هو الوسط والمُعظم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ [الصافات : ٥٥]، ومنه قول حسان رضي الله عنه : يا وَيحَ أنْصَارِ النبيِّ ونَسْلِهِ بعد الُمغَيَّب في سَوَاءِ المُلْحِدِ وسواء السبيل هو الطريق السَّوي المستقيم ، وهو الصراط المستقيم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] رد على اليهود فما وجه هذا الرد ؟

ج : وجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله عز وجل توصلًا بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ ، فقالوا أثناء ذلك : إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا ، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام – على ما سيأتي بيانه إن شاء الله ، فكان في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] ردٌ عليهم ، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى النسخ ؟ وما المراد بقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ؟

ج : النسخ يُطلق على معنيين :

أحدهما : النقل ، كنقل كتاب من آخر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

والثاني : الإزالة والإبطال ، والإزالة على قسمين :

أولهما : إزالة الشيء وإقامة شيء مقامه[1] .

وثانيهما : إزالة الشيء وعدم إقامة شيء مقامه[2] .

---

(١) ومنه قولهم نسخت الشمسُ الظلَّ إذا أذهبته وحلَّت محله وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] نسخ قوله تعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .

● وقوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] نسخ قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأي الجمهور.

(٢) قال القرطبي : ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾ [الحج : ٥٢] أي يزيله فلا يُتلى ولا يثبت في المصحف بدله .

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.

● قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدِّله ونغيره ، وذلك أن يُحوَّل الحلال حرامًا والحرام حلالًا والمباح محظورًا والمحظور مباحًا ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

❋ ❋ ❋

س :هل يوجد نسخ في الأخبار ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ ، نقله عنهم القرطبي رحمه الله تعالى فقال : الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي ، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى ، وقيل : إن الخبر إذا تضمن حُكمًا شرعيًّا جاز نسخه كقوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَرًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

● هذا وقد تقدم قول الطبري رحمه الله أن الأخبار لا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر تعريف (الناسخ) ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : .. فالذي عليه الحُذَّاق من أهل السنة أنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيًا .

وقال ابن عطية : وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر أشهر أقسام النسخ ؟

ج : أشهر أقسام النسخ ثلاثة :

أولها : نسخ الحكم وبقاء التلاوة ، وهذا أكثر ما ورد ، ومن أمثلته :

قول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

وقول الله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور : ٢] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ﴾ [النساء : ١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأى الجمهور .

الثاني : نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (كان فيما أنزل الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله ورسوله) .

وهذا كان مما يتلى فنسخ وبقي حكمه ، والمراد بالشيخ والشيخة (المحصن والمحصنة) .

والثالث : نسخ التلاوة والحكم معًا مثل نسخ الرضعات من عشر إلى

خمس ، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن ثم نُسخن بخمسٍ معلوماتٍ ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على النسخ ؟

ج : من الأدلة على النسخ ما يلي :-

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أونُنسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : ١٠٦] .
- قول الله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل .... ﴾ الآية [النحل : ١٠١] .
- قول الله عز وجل : ﴿ ويمحو الله ما يشاء ويُثبت ﴾ [الرعد : ٣٩] .
- الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل الدالة على النسخ كتحويل القبلة في قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ونحوها .
- تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات .
- فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٥٢) .
وقال النووي رحمه الله (وهن فيما يُقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًّا حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًّا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى .

وثم أدلة أُخر في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :متى يُصار إلى الحكم بالنسخ ؟

ج : يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي :

١ – المخالفة : بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصًّا فهذا يأمر مثلًا وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر ، وهذا يُحل وهذا يُحرِّم .

٢ – تكافؤ الطرق : وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات ،ومعناه في الأحاديث أن يكون هذا صحيح وهذا صحيح مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ بل يُردُّ الضعيف ويعُمل بالصحيح فقط .

٣ – عدم إمكان الجمع : بمعنى أن الجمع بين الناسخ والمنسوخ يكون متعذرًا .

❋ ❋ ❋

س :ما هي الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة الناسخ والمنسوخ ؟

ج : لمعرفة الناسخ طرق منها :

● معرفة التأريخ (أي معرفة المتقدم من المتأخر) .

● ورود لفظٍ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[1] .

● إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديث من الأحاديث منسوخ ، أو قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مُدعمًا بدليل وحجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٧) ، وأبو داود (حديث ٣٢٣٥) ، والنسائي (٨٩/٤) ، والترمذي (حديث ١٠٥٤) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

س :اذكر مثالًا لنسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف ولمتساوي الوجهين ومثالًا لآية منسوخة وليس هناك تكليف مكانها ؟

ج : **أما مثال نسخ الأخف بالأثقل** فمنه قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام .

● **أما نسخ الأثقل بالأخف** فمنه قوله تعالى : ﴿ .. وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ﴾ [الأنفال : ٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى : ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعفًا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾ [الأنفال : ٦٦] فأصبح الرجل ينازل الرجلين بدلًا من منازلته للعشرة .

● **أما النسخ الذي تتساوي فيه الوجهتين** فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والله تعالى أعلم .

● أما الآية المنسوخة ولم يقم مكانها تكليف فهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ... ﴾ [المجادلة : ١٢] نسخت بقوله تعالى : ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ﴾ [المجادلة : ١٣] ، والله أعلم .

س : هل يُنسخ القرآن بالسنةِ والسنةُ بالقرآن ؟ اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي ، كما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣] .

● **أما المثالُ لنسخ السنة بالقرآن** فهو قوله تعالى : ﴿ ..فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركين تقتضي أنه إذا جاء أحدٌ[1] من المشركين مُسلمًا رده رسول الله ﷺ إلى المشركين فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ .

● **ومثال لنسخ القرآن بالسنة** على ما مثَّل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلًا ، الثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » نسخ قوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلًا ﴾ [النساء : ١٥] .

وكذلك حديث : « لا وصية لوارث » عند من صححه ، ناسخ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين .. ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فيه لأهل العلم قولان :

---

(١) القصة أخرجها البخاري بطولها في كتاب الشروط (حديث ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وفيها : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ... الحديث .

القول الأول : ﴿ أو ننسها ﴾ من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون المعنى : ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها .

● وقدر بعض العلماء هنا مقدَّر وهو (حُكْمُ) فالمعنى ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأت بخير منها أو مثلها .

● ويَرِدْ على هذا إيرادٌ وهو كيف تكون الآية باقية (أي متروكة لم تنسخ) ويُقال نأت بخير منها أو مثلها ، وللإجابة على ذلك وجوه :

أولها : أن المراد بننسها نثبت لفظها ونترك حكمها .

ثانيها : أن المراد بالآية : الآية من آيات التوراة فالمعنى ما ننسخ من آية من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها ، وما نُنسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها . لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم .

(أعني القول بأن المراد بالآية آية التوراة) .

القول الثاني : أن المراد بقوله تعالى : ﴿ نُنْسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] أي : نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء ، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه أن الذين قتلوا ببئر معونة أنزل الله عز وجل فيهم قرآنًا يُتلى (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نُسخ ذلك بعد .

● ومثال ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم (١٠٥٠) من حديث أبي الأسود قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى

المسبحات[1] فأُنسيتها غير أني حفظت منها . ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون أشق في العمل به من الآيات المنسوخة ؟

ج : وجه الخيرية في الآيات الناسخة من عدة نواحي :

الناحية الأولى : أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للآصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا .

الناحية الثانية : أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس .

الناحية الثالثة : أن الآيات الناسخة ، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة .

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلًا وآجلًا .

عاجلًا في كون بعضها سهل يسير يُخفف الله عز وجل به الأحكام .

وآجلًا في كون ثواب العمل بها أعظم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام قوله عز وجل : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ... ﴾ بقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : وجه ذلك بيان قدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه ، فالله عز وجل قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة ، ولكن يؤخر هذه ويُبدل

---

(١) أي السور التي تُفتتح بسبحان وسبح ونحوهما .

هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يُصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا[1] ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

❋ ❋ ❋

س : قد يأتي الخطاب موجهًا إلى شخص ويُراد به غيره أيضًا ، دلِّل على هذا ؟

ج : أما الدليل على هذا ففي قوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] فالخطاب صُدر لرسول الله ﷺ ، وأُريد به غيره أيضًا بدليل قوله : ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ .

● وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ١ ، ٢] فُصدِّر الخطاب بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي ﴾ وختم بقوله : ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ فدخل فيه غير النبي ﷺ أيضًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب لا تأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن ، وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له : كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك، وبعد ذلك يُرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلِّم ولا يعترض أدنى اعتراض ، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهرٌ حاذق ثقة ، فيفعل ما به يؤمر دون أي تردد ، بل وبنفس هادئة مطمئنة مستريحة لما يُقال له !!! .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في تأويل هذه الآية : ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما ما أشاء ، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء ، وأنهى عما أشاء ، وأنسخ وأبدِّل وأُغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي ما أشاء إذا أشاء ، وأُقرُّ منهما ما أشاء .

وهذا الخبر وإن كان من الله عز وجل خطابًا لنبيه محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمدًا ﷺ لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة ، فأخبرهم الله أن له مُلك السموات والأرض وسلطانهما فإن الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لأمره ونهيه ، وأن له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء ، ونسخ ما شاء وإقرار ما شاء وإنساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه ، ثم قال لنبيه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادوا لأمرى وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامي وحدودي وفرائضي ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم في أمري ونهيي وناسخي ومنسوخي فإنه لا قيم بأمركم سواي ولا ناصر لكم غيري ، وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم ، والمتوحِّد بنصرتكم بعزِّي وسلطاني وقوتي على من ناوأكم وحادَّكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أُعلي حجتكم وأجعلها عليهم لكم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل .. ﴾ [البقرة : ١٠٨] ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

أولها : أنهم المؤمنون ، والثاني : أنهم مشركو مكة ، والثالث : أنهم اليهود .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى حجج كل فريق نقلًا عن غيره من العلماء .

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون [1] ما يلي :

● الأول : أنه قال في آخر الآية : ﴿ ومن يتبدّل الكفر بالإيمان ﴾ [البقرة : ١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم ﴾ [المائدة : ١٠١] أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها نبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يُحرَّم من أجل تلك المسألة ، ولهذا جاء في الصحيح : « إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرِّم من أجل مسألته »[1] ولما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد امرأته مع رجل فإن تكلم تكلَّم بأمر عظيم وإن سكت سكت عن مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها[2] ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة ، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال[3] ، وفي صحيح مسلم : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجلٌ أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثًا ثم قال عليه السلام : « لا =

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرم من أجل مسألته » .

(٢) انظر البخاري (مع الفتح ٤٤٨/٨) ، ومسلم (٧١٤/٣) ، وأبو داود (٢٢٤٥) ، والنسائي (١٤٣/٦) ، وابن ماجه (٢٠٦٦) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) .

الثاني : أن قوله : ﴿ أم تريدون ﴾ [البقرة : ١٠٨] يقتضي معطوفًا عليه وهو قوله : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

فكأنه قال : وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم .

الثالث : أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى عليه السلام ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه .

الرابع : سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط .

قلت : **ومن حجج القول الثاني** : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

= ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم ... »[1] الحديث ، ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه : نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم – ثم قال – ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه ﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا[1] .

أما القول الثالث : فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود ، قال : لأن هذه السورة من أول قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي ﴾ [البقرة : ٤٠] حكاية عنهم ومحاجة معهم ، ولأن الآية مدنية ، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلًا كفرًا بالإيمان .

قلت : والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال ، وإن قال قائل بالعموم (أي أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوا)[2] فله وجه قوي والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١/٢٤٢ - ٢٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال : لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة .. ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (أم) إنها بمعنى بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكاري ، وهو يعمُّ المؤمنين والكافرين ، فإنه عليه السلام =

س : ما المراد بالسؤال في قوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم .. ﴾[البقرة : ١٠٨] ؟

ج : المراد سؤال الآيات أي طلب حدوث المعجزات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ ؟

ج : قال الراغب – كما نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل – : معناه لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل .

● وقال الزمخشري في كشافه : قوله تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل .

❋ ❋ ❋

= رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
١٠٩ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
١١٠

س : ما معنى ما يلي : ودَّ ؟

الكلمة	معناها
ودَّ	أحبَّ وتمنى

س : ما هو الحق الذي تبين لهم وعناه الله عز وجل بقوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : هذا الحق هو ما ظهر لهم من معرفتهم أن محمدًا هو رسول الله ﷺ حقًّا وأن دينه هو دين الحق[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعفو والصفح في قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] وما الفرق بين العفو والصفح ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – ترك المؤاخذة واللوم .

أما الفرق بين العفو والصفح : فالعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح هو إزالة أثره من النفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا .. ﴾ ؟

ج : من هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] فهذه الآيات وما على شاكلتها كانت تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذًى من عدوهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٩٠) بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال : من بعد ما تبين لهم أن محمدًا رسول الله ﷺ والإسلام دين الله .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ من عند أنفسهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن هذا الحسد من اليهود إنما هو من تلقاء أنفسهم فلم يأمرهم الله عز وجل أن يحسدوا الناس على الإيمان ، بل هم عصاة في هذا الحسد الذي يحسدونه للناس .

* * *

س : هل الحسد يكون من عند النفس وغير النفس حتى يقال : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ ؟

ج : الحسد يكون من النفس ، ولفظة الحسد تُعطي هذا المعنى ولكن قيل : من عند أنفسهم تأكيدًا وإلزامًا وإلصاقًا للتهمة بهم كما قال تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] وكما قال سبحانه : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرٌ من ماذا ؟

ج : هي مصدرٌ من المعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال الطبري رحمه الله تعالى : لأن في قوله : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ معنى : حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلًا منكم رءوفًا بكم رحيمًا ، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعًا ، فكان قوله : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرًا من ذلك المعنى .

قلت : فالمعنى حسدكم كثير من أهل الكتاب حسدًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالأمر في قوله تعالى : ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : الأمر هو الإذن بالقتال ، ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وفيه .. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم[1] .

وقال بعض أهل العلم : إن الأمر هنا هو قتل من قُتل ، وإجلاء من أُجلي ، وضرب الجزية على من ضُربت عليه .

وليس بين القولين تعارض إنما الثاني أكثر تفصيلًا من الأول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مستند القائلين بأن قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ منسوخ وبماذا نسخ على قول من قال إنه منسوخ ؟

ج : هو منسوخ عندهم بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾[2] [التوبة : ٢٩] وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] أما مستند القائلين

---

(١) وسيأتي تخريجه .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٧٩٧) : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] فأتى الله بأمره فقال : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ حتى بلغ ﴿ وهم صاغرون ﴾ أي صغارًا ونقمةً لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ .

بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه :

أن رسولَ الله ﷺ ركبَ على حمارٍ على قَطيفةٍ فَدَكية ، وأردَفَ أسامةَ بن زيد وراءهُ ، يعودُ سعدَ بن عُبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعةِ بدر ، قال : حتى مرَّ بمجلس فيه عبدُ الله بن أبيٍّ بن سَلول ، وذلك قبلَ أن يُسلمَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ، فإذا في المجلس أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عبَدةِ الأوثانِ واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبدُ الله بن رَواحة ، فلما غَشِيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابة خمَّرَ عبد الله بن أبيٍّ أنفَهُ بردائه ثم قال : لا تُغبِّروا علينا ، فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقفَ فنزلَ ، فدَعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلول : أيُّها المرءُ ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقًّا فلا تُؤذِينا به في مَجلسنا ، ارجعْ إلى رَحلِكَ فمن جاءك فاقصُصْ عليه . فقال عبدُ الله بن رَواحة : بلىٰ يا رسول الله ، فاغشَنا به في مجالسِنا ، فإنا نحبُّ ذلك . فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهودُ حتىٰ كادوا يتثاورون ، فلم يَزَل النبيُّ ﷺ يُخَفِّضُهم حتىٰ سَكنوا . ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهَ فسارَ حتىٰ دَخل على سعد بن عُبادةَ ، فقال له النبي ﷺ : « يا سعدُ ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يُريدُ عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا » . قال سعدُ بن عُبادة : يا رسولَ الله اعف عنه واصفَحْ عنه ، فوالذى أنزَلَ عليك الكتابَ ، لقد جاء الله بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوه فيعصِّبونهُ بالعصابة ، فلما أبىٰ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ الله شرِقَ بذٰلك ، فذٰلك ، فعلَ بهِ ما رأيت . فعفا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٦٦) ، ومسلم (حديث ١٧٩٨) .

عنه رسولُ الله ﷺ . وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه يَعفون عنِ المشركين وأهل الكتاب كما أمرَهُم الله ، ويَصطبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ ولتَسمعنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلكم ومنَ الذين أشركوا أذًى كثيرًا ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٦] وقال الله : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفارًا حسدًا من عندِ أنفسِهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] إلى آخر الآية . وكان النبيُّ ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به ، حتىٰ أذِنَ الله فيهم ، فلما غَزا رسول الله ﷺ بَدرًا فقتلَ الله به صَناديدَ كفَّار قريش قال ابن أبيٍّ بن سَلول ومَن معهُ منَ المشرِكينَ وعبَدةِ الأوثانِ : هذا أمر قد تَوَجَّه ، فبايَعوا الرسول ﷺ على الإسلام ، فأسلموا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد ؟

ج : ها هي بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد :

● **قال صاحب اللسان :** الحَسَدُ معروف حَسَدَه يَحْسِدُهُ حَسَدًا وحسَّده إذا تمنى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلتُهُ أو يُسلبهما هو قال :

وَتَرى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ شَتْمَ الرِّجال وعِرْضُهُ مشتُومُ

الجوهري : الحَسَدُ أن تتمنى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك يُقال حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حَسُودًا .

قال الأخفش : وبعضهم يقول يَحْسِدُهُ بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وحَسادةً وتحاسد القوم ، ورَجُلٌ حاسِدٌ من قَوْمٍ حُسد وحُسَّاد وحَسَدَةٍ مثل حَامل وحَمَلَة وحَسُودٌ من قومٍ حُسُدٍ والأنثى بغير هاء وهم يتحاسدون .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ١/١٦٦) : الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه ، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه ، والحق أنه أعم .

● **قال النووي رحمه الله** (شرح مسلم ٢/٤٦٤) : قال العلماء : الحسد قسمان حقيقي ومجازي ، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة .

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعة فهي مستحبة .

● **وقال القرطبي رحمه الله** (التفسير ٣/٧١) : الحسد نوعان محمود ومذموم ، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] وإنما كان مذمومًا ؛ لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

● **وقال الرازي في التفسير الكبير (٣/٢٣٨)** : إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد ، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة ، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجرٌ أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يُتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى .

❋ ❋ ❋

س : ما هي مراتب الحسد التي ذكرها العلماء ؟

ج : ذكر أهل العلم للحسد مراتب وهي :

المرتبة الأولى : أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه ، فقصد الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه ، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشده ذمًّا ، وخاصة إذا صحب هذا الحب والتمني عملٌ من أجله قال الله تعالى : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ [النساء : ٣٢] .

المرتبة الثانية : أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه كأن يكون لشخصٍ امرأةٌ جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو ، أو يكون لرجلٍ مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه وهذا ، وإن كان محرمًا ، إلا أنه أخف من النوع الأول .

المرتبة الثالثة : تمني عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب ، فهذا حسد على شيء مقدر فاعله ممقوت عند الله مستحقر عند الناس .

المرتبة الرابعة : أن لا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره ، ولكن يتمنى لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح ، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم ، والثاني وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود .. مذموم .

المرتبة الخامسة : أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمن زوالها عن الآخر ، ويدخل في هذه المرتبة

ما يسميه أهل العلم الغبطة ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وقال عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلا في اثنتين ... »[1] الحديث فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سَبَّاقهم وعلْيتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه .

● قال ابن القيم رحمه الله :

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله : ﴿ إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله وقيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك لإخوة يوسف .

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياءً منه وإجلالًا له أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضًا لما يحب الله ، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم ، هذا كله حسد تمني الزوال .

وللحسد ثلاث مراتب : إحداها هذه .

والثانية : تمني استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة

---

(١) أخره البخاري حديث (٥٠٢٥) ، ومسلم حديث (٨١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهذا حسد على شيء مقدر ، والأول حسد على شيء محقق ، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبدًا ولا يواسَى فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم ، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلا قهرًا يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم .

والحسد الثالث : حسد الغبطة وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة ، وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالًا وسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَرَ نَفْسِهِ وحب خصال الخير ، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سباقهم وعِليتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجهٍ ما .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسباب الحسد ؟

ج : ذكر العلماء للحسد جملة أسباب منها[1] :

١ - العداوة والبغضاء :

---

(١) ومردها في الغالب إلى ضعف الإيمان بالله عز وجل .

وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسبب وبدون سبب دنيوي ظاهر ، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه ويتمنى له من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتزول عنه النعم لما قدمه إليه من إساءة وبغي وعدوان .

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين فالكفار كما تقدم ، وكذلك المنافقون يودون من قلوبهم – لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان – أن تزول النعم عن المؤمنين وأن تنزل بهم البليات ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمة من ربهم عز وجل ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ .. وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط ﴾ [آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

٢ – حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح [١] :

فإذا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه ، وشعر أن غيره ينازعه

---

(١) والقصد الشرعي الصحيح مثل قول يوسف عليه السلام : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنى له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط والناس فيه أحوج ما يكونون إلى ذلك العدل .

في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يبتلى وأن يفتضح وأن تسوء سمعته في الناس حتى لا يصل إلى مرتبته بل ولا يقاربه فيها إلا من رحم الله .
فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن فيتمنى لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم والزهد والملك والثروة والجاه ، وذلك كله حتى ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ - الشح بالخير على العباد :

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكراهية الخير للناس ، فإذا سمعوا بمنعَمٍ عليه في صحة أو في عقل أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و .. جُن جنونهم وطار فؤادهم ونحل جسمهم بلا سبب إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد ، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلًا ربح مالًا أو رزق ولدًا أو تزوج بحسناء أو رزق إيمانًا وحكمة ومن هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥٤ ، ٥٥] .

قال الرازي في التفسير[1]: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ، ويقال : البخيل من بخل بمال غيره ، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة ، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث

---

(١) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة ، وإنما في تفسيره (٣/٢٤١) .

النفس ورذالة جبلته في الطبع ؛ لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته .

٤ - ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه :

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته فيتكبر عليه ويتعزز عليه فيخشي من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب فيريد أن لا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتى يبقيا في منزلة واحدة دفعًا لكبره ولتعززه ولتعاليه عليه .

● وقد قال الملأ الذين كفروا من قوم نوح : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم .... ﴾ [المؤمنون : ٢٤] .

٥ - خوف المزاحمة وفوت المقاصد :

وهو يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كالضرائر مثلًا ، كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج ونيل حبه والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه فمن ثم تحسد الأخرى وتتمنى زوال النعم عنها وتريد لها الزلل والخطأ .

وكذلك الأخوة يتزاحمون (إلا من رحم الله) للوصول إلى قلب الأب (وخاصة إن كان من ذوي التركات والأموال) كي يؤثر بعضهم على بعض ويفضل أحدًا على الآخر ، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال .

٦ - حب تسخير البشر للنفس :

فإذا كان الرجل ثريًّا من الأثرياء أو كبيرًا من الكبراء يرى الناس كل يوم وقوفًا ببابه يسخرهم كيفما شاء ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع ، وإذا رأى بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالًا

أو جاهًا وعلى إثره سيخرج من حيز تسخيره ويشق طريقه في حياته مستغنيًا عنه ، كره ذلك له وتمنى بقاءه أبد الدهر مسخرًا له مذللًا معه لا يقوم له قدر ولا يرتفع له شأن ولا يتحصل له مال حتى يبقى مسخرًا له خاضعًا لسلطانه مطيعًا لأوامره .

ومن هذا الباب ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : فيَّ نزلت : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ [الأنعام : ٥٢] قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تدني هؤلاء ، وفي رواية كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢].

● ومن هذا قول قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ومن هذا قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ : ﴿ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] بل وقولهم في حسدهم رسول الله : ﴿ .. لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] كأنهم يقولون كيف نقدم علينا غلامًا يتيمًا ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطىء له رءوسنا .

* * *

س : اذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل ؟

ج : ورد ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل في أربع مواطن :

الأول : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم

من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

الثاني : قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

الثالث : قوله عز وجل : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ .. ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] .

❋ ❋ ❋

س :اذكر بعض الآيات التي ورد فيها الحسد تلميحًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله عز وجل : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ [يوسف : ٨ ، ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] .

● وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

● وقال جل ذكره : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ [آل عمران : ١٩] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ... ﴾ [الشورى : ١٤] .

● وقوله سبحانه : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها .. ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

● وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [المائدة : ٢٧ - ٣٠] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ﴾ [القلم : ٥١] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ فقالوا[1] أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ [المؤمنون : ٤٧] .

* * *

س : هل لإيراد قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] عقب قوله عز وجل :

---

(١) أي قوم فرعون ، يقولون ذلك لموسى وهارون .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ﴾ [البقرة : ١٠٩] وجه اتصال وربط بين الآيتين ؟

ج : ذكر العلماء للربط بين الآيتين وجوهًا منها :

الأول : أن المسلمين : في الظرف الذي لا يكن مواتيًا للجهاد عليهم أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وفعل الخيرات إبقاءًا على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد .

الثاني : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ليطهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركُون من كان ركن منهم إليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ راعنا ﴾ إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب وإيتاء الزكاة تطهيرًا للنفوس والأبدان من أدناس الآثام ، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله .

الثالث : قال الزجاج في تفسيره : ثم نبه الله سبحانه إلى بعض وسائل النصر الذي وُعدوا به وهو أداء الصلاة .

الرابع : هو أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ الحث على الإقبال على ما ينفع من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات وعدم الالتفات إلى حسد الحاسدين فكيدهم في تباب وأمرهم في وبال وسعيهم في خسار ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالخير في قوله تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] وهل في الآية الكريمة شيء مضمر ؟

ج : الخير هنا يُراد به العمل الذي يرضاه الله عز وجل .

وقد يأتي الخير على غير هذا المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات : ٨] فالخير هنا (المال) على قول الكثير من أهل العلم ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ما أنفقتم من خير .. ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

● أما هل في الآية الكريمة مضمرٌ أم لا ؟ فأشار فريق من أهل العلم إلى أن فيها مضمر وهو الثواب فيكون المعنى : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله .

قال الطبري رحمه الله : و (الخير) هو العمل الذي يرضاه الله ، وإنما قال : ﴿ تجدوه ﴾ والمعنى تجدوا ثوابه ، ثم قال : لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عُمر بن لجأ :

وسبَّحت المدينةُ لا تَلُمْهَا ... رَأَتْ قمرًا بسُوقِهِم نَهَارًا

وإنما أراد : وسبَّح أهل المدينة .

❋ ❋ ❋

وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

هودًا – أمانيهم – برهانكم – أسلم – أسلم وجهه لله .

ج :

الكلمة	معناها
هُودًا	جمع هائد، والهائد هو التائب الراجع إلى الحق[1]، قاله الطبري .
أمانيهم	جمع أمنية وهي ما يتمناه الشخص
برهانكم	حجتكم – بينتكم[2]
أسلم	استسلم وخضع
أسلم وجهه لله	انقاد لأمر الله– أسلم النفس لطاعة الله– أخلص لله.

(١) وليس مراد اليهود بقولهم لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أي من كان تابعًا راجعًا إلى الحق وإنما مرادهم من كان على شريعتهم وشاكلتهم ، والله أعلم .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ هاتوا بينتكم (الطبري بإسناد حسن ١٨٠٤) .

س : اذكر بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى ؟

ج : من هذه الادعاءات ما يلي :

- **دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يُعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ [المائدة : ١٨] .

- **دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقال سبحانه : ﴿ .. ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] .

- **دعوى اليهود أن المهتدي هو اليهودي وقول النصارى إن المهتدي هو النصراني .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

- **دعوى اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا اليهودي ، ودعوى النصاري أن الجنة لن يدخلها إلا النصراني .**

قال الله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٠ ، ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إجمالٌ ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا وليس المعنى أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وليس المعنى أيضًا أن النصاري قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ذلك لأن كل فرقة منهما تضلل الأخرى كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا عُبِّر بالوجه دون سائر الجوارح في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] ؟

ج : للعلماء على ذلك أجوبة ثلاث :

أولها : أن الوجه خصَّ بالذكر لكونه أكرم أعضاء ابن آدم وأشرفها وهو أعظمها حُرمة عليه وحقًّا فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له .

الثاني : أن الوجه قد يُكنى به عن الذات كما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ٢٠] .

الثالث : أن أعظم العبادات هي السجدة وإنما تحصل بالوجه فلا جرم خصَّ الوجه بالذكر ، ولهذا قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمتُ وجهي لمن أَسْلَمَتْ له المُزْنُ تحمل صخرًا ثِقالًا
وأسلمتُ وجهي لمن أَسلَمَتْ له المزن تحمل عذبًا زلالًا

❋ ❋ ❋

س : انتظمت الآية الكريمة : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ [البقرة : ١١٢] شرطين لثبوت الأجر على العمل ما هما هذان الشرطان ؟

ج : أما الشرط الأول فهو **إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى** ، وهذا مأخوذ من قوله عز وجل : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾ [البقرة : ١١٢] .

● والشرط الثاني **اتباع الرسول ﷺ** ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] أي متبع فيه للرسول ﷺ ، وهذا المعنى موجود في آيات أُخر كقوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] فلا بد أن يكون العمل خالصًا صوابًا ، خالصًا لله ، صوابًا في كونه موافقًا لسنة رسول الله ﷺ ، فإذا اختل شرط من الشرطين وانتقص فالعمل مردود .

● قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[1] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا .. ﴾ [النور : ٣٩] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وفي لفظ مسلم : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

● وقال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾ [النساء : ٤٢] .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح بطلان العمل وذهاب ثوابه إذا لم يكن خالصًا لله صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

خزيٌ – أينما – تولوا – فثمَّ وجه الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
خزي	الذُّل والصغار .
أينما	حيثما .
تولوا	تتجهوا وتقبلوا ، وهي من الأضداد لكن معناها هنا ما ذكرناه .
فثم وجه الله	هنالك قبلة[1] الله –فثم الله تبارك وتعالى – فثمَّ تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم .

(١) ولا تعلق لهذا بنفي صفة الوجه لله تعالى ، فصفة الوجه ثابتة من نصوص أُخر ، وقد روي هذا التفسير بأسانيد تصح عن مجاهد عند الطبري .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن اليهود كفَّروا النصارى وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع أن اليهود يتلون التوراة وفيها الأمر بالتصديق بعيسى ﷺ .

وكذلك النصارى كفَّروا اليهود وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع كون النصارى يقرءون الإنجيل وفيه الأمر بالتصديق بموسى ﷺ .

وجاء مشركو العرب – وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾[1] فقالوا مثل مقالة اليهود والنصارى فقالوا : إن محمدًا ﷺ ومن معه ليسوا على شيء ، فالله يفصل بين هؤلاء جميعًا ويحكم فيهم ويقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾ [الحج : ١٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾[2] [سبأ : ٢٦] .

* * *

---

(١) هذا على رأي الجمهور ، فذهب الجمهور إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم مشركو العرب ، بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم قوم قبل اليهود والنصارى ، قالوا مثل ذلك فيمن خالفهم ، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم : إنهم ليسوا على شيء.

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود : ليست النصارى في دينها على صواب ، وقالت النصارى : ليست اليهود في دينها على صواب ، =

س : في الآية الكريمة : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] توبيخ لليهود والنصارى ، ومن طرف خفي توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ ، وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا التوبيخ في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ أي : أنهم تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه ، فالوقوع في الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان ، وإن كان قبيحًا على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة للكتب أشد قبحًا وأفظع جرمًا وأعظم ذنبًا .

● وفي هذا أيضًا توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ مع اتفاقهم على تلاوة القرآن[1] ، قال القاسمي في محاسن التأويل : فها هنا تسكب العبرات

= وإنما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين إعلامًا منه لهم بتضييع كل فريق منهم حُكم الكتاب الذي يُظهر الإقرار بصحته وأنه من عند الله ، وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيَّته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام ، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض .

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] مع تلاوة كل واحدٍ من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك ، فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون .

(١) ويرد في ذم من كذب على علم وضلَّ بعد بيان ، قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم =

بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان ، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين .

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

مع أن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف ، فقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقد امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعما مضت عليه جماعة المسلمين .

* * *

س : ما معنى الواو في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : الواو هي واو الحال ، والمعنى – أن كل فرقة قالت في الأخرى التي قالت مع كونها تتلو الكتاب ، والكتاب يُكذبها فيما قالت من شأن الكفر بالأنبياء عليهم السلام .

* * *

= يتفكرون﴾ [الأعراف : ١٧٣ – ١٧٦] وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [الجمعة : ٥] .

س : من المعلوم أن اليهود على ضلال وكذلك النصارى وكلاهما ليس على شيء وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » فلماذا عتب الله على اليهود لما قالوا : ﴿ ليست النصارى على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] وعلى النصارى لما قالوا : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : وجه هذا العتاب لكون كل فريق أنكر على الآخر شيئًا ثابتًا في دينه وثابتًا في الحقيقة ألا وهو نبوة موسى ونبوة عيسى عليهما السلام ، فلما أنكر اليهود على النصارى إيمانهم بعيسى (على الوجه الصحيح من أنه عبد الله ورسوله) وأنكر النصارى على اليهود إيمانهم بموسى عليه السلام[1] عتب الله عز وجل على الفريقين مقالتهما ، وقد روى الطبري[2] وابن أبي حاتم بأسانيدهما عن قتادة قال : قوله : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾ قال : بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا ، وقالت النصارى : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ ولكن القوم ابتدعوا وتفرَّقوا .

* * *

س : كيف قيل في اليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء مع كونهم يقرون بالخالق سبحانه وتعالى وببعض أسمائه وصفاته ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم ليسوا على شيء يُعتد به في أمر التصديق

---

(١) قال الطبري رحمه الله : ومعنى ذلك : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها .

(٢) أخرجه الطبري (١٨١٣) بإسناد حسن ، وابن أبي حاتم (التفسير ١١١١) .

بالأنبياء عليهم السلام فما داموا كفروا بأحدهم فقد كفروا بجميعهم كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] ويُقال أيضًا : إن الكفر الذي أتوا به أحبط عملهم الذي عملوه وأذهب ثواب الخير القليل الذي اعتقدوه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى القيامة ؟ ولماذا أطلق على يوم القيامة يوم القيامة ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما القيامة فهي مصدرٌ من قول القائل : قمت قيامًا وقيامةً كما يقال : عُدت فلانًا عيادةً ، وصنت هذا الأمر صيانةً .

وإنما عُني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم ، فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

● الأول : أنهم النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس ويمنعون الناس من الصلاة فيه .

● الثاني : أنه بختنصر البابلي المجوسي وجنده ومن أعانهم من النصارى[1] .

---

(١) **قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى** : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال : عني الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت =

= المقدس ، وأعانوا بختنصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصَّر عنهم إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها[1] وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام ، وإذا كان ذلك كذلك وكان معلومًا أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم[2] ، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم .

وأخرى : أن الآية التي قبل قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمِّ أفعالهمّ ، والتي بعدها نبهت بذمِّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكرٌ ، ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجَّه الخبر بقول الله عز وجل : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام .

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها إذ كان خبرها لخبرهما نظيرًا وشكلًا إلا أن تقوم حُجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وإن اتفقت قصصها فاشتبهت . انتهى المراد من قول ابن جرير رحمه الله .

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فلم يرتضِ اختيار الطبري رحمه الله =

(١) أراد القول الأول والثاني والثالث من الأقوال التي قدمناها .

(٢) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ [التوبة : ١٩] .

= بل اختار القول القائل أنهم مشركو قريش ، وعلل ذلك بقوله : لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود ، وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولًا إذ ذاك لأنهم لُعِنُوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم[1] ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وأيضًا فإنه تعالى لما وجَّه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذمِّ المشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام : وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسعَ في خراب الكعبة فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يَعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليما ﴾ [الفتح : ٢٥] فقال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، فإذا كان من هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها فأي خراب لها أعظم من ذلك ، وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط إنما بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك . انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله . =

(١) قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .. ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

= ● أما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فرفض اعتراض الحافظ ابن كثير وانتصر لما قاله الطبري رحمهم الله جميعًا ، فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه تأويل الآية والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير ، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري ، وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام يدخل في عموم معنى قوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ ، ولكن سياق الآيات السابقة ثم التي تليها توجب كما ذهب إليه الطبري أن يكون معنيًّا بها منْ كانت الآيات النازلة في خبره وقصته ، والآياتَ السالفة جميعًا خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى ، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَر رسول الله ﷺ ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم ﷺ ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعًا ، يهوديهم ونصرانيهم وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة ، ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصارى كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل فعدَّد سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولدًا ثم قول بعضهم : ﴿ لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] وأن ذلك شبيه بقول اليهود : ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ [النساء : ١٥٣] ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا ، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ، ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعًا لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم في الافتراء على رب العالمين .

فالسياق كما ترى بمعزل عن المشركين من العرب ، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوانُ الله عليهم تختلط عليهم المعاني حين تتقارب ، ولكن أبا جعفر[1] صابر على كتاب ربه مطيق لحمله لا يعجله شيء عن شيءٍ ما استطاع فهو يخلص معاني كتاب ربه تخليصًا لم أجده قط لأحدٍ بعده ممن قرأ كتابه ، وأكثرهم يعترض ولو صبر =

(١) يعني الطبري .

الثالث : أنهم مشركو قريش إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وحالوا بينه وبين دخول مكة .

الرابع : أنهم مشركو قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ من الدعاء إلى الله بمكة وألجئوه إلى الهجرة .

الخامس : ذكره الرازي قال : وهو أقرب إلى رعاية النظم قال : وهو أن يُقال : إنه لما حوِّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة ، ولعلهم سعوا أيضًا في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها ، وسعوا أيضًا في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يُصَلُّوا فيه متوجهين إلى القبلة فعابهم الله بذلك وبيَّن سوء طريقتهم فيه .

السادس : أنها عامة في كل ظالم منع أي مسجد من مساجد الله أن يذكر

= على دقة هذا الإمام لكان ذلك أولى به وأشبه بخلق أهل العلم وهم له أهل ، غفر الله لنا ولهم . انتهى ما قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

هذا وقد خطأ أبو بكر الرازي الوجه المذكور بقوله : إنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح ، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس ، وأيضًا فإن النصارى يعتقدون في بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه[1] .

---

(١) قلت : أخرج الطبري (١٨٢٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] أولئك أعداء الله النصارى ، حملهم بُغض اليهود على أن أعانوا بختنصَّر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .

أما نقل اتفاق أهل السير فلا نكاد نصدقه إذا اختلف مع المنقول عن التابعين رحمهم الله ، والله أعلم .

فيه اسم الله عز وجل .

* * *

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿ مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : الإضافة إضافة تشريف كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله ﴾ [الشمس : ١٣] .

* * *

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلمَ ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذَّب بآيات الله وصدف عنها ﴾ [الأنعام : ١٥٧] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٤٤] وقوله تعالى في الحديث القدسي : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ... »[1] ؟

ج : الجمع بين هذه له طرق :

الأول : أن يتنزل هذا على الاختصاص بمعنى أن يقال : ليس هناك من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ، وليس من المكذبين أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وليس من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس .. وليس من المصورين أظلم ممن ذهب يضاهي بخلق الله ويحاول بزعمه أن يخلق كخلقه .

الثاني : أنهم جميعًا في الظلم سواء .

الثالث : أن المراد تبشيع هذه الأفعال وتجريم فاعليها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٥٩) ، ومسلم (حديث ٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك أقوال :

الأول : أن هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا عن الاستيلاء عليها ومنع المؤمنين منها ، فالمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الظلمة وعتو الكفرة والفجرة .

الثاني : أن هذا خبر معناه الأمر ، والمعنى لا تمكنوا هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها واجتهدوا في منعهم من دخول مساجد الله إلا في حال هم فيه خائفون كأن يكونوا أسارى يربطوا أو يحاكموا في المساجد ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨]، وكالوارد في قول أبي هريرة : (ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان)[١] .

الثالث : أن هذا إخبار عن حال الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، فكان من شأنهم أنهم لم يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين كما قال قتادة[٢] : ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ وهم

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال : (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهطٍ يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) .

(٢) أخرجه الطبري (١٨٢٧) ، بإسناد حسن عن قتادة .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تُصلي إليها اليهود ، عوقبوا شرعًا وقدرًا بالذِّلة فيه إلا في أحيان من الدهر أُشحن بهم بيت المقدس ، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضًا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم ، والله أعلم .

اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نُهك ضربًا وأُبلغ في العقوبة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخزي في قوله تعالى : ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : المراد بالخزي العار والشرِّ والذِّلة ، وهذا يكون بأمور منها :

- القتل والسبي .
- أداء الجزية عن يد وهم صاغرون .
- ظهور المهدي وإنزال هزيمة هؤلاء على يديه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها ؟

ج : ورد في ذلك شيء كثير نورد منه ما يلي :

- **إضافة المساجد لله عز وجل :** – وهي إضافة تشريف – في قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] .

- **أذن الله عز وجل برفعها** كما قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] .

● **جعل الله عمارتها دليلًا على الإيمان** كما قال سبحانه : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٨] .

● **جعل الله عز وجل مُخرِّب المساجد أظلم الناس** ، قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] .

● **المساجد خير بقاع الأرض** فقد ذكر ذلك النبي ﷺ[(١)] .

● **بوَّابو المساجد هم الملائكة** يكتبون الداخل أولًا بأول .

● **كافأ الله عز وجل من بنى مسجدًا ببيت في الجنة** كما قال النبي ﷺ : « من بنى لله مسجدًا (يبتغي به وجه الله) بنى الله له بيتًا في الجنة »[(٢)] .

● **جُعل للماشي إلى المسْجد عظيم الأجر وجزيل الثواب** فقد قال النبي ﷺ : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجتة »[(٣)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة كلما غدا أو راح »[(٤)] .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجل لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه ، وكان لا تخطئه صلاة ، قال : فقيل له:

---

(١) وقد تقدم ذلك ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٠) ، ومسلم (حديث ٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢) ، ومسلم (حديث ٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أو قلت له : لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء ، قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله »[1].

ونحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، قال : « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . دياركم تكتب آثاركم »[2] .

● وَعَدَّ النبي ﷺ مما يمحو الله به الخطايا كثرة الخطا إلى المساجد ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط »[3] .

● وكان جزاء من تعلَّق قلبه بالمسجد أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[4].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) .

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٢٣) ، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم =

● وتكريمًا للمساجد أمر النبي ﷺ من دخلها أن يركع ركعتين قبل أن يجلس [1].

● وشرع لمن دخلها أن يقول : اللهم افتح لي أبواب رحمتك [2] .

● وعُدَّ البزاق في المسجد خطيئة وكانت كفارتها دفنها[3] .

● ونزَّه رسول الله ﷺ المساجد عن خبيث الرائحة فقال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزل مسجدنا »[4] ، ولما بال الرجل في المسجد قال النبي ﷺ : « إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن »[5]

* * *

= لا ظل إلا ظله ... ، ورجل قلبه معلق في المساجد ... » الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٤٤) ، ومسلم (حديث ٧١٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

(٢) أخرج مسلم (حديث ٧١٣) من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ... » الحديث .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (حديث ٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥٤٥٢) ، ومسلم (حديث ٥٦٤ ص ٣٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا » .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

● والملائكة تصلي على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يُحْدِث[1].

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] وسبب نزولها ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ أي : ولله ملك المشرق والمغرب ، أما قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ فللعلماء فيه أقوال :

● منها أن هذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فيصلي الشخص النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت به كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إنما نزلت هذه الآية ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوُّعًا ، ويلتحق بالمسافر الخائف والمطلوب والمقاتل ونحو ذلك .

● ومنها أن معنى الآية الكريمة : ولله المشرق والمغرب فأينما توجهتم في سفركم فثم (هنالك) قبلة الله فاتجهوا إليها .

● ومنها أن هذه الآية الكريمة كانت قبل الأمر بالتوجه إلى القبلة فلما نزل قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] نسخها[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٨٣٥) قال : قوله عز وجل : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

هذه هي أقوى الأقوال في تأويل هذه الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم .

س : هل لهذه الآية ﴿ ولله المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة : ١١٥] صلة بالآية التي قبلها ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : هي لها [مواصله] ، وإنما معنى ذلك : ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، ولله المشرق والمغرب فأينما توجِّهوا وجوهكم فاذكروه فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرَّب مسجد بيت المقدس ومنعهم من مَنعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه .

❋ ❋ ❋

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سبحانه – قانتون – بديع ؟

ج :

الكلمة	معناها
سبحانه	تنزه عن الولد خاضعون مطيعون[1] – مقرون بالعبودية – قائمون يوم القيامة ، والقنوت يطلق على القيام في الصلاة أيضًا كما قال النبي ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت » .
قانتون	ويطلق على السكوت أيضًا ، فكان الصحابة يتكلمون في الصلاة حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأمروا بالسكوت ، ويطلق على الدعاء كذلك .
بديع	هو المبدع ، وبديع السموات والأرض منشؤهما على غير مثالٍ سابق (وسُمي المبتدع مبتدعًا لإحداثه منه ما لم يسبقه إليه غيره) .

(١) فإن قيل : الكافر غير مطيع لله فالإجابة أن أقدار الله عز وجل من موت وحياه ومرض =

س : من هم الذين قالوا : اتخذ الله ولدًا ؟

ج : هم اليهود والنصارى وطوائف من أهل الشرك ، فاليهود قالوا : عُزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطوائف من المشركين قالوا : الملائكة بنات الله .

قال الله عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ [النحل : ٥٧] .

* * *

س : ما معنى سبحانه في قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : معناها هنا – والله أعلم – : تنزه عن الولد .

* * *

= ومصائب وحوادث ورزق وولد ونحو ذلك تجري عليه رغم أنفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى معاني القنوت في قوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها ، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدًا بقوله : ﴿ بل له ما في السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] ملكًا وخلقًا ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض [أنها] مُقرة بدلالتها على ربها وخالقها وأن الله تعالى بارئها وصانعها ، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك وأن المسيح أحدهم فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته ؟!!!

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى وتبين جرم من جعل لله عز وجل ولدًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [الإخلاص : ١ -٤] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا* لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا ﴾ [مريم : ٨٨ -٩٤] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ [الأنعام : ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ﴾ [الكهف : ٤ ، ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] .

● وقال الله عز وجل في الحديث القدسي : « كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لي كفوًا أحد »[1] .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بل له ما في السموات

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٣٩/٨) ، والنسائي (١١٢/٤) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل .

والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] عقب قوله عز وجل : ﴿وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك كما قال الطبري رحمه الله : وكيف يكون المسيح لله ولدًا وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض ولله ملك ما فيهما ، ولو كان المسيح ابنًا كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١١٧] عقب قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل بيَّن وأوضح أنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق ، وكذلك فهو قادر على خلق المسيح من غير أبٍ على غير مثالٍ سابق[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : قسم بعض أهل العلم البدعة إلى قسمين اذكرهما مع مثالٍ لكل منهما؟

ج : قسم بعضهم البدعة إلى قسمين[(٢)] :

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : فمعنى الكلام : سبحان الله أنَّى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعًا بدلالتها علية بالواحدانية وتقرُّ له بالطاعة وهو بارئها وخالقها ومُوجدها من غير أصل ولا مثالٍ احتذاها عليه ، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوَّته وإخبارٌ منه أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والدٍ بقدرته .

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، وقال القرطبي رحمه الله : كل بدعةٍ صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولًا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيِّز المدح وإن لم يكن =

● بدعة شرعية كقول النبي ﷺ : « وكل بدعة ضلالة »[1] .

● بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على صلاة التراويح نعم البدعة هذه[2] .

= مثاله موجودًا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد سُبق إليه ، ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه : نعم البدعة هذه ، لمَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيِّز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة ، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيِّز الذم والإنكار قال معناه الخطابي .

قلت (القائل هو القرطبي رحمه الله) : وهو معنى قوله ﷺ في خطبته : « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[1] يريد ما لم يوافق كتابًا أو سنته أو عمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد بيَّن هذا بقوله : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنه سيئة كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[2] وهذا إشارة إلى كل ما ابتدع من قبيح وحسن وهو أصل هذا الباب ، وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره .

(١) أخرجه مسلم ، (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومساكم ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٠) من طريق عبد الرحمن بن عبدٍ القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا (مصحوبًا بقصة) .

س : ما معنى ﴿ قضى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] ؟

ج : قضى هنا بمعنى أحكم وأمضى وفرغ منه ، قال الطبري رحمه الله يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] وإذا أحكم أمرًا وحتمه[1] ، وأصل كل (قضاء أمرٍ) الإحكام والفراغ منه ، ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس (القاضي بينهم) لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به ، ومنه قيل للميت (قد قُضي) يُراد به قد فرغ من الدنيا : وفصل منها ، ومنه قيل : (ما ينقضي عجبي من فلان) يُراد ما ينقطع ومنه قيل (تقضَّى النهار) إذا انصرم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] أي فصل الحكم بين عباده بأمره إياهم بذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرغنا إليهم منه .

ومنه قول أبي ذؤيب :

وَعَليهما مَسْرُودتـان[2] قَضَاهما داودُ أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[3]

ويروى وتعاوَرا[3] مَسرودَتَين قَضَاهما .

---

(١) حتم الأمر أي قضاه قضاء لازمًا .

● وقال القرطبي رحمه الله : وقال الأزهري : قضى في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه .

● وقال القرطبي أيضًا : قال علماؤنا : ﴿ قضى ﴾ لفظ مشترك : يكون بمعنى الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] أي خلقهن ويكون بمعنى الإعلام ، قال الله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمنا ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام ، ومنه سُمِّي الحاكم قاضيًا ويكون بمعنى توفية الحق قال الله تعالى : ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ [القصص : ٢٩] ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [غافر :٦٨] أي إذا أراد خلق شيء .

(٢) مسرودتان أي درعان .

(٣) تعاورنا فلانًا بالضرب ضربناه واحدٌ بعد واحد .

ويعني بقوله (قضاهما) أحكمهما ، ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قضيت أمورًا ثم غادرت بعدها بوائق[1] في أكمامها لم تفتق

ويروى « بوائج »[2]

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني الأمر في كتاب الله عز وجل ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا .

● **الأول : الدِّين** قال الله تعالى : ﴿ حتى جاء الحق وظهر أمر الله ﴾ [التوبة : ٤٨] يعني دين الله الإسلام .

● **الثاني : القول** ومنه قول الله تعالى : فإذا جاء أمرنا) [المؤمنون : ٢٧] يعني قولنا[3] ، وقوله : ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ [طه : ٦٢] يعني قولهم .

● **الثالث : العذاب** ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لما قضي الأمر ﴾ [إبراهيم : ٢٢] يعني لما وجب العذاب بأهل النار .

● **الرابع : عيسى عليه السلام** ، قال الله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا ﴾ [آل عمران : ٤٧] يعني عيسى[4] وكان في علمه أن يكون من غير أب .

---

(١) البوائق جمع بائقة وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرةً لا تُسد ، والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه وقوله (لم تفتق) أصلها تتفتق، حذف أحد التاءين وتفتق الكم عن زهرته أنشق وانفطر ، قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقال أيضًا .

(٢) بوائج جمع بائجة وهي الداهية التي تنفتق انفتاقًا منكرًا فتعم الناس وتتابع عليهم شرورها .

(٣) ولمنازع أن ينازع في هذا المعنى في هذا الموطن ، وكذلك في بعض المعاني المذكورة في غيره من الأوجه التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٤) وهذا أيضًا مما يُنازع فيه .

● **الخامس : القتل ببدر** ، قال الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ [غافر : ٧٨] يعني القتل ببدر ، وقوله تعالى : ﴿ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] يعني قتل كفار مكة .

● **السادس : فتح مكة** ، قال الله تعالى : ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : ٢٤] يعني فتح مكة .

● **السابع : قتل قريظة وجلاء بني النضير** ، قال الله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

● **الثامن : القيامة** ، قال الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله ﴾ [النحل : ١] .

● **التاسع : القضاء** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر ﴾ [يونس : ٣١] يعني القضاء .

● **العاشر : الوحي** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ [السجدة : ٥] يقول يُنزل الوحي من السماء إلى الأرض ، وقوله ﴿ يتنزل الأمر بينهن ﴾ [القمر : ١٢] يعني الوحي .

● **الحادي عشر : أمر الخلق** ، قال الله تعالى : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [الشورى : ٥٣] يعني أمور الخلائق .

● **الثاني عشر : النصر** ، قال الله تعالى : ﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعنون النصر ، ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعني النصر .

● **الثالث عشر : الذنب** قال الله تعالى : ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ [الطلاق : ٩] يعني جزاء ذنبها .

● **الرابع عشر : الشأن والفعل** قال الله تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ [هود : ٩٧] أي فعله وشأنه وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون

عن أمره ﴾ [النور : ٦٣] أي فعله[1] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أراد الله عز وجل أمرًا فهل يتحقق هذا الأمر بدون قولٍ منه سبحانه أم أنه يتحقق بقول الله عز وجل ﴿ كن ﴾ وما في معناه ؟

ج : ذهب بعض العلماء مذهبًا ضعيفًا هنا فقالوا : إن ما يريده الله سبحانه وتعالى يتحقق بدون قول ﴿ كن ﴾ ، وقالوا إن قول الله عز وجل ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ نظير قول القائل (قال فلان برأسه) و(قال بيده) إذا حرَّك رأسه ، أو أومأ بيده و لم يَقل شيئًا ، قالوا وهو كقول عمرو بن حممة الدوسي :

فَأَصبَحتُ مثل النِّسر طارتْ فِرَاخُهُ ... إذا رامَ تَطْيَارًا يُقال له قَعِ

قالوا : ولا قول هناك ، وإنما معناه إذا رام طيرانًا وقع .

قلت : وهذا مذهب ضعيف والصواب من القول ما ذكر الله في كتابه حيث قال سبحانه :

● ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١٠٩] وفي الحديث القدسي في قصة الرجل الذي لم يفعل خيرًا قط وحضرته الوفاة فقال : « إذا أنا مِتُّ فحرِّقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم في يومٍ عاصف ... » الحديث وفيه أنهم فعلوا به ما أمرهم فقال الله

---

(١) وفي بعض ما ذكره القرطبي من المعاني نظر ، والله تعالى أعلم .

له كن رجلًا فإذا هو رجل قائم بين يدي الله عز وجل[1] .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ... ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق عن رسول الله ﷺ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾
وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

لولا - يوقنون - الجحيم - ملتهم - ولي - نصير - يتلونه حق تلاوته ؟

ج :

الكلمة	معناها
لولا	هلا

الكلمـة	معناهـا
يوقنون	يُصدِّقون ويتبعون المرسلين ويذعنون لأوامر الله عز وجل
الجحيم	هي النار إذا شبت وقودها
ملتهم	دينهم
وليِّ	مَن يتولاك ويقوم بأمرك
نصير	ناصر ينصرك
يتلونه حق تلاوته	يتبعونه حق اتباعه ويقومون به خير قيام ، ومن تفسير التلاوة بالاتباع قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ [الشمس : ٢] ، وقيل في يتلونه حق تلاوته يرتلونه حق ترتيله ، وقيل لا يحرفونه ولا يغيرونه ولا يبدلونه ، والقول الأول عليه أكثر أهل العلم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين لا يعلمون المذكورون في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟ ومن هم الذين من قبلهم المذكورون في نفس الآية أيضًا ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بـ ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هنا هم النصارى ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لأن سياق الآيات المتقدمة فيهم .

● وقال آخرون هم النصارى ومعهم اليهود أيضًا فقد تعنت اليهود وطلبوا الآيات من موسى عليه السلام فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة إلى غير ذلك من الآيات الواردة في تعنتهم .

● وقال أكثر المفسرين إن الذين لا يعلمون هم مشركو العرب فهم الذين تعنتوا وطلبوا الآيات من رسول الله ﷺ كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنَبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠-٩٣] .

وقالوا : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ [الأنبياء : ٥] وقال تعالى : ﴿ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفًا منشرة ﴾ [المدثر : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● والصواب من القول أن يُقال إن الذين لا يعلمون هم الجهلة من هذه الفرق من النصارى واليهود وأهل الشرك الذين سألوا أنبياءهم الآيات ، والله تعالى أعلم .

أما الذين من قبلهم فمبنية على تفسير ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١١٨] ، فإن قيل الذين لا يعلمون هم مشركو العرب فالذين من قبلهم هم أهل الكفر بصفة عامة من قوم نوح وهود وصالح و ... ومن اليهود والنصارى كذلك .

وإن قلنا إن ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم النصارى فالذين من قبلهم هم اليهود وسائر أمم الكفر ، وإن أطلقنا القول فالذين من قبلهم هم الكفار الذين تقدموا وسألوا الآيات ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف تجمع بين قوله تعالى ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ [البقرة : ١١٨] وبين قوله عز وجل ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] ؟

ج : وجه الجمع أن قلوبهم متشابهة في كفرهم وعنادهم وتعنتهم وزيغهم كما قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به ﴾ [الذاريات : ٥٢ ، ٥٣] أي كأنهم تواصوا بتكذيب الرسل ووصفهم بالسحر والجنون ، أما قوله تعالى ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] فهذا في التعاملات التي تجري بينهم .

وموقف كل منهم تجاه الآخر وتضليل كل منهم للآخر ، فهم وإن تشابهت قلوبهم في كونهم كفارًا متعنتين ، فقلوبهم كذلك مختلفة فيما بينهم في تضليل كل منهم للآخر وحسد كل منهم للآخر وعداوة كل منهم للآخر كما قال تعالى ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤] والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المراد بالآية المعجزة كسؤالهم رؤية الله جهرة وكسؤالهم جعل الصفا

ذهبًا وكسؤالهم الرُّقيَّ في السماء ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المعنى أنكم يا من سألتم عن الآيات وجاء ذكركم في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] فهذه الآيات قد بُيِّنت لكم وفصلت لكم تفصيلًا فهذا كتاب الله كله آيات دالة على صدق نبوة أنبيائنا .

وثمَّ آيات أُخر كانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وتكليم الحيوان لرسولنا وتسليم الأحجار عليه وإذعان الأشجار إليه ، و... إلى غير ذلك من الآيات التي بيناها وفصلناها للموقنين فهم الذين ينتفعون بهذه الآيات أما الذين ختم على قلوبهم وسمعهم وجُعل على أبصارهم غشاوة فالأمر فيهم كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦] وكما قال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالحق في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنه الصدق **الثاني :** أنه القرآن **الثالث :** الإسلام وبكل هذا أرسل رسول الله ﷺ .

س : قوله تعالى : ﴿ بشيرًا ونذيرًا ﴾ [البقرة : ١١٩] بشير بماذا ولمن ؟ ونذير لمن ومن ماذا ؟

ج : بشير لمن أطاعه وصدقه واتبعه بالجنة ونذير لمن عصاه وخالفه وكذبه بالنار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] اذكر آيات في معنى الآية الكريمة وهل صح لهذه الآية سبب نزول ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنك لست مسئولًا عن كفر من كفر وعصيان من عصى وتمردِ من تمرد ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ والتبشير والإنذار أما الآيات التي في معناها فمنها :

- قول الله تعالى : ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [الرعد : ٤٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] .
- قوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت نذير ﴾ [هود : ١٢] .
- ولانعلم لهذه الآية سبب نزول صحيح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون

سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : المراد بالعلم هنا مايلي :

● العلم ببطلان عقائدهم وتحريفهم الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

● العلم أن الإسلام هو دين الحق وما سواه من الأديان باطل .

● عموم العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله وما أوحاه الله عز وجل إليه من السُّنة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الكفر ملة واحدة أو عدة ملل ؟

ج : ذكر أهل العلم قولين في هذا الباب :

●فمن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملة واحدة** مستدلًّا بقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] فأفرد الملة هنا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [الكافرون : ٦] ومن العلماء القائلين بهذا القول أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين نقله عنهم القرطبي رحمه الله .

● ومن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملل** واستدل بحديث النبي

ﷺ : « لا يتوارث أهل ملتين »[1] ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى رحمهما الله عز وجل .

ويشهد له قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : المعنى : ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا ، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك ، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم .

● **وقال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله :** يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدِّين القيم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة ، واليهود والنصارى لاتجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا ، وذلك مما لا يكون منك أبدًا لأنك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادَّان في حال واحدة ، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل ، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم

---

(١) إسناده حسن فقد أخرجه أبو داود (حديث ٢٩١١) ، وأحمد (٢/١٧٨-١٩٥) وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا .

هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وأما (الملة) فإنها الدِّين وجمعها الملل .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إن هدى الله هو الهدى يعني إن بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بيِّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعًا بأنها من عند الله يتضح لكم فيها المحق فينا من المبطل وأيُّنا أهل الجنة وأيُّنا أهل النار وأيُّنا على الصواب وأيُّنا على الخطأ .

● وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذِّب به من أهل النار دون المصدِّق به .

● ثم قال الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] يعني جل ثناؤه ﴿ ولئن اتبعت ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهوُّد وتنصُّرٍ فصرت من ذلك إلى إرضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جآءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي – يعني بذلك : ليس لك يا محمد من وليٍّ يلي أمرك ، وقيم يقوم به ، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك .. ثم قال رحمه الله وقد قيل : إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ لأن اليهود والنصارى دعته إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم إن الهدى هو

ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلَّمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ... ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :-

الأول أنهم علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله[1] وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

---

(١) وقد انتصر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لهذا القول فقال : لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدَّل منهم كتاب الله وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ، ولم يجر لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ موجَّهًا إلى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجهًا ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله ﷺ وبعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له .

فإذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجَّهًا إلى أنه خبر عمن قص الله جل ثناؤه قصصهم في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية : الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فقرءوه واتبعوا ما فيه فصدَّقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته ، وإنما أدخلت الألف واللام في الكتاب لأنه معرفة ، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عرفوا أيَّ الكتب عَنَى به .

● **الثاني** : أنهم أصحاب محمد ﷺ[1] .

● **الثالث** : أورده ابن عطية في المحرر فقال : ويحتمل أن يُراد بالذين العموم في بني إسرائيل والمؤمنين من العرب .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ حق تلاوته ﴾ ؟

ج : المراد المبالغة في صفة اتباعهم للكتاب .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من أقام دينه من أهل الكتاب وآمن بما في كتابه واتبع ما فيه حق الاتباع قاده هذا الإيمان والاتباع إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به ومن كفر فأولئك هم الخاسرون[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد ورد بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٨٧٨) .

(٢) قال الطبري رحمه الله : فأخبر جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفًا لها مبدِّلًا تأويلها مغيِّرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه ، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد ﷺ وتصديقه لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم ، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها ، فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ وهم العاملون بما فيها .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ [البقرة : ١٢١] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : إنه يرجع إلى رسول الله ﷺ وقيل إنه يرجع إلى القرآن كما قال تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] .

✵ ✵ ✵

س : فيم يتمثل الخسران في قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ ؟

ج : الخسران يتمثل في ولوج هذا الخاسر النار كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ [هود : ١٧] .

● وكما قال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار »[(١)] .

✵ ✵ ✵

س : لماذا كُرر قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٢٢] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم نعته واسمه وأمره وأُمته فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم[(٢)] من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) مراده أن العرب أولاد إسماعيل ، واليهود أولاد إسحاق ، وإسماعيل وإسحاق أخوان .

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

ج : ابتلى – بكلماتٍ – أتمهن – إمامًا – لا ينال عهدي الظالمين .

الكلمـة	معنـاهـا
ابتلى	امتحن – اختبر
بكلمات	شرائع وأوامر ونواهي وتكاليف .
أتمهن	قام بهن وعمل بهن وأدى جميع ما كلِّف به .
إمامًا	قدوة يُقتدى بدينك وهديك وسنتك ، والإمام هو الذي يؤتم به ، ومنه قيل للطريق : إمام كما قال تعالى : ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ .
لا ينال عهدي الظالمين	لا يكن إمامًا لي ظالم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في (إذ) من قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : العامل فيه هو (واذكر) فالمعنى : واذكر إذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث في الثناء على نبي الله إبراهيم عليه السلام وبيان فضله وتكريمه ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

●وقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٣] .

● وقوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا

تقبل منا إنك أنت السميع العليم .... ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ... ﴾ الآيات [الممتحنة : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات : ١١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٨ ، ١٠٩] .

● وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه قال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

● وجعل الله عز وجل النبوة في ذريته كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

● وقال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقًا نبيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

أما الأحاديث فمنها :

● قول المسلمين في كل صلاة يصلونها - كما علمهم نبيهم محمد

ﷺ - : « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[1] .

● وفي الصباح كان النبي ﷺ يقول : « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ **وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** »[2] .

● ورأى النبي ﷺ الأطفال حول إبراهيم عليه السلام في الجنة كما في حديث سمرة بن جندب[3] رضي الله عنه .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الكلمات التي ابتلى اللَّهُ عز وجل بها إبراهيمَ عليه السلام ؟

ج : هي عموم الشرائع والأوامر والنواهي والتكاليف التي كلَّف الله عز وجلَّ بها إبراهيم عليه السلام فيدخل في ذلك ما ذكره العلماء مما يلي :

● فراق إبراهيم عليه السلام قومه في الله حين أُمر بفراقهم[4] .

● ومحاججته للنمرود كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أُحيي

---

(١) أخرجه البخاري (بهذا اللفظ) مع الفتح (٤٠٨/٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٦/٣) من حديث ابن أبزى مرفوعًا وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا وفيه « ... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ... » الحديث .

(٤) قال تعالى : ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [البقرة : ٢٥٨][1] .

● صبره على قذفه في النار .

● ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك .

● وما ابتلي به من أمره بذبح ولده عليهما السلام وصبره على ذلك وامتثاله ما أمره الله به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه :

● أن الله عز وجل ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد ، **في الرأس** قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، **وفي الجسد** تقليم الأظافر ، وحلق العانة والختان ، ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

● ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة .

● ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال : الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات[2] في براءة ﴿ التائبون العابدون... ﴾ إلى آخر الآية [التوبة : ١١٢] ، وعشر آيات[3] في أول سورة قد أفلح

---

(١) فتكلَّم إبراهيم عليه السلام بكلمة الحق عند سلطان جائر .

(٢) يقصد عشر صفات وهي : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ..﴾ [التوبة : ١١٢] .

(٣) يعني عشر صفات أيضًا وهي : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذي هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [المؤمنون :١ - ٩] .

المؤمنون ﴿ وسأل سائل بعذاب واقع ﴾ [المعارج : ١] وعشر آيات[1] في الأحزاب ﴿ إن المسلمين والمسلمات ... ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فأتمهن كلهن فكتب له براءة قال الله : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] إلى غير ذلك من التكاليف التي كُلِّف بها إبراهيم عليه السلام .

وهذا العموم هو الذي اختاره ابن جرير وابن كثير رحمهما الله عز وجل .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل ، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل (الكلمات) وجائز أن تكون بعضه ، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه ، وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئًا من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول ﷺ بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته .

* * *

س : لماذا أطلق على هذه التكاليف كلمات ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله : لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات .

---

(١) يعني قوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والخاشعين والخاشعات والصابرين والصابرات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ فأتمهن ﴾ [البقرة : ١٢٤] يرجع إلى مَنْ ؟ وما معنى ذلك ؟

ج : يرجع الضمير إلى إبراهيم ﷺ في قول أكثر المفسرين والمعنى : فقام بهن خير قيامٍ وأداهن أحسن التأدية من غير تفريطٍ ولا توانٍ وهو نحو قوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وذهب فريق من العلماء إلى أنه يرجع إلى الله تبارك ، والمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا .

* * *

س : الآية الكريمة ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ... ﴾ [البقرة : ١٢٤] تدل على أن الأنبياء معصومون من أن يظلموا الناس وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأنبياء عليهم السلام – كما هو معلوم ابتداءً – أئمة يُقتدى بهم كما قال الله تبارك وتعالى في شأن إبراهيم عليه السلام وذريته : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلًّا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٩٠] ، فأمرنا الله بالاقتداء بهم ، ولما كانوا أئمة يقتدى بهم عُلم أنهم ليسوا ظلمة ، لأن الله تبارك وتعالى قال :

﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● **قال الرازي رحمه الله (٤/٤٠) :** الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين :

الأول : أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد[1] الإمامة ولا شك أن كل نبي إمام ، فإن الإمام هو الذي يؤتم به ، والنبي أولى الناس ، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقًا فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقًا فاعلًا للذنب والمعصية أولى .

الثاني : قال : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين ، وإن كان هو الإمامة فكذلك ، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إمامًا يؤتم به ، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل النبوة لأحدٍ من الفاسقين ، والله أعلم .

* * *

س : قول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] هل هو دعاء أو استفهام ؟

ج : من العلماء من قال : إنه دعاء والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا .

● ومن العلماء من قال : إنه استفهام بمعنى وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كذلك ؟ والعلم عند الله تعالى .

* * *

---

(١) يعني العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

س : على مَن تُطلق الذُّرية ؟

ج : تطلق الذُّرية في الغالب على الأبناء ومن جاء منهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] وقوله تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقول الخليل عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقد تطلق الذرية على الآباء أحيانًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ﴾ [يس : ٤١] أي : آباءهم .

● وقد تطلق على الآباء مع الأبناء ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران : ٣٤] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالعهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : المراد والله أعلم الإمامة في الدين ، فلما قال الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿إني جاعلك للناس إمامًا﴾ طلب إبراهيم ﷺ أن يكون من ذريته أئمة أيضًا فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، أي : إذا كان في ذريتك ظالم فلن تناله الإمامة في الدين ، والله تعالى أعلم .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمن من العذاب يوم القيامة ، ومنهم من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمر أي : لا يجوز أن يكون الظلمة أهلًا ، لأن تُقبل منهم أوامر الله عز وجل .

وثمَّ أقوال أُخر ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

س : رجلان أحدهما مسرف على نفسه لكنه حامل لكتاب الله عز وجل ، والآخر صالح في نفسه لكنه مقلٌّ من القرآن أيهما يُقدم لإمامة الناس في الصلاة ؟

ج : الأدلة في هذه المسألة تشهد لكل وجهٍ .

● فمن قال : إن الذي يُقدم هو حامل القرآن دليله قول النبي ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل »[1] .

● ومن قال : إن الصالح يقدَّم دليله قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] لما قال لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة :١٢٤] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : الإمامة لا تُنال إلا بالصبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه من قول الله عز وجل : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة : ٢٤] .

● وهذا إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأتمهن وقام بهن خير قيام من صبر على الإلقاء في النار والامتثال للأمر بذبح الولد ، ومحاججة الجبابرة والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا .... ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا .... » الحديث .

وكذلك ابن عباس وغيره من الأئمة نالوا ما نالوه من العلم بالصبر على طلبه وتحصيله[1] .

وكذلك سائر الفنون لا ينبغ فيها أهلها إلا بالصبر عليها وعلى تلقيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرج الدارمي في سننه (١/١٤١ ، ١٤٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟! فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني . صحيح .

ومن ثمَّ فقد نبغ إبن عباس ونفع الله به وهدى الله على يديه أقوامًا ، فقد أخرج الطبراني (المعجم الكبير ١٠٥٩٨) بإسناد حسن إلى ابن عباس قال : لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعليٍّ : يا أمير المؤمنين أبردْ عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : فإني أتخوفهم عليك قال : قلت : كلا إن شاء الله قال : فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها تغن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود قال : فدخلت فقالوا : مرحبًا بك يابن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم : لتحدثنه ، قال : قلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثًا قلت : ما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال الله : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [يوسف : ٤٠ ، ٦٧] قال : قلت : وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال : قلت : وماذا ؟ قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] وبين كون عددٍ من الأئمة ظلمة ؟

ج : الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله عز وجل بالاقتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى : ﴿ واتبع سبيل من أناب إليَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

= أمير الكافرين قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى قوله : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال : خرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، وأما قولكم : إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم ؟ أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم قال : وأما قولكم : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : « اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال : « والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

● وأخرج عبد الله بن أحمد في (الزوائد على فضائل الصحابة لأبيه رقم ١٩٤٧) بإسناد صحيح إلى يزيد بن الأصم قال : خرج معاوية حاجًا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه .

● ومن العلماء من قال : لا ينال عهدُ الله في الآخرة ظالمًا ، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش .

قلت : وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] فارجع إليه .

* * *

س : هل الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى أم الخروج عليه ؟

ج : الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى ما دام مسلمًا ، لقول النبي ﷺ لما سأله بعض الصحابة عن منازعة الأئمة قال : « لا إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان » .

قال القرطبي رحمه الله : والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه ، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض ، والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه .

* * *

س : ذرية إبراهيم عليه السلام هل كلهم صالحون أم منهم الصالح والطالح ، وهل تحققت الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ذرية إبراهيم عليه السلام منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات :١١٢ ، ١١٣] .

● وقد تحققت النبوة في الصالحين منهم ، قال الله تبارك : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧]، وقال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

✸ ✸ ✸

س : الظالم لا ينفعه نسبه عند الله عز وجل دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ [عبس : ٢٤، ٢٥] .

● قول الله عز وجل لنوحٍ ﷺ لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] ، ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ﴾ [هود : ٤٦] .

● وقد أمرنا الله عز وجل بالتأسي بإبراهيم ﷺ إلا في استغفاره لأبيه كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ [الممتحنة : ٤] .

● ولما سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته قال الله عز وجل : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقول النبي ﷺ : « من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه »[1] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ /٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

مثابة – أمنًا – عهدنا – الركع السجود ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهـا
مثابة	مرجعًا (يثوبون أي : يرجعون) – مجتمعًا – مكان يثابون عنده .
أمنًا	من الأمن أي : أمنًا من العدو فكان الرجل يلقى قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم .
عهدنا	أمرنا – أوحينا .
الركع السجود	المصلون .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : المراد بالبيت هنا الكعبة ، ودليله قوله تعالى : ﴿ وليطوَّفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام وكونه كان أمنًا للناس ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [القصص : ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [النمل : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٣ ، ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ﴾ [المائدة : ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ أَوَلم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾[العنكبوت : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ [الحج : ٢٦] .

● وقد أقسم الله عز وجل بمكة فقال سبحانه : ﴿ والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين ﴾ [التين : ١ - ٣] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يُرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » .

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : « إلا الإذخر »[1] .

---

(١) * أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقال أبو شريح العدوي رضي الله عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح – سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به – إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب »[1] .

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

❋ ❋ ❋

س : بيِّن على وجه الإجمال هل مكة أفضل أم المدينة ؟

ج : ابتداءً ففي كلٍّ خير ، ولكن على العموم فمكة أفضل من المدينة بنص حديث رسول الله ﷺ ، فقد قال النبي ﷺ : « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٤) ، والبخاري (حديث ١٨٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد (المسند ٧/٤) ، والترمذي (حديث ٣٩٢٥) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣١٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٧/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين كلهم من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري (واللفظ لأحمد) أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت ».
وانظر أيضًا سنن الترمذي (حديث ٣٩٢٦) .

● ولكون الصلاة بمسجد مكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد[1] بينما الصلاة في مسجد المدينة تعدل ألف صلاة فقط وجمهور العلماء على أن مكة أفضل من المدينة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ مثابةً ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : في معناها أقوال :

الأول : أن معنى مثابةً مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي : يرجعون[2] إليه ، والمعنى أنه جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، فلا يكادون يقضون منه وطرًا حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا .

قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ١ / ٢٤٧) : (مثابة للناس) مباءة ومرجعًا للحجاج والعمَّار ، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه ، ومثابة مفعلة من (الثوب) وهو الرجوع ترامِيًا إليه بالكلية ، وسر هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها له فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولي كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرًا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا .

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

---

(١) عند من رأى صحة الحديث بذلك .

(٢) من قولهم : ثاب فلان إلى رشده .

فللّه كم لها من قتيل وسليب وجريح ، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق ، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبهُ ذكر هذه الشذرة (الإمام ابن القيم في أوائل زاد المعاد) .

الثاني : مثابة أي : مجمعًا لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

الثالث : من الثواب أي : أنهم يثابون عنده .

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الموافقات التي وافق فيها عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل ؟

ج : من هذه الموافقات ما يلي :

١ – موافقة عمر لربه عزَّ وجل في النهي عن الصلاة على المنافقين ففي الصحيحين[1] ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : « إنما خيرني الله – أو أخبرني الله – فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ [التوبة : ٨٠] ، فقال :« سأزيدُه على سبعين ». قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٤٠٠) .

وفي رواية أخرى للبخاري من حديث عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه قال :

« لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت : يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا - أُعَدِّد عليه قوله - فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « أخر عني يا عمر » فلما أكثرت عليه قال : « إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها » قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ ولا تُصل على أحدٍ منهم مات أبدًا - إلى - وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] ، قال : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ . والله ورسوله أعلم .

٢ - موافقة عمر ربَّه عز وجل في أُسارى بدر ففي صحيح مسلم[2] من حديث عمر رضي الله عنه قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من طريق أبو زميل (وهو سماك الحنفي) عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه .. به .

لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل[1] فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر : يا نبي الله : هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب » قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر) ، فأضرب عنقه[2] فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله ﷺ : « أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) ، وأنزل الله عز وجل

---

(١) هو راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في رواية أحمد (١/٣٠ ، ٣١) : وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين .

﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ [الأنفال : ٦٧] إلى قوله : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالًا طيبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] ، فأحل الله الغنيمة لهم .

٣ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في الحجاب .

٤ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى يا رسول الله ... الحديث .

٥ – موافقة عمر رضي الله عنه ربه عز وجل في قوله : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ الحديث [التحريم : ٥] .

وها هو الحديث الذي يجمع هذه الثلاثة :

أخرج البخاري[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث[2] فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ [التحريم : ٥] ، فنزلت هذه الآية .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٠٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري) (١/٥٠٥) : وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر ، وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح ، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته .

س : ما هو المراد بمقام إبراهيم عليه السلام ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحرم كله .

الثاني : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام الحج كله (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ...) ، والمراد أن الناس أمروا أن يتخذوا الأماكن التي قام بها إبراهيم ودعا بها مواطن يصلُّون (أي : يدعون الله) فيها كما فعل إمامهم إبراهيم عليه السلام .

الثالث : وهو الصحيح : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها ، وهكذا حتى تم جدران الكعبة .

كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله واختار هذا القول[1] وقال : وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبةً ... على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك[2] حدثهم قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

قلت : ويتأيد ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من أن المقام

---

(١) وزاد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذا الحجر كان ملصقًا بالكعبة وأن الذي أخَّره إلى موطنه الذي هو فيه الآن هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأورد بعض الأسانيد بذلك وقال : فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه .

(٢) إسناده صحيح إلى أنس رضي الله عنه .

هو الحَجَر ما أخرجه البخاري[1] من حديث عمرو بن دينار قال : سألنا ابن عمر رضي الله عنهما أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؟ قال : « قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ثم صلى خلف المقامُ ركعتين وطاف بين الصفا والمروة » .

وأخرج مسلم[2] رحمه الله تعالى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وفيه ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع مسح مقام إبراهيم ؟

ج : لا يشرع مسح مقام إبراهيم عليه السلام إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نقل – فيما علمت – بإسناد صحيح عن أحدٍ من أصحابه ، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

فليس فيه أن أنسًا فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله ﷺ .

وقد قال قتادة رحمه الله كما روي عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري رحمه الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٢٣) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ما تكلفته الأمم قبلها[1] .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : هذا أمر من الله عز وجل لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال : أُمروا أن يصلوا عنده[2] .

● ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي : مُدعًى يدعون عنده ، وصليت هنا بمعنى : دعوت ، قال ابن جرير الطبري رحمه الله : وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا : إن مقام إبراهيم هو الحج كله ، فكان معناه في تأويل هذه الآية : واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بإبراهيم خليلي عليه السلام فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به .

وأما تأويل قائلي القول الآخر فإنه : اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم ، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب[3]

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٠٠٠) وعنده زيادة : ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

(٢) أخرجه الطبري (٢٠٠٥) بإسناد حسن عن قتادة .

(٣) يعني قول عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (١٩٨٥) وهو في الصحيح كذلك .

وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : هل كان هناك شيء عند البيت مما أمر إبراهيم بتطهير البيت منه ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها ، فقد أخرج البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] و ﴿ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يُعيد ﴾ » [سبأ : ٤٩] ، وأخرجه مسلم[2] .

● وأخرج البخاري[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصُّور في البيت لم يدخل حتىٰ أمر بها فمحيت ، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال : « قاتلهم الله ! والله إن استقسما بالأزلام قط » .

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] **طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان .**

● **وثمَّ قول آخر** وهو : ابنيا بيتي مطهرًا من الشرك ، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله

---

(١) حديث (٤٧٢٠) .

(٢) مسلم حديث (١٧٨١) .

(٣) البخاري حديث (٣٣٥٢) .

لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

● **وقول ثالث** : امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

● **وقول رابع** : طهراه مما به من أذى وقذر ودنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله .

وينتظم معنى الآية الكريمة كل ما ذُكر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالطائفين في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ومن المراد بالعاكفين ؟ وكذلك من هم الركع السجود ؟

ج : أما الطائفون فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت ، ومن العلماء من قال : إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غَرْبةٍ ، والقول الأول أولى بالصواب .

● أما العاكفون فهم المعتكفون فيه ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام (وهم المجاورون للبيت الحرام) ، والقول الأول أولى بالصواب ، والله أعلم .

● أما الركع السجود[2] فهم المصلون ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٥ ، ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) .

(٢) وقد روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة (٢٠٢٥) أنه قال : و ﴿ الركع السجود ﴾ أهل الصلاة ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا ذكر الركوع والسجود ولم يُذكر القيام في قوله تعالى : ﴿ والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : اكتفى بذكر الركوع والسجود ، لأنه قد عُلم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ردٌّ على اليهود والنصارى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية الكريمة قُرِّر فيها أن إبراهيم عليه السلام أُمر أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واليهود والنصارى يزعمون أنهم يوقِّرون إبراهيم عليه السلام ، ومع ذلك لا يحجون البيت الذي طهره إبراهيم ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض النصوص التي وردت في الحث على تطهير المساجد وتنظيفها ؟

ج : ومنها قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] .

● وكانت هناك امرأة سوداء تقمُّ المسجد على عهد رسول الله ﷺ[1]

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨) ، ومسلم (حديث ٩٥٦) من حديث أبي هريرة =

وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن »[1] .

● وقال النبي ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها[2] دفنها » .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ، ووجدت في مساوىء أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن »[3] .

❋ ❋ ❋

س : هل من مُقدَّر محذوف في قوله تعالى : ﴿ واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن هنا مقدرٌ محذوف وهو (وقلنا) فالمعنى على ذلك : وقلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= رضي الله عنه أن رجلًا أسود – أو امرأة سوداء – كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا : مات ، قال : « أفلا كنتم آذنتموني به دلُّوني على قبره » أو قال : « قبرها » فأتى قبره فصلى عليه .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه عليه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج مسلم (حديث ٥٥٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : لماذا خُصَّت الكعبة بالذكر في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : خصَّت بالذكر لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها ، ولكونها أعظم حرمة من سائر البيوت ، أو لكونها كانت الموجودة وحدها إذ لم يكن هناك شيء من المساجد غيرها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] معطوف على ماذا ؟

ج : قيل : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ١٢٢] ، فالمعنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله أعلم .

● وقيل : عطف على قوله تعالى : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، قال الرازي : والمعنى : أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] وقال : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله وقال ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

● وقيل : إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكأن وجهه ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] أنتم من مقام إبراهيم مصلى ، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم ... ، والله أعلم .

س : ركعتا الطواف هل هما فرضٌ أم سُنَّة ؟

ج : إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوعًا أيضًا ، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان : **أحدهما :** أنها (أي : الركعتان) فرض لكون النبي ﷺ صلاهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » .

والثاني : أنهما نفلٌ كذلك ، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال : « خمس صلوات في اليوم والليلة » ، فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ، قال : « لا إلا أن تطوع » قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ : « أفلح إن صدق » ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هناك من قُتل عند البيت الحرام ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : الآية محمولة على الأمر ، والمعنى : أننا أمرنا الناس أن يؤمِّنوا من دخل الحرم ، فمنهم من وفى والتزم بهذا الأمر ومنهم من خالف وعاند ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل تجوز الصلاة داخل الكعبة ؟

ج : نعم تجوز الصلاة داخل الكعبة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٩٨) ، ومسلم (حديث ١٣٢٩) .

عليهم ، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالًا فسألته هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم بين العمودين اليمانيين .

ولا يُعارض هذا بما أخرجه مسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يُصلِّ فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قُبُل البيت ركعتين ، وقال : « هذه القبلة » ، وذلك لأن بلالًا قد أثبت وأسامة بن زيد قد نفى والمثبت مقدم على النافي ، فلعل بلالًا رأى ما لم يره أسامة بن زيد رضي الله عنهم أو لعل الواقعة تعددت .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٣/٥٤٧) : وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أُسامة من رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره فتعارضت الرواية في ذلك عنه ، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره نافٍ ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات واختلف على من نفى ، وقال النووي وغيره : يجمع بين إثبات بلال ونفي أُسامة بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء فرأى أُسامة النبي ﷺ يدعو فاشتغل أُسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ في ناحية ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أُسامة لبعده واشتغاله ، ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة فنفاها عملًا بظنه .

وقال المحب الطبري : يحتمل أن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أُسامة قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة فرأى صورًا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فضرب به الصور ، فهذا الإسناد جيد[2] ، قال القرطبي :

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٣٣٠) .

(٢) في إسناده عبد الرحمن بن مهران لا أعلم راويًا عنه غير ابن أبي ذئب ولم أقف =

فلعله استصحب النفي لسرعة عوده انتهى ، نقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونقل أقوالًا أخر فليرجع إليها من شاء .

قلت : ويُستدل للجواز بعموم قول النبي ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فحيثما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل » ، ويُستدل أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] على جواز الصلاة داخل الكعبة ، ولا ينتهض شخص للاستدلال بقوله تعالى : ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] على المنع لكونه في حق من هم ليسوا بداخل الكعبة إنما هو في حق من هم خارجها والبعيدين عنها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= على أحدٍ وثقه سوى ابن حبان .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

س : ما معنى : أضطره – المصير ؟

ج :

الكلمة	معناها
أضطره	أسوقه – أُلْجئه – أدفعه .
المصير	الموضع الذي يصير إليه الكافر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبلد في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟ وهل تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ؟

ج : هذه البلدة هي مكة ، وقد تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ﴾ [النمل : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريشٍ * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرًا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [الفيل : ١ - ٥] ، وقول النبي ﷺ : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الله عز وجل يرزق الظالم ويُملي له ثم يأخذه بعد ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

● قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير ﴾ [الحج : ٤٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل : ١١٦ ، ١١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون * وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ [لقمان : ٢٣ ، ٢٤] ، وقول النبي ﷺ : « إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته »[1] ، ثم قال : « ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ » [هود : ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٨٦) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وردت أحاديث تدل على أن الله عز وجل حرم مكة قبل خلق السموات والأرض وأحاديث تدل على أن الله عز وجل حرمها لما دعا إبراهيم بذلك فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : وجه هذا الجمع أن يُقال : إن إبراهيم بلَّغ عن الله عز وجل حكمه فيها وتحريمه إياها ، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها .

● ويجمع أيضًا بأن يُقال : إن إبراهيم عليه السلام أراد تأكيد حرمة مكة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من القائل : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أولهما وأصحهما : أن هذا قول الله عز وجل وبيانه أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] والمعنى : ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، وهي كقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] ، والآيات التي على شاكلتها .

والثاني : أن هذا هو قول إبراهيم عليه السلام ، وتكون القراءة فأمتعه قليلًا ثم أضطره ... بمعنى الطلب من الله عز وجل ، والقول الأول أصح وأولى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما الفرق بين هاتين الدعوتين :

الأولى : قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] :

والثانية : قوله عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾[1] [إبراهيم : ٣٥] ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرِّق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم عليه السلام ويقول : إنما هو تفنن في أسلوب الخطاب ، والمعنى : رب اجعل هذا البلد بلدًا آمنا .

وبعض العلماء يُفرِّق فيقول : إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا

---

(١) وطرح ابن جُزي الكلبي الغرناطي سؤالًا مشابهًا في تفسيره فقال : فإن قيل : لم قال في البقرة : ﴿ بلدًا امنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فعرَّف في إبراهيم ونكَّر في البقرة ؟ أجيب على ذلك بثلاثة أجوبة :

(الجواب الأول) : قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله : ﴿ القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف .

(الجواب الثاني) : قاله السهيلي ، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم ، لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك : هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفي هذا نظر ، لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة .

(الجواب الثالث) : قاله بعض المشارقه أنه قال : هذا بلدًا آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا ، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين ، والله أعلم .

كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] فدعا إبراهيم عليه السلام لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : المتاع القليل في قوله تعالى : ﴿ فأمتعه قليلًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إلى متى ؟

ج : الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك أن هذا المتاع القليل أمده وغايته إلى موت الكافر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

س : ما معنى هذه الكلمات

مُسلمَين – أمة – أرنا مناسكنا – الكتاب – الحكمة – يزكيهم ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
مسلمين	مستسلمين – خاضعين – طائعين
أمة	جماعة
أرنا مناسكنا	بيِّن لنا أعمال حجنا – وضح لنا أماكن الذبح – علمنا طرق عبادتك وشرائع دينك
الكتاب	هو القرآن
الحكمة[1]	قيل : هي السنة ، وقيل : هي الفقه في الدين –

(١) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿ والحكمة ﴾ هي السنة ، أخرجه الطبري (٢٠٧٨) ، وورد عن مالك بإسناد صحيح عند الطبري (٢٠٧٩) قال في الحكمة : المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له . =

الكلمـة	معناهـا
	وتطلق أيضًا على الإصابة في القول والعمل وعلى وضع الشيء في موضعه
يزكيهم	يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور

* * *

= وقال الطبري أيضًا أثر (٢٠٨٠) : حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ والحكمة ﴾ ، قال : « الحكمة » ، الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ ، يعلمهم إياها . قال : و « الحكمة » ، العقل في الدين وقرأ ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، وقال لعيسى : ﴿ ويعلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [آل عمران : ٤٨] ، قال : وقرأ ابن زيد : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمة . قال : « والحكمة » شيء يجعله الله في القلب ، ينور له به .

قلت (مصطفى) : وهو إسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في « الحكمة » أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ ، والمعرفة بها ، وما دل عليه ذلك من نظائره . وهو عندي مأخوذ من « الحكم » الذي بمعنى الفصل بين الحق =

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : العامل هو (واذكر) فالمعنى : واذكر يا محمد لقومك ولأهل الكتاب بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة ورفعهما لقواعدها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقواعد البيت ؟

ج : هي أُسُسُ البيت التي تأسس عليها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على هذا .

❋ ❋ ❋

= والباطل ، بمنزلة « الجلسة والقعدة » من « الجلوس والقعود » ، يقال منه : « إن فلانًا لحكيم بيِّن الحكمة » ، يعني به : إنه لبين الإصابة في القول والفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلِّمه إياها .

س : هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل كانت مبنية قبلهما أم هما اللذان أسساها ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : كانت موجودة قبلهما بناها آدم عليه السلام .

وقيل : إنها كانت قواعد بيت أهبطه الله عز وجل مع آدم عليه السلام .

وقيل : إنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم عليه السلام بناها ، والله تعالى أعلم .

● هذا وننقل ها هنا قولًا للطبري رحمه الله يفيد في الإجابة على أسئلة مشابهة .

قال رحمه الله تعالى (٣/٦٤) :

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل ، رفعا القواعد من البيت الحرام . وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم ، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة . وجائز أن يكون ذلك كان القُبة التي ذكرها عطاء ، مما أنشأه الله من زبد الماء . وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء . وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم ، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل . ولا علم عندنا بأيِّ ذلك كان من أيٍّ ، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ ، بالنقل المستفيض . ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها ، ولا هو – إذ لم يكن به خبر ، على ما وصفنا – مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد . فلا قول في

ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا . والله تعالى أعلم .

* * *

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هل رفعا القواعد من البيت معًا أم رفعها إبراهيم وحده ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن إبراهيم عليه السلام كان يبنيها ويرفعها وإسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجارة .

وقيل : إنهما بنياها معًا .

وها نحن نورد هنا ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى في قصة بناء هذا البيت ورفع قواعده ، قال رحمه الله تعالى (حديث ٣٣٦٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة – يزيد أحدهما على الآخر – عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل – وهي ترضعه – حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت

من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ – حتى بلغ – يشكرون ﴾ [إبراهيم : ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال : يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ؛ فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صهٍ – تريد نفسها – ثم تسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينًا معينًا » . قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهمٍ – أو أهل بيتٍ من جرهمٍ – مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريًّا أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا – قال : وأم إسماعيل عند الماء – فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ،

ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنْفَسَهُم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأةً منهم . وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن في ضيقٍ وشدَّةٍ . فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له : يغير عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك . فطلقها ، وتزوج منهم أخرى . فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخيرٍ وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء » . قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » ، قال : « فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه » . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُرِيهِ يُثْبِتُ عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخيرٍ . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث

عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال ، وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا – وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها – قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] » .

وقال أيضًا (حديث ٣٣٦٥) : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل ، ومعهم شنة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله ، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه : يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله . قالت : رضيت بالله . قال فرجعت فجعلت تشرب من الشَّنَّة ويدر لبنها على صبيها ، حتى لما فنى الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا . قال : فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا . فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة ، ففعلت ذلك أشواطًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل – تعني الصبي –

فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت ، تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا ، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا ، حتى أتمت سبعًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ، فإذا هي بصوت فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل ، قال : فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض ، قال : فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز ، قال : فقال أبو القاسم : لو تركته كان الماء ظاهرًا ، قال : فجعلت تشرب من الماء ويدرُّ لبنها على صبيها . قال : فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطيرٍ ، كأنهم أنكروا ذاك ، وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء ، فبعثوا رسولهم فنظر ، فإذا هم بالماء ، فأتاهم فأخبرهم ، فأتوا إليها فقالوا : يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ، أو نسكن معك ؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فسلم فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد . قال : قولي له إذا جاء : غير عتبة بابك . فلما جاء أخبرته ، قال : أنت ذاك ، فاذهبي إلى أهلك . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت : إلا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء . قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم . قال : فقال أبو القاسم ﷺ : بركة بدعوة إبراهيم . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي ، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له ، فقال : يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا . قال : أطع ربك . قال : إنه أمرني أن تعينني عليه ، قال : إذن أفعل أو كما قال . قال : فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

س : هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم عليه السلام ؟

ج : الذي من البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود ، والركن اليماني ، وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ ، فلما جاء ابن الزبير رضي الله عنهما ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة رضي الله عنها بأن هذه كانت رغبة رسول الله ﷺ لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر .

ثم لما جاء عبد الملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ ، يدل على هذا كله ما يلي :

● ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم » فقلت : يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومك بالكفر » فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجْرَ إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم .

وقال الإمام مسلم رحمه الله ص ٩٧٠ فما بعدها :

حدثنا هناد بن السري . حدثنا ابن أبي زائدة . أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء . قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية ، حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير . حتى قدم الناس الموسم . يريد أن يجرئهم (أو يحربهم[2]) على أهل الشام فلما صدر الناس قال :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٦٨) ، ومسلم (حديث ١٣٣٣) .

(٢) (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة أي : يشجعهم على قتالهم ، بإظهار قبح فعالهم . هذا هو المشهور في ضبطه . قال القاضي : ورواه العذري يجربهم ، ومعناه : يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته . ومعنى يحربهم ، أي : يغيظهم =

يا أيها الناس ! أشيروا علي في الكعبة . أنقضها ثم أبني بناءها . أو أصلح ما وهى منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها[1] . أرى أن تصلح ما وهى منها . وتدع بيتًا أسلم الناس عليه . وأحجارًا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ، ما رضي حتى يجده[2] . فكيف بيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثًا . ثم عازمٌ على أمري . فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها . فتحاماه الناس أن ينزل ، بأول الناس يصعد فيه ، أمر من السماء . حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة . فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا[3] . فنقضوه حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة . فستر عليها الستور[4] . حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة تقول : إن النبي ﷺ قال : « لولا

= بما يزونه قد فعل بالبيت . من قولهم : حربت الأسد ، إذا أغضبته . قال القاضي : وقد يكون معناه : يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك . قال : ورواه آخرون : يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه . وحزب الرجل من مال إليه . وتحازب القوم تمالئوا .

(١) (قد فرق لي رأي فيها) أي : كشف وبيّن . قال الله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ ، أي : فصّلناه وبيناه . هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها . وهكذا ضبطها القاضي والمحققون .

(٢) (يجدَّه) أي : يجعله جديدًا .

(٣) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا ، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين . وعن أبي بحر : تتابعوا . وهو بمعناه . إلا أن أكثر ما يستعمل ، تتابعوا ، في الشر خاصة . وليس هذا موضعه .

(٤) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة . ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس فأزالها . لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة . (من التعليق على مسلم) .

أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقوي على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحِجْرِ خمس أذرع ، ولجعلت لها بابًا يدخل الناس منه ، وبابًا يخرجون منه » .

قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق . ولست أخاف الناس . قال : فزاد فيه خمس أذرع من الحجر . حتى أبدى أُسًّا[1] نظر الناس إليه . فبنى عليه البناء . وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا . فلما زاد فيه استقصره . فزاد في طوله عشر أذرع . وجعل له بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه . فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك . ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة . فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير[2] في شيء . أما ما زاد في طوله فأقره . وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه . وسد الباب الذي فتحه . فنقضه وأعاده إلى بنائه .

حدثني محمد بن حاتم . حدثنا محمد بن بكر . أخبرنا ابن جريج . قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته . فقال عبد الملك : ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها . قال الحارث : بلى ! أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن قومك استقصروا من بنيان البيت . ولولا حداثة عهدهم

---

(١) (حتى أبدى أسًّا) أي : حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أري الناس أساسه . فنظروا إليه فبنى البناء عليه .

(٢) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله . يقال : لطخته ، أي : رميته بأمر قبيح . يعني : إنَّا برءاء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة .

بالشرك أعدت ما تركوا منه . فإن بدا لقومك[1] ، من بعدي ، أن يبنوه فهلمي[2] لأريك ما تركوا منه » . فأراها قريبًا من سبعة أذرعٍ . هذا حديث عبد الله بن عبيد . وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي ﷺ : « وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًّا وغربيًّا . وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟ » قالت : قلت : لا . قال : « تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا . فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي . حتى إذا كاد أن يدخل[3] دفعوه فسقط » .

قال عبد الملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فنكت ساعة بعصاه[4] ثم قال : وددت أني تركته وما تحمل .

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة . حدثنا أبو عاصم . ح وحدثنا عبد بن حميد . أخبرنا عبد الرزاق . كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، مثل حديث ابن بكر .

---

(١) (فإن بدا لقومك) يقال : بدا له في الأمر بداء ، بالمد ، أي : حدث له فيه رأي لم يكن . وهو ذو بدوات ، أي : يتغير رأيه . والبداء محال على الله تعالى ، بخلاف النسخ . قاله النووي .

(٢) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم . قال الجوهري : تقول : هلمَّ يا رجل ، بفتح الميم بمعنى : تعال . قال الخليل : أصله لُمَّ . من قولك : لم الله شعثه ، أي : جمعه . كأنه أراد لم نفسك إلينا ، أي : أقرب . وها للتنبيه . وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي في الواحد والاثنان والجمع والمؤنث . فيقال ، في الجماعة : هلم . هذه لغة أهل الحجاز . قال الله تعالى : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ [الأحزاب : ١٨]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما. وللمرأة: هلمي . وللنساء : هلممن . والأولى أفصح . هذا كلام الجوهري .

(٣) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها : كاد أن يدخل . وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد . وقد كثر ذلك . وهي لغة فصيحة . لكن الأشهر عدمه .

(٤) (فنكت ساعة بعصاه) أي : بحث بطرفها في الأرض . وهذه عادة من تفكر في أمر مهم . قاله النووي .

وحدثني محمد بن حاتم . حدثنا عبد الله بن بكر السهمي . حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة ؛ أن عبد الملك بن مروان ، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال : قاتل الله ابن الزبير ! حيث يكذب على أم المؤمنين . يقول : سمعتها تقول : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر . فإن قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : لا تقل هذا . يا أمير المؤمنين ! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا .

قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذه الآثار : فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة ، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيدًا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد ، نقله عياض والنووي ، ولا تزال – والله أعلم – هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ٣/٥٥٤) :

(**فائدة**) : في البيت أربعة أركان : الأول له فضيلتان : كون الحجر

الأسود فيه وكونه على قواعد إبراهيم ، وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما ، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخر ولا يستلمان هذا على رأي الجمهور ، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا[1] .

● قلت : فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي :

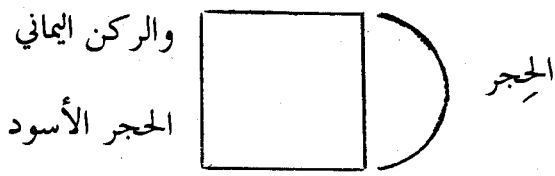

الركن الذي به الحجر الأسود ، والركن اليماني كلاهما على قواعد إبراهيم عليه السلام أما الآخران فلا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الصلاح يعملون أعمالًا صالحة ويرجون من ربهم عز وجل القبول ، وأهل الفساد يعملون أعمالًا فاسدة ويظنون أنهم إلى خير وضح ذلك ؟

ج : نعم أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله عز وجل القبول لها .

● ألا ترى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم !!! ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ويقولون : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا !!! ﴾ [الفرقان : ٦٥] .

---

(١) **قلت** : لم يرد أن النبي ﷺ قبَّل الركن اليماني .

● وها هم أهل الإيمان : ﴿ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون !!! ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

● وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يصدِّق برسول الله ﷺ ويجاهد معه ويصحبه في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويُعلِّمه النبي ﷺ أن يقول في صلاته : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »[1] .

● وها هو المحدث الملهم الفاروق أمير المؤمنين عمر يجاهد مع رسول الله ﷺ وينفق نصف ماله في سبيل الله عز وجل ويقول عند موته : وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي[2] .

وهؤلاء الأنصار يحفرون الخندق ويقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .

● أما أهل الفساد والريب فكما قال الله سبحانه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا مُسلمَين فلماذا قالا : ﴿ واجعلنا مُسلمَين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : المراد أنهما طلبا الثبات على الإسلام والزيادة من الطاعات وحسن

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣١٧/٢)، ومسلم (٢٨/١٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) أخرج ذلك البخاري رحمه الله (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر وفيه وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدَمٍ في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة ، قال : وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي .

الامتثال لأمر الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ما يدل على أن الهداية للإسلام والتوفيق للطاعة إنما هما من عند الله عز وجل ، اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك ؟

ج : نعم الهداية للإسلام والتوفيق للطاعات من عند الله عز وجل ، وها هي بعض الأدلة على ذلك .

● قال أهل الإيمان الذين أورثوا الجنان : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

● وقال الله تعالى : ﴿ وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس : ١٠٠] .

● وقال تعالى : ﴿ فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

● وقال تعالى : ﴿ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [يونس : ٢٥] .

● وقال تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ [الأعراف : ١٧٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها ﴾ [السجدة : ١٣] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خص إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذريتهما بالدعاء ؟

ج : خصا ذريتهما بالدعوة ، لأنهما أحق بالشفقة ، وقد قال الله تعالى :

﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ [التحريم : ٦] ، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمناسك في قوله تعالى : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨]؟

ج : قيل في المناسك هنا : إنها أعمال الحج[1] ، وقيل : هو مواطن الذبح[2] وقيل : هي عموم العبادة .

قال الطبري رحمه الله : وأما « المناسك » فإنها جمع « مَنْسِك » ، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إمَّا بذبْح ذبيحة له ، وإما بصَلاةٍ أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج : « مناسكه » ، لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها .

وأصل « المَنْسِك » في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي يَعتاده الرجل ويألفه ، يقال : « لفلان مَنْسك » ، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر . ولذلك سميت « المناسكُ » « مناسكَ » ، لأنها تُعتاد ، ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله .

وقد قيل : إن معنى « النُّسكِ » : عبادة الله . وأن « الناسك » إنما سمي « ناسكًا » بعبادة ربه .

فتأوَّل قائلو هذه المقالة . قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ،

---

(١) روى الطبري (٢٠٦٣) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين ، أو دينه .

(٢) أخرج الطبري (٢٠٦٦) بإسناد صحيح عن عطاء قال : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] قال : ذبحنا .

وعلمنا عبادتك ، كيف نعبدُك ؟ وأين نَعبدك ؟ وما يرضيك عنا فنفعله ؟

وهذا القول ، وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام ، فإن الغالب على معنى « المناسك » ما وصفنا قبل ، من أنها « مناسك الحج » التي ذكرنا معناها .

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما . وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذريتهما المسلمين . فلما ضمَّا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما ، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك . وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ في أول الآية ، وتأخره بعدُ في الآية الأخرى . فأما الذي في أول الآية فقولهما : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذُريتنا أمةً مسلمةً لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، ثم جمعا أنفسهما والأمة المسلمةَ من ذُريتهما ، في مسألتهما ربَّهما أن يُريهم مَناسكهم فقالا : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وأما التي في الآية التي بعدها : ﴿ ربَّنا وابعث فيهمْ رَسولًا منهم ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة ، وقد ذكر في قراءة ابن مسعود : (وأرهم مناسكهم) يعني بذلك : وأرِ ذريتنا المسلمة مناسكهم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذنوب حتى يقولا : ﴿ وتب علينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين الله عز وجل، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم »[1] ، وفي رواية : « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم »[1] .

---

(١) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٨) .

وقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »[1] .

● وكما قال النبي ﷺ : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[2] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] .

● ومن العلماء من قال : إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا بهذا الدعاء ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل .

● ومنهم من قال : إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لذريتهما .

● ومن العلماء من قال : إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين ، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى : فإن قال لنا قائل : وهل كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟

قيل : إنه ليس أحدٌ من خلق الله ، إلَّا وله من العمل – فيما بينه وبين ربه – ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكون ما كان من قِيلهما ما قالا من ذلك، إنما خَصَّا به الحال التي كانا عليها ، من رفع قواعد البيت،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٢) ، ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي لفظ لمسلم : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » .

لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دُعاءهما ، وليجعلا مَا فَعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما ، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله ، وجائز أن يكونا عَنيَا بقولهما : ﴿ وتُبْ عَلينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا – الذين أعلمتنا أمرهم – من ظُلمهم وشركهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتك ، فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما ، والمعنيُّ به ذريتهما ، كما يُقال : « أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرَّني فلان » إذا برَّ ولده .

* * *

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران – الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك .

* * *

س : هل تحققت دعوة إبراهيم حيث دعا : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٩] ؟ ومن هذا الرسول ؟

ج : نعم تحققت ، قال الله تعالى : ﴿ لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوامن قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : في هذه الآيات مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام توسلا إلى الله عز وجل بهذه الأسماء .

﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقد قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

يرغب عن – ملة – سفه نفسه – اصطفيناه – الصالحين – أسلم – وصى ؟

ج :

الكلمة	معناها
يرغب عن	رغب في الشيء أحبَّه ، ورغب عن الشيء كرهه وأعرض عنه ، ويرغب عن : يترك – يزهد في .
ملة	دين .
سفه نفسه	فيها أقوال منها : سفه في نفسه – أهلك نفسه – جلب لنفسه السفه – جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله) .
اصطفيناه	اخترناه – اجتبيناه .

الكلمـة	معناهـا
الصالحين	قال الطبري رحمه الله : الصالح : هو المؤدي حقوق الله عليه ، وقال القرطبي : والصالح في الآخرة هو الفائز .
أسلم	أخلص العبادة – أخضع بالطاعة – امتثل الأمر .
وصى	أمر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٠] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن المراد بها الاستفهام الذي يحمل التقريع والتوبيخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي ملة إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية السمحة ، وهي الإسلام ، دليل ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٣] .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثمَّ فإبراهيم عليه السلام كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا ، إلى غير ذلك من الآيات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين رغبوا عن ملة إبراهيم ؟

ج : هم اليهود والنصارى وكل من حاد عن الإسلام ، وقد روى الطبري

بإسناد حسنٍ عن قتادة[1] قال : قوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] رغب عن ملته اليهود والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية ، بدعة ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم – يعني : الإسلام – حنيفًا ، كذلك بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بملة إبراهيم .

* * *

س : وضح معنى ﴿ سَفِهَ نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد منها ما يلي :

١ – سفه نفسه أي : سفُه في نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أي : لا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ؛ ومعنى سفه نفسه أي : جهل في نفسه .

٢ – سفه نفسه أي : أهلك نفسه .

٣ – سفه نفسه أي : ظلم نفسه .

٤ – سفه نفسه أي : جهل ، والسفه هنا صفة للنفس أي : نفسه سفيهة أو سفهت نفسه ، قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] : إلا من سفهت نفسه ، وقد بينا فيما مضى أن معنى (السفه) : الجهل .

فمعنى الكلام : وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها كما :

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] قال : إلا من أخطأ حظه[2] .

---

(١) الطبري (أثر ٢٠٨٣) .

(٢) إسناده حسن إلى ابن زيد .

قال الطبري رحمه الله : وإنما نصب (النفس) على معنى المفسر وذلك أن (السفه) في الأصل للنفس فلما نقل إلى (من) نصبت (النفس) بمعنى التفسير كما يقال : (هو أوسعكم دارًا) فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها لا في الرجل ، فكذلك (النفس) أدخلت لأن السفه للنفس لا لـ (من) ، ولذلك لم يجز أن يقال : (سفه أخوك) وإنما جاز أن يفسر بالنفس وهي مضافة إلى معرفة لأنها في تأويل نكرة .

٥ - ومن العلماء من حمل سفه نفسه على ظاهرها ففسر سفه بمعنى جهل ، وسفه نفسه أي : جهل نفسه ، والمعنى جهل نفسه وما فيها من الآيات والدلالات والعبر على توحيد الخالق سبحانه وعلى أن الفطرة هي الإسلام .

قال الزَّجَّاج في تفسيره : (معاني القرآن وإعرابه ١/٢١١) : والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل ، فالمعنى - والله أعلم - إلا من جهل نفسه أي : لم يفكر في نفسه كقوله عز وجل : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

● **وأشار القرطبي رحمه الله تعالى :** إلى قول الزجاج وقال : فيفكر في نفسه من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها ، ولسان ينطق به وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام ، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء ، وكبد يصعد إليه صفوه ، وعروق ومعابر ينفذ فيها إلى الأطراف ، وأمعاء يرسب إليها ثفل الغذاء ويبرز من أسفل البدن فيستدل بهذا على أن له خالقًا قادرًا حكيمًا ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] أشار إلى هذا الخطابي رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب اصطفاء إبراهيم ﷺ في الدنيا وعلو منزلته في الآخرة ؟

ج : لذلك أسباب ، وقبل هذه الأسباب إرادة الله عز وجل .

● ثم سرعة امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣٠ ، ١٣١] .

صبره ﷺ ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات[1] أتمهن ﷺ ووفى بهن كما أخبر الله سبحانه وتعالى .

● شكره لنعم الله عز وجل عليه كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الربط بين قوله تعالى : ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ [البقرة : ١٣١]، وقوله تعالى : ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا ..﴾[البقرة : ١٣٠]؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل لما قال لإبراهيم عليه السلام أسلم فقال إبراهيم : أسلمت لرب العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل إبراهيم عليه السلام لم يكن مسلمًا حتى قال الله له أسلم ؟

ج : بل كان إبراهيم عليه السلام مسلمًا ، وإنما المراد والله أعلم أن الله

---

(١) وقد تقدم تفسير هذه الكلمات ، ومنها أن الله ابتلاه في بدنه بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختتن بالقدوم ، وابتلاه الله بالإلقاء في النار فصبر على ذلك ، وابتلاه الله في ولده بأن أمره بذبحه فوفى بذلك إلى أن فداه الله بذِبح عظيم ، وابتلاه الله بلقاء الجبابرة فالتقى بهم وقال كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم فقال : ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ [البقرة : ٢٥٨] إلى غير ذلك مما تقدم .

عز وجل أمره بزيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامتثال لله عز وجل ، ونظير ذلك قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها ﴾ [البقرة: ١٣٢] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن الضمير يرجع إلى الملة وهي الإسلام .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى قوله : ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣١] والمؤدي واحد ، والله أعلم .

* * *

س : الوفاة على الإسلام مطلب لأهل الصلاح اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول يوسف عليه السلام : ﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾ [يوسف : ١٠١] .

● قول المؤمنين بموسى عليه السلام : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنًا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

قول إبراهيم عليه السلام ويعقوب لأبنائهما : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

● قول النبي عليه السلام : « فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة

فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من هم بنو إبراهيم الذين أوصاهم إبراهيم بقوله : ﴿ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ومن هم بنو يعقوب ؟

ج : أما بنو إبراهيم عليهم السلام ، فالمذكوران في كتاب الله عز وجل إسماعيل وإسحاق عليهما السلام .

أما بنو يعقوب فهم : يوسف وإخوته الأحد عشر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المراد الإسلام ، ودليله قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقول الخليل عليه السلام : ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله اختار لكم هذا الدين ، وهو الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما معنى قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : الزموا هذا الدين ولا تفارقوه ، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتيكم منيتكم وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتدينون الإسلام .

ومن العلماء من قال : إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله عز وجل لقول النبي ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل »[1] ، والأول أولى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل وُلِدَ يعقوب عليه السلام في حياة إبراهيم ﷺ ؟

ج : لم أقف على دليل صريح يفيد ذلك ، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حيًّا في حياة إبراهيم ﷺ ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] قالوا : فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة عليهما السلام لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة .

● واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وبقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ [الأنبياء : ٧٢] .

---

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقوله تعالى : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا﴾ [الأنعام : ٨٤]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قرأ بعض أهل العلم (يعقوبَ) بالفتح في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ [البقرة : ١٣٢] فما وجه تأويل هذه القراءة ؟

ج : تأويله أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه ووصى معهم يعقوب أيضًا إذ كان حاضرًا معهم .

ولكن القراءة الأُولَى (أعني قراءة من قرأ يعقوب بالرفع) أَوْلَى وأشهر ثم إنها متواترة كذلك ، فالتأويل على أنها مرفوعة أولى ، وحينئذ يكون المعنى أن يعقوب كذلك أوصى بنيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] من قائله ؟

ج : الذي يظهر لي أن قائله هو إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
أم كنتم – شهداء – خلت – كسبت ؟

ج :

الكلمة	معناها
أم كنتم	أكنتم[1] ؟ – بل كنتم
شهداء	شهود ، أي : حضور
خلت	مضت
كسبت	عملت

(١) قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ [البقرة : ١٣٣] أكنتم ؟ ولكنه استفهم بـ (أم) إذ كان استفهامًا مستأنفًا على كلام قد سبقه كما قيل : ﴿ ألم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه ﴾ [السجدة : ١ – ٣] ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بـ (أم) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● **الأول :** أكنتم حضور مرض موت يعقوب عليه السلام حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني ؟!!! .

كلا بل لم تكونوا حاضرين ، وإنما هي افتراءات تفترونها ، وقد سأل يعقوب عليه السلام بنيه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده لله عز وجل إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا وهم له مسلمون .

● **الثاني :** أن معنى ﴿ أم كنتم ﴾ [البقرة : ١٣٣] بل كنتم ، وعليه فالمعنى : بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب عليه السلام (والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب عليه السلام) وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، وهو دين الإسلام ، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدتم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وتأويل الكلام : أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أي : أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية ، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وَصَّوا بنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم ، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم ، وهذه آيات نزلت

تكذيبًا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له .

● **وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر :** هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية فرد الله تعالى عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فَتَدَّعُون عن علم ؟ أي : لم تشهدوا بل أنتم تفترون ، و(أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية ، ثم قال : وقال قوم : أم بمعنى بل ، والتقدير : بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جحدًا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادًا . والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] لمن ؟

ج : أكثر أهل العلم على أن الخطاب لأهل الكتاب ، ومن العلماء من قال : إنه خطاب للمؤمنين ، والأول أظهر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأمة في قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ [البقرة : ١٣٤] ؟

ج : المراد بالأمة هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[1] ، والله أعلم .

---

(١) والأسباط : هنا هم أولاد يعقوب عليه السلام .

س : لماذا قدِّم إسماعيل في الذِّكر على إسحاق ؟

ج : قال بعض العلماء : لأنه أكبر منه سنًّا[1] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : العرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمنزلة الآباء هل من دليل ؟

ج : الدليل في قوله تعالى : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فأُطلق على إسماعيل أب[2] وهو عم يعقوب عليهما السلام .

* * *

س : بعض العلماء يجعل الجد أبًا يحجب الإخوة عن الميراث هل من دليل لهم على ذلك ؟ ومَن مِن الصحابة قال بذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قول أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فجعلوا إبراهيم أبًا ليعقوب عليه السلام مع أنه جده .

وكذلك قول يوسف ﷺ : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [يوسف : ٣٨] ، وإبراهيم جد يوسف ﷺ .

● أما الصحابة القائلون بذلك فمنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه[3] ومنهم أيضًا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[4] .

---

(١) وقد روى ذلك الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (أثر رقم ٢٠٨٩) .

(٢) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن ذلك على سبيل التغليب في هذا الموطن ، والله أعلم .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (حديث ٣٦٥٨) بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال : أما الذي قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذته » أنزله أبًا يعني : أبا بكر .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٩١) بإسناد صحيح إلى ابن عطاء قال : سمعت =

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ حضر يعقوب الموت ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : حضرته مقدمات الموت وعلاماته .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالى لقوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٣٤] واذكر بعض الآيات والأحاديث التي تؤدي معناها ؟

ج : أما بالنسبة لمعناها فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم ، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

● وقال الطبري رحمه الله : يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم ، فإنهم أمة – ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس ، قد خلت : مضت لسبيلها .

وقال أيضًا : ويعني بقوله : ﴿ لها ما كسبت ﴾ [البقرة : ١٣٤] أي : ما عملت من خير ، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشرٍّ لأن

= ابن عباس يقول : الجد أب ويتلو ابن عباس : ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم ، فإن الدعاوي غير مغنيتكم عند الله ، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم إن كنتم عملتموها وقدمتموها .

قلت : أما الآيات والأحاديث في معنى الآية الكريمة فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [النجم : ٣٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ﴾ [النور : ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● وقول النبي ﷺ : « من بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه »[1] .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه[2] قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال : « يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٤٧٧١) ، ومسلم حديث (٢٠٦) .

عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا » .

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

س : ما معنى هُودًا – حنيفًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
هودًا	يهودًا
حنيفًا	مستقيمًا– مخلصًا– مائلًا (أي : عن الشرك إلى التوحيد)

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] إجمال ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله – والله أعلم – أن اليهود قالوا للمسلمين : كونوا يهودًا تهتدوا .

والنصارى قالوا للمسلمين : كونوا نصارى تهتدوا .

* * *

س : ما المراد بقولهم : ﴿ تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – تهتدون للحق وتدخلون الجنة ، كما قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

* * *

س : على أي أساس نصبت ملة في قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : نصبت على أن هناك مقدر محذوف وهو (نتبع) والمعنى : بل نتبع ملةَ إبراهيم حنيفًا .

* * *

س : لماذا قيل : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : لأن اليهود والنصارى مقرون بنبوته عليه السلام ، فالإجابة عليهم من الجانب الذي أقروا به فكأنه قيل لهم : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله عز وجل الذي ارتضاه واجتباه وأمر به . قال الطبري رحمه الله : احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال : يا محمد قل للقائلين لك من اليهود

والنصارى ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة ، وندع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مزيدًا من أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف ؟

ج : ذكر عدد من العلماء أن **الحنيف** هو **المستقيم** ، وقال آخرون : هو **الحاج** وقال آخرون : هو **المخلص** ، وقيل : هو **المائل** [1] (أي : مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر :

ولكنـــا خُـلقنـــا إذ خُلقنـــا حنيفًا ديننـــا عـــن كـــل ديـــن

● وبعض العلماء يقولون : إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية ؛ لأنه أول من سنَّ **الاختتان** .

قال الطبري رحمه الله : (الحنَف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته ، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء ، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفًا بقوله : ﴿ ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

---

(١) من قولهم رجل حنيف ، وتحنَّف الرجل إذا مال ، والأحنف هو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها ، قالت أم الأحنف تُرقصه :

والله لـولا حَنَـفٌ فـي رِجْلِـهِ ودِقـةٌ فـي ساقِـهِ مـن هُزْلِـهِ

ما كان في فتيانكم مِنْ مِثْلِهِ

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء ، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

فقد صح إذًا أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حجَّ البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها . انتهى ما قاله الطبري رحمه الله تعالى .

● وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى قتادة قال : الحنيفية شهادة ألا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرَّم الله عز وجل والختان ، وكانت حنيفة في الشرك ، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات ، وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم عليه السلام ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم ؟!

ج : بل كانوا حنفاء – عليهم السلام – هم وأتباعهم ، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري رحمه الله بقوله : إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيَّنه من مناسكِ الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفًا باتباعه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٧) .

ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضآل عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل : (يهودي – نصراني – مجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على معوج الرجلين أحنف (مع أن الأحنف معناه المستقيم كما ذكرتم عن بعض العلماء) ؟

ج : أطلق عليه ذلك تفاؤلًا بالشفاء والسلامة ، كما قيل للديغ : سليم تفاؤلًا بالشفاء ، وللأعمى بصير تفاؤلًا كذلك ، وكما قيل للمُهْلِكَةِ من الأرض : مفازة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] في الرد على اليهود والنصارى ؟

ج : وجهه أن الله عز وجل نفى عن إبراهيم عليه السلام الشرك ، ولكن اليهود والنصارى قد أشركوا فادعت اليهود أن عزيرًا ابن الله ، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله ، فخالفوا بذلك ملة إبراهيم عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] فبين الله عز وجل شرك اليهود والنصارى في هذه الآيات ، وبيَّن في آية البقرة ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة: ١٣٥]، براءة إبراهيم عليه السلام من هذه الأديان التي يزعم أهلها أن اتباعها فيه الهداية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

آمنَّا – الأسباط – تولوا – شقاق – فسيكفيكهم – صبغة الله

ج :

الكلمة	معناها
آمنا	صدقنا
الأسباط[1]	الأسباط هم أبناء يعقوب الاثنا عشر ، وقيل : هم بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] ، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب
تولوا	أعرضوا
شقاق	فراق الحق[2]– المجادلة والمخالفة والتعادي – عصيان .
فسيكفيكهم	سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم
صبغة الله	دين الله – فطرة الله

(١) أخرج الطبري (٢١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : الأسباط يوسف وإخوته ، بنو يعقوب ولد اثني عشر رجلًا فولد كل رجل منهم أمة من الناس ، فسموا (أسباطًا) .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] .

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ولمن أُمروا أن يقولوه ؟

ج : الخطاب للمؤمنين ، وأُمروا أن يقولوا هذا القول لليهود والنصارى القائلين : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا .

ويقول المؤمنون هذا القول أيضًا لكل أحد كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي أُنزل على إبراهيم وما هو الذي أوتاه موسى وعيسى عليهم السلام ؟

ج : الذي أنزل على إبراهيم عليه السلام هو الصحف المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٨ ، ١٩] ، والذي أنزل على موسى ﷺ هو التوراة والذي أنزل على عيسى عليه السلام هو الإنجيل ، قال تعالى : ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ [الحديد : ٢٧] .

❋ ❋ ❋

س : قال الله عز وجل للمؤمنين : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .... ﴾ [البقرة : ١٣٦] فهل قال المسلمون ذلك ؟ وما جزاء من امتثل ذلك ؟ وما جزاء من خالفه ؟

ج : نعم قال المؤمنون ذلك قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل

إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وجزاء من امتثل ذلك ما ذكره الله تعالى حيث قال : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله و لم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] .

● وجزاء من خالفه ما ذكره الله في كتابه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبر فماذا يجب علينا تجاه هذا الخبر ؟

ج : إذا كان هذا الخبر موافقًا لكتاب الله عز وجل الذي بين أيدينا قبلناه وإذا كان هذا الخبر يُكذبه كتاب ربنا رددناه .

وإذا لم يوافق و لم يخالف توقفنا فيه لما رواه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿ وقولوا آمنا بالله وما أنزل ... ﴾ الآية [البقرة : ١٣٦] » والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (١١٣٨٧) .

س : وضح المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة : ﴿ قولوا آمنا بالله ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بذلك ﴿ قولوا ﴾ ، أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ، ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ ، ﴿ آمنا ﴾ أي : صدقنا ﴿ بالله ﴾ .

قال : وقد دللنا فيما مضى أن معنى (الإيمان) التصديق بما أغنى عن إعادته وقال أيضًا : ﴿ وما أنزل إلينا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يقول أيضًا : صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به فكان - وإن كان تنزيلًا إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت ويعني بقوله : ﴿ وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، صدَّقنا أيضًا وآمنا بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم الأنبياء من ولد يعقوب .

وقوله : ﴿ وما أوتي موسى وعيسى ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يعني وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى والكتب التي آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدِّق بعضهم بعضًا على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ﴾ [البقرة : ٢٨٥] يقول : لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضًا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرَّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرَّت بغيره من الأنبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله

وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى[1] .

❋ ❋ ❋

س : كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، في بعض الصلوات فما هي الصلاة التي كان النبي ﷺ يقرؤها فيها ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرؤها في ركعة من الركعتين اللتين قبل الفجر فقد ثبت في صحيح مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ ، الآية التي في البقرة [البقرة : ١٣٦] ، وفي الآخرة منهما : ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾[3] [آل عمران : ٥٢] .

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر : ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ...﴾ [البقرة: ١٣٦] ، والتي في آل عمران : ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٠٣) قال : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، إلى قوله : ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرِّقوا بين أحدٍ منهم .

(٢) حديث (٧٢٧) .

(٣) وكان يقرأ أيضًا في ركعتي الفجر في الركعة الأولى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثانية بـ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقد أخرج مسلم (حديث ٧٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

س : وضح معنى الشقاق بشيء من التفصيل ؟

ج : معنى الشقاق في الأصل الفراق ، والمراد أن هؤلاء المعاندين أصبحوا في شق ، والحق والحنيفية السمحة في شق آخر ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● روى الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قال : ﴿ وإنما هم في شقاق ﴾ أي : في فراق .

● وروى كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد[2] قال : ﴿ وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، قال الشقاق : الفراق والمحاربة إذا شاقَّ فقد حارب وإذا حارب فقد شاقَّ وهما واحد في كلام العرب ، وقرأ : ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقال الطبري رحمه الله : وأصل (الشقاق) عندنا – والله أعلم – مأخوذ من قول القائل : (شقَّ عليه هذا الأمر) إذا كربه وآذاه ، ثم قيل : (شاقَّ فلانٌ فلانًا) بمعنى نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءته ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] ، بمعنى فراق بينهما .

وقال القرطبي رحمه الله : ... وقيل الشقاق : المجادلة والمخالفة والتعادي ، وأصله من الشِّق وهو الجانب ، فكأن كل واحدٍ من الفريقين في شق غير شق صاحبه ، قال الشاعر :

إلى كم تقتل العلماء قسرًا ... وتفجر بالشقاق وبالنفاق

وقال آخر :

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم ... بُغاة ما بقينا في شقاق

---

(١) الطبري (٢١١٠) .

(٢) الطبري (أثر ٢١١٢) .

وقيل : إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب ، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ ، فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفّقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك .

❋ ❋ ❋

س : هل أتم الله عز وجل لنبيه ﷺ الوعد الذي وعده إياه وأنجزه له في قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : نعم أتم الله لنبيه ﷺ هذا الوعد الذي وعده إياه فسلطه على بعضهم بالقتل والإجلاء من الديار وسبي بعضهم وضرب الجزية على آخرين منهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن ملة إبراهيم عليه السلام – وهي الحنيفية السمحة – هي الصبغة التي يصبغ الله عز وجل بها أهل الإيمان ونعم الصبغة

هي ، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهوِّدوا أبناءهم أو ينصِّروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس . وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة [1] رحمه الله أنه قال : قوله : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى ، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر ، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده .

وقال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بـ (الصبغة) صبغة الإسلام ، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره – إذ قالوا لنبيه محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجَّة هداه .

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس نُصب قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : الذي يظهر أنه نُصب على الإغراء ، والمعنى الزموا صبغة الله .

وقيل : إنها بدل من قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أي : بدل من ملة . والله أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢١١٣) .

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

س : ما معنى أتحاجوننا ؟

ج :

الكلمة	معناها
أتحاجوننا	أتخاصموننا[1] – أتجادلوننا

* * *

(١) روى الطبري (٢١٣٠) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] أتخاصموننا ؟

س : قوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] ، خطاب لمن ؟

ج : هو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ أن يقول لليهود والنصارى الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه والقائلين : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أتحاجوننا ...

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتحاجوننا في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المراد الإنكار والتوبيخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ .. في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : قيل : إن المراد (دين الله) ، ولقائل أن يقول : إنه على ظاهره والمعنى أن المسلمين يقرون لله عز وجل بصفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ ، وينفون عنه الولد بينما اليهود والنصارى على غير ذلك فهم ينسبون لله الولد فاليهود يقولون : عزير ابن الله ، والنصارى يقولون : المسيح ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا في الله .... ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، ماذا

تريدون أن تحاججوننا فيه ؟!!! فهل توحيد الله عز وجل والإخلاص إليه والانقياد له واتباع أوامره وترك زواجره يحتاج إلى مناظرة ؟!!

أتحاجوننا في الله وتزعمون أنكم أولى بالله منا لكون نبيكم قبل نبينا وكتابكم نزل قبل كتابنا ، فإن كان هذا هو احتجاجكم فليست الأسبقية بمجدية هنا لأن ربنا وربكم واحد ونحن لم نغير ولم نبدل ولم نشرك بالله شيئًا كما أشركتم يا يهود فجعلتم عزيرًا ابن الله وكما أشركتم يا نصارى فزعمتم أن المسيح ابن الله ، فليست أسبقيتكم بنافعتكم شيئًا مع شرككم بالله عز وجل .

● أتخاصموننا يا يهود أن الله اصطفى منا – نحن العرب – نبيًّا ولم يصطفه منكم ، فالله ربنا وربكم وهو سبحانه يصطفي من خلقه ما يشاء ويختار من يريد !

● وقوله تعالى : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى .. ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، فحواه : أم تحاجوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كان هودًا أو نصارى ، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم ، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء – إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط – بالإسلام وما الله بغافل عما تعملون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الإخلاص ؟

ج : لأهل العلم في معنى الإخلاص أقوال منها ما يلي :

١ – أن الإخلاص هو العمل ابتغاء وجه الله وترك الرياء والبعد عنه .

٢ – قال قوم : الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضًا في الدارين ولا حظًّا من الملكين .

٣ – قال بعض العلماء : الإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيميله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية كريمة تدحض دعوى اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٥ – ٦٧] .

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، وما هي الشهادة التي كتموها ؟

ج : قيل : إن المعنيين هم اليهود والنصارى ، والشهادة التي كتموها هي كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين[1] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : فإن زعمت يا محمد اليهودُ والنصارى – الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى فمن أظلم منهم ، يقول : وأي امرىء أظلم منهم ؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين .

● والقول الثاني أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، هم اليهود ، والشهادة التي كتموها هي صفة محمد ﷺ المثبتة في كتبهم[١] .

والقول الأول أظهر لأن سياق الكتاب العزيز في هذا الموطن يؤيده والله تعالى أعلم[٢] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : وجه هذا التذييل أنه يحمل التهديد لليهود والنصارى الذين قد تسوِّل لهم أنفسهم شهادة الزور ويدَّعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) روى الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة (٢١٣٦) : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية ، وكتموا محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل .

وروى الطبري بإسناد صحيح (٢١٣٩) عن ابن زيد في قوله : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، قال : هم يهود يُسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن قوله تعالى ذكره : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، في إثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم ، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره .

س : اذكر آية كريمة في ذم كتمان الشهادة ؟

ج : الآية الكريمة هي قوله تعالى : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا أحد أشد ظلمًا ممن كتم شهادة الله التي عنده وأخفاها ، وقد كتم اليهود والنصارى شهادة الله التي عندهم مما يخص إبراهيم ومما يخص محمدًا صلى الله عليهما وسلم ، وكذلك كتموا ما يتعلق بالشرائع والفروع ، فمن ذلك أن في كتبهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين ، وما كانوا يهودًا ولا نصارى فقد جاءوا قبل اليهودية والنصرانية ، وكانوا قبلها خاضعين لله مستسلمين له مقرين بالعبودية له والوحدانية .

وكتموا صفة محمد ﷺ فقد كانت صفته عندهم كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وكتموا أيضًا أحكام الله في الزنا كما قد تقدم من وضعهم أصابعهم على آية الرجم أمام رسول الله ﷺ[1] ، والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٥٤٣) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ وامرأةٍ من اليهود قد زنيا فقال =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] ، وبين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : لأهل العلم في طريقة الجمع وجوه نذكر منها وجهين :

أحدهما : إنهما في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم) أعني أن مانع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه ، الساعي في خرابها على درجة من الظلم تساوي من كتم شهادة عنده من الله .

الثاني : إن ذلك على الاختصاص بمعنى أنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وليس من كاتمي الشهادة أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا كُرِّر قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أنه كرر للتهديد والتخويف ، والمعنى أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك .

= لليهود ما تصنعون بهما ؟ قالوا : نسخِّم وجوههما ونخزيهما قال : فأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا فقالوا لرجل ممَّن يرضون : يا أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضعٍ منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تَلُوح فقال : يا محمد إن عليهما الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرُجما فرأيته يُجانئ عليها الحجارة .

٢ – أنه كرر لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبيهًا لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء فكلٌّ يؤاخذ بعمله والمعول عليه هو ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه ، فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب إلى الرجال .

٣ – كرر لشدة حاجة الناس إلى معرفته[1] .

٤ – كرر لأنه إذا اختلفت مواطن الحِجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمَّينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصارى فكذبوا :

---

(١) قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ٢/٢٧٨) : قال الراغب : إعادة هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمة في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بآبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم لا سيما في أمور دينهم ، ولهذا حكي عن الكفار قولهم : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ [الزخرف : ٢٢] ، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة ، وذكر في إثر ما حكي من وصية إبراهيم ويعقوب بنيه بذلك تنبيهًا أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه ، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لآبائهم أعاد أيضًا تأكيدًا عليهم تنبيهًا على نحو ما قال : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء : ١٣]، وقوله : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقوله : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، ولما جرت به عادتهم وتفردت به معرفتهم كل شاة تناط برجليها .

إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة قد خلت – أي : مضت لسبيلها فصارت إلى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها إلا سيئها ، فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فإنكم إن كان هؤلاء ، وهم الذين بهم تفتخرون وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدَّموا من صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال ولا يضركم غيرُ سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ، ودَعوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد فإنما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط يعملون من الأعمال ؛ لأن كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فإنما تسأل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

السفهاء – ما ولاهم – أمة – وسطًا – ينقلب على عقبيه – كبيرة – إيمانكم – رءوف ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء	الجهال (والمراد بهم هنا : اليهود وأهل الشرك والنفاق)
ما ولاهم	أي شيء صرفهم وحولهم
أمة	القرن من الناس والصنف من الناس (المراد هنا – والله أعلم – أتباع محمد ﷺ)

الكلمـــة	معناهـــا
وسطًا	عدلًا – خيارًا
ينقلب على عقبيه	يرتد عن دينه (والعقب : مؤخر القدم)
كبيرة	مشقة ثقيلة
إيمانكم	صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس
رءوف	الرأفة أشد الرحمة وأكثر الرحمة[1] .

❋ ❋ ❋

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الرأفة) أعلى معاني الرحمة ، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة ، وقال القرطبي رحمه الله : والرأفة أشد من الرحمة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة والمعنى متقارب .

س : ما معنى السفهاء ؟ ومن هم السفهاء من الناس ؟ ولماذا أطلق عليهم سفهاء ؟

ج : السفهاء هم الجهال ، والسفهاء من الناس هم اليهود ، وقد قال بذلك البراء بن عازب رضي الله عنهما[1] ، وقيل : إنهم المنافقون ، وقيل : هم مشركو العرب ، وكل هؤلاء : (اليهود ، وأهل النفاق ، ومشركو العرب) سفهاء ، فلا مانع من أن يكونوا كلهم قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .

أما لماذا أطلق عليهم سفهاء فاليهود أطلق عليهم سفهاء لأنهم سَفِهُوا الحق وأنكروه ، وأهل النفاق جهلوا أن الله على كل شيء قدير ، وأنه سبحانه قادر على أن يحول المسلمين من قبلة إلى أخرى ، وجهلوا حكمة الله في ذلك ، أما أهل الشرك فهم سفهاء أصلًا لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل من دلائل النبوة وضحه ؟

ج : إيضاحه أن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ بشيء لم يك قد وقع

---

(١) أخرجه الطبري (٢١٤٥) بإسناد رجاله ثقات عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ قال : اليهود .
وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا وإلى ابن إسحاق ، وفي بعض الروايات (أهل الكتاب) بدلًا من اليهود ، وهي محمولة على الأولى بمعنى أن أهل الكتاب يُراد بهم هنا اليهود .
والإسناد لا تشوبه إلا عنعنة أبي إسحاق ولا أراها تضر في مثل هذا الموطن ، فالأثر عن البراء بأنهم اليهود صحيح .
ولكن هذا لا ينفي أن يكون المنافقون قالوا كذلك أيضًا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وأهل الشرك كذلك قالوا نحوه ، ومن ثمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (والآية عامة في كل هؤلاء) والله أعلم .

وأخبر النبي أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر سبحانه وتعالى نبيه وكما أخبر نبيُّه الناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يُردُّ على السفهاء القائلين : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : يُردُّ عليهم بـ : ﴿ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي : أن الاتجاهات كلها لله ومِلْك المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه ، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب إنما العبرة بطاعة الله عز وجل وامتثال أمره كما قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وهكذا يُردُّ على كل ملحد حاجج المؤمنين في عبادتهم ، فإن قال لنا قائل : لماذا تطوفوا بالكعبة وتسعون بين الصفا والمروة وترمون الجمار وتقفون بعرفات ... فالإجابة على كل هذا أن هذا أمر الله ونحن لربنا مسلمون طائعون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه ؟

ج : فائدته توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء ، وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته ، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام .

وقد تقدم أن في الآية الكريمة نوع إعجاز للإخبار بالغيب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن في الآية الكريمة : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] نسخٌ للسنة بالقرآن وضح ذلك ؟ واذكر دليلًا آخر يدل على نسخ السنة بالقرآن ؟

ج : وجه الدلالة من الآية الكريمة على نسخ السنة بالقرآن أن النبي ﷺ كان يُصلي إلى بيت المقدس وليس هناك نص ظاهر في كتاب الله بالأمر بذلك ، ثم جاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنسخ ما كان من توجهٍ إلى بيت المقدس ، ودليل آخر في هذا الباب وهو ما أخرجه البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه في قصة صلح الحديبية ... وفيه أن سهيل ابن عمرو قال لرسول الله ﷺ في بنود الصلح : .. وعلى أنه لا يأتيك منا رجل – وإن كان على دينك – إلا رددته إلينا ... الحديث ، وفيه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن .. – حتى بلغ – بعصم الكوافر ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

والشاهد من الحديث – على قول لبعض العلماء[2] – : إن الاتفاقية بين رسول الله ﷺ وبين المشركين كان من بنودها أنه لا يأتيه مسلم منهم إلا وردَّه إليهم ، فنسخ الله سبحانه ذلك في شأن المؤمنات بقوله تعالى : ﴿ .. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .. ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

❋ ❋ ❋

---

(١) حديث (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل منهما حديث صاحبه .

(٢) وإن كان بعض العلماء يرى أن الاتفاقية كانت تنص على الرجال فقط كما هو وارد في الحديث ، وبعضهم يقول : إن النساء كن داخلات في الاتفاقية بالمعنى ، والله تعالى أعلم.

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل على النسخ وضحه ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فأمرهم الله بالتحول إلى الكعبة فكان ذلك التوجه نسخ لتوجههم إلى الكعبة .

قال القرطبي رحمه الله : في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخًا ومنسوخًا ، وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ ، كما تقدم ، وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نُسخ من القرآن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : قل لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما ، وله الحكم والتصرف والأمر فيهما ، والمراد أن العبرة بامتثال أوامر الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي الشأن كله في امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل كان توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس باجتهاد منه أم بوحي من الله إليه ؟

ج : للعلماء في ذلك قولان :

أحدهما : أنه كان باجتهاد منه ﷺ .

الثاني : أنه بوحي .

وعلى أية حال فرب العزة سبحانه وتعالى قد أقرَّه على ذلك فقد قال الله سبحانه : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فالله هو الذي جعل القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ ، وهو الذي وجهه إليها .

❋ ❋ ❋

س : لماذا وُجِّه المسلمون أولًا إلى بيت المقدس ثم حُوِّلوا إلى الكعبة ؟

ج : في هذا فتنة من الله عز وجل وامتحان ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فقال أهل النفاق لما حُوِّلت القبلة : ما بال محمد يحولنا مرة إلى ها هنا ومرة إلى ها هنا ، وقال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وقال أهل الشرك : كما رجع محمدٌ إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا ، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق وأنه من عند الله سبحانه وسمعوا له وأطاعوا ورضوا به وقرت أعينهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا .. ﴾ [البقرة : ١٤٣] معطوف على ماذا ؟

ج : معطوف على الهداية ، فالمعنى : وكما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم لاتباع ملة إبراهيم والاتجاه لقبلته وفضلناكم بذلك على سائر الملل فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

● وقيل : راجع إلى إبراهيم عليه السلام ، فالمعنى : وكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

● وقال بعض العلماء : وكما هديناكم إلى الكعبة التي هي وسط الأرض فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

والقول الأول أولى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ وسطًا ﴾ ، ولماذا وُصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط ؟

ج : **الوسط : العدل** ، وقد تقدم ذلك كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ... والوسط العدل »[1] .

والوسط أيضًا يطلق على الخيار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ؛ وذلك لكونها أشرف الصلوات وينشغل الناس عنها .

ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ [القلم : ٢٨] وكما قال الشاعر (وهو زهير بن أبي سلمى) :

هُمُ وَسَطٌ يرضى الأَنام بِحُكْمِهم ... إذا نَزَلَتْ إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

---

(١) أخرجه البخاري مع قصة كما تقدم ، وأخرجه مختصرًا الطبري في تفسيره (٢١٦٥) ، وإسناده صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : عُدولًا .

● **أما لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها وسط** ، فكما ذكر الطبري رحمه الله حيث قال : وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذي غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسطٍ واعتدالٍ فيه ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها .

ونقل القاسمي في محاسن التأويل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله : وهذه الفرقة الناجية أهل السنة ، وهم وسط في النِّحل ، كما أن ملةَ الإسلام وسط في الملل . فالمسلمون وسط في أنبياء الله ، ورسله ، وعباده الصالحين ، لم يغْلوا فيهم كما غلت النصارى فـ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّهِ والمسيح ابن مريم ، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا ، لا إله إلا هو ، سبحانه عمَّا يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] ولا جفوا عنهم ، كما جفت اليهود ، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا ، وقتلوا فريقًا . بل المؤمنون آمنوا برسل الله ، وعزروهم ، ونصروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، ولم يعبدوهم ، ولم يتخذوهم أربابًا . كما قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللَّهِ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح ، فلم يقولوا : هو الله ، ولا

ابن الله ، ولا ثالث ثلاثة . كما تقوله النصارى . ولا كفروا به ، وقالوا على مريم بهتانًا عظيمًا ، حتى جعلوه ، ولد غية ، كما زعمت اليهود . بل قالوا : هذا عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، وروح منه . وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله ، فلم يحرِّموا على الله أن ينسخ ما شاء ، ويمحو ما شاء ويثبت . كما قالته اليهود . كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبقوله : ﴿ وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقُّ مصدِّقًا لما معهم ﴾ [البقرة : ٩١] ولا جوَّزوا لأكابر علمائهم وعبَّادهم أن يغيروا دين الله ، فيأمروا بما شاءوا وينهَوا عما شاءوا . كما يفعله النصارى . كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال عديُّ بن حاتم رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله ما عبدوهم ؟ قال : « ما عبدوهم ، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم »[1] . والمؤمنون قالوا : لله الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره ، لا يأمر غيره . وقالوا : سمعنا وأطعنا ، فأطاعوا كل ما أمر الله به . وقالوا : إن الله يحكم ما يريد . وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ، ولو كان عظيمًا . وكذلك في صفات الله تعالى ، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة ، فقالوا : هو فقير ونحن أغنياء . وقالوا : يد الله مغلولة . وقالوا : إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت . إلى غير ذلك . والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به . فقالوا : إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ، ويثيب ويعاقب . والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى . ليس له سميٌّ ولا ندٌّ . ﴿ ولم يكن

---

(١) في إسناده ضعف .

له كفوًا أحدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، و ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] فإنه رب العالمين ، وخالق كل شيء . وكل ما سواه عباد له ، فقراء إليه .

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلُّهم ءاتيه يوم القيامة فردًا ﴾ [مريم : ٩٣ - ٩٥] ومن ذلك : أمر الحلال والحرام . فإن اليهود كما قال الله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أُحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط . ولا شحم الثَّرب (الثَّرب : شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء . وجمعه ثروب) والكليتين . ولا الجدي في لبن أمه . إلى غير ذلك ، مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما . حتى قيل : إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعًا والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمرًا . وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض ، ولا يجامعوها في البيوت . وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات ، وباشروا جميع النجلسات ، وإنما قال لهم المسيح : ﴿ ولأُحلَّ لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] . ولهذا قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] . وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النَّبي الأُمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأَغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

وهذا باب يطول وصفه . وهكذا أهل السنة والجماعة في الفِرَق . فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته ، وسط بين أهل التعطيل ، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ، ويعطلون حقائق ما نَعَت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات . وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات . فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه ، وما وصفه رسوله ﷺ . من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف وتمثيل . وهم في باب خلْقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله ، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء . وبين المفسدين لدين الله . الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطِّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب . فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير . فيقدر أن يهدي العباد ويقلِّب قلوبهم . وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . فلا يكون في ملكه ما لا يريد . ولا يعجز عن إنفاذ مراده . وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات . ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل . وأنه مختار . ولا يسمونه مجبورًا . إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره . والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله . فهو مختار مريد . والله خالقه وخالق اختياره . وهذا ليس له نظير . فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية . ويكذبون بشفاعة النبيِّ ﷺ . وبين المرجئة الذين يقولون : إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء . والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان . ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية . فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله . وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي

يستوجبون به الجنة . وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو مثقال خردلة من إيمان . وأن النبي ﷺ ادَّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته . وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، وسط بين الغالية الذين يغالون في عليٍّ رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما ، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا ، وكفَّروا الأمة بعدهم كذلك ، وربما جعلوه نبيًّا أو إلهًا . وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما . ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما . ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته . وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط ، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . انتهى .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في فضل أمة محمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [الحج : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود – إلى قوله : – وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا[1] ﴾ [فاطر : ٣٢] ، وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] متى تكون هذه الشهادة ؟

ج : هذه الشهادة تكون في الآخرة وتكون كذلك في الدنيا .

● أما كونها في الآخرة فلقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا * يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوَّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ﴾ [النساء : ٤١ ، ٤٢] .

---

(١) وهم أمة محمد ﷺ على رأي فريق كبير من أهل العلم .

● أما كونها في الدنيا فلما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: « وجبت » ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال : « وجبت » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض » ، وفي رواية مسلم :« أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض » .

❋ ❋ ❋

س : في ماذا تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة ؟

ج : تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات الله عز وجل ، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدعى[2] نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . والوسط العدل .

❋ ❋ ❋

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس .. ﴾ [البقرة :١٤٣] على حجية الإجماع ، وضح وجه هذا الاستدلال ، وهل من دليل آخر أصرح في الاستدلال من هذا الدليل ؟

---

(١) البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٢٨) ، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٧) .

ج : حاصل قولهم أن الله عزَّ وجل وصف هذه الأمة بالعدالة في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] فلما وصفها بالعدالة كان من مقتضيات وصفها بالعدالة أنها إذا اتفقت على أمر كان هذا الأمر صوابًا لأنه إذا كان باطلًا اختلت عدالتها ، والله أعلم .

● وأصرح من ذلك في الاستدلال على حجية الإجماع قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقول النبي ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة »[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أمة محمد ﷺ من هو مسرف على نفسه ، ومنهم من هو فاسق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [فاطر : ٣١] ؟

ج : الإجابة أنه حتى الفاسق من أمة محمد ﷺ الذي يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يقر بنبوة الأنبياء عليهم السلام وأنهم قد بلغوا أمر الله عز وجل ، ومن ثمَّ استقام أن يكون شهيدًا على الناس في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) لهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها ضعف ظاهر اللهم إلا حديث ابن عباس المرفوع الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) ، والبيهقي في الصفات (٢/ ١٣٦) فإسناده ظاهره الصحة إلا أنني في ريب من تصحيحه وخاصة مع توقف الحاكم – رغم تساهله المعروف – في تصحيح هذا الحديث حيث قال : لا أدعي صحته ولا أحكم بتوهينه . وكذلك فقد أخرج الترمذي بإسناد مشابه لإسناده حديثًا ووصفه بحسن غريب .

س : رأى كثير من أهل العلم أن العدالة شرط للشهادة اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ [الطلاق : ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة :٢٨٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ اثنان ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ١٠٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

قال ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير هذا الآية : وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلًا .

* * *

س : بماذا يشهد الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة ؟

ج : يشهد الرسول على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمروا بفعله إذا هم فعلوه ، وبعض أهل العلم يقول : ﴿ عليكم ﴾ هنا بمعنى : لكم ، أي : يشهد لكم بالإيمان ، والله أعلم .

* * *

س : ما هي القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة ؟

ج : هي بيت المقدس ، وذلك كما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا[1] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) ، ومسلم (حديث ٥٢٥) .

س : ما هي الكبيرة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : هي مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام .

وقال بعض العلماء : إنها صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى الكعبة فقد كان يشق عليهم الاتجاه إلى بيت المقدس وترك الكعبة[1] .

لكن قد صحح الطبري القول الأول بقوله : وهذا التأويل[2] أولى التأويلات عندي بالصواب لأن القوم إنما كَبُر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبله الأولى إلى الأخرى لا عين القبلة ولا الصلاة ، لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم .

* * *

س : ما هو وجه كون تحويل القبلة كبيرة ؟

ج : وجه ذلك ما ذكره الطبري بإسناد صحيح[3] إلى ابن زيد قال : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال: كبيرة في صدور الناس فيما يدخل الشيطانُ به ابن آدم قال : ما لهم صلوا إلى ههنا ستة عشر شهرًا ثم انحرفوا ، فكبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين ، فقالوا : أي شيء هذا الدِّين ؟ وأما الذين آمنوا

---

(١) أخرج الطبري (٢٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم الله عزَّ وجل القبلة .
وفي رواية أخرى بنفس السند : قال : صلاتك ها هنا يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا وانحرافك ها هنا .

(٢) نص التأويل الذي عناه وذكره : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليتناك عنها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك ﴿ لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٣) الطبري أثر (٢٢١٧) .

فثبَّت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم ، وقرأ قول الله : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلةِ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الله عز وجل يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما كان وما سيكون ، وهو سبحانه يعلم من سيتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكيف يوجَّه قوله تعالى في الآية الكريمة : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله تعالى نحو هذا السؤال في تفسيره ثم أجاب عليه فقال رحمه الله تعالى في سؤاله والجواب عليه ما نصه :

قال : فإن قال لنا قائل : أو ما كان الله عالمًا بمن يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، إلَّا بعد اتباع المتَّبع ، وانقلاب المنقلب على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتَّبعَ رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وليس قوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتِّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ ، بخبر (عن) أنه لم يعلم ذلك إلَّا بعد وجوده .

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أما معناه عندنا ، فإنه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلَّا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، ومعناه ليعلم رسولي وأوليائي . إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع

الرئيس ، إلى الرئيس وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : (فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها) ، وإنما فعل ذلك أصحابه ، عن سببٍ كان منه في ذلك ، وكالذي روي في نظيره عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله جل ثناؤه : مرضت فلم يعدني عبدي ، واستقرضته فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني »[1] .

حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : استقرضت عبدي فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني ! يقول : وا دهراه ! وأنا الدهر ، أنا الدهر »[2] .

حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وقد كان ذلك بغيره ، إذا كان ذلك عن سببه .

وقد حكي عن العرب سماعًا : (أجوع في غير بطني ، وأعرى في غير ظهري) ، بمعنى : جوع أهله وعياله وعُرْيَ ظهورهم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

(٢) إسناده حسن .

فكذلك قوله : ﴿ إلَّا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، بمعنى : يعلم أوليائي وحزبي .

وأورد الطبري رحمه الله أوجهًا أخر فقال :

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك ، من أجل أن العرب تضع (العلم) مكان (الرؤية) و(الرؤية) مكان (العلم) ، كما قال جل ذكره : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ [الفيل : ١] ، فزعم أن معنى ﴿ ألم تر ﴾ : ألم تعلم ؟ وزعم أن معنى قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، بمعنى : إلا لنرى من يتبع الرسول . وزعم أن قول القائل : (رأيت ، وعلمت ، وشهدت) ، حروف تتعاقب ، فيوضع بعضها موضع بعض ، كما قال جرير بن عطية :

كأنك لم تشهد لقيطًا وحاجبًا وعمرو بن عمرو إذ دعا يالدارم

بمعنى : كأنك لم تعلم لقيطًا ، لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير ، ما لا يخفى بعده من المدة . وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية ، وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل بعيد . من أجل أن (الرؤية) ، وإن استعملت في موضع (العلم) ، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحدٌ شيئًا فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه ، إذا كان صحيح الفطرة . فجاز من الوجه الذي أثبته رؤيةً ، أن يضاف إليه إثباته إياه علمًا ، وصح أن يدل بذكر (الرؤية) على معنى (العلم) من أجل ذلك فليس ذلك ، وإن كان (جائزًا) في الرؤية – لما وصفنا – بجائز في العلم ، فيدل بذكر الخبر عن (العلم) على (الرؤية) . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان (عنه) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : (علمت كذا) ، بمعنى رأيته .

وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام ، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب ، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها . فموجود في كلامها (رأيت) بمعنى : علمت ، وغير موجود في كلامها (علمت) بمعنى : رأيت ، فيجوز توجيه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلى معنى : إلا لنرى .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلَّا لنعلم ﴾ ، من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله ، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه . وقالوا – إذ قيل لهم : إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم ، إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة – : ذلك غير كائن ! أو قالوا : ذلك باطل ! فلما فعل الله ذلك ، وحول القبلة ، وكفر من أجل ذلك من كفر ، قال الله جل ثناؤه : ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم – أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه – : أني عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد .

فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ : إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وهذا وإن كان وجهًا له مخرج ، فبعيدٌ من المفهوم .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال ، على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، وقد عُلم أنه على هدى ، وأنهم على ضلال مبين . ولكنه رفق بهم في الخطاب ، فلم يقل : إنا على هدى وأنتم على ضلال . فكذلك قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، معناه عندهم : إلَّا لتعلموا أنتم ، إذ كنتم جهالًا به قبل أن يكون . فأضاف العلم إلى نفسه ، رفقًا بخطابهم .

وقد بيَّنا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق .

وقال الزجاج في معاني القرآن :

وقوله عز وجل : ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] إن قال قائل : ما معنى ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن على عقبيه ﴾ ، والله عز وجل – قد علم ما يكون قبل كونه ، فالجواب في ذلك أن الله يعلم من يتبع الرسول مِمَّن لا يتبعه من قبل وقوعه ، وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين ، فيجب ثوابهم على قدر عملهم ، ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة – كما قال عز وجل : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [التغابن : ١٨] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب ، وعلمه به في حال وقوعه شهادة وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلومًا عنده غيبًا ، لأنه يعلمه قبل كونه ، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله نحو قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان :

قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] الآية . ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون . وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، فقوله : ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ بعد قوله :

﴿ ليبتلي ﴾ [آل عمران : ١٥٤] دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار ، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التى يذكر الله فيها اختباره لخلقه . ومعنى ﴿ إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك ، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس . أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى .

❋ ❋ ❋

س : ترد بعض أوامر الله عز وجل لاختبار المؤمنين وتمييز المؤمن من المنافق كهذه الآية : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] اذكر آيات أخرى مشابهة لها يتميز بها المؤمن عن المنافق ؟

ج : من هذه الآيات ما ذكره الله عز وجل عن شجرة الزَّقوم التي تطلع في أصل الجحيم ، كما قال تعالى : ﴿ أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجـرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٢ – ٦٤] ، فهذه الشجرة فتنة للظالمين ، إذ قالوا : كيف تنبت شجرة في أصل الجحيم ومن المعلوم أن النار تأكل الخشب؟ ! ، فجهلوا أن الله على كل شيء قدير .

● وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] وذلك في شأن الإسراء .

● وقوله تعالى في عدد أصحاب النار : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا – إلى قوله تعالى – : وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء .. ﴾ [المدثر : ٣١] .

فقال أهل الكفر والنفاق : إذا كان عدد خزنة جهنم تسعة عشر فنحن قادرون على سحقهم وإخماد النار واحتلال الجنة بالقوة .

● وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : أخرج البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت ، وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] إشارة إلى أن الأعمال من الإيمان وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن جمهور المفسرين فسروا الإيمان في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي : صلاتكم ، والصلاة عمل ، فعلى ذلك فالإيمان

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٦) .

يدخل فيه العمل أيضًا ، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكرتم أن سبب نزول الآية الكريمة هو إشفاق المؤمنين على إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تحوَّل القبلة إلى الكعبة فلماذا عبر بقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ولم يعبر بقوله : (إيمانهم) ؟

ج : ذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد كما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] ولم يقل بإخوانهم .

وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ولم يقل ولا تلمزوا إخوانكم ، وكما قال سبحانه : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] .

● وأورد الطبري رحمه الله تعالى جوابًا آخر فقال : (وقد طرح سؤالًا مشابهًا)[1] :

قيل : إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة وظنوا أن عملهم ذلك قد بطل وذهب ضياعًا ، فأنزل الله جل ثناؤه حينئذٍ فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم ، لأن من شأن العرب

---

(١) قال الطبري في هذا السؤال : فإن قال قائل : وكيف قال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية .

إذا اجتمع في الخبر المخاطبُ والغائب أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر (فعلنا بكما وصنعنا بكما) كهيئة خطابهما لهما وهما حاضران ، ولا يستجيزون أن يقولوا : (فعلنا بهما) وهم يخاطبون أحدهما فيردوا المخاطب إلى عداد الغيب[1] .

❋ ❋ ❋

س : في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] دليل على العمل بخبر الآحاد وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين لما أُخبروا وهم في صلاتهم بتحويل القبلة استداروا وهم في صلاتهم والذي أخبرهم كان واحدًا فخبره خبر آحاد بلا شك .

قال القرطبي رحمه الله : وفيه دليل على قبول خبر الواحد ، وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحادًا للآفاق ليعلِّموا الناس دينهم فيبلِّغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهي .

❋ ❋ ❋

س : هل ثبت أن أحدًا من الصحابة ارتد بعد تحويل القبلة ؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، ولكني لم أقف على سند صحيح يفيد ذلك ، والله تعالى أعلم[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الغيب جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

(٢) وقد ورد ذلك بإسناد معضل عن ابن جريج عند الطبري (٢٢٠٥) .

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أراد جلَّ ثناؤه بذلك أن الله عز وجل أرحمُ بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأف بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم ، أي : ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملًا عملوه لي ، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم ، وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في سعة رحمة الله عز وجلَّ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها »[1] .

● ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة في مائة جزء

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٩) ، ومسلم (٢٧٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٠٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٢) .

فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي »[1] .

● ومنها ما في الصحيح كذلك من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« ليصيبن أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون »[2] .

● ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[3]عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي . وأنا معه حيث يذكرني . والله ! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب إلي شبرًا ، تقربت إليه ذراعًا . ومن تقرب إلي ذراعًا ، تقربت إليه باعًا . وإذا أقبل إلي يمشي ، أقبلت إليه أهرول » .

وفي رواية عنده[4] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها » .

وأخرج مسلم[5] من طريق الحارث بن سويد قال :

دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض . فحدثنا بحديثين : حديثًا عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم حديث (٢٧٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٥٠) .

(٣) مسلم حديث (٢٦٧٥) .

(٤) هي عند مسلم أيضًا (ص٢١٠٢) .

(٥) مسلم حديث (٢٧٤٤) .

نفسه وحديثًا عن رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن ، من رجل في أرض دويةٍ[1] مهلكة[2] معه راحلته . عليها طعامه وشرابه . فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش . ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه . فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت . فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه . فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » .

● وأخرج مسلم[3] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته . تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ . وعليها له طعام وشراب . فطلبها حتى شق عليه ، ثم مرت بجذل شجرةٍ[4] فتعلق زمامها . فوجدها متعلقة به ؟ » قلنا : شديدًا[5] . يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أما ، والله ! لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، من الرجل براحلته » .

● ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك[6]

---

(١) قال النووي رحمه الله : (دوية) اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعًا . وذكر مسلم ، في الرواية التي بعد هذه ، رواية أبي بكر بن أبي شيبة : أرض داوية ، بزيادة ألف ، وهي بتشديد الياء أيضًا . وكلاهما صحيح . قال أهل اللغة : الدوِّية الأرض القفر والفلاة الخالية . قال الخليل : هي المفازة . قالوا : ويقال دوِّية وداوية . فأما الدوِّية فمنسوبة إلى الدوِّ ، بتشديد الواو ، وهي البرية التي لا نبات بها . وأما الداوية فهي على إبدال إحدى الواوين ألفًا . كما قيل في النسب إلى طيء طائيٌّ .

(٢) (مهلكة) موضع خوف الهلاك ، بفتح اللام وكسرها ، ويقال لها مفازة . قيل : إنه من قولهم فوَّز الرجل ، إذا هلك ، وقيل : هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها ، كما يقال للديغ : سليم .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٦) .

(٤) جذل شجرة أي : أصل شجرة .

(٥) أي : نراه يفرح فرحًا شديدًا .

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فأيس منها فأتى شجرة . فاضطجع في ظلها . قد أيس من راحلته . فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها . ثمَّ قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » .

● وأخرج مسلم من حديث أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة : كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم » .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسأل فأتى راهبًا فسأله فقال له : هل من توبةٍ ؟ قال : لا ، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فَنَاءَ[2] بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ، وقال : قيسوا ، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٦) .

(٢) ناء بمعنى : بَعُدَ .

(٣) وله لفظ أطول عند مسلم وهو أن نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى =

وأخرج البخاري[1] من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله : إذا أنا مت فخذوني فذرُّوني في البحر في يومٍ صائفٍ[2] ففعلوا فجمعَه الله ثم قال : ما حملكَ على الذي صنَعت ؟ قال : ما حملني عليه إلا مخافَتُك فغَفَر له » .

ونحوه في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

أنه ذكر رجلًا فيمن سلف – أو فيمن كان قبلكم – قال كلمةً يعني أعطاه الله مالًا وولدًا فلما حضرت الوفاةُ قال لبنيه : أيَّ أبٍ كنُت لكم ؟ قالوا : خيرَ أب قال فإنه لم يَبْتَئِر[4] – أو لم يبتئز – عند الله خيرًا ، وإن يقدر الله عليه يعذِّبْهُ فانظُروا إذا متُّ فأَحْرِقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقُوني – أو قال : فاسحكوني – فإذا كان يومُ ريح عاصفٍ فأَذْروني فيها فقال نبيُّ الله ﷺ : « فأخذ مواثيقَهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك – أو فرق منك – قال : فما تلافاه[5] أن رحمه عندها » .

= إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٨٠) ، والنسائي (٤/١١٣) .

(٢) في بعض الروايات : « في يوم حار » ، وفي بعضها : « في يوم رائح » (أي : شديد الريح) وفي بعضها :« في يومٍ عاصف » .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

(٤) أي : لم يدخر (كما هو مفسر في بعض الروايات) .

(٥) أي : فما تداركه غيرها .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

سمعت النبي ﷺ قال : « إن عبدًا أصاب ذنبًا – وربما قال : أذنب ذنبًا – فقال : ربِّ أذنبتُ ذنبًا – وربما قال : أصبت – فاغفر فقال ربُّه : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذنب ويأخذ به[2]؟ غفرت لعبدي . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا – فقال : رب أذنبتُ – أو أصبتُ – آخر فاغفره فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا – وربما قال : أصاب ذنبًا – فقال : رب أصبت – أو أذنبت – آخر فاغفره لي فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي – ثلاثًا – فليعمل ما شاء »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٨) .

(٢) يأخذ به أي : يُعاقب به .

(٣) قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربَّه بالمعاصي ويقول سيغفر لي ، بل هذا في حق التائب الوَجِل الخائف من ربه عزَّ وجل ، والله أعلم .

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تقلُّب – في السماء – فلنولينك – ترضاها – فولِّ وجهك – شطر – حيثما كنتم

ج :

الكلمة	معناها
تقلُّب	تحوُّل
في السماء	نحو السماء – اتجاه السماء
فلنولينك	فلنصرفنك – فلنوجِّهنك
ترضاها	تحبها – تهواها[1]

(١) أخرج الطبري (٢٢٣١) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان نبي الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس يهوى ويشتهي القبلة نحو البيت فوجَّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويحبها .

الكلمـة	معناهـا
فولِّ وجهك	اتجه بوجهك – اصرف بصرك وحوِّله .
شطر	ناحية[1] – تلقاء
حيثما كنتم	أينما كنتم

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٤٦) أنه قال : (شطره) ناحيته ، جانبه قال : وجوانبه (شُطوره) .

قلت : والشطر يطلق على النصف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « الطهور شطر الإيمان » لكنه ليس المراد هنا .

قال القرطبي رحمه الله : ويكون من الأضداد يُقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ، وشطر عن كذا إذا أُبعد منه وأعرض عنه ، فأمَّا الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحوٍ غير الاستواء، ، وهو الذي أعيى أهله خُبثًا .

س : ماذا يُراد بـ ﴿ قد ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن قد هنا تفيد التحقيق ، وبعضهم يرى أنها بمعنى : ربما لكنها هنا للتكثير ، وبعض النحاة يقول : إن (قد) تدخل على المضارع فتجعله بمعنى الماضي كقوله تعالى : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ [النور : ٦٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ [الحجر : ٩٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ [الأحزاب : ١٨] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا كان رسول الله ﷺ يرجو تحويل القبلة ؟ ولماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء ؟

ج : التمس بعض العلماء لرغبة رسول الله ﷺ في التحول إلى الكعبة أسبابًا منها :

- مخالفة أهل الكتاب[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٢٣٥) إلى ابن زيد قال : قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله - لبيت المقدس - لو أنا استقبلناه فاستقبله النبي ﷺ ستة عشر شهرًا فبلغه أن يهود تقول ، والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، فكره ذلك النبي ﷺ ورفع وجهه إلى السماء فقال الله جل ثناؤه : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] . =

● ومنها كون الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام .

● أمَّا لماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء فلأن رسول الله ﷺ كان يرغب في نزول الوحي بالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، وقال بعض العلماء : إن تقليبه وجهه – عليه السلام – بمعنى الدعاء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلُّب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا

= قلت : وهذا صحيح إلى ابن زيد ، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولم يدرك رسول الله ﷺ قطعًا ، ونحن ما أتينا بهذا الخبر من ناحية أنه مسند إلى رسول الله ﷺ أو من ناحية أنه سبب نزول ولكن أتيت به من ناحية أنه تفسيرٌ لابن زيد للآية الكريمة ، وهذا وجه قد يتداخل على بعض إخواننا فيرى أن الأثر مرسلًا أو معضلًا فيُضرب عنه الذكر صفحًا قولًا واحدًا، ولكن الأمر في هذا المقام – نراه والله أعلم – على غير ما ظن أخونا إنما الأمر حاصله أن ابن زيد رحمه الله تعالى مفسرٌ فسر الآية بما أفاده به ظاهرها وبما تراءى له من معانيها ، كما يُفسر الطبريُّ آيةً مثلًا ، وكما يفسر القرطبي أو ابن كثير أو غيرهما آية مثلًا وينسب شيئًا في تأويله لها إلى زمن رسول الله ﷺ ، فهذا قد يقبل منه في بعض الأحيان إذا كان ظاهر الآية الكريمة يفيده أو عموم سنة رسول الله ﷺ يؤيده مع عدم القطع بصحة نسبة ما ذكره إلى رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) .

أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبَل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؟

ج : لا يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؛ والنصوص الواردة في المنع تدل على التحريم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال[1] : قال رسول الله ﷺ : « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم » .

● وأخرج مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم »[2] .

❋ ❋ ❋

س : إلى أين ينظر المصلي في صلاته ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المصلي ينظر إلى الأمام لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ولأن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً ثم قال :« عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر ... » الحديث[1] قالوا : فدل ذلك على أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الأمام في الصلاة .

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى النظر إلى موضع السجود؛ لورود بعض الآثار في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالوجه في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : المراد بوجهك هنا : عينيك .

وبعض أهل العلم يقولون : إنما قال الله عز وجل : ﴿ وجهك ﴾ ولم يقل عينيك أو بصرك لزيادة اهتمامه ، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي القبلة المرادة في قوله تعالى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : هذه القبلة هي المسجد الحرام لقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وتقدم في حديث البراء أيضًا ما يفيد ذلك ، وفيه أن الرجل قال : ... أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٤٠) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٩ ص١٨٣٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] استقبال عين الكعبة أم المراد المواجهة فقط ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم في هذا الباب إلى الآتي :

أولًا : إذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عين الكعبة .

ثانيًا : إذا كان المصلي لا يرى الكعبة ، فالذي عليه الأكثرون أن الغرض والمطلوب هو المواجهة ، والله تعالى أعلم .

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب :

● قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فالمولي وجهه شطر المسجد الحرام هو المصيب للقبلة ، وإنما على من توجّه إليه النيةُ بقلبه أنه إليه متوجّه كما أن على من ائتم بإمام فإنما عليه الائتمام به ، وإن لم يكن محاذيًا بدنُه بدنَه وإن كان في طَرف الصف والإمام في طرف آخر عن يمينه أو عن يساره بعد أن يكون من خلفه مؤتمًا به مصليًا إلى الوجه الذي يُصلِّي إليه الإمام فكذلك حكم القبلة وإن لم يكن يحاذيها كل مصلٍّ ومتوجه إليها ببدنه غير أنه متوجّه إليه فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلها فهو مستقبلها بَعُدَ ما بينه وبينها أو قَرُب من عن يمينها أو عن يسارها بعد أن يكون غير مستدبرها ولا منحرف عنها ببدنه ووجهه .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق ، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فُرِض عليه استقبالها ، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كلِّ ما صلى ذكره أبو عمر ، وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها ، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك

مما يمكن أن يُستدل به على ناحيتها .

● وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وقد اختلف العلماء هل فَرْضُ الغائب عن الكعبة استقبال العين ، أو استقبال الجهة ؟ فمنهم من قال : فرضه استقبال العين ، وهذا ضعيف لأنه تكليف لما لا يصلُ إليه ، ومنهم من قال الجهة ، وهو الصحيح لثلاثة أمور :

أحدها : أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف .

الثاني : أنه المأمور به في القرآن إذ قال : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فلا يلتفت إلى غير ذلك .

الثالث : أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعًا أنه أضعاف عرض البيت : ويجب أن يعوَّل على ما تقدم ، فإن الصف الطويل إذا بَعُد عن البيت أو طال وعرض أضعافًا مضاعفة لكان ممكنًا أن يقابل جميع البيت .

● أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فنقل عن بعض أهل العلم قولهم : إن الغرض إصابة عين الكعبة ، قال : والقول الآخر وعليه الأكثرون أن المراد المواجهة .

● وقال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل) : والتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز في وقت من الأوقات الصلاة إلى غير القبلة ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع

جهات الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث توجَّه قالبه وقلبه نحو الكعبة ، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال ، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئًا في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

❋ ❋ ❋

س : كيف علم اليهود والنصارى أن التوجه إلى الكعبة حق ؟

ج : قد يكون ذلك في كتبهم وجحدوه عن علم .

لكنهم يقينًا يعلمون من كتبهم أن محمدًا نبي الله حقًّا ، وأنه لا يقول إلا صدقًا ولا يفعل إلا ما أُمر به فما قاله وفعله حق ، فلما تحوَّل النبي ﷺ إلى الكعبة وهم يعلمون إجمالًا أن أفعاله حق ، كانوا يعلمون إذن أن تحوُّلَه حق .

● ويعلمون أيضًا من دينهم جواز النسخ وإن كانوا يُكابرون في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ إنه الحق من ربهم ﴾ [البقرة : ١٤٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : رأى كثير من أهل العلم أنه يرجع إلى التوجه والتحول إلى المسجد الحرام ، فأهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرض الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده من بعده .

● وقيل : إنه يرجع إلى القرآن ، فالقرآن بما فيه من أمر المسلمين بالتحول إلى المسجد الحرام يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم .

● وقيل : يرجع إلى محمد ﷺ ، فأهل الكتاب يعلمون أن محمدًا ﷺ نبي الله حقًّا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الآيات لا تنفع إلا من هداه الله اذكر عددًا من الأدلة يؤيد هذا المعنى ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قومٍ لا يؤمنون ﴾ [يونس : ١٠١] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثك .

❋ ❋ ❋

س : ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة ببيت المقدس ، وقبلة النصارى هي المشرق .

قال ابن القيم رحمه الله : (بدائع الفوائد)[1] : قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم ، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق ، وهم يُقرون بأن قبلة المسيح قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة ، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة ، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا ، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر ، وأما اليهود فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة ، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا ، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا عليه ، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة .

* * *

س : ماذا يُفيد قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : يفيد أمورًا منها :

١ - بيان شدة اتباع رسول الله ﷺ لأمر الله عز وجل .

٢ - يقطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع رسول الله ﷺ إلى قبلتهم .

٣ - فيه إشارة إلى أن الأمر بالاتجاه إلى الكعبة لن ينسخ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ونقلته للسرعة من فتح البيان .

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿ من بعد ما جاءك من العلم .. ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بالعلم هنا : العلم بأن ما أنت عليه في أمر القبلة حق ، وأن أهل الكتاب كَذَبَةٌ مفترون في هذا الباب .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله : ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ [البقرة : ١٤٥] من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل التوجُّه نحوها ﴿ إنك إذا لمن الظالمين ﴾ [البقرة :١٤٥] يعني : إنك إذا فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفين أمري والتاركين طاعتي وأحدُهم وفي عدادهم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة إخبار الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ... ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟ وضح أيضًا معنى هذه الآية ؟

ج : فائدة ذلك ، والله أعلم إراحة قلب النبي ﷺ وإبعاد الشغل والفكر في هؤلاء عنه أي : لا تشتغل بهم ولا تفكر فيهم .

أما معنى الآية الكريمة فقال الطبري رحمه الله :

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك : أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد لا تُشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن

اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة ، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أهل الكتاب من آمن واتبع قبلة رسول الله ﷺ ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : توجيهه أن يقال : إن المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] أنهم الذين كُتب عليهم عند الله سبحانه وتعالى أنهم سيموتون على الكفر .

وقد قدمنا نظيره في أوائل سورة البقرة ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : أفادت الآية الكريمة : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٤٥] أن توجه الوعيد للعلماء أشد من غيرهم ، وضح ذلك ، واذكر أدلة أخرى في هذا الباب ؟

ج : إيضاحه من قول الله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

أما الأدلة على ذلك فكثيرة ، منها :

● قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

● وحديث رسول الله ﷺ الذي فيه : « يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه .. » الحديث ، وفيه أنه يقول : « كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه »[1] .

وحديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة[2] ، ومنهم عالم تعلَّم العلم ليقال : هو عالم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث رقم ٣٢٦٧) ، ومسلم (حديث ٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالمٌ . وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثمَّ أمر به فسحب على وجهه . ثم أُلقي في النار .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

الممترين – وجهة – موليها – استبقوا الخيرات .

ج :

الكلمـة	معناهـا
الممترين	الشاكِّين[1]
وجهة	قبلة – ناحية
مُوليها	مُول وجهه إليها ومستقبلها
استبقوا الخيرات	بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الأعمال الصالحة .

❋ ❋ ❋

(١) أي : الشاكِّين في أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة الحق ، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٢٧٣) : ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ [آل عمران : ٦٠] قال : من الشاكين قال : لا تشكن في ذلك .

س : من هم الذين آتاهم الله الكتاب المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أنهم أحبار اليهود وعلماء النصارى ، والعلم عند الله .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ يعرفونه ﴾ [البقرة : ١٤٦] يرجع إلى من ؟

ج : **قال فريق من أهل العلم : إنه يرجع إلى النبي ﷺ ،** والمعنى : أن الذين آتاهم الله الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم وفي هذا يقول الله سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال سبحانه : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● **وقال فريق آخر من العلماء : إنه يرجع إلى البيت (أو القبلة)** والمعنى : أن الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى يعلمون أن البيت الحرام هو قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلة[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٢٥٩) قال : قوله : ﴿ الذين آتيناهم =

س : ما المراد في قوله تعالى : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالحق هو صفة محمد ﷺ[1] .

وقال آخرون : إن المراد بالحق الحق في أمر القبلة[2] .

وقال غيرهم : المراد أنهم يكتمون الحق بصفة عامة ، فقد كتموا الحق في شأن محمد ﷺ وكتموا الحق في أمر القبلة ، وكتموا الحق في حكم الزاني ، إلى غير ذلك من أنواع الحق الذي كتموه .

* * *

س : هل كان النبي ﷺ شاكًّا في أمر القبلة حتى قيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ ؟

= الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] يقول : يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة .

● وأخرج الطبري أيضًا (٢٢٦٤) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال : اليهود يعرفون أنها هي القبلة مكة .

(١) أخرج الطبري (٢٢٦٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] فكتموا محمدًا ﷺ .

(٢) قال الطبري رحمه الله : قوله : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله عز وجل إليها نبيه محمدًا ﷺ ، يقول فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها فكتمها اليهود والنصارى ، فوجه بعضهم شرقًا ، وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل فأطلع الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ وأمته على خيانتهم الله تبارك وتعالى وخيانتهم عباده وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحق غيره ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه فقال : ﴿ ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] أن ليس لهم كتمانه فيتعمدون معصية الله تبارك وتعالى .

ج : لم يكن النبي ﷺ شاكًّا في أمر القبلة ، ولكن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمراد أمته ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : أو كان النبي ﷺ شاكًّا في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهي عن الشك في ذلك ، فقيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ [البقرة : ١٤٧] ؟

قيل : ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به ، والمراد به غيره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ [الأحزاب : ١] ثم قال : ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي ﷺ والنهي له ، والمراد به أصحابه المؤمنون به ، وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

* * *

س : التنوين في قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ ... ﴾ [البقرة : ١٤٨] يشير إلى محذوف فما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (أهل ملة أو أهل دين) فمعنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل أهل دين ولكل أهل ملة قبلة يتجهون إليها ، فلليهودي قبلة يتجه إليها وللنصراني قبلة يتجه إليها[1] وقبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى : ولكلٍّ وجهةٍ من الوجهات التي

---

(١) وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٧٧) أنه قال : لليهود قبلة وللنصارى قبلة ، ولكم قبلة – يريد المسلمين .

وجهك إليها ربك الله عز وجل موليها عبادة ، وقال بعضهم : ولكل قبلة من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة ، والأول عليه الأكثر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المعني بـ (هو) في قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يرجع إلى صاحب الملة أو الدين ، والمعنى : ولكل صاحب دينٍ أو ملة قبلة هو متجه إليها .

والثاني : أنه يرجع إلى الله تعالى ، والمعنى : ولكلٍّ وجهةٌ الله عز وجل موليه إياها .

والثالث : أنه يرجع إلى البيت (أي : الكعبة) والمراد أن كل قوم أُمروا أن يتجهوا إلى الكعبة وهذا ضعيف ؛ لأن النبي صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا على ما تقدم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : عقب قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] محذوف (على رأي بعض أهل العلم) ما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (وجهة) فالمعنى ولكلٍّ وجهة هو موليها وجهة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : من الآيات في معناها قوله تعالى : ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه ﴾ [الحج : ٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

❋ ❋ ❋

س : على المسلم إذا اتضح له الحق أن يبادر إليه ويحرص عليه ويسرع في الامتثال له والتمسك به ، دلل على ذلك من الآية الكريمة ؟

ج : بيان ذلك أن الله عز وجل لما بين للمؤمنين الصواب من أمر القبلة وأكد لهم على أنها القبلة الحق حثهم على المسارعة إلى الاتباع بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : بادروا وسارعوا إلى فعل الطاعات ، كما قال الطبري رحمه الله : وإنما يعني بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لآخرتكم فإني قد بينت لكم سبل النجاة فلا عذر لكم في التفريط وحافظوا على قبلتكم فلا تضيعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم فتضلوا كما ضلت .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمة - يعني أعطاه : الله مالًا وولدًا - فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أي أبٍ كنت لكم ؟ قالوا : خير أبٍ قال : فإنه لم يبتئر - أو لم يبتئز - عند الله خيرًا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني ، أو قال : فاسحكوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله ﷺ : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فَرَقٌ منك » قال : « فما تلافاه أن رحمه عندها ».

● ونحوه في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا قال : ففعلوا ذلك به فقال للأرض : أدِّي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يا رب - أو قال : مخافتك - فغفر له بذلك[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٨١) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٦ ص٢١١٠) .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

س : ما معنى : ومن حيث خرجت - حيثما ؟

ج :

الكلمة	معناها
ومن حيث خرجت	من أي مكان خرجت إلى أي مكان توجهت ، والمعنى أيضًا : في أي مكان كنت
حيثما	أينما

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أن التوجه شطر المسجد الحرام هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأما قوله : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] فإنه يقول : فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم ، ولا بغافلٍ عنها ولكنه محصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة .

● **وقال الرازي رحمه الله :** أما قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : المراد بالناس في هذا الموطن – على رأي جمهور أهل العلم – أهل الكتاب ، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله : ﴿ لئلا يكون

---

(١) الطبري (٢٢٩٢) .

للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه .

قلت : ومن الممكن أن يدخل فيها المشركون كذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

* * *

س : أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام حتى لا يكون للناس حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما هي الحجة التي أُريد دفعها في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هذه الحجة هي مجادلة أهل الكتاب ومجادلة المشركين في شأن القبلة ، أما أهل الكتاب فوجه جدالهم يتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أننا على باطل فلماذا تتجه إلى قبلتنا في صلاتك[1] ، أليس اتجاهك إلى قبلتنا في صلاتك يؤكد أننا على الحق وأن قبلتنا هي الصواب ؟! فوجه الله نبيه

---

(١) قال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس ، على رسول الله ﷺ وأصحابه ؟

قيل : قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك قيل : إنهم كانوا يقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله ﷺ وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين .

وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إياه الذي ذكره الله تعالى في كتابه إنما هي الخصومات والجدال ، فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه ﷺ والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام ، وذلك وهو معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني بـ (الناس) : الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت .

ﷺ إلى الاتجاه إلى البيت الحرام لقطع هذه الحجة .

وتتمثل مجادلة أهل الكتاب أيضًا في أنهم يجدون في كتبهم أن هذا النبي ﷺ سيكون من أمره أن يصلي إلى الكعبة ، فلما لم يتجه رسول الله في صلاته إلى الكعبة يبقى في نفوسهم شك في صفته وصفة أفعاله فقطعًا لهذا الاحتجاج أمر الله نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، أما مجادلة أهل الشرك فتتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أنك أولى الناس بإبراهيم لكونك من ولده عليه السلام فلماذا تنحرف عن قبلته وتتجه إلى بيت المقدس ، فقطع الله عز وجل حجة المشركين هذه بأن أمر نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، لكن بقي لطوائف من الذين ظلموا نوع احتجاج سيرد في محله قريبًا إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة .

● فقد صح عن مجاهد[1] من وجوه أنه قال : هم مشركو قريش : (وفي رواية : مشركو العرب) .

● وروى الطبري ذلك بإسناد حسن[2] عن قتادة أيضًا قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] والذين ظلموا مشركو قريش .

والذي يظهر أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] أعم من

---

(١) الطبري (٢٢٩٧) ، (٢٢٩٩) .

(٢) الطبري (٢٢٩٨) .

كونهم مشركي قريش ، فاليهود أيضًا كان لهم بعض الجدل بعد تحويل القبلة فقالوا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] كما تقدم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قطع الله حجة أهل الكتاب لما أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى الكعبة ، أما حجة المشركين فهل بقي منها شيء لم يقطع ؟ وما هو هذا الشيء في حالة كونه ما زال موجودًا ؟

ج : لأهل العلم في هذه المسألة قولان : فمنهم من قال : إن الحجج كلها قطعت لكن بقي الذين ظلموا ليس لهم حجة ولكنهم يجادلون بالباطل .

ومنهم من قال : إن الذين ظلموا : (وهم مشركو قريش) بقيت لهم حجة (إن استجيز أن يطلق على الباطل وعلى الشبهات حجة)[1] وهي متعلقهم بتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقالوا : ها هو قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا[2] ، فمن ثم قال تعالى للمؤمنين : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] فيما يلقون من شبهٍ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : إذا أمر الله عز وجل الناس بأمرٍ ووجههم وجهةً فإن هذا الأمر

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ [الشورى : ١٦] .

(٢) أخرج الطبري (٢٣٠٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال : قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والذين ظلموا مشركو قريش يقول : إنهم سيحتجون عليكم بذلك ، فكانت حجتهم على نبي الله ﷺ – انصرافه إلى البيت الحرام – أنهم قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك كله .

في حد ذاته حجة فكيف يكون للمشركين - بعد أمر الله عز وجل للمؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام - حجة على أهل الإيمان ؟

ج : هذا السؤال طرح نحوه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى فقال :

فإن قال قائل : وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة ، وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه حجة ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه ، وإنما (الحجة) في هذا الموضع الخصومة والجدال ، ومعنى الكلام : لئلا يكون لأحدٍ من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش فإن لهم عليكم دعوى باطلًا وخصومة بغير حق بقيلهم لكم : (رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا) فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة هي (الحجة) التي كانت لقريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] من قريش من سائر الناس غيرهم إذ نفى أن يكون لأحدٍ منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة . ثم ذكر رحمه الله جملة آثار ثم قال : فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناءٌ على معنى الاستثناء المعروف ، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله . كما [هو] قول القائل : (ما سار من الناس أحدٌ إلا أخوك) ، إثبات للأخ من السير ما هو منفيٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ ، نفي عن أن يكون لأحد خصومةٌ وجدلٌ قِبَل رسول الله ﷺ ودعوى باطل ، عليه وعلى أصحابه ، بسبب توجههم في صلاتهم قِبَل الكعبة - إلَّا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قِبَلهم

خصومةً ودعوى باطلًا بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا لأنا كنا أهدى منكم سبيلًا وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل .

وإذا كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل ، فبينٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] : ولا الذين ظلموا منهم ، وأن « إلا » بمعنى « الواو » . لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفي الأول عن جميع الناس – أن يكون لهم حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه في تحولهم نحو الكعبة بوجوههم – مبينًا عن المعنى المراد ، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ إلا التلبيس الذي يتعالى عن أن يضاف إليه أو يوصف به .

هذا مع خروج معنى الكلام – إذا وجهت « إلا » إلى معنى « الواو » ، ومعنى العطف – من كلام العرب . وذلك أنه غير موجودة « إلا » في شيء من كلامها بمعنى « الواو » ، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها . كقول القائل : (سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك) ، بمعنى : إلا عمرًا وأخاك ، فتكون (إلَّا) حينئذ مؤدية عما تؤدي عنه « الواو » ، لتعلق « إلا » الثانية بـ « إلا » الأولى . ويجمع فيها أيضًا بين « إلا » و « الواو » فيقال : « سار القوم إلَّا عمرًا وإلَّا أخاك » ، فتحذف إحداهما ، فتنوب الأخرى عنها ، فيقال : « سار القوم إلا عمرًا وأخاك – أو إلَّا عمرًا إلَّا أخاك » ، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن « إلَّا » في هذا الموضع بمعنى « الواو » التي تأتي بمعنى العطف .

وواضحٌ فساد قول من زعم أن معنى ذلك : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حجة لهم ، فلا تخشوهم . كقول القائل في الكلام : « الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدي عليك » ، فإن ذلك لا يعتد بعدوانه ولا بتركه الحمد ، لموضع العداوة . وكذلك الظالم لا حجة له ، وقد سمي

ظالمًا لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادعى من التأويل في ذلك . وكفى شاهدًا على خطإ مقالته إجماعهم على تخطئتها .

وظاهر بُطُول قول من زعم أن : ﴿ الذين ظلموا ﴾ ههنا ، ناسٌ من العرب كانوا يهودًا ونصارى ، فكانوا يحتجون على النبي ﷺ ، فأما سائر العرب ، فلم تكن لهم حجة ، وكانت حجة من يحتج منكسرة . لأنك تقول لمن تريد أن تكسر عليه حجته : (إن لك عليَّ حجة ولكنها منكسرة ، وإنك لتحتج بلا حجة ، وحجتك ضعيفة) . ووجه معنى ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] إلى معنى : إلا الذين ظلموا منهم ، من أهل الكتاب ، فإن لهم عليكم حجة واهية أو حجة ضعيفة .

ووَهْيُ قول من قال : « إلا » في هذا الموضع بمعنى « لكن » .

وضعف قول من زعم أنه ابتداء بمعنى : إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم .

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن الذين ظلموا منهم : أنهم يحتجون على النبي ﷺ وأصحابه بما قد ذكرنا ، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجتهم بالضعف ولا بالقوة – وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة – وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا ، ما قد نفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء المتوقع أن يخشى من : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] في قوله تعالى : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هو جدل الذين ظلموا ومحاججتهم بالباطل في قولهم : إن محمدًا رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا .

وقال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾

في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون في أن محمدًا ﷺ قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا - أو أن يقدروا لكم على ضر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق ، ولكن اخشوني فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه .

وذلك من الله جل ثناؤه تقدمٌ إلى عباده المؤمنين بالحض على لزوم قبلتهم والصلاة إليها وبالنهي عن التوجه إلى غيره ، يقول جل ثناؤه واخشوني أيها المؤمنين في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شطر المسجد الحرام .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ومن حيث خرجت من البلاد والأرض ، وإلى أي بقعةٍ شَخِصْتَ فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث كنتَ يا محمد والمؤمنون فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره ، واتخذوه قبلة لكم كيلا يكون لأحدٍ من الناس - سوى مشركي قريش - حجة ، ولأتم بذلك - من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام الذي جعلته إمامًا للناس - نعمتي فأكمل لكم به فضلي عليكم وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم ، وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله ﷺ والمؤمنين به من أصحابه .

وقوله : ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : وكي ترشدوا للصواب من القبلة ، و ﴿ لعلكم ﴾ عطف على قوله : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ ، ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ عطف على قوله ﴿ لئلا يكون ﴾ [البقرة : ١٥٠] . والله تعالى أعلم .

س : ما هو تمام النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : تمام النعمة هنا بالأمر بالتوجه إلى قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي الكعبة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٥٠] ثلاث مرات :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

والثانية : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ... ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالثة : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي :

● **القول الأول** : أن هذا للتأكيد لأن الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه للمسجد الأقصى هو أول ناسخ في الإسلام فمن ثمَّ أُكِّد عليه بالتكرير ثلاث مرات ، وليحسم هذا التأكيد طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم .

● **القول الثاني** : أن الأمر الأول لمن هم في مكة ، والثاني لمن هم في بقية الأمصار ، والثالث لمن خرج في الأسفار[1].

---

(١) ويستثنى منه على ما تقدم المسافر الذي يصلي النافلة على الراحلة ، فله أن يصلي على الراحلة حيثما توجهت به .

والقول الثالث [1] : أن ذلك ذُكر لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق ، فقال أولًا : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] إلى قوله : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وقال في الأمر الثاني : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، فذكر أنه الحق من الله ، وارتقاءه المقام الأول حيث كان موافقًا لرضا رسول الله ﷺ فبين أنه الحق أيضًا من الله يحبه ويرتضيه ، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة ، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صُرِفَ الرسول ﷺ عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم عليه السلام التي هي أشرف ، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول ﷺ إليها ، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار ، هذا وقد قال الرازي رحمه الله : (١٢٤/٤) :

اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وماالله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وذكر ههنا ثانيًا قوله تعالى :

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق

---

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ثم ذكر ثالثًا قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] فهل في هذا التكرار فائدة أم لا ؟ وللعلماء فيه أقوال : **أحدها** : أن الأحوال ثلاثة : أولها : أن يكون الإنسان في المسجد الحرام .وثانيها : أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد . وثالثها : أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض ، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى ، والثانية على الثانية ، والثالثة على الثالثة ، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد ، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات .

والجواب الثاني : أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق ، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل ، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق ، وشهادة الله بكونه حقًّا مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقًّا ، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة ، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

والجواب الثالث : أنه تعالى قال في الآية الأولى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلبًا لرضا محمد ﷺ لأنه قال : ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ [البقرة : ١٤٤]

فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] أي : نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك ، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه ، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل ، ثم إنه تعالى قال ثالثًا : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات ، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سببًا للطعن في دينكم ، والحاصل : أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة ، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة ، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة ، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخًا البتة .

والجواب الرابع : أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، والثاني مقرون بقوله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله أنها حق ، وذلك هو قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة ، فكانت هذه عللًا ثلاثًا قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة ، نظيره أن يقال : الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها ، ثم يقال : الزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى ، وهو قوله : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ ثم يقال : الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك ، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما

تكذبان ﴾ [الرحمن : ٣٠] ، وكذلك ما كرر في قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ [الشعراء : ١٢١] .

والجواب الخامس : أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا ؛ فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات .

* * *

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

س : ما معنى يزكيكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يزكيكم	يطهركم من رذائل الأخلاق ، ومن الشرك وسائر الأدناس وأفعال الجاهلية ، وقد تقدم معناها كذلك

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولًا منكم ، ويحتمل المعنى أيضًا : كما أتممت عليكم نعمتي فكذلك أرسلت فيكم رسولًا منكم .

● أو بتعبير آخر : أي : كما أنعمت عليكم بإجابة دعوة خليلي إبراهيم لكم إذ دعا فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مُسْلِمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، فكما أرسلت فيكم رسولًا منكم فكذلك أتممت عليكم هدايتي بأن وجهتكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام .

● وهناك قول آخر ، حاصله : أن المعنى كما أني أرسلت فيكم رسولًا منكم مشهورًا بالصدق ، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به اذكركم .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا ﴾ ، ولأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية ، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام ، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها ، ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل ، أن أبعثه

من ذريتهما .

فـ﴿ كما ﴾ - إذ كان ذلك معنى الكلام - صلة لقول الله عز وجل : « ولأتم نعمتي عليكم » [البقرة : ١٥٠] . ولا يكون قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] ، متعلقًا بقوله : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقد قال قوم : إن معنى ذلك : فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم أذكركم . وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، فأغرقوا النزع ، وبعدوا من الإصابة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوى وجهه المفهوم .

وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب ، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض : (كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن) -أن لا يشترطوا للآخر ، لأن (الكاف) في (كما) شرط ، معناه : افعل كما فعلت . ففي مجيء جواب ﴿ اذكروني ﴾ بعده ، وهو قوله : ﴿ أذكركم ﴾ ، أوضح دليل على أن قوله : ﴿ كما أرسلنا ﴾ من صلة الفعل الذي قبله ، وأن قوله : ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ خبر مبتدإ منقطع عن الأول ، وأنه من سبب قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ بمعزل .

وقد زعم بعض النحويين أن قوله : ﴿ فاذكروني ﴾ -إذا جعل قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ جوابًا له ، مع قوله : ﴿ أذكركم ﴾ - نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلان فأته ترضه » ، فيصير قوله : « فأته » و « ترضه » جوابين لقوله : « إذا أتاك » ، وكقوله : « إن تأتني أحسن إليك أكرمك » .

وهذا القول وإن كان مذهبًا من المذاهب ، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب . والذي هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجه إليه من اللغات ، الأفصح الأعرف من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من

منطقها . هذا ، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل .

● **وقال الزمخشري رحمه الله**[1] : ﴿ كما أرسلنا ﴾ [البقرة : ١٥١] إما أن يتعلق بما قبله أي : ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ، أو بما بعده أي : كما ذكرتكم بإرسال الرسول ﴿ فاذكروني ﴾ بالطاعة ﴿ أذكركم ﴾ بالثواب .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله** : يقول تعالى : إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إحساننا ولا بأوله ، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها ، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟ ومن هو هذا الرسول ؟

ج : المخاطبون بذلك هم العرب ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

● **قال الطبري رحمه الله** : وقوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] فإنه يعني بذلك العرب ، قال لهم جل ثناؤه : الزموا أيها العرب طاعتي وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها لتقطع حجة اليهود عنكم فلا تكون لهم عليكم حجة ، ولأتم نعمتي عليكم وتهتدوا كما ابتدأتكم بنعمتي فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، وذلك الرسول الذي أرسله إليه منهم محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

---

(١) والزمخشري معروف بالاعتزال فَلْيُتَّقَ منه ما كان في هذا الباب .

س : في قوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] وجه إعجاز وضحه ؟

ج : إيضاحه أن هذا النبي ﷺ رغم كونه أميًّا فإنه علم العرب ما لم يكونوا يعلمون .

❋ ❋ ❋

س : وضّح شيئًا مما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى في معناها :**

وأما قوله : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ، فإنه يعني : ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية ، والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها ، فعلموها من رسول الله ﷺ . فأخبرهم جل ثناؤه أن ذلك كله إنما يدركونه برسوله ﷺ .

● **وقال الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره :** وقوله عز وجل : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] هذه صفة زائدة على الصفات السابقة وفيها إشارة إلى معجزة كبرى من معجزات رسول الله ﷺ حيث علم أمته ﷺ أصدق أخبار الأمم الماضية وعرفهم ما كان من الحوادث السابقة وما يكون من الحوادث اللاحقة ، ووضع لهم أحسن الأنظمة التي أرشده الله إليها ، الصالحة لكل زمان ومكان وجيل وقبيل ، والتي لم تعرفها الإنسانية في تاريخها الطويل ، مما يعترف بفضله الأصدقاء والأعداء حتى بدأت أوروبا في وقت نهضتها الحديثة تأخذ ببعض التعاليم الإسلامية التي ما كانت تعرفها ، وقد رأت أن شريعة الإسلام أوفى من سائر الأنظمة بها حتى شملت الشفعة وغيرها ، ونحن نعلم علم اليقين أن

رسول الله ﷺ علمنا كل شيء نحتاجه في معاشنا أو معادنا حيث علمنا ﷺ ماذا نقول إذا استيقظنا من نومنا وماذا نقول عند منامنا ، وماذا نفعل أو نقول عند دخول منازلنا أو تناول طعامنا أو شرابنا وسائر حاجاتنا ، وماذا نقول عند ركوب مراكبنا أو في سفرنا أو حضرنا ، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه : لقد علمكم نبيكم كل شيء ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قيل له : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم . وفي لفظ لمسلم عن سلمان رضي الله عنه قال : قال لنا المشركون : إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال : أجل ، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ، ونهى عن الروث والعظام وقال : « لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار » اهـ . وقد صار أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الدنيا في العلم ، وورثوا ذلك للدنيا حتى كان عظماء أوروبا يفتخر أحدهم بالذهاب إلى الأندلس ليشهد بعض حلقات العلم على علمائها ، وبعد أن كان العرب أشد الناس جهلًا وأبعدهم ضلالة صاروا أعمق الناس علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا وأصدقهم لهجة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بذكر العباد لربهم وذكر ربهم لهم في قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بذكر العباد لربهم في هذا الموطن طاعتهم لله عز وجل ، والمراد بذكر الله لهم رحمته إياهم ومغفرته لهم ، والذي

يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن المراد بالذكر هنا أعم من ذلك ، فيدخل فيه الذكر باللسان أيضًا، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم ... »[1] .

● هذا وقد أورد الرازي رحمه الله تعالى أوجهًا للعلماء في هذا الموطن ، فقال رحمه الله : ثم للناس في هذه الآية عبارات : **الأولى** : اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي . **الثانية** : اذكروني بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] ، وهو قول أبي مسلم قال : أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين وراجين خائفين ، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء ، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة . **الثالثة** : اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة . **الرابعة** : اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة . **الخامسة** : اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات . **السادسة** : اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء . **السابعة** : اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي . **الثامنة** : اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي . **التاسعة** : اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص . **العاشرة** : اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالشكر في قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٨٤/١٣) ، ومسلم (مع النووي ٢/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : .... » فذكر الحديث .

تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟ وكذلك ما المراد بالكفر هنا ؟ ثم ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : أما المراد بالشكر فهو صرف النعمة في طاعة الله عز وجل وحمد الله عز وجل عليها ، والكفر هنا – الذي يظهر أن – المراد به جحد النعمة وصرفها في معصية الله عز وجل ؛ وذلك لاقترانه بالشكر في قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ﴾ .

● **أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾** [البقرة : ١٥٢] فيقول الطبري رحمه الله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

يعني تعالى ذكره بذلك : اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام ، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي ، ﴿ ولا تكفرون ﴾ ، يقول : ولا تجحدوا إحساني إليكم ، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم ، ولكن اشكروا لي عليها ، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم ، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي ، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته ، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته .

والعرب تقول : (نصحت لك ، وشكرت لك) ، ولا تكاد تقول : (نصحتك) ، وربما قالت : (شكرتك ونصحتك) ، من ذلك قول الشاعر :

هُمُ جَمَعُوا بُؤسَى ونُعمَى عليكُمُ فهلا شكرتَ القومَ إذ لم تُقاتِلِ

وقال النابغة في (نصحتك) :

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

وقد دللنا على أن معنى (الشكر) : الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة ، وأن معنى « الكفر » : تغطية الشيء ، فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .

* * *

س : مزيد النعم يستلزم مزيدًا من الشكر دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● لما اصطفى الله عز وجل مريم عليها السلام اصطفاءين وطهرها تطهيرًا أمرها بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين كما قال سبحانه : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

● ولما أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بالرسالة قال له : ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٤]، وكان عليه السلام يقوم من الليل حتى تَرِمَ قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● ولما منَّ الله سبحانه على موسى بتكليمه واصطفائه على الناس بالرسالة والتكليم قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● ولما منَّ الله على يحيى عليه السلام بالنبوة قال له : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نساء نبيه ﷺ بالزواج من رسول الله ﷺ قال لهن : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن

بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [الأحزاب : ٣٢] وقبلها قال تعالى : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ ، ٣١] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نبيه وبشره بالكوثر كلفه بالصلاة والنحر ، فقال تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ١ ، ٢] .

● وأنعم الله على نبيه بالغنى بعد الفقر والهدى بعد الضلال وإيوائه وهو يتيم ، ثم كلفه بأن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل وأن يحدث بنعمة ربِّه عليه ، كما هو وارد في سورة الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالًّا فهدى * ووجدك عائلًا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ٦ - ١١] .

● ومنَّ الله عز وجل على ساكني قريش بالأمن فكلفهم بعبادته فقال : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا (الله) ؟

ج : لا يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا ، إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أنواع الذكر وثمرتها ؟

ج : قال ابن جزي الكلبي رحمه الله في تفسيره :

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعني التوحيد الخاص ، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال ، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهي الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لا محالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله ، وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

وقال ابن القيم[1] رحمه الله : كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله ، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرًا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه ، وتمجيده وتسبيحه ذكرًا منه له ، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرًا منه له ، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه فكان ذكر الله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه دائمًا وقاعدًا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته .

---

(١) زاد المعاد (٢/٣٦٥) فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الذكر .

س : بم يتوصل الشخص إلى نعمة الله عليه ؟

ج : يتوصل إلى ذلك بأمور منها :

● **دعاء الله عز وجل بذلك** كما قال النبي ﷺ لمعاذ : « لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ».

● **ويتوصل بالإكثار من الصلوات والسجود** ، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تَرِم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● وقال في سجدة (ص) : « سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا » .

● **ويتوصل أيضًا بالرضا بقضاء الله عز وجل** ، قال الله عز وجل لموسى : ﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● **حمد الله وشكره والعمل بطاعته بعد حلول النعم** ، كما قال الله سبحانه لقوم سبإ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾
وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن
لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ
وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

س : ما معنى هذه الكلمات : استعينوا - ولنبلونكم - صلوات من ربهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
استعينوا	اطلبوا العون
ولنبلونكم	ولنختبرنكم
صلوات من ربهم	قيل : المراد مغفرة من ربهم ، وقيل : المراد الثناء والمدح ، وقيل : إعلاء المنزلة .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن على ما تقدم هذه الآية وما تأخر عنها ، فتكون الاستعانة على طاعة الله سبحانه وتعالى وإمتثال أوامره واتباع ناسخ أحكامه والصبر على منسوخها .

وتكون الاستعانة بالصبر والصلاة كذلك على ما يصيبكم من قتلٍ وجراح عند جهادكم أعداء الله ، والصبر على أقدار الله عز وجل في ذلك ، والاستعانة على ما تصابون به من خوف وجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] على القيام بطاعتي ، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي ، وأنقلكم إليه من أحكامي ، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه – وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به ، أو نقصٌ في أموالكم – وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي ، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفزع منكم فيما ينوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي . فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي ، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي ، وتدركون حاجاتكم عندي ، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم ، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : قيل : إن المراد الاستعانة بثوابها ، وقيل : المراد الاستعانة بذكر الله عز وجل فيها ، وقيل : الاستعانة بما يتلى فيها من قرآن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كثيرًا ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الصبر والصلاة في موطن واحد ، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها ذكر الصبر مقرونًا بالصلاة ؟

ج : من هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية) : وأعظم عون لولي الأمر خاصةً ، ولغيره عامةً ثلاثة أمور : أحدها : الإخلاص لله ، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن . والثاني : الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة . والثالث : الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب . ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرًا ، كقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] ، وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدًّا . فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية . إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة ، يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر . انتهى ، نقله القاسمي.

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع المعية في قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : المعية هنا معية نصر وتأييد .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] فإن تأويله : فإن الله ناصره وظهيره وراضٍ بفعله ، كقول القائل : (افعل يا فلان كذا وأنا معك ، يعني : إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه .

وقال القاسمي رحمه الله : (محاسن التأويل ص ٣١٧ ..) .

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول) : لفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [الحديد : ٤] وفي قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلَّا هو رابعهم ﴾ إلى قوله : ﴿ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ [المجادلة : ٧] وجاء خاصًّا كما في قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقوله : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٦] ، وقوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، فلو كان المراد بذاته مع

كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص . فإنه قد علم أن قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضًا ، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما في قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ [الفتح : ٢٩] وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ [النساء : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم ﴾ [الأنفال : ٧٥] ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ [الحديد : ٤] يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق . وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة ، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه . ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان . ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد . انتهى مختصرًا .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : سيأتي ذلك إن شاء الله بتفصيل في سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

وقد قال **الطبري رحمه الله** عند تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] :

يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على طاعتي في جهاد عدوكم ، وترك معاصيَّ ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله : هو ميت ، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه ، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا ، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي ، أحياء عندي ، في حياة ونعيم ، وعيش هَنِيٍّ ، ورزق سَنِيٍّ ، فرحين بما آتيتهم من فضلي ، وحبوتهم به من كرامتي .

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال [1] :

قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، كنا نحدث : أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم سدرة المنتهى ، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير : من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا ، ومن غَلَبَ آتاه الله أجرًا عظيمًا ، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا .

❋ ❋ ❋

س : عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] يرد سؤال ، وهو أن من قتل لا يجيب من خاطبه من الأحياء فكيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولا تقولوا عمن قتل في سبيل الله أنهم أموات .

❋ ❋ ❋

---

(١) الطبري (٢٣١٩) ، والأثر كما هو واضح ليس مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

س : علم من سنة رسول الله ﷺ (من جملة أحاديث) أن الأموات في قبورهم يشمون رائحة الجنة وتفتح لهم أبوابها ويأتيهم من طيبها ونعيمها ويستعجلون قيام الساعة ، فما هو الذي اختص الله الشهداء من خصوصية في قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله في تفسيره نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال لنا قائل : وما في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره ؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يشمون منها رَوحها ، ويستعجلون الله قيام الساعة ، ليصيروا إلى مساكنهم منها ، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها ، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار ينظرون إليها ، ويصيبهم من نتنها ومكروهها ، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها ، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة ، حذارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها ، مع أشباه ذلك من الأخبار . وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ ، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله ، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة ، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك ، وأما المؤمنون فمنعمون بالرَوح والريحان ونسيم الجنان ؟

قيل : إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره ، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في

برزخهم قبل بعثهم ، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر ، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطْعِمْهَا الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه . فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠] ، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء – وقال عبدة : في روضة خضراء – يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا » .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي ، عن ابن بشار السلمي – أو : أبي بشار ، شك أبو جعفر – قال : أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة ، في كل قبة زوجتان ، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت . فأما الثور ففيه طعم كل ثمرةٍ في الجنة ، وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ ، غير موجود في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وإنما فيه الخبر عن حالهم ، أمواتٌ هم أم أحياءٌ .

قيل : إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم ، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة ، ولكنه تعالى ذكره لما كان أنبأ عباده عما خص به الشهداء في

قوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، وعلموا حالهم بخبره ذلك – ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، نُهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء : إنهم موتى – ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم .

وأما قوله : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، فإنه يعني به : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ ، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به .

* * *

س : الله عز وجل يبتلي عباده بأنواع من الابتلاءات في هذه الحياة الدنيا ولا بد من هذه الابتلاءات ، اذكر عدة أدلة تؤكد هذا المعنى ؟ وبين بعض صور هذه الابتلاءات ؟

ج : من الأدلة على أن البلاء يلحق العباد في الدنيا ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[1] [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مَثَل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤]

● وقوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

● وقال تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مصبحين ﴾ [القلم : ١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ١ ، ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [التوبة : ١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● وقوله تعالى في شأن خزنة جهنم : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ... ﴾ [المدثر : ٣١] .

● وقال سليمان عليه السلام (لما رأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده) : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] .

● أما صور هذه الابتلاءات فمنها :

● ابتلاءات بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات .

● ابتلاءات بالأمراض والأسقام .

● ابتلاءات بلقاء الجبابرة والظالمين .

● ابتلاءات بالناسخ والمنسوخ من الأحكام .

● ابتلاءات بالغنى والفقر[1] .

---

(١) وانظر في هذا كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

س : اذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات ؟

ج : أورد القاسمي رحمه الله تعالى (في محاسن التأويل) نقلًا عن العز ابن عبد السلام بحثًا سريعًا في ذلك فقال :

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى ، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا . قال عليه الرحمة : للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس .

أحدها : معرفة عز الربوبية وقهرها .

والثاني : معرفة ذلة العبودية وكسرها .وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه .

والثالثة : الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه . ولا معتمد في كشفها إلا عليه ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [الأنعام : ١٧] ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

الرابعة : الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ﴾ [الزمر : ٨] .

الخامسة : التضرع والدعاء ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا ﴾ [يونس : ١٢] ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ [الأنعام : ٤١] . ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ [الأنعام : ٦٣] .

السادسة : الحلم ممن صدرت عنه المصيبة ﴿ إن إبراهيم لأواهٌ

حليمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ﴿ إنا نبشرك بغلام حليم ﴾ [الحجر : ٥٣] . « إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأناة »[1] . وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها ، فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم .

السابعة : العفو عن جانيها ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو .

الثامنة : الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] « وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر »[2] .

التاسعة : الفرح بها لأجل فوائدها . قال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ! إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء ».وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : حبذا المكروهان الموت والفقر . وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها ، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها ، مع تجرعه لمرارتها .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٧) ص ٤٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للأشج – أشج عبد القيس – : « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦٩) ، ومسلم (حديث ١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفُّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر » .

العاشرة : الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها . كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء .

الحادية عشرة : تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] ولا يصيب المؤمن وَصَبٌ ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كُفِّرَ به من سيئاته .

الثانية عشرة : رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم . فالناس معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية . وإنما يرحم العشاق من عشق .

الثالثة عشرة : معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها . فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها .

الرابعة عشرة : ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها .

الخامسة عشرة : ما في طيها من الفوائد الخفية ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] . ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم ﴾ [النور : ١١] .

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر . فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين . فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ، وقد قيل :

كم نعمة مطوية لك بين أثناء المصائب

وقال آخر :

رُبَّ مبغـــوض كريـــــه فيـــــه لله لطائـــــــف

السادسة عشرة : أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود ، لو كان فقيرًا سقيمًا ، فاقد السمع والبصر ، لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر المُلْك على ذلك . وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته بإتيانه الملك ، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٣٤] . ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله مِن فضله ﴾ [التوبة : ٧٤] ﴿ إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] . ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ [الشورى : ٢٧] ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ﴾ [هود : ١١٦] ﴿ لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه ﴾ [الجن : ١٦ ،١٧] . ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [سبأ : ٣٤] .

والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء . ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . نُسِبُوا إلى الجنون والسحر والكهانة واستهزىء بهم وسخر منهم ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ [الأنعام : ٣٤] . وقيل لنا : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

وتغربوا عن أوطانهم . وكثر عناهم . واشتد بلاهم وتكاثر أعداؤهم . فغُلبوا في بعض المواطن ، وقتل منهم بأحد وبئر معونة من قتل . وشج وجه رسول الله ﷺ . وكسرت رباعيته . وهشمت البيضة على رأسه . وقتل أعزاؤه ومثل بهم . فشمتت أعداؤه واغتم أولياؤه .وابتلوا يوم الخندق . وزلزلوا زلزالًا شديدًا . وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . وكانوا في خوف دائم وعري لازم . وفقر مدقع . حتى شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع . ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بر في يوم مرتين . وأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه . ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي . ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ، ومات ودرعه عند يهودي على آصُعٍ من شعير . ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقت بالوقت (يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلبًا في دينه شدد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فلا يصده ذلك عن دينه) . وقال عليه الصلاة والسلام :

« مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج » فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل . وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ [يونس : ١٢] فلأجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب والمناكح والمجالس والمراكب وغير ذلك . ليكونوا على حالةٍ توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى عز وجل والإقبال عليه .

السابعة عشرة : الرضا الموجب لرضوان الله تعالى . فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن

رضيها فله الرضا . والرضا أفضل من الجنة وما فيها . لقوله تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [التوبة : ٧٢] أي : من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى ، ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، فلسنا من رجال البلوى .

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وعافانا من المحن والرزايا بمنه وكرمه . آمين.

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد الصبر ؟

ج : ذكر قدرًا من ذلك ابن جزي في كتابه التسهيل فقال :

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : **أولها : المحبة** ، قال : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] **والثاني : النصر** قال : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] و **الثالث : غرفات الجنة** ، قال : ﴿ يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ [الفرقان : ٧٥] و **الرابع : الأجر الجزيل** قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] **والأربعة الأخرى** المذكورة في هذه الآية ، ففيها **البشارة** ، قال : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] و **الصلاة والرحمة والهداية** ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

قلت : ويضاف إلى ما سبق :

- **تسليم الملائكة** عليهم كما قال تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

● **الجزاء بأحسن العمل** كما قال تعالى : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٦] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث في فضل من مات له ولد فصبر واحتسب ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

١ - ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » .

٢ - ما أخرجه الإمام أحمد[٢] بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول الله عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين[٣] ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب آباؤنا وأمهاتنا قال : فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ».

٣ - وأخرجه ابن ماجة[٤] بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله سبحانه : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ ثوابًا دون الجنة ».

---

(١) حديث (٦٤٢٤) .
(٢) أحمد في المسند (٤/١٠٥) .
(٣) أي : ممتنعين .
(٤) حديث (١٥٩٧) .

٤ – وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت : يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال : « دفنت ثلاثة ؟!! » قالت : نعم ، قال : « لقد احتظرت بحظار شديدٍ من النار » .

٥ – وأخرج البخاري[٢] ، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم ».

٦ – وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الناس من مسلمٍ يتوفى له ثلاثٌ لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » .

٧ – وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، قال : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار »، فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين فقال رسول الله ﷺ : « واثنين واثنين واثنين » .

٨ – وأخرج مسلم[٥] بإسناده إلى أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٦) .
(٢) البخاري (حديث ١٢٥١) ، ومسلم (حديث ٢٦٣٢) .
(٣) البخاري حديث (١٢٤٨) .
(٤) أخرجه البخاري (حديث ١٢٤٩) ، ومسلم (٢٦٣٣) ، واللفظ لمسلم .
(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٣٥) .

قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأباه الجنة ».

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] سؤالان : أولهما : ما معنى التبشير ؟ الثاني : صابرون على ماذا ؟

ج : أصل التبشير إخبار الرجلِ الرجلَ الخبر يسُرُّه أو يسوؤه لأول مرة والمراد بالتبشير هنا (الإخبار بما يسر) .

أما الصابرون فهم الصابرون على ما بلوتهم به من أنواع البلاء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقول الصابرين عند حلول المصيبة بهم ؟

ج : مقولهم هو ما ذكره الله عز وجل في كتابه : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] . وما سنَّه لهم نبيهم محمد ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها »، قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب

ابن أبي بلتعة يخطبني له فقلت له : إن لي بنتًا وأنا غيور ، فقال : « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة »[1] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قول الصابرين : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : إننا مماليك لله سبحانه وتعالى وعبيدٌ له يتصرف فينا كيف يشاء ويقبض منا إليه من شاء ويؤخر من يشاء ويبتلي من يشاء وينعم على من يشاء ، ثم إننا بعد موتنا صائرون إليه جميعًا يقضي فينا بما يشاء .

وقول الصابرين هذا صادر منهم على سبيل الاعتراف والإذعان والتسليم لقضاء الله سبحانه والرضا بأحكامه ،

وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** يعني تعالى ذكره : وبشر ، يا محمد ، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني ، فيقرون

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٢٢٠) ، وفي رواية لمسلم من حديث أم سلمة أيضًا قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون » قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات ، قال : فقولي : « اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبة حسنة » قالت : فقلت ، فأعقبني الله من هو خيرٌ لي منه محمد ﷺ .

● هذا وقد أخرج الطبري (أثر ٢٣٣١) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال : ما أعطي أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام ألم تسمع إلى قوله : ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾ [يوسف : ٨٤] .

بعبوديتي ، ويوحدوني بالربوبية ، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي ، فيستسلمون لقضائي ، ويرجون ثوابي ، ويخافون عقابي ، ويقولون – عند امتحاني إياهم ببعض محني ، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها – : إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً ، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون – تسليمًا لقضائي ورضًا بأحكامي .

● **وقال ابن الجوزي رحمه الله** (زاد المسير ص١٦٢) : ﴿ قالوا إنا لله ﴾ يريدون نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ يريدون نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا والثواب على صبرنا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنقص من الأنفس ، وما المراد بنقص الثمرات ؟

ج : المراد – والله أعلم – بنقص الأنفس : موت الأصحاب والأقارب والأحباب ، والمراد بنقص الثمرات : أن الحدائق والمزارع والبساتين لا تنبت كعادتها ، أو المراد : تأخر نزول المطر ، أو المراد : إصابة الثمرات بآفة ، ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٧]: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] فما معنى هذا الأثر ؟ ومن أخرجه ؟ وما مدى صحته ؟

ج : العدلان هما : (الصلوات من ربهم والرحمة) وهما بمنزلة الحملين

(الثُّقْلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل ، والعلاوة وهي ما يوضع على السنام ، والمعنى : أن الصلوات من الرب تعادل قولهم : ﴿ إنا لله ﴾ والرحمة تعادل قولهم : ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم زيدوا بعلاوة وهي ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

والمعنى أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضًا . أما الأثر فأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الجنائز (مع الفتح ٣/٢٠٥) باب الصبر عند الصدمة الأولى ، وقال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة .... ﴾ الآية .

* * *

۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

شعائر الله – حجَّ – اعتمر – جناح – يطوَّف بهما – تطوع خيرًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
شعائر الله	الشعائر جمع شعيرة ، والشعيرة : هي العلامة ، ومنه إشعار الهدي ، أي : تعليمه بعلامة يعرف بها أنه هدي ، وشعائر الله هي المعالم التي جعلها الله لعباده يذكرونه عندها .
حجَّ	الحج لغة القصد وشرعًا القيام بأعمال مخصوصة من طواف وسعي وذهاب إلى منى وعرفات ومزدلفة ورمي جمار والحلق إلى غير ذلك .
اعتمر	اعتمر معناها : زار ، والمراد شرعًا القيام بالطواف والسعي والحلق أو التقصير .
جناح	إثم .
يطوَّف بهما	يسعى بينهما ذاهبًا وآيبًا .
تطوع خيرًا	فعل خيرًا .

س : ما معنى الصفا ؟ وما معنى المروة ؟ وما المراد بهما في الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : أما الصفا فهي الصخرة الملساء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

أما المروة ففيها أقوال منها أنها الحجارة الصغيرة ، ومنها أنها حجارة بيض براقة تكون منها النار وتُقدح منها النار ، وتتخذ أداة كالسكين يُذبح بها ، وهي صلبة .

والمراد بالصفا والمروة هنا الجبلان المعروفان بمكة اللذان يسعى بينهما الحاج أو المعتمر[1] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من

---

(١) قلت : وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة إلى داود بن أبي هند عن الشعبي أن وثنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافًا) ووثنا على المروة يُسمى (نائلة) ، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون : إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين ، وليس الطواف بهما من الشعائر قال : فأنزل الله : إنها من الشعائر ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨]، وهذا إسناد مرسل كما هو واضح ، فالشعبي لم يدرك رسول الله ﷺ .

● وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن إسافًا ونائلة كانا بشرين زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال عهدهما عُبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... لمفضى السيول من إساف ونائل

نقله ا بن كثير رحمه الله .

قلت (مصطفى) : ومثل هذا النقل يحتاج إلى دليل صحيح ، والله أعلم .

شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق عروة قال : سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصَّفا والمروة فقالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالًا من أهل العلم يذكرون أن الناس – إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة – كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة ، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت و لم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة ، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؛ فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قال أبو بكر : فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت و لم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت .

● وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ولا مانع أن تكون نزلت لسببين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحرج الذي كان يظن المسلمون أنهم سيقعوا فيه إذا سعوا بين الصفا والمروة ، ورفعه الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : يتمثل هذا الحرج في أن الناس كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة لصنمين كانا عليهما ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام ، وتركوا الأوثان والأصنام تحرجوا من الطواف بهما ، هكذا ذكر بعض أهل العلم[1] ، وقد تقدم قول الشعبي رحمه الله في ذلك .

وصح عن أنس رضي الله عنه وقد سئل أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية ؟ فقال : نعم كنا نكره الطواف بينهما ، لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

● وصح عن ابن زيد[2] في قوله : ﴿ فلا جُناح عليه أن يطوَّف

---

(١) وصاغه بعضهم بصياغة أخرى فقال : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما ، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام فاسعوا أنتم لله رب العالمين ولا تتركوا الطواف بينهما خشية التشبه بالمشركين .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٤٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو وإن كان صحيحًا إلى ابن زيد إلا أنه إلى رسول الله ﷺ مرسل ، بل معضل لكون ابن زيد بينه وبين =

بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قال : كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنمًا يعظمونها فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] وقرأ ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج : ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما .

أما عائشة رضي الله تعالى عنها فكانت تقول : إن الآية الكريمة إنما أُنزلت ، لأن الأنصار قبل أن يسلموا كان يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوَّف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوَّف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما .

● وروى الطبري رحمه الله بإسناد حسنٍ[1] إلى قتادة في قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ، فكان حيٌّ من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله ، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما .

قلت : فحاصل الحرج – على ما ذكره أهل العلم – يتلخص في الآتي :

● **منهم من كان يتحرج لكون صنمين كانا عليهما (أي : على**

= رسول الله ﷺ بونٌ بعيد لكني أرى أن هذا تفسيرًا من ابن زيد رحمه الله لسياق الآية الكريمة .

(١) الطبري (أثر ٢٣٤٨) .

الصفا والمروة) .

● ومنهم من كان يتحرج لكونه أهلَّ لمناة الطاغية التي عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها تحرج من السعي بين الصفا والمروة .

● ومنهمْ من كان يتحرج لكونه كان لا يسعى بينهما في الجاهلية أصلًا .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره .

فأما قوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روي عن عائشة ، وأي الأمرين كان من ذلك فليس في قول الله تعالى ذكره : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عمن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك ثم جُعل الطواف بهما رخصة لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

* * *

س : هل منع الله سبحانه وتعالى السعي بين الصفا والمروة في وقت من الأوقات ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : لم نقف على نصٍّ يفيد هذا المنع ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى

إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت من الأوقات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يبدأ الساعي بين الصفا والمروة ؟ هل بالصفا أم بالمروة ؟

ج : يبدأ الساعي بالصفا ، لأن النبي ﷺ لما فرغ من طوافه اتجه إلى الصفا وهو يقول : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله .. ﴾ [البقرة : ١٥٨] ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به »[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا فعل رسول الله ﷺ عند صعود الصفا والمروة ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة رسول الله ﷺ قال : ... ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّره وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا (حديث ١٢١٨) .

س : هل يُشرع الدعاء على الصفا والمروة ؟

ج : نعم يشرع ذلك ، وقد تقدم في حديث جابر أن النبي ﷺ دعا على الصفا والمروة .

* * *

س : لماذا يُسرع الناس المشي في المنطقة من المسعى التي بين العلامتين الخضراوين ؟

ج : يُسرع الناس المشي في هذه المنطقة لقول النبي ﷺ : « لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا »[1] ، وأيضًا لما تقدم في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي .... الحديث ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو أصل السعي بين الصفا والمروة ؟ وما الذي ينبغي أن يستحضره الساعي بينهما ؟

ج : أصله ابتداء أمر الله عز وجل به ثم إن النبي ﷺ قد سنَّه ، وقد قال بعض أهل العلم : إن أصل ذلك مأخوذ من سعي هاجر عليها السلام بين

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/٦) ، والنسائي (٢٤٢/٥) ، والبيهقي في الكبرى (٩٨/٥) من طريق بديل بن ميسرة عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبة عن امرأة مرفوعًا ، وهذا إسناد صحيح ، فالمرأة صحابية (إذ قد أفادت أنها رأت رسول الله ﷺ) .

وقد روي الحديث (عند أحمد ٤٠٤/٦) وابن ماجة (٢٩٨٧) وغيرهم من طريق بديل بن ميسرة عن صفية بنت شيبة عن أم ولدٍ لشيبة أنها رأت رسول الله ﷺ ... فذكرت الحديث ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « لا يقطع الأبطح إلا شدًّا » ، وهذا خلاف لا يضر سواء أثبت المغيرة أو حذف ، والله أعلم .

الصفا والمروة ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها (طعام طعم وشفاء سقم) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجىء إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع السعي بين الصفا والمروة تطوعًا بدون حج أو عمرة ؟

ج : لا يشرع ذلك إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فيُفهم منه أن من لم يحج ولم يعتمر فليس له أن يطوَّف بهما ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالتطوع في قوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : ومن حج تطوعًا بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو اعتمر تطوعًا (بعد العمرة الواجبة عليه عند من يرى بوجوب العمرة) فإن الله شاكر له على تطوعه ومثيبه على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله شاكر له صنيعه الذي صنع ومثيبه عليه ومجازيه به عليم بحاله وبقلبه هل أراد بحجه وعمرته الرياء والسمعة أم حج واعتمر ابتغاء وجه الله عز وجل ورجاء ثوابه وحطًّا لخطاياه وذنوبه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿ فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه و ﴿ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] .

❋ ❋ ❋

س : هل يُفهم من الآية الكريمة أنه يجوز لشخص ما أراد الحج أو العمرة ألا يسعى بين الصفا والمروة ؟

ج : نعم هذا مفهوم من الآية الكريمة ، لكن هذا المفهوم مردود ، لأن النبي ﷺ طاف بينهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لتأخذوا مناسككم »[1] .

ولم يرد أنه عليه الصلاة والسلام رخص لأحدٍ في ترك السعي بينهما ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد فهم عروة رحمه الله نحو هذا المفهوم المذكور في السؤال وردَّته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ففي الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قال : قلت : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة: ١٥٨] ؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : فو الله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألَّا يطوَّف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، قالت عائشة ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما[1] .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

● وقد ثبت في عدة طرق أن النبي ﷺ سعى بين الصفا والمروة ، بل تواتر ذلك الفعل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول من قال : إن السعي بين الصفا والمروة ركن ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به .

الثاني : من العلماء من قال إنه واجب على الحاج والمعتمر ، وإذا لم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٤٣) وفي غير موضع من الصحيح ومسلم (حديث ١٢٧٧) .

يتمكن منه الحاج أو المعتمر أراق مكانه دمًا .

الثالث : قول من قال إنه مستحب وليس بواجب ولا ركن .

أما دليل القول الثالث : فمن الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فقال أصحاب هذا القول : إن الله عز وجل ختم الآية الكريمة بقوله : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ فدل ذلك على أنه تطوع وقال في صدر الآية : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأفاد مفهومها أن من لم يطوَّف بهما فلا جناح عليه أيضًا .

أما دليل القول الثاني : فهو أن النبي ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة هو وأصحابه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » ولم يرد أن النبي ﷺ رخص لأحدٍ في تركه . أما قولهم فيمن تركه أن عليه دم فلا أعلم دليلًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ يدل عليه أما دليل القول الثالث : فهو نحو من دليل القول الثاني مع قوله عليه الصلاة والسلام إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا[1] .

---

(١) هذا الحديث مما نستخير الله عز وجل في تصحيحه فالطرق المعتادة للتصحيح (باعتبار الشواهد والمتابعات) تقتضي أن يُحسن بمجموع طرقه فقد أخرجه الدارقطني (السنن ٢/٢٥٥) والبيهقي من طريقه في السنن الكبرى (٥/٩٧) من طريق معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية قالت أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ قلن : دخلنا دار ابن أبي حسين فاطلعنا من باب مقطع فرأينا رسول الله ﷺ يشتد في المسعى حتى إذا بلغ زقاق بني فلان موضعًا قد سماه من المسعى ، استقبل الناس وقال : « يا أيها الناس اسعوا فإن المسعى قد كتب عليكم » .

● ومعروف بن مشكان لم أقف على معتبر نصَّ على توثيقه صراحة ولا على =

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

أثر عائشة رضي الله عنها

● قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٣)

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لَعمري ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة ، لأن الله قال : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

أثر مالك بن أنس رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : (أثر ٢٣٥٣ مكرر)

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال مالك بن أنس : (من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة فليرجع فَلْيسعَ ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي) .

قول الإمام الشافعي رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : وكان الشافعي يقول : على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العود إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزيه غير ذلك .

حدثنا بذلك الربيع عنه .

= من طعن فيه بما يُسقط حديثه .

لكنه قد توبع ، فالحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٣٢/٤) ، وأحمد في مسنده (٤٢١/٦) وغيرهم بأسانيد عن صفية بنت شيبة ، وإن كان في هذه الأسانيد ضعف إلا أنها ترقي الحديث للصحة .

لكن لما كان هذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تهم عموم أمة محمد ﷺ كنا نطمع له في أسانيد جياد ، وهذا الذي لم نقف عليه ، والله تعالى أعلم .

أثر الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى

بوَّب الطبري رحمه الله في تفسيره بباب ذكر من قال : يجزي منه دم وليس عليه عودٌ لقضائه ، قال الثوري[1] بما حدثني به علي بن سهل عن زيد بن أبي الزرقاء عنه ، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد : إن عاد تاركُ الطوَّاف بينهما لقضائه فحسن ، وإن لم يعُد فعليه دم .

أثر عطاء رحمه الله تعالى [2]

قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٣٥٦) :

حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا ابن جريج قال : قال عطاء : لو أن حاجًّا أفاض بعدما رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها – يعني : امرأته – لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن لا يطوَّف بهما) فعاودته بعد ذلك فقلت : إنه قد ترك سنة النبي ﷺ ، قال : ألا تسمعه يقول : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأبى أن يجعل عليه شيئًا .

قراءة ابن عباس رضي الله عنهما للآية الكريمة .

قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٧) :

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله.. ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية (فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما).

---

(١) أخرجه الطبري أثر (٢٣٥٥) .

(٢) بوَّب له الطبري بباب ذكر من قال الطواف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه ومن كان يقرأ (فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما) .

اختيار الطبري رحمه الله

أورد الطبري جملة آثار ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الطواف بهما فرض واجب ، وأن على من تركه العوْد لقضائه ، ناسيًا ، كان أو عامدًا . لأنه لا يُجزيه غير ذلك ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه حج بالناس ، فكان مما علمهم من مناسك حَجهم الطوافُ بهما .

ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثني يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجه قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، ابدءوا بما بدأ الله بذكره » . فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » ، فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام عليها ، وطاف وَسعى .

فإذا كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة – أن الطواف بهما على تعليم رسول الله ﷺ أمَّته في مناسكهم ، وعمله في حَجِّه وعُمرته – وكان بيانه ﷺ لأمَّته جُمَل مَا نَصَّ الله في كتابه ، وَفرضَه في تنزيله ، وأمرَ به مما لم يدرك علمه إلا ببيانه ، لازمًا العمل به أمته ، كما قد بينا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » – إذا اختلفت الأمة في وجوبه ، ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما : هل هو واجبٌ أو غير واجب – كان بينًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر ، لما وصفنا .

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة – لما كان مختلفًا فيما على من تركه ، مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله

رسول الله ﷺ وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم - كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم - وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزي منه فديةٌ ولا بدلٌ ، ولا يجزي تاركه إلَّا العود لقضائه - كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة ، ولا تجزي منه فدية ولا جزاءٌ ، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه ، إذ كانا كلاهما طوافين : أحدهما بالبيت ، والآخر بالصفا والمروة .

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن اعتل بقراءة من قرأ : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) .

قيل : ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين ، غيرُ جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها . وسواء قرأ ذلك كذلك قارىء أو قرأ قارىء : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا به) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف ، كانت الأخرى نظيرتها ، وإلا كان مجيز إحداهما - إذا منع الأخرى - متحكمًا . والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ .

وقد رُوي إنكار هذه القراءة ، وأن يكون التنزيل بها ، عن عائشة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبي ﷺ ، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيتِ قول الله عز وجل : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ ، فما نرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما ! فقالت عائشة : كلا ! لو كانت كما تقول ، كانت : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار ، كانوا يهلون لمناة - وكانت مناة حذو قديد - ،

وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الإسلام ، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل قراءة من قرأ : « فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما » ، أن تكون « لا » التي مع « أن » ، صلةً في الكلام ، إذ كان قد تقدمها جحدٌ في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿ فلا جناح عليه ﴾ ، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿ قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك ﴾ [الأعراف : ١٢] ، بمعنى ما منعك أنْ تسجد ، وكما قال الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ

ولو كان رسم المصحف كذلك ، لم يكن فيه لمحتج حجة ، مع احتمال الكلام ما وصفنا . لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم ، على ما ذكرنا ، ولدلالة القياس على صحته ، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين ، ومما لو قرأه اليوم قارىء كان مستحقًّا العقوبة ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه ؟

قول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حديث : (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) ثم قال :

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ؛ كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ، ورواية عن أحمد ، وهو المشهور عن مالك .

وقيل : إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدًا أو سهوًا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة ، وقيل : بل مستحب ، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين ، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس

وحكي عن مالك في العتبية .

قال القرطبي : واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] والقول الأول أرجح لأنه عليه السلام طاف بينهما ، وقال : « لتأخذوا عني مناسككم » فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله بالحج إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم ، وقد تقدم قوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي » فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي : مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج .

قول القرطبي رحمه الله تعالى

قال القرطبي رحمه الله :

واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة ؛ فقال الشافعي وابن حنبل : هو ركن ؛ وهو المشهور من مذهب مالك ؛ لقوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » . خرجه الدارقطني . وكتب بمعنى أوجب ؛ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وقوله عليه السلام : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » . وخرج ابن ماجة عن أم ولدٍ لشيبة قالت : رأيت رسول الله ﷺ يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا » فمن تركه أو شوطًا منه ناسيًا أو عامدًا رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة ، فيطوف ويسعى ؛ لأن السعي لا يكون إلا متصلًا بالطواف . وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عمرة وإن لم يكن في العمرة فرضًا ، فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهديٌ عند مالك مع تمام مناسكه . وقال الشافعي : عليه هديٌ ، ولا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي : ليس بواجب ؛ فإن تركه أحدٌ

من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم ؛ لأنه سنة من سنن الحج . وهو قول مالك في العتبية . وروي عن ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين أنه تطوع ؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] . وقرأ حمزة والكسائي « يطوع » مضارع مجزوم ، وكذلك ﴿ فمن تطوع خيرًا فهو خير له ﴾ الباقون « تطوع » ماض ؛ وهو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره . وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة . والصحيح ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى لما ذكرنا ، وقوله عليه السلام : « خذوا عني مناسككم » فصار بيانًا لمجمل الحج ؛ فالواجب أن يكون فرضًا ؛ كبيانه لعدد الركعات ، وما كان مثل ذلك إذا لم يتفق على أنه سنة أو تطوع . وقال طُليب : رأى ابن عباس قومًا يطوفون بين الصفا والمروة فقال : هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل .

قلت : وهذا ثابت[1] في صحيح البخاري ، على ما يأتي بيانه في سورة « إبراهيم » .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير :

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة ، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه ، ونقل أبو طالب لا شيء في تركه عمدًا أو سهوًا ، ولا ينبغي أن يتركه ، ونقل الميموني أنه تطوع .

وقال البغوي رحمه الله :

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة ، فذهب جماعة إلى وجوبه ، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة ، وبه قال الحسن ، وإليه ذهب مالك والشافعي ، وذهب قوم إلى أنه

---

(١) قائل ذلك هو القرطبي رحمه الله .

تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي ، وقال الثوري وأصحاب الرأي : على من تركه دم .

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان) بعد أن أورد حديث : « اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي » : ويؤيد ذلك حديث « خذوا عني مناسككم » واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب ، وهو الراجح .

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

س : ما معنى ما يلي : - يكتمون - البينات - يلعنهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يكتمون	يخفون
البينات	الدلالات على نبوة محمد ﷺ
يلعنهم	يطردهم ، واللعن : الطرد .

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وما هي البينات التي كتموها ؟

ج : هؤلاء المعنيون بالآية الكريمة هم علماء اليهود وعلماء النصارى ، والبينات التي كتموها هي ما بينه الله عز وجل من أمر محمدٍ ﷺ ونبوته ومبعثه وصفته .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالهدى في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ... ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : المراد بالهدى هنا ما أنزله الله في الكتابين (التوراة والإنجيل) من آيات وعلامات ودلالات وبينات هداية للناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وكذلك ما المراد بالكتاب ؟

ج : المراد بالناس هنا بعض الناس وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لأن صفة محمد ﷺ كانت عندهم دون غيرهم .

● أما الكتاب فهو اسم جنس ، والمراد به الكتب ، والمعني به هنا التوارة والإنجيل ، والله تعالى أعلم .

س : ذكرتم أن المعني بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ﴾ [البقرة : ١٥٩] هم علماء اليهود والنصارى فهل تنسحب على غيرهم أيضًا ؟

ج : نعم وتنسحب على كل كاتمٍ علمًا فرض الله عز وجل بيانه للناس[1] ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نارٍ يوم القيامة » .

---

(١) قال الطبري رحمه الله : وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من سئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » .

● وقد قال الله تعالى : ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

س : آية من كتاب الله عز وجل تمسك بها أبو هريرة رضي الله عنه وذكر أنه لولاها ما حدَّث الناسَ بالذي حدثهم عن رسول الله ﷺ فما هي تلك الآية ؟

ج : هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ [البقرة : ١٥٩] إلى قوله : ﴿ الرحيم ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى اللعن ؟ ومن هم اللاعنون ؟

ج : أما اللعن فهو الطرد ، ولعنه : أقصاه وأبعده ، والمراد باللعن هنا : الطرد من رحمة الله عز وجل .

● **أما اللاعنون[2] فهم الملائكة والناس أجمعون ، وذلك**

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١١٨) ، ومسلم (حديث ٢٤٩٢) ، وأحمد (٢/٢٧٤) .

(٢) واللاعنون هم الذين يطلبون من الله عز وجل أن يلعن ... =

لقول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفرا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨] وقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ... ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● **ومن العلماء من قال إن المراد باللاعنين هنا دواب الأرض وهوامها (كالعقارب والخنافس وغير ذلك)** فقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بأسانيده إلى مجاهد قال : (ويلعنهم اللاعنون) قال : دواب الأرض، العقارب

= ● وقد أخرج الطبري (٢٣٨٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ قال : يقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين .

قلت : ويلتحق بهم الكفار أيضًا إذ يلعن بعضهم بعضًا كما قال تعالى في الآية الكريمة (المذكورة أعلاه) .

(١) وأسانيد ذلك إلى مجاهد منها الصحيح ومنها دون ذلك ، ومن الصحيح (٢٣٨٠) بالمتن الذي ذكرناه أعلى .

قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : وما وجه الذين وجهوا تأويل قوله : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ ، إلى أن اللاعنين هم الخنافس والعقارب ونحو ذلك من هوام الأرض ، وقد علمت أنها إذا جمعت ما كان من نوع البهائم وغير بني آدم ، فإنما تجمعه بغير « الياء والنون » ، وغير « الواو والنون » ، وإنما تجمعه بـ « التاء » وما خالف ما ذكرنا ، فتقول : « اللاعنات » ونحو ذلك ؟

قيل : الأمر وإن كان كذلك ، فإن من شأن العرب إذا وصفت شيئًا من البهائم أو غيرها – مما حكم جمعه أن يكون بـ « التاء » وبغير صورة جمع ذكران بني آدم – بما هو من صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ [فصلت : ٢١] ، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم ، إذ =

والخنافس ، يقولون : مُنعنا القطر بخطايا بني آدم .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون . لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦٠] ، فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر : الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس ، هي لعنة الله ، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، وهم « اللاعنون » ، لأن الفريقين جميعًا أهل كفر .

وأما قول من قال : إن ﴿ اللاعنين ﴾ هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامها ، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة . ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ ، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك .

= كلمتهم وكلموها ، وكما قال : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ [النمل : ١٨] ، وكما قال : ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

قلت : وقد استدل بعض أهل العلم بما ورد من طريق ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمرو عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال : « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين » فتلعنه كل دابة سمعت صوته ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] يعني : دواب الأرض ، استدلوا بذلك على أن المراد بـ (اللاعنون) دواب الأرض وليث بن أبي سليم متكلم فيه ، وأيضًا فأصل الحديث في المسند بدون هذه الزيادة ، والله تعالى أعلم .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال : إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف (قول) أهل التأويل ، وهو ما وصفنا . فإن كان جائزًا أن تكون البهائم وسائر خلق الله ، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته ، بعد علمهم به ، وتلعن معهم جميع الظلمة – فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ « اللاعنين » البهائم والهوامَّ ودبيب الأرض ، إلا بخبر للعذر قاطع . ولا خبر بذلك ، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] تابوا من ماذا ، وأصلحوا في ماذا ، وبينوا ماذا ؟

ج : تابوا من إثم الكتمان (كتمان الحق الذي أُمروا ببيانه) وأصلحوا أحوالهم ونياتهم فآمنوا بهذا النبي وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل وبينوا الحق الذي كتموه .

● وقد أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] يقول : أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم .

● وأخرج أيضًا بإسناد صحيح[2] إلى ابن زيد في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] قال : بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين وما سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ وهذا كله في يهود .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣٩٠) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٩١) .

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] يقول : وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إليَّ ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتي ، والرحيل بالمقبلين بعد إقبالهم إليَّ أتغمدهم مني بعفو ، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم .

● وقال بعض أهل العلم في قوله : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] أي : كثير التوبة على عبادي واسع الرحمة بهم أصفح عما فرط منهم من السيئات .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على كل شخص تبليغ ما علمه من علمٍ لكل أحد ؟

ج : لا يجب ذلك ، وإنما يجب عليه أن يبلغهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم قدر استطاعته ، ويتقي ما يكون سببًا لفتنتهم وصدهم عن طرق الخير .

● **وقد قال الله تبارك وتعالى :** ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] أي : حيث تنفع الذكرى .

● **وقال رسول الله ﷺ** لعائشة رضي الله عنها : « لولا أن قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم »[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا

---

(١) أخرج البخاري حديث (١٥٨٥) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشًا استقصرت بناءه وجعلتُ له خلفًا » =

ولبكيتم كثيرًا »[1] .

● **وهذا أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال :** لولا آية من كتاب الله عز وجل ما حدثتكم ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... ﴾[2] [البقرة : ١٥٩] .

أبو هريرة نفسه يقول : (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم)[3] .

● **وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن** يخطب بمنى خطبة ينبه فيها على بعض الأمور الهامة فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بتأجيل ذلك حتى يرجع إلى المدينة لأن المجلس

= وفي رواية : « لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغت به أساس إبراهيم » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٠٤٤) ، ومسلم (حديث ٩٠١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

(٢) أخرج البخاريُ (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ... - إلى قوله - الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن اخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .

(٣) قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل ، إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى ، والله أعلم . قلت : والحديث أخرجه البخاري (حديث ١٢٠) .

يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أقرىء رجالًا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إليَّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلًا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم ، قال عبد الرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت فيعي أهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

● **وقال علي رضي الله عنه :** حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

● **وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه** أنه قال : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

وقال القرطبي رحمه الله بعد إيراده أثر علي : (حدثوا الناس بما يعرفون ..) : وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام ، فحكم العالم **أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته** ، والله تعالى أعلم . ثم قال رحمه الله : وتحقيق الآية أن العالم إذا قصد كتمان العلم عصى ، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

أنه مع غيره ، وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذا الآية وللحديث ، أما أنه لا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم ، وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدال والحجاج ليجادل به أهل الحق ، ولا يُعَلِّم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله ، ولا السلطان تأويلًا يتطرق به إلى مكاره الرعية ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقًا إلى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك .

قلت : وقد أخذ بعض العلماء على أنس بن مالك رضي الله عنه إبلاغه الحجاج بأشد ما عذب به رسول الله ﷺ أقوامًا (وهو حديث العرنيين) وذلك لأن الحجاج بن يوسف الثقفي استسهل كل ما يصنع أمام هذه الصورة من التعذيب ، وأهمل أسباب وحيثيات التعذيب التي عذب بها رسول الله ﷺ العرنيين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

● ومنها قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

❋ ❋ ❋

س : الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب هل تقبل توبته ؟

ج : نعم تقبل توبته لقوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] .

ولقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلًا « قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك »[1] .

❋ ❋ ❋

س : التوبة لا يكفي فيها في بعض الأحيان قول القائل : أستغفر الله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن التوبة إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العبد وربه يكفي فيها قول القائل : أستغفر الله أو رب اغفر لي أو نحو ذلك مما يتعلق بطلب المغفرة من الله عز وجل .

أما إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العباد أنفسهم فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها ، فمثلًا إذا سرق رجلٌ مالًا من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه .

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول :أستغفر الله ، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا ، يدل على هذا وذاك قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] وقول النبي ﷺ عن

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٦٢١) .

المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار « فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا »[1] .

وقال النبي ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[2] .

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله : (أستغفر الله) فالله عز وجل يقول : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٤ ، ٥] .

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إلا الدَّين ؟!!! والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾

س : ما معنى : ينظرون ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
ينظرون	يمهلون[1] – يؤخرون

* * *

(١) قال بعض أهل العلم : معناها : لا يمهلون حتى يعتذروا ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] وقال بعض أهل العلم : لا يمهلون ولا يؤجلون بل يلاقيهم العذاب عقب مفارقتهم الدنيا مباشرة . والله أعلم .

س : ما المراد بلعنة الله عز وجل للذين كفروا ، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين لهم ؟

ج : المراد بلعنة الله للكافرين : إبعاد الله عز وجل لهؤلاء الكافرين من رحمته وطردهم عنها ، والمراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين للكفار : طلب الملائكة والناس أجمعين من الله عز وجل أن يلعن هؤلاء الكفار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يدخل فيها الكفار ، فهل يلعن الكافرُ الكافرَ ؟

ج : ابتداءً ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالناس أجمعين في قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] المؤمنون فقط ، وممن قال بهذا القول قتادة رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري عنه بإسناد حسن[1] أنه قال : قوله : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يعني بـ ﴿ الناس أجمعين ﴾ المؤمنين .

قلت : وهذا المسلك الذي سلكه قتادة رحمه الله تعالى في تفسير الآية الكريمة مسلك ضعيف يخالفه ظاهر نص الآية الكريمة[2] .

● وقريب من هذا المسلك مسلكٌ آخر ضعيف وهو مسلك من قال : إن قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ محمول على التغليب أي : أغلب الناس

---

(١) أثر رقم (٢٣٩٢) .

(٢) وقد قال الطبري رحمه الله في تفسيره : وأما ما قاله قتادة من أنه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبرٍ ولا نظرٍ ، فإن كان ظن أن المعني به المؤمنين ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة ، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة ، وداخل في الظلمة كل كافرٍ بظلمه نفسه وجحوده نعمة ربه ومخالفته أمره .

يلعن الكفار ووجه ضعف هذا المسلك أن أغلب الناس كفار كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، فإذا كان أكثرهم كفارًا فرجعنا إلى السؤال ثانيةً وهل الكافرُ يلعن الكافرَ ؟

فالإجابة على ذلك أن الكافر يلعن الكافر ، وذلك إما في الدنيا وإما في الآخرة ، أما لعنة الكفار بعضهم بعضًا في الدنيا ، فكون الكافر يدعو على الظالم مثلًا ، فإذا قال الكافر : اللهم العن الكافر أو الظالم دخل هو نفسه في اللعنة ودخل فيها كل كافر ، وكذلك إذا تلاعن كافر ومؤمن فاللعنة ترجع على الكافر ، أما كون الكفار يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة فذلك واضح جليٌّ من قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

وكذلك من قوله تعالى : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

وقال تعالى في شأن الكافرين : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾ [البقرة : ١٦٢] خالدين في ماذا ؟

ج : قيل : خالدين في اللعنة ، وقيل : المراد أنهم خالدين في متبوعات

اللعنة وهي نار جهنم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :اذكر بعض الآيات الدالة على دوام العذاب على الكفار من غير تخفيف ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ – قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ [فاطر : ٣٦، ٣٧] .

٢ – قوله تعالى : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يُفَتَّر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] .

٣ – قوله تعالى : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] .

٤ – قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] .

٥ – قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ [المائدة : ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز لعن كل من الآتي ذكرهم أم لا يجوز :

– الكفار جملة (أي : بصفة عامة)

- الكافر المعين (أي الكافر باسمه)
- العصاة جملة
- العاصي المعين

ج : أما الكفار جملة فيجوز لعنهم لما يأتي :

● قوله تعالى ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩]

● وقوله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨]

● وقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿ وأُتبعوا في هذه لعنة ﴾ [هود : ٩٩] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال غير واحد من أهل العلم إنه لا خلاف في جواز لعن الكفرة جملة (أي وجه الإجمال)[1] .

● **أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف ، فمن العلماء من منعه محتجًا بقوله تعالى** ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] فقال هذا الفريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر ، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله .

واحتج لهم أيضًا بأن النبي لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨]

● **وذهب فريق من العلماء إلى جواز لعن الكافر المعين ، واحتج بعضهم بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها**

---

(١) واستدل له بعض أهل العلم – إضافة إلى ما ذكر من آيات – بما رواه مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان) .

قالت : دخل على النبي ﷺ رجلان فكلَّماه فأغضباه فلعنهما .

● **قال القاضي ابن العربي رحمه الله** (أحكام القرآن ص١/٥٠) :

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله .

قال : وقد رُوي أنه ﷺ قال : « اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه ، اللهم واهجه عدد ما هجاني »[1] ، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله ، وانتصف بقوله (عدد ما هجاني) ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف ، وأضاف الهجو إلى الباري سبحانه وتعالى في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك) فقال رسول الله ﷺ « لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله »[2]، قالوا فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله تعالى أعلم .

---

(١) أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ضعف هذا الحديث بقوله وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين ، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب[1] فأُتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه فوالله ما علمت[2] أنه يحب الله ورسوله » .

---

(١) يعني شراب الخمر .

(٢) ما علمت معناها لقد علمت ، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله وثمَّ أقوال أخر تدور حول هذا المعنى ، والله تعالى أعلم .

● **أما العصاة جملة فيجوز لعنهم لقوله عليه الصلاة والسلام :**

« لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »[1] .

وقوله عليه السلام : « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه »[2] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وأما لعن العاصي مطلقًا فيجوز إجماعًا ... .

● **أما العاصي المعين** ، فقد قال ابن العربي رحمه الله : فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقًا لما روي أن النبي ﷺ جيء إليه بشارب خمر مرارًا فقال بعض من حضره : ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : « لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم »[3] ، فجعل له حرمة الأخوة ، وهذا يوجب الشفقة ، وهذا حديث صحيح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣) ، ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله

وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي النبيُّ ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل : ما له أخزاه الله تعالى فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث « لعن المؤمن كقتله »[1] .

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث : « أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح »[2] ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا ، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين ، وذلك لقول النبي ﷺ : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا »[3] ، ولحديث : « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة »[4] ، ولحديث « لعن المؤمن كقتله » والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (٦٠٤٧) ، ومسلم (حديث ١١٠ ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك – وكان من أصحاب الشجرة – رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على ملةٍ غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال ، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله » .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤) ، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

● وفي رواية في الصحيحين كذلك : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا .

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

س : اذكر عشرًا من الآيات الدالة على تفرد الله عز وجل بالألوهية ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ – قول الله عز وجل : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]

٢ – قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، [آل عمران : ٢]

٣ – قول الله عز وجل : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ [الأنعام : ١٠٢]

٤ – قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [النساء : ٨٧]

٥ – قول الله عز وجل : ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ [ص : ٦٥]

٦ – قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [الشورى : ١٠]

٧ – قوله تعالى : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا ﴾ [طه : ٩٨]

٨ – قوله تبارك وتعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩]

٩ – قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨]

١٠ – قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]، وقوله : ﴿ الم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] » ؟

ج : في إسناده ضعف ففيه شهر بن حوشب متكلم فيه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : هذه أقوال طائفةٍ من أهل العلم في هذا الباب

● قال الطبري رحمه الله :

قد بينا فيما مضى معنى « الألوهية » ، وأنها اعتباد الخلق .

فمعنى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] : والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له ، ويستوجب منكم العبادة ، معبود واحد ورب واحد ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا معه سواه ، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه ، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم ، وإلهكم إله واحد ، لا مثل له ولا نظير .

واختلف في معنى وحدانيته تعالى ذكره .

فقال بعضهم : معنى وحدانية الله ، معنى نفي الأشباه والأمثال عنه ، كما يقال : « فلان واحد الناس – وهو واحد قومه » ، يعني بذلك أنه ليس له في الناس مثل ، ولا له في قومه شبيه ولا نظير . فكذلك معنى قول « الله واحد » ، يعني به : الله لا مثل له ولا نظير .

فزعموا أن الذي دلَّهم على صحة تأويلهم ذلك ، أن قول القائل : « واحد » يفهم لمعان أربعة . أحدها : أن تكون « واحدًا » من جنس ، كالإنسان « الواحد » من الإنس . والآخر : أن يكون غير متفرق ، كالجزء

الذي لا ينقسم . والثالث : أن يكون معنيًّا به والاتفاق ، كقول القائل : « هذان الشيآن واحد» ، يراد بذلك : أنهما متشابهان ، حتى صارا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد . والرابع : أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه .

قالوا : فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني « الواحد » منتفيةً عنه ، صح المعنى الذي وصفناه .

وقال آخرون : معنى « وحدانيته » تعالى ذكره ، معنى انفراده من الأشياء ، وانفراد الأشياء منه . قالوا : وإنما كان منفردًا وحده ، لأنه غير داخل في شيء ولا داخلٌ فيه شيء . قالوا : ولا صحة لقول القائل : « واحد » ، من جميع الأشياء إلا ذلك . وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون .

وأما قوله : « لا إله إلا هو » ، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره ، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه ، وأن كل ما سواه فهم خلقه ، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، وهجر الأوثان والأصنام . لأن جميع ذلك خلقه ، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ، ولا تنبغي الألوهة إلا له ، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه ، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ، وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل ، ولا في دنيا ولا في آخرة .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهل الشرك به على ضلالهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم ، والإنابة من شركهم ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها ، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه

من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم ، فقال تعالى ذكره : أيها المشركون ، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر : من أن إلهكم إله واحد ، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان ، فتدبروا حُججي وفكروا فيها ، فإن من حُججي خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها ، وما بثثت فيها من كل دابة ، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض . فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به ، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض ، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم ، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذرٌ ، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي ، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري .

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده ، في هذه الآية وفي التي بعدها ، بأوجز كلام ، وأبلغ حجة ، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية أنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** قوله تعالى : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] نفيٌ وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان ، ومعناه لا معبود إلا الله .

● **وقال صديق حسن خان** (فتح البيان ١/٣٢٦) : **(وإلهكم إله واحد)** أي : لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية ، والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له

يشاركه في مصنوعاته ، وواحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ [البقرة : ١٦٣] تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ [البقرة : ١٦٣] وقد تقدم تفسيرها ، وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق ، والإشارة إلى أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه وهو أمر التوحيد .

● **وقال الماوردي رحمه الله :** قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] أراد بذلك أمرين : أحدهما أن إله جميع الخلق واحد لا كما ذهبت إليه عبدة الأوثان من العرب وغيرهم أن لكل قومٍ إله غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإله ، وإن كان إلهًا لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] ثم وصف فقال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ترغيبًا في عبادته وحثًا على طاعته .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول النبي ﷺ من قال : « لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة »[1] .

● قول النبي عليه الصلاة والسلام : « فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[2] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩١/٥) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥) ، ومسلم (حديث ٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »[1] .

● حديث البطاقة ، وقد أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : أفلك عذرٌ ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقة في كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ »[2] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وله بكل تهليلة صدقة »[3] .

● وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ – ومعاذ رديفه على الرحل – قال : يا معاذ بن جبل قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٢٧) ، ومسلم (مع النووي ٩٤/٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٣٩) وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد (٢١٣/٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢) ، وابن ماجه (حديث ٢٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

من قلبه إلا حرمه الله على النار .. »[1] الحديث .

● وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[2] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٨) ، ومسلم (حديث ٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم ص (١٨٤) .

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات والفقرات على وجه الاختصار : خلق السموات والأرض - اختلاف الليل النهار - الفلك - بث فيها - تصريف الرياح - المسخر - آيات ؟

ج :

الكلمة	معناها
خلق السموات والأرض	إنشائها وابتداعها وخلقها على الوضع الذي هي عليه
اختلاف الليل والنهار	تعاقب الليل والنهار
الفلك	السفن
بثَّ فيها	فرَّق فيها - نشر فيها
تصريف الرياح	تنويع الرياح فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات ...
المسخر	المُذلل .
آيات	علامات ودلالات .

س : هل من وجهٍ للربط بين قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .... ﴾ الآية [البقرة : ١٦٤] وقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : يرى بعض العلماء أن قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] برهان ودليل لقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا جمعت السموات وأفردت الأرض في قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : قال صديق حسن خان (فتح البيان) : وإنما جمع السموات ؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ، ووحد الأرض ؛ لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هي الآية والدليل في خلق السموات على وحدانية الله عز وجل ورحمته ؟

ج : يوضح هذه الآية وهذا الدليل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ [ق : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ [الملك : ٣ - ٥] .

● فالآية في خلق السموات في ابتداعها وإيجادها على هذا النحو التي هي عليه من ارتفاع واتساع وزينةٍ وبهاء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● **قال القرطبي رحمه الله :** فآية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ، ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل في الهواء دون علاقة كان معجزًا ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوة آية ثانية .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها .

● **وقال الماوردي في التفسير :** فآية السماء ارتفاعها بغير عمدٍ من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

● **وقال ابن سعدي في تفسيره :** ففي ﴿ خلق السموات ﴾ [البقرة : ١٦٤] في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها ، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية في خلق الأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : هي فيما ذكره الله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق : ٧ ، ٨] وقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [الملك : ١٥] .

وقد قال أهل العلم في ذلك أقوالًا أيضًا نورد منها ما يلي :

● **قال القرطبي رحمه الله** : وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها .

● **وقال ابن كثير رحمه الله** : وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع .

● **وقال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان)** : والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله** : وفي خلق (الأرض) مهادًا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها ، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم ، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده .

● **وقال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه)** : والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها ، وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشىء مثلها .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية في اختلاف الليل والنهار على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : ذلك واضح في قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل

سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [القصص : ٧١ - ٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ [يسٓ : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] .

● وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في هذا الباب .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة تأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ [فاطر : ١٣] أي : يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا .

وقال صديق حسن خان (في فتح البيان) :

﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر ، وقيل : في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب : وعندي فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول : إن الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح ، وفي موضع آخر ظهر ، وفي آخر عصر ، وفي آخر مغرب . وفي آخر عشاء . وهلم جرًّا . هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في

العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب . قاله الكرخي .

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره :

وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط في الطول والقصر والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات ، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه مما يجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه .

وقال الماوردي رحمه الله : وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر فيقبل الليل من حيث لا يعلم ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم فهذا اختلافهما .

وقال الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير) وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم ، واختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد باختلاف الليل والنهار ؟

ج : المراد والعلم عند الله تعالى : اختلافهما في الطول والقصر فهذا يطول أحيانًا ويقصر هذا وهذا يقصر أحيانًا ويطول هذا ، واختلافهما أيضًا تعاقبهما .

قال الطبري رحمه الله :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤].

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس .

وإنما (الاختلاف) في هذا الموضع (الافتعال) ، من (خلوف) كل واحد منهما الآخر ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

بمعنى : أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه ، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده ، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه . ومن ذلك قيل : (خلف فلان فلانًا في أهله بسوء) ، ومنه قول زهير :

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً وأطلاؤها يَنهَضْن من كلِّ مَجْثَم

وأما (الليل) . فإنه جمع (ليلة) ، نظير (التمر) الذي هو جمع (تمرة) . وقد يجمع (ليال) ، فيزيدون في جمعها ما لم يكن في واحدتها . وزيادتهم (الياء) في ذلك نظير زيادتهم إياها في (رباعية وثمانية وكراهية) .

وأما (النهار) ، فإن العرب لا تكاد تجمعه ، لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع في جمعه « النهر » ، قال الشاعر :

لولا الثَّرِيدانِ هَلَكْنا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ ليلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

ولو قيل في جمع قليله (أنهِرَة) كان قياسًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الدلالة من الفلك التي تجري في البحر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى سخر البحر لحمل هذه

السفن العظام مع أن المسمار الصغير لا يحمله البحر بل يسقط فيه ، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] أي : في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الأقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها ، وأول من عملها نوح عليه السلام كما أخبر تعالى .

● **وقال الماوردي رحمه الله :** والآية فيها من وجهين :

أحدهما : استقلالها بحملها .

الثاني : بلوغها إلى مقصدها .

● **وقال صديق حسن خان في فتح البيان :** والآية في ذلك أن الله لو لم يقوِ قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم ، وأيضًا فإن الله خصَّ كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببًا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره :**

وفي ﴿ الفلك التي تجري في البحر ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهي السفن والمراكب ونحوها ، مما ألهم الله عباده صنعتها ، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ، ما أقدرهم عليها .

ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح ، التي تحملها بما فيها من

الركاب والأموال ، والبضائع التي هي من منافع الناس ، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم .

فمن الذي ألهمهم صنعتها ، وأقدرهم عليها ، وخلق لهم من الآيات ما به يعلمونها ؟ .

أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية ، النار والمعادن المعينة على حملها ، وحمل ما فيها من الأموال ؟

فهل هذه الأمور ، حصلت اتفاقًا ، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز ، الذي خرج من بطن أمه ، لا علم له ولا قدرة ؟ ثم خلق له ربه القدرة ، وعلمه ما يشاء تعليمه ؟

أم المسخر لذلك رب واحد ، حكيم عليم ، لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ؟

بل الأشياء قد دانت بربوبيته ، واستكانت لعظمته ، وخضعت لجبروته .

وغاية العبد الضعيف ، أن جعله الله جزءًا من أجزاء الأسباب ، التي بها وجدت هذه الأمور العظام ، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه ، وذلك ويجب أن تكون المحبة كلها له ، والخوف والرجاء ، وجميع الطاعة ، والذل والتعظيم .

● **وقال شيبة الحمد في تفسيره :** ووجه الاستدلال على وحدانية الله عز وجل بجريان الفلك في البحر بما ينفع الناس أنك لو ألقيت مسمارًا في البحر غاص إلى أعماقه وقد علم الله عز وجل نوحًا عليه السلام أن يصنع الفلك ليركب فيه هو والمؤمنون وأن يحمل معه من كلٍّ زوجين اثنين فصار نوح عليه السلام يهيىء المسامير العظام والأخشاب وبدأ يصنع السفينة ولم يكن أحد قد عرفها[1] قبل ذلك فسخر منه المشركون ، ولما أرسل الله

---

(١) قوله ولم يكن أحد قد عرفها قبل ذلك يحتاج إلى دليل .

الطوفان نجى نوحًا والذين آمنوا معه ، وكانت تجري بهم في موج كالجبال وهي مصنوعة من الخشب والمسامير على حد قوله تبارك وتعالى : ﴿ وحملناه على ذات ألواحٍ ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ [القمر : ١٣ ، ١٤] الدُّسُر جمع دسار وهو المسمار ، فصارت السفن الشبيهة بالجبال تمشي على متن الماء ويرسل الله عز وجل الرياح فتدفعها فوق الماء وتسوقها كما قال عز وجل: ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ [الشورى : ٣٢] أي : ومن دلائل ألوهيته وربوبيته وقدرته هذه السفن التي تجري في البحر كأنها جبال ، وكما قال عز وجل: ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [الرحمن : ٢٤] ، ومن المعلوم أن الله عز وجل خص كل قطر من أقطار الدنيا المتباعدة بمزايا وأشياء معينة لا توجد في القطر الآخر وكان الناس في كل بلد قد يحتاجون إلى ما في البلد الآخر ، وقد يفصل بينهم وبين الجهات التي يحتاجون إلى حاصلاتها البحار الشاسعة والمحيطات العظيمة كالمحيط الهادي والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر والمحيط الهندي وغيرها ، وكان لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بهذه السفن التي أرشدهم الله عز وجل إليها ، مع ما في البحار من المنافع العظيمة ، كما قال عز وجل : ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجاج ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [فاطر : ١٢] وكما قال عز وجل : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

* * *

س : وضح الدليل من إنزال المطر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه ذلك يتضح من قوله تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركًا

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقًا للعباد وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ٩ - ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليه الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ [الحج : ٥ ، ٦] .

● وكما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها[1] وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ [يس : ٣٣ - ٣٥] .

● وكما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ [السجدة : ٢٧] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ والذي نزل من السماء ماءً بقدرٍ فأنشرنا به بلدة ميتًا كذلك تخرجون ﴾ [الزخرف : ١١] .

قال ابن سعدي رحمه الله : ﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النباتات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها ، أليس ذلك دليلًا على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج ولطفه بعباده وقيامه بمصالحهم وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه ؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم ؟ أليس ذلك دليلًا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم ؟!! .

❋ ❋ ❋

(١) وإحياؤها يكون بالمطر بإذن الله عز وجل كما يكون بإذن الله بالعيون .

س : ما هو وجه الدلالة من بث الدواب على رحمة الله عز وجل بالعباد ووحدانيته سبحانه وتعالى ؟

ج : بث الدواب أي : نشرها وتفريقها في أنحاء الأرض ، ووجه الدلالة من بثها على رحمة الله عز وجل ووحدانيته أنه سبحانه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع ، فمنها دواب سخرت لحمله ، ومنها دواب سخرت لمطعمه ومشربه يأكل منها اللحم ويشرب منها اللبن ، ومنها دواب يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، ومنها دواب وجه الانتفاع منها هو الاعتبار والاتعاظ فالحية مثلًا تخيفه رؤيتها فيتذكر مانع الزكاة مثلًا ما سيلقاه يوم القيامة من الشجاع الأقرع فيبادر بإخراج الزكاة ، وتذكره فيتعوذ بالله من شرها . ومنها دواب سخرت لحراسته ومصلحته إلى غير ذلك ، فكل ذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده وكون الله عز وجل رازق هذه الدواب ومتكفلٌ بها وعالم بأمرها وحده سبحانه دليل على وحدانيته والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بتصريف الرياح ؟

ج : المراد : تنويعها فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : و (تصريف) الله إياها أن يرسلها مرة لواقح ، ومرة يجعلها عقيمًا ويبعثها عذابًا تدمر كل شيء بأمر ربها . ثم أورد أثرًا حسن الإسناد عن قتادة[1] قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] قال : قاذرٌ والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته ، وإذا شاء جعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح إنما هي عذاب على من أرسلت عليه .

---

(١) أثر رقم (٢٤٠٥) .

ثم قال الطبري رحمه الله : وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] أنها تأتي مرة جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا ثم قال : وذلك تصريفها ، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن (تصريفها) تصريف الله لها ، و (تصرفها) اختلاف هبوبها .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] تصريف الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مهابها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الدلالة من تصريف الرياح على وحدانية الله سبحانه ؟

ج : وجه ذلك أن الذي يقدر على تصريف الرياح هو الله سبحانه وتعالى وحده لا يستطيع ذلك أحدٌ سواه ، فكما **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : أي : فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية ، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة ، وتارة دبورًا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة .

ونحو ذلك قال ابن سعدي رحمه الله تعالى فقال : وفي ﴿ تصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] باردة وحارة جنوبًا وشمالًا وشرقًا ودبورًا وبين ذلك ، وتارة تثير السحاب وتارة تؤلف بينه وتارة تلقحه وتارة تدره وتارة تمزقه وتزيل ضرره وتارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه ؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنباتات إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق لكل ذلٍّ

وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة ؟

وقال الماوردي في تفسيره : والآية فيها من وجهين :

أحدهما : اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها ، والصبا دبورًا فلا يعلم لانتقالها سبب ، ولا لانصرافها جهة .

والثاني : ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع ، وانتقام يؤذي . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى تسخير السحاب بين السماء والأرض وكيف يكون ذلك ؟

ج : تسخير السحاب تذليله وتوجيهه إلى حيث يشاء الله عز وجل ويتم ذلك بأمر الله عز وجل كما قال سبحانه في كيفية ذلك : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور : ٤٣] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف : ٥٧] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الدلالة من تسخير السحاب بين السماء والأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ؟

ج : قال الماوردي رحمه الله تعالى : (النكت والعيون ٢١٨/١) : والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عمدٍ ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى** : وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء فيحيي به البلاد والعباد ويروي التلول والوهاد وينزله على الخلق وفق حاجتهم إليه فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم فينزله رحمة ولطفًا ويصرفه عناية وعطفًا فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه !!! أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه ، أليس ذلك دَليلًا على حلمه وصبره وعفوه وصفحه وعظيم لطفه ؟ فله الحمد أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا .

● **قال شيبة الحمد في تفسيره** : ولما كان طبع الماء ثقيلًا يقتضي النزول كان بقاؤه في الجو من الآيات البينات .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقًا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده ، وفيه آيات أُخر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (الدابة) في قوله تعالى : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : والدابة (الفاعلة) من قول القائل : (دبت الدابة تدب دبيبًا فهي دابة) .

و (الدابة) اسم لكل ذي روح كان غير طائر بجناحيه لدبيبه على الأرض .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : ودابة تجمع الحيوان كله ، وقد أخرج بعض الناس الطير وهو مردود ، قال الله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته .

قال الأعشي : دَبِيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَل .

وقال علقمة بن عَبدة :

صواعِقُهـا لطيرهـن دَبِيـبُ

قلت (مصطفى) : وحجة من أخرج الطير من الدواب قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [الأنعام : ٣٨] أما الإجابة على قول من قال : إن الطير تدب على الأرض في بعض الأحيان فدفعه (على رأى من أخرج الطير) بأن الحكم للغالب وأغلب أحوال الطير أن يكون في الهواء لكن التحرير يقتضي أن الدابة في الأصل ما يدب على الأرض لكن لا يمتنع أحيانًا أن يدخل فيها غيرها كمن يدب أحيانًا على الأرض ، وذلك كسائر الاصطلاخات في الكتاب العزيز أحيانًا تأتي عامة وأحيانًا تأتي ويراد بها الخصوص والذي يظهر لي في هذا الموطن أن الدابة يدخل فيها الطير ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُحتج على أهل الكفر بقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهناك منهم من لا يرى أن السموات والأرض مخلوقتان ؟

ج : ابتداء قد لا يقول قائل بأن هذا احتجاج على الكفار إنما هو كما ذكره الله عز وجل آيات لقوم يعقلون .

أما وجه الاحتجاج بالآية الكريمة على المشركين (عند من يرى أن الآية تحمل احتجاجًا على المشركين) فهو على المشركين الذين يقرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [لقمان : ٢٥] وكما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] فناسب أن يحتج عليهم بما أقروا به .

ويحتج أيضًا على الملاحدة القائلين بأن السموات والأرض ليستا مخلوقتين بأن وجودهما على هذا الوضع الذي هي عليه تشير بأن لها خالقًا وتدل على ذلك غاية الدلالة ، ولكن الملاحدة كابروا في ذلك أما العقلاء من الناس فأقروا لما رأوا ما عليه السموات والأرض من حسن وبهاء وكمال وجمال وإتقان أن لها مدبرًا خالقًا .

وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى نفس السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال قائل : وكيف احتج على أهل الكفر بقوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] الآية ، في توحيد الله ؟ وقد علمت أن أصنافًا من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقةً ؟

قيل : إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى في هذه الآية ، دليلًا على خالقه وصانعه ، وأن له مدبرًا لا يشبهه [شيء] ، وبارئًا لا مثل له . وذلك وإن كان كذلك ، فإن الله حاج بذلك قومًا كانوا مقرين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان . فحاجهم تعالى ذكره فقال - إذ أنكروا قوله : ﴿ وإلهكم إلهٌ واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وزعموا أن له شركاء من الآلهة - : [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين

في سيرهما . وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر] ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأنزل إليكم الغيث من السماء ، فأخصب به جنابكم بعد جدوبة ، وأمرعه بعد دثوره ، فنَعَشَكم به بعد قنوطكم ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعم ومآكل ، ومنها جمالٌ ومراكب ، ومنها أثاث وملابس ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم ، وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم – وذلك هو معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم ، وتفرد لهم بها . ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، فتشركوه في عبادتكم إياي ، وتجعلوه لي ندًّا وعدلًا ؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، ففي الذي عددت عليكم من نعمتي ، وتفردت لك بأيادي ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل ، والجور والإنصاف . وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيرى ، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادًا . فهذا هو معنى الآية .

والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها ، هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية ، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية ، من الحجج البالغة ، والمَقْنَعُ لجميع الأنام ، تركنا البيان عنه ، كراهة إطالة الكتاب بذكره .

❋ ❋ ❋

س : الآيات الدالة على أن السحاب مسخرٌ آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه إلا بلد ميت ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا .. ﴾ [الروم : ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات ، فاذكر حديثًا يبين أن السحاب مسخر أيضًا ؟

ج : هذا الحديث هو ما ورد في الصحيح[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءً في حَرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه .

❋ ❋ ❋

س : من متى يبدأ الليل ومتى ينتهي ومن متى يبدأ النهار ومتى ينتهي ؟

ج : يبدأ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

ويبدأ النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما رواه ابن فارس في المجمل ، يدل عليه ما ثبت في صحيح

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٩٨٤) .

مسلم عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال له عدي : يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالًا أبيض وعقالًا أسود أعرف بهما الليل من النهار ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار » ، فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهو مقتضى الفقه في الأيمان وبه ترتبط الأحكام .

* * *

س : لماذا قدم الليل على النهار في قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : يرى بعض أهل العلم أن الليلَ قدم على النهار لأن الظلمة أقدم ، قاله صديق حسن خان (فتح البيان) ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يسٓ : ٣٧] وقال أيضًا : وهذا أصح القولين .

قلت : ويستشهد له أيضًا بقول النبي ﷺ : « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل »[1] ، والله أعلم .

* * *

س : هل الليلة تابعة لليوم الذي قبلها أو اليوم الذي بعدها ؟

ج : يرى كثير من العلماء أن الليلة تابعة لليوم الذي بعدها ، واستثنوا

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٤٢) ، وقال : هذا حديث حسن ، وأخرجه أيضًا أحمد (٢/١٧٦ ، ١٩٧) ، وابن حبان (موارد الظمآن حديث ١٨١٢ ، ١٨١٣) ، والحاكم (١/٣٠ المستدرك) من طرق عن ابن الديلمي (وهو عبد الله بن فيروز) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .
وانظر أيضًا الشريعة للآجري ص ١٧٥

من ذلك يوم عرفة فإن ليلته هي التي تأتي بعده (أي : هي التي يبيت فيها الناس بمزدلفة) ، واستدلوا لهذا الاستثناء بحديث عروة بن مضرس[1] إذ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أتعبت نفسي وأكلت راحتي وما تركت جبلًا إلا وقفت عليه ... فقال له النبي ﷺ : « من صلى معنا الفجر بمزدلفة وكان قبل ذلك قد وقف ساعة من ليلٍ أو نهارٍ بعرفات فقد أتم حجه وقضى تفثه » . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالذي ينفع الناس في قوله تعالى : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – ما يحصله الناس من وراء تلك الأسفار من تجارات ودفع مجاعات وسد جوعات وكسوة عاريات وحجج وعمرات وغزوٍ وفتوحات إلى غير ذلك من وسائل الانتفاع التي ينتفع بها الناس في دنياهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قيل للسحاب سحاب ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** وإنما قيل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه ، من قول القائل : (مرَّ فلان يجر ذيله) يعني : (يسحبه) .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث رقم ١٩٥٠) ، والترمذي (حديث ٨٩١) ، وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي (٥/٢٦٣) ، وابن ماجه حديث (٣٠١٦) ، وأحمد (٤/١٥) وغيرهم .

وقال القرطبي رحمه الله : سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء ، وسحبت ذيلي سحبًا ، وتسحب فلان على فلان : اجترأ ، والسحب شدة الأكل والشرب والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

أندادًا - إذ يرون - الأسباب - كرة - حسرات ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
أندادًا	أمثالًا - نظراء - عدلاء .
إذ يرون	إذ يعاينون العذاب .
الأسباب	الأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى النجاة[1] .

(١) وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في سؤال مستقل إن شاء الله تعالى .

الكلمـــة	معناهـــا
كرة	رجعة إلى الدنيا[1]
حسرات	الحسرة التلهف على ما فات ، وقيل الحسرة هي أشد الندامة .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري رحمه الله (٢٤٣٢) بإسناد حسن عن قتادة : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٦]أي : لنا رجعة إلى الدنيا .

(وخامسها) : أن المؤمنين يوحدون ربهم ، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا فتنقص محبة الواحد ، أما الإله الواحد فتنضم محبة الجميع إليه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] قولٌ مجمل نريد إيضاحه ؟

ج : لأهل العلم في إيضاحه وجهان :

أحدهما : أن المشركين يحبون آلهتهم كحبهم لله عز وجل ، فعلى هذا القول يثبت للمشركين شيء من المحبة لله عز وجل .

الثاني : أن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله عز وجل .

● قال الطبري رحمه الله : .. وأن الذين اتخذوا هذه « الأنداد » من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله ، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبًّا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم .

ثم قال الطبري رحمه الله فإن قال قائل : وكيف قيل : « كحب الله » ؟ وهل يحب الله الأنداد ؟ وهل كان متخذو الأنداد يحبون الله ؟ ، فيقال : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما ذلك نظير قول القائل : (بعت غلامي كبيع غلامك) ، بمعنى : بعته كما بيع غلامك ، وكبيعك غلامك ، (واستوفيت حقي منه استيفاء حقك) ، بمعنى استيفاءك حقك ، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب ، اكتفاء بكنايته في (الغلام) و (الحق) ، كما قال الشاعر :

فلست مُسَلِّمًا ما دمت حيًّا ... على زيدٍ بتسليم الأمير

يعني بذلك : كما يسلم على الأمير .

فمعنى الكلام إذًا : ومن الناس من يتخذ ، أيها المؤمنون ، من دون الله

أندادًا يحبونهم كحبكم الله .

س : قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] أشد حبًّا لله مِنْ مَنْ ؟

ج : لأهل العلم أيضًا قولان في هذا الباب .

أحدهما : أشد حبًّا لله من : حب المشركين لله ، فعلى هذا القول يكون المشركون يحبون الله ويحبون آلهتهم كحبهم لله كما قال تعالى مبينًا حالهم وقولهم : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] .

الثاني : أشد حبًّا لله من حب المشركين لآلهتهم ، وكلا القولين له وجه ، ونورد هنا ما ذكره ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم لما فيه من الفائدة .

قال رحمه الله تعالى :

ثم قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة :١٦٥] وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم ، وآلهتهم التي يحبونها ، ويعظمونها من دون الله .

والثاني : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين بالأنداد لله ، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها . والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشركة .

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فإن فيها قولان :

أحدهما : يحبونهم كما يحبون الله . فيكون قد أثبت لهم محبة لله ، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا .

والثاني : أن المعنى يحبون أندادهم ، كما يحب المؤمنون الله ، أشد

من محبة أصحاب الأنداد ، لأندادهم .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول ، ويقول : إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة و لم يخلصوها لله ، كمحبة المؤمنين له . وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم ، وهم في النار ، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم ، وهي محضرة معهم في العذاب ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧، ٩٨] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية ، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم .

هذا حال قلب المؤمن : توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه ، لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة . ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته ، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو ضعفها . وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم ، بل الشرك الذي لا يغفره الله لعبده : هو أن يشرك به في الحب والتعظيم ، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمه قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى ، وأن المؤمن أشد حبًّا لله من كل شيء . وقال أهل النار في النار : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧] ، ومن المعلوم : أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة ، وإلا فلم يقل أحد قط : إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله ، وفي خلق السموات والأرض ، وفي خلق عابده أيضًا . وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة .

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالًا من سوى كل شيء بالله سبحانه في الوجود ، وجعله وجود كل موجود ، كامل أو ناقص . فإذا كان الله قد

حكم بالضلال والشقاء لمن سوى بينه وبين الأصنام في الحب ، مع اعتقاد تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال ، فكيف بمن سوى الله بالموجودات في جميع ذلك ، بل كيف بمن جعل ربه كل هذه الموجودات ؟ وزعم أن من عبد حجرًا أو شجرًا ، أو حيوانًا فما عبد غير الله في كل معبود .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥]؟ وما هو الدليل على ذلك؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] المشركون ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، فالخلود لا يكون إلا للمشرك لحديث : « وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[1] ، وكون الظلم يطلق على الشرك ففي كتاب الله عز وجل على هذا الإطلاق أدلة ، منها قوله تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] ونحو ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بمحبة المشركين للأنداد ؟

ج : المراد عبادتهم لهم وتعظيمهم إياهم ، وعلى رأي من ذهب إلى أن الأنداد السادة الذين يطاعون في معصية الله وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل ، فيدخل في هذه المحبة الطاعة أيضًا .

هذا ولا يدخل في هذه المحبة التي يحبها المشركون للأنداد اعتقاد أن الأنداد خلقتهم ، فهذا شيءٌ لم يقر به المشركون ، بل قال الله عز وجل حاكيًا عن المشركين : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (ص ١٨٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيءٍ وهُو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون :٨٤ - ٨٩] .

● وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ [يونس : ٣١] .

هذا وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى[1] في تأويل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا ، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] قراءتان مشهورتان وضحهما ، وبيِّن معنى الآية على كل قراءة منهما ؟

ج : **القراءة الأولى هي** ﴿ ولو يرى ﴾ بالياء (المثناة التحتانية) من يرى ، وهي قراءة أهل الكوفة وأهل مكة .

والمعنى على هذا القول كما نقله القرطبي عن أبي عبيد : لو يرى

---

(١) التفسير القيم .

الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : قال بعضهم : تقدير الكلام ، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا ، أي : أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] كما قال : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ [الفجر : ٢٥ ، ٢٦] يقول : لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال .

وقال الطبري رحمه الله [1] : ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب إذ يرون العذاب .

وقال شيبة الحمد في تفسيره : أي : ولو يعاين هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره في المحبة ما أعد الله لهم من العذاب والعقوبة في نار جهنم لما أشركوا معه غيره ، لأنهم لو عاينوا ذلك لعلموا أن القهر والسلطان والحكم لله وحده ، وأن هؤلاء الأنداد لا يملكون لهم نفعًا ولا يدفعون عنهم ضرًّا ؛ بل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضًا .

أما القراءة الثانية فهي : ﴿ ولو ترى ﴾ بالتاء (المثناه الفوقانية) مِن ترى ، وهي التي اختارها الطبري رحمه الله تعالى ونقلها عن عامة أهل المدينة والشأم ، فقال رحمه الله : اختلفت القرأة في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل المدينة والشأم : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ بالتاء ﴿ إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥] بالياء ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بفتح (أنَّ) و (أنَّ) كلتيهما بمعنى : ولو ترى يا محمد

---

(١) أي : في تفسير الآية على هذه القراءة ، وإلا فقد اختار الطبري رحمه الله القراءة الثانية ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الذين كفروا ظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] ... ثم قال الطبري رحمه الله : والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] – بالتاء من (ترى) – ﴿ إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العقاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بمعنى : لرأيتَ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب . فيكون قوله : (لرأيت) الثانية ، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، عن ذكره ، إذ كان جوابًا لـ (لو) .

ويكون الكلام ، وإن كان مخرجه مَخرجَ الخطاب لرسول الله ﷺ – معنيًّا به غيره ، لأن النبي ﷺ كان لا شك عالمًا بأن القوة لله جميعًا ، وأن الله شديد العذاب ، ويكون ذلك نظير قوله : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٠٧] ، وقد بيناه في موضعه .

وإنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء) ، لأن القوم إذا رأوا العذاب ، قد أيقنوا أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ، فلا وجه أن يُقال : لو يرون أنّ القوة لله جميعًا – حينئذ ، لأنه إنما يُقال : (لو رأيت) ، لمن لم ير ، فأما من قد رآه ، فلا معنى لأن يقال له : (لو رأيت) .

ثم قال رحمه الله :

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا أنفسهم ، فاتخذوا من دوني أندادًا يحبونهم كحبكم إياي ، حين يُعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم ، لعلمتم أن القوة كلها لي دون الأنداد والآلهة ، وأنَّ الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئًا ، ولا تدفع عنهم عذابًا أحللتُ بهم ، وأيقنتم أنِّي شديدٌ عذابي لمن كفر بي ، وادَّعى معي إلهًا غيري .

س : من هم الذين اتُّبعوا ؟

ج : الذين اتُّبعوا هم المعبودون الذين كانوا يُعبدون في الدنيا من دون الله عز وجل ومع الله عز وجل ، فيدخل فيهم الشيطان وتدخل فيهم الأوثان ويدخل الملائكة والجن والجبابرة والقادة والرؤساء ، وعيسى عليه السلام يتبرأ أيضًا من عابديه .

هذا وقد قصر بعض أهل العلم ﴿ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] في هذا الموطن على الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك والضلال ، فروي عن قتادة بإسنادٍ حسن[1] في قوله تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة:١٦٦] وهم الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك ﴿ من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] وهم الأتباع الضعفاء ﴿ ورأوا العذاب ﴾ [البقرة :١٦٦] .

وذهب الطبري رحمه الله تعالى في تأويل الآية الكريمة إلى أن المتبوعين على الشرك يتبرأون من تابعيهم ، ولكنه حمل هؤلاء المتبوعين على الأنداد من الرجال ، فقال رحمه الله تعالى : والصواب من القول عندي في ذلك : أنَّ الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله ، ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض ، بل عم جميعهم ، فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا ، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة .

وأما دلالة الآية فيمن عنى بقوله : ﴿ إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، فإنها إنما تدل على أنَّ الأنداد الذين اتخذوهم من دُون الله من وصَف تعالى ذكره صفته بقوله : ﴿ ومنَ الناس مَن يَتخذُ

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٤١٣) .

من دُون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ هم الذين يتبرأون من أتباعهم .

وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالةً ، صح التأويل الذي تأوله السدي في قوله :[1] ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، أن (الأنداد) في هذا الموضع ، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمروهم به من أمر ، ويعصون الله في طاعتهم إياهم ، كما يُطيع الله المؤمنون ويعصون غيره – وفسد تأويل قول من قال : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أنهم الشياطين تبرأوا من أوليائهم من الإنس ، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتخذي الأنداد .

قلت (مصطفى) : والقول بالتعميم أولى من قصرها على الأنداد ، فعموم المعبودين يتبرأون من عابديهم ، وهذا ما سيرد في السؤال اللاحق إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة توضح براءة المعبودين من عابديهم ؟

ج : من هذه الأدلة أدلة عامة ومنها أدلة تفصيلية ؟

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

---

(١) أثر السدي عند الطبري رقم (٢٤١١) من طريق موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، قال : الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله .

وأخرج الطبري أيضًا (٢٤١٦) من نفس الطريق : موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أما ﴿ الذين اتبعوا ﴾ فهم الشياطين تبرأوا من الإنس .

● قوله تبارك وتعالى: ﴿ كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها ﴾ [الأعراف:٣٨].

● قوله سبحانه : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يُناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغْوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ [القصص : ٦٢ - ٦٤] .

أما الأدلة التفصيلية :

فالملائكة تتبرأ من عابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون * فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [سبأ : ٤٠ - ٤٢] .

● **وكذلك الشيطان** يتبرأ من تابعيه ، قال الله سبحانه : ﴿ وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

● **وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها** ، قال الله تعالى : ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعضٍ ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● **والجن كذلك** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من

دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة[1] وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

● **وكذلك عيسى ابن مريم [1] عليهما السلام يتبرأ ممن عبدوه ،** قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

● **وكذلك الجبابرة والظلمة يتبرأون ممن عبدهم وأطاعهم في معصية الله يوم القيامة ،** قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا * وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ [سبأ : ٣١ - ٣٣] .

---

(١) حمل عدد من أهل العلم هذه الآية على أن المعبودين (المدعوين من دون الله) هم الجن ، ونرى أن معناها هنا أوسع ، والله تعالى أعلم .

(٢) بيد أن عيسى ابن مريم عليهما السلام من أهل الجنة ومن أهل الوجاهة والدرجات العلى والمقربين فيها ، قال الله عز وجل في شأنه : ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، وأيضًا هو من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء :١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ بهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم ﴾ [البقرة : ١٦٦] ؟ وما المراد بـ ﴿ الأسباب ﴾ ؟

ج : أما ﴿ بهم ﴾ فمعناها (عنهم) وهي كقوله تعالى : ﴿ فسئل به خبيرا ﴾ [الفرقان : ٥٩] أي : فاسأل عنه خبيرًا .

● **أما معنى الأسباب** ، فالأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها الشخص إلى مطالبه وإلى ما يريد ، فقد يتوصل الشخص إلى مطلبه بجاهه ، وقد يتوصل بعمله ، وقد يتوصل بحيلةٍ يحتالها ، وقد يتوصل بقرابته ، وقد يتوصل بماله ، وقد يتوصل بصداقاته وأخلائه إلى غير ذلك من الوسائل فكل هذه أسباب ، فالمراد بقوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أي : وانقطعت عنهم وسائل النجاة والخلاص التي يريدون أن ينجوا بها من عذاب الله عز وجل ، وها هي بعض أقوال أهل العلم في تفسير الأسباب وإيضاحها .

● وأخرج الطبري[1] من طرق عن عبيد المكتب عن **مجاهد** ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : الوصال الذي كان بينهم في الدنيا ، وفي رواية : تواصلهم في الدنيا .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسنٍ[2] **عن قتادة** : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أسباب الندامة يوم القيامة ، وأسباب المواصلة

---

(١) الطبري (٢٤١٧) ، (٢٤١٨) ، (٢٤١٩) .

(٢) الطبري (أثر رقم ٢٤٢٤) .

التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابُّون بها ، فصارت عليهم عداوة يوم القيامة ، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ويتبرأ بعضكم من بعض ، وقال الله تعالى ذكره : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] فصارت كل خلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين .

● وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح[1] **عن ابن زيد** في قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : أسباب أعمالهم ، فأهل التقوى أعطوا أسباب أعمالهم وثيقة فيأخذون بها فينجون ، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطَّعُ بهم فيذهبون في النار .

● **وقال الطبري رحمه الله :** (والأسباب) : الشيء يُتعلق به ، قال : و (السبب) : الحبل ، (والأسباب) : جمع (سبب) ، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طلبته وحاجته ، فيقال للحبل : (سبب) ، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها لا بالتعلق به . ويقال للطريق (سبب) ، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه . وللمصاهرة (سبب) ، لأنها سببٌ للحرمة . وللوسيلة (سبب) ، للوصول بها إلى الحاجة ، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة ، فهو (سبب) لإدراكها .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم – من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار – يتبرأ – معاينهم عذاب الله – المتبوعُ من التابع ، وتتقطع بهم الأسباب .

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعنُ بعضًا ، وأخبر عن

---

(١) أثر (٢٤٣١) .

الشيطان أنه يقول لأوليائه : ﴿ ما أنا بمُصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون * ما لكم لا تناصرون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٥] ، وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه ، وإن كان نسيبه لله وليًّا ، فقال تعالى ذكره في ذلك : ﴿ وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات .

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به ، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه ، فهي منقطعة بأهلها . فلا خلال بعضهم بعضًا نفعهم عند ورودهم على ربهم ، ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ؛ ولا دافعت عنهم أرحامهم فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنت عنهم أعمالهم ، بل صارت عليهم حسرات . فكل أسباب الكفار منقطعة .

فلا معنى أبلغ - في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة :١٦٦] - من صفة الله [ذلك] ، وذلك ما بينا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها ، على ما قلنا في ذلك . ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب ، سُئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه . فلن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أي : الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحمٍ وغيره ، عن مجاهد وغيره ، الواحد سبب ووصلة ، وأصل السبب الحبل

يشدُّ به الشيء فيجذبه ، ثم جعل كل ما جرَّ شيئًا سببًا ، وقال السدي وابن زيد : إن الأسباب أعمالهم ، والسبب الناحية ومنه قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا يَنلْنَه ولو رام أسبابَ السماء بِسُلَّم

● **وقال الرازي رحمه الله :** أصل السبب في اللغة الحبل ، قالوا : ولا يدعى الحبل سببًا حتى ينزل ويصعد به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ [الحج : ١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضعٍ أو حاجة تريدها : سبب ، يُقال ما بيني وبينك سبب ، أي : رحم ومودة ، وقيل للطريق : سبب ، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده ، قال تعالى : ﴿ فأتبع سببًا ﴾ [الكهف : ٨٥] أي : طريقًا ، وأسباب السموات أبوابها ، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها ، قال تعالى مخبرًا عن فرعون : ﴿ لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات ﴾ [غافر : ٣٧] ، قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببًا ، لأنهم بها يتواصلون .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ كذلك ﴾ من قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ماذا يراد به ؟

ج : المراد – والله أعلم – كما أنهم تبرأ بعضهم من بعض فأيضًا يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم .

وقيل أيضًا : كما أراهم الله العذاب في قوله : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] فكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، والله أعلم .

س : هل الكفار لو ردُّوا إلى الدنيا لعبدوا الله وحده كما زعموا في قولهم : ﴿ لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : كلا بل هم كاذبون في دعواهم ، فلو ردو لعادوا إلى الكفر وموالاة أهله أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام :٢٧ -٢٨] .

* * *

س : ما المراد بالأعمال في قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأعمال هنا جملة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالأعمال هنا الأعمال السيئة التي عملها الكفار فيُري اللَّهُ عز وجل للكفار أعمالهم السيئة فيودوا أنهم لم يعملوها وأنهم عملوا صالحًا غيرها .

وقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، قال : أو ليس أعمالهم الخبيثةُ التي أدخلهم الله بها النار ؟ [فجعلها] حسرات عليهم . قال : وجعل أعمال أهل الجنة لهم ، وقرأ قول الله : ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [الحاقة : ٢٤] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : معنى قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، كذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤٣٧) .

يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم ، لم عملوا بها ؟ وهلَّا عملوا بغيرها ؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة ، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها ، لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم .

فالذي هو أولى بتأويل الآية ، ما دلَّ عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعنيُّ بها . والذي قال السدي في ذلك ، وإن كان مذهبًا تحتمله الآية ، فإنه منزع بعيد . ولا أثر – بأن ذلك كما ذكر – تقوم به حُجة فيسلم لها ، ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها . فإذ كان الأمر كذلك ، لم يُحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل .

القول الثاني : أن المراد بالأعمال هنا أوامر الله التي أمرهم الله بها ونواهيه التي نهاهم عنها سبحانه ، فيُري الله عز وجل هذه الأوامر والنواهي للكافرين فيتحسروا على عدم امتثالهم لأوامره وعدم اجتنابهم نواهيه .

وقد حكى الطبري هذا القول عن قائليه فقال :

فقال بعضهم : معنى ذلك : كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها ، حتى استوجب – ما كان الله أعدَّ لهم ، لو كانوا عملوا بها في حياتهم ، من المساكن والنِّعم – غيرهم بطاعته ربه . فصار ما فاتهم من الثواب – الذي كان الله أعده لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا ، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك – أسًى وندامةً وحَسرةً عليهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] ، عن السدي : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة:١٦٧] ،

---

(١) أسباط تكلم فيه بعض أهل العلم .

زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها ، لو أنهم أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تُقسم بين المؤمنين ، فيرثونهم . فذلك حين يندمون .

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزعراء[٢] ، عن عبد الله – في قصة ذكرها – فقال : فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة . قال : فيرى أهلُ النار الذين في الجنة ، فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم الحسرة . قال : فيرى أهل الجَنة البيتَ الذي في النار ، فيقال : لولا أن منَّ الله عليكم !

فإن قال قائل : وكيف يكون مضافًا إليهم من العمل ما لم يعملوه على هذا التأويل ؟

قيل : كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله : هذا عملك . يعني : هذا الذي يجب عليك أن تعمله ، وكما يقال للرجل يحضر غداؤه قبل أن يتغدى به : هذا غداؤك اليوم . يعني به : هذا ما تتغدى به اليوم . فكذلك قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، يعني : كذلك يُريهم الله أعمالهم التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا ، حسرات عليهم .

● **القول الثالث :** أن المراد بالأعمال هنا الأعمال الصالحة التي عملها الكفار في الدنيا وذهب ثوابها في الآخرة بسبب كفرهم فيتحسرون على تلك الأعمال التي عملوها وذهب ثوابها ، وذلك كما قال تعالى في شأن ذهاب ثواب تلك الأعمال .

---

(١) أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ قال البخاري فيه : لا يتابع في حديثه ..

● ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] .

● وثمَّ أقوال أخر منها : أن المراد بـ (أعمالهم) سيادتهم ووجاهتهم في الدنيا يتحسرون على ذهابها ، إلى غير ذلك من الأقوال ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .

حلالًا – طيبًا – خطوات الشيطان – مبين – السوء – الفحشاء – ألفينا – ينعق ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلالًا	طلقًا – الحلال ما أحله الله في كتابه .
طيبًا	طاهرًا غير نجس ولا محرم – مستطابًا في نفسه غير ضار بالعقول والأبدان .
خطوات الشيطان	طرقه ومسالكه وأفعاله وما يأمر به من الخطايا[1] .

(١) وقال بعض أهل العلم : كل معصية فهي من خطوات الشيطان .

الكلمة	معناها
مبين	ظاهر العداوة .
السوء	هو كل ما يُسيء صاحبه ، وقيل هو عموم المعاصي.
الفحشاء	الكبائر وما استفحش من الذنوب .
ألفينا	وجدنا[1] .
ينعق[2]	ينادي – يصيح – يُصَوِّت .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري (٢٤٤٨) بإسناد حسن عن قتادة ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] ، أي : ما وجدنا عليه آباءنا .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : (ينعق) فإنه يصوِّت بالغنم (النعيق والنُّعاق) ومنه قول الأخطل .

فَانْعِقْ بضأنك يا جَرِيرُ فـإنما مَنَّتْكَ نفسُك في الخلاء ضَلالًا

يعني : صوِّت به .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – كلوا من الطيب الذي أحللته لكم في الأرض واجتنبوا ما حرمته عليكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يهلككم ويرديكم فيحرم عليكم طيبات أحللتها لكم ، ويحل لكم ماحرمته عليكم .

قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ ، فطيبته لكم – مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليهم – دون ما حرمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري . ودعوا خطوات الشيطان – الذي يوبقكم فيهلككم ، ويوردكم موارد العطب ، ويحرم عليكم أموالكم – فلا تتبعوها ولا تعملوا بها ، إنه – يعني بقوله : (إنه) إن الشيطان ، و (الهاء) في قوله : (إنه) عائدة على الشيطان – لكم أيها الناس (عدو مبين) ، يعني : أنه قد أبان لكم عداوته ، بإبائه عن السجود لأبيكم ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة ، واستزله بالخطيئة ، وأكل من الشجرة .

يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه ، أيها الناس ، مع إبانته لكم العداوة ، ودعوا ما يأمركم به ، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرمته عليكم ، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه ، طاعة منكم للشيطان واتباعًا لأمره .

❋ ❋ ❋

س : نهانا الله عز وجل عن اتباع خطوات الشيطان وحذرنا منه في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي .

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر : ٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يس : ٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ [القصص : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

● والشيطان هو الذي نزغ بين نبي الله يوسف وبين إخوته كما قال : ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

● وقال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ..... ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي استدل بها الأصوليون على أن الأصل في المطعومات الحل ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ..... ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وفي الحديث القدسي : « كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال .. »[1].

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، انتظم جميع الذنوب متسلسلة من الأصغر للأكبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية بدأت بذكر السوء ، وقد قال بعض أهل العلم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبدًا حلالٌ ... » الحديث .
ونحلته ، أي : أعطيته .

إن المراد به هنا المعاصي ، ثم ثنت الآية بالفحشاء والمراد بها الكبائر ، ثم بقوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، فتدخل فيها البدع ويدخل فيها الكفر كذلك فتكون الآية الكريمة قد انتظمت المعاصي (في قوله : بالسوء) ، ثم الكبائر (في قوله : والفحشاء) ، ثم البدع والكفر (في قوله : وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض عقوبات أكل الحرام ؟

ج : من هذه العقوبات منع استجابة الدعاء ، فقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسوء ، وكذلك ما المراد بالفحشاء في قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] ؟

ج : المراد بالسوء كل ما يسيء صاحبه ، والمعاصي من السوء لأنها تسيء إلى صاحبها بسوء العاقبة التي يلقاها ويصير إليها والفحشاء هي كبائر الذنوب (كالزنا واللواط ونحو ذلك) .

قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] سمي السوء سوءًا ، لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه . وهو مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومساءةً : إذا أحزنه . وسؤته فسيء : إذا أحزنته . فحزن ؛ قال الله تعالى : ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ [الملك : ٢٧] . وقال الشاعر :

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩/٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرني الدهر
الأمر عندي فيهما واحد لذاك شكرٌ ولذاك صبر

والفحشاء أصله قبح المنظر ؛ كما قال :

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ

ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني . والشرع هو الذي يحسن ويقبح ؛ فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء . وقال مقاتل : إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنى ؛ إلا قوله : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] فإنه منع الزكاة .

قلت : فعلى هذا قيل : السوء ما لا حد فيه ، والفحشاء ما فيه حدٌّ . وحكي عن ابن عباس وغيره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الشيطان يأمر بني آدم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، اذكر شيئًا مما قاله بنو آدم وافتروه على الله عز وجل مما لا علم لهم به ؟

ج : من هذه الافتراءات : تقولهم على الله عز وجل في مسائل التحليل والتحريم ، فيحلون أشياء ويحرمون أشياء وينسبون ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، قال الله سبحانه : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون * وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون * وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة

لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [الأنعام : ١٣٦ -١٤٠] .

● ومنها : تقولهم وافتراؤهم وقولهم هذه سائبة وتلك وصيلة وذاك حام ، وقد ردَّ الله عز وجل عليهم مزاعمهم تلك فقال سبحانه : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

كما قال تعالى : ﴿ قلْ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس : ٥٩] .

ثم افتراءات على الله عز وجل كما زعمت اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة حيث قالوا : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] وزعمهم أن يد الله مغلولة ، كما حكى الله ذلك عنهم .فقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ومزاعمهم مع النصارى : أن لله الولد ، كما حكى ذلك الله سبحانه عنهم فقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة :١٦٩] . فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي ، ويزعمون أن الله حرم ذلك . فقال تعالى ذكره لهم : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن قيلهم : (إن الله حرم هذا !) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان ، وأنه قد أحله لهم وطيبه ، ولم يحرم أكله عليهم ، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته ، طاعةً منهم للشيطان ، واتباعًا منهم خطواته ، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال ، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالًا ، وعن الحق ومنهاجه ضلالًا – وإسرافًا منهم ، كما أنزل الله في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : في معناها :

فمعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء الكفار : كلوا مما أحل الله لكم ، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه – استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا : بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه ، من تحليل ما كانوا يحلون ، وتحريم ما كانوا يحرمون .

قال الله تعالى ذكره : ﴿ أولو كان آباؤهم ﴾ – يعني : آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم – ﴿ لا يعقلون شيئًا ﴾ من دين الله وفرائضه ، وأمره ونهيه ، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق ، ويؤتم بهم في أفعالهم – ﴿ ولا يهتدون ﴾ لرشد ، فيهتدي بهم غيرهم ، ويقتدي بهم من طلب الدين ، وأراد الحق والصواب ؟

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم

عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا ولا هم مصيبون حقًّا ولا مدركون رشدًا ، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه ، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز .

❋ ❋ ❋

س : الهاء والميم في قوله تعالى (لهم) من قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ [البقرة : ١٧٠] ترجع إلى من ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنها ترجع إلى متخذي الأنداد .

فالمعنى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

● وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الهاء والميم ترجع إلى الناس الذين خوطبوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

فالمعنى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان .. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، لكن يقال هنا : إن قوله : يا أيها الناس كلوا .. خطاب للحاضر ، وقوله : وإذا قيل لهم.. حكاية عن الغائب ، فكيف يلتئم هذا ؟ ، فللإجابة على هذا التساؤل يقال : إن الانتقال في الخطاب من الحاضر إلى الغائب أو من الغائب إلى الحاضر واردٌ في كتاب الله عز وجل في مواطن عدة .

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ﴾ [يونس : ٢٢] فقال سبحانه : ﴿ كنتم ﴾ ، وقال : ﴿ وجرين بهم ﴾ .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا إن هذا كان لكم جزاءً

وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] فقال : ﴿ وسقاهم ﴾ ، ثم اتجه للمخاطب بقوله : ﴿ لكم ، وسعيكم ﴾ .

● وهذا التأويل الأخير هو الذي اختاره الطبري رحمه الله محتجًا له بأمرين :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ [البقرة : ١٧٠] عقيب قوله : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

الثاني : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله .. ﴾ [البقرة : ١٧٠] نزلت في اليهود فالآية على ذلك بعيدة السياق والمعنى عن قوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قلت (مصطفى) : أما الإسناد الذي أورده الطبري رحمه الله تعالى يثبت به أن الآية الكريمة نزلت في اليهود فهو إسناد ضعيف إذ هو من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

ولكن على كل حال فالآية تحتمل الوجهين المذكورين من التفسير ، والله أعلم .

● أما قوله : ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ : أي : اعملوا بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فنفذوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم الله عنه وتدبروا ما فيه والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات الدالة على ذم التقليد والمقلدة في الباطل ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ [لقمان : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم آتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [الزخرف : ٢١ - ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨ ، ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع

إلا دعاء ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] فيه تأويلان مشهوران لأهل العلم وضحهما ؟

ج : **التأويل الأول هو :** ومثل واعظ الذين كفروا الذي يعظهم مع هؤلاء الكفار كمثل صاحب بقر أو غنم أو بهيمة يناديها وينعق بها فتسمع ما يقول لكنها لا تفقه منه شيئًا ، فهناك أربعة أطراف :

١ - واعظ[1] الذين كفروا ٢ - الذين كفروا

٣ - الناعق الذي ينعق (وهو الراعي) ٤ - الذي لا يسمع (وهي : الدواب التي يرعاها) .

فحال واعظ الذين كفروا مع الذين كفروا كحال الراعي مع البهائم التي يناديها ، فكما أن البهائم لا تفهم من راعيها شيئًا إلا صوته ، فكذلك الذين كفروا لا يفهمون من واعظهم شيئًا إلا صوته فعلى ذلك فالذين كفروا بهائم ، ويؤيد كونهم بهائم ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

● قوله تبارك وتعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة ﴾ [المدثر : ٤٩ -٥١] .

● قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

---

(١) وواعظ الكفار هو كل داعٍ لهم إلى الخير ، وبالدرجة الأولى هو نبينا محمد ﷺ .

● وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ [الجمعة : ٥] .

● **والوجه الثاني من أوجه التأويل :** ومثل الذين كفروا مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله (عند ندائهم لها وطلبهم منها) كمثل الراعي حين ينادي البهائم التي لا تفهم عنه ولا تعي ما يقول .

فهناك أيضًا أربعة أطراف :

١ – الذين كفروا حين ينادون ٢ – الآلهة

٣ – الراعي حين ينادي ٤ – بهائمه

فكما أن البهائم لا تعقل شيئًا إلا أنها تسمع الدعاء والنداء ، فكذلك الآلهة التي تدعى من دون الله لا تعقل شيئًا[١] .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك [٢] :

● **قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى :**

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم معنى ذلك : مثل الكافر – في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به – مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها ولا تعقل ما يقال لها .

ثم أورد جملة آثار منها : أثر قتادة[٣] بإسناد حسن قوله : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : مثل الكافر كمثل البعير والشاة يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عني به .

---

(١) وإن قدر سماع فهو سماع الجنية التي في بعضها .

(٢) وسنستفيض في إيراد أقوالهم حتى يتضح المعنى تمامًا إن شاء الله .

(٣) أثر (٢٤٥٦) ، والآثار التي أشرنا إليها – غير هذا – في أسانيدها ضعف .

ثم قال الطبري رحمه الله : ومعنى قائلي هذا القول – في تأويلهم ما تأولوا ، على ما حكيت عنهم – : ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها . فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا ، وترك ذكر (الوعظ والواعظ) ، لدلالة الكلام على ذلك . كما يقال : (إذا لقيت فلانًا فعظمه تعظيم السلطان) ، يراد به : كما تعظم السلطان ، وكما قال الشاعر :

فلست مسلمًا ما دمت حيًّا على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به : كما يسلم على الأمير .

وقد يحتمل أن يكون المعنى – على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء – : ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله ، كمثل المنعوق به من البهائم ، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت . وذلك أنه لو قيل له : (اعتلف ، أورد الماء) ، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله . فكذلك الكافر ، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه – بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه – مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهي عنه . فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارجٌ على الناعق ، كما قال نابغة بني ذبيان :

وقد خفت ، حتى ما تزيد مخافتي على وعلٍ في ذي المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي ، وكما قال الآخر :

كانت فريضة ما تقول ، كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى : كما كان الرجم فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إن سراجًا لكريمٌ مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

والمعنى : يحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين . ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى ، مما توجهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما

صاحبه ، لظهور معنى ذلك عند سامعه ، فتقول : (اعرض الحوض على الناقة) ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وما أشبه ذلك من كلامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل ، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، وذلك الصدى الذي يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعق شيئًا .

فتأويل الكلام على قول قائلي ذلك : ومثل الذين كفروا وآلهتهم - في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل - كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً ، أي : لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله[1] : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] ، قال : الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له (الصدى) . فمثل آلهة هؤلاء لهم ، كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت ، لا ينفعه ، لا يسمع إلا دعاء ونداء . قال : والعرب تسمي ذلك الصدى .

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا آخر غير ذلك . وهو أن يكون معناها : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم ، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمع صوته غنمه ، فلا تنتفع من نعقه بشيء ، غير أنه في عناء من دعاء ونداء . فكذلك الكافر في دعائه آلهته ، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها ، ولا ينفعه شيء .

قال أبو جعفر : وأولى التأويل عندي بالآية ، الأول الذي قاله ابن عباس

---

(١) صحيح عن ابن زيد

ومَن وافقه عليه . وهو أن معنى الآية : ومثل وَعظ الكافر وواعظه ، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه ، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه ، على ما قد بينا قبل .

فأما وجه جواز حذف (وعظ) اكتفاء بالمثل منه ، فقد أتينا على البيان عنه في قوله ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ، وفي غيره من نظائره من الآيات ، بما فيه الكفاية من إعادته .

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن هذه الآية نزلت في اليهود ، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها ، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها ، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضرها . ولا وجه – إذ كان ذلك كذلك – لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى : مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها .

فإن قال قائل : وما دليك على أن المقصود بهذه الآية اليهود ؟

قيل : دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها ، فإنهم هم المعنيون به .

فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم ، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم ، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت ، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم[1] . وبما قلنا

---

(١) قال شاكر رحمه الله هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر رضي الله عنه ، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : « هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم » – يعني في يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي =

من أن هذه الآية معني بها .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) .

تضمن هذا المثل : ناعقًا أي : مصوتًا بالغنم وغيرها ، ومنعوقًا به .

= « قبل هذه الآية » نزلت فيهم ، فيما روي عن ابن عباس – معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت في اليهود – إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ إلى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣ – ١٧٠] ، فهي قد نزلت في كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (١٧٠) نزلت في يهود أيضًا . ثم أن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ – ١٦٩) اعتراضًا في سرد قصة واحدة ، هي قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلست أدري كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من ١٦٣ – ١٦٩ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ – هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص٣٠٠) ، ثم عاد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص٣٠٣) . واليهود ، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضًا لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه رحمه الله – إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندي ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر المشركين الذي قال الله لهم : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو أول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ والآيات التي تليها . وانظر ما سيأتي : ٣١٧ ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

وهو الدواب فقيل : الناعق العابد ، وهو الداعي للصنم . والصنم : هو المنعوق به المدعو ، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه . هذا قول طائفة . منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره .

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول ، وقالوا : قوله ﴿ إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] لا يساعد عليه . لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداءً .

وقد أجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة .

أحدها : أن « إلا » زائدة . والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء .

قالوا : وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر :

حراجيــح ما تنفــك إلا مناخــة

أي : ما تنفك مناخة . وهذا جواب فاسد . فإن « إلا » لا تزاد في الكلام المثبت .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء ، لا في خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى : أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعائهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء ، غير أنه هو في دعاء ونداء . وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته وليه الميت إلا العناء .

وقيل : المعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت . فإن الراعي هو داعي الكفار ، والكفار هم البهائم المنعوق بها .

قال سيبويه : المعنى : ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق

والمنعوق به .

وعلى قوله فيكون المعنى : مثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق .

فإن جعلته من المركب كان تشبيهًا للكفار – في عدم فقههم وانتفاعهم – بالغنم التي ينعق بها الراعي ، فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد ، الذي هو الدعاء والنداء .

وإن جعلته من التشبيه المفرق ، فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة البهائم التي ينعق بها ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى .

● وقال أيضًا : وقال قُطْرب : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم – يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي .

وقال ابن سعدي رحمه الله :

ثم قال تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ .

لما بين تعالى ، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل ، وردهم لذلك ، بالتقليد ، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ، ولا مستجيبين له ، بل كان معلومًا لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم – عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان – كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها ،

وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها .

فهم لا يسمعون مجرد الصوت ، الذي تقوم عليه الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقهًا ينفعهم ، فلهذا كانوا صمًّا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عميًا ، لا ينظرون نظر اعتبار ، بكمًا ، فلا ينطقون بما فيه خير لهم .

والسبب الموجب لذلك كله ، أنه ليس لهم عقل صحيح ، بل هم أسفه السفهاء ، وأجهل الجهلاء .

فهل يستريب العاقل ، أن من دعي إلى الرشاد ، وذيد عن الفساد ، ونهي عن اقتحام العذاب ، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه ، وفوزه ، ونعيمه فعصى الناصح ، وتولى عن أمر ربه ، واقتحم النار على بصيرة ، واتبع الباطل ، ونبذ الحق- أن هذا ليس له مسكة من عقل ، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء ، فإنه من أسفه السفهاء .

وقال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) رحمه الله :
وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق و المنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع ، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع : أصم ، قال الشاعر :

أصـمُّ عمـا سـاءَه سميـع

وقال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير ص١/١٧٤) :

قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾ .

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناها : ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي ،

وهذا قول الفراء ، وثعلب ، قالا جميعًا : أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها الراعي : ارعي ، أو اشربي ؛ لم تدر ما يقول ، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن ، وإنذار الرسول ، فأضيف التشبيه إلى الراعي ، والمعنى في المرعي ، وهو ظاهر كلام العرب ، يقولون : فلان يخافك كخوف الأسد ، والمعنى : كخوفه الأسد . قال الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناءُ فريضةُ الرجم

المعنى : كما كان الرجم فريضة الزنى .

والثاني : أن معناها : ومثل الذين كفروا ، ومثلنا في وعظهم ، كمثل الناعق والمنعوق به ، فحذف : ومثلنا ، اختصارًا ، إذ كان الكلام ما يدل عليه . وهذا قول ابن قتيبة ، والزجاج .

والثالث : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون ، كمثل الذي ينعق ، هذا قول ابن زيد ، والذي ينعق هو الراعي ، يقال : نعق بالغنم ، ينعق نعقًا ونعيقًا ونعاقًا ونعقانًا . قال ابن الأنباري : والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال : نعق ، إلا في الصياح بالغنم وحدها ، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى . ﴿ صم بكم ﴾ [البقرة : ١٧١] إنما وصفهم بالصم البكم ، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع ، وكذلك في النطق والنظر ، وقد سبق شرح هذا المعنى .

❋ ❋ ❋

س : كيف يقال عن الكفار : إنهم ﴿ صم وبكم وعمي ﴾ مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وإن سمعوه لا يعقلوه ، وبكمٌ أي : خرس عن التكلم به ، وعميٌ عن رؤيته والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله :

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ صم بكم عميٌ ﴾ [البقرة :١٧١] هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً و نداءً ﴿ صمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الحق فهم لا يسمعون ﴿ بكمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] يعني خرس عن قيل الحق والصواب والإقرار بما أمرهم الله أن يقرُّوا به وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يبينوه من أمر محمد ﷺ للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس ﴿ عميٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه .

ثم أورد الطبري رحمه الله أثرًا بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه ولا ينتفعون به ولا يعقلونه ، عمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به[1] .

* * *

(١) الطبري (أثر ٢٤٦٤) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

س : اذكر معاني ما يلي :

كلوا من طيبات ما رزقناكم - اضطر ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
كلوا من طيبات ما رزقناكم	كلوا من الرزق الحلال الطيب الذي أحللته لكم فطاب لكم بتحليلي إياه
اضطـر	ألجأته الضرورة[1]

❋ ❋ ❋

(١) وقد تكون الضرورة بالجوع المفضي إلى الموت أو الذي يخشى منه الموت ، أو تكون الضرورة بإكراه من عدو إلى غير ذلك ، والله أعلم .

س : رزق الله للعباد يستلزم الشكر ، ومزيد الرزق يستلزم مزيد الشكر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن العبد عليه أن يكون فطنًا ذكيًّا فكلما أنعم الله عليه بنعمة أحدث لها شكرًا فتزداد نعم الله عليه ، وإلا سلبت منه تلك النعم ، وكان الجحود مؤذنًا بزوالها .

ألا ترى أن سليمان عليه السلام لما أنعم الله عليه بما أنعم ورأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده ماذا قال ؟!!

● قال عليه السلام : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه ماذا قال الله له ، قال عز وجل : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● وقال الله تعالى لأهل الإيمان لما منَّ عليهم بالرزق الحلال : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وقال تعالى لقوم سبإ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [النحل : ١١٤] .

● ولما أنعم الله على يوسف عليه السلام بالتوحيد والإيمان ماذا قال ؟

قال عليه السلام : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [يوسف : ٣٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا

ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ ، ١٦] .

● وقال النبي ﷺ : « إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها » .

● وقال نوح لما نجاه الله من القوم الظالمين : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على شكر الله على نعمه وآلائه .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ؟

ج : المراد – والله أعلم – اشكروا لله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين ، فكلوا مما أباحه لكم ، ودعوا ما حرَّمه الشيطان عليكم .

❋ ❋ ❋

س : أمر الله عز وجل المؤمنين بما أمر به المرسلين في أكل الطيبات ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون : ٥١]

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] ...» الحديث .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صلة هذه الآية ﴿ إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ... ﴾ [البقرة : ١٧٣] بالآية التي قبلها ؟

ج : الصلة بين الآيتين تتضح من إيراد المعنى ، وهو كلوا أيها المؤمنون مما أحللته لكم واشكروا نعم الله عليكم في تحليله لكم ما أحله وتطييبه لكم ، ولا تحرموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم ، ولاتعتقدوا في شيء أنه محرم فتمتنعون من أكله فإن الذي حرَّمته عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، وما سوى ذلك فهو لكم حلال .

قال الطبري رحمه الله : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] يعني : اطعموا من حلال الرزق الذي أحللناه لكم فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم ولم أكن حرمته عليكم من المطاعم والمشارب ، ﴿ واشكروا لله ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : وأثنوا على الله بما هو أهله منكم على النعم التي رزقكم وطيَّبها لكم ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم وحلله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان . وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه إذ كان تحريمه إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان ، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ثم بيَّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم وفصَّله لهم مُفسرًا .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك محرمات أخرى أضيفت إلى ما في هذه الآية الكريمة ؟

ج : نعم هناك محرمات أخرى منها : كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع فقد حرَّمها النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : القراءة في ﴿ الميتة ﴾ هل هي بالتخفيف أم بالتشديد ؟

ج : ذكر الطبري رحمه الله تعالى فيها الوجهين فقال رحمه الله :

وأما ﴿ الميتة ﴾ ، فإن القرأة مختلفة في قراءتها . فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في : « هو هيِّن ليِّن » « الهيْن الليْن » ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد .

وقرأها بعضهم بالتشديد ، وحملوها على الأصل ، وقالوا : إنما هو (مَيْوِت) (فيعل) ، من الموت . ولكن (الياء)لساكنة و (الواو) المتحركة لما اجتمعتا ، (والياء) مع سكونها متقدمة ، قلبت (الواو) (ياء) وشددت ، فصارتا (ياء) مشددة ، كما فعلوا في ذلك في (سيد وجيد) . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة . والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في « ياء » « الميتة » لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارىء فمصيب . لأنه لا اختلاف في معنييهما .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإهلال في قوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟ ، وما المراد بقوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ ؟

ج : المراد بالإهلال رفع الصوت ، ومن ثمَّ قيل للملبي : مُهل ؛ لرفعه صوته بالتلبية ، وقال النبي ﷺ : « ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا .. » الحديث فالإهلال رفع الصوت .

أما قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] فمعناه – والله أعلم – وما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله تبارك وتعالى ، وذلك أنهم كانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك .

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن وهب قال : قال ابن زيد – وسألته عن قول الله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : ما يذبح لآلهتهم ، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمون أسماءها عليها ، قال : يقولون : (باسم فلان) ، كما تقول أنت : (باسم الله) ، قال : فذلك قوله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾[1] .

ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ما ذبح لغير الله[2] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

القول الأول : غير باغ على الناس خارجٍ على الأئمة بسيفه بغير حق ولا خارج في معصية الله ولا مفارق للجماعة ولا عاديًا عليهم بحرب وعدوان ، فمن خرج وهو مفارق للجماعة أو خرج على إمام المسلمين أو خرج قاطعًا للطريق ولم يجد طعامًا فليس له أن يأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير .

---

(١) الطبري أثر (٢٤٧٦) .

(٢) وقد أخرج ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ٢٤٦٨) .

وممن قال بهذا القول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري ذلك عنه من عدة طرق[1] .

والقول الثاني : وهو غير باغ غير طالب للحرام وللشهوة ، و ﴿ لا عاد ﴾ أي : ولا متعد القدر الذي أبيح له أن يأكله .

فليس له أن يطلب الحرام وينشده ، وليس له أن يأكل أكثر من حاجته .

وقد أخرج الطبري[2] بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : غير باغ في أكله ولا عادٍ أن يتعدى حلالًا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد[3] في قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : أن يأكل ذلك بغيًا وتعديًا عن الحلال إلى الحرام ويترك الحلال وهو عنده ، ويتعدى بأكل هذا الحرام هذاالتعدي ينكر أن يكونا مختلفين ويقول : هذا وهذا واحد .

● قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله ، ولا عاد في أكله ، وله عن ترك أكله – بوجود غيره مما أحله الله له – مندوحة وغنى .

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخص لأحد في قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق ، وإن كانا قد أتيا ما حرَّم الله عليهما – : من خروج هذا على من خرج عليه ، وسعي هذا بالإفساد في الأرض – فغير مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرم الله

---

(١) وقد تعقب الطبري هذا القول كما سيأتي إن شاء الله .

(٢) الطبري أثر (٢٤٨٧) .

(٣) الطبري أثر (٢٤٩٢) .

عليهما – ما كان حرم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك – من قتل أنفسهما . (وردُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مُرخَّصًا لهما قبل ذلك من فعلهما ، وإن لم نر ردَّهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا) . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة ، الأوبة إلى طاعة الله ، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه ، والتوبة من معاصي الله – لا قتل أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إلى إثمهما إثمًا ، وإلى خلافهما أمر الله خلافًا .

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه غير باغ في أكله شهوة ، فأكل ذلك شهوة ، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك – مما قد دخل فيما حرمه الله عليه – فهو بمعنى ما قلنا في تأويله ، وإن كان للفظه مخالفًا .

فأما توجيه تأويل قوله : ﴿ ولا عاد ﴾ ، ولا آكل منه شبعة ، ولكن ما يمسك به نفسه ، فإن ذلك ، بعض معاني الاعتداء في أكله . ولم يخصص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى ، فيقال : عنى بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول ما قلنا : من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة .

وقال الماوردي في تفسيره : وفي قوله ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم فيدخل الباغي على الإمام وأمته ، والعادي قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعديًا بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة والحسن وعكرمة والربيع وابن زيد .

والثالث : غير باغ في أكلها شهوة وتلذذًا ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي ، وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال : بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت ، وقال الله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا ﴾ [النور : ٣٣] ، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد ، والعرب تقول : خرج الرجل في بغاء إبل له ، أي : في طلبها ومنه قول الشاعر :

لا يمنعنك من بغاء الخير تعقادُ التمائم
إن الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم

● **وذهب الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان** إلى أن الباغي والعادي هو المتجانف لإثم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] ثم قال : والمتجانف المائل ومنه قول الأعشى :

تجانف عن حجر اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا

فيفهم من الآية : أن الباغي والعادي كلاهما متجانف لإثم وهذا غاية ما يفهم منها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] من التأويل في هذه الآية الكريمة : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : موقعها أن من أكل شيئًا من هذه الأطعمة المحظورة مضطرًّا إليها غير باغ ولا عاد فإن الله غافر له ذنبه رحيم بكم إن أطعتموه .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي : يغفر المعاصي ، فأولى ألا يؤاخذ بما رخَّص فيه ، ومن

رحمته أنه رخَّص .

وقال الطبري رحمه الله : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، ﴿ إن الله غفورٌ ﴾ : إن أطعتم الله في إسلامكم ، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم ، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرمونه في جاهليتكم – طاعة منكم للشيطان واقتفاء منكم خطواته – مما لم أحرمه عليكم ، لما سلف منكم ، في كفركم وقبل إسلامكم ، في ذلك من خطأ وذنب ومعصية ، فصافحٌ عنكم ، وتارك عقوبتكم عليه ، ﴿ رحيم ﴾ بكم إن أطعتموه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آيتين في معنى قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : أما الآية الأولى فهي قوله تعالى من سورة النحل : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾ [النحل : ١١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وثمَّ آية أخرى من سورة المائدة : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية

والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب .. إلى قوله تعالى :... فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. ﴾ عامٌّ فهل جاءه تخصيص ؟

ج : نعم خصصت الآية الكريمة .

فالميتة أبيح منها ميتة السمك والجراد ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة .. ﴾[1] [المائدة : ٩٦] وحديث جابر رضي الله عنه في العنبر يخصِص الآية الكريمة وكذلك[2] الحوت الذي قذفه البحر

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ﴾ الآية ظاهر هذه الآية : أن جميع أنواع الميتة والدم حرام ، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم ، وهو قوله : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ [المائدة : ٩٦] الآية ، إذ ليس للبحر طعامٌ غير الصيد إلا ميتته وما ذكره بعض العلماء من أن المراد ب (طعامه) قديده المجفف بالملح مثلًا ، وأن المراد ب (صيده) الطري منه ، فهو خلاف الظاهر لأن القديد من صيده فهو صيد جعلِ قديدًا ، وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته .

● وقال القرطبي رحمه الله تعالى : وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها .

(٢) أخرج البخاري (٤٣٦١) ، ومسلم (حديث ١٩٣٥) من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب . وأميرنا أبو عبيدة ابن الجراح . نرصد عيرًا لقريش . فأقمنا بالساحل نصف شهر . فأصابنا جوع شديدٌ . حتى أكلنا الخبط . فسمي جيش الخبط . فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر . فأكلنا منها نصف شهر . وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا[1] قال : فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه فنصبه[2] . ثم نظر إلى أطول رجل في =

---

(١) ثابت أجسامنا ، أي : رجعت إلى الحالة الأولى .

(٢) فنصبه ، كذا هو في النسخ : فنصبه . والضلع مؤنث . ووجه التذكير أنه أراد العضو .

= الجيش ، وأطول جملٍ فحمله عليه . فمر تحته . قال : وجلس في حجاج[1] عينه نفرٌ . قال : وأخرجنا من وقب عينه كذا وكذا قلة ودكٍ[2] . قال : وكان معنا جرابٌ من تمرٍ فكان أبو عبيدة يعطي كل رجلٍ منا قبضة قبضةٍ ثم أعطانا تمرةً تمرةً . فلما فني وجدنا فقده .

وفي رواية لمسلم (ص ١٥٣٥) عن جابر . قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة . نتلقى عيرًا[3] لقريش . وزودنا جرابًا[4] من تمرٍ لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها[5] كما يمص الصبي . ثم نشرب عليه من الماء . فتكفينا يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبط[6] . ثم نبله بالماء فنأكله . قال : وانطلقنا على ساحلِ البحر . فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[7] الضخم . فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر . قال : قال أبو عبيدة : ميتةٌ ثم قال : لا . بل نحن رسل رسول الله ﷺ . وفي سبيل الله . وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرًا . ونحن ثلاث مائةٍ حتى سمنا . قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب[8] عينه ، بالقلال[9] ، الدهن ونقتطع منه الفدر[10] كالثور (أو كقدر الثور[11]) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا . فأقعدهم في وقب عينه . وأخذ ضلعًا . من أضلاعه . فأقامها ثم رحل[12] أعظم بعير معنا . فمر من تحتها . وتزودنا من لحمه وشائق[13] . فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ . =

(١) حجاج ، الحاء مكسورة ومفتوحة .لغتان مشهورتان. وهو بمعنى وقب عينه المذكور في الرواية السابقة.
(٢) ودك : هو دسم اللحم .
(٣) عيرًا : العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره .
(٤) جرابا ، بكسر الجيم وفتحها . الكسر أفصح وهو : وعاء من جلد .
(٥) نمصها ، بفتح الميم وضمها . الفتح أفصح وأشهر .
(٦) الخبط : ورق السلم .
(٧) الكثيب : هو الرمل المستطيل المحدودب .
(٨) وقب : هو داخل عينه ونقرتها .
(٩) بالقلال ، جمع قلة : وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه ، أي : يحملها .
(١٠) الفدر : هي القطع .
(١١) كقدر الثور : رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا : أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة أي : مثل الثور ، والثاني كفدر جمع فدرة . والأول أصح .
(١٢) رحل ، أي : جعل عليه رحلًا .
(١٣) وشائق : قال أبو عبيد : هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ، ولا ينضج ، ويحمل في الأسفار . يقال : وشقت اللحم فاتشق . والوشيقة الواحدة منه . والجمع وشائق ووشق . وقيل : الوشيقة القديد .

لأصحاب رسول الله ﷺ فأكلوا منه وقول النبي ﷺ في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته »[1] .

وقال ابن عمر : أحلت لنا ميتتان ودمان ، أما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال[2] .

= فذكرنا ذلك له . فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه . فأكله .

وأخرج مسلم كذلك في آخر صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (حديث ٣٠١٤) : وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال : « عسى الله أن يطعمكم » ، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فاطَّبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا ، قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعًا من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه .

(١) صححه عددٌ من أهل العلم منهم البخاري رحمه الله (ليس معنى ذلك أنه أخرجه في صحيحة ، فقد يصحح البخاري أحاديث ليست في صحيحه ، والحديث ليس في صحيح البخاري) ولمزيد من الوقوف على طرقه ومن صححه وأقوال العلماء فيه انظر التلخيص الحبير (حديث رقم ١) فهو أول حديث فيه .

(٢) صحيح موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما لكن له حكم الرفع فقول الصحابي : (أُحل لنا كذا) ، له حكم الرفع عند جمهور المحدثين ، وقد رواه موقوفًا على ابن عمر البيهقي رحمه الله تعالى في السنن الكبرى (٢٥٤/١) وفي السنن الصغرى (٤٠٨/٢) وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان .... الحديث » ، وقد أخرجه من هذا الوجه المرفوع الشافعي في مسنده (ص٣٤٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١/٢) ، وأحمد في المسند (٩٧/٢) ، وابن ماجه في سننه (٣٢١٨ و ٣٣١٤) ، والبيهقي في الكبرى (٢٥٧/٩) ، (٧/١٠) وفي المعرفة (١٩١/٧) ، وابن عدي في الكامل (٢٧١/٤ ، ٢٥٤) ، والدارقطني في السنن (٢٧١/٤ ، ٢٧٢) وغيرهم لكن رجح أكثر أهل العلم الموقوف وصوبوا أنه من قول ابن عمر رضي الله عنهما .

وممن رجح الموقوف الدارقطني والبيهقي وقبلهما أبو حاتم الرازي .

● ووصف بعض أهل العلم الحديث المرفوع بالنكارة (وممن وصفه بذلك العقيلي في الضعفاء) . وعلى كلٍّ فالموقوف هنا له حكم الرفع كما قدمناه ، والله تعالى أعلم .

والدم قد خصص بالدم المسفوح كما قال الله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ... الآية ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وخرج منه أيضًا الكبد والطحال على ما تقدم ، وكذلك الدم الذي في العروق وعلى اللحم بعد الذبح كما سيأتي (كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميتة ؟

ج : أوردها القرطبي مختصرة فقال :

فأما أنفحة الميتة ولبن الميتة فقال الشافعي : ذلك نجس لعموم قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ وقال أبو حنيفة بطهارتهما ؛ ولم يجعل لموضع الخلقة أثرًا في تنجس ما جاوره مما حدث في خلقه ، قال : ولذلك يؤكل اللحم بما فيه من العروق ، مع القطع بمجاورة الدم لدواخلها من غير تطهير ولا غسل إجماعًا . وقال مالك نحو قول أبي حنيفة : إن ذلك لا ينجس بالموت ، ولكن ينجس بمجاورة الوعاء النجس وهو مما لا يتأتى فيه الغسل . وكذلك الدجاجة تخرج منها البيضة بعد موتها ؛ لأن البيضة لينة في حكم المائع قبل خروجها ، وإنما تجمد وتصلب بالهواء .

قال ابن خويز منداد : فإن قيل : فقولكم يؤدي إلى خلاف الإجماع ؛ وذلك أن النبي ﷺ والمسلمين بعده كانوا يأكلون الجبن وكان مجلوبًا إليهم من أرض العجم، ومعلوم أن ذبائح العجم وهم مجوس ميتة ، ولم يعتدوا بأن يكون مجمدًا بأنفحة ميتة أو ذُكِّي . قيل له : قدر ما يقع من الأنفحة في اللبن المجبن يسير ؛ واليسير من النجاسة معفو عنه إذا خالط الكثير من المائع . هذا جواب على إحدى الروايتين . وعلى الرواية الأخرى إنما كان ذلك في أول الإسلام ، ولا يمكن أحد أن ينقل أن الصحابة أكلت الجبن المحمول من أرض العجم ، بل الجبن ليس من طعام العرب ؛ فلما انتشر المسلمون

في أرض العجم بالفتوح صارت الذبائح لهم ؛ فمن أين لنا أن النبي ﷺ والصحابة أكلت جبنًا فضلًا عن أن يكون محمولًا من أرض العجم ومعمولًا من أنفحة ذبائحهم !

❋ ❋ ❋

س : يشق على الشخص ، وهو ينظف الذبيحة أن يخلصها تمامًا من الدم الموجود باللحم والعروق فماذا يصنع ؟

ج : لا بأس بطبخ اللحم وهو على هذه الحالة ، قال الله سبحانه : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقد قيد الدم الممنوع بالدم المسفوح ، قال القرطبي رحمه الله تعالى :

قال ابن خويز منداد : وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى ، ومعفو عما تعم به البلوى . والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه ، ويسيره في البدن والثوب يصلى فيه . وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ [المائدة : ٣] ، وقال في موضع آخر : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ﴾ [الأنعام : ١٤٥] فحرم المسفوح من الدم . وقد روت عائشة رضي الله عنها قالت : كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله ﷺ تعلوها الصفرة من الدم فنأكل ولا ننكره ؛ لأن التحفظ من هذا إصْرٌ وفيه مشقة ، والإصر والمشقة في الدين موضوع . وهذا أصل في الشرع ، أن كل ما حرجت الأمة في أداء العبادة فيه وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه ؛ ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة ؛ وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك .

قلت : ذكر الله سبحانه وتعالى الدم هاهنا مطلقًا ، وقيده في الأنعام بقوله : ﴿ مسفوحًا ﴾ ، وحمل العلماء ها هنا المطلق على المقيد إجماعًا . فالدم

هنا يراد به المسفوح ؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع ، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم شحم الخنزير ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير . وكذلك نقل هذا الإجماع ابن جزي الكلبي في تفسيره ونقله أيضًا غير واحد من العلماء .

● وقال ابن العربي في أحكام القرآن : اتفقت الأمة على أن (لحم)[1] الخنزير حرام بجميع أجزائه ، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد شغفت جماعة المبتدعة بأن تقول : فما بال شحمه ، بأي شيء حرم ؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحمًا فقد قال شحمًا ومن قال شحمًا فلم يقل لحمًا ، إذ كل شحم لحم ، وليس كل لحم شحمًا من جهة اختصاص اللفظ ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية ، كما أن كل حمدٍ شكر وليس كل شكر حمدًا من جهة ذكر النعم ، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم ... ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان بقوله :

حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة ، هو الخوف من الهلاك علمًا أو ظنًّا .

---

(١) كلمت (لحم) مثبتة في بعض النسخ ، محذوفة من البعض الآخر ، والذي يبدو لي أن الأولى حذفها ، والله أعلم .

قال الزرقاني في شرح قول مالك في الموطإ ما جاء فيمن يضطر إلى أكل الميتة :

وحد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علمًا أو ظنًّا . ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت ، فإن الأكل عند ذلك لا يفيد .

وقال النووي في شرح المهذب : الثانية في حد الضرورة :

قال أصحابنا : لا خلاف أن الجوع القوي لا يكفي لتناول الميتة ونحوها ، قالوا : ولا خلاف أنه لا يجب الامتناع إلى الإشراف على الهلاك ؛ فإن الأكل حينئذ لا ينفع ، ولو انتهى إلى تلك الحال لم يحل له أكلها ؛ لأنه غير مفيد ، واتفقوا على جواز الأكل إذا خاف على نفسه لو لم يأكل من جوع أو ضعف عن المشي أو عن الركوب ، وينقطع عن رفقته ويضيع ، ونحو ذلك .

فلو خاف حدوث مرض مخوف في جنسه فهو كخوف الموت ، وإن خاف طول المرض فكذلك في أصح الوجهين ، وقيل : إنهما قولان ، ولو عيل صبره ، وأجهده الجوع ، فهل يحل له الميتة ونحوها أم لا يحل حتى يصل إلى أدنى الرمق ؟ فيه قولان ذكرهما البغوي وغيره ، أصحهما : الحل .

قال إمام الحرمين وغيره : ولا يشترط فيما يخافه تيقن وقوعه لو لم يأكل ، بل يكفي غلبة الظن ، انتهى منه بلفظه . وقال ابن قدامة في المغني : إذا ثبت هذا فإن الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل ، قال أحمد : إذا كان يخشى على نفسه سواء كان من الجوع ، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي ، وانقطع عن الرفقة فهلك أو يعجز عن الركوب فيهلك ، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور .

وحد الاضطرار عند الحنفية هو أن يخاف الهلاك على نفسه أو على عضو من أعضائه يقينًا كان أو ظنًّا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب الأكل من الميتة ونحوها إن خاف الهلاك أو يباح من غير وجوب ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله أيضًا فقال :

اختلف العلماء في ذلك ، وأظهر القولين الوجوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ومن هنا قال جمع من أهل الأصول : إن الرخصة قد تكون واجبة ، كأكل الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منها ، وهو الصحيح من مذهب مالك ، وهو أحد الوجهين للشافعية ، وهو أحد الوجهين عند الحنابلة أيضًا ، وهو اختيار ابن حامد . وهذا هو مذهب أبي حنيفة – رحمهم الله – وقال مسروق : من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات ، دخل النار إلا أن يعفو الله عنه .

وقال أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا : وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة ، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا ، نقله القرطبي وغيره ، وممن اختار عدم الوجوب ولو أدى عدم الأكل إلى الهلاك ، أبو إسحاق من الشافعية ، وأبو يوسف – صاحب أبي حنيفة – رحمهم الله ، وغيرهم ، واحتجوا بأن له غرضًا صحيحًا في تركه وهو اجتناب النجاسة ، والأخذ بالعزيمة .

وقال ابن قدامة في المغني في وجه كل واحد من القولين ما نصه : وهل يجب الأكل من الميتة على المضطر فيه وجهان :

أحدهما : يجب وهو قول مسروق ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي .

قال الأثرم : سئل أبو عبد الله عن المضطر يجد الميتة ولم يأكل ، فذكر قول

مسروق : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب دخل النار . وهذا اختيار ابن حامد .. وذلك لقول الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وترك الأكل مع إمكانه في هذا الحال إلقاء بيده إلى التهلكة ، وقال الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله فلزمه ، كما لو كان معه طعام حلال .

والثاني : لا يلزمه ؛ لما روي عن عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ : أن طاغية الروم حبسه في بيت وجعل معه خمرًا ممزوجًا بماء ، ولحم خنزير مشوي ثلاثة أيام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مال رأسه من الجوع والعطش وخشوا موته ، فأخرجوه فقال : قد كان الله أحله لي ، لأني مضطر ، ولكن لم أكن لأشمتك بدين الإسلام ، ولأن إباحة الأكل رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص ، ولأن له غرضًا في اجتناب النجاسة والأخذ بالعزيمة ، وربما لم تطب نفسه بتناول الميتة ، وفارق الحلال في الأصل من هذه الوجوه . وقد قدمنا أن أظهر القولين دليلًا وجوب تناول ما يمسك الحياة ، لأن الإنسان لا يجوز له إهلاك نفسه ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

س : هل يُقدم المضطر الميتة أو مال الغير ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله كذلك فقال :

اختلف العلماء في ذلك : فذهب مالك إلى أنه يقدم مال الغير إن لم يخف إن يجعل سارقًا ويحكم عليه بالقطع . ففي موطئه ما نصه : وسئل مالك عن الرجل يضطر إلى الميتة أيأكل منها وهو يجد ثمرًا لقوم أو زرعًا أو غنمًا بمكانه ذلك ، قال مالك : إن ظن أن أهل ذلك الثمر ، أو الزرع ، أو الغنم يصدقونه بضرورته حتى لا يعد سارقًا فتقطع يده ، رأيت أن يأكل من أي

ذلك وجد ما يرد جوعه ولا يحمل منه شيئًا . وذلك أحب إلي من أن يأكل الميتة .. .

وإن هو خشي ألا يصدقوه . وأن يعد سارقًا بما أصاب من ذلك ، فإن أكل الميتة خير له عندي . وله في أكل الميتة على هذا الوجه سعة مع أني أخاف أن يعدو عادٍ ممن لم يضطر إلى الميتة يريد استجازة أموال الناس وزروعهم وثمارهم بذلك بدون اضطرار .

قال مالك : وهذا أحسن ما سمعت . اهـ . وقال ابن حبيب : إن حضر صاحب المال فحق عليه أن يأذن له في الأكل . فإن منعه فجائز للذي خاف الموت أن يقاتله حتى يصل إلى أكل ما يرد نفسه . الباجي : يريد أنه يدعوه أولًا إلى أن يبيعه بثمن في ذمته ، فإن أبى استطعمه ، فإن أبى أعلمه أنه يقاتله عليه .

وقال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره الذي قال فيه مبينًا لما به الفتوى عاطفًا على ما يقدم المضطر على الميتة وطعام غيره إن لم يخف القطع ، وقاتل عليه . هذا هو حاصل المذهب المالكي في هذه المسألة .

ومذهب الشافعي فيها : هو ما ذكره النووي في شرح المهذب بقوله : المسألة الثامنة : إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير وهو غائب فثلاثة أوجه . وقيل ثلاثة أقوال : أصحها يجب أكل الميتة ، والثاني يجب أكل الطعام ، والثالث يتخير بينهما .

وأشار إمام الحرمين إلى أن هذا الخلاف مأخوذ من الخلاف في اجتماع حق الله تعالى وحق الآدمي ، ولو كان صاحب الطعام حاضرًا ، فإن بذله بلا عوض أو بثمن مثله أو بزيادة يتغابن الناس بمثلها ومعه ثمنه أو رضي بذمته لزمه القبول ، ولم يجز أكل الميتة ، فإن لم يبعه إلا بزيادة كثيرة فالمذهب ، والذي قطع به العراقيون والطبريون وغيرهم : أنه لا يلزمه شراؤه ولكن يستحب ، وإذا

لم يلزمه الشراء فهو كما إذا لم يبذله أصلًا ، وإذا لم يبذله لم يقاتله عليه المضطر إن خاف من المقاتلة على نفسه ، أو خاف هلاك المالك في المقاتلة ، بل يعدل إلى الميتة ، وإن كان لا يخاف ، لضعف المالك وسهولة دفعه فهو على الخلاف المذكور فيما إذا كان غائبًا ، هذا كله تفريع على المذهب الصحيح . وقال البغوي : يشتريه بالثمن الغالي ، ولا يأكل الميتة ثم يجيء الخلاف السابق في أنه يلزمه المسمى أو ثمن المثل ، قال : وإذا لم يبذل أصلًا ، وقلنا طعام الغير أولى من الميتة يجوز أن يقاتله ويأخذه قهرًا والله أعلم . وحاصل مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة أنه يقدم الميتة على طعام الغير . قال الخرقي في مختصره : ومن اضطر فأصاب الميتة وخبزًا لا يعرف مالكه أكل الميتة اهـ .

وقال ابن قدامة في المغني في شرحه لهذا الكلام ما نصه : وبهذا قال سعيد ابن المسيب ، وزيد بن أسلم . وقال مالك : إن كانوا يصدقونه أنه مضطر أكل من الزرع والثمر ، وشرب اللبن ، وإن خاف أن تقطع يده أو لا يقبل منه؛ أكل الميتة ، ولأصحاب الشافعي وجهان :

أحدهما : يأكل الطعام وهو قول عبد الله بن دينار ، لأنه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له أكل الميتة كما لو بذله له صاحبه .

ولنا أن أكل الميتة منصوص عليه ، ومال الآدمي مجتهد فيه ، والعدول إلى المنصوص عليه أولى ، ولأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدمي مبنية على الشح والتضييق ، ولأن حق الآدمي تلزمه غرامته وحق الله لا عوض له .

❋ ❋ ❋

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

س : اذكر معاني كلٍّ مما يأتي :

لا يزكيهم - أليم - فما أصبرهم - شقاق بعيد ؟

ج :

الكلمة	معناها
لا يزكيهم	لا يطهرهم من دنس الذنوب
أليم	مؤلم موجع
فما أصبرهم	فما أجرأهم على العمل الذي يدخلهم النار - العجب كيف يتحملون النار ؟ كيف سيصبرون على النار ؟، وقد تقدمت بتفصيل
شقاق بعيد	منازعة ومفارقة للحق بعيدة عن الرشد والصواب .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب [البقرة : ١٧٤] ؟ وما هو الشيء الذي كتموه ؟

ج : الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب هم اليهود والنصارى[١] ، والذي كتموه جملة أمور منها صفة محمد ﷺ ، ومنها أمور أخر تتعلق بالحدود[٢] وغيرها .

● وقد أخرج الطبري رحمه الله[٣] بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] الآية كلها : هم أهل الكتاب كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى من بعث محمد ﷺ وأمره .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله : ﴿ به ﴾ من قوله تعالى : ﴿ ويشترون به ﴾ [البقرة : ١٧٤] يرجع إلى ماذا ؟ وضح المعنى بعض الإيضاح ؟

ج : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ يرجع إلى المكتوم أي : أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمنًا قليلًا ، فمحتمل أنهم كانوا يأخذون مقابل كتمانهم أمر محمد ﷺ بعض الرشاوى أو يظنون أنهم يحصِّلون بعض الجاه والمنزلة عند أتباعهم ، ويحتمل أيضًا أنهم يحرفون الكتاب ويأخذون عوضًا مقابل تحريفه بما يتمشى مع أهل الشرف والمال منهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وأكثر من كتم اليهود .

(٢) وذلك كآية الرجم ونحوها ، وقد تقدم ذلك .

(٣) الطبري (أثر رقم ٢٤٩٤) .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار . وأطلق على ما يأكلونه أنه نار باعتبار ما سيئول إليه يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ [البقرة : ١٧٤] فنفى سبحانه تكليمه للكفار في هذه الآية الكريمة ، وقد أثبته في آيات أخر ، اذكر بعض الآيات التي ثبت فيها أن الله عز وجل يكلم الكفار ، وكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله للكفار والآيات التي أثبتت ذلك ؟

ج : من الآيات التي ورد فيها أن الرب سبحانه يكلم الكفار قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًّا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون * قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يومٍ فسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون .. ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ – ١١٤] .

أما وجه الجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله عز وجل للكفار والآيات التي أثبتت ذلك فهو أن تحمل الآيات التي نفت الكلام على أنها نفت كلامًا مخصوصًا وهو الكلام الذي يأتي من ورائه بشارة أو خير للكافرين ، أما

الآيات التي أثبتت فأثبتت نوعًا من الكلام يحمل التعذيب والتأنيب والتوبيخ لأهل الكفر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ﴾ [البقرة : ١٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أولئك الذين اتبعوا الضلالة تركوا الهدى ، وأخذوا ما يوجب لهم العذاب وتركوا ما يجلب لهم المغفرة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناه ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال ، منها :

الأول : فما الذي جرأهم على النار .

وقد أخرج الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[1] عن قتادة : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يقول : فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار .

الثاني : فأي شيء صبرهم على النار ، وانظر السؤال الآتي وإجابته .

❋ ❋ ❋

س : (ما) في قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناها ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا استفهامية ، والمعنى :ما

---

(١) الطبري (أثر رقم ٢٥٠٠) .

الذي أصبرهم على النار ؟

وقد أخرج الطبري بإسناده[1] إلى ابن جريج قال ، قال لي عطاء : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : ما يصبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل ؟

وأخرج من طريق أبي كريب[2] قال : سئل أبو بكر بن عياش : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : هذا استفهام ، ولو كانت من الصبر قال : (فما أصبرُهم) رفعًا ، قال : يقال للرجل : (ما أصبرك) ما الذي فعل بك هذا ؟

وأخرج كذلك بإسناد صحيح[3] إلى ابن زيد قال : هذا استفهام ، يقول : ما هذا الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا ؟!!

● ومن أهل العلم من يرى أنها للتعجب ، والمعنى : فما أشد جرأتهم على النار حتى عملوا بعمل أهلها .

وهذا التعجب كالتعجب في قوله تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس : ١٧] تعجبًا من كفره ، فالعجب من صبرهم على الأعمال التي تودي بهم إلى النار ، وقد علموا أن شراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة موجب للنار .

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ما أجرأهم على النار ، بمعنى : ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢٥٠٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٥٠٩) .

(٣) أخرجه الطبري (٢٥١٠) .

بأعمال أهلها . وذلك أنه مسموع من العرب : (ما أصبر فلانًا على الله) ، بمعنى : ما أجرأ فلانًا على الله ! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد ﷺ ونبوته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثمنًا قليلًا من السحت والرشى التي أعطوها – على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه .

وإنما معنى ذلك : فما أجرأهم على عذاب النار ! ولكن اجتزىء بذكر (النار) من ذكر (عذابها) ، كما يقال : (ما أشبه سخاءك بحاتم) ، بمعنى : ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم ، (وما أشبه شجاعتك بعنترة) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يُخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذًا بالله من ذلك ، وقيل : معنى قوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] أي : فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار .

وقال الزمخشري في كشافه [1]: ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن ، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب ، وقيل : فما أصبرهم : فأي شيء صبَّرهم ، يقال : أصبره على كذا وصبَّره بمعنى ، وهذا أصل معنى فعل التعجب ، والذي روي عن الكسائي أنه قال : قال لي قاضي اليمن بمكة : اختصم إلي رجلان

---

(١) لا يخفى علينا حال الزمخشري من الاعتزال ، ومن كان مثله يهجر من كلامه ما يخالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويبقى شأنه في الباقي شأن غيره من أهل العلم .

من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال له : ما أصبرك على الله ، فمعناه : ما أصبرك على عذاب الله .

وقال الشوكاني رحمه الله (فتح القدير ١/١٧١) : وقوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ذهب الجمهور ، ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب ، والمراد : تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار ، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم ، وحكى الزجاج أن المعنى : ما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلانًا على الحبس ، أي : ما أبقاه فيه ، وقيل : المعنى : ما أقل جزعهم من النار ، فجعل قلة الجزع صبرًا ، وقال الكسائي وقطرب : أي : ما أدومهم على عمل أهل النار ، وقيل : (ما) استفهامية ، ومعناه التوبيخ ، أي : أي شيء أصبرهم على عمل أهل النار قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) **هنا تنبيهان :**

أولهما : أن كثيرًا من أهل العلم يتساهلون في تصحيح الآثار ونسبتها إلى قائليها فلا يكادون يدققون كثيرًا في هذا الباب ، فكم من أثر يعزى إلى ابن عباس أو مجاهد أو عطاء مثلًا ويكون فيه ضعف ولا يبينون هذا الضعف ، فالآثار التي أوردها أنا أتحرى فيها الصحة أو الحسن وأُبين ذلك ، أما الآثار التي ترد عند ذكر بعض أقوال أهل العلم وينقلونها في كلامهم كما نقل الشوكاني – رحمه الله – مثلًا عن ابن عباس والسدي .. فالعهدة فيها على قائلها (أي : على الشوكاني) وإن كنت في بعض الأحيان أنبه على بعض ما فيها .

التنبيه الثاني : كثيرٌ من المفسرين ينقل بعضهم من بعض ، وبعضهم يبالغ في ذلك فيسير وراء من نقل عنه وينقل عنه كلامه برمته ولا يبين ممن أخذه ، وممن يسلك هذا المسلك صديق حسن خان رحمه الله فينقل من فتح القدير للشوكاني ولا يكاد يبين ويوضح ممن أخذه فلينتبه لذلك .

س : (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أنه يرجع إلى أنواع التعذيب المذكورة ، فيكون المعنى : ذلك التعذيب[1] الذي ذكرناه وأنه يحل بالذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا إنما حل بهم وحق عليهم لأن الله عز وجل نزل الكتاب بالحق فكفروا به وخالفوه وكتموا ما فيه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي : أن الله تعالى ذكره أشار بقوله : ﴿ ذلك ﴾ ، إلى جميع ما حواه قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، إلى قوله : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، من خبره عن أفعال أحبار اليهود ، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك ، فقال : هذا الذي فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود – بكتمانهم الناس ما كتموا من أمر محمد ﷺ ونبوته مع علمهم به ، طلبًا منهم لعرض من الدنيا خسيس – وبخلافهم أمري وطاعتي – وذلك – من تركي تطهيرَهم وتزكيتهم وتكليمهم ، وإعدادي لهم العذاب الأليم – بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه .

فيكون في (ذلك) حينئذ وجهان من الإعراب : رفعٌ ونصب . والرفع بـ (الباء) ، والنصب بمعنى : فعلت ذلك بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه . وترك ذكر (فكفروا به واختلفوا) ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

❋ ❋ ❋

---

(١) وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] ؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه ، وفيم اختلفوا ؟

ج : أما الكتاب فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد به التوراة ، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى ، واختلفوا في جملة أمور منها اختلافهم في شأن عيسى ، فزعمت اليهود أن التوراة ليس فيها ذكر عيسى وكفرت يهود بعيسى وبمريم عليهما السلام .

أما النصارى فآمنوا ببعض ما في التوراة من شأن عيسى وكفروا ببعض آخر وهو أنهم ألَّهوا عيسى عليه السلام وجعلوه ربًّا يُعبد .

واليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن نبينا محمد ﷺ وفي صفته المثبتة في كتبهم بعد أن حرفوها وكتموها .

واختلفوا في أمور أُخر كما قال النبي ﷺ : « أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة ... » الحديث ، فاختارت اليهود السبت واختارت النصارى الأحد .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالكتاب القرآن ، والذين اختلفوا فيه اليهود والنصارى والمشركون .

أما وجه اختلافهم فاختلاف اليهود والنصارى فيه شيء مما ذكر سابقًا واختلاف المشركين في تقولهم على الكتاب فمنهم من قال : ﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرةً وأصيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ٢٤ ، ٢٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ [النحل : ١٠٣] إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يعني بذلك : اليهود والنصارى . اختلفوا في كتاب الله ، فكفرت اليهود بما قص الله فيه من قصص عيسى بن مريم وأمه . وصدقت

النصارى ببعض ذلك ، وكفروا ببعضه ، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد ﷺ . فقال لنبيه محمد ﷺ : إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

كما حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] عن السدي : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يقول : هم اليهود والنصارى . يقول : هم في عداوة بعيدة . وقد بينت معنى (الشقاق) ، فيما مضى ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أسباط وهو ابن نصر متكلم فيه .

فهـرس الآيـات

الآيـة	الصفحة
١ – من ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... ﴾ [٦٧] إلى ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [٧٤] .	٥
٢ – من ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ... ﴾ [٧٥] إلى ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [٧٩] .	٣٢
٣ – من ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ... ﴾ [٨٠] إلى ﴿ هم فيها خالدون ﴾ [٨٢] .	٤٨
٤ – من ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل .... ﴾ إلى ﴿ وأنتم معرضون ﴾ [٨٣] .	٥٦
٥ – من ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ... ﴾ [٨٤] إلى ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [٨٦] .	٦٧
٦ – من ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ... ﴾ [٨٧] .	٧٦
٧ – من ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ... ﴾ [٨٨] إلى ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ [٩١] .	٨٤
٨ – من ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ... ﴾ [٩٢] إلى ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ [٩٦] .	٩٥
٩ – من ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل ... ﴾ [٩٧] إلى ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [١٠٠] .	١١٣
١٠ – من ﴿ ولما جاءهم رسولٌ من عند الله ... ﴾ [١٠١] إلى ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ [١٠٣] .	١٢٤

١١ – من ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ... ﴾ [١٠٤] إلى ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ [١٠٥] . ١٧٢
١٢ – من ﴿ ما ننسخ من آية.... ﴾ [١٠٦] إلى ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ [١٠٨] . ١٧٧
١٣ – من ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ... ﴾ [١٠٩] إلى ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ [١١٠] . ١٩٤
١٤ – من ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ... ﴾ [١١١] إلى ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ [١١٢] . ٢١٢
١٥ – من ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ... ﴾ [١١٣] إلى ﴿ إن الله واسع عليم ﴾ [١١٥] . ٢١٧
١٦ – من ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا ... ﴾ [١١٦] إلى ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [١١٧] . ٢٣٥
١٧ – من ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ... ﴾ [١١٨] إلى ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [١٢٣] . ٢٤٥
١٨ – من ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ... ﴾ [١٢٤] . ٢٥٧
١٩ – من ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ... ﴾ [١٢٥] . ٢٧١
٢٠ – من ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ... ﴾ [١٢٦] . ٢٩١
٢١ – من ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد ... ﴾ [١٢٧] إلى ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [١٢٩] . ٢٩٧
٢٢ – من ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ... ﴾ [١٣٠] إلى ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [١٣٢] . ٣١٩
٢٣ – من ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ... ﴾ [١٣٣] إلى ﴿ ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [١٣٤] . ٣٢٩
٢٤ – من ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ... ﴾ [١٣٥] . ٣٣٦
٢٥ – من ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى

إبراهيم ... ﴾ [١٣٦] إلى ﴿ ونحن له عابدون ﴾ [١٣٨] . ٣٤١
٢٦ – من ﴿ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا ... ﴾ [١٣٩] إلى ﴿ ولا
تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [١٤١] . ٣٤٩
٢٧ – من ﴿ سيقول السفهاء من الناس ... ﴾ [١٤٢] إلى ﴿ إن الله
بالناس لرءوف رحيم ﴾ [١٤٣] . ٣٥٨
٢٨ – من ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ... ﴾ [١٤٤] إلى
﴿ إنك إذًا لمن الظالمين ﴾ [١٤٥] . ٣٩١
٢٩ – من ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... ﴾
[١٤٦] إلى ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ [١٤٨] . ٤٠٥
٣٠ – من ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام ... ﴾ [١٤٩] إلى ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ [١٥٠] . ٤١٢
٣١ – من ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا ... ﴾ [١٥١] إلى ﴿ واشكروا
لي ولا تكفرون ﴾ [١٥٢] . ٤٢٦
٣٢ – من ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ... ﴾ [١٥٣]
إلى ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ [١٥٧] . ٤٣٩
٣٣ – من ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ [١٥٨] . ٤٦٠
٣٤ – من ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ... ﴾ [١٥٩] إلى
﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [١٦٠] . ٤٨٠
٣٥ – من ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم
لعنة الله ... ﴾ [١٦١] إلى ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ [١٦٢] . ٤٩٢
٣٦ – من ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ... ﴾
[١٦٣] . ٥٠٠
٣٧ – من ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار ... ﴾ [١٦٤] . ٥٠٨
٣٨ – من ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ... ﴾ [١٦٥]

إلى ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [١٦٧] . ٥٣٠
٣٩ – من ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ... ﴾
[١٦٨] إلى ﴿ فهم لا يعقلون ﴾ [١٧١] . ٥٥٣
٤٠ – من ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ... ﴾
[١٧٢] إلى ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [١٧٣] . ٥٧٦
٤١ – من ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به
ثمنًا قليلًا ... ﴾ [١٧٤] إلى ﴿ لفي شقاق بعيد ﴾ [١٧٦] . ٥٩٧

* * *

فهـرس الأحاديـث

الحديث	الصفحة
بـاب الهمـزة	
١ – « أبدأ بما بدأ الله به »	٤٦٦
٢ – « ابدءوا بما بدأ الله بذكره »	٤٧٤
٣ – « اجتنبوا السبع الموبقات »	١٤٦
٤ – « اجمعوا إليَّ من كان ها هنا من يهود »	٨١/٥٤
٥ – « أحد جبل يحبنا ونحبه »	٣١
٦ – « أخبرني بهن جبريل آنفًا »	١١٥
٧ – « إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا »	٤٥٧
٨ – « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار »	٤٩١
٩ – « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس »	٢٣٢
١٠ – « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك »	٢٣٢
١١ – « أرواح الشهداء في قباب بيض »	٤٤٥
١٢ – « أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه »	٤١١
١٣ – « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي »	٤٧٦
١٤ – « أشد الناس عذابًا يوم القيامة »	٧٥
١٥ – « أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ »	١٥٠
١٦ – « أصبحنا على فطرة الإسلام »	٢٦٠
١٧ – « أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة »	٦٠٥
١٨ – « أفضل الصلاة طول القنوت »	٢٣٥

١٩ – « أفلا أكون عبدًا شكورًا » ٤٣٤
٢٠ – « أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون » ١٥
٢١ – « أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره » ٢٨٦
٢٢ – « أفلح إن صدق » ٢٨٨
٢٣ – « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا » ٢٣١
٢٤ – « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم » ٥٥٧
٢٥ – « ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة » ٣٠٦
٢٦ – « أمك » ردًّا على سؤال من سأله عن أحق الناس بحسن صحابته ٥٩
٢٧ – « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ٦٢
٢٨ – « أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك » ٥٣٣
٢٩ – « إن آل أبي – يعني فلانًا – ليسوا لي أولياء » ٦٠
٣٠ – « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها » ٢٧٣
٣١ – « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة » ٨٠
٣٢ – « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا » ٢٦
٣٣ – « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح » ١٧٥
٣٤ – « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد » ٤٠٤
٣٥ – « إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة » ٣٩
٣٦ – « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره » ٥٢٧
٣٧ – « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » ٦٤
٣٨ – « إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة » ٥٠٦
٣٩ – « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ٣٤
٤٠ – « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا » ٣١٦
٤١ – « إن الله عز وجل كره لكم كثرة السؤال » ٢٦
٤٢ – « إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا » ٤٧١
٤٣ – « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ٢٩٣
٤٤ – « إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها » ٥٧٨

٤٥ – « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه » ٦٤
٤٦ – « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين » ٤٨٤
٤٧ – « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » ٤٩٩
٤٨ – « إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول » ٢٣٢/٢٨٦
٤٩ – « إن اليهود إذا سلموا عليكم » ١٧٥
٥٠ – « إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال رب أذنبت ذنبًا فاغفر » ٣٩٠
٥١ – « إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأناة » ٤٤٩
٥٢ – « إنك سوف تقدم على قوم » ٣٩
٥٣ – « إن مكة حرمها الله » ٢٧٤
٥٤ – « إن من البيان لسحرًا » ١٣٩
٥٥ – « إنما خيرني الله – أو أخبرني الله – فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ » ٢٧٦
٥٦ – « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض » ٢٧٣
٥٧ – « إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار » ٥٢٧
٥٨ – « إني أعرف حجرًا بمكة » ٣١
٥٩ – « اهجهم وجبريل معك » ٧٨
٦٠ – « أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح » ٤٩٩
٦١ – « أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا » ٥٧٨

باب الباء

٦٢ – « بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا » ٥١
٦٣ – « بمن تظنون – أو ترون – قتله ؟ » ١٦
٦٤ – « بينا رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة » ٥٢٦
٦٥ – « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » ٢٨٦

باب التاء

٦٦ – « تأتون بالبينة على من قتله ؟ » ١٥

باب الجيم

٦٧ – « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا » ٢٨٣

٦٨ – « جعل الله الرحمة في مائة جزء ... » ٣٨٦

باب الحاء

٦٩ – « حدث أن رجلًا قال : والله لا يغفر الله لفلان » ٤٩٠

٧٠ – « حد الساحر ضربة بالسيف » ١٤٨

٧١ – « الحلال بين والحرام بين » ١٧٤

باب الخاء

٧٢ – « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلًا » ١٨٥

٧٣ – « خذوا عني مناسككم » ٤٧١/٢٨٨

٧٤ – « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » ٤٧٧

٧٥ – « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ١٠٦

باب الذال

٧٦ – « ذروني ما تركتكم » ١٩٠/٢٦/٢٥

باب الراء

٧٧ – « رأيت بقرًا تنحر » ٨

٧٨ – « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف » ٥٩

باب السين

٧٩ – « سبحان الله ماذا أنزل من الفتن » ١٦٣

٨٠ – « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » ٢٣١

٨١ – « سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا » ٤٣٧

٨٢ – « سحرتني يهود بني زريق » ١٣٣

٨٣ - « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » ٦٢

باب الشين

٨٤ - « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة » ٤٤٥

باب الصاد

٨٥ - « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » ٢٧٨
٨٦ - « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه » ٤٥٦
٨٧ - « الصلاة على وقتها » ٥٨

باب الطاء

٨٨ - « الطهور شطر الإيمان » ٣٩٢

باب العين

٨٩ - « عرضت عليَّ أعمال أمتي » ٢٨٦
٩٠ - « عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا » ٣٩٦

باب الفاء

٩١ - « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف » ٣٨٩
٩٢ - « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما - ففيهما فجاهد » ٥٩
٩٣ - « فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله » ٥٠٧
٩٤ - « فألفي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس » ٣٠٣
٩٥ - « فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله » ٥٠٥
٩٦ - « فأنى يستجاب له » ٥٥٨
٩٧ - « فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليه » ١١٥
٩٨ - « فذلك سعي الناس بينهما » ٣٠٢
٩٩ - « فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض » ٧٤
١٠٠ - « فمن أحب أن يزحزح عن النار » ٣٢٦

باب القاف

١٠١ – « قد جمع الله لك ذلك كله » ٢٣١

باب الكاف

١٠٢ – « كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم » ٧٧
١٠٣ – « كان رجل فيمن كان قبلكم يسيء الظن بعمله » ٣٨٩
١٠٤ – « كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا » ٣٨٨
١٠٥ – « كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته » ٣٨٧

باب اللام

١٠٦ – « لا إلا أن تروا كفرًا بواحًا » ٢٦٩
١٠٧ – « لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام » ٦٢
١٠٨ – « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ٣٧٣
١٠٩ – « لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ٤٣٧
١١٠ – « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » ٣٤٣
١١١ – « لا تقولوا للعنب الكرم » ١٧٦
١١٢ – « لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم » ٤٩٨
١١٣ – « لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله » ٤٩٧
١١٤ – «لا حسد إلا في اثنتين » ٢٠٢
١١٥ – « لا وصية لوارث » ١٨٥
١١٦ – « لا يتوارث أهل ملتين » ٢٥٣
١١٧ – « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح » ٢٩٢
١١٨ – « لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار » ٤٣١
١١٩ – « لا يقطع الأبطح إلا شدًّا » ٤٦٧
١٢٠ – « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » ٤٥٥
١٢١ – « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » ٣٢٧

١٢٢ – « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا » ٤٩٩
١٢٣ – « لتأخذوا مناسككم » ٤٦٩
١٢٤ – « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة » ٤٩١
١٢٥ – « لعن الله آكل الربا وموكله » ٤٩٨
١٢٦ – « لعن الله السارق يسرق البيضة » ٤٩٨
١٢٧ – « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » ٤٥٥
١٢٨ – « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » ٣٨٥
١٢٩ – « لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن » ٣٨٧
١٣٠ – « لن يدخل أحدًا عمله الجنة » ١٠٦
١٣١ – « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا » ٤٨٧
١٣٢ – « لو قلت نعم لوجبت » ٢٠
١٣٣ – « لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر » ٣٠٨
١٣٤ – « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم » ٣١٥/٣٨٨
١٣٥ – « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة » ٤٨٦
١٣٦ – « ليصيبن أقوامًا سفع من النار » ٣٨٦
١٣٧ – « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة » ٣٩٥
١٣٨ – « اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني » ٢٧٧
١٣٩ – « اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه » ٤٩٧
١٤٠ – « اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت » ٣١٢
١٤١ – « اللهم أيده بروح القدس » ٧٨
١٤٢ – « اللهم الرفيق الأعلى » ١٠٦
١٤٣ – « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .. » ٢٦٠
١٤٤ – « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني » ١٠٦
١٤٥ – « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا » ٨
١٤٦ – « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » ٣٥

١٤٧ - « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » ٢٧٨
١٤٨ - « ماذا فتح الليلة من الخزائن » ١٦٣
١٤٩ - « مازلت أجد ألم السم » ٨٢
١٥٠ - « ما عبدوهم ولكن أحَلُّوا لهم الحرام فأطاعوهم » ٣٦٧
١٥١ - « ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه ... » ٥٠٦
١٥٢ - « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث ... » ٤٥٥
١٥٣ - « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ٥٠٦/٥٢
١٥٤ - « ما منكم من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة » ٤٥٥
١٥٥ - « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله » ٤٥٦
١٥٦ - « ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته » ٥٨١
١٥٧ - « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم » ٤٤٩
١٥٨ - « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع » ٤٥٢
١٥٩ - « مثل المؤمن مثل الزرع » ٤٥٢
١٦٠ - « مثل المؤمنين في توادهم ... » ٦٩
١٦١ - « مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل » ١٢١
١٦٢ - « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ٢١٥
١٦٣ - « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا » ٢٣٢
١٦٤ - « من الكبائر شتم الرجل والديه » ١٧٤
١٦٥ - « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ٣٣٤/٢٧٠
١٦٦ - « من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله » ٢٣٠
١٦٧ - « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله » ٢٣٠
١٦٨ - « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من النار » ٤٨١
١٦٩ - « من سن في الإسلام سنة حسنة » ٢٣٩
١٧٠ - « من صلى معنا الفجر بمزدلفة » ٥٢٨
١٧١ - « من غدا إلى المسجد أو راح » ٢٣٠

١٧٢ - « من قال : لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة » ٥٠٥
١٧٣ - « من لعن مؤمنًا فهو كقتله » ٤٩٩
١٧٤ - « من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار » ٥٣٢
١٧٥ - « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » ٦٤

باب النون

١٧٦ - « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ١٨٣

باب الهاء

١٧٧ - « هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله » ٣٩٣
١٧٨ - « هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار » ٣٧٢
١٧٩ - « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » ٩٠
١٨٠ - « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » ٥٨٨
١٨١ - « هو رزق أخرجه الله لكم » ٥٨٨

باب الواو

١٨٢ - « وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون » ١٠٦
١٨٣ - « واعلم أن الأمة لو اجتمعت » ١٧٠
١٨٤ - « وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام » ٢٦٠
١٨٥ - « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ... » ٢٥٦
١٨٦ - « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ... » ٢٢١
١٨٧ - « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ... » ٢٧٤
١٨٨ - « والوسط العدل » ٣٦٥
١٨٩ - « وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا » ٢٩٠

١٩٠ – « وكل بدعة ضلالة » ٢٣٩
١٩١ – « ولكن لهم رحم أبلها ببلالها » ٦١
١٩٢ – « ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه » ٣٠٣
١٩٣ – « وله بكل تهليلة صدقة » ٥٠٦

باب الياء

١٩٤ – « يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه ٤٠٤
١٩٥ – « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس » ٩٠
١٩٦ – « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى » ٢٦٦
١٩٧ – « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم » ٢٣١
١٩٨ – « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت » ٢٧٠
١٩٩ – « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم » ٣٣٤
٢٠٠ – « يبتلى الرجل على قدر دينه » ٤٥٢
٢٠١ – « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » ٣١٠
٢٠٢ – « يدعى نوح يوم القيامة » ٣٧٢
٢٠٣ – « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم » ٣٠٢
٢٠٤ – « يقسم خمسون منكم على رجل منهم » ١٤

الأحاديث القدسية

١ – « قال الله : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب » ٥٢
٢ – « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » ٢٢٧
٣ – « قال الله عز وجل : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك » ٢٣٧
٤ – « فقال الله له : كن رجلًا فإذا هو رجل قائم بين يدي الله عز وجل » ٢٤٤
٥ – « يقول الله تعالى : مرضت فلم يعدني عبدي ... » ٣٧٧
٦ – « يقول الله تعالى : إن رحمتي تغلب غضبي » ٣٨٦
٧ – « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي » ٣٨٦/٤٣٢
٨ – « يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت

صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » ٤٥٤
٩ – « يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، قال : فيأتون قال : فيقول الله عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة ... » الحديث . ٤٥٤
١٠ – « يقول الله تعالى : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض ثوابًا دون الجنة » ٤٥٤
١١ – « يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله ... » ٥٣٧

الموقوفات

١ – فلم يزل به حتى أقر فرض رأسه بالحجارة ١٣
٢ – كان ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال ٢٦
٣ – حن الجذع لرسول الله ﷺ ٣١
٤ – سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ ٣١
٥ – عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قتل ومن لم ينبت خلى سبيله ٦١
٦ – عن ابن عمر أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أحد فرده النبي ﷺ ٦١
٧ – فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة ٧٣
٨ – كان يفتتح صلاة الليل بـ « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل » ١١٤
٩ – كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله ١٣٣
١٠ – فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها ١٩٠
١١ – كان يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ١٩٧
١٢ – أنه ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد ... ١٩٨

* * *

فهـرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
١ – بحث في القسامة	١٤
٢ – استنباط هام من قصة قوم موسى	٢١
٣ – النهي عن كثرة السؤال عن المسكوت عنه	٢٤
٤ – صور من تحريف اليهود للتوراة	٣٥
٥ – حكم مرتكب الكبيرة في حال توبته وعدم توبته	٥١
٦ – ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين	٥٧
٧ – فضل كافل اليتيم وفضل الساعي على الأرملة والمسكين	٦١
٨ – فضل القول الحسن والرفق والحث عليه	٦٣
٩ – معنى قتل النفس وتأويله في الآيات	٦٩
١٠ – حكم فداء الأسرى في الإسلام	٧٣
١١ – البينات التي آتاها الله عز وجل نبيه عيسى عليه السلام	٧٧
١٢ – معنى قوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾	٨٧
١٣ – مدى صدق نبي إسرائيل في قولهم : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ﴾	٩٣
١٤ – ذكر البينات التي جاء بها موسى عليه السلام	٩٧
١٥ – المراد بالسمع في هذه الآيات	٩٨
١٦ – ذكر عداوة اليهود لجبريل عليه السلام والتدليل على ذلك	١١٥
١٧ – جواز التسمي بأسماء الملائكة	١١٩
١٨ – ذكر بعض الآثار فيما تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام	١٢٩

١٩ - بحث هام في السحر ١٣٢
٢٠ - مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت ١٦٧
٢١ - بعض الأدلة على سد الذرائع وكلام العلماء في ذلك ١٧٣
٢٢ - بحث هام في النسخ ١٧٩- ١٨٧
٢٣ - بحث هام في الحسد ١٩٩
٢٤ - بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى ٢١٣
٢٥ - أقوال العلماء في الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ٢٢٢
٢٦ - بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها ٢٢٩
٢٧ - بعض الآيات والأحاديث التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى ٢٣٧
٢٨ - معنى : ﴿ قضى ﴾ في الآيات الكريمات ٢٤٠
٢٩ - معنى : ﴿ الأمر ﴾ في كتاب الله عمومًا ٢٤١
٣٠ - بعض الآيات والأحاديث الواردة في الثناء على إبراهيم عليه السلام ٢٥٨
٣١ - تعريف (الكلمات) التي ابتلى الله عز وجل بها إبراهيم عليه السلام ٢٦٠
٣٢ - الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام ٢٧٢
٣٣ - موافقات عمر رضي الله عنه ٢٧٦
٣٤ - حكم الصلاة داخل الكعبة ٢٨٨
٣٥ - قصة بناء بيت الله الحرام ٣٠١
٣٦ - سبب اصطفاء إبراهيم عليه السلام ٣٢٤
٣٧ - بعض أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف ٣٣٨
٣٨ - نسخ السنة بالقرآن ٣٦٢
٣٩ - بعض الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله عز وجل ٣٨٥
٤٠ - فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ ثلاث مرات ٤٢١

٤١ - المراد بالذكر والشكر في الآيات السابقة ٤٣١
٤٢ - بعض أنواع الذكر وثمرتها ٤٣٦
٤٣ - بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الصبر مقرونًا بالصلاة ٤٤٠
٤٤ - نوع المعية في قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ ٤٤١
٤٥ - الكلام على الابتلاءات ٤٤٦
٤٦ - فوائد الابتلاءات ٤٤٨
٤٧ - فوائد الصبر ٤٥٣
٤٨ - حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر ٤٧٠
٤٩ - المقصود باللعن واللاعنين في الآيات ٤٨٢
٥٠ - بيان حكم تبليغ الشخص ما علمه من علم لكل أحد ٤٨٦
٥١ - حكم لعن الكفار جملة والكافر المعين والعصاة جملة والعاصي المعين ٤٩٥
٥٢ - بعض الأحاديث الواردة في فضل « لا إله إلا الله » ٥٠٥
٥٣ - الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل ٥٢٥
٥٤ - إيضاح معنى ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ ٥٣٤
٥٥ - القراءتان المشهورتان في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ ٥٣٨
٥٦ - الأدلة التي توضح براءة المعبودين من عابديهم يوم القيامة ٥٤٢
٥٧ - تفسير كلمة ﴿ الأسباب ﴾ ٥٤٥
٥٨ - تفسير كلمة (الأعمال) في قوله : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم ﴾ ٥٤٩
٥٩ - أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميتة ٥٨٩
٦٠ - حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم ٥٩١
٦١ - مسألة تقديم المضطر الميتة أو مال الغير ٥٩٤

* * *

مطابع دار الصحيفة ت / ٠١٢٣٢٢٥٨٨١ تليفاكس / ٢٩٧٨٤٧٤

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة من آية «١٧٧» حتى آية «٢٨٦»

الجزء الثالث

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

البر – آتى – البأساء والضراء – حين البأس ؟

ج :

الكلمة	معناها
البر	اسم جامع لكل أفعال الخير
آتى	أعطى
البأساء والضراء	حال البؤس والفقر[1]
حين البأس	عند مواطن القتال[2]

(١) أخرج الطبري (٢٥٤٢) بإسناد حسن عن قتادة قال : كنا نحدَّث أن البأساء : البؤس والفقر ، وأن الضراء : السُّقم ، وقد قال النبي أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، وأخرج الطبري أيضًا بإسناده إلى =

= الضحاك بن مزاحم (٢٥٤٧) قال : أما البأساء الفقر ، والضراء المرض ، وقبله أخرج الطبري (٢٥٣٩) من طرق عن السدي عن مرة عن ابن مسعود إنه قال : أما البأساء فالفقر ، وأما الضراء السقم .

قال الطبري رحمه الله : وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في ذلك فقال بعضهم : (البأساء والضراء) ، مصدر جاء على (فعلاء) ليس له (أفعل) ، لأنه اسم ، كما قد جاء (أفعل) في الأسماء ليس له (فعلاء) ، نحو (أحمد). وقد قالوا في الصفة (أفعل)، و لم يجيء له (فعلاء) ، فقالوا : (أنت من ذلك أوْجل) ، و لم يقولوا : (وجلاء) .

وقال بعضهم : هو اسم للفعل . فإن (البأساء) البؤس ، (والضراء) الضر . وهو اسم يقع إن شئت لمؤنث ، وإن شئت لمذكر ، كما قال زهير :

فتنتج لكم غلمان أَشْأَمَ ، كلهم كأحمر عادٍ ، ثم ترضع فتفطم[1]

يعني : فتنتج لكم غلمان شؤم .

وقال بعضهم : لو كان ذلك اسمًا يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث ، لجاز إجراء (أفعل) في النكرة ، ولكنه اسم قام مقام المصدر . والدليل على ذلك قوله : (لئن طلبت نصرتهم لتجدنهم غير أبعد)[2] ، بغير إجراء . وقال : إنما كان اسمًا للمصدر ، لأنه إذا ذكر علم أنه يراد به المصدر .

وقال غيره : لو كان ذلك مصدرًا فوقع بتأنيث لم يقع بتذكير ، ولو وقع بتذكير لم يقع بتأنيث . لأن من سُمي بـ (أفعل) لم يصرف إلى (فُعلى) ، ومن سمي بـ (فعلى) لم يصرف إلى (أفعل) ، لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره ، ولكنهما لغتان . فإذا وقع بالتذكير كان =

---

(١) قال أحمد شاكر رحمه الله : ديوانه : ٢٠ ، من معلقته الفريدة . وهي من أبياته في صفة الحرب ، التي قال في بدئها ، قبل هذا البيت :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة ، وتضرَ ، إذا ضَرَّيتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلقح كشافًا ، ثم تنتج فتتئم

يقول : إن الحرب تلقح كما تلقح الناقة ، فتأتي بتوأمين في بطن وقوله : (أحمر عاد) يعني : أحمر ثمود ، فأخطأ و لم يبال أيهما قال . وأحمر ثمود ، هو قدار ، عاقر ناقة الله فأهلكهم ربهم بما فعلوا . يقول : إن الحرب ترضع مشائيمها تقوم عليهم حتى تفطمهم بعد أن يبلغوا السعي لأنفسهم في الشر .

(٢) يقال : (فلان غير أبعد) ، أي : لا خير فيه . ويقال : (ما عند فلان أبعد) أي : لا طائل عنده . قال رجل لابنه : (إن غدوت على المربد ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد) ، أي : بغير منفعة .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : أن المراد : ليس البر الصلاة وحدها (فهي المعنية بقوله تعالى : ﴿ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧]) ، ولكن إضافة إلى الصلاة الإيمان بالله واليوم الآخر ... إلى آخر الآية .

فإن قيل : إن الصلاة قد ذُكِرت في قوله تعالى : ﴿ ... وأقام

= بأمر (أشأم) ، وإذا وقع (البأساء والضراء) ، وقع : الخلة البأساء ، والخلة الضراء . وإن كان لم يُبن على (الضراء) ، (الأضر) ، ولا على (الأشأم) ، (الشأماء) . لأنه لم يُرِدْ من تأنيثه التذكير ، ولا من تذكيره التأنيث ، كما قالوا : (امرأة حسناء) ، ولم يقولوا : (رجل أحسن) . وقالوا : (رجل أمرد) ، ولم يقولوا : (امرأة مرداء) . فإذا قيل : (الخصلة الضراء) و (الأمر الأشأم)، دل على المصدر ، ولم يحتج إلى أن يكون اسمًا ، وإن كان قد كفى من المصدر .

وهذا قول مخالفٌ تأويل من ذكرنا تأويله من أهل العلم في تأويل (البأساء والضراء) ، وإن كان صحيحًا على مذهب العربية . وذلك أن أهل التأويل تأولوا (البأساء) بمعنى : البؤس ، (والضراء) بمعنى : الضر في الجسد . وذلك من تأويلهم مبني على أنهم وجهوا (البأساء والضراء) ، إلى أسماء الأفعال ، دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذي هو أولى بـ (البأساء والضراء) ، على قول أهل التأويل ، أن تكون (البأساء والضراء) أسماء أفعال ، فتكون (البأساء) اسمًا (للبؤس) ، و (الضراء) اسمًا (للضر) .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٥٥١) قوله : (وحين البأس) أي : عند مواطن القتال .

وكذا أخرجه الطبري (٢٥٥٥) بإسناده إلى الضحاك بن مزاحم (وحين البأس) قال : القتال . قلت : ويؤيد كون البأس هو القتال قوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٨] .

الصلاة ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فيجاب على هذا بأن المراد بقوله : ﴿ وأقام الصلاة ﴾ : حافظ عليها وداوم كما قدمنا في أوائل البقرة .

والثاني [١] : أن الآية يُراد بها اليهود والنصارى ، فاليهود يولون وجوههم قبل المغرب والنصارى يولون وجوهم قبل المشرق ، وكلٌّ منهم يزعم أنه على خير مع كفره برسالة محمد ﷺ وتركهم الإيمان فلهم يوَّجه الخطاب ، وقد ورد في ذلك سبب نزول ضعيف[٢] أخرجه الطبري عن قتادة ، وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى هذا الرأي فقال : وأولى هذين القولين بتأويل الآية : القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس[٣] أن يكون عنى بقوله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧] اليهود والنصارى ، لأن الآيات قبلها مضت

---

(١) وثمَّ قول آخر انظره في السؤال التالي لهذا إن شاء الله .

(٢) أخرجه الطبري (٢٥١٩) بإسناد حسنٍ عن قتادة قوله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] ذُكر أن رجلًا سأل نبي الله ﷺ عن البر فأنزل الله هذه الآية ، وذكر لنا أن نبيَ الله ﷺ دعا الرجل فتلاها عليه ، وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرجى له ويطمع له في خير فأنزل الله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧] – وكانت اليهود توجَّهت قِبل المغرب والنصارى قِبل المشرق – ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية .

(٣) قول الربيع بن أنس هو : كانت اليهود تُصلِّي قِبَل المغرب والنصارى قبل المشرق فنزلت : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقد أخرجه الطبري (٢٥٢٠) وهو ضعيف من وجوه منها أنه مرسل ، ومنها أن في إسناده المثنى (وهو ابن إبراهيم الآملي) ولم أقف له على ترجمة .

بتوبيخهم ولومهم ، والخبر عنهم وعما أُعدَّ لهم من أليم العذاب ، وهذا في سياق ما قبلها إذ كان الأمر كذلك (ليس البر) أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب ، ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، الآية .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** وأما الكلام على تفسير الآية فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولًا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حوَّلهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ، ولهذا قال : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ، كما قال في الأضاحي والهدايا : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج :٣٧] .

✸ ✸ ✸

س : هل من البر التوجه في صلاتنا نحو الكعبة ؟ وإذا كان ذلك من البر فكيف يُقال : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : نعم من البر أن يتجه الشخص في صلاته نحو الكعبة فقد قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم » . الحديث ، ومن المعلوم أن من صلى الفريضة إلى غير القبلة من غير عذر في غير سفر فصلاته باطلة .

أما قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم ﴾ [البقرة : ١٧٧] فمعناه – والله أعلم – : ليس ذلك هو البر إذا لم يكن عن طاعة الله ورسوله ،

فتوليتنا وجوهنا قبل المشرق والمغرب إذا لم يكن عن طاعة الله ورسوله فليس ذلك من البر ، والبر إنما هو طاعتنا لله في ذلك ، فلو أمرنا أن نتوجه إلى أي مكان فتوجَّهْنا إليه كان توجُّهنا إليه برٌّ لما فيه من طاعة الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اصطلاح (البر) أحيانًا يأتي بمعنى عام وأحيانًا يأتي بمعنى خاص ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك : أن البر جاء كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق » ، وأحيانًا يأتي بمعنى عام كما في الآية الكريمة ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية .

وقد نقل ابن كثير رحمه الله تعالى عن سفيان الثوري قوله : ﴿ ولكن البر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ، قال : هذه أنواع البر كلها .

وقال بعض أهل العلم[1] : إن لفظ البر إذا أطلق في الكتاب والسنة صار مرادفًا لمسمى الدين ولمسمى الإيمان ولمسمى التقوى ، وعطف التقوى على البر في قوله عز وجل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ليس من باب العطف بين المتغايرين بل من باب العطف بين المترادفين ، كما في قول نوح عليه السلام : ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [نوح : ٣] فكل عبادة لله عز وجل وكل تقوى لله عز وجل وكل طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ هي من البر ، وكل عمل صالح يمكن أن يوصف بأنه البر ..

❋ ❋ ❋

س : البر والتقوى أحيانًا يجتمعان في المعنى وأحيانًا يفترقان ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه : أن البر إذا اقترن بالتقوى في آيةٍ واحدة يكون للبر معنى

---

(١) قائل ذلك الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره .

وللتقوى معنًى آخر ، وإذا انفصل عنها فجاء مستقلًّا في السياق دخل فيه معنى التقوى ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ، فالبر هنا يشمل أعمال الخير والطاعات ، والتقوى[1] اتقاء المحاذير واجتناب المنهيات التي نهى الله عز وجل عنها .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فدخلت التقوى في معنى البر ، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ﴿ البر ﴾ عملٍ من الأعمال ، وقد قال تعالى : ﴿ ولكن البر مَنْ آمن .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] فَفُسِّر البر بقوله تعالى : ﴿ مَنْ آمن ﴾ [البقرة : ١٧٧] فكيف يُفَسَّرُ البر (وهو عمل أي : فعل)[2] باسم وهو قوله : ﴿ مَنْ آمن ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : في الآية – والله أعلم – مقدر محذوف ، والمعنى : ولكن البرَّ برُّ مَنْ آمن ، فالمحذوف هو (برُّ) ، وقد أطال الطبري رحمه الله تعالى في تقرير ذلك فقال : فإن قال قائل : فكيف قيل : ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقد علمت أن (البر) فعل ، و (مَنْ) اسم ، فكيف يكون الفعل هو الإنسان ؟

---

(١) بيد أن بعض العلماء قال : إن ذكر التقوى مع البر في قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] من باب العطف بين المترادفين كما في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] .

(٢) لا نعني بالفعل (فعل ماض أو مضارع أو أمر) وإنما عنينا به العمل كما يقال الفعل الفلاني أي : العمل الفلاني .

قيل : إن معنى ذلك غير ما توهمته ، وإنما معناه : ولكنَّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر ، فوضع (مَنْ) موضع الفعل ، اكتفاءً بدلالته ، ودلالة صلته التي هي له صفةٌ ، مِنْ الفعل المحذوف ، كما تفعله العرب ، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التي هي بها مشهورة ، فنقول : (الجود حاتم ، والشجاعة عنترة) ، و (إنما الجود حاتم والشجاعة عنترة) ، ومعناها : الجودُ جود حاتم ، فتستغني بذكر (حاتم) إذ كان معروفًا بالجود ، من إعادة ذكر (الجود) بعد الذي قد ذكرته ، فتضعه موضع (جوده) ، لدلالة الكلام على ما حذفته ، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره . كما قيل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، والمعنى : أهل القرية ، وكما قال الشاعر ، وهو ذو الخرق الطهوي :

حسبت بغام راحلتي عناقًا ! وما هي ، ويب غيرك بالعناق

يريد : بغام عناق ، أو صوت [عناق] ، كما يقال : (حسبت صياحي أخاك) ، يعني به : حسبت صِياحي صياح أخيك .

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام : ولكن البار من آمن بالله ، فيكون (البر) مصدرًا وُضع موضعَ الاسم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإيمان بالملائكة (اذكر ذلك باختصار) ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – التصديق بهم وبوجودهم والأعمال الموكولة إليهم فمنهم رسل الله إلى أنبيائه ، ومنهم من يلتمسون مجالس الذكر ، ومنهم الخزنة (خزنة الجنة وخزنة جهنم) ، ومنهم الحفظة ، ومنهم الكتبة الكرام ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من ينفخ في الصور ، ومنهم من ينقلون صلاتنا على رسول الله ﷺ إليه ، ومنهم من يشهدون الصلوات ، ومنهم المقاتلون في

سبيل الله ، ومنهم ....

وكلهم عبادٌ لله ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، و ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ [الأنبياء :١٩] ، وكلهم ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

* * *

س : أركان الإيمان ستة ذكرت في حديث لرسول الله ﷺ ، وذكرت في هذه الآية الكريمة ﴿ ليس البر أن تولوا ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وضح ذلك ؟

ج : أركان الإيمان هي :

الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .

وقد جاء ذلك في حديث عمر رضي الله عنه الذي ذكر فيه مجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... فسأل رسول الله ﷺ عن أمور منها : الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ...»[1] .

أما ذكر هذه الأركان في الآية الكريمة ﴿ ليس البر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فهي قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، والسادسة وهي : الإيمان بالقدر داخلة في قوله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ .. والكتاب والنبيين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : عموم الكتب المنزلة من عند الله

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (حديث رقم ٨) .

سبحانه وتعالى ، فيدخل فيها القرآن ، والتوراة والإنجيل والصحف الأولى والزبور .. إلى غير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه .

* * *

س : إيتاء المال على حبه من جميل القربات ، اذكر بعض الآيات التي تحث على ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] .

* * *

س : هل في المال حق سوى الزكاة ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أنه ليس في المال حق سوى الزكاة ، وأن ما ذُكر في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن ... وآتى المال .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] محمول على الزكاة أو على التطوع المختار[1] .

---

(١) نقل ذلك عنهم غير واحد ، منهم الماوردي (النكت والعيون ١/٢٢٦) .

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن في المال حق سوى الزكاة كفداء الأسارى مثلًا ونحو ذلك ، واستدلوا بحديث فيه ضعف وهو حديث « إن في المال حقًّا سوى الزكاة »[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – مع محبته له ، أي : فهو (أي : المنفق) يحب المال حبًّا شديدًا ، ومع هذا الحب الشديد له فهو ينفق منه ، كما قال تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وقد أضاف بعض العلماء في تفسير قوله : ﴿ على حبه ﴾[2] [البقرة : ١٧٧] الشح والحرص فأخرج الطبري (٢٥٢١ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٣ ، ٢٥٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] قال : وأنت صحيح (وفي رواية : وأنت صحيح شحيح ، وفي أخرى : حريص شحيح) تأمل العيش وتخشى الفقر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالقربى في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أقارب مؤدِّي المال .

---

(١) وهو حديث ضعيف فقد أخرجه الترمذي (حديث ٦٥٩ ، ٦٦٠) عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس مرفوعًا من طريق أبي حمزة (وهو ميمون الأعور) – وهو ضعيف – وقال الترمذي رحمه الله : هذا حديث ليس إسناده بذاك ، وأبو حمزة ميمون الأعور يُضعَّف ، وروى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله ، وهذا أصح . (يعني : أنه من قول الشعبي) .

(٢) أي : أضافوا على (محبته) .

س : هل الإنفاق على ذي القربى الفقراء فيه فضل عن الإنفاق على غيرهم من الفقراء ؟

ج : نعم ، إذا كانوا أهل حاجةٍ ففي الإنفاق عليهم فضل عن الإنفاق على غيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ..... ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقال تعالى : ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ [البلد : ١٥] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة » .

هذا وقد جعل الله سبحانه لذوي القربى حقًّا ، فقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

* * *

س : من المراد بـ ﴿ اليتامى ﴾ ؟

ج : هم من مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب ، والله أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث « لا يُتْمَ بعد احتلام » ؟

ج : ورد هذا الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ ، منها حديث علي رضي الله عنه وحديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وفي كلها ضعف[1] .

---

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (٦/٤١٦) ، وسنن البيهقي (٧/٣٢٠ و٤٦١) ، وعلل الدارقطني (٤/١٤٢) ، وابن عدي في الكامل (١/٣٦٢) ، (٢/٤٤٧) ، (٧/٢٦١) ، وأبو داود (٢٨٧٣) ، وكشف الأستار (٢/١٠١ - ١٣٦) .

وأخرجه الطبراني بإسنادٍ[1] ظاهره السلامة من طريق سلم بن قتيبة عن ذيال بن عبيد قال : سمعت جدي حنظلة يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا يتم بعد احتلام ولا يتم على جارية إذا هي حاضت » .

وقد صح موقوفًا على عبد الله[1] بن عباس ، قال : ... وأما الصبي فينقطع عنه اليتم إذا احتلم .

❋ ❋ ❋

س : هل اليتيم مصرف من مصارف زكاة المال ؟

جـ : اليتيم ليس مصرفًا من مصارف زكاة المال إلا إذا كان فقيرًا فحينئذ يُعطى من زكاة المال (لا لكونه يتيمًا) ولكن لفقره .

أما كونه يعطى من صدقة التطوع للصلة ، فالذي يظهر لي أن هذا جائز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالمساكين ؟

ج : هم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قُوتِهم وكسوتهم وسكناهم[3] .

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : (والمساكين) يعني الذين لا يسألون ، (والسائلين) يعني الذين كشفوا وجوههم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤/٤) .
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤/١ - ٢٩٤ - ٣٠٨) .
(٣) فهؤلاء يُعطون من المال ما تسدُّ به حاجتهم .

س : هل السائل الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان يُعدُّ مسكينًا ؟ وكيف توجِّه حديث رسول الله ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ... » الحديث ، ومن الذي أخرج حديث : ليس المسكين ... ؟

ج : الذي أخرج الحديث هو البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس تَردُّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس[1] » .

● والسائل الذي ترده اللقمة واللقمتان مسكينٌ وحديث رسول الله ﷺ : « ليس المسكين الذي تردُّه اللقمة واللقمتان ... » معناه – والله أعلم – : ليس المسكين كامل المسكنة هو من تردُّه اللقمة واللقمتان وإنما هناك مسكين أشد من هذا المسكين وهو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ (ابن السبيل) في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : السبيل هو الطريق ، وابن السبيل هو المسافر الذي انتهت النفقة التي معه ولا يستطيع الرجوع إلى بلده فيعطى ما يوصله إلى بلده[2] .

وزاد الحافظ ابن كثير فقال : (وكذا الذي يريد سفرًا في طاعة فيُعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٩) ومسلم (حديث ١٠٣٩) .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد تحرير في براءة إن شاء الله .

وقد قال بعض أهل العلم : إن المراد بابن السبيل هنا الضيف ، فقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : (وابن السبيل) هو الضيف[1] ، قال : قد ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت » ، قال : وكان يقول : « حق الضيافة ثلاث ليال فكل شيء أضافه بعد ذلك صدقة » .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ (السائلين) في قوله تعالى : ﴿ والسائلين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : السائلون هم الذين يسألون الناس ويتعرضون للطلب منهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « للسائل حق وإن جاء على فرس » ؟

ج : ضعيف ، فقد أخرجه أبو داود[2] وأحمد وأبو يعلى والبيهقي

---

(١) وهذا إسناد حسن عن قتادة ، أما قوله : قد ذُكر لنا ، فهو مرسل ، لكن قد أخرجه مسلم متصلًا .

● قال ابن سعدي رحمه الله : (وابن السبيل) وهو الغريب المنقطع به في غير بلده ، فحث الله عباده على إعطائه من المال ما يعينه على سفره لكونه مظنة الحاجة وكثرة المصارف فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوَّله من نعمته أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة ، على حسب استطاعته ، ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ١٦٦٥) ، وأحمد « المسند » (٢٠١/١) ، والبيهقي « السنن الكبرى » (٢٣/٧) ، وأبو يعلى في « المهند » (١٥٤/١٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٣١/٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٩/٨) ، وأيضًا ابن أبي شيبة في « المصنف » (١١٣/٣) ، وغيرهم من الطريق المشار إليه .

والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وغيرهم من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا : وفي إسناده يعلى بن أبي يحيى وهو مجهول ، كما قال الذهبي رحمه الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وفي الرقاب ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : أي : وفي فك الرقاب وتحريرها من العبودية ، وكذلك في الأداء عن المكاتب[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات التي تحث على الوفاء بالوعد ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة : ١] .

قوله تعالى : ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ [الرعد : ٢٠] .

قوله عز وجل : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [النحل : ٩١] .

---

(١) أي : العبد الذي اتفق مع سيده على أن يعتقه مقابل بعض المال يعطيه العبد للسيد وكتبا بذلك كتابًا ، فيسمى العبد حينئذ : مكاتبًا ، ويساعد ببعض المال ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [النور : ٣٣] .
وقول النبي ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم ... والمكاتب يريد الأداء .. » .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ [البقرة :١٧٧]، من آمن بالله واليوم الآخر ، ونعتهم النعت الذي نعتهم به في هذه الآية . يقول : فمن فعل هذه الأشياء ، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم – لا من ولى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله في أمره ، وينقض عهده وميثاقه ، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه ، ويكذب رسله .

وأما قوله : ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة :١٧٧] ، فإنه يعني : وأولئك الذين اتقوا عقاب الله ، فتجنبوا عصيانه ، وحذروا وعده ، فلم يتعدوا حدوده ، وخافوه ، فقاموا بأداء فرائضه .

وقال الماوردي في تفسيره

﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] فيه وجهان :

أحدهما : أن تخالف سرائرهم لعلانيتهم

والثاني : أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم

قلت (مصطفى) : **يعني أنهم اتقوا مخالفة سرائرهم لعلانيتهم أي :** أنهم حرصوا على أن يوافق ظاهرهم باطنهم

والثاني : أنهم اتقوا ثناء الناس عليهم بما ليس فيهم ، فحرصوا على العمل فإن أثنى عليهم الناس كان ثناء الناس متوافقًا مع أعمالهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ
بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ
يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

س : اذكر معنى مايلي : كُتب ــ القصاص ــ القتلى ــ اتباع بالمعروف ــ أداء إليه بإحسان ــ حياة ــ يا أولي الألباب ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
كُتب	فُرض[1]
القصاص	معاقبة الجاني بمثل ما صنع (فإن قتل قُتل ، وإن جَرَح جُرح ، وإن كَسر كُسر)
القتلى	جمع قتيل
اتباع بالمعروف	أي : على أولياء المقتول أن يطالبوا بالدِّية بالمعروف (في حالة رضاهم بقبول الدِّية)
أداء إليه بإحسان	على القاتل أن يؤدي الدِّية بالإحسان إلى أولياء المقتول
حياة	بقاء
يا أولي الألباب	يا أصحاب العقول

(١) قال الطبري رحمه الله : =

= فإن قال قائل : = إذ ذكرت أن معنى قوله : ﴿ كُتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] – بمعنى : فرض عليكم القصاص = : لا يعرف لقول القائل : ﴿ كتب ﴾ معنًى = إلا معنى : خط ذلك ، فرسم خطًّا وكتابًا ، فما برهانك على أن معنى قوله : ﴿ كتب ﴾ فرض ؟

قيل : إن ذلك في كلام العرب موجود ، وفي أشعارهم مستفيض ، ومنه قول الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

وقول نابغة بني جعدة :

يا بنت عمي ، كتاب الله أخرجني عنكم ، فهل أمنعن الله ما فعلا !

وذلك أكثر في أشعارهم وكلامهم من أن يحصى . غير أن ذلك ، وإن كان بمعنى : فرض ، فإنه عندي مأخوذ من « الكتاب » الذي هو رسمٌ وخط . وذلك أن الله تعالى ذكره في القرآن : ﴿ بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ [البروج :٢١ ، ٢٢] ، وقال : ﴿ إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة : ٧٧ ، ٧٨] . فقد تبين بذلك أن كل ما فرضه علينا ، ففي اللوح المحفوظ مكتوب .

فمعنى قوله : – إذا كان ذلك كذلك – ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] : كتب عليكم في اللوح المحفوظ القصاص في القتلى ، فرضًا ، أن تقتلوا بالمقتول غير قاتله .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب القصاص في القتلى أم أن للأولياء العفو وقبول الدية ؟

ج : لا يجب القصاص في القتلى[1] ؛ بل للأولياء العفو أو قبول الدِّية ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨]

وقوله تعالى : ﴿ فمن تَصدَّق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥]

ولقول النبي ﷺ : « ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يُودي وإما أن يقاد »[2] .

* * *

س : أجبتم أن القصاص غير واجب إلا إذا أراد أهل المقتول ذلك ، فكيف يوجَّه قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ومعنى كتب فُرض كما ذكرتم ، ومن المعلوم أن الفرض واجب فعله ؟

ج : هذا الواجب مصروف عن الوجوب بقوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، وبالأدلة التي أوردناها آنفًا .

وهنا وجه آخر للإجابة أيضًا ، وهو أن المعنى بالفرض هنا فرض ترك المجاوزة بالتعدي في القصاص ، فالمعنى فُرض عليكم ألا تتعدوا في القصاص بل القاتل يقتل .

وبنحو هذا الأخير قال الطبري رحمه الله ، فقال رحمة الله عليه :

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] : فُرض عليكم .

---

(١) إلا إذا أراد أهل المقتول ذلك .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٨٠) ، ومسلم (حديث ١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فإن قال قائل : أفرضٌ على ولي القتيل القصاص من قاتل وليه ؟

قيل : لا ، ولكنه مباح له ذلك ، والعفو ، وأخذ الدية .

فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة :١٧٨] ؟

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، أي : أن الحر إذا قتل الحر ، فدم القاتل كفء لدم القتيل ، والقصاص منه دون غيره من الناس ، فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل ، فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غير قاتله والفرض الذي فرض الله علينا في القصاص ، هو ما وصفت من ترك المجاوزة بالقصاص قتل القاتل بقتيله إلى غيره ، لا أنه وجب علينا القصاص فرضًا وجوب فرض الصلاة والصيام ، حتى لا يكون لنا تركه . ولو كان ذلك فرضًا لا يجوز لنا تركه ، لم يكن لقوله : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، معنى مفهوم . لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ .

وقال القرطبي رحمه الله : وليس القصاص بلازمٍ إنما اللازم ألا يتجاوز القصاص وغيره من الحدود إلى الاعتداء ، فأما إذا وقع الرضا بدون القصاص من دِيةٍ أو عفو فذلك مباح على ما يأتي بيانه.

فإن قيل : فإن قوله تعالى : ﴿ كُتب عليكم ﴾ [البقرة : ١٧٨] معناه : فُرض وألزم ، فكيف يكون القصاص غير واجب ؟ قيل له : معناه : إذا أردتم ، فأعلم أن القصاص هو الغاية عند التشاحِّ .

* * *

س : يرى كثير من أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

كُتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] وإن كان ظاهره موجهًا للمؤمنين إلا أن المقصود بالخطاب هم ولاة أمور المسلمين ، فما مدى صحة ذلك ؟

ج : نعم ، هذا صحيح في البلاد التي بها ولاة أمور للمسلمين يقيمون فيهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ويقتصون للمظلوم من الظالم ، ففي مثل هذه البلاد لا يجوز لمن قتل له قتيل أن يقتل القاتل إلا بعد الحكم الشرعي على القاتل بالقتل[1] ، وإلا حدثت الفوضى وعم الفساد ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يُقتل الرجل بالمرأة إذا قتلها ، وهل يقتل الحر بالعبد ؟

ج : نعم ، يقتل الرجل بالمرأة إذا قتلها ، وقد نقل القرطبي الإجماع على هذا[2] .

وأيضًا فالصحيح أن الحر يقتل بالعبد إذا قتله[3] ، وهذا وذاك لعموم قوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] ولحديث رسول الله ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم »[4] .

---

(١) وعلى هذا سارت الأمور على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه .

(٢) قال القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل .

(٣) ولا معنى لتشنيع ابن العربي على قائلي هذا القول واحتجاجه بقوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل ﴾ [الإسراء : ٣٣] قال : والولي ها هنا السيد فكيف يجعل له سلطان على نفسه ؟! كذا قال عفا الله عنه ، وللإجابة عليه يُلزم بأن يقال له إن معنى قولكم أن كل من قتل رجلًا هو له ولي أن لا يقتل به ، وهذا قول بعيد عن الصواب معارض بالآية التي أوردناها في الباب وبالحديث .

(٤) صحيح بمجموع طرقه ، فقد أخرجه أحمد (١٩٢/٢) وأبو داود (حديث ٢٧٥١) وغيرهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ .. ،=

ويشهد لقتل الرجل بالمرأة أيضًا ما أخرجه البخاري[1] ، ومسلم وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أن يهوديًّا قتل جارية على أوضاح لها فقتلها بحجر فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق فقال : أقتلك فلان ؟ فأشارت برأسها أن لا ، ثم قال الثانية فأشارت برأسها أن لا ، ثم سألها الثالثة فأشارت برأسها أن نعم ، فقتله النبي ﷺ بحجرين .

هذا ، وقد ورد في قتل الحر بالعبد أحاديث بين المشروعية والحظر ، وهي لا تخلو من مقال فأضربنا الذكر عنها صفحًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا يُرهب الشخص من قتل غير القاتل ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولكن نلفت النظر إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه البخاري[2] عن النبي ﷺ أنه قال : « أبغضَ الناس إلى الله ثلاثة : مُلحد في الحرم ، ومبتغٍ في الإسلام سُنَّةَ الجاهلية ، ومُطَّلب دم امرىء مسلم بغير حق ليهريق دمه » .

❋ ❋ ❋

س : هل يقتل مسلم بكافر ؟

ج : لا يقتل مسلم بكافر لحديث رسول الله ﷺ «.. وأن لا يقتل مسلم

= وهذا إسناد حسن ، وله شاهد عند أبي داود (حديث ٤٥٣٠) وغيره من طريق قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد عن عليٍّ رضي الله عنه يرتقي به إلى الصحة ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه منها (حديث ٦٨٧٦ ، ٦٨٧٧ ، ٦٨٧٩) ، ومسلم حديث (١٦٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٨٢) .

بكافر »[1] .

قال القرطبي رحمه الله : والجمهور أيضًا على أنه لا يُقتل مسلم بكافر ؛ لقوله ﷺ : « لا يُقتل مسلم بكافر » أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب . و لا يصح لهم ما رووه من حديث ربيعة أن النبي ﷺ قتل يوم خيبر مسلمًا بكافر ؛ لأنه منقطع ، ومن حديث ابن البيلماني وهو ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ مرفوعًا . قال الدارقطني : « لم يسنده غير إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك الحديث . والصواب عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي ﷺ ، وابن البيلماني ضعيف الحديث لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث ، فكيف بما يرسله » .

قلت : فلا يصح في الباب إلا حديث البخاري ، وهو يخصص عموم قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] الآية ، وعموم قوله : ﴿ النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] .

قلت (مصطفى) : وأذكر هنا ما ذكر ابن العربي رحمه الله تعالى وأشار إلى أنه فائدة بقوله :

(فائدة) : ورد علينا بالمسجد الأقصى سنة سبع وثمانين وأربعمائة فقيه من عظماء أصحاب أبي حنيفة يعرف بالزوزني زائرًا للخليل صلوات الله عليه ، فحضرنا في حرم الصخرة المقدسة طهرها الله معه ، وشهد علماء البلد ، فسئل على العادة عن قتل المسلم بالكافر ، فقال : يُقتل به قصاصًا ؛

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٩١٥) من حديث علي رضي الله عنه وقد سأله أبو جحيفة : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ وقال ابن عيينة مرة : ما ليس عند الناس ؟ فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

فطولب بالدليل ، فقال : الدليل عليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] . وهذا عام في كل قتيل .

فانتدب معه للكلام فقيه الشافعية بها وإمامهم عطاء المقدسي ، وقال : ما استدل به الشيخ الإمام لا حجة له فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الله سبحانه قال : ﴿ كُتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فشرط المساواة في المجازاة ، ولا مساواة بين المسلم والكافر ؛ فإن الكفر حط منزلته ووضع مرتبته .

الثاني : أن الله سبحانه ربط آخر الآية بأولها ، وجعل بيانها عند تمامها ، فقال : ﴿ كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] فإذا نقص العبد عن الحر بالرق ، وهو من آثار الكفر ، فأحرى وأولى أن ينقص عنه الكافر .

الثالث : أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؛ ولا مؤاخاة بين المسلم والكافر ؛ فدل على عدم دخوله في هذا القول .

فقال الزوزني : بل ذلك دليل صحيح ، وما اعترضت به لا يلزمني منه شيء .

أما قولك : إن الله تعالى شرط المساواة في المجازاة فكذلك أقول . وأما دعواك أن المساواة بين الكافر والمسلم في القصاص غير معروفة فغير صحيح ؛ فإنهما متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص ، وهي حرمة الدم الثابتة على التأبيد ؛ فإن الذمي محقون الدم على التأبيد ، والمسلم محقون الدم على التأبيد ، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام ، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي ؛ وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم ؛ فدل على مساواته لدمه ؛ إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه .

وأما قولك : إن الله تعالى ربط آخر الآية بأولها فغير مسلم ؛ فإن أول الآية عام وآخرها خاص ، وخصوص آخرها لا يمنع من عموم أولها ؛ بل يجري كل على حكمه من عموم أو خصوص .

وأما قولك : إن الحر لا يقتل بالعبد ، فلا أسلم به ؛ بل يقتل به عندي قصاصًا ، فتعلقت بدعوى لا تصح لك .

وأما قولك : فمن عفي له من أخيه شيء ، يعني المسلم ، فكذلك أقول ، ولكن هذا خصوص في العفو ؛ فلا يمنع من عموم ورود القصاص ، فإنهما قضيتان متباينتان ؛ فعموم إحداهما لا يمنع من خصوص الأخرى ، ولا خصوص هذه يناقض عموم تلك . وجرت في ذلك مناظرة عظيمة حصلنا منها فوائد جمة أثبتناها في نزهة الناظر ، وهذا المقدار يكفي هنا منها .

قلت : وكان من اللائق بالإمامين المتحاجين أن يتذكرا حديث رسول الله ﷺ : « لا يقتل مسلم بكافر » ، فقد كان هذا الحديث كافيًا لقطع الجدل بينهما ، ولكن هذا مصير من ابتعد في جدله وحجاجه عن سنة رسول الله ﷺ . قاله مصطفى .

* * *

س : هل يقتل الجماعة بالواحد ؟

ج : قال ذلك فريق من أهل العلم وحملوا الآية الكريمة ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] على أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من كان ، واحتجوا أيضًا بما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قتل سبعة اشتركوا في قتل رجل وقال : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلهم به جميعًا .

بينما تمسك آخرون بقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] وبحديث رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى

ثلاث .. والنفس بالنفس .. » وقالوا : لا يقتل إلا شخص واحد فقط .

قال القرطبي رحمه الله : وقد استدل الإمام أحمد بن حنبل بهذه الآية على قوله : لا تقتل الجماعة بالواحد ، قال : لأن الله سبحانه شرط المساواة ولا مساواة بين الجماعة والواحد . وقد قال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ [البقرة : ١٧٨] . والجواب : أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من كان ؛ ردًّا على العرب التي كانت تريد أن تقتل بمن قتل من لم يقتل ، وتقتل في مقابلة الواحد مائة ؛ افتخارًا واستظهارًا بالجاه والمقدرة ، فأمر الله سبحانه بالعدل والمساواة ، وذلك بأن يقتل من قتل ، وقد قتل عمر رضي الله عنه سبعة برجل بصنعاء وقال : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعًا . وقتل علي رضي الله عنه الحرورية بعبد الله بن خباب ؛ فإنه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا ، فلما ذبحوا عبد الله بن خباب كما تذبح الشاة ، وأخبر علي بذلك قال : الله أكبر ! نادوهم أن أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب ؛ فقالوا : كلنا قتله ، ثلاث مرات ، فقال علي لأصحابه : دونكم القوم ، فما لبث أن قتلهم علي وأصحابه . خرج الحديثين الدارقطني في سننه . وفي الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار » . وقال فيه : حديث غريب . وأيضًا فلو علم الجماعة أنهم إذا قتلوا الواحد لم يقتلوا لتعاون الأعداء على قتل أعدائهم بالاشتراك في قتلهم وبلغوا الأمل من التشفي .

❋ ❋ ❋

س : قد يفهم شخص أن قوله تعالى : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقتضي أن الحر إذا قتل عبدًا لا يقتل به ، وكذلك الرجل إذا قتل امرأة لا يقتل بها ، فكيف تدفعون عن هذا الشخص

مثل هذا الإشكال ؟

ج : الآية الكريمة أفادت أن الحر يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والأنثى تقتل بالأنثى هذا هو ظاهر الآية الكريمة ، ولكنها لم تنف أن الحر يُقتل بالعبد ، أو أن الرجل يقتل بالمرأة ، أما كوننا أثبتنا أن الرجل يقتل بالمرأة أو أن الحر يقتل بالعبد فذلك من أدلة أُخر قدمنا ذكرها .

ومع ذلك لا يمنع أن نوجِّه الآية الكريمة توجيهًا ترتضيه أفئدة الذين يؤمنون بالآخرة وتصغى إليه ، وقد ذكره أهل العلم في تفاسيرهم :

الوجه الأول : قال فريق من أهل العلم : إن الآية نزلت في قوم لا يرضون إذا قُتل العبدُ منهم أن يُقتل قاتله العبد من القبيلة التي تركته ويقولون لا نرض مقابله إلا رجلًا حرًّا أفضل من قاتله .

● وإذا قتلت امرأة من غيرهم امرأة منهم لا يرضون بقتل المرأة القاتلة فقط ولكنهم يقولون نقتل مكانها رجلًا (وهو غير القاتل فالقاتل امرأة) .

●وإذا قتل منهم حرٌّ قالوا لا نرض بأن نقتل قاتله فقط بل لا بد أن نقتل أكثر من قاتله فنزلت الآية فيهم .

وأسباب نزول الآية وإن كانت ضعيفة[1] إلا أنها كأوجهٍ للتفسير تعدُّ أوجهًا مقبولة .

---

(١) منها ما أخرجه الطبري (٢٥٥٨) بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : نزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمِّيَّة فقالوا : نقتل بعبدنا فلان بن فلان ، وبفلانة فلان بن فلان فأنزل الله : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .
قلت (مصطفى) : وهذا مرسل فالشعبي تابعي لم يدرك رسول الله ﷺ .
● ومنها ما أخرجه الطبري أيضًا (٢٥٥٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد =

الوجه الثاني : قال بعض أهل العلم إنها نزلت في قتال عمية ، تقاتل فريقان من الناس رجال ونساءٌ فأمر الله نبيه عز وجل أن يجعل ديات الرجال الأحرار في الرجال الأحرار ، وديات العبيد في العبيد وديات النساء في النساء .

وسبب النزول الوارد في هذا ضعيف أيضًا[1] .

الوجه الثالث : وقال آخرون : إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. ﴾ [المائدة : ٤٥] .

= والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

قال : كان أهل الجاهلية فيهم بغي وطاعةٌ للشيطان ، فكان الحي إذا كان فيهم عدة ومنعة فقتل عبد قومٍ آخرين عبدًا لهم قالوا : لا نقتل به إلا حرًّا تعززًا لفضلهم على غيرهم في أنفسهم ، وإذا قتلت لهم امرأة قتلتها امرأة قوم آخرين قالوا : لا نقتل بها إلا رجلًا ! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم ﴿ أن العبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فنهاهم عن البغي ، ثم أنزل الله تعالى ذكره في سورة المائدة بعد ذلك فقال : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنَّ بالسن والجروح قصاص ﴾ [المائدة : ٤٥]

قلت (مصطفى) : وهذا مرسل أيضًا : قتادة تابعي ومراسيله ضعيفة .

(١) أخرج الطبري (٢٥٦٧) بإسناد صحيح عن الشعبي ، قال في هذه الآية : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : نزلت في قتال عُمية ، قال : كان على عهد النبي ﷺ .

قلت (مصطفى) : وهذا أيضًا مرسل ، وهذا الأثر هو نفسه الذي قدمناه عن الشعبي رحمه الله إلا أن الطبري أورده مرتين المرة الثانية عند ذكره من قال : بل نزلت هذه الآية في فريقين كان بينهم قتال على عهد رسول الله ﷺ فقتل من كلا الفريقين جماعة من الرجال والنساء فأمر النبي ﷺ أن يُصلح بينهم بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصًا بديات النساء من الفريق الآخر ، وديات الرجال بالرجال ، وديات العبيد بالعبيد فذلك معنى قوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

الوجه الرابع : أن ذلك في الديات فالحر ديته دية حر ، والعبد ديته دية عبد ، والأنثى ديتها دية أنثى ، فإذا قتل حرٌّ عبدًا وأراد أهل العبد أن يقتلوا الحر نظروا إلى دية العبد كم هي ؟ وإلى دية الحر كم هي ثم أعطوا لأهل الحر فرق الدية وقتلوا الحر مكان العبد ، وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة إذا قتلها رجل يُعطي أهل القاتل فرق الدية ثم يُقتل القاتل .

وقد وردت بذلك آثار عن عليٍّ رضي الله عنه عند الطبري لكنها ضعيفة الإسناد إليه رضي الله عنه

لكن قد صح هذا القول عن الحسن البصري ، فأخرج الطبري بإسناد صحيح عن الحسن قال : لا يقتل الرجل بالمرأة حتى يعطوا نصف الدِّية .

وهذا القول الأخير من أفسد الأقوال لأمور ، منها أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ومنها أن النبي ﷺ أمر بقتل اليهودي الذي قتل المرأة ولم يعط أولياءه باقي الدِّية .

● **وقد رد الطبري** هذا القول الأخير ردًّا شديدًا فقال :

فإذ كان مختلفًا الاختلاف الذي وصفت ، فيما نزلت فيه هذه الآية ، فالواجب علينا استعمالها ، فيما دلت عليه من الحكم ، بالخبر القاطع العذر . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بالنقل العام : أن نفس الرجل الحر قودٌ قصاصًا بنفس المرأة الحرة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأمة مختلفة في التراجع بفضل ما بين دية الرجل والمرأة – على ما قد بينا من قول علي وغيره – كان واضحًا فساد قول من قال بالقصاص في ذلك والتراجع بفضل ما بين الديتين ، بإجماع جميع أهل الإسلام : على أن حرامًا على الرجل أن يتلف من جسده عضوًا بعوض يأخذه على إتلافه ، فدع جميعه – وعلى أن حرامًا على غيره إتلاف شيء منه – مثل الذي حرم من ذلك – بعوض يعطيه عليه فالواجب أن تكون نفس الرجل الحر بنفس المرأة الحرة قودًا .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان بينًا بذلك أنه لم يرد بقوله تعالى ذكره : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] أن لا يقاد العبد بالحر ، وأن لا تقتل الأنثى بالذكر ولا الذكر بالأنثى . وإذ كان ذلك كذلك ، كان بينًا أن الآية معنيٌّ بها أحد المعنيين الآخرين . إما قولنا : من أن لا يتعدى بالقصاص إلى غير القاتل والجاني ، فيؤخذ بالأنثى الذكر وبالعبد الحر . وإما القول الآخر : وهو أن تكون الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة أمر النبي ﷺ أن يجعل ديات قتلاهم قصاصًا بعضها من بعض ، كما قاله السدي ومن ذكرنا قوله .

وقد أجمع الجميع – لا خلاف بينهم – على أن المقاصة في الحقوق غير واجبة ، وأجمعوا على أن الله لم يقض في ذلك قضاء ثم نسخه . وإذ كان كذلك ، وكان قوله تعالى ذكره : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ ينبىء عن أنه فرض ، كان معلومًا أن القول خلاف ما قاله قائل هذه المقالة . لأن ما كان فرضًا على أهل الحقوق أن يفعلوه ، فلا خيار لهم فيه . والجميع مجمعون على أن لأهل الحقوق الخيار في مقاصتهم جقوقهم بعضها من بعض . فإذا تبين فساد هذا الوجه الذي ذكرنا ، فالصحيح من القول في ذلك هو ما قلنا .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن القاتل الذي عفا عنه أولياء المقتول وتركوا قتله قصاصًا ورضوا منه بالدِّية عليه أن يؤدي الدِّية إليهم بإحسان وعليهم هم الآخرون أن يطالبوه بما عليه من الدِّية بالمعروف ، والله تعالى أعلم .

وبهذا جاءت الآثار عن بعض الصحابة والتابعين :

● فقد صح عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] فالعفو أن يقبل الدِّية في العمد ،﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ أن يطلب هذا بمعروف ويؤدي هذا بإحسان ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال : الذي يقبل الدِّية ذلك منه عفو واتباع بالمعروف ويؤدي إليه الذي عُفي له من أخيه بإحسان .

● وصح عن الشعبي[2] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : هو العمد يرضى أهله بالدية .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن[3] عن قتادة قال : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقول : قتل عمدًا فعفي عنه ، وقبلت منه الدِّية ، يقول : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ فأمر المتبع أن يتبع بالمعروف ، وأمر المؤدي أن يؤدي بإحسان ، والعمد قودٌ إليه قصاص لا عَقل[4] فيه إلا أن يرضوا بالدية فإن رضوا بالدية فمئة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥٧٣) بإسناد صحيح عن ابن عباس ، والرواية الأخرى (عند الطبري ٢٥٧٥) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٥٨١) .

فائدة : إذا عفى أحد الورثة عن القاتل سقط حق سائر الورثة في القصاص ، ولكن يثبت لهم حقهم في الدِّية ، ومن هنا قال بعض أهل العلم : إن تنكير (شيء) في قوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة والله تعالى أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (أثر ٢٥٨٣) .

(٤) العقل : الدية سميت عقلًا لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلًا ؛ لأنها كانت أموالهم ، فكان القاتل يسوق الدِّية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه . شاكر .

خَلِفَة[1] فإن قالوا لا نرضى إلا بكذا وكذا فذاك لهم . .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : ﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : أنت أيها المعفوُّ عنه[2] .

● **وقال الطبري رحمه الله** : وأولى الأقوال عندي بالصواب في قوله : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] : فمن صُفح له – من الواجب كان لأخيه عليه من القود – عن شيء من الواجب ، على دية يأخذها منه ، فاتباع بالمعروف – من العافي عن الدم ، الراضي بالدية من دم وليه – وأداء إليه – من القاتل – ذلك بإحسان . لما قد بينا من العلل فيما مضى قبل : من أن معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، إنما هو القصاص من النفوس القاتلة أو الجارحة أو الشاجة عمدًا . كذلك (العفو) أيضًا عن ذلك .

وأما معنى قوله : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فإنه يعني : فاتباع على ما أوجبه الله له من الحق قبل قاتل وليه ، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه – في أسنان الفرائض أو غير ذلك – أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه ، كماحدثني بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال : بلغنا عن نبي الله ﷺ أنه قال : « من زاد أو ازداد بعيرًا – يعني في إبل الديات وفرائضها – فمن أمر الجاهلية »[3] .

وأما إحسان الآخر في الأداء ، فهو أداء ما لزمه بقتله لولي القتيل ، على

---

(١) الخلفة : الحامل من الإبل .

(٢) الطبري أثر (٢٥٨٩) .

(٣) هذا مرسل من مراسيل قتادة ، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل .

ما ألزمه الله وأوجبه عليه ، من غير أن يبخسه حقًّا له قبله بسبب ذلك ، أو يحوجه إلى اقتضاء ومطالبة .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قيل : ﴿ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، ولم يقل فاتباعًا .. وأداءً ؟

ج : رُفع ﴿ اتباعٌ ﴾ و ﴿ أداءٌ ﴾ على تقدير فمن عُفي له من أخيه شيء فالذي يلزم هو اتباع بمعروف وأداءٌ ..

وقدْ أورد الطبري رحمه الله تعالى نحو هذا السؤال فقال :

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿ فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ ، ولم يقل فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان ، كما قال : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ [محمد : ٤] ؟

قيل : لو كان التنزيل جاء بالنصب ، وكان : فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان – كان جائزًا في العربية صحيحًا ، على وجه الأمر ، كما يقال : (ضربًا ضربًا ، وإذا لقيت فلانًا فتبجيلًا وتعظيمًا) ، غير أنه جاء رفعًا ، وهو أفصح في كلام العرب من نصبه . وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرًا له ، مما يكون فرضًا عامًّا – فيمن قد فعل ، وفيمن لم يفعل إذا فعل – لا ندبًا وحثًّا . ورفعه على معنى : فمن عفي له من أخيه شيء ، فالأمر فيه : اتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ، أو فالقضاء والحكم فيه : اتباع بالمعروف .

وقد قال بعض أهل العربية : رفع ذلك على معنى : فمن عفي له من أخيه شيء ، فعليه اتباعٌ بالمعروف . وهذا مذهب ، والأول الذي قلناه هو وجه الكلام . وكذلك كل ما كان من نظائر ذلك في القرآن ، فإن رفعه

على الوجه الذي قلناه . وذلك مثل قوله : ﴿ ومن قتله منكم متعمدًا فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وقوله : ﴿ فإمساك بمعروفٍ أو تسريح بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] . وأما قوله : ﴿ فضرب الرقاب ﴾ [محمد : ٤] ، فإن الصواب فيه النصب ، وهو وجه الكلام ، لأنه على وجه الحث من الله تعالى ذكره عباده على القتل عند لقاء العدو ، كما يقال : (إذا لقيتم العدو فتكبيرًا وتهليلًا) ، على وجه الحض على التكبير ، لا على وجه الإيجاب والإلزام .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء .. ﴾ [البقرة : ١٧٨] دليل على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ، وضح ذلك ؟ واذكر دليلًا آخر على ذلك ؟

ج : إيضاحه أن القاتل مع أنه قتل لم يُخرجه الله سبحانه من دائرة المسلمين بل وصفه الله سبحانه بأنه أخٌ لأولياء المقتول فقال : ﴿ فمن عفي له من أخيه ﴾ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [الحجرات : ٩] فسماهم الله مؤمنين رغم اقتتالهما ، وقال الله تعالى أيضًا : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم .. ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٧٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : يرجع إلى ما أبيح من العفو عن القاتل مقابل الدية ، فالمعنى ذلك

الذي شرعناه لكم من أداء الدِّية وقبولها في حالة رضى أولياء المقتول نوع من التخفيف خففناه عليكم ورحمة رحمناكم بها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا طلب أولياء المقتول الدِّية وأبى القاتل فقال اقتلوني أو اعفوا عني فهل يجب عليه أن يدفع الدِّية ويلزم بذلك ؟

ج : نعم رأى ذلك فريق كبير من أهل العلم أنه يلزم بالدِّية وذلك لحديث رسول الله ﷺ : « من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين إن أحب أخذ العقل[1] وإن أحب فله القود[2] » .

وأيضًا فهذا القاتل ليس له أن يقتل نفسه ما دام في وسعه إحياؤها فقد قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] .

ومن أهل العلم من رأى أنه ليس لولي المقتول إلا القصاص ولا يأخذ الدِّية إلا إذا رضي القاتل ، قال القرطبي رحمه الله : رواه[3] ابن القاسم عن مالك وهو المشهور عنه ، وبه قال الثوري والكوفيون ، واحتجوا بحديث أنس[4] في قصة الرُّبيع حين كسرت ثنية المرأة رواه الأئمة ، قالوا : فلما حكم رسول الله ﷺ بالقصاص وقال : « القصاص كتاب الله القصاص

---

(١) العقل هو الدِّية .

(٢) القود هو القصاص ، والحديث صحيح وقد تقدم .

(٣) أي : روى هذا القول .

(٤) أخرج البخاري حديث (٢٧٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه أن الرُّبيع وهي ابنة النضر – كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو ، فأبوا فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر : أتكسر ثنية الرُّبيع يا رسول الله ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال « يا أنس كتاب الله القصاص » ، فرضي القوم وعفوا ، فقال النبي ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه » .

كتاب الله » ولم يخير المجني عليه بين القصاص والدِّية ثبت بذلك أن الذي يجب بكتاب الله وسنة رسوله في العمد هو القصاص ، والأول أصح لحديث أبي شريح[1] المذكور قلت : ووجه الدلالة من حديث : « القصاص كتاب الله ... » ضعيف وذلك لأن رغبة أهل المرأة التي كسرت الرُّبيع ثنيتها كانوا يريدون القصاص فرسول الله ﷺ ألزم أهل الرُّبيع بالقصاص حسب رغبة أهل المجني عليها ، ثم إن أهل المجني عليها رضوا بالأرش (أي بالدِّية) فدل ذلك على أن أهل الرُّبيع كانوا يعرضون الدِّية إلا أن أهل المجني عليها كانوا يرفضونها أولًا فقول رسول الله ﷺ : « القصاص كتاب الله » قول حق فالله أمر بالقصاص في حالة رغبة أولياء المقتول في القصاص ، والله أعلم .

* * *

س : هل كانت الدِّية في بني إسرائيل ؟

ج : ذهب كثير من أهل العلم إلى أن بني اسرائيل لم تكن فيهم الدِّية إنما كان القصاص فقط والحجة في ذلك قوله تعالى (لما شرع الدية) : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٧٨] وأيضًا قد أخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت في بني إسرائيل قصاص ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله لهذه الأمة : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] إلى هذه الآية : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : ابن عباس فالعفو أن يقبل الدِّية في العمد ، قال : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] أن يطلب بمعروف ويؤدي بإحسان .

---

(١) يعني حديث : « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ... » .

(٢) البخاري في صحيحه مسندًا موقوفًا (٦٨٨١) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن من قبل الدِّية من القاتل ثم اعتدى عليه بعد أن قبلها منه فله عذاب أليم ، وذلك أن من أهل المقتول من يُغرر القاتل ويقبل منه الدِّية فيطمأن القاتل إلى أنه آمِن ثم يُفاجأ بأهل المقتول يعتدون عليه بعد قبولهم الدِّية منه .

● **وقد أخرج الطبري (٢٦٠٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله :** ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدِّية فقتل فله عذاب أليم .

وأخرج بإسناد صحيح إلى ابن زيد قال في قوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : أخذ العقل[1] ثم قتل بعد أخذ العقل قاتل قتيله فله عذاب أليم .

● **وقال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ [البقرة : ١٧٨] فمن تجاوز ما جعله الله له بعد أخذه الدِّية اعتداءً وظلمًا إلى ما لم يُجعل له من قتل قاتل وليِّه وسفك دمه فله بفعله ذلك وتعدِّيه إلى ما قد حرَّمته عليه عذابٌ أليم .

❋ ❋ ❋

س : مالمراد بـ ﴿ العذاب الأليم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن العذاب الأليم يُراد به القتل في الدنيا فإذا قُتل لرجلٍ قتيل ثم قبل هذا الرجل الدية ثم اعتدى بعد ذلك على القاتل

---

(١) العقل هو الدِّية ، والأثر عند الطبري (٢٦١١) .

بعد قبوله الدِّية فقتل القاتل ، استحق هذا الرجل (الذي كان قبل الدِّية) القتل ، وذلك لأن حق قريبه قد سقط ، وأنشأ هو قتلًا جديدًا استحق عليه القتل أو الدِّية أو العفو على ما يريده أهل المقتول الجديد . هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن وليَّ المقتول الأول إذا اعتدى – بعد قبول الدِّية – على القاتل وقتله فلا يقتل به إنما يرد إليه ديَّته فقط وممن ذهب إلى هذا القول الحسن البصري رحمه الله فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن : في رجل قُتل فأخذت منه الدِّية ثم إن وليَّه قتل به القاتل قال الحسن : تؤخذ منه الدِّية التي أخذ ولا يقتل به[1] .

وهذا القول عندي ضعيف ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فله عذاب أليم ﴾ فقد ضم هذا القاتل إلى كونه قاتلًا (غدرًا وخيانة) إضافة إلى القتل الذي ارتكبه ، أما كونه قد قُتل له قتيلٍ فقد سقط حقه في القتل بقبوله الدِّية وإظهاره الرضا بذلك ، والله تعالى أعلم .

وقال آخرون من أهل العلم : إن أمر القاتل الجديد يرجع إلى الإمام يقضي فيه بما شاء ، وهذا القول أيضًا مردود لقوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا .. ﴾ [الإسراء : ٣٣] فجعل الله سبحانه السلطان إلى الأولياء[2] .

● **قال الطبري رحمه الله** : وأولى التأويلين بقوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، تأويل من قال : فمن اعتدى

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦١٦) .

(٢) وليس المراد أنهم أنفسهم يباشرون القتل إنما يوجِّهون الأمر .
قال القرطبي رحمه الله : لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك ؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود .

بعد أخذه الدية فقتل قاتل وليه ، فله عذاب أليم في عاجل الدنيا ، وهو القتل . لأن الله تعالى جعل لكل وليٍّ قتيلٍ قُتل ظلمًا ، سلطانًا على قاتل وليه ، فقال تعالى ذكره : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل ﴾ [الإسراء : ٣٣] . فإذ كان ذلك كذلك . وكان الجميع من أهله مجمعين على أن من قتل قاتل وليه بعد عفوه عنه وأخذه منه دية قتيله ، أنه بقتله إياه له ظالم في قتله – كان بينًا أن لا يولى من قتله ظلمًا كذلك ، السلطان عليه في القصاص والعفو وأخذ الدية ، أي ذلك شاء ، وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلومًا أن ذلك عذابه ، لأن من أقيم عليه حده في الدنيا ، كان ذلك عقوبته من ذنبه ، ولم يكن به متبعًا في الآخرة ، على ما قد ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ .

* * *

س : كيف يكون في القصاص حياة ؟

ج : في القصاص حياة من وجوه :

أولها : أن القصاص يروع مَنْ فكَّر في القتل ، فإذا فكر الرجل في قتل آخر وعلم أنه سيقتل به انكف عن القتل وانزجر فحصلت الحياة .

وقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ[1] عن قتادة : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، جعل الله هذا القصاص حياة ، ونكالًا ، وعظةً لأهل السَّفه والجهل من الناس وكم من رجلٍ قد همَّ بداهيةٍ لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض ، وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر إصلاح في الدنيا والآخرة ، ولا نهى الله عن أمرٍ قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين ، والله أعلم بالذي يصلح خلقه .

---

(١) الطبري (أثر ٢٦٢٠) .

ثانيها : أن قصاص الرجل بالرجل يمنع من انتشار الفوضى والظلم ، فقد يقتل رجلٌ من قبيلة ولا ترضى قبيلته إلا بعشرة رجال أو أكثر من قبيلة الذي قتله فإذا قيد القتل بالقاتل فقط حصلت الحياة لمن كان سيقتل ، والله تعالى أعلم .

هذا ، وقد قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص١٤٣ - ١٤٤) :

قول الله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

في ضمن هذا الخطاب : ما هو كالجواب لسؤال مقدر : إن في إعدام هذه البنية الشريفة ، وإيلام هذه النفس وإعدامها في عدم مقابلة إعدام المقتول تكثير لمفسدة القتل ، فلأية حكمة صدر هذا ممن وسعت رحمته كل شيء ، وبهرت حكمته العقول ؟ فتضمن الخطاب جواب ذلك بقوله : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يقتل قصاصًا بمن قتله كف عن القتل وارتدع ، وآثر حب حياته ونفسه . فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله .

ومن وجه آخر : وهو أنهم كانوا إذا قتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قتلوا به كل من وجدوه من عشيرة القاتل وحيه وقبيلته . وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره ، وتشتد مؤنته ، فشرع الله تعالى القصاص ، وأن لا يقتل بالمقتول غير قاتله . ففي ذلك حياة عشيرته وحيه وأقاربه . ولم تكن الحياة في القصاص من حيث إنه قتل ، بل من حيث كونه قصاصًا ، يؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غيره ، فتضمن القصاص الحياة في الوجهين .

وتأمل ما تحت هذه الألفاظ الشريفة من الجلالة والإيجاز ، والبلاغة والفصاحة ، والمعنى العظيم .

فصدر الآية بقوله : ﴿ ولكم ﴾ المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم ، عائدة إليكم ، فشرعه إنما كان رحمة بكم وإحسانًا إليكم ، فمنفعته ومصلحته لكم ، إلا لمن لا يبلغ العباد ضره ونفعه .

ثم عقبه بقوله : ﴿ في القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٩] إيذانًا بأن الحياة الحاصلة إنما هي في العدل ، وهو أن يفعل به كما فعل بالمقتول .

و ﴿ القصاص ﴾ في اللغة : المماثلة ، وحقيقته راجعة إلى الاتباع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ [القصص : ١١] أي : اتبعي أثره . ومنه قوله : ﴿ فارتدا على آثارهما قصصًا ﴾ [الكهف : ٦٤] أي : يقصان الأثر ويتبعانه . ومنه : قص الحديث واقتصاصه ، لأنه يتبع بعضه بعضًا في الذكر ، فسمى جزاء الجاني قصاصًا . لأنه يتبع أثره ، فيفعل به كما فعل ، وهذا أحد ما يستدل به على أن يفعل بالجاني كما فعل ، فيقتل بمثل ما قتل به ، لتحقيق معنى القصاص .

وقال الزجاج في معاني القرآن : ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل إذا علم أنه يقتل إن قتل أمسك عن القتل ففي إمساكه عن القتل حياة الذي همَّ هو بقتله ، وحياة له لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فسلم أن يقتل .

ونقل هذا ابن الجوزي في زاد المسير ، وزاد : وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أبلغ أبا مالك عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام

يريد : أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب .

س : قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] تتقون ماذا ؟

ج : تتقون العقوبة وتنتهون عن القتل .

وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] قال : لعلك تتقي أن تقتله فتقتل به .

* * *

كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾
فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
خيرًا – بدَّله – جنفًا – إثمًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
خيرًا	مالًا
بدَّله	غيره
جنفًا	خطأً[1] (أي : خطأً في الوصية) – جورًا – ميلًا
إثمًا	تعمد الظلم

❋ ❋ ❋

(١) قال الطبري رحمه الله : وأما (الجنف) فهو الجور والعدول عن الحق في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :
=

س : هل لهذه الآية صلة بما قبلها : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

وفي الكلام تقدير واو العطف ؛ أي : وكتب عليكم ، فلما طال الكلام أسقطت الواو ومثلهَ في بعض الأقوال : ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ﴾ [الليل : ١٥ ، ١٦] أي : والذي ؛ فحذف . وقيل : لما ذكر أن لولي الدم أن يقتص ؛ فهذا الذي أشرف على أن يقتص منه وهو سبب الموت فكأنما حضره الموت ، فهذا أوان الوصية ؛ فالآية مرتبطة بما قبلها ومتصلة بها فلذلك سقطت واو العطف .

* * *

س : ما هي الآيات التي ذكرت فيها الوصية في كتاب الله عز وجل ؟

ج : أتم آية وأجمع آية هي قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم

= هُمُ المولى وإن جَنَفُوا علينا وإنَّا من لقائهم لَزُور

يقال منه : (جنف الرجل على صاحبه يجنف) - إذا مال عليه وجار - (جَنفًا) .

فمعنى الكلام فمن خاف من موصٍ جنفًا له بموضع الوصية ، وميلًا عن الصواب فيها وجورًا عن القصد أو إثمًا بتعمده ذلك على علمٍ منه بخطأ ما يأتي من ذلك فأصلح بينهم فلا إثم عليه .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن عطاء (فمن خاف من موصٍ جنفًا) قال : ميلًا (أثر ٢٧٠٨) .

وأخرج كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد (جنفًا) حَيْفًا ، والإثم ميله لبعض على بعض وكله يصير إلى واحد كما يكون ﴿ عفوًّا غفورًا ﴾ [النساء : ٤٣] و ﴿ غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٣] .

الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

● وهناك آية في سورة النساء وهي قوله تعالى : ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ [النساء : ١١] .

وآية المائدة وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدلٍ منكم .. ﴾ [المائدة : ١٠٦] .

* * *

س : هل هذه الآية محكمة أو منسوخة : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين .... ﴾ الآية [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : تنازع في ذلك أهل العلم[1] .

● فقال فريق من أهل العلم : هي محكمة لم تنسخ[2] ولكن ظاهرها

---

(١) وإذا تنازع أهل العلم في حكم آية هل هي منسوخة أم محكمة فالعمل على أنها ليست منسوخة ما لم يقم برهان صحيح على النسخ .

قال الطبري رحمه الله : وإذا كان في نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم لم يكن لنا القضاء عليه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها إذ كان غير مستحيل اجتماع حكم هذه الآية وحكم آية المواريث في حال واحدةٍ على صحة بغير مدافعة حكم إحداهما حكم الأخرى ، وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة في حالة واحدة لنفي أحدهما صاحبه .

(٢) وقد أورد الطبري رحمه الله هذا القول بقوله :

فقال بعضهم : لم ينسخ الله شيئًا من حكمها ، وإنما هي آية ظاهرها ظاهر عموم في كل والد ووالدة والقريب ، والمراد بها في الحكم البعض منهم دون الجميع وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث .

العموم الذي يُراد به الخصوص وهم غير الورثة ، فالتقدير .. والوصية للوالدين والأقربين غير الورثة[1] .

● وقال فريق آخر : إن جزءًا من هذه الآية منسوخ والآخر محكم ، فالمنسوخ الوصية للوالدين والأقارب الذين يرثون ، والمحكم

= وكان قد أورد آثارًا في ذلك منها أثر مسروق بإسناد صحيح عنه أنه حضر رجلًا فوصَّى بأشياء لا تنبغي فقال له مسروق : إن الله قد قسم بينكم فأحسن القسم ، وإنه من يرغب برأيه عن رأي الله يضله ، أوصِ لذي قرابتك ممن لا يرثك ثم دع المال على ما قسمه الله عليه (أثر ٢٦٢٩) .

● وأورد بإسناد صحيح عن محمد (وهو ابن سيرين) قال : قال عبد الله بن معمر في الوصية : من سمَّى جعلناها حيث سمى ، ومن قال حيث أمر الله جعلناها في قرابته (أثر ٢٦٣٣) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن عمران بن حُدير (٢٦٣٤) قال : قلت لأبي مجلز : الوصية على كل مسلمٍ واجبة ؟ قال : على من ترك خيرًا ، وفي رواية عنه : (هي حق على من ترك خيرًا) .

وأورد الطبري رحمه الله آثار أخرى تحت باب (ذكر قول من لم يذكر قوله منهم في ذلك – أي : من لم يذكر قوله في أن الآية منسوخة) .

● وأورد بإسناد صحيح عن جابر بن زيد في رجل أوصى لغير ذي قرابة وله قرابة محتاجون قال : يرد ثلثا الثلث عليهم وثلث الثلث لمن أوصى له به (أثر ٢٦٣٦) .

● وأورد بإسناد صحيح عن الحسن أنه كان يقول : إذا أوصى الرجل لغير ذي قرابته بثلثه فلهم ثلث الثلث وثلثا الثلث لقرابته . (أثر ٢٦٣٨) .

● وأورد بإسناد صحيح عن طاوس قال : (من أوصى لقومٍ وسماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته) .

(١) فإن قال قائل : كيف يكون الوالدين غير ورثة ، فالإجابة أن الوالدين في حالة كفرهما أو استرقان ولدهما يكونان غير ورثة والله أعلم .

هو الوصية لغير الورثة[1] .

● وقال فريق ثالث : إن الآية كلها منسوخة[2] .

---

(١) وأورد الطبري هذا الرأي فقال : وقال آخرون : بل هي آية قد كان الحكم بها واجبًا وعُمل بها برهة ثم نسخ الله منها بآية المواريث الوصية لوالدي المُوصي وأقربائه الذين يرثونه ، وأقر فرض الوصية لمن كان منهم لا يرثه ، وأورد أثر قتادة (٢٦٤٠) بإسناد حسن في قوله : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] فجعلت الوصية للوالدين والأقربين ثم نسخ ذلك بعد ذلك فجعل لهما نصيب مفروض فصارت الوصية لذوي القرابة الذين لا يرثون وجعل للوالدين نصيب معلوم ، ولا تجوز وصية لوارث .

(٢) أخرج البخاري رحمه الله (حديث ٢٧٤٧) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحدٍ منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع .

وأخرج الطبري (٢٦٥٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قام فخطب الناس ههنا فقرأ عليهم (سورة البقرة) ليبين لهم منها فأتى على هذه الآية : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] قال : نسخت هذه .

● وأخرج الطبري من طريق محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن جهضم عن عبد الله بن بدر قال سمعت ابن عمر يقول في قوله : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] قال : نسختها آية الميراث ، قال ابن بشار : قال عبد الرحمن : فسألت جهضمًا عنه فلم يحفظه (أثر ٢٦٥٤) .

قلت : ومثل هذا لا يؤثر فمن حدَّث ونسي ما دام حدث عنه ثقة قُبل حديثه .

● وأخرج الطبري أيضًا (٢٦٦١) بإسناد صحيح عن نافع : أن ابن عمر لم يُوص وقال : أما مالي فالله أعلم ما كنت أصنع فيه في الحياة ، وأما رباعي فما أحب أن يشرك ولدي فيها أحد . =

قلت : فعلى كل تلك الأقوال فالوصية للأقارب الذين يرثون (أي : الذين لهم نصيب من الميراث بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ) منسوخة فلا وصية لوارث ، أما الذين لا يرثون ففيهم النزاع المذكور والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو الناسخ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية ﴾ [البقرة : ١٨٠] (عند من يرى نسخها) ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

فمنهم من يرى أن الناسخ هي آية المواريث ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ... ﴾ [النساء : ١١] .

ومنهم من يرى أن الناسخ قوله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ... ﴾ الآية [النساء : ٧] .

● ومنهم من يرى أن الناسخ هو حديث : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث »[1] .

= وأخرج الطبري أيضًا (٢٦٥١) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] الآية قال : فنسخ الله ذلك كله وفرض الفرائض .

(١) عليه عمل عامة أهل العلم وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ لكن لا يخلو طريق منها من مقال ، وأمثلها عندي ما أخرجه أبو داود (حديث ٢٨٧٠) ، (٣٥٦٥) ، والترمذي (حديث ٢١٢٠) وغيرهم من طريق إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم قال : سمعت أبا أمامة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » . فهذا إسناد حسن وفي إسماعيل بن عياش =

● ومنهم من عوَّل في ذلك على الإجماع (عند من ادعى الإجماع على نسخها وقد بينا ما فيه قريبًا) . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بحضور الموت في قوله تعالى : ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : المراد – والله أعلم – حضرت أحدكم أسباب الموت ودلائله وعلاماته .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : وحضور الموت : أسبابه ، ومتى حضر السبب كنَّت به العرب عن المسبب ؛ قال شاعرهم :

يا أيها الراكبُ المُزْجِي مَطِيَّتَه سائلْ بني أسَد ما هذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعُذْر والتمسوا قولًا يبرِّئكم إني أنا الموت

وقال عنترة :

وإن الموت طوع يدي إذا ما وصلت بنانها بالهندوان

وقال جرير في مهاجاة الفرزدق .

أنا الموت الذي حدثت عنه فليس لهاربٍ مني نجاء

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) .

قال علماؤنا : ليس يريد حضور الموت حقيقة ؛ لأن ذلك الوقت لا تقبل

= كلام فمن العلماء من تكلم فيه مطلقًا ، ومنهم من حسن حديثه ، ومنهم من حسَّن حديثه عن أهل بلده ، وهذا من أحاديثه عن أهل بلده ، وقد ذكر ابن عدي في الكامل هذا الحديث في ترجمة إسماعيل بن عياش ، لكن على كل حال فعمل عامة أهل العلم عليه ، ومن ثم قال الشافعي : نقله كافة عن كافة وهو أقوى من قول الواحد ، والله تعالى أعلم .

له توبة ، ولا له في الدنيا حصة ، ولا يمكن أن ننظم من كلامها لفظة ، ولو كان الأمر محمولًا عليه لكان تكليف محال لا يتصور ؛ ولكن يرجع ذلك إلى معنيين : أحدها إذا قرب حضور الموت ، وأمارة ذلك كبره في السن ؛ أو سفر ؛ فإنه غرر ؛ أو توقع أمر طارىء غير ذلك ؛ أو تحقق النفس له بأنها سبيلٌ هو آتيها لا محالة ، [إذ الموت ربما طرأ عليه اتفاقًا] .

الثاني : أن معناه إذا مرض ؛ فإن المرض سبب الموت ، ومتى حضر السبب كنت به العرب عن المسبب ، قال شاعرهم :

وقل لهم بادِرُوا بالعُذْر والتمسوا قولًا يبرِّئكم إني أنا الموت

❋ ❋ ❋

س : ما هو قدر المال الذي إذا تبقى للشخص عند موته وجبت فيه الوصية ؟

ج : لا أعلم دليلًا على تحديد هذا القدر من المال ، والذي يظهر لي أن تقدير ذلك يرجع إلى الأعراف السائدة ، فكل من ترك مالًا ويُقال عنه أنه ترك مالًا فليوص فيه[1] .

● قال ابن عبد البر[2] : أجمعوا على أن من لم يكن عنده إلا اليسير التافه من المال أنه لا تندب له الوصية .

قال الحافظ : وفي نقل الإجماع نظر ، فالثابت عن الزهري أنه قال : جعل الله الوصية حقًّا فيما قل أو كثر[3] .

---

(١) مع مراعاة ما سبق (من ناحية هل الوصية تجب أو تستحب أو لا تجب ولا تستحب) .

(٢) نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٥/٤٢٠) .

(٣) أخرجه الطبري (أثر ٢٦٨٠) بإسناد صحيح عن الزهري ، ورجَّح الطبري =

• **وقال ابن العربي في أحكام القرآن :** قوله تعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] يعني مالًا ، وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في تقديره ، وذكر المفسرون والأحكاميون أقوالًا كلها دعاوى لا برهان عليها ، والصحيح أن الحكم لم يختلف ولا يختلف بقلَّة المال وكثرته ، بل يُوصي من القليل قليلًا ومن الكثير كثيرًا .

قلت : والذي يظهر لي ضعف ما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله ، فالذي ذهب إليه ابن العربي يشق على العِباد ، ولم يدرج عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى ، وأيضًا فإن كتاب الله عز وجل وإن لم يحدد إلا أن التحديد مأخوذ من أفهام العرب لكتاب ربهم فلا يطلقون على شخص أنه ترك خيرًا إلا لمن ترك مالًا يستحق أن يذكر عنه أنه ترك مالًا .

أما من ترك جنيهًا أو ريالًا أو نصف جنيهٍ أو نصف ريال فلا تطلق العرب عنه أنه ترك مالًا ويلزم بأن يوصي فيه ، فهذه تصرفات لا تستسيغها أفهامهم رحمهم الله ، والصواب ما نقله ابن عبد البر عن الأكثرين ، والله أعلم .

هذا وقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رجلًا قال لها : إني أريد أن أوصي قالت : كم مالك ؟ قال : ثلاثة آلاف درهم ، قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة ، قالت : قال الله تعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل[1] .

= رحمه الله تعالى قول الزهري بقوله : وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله تعالى : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية ﴾ [البقرة : ١٨٠] ما قال الزهري ، لأن قليل المال وكثيره يقع عليه (خير) ولم يحدَّ الله ذلك بحدٍّ ، ولا خصَّ منه شيئًا فيجوز أن يُحال ظاهر إلى باطن ، فكلُّ من حضرته منيَّته وعنده مال قلَّ ذلك أو كثر فواجب عليه أن يوصي منه لمن لا يرثه من آبائه وأمهاته وأقربائه الذين لا يرثونه بمعروف كما قال الله جل ذكره وأمر به .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (أثر ١٠٩٩٣) والبيهقي في السنن الكبرى =

س : على من تجب الوصية ؟

ج : تجب الوصية على من عليه ديون وقِبَله ودائع ، وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : هل الوصية واجبة على كل من ترك مالًا ؟

ج : تنازع في ذلك أهل العلم فقالت طائفة : إن الوصية واجبة لظاهر كتاب الله عز وجل : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

● وأكثر العلماء على أنها غير واجبة (ما لم يترك ديونًا أو تكون عنده ودائع) ، ووجهوا الآية الكريمة بأن قالوا : كتب عليكم (أي : إذا أردتم الوصية) .

❋ ❋ ❋

س : ما هو القدر المسموحَ للموصي أن يوصي به ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يوصي بأكثر من الثلث[1] وذلك لحديث : « الثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير

= (٦/٢٧٠) ، وله شاهد مرسل عند عبد الرزاق (المصنف ١٦٣٥٤) فبالجملة إسناده يصح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

● وقد ورد عند عبد الرزاق (١٦٣٥٢) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠٩٩٢) من طريق عروة أن عليًّا دخل على رجل من بني هاشم يعوده فقال : أوصي ؟ قال عليٌّ : إنما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] وإنما تركت مالًا يسيرًا فدعه لولدك فمنعه أن يوصي .

(١) قال القرطبي رحمه الله : ذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يجوز لأحدٍ أن يوصي بأكثر من الثلث ، إلا أبا حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا : إن لم يترك الموصي ورثة جاز =

من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »[1] ، ولأن رجلًا أعتق – على عهد رسول الله ﷺ – ستة أعبد – ليس له مال غيرهم – فردهم النبي ﷺ وأسهم بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة[2] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الرُّبع فإن رسول الله ﷺ قال : « الثلث والثلث كثير.... »[3] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للموصي أن يرجع في وصيته ؟

ج : أجمع العلماء على جواز ذلك ، وقد نقل القرطبي رحمه الله عنهم

= له أن يوصي بماله كله ، وقالوا : إن الاقتصار على الثلث في الوصية إنما كان من أجل أن يدع ورثته أغنياء لقوله عليه السلام : « إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس » ، الحديث رواه الأئمة ، ومن لا وارث له فليس ممن عُني بالحديث ، رُوي هذا القول عن ابن عباس ، وبه قال أبو عبيدة ومسروق ، وإليه ذهب إسحاق ومالك في أحد قوليه ، وروي عن علي وسبب الخلاف مع ما ذكرنا ، الخلاف في بيت المال هل هو وارث أو حافظ لما يُجعل فيه ؟ قولان .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٩٥) ، ومسلم (حديث ١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجعٍ اشتد بي ، فقلت : إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنة أفاتصدق بثلثي مالي ؟ قال : « لا » ، فقلت : بالشطر ؟ فقال : « لا » ، فقلت : بالثلث ؟ ، فقال : « الثلث والثلث كبير – أو كثير – إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ... » الحديث .

(٢) أخرج مسلم (حديث ١٦٦٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رجلًا أعتق ستة مملوكين له عند موته ، لم يكن له مال غيرهم – فدعا بهم رسول الله ﷺ فجزأهم ثلاثًا ثم أقرع بينهم فأعتق اثنين وأرَق أربعة ، وقال له قولًا شديد .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لو غضَّ الناس إلى الربع ، لأن رسول الله ﷺ قال : « الثلث والثلث كثير ») ، وأخرجه مسلم كذلك (حديث ١٦٢٩) .

الإجماع في ذلك فقال : وأجمعوا على أن للإنسان أن يغيِّر وصيته ويرجع فيما شاء منها ، إلا أنهم اختلفوا من ذلك في المدبَّر[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لا تجوز الوصية لوارث ؟

ج : لا تجوز الوصية لوارث لحديث رسول الله ﷺ : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » .

وقد نقل القرطبي الإجماع على أن الوصية لوارث لا تجوز .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمعروف في قوله تعالى : ﴿ الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ... ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : أي : بما سنه رسول الله ﷺ فالذي سنه رسول الله ﷺ هو المعروف ، ويرجع أيضًا بعد ذلك إلى اجتهاد الموصي ونظره إلى المحتاج وغير المحتاج ، ونية الموصي من وراء وصيته إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب كتابة الوصية ؟

ج : يستحب ذلك ولا يجب[2] .

---

(١) وهو العبد الذي أعتق وهو مدبَّر .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : قال العلماء : المبادرة بكتب الوصية ليست مأخوذة من هذه الآية وإنما هي من حديث ابن عمر ، وفائدتها المبالغة في زيادة الاستيثاق ، وكونها مكتوبة مشهودًا بها وهي الوصية المتفق على العمل بها ، فلو أشهد العدول وقاموا بتلك الشهادة لفظًا لعُمل بها وإن لم تكتب خطًّا .

أما الاستحباب فلحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »[1] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أوصى شخص بما لا يجوز هل تمضى وصيته ؟

ج : لا تمضى وصيته .

قال القرطبي رحمه الله : ولا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز ، مثل أن يُوصي بخمرٍ أو خنزير أو شيء من المعاصي أنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه كما لا يجوز إمضاء ما زاد على الثلث ، قاله أبو عمر[2] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أوصى رجل لغير ذوي قرابته فهل تمضي وصيته ؟

ج : نعم تمضي الوصية إذا كانت بما لا يتعدى الثلث ، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة عن عطاء وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار أنهم قالوا : تمضي الوصية لمن أوصى له به[3] .

❋ ❋ ❋

س : الهاء في قوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله ﴾ ترجع إلى ماذا ؟

ج : ترجع الهاء إلى ما أوصى به الموصي .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥/٣٥٥) ومسلم (١١/٧٤ مع النووي) .

(٢) يعني ابن عبد البر .

(٣) أخرجه الطبري (٢٦٨٩) .

س : الهاء في قوله : ﴿ بعد ما سمعه ﴾ [البقرة : ١٨١] ترجع إلى ماذا ؟ وكذلك الهاء في ﴿ إثمه ﴾ ترجع إلى ماذا ؟

ج : ترجع إلى الوصية وأمر الميت ، والهاء في ﴿ إثمه ﴾ ترجع إلى التبديل أي : يرجع إثم ذلك التبديل على الذي بدَّل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ﴾ [البقرة : ١٨١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في معناه : يعني تعالى ذكره بذلك فمن غيَّر ما أوصى به الموصي من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه – بعد ما سمع الوصية فإنما إثم التبديل على من بدَّل وصيته .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ١٨١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ لوصيتكم التي أمرتكم أن تُوصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها أتعدلون فيها على ما أذنت لكم من فعل ذلك بالمعروف أم تحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟ (عليم) بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق والعدل أم الجور والحيف .

❋ ❋ ❋

س: من المراد بالموصي في قوله تعالى: ﴿ فمن خاف من موصٍ ﴾ [البقرة :١٨٢] ؟

ج : المراد به المريض الذي حضرته الوفاة وأشرف على الموت ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فأصلح بينهم ﴾ [البقرة:١٨٢] أصلح بين مَن ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال .

أولها : أصلح بين الموصي وبين الورثة .

فقدْ يتعمد الموصي الظلم أو الجور – أو قد يُخطىء فيظلم ويجور – فيوصي بما يجلب الضرر للورثة ، وقد يتعنت الورثة فيمنعون الموصي من الوصية ، فالإصلاح أن تُذَكِّر الموصي بما أمره الله من العدل والإنصاف ، وأن تذكر الورثة بحق المحتضر في الوصية وأنها مشروعةٌ له[1] .

ثانيها : أصلح بين الورثة وبين الموصى لهم .

والمعنى : فمن خاف منكم (يا أولياء الميت أو يا ولي أمر المسلمين أو يا من حضرتم الميت) خطأً من الموصي أو ظلمًا وإثمًا منه في وصيته فأصلح بين الورثة وبين الموصى لهم فرد الوصية إلى العدل والحق فلا حرج عليه[2] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله : اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال بعضه : تأويلها : فمن حضر مريضًا وهو يوصي عند إشرافه على الموت فخاف أن يخطىء في وصيته فيفعل ما ليس له أو أن يعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له الأمر به فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه أن يصلح بينه وبين ورثته بأن يأمره بالعدل في وصيته ، وأن ينهاهم عن منعه مما أذن الله له فيه وأباحه له .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خاف – من أولياء ميت أو والي أمر المسلمين – من مُوصٍ جنفًا في وصيته التي أوصى بها الميت فأصلح =

ثالثها : أصلح بين الورثة أنفسهم .

فقد يُعطي المحتضر (قبيل الموت) عطية لأحد الورثة دون بعض فيسبب الضغينة بينهم فلا جناح على من أصلح بين الورثة[1] .

ومن ذلك أيضًا : أن يوصي المحتضر لشخصٍ غير وارث كي يرجع نفعه لأحد الورثة ، كأن يوصي مثلًا لابن ابنته مُريدًا بذلك تمييز إحدى بناته ، فهذه الوصيةُ سيرجع نفعها إلى ابنته[2] .

رابعها : أصلح بين الآباء والأقرباء [3] .

= بين ورثته وبين الموصى لهم بما أوصى لهم به فرد الوصية إلى العدل والحق فلا حرج ولا إثم .

وأخرج الطبري (٢٦٩٤) بإسناد حسنٍ عن قتادة قوله : ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا ﴾ [البقرة : ١٨٢] وكان قتادة يقول : من أوصى بجور أوحيْف في وصيته فردَّها ولي المتوفى أو إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وإلى العدل فذاك له .

(١) قال الطبري رحمه الله : وقال بعضهم بل معنى ذلك : فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا في عطيته عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض فلا إثم على من أصلح بينهم – يعني بين الورثة –

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٧٠١) عن طاوس في قوله : ﴿ فمن خاف من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم ﴾ [البقرة : ١٨٢] قال : هو الرجل يوصي لولد ابنته .

(٣) قال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جنفًا على بعضهم لبعض فأصلح بين الآباء والأقرباء فلا إثم عليه .

وقد أخرج الطبري (٢٧٠٣) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، قال : « الجنف » أن يحيف لبعضهم على بعض في الوصية ، « والإثم » أن يكون قد أثم في أبويه بعضهم على بعض ، ﴿ فأصلح بينهم ﴾ الموصى إليه بين والوالدين والأقربين – الابن والبنون هُم « الأقربون » – فلا إثم عليه ، فهذا الموصَى الذي =

خامسها : أن المراد الإصلاح بين الموصي وبين الموصى له وبين الورثة .

فقد يوصي الموصي بأكثر من الثلث فيقبل ذلك الموصى لهم ويعترض سائر الورثة فيحدث النزاع ، فلا جناح حينئذٍ على المصلح أن يصلح .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال في تأويل الآية أن يكون تأويلها : فمن خاف من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا – وهو أن يميل إلى غير الحق خطأً منه ، أو يتعمد إثمًا في وصيته ، بأن يوصي لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه بأكثر مما يجوز له أن يوصي لهم به من مال ، وغير ما أذن الله له به مما جاوز الثلث أو بالثلث كله ، وفي المال قلة ، وفي الورثة كثرةٌ – فلا بأس على من حضره أن يصلح بين الذين يُوصي لهم ، وبين ورثة الميت ، وبين الميت ، بأن يأمر الميت في ذلك بالمعروف ويعرِّفه ما أباح الله له في ذلك وأذن له فيه من الوصية في ماله ، وينهاه أن يجاوز في وصيته المعروف الذي قال الله تعالى ذكره في كتابه : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكمُ الموتُ إن ترك خيرًا الوصية للولدين والأقربين بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، وذلك هو (الإصلاح) الذي قال الله تعالى ذكره : ﴿ فأصلح بينهم فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، وكذلك لمن كان في المال فضل وكثرةٌ وفي الورثة قلة ، فأراد أن يقتصر في وصيته لوالديه وأقربيه عن ثلثه ، فأصلح من حضره بينه وبين والديه وأقربيه الذين يريد أن يوصي لهم ، بأن يأمر المريض أن يزيد في وصيته لهم ، ويبلغ بها ما رخص الله فيه من الثلث ، فذلك أيضًا هو من الإصلاح بينهم بالمعروف .

= أوصى إليه بذلك ، وجعل إليه ، فرأى هذا قد أجنفَ لهذا على هذا ، فأصلح بينهم فلا إثم عليه ، فيعجز الموصي أن يوصي كما أمره الله تعالى ، وعجز الموصَى إليه أن يصلح ، فانتزع الله تعالى ذكره ذلك منهم ، ففرضَ الفرائض .

وإنما اخترنا هذا القول ، لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا ﴾ [البقرة : ١٨٢]، يعني بذلك : فمن خاف من موص أن يجنف أو يأثم ، فخوف الجنف والإثم من الموصي ، إنما هو كائن قبل وقوع الجنف والإثم ، فأما بعد وجوده منه ، فلا وجه للخوف منه بأن يجنف أو يأثم ، بل تلك حال من قد جنف أو أثم ، ولو كان ذلك معناه لقيل : فمن تبين من موص جنفًا أو إثمًا – أو أيقن أو علم – ولم يقل : فمن خاف منه جنفًا .

فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال : فما وجه الإصلاح حينئذ ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين في الشيء ؟

قيل : إن ذلك وإن كان من معاني الإصلاح ، فمن الإصلاح الإصلاح بين الفريقين ، فيما كان مخوفًا حدوث الاختلاف بينهم فيه ، بما يؤمن معه حدوث الاختلاف ، لأن (الإصلاح) ، إنما هو الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين ، فسواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين – قبل وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه .

فإن قال قائل : فكيف قيل : ﴿ فأصلح بينهم ﴾ ، ولم يجر للورثة ولا للمختلفين ، أو المخوف اختلافهم ، ذكرٌ .

قيل : بل قد جرى ذكر الذين أمر الله تعالى ذكره بالوصية لهم ، وهم والدا الموصي وأقربوه ، والذين أمروا بالوصية في قوله : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، ثم قال تعالى ذكره : ﴿ فمن خاف من موص ﴾ [البقرة : ١٨٢] – لمن أمرته بالوصية له – ﴿ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم ﴾ [البقرة : ١٨٠] – وبين من أمرته بالوصية له – ﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، والإصلاح بينه وبينهم ، هو إصلاح بينهم وبين ورثة الموصي .

س : قوله تعالى ﴿ غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٨٢] غفور رحيمٌ في هذا الموطن لمن ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٨٢] فإنه يعني : والله غفور للموصي فيما كان حدَّث به نفسه من الجنف والإثم إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته فتجاوز له عما كان حدَّث به نفسه من الجور إذ لم يُمض ذلك فيغفل أن يؤاخذه به رحيم بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره أو يأثم فيه له .

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي .
كُتب – معدودات – فعدةٌ – يطيقونه – فدية ؟

ج :

الكلمة	معناها
كُتب	فُرِض
معدودات	معلومات العَدد – محصيَّات – المراد الإشارة إلى قلتها وأنها يعدُّها العاد كما قال تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠]
فعدةٌ	عدد الأيام التي أفطرها
يطيقونه	يستطيعون صيامه
فديةٌ	جزاء

س : ما المراد بالصيام لغة وشرعًا ؟

ج : أما الصيام لغة فهو الإمساك والكفُّ والامتناع[1] .

أما شرعًا فهو الامتناع والإمساك عن المفطرات (من أكل وشرب وجماع) – مع اقتران ذلك بالنِّية – من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[2] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين من قبلنا الذين فرض عليهم الصيام ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إنهم النصارى .

وقال آخرون : إنهم اليهود والنصارى (أي : أهل الكتاب) ، والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد عموم من كان قبلنا ممن أرسل الله إليهم رسلًا وأنزل إليهم كُتبًا وشرع لهم شرائع ، وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الصيام) مصدر ، من قول القائل : (صُمت عن كذا وكذا) – يعني : كففت عنه – (أصوم عنه صومًا وصيامًا) ، ومعنى (الصيام) ، الكف عما أمر الله بالكف عنه ، ومن ذلك قيل : (صامت الخيل) ، إذا كفت عن السير ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

خيل صيامٌ ، وخيلٌ غيرُ صائمة تحت العَجَاجِ ، وأخرى تَعْلُكُ اللُّجما

ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ إني نذرت للرحمن صومًا ﴾ [مريم : ٢٦] ، يعني : صمتًا عن الكلام .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات لقوله عليه السلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

س : ما هو وجه الشبه بين فرض الصوم علينا وفرض الصوم على الذين من قبلنا؟

ج : وجه الشبه في الفرضية والوجوب أي : أن الصوم واجب مفروض عليكم كما كان واجبًا مفروضًا على الذين من قبلكم ، فلما لم يثبت بنصٍّ صحيح عن المعصوم ﷺ أن من كان قبلنا كان مفروضًا عليهم رمضان كما فُرض علينا ولم يثبت عنه عليه السلام أن من كان قبلنا كانت صفة صومهم كصفة صومنا لم يكن لنا والأمر هكذا - أي : لم يثبت لنا فيه نص - أن نتقدم بقول غير مبنيٍّ على دليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فغاية ما في الأمر أن الله سبحانه وتعالى كتب علينا الصوم (أي : فرضه) كما كتبه على الذين من قبلنا وإلى هذا الحد نقف[1] .

● وقد ورد أن النبي ﷺ لما جاء إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فُرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر[2] .

● وقد ورد أن النبي ﷺ لما جاء إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فُرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر[2] .

● وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن من كان قبلنا كتب عليهم رمضان كما كتب علينا فأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة قال : قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] رمضان كتبه الله على من كان قبلهم[3] .

---

(١) بَيْدَ أن بعض أهل العلم استدل بقوله تعالى : ﴿ أيامًا معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٤] على أن الأيام التي فرضت علينا هي التي فرضت عليهم ، والدليل لا يساعد قول هذا القائل ، فغايته أنه فَرض علينا أيامًا معدودات وفَرض عليهم كذلك أيامًا معدودات ولكن هل هي هي ، وهل صفة الصوم هي نفس الصفة ، والله أعلم .

(٢) انظر هذه الأحاديث في صحيح البخاري (٢٠٠١ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥) ، ومسلم حديث (١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٥) .

(٣) الطبري (٢٧٢٥) وإسناده حسن يرتقي إلى الصحة بالإسناد الذي أورده الطبري قبله (٢٧٢٤).

وإلى هذا جنح الطبري رحمه الله فقال : وأولى هذه الأقوال بالضواب قول من قال : معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب ، ﴿ أيامًا معدودات ﴾ [البقرة :١٨٣] وهي شهر رمضان كله ، لأن مَن بعد إبراهيم ﷺ كان مأمورًا باتباع إبراهيم ، وذلك أن الله جلَّ ثناؤه كان جعله للناس إمامًا ، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفية المسلمة فأمر نبينا ﷺ بمثل الذي أمر به من قبله من الأنبياء .

وأما التشبيه فإنما وقع على الوقت ، وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرِض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء .

قلت : ولا دليل على تخصيص أهل الكتاب وكونهم المقصودين وحدهم بقوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] ولا دليل أيضًا على أنهم فُرض رمضان ، وقد قال تعالى : ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٤] وما المراد بهذه الأيام المعدودات ؟

ج : معنى معدودات أي : محصيات يعدُّها العادُّ – أو موقتات بعددٍ معلوم أو قلائل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠] .

أما المراد بها هنا ، فقال فريق من أهل العلم : إن المراد بها شهر رمضان ، وهي المفسرة بقوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال آخرون : هي ثلاثة أيام من كل شهر .

قلت : إذا حملنا الأيام المعدودات على أنها المكتوبة علينا والمذكورة في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فلا شك أنها شهر رمضان إذ لم يكتب علينا صوم أيام معدودة غير شهر رمضان .

وغاية ما ورد أن ما أُمرنا به هو صوم يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ كان قد صامه وأمر بصيامه .

لكن لا يقال عن يوم عاشوراء إنه أيام معدودات .

وإذا حملنا الأيام المعدودات على أنها المكتوبة على الذين من قبلنا والمذكورة في قوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] فحينئذ سيرجع إلى الخلاف في المكتوب على الذين من قبلنا هل هو صوم شهر رمضان أم ثلاثة أيام من كل شهر ولا دليل عندي يدل على أن الذي فرض على الذين من قبلنا هو شهر رمضان لكن الدليل قائم – لا شك فيه – على أن الأيام المعدودات المكتوبة علينا صومها هي شهر رمضان ، والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : وأولى ذلك بالصواب عندي قول من قال : عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ أيامًا معدودات ﴾ ، أيام شهر رمضان . وذلك أنه لم يأت خبرٌ تقوم به حجة ، بأن صومًا فرض على أهل الإسلام غير صوم شهر رمضان ، ثم نسخ بصوم شهر رمضان ، وأن الله تعالى قد بين في سياق الآية أن الصيام الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات ، بإبانته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] . فمن ادعى أن صومًا كان قد لزم المسلمين فرضه غير صوم شهر رمضان الذي هم مجمعون

على وجوب فرض صومه - ثم نسخ ذلك - سئل البرهان على ذلك من خبر تقوم به حجة ، إذا كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذر .

وإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بينا ، فتأويل الآية : كتب عليكم أيهاَ المؤمنون الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أيامًا معدودات هي شهر رمضان . وجائز أيضًا أن يكون معناه : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ ، كتب عليكم شهر رمضان .

وأما (المعدودات) ، فهي التي تعد مبالغها وساعات أوقاتها . ويعني بقوله : ﴿ معدودات ﴾ : محصياتٍ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] تتقون ماذا ؟

ج : قال بعض العلماء : لعلكم تتقون ما حرم الله عليكم .

وقال آخرون : لعلكم تتقون ما فعله من كان قبلكم من تحريف وتغيير وتبديل[1] ، وقال غيرهم : لعلكم تتقون ، أي : لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء ، فمن اتقى الطعام والشراب ضعفت الشهوة عنده فقلَّت معاصيه .

وقال آخرون : لعلكم تحصل لكم التقوى بالصيام فالصيام يكسر الشهوات كما قال النبي ﷺ : « فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) فقد ذكر بعض العلماء أن النصارى كان مكتوبًا عليهم صوم رمضان فغيَّروا وبدَّلوا وزادوا فيه ونقصوا منه . والله أعلم .

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الصوم ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

١- ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه » .

٢ - ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث سهل بن سعدٍ الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

٣ - ونحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم[٣] وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ... » .

٤ - وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث حذيفة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٤) ، ومسلم (حديث ١١٥١ ص٨٠٧) .

(٢) البخاري حديث (١٨٩٦) ، ومسلم (حديث ١١٥٢) .

(٣) أخرجه البخاري حديث (١٨٩٧) ، ومسلم (حديث ١٠٢٧) .

(٤) أخرجه البخاري حديث (١٨٩٥) ، ومسلم حديث (١٤٤) .

قال : قال رسول الله ﷺ : « فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة .. » .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبدٍ يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا » .

٦ - وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فقال : « من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الحكمة من مشروعية الصيام ؟

ج : الحكمة من مشروعية الصيام هي حصول التقوى كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

● قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره : ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه .

فمما اشتمل عليه من التقوى ، أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها ، التي تميل إليها نفسه ، متقربًا بذلك إلى الله ، راجيًا بتركها ، ثوابه . فهذا من التقوى .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١١٥٣) ، والبخاري حديث (٢٨٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٥) ، ومسلم حديث (١٤٠٠) .

ومنها : أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى ، فيترك ما تهوى نفسه ، مع قدرته عليه ، لعلمه باطلاع الله عليه .

ومنها أن الصيام يضيق مجاري الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم ، مجرى الدم ، فبالصيام ، يضعف نفوذه ، وتقل منه المعاصي .

ومنها : أن الصائم في الغالب تكثر طاعته ، والطاعات من خصال التقوى .

ومنها : أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين ، وهذا من خصال التقوى .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خص الصوم من بين سائر العبادات أنه لله في الحديث القدسي : « إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » ؟

ج : قال الماوردي في تفسيره : وإنما اختص الصوم بأنه له وإن كان كل العبادات له لأمرين بَايَنَ الصوم بهما سائر العبادات .

أحدهما : أن الصوم منع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات .

والثاني : أن الصوم سرٌّ بين العبد وربه لا يظهر إلا له فلذلك صار مختصًّا به ، وما سواه من العبادات ظاهر ، ربما فعله تصنعًا ورياءً فلهذا صار أخص بالصوم من غيره .

❋ ❋ ❋

س : هل لهذه الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. ﴾ [البقرة : ١٨٣] سبب نزول صحيح ؟

ج : لا أعلم لهذه الآية سبب نزول صحيح ، والعلم عند الله تعالى .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – فمن كان منكم – يا أهل الإيمان يا من فُرِض عليه الصيام مريضًا أو على سفرٍ فعليه أن يصوم أيامًا أُخر بعدد تلك الأيام التي أفطرها .

قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ فمن كان منكم مريضًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] من كان منكم مريضًا ممن كلف صومه ، أو كان صحيحًا غير مريض وكان على سفر ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ يقول : فعليه صوم عدة الأيام التي أفطرها في مرضه أو في سفره ﴿ من أيام أُخر ﴾ يعني : من أيام أُخر غير أيام مرضه أو سفره .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي : المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أُخر .

❋ ❋ ❋

س : لداود الظاهري مذهب شاذ مردود في تأويل قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ما هو هذا المذهب ، وما وجه شذوذه وردِّه ؟

ج : هذا المذهب حاصله أن داود الظاهري يلزم المريض والمسافر بإعادة الأيام التي مرض فيها المريض أو سافر فيها المسافر حتى وإن كان المريض والمسافر صاما تلك الأيام ، فمثلًا إذا مرض رجل في رمضان فتحامل على نفسه وصام ، أو سافر رجل في رمضان وصام في سفره يلزمهما داود الظاهري

بالصيام لعموم قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] هذا هو المذهب الشاذ .

أما وجه شذوذه ورده فمن وجهين :

الأول : أن جمهور المفسرين يقدِّرون في الآية محذوفًا وهو (فأفطر) والمعنى : فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أُخر وذلك كقوله تعالى في شأن الحجيج : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] فالمقدر المحذوف بعد قوله : ﴿ أو به أذى من رأسه ﴾ هو (فارتكب محظورًا بأن حلق شعره أو غطى رأسه أو غير ذلك من المحظورات) .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ صام في السفر وأفطر ، ولم يرد عنه عليه الصلاة والسلام أنه أمر من صام في رمضان وهو مسافر أن يعيد الأيام التي صامها لكونه كان مسافرًا . ولا أنه نفسه عليه الصلاة والسلام أعاد تلك الأيام التي سافر فيها وكان صائمًا والله تعالى أعلم[1] .

* * *

س : ما هو حد المرض الذي يفطر معه الإنسان ؟

ج : لم يرد في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ فيما علمت وقد نقل

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن (٧٨/١) : قوله تعالى ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ قال علماؤنا : هذا القول من لطيف الفصاحة لأن تقديره : فأفطر فعدة من أيام أُخر ، كما قال تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية ﴾ [البقرة : ١٩٦] تقديره : فحلق ففدية ، وقد عُزي إلى قوم : إن سافر في رمضان قضاه ، صامه أو أفطره ، وهذا لا يقول به إلا ضعفاء الأعاجم فإن جزالة القول وقوة الفصاحة تقتضي (فأفطر) وقد ثبت عن النبي ﷺ الصوم في السفر قولًا وفعلًا .

القرطبي رحمه الله تعالى عن جمهور العلماء قولهم : إذا كان به مرض يؤلمه ويؤذيه أو يخاف تماديه أو تزيُّده صح له الفطر[1] .

وأخرج الطبري بإسناده عن الحسن (وقد سئل متى يفطر الصائم) ؟ قال : إذا جهده الصوم ، قال : إذا لم يستطع أن يصلي الفرائض كما أمر[2] .

وقال الطبري : وقال بعضهم : هو كل مرضٍ كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، وذلك هو قول محمد بن إدريس الشافعي حدثنا بذلك عنه الربيع .

ونقل الطبري بإسناد ضعيف عن طريف بن شهاب العطاردي أنه دخل على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فلم يسأله فلما فرغ قال : إنه وجعت إصبعي هذه .

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ١/٧٧) : للمريض ثلاثة أحوال :
أحدُها : ألا يُطيق الصومَ بحال ، فعليه الفِطرُ واجبًا .
الثاني : أنه يقدر على الصوم بضررٍ ومشقة ؛ فهذا يستحب له الفطر ، ولا يصوم إلا جاهل .
وقد أنبأنا أبو الحسن الأزدي الشيخ أبو مسلم عمر بن علي الليثي الحارثي ، قال أخبرنا الحيري ، أخبرنا أبو عبد ربه محمد بن عبد الله الحاكم ، حدثني أبو سعيد النسوي أحمد بن محمد ، حدثني أبو حسان صهيب بن سليم ، قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : اعتللتُ بنيسابور علة خفيفة ، وذلك في شهر رمضان ، فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه ، فقال لي : أفطرت يا أبا عبد الله ! فقلت : نعم . فقال : خشيت أن أضعف عن قبول الرخصة .
قلت : أنبأنا عبدان ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : من أي المرض أُفطر ؟ قال : من أي مرض كان ، كما قال الله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] .
قال البخاري : ولم يكن هكذا الحديث عند إسحاق ، وهو الثالث .

(٢) أخرجه الطبري (٢٨٥٥) .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أن المرض الذي أذن الله تعالى ذكره بالإفطار معه في شهر رمضان ، من كان الصوم جاهده جهدًا غير محتمل ، فكل من كان كذلك فله الإفطار وقضاء عدة من أيام أُخر . وذلك أنه إذا بلغ ذلك الأمر ، فإن لم يكن مأذونًا له في الإفطار فقد كلف عسرًا ، ومنع يسرًا . وذلك غير الذي أخبر الله أنه أراده بخلقه بقوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وأما من كان الصوم غير جاهده ، فهو بمعنى الصحيح الذي يطيق الصوم ، فعليه أداء فرضه .

❋ ❋ ❋

س : ما هي المسافة التي إذا سارها الشخص أطلق عليه مسافر وجاز له الفطر ؟

ج : لا أعلم في ذلك شيئًا صريحًا عن رسول الله ﷺ ، والذي يظهر أن ذلك يرجع إلى العرف السائد فكل ما أطلق عليه سفر جاز فيه الفطر ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال ابن العربي في أحكام القرآن :

الثاني : المسافر ، والسفر في اللغة مأخوذٌ من الانكشاف والخروج من حالٍ إلى حال ؛ وهو في عرف اللغة عبارةٌ عن خروج يتكلف فيه مؤنة ، ويفصل فيه بُعدٌ في المسافة ، ولم يرد فيه من الشارع نصٌّ ، ولكن ورد فيه تنبيه ، وهو قوله عليه السلام في الصحيح : « لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم منها » .

وفي تقديره اختلاف كثير بيناه في المسائل .

والعمدة فيه أن العبادة تثبت في الذمة بيقين ، فلا برءة لها إلا بيقين

مُسْقِط ؛ وقدر السفر مشكوكٌ فيه حتى يكون سفرًا ظاهرًا ، فيسقط الأصل على ما بيناه في أصول الفقه ، وبحثه فيما يتعلق بمسألتنا أن الله تعالى لما علق الحكم بالسفر علمت العرب ذلك بفضل علمها بلسانها وجَرْي عادتها في أعمالها ؛ فلما جاء الأمر اقتصرنا فيه على العربية ، وعلى هذا الأمر مبنى الخلاف ؛ فقال مالك والشافعي : أقل السفر يوم وليلة ، وقال أبو حنيفة : أقله ثلاثة أيام .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر [أن تسافر] سفر يوم وليلة » . وفي حديث : وسفر ثلاثة أيام ، وفي آخر وذكر تمامه ؛ فرأى أبو حنيفة أن السفر يتحقق في ثلاثة أيام : يوم يتحمل فيه عن أهله ، ويوم ينزل فيه في مستقره ، واليوم الأوسط هو الذي يتحقق فيه السير المجرد ، بتحملٍ لا عن موضع الإقامة ، ونزولٍ لا في موضع الإقامة .

وقلنا له : إذا كان السفر متحققًا في اليوم الثاني كما سردت فاليوم الأول مثله ، ولا عبرة بالتحمل عن الأهل والوطن ، وإنما المعوَّل في تحقيق السفر على المبيت في غير المنزل ، ثم التحديد بستة وثلاثين ميلًا أو ثمانية وأربعين ميلًا مراحل لا تدرك بتحقيقٍ أبدًا ، وإنما هي ظنون ؛ فرجلٌ احتاط وزاد ، ورجلٌ ترخص ، ورجل تقصر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أيهما أفضل في السفر الصوم أم الإفطار ؟

ج : الذي يظهر ، والله تعالى أعلم – أن ذلك يرجع إلى حال المسافر وقوته فإذا كان الصوم يشق عليه أو يعوقه عن فعل خيرٍ فالفطر أولى له ، ومن هذا قول النبي ﷺ – للرجل الذي ظلَّل عليه والتف الناس حوله وسأل عنه النبي ﷺ فقالوا : صائم – فقال : « ليس من البر الصيام في السفر »[1] .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٩٤٦) ، ومسلم (حديث ١١١٥) من حديث =

وقول النبي ﷺ - لما صام بعض أصحابه في سفر وأفطر آخرون وقام المفطرون بخدمة إخوانهم الصائمين - : « ذهب المفطرون بالأجر »[1] .

وقول النبي ﷺ لأصحابه - وكانوا في غزوة - : « إنكم مصبحو العدو غدًا والفطر أقوى لكم »[2] .

● أما إذا كان الصوم لا يعوق عن فعل خيرٍ[3] ولا يشق على صاحبه

= جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ في سفرٍ فرأى زحامًا ورجلًا قد ظلل عليه فقال : « ما هذا ؟ » فقالوا : صائم فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » .

(١) أخرج مسلم (حديث ١١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال : فنزلنا منزلًا في يوم حار ، أكثرنا ظلًا صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال فسقط الصُّوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام قال فنزلنا منزلًا فقال رسول الله ﷺ : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم » فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلًا آخر فقال : « إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » وكانت عزمة فأفطرنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ بعد ذلك في السفر .

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] والصحيح أن الصوم أفضل لعموم قوله تبارك وتعالى : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ ، وأما فطر النبي ﷺ فإنه روي في الصحيح أنه قيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينتظرون فطرك ، فأفطر ولا خلاف في أن من شق عليه الصوم فله الفطر ، وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر .

من وجد قوةً فصام فذلك حسن ، ومن وجد ضعفًا فأفطر فذلك حسن فأما عند القرب من العدو فلا ينبغي أن يكون في استحباب الفطر اختلاف ، قاله ابن حبيب وبه أقول . =

تلك المشقة فللصائم حينئذ أسوة في رسول الله ﷺ فقد صام النبي ﷺ في سفره أيضًا[1] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : رجل أراد أن يسافر في رمضان هل يجوز له أن يبيت النية بالإفطار ويصبح مفطرًا قبل أن يشرع في السفر ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : اتفق العلماء على أن المسافر في رمضان

= ● **قلت (مصطفى)** : وأخرج الطبري (٢٨٦٩) من طريق ابن بشار قال : حدثنا عبد الوهاب قال حدثنا أيوب قال حدثنا عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر ، قال سالم : كان ابن عمر لا يصوم في السفر ، وقال عروة : وكانت عائشة تصوم في السفر فقال سالم : إنما أخذت عن ابن عمر ، وقال عروة : إنما أخذت عن عائشة حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال عمر بن عبد العزيز : اللهم عفوًا ! إذا كان يسرًا فصوموا وإذا كان عسرًا فأفطروا .

وأخرج الطبري (٢٨٩٤) بإسناد صحيح إلى أبي حمزة قال : سألت ابن عباس عن الصوم في السفر فقال : يُسرٌ وعُسرٌ فخذ بيسر الله .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٨٩٦) قوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم .

(١) أخرج البخاري (حديث ١٩٤٥) ، ومسلم (١١٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارٍّ حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة .

● هذا وقد أخرج البخاري (حديث ١٩٤٣) ، ومسلم (حديث ١١٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر ؟ وكان كثير الصيام – فقال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » .

لا يجوز له أن يبيِّت الفطر ؛ لأن المسافر لا يكون مسافرًا بالنية بخلاف المقيم ، وإنما يكون مسافرًا بالعمل والنهوض ، والمقيم لا يفتقر إلى عمل ؛ لأنه إذا نوى الإقامة كان مقيمًا في الحين ، لأن الإقامة لا تفتقر إلى عمل فافترقا . ولا خلاف بينهم أيضًا في الذي يؤمِّل السفر أنه لا يجوز له أن يفطر قبل أن يخرج .

❋ ❋ ❋

س : هل لقضاء الصوم أمدٌ محددٌ يجب على الشخص ألا يتجاوزه ؟

ج : لا أعلم دليلًا يحدد أمدًا معينًا لقضاء الصيام ، وقوله تعالى : ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] يعطي فسحة للصيام في أي يوم لكن المبادرة بالقضاء أفضل لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقول النبي ﷺ : « دَين الله أحق أن يُقضى » .

● ومن أهل العلم من حد ذلك بشعبان من العام المقبل (أي : العام التالي لرمضان الذي أفطر فيه) وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها كان يكون علي الصيام من رمضان فلا أستطيع قضاءه إلا في شعبان (للشغل برسول الله ﷺ)[1] .

● وفي الحقيقة أن هذا ليس بملزمٍ إذ هو مجرد فعل من عائشة رضي الله عنها والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم في أيام القضاء التوالي ؟

ج : لا يلزم أن يوالي بين الأيام التي يقضيها ، بل يصوم كيف يشاء

---

(١) لفظة : (للشغل برسول الله ﷺ) على التحقيق : أنها ليست من قول عائشة رضي الله عنها إنما هي من قول يحيى (أحد الرواة) .

إذ لا دليل – فيما علمنا – على الإلزام بأن تكون متوالية .

قال ابن العربي رحمه الله تعالى (أحكام القرآن ١/٧٨ – ٧٩) :

قوله تعالى : ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] يعطي بظاهره قضاء الصوم متفرقًا وقد رُوي ذلك عن جماعة من السلف منهم أبو هريرة .

وإنما وجب التتابع في الشهر لكونه معينًا ، وقد عُدِم التعين في القضاء فجاز بكل حال .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية الكريمة : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له .. ﴾ [البقرة : ١٨٤] منسوخة ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أنها منسوخة منهم سلمة بن الأكوع وابن عمر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وغيرهم من أهل العلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله جل وعلا : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال أقواها أولها (الذي سنذكره إن شاء الله) وها هي بعض أقوالهم في ذلك :

القول الأول : أن قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين .. ﴾ كان في أول فرض الصيام فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مكان كل يومٍ مسكينًا فنسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فأصبح لزامًا على المقيم الصحيح أن يصوم ، فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي :

يستطيعون صيامه (فدية) أي : جزاء إن هم أفطروا (طعام مسكين) مكان كل يومٍ أفطروه ... ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ... ﴾ [البقرة : ١٨٥] وممن قال بنحو هذا القول سلمة بن الأكوع[١] فأخرج البخاري عنه أنه قال : لما نزلت : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها وكذلك ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنها منسوخة .

وأخرج الطبري[٢] من طريق محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة قال حدثنا أصحابنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعًا غير فريضة قال : ثم نزل صيام رمضان ، قال : وكانوا قومًا لم يتعودوا الصيام قال : وكان يشتد عليهم الصوم ، قال : فكان من لم يصم أطعم مسكينًا ثم نزلت هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥٠٧) .

(٢) الطبري أثر (٢٧٣٤) ، وأخرجه البخاري معلقًا فقال : وقال ابن نمير حدثنا الأعمش حدثنا عمرو بن مرة حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد ﷺ : نزل رمضان فشقَّ عليهم فكان من أطعم كل يومٍ مسكينًا ترك الصوم ممن يطيقه ورخِّص لهم في ذلك فنسختها ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] فأُمروا بالصيام .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وصله أبو نعيم في المستخرج والبيهقي من طريقه ولفظ البيهقي : (قدم النبي ﷺ المدينة ولا عهد لهم بالصيام فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر حتى نزل ﴿ شهر رمضان ﴾ [البقرة : ١٨٥] فاستكثروا ذلك وشق عليهم فكان من أطعم مسكينًا كل يوم ترك الصيام ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك ثم نسخه ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ فأمروا بالصيام) ، وهذا الحديث أخرجه أبو داود من طريق شعبة والمسعودي عن الأعمش مطولًا في الأذان والقبلة والصيام واختلف في إسناده اختلافًا كثيرًا وطريق ابن نمير هذه أرجحها .

فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فكانت الرخصة للمريض والمسافر وأمرنا بالصيام .

قال محمد بن المثنى قوله : (قال عمرو حدثنا أصحابنا) يريد ابن أبي ليلى كأن ابن أبي ليلى القائل (حدثنا أصحابنا) .

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة قال : سمعت عمرو بن مرة سمعت ابن أبي ليلى فذكر نحوه .

وأخرج الطبري بإسناد إلى **الشعبي** [1] قال : نزلت هذه الآية للناس عامة ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ثم نزلت هذه الآية : ﴿ ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] قال : فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر .

● وفي رواية عن **الشعبي** ثم نزلت هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فلم تنزل الرخصة إلا للمريض و المسافر .

● وأخرج الطبري بإسناده إلى **علقمة** في قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٤] قال : نسختها : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] وثمَّ آثار أُخر في هذا الباب .

القول الثاني : أن الآية في الشيخ الكبير والعجوز بصفة عامة (أي : في مطيق الصوم منهم وغير مطيقه) كان مرخصًا لهم جميعًا (أي : للشيوخ الكبار والعُجز من النساء) الإفطار وإطعام مكان كل يومٍ مسكينًا فنسخ ذلك في حق المطيق منهم بقوله تبارك وتعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وأصبح لزامًا على مستطيع الصوم منهم أن

---

(١) الطبري أثر (٢٧٢٣) ، (٢٧٤٤) .

يصوم ، وبقي من لم يستطع الصوم منهم على الحكم الأول ، أي : أنه له أن يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينًا .

فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة : ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ (من الشيوخ الكبار والعُجز من النساء) – ويطيقونه أي : يستطيعون صيامه – (فدية) أي : إن هو أفطر (طعام مسكين) عن كل يومٍ أفطره ثم نسخ ذلك في حق مستطيع الصوم منهم وألزم بالصوم بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وبقي من لم يستطع الصوم منهم على أصل الآية ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ويطيقونه هنا بمعنى : يصومونه بمشقة (من الشيوخ الكبار والعُجز من النساء) .

وقد أخرج الطبري[1] وغيره من طريق قتادة عن عزرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم رُخِّص لهما أن يُفطرا إن شاءا ويطعما لكل يوم مسكينًا ثم نَسخَ ذلك بعد ذلك ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفرٍ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتا .

وروى الطبري[2] نحوه من طريق قتادة عن عكرمة .

القول الثالث : قال فريق من أهل العلم : إن الآية لم تنسخ ولكن فيها تقدير ، والمعنى : وعلى الذين يطيقون الصيام منكم – يا معشر من كُتب عليه الصيام – إن أصابهم ما يحول بينهم وبين الصيام من مرضٍ أو كبرٍ أو نحو ذلك مما يحول بينهم وبين الصوم – فدية طعام مسكين عن كل يوم أفطروه[3] .

---

(١) الطبري (أثر ٢٧٥٢) ، (٢٧٥٣) .

(٢) أثر (٢٧٥٤) .

(٣) قال الطبري رحمه الله في صياغته لهذا الرأي : وقال آخرون ممن قرأ ذلك ﴿ وعلى =

القول الرابع : أن الآية الكريمة لم يتطرق إليها النسخ ، وإنما هي بداية نزولها في الشيخ الكبير والعجوز اللذان قد كبرا ولا يستطيعان الصيام أفطرا وأطعما مكان كل يوم مسكينًا .

وبعض العلماء قرأ الآية (يطوَّقونه) بدلًا من (يطيقونه) ومعنى يطوقونه : أنهم يكلفان بالصيام ولا يستطعونه ، وممن قرأها (يطوَّقونه) ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد ذكر الطبري بأسانيده – من عدة طرق صحيحةٍ[1] – عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (يطوَّقونه) ويقول : هي للناس اليوم قائمة ، وفي رواية : هو الشيخ الكبير يفطر ويُطعم عنه .

● وكذلك صح عن عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة[2] وغيرهم أنهم قرأوها (يطوقونه) هذا حاصل الأقوال التي وردت في تأويل هذه الآية الكريمة .

= الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٥] لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة ، وقالوا : إنما تأويل ذلك وعلى الذين يطيقونه – في حال شبابهم وحداثهم ، وفي حال صحتهم وقوتهم إذا مرضوا وكبروا فعجزوا من الكبر عن الصوم فدية طعام مسكين – لا أن القوم كان رُخِّص لهم في الإفطار وهم على الصوم قادرون إذا افتدوا .

وأورد الطبري أثرًا عن ابن عباس (٢٧٦٢) إسناده واهٍ ، لكن عقبه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ٢٨٤] هو الشيخ الكبير كان يطيق صوم شهر رمضان وهو شاب فكبر وهو لا يستطيع صومه فليتصدق على مسكين واحد لكل يومٍ أفطره .

(١) انظر الطبري (٢٧٦٥) ، (٢٧٦٦) ، (٢٧٦٧) ، (٢٧٦٨) .

(٢) انظر هذه الآثار عند الطبري (٢٧٦٩ و ٢٧٧٠ و ٢٧٧١ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٤ و ٢٧٧٧) ومن المعلوم أن المشار إليهم (عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد) كلهم من مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما والمتفقهين عليه .

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (عند الطبري ٢٧٧٣) من طريق محمد بن عباد بن جعفر عن أبي عمر مولى عائشة أن عائشة كانت تقرأ ﴿ يُطوَّقونه ﴾ .

● وأكثر أهل العلم على أن هذه الآية الكريمة منسوخة وهو اختيار الطبري رحمه الله .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، منسوخٌ بقول الله تعالى ذكره : ﴿ فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

لأن (الهاء) التي في قوله : ﴿ وعَلى الذين يُطيقونه ﴾ [البقرة :١٨٤] ، من ذكر (الصيام) ومعناه : وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعامُ مسكين ، فإذْ كان ذلك كذلك ، وكان الجميعُ من أهل الإسلام مجمعينَ على أن من كان مُطيقًا من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صومَ شهر رمضان ، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين – كان معلومًا أنَّ الآية منسوخةٌ .

هذا ، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التي ذكرناها آنفًا عن مُعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وسلمة بن الأكوع : من أنهم كانوا – بعد نُزول هذه الآية على عَهد رسول الله ﷺ – في صوم شهر رمضان بالخيار بين صومهَ وسقُوط الفدية عنه ، وبين الإفطار والافتداء عن إفطاره بإطعام مسكين لكل يوم ؛ وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فألزموا فرض صومه ، وبطل الخيار والفديةُ .

فإن قال قائل : وكيف تدَّعي إجماعًا من أهل الإسلام – على أنّ من أطاق صومه وهو بالصفة التي وصفت ، فغير جائز له إلا صومُه – وقد علمت قول من قال : الحامل والمرضعُ إذا خافتا على أولادهما ، لهما الإفطار ، وإن أطاقتا الصوم بأبدانهما ، مع الخبر الذي روُي في ذلك عن

رسول الله ﷺ ، الذي : حدثنا به هناد بن السري قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وهو يتغدى ، فقال : تعال أحدثك ، إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة .

قيل : إنا لم ندع إجماعًا في الحامل والمرضع ، وإنما ادعينا في الرجال الذين وصفنا صفتهم ، فأما الحامل والمرضع ، فإنما علمنا أنهن غير معنيات بقوله : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، وخلا الرجال أن يكونوا معنيين به ، لأنهن لو كن معنيات بذلك دون غيرهن من الرجال ، لقيل : وعلى اللواتي يُطقنه فدية طعام مسكين ، لأن ذلك كلام العرب ، إذا أُفرد الكلامُ بالخبر عنهن دون الرجال ، فلما قيل : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، كان معلومًا أن المعنيَّ به الرجال دون النساء ، أو الرجال والنساء ، فلما ضح بإجماع الجميع – على أن من أطاق من الرجال المقيمين الأصحاء صوم شهر رمضان ، فغير مرخص له في الإفطار والافتداء ، فخرج الرجال من أن يكونوا معنيين بالآية ، وعُلم أن النساء لم يردن بها لما وصفنا : من أن الخبر عن النساء إذا انفرد الكلامُ الخبر عنهن : (وعلى اللواتي يطقنه) ، والتنزيل بغير ذلك .

وأما الخبر الذي روي عن النبي ﷺ ، فإنه إن كان صحيحًا ، فإنما معناه : أنه وضع عن الحامل والمرضع الصوم مادامتا عاجزتين عنه ، حتى تُطيقا فتقضيا ، كما وضُع عن المسافر في سفره ، حتى يقيم فيقضيه – لا أنهما أُمِرتا بالفدية والإفطار بغير وجوب قضاء ، ولو كان في قول النبي ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم » ، دلالةٌ على أنه ﷺ إنما عنى أن الله تعالى ذكره وضع عنهم بقوله : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، لوجب أن لا يكون على المسافر إذا أفطر

في سفره قضاء ، وأن لا يلزمه بإفطاره ذلك إلا الفدية ، لأن النبي ﷺ قد جمع بين حُكمه وبين حكم الحامل والمرضع ، وذلك قولٌ ، إن قاله قائلٌ ، خلاف لظاهر كتاب الله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام .

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] وعلى الذين يطيقون الطعام . وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ .

وأما قراءة من قرأ ذلك : (وعلى الذين يُطوَّقونه) فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلافٌ ، وغير جائز لأحدٍ من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ نقلًا ظاهرًا قاطعًا للعذر ، لأن ما جاءت به الحجة من الدين ، هو الحق لا شك فيه أنه من عند الله ، ولا يُعترض على ما قد ثَبت وقامت به حجة أنه من عند الله ، بالآراء والظنون والأقوال الشاذة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقدار الطعام الذي يُطْعَم به المسكين ؟

ج : هو وجبة واحدة من الطعام الذي يتقوَّته المُفطر هذا هو الظاهر[1] ، فالله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، وقد قال سبحانه : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق : ٧] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) ولم يرد عن رسول الله ﷺ – فيما اطلعت عليه – خبر صحيح في تحديد الطعام الذي يُطعم به المسكين ، فعلى ذلك فمرد ذلك إلى العرف السائد ، والله تعالى أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – بقوله تعالى فمن تطوع خيرًا : أي زاد على إطعام المسكين فأطعم عددًا أكثر من المساكين ، فإذا أفطر يومًا مثلًا عليه إطعام مسكين فإذا أطعم مسكينين أو ثلاثة فقد تطوع خيرًا ، وكذلك إذا أطعم المسكين الواحد أكثر من الذي له فمثلًا إذا أعطى المسكين وجبتين بدلًا من واحدة فقد تطوع خيرًا .

هكذا ذكر بعض أهل العلم ، ومنهم من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي : أطعم وصام أيضًا .

● والقول بالعموم أولى ، فالمعنى فمن تطوع خيرًا بأن أطعم عددًا من المساكين أكثر من الذي يلزمه إطعامهم ، أو زاد المسكين على القدر المقرر له ، أو صام مع الإطعام فكل ذلك تطوع وكله خيرٌ له ، وإلى هذا جنح الطبري رحمه الله فقال : والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، فلم يخصص بعد معاني الخير دون بعض ، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوعٌ الخير ، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوعٌ الخير ، وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، أي هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه ، فهو خير له ، لأن كل ذلك من تطوع الخير ، ونوافل الفضل .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على الشيخ الكبير – إذا أفطر في رمضان – أن يُطعم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان .

أحدهما : أنه يطعم مكان كل يوم مسكينا ، وهذا الرأي مبني على تأويل ابن عباس رضي الله عنهما للآية وعلى قراءة ﴿ يطوَّقونه ﴾ ومبني أيضًا على ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه من أنه لما كبر ولم يتحمل الصوم كان يطعم ثلاثين مسكينًا مقابل إفطاره شهر رمضان .

القول الثاني : أنه لا شيء عليه ، لأنه لا دليل على إلزامه بشيء أما تأويل ابن عباس للآية الكريمة وقراءة ﴿ يطوَّقونه ﴾ فقد بينا ما فيهما .

أما فعل أنس بن مالك فليس بمرفوع إلى رسول الله ﷺ ومن ثمَّ فليس هو بحجة ملزمة ككتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يجوز للحامل أو المرضع أن تفطر إذا خافت على نفسها أو على الجنين أو على الولد ؟

ج : نعم يجوز أن تفطر الحامل أو المرضع إذا خافت على نفسها أو على الجنين أو الولد ولا نعلم خلافًا بين العلماء في جواز ذلك .

ومن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الكعبي القشيري قال : أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيته وهو يتغدى فقال : « ادن فكل » ، قلت : إني صائم قال : « اجلس أحدثك عن الصوم أو الصيام ، إن الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم – أو – الصيام » ، والله لقد قالهما رسول الله ﷺ كلاهما أو أحدهما فيا لهف نفسي هلا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ[1] .

* * *

(١) أخرجه أحمد بسندٍ حسن .

س : إذا أفطرت الحامل والمرضع ماذا عليهما وكيف تصنعان ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

● فمنهم من ذهب إلى أنهما تفطران وتطعمان وتقضيان من هؤلاء سفيان ومالكٍ والشافعي وأحمد ، ولا أعلم لهذا الفريق دليلًا من الكتاب والسنة .

● ومنهم من قال : تُفطران وتُطعمان ولا قضاء عليهما وإن شاءتا قضتا ولا إطعام ، وبه يقول إسحاق ، والقائلون بهذا القول أخذوا حكمهم من قول الله عز وجل : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] بناءً على أنه لم ينسخ ، بل هو باق في حق الشيخ الكبير والمرضع والحامل .

لكن الراجح من أقوال أهل العلم أن هذه الآية منسوخة .

● ومنهم من ذهب إلى أنهما تفطران وتقضيان ولا تطعمان ، وممن قال بهذا القول الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي وهؤلاء قاسوا الحامل والمرضع على المريض والمسافر .

● ومنهم من قال : تفطران ولا تطعمان ولا تقضيان ومن هؤلاء ابن حزم رحمه الله ، من أدلة هؤلاء : أن الذمم بريئة ما دام لم يأت نص ملزم لها بشيء ، ولما لم يأت نصٌّ مُلزم بشيء قلنا ببراءة ذمتها من أي شيء ، وأيضًا قال النبي ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة »[1]، فدل ذلك على أن الصوم قد وضع عن الحامل والمرضع والمسافر ، ولا يقال هنا إننا نقيسهما على المسافر فكما أن المسافر يقضي فكذلك الحامل والمرضع تقضيان ، وذلك لأن المسافر إنما لزمه القضاء بنصٍّ

---

(١) انظر تخريجه في كتابنا جامع أحكام النساء .

خارج عن الحديث ألا وهو قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، أما الحامل والمرضع فأين الملزم لهما ، ثم إنه بإمعان النظر في الحديث نفسه : « إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة » نرى أن المسافر إذا قصر الصلاة في السفر لا يطالب – بعد رجوعه – بإتمام ما كان حذفه من ركعات فليقل كذلك إن الحامل والمرضع لا يلزمان بقضاء ما فعلتاه من إفطار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن صيامكم خير لكم من الفطر والإطعام .

أي : أنه إذا كان مباحًا لكم الصوم أو الإفطار مع الإطعام بدلًا من الصوم فالصوم خيرٌ لكم من الإفطار والإطعام .

ومن العلماء من قال : وصيامكم خير لكم من الفطر في السفر والمرض غير الشاق قال هذا الأخير ابن العربي في أحكام القرآن .

❋ ❋ ❋

شَهْرُ

رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

هدى للناس – بينات – الفرقان – اليسر ؟

ج :

الكلمة	معناها
هدى للناس	هدايةً ورشادًا للناس إلى سبيل الحق
بينات	دلالات واضحات وحجج بينات
الفرقان	الفصل بين الحق والباطل
اليسر	السهل

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل شهر رمضان وصيامه ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

وفي رواية في الصحيح : « فتحت أبواب الجنة » .

● ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وفي رواية في الصحيح : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

● ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

● ومنها : ما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٩٩) ومسلم (حديث ١٠٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠١) ومسلم (حديث ٧٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٢) ومسلم (حديث ٢٣٠٨) .

مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء مَن يرى كراهية قول رمضان ويستحب أن يقول (شهر رمضان) فهل لهم مستند صحيح على ذلك ؟

ج : لا نعلم لهم مستندًا صحيحًا[2] على ذلك ، بل الدليل يردُّ ما ذهبوا إليه فقد أخرج البخاري[3] وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة » .

وأشار البخاري في تبويبه إلى تجويز إطلاق رمضان بقوله بابٌ هل يقال رمضان أو شهر رمضان ؟ ومن رأى كله واسعًا وقال النبي ﷺ : « من صام رمضان » وقال : « لا تقدموا رمضان » .

● **ونقل الحافظ ابن حجر عن الجمهور تجويزهم أن يُقال : رمضان.**

وقال ابن العربي في (أحكام القرآن) : « والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها » .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان » ؟

ج : هذا الحديث روي من طريق عمران بن داود القطان عن قتادة عن

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٣٣ ص ٢٠٩) .

(٢) وقد ورد لهم مستند ضعيف وهو حديث : « لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى » وهو ضعيف الإسناد ففيه أبو معشر نجيح المدني ، وفيه علل أُخر انظره في فتح الباري (١٣٥/٤) .

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٨) .

أبي المليح عن واثلة بن الأسقع[1] رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده عمران بن داود القطان الذي تطمئن نفسي إليه في شأنه أنه ضعيف في الحديث ، فالحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

وقد عنعن قتادة وهو مدلس .

وقد روي الحديث من طريق أبي المليح عن جابر وفي إسناده ضعف شديد .

* * *

س : كيف توفِّق بين قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] وبين نزول القرآن مفرقًا على رسول الله ﷺ على مدار الشهور والسنين[2] ؟

ج : أجاب على ذلك جمهور العلماء بما حاصله : أن القرآن نزل في ليلة

---

(١) وقد أخرجه أحمد (١٠٧/٤) والطبري (٨٤/٢) والطبراني في الكبير (٧٥/٢٢) وأبو يعلى (١٣٥/٤) وغيرهم من الطريق التي أشرنا إليها .

وللحديث شواهد ضعيفة واهية لا نطيل الحديث في ذكرها ، هذا والحديث بتمامه لفظه أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلةٍ من رمضان وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين والإنجيل لثلاث عشر خلت من شهر رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن ليلة القدر هي ليلة الخامس والعشرين لقوله : وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان مع قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] مع قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] وقوله : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين ﴾ [الدخان : ٣] ، والله تعالى أعلم .

(٢) ومما يؤيد نزوله مفرقًا قول الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] وهذا شيء من =

القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان كما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] ، وكما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين ﴾ [الدخان : ٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ثم نزل مفرقًا على رسول الله ﷺ بعد ذلك بحسب الوقائع .

وقد روي ذلك من طرق عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] .

وقال القرطبي رحمه الله : ولا خلاف أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر على ما بيناه جملة واحدة فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم كان جبريل ينزل به نجمًا نجمًا في الأوامر والنواهي والأسباب وذلك في عشرين سنة .

= المسلمات – أي : كون القرآن نزل على رسول الله ﷺ مفرقًا بحسب الوقائع – فقد نزلت العلق على رسول الله ﷺ بمكة ونزلت براءة والبقرة بالمدينة ... إلى غير ذلك .

(١) أخرجها الطبري من طرق صحيحة وحسان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما رقم (٢٨١٢) ، (٢٨١٣) ، (٢٨١٦) ، (٢٨١٧) ، (٢٨١٨) ، ومن ألفاظها (بإسناد صحيح عن **ابن عباس** كما ذكرنا) : أُنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان الله إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه .

● **وقال ابن جرير** الطبري رحمه تعالى : وأما قوله : ﴿ الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا كان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] وقال : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [الدخان : ٣] ثم نزل بعد مفرقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

● هذا ومن العلماء من قال : إنْ معنى قوله : ﴿ إنا أنزلناه ﴾ [القدر : ١] أي : ابتدأنا إنزاله ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بـ (شهود الشهر) في قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال فمنهم من قال : إن المراد بشهود شخصِ الشهر هو أن يأتيه الشهر وهو مقيم في داره ، قالوا : فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فعليه صوم الشهر كله سواء حضر بعض الشهر ثم سافر أم بقي طيلة الشهر في بلده .

فإن مكث طول الشهر في بلده صام طول الشهر ، وإن بقي بعض الأيام ثم سافر فيصوم أيضًا الأيام التي بقي فيها وكذلك التي سافر فيها يصومها أيضًا صح ذلك عن عبيدة – كما عند الطبري – وإبراهيم[1] .

وهذا القول ظاهر الخطأ والبطلان فإن الله قال : ﴿ ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ ، والصواب ما قاله آخرون من أن معنى ذلك

---

(١) أخرج الطبري (٢٨٢٦) بإسناد صحيح إلى عبيدة – في الرجل يُدركه رمضان ثم يسافر قال : إذا شهدت أوله فصم آخره ألا تراه يقول : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وأخرج أيضًا (٢٨٣/٤) بإسناد صحيح إلى أبي البختري قال : كنا عند عبيدة فقرأ هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] قال : من صام شيئًا منه في المصر فليصم بقيته إذا خرج ، قال : وكان ابن عباس يقول إن شاء صام وإن شاء أفطر .

وأخرج الطبري بإسناده إلى إبراهيم أنه كان يقول : إذا أدركك رمضان فلا تسافر فيه فإن صمت فيه يومًا أو اثنين ثم سافرت فلا تفطر صُمه .

(الطبري أثر ٢٨٣٤) .

أن يصم ما شهده (أي : ما حضره في بلده) من الشهر أما إذا سافر فله أن يفطر .

أي : أن من حضر الشهر منكم وهو في بلده فيصم من الشهر الذي شهده منه وهو مقيم فإذا سافر فله أن يفطر .

وهذا رأي جماعة كبيرة من أهل العلم ، وقد ثبت في جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ أنه سافر فصام في سفره وسافر أيضًا فأفطر في سفره ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر ؟

ج : هذا الحديث ضعيف عن رسول الله ﷺ ، فقد أخرجه ابن ماجه[1] وغيره من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ ، واختلف فيه على الزهري اختلافًا كثيرًا .

● فرواه الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال : يقال : الصيام في السفر كالإفطار في الحضر[2] كما عند النسائي وغيره .

● ورواه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر .

وثمَّ أوجه أُخر للاختلاف في إسناده ذكرها الدارقطني رحمه الله تعالى

---

(١) ابن ماجه في سننه حديث (١٦٦٦) ، وانظر ابن أبي شيبة (المصنف ١٤/٣) ، والكامل لابن عدي (٢٦٦/٧) ، وتاريخ بغداد (٣٨٣/١١) لترى مزيد من الخلاف على الزهري .

(٢) أخرجه النسائي (السنن الصغرى ١٨٣/٤) .

في العلل[1] ، وقال :

والصحيح عن أبي سلمة عن أبيه موقوفًا .

قلت : وأبو سلمة لم يسمع من أبيه أيضًا .

وقال أبو زرعة (كما نقله عنه ابن أبي حاتم في العلل[2]) : الصحيح عن الزهري عن أبي سلمة عن أبيه موقوف .

❋ ❋ ❋

س : يشرع الذكر عند انقضاء العبادة والفراغ منها وضح ذلك بالأدلة ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة : ١٠] .

● قوله تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

● وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير ، وفي رواية : إن رفع الصوت بالذكر عند الانتهاء من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

---

(١) علل الدارقطني (٤/٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٢) علل ابن أبي حاتم (١/٢٣٨ - ٢٣٩) .

س : ما هو الدليل على مشروعية التكبير في عيد الفطر ؟

ج : الدليل هو قوله تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : يريد الله بكم أيها المؤمنون بترخيصه لكم في حال مرضكم وسفركم في الإفطار وقضاء عدة من أيام أُخر من الأيام التي أفطرتموها بعد إقامتكم وبعد برئكم من مرضكم التخفيف عليكم والتسهيل عليكم لعلمه بمشقة ذلك عليكم في هذه الأحوال ، ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] يقول : ولا يريد بكم الشدة والمشقة عليكم فيكلفكم صوم الشهر في هذه الأحوال مع علمه شدة ذلك عليكم وثقل حمله عليكم لو حملكم صومه .

* * *

س : أفادت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا ﴾ [الشرح : ٤ ، ٥] ، قوله تعالى : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، قوله تعالى : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ [النساء : ٢٨] ، قوله تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [النساء : ٢٧] ،

وقوله تعالى : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ [النساء : ١٤٧] ، وكذلك قول رسول الله ﷺ : « يسِّرا ولا تعسرا » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه » إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب » .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره : ولتعظِّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثل الذي كتب عليكم فيه . فضَلُّوا عنه بإضلال الله إياهم وخصَّكم بكرامته فهداكم له ووفقكم لآداء ما كتب الله عليكم من صومه وتشكروه على ذلك بالعبادة له .

والذكر الذي حضهم الله على تعظيمه به (التكبير) يوم الفطر فيما تأوله جماعة من أهل التأويل .

ثم قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٩٠٣)[1] : حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد : كان ابن عباس يقول : حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] . قال ابن زيد : ينبغي لهم إذا غدوا إلى المصلى كبروا ، فإذا جلسوا كبروا ، فإذا جاء الإمام صمتوا ، فإذا كبر الإمام كبروا ، ولا يكبرون إذا جاء الإمام إلا بتكبيره ، حتى إذا فرغ وانقضت الصلاة فقد

---

(١) صحيح إلى ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

انقضى العيد . قال يونس : قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلَّى .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة :١٨٥] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بذلك : ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق وتيسير ما لو شاء عسَّر عليكم و (لعل) في هذا الموضع بمعنى (كي) ولذلك عطف به على قوله : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] أي : إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك .

❋ ❋ ❋

وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات :

فليستجيبوا لي - ليؤمنوا بي - يرشدون ؟

ج :

الكلمة	معناها
فليستجيبوا لي[1]	فليجيبوني - فليطيعوني
وليؤمنوا بي	وليصدقوني (أنهم إذا أطاعوني أثبتهم على طاعتهم لي)
يرشدون	يهتدون

(١) قال الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ﴾ [البقرة : ١٨٦] : فيه مسائل :

المسألة الأولى : وجه الناظم أن يقال : إنه تعالى قال : أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقًا ، فكن أنت أيضًا مجيبًا لدعائي مع أنك محتاج إلي من كل الوجوه ، فما أعظم هذا الكرم ، وفيه دقيقة أخرى وهي أنه تعالى لم يقل للعبد : أجب دعائي حتى أجيب دعاءك ، لأنه لو قال ذلك لصار لدعائي ، وهذا تنبيه على أن إجابة الله عبده فضل منه ابتداء ، وأنه غير معلل بطاعة العبد ، وأن إجابة الرب في هذا الباب إلى العبد متقدمة على اشتغال العبد بطاعة الرب ، وهذا يدل على فساد ما نقلناه عن المعتزلة في المسألة الرابعة . =

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : لم نقف لهذه الآية الكريمة على سبب نزول صحيح . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : عن أي شيء من شئون الله عز وجل يسأل المؤمنون رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أن العباد يسألون رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أين هو ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فإني قريب ﴾ فدل قوله تعالى : ﴿ فإني قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦] على أنهم إنما يسألون عن القرب والبعد .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** يعني تعالى ذكره بذلك : وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم وأُجيب دعوة الداعي منهم .

● **وقال الرازي رحمه الله تعالى : إن السؤال متى كان مبهمًا والجواب مفصلًا دل الجواب على أن المراد من ذلك المبهم هو ذلك المعين** ، فلما كان في الجواب فإني قريب علمنا أن السؤال كان عن القرب والبعد بحسب الذات .

= المسألة الثانية : قال الواحدي : أجاب واستجاب بمعنى واحد ، قال كعب الغنوي :

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقال أهل المعنى : الإجابة من العبد لله الطاعة ، وإجابة الله لعبده إعطاؤه إياه مطلوبه ، لأن إجابة كل شيء على وفق ما يليق به .

٢ – من العلماء من يقول : إن العباد يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة التي يدعون الله عزَّ وجل فيها أي ساعة هي .

والأول أولى والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي ... ﴾ [البقرة : ١٨٦] وبين ما يُرى ويُشاهد من أن كثيرًا من الناس يدعون الله عز وجل فلا يستجيب الله عز وجل دعاءهم في الظاهر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي :

الأول : أن الدعاء قد يستجاب ولكننا لا نعرف الصورة التي استجيب بها الدعاء ، فقد تكون صورة الاستجابة تتمثل في صرف السوء عن الداعي ، وقد تتمثل صورة الإجابة في ادخار الإجابة إلى الآخرة ، كما قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يدعو الله بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخر له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها »[1] .

الثاني : من العلماء من قال : إن الآية الكريمة مقيدةٌ بمشيئة الله عز وجل ، والمعنى : أُجيب دعوة الداع إن شئت ، ومستند القائلين بهذا القول هو قوله تعالى : ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ [الأنعام : ٤١] ، لكن الذي يُعكر على هذا القول هو أن سياق هذه الآية الكريمة إنما هو في المشركين[2] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨/٣) بإسنادٍ حسن .

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (أضواء البيان ١٠٤/١) : وقال بعضهم : =

الثالث : أن المراد بـ (الدعاء) هنا دعاء العباد ربهم أن يتقبل منهم أعمالهم ويثيبهم على طاعتهم ، وإجابة هذا من الله معناها الوفاء لهم بما وعدهم به وبما ضمنه للمطيعين من الثواب كما قال تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ [الشورى : ٢٦] فمعنى أجيب دعوة الداع[١] : أتقبل عمل العامل وأثيبه عليه ، وشاهد ذلك قول رسول الله ﷺ : « الدعاء هو العبادة »[٢] .

الرابع : مِن أهل العلم مَن قال : (أجيب دعوة الداع) إذا استوفى الداعي شروط الدعاء[٣] .

الخامس : من العلماء من قال : إن المراد بـ (الداع) : الداعي المؤمن وليس الكافر لقوله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾[٤] [المائدة : ٢٧].

= التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية ، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين ، وعليه فدعاؤهم لا يُرد ، إما أن يُعطوا ما سألوا أو يُدخر لهم خيرٌ منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره .

(١) قال ابن القيم رحمه الله : الدعاء نوعان : دعاء ثناءٍ ، ودعاء مسألة ، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين ، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين ، والاستجابة أيضًا نوعان : استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثني بالثناء ، وبكل واحد من النوعين فُسِّر قوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] والصحيح أنه يعم النوعين .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) وسيأتي بيان بعضها إن شاء الله .

(٤) قال القاسمي (محاسن التأويل ٣/٤٣٤) :

قال الراغب : بين تعالى في هذه الآية إفضاله على عباده ، وضمن أنهم إذا دعوه أجابهم ، وعليه نبه بقوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] . وإن قيل : قد ضمن في الآيتين أن من دعاه أجابه ، وكم رأينا من داعٍ له لم يجبه ! قيل : إنه ضمن الإجابة لعباده ، ولم يرد بالعباد من ذكرهم بقوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] وإنما عنى به الموصوفين =

السادس : قال بعض أهل العلم : إن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل ، وقد لا تكون المصلحة في ذلك فيجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة ، وقد تكون المصلحة في التأخير أو المنع .

السابع : ذكر بعض العلماء هنا أن معنى (أجيب) أي : أسمع ، فقوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ أي : أسمع دعوة الداع وذلك كقولنا في الصلاة : سمع الله لمن حمده أي : أجاب الله[1] .

الثامن : أن المراد من الدعاء التوبة من الذنوب ، وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة ، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة .

هذه بعض الوجوه التي ظهرت لي من أقوال العلماء في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= بقوله : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر : ٤٢] وقوله : ﴿ وعباد الرحمن ﴾ [الفرقان : ٦٣] الآيات .

قلت : لكن ما زال الإشكال واردًا على هذا الوجه فمن المؤمنين من يدعو ولا يظهر أن الدعوة استجيبت له أيضًا .

(١) قال الرازي في تفسيره : وقال ابن الأنباري (أجيب) ههنا بمعنى أسمع لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر ، فقولنا : سمع الله لمن حمده أي : أجاب الله فكذا ههنا قوله : ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ [البقرة : ١٨٦] أي : أسمع تلك الدعوة فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ على هذا الوجه زال الإشكال .

س : اذكر بعض الأدلة التي تدل على علم الله عز وجل بحال عبده وقربه منه[1] ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٢] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ [المجادلة : ٧] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ [الحديد : ٦] إلى غير ذلك من الأدلة .

* * *

س : هل لهذه الآية صلة بما قبلها : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن لهذه الآية صلة بما قبلها ، ووجه ذلك أن الله عز وجل قال في الآية التي قبلها : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله

---

(١) قدَّمنا قبلُ بما فيه الكفاية أن ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] وأن الله عز وجل في السماء كما قال عز وجل : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ [الملك : ١٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ [فاطر : ١٠] إلى غير ذلك مما أوردناه من أدلة في هذا الباب .

على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ثم عقب بقوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] فأرشدهم سبحانه إلى الدعاء والاجتهاد فيه عند الفطر والانتهاء من الصوم فالآية إذن إرشاد للصائم وتوجيه إليه للدعاء عند إفطاره .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة وعند كل فطر .

هذا **وقد نقل القاسمي عن الراغب قوله :** هذه الآية من تمام الآية الأولى لأنه لما حثَّ على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من تمام الصوم بيَّن أن الذي يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ومجيب لهم إذا دعوه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على الدعاء وُترغِّب فيه ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ [غافر : ٦٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يقول من أحب أن يجتهد في الدعاء ؟

ج : من أحب أن يجتهد في الدعاء فليقل : (اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) ، وذلك لما أخرجه أحمد في مسنده[1] بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قولوا : اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض آداب الدعاء وأسباب إجابته والموانع من تلك الإجابة ؟

ج : من آداب الدعاء ما يلي :

أولًا : على الداعِ أن يتحلى بتقوى الله عز وجل فالله عز وجل يقول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ثانيًا : على الداع أن يطيب مطعمه ومشربه وملبسه حتى يتقبل الله عزَّ وجل منه ويعطيه سؤله ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون : ٥١] وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] — ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك »[2] .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٧/٩٩) .

ثالثًا : على الداع أن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل »[1] الحديث .

رابعًا : على الداعي أن يكرر الدعاء[2] ويكثر منه ولا يستجعل الإجابة فيترك الدعاء وذلك لما أخرجه مسلم في الحديث السابق أيضًا ففيه قيل : ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » .

خامسًا : على الداع أن يطلب من الله عز وجل العون على الدعاء والتوفيق إليه .

سادسًا : على الداع أن يرد المظالم إلى أهلها فإن المظلوم قد يدعو عليه دعوة يحجب بسببها دعاؤه عن الإجابة ، وقد قال النبي ﷺ : « دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب » .

سابعًا : وينبغي أن لا يحجِّر الداعي دعوته لنفسه فقط بل يدعو لنفسه وللمسلمين كذلك معه فقد أخرج البخاري[3] من حديث أبي هريرة

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (مع النووي ٥٢/١٧) .

(٢) أما تكرير الدعاء فلما أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٤٩/١) ، ومسلم (مع النووي ١٥٠/١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس .... الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاث مرات وفي رواية لمسلم .. وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا .

● ومما يدل على مشروعية تكرير الدعاء ما أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٠١/٢) ، ومسلم (٦٩٤/١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة من بابٍ كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائمًا فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا .... » الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٣٨/١٠) .

رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه ، فقال أعرابي وهو في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ، فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي : « لقد حجَّرت واسعًا » يريد رحمة الله .

ثامنًا : وليعزم الداعي المسألة فلا يقولن : اللهم أعطني إن شئت اللهم اغفر لي إن شئت[1] ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له » ، وفي رواية : « إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء ، ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له »[2] .

تاسعًا : ولا يتكلف الداع ويسجع[3] في الدعاء وذلك لما أخرجه البخاري[4] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لعكرمة : حدِّث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ولا تملَّ الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم

---

(١) وبعض البلاد يكثر في سكانها قول : (الله يوفقك إن شاء الله) ، وهذا يدخل في المنهي عنه أيضًا ، والصواب أن يقول : الله يوفقك (بدون قول : إن شاء الله) لقول النبي ﷺ المذكور ، وكذلك لم يقل الخليل عليه السلام : (وارزق أهله من الثمرات إن شاء الله ....) ، وسائر آي الكتاب العزيز في أبواب الدعاء تدل على ما ذكرنا ، والعلم عند الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/٤٤٥) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٦) ، والرواية التي قبلها « إذا دعا أحدكم .... » أخرجها البخاري (١٣/١٣٩) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٦) .

(٣) السجع هو أن يتكلف المجيء بالدعاء على قافية واحدة ، أما إذا لم يتكلفه وجاء على قافية واحدة فلا بأس فالرسول ﷺ كان يقول : « أذهب البأس رب الناس .... » ، وكان يقول : « اللهم منزل الكتاب هازم الأحزاب مجري السحاب ... » .

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/١٣٨) .

فتقصَّ عليهم حديثهم فتُملُّهم ولكن أنصت ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب .

عاشرًا : ويستحب للداعي اختيار الجوامعَ من الدعاء فإن عائشة رضي الله عنها ذكرت أن النبي ﷺ كان يعجبه الجوامع من الدعاء ويَدَعُ ما بين ذلك[1] .

وأخرج الحاكم[2] بإسناد صحيح عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أجملوا في طلب الدنيا فإن كلًّا ميسر لما كتب له منها » ، وقال الحاكم : صحيح .

حادي عشر : ولا يقتصر الداعي في دعائه على إصلاح الدنيا فقط بل ويطلب صلاح الآخرة له ولذويه كذلك ، فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] .

ثاني عشر : ويستحب للداعي أن يتخير أوقات الإجابة فهو وإن كان جائزًا له أن يدعو ربه في كل وقت إلا أن هناك بعض الأوقات أولى من بعض (على ما سيأتي بيانه إن شاء الله)[3] .

ثالث عشر : ويستحب للداعِ أن يقدم بين يدي دعائه بعض المقدمات كحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ والدعاء بأسمائه الحسنى

---

(١) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٦/١٤٨ - ١٨٩) .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣) .
(٣) سيأتي ذلك إن شاء الله في سؤال مستقل .

والاعتراف بالذنب والإقرار بفضل الله عليه والصلاة والصدقة والصلة وأعمال البر والإحسان ويتوسل بذلك إلى الله سبحانه وتعالى في دعائه إياه[1] .

رابع عشر : ويستحب للداعي أن يرفع همته في الدعاء ويسأل الله مزيد الفضل والإحسان والإنعام فإن الله عز وجل لا يعظم عليه شيء ، فقد قال النبي ﷺ : « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة »[2] .

وقد أخرج مسلم رحمه الله[3] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، قال : فقال النبي ﷺ : « قد سألت الله لآجالٍ مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حلِّه ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل » .

خامس عشر : ويَحذر الداعي من الاعتداء في الدعاء ، وللاعتداء في الدعاء صورٌ منها أن تسأل الله ما ليس لك كأن تسأل الله أن تكون نبيًّا أو تكون لك الوسيلة والفضيلة ، أو تعيش أبد الدهر ، أوتطير في الهواء وتمشي على الماء ... ونحو ذلك ، أو أن يسأل ربَّه عن أشياء لم يرد لها ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول :

---

(١) وسيأتي ذلك في سؤال مستقل إن شاء الله .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ٦/١١) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٦ / ٢١٢) ، وأحمد في المسند (١/٣٩٠ و ٤١٣) .

اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال : يا بني سل الله تبارك وتعالى الجنة وعُذ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أوقات الإجابة التي يستحب فيها الإكثار من الدعاء ؟

ج : من هذه الأوقات ما يلي :

١ - الثلث الأخير من الليل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »[2] .

٢ - بين الأذان والإقامة ، فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعوة لا ترد بين الأذان والإقامة فادعوا » .

٣ - أثناء السجود ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »[4] .

٤ - يوم الجمعة : وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[5] من حديث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٥٥) ، وأبو داود في الطهارة (٤٥) (٢/١٦٢) ، وابن ماجة (٣٨٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٢٨) ، ومسلم (مع النووي ٦/٣٦) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٢٢٥) بإسناد صحيح .

(٤) أخرجه مسلم (جـ ٤/٢٠٠ مع النووي) .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٩٩) ، ومسلم (مع النووي ٦/١٣٩) .

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « في يوم الجمعة ساعة[1] لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه » ، وقال بيده ، قلنا : يقللها ويزهدها .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض المقدمات التي يقدمها الشخص بين يدي دعائه ؟

ج :

● للدعاء صور ومقدمات تتقدمه منها .

أن يسبق الدعاء حمد الله والثناء عليه وتمجيده ونحو ذلك ، والصلاة على النبي ﷺ ثم يدعو الداعي بما يريد ولهذا جملة من الأدلة منها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي بسند حسن من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ، ثم دعاه وقال له ولغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء »[2] .

● ويتأيد هذا أيضًا بما في سورة الفاتحة فكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، قال الله : حمدني

---

(١) وقد جاء في بعض الطرق تحديدها بأنها الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وهو أمثل ما قيل في ذلك ، والله أعلم .

(٢) أخرجه أحمد (المسند ١٨/٦) ، وأبو داود (١٦٢/٢) ، والنسائي (٤٤/٣) ، والترمذي (٤٤٩/٩ مع التحفة) ، وقال : حديث حسن ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ١١١) .

عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ٣] ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ، قال : مجدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل .... »[1] .

فانظر كيف أتى الدعاء : ﴿ اهدانا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ، جاء بعد حمد الله والثناء عليه وتمجيده ، فمن ثمَّ إذا قال العبد : ﴿ اهدانا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] ، قال : « هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » .

● وفي هذا الباب أيضًا ما جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في قصة الشفاعة وذهاب المؤمنين إلى آدم فيحيلهم آدم إلى نوح ويحيلهم نوح إلى إبراهيم ويحيلهم إبراهيم إلى موسى وموسى إلى عيسى وعيسى يحيلهم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قال رسول الله ﷺ[2] : « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقل يُسمع واشفع تُشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال : ثم أشفع فَيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة » .

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه وتعالى .

● وفي هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن

---

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٠) .

فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت وما أنت أعلم به مني لا إلٰه إلا أنت »[1] .

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل وغاية الإقرار له بالعبودية ؟!!

● وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي : عن قدرة نفسه بقوله : فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب) ، ثم يأتي بعد ذلك الدعاء « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي .... » .

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سبحانه وتعالى .

● ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم »[2] .

(أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما) .

فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع .

● ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٢) ، ومسلم (مع النووي ٥٤/٦) ، وأبو داود (٤٨٨/١) ، والترمذي (٣٦٤/٩ مع التحفة) ، والنسائي (٢٠٩/٣) ، وابن ماجة (١٣٥٥) ، وأحمد (٣٠٨/١) .

(٢) صحيح وقد تقدم .

ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[1] ، فانظر كيف جاء قوله عليه السلام : « اللهم اغفر لي » بعد قوله : « سبحانك اللهم وبحمدك » .

● وكذلك في صلاة الليل كان عليه الصلاة والسلام يفتتحها بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[2] فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده .

● **وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى** لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه – وأسماؤه كلها حسنى – كان ذلك من أسباب الإجابة .

فيسأل الرب سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص ، فإن كان يريد الرزق مثلًا قال كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ .... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] وقول موسى عليه السلام : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله : ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ : « ... اشف أنت

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع الفتح ٤/٢٠١) ، وغيرهم .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٥٦) من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة بن عمار عن يحيى متكلم فيها ، ولهذا انتقده الحافظ أبو الفضل الهروي على الإمام مسلم في كتاب علل أحاديث في صحيح مسلم لأبي الفضل الهروي .

الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ...»[1] ، (أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا) ، وهكذا .

وفي هذا الباب حديث بريدة[2] قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يُولد و لم يكن له كفوًا أحد ، قال : فقال : « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى » . (أخرجه الترمذي بسند حسن)

● **وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته** كما قال موسى ﷺ : ﴿ رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله ومنه أطلب المزيد فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا ومن ذلك قول أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

● ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام : ﴿ ... ولم أكن بدعائك رب شقيًّا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ [مريم :٤ -٦] .

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته ، كما قال ابن القيم رحمه الله (في التفسير القيم) : فقد قيل : إنه دعاء المسألة والمعنى إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه ، كما حكي أن رجلًا سأل رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٧٥) ، ومسلم (حديث ٢١٩) .

(٤) أخرجه الترمذي (٤٤٥/٩ مع التحفة) وقال : حديث حسن غريب ، وأبو داود (١٤٩٣) ، وابن ماجة (٩ : ٤) ، وأحمد (٣٤٩/٥ و ٣٦٠) .

وقال : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا فقال : مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته .

قلت : فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عز وجل : يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ ولم ترد دعوتي ولم تجعلني من قبل محرومًا ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا .

● ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية ، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان ، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول وبالله التوفيق : لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنية مثلًا فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك متوسلًا إليك بسابق إحسانك - : أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنية ، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راض عنه وعن شكره للمعروف ، ولله المثل الأعلى .

● **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال** ، ومن ذلك قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ .

● ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان .

● ومنه قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

الراحمين ﴾ [المؤمنون : ١٠٩] .

● ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (واللفظ لمسلم) قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء ، وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم ، وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي ، قلت : اذهب إلى تلك البقرة ورعائها فخذها ، فقال : اتق الله ولا تستهزىء بي ، فقلت : إني لا أستهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به ،

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي »[1] .

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تبارك وتعالى ففرج الله عنهم .

● **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات** ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى[2] » ، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء .

* * *

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤٠) ، وأحمد (٤١٦ ، ٤٣٧) ، والترمذي (مع تحفة الأحوذي ٩/٤٦١) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٨٣٢) .

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : أُحل لكم – الرفث – لباس – تختانون أنفسكم – باشروهن – ابتغوا – كتب – الخيط الأبيض – الخيط الأسود – حدود الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
أُحل لكم الرفث	أبيح لكم – أطلق لكم الجماع[1]

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الرفث) في غير هذا الموضع الإفحاش في المنطق ، كما قال العجاج عن اللّغا ورفث التكلّم .

الكلمـة	معناهـا
لباس	لحاف – سكن[1]
تختانون أنفسكم	تَخُونُون أنفسكم
باشروهن	المباشرة الجماع
ابتغوا	اطلبوا
كتب	قضى[2] – جعل
الخيط الأبيض	بياض النهار
الخيط الأسود	سواد الليل
حدود الله	محارم الله – شروطه

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري (٢٩٣٠) بإسناد حسن عن قتادة ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال : هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٩٣٣) في قوله : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال : المواقعة .

(٢) **وكتب بمعنى قضى** كما في قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ [التوبة : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ [المجادلة : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

● **وكتب بمعنى جعل** كما في قوله تعالى : ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ .. فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فقالت : خيبة لك ، فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ففرحوا بها فرحًا شديدًا ، ونزلت : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وللحديث رواية أخرى ولفظها لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

* * *

س : كيف يكون نساؤنا لباسًا ونحن لهن لباسًا واللباس إنما هو ما لبس ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله تعالى هذا السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباسًا لنا ، ونحن لهن لباسًا ، و(اللباس) إنما هو ما لبس ؟

قيل : لذلك وجهان من المعاني :

أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباسًا ، لتجردهما عند

النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه ، بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما : هو (لباس) لصاحبه ، كما قال نابغة بني جعدة :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها، تداعت ، فكانت عليه لباسا[1]

ويروي : (تثنت) ، فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد بـ (اللباس) ، كما يكنى بـ (الثياب) عن جسد الإنسان ، كما قالت ليلى ، وهي تصف إبلًا ركبها قومٌ :

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ، فلا تَرَى، لها شَبَهًا إلا النَّعَامَ المُنَفَّرَا[2]

يعني : رموها بأنفسهم فركبوها ، وكما قال الهذلي :[3] .

تَبَرَّأ مِنْ دمِ القتيلِ وَوَتْرِهِ وقد عَلِقَتْ دَمَ القتيل إزارُها[4]

يعني بإزارها : نفسها ، وبذلك كان الربيع يقول :

قال الشيخ شاكر رحمه الله (في تعليقه على الطبري) :

(١) الشعر والشعراء : ٢٥٥ من أبيات جياد ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٦٧ ، وتأويل مشكل القرآن ١٠٧ ، وغيرها ، وقبله .

أضاءت لنا النار وجهًا أغـ ـرَّ مُلتبسًا بالفؤاد التباسَا
يضيء كضوء سراجِ السَّلِيـ ـط ، لم يجعلِ الله فيه نُحاسَا
بآنسةٍ غيرِ أُنسِ القِرَافِ وتَخلِطُ بالأُنس منها شِماسَا

وهو شعر كما ترى .

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٨٦ ، وتأويل مشكل القرآن : ١٠٧ وغيرهما . وقولها : (رموها بأثواب) قالوا : تعني بأجسام خفاف (المعاني) . والصواب في ذلك أن يقال : إن هؤلاء الركب قد لوحتهم البيد وأضنتهم ، فلم يبق فيهم إلا عظام معروقة عليها الثياب ، لا تكاد ترى إلا ثوبًا يلوح على كل ضاو وضامر ، ولذلك شبهت الإبل عليها ركبها بالنعام المنفر . والمنفر : الذي ذعر فانطلق هاربًا يخفق في الأرض .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي .

(٤) ديوانه : ٢٦ ، والمعاني الكبير : ٤٨٣ ، ومشكل القرآن : ١٠٨ وغيرها . من =

٢٩٢٩ - حدثني المثنى قال : حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾، يقول : هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن[1] .

والوجه الآخر : أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه (لباسًا) ، لأنه سكنٌ له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿جعل لكم الليل لباسًا﴾ [الفرقان : ٤٧] يعني بذلك : سكنًا تسكنون فيه . وكذلك زوجة الرجل يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، فيكون كل واحد منهما (لباسًا) لصاحبه بمعنى سكونه إليه ، وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون في ذلك ، وقد يقال لما ستر الشيء وواراه عن أبصار الناظرين إليه : (هو لباسه وغشاؤه) فجائز أن يكون

= قصيدة له عجيبة ، يرثي بها صديقه وحميمه نشيبة بن محرث ، استفتحها متغزلًا مشببًا بصاحبته أم عمرو ، واسمها فطيمة ، وقال قبل هذا البيت ، يلوم نفسه على هجرها ويقول :

فإنك منها والتَعَذُّرَ ، بعد ما ... لَجِجْتَ ، وشطَّت من فطيمة دَارُها
كنَعْتِ التي ظلت تُسبِّع سُؤْرَها ... وقالت : حرامٌ أن يُرَجَّلَ جارُها
تبرَّأ من دم القتيل..... ... .

يقول : أفت في انتفاءك من حبها بعد اللجاجة فيه ، كهذه المرأة التي قتلت قتيلًا وحازت بزه ، أي : سلاحه ، وأخفته . قال الأصمعي في خبر هذه المرأة : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وترجل شعره ، ثم جاء كلب فولغ في إنائها فغسلته سبع مرات : وذلك بعين الرجل ، فتعجب منها ومن ورعها . فبينا هو كذلك ، أتاها قوم يطلبون عندها قتيلًا ، فانتفلت من ذلك - أي : أنكرت - وحلفت . ثم فتشوا منزلها ، فوجدوا القتيل وسلاحه في بيتها .

يقول : أنت كهذه المرأة ، تجحد حب صاحبتك ، وتظهر أنك قد كبرت وانتهيت عن الجهل والصبا ، ولو فتش قلبك . لرأوا حبك لها لا يزال يتأجج ويشتعل .

(١) إسناده واهٍ ففيه المثنى وهو ابن إبراهيم الآملي لم أقف له على ترجمة مع إكثار الطبري من الإخراج له ، وكذلك عبد الرحمن بن سعد ضعيف .

قيل : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] بمعنى أن كل واحدٍ منكم ستر لصاحبه فيما يكون بينكم من الجماع عن أبصار سائر الناس .

❋ ❋ ❋

س : ما هي هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم فيها وتاب الله عليهم وعفا عنهم وتجاوز لهم عنها ؟

ج : كانت خيانتهم في شيئين :

أحدهما : جماع النساء في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الجماع .

الثاني : المطعم والمشرب في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الطعام والشراب .

● وحاصل ذلك أن أحدهم إذا كان صائمًا وأذن المغرب أكل وشرب وجامع النساء إن شاء وأبيح له ذلك ما لم ينم فإذا نام أو نامت زوجته منعا من الأكل والشرب والجماع إذا استيقظا حتى تغرب شمس اليوم التالي ، فكان أقوام منهم يختانون أنفسهم فيأكلون ويشربون ويجامعون نساءهم إن استيقظوا قبل الفجر ، والله تعالى أعلم[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال (٢٩٤٧) .
﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] . وكان بدءُ الصيام أمروا بثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتين غدوة وركعتين عشية ، فأحل الله لهم في صيامهم – في ثلاثة أيام ، وفي أول ما افترض عليهم في رمضان – إذا أفطروا ، وكان الطعام والشراب وغشيان النساء لهم حلالًا ما لم يرقدوا ، فإذا رقدوا حرم عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة . وكانت خيانة القوم أنهم كانوا يصيبون أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء =

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، منها :

الأول : أن المراد ابتغوا الولد (أي : اطلبوا بمباشرتكم نساءكم الولد من الله سبحانه وتعالى) .

الثاني : أن المراد الجماع .

الثالث : أن المراد ليلة القدر .

الرابع : أن المراد اطلبوا الذي كتبته لكم في اللوح المحفوظ بفعل أسبابه .

الخامس : ذكر بعض أهل العلم أن معناها ما أحله الله لكم ورخص لكم فيه . وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك .

- **قال الطبري رحمه الله تعالى :**

= بعد الرقاد ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم . ثم أحل الله لهم [بعد] ذلك الطعام والشراب وغشيان النساء إلى طلوع الفجر[1] .

---

(١) قال الشيخ شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري :

الأثر : ٢٩٤٧ – الذي بين القوسين زيادة لا بد منها . وسياق هذا الأثر فيه بعض الغرابة ، ولم أجده بنصه هذا في مكان آخر . ولكن جاء في الدر المنثور ١ : ١٩٨ أثر مثله ، قال في صدره : (وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة) ، وساق أثرًا يخالفه كل المخالفة في أكثر لفظه ، وإن وافقه في بعض المعنى : قال :

كان هذا قبل صوم رمضان ، أمروا بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، من كل عشرة أيام يومًا . وأمروا بركعتين غدوة وركعتين عشية . فكان هذا بدء الصلاة والصوم . فكانوا في صومهم هذا ، وبعد ما فرض الله رمضان ، إذا رقدوا لم يمسوا النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . وكان أناس من المسلمين يصيبون من النساء والطعام بعد رقادهم ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فأنزل الله في ذلك من القرآن : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، الآية .

والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال : ﴿ وابتغوا ﴾ - بمعنى : اطلبوا - ﴿ ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] - يعني : الذي قضى الله تعالى لكم .

وإنما يريد الله تعالى ذكره : اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يباح فيطلق لكم . وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة ، مما كتب الله له في اللوح المحفوظ . وكذلك إن طلب ليلة القدر ، فهو مما كتب الله له . وكذلك إن طلب ما أحل الله وأباحه ، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ .

وقد يدخل في قوله : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة ، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال : معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ، لأنه عقيب قوله : ﴿ فالآن باشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، بمعنى : جامعوهن ، فلأنْ يكون قوله : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، بمعنى : وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل ، أشبه بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ، ولا خبرٌ عن الرسول ﷺ .

● **وقال ابن القيم رحمه الله** (التفسير القيم ص ١٤٥) :

والتحقيق أن يقال : لما خفف الله عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر ، وكان المجامع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر ، حتى لا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك ، أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة . ولا يباشروهن بحكم مجرد الشهوة ، بل يبتغوا ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله ولا يشرك به شيئًا ، ويبتغون ما أباح لهم من الرخصة بحكم محبته بقبول رخصه . فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته . ومما كتب الله لهم : ليلة القدر ، فأمروا أن يبتغوها .

لكن يبقى أن يقال : فما تعلق ذلك بإباحة مباشرة أزواجهم ؟

فيقال : فيه إرشاد إلى أن لا يشغلهم ما أبيح لهم من المباشرة عن طلب هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر . فكأنه سبحانه يقول : اقضوا وطركم من نسائكم ليلة الصيام ، ولا يشغلكم ذلك عن ابتغاء ما كتب الله لكم من هذه الليلة التي فضلكم بها . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الكنايات التي يكنى بها عن الجماع في كتاب الله عز وجل ؟

ج : من هذه الكنايات[1] ما يلي :

● **الرفث** كما في قوله تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

● **الغشيان** كما في قوله تعالى : ﴿ فلما تغشاها حملت حملًا خفيفًا فمرت به .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

● **الإتيان** كما في قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

● **اللمس** كما في قوله تعالى : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [النساء : ٤٣] ، [المائدة : ٦] .

● **المس** كما في قوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

● **الإفضاء** كما في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى

---

(١) وهذه الكنايات تستعمل في النكاح وفي غيره أيضًا .

بعضكم إلى بعض ﴾ [النساء : ٢١] .

● **المباشرة** كما في قوله تعالى : ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم .. ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

● **النكاح** كما في قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] .

* * *

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] من ناحية تفسير الآية ؟

ج : موقعها – والله أعلم – كما قال الزمخشري حيث قال : فإن قلت : ما موقع قوله : ﴿ هن لباس لكم ﴾ ؟ قلت : هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال ، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهن .

* * *

س : ما المراد بـ (اختيان النفس) ؟

ج : المراد – والله أعلم – قلة صبرها عما أُمرت بالصبر عليه ، ومنه قولهم : (خانته رجلاه) إذا لم تساعداه على المشي ، (وخانه لسانه) إذا لم يستطع الإفصاح به عما بداخله ، فتختانون أنفسكم معناها تخونون أنفسكم إذا طلب منكم الصبر ، فلا تستطيعون الصبر ، فخيانتكم أنفسكم هو عدم إسعافكم لأنفسكم بالصبر الذي أُمرتم به[1] .

● **قال القرطبي :** وسماه خائنًا لنفسه من حيث كان ضرره عائدًا عليه .

---

(١) قال القاسمي : أي : علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم لو لم يحل لكم ذلك فأحله رحمة بكم ولطفًا .

وقد ذكر القرطبي وجهًا آخر في تأويل قوله تعالى : ﴿ تختانون أنفسكم ﴾ فقال : يستأمر بعضكم بعضًا في مواقعة المحظور من الجماع والأكل بعد النوم في ليالي الصوم كقوله تعالى : ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٥] يعني : يقتل بعضكم بعضًا .

● وذكر **القاسمي** وجهًا ثالثًا في الاختيان : وفي الاختيان وجه آخر وهو أنه عنى به مخالفة الحق بنقض العهد ، أي : كنتم تظلمونها بذلك بتعريضها للعقاب لو لم يحل ذلك لكم قالوا : والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ففيه زيادة وشدة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فالآن باشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] هل يفيد وجوب الجماع فور نزول هذه الآية ؟

ج : لا يفيد ذلك[1] ، والمعنى – والله تعالى أعلم – فالآن قد أبحنا لكم مباشرتهن ، أو فالآن باشروهن إن شئتم .

❋ ❋ ❋

س : هل المستحب تعجيل الصائم للفطر أم تأخيره للاحتياط ؟

ج : المستحب أن يعجل الصائم فطره ، وذلك لما في الصحيح[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الناس بخيرٍ ما عجلوا الفطر » .

ولما في الصحيح[3] أيضًا من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال :

---

(١) إذ لم يرد أن جميع الصحابة ذهبوا وجامعوا نساءهم فور نزول الآية والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٧) ، ومسلم حديث (١٠٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٨) .

كنت مع النبي ﷺ في سفر فصام حتى أمسى ، قال لرجل : « انزل فاجدح لي » قال : لو انتظرت حتى تمسي ، قال : « انزل فاجدح لي إذا رأيت الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم » .

❋ ❋ ❋

س : متى فِطْر الصائم ؟

ج : يفطر الصائم إذا تحقق غروب الشمس[1] .

وذلك لما في الصحيح[2] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » .

وأخرج البخاري[3] كذلك من حديث عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ وهو صائم ، فلما غابت الشمس قال لبعض القوم : « يا فلان قم فاجدح لنا » ، فقال : يا رسول الله لو أمسيت ، قال : « انزل فاجدح لنا » قال : يا رسول الله فلو أمسيت ، قال : « انزل فاجدح لنا » قال : إن عليك نهارًا ، قال : « انزل فاجدح لنا » فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال : « إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم » .

❋ ❋ ❋

س : هل يشترط للاعتكاف صوم ؟

ج : الذي يظهر لي أنه لا يشترط للاعتكاف صوم وذلك لما أخرجه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : .... واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين ، وكذا عدل واحد في الراجح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٥) .

البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[1] أن عمر سأل النبي ﷺ قال : كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة[2] في المسجد الحرام ، قال : « أوف بنذرك » .

فالليلة لا يكون فيها صوم .

والأحاديث التي ورد فيها أمر المعتكف بالصوم لا تثبت عن رسول الله ﷺ[3] .

❋ ❋ ❋

س : ذكر بعض أهل العلم قوله تعالى : ﴿ فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أبلغ في هذا الموطن من قوله : ﴿ فلا تعتدوها ﴾ وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك ابتداءً أنه أبلغ لأن الله سبحانه وتعالى ذكرها في هذا الموطن ، وما دامت قد ذكرت في كتاب الله في هذا الموطن فهي أبلغ ولا شك .

● وثم وجه آخر ذكره القاسمي رحمه الله تعالى فقال : وقوله : ﴿ فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أبلغ من ﴿ لا تعتدوها ﴾ لأنه نهى عن قرب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٢) .

(٢) ورد في بعض الروايات : (نذرت أن أعتكف يومًا) بدلًا من (ليلة) وهي رواية شاذة على الراجح ، وقد حكم عليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بالشذوذ فقال : ورواية من روى (يومًا) شاذة .

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٢٢/٤) : وقد ورد الأمر بالصوم في رواية عمرو بن دينار عن ابن عمر صريحًا لكن إسنادها ضعيف ، وقد زاد فيها أن النبي ﷺ : قال له : « اعتكف وصم » أخرجه أبو داود والنسائي من طريق عبد الله بن بديل وهو ضعيف .

الباطل بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، وذلك نهي عن الوقوع في الباطل بطريق التصريح . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] هل يفيد جواز الاعتكاف في عموم المساجد أم أن هناك أدلة تحمله على مساجد مخصوصة ؟

ج : بل يفيد قوله تعالى : ﴿ وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ جواز الاعتكاف في كل مسجد من المساجد وإلى هذا ذهب البخاري رحمه الله تعالى وجمهور أهل العلم .

فقد بوب البخاري في صحيحه بباب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى : ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

● وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وقال الجمهور بعمومه من كل مسجد إلا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لأن الاعتكاف عندهما ينقطع بالجمعة .

قلت : وقد استدل البعض بحديث : (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة)[1] على منع الاعتكاف فيما سواها من المساجد ، ولكن هذا حديث ضعيف واهٍ لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، والصواب أنه من قول حذيفة رضي الله عنه ، وهو محمول كذلك على نفي تمام الفضيلة ، والمعنى لا اعتكاف أفضل ولا أكمل من الاعتكاف في المساجد الثلاثة . والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

---

(١) وهي المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى .

س : ما المراد بالمباشرة في قوله تعالى : ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالمباشرة هنا الجماع .

ومنهم من قال : إن المراد بالمباشرة الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك .

● والأكثرون على أنه الجماع ، بل نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح[٣] ، عن ابن المنذر الإجماع على أن المراد بالمباشرة في الآية الجماع[٢] .

قلت : ونقل القرطبي عن ابن عبد البر قوله : وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل .

● وأخرج الطبري في تفسيره بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : المباشرة الجماع ، ولكن الله يكني ما شاء[٣] .

أما الحافظ ابن كثير فقال في تفسيره : ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك ، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يدني إليَّ رأسه فأرجله وأنا حائض ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان .

وقال صديق حسن خان في فتح البيان : ﴿ ولا تباشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قيل : المراد بالمباشرة هنا الجماع ، وقيل : يشمل التقبيل

---

(١) فتح الباري (٣١٩/٤) .

(٢) الذي يبدو لي أن مراده أن الجماع يدخل في المباشرة بالإجماع ، والله أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (٢٩٥٨ ، ٢٩٥٩) .

واللمس إذا كانا بشهوة لا إذا كان بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء والشافعي وابن المنذر وغيرهم ، وعلى هذا يحمل ما حكاه ابن عبد البر من الإجماع على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل فتكون هذه الحكاية للإجماع مقيدة بأن يكون بشهوة .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم من جامع امرأته وهو معتكف ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك في فرجها أنه مفسدٌ لاعتكافه .

● وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : إن الجماع منافٍ للاعتكاف بالإجماع .

❋ ❋ ❋

س : رجل جامع أهله في إحدى ليالي رمضان ثم طلع عليه الفجر وهو جنب لم يغتسل هل يتم صومه أم لا ؟

ج : يتم صومه ولا حرج عليه فقد أخرج البخاري من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنبٌ من أهله ثم يغتسل ويصوم ... الحديث .

● **وقال ابن العربي رحمه الله** (أحكام القرآن ١/٩٤ - ٩٥) : إذا جوزنا له الوطء قبل الفجر ففي ذلك دليل على جواز طلوع الفجر وهو جنب وذلك جائز إجماعًا ، وقد كان وقع فيه بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كلام ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنبًا فإن صومه صحيح .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ٤/١٧٠) : والجمهور على الجواز مطلقًا .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** والجمهور من العلماء على صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بالتوبة في قوله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول : تاب عليكم من خيانتكم أنفسكم إذ باشرتم في ليالي الصيام .

الثاني : أن المراد بالتوبة التخفيف عليكم بالرخصة والإباحة التي أباحها الله لكم كما في قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وكقوله : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ﴾ [النساء : ٩٢] والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ إلى الليل ﴾ في الآية الكريمة ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – إلى ابتداء الليل وإقباله ، وذلك يكون بغروب الشمس لحديث رسول الله ﷺ « إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : المراد بالخيط الأبيض بياض النهار ، وبالخيط الأسود سواد الليل ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] عمدت إلى عقالٍ أسود وإلى عقالٍ أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » .

● وقال بعض أهل العلم : إن المراد بالخيط الأبيض هو ضوء الشمس والخيط الأسود سواد الليل ، ومعنى هذا القول مرويٌّ عن حذيفة رضي الله عنه وقد روى حذيفة في معناه خبرًا عن رسول الله ﷺ .

أما الخبر الذي رواه حذيفة عن رسول الله ﷺ فقد روي بأسانيد صحيحة إلى عاصم (وهو ابن أبي النجود) عن زر عن حذيفة رضي الله عنه قال : تسحرت مع النبي ﷺ لو أشاء لأقول هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع ، وفي رواية أخرى عن حذيفة من نفس الطريق (عاصم عن زر عن حذيفة) : كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، قال : قلت : أبعد الصبح ؛ قال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس .

وبالنسبة لإسناد هذا الحديث فبعض أهل العلم يقولون : إن عاصمًا (وهو ابن أبي النجود يخطىء أحيانًا في حديث زر فأحيانًا يقول في حديثه : عن زر عن حذيفة وأحيانًا يقول : عن أبي وائل عن حذيفة ، وهذا الخلاف ليس له

---

(١) حديث (١٩١٦) .

كبير تأثير فأيًّا كان الخلاف فمداره على ثقة (فأبو وائل ثقة ، وزر ثقة) ، لكن بقي الكلام في عاصم نفسه فقد تكلم بعض أهل العلم في حديثه ومنهم من حسن حديثه ، ونحن مع الذين حسنوه إلا إذا عورض بما هو أقوى منه كما هو الحال ها هنا ، فلا نرى العمل على حديث حذيفة في هذا الباب إنما هو على القوي الثابت الصحيح من حديث عدي عن رسول الله ﷺ الذي فسر فيه الخيط الأبيض بأنه بياض النهار ، وليس طلوع الشمس .

أما أثر حذيفة الموقوف عليه فهو صحيح عنه فقد أخرج الطبري وغيره بإسناد صحيح إلى الأعمش عن إبراهيم التيمي قال : سافر أبي مع حذيفة قال : فسار حتى إذا خشينا أن يفجأنا الفجر قال : هل منكم من أحدٍ آكل أو شارب ؟ قال : قلت له : أما من يريد الصوم فلا ، قال : بلى ! قال : ثم سار حتى إذا استبطأنا الصلاة نزل فتسحر .

وهذا موقوف على حذيفة رضي الله عنه كما هو واضح .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (بعد أن أورد التأويلين المذكورين وعددًا ممن قال بكل تأويل منهما) :

وأولى التأويلين بالآية ، والتأويل الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخيط الأبيض بياض النهار ، والخيط الأسود سواد الليل » . وهو المعروف في كلام العرب ، قال أبو دُؤاد الإياديُّ :

فلما أضاءت لنا سُدْفَةٌ ولاح من الصبح خيط أنَارَا

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه شرب أو تسحر ، ثم خرج إلى الصلاة ، فإنه غير دافع صحة ما قلنا في ذلك . لأنه غير مستنكر أن يكون ﷺ شرب قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة ، إذ كانت الصلاة – صلاة الفجر – هي على عهده كانت تصلى بعد ما يطلع الفجر ويتبين طلوعه ، ويؤذن لها قبل طلوعه .

وأما الخبر الذي روي عن حذيفة : أن النبي ﷺ كان يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، فإنه قد استثبت فيه فقيل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب في ذلك بأنه كان بعد الصبح ، ولكنه قال : « هو الصبح » . وذلك من قوله يحتمل أن يكون معناه : هو الصبح لقربه منه ، وإن لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب : (هذا فلان) ، شبهًا ، وهي تشير إلى غير الذي سمته فتقول : (هو هو) ، تشبيهًا منها له به . فكذلك قول حذيفة : (هو الصبح) ، معناه : هو الصبح شبهًا به وقربًا منه .

وقال ابن زيد في معنى (الخيط الأبيض والأسود) ، ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد[1] : ﴿ حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ ، قال : (الخيط الأبيض) الذي يكون من تحت الليل ، يكشف الليل - (والأسود) ما فوقه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال الطبري في تأويل ذلك (على رأي من فسر الخيط الأبيض بضوء النهار) : وكلوا بالليل في شهر صومكم واشربوا وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا الأثر صحيح عن ابن زيد .

(٢) وأورد الطبري أثر قتادة في ذلك بإسناد حسن عنه (٢٩٨٤) قال : =

س : اذكر مزيدًا من الإيضاح لصفة الخيط الأبيض الذي بظهوره يمتنع من أراد الصوم من الأكل والشرب والجماع ؟

ج : إيضاحه فيما رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا »[1] يعني : معترضًا . أي : أنه باتجاه العرض ويكون ذلك ناحية طلوع الشمس .

● وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئًا ، ولكن الفجر الذي يستبين على رءوس الجبال هو الذي يحرم الشراب[2] .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي مجلز : الضوء الساطع في السماء ليس بالصبح ، ولكن ذاك (الصبح الكاذب) إنما الصبح إذا انفضح الأفق[3] .

= قوله : ﴿ وكلوا واشربوا حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] فهما عَلمَان وحدَّان بيِّنان ، فلا يمنعكم أذانُ مؤذن مُراءٍ أو قليل العقل من سَحُوركم ، فإنهم يؤذنون بهجيع من الليل طويل . وقد يُرى بياضٌ ما على السحر يقال له : (الصبح الكاذب) كانت تسميه العرب ، فلا يمنعكم ذلك من سَحوركم ، فإن الصبح لا خفاء به : طريقةٌ مُعترِضة في الأفق . وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا رأيتم ذلك فأمسكوا .

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٩٤ ص٧٧٠) .

(٢) أخرجه الطبري (أثر ٢٩٩٤) .

(٣) قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري : فضحه الصبح : دهمته فضحة الصبح وهي بياضه فكشفه وبينه للأعين بضوئه ، والأفضح الأبيض ليس شديد البياض ، والأثر أخرجه الطبري (٢٩٩١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧/٣) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن مسلم (بن صبيح) قال : لم يكونوا يعدُّون الفجر فجركم هذا كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق[1] .

وفي رواية عنه[2] : ما كانوا يرون إلا أن الفجر الذي يستفيض في السماء .

● وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح عن مسلم بن صبيح قال : جاء رجل إلى ابن عباس يسأله عن السحور فقال له رجل من جلسائه : كُل حتى لا تشك ، فقال له ابن عباس : إن هذا لا يقول شيئًا كل ما شككت حتى لا تشك[3] .

وفي رواية بإسناد صحيح عن عبد الرزاق في المصنف – عن ابن عباس : أحل الله لك الشراب ما شككت حتى لا تشك[4] .

وقال عبد الرزاق في مصنفه[5] أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : أتكره أن أشرب وأنا في البيت لا أدري لعلِّي قد أصبحت ؟ قال : لا بأس بذلك هو شكٌّ .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بالفجر في قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : فائدة ذلك التقييد بـ (الفجر) دفع الإشكال الذي قد يتوهمه

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩٩٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧/٣) .

(٢) وهي صحيحة أيضًا عند الطبري (٢٩٩٣) .

(٣) أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥/٣– ٢٦) ، وعبد الرزاق (٧٣٦٨) بإسناد صحيح كما ذكرنا ومعناها : كُل وإن تسرب إليك الشك ، وإن كان في نفسك شك حتى ينتفي هذا الشك تمامًا ، والله تعالى أعلم .

(٤) أخرجها عبد الرزاق (المصنف ٧٣٦٧) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٣٧١) بإسناد صحيح إلى عطاء .

متوهم فيفهم أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما خيط الحائك ، وقد توهم ذلك بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فأخرج البخاري[1] من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال : (أُنزلت ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] ولم ينزل ﴿ من الفجر ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولم يزل يأكل حتي يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعدُ ﴿ من الفجر ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار) .

قلت : ففائدة التقييد بـ ﴿ الفجر ﴾ حتى يعلم أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل ، والله تعالى أعلم .

● أما ابن جرير الطبري رحمه الله فقد قال : وأما قوله : ﴿ من الفجر ﴾ فإنه تعالى ذكره يعني : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود الذي هو من الفجر ، وليس ذلك هو جميع الفجر ولكنه إذا تبين لكم أيها المؤمنون من الفجر ذلك الخيط الأبيض الذي يكون من تحت الليل الذي فوقه سواد الليل فمن حينئذٍ فصوموا ، ثم أتموا صيامكم من ذلك ، إلى الليل .

ثم أورد الطبري رحمه الله بإسناد صحيح[2] إلى ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ من الفجر ﴾ قال : ذلك الخيط الأبيض هو من الفجر نسبة إليه وليس الفجر كله ، فإذا جاء هذا الخيط ، وهو أوله فقد حلت الصلاة وحرم الطعام والشراب على الصائم .

قال أبو جعفر : وفي قوله تعالى ذكره : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩١٧) .

(٢) أثر (٣٠٢١) .

الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ ، أوضحُ الدلالة على خطإ قول من قال : حلالٌ الأكلُ والشربُ لمن أراد الصوم إلى طلوع الشمس . لأن الخيط الأبيض من الفجر ، يتبين عند ابتداء طلوع أوائل الفجر . وقد جعل الله تعالى ذكره ذلك حدًّا لمن لزمه الصوم في الوقت الذي أباح إليه الأكل والشرب والمباشرة .

فمن زعم أن له أن يتجاوز ذلك الحدَّ ، قيل له : أرأيت إن أجازَ له آخَرُ ذلك ضحوةً أو نصف النهار ؟

فإن قال : إنَّ قائلَ ذلك مخالف للأمة .

قيل له : وأنتَ لما دلَّ عليه كتاب الله ونقلُ الأمة مخالفٌ ، فما الفرق بينك وبينه من أصْل أو قياس ؟

فإن قال : الفرق بيني وبينه أن الله أمر بصوم النهار دون الليل ، والنهار من طلوع الشمس .

قيل له : كذلك يقول مخالفوك ، والنهار عندهم أوَّله طلوع الفجر ، وذلك هو ضوء الشمس وابتداء طلوعها دون أن يتتامَّ طلوعها ، كما أن آخر النهار ابتداءُ غروبها دون أن يتتامَّ غروبها .

ويقال لقائلي ذلك : إن كان (النهار) عندكم كما وصفتم ، هو ارتفاع الشمس ، وتكامل طُلوعها ، وذهاب جميع سُدْفة الليل وَغبَس سواده – فكذلك عندكم (الليل) : هو تتامُّ غروب الشمس ، وذهاب ضيائها ، وتكامل سواد الليل وظلامه ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك !

قيل لهم : فقد يجبُ أن يكون الصوم إلى مَغيب الشفق وذهاب ضوء الشمس وبياضها من أفق السماء !

فإن قالوا : ذلك كذلك ! أوجبوا الصوم إلى مغيب الشفق الذي هو بَياضٌ وذلك قوله إنْ قالوه مدفوعٌ بنقل الحجة ، التي لا يجوز فيما نقلته مُجمعةً عليه - الخطأُ والسهوُ ، (وكفى بذلك شاهدًا) على تخطئته .

وإن قالوا : (بل أول الليل) ابتداء سُدْفته وظلامه ، ومغيبُ عين الشمس عنا .

قيل لهم : وكذلك (أول النهار): طلوع أوَّل ضياء الشمس ، ومغيب أوَائل سُدفة الليل .

ثم يعكس عليه القول في ذلك ، ويُسأل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقول في أحدهما قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما (الفجر) فإنه مصدر من قول القائل : (تفجَّر الماءُ يتفجَّرُ فجرًا) ، إذا انبعثَ وجرى . فقيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلع الشمس : (فجر) لانبعاث ضوئه عليهم ، وتورُّده عليهم بطرقهم ومحاجِّهم ، تفجُّر الماء المتفجر من منبعه .

* * *

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ من الفجر ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : سبب نزولها هو كون بعض الصحابة كانوا يربطون خيوطًا بيضاء وأخرى سوداء في أرجلهم ويأكلون ويشربون حتى يميزوا الأبيض من الأسود فنزلت الآية الكريمة لدفع هذا التوهم وإيضاح أن المراد سواد الليل وبياض النهار ، كما جاءَ ذلك عن سهل بن سعد في الحديث الذي تقدم ، والله تعالى أعلم .

س : ما معنى وصال الصوم وما حكمه ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (الوصال) هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ، فيخرج من أمسك اتفاقًا ، ويدخل من أمسك جميع الليل أو بعضه .

وقال الصنعاني في سبل السلام في تعريف الوصال : هو ترك الفطر بالنهار وفي ليالي رمضان بالقصد .

أما حكمه : فأكثر أهل العلم على تحريمه ، قال الحافظ في الفتح : وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال .

قلت : والأدلة التي استدل بها بعض أهل العلم على تحريمه في البخاري وغيره ففي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تواصلوا » قالوا : إنك تواصل ، قال : « لست كأحدٍ منكم إني أُطعم وأُسقى أو إني أبيت أُطعم وأسقى »[1] .

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست مثلك إني أُطعم وأُسقى »[2] .

● ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لا تواصلوا فأيكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله ، قال : « إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مُطعم يطعمني وساق يسقيني »[3] وأخرج البخاري أيضًا من طريق عثمان بن أبي شيبة ومحمد قالا أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩٦١) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٩٦٢) .

(٣) أخرج البخاري حديث (١٩٦٣) .

(نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني »[1] قال أبو عبد الله : لم يذكر عثمان (رحمة لهم) .

قلت : فهذه أصول الأدلة التي استدل بها من ذهب إلى تحريم الوصال فقالوا : إن النهي يقتضي التحريم[2] .

ومن العلماء من قال : إن الوصال يكره فقط ، والنهي محمول على الكراهية ، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين : إنك تواصل يا رسول الله ، قال : « وإياكم مثلي ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال فقال : « لو تأخر لزدتكم » كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا[3] .

● هذا وقد احتج الطبري رحمه الله بقوله تعالى : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] على منع الوصال فقال :

وأما قوله : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، فإنه تعالى ذكره حَدَّ الصوم بأن آخرَ وقته إقبالُ الليل - كما حدَّ الإفطارَ وإباحةَ الأكل والشرب والجماع وأوَّل الصوم ، بمجيء أول النهار وأول إدبار آخر الليل . فدلَّ بذلك على أن لا صوم بالليل ، كما لا فطر بالنهار في أيام الصوم - وعلى

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩٦٤) .

(٢) ومن أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلى وقت السحر فله ذلك لقول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر » .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٦) .

أنَّ المواصل مجوِّعٌ نفسه في غير طاعة ربه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد عن أحدٍ من السلف أنه كان يواصل ، وكيف يوجَّه وصالهم هذا ؟

ج : نعم ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يواصلون ، فمن ذلك ما رواه الطبري بإسناد صحيح[1] عن هشام بن عروة قال : كان عبد الله بن الزبير يُواصل سبعة أيام فلما كبر جعلها خمسًا فلما كبر جدًّا جعلها ثلاثًا .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح إلى أبي إسحاق : أن ابن أبي نعم كان يواصل من الأيام حتى لا يستطيع أن يقوم ، فقال عمرو بن ميمون : لو أدرك هذا أصحاب محمد ﷺ رجموه[2] .

أما توجيه ذلك فللعلماء فيه أقوال ، منها :

قول الطبري رحمه الله تعالى حيث قال : قيل : وجه من فعل ذلك إن شاء الله تعالى على طلب الخموصة[3] لنفسه والقوة لا على طلب البر لله بفعله ، وفعلهم ذلك نظير ما كان عمر يأمرهم به بقوله : (اخشوشنوا وتمعددوا وانزوا على الخيل نزوًا واقطعوا الرُّكُب وامشوا حفاة) يأمرهم في ذلك بالتخشن في عيشهم لئلا يتنعموا فيركنوا إلى خفض العيش ويميلوا إلى الدعة فيجبنوا ويحتمون عن أعدائهم .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي أنه إرشاد من باب الشفقة كما جاء في حديث عائشة

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٣٠٢٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٣٠٣٢) .

(٣) لعله يعني : التجويع لنفسه من قوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مخمصة .. ﴾ [المائدة : ٣٠] أي : في مجاعة .

(رحمة لهم) فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لأنهم كانوا يجدون قوة عليه وقد ذكر عنهم أنهم كانوا أول ما يفطرون على السمن والصبر لئلا تنخرق الأمعاء بالطعام أولًا .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : هذه الأشياء التي بيَّنتها : من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهارًا في غير عذر ، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد ، يقول : هذه الأشياء حَدَّدتها لكم ، وأمرتُكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها وحرمتها فيها عليكم ، فلا تقربوها وابعدوا منها أن تركبوها ، فتستحقُّوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدَّى حُدودي ، وخالف أمري ، وركب معاصيَّ .

وكان بعض أهل التأويل يقول : (حدود الله) : شروطه . وذلك معنى قريب من المعنى الذي قلنا ، غيرَ أن الذي قلنا في ذلك أشبه بتأويل الكلمة .

وذلك أن (حد) كل شيء : ما حَصره من المعاني وميَّز بينه وبين غيره وقوله : (تلك حدود الله) من ذلك يعني به المحارم التي ميزها من الحلال المطلق ، فحدَّدها بنعوتها وصفاتها ، وعرَّفها عبادَه .

● وقال القاسمي (في محاسن التأويل) :

﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع . وشبَّه تلك الأحكام بالحدود الحاجزة بين الأشياء لكونها حاجزةً بين الحق والباطل . فإن من عمل بها كان في حيز الحق ، ومن خالفها وقع في الباطل . ونهى عن قربها كيلا يداني الباطل فضلًا أن يتخطى إليه . فالنهي عن مكان القرب

من الحدود التي هي الأحكام ، كناية عن النهي عن قرب الباطل . لكون الأول لازمًا للثاني . وبذلك يحصل الجمع بين هذه الآية وآية ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] ويندفع التنافي .

وقال صديق حسن خان في فتح البيان :

﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أي : هذه الأحكام حدود الله ، وأصل الحد المنع ومنه سمي البواب والسجان حدادًا ، وسميت الأوامر والنواهي حدود الله لأنها تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها وأن يخرج عنها ما هو منها ، ومن ذلك سميت الحدود حدودًا لأنها تمنع أصحابها من العود ، ومعنى النهي عن قربانها النهي عن تعديها بالمخالفة لها ، وقيل : إن حدود الله هي محارمه فقط ومنها المباشرة من المعتكف والإفطار في رمضان لغير عذر وغير ذلك مما سبق النهي عنه ، ومعنى النهي عن قربانها على هذا واضح ، وقيل : حدود الله : فرائض الله . وقيل : المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] أي : كما بين لكم هذه الحدود يبين لكم معالم دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية إلى الحق .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : كما بينت لكم أيها الناس واجبَ فرائضي عليكم من الصوم ، وعرَّفتكم حدودَه وأوقاته ، وما عليكم منه في الحضر ، وما لكم فيه في السفر والمرض ، وما اللازم لكم تجنُّبه في حال اعتكافكم في مساجدكم ، فأوضحت جميعَ ذلك لكم - فكذلك أبيِّن أحكامي ، وحلالي وحرامي ، وحدودي ، وأمري

ونهيي ، في كتابي وتنزيلي ، وعلى لسان رسولي ﷺ للناس .

ويعني بقوله : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، يقول : أبيِّن ذلك لهم ليتقوا محَارمي ومعاصيَّ ، ويتجنَّبوا سَخطي وَغضبي ، بتركهم رُكوبَ ما أبيِّن لهم في آياتي أني قد حرَّمته عليهم ، وأمرتهم بهجره وتركه .

* * *

وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :- بالباطل - تدلوا بها - فريقًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
بالباطل	قيل : بالسبب الباطل - بغير الحق .
تدلوا بها	تذهبوا بها - تتخاصموا فيها[1] .
فريقًا .	جزاءًا - قطعةً .

❋ ❋ ❋

(١) وانظر ما سيأتي في تفسير الآية والمراد بها .

وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأصل (الإدلاء) إرسال الرجل الدلو في سبب[*] متعلقًا به في البئر فقيل للمجتمع لدعواه : (أدلى بحجة كيت وكيت) ، إذا كان حجته التي يحتج بها سببًا له ، هو به متعلق في خصومته ، كتعلق المستقي من بئر بدلوٍ قد أرسلها فيها بسببها الذي الدلو به متعلق ، يقال فيهما جميعًا - أعني من الاحتجاج من إرسال الدلو في البئر بسبب (أدلى فلان بحجته ، فهو يُدلي بها إدلاء ، وأدلى دلوه في البئر فهو يدليها إدلاء » .

(*) السبب هو الحبل .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟ وهل لها نظير في كتاب الله عز وجل ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل ، ونظير ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات :١١] وقوله تعالى : ﴿ فسلمُوا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ... ﴾ [النور :١٢] ، إلى غير ذلك من الآيات ، والمعنى في هذا كله إخوانكم من المسلمين فقوله : ﴿ لا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ، أي : لا تلمزوا إخوانكم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقول تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟

ج : والمعنى – والله تعالى أعلم – ولا يأكل بعضكم مال بعض بغير الحق ، ويخاصم إلى الحكام ويرشيهم ويهدي إليهم كي يساعدوه على اختلاس أموال الناس بالإثم وهو يعلم أن هذا المال لا يحل له ، وبنحو هذا القول جاءت أقوال أهل العلم .

فقال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : ولا يأكل بعضُكم مال بعض بالباطل ، فجعل تعالى ذكره بذلك آكل مال أخيه بالباطل ، كالآكل مال نفسه بالباطل .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ،

وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، بمعنى : لا يلمز بعضكم بعضًا ، ولا يقتل بعضكم بعضًا ، لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة ، فقاتل أخيه كقاتل نفسه ، ولامزه كلامز نفسه ، وكذلك تفعل العرب ، تكني عن نفسها بأخواتها ، وعن أخواتها بأنفسها فتقول : (أخي وأخوك أيُّنا أبطش) يعني : أنا وأنت نصطرع فننظر أينا أشد – فيكني المتكلم عن نفسه بأخيه ، لأن أخا الرجل عندها كنفسه ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخي وأخوك ببطن النُّسَيْـرِ ليس به من مَعَدٍّ عَرِيـبْ

فتأويل الكلام : ولا يأكل بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل ، (وأكله بالباطل) : أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لآكليه .

وأما قوله : ﴿ وتُدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، فإنه يعني : وتخاصموا بها – يعني : بأموالكم – إلى الحكام ﴿ لتأكلوا فريقًا ﴾ [البقرة : ١٨٨] – طائفة – من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

ويعني بقوله : ﴿ بالإثم ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، بالحرام الذي قد حرمه الله عليكم ، ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : وأنتم تتعمدون أكل ذلك بالإثم ، على قصد منكم إلى ما حرم الله عليكم منه ، ومعرفة بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم .

ثم أورد الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[1] عن قتادة قال : قوله : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة :١٨٨]، وكان يقال : من مشى مع خصمه وهو له ظالم ، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق ، واعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يُحل لك حرامًا ولا يُحق لك باطلًا ، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود ، والقاضي بشر يخطىء ويصيب ، واعلموا أنه من قد قُضي له بالباطل ، فإن خصومته لم تنقض حتى

---

(١) الطبري (أثر ٣٠٦٢) .

يجمع الله بينهما يوم القيامة ، فيقضي على المُبطل للمحق ، بأجود مما قُضي به للمبطل على المحق في الدنيا .

وبإسناد صحيح إلى ابن زيد[1] قال : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، يقول : يكون أجدل منه وأعرف بالحجة ، فيخاصمه في ماله بالباطل ، ليأكل ماله بالباطل ، وقرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، قال : هذا القمار الذي كان يَعمل به أهل الجاهلية .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ ؛ والمعنى : لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ، فيدخل في هذا : القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق ، وما لا تطيب به نفس مالكه ، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه ، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك ، ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما باع ، لأن الغبن كأنه هبة ، على ما يأتي بيانه في سورة (النساء) ، وأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لما كان كل واحد منها منهيًّا ومنهيًّا عنه ؛ كما قال : ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ ، وقال قوم : والمراد بالآية : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : الملاهي والقيان والشرب والبطالة ؛ فيجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين .

وقال رحمه الله : السادسة – قوله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨]الآية ، قيل : يعني الوديعة وما لا تقوم فيه بينة ،

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠٦٦) .

عن ابن عباس والحسن ، وقيل : هو مال اليتيم الذي في أيدي الأوصياء ، يرفعه إلى الحكام إذا طولب به ليقتطع بعضه وتقوم له في الظاهر حجة ، وقال الزجاج : تعلمون ما يوجبه ظاهر الأحكام وتتركون ما علمتم أنه الحق ، يقال : أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به ؛ تشبيهًا بالذي يرسل الدلو في البئر ، يقال : أدلى دلوه : أرسلها ، ودلاها : أخرجها ، وجمع الدلو والدلاء : أدْلٍ ودِلاء ودُلِيٌّ ، والمعنى في الآية : لا تجمعوا بين أكل المال بالباطل وبين الإدلاء إلى الحكام بالحجج الباطلة ؛ وهو كقوله : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وهو من قبيل قولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، وقيل : المعنى لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم ليقضوا لكم على أكثر منها ؛ فالباء إلزاق مجرد ، قال ابن عطية : وهذا القول يترجح ؛ لأن الحكام مظنة الرشاء إلا من عصم وهو الأقل ، وأيضًا فإن اللفظين متناسبان : تدلو من إرسال الدلو ، والرشوة من الرِّشا ؛ كأنه يمد بها ليقضي الحاجة .

قلت : ويقوي هذا قوله : ﴿ وتدلوا بها ﴾ [البقرة : ١٨٨] تدلوا في موضع جزم عطفًا على تأكلوا كما ذكرنا ، وفي مصحف أبيٍّ ﴿ ولا تدلوا ﴾ بتكرار حرف النهي ، وهذه القراءة تؤيد جزم ﴿ تُدلوا ﴾ في قراءة الجماعة ، وقيل : ﴿ تدلوا ﴾ في موضع نصب على الظرف ، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه (أن) مضمرة ، والهاء في قوله : ﴿ بها ﴾ ترجع إلى الأموال ، وعلى القول الأول إلى الحجة ولم يجر لها ذكر ؛ فقوى القول الثاني لذكر الأموال ، والله أعلم ، وفي الصحاح : (والرشوة معروفة ، والرشوة بالضم مثله ، والجمع رُشًى ورِشًى ، وقد رشاه يرشوه ، وارتشى : أخذ الرشوة ، واسترشى في حكمه : طلب الرشوة عليه) .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم

بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، هذا يعم جميع الأمة وجميع الأموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فإنه مأخوذ بالحق لا بالباطل ، ومأكول بالحل لا بالإثم ، وإن كان صاحبه كارهًا كقضاء الدين إذا امتنع منه من هو عليه ، وتسليم ما أوجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من أوجب الشرع نفقته ، والحاصل أن ما لم يبح الشرع أخذه من مالكه فهو مأكول بالباطل وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن ، وثمن الخمر والملاهي ، وأجرة المغني ، والقمار ، والرشوة في الحكم وشهادة الزور والخيانة في الوديعة والأمانة ، والأكل بطريق التعدي والنهب والغصب ، والباطل في اللغة : الذاهب الزائل ، والمعنى : بالسبب الباطل أو مبطلين أو متلبسين بالباطل ، عن ابن عباس قال : هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ، وقال مجاهد : معناها : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم .

﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] مجزوم عطفًا على ﴿ تأكلوا ﴾ فهو من جملة المنهي عنه أي : لا تلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام ، يقال : أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيهًا بالذي يرسل الدلو في البئر ، يُقال : أدلى دلوه أرسلها ، والمعنى أنكم لا تجمعوا بين أكل الأموال بالباطل وبين الإدلاء بها إلى الحكام بالحجج الباطلة ، والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الأموال إلى الحكام ليعينوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل ، وأما الإسراع بها لتحقيق الحق فليس مذمومًا .

وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال من غير فرق بين الأموال والفروج ، فمن حكم له القاضي بشيء مستندًا في حكمه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير :

قال القاضي أبو يعلى والباطل على قسمين :

أحدهما : أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه ، كالسرقة ، والغصب ، والخيانة .

والثاني : أن يأخذه بطيب نفسه ، كالقمار ، والغناء ، وثمن الخمر ، وقال الزجاج : الباطل : الظلم ، ﴿ وتدلوا ﴾ أصله في اللغة من : أدليت الدلو : إذا أرسلتها لتملأها ، ودلوتها : إذا أخرجتها ، ومعنى أدلى فلان بحجته : أرسلها ، وأتى بها على صحة ، فمعنى الكلام : تعلمون على ما يوجبه إدلاء الحجة ، وتخونون في الأمانة ، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطل .

وفي هاء ﴿ بها ﴾ قولان :

أحدهما : أنها ترجع إلى الأموال ، كأنه قال : لا تصانعوا ببعضها جورة الحكام .

والثاني : أنها ترجع إلى الخصومة ، فإن قيل : كيف أعاد ذكر الأكل فقال : ﴿ ولا تأكلوا ﴾ (لتأكلوا) ؟ فالجواب : أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل ، والثانية بالإثم ، فأعادها للزيادة في المعنى ، ذكره ابن الأنباري .

* * *

س : اذكر وجوه الإعراب في قوله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ... ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فأما قوله : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، فإن فيه وجهين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون قوله : ﴿ وتدلوا ﴾ جزمًا عطفًا على قوله : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : ولا تدلوا بها إلى الحكام ، وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة أُبَيٍّ بتكرير حرف النهي : ﴿ ولا تدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

والآخر منهما : النصب على الصرف ، فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام ، كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأْتي مثله ، عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

يعني : لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله .

وهو أن يكون في موضع جزم – على ما ذُكر في قراءة أبيٍّ – أحسن منه أن يكون نصبًا .

* * *

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

س : اذكر معنى كل مما يأتي :

الأهلة – مواقيت ؟

ج :

الكلمـــــة	معناهـــا
الأهلة	جمع هلال
مواقيت	جمع ميقات والمراد به هنا ميعاد (أيْ وقت)

✵ ✵ ✵

س : عن أي شأن من شئون الأهلة يسأل الناسُ رسول الله ﷺ ؟

ج : يسألون رسول الله ﷺ عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها ، أي ما بال الهلال يبدو صغيرًا ثم يكبر حتى يستتم ، ثم يبدأ في الصغر والتلاشي مرةً ثانية ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ هي مواقيت للناس ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟ اذكر بعض الآيات تؤدي معنى قريب من معنى هذه الآية ؟

ج : المراد – واللّه أعلم – أنها مواعيد لصومهم وإفطارهم ولمناسكهم وحجِّهم وعدة نسائهم ؛ وأوقات يعرفون بها سداد ديونهم ومدة الحمل والإجارات و ... ونحو ذلك ، وقد قال نحو ذلك جمهور العلماء .

فقال سفيان الثوري[1] في تفسيره : هي مواقيت للناس في حجهم وديونهم وفطرهم ونحرهم وعدة نسائهم .

● **وقال الطبري رحمه الله :** ... مواقيت لكم ولغيركم من بني آدم في معايشهم ترقبون بزيادتها ونقصانها ومحاقِها واستسرارها وإهلالكم إياها أوقات حل ديونكم وانقضاء مدة إجارة من استأجرتموه وتصرُّم عدة نسائكم ووقت صومكم وإفطاركم فجعلها مواقيت للناس .

وقال غيرهما من المفسرين نحو هذا القول ، والله أعلم .

أما الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية فمنها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلًا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] .

---

(١) تفسير الثوري ص ٥٨ .

● وقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ [يونس : ٥] .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] ولماذا أفرد الحج بالذكر ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الأهلة مواقيت للحج أيضًا تعرفون بها أوقاته فـ (الحج) المراد به (وللحج) كما قال تعالى : ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أي إن أردتم أن تسترضعوا لأولادكم .

● **أما لماذا أفرد الحج بالذكر ؟** فقد طرح هذا السؤال ابن العربي في أحكام القرآن وأجاب عليه فقال : ما فائدة تخصيص الحج آخرًا مع دخوله في عموم اللفظ الأول ؟ وهي أن العرب كانت تحُجُّ بالعدد وتبدِّل الشهور فأبطل الله تعالى فعلهم وقولهم وجعله مقرونًا بالرؤية .

● وقال بعض أهل العلم : إن الحج أفرد بالذكر تعظيمًا لشأنه ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث البراء

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٠٣) ، ومسلم (حديث ٣٠٢٦) .

ابن عازب رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية فينا ، كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاءوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم ولكن من ظُهورها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة ﴿ .. وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ [البقرة : ١٨٩] دليل على أن كل عبادة يُتعبد بها ولم يشرعها الله عز وجل فهي باطلة ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأنصار كانوا يتعبدون بدخولهم البيوت من ظهورها عند رجوعهم من الحج فبين الله بطلان ذلك وأنه ليس من البر فقال : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى: ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٨٩] محذوف وضحه ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المحذوف هو (بر) فالمعنى على ذلك ولكن البر بر من اتقى ، واستدل لهذا المعنى بقول الشاعر :

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

أي كخلالة أبي مرحب .

● ومن العلماء من قال : إن المحذوف هو (ذا) والمعنى ولكن ذا البر من اتقى أي صاحب البر هو من اتقى ، والله تعالى أعلم .

س : من هو (التقي) ؟

ج : هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

* * *

س : ما المراد بالبيوت في قوله تعالى : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● **أحدها :** أنها بيوت المنازل ، ويؤيد هذا القول ما ورد في سبب نزول الآية الكريمة على ما قدمناه .

● **الثاني :** أنها النساء أُمرنا بإتيانهن من القبل وليس من الدُّبر ، وليس لهذا القول ما يؤيده في هذه الآية الكريمة .

● **الثالث :** أنها مثّل أُمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها ويدخلوا إلى الأشياء من الطرق السهلة الموصلة لها .

● **قال القاسمي في محاسن التأويل :** أي تحروا في كل عملٍ إتيان الشيء من وجهه تنبيهًا على أن ما يطلب من غير وجهه صعب تناوله .

● **وقال صديق حسن خان (فتح البيان) :** وقال أبو عبيدة : إن هذا من ضرب المثل ؛ والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهال ، ولكن البر التقوى واسألوا العلماء كما تقول أتيت الأمر من بابه ... والله أعلم .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بذلك : واتقوا الله أيها الناس فاحذروه وارهبوه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، واجتناب ما نهاكم عنه لتفلحوا فتنجحوا في طلباتكم لديه ؛ وتدركوا به البقاء في جنّاته والخلود في نعيمه .

* * *

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

س : ما المراد بـ ﴿ سبيل الله ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ... ﴾ [البقرة : ١٩٠] ؟

ج : المراد – والله أعلم – طريقه الذي أوضحه لعباده ودينه الذي شرعه لهم ، قاله الطبري رحمه الله .

* * *

س : متى يكون الشخص مقاتلًا في سبيل الله ؟

ج : يكون الشخص مقاتلًا في سبيل الله إذا كان مقاتلًا لإعلاء كلمة الله عز وجل ، وذلك لقول النبي ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[1] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما حكم قتال من لم يقاتلنا من الكفار ؟

ج : في هذا الأمر تفصيل وسيأتي إيضاحه في سورة براءة إن شاء الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨١٠) ، ومسلم (حديث ١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا ، وفيه أن رجلًا أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليُذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله » .

وفي رواية : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة ، ويقاتل حميَّة ، ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [براءة : ٢٩] .

❋ ❋ ❋

س : هل أُذن للمؤمنين بالقتال بمكة ؟

ج : قال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان) : لا خلاف بين أهل العلم أن القتال كان ممنوعًا قبل الهجرة لقوله : ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ [المائدة : ١٣] ، وقوله : ﴿ واهجرهم هجرًا جميلًا ﴾ [المزمل : ١٠] ، وقوله : ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] ، وقوله : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [فصلت : ٣٤] ، ونحو ذلك مما نزل بمكة ؛ فلما هاجر إلى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الاعتداء المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ .. ولا تعتدوا ﴾ [البقرة : ١٩٠] ؟

ج : كل صور الاعتداء نُهي عنها في هذه الآية الكريمة ، من صور الاعتداء ما يلي :

- قتل النساء[1] والولدان والشيوخ[1] والمجانين والرهبان[1] .
- قتل من أعطى الجزية من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) .
- قتل الحيوانات وتقطيع الأشجار من غير مصلحة .

---

(١) إلا إذا كانت المرأة والشيخ والراهب يُقاتِلون فحينئذ يُقاتَلون لقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

● الغدر بمن بينك وبينه معاهدة أو ميثاق .

● الغلول والمُثلة وكذا سائر أنواع الاعتداء الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى ونهى عنه رسوله ﷺ .

وقد أخرج مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا »[1] .

* * *

(١) أخرجه مسلم (ص ١٣٥٧ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي) .
ومعنى الغلول (لا تغلُّوا) : الخيانة في الغنيمة (فيسرق منها مثلًا قبل القسمة) .
● والغدر المراد به نقض العهد .
● و (لا تمثلوا) أي لا تشوهوا القتلى بقطع بعض أعضائهم كالأنف والأذن وفقأ العين ونحو ذلك ، والله أعلم .

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

ثقفتموهم – الفتنة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ثقفتموهم	أبصرتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم – أخذتموهم – وجدتموهم
الفتنة	أصل الفتنة الاختبار والابتلاء ، والمراد بها هنا الشرك ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ [البقرة : ١٩١] الضمير فيها لمن ؟ والخطاب لمن ؟

ج : الخطاب فيها للمهاجرين والضمير لكفار قريش ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بـ ﴿ الفتنة ﴾ في قوله تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : ١٩١] وما وجه كونها أشد من القتل ؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله جملة أقوال في ذلك نسوقها باختصار وتصرف :

● **الأول** : أن المراد بالفتنة هنا الكفر ، ووجه كون الكفر أشد من القتل ، لأن الكفر ذنب يستحق به صاحبه العقاب الدائم ، والقتل ليس كذلك ، والكفر يخرج صاحبه به عن هذه الأمة ، والقتل ليس كذلك ؛ فكان الكفر أعظم من القتل .

● **الثاني** : أن المراد بالفتنة هنا العذاب ؛ وشاهد ذلك من التنزيل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ [العنكبوت : ١٠] ، أي جعل عذاب الناس كعذاب الله .

والمعنى على ذلك : أن عذاب الله الذي ينتظرهم أشد من كونهم عُذِّبوا بالقتل .

● **الثالث** : أن المراد بـ ﴿ الفتنة ﴾ هنا الاختبار والابتلاء ، والمعنى أن إقدام الكفار على الكفر وتخويف المؤمنين وتشريدهم وإخراجهم من ديارهم فتنة شديدة ، بل هي أشد من القتل الذي يقتضي التخلص من غموم الدنيا .

● **الرابع** : أن يكون المراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام

أشد من قتلكم إياهم في الحرم .

● **الخامس** : أن المراد بالفتنة ارتداد الناس إلى الكفر ، فالمعنى : أن ارتداد المؤمن عن دينه أشد عليه من أن يقتل مُحقًّا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية دليل على القاعدة المشهورة وهي : أن أخف المفسدتين يُرتكب لدفع أعلاهما ، وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك في قوله تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : ١٩١] والحاصل فيها أن إقدامكم على القتال (بما يصحبه من قتلٍ لبعضكم) أخف بكثير من ارتدادكم عن دينكم ورجوعكم إلى الكفر ، والعياذ بالله .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه .. ﴾ [البقرة : ١٩١] محكمة أم منسوخة ؟

ج : اختلف أهل العلم في ذلك :

فذهب فريق منهم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] ، وأيدوا قولهم بما أخرجه البخاري ومسلم[1]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤٤) ، ومسلم (حديث ١٣٥٧) .

● وممن قال بالنسخ قتادة فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن (٣١٠٥) قوله : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩٣] : كانوا لا يقاتلون فيه حتى يبدأوا بالقتال ، ثم نسخ بعد ذلك فقال : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] حتى لا يكون شرك ﴿ ويكون الدين لله ﴾ [البقرة : ١٩٣] أن يقال لا إله إلا الله ، عليها قاتل نبي الله وإليها دعا . =

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » .

● بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الآية ليست منسوخة بل هي محكمة ، وقالوا : إن العام لا ينسخ الخاص فقوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] نصٌّ عام ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩١] نصٌّ خاص ، والعام لا ينسخ الخاص ، بل يستثنى الخاص من العام ، فالكف عن القتال عند المسجد الحرام مستثنى من قوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] .

وأيد هذا الفريق من أهل العلم قوله بما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في شأن مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعضد شوكه ولا يُنَفَّرُ صيده ولا يلتقط إلا من عرَّفها .. » الحديث .

● ونحوه من حديث أبي شريح العدوي عند البخاري ومسلم[2] كذلك ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ،

= ● وكذلك قال بالنسخ ابن زيد فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عنه في قوله تعالى : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩١] قال : حتى يبدأوكم ، كان هذا قد حُرِّم فأحل الله ذلك له فلم يزل ثابتًا حتى أمره الله بقتالهم بعد .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٣٤) ، ومسلم (حديث ١٣٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٩٥) ، ومسلم (حديث ١٣٥٤) .

لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرًا ، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها ، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

● ونحو ذلك من حديث أبي هريرة في الصحيحين[1] كذلك ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ... ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحدٍ بعدي ، ألا وإنها حلَّت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ... » الحديث .

● وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على أمر النبي ﷺ بقتل ابن خَطَل بأن هذا الأمر من رسول الله تم في الساعة التي أُحلت له فيها مكة ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فإن انتهوا ﴾ [البقرة : ١٩٢] انتهوا عن ماذا ؟

ج : فيها ثلاثة أقوال :

● **أحدها :** انتهوا عن القتال .

● **الثاني :** انتهوا عن الشرك .

● **الثالث :** انتهوا عن القتال والشرك .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٢] غفور رحيم لمن ؟ وفي ماذا ؟

ج : فيها أقوال : **أحدها :** غفور رحيم لكم أيها المؤمنون إذا قاتلتموهم عند المسجد الحرام بعد ابتدائهم لكم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٢) ، ومسلم (حديث ١٣٥٥) .

الثاني : غفور رحيم لهم إذا انتهوا عن الشرك والقتال .

الثالث : يأمركم الله بالغفران والرحمة وترك مؤاخذتهم بعد انتهائهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بالفتنة والمراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟ ووضح المعنى الإجمالي للآية ؟

ج : المراد بالفتنة : الشرك[1] ، والمراد بالدين العبادة والطاعة .

أما المعنى الإجمالي فقال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة = يعني : حتى لا يكون شرك بالله ، وحتى لا يُعبد دونه أحد ، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان .

قلت : ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابه على الله » .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٣١١٣) قوله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : حتى لا يكون شرك .
وأخرج أيضًا (٣١٢٠) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : حتى لا يكون كفر ، وقرأ ﴿ تقاتلونهم أو يُسلمون ﴾ [الفتح : ١٦] .

(٢) البخاري (حديث ١٣٩٩) ، ومسلم (حديث ٢٠) .

● وما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

● ومن أهل العلم من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] أي : حتى لا يكون هناك أذًى لمن آمن ، والقول الأول أولى وعليه الأكثر .

* * *

س : ما المراد بـ (العدوان) في قوله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : المراد العقوبة كما في قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ [النحل : ١٢٦] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا سُمِّي القتل عدوانًا مع أنه في نفسه حق وصواب ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي رحمه الله بقوله : لأن ذلك القتل جزاء العدوان ، فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، وكقوله : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وكقوله : ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [التوبة : ٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥) ، ومسلم (حديث ٢٢) .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : في تأويلها وجوه:

أحدها : إن انتهى هؤلاء المشركون عن شركهم فلا يجوز لكم أن تعتدوا عليهم ، إذ لا اعتداء على مسلم إلا من ظلم من المسلمين فيعاقب بمثل الذي صنع .

الثاني : إن انتهوا فلا عدوان إلا على الذين لا ينتهون عن ظلمهم (والمراد به هنا شركهم) فالشرك ظلم عظيم .

الثالث : إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين بالظلم فنسلط عليكم من يعتدي عليكم ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالظالم في قوله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بـ (الظالم) هنا المشرك[1] لقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] .

ومن العلماء من قال : إن الظالم هنا أعم والمعنى إن أسلموا فلا عدوان إلا على ظالم (يُعتدى عليه بمثل ما اعتدى) والله أعلم .

* * *

---

(١) أخرج الطبري (٣١٢٤) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] والظالم أبى أن يقول : (لا إله إلا الله) .

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ

بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤

س : ما معنى : الحرمات ؟

ج :

الكلمة	معناها
الحُرمات	الحرمات جمع حُرمة كالظلمات جمع ظلمة ، والحجرات جمع حجرة وجمعت الحرمات لأنها حرمة الشهر وحرمة البلدة وحرمة الإحرام . والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ ﴿ الشهر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٤] في هذه الآية وما هي الأشهر الحُرم ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بالشهر الحرام هنا هو ذو القعدة الذي صُدَّ فيه رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام .

● أما الأشهر الحرم فهي أربع كما أخرج ذلك البخاري[1] ومسلم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حُرُم : ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان » ..

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ والحرمات قصاص[2] ﴾ [البقرة :١٩٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – كما اعتدي عليكم في الحرمات فلكم أن تعتدوا على المعتدي في الحرمات أيضًا ولا لوم عليكم ولا جناح عليكم في ذلك .

وقال بعض أهل العلم : إنكم يا معشر المؤمنين كما صُدِدتم في ذي القعدة – وهو شهر حرام – فقد مكنكم الله سبحانه وتعالى من الاعتمار في ذي القعدة من العام المقبل على كراهية من المشركين لذلك ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٦٢) ، ومسلم (حديث ١٦٧٩) .

(٢) والقصاص هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن كما قاله الطبري ، وقال : وهو في هذا الموضع من جهة الفعل .

س : لماذا وُصف الشهر بأنه حرام ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لأن العرب في جاهليتها كانت تُحرِّم فيه القتل والقتال وتضع فيه السلاح ولا يقتل فيه أحدٌ أحدًا ولو لقي الرجل فيه قاتل أبيه أو ابنه ، كما قاله الطبري رحمه الله ، وقال أيضًا : وإنما كانوا سموه (ذا القعدة) لقعودهم فيه عن المغازي والحروب ، فسماه الله بالاسم الذي كانت العرب تُسميه به .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن يغزو في الشهر الحرام ؟ ومن أخرجه ؟

ج : أخرجه أحمد في مسنده[1] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه : (لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى أو يغزوا فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ) .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : المراد به هنا – والله تعالى أعلم – من اعتدى عليكم في الشهر الحرام فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولو في الشهر الحرام ، ثم إن الآية عامة في أنواع القصاص فمن اعتدي عليه في عرضه جاز له القصاص في ذلك ، ومن اعتدي عليه في ماله جاز له القصاص في ذلك ، ولكل ذلك ضوابط ليس محلها في هذا المقام .

❋ ❋ ❋

---

(١) المسند (٣/٣٣٤) .

س : ما هو نوع المعيَّة في قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : هي معيةٌ بالنصر والتأييد والحفظ والمعونة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح طرفًا من معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الله عز وجل لما أباح القصاص حذر من التعدي والتجاوز ، فالنفوس في الغالب مجبولة على الانتصار ولا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي ، فأمر الله عز وجل بلزوم تقواه التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها ، وأخبر تعالى أنه ﴿ مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] أي بالعون والنصر والتأييد والتوفيق ، أشار إلى بعض ذلك ابن سعدي رحمه الله في تفسيره .

❋ ❋ ❋

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟

ج: أخرج البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : نزلت في النفقة[1] .

● وأخرج الترمذي من طريق أسلم أبو عمران التجيبي قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًّا عظيمًا من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس ، وقالوا : سبحان الله ! يلقي بنفسه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعزَّ الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه ﷺ يردُّ علينا ما قلناه ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥١٦) .

س : ما المراد بـ (اليد) في قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟ وما هو موقع الباء في قوله تعالى : ﴿ بأيديكم ﴾ ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – باليد هنا النفس ، فالمعنى : ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة .

قال القرطبي : قال المبرد : ﴿ بأيديكم ﴾ [البقرة : ١٩٥] أي : بأنفسكم ، فعبَّر بالبعض عن الكل كقوله : ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] و ﴿ بما قدمت يداك ﴾ [الحج : ١٠] ، وقيل : هذا ضرب مثلٍ ، تقول : فلان ألقى بيده في أمر كذا ، إذا استسلم ؛ لأن المستسلم في القتال يُلقي سلاحه بيديه فكذلك فعل كل عاجزٍ في أي فعل كان ، ومنه قول عبد المطلب : (والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لعجزٌ) وقال قوم : التقدير لا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما تقول : لا تفسد حالك برأيك .

● **أما الباء :** فقال القرطبي : إنها زائدة ، قاله القرطبي ، وقال : التقدير تلقوا ونظيره ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ [العلق : ١٤] .

وقال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : فما وجه إدخال (الباء) في قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ وقد علمت أن المعروف من كلام العرب (ألقيت إلى فلانٍ درهمًا) دون (ألقيت إلى فلان بدرهم) ؟ قيل : قد قيل : إنها زيدت نحو زيادة القائل (الباء) في قوله : (جذبتُ بالثوب وجذبت الثوب وتعلَّقتُ به وتعلَّقته) و ﴿ تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون : ٢٠] وإنما هو تنبت الدهن .

وقال آخرون : (الباء) في قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ أصل للكنية ، لأن كل فعل واقع كُنِّي عنه فهو مضطر إليها نحو قولك في رجل : (كلَّمته) فأردت الكناية عن فعله فإن أردت ذلك قلت : (فعلت به)

قالوا : فلما كانت (الباء) هي الأصل جاز إدخال (الباء) وإخراجها من كل (فعلٍ) سبيله سبيل كُنيته .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] وما المراد بها ؟

ج : التهلكة معناها : الهلاك ، والمراد بها هنا لأهل العلم فيه أقوال :

أحدها : ترك الإنفاق في سبيل الله[1] (فإن ترك الإنفاق يؤدي إلى التهلكة) .

الثاني : ترك الجهاد في سبيل الله والانشغال بإصلاح الأموال وجمعها[2] .

الثالث : القنوط من رحمة الله (فيرتكب الرجل المعصية أو الكبيرَة وييأس من رحمة الله ويسلم نفسه للهلكة)[3] .

الرابع : أن المراد بـ (التهلكة) : عذاب الله .

---

(١) تقدم أن البخاري أخرج من حديث حذيفة رضي الله عنه (٤٥١٦) في قوله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : نزلت في النفقة .

وأخرجه الطبري (٣١٤٥) ولفظه هو ترك النفقة في سبيل الله .

(٢) تقدم ذلك في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول : لا توبة لي .

وفي رواية (٣١٦٩) : هو الرجل يذنب الذنب فيقول : لا يغفر الله له .

وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا ، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال : هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ويلقى بيده إلى التهلكة ، ويقول : لا توبة له - يعني قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

الخامس : المراد عموم ما يؤدي إلى التهلكة .

واختار الطبري رحمه الله تعالى العموم فقال :

والصواب من القول في ذلك عندي أنْ يُقال : إنَّ الله جل ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ﴾ [البقرة : ١٩٥] – وسبيله : طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم . ومعنى ذلك : وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم ، بجهاد عدوِّكم الناصبين لكم الحرب على الكفر بي ، ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة فقال : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وذلك مثلٌ والعرب تقول للمستسلم للأمر : « أعطى فلان بيديه » ، وكذلك يقال للممكن من نفسه مما أريد به : « أعطى بيديه » .

فمعنى قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ولا تستسلموا للهلكة ، فتعطوها أزمتكم فتهلكوا .

والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه ، مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله . وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية « في سبيله » ، فقال : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ إلى قوله : ﴿ وفي سبيل الله وابن السبيل ﴾ [التوبة : ٦٠] فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه ، كان للهلكة مستسلمًا ، وبيديه للتهلكة ملقيًا .

وكذلك الآئسُ من رحمة الله لذنب سلف منه ، ملق بيديه إلى التهلكة ، لأن الله قد نهى عن ذلك فقال : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلَّا القوم الكافرين ﴾ [يوسف : ٨٧] .

وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم، في حال وجوب ذلك عليه ، في حال حاجة المسلمين إليه ، مضيعٌ فرضًا ، ملقٍ بيده إلى التهلكة .

فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئًا دون شيء ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا ، والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من فرائضه . فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا ، مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الأغلب من تأويل الآية : وأنفقوا ، أيها المؤمنون ، في سبيل الله ، ولا تتركوا النفقة فيها ، فتهلكوا باستحقاقكم - بترككم ذلك - عذابي .

❋ ❋ ❋

س : حمل الرجل الواحد المسلم على العدد الكثير من العدو ما حكمه ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1] : صرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهور فممنوع ، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهنٌ في المسلمين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُعمل بعموم هذه الآية أم يقتصر على سبب نزولها ؟

ج : نعم يعمل بعمومها ، فاللفظ يقتضي العموم وورود سبب نزولٍ لها لا يعنى أننا نقصرها على سبب النزول ، فكل ما يؤدي إلى الهلاك من غير مصلحة راجحة يُنهى عنه ، فتدل الآية مثلًا على جواز مصالحة الكفار والبغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين ، وتدل على جواز ترك الأمر

---

(١) فتح الباري (٣٤/٨) .

بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان يخشى على نفسه الهلاك ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإحسان في قوله تعالى : ﴿ وأحسنوا ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟

ج : الذي يظهر أن الإحسان هنا عامٌّ فيدخل فيه جميع أنواع الإحسان كالإحسان بالمال والإحسان بالجاه بالشفاعات ونحو ذلك ، والإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم النافع ، وقضاء حوائج الناس : من تفريج كرباتهم وإزالة شدائدهم وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وإرشاد ضالهم وإعانة من يعمل عملًا صحيحًا مشروعًا و ... ، ويدخل فيه ما ورد في حديث النبي ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه »[1] كما أشار إلى ذلك السعدي رحمه الله في تفسيره ويدخل فيه أيضًا العفو عن الناس كما في قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران :١٣٤] ويدخل فيه إحسان الظن بالله تعالى ويدخل فيه أيضًا الإحسان في القتل والذبح كما قال النبي ﷺ : « إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ... »[2] الحديث . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا .

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

س : ما معنى : أحصرتم – نسك ؟

ج :

الكلمة	معناها
أُحصرتم	مُنعتم – صُددتم
نسك	أصل النسك العبادة ، ويطلق أيضًا على أعمال الحج ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ [البقرة : ٢٠٠] والمراد بالنسك هنا ذبيحة الأنعام ، وأقلها شاة ، وأطلق عليها نسك لأنها من أشرف العبادات التي يتقرب بها إلى الله ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بإتمام الحج والعمرة في قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد : أداؤهما والإتيان بهما .

الثاني : أن المراد : إتمامهما بعد الشروع فيهما وعدم إبطالهما[1] ، وهذان أشهر الأقوال في المراد بالآية الكريمة وثم أقوال أُخر منها :

الثالث : أن تحرم بالحج والعمرة من دارك ، وهذا القول ضعيف ، إذ قد شرع رسول الله ﷺ المواقيت لمن أراد الحج أو العمرة ، والذي يُحرِم من داره إنما هو من كانت داره دون المواقيت .

الرابع : أن المراد بإتمام العمرة أن تعمل في غير أشهر الحج ، وتمام الحج أن يؤتي بمناسكه كلها ، ووجه ضعف هذا أن النبي ﷺ قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

الخامس : أن تخرج من أهلك لا تريد إلا الحج أو العمرة ، لا تريد تجارة ولا غير ذلك إلا الحج أو العمرة ، ووجه ضعف هذا القول أن الله عز وجل قال : ﴿ ليشهدوا منافع لهم .. ﴾ [الحج : ٢٨] وثمَّ أقوال أُخر أضربنا عن ذكرها .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٣٢٠٢) أنه قال : ليست العمرة واجبة على أحد من الناس ، قال (أي ابن وهب الراوي عنه) فقلت له : قول الله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ؟ ﴾ [البقرة : ١٩٦] قال : ليس من الخلق أحد ينبغي له إذا دخل في أمرٍ إلا أن يُتمه ، فإذا دخل فيها لم ينبغ له أن يهل يومًا أو يومين ثم يرجع كما لو صام يومًا لم ينبغ له أن يفطر في نصف النهار .

س : هل في هذه الآية دليل على وجوب العمرة ؟

ج : الصحيح أن هذه الآية لا تدل على وجوب العمرة[1] لأن الله عز وجل أمر في هذه الآية الكريمة بإتمام العمرة وليس بابتدائها ، أما من احتج بأنها (أي : العمرة) اقترنت بالحج ، والحج واجب فتكون العمرة كذلك ، فالإجابة عليه أن وجوب الحج استفيد من نصوص أُخر كقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وغير ذلك مما ورد في السُّنة ، فالحاصل أن هذه الآية لا يُستدل بها على وجوب العمرة ، وإنما هي كقوله تعالى : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد : ٣٣] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿ لله ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : الأعمال كلها لله خلق وتقدير وعلم وإرادة ومصدر ومورد وتصريف وتكليف ، وفائدة هذا التخصيص أن العرب كانت تقصد الحجَّ للاجتماع والتظاهر والتناضل والتنافر والتفاخر وقضاء الحاجات وحضور الأسواق ، وليس لله فيه حظٌّ يُقصد ولا قربةٌ تعتقد ؛ فأمر الله سبحانه بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقِّه ثم سامح في التجارة على ما يأتي بيانه إن شاء الله .

---

(١) وفي وجوب العمرة أو عدم وجوبها بحث طويل ليس هذا مقامه ، والحاصل فيه أن لأهل العلم قولان في وجوبها : أحدهما القول بالوجوب ، والآخر القول بعدم الوجوب (والاقتصار على الاستحباب) ، والأدلة التي استدل بها العلماء على وجوب العمرة لا تخلو من مقال ، هذا المقال إما أن يتمثل في توجيه الدليل الذي استدلوا به ، أو يتمثل في ضعف الدليل ابتداءً ، والله تعالى أعلم .

● **وقال القاسمي في « محاسن التأويل » :** وإنما قال في الحج والعمرة: ﴿ لله ﴾ ولم يقل ذلك في الصلاة[1] والزكاة من أجل أنهم كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى أصنامهم ، فخصهما الله بالذكر لله تعالى حثًّا على الإخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد المحظور .

قلت (مصطفى) : ويؤيد قول المشركين عند الإهلال:(لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ؛ إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)[2] .

* * *

س : فيمَ يتمثل الإحصار ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد بالإحصار : كل مانع أو حابس يمنع المحرم أو يحبسه عن العمل الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت الحرام ؛ سواء كان هذا المانع يتمثل في العدو الذي يمنع المحرم من الوصول إلى البيت الحرام ، أو كان هذا المانع مرض أو كسر أو غير ذلك ، ويؤيد هذا الرأى قوله تعالى : ﴿ أحصرتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] فمعناها : مُنعتُم ، وهي غير مقيدة .

الثاني : أن المراد بالإحصار : المنع بسبب العدو وحده .

---

(١) قال الله تعالى في الصلاة : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .

(٢) أخرج مسلم (حديث ١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ : « ويلكم قَدْ قَدْ »[1] فيقولون : إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت .

---

(١) معناها كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا .

وحجة هذا القول أن النبي ﷺ أُحصر بسبب العدو[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٥] والأمن يكون من العدو .

الثالث : أن المراد بالإحصار : الإحصار بالمرض .

واختار الطبري رحمه الله القول بالعموم ، والله أعلم .

✸ ✸ ✸

س : في قوله تعالى : ﴿ .. فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] مقدر محذوف فما هو هذا المقدر المحذوف ؟

ج : في هذا المحذوف أقوال :

أحدها : الواجب ، فالمعنى : فالواجب عليكم ما استيسر من الهدي .

الثاني : انحروا ، فالمعنى : فانحروا ما استيسر من الهدي .

الثالث : اهدوا ، فالمعنى : اهدوا ما استيسر من الهدي ، والله تعالى أعلم .

✸ ✸ ✸

س : ما هو أقل الهدي الواجب إهداؤه عند الإحصار ؟

ج : الذي عليه أكثر أهل العلم أن ما استيسر من الهدي : شاة (أي : أقله

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٨٠٧) من طريق نافع أن عبيد الله بن عبد الله وسالم ابن عبد الله أخبراه أنهما كَلَّمَا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليالي نزل الجيش بابن الزبير فقالا : لا يضرك أن لا تحج العام وإنا نخاف أن يُحال بينك وبين البيت ، فقال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه ، وأُشهدكم أني قد أوجبت العمرة إن شاء الله أنطلق فإن خُلِّي بيني وبين البيت طفت ، وإن حيل بيني وبينه فعلت كما فعل النبي ﷺ وأنا معه ، فأهلَّ بالعمرة من ذي الحليفة ثم سار ساعة ثم قال : إنما شأنهما واحد ، أشهدكم أني قد أوجبت حجة مع عمرتي ، فلم يحل منهما حتى دخل يوم النحر وأهدى ، وكان يقول : لا يحل حتى يطوف طوافًا واحدًا يوم يدخل مكة .

شاة) ، وقد أخرج ابن جرير الطبري من طرق متعددة عن ابن عباس أنه قال : (ما استيسر من الهدى) شاة .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء ذبح الشاة في الإحصار أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي أي مهما تيسر مما يسمى هديًا والهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ ، وقد ثبت في الصحيحين[1] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أهدى النبي ﷺ غنمًا .

● **قلت** : ومن العلماء من ذهب إلى أن أقله بقرة ، ولا دليل على ذلك ، والقول الأول أولى ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] معطوفٌ على ماذا ؟

ج : من العلماء من قال : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ومنهم من يقول : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [البقرة : ١٩٦] وهذا الأخير هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ، قال : لأن النبي ﷺ وأصحابه لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم[2] .

فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق حتى يبلغ

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٧٠١) ، ومسلم ص (٩٥٨) .

(٢) أخرج البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يصدِّق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق ... الحديث ، وفيه: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » ، قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك =

﴿ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارنًا أو من فعل أحدهما إن كان مفردًا أو متمتعًا كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة و لم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر »[٢] .

* * *

س : ما المراد بمحل الهدي المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] وما هو هذا المحل ؟

ج : المراد بمحل الهدي المكان الذي ينبغي أن يصل إليه الهدي حتى يتحلل المحرم من إحرامه ، ولأهل العلم أقوال في تحديد هذا المحل ، وها هي بعضها :

● **القول الأول** : أن المراد بـ (المحل) : الحرم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ [الحج : ٣٣] ولقوله تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] .

= ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا ... الحديث .

● وأخرج البخاري (١٨٠٧) ، ومسلم (١٢٣٠) والسياق للبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجنا مع النبي ﷺ فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٧٢٥) ، ومسلم (حديث ١٢٢٩) .

● **القول الثاني** : أن المراد بالمحل هنا المحل الذي حُصِر فيه الشخص سواء كان الحرم أو غيره ، وإلى هذا الرأي ذهب جمهور أهل العلم .

● **قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان)** : وجمهور العلماء على أن ينحره في المحل الذي حصر فيه حِلًّا كان أو حرمًا ، وقد نحر النبي ﷺ هو وأصحابه بالحديبية ، وجزم الشافعي وغيره بأن الموضع الذي نحروا فيه من الحديبية من الحل لا من الحرم واستدل لذلك بدليل واضح من القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] فهو نص صريح في أن ذلك الهدي لم يبلغ محله .

وذهب هؤلاء إلى أن معنى قوله : ﴿ حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] حتى يبلغ بالذبح أو النحر محل أكله والانتفاع به في محل ذبحه ونحره كما روي عن النبي ﷺ في نظيره إذ أُتي بلحم أتته بريرة من صدقةٍ كان تُصُدِّق به عليها فقال : « قرِّبوه فقد بلغ محله » .

يعني : فقد بلغ مَحلَّ طيبه وحلاله له بالهدية إليه بعد أن كان صدقة على بريرة[1] .

● **القول الثالث** : هو التفصيل بين ما إذا كان الإحصار بعدوٍّ أو ما إذا كان الإحصار بسبب مرض ونحوه ؛ فقالوا : **إذا كان الإحصار بعدو** فَمحل المَحرم حيث أحصر (في الحرم كان أو في غير الحرم) قالوا : وقد حلَّ النبي ﷺ في الحديبية (وليست من الحرم)[2] .

---

(١) أشار إلى ذلك الطبري رحمه الله نقلًا عن غيره .

(٢) كما قدمنا عن الشافعي رحمه الله إذ استدل بقوله تعالى : ﴿ والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] على أن المكان الذي نحروا فيه من الحل .

● وقال القرطبي رحمه الله : جمهور الناس على أن المحصر بعدوٍّ يحل حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثمَّ هدي ويحلق رأسه .

أما إذا كان الإحصار بمرض ونحوه فلا يحل إلا في الحرم بعد أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة .

الرابع : إن استطاع المحصر أن يرسل هديه إلى الحرم أرسله ، وإن لم يستطع فينحر حيث استطاع ، وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب .

والذي يبدو أن المحصر محله حيث أحصر وذلك لأن النبي ﷺ نحر هديه بالحديبية[1] ، وإن سلمت أخبار أن بعض الصحابة تسلل ببعض الهدي من بعض الطرق إلى الحرم[2] فهذا لم يكن على عمومه بل فعل أفراد إن ثبت الخبر بذلك ، وكذلك لا حجة في إيراد من أورد أن الصحابة نحروا في الحل وجاءت ريح فنقلت شعورها إلى الحرم لأن أصل النحر – على هذا القول – كان في الحل ، ولا تفريق بين المحصر بعدوٍّ والمحصر بمرض للعمومات لقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ولقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ولقوله : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] والله تعالى أعلم .

* * *

س : أيهما يفعل قبل الآخر في الحج النحر أم الحلق ؟

ج : الذي يفعل أولًا هو النحر ، فقد ثبت أن النبي ﷺ نحر قبل أن يحلق في عمرة الحديبية وفي حجة الوداع ، ودل القرآن على ذلك في موضعين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر النسائي في السنن الكبرى (٤٥٣/٢) حديث ناجية بن جندب الأسلمي .

الثاني : قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ [الحج : ٢٨] قال الشنقيطي في أضواء البيان : فالمراد بقوله : ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم ﴾ [الحج : ٢٨] الآية : ذكر اسمه تعالى عند نحر البدن إجماعًا ، وقد قال تعالى بعده عاطفًا بـ ﴿ ثم ﴾ التي هي للترتيب ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ [الحج : ٢٩] الآية ، وقضاء التفث يدخل فيه بلا نزاع إزالة الشعر بالحلق ، فهو نص صريح في الأمر بتقديم النحر على الحلق .

قلت : لكن من حلق قبل أن ينحر فلا حرج عليه ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل : لم أشعر يا رسول الله فحلقت قبل أن أذبح قال : « اذبح ولا حرج » ، فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي قال : « ارم ولا حرج » ، فما سئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال : « افعل ولا حرج » .

ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

* * *

س : هل يجب الحلق ؟ أم يجوز التقصير في الحج ؟

ج : يجوز التقصير أيضًا ، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » ، قالوا : وللمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ؟ قال : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ؟ قال : « وللمُقصِّرين »[2] .

---

(١) البخاري (حديث ١٧٣٦) ، (١٧٣٧) ، ومسلم (حديث ١٣٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٨) ، ومسلم (١٣٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● ونحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[1] أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم ارحم المُحلِّقين » ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصرين »[2] .

* * *

س : هل يجوز الاشتراط في الحج ؟ وما فائدة هذا الاشتراط ؟ وما هي صفته ؟

ج : نعم يجوز الاشتراط في الحج ؛ لما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على ضُباعة بنت الزبير فقال لها :« أردتِ الحج ؟ » قالت : والله ما أجدني إلا وَجِعَةً ، فقال لها : « حُجِّي واشترطي ، وقولي : اللهم مَحِلِّي حيث حبستني » .

وفي صحيح مسلم[4] من حديث ابن عباس أن ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ فقالت : إني امرأة ثقيلة وإني أريد الحج ، فما تأمرني ؟ قال : « أهلِّي بالحج واشترطي أن محلِّي حيث تحبسني » .

● وفائدة الاشتراط أنه إذا لم يستطع مواصلة الحج وتحلل لا يلزمه دم .

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٧) ، واللفظ له ، ومسلم (١٣٠١) .

(٢) في بعض الروايات : أن النبي ﷺ كرر « اللهم ارحم المحلقين » ثلاث مرات ... في حديث ابن عمر وهي في الصحيح أيضًا (انظر صحيح مسلم ص٩٤٦) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٨٩) ، ومسلم (حديث ١٢٠٧) .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٢٠٨) .

وصفته – كما تقدم – أن يقول : اللهم محلي حيث حبستني . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : وقف عليَّ رسول الله ﷺ بالحديبية ورأسي يتهافت قُملًا ، فقال : « يؤذيك هوامُّك ؟ ، قلت : نعم . قال : « فاحلق رأسك » – أو قال : « احلق » – قال : فيَّ نزلت هذه الآية : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ﴾ [البقرة : ١٩٦] إلى آخرها فقال النبي ﷺ :« صم ثلاثة أيام أو تصدَّق بفَرَقٍ بين ستة أو انسك بما تيسر » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المرض المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فأما « المرض » الذي أبيحَ معه العلاجُ بالطِّيب وحَلقُ الرأس ، فكلُّ مَرَض كان صلاحه بحلقه ، كالبِرْسام الذي يكون من صَلاح صاحبه حَلْق رأسه وما أشبه ذلك ، والجراحات التي تكون بجسد الإنسان التي يحتاج معها إلى العلاج بالدواء الذي فيه الطيب ، ونحو ذلك من القُروح والعلل العارضة للأبدان .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨١٥) ، ومسلم (١٢٠١) .

وأما « الأذى » الذي يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حَلْقه ، فنحو الصداع والشَّقيقة وما أشبه ذلك ، وأن يكثُر صِئْبان الرأس ، وكل ما كان للرأس مؤذيًا مما في حلقه صلاحُه ودفع المضرَّة الحالَّة به ، فيكون ذلك بعموم قول الله جل وعز : ﴿ أو به أذى من رَأسه ﴾ [البقرة :١٩٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقدار الصيام المذكور في قوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟ وما هو مقدار تلك الصدقة ؟ وما المراد بالنسك ؟

ج : أما الصيام فصيام ثلاثة أيام ، والصدقة هي إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ، والنسك : شاة ، يدل على ذلك كله ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « .... تجد شاة ؟ » قال : لا . فقال له : « فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع »[1] .

❋ ❋ ❋

س : هل الفدية في قوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] على التخيير أو على الترتيب ؟

ج : هي على التخيير ؛ لقوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨١٦) ، ومسلم (ص ٨٦١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي بعض الروايات : « أو أطعم ثلاثة آصُع من تمرٍ على ستة مساكين » .

س : هل يجوز الحلق قبل الفدية أو يجب تقديم الفدية قبل الحلق ؟

ج : يجوز الحلق قبل الفدية ، وذلك لما في بعض طرق[1] حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له :« احلق رأسك ثم اذبح شاة نسكًا ، أو صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ثلاثة آصُع من تمرٍ على ستة مساكين » .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] مُقدَّر محذوف ما هو هذا المقدر ؟

ج : المقدر هو : (وفعل محظورًا من محظورات الإحرام كأن يكون حلق أو تطيَّب أو ...) ، فالمعنى : فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فارتكب محظورًا ففدية من صيام أو صدقةٍ أو نسك .. .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] مقدر محذوف ما هو ؟

ج : المقدر : وتنحروا. فالمعنى : ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله وتنحروه أو تذبحوه ... ؛ وذلك لأن الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله ؛ بل لا يحصل التحلل إلا بالنحر أو الذبح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، أمنتم من ماذا ؟

ج : قال فريق من العلماء : أمنتم الخوف من عدوكم[2] .

---

(١) انظر الحديث المتقدم .

(٢) أخرج الطبري (٣٤١٧)بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : لتعلموا أن القوم كانوا خائفين يومئذٍ .

وقال آخرون : برأتم من المرض .

ومن العلماء من قال : إذا أمنتم ، أي : تمكنتم من أداء مناسككم ولم يَحُلْ بينكم وبين أدائها حائل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التمتع ؟ في قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : **أما التمتع ؛ فالمعروف أنه الاعتمار في أشهر الحج ، ثم التحلل من تلك العمرة والإهلال بالحج في تلك السنة** ، قال الله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ويطلق التمتع في عرف السلف على القران أيضًا ، قال ابن عبد البر : لا خلاف بين العلماء أن التمتع المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ [البقرة : ١٩٦] : أنه الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج ، قال : ومن التمتع أيضًا : القران لأنه تمتع بسقوط سفر للنسك الآخر من بلده ، ومن التمتع : فسخ الحج أيضًا إلى العمرة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الدليل على مشروعية التمتع في الحج ؟

ج : هو قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

● وأيضًا : ما أخرجه مسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وفيه : .. حتى إذا كان آخر طوافه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

على المروة فقال : « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة » ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبدٍ ؟ فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال :« دخلت العمرة في الحج » مرتين « لا بل لأبد أبدٍ » ... الحديث .

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (خرجنا مع النبي ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج ، فلما قدمنا تطوفنا بالبيت[2] فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساقَ الهدي أن يحل ...) .

● وفي الصحيحين[3] : عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن ، قال رجل برأيه ما شاء .

❋ ❋ ❋

س : رجل متمتع يجد سعة لأن يهدي ولكنه صام ، هل يجزىء عنه هذا الصيام ؟

ج : لا يجزىء عنه الصيام ما دام يستطيع الهدي ، قال القرطبي رحمه الله : أجمع العلماء على أن الصوم لا سبيل للمتمتع إليه إذا كان يجد الهدي .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يُجزىء عن المتمتع من الهدي ؟

ج : يجزىء عنه شاة ، أو أن يشترك هو وستة آخرون في بقرة أو بدنة ،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٦١) ، ومسلم (ص ٨٧٧) .

(٢) أي : وسعينا .

(٣) البخاري حديث (١٥٧١) ، ومسلم (ص ٩٠٠) .

يدل على ذلك : ما أخرجه البخاري[1] بإسناده إلى أبي جمرة قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فأمرني بها ، وسألته عن الهدي فقال : فيها جزور أو بقرة أو شاة أو شركٌ في دم ، قال : وكأن ناسًا كرهوها فنمت فرأيت في المنام كأن إنسانًا يُنادي : حجٌّ مبرور ومتعة متقبلة ، فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فحدَّثته ؛ فقال : الله أكبر ، سُنة أبي القاسم ﷺ

وأخرج مسلم[2] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وفي رواية : خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلين بالحج ؛ فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة .

* * *

س : ما هي الثلاثة أيام التي أوجب الله صومها على المتمتع الذي لا يجد الهدي ؟

ج : هي ثلاثة أيام في الحج كما قال تعالى : ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ... ﴾ [البقرة : ١٩٦]

ولكن ما هي هذه الأيام بالتحديد ؟ لم يرد في ذلك نص عن النبي ﷺ ، ولذلك تكاثرت أقوال العلماء في ذلك ، فمنهم من قال : إن جوازها يبدأ من حين الإحرام بالعمرة[3] وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر .

● ومن العلماء من قال : إنها يوم السادس والسابع والثامن من منًى ، ومنهم من قال : إنها السابع والثامن والتاسع ، ومنهم من قال : تبدأ من الإهلال بالحج

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٨٨) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣١٨) .

(٣) أي : العمرة التي في أشهر الحج (التي تمتع بها المتمتع إلى الحج) .

وتنتهي إلى يوم عرفة إلى غير ذلك من الأقوال .

وأولاها بالصواب عندي – والله أعلم – : أنها تبدأ من وقت الإحرام بالحج إلى نهاية أيام التشريق ، فإن قال قائل : إن النبي ﷺ قد نهى عن صيام أيام التشريق[1] ، فيجاب على هذا بأن صومها مستثنى للمتمتع الذي لا يجد الهدي ، وذلك لما أخرجه البخاري[2] من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا : لم يُرخص في أيام التشريق أن يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهدي .

وأخرج البخاري[3] أيضًا عن ابن عمر قال : (الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة ، فإن لم يجد هديًا صام أيام منى) .

وأخرج البخاري أيضًا بإسناده إلى عروة قال :(كانت عائشة رضي الله عنها تصوم أيام منًى ، وكان أبوه يصومها)[4] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، رجعتم إلى أين ؟

ج : رجعتم إلى أهاليكم وبلادكم ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[5] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيه : .. فم ن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ : « أيام التشريق أيام أكلٍ وشرب » .
ونحوه عند مسلم أيضًا (حديث ١١٤٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنادى (أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منًى أيام أكلٍ وشربٍ) .

(٢) أخرجهما البخاري (١٩٩٧ و ١٩٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٩٩) .

(٤) أخرجه البخاري (١٩٩٦) .

(٥) أخرجه البخاري (حديث ١٦٩١) ، ومسلم (حديث ١٢٢٧) .

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : .. فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ : « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلَّد الهدي » ، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ، وقال : « من قلَّد الهدي فإنه لا يحل له حتى يبلغ الهدي محله » ، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج ، فإذا فرغنا من المناسك ؛ جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجُّنا ، وعلينا الهدي ، كما قال تعالى : ﴿ فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : إلى أمصاركم ..

ونقل ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى[2] إجماع جميع أهل العلم على أن معناه : إذا رجعتم إلى أهليكم وأمصاركم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز لمن لم يجد الهدي أن يصوم السبعة أيام أو بعضها وهو في طريق الرجوع إلى أهله ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز له ذلك محتجين بقوله تعالى : ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦]،وبما تقدم في تفسيرها من أن المراد :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٧٢) .

(٢) الطبري تحقيق شاكر (١٠٧/٤) .

قلت (مصطفى) : وفي دعوى الإجماع ، نظر فقد نقل عن بعض أهل العلم أنهم ذهبوا إلى أن المعنى : (إذا فرغتم من أعمال الحج ..) ، نقل هذا القول عن أبي حنيفة ، وقال ابن العربي في أحكام القرآن : قوله تعالى : ﴿ إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : يعني إلى بلادكم في قول مالك في كتاب محمد ، وبه قال الشافعي ، وقال مالك في الكتاب : إذا رجع من منى .

قلت : وفيما تقدم عن رسول الله ﷺ غُنية ، وإنما أوردنا ما أوردناه لمَّا ادعى الطبري رحمه الله الإجماع .

إذا رجعتم إلى أهليكم وأمصاركم .

ومن العلماء من ذهب إلى الجواز ، فقال ابن جرير الطبري رحمه الله : ولو تحمل المتمتع فصام الأيام السبعة في سفره قبل رجوعه إلى وطنه أو صامهن بمكة كان مؤديًا ما عليه من فرض الصوم في ذلك ، وكان بمنزلة الصائم شهر رمضان في سفره أو مرضه مختارًا للعسر على اليسر .

قلت : وهذا القول منقول عن مجاهد[1] وأحمد وإسحاق وغيرهم .

* * *

س : من المعلوم أن الثلاثة والسبعة مجموعهما عشرة فلماذا قيل : ﴿ تلك عشرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : أجاب بعض العلماء على ذلك بأجوبةٍ نذكر منها ما يلي :

الأول : أن ذلك قيل للتأكيد ، كما تقول العرب : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، وكتبت بيدي ، وكما قال تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وقال سبحانه : ﴿ ولا تخطه بيمينك ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ [النحل : ٢٦] والخَرُّ لا يكون إلا من فوق .

الثاني : أن هذا خبرٌ ، معناه الأمر ، والمعنى : تلك عشرة فأكملوا صومها .

الثالث : أنه لدفع التوهم الذي قد يرد إلى الشخص ، فقد يظن ظان أو يتوهم متوهم أن الواو للتخيير في قوله تعالى : ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عنه (٣٤٨٦) وفيه : هي رخصة إن شاء صامها في الطريق .

فيظن أنها كالواو في قوله تعالى : ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ [النساء :٣] ، فيعتقد حينئذ أن له أن يصوم إما ثلاثة في الحج أو سبعة إذا رجع ، فحتى يُدفع هذا التوهم ، قال تعالى : ﴿ تلك عشرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : من العلماء من قال : **إنها كلها** (أي : العشرة) هي التي تجزىء عن الهدي الذي لم يقدمه المتمتع ، أما إذا نقصت فلا تجزىء .

ومنهم من قال : إنها (أي : العشرة) مكملة للنقص الذي طرأ على حج المتمتع نتيجة تمتعه[1] ، فمن صام العشرة نال من الثواب مثل من لم يتمتع .

ومنهم من قال : إنها (أي : العشرة) تكمل لصاحبها الأجر كمن أهدى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإشارة في قوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ترجع إلى ماذا ؟

ج : الإشارة ترجع إلى التمتع بالعمرة إلى الحج .

❋ ❋ ❋

س : من المعنيون بقوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : أهل الحرم معنِيُّون به بالإجماع ، نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله

---

(١) وهذا على رأي من قال : إن حج المتمتع ناقص ، وفي هذا نظر .

في تفسيره[1] ، وأخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ... فجمعوا نُسكين في عام بين الحج والعمرة ، فإن الله تعالى أنزله في كتابه وسنَّه نبيه ﷺ وأباحه للناس غير أهل مكة ، قال الله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

لكن هل يدخل مع أهل الحرم غيرهم أم لا ؟ فذهب فريق من العلماء إلى أن الآية مقتصرة على أهل الحرم ، ومن العلماء من قال : يدخل معهم مَنْ كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، واختار هذا القول الطبري رحمه الله[3] .

ومن العلماء من قال : مَن كان منزله دون المواقيت . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) من العلماء من قصرهم على أهل مكة .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٥٧٢) .

(٣) قال الطبري رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قول : إن حاضري المسجد الحرام : من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تُقصَر إليه الصلوات . لأن « حاضر الشيء » ، في كلام العرب ، هو الشاهد له بنفسه . وإذ كان ذلك كذلك = وكان لا يستحق أن يسمى « غائبًا » ، إلا من كان مُسافرًا شاخصًا عن وطنه ، وكان المسافر لا يكون مسافرًا إلا بشخوصه عن وطنه إلى ما تقصر في مثله الصلاة ، وكان من لم يكن كذلك لا يستحق اسم « غائب » عن وطنه ومنزله = كان كذلك من لم يكن من المسجد الحرام على ما تقصر إليه الصلاة ، غير مستحق أن يقال : هو من غير حاضريه ، إذا كان الغائب عنه هو مَنْ وصفنا صفته .

وإنما لم تكن المتعة لمن كان من حاضري المسجد الحرام ، من أجل أن « التمتع » إنما هو الاستمتاع بالإحلال من الإحرام بالعمرة إلى الحج ، مرتفقًا في ترك العود إلى المنزل والوطن بالمقام بالحرم حتى ينشئ منه الإحرامَ بالحج . وكان المعتمر متى قضى عمرته في أشهر الحج ، ثم انصرف إلى وطنه أو شَخَصَ عن الحرام إلى ما تقصر =

س : هل المراد حضور المُحرم أو حضور أهله في قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : **قال الرازي في تفسيره :** الله تعالى ذكر حضور الأهل ، والمراد حضور المُحرم لا حضور الأهل ؛ لأن الغالب على الرجل أنه يسكن حيث أهله ساكنون .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل اسمه : ﴿ واتقوا الله ﴾ [البقرة : ١٩٦] بطاعته فيما ألزمكم من فرائضه وحدوده ، واحذروا أن تعتدوا في ذلك وتتجاوزوا فيما بيَّن لكم من مناسككم فتستحلوا ما حرم فيها عليكم ، و ﴿ اعلموا ﴾ [البقرة : ١٩٦] : تيقَّنوا أنه تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه على من انتهك محارمه وركب من معاصيه .

* * *

= فيه الصلاة ، ثم حج من عامه ذلك ، بطل أن يكون مستمتعًا ؛ لأنه لم يستمتع بالمرفق الذي جُعل للمستمتع ، من ترك العود إلىْ الميقات ، والرجوع إلى الوطن بالمقام في الحرم . وكان المكيُّ من حاضري المسجد الحرام لا يرتفق بذلك ، من أجل أنه متى قضى عُمرته أقام في وطنه بالحرم ، فهو غير مرتفق بشيء مما يرتفق به من لم يكن أهله من حاضري المسجد الحرام ، فيكون متمتعًا بالإحلال من عُمرته إلى حجه .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

س : ما معنى : فرض ؟

ج :

الكلمة	معناها
فرض	أوجب وألزم

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟ وبيِّن هذه الأشهر ما هي ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – لأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : وقت الحج أشهر معلومات (أي : لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها) .

الثاني : الحج حج أشهر معلومات (أي : الحج الكامل المفضل : ما كان في هذه الأشهر المعلومات) .

فعلى القول الأول لا يجوز الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلومات وبه يقول الشافعي رحمه الله ، فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به ، وعلى القول الثاني يصح الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر أيضًا وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم .

ويشهد لهذا القول قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

أما ما هي هذه الأشهر فلأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بهذه الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة[1] .

الثاني : أن المراد بهذه الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام[2] من ذي الحجة .

---

(١) وحجة هذا القول ظاهر الآية الكريمة ، وذكر أنها أشهر فلا معنى لأخذ بعض أيام الشهر أو لياليه دون الأيام والليالي الأخرى .

(٢) حجة هذا القول إن الطواف والرمي في العقبة ركنان يفعلان في العاشر ، وجنح الطبري إلى هذا القول وقال : فإن قال قائل فكيف قيل ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] وهو شهران وبعض الثالث ، قيل : إن العرب لا تمتنع خاصة في الأوقات من استعمال مثل ذلك فتقول : (له اليوم يومان منذ لم أره) وإنما تعني =

الثالث : أنها شوال وذو القعدة وعشر ليالٍ من ذي الحجة[1] .

الرابع : أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة من أوله إلى آخر أيام التشريق[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه قول من قال : إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكامِلِه ، ومن المعلوم أن الحج ينتهي بعد انتهاء أيام التشريق الثلاثة ؟

ج : أجاب على ذلك الطبري رحمه الله بقوله : إن معنى ذلك غير الذي توهمته ، وإنما عنوا بقيلهم : الحج ثلاثة أشهر كوامل : أنهن أشهر الحج لا أشهر العمرة ، وأن شهور العمرة سواهن من شهور السنة .

وأورد الطبري جملة آثار تؤيد له هذا المعنى الذي ذهب إليه ، منها :

= بذلك يومًا وبعض آخر ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، وإنما يتعجل في يومٍ ونصف ، وقد يفعل الفاعل منهم الفعل في الساعة ثم يخرجه عامًا على السنة والشهر فيقول : (زرته العام ، وأتيته اليوم) وهو لا يريد بذلك أن فعله أخذ من أول الوقت الذي ذكره إلى آخره ، ولكنه يعني أنه فعله إذ ذاك وفي ذلك الحين ، فكذلك ﴿ الحج أشهر ﴾ والمراد منه : الحج شهران وبعض آخر ، فمعنى الآية إذًا : ميقات حجكم أيها الناس شهران وبعض الثالث ، وهو شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذي الحجة .

● هذا وقد صح عن ابن عمر أنه قال : شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ، وذلك في تفسير قول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] (الطبري ، ٣٥٣٢ و ٣٥٣٣) .

وصح عن ابن جريج عند الطبري (٣٥٣٦) أنه قال : قلت لنافع أسمعت ابن عمر يسمي أشهر الحج ؟ قال : نعم : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

(١) وحجة هذا القول إن الحج يكمل بطلوع الفجر يوم النحر لصحة الوقوف بعرفة وهو الحج كله .

(٢) ومن قال : آخر أيام التشريق رأى أن الرمي من أفعال الحج وشعائره ، وبعض الشهر يسمى شهرًا لغةً .

● أثر ابن عمر[1] رضي الله عنهما قال : أن تفصلوا بين أشهر الحج والعمرة فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج أتمُّ لحج أحدكم وأتمُّ لعمرته .

● وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح[2] عن طارق بن شهاب قال : سألت ابن مسعود عن امرأة منا أرادت أن تجمع مع حجها عمرة ، فقال : أسمعُ الله يقول : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ ، ما أراها إلا أشهر الحج .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسناد صحيح[3] عن القاسم بن محمد أنه قال : إن العمرة في أشهر الحج ليست بتامة ، وفي رواية : (كانوا لا يرونها تامة) .

قلت : لكن يُضعِّف هذا الرأي أن النبي ﷺ أرسل عائشة تعتمر من التنعيم مع أخيها عبد الرحمن في ذي الحجة بعد أن انتهت من حجتها[4] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : فرض معناها : أوجب وألزم ، والمعنى العام : فمن أوجب على نفسه الحج وألزمها إياه ، وهذا الإيجاب وهذا الإلزام هل تكفي فيه النية أو يُضاف إليها التلبية والإحرام ؟ فذهب بعض العلماء إلى أن النية تكفي لذلك ، وذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله فقال : إن الرجل قد يكون محرمًا بإيجابه

---

(١) أخرجه الطبري (٣٥٤٥) بإسناد صحيح .

(٢) الطبري (أثر ٣٥٥٢) ، (٣٥٤٦) .

(٣) أثر (٣٥٤٧ ، ٣٥٤٨) .

(٤) أخرج ذلك البخاري (حديث ١٧٨٤ ، ١٧٨٥) ، ومسلم في طرق حديث (١٢١١) ، وعندهما : (أن عائشة قالت : يا رسول الله أتنطلقون بعمرةٍ وحجة وأنطلق بالحج ؟ فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة) .

الإحرام بعزمه وإن لم يظهر ذلك بالتجرد والتلبية وصنيع بعض ما عليه عمله من مناسكه ، وإذا صحَّ ذلك صح ما قلنا من أن فرض الحج هو ما قُرن إيجابه بالعزم على نحو ما بينا قبلُ .

● ومن العلماء من قال : إن فرض الحج هو الإهلال (أي : التلبية)[1] .

● ومنهم من قال : إن فرض الحج هو الإحرام .

● ومنهم من قال : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : ألزمه نفسه بالشروع فيه بالنية قصدًا باطنًا وبالإحرام فعلًا ظاهرًا وبالتلبية نطقًا مسموعًا .

❋ ❋ ❋

س : هل التلبية ركن من أركان الحج ؟

ج : ذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى أنها ليست ركنًا من أركان الحج .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ﴾ [البقرة : ١٩٧] وما المراد بـ (الرفث) ؟

ج : المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : لا ترفثوا ، فهو خبر معناه النهي أما المراد بـ (الرفث) فلأهل العلم فيه أقوال :

أحدها : أنه الجماع ، وحجة هذا القول قوله تعالى : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

الثاني : أن المراد بـ (الرفث) : الجماع ومقدماته من تقبيل ومفاخذة ، وذكر الجماع والتعريض به للنساء في حضورهن .

---

(١) صح عن ابن عمر عند الطبري أنه قال : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ قال : أهلَّ . (أثر ٣٥٥٤ ، ٣٥٥٨) .

الثالث : أن المراد بـ (الرفث) : الجماع ومقدماته والإفحاش في الكلام الذي يتعلق بالجماع سواء كان ذلك في حضور النساء أو في غيابهن .

وحمل بعض أهل العلم الآية على العموم أي : أن الرفث بعمومه ممنوع سواء كان الجماع ، أو مقدماته ، أو التصريح بذكره ، أو التعريض بذلك ، وسواء كان ذلك في حضور النساء أو في غيابهن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم من جامع زوجته وهو محرم ؟

ج : لم نقف على دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في هذا الباب ، اللهم إلا أن من فعل ذلك فقد خالف قول الله عز وجل : ﴿ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فمن جامع أهله فقد وقع في الرفث المنهي عنه في الحج ، وهذا المخالف ماذا عليه ؟ قدمنا أننا لم نقف على شيء في الكتاب والسنة يوضح أن عليه كفارة بعينها ، ولا على شيء صريح يوضح أن حجَّه صحيح أو باطل ، وأيضًا لم ينعقد الإجماع على شيء بعينه في هذا الباب ، فمن العلماء من قال على كل واحد منهما هدي ، من هؤلاء : ابن عباس رضي الله عنهما ، ومنهم من قال إن حجَّه قد بطل ، وعليه أن يخرج مع الناس فيصنع كما يصنعون ، فإذا كان من العام القادم حج وأهدى ، وهذا قول ابن عباس أيضًا وابن عمر وابن عمرو رضي الله عنهم .

● ومنهم من زاد على ما تقدم أنهما يفترقان عن بعضهما في الحج القادم .

● ومنهم من فَصَّلَ فقال : ليس على الزوجة المكرهة كفارة ، فإن طاوعته فعلى كل واحد منهما كفارة .

● ومنهم من قال : بينهما بدنة وحج بعد الحج الذي أفسدوه ، منهم : الإمام الشافعي رحمه الله .

● منهم من قال : فسد حجه ، لكن يُحِرم من موضعه ، فإن أدرك تمام الحج فلا شيء عليه غير ذلك ، وإن كان لا يدرك تمام الحج فقد عصى وأمره إلى الله تعالى ، ولا هدي في ذلك ولا شيء ، إلا أن يكون لم يحج قط فعليه الحج والعمرة ، من هؤلاء : ابن حزم رحمه الله تعالى .

● ومنهم من رأى أن الحج صحيح كما أشار إليه الشوكاني ونقله عن داود الظاهري ، فقال الشوكاني رحمه الله : واعلم أنه ليس في الباب من المرفوع ما تقوم به حجة ، والموقوف ليس بحجة ، فمن لم يقبل المرسل ولا رأى حجية أقوال الصحابة فهو في سعة عن التزام هذه الأحكام ، وله في ذلك سلف كداود الظاهري .

قلت : وينضم إليه صديق حسن خان كما في الروضة الندية .

وعلى ذلك فيتلخص لنا مما سبق أن من جامع أهله وهو محرم فقد عصى الله تبارك وتعالى وأَثِمَ ، وعليه أن يستغفر الله ويعمل صالحًا . أما الحكم ببطلان حجه ، أو أمره بالافتراق والبعد عن زوجته من مكان الجماع ، وفساد الحج ، والإلزام بإتمام ذلك الحج الفاسد ، أو نحر بدنة ، أو غير ذلك ، فليس معنا في ذلك دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفسوق في قوله تعالى : ﴿ ولا فسوق ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : أن المراد بالفسوق : المعاصي كلها .

الثاني : أن المراد بالفسوق إتيان معاصي الله في الحرم أي ارتكاب ما نهى اللَّهُ المحرمَ عنه مثل قتل الصيد وأخذ الشعر ونحو ذلك .

الثالث : أن المراد بالفسوق : الذبح للأصنام .

الرابع : أن المراد : التنابز بالألقاب ، وهذا يرجع إلى الأول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالجدال هنا المراء الذي يُغضِب صاحبك .

الثاني : أن المراد بالجدال هنا : السباب .

الثالث : أن المراد بالجدال : الاختلاف في وقت الحج ومواقفه وأيِّه أفضل . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الفسوق والجدال والفحش من القول مذموم في كل وقتٍ وحين ، فلماذا نُهي عنه الحاج في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : في هذا عندي قولان :

أحدهما : أن الحاج نهي عن الرفث والفسوق والجدال لمزيد التحذير منها والتأكيد على الابتعاد عنها .

الثاني : حمل الرفث والفسوق والجدال على معنى مخصوص من معانيها ، فيحمل الرفث على الجماع ودواعيه ، ويحمل الفسوق على ارتكاب

ما نهى الله المُحرم (بصفته محرمًا) عنه كالصيد وحلق الشعر ونحو ذلك ، ويحمل الجدال في وقت الحج ومواقفهِ : كأن يتجادل أحد - بعد أن قال الله : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] - في أوقات الحج ، أو يتجادل شخص مع الآخر فيقول : حجي أتم من حجك وموقفي أفضل من موقفك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في فضل من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق ؟ وبين من أخرجه ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجَّ لله فلم يرفُث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٢١) واللفظ له ، ومسلم (حديث ١٣٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٥٢٣) وقد أشار البخاري إلى اختلاف في وصله وإرساله ، فقال بعد أن أخرجه موصولًا : رواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا ، ورجح عدد من أهل العلم الإرسال .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : وتزودوا يا معشر الحجيج ويا معشر المسافرين من الطعام والشراب والزاد ما تبلغون به حجكم وترجعون به إلى دياركم ، واتقوا (أي : اجتنبوا) أذى الناس بسؤالكم إياهم ، فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر أذى الناس ، وما اتقى به المسافر الهلكة .

فالتقوى على هذا القول : اتقاء الهلكة ، واتقاء أذى الناس بسؤالهم .

الثاني : وتزودوا من التقوى ، فإن التقوى هي خير زاد ، وكتوضيح لهذا القول الثاني قال بعض أهل العلم[1] : وتزودوا من التقوى للمعاد ، فإن الإنسان لا بد له من سفرٍ في الدنيا ، ولا بد فيه من زاد ، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب ، وسفر من الدنيا إلى الآخرة ، ولا بد فيه من زادٍ أيضًا ، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات ، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول ، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها ، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة ، وفي هذا المعنى قال الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون مثله ... وأنك لم تُرصد لما كان أرصدا

الثالث : (ذكره القاسمي أيضًا) : وهو أن قوله تعالى : ﴿ وتزودوا ﴾ [البقرة : ١٩٧] أمر باتخاذ الزاد : هو طعام السفر ، وقوله : ﴿ فإن خير

---

(١) هذا اللفظ لفظ القاسمي في محاسن التأويل ، ونحوه عند الرازي في التفسير ، وقريب منه عند القرطبي رحمه الله .

الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] إرشاد إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها بعد الأمر بالزاد للسفر في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وريشًا ولباس التقوى ذلك خير ﴾ [الأعراف : ٢٦] لما ذكر اللباس الحسي نبَّه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة ، وذكر أنه خيرٌ من هذا وأنفع .

* * *

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

س : اذكر معنى كل مما يلي :

جناح – تبتغوا – فضلًا من ربكم – أفضتم ؟

ج :

الكلمة	معناها
جناح	إثم – حرج
تبتغوا	تطلبوا – تلتمسوا
فضلًا من ربكم	رزق من ربكم
أفضتم	رجعتم – والإفاضة سرعة الدفع

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عُكاظٌ ومَجِنَّة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم ، فنزلت ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] في مواسم « الحج »[١] .

* * *

س : هل يجوز للحاج أن يبيع ويشتري ؟

ج : نعم يجوز له ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] وعلى هذا جماهير العلماء ، والله تعالى أعلم :

لكن قال بعض العلماء : إن تفرغ الحاج للحج وأعماله أفضل من الاشتغال بالتجارة ، وغاية ما في قوله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] رفع الإثم والحرج عن من تاجر واكتسب ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالمشعر الحرام ؟

ج : من أهل العلم من يقول : المشعر الحرام هو مزدلفة كلها[٢] ، ومنهم من يقول : إن المراد بالمشعر الحرام جبل موجود بمزدلفة والدليل يرجح

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥١٩) .

(٢) أخرج الطبري ذلك بأسانيد صحيحة إلى ابن عمر رضي الله عنهما .

القول الثاني وذلك لما أخرجه مسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصفه لحجة رسول الله ﷺ ، وفيه .. حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدٍ وإقامتين ولم يُسبِّح بينهما شيئًا ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلَّله ووحده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا فدفع قبل أن تطلع الشمس .. الحديث .

ففي قوله : حتى أتى المزدلفة ... وقوله حتى أتى المشعر الحرام ما يدل على التغاير ، ويفيد أن المشعر الحرام جزءٌ من مزدلفة .

لكن على كل حال فلا يلزم الوقوف عند المشعر الحرام نفسه (في حالة اختيار أن المشعر الحرام هو الجبل) وذلك لقول النبي ﷺ : « وجمعٌ[2] كلها موقف »[3] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بذكر الله في قوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المراد بذكر الله هو ذكره بالتلبية والتكبير والتهليل والتوحيد والحمد والتسبيح ونحو ذلك .

---

(١) مسلم حديث (١٢١٨) .

(٢) جمع هي المزدلفة .

(٣) الحديث أخرجه مسلم (ص ٨٩٣) .

الثاني : أن المراد بذكر الله الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء[1] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف كان رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع من عرفات إلى مزدلفة ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – وقد سئل كيف كان رسول الله ﷺ يسير حين أفاض من عرفة ؟ قال : كان يسير العَنَق[3] ، فإذا وجد فجوة[4] نصَّ[5] .

❋ ❋ ❋

س : هل يصح الحج بدون الوقوف بعرفات ؟

ج : لا يصح الحج بدون الوقوف بعرفات لقول النبي ﷺ :« الحج عرفة »[6] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى : أجمع أهل العلم – لا اختلاف بينهم – أن السُّنة أن يجمع الحاج بجمعٍ بين المغرب والعشاء .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٦٦٦) ، ومسلم (ص ٩٣٦) .

(٣) العنق : هو السير الذي بين الإبطاء والإسراع .

(٤) الفجوة : المكان المتسع .

(٥) نصَّ : أي : أسرع .

(٦) صحيح أخرجه أحمد (٣٠٩/٤ ، ٣١٠ ، ٣٣٥) ، وأبو داود حديث (١٩٤٩) ، والترمذي (حديث ٨٨٩) ، والنسائي (٢٥٦/٥) ، وابن ماجه (حديث ٣٠١٥) ، وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه مرفوعًا . =

س : هل المبيت بمزدلفة ركن من أركان الحج لا يصح الحج إلا به ؟

ج : ذهب الجمهور من العلماء إلى أنه ليس ركنًا من أركان الحج ، نقل هذا عنهم القرطبي في تفسيره .

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : قال علماؤنا : ليس المبيت بالمزدلفة ركنًا في الحج ، وقال الشعبي والنخعي : هو ركن لقوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٨] وهذا لا يصلح لوجهين :

أحدهما : أنه ليس فيه ذكر المبيت ، وإنما فيه مجرد الذكر .

الثاني : أن النبي ﷺ بيَّن لعروة بن مضرس[1] إجزاء الحج مع الوقوف بعرفة دون المبيت بالمزدلفة .

قلت : لكن ذكر عددٌ من أهل العلم أنه واجب ، وأوجبوا على من تركه دم[2] .

* * *

س : لماذا كرر الأمر بالذكر في قوله تعالى : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : كرر الأمر بالذكر تأكيدًا على أهمية ذكر الله عز وجل وتنبيهًا على عظيم نعم الله عز وجل وامتنانه .

= وهو من طريق سفيان الثوري عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر قال : محمد بن يحيى : ما أُرى للثوري حديثًا أشرف منه . (كما في سنن ابن ماجه) ، وعند الترمذي : قال سفيان بن عيينة : قلت لسفيان الثوري : ليس عندكم بالكوفة حديث أشرف ولا أحسن من هذا .

(١) حديث صحيح وقد تقدم .

(٢) وإن كان في مسألة إيجاب الدم نظر ليس هذا محل بسطه .

س : قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم من قبلـه لمن الضآلين ﴾ [البقرة : ١٩٨] ضالون عن ماذا ؟

ج : ضالون عن الإيمان والتوحيد ، وضآلون عن ملة إبراهيم وطريقته عليه الصلاة والسلام في حجه وتوحيده لله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[1] قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يُسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

وأخرج البخاري[2] أيضًا من طريق عروة قال : كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمس ، والحُمس قريش وما ولدت – وكانت الحُمس يحتسبون على الناس ، يُعطي الرجلُ الرجلَ الثياب يطوفُ فيها ، وتُعطي المرأةُ المرأة الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحُمسُ طاف بالبيت عُريانًا وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحُمسُ من جمع ، قال : وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحُمس : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، قال : كان الناس يُفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢٠) .

(٢) البخاري (حديث ١٦٦٥) .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول – وعليه أكثر أهل العلم – : أن المخاطبون بهذه الآية هم رسول الله ﷺ وقريش وما ولدت (وهم الذين كانوا يُسمون بالحُمس) ، فقد كانوا يذهبون من منى إلى مزدلفة ولا يصلون إلى عرفات ، كما قدمنا في سبب نزول الآية ، وكما أخرجه مسلم[1] في صحيحه من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ وفيها : (فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ...) .

فأفاد هذا الحديث أن قريشًا كانت لا تتجاوز المشعر الحرام (أي : مزدلفة) ، وهي متجهة من منى ، فلا تصل إلى عرفات ، ولكنها تقف في مزدلفة ، فإذا رجع الناس من عرفات رجعت قريش من مزدلفة ، فكان معنى الآية : ثم أنتم أيضًا يا معشر قريش (أو يا حُمس) سيروا مع الناس إلى عرفات وأفيضوا من عرفات كما يفيض سائر الناس ، وعلى هذا القول أكثر أهل العلم .

الثاني : أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا ﴾ [البقرة : ١٩٩] خطاب لعموم الحجيج ، والمراد بالناس : إبراهيم ﷺ ، والمعنى : ثم أفيضوا يا معشر الحجيج من مزدلفة إلى منى كما أفاض إبراهيم ﷺ .

فإن قال قائل : فإن الله قال : ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وإبراهيم ﷺ فرد واحد فكيف يجاب على هذا ؟ فيقال لسائل هذا

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

السؤال : إن الطبري رحمه الله أجاب على ذلك بقوله : إن العرب تفعل ذلك كثيرًا فتدل بذكر الجماعة على الواحد ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، والذي قال ذلك واحد ، وهو فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير نعيم بن مسعود الأشجعي ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، قيل : عنى بذلك النبي ﷺ ، ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى .

قلت : وقد نُقل مثل هذا القول – وأن المراد بالناس إبراهيم عليه الصلاة والسلام – عن الضحاك .

● وقد أخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالًا حتى يهل بالحج فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء غير إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج ، وذلك قبل يوم عرفة ، فإذا كان آخر يومٍ من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام ثم ليدفعوا من عرفات ، فإذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعًا الذي يتبرر فيه ثم ليذكروا الله كثيرًا أو أكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ثم أفيضوا فإن الناس كان يُفيضون ، وقال الله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٩] حتى ترموا الجمرة .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢١) .

س : كثيرًا ما يأتي الأمر بالاستغفار والحث عليه عند انتهاء الأعمال ، وضح ذلك ؟

ج : من ذلك أن النبي ﷺ في آخر حياته نزل عليه قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ [النصر : ١ - ٣] ، كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[١] .

● ونوح ﷺ بعد إغراق قومه قال : ﴿ ربِ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

● وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، قال : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني ؛ إنك أنت الغفور الرحيم » .

● وفي صحيح مسلم وعند النسائي والترمذي وأبي داود وابن ماجه[٣]

---

(١) في الصحيح (البخاري ٤٩٦٧) ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ [النصر : ١] ، إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ») .
وفي الصحيحين أيضًا (البخاري مع الفتح ٢٨١/٢) ، و (مسلم مع النووي ٢٠١/٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » .

(٢) البخاري حديث رقم (٨٣٤) ، ومسلم (مع النووي ٢٨/١٧) ، وقد أورد البخاري هذا الحديث تحت باب الدعاء قبل السلام .
قلت : وهذا الاستغفار يكون للتقصير الذي حصل في أداء العبادة ، والله أعلم .

(٣) مسلم (مع النووي ٨٩/٥) ، والنسائي (٦٨/٣) ، والترمذي (مع التحفة ١٩٥/٢) ، وأبو داود (٣٦١) ، وابن ماجه حديث (٩٢٨) ، واللفظ له .

من حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ، ثم يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » .

● وأخرج أبو داود بإسناد حسن عن أبي برزة الأسلمي[1] قال : (كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ») ، فقال رجل : إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى يا رسول الله ؟ فقال : « كفارة لما يكون في المجلس » .

● وقال تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٥/١٨٢) .

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي : قضيتم – مناسككم – خَلَاق ؟

ج :

الكلمة	معناها
قضيتم	أديتم – أنهيتم
مناسككم	ذبائحكم – أعمال حجِّكم[1] – عبادتكم التي أمرتم بها
خلاق	نصيب

* * *

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام : « لتأخذوا مناسككم » .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن القوم كانوا إذا فرغوا من ذبائحهم ومن حجهم ومناسكهم يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم ، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره ، وأن يُلزموا أنفسهم من الإكثار من ذكره نظيرًا ما كانوا ألزموا أنفسهم في جاهليتهم من ذكر آبائهم .

الثاني : استغيثوا بالله والجئوا إليه كما يستغيث الصغير بأبيه إذا مسه سُوء .

الثالث : عظِّموا الله وذُبُّوا عن حُرَمه ، وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غضَّ أحد منهم وتحمون جوانبهم وتذبُّون عنهم .

الرابع : بعد كل عمل من أعمال الحج اذكروا الله عز وجل ، فبعد الإحرام اذكروه بالتلبية ، وعند رمي الجمار كبِّروه ، وعند الذبح اذكروا اسم الله على الذبيحة وكبِّروه أيضًا ، وكذلك فاذكروه عند الطواف وعند السعي وفي سائر أوقاتكم ، وبعد الفراغ من أعمالكم وقضاء نسككم .

الخامس : كما كنتم تحلفون بآبائكم في الجاهلية فلا تحلفوا إلا بالله عز وجل .

السادس : بعد إراقتكم للدماء اذكروا الله عز وجل في يوم النحر وأيام التشريق ، كما قال تعالى : ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ،

وكما قال النبي ﷺ : « أيام التشريقِ أيام أكل وشرب وذكر لله »[1] .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول عندي في تأويل ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر عباده المؤمنين بذكره بالطاعة له ، في الخضوع لأمره ، والعبادة له ، بعد قَضاء مَناسكهم ، وذلك « الذكر » جائز أن يكون هو التكبير الذي أمرَ به جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، الذي أوجبه على من قضى نُسكه بعد قضائه نُسكه ، فألزمه حينئذ مِنْ ذِكْره ما لم يكن له لازمًا قبل ذلك ، وحثَّ على المحافظة عليه مُحافظة الأبناء على ذكر الآباء في الإكثار منه ، بالاستكانة له ، والتضرع إليه ، بالرغبة منهم إليه في حوائجهم ، كتضرُّع الولد لوالده ، والصبي لأمه وأبيه ، أو أشد من ذلك ، إذ كان ما كان بهم وبآبائهم من نعمة فمنه ، وهو وليه .

وإنما قلنا : « الذكر » الذي أمر الله جل ثناؤه به الحاجَّ بعد قضاء مَناسكه بقوله : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] : « جائزٌ أن يكون هو التكبير الذي وَصفنا » ، من أجل أنه لا ذكر لله أمرَ العباد به بعد قَضاء مَناسكهم لم يكن عليهم من فرضه قبل قضائهم مناسكهم ، سوى التكبير الذي خَصَّ الله به أيام منى ، فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلومًا أنه جل ثناؤه قد أوجبَ على خلقه بعد قَضائهم مناسكهم من ذكره ما لم يكن واجبًا عليهم قبل ذلك ، وكان لا شيء من ذكره خَص به ذلك الوقت سوى التكبير الذي ذكرناه = كانت بَيِّنة صحة ما قلنا من تأويل ذلك على ما وصفنا .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١١٤١) ، من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أن من الناس من يقصر دعواته في الحج على طلب متاع الدنيا وملذاتها الفانية فيحجون للمسألة وللدنيا فقط ، يقول قائلهم : اللهم أسقنا المطر ، وهب لنا من الإبل والغنم والنساء والديار والصحة والأولاد والمال وبارك لنا فيها ، ونحو ذلك من متاع الدنيا ، ولا يسأل ربَّه شيئًا من الجنة ونعيمها ، ولا يسأل ربَّه المغفرة لذنوبه ووضع أوزاره[1] ، ولا يسأل ربَّه تيسير الحساب والأمن من الفزع الأكبر ، ولا يسأل ربَّه أن يقيه النيران ، ويخفف عليه سكرات الموت ويهونها ، ولا يسأل ربَّه أن يجنبه المحارم والشبهات والآثام ، ولا يسأل ربَّه طهارة قلبه من الغل والأحقاد ونحو ذلك ....، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة في قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ؟

ج: أما المراد بحسنة الآخرة : فهي الجنة ، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك[2] .

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن أبي وائل (٣٨٦٧) : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] هب لنا غنمًا ! هب لنا إبلًا ! ﴿ وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

وأخرج أيضًا بإسنادٍ حسن عن قتادة (٣٨٧٣) ، في قوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، فهذا عبدٌ نوى الدنيا لها عَمِل ولها نَصِب .

(٢) وقد قال بعض العلماء : إن المراد بحسنة الآخرة : العافية في الآخرة ، وهي تشمل الوقاية من النار ووراثة الجنة .

● أما حسنة الدنيا فمن العلماء من قال : إن المراد بها العافية في الدنيا[1] .

● ومنهم من قال : إن المراد بها : العلم ، والعبادة ، والرزق الطيب[2] .

● ومنهم من قال : إن المراد بها : الزوجة الصالحة .

والراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بحسنة الدنيا أعم مما ذُكر ، فيدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد من رزق هني واسع حلال ، وزوجة صالحة ، وولد تقر به العين ، وراحة ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة ، ويدخل فيه أيضًا العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم القائلون : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً

---

(١) أخرج الإمام مسلم (مع النووي ١٣/١٧) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ : « هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟ » ، قال : نعم ، كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله لا تطيقه – أو لا تستطيعه – أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، قال : فدعا الله له فشفاه .

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٣٨٨١) ، إلى سفيان الثوري ، قال في هذه الآية ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، قال : الحسنة في الدنيا : العلمُ والرزق الطيب ، وفي الآخرة حسنة الجنة .

● وأخرج بإسناد صحيح (٣٨٨٢) ، عن ابن زيد ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، قال : فهؤلاء النبي ﷺ والمؤمنون .

وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ؟

ج : هؤلاء أهل الإيمان الذين حَجُّوا بيت الله الحرام ، ويدخل فيهم بالدرجة الأولى رسول الله ﷺ وأصحابه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أكثر دعاء النبي ﷺ ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ﴿ ربنا[2] آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أولئك الذين قالوا بعد قضاء مناسكهم : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، لهم نصيب من جنس ما كسبوا وفعلوا ، ولهم نصيب مما دعوا به .

وقال بعض العلماء : لهم نصيب من أجل ما كسبوا ، وهي كقوله تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] .

ومن العلماء من قال : إن (أولئك) ترجع إلى الفريقين : الفريق القائل : ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، والفريق القائل : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٨٩) ، ومسلم (حديث ٢٦٩٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) في رواية « اللهم آتنا ..... » .

۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۖ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

س : ما هي الأيام المعدودات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المراد بهذه الأيام : أيام منى ، وهي أيام التشريق الثلاثة : (الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة) .

● وقد صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] ، وغيره من أهل العلم .

---

(١) أخرجه الطبري من طرق عن ابن عباس (أثر ٣٨٨٦ ، ٣٨٨٧ ، ٣٨٨٨ ، ٣٨٨٩ ، ٣٨٩٠ ، ٣٨٩١ ، ٣٨٩٢) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم قال : الأيام المعدودات : أيام التشريق (أثر ٣٨٩٩) .

● وأخرج الطبري (٣٩٠١) ، بإسناد صحيح عن الحسن قال : الأيام المعدودات : الأيام بعد النحر .

● وكذلك أخرج الطبري (٣٩٠٢) ، بإسناد صحيح عن شعبة قال : سألت إسماعيل بن أبي خالد عن الأيام المعدودات قال : أيام التشريق .

● وأخرج أيضًا (٣٩٠٣) ، بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، كنا نحدَّث أنها أيام التشريق .

● وأخرج بإسناد صحيح عن مالك (٣٩٠٧) ، الأيام المعدودات : ثلاثة أيام بعد النحر .

وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى : ولا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى ، وهي أيام التشريق ، وأن هذه الثلاثة الأسماء واقعة عليها .

قلت : نفى القرطبي الخلاف ، لكن هناك خلاف قد وقع في تحديدها ، =

● ومن العلماء من قال : إنها يوم النحر ويومان بعده ، وهذا القول ضعيف ، لقول الله تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

وبيان ذلك أننا لو قلنا : إن الأيام المعدودات تبدأ من يوم النحر لجاز لشخص أن يتعجل وينصرف إلى أهله في اليوم الحادي عشر ، وهذا خطأ واضح .

ومما يؤيد أنها أيام التشريق حديث رسول الله ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله[1] » .

* * *

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟ وما المراد بالذكر فيها ؟

ج : قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن)[2] : لا خلاف أن المخاطب به هو الحاج ، خوطب بالتكبير عند رمي الجمار ، فأما غير الحاج فهل يدخل فيه أم لا ؟ وهل هو أيضًا خطاب للحاج بغير التكبير عند الرمي ؟ فنقول : أجمع فقهاء الأمصار والمشاهير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على أن المراد به : التكبير لكل أحدٍ ، وخصوصًا في أوقات الصلوات ؛ فيكبِّر عند انقضاء كل صلاة ، كان المصلي في جماعة أو وحده يُكبِّر تكبيرًا ظاهرًا في هذه الأيام ....

= والصواب ما قدمناه ، وإنما أردنا بيان ضعف إطلاق القرطبي ، إذ نفى الخلاف ، والله أعلم .

(١) أخرجه مسلم كما تقدم من حديث نبيشة الهذلي .
وأخرجه أحمد أيضًا (مع زيادة) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .
ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

(٢) أحكام القرآن (١/٤٢) .

ثم قال رحمه الله : والتحقيق أن التحديد بثلاثة أيام ظاهر ، وأن تعيينها ظاهر أيضًا بالرمي ، وأن سائر أهل الآفاق تبعٌ للحاج فيها ، ولولا الاقتداء بالسلف لضعف متابعة الحاج من بين سائر أهل الآفاق إلا في التكبير عند الذَّبح ، والله عز وجل أعلم .

قلت (مصطفى) : التكبير عند الذبح وارد للحاج وغير الحاج ، ورمي الجمار خاصٌّ بالحج .

أما رفع الصوت بالتكبير دبر الصلوات فهل هو خاص بالحاج أو هو عام ؟

فلمْ أقف على دليل يفيدني ويوضح لي أن رسول الله ﷺ كان يخص أيام منى بالتكبير بعد الصلوات ، والذي يُمكن أن يستدل به في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير ، وفي رواية أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ ، وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك .

هذا إذا حملنا حديث ابن عباس والتكبير المذكور فيه على أيام منى ، ويؤيده أن ابن عباس كان هو وأمه من المستضعفين بمكة وهو حملٌ قوي ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل تدخل التلبية في قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : الظاهر أنها لا تدخل ، وذلك لأن التلبية تنقطع بعد رمي جمرة العقبة

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٨٤١ ، ٨٤٢) ، ومسلم (مع النووي ٥/٨٣ ، ٨٤) .

والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ما زال يلبي حتى رمى جمرة العقبة . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء من قال إن من أراد التعجل في يومين عليه أن يُغادر منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر من ذي الحجة فإن بقي في منى حتى غربت الشمس ولم يخرج منها لزمه المبيت بها إلى أن يرمي جمرة يوم الثالث عشر من ذي الحجة ، هل لهذا القول دليل ؟

ج : دليل هذا القول هو : قوله تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، واليوم يكون من الفجر حتى غروب الشمس ، فقوله : ﴿ تعجل في يومين ﴾ أي : أثناء النهار (نهار يوم الثاني عشر من ذي الحجة) .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة[2] قوله : ﴿ فمن تعجل في يومين ﴾ [البقرة : ٢٠٣] يقول : فمن تعجَّل في يومين أي : من أيام التشريق ، ﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، ومن أدركه الليل بمنى من اليوم الثاني من قبل أن ينفر فلا نفر له حتى تزول الشمس من الغد ، ومن تأخر فلا إثم عليه ، يقول : من تأخر إلى اليوم الثالث من أيام التشريق فلا إثم عليه .

ونقل القرطبي عن ابن المنذر قوله : وأجمع أهل العلم على أن لمن أراد الخروج من الحاجّ من منى شاخصًا إلى بلده خارجًا عن الحرم غير مقيم بمكة في النفر الأول أن ينفر بعد زوال الشمس إذا رمى في اليوم الذي يلي يوم النحر قبل أن يمسي ؛ لأن الله جل ذكره قال : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، فلينفر من أراد النفر ما دام في شيء من النهار .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٨٥) ، ومسلم (حديث ١٢٨١) .
(٢) الطبري (أثر ٣٩٢٢) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم –: أن من رمى الجمرات في يوم الثاني عشر من ذي الحجة ثم انصرف من منى في نهار الثاني عشر راجعًا إلى بلاده – بعد طواف الوداع – فلا إثم عليه .

وكذلك من تأخر وبقي بمنى إلى يوم الثالث عشر من ذي الحجة فرمى الجمرات ثم انصرف فلا إثم عليه .

وفي قوله : فلا إثم عليه ، أقوال للعلماء :

أحدها : أنه لا حرج ولا جناح عليه في تعجله أو في تأخره فلا يقولن قائل : إن المتأخر آثم أو أن المتعجل آثم .

الثاني : أن المتعجل والمتأخر كلاهما يرجع وقد وضع عنه الإثم والوزر الذي كان قد ارتكبه في حياته ، إذا كان قد اتقى الله عز وجل في حجِّه واجتنب ما حرَّمه الله عليه .

ويشهد لهذا المعنى حديث[1] : « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

❋ ❋ ❋

س : وجه رفع الإثم عن المتعجل واضح ، فما وجه رفع الإثم عن المتأخر ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي وغيره بتوسع ، فقال رحمه الله :

قوله : ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] فيه إشكال ، وذلك لأنه إذا كان قد استوفى كل ما يلزمه في تمام الحج ، فما معنى قوله :

---

(١) صحيح وقد تقدم .

﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] فإن هذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر ولا يقال في حق من أتى بتمام العمل .

(والجواب) من وجوه: (**أحدها**) أنه تعالى لما أذن في التعجل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم ، ألا ترى أن أبا حنيفة رضي الله عنه يقول : القصر عزيمة ، والإتمام غير جائز ، فلما كان هذا الاحتمال قائمًا ، لا جرم أزال الله تعالى هذه الشبهة وبين أنه لا إثم في الأمرين ، فإن شاء استعجل وجرى على موجب الرخصة وإن شاء لم يستعجل ولم يجر على موجب الرخصة ، ولا إثم عليه في الأمرين جميعًا (**وثانيها**) قال بعض المفسرين : إن منهم من كان يتعجل ، ومنهم من كان يتأخر ، ثم كل واحد من الفريقين يعيب على الآخر فعله ، كان المتأخر يرى أن التعجل مخالفة لسنة الحج ، وكان المتعجل يرى أن التأخر مخالفة لسنة الحج ، فبين الله تعالى أنه لا عيب في واحد من القسمين ولا إثم ، فإن شاء تعجل وإن شاء لم يتعجل (**وثالثها**) أن المعنى في إزالة الإثم عن المتأخر إنما هو لمن زاد على مقام الثلاث ، فكأنه قيل : إن إيام منى التي ينبغي المقام بها هي ثلاث ، فمن نقص عنها فتعجل في اليوم الثاني منها فلا إثم عليه ، ومن زاد عليها فتأخر عن الثالث إلى الرابع فلم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه (**ورابعها**) أن هذا الكلام إنما ذكر مبالغة في بيان أن الحج سبب لزوال الذنوب وتكفير الآثام وهذا مثل أن الإنسان إذا تناول الترياق ، فالطبيب يقول له : الآن إن تناولت السم فلا ضرر ، وإن لم تتناول فلا ضرر ، مقصوده من هذا بيان أن الترياق دواء كامل في دفع المضار ، لا بيان أن تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدًا ، فكذا ههنا المقصود من هذا الكلام بيان المبالغة في كون الحج مكفرًا لكل الذنوب ، لا بيان أن التعجل وتركه سيان ، ومما يدل على كون الحج سببًا قويًّا في

تكفير الذنوب قوله عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (**وخامسها**) أن كثيرًا من العلماء قالوا : الجوار مكروه ، لأنه إذا جاور الحرم والبيت سقط وقعه عن عينه ، وإذا كان غائبًا إزداد شوقه إليه ، وإذا كان كذلك احتمل أن يخطر ببال أحدنا على هذا المعنى أن من تعجل في يومين فحاله أفضل ممن لم يتعجل ، وأيضًا من تعجل في يومين فقد انصرف إلى مكة لطواف الزيارة وترك المقام بمنى ، ومن لم يتعجل فقد اختار المقام بمنى وترك الاستعجال في الطواف فلهذا السبب يبقى في الخاطر تردد في أن المتعجل أفضل أم المتأخر ؟ فبين الله تعالى أنه لا إثم ولا حرج في واحد منهما (**وسادسها**) قال الواحدي رحمه الله تعالى : إنما قال : ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] لتكون اللفظة الأولى موافقة للثانية ، كقوله : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ونحن نعلم أن جزاء السيئة والعدوان ليس بسيئة ولا بعدوان ، فإذا حمل على موافقة اللفظ ما لا يصح في المعنى ، فلأن يحمل على موافقة اللفظ ما يصح في المعنى أولى ، لأن المبرور المأجور يصح في المعنى نفى الإثم عنه .

* * *

س : اللام في قوله تعالى : ﴿ لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] متعلقة بماذا ؟

ج : هذه اللام متعلقة بغفران الذنوب ، والمعنى ومن تأخر فلا إثم عليه ، وهذه المغفرة ورفع الإثم لمن اتقى ، ومن العلماء من قال : إن التقدير الإباحة لمن اتقى ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن مغفرة الذنوب حاصلة لمن اتقى الله في حجه فلم يرفث ولم يفسق ولم يجادل جدال المراء ولم يفعل ما حرَّمه الله عليه وكرهه الله له ، فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه .

وهي أيضًا حاصلة لمن اتقى الله في بقية حياته فلم يشرك ولم يرتكب من المظالم ما يطغى على حسناته ويجلب له النار ، والله تعالى أعلم .

* * *

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ
بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

س : ما معنى كلٍّ مما يلي :
ألد الخصام – تولى – سعى – أخذته العزة بالإثم – فحسبه – المهاد ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
ألد الخصام	شديد الخصومة – ذو جدال بالباطل – أعوج في خصومته فالألد : الأعوج ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وتنذر به قومًا لدًّا ﴾ [مريم : ٢٣] واللدود وضع الدواء في جانب الفم – فاجر في خصامه .
تولى	انصرف من عندك – خرج غضبانًا – أصبح واليًا
سعى	قصد – عمل – اجتهد – مشى
أخذته العزة بالإثم	العزة هي القوة والغلبة ومنه ﴿ وعزتي في

الكلمـــة	معناهـــا
	الخطاب ﴾ [ص : ٩٧] أي غلبني بالحجة – والعزة أيضًا الحمية والمنعة . أخذته العزة أي لزمته كما يقال : أخذته الحمى أي لزمته ، وكما يقال : أخذه الكبر أي اعتراه الكبر وأخذته العزة بالإثم : حملته العزة على فعل المحرم
فحسبه	كافيه عقابًا وجزاء
المهاد	الفراش الذي يتمهد – وقيل العمل الذي يمهد به لنفسه لدخول النار

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيِّون بقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ... ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ؟

ج : هم أهل النفاق وأهل الكذب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ ويُشهد الله على ما في قلبه .. ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنه يستشهد الله عز وجل على ما في قلبه ، بمعنى أنه يدعي الادعاءات ويكذب الأكاذيب ويفتري الإفتراءات ثم يقول : والله على ما أقول شهيد ، أو يقول : والله يعلم أني صادق ، أو يقسم بالله على صدقه .

● ومن العلماء من قال إنه يبارز الله بما في قلبه من العصيان .

* * *

س : ما مدى صحة حديث : « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم » ؟

ج : الحديث صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

* * *

س : الأقوال المجردة عن العمل ليست دليلًا على صدق صاحبها ولا على كذبه حتى ينظر في عمله ، دلل على ذلك ؟

ج : الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢٣) ، ومسلم (حديث ٢٦٦٨) .

في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥] .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا * انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثمًا مبينًا ﴾ [النساء : ٤٩ - ٥٠] .

❋ ❋ ❋

س : فيم يتمثل إهلاك الحرث والنسل من هذا المفسد ؟

ج : يتمثل إهلاك الحرث في إتلاف الزراعات والنخيل والأشجار والأموال بالتحريق والتخريب والسلب والنهب ، ويتمثل إهلاك النسل بقتل النفس المحرمة من الأولاد والبنات والآباء والأمهات . ونتاج الدواب .

● ومن العلماء من قال إن المراد بالحرث - حرث بني آدم أي أولاد بني آدم ونساء بني آدم ، والنسل نسل الدواب .

● ومنهم من قال : إنه (أي هذا المتولي) بمعاصيه يتسبب في منع الرزق والمطر عن أهل الأرض مما يسبب إهلاكًا للحرث والنسل كما قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم : ٤١] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صور الإفساد التي يرتكبها هذا المفسد ؟

ج : تتمثل في كل أنواع الفساد إذ الآية الكريمة قد عمَّت ولم تخص شيئًا من الفساد فهو يسعى في الأرض بكل صور الفساد من قتل وسلب

ونهب وقطع طريق ونشر للرذيلة والوقيعة بين الناس وقطع الأرحام وإهلاك الحرث والنسل وسائر أنواع الشر والفساد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ [البقرة : ٢٠٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : وإذا قيل لهذا المنافق الذي نعت نعتَه لنبيه ﷺ وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا : اتق الله وخَفْهُ في إفسادك في أرض الله ، وسعيك فيها بما حرَّم الله عليك من معاصيه وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم استكبر ودخلته عزة وحمية بما حرَّم الله عليه وتمادى في غيِّه وضلاله ، قال الله جل ثناؤه ، فكفاه عقوبة من غيه وضلاله صِلِيُّ نار جهنم ولبئس المهاد لصاليها .

● وقال ابن كثير رحمه الله : إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي بسبب ما اشتمل عليه من الآثام ...

❋ ❋ ❋

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

س : وضح معنى كلٍّ مما يأتي:
يشري – ابتغاء مرضاة الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
يشري	يبيع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس ﴾ [البقرة : ٢٠] أي باعوه
ابتغاء مرضاة الله	طلبًا لمرضاة الله

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : قال الحاكم رحمه الله (المستدرك)[١] :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا فقال : لا تصلون إليَّ حتى أضع في كل رجلٍ منكم سهمًا ، ثم أصير بعدُ إلى السَيف فتعلمون أني رجل ، وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم[٢] .

قال[٣] : وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه ونزلت على النبي ﷺ : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله .. ﴾ الآية [البقرة : ٢٠٧] فلما رآه النبي ﷺ قال : « أبا يحيى ربح البيع » قال : وتلا عليه الآية[٤] .

---

(١) المستدرك (٣/٣٩٨) .

(٢) هذا القدر مرسل لأن راويه عكرمة لم يدرك القصة ، لكن يشهد له القدر الذي بعده .

(٣) القائل هو سليمان بن حرب كما هو واضح .

(٤) صحيح على شرط مسلم ، وله شواهد أيضًا .

● هذا وقد أخرج الطبري (٤٠٠٣) بإسناد صحيح إلى محمد (وهو ابن سيرين) قال : حمل هشام بن عامر على الصف حتى خرقه فقالوا ألقى بيده ! فقال أبو هريرة : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن المغيرة قال : بعث عُمر جيشًا فحاصروا أهل حصن وتقدم رجل من بجيلة فقاتل حتى قُتل فأكثر الناسُ فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة ! قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : كذبوا ! أليس الله عز وجل يقول : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . (أثر ٤٠٠٤) .

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

هذا ، وإن كان سبب نزول الآية خاصًّا إلا أنها تشمل كل مجاهد في سبيل الله ، كما قال الأكثرون فيما نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [براءة : ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : إن الله عز وجل وصف شاريًا نفسه ابتغاء مرضاته ، فكل من باع نفسه في طاعته حتى قتل فيها أو استقتل ، وإن لم يُقتل ، فمعنى قوله : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ في جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه ، أو في أمرٍ بمعروفٍ أو نهي عن منكر[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) من العلماء من ربط بين هذه الآية والتي تليها على النحو الذي يفهم مما يأتي :
قال ابن العربي (أحكام القرآن ص ١٤٥) : ويُروى أن عمر رضي الله عنه كان إذا صلى الصبح دخل مِرْبدًا له فأرسل إلى فتيان قد قرأوا القرآن منهم ابن عباس وابن أخي عنبسة فقرأوا القرآن فإذا كانت القائلة انصرفوا قال : فمروا بهذه الآية ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ [البقرة : ٢٠٧] فقال ابن عباس لبعض من =

س : وضح طرفًا من معنى قوله تعالى : ﴿ والله رءوف بالعباد ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : قال الرازي رحمه الله : أما قوله : ﴿ والله رءوف بالعباد ﴾ فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاءً على العمل القليل المنقطع ، ومن رأفته جوَّز لهم كلمة الكفر إبقاءً على النفس ، ومن رأفته أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، ومن رأفته ورحمته أن المُصِرَّ على الكفر مائة سنة إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العقاب وأعطاه الثواب الدائم ، ومن رأفته أن النفس له والمال ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلًا منه ورحمة وإحسانًا .

● **وقال الطبري رحمه الله :** والله ذو رحمة واسعة بعبده الذي يشري نفسه له في جهاد من حادَّه في أمره من أهل الشرك والفسوق ، وبغيره من عباده المؤمنين في عاجلهم وآجل معادهم فينجز لهم الثواب على ما أُبلوا في طاعته في الدنيا ، ويسكنهم جناته على ما عملوا فيها من مرضاته .

* * *

= كان إلى جانبه : اقتتل الرجلان فسمع عمر رضي الله عنه ما قال ، فقال : أي شيء قلت ؟ قال : لا شيء ، قال ماذا قلت ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس قال : أرى هذا أخذته العزةُ بالإثم من أمره بتقوى الله ، فيقول هذا : وأنا أشري نفسي ابتغاء مرضاة الله فيقاتله ، فاقتتل الرجلان فقال عمر : لله تِلَادك يا ابن عباس .

لكني لم أقف على إسناد هذا الأثر ، فالله أعلم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ
فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ
إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

س : اذكر معنى هذه الكلمات : السلم – كافة – زللتم – البينات – ظُلل – الغمام – قضي الأمر ؟

ج :

الكلمة	معناها
السِّلْمِ	الإسلام
كافة	جميعًا
زللتم	تركتم الحق وخالفتم شرائع الإسلام – ضللتم – تنحيتم عن طريق الاستقامة ، امتنعتم عن الدخول في الإسلام
البينات	الحجج والبراهين الدالة على صحة أمر الإسلام – القرآن – محمد ﷺ
ظلل	جمع ظُلَّة
الغمام	السحاب (ومن العلماء من قال : إنه السحاب الأبيض ، لأنه يغمُّ أي : يستر)
قضي الأمر	وجب العذاب ، وفُرغ من الحساب

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإسلام جميعًا ، والمعنى اعملوا بكل شرائع الإسلام قدر استطاعتكم .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا (من أهل الكتاب ، ويا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولم يوقن قلبه بها ، ويا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من قلبه صدقًا) ، ادخلوا كلكم في الإسلام .

الثالث : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإسلام بقلوبكم وجوارحكم .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على الإسلام واعملوا بتعاليمه .

وأرجح هذه الأقوال : القول الأول .

- **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :**

يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله : أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك .

ثم قال رحمه الله : ومن المفسرين من يجعل قوله : ﴿ كافة ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، حالًا من الداخلين ، أي : ادخلوا في الإسلام كلكم ، والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ، وهي كثيرة جدًّا ما استطاعوا منها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – بيان عزة الله عز وجل وحكمته وقدرته على الانتقام ممن عصاه وخالف أمره ، والتحذير من مخالفة أمره ، فهو سبحانه ذو عزةٍ لا يمنعه مانع من الانتقام منكم ، حكيم فيما يفعل بكم .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] دليل على العذر بالجهل ؟

ج : نعم في الآية دليل على العذر بالجهل ، وعلى أن المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد البيان ، وإزاحة العلة لقوله تعالى : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى :** يعني بذلك جل ثناؤه : فإن أخطأتم الحق فضللتم عنه وخالفتم الإسلام وشرائعه من بعد ما جآءتكم حُججي وبيِّنات هداي ، واتضحت لكم صحة أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذركم أيها المؤمنون ؛ فاعلموا أن الله ذو عزةٍ لا يمنعه من الانتقام منكم مانع ، ولا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكم أمره ومعصيتكم إياه دافع ، حكيم فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه بعد إقامته الحجة عليكم ، وفي غيره من أموره .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّهُ في ظُلَلٍ من الغمامِ والملائكةُ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ [البقرة : ٢١٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – ماذا ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمدٍ ﷺ التاركون لدينه المخالفون لشريعته ، الساعون في الأرض بالفساد المتبعون لخطوات الشيطان ، هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام (وذلك يوم القيامة) ، وهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ، وحينئذ يحل عليهم العذابِ ويقع عليهم ولا يجدون حينئذ من يدفع عنهم شيئًا من ذلك فالأمور كلها مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى .

● والقراءة في (الملائكةُ) بالرفع ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . والله تعالى أعلم .

* * *

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سل – يبدل نعمة الله ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
سل	اسأل ، كقوله ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾ [القلم : ٤٠]
يبدل نعمة الله	يكفر بها – يغير صفة محمد ﷺ (١)

✵ ✵ ✵

(١) هذا على رأي من ذهب إلى أن المراد بنعمة الله هو محمد ﷺ .

س : ما هو الغرض من سؤال النبي ﷺ بني إسرائيل عن الآيات البينات التي آتاهم الله إياها ؟

ج : الغرض من السؤال – والله أعلم – ما يلي :

● توبيخ بني إسرائيل وتقريعهم ، فبعد أن آتاهم الله الآيات البينات كفروا أيضًا ولم يحمدوا الله ويشكروا له على هذه الآيات .

● تذكيرهم بنعم الله عليهم .

● تصبير النبي ﷺ حتى يتأسى بالأنبياء قبله ويصبر كما صبروا فإن الأنبياء قبله أتوا أممهم بالآيات البينات والحجج الواضحات الدالة على صدق رسالتهم ومع ذلك كذبتهم أممهم فصبرت الرسل على تكذيب أممها فليكن لك يا محمد في هؤلاء الرسل أسوة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي آتاها الله عز وجل بني إسرائيل ؟

ج : من هذه الآيات العصا – تظليل الغمام عليهم – إنزال المن والسلوى عليهم – فلق البحر لهم – الحجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينًا – نتق الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة – تكليم الله لنبيهم موسى عليه السلام – إنزال التوراة اليد التي تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء .

* * *

س : ما المراد بنعمة الله في قوله تعالى : ﴿ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جآءته ... ﴾ [البقرة : ٢١١] ؟

ج : المراد – والله أعلم – بنعمة الله ما يلي :

١ – الآيات التي آتاها الله بني إسرائيل .

٢ - حجج الله عز وجل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ .

٣ - الإسلام .

٤ - كل نعمة أنعم الله بها على العباد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذُكِّر قوله : ﴿ زُيِّن ﴾ ولم يُقَل : (زُيِّنت) ؟

ج : بعض العلماء قدَّر في الآية محذوفًا وهو (حب) فيكون السياق زيِّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا ، وعلى ذلك فلا إشكال .

ومنهم من التمس أوجهًا أُخر ، فقال الرازي في التفسير :

● إنما لم يقل زينت لوجوهٍ .

● **أحدها :** وهو قول الفراء : إن الحياة والإحياء واحد فإن أنَّث فعلى اللفظ وإن ذكَّر فعلى المعنى كقوله : ﴿ فمن جآءه موعظة من ربه ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وكقوله : ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ﴾ [هود : ٦٧] .

وثانيها : وهو قول الزجاج : إن تأنيث الحياة ليس بحقيقي لأنه ليس حيوانًا بإزائه ذكر مثل امرأة ورجل ، وناقة وجمل بل معنى الحياة والعيش والبقاء واحد فكأنه قال : زين للذين كفروا الحياة الدنيا والبقاء .

وثالثها : وهو قول ابن الأنباري : إنما لم يقل زينت لأنه فصل بين زُيِّن وبين الحياة الدنيا ، بقوله : ﴿ للذين كفروا ﴾ [البقرة : ٢١٢] ، وإذا فصل بين فعل المؤنث وبين الاسم بفاصلٍ حسن تذكير الفعل ، لأن الفاصل يغني عن تاء التأنيث . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : دأب أهل الكفر باضطراد هو السخرية من الذين آمنوا ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضآلون ﴾ [المطففين : ٢٩ - ٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

● وقوله تعالى - في شأن نوح عليه السلام -: ﴿ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ﴾ [هود : ٣٨] .

● وقول قوم شعيب لشعيب عليه السلام على وجه السخرية : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [هود : ٨٧] .

● وقول المشركين لرسول الله ﷺ : ﴿ يا أيها الذي نُزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [الحجر : ٦] .

● وسخرية أهل النفاق من أهل الإيمان كما في قوله تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ [براءة : ٧٩] .

* * *

س : ما هو وجه سخرية الكفار من المؤمنين في هذا المقام ؟

ج : سخريتهم منهم لعدم حرصهم على الدنيا وعدم التفاتهم إليها وعدم تكالبهم عليها .

ويسخرون منهم أيضًا لاتباعهم النبي ﷺ .

ويسخرون منهم كذلك لتصديقهم بالآخرة والبعث والجزاء . والله أعلم .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني بذلك جل ثناؤه : زيِّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا العاجلة اللذات ، فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة وَيطلبون فيها الرياسات والمباهاة ويستكبرون عن اتباعك يا محمد والإقرار بما جئت به من عندي تعظُّمًا منهم على من صدَّقك واتبعك ، ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان والتصديق بك في تركهم المكاثرة والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال بطلب الرياسات وإقبالهم على طلبهم ما عندي برفض الدنيا وترك زينتها ، والذين عملوا لي وأقبلوا على طاعتي ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها اتباعًا لك وطلبًا لما عندي واتقاءً منهم بأداء فرائضي وتجنُّب معاصيَّ فوق الذين كفروا يوم القيامة بإدخال المتقين الجنة ، وإدخال الذين كفروا النار .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفوقية في قوله تعالى : ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن الذين اتقوا في الجنان ، والذين كفروا في النيران أو بمعنى آخر ، أن الذين اتقوا في الغرفات ، والكفار في الدرك الأسفل من النار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لمَ قال الله تعالى : ﴿ من الذين آمنوا ﴾ ثم قال : ﴿ والذين اتقوا ... ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : **أجاب على ذلك الرازي بقوله :** ليظهر به أن السعادة الكبرى لا تحصل إلا للمؤمن التقي ، وليكون بعثًا للمؤمنين على التقوى . والله أعلم .

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

س : ما معنى : بغيًا – هدى ؟

ج :

الكلمة	معناها
بغيًا	تعدِّيًا – ظُلمًا – حسدًا
هدى	أرشد

✵ ✵ ✵

س : من المراد بـ ﴿ الناس ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] وما المراد بالأمة هنا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

أولها : وهو رأي الجمهور – وهو الذي تطمئن إليه النفس – أن المراد بالناس: الناس الذين هم بين آدم ونوح عليهما السلام ، فسار هؤلاء على التوحيد من عهد آدم إلى أن انتشر الشرك في عهد نوح فبعث نوح عليه السلام وهو أول رسول إلى أهل الأرض .

والمراد بالأمة هنا الدِّين .

الثاني : أن المراد بـ ﴿ الناس ﴾ آدم عليه السلام ، والمراد بالأمة الطاعة ، والمعنى كان آدم عليه السلام طائعًا لله وحده .

الثالث : أن المراد بـ ﴿ الناس ﴾ كل الناس ، والأمة هي التوحيد ، والمعنى كان الناس – يوم استخرجهم الله من صلب آدم عليه السلام – مقرين بالتوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ... ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحامل لكم على أن تقولوا : إن قوله : ﴿ أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] أي على التوحيد ولا تقولوا أمة واحدة على الشرك ؟

ج : **الحامل لنا على ذلك :** هو قول الله عز وجل في الحديث القدسي : « ... وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرتهم أن يشركوا

بي ما لم أُنزل به سلطانًا ... »[1] .

وقول النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه .. » الحديث[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وهل الكتاب يحكم ؟

ج : المراد الكتب ، والمعنى وأنزل مع كل نبي منهم كتاب والكتاب إنما يُحكَم به ، ولكن المعنى ليحكم النبي بالكتاب ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالكتاب هنا التوراة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : الهاء في قوله : ﴿ فيه ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وفي قوله : ﴿ أوتوه ﴾ [البقرة : ٢١٣] ترجع إلى ماذا؟

ج : الهاء في قوله : ﴿ فيه ﴾ ترجع إلى الحق ، وفي قوله : (أوتوه) ترجع إلى الكتاب .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته ... فذكره .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٧٥) ، وقال البخاري هناك : والفطرة : الإسلام ، ومسلم (حديث ٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيًا بينهم ﴾ [البقرة : ٢١٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – وما اختلف في الحق إلا الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، ولم يكن اختلافهم هذا عن جهلٍ منهم ، وإنما كان اختلافهم بعد ما جاءتهم البينات تعديًا من بعضهم على بعض وظلمًا من بعضهم لبعض وحسدًا من بعضهم لبعض .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : فمعنى قوله جل ثناؤه : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيًا بينهم ﴾ [البقرة : ٢١٣] من ذلك يقول : لم يكن اختلاف هؤلاء المختلفين من اليهود من بني إسرائيل في كتابي الذي أنزلته مع نبيي عن جهل منهم به ، بل كان اختلافهم فيه وخلافُ حكمه من بعد ما ثبتت حجته عليهم بغيًا بينهم طلب الرياسة من بعضهم على بعض واستذلالًا من بعضهم لبعض . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء الذي هدى الله الذين آمنوا إليه بعد اختلاف أهل الكتاب فيه ؟

ج : أجمع قولٍ في ذلك هو ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا ﴾ [البقرة : ٢١٣] للإسلام ، واختلفوا في الصلاة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهدانا للقبلة ، واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض يوم وبعضهم بعض ليلة ، وهدانا الله له ، واختلفوا في يوم الجمعة[2] فأخذت اليهود

---

(١) الطبري أثر (٤٠٦١) .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٨٧٦) ، ومسلم (حديث ٨٥٥) من حديث أبي هريرة .

السبت وأخذت النصارى الأحد فهدانا الله له ، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود : كان يهوديًّا ، وقالت النصارى : كان نصرانيًّا فبرأه الله من ذلك وجعله حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين للذين يدَّعونه من أهل الشرك ، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لِفِرْية وجعلته النصارى ربًّا ، فهدانا الله للحق فيه فهذا الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم في صحيحه[1] من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة عن يحيى ضعيفة مضطربة ، وقد أعله الحافظ أبو الفضل الهروي في كتابه علل أحاديث في صحيح مسلم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرِض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع : اليهود غدًا والنصارى بعد غدٍ » .

(١) حديث رقم (٧٧٠) .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ
وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات :

أم حسبتم – لما يأتكم – مثل – خلوا – البأساء – الضراء ؟

ج :

الكلمة	معناها
أم حسبتم	أفحسبتم – أفظننتم
لما يأتكم	لم يأتكم
مثل	شبه
خلوا	مضوا
البأساء	الفقر – الشدة – البؤس
الضراء	الآلام – الأسقام – الأوجاع – الأمراض

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم .. ﴾ [البقرة : ٢١٤] ؟

ج : الآية هي ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٢ ، ٣] .

* * *

س : هل أصاب المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ مثل ما أصاب الذين من قبلهم ؟ دلل على ذلك ؟

ج : نعم أصابهم مثل ما أصاب الذين من قبلهم ، قال تعالى : مبينًا حال المؤمنين يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جآءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا * إذ جآءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا ... ﴾ [الأحزاب : ٩ - ١١] .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ [البقرة : ٢١٤] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** معنى الكلام : أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ولم يصبكم مثل ما أصاب مَن قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من (البأساء) ، وهو شدة الحاجة والفاقة ، و (الضراء) ، وهي العلل والأوصاب ، ولم تزلزلوا زلزالهم - يعني : ولم يصبهم من

أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطىء القوم نصر الله إياهم فيقولون : متى الله ناصرنا ؟

ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب وأنه مُعليهم على عدوهم ومظهرهم عليه فنجَّز لهم ما وعدهم ، وأعلى كلمتهم وأطفأ نار حرب الذين كفروا .

● وقال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل) : مستهم ﴿ البأساء والضراء ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : الشدائد والآلام ، ﴿ وزلزلوا ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : أزعجوا مما دهمهم من الأهوال ، والإفزاع : إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزلزلة التي تكاد تهدُّ الأرض وتدك الجبال ﴿ حتى يقول الرسول ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول – وهو أعلم الناس بشئون الله تعالى وأوثقهم بنصره وداعيهم إلى الصبر ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ [البقرة : ٢١٤] – وهم الأثبت بعده ، العازمون على الصبر ، الموقنون بوعد النصر ﴿ متى نصر الله ﴾ [البقرة : ٢١٤] استبطاءً له واستطالة لمدة الشدة والعناء ، فيقال لهم : ﴿ ألا إنَ نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] كما قال تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ [الشرح : ٥ ، ٦] أي : فاصبروا كما صبروا تظفروا .

* * *

س : اذكرِ طرفًا مما ابتلي به من كان قبلنا ؟

ج : من ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ، قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٦١٢) .

فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه » .

● وفي حديث صهيب عن رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الأخدود عند مسلم[1] ؛ فذكر النبي ﷺ الحديث وفيه ... « فأمر[2] بالأخدود في أفواه السكك فخدَّت وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق » .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٥) .

(٢) أي : الملك .

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

س : ما معنى : خير ؟

ج :

الكلمة	معناها
خيرٍ	مال ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات : ٨]

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بها صدقة التطوع ، والله أعلم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ... ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – يسألك أصحابك يا محمد أي شيء ينفقون وعلى من يتصدقون ، قل : المال الذي تنفقونه فأنفقوه على الوالدين ، والأقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فإن الله يعلمه ويثيبكم عليه .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك »[1] .

● ومنها قول النبي ﷺ لأبي طلحة لما أراد أن يتصدق ببيرحاء : « أرى أن تجعلها في الأقربين »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٩٧٤) ، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٩٧١) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦١) ، ومسلم (٩٩٨) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

س : هل يُقدم الوالدان والأقربون على غيرهم في النفقة في كل الأحوال ؟

ج : في الأمر تفصيل ، فإذا كان غيرهم في حاجة أمسَّ وأشد ، وكان الوالدان في حالة استغناء ، فغيرهم من أهل الحاجة الماسة أولى في الإنفاق ، أما إذا كان الوالدان في حالة احتياج أو تساووا مع غيرهم ، أو كان برُّهم لا يتأتى إلا بالإنفاق ، فحينئذٍ يُقدم الوالدان على غيرهم في الإنفاق ، والله أعلم .

* * *

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

س : على من كُتب القتال ؟

ج : اختار الطبري رحمه الله أنه على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية ، فيسقط فرض ذلك حينئذٍ عن باقي المسلمين ، كالصلاة على الجنائز ، وغسلهم الموتى ودفنهم ، قال : وعلى هذا عامة علماء المسلمين ، واحتج له الطبري بالإجماع وبقوله تعالى : ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلًّا وعد الله الحسنى ﴾ [النساء : ٩٥] ، فأخبر جل ثناؤه : أن الفضل للمجاهدين وأن لهم وللقاعدين الحسنى ، ولو كان القاعدون مضيِّعين فرضًا لكان لهم السُّوأى لا الحسنى .

* * *

س : قد يحصل للمسلم أمور يكرهها ، أو يكلف بتكاليف يكرهها وهي تحمل كل الخير ، كما قال تعالى : ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، اذكر أدلة أخرى في هذا الباب ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم ... ﴾ [النور : ١١] .

وقوله تعالى في شأن النساء : ﴿ ... فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

* * *

س : ما هو وجه الخيرية في قتال الأعداء ؟

ج : من وجوه الخيرية في ذلك ما يلي :

١ - ردع العدو عن التفكير في غزو المسلمين ، فإن العدو إذا علم أن المسلمين يجنحون إلى الدَّعة والسكون استولى عليهم ، وأنزل بهم بأسه ، واستباح نساءهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، وأولادهم .

٢ - القتال سَبب للأمن ، فإذا علم عدوك أنك مقاتله انكف عنك فحدث لك الأمن .

٣ - السرور العظيم بالاستيلاء على الأعداء ، والفرح بالغنيمة .

٤ - الثواب العظيم الذي يحصل للمجاهد يوم القيامة .

٥ - الأمن من الفزع الأكبر ، واتقاء فتنة القبر .

* * *

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

س : وضح معانى هذه الكلمات :

صدٌّ - الفتنة - يرتدد - حبطت ؟

ج :

الكلمة	معناها
صدٌّ	منع
الفتنة	الشرك - صدُّ الناس عن دينهم - تعذيب الناس للرجوع إلى الكفر
يرتدد	يرجع
حبطت	ذهب ثوابها - بطلت

س : هل النهي عن القتال في الأشهر الحُرم منسوخ ، أم غير منسوخ ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن النهي عن القتال في الأشهر الحُرم منسوخ ، ورأوا جواز القتال في الأشهر الحرم ، ولكنهم اختلفوا في الناسخ ما هو .

● ومن أهل العلم مَن قال : إنها محكمة ليست منسوخة .

● واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمِّين البيت الحرام .... ﴾ [المائدة : ٢] .

● وبقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير ... ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

● واحتجوا أيضًا بحديث جابر[1] رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى ، أو يغزو حتى إذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ .

وقال هذا الفريق من العلماء : إن القتال على قسمين : قتال ابتداء ، وهذا لا يجوز في الأشهر الحرم ، وقتال الدفع ، وهذا جائز – وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على جوازه في الأشهر الحرم ، وفي غيرها ، والله تعالى أعلم .

* * *

س :ما هو غرض الكفار من قتال المؤمنين ؟

ج : غرضهم ردُّ المسلمين عن دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

---

(١) أخرجه الطبري (٤٠٨١) ، وغيره ، وقد تقدم ، وإسناده صحيح .

● وكما قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .

* * *

س : ما هو وجه جر اللام في قوله تعالى : ﴿ قتالٍ ﴾ [البقرة :٢١٧] ؟

ج : وجه ذلك : أن في الآية الكريمة مقدرًا محذوفًا ، وهو (عن) ، والمعنى : يسألونك عن الشهر الحرام عن قتالٍ فيه ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ قل قتالٌ فيه كبير ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – قل يا محمد : إن القتال في الشهر الحرام ، وسفك الدماء فيه جرمٌ كبير وإثمه عظيم ، والله أعلم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه .... ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : يسألك الناس يا محمد (ومحتمل أن يكون السائلون هم المؤمنين ، ومحتمل أن يكون السائلون هم الكفار) عن القتال في الشهر الحرام هل هو جائز ، أو هو محرم ، فقل لهم : إن القتال في الشهر الحرام إثمه كبير ، وذنبه عظيم ، ولكن يا معشر قريش كيف تستعظمون علينا أننا قاتلنا في الشهر الحرام ، وما فعلتموه أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ، وما فعلتموه من الكفر بالله ، وما فعلتموه من إخراج النبي

والمؤمنين من البلد الحرام ، والمسجد الحرام أكبر جرمًا وأعظم إثمًا وأقبح ذنبًا عند الله من القتال في الشهر الحرام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ ﴿ الشهر الحرام ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المراد به – والله أعلم – الجنس ، أي أن المراد : الأشهر الحرم كلها ، وقد تقدم بيانها ، وأنها ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بحبوط الأعمال في الدنيا ، وما المراد بحبوطها في الآخرة ؟

ج : أما المراد بحبوط الأعمال في الدنيا فيتمثل في الآتي – والله أعلم – :

● أن الأمان يرفع عن المرتد وعن أمواله ؛ فيكون حلال الدم والمال بعد أن كان محقون الدم والمال .

● أن زوجة المرتد تبين منه ، ولا يستحق الميراث من المؤمنين ، ولا يرثونه .

● أن المحبة التي كانت له في قلوب المؤمنين تنزع .

● أن ما يريدونه بعد الردة من الإضرار بالمؤمنين والكيد لهم لا يتحقق ، بل يبطل كيدهم ويخيب سعيهم .

● أما حبوط الأعمال في الآخرة ؛ فهو ذهاب ثواب ما عملوه من أعمال صالحة ، وضياع أجرها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ... ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد الأخذ بالأسباب ، وعلى أن العبد لا ينبغي أن يعتمد على تلك الأسباب والأعمال بل يعملها ويرجو رحمة الله ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن أهل الإيمان رجوا رحمة الله عز وجل ، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ؛ فمع رجائهم رحمة الله هاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله .

وأيضًا مع كونهم آمنوا ، وهاجروا وجاهدوا ، لم يعتمدوا على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم ، بل رجوا رحمة ربهم عز وجل ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا * والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ... ﴾ [الفرقان : ٦٣ - ٦٥] ، والله أعلم .

* * *

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

س : وضح معنى هذه الكلمات :

الميسر – العفو – لأعنتكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
الميسر	القمار – وقيل : يدخل معه كل الملاهي
العفو	الفضل – الزيادة – المتيسر – الوسط من أموالكم
لأعنتكم	أوقعكم في العنت وهو المشقة

س : ما المراد بالخمر ؟

ج : صح عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال : والخمر ما خامر العقل[1] .

● وقال فريق من أهل العلم : كل شراب أسكر فهو خمر .

● **وقال الطبري رحمه الله :** الخمر كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه .

● وقال أيضًا : وما خامر العقل من داء وسُكْر فخالطه وغمره فهو خمر ، ومن ذلك خمار المرأة ، وذلك لأنها تستر به رأسها فتغطيه .

قلت : ومنه قول عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك : (.. فخمرت وجهي بجلبابي)[2] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « خمروا آنيتكم »[3] ، أي : غطوها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالميسر ؟

ج : قال بعض أهل العلم : الميسر هو القمار .

● ونقل القرطبي رحمه الله عن مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، وميسر القمار ، فمن ميسر اللهو النَّرد والشطرنج والملاهي كلها ، وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه .

● **وقال ابن سعدي في تفسيره :** وأما الميسر فهو كل المغالبات التي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٨٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٠) من حديث عائشة .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨٨/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٣/١٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

يكون فيها عوضٌ من الطرفين من النرد والشطرنج ، وكل مغالبة قولية أو فعلية تعوض بعوض سوى مسابقة الخيل والإبل والسهام فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد فرخص فيها الشارع .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الإثم الكبير والمنافع الموجودة في الخمر والميسر ؟

ج : من صور الإثم الموجودة في الخمر ، ابتعاد شاربها عن معرفة ربِّه عز وجل أثناء شربها[1] وأثناء سُكْره وتركه فرائض الله عز وجل ووقوعه في محارمه ، وارتكاب الفواحش والرذائل ، ومن ثمَّ يكون عرضة لارتكاب الفواحش والرذائل ثم هي سبب للقتل والقتال بين الناس وجلب سخريتهم من شاربها وإيقاع العدواة والبغضاء بينهم كما قال الله تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة :٩١] .

● ومن صور الإثم الموجود في الميسر : إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس لكون أحد المقامرين يأخذ مال صاحبه بغير حق ويسطو على بيته وعلى امرأته كذلك .

● أما منافع الخمر فمنها ما كان يتأتى من ورائها من أرباح في تجارتها ، ومن بعض اللذة المتحصلة بسبب شربها .

● ومن منافع الميسر : كون المال يجلب لبعضهم من غير تعب وأيضًا كانوا أحيانًا يذبحون ما يتقامرون عليه فيأكلون منه ويطعمون ذوي الحاجة منهم أحيانًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ، أخرجه البخاري (حديث ٦٧٧٢) ، ومسلم (حديث ٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : ما هي أصرح آية في تحريم الخمر ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات الواردة في شأن الخمر ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ [المائدة : ٩٠] .

* * *

س : هل يستفاد من هذه الآية إباحة الخمر ؟

ج : لا يستفاد من الآية الكريمة إباحة الخمر[1] ، بل قد استنبط منها

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٤١٥٠) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، فذمَّهما الله و لم يحرمهما =

بعض العلماء تحريم الخمر ، قالوا : ووجه ذلك أن الله عز وجل قال في هذه الآية في الخمر والميسر : ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، وقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، قالوا : فحرَّم الله الإثم فلما كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع ، وكانت الأحكام إنما تجري على الغالب دل ذلك على تحريم الخمر والميسر .

وعلى فرض أنه يستفاد من الآية إباحة الخمر والميسر ، فذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ... ﴾ [المائدة : ٩٠] ، وأيضًا فقد أقام النبي ﷺ الحدَّ على شارب الخمر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالعفو في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ [البقرة : ٢١٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

● **الأول :** أن المراد بالعفو الزيادة والفضل ، فرأى أصحاب هذا القول أن الشخص يخرج ما زاد عن حاجته ، ومنهم من رأى أن إنفاق هذه الزيادة كان واجبًا[1] ثم نسخ بالزكوات المفروضة .

= لما أراد أن يبلغ بهما من المدة والأجل ، ثم أنزل الله (في سورة النساء) أشد منها ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] ، فكانوا يشربونها حتى إذا حضرت الصلاة سكتوا عنها فكان السكر عليهم حرامًا ، ثم أنزل الله عزَّ وجل في سورة المائدة بعد غزوة الأحزاب ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٩٠] ، فجاء تحريمها في هذه الآية قليلها وكثيرها ، ما أسكر منها وما لم يسكر ، وليس للعرب يومئذٍ عيش أعجب إليهم منها .

(١) لكن الجمهور على أن المراد بالإنفاق هنا نفقة التطوع .

والعفو يأتي بمعنى الزيادة كما قال تعالى : ﴿ حتى عَفَوا ﴾ [الأعراف :٩٥].

● **الثاني** : أن المراد بالعفو هنا الوسط الذي لا يجهدك ويجعلك تمد يديك للناس ، وقيل : الوسط من غير إسراف ولا تبذير .

● وشاهد هذا القول قوله تعالى : ﴿ وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

● وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أحدكم فقيرًا فليبدأ بنفسه فإن كان له فضل فليبدأ مع نفسه بمن يعول ثم إن وجد فضلًا بعد ذلك فليتصدق على غيرهم »[1] .

● **القول الثالث** : أن المراد بالعفو ما تيسر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ [البقرة : ٢١٩] ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بها : نفقة التطوع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) لفظ الطبري (حديث ٤١٧١) .

س : هل قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ [البقرة :٢١٩] منسوخ ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه منسوخ ، وبنى هذا الفريق القول بالنسخ على تفسير العفو ، فلما رأوا أن المراد بالعفو الزيادة ورأوا أن الأمر للإيجاب قالوا بالنسخ .

ورأى آخرون من أهل العلم أن الآية محكمة وليست بمنسوخة وقالوا : إن العفو وإن فسرناه بالزيادة والفضل فالآية لا تدل على الوجوب بل تدل على الاستحباب ، وإن فسرناه بالوسط فلا إشكال في أنها ليست منسوخة .

● **قال الطبري رحمه الله :** ويقال لمن زعم أن ذلك منسوخ : ما الدلالة على نسخه ، وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم على أن للرجل أن ينفق من ماله صدقةً وَهِبَةً ووصيةً الثلث ؟ فما الذي دلَّ على أن ذلك منسوخ ؟

فإن زعم أنه يعني بقوله : (إنه منسوخ) أن إخراج العفو من المال غير لازم فرضًا ، وأن فرض ذلك ساقط بوجود الزكاة في المال ، قيل له : وما الدليل على أن إخراج العفو كان فرضًا فأسقطه فرض الزكاة ، ولا دلالة في الآية على أن ذلك كان فرضًا إذ لم يكن أمر من الله عز ذِكره ، بل فيها الدلالة على أنها جواب ما سأل عنه القوم على وجه التعرف لما فيه لله الرضا من الصدقات ، ولا سبيل لمدَّعي ذلك إلى دلالة توجب صحة ما ادعى .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة ﴾ [البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] ؟

ج : **قال الرازي رحمه الله :** وقوله : ﴿ لعلكم تتفكرون * في

الدنيا والآخرة ﴾ [البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] فيه وجوه :

● **الأول :** قال الحسن : فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون .

● **الثاني :** ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ [البقرة : ٢١٩] فيعرفكم أن الخمر والميسر فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا .

● **الثالث :** يعرفكم أن إنفاق المال في وجوه الخير لأجل الآخرة وإمساكه لأجل الدنيا فتتفكرون في أمر الدنيا والآخرة وتعلمون أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا .

واعلم أنه لما أمكن إجراء الكلام على ظاهره كما قررناه في هذين الوجهين ففرض التقديم والتأخير على ما قاله الحسن يكون عدولًا عن الظاهر لا لدليل ، وأنه لا يجوز ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : أخرج أبو داود والنسائي والطبري[1] وغيرهم من طرق عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الإسراء :٣٤]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧١) ، والنسائي (٢٥٦/٦) ، والطبري (٤١٨٢ و ٤١٨٣ و ٤١٨٩) وغيرهم ، وفي إسناده عطاء بن السائب مختلط ، لكن أورد له الطبري طُرقًا أخرى ، وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أنها تصلح لتقويته ، والله تعالى أعلم .

و ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ﴾ [النساء : ١٠١] الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضلُ من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم ... ﴾ [البقرة : ٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قل إصلاح لهم خيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن فعل ما يُصلح اليتامى ويُصلح أموالهم وسائر شئونهم خيرٌ من اعتزالهم ، فالتداخل مع اليتامى وتفقد أحوالهم وتأديبهم وتقويمهم وإحسان تربيتهم حتى ينشأوا على علمٍ وفضل وأدبٍ وخلق حسن ، أولى من تضييعهم واعتزالهم .

وكذلك الحرص على أموالهم وتثميرها والنظر إلى الصالح في شأنها أولى من تركها عرضة للتلف والضياع ، وأولى من تركها تذهب بها الصدقات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز التجارة في مال اليتيم ؟

ج : نعم تجوز التجارة في مال اليتيم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ إصلاح لهم خير ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

قال القرطبي رحمه الله : تواترت الآثار في دفع مال اليتيم مضاربةً والتجارة فيه ، وفي جواز خلط ماله بماله دلالة على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء إذا وافق الصلاح ، وجواز دفعه مضاربة إلى غير ذلك .... والله تعالى أعلم .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إذا خالطتم الأيتام فخالطوهم وتعاملوا معهم بمقتضى الأخوة الإيمانية التي تستلزم الإصلاح والنصح ، وسواء كانت هذه المخالطة في الطعام والشراب والمسكن والخدم أو كانت المخالطة بالمشاركة في التجارة بأموالهم ، أو كانت المخالطة بالزواج والمصاهرة أو غير ذلك ، ففي هذا كله تعاملوا معهم بمقتضى الأخوة الإيمانية ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ [البقرة : ٢٢٠] في هذا الموطن ؟

ج : وجه إيراده – والله أعلم – تحذير القائمين على الأيتام من إفساد أموال الأيتام وإفساد أحوالهم ، والحث على إصلاح الأيتام والقيام على أموالهم بما يرضي الله عز وجل .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – كما ذكره الطبري رحمه الله حيث قال : يعني تعالى ذكره بذلك : ولو شاء الله لحرَّم ما أحله لكم من مخالطة أيتامكم بأموالكم أموالهم فجهدكم ذلك وشق عليكم ، ولم تقدروا على القيام باللازم لكم من حق الله تعالى والواجب عليكم في ذلك من فرضه ، ولكنه رخَّص لكم فيه وسهله عليكم رحمة بكم ورأفة .

* * *

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات : تنكحوا - أمة - بإذنه ؟

ج :

الكلمة	معناها
تَنكحوا	تتزوجوا
أَمَةٌ	الأمة المملوكة - وقيل المراد عموم بنات آدم فكلهن إماء الله ، والأول أصح لذكرها مقابل العبد
بإذنه	قيل : إن الإذن هنا من الأذان أي الإعلام والبيان ، والمعنى ببيانه لكم طريق الجنة وطريق المغفرة ، وقال آخرون : بإذنه أي بتيسيره وتوفيقه ، وقيل بأمره ، والله أعلم

* * *

س : هل المشركات في قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ... ﴾ [البقرة : ٢٢١] عامة في كل المشركات أم استثنى منها شيء ؟

ج : استثنى منها الكتابيات ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ [المائدة :٥] .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ [البقرة : ٢٢١] يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه .

* * *

س : في الآية دليل على أن المرأة إنما يزوجها أولياؤها وضح ذلك ، واذكر بعض الأدلة على اشتراط الولاية في النكاح ؟

ج : إيضاحه أن الله تعالى قال : ﴿ ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ [البقرة : ٢٢١] فبين الله سبحانه وتعالى أن الذي يُنكح هو الرجل .

أما الأدلة على اشتراط الولاية في النكاح فمنها ما يلي :

- قول الله تعالى : ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن ﴾ [النساء : ٢٥] .
- قوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ [النور : ٣٢] .
- وقول العبد الصالح لموسى : ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ [القصص : ٢٧] .
- وقول النبي ﷺ : « لا نكاح إلا بولي »[2] .

---

(١) الطبري أثر (٤٢١٧) .

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) ، والترمذي (١١٠١) ، وابن ماجه (١٨٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل »[1] .

إلى غير ذلك من الأدلة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على نكاح المرأة الصالحة والرجل الصالح ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم ﴾ [البقرة : ٢٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ ولعبد مؤمن خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ﴾ [النور : ٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ [النور : ٢٦] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[2] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « فاظفر بذات الدين تربت يداك »[3] .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٦٥/٦) ، وأبو داود (٢٠٨٣) و (٢٠٨٤) ، والترمذي (١١٠٢) ، وابن ماجه (١٨٨٠) ، من حديث عائشة مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣٢/٩) ، ومسلم (٦٥١/٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : كيف يدعون إلى النار وهم لا يؤمنون بها أصلًا ؟

ج : يدعوننا للعمل بما يُدخلنا النار ويوجبها لنا ، وذلك بالكفر بالله ورسوله ، فالزوجية مظنة الألفة والمحبة والمودة ، وذلك يؤدي إلى تلبية المُحب طلب حبيبه ، وربما يؤدي ذلك إلى الانتقال عن دين الإسلام لموافقة الزوجة المشركة ، أو الزوج المشرك عياذًا بالله .

❋ ❋ ❋

وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

المحيض – أذًى – حتى يطهرن – فإذا تطهرن – فأتوهن ؟

ج :

الكلمة	معناها
المحيض	الحيض
أذى	قذر – مكروه يُتأذى بريحه وضرره
حتى يطهرن	ينقطع عنهن دم الحيض – يرين الطهر
فإذا تطهرن	فإذا اغتسلن
فأتوهن	فجامعوهن

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض ... ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه مسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] إلى آخر الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول : كذا وكذا فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد[٢] عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما .

* * *

س : ما هي الأدلة على تحريم جماع الحائض ؟

ج : الأدلة على ذلك ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .
- قول النبي ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[٣] .
- انعقاد الإجماع على تحريم ذلك ، وقد نقل هذا الإجماع عدد من أهل العلم منهم الطبري وابن حزم والقرطبي وابن كثير والرازي في تفسيره فقال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢) .

(٢) وجد عليهما أي غضب عليهما .

(٣) صحيح وقد تقدم .

اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمن الحيض .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] وما هو المباح للرجل من امرأته وهي حائض ؟

ج : لأهل العلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ثلاثة أقوال قولان لهما وجه والقول الثالث شاذ منبوذ .

● **القول الأول :** أن المراد من اعتزال النساءِ في المحيض هو اعتزال النكاح في الفرج فقط فعلى هذا القول يجوز للرجل أن يؤاكل زوجته الحائض ويشاربها ويساكنها في البيت ويضمها إليه ويقبلها ويمص شفتيها ولسانها ويطأها في بطنها وبين ثدييها وبين فخذيها (ما لم يولج في الفرج) وبين أليتيها (ما لم يولج في الدبر) ، ويصنع كل شيء إلا الجماع ، وكذا إلا الوطء في الدبر .

وأدلة هذا القول ما يلي :

١ – قول النبي ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[(١)] .

٢ – حديث بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها شيئًا[(٢)] .

٣ – ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح إلى مسروق أنه ركب إلى عائشة فقال : السلام على النبي وعلى أهل بيته فقالت عائشة : أبو عائشة ؟! مرحبًا ! فأذنوا له فدخل فقال : إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي !

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٣٠٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢٧٢) بإسناد صحيح .

فقالت : إنما أنا أمك وأنت ابني فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض ؟ قالت : له كل شيء إلا فرجها[1] .

ومن المعلوم أن عائشة من أعلم الناس بذلك ، لأنها زوجة رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى هذا أكثر أهل العلم منهم الثوري وأحمد وإسحاق ومحمد بن الحسن ورجحه الطحاوي والنووي وهو أحد القولين للشافعية .

● **القول الثاني** : أن المراد من اعتزال النساء في المحيض اعتزال ما بين السرة إلى الركبة أو ما تحت الإزار ، فعلى هذا القول يجوز للرجل مباشرة زوجته فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذَّكر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس أو غير ذلك .

ومن أدلة هذا القول ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فأتزرت وهي حائض[2] .

٢ – ومن الأدلة على ذلك أيضًا حديث عائشة الذي أخرجه البخاري وفيه : كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض[3] .

٣ – وأخرج أبو داود رحمه الله من حديث حرام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال : « لك ما فوق الإزار »[4] .

---

(١) الطبري (٣٧٨/٤) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٣٠٣) ، ومسلم (حديث ٢٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٩) .

(٤) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٢) ، من حديث حرام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ ....

ومن القائلين بهذا القول من أهل العلم عائشة (في رواية عنها) وميمونة وابن عباس رضي الله عنهم .

هذا ووجه الجمع بين القولين المتقدمين ، ألا وهما القول الأول : الذي يفيد أن للرجل من زوجته الحائض كل شيء إلا الجماع في الفرج ، والقول الثاني : الذي يفيد أن له منها ما فوق الإزار . تتم بأن يقال : إن ترك ما بين السرة والركبة على سبيل الاحتياط لا على سبيل التحريم فمن الأحوط أن يترك حمًى حول الفرج لا يقربه فمن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه .

قال القرطبي رحمه الله : قال العلماء : مباشرة الحائض وهي مؤتزرة على الاحتياط والقطع للذريعة ، ولأنه لو أباح فخذيها كان ذلك منه ذريعة إلى موضع الدم المحرم بإجماع فأمر بذلك احتياطًا ، والمحرم نفسه موضع الدم فتتفق بذلك معاني الآثار ولا تضاد ، وبالله التوفيق .

وقال النووي رحمه الله : إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من نفسه باجتنابه إما لضعف شهوته وإما لشدة ورعه جاز وإلا فلا .

● وأما الوجه الثالث الضعيف : فهو قول من قال : إن المراد من قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة :٢٢٢] اعتزال جميع بدنها أن يباشر بشيء من بدنه .

ودليل القائلين بهذا القول قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، والعموم الوارد فيه ، وقد روي هذا القول عن ابن عباس لكنه لا يثبت عن ابن عباس فالسند إليه ضعيف وقد قدمنا عنه خلاف ذلك .

وروي هذا عن عبيدة السلماني فسئل ما يحل لي من امرأتي إذا كانت حائضًا ؟ قال : الفراش واحد واللحاف شتى ، وهو صحيح إلى عبيدة .

لكن هذا القول ضعيف ، والأقوى ما قدمناه في الوجهين الأولين ، والله أعلم .

س : ما حكم من أتى امرأته وهي حائض ، وماذا يصنع ليكفر عن هذا الذنب ؟

ج : من أتى امرأته وهي حائض عالمًا بحرمة ذلك فهو آثم مرتكب للمحرم ، وعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه ويتبع هذه السيئة بحسنة .

● أما إلزامه بكفارة (دينار أو نصف دينار أو أقل أو أكثر) ، فالخبر في ذلك لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا على الحائض إذا أكرهها زوجها على الجماع ؟

ج : على الحائض أن تعصى زوجها إذا دعا للجماع في الفرج ويحرم عليها طاعته حينئذٍ وعليها أن تقاومه قدر استطاعتها وتمنعه نفسها ، أما إذا أغلبها بقوته وجامعها رغم أنفها فلا شيء عليها ولتكثر من الاستعاذة بالله منه ومن شره وتكثر من الاستغفار .

أما حديث ابن عباس مرفوعًا : « من أتى امرأته وهي حائض فليتصدق بدينار أو بنصف دينار » ، فهو حديث معلول من طرقه التي وقفنا عليها ، وقد بين ذلك البيهقي – رحمه الله – بيانًا شافيًا وذكر بسند صحيح إلى شعبة أنه تراجع عن رفع هذا الحديث وجعله موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما ، ولما قيل لشعبة في ذلك قال : إني كنت مجنونًا فصححت .

ثم إن هذا الحديث خاص بالزوج ليس للمرأة فيه شيء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للرجل أن ينام مع زوجته وهي حائض تحت لحاف واحد ؟

ج : نعم يجوز للرجل أن ينام مع زوجته في لحاف واحد لحديث أم سلمة

رضي الله عنها قالت : بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي ، قال: «أنفست[1] » ؟ قلت : نعم فدعاني فاضجعت معه في الخميلة ، أخرجه البخاري ومسلم .

وقال العلماء : لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجليه ، ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز مؤاكلة الحائض ومشاربتها ، وهل تجوز خدمتها لزوجها ؟

ج : نعم تجوز مؤاكلة الحائض ومشاربتها ، وكذلك تجوز خدمتها لزوجها ، والدليل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه مسلم وغيره وفيه أنها قالت : كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب وأتعرَّقُ[2] العِرْقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ[3] .

وفي صحيح البخاري أيضًا أن عروة سئل أتخدمني الحائض أو تدنو مني المرأة وهي جنب ؟ فقال عروة : كل ذلك هين وكل ذلك تخدمني وليس على أحد في ذلك بأس ، أخبرتني عائشة أنها كانت ترجل – تعني رأس رسول ﷺ – وهي حائض ورسول الله ﷺ حينئذ مجاور في المسجد يدني

---

(١) أنفست : أي : حضت ، والحديث أخرجه البخاري (حديث ٢٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٩٦) .

(٢) يتعرق العرق : أي يأخذ ما على العرق من اللحم بأسنانه .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠) ، وأبو داود (حديث ٢٥٩) ، والنسائي (٥٦/١) ، وابن ماجه (٦٤٣) .

لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض .

وقد ورد عن إبراهيم النخعي أنه سئل عن الحائض توضىء المريض ؟ قال : لا بأس به ، وصح إلى ابن عمر أن بعض جواريه كانت تغسل رجليه وهي حائض .

❋ ❋ ❋

س : هل صح حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يتقي سورة الدم ثلاثًا ثم يباشر بعد ذلك ؟ وما معنى الحديث ؟

ج : هذا الحديث قد حسنه الحافظ ابن حجر رحمه الله ، ومعناه أن النبي ﷺ كان يترك أهله لا يباشرها (والمباشرة هنا الجماع وغيره من أنواع المباشرة) ثم يباشر[1] بعد ذلك ، ولكن هذا قد يرى البعض أنه متعارض مع حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أنها قالت : كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها .

والجمع بين الحديثين إما أن يقال بتعدد الحالات بمعنى أنه أحيانًا كان يباشر في فور الحيضة وأحيانًا يمهل ثلاثًا حتى تذهب فورة الدم ثم يأتيها .

أو أن ذلك يختلف باختلاف حالات النساء فمنهن من تتحمل المباشرة فور الحيضة ، ومنهن من لا تتحمل ذلك .

وإما أن يحمل على الاستحباب أي يكون المستحب أن يمهل ثم يباشر بعد ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قوله : ثم يباشر بعد ذلك أي : يضم ويفاخذ ونحو ذلك ، ولا يفعل الجماع في الفرج إلا بعد الاغتسال من الحيض ورؤية الطهر كما لا يخفى .

س : هل هناك حدٌّ معين (أي وقت معين) يجب على الزوج ألا يتعداه إلا وقد جامع زوجته ؟

ج : ليس لذلك حد معين ولكن الواجب على الرجل إعفاف زوجته قدر استطاعته ، أما ما استدل به أبو محمد بن حزم – رحمه الله – حيث قال : وفرض على الرجل أن يجامع امرأته التي هي زوجته وأدنى ذلك مرة في كل طهرين قدر على ذلك وإلا فهو عاص لله تعالى ، برهان ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] فاستدلاله – رحمه الله – بالآية لا يتم ، لأن الاستدلال بالآية راجع هنا إلى مسألة أصولية وهي مسألة الأمر بعد الحظر هل يفيد وجوبًا أو إباحة وحاصل الأمر في هذه المسألة أن الحكم يرد إلى ما كان عليه قبل النهي إن كان واجبًا فواجب ، وإن كان مباحًا فمباح فمثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] ، فقبل الأشهر الحرم كان قتال المشركين واجبًا فكذلك بعد الأشهر الحرم فقتالهم واجب .

وكمثال للمباح قوله تعالى : ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ [المائدة : ٢] ، فقبل الإحرام كان الصيد مباحًا فكذلك عند التحلل من الإحرام فالصيد مباح ، ولم يقل فيه أحد يُعتد به بوجوب الصيد على الحجيج بعد التحلل من الإحرام ، وكذلك لم نقف على دليل يوضح أن رسول الله ﷺ ذهب واصطاد بعد حله من إحرامه ، وكقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ١٠] ، فقبل النداء للصلاة من يوم الجمعة السعي في الأرض جائز ، وكذلك الأمر بالانتشار في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا ﴾ [الجمعة : ١٠] يفيد الجواز ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للرجل أن يطأ زوجته إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل ؟

ج : لا يجوز للرجل أن يطأ زوجته إذا رأت الطهر حتى تغتسل ، وهذا هو رأي جمهور العلماء ، وقد سئل سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار عن الحائض هل يصيبها زوجها إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل ؟ فقالا : لا ، حتى تغتسل وكذلك سئل عطاء عن الحائض ترى الطهر ولا تغتسل أتحل لزوجها ؟ قال : لا ، حتى تغتسل .

وسئل ابن تيمية كذلك عن المرأة تطهر من الحيض ولم تجد ماءً تغتسل به هل لزوجها أن يطأها قبل غسلها من غير شرط ؟ فأجاب : أما المرأة الحائض إذا انقطع دمها فلا يطؤها زوجها حتى تغتسل إذا كانت قادرة على الاغتسال وإلا تيممت كما هو مذهب جمهور العلماء كمالك وأحمد والشافعي .

قلت : ومستند جمهور العلماء قوله تعالى : ﴿ فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، فقوله تعالى : ﴿ حتى يطهرن ﴾ [البقرة : ٢٢٢] يعني ينقطع الدم ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن ﴾ [البقرة : ٢٢٢] أي : فاغتسلن بالماء ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للمسلم الذي تزوَّج كتابية أن يطأها بعد انقطاع دم الحيض قبل أن تغتسل ؟

ج : لا يجوز ذلك للرجل المسلم لقوله تعالى : ﴿ فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للمرأة أن تتيمم - إذا لم تجد الماء - للطهر من المحيض ، ويأتيها زوجها ؟

ج : نعم يجوز للمرأة ذلك لقوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماءً فتيمموا ﴾ [المائدة : ٦] ، وقد قال بذلك عدد كبير من أهل العلم فقال عطاء : إذا طهرت الحائض فلم تجد ماءً تتيمم ويأتيها زوجها .

وقال الحسن : إن كانت المرأة حائضًا فرأت الطهر في سفر تتيمم ، الصعيد يطهرها .

* * *

س : هل الأمر في قوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] على الوجوب ؟

ج : ليس على الوجوب بل هو للإباحة بعد الحظر ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ [المائدة : ٢] ، أي : إذا حللتم من إحرامكم فقد أبيح لكم الصيد الذي كان مُحرمًا عليكم حال الإحرام ، وكقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ١٠] ، أي : قد أبيح لكم الانتشار الذي نهيتم عنه في قوله تعالى : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ [الجمعة : ٩] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - فجامعوهن من المكان الذي أمركم الله بتجنبه أثناء حيضهن ، وهو القُبُل ولا تتعدوه إلى غيره .

ومن العلماء من قال : إن (من) بمعنى (في) ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ [الأحقاف : ٤] ، أي : في الأرض ، وكقوله تعالى : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴾ [الجمعة : ٩] ، أي : في يوم الجمعة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] متطهرون من ماذا ؟

ج : قال بعض أهل العلم : متطهرون بالماء للصلوات .

وقال آخرون : متطهرون من الذنوب والآثام .

وقال غيرهم : متطهرون من إتيان النساء في أدبارهن .

وقيل أيضًا : متطهرون من جماع النساء أثناء حيضهن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول ، فنزلت : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

● وأخرج البخاري[2] بإسناده إلى نافع قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يومًا فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكانٍ قال : تدري فيم أنزلت ؟ قلت : لا ، قال : أنزلت في كذا وكذا ثم مضى .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح إلى نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم ، قال : فقرأت ذات يوم هذه الآية ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، فقال : أتدري فيمن نزلت هذه الآية ؟ قلت : لا ، قال : نزلت في إتيان النساء في أدبارهن .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥٢٨) ، ومسلم (حديث ١٤٣٥) .
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢٦) .

س : هل يجوز إتيان النساء في أدبارهن ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى تحريم ذلك ، واحتج فريق منهم بقوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، قالوا : والحرث هو موطن الزرع ، واحتجوا أيضًا بالأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في النهي عن إتيان النساء في أدبارهن ، وهي وإن كان في كلٍّ منها مقال إلا أنها ترتقي بمجموعها للاحتجاج بها ، وعمل أكثر أهل العلم عليها .

بينما ذهب ابن عمر رضي الله عنهما إلى جواز ذلك ، وما عليه جمهور الصحابة أولى لما قدمناه[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [البقرة :٢٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – نساؤكم مزدرع لكم ومنبت للولد ففرج المرأة كالمزرعة ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج من المزرعة ، والحرث مصدر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – من أي وجه شئتم[2] ، ما دمت تأتي

---

(١) أما ما رواه ابن عمر من أن الآية نزلت في إتيان النساء في أدبارهن فهذا فهمٌ فهمه ابن عمر رضي الله عنهما ، وخالفه غيره ، فقد روى جابر كما قدمنا أن اليهود كانت تقول : إن الرجل إذا جامع امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فنزلت الآية لإباحة ذلك (أي : إباحة إتيان المرأة من دبرها في قبلها) ، والله أعلم .

(٢) ومنه قول زكريا عليه السلام : ﴿ .... يا مريم أنى لكِ هذا ﴾ [آل عمران : ٣٧] =

الحرث ، والحرث موطن الزرع وهو الفرج ، فالمعنى ائتها من الأمام في الفرج أو من الخلف في الفرج أو على جنب في الفرج ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] نقدم ماذا ؟

ج : قال بعض أهل العلم : قدَّموا لأنفسكم أعمالًا صالحةً وصنوفًا من البر والخير والإحسان كي تجدوا ثواب ذلك عند الله كما قالْ تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا ﴾ [المزمل : ٢٠] .

- ومن العلماء من قال : قدموا التسمية عند الجماع .
- ومنهم من قال : قدموا لأنفسكم المراد منها اطلبوا الولد الصالح بالجماع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل في هذه الآية دليل على جواز النكاح في الدُّبر ؟

ج : ليس في الآية دليل على ذلك ، بل الدليل على المنع فيها أقرب ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، والحرث هو موطن الزرع ، وقد قدمنا أن الفرج بمنزلة المزرعة ، والنطفة (أي المني) بمنزلة البذرة تُبذر فيه ، والبذرة إنما تبذر في موطن تُنبت فيه ، فالذي يأتي أهله في دبرها لا يأتي حرثه أصلًا .

= وقول مريم عليها السلام : ﴿ ... أنى يكون لي غلام ﴾ [مريم : ٢٠] .
وقال القرطبي رحمه الله : معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من أي وجه شئتم ، مقبلة ومدبرة .

فإن قال قائل : فهل تحرمون على الرجل أن يأتي المرأة بين فخذيها ؟

فالإجابة : أننا لا نحرم ذلك ولا يسمى هذا إتيان ، ولا دليل يمنع منه ، وليس هو بضار على المرأة أو على الرجل ، وليس فيه أذى على العكس من الإتيان في الدبر ، وقد أشرنا إلى ما فيهِ من الأدلة ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ؟

ج : معنى العُرضة في كلام العرب : القوة والشدة[1] ، فالمعنى : لا تجعلوا الله (وهنا مقدر محذوف أُراه والله أعلم خوف) مقويًا لأيمانكم التي أقسمتموها على أن لا تفعلوا الخير (الذي هو البر والتقوى والإصلاح بين الناس) .

فالمعنى بأسلوب آخر : لا تجعلوا خوف الله مقويًا لأيمانكم التي أقسمتموها كي لا تفعلوا الخير ، فإذا قال لكم قائل : برُّوا واتقوا وأصلحوا بين الناس قلتم : لا إننا نخاف الله إننا قد حلفنا بالله ألا نفعل ، فنهاهم الله عن هذا .

وها هي بعض أقوال العلماء تؤدي هذا المعنى :

● **قال الطبري رحمه الله :** فمعنى قوله تعالى ذكره : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ، لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس ، ولكن إذا حلف أحدكم فرأى الذي هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس فليحنث في يمينه وليبرَّ وليتق الله وليصلح بين الناس وليكفر عن يمينه .

● **وصح عن سعيد بن جبير**[2] أنه قال : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ، قال : هو الرجل يحلف لا يصلح

---

(١) قال ذلك الطبري رحمه الله .

(٢) الطبري (أثر ٤٣٥٥) .

بين الناس ولا يبرُّ ، فإذا قيل له قال : قد حلفت .

● **ونقل ابن كثير رحمه الله عن الجمهور أن معنى الآية :** لا تجعلن عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير ، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** قال العلماء : لما أمر الله تعالى بالإنفاق وصحبة الأيتام والنساء بجميل المعاشرة قال : لا تمتنعوا عن شيء من المكارم تعللًا بأنا حلفنا ألا نفعل كذا .

قلت (مصطفى) : والآية كقوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يُؤتُوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا .... ﴾ [النور : ٢٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا أقسم شخص على شيء ورأى غيره خيرًا منه هل الأفضل أن يمضي في الشيء وينفذه ويُبر قسمه ، أم الأفضل أن يكفر عن يمينه ويفعل الذي هو خير ؟

ج : الأفضل أن يُكَفِّر عن يمينه ويفعل الذي هو خير ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ... وإني والله – إن شاء الله – لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أو أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني » .

● وما أخرجه مسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢٣) ، ومسلم (حديث ١٦٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٦٥٠) .

رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه وليفعل » .

ومنها قول النبي ﷺ[1] : « وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكَفِّر عن يمينك وائت الذي هو خير » .

وما أخرجه مسلم[2] من حديث عدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حلف أحدكم على اليمين فرأى خيرًا منها فليكفرها وليأت الذي هو خير » .

❋ ❋ ❋

س : إذا تزاحمت المصالح قُدِّم الأهمُ منها على غيره ، وضح ذلك من خلال الآية الكريمة ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره السعدي في تيسير المنان حيث قال : فهنا تتميم اليمين مصلحة ، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك فقدِّمت لذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢٢) ، ومسلم (حديث ١٦٥٢) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٦٥١) .

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

س : ما معنى : كسبت ؟

ج :

الكلمة	معناها
كسبت	تعمدت[1]

❋ ❋ ❋

(١) نقل الطبري رحمه الله الإجماع على أن معنى كسبت : تعمدت .

س : اذكر أقسام اليمين بالله تعالى مع تعريف مختصر لكل قسم منها ؟

ج : تنقسم الأيمان بالله تعالى إلى ثلاثة أقسام :

١ - **اليمين اللغو .**

٢ - **اليمين الغموس .**

٣ - **اليمين المنعقدة .**

أما اليمين اللغو ، فأصح ما ورد فيها عن الصحابة رضي الله عنهم ما أخرجه البخاري[١] من حديث عائشة رضي الله عنها ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ، قالت : أنزلت في قوله : لا والله وبلى والله .

● وكذلك صح عن الشعبي[٢] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] هو لا والله ، وبلى والله .

وكذلك صح نحوه عن أبي قلابة وأبي صالح وعكرمة[٣] .

● ومن أهل العلم من قال : إن المراد باللغو اليمين الخطأ غير العمد

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٦٣) .

وفي رواية بإسناد صحيح عن عائشة عند عبد الرزاق : هم القوم يتدارءون في الأمر يقول هذا (لا والله) و (بلى والله) و (كلا والله) ، يتدارءون في الأمر لا يعقد عليه قلوبهم (المصنف ١٥٩٥٢) .

وكذلك أخرج الطبري (أثر ٤٤٥٧) ، بإسناد صحيح عن عائشة قالت : (أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة ، والحديث الذي لا يعتمد عليه القلب) .

(٢) الطبري أثر (٤٣٨٥ و ٤٣٨٦ و ٤٣٨٧) .

(٣) أثر أبي قلابة (عند الطبري ٤٣٨٩) ، وأثر عكرمة (عند الطبري ٤٣٩٢) ، وأثر أبي صالح (عند الطبري ٤٣٨٩) .

أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كما حلفت عليه ثم لا يكون كذلك فهذا لا كفارة عليه ولا مأثم فيه[1] .

● وصح عن إبراهيم النخعي أنه قال ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] قال : أن يحلف الرجل على الشيء وهو يرى أنه صادق وهو كاذب فذلك اللغو لا يؤاخذ به[2] .

وثمَّ أقوال أخر في لغو اليمين ، وأقواها ما ذكرناه أولًا ، والله أعلم .

● **أما اليمين الغموس** فهي اليمين الكاذبة ، ومن العلماء من قيدها بأنها لاقتطاع مال امرىء مسلم أي : يقسم الرجل كاذبًا كي يقتطع بيمينه مال امرىء مسلم .

● **أما اليمين المنعقدة** فهي اليمين التي ينعقد عليها القلب ولها شروط .

أولها : أن ينعقد عليها القلب ويقصد إليها .

الثاني : أن يكون حالفها غير مكره بل يكون مختارًا .

الثالث : أن تكون مستقبلية ، أي : على شيء في المستقبل .

الرابع : ألا يكون القسم بمخلوق ، بل يكون بالله أو بأسمائه أو بصفاته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي المؤاخذة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ؟

ج : المؤاخذة هي الكفارة الموضحة في قوله تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله

---

(١) أخرجه الطبري (٤٤٢٣) بإسناد حسن عن قتادة .

(٢) الطبري (أثر ٤٤١٥) .

باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .. ﴾ [المائدة : ٨٩] .

❋ ❋ ❋

س : هل على اليمين الغموس كفارة ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن اليمين الغموس لا كفارة عليها .

قالوا : وهي أعظم من أن تكفر وقد جاءت الأحاديث تفيد أنها كبيرة من الكبائر ، من ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » .

● وأخرج مسلم[2] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة » ، فقال له رجل : وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيبًا من أراك » .

وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » فأنزل الله تصديق ذلك ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا .. ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران : ٧٧]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧٥) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٧) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧٦) ، ومسلم (حديث ١٣٨) .

فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما حدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فقالوا : كذا وكذا ، قال : فيَّ أُنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فقال : « بينتك أو يمينه » . قلت : إذًا يحلف عليها يا رسول الله فقال رسول لله ﷺ : « من حلف على يمين صبرٍ وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » .

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماءٍ بطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفَّى له ، وإلا لم يفِ له ، ورجل ساوم رجلًا بسلعةٍ بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا » .

● فلهذه الأحاديث قال الجمهور[2] من العلماء : إن اليمين الغموس أعظم من أن تُكَفَّر بالكفارة المذكورة في قوله : ﴿ إطعام عشرة مساكين ... ﴾ [المائدة : ٨٩] .

وهذه بعض أقوالهم في ذلك :

● **قال الإمام مالك رحمه الله :** فأما الذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه آثم ، ويحلف على الكذب وهو يعلم ليرضى به أحدًا أو ليعتذر إلى معتذرٍ إليه أو ليقتطع به مالًا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة ..

●**وقال الخرقي : (مسألة) :** ومن حلف على شيء وهو يعلم أنه كاذب فلا كفارة عليه لأن الذي أتى به أعظم من أن يكون فيه الكفارة .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٧٢) ، ومسلم (حديث ١٠٦) ، وأبو داود (حديث ٣٤٧٣) ، والنسائي (حديث ٤٤٦٢) .

(٢) واستدلوا أيضًا بحديث : « خمس ليس فيهن كفارة » لكنه حديث ضعيف على الراجح لدينا فيه . والله أعلم .

● **قال ابن قدامة :** هذا ظاهر المذهب نقله جماعة عن أحمد وهو قول أكثر أهل العلم منهم ابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن ومالك والأوزاعي والثوري والليث وأبو عبيد وأبو ثور وأصحاب الحديث وأصحاب الرأي من أهل الكوفة .....

● **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :** (مجموع الفتاوى) .... وأما الأكثرون فقالوا : هذه أعظم من أن تكفر ، وهذا قول مالك وأبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه قالوا : والكبائر لا كفارة فيها كما لا كفارة في السرقة والزنا وشرب الخمر .

قلت : ومن العلماء من قال بوجوب الكفارة فيها كالإمام الشافعي وأبو محمد بن حزم وغيرهما ، ومن حججهم عموم قوله تعالى : ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ [المائدة : ٨٩] وقول النبي عليه الصلاة والسلام : « فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » .

أما الجمهور فأجابوا على الآية ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ [المائدة : ٨٩] أنها في غير اليمين الغموس ، إنما هي في اليمين المنعقدة .

وأجابوا على الاستدلال بحديث « .. فليأت الذي هو خير وليكفر » أن هذا أيضًا ليس بيمين غموس . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل أعمال القلوب يؤاخذ عليها ؟

ج : من أعمال القلوب أعمال لا يؤاخذ عليها الشخص ، وذلك كحديث النفس أو الوساوس التي ترد على القلب ، وذلك كما في حديث رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٨) ، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● ومن أعمال القلوب أعمال يؤاخذ عليها الشخص وأعمال يثاب عليها الشخص وهي الأعمال التي ينعقد عليها القلب .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [النور : ١٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] .

● وقول النبي ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .. » الحديث وفيه : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »[١] .

● ومن ذلك أن الحاسد آثم .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : « إن بالمدينة لرجالًا ماسرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم » ، قالوا يا رسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » وفي رواية : « إلا شركوكم في الأجر »[٢] .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : « المرء مع من أحب »[٣] .

● ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٣) ، مسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٣) ، ومسلم (١٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

س : ما معنى ما يلي :

يؤلون – تربص – فاءوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
يؤلون[1]	يحلفون – يقسمون
تربص	التربص النظر أو التوقف
فاءوا	رجعوا[2]

❋ ❋ ❋

(١) والألية اليمين والقسم ومنه قول الشاعر

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت

(٢) ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ [الحجرات : ٩] .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٦ ، ٢٢٧] ؟

ج : قبل بيان المعنى الإجمالي نلفت النظر إلى أن بعض الناس يقسمون على أن لا يجامعوا نساءهم مدة معينة ، فإذا كانت هذه المدة التي أقسموا أن لا يجامعوا نساءهم فيها أقل من أربعة أشهر فلا يدخلون تحت هذه الآية ، وإن كانت المدة أربعة أشهر أو أكثر فالآية تتعلق بهم ، فالمعنى على هذا : للذين يحلفون على أن يمتنعوا من جماع نساءهم انتظار أربعة أشهر فإن رجعوا إلى جماعهم ومعاشرتهم بالمعروف فإن الله غفور لهم ما أذنبوا فيه تجاه نساءهم رحيم بهم وبأزواجهم فيما شرعه لهم ، وإن قصدوا الطلاق وعزموا عليه فإن الله سميع لذلك منهم عليم به وبهم .

وها هي أقوال بعض أهل العلم في ذلك :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : الإيلاء الحلف فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها ، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبته بالفيئة في هذه المدة وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهرًا فنزل لتسع وعشرين وقال : « الشهر تسع وعشرون » ولهما عن عمر بن الخطاب نحوه ، فأما إن إزادت المدة على أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفيء أي : يجامع وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا ، وهذا لئلا يضر بها ولهذا ، قال تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نساءهم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : يحلفون على ترك الجماع من نساءهم ، فيه دلالة على أن الإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء كما هو مذهب

الجمهور ﴿ تربص أربعة أشهر ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق ، ولهذا قال : ﴿ فإن فاءوا ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : رجعوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع ....

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان) :

واعلم أن أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم وتكلفوا بما لم يدل عليه اللفظ ولا دليل آخر ومعناها ظاهر واضح ، وهو أن الله جعل الأجل لمن يولي أي : يحلف من امرأته أربعة أشهر ثم قال مخبرًا لعباده بحكم هذا المؤلي بعد هذه المدة : ﴿ فإن فاءوا ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : رجعوا إلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : لا يؤاخذهم بتلك اليمين بل يغفر لهم ويرحمهم ﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : وقع العزم منهم عليه والقصد له ﴿ فإن الله سميع ﴾ [البقرة : ٢٦٦] لذلك منهم ﴿ عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] به . فهذا معنى الآية الذي لا شك فيه ولا شبهة ، فمن حلف أن لا يطأ امرأته ولم يقيد بمدة أو قيد بزيادة على أربعة أشهر كان علينا إمهاله أربعة أشهر ، فإذا مضت فهو بالخيار إما رجع إلى نكاح امرأته وكفَّر عن يمينه ، وكانت زوجته بعد مضي المدة كما كانت زوجته قبلها أو طلقها وكان له حكم المطلق لامرأته ابتداءً .

● وأما إذا وقَّت بدون أربعة أشهر فإن أراد أن يبر في يمينه اعتزل امرأته التي حلف منها حتى تنقضي المدة كما فعل رسول الله ﷺ حين آلى من نسائه شهرًا فإنه اعتزلهن حتى مضى الشهر ، وإن أراد أن يطأ امرأته قبل مضي تلك المدة التي هي دون أربعة أشهر حنث في يمينه ولزمته الكفارة ، وكان ممتثلًا لما صح عنه ﷺ من قوله : « من حلف على يمين

فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه »[1] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على أي شيء يكون الحلف (أي : الإيلاء) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الحلف يكون على ترك الجماع ، بينما ذهب فريق آخر إلى أن الإيلاء الحلف على ترك الكلام أو على أن يغيظها أو لا يجامعها أو يسوءها أو نحو ذلك ، وهذا التأويل يشهد له العموم الوارد في الآية ، والجماع داخل فيه . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي مدة الإيلاء ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم (كما نقل عنهم الصنعاني) إلى أنها لا بد أن تكون أكثر من أربعة أشهر ، ونقل عنهم الشوكاني أنها أربعة أشهرٍ فصاعدًا ، وذلك لأن الرجل إذا حلف على ترك جماعها ثلاثة أشهرٍ مثلًا فلا معنى لتربصه أربعة أشهر ، وهذا هو الأظهر والله أعلم .

أما ما ورد من أن النبي ﷺ آلى من نسائه شهرًا[2] فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : آلى بمعنى حلف ، وليس المراد به الإيلاء العرفي في كتب الفقه على رأي معظم الفقهاء .

قلت : أي أن إيلاء النبي ﷺ من نسائه شهرًا وإن سمي إيلاءً إلا أنه لا يقع فيه تربص ولا تتعلق به أحكام الإيلاء التي نحن بصددها . والله أعلم

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ٩/٤٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : آلى رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسعًا وعشرين ثم نزل فقالوا : يا رسول الله آليت شهرًا فقال : « الشهر تسع وعشرون » .

س : إذا حلف الرجل أن لا يطأ امرأته ثم بدا له أن يجامعها قبل مضي الأربعة أشهر هل له ذلك ؟

ج : نعم له ذلك لقول النبي ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه »[1] .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يكون الحلف في قوله تعالى : ﴿ يؤلون ﴾ [البقرة : ٢٢٦] ؟

ج : يكون الحلف بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته فقد قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت »[2] وقال عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[3] ، هذا وإن كان جمهور العلماء ذهبوا إلى أن الإيلاء ينعقد بكل يمين (كما نقل ذلك عنهم الصنعاني في سبل السلام) إلا أن رأي من قال من أهل العلم : إن الحلف يكون بالله فقط هو الأصح لما قدمناه من دليل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يكون الإيلاء في الغضب والرضا أم في الغضب فقط ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الإيلاء يكون في الغضب فقط

---

(١) صحيح وقد تقدم ، وقد أخرجه مسلم حديث (١٦٥١) من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (حديث ٦٦٤٦) ، ومسلم (١٢٦٧) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (ص ١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : وعلة من قال : (إنما الإيلاء في الغضبِ والضرار) أن الله تعالى ذكره إنما جعل الأجل الذي أجَّل في الإيلاء مخرجًا للمرأة من عضل الرجل وضراره إياها فيما لها عليه من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف وإذا لم يكن الرجل لها عاضلًا ولا مُضارًّا بيمينه وحلفه على ترك جماعها بل كان طالبًا بذلك رضاها وقاضيًا بذلك حاجتها لم يكن بيمينه تلك مُوليًا لأنه لا معنى هنالك لحق المرأة به من قبل بعلها مساءة وسوء عشرة فيجعل الأجل الذي جعل للمولى لها مخرجًا منه .

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا وهذا القول – أعني أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا سواء – هو الذي اختاره **ابن جرير الطبري رحمه الله** وقال : وعلة من قال ذلك عموم الآية وأن الله تعالى ذكره لم يخصص من قوله : ﴿ الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ [البقرة : ٢٢٦] بعضًا دون بعض بل عمَّ به كل مولٍ ومُقسم فكل مقسم على امرأته لا يغشاها مدة هي أكثر من الأجل الذي جعل الله له تربُّصه فَمول من امرأته عند بعضهم وعند بعضهم هو مولٍ ، وإن كانت مدة يمينه هو الأجل الذي جُعل له تربُّصه والله أعلم .

● **وقال ابن قدامة في المغني :** ولا يشترط في الإيلاء الغضب ولا قصد الإضرار ، روي ذلك عن ابن مسعود وبه قال الثوري والشافعي وابن المنذر وأهل العراق ، وذكر ابن قدامة رحمه الله من قال إن الإيلاء يكون في الغضب فقط ، ورجَّح أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا .

❋ ❋ ❋

---

(١) صح ذلك عنه عند ابن جرير الطبري (٤/٤٦١) .

س : إذا انقضت الأربعة أشهر من ابتداء الإيلاء هل تطلق المرأة على زوجها أم يُوقف المؤلى ويجبر على أحد شيئين إما على الفيء وإما على الطلاق ؟

ج : في ذلك خلاف بين أهل العلم .

فذهب فريق منهم إلى أنه بمجرد انقضاء الأربعة أشهر تطلَّق المرأة على زوجها ، ثم اختلفوا هل هي تطليقة بائنة أو رجعية ؟ فذهب بعضهم إلى أنها تطلق تطليقة بائنة بمجرد انقضاء الأربعة أشهر ، صح ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (كما عند الطبري) .

وذهب آخرون إلى أنها تطليقة يملك فيها الزوج الرجعة ، صح ذلك عن سعيد بن المسيب وغيره (كما عند الطبري) .

بينما ذهب آخرون من أهل العلم – وهم الجمهور – إلى أن المدة (وهي الأربعة أشهر) إذا انقضت يُخيَّر الحالف فإما أن يفيء وإما أن يطلِّق .

ورأي الجمهور هذا هو الذي تطمئن إليه النفس وتسكن إليه ولا سيما وقد قال به جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد أخرج الشافعي[1] بإسناد صحيح إلى سليمان بن يسار قال : أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يوقف المولي .

● وأخرج أيضًا بإسناد صحيح[2] إلى عمرو بن سلمة قال : (شهدت عليًّا رضي الله عنه أوقف المولي) .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند الشافعي (ص ٢٤٨) .

(٢) مسند الشافعي (ص ٢٤٨) ، وقد ورد عن عليٍّ قول آخر عند الطبري (٤/٤٧٨) في اعتبارها طلقة بائنة .

وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

س : ما معنى ما يلي :

قـروء – بعولتهن ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهـا
قـروء	القروء جمع قُرء ، والقُرء اختلف فيه ، فقيل : إنه الطهر وقيل : إنه الحيض
بعولتهن	أزواجهن

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالقروء ؟

ج : القروء جمع قرء ، وقد اختلف أهل العلم في تفسير المراد بالقرء على قولين :

أحدهما : أن المراد بالقرء : الطُّهر ، وقد قال بهذا بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم فصح ذلك عن أم المؤمنين عائشة[1] رضي الله عنها ، وصح كذلك عن زيد بن ثابت[2] وابن عمر[3] رضي الله عنهم ونقله ابن القيم[4] والشوكاني[5] رحمهما الله عن فقهاء المدينة وغيرهم .

الثاني : أن المراد بالقُرء الحيض ، وقد صح ذلك عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم[6] ، ونقله ابن القيم أيضًا عن أبي بكر وعثمان وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم[7] .

وهكذا جاء الخلاف بعد عصر الصحابة إلى عصرنا هذا في المراد بالقرء هل هو الحيض أو الطهر فالعلم عند الله تعالى ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه كما قال النبي ﷺ .

---

(١) أثر عائشة رضي الله عنها عند مالك في الموطأ (ص٥٧٦) ، وابن جرير الطبري (ص٥٠٦) .

(٢) أثر زيد بن ثابت عند الطبري (ص٥٠٧) ، وسعيد بن منصور (رقم ١٢٢٦) .

(٣) أثر ابن عمر عند مالك (٥٧٨/١) .

(٤) زاد المعاد (٦٠١/٥) .

(٥) الشوكاني في نيل الأوطار (٢٩١/٦) .

(٦) والأسانيد عنهم بذلك عند سعيد بن منصور (ص٢٩٢) .

(٧) انظر الآثار بذلك عنهم عند ابن جرير الطبري (٥٠٠/٤) فما بعدها ومصنف عبد الرزاق (٣١٥/٦) فما بعدها .

● هذا وعلى قول من قال : إن المرادِ بالقروء الأطهار عندهم أن المرأة إذا دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها ولا ترثه ولا يرثها ، وعلى قول من قال : إن المراد بالقرء الحيض فإذا طلق الرجل امرأته فهو أحق برجعتها ، وبينهما الميراث ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة ، والعلم عند الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : هذا – والله تعالى أعلم – أمرٌ من الله سبحانه وتعالى للمطلقات ذوات الأقراء (أي : اللواتي يحضن ويطهرن من الحيض) المدخول بهن أن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ومعنى التربص كما قاله الطبري رحمه الله تعالى : هو التوقف عن النكاح وحبس النفس عنه ، فالمعنى : أن المطلقة تمكث بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء المخلوق في الأرحام الذي نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كتمانه وما هو سبب الكتمان ؟

ج : أما الشيء المخلوق في الأرحام الذي نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كتمانه فهو الحيض أو الحَبَل تقول المرأة : إني قد حضت وهي لم تحض ، أو تقول : إني حبلى وليست بحبلى أو عكس ذلك ، وسبب ذلك ما ذكره الرازي في تفسيره حيث قال : وذلك لأن المرأة لها أغراض كثيرة في كتمانها ، أما كتمان الحبل فإن غرضها فيه أن انقضاء عدتها بالقروء أقل زمانًا من انقضاء عدتها بوضع الحمل فإذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة ،

وربما كرهت مراجعة الزوج الأول ، وربما أحبت التزوج بزوجٍ آخر أو أحبت أن يلتحق ولدها بالزوج الثاني ، فلهذه الأغراض تكتم الحبل ، وأما كتمان الحيض فغرضها فيه أن المرأة إذا طلقها الزوج وهي من ذوات الأقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الأول ، وقد تحب تقصير عدتها لتبطيل رجعته ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات ؛ لأنها إذا حاضت أولًا فكتمته ثم أظهرت عند الحيضة الثانية أن ذلك أول حيضها فقد طولت العدة ، وإذا كتمت أن الحيضة الثالثة وجدت فكمثل ، وإذا كتمت أن حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها ، فثبت أنه كما أن لها غرضًا في كتمان الحبل فكذلك في كتمان الحيض ، فوجب حمل النهي على مجموع الأمرين .

❋ ❋ ❋

س : هل القول في حيض المرأة قولها أو نأتي بنسوة يكشفن عنها ؟

ج : القول في ذلك قول المرأة ، وذلك لقوله تعالى ﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ... ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، وأيضًا لم يكن السلف يفتحون النساء فينظرون إلى فروجهن ، لكن إذا أتت المرأة بشيء غير معقولٍ من القول كأن ادَّعت أنها حاضت ثلاث حيض في عشرة أيام مثلًا فلا تُصدق ولا يقبل منها ، **قال ابن المنذر (كما نقل عنه القرطبي)** : وقال كل من حفظت عنه من أهل العلم إذا قالت المرأة في عشرة أيام : قد حضت ثلاث حيض وانقضت عدتي إنها لا تصدق ، ولا يقبل ذلك منها إلا أن تقول : قد أسقطت سقطًا قد استبان خلقه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، ما المراد به ؟

ج : المراد به في العدة[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا أراد الرجل مراجعة زوجته المطلقة طلاقًا رجعيًّا وهي ما زالت في عدتها وامتنعت المرأة ، ما العمل ؟

ج : يراجعها ويُشهد على ذلك فتكون قد رجعت شاءت أم أبت ، ولا اعتبار لرأيها .

قال القرطبي رحمه الله : وأجمع العلماء على أن الحرَّ إذا طلق زوجته الحرة ، وكانت مدخولًا بها تطليقة أو تطليقتين أنه أحق برجعتها ما لم تنقضِ عدتها ، وإن كرهت المرأة ؛ فإن لم يراجعها المطلِّق حتى انقضت عدتها فهي أحق بنفسها ، وتصير أجنبية منه لا تحل له ! إلا بخطبة ونكاح مستأنف بوليٍّ ، وإشهاد ليس على سنة المراجعة ، وهذا إجماع من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يلزم المراجع في العدَّة ؟

ج : لا يلزمه شيء سوى الإشهاد على المراجعة .

قال القرطبي رحمه الله : قال المهلب : وكل من راجع في العدة فإنه

---

(١) صح عن إبراهيم (وهو النخعي) ، عند الطبري (٤٧٥٥) ، أنه قال ﴿ وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، قال : في العدة .
وكذلك روي نحوه بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة عند الطبري أيضًا (٤٧٦٠) .
وكذلك صح عن ابن زيدٍ عند الطبري (٤٧٦٤) ، في قوله تعالى : ﴿ وبعولتهن أحق بردهن ﴾ [البقرة : ٢٢٨] أحق برجعتهن ما لم تنقضِ العدة .

لا يلزمه شيء من أحكام النكاح غير الإشهاد على المراجعة فقط ، وهذا إجماع من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك استثناءات من قوله تعالى : ﴿ وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : نعم هناك استثناءات من ذلك ، فالمطلقة ثلاثًا ليس لزوجها ارتجاعها في العدة ؛ فإنها لا تحل لزوجها حتى تنقضي عدتها وتنكح زوجًا غيره بنية المعاشرة (وليس بنيَّة التحليل) ، ثم يجامعها الزوج الجديد ويطلقها وتنقضي عدتها منه ، فحينئذٍ إن شاءت أن تتزوج الزوج الأول تزوجته ، وإلا فلا .

● والزوجة الحامل ، لزوجها ارتجاعها ما لم تضع حملها ؛ فإن وضعت حملها فقد بانت لقول الله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] .

● والمطلقة قبل المسيس ليس لزوجها عليها عدة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ [الأحزاب : ٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ إن أرادوا إصلاحًا ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : فائدته بيان أنه يجب أن يكون القصد من المراجعة هو الإصلاح ، أما الإرجاع بقصد الإضرار ، فلا يجوز لقوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوًا ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، والله أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن فيُحسن صحبتها كما تحسن صحبته ويتزين لها كما تتزين له وعليه أن لا يضارها كما عليها أن لا تضاره وعليه أن يعاشرها بالمعروف كما أن عليها أن تعاشره بالمعروف ويتقي الله فيها كما تتقي الله فيه .

وقال القرطبي رحمه الله : ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجل فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره ، وإن رأى الرجل من نفسه عجزًا عن إقامة حقها في مضجعها أخذ من الأدوية التي تزيد في باهِه وتقوِّي شهوته حتى يعفها .

قلت : ويدخل في ذلك ما أخرجه مسلم من حديث جابر[1] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرحٍ ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

وكذلك يدخل ما جاء في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ : ما حق زوجة أحدنا يا رسول الله ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت »[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسلم حديث رقم (١٢١٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٤٢) وقد توبع بهز تابعه أبو قزعة الباهلي فالحديث صحيح .

س : ما هي الدرجة التي للرجال على النساء ، وما معنى الدرجة ؟

ج : أما الدرجة فهي الرتبة والمنزلة ، أما الدرجة التي للرجال على النساء فلأهل العلم في تعيينها جملة أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بالدرجة القوامة التي للرجل على المرأة كما قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء : ٣٤] فلا تخرج من بيته إلا بإذنه ، وإذا دعاها إلى الفراش وجب عليها إجابته (إلا لعذر شرعي) وتستأذنه لصوم النفل إذا كان حاضرًا ونحو ذلك .

الثاني : أن له ضعفها في الميراث كما قال تعالى : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ٤] وأيضًا هو مخاطب بالجهاد وليست هي كذلك ، وشهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين .

الثالث : أن منصب النبوة والإمامة الصغرى والكبرى وسائر الولايات مختص بالرجال .

الرابع : أن تلك الدرجة نالها الرجل بما بذله لها من صداق ، وأنها إذا قذفته أقيم عليها الحد ، وإذا قذفها لاعن .

الخامس : أن الآية الكريمة فيها حض الرجال ، وحثهن على حسن المعاشرة – فكما أن الله عز وجل فضل الرجال بالعقل والقوة ، وتلك الدرجة – فعلى الرجل أن يشكر تلك النعمة ولا يتعامل معها بعقلٍ كعقلها فإنه إذا تعامل معها بعقلٍ كعقلها أصبح مثلها ولكنه يعفو ويصفح ولا يؤاخذها بالصغير والكبير إنما يعفو ويصفح ويُسدِّد في ذلك ويقارب ، واختار الطبري هذا الرأي فقال : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله

ابن عباس[1] وهو أن : (الدرجة) التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع الصفحُ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه ....

ثم قال : وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ؛ فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ليكون لهم عليهن فضل درجة .

● هذا وثمَّ أقوال أُخر في ذلك أضربنا عنها لضعفها البيِّن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أورد الطبري أثر ابن عباس (٤٧٧٦) ، وفيه أن ابن عباس قال : ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، لكن في إسناد الأثر ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع تُكُلِّم فيه لوراق السوء الذي كان يلازمه .

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

س : اذكر معنى ما يلي : إمساك بمعروف – تسريح بإحسان – يقيما حدود الله؟

ج :

الكلمة	معناها
إمساك بمعروف	الإمساك المراد به هنا : الرجعة الثانية بعد الطلقة الثانية ، ويراد أيضًا : بالإمساك بالمعروف جملة العشرة الحسنة كما يفعل الرجال مع نسائهم من حسن العشرة
تسريح بإحسان	لأهل العلم قولان في ذلك ، أحدهما : أن المراد الطلقة الثالثة بعد الطلقتين ، والثاني : أن المراد ترك الرجعة بعد التطليقة الثانية حتى تنقضي العدة ، وهذا هو الأصح عندي[1]
يقيما حدود الله	يفعلا ما أمرهما الله به ، وينتهيا عما نهاهما الله عنه

(١) إذ إنها بعد التطليقة الثانية تُعدُّ مطلقة فكيف يأمر الله عز وجل بطلاق مطلَقة ؟!! =

س : ما هي صورة طلاق السُّنة ؟

ج : صورة طلاق السُّنة : إن يطلق الرجل امرأته في طُهرٍ لم يجامعها فيه .

قال القرطبي رحمه الله : وأجمع العلماء على أن من طلق امرأته طاهرًا في طهرٍ لم يمسها فيه أنه مطلِّق للسنة وللعِدة التي أمر الله تعالى بها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ؟

ج : المراد به – والله أعلم – أن الطلاق الرجعي مرتان ، أو بتعبير آخر أن الطلاق الذي تصحبه رجعة (أي يكون للزوج فيه حق مراجعة زوجته) ، هو مرتان فقط ، أما إذا طلقها ثلاثًا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره[1] .

❋ ❋ ❋

س : طلاق الثلاث في المجلس الواحد هل يقع ثلاثًا أم هو واحدة فقط ؟

ج : لأهل العلم في ذلك خلاف ، فذهب الجمهور إلى أنه يقع ثلاثًا ، وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنها تقع واحدة فقط ، وهذا هو الصحيح لما أخرجه مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان

= وهو أيضًا (أي الرأي الثاني) أنسب لقوله تعالى في الآية التي تليها : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، فإن اعتبرنا التسريح بإحسان تطليقة يكون قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] تطليقة رابعة ، وهذا لا وجه له ، فصح ما اخترناه وصححناه ، والله أعلم .

(١) بشرط أن يجامعها الزوج الجديد ، وبشرط أن لا يكون بنية التحليل .

(٢) أخرجه مسلم طبعة الشعب (٦٦٧/٣) ، وأبو داود حديث (٢٢٠٠) ، والنسائي (١٤٥/٦) . =

الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه ابن جرير[1] الطبري وغيره ، وفيه أن رجلًا قال : يا رسول الله يقول الله : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، فأين الثالثة قال : « التسريح بإحسان » ؟

ج : هذا الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وذلك لأنه من طريق أبي رزين ، وأبو رزين تابعي لم يدرك النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ؟

ج : هذا خطاب من الله عز وجل للأزواج ، والمعنى : لا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا مما أعطيتموه لأزواجكم – من مهورٍ وخلافه – شيئًا على وجه المضارة لهن ، إلا إذا خشى الزوجان ألا يقيما حدود الله فيما بينهما وأرادت المرأة الفرقة واختارتها ، فلا جناح عليها حينئذٍ أن تفتدي نفسها منه ببعض المال الذي تبذله له ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= ولمزيد بحث حول هذا الموضوع انظر كتابي (أحكام الطلاق في الشريعة الإسلامية) ، الذي طبعته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

(١) أخرجه الطبري (٤/٥٤٥) .

س : ما معنى الخلع ، وما هو ضابطه شرعًا ؟

ج : **أما الخلع فقال الصنعاني رحمه الله :** هو فراق الزوجة على مال ، مأخوذ من خلع الثوب ، لأن المرأة لباس الرجل مجازًا .

وقال الحافظ ابن حجر : وضابطه شرعًا : فراق الرجل زوجته ببذلٍ قابل للعوض يحصل لجهة الزوج ، وهو مكروه إلا في حال مخافة ألا يقيما – أو واحدٍ منهما – ما أمر به ، وقد ينشأ ذلك عن كراهة العشرة إما لسوء خُلقٍ أو خَلقٍ ، وكذا ترفع الكراهة إذا احتاجا إليه خشية حنث يؤول إلى البينونة الكبرى .

وقال ابن قدامة في المغني : وجملة الأمر أن المرأة إذا كرهت زوجها لخلقه أو خُلقه أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك ، وخشيت ألا تؤدي حق الله تعالى في طاعته جاز لها أن تخالعه بعوضٍ تفتدي به نفسها لقوله الله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأدلة على مشروعية الخلع من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ؟

ج : أما الدليل على الخلع من كتاب الله فهو قوله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فإن طبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] .

● ومن سنة رسول الله ﷺ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[1] . قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٣٩٥) .

ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ما أنقم على ثابتٍ في دينٍ ولا خلق إلا أني أخاف الكفر ، فقال رسول الله ﷺ : « فتردين عليه حديقته ؟ » ، فقالت : نعم فردت عليه وأمره ففارقها .

وما أخرجه مالك في الموطأ[1] من حديث حبيبة بنت سهل الأنصاري أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس ، وأن رسول الله ﷺ خرج إلى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس ، فقال رسول الله ﷺ : « من هذه ؟ » فقالت : أنا حبيبة بنت سهل يا رسول الله ، قال : « ما شأنك » ، قالت : لا أنا ولا ثابت بن قيس ، لزوجها ، فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله : « هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر » ، فقالت حبيبة : يا رسول الله كل ما أعطاني عندي ، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : « خذ منها » فأخذ منها ، وجلست في بيت أهلها .

* * *

س : هل يشرع الخلع في كل الأحوال ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الخلع لا يشرع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة ؛ فيجوز للرجل حينئذٍ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة ؛ فلا يجوز في غيرها إلا بدليل والأصل عدمه .

وذهب الإمام الشافعي إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق ، وعند الاتفاق بطريق الأولى والأحرى ؛ نقل ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥٦٤/٢) ، وأبو داود (٢٢٢٧) ، والنسائي (٣١٢/٧) ، والبيهقي (٣١٢/٧ - ٣١٣) ، وإسناده صحيح .

س : هل يجوز للرجل أن يأخذ من امرأته أكثر مما أعطاها ليخالعها ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته أكثر مما أعطاها ، وهم الجمهور[1] ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، بينما ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنه لا يجوز أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها ، وذلك لحديث رسول الله ﷺ : « أتردين عليه حديقته » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الحال التي يُخاف عليها أن لا يقيما حدود الله حتى يجوز للرجل أن يأخذ حينئذٍ منها ما آتاها ؟

ج : **أورد الطبري هذا السؤال وأجاب بقوله :** قيل حال نشوزها وإظهارها له بغضته حتى يُخاف عليها ترك طاعة الله فيما لزمها لزوجها من الحق ، ويُخاف على زوجها بتقصيرها في أداء حقوقه التي ألزمها الله له تركه أداء الواجب لها عليه ، فذلك حين الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله فيطيعاه فيما ألزم كل واحد منهما لصاحبه ، والحال التي أباح النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس أخذ ما كان آتى زوجته إذا نشزت عليه بغضًا معها له .

● **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان) :** أي تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ، ويخاف الزوج أنه إذا لم تطعه أن يعتدي عليها .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقال الإمام مالك رحمه الله : لم أر أحدًا ممن يُقتدى به يمنع ذلك ، لكنه ليس من مكارم الأخلاق .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن الرجل إذا طلق امرأته التطليقة الثالثة بعد التطليقتين فإن امرأته لا تحل له بعد هذه التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجًا غيره ويطأها ذلك الزوج الجديد ويكون قصد ذلك الزوج الجديد الرغبة في المرأة وفي دوام عشرتها ، فإن قدر الله وطلَّق هذا الزوج الجديد هذه المرأة فإنها حينئذٍ تحل لزوجها الأول بعقد نكاح جديد وولي وشهود .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ (النكاح) في قوله تعالى : ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – بالنكاح الجماع ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي ، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزَّبير القرظي وإنما معه مثل الهُدبة[2] ، قال رسول الله ﷺ : « لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته » .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٦١/٩) ، ومسلم (٦٠٦/٣) .

(٢) الهدبة هي طرف الثوب الذي لم ينسج .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

س : اذكر معنى ما يلي : ظلم نفسه – يعظكم به ؟

ج :

الكلمة	معناها
ظلم نفسه	أكسبها إثمًا ، وأوجب لها من الله العقوبة والعذاب
يعظكم به	يذكِّركم به – يخوِّفكم به

❋ ❋ ❋

س : أي نوع من أنواع الطلاق أُريد بقوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن ﴾ [البقرة : ٢٣١] ؟

ج : المراد : الطلاق الرجعي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأجل في قوله تعالى : ﴿ فبلغن أجلهن ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وما المراد ببلوغه ؟

ج : الأجل هو الميقات ، والمراد به : انقضاء القروء الثلاثة للمرأة إذا كانت من ذوات الأقراء (أي : كانت تحيض وتطهر من حيضها) ، أو انقضاء الأشهر الثلاثة لمن كانت من ذوات الأشهر ، كما قال تعالى : ﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾ [الطلاق : ٤] ، أو وضع الحمل إذا وضعت المطلقة حملها .

أما المراد ببلوغ الأجل هنا : فهو مقاربة بلوغ الأجل .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : معنى (بلغن) قاربن بإجماع من العلماء ، ولأن المعنى يضطَّر إلى ذلك ، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك ، وهو في الآية التي بعدها بمعنى التناهي ، لأن المعنى يقتضي ذلك ، فهو حقيقة في الثانية مجاز في الأولى .

❋ ❋ ❋

س : كيف يمسك الزوج المرأة ضرارًا ليعتدي ؟

ج : لذلك صور ، منها أنه يطلقها ويتركها حتى تقترب عدتها من الانتهاء ، ثم يراجعها ولا حاجة له فيها ولا يريد معاشرتها ، وإنما يمسكها ليطوِّل العدة عليها ويؤذيها بذلك ، أو يطول العدة عليها ليجبرها على الخلع كي يأخذ الصداق منها ويذهب ببعض ما آتاها .

س : ما مدى صحة حديث : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة[1] » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد أخرجه أبو داود[2] والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن أردك قال فيه النسائي : منكر الحديث ، ووثقه ابن حبّان والحاكم ، ومن المعلوم أن ابن حبان والحاكم من المتساهلين في التوثيق .

وللحديث شواهد واهية ضعيفة أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في التلخيص الحبير ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : رجل طلق زوجته وقال : إني كنت هازلًا ، هل يقع طلاقه ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن طلاقه يقع ، ومن حججهم قوله تعالى : ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوًا ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والعتاق » ، وقد بيَّنا ضعف الحديث .

● **قال الخطابي رحمه الله (في معالم السنن) :** اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل ، فإنه مؤاخذ به ولا ينفعه أن يقول : كنت لاعبًا أو هازلًا أو لم أنوِ به طلاقًا ، أو ما أشبه ذلك من الأمور ...

---

(١) وفي لفظ : « والعتاق » .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٩٤) ، والترمذي (حديث ١١٨٤) ، وابن ماجه حديث (٢٠٣٩) .

● **وقال القرطبي في تفسيره :** ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلًا أن الطلاق يلزمه .

قلت : ومن الأئمة – كمالك وأحمد رحمهما الله – من يذهب إلى أن اللفظ الصريح في الطلاق يفتقر إلى نية ، ودليلهم قول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » ، وقول الله عز وجل : ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٧] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يتخذ الرجل آيات الله هزوًا ؟

ج : يُعرض عنها ويتهاون في العمل بها ، ولا يبالي بحرمات الله عز وجل ، فيقول الرجل : قد طلقت قد راجعت ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالحكمة في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة : ٢٣١] ؟

ج : المراد بالحكمة هنا – ، والله تعالى أعلم – السُّنة ، وقيل المراد بها : الفقه ، والأول أولى في هذا الموطن .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن .... ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال : زوجت أختًا لي من رجل فطلَّقها حتى إذا انقضت عدتها

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/١٨٣) .

جاء يخطبها فقلت له : زوجتك وأفرشتك وأكرمتك ، فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبدًا ، وكان رجلًا لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ، فقلت : الآن أفعل يا رسول الله ، قال : فزوجها إياه .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة دلالة على الولاية في النكاح حتى على الثيِّب ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الطبري رحمه الله حيث قال : وفي الآية الدلالة الواضحة على صحة قول من قال : (لا نكاح إلا بولي من العصبة) ، وذلك أن الله تعالى ذكره منع الولي من عضل المرأة إذا أرادت النكاح ، ونهاه عن ذلك ؛ فلو كان للمرأة إنكاح نفسها بغير إنكاح وليِّها إياها ، أو كان لها تولية من أرادت توليته في إنكاحها لم يكن لنهي وليها من عضلها معنى مفهوم ، إذ كان لا سبيل له إلى عضلها ، وذلك أنها إن كانت متى أرادت النكاح جاز لها إنكاح نفسها أو إنكاح من توكله بإنكاحها ؛ فلا عضل هنالك لها من أحد فينهى عاضلها عن عضلها ، وفي فساد القول بأن لا معنى لنهي الله عما نهى عنه صحة القول بأن لولي المرأة في تزويجها حقًّا لا يصح عقده إلا به ، وهو المعنى الذي أمر الله به الولي من تزويجها إذا خطبها خاطبها ورضيت به ، وكان رضى عند أوليائها جائزًا في حكم المسلمين لمثلها أن تنكح مثله ، ونهاه عن خلافه من عَضْلها ، ومنعها عما أرادت من ذلك ، وتراضت هي والخاطب به .

قلت : هذا وسبب نزول الآية الكريمة في امرأة ثيب كما تقدم ، فالولاية في النكاح ثابتة عليها أيضًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : ويعني بقوله : ﴿ أزكى لكم ﴾ [البقرة : ٢٣٢] أفضل وخير عند الله من فرقتهن أزواجهن .

وأما قوله : ﴿ وأطهر ﴾ [البقرة : ٢٣٢] فإنه يعني بذلك : أطهر لقلوبكم وقلوبهن وقلوب أزواجهن من الريبة ، وذلك أنهما إذا كان في نفس كل واحد منهما - أعني الزوج والمرأة - علاقة حبٍّ لم يُؤمن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحله الله لهما ، ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلَّهما أن يكونا منه بريئين ، فأمر الله تعالى ذكره الأولياء إذا أراد الأزواج التراجع بعد البينونة بنكاح مستأنف في الحال التي أذن لهما بالتراجع أن لا يعضل وليته عما أرادت من ذلك وأن يزوجها لأن ذلك أفضل لجميعهم وأطهر لقلوبهم مما يُخاف سُبوقه إليها من المعاني المكروهة ، ثم أخبر تعالى ذكره عباده أنه يعلم من سرائرهم وخفيَّات أمورهم ما لا يعلمه بعضهم من بعض ودلَّهم بقوله لهم ذلك في هذا الموضع أنه إنما أمر أولياء النساء بإنكاح من كانوا أولياءه من النساء إذا تراضت المرأة والزوج الخاطب بينهم بالمعروف ونهاهم عن عضلهن عن ذلك لما علم مما في قلب الخاطب والمخطوبة من غلبة الهوى والميل من كل واحد منهما إلى صاحبه بالمودة والمحبة فقال لهم تعالى ذكره : افعلوا ما أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بي وبثوابي وبعقابي في معادكم في الآخرة ، فإني أعلم من قلب الخاطب والمخطوبة ما لا تعلمونه من الهوى والمحبة ، وفعلكم ذلك أفضل لكم عند الله ولهم ، وأزكى وأطهر لقلوبكم وقلوبهن في العاجل .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد ببلوغ الأجل في قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : المراد ببلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة .

❋ ❋ ❋

۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

س : اذكر معنى ما يلي:

حولين - فصالًا - تسترضعوا أولادكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
حولين	عامين
فصالًا	فطامًا ، وأصله من الفصل أي : الفصل بين الطفل وثدي أمه
تسترضعوا أولادكم	أي : تسترضعوا لأولادكم أي : تطلبوا للأولاد مراضع غير الأمهات ، كقوله : ﴿ وإذا كالوهم ﴾ [المطففين : ٣] أي : كالوا لهم

س : من المراد بالوالدات في قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المراد بـ (الوالدات) هنا : المطلقات[1] اللواتي لهن أولاد من أزواجهن الذين طلقوهن ، ويلحق بهن عموم الوالدات كذلك ، والله أعلم .

* * *

س : هل يجب على الأم[2] إرضاع ولدها ؟ وهل يجب أن تتمم إرضاعه إلى الحولين ؟

ج : لا يجب عليها إرضاع ولدها إلا إذا كان الطفل لا يقبل إلا ثديها وعدم الوجوب لقوله تعالى : ﴿ وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] وكذلك لا يجب عليها إتمام الرضاعة إلى الحولين لقوله عز وجل : ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

* * *

س : إذن فما معنى قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى أن الوالدات أحق بإرضاع أولادهن من غيرهن فإذا طالبت المرأة أن ترضعه فلها ذلك ما دام ذلك بنفس أجر من سواها ، واختار

---

(١) والحامل على اختيار هذا القول شيئان : أحدهما : أن الآية الكريمة ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] جاءت عقب آيات الطلاق فكانت كالمتممة لها .
والثاني : قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ولو كانت الزوجية باقية لوجب على الزوج ذلك بسبب الزوجية لا بسبب الرضاع ، والله تعالى أعلم .

(٢) المراد بها هنا : الأم المطلقة .

الطبري أن في الآية دلالة على الغاية التي يُنتهى إليها في رضاع المولود إذا اختلف والداه في رضاعه ، وأن لا رضاع بعد الحولين يُحرِّم شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بالحولين ؟

ج : ذلك لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين ، وإن أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك ، والزيادة على الحولين أو النقصان عنها إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود وعند رضا الوالدين ، قاله القرطبي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿ كاملين ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟ أليس في ذكر الحولين كفاية لبيان المراد ؟

ج : فائدته دفع ظنٍّ قد يظنه شخص ، فيقول مثلًا إن (حولين) تعني : أغلب الحولين ولا يشترط إتمامهما ، كما قال تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ومعلوم أن المتعجل إنما يتعجل في يومٍ ونصف ، فاحترازًا من هذا الظن جاء التقييد بقوله : ﴿ كاملين ﴾ .

● ومن العلماء من قال : إن ذلك للتأكيد كقوله تعالى : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل الحولان هنا لكل مولود أم لمولودٍ له صفة معينة ؟

ج : الجمهور على أنها لكل مولود ، وذُكر عن بعض أهل العلم أنه يخصها بالمولود الذي مكث في بطن أمه ستة أشهر ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] قالوا : فإن مكث ثمانية أشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرًا ، فإن مكث في بطن أمه تسعة أشهر فرضاعه واحد وعشرون شهرًا ، وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاعة ، ويأخذ الواحد منهما من الآخر[1] ، لكن القول الأول أصح ، قال الطبري رحمه الله :

فإن قال لنا قائل : فإن الله تعالى ذكره قد بيَّن ذلك بقوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، فجعل ذلك حدًّا للمعنيين كليهما ، فغير جائز أن يكون حملٌ ورضاعٌ أكثر من الحد الذي حده الله تعالى ذكره . فما نقص من مدة الحمل عن تسعة أشهر ، فهو مزيد في مدة الرضاع ، وما زيد في مدة الحمل ، نقص عن مدة الرضاع . وغير جائز أن يجاوز بهما كليهما مدة ثلاثين شهرًا ، كما حده الله تعالى ذكره .

قيل له : فقد يجب أن تكون مدة الحمل – على هذه المقالة – إن بلغت حولين كاملين ، أن لا يرضع المولود إلا ستة أشهر ، وإن بلغت أربع سنين ، أن يبطل الرضاع فلا يرضع ، لأن الحمل قد استغرق الثلاثين شهرًا وجاوز غايته = أو يزعم قائل هذه المقالة : أن مدة الحمل لن تجاوز تسعة أشهر ، فيخرج من قول جميع الحجة ، ويكابر الموجود والمشاهد ، وكفى بهما حجة

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٤٩٥٠) من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس في التي تضع لستة أشهر أنها تُرضع حولين كاملين ، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرًا ، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا وعشرين شهرًا . وإسناده صحيح إلا أنه روي مرة عن عكرمة عن ابن عباس ، ومرة أخرى عن عكرمة من قوله (كما عند الطبري ٤٩٥١) .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي عبيد قال : رُفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر فقال : إنها رفعت إليَّ امرأة لا أراها إلا قد جاءت بشرٍّ – أو نحو هذا – ولدت لستة أشهر ! فقال ابن عباس : إذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر ، قال : وتلا ابن عباس : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر فخلَّى عثمان سبيلها .

على خطأ دعواه إن ادعى ذلك . فإلى أي الأمرين لجأ قائل هذه المقالة ، وضح لذوي الفهم فساد قوله .

* * *

فإن قال لنا قائل : فما معنى قوله – إن كان الأمر على ما وصفت –: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، وقد ذكرت آنفًا أنه غير جائز أن يكون ما جاوز حد الله تعالى ذكره ، نظير ما دون حده في الحكم ؟ وقد قلت : إن الحمل والفصال قد يجاوزان ثلاثين شهرًا ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره لم يجعل قوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثين شهرًا ﴾ ، حدًّا تعبد عباده بأن لا يجاوزوه ، كما جعل قوله : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، حدًّا لرضاع المولود الثابت الرضاع ، وتعبد العباد بحمل والديه عند اختلافهما فيه ، وإرادة أحدهما الضرار به . وذلك أن الأمر من الله تعالى ذكره إنما يكون فيما يكون للعباد السبيل إلى طاعته بفعله والمعصية بتركه . فأما ما لم يكن لهم إلى فعله ولا إلى تركه سبيل ، فذلك مما لا يجوز الأمر به ولا النهي عنه ولا التعبد به .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الحمل مما لا سبيل للنساء إلى تقصير مدته ولا إلى إطالتها ، فيضعنه متى شئن ، ويتركن وضعه إذا شئن = كان معلومًا أن قوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ ، إنما هو خبر من الله تعالى ذكره عن أن مِن خلقه مَن حملته أمه وولدته وفصلته في ثلاثين شهرًا = لا أمرٌ بأن لا يُتجاوز في مدة حمله وفصاله ثلاثون شهرًا ، لما وصفناه . وكذلك قال ربنا تعالى ذكره في كتابه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذ وصف أن مِن خلقه مَن حملته أمه ووضعته وفصلته في ثلاثين شهرًا ، فواجبٌ أن يكون جميعُ خلقه ذلك

صفتهم = وأن ذلك دلالةٌ على أن حمل كل عباده وفصاله ثلاثون شهرًا = فقد يجب أن يكون كل عباده صفتهم أن يقولوا إذا بلغوا أشدهم وبلغوا أربعين سنة : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، على ما وَصَف الله به الذي وُصِف في هذه الآية .

وفي وجودنا من يستحكم كفره بالله ، وكفرانه نعم ربه عليه ، وجرأته على والديه بالقتل والشتم وضروب المكاره ، عند استكماله الأربعين من سنيه وبلوغه أشدَّه = ما يعلم أنه لم يعنِ اللَّهُ بهذه الآية صفة جميع عباده ، بل يعلم أنه إنما وصف بها بعضًا منهم دون بعض ، وذلك ما لا ينكره ولا يدفعه أحد . لأن من يولد من الناس لسبعة أشهر ، أكثر ممن يولد لأربع سنين ولسنتين ؛ كما أن من يولد لتسعة أشهر ، أكثر ممن يولد لستة أشهر ولسبعة أشهر .

ومن العلماء من حمل الآية على أنها غاية للرضاع ، قال : فلا رضاع بعد الحولين ، وهذا سيأتي في سؤال مستقل إن شاء الله .

* * *

س : ما حكم الرضاعة بعد الحولين ؟

ج : الرضاعة بعد الحولين لا تحرِّم شيئًا على الصحيح ، وهذا هو رأي جمهور أهل العلم ، ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يُتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وقول النبي ﷺ : « لا يُحرِّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام »[1] .

وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عائشة رضي الله عنها أن

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ١١٦٢ مع تحفة الأحوذي) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٠٢) ، ومسلم (حديث ١٤٥٥) ، وغيرهما .

النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغيَّر وجهه كأنه كره ذلك ، فقالت : إنه أخي ، فقال : « انظرن ما إخوانكن ، فإنما الرضاعة من المجاعة » .

وثمَّ جملة آثار عن الصحابة في ذلك ، منها : ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف[1] من طريق أبي عطية الوادعي قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : إنها كانت معي امرأتي فحُصر لبنها في ثديها فجعلت أمصُّه ثم أمجُّه فأتيت أبا موسى فسألته فقال : حرمت عليك قال : فقام وقمنا حتى انتهى إلى أبي موسى فقال : ما أفتيت هذا ؟ فأخبره بالذي أفتاه ، فقال ابن مسعود ، وأخذ بيد الرجل : أرضيعًا ترى هذا ؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والدم ، فقال أبو موسى : لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم .

وروى مالك في الموطأ[2] عن عبد الله بن دينار أنه قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمر وأنا معه عند دار القضاء يسأله عن رضاعة الكبير ؟ فقال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني كانت لي وليدة وكنت أطؤها فَعَمدَت امرأتي إليها فأرضعتها ، فدخلت عليها فقالت : دونك ، فقد والله أرضعتها فقال عمر : أوجعها وأتِ جاريتك فإنما الرضاعة رضاعة الصغير . وإسناده صحيح .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس قال : لا رضاع إلا ما كان في الحولين[3] .

● وروى مالك في (الموطأ)[4] من حديث ابن عمر قال : لا رضاعة إلا لمن أُرضع في الصغر ، ولا رضاعة لكبير .

● هذا بينما ذهب قليل من أهل العلم إلى أن رضاع الكبير يُحرِّم ،

---

(١) المصنف (٤٦٣/٧) .
(٢) الموطأ ص (٦٠٦) ، وإسناده صحيح .
(٣) وإسناده صحيح (سنن سعيد بن منصور رقم ٩٨٠) .
(٤) الموطأ (٦٠٣/٢) ، وإسناده صحيح .

منهم عائشة رضي الله عنها ، واحتجت بما قالته : جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حَلِيفُهُ) ، فقال النبي ﷺ : « أَرضعيه » قالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير ؟! فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « قد علمت أنه رجل كبير »[1] انتهى .

وخالف في ذلك جمهور العلماء وجمهور أزواج[2] النبي ﷺ ، ورأوا أن هذا خاص بسالم مع أبي حذيفة .

ورأي الجمهور أصح لما قدمناه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح من المراد بـ ﴿ المولود له ﴾ [البقرة : ٢٣٣] وبيِّن عليه رزق مَنْ ؟

ج : المولود له هو : والد الصبي ، وعليه رزق أم الصبي وكسوتها أثناء إرضاعها الطفل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : أي بالمتعارف عليه بين الناس أي بالذي يجب لمثلها على مثله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٣) .

(٢) أخرج النسائي ، وغيره بإسناد صحيح عن عروة قال : أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضعة أحد من الناس - يريد رضاعة الكبير - وقلن لعائشة : والله ما نرى الذي أمر رسول الله ﷺ سهلة بنت سهيل إلا رخصة في رضاعة سالم وحده من رسول الله ﷺ ، والله لا يدخل علينا أحدٌ بهذه الرضعة ولا يرانا .

س : لماذا عُبر بقوله تعالى : ﴿ المولود له ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ولم يُقل : الوالد ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لبيان وجوب النفقة والمؤن على الوالد لأن الأمهات إنما ولدن للآباء ، ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم ، كما قال تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وأيضًا ، – والله أعلم – لقذف الرحمة في قلب الوالد للمرضعة وللولد ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا تكلف نفسٌ إلَّا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** لا يوجب الله على الرجال من نفقة من أرضع من نسائهم إلا ما أطاقوه ووجدوا السبيل إليه ، كما قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق : ٧] .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى : لا تمتنع أم من إرضاع طفلها لتشق بذلك على أبيه ، ولا يمنع الوالد أمَّ الصبي من إرضاعه ليحزنها[1] .

* * *

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٤٩٧٦) قال : قوله : ﴿ لا تضار والدة =

س : من المراد بالوارث ؟ وما المراد بقوله : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ – أن الوارث هو : كل من يرث الأبَ من الرجال والنساء ، وهو قول الحسن والنخعي وأحمد وإسحاق نقله عنهم ابن حجر في فتح الباري (٥١٤/٩) .

٢ – أن الوارث هو : المولود نفسه ، قاله قبيصة بن ذؤيب ، كما عند ابن جرير الطبري (٥٨/٥ ، ٥٩) ، وكما نقله عنه صاحب الفتح .

٣ – أن الوارث هو وارث المولود ، فقالوا معنى الآية : وعلى وارث الصبي إذا كان أبوه ميتًا مثل الذي كان على أبيه في حياته ، وممن قال بهذا القول : قتادة كما عند ابن حرير الطبري وابن حزم في المحلى (٣٣٦/١٠ ، ثم اختلف أهل هذا القول على قسمين :

أ – أن المراد هو : وارث الصبي من عصبته كائنًا من كان : أخًا كان ، أو عمًّا ، أو ابن عم ، أو ابن أخ .

ب – أن المراد : وارث المولود من كان من الرجال والنساء .

٤ – أن الوارث هو : الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر منهما .

ذكر ذلك الطبري في تفسيره عازيًا له إلى سفيان ، ثم ساق بسنده إلى سفيان في صبي له عم وأم وهي ترضعه ، قال : يكون رضاعه بينهما ، ويرفع

= بولدها ولا مولود له بولده ﴾ قال : نهى الله تعالى عن الضرار وقدَّم فيه ، فنهى الله أن يضار الوالد فينتزع الولد من أمِّه إذا كانت راضية بما كان مسترضعًا به غيرها ، ونهيت الوالدة أن تقذف الولد إلى أبيه ضرارًا .

● وأخرج بإسناد صحيح عن ابن زيد (٤٩٨٣) : لا ينتزعه منها وهي تحب أن ترضعه فيضارها ولا تطرحه عليه وهو لا يجد من ترضعه ولا يجد ما يسترضعه به .

عن العم بقدر ما ترث الأم ؛ لأن الأم تجبر على النفقة على ولدها .

قلت : وبين كلام ابن جرير الطبري وما ذكره عن سفيان فرق .

وثم أقوال أُخر في الباب .

والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بالوارث هنا : وارث المولود له ، فإذا مات المولود له كلف ورثته الإنفاق على المرضع حتى الفطام ، والذي حملنا على اختيار هذا الرأي هو أن المولود له هو الذي تقدم ذكره في قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ... ﴾ [البقرة : ٢٣٣][1] . والله تعالى أعلم .

ثانيًا : أقوال أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال ، ولعل سياق الآية الكريمة يوضح المراد ، قال سبحانه : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

- فمن قائل : أن معنى ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أي : يلزم الوارث أن يرزق الوالدة ويكسوها بالمعروف .
- ومن قائل : أن على الوارث أجرة إرضاع المولود .
- ومن قائل : أن على الوارث ترك المضاراة .

وسبب هذا الاختلاف هل الضمير في قوله تعالى : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

---

(١) هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٩/٥١٤) : والجمهور قالوا : ولا غرم على أحدٍ من الورثة ، ولا يلزمه نفقة ولد الموروث ، قلت : وهذا مصير منهم إلى أنهم اختاروا أن قوله : ﴿ الوارث ﴾ هو : الصبي نفسه . والله تعالى أعلم .

يرجع إلى كل ما تقدم من الرزق والكسوة بالمعروف وقبلها الإرضاع وبعدها لا تضار والدة بولدها .. أم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور وهو ترك المضاراة ؟ والذي يظهر لي – والله أعلى وأعلم – أننا ما دُمنا قد اخترنا أن الوارث هو وارث المولود له فيلزمه حينئذ ما يلزم المولود له من الرزق والكسوة بالمعروف وترك المضاراة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بذلك : وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم بالذي يرضعنهم به غيرهن من الأجر ، أو من خيفة ضيعة منكم على أولادكم بانقطاع ألبان أمهاتهم ، أو غير ذلك من الأسباب ؛ فلا حرج عليكم في استرضاعهن إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** أي : إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يستلم منها الولد إما لعذرٍ منها أو لعذرٍ له ، فلا جناح عليهما في بذله ، ولا عليها في قبوله منها إذا سلمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولدها غيرها بالأجرة بالمعروف .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن أرادا فصالًا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى ، كما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحةً له وتشاورا في ذلك وأجمعا

عليه فلا جناح عليهما في ذلك ، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز لواحدٍ منهما أن يستبدَّ بذلك من غير مشاورة الآخر ، قاله الثوري وغيره ، وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره ، وهو من رحمة الله بعباده ، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه ، كما قال في سورة الطلاق : ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] سلمتم من ؟ وما هي صورة المعروف ؟

ج : سلمتم الأمهات ، وسلمتم المسترضعات الأخريات (غير الوالدات) أجورهن وحقوقهن بالمعروف ، والله أعلم .

والمعروف هو : ما تعارف عليه الناس من أجر المرضعات من دون مماطلة لهن ، أو حطٍّ بعض ما هو لهن من ذلك ، فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبي ، والتفريط في شأنه ، والمعنى : أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مُطَيبين لأنفس المراضع بما أمكن ، قاله عدد من أهل العلم .

❋ ❋ ❋

س : من أحق بالطفل الذي لم يميز الأم أم الأب ؟

ج : الأحق به الأم ما لم تتزوج ، وذلك لقول النبي ﷺ : « أنت أحق به ما لم تنكحي » .

قال القرطبي رحمه الله : قال ابن المنذر : أجمع كل من يُحفظ عنه

من أهل العلم على أن الزوجين إذا افترقا ولهما ولد أن الأم أحق به ما لم تنكح ، وكذا قال أبو عمر : لا أعلم خلافًا بين السلف من العلماء في المرأة المطلقة إذا لم تتزوج أنها أحق بولدها من أبيه ما دام طفلًا صغيرًا لا يُميز شيئًا إذا كان عندها في حرزٍ وكفاية ، ولم يثبت فيها فسق ولا تبرج .

❋ ❋ ❋

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾

س : ما معنى : يذرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
يذرون	يتركون

س : هل هذه الآية عامة في كل امرأة توفي عنها زوجها ، أم استثني منها شيء ؟

ج : استثني منها من توفي عنها زوجها وهي حامل ، فالتي توفي عنها زوجها وهي حامل تنقضي عدتها بوضع الحمل ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] .

ولما أخرجه البخاري ومسلم[١] من طريق أبي سلمة قال :

جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالسٌ عنده فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد[٢] زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس : آخر الأجلين ، قلت أنا : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] ، قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي ، يعني أبا سلمة ، فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة يسألها فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخُطبت ، فأنكحها رسولُ الله ﷺ ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

وله سياق آخر[٣] عند مسلم من طريق ابن شهاب قال :

حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله إلى عبد الله بن عتبة يخبر أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة ، وهو في بني عامر بن لؤي ، وكان ممن شهد بدرًا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلَّت

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٠٩) ، ومسلم (٣/٧٠٥) .

(٢) عند مسلم : بعد وفاة زوجها بليالٍ .

(٣) أخرجه مسلم (٣/٧٠٣) .

من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك ، رجل من بني عبد الدار ، فقال لها : ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح ، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي .

❋ ❋ ❋

س : ما هي عدة المسلمة الحرة - غير ذات الحمل - التي توفي عنها زوجها ؟

ج : عدتها أربعة أشهر وعشر ، سواء كانت مدخولًا بها أو غير مدخول بها ، وسواء كانت صغيرة أو كبيرة ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ، ولقول النبي ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا »[1] .

وهذا قول أكثر أهل العلم ، وقد نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ما هي عدة الأَمَةِ المتوفى عنها زوجها ؟

ج : لم نقف على دليل صحيح صريح عن رسول الله ﷺ يوضح عدة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٤ و ٥٣٣٥) ، ومسلم (١٤٨٦ و ١٤٨٧) ، من حديث أم حبيبة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما مرفوعًا ، وعند البخاري ومسلم نحوه ، كذلك عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

الأَمَةِ المتوفى عنها زوجها ، ولكنها مادامت زوجة فينسحب عليها ما ينسحب على الزوجة من أحكام ، ولا تنفصل في حكمٍ من تلك الأحكام عن الزوجة الحرة إلا بدليل ، وإذ لا دليل يفرِّق بينهما فعليه فحكمها في عدتها كحكم الزوجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : امرأة طلقها زوجها طلاقًا رجعيًّا ، فبدأت في العدة فمات أثناء عدتها ، كيف تصنع ؟

ج : إذا مات زوج المطلقة الرجعية فإنها تلغي ما كانت احتسبته من أيام ، ثم تبدأ في عدة الوفاة من جديد ، لأنها زوجة له .

قال ابن قدامة رحمه الله : وإذا مات زوج الرجعية استأنفت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا بلا خلاف .

وقال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على ذلك ، وذلك لأن الرجعية زوجةٌ يلحقها طلاقه ، وينالها ميراثه فاعتدت للوفاة كغير المطلقة .

وقال القرطبي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من طلَّق زوجته طلاقًا يملك رجعتها ثم توفي قبل انقضاء العدة أن عليها عدة الوفاة وترثه .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الإحداد لغةً وشرعًا ؟

ج : الإحداد لغةً معناه : المنع ، وشرعًا : ترك المرأة الزينة والطِّيب وغيرهما مما كان من دواعي الجماع أو المرغبات في الخطبة ، وذلك إذا مات للمرأة ميت ، ويجب عليها الإحداد إذا مات زوجها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي تجتنبه الحادة على سبيل الإجمال ، وما هي الأدلة على ذلك ؟

ج : يجب على الحادة اجتناب الآتي :

الكحل ، والطيب ، والثياب المصبوغة - إلا ثوب العصب[1] - والخضاب ، والمعصفر من الثياب ، والمُمَشَّقة[2] ، والحلي .

أما الأدلة على ذلك فمنها :

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم عطية رضي الله عنها قالت : كنا ننهى أن نحد على الميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهرٍ وعشرًا ، ولا نكتحل ولا نطيب ولا نلبس ثوبًا مصبوغًا إلا ثوب عصب .

ومنها ما أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وغيرهم بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشقة ، ولا الحلي ، ولا تختضب ، ولا تكتحل » .

* * *

س : الحادةُ إذا اشتكت عينها هل يجوز لها أن تكتحل ؟

ج : الحادة ، وإن اشتكت عينها لا تكتحل ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة توفي زوجها فخشوا على عينيها فأتوا على رسول الله ﷺ فاستأذنوه في التكحل فقال : « لا تكتحل ، قد كانت إحداكن تمكث في شر أحلاسها - أو شر بيتها - فإذا

---

(١) ثوب العصب : هو الثوب الذي صُبغت خيوطه قبل أن تنسج .

(٢) هي المصبوغة بالمشق (وهو الطين الأحمر) الذي يسمى بالمغرة .

كان حول فمرَّ كلب رمت ببعرة[1] ، فلا ، حتى تمضي أربعة أشهر وعشر » .

هذا وقد يسر الله سبل العلاج للمسلمين والمسلمات بغير الكحل فهناك القطرة والمراهم ، ونحو ذلك فلا معنى حينئذٍ للتعلل بالمرض لاستعمال الكحل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك ما يرخص للحادة في الاكتحال ليلًا ومسحه نهارًا إذا اشتكت ؟ وما مدى صحة ذلك ؟

ج : نعم ورد ما يرخص للحادة في ذلك إذا اشتكت عينيها ، إلا أنه حديث ضعيف جدًّا ، ألا وهو ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث أم حكيم بنت أُسيد عن أمها : أن زوجها توفي وكانت تشتكي عينها فتكتحل بكحل الجلاء ، فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة فسألتها عن كحل الجلاء فقالت : لا تكتحلي به إلا من أمر لا بد منه يشتد عليك ، فتكتحلين بالليل وتمسحينه بالنهار ، ثم قالت عند ذلك أم سلمة : دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة ، وقد جعلت على عيني صبرًا ، فقال : « ما هذا

---

(١) كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها دخلت شر بيتها (شر مكان في بيتها) ، ولا تغتسل ولا تطيب ولا تقلم ظفرًا حتى يمر عليها عام كامل ، ثم بعد العام تأخذ بعرة وترمي بها الكلب الذي يمر بها إشارة إلى أن ما كانت فيه من إحداد أهون عليها من البعرة ، وذلك لكبر حق الزوج عليها وعظمه ، فكأنها تقول : إن حق زوجي أكبر بكثير مما صنعته ، أو أنها ترمي بالبعرة ولسان حالها يقول : لا أعاد الله هذا .

فالمعنى والله أعلم : أن على المسلمات أن يصبرن على الإحداد على أزواجهن أربعة أشهر وعشرًا كما أمر الله ، فهي مدة يسيرة بالنسبة لما كان يصنع من الجاهلية ، والله أعلم .

يا أم سلمة ؟ » ، فقلت : إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب ، قال : « إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعينه بالنهار .... » الحديث ، وهو ضعيف جدًّا كما قدمنا ، فلا تقوم به حجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث تلزم المتوفى عنها زوجها بالاعتداد في مكان معين ؟ وهل صح من هذه الأحاديث شيء ؟

ج : نعم وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث تبين أين تعتد المتوفى عنها زوجها ، إلا أن هذه الأحاديث لم يصح منها شيء عن رسول الله ﷺ على الراجح ، ومن هذه الأحاديث : حديث الفريعة بنت مالك - أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - وفيه أن النبي ﷺ قال لها : « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » ، وهو ضعيف على الراجح .

● وحديث مرسل من طريق مجاهد - والمرسل من قسم الضعيف - قال : استشهد رجال يوم أحد عن نسائهم وكن متجاورات في داره فجئن النبي ﷺ فقلن : إنا نستوحش يا رسول الله بالليل فنبيت عند إحدانا حتى إذا أصبحنا تبددنا بيوتنا ، فقال النبي ﷺ : « تحدثن عند إحداكن ما بدا لكن حتى إذا أردتن النوم فلتأت كل امرأة إلى بيتها » .

● وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ أمر المتوفى عنها زوجها أن تعتد حيث شاءت ، وهو ضعيف أيضًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هي أقوال أهل العلم في مكان اعتداد المتوفى عنها زوجها ؟

ج : تقدم القول بأن الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب لم يصح منها شيء .

أما بالنسبة للموقوفات على الصحابة ، فقد ذهب عدد منهم رضي الله عنهم إلى أن المتوفى عنها زوجها تعتد حيث شاءت ، منهم : علي وابن عباس

وجابر بن عبد الله وعائشة ، رضي الله عنهم أجمعين .

● فصح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه كان ينقلهن .

● وصح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : تعتد المتوفى عنها حيث شاءت .

● وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إنما قال الله تعتد أربعة أشهر وعشرًا ، ولم يقل تعتد في بيتها ، تَعدُّ حيث شاءت .

● وصح عن عائشة رضي الله عنها أنها حجت بأختها في عدتها .

● بينما صح عن عمر وابنه عبد الله وابن مسعود رضي الله عنهم أنها تعتد في بيتها .

● فصح عن ابن عمر أنه قال : لا تخرج المتوفى عنها في عدتها من بيت زوجها .

● وصح عن ابن مسعود – وقد سأله نساء من همدان نُعي إليهن أزواجهن فقلن : إنا نستوحش ، فقال عبد الله – : تجتمعن بالنهار ثم ترجع كل امرأة منكن إلى بيتها بالليل .

● وورد عن عمر من طريق ابن المسيب عنه أنه ردَّ نساء حاجات ، أو معتمرات توفي أزواجهن من ظهر الكوفة .

وثم آثار في الجانبين للتابعين أعرضنا عن ذكرها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حاصل الأمر في مكان اعتداد المتوفى عنها زوجها ؟

ج : بعد النظر فيما تقدم من أدلة نرى أنه لم يثبت شيء عن رسول الله ﷺ في إلزام المعتدة بلزوم بيت زوجها .

ومادام لم يثبت شيء في هذا الباب ، فنحن مع من قال من أهل العلم : أن المتوفى عنها زوجها تعتد حيث شاءت ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة أن تحمر وجهها أو تصفره بأنواع الصباغات الموجودة الآن ؟

ج : لا يجوز ذلك ، لأنه نوع من الخضاب ، وقد ورد في حديث أم عطية رضي الله عنها عن النبي ﷺ - في بيان المحظورات على الحادة - قال : « ... ولا تختضب .... » ، وهي صحيحة بمجموع طرقها .

وكذا في حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشقة ولا الحلي ، ولا تختضب ، ولا تكتحل » .

هذا وقد قال ابن قدامة في المغني في بيان الممنوعات على الحادة : فيحرم عليها أن تختضب ، وأن تحمر وجهها بالكلكون ، وأن تبيضه باسفيذاج العرايس ، وأن تجعل عليه صبرًا يصفره ، وأن تنقش وجهها ويديها ، وأن تحفف وجهها ، وما أشبهه بما يحسنها .

● وقال ابن القيم : فيحرم عليها الخضاب ، والنقش ، والتطريف ، والحمرة ، والاسفيذاج ، فإن النبي ﷺ نهى عن الخضاب منبهًا به على هذه الأنواع التي هي أكثر زينة منه وأعظم فتنة وأشد مضادة لمقصود الحداد .

* * *

س : هل يجوز للحادة لبس الثياب البياض ؟

ج : نعم يجوز لها ذلك ، إذ لا مانع من ذلك ، إنما الممنوع الثياب المصبوغة - إلا ثوب العصب - والثياب المعصفرة[1] والممشقة ، وقد تقدم النهي عن الثياب المصبوغة في حديث أم عطية رضي الله عنها .

أما الأبيض فليس هناك نص يمنعه .

---

(١) أي : وتمنع أيضًا الثياب المعصفرة والممشقة ، فقوله : والثياب المعصفرة معطوف على الثياب المصبوغة .

قال ابن المنذر – كما نقل عنه القرطبي – : رخص كل من أحفظ عنه في لباس البيض .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس الحرير ؟

ج : لم يرد عن رسول الله ﷺ نصٌّ في منع الحادة من لبس الحرير ، ومن ثمَّ جنح عدد من أهل العلم إلى إباحته .

ومنعه آخرون ، لأنه من الزينة .

واتباع سنة رسول الله ﷺ أولى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس المصبوغ بالأسود ؟

ج : نهى فريق من أهل العلم الحادة عن لبس المصبوغ بالسواد ، وذلك لأن النبي ﷺ نهى الحادة عن لبس الثياب المصبوغة ، والمصبوغ بالأسود من جملتها .

بينما ذهب البعض إلى إباحة ذلك ، لأنه صبغ للتقبيح لا للزينة .

واتباع سنة رسول الله ﷺ أولى ، والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس الثياب المصبوغة بالأحمر والأصفر والأخضر ونحو ذلك ؟

ج : لا يجوز لها ذلك لنهي النبي ﷺ الحادة عن لبس الثياب المصبوغة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة أن تلبس الخاتم أو العقد من الذهب أو الفضة أو اللؤلؤ ؟

ج : لا يجوز للحادة أن تلبس الخاتم أو العقد من الذهب والفضة ونحوها ، وذلك لأنها من جملة الحلي ، وقد صح من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى عن الحلي .

وقال الإمام مالك رحمه الله : ولا تلبس المرأة الحادة على زوجها شيئًا من الحلي خاتمًا ولا خلخالًا ، ولا غير ذلك من الحلي .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة أن تلبس النقاب ؟

ج : لا مانع للحادة من أن تلبس النقاب إذ لم يرد دليل على المنع .

تنبيه : ليس المراد من هذا السؤال أنها تكشف وجهها أو تغطيه ؛ فهذا باب آخر ، وإنما المراد : هل تغطيه بالنقاب أو بالإسدال ، إذ قد عدَّ البعض النقاب من جملة الزينة ، ولكن كما قدمنا لا دليل على المنع ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لو مات رجل وترك امرأة حاملًا فمرت عليها أربعة أشهر وعشر ولم تلد ، هل تحل للزواج ؟

ج : لا تحل للزواج إلا بوضع الحمل .

قال القرطبي رحمه الله : وقد أجمع الجميع بلا خلاف بينهم أن رجلًا لو توفي وترك امرأة حاملًا فانقضت أربعة أشهر وعشر أنها لا تحل حتى تلد .

س : في قوله تعالى : ﴿ ... يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ، هل المراد بالعشر الأيام بلياليها ، أم الأيام فقط ؟

ج : المراد – والله أعلم – الأيام بلياليها ، قاله الطبري رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : هل لذكر العشر في قوله تعالى : ﴿ أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] فائدة ذكرها العلماء ؟

ج : نعم لها فائدة بلا شك ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الروح تُنفخ في الجنين في هذه العشر ، فالله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالتربص في قوله تعالى : ﴿ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؟

ج : التربص هو : الانتظار والامتناع عن النكاح ودواعيه من التطيُّب والتزين .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؟

ج : المراد التزويج والنكاح الحلال الطيب فما دونه من التزين وترك الإحداد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

أكننتم – ستذكرونهن ؟

ج :

الكلمة	معناها
أكننتم	سترتم – أخفيتم – أضمرتم من التزويج بهن بعد انقضاء عدتهن
ستذكرونهن	ستتحدثون في شأنهن

* * *

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟ ومن المراد بالنساء في الآية الكريمة ؟

ج : الخطاب لمن يريد أن يتزوج ، والمراد بالنساء : النساء المعتدات من وفاة أزواجهن وهن مازلن في العدَّة .

* * *

س : ما معنى التعريض ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله تعالى :** وهو (أي : التعريض) ضد التصريح ، وهو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره ، وهو من عُرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم به على الشيء ولا يُظهره .

وقال ابن العربي (في أحكام القرآن) : والتعريض هو : القول المُفْهِم لمقصود الشيء وليس بنصٍّ فيه ، والتصريح هو التنصيص عليه والإفصاح بذكره مأخوذ من عرضِ الشيء وهو ناحيته ، كأنه يحوم على النكاح ولا يسف عليه ، ويمشي حوله ولا ينزل به .

* * *

س : هل يجوز الكلام مع المعتدة بما هو نص في الزواج ؟

ج : لا يجوز الكلام مع المعتدة بما هو نص في الزواج بحالٍ من الأحوال .

قال ابن عطية : أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وتنبيه عليه لا يجوز ، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز ، وكذلك ما أشبهه .

* * *

س : ما العمل فيمن خطب امرأة معتدة من وفاة زوجها أثناء عدتها ؟

ج : قال ابن حزم رحمه الله (المحلى) [1]:

مسألة : ولا يحل لأحد أن يخطب امرأة معتدة من طلاق أو وفاة ، فإن تزوجها قبل تمام العدة فسخ أبدًا ، دخل بها أو لم يدخل ، طالت مدته معها أو لم تطل ، ولا توارث بينهما ولا نفقة لها عليه ولا صداق ولا مهر لها ، فإن كان أحدهما عالمًا فعليه حد الزنى من الرجم والجلد ، وكذلك إن علما جميعًا ، ولا يلحق الولد به إن كان عالمًا ، وإن كانا جاهلين فلا شيء عليهما ، فإن كان أحدهما جاهلًا فلا حد على الجاهل ، فإن كان هو الجاهل ؛ فالولد به لاحق ، فإذا فسخ النكاح وتمت عدتها ، فله أن يتزوجها إن أرادت ذلك كسائر الناس ، إلا أن يكون الرجل طلق امرأته فله أن يرتجعها في عدتها منه ما لم يكن طلاق ثلاث ، وكذلك الرجل تكون تحته الأمة ويدخل بها فتعتق فتخير ، فتختار فراقه ويفسخ نكاحه ، فتعتد بحمل أو بالأطهار أو بالشهور ، فله وحده دون سائر الناس أن يخطبها في عدتها منه ، فإن رضيت به فله نكاحها ووطؤها .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى) [2].

عن امرأة فارقت زوجها ، وخطبها رجل في عدتها ، وهو ينفق عليها : فهل يجوز ذلك ؟ أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله . لا يجوز التصريح بخطبة المعتدة ؛ ولو كانت في عدة وفاة باتفاق المسلمين . فكيف إذا كانت في عدة الطلاق ؟! ومن فعل ذلك يستحق العقوبة التي تردعه وأمثاله عن ذلك ، فيعاقب الخاطب

---

(١) المحلى (٤٧٨/٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٣٢) .

والمخطوبة جميعًا ، ويزجر عن التزويج بها ؛ معاقبة له بنقيض قصده . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور التعريض بالخطبة للمتوفى عنها زوجها وهي في العدة ؟

ج : من ذلك : ما أخرجه البخاري عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما : ﴿ فيما عرضتم به من خِطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، يقول : (إني أريد التزويج ولودِدت أنه يُيسر لي امرأة صالحة) .

● وما أخرجه مالك في الموطأ بإسناد صحيح[2] إلى القاسم بن محمد أنه كان يقول في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أن يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها من وفاة زوجها : إنك عليَّ لكريمة ، وإني فيك لراغب ، وإن الله لسائق إليك خيرًا ورزقًا ، ونحو هذا من القول .

● وأخرج الطبري[3] بإسناد صحيح عن عبيدة قال في هذه الآية : قال : (يذكرها إلى وليِّها يقول : لا تسبقني بها) ، إلى غير ذلك من صور التعريض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (حديث ٥١٢٤) .

(٢) الموطأ (ص ٥٢٤) ، والطبري في التفسير (٥١٢٥) ، والبيهقي في السنن الصغرى (٣٦/٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٩/٤) .

(٣) الطبري (أثر ٥١٠٥) .

س : إذا تزوَّج رجل امرأة في عدتها من وفاة زوجها فما العمل ؟

ج : إذا تزوَّج رجل امرأة في العدة يُفرَّق بينهما وتُكمل عدتها من زوجها الأول ثم تعتد من الثاني إذا كان قد دخل بها ، وصداقها لها إن كانت تجهل الحكم الشرعي (وقلنا : إنما صداقها لها لما استحل من فرجها) ، أما إن كانت عالمة بأنه لا يجوز لها الزواج ؛ فلإمام المسلمين الحق في أن يعطيها الصداق أو يودعه بيت مال المسلمين من باب التعزير لها وزجر أمثالها ممن تسول لهن أنفسهن مخالفة أمر الله عز وجل .

أما هل يجوز للزوج الجديد – الذي عقد عليها في العدة والذي فُسخ نكاحه منها وأُبطل – أن يتقدم للزواج منها بعد قضائها للعدتين (عدة الزوج الأول وعدة الثاني) أم أنه لا يتزوجها أبدًا .؟

ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (بأسانيد مرسلة تصح بمجموعها)[1] : أنهما لا يتناكحان أبدًا ، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2] رضي الله عنه أنهما يتناكحان بعد قضاء العدة إن شاءا . والنفس أميل في هذا الباب إلى رأي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ لأن الله جل ذكره ذكر المحرمات في كتابه ثم قال : ﴿ وأُحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٤] ، ولم يرد أن النبي ﷺ حرَّم من هذه صفته على هذه المرأة .

والذي يظهر لي أن ما فعله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إنما هو من باب التعزير – والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر السنن الكبرى للبيهقي (٤٤١/٧) ، وسنن سعيد بن منصور (رقم ٩٦٥) ، ومصنف عبد الرزاق (١٠٥٤٣) .

(٢) انظر مسند الشافعي (ص ٣٠١) ، والأم (٢٣٣/٥) ، ومصنف عبد الرزاق (١٠٥٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٤١/٧) ، وسنن سعيد بن منصور (٦٩٩) .

س : هل يجوز التعريض بالخطبة للمطلقة المبتوتة ؟

ج : الصحيح أنه يجوز ، وذلك لما أخرجه مسلم[1] في صحيحه ، وفيه : أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت قيس – وكانت قد طُلقت آخر ثلاث تطليقات – : « اعتدي عند ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمى : تضعين ثيابك ، فإذا حللت فآذنيني » .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز التعريض بالخطبة للمطلقة الرجعية ؟

ج : التعريض بالخطبة للمطلقة الرجعية لا يجوز ؛ لأنها ما زالت زوجة ، والتعريض حينئذٍ يُعدُّ تخبيبًا لها على زوجها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمواعدة سرًّا في قوله تعالى : ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرًّا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بالمواعدة سرًّا هنا : الزنا ، وتأويل الآية على ذلك : أنه يقول لها : قد تزوجتك في نفسي وأنتظر فقط انقضاء العدة فمكنيني من نفسك .

● وذهب غيرهم إلى أن المراد بـ (بالمواعدة سرًّا) : التزوج في السر .

● وذهب آخرون إلى أن المراد بذلك : أخذ عهودهن ومواثيقهن على أن لا يتزوجن غيرهم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٣/٦٩٣) .

س : وضح بعض صور القول المعروف ؟

ج : هو القول الذي أذن الله به ، ومن ذلك ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير[1] قال : ﴿ إلا أن تقولوا قولًا معروفًا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، قال : يقول : إني فيكِ لراغب ، وإني لأرجو أن نجتمع .

● وكذلك ما أخرجه الطبري[2] بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ إلا أن تقولوا قولًا معروفًا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] قال : يقول : (إن لك عندي كذا ، ولك عندي كذا ، وأنا معطيك كذا وكذا) . قال : هذا كله وما كان قبل أن يعقد عقدة النكاح .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا تصححوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة حتى تنقضي الأربعة أشهر وعشر ، أو بمعنى آخر : لا تعقدوا حتى تنتهي العدة[3] .

* * *

---

(١) أخرجه الطبري (٥١٧٢) .

(٢) أخرجه الطبري (٥١٧٨) .

(٣) أخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (٥١٨٢) قوله : ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ قال : حتى تنقضي العدة .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

تمسوهن - تفرضوا لهن فريضة - متعوهن - الموسع - المقتر ؟

ج :

الكلمة	معناها
تمسوهن	تجامعوهن[1]
تفرضوا لهن فريضة	تسموا لهن صداقًا
متعوهن	أعطوهن شيئًا يتمتعن به
الموسع	من وسع الله عليه في رزقه وأغناه
المقتر	المقل من المال

* * *

(١) وصح ذلك عن ابن عباس ، كما عند الطبري (٥١٩٠) .

س : ما هو الجناح المرفوع عن المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ؟

ج : المراد بالجناح هنا : التبعة من المهر ونحوه ، فالمعنى : لا إثم عليكم إذا لم تدفعوا الصداق إلى النساء ما دمتم قد طلقتموهن قبل أن تجامعوهن وقبل أن تسموا (أي : تحددوا) لهن الصداق ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : رجل طلق امرأته قبل أن يجامعها ولم يُسم لها صداقًا ماذا عليه ؟

ج : لا شيء عليه إلا المتعة[1] ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

● وقال الطبري رحمه الله : وأجمع الجميع على أن المطلقة غير المفروض لها قبل المسيس لا شيء لها على زوجها المطلِّقها غير المتعة .

* * *

س : اذكر أقسام المطلقات بالنسبة لتسمية الصداق والدخول بهن وحكم كل قسم منها بالنسبة للمتعة والصداق ؟

ج : المطلقات بالنسبة لما ذكر أربعة أقسام :

الأول : مطلقة غير مدخولٍ بها ولم يُسم (أي : لم يُحدَّد) لها الصداق .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما (٥٢٣٤) قال : إذا طلَّق الرجل امرأته قبل أن يَفرض لها وقبل أن يدخل بها فليس لها إلا المتاع . وأخرج الطبري نحوه كذلك عن الحسن (٥٢٣٥) ، وعن غيره أيضًا .

الثاني : مطلقة غير مدخولٍ بها ، وقد سُمي لها الصداق .

الثالث : مطلقة دخل بها زوجها ، ولم يُسم لها الصداق .

الرابع : مطلقة دخل بها زوجها ، وسمي لها الصداق .

أما بالنسبة لحكم متعة كل منهن وصداقها ، فعلى النحو التالي :

الأول : المطلقة غير المدخول بها ، والتي لم يُسم لها صداق ؛ فليس لها من الصداق شيء[1] ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، لكن لها المتعة لقوله تعالى :﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

الثاني : المطلقة غير المدخول بها وقد سُمي لها صداق ، فهذه لها نصف الصداق لقوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون .. ﴾ الآية [البقرة : ٢٣٧] .

أما بالنسبة لمتعتها : فاختلف أهل العلم فيها ، فمن العلماء من قال : لها متعة لعموم قول الله تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ومنهم من قال : ليس لها متعة[2] ؛ لأن الله

---

(١) والطبري رحمه الله قد نقل الإجماع على ذلك .

(٢) أخرج الطبري (٥٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن عمر أنه كان يقول : لكل مطلقة متعة إلا التي طلَّقها ولم يدخل بها وقد فرض لها فلها نصف الصداق ولا متعة لها .
وأخرج بأسانيد صحيحة إلى سعيد بن المسيب في الذي يطلق امرأته وقد فرض لها ، أنه قال في المتاع : قد كان لها المتاع في الآية التي في الأحزاب ، فلما نزلت الآية التي في البقرة جعل لها النصف من صداقها إذا سمَّى ولا متاع لها ، وإذا لم يُسم فلها المتاع .

تعالى قال : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًّا على المحسنين * وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦ ، ٢٣٧] قالوا : فدل ذلك على التفريق بين التي لم يُسم لها صداق فلها المتعة لقوله تعالى : ﴿ فمتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] والتي سُمي لها صداق فلها نصف الصداق .

الثالث : المطلقة التي دخل بها زوجها ولم يُسم لها صداقًا ثم طلقها ، فهذه لها الصداق لقوله تعالى : ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة .. ﴾ [النساء : ٢٤] ، وهذا الصداق يقدر بمهر مثلها ، وذلك لما أخرجه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق علقمة قال : أُتي عبد الله في امرأةٍ تزوجها رجل ثم مات عنها ولم يفرض لها صداقًا ولم يكن دخل بها ، قال : فاختلفوا إليه ، فقال : أرى لها مثل صداق نسائها ، ولها الميراث ، وعليها العدة ، فشهد معقل بن سنان أن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق بمثل ما قضى .

قلت : وإسناده صحيح .

● أما بالنسبة للمتعة فسيأتي الكلام عليها قريبًا مع البند الرابع .

الرابع : مطلقة دخل بها زوجها وسمى لها الصداق ، فهذه لها الصداق كاملًا لقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ... ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ولقوله تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] ولقول النبي ﷺ « .. فلها الصداق بما استحل من فرجها .. » .

أما بالنسبة لمتعتها ومتعة التي تقدم ذكرها في البند الثالث : فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : لهما متعة[1] لعموم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ولقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ومن العلماء من ذهب إلى أنه لا متعة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١][2] .

---

(١) أخرج الطبري بأسانيد صحيحة (٥٢٠٩ ، ٥٢١٠ ، ٥٢١١ ، ٥٢١٢) إلى الحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير أنهم قالوا : لكل مطلقة متعة .

(٢) قال الطبري رحمه الله :

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : (لكل مطلقة متعة) ؛ لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لكل مطلقة ، ولم يخصص منهن بعضًا دون بعض . فليس لأحد إحالة ظاهر تنزيل عام ، إلى باطن خاص ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره قد خص المطلقة قبل المسيس ، إذا كان مفروضًا لها ، بقوله : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، إذ لم يجعل لها غير النصف من الفريضة ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إذا دل على وجوب شيء في بعض تنزيله ، ففي دلالته على وجوبه في الموضع الذي دل عليه ، الكفاية عن تكريره ، حتى يدل على بطول فرضه . وقد دل بقوله : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، على وجوب المتعة لكل مطلقةٍ فلا حاجة بالعباد إلى تكرير ذلك في كل آية وسورة . وليس في دلالته على أن للمطلقة قبل المسيس المفروض لها الصداق نصف ما فرض لها ، دلالةٌ على بطول المتعة عنه ؛. لأنه غير مستحيل في الكلام لو قيل : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضةً فنصف ما فرضتم) والمتعة . فلما لم يكن ذلك محالًا في الكلام ، كان معلومًا أن نصف الفريضة إذا وجب لها =

= لم يكن في وجوبه لها نفي عن حقها من المتعة ، ولما لم يكن اجتماعهما للمطلقة محالًا – وكان الله تعالى ذكره قد دل على وجوب ذلك لها ، وإن كانت الدلالة على وجوب أحدهما في آية غير الآية التي فيها الدلالة على وجوب الأخرى – ثبت وصحَّ وجوبُهما لها .

هذا ، إذا لم يكن على أنَّ للمطلقة المفروض لها الصداق إذا طُلِّقت قبل المسيس ، دلالةٌ غير قول الله تعالى ذكره : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فكيف وفي قول الله تعالى ذكره : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، الدلالةُ الواضحةُ على أن المفروض لها إذا طلقت قبل المسيس ، لها من المتعة مثلُ الذي لغير المفروض لها منها ؟ وذلك أن الله تعالى ذكره لما قال : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، كان معلومًا بذلك أنه قد دلَّ به على حكم طلاق صنفين من طلاق النساء : أحدهما المفروض له ، والآخر غيرُ المفروض له ، وذلك أنه لما قال : ﴿ أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، علم أن الصنف الآخر هو المفروضُ له ، وأنها المطلقة المفروضُ لها قبل المسيس ، لأنه قال : ﴿ لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، ثم قال تعالى ذكره : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، فأوجبَ المتعة للصِّنفين منهن جميعًا ، المفروضِ لهنَّ ، وغير المفروض لهن ، فمن ادَّعى أن ذلك لأحد الصنفين ، سئل البرهان على دعواه من أصل أو نظير ، ثم عُكس عليه القول في ذلك ، فلن يقول في شيء منه قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأرى أن المتعة للمرأة حق واجبٌ – إذا طلقت ، على زوجها المطلِّقها ، على ما بينا آنفًا – يؤخذ بها الزوج كما يؤخذ بصداقها ، لا يُبرئه منها إلا أداؤه إليها أو إلى من يقوم مقامها في قبضها منه ، أو ببراءة تكون منها له ، وأرى أن سبيلها سبيل صداقها وسائر ديونها قِبَله ، يحبس بها إن طلقها فيها ، إذا لم يكن له شيء ظاهر يباع عليه ، إذا امتنع من إعطائها ذلك .

وإنما قلنا ذلك ، لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، فأمر الرجال أن يمتعوهن ، وأمرُه فرضٌ ، إلا أن يُبين تعالى ذكره أنه عنى به الندبَ والإرشاد ، لما قد بينا في كتابنا المسمى « بلطيف البيان عن أصول الأحكام » ، =

س : هل يجوز لرجل أن يعقد على امرأةٍ ولا يُحدد لها صداقًا عند العقد ؟

ج : نعم يجوز لرجل أن يعقد على امرأة ولا يُحدد لها صداقًا[1] عند العقد ؛ وذلك لقوله تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم

= لقوله : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ولا خلاف بين جميع أهل التأويل أن معنى ذلك : وللمطلقات على أزواجهن متاع بالمعروف ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلن يبرأ الزوجُ مما لها عليه إلا بما وصفنا قبل ، من أداء أو إبراءٍ على ما قد بيّنّا .

* * *

فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذ قال : ﴿ حقًّا على المحسنين ﴾ [البقرة : ٢٣٦] و ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، أنها غير واجبة ، لأنها لو كانت واجبة لكانت على المحسن وغير المحسن ، والمتَّقِي وغير المتقي - فإن الله تعالى ذكره قد أمَرَ جميع خلقه بأن يكونوا من المحسنين ومن المتقين ، وما وجب من حقٍّ على أهل الإحسان والتُّقى ، فهو على غيرهم أوجب ولهم ألزم .

وبعد ، فإن في إجماع الحجة على أن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس واجبةٌ بقوله : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، وجوبَ نصفِ الصداق للمطلقة المفروضِ لها قبل المسيس بقول الله تعالى ذكره : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة :٢٣٦] ، فيما أوجب لهما من ذلك = الدليلُ الواضح أن ذلك حق واجبٌ لكل مطلقة بقوله : ﴿ وللمطلَّقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، وإن كان قال : ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

ومن أنكر ما قلنا في ذلك ، سئل عن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس ، فإن أنكر وجوب ذلك خرج من قول جميع الحجة ، ونوظر مناظرتَنا المنكرين في عشرين دينارًا زكاة ، والدافعين زكاة العروض إذا كانت للتجارة ، وما أشبه ذلك ، فإن أوجبَ ذلك لها ، سئل الفرق بين وجوب ذلك لها ، والوجوب لكل مطلَّقة ، وقد شرط فيما جعل لها من ذلك بأنه حق على المحسنين ، كما شرط فيما جعل للآخر بأنه حقٌّ على المتقين ، فلن يقول في أحدهما قولًا إلا ألزِم في الآخر مثله .

(١) وليس معنى ذلك إسقاط الصداق ، فالصداق فرض ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] ، أي : فريضة .

تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، ومن المعلوم أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح ، فعليه يجوز النكاح من قبل أن تفرض الفريضة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقدار المتعة ؟

ج : المتعة لا تحديد لها على الصحيح ، بل تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والبلدان والأزمان ، ولا تحديد لها لقول الله تعالى : ﴿ على الموسع قَدَرُه وعلى المقتر قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

قال الشنقيطي في أضواء البيان : فإن توافقا على قدرٍ مُعين فالأمر واضح ، وإن اختلفا فالحاكم يجتهد في تحقيق المناط ، فيعين القدر على ضوء قوله تعالى : ﴿ على الموسع قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ... ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : أعطوا المطلقات اللواتي لم تدخلوا بهن نصف الصداق الذي سميتموه لهن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على جبران الخاطر من كتاب الله عز وجل ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فجبر الله خاطر المطلقة بأن جعل لها متعة ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا ﴾ [النساء : ٨] ، فجبر الله خاطر

أولي القربى الذين ليس لهم حظ في الميراث ، وكذلك جبر خاطر اليتامى والمساكين .

● وقوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

فجبر الله خاطر إبراهيم عليه السلام لما كذَّبه قومه ، وجعل كلمة التوحيد ، وجعل النبوة في عقبه (أي : في ذريته ونسله) .

● وجبر الله خاطر يوسف ﷺ بعد أن آذاه إخوته ، فرجع الأمر عليهم ، وقالوا له : ﴿ وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ [يوسف : ٨٨] ، وقالوا له أيضًا : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ [يوسف : ٩١] .

● وجبر الله خاطر المستضعفين فقال : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ... ﴾ [القصص : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ... ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

* * *

س : من هن اللواتي يعفون ؟

ج : هن الأزواج[1] اللواتي وجب لهن نصف الصداق ، وذلك بتطليق

---

(١) أخرج الطبري (٥٢٥٨و٩) ، بإسناده إلى شريح قال : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة :٢٣٧] ، قال : إن شاءت المرأة عفت فتركت الصداق كله .
وأخرج بإسناد صحيح عن نافع قال : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، هي المرأة يطلقها زوجها قبل أن يدخل بها فتعفوا عن النصف لزوجها .

الأزواج لهن قبل المسيس وبعد تسمية الصداق ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من هو الذي بيده عقدة النكاح ؟

ج : اختلف أهل العلم في تعيين الذي بيده عقدة النكاح من هو ؟

فذهب فريق من أهل العلم إلى أنه الولي[1] ، فيكون المعنى على هذا القول : أن للولي الذي يلي عقد نكاح المرأة أن يعفو عن نصف الصداق الذي تستحقه المرأة إذا طلقت قبل المسيس (أي : قبل الجماع) .

● وقال آخرون : إن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج[2] ، فيكون المعنى على هذا القول : أن يعفو الزوج عن تنصيف الصداق ويعطيها الصداق كاملًا .

وبكل قول قد قال فريق من أهل العلم المتقدمين ، والآثار الواردة عنهم قد ذكرها ابن جرير الطبري وغيره ، ورجح الطبري رحمه الله – من عدة وجوه – أن المراد بالذي بيده عقدة النكاح هو : الزوج[3] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ورد ذلك عن ابن عباس[*] (عند الطبري ٥٢٧٤) ، وصح عن علقمة (الطبري ٥٢٧٦) ، والحسن البصري (عند الطبري ٥٢٩٣) ، وإبراهيم (عند الطبري ٥٣٠٤) ، وزيد وربيعة (عند الطبري ٥٣٠٨) ، وغيرهم قالوا : هو الولي .

(٢) صح ذلك عن طاوس ومجاهد (عند الطبري ٥٢٨٣ ، ٥٢٨٩) ، وشريح (٥٣٢٤) ، وابن المسيب (كما عند الطبري ٥٣٣٩) ، وسعيد بن جبير (كما عند الطبري ٥٣٤٦) ، وغيرهم .

(٣) قال الطبري رحمه الله :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : المعني بقوله : ﴿ الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، الزوج ، وذلك لإجماع الجميع على أن وليَّ جارية بكر أو ثَيِّب ، صبية صغيرة كانت أو مدركة كبيرة ، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه إياها ، أو وهبه له أو عفا له عنه – أنَّ إبراءه ذلك وعفوه له عنه باطلٌ ، وأن =

(*) في إسناده ابن جريج ، مدلس ، وقد عنعن .

= صداقها عليه ثابت ثبوتـه قبل إبرائه إياه منه ، فكان سبيلُ ما أبرأه من ذلك بعد طلاقه إياها ، سبيل ما أبرأه منه قبل طلاقه إياها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن ولي امرأةٍ محجور عليها أو غير محجور عليها ، لو وهب لزوجها المطلِّقها بعد بينونتها منه درهمًا من مالها ، على غير وجه العفو منه عما وجب لها من صداقها قِبَله ، أن هبته ما وهبَ من ذلك مردودة باطلةٌ ، وهم مع ذلك مجمعون على أن صداقها مالٌ من مالها ، فحكمه حكم سائر أموالها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن بني أعمام المرأة البكر وبني إخوتها من أبيها وأمها من أوليائها ، وأن بعضهم لو عفا عن مالها [لزوجها ، قبل دخوله بها] ، أو بعد دخوله بها -: أن عفوه ذلك عما عفا له عنه منه باطل ، وأن حق المرأة ثابتٌ عليه بحاله ، فكذلك سبيلُ عفو كلِّ وليٍّ لها كائنًا من كان من الأولياء ، والدًا كان أو جَدًّا أو خالًا ، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص بعضَ الذين بأيديهم عُقد النكاح دون بعض في جواز عفوه ، إذا كانوا ممن يجوز حكمه في نفسه وماله .

ويقال لمن أبى ما قلنا - ممن زعم أن (الذي بيده عقدة النكاح) ، ولي المرأة -: هل يخلو القول في ذلك من أحد أمرين ، إذ كان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي عندك : إما أن يكون ذلك كل ولي جاز له تزويج وليَّته ، أو يكون ذلك بعضهم دون بعض ؟ - فلن يجد إلى الخروج من أحد هذين القسمين سبيلًا .

فإن قال : إن ذلك كذلك .

قيل له : فأي ذلك عُني به ؟

فإن قال : لكل وليٍّ جاز له تزويج وليَّته .

قيل له : أفجائز للمعتق أمةً تزويج مولاته بإذنها بعد عتقه إياها ؟

فإن قال : نعم !

قيل له : أفجائز عفوه إن عفا عن صداقها لزوجها بعد طلاقه إياها قبل المسيس ؟

فإن قال : نعم ؛ خرج من قول الجميع ، وإن قال : لا ! قيل له : ولِمَ ؟ وما الذي حظَر ذلك عليه وهو وليها الذي بيده عقدة نكاحها ؟

ثم يعكس القول عليه في ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبين عفو سائر الأولياء غيره .

وإن قال : لبعض دون بعض ، سُئِل البرهان على خصوص ذلك ، وقد عمه الله =

= تعالى ذكره فلم يخصص بعضًا دون بعض .

ويقال له : من المعنيُّ به ، إن كان المراد بذلك بعضَ الأولياء دون بعض ؟

فإن أومأ في ذلك إلى بعض منهم ، سئل البرهان عليه ، وعُكس القولُ فيه ، وعورض في قوله ذلك بخلاف دعواه ، ثم لن يقولَ في ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن ظن ظان أن المرأة إذا فارقها زوجها فقد بطل أن يكون بيده عقدة نكاحها ، والله تعالى ذكره إنما أجاز عفو الذي بيده عقدة نكاح المطلَّقة ، فكانَ معلومًا بذلك أن الزوج غير معنيٍّ به ، وأن المعنيَّ به هو الذي بيده عقدة نكاح المطلَّقة بعد بينونتها من زوجها ، وفي بطول ذلك أن يكونَ حينئذ بيد الزوج ، صحةُ القول أنه بيد الولي الذي إليه عقد النكاح إليها ، وإذا كان ذلك كذلك ؛ صح القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي = فقد أغفلَ وظن خطأً .

وذلك أن معنى ذلك : أو يعفو الذي بيده عُقدة نكاحه ، وإنما أدخلت « الألف واللام » في « النكاح » بدلًا من الإضافة إلى « الهاء » التي كان « النكاح » – لو لم يكونا فيه – مضافًا إليها ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات : ٤١] ، بمعنى : فإن الجنة مأواه ، وكما قال نابغة بني ذبيان :

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ ، فَالأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

بمعنى : فأحلامهم غير عوازب ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى .

فتأويل الكلام : إلا أن يعفونَ ، أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ، وهو الزوج الذي بيده عقدة نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده = لا أن معناه : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، فيكون تأويل الكلام ما ظنه القائلون أنه الولي ولي المرأة ، لأن وليَّ المرأة لا يملك عقدة نكاح المرأة بغير إذنها ، إلا في حال طفولتها ، وتلك حال لا يملك العقد عليها إلا بعض أوليائها ، في قول أكثر من رأى أنَّ الذي بيده عُقدة النكاح الولي ، ولم يخصص الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] بعضًا منهم ، فيجوز توجيه التأويل إلى ما تأوَّلوه ، لو كان لما قالوا في ذلك وجه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره إنما كنى بقوله : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسُّوهنَّ وقد فرضتم لهنَّ فريضة فنصفُ ما فرضتم إلَّا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٣٧] = عن ذكر النساء اللاتي قد جرى ذكرهن في الآية قبلها ، وذلك قوله : ﴿ لا جناح =

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ؟

ج : الخطاب للزوجات والأزواج ، فيا معشر النسوة المطلقات قبل المسيس علمتم أن لكُنَّ الحق في نصف الصداق ، فإن عفوتم عنه فعفوكم يقرِّبكم من التقوى ، وهو سبب في حشركم في عداد المتقين .

وأنتم يا معشر الأزواج ، يا من طلقتم أزواجكم قبل البناء بهن قد علمتم

= عليكم إن طلَّقتم النساء ما لم تمسُّوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، والصبايا لا يسمين « نساء » ، وإنما يسمين صَبايا أو جواري ، وإنما « النساء » ، في كلام العرب أجمع ، اسم المرأة ، ولا تقول العرب للطفلة والصبية والصغيرة : « امرأة » ، كما لا تقول للصبي الصغير : « رجل » .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله : ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٦] عند الزاعمين أنه الولي إنما هو : أو يعفو الذي بيده عقدة النكاحَ عما وجَب لوليته التي تستحق أن يولِّي عليها مالَها إمَّا الصغرُ وإمَّا السفهُ ، والله تعالى ذكره إنما اقتص في الآيتين قصص النساء المطلقات لعموم الذكر دون خصوصه ، وجعل لهن العفو بقوله : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، كان معلومًا بقوله: ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٤٧] أن المغيبات منهن بالآيتين اللتين ذكرهن فيهما جميعهنَّ دون بعض ، إذ كان معلومًا أن عفو من تولَّى عليه ماله منهن باطل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن التأويل في قوله : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، يوجب أن يكون لأولياء الثيبات الرُّشَّد البوالغ ، من العفو عما وجب لهنَّ من الصداق بالطلاق قبل المسيس ، مثل الذي لأولياء الأطفال الصِّغار المولِّي عليهن أموالَهنَّ السفهُ ، وفي إنكار القائلين : (إن الذي بيده عقدة النكاح الولي) ، عفو أولياء الثيبات الرُّشَّد البوالغ على ما وصفن وتفريقهم بين أحكامهم وأحكام أولياء الأخر – ما أبان عن فساد تأويلهم الذي تأولوه في ذلك .

ويسأل القائلون بقولهم في ذلك ، الفرقَ بين ذلك من أصل أو نظير ، فلن يقولوا في شيء ، من ذلك قولًا إلا ألزموا في خلافه مثله .

أن عليكم لأزواجكم نصف الصداق فقط ، فإن عفوتم لهن عن النصف الباقي ، فهذا أقرب للتقوى ، وسبب في جمعكم مع المتقين ، ولا تنسوا يا معشر النساء ويا معشر الأزواج ما كان بينكم من سابق فضلٍ وإحسان ، والله بما تعملون من عفوٍ وإحسان بصير[1] .

* * *

(١) أخرج الطبري (٥٣٧٠) ، بإسناد حسن عن قتادة ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ [البقرة : ٢٣٧] : يرغبكم الله في المعروف ، ويحثكم على الفضل .

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

قانتين ؟

ج :

الكلمة	معناها
قانتين	مطيعين[1] – خاشعين – ذليلين – ساكتين[2] ، ويطلق القنوت على طول القيام[3] ، ويطلق كذلك على الدعاء

* * *

(١) أخرج الطبري (٥٥١٤) ، بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، يقول : مطيعين .
والمعنى : مطيعين لله فيما أمركم به من ترك الكلام فيها إلا ما شرعه لكم .

(٢) أخرج البخاري (٤٥٣٤) ، من حديث زيد بن أرقم قال : (كنا نتكلم في الصلاة يُكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، فأُمرنا بالسكوت) .

(٣) ومنه حديث : « أفضل الصلاة طول القنوت » .

س : ما المراد بالمحافظة على الصلوات ؟

ج : المراد بالمحافظة عليها : أداؤها في أوقاتها ، وعدم السهو عنها .

* * *

س : في هذه الآية الكريمة : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ... ﴾ [البقرة : ٢٣٨] عطف للخاص على العام ، وضحه وبيِّن فائدته ، واذكر مثالين آخرين من كتاب الله عز وجل له ؟

ج : إيضاحه أن الله عز وجل عطف الصلاة الوسطى على عموم الصلوات مع أنها داخلة فيها ، وفائدته بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى والتركيز عليها وبيان شرفها ، وأما المثالان الآخران :

فأحدهما : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

* * *

س : ما المراد بالصلاة الوسطى ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن المراد بالصلاة الوسطى : صلاة العصر ، وذلك لقول النبي ﷺ يوم الخندق : « حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم - أو أجوافهم - نارًا »[1] .

وفي بعض الروايات : « شغلونا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر .. »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٣٣) ، ومسلم (حديث ٦٢٧) ، من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجها مسلم (ص ٤٣٧ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي) .

هذا وقد ساق الطبري رحمه الله مائة وثلاث عشرة ما بين خبرٍ عن رسول الله ﷺ وموقوفٍ على الصحابي وأثرٍ عن التابعي فمن دونه ، ثم قال : والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ التي ذكرناها قبل في تأويله ، وهو أنها العصر .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم ، ونقل عن الماوردي أنه قول جمهور التابعين .

● **وقال ابن كثير** – بعد أن أورد الأقوال فيها : ومن الأقوال التي أوردها قول الشافعي : إنها الصبح محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، والقنوت عندهم في صلاة الصبح – قال ابن كثير : وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها ، وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمهما الله في كتاب الشافعي رحمه الله :

حدثنا أبي ، سمعت حرملة بن يحيى اللخمي يقول : قال الشافعي : كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ بخلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي ﷺ أولى ولا تقلدوني ، وكذا روى الربيع والزعفراني ، وأحمد بن حنبل عن الشافعي ، وقال موسى أبو الوليد بن أبي الجارود عن الشافعي : إذا صح الحديث ، وقلت قولًا فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك ، فهذا مع سيادته وأمانته ، وهذا نفس إخوانه من الأئمة رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين آمين ، ومن هنا قطع القاضي الماوردي بأن مذهب الشافعي رحمه الله أن صلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وإن كان قد نص في الجديد وغيره أنها الصبح لصحة الأحاديث أنها العصر ، وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ، ولله الحمد والمنة .

ومن الفقهاء في المذهب من ينكر أن تكون هي العصر ، مذهب الشافعي

وصمموا على أنها الصبح قولًا واحدًا .

❋ ❋ ❋

س : لماذا وصفت صلاة العصر بالوسطى ؟

ج : قيل : لتوسطها سائر الصلوات ، وقيل : لأنها أفضل الصلوات لقول النبي ﷺ : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »[1] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله »[2] .

❋ ❋ ❋

س : إذا قلتم : إن المراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر ، فكيف يوجَّه إذن حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم مرفوعًا ، وفيه : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر ..... » ، فقوله على الصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على التغاير بين الصلاة الوسطى وصلاة العصر ، فكيف توجِّهون هذا ؟

ج : توجيه ذلك أن يقال : إن الواو يحتمل أن تكون زائدة .

كما قال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، ويحتمل أن تكون الواو عاطفة للصفات على بعضها ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٣) ، من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٢) ، ومسلم (حديث ٦٢٦) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى ﴾ [الأعلى :١ - ٤] .

وكقول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

● وأيضًا القراءة التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها غير متواترة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فرجالًا أو ركبانًا ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ؟

ج : المراد - والله أعلم - أي : فصلوا على أرجلكم مشاةً[1] ، أو وقوفًا ، أو صلوا على ظهور دوابكم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

وتأويل ذلك : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ، أيها المؤمنون ، من عدوِّكم أن يقدِرَ على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم - ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم - فاطمأننتمْ ، = ﴿ فاذكروا الله ﴾ [البقرة : ٢٣٩] في صلاتكم ، وفي

---

(١) أخرج الطبري (٥٥٤٧) ، بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : ﴿ فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا ﴾ الآية [البقرة : ٢٣٩] ، أحل الله لك إذا كنت خائفًا عند القتال أن تصلي وأنت راكب وأنت تسعى تومىء برأسك من حيث كان وجهك إن قدرت على ركعتين ، وإلا فواحدة .

غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه ، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله ، = كما ذكركم بتعليمه إياكم من أحكامه ، وحلاله وحرامه ، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة ، والأنباء الحادثة بعدكم - في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، التي جهلها غيرُكم وبصَّركم ، من ذلك وغيره ، إنعامًا منه عليكم بذلك ، فعلَّمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون .

* * *

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

س : هل هذه الآية : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم ﴾ [البقرة : ٢٤٠] منسوخة أم محكمة ؟

ج : **ذهب جمهور أهل العلم** إلى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ... ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

● وأخرج البخاري[1] بإسناده إلى ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال : قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ، قال : يا ابن أخي لا أغيِّر شيئًا منه من مكانه .

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية ليست منسوخة ، منهم : مجاهد بن جبر ، فأخرج البخاري[2] من طريق ابن أبي نجيح[3] عن مجاهد ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٣٠) .

(٢) البخاري (حديث ٤٥٣١) .

(٣) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام .

قال : كانت هذه العدةُ تعتد عند أهل زوجها واجب ، فأنزل الله : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروفٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال : جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلةً وصيةً إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءَت خرجت ، وهو قول الله تعالى : ﴿ غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، فالعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن مجاهد ، وقال عطاء : قال ابن عباس : نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتدُّ حيث شاءت ، وهو قول الله تعالى : ﴿ غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال عطاء : إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت لقول الله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنى ، فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها .

قلت : ورأي الجمهور أولى بلا شك ، قال القاضي عياض رحمه الله – كما نقل عنه القرطبي – : والإجماع منعقد على أن الحول منسوخ ، وأن عدتها أربعة أشهر وعشر .

قلت : ودل على هذا قول النبي ﷺ : « إنما هي أربعة أشهر وعشر » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ؟

ج : أي : ليس لأولياء الميت وليس لوارثي الميت أن يخرجوها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الجناح المرفوع في قوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن .

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

س : اذكر معنى ما يلي : ألم تر – ألوف – حذر الموت – يقبض – يبسط ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم .
ألوف	جمع ألف[1] – وقيل : وهم مؤتلفون فيما بينهم[2] لم

(١) وعلى ذلك أكثر أهل العلم .

(٢) أخرج الطبري (٥٥٩٦ و ٥٥٩٧) ، بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ [البقرة : ٢٤٣] ، قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون ، قالوا : نأتي أرضًا ليس فيها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله : ﴿ موتوا ﴾[البقرة : ٢٤٣] ، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم ، =

الكلمة	معناها
	يُخرجهم خلاف[1] .
حذر الموت	خوف الموت[2] .
يقبض	يقتر ويضيِّق على من يشاء ، وقيل : يقبض يد من يشاء عن الإنفاق .
يبسط	يوسِّع على من يشاء ، وقيل : يبسط يد من يشاء فيجعله ينفق .

❋ ❋ ❋

= فأحياهم فتلا هذه الآية : ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

(١) أشار الطبري رحمه الله إلى شذوذ هذا القول : (القول بأنهم خرجوا مؤتلفين) .

(٢) وقال بعض أهل العلم : إنهم خرجوا لطاعونٍ حل ببلادهم ، فالله أعلم .

س : من هم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟

ج : ذكر جمهور المفسرين أنهم قوم من بني إسرائيل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ... ﴾ [البقرة :٢٤٣] وتعقيبها بقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٤٤] ؟

ج : وجه ذلك أن يوضح للناس أن فرارهم من القتال لن يطوِّل أعمارهم ، ولن يباعد آجالهم ، وكذلك إقدامهم على الجهاد في سبيل الله لن يُقَدِّم آجالهم ، وعلى هذا جاءت أقوال أهل العلم .

قال الشنقيطي رحمه الله « في أضواء البيان » :

المقصود من هذه الآية الكريمة ، تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الفرار من الموت لا ينجي ، فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا ينجيه ، هانت عليه مبارزة الأقران ، والتقدم في الميدان ، وقد أشار تعالى أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ الآية [البقرة : ٢٤٤] ، وصرح بما أشار إليه هنا في قوله : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذًا لا تمتعون إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٦] ، وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال ، لأنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه ، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب ، كما قال قعنب بن أم صاحب :

إذا أنت لاقيت في نجدة ... فلا تتهيبك أن تقدما
فإن المنية من يخشها ... فسوف تصادفه أينما

وإن تتخطـــاك أسبابهـــا فـإن قصـاراك أن تهرمـا

وقال زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومـن تخطـئ يعمـر فيهرم

وقال أبو الطيب :

وإذا لـم يكـن مـن المـوت بـد فمـن العجـز أن تكـون جبانًا

ولقد أجاد من قال :

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء في الجبن لا ينجو من القدر

وهذا هو المراد بالآيات المذكورة ، ويؤخذ من هذه الآية عدم جواز الفرار من الطاعون إذا وقع بأرض وأنت فيها ، وقد ثبت عن النبي ﷺ النهي عن الفرار من الطاعون ، وعن القدوم على الأرض التي هو فيها إذا كنت خارجًا عنها .

* * *

س : ما العمل إذا وقع الطاعون ببلدةٍ من البلدان ؟

ج : العمل بما ورد عن رسول الله ﷺ ، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد[1] عن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .

ونحوه عند « البخاري » و « مسلم » ، أيضًا من حديث عبد الرحمن بن عوف[2] رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٢٨) ، ومسلم (حديث ٢٢١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٢٩) ، ومسلم (حديث ٢٢١٩) .

(أي : بالطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إفضال الله عز وجل على الناس في إحيائهم بعد إماتتهم ؟

ج : في ذلك جملة فوائد :

أولها : إثبات البعث والمعاد ، فإذا علموا ذلك عملوا له ، فكان في عملهم نجاة لهم من النار بإذن الله .

الثاني : تشجيع الناس على القتال في سبيل الله وبيان أنه لن يقدم أجلًا ، ولن يؤخروه ، فإذا جاهدوا في سبيل الله نالوا جنة الله عز وجل .

الثالث : أنه سبحانه تفضل على الذين أحياهم بعد أن أماتهم : تفضل عليهم بإحيائهم ليعملوا صالحًا ويستغفروا من ذنوبهم ، ويُذكر الناس بقدرته فيؤمنوا به فيدخلوا الجنة ، جعلنا الله من أهلها .

وثمَّ أوجه أُخر ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٤٤] ؟

ج : الخطاب لأمة محمد ﷺ ، كما قاله جمهور المفسرين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أي أنواع القتال في سبيل الله ؟

ج : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[1] ، كما جاء عن رسول الله ﷺ .

* * *

س : لماذا عُبر عن الصدقة بالقرض في قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ؟

ج : **قال ابن الجوزي في زاد المسير :** فإن قيل : فما وجه تسمية الصدقة قرضًا ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : لأن القرض يُبدل بالجزاء .

والثاني : لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة[2] .

والثالث : لتأكيد استحقاق الثواب به إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به .

* * *

س : كم قدر الأضعاف الكثيرة ؟

ج : بعض العلماء يذكر أنها سبعمائة ضعف لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨١٠) ، ومسلم (حديث ١٩٠٤) ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) قلت : ولا يلزم تأخير الجزاء إلى يوم القيامة فحسب بل يعوض الله عز وجل المنفق خيرًا في الدنيا كذلك ، قال الله سبحانه : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ [سبأ : ٣٩] .

ومنهم من يقول : إن الأضعاف الكثيرة لا يعلم مداها إلا الله فالله عز وجل يرزق من يشاء بغير حساب ، وكما قال النبي ﷺ : « من تصدق بعدل تَمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل »[1] .

* * *

س : كيف يكون القرض حسنًا ؟

ج : تتلخص أقوال العلماء في القرض الحسن في الآتي :

- أن يكون حلالًا طيبًا غير مختلط بالحرام ، ولا بالشبهات .
- أن يخرج عن طيب نفس .
- أن يحتسب صاحبه الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى ويخرجه خالصًا لله لا يشوبه رياء ولا سمعة .
- أن لا يتبعه صاحبه منًّا ولا أذًى ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بإقراض الله عز وجل ؟

ج : المراد - والله أعلم - إقراض الفقراء وأهل الاحتياج ، والإنفاق في سبيل الله ؛ **أما إقراض الفقراء** فكما جاء في الحديث القدسي : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) ، ومسلم (١٠١٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ... » الحديث[1] .

● **أما قولنا : إنه يراد أيضًا الإنفاق في سبيل الله فلأن الآية** الكريمة جاءت عقب الحث على القتال ، ومن المعلوم أن من مستلزمات القتال : الإنفاق في سبيل الله ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ [البقرة :٢٤٥] ، عقب الحث على الإنفاق ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الرازي حيث قال :

أما قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، ففي بيان أن هذا كيف يناسب ما تقدم وجوه :

(أحدها) : أن المعنى أنه تعالى لما كان هو القابض الباسط ، فإن كان تقدير هذا الذي أمر بإنفاق المال الفقر فلينفق المال في سبيل الله ، فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الفقر ، وإن كان تقديره الغنى فلينفق فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الغنى والسعة وبسط اليد ، فعلى كلا التقديرين يكون إنفاق المال في سبيل الله أولى .

(وثانيها) : أن الإنسان إذا علم أن القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا ، وبقي اعتماده على الله ، فحينئذ يسهل عليه إنفاق المال في سبيل مرضاة الله تعالى .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٦٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة ... » فذكره .

(وثالثها) : أنه تعالى يوسع عن عباده ويقتر ، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم ، لئلا يبدل السعة الحاصلة لكم بالضيق .

(ورابعها) : أنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم عليها أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإعانته ، فقال : يبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، يعني : يقبض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ، ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة ، ثم قال : ﴿ وإليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، والمراد به إلى حيث لا حاكم ، ولا مدبر سواه ، والله أعلم .

* * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

الملأ – تولَّوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
الملأ	أشراف الناس ووجهاؤهم ورؤساؤهم
تولَّوا	أعرضوا عن الجهاد

* * *

س : من هو هذا النبي الذي طالبه قومه أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله ؟

ج : لم يرد اسمه في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسول الله ﷺ ، والعبرة حاصلة على كل حال سواء ذكر اسمه أم لم يذكر ، ولو كان في ذكر اسمه فائدة لذكره الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قولهم :﴿ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾[البقرة :٢٤٦]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : وقد طُرد فريق منا من ديارهم وسبيت نساؤهم وسبي أبناؤهم .

* * *

س : ما هو وجه ذكر قصة الملأ من بني إسرائيل مع أنبيائهم ؟

ج : وجه ذلك – والله أعلم – أن فيها بيانٌ وحث ، أما البيان فهو أن بني إسرائيل دأبهم دائمًا مع أنبيائهم التخاذل ، (إلا من رحمه الله منهم) فلما طلب منهم موسى عليه السلام دخول الأرض المقدسة قالوا له كما ذكر الله سبحانه : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة : ٢٤] ، ولما بُعث فيهم طالوت ملكًا اعترضوا فقالوا : ﴿ أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ [البقرة : ٢٤٧] إلى غير ذلك ...

أما الحث فهو حثٌّ لأصحاب محمد ﷺ ولأهل الإيمان ، أي : فقاتلوا مع نبيكم يا أصحاب محمد ، وقاتلوا عن دينكم يا أتباع محمد ، ولا ترتدوا على أعقابكم كما ارتد كثير من بني إسرائيل على أدبارهم ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر آية من كتاب الله تبين أن من أمة محمد ﷺ من طلب القتال ثم لما فرض عليه القتال تولى ؟

ج : هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب .. ﴾ [النساء : ٧٧] .

فقد أخرج النسائي[1] بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا : يا رسول الله إنا كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فقال : « إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا » فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فَكفُّوا ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ﴾ [النساء : ٧٧] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع تمني لقاء العدو ؟

ج : لا يشرع تمني لقاء العدو ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » .

وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي هريرة[3] رضي الله عنه مرفوعًا .

---

(١) سنن النسائي (٣/٦) ، والحاكم في المستدرك (٦٦/٢ ، ٣٠٧) ، وغيرهما .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥) ، ومسلم (١٧٤٢) .
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢٦) ، ومسلم (حديث ١٧٤١) .

● ولا ينسحب هذا على تمني الشهادة فتمني الشهادة مستحب ، وفي الباب حديث : « من سأل الله الشهادة بصدق ؛ بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه »[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ١٩٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه » .
وأخرج أيضًا من طريق سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشة » . (حديث ١٩٠٩) .

وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

اصطفاه – آية ملكه – لآية لكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
اصطفاه	اختاره – فضله – خصَّه
آية ملكه	العلامة والدلالة على كونه ملكًا
لآية لكم	دلالة وعلامة لكم (على صدق ما أخبرتكم به)

س : ما المراد بالتابوت ؟

ج : التابوت صندوق ، لكن ما هي صفة التابوت الوارد في الآية ، الله أعلم بها ، فلم أقف على تفصيلها في شيء من الكتاب أو السنة .

* * *

س : ما هي البقية التي جاءت في التابوت مما ترك آل موسى وآل هارون ؟

ج : لم أقف على دليل ثابت عن رسول الله ﷺ يوضح تلك البقية ، ومن العلماء من قال : إنها عصا موسى ، ومنهم من قال : إنها رضاض الألواح ، ومنهم من قال : هي بعض ما تركه آل موسى وآل هارون من ثياب .

وقال الطبري رحمه الله تعالى – بعد أن أورد جملة آثار في هذا الباب – :

وجائز أن تكون تلك البقية : العصا ، وكِسَر الألواح ، والتوراة ، أو بعضها ، والنعلين ، والثياب ، والجهاد في سبيل الله = وجائز أن يكون بعض ذلك ، وذلك أمرٌ لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم . ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا . وإذ كان كذلك ، فغير جائز فيه تصويب قولٍ وتضعيف آخر غيره ، إذ كان جائزًا فيه ما قلنا من القول .

* * *

س : ما المراد بالسكينة المذكورة في الآية ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالسكينة أقوال :

منها : أن السكينة روحٌ ، أو شيء له روح ، وأنها تنزل مع الملائكة ؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح) (ج ٩/ ص٥٧) ، ومسلم (مع النووي) (٦/٨٢) .

عنهما قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » ، وفي رواية : « للقرآن » .

● وفي رواية لمسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ، إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجو حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ... ، فذكر الحديث ، وفيه : أن النبي ﷺ قال له : « تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » .

فعلى هذا رأى فريق من أهل العلم أن رواية البراء فيها : « السكينة » ، ورواية أبي سعيد فيها : « الملائكة » ، قالوا : فدل ذلك على أن السكينة تنزل مع الملائكة .

● ومن العلماء من قال : إن التابوت لما جاء سكنت نفوس القوم إلى ملك طالوت وذهب الشك الذي كان بأنفسهم .

● ورجح الطبري رحمه الله أنها (أي : السكينة) ما تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها ، فالله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجها مسلم (مع النووي ٨٢/٦) ، وعند البخاري معلقًا (٦٣/٩) ، وأحمد (٨١/٣) .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

فصل - مبتليكم - فئة ؟

ج :

الكلمة	معناها
فصل	خرج
مبتليكم	مختبركم
فئة	جماعة

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فليس مني ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : ليس من أصحابي في هذه الحرب .

* * *

س : ما المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله .. ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ؟

ج : المراد بالظن هنا – والله أعلم – : اليقين والعلم ، كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هآؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ [الحاقة : ١٩ ، ٢٠] .

* * *

س : هل الذين قالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾[البقرة : ٢٤٩] كانوا أهل إيمان أو أهل نفاق ؟

ج : الظاهر أنهم كانوا أهل إيمان ، ولكنهم أقل إيمانًا من القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والدليل على أنهم أهل إيمان أنهم تجاوزوا النهر مع طالوت[1] ، وقد قال البراء : وما جاوزه (أي : وما جاوز النهر) إلا مؤمن .

* * *

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٧٣٦) أنه قال : ويكون المؤمنون بعضهم أفضل جدًّا وعزمًا من بعض وهم مؤمنون كلهم .

● وأخرج الطبري (٥٧٣٨) بإسناد صحيح إلى ابن زيد : الذين لم يأخذوا الغرفة أقوى من الذين أخذوا ، وهم الذين قالوا : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

س : كم عدة الذين جاوزوا النهر مع طالوت ؟

ج : أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما[1] قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ - ممن شهد بدرًا - أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر : بِضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ، ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٧) .

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

س : ما معنى : برزوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
برزوا	صاروا بالبراز من الأرض وهو المكان المتسع – ظهروا

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأذكار التي يقولها المسلم عند لقاء العدو ؟

ج : منها : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة : ٢٥٠] فقد قال ذلك أصحاب طالوت فهزموا جالوت ومن معه .

● ومنها : قول : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران : ١٧٣] كما قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم * الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

● ومنها : ما دعا به رسول الله ﷺ على الأحزاب حيث قال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم »[(١)] .

● ومنها : (اللهم اكفنيهم بما شئت) كما ورد في حديث الملك والساحر والغلام[(٢)] .

* * *

س : ما المراد بالملك وما المراد بالحكمة وما هو الذي علمه اللَّهُ نبيَّه داود عليه السلام ؟

ج : المراد بالملكِ : السلطان ، والمراد بالحكمة هنا : النبوة ، أما العلم الذي علمه الله نبيه داود عليه السلام فمنه ما ذكره الله في كتابه حيث قال : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ﴾ [الأنبياء : ٨٠]

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٩٣) ، ومسلم (مع النووي ٨/٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٨/١٣٠) من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ .. فذكر القصة وفيها أن الغلام قال ذلك .

فعلمه الله صناعة الدروع ، وكما قال تعالى : ﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحًا ﴾ [سبأ : ١١] إلى غير ذلك من أنواع العلوم الدينية والدنيوية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة : ٢٥١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي ، فلولا أن هناك مصلحين يدفع الله بهم فساد المفسدين لأهلك الله الناس بذنوبهم .

وأيضًا يدفع عن قوم بدفاع آخرين عنهم كما وقع لبني إسرائيل فدفع الله بمقاتلة طالوت ومن معه من أهل الإيمان شرور جالوت وجنوده .

والآية كقوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرًا ﴾ [الحج : ٤٠] .

● **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بذلك : ولولا أن الله يدفع ببعض الناس – وهم أهل الطاعة له والإيمان به – بعضًا ، وهم أهل المعصية لله والشرك به – كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له ، وقد أعطاهم ما سألوا ربَّهم ابتداءً : من بَعْثِةِ ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله – بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر ، جالوت وجنوده – ﴿ لفسدت الأرض ﴾ ، يعني : لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ، ففسدت بذلك الأرض – ولكن الله ذو مَنٍّ على خلقه وتطولٍ عليهم ، بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر ، وبالمطيع عن العاصي منهم ، وبالمؤمن عن الكافر .

وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى ذكره أهلَ النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، المتخلفين عن مشاهده والجهاد معه للشك الذي في نفوسهم ومرض قلوبهم ، والمشركين وأهل الكفر منهم ، وأنه إنما يدفع عنهم معاجلتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمانِ المؤمنين به وبرسوله ، الذين هم أهل البصائر والجد في أمر الله ، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعده على جهاد أعدائه وأعداء رسوله ، من النصر في العاجل ، والفوز بجنانه في الآجل .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ تلك آيات الله ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، هذه الآيات التي اقتص الله فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وأمر الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الذين سألوا نبيهم أن يبعث لهم طالوت ملكًا ، وما بعدها من الآيات إلى قوله : ﴿ والله ذو فضل على العالمين ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

ويعني بقوله : ﴿ آيات الله ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، حججه وأعلامه وأدلته .

يقول الله تعالى ذكره : فهذه الحجج التي أخبرتك بها ، يا محمد ، وأعلمتك – من قدرتي على إماتة من هرب من الموت في ساعة واحدة وهم ألوف ، وإحيائي إياهم بعد ذلك ، وتمليكي طالوت أمر بني إسرائيل بعد إذ كان سقاء أو دباغًا من غير أهل بيت المملكة ، وسلبي ذلك إياه

بمعصيته أمري ، وصرفي ملكه إلى داود لطاعته إياي ، ونصرتي أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعف شوكتهم على جالوت وجنوده مع كثرة عددهم وشدة بطشهم – حججي على من جحد نعمتي ، وخالف أمري ، وكفر برسولي من أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية التي يعلمون أنها من عندي ، لم تتخرصها ولم تتقولها أنت يا محمد ، لأنك أميٌّ ولست ممن قرأ الكتب فيلتبس عليهم أمرك ، ويدَّعوا أنك قرأت ذلك فعلمته من بعض أسفارهم – ولكنها حججي عليهم أتلوها عليك ، يا محمد ، بالحق اليقين كما كان ، لا زيادة فيه ولا تحريف ولا تغيير شيء منه عما كان – ﴿ وإنك ﴾ [البقرة : ٢٥٢] يا محمد ﴿ لمن المرسلين ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، يقول : إنك لمرسل متبع في طاعتي وإيثار مرضاتي على هواك ، فسالك في ذلك من أمرك سبيل من قبلك من رسلي الذين أقاموا على أمري ، وآثروا رضاي على هواهم ، ولم تغيرهم الأهواء ومطامع الدنيا ، كما غيَّر طالوتَ هواه وإيثارُه ملكه على ما عندي لأهل ولايتي ، ولكنك مؤثر أمري كما آثره المرسلون الذين قبلك .

❋ ❋ ❋

س : الأماني والأقوال شيء والأعمال شيء آخر يُصدِّق الأقوال والأماني أو يُكذبها ، وضح ذلك من قصة بني إسرائيل مع نبيهم ومع طالوت ؟

ج : إيضاح ذلك : أن الملأ من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله فراجعهم نبيهم في طلبهم بقوله : ﴿ هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] فأكدوا طلبهم بقولهم : ﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلًا منهم .

● ثم لما بعث الله لهم طالوت ملكًا بدءوا في اعتراض آخر بقولهم : ﴿ أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

● ثم لما ابتلاهم الله بالنهر شربوا منه إلا قليلًا منهم .

● ثم لما جاوزوا النهر قالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

ولم يثبت إلا أهل اليقين الذين قالوا : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .... ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

البينات – أيدناه – روح القدس ؟

ج :

الكلمة	معناها
البينات	الحجج والدلائل القاطعة الدالة على نبوته
أيدناه	قوَّيناه
روح القدس	جبريل عليه السلام

❋ ❋ ❋

س : قال الله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال سبحانه : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، وقال النبي ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة »[١] في هذه الأدلة ما يفيد أن بعض الأنبياء فضلوا على بعض ، فكيف تجمع بين هذا وبين قول النبي ﷺ : « لا تخيروا من بين الأنبياء »[٢] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تخيروني على موسى »[٣] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى »[٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك مسالك :

أحدها : أن النبي ﷺ قال : « لا تخيِّروا من بين الأنبياء » ، وقال : « لا تخيروني على موسى » و ... قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم .

وهذا الوجه ضعيف ؛ لأننا لا نعلم دليلًا على التأريخ .

الثاني : أن النبي ﷺ قال : « لا تخيروني على موسى » و ... على سبيل التواضع .

الثالث : أن النبي ﷺ نهى عن الخوض في ذلك ؛ لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال ، وذلك يؤدي إلى عدم احترامهم وذكر ما لا ينبغي ذكره بشأنهم .

الرابع : أنه نهى عن التفضيل بينهم في هذه الحال عند المشاجرة .

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٧) ، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠٨) ، وانظر مسلم (ص ١٨٤٣ ، ١٨٤٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤١٦) ، ومسلم (٢٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد روي مرة على أنه حديث قدسي .

الخامس : أن المنع من جهة التفضيل في النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، إنما التفضيل بأمور زائدة على النبوة كأنواع الكرامات التي يكرم الله بها بعض أنبيائه[1] .

السادس : أن التفضيل ليس إليكم إنما هو إلى الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : جرت سنة الله سبحانه وتعالى بالتفضيل ففضل الله سبحانه وتعالى بعض النبيين على بعض ، وبعض الملائكة على بعض ، وبعض البلاد على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، وبعض المساجد على بعض ، وبعض الآيات على بعض ، وبعض السور على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض أيام السنة على بعض ، وبعض أيام الأسبوع على بعض ، وبعض الساعات على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض القرون على بعض ، وبعض الأمم على بعض ، وبعض القبائل على بعض ، وبعض النساء على بعض ، وبعض الأطعمة على بعض ، وبعض الألوان على بعض ، وبعض الدواب على بعض ، وبعض الأشجار على بعض ، وبعض الكلمات على بعض ، وبعض حالات العبد على بعض ، وبعض الشهداء على بعض ، وبعض الصحابة على بعض . وضح ذلك بأدلة مختصرة ؟

ج : إيضاح ذلك أن التفضيل سنة جارية ماضية يُفضل الله عز وجل من يشاء على من يشاء .

ففضل الله بعض الأنبياء على بعض :

فالنبي محمد ﷺ سيد ولد آدم أجمعين كما قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وهذا هو الذي اختاره القرطبي واستحسنه .

« أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[1] .

● وأولو العزم من الرسل (وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) أفضل من غيرهم قال الله عز وجل : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

● وهم[2] الذين يتجه إليهم الناس للاستشفاع بهم يوم القيامة كما تقدم في أبواب الشفاعة العظمى .

● **وفضل الله عز وجل بعض الملائكة على بعض :**

فجبريل عليه السلام خيرهم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش * مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢١] ، ومن شهد بدرًا من الملائكة هم أفضل الملائكة .

● **وفضل الله بعض البلاد على بعض :**

فمكة (أم القرى) أحب بلاد الله إلى الله ، كما قال النبي ﷺ : « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت »[3] .

وتليها مدينة رسول الله ﷺ قال فيها النبي ﷺ : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة »[4] .

---

(١) صحيح وتقدم تخريجه .

(٢) ومعهم آدم ﷺ ، وقد تقدم الحديث كذلك .

(٣) صحيح وقد تقدم .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ١٨٨٥) ، ومسلم (١٣٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال النبي ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال »[1] .

● وقال النبي ﷺ في المدينة : « أُمرت بقريةٍ تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد »[2] .

● وبها مسجد رسول الله ﷺ الصلاة فيه بألف صلاة مما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام[3] .

● **وفضل الله عز وجل بعض الأماكن على بعض :**

فليست الأسواق كالمساجد فكما صح عن رسول الله ﷺ : « أن خير بقاع الأرض المساجد ، وشرها الأسواق »[4] .

● وكذلك ما بين بيت رسول الله ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٨٠) ، ومسلم (١٣٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١) ، ومسلم (حديث ١٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج البخاري (حديث ١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

(٤) أخرج مسلم (حديث ٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » .

(٥) أخرج البخاري (١٨٨٨) ، ومسلم (١٣٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » .

● **وفضل الله بعض الآيات على بعض :**

فأعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ... ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] .

● **وفضل الله عز وجل بعض السُّور على بعض :**

● فسورة الفاتحة أفضل من غيرها من السور لما قاله النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلى : « لأعلمنك أعظم سورة في كتاب الله عز وجل .. » فعلمه الفاتحة[2] .

● وكذلك سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .

● **وفضل الله بعض صيغ الاستغفار على بعض :**

فبين النبي ﷺ أن سيد الاستغفار هو : « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .. » الحديث[3] .

● **وكذلك فضل الله بعض الشهور على بعض :**

فالأشهر الحرم أفضل من غيرها ، وكذلك شهر رمضان أنزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر .

● **وفضل الله عز وجل بعض أيام السنة على بعض :** فيوم عرفة خير أيام السنة .

---

(١) وسيأتي تخريجه عن قريب إن شاء الله .

(٢) صحيح وقد تقدم في تفسير الفاتحة .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩٧/١١) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا .

● **وفضل الله عز وجل بعض أيام الأسبوع على بعض :**

فيوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس كما صح[1] عن رسول الله ﷺ .

● **وفضل الله عز وجل بعض الساعات على بعض :**

فالساعة الأخيرة من يوم الجمعة خير من غيرها من الساعات ، ففيها : يستجاب الدعاء ، والثلث الأخير من الليل ورد فيه الفضل عن رسول الله ، ﷺ ففيه : « ينزل الرب عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من داعٍ فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ »[2] .

● **وكذلك فضل الله عز وجل بعض الليالي على بعض :**

قال تعالى : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ [القدر : ٣] .

● **وكذلك فضل الله بعض القرون على بعض :**

قال النبي ﷺ : « خير أمتي قرني .. »[3] .

● **وفضل الله بعض الأمم على بعض :**

قال سبحانه في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١١] .

● **وفضل الله بعض القبائل على بعض :**

قال النبي ﷺ :« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (١٣٤/٥ مع النووي) ، والترمذي (٣٦٠٥) من حديث واثلة بن الأسقع .

● **وفضل الله عز وجل بعض النساء على بعض :**

● فمريم وخديجة وفاطمة وآسية رضي الله عنهن خير النساء على الإطلاق ، « وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[1] .

● **وفضل الله بعض الأطعمة على بعض :**

قال تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ [الرعد : ٤] ، والمن والسلوى خير من الفوم والعدس والبصل والبقل والقثاء .

● **وفضل الله بعض الألوان على بعض :**

فالأبيض خير الثياب

والصفراء تسر الناظرين

والأخضر من ثياب أهل الجنة

● **وفضل الله بعض الدواب على بعض :**

فالنمل والنحل والهدهد والصرد نُهينا عن قتلها ، وأمرنا رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم[2] وهي الحية والعقرب والغراب الأبقع[3] والفأرة والكلب العقور .

واستحب لنا قتل الوزغ وجعل في قتله الأجر[4] ، ونهينا عن قتل الضفدع .

---

(١) صحيح وانظر تخريجه والذي قبله في كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢٩) ، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا .

(٣) الغراب الأبقع هو الذي في ظهره وبطنه بياض .

(٤) في صحيح مسلم (٢٢٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من قتل وزغةً في أول ضربة قله كذا وكذا ... » الحديث ، وفي رواية لمسلم : « كتبت له مائة حسنة » ، وفي أخرى عند مسلم أيضًا : « كتبت له سبعون حسنة » .

وفضل الله الأشجار على بعض :

فليست الشجرة الطيبة كالشجرة الخبيثة ، وليست النخلة التي مثلها مثل المؤمن كشجر الغرقد (شجر اليهود) وبارك الله في الشجرة المباركة الزيتونة .

● وفضل الله بعض الكلمات على بعض :

فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ليست كغيرها من الكلمات ، وكذلك سبحان الله وبحمده ، وكذلك الذكر الوارد عن رسول الله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » فاق كل ما قالته أم المؤمنين جويرية بعد صلاة الصبح التي صلتها- كما هو وارد في الحديث عند مسلم[1] .

● وفضل الله بعض حالات العبد على بعض :

فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[2] ، وقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربة قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] .

● وفضل الله بعض الشهداء على بعض :

فخيرهم وسيدهم حمزة رضي الله عنه[3] ، وقد طار جعفر بجناحيه مع الملائكة .

● وفضل الله بعض الصحابة على بعض :

فأفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، إلى غير ذلك من أنواع التفضيل تركناها خشية الملل ، ﴿ وما يستوي الأعمى

---

(١) انظر صحيح مسلم مع النووي (١٧/٤٤) من حديث جويرية رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) كل هذا صحيح ، وانظر كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ [فاطر : ١٩ - ٢٢] .

وقال الله جل ذكره : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

جعلنا الله من أهل الفردوس . وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا فُضِّل نبينا محمد ﷺ ؟

ج : فُضل عليه الصلاة والسلام بما ذكره في حديثه حيث قال : « أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل ، وأُحلت لي المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[1] .

● وأيضًا فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كما قال سبحانه : ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا * وينصرك الله نصرًا عزيزًا ﴾ [الفتح : ١ - ٣] إلى غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : مَن مِن الأنبياء الذي كلَّمه الله ؟

ج : هو موسى ﷺ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥) ، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ ولما جآء موسى لميقاتنا وكلمه ربُّه ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقد كلَّم الله عز وجل أنبياء آخرين[١] غير موسى عليه السلام ، لكن الذي خصَّه الله عز وجل بمزيد من التكليم وصفة خاصة منه هو موسى عليه السلام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعضًا من الرسل ممن رفعهم الله عز وجل درجات ؟

ج : منهم أولوا العزم من الرسل ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [الأحزاب : ٨] ، وهم المذكورون في حديث الشفاعة[٢] إذ يذهب المؤمنون لطلب الشفاعة منهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي البينات التي آتاها الله عز وجل عيسى ابن مريم ؟

ج : تتمثل في إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا ، وينبىء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، والمائدة التي نزلت عليهم من السماء ، كل ذلك بإذن الله عز وجل .

وأيضًا الإنجيل الذي آتاه الله إياه .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال تعالى : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٤] ، وفي الحديث القدسي « أن الله قال لأيوب : ألم أكن أغنيتك » ، وكلم الله نبينا محمدًا ﷺ في ليلة المعراج ، وفرض الصلوات ، إلى غير ذلك .

(٢) صحيح وقد تقدم ، ومعهم هناك آدم عليه السلام .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ
مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا
شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

س : ما معنى : خُلة ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاها
خُلةٌ[1]	صداقة – خالص المودة

* * *

(١) قال بعض أهل العلم : مأخوذة من تخلل الأسرار بين الصديقين .

س : هل هناك شفاعة يوم القيامة ؟

ج : نعم هناك شفاعة يوم القيامة لكنها مقيدة بإذن الله – كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه .. ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] .

* * *

س : كيف توّجه إذن قوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ؟

ج : المراد بالشفاعة المنفية : الشفاعة لأهل الكفر كما قال تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[2] [غافر : ١٨] .

* * *

س : ما المراد بالبيع في قوله تعالى : ﴿ لا بيع فيه ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ؟

ج : قال الرازي رحمه الله :

أما قوله : ﴿ لا بيع فيه ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ففيه وجهان : (الأول) أن البيع ههنا بمعنى الفدية ، كما قال : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ [الحديد : ١٥] وقال : ﴿ ولا يقبل منها عدل ﴾ [البقرة : ١٢٣] وقال : ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٧٠] فكأنه قال : من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فتكتسب ما تفتدي به من العذاب (والثاني) أن يكون المعنى : قدموا لأنفسكم من المال الذي هو في ملككم قبل أن يأتي اليوم الذي لا يكون فيه تجارة ولا مبايعة حتى يكتسب شيء من المال .

---

(١) وقد تقدمت أبواب الشفاعة بما فيه الكفاية .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : قد علم الله أن ناسًا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين . (أثر ٥٧٦١) .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

س : ما معنى ما يلي :

القيوم – سنةٌ – يئوده ؟

ج :

الكلمة	معناها
القيوم	القائم برزق ما خلق وحفظه – القائم على كل نفس
سنةٌ	نعاس[1]
يئوده	يُجهده – يشق عليه – يُثقله

❋ ❋ ❋

(١) قال القرطبي رحمه الله : السِّنة هي النعاس في قول الجميع ، وقال : والنعاس ما كان في العين فإذا صار في القلب صار نومًا ، وقال أيضًا : والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن في حق البشر .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بـ ﴿ ما بين أيديهم ﴾ : الدنيا ، ﴿ وما خلفهم ﴾ : الآخرة .

والظاهر لي – والله أعلم – : أن ما بين أيديهم ما سيتقدمهم من الدنيا ومن الآخرة ، وما خلفهم هو ما مضى من أعمالهم ، والله أعلم .

* * *

س : وضح المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا يستطيع أحد أن يقف على شيء من علم الله إلا إذا شاء الله أن يعلمه .

* * *

س : ما هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل ؟

ج : أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي ، والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم في « صحيحه »[1] من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » ، قال : قلت :﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾، قال : فضرب في صدري ، وقال : « والله ليهنك العلم أبا المنذر » .

---

(١) مسلم مع النووي (٦/٩٣) .

س : اذكر مزيدًا مما جاء في فضل آية الكرسي ؟

ج : أخرج البخاري معلقًا[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .. فقص الحديث ، فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان » .

● وأخرج ابن السني[2] في عمل اليوم والليلة بإسناد قابلٍ للتحسين من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا يُفيد أن الله لا ينام ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم[3] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية : النار) لوكشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

❋ ❋ ❋

---

(١) حديث (٥٠١٠) وهو معلق كما أشرنا ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٢٨٧/٤) الذين وصلوه ، وذكر منهم : النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم .

(٢) ابن السني حديث رقم (١٢١) في عمل اليوم والليلة .

(٣) مسلم حديث (١٧٩) .

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ
مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي : الرشد – الغي – لا انفصام لها ؟

ج :

الكلمة	معناها
الرشد	الإيمان – الحق
الغي	الكفر – الباطل – الضلال في المعتقد
لا انفصام لها	لا انكسار لها – لا انفصال لها ، أي : أنها لا تنكسر في يد صاحبها بل تثبت في يده حتى تدخله الجنة[1] ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

(١) قال الطبري رحمه الله : ومعنى الكلام : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالمتمسك بالوثيق من عُرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عُراها .

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت المرأة تكون مقلاتًا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لا ندع أبناءنا[1] ! فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .. ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالطاغوت ؟

ج : الطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو الازدياد ومجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] ، وقوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ [النازعات : ١٧] ، هذا أصل الطاغوت ، أما ما المراد به هنا فقال فريق من أهل العلم : إنه الشيطان[2] .

ومنهم من قال : إنه الساحر[3] ، ومنهم من قال : إنه الكاهن[4] ، ومنهم

---

(١) أي : لا ندع أبناءنا يخرجون مع بني النضير ، والأثر أخرجه الطبري (٥٨١٢) ، وقد روي مرسلًا أيضًا عند الطبري (٥٨١٣) .
ومعنى مِقلاتًا ، أي : لا يعيش لها ولد .

(٢) ثبت ذلك عن قتادة كما عند الطبري (٥٨٣٩) ، فقد روي عنه هناك بإسناد حسن ، وثبت أيضًا عن الشعبي كما عند الطبري (٥٨٣٧) ، وعن غيرهم أيضًا .

(٣) صح ذلك عن أبي العالية كما عند الطبري (٥٨٤١) ، وصح عنه أيضًا : أنه الكاهن (٥٨٤٤) .

(٤) صح ذلك عن سعيد بن جبير كما عند الطبري (٥٨٤٣) .

من قال إنه الظالم الذي تجاوز الحد في ظلمه .

ومنهم من قال : إنه يشمل جميع ما ذُكر .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له إنسانًا كان ذلك المعبود أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا أو كائنًا ما كان من شيء .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

أحدهما : أنها محكمة ، وأنها تتنزل على أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية .

الثاني : أنها منسوخة بآية السيف .

والأول عندي أصح ؛ لأن دعوى النسخ لا يصار إليها إلا عند عدم إمكان الجمع .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية ، وقال آخرون : بل هي منسوخة بآية القتال ، وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبي أحد منهم الدخول ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى لا إكراه قال الله تعالى : ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ [الفتح : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [التوبة : ١٢٣] وفي الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونوا من أهل الجنة . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « أَسْلِمْ » قال : إني أجدني كارهًا ، قال : « وإن كنت كارهًا » ، فإنه ثلاثي صحيح ، ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة ، فقال له :« أسلم وإن كنت كارهًا » ، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟ وما المراد بالعروة الوثقى ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنه قد استمسك من الدين بأقوى حبل (أي : أقوى سبب) يربطه به ، أي : استمسك من الدين بالحلقة القوية التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية ، وهذه العروة الوثقى وهذا الحبل والسبب الذي تمسك به الشخص هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما قال رب العزة سبحانه : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ ، وبعض العلماء قال أقوالًا أخر في تفسير العروة الوثقى منها : الإيمان ، ومنها : الإسلام ، ومنها : لا إله إلا الله ، ومنها : القرآن ، ومنها : الحب في الله والبغض في الله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر صحابيًّا ذكر النبيُّ ﷺ أنه لن يزال متمسكًا بالعروة الوثقى حتى يموت ؟

ج : هو عبد الله بن سلام ، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق قيس بن عباد قال : كنت جالسًا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج وتبعته فقلت : إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة قال : والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لمَ ذاك . رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأني في روضة – ذكر من سعتها وخضرتها – وسطها عمود من جريد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة فقيل لي : ارقه . قلت : لا أستطيع . فأتاني منصف[2] فرفع ثيابي من خلفي ، فرقيت حتى كنت في أعلاها ، فأخذت في العروة فقيل له : استمسك ، فاستيقظت وإنها لفي يدي . فقصصتها على النبي ﷺ ، فقال : « تلك الروضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة عروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت » . وذلك الرجل عبد الله بن سلام .

وأخرج مسلم[3] من طريق خرشة بن الحر قال : كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة ، وهو عبد الله بن سلام قال : فجعل يحدثهم حديثًا حسنًا . قال : فلما قام قال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا . قال فقلت : والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته . قال : فتبعته ، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ،

---

(١) البخاري حديث (٣٨١٣) ، ومسلم (حديث ٢٤٨٤) ، وأحمد (٤٥٢/٥) .

(٢) المنصف هو الخادم .

(٣) مسلم (ص١٣٩١) .

ثم دخل منزله ، قال : فاستأذنت عليه فأذن لي فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : فقلت له : سمعت القوم يقولون لك لما قمت : من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، فأعجبني أن أكون معك . قال : الله أعلم بأهل الجنة . وسأحدثك مما قالوا ذاك . إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي : قم . فأخذ بيدي فانطلقت معه ، فإذا أنا بجواد عن شمالي قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال . قال : فإذا جواد منهج عن يميني فقال لي : خذ هٰهنا ، فأتى بي جبلًا فقال لي : اصعد قال : فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي قال : حتى فعلت ذلك مرارًا ، قال : ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا رأسه في السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حلقة ،فقال لي : اصعد فوق هذا . قال : قلت : كيف أصعد هذا ؟ ورأسه في السماء . قال : فأخذ بيدي فزجل بي ، قال : فإذا أنا متعلق بالحلقة . قال : ثم ضرب العمود فخرَّ ، قال : وبقيت متعلقًا بالحلقة حتى أصبحت . قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : « أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال » ، قال : « وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزلُ الشهداء ولن تناله ، وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهي عروة الإسلام ، ولن تزال متمسكًا بها حتى تموت » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب ؛ حسن في الصفات ﴿ سميع ﴾ من أجل النطق و ﴿ عليم ﴾ من أجل المعتقد . والله أعلم .

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ولي - الظلمات - النور ؟

ج :

الكلمة	معناها
ولي	ناصر
الظلمات	ظلمات الكفر والشك والارتياب[1]
النور	نور الإيمان والعلم واليقين

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : الشيطان يخرجهم من النور إلى الظلمات ، يقول : من الهدى إلى الضلالة . (أثر ٥٨٥٦) .

س : هل الذين كفروا كانوا في نور حتى يقال إن الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ؟

ج : لذلك توجيهات : **أحدها :** أن الآية مخصوصة بأهل الكتاب الذين كانوا مُقرين بنبوة موسى عليه السلام ، وكذلك المقرين بنبوة عيسى عليه السلام ، وكانوا متبعين لملتهم فهؤلاء كانوا على نور فلما جآءهم محمد ﷺ كفروا به فدخلوا في ظلمات الكفر بعد أن خرجوا من نور الإيمان .

الثاني : أن المراد بإخراجهم من الظلمات إلى النور الحيلولة بينهم وبين الإيمان حتى يضلونهم عن طريق الإيمان فيكفرون فيكون التضليل إخراج من النور إلى الظلمات ، كقول الرجل أخرجني والدي من الميراث يعني ملَّكه غيري .

الثالث : أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ كان المخالف له خارجًا من نورٍ قد علمه ، والموافق له خارجًا من ظلمات الجهل إلى نور العلم . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى : ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : ذلك لأن الحق واحد والكفر أجناس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وقال آخرون ذلك لتفضيل النور وتكريمه وتشريفه وكماله كما قال تعالى : ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ [النحل : ٤٨] .

وكما قال تعالى : ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات

خالاتك ﴾ [الأحزاب : ٥٠] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُفرد الطاغوت وقال الله تعالى بعد أن أفرده ﴿ يخرجونهم ﴾ [البقرة : ٢٥٧] بالجمع ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الطاغوت اسم للجمع وللمفرد أيضًا ، وقد يُجمع فيقال طواغيت ، وذلك كقولهم : (رجل عدل وقوم عدل) واستشهد لذلك الطبري بقول العباس بن مرداس :

فقلنا أَسْلِموا إنَّا أَخُوكُم فقد بَرِئَتْ مِن الإِحَنِ الصُّدُور

❋ ❋ ❋

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

ألم تر – حاج – بهت ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	أرأيت – هل رأيت ، وهي تحمل معنى التعجب أي : اعجبو له – وقيل : المعنى : هل رأيت كالذي حاج إبراهيم
حاج	جادل
بُهت	تحير – انقطع وسكت و لم تكن له حيلة

* * *

س : من هو الذي حآج إبراهيم في ربِّه ؟

ج : لم يرد في تسميته شيء ثابت عن رسول الله ﷺ ومن العلماء من قال : إنه النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار[1] والبعوضة[2] ، وثمَّ أقوال أخر ، والله تعالى أعلم[3] .

* * *

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الضمير يرجع إلى هذا الجبار المعاند لإبراهيم عليه السلام .

ومن العلماء من قال : إنه يرجع إلى إبراهيم عليه السلام ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] . والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : من أجل أن آتاه الله الملك ، والمعنى : لما آتاه الله الملك جادل ، وكان من اللائق به أن يشكر ، لكن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج

---

(١) يعني : الذي أوقد النار وألقى فيها إبراهيم عليه السلام .

(٢) يعني : الذي دخلت في أنفه بعوضة : فكانوا يضربونه على رأسه سنين طويلة علاجًا له ، والله أعلم .

(٣) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٨٦٥) ، قال : كنا نُحدَّث أنه ملك يُقال له : نمروذ ، وهو أول ملك تجبر في الأرض وهو صاحب الصرح ببابل .

● وأخرج الطبري أيضًا (٥٨٦٩) بإسناد صحيح إلى ابن زيد : هو نمروذ .

لذلك ، أو وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر ، كما يُقال : عاديتني لأني أحسنت إليك ، قال هذا الأخير صديق حسن خان في فتح البيان ، والله أعلم .

* * *

س : ماالمراد بقوله : ﴿ في ربِّه ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : في وجود ربه ، إذ المفهوم من السياق : أن إبراهيم عليه السلام استدل على وجود ربِّه بالإحياء والإماتة فقال هذا الطاغية : أنا أحيي وأميت .

* * *

س : ما المراد بالهداية في قوله تعالى : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله لا يلهمهم حُجة ولا برهانًا ، بل حجتهم داحضة .

* * *

أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ

عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

خاوية على عروشها – بعثه – لم يتسنَّه – ننشزها ؟

ج :

الكلمة	معناها
خاوية على عروشها	سقطت سقوفها ثم سقطت الحيطان على السقوف[1] وخاوية معناها : خالية – والعروش : السقوف
بعثه	أحياه

❋ ❋ ❋

(١) وذكر جمهور العلماء أن أهلها ماتوا وقد دمرت تدميرًا وخربت عمارتها .

الكلمة	معناها
لم يتسنه ننشزها	لم يتغير[1] – لم تغيِّره السنون . نرفعها فيركب بعضهَا فوق بعض – وأصل النشز[2] الارتفاع .

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٩٢١) قال : لم يتسنه : لم يتغير ، وبإسناد صحيح عن ابن زيد (٥٩٢٨) : لم يتغير في مائة سنة .

(٢) والمرأة الناشز : هي المرتفعة عن طاعة زوجها . وقيل : المعنى : كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد .

س : من هو الذي مر على القرية وهي خاوية على عروشها وما هي هذه القرية ؟

ج : لم أقف على تحديد اسم هذا الرجل ولا هذه القرية في الكتاب أو السنة ، وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خرَّبه بُخْت نصَّر البابلي .

قلت : وهذا من قول قتادة رحمه الله ، ولا نجنح إلى صحته فالله أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله تعالى قولًا جيدًا في هذا المقام فقال رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره عجَّب نبيَّه ﷺ ممن قال – إذ رأى قرية خاوية على عروشها – : ﴿ أَنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾[البقرة : ٢٥٩] ، مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء ، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال : أنَّى يحييها الله بعد موتها ! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قِبله البيانُ على اسم قائل ذلك . وجائزٌ أن يكون ذلك عُزَيرًا ، وجائز أن يكون أورميا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقَه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذي بيده الحياة والموت = من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب = وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانَيْ مُهاجرَ رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل ، بإطلاعه نبيَّه محمدًا ﷺ على ما يُزيل شكهم في نبوته ، ويقطعُ عذرهم في رسالته ، إذْ كانت هذه الأنباء التي أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ في كتابه ، من الأنباء التي لم يكن يعلمها محمد ﷺ وقومهُ ، ولم يكن علم ذلك إلَّا عند أهل الكتاب ، ولم يكن محمد ﷺ وقومه منهم ، بل كان أميًّا وقومه أمِّيُّون . فكان معلومًا بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجَرِه ، أنّ محمدًا ﷺ

لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله إليه . ولو كان المقصودُ بذلك الخبرَ عن اسم قائل ذلك ، لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبًا يقطع العذر ويزيل الشك ، ولكن القصد كان إلى ذم قِيله ، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه .

❋ ❋ ❋

س : من القائل : ﴿ كم لبثت ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : هو الله سبحانه وتعالى بدليل قوله عز وجل : ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

❋ ❋ ❋

س :ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المعنى : وانظر إلى إحيائنا حمارك وانظر إلى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ، فالمعنى على هذا أن الحمار تفرقت أجزاؤه ونخرت عظامه وتقطعت أوصاله ثم أحياه الله عز وجل بأن ركب بعض عظامه على بعض وأعاده الله كما كان ليشاهد كيفية الإحياء .

● ومن العلماء من قال : وانظر إلى حمارك ما زال قائمًا بين يديك ، وذهب هذا الفريق من أهل العلم إلى أن قوله : ﴿ وانظر إلى العظام ﴾ تأويله أن الله رد إلى الرجل بصره ونفخ الروح في عينيه ثم بقي ينظر إلى عظامه[1] وهي تلتئم ويركب بعضها بعضًا ثم يكسوها-الله عز وجل اللحم .

● ومن العلماء من قال : إن النظر كان إلى عظامه وعظام حماره معًا وهما يركبان ويكسوان اللحم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (٥٩٤٢) بإسناد حسن عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه أول ما =

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولنجعلك عبرة ودلالة للناس على قدرتنا على البعث بعد الموت .

* * *

= خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ، ثم قيل له : انظر ؛ فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض – وبعَيْن نبي الله عليه السلام كان ذلك – فقال : ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

قلت : وليس لهذا حكم الرفع ولا يُدرى من الذي ذكره لقتادة فلا نستطيع التعويل عليه ولا على الآثار التي على شاكلته ، والله أعلم .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

س : ما معنى : صُرهن ؟

ج :

الكلمة	معناها
صُرهن	قطعهن – ضمهن – أملهن واجمعهن – أوثقهن .

✵ ✵ ✵

س : لماذا سأل إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يريه كيف يحيي الموتى ؟

ج : ليزداد قلبه طمأنينة ويقينًا ، وقد جاء ذلك صريحًا لما قال الله سبحانه وتعالى له : ﴿ أو لم تؤمن ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

وسأله أيضًا ليترقى من علم اليقين ، إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ، فإبراهيم ﷺ موقن بالبعث ، ولكن اليقين يزداد إذا رأى ذلك عيانًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقول النبي ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتي »[1] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : إننا لم نشك في قدرة الله على إحياء الموتى ؛ فإبراهيم أولى أن لا يشك منا ، ففي هذا تواضع من رسول الله ﷺ ، فالمعنى : لو كان إبراهيم شاكًّا لشككنا ، فلما لم نشك نحن ؛ كان إبراهيم أولى بأن لا يشك منا .

الثاني : أنه دخل قلب إبراهيم ما يدخل قلوب البشر .

الثالث : أن المعنى : نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم ﷺ .

وثم أقوال أُخر أولاها ما ذكرناه أولًا ، وعليه جمهور المفسرين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾

س : ما معنى ما يلي : منًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
منًّا	المن : ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها ، وقيل : التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعطى ويؤذيه

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة .. ﴾ [البقرة : ٢٦١] محذوف بيِّنه ؟

ج : في الكلام حذف ، والتقدير مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ....

أو توجيه آخر ذكره القرطبي فقال : مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فشبَّه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة ، ثم قال تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] يعني على سبعمائة فيكون مثل المتصدق مثل الزارع إن كان حاذقًا في عمله ويكون البذر جيدًا وتكون الأرض عامرة يكون الزرع أكثر ، فكذلك المتصدق إذا كان صالحًا والمال طيبًا ويضعه موضعه فيصير الثواب أكثر ، خلافًا لمن قال : ليس في الآية تضعيف على سبعمائة .

* * *

س : هل للنفقة في سبيل الله فضل على النفقة في غيرها ؟

ج : قد يكون ذلك في بعض الأحيان ، فالحسنة في أعمال البر بعشر أمثالها كما جاء في كتاب الله في غير موطن[1] ، أما النفقة في سبيل الله فبسبعمائة ، والله يضاعف لمن يشاء .

* * *

---

(١) وقد تتضاعف الحسنة في سائر أعمال البر إلى سبعمائة ، بل وإلى أكثر في بعض الأحيان ، فالله يضاعف لمن يشاء ، وقد جاء في حديث : « إذا تصدق أحدكم بصدقة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يربيها له كما يُربي أحدكم فلوه ... » الحديث .

س : اذكر حديثًا في معنى الآية الكريمة يُفيد تضعيف النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة »[1] .

* * *

س : اذكر المعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين ؟

ج : استفاض في ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقال في التفسير القيم :

شبه الله سبحانه نفقة المنفق في سبيله – سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير ، من كل – بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك ، بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ، ونفع نفقته وقدرها . ووقوعها موقعها .

فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص ، والتثبيت عند النفقة ، وهو إخراج المال بقلب ثابت ، قد انشرح صدره بإخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ، ولا مُتْبِعُه نفسه ، ترجُف يده وفؤاده .

ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق بحسب مصادفته لموقعه ، وبحسب طيب المنفق وزكائه .

وتحت هذا المثل من الفقه : أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب لله ، لا لغيره : باذر ماله في أرض زكية . فمغَلُّه بحسب بذره ،

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٩٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ، ونفي الدغَل ، والنبات الغريب عنه . فإذا اجتمعت هذه الأمور و لم يحرق الزرع نار ، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال ، وكان مثله كمثل جنة بربوة . وهي المكان المرتفع الذي تكون الجنة فيه نُصب الشمس والرياح فتتربى الأشجار هناك أتم تربية . فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر ، متتابع ، فرواها ونَمَّاها . فأتت أكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها ، لسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطَلٌّ ، أي : مطر صغير القطر يكفيها ، لكرم منبتها تزكو على الطل ، وتنمو عليه ، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل . فمن الناس من يكون إنفاقه وابلا ، ومنهم من يكون إنفاقه طَلًّا . والله لا يضيع مثقال ذرة .

ثم قال رحمه الله : (ص ١٥٤) :

وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض ، ومثله سبحانه بهذا المثل إحضارًا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق ، وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى : ﴿ وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ [يوسف : ٤٣] فجاء بها على جمع القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير . وقوله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] قيل : المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاء وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه لصفات المنفق وأحواله وفي شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع ، وقيل : والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعمائة بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة .

واختلف في تقدير الآية فقيل : مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة ، وقيل : مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به ، فههنا أربعة أمور : منفق ، ونفقة ، وباذر ، وبذر ، فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه ، فذكر من شق الممثل المنفق ، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه ، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها ، وذكر من شق الممثل به البذر ، إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة ، وترك ذكر الباذر لأن القرض لا يتعلق بذكره ، فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان .

وهذا كثير في أمثال القرآن ، بل عامتها ترد على هذا النمط ، ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع العليم ، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه ، فإن المضاعِف واسع العطاء ، واسع الغنى ، واسع الفضل ، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق ، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها ، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته ، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه . ثم قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٦٢] ، هذا بيان للقرض الحسن ما هو ؟ وهو أن يكون في سبيله أي في مرضاته والطريق الموصلة إليه ، ومن أنفعها سبيل الجهاد ، وسبيل الله خاص وعام ، والخاص جزء من السبيل العام وأن لا يتبع صدقته بمن ولا أذى ، فالمن نوعان :

أحدهما : منٌّ بقلبه من غير أن يصرح له بلسانه ، وهذا إن لم يبطل الصدقة فهو من نقصان شهود منة الله عليه في عطائه المال وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه ، فللّه المنة عليه من كل وجه . فكيف يشهد

قلبه منة لغيره ؟!

والنوع الثاني : أن يمن عليه بلسانه فيعتدي على من أحسن إليه بإحسانه ، ويريه أنه اصطنعه ، وأنه أوجب عليه حقًّا وطوقه منة في عنقه ، فيقول : أمَا أعطيتك كذا وكذا ؟ ويعدد أياديه عنده . قال سفيان : يقول : أعطيتك فما شكرت . وقال عبد الرحمن بن زياد : كان أبي يقول : إذا أعطيت رجلًا شيئًا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكِنَّ سلامك عنه ، وكانوا يقولون : إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ، وإذا أسدي إليكم صنيعة فلا تنسوها ، وفي ذلك قيل :

وإنَّ امرأ أهدى إليَّ صنيعة وذكرنيها مرة لبخيل

وقيل : صفوان مَنْ منح سائله ومنَّ ، ومَنْ منع نائله وضن ، وحظر الله على عباده المن بالصنيعة ، واختص به صفة لنفسه لأنه من العباد تكدير وتعيير ، ومن الله سبحانه وتعالى إفضال وتذكير .

وأيضًا فإنه هو المنعم في نفس الأمر ، والعباد وسائط ، فهو المنعم على عبده في الحقيقة ، وأيضًا فالامتنان استعباد ، وكسر ، وإذلال لمن يمن عليه ، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله .

وأيضًا فالمنة أن يشهد المعطي أنه هو رب الفضل ، والإنعام ، وأنه ولي النعمة ، ومسديها ، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله ، وأيضًا فالمانُّ بعطائه يشهد نفسه مترفعًا على الآخذ مستعليًا عليه غنيًّا عنه عزيزًا ، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته ، ولا ينبغي ذلك للعبد ، وأيضًا فإن المعطي قد تولى الله ثوابه ، ورَدَّ عليه أضعاف ما أعطى ؛ فبقي عوض ما أعطي عند الله . فأي حق بقي له قبل الآخذ ؟ فإذا امتن عليه فقد ظلمه ظلمًا بينًا ، وادعى أن حقه في قبله .

هنا – والله أعلم – بطلت صدقته بالمن ، فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته

مع الله وعوض تلك الصدقة عنده فلم يرضَ به ، ولاحظ العوض من الآخذ والمعاملة عنده فمنَّ عليه بما أعطاه بطلت معاوضته مع الله ومعاملته له ، فتأمل هذه النصائح من الله لعباده ودلالته على ربوبيته ، وإلهيته وحده ، وأنه يبطل عمل من نازعه في شيء من ربوبيته وإلهيته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

ونبه بقوله : ﴿ ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٢] على أن المن والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطال زمنه ضر بصاحبه ، ولم يحصل له مقصود الإنفاق ، ولو أتى بالواو ، وقال : ولا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى لأوهمت تقييد ذلك بالحال ، وإذا كان المن ، والأذى المتراخي مبطلًا لأثر الإنفاق مانعًا من الثواب . فالمقارن أولى ، وأحرى ، وتأمل كيف جرد الخبر هنا عن الفاء فقال : ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٦٢] ، وقرنه بالفاء في قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ، فإن الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تفهم معنى الشرط والجزاء ، وأنه مستحق بما تضمنه المبتدأ من الصلة أو الصفة ، فلما كان هنا يقتضي بيان حصر المستحق للجزاء دون غيره جرد الخبر عن الفاء ، فإن المعنى : أن الذي ينفق ماله لله ، ولا يمن ولا يؤذي هو الذي يستحق الأجر المذكور لا الذي ينفق لغير الله ، ويمن ويؤذي بنفقته ، فليس المقام مقام شرط وجزاء . بل مقام بيان للمستحق دون غيره .

وفي الآية الأخرى ذكر الإنفاق بالليل والنهار سرًّا وعلانية . فذكرَ عموم الأوقات ، وعموم الأحوال ، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وجد من ليل أو نهار وعلى أي حالة وجد من سر وعلانية . فإنه سبب للجزاء على كل حال ، فليبادر إليه العبد ، ولا ينتظر به غير وقته وحاله ، ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار ، ولا نفقة النهار إلى الليل ،

ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر ، ولا بنفقة السر وقت العلانية ، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وجدت سبب لأجره وثوابه ، فتدبر هذه الأسرار في القرآن فلعلك تظفر بها إذ تمر بك في التفاسير ، والمنة والفضل لله وحده ، لا شريك له .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى .. ﴾ [البقرة : ٢٦٢] أي : لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحبطون به ما سلف من الإحسان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يمكن أن تكون المضاعفة أكثر من سبعمائة ضعف ؟

ج : نعم يمكن ذلك ؛ لقول الله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، ولقول النبي ﷺ : « من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يصعد إلى الله إلا الطيب – فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل »[1]

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنفقة في سبيل الله ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنها النفقة في الجهاد خاصة ، وذهب آخرون إلى أنها عامة في كل أنواع البر ، والذي يظهر لي أن المراد بالنفقة في سبيل الله : النفقة لتكون كلمة الله هي العليا ، وذلك على نسق حديث :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) ، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

« من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى المن بشيء من التفصيل ؟ وبيِّن لماذا كان المنان مذمومًا ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي [1] بشيء من التفصيل فقال :

(المسألة الثالثة) : (المن) : في اللغة على وجوه : (أحدها) : بمعنى الإنعام ، يقال : قد من الله على فلان ، إذا أنعم ، أو لفلان عليَّ منة ، وأنشد ابن الأنباري :

فمن علينا بالسلام فإنما كلامك ياقوت ودر منظم

ومنه قوله ﷺ : « ما من النَّاس أحد أمَن علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قحافة » يريد : أكثر إنعامًا بماله ، وأيضًا الله تعالى يوصف بأنه منان ، أي : منعم .

(والوجه الثاني) : في التفسير (المن) : النقص من الحق والبخس له ، قال تعالى : ﴿ وإن لك لأجرًا غير ممنون ﴾ [القلم : ٣] أي : غير مقطوع وغير ممنوع ، ومنه سمي الموت : منونًا ؛ لأنه ينقص الأعمار ، ويقطع الأعذار ، ومن هذا الباب المنة المذمومة ، لأنه ينقص النعمة ، ويكدرها ، والعرب يمتدحون بترك المن بالنعمة ، قال قائلهم :

زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندي مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كثير

إذا عرفت هذا فنقول : المن : هو إظهار الاصطناع إليهم ، والأذى شكايته منهم بسبب ما أعطاهم ، وإنما كان المن مذمومًا لوجوه :

---

(١) قدمنا مرارًا الأشارة إلى ما في تفسير الرازي من الزلل ، ولكنا نأخذ منه ما سَلِم ، ونذر له ما زلت فيه قدمه ، عفا الله عنه .

(الأول) :أن الفقير الآخذ للصدقة منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة غير معترف باليد العليا للمعطي ، فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار ذلك الإنعام ، زاد ذلك في انكسار قلبه ، فيكون في حكم المضرة بعد المنفعة ، وفي حكم المسيء إليه بعد أن أحسن إليه ، (والثاني) : إظهار المن يبعد أهل الحاجة عن الرغبة في صدقته إذا اشتهر من طريقه ذلك ، (الثالث) : أن المعطي يجب أن يعتقد أن هذه النعمة من الله تعالى عليه ، وأن يعتقد أن لله عليه نعمًا عظيمة حيث وفقه لهذا العمل ، وأن يخاف أنه هل قرن بهذا الإنعام ما يخرجه عن قبول الله إياه ، ومتى كان الأمر كذلك امتنع أن يجعله منة على الغير ، (الرابع) : وهو السر الأصلي أنه إن علم أن ذلك الإعطاء إنما تيسر لأن الله تعالى هيأ له أسباب الإعطاء وأزال أسباب المنع ، ومتى كان الأمر كذلك كان المعطي هو الله في الحقيقة لا العبد ، فالعبد إذا كان في هذه الدرجة كان قلبه مستنيرًا بنور الله تعالى ، وإذا لم يكن كذلك ، بل كان مشغولًا بالأسباب الجسمانية الظاهرة ، وكان محرومًا عن مطالعة الأسباب الربانية الحقيقة ، فكان في درجة البهائم الذين لا يترقى نظرهم عن المحسوس إلى المعقول ، عن الآثار إلى المؤثر .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في ذمِّ المنان وبيان عقوبته ؟

ج : أخرج مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار ، قال أبو ذرٍّ : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾

س : ما المراد بالقول المعروف ؟ وما المراد بالمغفرة ؟

ج : المراد بالقول المعروف : الكلمة الطيبة والدعوة الصالحة بظهر الغيب للسائل والمحتاج ، والوعد الحسن : كأن تقول له : لو وسع الله عليَّ سأوسع عليك وسأعطيك إن يسر الله ، والقول المعروف في الجملة هو القول الجميل الذي تقبله القلوب ولا تنكره .

أما المغفرة ، فمن معاني المغفرة الستر ، والمراد: أن السائل إذا أتاك لمسألة ورددته لعدم استطاعتك أو لأي سبب ينبغي لك أن تستر عليه ولا تشهر به ولا تظهر أمره للناس .

وقد تكون المغفرة للفقير والسائل ، فالفقير والسائل إذا جاء وسألك ورددته ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان والخوض في عرضك ، فأمر بالعفو عن بذاءة الفقير والصفح عن إساءته .

وقد يكون المراد بالمغفرة : طلب المغفرة لنفسك وله من الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ؟

ج : وجه ذلك بيان أن الله عز وجل غني عن صدقة المتصدق المنان ، حليم حين لا يعجل العقوبة لمن منَّ بصدقته وآذى الفقير ، والله أعلم .

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذًى والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ؟

ج : قال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

فأخبر أن القول المعروف وهو الذي تعرفه القلوب ولا تنكره . والمغفرة وهي العفو عمن أساء إليك خير من الصدقة بالأذى . فالقول المعروف إحسان . وصدقة بالقول والمغفرة إحسان بترك المؤاخذة والمقابلة ، فهما نوعان من أنواع الإحسان ، والصدقة المقرونة بالأذى حسنة مقرونة بما يبطلها ، ولا ريب أن حسنتين خير من حسنة باطلة . ويدخل في المغفرة مغفرته للسائل إذا وجد منه بعض الجفوة والأذى لك بسبب رده ؛ فيكون عفوه عنه خيرًا من أن يتصدق عليه ويؤذيه . هذا على المشهور من القولين في الآية ، والقول الثاني : أن المغفرة من الله أي : مغفرة لكم من الله بسبب القول المعروف والرد الجميل خير من صدقة يتبعها أذى ، وفيها قول ثالث : أي : مغفرة وعفو من السائل ، إذ ردَّ وتعذر المسئول خير من أن ينال بنفسه صدقة يتبعها أذًى . وأوضح الأقوال هو الأول ، ويليه الثاني والثالث ضعيف جدًّا ؛ لأن الخطاب إنما هو للمنفق المسئول لا للسائل الآخذ . والمعنى : أن قول المعروف له والتجاوز والعفو خير لك من أن تصدَّق عليه وتؤذيه ، ثم ختم الآية بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال : ﴿ والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ، وفيه معنيان :

أحدهما : أن الله غني عنكم لن يناله شيء من صدقاتكم ، وإنما الحظ الأوفر لكم في الصدقة ، فنفعها عائد عليكم لا إليه سبحانه وتعالى ، فكيف يمن بنفقته ويؤذي مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواه ، ومع هذا فهو حليم إذ لم يعاجل المان بالعقوبة . وفي ضمن هذا : الوعيد والتحذير .

والمعنى الثاني : أنه سبحانه وتعالى مع غناه التام من كل وجه فهو

الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح مع عطائه الواسع وصدقاته العميمة ، فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ
تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ
شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

س : وضح معني ما يلي :

لا تبطلوا صدقاتكم - رئاء الناس - صفوان - وابل - صلدًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
لا تبطلوا صدقاتكم	لا تُذهبوا ثواب صدقاتكم
رئاء الناس	مراءاة للناس
صفوان	حجر أملس
وابل	الوابل : المطر الشديد[1] العظيم
صلدًا	أملسًا ، يابسًا ، لا شيء عليه

❋ ❋ ❋

(١) صح عن قتادة (عند الطبري ٦٠٥٥) وغيره : أن الوابل : المطر الشديد .
قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا ﴾ [المزمل : ١٦].

س : وضح وجه الشبه في قوله تعالى : ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ؟

ج : وجه الشبه أن الذي يمن على الناس بصدقته ويؤذيهم بها يُذهب ثواب صدقته ، كالذي يرائي الناس وهو يتصدق ، ويُظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما يريد مدح الناس له وشهرته بينهم بالصفات الجميلة ، وليست همته طلب ثواب العمل ونيل مرضات الله .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب ... ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – : أن الأعمال كالتراب[1] ، والوابل (الذي هو المطر الشديد) هو الرياء والمن والأذى ، فالمن والأذى والرياء يذهبان الأعمال وثوابها كما يُذهب الوابلُ التراب .

ووجه آخر : أن المنفق رياءً ، كرجل ظن أن الحجر الذي عليه تراب تربة صالحة للبذر فبذر في التراب وهو لا يظن أن تحته حجر ، وظن أنه بذر بذرة في مكان طيب منبت ، فلما جاء الوابل ذهب بالبذرة كلها وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

---

(١) ويؤيده قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شيء مما كسبوا .. ﴾ [إبراهيم : ١٨] .
وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

قال ابن القيم رحمه الله ، التفسير القيم :

فتضمنت هذه الآية الإخبار بأن المن والأذى يحبط الصدقة ، وهذا دليل على أن الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في أول هذه الرسالة فلا حاجة إلى إعادته وقد يقال : إن المن والأذى المقارن للصدقة هو الذي يبطلها دون ما يلحقها بعدها إلا أنه ليس في اللفظ ما يدل على هذا التقييد والسياق يدل على إبطالها به مطلقًا ، وقد يقال : تمثيله بالمرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يدل على أن المن والأذى المبطل هو المقارن كالرياء وعدم الإيمان ، فإن الرياء لو تأخر عن العمل لم يبطله ، ويجاب عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن التشبيه وقع في الحال التي يحبط بها العمل وهي حال المرائي والمان المؤذي في أن كل واحد منهما يحبط العمل .

الثاني : أن الرياء لا يكون إلا مقارنًا للعمل ؛ لأنه فعال من الرؤيا التي صاحبها يعمل ليري الناس عمله فلا يكون متراخيًا ، وهذا بخلاف المن والأذى فإنه يكون مقارنًا ومتراخيًا ، وتراخيه أكثر من مقارنته .

وقوله : ﴿ كالذي ينفق ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ، إما أن يكون المعنى كإبطال الذي ينفق فيكون قد شبه الإبطال بالإبطال ، أو المعنى : لا تكونوا كالذي ينفق ماله رئاء الناس فيكون تشبيهًا للمنفق بالمنفق .

وقوله : ﴿ فمثله ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ،أي : مثل هذا المنفق الذي قد بطل ثواب نفقته كمثل صفوان ، وهو الحجر الأملس ، وفيه قولان : أحدهما : أنه واحد . والثاني : جمع صفوة ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وهو المطر الشديد فتركه صلدًا ، وهو الأملس الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره . وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها ؛ فإنه

يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر ؛ لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به ، وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر ، والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر فيتركه صلدًا فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله . وفيه معنى آخر : وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملًا يرتب عليه الأجر ويزكو له كما تزكو الحبة التي إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكائه ، كما أن تحت التراب حجرًا يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه . فلا ينبت ولا يخرج شيئًا .

وقال الرازي رحمه الله :

﴿ فمثله ﴾ [البقرة : ٢٦٤] : وفي هذا الضمير وجهان : (أحدهما) : أنه عائد إلى المنافق ؛ فيكون المعنى : أن الله تعالى شبه المان والمؤذي بالمنافق ، ثم شبه المنافق بالحجر ، ثم قال : ﴿ كمثل صفوان ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وهو الحجر الأملس ، وحكى أبو عبيد عن الأصمعي : أن الصفوان والصفا والصفوا واحد ، وكل ذلك مقصور ، وقال بعضهم : الصفوان جمع صفوانة ، كمرجان ومرجانة ، وسعدان وسعدانة ، ثم قال : ﴿ أصابه وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٤] الوابل : المطر الشديد ، يقال : وبلت السماء تبل وبلًا ، وأرض موبولةٍ ، أي : أصابها وابل ، ثم قال : ﴿ فتركه صلدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] الصلد : الأملس اليابس ، يقال : حجر صلد ، وجبل صلد إذا كان براقًا أملس ، وأرض صلدة ، أي : لا تنبت شيئًا كالحجر الصلد ، وصلد الزند إذا لم يورِ نارًا .

واعلم أن هذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المان المؤذي ، ولعمل المنافق ، فإن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالًا ، كما يرى التراب

على هذا الصفوان ، فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل ؛ لأنه تبين أن تلك الأعمال ما كانت لله تعالى ، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب ، وأما المعتزلة فقالوا : إن المعنى : أن تلك الصدقة أوجبت الأجر والثواب ، ثم إن المن والأذى أزالا ذلك الأجر ، كما يزيل الوابل التراب عن وجه الصفوان ، واعلم أن في كيفية هذا التشبيه وجهين : (الأول) : ما ذكرنا : أن العمل الظاهر كالتراب ، والمان والمؤذي والمنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل هذا على قولنا ، وأما على قول المعتزلة فالمن والأذى كالوابل .

(الوجه الثاني) : في التشبيه ، قال القفال رحمه الله تعالى : وفيه احتمال آخر ، وهو أن أعمال العباد ذخائر لهم يوم القيامة ، فمن عمل بإخلاص فكأنه طرح بذرًا في أرض فهو يضاعف له وينمو حتى يحصده في وقته ، ويجده وقت حاجته ، والصفوان محل بذر المنافق ، ومعلوم أنه لا ينمو فيه شيء ولا يكون فيه قبول للبذر ، والمعنى أن عمل المان والمؤذي والمنافق يشبه إذا طرح بذرًا في صفوان صلد عليه غبار قليل ، فإذا أصابه مطر جود بقي مستودعًا بذره خاليًا لا شيء فيه ، ألا ترى أنه تعالى ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة ، والجنة ما يكون فيه أشجار ونخيل ، فمن أخلص لله تعالى كان كمن غرس بستانًا في ربوة من الأرض ، فهو يجني ثمر غراسه في أوقات الحاجة ، وهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها متضاعفة زائدة ، وأما عمل المان والمؤذي والمنافق ، فهو كمن بذر في الصفوان الذي عليه تراب ، فعند الحاجة إلى الزرع لا يجد فيه شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وما المراد بالكسب هنا ؟

ج : أما المراد بالكسب فهو الإنفاق ، فقوله : ﴿ مما كسبوا ﴾ أي : مما أنفقوا ، والمعنى : لا يقدرون على الانتفاع بشيء من ثواب أعمالهم وإنفاقهم ، والله تعالى أعلم .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ابتغاء – تثبيتًا – جنة – بربوة – آتت أكلها – طلٌّ – أيود – إعصار ؟

ج :

الكلمة	معناها
ابتغاء	طلب
تثبيتًا	تصديقًا – احتسابًا – يقينًا ، وقيل : يتثبتون أين يضعون أموالهم
جنة	حديقة – بستان – وهي قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها[1]

(١) مأخوذة من الجن والجنين لاستتارهم .

الكلمة	معناها
بربوة	الربوة : هي المكان المرتفع من الأرض يسيرًا
آتت أكلها	أعطت ثمرها
طلٌّ	المطر الضعيف المستدق – الندى – الرذاذ وهو اللين من المطر
أيود	أيحب
إعصار	الريح الشديدة العاصفة التي تهب من الأرض إلى السماء كالزوبعة ، ومن العلماء من قال : هي ريح فيها سموم شديدة[1]

❋ ❋ ❋

(١) روى ذلك الطبري بإسناد حسن عن قتادة .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنها أثمرت في عام ما يثمره غيرها في عامين .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : الطل ، هو : الندى أو المطر الخفيف – كما تقدم ، والمعنى والله أعلم : أنها (أي : الجنة) إذا لم يصبها الوابل (وهو المطر الشديد) فالطل يكفيها .

والمعنى الإجمالي : أن عمل المؤمن لا يبور كما أن الجنة لا تبور ، فإن لم يأتها وابل فالطل يكفيها ، وكذلك عمل المؤمن يقبله الله وينميه ويكثره وإن كان قليلًا .

* * *

س : وضح معنى قوله : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ... ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله :

هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق . فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص . والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل ، فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية ، إحداهما : طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضًا من أغراضه الدنيوية . وهذا حال أكثر المنفقين ، والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وترددها . هل يفعل أم لا ؟ فالآفة الأولى : تزول بابتغاء مرضات الله . والآفة الثانية : تزول بالتثبيت فإن تثبيتْ النفس تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل . وهذا هو صدقها وطلب مرضات الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها فإذا كان

مصدر الإنفاق عن ذلك كان مثله كجنة - وهي البستان الكثير الأشجار - فهو مجتنٌّ بها أي : مستتر ليس قاعًا فارغًا . والجنة بربوة وهو المكان المرتفع ، لأنها أكمل من الجنة التي بالوهاد والحضيض ، لأنها إذا ارتفعت كانت بمدْرَجة الأهوية والرياح . وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها . فكانت أنضج ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره ، فإن الثمار تزداد طيبًا وزكاء بالرياح والشمس ، بخلاف الثمار التي تنشأ في الظلال ، وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يخش عليها إلا من قلة الماء والشراب فقال تعالى : ﴿ أصابها وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] وهو المطر الشديد العظيم القدر ، فأدت ثمرتها وأعطت بركتها ، فأخرجت ثمرتها ضعفي ما يثمر غيرها أو ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل . فهذا حال السابقين المقربين ، ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] فهو دون الوابل . فهو يكفيها لكرم منبتها وطيب مغرسها تكتفي في إخراج بركتها بالطل ، وهذا حال الأبرار والمقتصدين في النفقة ، وهم درجات عند الله . فأصحاب الوابل أعلاهم درجة ، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وأصحاب الطل مقتصدوهم .

فمثَّل حال القسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ، ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يوجب زكاء ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف ، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة ، بعد أن صدرت عن ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم ، فهي زاكية عند الله نامية مضاعفة .

واختلف في الضعفين . فقيل : ضعفا الشيء : مثلاه زائدًا عليه ، وضِعفه : مثله .

وقيل : ضعفه : مثلاه ، وضعفاه : ثلاثة أمثاله ، وثلاثة أضعافه : أربعة أمثاله ، كلما زاد ضعفًا زاد مثلًا ، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من

استواء دلالة المفرد والتثنية فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه فإذا زاد إلى المثل صار مثلين ، وهما الضعف . فلو قيل : لها ضعفان ؛ لم يكن فرق بين المفرد والمثنى . فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل ، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثالِه مضافة إلى الأصل ، وهكذا أبدًا .

والصواب : أن الضعفين هما المثلان فقط ، الأصل ومثله . وعليه يدل قوله تعالى : ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ [البقرة : ٢٦٥] أي : مثلين ، وقوله تعالى : ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ [الأحزاب : ٣٠] أي : مثلين . ولهذا قال في الحسنات : ﴿ نؤتها أجرها مرتين ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

وأما ما توهموه من استواء دلالة المفرد والتثنية فوهم منشؤه ظن أن الضعف هو المثل مع الأصل ، وليس كذلك ، بل المثل له اعتباران : إن اعتبر وحده فهو ضعف ، وان اعتبر مع نظيره فهما ضعفان . والله أعلم .

واختلف في رافع قوله : ﴿ فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

فقيل : هو مبتدأ خبره محذوف ، أي : وطله يكفيها .

وقيل : خبر مبتدؤه محذوف تقديره . فالذي يرويها ويصيبها طل ، والضمير في ﴿ أصابها ﴾ [البقرة : ٢٦٥] إما أن يرجع إلى الجنة ، أو إلى الربوة ، وهما متلازمان .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ... ﴾ الآية [البقرة : ٢٦٦] ؟

ج : أخرج البخاري[1] من طريق عبيد بن عمير قال : قال عمر

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٣٨) .

رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ؟ ، قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضُربت مثلًا لعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ ، قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] قال :

قوله : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ﴾ الآية [البقرة :٢٦٦] ، يقول : أصابها ريح فيها سموم شديد – ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، : فهذا مثلٌ ، فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله ، فإنه قال : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، هذا رجل كبرت سنه ، ورق عظمه ، وكثر عياله ، ثم احترقت جنته على بقية ذلك ، كأحوج ما يكون إليه ، يقول : أيحب أحدكم أن يضلَّ عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه ؟

واختار الطبري رحمه الله ما ذكره بإسناده عن السدي قال :

﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾ [البقرة :٢٦٦] ، هذا مثل آخر لنفقة الرياء . إنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه . فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته ، جاءت

---

(١) أخرجه الطبري (٦٠٩٩) .

ريح فيها سموم فأحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئًا . فكذلك المنفق رياء .

وقال الرازي رحمه الله : اعلم أن هذا مثل آخر ذكره الله تعالى في حق من يتبع إنفاقه بالمن والأذى ، والمعنى أن يكون للإنسان جنة في غاية الحسن والنهاية ، كثيرة النفع ، وكان الإنسان في غاية العجز عن الكسب وفي غاية شدة الحاجة ، وكما أن الإنسان كذلك فله ذرية أيضًا في غاية الحاجة ، وفي غاية العجز ، ولا شك أن كونه محتاجًا أو عاجزًا مظنة الشدة والمحنة ، وتعلق جمع من المحتاجين العاجزين به زيادة محنة على محنة ، فإذا أصبح الإنسان وشاهد تلك الجنة محرقة بالكلية ، فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة ، والمحنة والبلية تارة بسبب أنه ضاع مثل ذلك المملوك الشريف النفيس ، وثانيًا بسبب أنه بقي في الحاجة والشدة مع العجز عن الاكتساب واليأس عن أن يدفع إليه أحد شيئًا ، وثالثًا بسبب تعلق غيره به ، ومطالبتهم إياه بوجوه النفقة ، فكذلك من أنفق لأجل الله ، كان ذلك نظيرًا للجنة المذكورة وهو يوم القيامة ، كذلك الشخص العاجز الذي يكون كل اعتماده في وجوه الانتفاع على تلك الجنة ، وأما إذا أعقب إنفاقه بالمن أو بالأذى كان ذلك كالإعصار الذي يحرق تلك الجنة ، ويعقب الحسرة والحيرة والندامة فكذا هذا المال المؤذي إذا قدم يوم القيامة ، وكان في غاية الاحتياج إلى الانتفاع بثواب عمله ، لم يجد هناك شيئًا فيبقى لا محالة في أعظم غم ، وفي أكمل حسرة وحيرة ، وهذا المثل في غاية الحسن ، ونهاية الكمال ، ولنذكر ما يتعلق بألفاظ الآية .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

وقوله تعالى : ﴿ أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ [البقرة : ٢٦٦] خص هذين النوعين من الثمار بالذكر لأنهما أشرف أنواع الثمار ، وأكثرها نفعًا فإن منهما القوت والغذاء . والدواء والشراب والفاكهة . والحلو

والحامض ، ويؤكلان رطبًا ، ويابسًا ، ومنافعهما كثيرة جدًّا .

وقد اختلف في الأنفع والأفضل منهما .

فرجحت طائفة النخيل ، ورجحت طائفة العنب ، وذكرت كل طائفة حججًا لقولها ، فذكرناها في غير هذا الموضع .

وفصل الخطاب : أن هذا يختلف باختلاف البلاد ، فإن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة بأن سلطان أحدهما لا يحل حيث يحل سلطان الآخر . فالأرض التي يكون فيها سلطان النخيل لا يكون العنب بها طائلًا ولا كثيرًا . لأنه إنما يخرج في الأرض الرخوة اللينة المعتدلة غير السبخة ، فينمو فيها فيكثر ، وأما النخيل فنموه وكثرته في الأرض الحارة السبخة ، وهي لا تناسب العنب . فالنخل في أرضه وموضعه أنفع وأفضل من العنب فيها . والعنب في أرضه ومعدنه أفضل من النخل فيها . والله أعلم .

والمقصود : أن هذين النوعين هما أفضل أنواع الثمار وأكرمها . فالجنة المشتملة عليهما من أفضل الجنان ، ومع هذا فالأنهار تجري تحت هذه الجنة . وذلك أكمل لها وأعظم في قدرها ، ومع ذلك فلم يعدم شيئًا من أنواع الثمار المشتهاة ، بل فيها من كل الثمرات ، ولكن معظمها ومقصودها النخيل والأعناب . فلا تنافي بين كونها من نخيل وأعناب ، و ﴿ فيها من كل الثمرات ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٣٤] .

وقد قيل : إن الثمار في آية الكهف وفي آية البقرة المراد بها المنافع والأموال ، والسياق يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها . لقوله في البقرة :

﴿ له فيها من كل الثمرات ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، ثم قال تعالى : ﴿ فأصابها ﴾ [البقرة : ٢٦٦] أي : الجنة ﴿ إعصار فيه نار فاحترقت ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، وفي الكهف ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يُقلِّب كَفَّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ﴾ [الكهف : ٤٢] ، وما ذلك إلا ثمار الجنة . ثم قال تعالى : ﴿ وأصابه الكبر ﴾ [البقرة : ٢٦٦] هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته ، وتعلق قلبه بها من وجوه :

أحدها : أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها .

الثاني : أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه .

الثالث : أن له ذرية ، فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته .

الرابع : أنهم ضعفاء ، فهم كَلٌّ عليه ، لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم .

الخامس : أن نفقتهم عليه ، لضعفهم وعجزهم .

وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة ، لخطرها في نفسها ، وشدة حاجته وذريته إليها . فإذا تصورت هذا الحال وهذه الحاجة ، فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار ، وهو الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيها نار ، مرت بتلك الجنة فأحرقتها ، وصيرتها رمادًا ، فصدق والله الحسن – هذا مثل قل من يعقله من الناس – ، ولهذا نبه الله سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل ، وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه . فقال تعالى : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه ، فكذلك العبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويحرقها من معاصي الله كانت كالإعصار ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح .

فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله

كما ينبغي لما سولت له نفسه – والله – إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها ، ولكن لا بد أن يغيب عنه علمه عند المعصية . ولهذا استحق اسم الجهل . فكل من عصى الله فهو جاهل .

فإن قيل : الواو في قوله تعالى : ﴿ وأصابه الكبر ﴾ [البقرة : ٢٦٦] واو الحال أم واو العطف ؟ وإذا كانت للعطف فعلام عطفت ما بعدها ؟ .

قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أنها واو الحال ، اختاره الزمخشري ، والمعنى : أيود أحدكم أن تكون له جنة شأنها كذا وكذا في حال كبره وضعف ذريته .

والثاني : أن تكون للعطف على المعنى . فإن فعل التمني وهو قوله : ﴿ أيود أحدكم ﴾ [البقرة : ٢٦٦] لطلب الماضي كثيرًا . فكان المعنى : أيود لو كانت له جنة من نخيل وأعناب وأصابه الكبر فجرى عليها ما ذكر .

وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان : بالصفوان الذي عليه التراب ، فإنه لم ينبت شيئًا أصلًا ، بل ذهب بذره ضائعًا لعدم إيمانه وإخلاصه . ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصًا بنيته لله ، ثم عرض له ما أبطل ثوابه : بالجنة التي هي من أحسن الجنان وأطيبها وأزهرها ، ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها . فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ، ثم أحرقه ، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق .

فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب ، وشفاء للصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

تيمموا – تغمضوا فيه – يعدكم – الفحشاء ؟

ج :

الكلمة	معناها
تيمموا	تقصدوا – تَعْمدُوا
تغمضوا فيه	تصرفوا النظر عن العيوب التي فيه وتتغاضوا عنها – تتساهلوا وترضوا وتتجاوزوا
يعدكم	يخوِّفكم
الفحشاء	المعاصي والآثام والمحارم ، وقيل : المراد بها هنا : البخل

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخبيث ؟ وما المراد بطيبات الكسب ؟

ج : المراد بالخبيث : الرديء غير الجيد ، وقال بعض أهل العلم : إنه المحرم ، أما المراد بطيبات الكسب فهي : الجيد الحلال ويشمل التجارة والإجارة ونحو ذلك من الكسب الحلال ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخارج من الأرض ؟

ج : الخارج من الأرض يشمل النبات والمعادن والركاز (الذي هو دفن الجاهلية)[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم الركاز ؟

ج : في الركاز الخمس ، كما قال رسول الله ﷺ[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل ينتظر حولًا على الركاز حتى تُخرج منه الزكاة ؟

ج : لا ينتظر حولًا بل تؤخذ منه الزكاة في حينه ، إذ لا دليل على انتظار الحول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ [البقرة : ٢٦٧] هل هو عام في كل ما تخرجه الأرض أم قيد بشيء ؟

ج : ليس عامًّا ؛ بل قيد بما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس

---

(١) وقيل : هو ما ارتكز في الأرض من الذهب والفضة والجواهر .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٩٩) ، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فيما دون خمس أوسق صدقة »[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ؟

ج : المعنى : إذا أهُدي إليكم ، أو كانت لكم ديون عند أحد فسددها من هذا النوع الخبيث فلا تقبلوه إلا إذا غضضتم الطرف عنه وعن العيوب التي به وتجاوزتم وتساهلتم في قبوله .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ... ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ..) :

أضاف سبحانه الكسب إليهم ، وإن كان هو الخالق لأفعالهم ، لأنه فعلهم القائم بهم ، وأسند الإخراج إليه لأنه ليس فعلًا لهم ، ولا هو مقدورًا لهم ، فأضاف مقدورهم إليهم وأضاف مفعوله الذي لا قدرة لهم عليه إليه . ففي ضمنه الرد على من سوى بين النوعين وسلب قدرة العبد وفعله وتأثيره عنه بالكلية . وخص سبحانه هذين النوعين وهما الخارج من الأرض ، والحاصل بكسب التجارة دون غيرهما من المواشي : إما بحسب الواقع ، فإنهما كانا أغلب أموال القوم إذ ذاك . فإن المهاجرين كانوا أصحاب تجارة وكسب ، والأنصار كانوا أصحاب حرث وزرع . فخص هذين

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٩) ، ومسلم (حديث ٩٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

النوعين بالذكر لحاجتهم إلى بيان حكمهما وعموم وجودهما ، وإما لأنهما أصول الأموال وما عداهما فعنهما يكون ومنهما ينشأ ، فإن الكسب يدخل فيه التجارات كلها على اختلاف أصنافها وأنواعها من الملابس والمطاعم والرقيق والحيوانات والآلات والأمتعة وسائر ما تتعلق به التجارة ، والخارج من الأرض يتناول حبها وثمارها وركازها ومعدنها ، وهذان هما أصول الأموال وأغلبها على أهل الأرض ، فكان ذكرهما أهم .

ثم قال : ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ [البقرة : ٢٦٧] فنهى سبحانه عن قصد إخراج الرديء ، كما هو عادة أكثر النفوس : تمسك الجيد لها ، وتخرج الرديء للفقير .

ونهيه سبحانه عن قصد ذلك وتيممه فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن قصد وتيمم ، بل عن اتفاق ، إذ كان هو الحاضر إذ ذاك ، أو كان ماله من جنسه . فإن هذا لم يتيمم الخبيث بل تيمم إخراج بعض ما من الله به عليه .

وموقع قوله : ﴿ منه تنفقون ﴾ [البقرة : ٢٦٧] موقع الحال أي : لا تقصدوه منفقين منه .

ثم قال : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه ﴾ [البقرة : ٢٦٧] أي : لو كنتم أنتم المستحقين له وبُذل لكم لم تأخذوه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه ، من قولهم : أغمض فلان عن بعض حقه . ويقال للبائع : أغمض ، أي : لا تستقص . كأنك لا تبصر . وحقيقته : من إغماض الجفن ، فكأن الرائي لكراهته له لا يملأ عينه منه ، بل يغمض من بصره ويغمض عنه بعض نظره بغضًا ، ومنه قول الشاعر :

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ ـم رجال يرضون بالإغماض

وفيه معنيان :

أحدهما : كيف تبذلون لله وتهدون له ما لا ترضون ببذله لكم ، ولا يرضى أحدكم من صاحبه أن يهديه له ، والله أحق من يختار له خيار الأشياء وأنفَسها ؟!

والثاني : كيف تجعلون له ما تكرهون لأنفسكم ، وهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا ؟!

ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما ، فقال : ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، فغناه وحمده يأبيان قبوله الرديء ، فإن قابل الرديء الخبيث إما أن يقبله لحاجته إليه ، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها ، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك تعالى ذكره : ﴿ الشيطان يعدكم ﴾ ، أيها الناس – بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم – أن تفتقروا – ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ ، يعني : ويأمركم بمعاصي الله عز وجل وترك طاعته – ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ ، يعني : إن الله عز وجل يعدكم ، أيها المؤمنون ، أن يستر عليكم فحشاءكم ، بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها ، فيغفر لكم ذنُوبكم بالصدقة التي تتصدَّقون – ﴿ وفضلًا ﴾ يعني : ويعدكم أن يخلف عليكم من صَدَقتكم ، فيتفضل عليكم من عطاياه ، ويُسبغ عليكم في أرزاقكم .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني . فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل ، والداعي إلى البذل والإنفاق ، وبيان ما يدعو إليه داعي البخل ، وما يدعو إليه داعي الإنفاق ، وبيان ما يدعو به داعي الأمرين .

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان ، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم . وهذا هو الداعي الغالب على الخلق . فإن أحدهم يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعيًا يقول له : متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه ، وافتقرت إليه بعد إخراجه ، وإمساكه خير لك ، حتى لا تبقى مثل الفقير ، فغناك خير لك من غناه . فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل : الذي هو من أقبح الفواحش ، وهذا إجماع من المفسرين : أن الفحشاء ، هنا البخل . فهذا وعده وهذا أمره . وهو الكاذب في وعده ، الغار الفاجر في أمره : فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون . فإنه يدلي من يدعوه بغروره . ثم يورده شر الموارد . كما قيل :

دلاهُم بغرور ، ثم أوردهم إن الخبيث لمن والاه غرار

هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ، ولا نصيحة له ، كما ينصح الرجل أخاه ، ولا محبة في بقائه غنيًّا ، بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته . وإنما وعده له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ، ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه ، فيستوجب منه الحرمان .

وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه ، وفضلًا بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه إما في الدنيا ، أو في الدنيا والآخرة .

فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان . فلينظر البخيل والمنفق أيَّ الوعدين هو أوثق ؟ وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه ؟ والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء . وهو الواسع العليم .

وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين : ﴿ والله واسع عليم ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، فإنه واسع العطاء ، عليم بمن يستحق فضله ، ومن يستحق عدله ، فيعطي هذا بفضله ، ويمنع هذا بعدله . وهو بكل شيء عليم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وما يذَّكر إلا أولو الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ؟

ج : أي : وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من كان له لب وعقل يعي ويفهم به الخطاب ، والله أعلم .

* * *

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

س : ما معنى النذر لغة أو شرعًا ؟

ج : **النذر لغة :** النحب ، وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحبًا واجبًا ، والنحب معناه : العهد .

والنذر شرعًا : التزام المكلف شيئًا لم يكن عليه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر أقسام النذور ؟

ج : **للنذر أقسام منها ما يلي :**

١ - **نذر الطاعة** (ويطلق عليه أيضًا نذر التبرر) : وهو أن يلتزم الشخص فعل طاعة ، **وله صورتان :**

أحدهما : أن يلتزم ذلك ابتداء دون تعليقه على شيء ، كأن يقول : لله عليَّ أن أعتمر ، أو لله عليَّ أن أتصدق بكذا ، أو لله عليَّ أن أصوم شهرًا ، وهذا يسميه العلماء : نذر الابتداء ، ومنهم من يسميه : النذر المطلق .

الثاني : أن يعلِّق النذر على فعل شيء ، كأن يقول : إن شفى الله ولدي سأتصدق بكذا وكذا ، فعلق الصدقة على شفاء الولد ، وهذا يسمى نذر المجازاة .

ونذر الطاعة بصورتيه يجب الوفاء به .

٢ - **نذر المعصية** : كمن ينذر شرب الخمر أو قطع الرحم أو نحو

ذلك من أنواع المعاصي والمحارم والآثام . وهذا النوع يحرم الوفاء به لقول النبي ﷺ : « من نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام :« لا وفاء لنذرٍ في معصية الله » .

٣ - **نذر المباح** : وصورته أن يقول الشخص : لله عليَّ أن آكل كذا ، أو أشرب كذا أو ألبس كذا ... ، وجمهور العلماء على أنه لا يترتب عليه شيء .

٤ - **النذر المبهم** : كأن يقول : لله عليَّ نذر ، دون أن يُحدِّده .

٥ - **نذر اللجاج أو الغضب** : وهو ما يتنزل منزلة اليمين ، كأن يقول : إن دخلت دار فلان فللَّه عليَّ صوم كذا ، يريد بذلك منع نفسه من دخول الدار ، وهذا يُخير فيه الناذر بين الوَفاء باليمين وبين كفارة اليمين ، لكن إذا نذر هذا النوع من النذر ورأى غيره خيرًا منه ، يأت الذي هو خير ويُكفر عن نذره شأنه في ذلك شأن اليمين والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل النذر مستحب أو مكروه ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن النذر مكروه لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قُدر له ، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قُدر له ، فيستخرج الله به من البخيل فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل » .

وكذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث ابن عمر رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ، ومسلم (١٦٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ، ومسلم (١٦٤٠) .

عنهما قال : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال : « إنه لا يرد شيئًا ولكنه يُستخرج به من البخيل » .

هذا وقد حمل بعض العلماء هذه الأحاديث على نذر المجازاة[1] فقط ، والله أعلم .

أما إذا نذر الشخص نذر طاعة (سواء كان نذر ابتداء أو نذر مجازاة) لزمه الوفاء به لما قدمناه من أحاديث كقول النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » ، ولقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا وحّد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ [البقرة : ٢٧٠] مع أنه يرجع إلى شيئين ؟

ج : أجاب على ذلك صديق حسن خان (فتح البيان) فقال :

ووحّد الضمير مع كونه مرجعه شيئين هما : النفقة والنذر ؛ لأن التقدير : وما أنفقتم من نفقة فإن الله يعلمها ، أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، ثم حذف أحدهما استغناء بالآخر ، قاله النحاس .

وقيل : إنما كان العطف فيه بكلمة « أو » كما في قولك زيد أو عمرو ، فإنه يقال : أكرمته ، ولا يقال : أكرمتهما .

والأولى أن يقال : إن العطف بأو يجوز فيه الأمران : توحيد الضمير كما في هذه الآية وفي قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] ، وقوله : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا ﴾ [النساء : ١١٢] ، وتثنيته كما في قوله تعالى : ﴿ إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله

---

(١) ومستندهم قوله عليه الصلاة والسلام : « إنما يستخرج به من البخيل » .

أولى بهما ﴾ [النساء : ١٣٥] .

ومن الأول في العطف بالواو قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ﴾ [التوبة : ٣٤] .

وقيل : إذا وحِّد الضمير بعد شيئين أو أشياء فهو بتأويل المذكور أي : فإن الله يعلم المذكور ، وبه جزم ابن عطية ورجحه القرطبي ، وذكر معناه كثير من النحاة في مؤلفاتهم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ﴾ [البقرة : ٢٧٠] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) : أخبر أن كل ما أنفقوه من نفقة أو تقربوا به إليه من نذرٍ فإن الله يعلمه ، فلا يضيع لديه بل يعلم ما كان منه لوجهه فيتولى هو سبحانه مجازاته من واسع فضله ، وبكل جزاء من عمل لغيره إلى من عمل له فإنه ظالم لنفسه وما له من نصير .

❋ ❋ ❋

إِن تُبْدُوا
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

س : اذكر معنى ما يلي : تبدوا – فنعما هي ؟

ج :

الكلمة	معناها
تبدوا	تظهروها – تعلنوها
فنعما هي	نعم الشيء هي

❋ ❋ ❋

س : أيهما أفضل : صدقة السر أم صدقة العلن ؟

ج : المقام هنا يتعلق بنوعي الصدقة :

أحدهما : صدقة الفرض ، وهذه قال ابن العربي رحمه الله : أما صدقة الفرض ؛ فلا خلاف أن إظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر فرائض الشريعة ؛ لأن المرء يحرز بها إسلامه ويعصم ماله ، وليس في تفضيل صدقة العلانية على السر ولا في تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح يُعوَّل عليه ، ولكنه الإجماع الثابت .

الثاني : صدقة النفل[1] ، والأصل في صدقة التطوع أن الأفضل فيها أن تكون سرًّا لقوله تعالى : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، ولحديث : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[2] ، ثم لما فيها من ستر على الفقير ، لكن في بعض الأحيان قد تفضل صدقةُ العلَن صدقةَ السر ، وذلك إذا كان وراء الإعلان مصلحة راجحة ، وكان الناس يقتدون بالمتصدق .

قال ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن : فأما صدقة النفل فالقرآن صرَّح بأنها في السر أفضل منها في الجهر بيد أن علماءنا قالوا : إن هذا على الغالب مخرجه .

والتحقيق فيه أن الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها والمعطي إياها والناس الشاهدين لها .

أما المعطي فله فائدةُ إظهار السنة وثواب القدوة ، وآفتها الرياء والمن

---

(١) أخرج الطبري (٦١٩٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : كُلٌّ مقبول إذا كانت النية صادقة ، وصدقة السر أفضل .

(٢) صحيح متفق عليه وقد تقدم .

والأذى ، وأما المعطى إياها؛ فإن السرَّ أسلم له من احتقار الناس له ، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغنى وترك التعفف .

وأما حال الناس؛ فالسرُّ عنهم أفضل من العلانية لهم من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء ، ولهم فيها تحريك القلوب إلى الصدقة لكن هذا اليوم قليل .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ... ﴾ [البقرة : ٢٧١] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

ثم أخبر أن كل ما أنفقوه من نفقة أو تقربوا به إليه من نذر فإنه يعلمه ، فلا يضيع لديه ، بل يعلم ما كان منه لوجهه فيتولى هو سبحانه مجازاته من واسع فضله ، ويكل جزاء من عمل لغيره إلى من عمل له فإنه ظالم لنفسه وما له من نصير .

ثم أخبر سبحانه عن أحوال المتصدقين لوجهه في صدقاتهم ، وأنه يثيبهم عليها ، إن أبدوها أو كتموها بعد أن تكون خالصة لوجهه ؛ فقال : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هي ﴾ [البقرة : ٢٧١] أي : فنعم شيء هي ، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية ، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه ، فيمنعه ذلك من إخراجها ، وينتظر بها الإخفاء ، فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه ، أو بينه وبين إخراجها . فلا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر ، وهذه كانت حال الصحابة .

ثم قال : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ [البقرة : ٢٧١] فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها .

وتأمل تقييده – تعالى – الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة ، ولم يقل : وإن تخفوها فهو خير لكم ، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش ، وبناء قنطرة ، وإجراء نهر أو غير ذلك ، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد : الستر عليه ، وعدم تخجيله بين الناس ، وإقامته مقام الفضيحة ، وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى ، وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته . وهذا قدر زائد عن الإحسان إليه بمجرد الصدقة ، مع تضمنه الإخلاص ، وعدم المراءاة وطلب المحمدة من الناس ، وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس ، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها ، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة . ولهذا جعله سبحانه خيرًا للمنفق ، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته . ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم . فإنه بما تعملون خبير .

ثم أخبر أن هذا الإنفاق إنما نفعه لأنفسهم ، يعود عليهم أحوج ما كانوا إليه فكيف يبخل أحدكم عن نفسه بما نفعه مختص بها عائد إليها ؟ وإن نفقة المؤمنين إنما تكون ابتغاء وجهه خالصًا . لأنها صادرة عن إيمانهم ، وإن نفقتهم ترجع إليهم وافية كاملة . ولا يظلم منها مثقال ذرة .

وصدر هذا الكلام بأن الله هو الهادي الموفق لمعاملته . وإيثار مرضاته وأنه ليس على رسوله هداهم . بل عليه إبلاغهم . وهو سبحانه الذي يوفق من يشاء لمرضاته .

❋ ❋ ❋

۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
۞٢٧٢ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۞٢٧٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞٢٧٤

س : اذكر معنى ما يلي :

أحصروا في سبيل الله – لا يستطيعون ضربًا في الأرض – سيماهم – إلحافًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
أحصروا في سبيل الله	أصل الإحصار : المنع ، وأحصروا في سبيل الله : انقطعوا إلى الله ورسوله

الكلمـة	معنـاهـا
	وسكنوا المدينة
لا يستطيعون ضربًا في الأرض	لا يستطيعون سفرًا لطلب المعاش
سيماهم	السيما : هي العلامة ، وقيل : المراد بها هنا : الخشوع والتواضع ، وقيل : علامة الصلاة في جباههم ، وقيل : أثر الفقر والفاقة
إلحافًا	الإلحاف : الإلحاح ، وقيل : الملحف هو الذي يسأل وعنده ما يكفيه

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ... ﴾ الآية [البقرة : ٢٧٢] ؟

ج : سبب نزولها : ما أخرجه الطبري[١] وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا لا يرضخون[٢] لقراباتهم من المشركين فنزلت : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

والمعنى : أنهم كانوا لا يتصدقون على قراباتهم من المشركين طمعًا في إسلامهم ، فبين الله عز وجل أن إعطاءهم أو عدم إعطائهم لا يؤثر في هدايتهم ، إنما الذي يهدي هو الله سبحانه وتعالى .

* * *

س : هل يجوز أن يعطى الكفار من الزكاة المفروضة ؟

ج : قال ابن المنذر رحمه الله تعالى : أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الذمّي لا يعطى من زكاة الأموال شيئًا .

قلت : وكذلك نقل الإجماع غير واحد ، منهم الرازي رحمه الله ، ويشهد لهذا الإجماع قول النبي ﷺ في الزكاة : « ... تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم »[٣] (والخطاب للمسلمين) .

● أما بالنسبة لصدقة التطوع؛ فيجوز دفعها لغير المسلمين ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ،

---

(١) أخرجه الطبري (٦٢٠٢) .

(٢) أي : لا يعطون .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٤٩٦) ، ومسلم (ص٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ولسبب نزول هذه الآية الذي قدمنا ذكره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكر بعض أهل العلم أن الخير في كتاب الله عز وجل دائمًا يُراد به المال فهل هذا صحيح ؟

ج : ليس هذا بصحيح ، لكنه إذا اقترن بالإنفاق يكون المراد به المال ، وإذا لم يقترن بالإنفاق فقد يُراد به المال ، وقد يُراد به غيره ، قال الله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًّا وأحسن مقيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن هذا ثناءٌ من الله عز وجل على أصحاب نبيه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم .

الثاني : أن النفقة المعتد بها والتي يتقبلها الله عز وجل إنما هي النفقة التي ابتغي بها وجه الله .

الثالث : أن هذا خبر معناه الأمر ، والخبر يأتي بمعنى الأمر في كثير من الأحيان ، قال الله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا تصدق رجل بصدقة يبتغي بها وجه الله ولكنه أخطأ في وضعها في محلها هل يثاب عليها ؟

ج : الظاهر من أقوال أهل العلم : أنه يثاب عليها ، وذلك لما في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ؛ فأصبحوا يتحدثون : تُصدق الليلة على زانية ، قال : اللهم لك الحمد على زانية ! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غني ، قال : اللهم لك الحمد على غني ! ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق ! ، فأُتي ، فقيل له : أما صدقتك فقد قُبلت ، أما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها ، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته » .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله .. ﴾ [البقرة : ٢٧٣] هذه الآية بيان لماذا ؟ وما هي أوصاف الفقراء المذكورة في الآية الكريمة ؟

ج : هذه الآية بيان للمصرف الذي توضع فيه الصدقة ، أما صفات الفقراء فهي ست صفات كما ذكرها ابن القيم (التفسير القيم) فقال :

إحداها : الفقر .

الثانية : حبسهم أنفسهم في سبيله تعالى وجهاد أعدائه ، ونصر دينه ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) .

وأصل الحصر : المنع ، فمنعوا أنفسهم من تصرفها في أشغال الدنيا ، وقصروها على بذلها لله وفي سبيله .

الثالثة : عجزهم عن الأسفار للتكسب ، والضرب في الأرض : هو السفر . قال تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾ [النساء : ١٠١] .

الرابعة : شدة تعففهم . وهو حسن صبرهم ، وإظهارهم الغنى ، يحسبهم الجاهل أغنياء من تعففهم ، وعدم تعرضهم وكتمانهم حاجتهم .

الخامسة : أنهم يُعرفون بسيماهم . وهي العلامة الدالة على حالتهم التي وصفهم الله بها . وهذا لا ينافي حسبان الجاهل أنهم أغنياء ، لأن الجاهل له ظاهر الأمر ، والعارف : هو المتوسم المتفرِّس الذي يعرف الناس بسيماهم . فالمتوسمون : خواص المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] .

السادسة : تركهم مسألة الناس ، فلا يسألونهم إلحافًا ، والإلحاف : هو الإلحاح ، والنفي متسلط عليهما معًا ، أي : لا يسألون ولا يلحفون . فليس يقع منهم سؤال يكون بسببه إلحاف . وهذا كقوله :

على لاحب لا يهتدى لمناره

أي : ليس فيه منار فيهتدى به .

وفيه كالتنبيه على أن المذموم من السؤال : هو سؤال الإلحاف . فأما السؤال بقدر الضرورة من غير إلحاف فالأفضل تركه ولا يحرم .

فهذه ست صفات للمستحقين للصدقة فألغاها أكثر الناس ولحظوا منها ظاهر الفقر ، وزيه من غير حقيقته . وأما سائر الصفات المذكورة فعزيز أهلها ، ومن يعرفهم أعز . والله يختص بتوفيقه من يشاء ، فهؤلاء هم

المحسنون في أموالهم .

❋ ❋ ❋

س : إذا كان هناك فقير عليه ثياب حسنة وكسوة جميلة هل يُعطى من الصدقة ؟

ج : نعم ، يعطى من الصدقة إن عُلم أنه فقير ، وإن كان له ثياب ، فهؤلاء الفقراء المذكورون في قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ذكر الله سبحانه وتعالى أن الجاهل يحسبهم أغنياء من التعفف .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم الإلحاف في المسألة ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه مسلم[1] من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعة لحم » .

● وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أو يمنعه » .

● وقد بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٠) ، ومسلم (١٠٤٢) .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ؟

ج : قيل : إن المراد لا يسألون الناس البتة ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، وقيل : إن المراد أنهم يسألون لكنهم لا يلحفون في المسألة ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالتعفف ؟

ج : التعفف عن الشيء هو التنزه عن طلبه والإمساك عنه ، والمراد هنا : الإمساك عن السؤال ، وإيثار التوكل على الله .

* * *

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

يتخبطه – المس – يمحق – يُربي – أثيم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يتخبطه	يصرعه
المس	الجنون
يمحق	يذهبه ، إما بالكُلِّية ، وإما يحرم صاحبه بركة ماله ؛ فلا ينتفع به ؛ فالمحق : الذهاب والنقصان
يُربي	يزيد ويُنمي
أثيم	آثم ، مبالغ في الإثم

س : ما معنى الربا ؟ وما هي أنواعه ؟

ج : الربا معناه : الزيادة ، وينقسم إلى قسمين :

ربا الفضل : وصورته أن يبيع الرجل صاعًا من تمر جيد بصاعين من تمر رديء ، أو يبيع مائة جرام من ذهب جيد بمائة وخمسين من ذهب قديم مثلًا .

ربا النسيئة : وهو أن يقرض الرجلُ رجلًا آخر قرضًا إلى أجل على أن يرده مع زيادة ، أو أن يبيع الرجل شيئًا إلى رجل آخر إلى أجل ، فإذا حل وقت السداد ولم يُسدِّد الدَّين أخره مدة أخرى مع زيادة يفرضها عليه .

* * *

س : ما المراد بأكل الربا ، هل هو الطعام فقط ؟

ج : ليس المراد الطعام فقط ، إنما المراد بأكل الربا : أخذ الربا وقبوله سواء كانوا يأكلون به ، أو يبنون به بيوتًا ، أو يتزينون به ويكتسون به ، أو يتجرون به ، أو يكسبون الربا ويفعلونه .

قال الطبري رحمه الله :

فإن قال لنا قائل : أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم يأكله ، أيستحقُّ هذا الوعيدَ من الله ؟

قيل : نعم ، وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكلُ ، إلا أنَّ الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت ، كانت طُعمتهم ومأكلُهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم ، معظِّمًا بذلك عليهم أمرَ الرِّبا ، ومقبِّحًا إليهم الحال التي هم عليها في مطاعمهم ، وفي قوله جل ثناؤه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] الآية ، ما ينبىء عن صحة ما

قلنا في ذلك ، وأنَّ التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الرِّبا ، وأنَّ سواءً العملُ به وأكلُه وأخذُه وإعطاؤه ، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من قوله :

« لعن الله آكلَ الرِّبا ومُؤْكِلَه ، وكاتبَه وشاهدَيْه ، إذا علموا به » .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : وليس المراد بالذين يأكلونَ الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله ؛ بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه ، وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله ، ولكونه هو الغرض الأهم ، فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل ، عن جابر قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، رواه مسلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، لا يقومون من ماذا ؟

ج : قال جمهور المفسرين : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين قالوا : إنما البيع مثل الربا ؟ اذكر طرفًا من معناها ؟

ج : هم الكفار ، قال القرطبي : معناه عند جميع المتأولين في الكفار ، هذا ، وقد قال الطبري رحمه الله في معناها :

يعني بـ « ذلك » جل ثناؤه : ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم ، كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ من الجنون ، فقال تعالى ذكره : هذا الذي ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قُبْح حالهم ، ووَحشة قيامهم من قبورهم ، وسوء ما حلَّ بهم ، من أجل

أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون : ﴿ إنما البيع ﴾ الذي أحله الله لعباده ﴿ مثلُ الرِّبا ﴾ ، وذلك أن الذين كانوا يأكلون الرِّبا من أهل الجاهلية ، كانِ إذا حلَّ مالُ أحدهم على غريمه ، يقول الغَريم لغريم الحق : (زدني في الأجل وأزيدك في مالك) ، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك : (هذا ربًا لا يحل) ، فإذا قيل لهما ذلك قالا : (سواء علينا زدنا في أول البيع ، أو عند مَحِلِّ المال) ! فكذَّبهم الله في قيلهم فقال : ﴿ وأحل الله البيع ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

❋ ❋ ❋

س : مَن القائل : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، اذكر شيئًا من معناها ؟

ج : قائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى ، أما بالنسبة لمعناها؛ فقد قال الطبري رحمه الله :

يعني جل ثناوه : وأحلَّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع - ﴿ وحرَّم الربا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل ، وتأخيره دَيْنه عليه ، يقول عز وجل : فليست الزيادتان اللتان إحداهما من وَجه البيع ، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل ، سواء ، وذلك أنِّي حرَّمت إحدى الزيادتين - وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل - وأحللت الأخرى منهما ، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها ، فيستفضلُ فَضْلها ، فقال الله عز وجل : ليست الزيادة من وجه البيع نظيرَ الزيادة من وجه الرِّبا ، لأني أحللت البيع وحرَّمت الرِّبا ، والأمر أمري والخلق خلقي ، أقضي فيهم ما أشاء ، وأستعبدهم بما أريد ، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي ، ولا أن يخالف أمري ، وإنما عليهم طاعتي والتسليمُ لحكمي .

س : ما المراد بالموعظة في قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : المراد بالموعظة : الزجر والتخويف والتحذير من العقوبة .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فأمره إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : أمر المنتهي إلى الله ، فقد يهديه الله سبحانه وتعالى ويحفظه ويمنعه من اقتراف الرِّبا وتجنبه ، وقد يُخذل ويرجع إلى الرِّبا ، وقيل : المعنى : أمره في إقبال ونمو إلى الله ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ومن عاد ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] عاد إلى ماذا ؟

ج : عاد إلى الرِّبا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه ، أو عاد فقال : إنما البيع مثل الرِّبا .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله من سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

ثم قال جل ثناؤه : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : بـ « الموعظة » : التذكير ، والتخويفَ الذي ذكَّرهم وخوَّفهم به في آي القرآن ، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب ، يقول جل ثناؤه : فمن جاءه ذلك ، ﴿ فانتهى ﴾ عن أكل الرِّبا وارتدع عن

العمل به وانزجر عنه = ﴿ فله ما سلف ﴾ ، يعني : ما أكل وأخذ فمَضَى ، قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك - ﴿ وأمرُه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء آكله عن أكله ، إلى الله في عصمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله وثبَّته في انتهائه عنه ، وإن شاء خَذَله عن ذلك - ﴿ ومن عاد ﴾ ، يقول : ومن عاد لأكل الرِّبا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم ، من قوله : ﴿ إنما البيع مثل الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] - ﴿ فأولئك أصْحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار ، يعني : نار جهنم ، فيها خالدون .

* * *

س : هل آكل الرِّبا كافر ؟ وهل الرِّبا ممكن أن يُغفر ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : آكل الرِّبا لا يكفر إلا إذا استحله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، إما أنه عاد واستحل الرِّبا ، وقال : إنما البيع مثل الرِّبا ، فالرِّبا حلال ، أو يكون الخلود لا يحمل معنى التأبيد .

قال صديق حسن خان : .. يكون الخلود مستعارًا على معنى المبالغة ، كما تقول العرب : ملك خالد ، أي : طويل البقاء ، والمصير إلى هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار[1] ، قال سعيد بن جبير : خالدون يعني : لا يموتون .

---

(١) انظرها في آية الشفاعة التي وردت في أوائل البقرة .

س : من السُّنة أن يبدأ الناهي عن المنكر بنفسه وأهله . اذكر دليلًا يفيد ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك قول النبي ﷺ : « وأول ربًا أضع ربانا : ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما ذُكر من الوعيد لأكلة الرِّبا ؟

ج : من الوعيد الوارد لأكلة الرِّبا ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرِّبا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رُءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣٠ ، ١٣١] .

● وأخرج مسلم[2] من حديث جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا ومُوكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : « هم سواء » .

وفي الباب حديث سمرة بن جندب[3] عند البخاري أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج مسلم (١٥٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) .

يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ » ، قال : فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة : « إنه أتاني الليلة آتيانِ ، وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قالا لي : انطلق وإني انطلقت معهما .... » فذكر الحديث ، وفيه : « فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإنما ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا ، فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه ، فغر له فاه فألقمه حجرًا .... » الحديث ، وفيه : « إن هذا آكل الربا » .

● وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ... وأكل الربا »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله لا يحب كل كفارٍ أثيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] ؟ واذكر طرفًا من معناه ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة ، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح ، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة ، فهو جحود لما عليه من النعمة ؛ ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل .

قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ﴿ والله لا يحب كل كفارٍ أثيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] ، فإنه

---

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٨٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

يعني به : والله لا يحب كل مُصرٍّ على كفر بربه مقيم عليه ، مستحِلٍّ أكل الرِّبا وإطعامه - ﴿ أثيم ﴾ ، متمادٍ في الإثم ، فيما نهاه عنه من أكل الرِّبا والحرام ، وغير ذلك من معاصيه ، ولا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه ، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأوصاف التي يأتي بها بعض أصحاب المعاصي والكبائر يوم القيامة ؟

ج : من هؤلاء من يأتي كالمجانين والمصاريع[1] وهم أكلة الربا .

- ومنهم من يحشر كأمثال الذَّر[2] ، وهم المتكبرون .
- ومنهم من يحشر وعند استه لواء مكتوب عليه : هذه غدرة فلان ، وهو الغادر[3] .

---

(١) قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢/١٧٩) ، والترمذي (٢٤٩٢) ، بإسنادٍ حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، فيُساقون إلى سجن في جهنم يُقال له : بُولُس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » .

وهذا الحديث حسن الإسناد ، لكني في استغراب من بعض ألفاظه .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٦١٧٨ وفي غير موضع) ، ومسلم (حديث ١٧٣٥) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » .

- وعند مسلم (١٧٣٨) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة » .

● ومنهم من يحشر مطوق بالشجاع الأقرع[1] وهو مانع الزكاة .

● ومنهم من يحشر وعلى رقبته بعير له رغاء[2] ... وهو مانع زكاة إبله ، إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم .. ﴾ [البقرة : ٢٧٧] في هذا المقام ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

وهذا خبر من الله عز وجل بأنَّ الذين آمنوا – يعني الذين صَدَّقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربهم ، من تحريم الربا وأكله ، وغير ذلك من سائر شرائع دينه – ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٧٧] التي أمرهم الله عز وجل بها ، والتي نَدَبهم إليها – ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ [البقرة :٢٧٧] المفروضة بحدودها ، وأدَّوها بسُننها – ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ [البقرة : ٢٧٧] المفروضة عليهم في أموالهم ، بعد الذي سلف منهم من أكل الرِّبا قبل مجيء

---

(١) أخرج البخاري (١٤٠٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوِّقه ، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني : شدقيه – ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك » ، ثم تلا : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٠] .

(٢) أخرج البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (١٨٣١) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها .... » الحديث ، وفيه : « ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاةٍ يحملها على رقبته لها يُعار فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت ، ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد بلَّغت » .

الموعظة فيه من عند ربهم - ﴿ لهم أجرهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] ، يعني : ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصَدَقتهم - ﴿ عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] يوم حاجتهم إليه في معادهم - ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم ، وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الرِّبا ، بما كان من إنابتهم وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم ، وتصديقهم بوعد الله ووعيده - ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٧٧] على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الرِّبا والعمل به ، إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى ، وهم على تركهم ما تَركوا من ذلك في الدنيا ابتغاءَ رضوانه في الآخرة ، فوصلوا إلى ما وُعدوا على تركه .

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ذروا – فأذنوا – نظرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ذروا	اتركوا – دعوا .
فأذنوا	فاعلموا – فأيقنوا .
نظرة	إمهال .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وذروا ما بقي من الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٨] ؟

ج : اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رءوس الأموال .

والمعنى أيضًا : أنه إذا اتفق رجلان على أن يقرض أحدهما الآخر قرضًا بالرِّبا وما زال عند أحدهما للآخر مبلغ من الرِّبا فعليه أن يترك هذه الزيادة الربوية .

فالله عز وجل أبطل من الرِّبا ما لم يكن مقبوضًا ، وإن كان معقودًا قبل التحريم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا تَظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٩] ؟

ج : المعنى : قوله : ﴿ لا تَظلمون ﴾ أي : لا تظلمون الناس بأخذ الرِّبا منهم بعد تحريمه ، ﴿ ولا تُظلمون ﴾ أنتم أيضًا بأن تؤخذ منكم رءوس أموالكم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل إنظار المُعسر ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي اليسر صاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من أنظر مُعسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله » .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٦) .

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تلقت الملائكة روحَ رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئًا ؟ قال : لا ، قالوا : تَذَكَّر ، قال : كنت أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله عزَّ وجل : تجوزوا » .

● ونحوه من حديث أبي مسعود[2] عند مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يُوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط الناس ، وكان موسرًا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المُعسر ، قال : قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » .

● وأخرج مسلم[3] من طريق أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه ، ثم وجده فقال : إني مُعسر ، فقال : آلله ؟ قال : الله ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن مُعسر أو يضع عنه » .

● وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة[4] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ... » .

وأخرج أحمد بإسناد حسن[5] من حديث بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٧) ، ومسلم (١٥٦٠) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦١) .
(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦٣) .
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .
(٥) أخرجه أحمد (٥/٣٦٠) .

صدقة » ، قال : ثم سمعته يقول : « من أنظر مُعسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة » ، قال : « له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدَّين ، فإذا حل الدَّين فأنظره ، فله بكل يوم مثليه يصدقه » .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأن تصدقوا خير لكم ﴾ [البقرة : ٢٨٠] تصدقوا على من ؟

ج : تصدقوا على المعسر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُحبس المدين المُفلس ؟

ج : لا أعلم دليلًا من الكتاب والسُّنة على حبس المدين المُفلس .

❋ ❋ ❋

س : ما هي آخر آية نزلت في كتاب الله ؟

ج : أخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) البخاري حديث (٤٥٤٤) ، وأخرج الطبري (٦٣١١) ، (٦٣١٢) ، بإسنادين فيهما ضعف إلى ابن عباس أنه قال : (آخر آية نزلت على النبي ﷺ : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١]) .

ولا تعارض بين الروايتين ، فإن قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] في ختام آيات الرِّبا فيُعد منها ، ويدل على ذلك ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عامر (وهو الشعبي) أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ؛ فإنه والله ما أدري لعلنا نأمركم بأمرٍ لا يصلح لكم ، وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمرٍ يصلح لكم ، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلًا آيات الرِّبا فتُوفي رسول الله ﷺ قبل أن يبينه لنا ، فدعوا ما يُريبكم إلا ما لا يريبكم . =

(آخر آية نزلت على النبي ﷺ : آية الرِّبا) .

● وأخرج البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : (آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزلت يستفتونك)[2] .

ووجه الجمع بينهما أن يُقال : إن كلًّا منهما ذكر ما انتهى إليه علمه في ذلك .

● أما الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال : يجمع بينهما بأن الآيتين نزلتا جميعًا فيصدق أن كلًّا منهما آخر بالنسبة لما عداهما ، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء بما يتعلق بالمواريث مثلًا بخلاف آية البقرة ، ويحتمل عكسه .

والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول .

* * *

= وهذا الإسناد وإن كان مرسلًا (فالشعبي لم يدرك عمر) ، إلا أنه من أقوى المراسيل ، فمراسيل الشعبي رحمه الله قوية (وإن كان حكمها حكم سائر المراسيل في الجملة) .

وقول عمر رضي الله عنه : (آيات الربا) بالجمع ، يُشير أن منها قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] ، والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ٤٦٠٥) .

(٢) يعني : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ... ﴾ [النساء : ١٧٦] .

وقوله : آخر سورة نزلت براءة ، فسيأتي الحديث عليه إن شاء الله في سورة النصر .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

أجلٍ مسمًّى - لا يأب - الذي عليه الحق - لا يبخس - سفيهًا - ضعيفًا - لا يستطيع أن يمل - استشهدوا - تضل - تسأموا - أقسط - أقوم للشهادة - أدنى ألا ترتابوا - لا يضار - فسوق بكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
أجلٍ مسمًّى	مدة معلومة – وقت وقَّتموه بينكم .
لا يأب	لا يمتنع .
الذي عليه الحق	هو المدين .
لا يبخس	لا ينقص .
سفيهًا	لا يحسن التصرف في المال أخذًا ، ولا إعطاءً – محجورًا عليهُ لسفاهته .
ضعيفًا	صغيرًا – مجنونًا .
لا يستطيعُ أن يُمل	لجهلٍ منه ، أو لمرضٍ ، أو نحو ذلك .
استشهدوا	اطلبوا للشهادة .
تضل	تنسى .
تسأموا	تملُّوا .
أقسط	أعدل .
أقوم للشهادة	أدعى إلى ثبوتها وتذكرها – أصدق للشهادة – إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة .
أدنى ألا ترتابوا	أقرب إلى عدم الشك .
لا يُضارَ	لا يؤذى .
فسوقٌ بكم	إثمٌ وعصيان بِكم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل الأمر بالكتابة والشهود ؟

ج : أصل ذلك ما أخرجه ابن حبان[1] بإسنادٍ يصح بمجموع طرقه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربه : يرحمك ربُّك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جلوسٌ ، فسلم عليهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمةُ الله ، ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بَنِيكَ بينهم ، وقال الله جل وعلا – ويداه مقبوضتان – : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريتهُ فقال : أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتُك ، فإذا كل إنسان مكتوب عُمرُه بين عينيه ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم[2] – أو من أضوئهم – لم يكتب له إلا أربعون سنة ، قال : يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنك داود وقد كتبت له عمره أربعين سنة ، قال : أي رب زده في عمره ، قال : ذاك الذي كتبت له ، قال : فإني جعلت له من عمري ستين سنة ، قال : أنت وذاك اسكن الجنة ، فسكن الجنة ما شاء الله ، ثم أُهبِطَ منها ، وكان آدم يَعُدُّ لنفسه ، فأتاه ملكُ الموت ، فقال له آدم : قد عجلت قد كُتِبَ لي ألفُ سنةٍ ؟ قال : بلى ، ولكنك قد جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد فجحدت ذريتهُ ، ونسي فنسيت ذريته ، فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » .

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ٢٠٨٢) .

(٢) قلت : وقوله : أضوؤهم ، لا يعني الجمال المطلق ، فأجمل الأنبياء يوسف عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج مسلم (١٦٢) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا حديث المعراج ، وفيه : « .... ففتح لنا فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعطي شطر الحسن » .

س : ما فائدة ذكر الدَّين بعد قوله تعالى : ﴿ إذا تداينتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن الدَّين ذُكر لتخصيص التداين ، فكلمة الدَّين ، أو الدِّين تحمل معنى الجزاء ، وكلمة ﴿ تداينتم﴾ تحمل معنى الجزاء ، فتكون بمعنى : تجازيتم ، فأُريد بقوله : ﴿ بدين ﴾ قصر المعنى على أحد الوجوه وهو الدَّين ، على ما سيأتي تعريفه .

ومن العلماء من قال : إن كلمة ﴿ بدين ﴾ سيقت للتأكيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [الحجر : ٣٠] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س . هل الأمر في قوله تعالى : ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] يفيد الوجوب ، أم الاستحباب ؟

ج : الأمر يفيد الاستحباب هنا ، والصارف عن الوجوب هو قوله تعالى : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذين اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد قال : نسخ ذلك قوله : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، قال : فلولا هذا الحرف لم يبح لأحدٍ أن يدان بدين إلا بكتاب وشهداء ، أو برَهْنٍ ، فلما جاءت هذه نسخ هذا كله صار إلى الأمانة .

● وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح[2] أيضًا عن الشعبي قال في هذه

---

(١) طبري أثر (٦٣٣٢) .

(٢) طبري أثر (٦٣٣٤) و (٦٣٣٥) .

الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، حتى بلغ هذا المكان : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذين اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

قلت : ومما يدل على جواز عدم الكتابة أن النبي ﷺ اشترى جملًا من أعرابي إلى أجل ، ولم يكتب كما في سبب اعتبار شهادة خزيمة بشهادة رجلين[1] .

وأما ما ورد من احتجاج البعض بحديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا ، وفيه : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يُطلقها ، ورجل كان له على رجل مالٌ فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهًا مالًا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ [النساء : ٥] » .

فهذا الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وسيأتي بيان سبب ضعفه إن شاء الله .

* * *

س : ما المراد بالدَّين ؟ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : أما المراد بالدَّين فقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) :

هو عبارة عن كل معاملة كان أحد العِوَضَين فيها نقدًا والآخر في الذمة نسيئة ، فإن العين عند العرب ما كان حاضرًا والدَّين ما كان غائبًا .

---

(١) وسيأتي الحديث بطوله إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

قال الشاعر :

وعدتنا بدرهمينا طلاء وشواءً معجلًا غير دين

والمداينة مفاعلة منه ، لأن أحدهما يرضاه والآخر يلتزمه .

● قلت : أما قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فقال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله : ﴿ إذا تداينتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، يعني : إذا تبايعتم بدين ، أو اشتريتم به ، أو تعاطيتم ، أو أخذتم به – ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ [البقرة :٢٨٢] ، يقول : إلى وقت معلوم وقّتموه بينكم ، وقد يدخل في ذلك القَرضُ والسَّلمُ ، وكلُّ ما جاز [فيه] السلم مُسمًّى أجلُ بيعه ، يصير دَينًا على بائع ما أسلم إليه فيه ، ويحتمل بيعَ الحاضر الجائز بيعُه من الأملاك بالأثمان المؤجلة ، كلُّ ذلك من الديون المؤجَّلة إلى أجل مسمى ، إذا كانت آجالُها معلومةً بحدٍّ موقوف عليه .

وقال الطبري أيضًا : وقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ فاكتبوا الدَّين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض .

* * *

س : هل الاستدانة مكروهة أم مستحبة ؟

ج : الذي يظهر لي أنها تكره إلا لحاجة ، وذلك لأن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من المغرم والمأثم[1] ، ومن المعلوم أنه حتى الشهيد يُغفر له كل شيء إلا الدَّين ، وكان النبي ﷺ يترك الصلاة على صاحب الدَّين إذا لم يُوجد

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣١٧/٢) ، ومسلم (مع النووي ٨٧/٥) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

من يؤدي عنه[1] .

لكن إذا دعت الحاجة إليها جازت من غير كراهة ، لقول النبي ﷺ : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله .. »[2] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى السَّلَم ؟ وما هي الأدلة على جوازه ؟

ج : السلم هو السَّلف عند كثير من أهل العلم ، والمراد بالسلف هنا : أن يُسلم الرجلُ إلى الرجل دنانير معلومة في طعام معلوم موصوف بكيل معلوم إلى أجلٍ معلوم أو وزنٍ معلوم يدفع إليه الدنانير قبل أن يفترقا من الموضع الذي تبايعا فيه ، ويكون ذلك من طعام بلدٍ ضخم لا يخطىء مثلها ويُسمى المكان الذي يقتضى فيه ، ولا يجوز السلم إلى أجل مجهول ، قاله أبو بكر بن المنذر في الإقناع .

وقال القرطبي في تفسيره : وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم الجائز أن يُسلم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف من طعام أرض عامةٍ لا يخطىء مثلها بكيلٍ معلوم إلى أجل معلوم بدنانير أو دراهم معلومة يدفع عن من أسلم فيه قبل أن يفترقا من مقامهما الذي تبايعا فيه ، وسمَّيا المكان الذي يُقبض فيه الطعام ، فإذا فعلا ذلك ، وكان جائز الأمر كان سلمًا صحيحًا لا أعلم أحدًا من أهل العلم يُبطله .

قلت : وبتعبير أوضح هو أن يعطى رجلٌ مبلغًا من المال لرجلٍ آخر مقابل قدرٍ معينٍ من الطعام (تمر أو حنطة أو شعير أو زبيب ، أو نحو ذلك) ،

---

(١) انظر البخاري (مع الفتح ٤/٤٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٣٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

ويُحدد الوقت الذي يسلمه إياه فيه .

أو بمعنى آخر هو أن يشتري رجل طعامًا من رجل آخر ، يُقدم أحد الرجلين المال على أن يقدم له الآخر الطعام لكن في وقت لاحق ، ويكون المال معلوم القيمة ، والطعام معلوم الوزن ، أو الكيل ، ويُحدد الزمن الذي يُسلَّم فيه الطعام .

والدليل على جوازه من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فقد حملها بعض أهل العلم على السَّلم[١] .

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال[٢] : أشهد أن السلف المضمون إلى أجلٍ مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه ، ثم قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والدليل من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يسلفون في الثمر العام والعامين ، أو قال : عامين أو ثلاثة ، فقال : « من سلف في تمرٍ فليُسلف في كيلٍ معلوم ، ووزنٍ معلوم » ، وفي رواية : « إلى أجل معلومٍ » .

* * *

س : ما هو وجه الأمر بأن يكتب الكاتب بين المدين والدائن ؟

ج : وجه ذلك أن الكُتاب كانوا قليلين ، فقد قال الرسول ﷺ :

---

(١) قال القرطبي : ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعًا .

(٢) الأم للشافعي (١٣٥/٣) ، وعبد الرزاق في المصنف (١٤٠٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨/٦ ، ١٩) ، وفي معرفة السنن والآثار (١١٥٦٨/٨) .

(٣) أخرجه البخاري حديث (٢٢٣٩) ، ومسلم (١٦٠٤) .

« إنا أمةٌ أمية »[1] ، فإذا تأخر كاتب وامتنع عن الكتابة أثَّر امتناعه على حفظ الحقوق بين الناس ، وعلى امتثال أمر الله : ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● ووجه آخر ذكره ابن العربي رحمه الله (في أحكام القرآن) : أنه لما كان الذي له الدَّين يُتهم في الكتابة للذي عليه ، وكذلك بالعكس شرع الله سبحانه كاتبًا يكتب بالعدل ، لا يكون في قلبه ، ولا في قلمه هوادة لأحدهما على الآخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على الكاتب أن يكتب ، أم يستحب له ذلك ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجب على الكاتب أن يكتب إذا لم يوجد كاتب غيره ، ومن هؤلاء الطبري رحمه الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ومن أهل العلم من قال : إن ذلك على الاستحباب ، لأن أصل الكتابة على الاستحباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للكاتب أن يأخذ أجرًا على كتابة الوثيقة ؟

ج : نعم ، يجوز له ذلك إذ لا مانع من ذلك ، قال القرطبي رحمه الله : ولم يختلف العلماء في جواز أخذ الأجرة على كتابة الوثيقة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩١٣) ، ومسلم (ص ٧٦١) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولا يمتنع كاتب دُعي إلى كتابة الدَّين من الكتابة ، فكما أن الله عز وجل منَّ عليه وعلَّمه الكتابة فليتصدق هو كذلك على الخلق ، وليكتب لهم ما أرادوه بالعدل ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ [القصص : ٧٧] ، وذلك – والله أعلم – لأن الكتابة كانت قليلة فيهم .

وثم وجه آخر في قوله تعالى : ﴿ كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ألا وهو : فليكتب بالحق الذي علَّمه الله إياه .

* * *

س : لماذا يُملل الذي عليه الحق ؟

ج : لأن إملاءه يُعدُّ إقرارًا منه بأن الدَّين عليه ، والله أعلم .

* * *

س : من المراد بالولي في قوله تعالى : ﴿ فليملل وليه ﴾ [البقرة :٢٨٢] ؟

ج : ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بالولي : ولي السفيه .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالولي : ولي الحق أي : صاحب الحق ، وتعقب الأولون هذا القول بأن قالوا : كيف يقبل قول المدَّعي ، وما الحاجة إذن إلى الكتابة والإشهاد ما دام القول قوله ؟!!

* * *

س : لماذا احتيج إلى شهادة امرأتين مكان الرجل ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لقلة عقل النساء ، كما قال النبي ﷺ : « ما

رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن »[1] .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز شهادة الكفار ، أو الصبيان على الديون ؟ وهل تشترط العدالة في الشهود ؟

ج : لا تجوز لقوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والعدالة تشترط لقوله تعالى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولا يأب الشهداء إذا ما دعُوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] دُعُوا إلى ماذا ؟

ج : ﴿ دُعُوا ﴾ محتملة للأمرين ، إما أنهم دعوا للشهادة عند كتابة الدَّين ، أو دعوا للإقرار بالشهادة حينما تطلب منهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : قضى رسول الله ﷺ بالشاهد واليمين ؟ وهل هو في الأموال فقط أم هو عام ؟

ج : الحديث صحيح ، وهو في الأموال فقط ، وذلك لإجماع العلماء القائلين باعتبار الشاهد واليمين[2] على ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤) ، ومسلم (حديث ٨٠) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) نقل هذا الإجماع القاضي أبو محمد عبد الوهاب ، كما نقله عنه القرطبي رحمه الله تعالى .

س : ما مدى صحة حديث : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهًا ماله ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ [النساء : ٥] » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وهو بهذا اللفظ عند البيهقي في السنن الكبرى .

ووجه ضعف هذا الحديث يظهر إذا جمعت طرقه ، فالحديث مروي من طريق الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه ؛ فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده ، فله أجران ، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها ؛ فله أجران »[1] .

رواه عن الشعبي جمع من الرواة منهم : صالح بن صالح الهمداني[2] ، ومطرف[3] ، والفضل بن يزيد[4] ، وعبد الله بن حبيب بن أبي ثابت[5] ، وفراس بن يحيى[6] ، وبعض هؤلاء روى الحديث مطولًا بنحو الذي ذكرناه ، وبعضهم رواه مختصرًا مقتصرًا على بعض فقراته .

إلا أن أحد هؤلاء الرواة اختلف عليه وهو فراس بن يحيى ، فرواه عنه

---

(١) لفظ مسلم حديث (١٥٤) .

(٢) روايته عند البخاري (٥٠٨٣) ، ومسلم (١٥٤) .

(٣) روايته عند البخاري (٢٥٤٤) ، ومسلم (ص ١٠٤٥) ، مختصرة .

(٤) روايته عند الترمذي (١١١٦) .

(٥) وروايته عند الطبراني في الصغير (١/٤٤) .

(٦) وروايته عند أحمد (٤/٤٠٥) .

معمر[1] كرواية الجماعة الذين ذكرناهم ، ورواه عنه شعبة ، واختلف على شعبة ، فرواه جم غفير عن شعبة بنحو رواية الجماعة ، ورواه البعض عن شعبة بلفظ آخر ، وهو : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم .... » .

ثم هؤلاء الذين رووه عن شعبة بهذا اللفظ منهم من ذكره عن أبي موسى موقوفًا عليه ، وهم أصحاب شعبة الأثبات كغندر ويحيى بن سعيد وروح ، ومنهم قوم أغلبهم ضعفاء رووه عن أبي موسى مرفوعًا ، وثمَّ أوجه أُخر للخلاف في هذا الحديث ، فالذي نراه أنه وهمٌ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ إلا أن تكون تجارةً حاضرةً ... ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : أي : إذا كان البيع بالحاضر يدًا بيد فلا بأس بعدم الكتابة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الإشهاد على البيوع واجب ؟

ج : من أهل العلم من ذهب إلى وجوبه مستدلًّا بقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومنهم من ذهب إلى عدم وجوبه – وهو الصحيح – ؛ وذلك لما أخرجه أحمد[2] من حديث عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه – وهو من أصحاب النبي ﷺ – أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ

---

(١) كما عند أحمد (٤/٤٠٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢١٥) ، وأبو داود (٣٦٠٧) ، والنسائي (٧/٣٠١) .

ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس ، لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه ، وإلا بعته ، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : « أو ليس قد ابتعته منك » ، قال الأعرابي : لا والله ما بعتك ، فقال النبي ﷺ : « بلى قد ابتعته منك » ، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك ، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقًّا ، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ، ومراجعة الأعرابي ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك قال : خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : « بم تشهد ؟ » ، فقال : بتصديقك يا رسول الله ﷺ ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا يُضار كاتبٌ ولا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : هذا محتمل لوجهين :

الوجه الأول : أن الكاتب والشهيد يتسببلن في إلحاق الضرر بالدائن ، أو المدين..

ولذلك صور :

الأولى : أن يمتنع الكاتب من الكتابة ، ويمتنع الشاهد من الشهادة .

الثانية : أن يكتب الكاتب ما لم يُمل عليه ، ويشهد الشاهد على شيء

لم يشهده[1] .

الوجه الثاني : أن يُؤذى الكاتب أو الشهيد من قِبَل الدائن ، أو المدين فيدعوهما الدائن ، أو المدين في وقتٍ ، وهما مشغولان فيه ، وإذا تخلفا ألحقا بهما الأذى ، ونالا منهما بألسنتهما ، أو يهددهما الدائن إذا لم يشهدا له ، أو المدين إذا شهدا عليه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : تقوى الله عز وجل سبب لإنعام الله على العبد بالعلم والبصيرة ، دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .
- قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] .
- قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم ... ﴾ [الحديد :٢٩] .

* * *

---

(١) أخرج الطبري (٦٤٠٨) ، بإسنادٍ صحيح إلى طاووس قال في قوله : ﴿ ولا يُضار كاتبٌ ولا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يُمل عليه ، ولا شهيد ، فيشهد بما لم يستشهد .

وأخرج بإسنادٍ صحيح (٦٤٠٩) عن الحسن ﴿ لا يُضار كاتبٌ ﴾ [البقرة :٢٨٢] ، فيزيد شيئًا ، أو يحرِّف ﴿ ولا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، قال : لا يكتم الشهادة ، ولا يشهد إلا بحق .

وأخرج بإسنادٍ حسن عن قتادة (٦٤١٠) ، قال : اتقى الله شاهدٌ في شهادته لا ينقص منها حقًّا ، ولا يزيد فيها باطلًا ، اتقى الله كاتب في كتابه ، فلا يدعنَّ منه حقًّا ، ولا يزيدنَّ فيه باطلًا .

س : اذكر بعض الفوائد التي اشتملت عليها آية الدَّين ؟

ج : أجمل السعديُّ القول في هذا المقام فقال :

احتوت هذهِ الآيات ، على إرشاد البارى عباده في معاملاتهم ، إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا تقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها ، فإن فيها فوائد كثيرة .

منها : جواز المعاملات في الديون ، سواء كانت ديون سلم أو شراء مؤجلًا ثمنه ، فكله جائز ، لأن الله أخبر به عن المؤمنين ، وما أخبر به عن المؤمنين ، فإنه من مقتضيات الإيمان ، وقد أقرهم عليه الملك الديان .

ومنها : وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجارات .

ومنها : أنه إذا كان الأجل مجهولًا ، فإنه لا يحل ، لأنه غرر وخطر ، فيدخل في الميسر .

ومنها : أمره تعالى ، بكتابة الديون .

وهذا الأمر قد يجب ، إذا وجب حفظ الحق ، كالذي للعبد عليه ولاية ، وكأموال اليتامى ، والأوقاف ، والوكلاء ، والأمناء .

وقد يقارب الوجوب ، كما إذا كان الحق متمحضًا للعبد ، فقد يقوى الاستحباب ، بحسب الأحوال المقتضية لذلك .

وعلى كل حال ، فالكتابة من أعظم ما تحفظ به هذه المعاملات المؤجلة ، لكثرة النسيان ، ولوقوع المغالطات ، وللاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى .

ومنها : أمره تعالى للكاتب أن يكتب بين المتعاملين بالعدل ، فلا يميل مع أحدهما لقرابة ولا غيرها ، ولا على أحدهما ، لعداوة ونحوها .

ومنها : أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال ، ومن الإحسان إليهما .

وفيها حفظ حقوقهما ، وبراءة ذممهما كما أمره الله بذلك .

فليحتسب الكاتب بين الناس ، هذه الأمور ليحظى بثوابها .

ومنها : أن الكاتب لا بد أن يكون عارفًا بالعدل ، معروفًا بالعدل .

لأنه إذا لم يكن عارفًا بالعدل ، لم يتمكن منه .

وإذا لم يكن معتبرًا عدلًا عند الناس رضيًّا ، لم تكن كتابته معتبرة ، ولا حاصلًا بها المقصود ، الذي هو حفظ الحقوق .

ومنها : أن من تمام الكتابة والعدل فيها ، أن يحسن الكاتب الإنشاء ، والألفاظ المعتبرة ، في كل معاملة بحسبها .

وللعرف في هذا المقام ، اعتبار عظيم .

ومنها : أن الكتابة من نعم الله على العباد ، التي لا تستقيم أمورهم الدينية ، ولا الدنيوية إلا بها ، وأن من علمه الله الكتابة ، فقد تفضل عليه بفضل عظيم .

فمن تمام شكره لنعمة الله تعالى ، أن يقضي بكتابته حاجات العباد ، ولا يمتنع من الكتابة ؛ ولهذا قال : ﴿ ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومنها : أن الذي يكتبه الكاتب ، هو اعتراف مَنْ عليه الحق ، إذا كان يحسن التعبير عن الحق الذي عليه .

فإن كان لا يحسن ذلك - لصغره ، أو سفهه ، أو جنونه ، أو خرسه ، أو عدم استطاعته - أملى عنه وليه ، وقام وليه في ذلك مقامه .

ومنها : أن الاعتراف من أعظم الطرق ، التي تثبت بها الحقوق ، حيث أمر الله تعالى أن يكتب الكاتب ، ما أملى عليه مَنْ عليه الحق .

ومنها : ثبوت الولاية على القاصرين ، من الصغار ، والمجانين ، والسفهاء

ونحوهم .

ومنها : أن الولي يقوم مقام موليه ، في جميع اعترافاته المتعلقة بحقوقه .

ومنها : أن من أمنته في معاملة ؛ وفوضته فيها ؛ فقوله في ذلك مقبول .

وهو نائب منابك ؛ لأنه إذا كان الولي على القاصرين ؛ ينوب منابهم .

فالذي وليته باختيارك ؛ وفوضت إليه الأمر ، أولى بالقبول ، واعتبار قوله ، وتقديمه على قولك ؛ عند الاختلاف .

ومنها : أنه يجب على الذي عليه الحق - إذا أملى على الكاتب - أن يتقي الله ؛ ولا يبخس الحق الذي عليه ؛ فلا ينقصه في قدره ؛ ولا في وصفه ؛ ولا في شرط من شروطه ؛ أو قيد من قيوده .

بل عليه أن يعترف بكل ما عليه من متعلقات الحق ؛ كما يجب ذلك إذا كان الحق على غيره له .

فمن لم يفعل ذلك ؛ فهو من المطففين الباخسين .

ومنها : وجوب الاعتراف بالحقوق الخفية ؛ وأن ذلك من أعظم خصال التقوى ؛ كما أن ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها .

ومنها : الإرشاد إلى الإشهاد في البيع .

فإن كانت في المداينات ؛ فحكمها حكم الكتابة كما تقدم ؛ لأن الكتابة هي كتابة الشهادة .

وإن كان البيع بيعًا حاضرًا ؛ فينبغي الإشهاد فيه .

ولا حرج فيه بترك الكتابة ؛ لكثرته ، وحصول المشقة فيه .

ومنها : الإرشاد إلى إشهاد رجلين عدلين .

فإن لم يمكن ، أو تعذر ، أو تعسر ، فرجل وامرأتان .

وذلك شامل لجميع المعاملات ، بيوع الإدارة ، وبيوع الديون وتوابعها

من الشروط والوثائق ، وغيرها .

وإذا قيل : قد ثبت أنه ﷺ قضى بالشاهد الواحد مع اليمين ، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين ، أو رجل وامرأتين .

قيل : الآية الكريمة، فيها إرشاد الباري عباده إلى حفظ حقوقهم .

ولهذا أتى فيها بأكمل ألطرق ، وأقواها .

وليس فيها ، ما ينافي ما ذكره النبي ﷺ من الحكم بالشاهد واليمين .

فباب حفظ الحقوق في ابتداء الأمر ، يرشد فيه العبد إلى الاحتراز (التحفظ التام) .

وباب الحكم بين المتنازعين ، ينظر فيه إلى المرجحات والبينات ، بحسب حالها .

ومنها : أن شهادة المرأتين ، قائمة مقام الرجل الواحد ، في الحقوق الدنيوية .

وأما في الأمور الدينية – كالرواية والفتوى – فإن المرأة فيه ، تقوم مقام الرجل ، والفرق ظاهر بين البابين .

ومنها : الإرشاد إلى الحكمة في كون شهادة المرأتين عن شهادة الرجل ، وأنه لضعف ذاكرة المرأة غالبًا ، وقوة حافظة الرجل .

ومنها : أن الشاهد لو نسي شهادته ، فذكره الشاهد الآخر ، فذكر أنه لا يضر ذلك النسيان ، إذا زال بالتذكير لقوله : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ومن باب أولى ، إذا نسي الشاهد ، ثم ذكر من دون تذكير ، فإن الشهادة مدارها على العلم واليقين .

ومنها : أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم ويقين ، لا عن شك .

فمتى صار عند الشاهد ، ريب في شهادته – ولو غلب على ظنه – لم

يحل له أن يشهد إلا بما يعلم .

ومنها : أن الشاهد ليس له أن يمتنع ، إذا دعي للشهادة ، سواء دعي للتحمل أو للأداء .

وأن القيام بالشهادة من أفضل الأعمال الصالحة ، كما أمر الله بها ، وأخبر عن نفعها ومصالحها .

ومنها : أنه لا يحل الإضرار بالكاتب ، ولا بالشهيد ، بأن يدعيا في وقت أو حالة ، تضرهما .

وكما أنه نهي لأهل الحقوق والمتعاملين ، وأن يضاروا الشهود والكُتَّاب ، فإنه أيضًا ، نهي للكاتب والشهيد ، أن يضار المتعاملَين أو أحدهما .

وفي هذا أيضًا أن الشاهد والكاتب – إذا حصل عليهما ضرر في الكتابة والشهادة – أنه يسقط عنهما الوجوب .

وفيها : التنبيه على أن جميع المحسنين الفاعلين للمعروف ، ولا يحل إضرارهم ، وتحميلهم ما لا يطيقون ، ف ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وكذلك على من أحسن وفعل معروفًا ، أن يتمم إحسانه بترك الإضرار القولي والفعلي ، بمن أوقع به المعروف ، فإن الإحسان ، لا يتم إلا بذلك .

ومنها : أنه لا يجوز أخذ الأجرة على الكتابة والشهادة ، حيث وجبت ، لأنه حق أوجبه الله على الكاتب والشهيد ، ولأنه من مضارة المتعاملين .

ومنها : التنبيه على المصالح والفوائد المترتبة على العمل بهذه الإرشادات الجليلة ، وأن فيها حفظ الحقوق والعدل ، وقطع التنازع ، والسلامة من النسيان والذهول ، ولهذا قال : ﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وهذه مصالح ضرورية للعباد .

ومنها : أن تعلم الكتابة من الأمور الدينية ، لأنها وسيلة إلى حفظ الدين والدنيا ، وسبب للإحسان .

ومنها : أن من خصه الله بنعمة من النعم ، يحتاج الناس إليها ، فمن تمام شكر هذه النعمة ، أن يعود بها على عباد الله ، وأن يقضي بها حاجتهم ، لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة ، بتذكير الكاتب بقوله : ﴿ كما علمه الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومع هذا : « فمن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته » .

ومنها : أن الإضرار بالشهود والكتاب ، فسوق بالإنسان .

فإن الفسوق هو : الخروج عن طاعة الله إلى معصيته ، وهو يزيد وينقص ، ويتبعض .

ولهذا لم يقل : (فأنتم فساق) ، أو (فاسقون) ، بل قال : ﴿ فإنه فسوق بكم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

فبقدر خروج العبد عن طاعة ربه ، فإنه يحصل به من الفسوق ، بحسب ذلك .

واستدل بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم .

وأوضح من هذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، أي : علمًا تفرقون به بين الحقائق ، والحق والباطل .

ومنها : أنه كما أنه من العلم النافع ، تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات ، فمنه أيضًا ، تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات ، فإن الله تعالى ، حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم ، وكتابه العظيم فيه تبيان كل شيء .

ومنها : مشروعية الوثيقة بالحقوق ، وهي الرهون والضمانات ، التي

تكفل للعبد حصوله على حقه ، سواء عامل برًّا ، أو فاجرًا أو أمينًا أو خائنًا .

فكم في الوثائق ، من حفظ حقوق ، وانقطاع منازعات .

ومنها : أن تمام الوثيقة في الرهن ، أن يكون مقبوضًا .

ولا يدل ذلك ، على أنه لا يصح الرهن إلا بالقبض ، بل التقييد بكون الرهن مقبوضًا ، يدل على أنه قد يكون مقبوضًا ، تحصل به الثقة التامة ، وقد لا يكون مقبوضًا ، فيكون ناقصًا .

ومنها : أنه يستدل بقوله : ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، أنه إذا اختلف الراهن والمرتهن في مقدار الدين الذي به الرهن ، أن القول قول المرتهن صاحب الحق ، لأن الله جعل الرهن وثيقة به .

فلولا أنه يقبل قوله في ذلك ، لم تحصل به الوثيقة لعدم الكتابة والشهود .

ومنها : أنه يجوز التعامل بغير وثيقة ، ولا شهود ، لقوله : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، ولكن في هذه الحال يحتاج إلى التقوى والخوف من الله ، وإلا فصاحب الحق مخاطر في حقه ، ولهذا أمر الله في هذه الحال مَنْ عليه الحق ، أن يتقي الله ويؤدي أمانته .

ومنها : أن من ائتمنه معاملُه ، فقد عمل معه معروفًا عظيمًا ، ورضي بدينه وأمانته .

فيتأكد على من عليه الحق ، أداء الأمانة منَ الجهتين :

أداء لحق الله ، وامتثالًا لأمره ، ووفاء بحق صاحبه ، الذي رضي بأمانته ، ووثق به .

ومنها : تحريم كتم الشهادة ، وأن كاتمها قد أثم قلبه ، الذي هو ملك الأعضاء .

وذلك لأن كتمها ، كالشهادة بالباطل والزور ، فيها ضياع الحقوق ، وفساد المعاملات ، والإثم المتكرر في حقه ، وحق من عليه الحق .

وأما تقييد الرهن بالسفر – مع أنه يجوز حضرًا وسفرًا – فللحاجة إليه لعدم الكاتب والشهيد .

وختم الآية بأنه : ﴿ عليم ﴾ [البقرة : ٢٨٣] بكل ما يعمله العباد ، كالترغيب لهم في المعاملات الحسنة ، والترهيب من المعاملات السيئة .

* * *

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

س : ما معنى ما يلي :

رهان – آثم قلبه ؟

ج :

الكلمة	معناها
رهان	جمع رهن[1] .
آثم قلبه	فاجر قلبه .

* * *

(١) وسيأتي معناه إن شاء الله .

س : ما معنى الرهن ؟

ج : الرهن هو : شيء يقدمه المدين للدائن كي يضمن به الدائن حقه إذا لم يسدده المدين ، فيأخذ الدائن حقه من ثمن الشيء المرهون ، أو من ثمن منافعه عند تعذر أخذه من الغريم .

❋ ❋ ❋

س : الرهن في السفر جائز لهذه الآية : ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهانٌ مقبوضةٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، فهل يجوز الرهن في الحضر ؟

ج : نعم يجوز الرهن في الحضر ، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث أنس[١] رضي الله عنه قال : (ولقد رهن رسول الله ﷺ درعه بشعيرٍ ...) ، ومن حديث عائشة[٢] رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى من يهوديٍّ طعامًا إلى أجل ورهنه درعه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذُكر القلب في قوله تعالى : ﴿ فإنه آثمٌ قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ؟

ج : لأن كتمان الشهادة هو : إضمارها في القلب ، وعدم إظهارها ، فإثم ذلك متعلق بالقلب ، ومن ثمَّ قيل : ﴿ فإنه آثمٌ قلبه ﴾ .

ثم إن القلب هو المضغة التي بصلاحها يصلح سائر الجسد ، وبفسادها يفسد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٩) ، ومسلم (حديث ١٦٠٣) .

لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

س : هل هذه الآية منسوخة : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ؟

ج : ذهب إلى ذلك فريق من أهل العلم كابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهم ، فقد أخرج البخاري[(١)] من طريق مروان الأصفر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر[(٢)] - ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ... ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : نسختها الآية التي بعدها[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٦) .

(٢) في رواية البخاري (٤٥٤٥) ، الجزم بأنه ابن عمر .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٨/٥٥) :

قوله : (نسختها الآية التي بعدها) ، قد عرف بيانه من حديثي ابن عباس وأبي هريرة ، والمراد بقوله : نسختها أي : أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به ، أشار إلى ذلك الطبري فرارًا من إثبات دخول النسخ في الأخبار ، وأجيب بأنه وإن كان خبرًا لكنه يتضمن حكمًا ، ومهما كان من الأخبار يتضمن الأحكام أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام ، وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبرًا محضًا لا يتضمن حكمًا كالإخبار عما مضى من أحاديث الأمم ، ونحو ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص ، فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيرًا ، والمراد بالمحاسبة بما يخفي الإنسان ما يصمم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ، ولا يستمر عليه ، والله أعلم .

● وسيأتي في سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن الله تعالى نسخها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة :٢٨٦] ، « قال : نعم » .

● وعند مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا » ، قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » .

وقال بعض العلماء : إنها ليست منسوخة ، وإنما هي في حق كاتم الشهادة ، فمن كتمها أو أسرها فيحاسبه الله عليها .

قال الطبري رحمه الله :

يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، لله ملك كل ما في السموات وما في الأرض من صغير وكبير ، وإليه تدبير جميعه ، وبيده صرفه وتقليبه ، لا يخفى عليه منه شيء ، لأنه

مدبره ومالكه ومصرفه .

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادةَ ، يقول : لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ، ومن يكتمها يفجُرْ قلبه ، ولن يخفى عليَّ كتمانه ذلك ، لأني بكل شيء عليم ، وبيدي صرف كل شيء في السموات والأرض ومِلكه ، أعلمُ خفي ذلك وَجليَّه ، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة - وعيدًا من الله بذلك مَنْ كتمها ، وتخويفًا منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم ، وبمن كان من نظرَائهم ممن انطوى كشحًا على معصية فأضمرها ، أو أظهر مُوبقة فأبداها من نفسه - من المحاسبة عليها فقال : ﴿ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، يقول : وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقِّ ربِّ المال الجحودَ والإنكار ، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم ، وغير ذلك من سيئ أعمالكم - ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، يعني بذلك : يحتسب به عليكم من أعمالكم ، فمجازٍ من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله ، وغافرٌ لمن شاء منكم من المسيئين .

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح عن عكرمة قال : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : في الشهادة[١] .

وفي رواية عنه : هي الشهادة إذا كتمتها[٢] .

● ومن العلماء من قال : إن المنسوخ منها ما يتعلق بحديث النفس والوساوس والسلوك ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلَّم »[٣] .

---

(١) الطبري أثر (٦٤٥٢) .

(٢) الطبري أثر (٦٤٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٢٨) ، ومسلم (١٢٧) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

● ومن العلماء من قال : لم تنسخ ، ولكن لا يلزم من المحاسبة المؤاخذة ، ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر في النجوى[1] الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وفيه : أن رجلًا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه ، فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ قال : فيقول : نعم ، ويقول : عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرره ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم » .

❋ ❋ ❋

س : الآيات الدالة على علم الله عز وجل بذات الصدور وحديث النفوس كثيرة اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ [الأنبياء : ١١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ [طه :٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ [تبارك : ١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ... ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٤) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

● وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] .

❋ ❋ ❋

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا
وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ
عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ
أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

غفرانك – المصير – وسعها – إصرًا – اعف عنا – اغفر لنا – مولانا ؟

ج :

الكلمة	معناها
غفرانك	مغفرتك ، والغفران : الستر على ذنوب من غفر له .
المصير	المرجع والمآب ، والمعاد .
وسعها	طاقتها – جهدها .
إصرًا	عهدًا – ثقلًا – الأمر الغليظ .
اعف عنا	تجاوز عن سيئاتنا ، ولا تؤاخذنا بها .
اغفر لنا	استر علينا ، ولا تفضحنا .
مولانا	ناصرنا – كافينا .

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » .

● ومنها : ما أخرجه مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه ، فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيته » .

* * *

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه مسلم[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله فَيغفر لمن يشاء ويُعذب من يشاء والله على كل شيء قديرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، قال : فاشتد ذلك

---

(١) البخاري (مع الفتح ٥٥/٩) ، ومسلم (مع النووي ٩١/٦) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٦) .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٢٥) .

على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير » ، قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ؛ فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في أثرها : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله لا نُفرق بين أحدٍ من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غُفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل : ﴿ لا يُكلف الله نفسًا إلا وُسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ لا نفرق بين أحدٍ من رسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فيه محذوف بيِّنه ؟

ج : المحذوف هو : (يقولون) ، فالمعنى : يقولون : لا نفرق بين أحدٍ من رسله ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] ، أي : يقولون : سلام عليكم بما صبرتم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا ... ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، فالمعنى :

ويتكفرون في خلق السموات والأرض قائلين : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك ... ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لها ما كسبت من الحسنات ، وعليها ما اكتسبت من السيئات .

❋ ❋ ❋

س : النسيان والخطأ موضوعان عن الشخص ابتداءً ، فلماذا سأل المؤمنون ربهم عز وجل أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا ؟

ج : طرح نحو هذا السؤال الطبري رحمه الله تعالى فقال :

إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يُؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك ؟

قيل : إن « النسيان » على وجهين : أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استُحفظ ووكِّل به ، وضعف عقله عن احتماله .

فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط ، فهو تَركٌ منه لما أمر بفعله ، فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به ، وهو « النسيان » الذي عاقب الله عز وجل به آدم صَلوات الله عليه ، فأخرجه من الجنة ، فقال في ذلك : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] ، وهو « النسيان » الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف : ٥١] ،

فرغبةُ العبد إلى الله عز وجل بقوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ، ما لم يكن تركُهُ ما ترك من ذلك تفريطًا منه فيه وتضييعًا ، كفرًا بالله عز وجل ، فإن ذلك إذا كان كفرًا بالله ، فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذةَ به غير جائزة ، لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به ، فمسألته فعلَ ما قد أعلمهم أنه لا يفعله ، خطأ ، وإنما تكون مسألته المغفرة ، فيما كان من مثل نسيانه القرآنَ بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاةً ، أو صيامًا باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيَّعهما .

وأما الذي العبد به غيرُ مؤاخذ ، لعجز بِنْيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ما وُكل بمراعاته ، فإن ذلك من العبد غيرُ معصية ، وهو به غير آثم ، فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربَّه أن يغفره له ، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب ، وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريصٌ على تذكره وحفظه ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجدٍّ منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ذكرَ ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان ، فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الربِّ مغفرته ، لأنه لا ذنبَ للعبد فيه فيغفر له باكتسابه .

وكذلك لـ « الخطأ » وجهان :

أحدهما : من وجه ما نُهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأخوذ ، يقال منه : (خَطِىء فلان وأخطأ) فيما أتى من الفعل ، و (أثم) ، إذا أتى ما يأثم فيه وركبه ، ومنه قول الشاعر :

الناس يَلْحَوْن الأميرَ إذا هُمُ ... خَطِئُوا الصواب ولا يلام المرشَد

يعني : أخطأوا الصواب – وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في

صفح ما كان منه من إثم عنه ، إلا ما كان من ذلك كفرًا .

والآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظن منه بأن له فعله ، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلًا وهو يحسب أن الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاةً في يوم غيم ، وهو ينتظر بتأخيره إياها دخولَ وقتها ، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل ، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد ، الذي وضعَ الله عز وجل عن عباده الإثم فيه ، فلا وجه لمسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه به .

وقد زعم قوم أن مسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه بما نسي ، أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمَره به ربُّه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة ، فأما على وجه مسألته الصفحَ ، فما لا وجه له عندهم .

وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأتي فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية ، لمن وفق لفهمه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مثالًا ، أو مثالين للآصار التي كانت على الأمم من قبلنا ؟

ج : منها : أن التوبة عليهم أحيانًا كانت لا تتأتى إلا بأن يقتل بعضهم بعضًا ، كما قال تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم .... ﴾ [البقرة : ٥٤] .

ومنها : أنهم كانوا يُمسخون قردة وخنازير ، كما قال تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .. ﴾ [المائدة : ٦٠] ، والله تعالى أعلم .

س : وضح معنى قول المؤمنين : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ..... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

ويعني بذلك جل ثناؤه : قولوا : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، يعني بـ (الإصر) : العهد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وإنما عنى بقوله : ﴿ ولا تحمل علينا إصرًا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ولا تحمل علينا عهدًا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه - ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، يعني : على اليهود والنصارى الذي كُلفوا أعمالًا ، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها ، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة ، فعلَّم الله عز وجل أمة محمد ﷺ الرغبة إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال - إن ضيعوها أو أخطأوا فيها أو نسوها - مثل الذي حَمَّل مَنْ قبلهم ، فيُحلُّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه ، مثلَ الذي أَحَلَّ بمن قبلهم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قول المؤمنين : ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضًا : ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا .

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة : ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، تشديد يشدِّد به ، كما شدِّد على من كان قبلكم .

❋ ❋ ❋

س : ما الفرق بين العفو والمغفرة ؟

ج : العفو يطلق على المحو[1] والإزالة ، والمراد به هنا : محو الذنب ، وإسقاط العقاب .

أما المغفرة فالمراد بها : الستر على صاحب الذنب ، وعدم فضيحته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقول أهل الإيمان : ﴿ وارحمنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك جل ثناؤه : تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك ، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلا برحمتك إياه دُون عمله ، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا ، فوفقنا لما يرضيك عنا .

وأخرج بسندٍ صحيح إلى ابن زيد قوله : ﴿ وارحمنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قال يقول : لا ننال العمل بما أمرتنا به ، ولا تركَ ما نهيتنا عنه إلا برحمتك ، قال : ولم ينج أحد إلا برحمتك[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل استجاب الله دعاء المؤمنين ؟

ج : نعم استجاب دعاءهم ، فوضع عنهم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلهم ، قال الله تعالى في الحديث القدسي : « قد فعلت »[3] .

---

(١) ويطلق على الترك في غير هذا الموطن كقولهم : (عفا الأثر) ، أي : مُحي الأثر .

(٢) أثر (٦٥٣٣) .

(٣) أخرج مسلم (حديث ١٢٦) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : =

وقال سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، والله تعالى أعلم .

* * *

= لما نزلت هذه الآية : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » ، قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » .

الخاتمـة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد ، فبهذا القدر من الأسئلة مع أجوبتها على سورة البقرة نكتفي ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها وسائر المسلمين ، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد ، وله النعمة والفضل والثناء الحسن ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ، ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، ولا أنزه نفسي عن الخطأ والنسيان والقصور ، وأسأل الله أن يغفر لي خطئي ونسياني وتقصيري ، ثم أرجو من إخواني أهل الإسلام ، وأهل العلم والفضل أن يوافوني بملاحظاتهم ونصائحهم ، فالدين النصيحة كما قال النبي ﷺ .

هذا ، وأسأل الله سبحانه أن ينصر الإسلام وأهله ، وأن يخذل الشرك والمشركين ، ويخزيهم ، وأن يشفي صدور قومٍ مؤمنين .

وختامًا نشكر الله سبحانه وتعالى ، ثم نشكر كلًّا من أخينا (عبد الله الموسى) ، وأخاه (مسفر) لما ساعدانا به من كتب وحسن ضيافة أثناء كتابة هذا البحث ، وكذلك نشكر أخانا (أبا محمد يوسف العطير) لما هيأهُ من جوٍّ مناسب ، وحسن ضيافة ، وكرم أخلاق ، ومعروف زائد أثناء كتابة هذا البحث ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ونسأل الله أن يبارك لهم في ذرياتهم ، ويسكننا وإياهم الفردوس .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

مصر – الدقهلية – منية سمنود

ت : ٠٤٠/٩٦٠٦٧١

❋ ❋ ❋

المراجع من كتب التفاسير(*) (١)

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) – لـ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) – دار المعارف بمصر ، دار الفكر ببيروت .
- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني – لـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ – ٢١١ هـ) – دار المعرفة ببيروت .
- تفسير سفيان الثوري – لـ سفيان الثوري (م ١٦١ هـ) – دار الكتب العلمية ببيروت .
- تفسير ابن أبي حاتم – لـ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (م ٣٢٧ هـ) – مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، دار طيبة بالرياض .
- تفسير سعيد بن منصور – لـ سعيد بن منصور (م ٢٢٧ هـ) – الصميعي (الرياض) .

(*) مع ذكر اسم الكتاب ومؤلفه وزمن وفاته ودار النشر التي نشرته .

(١) من هذه التفاسير تفاسير وقع مؤلفوها في أخطاءٍ شديدة ، وحادوا في جملة مسائل عن منهج أهل السنة والجماعة ، ولكننا نأخذ من أقوالهم ما صح ، ونذر لهم ما أخطأوا فيه وزلت فيه أقدامهم ، وندعو الله عز وجل أن يتجاوز عن سيئاتهم ، فلا مانع لدينا من قبول الصحيح من أقوالهم التي وافقت أقوال أهل السنة والجماعة ، ولا مانع أيضًا أن ننبه على المسائل التي أخطأوا فيها حتى يحذرها إخواننا القراء .

وقد قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة – لما ذكر الشيطان لأبي هريرة أن قراءة آية الكرسي سبب في أن لا يقربه شيطان حتى يصبح – : « صدقك وهو كذوب » ، وقد قدمنا في المقدمة طرف من الحديث على هذا ، وإن شاء الله سيكون في وقت لاحق دراسة شاملة للكتب مع بيان خصائص كل تفسير ومزاياه ، وما أخطأ فيه صاحبه ، وما أصاب .

وبالله التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- معاني القرآن – لـ أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (م ٢٠٧ هـ) – عالم الكتب .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج – لـ أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (م ٣١١ هـ) – عالم الكتب .
- أحكام القرآن – لـ أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٤٦٨ – ٥٤٣ هـ) – دار الفكر .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لـ أبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٤٨١ – ٥٤٦هـ) – تحقيق المجلس العلمي بفاس .
- تفسير البحر المحيط – لـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ – ٧٥٤ هـ) – توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- التسهيل لعلوم التنزيل – لـ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي (٦٩٣ – ٧٤١ هـ) – الدار العربية للكتاب .
- النكت والعيون (تفسير الماوردي) – لـ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ) – دار الكتب العلمية .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – لـ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- تفسير البغوي – لـ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (م ٥١٦ هـ) – دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – لـ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (م ٧٧٤ هـ) – عدة طبعات ومنها الطبعة المحققة للوادعي .
- زاد المسير في علم التفسير – لـ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ) – المكتب الإسلامي وطبعات أخرى .

- تفسير الكشاف – لـ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) – دار المعرفة ببيروت .
- التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب) – لـ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤ – ٦٠٤ هـ) – دار الكتب العلمية ببيروت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم[1] والسبع المثاني – لـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (م ١٢٧ هـ) – مكتبة النهضة العربية .
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) – لـ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ – ١٣٣٢ هـ) – دار الفكر ببيروت .
- تفسير الجلالين – لـ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار المعرفة ببيروت .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لـ السيوطي – مطبعة الأنوار المحمدية .
- إعراب القرآن – لـ أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (م ٣٣٨ هـ) – عالم الكتب .
- فتح القدير – لـ محمد بن علي الشوكاني (م ١٢٥٠ هـ) – دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- التفسير القيم – لـ ابن القيم (٦٩١ – ٧٥١ هـ) – دار الكتب العلمية .
- التفسير الكبير لابن تيمية – لـ شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) – دار الكتب العلمية .
- معاني القرآن – لـ سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ٢١٥ – مكتبة الخانجي القاهرة .
- في ظلال القرآن – لـ سيد قطب – دار الشروق .
- التفسير المنير – لـ وهبة الزحيلي – دار الفكر بدمشق ، دار الفكر المعاصر ببيروت .

---

(١) وهذا التفسير من أبعد التفاسير عن نهج أهل السنة ، والذي قبله مليء كذلك بحشوٍ لا فائدة فيه بل وفي كثير من الأحيان فيه مضرة ، وكذلك الذي قبله المعتزلي .

- فتح البيان في مقاصد القرآن – لـ صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨ – ١٣٠٧ هـ) – المكتبة العصرية صيدا – بيروت .
- عمدة التفسير (عن الحافظ ابن كثير) – اختصار وتحقيق أحمد شاكر .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – لـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (م ١٣٩٣ هـ) – عالم الكتب .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – لـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ – ١٣٧٦ هـ) – دار المدني بجدة .
- تفسير أبي السعود – لـ أبي السعود محمد بن محمد العمادي – دار إحياء التراث العربي .
- مرويات الإمام أحمد في التفسير – جمع وتخريج حكمت بشير ياسين – مكتبة المؤيد بالسعودية .
- تفسير المنار – لـ محمد رشيد رضا – دار المعرفة .
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل – لـ عبد القادر شيبة الحمد – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – لـ أبي بكر جابر الجزائري (واعظ بالمسجد النبوي) .
- صفوة التفاسير – لـ محمد علي الصابوني .
- الصحيح المسند من أسباب النزول – لـ أبي عبد الرحمن مقبل الوادعي – ابن تيمية بالقاهرة .
- أبواب التفسير من كتب الصحاح والسنن : (كصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وتفسير النسائي ، ومستدرك الحاكم ، وسائر أبواب التفسير من كتب السنن) .

❋ ❋ ❋

فهـرس الآيـات

م	الآيـة	الصفحة
١ -	من ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب... ﴾ [١٧٧] .	٥
٢ -	من ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى..﴾ [١٧٨] إلى ﴿ولكم في القصاص حياة..﴾ [١٧٩].	٢٢
٣ -	من ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت .. ﴾ [١٨٠] إلى ﴿ فمن خاف من موص جنفًا .. ﴾ [١٨٢].	٤٨
٤ -	من ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام.. ﴾ [١٨٣] إلى ﴿ أيامًا معدودات فمن كان منكم مريضًا.. ﴾ [١٨٤].	٦٧
٥ -	من ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... ﴾ [١٨٥].	٩٦
٦ -	من ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب .. ﴾ [١٨٦].	١٠٧
٧ -	من ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... ﴾ [١٨٧] .	١٢٨
٨ -	من ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبّاطل ... ﴾ [١٨٨].	١٥٩
٩ -	من ﴿ يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس ... ﴾ [١٨٩] .	١٦٧
١٠-	من ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ... ﴾ [١٩٠] .	١٧٣

١١- من ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم .. ﴾ [١٩١] إلى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ... ﴾ [١٩٣] . ١٧٦
١٢- من ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ [١٩٤] . ١٨٤
١٣- من ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ... ﴾ [١٩٥] . ١٨٨
١٤- من ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم .. ﴾ [١٩٦]. ١٩٤
١٥- من ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج .. ﴾ [١٩٧] . ٢١٧
١٦- من ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم .. ﴾ [١٩٨] إلى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.. ﴾ [١٩٩]. ٢٢٨
١٧- من ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم .. ﴾ [٢٠٠] إلى ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [٢٠٢]. ٢٣٨
١٨- من ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ... ﴾ [٢٠٣]. ٢٤٤
١٩- من ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ... ﴾ [٢٠٤] إلى ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ... ﴾ [٢٠٦]. ٢٥٢
٢٠- من ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله .. ﴾ [٢٠٧] . ٢٥٧
٢١- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة .. ﴾ [٢٠٨] إلى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .. ﴾ [٢١٠] . ٢٦١

٢٢- من ﴿ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ... ﴾ [٢١١] إلى ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ... ﴾ [٢١٢] . ٢٦٥
٢٣- من ﴿ كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ... ﴾ [٢١٣] . ٢٧٠
٢٤- من ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا ... ﴾ [٢١٤] . ٢٧٥
٢٥- من ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ... ﴾ [٢١٥] . ٢٧٩
٢٦- من ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... ﴾ [٢١٦]. ٢٨٢
٢٧- من ﴿ يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ... ﴾ [٢١٧] إلى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا.. ﴾ [٢١٨]. ٢٨٤
٢٨- من ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر ... ﴾ [٢١٩] إلى ﴿ في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى.. ﴾ [٢٢٠]. ٢٨٩
٢٩- من ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ... ﴾ [٢٢١]. ٢٩٩
٣٠- من ﴿ ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى ... ﴾ [٢٢٢]. ٣٠٣
٣١- من ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ... ﴾ [٢٢٣]. ٣١٥
٣٢- من ﴿ ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم ... ﴾ [٢٢٤] . ٣١٩
٣٣- من ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ... ﴾ [٢٢٥]. ٣٢٢
٣٤- من ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ... ﴾ [٢٢٦] إلى ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ [٢٢٧] . ٣٢٩
٣٥- من ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء.. ﴾ [٢٢٨]. ٣٣٦

٣٦- من ﴿ الطلاق مرتان ... ﴾ [٢٢٩] إلى ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ... ﴾ [٢٣٠]. ٣٤٥
٣٧- من ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن ... ﴾ [٢٣١] إلى ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ... ﴾ [٢٣٢] . ٣٥٢
٣٨- من ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ... ﴾ [٢٣٣]. ٣٥٩
٣٩- من ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ... ﴾ [٢٣٤]. ٣٧٣
٤٠- من ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ... ﴾ [٢٣٥] . ٣٨٥
٤١- من ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن.. ﴾ [٢٣٦] إلى ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ [٢٣٧] . ٣٩٢
٤٢- من ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ... ﴾ [٢٣٨] إلى ﴿ فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا .. ﴾ [٢٣٩]. ٤٠٦
٤٣- من ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ... ﴾ [٢٤٠] إلى ﴿ كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تعقلون ﴾ [٢٤٢] . ٤١٢
٤٤- من ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ... ﴾ [٢٤٣] إلى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا ... ﴾ [٢٤٥] . ٤١٥
٤٥- من ﴿ ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى ... ﴾ [٢٤٦]. ٤٢٤

٤٦- من ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا ... ﴾ [٢٤٧] إلى ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ... ﴾ [٢٤٨]. ٤٢٨
٤٧- من ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ... ﴾ [٢٤٩] . ٤٣١
٤٨- من ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده ... ﴾ [٢٥٠] إلى ﴿ تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحق .. ﴾ [٢٥٢]. ٤٣٤
٤٩- من ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... ﴾ [٢٥٣]. ٤٤٠
٥٠- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ... ﴾ [٢٥٤]. ٤٥١
٥١- من ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... ﴾ [٢٥٥]. ٤٥٣
٥٢- من ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... ﴾ [٢٥٦] . ٤٥٦
٥٣- من ﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ... ﴾ [٢٥٧] . ٤٦٢
٥٤- من ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ... ﴾ [٢٥٨]. ٤٦٥
٥٥- من ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ... ﴾ [٢٥٩]. ٤٦٨
٥٦- من ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى ... ﴾ [٢٦٠]. ٤٧٣
٥٧- من ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ... ﴾ [٢٦١] إلى ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى ﴾ [٢٦٢]. ٤٧٥
٥٨- من ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذًى ... ﴾ [٢٦٣] . ٤٨٥

٥٩- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ... ﴾ [٢٦٤]. ٤٨٨

٦٠- من ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله.. ﴾ [٢٦٥] إلى ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ... ﴾ [٢٦٦]. ٤٩٣

٦١- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ... ﴾ [٢٦٧] إلى ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا .. ﴾ [٢٦٩]. ٥٠٣

٦٢- من ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ... ﴾ [٢٧٠]. ٥١٠

٦٣- من ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ... ﴾ [٢٧١]. ٥١٤

٦٤- من ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ... ﴾ [٢٧٢] إلى ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار .. ﴾ [٢٧٤] . ٥١٨

٦٥- من ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ... ﴾ [٢٧٥] إلى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة ... ﴾ [٢٧٧]. ٥٢٦

٦٦- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ... ﴾ [٢٧٨] إلى ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ... ﴾ [٢٨١]. ٥٣٧

٦٧- من ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ... ﴾ [٢٨٢]. ٥٤٢

٦٨- من ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهان مقبوضة ... ﴾ [٢٨٣]. ٥٦٥

٦٩- من ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ... ﴾ [٢٨٤]. ٥٦٧
٧٠- من ﴿ ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ... ﴾ [٢٨٥] إلى ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ... ﴾ [٢٨٦]. ٥٧٢

* * *

فهـرس الأحاديـث

م	الحديث	الصفحة
	بـاب الهمـزة	
١	« أبا يحيى ربح البيع »	٢٥٨
٢	« أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم .. »	٢٧
٣	« أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء ؟ .. »	١١٤
٤	« أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم »	٥٧٤
٥	« الثلث والثلث كثير إن تذر ورثتك »	٥٧ ، ٥٨
٦	« أجملوا في طلب الدنيا فإن كلًّا ميسر لما كتب له منها »	١١٧
٧	« اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا .. »	٢١٢
٨	« اجتنبوا السبع الموبقات »	٥٣٣
٩	« أحب البلاد إلى الله مساجدها »	٤٤٤
١٠	« احلق رأسك ثم اذبح شاة »	٢٠٧
١١	« الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »	٣٠١
١٢	« الدعوة لا ترد بين الأذان والإقامة فادعوا »	١١٩
١٣	« الدعاء هو العبادة »	١١٠
١٤	« إذا أقبل الليل من هاهنا »	١٣٩ ، ١٤٤
١٥	« إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء .. »	٩٧

١٦- « إذا التقى المسلمان .. » ٣٢٨
١٧- « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل :... » ١١٦
١٨- « أذهب البأس رب الناس ... » ١١٦
١٩- « إذا تصدق أحدكم بصدقة من كسب طيب ... » ٤٧٦
٢٠- « إذا سمعتم به (أي : بالطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه » ٤١٨
٢١- « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة » ٩٨
٢٢- « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه .. » ١٢٠
٢٣- « اذبح ولا حرج » ٢٠٣
٢٤- « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها » ٤١٨
٢٥- « أردت الحج » ٢٠٤
٢٦- « أرى أن تجعلها في الأقربين » ٢٨٠
٢٧- « أرضعيه » ٣٦٦
٢٨- « أسلم وإن كنت كارهًا » ٤٥٩
٢٩- « اشف أنت الشافي » ١٢٣
٣٠- « الشهر تسع وعشرون » ٣٣٠
٣١- « الصائم في السفر كالمفطر في الحضر » ١٠٢
٣٢- « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان .. » ٩٧
٣٣- « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » ٣٠٤ ، ٣٠٥
٣٤- « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي .. » ٤٤٩
٣٥- « اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى .. » ٣٩٠
٣٦- « اغزوا باسم الله ... » ١٧٥

٣٧- « أفضل الصلاة طول القنوت » ٤٠٦
٣٨- « اقتلوه » ١٧٩
٣٩- « أقتلك فلان ؟ » ٢٧
٤٠- « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ١١٩
٤١- « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » ١٩٣
٤٢- « القصاص كتاب الله ، القصاص كتاب الله » ٤٠
٤٣- « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ... » ١٢٣
٤٤- « اللهم أنت السلام ومنك السلام .. » ٢٣٧
٤٥- « اللهم اغفر للمحلقين » ٢٠٣
٤٦- « اللهم إني أسألك الهدى والتقى .. » ١٢٧
٤٧- « اللهم ارحم المحلقين » ٢٠٤
٤٨- « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » ٤٤٣
٤٩- « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب » ١٤٣٥
٥٠- « اللهم اكفنيهم بما شئت » ٤٣٥
٥١- « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني » ٤٤٥
٥٢- « اللهم عليك بقريش » ١١٥
٥٣- « اللهم اسقنا اللهم اسقنا ... » ١١٥
٥٤- « اللهم منزل الكتاب هازم الأحزاب ... » ١١٦
٥٥- « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض .. » ١٢١
٥٦- « المسلمون تتكافأ دماؤهم » ٢٦
٥٧- « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب .. » ٣٧٧، ٣٨١
٥٨- « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا .. » ١٨١ ، ١٨٢
٥٩- « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » ٣٧٩

٦٠- « أمك ثم أمك ثم أمك » ٢٨٠
٦١- « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ١٨٥
٦٢- « أمرتَ بقرية تأكل القرى يقولون يثرب » ٤٤٤
٦٣- « أما الركوع فعظموا فيه الرب .. » ١٢٢
٦٤- « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه .. » ٥٣، ٥٩
٦٥- « إن الله تجاوزَ لي عن أمتي ما وسوست به » ٥٦٩
٦٦- « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » ٨٢
٦٧- « إن الله كتب الإحسان في كل شيء » ١٩٣
٦٨- « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم » ٢٥٤
٦٩- « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق ... » ١٧٩
٧٠- « إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم » ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
٧١- « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام » ٤٥٥
٧٢- « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة » ٥٣٤
٧٣- « إن في المال حقًّا سوى الزكاة » ١٥
٧٤- « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. » ١٣
٧٥- « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » ٤٠
٧٦- « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا .. » ١١٤
٧٧- « إن بالمدينة لرجالًا .. » ٣٢٨
٧٨- « إن في الجنة بابًا يقال له الريان .. » ٧٣
٧٩- « إن مكة حرمها الله .. » ١٧٩ ، ١٨٠
٨٠- « إني لبدت رأسي وقلدت هديي » ٢٠٠

٨١ - « أن تطعمها إذا طعمت .. » ٣٤٢
٨٢ - « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة .. » ٤٤١
٨٣ - « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ٤٤٣
٨٤ - « أن خير بقاع الأرض المساجد » ٤٤٤
٨٥ - « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل » ٤٤٦
٨٦ - « إنا أمة أمية » ٥٥٠
٨٧ - « إنه لا يرد شيئًا ولكن يستخرج به من البخيل » ٥١٢
٨٨ - « إنما هي أربعة أشهر وعشر » ٤١٣
٨٩ - « إنكم مصبحو العدو غدًا والفطر أقوى لكم » ٨١
٩٠ - « أنت أحق به ما لم تُنكحي » ٣٧١
٩١ - « إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه » ١٠٥
٩٢ - « إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا » ٤٢٦
٩٣ - « إني لست مثلك ... » ١٥٣
٩٤ - « إنما الأعمال بالنيات .. » ٣٥٥
٩٥ - « انظرن ما إخوانكن .. » ٣٦٥
٩٦ - « أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان » ٩٨
٩٧ - « إنما ذلك سواد الليل ... » ١٤٥
٩٨ - « أنفست » ٣٠٩
٩٩ - « أهلّي بالحج واشترطي أن محلّي » ٢٠٤
١٠٠- « أوف بنذرك » ١٤٠
١٠١- « أو ليس قد ابتعته منك » ٥٥٥
١٠٢- « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله » ٢٤٠
١٠٣- « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها .. » ٣٠١

باب الباء

١٠٤- « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر ... » ١٢٦

باب التاء

١٠٥- « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم » ٥٣٩
١٠٦- « تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت » ٥٣٥
١٠٧- « تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » ٥٢٠
١٠٨- « تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام » ٤٦٠
١٠٩- « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » ٤٣٠
١١٠- « تلك الملائكة كانت تستمع لك » ٤٣٠
١١١- « تحدثن عند إحداكن ما بدا لكن حتى إذا أردتن النوم ... » ٣٧٩
١١٢- « تجد شاة ؟ » ٢٠٦

باب الثاء

١١٣- « ثلاثة حق على الله عونهم ... » ٢٠
١١٤- « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم » ٥٥٣، ٥٥٤
١١٥- « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » ٥٥٣
١١٦- « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة » ٤٨٤
١١٧- « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد .. » ٣٥٤

باب الحاء

١١٨- « حق الضيافة ثلاث ليال فكل شيء .. » ١٩
١١٩- « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء .. » ٥٣٩

١٢٠- « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » ٤٠٩
١٢١- « حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » ٤٠٧

باب الخاء

١٢٢- « خير أمتي قرني » ٤٤٦
١٢٣- « خمروا آنيتكم » ٢٩٠

باب الدال

١٢٤- « دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب » ١١٥
١٢٥- « دَيْن الله أحق أن يقضى » ٨٣
١٢٦- « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » ١٩٥

باب الذال

١٢٧- « ذهب المفطرون بالأجر » ٨١

باب الراء

١٢٨- « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ٢٤٣

باب السين

١٢٩- « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » ٥١٥
١٣٠- « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه » ٤٤٨
١٣١- « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت .. » ٢٣٧
١٣٢- « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » ٢٣٦

باب الشين

١٣٣- « شغلونا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر » ٤٠٧

باب الصاد

١٣٤- « صدقك وهو كذوب ذاك شيطان » ٤٥٥

١٣٥- « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه » ٤٤٤

باب العين

١٣٦- « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » ٤٥٩

باب الفاء

١٣٧- « في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم .. » ١٢٠

١٣٨- « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .. » ١١٨

١٣٩- « ففتح لنا فإذا أنا بيوسف إذ هو قد أعطي شطر الحسن » ٥٤٤

١٤٠- « في الركاز الخمس » ٥٠٤

١٤١- « فلها الصداق بما استحل من فرجها » ٣٩٥

١٤٢- « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه ... » ١٢١

١٤٣- « فتردين عليه حديقته » ٣٤٩

١٤٤- « .. فاتقوا الله في النساء . » ٣٤٢

١٤٥- « فاظفر بذات الدين تربت يداك » ٣٠١

١٤٦- « فأمر بالأخدود في أفواه سككك فخدّت .. » ٢٧٨

١٤٧- « فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها .. » ٧٤

باب القاف

١٤٨- « قال رجل لأتصدقن الله بصدقة » ٥٢٢

١٤٩- « قد سألت الله لآجال ضروبة وأيام معدودة .. » ١١٨

١٥٠- « قل : اللهم إني ظلمت نفسي .. » ٢٣٦
١٥١- « قربوه فقد بلغ محله » ٢٠١
١٥٢- « قوموا فانحروا ثم احلقوا » ١٩٩
١٥٣- « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » ٥٨٠

إب الكاف

١٥٤- « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض .. » ٢٧٧

باب اللام

١٥٥- « لقد حجرت واسعًا » ١١٦
١٥٦- « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم .. » ١١٥
١٥٧- « لا تقولوا رمضان فإن رضان اسم من أسماء الله تعالى » ٩٨
١٥٨- « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في .. » ٣١
١٥٩- « لا يحل دم امرىء مسلم إ بإحدى ثلاث .. » ٣٠
١٦٠- « لا يقتل مسلم بكافر » ٢٨
١٦١- « للسائل حق وإن جاء على رس » ١٩
١٦٢- « ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ... » ١٨
١٦٣- « لا يُتم بعد احتلام » ١٦
١٦٤- « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الرح عطس » ٥٤٤
١٦٥- « لكل غادر لواء عند استه يو القيامة » ٥٣٤
١٦٦- « لا تزال المسألة بأحدكم حتى لقى الله » ٥٢٤
١٦٧- « لا وفاء لنذر في معصية الله » ٥١١
١٦٨- « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء يكن قدر له » ٥١١

١٦٩- « ليس فيما دون خمس أوسق صدقة » ٥٠٥
١٧٠- « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة » ٤٧٧
١٧١- « لأعلمنك أعظم سورة في كتاب الله عز وجل » ٤٤٥
١٧٢- « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس ابن متى » ٤٤١
١٧٣- « لا تخيروني على موسى » ٤٤١
١٧٤- « لا تخيروا من بين الأنبياء » ٤٤١
١٧٥- « لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا » ٤٢٦
١٧٦- « لا تكتحل فقد كانت إحداكن تمكث .. » ٣٧٧
١٧٧- « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميت فوق ثلاث » ٣٧٥
١٧٨- « لا يحرِّم من الرضاعة إلا ما فُتق الأمعاء .. » ٣٦٤
١٧٩- « لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟... » ٣٥١
١٨٠- « لك ما فوق الإزار » ٣٠٦
١٨١- « لا نكاح إلا بولي » ٣٠٠
١٨٢- « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت » ٢٠٩
١٨٣- « لا تواصلوا فأيكم إذا أراد ... » ١٥٣ ، ١٥٤
١٨٤- « لست كأحدٍ منكم .. » ١٥٣
١٨٥- « لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ... » ١٤٨
١٨٦- « لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة » ١٤١
١٨٧- « انزل فاجدح ... » ١٣٩
١٨٨- « ليس من البر الصيام في السفر » ٨٠
١٨٩- « لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر » ٧٩ ، ٨٠

باب الميم

١٩٠- « ما من مسلم يدعو الله بدعوةٍ ليس فيها إثم ... » ١٠٩
١٩١- « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له .. » ٩٧
١٩٢- « من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين ... » ٤٠
١٩٣- « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا ... » ١٩
١٩٤- « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ... » ٩
١٩٥- « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » ٥٥١
١٩٦- « من سلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم » ٥٤٩
١٩٧- « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه » ٥٤٨
١٩٨- « من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة » ٥٣٩
١٩٩- « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا » ٥٣٩
٢٠٠- « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر » ٥٣٩
٢٠١- « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته » ٥٣٥
٢٠٢- « من نذر أن يطيع الله فليطعه » ٥١٢
٢٠٣- « من نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ٥١١
٢٠٤- « ما من الناس أحد أمن علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قحافة » ٤٨٣
٢٠٥- « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب » ٤٨٢
٢٠٦- « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة » ٤٥٥
٢٠٧- « من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا » ٤٤٧
٢٠٨- « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ٤٤٤
٢٠٩- « من طلب الشهادة صادقًا أعطيها » ٤٢٧

٢١٠- « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء.. » ٤٢٧
٢١١- « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » ٤٠٩
٢١٢ - « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ٤٠٩
٢١٣- « ما هذا يا أم سلمة ؟ » ٣٧٨
٢١٤- « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » ٣٣٣
٢١٥- « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا
منها ... » ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٣
٢١٦- « من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها .. » ٣٢٥
٢١٧- « من اقتطع حق امرىء مسلم ... » ٣٢٥
٢١٨- « من أتى امرأته وهي حائض .. » ٣٠٨
٢١٩- « ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة .. » ٢٧٢
٢٢٠- « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم
ولدته أمه » ٢٤٨ ، ٢٥٠
٢٢١- « من قلد الهدي فإنه لا يحل له حتى .. » ٢١٢
٢٢٢- « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .. » ١٧٣
٢٢٣- « من قاتل لتكون كلمة الله أعلى .. » ١٧٣
٢٢٤- « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة » ٥٧٣
٢٢٥- « ما من عبدٍ يصوم يومًا في سبيل الله ... » ٧٤
٢٢٦- « من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر .. » ٧٢، ٧٤
٢٢٧- « من أنفق زوجين في سبيل الله .. » ٧٣
٢٢٨- « من لم يدع قول الزور والعمل به .. » ٦٨
٢٢٩- « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت .. » ٦٠

باب الهاء

٢٣٠- « هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ » ٥٣٣

٢٣١- « هم سواء » ٥٣٢
٢٣٢- « هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت .. » ٣٤٩
٢٣٣- « هذا باب من السماء فتح اليوم » ٥٧٣

باب الواو

٢٣٤- « وجمع كلها موقف » ٢٣٠
٢٣٥- « ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ... » ٢٤
٢٣٦- « وأول ربًا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب » ٥٣٢
٢٣٧- « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله » ٥٢٤
٢٣٨- « وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين » ٤٦١
٢٣٩- « والله ليهنك العلم أبا المنذر » ٤٥٤
٢٤٠- « وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد » ٤٤٧
٢٤١- « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله » ٤٤٣
٢٤٢- « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ٢٩١
٢٤٣- « ويلكم قد قد » ١٩٧
٢٤٤- « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم .. » ١٢٤

باب الياء

٢٤٥- « يؤذيك هوامك » ٢٠٥
٢٤٦- « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور » ١١٩
٢٤٧- « يسِّرا ولا تعسرا » ١٠٥
٢٤٨- « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر » ٥٣٤
٢٤٩- « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » ٤٥٤
٢٥٠- « يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس » ٤٤٦

فهـرس الأحاديـث القدسيـة

م	الموضـوع	الصفحـة
١	« ارفع محمد وقل يُسمع واشفع تشفع... »	١٢١
٢	« ألم أكن أغنيتك ؟ »	٤٥٠
٣	« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني »	٤٢١
٣	« قد فعلت »	٥٧٩
٤	« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام »	٧٣
٥	« قال : قد فعلت »	٥٨٠
٦	« قال : نعم »	٥٦٨
٧	« قد فعلت »	٥٧٩
٨	« وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم »	٢٧١
٩	« يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه »	٥٧٠
١٠	« يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي .. »	١٢٠
١١	« ينزل الرب عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من داعٍ فأستجيب له ؟ »	٤٤٦
١٢	« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة .. »	١١٩

الموقوفات

١ – أقام النبي ﷺ الحدَّ على شارب الخمر ٢٩٣
٢ – أمر النبي ﷺ المتوفى عنها زوجها أن تعتد حيث شاءت ٣٧٩
٣ – أن النبي ﷺ أرسل عائشة تعتمر من التنعيم .. ٢٢٠
٤ – أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها شيئًا ٣٠٥
٥ – أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب ١٤٣
٦ – بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا ٥٢٤
٧ – تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن ٢٠٩
٨ – حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء ٢٣٠
٩ – رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ٤٦
١٠– فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما .. » ٣٠٤
١١– فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدي ٢٠٩
١٢– فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل .. ٢١٠
١٣– فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها ٣٧٤
١٤– فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يبينه لنا . ٥٤٠
١٥– فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ما فعل ٢٠٠
١٦– فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه وقف ٢٣٤
١٧– فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه ١٩٨
١٨– قضى رسول الله ﷺ بالشاهد واليمين ٥٥٢

١٩- كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ ... ٣٤٦
٢٠- كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير .. ٩٧
٢١- كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ١٤٥
٢٢- كان رسولى الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فأتزرت ٣٠٦
٢٣- كان رسول الله ﷺ يدني إليَّ رأسه .. ١٤٢
٢٤- كان ﷺ يسير العَنَق فإذا وجد فجوة نصَّ ٢٣١
٢٥- كانت إحدانا إذا كانت حائضًا .. ٣١٠
٢٦- كانت عائشة ترجل رأس رسول الله ﷺ وهي حائض ٣٠٩
٢٧- كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ ٣٠٩
٢٨- كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير ٢٤٦
٣٩- كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد ٣٠٦
٣٠- لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا .. ٢١١
٣١- لم يكن رسول الله يغزو في الشهر الحرام ١٨٦، ٢٨٥
٣٢- مازال النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة ٢٤٧

* * *

فهـرس الموضوعـات

م	الموضوع	الصفحة
١	معنى قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... ﴾	٧
٢	اصطلاح (البر) أحيانًا يأتي بمعنى عام وأحيانًا يأتي بمعنى خاص	١٠
٣	المراد بالإيمان بالملائكة	١٢
٤	أركان الإيمان	١٣
٥	بعض آيات تحث على الوفاء بالعهد	٢٠
٦	يُقتل الرجل بالمرأة إذا قتلها	٢٦
٧	فائدة ذكرها ابن العربي	٢٨
٨	كان القصاص في بني إسرائيل ، ولم تكن فيهم الدية	٤١
٩	القصاص حياة	٤٤
١٠	إذا تنازع أهل العلم في حكم آية هل هي منسوخة أم محكمة فالعمل على أنها ليست منسوخة	٥٠
١١	القدر المسموح للموصي أن يوصي به	٥٧
١٢	يجوز للموصي أن يرجع في وصيته	٥٨
١٣	بعض الأحاديث الواردة في فضل الصوم	٧٣
١٤	الحكمة من مشروعية الصيام	٧٤

١٥- مذهب شاذ لداود الظاهري ٧٦
١٦- مقدار الطعام الذي يُطْعَم به المسكين ٩١
١٧- بعض الأحاديث الواردة في فضل شهر رمضان وصيامه ٩٧
١٨- مشروعية الذكر عند انقضاء العبادة ١٠٣
١٩- الأدلة على علم الله عز وجل بحال عبده وقربه منه ١١٢
٢٠- بعض آداب الدعاء وأسباب إجابته ١١٤
٢١- بعض أوقات إجابة الدعاء ١١٩
٢٢- بعض الكنايات التي يكنى بها عن الجماع في كتاب الله عز وجل ١٣٦
٢٣- يفطر الصائم إذا تحقق غروب الشمس ١٣٩
٢٤- صفة الخيط الأبيض ١٤٨
٢٥- معنى وصال الصوم وحكمه ١٥٣
٢٦- وجوه إعراب قوله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ ١٦٥
٢٧- معنى : ﴿ التهلكة ﴾ ١٩٠
٢٨- جواز الاشتراط في الحج ٢٠٤
٢٩- فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ كاملة ﴾ ٢١٤
٣٠- حكم من جامع زوجته وهو محرم ٢٢٢
٣١- يجوز للحاج أن يبيع ويشتري ٢٢٩
٣٢- لا يصح الحج بدون الوقوف بعرفات ٢٣١
٣٣- صور الإفساد التي يرتكبها المفسد ٢٥٥
٣٤- وجه سخرية الكفار من المؤمنين ٢٦٨
٣٥- وجه الخيرية في قتال الأعداء ٢٨٣
٣٦- بعض صور الإثم الكبير والمنافع الموجودة في الخمر والميسر ٢٩١
٣٧- أصرح آية في تحريم الخمر ٢٩٢

٣٨- الأدلة على تحريم جماع الحائض ٣٠٤
٣٩- أقسام اليمين بالله تعالى ٣٢٣
٤٠- المراد بالقروء ٣٣٧
٤١- فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ إن أرادوا إصلاحًا ﴾ ٣٤١
٤٢- طلاق الثلاث في المجلس الواحد ٣٤٦
٤٣- لا يجب على الأم إرضاع ولدها ٣٦٠
٤٤- ما يجب على الحادة اجتنابه ٣٧٧
٤٥- يجوز للرجل أن يعقد على امرأة ولا يحدد لها صداقًا عند العقد ٣٩٨
٤٦- جرت سنة الله سبحانه وتعالى بالتفضيل ٤٤٢
٤٧- أعظم آية في كتاب الله عز وجل ٤٥٤
٤٨- حكم الركاز ٥٠٤
٤٩- أقسام النذور ٥١٠
٥٠- الوعيد لأكلة الربا ٥٣٢
٥١- أصل الأمر بالكتابة والشهود ٥٤٤
٥٢- لا تجوز شهادة الكفار أو الصبيان على الديون ٥٥٢
٥٣- بعض الفوائد التي اشتملت عليها آية الدين ٥٥٧
٥٤- فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ٥٧٣
٥٥- المراجع من كتب التفاسير ٥٨٢
٥٦- الفهرس ٦٠٤

❋ ❋ ❋

مطابع دار الصحيفة ت / ٠١٢٣٢٢٥٨٨١ تليفاكس / ٢٩٧٨٤٧٤

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب

سورة آل عمران

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

نشر وتوزيع
دار السنة

مصطفى العدوي
التسهيل
سورة آل عمران
دار السنة

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة آل عمران

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

دار السنة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

* دار السنة للنشر والتوزيع *

الخبر ص.ب ٣٠٧٤٤ الرمز البريدي ٣١٩٥٢

هاتف وفاكس ٨٩٤٦٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

● ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

● ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء : ١] .

● ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد :

فإن من جزيل نعم الله عز وجل وعظيم عطائه وتمام منته- بعد أن يوفق

العبد للإسلام والإيمان ؛ أن يرزقه الله سبحانه وتعالى الاستقامة على الهدى، ويأخذ بيده إلى الفقه في الدين، ذلكم الفقه الذي مادته العظمى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فقد قال سبحانه : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقال عليه السلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** »[١]، وقال عليه السلام : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** »[٢].

فنحمد الله سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على أن رزقنا الإسلام وجعلنا مسلمين ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ووالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .

ونشكره سبحانه وتعالى على أن أورثنا الكتاب ، ونسأله عز وجل أن يجعلنا من المصطفين الأخيار ، السابقين بالخيرات ، الفائزين بأعلى الدرجات في الجنات العلى والنعيم المقيم .

ونشكره سبحانه آناء الليل وأطراف النهار شكرًا يرضى به عنا ، ويورثنا به الجنان، ويجيرنا به من النيران، ويكسونا به الحلل، ويسكننا به الغرف، ويظلل علينا به الظلل يوم لا ظل إلا ظله، على أن وفقنا ووجهنا للفقه في الدين، وسلك بنا طريق نبينا الأمين، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، وأرشدنا إلى نهج سلفنا القويم من الصحابة والتابعين، ومن سار على هديهم واتبع سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين ، ونسأله سبحانه المزيد من العلم والإيمان والثبات حتى الممات .

هذا، وقد هدانا الله سبحانه وتعالى إلى صياغة تفسير الكتاب العزيز في

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٤/٩) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

صورة أسئلة مع أجوبتها ، وطرح السؤال والإجابة عليه له أصوله من سنة رسول الله ﷺ ، بل من كتاب الله عز وجل[1]، ثم هي طريقة تشحذُ الهمم وتلفتُ النظر وتُعمل الفكر بإذن الله تعالى ، وتشوِّق لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة ، فتكون وسيلة بإذنه سبحانه إلى مزيد من التفكر والتدبر اللذين أمرنا بهما ربنا عز وجل ، قال الله سبحانه : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [صٓ : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

ثم هي وسيلة إلى تعلم كتاب الله والتفقه فيه والاطلاع على تأويله ، وبيان مجمله وإيضاح متشابهه ، والنظر في عبره والاعتبار بقصصه، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المنتفعين بذلك كله ، وأن يورثنا علم ما جهلنا ، وأن

---

(١) قال الله عز وجل : ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ [الأنعام : ١٩]، وقد سأل النبي ﷺ أصحابه جملة أسئلة وأجاب لهم عن بعضها، وأجابوا هم عن البعض الآخر ، قال عليه الصلاة والسلام : « **إن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن أخبروني ما هي** ... » الحديث، وفيه: أن النبي ﷺ قال : « **هي النخلة** » .

وسأل النبي ﷺ أُبي بن كعب فقال : « **يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم** » قال : قال : ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم** .. ﴾ آية الكرسي ، فقال له النبي ﷺ : « **ليهنك العلم أبا المنذر** » .

وهذا في الصحيح وفي غيره ، وكذلك في صحيح مسلم سؤال جبريل لرسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وإجابة النبي ﷺ وقوله عليه السلام : « **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » .

ينفعنا بما علمنا، ويجعله حجة لنا لا علينا .

هذا، وقد عزمت – والله المستعان – على تفسير الكتاب العزيز كله في صورة أسئلة مع أجوبتها ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأسأله سبحانه العون والسداد ، وأسميت هذا المشروع (التسهيل لتأويل التنزيل أو تفسير القرآن في سؤال وجواب) ، وقد رأيت أن أقدم ذلك بسورة آل عمران مع أنني أرى أنه من الأليق أن يتقدمها أسئلة كمقدمة عامة عن التفسير مع أجوبتها ثم فاتحة الكتاب وسورة البقرة ، ثم آل عمران ، ولكنني أرجأت أسئلة المقدمة إلى وقت متأخر حتى يكون النفع فيها أكبر بعد مرورى على أكبر قدرٍ ممكن من التفاسير ، ولما أقدمت على تفسير الفاتحة والبقرة وجدت أن سورة البقرة قد حوت جملة من الأحكام الفقهية الكبرى ، التي تحتاج إلى مجهود ضخم لتحرير النزاع فيها ، ووضع السؤال مع إجابته التي حوت الحكم النهائي في المسألة باختصار ، وذلك تطلب مني مجهودًا كبيرًا ، وقد أتيت على أكثر هذه المواطن ، ولم يعد إلا القليل والحمد لله ، فمن أمثلة المباحث الفقهية الواردة فيها : أبواب النكاح، والطلاق، والأيمان والنذور، وآيات الربا، والدين، والحج، والصيام، والصلاة، و ... إلى غير ذلك ، فطرح السؤال مع التركيز على الإجابة واختصارها بدليلها الشرعي من كتاب أو سنة مع البعد عن التقليد يحتاج إلى وقت، أسأل الله أن ييسره لنا ويحفظنا بحفظه نحن والمسلمين والمسلمات .

فلذلك رأيت ألا يُعطل العمل فبادرت بإخراج تفسير سورة آل عمران في صورة أسئلة مع أجوبتها كنموذج لهذا العمل، أسأل الله أن يجعله مباركًا خالصًا لوجهه، نافعًا لقارئه وكاتبه ، وإن شاء الله لن نُعدم خيرًا من نصح العلماء وطلاب العلم والأخيار والفضلاء، حفظنا الله وإياهم ، فعلى ضوئها وضوء ما يُستجد ، وبتوفيق الله أولًا وآخرًا ؛ نمضي قدمًا لإتمام هذا المشروع الميمون بإذن الله .

هذا ، وقد قمت بتغطية هذه السورة الكريمة بما يزيد عن الخمسمائة سؤال مع جوابه، راجيًا من الله عز وجل القبول والنفع لي ولإخواني المسلمين ولأخواتي المسلمات في الدارين .

أما عن الخطة العامة لهذا العمل على وجه السرعة فتتمثل في الآتي باختصار .

● إذا كانت هناك آية تُفسر بها آية أخرى أوردت الآية المُفسِّرة للآية التي تناولناها بالتفسير .

● الاعتماد على ما صح من حديث رسول الله ﷺ وترك الضعيف ، بل ولا نكاد نورد حديثًا ضعيفًا إلا لبيان ضعفه ، وما فيه من علل ، وإن كنت لم أتوسع في هذا الكتاب المبارك في شرح علل الحديث، إنما أشير إلى ما به من علة إشارة خفيفة فقط، إذ ليس بيان علل الحديث باستفاضة من شأن هذا الكتاب بالدرجة الأولى .

وكذلك بالنسبة للآثار التي أوردها في هذا الكتاب وأنسبها إلى قائليها فأتحرى الصحة فيها، ولا أورد إلا أثرًا صحيحًا معزوًّا إلى مخرجه، هذا إذا كان الإيراد من إنشائي، أما إذا كنت أورد أقوال بعض أهل العلم ،وفي ثناياها حديث أو أثر فأتحرى وأجتهد في الحكم عليه قدر استطاعتي ، وما توفيقي إلا بالله ، ولا حول ولا قوة لي إلا به سبحانه وتعالى .

● البعد عن الإسرائيليات قدر الاستطاعة .

● بيان معاني الجمل والكلمات والعبارات .

● قد تتعدد معاني الكلمة الواحدة فأورد من معانيها ما يقتضيه المقام ، وما يطبق عليه أكثر المفسرين ، إلا إذا رجحت شيئًا فيكون الترجيح بدليله .

فمثلًا كلمة (السيئة) تتعدد معانيها، فتأتي السيئة أحيانًا بمعنى

الشرك[1]، كما في قوله تعالى : ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ [البقرة : ٨١]، وتأتي أحيانًا بمعنى الكبيرة، كما في قوله تعالى عن قوم لوط : ﴿ **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ [هود : ٧٨] ، وتأتي أحيانًا بمعنى الصغائر من الذنوب كما في قوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُّدخلًا كريمًا** ﴾ [النساء: ٣١]. فيختار من معانيها ما يستدعيه المقام ويقتضيه الحال.

● أحاول في هذا الكتاب – في كثير من الأحيان – جمع المرويات في الباب الواحد من سنة رسول الله ﷺ ، وكذلك من آيات الكتاب العزيز حتى يكتمل للشخص موضوع ما من الموضوعات ، فمثلًا إذا أراد شخص ما أن يستفيد في خطبة يلقيها مُذكرًا بها الناس أو واعظًا لهم بها فيجد مادة ثمينة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة ، وهذا هو الباقي النافع الذي يمكث في الأرض .

وقد لا يجد الشخص استقصاء الموضوع في موطنٍ يظن أنه بابه ، ولكننا نكون قد أوردنا ما يتعلق به في باب آخر نرى أنه به ألصق وموطنه هناك به أشبه .

● قد أذكر – في بعض الأحيان – تفسير الآية مضمنًا في سؤال، ويكون في الإجابة ترسيخ لمعناه ومزيد إيضاح لمحتواه .

● أعمد في كثير من الأحيان لدفع الإشكالات التي قد تعترض شخصًا ما أثناء نظره في التفسير ، فيظن مثلًا أن آية تعارض آية أخرى في معناها ، فأحاول جاهدًا دفع مثل هذه الإشكالات بما دفعه به أكثر أهل العلم المتقدمين .

● بالنسبة لأسباب النزول فالمطلع على كتب التفاسير يرى أن المفسرين

---

(١) كما في قول لبعض العلماء وسيأتي في محله إن شاء الله .

قد أكثروا في هذا الباب من القول أن آية كذا نزلت في كذا وكذا .. ولا يثبت من أسباب النزول هذه إلا النزر اليسير بالسند الصحيح ، فلذلك ترانا مقتصدين في هذا الباب اقتصادًا زائدًا، مقتصرين على الثابت الصحيح منها .

● بالنسبة لتخريج الأحاديث والآثار في هذا الكتاب؛ فما دام الحديث ثابتًا صحيحًا ، فإذا كان في الصحيحين وغيرهما اقتصرت في العزو على الصحيحين اختصارًا للوقت والجهد ، أما إذا كان في غير الصحيحين فأعزوه إلى مصدرين أو ثلاثة مع بيان درجته من الصحة أو الحسن ، وإذا كان ثمَّ ضعف بينته على وجه السرعة والاختصار .

● حاولت – قدر استطاعتي – الاستفادة من جل كتب التفاسير فثمَّ تفسير همته سياق الأحاديث والآثار بأسانيدها مع بيان مراد الرب سبحانه وتعالى من كلامه ، والله أعلم بمراده ، وثمَّ تفسير آخر همته إيراد المرويات عن رسول الله في الباب الواحد ، وثمَّ تفسير يثير قضايا فقهية وعقائدية ، وثمَّ تفسير يناقش اللغويات و ... إلى غير ذلك فآخذ من كلٍّ منها ما يستدعيه الحال ويقتضيه المقام وأرى فيه نفعًا فأورده ، وما توفيقي إلا بالله .

● راعيت – بفضل الله – الخطوط العامة لأهل السنة والجماعة في التفسير فلزمتها ولله الحمد ، وانصرفت عن طريقة أهل الكلام والجدل الذي لا فائدة من ورائه إلا إضاعة الوقت وتبديد الجهد .

● أعرضت عن قضايا يثيرها عدد من المفسرين لا طائل تحتها .

هذا وإلى الأسئلة مع أجوبتها أسأل الله التوفيق والعون والسداد .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى بن العدوي شلباية

مصر – الدقهلية – منية سمنود

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّةٌ
وآياتها ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ
تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۗ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ
ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ
حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

س : على من أنزلت هذه الكتب : التوراة - الإنجيل - الزبور ؟

ج : نزلت التوراة على موسى عليه السلام .

ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام .

ونزل الزبور على داود عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : هل من كُتبٍ أخرى ذُكرت في الكتاب العزيز غير هذه ؟

ج : ذُكرت كتب في الكتاب العزيز كما قال سبحانه : ﴿ ... إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٨ - ١٩] .

وذكرت الألواح كما في قوله تعالى : ﴿ ... وألقى الألواح ﴾ [الأعراف : ١٥٠]، ومن أهل العلم من قال : إن الألواح وصحف موسى والتوراة شيء واحد ومنهم من فرَّق . والله أعلم .

وثم كتب أخرى ذُكرت جملةً كما في قوله تعالى : ﴿ ...وإنه لفي زُبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٦] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ في قوله تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ﴾ [آل عمران : ٣] ؟

ج : معنى ذلك - والله أعلم - أن القرآن نزل مصدقًا لما تقدمه من كتب، فالكتب التي نزلت من عند الله أخبرت بأمور، منها خروج رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال

التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكان في الكتب المتقدمة – أيضًا – تحليلٌ لبعض الأشياء وتحريم للبعض الآخر، فأخبر الله في القرآن الكريم بما كان فيها من تحليل وتحريم .

فجاء الكتاب العزيز (القرآن الكريم) مصدقًا للكتب السابقة من هذا الباب . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الهداية على نوعين اذكرهما مع أدلتهما ؟

ج : الهداية تأتي بمعنى الدلالة كما في قوله تعالى :﴿ ..وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢]، وكقوله تعالى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] .

● أما الهداية بالمعنى الآخر فهي هداية التوفيق كما في قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦]، وكما في قوله تعالى ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ﴾ [النمل : ٨١] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الربط بين الآية الكريمة ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ٢] والآية التي تليها ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ [آل عمران : ٣] ؟

ج : وجه الربط ظاهر ، ألا وهو : إن معنى الحي : الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا ، والقيوم : القائم بنفسه والمقيم لأمر غيره، فلا قوام لغيره إلا به كما قال سبحانه :﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ [الروم : ٢٥]، وهو سبحانه الذي يقيم خلقه وأحوالهم وأرزاقهم وسائر معايشهم كما

قال النبي ﷺ : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن .. »[1]، ومن توابع ذلك أنه سبحانه نزل على عبده الكتاب بالحق .. وأنزل التوراة والإنجيل من قبل .. ، وذلك حتى تقام للناس حوائجهم وتستنير للناس بصائرهم ، ويُرشدون إلى كل خيرٍ وصلاح .

* * *

س : ما المراد بالفرقان في قوله تعالى : ﴿ ... وأنزل الفرقان ﴾[2] [آل عمران : ٤] ؟

ج : الفرقان يأتي بمعان متعددة في الكتاب العزيز – شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من اصطلاحات الكتاب العزيز – من هذه المعاني :

● الفرقان : بمعنى القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● الفرقان : ما يفرَّق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد، كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين ﴾ [الأنبياء : ٤٨] وهنا يطلق أيضًا على التوراة ، وكقوله تعالى : ﴿ .. إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● الفرقان : يوم بدر لقوله تعالى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ [الأنفال : ٤١] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣) ، ومسلم (مع النووي ٥٤/٦) ، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (٦٥٦٢) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ : هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه ، وحدَّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، وبيَّن فيه بيانه ، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته .

والناظر إلى هذه المعاني يرى أنها ترجع إلى معنى واحد، وهو ما يفرَّق به بين الحق والباطل ، فالقرآن يُفرَّق به بين الحق والباطل ، وكذلك يوم بدر ، وكذلك التوراة .

● ولكن الذي يظهر لي أن المراد بالفرقان في آية آل عمران هو الزبور ؛ وذلك لأن الله جل ذكره ذكر الثلاث كتب فقال : ﴿ نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ [آل عمران : ٢-٣]، ثم قال : ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ فانتظمت الآيات الكريمة أربعة كتب: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ [آل عمران : ٦] إيراد قويٌّ جيد على النصارى فما هو ؟ وما المراد بقوله تعالى : ﴿ يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ ؟

ج : وجه هذا الإيراد أن عيسى عليه الصلاة والسلام صوَّره الله في بطن مريم عليها السلام كما شاء الله سبحانه، فتقلب عيسى عليه السلام في الخلق ولا يعقل أن ربًّا تحويه بطن أمٍّ؛ إذ كيف يكون إلهٌ يحكم السموات والأرض داخل بطن امرأة؟!!

أما المراد بقوله تعالى : ﴿ يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ فالمعنى – والله أعلم – أنه سبحانه يصور الناس في بطون أمهاتهم هذا أبيض وهذا أسود ، وهذا أحمر وهذا أصفر ، وهذا طويل وهذا قصير ، وهذا ذكي وهذا غبي ، وهذا ذكر وهذه أنثى ، وهذا جميل وهذا دميم و ...

❋ ❋ ❋

(١) هذا مع أن هناك كثيرًا من المفسرين ذهب إلى أن المراد بالفرقان هنا هو القرآن أيضًا ، وذهب بعضهم إلى أنه الزبور ، وذهب بعضهم إلى أنه ما يُفرَّق به بين الحق والباطل كما قدمنا ، والله أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ﴾ [آل عمران : ٧] ؟

ج : لأهل العلم أقوال في المراد بالآيات المحكمات والمراد بالمتشابهات نورد منها ما يلي :

١ – منهم من يقول : إن المحكمات هي آيات الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، والمتشابهات هي آيات الأمثال ونحوها .

٢ – القول الثاني : إن المحكمات هي التي لم تُنسخ ، والمتشابهات هي المنسوخة[١] .

٣ – القول الثالث : إن المحكمات هي ما علم الناس تأويله ، والمتشابهات ما لم يعلمه الناس كوقت الساعة وخروج يأجوج ومأجوج مثلًا ونحو ذلك .

● وهذا وثمَّ أقوال أُخر في هذا الباب .

والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن المراد بالمحكمات هن الآيات الواضحات البينات اللاتي لم تنسخ ،وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه والاختلاف[٢]، وهي آيات يعلمها وتأويلها أكثر الناس ، أما الآيات المتشابهات فهي التي تحمل جملة معان وتشتبه معانيها على كثير من الناس ، وهذا كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينهما مُشبهات[٣] لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن

---

(١) وهذا القول مروي عن قتادة عند الطبري (٦٥٧٧) بإسناد حسن .

(٢) إن ظهر لأحد اختلاف في شيء .

(٣) وفي رواية : (مشتبهات) .

يواقعه ... » الحديث[1] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : مثِّل للآيات المحكمات بأمثلة ، وكذا للمتشابهات ، وكيف يتبع الذين في قلوبهم زيغ المتشابه ويتركون المحكم ؟

ج : ذكر عدد من أهل العلم أمثلة للآيات المحكمات منها :

● قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ... ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ... ﴾ السورة [الصمد : ١ – ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى ﴾ [طه : ٨٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

●● أما المتشابه فمن أمثلته قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ .. وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١] .

والحروف المقطعة التي بدأت بها بعض السُّور .

● أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم ، فالنصارى – مَثلًا – يتبعون قوله تعالى في شأن عيسى : ﴿ وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١]، ويتركون قوله تعالى : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢ ، ٢٠٥١) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا .

إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩] ، ويتركون قوله تعالى- أيضًا-: ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

والذين في قلوبهم زيغ من الخوارج مثلًا يتبعون قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، ويتركون قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

❋ ❋ ❋

س : قد يكون القرآن كله محكمًا باعتبار ، ويكون كله متشابهًا باعتبار آخر ، وضح ذلك ؟

ج : نعم قد يكون ذلك ، وقال الله سبحانه : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فُصِّلَتْ ﴾ [هود : ١]، فالقرآن كله محكم من ناحية نظمه ووصفه وإتقانه.

وكله متشابه كما قال تعالى: ﴿ الله نزَّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثانى ... ﴾ [الزمر : ٢٣] فهو متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن ويصدق بعضه بعضًا .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لم يأت القرآن الكريم كله محكم ؟

ج : الله سبحانه وتعالى أعلم بذلك ، ثم إن بعض أهل العلم ذكروا من فوائد إيراد المتشابه: امتحان قلوب العباد في التصديق، وبيان فضيلة الراسخين في العلم ؛ إذ يقولون عند ورود المتشابه : آمنا به كلٌّ من عند ربنا ، وإثابة المجتهدين للوصول إلى الحق على اجتهادهم ، وإعمال العقل في تدبر آيات الكتاب العزيز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التأويل ؟

ج : التأويل يطلق على أشياء منها :

١ - حقيقة الأمر التي يؤول إليها كما في قول يوسف عليه السلام : ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ [يوسف : ١٠٠]، وكقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، وكقوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ [يونس : ٣٩] .

وأصل ذلك من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع . وهذا الغالب في الكتاب العزيز .

٢ - التفسير والبيان :

ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل »[1] .

● ومنه قول الملأ : ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ [يوسف : ٤٤] فمحتمله بتفسير الأحلام .

● ومنه أيضًا أقوال العلماء كالطبري رحمه الله إذ يقول : القول في تأويل قول الله عز وجل ...

● ومنه قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[2] يتأول القرآن أي : يمتثله ويعمل به ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد (٣٢٨/١) بإسناد حسن وسيأتي قريبًا إن شاء الله .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٨١/٢) ، ومسلم (٢٠١/٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

٣ – صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لقرينة تدل على ذلك[١] .

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (١/٢٣٤) : وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدةٍ من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح .

الأولى : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليلٍ صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك ، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح ، والتأويل القريب كقوله ﷺ الثابت في الصحيح : « الجار أحق بصقبه »[٢] فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار ، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حملٌ له على محتمل مرجوح ، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح المصرح بأنه إذا صرفت الطرق وضربت الحدود فلا شفعة .

الحالة الثانية : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمرٍ يظنه الصارف دليلًا وليس بدليل في نفس الأمر ، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد والتأويل البعيد، ومثَّل له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – المرأة في قوله ﷺ : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل »[٣] على المكاتبة والصغيرة ، وحمله أيضًا المسكين في قوله

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان ١/٢٣٤) : معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك .

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٥٨) ، (٦٩٧٧) من حديث أبي رافع رضي الله عنه مرفوعًا ، (وروي بالسين في قوله سقبه) ، ويطلق السقب على القرب والملاصقة .

(٣) أخرجه أحمد (٦/١٦٥) ، وأبو داود (٢٠٨٣) ، (٢٠٨٤) بإسناد صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها وله شواهد ، وانظر (كتابنا الصحيح المسند من أحكام النكاح) .

تعالى : ﴿ ستين مسكينًا ﴾ على المد فأجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد .

الحالة الثالثة : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلًا ، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبًا ، كقول بعض الشيعة : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] يعني : عائشة رضي الله عنها .

قلت : ولمزيد بحثٍ حول معنى التأويل انظر محاسن التأويل للقاسمي رحمه الله، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : كيف يتأتى الرسوخ في العلم ؟

ج : يتأتى ذلك بأمور : أولها وآخرها توفيق الله عز وجل ، ثم بعد ذلك أمور منها :

● سؤال الله عز وجل ذلك، فقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● تقوى الله عز وجل ، فالله سبحانه يقول : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣] .

● العمل الجاد الدءوب؛ لتحصيل العلم الشرعي فهو نوع جهاد ، والله سبحانه يقول : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما : مع دعاء رسول الله ﷺ له بقوله : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »[1] يقف

---

(١) تقدم بيان أن إسناده حسن ، وسيأتي إن شاء الله .

على أبواب الصحابة (كجابر بن عبد الله رضي الله عنهما) في الليلة الباردة شديدة البرد تسفي الرياحُ الرمالَ على وجهه من أجل البحث عن الفقه في الدين[1].

● التواضع في طلب العلم ، فلن ينال العلم مستحى ولا مستكبر ، كما قال قائل السلف رحمهم الله تعالى ، وهذا نبي الله موسى عليه السلام – رغم فضله وتكليم الله له – يذهب إلى الخضر عليه السلام قائلًا له : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا ﴾ [الكهف : ٦٦] .

وهنا تشرع الرحلة في طلب العلم ، كما كان الشأن في سلفنا رحمهم الله عز وجل .

● التركيز على مصادر العلم الصحيحة (وهي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة) فالآية يراجع تفسيرها وينظر في أقوال أهل العلم من المفسرين من أهل السنة والجماعة فيها ، وتحقق الآثار الواردة على الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسيرها ، وكذلك حديث رسول الله ﷺ ، تجمع طرقه وينظر في أسانيدها وأقول العلماء فيه تصحيحًا أو تضعيفًا ، وكذلك أقوال أهل علل الحديث فيه هل أعلُّوه أم صححوه ، وأقوال أهل الفقه فيه وتصحيح نسبة هذه الأقوال إلى قائليها من صحابي أو تابعي أو من بعده وترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه ، والاستئناس بأقوال أهل العلم المعاصرين بعد ذلك ، فقد قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [الأنبياء : ٧] .

وبالله تعالى التوفيق ومنه يستمدُّ العون والسداد .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٥) بإسناد صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

وثمَّ أمور أخر مبسوطة في محالها .

❋ ❋ ❋

س : هل الوقف في قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون[1] في العلم يقولون آمنا ﴾ [آل عمران : ٧] عند قوله تعالى : ﴿ إلا الله ﴾ أم إلى قوله تعالى : ﴿ إلا الله والراسخون في العلم ﴾ ؟

ج : جمهور العلماء على أن الوقف عند لفظ الجلالة أي : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ وقليل منهم من يرى الوقف عند العلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا كان الوقف عند قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] فما فضيلة الراسخين في العلم إذن ؟!!

ج : فضيلتهم أن علمهم حملهم على الإيمان عند ورود المتشابه فيقولون : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ فإنهم – إن أشكل عليهم شيء في كتاب الله لا يتذبذبون ولا يتشككون بل هم مؤمنون في كل حال مستيقنون عند كل مقال يرد إليهم من الكبير المتعال ، لا تعتريهم الشكوك ولا تجرفهم الشبهات ، يعلمون أن ما قاله الله صدق ، وما وعد به حق ، وما قضى به عدل .

❋ ❋ ❋

س : هل من وجه آخر في الوقف في هذه الآية الكريمة ؟

ج : نعم ، فهناك قليل من أهل العلم رأى أن الوقف عند قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ وحمل قوله تعالى :

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى مسروق أنه قال : (لقيت زيدًا فوجدته من الراسخين في العلم) (التفسير ١٣٢) .

﴿ يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ على أنها جملة حالية .

❋ ❋ ❋

س : إذا ذُكر قولٌ في القرآن الكريم منسوب لقائلٍ معين فهل الأصح أن يقال : قال فلان (لهذا المعين) أو يقال : قال الله سبحانه حكاية عن فلان ؟ بمعنى أنه ورد في الكتاب العزيز مثلًا ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به ... ﴾ [آل عمران : ٧] هل الأصح أن يقال في الخطب والإنشاءات وغيرها (مما لم يكن تلاوة) قالَ الراسخون في العلم آمنا به أو يقال : قال الله حكاية عن الراسخين في العلم ؟ أو كمثال آخر في كتاب الله أن يوسف قال لإخوته . ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ [يوسف : ٩٢] هل الأصح عند حكاية ذلك أن نقول : قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ أو يقال : قال الله حكاية عن يوسف ؟

ج : الأصح في ذلك – والله أعلم – أن يقال : قال فلان (المعين) مباشرة بدون قول قال الله حكاية عن فلان ، فالأصح أن يقال – مما سبق – : قال الراسخون في العلم ، قال يوسف ، مباشرة .

وشواهد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : ... ولا أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل ﴾ [يوسف : ١٨،٨٣] ولم تقل : قال الله حكاية عن أبي يوسف[١] .

وشاهد آخر : قول النبي ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] »[٢] .

---

(١) ورد ذلك في حديث الإفك في البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٣٧) ، ومسلم (حديث ١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وشاهد ثالث : قول النبي ﷺ : « فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم .. ﴾ »[1].

وشاهد رابع : قول النبي ﷺ لأصحابه[2]: « ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] » ، والله أعلم .

* * *

س : في قول الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران: ٨] نوعُ توسلٍ فما هو؟ وهل لهذا نظير في كتاب الله؟

ج : هو توسل بسابق إحسان الله عزَّ وجل إليهم ، فكأنهم قالوا : يا ربنا ! يا من تفضلت علينا بالهداية !! لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية .

● ونظيره في كتاب الله : قول زكريا عليه السلام : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيًّا ﴾ [مريم : ٤] فكأنه قال – قبل أن يُقدِّم دعوته بطلب الولد من الله سبحانه وتعالى–: يا رب يا من لم تجعلني شقيًّا بالرد والحرمان من قبل ، يا رب كل ما سألتك أعطيتني ومن الخيرات منحتني ، هذا يا رب ظني بك أنك لا تخيب الدعاء ، فيا رب هب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب .

وهذا نوع حسن جميل من أنواع التوسل ، ولله المثل الأعلى .

فإنك إذا ذهبت إلى رجل تطلب منه ألف جنيهٍ – مثلًا – فأعطاك ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥) ، ومسلم (ص٢١٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

ثم أتيته في العام القادم تسأله ألفًا أخرى فقال لك : من أنت ، قلت : أنا الذي أعطيتني العام الماضي ألف جنيه ، فيعلم هذا الرجل حينئذ أنك من نوع لا يجحد المعروف ولا ينكر الإحسان ، بل أنت من الشاكرين للمعروف الذاكرين للإحسان ؛ فيعطيك ولا يتردد في غالب الأحوال ، وشواهد ذلك من التنزيل ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم : ٧] .

❋ ❋ ❋

س : من هو الصحابي الذي دعا النبي ﷺ له وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » ؟ وأين يوجد هذا الحديث ؟ وما مناسبته ؟ اذكر طرفًا من فضل هذا الصحابي الكريم رضي الله عنه ؟

ج : الصحابي هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومناسبة ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فوضَعْتُ له وضوءًا من الليل قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله : وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل »[1].

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما في غاية الحرص على طلب العلم – مع دعاء رسول الله ﷺ له – فقد قال رضي الله عنه : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ ، فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك

---

(١) أخرجه أحمد (المسند ٣٢٨/١) بإسناد حسن ، وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علمه الحكمة » ، وفي رواية للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضوءًا قال : « من وضع هذا ؟ » فأخبر فقال : « اللهم فقهه في الدين » .

وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فترك ذلك ، وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[1] فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال : فبقي حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني[2].

وكان أمير المؤمنين عمر يدخله مع أشياخ بدر[3]، وأثنى عليه ابن مسعود فقال : (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)[4]، وقال أيضًا : (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)[5].

وأثنى عليه التابعيون فقال مجاهد : (كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا)[6].

● وقال شقيق : كان ابن عباس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يُفسر ، فقال شيخ من الحي : سبحان الله ما رأيت كلامًا يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت[7].

---

(١) أي : وقت القيلولة .

(٢) صحيح أخرجه أحمد في الفضائل (١٩٢٥) ، والدارمي في السنن (١/١٤١ - ١٤٢) ، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٢) .

(٣) كما ثبت ذلك في البخاري (٤٩٧٠) .

(٤) أخرجه أحمد في الفضائل (١٨٦٣) ، وابن أبي شيبة (المصنف ١٢٢٦٩) بسند صحيح .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٦٨) في المصنف بسند صحيح .

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد (زوائد فضائل الصحابة ١٩٣٥) بسند صحيح .

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد (زوائد فضائل الصحابة ١٩٣٤) بسند صحيح ، والحاكم (٣/٥٣٧) ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

هذا ، وقد أثنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على نفسه ، فورد من طريق ابن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال : إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها ، وإني لأسمع بالحكم من حكام من المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلِّي لا أقاضي إليه أبدًا ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة[1] .

❋ ❋ ❋

س : هل من صحابي آخر أُوتي علمًا واسعًا في التفسير ؟ اذكره مع شيءٍ من فضله ؟

ج : نعم ، فهناك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال عن نفسه : والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلمُ أين أُنزلت ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلُغُه الإبل لركبت إليه[2] .

وقال عبد الرحمن بن يزيد : سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد[3] .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قول الله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] وبين قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على

---

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠٦٢١) من حديث ابن بريدة الأسلمي بسند صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٢) .

بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ؟

ج : الجمع بين هذا وذاك أن هذا يكون في موطنٍ ، وذاك يكون في موطن آخر ، فمواقف القيامة تتعدد في يومٍ عند ربك كألف سنة مما تعدون ، وهذا مقتضى رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق المنهال[1] عن سعيد قال : قال رجلٌ لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، و ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ، ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾[2] [الأنعام : ٢٣] . فقد كتموا في هذه الآية ، وقال : ﴿ أم السماء بناها – إلى قوله – دحاها ﴾ [النازعات : ٢٧ – ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين – إلى – طائعين ﴾ [فصلت : ٩ – ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى : ﴿ وكان الله غفورًا رحيمًا [النساء: ٩٦]– عزيزًا حكيمًا – [النساء : ٥٦] سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال : ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزمر : ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة ﴿ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ، وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ ولا يكتمون الله ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول لم نكن مشركين ، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرف أن الله لا يكتم حديثًا وعنده ﴿ يود الذين

---

(١) وصله البخاري– رحمه الله– بعد إيراد الحديث، وذلك (مع الفتح ٨/٥٥٥ – ٥٥٦) .

(٢) في الأصل ﴿ ربنا ما كنا مشركين ﴾ والتصويب من الآية .

كفروا ﴾ الآية [النساء : ٤٢] ، وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله : ﴿ دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين، وكان الله غفورًا رحيمًا سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزلِ كذلك، فإن الله لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلًّا من عند الله .

❋ ❋ ❋

س : شخص من الذين في قلوبهم زيغ – بل في قلوبهم كفر – بل المختوم على قلوبهم من الألمان ناقش مسلمًا فقال له ما أصح كتاب في السُّنةِ عندكم ؟ فأجابه قائلًا : هو صحيح البخاري . فقال الآخر متهكمًا : إذن دينكم يدعو إلى التخلف ! قال له المسلم : ولمَ ؟ قال : عندكم في هذا الصحيح حديث أبي أمامة الباهلي قال – ورأى سكة وشيئًا من آلة الحرث فقال –: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخُل هذا بيت قومٍ إلا أدخله الله الذل »[1]، فبم ترى المسلم يجيب ؟

ج : هذا الحديث فقهه ومعناه على عكس ما فهمه هذا الألماني الغبي تمامًا ، وذلك أن معنى الحديث – والعلم عند الله تبارك وتعالى –: أن المسلم إذا اشتغل بالحرث وآلاته والزراعة وأدواتها وترك أعمال القتال وأدواته من طائرات ودبابات وصواريخ ومدمرات وسائر أدوات القتال ؛ تسلط عليه عدوه وأنزل به الذل والصغار ، أما إذا اشتغل المسلم بأدوات القتل والقتال

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٢٣٢١) من حَديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا .

(ولم يضيع آلات الحرث) فإن عدوه سيهابه كما قال الله عز وجل : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وثمَّ أوجه أُخر لتوجيه الحديث ، والله أعلم .

ثم إن ديننا يدعو إلى تعمير الأرض لا إلى تخريبها ، فقد قال النبي ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[١].

- وقال النبي ﷺ : « من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها »[٢].
- وقال النبي ﷺ : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها »[٣].
- وقال النبي ﷺ : « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل »[٤].

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقف المسلم عند سماع آية من المتشابه من الكتاب العزيز ؟

ج : عليه أن يقول ابتداءً كما قال الراسخون في العلم : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ [آل عمران : ٧] ، ثم يسأل أهل الذكر لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧]، وعليه أن يحذر من الذين يتبعون هذا المتشابه لقول النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٣٩) .
(٤) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٣/١٩١) ، (٦/١٨٣ - ١٨٤) .

لعائشة رضي الله عنها : « إذا رأيت الرجل يتبع المتشابه ويترك المحكم ، فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم »[1].

وفي الباب أيضًا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال : « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا به ، وما جهلتم فكِلُوه إلى عالمه »[2].

* * *

---

(١) صحيح ، وسيأتي قريبًا إن شاء الله .

(٢) هذا الحديث رواه عبد الرزاق (المصنف ٢١٦/١١)، ومن طريقه أحمد بن حنبل (المسند ١٨٥/٢) من طريق معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون في القرآن فقال : « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوه ، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » .

وهذا إسناد حسن .

وقد رواه ابن أبي حازم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به »[1].

لكن اختلف على أبي حازم ، فرواها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص مرفوعًا كما هنا .

ورواها عن أبي سلمة قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، والمراء في القرآن كفر - ثلاثًا - ، ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه »[2]. =

---

(١) وهذه الرواية عند ابن مردويه (عزاها إليه ابن كثير رحمه الله) . وهي تُعد متابعة للزهري من هذا الوجه .

(٢) وهذه الرواية أخرجها ابن حبان (موارد الظمآن ١٧٨٠) ، لكن بدون الشك من طريق =

س : ما هو المشروع عند رؤية الذين يتبعون المتشابه ؟

ج : المشروع أخذ الحذر منهم لما صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه

= قال ابن كثير عقب هذه الرواية : ولكن فيه علة بسبب قول الراوي : (لا أعلمه إلّا عن أبي هريرة) .

والحديث أورده ابن أبي حاتم في العلل من طريق شعيب بن أبي الأشعث عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « المراء في القرآن كفر » (قال ابن أبي حاتم) : قال أبي : هذا حديث مضطرب ليس هو صحيح الإسناد ، عروة عن أبي سلمة لا يكون ، وشعيب مجهول .

قلت : وللحديث رواية مختصرة أخرجها أحمد في المسند (٣٣٢/٢ ، ٤٤٠) ، والطبري في التفسير (٩/١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥١٦/١٠) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أُنزل القرآن على سبعة أحرف عليمًا حكيمًا غفورًا رحيمًا » .

وإسنادها حسن أيضًا .

فالحاصل لدينا الآن أن لهذا الحديث طرقًا وهي :

● عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ مطولًا ، رواها عن عمرو بن شعيب الزهريُّ وأبو حازم (في رواية عنه) .

● أبو حازم (في الرواية الأخرى عنه) عن أبي سلمة قال : (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة مرفوعًا) .

● محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا مختصرًا .

وهذه فاتحة لمن أراد التوغل في جمع طرق هذا الحديث والنظر في علله ، وبالله التوفيق .

= أحمد بن علي بن المثني (وهو أبو يعلى) حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا بدون الشك .

لكن عزاها ابن كثير إلى أبي يعلى بالشك (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة) .

والذي يظهر لي أن رواية من روى على الشك هي المقدمة ، فقد أخرجها الطبري في تفسيره (٩/١) ، والخطيب على الشك (٢٦/١١) ، والله تعالى أعلم .

آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله – إلى قوله – أولواْ الألباب ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللَّهُ فاحذروهم »[١].

* * *

س : أهل الإيمان يعلمون أن ما هم فيه من خير وهدى إنما هو من الله سبحانه وتعالى ويقرون لله بذلك ويسألون الله الثبات ، اذكر ما يفيد ذلك من الكتاب العزيز ؟

ج : نعم أهل الإيمان يعلمون ذلك وعلى رأسهم من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إمام التوحيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول لقومه : ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئًا ﴾ [الأنعام : ٨٠] ، وكذلك نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام خطيب الأنبياء يقول لقومه : ﴿ قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا .. ﴾ [الأعراف : ٨٩] ، وأهل الإيمان بصفة عامة يقولون : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] ويقول الراسخون في العلم منهم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] ، ويقول إمامهم وحامل لواء الحمد لهم : « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك »[٢]،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٥٤٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٤) ، وابن ماجة (١٣ ، ٢٣) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا .

وكانت أكثر أيمانه عليه الصلاة والسلام : « لا ومقلب القلوب »[1].

❋ ❋ ❋

س : في دعاء الراسخين في العلم ﴿ ... وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] طرف من فقه الدعاء ، بيِّن هذا الطرف ؟

ج : نعم فيها فائدة قيمة تتعلق بفقه الدعاء ، حاصلها أن الله سبحانه وتعالى أمرنا – في غير هذه الآية الكريمة – أن ندعوه بأسمائه الحسنى حيث قال سبحانه : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وعلمنا في هذه الآية الكريمة : ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] أننا ندعوه باسم من أسمائه يوافق المسألة التي نريد ونطلب ، ألا ترى (هب ... الوهاب) كما في قول عيسى عليه السلام : ﴿ ... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] ، وكما في قول موسى عليه السلام : ﴿ ... فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، وكما في قول النبي ﷺ : « اشف وأنت الشافي »[2]، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « .. إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني »[3]، وكما في قوله عليه السلام : « ... هازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم »[4]...

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣/١١ مع الفتح) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٠/١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (٤٩٥/٩ مع التحفة) ، وابن ماجة (٣٨٥٠) ، وأحمد (١٧١/٦ – ٢٠٨) ، وغيرهم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه البخاري (١٩٣/١١ مع الفتح) ، ومسلم (٤٧/١٢ مع النووي) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه .

ونحو ذلك ، فهذا يتنافى مع ما يصنعه كثير من الخطباء ويبين خطأهم حيث يقول قائلهم : (أذِلَّ الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين) ، فلا يليق أن تسأل الله أن يذل باسم الرحمة كما لا يليق أن يقول قائل ارحمني فإنك شديد العقاب ، ولا يليق أن يقال : اعف عني يا منتقم ، فليفهم هذا المقلدة من الخطباء الذين قلَّ فقههم !!!

❋ ❋ ❋

س : في قول أولي الألباب : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] نوع توسلٍ وضحه ؟

ج : نوع التوسل الذي فيها هو توسل بسابق إحسان الله تعالى إليهم ، فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية ورزقتنا إياها مُن علينا بالثبات ولا تزغ قلوبنا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قالت المعتزلة : (إن الله لا يضل العباد) فهل هذه المقولة صحيحة؟

ج : بل هي مقولة خاطئة ، فالله سبحانه يعلم من يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلال فيضله ، والأدلة على ذلك في غاية الكثرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
- وقوله تعالى: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢٥].
- ومنها قول الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] .
- ومنها قول رسول الله ﷺ : « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه »[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٢/٤) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد تقدم .

● ومنها قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم .. ﴾ [البقرة : ٧] بل قال إبليس : ﴿ فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف : ١٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأعراف : ١٨٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا ﴾ [الكهف: ١٧] .

● والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

❋ ❋ ❋

س : المعاصي سبب لزوال النعم ونزول النقم، هل من أدلة على ذلك ؟

ج : نعم، هناك جملة أدلة على ذلك من سورة آل عمران ومن غيرها منها :

● قول الله تبارك وتعالى في قوم فرعون والذين من قبلهم : ﴿ كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١١]، فهؤلاء قوم ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ [الدخان : ٢٥- ٢٧] فبذنوبهم أغرقهم الله عز وجل وأورث جناتهم وعيونهم وكنوزهم ومقامهم الكريم وتلك النعمة التي كانوا فيها فاكهين قومًا آخرين .

● وقال سبحانه : ﴿ لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكل خمط وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جآءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل : ١١٢ - ١١٣] .

● وهؤلاء قوم عاد أمدهم الله بأنعام وبنين وجنات وعيون فلما كذبوا أهلكهم الله عز وجل ، وما قوم صالح منهم ببعيد ، فهؤلاء ثمود قال لهم نبيهم صالح : ﴿ أتتركون فيما ها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ... فأخذهم العذاب ﴾ [الشعراء : ١٤٦ - ١٥٨] .

وغيرهم من المنعمين الذي امتلأ بذكرهم وذكر مصارعهم كتاب الله عز وجل ، أقوام كفروا وعصوا الرسل فبدلت دنياهم بجحيمٍ ، عياذًا بالله .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالفئتين في قوله تعالى : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ [آل عمران : ١٣] ؟

ج : المراد بالفئتين هنا هما الفئتان اللتان التقتا يوم بدر :

الفئة المسلمة : وهم رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

والفئة الكافرة : وهم المشركون .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى - في المتقاتلين يوم بدر : ﴿ يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ [آل عمران : ١٣] ، وبين قوله تعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ﴾ [الأنفال : ٤٤] ؟

ج : للجمع بين هاتين الآيتين طرق ومسالك لأهل العلم منها :

● أن المراد بقوله تعالى يرونهم : أن المسلمين يرون المشركين مثليهم في العدد ، فإن قيل : فكيف توجِّه إذن قوله تعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] ، فالإجابة أنه لا إشكال أصلًا ، فإن المشركين كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين في الحقيقة ، فإذا رآهم المسلمون مثليهم (أي ضعفين) فقط فقد قُلِّلوا إذن في أعينهم .

● وجه ثان من أوجه الجمع ، أن الحالات تنوعت فصوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة في وقت من الأوقات ، وكذلك صوَّر الله المشركين للمسلمين بصورة في نفس الوقت ثم صوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة أُخرى في وقت آخر ، وصوَّر المشركين للمسلمين بصورة أخرى أيضًا ، فأحيانًا يُقلل المشركين في أعين المسلمين حتى يتجرأ المسلمون عليهم ، وأحيانًا يُكثِّرهم حتى يجأر المسلمون إلى ربهم بالدعاء والاستنصار ، وأحيانًا يقلل اللَّهُ عزَّ وجل المسلمين في أعين الكفار حتى يتجرأ الكفار على الذهاب لمقاتلة المؤمنين ، ويكون ذلك كاستدراج لأهل الكفر ، وأحيانًا يُكثِّر المسلمين في أعين الكفار ليُقذف في قلوب المشركين الوهن والرعب ، هذا وذاك ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا وإلى الله ترجع الأمور .

ونظيره في المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى : ﴿ فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جآن ﴾ [الرحمن : ٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ [الصافات : ٢٤] .

وثمَّ أوجه أخر للجمع قال بها بعض العلماء ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ زُيِّن للناس حب الشهوات ... ﴾ [آل عمران : ١٤] من الذي زينها ؟

ج : الذي زينها هو الله سبحانه وتعالى ، وهذا رأي جمهور أهل العلم ،

وهو الصحيح لقول الله تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا ﴾ [الكهف : ٧] ، ويشهد لذلك أيضًا قول رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . قال : فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ؛ فحفَّها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها »[1].

هذا ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي زينها هو الشيطان ، وقولهم هذا مرجوح إلا أن يُنزَّل على أن الشيطان سبب كما هو مطرد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) ، والترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي (٣/٧) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن .
وأخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٩) بإسناد حسن إلى أسلم (والد زيد) أنه قال : رأيت عبد الله بن أرقم جاء إلى عمر بن الخطاب (بحلية) من حلية جلولاء – آنية من فضة على قصب على نطع – فقال : اللهم إنك ذكرت هذا فقلت : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ حتى ختم الآية [آل عمران : ١٤] ، وقلت : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ [الحديد : ٢٣] فإنا لا نستطيع (إلا أن) نفرح بما زينت لنا ، اللهم فاجعلنا ننفقه في حقه وأعوذ بك من شره .
وهذا كما قدمنا إسناد حسن .
● وأخرج ابن جرير الطبري في التفسير (أثر ٦٦٩٥) بإسناد منقطع إلى عمر قال : لما نزل ﴿ زُين للناس حب الشهوات ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وقلت : الآن =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء .. ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وبين قول النبي ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء .. »[1] الحديث ؟

ج : لا تعارض أصلًا بين الآية الكريمة والحديث الشريف ، فالآية الكريمة لا تفيد تحريم المذكور فيها ، وقد قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقال النبي ﷺ : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[2].

* * *

= يا رب حين زينتها لنا فنزلت : ﴿ قل أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٥] .

وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١/١/٢) .

● وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا (١٠٢/١/٢) بإسناد منقطع أيضًا من طريق سيار أبي الحكم أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء ﴾ [آل عمران : ١٤] ثم قال : الآن يا رب وقد زينتها في القلوب .

● وأخرج ابن أبي شيبة (٦٣/١٤) بإسناد ضعيف إلى مجاهد قال : آية أنزلت في هذه الآية : ﴿ أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم ﴾ قال عمر : الآن يا رب .

وهذا رغم ضعفه منقطع بين مجاهد وعمر .

وبالجملة فهذه الآثار تشهد بشيء وهو أن عمر يرى أن الذي زينها هو الله سبحانه وتعالى.

(١) حديث : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء .. » أخرجه أحمد (٢٨٥/٣) في غير موضع ، والنسائي في عشرة النساء (١ ، ٢) ، وفي السنن (٦١/٧) ، وفي سنده بعض الاختلاف في تحديد بعض رواته وهو سلام أبو المنذر هل هو سلام بن سليمان أو ابن (أبي الصهباء) وقد فصلنا في ذلك – بحمد الله – في كتابنا جامع أحكام النساء (قسم النكاح) فليراجعه من شاء ، وفي إسناده الآن لدينا كلام أوضحناه هناك ، وقد سبق أن صححناه في بعض كتبنا لكن التعويل على ما هو مسطر في جامع أحكام النساء ، وبالله التوفيق .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : فيم تتمثل فتنة النساء ؟

ج : فتنة النساء من أخطر الفتن على أمة محمد ﷺ ، بل أخطرها فقد قال النبي ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[1].

وقال سبحانه : ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين و .. ﴾ [آل عمران : ١٤] ، فبدأ بالنساء لعظمِ الافتتان بهن .

وقد قال النبي ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[2].

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر الدنيا فقال : « إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا النساء » ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل امرأتين طويلتين تُعرفان ، وامرأة قصيرة لا تُعرف فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتمًا فحشته من أطيب الطيب المسك وجعلت له غلقًا فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به فنفخته ففاح ريحه[3].

وحذَّر النبي ﷺ أشد التحذير من الخلوة بالنساء فقال : « ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان »[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد (٤٦/٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بسند صحيح .

(٤) أخرجه أحمد (٢٦/١) بإسناد صحيح لشواهده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفتنة النساء من أسبابها قلة دينهن كما قال النبي ﷺ : « ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن »[1].

وتأتي أيضًا فتنة النساء من كثرة تشوف الأنفس إليهن وما جبل عليه الرجال من ميل إليهن ، وما يصدر منهن من خضوع بالقول ، وتغنج في المسير ، وتبرج في الأزياء ، وضرب بالأرجل ليُعلم ما خفي من الزينة ، فتتصور المرأة التي هي سوداء كالفحمة في عين الرجل كأنها حسناء كالقمر ، ألا ترى الشاعر الماجن الذي ذهبت بِلُبِّه امرأة سوداء فقال :

أحببت لحبها السودان حتى حببت لحبها سود الكلاب

فانظر إلى هذا الماجن الذي أحب هذه السوداء وبالغ في ذلك الحب حتى أحب كلَّ أسودَ حتى بلغ به ذلك إلى أن أحب سود الكلاب ، وهي شياطين ؟!!!

- وأيضًا المرأة تحمل زوجها على اكتساب المال من الحرام إمضاءً لرغباتها وإشباعًا لشهواتها .
- وتحمله على التخلف عن الجمع والجماعات لشدة حسنها أو لفرط محبته لها .
- وتحمله على التخلف عن الجهاد فيقول له الشيطان : تجاهد فتقتل فتنكح المرأة ... فيُصدُّ بسبب ذلك عن الجهاد وعن الخير .
- وتحمله على قطع الأرحام وعقوق الآباء والأمهات .
- يعاهد الناس عهودًا فتخفره في عهوده .
- تتزوج رجلًا وتحب آخر فيفسد الود ويتكدر جو المعيشة الأُسرية .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤) ، ومسلم (بسنده مشيرًا إلى متنه ص٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

● تُخطب فتستشرف لرجل آخر فيخطب على خطبة أخيه فتدب البغضاء وتنشأ الشحناء وتدخل إلى قلوب العباد .

● تحتال بشتى الحيل للوصول إلى مآربها ولا تبالي .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ [يوسف : ٢٨] .

وها هو يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول مستعينًا بالله لاجئًا إليه راغبًا في فرجه وفضله : ﴿ .... وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين !!! ﴾ [يوسف : ٣٣] هذا ، ولا زال في النساء بقية من الصالحات اللواتي أثنى الله عليهن بقوله : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] ولكنهن قليل ، فقد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا القليل[١] ، (وقد اطلع النبي ﷺ على النار فرأى أكثر أهلها النساء)[٢] .

فيا معشر النساء تصدقن ، وقمن إلى الصلاة من جوف الليل ، فيا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة .

هذا ، وقد قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله[٣] (في تفسيره المنار ٢٣٩/٣) : النساء وحبهن لا يعلوه حب لشيء آخر من متاع الحياة الدنيا ،

---

(١) قال النبي ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون » أخرجه البخاري (٣٧٦٩) ، ومسلم (٢٤٣١) من حديث عائشة مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩) ، ومسلم (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا وله طرق .

(٣) لنا بعض التحفظ على عدة مقالات للشيخ رشيد رضا رحمه الله . خاصة في أبواب دلائل النبوة – ولكن هذا لا يمنع أن ننقل عنه ما نراه أصاب فيه ، فقد قبل النبي ﷺ من اليهود قولهم : (يا محمد إنكم تشركون ، أصحابك يقولون ما شاء الله وشاء محمد ...) الحديث .

وانظر لذلك مزيدًا في رسالتنا مفاتيح الفقه في الدين .

فهن مطمح النظر وموضع الرغبة وسكن النفس ومنتهى الأُنس وعليهن ينفق أكثر ما يكسب الرجال في كدهم وكدحهم ، فكم افتقر في حبهن غني ، وكم استغنى بالسعي للحظوة عندهن فقير ، وكم ذل بعشقهن عزيز ، وكم ارتفع في طلب قربهن وضيع !! ولعل في القارئين من يحب أن يعرف كيف يغنى الفقير ويرتفع الوضيع بسبب حب النساء – إذا كان لا يوجد فيهم من يحتاج إلى معرفة كيف يُذل العاشق ويفتقر – فنقول : إن من يحب ذات شرف ورفعة ويرى أنه لا سبيل إلى الاقتران بها إلا بتحصيل المال وتسنم غارب المعالي يوجه جميع قواه إلى ذلك ولا يزال به حتى يناله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر طرفًا من فتنة الولد ؟

ج : الولد قد يفتتن أبوه به في كثير من الأحيان ، فالولد مبخلة مجبنة ، يكون سببًا في جبن أبيه وتخلفه عن الجهاد في سبيل الله ، فيتأخر الأب عن الجهاد في سبيل الله خوفًا على ولده من بعده من الضياع ، ويمتنع الأب من الإنفاق في أوجه البر والخير خشية الفقر الذي يخشى أن يتسرب إلى ولده ، ويجزع الأب ويحزن لمرض ولده بما يحمله في كثير من الأوقات على الجهل والاعتراض على الشرع ، وكم من ولدٍ قد مات فحمل موتُه أمَّه على لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، وقد يحمل الولد أباه على الكسب المحرم من أجله .

وقد يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا ، كما قال الله سبحانه في شأن الغلام الذي قتله الخضر : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا ﴾ [الكهف : ٨٠].

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [التغابن : ١٥] .

وصدق سبحانه إذ يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذورهم .. ﴾ [التغابن : ١٤] .

* * *

س : اذكر وجهًا للافتتان بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ؟

ج : وجه ذلك أن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تحمل صاحبها على الإعراض عن طريق الله سبحانه وتعالى كما تحمله على الطغيان والبغي .

● قال الله سبحانه : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ [العلق : ٦ -٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن يُنزل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ [الشورى : ٢٧] ، ألا ترى إلى قارون لما آتاه الله المال كيف صنع ، قال الله سبحانه : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ﴾ [القصص : ٧٦] .

● وأظن القارىء لا يخفى عليه حديث : (الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله عز وجل)[1]، وحديث رسول الله ﷺ :

---

(١) حديث الثلاثة نفر من بني إسرائيل ... أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال : فمسحه فذهب عنه فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل - أو قال : البقر هو شك في ذلك ، إن =

« لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال »[1]، فإن قيل : قد يكون هناك من يشكر نعم الله عليه ، فالإجابة على هذا أن نعم الله قد يكون هناك من يشكر ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٣] .

● قال محمد رشيد رضا رحمه الله : وعلته أن المال وسيلة إلى الرغائب وموصل إلى الشهوات واللذائذ ، ورغائب الإنسان غير محدودة ، وأفراد

= الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل ، وقال الآخر : البقر – فأعطي ناقة عُشراء ، فقال : يُبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب هذا عني قد قذرني الناس ، قال : فمسحه فذهب ، وأعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملًا ، وقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إليَّ بصري فأبصر به الناس ، قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم ؛ فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان وولِّد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان ووُلِّد هذا ؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال – بعيرًا أتبلغ به في سفري ، فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له : مثل ما قال لهذا فردَّ عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، وقال له : قد كنتُ أعمى فرد الله بصري وفقيرًا فقد أغناني ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦) ، وأحمد (٤/١٦٠) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/٢٢٢) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٤٧٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/٢١٨) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه مرفوعًا .

لذائذه غير معدودة ، فهو لاستعداده الذي لا منتهى له يطلب الوسائل إلى رغائب لا منتهى لها ، وهذه الرغائب يتولد بعضها من بعض :

فما قضى أحدٌ منها لبانته ولا أنتهى أرب إلا إلى أرب

فلا جرم أن الإنسان لا يستكثر المال مهما كثر ، بل إن كثرته هي التي تزيد فيه نهمته ، حتى إنه لينسى أنه وسيلة إلى غيره فيجعل جمعه مقصدًا ، يتفنن في طرقه كلما سلك طريقًا عنَّ له من السلوك فيه طرق أخرى ، قال ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[1].

والتعبير بالقناطير المقنطرة يشعر بأن الكثرة هي التي تكون مظنة الافتتان ؛ لأنها تشغل بالتمتع بها القلبَ، وتستغرق في تدبيرها الوقت، حتى لا يكاد يبقى في قلب صاحبها منفذٌ للشعور بالحاجة إلى غيرها، من طلب الحق ونصرته في الدنيا والاستعداد لما أعده الله للمتقين في الآخرة، وما بعث الله رسولًا في أمةٍ ولا مصلحًا في قومٍ إلا وكان الأغنياء أول من كفر وعاند وأبى واستكبر، وإن مؤمني الأغنياء أقلهم عملًا[2] وأكثرهم زللًا قال تعالى : ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ [الفتح : ١١] ، وقال : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ [الأنفال : ٢٨]، فقدم الفتنة بالأموال على الفتنة بالأهلين، وكأنه إنما أخر ذكر الأموال هنا عن ذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٧) ، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا ، وله طرق عن رسول الله ﷺ .

(٢) إلا من رحم الله ، وإلا فكم من غنيٍّ منفق محسن متصدق ، ألا ترى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه جهز جيش العسرة من ماله ، وحفر رومة من خالص ماله ، ولا يخفى فضل ابن عوفٍ وإنفاقه رضي الله عنه .

النساء والبنين؛ لأن الكلام في طبيعة الحب لا في الاشتغال والفتنة به خاصة، وحب النساء والبنين مقصد، وحب المال وسيلة، لا يجعله مقصدًا إلا من أعمته الفتنة عن الحقيقة، ولو أردنا أن نخوض في شرح فتنة الناس بالمال وكيف تشغلهم عن حقوق الله وحقوق الأمة والوطن وحقوق من يعاملهم بل وعن حقوق بيوتهم وعيالهم، بل وعن حقوق أنفسهم على أنفسهم بما يثلمون شرفهم أو يقصرون في النفقة التي تليق بهم لأطلنا وخرجنا عن حد الوقوف عند بيان كون المال من متاع الحياة الدنيا بمقدار ما نفهم العبرة من الآية، ونكون قد جعلنا الكلام في المال مقصدًا كما جعله الأشحة من الأغنياء مقصدًا .

❋ ❋ ❋

س : كم مبلغ القنطار ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال : فمنهم من قال : القنطار ألف ومائتا أوقية ، ورد ذلك عن معاذ بن جبل[1]، وأبي هريرة رضي الله عنهما[2].

وقال بعضهم : القنطار ألف ومائتا دينار[3].

ومنهم من قال : القنطار ثمانون ألفًا[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٦٦٩٦) من طريق أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال : القنطار ألف ومائتا أوقية .

(٢) أخرجه الطبري (٦٧٠٠) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) روي ذلك عن الحسن البصري بإسناد صحيح عند الطبري (٦٧٠٣) .

(٤) أخرجه الطبري (٦٧١٣) ، (٦٧١٤) عن سعيد بن المسيب ، وهو صحيح عنه بمجموع طرقه .

وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (٦٧١٥) قال : كنا نحدث أن القنطار مئة رطل من ذهب أو ثمانون ألفًا من الورق (أي من الفضة) .

قلت : وقد ورد في الباب أحاديث مرفوعة وفيها مقال .

من هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد (٣٦٣/٢) ، وابن ماجة (٣٦٦٠) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٦٦٣) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح =

وثمَّ أقوال أخر :

وقال الطبري رحمه الله : فالصواب أن يقال : هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحدُّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسف .

❋ ❋ ❋

س :كيف تكون الخيل فتنة لصاحبها وكذلك الأنعام والحرث ؟

ج : تكونُ الخيل فتنة لصاحبها إذا ربطها أو ركبها فخرًا ورياء وسمعةً ، ونواءً لأهل الإسلام، وكذلك الأنعام تكون فتنة لصاحبها إذا لم يؤد حق الله فيها، فتأتيه يوم القيامة تطؤه بأخفافها وأظلافها وتنطحه بقرونها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد[1] .

= عن أبي هريرة مرفوعًا: « القنطار اثنا عشر ألف أوقية » وإسنادها حسن لكنها معلولة بالوقف ، فقد رواه الدارمي (٤٦٧/٢) من طريق أبان العطار وحماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : القنطار اثنا عشر ألفًا .

ورجح الحافظ ابن كثير رحمه الله الوقف .

(١) أخرج مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نارٍ فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها – ومن حقها حلبها يوم وردها – إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين =

وكذلك الحرث إذا شغل صاحبه عن الجهاد في سبيل الله ولم يؤد صاحبه ما افترضه الله عليه من زكاةٍ فيه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه المفردات والجُمل :

دأب – عزيز – المآب – كفروا بآيات الله – القيُّوم – المقنطرة – زيغ – ابتغاء الفتنة – يذَّكر – الرسوخ – الألباب – المهاد – لدنك – هُن أم الكتاب – المسوَّمة ؟

= ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » قيل : يا رسول الله فالخيل ؟ قال : الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر وهي لرجلٍ ستر وهي لرجل أجر ، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر ، فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرجٍ وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طِولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهرٍ فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات ، قيل : يا رسول الله فالحُمُر ، قال : « ما أنزل عليَّ في الحُمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] » .

الكلمـــة	معناهـــــا
دأب	عادة – شأن .
عزيز	منيع الجناب عظيم السلطان لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه وبينه حائـل ، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد .
المـآب	المرجـع .
كفروا بآيات الله	جحدوا بها وأنكروها وردُّوها بالباطل .
القيُّوم	الذي يقوم بأمر غيره ، ولا قيام لغيره إلا به ، القائم بتدبير أمور خلقه .
المقنطرة	المعقودة – المضعَّفة (القناطير جمع والمقنطرة جمع الجمع)[1] المقِنطرة (الحاضرة) .
زيغ	مَيلٌ (عن الحق إلى الباطل) – شك .
ابتغاء الفتنة	طلبًا لإضلال الناس وجريًا وراء إزاغتهم .
يذَّكر	يتعظ – يَعتبر .
الرسوخ	الرسوخ هو الثبات في الشيء .
الألباب	العقـــول .
المهـــاد	الفراش ، وأصله فراش الطفل ، قال قوم مريم : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ﴾ .
لدنـــك	عنـــدك .
هن أم الكتاب	أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاختلاف .
المسوَّمة	الراعية – أو المطهمة[2] الحسان – المُعلَّمة .

(١) ورد عند الطبري بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال: والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض (٦٧٢٥).
(٢) المطهمات : قيل : هي التي يقتنيها الملوك والأغنياء والكبراء للمباهة والمفاخرة .

۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا
آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۖ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ
إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم
مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ
تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا
أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۖ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن
كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

س : قوله تعالى : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٥] أنهارٌ من ماذا ؟

ج : فسرها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذةٍ للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ [محمد : ١٥] ، وكذلك قال الله جل ذكره : ﴿ .. فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] .

❋ ❋ ❋

س : بعض أهل العلم يرى أن لفظ (الأزواج) عند ذكر أهل الإيمان يعطي معنًى ألطف وأروق من ذكر المرأة أو النساء بيِّن هذه الوجهة ؟

ج : نعم قد رأى بعض أهل العلم ذلك فقد قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص١٣١) : وقد وقع في القرآن الكريم الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفردًا وجمعًا كما تقدم[1] وقال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ [الأحزاب: ٢٨] والإخبار عن أهل الشرك بلفظ (المرأة) قال تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب – إلى قوله – وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ [المسد : ١ – ٥] ، وقال تعالى في فرعون : ﴿ وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ [التحريم : ١١] فلما كان

---

(١) يعني بالذي تقدم ما أورده رحمه الله ، وهو قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [الأعراف : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يسٓ : ٥٦] ، وقوله تعالى: ﴿أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ [الزخرف: ٧٠] وقول ابن عباس في عائشة رضي الله عنها : (إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) .

هو المشرك وهي مؤمنة لم يسمها زوجًا له ، وقال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ﴾ [التحريم : ١٠] فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة ، وقال في حق آدم : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [الأعراف : ١٩] ، وقال للنبي ﷺ : ﴿ إنا أحللنا لك أزواجك ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، وقال في حق المؤمنين : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فقالت طائفة منهم السهيلي وغيره : إنما لم يقل في حق هؤلاء « الأزواج » ؛ لأنهن لسن بأزواج لرجالهن في الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه ، كما جرد منه امرأة نوح وامرأة لوط ، ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا : ﴿ وكانت امرأتي عاقرًا ﴾ [مريم : ٥] ، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فأقبلت امرأته في صرة ﴾ [الذاريات : ٢٩] ، وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع ، لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة ، فذكر المرأة أولى به ، لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجًا .

قلت : ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ (الأزواج) : أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه لكان أولى ، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات : ٢٢] ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أزواجهم : أشباههم ونظراؤهم) ، وقاله الإمام أحمد أيضًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ [التكوير : ٧] أي : قرن بين كل شكلٍ وشكله في النعيم والعذاب . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية : الصالح مع الصالح في الجنة ، والفاجر مع الفاجر في النار ، وقاله الحسن وقتادة

والأكثرون ، وقيل : زوجت أنفس المؤمنين بالحور العين ، وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول ، وقال تعالى : ﴿ ثمانية أزواج ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ثم فسرها بقوله : ﴿ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ [الأنعام : ١٤٤] ، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد ، ومنه قولهم : (زوجا خف وزوجا حمام) ونحوه ، ولا ريب أن الله سبحانه قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين قال تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ [الحشر : ٢٠] ، وقال تعالى في حق مؤمن أهل الكتاب وكافرهم : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ [آل عمران : ١١٣] ، وقطع سبحانه المقارنة بينهما في أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه ، فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى انقطعت في الاسم فأضاف فيهما (المرأة) بلفظ الأنوثة المجرد دون لفظ المشاكلة والمشابهة ، فتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ (المرأة) دون لفظ (الزوجة) ، تحقيقًا لهذا المعنى والله أعلم .

وهذا أولى من قول من قال : (إنما سمى صاحبة أبي لهب امرأته ولم يقل زوجته ؛ لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام ، فإن هذا باطل بإطلاق اسم (المرأة) على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح) .

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ (الزوجة) دون (المرأة) كما في قوله تعالى : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾ [النساء : ١٢] إيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية

المقتضية للتشاكل والتناسب ، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب ، فلا يقع بينهما التوارث ، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه : ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ [آل عمران : ١٥] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس والبزاق والمخاط والحقد والمكر وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا ، وذلك كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلامًا سلامًا ﴾ [الواقعة : ٢٥ - ٢٦] .

وكما قال النبي ﷺ[1] : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخُّ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة[2] ورشحهم المسك » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة من سورة آل عمران وكذلك من السُّنة المطهرة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال ؟

ج : أما الأدلة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) الألوة :

● من سورة آل عمران قول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٦] ، فكأنهم قالوا : يا ربنا قد آمنا بك فلإيماننا بك اغفر لنا ذنوبنا ... فهم قد توسلوا إلى الله عز وجل بإيمانهم به ؛ لطلب المغفرة منه سبحانه ، والوقاية من عذاب النار .

● وكذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ، فتوسلوا إلى الله بإيمانهم بما أنزل واتباعهم الرسول ؛ ليكتبهم مع الشاهدين .

● وقول أولي الألباب : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٣ - ١٩٤] .

● أما من سنة النبي ﷺ ففي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار ، فقد توسل أحدهم بعفته عن الزنا بابنة عمه التي كان يحبها كأشد ما يحب الرجالُ النساء ، لما ذكرته بقولها اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها ، وتوسل الثاني : بعفته عن المال الحرام ، وعن أكل حقوق الناس ، بل قد ثمَّرها لهم ونماها ، وتوسل الثالث : ببره بوالديه الشيخين الكبيرين فأنجاهم الله عز وجل جميعًا[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأوَوا إلى غارٍ فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أُرز فذهب وتركه وأني =

وكذلك قول رسول الله ﷺ : « يغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صحب النبي ﷺ فيقولون : نعم فيستفتحون فيفتح لهم »[1] الحديث .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ الصابرين والصادقين و ... ﴾ [آل عمران : ١٧] أطلق ذكر الصابرين هنا ، فمن الصابر الذي يُثاب الثواب الأكبر ؟

ج : كم من صابر يصبر تجلدًا ، وكم من صابر يصبر خوفًا على صحته من

= عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي : إنما لي عندك فرقٌ من أرز ، فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كلَّ ليلة بلبن غنمٍ لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ وأني راودتها عن نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، فقالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة الدينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٩) ، ومسلم (٢٥٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون : نعم فيفتح لهم » .

المرض ، وكم من صابر يصبر لأنه لا فائدة في غير الصبر ، وكم من صابر يصبر حتى يُقال عنه إنه صابر !!! كل هؤلاء الله أعلم بثواب صبرهم ، أما الصابر الذي يُثاب بإذن الله ، فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ [الرعد : ٢٢] ، فهو صبر ابتغاء ما عند الله ورجاء لثواب الله عزَّ وجل .

* * *

س : لماذا قُيِّد الاستغفار بالأسحار في قوله تعالى : ﴿ ... والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران : ١٧] ؟

ج : قُيِّد الاستغفار في هذه الآية (بالأسحار) كما في قوله تعالى : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨] ، وذلك لفضيلة وقت السحر ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : « ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟! هل من داع فأجيبه ؟! هل من مستغفر فأغفر له ؟! حتى يطلع الفجر »[1] .

هذا وإن كانت التوبة مفتوحة في كل وقت للتائبين قال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨/١١) ، ومسلم (مع النووي ٣٦/٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظ البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » وللحديث ألفاظ أُخر قريبة .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٧٦/١٧) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

لكن كما هو معلوم فالله فضل بعض الأوقات على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض القرون على بعض و ... ولله الأمر من قبل ومن بعد .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية من سورة آل عمران فيها فضيلة لأهل العلم ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولواْ العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨] فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم وشهادة الملائكة مع شهادته سبحانه وتعالى على أنه سبحانه قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . فهذه خصوصية عظيمة للعلماء جزاهم الله خيرًا ورفع الله قدرهم .

❋ ❋ ❋

س : هل يكون العلم سببًا للخلاف أحيانًا ؟

ج : المفترض أن لا يكون العلم سببًا للخلاف ، بل يكون وسيلة للالتفاف حول الحق ، ولكن عند من أزاغ الله قلبه ، قد يكون العلم سببًا للخلاف معه ، فيكون القوم كلهم على ضلال وزيغ وتحريف مثلًا فيأتيهم من الله نور وكتاب مبين ، فيتبع ذلك النور أقوام فيهديهم الله به وآخرون يأبون إلا العداوة والحسد والبغي ، فينشأ حينئذ الخلاف والفرقة والتميز بين أهل الحق وأهل الباطل ، كما قال سبحانه : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ [آل عمران : ١٩] فلما جاءهم العلم حسدوا أهله ومن جاء به ومن آمن به ، وأضمروا لهم العداوة والبغضاء فنشأ البغي ، والله أعلم .

هذا ويكاد هذا يُرى واضحًا عند كثير من الفِرَقِ التي تحجب أهلها عن تعلم العلوم الشرعية (كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى ،

ثم أقوال السلف الصالح رحمهم الله) من أجل أن كثيرًا من كبار دعاة هذه الفرق يظهر عورهم إذا تعلم أتباعهم ، فمن ثمَّ تجدهم يصدون الأتباع عن تعلم العلوم الشرعية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ [آل عمران : ٢٠] هل هو إعراض عن المحاججة ، أو هو محاججة وإظهار الدليل ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : إنه إعراض عن المحاججة ، والمعنى إذا جادلوك بالباطل بعد أن بينت لهم الدلائل وأوضحت لهم الحجج ، فأعرض أنت عنهم وأسلم وجهك لله ، ومن اتبعك أيضًا فليسلم وجهه لله .

● ومن قائل : إنه محاججة والمعنى : فإن نازعوك يا محمد فقل : أنا مستمسك بطريقة إبراهيم ﷺ وأنتم تعلمون أن طريقته حق بعيدة عن كل شبهة وتهمة . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر دليلًا من سورة آل عمران على أن النبي ﷺ بُعث لأهل الكتاب وأدلة من سور أخر ، وأدلة من سنة النبي ﷺ ؟

ج : الدليل من آل عمران هو قوله تعالى : ﴿ .. وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

ودليلٌ من سورة أخرى قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وأدلة من السنة : قول النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار »[١] .

وقول النبي ﷺ : « .. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »[٢] .

وما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنه عليه السلام عاد غلامًا يهوديًّا – كان يخدمه – فقال له النبي ﷺ : « أسلم .. » الحديث[٣] .

❋ ❋ ❋

س : كيف تحبط الأعمال في الدنيا والآخرة ؟

ج : معنى الآية – والله أعلم – أن ثواب أعمالهم ذهب في الدارين ، وأفسدوا أعمالهم التي عملوها بشركهم بالله عز وجل وقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الآمرين بالقسط من الناس .

● أما حبوط الأعمال في الدنيا : فإبدال المدح بالذم ، والثناء باللعن والخزي ، ويدخل فيه – كما قال بعض العلماء – : ما ينزل بهم في الدنيا من القتل والسبي وأخذ الأموال والاسترقاق إلى غير ذلك من أنواع الذل والصغار .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (.٤٣٨) ، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظه : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » .

● وأما حبوطها في الآخرة : فإبدال النعيم بالجحيم ، والثواب بالعذاب الأليم ، وضياع أجر كل ما صنعوه من خير في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [إبراهيم : ١٨] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ [آل عمران : ٢١] لماذا التقييد بقوله تعالى : ﴿ بغير حق ﴾ مع أنه معلوم يقينًا أن الأنبياء لا تقتل إلا بغير الحق فهم صلوات الله وسلامه عليهم لم يفعلوا مع أممهم ما يوجب قتلهم ؟

ج : التقييد بقوله تعالى : ﴿ بغير حق ﴾ – والله أعلم – لبيان شناعة قتل النبيين وعظم هذا الجرم ، فقاتل النبي أعظم الناس جرمًا وأشدهم إساءة ، وهذه الآية – والله أعلم – كقوله تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ﴾ [المؤمنون : ١١٧] ، فمن المعلوم أن من دعا مع الله إلهًا آخر فإنه كافر ، وليس له برهان مطلقًا ولا حجة على وجود إله يستحق أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى ، وإنما قُيدت بهذا القيد ﴿ لا برهان له به ﴾ لبيان شناعة الشرك والمشرك ، وأن الشرك ليس عليه دليل ولا برهان لا عقلي ولا شرعي ، ومن ثم استحق المشرك أليم العذاب وعظيم العقاب .

ففائدة هذا القيد – كما قاله السعدي في القواعد الحسان لتفسير القرآن – التشنيع البليغ على المشركين بما تملكهم ؛ لغبائهم وبلادتهم التقليدية من المعاندة ومخالفة البراهين الشرعية والعقلية ، وأنه ليس بأيديهم إلا أغراض بهيمية

ومقاصد سيئة وتقليد أعمى كالأنعام ، وأنهم لو التفتوا أدنى التفات لعرفوا أن ما هم عليه لا يستسيغه من له أدنى فهم وعقلٍ .

❋ ❋ ❋

س : اذكر دليلين من كتاب اللَّهِ يُرهبان من إيذاء الدعاة إلى الله عز وجل وقتلهم ؟

ج : الدليل الأول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ [آل عمران : ٢١ - ٢٢] .

والثاني : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ ؟[1] [آل عمران : ٢٣] وما هو الشيء الذي تنازعوا فيه ودُعوا إلى الحكم فامتنعوا ؟

ج : الكتاب : هنا هو التوراة وهذا رأي جماهير المفسرين .

أما الذي تنازعوا فيه فلم يوضح في الآية ، فمن المحتمل أن يكون ذلك هو أمر النبي محمد ﷺ وأمر نبوته ، ومحتمل أن يكون أمر الخليل إبراهيم عليه السلام

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : (أولئك أعداء الله اليهود دُعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم وإلى نبيه ليحكم بينهم ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ثم تولوا عنه وهم معْرضون) (الطبري في التفسير ٦٧٨٣) .

وكونه مسلمًا ، ومحتمل أن يكون ما دعوا إليه من أمر الإسلام والإقرار به ، ومحتمل أن يكون الطعام الذي كان حلالًا على إسرائيل وحرَّمه إسرائيل على نفسه ، ويحتمل أن يكون أمر رجم الزاني والزانية ، إلى غير ذلك ، وكل ذلك محتمل فكله قد دُعي اليهود إلى التحاكم إلى التوراة فيه فأعرضوا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : البشارة تكون في الخير وبالخير فهل تطلق البشارة على التبشير بالشر أيضًا ؟

ج : نعم قد تكون البشارة بالشر أيضًا إلا أنها إذا أطلقت فإنها تحمل على التبشير بالخير ، ومن أمثلة إطلاق البشارة على التبشير بالشر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣] ، وقول النبي ﷺ : « ... وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »[1] .

❋ ❋ ❋

س : سوء المعتقد يَجرُّ إلى سوء العمل وضح ذلك ؟

ج : نعم سوء المعتقد يجر إلى سوء العمل ، فلما اعتقد اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه تجرأوا على اقتراف الكبائر والمعاصي ، ولما اعتقد اليهود أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات[2]، جرأهم هذا الاعتقاد على انتهاك

---

(١) أخرجه ابن ماجة حديث (١٥٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وهو صحيح بمجموع طرقه ، وانظر تخريجه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة (ط دار ابن عفان) .

(٢) روى ابن جرير (٦٧٨٦) بإسناد حسن عن قتادة : ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات ﴾ [آل عمران: ٢٤] قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا. قال الله عز وجل: ﴿وغرَّهم في دينهم ما =

الحرمات وقتل النبيين بغير حق والإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ - ٢٤] .

● وهؤلاء الخوارج لما بنوا معتقدهم الفاسد على تكفير المصر على المعصية حملهم ذلك على سلب أموال المسلمين وسبي نسائهم وانتهاك حرماتهم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز التسمي بملك الأملاك ؟ وما هي الآية التي يُفترض أن يأتي عند تفسيرها هذا البحث ؟

ج : لا يجوز التسمي بملك الأملاك ؛ لحديث رسول الله ﷺ : « إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى بملك الأملاك »[1].

أما الآية التي يفترض أن يأتي عندها هذا البحث فقوله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ....﴾ [آل عمران : ٢٦] .

❋ ❋ ❋

س : كيف يولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وما هي الأقوال في إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● تخرج المؤمن من صلب الكافر ، وتخرج الكافر من صلب المؤمن ،

= كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] أي: قالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة: ١٨].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥) ، ومسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فالكافر ميت والمؤمن حي ، كما قال تعالى : ﴿ أومن كان ميتًا فأحييناه ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ [النمل : ٨٠] ، وقد أخرج اللَّهُ إبراهيم إمام التوحيد من آذر ، وآذر كافر .

● وأيضًا نوح مؤمن خرج منه ولده الكافر ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا ﴾ مع قول النبي ﷺ : « الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا »[1].

● وكذلك خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من صلب أبي طالب وأبو طالب كافر وهكذا .

●● تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع ، والنواة من النخلة ، والنخلة من النواة .

●●● تخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة .

وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء .

ومن الواضح أن هذه الأقوال ترجع لبعضها ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله في معناها : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلمٍ بفعلٍ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ : « .. أما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا » .

وقال قتادة[1] في تأويلها : نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : ٢٨] الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم إلا أن يصل رحمًا له في المشركين .

لكن الطبري رحمه الله نصر القول الذي أورده هو عن نفسه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر خمسة أدلة على تحريم اتخاذ الكافرين أولياء ؟

ج : الأدلة على تحريم اتخاذ الكافرين أولياء كثيرة منها :

١ – قوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

٢ – قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا ﴾ [النساء : ١٤٤] .

٣ – قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جآءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل ﴾ [الممتحنة : ١] .

٤ – قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

---

(١) أخرجه الطبري (٦٨٣٦) بإسناد حسن عن قتادة .

بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [المائدة : ٥١] .

٥ – قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

* * *

س : من القائل : « إنا لنكشر في وجوه أقوامٍ وقلوبنا تلعنهم » ؟ وعند أية آية يُساق تفسيرها ، وما معنى نكشر ؟

ج : روي هذا عن أبي الدرداء رضي الله عنه[1]، ويساق عند قوله تعالى : ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ [آل عمران : ٢٨]، ومعنى نكشر: نبتسم أو نضحك،

---

(١) روي هذا عن أبي الدرداء من وجوه ، وأولًا قد ذكره البخاري معلقًا في كتاب الأدب باب المداراة مع الناس.(مع الفتح ٥٢٧/١٠) بلفظ : ويُذكر عن أبي الدرداء : إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم .

أما الوجوه التي رُوي منها عن أبي الدرداء فمنها ما يلي :

● طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء أخرجها أبو نعيم في الحلية (٢٢٢/١) ، وهذه منقطعة فخلف بن حوشب ليست له رواية عن أبي الدرداء .

● طريق أبي الزاهرية عن أبي الدرداء عند البيهقي في الشعب (٢٦٦/٦) ، وعند الحافظ في تغليق التعليق (١٠٣/٥) ، وفي إسناده ضعف فالأحوص بن حكيم في إسناده وقد تكلِّم فيه ، وقد ضعف الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناده .

● وروي من طريق الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء بإثبات واسطة بين أبي الزاهرية وأبي الدرداء .

وهذا أيضًا ضعيف ففيه الأحوص بن حكيم وهو ضعيف .

وهذا عند الحافظ في التغليق (١٠٣/٥) .

● وروي هذا الأثر كذلك من طريق أبي صالح عن أبي الدرداء .

وفي إسناده ضعف أيضًا ، وحكم عليه الحافظ في الفتح (٥٢٨/١٠) بالانقطاع ؛ والله تعالى أعلم .

فالكشر : هو بُدو الأسنان عند التبسم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز عيادة مرضى اليهود أو النصارى ؟ وهل يجوز الأكل من طعامهم ؟

ج : نعم يجوز ذلك فقد عاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًّا كان يخدمه فمرض وعرض عليه النبي ﷺ الإسلام[1] .

وكذلك يجوز الأكل من طعامهم فإن الله سبحانه يقول : ﴿ .. وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حل لهم ﴾ [المائدة : ٥] ، وقد أهديت لرسول الله ﷺ شاة[2] فأجاب النبي ﷺ الدعوة .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آيةً حاكمةً على مدعي محبة النبي ﷺ ؟

ج : هي قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرج البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ فقال النبي ﷺ : « اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود » فجمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟ » فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : فلان ، فقال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت . قال : « فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال : « مَنْ أهل النار ؟ » قالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي ﷺ : « اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ، ثم قال : « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا ؟ » قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ٣١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعضًا مما يجلب محبة الله عز وجل للعبد ، وما هي علامة حب الله للعبد ؟

ج : مما يجلب محبة الله عز وجل للعبد اتباع رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران: ٣١].

والتقرب إلى الله عز وجل بالنوافل ؛ لقول الله عز وجل – في الحديث القدسي – : « وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه »[(١)].

وأما علامة حب الله للعبد فهي وضع القبول له في الأرض ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : إني أحب فلانًا فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض »[(٢)].

ومن علامات ذلك أيضًا أن يرزقه الله حب القرآن ، وحب السُّنة ، وحب الآخرة ، وحب أعمال البر وأهل الصلاح .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الختام بقوله تعالى : ﴿ .. فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢] ؟

ج : وجه الختام ظاهر ، والله أعلم ، فإن الله سبحانه قال : ﴿ قل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لي وليًّا ... » الحديث وفيه القدر المذكور .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٧) ، والبخاري (٧٤٨٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣٢].

والتولي عن طاعة الله ورسوله من صفات الكافرين ، والله لا يحب الكافرين ، فلا تتولوا عن طاعة الله ورسوله فتشابهوا الكفار في هذا التولي ، ومن ثم لا يحببكم الله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اغفر – القانتين – الأسحار – قائمًا بالقسط – اللهم – حاجوك – حبطت – التقيَّة – تولج – محضرًا – الأميين – أمدًا؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
اغفر	استر وامحُ .
القانتين	الطائعين – أو الذين يطيلون القيام في الصلاة .
الأسحار	آخر الليل (قيل : الثلث الأخير) وقيل : السدس الأخير .
القسط	العدل .
اللهم	يا الله .
حاجوك	جادلوك .
حبطت	حبط العمل بطل ثوابه .
التقيَّة	إظهار الموالاة للكفار (باللسان دون القلب) لدفع محذور والقلب مطمئن بالإيمان .

تولج	تُدخل
مُحضرًا	موفَّرًا[1] .
الأميين	العرب أو مشركو العرب وهم الذين لا كتاب لهم.
أمدًا	غاية – أجلًا – مكانًا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى هذه الفقرات :

ورضوان من الله – إن الدين عند الله الإسلام – وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون – فليس من الله في شيء – وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا ؟

ج :

الفقرة	معناها
ورضوان من الله	أي يُحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا .
إن الدين عند الله الإسلام	الدين المرضي المقبول عند الله هو الإسلام الذي هو التوحيد واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ فمن لقي الله

(١) وروي ذلك بإسناد حسن عن قتادة (٦٨٤٠) .

	بعد بعثة محمد بدين على غير شريعته فليس بمتقبل .
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون	ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات .
فليس من الله في شيء	قال بعض أهل العلم : ليس من ولاية الله في شيء ، وقال آخرون : ليس من حزب الله في شيء
وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا	تود النفس التي عملت السيئات لو أن بينها وبين هذه السيئات غاية بعيدة لا يدرك أحدهما الآخر كما يقول الكافر : ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [الزخرف: ٣٨].

❋ ❋ ❋

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ
عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤
إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ
أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا
ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ
ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ
قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا
بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ
يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ
يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١ وَإِذۡ
قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ

نِسَآءِ ٱلْعٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرّٰكِعِينَ
﴿٤٣﴾ ذٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ
ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِى وَلَدٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرٰىةَ وَٱلْإِنجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم
مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ
وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۖ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرٰىةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ
وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۗ هٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

س : ما هو وجه اصطفاء كل من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ؟ ومن المراد بآل إبراهيم وآل عمران ؟

ج : أما وجه اصطفاء آدم عليه السلام فبالآتي :

١ – خلقه الله بيده . ٢ – سواه ونفخ فيه من روحه .

٣ – أمر الملائكة بالسجود له . ٤ – أسكنه جنته .

٥ – جعله أبًا للبشر .

● ووجه اصطفاء نوحٍ عليه السلام ، فإن الله سبحانه جعله أول رسول إلى أهل الأرض ، وأطال الله عمره وأحسن الله عمله ، وفي الحديث : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ، وأنجاه الله عز وجل وأصحابَ السفينة ، وجعلها الله آية للعالمين ، وسماه الله عبدًا شكورًا ، واستجاب الله دعوته على قومه ، ثم هو من أولي العزم من الرسل .

● أما آل إبراهيم عليه السلام فقد قيل : إنهم من كانوا على دينه ، وقد قيل : إنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ومنهم محمد ﷺ ، وعليه فالنبوة من بعدهم فيهم ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلها كلمة[1] باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٨] ، ثم إننا نصلي عليهم في كل صلاة ، ومن آل إبراهيم : خير البشر محمد ﷺ ، وقد قيل : إن المراد بآل إبراهيم هو إبراهيم نفسه[2] ، وعليه فلإبراهيم عليه السلام مناقب منها : أن الله أنجاه من النار وجعلها عليه بردًا وسلامًا ، والثاني : أن الله جعله أبًا للأنبياء ، وأتم الكلمات

---

(١) أي : كلمة التوحيد .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، أي : مما ترك موسى وهارون على ما ذكره عدد من العلماء ، ومنه قول الشاعر :

يُلاقي من تذكر آل ليلى كما يلقى السليم من العِدَادِ

أي : من تذكر ليلى نفسها ، لكن رغم كل هذا ، فالتفسير الذي يفيد : أنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد ﷺ أولى ، والله أعلم .

التي ابتلاه الله بها ، وجعله الله إمامًا للناس ، واتخذه الله خليلًا ، وكانت النبوة في ذريته كما سبق .

● أما آل عمران فقد قيل هنا : إن المراد بعمران هو عمران والد موسى وهارون ، وعلى ذلك فآله منهم موسى وهارون ، وقد اصطفى الله عز وجل موسى عليه السلام على الناس برسالاته وبكلامه .

وقيل : إن المراد بعمران هنا : عمران والد مريم عليها السلام ، وعلى ذلك فوجه اصطفاء آل عمران : أن الله عز وجل جعل مريم وابنها آية للعالمين ، وعلى العموم فكل المذكورين اصطفاهم الله عز وجل بالنبوة .

●● هذا وثمَّ قول آخر في الاصطفاء بالجملة ألا وهو : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا و... ﴾ هو دين آدم ونوح ، فهو دين الإسلام ، وهو خير الأديان ، ولا يقبل الله عز وجل دينًا سواه ، لكن القول الأول أوجه ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران : ٣٣] ؟

ج : أشهر الأقوال في ذلك أن المراد بالعالمين عالمي زمانهم ، وقد قيل قول آخر مفاده أن المراد بالعالمين جميع الخلق كلهم إلى يوم القيامة ، والقول الأول أشهر ، وعليه الأكثر ألا وهو أن المراد : عالمي زمانهم ، وذلك حتى يستقيم

---

(١) أي : أن الآية ﴿ إن الله اصطفى آدم ﴾ ، فإذا فسرت على هذا السياق أولى من أن تُفسر على إن الله اصطفى دين آدم (بتقدير كلمة دين) حيث إن الأصل عدم التقدير ، ولا يصار إلى التقدير إلا إذا دعت الحاجة إليه ، وإن كان المعنى الثاني صحيح أيضًا ، والله تعالى أعلم .

الجمع بين الآية الكريمة وبين قوله تعالى في أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[1].

● ونحو هذا التفسير يُفسر به قوله تعالى – في شأن بني إسرائيل – : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، أي : عالمي زمانهم أيضًا .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران: ٣٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن هذه الذرية بعضها ينصر بعضًا ، ويؤيده ويُصدِّقه ويعاضده في الدين[2]، ويتبع منهجه في الإخلاص والتوحيد كما قال

---

(١) أخرجه أحمد (المسند ٣/٥) ، والترمذي (حديث ٣٠٠١) ، وابن ماجة (٤٢٨٨) ، والحاكم في المستدرك (٨٤/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في المعجم الكبير (٤١٩/١٩ فما بعدها) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٥٦) ، والبغوى في التفسير (٣٤١/١) ، والبيهقي (السنن الكبرى ٥/٦) ، والطبري في التفسير (٧٦٢٢) ، وعبد الرزاق في التفسير (٤٤٦) ، وغيرهم من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به ، وإسناده حسن .

وأخرجه أيضًا الطبراني (١٠٣٠) من طريق الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعًا .

وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ .

وبالجملة فالحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ .

(٢) أخرج الطبري (٦٨٥٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران : ٣٤] يقول : في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له .

يوسف ﷺ : ﴿ .. واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء .. ﴾ [يوسف : ٣٨] ، وكما قال يعقوب عليه السلام لبنيه حين حضرته الوفاة ، وهو ما ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

فهي أمة متعاضدة موحدة مخلصة تتواصى بالتوحيد والإخلاص ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ ، [التوبة : ٦٧] ، وذلك بسبب اشتراكهم في النفاق .

● وقيل : إن المعنى ذرية بعضها من ولد بعض ، والله تعالى أعلم .

● أما الذرية فتطلق على الأبناء ، وتطلق على الخلق ، وتطلق على الصغار من الأبناء .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله سميع عليم ﴾ [آل عمران : ٣٤] ؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل سميع لأقوال الذين اصطفاهم ، عليم بهم ، حيث جعل رسالته فيهم ، كما قال سبحانه : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، فالحاصل أن الله سبحانه إنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم عنه الاستقامة في قوله وعمله ونيته ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بآل محمد ﷺ ؟

ج : اختلف العلماء في المراد بآل محمد على أربعة أقوال مشهورة .

● أولها : أن الآل (آل محمد ﷺ) : هم من حرمت عليهم الصدقة[1]، ودليل هذا القول ما يلي :

١ – قول النبي ﷺ : « إنا آل محمد لا نأكل الصدقة »[2] .

٢ – قول زيد بن أرقم رضي الله عنه:.. ولكن أهل بيته (يعني : أهل بيت رسول الله ﷺ) من حُرم الصدقة بعده ، .. قال[3]: وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . .

٣ – قول النبي ﷺ : « إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[4] .

٤ – قول النبي ﷺ لما ضحى بالكبش[5]: « بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن آل محمد ومن أمة محمد » ، والعطف يقتضي المغايرة ، وثمَّ أدلة أخرى لأصحاب هذا القول .

● والقول الثاني : أن آل محمد هم ذريته وأزواجه ؛ لقول النبي ﷺ : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[6]، وفي الأحاديث الأخرى : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد »[7]، فالحديث الأول يفسر الثاني .

---

(١) وسيأتي بيان من هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، إن شاء الله تعالى .

(٢) صحيح وسيأتي.

(٣) القائل هو زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٤) صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٥) صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٦)،(٧) كلاهما صحيح وسيأتيان إن شاء الله .

ولقول عائشة رضي الله عنها : « ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام»[1]، ولقول النبي ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[2]، ونحو ذلك .

● والقول الثالث : أن المراد بالآل : من هم على دينه وملته في عصره وفي سائر العصور ، واستدل لذلك بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، وبقول النبي ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين »[3] .

● والقول الرابع : أن المراد بالآل : هم الأتقياء من أمته ؛ لقول النبي ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين » ، وثمَّ أدلة أخر ، هذه أشهر الأقوال في تفسير الآل .

والذي يظهر – والله أعلم – أن القول الأول ، وهو أن المراد بالآل : من حرمت عليهم الصدقة هو الأولى والأصح ، وبيان ذلك يأتي عن قريب إن شاء الله ، وأوسع من رأيته تكلم على هذا العلَّامة ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام[4] ﷺ ، وها أنا أنقل – بعون الله – ما حرره رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله (جلاء الأفهام ص ١٦٤) :

فصـــل

واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال :

فقيل : هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

---

(١)،(٢)،(٣) كلها صحيحة وستأتي كلها إن شاء الله .

(٤) وانظر أيضًا ما ذكره القرطبي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ آية ٤٩ من سورة البقرة .

أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.

والثاني : أنهم بنو هاشم خاصة ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، والرواية عن أحمد ، واختيار ابن القاسم صاحب مالك .

والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب . فيدخل فيهم بنو المطلب ، وبنو أمية ، وبنو نوفل ، ومن فوقهم إلى بني غالب ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك ، حكاه صاحب « الجواهر » عنه ، وحكاه اللخمي في « التبصرة » عن أصبغ ، ولم يحكه عن أشهب .

وهذا القول في الآل أعني : أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين ، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي .

والقول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، حكاه ابن عبد البر في « التمهيد » ، قال في باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي حُميد الساعدي : استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصةً ؛ لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر ، وفي غير ما حديث : « اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ »[1]، وفي هذا الحديث يعني : حديث

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (ص١٦٥ - ١٦٦) ، ومسلم (من طريقه) (٤٠٥) ، والترمذي (٣٢٢٠) ، وأحمد في المسند (٢٧٤/٥) ، والنسائي في السنن (٤٥/٣) ، وغيرهم من طريق مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن محمد بن عبد الله بن زيد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، =

أبي حميد : « اللَّهُمَّ صلّ على محمّدٍ وأزواجِهِ وذريّته »[1]، قالوا : فهذا تفسير ذلك الحديث ، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته ، قالوا : فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته صلى الله عليك ، إذا واجهه ، وصلى الله عليه إذا غاب عنه ، ولا يجوز ذلك في غيرهم .

قالوا : والآل والأهل سواء ، وآل الرجل وأهله سواء ، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث .

والقول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة ، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله ، ذكره البيهقي عنه ، ورواه عن سفيان الثوري وغيره ، واختاره بعض أصحاب الشافعي ، حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه ، ورجَّحه الشيخ محيي الدين النواوي في « شرح مسلم » ، واختاره الأزهري .

والقول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته ، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة .

= والسلام كما قد علمتم » .

ولهذه اللفظة : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » عدة طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها ما ورد في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا ...

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٠) ، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

فصـــل
في ذكر حجج هذه الأقوال ،
وتبيين ما فيها من الصحيح والضعيف

فأما القول الأول : وهو أن الآل مَنْ تحرمُ عليهم الصدقة على ما فيهم من الاختلاف ، فحجته من وجوه :

● أحدها : ما رواه البخاري في « صحيحه » : من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يؤتى بالنخل عند صِرَامِه، فيجيءُ هذا بتمرةٍ وهذا بتمرةٍ حتى يصيرَ عندَه كومٌ من تمر ، فجعل الحسنُ والحسينُ يلعَبان بذلك التمر ، فأخذ أحدُهما تمرةً فجعلها في فيه ، فنظرَ إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه ، فقال : « أما علمت أن آل محمدٍ لا يَأكُلونَ الصَّدقة »[1]، ورواه مسلم وقال : « إنَّا لا تحلُّ لنا الصدقةُ »[2].

● الثاني : ما رواه مسلم في « صحيحه » : عن زيد بن أرقم ، قال : قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فينا بماء يُدعى خَمًّا بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكرَ ووعظَ ، ثم قال : « أما بعدُ ألا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يُوشكُ أن يأتيني رسول ربي عزَّ وجلَّ ، وإني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ، فحث على كتاب الله ورغبَ فيه ، وقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

فقال له حصين بن سبرة : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٥) ، ومسلم (حديث ١٠٦٩).
(٢) اللفظ المشار إليه عند مسلم (ص٧٥١).

بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عبَّاس . قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : « إن الصدقة لا تحل لآلِ محمّد »[2].

● الدليل الثالث : ما في الصحيحين : من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها؛ أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاءَ الله على رسوله ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صَدَقة »[3]، إنما يأكل آل محمّدٍ منْ هَذا المال – يعني : مال الله – ليس لهم أن يزيدوا على المأكل .

فآله ﷺ لهم خواص ، منها : حرمان الصدقة ، ومنها : أنهم لا يرثونه ، ومنها : استحقاقهم خمس الخمس ، ومنها : اختصاصهم بالصلاة عليهم .

وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض أقاربه ﷺ ، فكذلك الصلاة على آله .

● الدليل الرابع : ما رواه مسلم : من حديث ابن شهاب ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، أن عبد المطلب بن ربيعة أخبره ، أن أباه ربيعة بن الحارث ، قال لعبد المطلب بن ربيعة ، وللفضل بن العباس رضي الله عنهما : ائتيا رسول الله ﷺ فقولا له : استعملنا يا رسول الله على الصَّدقات – فذكر الحديث – وفيه : فقال لنا : « إن هذه الصَّدقة إنما هي

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٠٨).

(٢) تقدمت الإشارة إليه قريبًا ، وأنه عند مسلم بلفظ قريب.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٢٥ ، ٦٧٢٦) ، ومسلم (١٧٥٩).

أوساخ الناس وإنها لا تحِل لمحمدٍ ولا لآل محَمَّد »[1].

● الدليل الخامس : ما رواه مسلم في « صحيحه » : من حديث عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن ، يطأ في سوادٍ – فذكر الحديث – وقال فيه : فأخذ النبي ﷺ الكبش ، فأضجعه ، ثم ذبحه ، ثم قال : « بسم الله ، اللهم تقبل من محمد ، وآل محمّد ، ومن أمة محمّد ». ثم ضحَّى به[2].

هكذا رواه مسلم بتمامه ، وحقيقة العطف المغايرة ، وأمته ﷺ أعم من آله .

قال أصحاب هذا القول : وتفسير الآل بكلام النبي ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره .

فصـــل

وأما القول الثاني : أنهم ذريته وأزواجه خاصة ، فقد تقدم احتجاج ابن عبد البر له ، بأن في حديث أبي حميد : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[3]، وفي غيره من الأحاديث : « اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد »[4]، وهذا غايته أن يكون الأول منهما قد فسره اللفظ الآخر .

واحتجوا أيضًا بما في « الصحيحين » : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا »[5].

---

(١) أخرجه مسلم ص ٧٥٤.

(٢) أخرجه مسلم (حديث١٩٦٧).

(٣) ، (٤) كلاهما قد تقدم .

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (حديث ١٠٥٥) .

ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كل بني هاشم ولا بني المطلب ؛ لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة وإلى الآن . وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتًا ، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال كن يتصدقن به ويجعلن رزقهن قوتًا . وقد جاء عائشة رضي الله عنها مال عظيم فقسمته كله في قعدة واحدة ، فقالت لها الجارية : لو خبيت لنا منه درهمًا نشتري به لحمًا ؟ فقالت لها : لو ذكرتني فعلت .

واحتجوا أيضًا بما في « الصحيحين » : عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما شبع آل محمدٍ ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل[1] . قالوا : ومعلوم أن العباس وأولاده وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها .

قال هؤلاء : وإنما دخل الأزواج في الآل ، وخصوصًا أزواج النبي ﷺ تشبيهًا لذلك بالسبب ؛ لأن اتصالهن بالنبي ﷺ غير مرتفع ، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة ، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب .

وقد نص النبي ﷺ على الصلاة عليهن ، ولهذا كان القول الصحيح ، وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله : أن الصدقة تحرم عليهن ؛ لأنها أوساخ الناس ، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم ، ويا لله العجب كيف يدخل أزواجه في قوله ﷺ: «اللهم اجعل رزقَ آل محمد قوتًا »[2]، وقوله في « الأضحية » : « اللهم هذا عن محمد وآل محمد »[3]، وفي قول عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٣) ، وانظر مسلم (حديث ٢٩٧٠) .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) صحيح وقد تقدم .

من خبز بر[1]، وفي قول المصلي : « اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد »[2]، ولا يدخلن في قوله : « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[3]، مع كونها من أوساخ الناس ، فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها والبعد منها .

فإن قيل : لو كانت الصدقة حرامًا عليهن لحرمت على مواليهن ، كما أنها لما حُرِّمتْ على بني هاشم حرمت على مواليهم ، وقد ثبت في الصحيح أن بريرة تصدق عليها بلحم فأكلته ، ولم يحرمه النبي ﷺ وهي مولاة لعائشة رضي الله عنها[4].

قيل : هذا هو شبهة من أباحها لأزواج النبي ﷺ .

وجواب هذه الشبهة : أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة ، وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ ، وإلا فالصدقة حلال لهن قبل اتصالهن به ، فهن فرع في هذا التحريم ، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده ، فلما كان التحريم على بني هاشم أصلًا استتبع ذلك مواليهم ، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعًا ، لم يقو ذلك على استتباع مواليهن ، لأنه فرع عن فرع .

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولًا معروفًا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية

---

(١) ، (٢) ، (٣) تقدمت قريبًا .

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٧٩) وفي غير موضع ، ومسلم (ص١١٤٣) .

الأولى وأقمنَ الصَّلاة وآتِين الزكاة وأطِعنَ الله ورسولَه إنما يُريدُ الله ليُذْهبَ عنكم الرجسَ أهل البيتِ ويطهركم تطهيرًا . واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٤] .

فدخلن في أهل البيت ؛ لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن ، فلا يجوز إخراجهن من شيء ، والله أعلم .

فصـــل

وأما القول الثالث : وهو أن آل النبي ﷺ أمته وأتباعه إلى يوم القيامة .

فقد احتج له بأن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه وأمره ، قريبهم وبعيدهم .

قالوا : واشتقاق هذه اللفظة تدل عليه ، فإنه من آل يئول إذا رجع ، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم ؛ لأنه إمامهم ومُوئلهم .

قالوا : ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ إلَّا آل لُوطٍ نجيناهم بسحر ﴾ [القمر : ٣٤] ، المراد به : أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، المراد به : أتباعه .

واحتجوا أيضًا بأن واثلة بن الأسقع روى : أن النبي ﷺ دعا حسنًا وحسينًا ، فأجلس كل واحد منهما على فخذه ، وأدنى فاطمة رضي الله عنها من حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهلي » ، قال واثلة: فقلت: يا رسول الله ، وأنا من أهلك ؟ فقال : « وأنت من أهلي »[1] ورواه البيهقي بإسناد جيد .

---

(١) سنن البيهقي (٢/١٥٢).

قالوا : ومعلوم أن واثلة بن الأسقع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، وإنما هو من أتباع النبي ﷺ .

فصـــل

وأما أصحاب القول الرابع : أن آله الأتقياء من أمته .

فاحتجوا بما رواه الطبراني في « معجمه » : عن جعفر بن إلياس بن صدقة ، حدثنا نعيم بن حمّاد ، حدثنا نوح بن أبي مريم ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن أنس بن مالك ، قال : سُئل رسول الله ﷺ : مَنْ آلُ محمد ؟ فقال : « كل تقي » ، وتلا النبيُّ ﷺ : ﴿ إن أولياؤُه إلا المتقون ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، قال الطبراني : لم يروه عن يحيى إلا نوح ، تفرد به نعيم .

وقد رواه البيهقي : من حديث عبد الله بن أحمد بن يونس ، حدثنا نافع – أبو هرمز – ، عن أنس ، فذكره .

ونوح هذا ونافع – أبو هرمز – ، لا يَحتج بهما أحد من أهل العلم ، وقد رُميا بالكذب .

واحتج لهذا القول أيضًا بأن الله عز وجل قال لنُوحٍ عن ابنه : ﴿ إنه ليسَ مِنْ أهلِكَ إنّه عملٌ غيرُ صَالح ﴾ [هود : ٤٦] ، فأخرجه بشركه أن يكون من أهله ، فعُلم أن آل الرسول ﷺ هم أتباعه .

وأجاب عنه الشافعيُّ رحمه الله بجواب جيد ، وهو أن المراد أنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم ، ووعدناك نجاتهم ؛ لأن الله سبحانه قال : له قبل ذلك : ﴿ احمل فيها مِن كلٍّ زَوْجَيْن اثْنَيْنِ وأهلَكَ إلا مَن سَبَقَ عليه القَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] ، فليس ابنه من أهله الذين ضمن نجاتهم .

قلت : ويدلُّ على صحة هذا أن سياقَ الآية يدلُّ على أن المؤمنين قسمٌ

غيرُ أهله الذين هم أهله ؛ لأنه قال سبحانه :﴿ احمل فيها مِنْ كلٍّ زَوْجَيْن اثنين وأهلَكَ إلا مَن سَبَقَ عليه القَوْلُ ومَنْ آمَنَ ﴾ [هود : ٤٠] ، فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل ، وهم الأهل والاثنان من كل زوجين .

واحتجوا أيضًا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدم ، قالوا : وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به ، وكأنه جعل واثلة في حكم الأهل تشبيهًا بمن يستحق هذا الاسم .

فهذا ما احتجَّ به أصحاب كل قول من هذه الأقوال .

والصحيح هو القول الأول ، ويليه القول الثاني . وأما الثالث والرابع فضعيفان ؛ لأن النبيَّ ﷺ قد رفعَ الشبهة بقوله : « إن الصَّدقةَ لا تحِلُّ لآلِ محمَّد »[1]، وقوله : « إنما يأكُلُ آلُ محمَّدٍ مِنْ هَذا المالِ »[2] ، وقوله : « اللَّهم اجعلْ رزقَ آلِ محمَّد قُوتًا »[3]، وهذا لا يجوز أن يُرادَ به عموم الأمة قطعًا . فأولى ما حُمل عليه الآل في الصَّلاة الآل المذكورون في سائر ألفاظه ، ولا يجوزُ العدولُ عن ذلك ، وأما تنصيصُه على الأزواج والذرية ، فلا يدلُّ على اختصاص الآل بهم ، بل هو حجَّة على عدم الاختصاص بهم ؛ لما روى أبو داود من حديث نعيم المجمر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصَّلاة على النبيّ ﷺ : « اللَّهم صلِّ على محمّدٍ النبيِّ وأزواجهِ أمَّهاتِ المؤمنين ، وذُريَّته ، وأهل بيته ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيم »[4]، فجمعَ بين الأزواج والذرية والأهل ، وإنما نصَّ عليهم بتعيينهم ليبيِّن أنهم حقيقون بالدخول في الآل ، وأنهم ليسوا بخارجين منه ، بل هم أحقُّ من دخل فيه ،

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٧٢٦) ، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) صحيح وقد تقدم .

(٤) أخرجه أبو داود (٩٨٢) .

وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام ، وعكسه ، تنبيهًا على شرفه ، وتخصيصًا له بالذكر من بين النوع ، لأنه من أحق أفراد النوع بالدخول فيه ، وهنا للناس طريقان :

● أحدهما : أن ذكر الخاص قبل العام أو بعده قرينة تدلُّ على أن المراد بالعام ما عداه .

● والطريق الثاني : أن الخاص ذكر مرتين مرة بخصوصه ومرة بشمول الاسم العام له تنبيهًا على مزيد شرفه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيينَ ميثاقَهم ومنكَ ومِن نُّوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعيسى ابنِ مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] ، وقوله تعالى :﴿ مَن كانَ عَدُوًّا للَّهِ وملائكتِه ورسلِه وجبريلَ وميكالَ فإنَّ الله عدوٌّ للكافِرينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] .

وأيضًا فإن الصلاة على النبيِّ ﷺ حقٌّ له ولآله دون سائر الأمة ، ولهذا تجبُ عليه وعلى آله عند الشافعيِّ رحمه الله وغيره كما سيأتي ، وإن كان عندهم في الآل اختلاف ، ومن لم يُوجبها فلا ريب أنه يستحبُّها عليه وعلى آله ، ويكرهُها أو لا يستحبُّها لسائر المؤمنين ، أو لا يُجوِّزُها على غير النبيّ ﷺ وآله ، فمن قال : إن آله في الصَّلاة هم كالأمة ، فقد أبعد غاية الإبعاد .

وأيضًا فإن النبي ﷺ شرع في التشهد السلام والصلاة ، فشرع في السلام تسليم المصلِّي على الرسول ﷺ أولًا وعلى نفسه ثانيًا ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثًا ، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « فإذَا قُلتُم ذلك فقد سَلَّمتُم على كلِّ عبدٍ لله صالح في السَّماءِ والأرض »[1]، وأما الصَّلاة فلم يشرعها إلا عليه وعلى آله فقط ، فدلَّ على أن آله هم أهلُه وأقاربُه .

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١) وفي عدة مواضع من صحيحه . ومسلم (٤٠٢) ولفظه « فقد أصبتم ... » .

وأيضًا فإن الله سبحانه أمرنا بالصَّلاة عليه بعد ذكر حقوقه وما خصَّه به دون أمته من حِلِّ نكاحه لمن تَهَبُ نفسَها له ، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة بعده ، ومن سائر ما ذُكر مع ذلك من حقوقه وتعظيمه وتوقيره وتبجيله .

ثم قال تعالى : ﴿ وما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رسولَ الله ولا أن تَنكِحُوا أَزْوَاجَه من بعدِه أَبَدًا إنَّ ذَلِكُم كانَ عِندَ الله عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهنَّ آباءَهنَّ وأبناءهن ودخولهم عليهن ، وخلوتهم بهن ، ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته ، وهو أمرُهم بصلاتهم عليه وسلامه ، مستفتحًا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكتُه يُصلُّون عليه ، فسأل الصحابةُ رسول الله ﷺ : على أي صفة يُؤدُّون هذا الحقَّ ؟ فقال : « قولوا اللهم صلِّ على محمَّد وعلى آل محمد »[1]، فالصَّلاة على آله هي من تمام الصَّلاة عليه وتوابعها ، لأن ذلك مما تقُر به عينُه ، ويزيدُه الله به شرفًا وعُلوًّا . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

وأما من قال إنهم الأتقياء من أمته ، فهؤلاء هم أولياؤُه ، فمن كان منهم من أقربائه فهو من أوليائه ، ومن لم يكن منهم من أقربائه ، فهم من أوليائه ، لا من آله . فقد يكون الرجل من آله وأوليائه ، كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه ، ولا يكون من آله ولا من أوليائه ، وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله ، كخلفائه في أمته الداعين إلى سنته ، الذَّابِّين عنه ، الناصرين لدينه ، وإن لم يكن من أقاربه . وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :« ألا إنَّ آلَ أبي فُلان ليسوا لي بأولياء ، إنْ أَوْلِيَائِي المتَّقُونَ أينَ كانُوا

---

(١) صحيح وقد تقدم .

ومَنْ كَانُوا »[1]، وغلط بعض الرواة في هذا الحديث وقال :« إنَّ آل أبي ... بياض » .

والذي غرَّ هذا أن في الصحيح : « إن آل بني ... ليسوا لي بأولياء » ، وأخلى بياضًا بين « بني » وبين « ليسوا » فجاء بعضُ النسَّاخ فكتب على ذلك الموضع « بياض » يعني أنه كذا وقع ، فجاء آخر فظنَّ أن « بياض » هو المضاف إليه ، فقال : أبي بياض ، ولا يُعرف في العرب أبو بياض ، والنبيُّ ﷺ لم يذكر ذلك ، وإنما سمَّى قبيلة كبيرة من قبائل قريش ، والصَّوَابُ لمن قرأها في تلك النسخ أن يقرأها إن آل بني « بياض » بضم الضاد من بياض لا بجرِّها . والمعنى : وثمَّ بياضٌ ، أو هنا بياضٌ .

ونظير هذا ما وقع في كتاب مسلم في حديث جابر[2] الطويل : « ونحن القيامة – أي : فوق كذا انظر – » ، وهذه الألفاظ لا معنى لها هنا أصلًا ، وإنما هي من تخليط النُسَّاخ ، والحديث بهذا السند والسياق في مسند الإمام أحمد : « ونحنُ يومَ القيامةِ على كومٍ أو تَلٍّ فوقَ النَّاس »[3]، فاشتبهَ على الناسخ التَّلُّ أو الكَوْمُ ، ولم يفهم ما المراد فكتبَ في الهامش « انظر » ، وكتبَ هو أو غيره « كذا » فجاء آخر فجمع بين ذلك كله وأدخله في متن الحديث ، سمعته من شيخنا أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله .

والمقصود أن المتقين هم أولياءُ رسول الله ﷺ ، وأولياؤه هم أحبُّ إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا : « ألا إن آل أبي (فلان) ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين » .

(٢) أخرجه مسلم (١٩١) وفيه أن جابرًا سئل عن الورود فقال : نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا .

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٤٥) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال .

من آله . قال الله تعالى : ﴿ وإنْ تَظَاهَرَا عليه فإنَّ اللَّهَ هُو مَوْلَاهُ وجبريلُ وصَالحُ المؤمنينَ والملائِكَةُ بعدَ ذَلكَ ظَهيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] ، وسُئل النبيُّ ﷺ أيُّ النَّاس أحبُّ إليكَ ؟ قال : « عائشة » رضي الله عنها ، قيل : مِنَ الرِّجال ؟ قال : « أبوها »[1] متفق عليه .

وذلك أن المتقين هم أولياءُ الله كما قال تعالى : ﴿ ألا إنَّ أَوْلياءَ الله لا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُون . الذينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُون ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] ، وأولياء الله سبحانه وتعالى أولياء لرسوله ﷺ .

وأما من زعم أن الآلَ هم الأتباع ، فيُقال : لا ريبَ أن الأتباعَ يُطلق عليهم لفظ « الآل » في بعض المواضع بقرينة ، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ « الآل » يُراد به الأتباع ، لما ذكرنا من النصوص ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد لامرأة عمران اسم صحيح ؟

ج : لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك ولكن أهل التفسير ذكروا أن اسمها حنَّة بنت فاقوذ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه قول امرأة عمران : ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محررًا ﴾ [آل عمران: ٣٥] ، وهل يصح مثل هذا النذر ؟

ج : في الغالب - كما ذكر بعض أهل العلم - أن المرء إنما يريد ولده

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥٨) ، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث ابن عمرو مرفوعًا .

للأنس به والاستنصار والتسلي ، ومنهم من يريده كي يُذكر به بعد موته وأن يستغفر له كذلك ، فكان من شأن امرأة عمران لما منَّ الله تبارك وتعالى عليها بالحمل أنها نذرت أن حظها به من الأُنس متروك لله ونصيبها منه متروك لخدمة بيت الله عز وجل ، ومثل هذا النذر صحيح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام قول امرأة عمران بـ ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ [آل عمران : ٣٥] ؟

ج : وجه ذلك أنها لما نذرت ما في بطنها لله عز وجل توسلت إلى الله بأسمائه التي تتوافق مع حالها ، فقالت : إنك أنت السميع (أي : لأقوالي ودعائي وتضرعي إليك) ، العليم (بنيتي وضميري وما يدور في نفسي وخلدي) والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الخير والصلاح وأهل التُّقى والإيمان يعملون أعمالًا صالحة ولا يغترون بها بل يسألون الله القبول ، وأهل الشر والفساد والكفر والنفاق يرتكبون الكبائر ويدَّعون ولاية الله عز وجل لهم ومغفرته لذنوبهم ، وضح ذلك ؟

ج : نعم أهل الخير والصلاح وأهل التقى والإيمان يعملون الصالحات ويسألون الله القبول ، فهذا هو الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .. ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وهذه امرأة عمران تقول : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محررًا

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

● وهؤلاء عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ومع ذلك يقولون : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥ ، ٦٦] .

● وهذا هو عبد صالح ﴿ قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا ﴾ ومع ذلك ﴿ يحذر الآخرة ويرجواْ رحمة ربه ﴾ [الزمر : ٩] .

● وهذا المُحدث الملهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ما فعل من خير ويقول : (وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي)[1] .

● وهؤلاء أهل التقى والإيمان بصفة عامة ، يقول الله عز وجل فيهم : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾[2] [المؤمنون : ٦٠] .

●● أما أهل الشر والفساد والكفر والنفاق فيعملون السيئات بل ويرتكبون أكبر الكبائر من إشراك بالله وقتلٍ وزنا و ..، ولا يبالون ولا يهتشون .

● فهؤلاء اليهود والنصارى ينقضون العهود والمواثيق ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ [آل عمران : ٢١] ويدعون لله الولد والشريك ومع ذلك كله يقولون : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد عن هذه الآية الكريمة إن شاء الله عز وجل .

وكما قال سبحانه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : من أي أنواع النذر قول امرأة عمران : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محررًا ﴾ [آل عمران : ٣٥] ؟

ج : الذي يظهر لي أن هذا النذر نذر ابتداء ، وليس نذر عوض ، وذلك لأنه لم يرد سبب صحيح لهذا النذر ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [آل عمران : ٣٦] أحد الوجوه فيه أن امرأة عمران هي قائلته ، وذكره الله تبارك وتعالى حكاية عنها ، فهل في هذا النص تفضيل الذكر على الأنثى ؟ وإذا كان كذلك فكيف تجمع بينه وبين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا ﴾ [النساء : ١١] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [آل عمران : ٣٦] أي : في القوة والجلادة والصبر والمقدرة على خدمة المسجد ، وهذا الذي أرادته امرأة عمران بنذرها ، فإن كان ثمَّ تفضيل للذكر على الأنثى في هذا المقام فهو في هذا الجانب جانب القوة والجلد وخدمة المسجد :

وثم أوجه أُخر لتفضيل الذكور على الإناث ليس محلها هنا ، منها : قوامة الرجل على المرأة ، وكون الأنبياء والرسل عليهم السلام رجالًا و ... .

● أما قوله تعالى: ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا ﴾ [النساء : ١١] فقد يحمل على النفع في الآخرة، فبقيام الرجل على بناته وإحسانه

تربيتهن يأتي مع رسول الله ﷺ كما قال عليه السلام : « من عال جاريتين حتى تبلغا ؛ جاء يوم القيامة أنا وهو (وضم أصابعه) »[1]، وقد يكون النفع في الدنيا أيضًا ، فكم من رجل انتفع ببناته ، وكنَّ سببًا لسعادته في الدنيا ، وكم من رجل أُرهق طغيانًا وكفرًا بسبب بنيه الذكور ، ولا يخفى في الباب حديث الطفل الرضيع الذي كانت ترضعه أمه ، وحديثه في الصحيحين[2] وفيه : « ... وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل ، فمر رجل راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه – ثم مرَّ بأمةٍ ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها ، فقالت : لم ذاك ؟ فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقتِ زنيتِ ولم تفعل»[3].

❋ ❋ ❋

س : متى تشرع تسمية المولود ؟ وما الدليل على ذلك ؟

ج : تشرع تسمية المولود فور ولادته ، وذلك لقول امرأة عمران حين وضعت مريم عليها السلام : ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ [آل عمران : ٣٦]، ولما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم »[4]. ولما ثبت من أن أنس بن مالك رضي الله عنه ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (ص١٩٧٦ – ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) وفي رواية : « وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل » .

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٣١٥) ، وأبو داود (٣١٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وإسناده صحيح .

(٥) أخرجه مسلم (٢١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

● وثبت أيضًا أن رجلًا قال : يا رسول الله وُلد لي الليلة ولد فما أُسميه؟ قال : « سم ولدك عبد الرحمن »[1] .

وثبت – أيضًا – أن أبا أسيد ولد له ولد فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرده إلى منزلهم ، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر[2] .

● ويجوز لمن توقع أن يرزق بولد أن يسميه قبل ولادته تيمنًا أو استبشارًا أو نحو ذلك ، قال الله سبحانه : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] .

● وأيضًا يجوز أن يؤخر الاسم إلى اليوم السابع من ولادة الطفل لحديث : « كل غلام رهين بعقيقته ، يذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى ويحلق رأسه »[3] وأيضًا تجوز التسمية بعد السابع لعدم ورود نهي عن ذلك ، ولعدم ورود أمر بتحديد وقت التسمية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي التعوذات المشروعة التي ينبغي أن يفعلها الرجل لحفظ بنيه ؟ والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

ج : لحفظ الطفل تشرع جملة من التعوذات منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٦) ، ومسلم (١٦٨٤/٣) ، وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٦١٩١) ، ومسلم (٢١٤٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٨٣٨) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا .

● قبل الولادة عند جماع الرجل لزوجته فليقل : « بسم اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا » ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قُدِّر بينهما في ذلك ، أو قُضي ولدٌ لم يضره شيطان أبدًا »[1] .

● ومنها : عند الولادة لقول امرأة عمران لما وضعت مريم عليها السلام : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

● ومنها : الاستمرار في تعويذهم عند طفولتهم لما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : « إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »[2] .

● ومنها : كف الصبيان وحفظهم عند المساء لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الصحيحين وفيه : أن النبي ﷺ قال : « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم ، فأغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا ، وأوكوا قربكم ، واذكروا اسم الله وخمِّروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا ، وأطفئوا مصابيحكم »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٢٨/٩) ، ومسلم (مع النووي ٥/١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح٤٠٨/٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨٨/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٣/١٣) من حديث جابر بن الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وتعليمهم سائر الأذكار التي يحفظهم الله تبارك وتعالى بها[1] .

❋ ❋ ❋

س : قول رسول الله ﷺ : « أما إن أحدهم إذا أتى أهله فقال : اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدًا » كيف تفهم هذا الحديث في ظل الواقع الذي نعيشه ؟ فقد يقول شخص : هذا الدعاء عند الجماع ويرزق بولد ، ولا بد أن يصدر من هذا الولد – يومًا ما – عصيان ، ولا بد وأن يأتي – يومًا ما – بذنب لقول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »[2]، ولقول النبي ﷺ : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعين تزني وزناها النظر ... »[3] الحديث أو بتعبير آخر كيف تجمع بين الحديث الأول : « أما إن أحدهم » والأحاديث المذكورة ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الشيطان لا يتسلط عليه ويوقعه في الشرك فهو – أي إبليس – وإن أوقعه في بعض الذنوب لكن لا يوقعه – بإذن الله – في الشرك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر رسالة لي في هذا الشأن اسمها : العواصم من الشيطان .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١٢) ، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » .
هذا أحد ألفاظ مسلم .

س : هل ترى أن دعوة امرأة عمران ﴿ .. وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] استجيبت ؟ وضح ذلك ؟

ج : نعم ، نرى – والله أعلم – أن دعوة امرأة عمران استجيبت ، فقد رزقها الله عز وجل بمريم عليها السلام ، التي اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، وثبت عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان ؛ إلا ابن مريم وأمه » ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾[1] [آل عمران : ٣٦] .

قال القرطبي رحمه الله في التفسير : قال علماؤنا : فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء ؛ إلا مريم وابنها ، قال قتادة : كل مولود يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وأمه ، جُعل بينهما حجاب فأصابت الطعنة الحجاب ، ولم ينفذ لها منه شيء ، قال علماؤنا : وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه ، فإن ذلك ظن فاسد فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ، ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢]، [الإسراء: ٦٥]، هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكِّل به قرينه من الشياطين ، كما قال رسول الله ﷺ . فمريم وابنها فإن عصما من نخسة الشيطان فلم يعصما من ملازمته لها ومقارنته ، والله أعلم .

قلت: والذي يظهر لي أن الله عز وجل أمدهما بمزيد حفظ، فإن الأنبياء عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

صلوات الله وسلامه – باستثناء نبينا محمد ﷺ – حينما دُعوا إلى الشفاعة ذكروا ذنوبًا ، فلما أتوا عيسى عليه السلام لم يذكر ذنبًا ، وقال : اذهبوا إلى محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : يفهم من قوله تعالى : ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] أن امرأة عمران قالت : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ بعد ولادة مريم عليها السلام ، وهذا شيء ، والشيء الآخر أن أبا هريرة رضي الله عنه لما ذكر حديث رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ؛ فيستهل صارخًا من مَسِّه إياه ؛ إلا مريم وابنها »[1] ، ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فقد يفهم من هذا الشيء الآخر أن الاستدلال لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه ؛ لأن امرأة عمران قالت : ﴿ وإني أعيذها ﴾ بعد الوضع ، والشيطان إنما يطعن عند الوضع فمن ثمَّ لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه استدلاله الذي استدل به !! علِّق على هذا الكلام ؟

ج : ابتداءً قد ورد عن رسول الله ﷺ ما قد تقدم من حفظ الله تبارك وتعالى لمريم وابنها عند وضع مريم لعيسى عليهما السلام ، وهذا الذي قد يبدو أنه إشكال أثير بتصرف في تفسير (فتح البيان في مقاصد القرآن)[2] ، ونقله عن غيره ولم يوفق الذي أثاره بإثارته إذ هو قد فهم الأمر على غير وجهه كما سنبينه إن شاء الله تبارك وتعالى قال رحمه الله[3] : وفي المقام إشكال

---

(١) صحيح وتقدم قريبًا .

(٢) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لصاحبه صديق حسن خان .

(٣) ختمت هذه المقالة بقوله : قاله سليمان الجمل كما سترى .

قوي لم أر من نبه عليه ، وحاصله أن قولها : ﴿ وإني أعيذها بك ﴾ معطوف على ما قبله الواقع في حيز لما وضعتها فيقتضي أن طلب هذه الإعاذة إنما وقع بعد الوضع ؛ فلا يترتب عليه حفظ مريم من طعن الشيطان وقت نزولها وخروجها من بطن أمها ، فلا يتلاقى الحديث مع الآية ، بل مقتضى ظاهر الآية أن إعاذتها من الشيطان إنما كان بعد وضعها ، وهذا لا ينافي تسلط الشيطان عليها بطعنها ونخسها وقت ولادتها الذي هو عادته ، فإن عادته طعن المولود وقت خروجه من بطن أمه ، تأمل ، قاله سليمان الجمل .

قلت : كذا قال ، وكأنه فهم – غفر الله له – أن المراد بقوله عليه السلام : « إلا مريم وابنها » أن مريم حفظت هي وامرأة عمران عندما وضعتها امرأة عمران ، وكذلك حفظ عيسى عليه السلام وأمه حينما وضعته أمه ، وهذا الذي فهمه أولًا ليس بجيد إنما المراد – والله أعلم – بقوله عليه السلام : « إلا مريم وابنها » أي : إلا مريم عند ولادتها لابنها ، وليس فيه تعلق بامرأة عمران ولا تعرض لها ، ومن ثمَّ لا إشكال ؛ لأن امرأة عمران لما وضعت مريم قالت : ﴿وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦] فأعاذ الله تبارك وتعالى مريم وابنها عند ولادتها من الشيطان الرجيم ، فذهب يطعن فطعن في الحجاب على ما ورد في الحديث ، والله تبارك وتعالى أعلم .

وما كان ينبغي لهذه الشبهات أن تطرح بدون جواب عليها ، ولو أمعن كاتبها النظر لتبين له خطؤه عفا الله عنه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الكرامات التي يكرم الله عز وجل بها أولياءه في الدنيا ؟

ج : تلك كرامات لا تنتهي ، يكرم الله بها الأنبياء والصالحين في الحياة الدنيا

● فأغرق الله عز وجل الأرض بمن عليها ؛ إلا نوحًا عليه السلام ومن آمن به كرامة لنوح عليه السلام ، وانتقامًا من القوم الظالمين ، قال تعالى : ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴾ [العنكبوت : ١٥] .

● وجعل الله عزَّ وجل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام : ﴿ قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

● وفدى الله إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

● وأيد الله عز وجل موسى بالآيات البينات التسع ، وأغرق الله فرعون وآله إكرامًا لموسى عليه السلام .

● وشفى الله عز وجل أيوب بعد مرض لبث به ثمانية عشر سنة وعجز الأطباء عن علاجه ، وأنزل الله عليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة ، فأغناه الله عز وجل ، ورد عليه عافيته لما اغتسل بالماء البارد[1] وشرب منه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [صٓ : ٤٢] .

● وسخر الله عز وجل لداود الجبال يسبحن معه والطير ، وعلمه الله صنعة لبوس ، وألان له الحديد .

● وسخر الله لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناءٍ وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد .

● أما مريم عليها السلام فكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد رزق الله عندها ، وولدها عيسى عليه السلام جعله الله معها آية للعالمين ، وكان عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله وينبىء القوم

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ٢٠٩١) ، وأبو يعلى الموصلي (٦/٢٩٩) ، والحاكم (٢/٥٨١) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد صحيح .

بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله إياه .

● أما ما أيد الله به رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام فلا يكاد يحصى، فأيده الله عز وجل بالقرآن المعجزة التي لا تنتهي إلى قيام الساعة ، وأسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى السماء السابعة ، وشق القمر على عهده آية له عليه الصلاة والسلام ، وحنَّ الجذع له عليه الصلاة والسلام ، وتأدب الحيوان معه ، وأذعنت الأشجار إليه ، وسلمت الأحجار عليه ، وبورك له في الماء القليل ، وكَثَّر الله له الطعام اليسير ، وسبح الطعام على عهده ﷺ ، وشفى الله الأمراض المستعصية على يديه بدون دواء حسي ، وأعلمه الله بأمور لم تكن وقعت فوقعت ، كما أخبر عليه الصلاة والسلام ، وأمور وقعت بعيدًا عنه فأخبر بها فور وقوعها ، وحفظه الله ، وآتاه الله عز وجل قوة في بدنه فكان يطوف على تسع نسوة في ليلة واحدة[1] ، وأظهر الله دينه وأعز أولياءه ، وأكرم أصحابه ببركة اتباعهم له عليه الصلاة والسلام .

● فشرب خالد السمَّ فلم يضره .

● وأضاءت العصىٰ لأُسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما ، وسلمت الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه .

● ورزق الله خبيبًا ، وحمى عاصمًا ببركة إيمانهما وتصديقهما لرسول الله ﷺ .

● وتنزلت الملائكة على أسيد بن حضير لتلاوته القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) انظر كل هذه مطولة في : الصحيح المسند من دلائل النبوة لشيخنا مقبل الوادعي حفظه الله ، وكلها صحيحة .

(٢) انظر تلك الأحاديث في كتابنا : الصحيح المسند من فضائل الصحابة ، وكلها صحيحة.

.إلى غير ذلك من الكرامات التي أكرم الله عز وجل بها أولياءه رحمهم الله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : أما معنى قوله تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ : أن الله عز وجل تقبلها من أمها لما نذرت ما في بطنها ، ورضيها وفاءً للنذر الذي نذرته ، وسلك الله بها مسلك السعداء وطريق الأتقياء .

● أما قوله تعالى : ﴿ وأنبتها نباتًا حسنًا ﴾ فالمراد أنه سبحانه سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان ، وأعطاها منظرًا جميلًا وحُسنًا وبهاءً ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وكفلها زكريا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : المعنى : أن الله عز وجل جعله كافلًا لها ، وقيل : ضمها إليه[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى المحراب ؟

ج : المحراب هو : صدر المجلس ، وهو أكرم موضعٍ فيه .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري (٦٩٠٤) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ وكفلها زكريا ﴾ : ضمها إليه .

س : ما هي درجة القرابة بين يحيى وعيسى عليهما السلام ؟

ج : يحيى وعيسى عليهما السلام ابنا خالة لما ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث المعراج : « فإذا أنا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة »[1] .

❋ ❋ ❋

س : كيف توجه قول من قال : إن امرأة زكريا كانت خالة مريم ؟

ج : هذا القول في حالة ثبوته يمكن توجيهه بأن يقال : إن خالة الأم يطلق عليها خالة أيضًا ، وعلى ذلك يكون يحيى ومريم ابني خالة ، ومن ثم يكون يحيى وعيسى ابني خالة لكون يحيى ابن خالة أمه مريم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « الخالة بمنزلة الأم » وما مناسبته ؟

ج : الحديث ثابت صحيح ، ومناسبته أن عليًّا وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة اختصموا في ابنة حمزة من يكفلها ، فقضى النبي ﷺ أن تكون عند خالتها (امرأة جعفر) وقال : « الخالة بمنزلة الأم »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرزق في قوله تعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى أن المراد بالرزق (فاكهة الشتاء في

---

(١) وهو في مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (حديث ١٦٢) ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ...فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما » .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا .

الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء)[1]، وذهب آخرون إلى أن المراد بالرزق : العلم ، والقول الأول عليه أكثر العلماء ، لكن تقييد الرزق بأن يكون فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف يحتاج إلى الدليل ، والآية تفيد أعم من ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل صحيح أن مريم وفاطمة كانتا لا تحيضان ؟

ج : لم نقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك ، والأصل أنهما كسائر بنات آدم ، وقد قال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت : « هذا شيء كتبه الله على بنات آدم »[2]. ومن المعلوم أن مريم وفاطمة يدخلان في بنات آدم ، وعليه فالقول بأنهما تحيضان أولى من القول بأنهما لا تحيضان ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر طرفًا من فضل مجالسة الصالحين ؟

ج : مما ورد في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا بينهم وبين سماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عز وجل – وهو أعلم بهم –: من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك ، قال : وماذا يسألونني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ،

---

(١) وهذا قول جمهور المفسرين .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤)، ومسلم (ص٨٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، قال : فيقول : قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال : فيقولون : ربِّ فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[1].

● وورد في ذلك حديث رسول الله ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة »[2].

● وفي التنزيل : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

● وقد منَّ الله عز وجل على مريم عليها السلام لما كفلها زكريا عليه السلام فتربت في بيت نبوة ونشأت فيه ، فاقتبست من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما منَّ الله عز وجل عليها بالرزق ورأى ذلك زكريا عليه السلام استفاد هو الآخر من ذلك فدعا ربه قائلًا : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ [آل عمران : ٣٨ - ٣٩] فاستفاد كل منهما من الآخر .

---

(١) أخرجه مسلم (جـ١٧/ص١٤ مع النووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وأخرجه البخاري من طريق آخر أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أيضًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠١) ، (٥٥٣٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وأما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة » .

● وبمجالسة الصالحين يرزق الله العبد محبتهم ، ومن أحب قومًا حُشر معهم .

● وبمجالسة الصالحين نقتبس من أخلاقهم وطيب نجواهم التي يتناجون فيها بالبر والتقوى ، والأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس ، ومن ثمَّ يؤتينا الله أجرًا عظيمًا .

● وبمجالستهم تسمع آذاننا الخير ، وترى أبصارنا المعروف ، وتخطو أرجلنا إلى الإحسان .

● ألا ترى أن أصحاب رسول الله ﷺ هم خير القرون وخير الناس ؛ لصحبتهم لخير ولد آدم محمد ﷺ .

● ألا ترى أن التابعين لصحبتهم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا خير الناس بعد الصحابة .

● وإذا انتقلنا نقلة بعيدة نرى أنه حتى المنافقين (الذين هم أهل كفر ونفاق) ممن يسكنون مدينة رسول الله ﷺ أقل في نفاقهم من أهل النفاق البعيدين عن مدينة رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] أي : أشد كفرًا ونفاقًا من منافقي المدينة على وجه الإجمال كما ذكره بعض العلماء .

● وكذلك النصارى الذين يساكنون المسلمين في ديارهم أقل كفرًا من النصارى الذين يساكنون الملاحدة مثلًا ، فترى النصراني الذي يسكن بلاد المسلمين يستحي مثلًا من الزنا ، بينما النصراني الذي يساكن الملاحدة لا يكاد يلتفت إلى إثم الزناة ، ولا يجد في نفسه أدنى حياء عند اقترافه لهذه الكبيرة ، وهكذا والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح أم لا ؟ اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : نعم يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها ما يلي :

١ – قول زكريا عليه السلام : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

٢ – قول الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ [الرعد : ٣٨] .

٣ – قول عباد الرحمن : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

٤ – قول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [الشعراء : ٨٤] .

* * *

س : قد يستدل جاهل على أن الملائكة إناث بقول الله تبارك تعالى : ﴿ فنادته الملائكة ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، فكيف يُوجَّه هذا ؟

ج : هذا استدلال لا يصح ، فابتداء أنكر الله عز وجل على المشركين مقالتهم التي قالوها ، وزعموا فيها أن الملائكة إناث .

● قال سبحانه : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [الزخرف : ١٩] ثم إن العرب تقول : قال الرجال ، وقالت الرجال .

وقد قال الله سبحانه : ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] .

وقال سبحانه : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ [الرعد : ٢٣] .

وقال عز وجل : ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم .... ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة ﴾ [آل عمران : ٣٩] هل المراد عموم الملائكة نادوه عليه السلام أم بعضهم ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الذي ناداه هم عموم الملائكة لظاهر الآية الكريمة ، بينما ذهب آخرون إلى أن الذي ناداه هو جبريل عليه السلام ، وقد تطلق الملائكة ويراد بعضهم كما في قوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل : ٢] فالمراد بالملائكة جبريل عليه السلام عند فريق من العلماء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ [آل عمران : ٣٩] فضل الجلوس في المواطن الصالحة وضح ذلك ؟

ج : نعم فيها فضل الجلوس في المواطن الصالحة ، فالملائكة لم تناد زكريا عليه السلام وتبشره بيحيى في سوق من الأسواق ، ولا في خلاء لقضاء الحاجات ، ولا في نادٍ للعب ، ولا في مسرح ، ولا في شارع من الشوارع ، بل نادته وهو قائم يصلي في المحراب ، ففيه فضل المسجد وأن الخير يتنزل فيه ، وقد قال النبي ﷺ : « والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه

الذي يصلي فيه ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ... ما لم يُحدث ما لم يؤذ »[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا بكلمة من الله ﴾ [آل عمران : ٣٩] ؟

ج : أما قوله كلمة من الله فهو : عيسى عليه السلام ، والمعنى – والله أعلم – أن يحيى عليه السلام يصدق بعيسى عليه السلام ، أي : أنه يؤمن به وبرسالته ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله ؟

ج : أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله لأمور :

منها : أنه خلق بكلمة كن .

ومنها : أي معنى كونه كلمة من الله أي معجزة من الله .

ومنها : أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى كلمة (سيد) وهل يجوز إطلاق ذلك على البشر ؟

ج : معنى (سيد)[❋] السيد من ساد قومه ، وهو الذي يرجع إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدث ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ... » .

(❋) وصح عن قتادة أنه قال : (وسيدًا) إي والله لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع ، أخرجه الطبري بإسناد حسن (٦٩٦٦) .

قومه ، وينتهون إلى قوله ، وقيل : السيد هو الكريم ، وقيل : هو الفقيه العالم ، وقيل : هو الشريف في العلم والعبادة ، ويجوز تسمية الإنسان سيدًا .

● لقول الله تبارك وتعالى في شأن يحيى : ﴿ وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين ﴾ .

● وقال النبي ﷺ لأصحابه يوم بني قريظة لما قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه : « قوموا إلى سيدكم »[1] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام في شأن الحسن رضي الله عنه : « إن ابني هذا سيدٌ ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[2] .

● وقال عمر رضي الله عنه في شأن أبي بكر وبلال : (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)[3] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ حصورًا ﴾ وما هو الأثر الوارد عن عبد الله بن عمرو بن العاص في ذلك ، وما مدى صحته ؟

ج : أما الحصور ففيه أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٤) ، ومسلم (حديث ١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٤٦) ، وأبو داود (٤٦٦٢) ، والترمذي (٣٧٧٣) ، والنسائي (الفضائل ٦٣) ، وغيرهم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠١٤) ، وابن سعد في الطبقات (١٦٦/١/٣) .

● الحصور الذي لا يأتي النساء (فهو ما معه إلا مثل الهدبة)[1].

● وقيل : الحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن .

● وقيل : الحصور الممنوع من الفواحش والقاذورات ، فأصل الإحصار المنع .

أما أثر عبد الله بن عمرو بن العاص ففيه : (ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا) ، ثم قرأ سعيد : ﴿ وسيدًا وحصورًا ﴾ ، ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال : الحصور ما كان ذكره مثل ذي ، وأشار يحيى (بن سعيد) القطان بطرف إصبعه السبابة .

وسنده صحيح موقوفًا ، لكن لعل عبد الله بن عمرو تلقاه من الإسرائيليات ، فهو معروف برواية الإسرائيليات . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى في شأن يحيى عليه السلام : ﴿ ونبيًّا من

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب أنه قال : ليس أحد إلا يلقى الله عز وجل يوم القيامة ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا كان حصورًا معه مثل الهدبة (الطبري في التفسير ٦٩٨٢) .

وصح عن عبد الله بن عمرو موقوفًا عليه نحو التفسير المذكور عن ابن المسيب للحصور ، وقد روي عن ابن عمرو عن النبي ﷺ ، ورجح ابن كثير أنه موقوف على ابن عمرو من قوله ، وهذا الذي رجحه ابن كثير رحمه الله هو ما تطمئن إليه نفسي .

وانظر هذه المصادر : (الزهد لأحمد ١١٤١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٨٣) ، وتفسير الطبري عند الآية المذكورة .

الصالحين ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، وقال سليمان عليه السلام : ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل : ١٩] فهل الصلاح أعلى أم النبوة؟

ج : الصلاح أعم من النبوة ، فإذا انضم إلى الصلاح نبوة كان أعلى من الصلاح بلا نبوة ، قال النبي ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « إن عبد الله رجل صالح »[1]، فالصلاح هنا بلا نبوة فهو فضل ؛ ولكنه أقل من الصلاح مع النبوة ولا شك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بُشر زكريا عليه السلام ببشارة طيبة وهي البشارة بيحيى عليه السلام ، فهل من بشارة أخرى بُشر بها زكريا عليه السلام ؟

ج : نعم بشر زكريا عليه السلام ببشارة أخرى ألا وهي إيمان يحيى عليه السلام وعفته ونبوته وصلاحه .

❋ ❋ ❋

س : دعا زكريا عليه السلام ربه عز وجل بقوله : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] فلما بشرته الملائكة بيحيى قال : ﴿ رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ﴾ [آل عمران : ٤٠] فكيف سأل أولًا وكيف تعجب لما أجيب سؤاله ثانيًا ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة منها :

١ – أنه كان بين دعائه والوقت الذي بُشِّر فيه أربعون سنة ، وهذا قول ضعيف يدُل على ضعفه أنه عليه السلام إنما سأل عند الكبر كما في سورة مريم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٠ و ٣٧٤١) ، ومسلم (٢٤٧٨) من حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعًا .

حيث قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ... ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيًّا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب ... ﴾ [مريم : ٢ - ٦] فدل ذلك على أنه دعا ربَّه عز وجل وهو كبير السن .

٢ - الثاني : أنه تعجب من سريع إجابة الله عز وجل لدعائه .

٣ - الثالث : هل يرزق الولد من امرأته هذه ، أم أنه سيتزوج بأخرى ؟

٤ - الرابع : هل سيرد شبابًا مرة ثانية ، أم أنه سيرزق بالولد على هذه الحالة من الكبر ؟

٥ - الخامس : أن زكريا عليه السلام طلب مزيدًا من الحديث للاستمتاع بالحديث ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى الغُلمة وعلى من يطلق الغلام ؟

ج : الغلمة هيَ : شدة طلب النكاح ، ويطلق الغلام على الصغير لهذه الآية ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام ﴾ [آل عمران : ٤٠] ولقول الملائكة : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ [الحجر : ٥٣] .

● ويطلق الغلام على من قارب الاحتلام لقول ابن عباس رضي الله عنهما : (... وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام) .

● ويطلق على الرجل أحيانًا كقول علي الذي رُوي عنه :

أنا الغلام القرشي المؤتمن ... أبو حسينٍ فاعلمن والحسن

وكقول ليلى الأخيلية في الحجاج :

إذا حلَّ الحجاج أرضًا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

❋ ❋ ❋

س : ينبغي أن لا ينقطع رجاء المسلم في الله عز وجل ، بل يواصل المسلم دعاء ربه عز وجل ما دامت الأمور التي يدعو الله بها مشروعة ففرج الله عز وجل قريب ، وعطاؤه سبحانه لا ينتهي ، وضح ذلك ؟

ج : نعم ، وهذا أصل عظيم من أصول الدعاء ألا وهو مواصلة الدعاء وكثرته وعدم اليأس من رحمة الله عز وجل .

● فهذا زكريا عليه السلام وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وبلغ من الكبر عتيًّا ، ومع ذلك كله يقول : ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، ورب العزة سبحانه لا يخيب دعاءه ؛ بل يبشره بغلام اسمه يحيى .

● وهذا يعقوب عليه السلام يؤخذ ولده يوسف قرة عينه ، ويُذهب به إلى غيابة الجب ، ثم يُخرج منها ، ويذهب به إلى بيت العزيز حتى يشب ويترعرع ويبلغ أشده ، كل ذلك وهو بعيد عن أبيه ولا يعلم عنه أبوه شيئًا ولا يعرف له طريقًا ، ثم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ، ثم يدخل السجن فيلبث فيه بضع سنين ، ثم يُخرج من السجن ويبقى على خزائن الأرض حفيظًا عليمًا ، ثم يأتي إخوانه من مصر إليه ، ومع ذلك كله يقول يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف: ٨٧] فيرد الله عز وجل إليه ولده بعد طول غياب ، وعقب طول سنين .

● وهذا نبي الله أيوب عليه السلام يلبث به بلاؤه ثمانية عشر سنة

حتى يرفضه القريب والبعيد فيدعو ربه وهو يعلم أن الله عز وجل يجيب السائلين ، فيقول عليه السلام : ﴿ ... أني مسني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] فيستجيب الله عز وجل له ، ويكشف ما به من ضرٍّ ويؤتيه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله سبحانه وذكرى للعابدين[١] .

● وهذا نوحٌ عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ؛ صابرًا على تكذيب قومه له وأذاهم إياه ، ومع ذلك كله لا ييأس من استجابة الله لدعائه فيقول : ﴿ أني مغلوب فانتصر ﴾ [القمر : ١٠] فيفتح الله السماء بماءٍ منهمر ، وتُفجر الأرض عيونًا فيلتقي الماء على أمر قد قدر ، وينجيه الله بحمله على ذات ألواح ودسر ، وغير هذا كثير .

وقد قال رسول الله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي »[٢] .

● وقد كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء ويواصل .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قول زكريا عليه السلام ﴿ رب اجعل لي آية ﴾ [آل عمران : ٤١] ؟

ج : معناه – والله أعلم – رب اجعل لي علامة أستدل بها على أن امرأتي حملت .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية التي كانت لزكريا عليه السلام علامةً على حمل امرأته بيحيى عليه السلام ؟

ج : الآية التي جعلها الله عز وجل علامة لزكريا عليه السلام على أن

---

(١) صحيح وقد تقدمت الإشارة إليه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٥١) ، والبخاري (في الدعوات باب ٢٢) .

امرأته حملت بيحيى هي أنه – عند حمل امرأته بيحيى – سيُمنع (أي : زكريا) من تكليم الناس (أي : لا يستطيع أن يكلمهم) وهو صحيح غير مريض ، وذلك لمدة ثلاثة أيام (إلا رمزًا) أي : إلا إشارةً .

● وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك سيكون سببه أن مرضًا سيدخل عليه بمنعه من الكلام هذه المدة ، وهذا قول ضعيف ؛ لقول الله تعالى : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] أي : وأنت صحيح ، فالصواب أن المنع من الكلام يكون قهرًا . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء ذكر أن امتناع زكريا عليه السلام من الكلام عقوبة له على ما طلب من الآيات بعد تبشير الملائكة له ، اذكر قائل هذا القول ومقولته ؟

ج : ذكر ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله ، فقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] : فعاقبه الله فيما ذكر لنا – بمسألته الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة ، فجعل آيته على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله آية من نفسه ، جمع – تعالى ذكره – بها العلامة التي سأل ربه على ما يبين له حقيقة البشارة أنها من عند الله ، وتمحيصًا له من هفوته وخطأ قيله ومسألته .

ثم ذكر الطبري[1] رحمه الله بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال : إنما عوقب بذلك ، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى ، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه فأُخذ عليه لسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار ، فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون : ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة

---

(١) أخرجه الطبري (٧٠٠٥) .

أيام إلا رمزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرمز في قوله تعالى : ﴿ إلا رمزًا ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : أما (الرمز) فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانًا ، وذلك غير كثير فيهم ، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت .

ونقل أيضًا عن بعض العلماء أن المراد بالرمز : عموم الإيماء والإشارة .

❋ ❋ ❋

س : رجل نذر أن يصمت ولا يتكلم هل يمضي له نذره ؟ وهل عليه كفارة إذا لم يمضه ؟

ج : من نذر أن يصمت ولا يتكلم لا يمضي نذره ، ولا كفارة عليه ، وذلك لأن النبي ﷺ رأى رجلًا واقفًا في الشمس لا يستظل ولا يتكلم ولا يأكل فقال : « من هذا ؟ » قالوا : هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يجلس ولا يُفطر ولا يستظل ، فقال : « مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه ، إن الله عز وجل غني عن تعذيب هذا نفسه »[1]، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبي ﷺ : « مُره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » .

س : اذكر طرفًا من أهمية ذكر الله عز وجل وفضله ؟

ج : لذكر الله عز وجل أهمية كبرى وفوائد عظمى ، ولا يكاد يُرخص لأحد في تركه ، إما بالقلب أو باللسان ، ولو رخص لأحد في تركه لرخص لزكريا عليه السلام (لما مُنع من الكلام) ولكن الله عز وجل قال له : ﴿ واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ [آل عمران : ٤١] .

● وكذلك لو رخص لأحدٍ في تركه لرخص للرجل يكون في الحرب ، ولكن الله عز وجل قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

● وقد كان عليه السلام يذكر الله على كل أحيانه[1]، وأولواْ الألباب يذكرون الله عز وجل قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم .

● وقد طلب موسى عليه السلام من ربه عز وجل أن يؤيده بهارون عليه السلام معللًا ذلك بقوله : ﴿ كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا ﴾ [طه : ٣٣ - ٣٥] .

● وأمر الله سبحانه بكثرة الذكر فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

● وقال عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨/٤ مع النووي) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

● وقال عز وجل : ﴿ والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥].

وجعل الله عز وجل طمأنينة القلب في ذكره عز وجل ، فقال : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

● وبيَّن النبي ﷺ أن أهل الذكر هم السابقون ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سبق المفرِّدون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ، قال : « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات »[1] .

● وبين عليه الصلاة والسلام أن رطوبة اللسان تتأتى بذكر الله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: « لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل »[2] .

● وأهل الذكر يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه »[3] .

● ومجالس الذكر تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتتنزل عليها السكينة

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٣) ، وأحمد (١٨٨/٤) ، والترمذي (٣١٤/٩ مع التحفة) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣١٧) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (١٢٠/٧) ، والبخاري (مع الفتح ١٤٢/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ويذكر الله عز وجل أهلها فيمن عنده ، ويغفر الله عز وجل لهم[1] .

● ومن جالس الذاكرين غُفر له معهم وإن كان من الخطائين[2] .

● وبالذكر تغفر الذنوب وتحط الخطايا ، وترفع الدرجات وتقال العثرات ويُملأ الميزان ، ويُملأ ما بين السموات والأرض ، ويثقل الميزان ، وتُدخر الكنوز في الجنان ، وتخنس الشياطين ، ويرد كيد السحرة والحاسدين ، وتُوسع الأرزاق ، وتدفع البليات ، ويذكر اللَّهُ عز وجل العبد ويُحلله رضوانه ، ويسكنه فسيح جنانه .

❋ ❋ ❋

س : هل من الممكن أن تخاطب الملائكة بني آدم ؟

ج : نعم ، هذا من الممكن ولا إشكال في إمكانية وقوعه ، بل قد وقع .

● فها هي الملائكة تنادي زكريا وهو قائم يُصلي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى .

● وكذلك مخاطبات جبريل لرسول الله ﷺ التي لا تكاد تحصى .

● وسؤاله له عن الإسلام والإيمان والإحسان بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ[3] ، وقول جبريل لرسول الله ﷺ : ما تعدون أهل بدر فيكم ...[4] الحديث ، وقول رسول الله ﷺ لعائشة : « يا عائش هذا جبريل يقرؤك السلام » قالت : وعليه السلام ورحمة الله ترى ما لا نرى

---

(١) انظر صحيح مسلم (مع النووي ١٧/٢٢) .

(٢) ففي الصحيحين : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه مرفوعًا .

يا رسول الله ؟!!![1] .

● ودخلت الملائكة على لوط وعلى إبراهيم عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ [الذاريات : ٢٤] .

● وهذه الأحداث لا تحصى .

● وغير الأنبياء كذلك ، فعمران بن حصين رضي الله عنه كانت الملائكة تُسلِّم عليه[2] .

● وفي قصة الأقرع والأبرص والأعمى جاءهم الملك ليبتليهم[3] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نوحيه ﴾ [آل عمران : ٤٤] ؟

ج : تكلم الطبري على ذلك كلامًا جيدًا فقال : وأما قوله : ﴿ نوحيه إليك ﴾ فإن تأويله : ننزله إليك .

وأصل الإيحاء : إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء وبإلهام ورسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى ألقى ذلك إليها فألهمها ، وكما قال : ﴿ وإذ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ، ومسلم (٢٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٨/٢٠٦) من طريق مطرف قال: بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه ، فقال : إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي ، فإن عشتُ فاكتم عني ، وإن مت فحدِّث بها إن شئت : إنه قد سُلِّم عليَّ ، واعلم أن نبي الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة ، ثم لم ينزل فيها كتاب الله ، ولم ينه عنها نبي الله ﷺ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء .

(٣) صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

أوحيت إلى الحواريين ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى ألقيت إليهم علم ذلك إلهامًا ، كما قال الراجز :

أوحى لها القرار فاستقرَّتِ

بمعنى ألقى إليها ذلك أمرًا ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًّا ﴾ [مريم : ١١] بمعنى فألقى ذلك إليهم إيماءً ، والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾ [الأنعام : ١٢١] يلقون إليهم ذلك وسوسةً ، وقوله : ﴿ وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩] ألقي إليَّ بمجيء جبريل عليه السلام به إليَّ من الله عز وجل .

وأما (الوحي) فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَى إليه ، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب (وحيًا) لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير :

أتى العجم والآفاق منه قصائد بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم

يعني به الكتاب الثابت في الحجر ، وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب (وحي) بغير ألف ، ومنه قول رؤبة :

كأنه بعد رياح تدهمه ومرثعنات الدجون تثمة
إنجيلُ أحبارٍ وحيُ منمنمة

❋ ❋ ❋

س : قول الملائكة : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [آل عمران: ٤٢] هنا اصطفاءان وتطهير وضح المراد بهما ؟

ج : أما الاصطفاء الأول : فالاصطفاء هو الاختيار ، فقال بعض أهل

العلم : إن المراد منه أن الله عز وجل اختارها من بين نساء زمانها لخدمة المسجد والبقاء في المحراب – ولم يكن هذا يحدث لنساء زمانها – فساعدها ذلك على كثرة العبادة والتفرغ لها ، وزادها ذلك شرفًا ورفعة ، ثم إن الله تبارك وتعالى رزقها من ذكره وشكره وحسن عبادته – سبحانه وتعالى – ما لم يرزق نساء زمانها ، وهذا من عظيم فضل الله سبحانه وتعالى .

وأيضًا كملها الله سبحانه وتعالى ، فقد قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و ... » الحديث .

● أما التطهير ، فالمراد به – والله أعلم – تطهير من الشرك والأدناس والذنوب والمعاصي والأغلال والأحقاد ونحو ذلك .

● أما من قال : إنه تطهير من الحيض والنفاس فقوله ضعيف ، فالحيض كتبه الله على بنات آدم ، ومريم داخلة فيهن .

● وكذلك قول من قال : إنه تطهير من مسيس الرجال ومن المحيض والنفاس ، فمريم عليها السلام لم يمسها رجل فيما علمنا ، لكن هل يقال على من تزوجت ومسها زوجها إنها غير مطهرة ؟!!! كلا ، فأزواج النبي ﷺ قال الله عز وجل في شأنهن : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

وكذلك فاطمة رضي الله عنها من سيدات نساء أهل الجنة ، ومع ذلك تزوجها علي رضي الله عنه ووضعت له أولادًا .

ثم لم يرد لنا دليل عن المعصوم ﷺ يُفيد أن مريم لم تحض ولم تنفس ، والله تعالى أعلم .

● أما الاصطفاء الأخير فمعناه – والله أعلم – التفضيل ، والمراد أن مريم عليها السلام فضلها الله على نساء العالمين ، وجعلها إحدى سيدات أهل الجنة ، واصطفاها الله سبحانه لولادة عيسى عليه السلام ،

وجعلها وابنها آية للعالمين .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز لامرأة أن تَقم[1] المسجد وأن تبيت فيه (في شريعتنا) ؟

ج : نعم يجوز لامرأة أن تَقُمَّ المسجد ، وأن تبيت فيه في شريعتنا ، ومحل ذلك إذا أُمنت الفتنة ، والدليل على ذلك أنه كانت هناك امرأة سوداء تقم المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، وكان لها حفش في المسجد تمكث فيه[2] .

❋ ❋ ❋

س : أيهما أفضل للمرأة صلاتها في المسجد أم صلاتها في البيت ؟

ج : صلاة المرأة في بيتها أفضل لقول النبي ﷺ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »[3]، ولقوله عليه الصلاة السلام : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان »[4]، ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقرن

---

(١) أي : تجمع القمامة منه .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨) ، ومسلم (٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أسود – أو امرأة سوداء – كان يقم المسجد فمات ... الحديث .

● وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (٤٣٩) أن وليدة كانت سوداء لحيٍّ من العرب فأعتقوها ... الحديث ، وفيه فكان لها خباءٌ في المسجد (أو حِفْشٌ) ... الحديث .

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٥٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة (انظرها في كتابنا جامع أحكام النساء قسم الصلاة) .

(٤) رجاله ثقات، وقد أخرجه أبو داود (١١٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٥/٣)، والطبراني في الكبير (١٠١١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا. =

في بيوتكن ﴾ [الأحزاب : ٣٣]، ولكن إذا كان بالمسجد دروس علم تتفقه المرأة فيها في دينها ، فيستحب لها ذلك – عند أمن الفتنة – وذلك لقول الله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١]، ولقوله سبحانه : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] .

ولقول النبي ﷺ : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[١].

ولغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد الفقرة الأخيرة في هذا الحديث : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه لزوج في ذات يده » ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط[٢]. واذكر مزيدًا من فضل مريم عليها السلام ؟

ج : إيراد هذه الفقرة يُفيد أن صالح نساء قريش لم يُفضلن على مريم عليها السلام ، فهن قد فُضِّلن على من ركبن الإبل ، ومريم عليها السلام لم تركب الإبل ، والله تعالى أعلم .

أما بالنسبة لفضل مريم عليها السلام ، ففضلًا عما ذكر من أن الله عز وجل اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، فإن الله عز وجل جعلها

= وفي بعض الطرق : « وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها » .
ولمزيد بحث حوله انظر رسالتي : (الحجاب أدلة الموجبين وشبه المخالفين) .

(١) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/١٢٥) ، ومسلم (٥/٣٨٧) ، والفقرة الأخيرة من قول أبي هريرة رضي الله عنه .

صدِّيقة ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، وكملها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها إحدى سيدات نساء أهل الجنة[1]، ولم يرد في كتاب الله عز وجل ذِكر امرأةٍ باسمها كما ذكرت مريم عليها السلام ، وأحصنت فرجها وتمثل لها روح القدس بشرًا سويًّا ، وكلمها وكلمته ونفخ فيها ، ووهب لها غلامًا زكيًّا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ؛ ورجح بعض أهل العلم أنها نبية[2]- وإن كان في المسألة نزاع[3]- وذلك الترجيح منهم ، لأن الله عز وجل أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ ... واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [آل عمران : ٤٢] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المراد بالعالمين : العالمين كلهم إلى يوم القيامة[4] واستدل هذا القائل - إضافة إلى ما ذكر في فضل مريم - بحديث خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ .

ثم استدل بما رواه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية »[5].

---

(١) وقد رأى بعض العلماء أنها سيدة نساء أهل الجنة على الإطلاق .

(٢) رجح ذلك القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ، وسيأتي لذلك مزيدٌ في بابه إن شاء الله عز وجل .

(٣) وقد قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم ﴾ [الأنبياء: ٧] .

(٤) ممن اختار هذا القول القرطبي رحمه الله تعالى .

(٥) لم أقف عليه بلفظ ثم ، ولكن هناك طرق عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ : =

وآخرون من أهل العلم يرون أنها مفضلة على عالمي زمانها فقط ، ولا يمتد هذا التفضيل إلى فاطمة وخديجة رضي الله عنهما ، وذلك لما ورد من أحاديث عامة في فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم ، ثم من أحاديث خاصة في كون فاطمة سيدة نساء العالمين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كلما أنعم الله عز وجل بمزيد من النعم لزمه مزيدٌ من الشكر وضح ذلك ؟

ج : نعم كلما ازدادت النعم وتوالت لزم مزيد من الشكر ، وهاك الأدلة على ذلك :

● لما أنعم الله عز وجل على موسى عليه السلام باصطفائه على الناس برسالاته وبكلامه أمره الله عز وجل بمزيد من الشكر . قال الله سبحانه : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤]، وقال سبحانه : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ [الأعراف : ١٤٥] .

● ولما أنعم الله عز وجل على مريم عليها السلام بالاصطفاء والتطهير ، والاصطفاء أمرها بالقنوت والسجود والركوع ، قال تعالى : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

= « خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهم السلام » انظر الطبراني (٢٢/٤٠٢) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٢٢٢) ، وابن جرير (٣/١٨٠) ، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/٧٥٨ ، ٧٦٠) ، والحاكم (٣/١٥٧ - ١٥٨) .

● ولما منَّ الله سبحانه على نبينا محمد ﷺ بالرسالة وجاءه الوحي ، قال الله عز وجل له : ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلًا نصفه أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلًا إن لك في النهار سبحًا طويلًا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٨] .

● وكان عليه الصلاة والسلام يقوم حتى ترم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● ولما منَّ الله سبحانه على أزواج نبيه محمد ﷺ بالزواج منه عليه الصلاة والسلام قال الله سبحانه وتعالى لهن : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا ، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ - ٣١] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● ولما منَّ الله سبحانه على يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وآتاه الله الحكم صبيًّا قال الله له : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

● ولما حفظ الله المؤمنين من أهل الكفر وكف أيديهم عنهم قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قدم السجود على الركوع في قوله تعالى : ﴿ واسجدي واركعي مع الركعين ﴾ [آل عمران : ٤٣] ؟

ج : لا يؤثر هنا تقديم السجود على الركوع ، فإن الواو في قوله تعالى :

﴿ واركعي ﴾ لا تفيد الترتيب ، فمثلًا إذا قلت : جاء زيد وعمرو لا يستفاد منه أن زيدًا جاء أولًا ثم جاء عمرو ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور : ٢٧] ، والسلام (سلام الاستئذان) يكون قبل الاستئناس (الذي هو داخل البيت) .

● ولبعض العلماء وجهة أخرى في تقديم السجود على الركوع ، فيقول ما حاصله : إن الخطاب هنا لمريم عليها السلام ، ومريم عليها السلام امرأة، وصلاة المرأة في بيتها أقرب إلى ربها من صلاتها في المسجد، فقوله تعالى : ﴿ اسجدي ﴾ مع قول النبي ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »[1] يجعلنا (على حد قولهم) نحمل اسجدي على الصلاة في البيت .

أما ﴿ اركعي مع الراكعين﴾ أي : اشهدي صلاة الجماعة مع المصلين ، وإن كان جائزًا لها أن تصلي الجماعة مع الرجال خلف صفوفهم ؛ إلا أنه في الفضل دون الصلاة في البيت ، فقدم السجود على الركوع لهذا المعنى عندهم ، والله تعالى أعلم[2].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾[3] [آل عمران : ٤٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنك ما كنت حاضرًا يا محمد عندما اختصم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) لكن الذي يظهر لي – والعلم عند الله تبارك وتعالى – أن معنى ﴿اركعي مع الراكعين ﴾أي : افعلي فعلهم من كونهم مصلين راكعين ، ولا يستلزم ذلك المشاركة في صلاة الجماعة معهم ، والله أعلم .

(٣) أخرج الطبري (٧٠٥٥) بإسناد حسن إلى قتادة قوله : ﴿ وما كنت لديهم =

القوم في تربية مريم عليها السلام وكفالتها ، فقد تنازع القوم كلٌّ يريد أن يكفلها ، واختصموا في ذلك ، فاتجهوا إلى القرعة فيما بينهم ، فألقوا أقلامهم في اليم . قال بعض العلماء : ألقوا جميعًا الأقلام في الماء ، فمن ثبت قلمه كفلها ، ومن جرى قلمه مع الماء الجاري لم يكفلها ، فجرت أقلامهم جميعًا وثبت قلم زكريا عليه السلام ، فكفلها زكريا عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز القرعة في المشكلات ؟ اذكر جملة أدلة على ذلك ؟ ومتى تكون هذا القرعة ؟

ج : القرعة في المشكلات جائزة ، وقد فعلها ثلاثة أنبياء (يونس وزكريا ومحمد عليهم الصلاة والسلام) ، أما الأدلة على ذلك فمنها :

١ – قول الله تبارك وتعالى: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [الصافات : ١٤١].

٢ – قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

٣ – كون النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه[(١)].

٤ – قول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها... » الحديث[(٢)].

= إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاح عليها بنو إسرائيل ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ؟ فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ﴿ فكفلها زكريا ﴾ يقول : ضمها إليه .

(١) صحيح ، وهو موجود في ثنايا حديث الإفك ، وأُشير إلى تخريجه في هذا الكتاب .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

٥ – قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما في النداء والصف الأول لاستهمتم عليه »[١].

٦ – ولما هاجر المسلمون إلى المدينة اقترعت الأنصار سكنى المهاجرين فطار سهم عثمان بن مظعون لأم العلاء[٢].

٧ – وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ عرض على قومٍ اليمين فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم في اليمين أيهم يحلف[٣].

● أما متى تكون فهي كما قال القرطبي رحمه الله : سنة عند جمهور الفقهاء في المستويين في الحجة ليعدل بينهم ، وتطمئن قلوبهم وترتفع الظُّنة عمن يتولى قسمتهم ، ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعًا للكتاب والسنَّة .

وقال القرطبي أيضًا : ... قال ابن العربي : القرعة إنما فائدتها استخراج الحكم الخفي عند التشاح ، فأما ما يخرجه التراضي فيه فباب آخر ، ولا يصح لأحد أن يقول : إن القرعة تجري مع موضع التراضي ، فإنها لا تكون أبدًا مع التراضي ، وإنما تكون فيما يتشاح الناس فيه ويُضَنُّ به .

قال القرطبي رحمه الله : وصفة القرعة عند الشافعي ومن قال بها : أن تُقطع رقاع صغار مستوية ، فيكتب في كل رقعة اسم ذي السهم ، ثم تجعل في بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها ، ثم تجفف قليلًا ، ثم تلقى في ثوب

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩٦/٢) ، ومسلم (مع النووي ١٥٧/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٧) من حديث أم العلاء رضي الله عنها .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به .

رجل لم يحضر ذلك ويغطي عليها ثوبه ، ثم يدخل ويخرج ، فإذا أخرج اسم رجل أُعطي الجزء الذي أقرع عليه .

قلت : (القائل مصطفى) : وهذه صورة لا دليل عليها ، وغاية ما فيها أنها جائزة ، وغيرها – أيضًا – جائز ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لقب عيسى عليه السلام بالمسيح ؟ ولماذا لقب الدجال بالمسيح ؟

ج : أما لماذا لُقب عيسى عليه السلام بالمسيح[1]، فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

الأول : لأنه كان يمسح الأبرص والأعمى والأكمه فيبرىء كلًّا منهم بإذن الله .

الثاني : لأن عليه مسحة جمال .

الثالث : لأنه كان ممسوح القدمين مِن أسفل .

الرابع : لأنه مسح من الذنوب .

الخامس : لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يستكن بها .

السادس : لكثرة سياحته في الأرض .

● وبعض هذه الأقوال ضعيفٌ لديَّ ، إذ لو كان سمي المسيح لجماله لأطلق ذلك على يوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الحسن ، أما القول بأنه كان ممسوح القدمين ، فلا دليل عليه ، ثم هو مخالف لما في قوله تعالى : ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، فقد وصفه الله عز وجل

---

(١) وقال البعض : إن المسيح أصله مشيحًا فعرِّب كما عُرِّب موشى بموسى ، والله أعلم .

بالوجاهة[1] في الدنيا والآخرة .

والذي يظهر لي أن وجه الصواب في ذلك يعلمه الله ، والله سبحانه هو الذي لقبه بالمسيح وسماه بعيسى قبل أن يولد ، قالت الملائكة : ﴿ يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم .... ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، والله تعالى أعلم .

● أما إطلاق المسيح (بالحاء المهملة) على الدجال ، فقد قال بعض أهل العلم : (لأن ممسوخ العين اليمنى كأنها عنبة طافية) ، وقال آخرون : لأنه سيمسخ الأرض (أي يجوبها جميعًا) إلا مكة والمدينة كما في الحديث : « ما من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ... »[2] الحديث .

❋ ❋ ❋

س : عيسى عليه السلام اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، ونبينا محمد ﷺ اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وأبو بكر رضي الله عنه اسمه عبد الله بن عثمان ، وعمر رضي الله عنه اسمه عمر بن الخطاب ، وعثمان رضي الله عنه اسمه عثمان بن عفان ، وعلي رضي الله عنه اسمه علي بن أبي طالب ، وعائشة زوج رسول الله ﷺ هي عائشة بنت أبي بكر ، وزينب زوج رسول الله ﷺ هي زينب بنت جحش ، في هذا كله تنبيه

---

(١) والوجاهة كما أنها تطلق على القوة والمنعة وعلى الشرف والجاه تطلق على حسن الجسم والخلق أيضًا ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] ، ومن صور إيذاء بني إسرائيل لموسى أنهم كانوا يقولون عنه : إنه آدر فبرأه الله من ذلك – كما سيأتي في بابه إن شاء الله – ووصفه بالوجاهة . والله أعلم .

(٢) صحيح ، وانظره في كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن وأعلام وأشراط الساعة ، وقد أخرجه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

علىٰ سنة في الأسماء فاتت قومنا في بلادنا مصر وفي غيرها وتركها الناس بيِّن هذه السنة ؟

ج : هذه السنة هي حذف كلمة ابن بين الولد وأبيه ، فلا يكون سائغًا أن يقال : إن اسم رسول الله ﷺ « محمد عبد الله عبد المطلب »، ولا يستساغ أن يقال : عائشة أبو بكر ، ولا زينب جحش ، ولا عثمان عفان ، ولا عمر الخطاب ، ولا علي أبو طالب، ولا عيسى مريم ، وكذلك لا يستساغ أن يقال : أحمد حنبل ، ولا مالك أنس .

فاتضح أن السنة إثبات لفظة (ابن) بين الولد وأبيه .

والذي حذفها في الأصل هم الكفار ، ثم قلدهم المسلمون في ذلك ، ألا ترى أن أسماء الكفار نابليون بونابرت ، بيل كلينتون ، جيمي كارتر ، شارل ديجول ، ونحو ذلك ! وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .. »[1]. والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة الوجاهة التي نالها عيسى عليه السلام في الدنيا والآخرة ؟

ج : أما وجاهته في الدنيا عند الله سبحانه وتعالى فبما اجتباه به ربه من النبوة والرسالة والإنجيل الذي أنزله عليه ، وأيضًا عند الناس بما أجرى الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ، ومسلم (٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » .

على يديه من شفاء الأسقام (الأكمه والأعمى والأبرص) وإحياء الموتى بإذن الله وكونه مباركًا أينما كان عليه الصلاة والسلام .

● أما وجاهته في الآخرة فمنها : علو منزلته في الآخرة ؛ لأنه من أولي العزم من الرسل وشفاعته فيمن يشفعه الله فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر عددًا ممن تكلموا في المهد ؟

ج : الذي تحصل لنا بالأدلة الصحيحة أن الذين تكلموا في المهد هم :

١ - عيسى عليه الصلاة والسلام[1] .

٢ - غلام جريج[2] .

---

(١) قال الله سبحانه : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًّا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًّا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا ، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا ﴾ [مريم : ٢٧ - ٣٣] .

(٢) أخرج البخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (ص١٩٧٦ - ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجلٌ يُقال له : جريج كان يُصلي فجاءته أمه فدعته فقال : أُجيبها أو أُصلي فقالت : اللهم لا تُمته حتى تُريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته(❋) فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت : من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال: الراعي، قالوا : نبني صومعتك من ذهب ؟ =

(❋) في رواية فقالت : لأفتنن جريجًا ، وفي رواية مسلم : « وكانت بغيٌّ » يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم ، فتعرضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج ... » الحديث .

٣ - غلام أصحاب الأخدود[1].

٤ - ابن ماشطة فرعون[2].

= قال : لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنًا لها - من بني إسرائيل - فمر رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله ... » الحديث .

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر .. » فذكر الحديث ، وفيه « .. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ، أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أُمه اصبري فإنك على الحق » .

وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٣٤٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في التفسير (٨٥/٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٩/١) من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدري من يديها فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله ، قالت : أخبره بذلك ؟ قالت : نعم فأخبرته فدعاها فقال : يا فلانة وإن لك ربًّا غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها ، قالت له : إن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحدٍ وتدفنا ، قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضَع ، وكأنها تقاعست من أجله ، قال : يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت .

وهذا الراجح عندي فيه أنه صحيح ، وإن كان بعض أهل العلم تكلم في سماع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب ، وأنه بعد الاختلاط إلا أن جمهور المحدثين على أنه روى عنه قبل الاختلاط ، وإن ذكر البعض أنه روى عنه بعد الاختلاط أيضًا ، =

٥ - الطفل الذي كانت ترضعه أمه فرأت جبارًا فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك ثديها ، وقال : اللهم لا تجعلني مثله ... الحديث[1].

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس (نُصب) رسولًا في قوله تعالى : ﴿ ورسولًا إلى بني إسرائيل ﴾ [آل عمران : ٤٩] ؟

ج : نُصب على أنه مفعول والفعل محذوف والتقدير : ونجعله رسولًا إلى بني إسرائيل ، كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدًا سيفًا ورمحًا

❋ ❋ ❋

= لكن يفهم من كلامهم أن جُل روايته عنه قبل الاختلاط ، فضلًا عن هذا فإن الحديث مصحوب بقصة ، وقد ذكر البعض أن الحديث إذا كان مصحوبًا بقصةٍ دل ذلك على ثبوته وخاصة إذا كان فيه ما يشعر بالرفع كحالنا هذا ، ففيه : « مررت ليلة أسري بي .. » فضلًا عن هذا فلبعض فقرات الحديث شاهد بإسناد ضعيف عند ابن ماجه من طريق سعيد بن بشير (وهو ضعيف) عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ببعض معناه ، فالحديث يصح . والله أعلم .

هذا ، وفي آخر الحديث عند أحمد موقوفًا على ابن عباس أنه قال : (تكلم في المهد أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون) ، وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) صحيح ، وتقدم في ثنايا حديث غلام جريج .

أما على سبيل الحصر (بما في ذلك من ضعيف وصحيح) فقد أوصلوا الذين تكلموا في المهد إلى أحد عشر ، نظمهم السيوطي في قوله :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومُبري جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مُر بالأمة التي يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم

س : كيف تجمع بين حديث رسول الله ﷺ : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة »[1] وبين قولكم : إنه صح لديكم أن الذين تكلموا في المهد أكثر من ذلك ؟

ج : الجواب أن النبي ﷺ أُخبر بما كان في علمه ، ثم بعد ذلك أعلمه الله عز وجل بآخرين قد تكلموا في المهد أيضًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كل[2] الناس يتكلمون في كهولتهم فما هو وجه الإعجاز في تكليم عيسى عليه السلام للناس في كهولته ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ – أنه عليه السلام كما أنه كان معجزة في تكليمه للناس في المهد ، فإنه سيكلمهم بالوحي والنبوة في كهولته ، وهذا وجه إعجاز أيضًا .

٢ – أنه عليه الصلاة والسلام كان طفلًا وسيكون شابًّا ، ثم كهلًا ففي هذا دليل على أنه يسري عليه ما يسري على البشر ، كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة ﴾ ، [الروم : ٥٤] وعلى ذلك فلا يكون عيسى ربًّا بحال من

---

(١) صحيح ، وقد تقدم قريبًا .

(٢) أحيانًا تأتي كلمة (كل) وتفيد العموم ، وأحيانًا تأتي وتفيد التغليب .
أما كونها تأتي وتفيد التغليب فكما في قوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ، وكقوله تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣] ، وكقول عائشة رضي الله عنها : (كان النبي ﷺ يصوم شعبان كله) أخرجه البخاري (١٩٧٠) ففي بعض الروايات : (وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان) . أخرجه البخاري (١٩٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها . والله تعالى أعلم .

الأحوال ، ففي الآية رد على النصارى إذن .

٣ – أنه سيعيش حتى يكون كهلًا ، وفي هذا أيضًا إعجاز لكونه إخبارًا بالغيب وتبشيرًا لأمه بأنه سيعيش حتى الكهولة عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بقول مريم عليها السلام : (رب) في قوله تعالى : ﴿ رب أنى يكون لي ولد ﴾ [آل عمران : ٤٧] ؟

ج : لأهل العلم قولان في المراد بقولها : (رب) :

الأول : أن معناه سيدي والمراد الملك عليه السلام .

الثاني : أن المراد الرب سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : القضاء قضاءان قضاء كوني قدري ، وقضاء ديني شرعي ، بيِّن مثالًا لكلٍّ ، ومن أي القضاءين قوله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٤٧] ؟

ج : أما مثال القضاء الكوني القدري فقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا ﴾ [الإسراء : ٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ [الحجر : ٦٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] .

أما القضاء الشرعي الديني : فكقوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

● أما قوله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن

فيكون ﴾ [آل عمزان : ٤٧] فمن القضاء الكوني القدري . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [آل عمران : ٤٨] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالكتاب الكتابة والخط ، ورُوي عن بعض أهل العلم أن عيسى عليه السلام كان أحسن الناس خطًّا ، وقال آخرون : المراد بالكتاب جنس الكتب الإلٰهية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : امتن الله عز وجل على عيسى عليه السلام بتعليمه التوراة والإنجيل ، وجاء في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه عليه السلام لما رأى في يد عمر بن الخطاب التوراة ، فقال : « مهلًا يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، فكيف تجمع بين الآية والأثر ؟

ج : أولًا : قد تكلم بعض أهل العلم في صحة الحديث .

ثانيًا : في حالة صحته فالجمع ممكن بأن يقال : إن عيسى عليه الصلاة والسلام معصوم ، أو يقال بأن القرآن الكريم ناسخ لما قبله ومهيمن على الكتب التي قبله ، أو يقال : إنه لا بأس لمن جمع بين القرآن وسائر الكتب ، لكن من لم يجمع القرآن ويفقهه وتحول إلى بعض الكتب ، فهذا يتنزل في حقه المنع .

● أو يقال : إن المنع من قراءة الكتب المتقدمة إنما هو لما اعتراها من

تحريف وتبديل ولما شابها من اختلاقٍ لتحليل وتحريم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل صح شيء عن النبي ﷺ في أن المراد بقول عيسى عليه السلام : ﴿ ... أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .. ﴾ [آل عمران : ٤٩] أن الطير هو الخفاش ؟

ج : لم أقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد أن الطير الذي كان يخلقه عيسى هو الخفاش ، وإنما قال ذلك بعض أهل العلم ولعلهم تلقوه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، كما قال النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »[1]، بيد أن الطير أعم من الخفاش ، والتفسير بعموم الطير أولى ، والله أعلم .

وقد ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل طلبوا من عيسى خلق الخفاش لما فيه من عجيب الخلق ، لأنه – كما ذكروا – لحم ودم يطير بغير ريش ! ويلد كما يلد الحيوان ! ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن ، ولا يبصر في ضوء النهار ، ولا في ظلمة الليل ، وإنما يرى في ساعتين ، بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًّا ، ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض ويطهر كما تحيض المرأة وتطهر ، وله ناب وأسنان وأذن والأنثى منه لها ثدي .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية قريبة المعنى من قوله تعالى : ﴿ .. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ... ﴾ [آل عمران: ٤٩]؟ وما معنى الآية الكريمة ؟

ج : الآية المماثلة لها هي : قول يوسف عليه السلام : ﴿ لا يأتيكما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ [يوسف : ٣٧] ، والله تعالى أعلم .

أما معنى الآية الكريمة : فقال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون ﴾ فإنه يعني : وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه ، و ﴿ ما تدخرون ﴾ يعني بذلك : وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه .

ونقل عن بعض العلماء قولهم[1]: ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها .

❋ ❋ ❋

س : أعطى الله عز وجل بعض الأنبياء معجزات من جنس ما برع فيه أهل زمانهم ، وضح ذلك ؟

ج : توضيح ذلك أن قوم موسى عليه السلام لما تفوقوا في السحر أيد الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بالعصا التي تحولت إلى حية تسعى ، وأيده الله بأنه عليه السلام أُمر بإدخال يده في جيبه فإذا هي تخرج بيضاء من غير سوءٍ .

● وكذلك قوم عيسى عليه السلام لما كانوا متفوقين في الطب أيد الله عز وجل نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ،

---

(١) أخرج ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ فكأن القوم لما سألوا المائدة ، فكانت خِوانًا ينزل عليه أينما كانوا : ثمرًا من ثمار الجنة ، فأمر القوم أن لا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدخروا لغدٍ بلاءً ابتلاهم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئًا أنبأهم به عيسى ابن مريم فقال : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ . (الطبري ٧١٠٩) .

والأبرص ، ونحو ذلك .

● وكذلك أهل مكة لما برعوا في البلاغة والشعر أيد الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ بالقرآن وتحداهم الله عز وجل أن يأتوا بسورة من مثله ، بل بآية من مثله . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كل الأمور تحدث بإذن الله ، وهذا بديهي مقرر يعلمه كل مسلم ، فما فائدة التقييد في قول عيسى عليه السلام : ﴿ فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ... ﴾ [آل عمران : ٤٩] والآية قبلها ؟

ج : التقييد هنا لدفع توهم النصارى الذين يزعمون أن عيسى عليه السلام إلٰه لقوله : ﴿ و ... وأحيي الموتى ﴾ .

❋ ❋ ❋

س : اذكر دليلين على أن عيسى عليه السلام بُعث إلى قومه خاصة ؟

ج : أما الدليل الأول فهو من الكتاب العزيز :

قال عيسى عليه السلام : ﴿ ورسولًا إلى بني إسرائيل ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

أما الدليل الثاني فهو من السنة المطهرة :

قال النبي ﷺ : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح (وهو في الصحيحين) ، وقد تقدم .

س : ما هو الذي حرِّم على بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرِّم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] ، وما المراد بتحليله لهم ؟

ج : هنا قولان للعلماء :

أولهما : أن الذي حرِّم عليهم هو الذي حرَّمه الله عليهم بذنوبهم التي ارتكبوها ومعاصيهم التي اقترفوها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] .

وكما ورد في قوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا ﴾ [النساء : ١٦٠و١٦١] ونحو ذلك .

الثاني : أن المراد بقول عيسى عليه السلام : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] أن المراد هنا بالذي حرِّم عليهم هو ما حرَّمه عليهم أحبارهم وافتروا على الله عز وجل القول بتحريمه .

● فعلى القول الأول فالمراد بتحليله لهم هو نسخ الحكم الأول ، فالذي كان محرمًا بالنص جاء تحليله بالنص أيضًا .

● وعلى القول الثاني فالمراد بالتحليل كشف افتراءات الأحبار الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه وبيان حِلِّ ما حرموه ولا مانع من أن تنتظم الآية الكريمة المعنيين معًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اصطفى – محررًا – مريم – أُعيذها – لدنك – ذرية طيبة – المحراب – حصورًا – أنَّي – عاقر – سبِّح – العشي – الإبكار – اقتني – لديهم – المهد – كهلًا – يمسسني – أخلق لكم – أبرىء – الأكمه – الأبرص ؟

ج :

الكلمـــة	معنـاهـــا
اصطفى	اختار – جعلهم صفوة خلقه .
محررًا	خالصًا – أي خالصًا لله تعالى ، والمعنى أنه متفرغ لخدمة المحراب وعبادة الرب سبحانه وتعالى .
مريم	هي مريم عليها السلام ، وقال البعض : إن معنى مريم : خادم الرب .
أُعيذها	أمنعها وأُجيرها .
لدنك	عندك .
ذرية طيبة	نسلًا صالحًا .
المحراب	المحاريب هي صدور المجالس ، وهي أشرف المواضع من كل مجلس .
حصورًا	أصل الإحصار المنع ، وقيل : حصورًا لا يأتي النساء وقيل : الحصور الذي لا يفعل ذنوبًا .
أنَّى	من أين – كيف .
عاقر	عقيم لا تلد .
سبِّح	التسبيح يطلق أحيانًا على التسبيح المعهود من قولهم :

	(سبحان الله) ، ويطلق على الصلاة ، ويطلق على النافلة من الصلوات .
العشي	جمع عشية وهي آخر النهار ، وقيل : من زوال الشمس إلى غروبها .
الإبكار	من طلوع الفجر إلى وقت الضحى .
اقنتي	القنوت : الطاعة في خشوع ، وله معان أخر تقدمت .
لديهم	عندهم .
المهد	مضجع الصبي في رضاعه .
كهلًا	الكهل هو من كان بين الشباب والشيخوخة ، وقيل : هو من ناهز الأربعين .
يمسسني	يجامعني .
أخلق لكم	أصور وأُقدِّر وأصنع .
أبرىء	أشفي .
الأكمه	من وُلِدَ أعمى ، وقيل : هو الذي يبصر ليلًا ولا يبصر نهارًا .
الأبرص	البرص بياض معروف يعتري الجلد .

❋ ❋ ❋

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ
وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا
وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا
مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا
كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا
ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟
ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ
هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ
إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

س : قول الحواريين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] فيه نوع توسل وضحه ؟

ج : نعم فيه نوع توسل ألا وهو التوسل بصالح الأعمال ، فكأنهم قالوا : يا ربنا لإيماننا بما أنزلت ، واتباعنا للرسول اكتبنا مع الشاهدين .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالشاهدين في قول الحواريين : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ؟

ج : قيل : إن المراد بالشاهدين أمة محمد ﷺ .

وقيل : إن المراد بالشاهدين من شهدوا لله بالوحدانية ولرسله بالرسالة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قول الحواريين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ... ﴾ [آل عمران : ٥٣] وعقبها قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤] قد يُشكل على البعض فيظن أن في قول الحواريين خداع، وضح ذلك؟

ج : ليس فيه تعارض بحمد الله ، ولكن المراد بقوله تعالى : ﴿ ومكروا ... ﴾ هم كفار بني إسرائيل ، الذين أحس عيسى منهم الكفر ، فكأن عيسى عليه السلام لما أحس من بني إسرائيل الكفر بدأ يطلب نصرة صالحيهم ، فقال : من أنصاري إلى الله ، فقال الحواريون : نحن أنصار الله ، وبقيت فئة أخرى كافرة تمكر كما ذكر الله تبارك وتعالى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال العلماء في قوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله

والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران : ٥٤] ؟ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ... ثم قال تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام ، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالئوا عليه ، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان ، وكان كافرًا فأنهوا إليه أن ها هنا رجلًا يُضل الناس ، ويصدهم عن طاعة الملك ، ويفند الرعايا ويُفرِّق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ، ورموه به من الكذب ، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك ، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به ، فلما أحاطوا به وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله من بينهم ، ورفعه من روزنة[1] ذلك البيت إلى السماء ، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل ، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى عليه السلام ، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم ، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم ، وتركهم في ضلالهم يعمهون ، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم ، وأسكن الله في قلوبهم قسوةً وعنادًا للحق ملازمًا لهم ، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران : ٥٤]

● وقال الطبري رحمه الله : يعني بذلك – جل ثناؤه – ومكر الذين كفروا من بني اسرائيل ، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر ، وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضًا على الفتك بعيسى وقتله ، وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد إخراج قومه إياه وأمَّه من بين أظهرهم عاد إليهم .

.. ثم قال رحمه الله : وأما مكر الله بهم – فيما ذكر السُّدي – إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى ،

---

(١) الروزنة : هي الطاقة أو الكوة .

وقد رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام قبل ذلك .

.. وقال ابن جرير أيضًا : وقد يحتمل أن يكون معنى (مكر الله بهم) : استدراجه إياهم ليبلغ الكتابُ أجله كما بينا ذلك في قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ [البقرة : ١٥] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للشخص أن يتمنى نصرة قومه له أو يسألهم إياها ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، والله أعلم .

قال عيسى عليه السلام : ﴿ من أنصاري إلى الله ... ﴾ [الصف : ١٤] .

وقال لوط عليه السلام : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ [هود : ٨٠] .

وقال النبي ﷺ : « ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي عز وجل »[(١)] .

● وقال موسى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا ﴾ [طه : ٢٩ - ٣٥] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك (بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب) »[(٢)] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذي (٦٩٢٥) ، وابن ماجة حديث (رقم ٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٦٨١) ، وأحمد (٢/٩٥) ، وابن حبان (٢١٧٩) وعبد بن حميد في المنتخب (٧٥٧) ، وأحمد في فضائل الصحابة (٣١٢) ، =

س: ما معنى قول عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢]؟

ج : قال بعض العلماء إن (إلى) هنا بمعنى (مع) ، فالمعنى والله أعلم (من أنصاري مع الله) وإلى قد تأتي بمعنى مع كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [النساء : ٢] أي : مع أموالكم .

● وقال علماء آخرون : إن المعنى (من أنصاري في دعوتي إلى الله عز وجل) أي : من يؤازرني ، ويشد عضدي في دعوتي إلى الله عز وجل .

وثمَّ أقوال أُخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الحواري ؟ ولماذا سموا الحواريين بذلك ؟

ج : الحواري معناه : الناصر ، وحواري الرجل هو : صفوته وخلاصته، وقال بعض العلماء : إنه مأخوذ من الحور، وهو البياض عند أهل اللغة[1]، وقال البعض : إن الحواري : الوزير ، وقيل : هم أصفياء الأنبياء .

= وابن سعد في الطبقات (١٩١/١/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(١) قال الطبري رحمه الله : وذلك أن (الحَور) عند العرب شدة البياض ، ولذلك سمِّي الحُوَّاري من الطعام (حُوَّاري) لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين : (أحور) ، وللمرأة حوراء ، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب ، وأنهم كانوا قَصَّارين ، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا ، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصَّةٍ للرجل من أصحابه وأنصاره (حواريُّه) ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إن لكل نبي حواري وحواريِّي الزبير » يعني خاصته ، وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار (حواريَّات) وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ، ومن ذلك قول أبي جلدة اليشكري :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

● وقيل : إنهم سُمُّوا بالحواريين لبياض ثيابهم ، والله أعلم .

وقيل : إن النساء أطلق عليهن الحواريات لبياضهن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو حواري رسول الله ﷺ ؟

ج : حواري رسول الله ﷺ هو الزبير ، وذلك لأن النبي ﷺ قال : « إن لكل نبي حواري وحواريي الزبير »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، هل يفيد أن عيسى عليه السلام مات ثم رُفع ؟ وكيف يُدفع كون الوفاة وردت قبل الرفع ؟

ج : لا يفيد ذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم ﴾ [النساء : ١٥٧] ، أما كون الوفاة ورد ذكرها قبل الرفع فيدفع ما في ذلك من إشكال قد يَرد بالآتي :

١ - بعض العلماء يرى أن معنى الوفاة هنا النوم ، وقد ورد ذلك في كتاب الله عز وجل ، قال الله سبحانه : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ [الزمر : ٤٢] وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ [الأنعام : ٦٠] فعلى ذلك فمعنى متوفيك : منيمك .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤١١٣) ، ومسلم (٢٤١٤) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا ، وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

٢ – بعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك : قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي : قبضته .

٣ – وقال بعض العلماء : أماته الله ثم بعثه ثم رفعه ، وهذا القول فيه نظر لقوله : ثم بعثه ؛ إذ لا دليل عليه .

٤ – القول الرابع – وهو الأوجه والأقوى عندي – : أن الواو لا تفيد الترتيب في كثيرٍ من الأحيان ، بل تفيد مطلق التشريك ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور : ٢٧] ، فمن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس .

● وقال سبحانه : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمى ﴾ [طه : ١٢٩] .

● وأيضًا استدل على أن الواو لا تقتضي الترتيب بقول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عِرْق عليك ورحمة الله السلام

أي : عليك السلام ورحمة الله .

فعليه يكون المعنى إني رافعك إليَّ ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لوفاتك . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ [آل عمران : ٥٥] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – ومطهرك من خبث الذين كفروا ، ومنجيك من مكرهم ، وذلك برفعي إياك إلى السماء .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ﴾ [آل عمران : ٥٥] جملة تساؤلات ، منها :

١ - إلى من يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ الذين اتبعوك ﴾ ؟

٢ - من هم الذين اتبعوه ؟

٣ - من هم الكفار المذكورون في الآية الكريمة ؟

٤ - كيف يندفع الإشكال الوارد في كون بعض الأمم الكافرة مستعلية الآن على أهل الإسلام ؟

ج : أما الضمير في قوله تعالى : ﴿ اتبعوك ﴾ فالكاف ترجع إلى عيسى عليه السلام ، وقد قال بعض العلماء : إن المعنى هو النبي محمد ﷺ ، وهذا قول بعيد[1]، فالسياق والقصة كلها بشأن عيسى ﷺ .

٢ - أما وقد قررنا أن الضمير يرجع إلى عيسى عليه السلام ، فعلى ذلك فالذين اتبعوه هم الحواريون من أصحابه وهم أيضًا النصارى الذين آمنوا برسالته[2]، وصدقوا ما أخبرهم به من رسالة أحمد ﷺ، ويدخل فيهم

---

(١) وإن كان المعنى واردًا في حق نبينا ﷺ أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ [المجادلة : ٢١] ، وقال سبحانه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣] وقال سبحانه : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١] .

وقال سبحانه : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وقال تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان مرفوعًا وله طرق أخرى .

(٢) ● ولا يدخل فيهم النصارى الذين ألَّهوه ، فإن هؤلاء كفار كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ١٧] .

● ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا : إنه ابن الله، فإنهم مشركون ، =

أيضًا المسلمون من أمة محمد ﷺ فهم متبعي جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

● أما الذين كفروا فهم كل من كفر برسالة عيسى عليه الصلاة والسلام وهم اليهود ، ويدخل أيضًا من أَلَّه عيسى عليه السلام ، أو جعله ابنًا لله ، أو قال : إنه ثالث ثلاثة ، ويدخل فيهم أيضًا : مشركو قريش ، وكل من كفر بالله العظيم .

●أما دفع الإشكال الوارد من غلبة بعض الأمم الكافرة لبعض الأمم المسلمة مع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ٥٥] فلذلك وجوه .

● منها : أن يُقال : إن غلبة أهل الإيمان لأهل الكفر إنما هي بالحجة والبرهان ، فحجة الذين آمنوا غالبة وحجة الذين كفروا داحضة عند ربهم .

● ومنها : أن يقال : إن متبعي عيسى حق الاتباع منصورون على أعدائهم من الكفار في الدنيا على الدوام ، وإنما يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن ما يعتريهم لتقصيرهم في اتباعه عليه الصلاة والسلام ، ومخالفتهم بعض أمره عليه الصلاة والسلام وأمر رسول الله محمد ﷺ .

ويقال أيضًا : إن الذي يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن هو من باب المخصوص من العموم ، فالعموم أن لأتباع الرسل النصر بإذن الله ، وقد يبتلي الله بعض عباده ببعض أعدائه لرفع درجات عباده واتخاذ الشهداء منهم .

= قال الله سبحانه : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة: ٣٠].

● ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا : إنه ثالث ثلاثة ، فإن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] .

● ولا شك أن عيسى سينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، وثمَّ أقوال أخر لأهل العلم في هذا الباب .

تنبيه : أشار صديق حسن خان رحمه الله تعالى في تفسيره فتح البيان إلى رسالة للشوكاني رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية اسمها (وبل الغمامة في تفسير) ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ ، وذكر حاصل ما فيها فليراجعها من شاء .

ولي توقف مع صديق حسن خان رحمه الله حيث قال : وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لطوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين ... إلى آخر ما قاله رحمه الله .

فحقًّا ما قال إن طوائف من المسلمين قاهرون لغيرهم ، ولكن توقفي معه من ناحية تفريقه بين النصارى والمتبعين لعيسى والمسلمين ، فالنصارى المتبعون لعيسى مسلمون[1]، ولا شك وهم الذين آمنوا برسولنا محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور العذاب الشديد للكافرين في الدنيا والآخرة ؟

ج : أما صور العذاب الشديد للكافرين في الدنيا فبالقتل والأسر والسلب والسبي والأوجاع والأسقام والجزية والإذلال والصغار ونحو ذلك .

أما صور العذاب في الآخرة فتعذيب بالنار وجلد بالسياط ودفع إلى الجحيم وعرق يلجم أهله إلجامًا و ... أعاذنا الله والمسلمين من ذلك .

❋ ❋ ❋

---

(١) ومما يدل على ذلك قول الحواريين : ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ .

س : ما هو وجه المماثلة في قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ؟

ج : وجه المماثلة في بيان قدرة الله عز وجل على الخلق والإنشاء ، فكما أن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من تراب بدون أب ولا أم ، بل قال له كن فكان ، فكذلك سبحانه وتعالى خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب .

فالقادر على أن يخلق بشرًا بلا أب ولا أم قادرٌ بطريق الأولى أن يخلق بشرًا من أم بلا أب .

فإن استجزتم أن تتخذوا عيسى ابنًا لله – وحاشا لله – لكونه وُلد من غير أب فلتستجيزوا بطريق الأولى أن تتخذوا آدم ولدًا لله ، ومعلوم بالاتفاق أن هذا باطل ، فالدعوى في عيسى أشد بطلانًا ؛ وحاشا لله أن يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وسبحانه وتعالى عما يشركون .

❋ ❋ ❋

س : اذكر دليلًا على أن ابن البنت يطلق عليه ابن ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ... ﴾ الآية [آل عمران : ٦١] . فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[1] .

وقال النبي ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما : « ابني هذا سيد »[2] ، وقريبٌ من ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف

---

(١) أخرجه مسلم (ص١٨٧١ في طرق حديث ٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى ... ﴾ [الأنعام : ٨٤-٨٧] الآيات ، فَذُكر فيها عيسى ونسبته من ناحية أمه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية المباهلة في القرآن الكريم ؟

ج : آية المباهلة هي قوله تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران : ٦١] .

❋ ❋ ❋

س : هل تمت المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى ؟

ج : لم تتم المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنهما قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله إن كان نبيًّا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ، ولا تبعث معنا إلا رجلًا أمينًا ، فقال : « لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين » فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : « قم يا أبا عبيدة بن الجراح » فلما قام قال رسول الله ﷺ : « هذا أمين هذه الأمة »[1].

● وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو جهل : إن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عنقه ، قال : فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠) ، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا .

مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز المباهلة بين المسلمين ؟

ج : تجوز المباهلة بين المسلمين عند الضرورة القصوى[1]، فاللعان مثلًا من صور المباهلة[2] وإن لم يشابهها في كثير من الوجوه ، وقد ورد أن ابن القيم رحمه الله دعا خصومه من أهل البدع إلى المباهلة، ففي مقدمة النونية (١/١٤-١٥) : وقد دعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قيامًا في مواقف الابتهال حاسري الرءوس فسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال .. وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلى هذا فوطن نفسه عليه غاية التوطين وبات يحاسب نفسه ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتجرد من كل هوًى يخالف الوحي المبين ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين .

● وقال رحمه الله في زاد المعاد في فقه قصة أهل نجران (٣/٦٤٣) :

والسنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع ولم يُنكر عليه الصحابة ، ودعا إليه الأوزاعي وسفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ولم ينكر عليه، وهذا من تمام الحجة .

---

(١) كأن يكون هناك حقٌّ يُبطل ، وباطل يثبت ، وقدم النُّصح والتذكير ولم يُجْد وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة ولم ينفع ذلك أيضًا ، فحينئذٍ تكون المباهلة لإثبات الحق وإبطال الباطل .

(٢) اللعان ورد ذكره في سورة النور في قول الله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ [النور: ٦-٩].

س : من المراد بأبناء رسول الله ﷺ ونسائه في الآية الكريمة ؟

ج : يوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ ففيه أنه عليه الصلاة والسلام لما دعاهم إلى المباهلة دعا عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[1].

❋ ❋ ❋

س : لما كان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب من المتباهلين فلماذا ضم إليهما الأبناء والنساء في المباهلة ؟

ج : ضم الأبناء والنساء في المباهلة ؛ ليدل ذلك على ثقة المباهل بحاله واستيقانه بصدقه حيث تجرأ على تعريض أعزته ، وليدل ذلك أيضًا على ثقته بكذب خصمه ، ولأجل أن يهلك خصمه مع أعزته جميعًا لو تمت المباهلة .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز إرسال رسالة فيها آيات من الكتاب العزيز إلى الكفار ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، وقد أرسل النبي ﷺ رسالة إلى هرقل فيها[2]:
بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد .

فأسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران : ٦٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧ ، وفي غير موضع من صحيحه) ، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه به .

س : ما هي كيفية اتخاذ أهل الكتاب بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله ؟

ج : لذلك صور منها :

١ - أن بعضهم يطيع بعضًا في معصية الله ، وفي تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله عز وجل ، فأنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله[1] .

٢ - أن بعضهم يسجد لبعض .

٣ - أنهم يعتقدون بألوهية بعضهم كاعتقاد بعض النصارى أن الله هو المسيح ابن مريم .

وبعضهم يدعي أن المسيح ابن الله ، واليهود يدعون أن عزيرًا ابن الله .

❋ ❋ ❋

س : كيف حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام ؟ وكيف أبطل الله حجتهم ؟

ج : حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام بادعائهم أنه منهم ، فقالت اليهود : كان إبراهيم يهوديًّا ، وقالت النصارى : كان إبراهيم نصرانيًّا . وأبطل الله سبحانه وتعالى حجتهم بقوله : ﴿ وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ [آل عمران : ٦٥] فكيف تدَّعون أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا والتوراة والإنجيل إنما جاءت بعد إبراهيم ﷺ .

فهذا كقول القائل الجاهل : إن الإمام الشافعي رحمه الله كان وهابيًّا ، وكان ابن عباس وهابيًّا أي أتباع لمحمد بن عبد الوهاب !! .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله : وهذا (يعني الآية) يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي .

فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ [آل عمران : ٦٦]، فما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان عندهم منه علم ، وما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وليس لهم فيه علم ؟

ج : الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان لهم فيه علم هو محمد ﷺ فكان عندهم في التوراة والإنجيل نعته ووصفه ووقت خروجه ومبعثه وصفة أصحابه وإلى ماذا يدعو وعن ماذا ينهى ، ومع ذلك كله جادل فيه أهل الكتاب بالباطل ، وكذبوه بغير وجه حق فعليهم العتب في ذلك ولكن العتب الأشد حينما يجادلون في إبراهيم الذي ليس لهم علم به ويصفونه بأنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أدلة ذم الجدل ؟ ، وهل من الجدل شيء مشروع ؟

ج : أما أدلة ذم الجدل ، والمذموم هو الجدل بالباطل والمراء فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [آل عمران : ٦٦].

● وقال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ ... فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ ... قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلَّا مراءً ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة

لمن ترك المراء ولو كان محقًّا » .

إلى غير ذلك من الأدلة التي تنهى عن الجدل وهو الجدل المذموم الذي فيه إهدار الحقوق ، ومضيعة للوقت والجهد ، وجلب للضغائن ، والانتصار للنفس أو لفئة من الناس أو لمذهب من المذاهب بلا برهان ولا دليل .

أما الجدل المحمود ، وهو الذي يؤدي إلى الوصول إلى الحق ويكون بالتي هي أحسن فلا مانع منه .

- قال الله سبحانه : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل: ١٢٥].
- وقال سبحانه : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] :
- وقال قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ [هود : ٣٢] . إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب .

والمدار في هذا الباب على مظنة غلبة المصالح أو المفاسد .

فإذا كانت المصلحة راجحة من وراء الجدل بالتي هي أحسن تم الجدل وإن كانت المفسدة راجحة فحينئذ يُترك الجدل ويبتعد عنه فهو حينئذ نوع من الجدل المذموم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل اليهود والنصارى مشركون ؟

ج : نعم اليهود والنصارى مشركون ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلـٰهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣٠ و ٣١] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] إيماء إلى شركهم.

● ونحوه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] هذا وقد يرد اشتباهٌ على بعض الناس لحديث : « إنما مثلكم فيمن خلا من قبلكم من الأمم كمثل رجل استأجر قومًا فعملوا له ... »[1] الحديث .

فهذا يفيد أن اليهود والنصارى لهم بعض الأجر فكيف يوجه هذا ؟، وللإجابة على هذا أن هذا الحديث إنما هو في اليهود الذين آمنوا بموسى ، والنصارى الذين آمنوا بعيسى وذلك قبل بعثة نبينا ﷺ ، أما بعد البعثة فلا بد من الإيمان بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أُوتي أهل التوراةِ التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أُوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكثر عملًا ، قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا : لا . قال فهو فضلي أُوتيه من أشاء .

ونحوه عند البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا ، فاستأجر قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين » .

س : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ [آل عمران : ٦٨] وضح معناه ؟ .

ج : المعنى – والله أعلم – إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به لكونه منهم وهم منه هم الذين اتبعوا ملته واقتدوا بدينه واقتفوا أثره في توحيده لله عز وجل وسمعه وطاعته لله رب العالمين .

* * *

س : قال الله سبحانه : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ أليس النبي ﷺ والذين آمنوا داخلين في الذين اتبعوه ، فما فائدة ذكرهم مرة ثانية إذن ؟

ج : نعم النبي ﷺ والمؤمنون داخلون في قوله تعالى : ﴿ للذين اتبعوه ﴾ ولكن هذا من باب عطف الخاص على العام للتعظيم والتشريف ، فذكرت أحقية المتبعين لإبراهيم بإبراهيم ﷺ ثم نُص على النبي ﷺ وأفرد بالذكر تعظيمًا له وتشريفًا وبيانًا لكونه من المتبعين لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في التوحيد وكثير من أمور الشرع ، وكذلك القول في الذين آمنوا .

● وعطف العام على الخاص وارد في جملة مواطن في كتاب الله عز وجل .

● قال الله سبحانه : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] ، فنص على الأنبياء المذكورين بأسمائهم لبيان شرفهم وفضلهم عليهم الصلاة والسلام .

● وقال سبحانه : ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ [الرحمن : ٦٨] ، فنص على النخل والرمان مع كونهما داخلين في عموم الفاكهة .

● وقال سبحانه : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من

بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ... ﴾ [النساء : ١٦٣] ، وهذا باب واسع والأدلة فيه كثيرة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الكفر والمتبعون للشهوات يريدون دائمًا إضلال المؤمنين ، اذكر جملة أدلة على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة .

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً ﴾ [النساء : ٨٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

● وقال عز وجل : ﴿ ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن طائفة من أهل الكتاب بل كثير منهم يتمنى ويرغب ويعمل على إضلال المؤمنين وصرفهم عن الإسلام والتوحيد والاستقامة إلى طرق الغي والفساد ، ولكن من كتب الله له الهداية لا يتأثر بكيدهم ولا بتدبيرهم ولا بتمنيهم ، كما قال سبحانه : ﴿ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم ﴾ [الصافات : ١٦١ – ١٦٣] أي : إنكم لا تستطيعون فتنة وإضلال من هداه الله ، ولكنكم سبب في إضلال من كتب الله له الغواية ، أعاذنا الله منها .

فلما كان أهل الكتاب يتمنون إضلال أهل الإيمان ويسعون لذلك ويحفظ الله أهل الإيمان فتزداد حينئذ الآثام التي تلحق بأهل الكتاب من جراء سعيهم في الفساد ، ويزداد صرف الله لقلوبهم كما قال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ... ﴾ [الصف : ٥] فحينئذ يزداد ضلالهم بما اقترفوه من محاولات إضلال العباد . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾ [آل عمران : ٧٠] تشهدون بماذا ؟ وعلى ماذا ؟

ج : يشهدون أنها آيات نزلت من عند الله إذ هي مصدقة للكتب التي نزلت عليهم ، والكتب التي نزلت عليهم مصدقة لها أيضًا وبين أيديهم كتبهم فيها صفة رسول الله ﷺ وصفة أصحابه وأقوالهم وأعمالهم ، والله تعالى أعلم .

● وثم قول آخر ألا وهو : وأنتم تشهدون على أن الدين عند الله هو الإسلام .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿تلبسون الحق بالباطل﴾ [آل عمران: ٧١]؟

ج : معنى تلبسون : تخلطون ، والمعنى الإجمالي – والله أعلم – لم تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية ، وتحرفون التوراة والإنجيل بما يتناسب مع باطلكم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : للكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم وضح بعض تلك الحيل ؟

ج : من حيل الكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم .

- منها : اتباع المتشابه وترك المحكم .
- ومنها : التفاسير الزائغة لآيات الكتاب العزيز .
- ومنه : إيراد الأغلوطات على العامة والرعاع .

ومنها : ما ذكره الله تعالى حيث قال : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

فيظهرون أن الرسول حق وما يقوله صدق أول النهار ثم يرجعون آخر النهار قائلين : نظرنا في كتبنا فوجدناه باطلًا ونحن أهل إنصاف ومن الدليل على إنصافنا كوننا قبلناه أول النهار ولكن بتحرينا وتتبعنا واستقصائنا وجدناه باطلًا فيشككون الناس فيه .

وقال آخرون منهم : بل نجعل هذا الدين ألعوبة نؤمن ثم نكفر فيتبعنا الناس على ذلك .

وثم طرق أُخر وحيل أُخر لأهل الفسق في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بين المراد من قول أهل الكتاب : ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن رؤساء أهل الكتاب أوصوا السفلة منهم بذلك فقالوا لهم : لا تصدقوا محمدًا ولا تصدقوا من أسلم معه ، إنما ليكن تصديقكم لمن هو من أهل الملة التي أنتم عليها .

وقول آخر : لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لأهل دينكم ، والله تعالى أعلم . وانظر ما سيأتي في السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى الآية الكريمة بتمامها ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ [آل عمران : ٧٣] ؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في هذه الآية الكريمة منها :

● أن أهل الكتاب قال بعضهم لبعض : ولا تصدقوا إلا من كان على دينكم فلن يؤتى أحد مثل الذي أوتيتموه (من توراة وألواح ومنٍّ وسلوى و ... أو من مائدة و ...) وليس عند أحدٍ غيركم حجة يحاججكم بها عند ربكم عز وجل .

فرد الله عز وجل عليهم بقوله سبحانه : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ ، أي : الذي أعطاكم هذا الفضل قادرٌ على أن يعطي غيركم أيضًا أفضل منه .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ ، جملة اعتراضية بين كلامين فحواها أن الذي هداكم قادر على أن يهدي غيركم ، وقادر على أن يسلب الهدى منكم . والله أعلم .

● وقول آخر : لا تخبروا بما في كتابكم – من صفة محمد ﷺ والآيات التي معه – إلا من اتبع دينكم لئلا يكون ذلك سبب لإيمان الناس بمحمد ﷺ فيساووكم في الإيمان ويزدادوا عليكم لقوة إيمانهم وشدة تصديقهم وتركب الحجة عليكم في الدنيا والآخرة .

وثمَّ أقوال أخر والله تبارك وتعالى أعلم .

س : ما المراد بالفضل في قوله تعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ [آل عمران : ٧٣] وما هو وجه ختام الآية بقوله تعالى : ﴿ والله واسع عليم ﴾ ؟

ج : أما المراد بالفضل فهو ما أنعم الله به من توفيق وهداية للإيمان والإسلام ، وأيضًا ما أيد الله عز وجل به رسله وأنبياءه ، أما وجه الختام بقوله تعالى : ﴿ والله واسع عليم ﴾ ، أي : عليم بمن يستحق هذا الفضل والهداية للتوفيق من غيرهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرحمة في قوله تعالى : ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ [آل عمران : ٧٤] ؟

ج : قيل في المراد بالرحمة هنا جملة أقوال منها النبوة ، والإسلام ، والقرآن ، والهداية ، وقيل : هي أعم من ذلك كله فيدخل فيها كل ما ذكر مع غيره أيضًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل النبوة تنال بالاستحقاق أم بالاختصاص ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس ﴾ [الحج : ٧٥] ، يفيدان – مع غيرهما من الأدلة – أن النبوة تُنال بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معانى هذه الكلمات :

أحس – الممترين – حاجك – نبتهل – كلمة سواء – حنيفًا – وجه النهار ؟

ج :

الكلمة	معناها
أحس	علم ووجد .
الممترين	الشاكِّين .
حاجك	جادلك ، وخاصمك .
نبتهل	نلتعن ، وأصل الابتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره .
كلمة سواء	كلمة عدل وإنصاف ، والكلمة العادلة المستقيمة .
الحنيف	المائل ، مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، وقيل : هو الذي يوحد الله ويختتن ويضحي ويستقبل القبلة في صلاته .
وجه النهار	أول النهار ، ومنه قول الشاعر : من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار[1] يجد النساء حواسرًا يندبنه يبكين قبل تبلج الأسحار قد كُن يخبأن الوجوه تسترًا فاليوم حين برزن للنظار يخمش حُرَّات الوجوه على امرىء سهل الخليقة طيِّب الأخبار

(١) المراد النساء لم يكن يندبن قتلاهم إلا بعد إدراك الثأر ، وها هن قد ندبن مالكًا فلا معنى لشماتة شامت فإن قاتل مالك قد قتل ، والله أعلم . وفي الأبيات من المخالفات ما فيه من خمش الوجوه ...

۝ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ
سَبِيلٌ ۚ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ ۚ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ
وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ
قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ

فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ
وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ
مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا
لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ
حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

س : أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن لكن أكثرهم خونة وضح ذلك ، واذكر مثالًا لرجلٍ أمين منهم ؟

ج : نعم أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

● ولكن أكثرهم خونة لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● ومن أمثال هذا الرجل الأمين منهم ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدًا ، قال : فائتني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلًا ، قال : صدقت ، فدفعها إليه على أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّله فلم يجد مركبًا ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجَّج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا فقلت : كفى بالله كفيلًا فرضي بك ، وسألني شهيدًا فقلت : كفى بالله شهيدًا فرضي بذلك ، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركبًا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه ، قال : هل كنت بعثت إليَّ بشيء ؟

قال : أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرِف بالألف دينار راشدًا[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من أهل الكتاب من هو خائن لا يؤدي الأمانة إلا ما دمت عليه قائمًا بالملازمة والمطالبة، فمعنى قوله تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ أي ملازمًا له ومطالبًا بالدين الذي لك عليه، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الواقع يبين أن أهل الكتاب على ثلاثة أصناف .

- **منهم : الأمين الذي إن تأمنه بدينار يؤده إليك .**
- **ومنهم : الخائن الذي إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا .**
- **ومنهم : الخائن الذي لا يؤدي إليك حقك وإن طالبته به .**

فلماذا اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر قسمين ؟

ج : اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر صنفين ؛ لأن هذا هو الغالب في أهل الكتاب على عهد النبي ﷺ ، وأهمل ذكر الصنف الثالث لقلتهم ، ومن المعهود في سياق القرآن الكريم أن الغالب هو الذي يُذكر ويعول عليه في كثير من الأحيان ، قال الله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الكفالة (٢٢٩١) فقال : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ .

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] مع أن من الأعراب من هو مؤمن ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ﴾ [التوبة : ٩٩] .

❋ ❋ ❋

س : الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد وضح ذلك ؟

ج : نعم الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد ، ألا ترى إلى بني إسرائيل لما اعتقدوا - بناء على ما اختلقوه من كذب وزور وتحريف - أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ و ٢٤] .

وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا : إنهم ليس عليهم في الأميين سبيل - أي ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين - حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل ، كما قال سبحانه : ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ بلى ﴾ فالمراد به - والله أعلم - : أن أهل

الكتاب لما قالوا : ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ رد الله عز وجل عليهم بقوله : ﴿ بلى ﴾ أي : بلى عليكم حرج وسبيل وإثم في الأميين إذا أكلتم أموالهم وظلمتموهم .

● أما قوله تعالى : ﴿ من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ ، فالمعنى – والله أعلم – أن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب مع الله عز وجل ، هذا العهد الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث وتصديقه فيما جاء به فإن الله يحب المتقين الذين اتقوا محارم الله واتبعوا شرعه ، أو المراد : واتقى الشرك ، أو المراد : واتقى أكل أموال الناس بالباطل والخيانة ونقض العهد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بيِّن سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؟

ج : نزلت هذه الآية الكريمة في الأشعث بن قيس ، وذلك كما رواه ابن مسعود[1] رضي الله عنه إذ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين – وهو فيها فاجر – ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه ، منها (٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (حديث ١٣٨) ، وغيرهم .

وثمَّ سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رجلًا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أُعطي بها ما لم يُعطه ليوقع فيها رجلًا من المسلمين فنزلت ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا ... ﴾ إلى آخر ، الآية لكن في =

غضبان » ، قال : فقال الأشعث بن قيس : فيَّ والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجلٍ من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : « ألك بينة ؟ » قال : قلت : لا ، قال : فقال اليهودي : أحلف ، قال : فقلت : يا رسول الله إذن يحلف ويذهب بمالي ، قال فأنزل الله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا .. ﴾ [آل عمران : ٧٧] إلى آخر الآية .

❋ ❋ ❋

س : حكم الحاكم هل يُحل الحرام أو يحرم الحلال ؟

ج : حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال ؛ بدليل قول النبي ﷺ : « إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحوٍ مما أسمع منكم ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار »[1]، وبدليل قوله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ... ﴾ الآية [آل عمران : ٧٧] ، وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة »[2].

❋ ❋ ❋

= إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسكي متكلم فيه ، وقد انتقد الدارقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه .

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٩) و (٣٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا .

س :ما معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ... ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الذين يستبدلون ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ ، والأيمان التي يقسمونها بالله عز وجل بالثمن القليل من أعراض الحياة الدنيا أولئك لا نصيب لهم في نعيم الآخرة .

❋ ❋ ❋

س: قوله تعالى: ﴿.. ولا يكلمهم الله﴾ [آل عمران: ٧٧] هذه الآية نفت تكليم الله عز وجل لطوائف من أهل الكفر، وثمَّ آيات أُخر أثبتت تكليم الله عز وجل للكفار كقوله: ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ [المؤمنون: ١١٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴾ [المؤمنون : ٦٥] فكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله لطوائف من الكفار والآيات التي أثبتتها ؟

ج : الجمع بأن يقال : إن الكلام المنفي هو الكلام الذي يقتضي اللطف بهم ورحمتهم ، والكلام المثبت هو الكلام الذي فيه تأنيب وتعذيب وتبكيت لهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر طوائف أُخر ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة ؟

ج : من هذه الطوائف ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل والمنان

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »[1].

● ومنهم ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماءٍ بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف »[2].

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب، وعائل مستكبر »[3].

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر ﴾ [آل عمران : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿ولكن كونوا ربانيين ﴾ [آل عمران : ٧٩] مقدرات محذوفة ذكرها بعض العلماء ما هي هذه المقدرات المحذوفة ؟

ج : أما الأول وهو قوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر ﴾ فقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أن المعنى ما كان ينبغي لبشر ، وقال بعضهم : ما كان ينبغي ولا يستقيم لبشر .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٦) ، ومسلم واللفظ له (١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال بعضهم : إن ذلك كقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً ﴾ [النساء : ٩٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ [مريم : ٣٥] ، وقول المؤمنين : ﴿ ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ﴾ [النور : ١٦] فالمعنى : ما كان ينبغي ، والله أعلم .

أما الثاني : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ فالمعنى- والله أعلم -: ولكن يقول (أي : يقول من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة) : كونوا ربانيين، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ... ﴾ [آل عمران : ٧٩] ؟

ج : المعنى - والله أعلم -: أنه لا يصلح ولا يستقيم أن يكون هناك رجل رزقه الله الكتاب وعلمه الأحكام وفقهه في الدين وآتاه النبوة ، ثم بعد ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ، فلا يستقيم أن يكون رجل نبيًّا عالمًا أمينًا ويأتي مع ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ، فلا تتناسب النبوة مع الكذب ، ولا يصلح أن يكون النبي إلهًا في وقت واحد ، ولكن من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يدعو الناس إلى معرفة الله والعلم به ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته .

❋ ❋ ❋

س : بم تُنال درجة الربانية ؟ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] ؟

ج : هذه الدرجة تنال بما ذكره الله عز وجل في كتابه حيث قال :

﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ فهي تنال بالتعلم والتعليم ، والمعنى الإجمالي : ولكن كونوا سادة علماء حكماء فقهاء مربيـن للناس بدراستكم الكتاب وتعليمه للناس ، والله تعالى أعلم .

قال صديق حسن خان في فتح البيان : وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل ، وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه والإخلاص لله سبحانه ، والدراسة : مذاكرة العلم والفقه ، فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا ، فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه .

❋ ❋ ❋

س : عبادة ملك من الملائكة أو نبيًّا من الأنبياء كفر بالله عز وجل ، وكذلك سؤاله بعد موته وطلب كشف الضر منه وكذلك طلب جلب النفع كل هذا كفر بالله ، وضح ذلك ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٠] ، فبينت الآية الكريمة أن اتخاذ الأنبياء والملائكة أربابًا نوع من أنواع الكفر .

وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [النحل : ٣٦] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بهذه الآية الكريمة ﴿ وإذ[1] أخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) هنا مقدر محذوف قدره بعض أهل العلم فقالوا : واذكروا يا أهل الكتاب ، وقدره آخرون على العموم : واذكروا إذ أخذ ... ، والله أعلم .

لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ [آل عمران : ٨١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : أخذ الله عز وجل ميثاق النبيين أن يؤمن أولهم بآخرهم أي : يؤمن كل نبي بالذي يأتي بعده .

الثاني : أخذ الله ميثاق النبيين جميعًا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الثالث : أخذ الله ميثاق أمم النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الرابع : أخذ الله ميثاق النبيين وأممهم لهم تبع أن يؤمنوا بمحمد ﷺ .

الخامس : أمر الله كل نبي أن يأخذ الميثاق على أمته إن بعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به ، وثمَّ أقوال أخر أضربنا عن ذكرها .

أما قوله تعالى : ﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ [آل عمران : ٨١] أي للذي أعطيتكموه من الكتاب والحكمة ، وقال آخرون (لما) بمعنى مهما ، والمراد مهما أوتيتم من كتاب وحكمة ثم جاءكم محمد ﷺ فلزام عليكم أن تؤمنوا به .

وقال بعض أهل العلم : إن (رسول) وإن كانت نكرة إلا أنه أُريد بها معين وهو محمد ﷺ ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ﴾ [النحل : ١١٢ -١١٣] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا ... ﴾ [آل عمران : ٨٣] كيف أسلم الكافر كرهًا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ – أن الكافر ، وإن أبى أن يسلم بلسانه فهو مستسلم لأقدار الله عز وجل التي تجري عليه فلا يستطيع تبديلها فهو يمرض ويُكسر وينجب أو لا ينجب ويكون عقيمًا أو له ولد ويكون صغيرًا فيشب ثم يتسرب إليه الضعف والشيب ثم يدركه الموت ولا يستطيع لذلك كله تبديلًا .

٢ – أن الكافر وإن أبى أن يسجد لله فظله يسجد لله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] .

٣ – أن الكافر يُسلم عند معاينة الموت حيث لا ينفعه إيمانه ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ [غافر : ٨٤ –٨٥] .

٤ – أن الكافر أسلم كارهًا خوفًا من السيف كما في الصحيح : « عجب الله من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل »[1] .

٥ – أن إسلام الكافر هو معرفته بالله وإن أنكرها بلسانه .

٦ – أن إسلام الكافر كرهًا كان عند أخذ الميثاق .

وأولى الأقوال عندي بالقبول القول الأول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [آل عمران : ٨٦] ؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا من الأنصار ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ، فأنزل الله تعالى ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم ﴾ إلى آخر الآية ، فبعث بها قومه إليه فرجع تائبًا إلى النبي ﷺ فخلَّى النبي ﷺ سبيله[1] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [آل عمران : ٨٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من كفر بعد إيمانه وبعد معرفته اليقينية وشهادته أن الرسول ﷺ حق وأنه رسول من عند الله وبعد مجيء البينات إليه فقد تسبب لنفسه في إبعاد الهداية عنه ، فقد جرت سنة الله أن من يسلك طرق الخير ييسرها الله عليه ومن سلك طريق الشر هيىء له في الغالب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٥ – ١٠] .

● وقال ابن جرير الطبري رحمه الله في معناها : يعني كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قومًا جحدوا نبوة محمد ﷺ ﴿ بعد إيمانهم ﴾ أي:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (التفسير ٩١٤) ، والطبري (التفسير ٧٣٦٠) وإسناده صحيح .

بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه ﴿ وشهدوا أن الرسول حق ﴾ يقول : وبعد أن أقروا أن محمدًا رسول الله ﷺ إلى خلقه ، حقًّا ، ﴿ وجاءهم البينات ﴾ يعني وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك ، ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ يقول : والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظالمة ، وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل فاختاروا الكفر على الإيمان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [آل عمران: ٨٦] كيف تجمع بينه وبين الواقع من أن بعض الظالمين يهديهم الله سبحانه وتعالى؟

ج : وجه الجمع من ناحيتين :

الأولى : أن يقال إنهم ما داموا قائمين على ظلمهم وكفرهم وجحودهم لآيات الله ولا يتحرون الحق والصواب فلا يهديهم الله سبحانه وتعالى ، أما إذا تحروا الحق والصواب فإن الله عز وجل يأخذ بأيديهم إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ... ﴾ [الليل : ٥ - ٧] .

الثانية : أن يقال : إن المراد بالظالمين الذين لا يهديهم الله هم من كتبت عليهم الشقاوة وطبعوا على الكفر ، فهؤلاء قوم ذرأهم الله عز وجل لجهنم فلا تنفع فيهم الذكرى ولا تجدي معهم النصيحة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [آل عمران : ٨٧] ما المراد بلعنة الله هنا، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين؟

ج : المراد بقوله تعالى: ﴿ عليهم لعنة الله ﴾ أنه يحل بهم من الله عز وجل

الإقصاء والبعد . كما قاله الطبري رحمه الله .

أما لعنة الملائكة والناس أجمعين ، فالمراد بها دعاء الملائكة والناس أجمعين عليهم بالطرد من رحمة الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [آل عمران : ٨٧] يفيد أن الكافر يلعن الكافر فكيف ذلك ؟

ج : نعم، الكافر يلعن الكافر يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ﴾ [العنكبوت : ٢٥] فيدعو كل كافر على صاحبه كما ذكر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ - ٦٨] .

وكما قال سبحانه : ﴿ حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار ﴾ [الأعراف : ٣٨] إلى غير ذلك من الآيات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾ [آل عمران: ٨٧] خالدين في ماذا؟

ج : خالدين فيها أي في اللعنة هذا قول ، وقول آخر : خالدين فيها أي : في النار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض الذنوب لا يكفي للتوبة منها قول الرجل : أستغفر الله فقط ، وضح ذلك ؟

ج : نعم ثمَّ جملة ذنوب لا يكفي فيها قول الرجل : أستغفر الله فقط ، بل لا بد مع التوبة أشياء أُخر ، فإذا أكل رجل أموال الناس بالباطل فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل يرد الأموال إليهم أيضًا ، وإذا غَشَّ عالمٌ الناس في فتوى أفتاها عن عمد لا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل يلزم أن يبين لهم الصواب كذلك ، وإذا قذف رجل امرأة محصنة عليه أن يبين براءتها كذلك ، والشواهد على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ – ١٦٠] ، فاشترط هنا التوبة والإصلاح والبيان .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٥] فاشترط كذلك الإصلاح هنا .

● وقول الله تبارك وتعالى في القذفة : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٤ – ٥] .

● وقال النبي ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا خلص المؤمنون يوم القيامة من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدَلُّ بمنزله كان في الدنيا »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا ﴾ الآية [آل عمران : ٩٠] . من هم الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا؟

ج : قيل : هذه الآية عامة في كل من آمن ثم كفر ثم ازداد كفرًا ، وقيل : هم اليهود آمنوا بموسى وبالتوراة ثم كفروا بعيسى وبالإنجيل ثم ازدادوا كفرًا لما كفروا بمحمد ﷺ .

● وقيل : هم اليهود والنصارى آمنوا بما عندهم في التوراة والإنجيل من صفة محمد ﷺ وصفة من معه وما معه ، ثم لما جاء رسول الله ﷺ كفروا به ثم أصروا على كفرهم وازداد عنادهم .

● وقيل : هذا في الكفار أقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ثم أشركوا بالله وازداد كفرهم بجحودهم رسالة محمد ﷺ واستمرارهم على الكفر حتى هلكوا عليه ، والله أعلم .

فائدة : في قوله تعالى ﴿ ثم ازدادوا كفرًا ﴾ دليل على أن الكفر يتفاوت ، فهناك كفر أعظم من كفر ، وسيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضآلون ﴾ [آل عمران : ٩٠]؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

قومًا أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم ﴾[1] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضآلون ﴾ [آل عمران : ٩٠] كيف لا تقبل توبتهم والله عز وجل يقول : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ [الشورى : ٢٥] ويقول : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث فيها « إن للتوبة بابًا مفتوحًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها » ، والآيات والأحاديث على هذا النحو وهذه الشاكلة كثيرة ؟

ج : هناك جملة أجوبة لأهل العلم على ذلك ، منها :

الأول : أن الكافر إذا أخر توبته حتى الممات ثم جاء يتوب عند مماته لا تقبل توبته ، كما قال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا ﴾ [النساء : ١٨] ، ولما قال فرعون عند الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ أجيب بقوله تعالى : ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس : ٩٠ - ٩١] .

---

(١) تقدم قريبًا .

الثاني : أن الكفار يرتكبون كفرًا ويقترفون معاصي ، فإذا تابوا من معاصيهم لا تغفر لهم تلك المعاصي ما داموا مقيمين على الكفر .

الثالث : أن اليهود الذين كفروا بعيسى ﷺ ثم ازداد كفرهم بمحمد ﷺ وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي لن تقبل توبتهم من المعاصي إلا إذا آمنوا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

الرابع : إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا وحاولوا إظهار التوبة للناس غشًّا وخداعًا فلن تقبل منهم هذه التوبة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من مات على الكفر فلن يُقبل منه عملٌ - عمله - في الدنيا ولا فدية يفتدي بها في الآخرة ، دلل على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك فكثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ [آل عمران : ٩١] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ [المائدة : ٣٦ - ٣٧] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن

أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر : ٦٥]، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ [إبراهيم: ١٨]

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] إلى غير ذلك من الآيات .

● أما من حديث النبي ﷺ .

● فقد قال عليه الصلاة والسلام : « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به ؛ فيقول : نعم ، فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك »[1] .

● وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى البر في قوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ؟

ج : المراد بالبر هنا ثواب البر وهو الجنة ، فالمعنى : لن تنالوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي لفظ لمسلم : « قد أردت منك هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك » .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها به .

وقال بعض العلماء قولًا قريبًا من هذا ، فقال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : لن تدركوا أيها المؤمنون (البر) وهو (البر) من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه ، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم الجنة وصرف عذابه عنهم ، ولذلك قال كثير من أهل التأويل : (البر) : الجنة ، لأن بر الرب بعبده في الآخرة إكرامه إياه بإدخاله الجنة .

ثم نقل رحمه الله بعض الآثار في ذلك .

● هذا وثم أقوال أخرى في تفسير البر هنا ، فقال بعض العلماء : إن المراد به هنا التقوى ، وقال آخرون : الطاعة ، وكل هذا يؤدي إلى الجنة ، وتوجيه من قال : إن البر هو التقوى أو الطاعة أن يقال : إنكم لن ترزقوا التقوى وحب طاعة الله عز وجل حتى تنفقوا مما تحبون ، فإنفاقكم مما تحبون يورث قلوبكم التقوى ويورثها حب طاعة الله عز وجل ، وهذا وذاك يؤدي بدوره إلى الجنة ، والله أعلم .

هذا وقد يرد البر بمعانٍ أخر في مواطنَ أخر ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .... ﴾ الآية [البقرة : ١٧٧] .

وكما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « البر حسن الخلق »[١]، وكما جاء في حديث النبي عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة »[٢]، إلى غير ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (ص٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق فإن =

فاصطلاح (البر) كسائر الاصطلاحات التي تتعدد معانيها ويفهم المعنى من السياق الذي ورد فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض آيات من الكتاب العزيز تحث على الإنفاق مما نحب ؟

ج : من هذه الآيات :

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا ﴾ [الإنسان : ٨ - ١٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] .

❋ ❋ ❋

= الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

س : اذكر صحابيًّا نال شرف العمل بهذه الآية الكريمة : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ؟

ج : الصحابة الذين عملوا بهذه الآية كثير ، لكن أصح ما ورد في ذلك إنما هو عن أبي طلحة ، فأخرج البخاري وغيره[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب ، فلما نزلت : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قام أبو طلحة قال : يا رسول الله إن الله يقول : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال رسول الله ﷺ : « بخٍ ذلك مال رايح ذلك مال رايح ، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين » ، قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .

● وقد رود في هذا الباب شيء عن عمر رضي الله عنه ، فأخرج الطبري في تفسيره (٧٣٩٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من حلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال : إن الله يقول : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فأعتقها عمر[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٤) ، ومسلم (حديث ٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) وهذا مرسل فمجاهد لم يدرك عمر رضي الله عنه ، لكن ورد أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله لم أصب مالًا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر فما تأمرني به ؟ قال : « احبس الأصل وسبِّل الثمرة » .

وقد وردت آثار أخرى في الباب فيها بعض الضعف منها : ما أخرجه الطبري (٧٣٩٧) من طريق يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء زيد بفرسٍ له يقال له : (سَبَل) إلى النبي ﷺ فقال : تصدَّق بهذه يا رسول الله ، فأعطاها رسول الله ﷺ ابنه أسامة بن زيد بن حارثة فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق به ! فقال رسول الله ﷺ : « قد قبلت صدقتك » .

وهذا مرسل فعمرو بن دينار تابعي .

● وأخرج الطبري أيضًا (٧٣٩٨) من طريق الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنها حين نزلت : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبها فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله ، فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد فكأن زيدًا وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي ﷺ قال : « أما إن الله قد قبلها » .

وهذا أيضًا مرسل[1].

● وقال الحافظ أبو بكر البزار[2]: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله : حضرتني هذه

---

(١) وله شاهد مرسل آخر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٤٩) من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر بنحوه ، فهذه ثلاثة مرسلات ترقي الأثر للحسن . والله أعلم .

(٢) نقلًا عن ابن كثير .

الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل ، فلم أجد شيئًا أحب إليَّ من جارية رومية فقلت : هي حوة لوجه الله ، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها يعني : تزوجتها . وهذا أيضًا ضعيف .

● وذكر القرطبي في تفسيره بعض الآثار الأخرى فقال : وروي عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت : كان إذا جاءه السائل يقول لي : يا فلانة أعطي السائل سكرًا ، فإن الربيع يحب السكر ، قال سفيان : يتأول قول الله عز وجل : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

● وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالًا من سكر ويتصدق بها فقيل له : هلا تصدقت بقيمتها ؟ فقال : لأن السكر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب .

● وأخرج البخاري (٢٥١٧) من طريق سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال : قال لي أبو هريرة رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : « أيما رجل أعتق امرءًا مسلمًا استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه من النار » ، قال سعيد بن مرجانة : فانطلقت به إلى علي بن الحسين ، فعمد عليٌّ بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبدٍ له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم – أو ألف دينار – فأعتقه .

❋ ❋ ❋

س : وضح معاني هذه الكلمات : الأُميين – خلاق – لا يزكيهم – يلوون ألسنتهم بالكتاب – ربانيين – إصري – أسلم – الأسباط – يُنظرون – أليم ؟

ج :

الكلمـــة	معنـاهـــا
الأُميين	هم العرب الذين ليسوا بأهل كتاب .
خلاق	حظ – نصيب ، ومعنى الآية : لا نصيب لهم في نعيم الآخرة .
لا يزكيهم	لا يطهرهم من الذنوب والأدناس .
يلوون ألسنتهم بالكتاب	يحرفونه – يغيرونه – يبدلونه .
ربانيون	حكماء علماء – فقهاء علماء – حكماء أتقياء ، وقيل : هم العلماء بأمر الدين والدنيا ، وقيل : هم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره (أي : المسائل الهامة السهلة قبل غيرها) وقيل : هم الولاة ، وقيل : هم من أوتوا بصيرة بأمر الدين وسياسة الناس .
إصري	عهدي .
أسلمَ	استسلم وانقاد وخضع .
الأسباط	قيل : هم بنو إسرائيل الاثنا عشر .
ينظرون	يمهلون – يؤخرون .
أليم	مؤلم موجع .

كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن
قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ
كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم
بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ
ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ

مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
١٠٣ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟
وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ
ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠
لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟
وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ١١٢

س : من هو إسرائيل ؟

ج : إسرائيل هو يعقوب عليه السلام .

❋ ❋ ❋

س : اذكر باختصار تأويل قول الله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ [آل عمران : ٩٣] ؟

ج : المعنى باختصار : أن كل الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل قبل أن تُنزَّل التوراة ولم يُحرم منها شيء إلا الذي كان إسرائيل قد حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة .

ثم بعد ذلك نزلت التوراة وفيها تحريم جديد لأشياء كانت حلالًا كما قال تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه ؟

ج : في ذلك جملة أقوال :

الأول : أن الذي حرمه على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها .

الثاني : أنه لحوم الإبل ، الثالث : أنه لحوم الإبل مع عروقها .

الرابع : أنه حرَّم العروق فقط .

الخامس : أن الذي حرمه هو زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما كان على الظهر فإن ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار .

السادس : أن الذي حرَّمه على نفسه إنما هو الأنعام .

● وأصح هذه الأقوال قول من قال إن الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق) ؛ وذلك لأن الأسانيد المرفوعة بذلك أمثل الأسانيد رغم ما فيها من مقال ، والله تعالى أعلم[1] .

---

(١) فقد أخرج أحمد (١/٢٧٤ المسند) من طريق أبي أحمد ثنا عبد الله بن الوليد العجلي وكانت له هيئة رأيناه عند حسن عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا : والله على ما نقول وكيل قال : « هاتوا » قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ، قال : « تنام عينه ولا ينام قلبه »، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر ، قال : « يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت » قالوا : أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ، قال : « كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا » قال عبد الله : قال أبي : قال بعضهم : يعني : الإبل « فحرم لحومها » قالوا : صدقت ، أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله » قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ! قال : « صوته » قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك قال : « جبريل عليه السلام » قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله عز وجل : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل ﴾ [البقرة : ٩٧] إلى آخر الآية .

وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٢) ولكن عنده « فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان الأُتن[1] فحرم لحومها » .

لكن لي بعض الملاحظات على هذا الإسناد والمتن فمتنه ليس صريحًا في إثبات أن الذي حُرِّم هو لحوم الإبل ، وأيضًا فيه قال عبد الله : قال أبي قال بعضهم : يعني : الإبل ، وفي رواية ابن أبي حاتم (الأُتن) . هذا شيء ، الشيء الثاني أنه من طريق بكير بن شهاب ، وقد اختلف عليه ، وحديثه أيضًا لا يرتقي للحسن . =

---

(١) الأُتن : أنثى الحمير .

.....

= ● أما القول القائل بأنه حرم لحوم الإبل وألبانها فمستنده :

ما أخرجه ابن جرير الطبري (٧٤٢٠) من طريق أبي كريب قال : حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ » فقالوا : اللهم نعم .

وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم (٩٥١) .

وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه .

● أما القول القائل بأنه حرم العروق ولحوم الإبل فمستنده :

ما أخرجه الطبري في التفسير (٧٤١٨) من طريق أبي كريب حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في ﴿ إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ قال : حرم العروق ولحوم الإبل ، قال : كان به عرق النسا فأكل من لحومها فبات بليلةٍ يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا .

وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٣) لكن لفظه : لا آكل عرقًا .

وأخرجه ابن جرير أيضًا (٧٤١٧) بإسناد أحب إليَّ من الإسناد المتقدم ، وذلك من طريق محمد بن بشار قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : حدثنا سفيان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال : حدثنا سعيد عن ابن عباس فذكره وفيه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الإبل .

لكنه ليس صريحًا في ذكر لحوم الإبل (لقوله : يعني) ثم إنه ورد من طريق الثوري أيضًا (بلفظ العروق) عند الطبري (٧٤١١) .

● أما القول القائل بأنه حرم على نفسه العروق فمستنده :

ما أخرجه الطبري (٧٤٠٥) من طريق يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إنه جعل امرأته عليه حرامًا ، فقال : ليست عليك بحرام ، قال : فقال الأعرابي : ولم ؟ والله يقول في كتابه : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ ؟ قال : فضحك ابن عباس ، وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حرَّم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل =

س : ما هو علاج عرق النسا[1] ؟

ج : شفاء عرق النسا ألية شاة أعرابية تُذاب ثم تُجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق في كل يومٍ جزء[2].

❋ ❋ ❋

= على القوم يحدثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنته[❋] فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عرقًا ، قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

وما أخرجه الطبري أيضًا (٧٤٠٨) من طريق بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن الذي حرَّم إسرائيل على نفسه أن الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى إن شفاه الله لا يطعم نسًا أبدًا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم .

● أما القول القائل بأنه حرَّم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين .. إلخ .

فهو عند ابن أبي حاتم في التفسير (٩٥٤) من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

وهو موقوف على ابن عباس أيضًا .

وكذلك القول القائل : إنه حرَّم على نفسه (لحم الأنعام) فهو قول ضعيف إذ هو من طريق جابر الجعفي عن مجاهد ، وجابر متهم بالكذب (أخرجه الطبري ٧٤١٩) وابن أبي حاتم (٩٥٥) .

(١) عرق النسا : هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر حتى يبلغ الكعب . ذكر ذلك بعض أهل العلم .

(٢) وقد ورد بذلك حديث أخرجه ابن ماجة من طريق هشام بن عمار وراشد بن سعيد الرملي قالا : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا هشام بن حسان حدثنا أنس بن سيرين أنه سمع أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ... فذكره .
وإسناده صحيح .

❋ ❋ ❋

(❋) أضنته : أي أنهكته .

س : قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ٩٣]، فيه دليل من دلائل نبوة النبي محمد ﷺ، وضح ذلك ؟

ج : نعم فيه دليل من دلائل النبوة ، وذلك لأن النبي ﷺ كان أُميًّا[1] (لا يقرأ ولا يكتب) ، ومع ذلك أخبرهم بالموجود في كتابهم التوراة ، وبالذي هو غير موجود فيها رغم ما أخفوه من شأن التوراة وما حرفوه منها . والله تعالى أعلم .

* * *

س : لقوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل .. ﴾ [آل عمران : ٩٣] ، مناسبة بعد ذكر ما تقدم من آيات وضح هذه المناسبة ؟

ج : أما مناسبة ذلك فمن وجوه :

أولها : أن المشروع عندنا الإنفاق مما نحب ، لقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢][2]، ثم بُين الذي كان مشروعًا في شريعة إسرائيل عليه السلام وهو تحريم بعض الأشياء (أو أحب الأشياء إلى نفسه) ، على نفسه .

الوجه الثاني : أن سياق الآيات المتقدم كان للرد على النصارى وتزييف أباطيلهم وبيان كذبهم وافترائهم على عيسى عليه السلام ، ثم جاء بعد ذلك

---

(١) قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ... ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .
وقال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

(٢) وكذلك لقوله تعالى أيضًا : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، ولقوله سبحانه : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ [الإنسان : ٨] ، ولقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

الرد على اليهود في كذبهم وافترائهم أيضًا ، وكذبهم وافتراؤهم هنا يتلخص في أنهم كانوا ينكرون النسخ ، ومن ثم زعموا أن المحرمات عليهم في التوراة إنما هي محرمات على سائر الأنبياء من قبلهم (وذلك حتى يسلم لهم القول بأنه ليس هناك نسخ) ، فكذبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ كل الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ ، ثم جاء تحريم أشياء أخرى في التوراة كما ذكر سبحانه : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم .. ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وكما ذكر سبحانه ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ... ﴾ [الأنعام : ١٤٦] الآية ، فدل هذا على أن هناك نسخ إذ هذه أشياء قد حرمت وكانت حلالًا من قبل ، ثم تحداهم الله عز وجل بقوله : ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ، أي : حتى تعلموا الذي كان محرمًا مما لم يكن محرمًا . وصدق الله .

* * *

س : هل تشرع المحافظة على قول صدق الله العظيم عقب تلاوة القرآن ؟

ج : لم أقف على دليل يفيد ذلك ، وقد قال النبي ﷺ لما رأى الحسن والحسين مقبلين : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[1] [التغابن : ١٥] » .

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٠٩) من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ رأيت هذين فلم أصبر » ثم أخذ في الخطبة ، وهو حديث صحيح ، وقد أخرجه أيضًا الترمذي (٣٧٧٤) ، وقال : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد(*) ، وأخرجه أيضًا النسائي (٣/١٠٨) ، وابن أبي شيبة في المصنف =

(*) أي : الحسن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود : « اقرأ عليَّ » ، قال : أقرأ عليك وعليك أُنزل يا رسول الله ؟! قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأ عليه من سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، فقال له رسول الله ﷺ : « حسبك » ، قال : فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

الشاهد لو كان قول : (صدق الله العظيم) عقب انتهاء القراءة مشروعًا لأوقفة النبي ﷺ بقوله: قل (صدق الله العظيم) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ [آل عمران : ٩٦] ؟ .

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أول بيت وضع لعبادة الناس ونسكهم يصلون فيه ويطوفون ويعتكفون عنده . هذا هو الذي أستظهره من أقوال العلماء في ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أول مسجد وضع في الأرض ؟ والدليل ؟

ج : أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام ، والدليل على ذلك

= (١٢٢٣٧) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) .

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) ، وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال لي النبي ﷺ : « اقرأ عليَّ » ، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « نعم » ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ قال : « حسبك » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . وله ألفاظ أُخر قريبة المعنى من هذا اللفظ.

حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، وفيه : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد »[1].

ودليل آخر وهو الآية الكريمة : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ ، على التأويل الذي ذكرناه في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه البركة في المسجد الحرام ؟

ج : أصل البركة النمو والازدياد ، وتطلق أيضًا على ثبوت الخير في الشيء ، ووجه البركة حاصل هنا من وجوه :

- منها : مضاعفة ثواب الصلاة فيه ، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .
- ومنها : الأجر الذي أُعد للطائفين والحاجين والمعتمرين .
- ومنها : تواجد زمزم ، فماؤها طعام طعم وشفاء سقم .
- ومنها : ما دعا به إبراهيم الخليل لمكة أن يبارك الله في ثمارها ومدها وصاعها ، إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه هداية البيت الذي وضع ببكة للعالمين ؟

ج : وجه هدايته من وجوه ، منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٥) ، ومسلم (حديث ٥٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم .
أن به دلائل وآيات تدل على الخالق سبحانه وتعالى .
أنه هدى للعالمين إلى الجنة .

❋ ❋ ❋

س : هل لقوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا ... ﴾ [آل عمران : ٩٦] مناسبة في الرد على اليهود ؟

ج : نعم به مناسبة ، وذلك لأنهم ادعوا أن أول بيت وضع للناس الذي ببيت المقدس ، ففي هذه الآية ردٌّ عليهم .

❋ ❋ ❋

س : اليهود مشهورون بالكذب والتحريف والكتمان ، اذكر حديثًا يبين ذلك ؟

ج : أخرج البخاري في صحيحه (٤٥٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجلٍ منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم : « كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ » قالوا : نحممهما ونضربهما ، فقال : « لا تجدون في التوراة الرجم ؟ » فقالوا : لا نجد فيها شيئًا ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مِدراسُها الذي يُدرِّسها منهم كفَّه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم فقال : ما هذه ، فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم ، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد ، قال : فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى : في شأن الحرم : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ونحن أحيانًا نسمع عن أناس قتلوا في الحرم ، بل ونرى ذلك أحيانًا ، فكيف يُجمع بين الآية الكريمة وبين الواقع الذي نراه ونسمع عنه ؟

ج : الإجابة أن يقال : إن الآية الكريمة خبر بمعنى الأمر ، فالمعنى – والله أعلم – أمِّنوا أيها الناسُ من دخل الحرم ولا تتعرضوا له بسوء ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] فالمعنى – والله أعلم – لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج .

● وقال بعض العلماء : إن قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] إخبار عن الحال الذي عليه الحرم شرعًا ، فكان كل من جرَّ جريرةً في الجاهلية ثم عاذ بالبيت لم يكن مأخوذًا بها .

● وبعضهم يقول : إن من دخله كان آمنًا ، أي : آمنًا من عذاب الله[1] (مع سائر الضوابط الشرعية الأخرى) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ ، [آل عمران : ٩٧] وبينات على ماذا ؟ وما هي هذه الآيات البينات ؟

ج : أما معنى قوله تعالى : ﴿ آيات بينات ﴾ ، أي : دلالات وعلامات

---

(١) وهذا قول ضعيف ، ففي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكر حديث الشفاعة الطويل وفيه : « فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ».

واضحات ، فهي دلالات وعلامات على قدرة الله عز وجل ، ودلالات وعلامات على أن الذي بناه إنما هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أما الآيات البينات فمنها مقام إبراهيم عليه السلام ، والمراد به هنا الصخرة التي كان إبراهيم عليه السلام يقف عليها حتى يتمم بناء الكعبة من أعلى ، فكان فيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام[1]، وهذا مما يدل على أن الذي بناه إبراهيم عليه السلام .

ثم من الآيات البينات تعظيم الله عز وجل لمن دخل هذا البيت وأمره سبحانه بتأمين من دخل البيت ، فكان الرجل يدخل مكة فيرى فيها قاتل أبيه وقاتل أخيه ولا يتعرض له بسوء .

* * *

س : رجل أصاب ما يستوجب حدًّا وهو داخل الحرم هل يقام عليه الحد داخل الحرم ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن من أصاب حدًّا داخل الحرم[2] أُقيم عليه الحد فيه ، نقل ذلك القرطبي عن ابن العربي ولفظه : والجمهور من العلماء على أن الحدود تقام في الحرم ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة[3] .

وقال الطبري رحمه الله : فأما من أصاب الحد فيه فإنه لا خلاف بين

---

(١) كما قال أبو طالب في لاميته :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيًا غير ناعل

(٢) المراد بالحرم هنا مكة كلها وما يلحق بها كمنى ونحوها ، وليس المراد المسجد فقط .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » . وأخرجه مسلم (١٣٥٧).

الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد ، ونقل الإجماع على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : رجل قتل رجلًا ثم لاذ بالحرم فماذا نصنع به ؟

ج : يُخرج من الحرم ثم يُقتل ، وقد نقل ابن جرير الطبري الاتفاق على ذلك ، لكنه نقل الخلاف في صفة الإخراج الذي يُخرج به من الحرم ، فمن الناس من يخرجه جبرًا ، ومنهم من يرى أن يقاطع فلا يُباع له ولا يُشترى منه ولا يُتعامل معه حتى يخرج من الحرم ، فإذا خرج من الحرم قتل[1] .

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله : فإن قال لنا قائل : وما دلالتك على أن إخراج العائذ بالبيت – إذا أتاه مستجيرًا به من جريرةٍ جرها أو من حدٍّ أصابه من الحرم – جائز لإقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة ، وقد أقررت بأن الله عز وجل قد جعل من دخله آمنًا ومعنى (الآمن) : غير الخائف فيما هما فيه مختلفان ؟

قيل : قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن إخراج العائذ من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الإخراج ؛ لأخذه بما لزمه واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه ، وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه ، فقال بعضهم : السبب الذي يجوز إخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها .

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج ، فلما كان إجماعًا من الجميع على أن حكم الله – فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها – إخراجه منه لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه كان اللازم لهم ولإمامهم إخراجه منه بأي معنى أمكنهم إخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجًا منه إذا كان لجأ إليه من خارج على ما قد بينا قبل .

وبعد ، فإن الله عز وجل لم يضع حدًّا من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » ولا خلاف بين جميع =

س : اذكر بعض الأدلة على حرمة مكة والحرم ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

١ – قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

٢ – قول الله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

٣ – قول الله تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع

= الأمة أن عائذًا لو عَاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ يؤاخذ بالعقوبة فيه ، ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزم عباده من قتل أو غيره ، أعظم البقاع إلى الله كحرم الله وحرم رسوله ﷺ ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله لإقامة الحد لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثة ، فمعنى الكلام – إذ كان الأمر على ما وصفنا – ومن دخله كان آمنًا ما كان فيه ، فإن كان ذلك كذلك فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذًا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه .

هذا وقد وردت في ذلك جملة آثار منها :

ما أخرجه الطبري (٧٤٥٤) حيث قال : حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد عن قتادة قوله : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ ، وهذا كان في الجاهلية ، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ إلى حرم الله لم يتناول ولم يُطلب ، فأما في الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ، ومن قتل فيه قُتِل . وإسناده حسن .

وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد صحيحة إلى حماد والحسن وعطاء أنه يُخرج من الحرم فيقام عليه الحد .

وأخرج من جملة أسانيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما ما حاصله أن من أحدث حدثًا في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرض له ولم يبايع ولم يُكلم ولم يؤوَ حتى يخرج من الحرم ، فإذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد .

وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٣ -٤] .

٤ - قول الله تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ﴾ [القصص : ٥٧] .

٥ - قول النبي ﷺ - يوم فتح مكة[١] -: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي و لم يحل لي إلا في ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس : إلا الإذخر يا رسول الله ، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : « إلا الإذخر » .

٦ - قول النبي ﷺ : « لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح »[٢].

٧ - قول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ... »[٣] .

٨ - قول أبي شريح العدوي[٤]: لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أُذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٣) ، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا ، وهو عند البخاري أولًا من مرسل مجاهد ، ثم عقبه بالمتصل عن ابن عباس .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وله عدة طرق عن أنس أيضًا في الصحيحين وعن غير أنس كذلك في الصحيحين وغيرهما أيضًا .

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٩٥) ، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه مرفوعًا .

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية التي استدل بها الجمهور على وجوب الحج ، وهل من أدلة أخرى على وجوب الحج ؟

ج : أما آية وجوب الحج عند الجمهور فهي قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وثمَّ جملة أدلة أخرى على وجوب الحج ، فضلًا عن الإجماع المنعقد على وجوبه على القادر مرة واحدة في العمر ، أما الأدلة على وجوبه غير الآية الكريمة فمنها :

- قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس ....وحج البيت »[1] .
- قول النبي ﷺ : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا »[2] .
- قول النبي ﷺ : « الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله .... وتحج

---

(١) أخرجه البخاري (حديث٨ ، ٤٥١٥) ، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا » ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا ، فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

البيت إن استطعت إليه سبيلًا »[1] ، وثم أدلة أخرى يأتي ذكرها في مظانه إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو السبيل المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في تفسير السبيل هنا .

● فمنهم : من يرى أن السبيل هو الزاد والراحلة ، وقد ورد بذلك حديث ضعيف عن رسول الله ﷺ[2] .

● ومنهم : من يرى أن المراد بالسبيل الصحة .

● ومنهم : من يرى أن المراد بالسبيل الطاقة للوصول إلى الحج ، والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بالسبيل ما يحتاج إليه الحاج لحجه من راحلة وزاد وصحة وأمن في الطريق ومحرم للمرأة ونحو ذلك .

وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء : إن ذلك على قدر الطاقة ؛ لأن السبيل في كلام العرب : الطريق ، فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج لا مانع له منه – من زمانة أو عجزٍ أو عدوٍّ أو قلة ماء في طريقه أو زادٍ أو ضعف عن المشي – فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه ، فإن لم يكن واجدًا سبيلًا – أعني بذلك –: فإن لم يكن مطيقًا للحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد إليه طريقًا ولا يستطيعه ؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هي القدرة عليه ، ومن كان عاجزًا عنه ببعض الأسباب

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) انظر بيان ما فيه في كتابنا جامع أحكام النساء (أبواب الحج والعمرة) .

التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ [آل عمران : ٩٧] على وجه الإجمال ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: فرض واجب على الناس لله عز وجل أن يحجوا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكفر في قوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وما هو المعنى الإجمالي للآية الكريمة ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المراد بالكفر هنا هو الكفر بالله عز وجل ، ومنهم من قال : إن المراد بالكفر هنا الكفر بفريضة الحج ، أي : من كفر بفرض الحج ولم يره واجبًا[1] .

أما المعنى الإجمالى لقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ ، فالمراد به – والله أعلم – من جحد فريضة الحج وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عنه وعن عمله وحجه بل وعن جميع الخلق من الإنس والجن ، والله أعلم . .

❋ ❋ ❋

---

(١) وثمَّ أقوال أُخر منها : ألا يكون معتقدًا في حجه أن له الأجر عليه ولا أن عليه بتركه إثمًا ولا عقوبة . وبعض العلماء يرى أن المراد : ومن كفر بالآيات التي في مقام إبراهيم ، ومنهم من قال غير ذلك ، والصواب قول من قال : (من جحد فريضة الله وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عن العالمين) .

س : ما مدى صحة حديث : « من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديًّا أو نصرانيًّا » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بسبيل الله في قوله تعالى : ﴿ لم تصدون عن سبيل الله ﴾ [آل عمران : ٩٩] ؟

ج : المراد بسبيل الله هنا : دين الله ، وكذلك قيل : إن المراد : رسول الله ﷺ الذي يوصل إلى دين الله .

وقد يأتي لسبيل الله معان أُخر وذلك في مواطن أُخر على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : بين المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتقوا الله ﴾ ، خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ حق تقاته ﴾ حق خوفه ، وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى .

وأورد ابن جرير الطبري أثرًا من طرق عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ قال : أن يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر[1] .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧٥٣٦ فما بعدها) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠٧٩) ، =

وقد روي هذا الأثر عن ابن مسعود مرفوعًا إلا أن الحافظ ابن كثير رحمه الله رجح الوقف[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف ؟

ج : هناك جملة من الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف ، من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا .. ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

● وقال تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا

= وعبد الرزاق (التفسير ١/١٣٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٨٥٠١) و (٨٥٠٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/٢٩٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٩٧) من طرق عن زبيد بن الحارث اليامي عن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود موقوفًا عليه ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود رضي الله عنه .

(١) وهو : الراجح ، أي : أن الوقف هو الراجح .

السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

● وقال سبحانه : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى : ١٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ [هود : ١١٨ - ١١٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .. ﴾ [المائدة : ١٤] .

أما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة نذكر منها ما يلي :

● عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا » .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال[2]: قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) .

تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » .

● وعن أبي مسعود رضي الله عنه[1] قال : كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ... » الحديث .

● وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[2] .

● وعن ابن مسعود رضي الله عنه[3] قال : سمعت رجلًا قرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال : « كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » .

● وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[4] قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر ، فكأنما يُفْقأُ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : « بهذا أُمرتم أو لهذا خُلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض ، بهذا هلكت الأمم قبلكم » (حسن) .

قال : فقال عبد الله بن عمرو : ما غبطت نفسي بمجلسٍ تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه .

● وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قام فينا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٦) وفي غير موضع من صحيحه .

(٤) جده هو : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والحديث عند ابن ماجة (٨٥) ، وأحمد في المسند (١٧٨/٢ و ١٩٥) .

رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال : « استوصوا بأصحابي خيرًا ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى إن الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل أن يسألها . فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[1].

● حديث ابن عباس[2] رضي الله عنهما قال : لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ : « هَلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده » فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله[3]، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : « قوموا » .

قال عبيد الله (أحد رواة الحديث) : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم .

● وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه[4] قال : خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وقد تحدثت عنه في تحقيقي للمنتخب لعبد بن حميد رقم (٢٣) بما فيه الكفاية .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٢) وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ١٦٣٧) وغيرهما .

(٣) الذي كان يقول ذلك هو عمر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) وغيره .

وله سياق آخر عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تُبان له ، فلما انقضين أمر بالبناء فقوِّض ثم أُبينت له أنها في العشر الأواخر ، فأمر بالبناء فأُعيد ، ثم خرج على الناس فقال : « يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان ... » الحديث .

والشاهد منه أن العلم بليلة القدر رفع للاختلاف ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية منسوخة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ؟

ج : في هذا قولان لأهل العلم :

● فمنهم : من يرى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ﴾ [التغابن : ١٦] .

● ومنهم : من يرى أنها ليست بمنسوخة بل هي محكمة ، ورأى بعض هؤلاء أن قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ مبين لقوله تعالى : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ فعليه يكون المعنى : (فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم) قال القرطبي : وهذا أصوب[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) مستند القائلين بتصويب عدم النسخ ، أن عدم النسخ هو الأصل ، وأيضًا يُصار إلى النسخ إذا لم يُمكن الجمع ، ولكن ما دام الجمع ممكنًا فالمصير إليه أولى ، والله تعالى أعلم .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وهل من حديث في معناها ؟

ج : المعنى – والله أعلم – حافظوا على إسلامكم واثبتوا عليه وسلوا الله الثبات عليه في حياتكم وصحتكم وسلامتكم حتى تموتوا عليه ، ففي الغالب[١] أن من عاش على شيء وداوم عليه مات عليه .

● أما الأحاديث في معنى هذه الآية الكريمة فمنها : حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يؤتى إليه »[٢] .

● ومنها : حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل »[٣] .

● وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأَمَرَّت على أهل الأرض عيشتهم ، فكيف بمن

---

(١) هذا في الغالب ، ولكن – عياذًا بالله – قد يتقلب قلب شخص من الإيمان إلى الكفر فيختم له بسوء – عياذًا بالله من ذلك– ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .
وفي بعض طرق هذا الحديث : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة – فيما يرى الناس – ... » ولكن كما جاء في الحديث القدسي: يقول الله سبحانه : « أنا عند ظن عبدي بي » فنسأله سبحانه الوفاة على الإسلام والإيمان وهو راض عنا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

ليس له طعام إلا الزَّقوم »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بحبل الله في قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؟

ج : أصل الحبل هو السبب الذي يُتوصل به إلى البغية والمراد :

● أما المراد بحبل الله في الآية الكريمة فمنهم من يقول : إنه عهد الله ، ومستنده في ذلك قول الله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبلٍ

---

(١) هذا الحديث أخرجه أحمد (٣٠١/١ ، ٣٣٨) ، والترمذي (٢٥٨٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٤٣٢٥) ، والطيالسي (حديث ٢٦٤٢) ، ومن طريقه الطبراني في الصغير (٥١/٢) ، وأخرجه أيضًا النسائي في الكبرى (٣١٣/٦) ، والبغوي في التفسير (٧٧/٢ ط . دار طيبة) ، وفي شرح السنة (٢٤٦/١٥) ، وابن أبي حاتم (في التفسير ٤٥٠/١/٢) ، والحاكم في المستدرك (٢٩٤/٢ ، ٤٥١) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٦١١) ، وفي الإحسان (٢٧٨/٩) من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره .

لكن أخرجه أحمد (٣٣٨/١) من طريق فضيل بن عياض ، وابن أبي شيبة (١٦١/١٣) من طريق يحيى بن عيسى كلاهما (أي : فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس موقوفًا مختصرًا بلفظ : « لو أن قطرة من زقوم جهنم نزلت على أهل الأرض أفسد على الناس معايشهم » ففيه واسطة بين الأعمش ومجاهد (وهو أبو يحيى القتات وهو لين الحديث) ، ثم إنه موقوف ، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية الأعمش عن مجاهد وقالوا : لا يصح منها شيء إلا ما قال فيها الأعمش : سمعت .

والذي يبدو لي بعد هذا البحث أن المرفوع من هذا الحديث هو أن النبي ﷺ قال : « ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ » أما قوله : « ولو أن قطرة من الزقوم ... » إلى آخره موقوف من قول ابن عباس رضي الله عنهما .

من الله وحبلٍ من الناس ﴾ .

● ومن العلماء من يقول : إن حبل الله هو القرآن ، وقد وردت بذلك أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ لكن فيما وقفت عليه منها ضعف ، فمن هذه الأحاديث :

● حديث علي رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتاب الله هو حبل الله المتين » لكن في إسناده الحارث الأعور وهو كذاب .

● ومنها : حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين » لكن في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف .

● ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » لكن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف .

● لكن مع هذا كله قال فريق من أهل العلم : إن حبل الله المراد به هنا القرآن ، وممن قال بهذا ابن مسعود رضي الله عنه[1] وغيره .

● ومن العلماء من يقول : إن حبل الله هو القرآن والعهد الذي عهد فيه .

● ومنهم من يقول : إن حبل الله هو الجماعة .

● ومنهم من يقول : إنه إخلاص التوحيد لله .

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٥٧٠) : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ قال : حبل الله : القرآن ، وإسناده صحيح .

● ومنهم من يقول : إنه الإسلام .

وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو ما يتوصل به إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فالقرآن يُتوصل به لذلك ، وكذلك الإسلام ، وكذلك الجماعة ، وكذلك إخلاص التوحيد لله ، وكذلك التمسك بعهد الله عز وجل وأوامره . والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بنعمة الله في قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

ج : المراد – والله أعلم – نعمة التأليف بين القلوب والاجتماع على الإسلام وترك القتال فيما بينهم ، كما قال رسول الله ﷺ للأنصار يوم حنين : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ... »[1] ، فقد كانت العداوة بين الأوس والخزرج (وهما من الأنصار)

---

(١) أخرج البخاري (٤٣٣٠) ، ومسلم (١٠٦١) ، وأحمد (٤٢/٤) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال : لما أفاء الله على رسوله يوم حُنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمنُّ ، قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ » قال : كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمن ، قال : « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا[1] . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

---

(١) أي : طريدًا فآويناك ، وخائفًا فأمنَّاك ... كما في الرواية الأخرى .

على أشدها في الجاهلية ، واستمرت الحروب بينهم سنين طويلة حتى جاءهم رسول الله ﷺ فجمعهم الله عز وجل عليه بعد فرقة ، وهداهم بعد ضلالة ، وأعزهم بعد ذلة ، وألف بين قلوبهم بعد شتات .

● أما النعمة في قوله تعالى : ﴿ فأصبحتم بنعمته ﴾ يعني – والله أعلم –: نعمة الإسلام والإيمان فهي أعظم النعم على الإطلاق .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنكم كنتم على حافة النار فإذا متم على الكفر فقد سقطتم في حفرة النار ، فأنقذكم الله تعالى بما منَّ به عليكم من الإسلام والإيمان .

* * *

س : مِن في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ... ﴾ [آل عمران : ١٠٤] هل هي للتبعيض أو لبيان الجنس ؟

ج : مِن هنا – والله أعلم – للتبعيض بمعنى : وليكن بعضكم دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .

وقال بعض العلماء : إن من هنا لبيان الجنس ، والمعنى : لتكونوا كلكم كذلك ، والقول الأول أرجح ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا

الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ [الحج : ٤١] ولم يُمكن كل الناس في الأرض .

● ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله فرض على الكفاية ، وقد يتعين في بعض الأحيان على بعض الأشخاص ؛ لقول رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] .

* * *

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

● وقول الله سبحانه : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

● وقال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ [لقمان : ١٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١ - ٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٥].

● وقال سبحانه : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ٦٣] إلى غير ذلك من الآيات .

أما أحاديث رسول الله ﷺ فكثيرة في هذا الباب ، منها :

● حديث رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ... »[2] .

● وقول النبي ﷺ : « لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول بحق إذا

---

(١) صحيح وتقدم تخريجه قريبًا ، وهو عند مسلم .

(٢) صحيح وقد تقدم تخريجه وسياقه بطوله .

رآه أو سمعه أو علمه » .

* * *

س : هل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضوابط ؟

ج : نعم له ضوابط : منها :

● أن يكون عالمًا بحكم ما يأمر به وما ينهى عنه وما يدعو إليه ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

● أن يكون عالمًا (في الجملة) بقضية المفاسد والمصالح ، فهذه أساس وأصل في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرُبَّ منكر غُيِّر فأتى بمنكر أعظم منه ، والله عز وجل أخبر أنه لا يحب الفساد ، وقال سبحانه : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال النبي ﷺ : « يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون »[1]. والأدلة على هذا كثيرة .

● ومنها : أن يكلل دعوته بلين الجانب والخلق الحسن ؛ لقول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] .

● ولقول النبي ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها (١٢٦) ، (١٥٨٣) ، و ... ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .
وفي بعض الروايات : « لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم عليه السلام » .

من شيء إلا شانه »[1] .

● وأن يعرف المواطن التي تحتاج إلى شدة فيشتد ، والمواطن التي تحتاج إلى لين فَيُلين ، وأن يكون مُلمًّا بأحوال الناس ، فيُذكر حيث يرى أن الذكرى تنفع ؛ لقوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] .

● وحري به أن يكون صالحًا في نفسه وخاصة فيما يدعو الناس إليه ؛ لقول الله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ، ولقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود : ٨٨] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ؟

ج : هم اليهود والنصارى في قول جمهور المفسرين ، ومن الناس من قال : إنهم المبتدعة من هذه الأمة ، والقول الأول أولى في هذا المقام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض طوائف المبتدعة من هذه الأمة ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن أصول الفرق الضالة ست وهي : الحرورية ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية ، ثم انقسمت كل فرقة منهم إلى عدة فرق .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وعند مسلم أيضًا (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير » .

ويضاف إليهم أيضًا الناصبة .

وانظر تفسير القرطبي رحمه الله (٤/١٠٣) ، والفِصَل في الملل والنحل لابن حزم وسائر مصنفات أهل السنة في الملل والنحل .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧] وجوه من التي تبيض ووجوه من التي تسود ؟

ج : أما الذين تبيض وجوههم يوم القيامة فهم أهل التوحيد والإيمان ، فإن الله عز وجل يسألهم يوم القيامة هل تريدون شيئًا فيقولون « .. ألم تُبيِّضْ وجوهنا ... » الحديث .

ومنهم : أقوام يزداد بياض وجوههم وهم أول زمرة تدخل الجنة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة »[1].

ومنهم : حفظة حديث رسول الله ﷺ المبلغون له ؛ لقول النبي ﷺ : « نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها »[2].

- أما الذين تسود وجوههم يوم القيامة ففيهم جملة أقوال للعلماء :
- فمنهم من قال : إنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة .
- ومنهم من قال : إنهم المرتدون من هذه الأمة ، وشاهدهم على ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) هذا حديث ثابت صحيح بل هو متواتر عن رسول الله ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ .

● ومن أهل العلم من قال : إنهم المنافقون فهم قد شهدوا ألا إله إلا الله ثم ارتدوا .

● ومنهم من قال : هم عموم الكفار لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أُغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [يونس : ٢٧] والخلود لا يكون إلا مع الكفر . ولقول الله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ [عيسى : ٤٠- ٤٣] ، أما كيف يلتئم هذا مع قوله تعالى : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ فإن المراد بالإيمان هنا الإيمان المأخوذ عليهم وهم في صلب أبيهم آدم ، والمذكور في قول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٢] .

● أو الإيمان الذي أقروا به لما سئلوا من خلق السموات والأرض فقالوا : الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تُسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩] .

● واختار ابن جرير الطبري رحمه الله أنه عني بذلك جميع الكفار ، وعلل ابن جرير ذلك بقوله : وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين ، أحدهما سودًا وجوهه ، والآخر بيضًا وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هناك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوِّد وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه ، فلا وجه إذًا لقول قائل : (عني بقوله : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ بعض الكفار دون بعض)

وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعًا ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة كان معلومًا أنها المرادة بذلك .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت .. ﴾ [آل عمران : ١٠٦] أسلوب بلاغي حيث قدم أولًا ﴿تبيض﴾ ثم قال : ﴿فأما الذين اسودت ﴾ فما هو نوع هذا الأسلوب ؟

ج : يطلق العلماء على هذا الأسلوب البلاغي أسلوب اللف والنشر ، أو أسلوب التلوين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كان في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ [آل عمران : ١١٠] ما المراد بها ؟

ج : كان في هذا الموطن لها معان ذكرها العلماء ، منها :

- خلقتم ووجدتم خير أمة ، على أساس أن (كان) هي كان التامة .
- كنتم في اللوح المحفوظ مكتوبين أنكم خير أمة .
- كنتم عند من سبقكم من أهل الكتاب مذكورين أنكم خير أمة ، وأهل الكتاب يعلمون ذلك عندهم .
- وقيل : إن (كان) زائدة في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ، والمعنى أنتم خير أمة ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ﴾ [مريم : ٢٩] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلًا فكثركم ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، كما في قول شعيب عليه السلام لقومه ، وقال سبحانه للمؤمنين من أمة محمد ﷺ : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ... ﴾ [الأنفال : ٢٦] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أقوى وجه لانتفاع الأمم بأمة محمد ﷺ ؟

ج : أقوى وجه انتفاع تنتفع فيه الأمم بأمة محمد ﷺ أن أمة محمد ﷺ تقاتل هذه الأمم حتى تُدخلها الإسلام فتنجيها من عذاب الله يوم القيامة ، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[1] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [آل عمران : ١١٠] فضيلة للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وضحها ؟

ج : وجه هذه الفضيلة أن الخيرية في هذه الأمة منوطة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله ، فإذا تخلت عن إيمانها بالله وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر سُلبت منها تلك الخيرية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المخاطب بهذه الآية هم أصحاب محمد ﷺ خاصة[2]، لكن الصحيح من أقوال العلماء : أن المخاطب بها عموم أمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٦١) ، والنسائي في التفسير (٩١) ، والطبري في التفسير (٧٦١٦) .

(٢) أخرج النسائي في التفسير (٩٢) ، والطبري في التفسير (٧٦٠٦) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٥٧) من طريق سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ .

محمد ﷺ ، ويدخل فيهم الصحابة رضي الله عنهم بالدرجة الأولى .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فالخطاب وإن كان لأصحاب رسول الله ﷺ إلا أن الأمة جميعها لهم تبع ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] إلى غير ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : أي أمة محمد ﷺ أفضل ، أولها أم آخرها ؟

ج : أفضل أمة محمد ﷺ هم أولها ، وذلك لقول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... »[1] .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »[2] .

● ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنى ﴾ [الحديد : ١٠] .

● ولقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

وقد وردت بعض الأحاديث تُشعر بأن آخر هذه الأمة قد يفضل أولها

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

كحديث : « مثل أمتي مثل الغيث لا يدرى أوله خير أم آخره » وحديث : « ... لمثل المتمسك بما أنتم عليه أجر خمسين منكم » ونحوها ، لكنها أحاديث ضعاف لا تثبت عن رسول الله ﷺ ، ولا تقاوم الأحاديث الجياد التي أسانيدها كالجبال في الصحيحين وغيرهما ، فضلًا عن آيات الكتاب العزيز التي وردت في بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فضائل أمة محمد ﷺ ؟

ج : من فضائل أمة محمد ﷺ ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● قول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● قول الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ [الفتح : ٢٩] .

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الباب فكثيرة ، منها :

● قول النبي ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... »[2] .

---

(١) وإن شئت المزيد من التفصيل في هذا الباب ، ومزيدًا من فضائل أصحاب النبي ﷺ فارجع إلى كتابي (الصحيح المسند من فضائل الصحابة) فقد حوى – بتوفيق الله سبحانه – ما تقر به عين الباحث عن فضائل أصحاب محمد ﷺ .

(٢) صحيح وقد تقدم .

● وقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله ، فالناس لنا تبع اليهود غدًا ، والنصارى بعد غدٍ »[2] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتي أهل التوراة التوراة ، فعملوا ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأُعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صلاة العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابَين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ، ونحن كنا أكثر عملًا ، قال : قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء »[3] .

● وقال رسول الله ﷺ : « مثل المسلمين واليهود والنصارى[4] كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا فاستأجر

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦) ، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٤) أي : الذين كانوا قبل رسول الله ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » .

قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين »[1] .

● وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك قال : يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » ، فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله : أينا ذلك الرجل ؟ قال : « أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل»، ثم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال : فحمدنا الله وكبرنا ، ثم قال : « والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرَّقمة في ذراع الحمار »[2] .

● وقال النبي ﷺ : « عُرِضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمرُّ معه الأُمة ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ ، قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ... » الحديث[3] .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤١) ، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

« يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر .. » فذكر الحديث[1] .

✸ ✸ ✸

س : أهل الإيمان في الغالب قلة ، وأهل الفسق والعصيان والكفر والفجور في الغالب كثرة دلّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾[2] [آل عمران : ١١٠] .

● وقول الله جل ذكره: ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ: ١٣] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ [ص : ٢٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٢) ، ومسلم (٢١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٦٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ ذم الله أكثر الناس ، وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم (١١٧٨) في التفسير .

● وقول الله عز وجل في شأن نوح عليه السلام : ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ [هود : ٤٠] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ [يونس : ٨٣] .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك ، قال : يا رب وما بعث الناس ، قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « إنما أنتم في الأمم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض أو الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود »[1] .

● وقول النبي ﷺ : « عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي يمر ومعه الرجل والنبي يمر ومعه الرجلان .... » الحديث[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في قوله تعالى: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

ج : قال بعض أهل العلم : قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله هنا ، لأن من الأمم السابقة من آمن بنبيه عليه السلام ، فاشترك مع هذه الأمة في الإيمان ، لكن فاقه أهل هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

● وقد يقال : إن الواو لا تقتضي الترتيب في كل الأحوال ، بل تقتضي مطلق التشريك ، كما بيناه في قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحاح وقد تقدمت كلها .

س : كثير من الناس يقول : (جمعنىَ الله وإياكم في مستقر رحمته) فهل ورد لكلمة مستقر رحمته ذكر في الكتاب والسنة ؟

ج : لم أقف لكلمة مستقر رحمته على ذكر في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] اذكر بعض المؤمنين من أهل الكتاب ؟

ج : من المؤمنين من أهل الكتاب عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهوديًّا فأسلم ، ومنهم عدي بن حاتم الطائي الذي كان نصرانيًّا فأسلم ، ومنهم تميم الداري الذي كان نصرانيًّا فأسلم ، ومنهم أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها كانت يهودية فأسلمت رضي الله عنها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ [آل عمران : ١١٠]؟

ج : المراد بالأذى في قوله تعالى : ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ أي : لن ينالوا منكم شيئًا إلا أذىً يسيرًا بألسنتهم كقولهم : عزير ابن الله والمسيح ابن الله ، وكذلك بقولهم : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وبقولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وبطعنهم في محمد وعيسى عليهما السلام ، وبإلقاء الشبه على الأسماع وتخويف ضعفة الإيمان من المسلمين ، وبتحريفهم التوراة والإنجيل.

وعلى العموم فالمراد بالأذى هنا الضرر اليسير .

وقوله تعالى : ﴿ لن يضروكم ﴾ لأصحاب النبي ﷺ ، والمعنى : أن أهل الكتاب لن ينالوا من أصحاب محمد ﷺ إلا أذى .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ [آل عمران : ١١١] خطاب لمن ؟

ج : هذا الخطاب إما أنه لأصحاب النبي ﷺ ، وعليه فلا إشكال في الآية الكريمة ، فإن اليهود والنصارى لما قاتلوا أصحاب محمد ﷺ ولّى اليهود والنصارى الأدبار ثم لم يُنصروا .

وقد يقال : إن هذا خطاب لعموم أمة محمد ﷺ المتبعين لشريعته العاملين بها ، وهنا يخرج العلمانيون والشيوعيون والاشتراكيون الذين قاتلوا اليهود فولوا الأدبار ، والله تعالى أعلم .

فيقال لأهل الإيمان : إنكم ما دمتم مستمسكين بإيمانكم متبعين لكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ ، فلن ينال اليهود والنصارى منكم شيئًا ، أما إذا فرطتم في دينكم وعصيتم ربكم ونبيكم ﷺ حل بكم من البلاء على قدر ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ [آل عمران : ١١٢]؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الذُّل والصغار جُعلا ملصقين بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به ويحيط به من كل جانب ، فمعنى ضربت عليهم الذلة لصقت بهم وأُحيطت فيُحَارَبوا فتُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم أموالهم .

وقيل : إن المراد بالذِّلة هنا الجزية ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بحبل من الله وحبل من الناس في الآية الكريمة : ﴿ إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ [آل عمران : ١١٢] ؟

ج : قيل : إن المراد بحبل من الله هو الإسلام .

وحبل من الناس هو العهد والذمة .

وقيل : إن حبل الله هو الذمة والعهد الذين أعطاهما الله عز وجل لليهود والنصارى إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

● وحبل من الناس : هو عقود المصالحة التي يجريها إمام المسلمين مع اليهود والنصارى، فيزيد فيها الإمام تارة وينقص تارة أخرى، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى المسكنة في قوله تعالى : ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ [آل عمران : ١١٢] ؟

ج : قيل : إن المسكنة هي الجزية ، وقيل : إن اليهودي يُظهر من نفسه دائمًا المسكنة ، وإن كان ثريًّا ، وقيل غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ضرب الله عز وجل الذلة والمسكنة على اليهود وباءوا بغضب من الله ، كل ذلك لكونهم يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، وأيضًا لعصيانهم واعتدائهم ، ومن المعلوم أن اليهود الموجودين على عهد رسول الله ﷺ لم يقتلوا نبيًّا فكيف تُسحب الآية عليهم ؟

ج : لا يلزم أن يكون كل يهودي قد ارتكب كل ما ذكر ، فالمسكنة تتنزل على كل شخص بحسب جرائمه التي اقترفها ، والذلة والمسكنة مضروبتان على كل يهودي سواء المتقدم منهم أو المتأخر ، أما المتقدم منهم فلكونه باشر قتل الأنبياء في عصره ، وأما المتأخر منهم فلكونه رضي بما صنع المتقدم من قتل واعتداء ، وأيضًا فالجميع[1] كانوا يكفرون بآيات الله .

❋ ❋ ❋

---

(١) إلا من أسلم منهم .

س : العصيان والتمرد قد يؤدي إلى الكفر ، وضح ذلك ، وبيِّن صورة من جرائم بني إسرائيل ؟

ج : أما كون العصيان قد يؤدي إلى الكفر فقد ذكر الله عز وجل ذلك فبين سبحانه أن كفر بني إسرائيل بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق سببه هو العصيان والاعتداء فقال سبحانه : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

وقال الله سبحانه في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] ، فالفتنة : هي الشرك[١]، والمخالفة عن أمر الله عز وجل معصية، ولكن قد يؤدي الإكثار من المخالفة والعصيان إلى الشرك، كما ذكره بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم[٢].

ولقوله تعالى : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ معنى آخر وهو : إننا إنما ضربنا عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بالغضب لعصيانهم واعتدائهم، والله أعلم.

أما بالنسبة لجرائم بني إسرائيل المتعددة التي لا تكاد تنتهي فمنها ما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٢١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم من آخر النهار[٣].

❋ ❋ ❋

---

(١) وتطلق على غير الشرك أيضًا .

(٢) ونُقل عن بعض العلماء قولهم : من ابتلي بترك الآداب وقع في ترك السنن ، ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفريضة ، ومن ابتلي بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ، ومن ابتلي باستحقار الشريعة وقع في الكفر .

قلت: ويشهد له حديث رسول الله ﷺ: « .. فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

(٣) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود حدثنا شعبة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود قال .. فذكره .

س : قال تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] وقال في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ كيف تجمع بين الآيتين ؟

ج : وجه الجمع أن قوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] أن المراد عالمي زمانهم ، والله أعلم .

* * *

س : وضح معاني هذه الكلمات :
حلًّا – ملة – بكة – مباركًا – وأنتم شهداء – عوجًا – يعتصم بالله – شفا حفرة – أمة – باءوا – ثقفوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلًّا	حلالًا
ملة	دين .
بكة	قيل : إن بكة هي مكة ، وقيل : إن بكة هي الكعبة وما حولها من المسجد ، وأما مكة فهي عموم البلد الحرام ، وقيل : إنه قيل لبكة بكة من الازدحام الذي يكون حول الحرم .
مباركًا	البركة هي ثبوت الخير في الشيء ، وتطلق على النمو والازدياد .
وأنتم شهداء	قيل : شهداء عقلاء – وقيل : شهداء على أن

	الدين المقبول عند الله هو الإسلام .
عوجًا	هلاكًا ، والعوج : الميل والزيغ في الدين والقول والعمل .
يعتصم بالله	يستمسك بدينه ، ويعتصم أيضًا يمتنع .
شفا حفرة	طرف حفرةٍ .
أمة	جماعة : لقوله تعالى : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [القصص : ٢٣٠] . الرجل الحنيف ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] المدة الزمنية : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥]. الملة : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ [الأنبياء : ٩٢] : أي ملتكم .
باءوا	استوجبوا ورجعوا . أو رجعوا وقد احتملوا .
ثقفوا	وجِدوا .

* * *

۝ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ
يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ
وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَاأَنْتُمْ
أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا
بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت
طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن
فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ
فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ
فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟
ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

س : من هم الذين قال الله فيهم : ﴿ ليسوا سواءً ﴾ [آل عمران : ١١٣] ؟

ج : فيهم قولان :

الأول : لا تستوي أمة محمد ﷺ مع أهل الكتاب .

الثاني : لا يستوي أهل الكتاب فيما بينهم ، فمنهم الصالح ومنهم الطالح .

ويشهد للقول الأول ما أخرجه أحمد بإسناد حسن[1] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال : وأنزل الله هؤلاء الآيات : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب ﴾ حتى بلغ ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] ، فهذا يؤيد صحة القول الأول .

● وثمَّ سبب نزول آخر أخرجه ابن أبي حاتم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا ومنحوا فيه ، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ ، لكن في إسناده مجهول .

لكن كلا المعنيين للآية صحيح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٢٦) ، والطبري (٧٦٦٢) .

(٢) ابن أبي حاتم في التفسير (١٢٢٠) ، وفي إسناده مجهول ، وأخرجه أيضًا الطبري (٧٦٤٤) .

س : هل القول بأن قوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء ﴾ المراد به أمة محمد وأهل الكتاب ، المعنى واضح وهو أنه لا تستوي أمة محمد وأهل الكتاب لكن على القول بأن قوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء ﴾ هم أهل الكتاب بعضهم مع بعض يكون هناك محذوف فما هو ؟

ج : التقدير أن يقال : إن أهل الكتاب لا يستوون ، فمنهم أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ... ، وأمة شقية غوية كافرة عاصية لم تذكر في السياق لدلالة السياق عليها ؛ لأن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الضد الآخر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ أمة قائمة ﴾ [آل عمران : ١١٣] ؟

ج : أمة قائمة أي : مستقيمة على أوامر الله عز وجل ، مقيمة لحدوده وفرائضه ، كما قال النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ... »[1] الحديث ، وكما قال تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] ، أي : ملازمًا للاقتضاء ، ملازمًا للمطالبة .

وقال بعض أهل العلم : إن معنى قوله تعالى ﴿ قائمة ﴾ أي : مهتدية ، وقيل : عادلة ، وبعضهم قال : ﴿ قائمة ﴾ أي : مطيعة ، وكلها ترجع إلى معنى واحد ، والله أعلم .

وبعض العلماء يقول : إن المراد بقائمة (أي: قائمة في الصلاة) تتلو القرآن فيها ، وهذا المعنى جزء من المعنى الأول، والتفسير بالعموم أولى والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

س : قوله تعالى : ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ [آل عمران : ١١٣] ظاهره يفيد أنهم يتلون القرآن في سجودهم فهل هذا الظاهر صحيح ؟

ج : هذا الظاهر ليس بصحيح؛ لأن النبي ﷺ قال : « إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا »[1]. فلا بد من تأويل الآية إذًا تأويلًا لا يتعارض مع حديث رسول الله ﷺ ؛ لأن القرآن وحي والسنة وحي كذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] ، وقال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقد زعم بعض أهل العلم أن المراد بقوله تعالى هنا : ﴿ وهم يسجدون ﴾ أي : يصلون، ورد ابن جرير الطبري هذا التأويل، وقال : وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها ، فـ (السجود) هو السجود المعروف في الصلاة .

❋ ❋ ❋

س : هل العجلة مذمومة في كل وقت ؟

ج : العجلة ليست مذمومة فيما يقرب من الله عز وجل ؛ بل غلينا أن نعجل بعمل ما يقربنا إلى الله عز وجل .

● قال الله سبحانه : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٩٦/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة ، والناس صفوف خلف أبي بكرٍ ، فقال : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له ، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا ، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم » .

السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

● وقال تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ [الحديد : ٢١] .

● وقال سبحانه : ﴿ ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ [آل عمران : ١١٤] .

● وقال موسى عليه السلام : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ [طه : ٨٤] .

وفي الأثر (التؤدة في كل شيء خير إلا في أمر الآخرة) .

* * *

س : اذكر معنى قوله تعالى : ﴿ وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه ﴾ [آل عمران : ١١٥] ، وبعض الآيات في معناها ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – وما يفعلوا من خيرٍ فلن يضيع ثوابه عليهم بل يدخره الله لهم ويكافئهم الله به ، كما قال سبحانه :

● ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ وما تنفقوا من خيرٍ يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

● وقال : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك

كان سعيهم مشكورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وما تنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليم ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المثل المذكور في قوله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] ؟

ج : فحوى هذا المثل – والله أعلم – أن الله عز وجل شبه الأموال التي ينفقها الكفار في هذه الحياة الدنيا للصد عن سبيل الله ، ولنيل الشهرة والاستكثار من المفاخر والمكارم وحسن الذكر ؛ هذه الأموال شبهها الله عز وجل بحرث زرعه أقوام يرجون ثماره ، فجاءته ريح شديدة فيها برد محرق وجليد فأحرقته ، فكذلك شركهم ذهب بثواب أموالهم التي أنفقوها[1]، والله تعالى أعلم ، فعلى ذلك :

الأموال التي أنفقت مثلها : مثل الحرث

والشرك : مثله مثل ريح فيها صر

فالريح التي فيها صر دمرت الحرث وأهلكته ، وكذلك الشرك ذهب بثواب الأموال وأضاعه ، والله تعالى أعلم .

وهذا قول لابن القيم رحمه الله تعالى في هذا المثل أيضًا .

---

(١) ولهذا أمثلة كثيرة في الكتاب العزيز ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .
وقال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ٢١٤) :

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته ، فشبه سبحانه وتعالى ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله ، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره ، فأصابته ريح شديدة البرد جدًّا يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار ، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته . واختلف في الصِّر ، فقيل : هو البرد الشديد ، وقيل النار ، قاله ابن عباس ، وقال ابن الأنباري : إنما وصفت الريح بأنها صر لتصريتها عند الالتهاب ، وقيل : الصِّر : الصوت الذي يصحب الرياح من شدة هبوبها .

والأقوال الثلاثة متلازمة ، فهو برد شديد يحرق ليبسه الحرث كما تحرقه النار ، وفيه صوت شديد .

وفي قوله : ﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم ، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة ، حتى أهلكت زرعهم وأيبسته ، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد ببطانة الرجل ؟

ج : بطانة الرجل هم : خاصته والمقربون إليه الذين يستشيرهم في أموره ، ويطلعهم على أسراره ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ؛ إلا وكانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من

عصم الله تبارك وتعالى »[1].

❋ ❋ ❋

س : وضح باختصار معنى الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] ؟

ج : ينهى الله عز وجل المؤمنين – في هذه الآية الكريمة – أن يتخذوا لأنفسهم بطانة ممن ليس على دينهم وطريقتهم وسنتهم من الكفار واليهود والنصارى وأهل الأهواء والفسق والفجور ، يطلعوهم على أسرارهم ويشاوروهم في آرائهم ويُسندوا إليهم أمورهم ، وذلك لأن هؤلاء الذين ليسوا على ديننا من المذكورين لا يدخرون جهدًا لإضلالنا ، ولا يُقصرون في إغوائنا وإفسادنا وغشنا وإنزال المشقة بنا .

❋ ❋ ❋

س : هل تقبل شهادة الكفار ؟ وشهادة العدو على عدوه هل تجوز ؟

ج : جمهور أهل العلم على رد شهادة الكفار مطلقًا[2]، واستدلوا بأدلة منها قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] .

● وبقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ [الطلاق : ٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) رأي الجمهور نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٥/٢٩٢) .

● وبقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● وبقول النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. »[1] الحديث .

● وبقول ابن عباس الذي أخرجه البخاري (٢٦٨٥) : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : ﴿ هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] ، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

● بينما ذهب فريق من العلماء إلى قبولها مطلقًا (إلا على المسلمين)[2] .

● وتوسط فريق ثالث وقبل شهادة أهل الملة الواحدة على بعضهم ، وعدم شهادة أهل ملة على أهل ملة أخرى (مثلًا رأى أن النصارى يشهد بعضهم على بعض ، وكذلك اليهود ، ولكن لا يشهد يهودي على نصراني) وذلك لقوله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤].

---

(١) في شرح هذا الحديث تفصيل فحواه : إن أتى أهل الكتاب بما يوافق كتابنا أقررناه ، وإذا أتوا بما يخالف ديننا وما في كتابنا رددناه ، وإن أتوا بشيء لا يوافق ولا يخالف توقفنا فيه ، والله أعلم .

(٢) ولعله يأتي مزيد إن شاء الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدلٍ منكم أو آخران من غيركم ... ﴾ في موطنه من سورة المائدة إن شاء الله .

ولكن بإمعان النظر في الآية الكريمة يجد أن إغراء العداوة والبغضاء بين الملة الواحدة أيضًا ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ١٤] .

● أما شهادة العدو على عدوه فالأكثر أيضًا على عدم قبولها لهذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم ﴾ [آل عمران : ١١٨] ، ونقل القرطبي القول بعدم الجواز عن أهل المدينة وأهل الحجاز ، وحكي عن ابن بطال أنه حكى عن ابن شعبان أنه قال : أجمع العلماء على أنه لا تجوز شهادة العدو على عدوه في شيء ، وإن كان عدلًا ، والعداوة تزيل العدالة ، فكيف بعداوة الكافر ؟!!! .

قلت : ولنا تحفظ على دعوى الإجماع ، والله أعلم .

✸ ✸ ✸

س : المؤمن عليه أن يكون كيسًا فطنًا فهمًا يفهم مدلولات الألفاظ ومخارجها ، وخاصة تلك التي تصدر من أهل النفاق والزندقة ، وقد حثنا الله عز وجل على فهم ذلك ، وضح الآيات التي تشير إلى ذلك ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ [محمد : ٣٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴾ [الممتحنة : ٢] .

✸ ✸ ✸

س : قوله تعالى : ﴿ تحبونهم ﴾ [آل عمران: ١١٩] تحبون من ؟

ج : قيل : المراد المنافقون (وهو أقوى الأقوال) لقوله تعالى : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، وقيل : الإباضية (فئة من الخوارج) ، وقيل : المراد اليهود ، وقيل غير ذلك ، والأول أقوى ، والله أعلم .

✸ ✸ ✸

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تحبونهم ولا يحبونكم﴾ [آل عمران: ١١٩]؟

ج : لأهل العلم جملة أقوال في ذلك ، منها :

● تحبون لهم الإسلام والهداية ، وهم يحبون لكم الكفر .

● تحبونهم لما بينكم وبينهم من قرابة ومصاهرة ورضاع ونحو ذلك ، ولكنهم لا يحبونكم ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة ﴾ [براءة : ١٠]، أي : لا عهدًا ولا قرابةً .

● تحبونهم فتخالطونهم وتتخذون منهم بطانات وتفشون إليهم الأسرار ﴿ ولا يحبونكم ﴾ ولا يفعلون معكم مثل ما تفعلوه معهم .

✸ ✸ ✸

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ [آل عمران : ١١٩] ؟

ج : بعض العلماء يرى أن المراد بالكتاب هنا القرآن فأنتم يا أصحاب

محمد تؤمنون بكل ما جاء في القرآن ، ولكن أهل النفاق يؤمنون ببعض ويكفرون بالبعض الآخر ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور : ٤٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [النور : ٤٨] .

وبعض العلماء يرى أن المراد بالكتاب هنا عموم الكتب التي نزلت على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فالمؤمنون يؤمنون بها ، أما اليهود والنصارى وأهل النفاق فيؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يَسْلَم المؤمن من كيد الفجار وشر الأشرار ؟

ج : يسلم بإذن الله بأمور منها :

● الصبر وتقوى الله عز وجل . كما قال سبحانه : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وللعلماء في الصبر هنا أقوال منها :

● الصبر على ما أمر الله به من ترك اتخاذ بطانة من دون المؤمنين ، وعموم الصبر على أوامر الله والثبات عليها ، والتقوى المراد بها هنا اتقاء المعاصي والشرك .

● والاستعانة بالصلاة أيضًا ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وقال سبحانه : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] .

● الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ [الأنعام : ٤٢] .

● قول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال

لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

● ومنها : ترك أرض الفتن لحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا[1]، وحديث : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن »[2]، ولأن البكر الذي يزني يُغرب عن البلاد .

ولقوله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على راهب ، فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلَّ على رجل عالمٍ ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة.؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق ، أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة».

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ١٩) وفي عدة مواطن أخر من صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قوله تعالى : ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ [آل عمران : ١١٩] كيف لم يموتوا والله إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ؟

ج : الله عز وجل هنا لم يقل لهم موتوا ، ولكنه أمر نبيه ﷺ والمسلمين أن يقولوا لهم : موتوا بغيظكم ، والمعنى : ادعوا عليهم أن يموتوا والغيظ يملأ قلوبهم ، فإن الله سبحانه سيوسع على المؤمنين ، ويفتح لهم البلاد ، ويُدر عليهم الخيرات ، وهذا كله لا يزيد أهل النفاق إلا غيظًا يملأ قلوبهم ويموتوا وهذا الغيظ مستحوذ على قلوبهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾ [آل عمران : ١٢١] ومن المراد بهذا الخطاب ، وما صلة هذه الآية بالتي قبلها ؟

ج : العامل هو : (واذكر) والمعنى : واذكر إذ غدوت ، وهذا الخطاب موجه – كما هو واضح – لرسول الله ﷺ ، والمراد منه أمته ، وصلة الآية بالتي قبلها أن الله عز وجل بين لأهل الإيمان في الآية التي قبل هذه الآية – أن الصبر وتقوى الله يكفي الله بهما كيد الأعداء ويردُّه ، أما العصيان فهو سبب للخذلان والهزيمة ، كما وقع في غزوة أحد من بعض أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم .

❋ ❋ ❋

س : في أي يوم كان هذا : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران : ١٢١] ؟

ج : عند جمهور المفسرين أن ذلك كان يوم أحد ، وتأيد قولهم بإطباق أهل السير والتفسير أن قوله تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] ، كان يوم أحد .

وقد قيل في ذلك أقوال أُخر ، منها : أن ذلك كان يوم الأحزاب ، وقول ثان : أن ذلك كان يوم بدرٍ ، وكلا القولين ضعيف ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الأهل قد تطلق على الزوجة ، وتطلق على عموم أهل البيت والأقارب ، وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما كون الأهل قد تطلق على الزوجة ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران : ١٢١] فقد قال جمهور المفسرين : إنه عليه الصلاة والسلام خرج من عند عائشة رضي الله عنها .

● ومنه أيضًا قول النبي ﷺ – في حديث الإفك –: « من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ، ووالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا »[1] .

● أما كونها تطلق على غير الزوجة أيضًا فلقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وبضميمة حديث الكساء على ما تقدم .

وقوله تعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك .. ﴾ [هود : ٤٦] .

❋ ❋ ❋

س : من هما الطائفتان اللتان قال الله عز وجل فيهما : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ﴾ [آل عمران : ١٢٢] وما هي صورة هذا الفشل ؟

ج : الطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة ، وذلك لقول جابر بن عبد الله

---

(١) تقدم حديث الإفك وبُيِّن أنه في الصحيحين .

رضي الله عنهما : فينا نزلت ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] قال : نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة ، وما نحب – أو ما يسرني – أنها لم تنزل لقول الله تعالى : ﴿ والله وليهما ﴾[1] [آل عمران : ١٢٢] .

أما صورة الفشل فهي : أنهما همتا أن ينصرفا عن رسول الله ﷺ بعد أن تسرب إليهما بعض الجبن والخور ، فمعنى تفشلا : تجبنا وتتخاذلا عن نصرة رسول الله ﷺ ، ولكن الله عز وجل ثبتهما ، ولم ينصرفا مع من انصرف وانفض عن رسول الله ﷺ من أهل النفاق .

* * *

س : كم كان عدد المؤمنين يوم بدر ؟

ج : كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر .

وقد أخرج البخاري[2] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيفًا على ستين ، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين .

وفي رواية[3] عن البراء أيضًا قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

● وقد وقع عند مسلم من حديث ابن عباس[4] رضي الله عنهما قال :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٨) ، ومسلم (٢٥٠٥) وغيرهما .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٥٦) .
(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٧) .
(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) .

حدثني عمر : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر .. الحديث ، لكن قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[1]: لكن أخرجه أبو عوانة وابن حبان بإسناد مسلم بلفظ : (بضعة عشر) .

قلت (القائل مصطفى) : والأمر في هذا قريب والجمع ممكن بأن يكون بعض من عدَّ أصحاب بدر عدَّ من استصغر منهم ، والآخر لم يعدُّهم ، أو يكون عدَّ نفسه وعدَّ رسول الله ﷺ، والآخر لم يدخل ذلك في العدد، أو أن أحدهم عدَّ السقاة والأعين، والآخر لم يعدهم أو نحو ذلك، وكل ذلك قريب.

والأثبت أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أين توجد بدر ، ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

ج : بدر موضع بين مكة والمدينة ، التقى عنده رسول الله ﷺ والمشركون ، فهزم الله الشرك وأهله في ذلك اليوم عند ذلك الموضع ، وقد سميت بدر بهذا الاسم كسائر البلدان التي سميت بأسماء ، ولا يكاد يُعرف لها تعليل .

وقال بعض العلماء : إنها سميت بدرًا نسبة إلى بئرٍ فيها يُقال لها : بدر .

وقيل : سميت ببدر لأن صاحب البئر رجل يقال له : بدر[2].

والأول عليه الأكثرون ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) (٣٤١/٧ فتح الباري) .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٣٥ ، ١٣٣٦) بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال : إنما سميت بدرًا لأنها كانت بئرًا لرجل يسمى بدرًا .

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة ﴾ [آل عمران : ١٢٣] كيف وُصِفَ المؤمنون بالذلة هنا ، والله عز وجل يقول : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] ؟

ج : لا بد من تأويل الذلة في قوله تعالى : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ حتى تنسجم الآيتان معًا ، وعليه فإن الأكثرين من أهل العلم أوَّلوا الذلة في قوله تعالى : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ بمعنى : قلة العدد وضعف الحال ، وقلة السلاح وعدم القدرة على مقاومة العدو ، وهي كما قال تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

وبعض أهل العلم يؤول الذلة تأويلًا آخر فيقول : ﴿ وأنتم أذلة ﴾ أي : في أعين الكفار والمنافقين ، كما قال أهل النفاق : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [المنافقون : ٨] .

لكن القول الأول عليه الأكثرون، ألا وهو تفسير الذلة بالقلة، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ [آل عمران : ١٢٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – فاتقون ، فإن تقواكم لي هي شكر نعمتي ، أي : فاتقون لعلكم بتقواكم لي تكونوا قد أديتم شكر نعمتي، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم

هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ [آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥] متى كان هذا ؟ مع ملاحظة أنه قد ورد في هذا الباب قوله تعالى - وذلك يوم بدر - : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] ؟ .

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن هذا كله كان يوم بدر .

أمدهم الله بألف من الملائكة مردفين .

ثم أمدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين .

ثم أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين .

وممن قال بهذا القول : قتادة[1] رحمه الله ، وقريب منه قول الحسن رحمه الله تعالى[2] .

● وقال بعض أهل العلم : إنما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر ، ثم أُخبروا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين ببدر فوعِد المؤمنون أنهم سيُمدون بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين إذا جاء مدد المشركين ، فلم يأت مدد المشركين ، ولم يُمد المسلمون بخمسة آلاف[3] .

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٧٥٤) بإسناد حسن عن قتادة رحمه الله أنه قال : في قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ - أُمدوا بألفٍ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف - : ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾ وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة .

(٢) أخرج ابن جرير (٧٧٤٥) من طريق محمد بن سنان ، قال : حدثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ الآية كلها : هذا يوم بدر .

(٣) أخرج الطبري (٧٧٤٦) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٣٥٠) بإسناد صحيح عن الشعبي (عامر بن شراحيل) أنه قال : إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين ، فشق عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يُمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ إلى قوله : ﴿ مسوِّمين ﴾ قال : فبلغت =

● وقال فريق من أهل العلم : إنما أُمِدَ المسلمون يوم بدر بألف من الملائكة فقط لقوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] .

وأما قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مسوِّمين ﴾ فهي وعود مشروطة ، فلما لم يأت مدد المشركين ، لم يأت الثلاثة آلاف ولا الخمسة .

● وقال بعض أهل العلم : إن قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ [آل عمران : ١٢٤] لا يفهم منه صراحة أنهم مُدوا أم لم يُمدوا، وممن قال بهذا القول : ابن جرير الطبري رحمه الله[1].

● وقال بعض أهل العلم : إنما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر، ووعدُوا إن صبروا وجاءهم العدو أن يُمدوا بخمسة آلاف، فلما جاءهم

= كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يُمد المسلمون بالخمسة .

وإسناده صحيح إلى الشعبي رحمه الله لكنه مرسل .

(١) قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى (التفسير ٧/١٨٠) : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ، فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددًا لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة آلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله ، ولا دلالة في الآية على أنهم أُمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يُمدوا بهم ، وقد يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم ، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة الآلاف ، وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبرٍ تقوم الحجة به ، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله ، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة ، وذلك قوله : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ ، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا ، وذلك أنهم لو أُمدوا لم يُهزموا ، ويُنال منهم ما نيل منهم ، فالصواب فيه أن يقال كما قال الله تعالى ذكره .

العدو يوم أُحد ولم يصبروا ولم يتقوا ولم يطيعوا رسول الله ﷺ فيما أمرهم به من الثبات في أماكنهم لم يُمدوا بالملائكة[1] .

● وبالنظر في أقوال جمهور المفسرين مع النظر إلى ما قدمنا ذكره نجد أن قول أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ... الآية ﴾ [آل عمران : ١٢٤] أن ذلك كان يوم بدر ، بينما ذهب قليل منهم إلى أن ذلك كان يوم أحد ، وقد أورد الرازي رحمه الله وغفر له حجج الفريقين في تفسيره[2] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٥٢) ، والطبري (٧٧٦٠) بإسناد صحيح عن عكرمة قال : لم يُمدوا يوم أحد ولا بمَلَكٍ واحد ، وهذا رغم أنه صحيح إلى عكرمة إلا أنه مرسل أيضًا ، فعكرمة تابعي لم يشهد القصة .

(٢) قال الرازي رحمه الله تعالى (٢٠٩/٨) في قوله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ [آل عمران : ١٢٣] فيه مسائل :

(المسألة الأولى) : اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر أو يوم أحد ، ويتفرع على هذين القولين بيان العامل في (إذ) فإن قلنا : هذا الوعد حصل يوم بدر كان العامل في (إذ) قوله : ﴿ نصركم الله ﴾ والتقدير إذ نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة تقول للمؤمنين ، وإن قلنا : إنه حصل يوم أُحد كان ذلك بدلًا ثانيًا من قوله: ﴿وإذا غدوت﴾ إذا عرفت هذا فنقول : القول الأول إنه (يوم أحد) وهو مروي عن ابن عباس[1] والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق ، والحجة عليه[2] من وجوه :

(الحجة الأولى) أن يوم بدر إنما أُمد رسول الله ﷺ بألفٍ من الملائكة ، قال الله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة ﴾ [الأنفال : ٩] فكيف يليق بما ذكر من ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر ؟.

(الحجة الثانية) أن الكفار كانوا يوم بدرٍ ألفًا أو ما يقرب منه ، والمسلمون كانوا على الثلث منهم ؛ لأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله تعالى يوم بدرٍ =

---

(١) لم أقف على إسناد صحيح عن ابن عباس بذلك .

(٢) أي : الدليل عليه .

= ألفًا من الملائكة فصار عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين فلا جرم وقعت الهزيمة على الكفار ، فكذلك يوم أحد كان عدد المسلمين ألفًا وعدد الكفار ثلاثة آلاف ، فكان عدد المسلمين على الثلث من عدد الكفار في هذا اليوم كما في يوم بدر ، فوعدهم الله في هذا اليوم أن ينزل ثلاثة آلاف من الملائكة ؛ ليصير عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين ، فيصير ذلك دليلًا على أن المسلمين يهزمونهم في هذا اليوم كما هزموهم يوم بدر ، ثم جعل الثلاثة آلاف خمسة آلاف لتزداد قوة قلوب المسلمين في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم ، ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل إذا قلنا : إن هذا الوعد إنما حصل يوم أحد .

(الحجة الثالثة) : أنه تعالى قال في هذه الآية : ﴿ ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ [آل عمران : ١٢٥] والمراد : ويأتوكم أعداؤكم من فورهم ، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء ، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم بل هم ذهبوا إلى الأعداء .

فإن قيل : لو جرى قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ [آل عمران : ١٢٤] في يوم أحد ، ثم إنه ما حصل هذا الإمداد حصل الكذب ، والجواب عليه من وجهين :

(الأول) : أن إنزاله خمسة آلاف من الملائكة كان مشروطًا بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم ، ثم إنهم لما لم يصبروا ولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول ﷺ ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط ، وأما إنزاله ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك المؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد ، فهذا يدل على أنه ﷺ إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد ، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط .

(الوجه الثاني) : في الجواب لا نسلم أن الملائكة ما نزلت ، روى الواقدي[1] عن مجاهد قال : حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا ، وروى أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب ، =

(١) الواقدي متهم ، ومجاهد تابعي لم يدرك القصة .

= فقال رسول الله ﷺ : « تقدم يا مصعب » فقال الملك : لست بمصعب ، فعرف الرسول ﷺ أنه ملك أُمد به ، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : كنت أرمي السهم يومئذٍ فيرده عليَّ رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت أنه ملك[1] فهذا ما نقوله في تقرير هذا الوجه .

إذا عرفت هذا فنقول : نظم الآية على هذا التأويل أنه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [آل عمران : ١٢٢] أي : يجب أن يكون توكلهم على الله لا على كثرة عددهم وعُددهم ، فلقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فكذلك هو قادر على مثل هذه النصرة في سائر المواضع ، ثم بعد هذا أعاد الكلام إلى قصة أحدٍ فقال : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ﴾ [آل عمران : ١٢٤] .

(القول الثاني) أن هذا الوعد كان يوم بدر ، وهو قول أكثر المفسرين ، واحتجوا على صحته بوجوه :

(الحجة الأولى) : أن الله تعالى قال : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ... إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ﴾ [آل عمران : ١٢٣و١٢٤] كذا وكذا فظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما قال الرسول للمؤمنين هذا الكلام ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام يوم بدر .

(الحجة الثانية) أن قلة العدد والعُدد كانت يوم بدرٍ أكثر وكان الاحتياج إلى تقوية القلب ذلك اليوم أكثر ، فكان صرف هذا الكلام إلى ذلك اليوم أولى .

(الحجة الثالثة) أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقًا غير مشروط بشرط فوجب أن يحصل ، وهو إنما حصل يوم بدرٍ لا يوم أحد ، وليس لأحد أن يقول إنهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا ؛ لأن الوعد كان بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة ، وبمجرد الإنزال لا يحصل الإمداد بل لا بد من الإعانة ، والإعانة حصلت يوم بدرٍ ولم تحصل يوم أحد ، ثم القائلون بهذا القول أجابوا عن دلائل الأولين فقالوا :

أما الحجة الأولى (وهي قولكم) : الرسول ﷺ إنما أُمد يوم بدرٍ بألف من الملائكة (فالجواب عنها) من وجهين :

(الأول) : أنه تعالى أمد أصحاب الرسول ﷺ بألف ثم زاد فيهم ألفين فصاروا ثلاثة آلاف ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف فكأنه عليه الصلاة والسلام =

(١) لم أقف على أثر سعد هذا بإسناد صحيح .

س : هل شهدت الملائكة القتال يوم بدرٍ ، وهل باشرت قتالًا في ذلك اليوم ؟

ج : نعم شهدت الملائكة القتال يوم بدر وباشرت القتال ، والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها :

● قول الله تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال : ١٢] .

= قال لهم : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة ؟ فقالوا : بلى ، ثم قال : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ؟ فقالوا : بلى ، ثم قال لهم : إن تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف ، وهو كما روي أنه ﷺ قال لأصحابه : « أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فإني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » .

(الوجه الثاني في الجواب) أن أهل بدر إنما أُمدوا بألف على ما هو مذكور في سورة الأنفال ، ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد إمداد قريش بعددٍ كثير فخافوا وشق عليهم ذلك لقلة عددهم ، فوعدهم الله بأن الكفار إن جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ، ثم إنه لم يأت قريشًا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن إمداد المسلمين بالزيادة على الألف .

(وأما الحجة الثانية) : وهي قولكم : إن الكفار كانوا يوم بدر ألفًا فأنزل الله ألفًا من الملائكة ، ويوم أحد ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف .

(فالجواب) : إنه تقريب حسن ، ولكنه لا يوجب أن لا يكون الأمر كذلك بل الله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد .

(وأما الحجة الثالثة) : وهي التمسك بقوله : ﴿ويأتوكم من فورهم﴾ [آل عمران: ١٢٥].

فالجواب عنه : أن المشركين لما سمعوا أن الرسول ﷺ وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم ، واجتمعوا وقصدوا النبي ﷺ ، ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا ، فأخبرهم الله تعالى أنهم إن يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة .

فهذا حاصل ما قيل في تقرير هذين القولين ، والله أعلم بمراده .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] ، وهذا في يوم بدر كما هو واضح من سياق الآيات ، وقد أطبق أهل العلم على ذلك .

● وأخرج مسلم[1] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة ، قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٩٥) .

● وعن علي رضي الله عنه[1]، قال : قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، أو قال : يشهد الصف .

● وعن رفاعة بن رافع[2] الزرقي رضي الله عنه أنه قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » – أو كلمة نحوها – قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٢٦] تنبيه على شيء ما هو ؟

ج : التنبيه إنما هو على أن الغرض أن يكون توكلهم على الله سبحانه وتعالى لا على الملائكة الذين أُمدوا بهم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾ [آل عمران : ١٢٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الله عز وجل نصركم ببدر ؛ ليهلك ويقطع ويقتل طائفة من الكفار ويهدم ركنًا من أركان الشرك ، فيرجع أهل الكفر الباقون مكبوتين محزونين خائبين لم ينالوا ما طمعوا فيه .

وقد صح عن قتادة في هذه الآية أنه قال : فقطع الله يوم بدر طرفًا من

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٤٧) ، وأبو يعلى (١/٢٨٣ – ٢٨٤) ، والحاكم (٣/١٣٤) بإسناد صحيح ، والقائل لهما هو رسول الله ﷺ كما هو واضح في رواية أبي يعلى وغيره .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢) .

الكفار وقتل صناديدهم - رءوسهم وقادتهم في الشر[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب النزول الصحيح لقوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : لهذه الآية أكثر من سبب نزول صحيح ، وكما هو معلوم فقد تتعدد أسباب النزول الصحيحة للآية الواحدة ، فيحدث أمرٌ ما مثلًا ، ثم أمرٌ آخر ، ثم أمرٌ ثالث فتنزل الآية فيهم جميعًا .

أما أسباب النزول التي صحت لهذه الآية الكريمة فمنها :

● حديث ابن عمر[2] رضي الله عنهما وفيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأولى من الفجر يقول : « اللهم العن فلانًا وفلانًا » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » فأنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ إلى قوله : ﴿ فإنهم ظالمون ﴾ .

● حديث أنس رضي الله عنه ولفظه : أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل » فأنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾[3] .

● وثم أسباب نزول أخرى وردت لهذه الآية وفيها مقال ، وما قدمناه من أسباب نزول لها فهي صحيحة ، وأصح ما ورد في هذا الباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٨٢) ، وابن جرير الطبري (٧٧٩٦) .
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٩) وغيره .
(٣) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه .

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ليس لك يا محمد من أمر خلقي شيء إلا أن تنفذ فيهم أمري وتبلغهم ما أُرسلت به، أما ما وراء ذلك فالأمور كلها لله وحده بقضاء الله وقدره ، فهو سبحانه المالك لأمرهم إن شاء أهلكهم في هذه الحياة الدنيا أو قطع طرفًا منهم ، وإن شاء كبتهم فأخزاهم وأحزنهم وردهم خائبين ، وإن شاء هداهم وتاب عليهم ، وإن شاء عذبهم في الآخرة ، فالأمور كلها لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وقال بعض العلماء : إن قول النبي ﷺ : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم »[1] استبعاد من رسول الله ﷺ لهدايتهم وتوفيقهم ، وقوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ تقريب لما استبعده رسول الله ﷺ . وهذا القول أحد أفراد القول المتقدم ، والله أعلم .

* * *

س : على أي أساس نُصب قوله تعالى : ﴿ أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : بعض العلماء يرى أن قوله تعالى : ﴿ أو يتوبَ عليهم ... ﴾ معطوف على قوله تعالى : ﴿ ليقطع طرفًا ﴾ فالمعنى : ليقطع طرفًا .. أو يكبتهم .. أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم .

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى (إلى أن) فالمعنى ليس لك من الأمر شيء إلى أن يتوب عليهم فتفرح بذلك أو يعذبهم فتشتفي بذلك .

---

(١) صحيح وقد تقدم .

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى حتى ولذلك نصبت (يتوبَ) وهو قريب من المعنى المتقدم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالظلم في قوله تعالى : ﴿ ... فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؟

ج : المراد بالظلم هنا : الشرك ، فإن الذين شجوا نبيهم ﷺ كانوا مشركين، والظلم يطلق على الشرك لقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان: ١٣].

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما جاء في تأويل قول الله تعالى : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ١٢٩] ؟

ج : أمثل ما قرأته في تفسير هذه الآية ما كتبه الطبري رحمه الله حيث قال : يعني بذلك تعالى ذكره : ليس لك يا محمد من الأمر شيء ، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما يشاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه ، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليه بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلًا على عظيم ما يأتون من المآثم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم لمغفرة الله عز وجل للذنوب أن يستغفر العبد من تلك الذنوب؟

ج : التحقيق يقتضي أنه لا يلزم الاستغفار من الذنب حتى يغفر ،

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ١٢٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

● وقول النبي ﷺ لما ذكر عددًا من الكبائر فقال : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »[١] .

● وقصة البغي الإسرائيلية التي كانت تسعى بفرجها فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله لها[٢].

هذا وليس المراد التزهيد في الاستغفار ، ولكن المراد بيان أصل من الأصول ألا وهو أن الله عز وجل يغفر لمن شاء ما شاء ولا يعظم عليه شيء ولا يعجزه شيء، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء وفضله وإحسانه سابغ وعفوه وغفرانه كائن لمن مات لا يشرك به شيئًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) ، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) أخرج البخاري (٣٤٦٧) ، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما كلبٌ يُطيف بركية(*) كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغُفر لها به » .

(*) أي : حافة بئر .

هذا وقد جاء في الحث على الاستغفار ما لا يكاد يحصى من النصوص تأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن من استحل[1] الربا يكفر ، هل لهم من دليل ؟

ج : استدل بعض العلماء لذلك بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٢٠ - ١٢١] قال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) : قال كثير من المفسرين وفيه أنه يكفر من استحل الربا .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٢٠] هل يستفاد منه أن الشخص له أن يأكل القليل من الربا الذي لا يصل إلى أن يكون أضعافًا مضاعفة ؟ وكيف توجه الآية إذن ؟

ج : لا يستفاد من الآية أن الربا يجوز أكل القليل منه ، وإنما الآية وصفت حال أهل الجاهلية في شأن الربا وحرَّمته ، فقد قال جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية : إن الرجل كان يداين الرجل المبلغ إلى أجلٍ مثلًا فإذا حل الأجل

---

(١) منَ استحل الربا المراد منه من قال : إن الربا حلال ، وليس المراد منه من اختلف في صورة من صور الربا هل هي حرام أم حلال ، وكذلك ليس المراد كل من رابى فهو كافر ، فالمرابي مرتكب لكبيرة من الكبائر ، أما مستحل الربا فهو كافر وإن لم يرابي ، والله تعالى أعلم .

ولم يجد المدين ما يسدد به الدين طلب من صاحب الدين تأخيره مع الزيادة فيه ، ويتكرر هذا فيتضاعف المبلغ القليل أضعافًا فنهوا عن ذلك .

أما قليل الربا وكثيره فمحرم من نصوصٍ أُخر مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨ و٢٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرَّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● وقد رأى النبي ﷺ آكل الربا يسبح في نهر أحمر مثل الدم ، وعلى شط النهر رجل قد جمع أحجارًا كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا .. الحديث[1] .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ أضعافًا مضاعفة ﴾ خرج مخرج الغالب كقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ [الأنعام : ١٥١] فليس معناه تجويز قتل الأولاد لغير الإملاق ، وكما قال تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] فالجمهور على تحريم الربيبة ، سواء كانت في الحجر أو لم تكن في الحجر[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، وظاهره أنه في رؤيا منامية ، وقد رأى بعض العلماء أن رؤيا الأنبياء وحي لقول الخليل إبراهيم : إني أرى في المنام أني أذبحك .

(٢) وبعض العلماء يرى أن الربيبة لا تحرم إلا إذا كانت في الحجر لظاهر الآية .

س : قوله تعالى : ﴿ أُعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣١] يفيد أن النار إنما أُعدت للكافرين فقط فهل هذا صحيح ؟

ج : صحيح أن النار أُعدت للكافرين ، ولكنها يدخلها أيضًا مسلمون ممن لم يغفر لهم من أكلة الربا والزناة والقتلة ونحوهم ، كما ورد في حديث المفلس الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[1].

ثم كيف يوجه قوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ مع ما ذكرنا ، أجاب العلماء على ذلك بوجوه :

أولها : أن الكافرين هم أصحابها الأصليون الذين لا يخرجون منها كما قال سبحانه : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] ومن ثم ذكرت النار بأنها أعدت للكافرين ، إذ الوارد عليها من أهل الإسلام والداخل فيها منهم إنما يدخلها ثم يخرج ، وذلك كما قال النبي ﷺ : « إنما بنيت المساجد لذكر الله وإقام الصلاة وتلاوة القرآن »[2] مع تجويز بعض الأمور الأخرى فيها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

(٢) أخرج مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه دعوه » فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء =

كالتقاضي والإصلاح بين الناس وربط الأسير ونحو ذلك .

فقوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣١] ليس على سبيل الحصر .

الثاني : أن النار دركات كما قال الله سبحانه : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء : ١٤٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، فقوله تعالى : ﴿ أُعدت للكافرين ﴾ إشارة إلى تلك الدركات التي أعدت للكافرين .

الثالث : أن المراد من وصف النار بأنها مُعدة للكافرين تعظيم الزجر .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ [آل عمران : ١٣٢] عقب النهي عن أكل الربا تهديد لآكل الربا وضحه ؟

ج : وجه هذا التهديد أن الله عز وجل عقب النهي عن أكل الربا بقوله : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ ، أي : وأطيعوا الله والرسول فيما أمركم به ، ومما أمركم به ترك الربا ، فإن لم تطيعوه ابتعدت عنكم الرحمة واستحققتم العذاب ، والله تعالى أعلم .

* * *

= من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنَّه عليه .

س : اذكر معاني هذه المفردات والجُمل :

أمة قائمة – آناء الليل – صرٌّ – بطانة من دونكم – لا يألونكم خبالًا – ودوا ما عنتم – أولاء – الأنامل – غدوت – من أهلك – تبوئ – تفشلا – وليهما – أذلة – من فورهم – مسومين – ليقطع طرفًا – يكبتهم – فينقلبوا – خائبين ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــا
قائمة	قائمة بأوامر الله عز وجل ، تقيم حدوده وتطيع أوامره وتنتهي عن نواهيه – عادلة – مهتدية مستقيمة على الهدى وشرائع الله وفرائض دينه ، كما قال النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها » .
آناء الليل	ساعات الليل – جوف الليل .
صرٌّ	برد شديد محرق – جليد .
بطانة من دونكم	أخلاء ومستشارين من غيركم ، أي : من غير المؤمنين .
لا يألونكم خبالًا	لا يُقصرون في إغوائكم وإفسادكم .
ودوا ما عنتم	رغبوا في نزول المشقة عليكم .
أولاء	هؤلاء ، والهاء للتنبيه في هؤلاء .
الأنامل	أطراف الأصابع .
غدوت	خرجت في الصباح .

من أهلك	من عند أهلك .
تبوىء	تتخذ وتهيىء لهم مواقع .
تفشلا	تجبنا وتتخاذلا عن القتال .
وليهما	ناصرهما .
أذلة	قليلون ليس لكم عدد ولا عدة .
من فورهم	من وجههم (أي : من سفرهم وناحيتهم) – من غضبهم أي : من غضبهم الذي غضبوه لمن قتل يوم بدر .
مسوِّمين	معلَّمين (بعض العلماء يرى أنهم معلمين بالصوف الأبيض ، وبعضهم يرى أن العلامات هي العهن الأحمر ، وبعضهم يقول : غير ذلك).
ليقطع طرفًا	ليهلك طائفة ، ويهدم ركنًا من أركان الشرك .
يكبتهم	يخزيهم – يحزنهم – يهزمهم – يصرعهم – يهلكهم .
ينقلبوا	يرجعوا .
خآئبين	لم ينالوا مرادهم وأملهم .

❋ ❋ ❋

۝ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ
ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ
أَفَإِى۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن

يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ
مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا
ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا
ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ
بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ
عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – وبادروا إلى فعل ما يجلب لكم المغفرة من ربكم عز وجل ، من شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وصلاة وصيام وحج وصدقة واستغفار وتوبة وإخلاص وسائر أعمال البر، والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

س : لماذا عُبر بالعرض في قوله تعالى : ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● أنه عبر بالعرض ليدل على عظم الطول واتساعه كما قال الله سبحانه وتعالى في صفة فرش الجنة ﴿ بطائنها من إستبرق ﴾ [الرحمن : ٥٤] أي : فما ظنك بالظهائر ، فعليه فالطول لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

● وبعض العلماء يقول : إن عرضها كطولها .

● وبعض العلماء يقول : إنما عُبر بالعرض ؛ ليدل على الاتساع ، كما يقول القائل : هذه دعوى عريضة أو بلاد عريضة أي : كبيرة متسعة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٣٣] هل هو على ظاهره أم له مدلول آخر ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن الآية على ظاهرها ، وأن السموات والأرض تقرن بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض ، فذلك عرض الجنة ، وهذا قول الجمهور[1] من المفسرين .

---

(١) عزاه إليهم القرطبي في التفسير ، وصديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) .

● وبعض أهل العلم يقول : إن المراد بيان الاتساع فشبه عرض الجنة بأوسع ما علمه الناس من خلق الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فأين النار ؟

ج : ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل نحو هذا السؤال فأجاب بقوله : أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل[1].

---

(١) أخرجه الطبري رحمه الله تعالى : (٧٨٣٣ ، ٧٨٣٤ ، ٧٨٣٥) من طرق عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر ، فقال : تقولون (جنة عرضها السموات والأرض) أين تكون النار ، فقال له عمر : أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار ؟ فقال : إنه لمثلها في التوراة ، فقال له صاحبه : لم أخبرته ؟! فقال له صاحبه : دعه إنه بكلٍّ موقنٌ .

وهذا إسناد صحيح .

وقال ابن جرير أيضًا (٧٨٣٦) : حدثني أحمد بن حازم ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : حدثنا جعفر بن برقان ، قال : حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلًا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال : تقولون : (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار ؟ فقال ابن عباس : أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار ، وإذا جاء النهار أين يكون الليل.

● ورجاله ثقات إلا أحمد بن حازم لم أقف على من وثقه ، وقد ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

● وقال البزار رحمه الله (نقلًا عن ابن كثير) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا المغيرة ابن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ فأين النار؟ قال : «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل».

● ورجاله ثقات إلا عبيد الله بن عبد الله بن الأصم لم أقف على أحدٍ وثقه إلا ابن حبان ، وروى عنه ثلاثة ، وأخرج له مسلم ، وقال عنه الحافظ : مقبول (وهو عنده مقبول إذا توبع وإلا فلين) .

=

س : ما المراد بالسراء والضراء في قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال منها :

أن السراء : هي اليسر . والضراء : هي العسر .

وقيل : السراء : هي الرخاء . والضراء : هي الضيق .

وقيل : السراء : المنشط[١] . والضراء : هي المكره[٢] .

وقيل: السراء المراد بها: النفقة في الحياة والضراء: النفقة بعد الممات (بالوصية).

وقيل: النفقة في السراء (العرس والولائم) والنفقة في الضراء: (النوائب والمآتم).

والحاصل أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله عز وجل والإنفاق في سبيله.

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: المراد– والعلم عند الله تعالى– الذين امتلأت قلوبهم وصدورهم غيظًا مما آذاهم

= والذي تطمئن إليه نفسي أن هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (٧٨٣١): حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة ، قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فُنِّد ، قال : قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلًا عن يساره ، قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية فإذا كتاب صاحبي (إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟ » .

وفي إسناده ضعف فمسلم بن خالد هو الزنجي ضعيف ، وإن كان قد توبع إلا أن سعيد بن أبي راشد أيضًا مجهول ، وانظر أيضًا أحمد في المسند (٣/٤٤١) تجد خلافًا آخر على سعيد بن أبي راشد .

(١) المنشط : هو الأمر الذي يحبه الرجل وينشط له .

(٢) المكره : هو الأمر الذي يبغضه الرجل ويكره فعله .

به الناس ، ومع ذلك فهم يكظمون[1] هذا الغيظ ولا يمضونه في الناس ، ويزداد الفضل ويرتفع الأجر إذا كانوا قادرين على إمضائه ولكنهم تركوه لله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – التاركين عقوبة من أساء إليهم وأذنب في حقهم واستحق المؤاخذة .

وبعض العلماء يقول : إن المراد بالناس هنا هم الخدم والمماليك ، لكن الصحيح من قول أهل العلم أن الآية عامة غير قاصرة على المماليك والخدم ، وإن كان المماليك والخدم داخلين فيها .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي وردت في الحث على كظم الغيظ والعفو عن الناس ؟

ج : ● منها قوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

● ومنها قوله تعالى: ﴿ ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ [الشورى: ٣٧].

● ومنها قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [النور : ٢٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [الشورى : ٤٣] .

---

(١) فالكظيم : الممتلىء حزنًا وهمًّا وغمًّا قال تعالى : ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ [ن : ٤٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ [يوسف : ٨٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم ﴾ [النحل: ٥٨].

● وقوله تعالى : ﴿ فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

أما الأحاديث في ذلك فكثيرة :

● منها قول النبي ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[١] .

● ونحوه قول النبي ﷺ : « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ، قال : « ليس بذلك ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب »[٢] .

● وقول رجل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله قل لي قولًا ينفعني وأقلل عليَّ فيه لعلِّي أعيه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا كل ذلك يقول : « لا تغضب »[٣] .

● ونحوه أن رجلًا قال : يا رسول الله أوصني قال : « لا تغضب » قال الرجل : ففكرت حين قال ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله[٤] .

● وجاء الرجل إلى رسول الله ، فقال : يا محمد اعدل[٥] وصبر عليه رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠٢٠) بهذا اللفظ بسند صحيح، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه البخاري (٦١١٦) بلفظ أن رجلًا قال للنبي ﷺ : أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارًا قال : «لا تغضب» .

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٣/٥) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ، بإسناد صحيح .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : =

س : ما المراد بالمحسنين في قوله تعالى : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران :١٣٤] ؟

ج : إما أن يقال : إن المحسنين هم الذين يعبدون الله عز وجل كأنهم يرونه فينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس لاعتقادهم أن الله عز وجل يراهم أو كأنهم يرون الله عز وجل[1] .

● أو يقال : إن مقام الإحسان هنا كمقامه في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل : ٩٠] فالعدل : هو القصاص ، والإحسان : هو العفو ، وهذا يتناسب مع قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ ، وبالجملة فإن الإحسان كتبه الله في كل شيء كما جاء عن رسول الله ﷺ[2] فالإنفاق فيه إحسان على الفقراء ، وحدُّ الشفرة فيه إحسان على الذبيحة ، ...

❋ ❋ ❋

س : هل من شروط المتقين ألا يأتوا بفواحش ؟

ج : الأصل في المتقي أنه يجتنب الفواحش كما قال تعالى : ﴿ الذين

= أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال : يا محمد اعدل قال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ... » . ونحوه عند البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (ص ٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

(١) كما ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير الإحسان : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .
أخرجه مسلم في صحيحه وقد تقدم .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليُحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ [النجم : ٣٢] .

ولكن قد تزل قدم رجل من المتقين – أعاذنا الله والمؤمنين – فيقع في فاحشة من الفواحش ، ولكنه يتذكر ذنبه ويندم على فعله ويستغفر الله عز وجل منه ، فلا يخرج حينئذٍ عن حيز المتقين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ثم طفق يذكر صفاتهم: ﴿ ... و ... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] فلم يخرج الله عز وجل المتقي التائب النادم غير المصر على الذنب عن حيز المتقين .

وقد قال نبي الله موسى ﷺ : « إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب – قتله النفس »[1] .

وقد قال تعالى في شأن موسى : ﴿ وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم ... ﴾ [طه : ٤٠] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفاحشة في قوله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ... ﴾ [آل عمران : ١٣٥]؟

ج : ● الفاحشة تطلق على كل قبيح وخارج عن الحد، وتطلق على كل معصية.

● لكنها اختصت بالزنا[2]، قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (٧٨٤٦) من طريق العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا حبان، قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن جابر ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾ قال: زنى القوم ورب الكعبة .

أما إطلاقها على ما هو خارج عن الحد فمنه قول النبي ﷺ : « يا عائشة متى عهدتيني فاحشًا »[1] .

فالمراد الفحش من القول ، ومنه قولهم : أفحش فلان في كلامه إذا تكلم بالفحش، وقيل للرجل الطويل طولًا زائدًا: إنه فاحش الطول .

● وقال بعض العلماء : إن الفاحشة تطلق على كل كبيرة .

● والذي يظهر لي أن المراد بالفاحشة في الآية الكريمة: الكبيرة ، ومنها الزنا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بظلم النفس في قوله تعالى : ﴿ أو ظلموا أنفسهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بظلم النفس هنا ما دون الكبيرة من قبلة أو نظرة أو معانقة ونحو ذلك ، وقد اختار هذا أكثر المفسرين ، وبعض العلماء يقول إن الفاحشة ظلم النفس ، وظلم النفس فاحشة أيضًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ؟

ج : من العلماء من قال هو ذكر الله باللسان ، والمراد الاستغفار من الذنوب التي اقترفوها .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة» فلما جلس تطلق له النبي ﷺ، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ .. وذكره .

ومنهم من قال : هو ذكر الله بالقلب ، والمعنى : أنهم ذكروا وعيد الله عز وجل لمن عصاه ، وذكروا عظمة الله عز وجل فاستحيوا منه ، وذكروا أنهم مسئولون أمام الله عز وجل عما اقترفوه ، وذكروا نهي الله عز وجل عن الفعل الذي فعلوه ، وذكروا العرض علي الله عز وجل ، وذكروا أيضًا أن الله فتح لهم باب التوبة حتى يستغفروا الله عز وجل من ذنوبهم ، ذكروا ذلك كله فسألوا ربهم عز وجل أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تحث على التوبة والاستغفار ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة نورد منها ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ [الزمر : ٥٣-٥٤].

● وقال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

● وقال نوح لقومه: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ﴾ [نوح: ١٠].

● وقال سبحانه : ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [المزمل: ٢٠].

● وقال عز وجل: ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجلٍ مسمى ﴾ [هود : ٣] .

● وأثنى الله على المحسنين فقال : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله

يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ [التوبة : ١٠٤] .

أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها :

● قول النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[١] .

● وقول النبي ﷺ : « الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة »[٢] .

وفي رواية[٣]: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح » .

● وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له ... » .

● وعن أبي سعيد الخدري رضيَ الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: بعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني »[٤]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجها مسلم .

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/٣ في المسند) وهو حديث صحيح .

● وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال : رب أذنبت ذنبًا فاغفره فقال ربه : أعلم عبدي أنه له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا ، فقال : رب أذنبت – أو أصبت – آخر فاغفره فقال : أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا ، وربما قال : أصاب ذنبًا ، فقال : رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي ، فقال : أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء »[1] .

● وقال النبي ﷺ : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم »[2] .

● وقال النبي ﷺ : « إن ربك يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري »[3] .

● وقال النبي ﷺ : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه »[4] .

❋ ❋ ❋

س : هل المصر على المعصية كافر ؟

ج : المصر على المعصية ليس بكافر[5] ولكنه على خطر عظيم ، أما الأدلة على عدم كفره فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٨) من حديث أبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وأحمد (١١٥و ١٢٨و ٩٧١) ، والحاكم (٢/٩٨-٩٩) .

(٤) ورد في ثنايا حديث الإفك .

(٥) إلا إذا استحل معلومًا من الدين بالضرورة كأن يقول مثلًا : الزنا حلال ، ونحو ذلك.

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]

● وقول النبي ﷺ لما ذكر جملة من الكبائر : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

● وقصة البغي من بغايا بني إسرائيل التي كانت تزني فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله عز وجل لها[1] .

● وقصة الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر ، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ : لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك ، فقال النبي ﷺ : « إنه يحب الله ورسوله »[2].

● وقول النبي ﷺ : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »[3] .

● وحديث البطاقة وفيه أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل سيخلِّص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟

---

(١) صحيح أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يُلقب حمارًا ، وكان يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يومًا فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : «لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله »(*).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (ص٩٥) من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » .

(*) ما علمت أي: ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله ، أو قد علمت أنه يحب الله ورسوله .

أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء »[1].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإصرار على المعصية ؟

ج : للعلماء في المراد بالإصرار أقوال منها :

- الاستمرار على المعصية وعدم الإقلاع عنها .
- الثبوت[2] عليها من غير استغفار .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] يعلمون ماذا؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال ، منها :

- وهم يعلمون أن الإصرار يضر .
- يعلمون أن الله عز وجل لا يتعاظمه العفو عن الذنوب ، بل هو سبحانه يغفر الذنوب جميعًا .
- يعلمون أن الله يتوب على من تاب .
- يعلمون أنهم قد أذنبوا .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) ، وأحمد (٢/٢١٣ و ٢٢١ و ٢٢٢) وابن ماجة (٤٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو صحيح .

(٢) ومنهم من قال : السكوت عليها وترك الاستغفار .

س : قوله تعالى: ﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران : ١٣٦] عاملين بماذا؟

ج : المراد – و الله أعلم – العاملين بطاعة الله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالى لقوله تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران:١٣٧]؟

ج : المعنى[1] – و الله أعلم – أنه قد تقدمتكم أمم وسبقتكم قرون مكذبون برسلي تاركون توحيدي معذبون لعبادي فأمهلتهم على تكذيبهم وشركهم وإيذائهم لعبادي إلى أجل أجلته لهم ثم أخذتهم وانتقمت لرسلي ولعبادي منهم ، فكأن الآية الكريمة فيها تصبير للمؤمنين على ما أصابهم من قتل وجراح يوم أحد من أهل الشرك والتكذيب ، وفيها أيضًا تحذير لأهل الشرك من البقاء على شركهم وتكذيبهم وتنبيههم على أن ما حدث لهم يوم أُحدٍ من نصرٍ في الظاهر إنما هو استدراج لهم ، و الله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز زيارة ديار الذين ظلموا أنفسهم وأنزل الله العذاب عليهم ؟

ج : بعض أهل العلم يذهب إلى الجواز بل وإلى الاستحباب إذا كان ذلك للعبرة والعظة والتذكرة ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران : ١٣٧] وقال تعالى : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾[الصافات : ١٣٧] .

وبعض العلماء يضيق في هذا الباب ؛ لأن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر[2] قال

---

(١) هذا المعنى مع بعض الزيادات .

(٢) المراد به ديار ثمود ، وهم قوم صالح عليه السلام كما هو معلوم، ولا أدري هل هذا خاص بأصحاب الحجر أم بعموم الظالمين؛ لقوله عليه السلام: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا»، فالله أعلم =

لأصحابه : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم » ثم تَقَنَّعَ بردائه وهو على الرحل[1] . ولأنه لم يرد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعمدون السفر لمشاهدة آثار الظالمين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسير في قوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٣٧]؟

ج : لأهل العلم قولان فيه :

أحدهما : أنه السير في السفر ، والذهاب إلى أماكنهم ، والمعنى : إذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم .

الثاني : أنه التفكر ، ومعنى انظروا اعتبروا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ هذا بيان للناس ... ﴾ [آل عمران : ١٣٨] الآية ؟

ج : بعض العلماء يقول : هذا إشارة إلى القرآن الكريم ، وبعضهم يقول : هو الإشارة إلى ما تقدم من أخبار المذكورين في قوله تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [آل عمران : ١٣٧].

والذي يبدو لى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ هذا بيان ﴾ إشارة للقرآن بما فيه من أخبار المؤمنين وهلاك الظالمين ، والله أعلم بمراده .

❋ ❋ ❋

= ● قال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) : والمطلوب من هذا السير المأمور به هو حصول المعرفة بذلك، فإن حصلت بدونه فقد حصل المقصود ، وإن كان لمشاهدة الآثار زيادة غير حاصلة لمن لم يشاهدها ، والأمر للندب لا على سبيل الوجوب.

● وقال القاسمي (محاسن التأويل ص ٩٧٨) : والأمر بالسير والنظر لما أن لمشاهدة آثار المتقدمين أثرًا في الاعتبار والروعة أكثر من أثر السماع .

قلت : ويؤيده قول النبي ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

س : ما المراد بالهدى والموعظة في قوله تعالى : ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٨] ؟

ج : المراد بالهدى : هو الكلام الهادي إلى سبيل الحق وطريق الرشاد المأمور بسلوكه .

والمراد بالموعظة : الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين ، والله أعلم بمراده .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تحزنوا ﴾ [آل عمران : ١٣٩] على ماذا حزن المسلمون ؟

ج : حزن المسلمون على أمور منها :

- قتل إخوانهم من المسلمين يوم أُحد ، وما أصاب المسلمين من هزيمة يومها.
- ما أصاب النبي ﷺ من شجّ رأسه وكسر رباعيته .
- ما فات من الغنيمة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ؟

ج : الآية التي في معناها هى قوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ [النساء : ١٠٤] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] متى مس الكفار القرح المذكور في هذه الآية ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا الباب :

١ - منهم من قال : إن القرح الذي أصاب الكفار أصابهم يوم بدر ، وعليه فالمعنى : لا تهنوا ولا تحزنوا أيها المؤمنون ، فإن تكونوا أصبتم بشيء يوم أحد من قتل وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم مثله يوم بدر .

وقد يَرِدُ على هذا القول إشكال ، وهو أن الله عز وجل قال للمؤمنين بشأن يوم أحد : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا .. ﴾ [آل عمران : ١٦٥] فالآية الكريمة أفادت أن المسلمين أصابوا ضعف ما أصيبوا به فكيف يجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

فالإجابة على هذا يقال : إن من قتل من المسلمين يوم أحد كالذي قتل من المشركين ببدر ، وحاز المسلمون الظفر بالأسرى الذين أسروهم يوم بدر وكان عددهم تقريبًا عدد من قُتل ، والله أعلم .

٢ - القول الثاني قول من قال : إن قوله تعالى : ﴿ فقد مس القوم قرح مثله ﴾ أن ذلك كان يوم أحد ، فقد كانت الدولة والغلبة للمسلمين في أول النهار فنالوا من الكفار ثم تحولت عليهم الدائرة فنال منهم أهل الشرك ، والقول الأول أولى ، وذلك لأن ما ناله المسلمون من المشركين أول النهار لا يساوي ما ناله المشركون من المسلمين آخر النهار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ؟ [آل عمران : ١٤٠] وما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ وتلك الأيام ﴾ فالمراد بالأيام : الأيام الكائنة بين الأمم في حروبها ، أو أيام الحياة الدنيا بصفة عامة ، أما قوله تعالى : ﴿ نداولها ﴾ أي : نصرِّفها .

والمعنى الإجمالي : أنه في بعض الأيام التي يتقاتل فيها المسلمون مع المشركين ينتصر المسلمون وتكون لهم الدولة والغلبة ، وفي أيام أخر ينتصر المشركون

وتكون لهم الدولة[1]، كما قال الشاعر :

فيومٌ علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسر

● أما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس فقد ذكر ابن القيم بعضها[2] فقال : ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائمًا دخل معهم المسلمون وغيرهم ، ولم يميز الصادق من غيره ، ولو انتُصر عليهم دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن يجمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق ، وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة – انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ [آل عمران : ١٤٠] قال ابن القيم : حكمة أخرى ، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه ، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وإنما يترتبان على المعلوم إذا صار مُشاهدًا واقعًا في الحس . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ﴾ [آل عمران : ١٤٠][3] هذه الآية ظاهرها أن الله عز وجل إنما فعل

---

(١) وقد يكون المعنى أعم من أيام الحروب بمعنى : أن الحياة الدنيا لا تبقى لأحد على حال ، فهذا اليوم صحيحًا وغدًا سقيمًا وعكسه ، وهذا اليوم معافًى وغدًا مبتلًى وعكسه ، وهذا اليوم غنيًّا وغدًا فقيرًا وعكسه ، وهذا اليوم يولد له وآخر يموت له وعكسه ، وهذا اليوم منتصرًا وغدًا منهزمًا ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

(٢) نقلًا عن تفسير القاسمي .

(٣) ونظيرها في الإشكال قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله =

ذلك ليكتسب ذلك العلم ، فكيف يتفق هذا مع المعلوم لدى الجميع أن الله عز وجل يعلم كل شيء قبل حدوثه ؟

ج : لأهل العلم في دفع هذا الإشكال أقوال :

أولها وأشهرها – وهو رأي الجمهور –: أن المراد بالعلم هنا المشاهدة والرؤيا ، أي : لِنرى .

الثاني : أن هذا من باب التمثيل ، أي : فعلنا فعل من يريد أن يعلم .

الثالث : أن المراد بالعلم هنا التمييز ، أي : ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم .

وثمَّ أقوال أُخر في هذا الباب ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ما المراد به ؟

ج : المراد – والله أعلم – ليكرم من شاء منكم بالشهادة في سبيله .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ؟

ج : بعض العلماء يقول هنا : إن هذا استفهام معناه النهي ، والمعنى – والله أعلم – لا تحسبوا .

= الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا ﴾ [الكهف : ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ؟

ج : المعنى الإجمالي - والله أعلم - : أفحسبتم يا أصحاب محمد ويا أتباع محمد أن تدخلوا الجنة وتنالوا شرف الشهادة والإكرام من الله عز وجل وترتفع منازلكم عنده من غير أن تسلكوا طريق المجاهدين الصابرين ، ومن غير أن يبتليكم الله عز وجل بالشدائد والمكاره حتى يعلم الله المجاهد منكم والصابر !!!

❋ ❋ ❋

س : جاءت جملة آيات من كتاب الله عز وجل وكذلك جملة أحاديث توضح أنه لا بد من الابتلاء في هذه الحياة الدنيا ، اذكر طرفًا منها ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلواْ أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

● وقول الله تعالى : ﴿ آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [براءة : ١٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

● وقال سبحانه : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ [الحج : ٤٠] .

أما الأحاديث فكثيرةٌ :

● منها : قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ : لما يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي[١] .

● ما ذكره النبي ﷺ عن الراهب والغلام (اللذين وردت قصتهما مع قصة أصحاب الأخدود الذين خُدَّت لهم الأخاديد) إذ قال الراهب للغلام : « إنك خير مني وإنك ستبتلى »[٢] .

● قول النبي ﷺ : « يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه »[٣] .

● وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه : شكونا إلى رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣) ، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم حديث (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » .

وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالموت في قوله تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ﴾ [آل عمران : ١٤٣] ؟

ج : قال بعض أهل العلم في ذلك أقوالًا منها :

- أن المراد بالموت هنا لقاء العدو وقتاله .
- أن المراد الشهادة في سبيل الله .

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد الثبات عند مجاهدة الأعداء وقتالهم إلى النصر أو الشهادة في سبيل الله عز وجل ، كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع تمني الموت ؟

ج : لا يشرع تمني الموت إلا إذا خشي الشخص على نفسه الفتنة في دينه ، وها هي بعض الأدلة على ذلك :

- قول النبي ﷺ : « .. ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب »[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ، والنسائي (٣/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

● قول النبي ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه ، فإن كان لا بد فاعلًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي »[1] .

● قول خباب بن الأرت رضي الله عنه وقد اكتوى سبع كيات ... ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[2].

أما الأدلة على جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين فمنها :

● قول مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] .

● وقول سحرة فرعون : ﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جآءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

● وقول النبي ﷺ : « وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون »[3] .

● وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم إني كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط[4].

● أما ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله : « اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى »[5] فهو إيثار منه عليه الصلاة والسلام للآخرة على الدنيا ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧١) ، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) ، ومسلم (٢٦٨١) ، والنسائي (٤/٤) .

(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٥/٢٤٣) .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٨٣٤) من طريق سعيد بن المسيب عن عمر ، وفي سماع سعيد من عمر خلاف .

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧٤) ، ومسلم (٣٤٤٤) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

فإنه عليه الصلاة والسلام خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار الرفيق الأعلى .

● أما قول يوسف ﷺ للموت في قوله : ﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾ فهو طلب لحسن الخاتمة . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بتمني الشهادة ؟ وما حكم تمنيها ؟ وهل يشرع للمرأة أن تتمنى الشهادة في سبيل الله ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمني الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد لا إلى قتل الكفار لهم ؛ لأنه معصية وكفر[1]، ولا يجوز إرادة المعصية ، وعلى هذا يُحمل سؤال المسلمين من الله أن يرزقهم الشهادة فيسألون الصبر على الجهاد وإن أدى إلى القتل .

وتمني الشهادة مستحب ، وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل »[2].

● وقال النبي ﷺ : « ما من عبدٍ يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »[3].

---

(١) كأنه يشير إلى أن الذي يتمنى أن يُقتل أهل الإسلام وينتصر أهل الكفر فقد وقع في المعصية ، بل ووقع في الكفر .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفي رواية للبخاري : « فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .

● وقال النبي ﷺ : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : أي رب خير منزلٍ فيقول : سل وتمنَّ فيقول : أسألك أن تُرُدَّني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة »[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه »[2] .

● ويشرع للمرأة أن تسأل ربها عز وجل الشهادة ، وذلك لما ورد عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت : نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : ما أضحكك ؟ قال ﷺ : « أناس من أمتي عرضوا عليَّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرَّة » ، قالت : فادع الله أن يجعلني منهم ، « فدعا لها » ، ثم نام الثانية ففعل مثلها ، فقالت مثل قولها فأجاب مثلها ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « أنت من الأولين » ، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام فقرَّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت[3] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع تمني لقاء العدو ؟

ج : يُكره تمني لقاء العدو ؛ لقول النبي ﷺ : « لا تمنوا لقاء العدو

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/٥٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه ، ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه » .

وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] بعد قوله تعالى : ﴿ فقد رأيتموه ﴾ ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : إن هذا ذكر للتأكيد كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

● وبعض أهل العلم يقول : إن الرؤية قد تأتي بمعنى العلم كقول القائل : أرى أن الصواب كذا وكذا ، فأُتي بالنظر في قوله تعالى : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ لبيان أن المراد بالرؤية العلم .

وقيل المعنى : وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] هل فيه إضمار ؟

ج : نعم ذكر بعض أهل العلم أن فيه إضمارًا ، والمعنى : فقد رأيتموه وأنتم تنظرون فلم فررتم وانهزمتم ؟!!!

❋ ❋ ❋

س : ما في قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ [آل عمران : ١٤٤] نافية فنفت ماذا ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أنها نفت أن يكون محمد إلهًا .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/١٥٦) ، ومسلم في المغازي (٨/٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

س : صحابي كريم تلا هذه الآية عند وفاة رسول الله ﷺ : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، من هو هذا الصحابي ، وما مناسبة ذكره للآية الكريمة ؟

ج : الصحابي هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، ومناسبة تلاوته هذه الآية الكريمة أنه أقبل على فرسٍ من مَسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشًّى بثوبٍ حِبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها[1] .

وعن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل – إلى – الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني[2] سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلُّني رجلايَ ، وحتى أهويت إلى

---

(١) أخرج البخاري (٤٤٥٣) من حديث عائشة ، وذلك بإسناده إلى الزهري عن أبي سلمة عن عائشة فذكرته ، ثم قال البخاري : قال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس فذكر ما هو أعلاه .

(٢) القائل هو : الزهري أحد رواة الحديث .

الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران : ١٤٤] ؟

ج : المراد بالشاكرين في قوله تعالى : ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ الثابتون على دينهم ، وما منَّ الله به عليهم من توفيق وإيمان وهداية .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى بإذن الله في قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – بقضاء الله وقدره وأمره .

❋ ❋ ❋

س : هذه الآية الكريمة : ﴿ ومن يُرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ [آل عمران : ١٤٥] مطلقة فهل قيدت وما الذي قيدها ؟ اذكر مثالًا آخر على شاكلتها من التنزيل ؟

ج : نعم قيدت – على رأي كثيرٍ من أهل العلم – والذي قيدها قوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ... ﴾ الآية[الإسراء : ١٨] .

أما المثال الذي على شاكلتها فقوله تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] قُيد بقوله تعالى : ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ [الأنعام : ٤١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ .... ومن يُرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ [آل عمران : ١٤٥] بيِّن معناه ، واذكر آيات في هذا المعنى وكذلك بعض الأحاديث ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن من أراد بعمله الدنيا وأعراضها ومتاعها أعطاه الله عز وجل ما قسم له من ذلك ، ولا يكون له نصيب في الآخرة ، أما من أراد الجزاء الأخروي ، وما عند الله عز وجل من الكرامة أعطاه الله من ذلك أيضًا .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، منها :

● قول الله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [هود : ١٥ – ١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [الشورى : ٢٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [البقرة : ٢٠٠ – ٢٠٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا ﴾ [الإسراء : ١٨ – ١٩] .

أما الأحاديث فمنها :

● قوله عليه الصلاة والسلام : « .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[1] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضىَ إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها »[2] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر عدة آيات وأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا ﴾ ؟

ج : أما الآيات والأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًّا ، منها :

● قول الله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ [الحجر : ٤ و ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ [المؤمنون : ٤٢ و ٤٣] .

● قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [النحل : ٦١] .

---

(١) أخرجه البخاري (١) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقال سبحانه : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [الأنعام : ٦١] .

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها :

● حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « وكل الله بالرحم ملكًا فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه »[١].

● وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ... »[٢] الحديث .

● وحديث ابن مسعود قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية قال : فقال النبي ﷺ : « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله »[٣].

● وقول النبي ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨) وفي غير موضع من صحيحه ، ومسلم (حديث ٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هي النكتة في طلب الربيين المقاتلين المغفرة من ربهم عز وجل بين يدي القتال وذلك في قولهم ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ؟

ج : النكتة في ذلك أن هؤلاء الربيين بما علموه من علم يعلمون أن الذنوب من أقوى أسباب الهزائم أمام الأعداء ، وأن الشيطان يستزل بها العباد ، كما قال الله سبحانه : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ، فلما علموا ذلك أقبلوا على الاستغفار من صغار الذنوب وكبارها ، سائلين الله عز وجل الثبات والنصر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ؟

ج : أما المراد بقوله تعالى : ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ أنهم ما ضعفوا وما جبنوا لما أصيبوا بالجراح التي أصيبوا بها وأصيب بها إخوانهم في سبيل الله .

وقوله تعالى : ﴿ وما ضعفوا ﴾ أي : وما تسرب إليهم الضعف عند سماع خبر قتل نبيهم عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ وما استكانوا ﴾ أي : وما استذلوا وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالذنوب والإسراف في الأمور في قول الربيين : ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ... ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالذنوب هنا الصغائر والإسراف

في الأمور المراد بها الكبائر .

وأصل الإسراف تجاوز الحد ، كما قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] ، فالإسراف في الشيء هو تجاوز الحد فيه، فإن قيل قد ورد في دعاء النبي ﷺ أنه طلب من الله أن يغفر له ذنبه وإسرافه في أمره ، فكيف يجاب على هذا قلنا : إن هذا من النبي ﷺ على سبيل التواضع منه عليه السلام ، وعلى سبيل تعليم أمته كذلك ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بثواب الدنيا في قوله تعالى : ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾ [آل عمران : ١٤٨] ؟

ج : المراد بثواب الدنيا : ما رزقهم الله إياه من نصرٍ على عدوهم ، ومن غنيمة وقهرٍ للعدو ، والثناء الحسن الجميل وانشراح الصدر للإيمان ، وإنارته بنور الإيمان وتكفير السيئات ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا وصف ثواب الآخرة بالحسن في قوله تعالى : ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران: ١٤٨] وما المراد بثواب الآخرة؟

ج : وصف ثواب الآخرة بالحسن ، لأنه النعيم الحسن الباقي وهو المعتد به الذي لا يزول كما قال سبحانه : ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٦٤] فلا تشوب هذا النعيم شائبة ولا تعكره الدلاء ولا الأكدار بخلاف نعيم الدنيا فمهما كان فتشوبه الشوائب ، ثم إن نعيمها

منقطع ، والله تعالى أعلم .

أما المراد بثواب الآخرة فهو الجنة وما فيها من النعيم المقيم ورضوان رب العالمين .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صلة هذه الآيات : ﴿ وكأين من نبي ...- إلى قوله تعالى - المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨] بغزوة أحد ؟

ج : صلة ذلك - والله أعلم - أن هذا تأنيب من الله عز وجل للذين فرُّوا يوم أُحد وتركوا قتال عدوهم لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل فعوتبوا وقيل لهم : هلا فعلتم مثل ما فعل الربيون من قبلكم لما قاتلوا مع أنبيائهم فإنهم لم يضعفوا للجراح التي أصابتهم و لم يتخاذلوا بعد قتل نبيهم و لم يستذلوا لعدوهم ويخضعوا له ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب وصف الربيين بالإحسان في قوله تعالى : ﴿ وما كان قولهم ...- إلى قوله - والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٧- ١٤٨] ؟

ج : وجه ذلك أنهم لما تواضعوا لله واعترفوا بذنوبهم وإسرافهم في أمرهم وطلبوا من الله الثبات والنصر على أعدائه وصفهم الله عز وجل بالإحسان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : نهانا الله سبحانه وتعالى في جملة مواطن عن طاعة الكفار ، اذكر جملة من هذه المواطن ؟

ج : من هذه المواطن قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا

فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ [آل عمران: ١٠٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الأحزاب : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [الشعراء : ١٥١ ، ١٥٢] .

● ووصف الله سبحانه قوم فرعون بالفسق لما أطاعوه ، فقال سبحانه : ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ [الزخرف: ٥٤].

● وقال سبحانه : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٠ - ١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولًا بليغًا ﴾ [النساء : ٦٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [الأنعام : ١٥٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون .. ﴾ [الجاثية : ١٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ [آل عمران : ١٥٠] عقب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩] ؟

ج : وجهه – والله أعلم – الحث على موالاة الله عز وجل وترك موالاة الذين كفروا فالله سبحانه هو خير الناصرين فليعتصم به الذين آمنوا وليستنصروا به ولا يستنصروا بغيره ، فأهل الكفر عاجزون متحيرون ، فكيف تطلبون النصرة منهم وتتركون طلبها من الله عز وجل وهو خير الناصرين .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩] هل الطاعة هنا عامة في كل شيء أم في أشياء مخصوصة ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أنها مخصوصة بأمور الدين وما يتعلق بها ، فإذا كان هناك رجل كافر مثلًا وأمر ولده بشيء من أمور الدنيا فأطاعه ولده فيه لا يدخل تحت هذه الآية ، والله أعلم .

* * *

س : من الوسائل التي ينصر الله عز وجل بها جنده في هذه الحياة الدنيا قذف الرعب في قلوب أعدائه الكافرين ، اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة :

● قوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

● وقوله ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر »[1].

● ونحوه قول النبي ﷺ : « ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه الله في قلوب أعدائي »[2].

● وقد أخرج ابن أبي حاتم في التفسير من طريق حبيب بن صهبان قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة يعني دجلة[3] ﴿ ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ثم أقحم فرسه في دجلة ، فلما أقحم ، أقحم الناس فلما رآهم العدو ، فقالوا : ديوان[4] فهربوا .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا .. ﴾ الآية [آل عمران : ١٥١] ذم للتقليد ، وضح ذلك ؟

ج : نعم في الآية الكريمة ذم للتقليد ، ففيها إيذان بأن المتبع هو البرهان والحجة اللذان أتيا من عند الله سبحانه وتعالى ، فذم الله عز وجل المشركين لاتباعهم ما لم ينزل الله به سلطانًا .

❋ ❋ ❋

س : الكافر قلبه ممتلىء خوفًا وفزعًا وهلعًا ، والمؤمن قلبه ممتلىء إيمانًا وطمأنينة ، هل هذا صحيح ؟ اذكر أدلة تدل على ذلك .

ج : نعم ، الأمر على ذلك ، أما الأدلة التي تدل على ذلك فمنها :

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا ، ونحو من حديث أبي موسى مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا .

(٣) يعني : نهر دجلة .

(٤) ديوان أي : شيطان .

والأثر عند ابن أبي حاتم (١٥٦٢) .

● قول الله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

● وقول الله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [التغابن : ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

* * *

س : كان النصر يوم أحد في أول النهار للمؤمنين ، وضح ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج : أما الأدلة من الكتاب فمنها : قوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه .. ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

أما من السنة فمنها : ما أخرجه البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لقينا المشركين يومئذٍ ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله وقال : لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا ، فلما لقيناه هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله[2]: عهد إليَّ النبيُّ ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا ، فلما أبوا صُرف وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلًا ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : « لا تجيبوه » ، فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : « لا تجيبوه » ، فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياءً لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك ، قال أبو سفيان :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٢) هو : ابن جبير .

اعل هبل ، فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » ، قالوا : ما نقول ، قال : « قولوا الله أعلى وأجل » ، قال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » ، قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مُثْلَة لم آمر بها ولم تسؤني .

● وأخرج البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله أُخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أي عباد الله أبي أبي ، قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم ، قال عروة : فمازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : قد يوجد في الصالحين من تزل قدمه في معصية بل في كبيرة ولا يخدش ذلك في استقامته ما دام من المقلعين المستغفرين، وضح ذلك بأدلته ؟

ج : نعم قد يحدث ذلك ، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير القرون وخير الأمم وخير الناس كان فيهم من سرق ، وفيهم من زنى ، ومنهم من يريد الدنيا ، كما قال الله في كتابه : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

ولكن التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وقد قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٥) .

الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

* * *

س : ما المراد بالعفو في قوله تعالى: ﴿ولقد عفا عنكم﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا الباب :

أحدهما : عفا عنكم أي : غفر ذنوبكم التي ارتكبتموها بمخالفتكم أمر نبيكم ﷺ .

الثاني: عفا عنكم تجاوز عنكم ولم يستأصلكم بل أبقى أكثركم. والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بعصيانهم الأمر في قوله تعالى : ﴿ وتنازعتم في الأمر وعصيتم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : المراد عصيان الرماة أمر رسول الله ﷺ إذ أمرهم بالثبات في مواقعهم ، فلم يثبتوا فيها . والله أعلم .

* * *

س : ما هو المحبوب الذي أراه الله لأصحاب نبيه ﷺ ؟

ج : المحبوب هو : الغنيمة التي ظهرت بوادرها ولاحت مطالعها من قتل المشركين وهرب نسائهم في الجبل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : لأهل العلم قولان هنا :

● منهم من يقول : إن جواب الشرط محذوف دلَّ عليه صدر الآية الكريمة ، والمعنى : حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره أو صرتم فريقين .

● ومنهم من يقول : إن جواب الشرط مذكور ، والمعنى : حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم ، وهذا من باب التقديم والتأخير ، والواو دخلت في ذلك ، ومعناها السقوط ، كما يقال : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٣ - ١٠٤] معناه : ناديناه .

وكقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ المعنى : فتحت ، وكقوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧] المعنى : اقترب . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : هذا الوعد هو قوله تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ [الحج : ٤٠] وهذا مشروط .

ومنهم من يقول هو قوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا ﴾ .

● وبعض العلماء يقول : إن الله عز وجل وعدهم النصر فقال لهم نبيه ﷺ : « إنا لن نزال غالبين ما دمتم في مكانكم هذا »[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) في ثبوت هذه اللفظة في الحديث نظر ، والله أعلم .

س : المعاصي سبب لزوال النعم، اذكر ما يشهد لذلك من قصة أحد ؟

ج : الشاهد لذلك من قصة أحد أن الله عز وجل نصر المؤمنين أول النهار لما كانوا مستمسكين بأمر رسول الله ﷺ وحافظ الرماة فيهم على مواقعهم ، كما أمرهم النبي ﷺ ، فلاحت لهم علامات النصر وبشائره ، ثم لما خالفوا أمر رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم صارت تلك المخالفة سببًا لانهزام المسلمين وقتل جمع عظيم من فضلائهم وكبرائهم وشج رأس نبيهم ﷺ . وزوال الغنيمة وتحولها منهم إلى عدوهم . والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر معاني هذه الكلمات والجُمل :

خَلَتْ - سُنَنٌ - عاقبة - لا تهنوا - الأعلون - يمسسكم قرحٌ - يُمحص - يَمحق - أم حسبتم - انقلبتم على أعقابكم - مؤجلًا - كأين - ربيون - استكانوا - مولاكم - الرُّعب - ما لم ينزل به سلطانًا - مأواهم - مثوى - صدقكم الله وعده - تحسونهم - بإذنه - فشلتم - صرفكم عنهم - ليبتليكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
خَلَتْ	مقت - تقدمت .
سننٌ	أمثال وسيَر - والمراد - والله أعلم - سنة الله في الأمم الماضية مما حل بهم من نقم الله عز وجل ، والسنة أيضًا تطلق على

	الطريقة والعادة والشأن .
عاقبة	العاقبة آخر الأمر .
لا تهنوا	لا تضعفوا – لا تجبنوا .
الأعلون	الغالبون .
يمسسكم	يُصبكم .
قرح	قتل وجراح .
يمحص	التمحيص : الاختبار – الابتلاء – التنقية – التخليص .
يمحق الكافرين	يهلكهم – ينقص عددهم – يذهب دعوتهم – يحبط عملهم .
أم حسبتم	لا تحسبوا .
انقلبتم على أعقابكم	ارتددتم عن دينكم .
مؤجلًا	مؤقتًا .
كأين	كم ، وهي مكونة من كاف التشبيه وأيّ الاستفهامية والتنوين ودخلت الكاف على أي كما دخلت على ذا من قولنا كذا ، ودخلت على أن في كأن ، وكم هنا للتكثير كقوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ [الطلاق : ٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ... ﴾ [الحج : ٤٥] .
ربيون	ألوف– جموع كثيرة – علماء – ربانيون –

	علماء صبر بررة أتقياء – علماء فقهاء .
استكانوا	استذلوا – خضعوا .
مولاكم	متولي نصركم وحفظكم ومسددكم .
الرعب	الجزع والهلع والخوف .
ما لم ينزل به سلطانًا	ما لم يجعل له به حجة .
مأواهم	مسكنهم .
مثوى	مقام (المكان الذي يقام فيه) .
صدقكم الله وعده	حقق لكم ما وعدكم به .
تحسونهم	تقتلونهم (والحس : القتل) – تستأصلونهم .
بإذنه	بأمره – بتسليط الله لكم عليهم .
فشلتم	جبنتم – (الفشل الجبن) – تخاذلتم .
صرفكم عنهم	ردكم عن المشركين .
ليبتليكم	ليختبركم .

❋ ❋ ❋

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ
فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً
نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ
بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ
ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟
مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟
وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾
وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ
مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ
وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ
كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ
عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ
عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ
هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

س : (إذ) في قوله تعالى : ﴿ إذ تُصعدون ﴾ [آل عمران : ١٥٣] متعلق بماذا ؟

ج : متعلق بقوله تعالى : ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ، فالمعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون ، وذلك لأن الفرار كبيرة ، فعفا الله سبحانه وتعالى لهم عنها . والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ والرسول يدعوكم في أُخراكم ﴾ [آل عمران : ١٥٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – والرسول يدعوكم من ورائكم .

وقد قال البراء بن عازب رضي الله عنهما : جعل النبي ﷺ على الرَّجالة يوم أحد عبد الله بن جبير وأقبلوا منهزمين فذاك (إذ يدعوهم الرسول في أُخراهم)[1] .

* * *

س : العقوبة قد يطلق عليها ثواب. اذكر مثالين لذلك ووضح معنى الثواب؟

ج : أما المثال الأول فهو قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

والمثال الثاني قوله تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ... ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وأصل معنى الثواب الرجوع ، ومنه قولهم : ثاب إليه عقله أي : رجع إليه عقله ، وقولهم : ثاب إلى رشده ، وقوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ولذلك أطلق على الثيب ثيبًا لرجوعها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٧) .

إلى بيت أبيها ، أو لأن الواطىء عائد إليها .

* * *

س : ما هو المراد بالباء في قوله تعالى : ﴿بغم﴾ [آل عمران : ١٥٣] ؟

ج : لأهل العلم فيها ثلاثة أقوال وهي : مع أي : مع غم ، والثاني : بعد أي : بعد غم ، والثالث : على أي : على غم ، كما قال تعالى : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي : على جذوع النخل .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ لكيلا تحزنوا ﴾ [آل عمران : ١٥٣] كيف أثابهم غمًّا بغم لكيلا يحزنوا ؟ فالمعهود أن الغم يُحزن والغم الآخر يحزن أكثر ؟

ج : هذه الآية الكريمة فيها معنى لطيف قد يغفل عنه البعض ألا وهو أن الشخص قد يبتلى بمصيبة فيحزن فيبتلى بمصيبة أعظم فيحزن حزنًا شديدًا ، فإذا كشف الله عز وجل المصيبة العظمى انكشفت معها المصيبة الأولى ، فيكون كشف المصيبة الأعظم فضل من الله عز وجل إذ أنسى الشخص المصيبة الأولى ، وهذا الذي حدث في أُحد ، فابتلي المسلمون بمصيبة تمثلت في فوات الغنيمة منهم وفي قتل عددٍ من خيارهم وفي شج رأس نبيهم ﷺ ، فكان هذا غمٌّ اغتم له المسلمون وحزنوا بسببه ، ثم بعد ذلك دبت في الناس مقولةٌ ألا وهي : (إن محمدًا قد قتل) فاغتم المسلمون لذلك غمًّا شديدًا جدًّا أنساهم الغم الأول ، ثم لما كشف الله الغم الثاني وتبين للناس أن النبي ﷺ حيٌّ لم يقتل ذهب الغمان معًا الغم الأول والغم الثاني ، فذهب الحزن وذهب معه الندم على فوات الغنيمة ، والحمد لله رب العالمين .

ومثال آخر يوضح هذا نضربه ونسوقه حتى يزداد معنى الآية وضوحًا ،

قد يكون رجلٌ في عمله مثلًا فيفاجأ بقائلٍ يقول له : إن بيتك قد احترق فيغتم لذلك ويحزن ، ثم ما يلبث فترة حتى يأتيه قائل آخر فيقول له : إن أولادك وزوجتك وأموالك قد احترقوا جميعًا في البيت ، فيحزن لذلك حزنًا شديدًا ما بعده حزن ، ثم ما يلبث أن يأتيه آتٍ فيقول له : الحمد لله لم يُصب أي ولدٍ من أولادك بسوء ولم تصب زوجتك بمكروه ولم تصب الأموال بشيء ، فحينئذ يذهب الغمان جميعًا ويحمد الرجل ربَّه عز وجل .

هذا وقد قال بعض العلماء أقوالًا أخر مرجوحة في تفسير هذه الآية الكريمة، فمنهم من قال : إن قوله تعالى : ﴿ فأثابكم غمًّا بغمٍّ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] معناه : أثابكم غمًّا بسبب الغم الذي سببتموه لنبيكم ﷺ بمخالفتكم أمره[1]، ولكن هذا المعنى لا يستقيم مع قوله تعالى : ﴿ لكيلا تحزنوا ... ﴾ [آل عمران : ١٥٣] والصواب من القول هو ما قدمناه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ [آل عمران : ١٥٤] وما المراد بظن الجاهلية ؟

ج : معنى ذلك – والله أعلم – أن أهل النفاق يظنون بالله عز وجل غير الحق ، كما يظن أهل الجاهلية في الله عز وجل .

أما ظن أهل الجاهلية في الله عز وجل فله صور منها :

● أنهم ظنوا أن الله عز وجل لن ينصر دينه ، ولن يعلي كلمته ، وأن الإسلام سينتهي ويزول ويُباد أهله .

● وظنوا أيضًا أن لن ينقلب[2] الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا .

---

(١) وذلك لأن النبي ﷺ أمر الرماة أن لا يتحركوا من أماكنهم فخالفوا أمره ونزلوا للمشاركة في الغنيمة ....

(٢) ينقلب أي : يرجع .

● وكذبوا أيضًا بقدر الله عز وجل فقالوا : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

● وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى (في كتابه زاد المعاد ٢٢٩/٣) صورًا من الظن السيىء بالله عز وجل منها : أنه قال :

● فمن ظن بأن الله لا ينصر رسوله ولا يُتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويُعليهم ويُظفرهم بأعدائه ويُظهرهم عليهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه ، وأنه يُديل الشرك على التوحيد ، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا ، فقد ظن بالله ظن السوء ، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته ، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك ، وتأبى أن يذلَّ حزبه وجنده ، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به ، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله .

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته .

وكذلك من أنكر أن يكون قدَّر ما قدَّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها ، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغايةٍ مطلوبة هي أحب إليه من فوتها ، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحب ، وإن كانت مكروهة له فما قدَّرها سدًى ولا أنشأها عبثًا ولا خلقها باطلًا ﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ [ص : ٢٧] .

وقال أيضًا : فمن قَنَطَ من رحمته وآيس من روحه فقد ظن به ظن السوء .

● ومن جوَّز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه[1] فقد ظن به ظن السوء .

● ومن ظن أنه يترك خلقه سدًى معطلين عن الأمر والنهي ولا يُرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتابه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء .

● ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيىء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء .

---

(١) قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ [القلم : ٣٥ - ٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [ص : ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون ﴾ [السجدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولواْ الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخطٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [آل عمران : ١٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ [القصص : ٦١] .

● ومن ظن أنه يُضَيِّعُ عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد ، أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله ، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به ، أو ظن به أنه يجوِّز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم يضلُّون بها عباده ، وأنه يحسُن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين ويُنعم على من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه ، فيرفعه إلى أعلى عليين ، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء ، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق ، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء .

ثم قال : وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله أو عطَّل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء .

إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى وعفا عنه .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه : ﴿ يخفون في أنفسهم ما لا يُبدون لك ﴾ [آل عمران : ١٥٣] ما هو الذي أخفوه في أنفسهم فلم يبدوه لرسول الله ﷺ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - هو قولهم : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

٢ - الذي أخفوه هو الإسرار على الكفر ، وشكهم في أمر النبي ﷺ ورسالته .

٣ - تكذيبهم بقدر الله عز وجل وقولهم: لو كنا في بيوتنا ما قُتلنا .

٤ – الندم على حضور المعركة .

✵ ✵ ✵

س : ما المراد بالأمر في قول أهل النفاق : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالأمر هنا المشورة فالمعنى على ذلك أنهم قالوا : هل لنا من الأمر من شيء ، فلو كان الأمر بأيدينا ما خرجنا للقتال حيث نقتل ها هنا ، ولو استشرنا لم نُشر بالخروج إلى حيث نقتل ، فأجابهم الله عز وجل بقوله : ﴿ إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] أي : يقدر ما يشاء ويفعل ما يريد ، ولو كنتم في بيوتكم لخرج الذين كُتب عليهم القتل إلى حيث يقتلوا .

- ومن العلماء من قال : إن المراد بالأمر أمر النصر والظفر .
- ومنهم من قال : إنه القدر ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : اذكر رجلًا من القائلين : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ؟ ومناسبة ذلك ؟

ج : القائل هذا هو معتب بن قشير فقد قال الزبير رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجلٍ إلا ذقنه في صدره قال : فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ، فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾، لقول معتب[1].

---

(١) ذكره محمد بن إسحاق قال حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير ...فذكره .
وأخرجه الطبري في التفسير (٨٠٩٤) ، وابن أبي حاتم في التفسير (١٦٩٧) ، وإسناده صحيح .

س : من هي الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد والطائفة التي لم يغشها ؟

ج : الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد هي الطائفة المؤمنة أهل اليقين والإيمان والتوكل الصادق الذين خرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ طلبًا للأجر من الله عز وجل وطلبًا لإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة في سبيل الله عز وجل ، وكان منهم أبو طلحة رضي الله عنه فقد قال رضي الله عنه : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط ويأخذه[1].

وكان منهم الزبير رضي الله عنه[2].

● أما الطائفة التي لم يغشها النعاس فهم أهل النفاق الذين خرجوا وهم في شك من أمرهم طمعًا في الغنيمة ورغبةً في الدنيا ، فلما لم ينالوها جعلوا يتأسفون على الخروج ويندمون عليه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بين معنى قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، واذكر بعض فوائد النعاس في موطن كأحد ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الشخص قد يكون مهمومًا همومًا شديدة تراكمت عليه من كل اتجاه وصوب وحدبٍ ففجأة يصيبه الله بشيء من النعاس ولو قليل فيفيق منه وقد ذهبت كل همومه وأحزانه وكأنه لم يكن به شيء .

وهكذا كان المسلمون يوم بدرٍ وأحد ففي يوم بدرٍ راعهم كثرة عدد

---

(١) أخرجه البخاري رحمه الله (٤٥٦٢) .

(٢) وسيأتي الحديث عنه بذلك قريبًا إن شاء الله .

عدوهم وعُدَدِه فأنزل الله عليهم النعاس ، كما قال سبحانه : ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

ويوم أحد كذلك أصيبوا بشيء من هذا القلق والخوف فأنزل الله عز وجل عليهم بعد الغمة أمنة نعاسًا أي : نعاسًا جعله الله تبارك وتعالى أمانًا وسكينة .

● أما فوائد النعاس في موطن كأحدٍ فقد ذكر الرازي[1] رحمه الله بعضها فقال : واعلم أن ذلك النعاس فيه فوائد (أحدها: أنه وقع على كافة المؤمنين لا على الحد المعتاد) ، فكان ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ ، ولا شك أن المؤمنين متى شاهدوا تلك المعجزة الجديدة ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم ، ومتى صاروا كذلك ازداد جدهم في محاربة العدو ووثوقهم بأن الله تعالى منجز وعده .

وثانيها : أن الأرق والسهر يوجبان الضعف والكلال ، والنوم يفيد عود القوة والنشاط واشتداد القوة والقدرة .

وثالثها : أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألقى الله النوم على عين من بقي منهم لئلا يشاهدوا قتل أعزتهم فيشتد الخوف والجبن في قلوبهم .

ورابعها : أن الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم ، فبقاؤهم في النوم مع السلامة في مثل تلك المعركة من أدل الدلائل على أن حفظ الله وعصمته معهم ، وذلك مما يزيل الخوف عن قلوبهم ويورثهم مزيد الوثوق بوعد الله . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) لا يخفي علينا بفضل الله – ما في تفسير الرازي من أخطاء وزلات وهفوات بل وبلايا وضلالات ، لكن نأخذ من تفسيره ما نرى أنه أجاد فيه ، وبالله التوفيق .

س : اذكر بعض الحِكَم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد .

ج : أفرد ابن القيم رحمه الله تعالى بحثًا لهذه الحكم والغايات في كتابه زاد المعاد (٣/٢١٨) ، فقال : وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ [آل عمران :١٢١] إلى تمام ستين آية .

فمنها : تعريفهم سوء عاقبة المعصية ، والفشل ، والتنازع ، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك ، كما قال تعالى ﴿ ولقد صدقكُم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدِ ما أراكم مَا تُحبونَ منكُم مَّن يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ، وتنازعهم ، وفشلهم ، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة ، وتحرزًا من أسباب الخذلان .

ومنها : أن حكمة الله وسنته في رسله ، وأتباعهم ، جرت بأن يدالوا مرة ، ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائمًا ، دخل معهم المؤمنون وغيرهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انتصرَ عليهم دائمًا ، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة .

ومنها : أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان : هل قاتلتموه؟ قال : نعم . قال : كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال : سجال، يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى . قال : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧) ، وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (حديث ١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه .

ومنها : أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر ، وطار لهم الصيت ، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا مَنْ ليس معهم فيه باطنًا ، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق ، فأطلع المنافقون رءوسهم في هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتمونه ، وظهرت مخبآتهم ، وعاد تلويحهم تصريحًا ، وانقسم الناس إلى كافر ، ومؤمن ، ومنافق ، انقسامًا ظاهرًا ، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دورهم ، وهم معهم لا يفارقونهم ، فاستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم . قال الله تعالى : ﴿ مَا كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران : ١٧٩] أي : ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباسِ المؤمنين بالمنافقين ، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق ، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء ، فإنهم متميزون في غيبه وعلمه ، وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزًا مشهودًا ، فيقع معلومهُ الذي هو غيب شهادة . وقوله : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ ، استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسل، فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا منِ ارتضى من رسول ﴾ [الجن : ٢٦ – ٢٧] فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله ، فإن آمنتم به وأيقنتم ، فلكم أعظم الأجر والكرامة .

ومنها : استخراج عبوديةِ أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون ، فهم عبيده حقًّا ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

ومنها : أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا ، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن ،

وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا ، لطغت نفوسهم ، وشمخت وارتفعت ، فلو بسط لهم النصر والظفر ، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والقبض والبسط ، فهو المدبر لأمر عباده كما يليقُ بحكمته ، إنه بهم خبير بصير .

ومنها : أنه إذا امتحنهم بالغلبة ، والكسرة ، والهزيمة ، ذلوا وانكسروا ، وخضعوا ، فاستوجبوا منه العز والنصر ، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار ، قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ [آل عمران : ١٢٣] وقال : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا ﴾ [التوبة : ٢٥] فهو – سبحانه – إذا أراد أن يعز عبده ، ويجبره ، وينصره ، كسره أولًا ، ويكون جبره له ، ونصره ، على مقدار ذله وانكساره .

ومنها : أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ، لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

ومنها : أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته ، قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه ، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه ، ولو تركه ، لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه .

ومنها : أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه ، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة ، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء ، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

ومنها : أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم ، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم ، وطغيانهم ، ومبالغتهم في أذى أوليائه ، ومحاربتهم ، وقتالهم والتسلط عليهم ، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم . وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣٩ ، ١٤١] ، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم ، وإحياء عزائمهم وهممهم ، وبين حسن التسلية ، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] فقد استويتم في القرح والألم ، وتباينتم في الرجاء والثواب . كما قال : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [النساء : ١٠٤] ، فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم ، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان ، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي .

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس ، وأنها عرض حاضر ، يقسمها دولًا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة ، فإن عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين ، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه ، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحس .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء ، فإنه يحب الشهداء من عباده ، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها ، وقد اتخذهم لنفسه فلا بد أن ينيلهم درجة الشهادة . وقوله : ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، تنبيه لطيف الموقع جدًّا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد ، فلم يشهدوه ، ولم يتخذ منهم شهداء ، لأنه لم يحبهم ، فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم ، وما أعطاه من استشهد منهم ، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه .

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم ، وهو تمحيص الذين آمنوا ، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس ، وأيضًا فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين ، فتميزوا منهم ، فحصل لهم تمحيصان : تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم ، وهو عدوهم .

ثم ذكر حكمة أخرى ، وهي محق الكافرين بطغيانهم ، وبغيهم ، وعدوانهم ، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله ، والصبر على أذى أعدائه ، وإن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه . فقال : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، أي : ولما يقع ذلك منكم ، فيعلمه فإنه لو وقع لعلمه ، فجازاكم عليه بالجنة ، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم ، لا على مجرد العلم ، فإن الله لا يجزي العبد على مجرد

علمه فيه دون أن يقع معلومه ، ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه . فقال :﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ [آل عمران : ١٤٣] .

قال ابن عباس : ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة ، رغبوا في الشهادة ، فتمنوا قتالًا يستشهدون فيه ، فيلحقون إخوانهم ، فأراهم الله ذلك يوم أحد ، وسببه لهم ، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ .

ومنها : أن وقعة أحدٍ كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ ، فثبَّتهم ، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ ، أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه ، أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد ، وهو حي لا يموت ، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به ، فكل نفس ذائقة الموت وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم ، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد ، فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي ، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان : إن محمدًا قد قتل ، فقال : ﴿ ومَا محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤]، والشاكرون : هم الذين عرفوا قدر النعمة ، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم، ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلًا لا بد أن تستوفيه، ثم

تلحق به ، فَيَرِدُ الناسُ كلهم حوض المنايا موردًا واحدًا ، وإن تنوعت أسبابه ، ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى ، فريق في لجنة وفريق في السعير ، ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون ، فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، وما وهنوا عند القتل ، ولا ضعفوا ، ولا استكانوا ، بل تلقوا الشهادة بالقوة ، والعزيمة ، والإقدام ، فلم يُستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة ، بل استشهدوا أعزة كرامًا مقبلين غير مدبرين ، والصحيح : أن الآية تتناول الفريقين كليهما .

ثم أخبر سبحانه عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم ، أن يثبت أقدامهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، فقال : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران : ١٤٧ ، ١٤٨] . لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم ، وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها ، وأنها نوعان : تقصير في حق أو تجاوز لحد ، وأن النصرة منوطة بالطاعة ، قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم ، لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ، ونصرها على أعدائهم ، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم ، وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا ، فوفوا المقامين حقهما : مقام المقتضي ، وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه . ومقام إزالة المانع من النصرة ، وهو الذنوب والإسراف ، ثم حذرهم سبحانه من طاعة عدوهم ، وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة ، وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد .

ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين ، وهو خير الناصرين فمن والاه فهو المنصور .

ثم أخبرهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم ، والإقدام على حربهم ، وأنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم ، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله ، وعلى قدر الشرك يكون الرعب ، فالمشرك بالله أشد شيء خوفًا ورعبًا ، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح ، والمشرك له الخوف والضلال والشقاءُ .

ثم أخبرهم أنه صدَقهم وعده في نصرتهم على عدوهم ، وهو الصادق الوعد ، وأنهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم ، ولكن انخلعوا عن الطاعة وفارقوا مركزهم ، فانخلعوا عن عصمة الطاعة ففارقتهم النصرة ، فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء ، وتعريفًا لهم بسوء عواقب المعصية ، وحسن عاقبة الطاعة .

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعد ذلك كله ، وأنه ذو فضل على عباده المؤمنين قيل للحسن : كيف يعفو عنهم ، وقد سلط عليهم أعداءهم حتى قتلوا منهم من قتلوا ، ومثلوا بهم ، ونالوا منهم ما نالوه ؟ فقال : لولا عفوه عنهم ، لاستأصلهم ، ولكن بعفوه عنهم دفع عنهم عدوهم بعد أن كانوا مجمعين على استئصالهم ، ثم ذكَّرهم بحالهم وقت الفرار مصعدين ، أي : جادين في الهرب والذهاب في الأرض ، أو صاعدين في الجبل لا يلوونَ على أحدٍ من نبيهم ولا أصحابهم ، والرسول يدعوهم في أخراجهم : « إليَّ عباد الله ، أنا رسول الله » فأثابهم بهذا الهرب والفرار ، غمًّا بعد غم : غم الهزيمة والكسرة ، وغم صرخة الشيطان فيهم بأن محمدًا قد قتل .

وقيل: جازاكم غمًّا بما غممتم رسوله بفراركم عنه ، وأسلمتموه إلى عدوه ،

فالغم الذي حصل لكم جزاء على الغم الذي أوقعتموه بنبيه ، والقول الأول أظهر لوجوه :

أحدها : أن قوله : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾[آل عمران : ١٥٣] ، تنبيه على حكمة هذا الغم بعد الغم ، وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم من الظفر ، وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح ، فنسوا بذلك السبب ، وهذا إنما يحصل بالغم الذي يعقبه غم آخر .

الثاني : أنه مطابق للواقع ، فإنه حصل لهم غمٌّ فوات الغنيمة ، ثم أعقبه غم الهزيمة ، ثم غم الجراح التي أصابتهم ، ثم غم القتل ، ثم غم سماعهم أن رسول الله ﷺ قد قتل ، ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم ، وليس المراد غمين اثنين خاصة ، بل غمًّا متتابعًا لتمام الابتلاء والامتحان .

الثالث : أن قوله : ﴿ بغم ﴾ من تمام الثواب ، لا أنه سبب جزاء الثواب والمعنى : أثابكم غمًّا متصلًا بغم ، جزاء على ما وقع منهم من الهروب وإسلامهم نبيهم ﷺ وأصحابه ، وترك استجابتهم له وهو يدعوهم ، ومخالفتهم له في لزوم مركزهم ، وتنازعهم في الأمر ، وفشلهم ، وكل واحد من هذه الأمور يوجب غمًّا يخصه ، فترادفت عليهم الغموم كما ترادفت منهم أسبابها وموجباتها ، ولولا أن تداركهم بعفوه ، لكان أمرًا آخر .

ومن لطفه بهم ، ورأفته ، ورحمته ، أن هذه الأمور التي صدرت منهم كانت من موجبات الطباع ، وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة ، فقيض لهم بلطفه أسبابًا أخرجها من القوة إلى الفعل ، فترتب عليها آثارها المكروهة ، فعلموا حينئذ أن التوبة منها والاحتراز من أمثالها ودفعها بأضدادها أمر متعين ، لا يتم لهم الفلاح والنصرة الدائمة المستقرة إلا به ، فكانوا أشد حذرًا بعدها ، ومعرفة بالأبواب التي دخل عليهم منها .

وربما صحت الأجسام بالعلل .

ثم إنه تداركهم سبحانه برحمته ، وخفف عنهم ذلك الغم ، وغيبه عنهم بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنًا منه ورحمة ، والنعاس في الحرب علامة النصرة والأمن ، كما أنزله عليهم يوم بدر ، وأخبر أن من لم يصبه ذلك النعاس ، فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه ولا أصحابه ، وأنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

ثم قال رحمه الله :

ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير ، وهي ابتلاء ما في صدورهم ، وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق ، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانًا وتسليمًا ، والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه .

ثم ذكر حكمة أخرى : وهو تمحيص ما في قلوب المؤمنين ، وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه ، فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع ، وميل النفوس وحكم العادة ، وتزيين الشيطان ، واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى ، فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ، ولم تتمحص منه ، فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده ، وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك ، فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة ، وقتل من قتل منهم ، تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم ، فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا .

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم ، وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم ، فاستزلهم الشيطان بتلك الأعمال حتى تولوا ، فكانت أعمالهم جندًا عليهم ، ازداد بها عدوهم قوة ، فإن الأعمال

جند للعبد وجند عليه ولا بد ، فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه ، أو تنصره ، فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها ، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه فأعمال العبد تسوقه قسرًا إلى مقتضاها من الخير والشر ، والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى ، ففرار الإنسان من عدوه ، وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله ، بعثه له الشيطان وأستنزله به .

ثم أخبر سبحانه : أنه عفا عنهم ، لأن الفرار لم يكن عن نفاق ولا شك ، وإنما كان عارضًا ، عفا الله عنه ، فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها ، ثم كرر عليهم سبحانه : أن هذا الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم ، بسبب أعمالهم ، فقال : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل : هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، وذكر هذا بعينه فيما هو أعمُّ من ذلك في السور المكية فقال ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء : ٧٩] ، فالحسنة والسيئة ها هنا : النعمة والمصيبة فالنعمة من الله من بها عليك والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك ، فالأول فضله ، والثاني عدله ، والعبد يتقلب بين فضله وعدله ، جار عليه فضله ، ماض فيه حكمه ، عدل فيه قضاؤه . وختم الآية الأولى بقوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ بعد قوله : ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ إعلامًا لهم بعموم قدرته وعدله، وأنه عادل قادر ، وفي ذلك إثبات القدر والسبب ، فذكر ، وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه ، فالأول ينفي الجبر ، والثاني ينفي القول بإبطال القدر ، فهو يشاكل قوله : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [الإنسان : ٣٠]

وفي ذكر قدرته ها هنا نكتة لطيفة ، وهي أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته ، وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم ، فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره، ولا تتكلوا على سواه ، وكشف هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح بقوله : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ ، وهو الإذن الكوني القدري ، لا الشرعي الديني ، كقوله في السحر : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير ، وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية يتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تمييزًا ظاهرًا ، وكان من حكمة هذا التقدير تكلم المنافقين بما في أنفسهم، فسمعه المؤمنون ، وسمعوا رد الله عليهم وجوابه لهم ، وعرفوا مؤدى النفاق وما يؤول إليه ، وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة ، فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة ، فللّه كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة ، ونعمته على المؤمنين سابغة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه ، وتعريف بأسباب الخير والشر ومالهما وعاقبتهما .

ثم عزى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية ، وألطفها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لها ، فقال : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه ، وأنهم عنده ، جريان الرزق المستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله ، وهو فوق الرضى ، بل هو كمال الرضى ، واستبشارهم بإخوانهم باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم ، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته ، ذكرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو من أعظم مننه ونعمته عليهم التي إن قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية ، تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة ، ولم يبق لها أثر البتة ، وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم

إليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى الفلاح ، ومن الظلمة إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير ، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير ، فأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا ، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوا ويتكلوا ، ولا يخافوا غيره ، وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره ، وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته ، وسلاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة ، وعزَّاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوهم فيه ، ولا يحزنوا عليهم ، فله الحمد كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلاله .

* * *

س : ما هما الجمعان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ؟

ج : الجمعان هما جمع المؤمنين وجمع المشركين .

* * *

س : اذكر صحابيًّا جليلًا فر يوم أحد وعفا الله عز جل عنه ؟

ج : هذا الصحابي الجليل هو الخليفة البار الراشد عثمان بن عفان[1] . رضي الله تعالى عنه الحيي الكريم الذي كانت تستحي منه الملائكة والذي أنفق جل أمواله في سبيل الله عز وجل .

---

(١) وقد جاء ذلك في صحيح البخاري (٣٦٩٨) ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما مدافعًا عنه : (أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له).
قلت : وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ [آل عمران : ١٥٥] .

س : قال بعض أهل العلم إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها اذكر دليلًا على هذا ؟

ج : الدليل هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى استزلهم ؟ ، وكيف استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ؟

ج : استزلهم أي أوقعهم (أو طلب وقوعهم) في الزلة وهي الخطيئة ، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالًا ، منها أن القوم (الذين فروا) كانوا قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف (إما قبل القتال ، وإما في أثنائه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ) فخشوا أن يواجهوا العدو وهم على هذه الحال من الذنوب فدفعهم ذلك إلى الفرار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإيمان بالقدر يورث طمأنينة في القلب ، والاعتراض على القدر يورث حسرة في القلب ، وضح ذلك .

ج : أما ذلك فهو واضح ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ [التغابن : ١١] ، فالمؤمن دائمًا راض بأقدار الله عز وجل عليه حامدًا لله عز وجل في السراء والضراء .

أما الكافر فلكونه غير راض بأقدار الله فالحسرة دائمًا مقذوفة في قلبه ، كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزًى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله

ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ [آل عمران : ١٥٦] فنهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين في مقالتهم عن إخوانهم الذين ماتوا وقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فإن الله عز وجل جعل ذلك الندم وهذا القول حسرة في قلوب الكافرين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالذين كفروا في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض .. ﴾ [آل عمران : ١٥٦] ومن المراد بإخوانهم ؟

ج : أما الذين كفروا فيقول فريق من العلماء : إنهم المنافقون فهم الذين كانوا يثبطون المؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٨] ، وفريق من العلماء يرى أن الآية عامة في كل كافر جاحد ومنافق . والله أعلم .

أما المراد بإخوانهم فلها وجوه منها : إخوانهم الذين أسلموا ، ومنها : إخوانهم في النسب الذين خرجوا للجهاد ، ومنها : إخوانهم في الكفر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإيمان والجهاد في سبيل الله والثبات عليهما حتى الموت أو القتل خير من متاع الدنيا الفاني وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما الأدلة على ذلك فكثيرة ، منها :

● قول الله تعالى : ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [يونس : ٥٨] .

● وقال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١١١] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (ما) في قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا صلة زائدة كما في قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [المائدة : ١٣] فمعناها : فبنقضهم ميثاقهم ، وكقوله تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] فالمعنى : فمن خطيئاتهم ، وكقوله تعالى : ﴿ جندٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ [ص : ١١] فالمعنى : جندٌ هنالك ، وكقوله تعالى : ﴿ عما قليل ليصبحن نادمين ﴾ [المؤمنون : ٤٠] فالمعنى : عن قليلٍ فهي زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ [يوسف : ٩٦] فالمعنى : فلما جاء البشير .

● ومن أهل العلم من يرى أنها استفهام للتعجب ، والمعنى فبأي رحمة من الله لنت لهم مع أن المعصية التي فعلوها (بفرارهم عنك يوم أحد) كانت كبيرة وأصبت من ورائها بما أُصبت به ومع ذلك ليَّن الله عز وجل قلبك

لهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فبرحمة الله عز وجل عليك وعلى أصحابك ورأفته بك وبهم جعلك الله لينًا سهلًا لأصحابك فأصبحت تتحمل أذاهم وتعفو عنهم إذ قصروا في حقك وتتغاضى عن ذي الجرم منهم إذ أجرم في حقك ، كل هذا من فضل الله عليك وعليهم إذ سهل لهم أخلاقك وحسنها لك ولهم .

❋ ❋ ❋

س : صفة رسول الله ﷺ في التوراة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، اذكر ما يدل على ذلك ؟

ج : ورد في صحيح البخاري[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله عز وجل حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا .

❋ ❋ ❋

س : الداعي إلى الله عز وجل عليه أن يتحلى بالخلق الحسن كاللين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٨) .

والرفق بمن يدعوهم إلى الله عز وجل وبمن اتبعوه ، وضح ذلك وبين هل يطرد ذلك في جميع الأحوال ؟

ج : نعم ، على الداعي إلى الله عز وجل أن يتحلى بمكارم الأخلاق التي منها اللين وخفض الجناح ، كما قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ، وكما قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وكما قال الله عز وجل عن رسوله ﷺ : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [براءة : ١٢٨] ، وكما قال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولًا لينًا ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وقولوا للناس حُسنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ، وكما قال النبي ﷺ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه »[1] إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب .

● ولكن هذا اللين لا يطرد في كل الأحوال فإذا احتاج المقام إلى شدة اشتد الشخص ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النور : ٢] وكما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● فإذا لم يُفضِ اللين والرفق إلى إهمال أو إضاعة حدٍّ من حدود الله فالرفق محمود .

● وإذا طُمع من وراء الشدة - في بعض الأحيان - في نفع اشتد الشخص على أن تكون نيته خالصة لله وعمله خالصًا لله عز وجل .

● وإذا كان المقام مقام تعاملٍ مع أهل النفاق ورجى الشدة في التعامل

---

(١) صحيح وقد تقدم وقد أخرجه مسلم .

معهم فإن الله سبحانه قال : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] .

ومن أراد الله عز وجل به خيرًا فقهه في الدين وبيَّن له المواطن التي ينبغي أن يُلين فيها فيُلين والمواطن التي ينبغي أن يشتد فيها فيشتد[1]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه مع أن الله عز وجل قادر على أن يُريه وجوه الحق والصواب في الأمور التي يستشير فيها أصحابه ؟

ج : من أهل العلم من قال : إنه عليه السلام أُمر بمشاورة أصحابه تطييبًا لقلوبهم وجبرًا لخاطرهم وتأليفًا لهم .

● ومنهم من قال : إن النبي ﷺ أُمِرَ بذلك ليسنَّ لأمته سنة المشاورة في الأمور .

● ويظهر لي وجه ثالث ألا وهو أنه عليه السلام أُمر بالاستشارة ليصل بإذن الله – ثم باستشارتهم – إلى أوفق الآراء وأسد الآراء كما ورد عن رسول الله ﷺ في حروبه .

● وثمَّ وجه آخر ألا وهو أنهم إذا استشيروا في أمرٍ فأشاروا برأيٍ فيه ثم أصابهم من ورائه شيء كانوا أرضى بقدر الله عز وجل عليهم منهم إذا لم يستشاروا .

● ووجه آخر أنهم لما زلت أقدامهم وفروا من حول رسول الله ﷺ ربما يتسرب إليهم اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل لعظم الذنب الذي ارتكبوه من الفرار ، فالأمر بمشاورتهم بعد العفو عنهم والاستغفار لهم يرد

---

(١) وانظر كتابنا مفاتيح الفقه في الدين .

إليهم – بإذن الله – ما يتقووا به على الشيطان وما يتقربون به إلى الرحمن عز وجل ويفتح لهم أبواب الخير وأعمال البر والطاعات .

وهذا قد يستفيد منه الدعاة إلى الله عز وجل ، فإذا آذاهم شخص واعترف بذنبه معهم عفوا عنه وقربوه أكثر وأكرموه بدرجة أوسع و لم يغلقوا أبواب الخير في وجهه ، وبالله عز وجل التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : هل يُستشار المؤمنون في كل الأمور ؟

ج : لا يستشارون في كل الأمور ، وإنما يستشارون في الأمور التي تهم عامتهم ، لقوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٣٨] أما الأمور الخاصة فقد يستشار فيها أهل الاختصاص والمعرفة بها فقط ، وثمَّ أمور أخرى لا تحتاج إلى استشارات[١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض المواطن التي استشار فيها رسول الله ﷺ أصحابه ؟

ج : استشار النبي ﷺ في عدة مواطن :

- استشارته لهم في غزوة بدر[٢] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿ وشاورهم في بعض الأمر ﴾ (التفسير : ١٧٥٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله : والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ... فذكر الحديث .

● واستشارته لهم في أسارى بدر[1] .

● واستشارته لهم في قصة الإفك فاستشار[2] عليًّا وأسامة وبريرة ، واستشار عموم أصحابه في شأن المنافقين الذين طعنوا في عرضه عليه السلام ، وقال لهم : « أشيروا عليَّ في قوم أبنوا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : « .. لا تعجلي حتى تستشيري أبويك »[4] .

❋ ❋ ❋

س : وضح باختصار معنى قوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فاعف عنهم فيما فرطوا فيه معك وفيما ارتكبوه في حقك من فرارهم عنك في الغزوة ، ونحو ذلك .

واستغفر لهم : في الذنوب التي اقترفوها في حق أنفسهم وحق الله عز وجل .

وشاورهم في الأمر : في الأمر العام الذي يهم عمومهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه : فلما أسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»... الحديث.

(٢،٣) كلاهما صحيح ، وهما في حديث الإفك وقد تقدم .

(٤) أخرجه مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ .... الحديث =

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إذا انتهيت إلى رأي بعد استشارة أصحابك فامض في هذا الأمر الذي أراك الله إياه أو أوحاه الله إليك وقذفه في قلبك ولا تتردد ولا يكن اعتمادك وتوكلك إلا على الله عز جل وحده . فلا يكن اعتمادك على مشورتهم وإن عملت بما أشاروا عليك به ، والله أعلم بمراده .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التوكل على الله ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

- أن التوكل على الله معناه الاعتماد على الله مع إظهار العجز .
- ومنها : أن لا تعص الله عز وجل من أجل رزقك .
- ومنها : أن لا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غيره ولا لعملك شاهدًا غيره .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد التوكل على الله ؟

ج : من فوائد التوكل على الله عز وجل ما يلي :

- أن الله عز وجل يكفي المتوكل ويحفظه بحفظه ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] .
- ومنها : أنه سبب لدخول الجنة بغير حساب كما قال رسول الله ﷺ

= وفيه (قصة التخيير) قال النبي ﷺ : « يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك .... » الحديث .

في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[1] .

● ومنها : أنه سبب للرزق كما قال عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا »[2] .

● ومنها : أنه من تمام الإيمان لقوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [المائدة : ٢٣] .

❋ ❋ ❋

س : النصر والتمكين دائمًا من عند الله ولا يكون إلا من عند الله ، اذكر جملة أدلة على ذلك ؟

ج : أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة فمنها :

● قول الله تعالى : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكفى بربك هاديًا ونصيرًا ﴾ [الفرقان : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [الروم : ٤،٥] .

● وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١/٣٠ - ٥٢) ، وابن ماجة (٤١٦٤) ، والحاكم (٤/٣١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت عليه الذهبي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا وهو صحيح .

لينصرنه الله ﴾ [الحج : ٦٠] .

● وقال تعالى : ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ﴾ [الملك : ٢٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [الأنفال : ١٠] .

● وكذلك التمكين من الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ [الحج:٤١].

وقال تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء .. ﴾ [القصص : ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ [النور : ٥٥] .

● وقال تعالى عن ذي القرنين : ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ [الكهف : ٨٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه..﴾ [الأحقاف:٢٦].

● وقال تعالى : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ... ﴾ [القصص : ٥،٦] ، إلى غير ذلك من الآيات .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾ [آل عمران : ١٦١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ما كان لنبي أن يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة

قبل القسمة ، فالغلول ليس من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبيًّا من غلَّ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٦١] ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

الأول : أن من غلَّ يوافى يوم القيامة بوزر ما صنع ويلاقي جزاء ما صنع ، كما قال تعالى : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [الأنعام : ٣١] .

الثاني : أن من غلَّ (أي سرق شيئًا من الغنيمة) يأتي حاملًا هذا الذي سرقه على ظهره يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم الغلول ؟

ج : الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة نذكر منها :

● حديث رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا النبي ﷺ فذكر الغُلول فعظمه وعظم أمره قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول : يا رسول أغثني فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت[1] فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول :

---

(١) الصامت : الذهب والفضة .

لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك »[1].

● وأخرج البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو ، قال : كان علي ثُقل النبي ﷺ رجل يقال له كِرْكَرة ، فمات فقال رسول الله ﷺ : « هو في النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا : فلان شهيد ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها – أو عباءة » ثم قال رسول الله ﷺ : « يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[3].

● وأخرج الطبري رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا، فقال: «إياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء » قال : لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه[4].

● وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ قال : « .... فهلا جلس في بيت أبيه – أو بيت أمه – فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ، ومسلم (١٨٣١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم ، وأحمد (١/٣٠) .

(٤) أخرجه الطبري (التفسير ٨١٦٣) ، وفي رواية عنده : أن سعدًا قال : قد علمت يا رسول الله أني أُسأل فأعطي فأعفني ، فأعفاه .

يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تَيْعَر » ثم رفع بيده حتى رأينا عُفرة إبطيه « اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثًا »[1].

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [آل عمران : ١٦٢] ؟

ج : المعنى- والله أعلم- أفمن اتبع رضوان الله فلم يغل كمن رجع وهو غال.

وقيل : أفمن اتبع رضوان الله وتبع رسول الله ﷺ يوم أحد من المؤمنين كمن خالف أمره ونكص على عقبيه ورجع من المنافقين .

وقيل : إن الآية أعم من ذلك ففحواها لا يستوي الصالح مع الطالح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ هم درجات عند الله ﴾ [آل عمران : ١٦٣] وضح معناه .

ج : المعنى - والله أعلم - هم ذوو درجات عند الله ، والمراد أن أهل الإيمان متفاوتون في الدرجات ، وأهل الكفر متفاوتون في الدركات كذلك .

أما كون أهل الإيمان متفاوتين في الدرجات .

● فلقول النبي ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »[2].

● ولقوله عليه السلام : « إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٧) ، وأخرجه مسلم (١٨٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

الكوكب الدري في أفق السماء »[1].

● ولقوله تعالى : ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ [طه : ٧٥] .

● ولقوله تعالى : ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ [الواقعة : ٧ - ١١] .

* * *

س : من المراد بالمؤمنين في قوله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد عموم المؤمنين ، وهي كقوله : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ [فصلت : ٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها ﴾ [الروم : ٢١] .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالمؤمنين هنا العرب لقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وكقوله تعالى :

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦/٣ المسند) وفي الفضائل (١٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي آخره : « وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » وإسناده حسن لشواهده ، وله طريق آخر عند الترمذي (٣٦٥٨) من حديث أبي سعيد أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » ، وأخرجه أحمد (٢٧/٣ و ٩٣) ، وأبو داود (٣٩٨٧) ، وابن ماجة (٩٦) ، وأبو يعلى (٣٦٩/٢) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١١٩٧٤) ، وهو صالح للشواهد فيستشهد به للحديث الأول والله أعلم .

﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، والقول الأول أولى - والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الامتنان في قوله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم ... ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ؟

ج : وجه الامتنان من وجوه :

الأول : بعثة الرسول ﷺ من البشر .

الثاني : تلاوة الرسول ﷺ للآيات عليهم .

الثالث : تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة بعد الضلال الذي كانوا فيه .

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه أحمد (١/٣٠)[1] مطولًا من حديث

---

(١) قال أحمد (المسند١/٣٠) : حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال : نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا » قال : فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك عز وجل فإنه سينجز لك ما وعدك ، وأنزل الله عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف =

عمر رضي الله عنه وفيه ... فلما كان يوم أُحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكُسِرَتْ رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] بأخذكم الفداء .

❋ ❋ ❋

= من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلًا ، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعليًّا وعمر رضي الله عنهم ، فقال أبو بكر : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » ، قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريبًا لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن عليًّا رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه : غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما قال : فقال النبي ﷺ : « الذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ﴾ [الأنفال : ٦٧ - ٦٨] » من الفداء ثم أحل الله لهم الغنائم ، فلما كان يوم أحدٍ من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرَّ أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ ، وكُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ... ﴾ [آل عمران : ١٦٥] الآية بأخذكم الفداء .

وإسناده حسن .

س : قوله تعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ما هي المصيبة التي أصيب بها المؤمنون ، وما هما المثلان اللذان أصابهما المؤمنون ؟

ج : أما المصيبة التي أصيب بها المؤمنون فهي قتل سبعين منهم يوم أحد ، وشج رأس نبيهم ﷺ .

أما المثلان اللذان أصابهما المؤمنون ، ففيهما قولان :

● القول الأول : وهو قول الجمهور أن المراد أنه كما قتل من المسلمين يوم أحدٍ سبعون ، فقد قتلوا هم يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين من المشركين .

● القول الثاني : أنهم انتصروا يوم بدر ، وانتصروا أيضًا يوم أحد في أول المعركة .

والقول الأول أقوى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ أنى هذا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – من أين حدث لنا هذا ونحن مؤمنون ، ومعنا رسول الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء ، وديننا دين الحق ، وعدونا كافر بالله مكذب بلقائه .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنكم أنتم المتسببون فيه لأنفسكم بما ارتكبتموه من معاص ، وبما فعلتموه من مخالفة أمر نبيكم ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : تسليط قومٍ على قومٍ يكون بإذن الله ، وكف يدِ قوم عن قوم يكون بإذن الله أيضًا اذكر من الكتاب والسنة ما يؤيد ذلك ؟

ج : الآيات والأحاديث على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٦٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ [النساء : ٩٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ [الفتح : ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ [الحشر : ٦] .

أما الأحاديث فكثيرة نذكر منها :

● قصة سارة عليها السلام لما دخلت على جبار من الجبابرة (وقد قيل له ها هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل إلى إبراهيم عليه السلام فجيء به وبها ... الحديث) ومد يده لتناولها، فقالت : اللهم كف يد الكافر فأُخذ فقال لها : ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق[1]... الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وواحدة في شأن سارة فإنه =

● ومنها الغلام (الذي ورد ذكره في قصة الملك والراهب والساحر وأصحاب الأخدود) أخذوه ليلقوه من فوق شاهق فرجف الجبل بهم وأنجاه الله ، وأخذوه ليلقوه في اليم فرجف بهم البحر فأغرقهم الله وأنجاه[1].

● ومنها قول النبي ﷺ لعمر في شأن ابن صياد : « إن يكن الذي ترى – أي : الدجال – فلن تستطيع قتله »[2].

❋ ❋ ❋

= قدم أرض جبار ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه ، فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأُتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ففعلت ، فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي فللهِ الله أن لا أضرك ففعلت وأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر .

قال : فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، فقال لها : مهيم ، قالت : خيرًا كف الله يد الكافر وأخدم خادمًا .

قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

والحديث أخرجه البخاري مختصرًا مرفوعًا (٥٠٨٤) ومطولًا موقوفًا (٣٣٥٨) .

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ، ففر الصبيان وجلس ابن صياد ، فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقال له النبي ﷺ : « تربت يداك أتشهد أني رسول الله ؟ » فقال : لا ، بل تشهد أني رسول الله ، فقال عمر بن الخطاب : ذرني يا رسول حتى أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله » .

● ومنها محاولة الدجال قتل الرجل الذي هو من خيار الناس (أو خير الناس) فلا يستطيع قتله ولا يُسلط عليه[1].

● ومنها حديث جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً ، فإذا رسول الله

---

(١) أخرج البخاري (٧١٣٢) ، ومسلم (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال ، فكان فيما يحدثنا به أنه قال : « يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خيار الناس – فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يُحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرةً مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد أيضًا مرفوعًا : « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ، فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له : أين تعمد ؛ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج ، فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ، فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ، قال : فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ ، قال : فيأمر الدجال به فيشج ، فيقول : خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا ، قال : فيقول أو ما تؤمن بي ؟ قال ، فيقول أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه في النار وإنما ألقى به في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » .

ﷺ يدعونا ، قال : عنده أعرابي فقال : « إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثًا » ولم يعاقبه وجلس[1].

❋ ❋ ❋

س : اذكر مثالًا للإذن الكوني القدري ومثالًا للإذن الديني الشرعي ؟

ج : أما مثال الإذن الكوني القدري ، فقوله تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ [آل عمران : ١٦٦] وكقوله تعالى : ﴿ وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● أما الإذن الديني الشرعي فكقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ادفعوا ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال منها :

● كثروا سواد المسلمين .

● رابطوا في الثغور دفاعًا عن ديار المسلمين .

● قاتلوا دفاعًا عن أعراضكم وحريمكم وأموالكم إن لم تروا القتال في سبيل الله . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقول أهل النفاق : ﴿ لو نعلم قتالًا لاتبعناكم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – لو نعلم أنه يجري اليوم قتالٌ ما أسلمناكم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠) ، ومسلم (ص ١٧٨٦ حديث ٨٤٣) .

لعدوكم ولا تركناكم له .

● وقيل المعنى لو نحسن القتال لقاتلنا معكم .

✵ ✵ ✵

س : ما فائدة ذكر الأفواه في قوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ؟

ج : بعض العلماء يقول : إن هذا لتأكيد أن القول لم يصدر من القلوب بل صدر من الأفواه فقط كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

✵ ✵ ✵

س : ما هو الذي يقوله أهل النفاق بألسنتهم ، وما هو الذي تضمره قلوبهم ؟

ج : أما الذي يقولونه بأفواههم فهو نطقهم بالإيمان ، وبيان أنهم أنصار الله ، أما الذي تضمره قلوبهم فهو الكفر وعداوة الله ورسله والمؤمنين . والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن المتخلفين عن الجهاد ، القاعدين عنه قالوا لأهل النفاق من إخوانهم وأمثالهم عن الذين قتلوا في سبيل الله : لو أطاعونا ما قتلوا .

✵ ✵ ✵

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ .. قل فادرءوا عن أنفسكم الموت

إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إن كنتم تظنون أن القعود يسلم به الشخص وينجو به من الموت أو القتل ، فادفعوا عن أنفسكم الموت ، وردوه عنكم إن كنتم صادقين ، ولكن الموت لا بد وأنه آت إليكم ، ولو كنتم في بروج مشيدة .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ؟

ج : يوضح المعنى الإجمالي لهذه الآية ما أخرجه مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئًا[1]؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا[2].

---

(١) قال النووي رحمه الله (٣٣/١/٥) : قوله ﷺ : « فقال لهم الله تعالى هل تشتهون شيئًا » هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم ، إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم رغبهم في سؤال الزيادة ، فلم يجدوا مزيدًا على ما أعطاهم ، فسألوه حين رأوه أنه لا بد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ، ويستلذوا بالقتل في سبيله تعالى . والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٧) .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

● وقال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ [آل عمران : ١٦٩] يعني : الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ أمواتًا ﴾ يقول : ولا تحسبنهم يا محمد أمواتًا لا يحسون شيئًا ، ولا يتلذذون ، ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي .

وقال ابن القيم رحمه الله (كما نقل عنه القاسمي ص١٠٣٦) : إن الله تعالى عزَّى نبيه ﷺ وأولياءه عمن قُتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم بقوله : ﴿ ولا تحسبن ... ﴾ الآيات ، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه ، وأنهم عنده وجريان الرزق المستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله وهو فوق الرضا ، بل هو كمال الرضا ، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم ، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته وذكرهم سبحانه في هذه المحنة بما هو أعظم مننه ونعمه عليهم التي قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة ، ولم يبق لها أثر البتة وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى الفلاح ، ومن الظلمة إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير ، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير ، وأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا ، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوه ويتكلوا عليه ولا يخافوا غيره ، وأخبرهم بما له فيها من الحكم لئلا

يتهموه في قضائه وقدره ، وليتعرف إليهم بأنواع صفاته وأسمائه ، وسلَّاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة ، وعزاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوا فيه ، ولا يحزنوا عليهم ، فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

❋ ❋ ❋

س : هل حياة الشهداء عند ربهم حقيقية ؟

ج : نعم هي حقيقية ، ويشهد لذلك الآية الكريمة : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩].

ويشهد لذلك الأحاديث الواردة في فضل الشهداء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الشهادة في سبيل الله ؟

ج : هذه جملة من الأحاديث الواردة في ذلك .

● عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال[١] : يغفر له في أول دفعة[٢] ويرى مقعده من الجنة ويجار[٣] من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر[٤]، ويوضع على رأسه

---

(١) قال المباركفوري (تحفة الأحوذي ٣٠٣/٥) : قوله : « للشهيد عند ربه ست خصال » لا يوجد مجموعها لأحد غيره .

(٢) أي : الدفقة من الدم .

(٣) يجار : أي : يُحفظ ويأمن من عذاب القبر .

(٤) قال القاري: فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء : ١٠٣]، قيل: هو عذاب النار ، وقيل : العرض عليها ، وقيل : هو وقت يؤمر أهل النار بدخولها ، =

تاجُ الوقار الياقوتةُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجةً من الحورِ[1] العين ، ويُشفع في سبعين من أقاربه »[1].

● عن البراء رضي الله عنه قال : أتى النَّبي ﷺ رجلٌ مُقنعٌ بالحديد . فقال : يا رسول الله ، أقاتل أو أسلم ؟ قال : « أسلم ثم قاتل » فأسلم ثم قاتل فقتل . فقال رسول الله ﷺ : « عمل قليلًا وأجر كثيرًا »[2] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تضمن[3] الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل »[4].

= وقيل : ذبح الموت فييأس الكفار من التخلص من النار بالموت ، وقيل : وقت إطباق النار على الكفار ، وقيل : النفخة الأخيرة ، لقوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلَّا من شاء الله ﴾ [النمل : ٨٧] .

أعاذنا الله من ذلك كله برحمته وفضله ، ورزقنا الشهادة في سبيله آمين يا سميع يا مجيب .

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجة حديث (٢٧٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٨) ، ومسلم (١٩٠٠) من حديث البراء رضي الله عنه .

(٣) في رواية « انتدب » قال الحافظ ابن حجر (٩٣/١) : أي : سارع بثوابه وحسن جزائه ، وقيل : بمعنى أجاب إلى المراد ... إلى آخر ما ذكره رحمه الله .

(٤) رواية البخاري لهذا الحديث مفرقة ، جزء في موطن وآخر في موطن ، والحديث =

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[1]– فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء[2]. قال ﷺ : « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى »[3].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمرو بن أقيش كان له ربًا في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه . فجاء يوم أحد فقال : أين بنو عمي ؟ قالوا : بأحد . قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد . قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد . فلبس لأمته[4] وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو . قال : إني قد آمنت . فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحًا ، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته : سليه حمية لقومك أو غضبًا لهم أو غضبًا لله ؟ فقال : بل غضبًا لله ولرسوله فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة[5].

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خطب النبي ﷺ فقال :

= أخرجه البخاري (٣٦ وفي غير موضع) ، ومسلم (١٨٧٦) .

(١) قال الحافظ : « سهم غرب » أي : لا يعرف راميه ، أو لا يعرف من أين أتى ، أو جاء على غير قصد من راميه .

(٢) قال الخطابي : أقرها النبي ﷺ على قولها : « اجتهدت عليه في البكاء » فيؤخذ منه الجواز ، وتعقبه الحافظ بقوله : كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه ، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد ، وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) أي : درعه وسلاحه .

(٥) أخرجه أبو داود بإسناد حسن (حديث ٢٥٣٧) ، وهو موقوف ، لكن لا يقال من قبيل الرأي ، وانظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص٣٦٧ .

« أخذ الراية[1] زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له » . وقال : « ما يسرنا أنهم عندنا » . قال أيوب : (أحد رجال الإسناد) : أو قال : « ما يسرهم أنهم عندنا »[2] وعيناه تذرفان .

● عن أبي هريزة رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لي ، فقال بعض بني سعيد بن العاص[3]: لا تسهم له يا رسول الله . فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوقل . فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبًا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ينعي عليَّ قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه[4]. قال : فلا أدري أسهم له أم لم يسهم له[5] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة »[6].

● عن أنس رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ أقوامًا من بني سليم

---

(١) وذلك في غزوة مؤتة . والحديث أخرجه البخاري (٣٠٦٣) ، والنسائي (٢٦/٤) .

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٧/٦) : « ما يسرهم أنهم عندنا » أي : لما رأوا من الكرامة بالشهادة ، فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا ، كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى .

(٣) هو : أبان بن سعد .

(٤) قال الحافظ في الفتح : المراد منه قول أبان : أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه ، وأرتد بذلك ، أن النعمان استشهد بيد أبان فأكرمه الله بالشهادة ، ولم يقتل أبان على كفره فيدخل النار ، وهو المراد بالإهانة ، بل عاش أبان حتى تاب وأسلم وكان إسلامه قبل خيبر بعد الحديبية ، وقال ذلك بحضرة النبي ﷺ وأقره عليه .

(٥) والحديث أخرجه البخاري (٢٨٢٧) .

(٦) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وإسناده حسن .

إلى بني عامر في سبعين ، فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ ، وإلا كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه ، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلًا أعرج صعد الجبل ، قال همام : وأراه آخر معه ، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم ، فكنا نقرأ : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ، ثم نسخ بعد[1]، فدعا عليهم أربعين صباحًا ، على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله[2] .

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به[3] ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي ، فسمع صوت نائحة فقيل : ابنة عمرو – أو أخت عمرو – فقال: «لم تبكي ؟! أو لا تبكي ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها »[4] .

قلت لصدقة (القائل هو البخاري) : أمنه حتى رفع ؟ قال : ربما قاله .

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

● عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال

---

(١) أي : نسخ تلاوة ، ولكنه باق حكمًا .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) الذي يمثل به هو من تقطع أجزاؤه أو بعضها كأن يجدع أنفه أو تقطع أذنه أو مذاكيره أو تشق بطنه أو غير ذلك .

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٦٣/٣) : فهذا الحليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكى عليه بل يفرح له بما صار إليه .

قلت : والبكاء بدون نوح ولا صياح ولا عويل أمر جائز ، وقد ذرفت عينا رسول الله ﷺ لما جاءه خبر قتل زيد وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم .

بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد ألا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] إلى آخر الآية .

أخرجه البخاري ومسلم .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينًا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري - جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كان بالهدأة[1] - وهو بين عسفان مكة - ذكروا لحي من هذيل يقال لهم : بنوا لحيان ، فنفروا لهم قريبًا من مائتي رجل كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد[2] وأحاط بهم القوم فقالوا : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدًا ، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية : أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموه بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا

---

(١) هو مكان على بعد سبعة أميال من عسفان . قاله ابن إسحاق .

(٢) الفدفد : الموضع المرتفع . قاله ابن كثير .

أوتار قسيهم فأوثقوهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ، إن لي في هؤلاء لأسوة - يريد القتلى - وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر ، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرًا ، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته ، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حتى أتاه قالت : فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال : تخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ، والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب ، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد بمكة ، وما بمكة من ثمر ، وكانت تقول : إنه لرزق من الله رزقه خبيبًا . فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين . ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتهما ، اللهم أحصهم عددًا :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث ، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرىء قتل صبرًا ، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا . وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حيث حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف ، وكان قد قتل رجلًا من عظمائهم يوم بدر ، فبعث على عاصم مثل الظلة[1] من الدبر فحمته من رسولهم فلم

---

(١) قال الحافظ (فتح ٣٨٤/٧): الظلة بضم المعجمة: السحابة، والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة : الزنابير ، وقيل : ذكور النحل ، ولا واحد له من لفظه . =

يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئًا[1].

● عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال . فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » . ثم قال رسول الله ﷺ : « كيف قلت ؟ » . قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك »[2].

● عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا عز وجل من رجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزم – يعني أصحابه– فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه »[3].

= قال : وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ، ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر ، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة فإذا أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن .

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي .

(٢) قال النووي رحمه الله (٢٩/١/٥) : فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين ، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو : أن يقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر . ثم قال النووي رحمه الله : وأما قوله ﷺ : « إلا الدين » ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين ، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين ، وإنما يكفر حقوق الله تعالى . قلت : وهذا ما يؤيده الحديث التالي .

والحديث أخرجه مسلم والترمذي ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه أبو داود بإسناد حسن .

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلًا قال : أين أنا يا رسول الله إن قتلت ؟ قال : « في الجنة » . فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل[1] .

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث رسولُ الله ﷺ بسيسة[2] عينًا[3] ينظر ما صنعت عير[4] أبي سفيان فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ قال : لا أدري ما استثنى بعض نسائه قال : فحدثه الحديث قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : « إن لنا طلبة[5] فمن كان ظهره[6] حاضرًا فليركب معنا » ، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة ، فقال : « لا إلا من كان ظهره حاضرًا » فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » ، فدنا

---

(١) قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ٥/١/٤٣) : فيه ثبوت الجنة للشهيد ، وفيه المبادرة بالخير وإنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفس .

(٢) قال النووي رحمه الله (٥/١/٤٤) : وهو بسبس بن عمرو ، ويقال : ابن بشر من الأنصار من الخزرج ، يقال : حليف لهم .

(٣) عينًا : أي متجسسًا ورقيبًا .

(٤) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة . قاله النووي . وقال : قال في المشارق : العير هي : الإبل والدولب تحمل الطعام وغيره من التجارات ، قال : ولا تسمى عيرًا إلا إذا كانت كذلك .

وقال الجوهري في الصحاح : العير : الإبل تحمل الميرة وجمعها عيرات بكسر العين وفتح الياء .

(٥) أي : شيئًا نطلبه .

(٦) الظهر : الدواب التي تركب .

وفي قوله عليه السلام : « إن لنا طلبة » : استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه ، لئلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو ، ذكر ذلك النووي رحمه الله .

المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : « نعم » . قال : بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك بخ بخ » ، قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها » فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمرات هذه إنها لحياة طويلة، قال : فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[1] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »[2] .

● عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من قاتل في سبيل الله عز وجل من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد ، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها كالزعفران وريحها كالمسك ، ومن جرح جرحًا في سبيل الله فعليه طابع الشهداء »[3] .

---

(١) قال النووي رحمه الله (٤٦/١/٥) : فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة ، وهو جائز بلا كراهة عند جمهور العلماء .
والحديث أخرجه مسلم وأحمد .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح .

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »[1].

● عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك . فيقول : أي رب خير منزل. فيقول: سل وتمن . فيقول : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة »[2].

● عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها ، قال: أما هذه الدار فدار الشهداء »[3].

---

(١) في رواية للبخاري (٢٨١٧) « ... فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .
قال ابن بطال : هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة ، قال : وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد ، فلذلك عظم فيه الثواب .
وقال النووي (شرح مسلم ٥/١/٢٤) : هذا من صرائح الأدلة في عظيم فضل الشهادة ، والله المحمود المشكور .
وأما سبب تسميته شهيدًا : فقال النضر بن شميل : لأنه حي ، فإن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة . وقال ابن الأنباري : إن الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام يشهدون له بالجنة . وقيل : لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة . وقيل : لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه . وقيل : لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله . وقيل : لأن عليه شاهدًا بكونه شهيدًا وهو الدم . وقيل : لأنه ممن يشهد على الأمم يوم القيامة بإبلاغ الرسل الرسالة إليهم ، وعلى هذا القول يشاركهم غيرهم في هذا الوصف .
والحديث أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي بإسناد صحيح .

(٣) هذا الحديث جزء من حديث طويل في رؤيا للنبي ﷺ رآها ثم قصها على =

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن »[1].

وأخرج أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، وفي قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ورد في الحديث : « نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة » وورد في حديث ابن مسعود عن الشهداء : « أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ... الحديث » فما هي مزية الشهداء على سائر المؤمنين ؟

ج : أجاب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى على نحو هذا فقال : فأرواح الشهداء كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها

= أصحابه بعد صلاة الفجر ، وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها آخر كتاب التعبير (حديث ٧٠٤٧) ومسلم والنسائي .

وفي هذا القدر فضيلة ظاهرة للشهداء وعلو منزلة دارهم وحسنها .

(١) أخرجه مسلم .

قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا : ذِكر الدَّين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالذمم كالغصب ، وأخذ المال بالباطل ، وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات ، فإن كل هذا أولى ألا يغفر بالجهاد من الدَّين فإنه أشد ، والقصاص في هذا كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنة الثابتة .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكأن الشهداء : منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم : من يكون على هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويُراح . والله أعلم .

تطير بأنفسها . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ؟

ج : سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس[1] رضي الله عنهما ، وفيه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتهوي إلى قناديل من ذهبٍ في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب شربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران : ١٧٠] وما هو وجه استبشارهم ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ما ذكره أهل العلم كالطبري وابن كثير وغيرهما . قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك تعالى ذكره : يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦٥) .

من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يعني بذلك : لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للخفض الذي صاروا إليه والدَّعة والزُّلفة .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم .

● أما وجه استبشارهم ففيه ثلاثة أقوال ذكرها ابن الجوزي رحمه الله وهي :

الأول : أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم فاستبشروا وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة . قاله سعيد بن جبير .

الثاني : يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة يقولون : إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل . قاله قتادة .

الثالث : أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله ، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر بقدومه ، كما يستبشر أهل الغائب به . قاله السدي .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تُصعدون - لا تلوون - في أُخراكم - فأثابكم - أَمنة - يُبدون - برز - يبتلي - يمحص - تولوا - ضربوا في الأرض - غزًّى - تحشرون - فظًّا - غليظ القلب - انفضوا - يخذلكم - يغل - باء - مَنَّ - يتلو - يزكيهم - الحكمة - ضلال - مبين - أنَّى - ادرءوا - يستبشرون ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــــا
تُصعدون	الإصعاد هو السير في مستوى الأرض وبطون الأودية - وأصعد- أيضًا- إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه ، أما الصعود فهو الارتفاع على الجبال والسطوح والسلالم والدرج . فمعنى تُصعدون : تذهبون هاربين فارين من عدوكم . وقيل : الإصعاد والصعود بمعنى واحد ، والمعنى تصعدون في الجبل (أي فارين من عدوكم أيضًا) . والله أعلم .
لا تلوون	لا تعرجون ولا تلتفتون إلى أحد .
في أُخراكم	في آخركم ومن ورائكم .
فأثابكم	جازاكم .
أمنة	أمانًا ، وقيل : إن الأمنة تكون مع بقاء أسباب الخوف، والأمن يكون عند عدم تواجدها ، والمعنى

	أن المؤمنين نزل عليهم الأمن مع وجود عدوهم وأسباب الخوف أمامهم .
يُبدون	يُظهرون .
برز	خرج – ظهر .
يبتلي	يختبر .
يُمحص	يُطهر – يُنقي .
تولوا	فرُّوا – ولوا ظهورهم لعدوهم .
ضربوا في الأرض	سافروا .
غزًّى	خرجوا غزاةً .
تحشرون	تجمعون .
فظًّا	خشن الكلام – سيىء الخُلق – جافي .
غليظ القلب	قاسي القلب غير ذي رأفة ولا رحمة يعاملهم بجفاء وعنف .
انفضوا	انصرفوا – تفرقوا .
يخذلكم	يترك معونتكم ، فالخذلان ترك العون والقعود عن النصرة .
يَغل	فيها أقوال منها : يَخون (أي : يخون أصحابه فيأخذ شيئًا من الغنيمة خفيةً قبل قسمتها ، أو يعطي قومًا ويمنع آخرين مجاملة من عنده نفسه) فالغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل القسمة ، ومنهم من قال : يغل أي : يتهمه أصحابه ، ومن العلماء من قال : يغل : يخفي شيئًا من الوحي .

	والقول الأول أقوى وعليه الجمهور وهو الأولى .
باء	رجع – استحق .
مَنَّ	أنعم وأحسن .
يتلو	يقرأ ، ولها معان أُخر .
يزكيهم	يطهرهم من الذنوب والشرك ، وذلك بما يأمرهم به من معروف وما ينهاهم به عن منكر وما يأمرهم به من فعل الصالحات .
الحكمة	المراد بها هنا السُّنة .
ضلال	جهلٌ وغيٌّ وبُعدٌ عن طريق الصواب .
مبين	بينٌ واضح وظاهر وجليٌّ .
أنَّى هذا	من أين أصابنا هذا .
ادرءوا	أبعدوا – اصرفوا .
يستبشرون	يُسرون – يفرحون .

* * *

يَسْتَبْشِرُونَ

بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ
فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟
بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۖ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ
شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ
خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ

خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ
مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ
قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ
إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ
أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا يبطل جزاء أعمال من آمن برسوله وصدقه واتبعه وعمل بما أمر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالاستبشارين في الآيتين ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ... ﴾ [آل عمران : ١٧٠] ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : المراد بالاستبشار الأول : السرور لإخوانهم الذين سيقبلون عليهم ، والمراد بالثاني السرور لما سينالهم هم من فضل الله ونعمته .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنعمة والفضل في قوله تعالى : ﴿ بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران : ١٧١] ؟

ج : بعض أهل العلم يقول: النعمة هي الثواب والجزاء، والفضل هو الزيادة.

وبعض العلماء يقول : النعمة والفضل هي الرحمة والرزق ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران: ١٧٠] وعقبه قوله تعالى : ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ [آل عمران: ١٧١]، هل في ذلك السياق لطيفة ؟

ج: نعم يورد بعض أهل العلم هنا لطيفة ألا وهي : أن الشهداء كان استبشارهم

الأول هو سرورهم من أجل إخوانهم القادمين عليهم ، والاستبشار الثاني هو فرحهم لأنفسهم فقدموا فرحتهم لإخوانهم على فرحتهم لأنفسهم، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، اذكر اثنين منهم ؟

ج : هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد[1] لما دعاهم النبي ﷺ إلى الخروج إليها لملاقاة عدوهم على ما بهم من ألم الجراح .

وكان منهم : أبو بكر والزبير رضي الله عنهما ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ، قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ ، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال : من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلًا منهم أبو بكر والزبير[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وأكثر الروايات الواردة في هذا الباب – رغم ما بها من مقال – تفيد أنها حمراء الأسد ، ومن العلماء من قال : إن هذه الاستجابة من الصحابة كانت من العام المقبل حيث تواعد أبو سفيان ورسول الله ﷺ موسم بدر للقاء فيه ، وتخلف أبو سفيان وسميت بدر الصغرى أو بدر الموعد ، ولم أقف لهذا على إسناد صحيح ، والوارد فيه ضعيف .
واختار ابن كثير رحمه الله أن الصحيح أن السياق نزل في شأن حمراء الأسد ، وكذلك اختاره الطبري أيضًا، وحمراء الأسد موطن، وسيأتي ذكره في سبب النزول .

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٧) ، ومسلم (٢٤١٨) .

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ؟

ج : لا أعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزول سالمًا من العلل ، وقد ورد عند ابن أبي حاتم (كما عزاه إليه ابن كثير في التفسير) ، أثر من طريق عكرمة قال : لما رجع المشركون عن أُحدٍ قالوا : لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ، ارجعوا ؛ فسمع رسول الله ﷺ بذلك فندب المسلمون فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد - أو بئر أبي عيينة[1] فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

وقد اختلف في وصله وإرساله[2] .

وأشار الحافظ ابن حجر إلى أن الصواب إرساله[3] .

* * *

س : أليس كل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح قد أحسنوا ؟ فلماذا قيل في الآية الكريمة ﴿ .. للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢] ؟

ج : إذا كان المراد أنهم أحسنوا في استجابتهم للرسول ﷺ لما دعاهم

---

(١) الشك من سفيان (أحد الرواة) .

(٢) فرواه محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا ، ورواه محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس متصلًا .

(٣) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري كتاب التفسير ٧٧/٨) : ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس .

وقد أصابهم القرح فنعم كلهم قد أحسنوا في ذلك وتكون (من) ، في قوله : ﴿ منهم ﴾ ، للتبيين .

ولكن قد يقال : إن من هؤلاء المستجيب لله والرسول قومًا محسنين معروفين بالإحسان قبل الغزوة أصلًا ، ومتقين كذلك ، فأضيف إلى إحسانهم وتقواهم استجابة لنداء رسول الله ﷺ فاستجابوا له مع ما بهم من قرح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأذكار التي يقولها من خاف قومًا أو من خوَّفه قوم ؟

ج : من هذه الأذكار : قول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) فقد قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[1] [آل عمران : ١٧٣،١٧٤] .

وما ورد في قوله تعالى : ﴿ فخرج منها خائفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ [القصص : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ ..إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ [براءة : ٤٠] .

---

(١) ورد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ، أخرجه البخاري (٤٥٦٣) .

● وفي رواية أخرى للبخاري (٤٥٦٤) عن ابن عباس قال : كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار « حسبي الله ونعم الوكيل » .

وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس : ٨٣ - ٨٦] .

ومن هذه الأذكار أيضًا قول (اللهم اكفِنيهم بما شئت)[١].

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى هنا : ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ؟

ج : المراد - والله أعلم - أنهم اتبعوا طاعة رسول الله ﷺ التي بها يرضى الله عز وجل عنهم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا حدث للمؤمنين لما فوَّضوا أمرهم إلى الله عز وجل ؟

ج : أعطاهم الله عز وجل من الجزاء أربعة .

● نعمة منه سبحانه[٢]، وفضل[٣]، وصرف السوء واتباع الرضا فرضَّاهم عنه ورضي عنهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) فقد قالها الغلام الذي ورد ذكره في حديث الملك والساحر والراهب والغلام وأصحاب الأخدود . أخرجه مسلم (١٨/١٣٠) .
وثمَّ حديث آخر في هذا الباب ، وفيه كلام وهو حديث : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » .

(٢) وهي العافية فلم يلقوا عدوهم .

(٣) وهو ما منَّ الله به عليهم من ثواب في الدارين .

س : قد يطلق العام في القرآن الكريم ويُراد به الخاص ، اذكر مثالًا لذلك ؟

ج : مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فالناس عامة لكن أريد بها هنا الخصوص ، فالمقول لهم ناس (وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون) ، والقائلون ناس (وهم إما أهل نفاق أو بعض الأعراب) ، والذين جمعوا لهم ناس (وهم المشركون آنذاك أبو سفيان وأصحابه) ، ومثال آخر قوله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

فالمحسودون ناس وهم رسول الله ﷺ ، والحُسَّد ناس وهم أهل الكتاب والمنافقون وأهل الشرك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هناك نعمة من الله قلما يلتفت إليها الناس ويولونها الشكر وهي نعمة كف الأذى عن المؤمنين ، اذكر ما يؤيدها من الكتاب العزيز ؟

ج : نعم وما أعظمها من نعمة وهي كف أيدي الظالمين عن أهل الإيمان ، قال الله تعالى :

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم ﴾ [المائدة : ١١] .
- وقال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ [النساء : ٩٠] .
- وقال سبحانه : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة ﴾ [الفتح : ٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على زيادة الإيمان ؟

ج : الأدلَّة على ذلك كثيرة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فزادهم إيمانًا ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴾ [الفتح : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا ﴾ [براءة : ١٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

● وقال سبحانه : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم ﴾ [محمد : ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ﴾ [المدثر : ٣٣] .

● ومن السنة : قول رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إلـه إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إلـه إلا الله وفي قلبه وزن برةٍ من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إلـه إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وكذلك أخرجه مسلم (ص١٨٢) .

س : ما المراد بالشيطان في قوله تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان ... ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ؟

ج : فريق من أهل العلم يقول : إن المراد بالشيطان الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر منه من الوسوسة المقتضية للتثبيط .

● وقيل : المراد الشيطان باعتبار ما يلقيه على لسان أتباعه من المنافقين فيتكلمون به لتثبيط المؤمنين .

● وقيل : المراد بالشيطان هنا شيطان من شياطين الإنس ، قيل : إنه نعيم بن مسعود .

● والقول الأول أعم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يخوف أولياءَه ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● يخوفكم بأوليائه[1] كقوله تعالى : ﴿ لينذر بأسًا شديدًا ﴾ [الكهف : ٢] أي : لينذر ببأسٍ ، وكقوله تعالى : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ [غافر : ١٥] أي : لينذر بيوم التلاق .

والمعنى : أن الشيطان يوهمكم أن أولياءَه ذوو قوة وبأس شديد ، وذوو عددٍ وعُدد لِترهبوهم وتتركوا حربهم .

● ومنها : يخوفكم من أوليائه .

---

(١) صح عن قتادة (عن ابن جرير الطبري في التفسير ٨٢٥٦) أنه قال : يخوِّف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر .

● وقيل : يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين يسارعون في الكفر وما هي صفة مسارعتهم فيه ؟

ج : المسارعون في الكفر فيهم أقوال ، منها :

● أنهم المشركون ، ومسارعتهم في الكفر تتمثل في تسارعهم في الأعمال المقوية للكفر كالتهيؤ لقتال النبي ﷺ ومحاربة دينه وشرعه .

● وقيل : إنهم المنافقون شهدوا بألسنتهم ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم سارعوا في الردة إلى الكفر بعد إيمانهم .

● وقيل : هم قوم من اليهود كتموا صفة محمد ﷺ .

قلت : ولا يمتنع أن يدخل كل المذكورين في الآية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، ردٌّ على المعتزلة وضح ذلك ؟

ج : نعم فيه رد على المعتزلة ، فالمعتزلة يقولون : إن الشر لا يقع بإرادة الله فكذِّبوا في ذلك ، وقال سبحانه : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة ﴾ [آل عمران : ١٧٦] ، ونحو هذه الآية قوله تعالى :﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا ﴾ [المائدة : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء ... ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

❋ ❋ ❋

س : قال بعض أهل العلم : إن الحزن على كفر الكافر طاعة ، والحزن على معصية العاصي طاعة، بمعنى : أن المسلم يحزنه أن يرى العاصي يعصي الله عز وجل، ويحزنه أن يرى المسلم يرتد عن دينه إلى الكفر، فكيف يُنهى عن هذه الطاعة في قوله تعالى: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [آل عمران : ١٧٦] ؟

هذه الطاعة في قوله تعالى : ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن المنهي عنه – والله أعلم – هو الإفراط في الحزن على كفر الكافر ومعصية العاصي ، كما قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] وكقوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ... ﴾ [الكهف : ٦] .

وقيل قولٌ آخر وهو : أن المعنى : لا تخف أن يضرك كفر الكافرين ولا كيد الكائدين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦]؟

ج : المراد – والله أعلم – جملة أقوال ذكرها العلماء منها :

- لن ينقصوا من ملك الله عز وجل شيئًا بكفرهم[1].
- أنهم لن يضروا أولياء الله عز وجل شيئًا .
- الثالث أن المعنى جارٍ على ظاهره ، والله أعلم .

---

(١) كما جاء في حديث أبي ذر في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » .

س : ما هو سبب مسارعة المسارعين إلى الكفر ؟

ج : سببها- والله أعلم - طمعهم في الدنيا ، وقبل ذلك إرادة الله عز وجل ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة، فلذلك خذلهم الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقول الله تعالى ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ١٧٧] ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في معناها : يعني بذلك جل ثناؤه : المنافقين الذين تقدم إلى نبيه ﷺ فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر ، فقال لنبيه ﷺ : إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه ، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضًا من الإيمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئًا ، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قِبَلَ لها به . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

ج : المعنى - والله أعلم - لا يظن هؤلاء الكفار أن تأخيرنا لهم في هذه الحياة الدنيا خيرٌ لهم ، ولكن تأخيرنا لهم وإطالتنا أعمارهم في هذه الحياة الدنيا ؛ ليكتسبوا معاصي فيزدادوا آثامًا مع آثامهم ويحملوا أوزارًا مع أوزارهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ؟ وضح معنى هذه الآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم في تحديد المخاطب بالآية أقوال :

● منها : أن المخاطب هم المشركون ، والمعنى : ما كان الله ليترك أهل الإيمان على ما أنتم يا أهل الكفر من كفر وشقاق وعداوة النبي ﷺ حتى يُفرِّق بين المؤمن والمنافق بما يلقيه من ابتلاءات ومحن وشدائد وقتل وجراح .

● ومنها : أن المخاطب هم المؤمنون ، والمعنى : ما كان الله ليذركم يا أهل الإيمان على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين حتى تأتيكم المحن فيفرَّق بينكم وبين أهل النفاق وتعلموا – بما يسوقه الله من ابتلاءات – المؤمن الصابر من المنافق الفاجر ، والله تعالى أعلم .

● وثمَّ قول آخر : أن الخطاب للمشركين ، والمعنى : ما كان الله ليذر ما في أصلابكم ممن كتب الله له الإيمان في أصلابكم حتى يفصل بينكم وبين أولادكم المؤمنين الموجودين في أصلابكم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، في ثنايا الآية الكريمة ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الله عز وجل أراد أن يخبركم بأهل الإيمان منكم وأهل النفاق ، وجرت حكمته وسنته ألا يطلع أحدًا على الغيب فيقال له : هذا مؤمن وهذا منافق (إلا من اجتباهم من الرسل) ، فأراد الله عز وجل أن يطلعكم على أهل الإيمان وأهل النفاق بطريقة غير الاطلاع على الغيب ، وهذه الطريقة هي الابتلاءات والمحن التي بها تتعرفون على مؤمنكم من المنافق الموجود معكم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، يجتبيهم هنا بماذا ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن المراد بالاجتباء هنا : الاجتباء بالاطلاع على بعض الغيب فيختار الله عز وجل بعض رسله لإطلاعهم على بعض غيبه بإذنه سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا ﴾ [الجن : ٢٦ و ٢٧] .

وقال بعض العلماء : إن المراد بالاجتباء : اختبار من يشاء من الرسل لتفضيلهم على غيرهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، هل فيه إيماء إلى شيء ؟

ج : نعم – والله أعلم – فيه إرشاد إلى التصديق وعدم التشوف إلى علم الغيب ، والمعنى – والله أعلم – لا تشتغلوا بما لا يعنيكم من محاولة معرفة الغيب والاطلاع عليه ، فليس لكم سبيل إلى ذلك ،ولكن اشتغلوا بما يعنيكم من الإيمان والتصديق ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الفرق بين الشح والبخل ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : الشح والبخل بمعنى واحد .

وبعضهم يقول :

البخل : هو الامتناع من إخراج ما حصل عندك .

والشح : الحرص على تحصيل ما ليس عندك .

وقيل : الشح هو البخل مع حرص . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالبخل في قوله تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بالبخل هنا : هو البخل بالمال الواجب على الإنسان إخراجه ، وممن منع ما ليس بواجب عليه فليس ببخيل يستحق الوعيد الشديد الوارد في الآية الكريمة .

وبعض أهل العلم يقول : إن المراد بالبخل هنا : البخل بالعلم ؛ إذ العلم فضل أيضًا كما قال تعالى : : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] ، فاليهود كتموا صفة النبي ﷺ .

والقول الأول أقوى وعليه الأكثر ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ ، وما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك وسيأتي إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: لا يحسبن البخيل أن جمعه المال وبخله بإخراج الواجب عليه فيه ينفعه، بل هو مضرة عليه في أُخراه ، بل وفي دنياه أيضًا . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ؟

ج : أخرج البخاري[1] في صحيحه ما يوضح معنى الآية الكريمة ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث ٤٥٦٥) .

وذلك بما رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثل له ماله شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوِّقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، إلى آخر الآية .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآثار والأحاديث والآيات الواردة في ذم البخل وبيان سوء عاقبة البخيل ؟

ج : أما الآيات فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ٣٧] .

● وقوله سبحانه : ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولَّ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ [الحديد : ٢٣ و ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث ٤٥٦٥) .

ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [براءة : ٧٥ - ٧٧] .

● وقال تعالى ﴿ ... وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٨ - ١٠] .

● ولما انطلق أصحاب الجنة متخافتين يقولون : لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أصبحت قريتهم كالصريم .

● وقال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر : ٩] .

أما أحاديث النبي ﷺ فكثيرة في هذا الباب ، منها :

● قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا »[1].

● وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل النار كل جعظري جوَّاظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون »[2].

● وقال النبي ﷺ : « وشر ما في رجل شح هالع وجبن خالع »[3].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣٠٤) ، ومسلم (٧/٩٥ مع النووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢١٤) ، والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٩) بإسناد حسن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٠٢) ، وأبو داود (٣٥١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقال النبي ﷺ : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من ثُديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تُخفي بنانه[1]. وتعفو أثره[2]. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع »[3].

● وقال رسول الله ﷺ : « من سيدكم يا بني سلمة ؟ قلنا : جدُّ بن قيس على أنا نبخِّلُهُ » قال : « وأي داءٍ أدوأ من البخل ؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح »[4].

وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية ، وكان يولم عن رسول الله ﷺ إذا تزوَّج .

● وقال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى »[5].

● وثبت في عدة أحاديث أن النبي ﷺ كان يتعوذ من البخل[6].

---

(١) أي : تكون طويلة حتى تغطي أصابعه .

(٢) أي : تكون طويلة حتى تلحق بالأرض وتمحو أثر خطاه .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣٠٥) ، ومسلم (٧/١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث (٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا . وإسناده صحيح .

وقد رواه الحاكم في مستدركه (٣/٢١٩) ، (٤/١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، لكن فيه : «بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور » .

وقوله : « وأي داء أدوى من البخل » أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح ٩/٩٥) موقوفًا على أبي بكر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه مسلم (٧/١٢٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦) منها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يأمر بهؤلاء الكلمات ويحدثهن =

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[1].

● وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ... » الحديث ، وفيه : « يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي... » الحديث[2].

= عن النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » أخرجه البخاري (١١/١٧٨ مع الفتح) ، ومسلم (٨/٢٥٦ مع النووي) .

ومنها : حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل » أخرجه البخاري (١١/١٧٩) ،ومسلم (مع النووي ١٧/٢٩) .

ومنها : حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤١) .

(١) أخرجه مسلم (١٦/١٣٤ مع النووي) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (مع النووي ١٦/١٢٥) .

قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟!! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك =

● وقال النبي ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ [آل عمران : ١٨٠][1].

● وقال النبي ﷺ : « لا يأتي رجل مولى له يسأله من فضلٍ عنده فيمنعه إلا دعي له يوم القيامة شجاع أقرع يتلمظ فضله الذي منع »[2].

● وقال رسول الله ﷺ : « يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعًا أقرع يفرُّ منه صاحبه فيطلبه ويقول : أنا كنزك ، قال : والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه »[3] وقال رسول الله ﷺ : « إذا ما رب النعم لم يُعط حقها تسلَّط عليه يوم القيامة فتخبط وجهه بأخفافها » .

وقال رسول الله ﷺ : « من ترك بعده كنزًا مُثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك ، فيقول : أنا كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده »[4].

وقد تقدمت بعض الأحاديث في هذا الباب في أوائل هذه السورة المباركة فراجعها إن شئت .

= وأنت رب العالمين ؟!! قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٦٨/٣) ، والنسائي (٣٩/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/٥) ، والنسائي (٨٢/٥) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا ، وإسناده حسن .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٣٠/١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) صحيح وقد أخرجه أبو يعلى رحمه الله (نقلًا من تفسير ابن كثير ٤٣٣/١) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا .

أما الآثار ، فمنها :

عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي : أخبرني عن قول الله :﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة : ٣٤] قال ابن عمر رضي الله عنهما : (من كنزهما فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال)[١].

● وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ قال : شجاع يلتوي برأس أحدهم[٢].

● وعن الأحنف بن قيس قال : (جلست إلى ملإٍ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ، ثم قال : بشر الكانزين برضفٍ يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولَّى فجلس إلى سارية ، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو ، فقلت له : لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت ، قال : إنهم لا يعقلون شيئًا ، قال لي خليلي ، قال قلت : من خليلك ؟ قال النبي ﷺ : « يا أبا ذر أتُبصر أُحدًا ؟ » قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له ، قلت : نعم قال : « ما أحب أن لي مثل أُحدٍ ذهبًا أُنفقه كله إلا ثلاثة دنانير » وإن هؤلاء لا يعقلون ، إنما يجمعون الدنيا ، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله)[٣].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٧١/١٣) ، وابن ماجه (١٧٨٧) .

(٢) أخرجه الطبري (٤٣٦/٧) بإسناد صحيح إلى ابن مسعود .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٧١/٣) ، ومسلم (٩٩٢) .

س : الرضا بالمعصية يُعد معصية ، اذكر ما يؤيد ذلك من كتاب الله عز وجل ؟

ج : الدليل على ذلك قوله تعالى :﴿ سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ [آل عمران : ١٨١] فالمخاطبون ما قتلوا نبيًّا ، ولكن أسلافهم من اليهود هم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق ، وهؤلاء أقروهم ورضوا بأفعالهم فنُسب القتل إليهم .

وهذا أيضًا كقوله تعالى : ﴿ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها ﴾ [الشمس : ١٤ و ١٥] فالذي عقر الناقة واحد ولكن القبيلة (ثمود) أقروه على ذلك فنسب الذنب إليهم جميعًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم القائلون : ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران : ١٨١]؟

ج : هم اليهود ، وقد أطبق المفسرون على ذلك ، وجاء في بعض الآثار أنهم قالوا ذلك لما نزلت آية[1] الصدقة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس نُصب (قتلَهم) في قوله تعالى : ﴿ وقتلهم الأنبياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] ؟

ج : نُصب على المفعولية أي : وسنكتب قتلهم الأنبياء .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ [آل عمران: ١٨١]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ذلك بما اقترفتموه من ذنوب سالفة وافتراءات على الله وقتل لرسل الله .

❋ ❋ ❋

---

(١) أعني قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له ﴾ [البقرة: ٢٤٥]:

س : هل عهد الله عز وجل إلى اليهود أن لا يؤمنوا لنبي حتى يأتيهم بقربان تأكله النار ؟

ج : الذي نستطيع أن نجزم به أن هذا العهد، وإن وجد لا يتطرق إلى نبينا محمد ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: « وأحلت لي الغنائم »، ثم بعد ذلك نقول : إن بعض أهل العلم قال : هذا كذب من اليهود في دعواهم ﴿ إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ [آل عمران : ١٨٢] ، ومنهم من قال : إن ذلك كان ثابتًا في التوراة لكنه كان مثبتًا فيها باستثناء عيسى ومحمد عليهما السلام فأخفى اليهود هذا الاستثناء والله تعالى أعلم[1].

* * *

س : الاشتراك في المصيبة في الحياة الدنيا قد يهونها ، ولكن في الآخرة لا ينفع هذا الاشتراك ، وضح هذا بأدلته ؟

ج : ذكر الله سبحانه وتعالى قصص الأنبياء الصالحين مع أممهم وأذى أقوامهم لهم وحث نبيه ﷺ على الصبر كما صبروا ، فقال سبحانه : ﴿ فاصبر كما صبر أولواْ العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وقال

---

(١) وفي هذا الباب أخرج البخاري (٣١٢٤) ، ومسلم (١٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ ملكَ بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمَّا يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ، ولا آخر ، اشترى غنمًا أو خَلفات وهو ينتظر ولادها ، فغزا فدنَا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحُبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت – يعني النار– لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يدُ رجل بيده فقال : فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ، ثم أحلَّ الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » .

عز وجل : ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ [آل عمران : ١٨٤]، وقال تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ [فاطر : ٢٥] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كلٌّ كذب الرسل فحق وعيد ﴾ [ق : ١٣و١٤] إلى غير ذلك من الآيات، فإن كان مشركو قريش قد كذبوا وأُوذيت منهم فقد كذبت أمم من قبلهم وأُوذى منهم أنبياؤهم كذلك ، فاصبر كما صبر إخوانك من الرسل .

● وقال النبي ﷺ لفاطمة : « يا بنية إنه قد حلَّ بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا .. ».

وقد قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس معهم بالتأسي

أما في الآخرة فلا ينفع الاشتراك في العذاب ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ [الزخرف: ٣٩].

❋ ❋ ❋

س : الموت شيء لا بد منه ، اذكر من الآيات ما يؤيد ذلك ؟

ج : أما الآيات على ذلك فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

● قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] .

● وقوله تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ [الجمعة: ٨].

● وقال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٦ و ٢٧] .

● وقال سبحانه : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ .. ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ [المؤمنون: ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ [السجدة : ١١] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بمتاع الغرور في قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ؟

ج : أما المتاع فقال جمهور المفسرين ما حاصله : إنه ما يتمتع به الإنسان وينتفع به ثم يزول ولا يبقى .

والغُرور قيل : هو مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغرُّني غرورًا بضم الغين ، وأما إذا فتحت الغين من الغَرور فهو صفة للشيطان الغَرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته . قاله الطبري ، وقال أيضًا ﴿ إلا متاع الغرور ﴾ يقول إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فأنتم تتلذذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره ، يقول تعالى ذكره ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها فإنما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون انتهى .

● وجاء في الغرور أقوال مختصرة منها : الغرور : الباطل ، ومنها : أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنيه من طول البقاء .

وذكر بعض المفسرين عن سعيد بن جبير أنه قال: هي متاع الغرور لمن

لم يشتغل بطلب الآخرة ، فأما من يشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

جمعوا لكم – فاخشوهم – حسبنا الله – نعم الوكيل – انقلبوا – نعمة من الله – وفضل – حظًّا في الآخرة – نُملي – مُهين – الخبيث – الطيب – الحريق – قربان – البينات – الزبر – الكتاب المنير – زحزح ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــا
جمعوا لكم	جهزوا لكم الجيوش وجمعوا لكم الجموع .
فاخشوهم	احذروهم وخافوهم فإنه لا طاقة لكم بهم .
حسبنا الله	كافينا الله .
نعم الوكيل	نعم الموكل إليه .
انقلبوا	رجعوا .
نعمة من الله	عافية من الله إذ لم يلقوا عدوًّا .
فضل	تجارة وربح ومزيد ثواب .
حظًّا في الآخرة	نصيبًا من الثواب فيها .
نُملي	الإملاء: الإطالة في العمر والإنساء (التأخير) في الأجل، ومنه قول آزر لإبراهيم ﴿ واهجرني مليًّا ﴾ [مريم: ٤٦]

	أي : طويلًا ، وقول عمر عليه السلام : (ثم انطلق فلبثت مليًّا) .
مهين	مُذل مُخزي .
الخبيث	المنافق .
الطيب	المؤمن .
الحريق	نار محرقة ملتهبة .
قربان	البر الذي يُتقرب به إلى الله فقد يكون حُليًّا أو متاعًا أو نحو ذلك ، وقد يكون صلاة ونحو ذلك لحديث : « الصلاة قربان » .
البينات	الحجج والبراهين القاطعة - الدلالات الواضحات .
الزبر	الكتب المتلقاة من السماء ، فالكتب المزبورة أي : المكتوبة .
الكتاب المنير	البيِّن الواضح الجلي المضيء .
زحزح	أُبعد وتنحى .

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
أَذًى كَثِيرًا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ
أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ
فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟
فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ
ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ
فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ
﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن
دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾
مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ
وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

س : ما هو وضع اللام في قوله تعالى : ﴿ لتبلون ﴾ [آل عمران : ١٨٦]؟

ج : بعض أهل العلم يقول : هذه اللام هي لام القسم ، والمعنى : والله لتبلون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة الابتلاء في المال وفي النفس ؟

ج : أما صورة الابتلاء في المال فتتمثل في :

- ذهابه ونقصانه .
- ما فرض الله فيه من الزكوات والحقوق هل تؤدى إلى أهلها أم لا .
- ماذا من وراء هذا المال هل من ورائه البطر والأشر وكفران النعم ، أم من ورائه الشكر والحمد .

أما صورة الابتلاء في النفس فتتمثل في :

- المصائب أو الجراح والقتل .
- ما فرض على الشخص من عبادات وجهاد وكلمة حق ونحو ذلك .
- الأمراض والأسقام .
- المصيبة بالأحباب والعشائر والأقربين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الأذى التي يسمعها المؤمنون من أهل الكتاب ومن الذين أشركوا ؟

ج : من صور هذا الأذى قول اليهود : عزيز ابن الله ، وقولهم : يد الله مغلولة ، وقولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقولهم – مع النصارى –: نحن أبناء الله وأحباؤه، إلى غير ذلك ، وكذلك يسمعون من النصارى قولهم :

المسيح ابن الله ، وقولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وقولهم : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وطعن هؤلاء وأولئك في رسول الله ﷺ .

● ومن صور الأذى التي تسمع من الذين أشركوا قولهم في رسول الله ﷺ : (ساحر - شاعر - مجنون - كذاب) إلى غير ذلك من الافتراءات ، وطعنهم في أزواجه ﷺ وطعنهم في أصحابه كذلك .

وقد ورد في هذا الباب حديث أسامة بن زيد[1] رضي الله عنهما وفيه أنه قال : إن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فَدَكِيَّة وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبي ابن سلول ، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أُبي ، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبِّروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أُبي ابن سلول : أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا فلا تؤذينا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يُخفضهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ : « يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أُبي - قال كذا وكذا » ، قال سعد بن عبادة : يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة على أن يتوجوه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٦) ، ومسلم (مع النووي ١٢/١٥٧) .

فيعصبونه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصطبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] وقال الله : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : ١٠٩] ، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش ، قال ابن إبي ابن سلول ومن معه من المشركين : هذا أمرٌ قد توَّجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصبر في قوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من قال : إن المراد بالصبر هنا ترك المؤاخذة والمقابلة بالإساءة ، فيمر المؤمن باللغو مرور الكرام ويسمع أذاه بأذنه ويتغاضى عن ذلك ؛ لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين ، كما قال الله تعالى : ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] ، وكما قال تعالى : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية : ١٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ [فصلت: ٣٤]، وكما قال سبحانه : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ [الأحقاف : ٣٥] إلى غير ذلك .

● ومن العلماء من يرى أن المراد بالصبر هنا : الصبر على مجاهدتهم والإنكار عليهم ، والصبر على التمسك بدينكم رغم طعن الطاعنين فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : هم اليهود والنصارى .

الثاني : هم اليهود خاصة .

الثالث : هم كل العلماء .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ؟

ج : في هذا قولان للعلماء :

فمنهم من قال : هذا يرجع إلى الكتاب ، فقوله : ﴿ لتبيننه ﴾ أي : لتبينن الكتاب .

ومنهم من قال : إن الضمير يرجع إلى محمد ﷺ ، والمعنى : لتبينن صفة محمد ﷺ وشأنه ولا تكتموا من ذلك شيئًا .

● والقول الأول أعم : لأنه يدخل فيه القول الثاني ، ولا شك أن الذين أُوتوا الكتاب مأمورون بتبيين كل الكتاب وعدم كتمانه .

❋ ❋ ❋

س : كيف أخذ الله الميثاق من الذين أوتوا الكتاب ؟

ج : أُخذ الميثاق منهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] هل ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا ؟

ج : نعم ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، وأخرج الطبري بإسناده إلى قتادة رحمه الله قال في هذه الآية : هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم ، فمن علم شيئًا فليعلمه ، وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين[1]، كان يقال : (مثلُ علمٍ لا يُقال به كمثل كنزٍ لا ينفق منه ، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب) وكان يقال : (طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واعٍ) هذا رجل علم علمًا فعلَّمه وبذله ودعا إليه ورجل سمع خيرًا فحفظه ووعاه وانتفع به .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم[2] فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ قال : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نارٍ »[3] .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨٣٢٤) بإسناد حسن إلى قتادة رحمه الله ، وقوله: كان يقال، لا يدرى من قائله .

(٢) أي : مسلك الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم .

(٣) له طرق متعددة عن رسول الله ﷺ ، وإن كانت مفرداتها لا تخلو من مقال إلا أن بعض أهل العلم صححه بمجموع طرقه ، والله أعلم .

● وقال الرازي في تفسيره : اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصًّا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه ؛ لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى: ﴿ واشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنهم أخفوا الحق وكتموه حفاظًا على جاههم ورئاستهم فخشوا إن أظهروا صفة محمد ﷺ أن تنتقل الرئاسة منهم إلى غيرهم وأن تذهب دنياهم ووجاهتهم فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● أن قومًا من اليهود كانوا يفرحون بما أتوه من أنواع الخبث والغش والتلبيس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يُحمدوا بأنهم أهل برٍّ وتقوى وصدق وديانة وعفاف .

● أنهم يحرفون نصوص التوراة ويفسرونها بتفسيرات باطلة ، ويروجونها عند الرعاع ، ويحبون أن يحمدوا من الرعاع على ذلك .

● وانظر ما سيأتي من أسباب نزول الآية الكريمة .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ولا مانع أن تكون الآية نزلت في كل ذلك أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح

بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٨] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون .. ﴾ الآية[آل عمران : ١٨٨] فقال ابن عباس: مالكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى أتوا[3]؟ وما هو الذي أتوه ؟

ج : أتوا معناها فعلوا كقوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ [النساء : ١٦] والذي أتوه فيه جملة أقوال منها :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٧) .

(٢) وأخرج البخاري أيضًا (٤٥٦٨) من طريق علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان امرىء فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يعمل مُعذبًا لنعذبن أجمعون .

(٣) تنبيه : ورد في الآية قراءة أخرى وهي (آتوا) بالمد ومعناها (أعطوا) .

- أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق .
- تبديلهم التوراة .
- إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب .
- إضلالهم الناس .
- اجتماعهم على تكذيب رسول الله ﷺ .
- نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده .
- اتفاقهم على محاربة رسول الله ﷺ .
- تخلفهم عن الغزوات .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثين في ذم المتشبع بما لم يُعط ؟

ج : الحديث الأول هو قول رسول الله ﷺ : « من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة »[1] والثاني قوله ﷺ : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور »[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم ص ١٠٤ من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه مرفوعًا وكذلك أخرجه البخاري (٦٠٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠) ، من حديث أسماء رضي الله عنها قالت : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن لي ضرة فهل عليَّ جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور » .
وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

س : هذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران ﴿ إن في خلق السموات ... ﴾ [آل عمران : ١٩٠] ثبت أن النبي ﷺ قرأها في موطن فما هو ؟

ج : ثبت أن النبي ﷺ قرأها لما استيقظ لصلاة الليل ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة – وهي خالته – قال : فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ في طولها حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران[1] ثم قام إلى شنٍّ معلقةٍ فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ... الحديث[2] .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ومعنى الآية يقول تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ أي : هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها ، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ، ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ أي : تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلًا ، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ، ولهذا

---

(١) في بعض الروايات نص عليها فقال : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ... ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري (٧١/٣ مع الفتح) ، ومسلم (مع النووي ٣٥/١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

قال : ﴿ لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران : ١٩٠] أي : العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليانها .

● وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : وهذا احتجاج من الله عز وجل على قائل ذلك[1]، وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرِّف الأشياء والمسخر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا فيما أنشأته وخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومُدَّكر وآيات وعظات ، فمن كان منكم ذو لُب وعقل يعلم أن من نسبني إلى أني فقير وهو غني ، كاذب مفتر ، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأُصَرِّفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش – ما في السموات والأرض – بيده وإليه ، أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه وإذا شاء حرمه ، فاعتبروا يا أولي الألباب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالذكر في قوله تعالى : ﴿ .. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم .. ﴾ [آل عمران : ١٩١] ؟

ج : لأهل العلم أقوال في ذلك :

● فمنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : (عموم الذكر) .

● ومنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : الصلاة .

● ومنهم من قال : إن المراد بالذكر هنا : الخوف .

أما القول الأخير فلا وجه له عندي هنا ، والقول الثاني خاص ، وأعمها

---

(١) يعني : الذي قال : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

وأولاها القول الأول ، إذ هو ظاهر الكتاب العزيز ، والثاني داخلٌ فيه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع للرجل أن يذكر الله عز وجل مضطجعًا ؟

ج : نعم يُشرع ذكر الله عز وجل مضطجعًا ؛ لقول الله عز وجل : ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾[1] [آل عمران: ١٩١].

ولقول الله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم .. ﴾ [النساء : ١٠٣] .

ولقول النبي ﷺ : « صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب »[2].

● ولقول عائشة رضي الله عنها : (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[3].

وقال النبي ﷺ : « من تعار[4] من الليل فقال : لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله،

---

(١) أخرج الطبري (٨٣٥٥) بإسناد ثابت إلى قتادة قوله : ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾ وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يُسرًا من الله وتخفيفًا .

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال : « صل قائمًا ... » الحديث .

(٣) أخرجه مسلم (٦٨/٤ مع النووي) .

(٤) التعار : هو اليقظة مع صوت ، وذكر البعض أنه الاستيقاظ ، وذكر آخرون أنه التقلب على الفراش ليلًا مع كلام .

ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي – أو دعا – استجيب ، فإن توضأ قبلت صلاته »[1] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] محذوف دل عليه السياق ما هو هذا المحذوف ؟

ج : المحذوف هو قوله : (قائلين) والمعنى : ويتفكرون في خلق السموات والأرض قائلين : ربنا ما خلقت هذا باطلًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقول أولي الألباب : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩١] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي : ما خلقت هذا الخلق عبثًا ، بل بالحق لتجزي الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا : ﴿ سبحانك ﴾ أي : عن أن تخلق شيئًا باطلًا ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ أي : يا من خلق الخلق بالحق والعدل يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث قنا عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا ، ووفقنا لعملٍ صالح تهدينا به إلى جنات النعيم وتجيرنا به من عذابك الأليم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٣٩ مع الفتح) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قال أولو الألباب : ﴿ ... إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ، وقال سبحانه : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ... ﴾ [التحريم : ٨] ، ومن المسلمين من يدخل النار ثم يخرج كما في حديث المفلس وغيره فكيف نجمع بين الآيتين مع الحديث ؟

ج : أجاب بعض العلماء على هذا بأن حملوا قوله تعالى : ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ على المخلدين فيها .

وبعض العلماء أطلق الآية الأولى في المخلدين وغيرهم ، ولكن عنده الخزي نسبي ، ثم يزال الخزي عن الموحدين إذا خرجوا من النار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالظالمين هنا المشركون ، وذلك لثبوت الشفاعة في أهل التوحيد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو المنادي الذي ينادي للإيمان في قول أولي الألباب : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا يُنادي للإيمان .. ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

أحدهما : أنه الرسول ﷺ ، وعليه الأكثر .

الثاني : أنه القرآن الكريم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى اللام في قوله تعالى : ﴿ للإيمان ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ؟ اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : اللام هنا بمعنى (إلى) كقوله تعالى : ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ [الزلزلة : ٥] أي : أوحى إليها ، وكقول المؤمنين : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] أي : إلى هذا .

* * *

س : طلب أولو الألباب من ربهم عز وجل أولًا ثلاثة أشياء وهي مغفرة الذنوب ، وتكفير السيئات ، والوفاة مع الأبرار ، اشرح المراد بكل منها ؟

ج : اعلم أولًا : أن الغفران : هو الستر والتغطية ، والتكفير : كذلك هو التغطية ، فالمعنى اللغوي للغفران والتكفير قريب جدًّا ، بل قد يتحد ، أما ما هو وجه دعائهم بقولهم : ﴿ اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فللعلماء فيه أقوال :

● منها : أنهما بمعنى واحد وهو طلب محو الخطايا ، والتكرير إنما هو للإلحاح في الطلب وللتأكيد عليه ، فالمقام مقام دعاء ، ويستحب الإلحاح في الدعاء .

● الثاني : أن المراد بالذنوب هنا الكبائر ، والمراد بالسيئات الصغائر ، كما قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [النساء : ٣١] .

● الثالث : المراد بالذنوب هي الذنوب التي تقدمت وسلفت ، والمراد بالسيئات هي الذنوب التي ستأتي .

● الرابع : أن المراد بالغفران ما يزول بالتوبة والاستغفار ، والمراد بالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة .

● الخامس : أن الذنب ما ارتكبه الشخص مع علمه بكونه معصية ، والسيئة هي التي فعلت مع الجهل بكونها معصية وذنبًا .

أما قولهم : ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ، فالأبرار أولًا قيل : هم الأنبياء والصالحون ، ومعنى قولهم توفنا مع الأبرار : اقبضنا إليك إذا قبضتنا في عداد الأبرار واحشرنا معهم ، وقيل : ألحقنا بالصالحين ، وقيل : وفقنا للعمل بأعمالهم حتى نحشر معهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : (الأبرار)[1] قد تأتي بمعنى عام وقد تأتي بمعنى أضيق ، وضح ذلك ؟

ج : تأتي الأبرار أحيانًا بمعنى واسع وهو : (الصالحون) ، فيكون معنى الأبرار : الصالحين، أو جمع (بَرٍّ) وهم الذين برُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم ، وأحيانًا تأتي بمعنى أضيق وهم أنهم أصحاب اليمين ، كما قال تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورًا عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا ﴾ [الإنسان: ٥و٦]، كما قال سبحانه : ﴿ ومزاجه من تسنيم عينًا يشرب بها المقربون ﴾[2] [المطففين : ٢٧ و ٢٨] .

فالأبرار هنا هم أصحاب اليمين يشربون من كأس ممزوجة (مخلوطة) من تسنيم ، والتسنيم يشربها المقربون ، فالمقربون يشربون من التسنيم صرفًا (خالصة) وتمزج هذه العين لأصحاب اليمين مزجًا ، والله أعلم .

---

(١) وأصلها من الاتساع مأخوذ من البرِّ .

(٢) مطلع الآيات : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم ... ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٨] .

س : ما المراد بقولهم: ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؟

ج : الأظهر أن المراد ربنا وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك عليهم الصلاة والسلام .

وثمَّ قول آخر وهو : ربنا وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قد علم أولو الألباب أن ربهم عز وجل لا يخلف الميعاد فما هو وجه قولهم : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها : أن الله عز وجل أعلمهم على ألسنة رسله عليهم السلام أنه ناصرهم ومُعزهم ومُعلي دينه وكلمته فسألوا ربهم عز وجل أن ينجز لهم ما وعدهم عاجلًا غير آجل ، فكأنهم قالوا : قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجِّل خزيهم وانصرنا عليهم .

● الثاني : أنهم قالوا : إنك لا تخلف الميعاد من باب سؤال الله عز وجل بصفاته وأفعاله كما يقول القائل : اشفني أنت الشافي .

● الثالث : أنهم دعوا بهذا الدعاء على جهة العبادة والخضوع ، كما قال : ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق .

● الرابع : أن الله سبحانه وعد من آن بالجنة فسألوا أن يكونوا ممن وُعد بذلك دون الخزي والعقاب .

وقريب منه ما ذكره الطبري حيث قال : قال بعضهم : ذلك قول خرج

مخرج المسألة ومعناه الخبر ، قالوا : وإنما تأويل الكلام ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : (إن توفيتنا مع الأبرار فأنجز لنا ما وعدتنا) ؛ لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد ، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ، ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه .

والذي اختاره ابن جرير نحو القول الأول الذي قدمناه، أي : لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل لهم[1] خزيهم ولنا الظفر عليهم .. والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ بعضكم من[2] بعض ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ بعضكم من بعض ﴾ فيه أقوال منها :

- رجالكم مثل نسائكم في ثواب الطاعة .
- بعضكم من بعض في الموالاة والنصرة في الدين كما قال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [براءة : ٧١] .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجري الأنهار من تحت الجنات ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : تجري من تحتها ، أي : من خلالها ، وبعضهم يقول : تجري من تحتها ، أي : من تحت قصورها .

---

(١) أي : لأهل الكفر .

(٢) قيل : إن (من) في قوله تعالى : ﴿ من بعض ﴾ بمعنى الكاف فيكون المعنى بعضكم كبعض .

س : اذكر حديثًا في فضل : (الذين قاتلوا في سبيل الله وأوذوا في سبيله) ؟

ج : أخرج الطبري رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تُتقى بهم المكاره ، إذا أُمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت ، وهي في صدره ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة ، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأُوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : (ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ، فيقول الرب جل ثناؤه : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي) ، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٤] »[1].

❋ ❋ ❋

س : على المسلم أن يكون كيسًا فطنًا عاقلًا ورعًا ، لا يغتر بما عليه أصحاب الدنيا من دنياهم ، فكل ذلك ذاهب لا مفر وزائل لا محالة ، والباقيات الصالحات خير عند ربك من ذلك كله ، والمتاع الذي يعيش فيه الكافر إنما هو إلى حين ، اذكر من الآيات ما يوضح ذلك ؟

ج : الآيات في هذا الباب كثيرة نورد منها :

● قول الله تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ [المؤمنون : ٥٥ و ٥٦] .

---

(١) أخرجه الطبري (٨٣٧٠) .

● وقال تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٦ - ١٩٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ [غافر : ٤] .

● وقال تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

● وقال تعالى : ﴿ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ [يونس : ٦٩ و ٧٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

● وقال سبحانه - عن قارون - : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنه لذو حظٍّ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه

من دون الله وما كان من المنتصرين ... ﴾ [القصص : ٧٩ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ [لقمان : ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا ﴾ [الطارق : ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ [القصص : ٦١] .

● وقال تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ [الأعراف : ١٨٢] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ [آل عمران : ١٩٦] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - : لا تغتر بما فيه الكفار من سلامة في أسفارهم ورجوعهم وأرباح في تجارتهم وترقيهم في مناصبهم واستمتاعهم بدنياهم ، فكل ذلك متاع فانٍ زائل يُمتعون به ، ثم مأواهم إلى النار ، هي مثواهم وبئس المصير .

❋ ❋ ❋

س : من أهل الكتاب طائفة مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر وهم أهل الكتاب الذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ .

اذكر بعض الآيات الدالة على ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم

وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتواْ العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون ﴾ [المائدة : ٨٢] .

ومن هؤلاء عبد الله بن سلام ، والنجاشي ، وعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنهم وغيرهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل معنى الرباط ، وما معنى ﴿ ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟

ج : أصل الرباط : أن يربط كل فريق من المتحاربين خيله أو إبله بالثغر استعدادًا للآخر . ومعنى : ﴿ ورابطوا ﴾ أي : أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها كما يربطها أعداؤكم . وسيأتي في ذلك مزيد إن شاء الله .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ ففيه أقوال منها :

● اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا لرخاء ، فلا تدعوه لخوف ولا لفقر ولا لجوع ولا لنقصٍ في الأنفس والثمرات ولا يطغيكم الغنى كذلك فتنصرفوا عن دينكم، ويلتحق بهذا الصبر على فرائض الله عز وجل وأوامره .

● ومنها : (اصبروا) على البلاء والأمراض .

● ومنها : (اصبروا) على لقاء العدو .

والذي يظهر لي أن كل هذا يدخل في قوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ ، والله أعلم .

● أما قوله تعالى : ﴿ وصابروا ﴾ أي : صابروا عدوكم فغالبوهم في الصبر على شدائد الحروب ولا تهنوا في ابتغائهم .

وقيل : صابروا عدوكم أي : نازلوهم وقاتلوهم .

فإن قيل : فهذا المعنى يدخل في قوله : ﴿ اصبروا ﴾ فيجاب بأن هذا من باب عطف الخاص على العام كما قال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

● أما قوله تعالى : ﴿ ورابطوا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] : المرابطة هي المرابطة على الثغور لدفع شر الأعداء وحفظ بيضة المسلمين .

وقيل : إن المراد بالمرابطة : انتظار الصلاة بعد الصلاة لحديث : « .. وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط »[1] .

●● وقيل : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ اصبروا ﴾ كل ما يتعلق بك وحدك من صبر على التكاليف وصبر على البلاء وصبر على الجهاد و ...
﴿ وصابروا ﴾ كل ما كان مشتركًا بينك وبين غيرك .
﴿ ورابطوا ﴾ المرابطة : الاحتراز عن الأخلاق الذميمة ، والمحافظة على الأخلاق الحميدة .

●●● وقال البعض : اصبروا على النعماء ، وصابروا على البأساء والضراء ، ورابطوا في دار الأعداء ، واتقوا إله الأرض والسماء ؛ لعلكم تفلحون في دار البقاء ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول رسول الله ﷺ : « كُلُّ الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وفي رواية : « فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤمن من فُتان القبر »[1].

● وقول رسول الله ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهرٍ وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رِزْقُهُ وأمن الفُتَّان »[2].

● وقول النبي ﷺ : « .. طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة ففي الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع »[3].

● وقول النبي ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها »[*].

● وعن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال : إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا[4] السير حتى كانت عشية فحضرت صلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارسي فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة[5] آبائهم بظُعُنِهم[6] وَنَعَمهم[7] وشائِهم[8] اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله » ثم قال :

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(*) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أطنبوا أي : أسرعوا السير فتعبت بعض الإبل، من قوله: أطنب في الكلام إذا بالغ فيه .

(٥) أي : جاءوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد .

(٦) الظعن : المراد بهن النساء .

(٧) النعم : المراد بها الإبل .

(٨) جمع شاة .

« من يحرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله ، قال : « اركب » فركب فرسًا له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا تُغرَّن (ولا يُغَرَّن)[1] من قِبَلِكَ » فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يُصلي وهو يلتفت إلى الشِّعب حتى إذا قضى صلاته وسلَّم فقال : « أبشروا فقد جاء فارسكم » فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم وقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت اطلعت الشعبتين كليهما فنظرت فلم أر أحدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مُصليًا أو قاضيًا حاجة[2]، فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت[3] فلا عليك أن لا تعمل بعدها »[*].

❋ ❋ ❋

(*) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه .

(١) أي : لا يأتينا العدو من ناحيتك على غفلة أو غرة .

(٢) المراد بالحاجة هنا : البول أو الغائط .

(٣) أي : لا ضرر عليك ولا جناح عليك في ترك العمل النفل بعد هذه الحراسة ؛ لأ تكفيك لدخول الجنة (أي : مع الفرائض الأخرى) . والله أعلم .

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

لتبلون – من عزم الأمور – نبذوه – أتوا – مفازة – باطلًا – سبحانك – أخزيته – أولي الألباب – لا تخزنا – استجاب – نزلًا – خاشعين لله ؟

ج :

الكلمـــة	معنـــاهـــا
لتبلون	لتختبرن .
من عزم الأمور	من صواب التدبير الذي لا يشك في ظهور الرشد فيه ، أو مما يجب أن تقدموا عليه ؛ لما فيه من كمال المزية والشرف .
نبذوه	النبذ هو الطرح ، ونبذوه وراء ظهورهم أي : بالغوا في طرحه وإهماله وتجاهله .
أتوا	فعلوا – كقوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ [النساء : ١٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ لقد جئت شيئًا فريًّا ﴾ [مريم : ٢٧] .
مفازة	منجاة .
باطلًا	عبثًا .
سبحانك	تنزيهًا لك .
أخزيته	أهنته وأذللته وأظهرت خزيه أمام الجمع ، وقيل المعنى : فضحته .

أولي الألباب	أصحاب العقول السديدة الراجحة .
استجاب	أجاب .
نزلًا	ضيافة – ثوابًا – رزقًا .
خاشعين لله	متواضعين لله .

✵ ✵ ✵

الخاتمة

بهذا ينتهي ما تيسر من أسئلة وأجوبة تتعلق بسورة آل عمران ، أسأل الله عز وجل أن ينفعني بها والإسلام والمسلمين والمسلمات ، وأن يجعلها في موازين أعمالنا يوم نلقاه ، ولا أنزه نفسي عن الخطأ فمن وجد خطأ فليُسد النصح وجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

وأسأل الله أن يجعل القرآن لنا شفيعًا ، ولقلوبنا ربيعًا ، ولأبداننا شفاءً ، ولأسقامنا دواءً ، وأن يجعل هذه السورة المباركة مع سورة البقرة غمامتين أو غيايتين من طيرٍ صواف تحاج عنا يوم القيامة .

ونسأله سبحانه أن يتقبلنا بقبول حسن ، ويتجاوز عن جهلنا وتقصيرنا وخطئنا وعمدنا وإسرافنا في أمرنا ، ويغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا ، ونسأله عز وجل أن يُعز بعزته الإسلام والمسلمين ، وأن يرفع رايتهم دائمًا عالية خفاقة فوق كل الرايات ، وأن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم على الحق والخير إن ربي سميع الدعاء ، وإنه لغفور رحيم .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى العدوي

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة النساء

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة - طنطا

ت : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣ / ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥

مصطفى العدوي

التسهيل

سورة النساء

التسهيلُ

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب..

سورة النساء

تأليف

أبي عبد اللَّه

مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل
لتأويل التنزيل

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

١١٢٥٩/ ٢٠٠١

الناشر

مكتبة مكة

طنطا

هاتف : ٣٣٤٥٧٤٥/ ٠٤٠

جوال : ٣٤٨٩٨٥٣/ ٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

أما بعد:

- فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد: فهذا تفسير سورة النساء في سؤال وجواب أقدمه لإخواني المسلمين ضمن مشروع:

«التسهيل لتأويل التنزيل»

وهو تفسير القرآن في سؤال وجواب، وقد صدر منه ثمانية مجلدات تحوي سور: «الفاتحة» و«البقرة» و«آل عمران»، وكذلك سورتي «النور» و«الحجرات» وكذلك «تفسير جزء عمَّ»، وها هو «تفسير سورة النساء» أسأل

اللَّه أن ينفعني والمسلمين بها.

وهذه السورة المباركة الطيبة قد جمعت جملةً من الأحكام والمباحث الفقهية المتعلقة بعدة أبواب من أبواب الفقه كقصر الصلاة، ومواقيت الصلاة، ومباحث التيمم وصلاة الخوف وغير ذلك من المباحث الهامة وحوت هذه السورة قدرًا كبيرًا من آيات الرجاء، كما حملت أمورًا من أمور العقائد والآداب، بل وبعض ما يتعلق بالغزو والقتال والشفاعات والسلام، ونحو ذلك. فصغت ما يتعلق بذلك في صورة السؤال والجواب مع مراعاة ما سبق التنبيه عليه في سائرالأجزاء[1] من بيان الخطة العامة للعمل، وما يلتحق به من التخريج والحكم على الأحاديث، وإيراد أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم حيث يحتاج الأمر إلى إيراد، واتقاء الإسرائيليات في أغلب الأحوال، وكذا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وإبراز المسائل الفقهية التي يحتاج إليها الناس وكذلك مسائل الاعتقاد والآداب. سائلاً اللَّه تبارك وتعالى التوفيق والسداد والمغفرة، واللَّه المستعان ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

- هذا، وما كان في هذا الكتاب من توفيق وخير فمن اللَّه سبحانه وتعالى وحده فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيه من تقصير وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأتوب إلى اللَّه وأستغفره.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلبايه

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

(١) فليرجع من شاء إلى مقدمتي لسورتي البقرة وآل عمران.

سورة النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

س: اذكر معنى هذه الكلمات.

(بثَّ ـ تساءلون به ـ رقيبًا).

ج:

الكلمة	معناها
بثَّ	فرَّق ـ نشر ـ خلَقَ
تساءلون به	يسأل بعضكم بعضًا به، كقول القائل: أسألك باللَّه.
رقيبًا	مراقبًا لكم ـ حفيظًا لأعمالكم، ومحصيها عليكم.

س: لماذا أطلق على هذه السورة سورة النساء؟

ج: أطلق عليها سورة النساء؛ لذكر النساء فيها، شأنها في ذلك شأن سائر السور، كما أطلق على سورة البقرة (البقرة)؛ لذكر البقرة فيها، وسورة المائدة أطلق عليها المائدة؛ لورود ذكر المائدة فيها إلى غير ذلك من السور.

• وسبب آخر في إطلاق هذا الاسم عليها؛ لأن ما نزل فيها من أحكامهن أكثر مما نزل في غيرها.

* * *

س: سورة النساء مكية أم مدنية؟ وما الدليل على ذلك؟

ج: سورة النساء مدنية، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ[1]، تعني قد بنى بها، وقد بنى رسولُ الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها بالمدينة كما هو معلوم.

* * *

س: ما معنى ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ: «لا حبس»؟ وهل هذا الحديث صحيح؟

ج: أما الحديث فضعيف، ففي إسناده ابن لهيعة، وأخوه عيسى، وهما ضعيفان[2].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٩٣).

(٢) وقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٣٣) ولفظه: لما نزلت سورة النساء قال رسول =

أما معناه ـ واللَّه أعلم: أن أهل الجاهلية كانوا يحبسون المرأة بعد وفاة زوجها بمنعها من الزواج؛ لاعتقادهم أن أولياء الميت أولى بامرأته، وسيأتي لذلك مزيدُ بيان إن شاء اللَّه عند تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**﴾ [النساء: ١٩].

* * *

= اللَّه ﷺ: «لا حبس بعد سورة النساء».

• بعض آيات الرجاء •

س: ورد في سورة النساء كمٌّ طيب من آيات الرجاء، اذكر بعض هذه الآيات؟

ج: من هذه الآيات الطيبات ما يلي:

• وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

• وقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١].

• وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠].

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

• وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٥٢].

• وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٦٤].

• وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في بيان معناها: احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه؛ فيحل بكم من عقوبته ما لا قِبَلَ لكم به[1].

* * *

س: هل هناك تناسب بين افتتاح هذه السورة الكريمة بالأمر بتقوى اللَّه، وبين ما جاء في ثناياها؟

ج: ذكر ذلك بعض العلماء فقالوا ما حاصله: إن اللَّه عز وجل أمر بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام في هذه السورة، وأورد فيها أيضًا جملة من الأوامر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس أمر اللَّه سبحانه وتعالى بتقواه وذكرنا بأنه ربنا الذي خلقنا من نفس واحدة.

لفتة: ذكر بعض المفسرين (كالرازي رحمه اللَّه) أن اللَّه سبحانه وتعالى افتتح سورتين من كتابه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾ وهما سورة النساء وسورة الحج، لكنه سبحانه في سورة النساء افتتحها بالتذكير ببدء الخلق فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ وافتتح سورة الحج بالتذكير بالبعث والمعاد فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحج: ١].

* * *

قلتُ: وقد قدمنا ما يتعلق بالتقوى من المباحث في سورة البقرة بما فيه كفاية فارجع إليها إن شئت.

س: من المراد بالنفس الواحدة في الآية الكريمة، ومن المراد بـ (زوجها)؟

ج: المراد بالنفس الواحدة آدم ﷺ، والمراد بـ (زوجها) حواء عليها السلام.

* * *

س: اسم (حواء) لم يرد في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ فهل ورد في ذكره شيء عن رسول اللَّه ﷺ؟

ج: نعم، ورد ذلك في حديث النبي ﷺ: «**لولا حواء لم تخن أنثى زوجها**»[1].

* * *

س: من أي شيء خلقت حواء عليها السلام؟

ج: خلقت حواء من ضِلَع من أضلاع آدم ﷺ، كما قال النبي ﷺ: «**وإنهن خُلقن من ضلع**»[2].

وأخرج الطبري[3] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ يعني: حواء خُلِقت من آدم، من **ضلع** من أضلاعه.

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٤٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٥٢)، ومسلم (ص ١٠٩١).

(٣) الطبري (٨٤٠٥).

س: ما المستفاد من تذكير الناس بخلقهم من نفسٍ واحدة؟

ج: المستفاد من ذلك: تنبيههم على حقوق بعضهم على بعض، وبيان أن حق بعضهم على بعض حق واجب وجوب حق الأخ على أخيه.

وبمعنى آخر: تذكيرهم بأخوتهم، وأن لكل منهم حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في أصل النسب، وهو آدم ﷺ، وذلك ليعطف بعضهم على بعض ويحنو بعضهم على بعض، وحتى لا يبغي بعضهم على بعض، ولا يفخر بعضهم على بعض، فإذا علموا بأخوتهم تناصفوا فيما بينهم ولم يتظالموا، وبذل القويُّ منهم نفسه للضعيف، وبذل الغني منهم من ماله للفقير، وسد جوعته، وكسى عورته، وجبر كسره، واللَّه أعلم.

* * *

س: علَّل اللَّه سبحانه وتعالى في هذه الآيات الأمر بتقواه بأنه خلقنا من نفسٍ واحدة، فهل لهذا دلالة على شيء؟

ج: نعم، فيه دلالة من وجوه:

الوجه الأول: أن كونه سبحانه خلقنا يُفيد أنه ربنا ونحن عبيده وربوبيته توجب نفاذ أوامره، وعبوديتنا له تُلزمنا بالانقياد له سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: أن الإيجاد إنعام من اللَّه سبحانه وتعالى، وإحسان منه كذلك، فإذا كان الشخص معدومًا فأوجده اللَّه، وميتًا فأحياه اللَّه، وعاجزًا فمكَّنه اللَّه وقوَّاه، وجاهلاً فعلَّمه اللَّه، استلزم ذلك كله مزيدًا من الشكر والعبادة والتقوى، وقد أشار إلى هذه النعم الخليلُ إبراهيمُ عليه السلام إذ قال: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴿٧٨﴾ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**

﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

الوجه الثالث: قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ دليل على قدرته، وحاملٌ على التواضع والتراحم وعدم التعالي، وحاملٌ على الإحسان إلى الخلق.

الوجه الرابع: قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ليناسلها ويسكن إليها فتحصل بذلك نعمة أخرى.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؟

ج: من الآيات في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

- وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦].
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

* * *

س: من العلماء من يُقدِّر محذوفًا عقب قوله تعالى: ﴿ونساءً﴾ فما هذا المُقدر؟

ج: من العلماء من قدَّر محذوفًا وهو (كثيرًا) فالمعنى: وبث منهما رجالاً

كثيرًا ونساءً كثيرًا، ويجوز أن يكون المقدر (أكثر) أي: ونساءً أكثر فكما هو معلوم فإن النساء أكثر من الرجال، وذلك لأن أهل النار أكثر من أهل الجنة، كما في حديث رسول الله ﷺ: «**أن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة: يا آدم، أَخْرِجْ بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين..**» الحديث[1].

• وقال النبي ﷺ: «**ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظرًا قط، ورأيتُ أكثر أهلها النساء**»[2].

* * *

س: لماذا كُرر الأمر بتقوى اللَّه في الآيتين، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وفي قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ...﴾؟

ج: كُرر الأمر بتقوى اللَّه؛ للتأكيد على ذلك والتنبيه عليه.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قراءتان لأهل العلم اذكرهما؟

ج: القراءة الأولى: تسَّاءلون به (بالتشديد) بمعنى تتساءلون.

والقراءة الثانية: تسَاءلون (بالتخفيف) على مثال (تفاعلون).

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى: وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان، وبأي ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) وفي غير موضع، ومسلم (٢٢٢) مع حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٧)، ومسلم (ص ٦٢٦) من حديث ابن عباس.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾؟

ج: المعنى، واللَّه أعلم، كما أنكم فيما بينكم تعظِّمون اللَّه إذا ذُكِرَ لكم في قول بعضكم لبعض: أسألك باللَّه، أو أستحلفك باللَّه، أو أناشدك باللَّه، أو عليَّ عهد اللَّه... ونحو ذلك فتعظمون هذه الألفاظ التي ذُكِرَ فيها اللَّه عزَّ وجلَّ، وتعتقدون أن من سأل شخصًا باللَّه فلم يُعطه، ومن عاهد باللَّه فلم يوفِ؛ فقد ارتكب إثمًا عظيمًا، فكذلك ـ كما أنكم تعظمون اللَّه في هذه الألفاظ التي تتساءلون فيما بينكم بها ـ فكذلك، فعظموه بطاعتكم له فيما أمركم به، واجتنابكم ما نهاكم عنه، واحذروا عقابه إذا خالفتموه فيما أمركم به، أو إذا فعلتم ما نهاكم عنه.

* * *

• المراد بالأرحام •

س: ما المراد بالأرحام؟ وعلى أي أساس نصبت الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾؟

ج: الأرحام هم عموم الأقارب.

ونصبت الأرحام على تأويلين:

التأويل الأول: أن المراد: واتقوا اللَّه الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام التي تساءلون بها أيضًا.

أما التساؤل بالأرحام: كقول الرجل: أُناشدُك اللَّهَ والرَّحِمَ، أو أسألك باللَّه وبالرَّحم.

التأويل الثاني: أن المراد: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

* * *

س: في هذه الآية الكريمة إشارةٌ إلى حقوق الخلق كما أن فيها إشارةً إلى حقوق الخالق وضح ذلك.

ج: إيضاحه في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾.

فأمر اللَّه سبحانه بتقواه وأمر أيضًا بصلة الأرحام، وكذلك في قوله: ﴿**خلقكم من نفس واحدة**﴾ إشارة إلى حقوق الخلق لاجتماعهم في أصلٍ واحد، واللَّه أعلم.

* * *

• بحث مختصر في السؤال بالله •

س: هل يجوز السؤال باللَّه؟ وما الدليل؟ وهل يجوز السؤال بالرحم؟

ج: نعم، يجوز السؤال باللَّه، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ**﴾.

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة: أن اللَّه تعالى أقرهم على هذا التساؤل لكونهم يعتقدون عظمته، ولم ينكره عليهم.

• ومما يدل على الجواز كذلك قول النبي ﷺ: «.. **ومن سأل باللَّه فأعطوه**»[(١)].

• السؤال بالرحم أيضًا جائز فعلى معنى قول من فسر: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ أن تفسيرها: واتقوا الأرحام التي تساءلون بها ففيه جواز السؤال بالرحم، ولذلك رُوي عن الحسن[(٢)] أنه تلا هذه الآية: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ وقال: فإذا سئلت باللَّه فأعطِ، وإذا سئلت بالرَّحم فأعطِ. يعني: الرحم التي بينك وبينه.

• وقد قال تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..**﴾ [الشورى: ٢٣].

• هذا وقد صح عن فريق من العلماء القول في تفسير: ﴿**الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ أنهم قالوا: معناها أسألك باللَّه وبالرحم، صح ذلك عن إبراهيم النخعي[(٣)] وغيره.

---

(١) **صحيح لشواهده**، أخرجه أبو داود (١٦٧٢) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، وله شاهد عند أبي داود (٥١٠٨) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤٧٢٤). (٣) انظر: «تفسير سفيان الثوري» (ص ٨٥).

س: ما مدى صحة حديث: «لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة»؟ ومن أخرجه؟ وعلى أي وجه يُحمل في حال صحته؟

ج: الحديث ضعيف، وقد أخرجه أبو داود[1] في «سننه»، وفي إسناده سليمان بن معاذ التميمي، وهو ضعيف على الراجح.

أما على أي وجهٍ يُحمل في حال صحته، فمحل ذلك إذا كان السؤال باللَّه يؤدي إلى التساهل في شأنه، وجعله عُرضةً لعدم إجلاله وتوقيره وعدم إبراره، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

(١) أبو داود (١٦٧١) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما مرفوعًا.

• الحث على صلة الأرحام والتحذير من قطعها •

س: اذكر بعض الوارد في الحث على صلة الأرحام والتحذير من قطعها؟

ج: وردت جملة من الآيات والأحاديث تحث على صلة الرحم وتُحذر من قطعها ومن الأدلة التي تحث على صلة الأرحام ما يلي:

• قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾ [1] [الرعد: ٢١].

• وقول اللَّه سبحانه: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الروم: ٣٨].

• وقال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ**﴾ [النساء: ٣٦].

• وأخرج البخاري ومسلم [2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له [3] في أثره [4]، فليصل رحمه**».

• وأخرج البخاري [5] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**.. ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليصل رحمه**».

---

(١) وسيأتي بعد قليل ـ إن شاء اللَّه ـ كمٌ من الأدلة في التحذير من قطع الرحم.

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٥٧).

(٣) يُنسأ: أي يؤخر.

(٤) أثره: أي أجله.

(٥) البخاري (٦١٣٨).

● وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة، فقال القومُ: ما لَهُ ما لَهُ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أرَب ماله**» فقال النبي ﷺ: «**تعبد اللَّه لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرَّحم**».

●وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن عباس ﷺ: أن أبا سفيان أخبره: أن هرقل أرسل إليه فقال: ما يأمر؟ ـ يعني النبي ﷺ ـ فقال: «يأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والصلة».

● ولما قال رسول اللَّه ﷺ لخديجة ﷺ: «**زملوني زملوني**» وأخبرها الخبر ـ خبر الوحي ـ قائلاً: «**لقد خشيت على نفسي**» قالت خديجة ﷺ: كلا واللَّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٣].

● وفي «الصحيحين»[٤] من حديث حكيم بن حزام ﷺ أنه قال: يا رسول اللَّه، أرأيت أمورًا كنت أتحنث[٥] بها في الجاهلية من صلةٍ[٦]، وعتاقة، وصدقة هل كان لي فيها من أجرٍ؟ قال حكيم: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أسلمت على ما سَلَفَ من خيرٍ**».

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٣)، ومسلم (ص ٤٣).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٠)، ومسلم (ص ١٧٧٣).

(٣) البخاري (حديث رقم ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

(٤) البخاري (٥٩٩٢)، ومسلم (١٢٣).

(٥) أتحنث: أتعبَّدُ.

(٦) في رواية البخاري (١٤٣٦): ومن صلة رحم.

أما قطع الرحم فكبيرةٌ من الكبائر:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

• وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

• ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

• وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن اللَّه خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرَّحم: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما تَرْضَيْنَ أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**» قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**» [محمد: ٢٢].

• وفي «الصحيح»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الرَّحم شُجنة[٣] من الرحمن، فقال اللَّه: من وصلكِ وَصَلْتُه، ومن قطعك قطعته**».

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٧)، ومسلم (حديث ٢٥٥٤).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه: ... وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة.

● وفي «الصحيحين»[١] من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الرَّحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله اللَّه، ومن قطعني قطعه اللَّه**».

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٣].

* * *

(١) البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٤)، ومسلم (حديث ٢٥٥٦).

(٣) المراد بالقاطع: قاطع الرحم.

• قول النبي ﷺ •

«ليس الواصل بالمكافئ»

• وفي «الصحيح»[١] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**ليس الواصل بالمكافئ**[٢]، **ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها**».

وصل من قطع

• وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلمُ عنهم ويجهلُون عليَّ! فقال: «**لئن كُنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ**[٤]، **ولا يزال معك من اللَّه ظهير**[٥] **عليهم ما دُمت على ذلك**».

* * *

(١) البخاري (٥٩٩١).

(٢) المعنى واللَّه أعلم، ليس الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من وصله، أي: ليس هو الذي يكافئ من وصله بأن يصله كما وصله، ولكن الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من قطعه، واللَّه أعلم.
وقال الحافظ في «الفتح»: «.. هم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يتفضل».

(٣) مسلم (حديث ٢٥٥٨).

(٤) الملُّ: هو الرماد الحار، ومعنى تُسفهم الملَّ أي: تطعمهم الرماد الحار.

(٥) الظهير: المعاون.

• وصل الرحم الكافرة •

قال اللَّه تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمرُ حُلة سيراء تباع، فقال: يا رسول اللَّه، ابتَع هذه والبسها يومَ الجمعة وإذا جاءك الوفود، قال: «**إنما يَلبسُ هذه من لا خلاقَ له**» فأتيَ النبيُّ ﷺ منها بحُلل، فأرسلَ إلى عمر بحلة، فقال: كيف ألبَسُها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: «**إني لم أعطكها لتَلبَسَها، ولكن تَبيعها أو تكسوها**» فأرسل بها عمر إلى أخٍ له من أهل مكةَ قبل أن يُسلم.

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: «**ألا إن آل أبي ـ يعني: فلانًا ـ ليسوا لي بأولياء، إنما وليي اللَّه وصالح المؤمنين**».

وعند البخاري زيادة معلقة، وقد وصلها غيره، وفيها: «**ولكن لهم رحمٌ أُبلها ببلالها**[٣]» يعني: أصلها بصلتها.

* * *

(١) البخاري (حديث ٥٩٨١)، ومسلم (حديث ٢٠٦٨).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٥).

(٣) ولتقريب معنى أبلها ببلاها، فإن الرحم شبهت بالجلد اليابسة، إذا واصلت رشها بالماء لانت معك، فإذا وصلت الأرحام لانت بيديك واستمعوا لك وأطاعوا، كما أن الجلد يلين وتعتريه الطراوة إذا بُلَّ بالماء.

• آيات تدل على مراقبة الله عز وجل للعبد •

س: اذكر بعض الآيات التي تُفيد أن العبد مراقب من ربه عزَّ وجلَّ، وأن اللَّه يعلم جميع أحواله.

ج: الآيات في هذا الباب متعددة وكثيرة جدًّا، وكلها تدل على المعنى المراد، وإن تعددت ألفاظها، فمن ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].
- وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].
- وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].
- ومن ذلك أيضًا: قول لقمان لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

• وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

• وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

• وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

* * *

س: اذكر بعض المواطن التي كان النبي ﷺ يقرأ فيها هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

ج: كان النبي ﷺ يقرؤها في خطبة الحاجة، ففي «سنن أبي داود»[1] بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: علَّمنا رسولُ اللَّه ﷺ خطبة الحاجة: إن الحمد للَّه نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،

(١) أبو داود (حديث ٢١١٨).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

● وقرأها النبي ﷺ؛ لتذكير أصحابه بالصدقة لما جاءه قوم من مُضر، ورأى النبي ﷺ ما بهم من الفقر والفاقة:

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث جرير رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مُجْتابي النِّمَار[٢] أو العباءِ[٣] مُتقَلِّدي السيوف، عامَّتُهُمْ من مُضر، بل كلُّهم من مُضر فتمعَّر[٤] وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] **تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمْرِه** (حتى قال): **ولو بشق تمرة**» قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تعجزُ عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومَيْنِ[٥] من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلَّل[٦] كأنه مُذهبة[٧] فقال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلامِ سُنة حسنة، فله**

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٧).

(٢) مُجتَابي النِّمار: أي: لابسيها، والنِّمار هي ثياب الصوف فيها تنمير كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض، وأراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف.

(٣) العباء، هي: جمع عباءة. (٤) تمعَّر، أي: تغيَّر.

(٥) وكومين: مثنى كوم، والكوم هو الشيء المرتفع.

(٦) يتهلل أي: يستنير فرحًا. (٧) مُذهبة، أي: كأنه فضة مذهبة.

أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ».

* * *

• متفرقات تتعلق باليتامى •

وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(آتوا ـ حُوبًا).

ج:

الكلمة	معناها
آتوا	أعطوا.
حُوبًا	إثمًا.

• طرف مما يتعلق باليتامى وأموالهم •

س: لمن يوجَّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ..﴾؟

ج: الخطاب موجَّه لأوصياء اليتامى.

* * *

س: على من يطلق اليتيم؟

ج: يطلق اليتيم على من مات أبوه وهو لم يبلغ الحُلُم.

وقد صح موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «.. وأما الصبي فينقطع عنه اليتم إذا احتلم»[1].

* * *

س: هل يؤتى اليتامى أموالهم بدون قيد أو شرط؟

ج: إيتاء اليتامى أموالهم مقيدٌ ببلوغ الحُلم، وإيناس الرشد منهم، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

* * *

س: كيف أطلق عليهم يتامى أثناء إعطائهم الأموال مع أنهم لا يُعطون الأموال إلا بعد ارتفاع اليتم عنهم؟

---

(١) أحمد (١/ ٢٢٤ ـ ٢٩٤ ـ ٣٠٨)، وانظر ما ذكرته في سورة البقرة عند تأويل قوله تعالى: ﴿ليس البر...﴾ وذلك عما يخص اليتامى.

ج: **أطلق عليهم يتامى باعتبار ما كانوا فيه من يُتم**، كما قال تعالى في شأن سحرة فرعون: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾ [الشعراء:٦] فأطلق عليهم سحرة باعتبار ما كانوا فيه من سحر، وكما كان يُقال للنبي ﷺ: يتيم أبي طالب؛ باعتبار ما كان فيه من يُتم.

• **وأطلق عليهم يتامى أيضًا لقرب عهدهم باليتم**، كما في قوله تعالى في شأن النساء: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾ [البقرة:٢٣٤] أي: إذا قاربن بلوغ الأجل.

• ومن أهل العلم من أشار إلى معنى آخر فقال: ويجوز أن يكون المراد باليتامى المعنى الحقيقي، وأنه يُسلم إليهم بعض أموالهم التي يحتاجون إليها للنفقة والكسوة وهم دون البلوغ ولا يبخل عليهم، ويكون المراد بقوله تعالى: ﴿**أَمْوَالَهُمْ**﴾ أي: بعض أموالهم، وهو القدر الذي يحتاجون إليه آنذاك، فعلى ذلك يكون للإيتاء صورتان:

إحداهما: إجراء الطعام والشراب والكسوة ما دام الشخص وصيًّا عليهم وهم دون البلوغ.

الثاني: تسليم الأموال لهم بعد بلوغهم، وإيناس الرشد منهم، والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿**ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**﴾؟ وما صفة هذا التبديل؟

ج: المعنى، والله أعلم: لا تستبدلوا المحرم عليكم من أموالهم بأموالكم

التي هي حلال لكم.

● ومن صور هذا التبديل: أن يأخذ الرجلُ (الوصي) مثلاً تمرًا جيدًا من تمر الأيتام ويُعطهم بدلاً منه تمرًا من تمره الرديء.

فتمر الوصي الرديء مع رداءته إلا أنه حلالٌ له، وتمر اليتيم الجيد مع جودته إلا أنه حرامٌ على الوصي.

فالخبيث هو مال اليتيم (فهو خبيث بالنسبة للوصي)، وإن كان جيدًا في نفسه؛ لكونه محرمًا على الوصي.

والطيب هو مال الوصي وإن كان رديئًا لكنه طيبٌ لكونه حلالاً بالنسبة للوصي.

ولا يقف الاستبدال على التمر، بل يتطرق إلى ما يمكن استبداله.

كأن يعمد الوصي إلى شاة اليتيم السمينة الصحيحة فيأخذها ويعطيه مكانها شاةً هزيلةً، ويقول: شاة بشاة.

● أو يعمد الوصي إلى دراهم اليتيم الجياد فيأخذها ويعطيه بدلاً منها دراهم مزيفةً ويقول: دراهم بدراهم.

● أو يعمد إلى قطعة أرضٍ لليتيم طيبة الموقع فيأخذها ويعطيها مكانها قطعة أرض ليست بطيبة في موقعها ويقول: أرضٌ بأرض.

● أو يأخذ منزلاً ومسكنًا من منازل اليتيم ومساكنه الجياد ويعطيه بدلاً منه مسكنًا آخر هو أردأ، وهكذا.

● وهناك أقوالٌ أُخر في تفسير الآية الكريمة، منها: لا تتعجل أكل الحرام من أموال اليتامى وتستبطئ رزق اللَّه الحلال الذي سيأتيك إن أنت

صبرتَ، وثم أقوالٌ أُخر، والأولى الأول، واللَّه أعلم.

* * *

س: أمر اللَّه سبحانه وتعالى بإيتاء اليتامى أموالهم، وهذا يتضمن النهي عن أكل أموالهم، فلماذا كُرر النهي في قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

• الوجه الأول: أن يُقال: إن قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ**﴾ يُفيد أن للوصي مالاً، وقوله تعالى: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم**﴾ لا يفيد ذلك.

فكأن النهي في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ**﴾ يُفيد التشنيع على الوصي الذي له مال، ومع ذلك، فهو يأكل أموال اليتامى مع ماله، ويضمها إلى ماله.

فإذا كان عموم الأوصياء (فقراء كانوا أو أغنياء) أُمروا بإيتاء اليتامى أموالهم، فلأن يُنهى ويُزجر من له مالٌ عن أكل أموال اليتامى، فهو من باب أولى.

فالذمُّ والقُبح يلحقان بصورة أكبر مَن أكَلَ أموال اليتامى وعنده مالٌ.

وهذا كالوارد من الوعيد للشيخ الزاني، وللعائل المستكبر، وللملك الكذاب، فكل زانٍ آثم ومعاقب[1] وكذلك كل مستكبر وكذاب، لكن لما

(١) إلا إذا غفر اللَّه له.

كان الداعي إلى الزنا عند الشيخ ضعيفًا كان صدور الزنا منه أعظم إثمًا، وكذلك الملك الكذاب، فالداعي إلى الكذب ضعيف بالنسبة للملك؛ لكونه لا يخشى من كيد أحدٍ من الرعية.

والاستكبار من العائل (الذي يعول أطفالاً وهو فقير) أشد إثمًا من غيره؛ لكون ذلك فيه مضيعة للرعية.

ومن ثمَّ قال رسول اللَّه ﷺ[1] «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا يُزكِّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملك كذاب، وعائلٌ مستكبر**».

وأيضًا فإن عقوبة[2] الشيب الزاني أشد من عقوبة الزاني الذي لم يُحصن، فعقوبة الذي لم يحصن جلد مائة وتغريب عام، وعقوبة الذي قد أحصن الرجم.

أما الوجه الثاني: ففحواه أن الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم يتضمن عدم أخذ شيء منها لأي غرض سواء لنكاح أو للباس أو لبناء أو لطعام أو لشراب أو لادخار أو لأي غرض من الأغراض.

أما قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ**﴾ فيتضمن النهي عن الأكل فعليه يكون من باب عطف الخاص (الذي هو الأكل) على العام (الذي هو عموم ما ذكر مضمنًا في قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ**﴾).

وعطف الخاص على العام جائز ومُستساغ.

---

(١) مسلم (حديث ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وقد أتينا على ذلك بما فيه الكفاية في «تفسير سورة النور» وللَّه الحمد.

فإذا كان قد ورد النص بالنهي عن الأكل من أموال اليتامى فلأن يلحق بالنهي غيرُ الأكل فهو أولى؛ وذلك لأن احتياج الناس إلى الأكل أشد من احتياجهم إلى غيره، فإذا نهوا عما حاجتهم إليه أمس فلأن يُنهوا عن غيره فهو أولى، واللَّه أعلم.

وهذا إذا حملنا الأكل في الآية الكريمة على الأكل حقيقة، لكن كثير من أهل العلم يرون أن الأكل ذُكر مثلاً لكونه الأغلب ولا يمتنع أن يدخل معه غيره كمن يختلسها ويستعملها في أي وجهٍ كان، واللَّه أعلم.

ويشير العلماء هنا إلى فائدة فحواها: أن المنهي عنه متى كان درجات فالأبلغ أن تنهى عن الدرجة الأدنى حتى يدخل في النهي الدرجة الأعلى بطريق الأولى، فمثلاً بالنسبة لأذى الوالدين ـ عياذًا باللَّه منه ـ فهو درجات، فمن صور إيذاء الوالدين: أن يتضجر الشخص منهما ويقول لهما: أف، ومن صور ذلك: أن يخاطبهم بطريقة لا تتناسب مع توقيرهما، ومن ذلك: أن يزجرهما بالكلام وينهرهما، ومن ذلك أن يضربهما، و...و....

فإذا قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تقل لهما أف**﴾ دخل في ذلك كل ما جاء بعد كلمة (أف) من أنواع الأذى.

ولكن أحيانًا يُقدم النهي عن الأعلى لعلة من العلل، فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً**﴾، خُصت فيه هذه الصورة بالنهي؛ لكونها أيسر على النفوس، مع أن كل صور الربا محرمة وإن أكل الشخص درهمًا واحدًا.

● ومن العلل ما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ**

أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾.

فلقائل أن يقول: إن الذهاب إلى أولي القربى واليتامى والمساكين إلى بيوتهم وإعطائهم الأموال هناك أفضل، فلماذا قيل هنا: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى .. ﴾؟

فأجاب فريق من أهل العلم بقوله: إن الأنفس يكون من السهل عليها - عند حضور هؤلاء المذكورين - إعطاؤهم - وتنبعث النفوس أكثر على إعطائهم عند حضورهم، وقد لا ينشط الشخص للذهاب إلى بيوتهم وإعطائهم، وخاصة بمضي الزمن واستقرار الحقوق، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ .. ﴾ تدريبًا لهم على الإعطاء بأمرهم بما هو أيسر عليهم حتى إذا أصبح ذلك عندهم عادةً سهلة ويسيرة حثهم على الذهاب إلى بيوت هؤلاء المذكورين وإعطائهم.

وهنا في هذه الآيات أمر اللَّه سبحانه وتعالى أوصياء اليتامى بإيتائهم أموالهم، وهذا يتضمن بعمومه عدم الاقتراب من أموال الأيتام بالأكل منها أو بالزواج منها أو بابتذاذها وادخارها لأبناء الوصي وذريته، أو بشراء اللباس منها أو بغير ذلك، فصدر الآية عام، وختامها وهو: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ خاص.

فالأول: يفيد النهي عن الاقتراب منها بأي صورة من الصور.

والثاني: يفيد النهي عن الأكل منها.

ومن هذا التقرير الذي سقناه نرى أن الأوامر والنواهي التي توجَّه للناس من بعضهم لبعض ينبغي أن تتناسب مع أحوالهم، فمنهم من يُنهى نهيًا عامًا، ومنهم من ينهى نهيًا خاصًا، ومنهم من يؤمر بأمر خفيف، ومنهم

من يؤمر بأمرٍ هو أشد ثقلاً من هذا الأمر الأول، ومنهم من يتدرج معه في الأوامر والنواهي، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾.

ج: المعنى - واللَّه أعلم - ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، وقال بعض أهل العلم: المعنى واللَّه أعلم، ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم، أي: لا تخلطوها بها. فعليه كانت الآية الكريمة تنهى الوصي عن خَلْطِ ماله بمال اليتيم، ثم نُسخ هذا الحكم على ما سيأتي بيانه في السؤال الآتي.

* * *

س: هل يجوز خلط مال اليتيم بمال الوصي، وأكل الوصي واليتيم من ذلك كله معًا؟

ج: نعم يجوز ذلك، إذا لم يكن فيه إجحافٌ باليتيم، ولا إضرارٌ به، وذلك لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٠].

• وقد قَدمتُ في تفسير سورة البقرة سبب نزول هذه الآية، وهو ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أنزل اللَّه عز وجل: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [الإسراء: ٣٤]، و: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا**﴾ [النساء: ١٠] الآية، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضلُ من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد

ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ حث على التعامل مع الأيتام بما تقتضيه الأخوة الإيمانية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ حثٌّ على إصلاح أموال الأيتام والقيام عليها بما يرضي اللَّه عز وجل، والتحذير من إفسادها.

* * *

س: قال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ هل بُيِّن قدر هذا الحوب؟

ج: نعم بُين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وبقوله عليه الصلاة والسلام: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: «**الشركُ باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[٢].

* * *

(١) أبو داود (٢٨٧١)، والنسائي (٦/ ٢٥٦)، والطبري (٤١٨٢، ٤١٨٣)، وغيرهم، وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٦٦)، ومسلم (حديث ٨٩).

س: إلامَ يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾؟

ج: الضمير يرجع إلى أكل أموال اليتامى، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ...﴾ سبب نزول؟

ج: لم يصح للآية الكريمة ـ فيما وقفت عليه ـ سبب نزول، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(خفتم ـ تقسطوا ـ ما طاب ـ أدنى ـ تعولوا).

ج:

الكلمة	معناها
خفتم	ظننتم ـ توقعتم ـ خشيتم.
تقسطوا	تعدلوا.
ما طاب	ما حلَّ ـ ما استُسيغ.
أدنى	أقرب.
تعولوا	تجوروا ـ تميلوا.

* * *

س: هل هناك فرق بين (أقسط)، و(قسط)؟

ج: قال عدد من العلماء إن (أقسط) معناها: عدل، و(قسط) بمعنى: جار، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾.

• الأدلة على اعتبار مهر المثل عند المشكلات[١] •

س: استدل بعض أهل العلم على اعتبار مهر المثل في المشكلات وغيرها بهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى...﴾ فما وجه هذا الاستدلال؟ وهل من دليل آخر على اعتبار مهر المثل؟

ج: وجه الاستدلال بالآية الكريمة: أن الإقساط في اليتامى من معانيه قياس اليتامى على غيرهن في الصداق، فالقسط في اليتيمة أن تبلغ بصداقها سنة من حولها في الصداق، فدل ذلك على أن لغيرهن سنة في الصداق.

أما الدليل الآخر على اعتبار مهر المثل فهو ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم[٢] بإسنادٍ صحيح عن علقمة قال: أُتي عبد اللَّه في امرأةٍ تزوجها رجلٌ ثمَّ مات عنها ولم يفرض لها صداقًا، ولم يكن دخل بها، قال: فاختلفوا إليه، فقال: أرى لها مثل صداق نسائها ولها الميراث وعليها العدة، فشهد معقل بن سنان الأشجعي أن النبي ﷺ قضى في بروع بنت واشق بمثل ما قضى.

• وهناك أدلة أخر كقوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**﴾ فعلى وجهٍ: أي المتعارف عليه بين الناس، وسيأتي قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هذا الباب قريبًا إن شاء اللَّه.

* * *

(١) أما إذا اتفقا على شيء (باستثناء اليتيمة فلها على الأقل مهر مثلها)، فيُمضى ما اتفقا عليه.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٠)، وأبو داود (٥/ ٢١١٤)، والترمذي (١١٤٥)، والنسائي (٦/ ١٢١) وابن ماجه (١٨٩١).

س: لماذا قيل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ..﴾ ولم يقُل: من طاب؟

ج: أجاب على ذلك الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بقوله:

إنَّ معناه: فانكحوا نكاحًا طيبًا، فالمعنى بقوله: (ما طاب) الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن، فلذلك قيل: «ما» ولم يقل: «من» كما يُقال: «خذ من رقيقي ما أردت» إنما عنيت: خذ منهم إرادتك، ولو أردت: خذ الذي تريد منهم لقلت: خذ من رقيقي من أردت منهم، وكذلك قوله: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ بمعنى: أو ملك أيمانكم.

وقال صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه ـ في «فتح البيان»:

وقيل: هي لنوع من يعقل، فالمعنى: فانكحوا النوع الطيب من النساء، أي: الحلال، وما حرَّمه اللَّه فليس بطيب. وقال أيضًا: و(ما) في قوله تعالى: ﴿**مَا طَابَ لَكُم**﴾موصولة وجاء بـ (ما) مكان (من)؛ لأنهما قد يتعاقبان فيقع كل واحد منهما مكان الآخر، كما في قوله: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**﴾ وفي قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ**﴾.

هذا وثمَّ أقوال أُخر ولكنها مهجورة عندي، واللَّه أعلم.

* * *

• مبحث مختصر في تعدد الزوجات[1] •

س: هل نكاح (مثنى وثلاث ورباع) خاصٌ بمن خاف أن لا يُقسط في اليتامى، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم...﴾؟

ج: ليسْ هذا خاصًا، بل هو عام لكل من أراد الزواج.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: واتفق كلُّ من يُعاني العلوم على أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ ليس له مفهوم، إذ قد أجمع المسلمون على أن من لم يخف القسط في اليتامى له أن ينكح أكثر من واحدة اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا كمن خاف، فدلَّ على أن الآية نزلت جوابًا لمن خاف ذلك وأن حكمها أعم من ذلك.

• **وقال صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه ـ «فتح البيان»:** وقد اتفق أهل العلم على أن هذا الشرط المذكور في الآية لا مفهوم له، وأنه يجوز لمن لم يخف أن يقسط في اليتامى أن ينكح أكثر من واحدة.

* * *

س: هل الأمر في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ أمر إيجاب وإلزام أم لا؟ وما الصوارف له ـ في حالة كونه ليس بأمر إيجاب ـ عن الوجوب؟

ج: الأمر في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ

(١) ولمزيد انظر كتابنا «جامع أحكام النساء» (المجلد الثالث).

وَرُبَاعَ﴾ ليس بأمر إيجاب ولا إلزام، وذلك لعدة أمور:

الأول: أن الأمر في قوله تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم..**﴾ جاء في بيان تعديد المباح، فالمعنى: وإن خشيتم أن تظلموا اليتامى وألا تعدلوا فيهن، فالنساء سواهن كثير، فقد أبحنا لكم مثنى أو ثلاث أو رباع، كما تقول لشخص مثلاً: لا تشرب الخمر فإنها حرام، واشرب اللبن والعصيرات، و...، فقولك له: واشرب اللبن والعصيرات و... ليس بأمر إيجاب ولا إلزام، بل هو تعديدٌ للمباح.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿**مَا طَابَ لَكُم**﴾ فيه تعويلٌ على الاستطابة، فإذا لم يطب لي فلست بمجبر على الزواج.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾ فيه صارف أيضًا.

رابعًا: اقتصار عدد كبير من الصحابة ﷺ على زوجة واحدة.

هذا وقد قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

فإن قال قائل: فإن أمر اللَّه ونهيه على الإيجاب والإلزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام، وقد قال تعالى ذكره: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾، وذلك أمر، فهل من دليل على أنه من الأمر الذي هو على غير وجه الإلزام والإيجاب؟

قيل: نعم، والدليل على ذلك، قوله: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾. فكان معلومًا بذلك أن قوله: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ وإن كان مخرجه مخرج الأمر، فإنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء، لا بمعنى الأمر بالنكاح، فإن المعنيَّ به:

وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى، فتحرجتم فيهن، فكذلك فتحرجوا في النساء، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجور فيه منهن، ما أحللته لكم من الواحدة إلى الأربع.

وقد بينا في غير هذا الموضع أن العرب تُخرج الكلام بلفظ الأمر ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٩]، وكما قال: ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٥٥، والروم:٣٤]، فخرج ذلك مخرج الأمر، والمقصود به التهديد والوعيد والزجر والنهي، فكذلك قوله: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ بمعنى النهي: فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء.

* * *

أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى . . ﴾

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: وإن خشيتم ألا تعدلوا في مهور اليتامى وفي النفقة عليهن، فانكحوا ما طاب لكم من النساء غيرهن.

وبتعبير آخر: إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وهو وليها وأراد أن يتزوجها لكنه يخشى ألا يعطيها مهر مثلها فليتزوج غيرها من النساء، فإنهن كثير ومنهن من ترضى بالقليل، فلم يُضيق اللَّه عليك أيها الوصي، فانكح نكاحًا حلالاً طيبًا مثنى إن شئت، أو ثلاث أو أربع ولا تظلم اليتامى.

فالخطاب لأولياء اليتامى القائمين على أمورهن ويريدون أن يتزوجوهن، فالمعنى على هذا: وإن خشيتم على أنفسكم من ظلم اليتامى ببخسهن حقوقهن في الصداق فالنساء سواهن كثير، فانكحوا من غيرهن مثنى أو ثلاث أو رباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فاقتصروا على واحدةٍ أو ما ملكت أيمانكم، فذلك أقرب إلى عدم الظلم والجور.

وبنحو هذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

• أخرج البخاري ومسلم[١] من طريق عروة بن الزبير: أنه سأل عائشة عن قول اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فقالت: يا بن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليِّها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سُنتهن في الصداق، فأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل اللَّه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ قالت عائشة: وقول اللَّه تعالى في آية أخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال، قالت: فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق[٣] وكان يمسكها عليه[٤] ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾

---

(١) البخاري (حديث٤٥٧٦) ومسلم (٣٠١٨).

(٢) البخاري (٤٥٧٣) ومسلم (٢٣١٤).

(٣) المراد به: النخلة.

(٤) أي أنه لم يكن يرغب فيها كزوجة ولكنه أراد النخلة فقط.

أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

القول الثاني: وإن خشيتم أن تجوروا على أموال اليتامى فلا تكثروا من الزواج فإن الإكثار من الزواج والذرية قد يحملكم على الجور على أموال اليتامى التي بين أيديكم إن قلَّت مؤنكم.

وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتزوج بما شاء من النسوة، إن شاء عشر نسوة، وإن شاء أكثر أو أقل، فيحمله الإنفاق عليهن وعلى ذريته في حال إعساره أن يتجه إلى أموال اليتامى لسد حاجة نسائه وذريته.

فالمعنى علي هذا: لا تتزوجوا أكثر من أربع نسوة حتى لا تجوروا على أموال اليتامى، وإن خفتم أيضًا من الجور على أموال اليتامى ـ إن أنتم تزوجتم باثنتين أو بثلاث أو بأربع ـ فاقتصروا من الزوجات على واحدة أو ما ملكت اليمين، وهذا كله خيرٌ لكم من أن تجوروا على أموال اليتامى.

القول الثالث: أن الناس كانوا يتحرجون من ظلم اليتامى ويخشون الاقتراب من أموالهم ولا يتحرجون من ظلم النساء، فقد كانوا يظلمون أزواجهن ويجورون عليهن، وكان من أسباب ظلم النساء والتقصير في أداء حقوقهن والجور عليهن هو كثرتهن، فإن الرجل كان يتزوج عشر نسوة أو أكثر من ذلك فيجتزئ ببعضهن عن الأخريات مما يؤدى إلى الظلم، فقيل للرجال: وكما أنكم تتحرجون من ظلم اليتامى فتحرجوا أيضًا من ظلم النساء، ولما كان من أسباب ظلم النساء وإهمالهن: كثرتهن، قيل للرجال: فاقتصروا ـ حتى لا تظلموا

النساء ـ على نكاح اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا ولا تزيدوا على ذلك.

فإن خشيتم أيضًا من ظلمهن إن أنتم تزوجتم باثنتين أو بثلاث أو بأربع، فاقتصروا منهن على واحدةٍ أو ما ملكت اليمين، فهذا كله أقرب إلى العدل، وأبعد عن الظلم.

• أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ حتى بلغ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾، يقول: كما خفتم الجور في اليتامى وهمَّكم ذلك، فكذلك فخافوا في جمع النساء، وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك، فأحل اللَّه جل ثناؤه أربعًا، ثم صيَّرهن إلى أربع.

قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، يقول: إن خفت ألا تعدل في أربع فثلاث، وإلا فثنتين، وإلا فواحدة، وإن خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك.

• وعند الطبري أيضًا بإسناد صحيح[2] عن سعيد بن جبير ـ رحمه اللَّه ـ قال: «كان الناس على جاهليتهم، إلا أن يؤمروا بشيء أو يُنهوا عنه، قال: فذكروا اليتامى، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى،

(١) الطبري أثر (٨٤٦٨).

(٢) الطبري أثر (٨٤٦٦)، وهذا صحيح إلى سعيد بن جبير لكنَّ سعيدًا تابعي وأراه في هذا الموطن يُفسر الآية، وهذا مرادي، وليس المراد أنه يُسندها بالأسانيد.

فكذلك خافوا أن لا تقسطوا في النساء».

القول الرابع: كما أنكم تخافون من ظلم اليتامى وتحذرون من ذلك حذرًا شديدًا، فكذلك فتخوفوا من النساء أن تزنوا بهن، وأقبلوا على الحلال الطيب وهو الزواج، فتزوجوا اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا.

الوجه الخامس: وإن خفتم أن لا يأتي من يقسط في اليتامى - اللواتي أنتم ولاتهن - فلا تزوجوهن من يبخسهن حقوقهن، ولكن تزوجوهن أنتم وأقسطوا لهن أنتم في الصداق، تزوجوا إن شئتم مثنى أو ثلاث أو رباع.

• وأورد الطبري - رحمه اللَّه تعالى - نحو هذه الأقوال المتقدمة وجنح إلى الوجه الثالث الذي ذكرناه، فقال - رحمه اللَّه - بعد أن أورد أقوال العلماء في ذلك:

وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: تأويلها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء، فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن، من واحدة إلى الأربع، فإن خفتم الجور في الواحدة أيضًا، فلا تنكحوها، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن اللَّه جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الأموال، فقال تعالى ذكره: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾ ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا اللَّه في ذلك فتحرجوا فيه، فالواجب عليهم من

اتقاء اللَّه والتحرج في أمر النساء، مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى، وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن، كما عرفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى، فقال: انكحوا إن أمنتم الجور في النساء على أنفسكم، ما أبحت لكم منهن وحلَّلتُه، مثنى وثُلاث ورباع، فإن خفتم أيضًا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة، بأن لا تقدروا على إنصافها، فلا تنكحوها، ولكن تسرُّوا من المماليك، فإنكم أحرى أن لا تجوروا عليهن؛ لأنهن أملاككم وأموالكم، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذي يلزمكم للحرائر؛ فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور.

ففي الكلام ـ إذا كان المعنى ما قلنا ـ متروك استغني بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره، وذلك أن معنى الكلام: وإن خفتم ألا تقسطوا في أموال اليتامى فتعدلوا فيها، فكذلك فخافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء التي أوجبها اللَّه عليكم، فلا تتزوجوا منهن إلا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع. وإن خفتم أيضًا في ذلك فواحدة. وإن خفتم في الواحدة، فما ملكت أيمانكم، فترك ذكر قوله: فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في حقوق النساء، بدلالة ما ظهر من قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾.

فإن قال قائل: فأين جواب قوله: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ**﴾؟ قيل: قوله: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم**﴾ غير أن المعنى الذي يدل على أن المراد بذلك ما قلنا قوله: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا**﴾.

س: كم يحل للرجل من الأزواج أن يُكنَّ في عصمته؟ وما الدليل على ذلك؟

ج: يحل للرجل أن يجمع بين أربع نسوة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾

ومن الأدلة أيضًا: إجماع أهل السنة على ذلك فقد نقله عنهم الحافظ ابن حجر وابن كثير وابن قدامة ـ رحمهم اللَّه تعالى.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ **يفيد أن العدد المصرح به في النكاح تسعٌ فكيف استدللتم به على عدم الزيادة على أربع؟**

ج: وجه الاستدلال واضح بحمل (الواو) على أنها بمعنى (أو) أو بمعنى (إما) فالمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء إما مثنى وإما ثلاث وإما أربع، أو تكون بمعنى مثنى أو ثلاث أو أربع.

وقد أورد ابن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ نحو هذا التساؤل في تفسيره ثم أجاب عليه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بنحوٍ مما تقدم، فقال ـ رحمه اللَّه:

وإن قال لنا قائل: قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاحُ أربع، فكيف قيل: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ وذلك في العدد تسع؟

قيل: إن تأويل ذلك: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، إما مثنى إن أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم، وإما ثلاث إن لم تخافوا ذلك، وإما أربع إن أمنتم ذلك فيهن.

يدل على صحة ذلك قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ لأن المعنى: فإن خفتم في الثنتين فانكحوا واحدةً، ثم قال: وإن خفتم أن لا تعدلوا أيضًا في الواحدة فما ملكت أيمانكم.

* * *

س: كيف يُجاب على من قال: إن النبي ﷺ جمع بين تسع نسوة واستدل بذلك على جواز الجمع بين التسع نسوة؟

ج: حمل العلماء هذا على أنه من خصائص رسول اللَّه ﷺ.

قال الشافعي ـ رحمه اللَّه: وقد دلت سنة رسول اللَّه ﷺ المبينة عن اللَّه عز وجل أنه لا يجوز لأحد غير رسول اللَّه ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة. نقله عنه ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ وقال: وهذا الذي قاله الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ مجمع عليه بين العلماء إلا ما حُكي عن طائفة من الشيعة: أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع نسوة إلى تسعٍ، وقال بعضهم: بلا حصر.

قلت (مصطفى): مما يدل على خطأ ما ذكرته هذه الطائفة من الشيعة أنه لم يرد عن أي صحابي من صحابة رسول اللَّه ﷺ ولا عن أحد من التابعين ولا من أتباع التابعين ـ فيما علمنا ـ أنه جمع بين أكثر من أربع نسوة.

س: ما مدى صحة حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي فيه: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير أربعًا منهن؟

ج: هذا حديث ضعيف معلول، لكن عليه عمل العلماء، وقد أخرجه الترمذي[1] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وفصلت القول فيه في كتابي «جامع أحكام النساء»[2].

* * *

(١) الترمذي (حديث ١١٢٨).

(٢) «جامع أحكام النساء» (٣/ ١٢٩).

• مزيد من الأسئلة حول تعدد الزوجات •

س: هل يستحب تعدد الزوجات؟

ج: نعم يستحب تعدد الزوجات ـ مع مراعاة ما سنشير إليه قريبًا إن شاء اللَّه.

أما وجه استحباب تعدد الزوجات فلهذه الأدلة:

• قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾ [النساء: ٣].

• قول عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما[١] لسعيد بن جبير ـ رحمه اللَّه ـ: تزوَّج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء[٢].

• وذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة[٣].

• وقال النبي ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[٤].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٩).

(٢) لهذا الحديث معنيان: **أحدهما**: أن خير هذه الأمة هو نبينا محمد ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام أكثرها نساء فلتتأس به في القدر المباح لك، أي: فلتكن أنت كذلك كثير النساء (أي: الأزواج).

الثاني: أن المراد أن الخيِّر في باب الزواج من أكثر من الزواج، وذلك للمقاصد الشرعية التي تحصل بكثرة الزواج: من إعفاف النفس، وإعفاف النساء، وإكثار الذرية وضم اليتامى، وعصمة الأرامل ونحو ذلك.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٨).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث ١٤٦٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

• وكذلك تقدم حديث رسول اللَّه ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة»[١].

وكل هذه الأدلة تدل على استحباب الإكثار من الزوجات، ومحل ذلك الاستحباب إذا قدر الشخص على العدل بينهن، وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿..فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً..﴾ [النساء:٣]، وذلك إذا أمن الرجل على نفسه الافتتان بهن وعدم تضييع حق اللَّه عليه بسببهن والشغل عن عبادة ربه من أجلهن، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[التغابن:١٤]، وأيضًا يرى الشخص في نفسه المقدرة على إعفافهن وتحصينهن حتى لا يجلب إليهن الشر والفساد، فاللَّه لا يحب الفساد، وقد قال النبي ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»[٢] وأيضًا يكون بوسعه الإنفاق عليهن، فقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم اللَّه من فضله﴾ [الأحزاب:٣٣]، واللَّه تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الشُّبه الأخرى التي تَعَلَّق بها من كره تعدد الزوجات وسعى في منعه، ووضح كيفية دفعها.

ج: من هذه الشبه: دعوى عدم استطاعة العدل بين النساء.

حاصلها: أن اللَّه عز وجل قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

(١) «وفي بضع أحدكم صدقة»، جزء من حديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث١٠٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (حديث ١٤٠٠).

[النساء: ٣]، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩] فقالوا: إن اللَّه عز وجل أمر المؤمنين ـ عند خوف عدم العدل ـ أن ينكحوا واحدة وأكد أنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا فدل ذلك على استحباب الاقتصار على الواحدة.

والجواب عن هذه الشبهة: أن العدل في الآية الأولى أعم وأوسع من العدل في الآية الثانية، فالعدل في الآية الثانية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا...﴾ [النساء:١٢٩] المراد به: محبة القلب والجماع على ما تقدم، أما في الآية الأولى فهو أعم من ذلك فيدخل فيه أصل القسم والمبيت والإنفاق وغير ذلك.

- ومنها: خشية كثرة العيال الذي هو سبب للفقر.

ذهب بعض الناس إلى أن تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء:٣]، قالوا: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم وهذا التفسير قد تقدم عن الشافعي ـ رحمه اللَّه.

ولكن هذا التفسير رُدَّ بأنه لو كان المراد بقوله: ﴿أَلاَّ تَعُولُوا﴾ أن المراد: ألا تكثر عيالكم لمنع اللَّه سبحانه ما ملكت اليمين أيضًا؛ لأنها مصدر الإنجاب، وغير ذلك من الوجوه المتعددة التي رَدَّ بها ابنُ القيم على الإمام الشافعي ـ رحمهما اللَّه ـ وقدمناه عند تفسير هذه الآية. ثم إن اللَّه عز وجل قد كتب لابن آدم رزقه كما قال عز وجل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وكما قال عز وجل: ﴿نحن نرزقك﴾ [طه:١٣٢]، وكما قال نبيه محمد ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك،

ثم يبعث اللَّه ملكًا فيؤمر بكتب رزقه وأجله...»[١] .

• وشبهة ثالثة: ذهب البعض إلى أن الرجل لا يتزوج إلا إذا كان بالأولى عيب أو يبغضها الرجل.

وهذا أيضًا مردود؛ لأن النبي ﷺ تزوج عائشة وسودة بعد خديجة رضي الله عنها وكان يحب عائشة حبًّا جمًّا ومع ذلك فقد تزوج النبي ﷺ بعد عائشة رضي الله عنها سبع نسوة.

• وشبهة رابعة وهي: قول بعض الجهلاء: إنه لا يفعل ذلك إلا الشهواني.

وهذا القول قول سخيف حكايته تغني عن رده، فرسول اللَّه ﷺ أكمل الناس خلقًا ومع ذلك كان يجمع بين تسع نسوة ﷺ، وكذلك كان جم غفير من أصحابه يجمعون بين أكثر من امرأة.

• وشبهة خامسة وهي: دعوى أن هذا ظلم للمرأة.

وهذا القول لا يقوله إلا أهل الإلحاد ومن شايعهم من أهل الزيغ والضلال، فاللَّه حَكَمٌ عدل، قضاؤه عدل، قوله حق وعدل، فهو أعدل العادلين، أرحم الراحمين، ولا يظلم ربك أحدًا، وما اللَّه يريد ظلمًا للعباد، فالذين عطلوا النساء عن التزويج بحجة الاقتصار على الواحدة وعدم ظلم الواحدة هم أظلم الخلق وأضل الخلق، فقصروا الزواج على الواحدة وأباحوا الفاحشة، وأذاعوها بين الرجال والنساء

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ومسلم (حديث ٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

الشباب والشابات ﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [الأنعام: ١٤٤].

* * *

س: ما حكم من تزوج خامسة وعنده أربع؟

ج: هذا الزواج باطل، فقد نقلنا من قبل إجماع أهل السنة على أن الرجل ليس له أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، أما ماذا يُصنع بهذا الذي تزوج خامسة وعنده أربع فلا يحضرني دليل من الكتاب والسنة على الذي يُفعل به، ولكن هذه أقوال بعض أهل العلم نقلها عنهم القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ (٥/ ١٨):

قال مالك والشافعي: عليه الحد إن كان عالمًا، وبه قال أبو ثور، وقال الزهري: يرجم إذا كان عالمًا وإن كان جاهلاً أدنى الحدين الذي هو الجلد، ولها مهرها ويفرق بينهما ولا يجتمعان أبدًا.

وقالت طائفة: لا حد عليه في شيء من ذلك، هذا قول [أبي حنيفة] النعمان.

وقال يعقوب ومحمد: يحد في ذات المحرم ولا يحد في غير ذلك من النكاح، وذلك مثل أن يتزوج مجوسية، أو خمسة في عقدة، أو تزوج متعة، أو تزوج بغير شهود، أو أمة تزوجها بغير إذن مولاها.

وقال أبو ثور: إذا علم أن هذا لا يحل له يجب أن يحد فيه كله إلا التزوج بغير شهود.

وفيه قول ثالث قاله النخعي في الرجل ينكح الخامسة متعمدًا قبل أن تنقضي عدة الرابعة من نسائه: جلد مائة ولا يُنفى. فهذه فتيا علمائنا في الخامسة ـ على ما ذكره ابن المنذر ـ فكيف بما فوقها؟!

* * *

• التفاضل بين النساء في الصداق والوليمة •

س: هل يجب أن يكون صداق الزوجة الثانية نفس صداق المرأة الأولى؟

ج: لا يجب ذلك فلا دليل يلزم بذلك وقد تفاوتت مهور أزواج رسول اللَّه ﷺ.

فأخرج أبو داود بإسناد صحيح[1] عن أم حبيبة رضي الله عنها: أنها كانت تحت عبيد اللَّه بن جحش فمات بأرض الحبشة فزوجها النجاشي النبي ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول اللَّه ﷺ مع شرحبيل بن حسنة.

• وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها[2].

• وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٢٠].

• وقال تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ**﴾ [النساء: ٢٤].

* * *

(١) أبو داود (٢/ ٥٨٣) والنسائي (٦/ ١١٩) وأحمد (٦/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١٢٩) ومسلم (ص ١٠٤٥).

س: هل يجوز للرجل أن يولم على بعض نسائه أكثر من وليمته على الأخرى؟

ج: نعم يجوز ذلك؛ إذ لا دليل يلزم بالتسوية في الوليمة، وقد قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، فقد يكون الرجل موسعًا عليه في يوم ومضيقًا عليه في يوم آخر، فينفق في هذا اليوم أكثر من ذاك.

• وقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت النبي ﷺ أولم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش رضي الله عنها.

* * *

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٣٢) ومسلم (ص ١٠٤٩).

• لكل زوجة بيت •

س: هل يجوز لرجل أن يجمع بين زوجتين في بيت واحد؟

ج: لا يجوز له ذلك إلا برضاهما، فقد كان لكل امرأة من نساء النبي ﷺ بيت تسكن فيه (على قدر سعة الزوج) قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ...**﴾ [الأحزاب:٥٣]. فذكر اللَّه سبحانه أنها بيوت.

وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: «**أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه اللَّه وإن رأسه لبين نَحْري وسحري وخالط ريقه ريقي[1].

أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام فضربتِ التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه[2].

---

(١) البخاري (٥٢١٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٢٢٥).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث صفية بنت حيي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ: أنها جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد (عند باب أم سلمة) مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول اللَّه ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: «**على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي**» فقالا: سبحان اللَّه يا رسول اللَّه! وكبر عليهما فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**»(١).

وأيضًا وجود كل امرأة في بيت أحفظ للعورات من الانكشاف، وقد قال النبي ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**»(٢).

* * *

(١) حديث «إنها صفية...» أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

• القسم بين الزوجات •

س: هل تجب التسوية بين الزوجات في القسم؟

ج: نعم تجب التسوية بين الزوجات في القسم، وذلك للأدلة التالية:

• قول اللَّه تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء:١٩]. وليس مع الميل معاشرة بالمعروف.

• وقال سبحانه: ﴿**فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا**﴾ [النساء:١٣٥].

• وقال عز وجل: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٨].

• وأخرج الإمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ لما تزوجها أقام عندها ثلاثًا وقال: «**إنه ليس بك على أهلك هوان**[1] **إن شئت سبعتُ لك، وإن سبعتُ لك سبَّعتُ لنسائي**»[2].

• وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع.

• وورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من كانت له امرأتان فمال**

---

(١) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: معناه لا يلحقك هوان، ولا يضيع من حقك شيء بل تأخذينه كاملاً. وقال: قال عياض: المراد بأهلك هنا نفسه ﷺ.

(٢) مسلم (١٤٦٠).

إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»[١] لكن إسناده معلول.

• وكان رسول اللَّه ﷺ في مرضه يقول: «أين أنا غدًا؟»[٢] استبطاءً ليوم عائشة، فلو لم يكن القسم واجبًا لذهب إليها عليه الصلاة والسلام.

• ولما خرج رسول اللَّه ﷺ من عند عائشة ليلاً (كما في صحيح مسلم) وتبعته ثم رجعت ورجع بعدها... ذكرت الحديث وفيه: أن النبي ﷺ قال لها: «أظننت أن يحيف اللَّه عليك ورسوله...»[٣] فدل ذلك على على أن خروج الرجل من بيت امرأة إلى بيت المرأة الأخرى ومبيته عندها حيفٌ (أي: ظلم)، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل يقسم الرجل لزوجته في حال مرضها أو حال حيضها؟

ج: نعم يقسم لها وإن كانت مريضة أو حائضًا أو نفساء؛ وذلك لأنه لا دليل يسقط حقها في القسم، وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول اللَّه ﷺ أن يُباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه[٤].

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٣١٣٣) والترمذي (١١٤١) وقد بينت علته في «جامع أحكام النساء» (٣/ ٤٨٣).

(٢) البخاري (حديث ٥٢١٧). (٣) مسلم (ص ٦٦٩).

(٤) البخاري (حديث ٣٠٢) ومسلم (٢٩٣).

س: كيف كان رسول اللَّه ﷺ يقسم لنسائه؟

ج: كان عليه الصلاة والسلام يقسم لكل امرأة من نسائه يومها وليلتها، فقد أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأةٍ منهن يومها وليلتها. . .[1] الحديث.

* * *

س: كيف يقسم الرجل للثيب إذا تزوجها على امرأة أخرى؟ وكيف يقسم للبكر إذا تزوجها على أخرى؟

ج: إذا تزوج الرجل ثيبًا وكانت عنده امرأة أخرى أقام عند الثيب ثلاثًا ثم يقسم بعد ذلك، وإذا تزوج بكرًا وكان عنده امرأة أخرى أقام عند البكر سبعًا ثم قسم.

• وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: من السُّنة إذا تزوَّج الرجل البكر على الثيب أقام عندها سبعًا وقسم، وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثًا ثم قسم.

* * *

س: ما مدى صحة قول القائل: إن الشخص إذا تزوج بكرًا لا يشهد صلاة الجماعة أسبوعًا..؟

---

(١) البخاري (٢٦٨٨).

(٢) البخاري (حديث ٥٢١٤) ومسلم (١٤٦١).

ج: هذا قول باطل لا دليل عليه من كتاب اللَّه ولا من سنة رسول اللَّه ﷺ بل الدليل على خلافه.

قال أبو محمد بن حزم ـ رحمه اللَّه ـ: ولا يحل له في كل ما ذكرنا ـ كانت عنده زوجة غيرها أو لم يكن ـ أن يتخلف عن صلاة الجماعة في المسجد ولا عن صلاة الجمعة، فإن فعل فهي معصية، وجُرمه فيه كسائر الناس ولا فرق.

* * *

س: ما العمل إن زفت امرأتان لرجل في ليلة واحدة؟

ج: قال ابن قدامة ـ رحمه اللَّه ـ (المغني ٧/ ٤٥):

يكره أن يزف إليه امرأتان في ليلة واحدة أو في مدة عقد إحداهما؛ لأنه لا يمكنه أن يوفيهما حقهما، وتستضر التي لا يوفيها حقها وتستوحش، فإن فعل فأدخلت إحداهما قبل الأخرى بدأ بها فوفاها حقها ثم عاد فوفى الثانية ثم ابتدأ القسم، وإن زفت الثانية في أثناء مدة حق العقد أتمه للأولى ثم قضى حق الثانية، وإن أدخلتا عليه جميعًا في مكان واحد أقرع بينهما وقدم من خرجت لها القرعة منهما ثم وفى الأخرى بعدها.

* * *

س: هل يجوز للرجل أن يدخل بيت إحدى نسائه في ليلة الأخرى؟ وهل يجوز له أن يقبلها في ليلة الأخرى أو يومها؟ وهل

يجوز أن يجامع امرأة في ليلة الأخرى؟

ج: أما دخول الرجل بيت إحدى نسائه في ليلة الأخرى فهو جائز، وكذلك يجوز له تقبيلها في ليلة الأخرى، وليس له أن يجامعها في ليلة الأخرى إلا بإذن صاحبة النوبة.

والأدلة على ذلك ما يلي:

● ما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس[1] حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول اللَّه ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل اللَّه تعالى، وفي أشباهها، أراه قال: ﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا** ﴾[2] {النساء: ١٢٨}.

● أما جواز جماع الرجل إحداهن بإذن صاحبة النوبة فشاهده ما أخرجه البخاري[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي

---

(١) أي: من غير جماع.

قال **ابن القيم** ـ رحمه اللَّه ـ «زاد المعاد»: وللرجل أن يدخل على نسائه كلهن في يوم إحداهن ولكن لا يطؤها في غير نوبتها.

وقال الصنعاني ـ رحمه اللَّه ـ: فيه دليل على أنه يجوز للرجل الدخول على من لم يكن في يومها من نسائه والتأنيس لها واللمس والتقبيل.

(٢) أبو داود (٢١٣٥).

(٣) البخاري (٢٦٨).

ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة[١] ، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين.

* * *

س: ما معنى قسم الابتداء؟ وهل يجب؟

ج: صورة قسم الابتداء[٢] الأشهر هي أنه إذا كان لرجلٍ زوجتان أو أكثر فهل يجب عليه أن يقسم لهن ابتداءً أو يجوز له أن يعتزلهن جميعًا، وليس معناه أن يقسم لامرأة ويدع الأخرى فإن هذا الأخير محرم.

• أما هل هو واجب أم لا، فالظاهر لي أنه غير واجب لكن يجب عليه إعفاف نسائه، بمعنى أنه يجوز له أن يعتزلهن جميعًا لكن لا يعتزلهن بصورة توقعهن في العنت.

• أما جواز اعتزالهن جميعًا فقد تقدم أن النبي ﷺ آلى من نسائه شهرًا واعتزلهن في مشربةٍ له.

• أما وجوب إعفافهن فلقول النبي ﷺ: «**إن لزوجك عليك حقًّا**» واللَّه تعالى أعلم.

* * *

(١) في رواية: تسع نسوة.

(٢) وأورد بعض العلماء لقسم الابتداء صورًا أخص من ذلك. واللَّه أعلم.

س: إذا تزوج حرة وأمة كيف يقسم؟

ج: يقسم لهذه يومها وليلتها وللأخرى يومها وليلتها؛ إذ لا دليل على التفريق في القسم بينهما، فالعمل على العمومات القاضية بالعدل بين الزوجات، والله أعلم.

تنبيه: هناك فرق بين الأمة (التي هي مما ملكت يمينه، والأمة التي تزوجها) كما هو واضح، فلا قسم على الرجل فيما ملكت يمينه، فللرجل الدخول على إمائه كيف شاء والاستمتاع بهن إن شاء في أي وقت.

* * *

س: إذا كان للرجل زوجة مسلمة وأخرى كتابية كيف يقسم بينهما؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن القسم بين المسلمة والذمية سواء، فيقسم لهذه يومها وليلتها، ولهذه يومها وليلتها.

ونقل **ابن قدامة** عن **ابن المنذر** قوله: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن القسم بين المسلمة والذمية سواء.

* * *

س: هل لملك اليمين حق في القسم؟

ج: ليس لملك اليمين حق في القسم، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: قوله تعالى: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ يريد الإماء، وهو عطف على

﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: إن خاف ألا يعدل في واحدةٍ فما ملكت يمينه، وفي هذا دليل على أنه لا حق لملك اليمين في الوطء ولا القسم؛ لأن المعنى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ في القسم ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فجعل ملك اليمين كله بمنزلة واحدة فانتفى بذلك أن يكون للإماء حق في الوطء أو في القسم، إلا أن ملك اليمين في العدل قائم بوجوب حُسن الملكة والرفق بالرقيق.

* * *

س: هل يجوز نكاح اليتيمة قبل البلوغ؟

ج: الذي يظهر لي من أقوال العلماء جواز تزويجها قبل البلوغ؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى..﴾ فإذا انتفى الظلم جاز نكاحها، وهذا قول أبي حنيفة ـ رحمه اللَّه ـ نقله عنه القرطبي، ونقل عنه أيضًا قوله: وإنما تكون يتيمة قبل البلوغ، وبعد البلوغ هي امرأة مطلقة لا يتيمة، بدليل أنه لو أراد البالغة لما حطَّها عن صداق مثلها لأنها تختار ذلك فيجوز إجماعًا[1].

ونقل القرطبي عن مالك والشافعي وجمهور العلماء: أن ذلك لا يجوز حتى تبلغ وتستأذن.

قلت: وذلك عندهم لقول النبي ﷺ: «**تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها**»[2].

---

(١) الذي أشار إليه أنه يجوز إجماعًا هو تنازلها عن شيء من الصداق.

(٢) أبو داود (حديث٢٠٩٣) والترمذي (١١٠٩) والنسائي (٦/ ٨٥) بإسنادٍ حسن.

فقالوا: لا معنى لاستئذانها وهي دون البلوغ، وحمل هؤلاء اليتيمة في الآية على أنها الكبيرة التي مات أبوها ولم تتزوج؛ وذلك لأن اللَّه تعالى قال: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾ فالنساء اسم يطلق على الكبيرة كما أن الرجال يطلق على الكبار من الذكور (أعني البالغين) فقوله إذن: ﴿**فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾ يُفيد أنهن البوالغ اللائي بلغن من النساء.

ولا يخفى ما في هذا من تكلف، وهو وحده ليس بكفيل ولا بكافٍ لمنع اليتيمة من التزوج قبل البلوغ، إذا زوجها وليها كجدها أو عمها أو أخيها واختار لها الكفء.

وقال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

ويؤخذ أيضًا من هذه الآية جواز تزويج اليتيمة إذا أعطيت حقوقها وافية، وما قاله كثير من العلماء من أن اليتيمة لا تزوج حتى تبلغ، محتجين بأن قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ**﴾ اسم ينطلق على الكبار دون الصغار، فهو ظاهر السقوط؛ لأن اللَّه صرح بأنهن يتامى، بقوله: ﴿**فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾ وهذا الاسم أيضًا قد يطلق على الصغار، كما في قوله تعالى: ﴿**يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ وهن إذ ذاك رضيعات، فالظاهر المتبادر من الآية جواز نكاح اليتيمة مع الإقساط في الصداق، وغيره من الحقوق، ودلت السنة على أنها لا تجبر، فلا تزوج إلا برضاها، وإن خالف في تزويجها خلق كثير من العلماء.

• وأخرج الإمام أحمد[1] بسند حسنٍ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: توفي عثمان بن مظعون وترك ابنة له من خويلة بنت حكيم ابن أمية بن حارثة بن الأوقصي قال: وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون، قال عبد اللَّه: وهما خالاي. قال: فخطبتُ إلى قدامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوجنيها، ودخل المغيرة بن شعبة ـ يعني إلى أمها ـ فأرغبها في المال فحطت إليه، وحطت الجارية إلى هوى أمها، فأبيا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول اللَّه ﷺ فقال قدامة ابن مظعون: يا رسول اللَّه، ابنة أخي أوصى بها إليَّ، فزوجتها ابن عمتها عبد اللَّه بن عمر، فلم أقصر بها في الصلاح، ولا في الكفاءة، ولكنها امرأة وإنما حطت إلى هوى أمها، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هي يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها**» قال: فانتُزعت واللَّه مني بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة.

* * *

س: في الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى..﴾ دليل على سد الذرائع، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك: أن تعدد الزوجات لما كان يحمل في بعض الأحيان علي الظلم والجور أمر اللَّه بالاقتصار على واحدة إذا خشي الشخص ألا يعدل، فهذا وجهٌ.

ووجه آخر: أن الإكثار من تعدد الزوجات قد يحمل الشخص على زيادة الإنفاق فيتجه من ثمَّ إلى أموال اليتامى فيأكل منها، فقيل

(١) أحمد (٢/ ١٣٠).

حينئذٍ: إذا خشيتم من ظلم اليتامى والأكل من أموالهم فاقتصروا على زوجةٍ واحدة كي لا تمتد أيديكم إلى المحرم.

فالذريعة الموصلة إلى الجور والظلم قد سُدَّتْ، والذريعة الموصلة إلى أكل أموال اليتامى سُدَّتْ أيضًا، وثمَّ وجوه أُخر.

* * *

س: على أي أساس نصبت (واحدةً) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وهل لرفعها وجه من المعاني؟

ج: نصبت على المفعولية، فالمعنى: فإن خفتم ألا تعدلوا إن أنتم تزوجتم اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا فانكحوا واحدةً.

هذا ولرفعها وجهٌ، وهو فواحدةٌ كافيةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿**فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان**﴾ أي: فرجلٌ وامرأتان يكفيان ويقومان مقام الرجلين الشاهدين، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما المراد بالعدل في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾؟

ج: المراد بالعدل: العدل في أصل القسمة والمبيت والإنفاق ونحو ذلك.

* * *

س: هل يجب العدل بين الإماء؟

ج: إذا كان عند الرجل إماء فالعدل بينهن مستحب وليس بواجب

ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ أي: بين النساء الحرائر ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: زوجة واحدة من الحرائر ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وذلك لكون العدل بينهن غير واجب، ومن ثمَّ فالشخص غير مؤاخذ على عدم العدل بينهن، أما قولنا باستحبابه؛ فلإعفافهن وجبر خواطرهن، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾؟

ج: المعنى واللَّه أعلم: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الاقتصار على زوجة واحدة أو ما ملكت أيمانكم من الإماء ﴿أَدْنَى﴾ أي أقرب إلى العدل وعدم الجور والظلم والميل.

فتفسير ﴿تَعُولُوا﴾: أي تميلوا وتجوروا. وهذا القول هو الذي عليه جمهور العلماء.

وثم قول آخر: وهو ذلك الاقتصار على واحدة أقرب إلى قلة العيال، ومن ثمَّ أقرب إلى قلة النفقة، ومن ثمَّ أقرب إلى عدم الفقر، فالزوجة الواحدة أخف مؤنةً من الزوجتين، والزوجتان أخف من الثلاث، والثلاث أخف من الأربع.

وبشيء من التفصيل. **فلأهل العلم قولان:**

أحدهما: ما ذهب إليه الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ وبعض أهل العلم إلى أن المراد: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم، واستُدلَّ لهذا القول بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقرًا ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن

فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٢٨]، وبقول الشاعر:

وما يدري الفقيرُ متى غِناه وما يدري الغنيُّ متى يَعِيل

ولكن في هذا التأويل ها هنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعدد الحرائر فكذلك يخشى من تعدد السراري أيضًا.

والصحيح في هذا هو قول الجمهور وهو:

الثاني: ﴿أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء:٣] أي: لا تجوروا، يقال: عال في الحكم، إذا قسط وظلم وجار، قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

بميزان قسطٍ لا يُخيس شعيرة له شاهد من نَفْسِهِ غيرُ عائِلِ

وقد ردَّ ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما ذهب إليه الإمام الشافعي من عشرة أوجه بعضها فيه نظر، والبعض الآخر يسلم له، فقال رحمه اللَّه (التفسير القيم ص٢١٩):

قال الشافعي: أي لا يكثر عيالكم فدل على أن كثرة العيال أدنى. قيل: قد قال الشافعي ذلك، وخالف جمهور المفسرين من السلف والخلف، وقالوا: معنى الآية: ذلك أدنى ألا تجوروا ولا تميلوا، فإنه يقال: عال الرجل يعول عولاً، إذا مال وجار، ومنه عول الفرائض؛ لأن سهامها زادت، ويقال: عال يعيل عيلة إذا احتاج، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٢٨].

وقال الشاعر:

وما يدري الفقيرُ متى غِناه وما يدري الغنيُّ متى يَعِيل

أي: متى يحتاج ويفتقر، وأما كثرة العيال فليس من هذا، ولا من

هذا، ولكنه من أفعل يقال: أعال الرجل يعيل إذا كثر عياله، مثل ألبن وأتمر إذا صار ذا لبن وتمر، هذا قول أهل اللغة، قال الواحدي في «بسيطه»: ومعنى تعولوا: تميلوا وتجوروا عند جميع أهل التفسير واللُّغة، وروى ذلك مرفوعًا، روت عائشة عن النبي ﷺ: ﴿أَلاَّ تَعُولُوا﴾ قال: «لا تجوروا» وروي «ألا تميلوا» قال: وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي وابن مالك وعكرمة والفراء والزجاج وابن قتيبة وابن الأنباري.

قلت: (والقائل ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ): ويدل على تعيين هذا المعنى من الآية، وإن كان ما ذكره الشافعي لغة حكاه الفراء عن الكسائي قال: ومن الصحابة من يقول: عال يعول إذا كثر عياله، قال الكسائي: وهي لغة فصيحة سمعتها من العرب، لكن يتعين القول الأول لوجوه:

أحدها: أنه المعروف في اللغة الذي لا يكاد يعرف سواه، ولا يُعرف عال يعول إذا كثر عياله إلا في حكاية الكسائي، وسائر أهل اللغة على خلافه.

الثاني: أن هذا مروي عن النبي ﷺ، ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح[1].

الثالث: أنه مروي عن عائشة وابن عباس ولم يعلم لهما مخالف من المفسرين، وقد قال الحاكم أبو عبد اللَّه: تفسير الصحابة عندنا في

(١) الذي أراه أنه لا يصلح للترجيح ما دام من الغرائب.

حكم المرفوع[١] .

الرابع: أن الأدلة التي ذكرناها على استحباب تزوج الولود، وإخبار النبي ﷺ أنه يكاثر بأمته الأمم يوم القيامة يرد هذا التفسير.

الخامس: أن سياق الآية إنما هو في نقلهم مما يخافون من الظلم والجور فيه إلى غيره، فإنه قال في أولها: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء:٣]، فدلهم سبحانه على ما يتخلصون به من ظلم اليتامى، وهو ما طاب لهم من النساء البوالغ، وأباح لهم منهن أربعًا، ثم دلهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم في عدم التسوية بينهن فقال: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء:٣]، ثم أخبر سبحانه أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور، وهذا صريح في المقصود.

السادس: أنه لا يلتئم قوله: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا**﴾ في الأربع فانكحوا واحدة أو تسروا بما شئتم بملك اليمين فإن ذلك أقرب إلى أن تكثر عيالكم، بل هذا أجنبي من الأول فتأمله.

السابع: أنه من الممتنع أن يقال لهم: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين الأربع فلكم أن تتسروا بمائة سرية وأكثر فإنه أدنى ألا تكثر عيالكم.

الثامن: أن قوله: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا**﴾ تعليل لكل واحد من

---

(١) الراجح أن تفسير الصحابة ليس له حكم الرفع، وكيف يُقال: إن له حكم الرفع وقد تعددت أقوال الصحابة في تفسير الآية الواحدة، وانظر لذلك كتب مصطلح الحديث، تتأكد أن تفسير الصحابي ليس له حكم الرفع إلا أن بعضهم استثنى ما كان من أسباب النزول؛ لأن الصحابي حينئذ ناقل، والله أعلم.

الحكمين المتقدمين وهما نقلهم من نكاح اليتامى إلى نكاح النساء البوالغ، ومن نكاح الأربع إلى نكاح الواحدة أو ملك اليمين، ولا يليق تعليل ذلك بقلة العيال.

التاسع: أنه سبحانه قال: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا**﴾ ولم يقل: إن خفتم ألا تفتقروا أو تحتاجوا، ولو كان المراد قلة العيال لكان الأنسب أن يقول ذلك.

العاشر: أنه سبحانه ذكر حكمًا منهيًّا عنه وعلل النهي بعلته، أو أباح شيئًا وعلَّق إباحته بعلة فلا بد أن تكون العلة مضادة لضد حكم المعلل، وقد علل سبحانه إباحة نكاح غير اليتامى والاقتصار على الواحدة أو ملك اليمين بأنه أقرب إلى عدم الجور، ومعلوم أن كثرة العيال لا تضاد حكم المعلل؛ فلا يحسن التعليل به. واللَّه أعلم.

* * *

• مسائل في أبواب الصداق •

وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾

س: اذكر معنى ما يأتي:

(آتوا ـ صَدُقاتهن ـ نِحلةً ـ طِبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا ـ هنيئًا ـ مريئًا).

ج:

الكلمة	معناها
آتوا	أعطوا.
صدقاتهن	مهورهن.
نحلة	فريضةً واجبة[1] ـ عطية واجبة، من قولك: نحلتُ فلانًا نحلة أي: أعطيته عطية. ديانةً ـ عطاءً بلا عِوض ـ عطاءً غير مُسترد بحيلة تلجئهن إلى الرد.

(١) ورد عن قتادة عند الطبري (أثر ٨٥٠٦) بإسناد حسن أنه قال: نحلةً: أي: فريضةً، وصح عن ابن زيدٍ عند الطبري كذلك (٨٥٠٩) أنه قال في قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهم نحلة﴾ قال: ﴿النحلة) في كلام العرب الواجب، يقول: لا ينكحها إلا بشيء واجب لها، صدقة يسميها لها واجبة، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة ـ بعد النبي ﷺ ـ إلا بصداق واجب، ولا ينبغي أن تكون تسمية الصداق كذبًا بغير حقٍ.

طبن لكم عن شيء منه نفسًا	طيبن أنفسهن بإعطائكم ـ أعطينكم عن طيب نفس أي: عن رضى ـ لسن مضطرات إلى الإعطاء لشراسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم والخوف من شركم ـ أعطينكم من غير ضرارٍ ولا خديعة.
هنيئًا	الهنيء هو المستلذ ـ أي ما يُتلذذ به عند أكله.
مريئًا	حسن العاقبة ـ لا تعقبه آثار سيئة ـ لا ينغصه شيءٌ ـ تام الهضم الذي لا يضر.

* * *

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ موجهٌ لمن؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الخطاب موجه للأزواج، بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الخطاب موجه للأولياء، وهذا الأخير له صورتان:

إحداهما: أن الولي كان يستأثر بالصداق دون المرأة.

والثاني: أن الرجل كان يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته ليس بينهما صداق، إنما صداق هذه صداق لتلك، وهذه وتلك محرومتان من الصداق.

وهذا وإن كان واردًا إلا أن الجمهور ذهبوا ـ كما تقدم ـ إلى أن الخطاب

للأزواج وانتصر الطبري لذلك بقوله:

يعني بذلك تعالى ذكره: وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة، ثم قال بعد أن أورد أقوالاً:

وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك، التأويل الذي قلناه، وذلك أن اللَّه تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صُرِف عنهم إلى غيرهم. فإذْ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿**آتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ**﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة؛ لأنه قال في أول الآية: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ ولم يقل: «فأنكحوا»، فيكون قوله: ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ**﴾ مصروفًا إلى أنه معنيّ به أولياء النساء دون أزواجهن.

وهذا أمرٌ من اللَّه أزواج النساء المدخول بهن والمسمَّى لهن الصداق أن يؤتوهن صدُقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمَّ لها في عقد النكاح صداق.

* * *

س: من النساء المعنيات بقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾؟

ج: النساء المعنيات هنا هن اللائي يراد التزوج بهن.

س: هل الصداق واجب؟

ج: نعم، واجب. وقد نقل القرطبي الإجماع على وجوبه، ومن الأدلة على وجوبه ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أي: فريضة.
- وقوله تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥].
- وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

* * *

س: هل هناك حد لأكثر المهر؟ وهل هناك حدٌّ لأقله؟

ج: ليس هناك حدٌّ لأكثر المهر، **قال القرطبي:** وأجمع العلماء أنه لا حد لكثيره.

قلت (مصطفى): ولا أعلم حدًّا لأقله، وأقل الذي وجدته في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: إني لفي القوم عند رسول اللَّه ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول اللَّه، إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فلم يُجبها شيئًا، ثم قامت فقالت: يا رسول اللَّه، إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا، ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فقام رجل فقال: يا رسول اللَّه أنكحنيها، قال: «**هل عندك من**

(١) البخاري (٥١٤٩)، ومسلم (ص٥٨٤).

شيء؟» قال: لا، قال: «**اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد**». فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدت شيئًا ولا خاتمًا من حديد. قال: «**هل معك من القرآن شيء؟**» قال: معي سورة كذا وسورة كذا، قال: «**اذهب فقد أنكحتكها بما معك**[1] **من القرآن**».

وفي رواية لمسلم: «**انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن**».

* * *

(١) هذه اللفظة تحتمل وجهين:

أولهما: أن يعلمها ما معه من القرآن كصداق لها، ويؤيد هذا القول زيادة؛ «فعلمها من القرآن» التي رواها مسلم من طريق زائدة، وإن كان تفرُّد زائدة بها لا يطمئن لصحتها إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر له شواهد في «الفتح» (٩/ ٢٠٨) ومن ثمَّ صححها في «الفتح» (٩/ ٢١٢).

ثانيهما: أي: زوجتكها من أجل ما معك من القرآن إكرامًا لك وتشريفًا لك بحفظك القرآن. واللَّه تعالى أعلم.

وبالنظر إلى هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ لم يزوِّج الرجل بالقرآن إلا بعد ظهور إفلاس الرجل، وأنه لا يملك ولا خاتمًا من حديد فعندئذ زوجه النبي ﷺ بما معه من القرآن، فمن ثمَّ إذا كان بوسع الرجل أن يُصدِق المرأة شيئًا فلا يُعدل عن الصداق المالي إلى القرآن، ومن ثم ورد عن بعض أهل العلم كراهية جعل القرآن صداقًا، وهو رواية عن أحمد وغيره.

هذا ويجوز أن يصدقها تعليم صناعة ونحو ذلك، قاله ابن قدامة في «المغني».

وقد قال سحنون كما في «المدونة»: أرأيت رجلاً تزوج امرأة على شوار بيت وخادم أيجوز في قول مالك؟ قال (أي ابن القاسم): نعم، وقال أيضًا: فإن تزوجها على عرض من العروض موصوف ليس بعينه ولم يضرب لذلك أجلاً أيجوز في قول مالك هذا النكاح؟ قال: نعم هو جائز.

س: هل يجوز أن يكون إسلام شخص صداقًا؟

ج: نعم، يجوز ذلك، وذلك لما أخرجه النسائي[١] من حديث أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: واللَّه ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذاك مهرها.

قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم، الإسلام، فدخل بها فولدت له.

وفي رواية أخرى[٢] عن أنس قال: تزوج أبو طلحة أم سليم، فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة فخطبها فقالت: إني قد أسلمتُ فإن أسلمتَ نكحتك، فأسلم فكان صداق ما بينهما.

* * *

س: هل يجوز أن يكون العتق صداقًا؟

ج: نعم، يجوز أن يكون العتق صداقًا، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها.

* * *

س: ما حكم من تزوجت ولم يفرض لها زوجها صداقًا حتى مات؟

---

(١) النسائي (٦/ ١١٤).
(٢) النسائي (٦/ ١١٤).
(٣) البخاري (مع الفتح ٩/ ١٢٩)، ومسلم (١٠٤٥).

ج: لها مهر مثلها، وذلك لما أخرجه أحمد[١] وغيره من طريق علقمة قال: أُتي عبد اللَّه في امرأة تزوجها رجل ثم مات عنها ولم يفرض لها صداقًا ولم يكن دخل بها، قال: فاختلفوا إليه فقال: أرى لها مثل صداق نسائها، ولها الميراث وعليها العدة، فشهد معقل بن سنان الأشجعي أن النبي ﷺ قضى في بروع ابنة واشق بمثل ما قضى.

* * *

س: صداق المرأة هل هو حق لها أم حق لأوليائها؟

ج: صداق المرأة حق لها، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن..**﴾، ولقوله تعالى: ﴿**فآتوهن أجورهن..**﴾، ولقول النبي ﷺ: «**فلها الصداق بما استحللت من فرجها**»[٢].

قال ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ[٣]:

ولا يحل لأب البكر صغيرة كانت أو كبيرة أو الثيب ولا لغيره من سائر القرابة أو غيرهم حُكمٌ في شيء من صداق الابنة أو القريبة، ولا لأحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئًا منه لا للزوج طلق أو أمسك ولا لغيره، فإن فعلوا شيئًا من ذلك فهو مفسوخ باطل مردود أبدًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٠)، وأبو داود (٥/ ٢١١٤)، وغيرهما وسنده صحيح.

(٢) أخرج البخاري (٩/ ٤٥٧)، ومسلم (٣/ ٧١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال للمتلاعنين: «حسابكما على اللَّه أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها» قال: مالي. قال: «لا مال لك! إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فذلك أبعد لك».

(٣) «المحلى» (٩/ ٥١١).

ولها أن تهب صداقها أو بعضه لمن شاءت ولا اعتراض لأب ولا لزوج في ذلك، هذا إذا كانت بالغة عاقلة وبقي لها بعده غنى وإلا فلا، ومعنى قوله عز وجل: ﴿**فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾ إنما هو أن المرأة إذا طلقها زوجها قبل أن يطأها وقد كان سمى لها صداقًا رضيته فلها نصف صداقها الذي سمى لها إلا أن تعفو هي فلا تأخذ من زوجها شيئًا منه وتهب له النصف الواجب لها، أو يعفو الزوج فيعطيها الجميع فأيهما فعل ذلك فهو أقرب للتقوى.

ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ الخلاف في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾ واختار أنه الزوج أيضًا كما قدمنا.

* * *

س: هل هبة المرأة لزوجها جائزة؟

ج: نعم، هبة المرأة لزوجها جائزة لقوله تعالى: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ وبه قال جمهور الفقهاء كما نقل عنهم القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ قال: وضع مالك من هبة البكر الصداق لزوجها وجعل ذلك للولي.

قلت: ولعل وجه قول مالك في حالة ما إذا كانت الزوجة سفيهة ولم تكن برشيدة، واللَّه أعلم.

وقال أبو محمد بن حزم[1] **ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:** ولها أن تهب صداقها أو بعضه لمن شاءت ولا اعتراض لأب ولا لزوج في ذلك، هذا إذا كانت

(١) «المحلى» (٩/ ٥١١).

بالغة عاقلة، وبقي لها بعده غنىً، وإلا فلا.

* * *

س: ما المراد بالأكل في قوله تعالى: ﴿فكلوه﴾؟

ج: المراد بالأكل الاستباحة، فالمعنى: فاستبيحوه وأنفقوه، بمعنى أنه يباح لكم التصرف فيه.

* * *

س: لماذا عُبِّر عن الاستباحة بالأكل في قوله تعالى: ﴿فكلوه﴾؟

ج: ذلك والله أعلم؛ لأن الأكل أوفى أنواع التمتع بالمال، فعُبِّر عن التصرفات بالأكل، ولذلك نظائر في كتاب الله، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فليس البيع فقط هو الذي يترك، وإنما يترك جميع ما يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ولما كان أعظم ذلك عندهم هو البيع قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

* * *

س: ما مدى صحة حديث: «لا يحل مال امرئ مسلمٍ إلا بطيب نفس منه»؟

ج: هذا حديث صحيح بمجموع طرقه[1]، وقد أخرجه الإمام أحمد

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٧٢)، والبيهقي (٨/ ١٨٢)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، وله شواهد انظر «المسند» (٥/ ٤٢٥)، و(٥/ ١١٣).

وغيره من طريق أبي حميد الساعدي رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ وله طرق أخرى عن رسول اللَّه ﷺ .

* * *

س: هل يجوز للمرأة أن ترجع في هبتها التي وهبتها لزوجها؟

ج: إذا كانت قد أعطته بنفس طيبة وهو غير مضار لها ولا خادع فلا رجعة لها فيما وهبت ما دام أن ذلك لا يشق عليها، أما إذا خدعها أو ضارَّها حتى أعطته ولم تطب نفسًا بهذا العطاء فلها أن ترجع، واللَّه أعلم.

● وكذلك إذا كان ما أعطته يؤثر عليها ويشق فإن لها أن ترجع فيه، فلا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها، فمثلاً امرأة وهبت يومها لضرتها أو لزوجها، ثم بدا لها أنها تضررت أو خافت العنت على نفسها فلها أن ترجع في ذلك، واللَّه تعالى أعلم.

● وكذلك إذا وهبته هبة تريد من ورائها ثوابًا تعارف عليه الناس، أو تعارفت هي عليه مع زوجها فلم يعطها ذلك الثواب فلها أن ترجع أيضًا، والعلم عند اللَّه تبارك وتعالى.

ومما يدل على ما سبق قول النبي ﷺ : «**ليس لنا مثل السوء، الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه**»[1] .

● **وقد صح عن عمر** رضي الله عنه قال: من وهب هبةً لذي رحم فهي جائزة، ومن وهب لغير ذي رحم فهو أحق بها ما لم يثب منها[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٢٢). (٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٧٢).

• **وصح عن ابن المسيب** كذلك أنه قال: من وهب هبة لغير ذي رحم فله أن يرجع ما لم يثبه[١].

• **وصح عن شريح**[٢] أن امرأة جاءت تخاصم زوجها في صدقة تصدقت عليه من صداقها فقال شريح: لو طابت نفسها لم تجيء تطلبه فلم تجزه.

• **وقال الشافعي**[٣] : وإذا تصدقت المرأة على زوجها بشيء أو وضعت له من مهرها أو من دين كان لها عليه فأقامت البينة أنه أكرهها على ذلك، والزوج في موضع القهر للمرأة أبطلت ذلك كله عنها.

• **وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية**[٤] ـ رحمه اللَّه ـ عن رجل طلَّق زوجته وسألها الصلح فصالحها وكتب لها دينارين فقال لها: هبيني الدينار الواحد فوهبته، ثم طلقها، فهل لها الرجوع في الهبة والحال هذه؟

فأجاب رحمه اللَّه: نعم، لها أن ترجع فيما وهبته والحال هذه؛ فإنه سألها الهبة وطلقها مع ذلك، وهي لم تطب نفسها أن يأخذ مالها بسؤالها ويطلقها، واللَّه أعلم.

* * *

س: في شرعنا رُفع الحرج في التعاملات بين الناس خاصة الذين بينهم تداخل في معايشهم وضح بعض الأدلة على ذلك.

(١) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٥).

(٢) عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٥٦٠).

(٣) «الأم» (٣/ ٢٨٣).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣١/ ٢٩٠).

ج: • من ذلك: رفع الحرج عن الرجل إذا أهدت له زوجته هدية أو وهبت له هبة عن طيب نفس، فله حينئذ أن يقبلها ولا يتحرج من ذلك، لقوله تعالى: ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾.

• ومن ذلك: رفع الحرج عن ولي اليتيم إذا كان فقيرًا أو اختلط ماله بمال اليتيم، أن يأكل من مال اليتيم بقدر قيامه عليه غير مُفسدٍ ولا مبذرٍ.

• ومن ذلك: رفع الحرج عن الشخص في الأكل من بيت أبيه أو بيت أمه...، كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا** ﴾ الآية [النور: ٦١].

* * *

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي: (السفهاء ـ قيامًا ـ وارزقوهم فيها).

ج:

الكلمة	معناها
السفهاء	ضعاف العقول الذين لا يحسنون التصرف ـ من يستحقون الحجر عليهم ويدخل فيهم الصغار، والنساء اللاتي لا يحسن التصرف، والأيتام أيضًا، وكذلك من لا أمانة لهم كالكفار والفساق[1]
قيامًا	قيامًا لمعايشكم، أي: تقوم به معايشكم تتعيشون بها.
وارزقوهم فيها	وارزقوهم منها.

* * *

(١) ولذلك كره بعض أهل العلم أن يوكِل مسلمٌ ذميًّا في البيع والشراء.

س: لمن وُجِّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن الخطاب موجهٌ للأولياء، فيكون المعنى: يا أيها الأولياء لا تؤتوا من هم تحت ولايتكم ـ وهم سفهاء ـ أموالهم.

والثاني: أنه خطاب للآباء، فنهى اللَّه الآباء أن يدفعوا أموالهم إلى الأبناء إذا كان الأبناء سفهاء لا يحسنون التصرف في المال ولا يحفظونه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ فيها الحجر على السفيه، اذكر آية أخرى يؤخذ منها الحجر على السفيه كذلك.

ج: يؤخذ الحجر على السفيه أيضًا من قوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**﴾.

* * *

س: هل يجوز الحجر على الكبير البالغ؟

ج: يجوز الحجر على الكبير البالغ إذا كان سفيهًا ومبذرًا للمال ومفسدًا له؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾ [النساء: ٥]، وبهذا قال الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى.

* * *

س: من مقاصد الشريعة حفظ المال اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٩].

● وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧].

● وقول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [النساء: ٥].

● وقول النبي ﷺ: «إن اللَّه كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[1].

● وقد أمر اللَّه سبحانه وتعالى بالكتابة والإشهاد في مسألة الديون، وذلك لحفظ المال أيضًا.

* * *

س: لماذا أُضيفت الأموال إلى المخاطبين في قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ مع أن بعض المفسرين ذكر أن المراد بها أموال السفهاء؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص ١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب: «... كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

ج: تنزلاً على هذا الرأي للمفسرين، فإن الأموال أُضيفت للمخاطبين لكونها بأيديهم وهم المتصرفون فيها القائمون عليها، فمن ثمَّ نسبت إليهم، وذلك نحو قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ونحو قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] واللَّه أعلم.

* * *

س: اذكر بعض من يُحجر عليهم.

ج: يحجر عمومًا على من لا يُحسن التصرف:

فالصغير يُحجر عليه لصغره، والمجنون يُحجر عليه لجنونه، والمفلس والمدين الذي يكثر من الاستدانة وإضاعة أموال الناس يُحجر عليه كذلك، فيُنزعُ ما بيده لغرمائه، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك، وذات الزوج محجور عليها لحق الزوج، فقد أمرت الزوجة بالاستئذان في مواطن، والبكر في حق نفسها، فقد قال النبي ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي**»[1] ويدخل في ذلك الثيب أيضًا.

* * *

س: هل يُحجر على من أتلف ماله في القربات؟

ج: الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أنه إذا كان ينفق أمواله في القربات ويضيع حقوقًا هي عليه واجبة ويتمادى في ذلك، فإنه يحجر عليه، تعاونًا معه

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا وله شواهد ذكرتها في كتاب «جامع أحكام النساء» (٣/ ٣١٧).

على البر والتقوى، وقد حكى القرطبي وجهين لأصحابه في الحجر على من ينفق ماله في القربات، فمنهم من حجر عليه، ومنهم من لم يحجر عليه.

قلت (مصطفى): وأما من ينفق ماله في القربات غير مضيع لحقوق اللَّه ولا لحقوق العباد، فلا بأس بذلك، فإن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين... رجل آتاه اللَّه مالاً فسلطه على هلكته في الحق..**»[1].

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾.

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم منها:

- لا تعطوهم أموالكم فيفسدوها وتبقوا بلا شيء.
- لا تسلموهم أموالهم وهم صغار فلا يحسنوا التصرف فيها.
- لا تدفع مالك إلى سفيه فيتاجر فيه.
- لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك إلى امرأتك وابنك وتبقى فقيراً تنظر إليهم، وإلى ما في أيديهم، بل كن أنت الذي ينفق عليهم.

* * *

س: دلَّ قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ على ثبوت الوصاية والولاية، وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى: ﴿**الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾ أي: التي

(١) البخاري (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥).

جعلكم اللَّه قائمين عليها فثبت بذلك القوامة والوصاية على الأموال.

* * *

س: نفقة الرجل على زوجته وأولاده هل هي واجبة؟

ج: نعم هي واجبة بالإجماع، نقل هذا الإجماع القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وكذا ابن المنذر ـ رحمه اللّه ـ وأيضًا فقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ**﴾ وقال تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق:٧] وقال النبي ﷺ: «**وابدأ بمن تعول**»[١]. وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[٢].

وأخرج أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية القشيري قال: قلت: يا رسول اللَّه، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت**»[٣].

* * *

س: ما مقدار نفقة الزوج على زوجته؟

ج: تقدر نفقة الزوجة بما يكفيها بالمعروف من غير إضرار بها ولا بالزوج لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ ولقول رسول اللَّه ﷺ: «.. **لهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»؛ ولقول اللَّه تبارك

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٢).

وتعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾.

● وذهب بعض العلماء إلى أن العبرة بحال الزوجة؛ لقول النبي ﷺ لهند: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[1] والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن حال كلٍّ من الزوجين داخل في الاعتبار.

* * *

س: إلى كم ينفق الرجل على أولاده وبناته؟

ج: قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ (فتح الباري)[2]:

... وقال ابن المنذر: اختلف في نفقة من بلغ من الأولاد ولا مال له ولا كسب، فأوجبت طائفة النفقة لجميع الأولاد أطفالاً كانوا أو بالغين، إناثًا وذكرانًا إذا لم يكن لهم أموال يستغنون بها.

وذهب الجمهور إلى أن الواجب أن ينفق عليهم حتى يبلغ الذكر أو تتزوج الأنثى، ثم لا نفقة على الأب إلا إذا كانوا زمني، فإن كانت لهم أموال فلا وجوب على الأب، وألحق الشافعي ولد الوالد وإن سفل بالولد في ذلك.

* * *

(١) البخاري (٥٣٦٤) ومسلم (١٣٣٩).

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٥٠٠).

س: ما مدى صحة هذه الأحاديث:

١ ـ «إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيمها».

٢ ـ «ثلاثة يدعون اللَّه فلا يستجيب لهم، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيهًا، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، ورجل كان له على رجل دينٌ فلم يُشهد عليه»؟

ج: أما الحديث الأول: فهو ضعيف ففي إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

وكذلك الحديث الثاني: ضعيف أيضًا، فقد أخرجه الحاكم في المستدرك[1] من طريق معاذ بن معاذ، عن شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى مرفوعًا، وهذا خطأ، فقد رواه الجماعة عن شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى موقوفًا عليه، ليس مرفوعًا إلى رسول اللَّه ﷺ، وقد أخرجه موقوفًا الطبري في تفسيره[2].

* * *

س: لماذا قيل في الآية الكريمة: ﴿ارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل: وارزقوهم منها؟

ج: أشار غير واحد من أهل العلم إلى أن النكتة من ذلك هي: أن المال ينبغي أن يُتاجر فيه، وأن يُثمر ويُنمَّى بتجارةٍ أو صناعة أو زراعة فيبقى

(١) «المستدرك» (٢/ ٣٠٢).

(٢) الطبري (أثر ٨٥٤٤).

أصل رأس المال وينفق من الأرباح، وهذا وجه ذكر ﴿ارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ بدلاً من (وارزقوهم منها)، واللَّه تعالى أعلم.

هذا وكما أشرنا من قبل إلى أن بعض العلماء يرى أن (فيها) بمعنى منها، فحروف الجر تتناوب، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الأدب المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾، واذكر آية في معناها.

ج: أما الآية التي في معناها فهي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾.

أما الأدب المأخوذ من ذلك: فمنه تليين الخطاب والوعد الجميل، وإن منعتهم من العطاء، فمع منعنا العطاء ندعو لهم بالبركة ونعدهم الوعد الجميل، ونؤمل لهم بالخير، فيُقال لهم: إذا بلغتم الحلم سنُعطيها لكم، وإنَّا حافظوها لكم الآن من الضياع، ونحو ذلك، كأن يقول الأب لابنه: مالي سيصير إليك، وأنت إن شاء اللَّه تعالى صاحبه، ويقول ولي اليتيم: أنا أحافظ لك على مالك وأنميه لك. ومن ذلك أيضًا الدعاء لهم بقولك: بارك اللَّه فيكم، حفظكم اللَّه.. ونحو ذلك.

ففي الآية إذن كل ما يصدق عليه القول الجميل، ففيها إرشادٌ إلى حُسن الخلق مع الأهل والأولاد، والأيتام المكفولين.

ويدخل في القول الجميل: الوعظ والنصح والحث على الصلاة والتنفير من التبذير والإسراف، واللَّه تعالى أعلم.

• مزيد من الأسئلة حول الأيتام •

وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

س: اذكر معنى كلٍّ مما يلي:

(ابتلوا ـ آنستم ـ رشدًا ـ إسرافًا ـ بدارًا ـ حسيبًا).

ج:

الكلمة	معناها
ابتلوا	اختبروا، والمراد اختبار العقول والأفهام وصلاح الدين والدنيا.
آنستم	علمتم ـ عرفتم ـ أبصرتم.
رشدًا	صلاحًا في العقل والدين وإصلاح الأموال. وقال بعض العلماء صلاحًا في العقل ومقدرة على إصلاح الأموال.
إسرافًا	تجاوزًا للحد، فهو للإسراف في الأكل من أموال الأيتام.

بدارًا أن يكبروا	مبادرةً قبل بلوغهم ـ مسابقةً لبلوغ الأيتام ـ فالبدار هو المبادرة والمسارعة إلى الأكل من أموال الأيتام قبل أن تنتقل إلى اليتيم عند بلوغه بعد رشده. وبدارًا أن يكبروا: المبادرة بأكل أموال الأيتام قبل أن يبلغوا.
حسيبًا	شهيدًا ـ حاسبًا لأعمالكم ومجازيكم بها.

* * *

س: بماذا يختبر الأيتام؟

ج: يختبر الأيتام في عقولهم، ودينهم ووصلاحهم للأموال.

* * *

س: ما الحد الذي عنده ينتهي يتم اليتيم؟

ج: ينتهي يتم اليتيم عند أهل العلم بأحد وجوهٍ ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء، ووجهان يختصان بالنساء، أما الثلاثة المشتركة فهي:

أولاً: الاحتلام، وقد ورد في ذلك حديث: «**لا يُتم بعد احتلام**»[1]، وأخرج الطبراني بإسناد ظاهره السلامة من طريق مسلم بن قتيبة، عن ذيال بن عبيد قال: سمعت جدي حنظلة يقول: قال رسول الله ﷺ:

(١) انظر «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ٤١٦) و«سنن البيهقي» (٧/ ٣٢٠، ٤٦١)، و«التسهيل لتأويل التنزيل» تأليفي (٣/ ١٦).

«لا يُتْم بعد احتلام، ولا يُتْم على جارية إذا هي حاضت»[١] .

وصح عن ابن عباس موقوفًا «وأما الصبي فينقطع عنه اليُتم إذا احتلم»[٢] .

ثانيًا: بلوغ الخامسة عشر، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه يوم أُحدٍ، وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه[٣] .

ثالثًا: الإنبات، أي: إنبات شعر حول العانة، وذلك لأن سعد بن معاذ حكم على بني قريظة أن تقتل مقاتلتهم، فكان يُنظر إلى من لم ينبت فيترك، ومن أنبت قتل.

- أما بالنسبة لما يخص النساء: فالحيض والحبل، فبهما ينقطع اليتم.

* * *

س: الفاجر الذي يؤنس منه الصلاح في العقل وإصلاح المال، هل يُعطى المال بعد بلوغه أم لا يعطى إلا إذا كان صالحًا؟

ج: يعطى المال، وإن كان فاجرًا في دينه، وقد نقل الطبري الإجماع على ذلك.

* * *

س: إذا بلغ اليتيم الحُلم ولم يؤنس منه الرشد هل يُدفع إليه ماله؟

ج: لا يدفع إليه ماله إذا بلغ الحلم إلا بشرطين:

---

(١) الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٤). (٢) أحمد (١/ ٢٢٤ ـ ٢٩٤ ـ ٣٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٠٩٧).

أولهما: بلوغ الحُلم، وذلك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

الثاني: إيناس الرشد، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾.

قال القرطبي رحمه اللَّه: وأكثر العلماء على أن الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ، وعلى أنه إن لم يرشد بعد بلوغ الحُلم، وإن شاخ لا يزول الحجر عنه، وهو مذهب مالك وغيره.

* * *

س: وضح ـ على وجه الإجمال ـ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

ج: يعني ربنا جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ـ وهو أعلم بمراده ـ بهذه الآية الكريمة: وإنا إن أبحنا لكم في بعض الأحيان الأكل من أموال الأيتام لفقركم، أو لاختلاطكم بهم أو لقيامكم عليهم، فإنه لا ينبغي أن تسرفوا في ذلك، ولا أن تبادروا بأكل أموالهم قبل بلوغهم حتى تحرموهم منها، فمع أنَّا أبحنا لكم الأكل بقدر ـ في بعض الأحيان ـ إلا أن الغني منكم يلزمه أن يستعفف بغناه عن أموال الأيتام، ويستغني بأمواله عن أموالهم، ويخدم الأيتام ويرعاهم محتسبًا الأجر من اللَّه سبحانه وتعالى، أما الفقير فله أن يأكل بالمعروف.

* * *

س: هل يعمل بالمفهوم المخالف لهذه الآية: ﴿وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: لا يعمل بهذا المفهوم هنا، فقد قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: ليس يريد أن أكل أموالهم من غير إسراف جائز فيكون له دليل خطاب، بل المراد: ولا تأكلوا أموالهم فإنه إسراف.

قلت: وثمَّ وجه للعمل بهذا المفهوم هنا، وهو في شأن الفقراء القائمين على أموال اليتامى الذين لهم أن يأكلوا بقدر القيام عليهم، فهؤلاء لهم أن يأكلوا بالمعروف بلا إسراف ولا قصد المبادرة.

* * *

س: اذكر سبب نزول قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنزلت في والي اليتيم الذي يقيم عليه ويُصلح في ماله إن كان فقيرًا أكل منه بالمعروف.

* * *

س: ما المراد بـ (المعروف) المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٢١٢)، ومسلم (٣٠١٩).

أحدها: أنه الأكل والشرب بقدر القيام عليه وخدمته ورعايته، فإذا كان ولي اليتيم فقيرًا وقيامه على اليتيم يحتاج منه وقتًا وجهدًا فليأكل حينئذ بقدر قيامه عليه ورعايته، وسيأتي أثر عائشة رضي الله عنها في ذلك.

الثاني: أنه يأكل ما يسد جوعته، ويلبس ما يواري سوأته، أما الذهب والفضة فلا.

أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن في حجري أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها، فقال ابن عباس: ألست تبغي ضالتها؟[٢] قال: بلى! قال: ألست تهنأ جَرْباها؟[٣] قال: بلى! قال: ألست تَلُطُّ حياضها؟[٤] قال: بلى! قال: ألست تَفرِط عليها يوم وِرْدها؟ قال: بلى! قال: فأصِبْ من رسلها ـ يعني: من لبنها.

وفي رواية صحيحة أخرى [٥] من طريق القاسم أيضًا قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إن في حجري أيتامًا وإن لهم إبلاً ولي إبلٌ، وأنا أمنح في إبلي وأفقر[٦]، فماذا يحل لي من ألبانها؟ قال: إن كنت تبغي ضالتها، وتهنأ جرباها، وتلوط حوضها، وتسقي عليها، فاشرب غير مُضر بنسل، ولا ناهكٍ في الحلب[٧].

---

(١) الطبري (٨٦٣١).
(٢) أي تبحث عن الضالة.
(٣) أي تعالجها من الجرب.
(٤) أي تُليط حياضها. وكل ذلك فحواه أنه يقوم على الأموال والدواب بالرعاية والإحسان.
(٥) الطبري (٨٦٣٢).
(٦) أمنح أي: أعيرها من لا ناقة له كي يحلبها.
(٧) أي غير مبالغ في حلبها.

الثالث: أن المراد بالمعروف هو القرض، فيأخذ الولي من مال اليتيم بقدر حاجته على أن يكون هذا المأخوذ قرضًا يقترضونه منه على أن يسددوه له إذا تيسرت أحوالهم، وهذا رأي الطبري ـ رحمه اللَّه ـ وقد انتصر له وبالغ في تقريره!! مع أن الصواب عند أكثر أهل العلم خلافه ولا بأس بإيراد قول الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقد قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: «المعروف» الذي عناه اللَّه تبارك وتعالى في قوله: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه، على وجه الاستقراض منه، فأما على غير ذلك الوجه، فغير جائز له أكله.

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلا القيام بمصلحته، فلما كان إجماعًا منهم أنه غير مالكه، وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره، يتيمًا كان ربُّ المال أو مدركًا رشيدًا، وكان عليه إن تعدَّى فاستهلكه ـ بأكل أو غيره ـ ضمانه لمن استهلكه عليه، بإجماع من الجميع، وكان والي اليتيم سبيلُه سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه، سبيلُه سبيلُ غيره، وإن فارقه في أنَّ له الاستقراض منه عند الحاجة إليه، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه، إذا كان قيِّمًا بما فيه مصلحته.

ولا معنى لقول من قال: إنما عنى بالمعروف في هذا الموضع، أكل والي اليتيم من مال اليتيم، لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه؛

لأن لوالي اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره ـ إذا كان اليتيم محتاجًا إلى ذلك ـ بأجرة معلومة، كما يستأجر له غيره من الأجراء، وكما يشتري له من يعينه: غنيًّا كان الوالي أو فقيرًا.

وإذا كان ذلك كذلك وكان اللَّه تعالى ذكره قد دل بقوله: ﴿**وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ على أن أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من وُلاته في حال الفقر والحاجة وكانت الحال التي للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء، غير مخصوص بها حال غِنى ولا حال فقر، كان معلومًا أن المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كل أحوالهم، غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال.

ومن أبى ما قلنا ـ ممن زعم أن لولي اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته إليه على غير وجه القرض استدلالاً بهذه الآية ـ قيل له: أمجمعٌ على أن الذي قلت تأويل قوله: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾؟

فإن قال: لا! قيل له: فما برهانك على أن ذلك تأويله، وقد علمتَ أنه غيرُ مالك مال يتيمه؟ فإن قال: لأن اللَّه أذن له بأكله؟ قيل له: أذن له بأكله مطلقًا أم بشرط؟ فإن قال: بشرطٍ، وهو أن يأكله بالمعروف. قيل له: وما ذلك «المعروف»؟ وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن ذلك هو أكله قرضًا وسلفًا؟

ويقال لهم أيضًا مع ذلك: أرأيت المولَّى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتيه، ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير

وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها، كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فأبحتموها لهم؟

فإن قالوا: ذلك لهم. خرجوا من قول جميع الحجة.

وإن قالوا: ليس ذلك لهم. قيل لهم: فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى، وحكمُ ولاتهم واحد في أنهم ولاة أموال غيرهم؟ فلن يقولوا في أحدهما شيئًا إلا ألزموا في الآخر مثله.

ويُسألون كذلك عن المحجور عليه: هل لمن يلي ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه؟ نحو سؤالنا لهم عن أموال المجانين والمعاتيه.

* * *

س: هل يجوز للوصي أن يأكل من مال اليتيم؟

ج: نعم يجوز للوصي أن يأكل من مال اليتيم، إذا كان الوصي فقيرًا وأيضًا فالأكل يكون بالمعروف، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾.

أما الوصي الغني فعليه أن يستعفف لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾.

اللَّهم إلا ما درج عليه الناس كالوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ..**﴾ الآية، والمندرج تحت قول اللَّه تعالى: ﴿**وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾ ومع ذلك فالاستعفاف خيرٌ، واللَّه تعالى أعلم.

وأورد الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ـ بإسناد صحيح:

عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة والي اليتيم، إن احتجت أخذت منه، فإذا أيسرت رددته، وإن استغنيتُ استعففتُ.

* * *

س: اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

ج: في «مسند الإمام أحمد» بإسناد حسن،

من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده: أن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: ليس لي مال ولي يتيم؟ فقال: «**كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل مالاً، ومن غير أن تقي مالك أو قال: تفدي مالك بماله**»[1].

وعند أبي داود[2] من نفس الطريق: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيمًا عنده مال ـ وليس عنده شيء ـ ما آكل من ماله؟ قال: «**بالمعروف غير مسرف**».

* * *

س: هل يلزم الوصي الفقير بسداد ما أكله من مال اليتيم إذا وسع اللَّه عليه؟

---

(١) «المسند» (٣/١٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٢٤).

(٢) أبو داود.

ج: الصحيح ـ واللَّه تعالى أعلم ـ أنه لا يُلزم الولي الفقير بسداد الدَّين، وذلك لسبب نزول الآية الكريمة، الذي قدمنا ذكره.

* * *

س: الضعيف لا ينبغي له أن يتولى مال اليتيم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولَّينَّ مال يتيم**».

س: لماذا أُمرنا بالإشهاد عند دفع الأيتام مع أن اللَّه سبحانه يرانا ويسمعنا ويشهد علينا؟

ج: أمرنا بالإشهاد دفعًا للظنون والشكوك، ودفعًا للإنكار والجحود؛ فقد جحد آدم فجحدت ذريته، ومن ثمَّ أُمِرنا بالكتابة والإشهاد كما قال النبي ﷺ[2].

وقد قال النبي ﷺ أيضًا: «**إنها صفية...**» ـ يعني زوجته، وذلك لما

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٦).

(٢) وذلك في حديث صحيح بمجموع طرقه: أخرجه ابن حبان (٢٠٨٢) والحاكم (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وله شاهد عند الترمذي (٣٠٧٦) وفيه: أن النبي ﷺ قال: «لما خلق اللَّه آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسانٍ منهم وبيصًا من نُورٍ ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب، من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب، كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما قُضي عُمر =

رآه رجلان من الأنصار واقفًا معها[1] ، وذلك منه عليه الصلاة والسلام دفعًا للظنون والشكوك عند الصحابة.

* * *

س: ما موقع الباء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾؟

ج: يرى بعض العلماء أن الباء هنا زائدة.

قال الفخر الرازي في «تفسيره»: واعلم أن الباء في قوله: ﴿**وَكَفَىٰ بِاللَّهِ..**﴾ و﴿**وَكَفَى بربك..**﴾ في جميع القرآن زائدة هكذا نقله الواحدي عن الزجاج.

* * *

= آدم جاءه ملكُ الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته».

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤/ ٢٧٨)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٥٦) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها: أنها جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول اللَّه ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: «على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي». فقالا: سبحان اللَّه يا رسول اللَّه، وكَبُر عليهما، فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا».

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

س: هل صح لهذه الآية سبب نزول: ﴿للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ..﴾؟

ج: لم يصح لهذه الآية الكريمة سبب نزول.

* * *

س: من المعنيون بالرجال في قوله تعالى: ﴿للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ﴾ ومن المعنيات بالنساء أيضًا؟

ج: أما المعنيون بالرجال فهم الذكور من أبناء الميت وعصبته، أما النساء فهن بنات الميت وأخواته في حالة ما إذا كان للأخوات نصيبٌ، والله أعلم.

* * *

س: ما المتروك المشار إليه في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ﴾؟

ج: المتروك هو الميراث.

* * *

س: النصيب المذكور في قوله تعالى: ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ﴾ مفسرٌ بماذا؟

ج:النصيب مفسرٌ بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ..﴾ وبقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ..﴾ الآية.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ...﴾ الآية.

ج:صح عن ابن زيد[1] أنه قال في تفسير هذه الآية:

كان النساء لا يورَّثن في الجاهلية من الآباء، وكان الكبير يرث، ولا يرث الصغير وإن كان ذكرًا، فقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

* * *

س: هل هذه الآية الكريمة منسوخة ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾؟

ج:ذهب فريقٌ من أهل العلم إلى أنها منسوخة، وهذا القول قول جمهور الفقهاء، والأئمة الأربعة، نقله عنهم الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وقالوا: نسختها المواريث والوصية.

● بينما ذهب فريق كبير أيضًا من أهل العلم إلى أنها محكمة ليست بمنسوخة، وهذا هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج البخاري[2] بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(١) الطبري (٨٦٥٧).
(٢) البخاري (حديث ٤٥٧٦).

وَالْمَسَاكِينُ..﴾ قال: هي محكمة وليست بمنسوخة.

● والقول بأنها محكمة ليست بمنسوخة هو قول عدد من أهل العلم ذكرهم الطبري في «تفسيره»، واختاره الطبري أيضًا، فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة، ثم قال: وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره؛ لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره، أن شيئًا من أحكام اللَّه تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينَّها على لسان رسوله ﷺ غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر، أو منسوخ بحكم آخر، إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ نافٍ كل واحد منهما صاحبه، غيرُ جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه، وإن كان جائزًا صرفه إلى غير النسخ أو تقول بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، حجة يجب التسليم لها.

وإذ كان ذلك كذلك، لما قد دللنا في غير موضع، وكان قوله تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ محتملاً أن يكون مرادًا به: وإذا حضر قسمة مالِ قاسمٍ ماله بوصية، أولو قرابته واليتامى والمساكين، فارزقوهم منه ـ يراد: فأوصوا لأولي قرابتكم الذين لا يرثونكم منه، وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفًا، كما قال في موضع آخر: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ولا يكون منسوخًا بآية الميراث، لم يكن لأحد صرفه إلى أنه منسوخ بآية الميراث؛ إذ كان لا دلالة على أنه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابته.. وهو محتمل

من التأويل ما بينَّا.

وإذْ كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة الموصي ماله بالوصية، ألو قرابته ﴿الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ يقول: فاقسموا لهم منه بالوصية، يعني: فأوصوا لأولي القربى من أموالكم، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ﴾ يعني الآخرين، وهم اليتامى والمساكين ﴿قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ يعني يدعى لهم بخير، كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قوله قبلُ.

وأما الذين قالوا: إن الآية منسوخة بآية المواريث. والذين قالوا: هي محكمة، والمأمور بها ورثة الميت، فإنهم وجَّهوا قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ يقول فأعطوهم منه، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾.

* * *

س: كيف يوجه قول من قال: إن الآية الكريمة منسوخة؟

ج: توجيه ذلك أن يقال إن القائل إن هذه الآية الكريمة منسوخة بناءً على أنه يرى أن «القسمة» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ هي قسمة التركة بعد الوفاة، وأولو القربى المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ﴾ هم أولو القربى الذين يرثون فعلى هذا القول، فأولو القربى الذين يرثون قد بينت مواريثهم وأنصبتهم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ..﴾ فلا معنى لأن نرزقهم مرة ثانية من هذه القسمة، فعليه فهي منسوخة إذا فسرت بهذا التفسير، واللَّه أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تدل على مشروعية جبر الخواطر المنكسرة وتطييبها.

ج: من ذلك ما يلي:

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [النساء: ٨].

وذلك عند قسمة الميراث إذا حضر القسمة الأقارب والفقراء والمساكين الذين لا حظ لهم في الميراث ولا مال لهم فطيِّب خاطرهم بجزء من المال أو جزء من التركة تعطيهم إياه يبارك اللَّه لك ويعوضك اللَّه خيرًا ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

فيا ليت الناس ينتبهون عند تقسيم الميراث لمثل هذا الأدب الكريم.

● ومن باب جبر الخاطر أيضًا قوله تعالى: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤١].

فخاطر المطلقة مكسور لكونها طلقت، فعوض هذا الكسر بشيء من المال تخفيفًا عن أحزانها.

وذكر بعض أهل العلم أن خاطر إبراهيم ﷺ قد جُبر، لما أصابه ما أصابه من قلة المؤمنين به، ومن قذفه في النار إلى غير ذلك ـ جُبر خاطره بأن جعل اللَّه كلمة التوحيد في عقبه وجعل الرسل من بعده من ذريته كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٨].

● وكذلك جبر خاطر يوسف ﷺ لما ألقي في غيابات الجب، ألقاه إخوته، ثم دخل السجن بعد اتهامه وهو بريء، جبر خاطره مع من

تسببت في سجنه فقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

وكذلك جبر خاطره مع إخوته الذين ألقوه في البئر لما جاءوا ذليلين منكسرين قائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

• ومن جبران الخاطر أيضًا: ما أخرجه أحمد والترمذي[1] من حديث بريدة رضي الله عنه بإسناد صحيح: أن أمة سوداء أتت رسول اللَّه ﷺ ورجع من بعض مغازيه فقالت: إني نذرت إن ردك اللَّه صالحًا أن أضرب عندك بالدف، فقال: «**إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي**» فضربت.. الحديث.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦)، والترمذي (٣٦٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة.

• نماذج أخر من تطييب الخواطر •

وإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا أو تمنع آخر من شيء فكلِّل ذلك بالكلمات الطيبة، وليكن منعك أو عطاؤك مصحوبًا بالخلق الحسن والثناء الجميل.

• فاللَّه عز وجل يقول في كتابه: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٨].

• وانظر إلى الكلمات الطيبة والثناء العطر وجبر الخاطر في حديث رسول اللَّه ﷺ لأصحابه الثلاثة الكرام لما قضى بينهم في شأن ابنة حمزة، كما في «صحيح البخاري»[1] من حديث البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة.. فذكر الحديث وفيه فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمِّ، يا عمِّ، فتناولها عليٌّ فأخذها بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك حمِّليها، فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفر، قال عليٌّ: أنا أخذتها وهي بنت عمي.

وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي.

وقال زيد: ابنة أخي.

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**».

وقال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**».

---

(١) البخاري (حديث٤٢٥١).

وقال لجعفر: «**أشبَهْتَ خَلقي وخُلُقي**».

وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**».

فانظر إلى تطييب الخاطر: «**أنت مني وأنا منك**».

«**أشبهت خلقي وخُلُقي**».

«**أنت أخونا ومولانا**».

● ويأتي الخصمان يختصمان إلى رسول اللَّه ﷺ في قضية ذات أهمية فبين يدي الحكم يطمئنهما ﷺ بقوله: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللَّه جل ذكره**»[١]. وهذا حتى تطمئن قلوبهما ويعلما أن الحكم إنما هو حكم اللَّه فيستقبلاه بالرضا والطاعة، وإن لم يكن هذا القسم بمطرد لكن إن احتيج إليه فُعل.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٨٢٨) ومسلم (حديث ١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ﷺ أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه[١]. فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه[٢]: نعم. فاقض بيننا بكتاب اللَّه، وائذن لي. فقال رسول اللَّه ﷺ: «قل» قال: إن ابني كان عسيفًا[٣] على هذا[٤] فزنى بامرأته، وإني =

(١) أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه: معنى أنشدك أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي وقوله: بكتاب اللَّه، أي: بما تضمنه كتاب اللَّه.

(٢) وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه. ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها. ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى: ﴿لا تقدموا بين يدي اللَّه ورسوله﴾ [الحجرات: ١]. بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك اللَّه؛ فإنه من جفاء الأعراب.

(٣) عسيفًا: العسيف هو الأجير. وجمعه عسفاء كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

(٤) على هذا: يشير إلى خصمه، وهو زوج مزنية ابنه. وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور =

س: ما المراد بالقسمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ ولمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها ما يلي:

الأول: أن المراد بالقسمة قسمة التركة بعد موت صاحبها، وعليه فالمخاطبون بقوله: ﴿فَارْزُقُوهُم﴾ هم الورثة الذين يرثون الميت، والمعنيون بأولي القربى هم أولي القربى الذين لا يرثون أي: الذين ليس لهم نصيب من الميراث.

فعلى هذا، فالمعنى: يا أيها الورثة، إذا كنتم تقسمون التركة على مستحقيها منكم وحضركم عند قسمة التركة أقرباء ليس لهم في التركة نصيب، أو حضركم يتامى أو مساكين فأعطوهم شيئًا من هذه التركة وقولوا لهم قولا معروفًا سواءً أعطيتموهم أم لم تعطوهم.

وقد جاءت بذلك أقوال هذا بعضها.

= أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت[1] منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب اللَّه. الوليدة والغنم ردٌّ[2]، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها». قال: فغدا عليها فاعترفت. فأمر بها رسول اللَّه ﷺ فرجمت.

= فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(١) فافتديت: أي: أنقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية. وكأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

(٢) رد: أي مردودة. ومعناه يجب ردها إليك. وفي هذا أن الصلح الفاسد يُرد، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

• أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح أن أبا موسى ﷺ أمر أن يُعطوا - إذا حضر قسمة الميراث - أولي القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء.

• وأخرج الطبري[٢] أيضًا بإسناد صحيح عن الحسن وسعيد بن جبير أنهما كانا يقولان ذلك عند الميراث.

• وفرَّق بعض القائلين بهذا القول بين الورثة الكبار والورثة الصغار، قالوا: فالكبار يُعطون أولي القربى واليتامى والمساكين نصيبًا من التركة، وذلك استحبابًا، أما الصغار فليس لوليِّ القسمة أن يأخذ من أموال الصغار شيئًا بل يعتذر لأولي القربى ولليتامى والمساكين بطيب القول وجميله.

ومن الذين قالوا بذلك سعيد بن جبير والحسن[٣] - رحمهما اللَّه - فكانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث، إن كان الميراث لمن أدرك، فله أن يكسو منه، وأن يطعم الفقراء والمساكين، وإن كان الميراث ليتامى صغار، فيقول الولي: «إنه ليتامى صغار» ويقول لهم قولاً معروفًا.

وعند الطبري[٤] أيضًا بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ قال: هما وليان، وليٌّ يرث، وولي لا يرث، فأما الذي

---

(١) الطبري (٨٦٩١، ٨٦٩٢).

(٢) الطبري (٨٦٩٥).

(٣) أخرج ذلك الطبري (٨٦٩٩) بإسناد صحيح عنهما.

(٤) الطبري (٨٦٩٨).

يرث فيعطى، وأما الذي لا يرث فقولوا له قولاً معروفًا.

وعند الطبري[١] كذلك عن سعيد بن جبير قال:

إن كان الميت أوصى لهم بشيء، أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كبارًا رضخوا لهم، وإن كانوا صغارًا قال وليهم: إني لست أملك هذا المال وليس لي، وإنما هو للصغار. فذلك قوله: ﴿**وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾.

بيد أن بعض أهل العلم رأوا أيضًا أن أولياء الصغار لهم أن يعطوا أولي القربى واليتامى والمساكين من أموال هؤلاء الصغار أيضًا.

أخرج الطبري[٢] بإسناد صحيح عن يونس في قوله: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ**﴾، فحدث عن محمد عن عبيدة: أنه وَلي وصية، فأمر بشاة فذبحت وصنع طعامًا، لأجل هذه الآية، وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي، قال: وقال الحسن: لم تنسخ، كانوا يحضرون فيعطون الشيء والثوب الخلَق، قال يونس: إن محمد بن سيرين ولي وصية، أو قال: أيتامًا ـ فأمر بشاة فذبحت، فصنع طعامًا كما صنع عبيدة.

القول الثاني: أن المراد بالقسمة الوصية التي يوصي بها الرجل إذا حضرته الوفاة فهذه الوصية (التي لا ينبغي أن تتجاوز الثلث، والتي ليس فيها للورثة نصيب لحديث: «**لا وصية لوارث**» مشروعةٌ لأولي القربى (الذين لا يرثون) واليتامى والمساكين.

(١) الطبري (٨٦٩٧).

(٢) الطبري (٨٧٠٤).

وعليه فالمخاطبون بقوله ﴿فَارْزُقُوهُم﴾ هم أصحاب الأموال قبل وفاتهم.

وهذا قول فريق من أهل العلم منهم ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما، فقد أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد اللَّه بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه، وعائشة حيَّة فلم يدع في الدار أحدًا إلا أعطاه، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ قال القاسم: فذكرت ذلك لابن عباس فقال: ما أصاب، إنما هذه الوصية، يريد الميت أن يوصي لقرابته، وبنحو ذلك قال سعيد بن المسيب، فقال: هي الوصية من الناس[٢]، وفي رواية صحيحة[٣] عنه أيضًا إنما ذلك عند الوصية في ثلثه. وصح عن ابن زيد[٤] أنه قال: في قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ قال: القسمة الوصية، كان الرجل إذا أوصى قالوا: «فلان يقسم ماله». فقال: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ يقول: أوصوا لهم. يقول للذي يوصي: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ فإن لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرًا.

أما الطبري ـ رحمه اللَّه ـ فقد اختار قولاً فيه نوعٌ من البُعد فقال: عنى بها الوصية لأولي قربى الموصي، بمعنى أن قوله: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: ارزقوا أولي القربى. أما اليتامى والمساكين فلهم القول بالمعروف، فأبعد في ذلك التفريق ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وعفا عنه.

---

(١) الطبري (٨٦٨) وعبد الرزاق في تفسيره (٥٢٧) وابن أبي حاتم (٤٨٦٣).

(٢) الطبري (٨٦٨٥). (٣) الطبري (٨٦٨٤).

(٤) الطبري (٨٦٨٦).

س: هل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ على الوجوب أم على الندب والاستحباب؟

ج: هذا على سبيل الندب والاستحباب لا على الوجوب والإلزام، وقد ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أن هذا هو المعتمد؛ لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقًا في التركة ومشاركةً في الميراث بجهةٍ مجهولة فيُفضي إلى التنازع والتقاطع.

ونحوه ذكره الرازي أيضًا، فذكر في التفسير الكبير أنه على سبيل الندب والاستحباب، لا على سبيل الفرض، وقال أيضًا: فهذا الندب إنما يحصل إذا كان الورثة كبارًا، إما إذا كانوا صغارًا فليس إلا القول المعروف.

قال: وهذا المذهب هو الذي عليه فقهاء الأمصار، واحتجوا بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبين اللَّه تعالى قدر ذلك الحق كما في سائر الحقوق، وحيث لم يبين عَلِمْنا أنه غير واجب؛ ولأن ذلك لو كان واجبًا لتوفرت الدواعي على نقله لشدة حرص الفقراء والمساكين على تقديره ولو كان ذلك النقل على سبيل التواتر، ولما لم يكن الأمر كذلك علمنا أنه غير واجب.

* * *

س: لماذا قيل: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ ولم يقل: فارزقوهم منها؟

ج: لأن الضمير عائدٌ على المال المقسوم، بمعنى فارزقوهم من المال المقسوم.

* * *

س: ما المراد بالقول المعروف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾؟

ج: القول المعروف هو القول الطيب، ومنه الدعاء لهم بالرزق والغنى والبركة أو يعتذر إليهم مع لين القول، فيقول في حالة ما إذا كان الورثة صغارًا: لو كان لي من الميراث شيء لأعطيتكم ولكن الورثة صغار، أو يقول لهم في حالة ما إذا أعطاهم: اقبلوا هذا القليل منا ولو كان بوسعنا أكثر لفعلنا معكم أكثر من هذا، ونحو هذا من الكلم الطيب.

* * *

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي: (سديدًا ـ ظلمًا ـ سيصلون ـ سعيرًا).

ج:

الكلمة	معناها
سديدًا	حقًا صوابًا
ظُلمًا	بغير حقٍ
سيصلون	سيدخلونها مصليين بحرِّها
سعيرًا	نارًا مستعرةً متقدةً

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ..﴾.

ج: من أقوال أهل العلم التي يحتملها تأويل الآية الكريمة ما يلي:

القول الأول: وليخش القومُ الذين يحضرون الميت عند وصيته أن يتكلموا إلا بالعدل والصواب، فكما أن هؤلاء القوم إذا كان عندهم أولاد صغار يخافون عليهم اليتم والفقر إذا ما هؤلاء القوم قد ماتوا، فكذلك

فليفعلوا مع المحتضر عند موته فلا يقولوا له: أوصِ لفلان، ولفلان، وأنفق في باب كذا وكذا، حتى يأتي على الأموال كلها، فلا يترك المحتضرُ شيئًا لأبنائه وبناته الصغار الضعفاء فيبقى أبناؤه بعد موته عالةً يتكففون الناس.

فكما أنكم يا من حضرتم المرء عند وصيته تخشون على أبنائكم الفقر والعيلة فكذلك فلتخشوا على أبناء المحتضر الفقر والعيلة، ومن ثمَّ فلا توصوا المحتضر إلا بالحق والصواب، وبما تحبونه لأبنائكم. فعلى ذلك، فقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ منزل على القوم الذين يحضرون الميت قبل موته عند وصيته، فعلى هؤلاء أن يذكروه بالخير في شأن أبنائه وبناته الصغار، وألا يُضيعهم.

وبنحو هذا قال قتادة[1]، فقد صح عنه أنه قال: من حضر ميتًا فليأمره بالعدل والإحسان ولينهه عن الحيف والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفًا على عياله لو نزل به الموت.

وصح عن سعيد بن جبير[2] أنه قال في تفسيرها: الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره: «اتق اللَّه، صِلهم، بِرَّهم» ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لأولادهم.

القول الثاني: قريبٌ من القول الأول، لكن الذين يحضرون الميت يحثونه على ترك الوصية للضعفاء والفقراء وترك أعمال البر، ويحثونه على إبقاء الأموال كلها للأبناء والورثة.

فالتأويل: يا من حضرتم الميت وهو يحتضر، إذا أراد أن يوصي بشيء

(١) الطبري (٨٧٠٩).

(٢) الطبري (٨٧١٢، ٨٧١٣) وعبد الرزاق في «المصنف» (٥٢٨).

لفقـراء أقاربه فلا تمنعـوه من الوصية بشيء من التـركة لفقـراء أقاربه، بل حثـوه على أن يوصي بشيء لهؤلاء الفقـراء من غير تضـييع لأبنائه وبناته أيضًا.

والوجه الـثالث من أوجه الـتأويل: أن هذا أمرٌ من اللّـه لولاة الأيتام، فالمعـنى: يا ولاة أمور الأيتام، عـليكم أن تلوا أمور الأيتـام بخيرٍ، فـكما أنكم تخشون على أبنائكم ـ إذا ما أنتم مُتم ـ من الضعف والفقر، فكذلك فلتتقوا اللّه في أولاد الآخرين؛ فإنكم قد تموتون اليوم أو غدًا.

* * *

س: صلاح الآباء له تأثير على صلاح الأبناء، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من ذلك ما ذكره اللّه تبارك وتعالى في كتابه حيث قال: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**﴾ [النساء: ٩].

فالقول السديد سبب نفع للأولاد بعد وفاة أبيهم.

• وكذلك قـال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**﴾ [الكهف: ٨٢].

فانتفع الغلامان بصلاح أبيهما.

وكذلك فانظر إلى انتـفاع مريم عليها السلام وذريتـها بدعاء أم مريم إذ قالت: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾.

إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب.

وأيضًا فقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء:٩]، فالقول السديد ينعكس أثره على الأولاد.

وقد ورد عن بعض السلف أنه قال لابنه: يا بني، لأزيدن في صلاتي من أجلك.

قال بعض العلماء: معناه أصلي كثيرًا وأدعو اللَّه لك كثيرًا في صلاتي.

والوالدان إذا قاما بتلاوة كتاب اللَّه وقراءة سورة البقرة، والمعوذات ونحو ذلك فإن الملائكة تتنزل للقرآن[١]، والشياطين تفرُّ[٢]، ولا شك أن نزول الملائكة يصحبه نزول السكينة والرحمة، وهذا قطعًا له أثر على الأولاد وسلامتهم.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه حديث (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ.. فذكر الحديث وفيه: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه يتلون كتاب اللَّه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم اللَّه فيمن عنده.

(٢) وفي «صحيح مسلم» أيضًا (٧٩٦) أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده[١]. إذ جالت فرسه[٢] فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ. ثم جالت أيضًا. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى[٣] فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي. فقال رسول اللَّه ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضًا، =

---

(١) المربد: هو الموضع الذي يُيبَّس فيه التمر.

(٢) جالت: أي وثبت.

(٣) أي خشيت أن تدوس ولدي يحيى.

أما إذا تركت تلاوة القرآن وغفل الآباء عن الذكر فحينئذٍ تتنزل الشياطين وتغزو تلك البيوت التي تُرك فيها ذكر اللَّه عز وجل، وتغزو تلك البيوت المليئة بالموسيقا الصاخبة، والمعازف الماجنة والتصاوير المحرمة، ولا شك أن مثل هذا يؤثر على الأبناء أيما تأثير، ويؤزهم إلى المعاصي أزًا، ويدفعهم إلى الفساد دفعًا.

* * *

س: اذكر بعض صور أكل أموال اليتامى ظُلمًا.

ج: من ذلك ما يلي:

١ ـ عبث الولي بأموال الأيتام، والأكل منها كيف يشاء، والتصرف فيها بما يريد.

٢ ـ متاجرة الولي بأموال اليتامى بما يعود على مصلحته هو، بغض النظر عن مصالح الأيتام.

٣ ـ حرمان اليتيم من ميراثه.

* * *

= فقال رسول اللَّه ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضًا. فقال رسول اللَّه ﷺ «اقرأ ابن حضير» قال: فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول اللَّه ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم».

وفي «صحيح مسلم» (حديث ٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».

س: لماذا خُصَّ الأكل بالذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ دون سائر أنواع الإتلاف؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لأن الأكل هو أغلب أنواع الإتلاف.

قال الرازي في تفسيره:

إنه تعالى وإن ذكر الأكل إلا أن المراد منه كل أنواع الإتلافات، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل، أو بطريق آخر، وإنما ذكر الأكل وأراد به كل التصرفات المتلفة لوجوه:

أحدها: أن عامة مال اليتيم في ذلك الوقت هو الأنعام التي يؤكل لحومها ويشرب ألبانها، فخرج الكلام على عادتهم.

وثانيها: أنه جرت العادة فيمن أنفق ماله في وجوه مراداته خيراً كانت أو شراً، أنه يقال: إنه أكل ماله.

وثالثها: أن الأكل هو المعظم فيما يبتغى من التصرفات.

* * *

س: التقييد بالظلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ هل يعني أنه يجوز أكل أموال اليتامى بغير ظلم؟

ج: ليس هذا على إطلاقه بل هو مقيد أيضًا بقوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ وبقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾.

* * *

س: كيف يأكلون في بطونهم نارًا؟

ج: في كيفية ذلك وجوه:

أحدها: أنهم يأكلون في بطونهم ما يصيرون بسبب أكله إلى النار وذلك كقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ أي: رأيتم أسبابه.

الثاني: أنهم سيأكلون النار يوم القيامة على الحقيقة[1].

الثالث: أنه أطلق عليها «نارًا» باعتبار ما ستؤول إليه أموال اليتامى إذا هم أكلوها.

* * *

س: اذكر بعض الأمثلة لإطلاق اسم على شيء باعتبار ما سيؤول إليه هذا الشيء.

ج: من ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾ [يوسف:٣٦] أي: أعصر عنبًا يؤول إلى خمر.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ**﴾ [البقرة:١٧٤].

---

(١) وقد ذكر بعض المفسرين أن أكلة أموال اليتامى ظُلمًا يبعثون يوم القيامة ولهب النار يخرج من أفواههم، ومن مسامعهم ومن آذانهم وأنوفهم وأعينهم يعرفه من رآه أنه يأكل أموال اليتيم.

س: أكل أموال اليتامى ظلمًا كبيرةٌ من أعظم الكبائر، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ [النساء: ١٠].
- وقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾ [النساء: ٢].
- وقول اللَّه تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾.
- وقول النبي ﷺ[1]: «**اجتنبوا السبع المُوبقاتِ**».

قيل: يا رسول اللَّه، وما هُنَّ؟.

قال: «**الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، والتَّولي يوم الزحفِ، وقذفُ المُحصنات الغافلاتِ المؤمنات**».

* * *

س: لماذا ذكرت البطون في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾ مع أنه من المعلوم أن الأكل إنما يكون في البطون؟

ج: ذكرت البطون للتأكيد، تأكيد التشنيع على آكل أموال اليتامى ظلمًا

(١) أخرجه البخاري (حديث٢٧٦٦) ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

والمبالغة في ذمه، كما تقول: نظرت بعيني، وسمعت بأذني ولذلك نظائر في كتاب اللَّه عز وجل، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ والطيران لا يكون إلا بجناح.
- وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ والقلب لا يكون إلا في الصدر.
- وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم..﴾، و﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم..﴾ والقول إنما يكون باللسان، ومن الفم أيضًا.

* * *

س: ما مدى صحة الحديث الذي فيه: يُبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارًا، قيل: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: ألم تر أن اللَّه قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًّا[1].

* * *

س: هل أكلة أموال اليتامى ظُلمًا يخلدون في النار؟

ج: لا يخلدون في النار، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٤٨٨١).

وقال النبي ﷺ[1] : «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذِنَ بالشفاعة فجيء بهم ضَبَائرَ ضَبَائر، فبُثُّوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبُتُون كما تَنْبُت الحبة في حميل السيل**»، فقال: رجل من القوم: كأنَّ رسول اللَّه ﷺ قد كان بالبادية.

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن
كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ
فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي
بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ
نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾
وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن
كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ
يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ
يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا
تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ
مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ
فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ
وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ
ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ
يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(يوصيكم ـ أقرب لكم نفعًا ـ كلالة ـ حليم ـ حدود اللَّه ـ مهين).

ج:

الكلمة	معناها
يوصيكم	يعهد إليكم ـ يفرض عليكم.
أقرب لكم نفعًا	خيرٌ لكم في الدين والدنيا.
كلالة	من لا ولد له ولا والد. وقيل: هم الورثة الذين يرثون الميت الذي لا ولد له ولا والد وقول ثالث: الورثة والميت الذي لا ولد له ولا والد.
حليم	الذي لا يعاجل بالعقوبة. وقال الخطابي: ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضبٌ ولا يستخفه جهل جاهل.
حدود اللَّه	ما حدَّه اللَّه وحرم علينا أن نتجاوزه وأن نتعداه ـ طاعة اللَّه ـ فرائض اللَّه.
مهين	مُخزٍ ومُذل.

* * *

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»[١].

وكذلك حديث: «يا أبا هريرة، تعلموا الفرائض وعلموه فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء ينتزع من أمتي»؟

ج: الحديث الأول ضعيف غير ثابت، وقد أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف.

والحديث الثاني «يا أبا هريرة..» ضعيفٌ أيضًا، فقد أخرجه ابن ماجه[٢] وفي إسناده حفص بن عمر بن أبي العطاف وهو ضعيف.

* * *

س: ما هي الفرائض الواقعة في كتاب اللَّه؟

ج: الفرائض الواقعة في كتاب اللَّه ستةٌ، وهي النصف والربع والثُّمن والثُّلثان والثُّلث، والسُّدس.

وقد ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره»، ثم قال:

فالنصف فرض خمسة: ابنةُ الصُّلب، وابنة الابن، والأخت الشقيقة، والأخت للأب، والزوج. وكل ذلك إذا انفردوا عمن يحجبهم عنه.

والرُبع: فرض الزوج مع الحاجب، وفرض الزوجة والزوجات مع عدمه.

---

(١) أبو داود (حديث ٢٨٨٥)، وابن ماجه (حديث ٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (حديث ٢٧١٩).

والثمن: فرض الزوجة والزوجات مع الحاجب.

والثلثان فرض أربع: الاثنتين فصاعدًا من بنات الصلب، وبنات الابن، والأخوات الشقيقات أو للأب. وكل هؤلاء إذا انفردن عمن يحجبهن عنه.

والثلث فرض صنفين: الأم مع عدم الولد، وولد الابن، وعدم الاثنين فصاعدًا من الإخوة والأخوات، وفرض الاثنين فصاعدًا من ولد الأم. وهذا هو ثلث كل المال، فأما ثلث ما يبقى فذلك للأم في مسألة زوج أو زوجة وأبوان؛ فللأم فيها ثلثُ ما يبقى. وقد تقدم بيانه. وفي مسائل الجد مع الإخوة إذا كان معهم ذو سَهْم وكان ثلث ما يبقى أحظى له.

والسدس فرض سبعة: الأبوان والجد مع الولد وولد الابن، والجدة والجدات إذا اجتمعن، وبنات الابن مع بنت الصلب، والأخوات للأب مع الأخت الشقيقة، والواحد من ولد الأم ذكرًا كان أو أنثى.

* * *

س: كم جملة الورثة الذين يرثون؟

ج: جملتهم سبعة عشر[1] :

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: وجملتهم سبعة عشر:

عشرة من الرجال: الابن، وابن الابن وإن سفل، والأب، وأب الأب وهو الجد وإن علا، والأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العم، والزوج، ومولى النعمة.

ويرث من النساء سبع: البنت، وبنت الابن وإن سفلت، والأم، والجدة

(١) إلا أن بعضهم يُحجب ببعض كما هو معلوم.

وإن علت، والأخت، والزوجة، ومولاة النعمة وهي المعتقة.

* * *

س: ما السبب الصحيح لنزول هذه الآية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سَلِمةَ يمشيان. فوجدني لا أعقِلُ. فدعا بماءٍ فتوضأ، ثُمَّ رشَّ عليَّ منهُ فأفقتُ، فقلتُ: كيف أصنعُ في مالي يا رسول اللَّه؟! فنزلت: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

وثم سبب نزول آخر ـ في إسناده عبد اللَّه بن محمد بن عقيل وهو مختلف فيه ـ من حديث جابر أيضًا أخرجه أبو داود[2] وغيره وفيه: قال جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواف[3] فجاءت المرأة بابنتين لها فقالت: يا رسول اللَّه، هاتان بنتا ثابت بن قيس قُتِلَ معك يوم أحد، وقد استفاء[4] عَمُّهما مالهما وميراثَهما كلَّه، فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول اللَّه؟ فواللَّه لا تُنكَحانِ أبدًا إلا ولهما مال، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يقضي اللَّه في ذلك**». قال: ونزلت سورة النساء ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٧٧)، ومسلم (ص ١٢٣٥).

(٢) أبو داود (حديث ٢٨٩١)، والراجح لدينا في عبد اللَّه بن محمد بن عقيل أنه ضعيف.

(٣) الأسواف: اسمٌ لحرم المدينة الذي حرمه رسول اللَّه ﷺ (نقلا عن حاشية أبي داود).

(٤) أي: أخذ أموالهما كأنها فيء.

الآية، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ادعوا لي المرأة وصاحبها**» فقال لعمهما: «**أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فلك**».

قلت: ولا يمتنع أن يكون هناك أكثر من سبب، فتنزل الآية فيها جميعًا.

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين، فنسخ اللَّه من ذلك ما أحب: فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للمرأة الثُّمن والرُّبع، وللزوج الشطر والرُّبع.

* * *

س: من المراد بالأولاد في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؟

ج: المراد بالأولاد الأولاد للصُّلب[2].

* * *

س: هل الصغار والكبار في الميراث سواء؟

ج: نعم الصغار والكبار في الميراث سواء فالصغير له كالذي للكبير، ولا فرق بينهما في ذلك.

قال القاسمي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «محاسن التأويل»:

إيثار اسمي (الذكر والأنثى) على ما ذكر أولاً من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك أصلاً، كما هو زعم أهل الجاهلية حيث كانوا

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٧٨).

(٢) احترازًا عن الولد بالتبني والولد الدَّعيّ.

لا يورثون الأطفال والنساء.

* * *

س: هل يرث الجنين الذي في بطن أمه؟

ج: نعم يرث، فيترك توزيع الميراث إلى ولادته، أو يُقسَّم الميراث ويبقى ما يخصه مع مزيد من الاحتياط فقد يكون في البطن اثنان أو ثلاثة ذكوراً أو إناثًا.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأجمع أهل العلم: على أن الرجل إذا مات وزوجته حُبلَى أن الولد الذي في بطنها يرث ويُورث إذا خرج حيًّا واستهل.

وقالوا جميعًا: إذا خرج ميِّتًا لم يرث؛ فإن خرج حيًّا ولم يَستهل.

فقالت طائفة: لا ميراث له وإن تحرك أو عطس ما لم يستهل. هذا قول مالك والقاسم بن محمد وابن سيرين والشعبي والزُّهري وقتادة.

وقالت طائفة: إذا عُرفت حياة المولود بتحريك أو صياح أو رضاع أو نَفَس فأحكامه أحكام الحي. هذا قول الشافعي وسفيان الثوري والأوزاعي.

قال ابن المنذر: الذي قاله الشافعي يحتمل النظر، غير أن الخبر يمنع منه وهو قولُ رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مولود يُولد إلا نَخَسه الشيطان فيستهلَّ صارخًا من نخْسة الشيطان إلا ابن مريم وأمَّه**». وهذا خبر ولا يقع على الخبر النسخ.

* * *

س: هل استثني من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أحد؟

ج نعم استثني من ذلك:

● فاستثني الكافر لقول النبي ﷺ: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**»[1].

● وكذلك قاتل العمد، وقد نقل القرطبي إجماع الأمة على ذلك وأنه لا يرث مِن مال مَن قتله ولا مِن ديته شيئًا.

● وكذلك الأنبياء لا يورثون، لقول النبي ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[2].

* * *

س: إذا كان مع الأبناء من له فرضٌ مسمى هل يأخذه أولاً أم أن الأبناء يأخذون الميراث كله؟

ج إذا كان مع الأولاد مَن له فرضٌ مسمى في كتاب اللَّه أُعطيه أولاً، ثم ما تبقى من المال يقسم على الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك، ولقول النبي ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجلٍ ذكر**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٦٤)، ومسلم (حديث ١٦١٤) من حديث أُسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٤٠)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وله طرق عن رسول اللَّه ﷺ.

(٣) البخاري (حديث ٦٧٣٥)، ومسلم (حديث ١٦١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

س: استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ أن اللَّه سبحانه وتعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، وضح ذلك، واذكر من السنة شيئًا يؤيد ذلك.

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في إيضاح ذلك: أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده حيث أوصى الوالدين بأولادهم فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي تدور على ولدها، فلما وجدته أخذته، فألصقته بصدرها وأرضعته. فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟**» قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**فواللَّه للَّه أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

* * *

س: ما المراد بالإخوة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة المذكورين في قوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ هم الإخوة لأبوين أو لأب.

---

(١) هكذا ذكره الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ وأما هو ففي البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) من حديث عمر رضي الله عنه، ولفظه عند البخاري: قدم على النبي ﷺ سبيٌ فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: للَّه أرحم بعباده من هذه بولدها.

س: كيف يُورث الخنثى، وهو من له فرجان؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: وأجمع العلماء على أنه يُورَّث من حيث يبول، إن بال من حيث يبول الرجل ورث ميراث رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة ورث ميراث المرأة.

* * *

س: ما الحكمة في تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث؟

ج: ذكر بعض أهل العلم وجهًا لذلك حاصله: أن الرجل هو الذي ينفق والأنثى يُنفق عليها فيُعطى الذكر لكونه المنفق، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾.

وقال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1]: لأن القائم على غيره المنفق ماله عليه مترقبٌ للنقص دائمًا، والمقوم عليه المنفق عليه المال مترقبٌ للزيادة دائمًا، والحكمة في إيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة جبرًا لنقصه المترقب ظاهرة جدًّا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً..﴾.

ج: أي إن كانت المتروكات نساءً.

* * *

س: ما المراد بالنساء في قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ..﴾.

ج: المراد بالنساء هنا: بنات الميت.

(١) «أضواء البيان» (١/ ٢٧٠).

س: ما مدى صحة قول من قال: إن كلمة (فوق) في قوله تعالى: ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ زائدة؟

ج: من أهل العلم من قال إن كلمة (فوق) زائدة كقوله تعالى: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾، ومن أهل العلم من أبى ذلك ومنعه وقال: ليس في القرآن شيء زائد.

ووجَّه بعضهم قوله تعالى: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾ بأن قال: إنها الأفصح، وليست (فوق) زائدة بل هي محكمة للمعنى؛ لأن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ.

* * *

س: ذكر اللَّه في كتابه الكريم النساء فوق اثنتين، وذكر الواحدة، فما فرض البنتين ونصيبهما؟

ج: فرضُ البنتين الثلثان قياسًا على الأختين المذكورتين في آخر سورة النساء؛ إذ اللَّه قال: ﴿**فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ**﴾.

وأيضًا ولسبب نزول الآية الذي قدمناه، وإن كان فيه مقال ولأثر زيد بن ثابت الذي أخرجه البخاري معلقًا[1] وفيه إذا ترك رجل أو امرأةٌ بنتًا فلها النصف، وإن كانتا اثنتين أو أكثر فلهما الثلثان.

ويتحصل من أقوال العلماء أن البنتين لهما الثلثان لأمور ثلاثة:

أولها: حديث جابر الذي قدمنا ذكره وفيه: أن النبي ﷺ قضى لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين.

(١) البخاري معلقًا (مع الفتح ١٢/ ١٢ ط سلفية)، وفي سنده بعض الكلام.

الثـاني: أن الأختين لهما الثلـثان في قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ**﴾ [النساء: ١٧٦].

قالوا: فلأن يرث البنتان الثلثين فبطريق الأولى.

الثـالث: أن اللَّه قـال في شأن الواحـدة: ﴿**وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾ [النساء: ١١].

قالوا: فلو كان للبنتين النصف لنص عليه، فلما حكم به للواحدة على انفرادها دلَّ على أن البنتين في حكم الثلاث، واللَّه أعلم.

* * *

س: متى يكون للبنات الثلثان مما ترك؟

ج: هذا إذا لم يكن الميت خلَّف ولدًا ذكرًا معهن.

* * *

س: متى يتنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ فلها النصف؟

ج: إن كانت المتروكـة التي خلفها الميت بنتًا واحدةً فقط ليس مـعها من ولد الميت أخ ذكر ولا أخت أنثى فلها النصف.

* * *

س: إذا مات رجل وترك ولدًا واحـدًا ذكرًا، فمـا نصيب هذا الولد في حالة انفراده هذه؟

ج: له جميع الميراث.

* * *

س: ما المراد بالعصبة؟

ج: العصبة لغةً: هم قرابة الرجل لأبيه.

واصطلاحًا: هو كل وارثٍ ليس له سهم مقدر صريح في الكتاب والسنة.

وبتعريف الفرضيين: العصبة كلُّ من يأخذ كلَّ المال عند الانفراد، ويأخذ الباقي بعد أخذ أصحاب الفروض فروضهم.

* * *

س: رجل مات وترك ابنة وأبوين فكم نصيب كل منهم؟

ج: الابنة لها النصف لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾، والأبوان لكل واحد منهما السدس، لقوله تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾. وما بقي من ذلك فللأب بطريق التعصيب لقول النبي ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر**».

فاجتمع للأب الاستحقاق بجهتين الفرض والتعصيب.

* * *

س: رجل مات وترك ابنًا وأبوين فكم نصيب كل منهم؟

ج: الأبوان لكل واحد منهما السدس، وما بقي فللابن.

* * *

س: رجل مات وترك ابنة، وابنة ابن، وأختًا فما نصيب كلٍّ؟

ج: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي

فللأخت؛ وذلك لما أخرجه البخاري[١] من طريق هزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنةٍ وابنةِ ابن وأختٍ، فقال: للابنة النصف وللأخت النصف وائتِ ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأُخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبيُّ ﷺ: للابنة النصف ولابنةِ الابن السدس تكملة الثلثين وما بقيَ فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقولِ ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبرُ فيكم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾ ما المراد بالأبوين هنا، وهل يستويان في الميراث في هذا الموطن؟

ج: المراد بالأبوين أبوا الميت[٢] وهما (الأب والأم)، ويستويان في هذه الحالة في الميراث كما قال تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ولأبويه﴾ المراد به الأم والأب كما تقدم، فكيف عبَّر بالأبوين وإنما هما الأب والأم؟

ج: عُبِّر بذلك على وجه التغليب، كما قيل للشمس والقمر: القمران،

---

(١) البخاري: (حديث ٦٧٣٦).

(٢) قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: وهذا كناية عن غير مذكور، وجاز ذلك لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص: ٣٢]، وكقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾.

فغلبوا القمر على الشمس لخفة التذكير، وكما قيل لأبي بكر وعمر: «العمران» غلبوا عمر على أبي بكر؛ لأن أيام عمر امتدت فاشتهرت، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**»[1]، وإنما أُريد بذلك الأذان والإقامة، فغلبوا الأذان على الإقامة لأنه الأصل.

* * *

س: اذكر أحوال الأبوين في الميراث على وجه الإجمال.

ج: لخص ذلك الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال:

الأبوان لهما في الميراث أحوال:

أحدها: أن يجتمعا مع الأولاد، فيفرض لكل واحد منهما السدس، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة، فرض لها النصف، وللأبوين لكل واحد منهما السدس، وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب، فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب.

الحال الثاني: أن ينفرد الأبوان بالميراث، فيفرض للأم ـ والحالة هذه ـ الثلث ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض، ويكون قد أخذ ضعفي ما فرض للأم، وهو الثلثان، فلو كان معهما ـ والحالة هذه ـ زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف والزوجة الربع. ثم اختلف العلماء: ما تأخذ الأم بعد فرض الزوج والزوجة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تأخذ ثلث الباقي في المسألتين: لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة إليهما؛ وقد جعل اللَّه لها نصف ما جعل للأب، فتأخذ

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٧)، ومسلم (حديث ٨٣٨).

ثلث الباقي ويأخذ الأب ثلثيه. وهو قول عمر وعثمان، وأصح الروايتين عن علي، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور العلماء ـ رحمهم اللَّه.

والقول الثاني: أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ فإن الآية أعم من أن يكون معه زوج أو زوجة أو لا. وهو قول ابن عباس، وروي عن عليٍّ، ومعاذ بن جبل نحوه، وبه يقول شريح وداود بن عليّ الظاهري، واختاره الإمام أبو الحسين محمد بن عبد اللَّه بن اللبان البصري، في كتابه «الإيجاز في علم الفرائض».

وهذا فيه نظر، بل هو ضعيف؛ لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبدا بجميع التركة، فأما في هذه المسألة فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض، ويبقى الباقي كأنه جميع التركة، فتأخذ ثلثه كما تقدم.

والقول الثالث: أنها تأخذ جميع المال في مسألة الزوجة، فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة، فيبقى خمسة للأب، وأما في مسألة الزوج فتأخذ ثلث الباقي؛ لئلا تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال، فتكون المسألة من ستة: للزوج النصف ثلاثة، وللأم ثلث ما بقي وهو سهم، وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان. ويحكى هذا عن محمد بن سيرين ـ رحمه اللَّه ـ وهو قول مركب من القولين الأولين، موافق كلاً منهما في صورة وهو ضعيف أيضًا. والصحيح الأول، واللَّه أعلم.

والحال الثالث من أحوال الأبوين: وهو اجتماعهما مع الإخوة، وسواء

كـانوا من الأبوين، أو من الأب، أو من الأم، فـإنهم لا يرثون مع الأب شيئًا، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، فيفرض لها مع وجودهم السدس، فإن لـم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب الباقي.

* * *

س: ما المراد بالولد في قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾؟

ج: المراد بالولد هنا الذكر أو الأنثى[1]، واحدًا كان أو جماعة.

* * *

س: إذا مات الرجل وترك والـدًا وبنتًا، فمـا نصيب كلٍ منهـما في هذه الحالة؟

ج: أما البنت فلها النـصف لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾، وأما الوالد فنصيبه من وجهين:

أولهما: له السدس فرضًا لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ**﴾ [النساء: ١١].

ثانيهما: له ما تبقى من التركة بعد أن تأخذ البنت نصفها بطريق التعصيب لقول النبي ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر**».

* * *

(١) وسيأتي مزيد تفصيل بشأن الوالد مع البنت الواحدة إن شاء اللَّه، وكما هو معلوم فبنو البنين كالبنين في الميراث إذا لم يكن هناك بنون.

س: إذا مات رجلٌ وترك أمًا وأبًا فقط فكم لأمه وكم لأبيه؟ وضح ذلك بالدليل.

ج: لأمه الثلث، وذلك لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** ﴾. ولأبيه ما تبقى لقول رسول اللَّه ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر**»[١].

* * *

س: قال تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** ﴾ فكم نصيب الأب في هذه الحالة؟

ج: نصيب الأب في هذه الحالة: الثلثان.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** ﴾.

ج: أي: إن لم يترك الميت خلفه ذكرًا ولا أنثى بعد موته.

قال صديق حسن خان[٢]: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ** ﴾ ولا ولد ابن لما تقدم من الإجماع[٣].

* * *

---

(١) صحيح وقد تقدم ذكره.

(٢) «فتح البيان» (٣/ ٤٠).

(٣) وقد قال في «فتح البيان» (٣/ ٣٥): ولا خلاف أن بني البنين كالبنين في الميراث مع عدمهم.

قلت: أي: إذا لم يكن هناك أبناء، وإلا فالأعمام يحجبون أبناء أخيهم.

س: قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ كم هؤلاء الإخوة الذين يحجبون الأم من الثلث إلى السدس؟

ج: الإخوة هنا عند جماهير العلماء اثنان فما زاد عليهما: ذكرانًا كانوا أو إناثًا من أب وأمٍ أو من أب أو من أم.

وقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ: «**اثنان فما فوقهما جماعة**»[1].

وورد عن ابن عباس قول مهجور في هذا الباب، وهو أنه يرى أن الذين يحجبون الأم من الثلث إلى السدس يجب أن يكونوا على الأقل ثلاثة، أما الاثنان فلا يحجبان ـ عنده ـ الأم من الثلث إلى السدس، ولكن هذا قولٌ مخالف للجماهير، واللَّه تعالى أعلم.

هذا وقد قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

فإن قال قائل: وكيف قيل في الأخوين: «إخوة»، وقد علمت أن للأخوين في منطق العرب مثالاً لا يشبه مثال «الإخوة» في منطقها؟

قيل: إن ذلك وإن كان كذلك، فإن من شأنها التأليف بين الكلامين لتقارب معنياهما، وإن اختلفا في بعض وجوههما، فلما كان ذلك كذلك، وكان مستفيضًا في منطقها منتشرًا مستعملاً في كلامها: «ضربت من عبد اللَّه وعمرو رؤوسهما، وأوجعت منهما ظهورهما»، وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال: «أوجعت منهما ظهريهما»، وإن

---

(١) أسانيده ضعيفة، ولمعناه شواهد صحيحة متعددة، وانظر تخريج هذا الحديث في «الإرواء» (٢/ ٢٤٨)، وانظر «الفتح» أيضًا (٢/ ١٤٢) فقد بوَّب البخاري هناك بباب (اثنان فما فوقهما جماعة). وأشار الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ إلى طرق هذا الحديث وبيَّن ضعفها هناك.

كان مقولاً: «أوجعت ظهريهما»، كما قال الفرزدق:

بما في فُؤَادَيْنا من الشَّوقِ والهَوَى فَيَبْرَأُ مُنْهاضُ الفُؤادِ المُشَعَّفُ

نكروه[1]. فكذلك «الأخوان» وإن كانا مجموعين ضُمَّ أحدهما إلى صاحبه، فلهما مثالٌ في المنطق وصورة، غير مثال الثلاثة منهم فصاعداً وصورتهم، فغير جائز أن يغير أحدهما إلى الآخر إلا بمعنى مفهوم، وإذا كان ذلك كذلك، فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل.

* * *

س: ما نصيب الأم من ولدها الذي مات وله أب وله أخ واحد؟

ج: نصيبها الثلث أيضًا لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾، والإخوة جمع فلا تنزل الأم من ثلثها إلى السدس إلا في حالة وجود إخوة أكثر من واحد.

* * *

س: لماذا عُبِّر عن الأخوين بالإخوة في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾؟

ج: من العلماء من قال: عُبِّر بذلك للتأليف بين الكلامين؛ ولقوة العبارة وذلك كقوله في إطلاق الجمع وإرادة التثنية: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾، وكقوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾.

• ومن العلماء من قال: إنما قيل: إخوة لأن أقل الجمع اثنان.

---

(١) أي أنكروه.

س: ما مدى صحة الوارد عن ابن عباس في أنه كان لا يرى أن الأم تُحجب من الثلث إلى السدس إلا بوجود ثلاثة فصاعدًا؟

ج: الأثر أخرجه الطبري[1] في «تفسيره» فقال:

حدثني محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم قال: حدثنا ابن أبي فديك قال: حدثني ابن أبي ذئب، عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال: لم صار الأخوان يردَّان الأم إلى السدس، وإنما قال اللَّه: ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ**﴾، والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة؟ فقال عثمان ـ رحمه اللَّه ـ: هل أستطيع نقض أمر كان قبلي، وتوارثه الناس ومضى في الأمصار؟

قلت: في هذا الإسناد ضعف، ففيه شعبة مولى ابن عباس وهو شعبة بن دينار، وقد تكلم فيه الإمام مالك وطعن فيه بشدة، وإن كان بعض العلماء قد وثقوه إلا أن المضعفين له والطاعنين فيه أكثر.

وقد طعن في هذا الأثر الحافظ ابن كثير حيث قال: وفي صحة هذا الأثر نظرٌ، فإن شعبة هذا تكلَّم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحًا عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به والمنقول عنهم خلافه.

* * *

س: حجبت الأمُّ من الثلث إلى السدس لوجود الإخوة فلمن يذهب هذا السدس الذي تركته المرأة؟

---

(١) الطبري (٨٧٣٢).

ج: هذا السدس يذهب للأب لقيامه بمؤن الإخوة، وهذا رأي جمهور العلماء.

* * *

س: لماذا نقصت الأم عن ثلثها بمصير إخوة الميت معها اثنان فصاعداً؟

ج: نقصت الأم عن ذلك دون الأب؛ لأن على الأب مؤنهم والقيام عليهم دون أمهم.

أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ أضروا بالأم ولا يرثون، ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث، ويحجبها ما فوق ذلك، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم من الثلث؛ لأن أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم.

* * *

س: ما معنى الحجب؟

ج: الحجب هو المنع والحرمان، ومنه قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ أي: ممنوعون عن رؤية ربهم عز وجل في الآخرة، ومنه قيل للحاجب: حاجب لأنه يمنع عن الدخول.

* * *

س: إلى كم قسم ينقسم الحجب؟ وما تعريف كل قسم؟

ج: ينقسم الحجب إلى قسمين: حجبٌ بوصف، وحجبٌ بشخص.

(١) الطبري (٨٧٣٣).

• **أما الحجب بالوصف** فهو أن يتصف الوارث بصفة تمنعه من الميراث ككونه قاتلاً أو مرتدًا أو كافرًا أو مُسترقًا.

• **أما الحجب بالشخص** فهو أن يوجد شخص أحق بالإرث من غيره فيحجبه عن الميراث، أو أن يوجد شخص آخر يتسبب في منع شخصٍ من الميراث أو من بعض الميراث، والحجب بالشخص ينقسم إلى قسمين:

حجب حرمان، وحجب نقصان:

أما حجب الحرمان: ففيه لا يرث المحجوب مع الحاجب شيئًا، فالحاجب يمنع المحجوب من الإرث تمامًا، ومن أمثلته: حجب الجد بالأب وحجب ابن الابن بالابن وحجب الجدة بالأم.

أما حجب النقصان: ففيه أن المحجوب يرث، لكن لولا الحاجب لكان ميراث المحجوب أكثر، وكمثال لذلك الزوج يرث نصف ما تركته زوجته إن لم يكن لها ولد فإن كان لها ولد خفض ميراثه من النصف إلى الربع.

وكذلك الزوجات يرثن ربع ما تركه الزوج إن لم يكن له ولد فإن كان له ولد فلهن الثُمن مما ترك.

وكذلك الأم ترث ثلث ما تركه ولدها إن لم يكن له ولد، فإن كان له إخوة فلأمه السدس.

* * *

س: هناك قوم لا يحجبون حجب حرمان أصلاً، من هم؟

ج: الذين لا يُحجبون حجب حرمان ستة، وهم:

الابنان: (الابن والبنت)، الأبوان: (الأب والأم)، الزوجان:

(الزوج والزوجة).

* * *

س: إذا مات شخص وترك أبًا وجدًّا هل يرث الجدُّ شيئًا؟

ج: الجد لا يرث شيئًا في حالة وجود الأب؛ لأنه محجوبٌ بالأب.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: وأجمع العلماء على أن الجد لا يرث مع الأب.

* * *

س: شخص مات وليس له أم وله جدة هل ترث الجدة أم لا؟ وكم ميراثها؟

ج: نعم الجدة ترث في هذه الحالة، وميراثها السدس بالإجماع، نقل هذا الإجماع غير واحد منهم القرطبي ـ رحمه اللَّه.

* * *

س: إذا مات ميت وترك جده لأبيه، وترك إخوةً كذلك فكم ميراث الجد في هذه الحالة، وهل يرث الإخوة مع وجود الجد؟

ج: من أهل العلم من يرى أن الجد يقوم مقام الأب سواء بسواء ومن ثمَّ فالجد يرث ما كان الأب سيرثه، وسيحجب الإخوة عن الميراث كما أن الأب يحجب الإخوة.

ومن هؤلاء أبو بكر الصديق رضي اللَّه تعالى عنه.

• ومن حجج هؤلاء قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ وقول النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميًا**».

● بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى توريث الإخوة مع الجد.

وها هو قول القرطبي في ذلك، قال ـ رحمه اللَّه ـ:

فممن قال هو أب وحجب به الإخوة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يخالفه أحد من الصحابة في ذلك أيام حياته، واختلفوا في ذلك بعد وفاته؛ فممن قال إنه أبٌ: ابن عباس وعبد اللَّه بن الزبير وعائشة ومعاذ بن جبل وأُبَيّ بن كعب وأبو الدرداء وأبو هريرة، كلهم يجعلون الجد عند عدم الأب كالأب سواء، يحجبون به الإخوة كلَّهم ولا يرثون معه شيئًا. وقاله عطاء وطاوس والحسن وقتادة. وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو ثور وإسحاق. والحجة لهم قوله تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج:٧٨]، ﴿**يَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الأعراف:٢٦]، وقوله عليه السلام: «**يا بني إسماعيل ارموا؛ فإن أباكم كان راميًا**».

وذهب عليٌّ بن أبي طالب وزيد وابن مسعود إلى توريث الجدِّ مع الإخوة، ولا ينقص من الثلث مع الإخوة للأب والأم أو للأب إلا مع ذوي الفروض؛ فإنه لا ينقص معهم من السدس شيئًا في قول زيد. وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي. وكان عليٌّ يُشرك بين الإخوة والجد إلى السدس ولا ينقصه من السدس شيئًا مع ذوي الفرائض وغيرهم. وهو قول ابن أبي ليلى وطائفة.

* * *

س: شخص مات وله أم وله جدة، هل ترث جدته؟

ج: لا ترث جدته شيئًا، فالجدة حينئذ محجوبة بالأم.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: وأجمعوا على أن الأم تحجب أمها وأم الأب.

س: الأم تحجب الجدة كما تقدم، فهل يحجب الأبُ أم الأم؟

ج: الأب لا يحجب أم الأم بالإجماع، نقل هذا الإجماع القرطبي ـ رحمه اللَّه.

* * *

س: إذا مات شخص وترك أم أمه، وأم أبيه، فما ميراث كل منهما؟

ج: تشترك هاتان الجدتان في السدس، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك.

* * *

س: هل لولد الولد شيء إذا كان في ولد الصلب ذكر؟

ج: إذا كان في ولد الصلب ذكرٌ لم يكن لولد الولد شيء، **قال القرطبي:** هذا مما أجمع عليه أهل العلم.

* * *

س: ما الذي يستخرج من الميراث قبل تقسيمه؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: ولا ميراث إلا بعد أداء الدين والوصية؛ فإذا مات المتوفى أخرج من تركته الحقوق المعيَّنات، ثم ما يلزم من تكفينه وتقبيره، ثم الديون على مراتبها، ثم يخرج من الثلث الوصايا، وما كان في معناها على مراتبها أيضًا، ويكون الباقي ميراثًا بين الورثة.

* * *

س: هل الدَّين يُقدم على الوصية أم الوصية تقدم على الدَّين؟

ج: الدين يُقدم على الوصية بالإجماع.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: أجمع العلماء سلفًا وخلفًا على أن الدين مُقدمٌ على الوصية.

* * *

س: لماذا قُدِّمت الوصية على الدَّين في قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ مع أن الدَّين يُقدم على الوصية بالإجماع؟

ج: ذكر القرطبي في ذلك وجوهًا خمسة فقال ـ رحمه اللَّه:

إن قيل: ما الحكمة في تقديم ذكر الوصية على ذكر الدَّين، والدَّين مقدم عليها بإجماع، وقد روى الترمذي عن الحارث عن عليّ: أن النبي ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصية، وأنتم تقرُّون الوصية قبل الدَّين. قال: والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أنه يُبدأ بالدَّين قبل الوصية.

وروى الدارقطني من حديث عاصم بن ضمرة عن علي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدَّين قبل الوصية وليس لوارث وصية**». رواه عنهما أبو إسحاق الهَمداني. فالجواب من أوجه خمسة:

الأول: إنما قصد تقديم هذين الفصلين على الميراث ولم يقصد ترتيبهما في أنفسهما؛ فلذلك تقدمت الوصية في اللفظ.

جواب ثان: لما كانت الوصية أقل لزومًا من الدَّين قدمه اهتمامًا بها؛ كما قال تعالى: ﴿**لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً**﴾ [الكهف: ٤٩].

جواب ثالث: قدمها لكثرة وجودها ووقوعها؛ فصارت كاللازم لكل ميت مع نص الشرع عليها، وأخَّر الدَّين لشذوذه، فإنه قد يكون وقد لا يكون، فبدأ بذكر الذي لا بدّ منه، وعطف بالذي قد يقع أحيانًا، ويقوي

هذا: العطف بأو، ولو كان الدين راتبًا لكان العطف بالواو.

جـواب رابع: إنما قدمت الوصية إذ هي حظ مساكين وضعفاء، وأُخِّر الدَّين إذ هو حظٌّ غريم يطلبه بقوةٍ وسلطان وله فيه مقال.

جـواب خـامس: لما كانت الوصية ينشئها من قبل نفسه قدمها، والدَّين ثابت مؤدًّى ذكره أو لم يذكره.

* * *

س: إذا لم يؤد الشخص الزكاة حتى مات هل تؤخذ من الميراث أم لا؟

ج: ذهب الشافعي - رحمه اللَّه تعالى - إلى أن الرجل إذا فرط في زكاته أُخذ ذلك من رأس ماله، **فقال القرطبي - رحمه اللَّه تعالى - نقلاً عنه:**

إن الرجل إذا فرَّط في زكاته وجب أخذ ذلك من رأس ماله. وهذا ظاهر بادئ الرأي؛ لأنه حقٌّ من الحقوق فيلزم أداؤه عنه بعد الموت كحقوق الآدميين لا سيما والزكاة مصرفها إلى الآدمي. وقال أبو حنيفة ومالك: إن أوصى بها أديت من ثلثه، وإن سكت عنها لم يُخرج عنه شيء. قالوا: لأن ذلك موجب لترك الورثة فقراء؛ إلا أنه قد يتعمد ترك الكل حتى إذا مات استغرق ذلك جميع ماله فلا يبقى للورثة حق.

* * *

س: هل تجوز الوصية لوارث؟

ج: لا تجوز الوصية لوارث لحديث: «**لا وصية لوارث**»، ثم إن الإجماع منعقد على ذلك، نقله القرطبي وغيره.

* * *

س: ما هو القدر المسموح للشخص أن يوصي به؟

ج: أقصاه ثلث التركة لقول النبي ﷺ: «**الثلث والثلث كثير**»، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو غضَّ الناس إلى الرُّبع[1]؟ لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الثلث والثلث كثير**».

* * *

س: اذكر بعض صور الإضرار في الوصية؟

ج: من صور الإضرار في الوصية كأن يزيد في الوصية على الثلث أو يوصي لوارث.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: فإن زاد فإنه يُرد إلا أن يجيزه الورثة؛ لأن المنع لحقوقهم لا لحق اللَّه تعالى، وإن أوصى لوارث فإنه يرجع ميراثًا.

* * *

س: ما حكم الحيف والمضاراة في الوصية؟

ج: الحيف والمضاراة في الوصية حرام لقوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ**﴾، فنهى اللَّه عن المضاراة في الوصية.

وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الضرار في الوصية من الكبائر.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿**لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا**﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٤٣)، ومسلم (حديث ١٦٢٩).

(٢) الطبري (٨٧٨٤) فما بعدها.

ج: الظاهر أن النفع هنا عام في الدنيا والآخرة، فيكون النفع في الدنيا بالدعاء والصدقة والاستغفار كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وقد يكون في الآخرة بأنواع الشفاعات التي يشفعها الأبناء للآباء، والآباء للأبناء.

● وكذلك فالوالد إذا كان أرفع درجة من ولده رُفع إليه ولده كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ** ﴾.

● وكذلك الولد يكون سببًا في الخير لأبيه في الآخرة كما في الحديث: «**إن اللَّه عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»(٢).

ووجه آخر: لا تدرون هل موت الآباء أقرب فينتفع الأولاد بأموالهم، أم موت الأبناء أقرب فينتفع الآباء بأموالهم.

ووجه ثالث: أن الآباء والأبناء يتفاوتون في النفع حتى لا يُدرى أيهم أقرب نفعًا؛ لأن الأولاد ينتفعون في صغرهم بالآباء، والآباء ينتفعون في كبرهم بالأبناء، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما المراد بالولد في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن

---

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٩)، وإسناده حسن.

لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: الخطاب للرجال والولد هنا بنو الصُّلب[١] وبنو بنيهم وإن سفلوا ذكرانًا وإناثًا، واحدًا فما زاد بإجماع.

وقال أيضًا: وأجمع العلماء على أن للزوج النصف في عدم الولد أو ولد الولد[٢] وله مع وجوده الربع.

* * *

س: كم ترث المرأة من زوجها؟

ج: للمرأة من زوجها الربع مما ترك إن لم يكن له ولد[٣]، ولها الثُّمن مع وجوده.

* * *

س: إذا مات الرجل عن عدة أزواج فكم نصيب الأزواج؟

ج: يشترك الأزواج في الربع إن لم يكن للزوج ولد، ويشتركن في الثمن إن كان له ولد، لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ [النساء: ١٢].

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه: وأجمعوا على أن حكم الواحدة من الأزواج والثنتين والثلاث والأربع في الربع إن لم يكن له ولد، وفي الثمن

---

(١) قولنا بنو الصلب احترازًا عن الولد بالتبني أو الولد الدَّعِيّ.

(٢) وسواء كان هذا الولد من الزوج أو من غيره، وسواء كان ذكرًا أو أنثى.

(٣) وسواء كان هذا الولد منها أو من غيرها.

إن كان له ولد واحد، وأنهن شركاء في ذلك؛ لأن اللَّه عز وجل لم يفرق بين حكم الواحدة منهن وبين حكم الجميع، كما فرق بين حكم الواحدة من البنات والواحدة من الأخوات وبين حكم الجميع منهن.

* * *

س: اذكر بعض الآثار الواردة في تفسير الكلالة.

ج: من ذلك أثر عمر رضي الله عنه الذي أخرجه ابن أبي حاتم[1] في «تفسيره» بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول: القول ما قلت. قال: قلتُ: وما قلتَ؟ قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

• وكذلك أثر ابن عباس رضي الله عنهما عند عبد الرزاق[2] ففيه من طريق حسن ابن محمد بن علي قال: سمعت ابن عباس يقول: الكلالة من لا ولد له ولا والد، قال حسن بن محمد: قلت لابن عباس: فإن اللَّه يقول: ﴿**إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ [النساء:١٧٦] قال: فانتهرني.

* * *

س: من المراد بالأخ والأخت في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ..﴾ هل هم الأشقاء أم الإخوة لأب أم الإخوة لأم؟

---

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٨٧).

(٢) وإسناده صحيح (عبد الرزاق ١٩١٨٩)، وانظر أيضًا (١٩١٨٨)، وأخرجه البيهقي «السنن الكبرى» (٦/ ٢٢٥).

ج: هم الإخوة لأم، أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن يعلى بن عطاء عن القاسم[٢] عن سعد: أنه كان يقرأ: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**﴾ قال سعد: لأمه.

وأخرج الطبري[٣] بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم، إن كان واحدًا فله السدس، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

* * *

س: ما المراد بالأخ أو الأخت في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ..﴾؟

ج: نقل القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الإجماع على أن الإخوة في هذه الآية عني بهم الإخوة لأم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة**﴾ **تقديم أو تقدير، وضح ذلك.**

ج: إيضاحه أن المعنى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة تورث كلالة، فقدرنا كلمة: (تورث كلالة). أو أن المعنى يصاغ بسياق آخر: وإن كان رجل أو امرأة تورث كلالة.

ففي هذا نوع تقديم، واللَّه أعلم.

---

(١) الطبري (٨٧٧٢).

(٢) القاسم هو القاسم بن ربيعة.

(٣) الطبري (٨٧٧٦).

س: قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يقتضي التسوية بين الذكور والإناث في الميراث، فهل هذا صحيح؟

ج: نعم هذا صحيح فالإخوة والأخوات لأم في حالة ميراثهم كلالة للذكر منهم مثل الأنثى في الميراث.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: في قوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ**﴾ هذا التشريك يقتضي التسوية بين الذكر والأنثى، وإن كثروا، وإن كانوا يأخذون بالأم فلا يفضل الذكر على الأنثى وهذا إجماع من العلماء.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾؟

ج: **قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:** ﴿**فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ**﴾، يعني: فإن كان الإخوة والأخوات لأم الميت الموروث كلالة أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث، يقول: فالثلث الذي فرضت لاثنيهم إذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثًا لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة، شركة بينهم، إذا كانوا أكثر من اثنين إلى ما بلغ عددهم على عدد رءوسهم، لا يفضل ذكر منهم على أنثى في ذلك، ولكنه بينهم بالسويَّة.

* * *

س: بم يمتاز الإخوة والأخوات لأم في حالة ميراث الكلالة؟

ج: يمتازون بالآتي:

- ذكرانهم كإناثهم في الميراث.
- نصيبهم مجتمعين لا يتجاوز الثلث.
- لا يرثون إلا إذا كان ميتهم يورث كلالة، فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن.

* * *

س: رجل مات وترك أربعة إخوة ذكور لأم، وأربع أخوات إناث لأم أيضًا وترك ٢٤٠٠ جنيهًا فما نصيب البنت والولد؟

ج: للإخوة لأم مجتمعين ثلث التركة لقوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ**﴾، فعلى ذلك فللذكور والإناث مجتمعين ثلث التركة وهو (٨٠٠) ولكون ذكرانهم كإناثهم فلكلٍّ حينئذٍ (١٠٠).

* * *

س: امرأة ماتت وتركت زوجها وأمها وأخاها لأمها فما نصيب كلٍّ؟

ج: للزوج النصف لقوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ**﴾ وللأم الثلث لقوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾.

وللأخ من الأم السدس، لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ**﴾.

* * *

س: امرأة ماتت وتركت زوجها وأمها وأخوين وأختين لأم، فما نصيب كلٍّ؟

ج: للزوج النصف لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾، وللأم السدس لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾، والأخوان والأختان يشتركان بالسوية في الثلث المتبقي لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

* * *

س: امرأة ماتت وتركت زوجًا وأمًّا وإخوة لأم، وإخوة لأم وأب، وإخوة لأب فما نصيب كلٍّ؟

ج: الزوج له النصف، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾.

والأم لها السدس لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾.

والإخوة لأم لهم الثلث بالسويّة لقول اللّه تعالى: ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

وهذا بالنص كما رأيت وبمقتضاه قال فريق من أهل العلم، فليس للإخوة للأم والأب ولا للإخوة للأب شيء على هذا القول.

- وعلى رأى آخر في الإخوة لأم أن الإخوة جميعًا (سواء كانوا إخوة لأم، أو إخوة لأم وأب، أو إخوة لأب) كلهم يشتركون في الثلث.

وهذا المسألة تسمى **المسألة الحمارية** وتسمى أيضًا **المسألة المشتركة**

قال القرطبي ـ رحمه اللّه تعالى ـ في مسألة مشابهة:

قال قوم: للإخوة للأم الثلث، وللزوج النصف، وللأم السدس، وسقط

الأخ والأخت من الأب والأم، والأخُ والأخت من الأب. روي عن علي وابن مسعود وأبي موسى والشَّعبي وشريك ويحيى بن آدم، وبه قال أحمد ابن حنبل واختاره ابن المنذر؛ لأن الزوج والأم والأخوين للأم أصحاب فرائض مسماة، ولم يبق للعصبة شيء.

وقال قوم: الأم واحدة، وهَب أن أباهم كان حِمارًا! وأشركوا بينهم في الثلث؛ ولهذا سُميت المشتركة والحِماريَّة. رُوي هذا عن عمر وعثمان وابن مسعود أيضًا وزيد بن ثابت ومسروق وشُريح، وبه قال مالك والشافعي وإسحاق. ولا تستقيم هذه المسألة أن لو كان الميت رجلاً. فهذه جملة من علم الفرائض تضمنتها الآية، واللَّه الموفق للهداية.

* * *

س: ما هي المسألة المشتركة، وما هي أقوال العلماء فيها؟

ج: ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وذكر اختلاف العلماء فيها فقال:

واختلف العلماء في المسألة المشتركة، وهي زوج، وأم أو جدة، واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين. فعلى قول الجمهور للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولولد الأم الثلث، ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم.

وقد وقعت هذه المسألة في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم. فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حمارًا، ألسنا من أم واحدة؟

فشرك بينهم.

وصح التشريك عنه وعن أمير المؤمنين عثمان، وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه يقول سعيد بن المسيب، وشريح القاضي، ومسروق، وطاوس، ومحمد بن سيرين، وإبراهيم النخعي، وعمر بن عبد العزيز، والثوري، وشريك، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه.

وكان علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم، بل يجعل الثلث لأولاد الأم، ولا شيء لأولاد الأبوين، والحالة هذه؛ لأنهم عصبة. وقال وكيع بن الجراح: لم يختلف عنه في ذلك، وهذا قول أبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وهو المشهور عن ابن عباس، وهو مذهب الشعبي، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، والحسن بن زياد، وزفر بن الهذيل، والإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد، وأبي ثور، وداود بن علي الظاهري، واختاره أبو الحسين بن اللبان الفرضي ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «الإيجاز».

* * *

س: اذكر بعض العصبات الأقرب فالأقرب.

ج: قال البغوي في «تفسيره»:

وأقرب العصبات يسقط الأبعد من العصوبة، وأقربهم الابن، ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب، ثم الجد أبو الأب وإن علا، فإن كان مع الجد أحد من الإخوة والأخوات للأب والأم أو للأب فيشتركان في الميراث، فإن

لم يكن جد فالأخ للأب والأم، ثم الأخ للأب، ثم بنو الإخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب، فإن استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم للأب والأم، ثم العم للأب، ثم بنوهم على ترتيب بني الإخوة، ثم عم الأب ثم عم الجد على هذا الترتيب.

فإن لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق، فإن لم يكن حيًّا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الإناث، الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب حتى لو ماتت عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب فإنه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين. ولا يفرض للبنت والأخت.

وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الإناث، ومن فوقه إذا لم تأخذ من الثلثين شيئًا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن، فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، والأخت للأب والأم أو للأب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقي للأخت، فلو مات عن بنتين وأخت فللبنتين الثلثان والباقي للأخت.

* * *

س: أوجز صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أحكام الفرائض وأسباب الإرث بإيجاز فاذكر ما قاله ـ رحمه اللَّه.

ج: قال ـ رحمه اللَّه تعالى: والسهام المحدودة في كتاب اللَّه العزيز ستة: النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس كما تقدم تفسيره آنفًا، والذي وردت به السنة المطهرة أنه يجب الابتداء بذوي الفروض المقدرة وما بقي

فللعصبة والأخوات مع البنات عـصبة، ولبنت الابن مع البنت السدس تكملة للثلثين، وكذا الأخت لأب مع الأخت لأبوين وللجدة أو الجدات السدس مع عدم الأم، وهو للجد مع من لا يسقطه ولا ميراث للإخوة والأخوات مطلقًا مع الابن أو ابن الابن أو الأب، وفي ميراثـهم مع الجد خلاف، ويرثون مع البنات إلا الإخوة للأم ويسقط الأخ لأب مع الأخ لأبوين.

وأولو الأرحام يتوارثون وهم أقدم من بيت المال، فإن تزاحمت الفرائض فالعـول، ولا يرث ولد الملاعنة والزانية إلا من أمه وقرابتـها والعكس، ولا يرث المولود إلا إذا استـهل، وميراث العـتيق لمعتقـه ويسقط بالعصـبات وله الباقي بعد ذوي السهام، ويحرم بيع الولاء وهبته، ولا توارث بين أهل ملَّتين ولا يرث القاتل من المقتول.

هذا جميع ما ثبت بالسنة المطهرة فاشدد عليه يديك.

* * *

س: وضح أقسام العصبة وبعض أحكامها؟

ج: ذكر ذلك الشـيخ الصابوني[1] في كتابه «المواريث» باخـتصار وإيجاز فقال:

أقسام العصبة:

تنقسم العصبة إلى قسمين: عصبة نسبيَّـة وعصبة سببيَّة، فالنسبية هي التي تكون بسبب النسب، وأما السببية فـهي التي تكون بسبب (العتق) فإن السيد

(١) وللشيخ الصابوني ـ عفا اللَّه عنه ـ بعض الآراء في التفسير لا نوافقه عليها، ولكن كلامه في آيات الأحكام فيه قوة.

(المُعتق) يرث عـتيـقه (عبـده المملوك) الذي أعتقـه إذا لم يكن له وارث من النسب، فعند ذلك يرثه السيد المعتق جزاء إحسانه ومعروفه له.

أنواع العصبة النسبيَّة:

والعصبة النسبيَّة هي الأصل في الإرث وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: عصبة بالنفس.

ثانيًا: عصبة بالغير.

ثالثًا: عصبة مع الغير.

وإذا أطلقت كلمة (العـصبة) بدون قيد فإنـه لا يراد منها إلا القسم الأول أي: (العصبة بالنفس) وإذا أريد الثاني أو الثالث فإنه يذكر مقيَّدًا فيقال عصبة بالغير وعصبة مع الغير، وسنبين حكم كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل إن شاء اللَّه.

العصبة بالنفس:

العصبة بالنفس: هو (ذكر لا يدخل في نسـبته إلى الميت أنثى) وله جهات أربعة مرتبة كالآتي:

١ ـ **جهة البُنُوَّة:** وتشمل أبناء الميت، ثم أبناءهم (ابن الابن) مهما نزل.

٢ ـ **جـهـة الأبوة:** وتشمل أبا الميت، ثم جـدَّه الصحيح (أب الأب) وإن علا.

٣ ـ **جـهة الأخـوَّة:** وتشمل الأخ الشـقيق، ثم الأخ لأب، ثم ابن الأخ الشقيق، ثم ابن الأخ لأب مـهما نزل. فجهة الأخوة قـاصرة على الإخوة الأشقاء؛ والإخـوة لأب أبناء كلٍّ، أما الإخوة لأم فهم أصـحاب فرض ولا

يكونون (عصبة) لأنهم يدلون بالأم.

٤ ـ **جهة العمومة**: وتشمل: العم الشقيق، والعم لأب، وابن العم الشقيق، وابن العم لأب مهما نزل.. وهذه الجهات مرتبة بهذا الشكل فجهة البُنُوَّةِ مقدمة على جهة الأبوَّة، وجهة الأبوَّة مقدمة على الأُخوَّة، وهكذا.

حكم العصبة بنفسه:

علمنا ممَّا تقدَّم أنَّ العَصَبَةَ بنفسه له جهات أربع، وأن الإرث يكون بين هذا النوع بالترتيب، فإذا وجد واحد من هؤلاء أخذ المال كلَّه، أو أخذ ما بقي بعد سهام أصحاب الفروض، وإذا استغرقت التركة أصحاب الفروض فلا ميراث له، وذلك كما إذا ماتت الزوجة عن: زوج، وأخت شقيقة، وأخ لأب، فإن الزوج له النصف، والشقيقة لها النصف، ولم يبق للأخ لأب شيء؛ لأن الفُروض قد استغرقت جميع التركة، وأما إذا تعددوا أي وجد من العصبة بنفسه أكثر من واحد فيكون الترجيح حسب الآتي:

أولاً: الترجيح بالجهة:

إذا تعدَّد العصبة بنفسه فإنه يكون الترجيح (بالجهة) فَتُقَدَّمُ (جهة البنوة) على غيرها من الجهات، فيأخذ أبناء الميت المال كله أو ما يبقى بعد أخذ أصحاب الفروض سهامهم، فإذا لم يوجد الأبناء فأبناؤهم وإن نزلوا؛ لأنهم يقومون مقامهم، فإذا مات عن: (ابن وأب وأخ شقيق) فالعصبة هنا هو (الابن)؛ لأن جهة البنوة مقدمة على بقية الجهات، والأب صاحب فرض، ولا شيء للأخ الشقيق؛ لأن جهته متأخرة وهكذا.. ويسمى هذا (تقديمًا بالجهة) أو ترجيحًا بالجهة.. ويستثنى من هذا ـ أعني الترجيح بالجهة ـ (الإخوة الأشقاء أو لأب مع الجد) فإن جهتهم متأخرة عن جهة الأبوة

ولكنهم يرثون معه على الرأي الراجح الذي هو مـذهب (زيد بن ثابت) كما سنبـينُهُ إن شاء اللَّه في بحث مـيراث الجـد مع الإخوة والذي تسـير علـيه المحاكم الشرعية اليوم.

ثانيًا: الترجيح بالدرجة:

وإذا تعدد العصبـة بنفسه واتحدوا في الجهة كان التـرجيح (بينهم بالدرجة) فيقدم أقربهم درجة إلى الميت فمثلاً: إذا مات عن ابن، وابن ابن، فالميراث كلُّه للابن، ولا شيء لابن الابن لأن درجة الابن أقرب فيكون هو العصبة، وكذلك إذا وُجـدَ أخ لأب وابن أخ شقـيق فالجـهة وإن كانـت واحدة وهي (جهة الأخوة) إلا أن الدرجة متفاوتة، فالأخ لأب درجته أقرب من ابن الأخ الشقيق فيكون المال للأخ ويسمى هذا تقديمًا بالدرجة.

ثالثًا: الترجيح بقوة القرابة:

وإذا اتحدوا في الجـهة والدرجة كـان الترجيح بـقوة (القرابة) فـمن كانت قرابته أقوى كان هو العصبة ففي: أخ شقيق، وأخ لأب، الميراث كله للشقيق ولا شيء للأخ لأب، وفي ابن أخ شقـيق وابن أخ لأب المال كله لابن الأخ الشقيـق، وكذلك في عم شقيق وعم لأب المال كله للعم الشـقيق ولا شيء للعم لأب، ويسمى هذا التقديم بقـوة القرابة... وينبغي أن نلاحظ هنا أن التقديم بقوة القرابة لا يكون في جـهتي (البنوة والأبوة) وإنما يكون في جهتي (الأخوة والعمومة) والترجيح بالطرق التي ذكرناها (بالجهة) و(بالدرجة) و(بقوة القرابة) مبنيٌّ على قاعدة ذكرها العالم الفرضي (الجعبري) ـ رحمه اللَّه ـ في بيت واحد حيث قال:

فبالجهـة التَّقديم ثم بقربِـهِ وبعدهما التَّقْديمَ بالقوَّةِ اجعلا

لماذا يقدم الابن على الأب؟!

فإن قيل: إن الابن والأب درجتهما واحدة في القرابة والانتساب إلى الشخص، فهذا فرعه وذاك أصله، وهما يدليان إلى الميت في درجة واحدة فكان مقتضى هذا ألا يقدم الابن على الأب في الإرث بالتعصيب، ومن باب أولى ألا يقدم ابن الابن على الأب، فكيف كان ذلك؟

والجواب: أن الابن جهته مقدمة على جهة الأب؛ لأن البنوة مقدمة على جهة الأبوة كما أسلفنا، ومن ناحية ثانية فقد علَّل العلامة الزيلعي ـ رحمه اللَّه ـ السبب، وبين بالدليل المنقول والمعقول أن الابن هو العاصب الذي يستحق أن يقدَّم في التعصيب على الأب، وقد كان كلامه في غاية الدقة والإحكام.

أما الدليل النقلي:

أما الدليل النقلي فقوله تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ [النساء:١١]، فجعل الأب صاحب فرض مع الولد، ولم يجعل للولد الذكر سهمًا مقدرًا فتعين الباقي له، فدلَّ على أن الولد الذكر مقدم على الأب (بالعصوبة) وابن الابن هو ابن فيقوم مقامه فيقدم على الأب أيضًا.

وأما الدليل العقلي:

وأما الدليل العقلي: فإن الإنسان يُؤثِرُ ولده على والده، ويختار ماله إليه، ولأجله يدخر ماله عادة، وقد بيَّن ذلك صلوات اللَّه عليه فقال:

«**الولد مبخَلَةٌ مجبَنَةٌ**» يعني: أن الولد يكون سببًا لبخل أبيه ولجبنه، فإنه يبخل بالمال لأجله، ويحبُّ البقاء ويُجبن عن لقاء الأعداء مَن أجل ولده، فيكون الولد إذًا أقرب لقلب الإنسان من والده واللَّه أعلم.

قاعدة:

العصبة بنفسه: لا يكون إلا ذكرًا، فلا تكون الأنثى عصبة بنفسها بحال من الأحوال، إلا المعتقة، قال في الرحبية:

وليس في النساء طُرًا عصبة إلا التي مَنَّتْ بِعتق الرَّقَبةِ

٢ ـ العصبة بغيره وحكمها:

العصبة بغيره منحصرة في أربعة من الورثة وكلُّهنَّ من الإناثِ وهنَّ:

أ ـ البنت الصلبية: تصبح عصبة مع أخيها وهو (الابن).

ب ـ بنت الابن: تصبح عصبة مع أخيها أو ابن عمها وهو (ابن الابن) سواءً كان في درجتها أو أنزل منها، إذا لم ترث بغير ذلك.

جـ ـ الأخت الشقيقة: تصبح عصبة مع أخيها وهو (الأخ الشقيق).

د ـ الأخت لأب: تصبح عصبة مع أخيها وهو (الأخ لأب).

فكل واحدة من هؤلاء الأربع تصبح عصبة مع أخيها ويقتسمون التركة للذكر مثل حظ الأنثيين.

والخلاصة: أن العصبة بالغير هُنَّ: البنات مع الأبناء، وبنات الابن مع ابن الابن، والأخوات الشقيقات مع الإخوة الأشقاء، والأخوات لأب مع الإخوة لأب.

شروط العصبة بالغير:

ولا يتحقق العصبة بالغير إلا بشروط نوجزها فيما يلي:

أولاً: أن تكون الأنثى صاحبة فرض، فإذا لم تكن صاحبة فرض لا تصير عصبة بالغير، فمثلاً: (بنت الأخ الشقيق) لا تصبح عصبة مع الأخ الشقيق؛ لأنها ليست صاحبة فرض، وكذلك (العمة الشقيقة) لا تصبح عصبة مع العم الشقيق وهكذا.

ثانيًا: أن يكون المعصِّب في درجتها، فلا يعصب الابن (بنت الابن)؛ لأنها ليست في درجته بل يحجبها، كما لا يعصِّب ابن الأخ الشقيق (الأخت الشقيقة) لعدم الاستواء في الدرجة، فتأخذ الأخت الشقيقة النصف في هذه الحالة بالفرض.

ثالثًا: أن يكون المعصب في قوة الأنثى صاحبة الفرض، فلا يعصب الأخ لأب الأخت الشقيقة؛ لأن قرابتها أقوى منه.

قاعدة: (كل من كان نصيبُها النصفَ عند الانفراد، والثلثين عند التعدد تصبح عصبة بأخيها) وهذه القاعدة تخصُّ الأصناف الأربعة التي مر ذكرها وهي: (البنت، وبنت الابن، والأخت الشقيقة، والأخت لأب) والله أعلم.

الدليل على توريث العصبة بالغير:

والدليل على إرث العصبة بالغير قوله تعالى: ﴿**فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١٧٦].

وقد أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة في الآية الكريمة، الإخوة والأخوات لأبوين (أي: الأشقاء والشقيقات) أو لأب، فلا تشمل الإخوة والأخوات لأم؛ لأن ميراثهم بالفرض لا بالتعصيب، والذكر والأنثى سواء لقوله تعالى: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢].

وجه التسمية:

وإنما سمي هذا النوع من العصبات (عصبة بالغير)؛ لأن عصوبة هؤلاء الأربع من النساء ليست بسبب قرابتهن للميت وإنما هي بسبب وجود الغير وهو العاصب بنفسه فإذا وجد صرن عصبة به، وإذا لم يوجد ورثن بطريقة الفرض.

٣ ـ العصبة مع الغير:

العصبة مع الغير مختصة بالأخوات (الشقيقات أو لأب) مع البنات إذا لم يكن معهن أخ ذكر، فالأخت الشقيقة أو لأب تصبح عصبة مع البنت أو بنت الابن مهما نزلت درجتها ويقال في هذه الحالة: إنها (عصبة مع الغير) فهذا النوع من التعصيب خاص بالأخوات مع البنات، وهذا معنى قول الفرضيين: «اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة».

وهذا القول من كلام الفرضيين وليس بحديث كما نبَّه على ذلك العلامة (الباجوري) في حاشيته على الشنشوري، قال في نظم الرحبية:

والأخواتُ إنْ تكُنْ بنات ... فهُنَّ معْهُنَّ مُعَصَّباتُ

وإنما كانت الأخوات مع البنات عصبة ليدخل النقص على الأخوات دون البنات؛ فإننا لو فرضنا للأخوات لعالت المسألة ونقص نصيب البنات ولا

يمكن إسقاط الأخوات فجعلن عصبة ليدخل النقص عليهن خاصة. (حاشية الباجوري ص ١٠٨).

الدليل على توريث العصبة مع الغير: والدليل على توريث العصبة مع الغير ما روي في البخاري وغيره أنَّ أبا موسى الأشعري سئل عن بنتٍ، وبنت ابن، وأختٍ فقال: «للبنت النصف، وللأخت النصف، ثم قال للسائل: وأتِ ابن مسعود فسيوافقني، فسئل ابن مسعود رضي الله عنه فقال: لأقضينَّ فيها بقضاء رسول اللَّه ﷺ: للبنت النصفُ، ولبنت الابن السدس تكملة للثلثين، وما بقي فهو للأخت... فأتينا أبا موسى فأخبرناه فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحَبْرُ فيكم». رواه البخاري. فقد جعل ﷺ للأخت الشقيقة مع البنات ما بقي فأصبحت عصبة مع الغير.

تنبيه هام: إذا أصبحت الأخت الشقيقة عصبة مع الغير فإنها تصبح كالأخ الشقيق، فتحجب الإخوة للأب ذكورًا كانوا أو إناثًا، وتحجب من بعدهم من العصبة كبني الإخوة والأعمام الأشقاء أو لأب، وكذلك الأخت لأب إذا صارت عصبة مع البنات، فإنها تصبح في قوة الأخ لأب فتحجب بني الإخوة ومن بعدهم، وتوضيحًا لهذه الفكرة نضرب بعض الأمثلة:

(مثال أوَّل)

		٢
$\frac{١}{٢}$	بنت	١
عصبة مع الغير	أخت شقيقة	١
محجوب	أخ لأب	

فالبنت لهـا النصف فرضًا، والباقي للأخت الشـقيقة؛ لأنهـا أصبحت عصبـة مع الغير فهي فـي قوة الأخ الشقيق، والأخ لأب مـحجوب؛ لأن الشقيقة أصبحت هي العصبة.

(مثال ثانٍ)

		٤
$\frac{١}{٤}$	زوج	١
$\frac{١}{٢}$	بنت ابن	٢
عصبة مع الغير	أختان شقيقتان	١
محجوب	أخ لأب	

فللزوج الربع لوجود الفرع الوارث، ولبنت الابن الـنصف فرضًا، وما بقي وهو (١/ ٤) فللشقيقتين؛ لأنهما أصبحتا عصبة مع الغير فهما في قوة الأخ الشقيق، وليس للأخ لأب شيء؛ لأنه حجب بالشقيقتين، وهكذا.

(مثال ثالث)

		٣
$\frac{٢}{٣}$	بنتين	٢
عصبة مع الغير	أخت لأب	١
محجوب	ابن أخ شقيق	

فللبنتين الثلثان وللأخت لأب الباقي وهو الثلث، لأنها أصبحت عصبة مع الغير فـهي في قوة الأخ لأب، وتحجب من بعدها من العـصبات وهو

ابن الأخ الشقيق.

(مثال رابع)

		٦
$\frac{١}{٢}$	بنت	٣
$\frac{١}{٦}$	بنت ابن	١
	أم	١
عصبة مع الغير	أخت لأب	١
محجوب	عم شقيق	

ففي هذه المسألة للبنت النصف فرضًا، ولبنت الابن السدس تكملة للثلثين، وللأم السدس، وما بقي وهو (١/٦) السدس فللأخت لأب؛ لأنها أصبحت عصبة مع الغير فهي في قوة الأخ لأب؛ ولذلك يحجب العم وقِسْ على ذلك.

ملحوظة: الإخوة والأخوات لأم لا يرثون مع البنات بل يحجبون بهن، فلا تكون الأخوات لأم عصبات مع البنات، فتنبَّه.

الفرق بين العصبة بالغير والعصبة مع الغير:

تبيَّن مما سبق أن العصبة بالغير هي: كل أنثى صاحبة فرض تصبح عصبة بأخيها، وذلك مثل البنت مع الابن، والشقيقة مع الشقيق، وهكذا والحكم فيها: أن الذكر له ضعف الأنثى، وأما العصبة مع الغير: فهن الأخوات مع البنات وحكمهن أنهنَّ يأخذن الباقي بعد أخذ أصحاب

الفروض فروضهم. ومن هنا تبين الفارق بينهما فإنَّ في (العصبة بالغير) يوجد دائمًا عاصب نفسي أي (عصبة بنفسه) وهو الابن، وابن الابن، والأخ الشقيق، والأخ لأب، وأما في العصبة مع الغير فلا يوجد عاصب بنفسه، وفي الأول تتعدى العصوبة من الذكر إلى الأنثى فتشاركه في تلك العصوبة ويلغى فرضها ويصبح للذكر ضعف نصيبها. . أما في الثاني (العصبة مع الغير) فلا تتعدى العصوبة من الذكر إلى الأنثى فلا تشارك الأخت البنت أو بنت الابن في نصيبها بل ترث البنت فرضها، والأخت ترث الباقي، فهذا باختصار هو الفارق واللَّه تعالى أعلم.

هل يرث الإنسان من جهتين؟

قد توجد في الشخص جهتان للإرث فيرث بهما إن كانتا مختلفتين كما إذا كانت إحدى الجهتين بالفرض والأخرى بالتعصيب مثلاً، أو كانت إحداهما بالفرض، والثانية بالرحم. ومثال هذا النوع كالآتي:

أ ـ ماتت عن جدة، وأخ لأم، وزوج هو ابن عم شقيق فللجدة السُّدس، وللأخ لأم السُّدس، وللزوج النصف فرضًا بسبب الزوجية، والباقي تعصيبًا بسبب أنه عصبة لأنه ابن عم شقيق.

ب ـ توفي الزوج عن بنتي خالة إحداهما زوجته، فالزوجة تأخذ فرضها وهو الربع بسبب الزوجية وتشارك في الباقي بنت الخالة الأخرى فترث معها بالرحم، ويقسم الباقي بينهما مناصفة، فقد ورثت الزوجة بجهتين مختلفتين إحداهما بالزوجية والأخرى بالقرابة الرحمية.

ج ـ مات عن شقيقة وزوجة هي ابنة عمته، فللزوجة الربع فرضًا، وللشقيقة النصف فرضًا والباقي ردًّا، ولا ترث الزوجة بسبب قرابة الرحم

لوجود صاحب الفرض وهو الشقيقة، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما المراد بالعول؟

ج: المراد بالعول الزيادة، أي: زيادة أنصبة الورثة المفروضة لهم عن الواحد الصحيح. بمعنى أننا إذا جمعنا أنصبة الورثة نجدها بمجموعها تزيد على الواحد الصحيح. فعلى سبيل المثال: امرأة ماتت وتركت زوجًا وأختين شقيقتين، فالزوج له النصف لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ**﴾ [النساء:١٢]، والأختان لهما الثلثان لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ**﴾ [النساء:١٧٦].

فبجمع النصف إلى الثلثين نجد أنهما زادا على الواحد الصحيح، فقد زادت الفروض إذن على التركة، فيقال حينئذٍ: إن المسألة عالت، أي: زادت الأنصبة على التركة فحينئذ رأي الجمهور على أن الزوج ينقص شيء من نصيبه وكذلك الأختان حتى تستوعب التركة الزوج والأختين.

هذا وقد قال الصابوني في التعريف الاصطلاحي للعول:

هو زيادة في مجموع السهام المفروضة، و نقص في أنصباء الورثة، وذلك عند تزاحم الفروض وكثرتها، بحيث تستغرق جميع التركة ويبقى بعضُ أصحاب الفروض، بدون نصيب من الميراث، فنضطر عند ذلك إلى زيادة أصل المسألة، حتى تستوعب التركة جميع أصحاب الفروض، وبذلك يدخل النقص إلى كل واحد من الورثة، ولكن بدون أن يُحرم أحد من الميراث. . فالزوج الذي يستحق النصف قد يصبح نصيبه الثلث، في

بعض الحالات، كما إذا عالت المسألة من (٦) إلى (٩) فعوضًا عن أن يأخذ $\frac{٣}{٦}$ وهو النصف يأخذ $\frac{٣}{٩}$ وهو الثلث، وهكذا بقية الورثة يدخل عليهم النقص، في أنصبائهم في حالة عول المسألة. وبذلك يتضح لنا معنى قول الفرضيين، في تعريف العول «هو زيادة في السهام المفروضة، ونقص في أنصباء الورثة».

وقال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

• العول وأحكامه •

وأما مسائل (العول) فإنه يستفاد حكمها من القرآن؛ وذلك أن اللَّه تعالى قد فرض وقدر لأهل المواريث أنصباء، وهم بين حالتين: إما أن يحجب بعضهم بعضًا أو لا، فإن حجب بعضهم بعضًا، فالمحجوب ساقط، لا يزاحم، ولا يستحق شيئًا، وإن لم يحجب بعضهم بعضًا، فلا يخلو: إما أن لا تستغرق الفروض كلها التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على التركة، ففي الحالتين الأوليين، كل واحد يأخذ فرضه كاملاً، وفي الحالة الأخيرة وهي ـ ما إذا زادت الفروض على التركة ـ فلا يخلو من حالين: إما أن ننقص بعض الورثة عن فرضه الذي فرضه اللَّه له، ونكمل للباقين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينت الحال الثانية، وهو: أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه، بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم، كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم.

ولا طريق موصل إلى ذلك إلا بالعول، فعلم من هذا أن العول في الفرائض قد بينه اللَّه في كتابه.

• بيان أحكام الرد على أصحاب الفرائض •

وبعكس هذه الطريقة بعينها، يعلم (الرد)؛ فإن أهل الفروض - إذا لم تستغرق فروضهم التركة، وبقي شيء ليس له مستحق، من عاصب قريب ولا بعيد - فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرهم ممن ليس بقريب للميت جنف وميل ومعارضة لقوله: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]. فتعين أن يرد على أهل الفروض بقدر فروضهم.

• حكم الرد على الزوجين في الميراث •

ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا الزيادة على فرضهم المقدر عند القائلين بعدم الرد عليهما، وأما على القول الصحيح: أن حكم الزوجين حكم باقي الورثة في الرد، فالدليل المذكور شامل للجميع، كما شملهم دليل العول.

* * *

• بعض الأمثلة التطبيقية على العول •

س: امرأة ماتت وتركت زوجًا، وأمًّا، وأختًا شقيقة وأختًا لأم، وتركت مبلغًا وقدره (٤٨٠٠) جنيهًا، فما نصيب كل من الورثة؟

ج: الزوج له النصف، لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ**﴾ [النساء: ١٢].

والأم لها السدس لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ [النساء: ١١].

والأخت الشقيقة لها النصف، لأن الميت في هذه الحالة لا ولد له ولا والد، فهو إذن كلالة، واللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ**﴾ [النساء: ١٧٦].

وهذا ـ كما هو معلوم ـ في الأخت الشقيقة، ولكونه كلالة أيضًا فللأخت للأم السدس، لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ**﴾ [النساء: ١٢].

للزوج النصف $\frac{١}{٢}$، وللأم السدس $\frac{١}{٦}$، وللأخت الشقيقة النصف $\frac{١}{٢}$، وللأخت لأم السدس $\frac{١}{٦}$.

والمقام المشترك هو ٦ فنعيد الصياغة على النحو التالي.

للزوج النصف $\frac{٣}{٦}$، وللأم السدس $\frac{١}{٦}$، وللأخت الشقيقة النصف $\frac{٣}{٦}$، وللأخت لأم السدس $\frac{١}{٦}$، فيكون المجموع $\frac{٨}{٦}$.

فتكون المسألة قد عالت، أي: زادت على الواحد الصحيح فبدلاً من أن تكون $\frac{٦}{٦}$ أصبحت $\frac{٨}{٦}$ فتقسم التركة إلى ثمانية أجزاء بدلاً من ٦، ويأخذ الزوج $\frac{٣}{٨}$ [(١)] من التركة، والأم $\frac{١}{٨}$ من التركة، والأخت الشقيقة $\frac{٣}{٨}$ من التركة، والأخت لأم $\frac{١}{٨}$ من التركة فحينئذ يكون مجموع $\frac{٣}{٨}$ ، $\frac{١}{٨}$ ، $\frac{٣}{٨}$ ، $\frac{١}{٨}$ مساويًا للواحد الصحيح أي للتركة بلا زيادة ولا نقص.

فيكون نصيب الزوج: $\frac{٣}{٨}$ × ٤٨٠٠ = ١٨٠٠ جنيه.

ونصيب الأم: $\frac{١}{٨}$ × ٤٨٠٠ = ٦٠٠ جنيه.

ونصيب الأخت الشقيقة: $\frac{٣}{٨}$ × ٤٨٠٠ : ١٨٠٠ جنيه.

ونصيب الأخت لأم: $\frac{١}{٨}$ × ٤٨٠٠ = ٦٠٠ جنيه.

فيكون المجموع: ١٨٠٠ و٦٠٠ و١٨٠٠ و٦٠٠ مساويًا لـ (٤٨٠٠) جنيه، وهي التركة بتمامها.

* * *

س: امرأة ماتت وتركت زوجًا وأخوين لأم وأختين شقيقتين، فما نصيب كلٍّ إذا كانت التركة ٣٦٠٠ جنيهًا؟

ج: الزوج له النصف؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ**﴾ [النساء: ١٢].

- والأخوين لأم لهما الثلث؛ لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً**

---

(١) وذلك بدلاً من $\frac{٣}{٦}$ التي كانت له أولاً.

أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء:١٢].

● والأختان الشقيقتان لهما الثلثان؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١٧٦]؛ وذلك لأن الميت في هذه الحالة كلالة فعلى ذلك تكون الأنصبة مجتمعة كالتالي: الزوج ($\frac{١}{٢}$) والأخوان لأم ($\frac{١}{٣}$) والأختان الشقيقتان: ($\frac{٢}{٣}$) وبسياق آخر أدعى لسهولة الجمع:

الزوج له $\frac{٣}{٦}$، والأخوان لأم لهما $\frac{٢}{٦}$ ،والأختان الشقيقتان $\frac{٤}{٦}$ فيكون المجموع $\frac{٩}{٦}$.

فلكي تستحوذ التركة على الأنصبة كلها سيكون للزوج $\frac{٣}{٩}$ بدلاً من $\frac{٣}{٦}$ والأخوان $\frac{٢}{٩}$ والأختان الشقيقتان $\frac{٤}{٩}$.

فيكون المجموع $\frac{٩}{٩}$ وهو الواحد الصحيح أي التركة كاملة.

فنصيب الزوج إذن : $\frac{٣}{٩}$ × ٣٦٠٠ = ١٢٠٠ جنيه.

ونصيب الأخوين لأم : $\frac{٢}{٩}$ × ٣٦٠٠ = ٨٠٠ جنيه.

ونصيب الأختين الشقيقتين: $\frac{٤}{٩}$ × ٣٦٠٠ = ١٦٠٠ جنيه.

* * *

س: رجل مات وترك زوجةً وأختين شقيقتين وأمًا، فما نصيب كلٍّ منهم؟

ج: للزوجة الربع؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٢]، وللأختين الثلثان؛ لقوله تعالي: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء:١٧٦]، وللأم السدس؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء:١١]، فتكون الأنصبة على النحو التالي:

للزوجة $\frac{١}{٤}$ ، والأختان $\frac{٢}{٣}$ ، وللأم $\frac{١}{٦}$ ، وبتعبير آخر للزوجة

$\frac{٣}{١٢}$ ، والأختان $\frac{٨}{١٢}$ والأم $\frac{٢}{١٢}$.

فيكون المجموع $\frac{١٣}{١٢}$ ، فتكون المسألة قد عالت، فستعطى الزوجة $\frac{٣}{١٣}$ بدلاً من $\frac{٣}{١٢}$ ، والأختان $\frac{٨}{١٣}$ والأم $\frac{٢}{١٣}$ فيكون المجموع $\frac{١٣}{١٣}$ وهو قيمة التركة.

* * *

س: رجل مات عن زوجة وأبوين وبنتين، فكم نصيب كل منهم؟

ج: للزوجة الثمن؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم** ﴾ [النساء: ١٢]، وللأبوين الثلث؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾ [النساء: ١١]، وللبنتين الثلثان لقوله تعالى: ﴿ **فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ** ﴾ [النساء: ١١].

فالمجموع: $\frac{١}{٨}$ للزوجة، و $\frac{١}{٦}$ للأب، و $\frac{١}{٦}$ للأم، و $\frac{٢}{٣}$ للبنتين، والمشترك بين المقامات هو ٢٤ فلنعد الصياغة على النحو التالي:

$\frac{٣}{٢٤}$ للزوجة، و $\frac{٤}{٢٤}$ للأب، و $\frac{٤}{٢٤}$ للأم، و $\frac{١٦}{٢٤}$ للبنتين.

فالمجموع: $\frac{٣}{٢٤}$ ، و $\frac{٤}{٢٤}$ ، و $\frac{٤}{٢٤}$ ، و $\frac{١٦}{٢٤}$ = $\frac{٢٧}{٢٤}$.

فستقسم التركة مرة ثانية على النحو التالي إذ المسألة قد عالت، أي: زادت إلى ٢٧ بدلاً من ٢٤.

فعلى ذلك سيكون نصيب الزوجة: $\frac{٣}{٢٧}$ ، ونصيب الأب: $\frac{٤}{٢٧}$ ، ونصيب الأم: $\frac{٤}{٢٧}$ ، ونصيب البنتين: $\frac{١٦}{٢٧}$.

فمجموع ذلك $\frac{٢٧}{٢٧}$ وهو التركة تامة.

س: رجل مات عن زوجة، وأبٍ، وأمٍّ، وبنت، وبنت ابن، فما نصيب كلٍّ منهم من التركة؟

ج: الزوجة لها الثمن لقوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم**﴾ [النساء:١٢]، والأب له السدس لقوله تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ [النساء:١١]، والأم لها السدس كذلك للآية المتقدمة، والبنت لها النصف لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾ [النساء:١١]، وبنت الابن لها السدس لأنها تكمل هي والبنت الثلثين لحديث ابن مسعود الذي رفعه إلى النبي ﷺ، وفيه قضى في ابنةٍ وابنة ابن وأختٍ فقال: للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت[1].

فيكون المجموع $\frac{١}{٨}$ للزوجة، و $\frac{١}{٦}$ للأب، و $\frac{١}{٦}$ للأم، و $\frac{١}{٢}$ للبنت، و $\frac{١}{٦}$ لبنت الابن.

ولكي يسهل علينا الجمع فسننظر إلى مقام مشترك يصلح للقسمة على جميع المقامات وهو ٢٤.

فتكون الأنصبة بصياغة أخرى:

$\frac{٣}{٢٤}$ للزوجة، و $\frac{٤}{٢٤}$ للأب، و $\frac{٤}{٢٤}$ للأم، و $\frac{١٢}{٢٤}$ للبنت، و $\frac{٤}{٢٤}$ لبنت الابن، فيكون المجموع $\frac{٢٧}{٢٤}$.

فحتى تستحوذ التركة على الأنصبة كلها سنقسم على ٢٧ بدلاً من ٢٤ فتكون الأنصبة:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٣٦).

للزوجة $\frac{٣}{٢٧}$، وللأب $\frac{٤}{٢٧}$ ، وللأم $\frac{٤}{٢٧}$ ، وللبنت $\frac{١٢}{٢٧}$ ، ولبنت الابن $\frac{٤}{٢٧}$.

فيكون المجموع: $\frac{٢٧}{٢٧}$ وهو التركة تمامًا.

فنرى أن التركة قد استوعبت جميع الورثة مع استواء نسبة التخفيض التي قمنا بها والله أعلم.

* * *

س: ما معنى الرد؟

ج: الرد عكس العول، بمعنى أن العول ـ كما تقدم ـ هو زيادة في عدد أنصبة أصحاب الفروض على التركة الأصلية، أما الرد فهو: نقص أنصبة أصحاب الفروض عن التركة الأصلية (عن الواحد الصحيح) مع عدم وجود عصبة يأخذون الباقي، فحينئذ يُرد المتبقي من التركة على الورثة[1] من ذوي الأرحام، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ {الأنفال:٧٥} فعلى ذلك لا يكون في المسألة ردٌّ إلا إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة:

أولاً: وجود صاحب فرض.

ثانيًا: عدم وجود العصبة.

ثالثًا: بقاء فائضٍ من التركة.

---

(١) أي: باستثناء الزوج والزوجة، قالوا: لأن قرابة الزوج والزوجة سببية ليست نسبية، وقد انقطعت بالموت. هذا ومن أهل العلم من يرى الرد عليهما في حالة عدم وجود أصحاب فروض ولا ذوي أرحام، ولا أي وارث آخر، قالوا: وهذا أولى من الرد إلى بيت مال المسلمين، والله أعلم.

• تطبيقات على الرد •

س: مات شخص عن ثلاث بنات فقط، كم نصيب كل منهن؟

ج: لهن الثلثان فرضًا لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**﴾ [النساء: ١١]. ويتبقى من التركة الثلث فيرد هذا الثُّلث عليهن بالتساوي.

* * *

س: شخص مات عن جدة وأخت لأم، فما نصيب كل منهما؟

ج: الجدة لها السدس كما قدمنا بالإجماع، والأخت لأم لها السدس، فالميت حينئذ كلالة، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ**﴾ [النساء: ١٢].

فيكون المجموع $\frac{١}{٦}$ للجدة، و $\frac{١}{٦}$ للأخت لأم = $\frac{٢}{٦}$.

فيتبقى من التركة ١ - $\frac{٢}{٦}$ = $\frac{٤}{٦}$ = $\frac{٢}{٣}$.

فيقسم بينهما $\frac{١}{٣}$ للجدة، و $\frac{١}{٣}$ للأخت لأم وذلك برد المتبقي من الميراث عليهما بحسب سهامها.

* * *

س: شخص مات عن أُمٍّ وأخوين لأم وترك (٣٠٠٠) جنيهًا، فما نصيب كلٍّ؟

ج: الأم لها السدس لقول اللَّه تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ**

السُّدُسُ﴾ [النساء:١١]، والأخوين لأم لهما الثلث لقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء:١٢].

فيكون المجموع: $\frac{١}{٦}$ للأم، و $\frac{١}{٦}$ للأخ، و $\frac{١}{٦}$ للأخ = $\frac{٣}{٦}$.

فيتبقى من التركة: ١ ـ $\frac{٣}{٦}$ = $\frac{٣}{٦}$.

تقسم هذه الثلاثة أسداس $\frac{٣}{٦}$ على الورثة كل حسب سهمه الذي له، فلأنهم يتساوون في أنصبتهم فيرد على كل واحد منهم كالذي للآخر.

فعلى هذا يكون نصيب الأم $\frac{١}{٦}$ بالفرض، و $\frac{١}{٦}$ بالرد = $\frac{٢}{٦}$.

نصيب الأخ لأم $\frac{١}{٦}$ بالفرض، و $\frac{١}{٦}$ بالرد = $\frac{٢}{٦}$.

نصيب الأخ الثاني لأم $\frac{١}{٦}$ بالفرض، و $\frac{١}{٦}$ بالرد = $\frac{٢}{٦}$.

فيكون المجموع: $\frac{٢}{٦}$ و $\frac{٢}{٦}$ و $\frac{٢}{٦}$ و $\frac{٢}{٦}$ = ١

نصيب الأم = $\frac{٢}{٦}$ × ٣٠٠٠ = ١٠٠٠ جنيه، وكذا نصيب كل أخ ١٠٠٠ جنيه.

* * *

س: امرأة ماتت عن زوج وبنتين، فما نصيب كلٍّ؟

ج: للزوج الربع لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ [النساء:١٢]، وللبنتين الثلثان لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء:١١].

فيكون المجموع: $\frac{١}{٤}$ و $\frac{٢}{٣}$ = $\frac{٣}{١٢}$ و $\frac{٨}{١٢}$ = $\frac{١١}{١٢}$

فيتبقى من التركة: ١ - $\frac{١١}{١٢}$ = $\frac{١}{١٢}$.

يقسم هذا $\frac{١}{١٢}$ بين البنتين بالسوية، والزوج لا يرد عليه شيء كما قدمنا.

ويمكن بتعبير آخر أن نقول: يُعطى الزوج نصيبه $\frac{١}{٤}$ ويقسم الباقي وهو الـ $\frac{٣}{٤}$ بين البنتين بالتساوي.

* * *

س: رجل مات عن بنت وبنت ابن، فما نصيب كلٍّ منهما؟

ج: للبنت النصف، لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾ [النساء:١١]، ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين، لحديث قدمناه فيكون المجموع $\frac{١}{٢}$ للبنت، و $\frac{١}{٦}$ لبنت الابن.

وبصياغة أخرى: $\frac{٣}{٦}$ و $\frac{١}{٦}$ = $\frac{٤}{٦}$.

فتبقى من التركة: ١ - $\frac{٣}{٦}$ = $\frac{٢}{٦}$.

فنقسم $\frac{٢}{٦}$ على البنت وبنت الابن كل بحسب سهمها، فنصيب البنت ٣ أجزاء من ستة، ونصيب بنت الابن جزء واحد من ستة، فيكون المجموع: ٤ أجزاء.

فنقسم المتبقي وهو: $\frac{٢}{٦}$ ÷ ٤ = $\frac{٢}{٦}$ × $\frac{١}{٤}$ = $\frac{١}{١٢}$.

فنرجع للبنت فلها ٣ × $\frac{١}{١٢}$ = $\frac{٣}{١٢}$.

بنت الابن: ١ × $\frac{١}{١٢}$ = $\frac{١}{١٢}$.

فيكون نصيب البنت الكلي = $\frac{١}{٢}$ و $\frac{٣}{١٢}$ = $\frac{٩}{١٢}$.

نصيب بنت الابن الكلي = $\frac{١}{٦}$ و $\frac{١}{١٢}$ = $\frac{٣}{١٢}$.

* * *

س: ما معنى المناسخة؟

ج: المناسخة هي أن يموت بعض الورثة قبل قسمة التركة، فحينئذ نورِّثه كما لو كان حيًّا ثم نقسم تركته على ورثته.

* * *

س: رجل مات عن ثلاث بنات وأختين شقيقتين وأخٍ شقيق، ثم ماتت إحدى الأختين الشقيقتين، فما نصيب كلٍّ منهم من التركة الأصلية إذا كان قد مات وترك (٧٢٠٠) جنيه؟

ج: أولاً نصيب البنات الثلاث ثلثا التركة، لقول اللَّه تعالى: ﴿**فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**﴾ [النساء: ١١].

أما الأختان الشقيقتان والأخ الشقيق فهم عصبة ولذكرهم مثل حظ الأنثيين فيكون التقسيم $\frac{٢}{٣}$ للبنات الثلاث + $\frac{١}{٣}$ للأختين مع الأخ.

$\frac{٢}{٣}$ للبنات الثلاث، و $\frac{١}{٦}$ للأختين، و $\frac{١}{٦}$ للأخ.

$\frac{٢}{٣}$ للبنات الثلاث، و $\frac{١}{١٢}$ للأخت، و $\frac{١}{١٢}$ للأخت، و $\frac{١}{٦}$ للأخ.

فالأخت التي ماتت لها $\frac{١}{١٢}$ من التركة الأصلية.

فيكون تقسيم التركة الأصلية أولاً على النحو التالي:

البنات مجتمعات لهن: $\frac{٢}{٣}$ × ٧٢٠٠ = ٤٨٠٠ .

فيكون نصيب البنت الواحدة: $\frac{٤٨٠٠}{٣}$ = ١٦٠٠ .

أما الأخت فنصيبها: $\frac{١}{١٢}$ × ٧٢ = ٦٠٠.

وكذلك الأخت الثانية نصيبها أيضًا: $\frac{١}{١٢}$ × ٧٢ = ٦٠٠.

أما الأخ فنصيبه: $\frac{١}{٦}$ × ٧٢ = ١٢٠٠.

هذا بالنسبة للتركة الأصلية.

ثم لَمَّا ماتت إحدى الأختين التي نصيبها ٦٠٠ جنيه، فنقسم تركتها على أخيها وأختها فقط، نصيب الأخ ضعف نصيب الأخت.

فيكون نصيب الأخ من أخته: $\frac{٢}{٣}$ × ٦٠٠ = ٤٠٠.

نصيب الأخت من أختها: $\frac{١}{٣}$ × ٦٠٠ = ٢٠٠.

فيكون إجمالي نصيب الأخ ١٢٠٠ و٤٠٠ = ١٦٠٠ جنيه.

إجمالي نصيب الأخت ٦٠٠و ٢٠٠ = ٨٠٠ جنيه.

نصيب كل بنت كما تقدم ١٦٠٠.

* * *

س: رجل مات وترك زوجة وأبًا وأمًّا وبنت ابن، ثم ماتت بنت الابن عن زوج وأم وثلاث بنات وابنين، فما نصيب كل منهم من التركة الأصلية؟

ج: للزوجة الثمن؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم**﴾، وبنت الابن داخلة في الولد، وبنت الابن تقوم مقام البنت فلها النصف، والأم لها السدس لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾، والباقي للأب بالتعصيب.

فيكون التقسيم كالآتي:

$\frac{١}{٨}$ للزوجة، و $\frac{١}{٢}$ لبنت الابن، و $\frac{١}{٦}$ للأم، والمتبقي للأب، فيكون نصيب الأب: ١ - $\frac{١}{٨}$ - $\frac{١}{٢}$ - $\frac{١}{٦}$.

$\frac{٢٤}{٢٤}$ - $\frac{٣}{٢٤}$ - $\frac{١٢}{٢٤}$ - $\frac{٤}{٢٤}$ = $\frac{٥}{٢٤}$.

فيكون تقسيم التركة الأصلية على النحو التالي:

$\frac{١}{٨}$ لزوجة الرجل الأول، $\frac{١}{٢}$ لبنت الابن، و $\frac{١}{٦}$ للأم، و $\frac{٥}{٢٤}$ للأب.

أما النصف الذي يتعلق ببنت الابن فهذه قسمته:

الزوج له ربع تركتها $\frac{١}{٤}$ × $\frac{١}{٢}$ من التركة الأصلية

= $\frac{١}{٨}$ التركة الأصلية.

للأم $\frac{١}{٦}$ × $\frac{١}{٢}$ نصيب بنت الابن من التركة الأصلية

= $\frac{١}{١٢}$ من التركة الأصلية.

نصيب الأولاد مع البنات = $\frac{١}{٢}$ تركة بنت الابن من التركة الأصلية كاملاً - $\frac{١}{٨}$ - $\frac{١}{١٢}$ = $\frac{١٢}{٢٤}$ - $\frac{٣}{٢٤}$ - $\frac{٢}{٢٤}$ = $\frac{٧}{٢٤}$.

وهما ولدان فلهما ٤ أسهم وللبنات ٣ أسهم، فيكون سهم الولد $\frac{٢}{٢٤}$، والبنت $\frac{١}{٢٤}$ كل ذلك من التركة الأصلية.

فيكون مجموع الأنصبة على النحو التالي: (إذا رفعنا بنت الابن ووضعنا ورثتها مكانها):

$\frac{١}{٨}$ لزوجة الرجل الأول و $\frac{١}{٢٤}$ لبنت بنت الابن و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و .

$\frac{٢}{٢٤}$ لابن بنت الابن، و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{١}{٨}$ لزوج بنت الابن، و $\frac{١}{١٢}$ لأم بنت الابن، و $\frac{١}{٦}$ للأم الأولى، و $\frac{٥}{٢٤}$ للأب

$= \frac{١}{٨}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{١}{٨}$ و $\frac{١}{١٢}$ و $\frac{١}{٦}$ و $\frac{٥}{٢٤}$

$= \frac{٣}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{١}{٢٤}$ و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{٣}{٢٤}$ و $\frac{٢}{٢٤}$ و $\frac{٤}{٢٤}$ و $\frac{٥}{٢٤}$

$= \frac{٢٤}{٢٤} = ١$.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿صِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في معنى ذلك:

ويعني بقوله تعالى ذكره: ﴿صِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ﴾ عهدًا من اللَّه إليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم.

و﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، يقول: واللَّه ذو علم بمصالح خلقه ومضارِّهم، ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه، ومن يحرم ذلك منهم، ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسمًا، وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم.

﴿حَلِيمٌ﴾، يقول: ذو حلم على خلقه، وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضًا، في إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوة من ولد الميت، وأهل الغناء والبأس منهم، دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإناثهم.

* * *

س: إلامَ أشير بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾؟

ج: في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أحكام النكاح والأيتام والمواريث.

* * *

س: ماذا يراد بالمعصية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؟

ج: المراد واللَّه تعالى أعلم بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: ومن يكفر بقسمة المواريث، وهم الكفار والمنافقون، فكانوا لا يعترفون بأن للنساء نصيبًا في المواريث ولا للصبيان كذلك.

ومن أهل العلم من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ محمول على من يُضر بقومٍ في وصيته، ومن ثم قالوا: الإضرار في الوصية من الكبائر.

وقرأوا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ...﴾، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هل يستفاد منه خلود صاحب المعصية في النار؟

ج: ابتداءً، صاحب المعصية لا يُخلد في النار لجملة من النصوص، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقـول النبي ﷺ «**يخرج من النار من قال لا إلـه إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة... الحديث**»[١] .

أما توجيـه الآية الكريمة فالمعصية إن أريد بهـا الكفر فالخلود على بابه، وإن أُريد بها الكبائر وتجاوز أوامر اللَّه تعالى فالخلود مـستعار لمدة ما، كما تقول: خلَّد اللَّه ملكه. قاله القرطبي.

أما الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال:

فإن قـال قائل: أوَ مُـخَلَّدٌ في النار من عصى اللَّه ورسـوله في قسـمة المواريث؟

قيل: نعم، إذا جمع إلى معصـيتهما في ذلك شكًّـا في أن اللَّه فـرض عليـه مـا فرض على عـبـاده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك فـحـادَّ اللَّه ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول اللَّـه ﷺ قول اللَّه تبارك وتـعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ إلى تمام الآيتين: أيُورَّث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدوَّ ولا يحوز الغنيمـة: نصف المال أو جميع المال؟ استنكارًا منهم قسمة اللَّه ما قسم لصغـار ولد الميت ونسائه وإناث ولده ممن خالف قسمة اللَّه ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه في كتابه، وخالف حكمه في ذلـك وحكم رسوله، استنكارًا مـنه حكمهمـا، كمـا استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهُر أصحاب رسول اللَّه ﷺ من المنافقين الذين فيـهم نزلت ـ وفي أشكالهم ـ هذه الآية، فهو من أهل

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

الخلود في النار، لأنه باستنكاره حكم اللَّه في تلك، يصير باللَّه كافرًا، ومن ملة الإسلام خارجًا.

* * *

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

س: اذكر معاني هذه الكلمات:

(واللاتي ـ يأتين ـ الفاحشة ـ فأمسكوهن ـ يتوفَّاهُنَّ الموت ـ سبيلاً ـ اللذان).

ج:

الكلمة	معناها
واللاتي	جمع التي.
يأتين	يفعلن، ومنه: ﴿لقد جئت شيئًا فريًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾.
الفاحشة	الزِّنا.
فأمسكوهن	فاحبسوهن.
يتوفاهن الموت	يتوفاهن ملك الموت ـ يأخذهن الموت.
سبيلاً	مخرجًا.
اللذان	تثنية الذي.

س: هل الشهود على جريمة الزنا يجب فيهم الإسلام؟

ج: نعم يجب أن يكونوا مسلمين لقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾.

* * *

س: هل جعل اللَّه للنساء اللواتي يأتين الفاحشة سبيلاً؟ وما هذا السبيل؟

ج: نعم جعل اللَّه لهن سبيلاً، وهو الجلد والتغريب للبكر، والرجم للثيب، وذلك فيما أخرجه مسلمٌ[1] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خذوا عني خُذوا عني، قد جعل اللَّه لهنَّ سبيلاً: البكرُ بالبكر جلد مائة ونَفْي سنة، والثيبُ بالثيب جلد مائة والرجم»**[2].

* * *

(١) مسلم (حديث ١٦٩٠).

(٢) ليس معنى قوله: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» أن البكر إذا زنى بالبكر فقط يجلد مائة ويغرب عام، فالبكر سواء زنى ببكر أو بثيب فإنه يجلد مائة ويغرب عام، وكذلك الفتاة البكر إذا زنت فعليها جلد مائة (واختلف في التغريب في حقها).

ومعنى قوله: «الثيب بالثيب جلد مائة والرجم»، أن الثيب سواء زنى بثيب أم زنى ببكر فإنه يجلد مائة ويرجم (واختلف هل يجلد مع الرجم أم لا، على ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه).

أما قوله: (البكر بالبكر) فخرج مخرج الغالب، بمعنى أن البكر في الغالب يزني ببكر، وأن الثيب في الغالب يزني بثيب.

فالحاصل: أن البكر سواء زنى ببكر أم بثيب فإنه يجلد مائة ويغرب عام.

والثيب سواء زنى بثيب أو زنى ببكر فإنه يُرجم (واختلف في جلده مع الرجم).

س: هل هناك جلدٌ مع الرجم؟

ج: الجمهور على أنه لا جلد مع الرجم، وذلك لحديث: -«**واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها**»، ولم يذكر الجلد وكذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يجلد ماعزاً بل رجمه فقط، وكذلك لم يجلد الغامدية بل رجمها فقط، وقد بينا ذلك في سورة النور. فارجع إليه إن شئت، هذا ومما نقلنا هناك قول الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ :

قال الشافعي[1] : فدلت السنة على أن الجلد ثابت على البكر وساقط عن الثيب، والدليل على أن قصة ماعز متراخية عن حديث عبادة: أن حديث عبادة ناسخ لما شرع أولاً من حبس الزاني في البيوت فنسخ الحبس بالجلد وزيد الثيب الرجم، وذلك صريح في حديث عبادة، ثم نسخ الجلد في حق الثيب، وذلك مأخوذ من الاقتصار في قصة ماعز على الرجم وذلك في قصة الغامدية والجهنية، واليهوديين لم يذكر الجلد مع الرجم.

وقال ابن المنذر: عارض بعضهم الشافعي فقال: الجلد ثابت في كتاب اللَّه، والرجم ثابت بسنة رسول اللَّه كما قال علي، وقد ثبت الجمع بينهما في حديث عبادة، وعمل به علي ووافقه أُبي، وليس في قصة ماعز ومن ذكر معه تصريح بسقوط الجلد عن المرجوم؛ لاحتمال أن يكون ترك ذكره لوضوحه ولكونه الأصل فلا يرد ما وقع التصريح به بالاحتمال، وقد احتج الشافعي بنظير هذا حين عورض إيجابه العمرة بأن النبي ﷺ أمر من سأله أن يحج على أبيه ولم يذكر العمرة، فأجاب الشافعي: بأن السكوت عن ذلك لا يدل على سقوطه، قال: فكذا ينبغي أن يجاب هنا.

---

(١) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٢٢).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ...﴾ الآية.

ج: في هذه الآية الكريمة بيان ما كان عليه الأمر الأول بشأن الزواني والزناة، فكان على الأزواج ـ أو الحكام ـ إذا زنت المرأة وشهد أربعة من المسلمين العدول على زناها فإنها تحبس في البيت حتى تموت، أما الرجل فيؤذى بالضرب بالنعال أو بالتوبيخ أو بالتعيير والتأنيب والسب والتقبيح إلا أن يتوب ويُصلح، فحينئذ نعرض عنه ونتركه.

* * *

س: هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ وما الناسخ لها؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أنها منسوخة، ثم منهم من قال: إنها منسوخة بقول النبي ﷺ: «**خذوا عني خذوا عني، قد جعل اللَّه لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنةٍ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**». وقد تقدم.

ومنهم من قال: إنها منسوخة بآية سورة النور: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**﴾ [النور: ٢].

وبما ورد في رجم من زنى وهو ثيب.

هذا ومن أهل العلم من لا يرى النسخ، بل يقول: إنها كانت مؤقتة، وذلك لقوله تعالى: ﴿**أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٥]. قال: ثم بين اللَّه عز وجل هذا السبيل.

وعلى كلٍّ فالمؤدى واحدٌ واللَّه تعالى أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾.

ج: في ذلك وجوه ذكرها الرازي فقال:

أحدها: المراد، من زوجاتكم، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣]، وقوله: ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣].

وثانيها: من نسائكم، أي: من الحرائر، كقوله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾، والغرض بيان أنه لا حد على الإماء.

وثالثها: من نسائكم، أي: من المؤمنات.

ورابعها: من نسائكم، أي: من الثيبات دون الأبكار.

* * *

س: هل تصلح شهادة النساء في الزنا؟

ج: لا تصلح شهادة النساء في الزنا، وقد أوردنا في سورة النور نحو هذا السؤال وجوابه، ونقلنا هنالك قول الجمهور بعدم الاعتداد بشهادة المرأة في الحدود والقصاص.

* * *

س: لماذا كانت عقوبة النساء الحبس في البيوت، وعقوبة الرجال الإيذاء؟

ج: أجاب على ذلك الرازي بقوله:

ثم إنه تعالى خص الحبس في البيت بالمرأة وخص الإيذاء بالرجل، والسبب فيه: أن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز، فإذا حبست

في البيت انقطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت؛ لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه وترتيب مهماته واكتساب قوت عياله.

فلا جرم جعلت عقوبة المرأة الزانية الحبس في البيت، وجعلت عقوبة الرجل الزاني أن يؤذى، فإذا تاب ترك إيذاؤه، ويحتمل أيضًا أن يقال: إن الإيذاء كان مشتركًا بين الرجل والمرأة، والحبس كان من خواص المرأة، فإذا تابا أزيل الإيذاء عنهما وبقي الحبس على المرأة، وهذا أحسن الوجوه المذكورة.

قلت (مصطفى): ومن ثمَّ شرع للنساء القرار في البيوت واستحب ذلك لهن دفعًا لفاحشة الزنا وتحرزًا منها.

قال اللَّه تبارك وتعالى لنساء نبيه ﷺ وهن خير أسوة لنسائنا: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها**»(١).

وانظر إلى جميل الاعتذار الذي اعتذرت به هاتان المرأتان وهما تجيبان موسى ـ عليه السلام ـ إذ سألهما: ﴿**مَا خَطْبُكُمَا**﴾؟ ﴿**قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣].

فذكرتا عذرهما في الخروج وأوضحتا السبب الذي كان من أجله هذا الخروج: ﴿**وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾، أي: لا يطيق سقي الأنعام، ولا يتحمل

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣/ ٩٥) والترمذي (١١٧٣) مختصرًا بسند صحيح.

جهد العمل.

وأيضًا: فهما مع هذا الخروج ﴿**تذودان**﴾ أي: تصرفان الأنعام والمواشي عن الاحتكاك بالناس.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خيرٌ لهن**»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**خير مساجد النساء قعر بيوتهن**»[2].

* * *

س: ما وجه التثنية في قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن التثنية في هذا المقام أُتي بها في قوله: ﴿**وَاللَّذَانِ**﴾ لتعم الرجال جميعًا من أحصن منهم ومن لم يحصن، هذا وجه.

ووجه آخر: أن من العلماء من قال: إن النساء يحبسن ثم أيضًا يشتركن مع الرجال في التوبيخ والتعيير والإيذاء.

ووجه ثالث: أن المراد بقوله: ﴿**يأتيانها منكم**﴾ متعلقة بمن يفعل فعل قوم لوط، والآية الأولى في السحاق بين النساء[3]، وهذا وجه أراه ضعيفًا، وأظهر الوجوه لديَّ الوجه الأول، والله أعلم.

---

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد (٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، وابن خزيمة (٣/ ٩٢)، وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٧).

(٣) وقد ذكر ذلك الأخير السمعاني في «تفسيره».

س: وضح المراد بالتوبة والإصلاح في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾.

ج: قال السعدي في «تفسيره»: ﴿فَإِن تَابَا﴾ أي: رجعا عن الذنب الذي فعلاه، وندما عليه، وعزما على أن لا يعودا.

﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل الدال على صدق التوبة.

* * *

س: لماذا أطلق على جريمة الزنا ـ خصوصًا ـ فاحشة؟

ج: لزيادتها في القبح عن سائر المعاصي.

* * *

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(التوبة ـ السوء ـ بجهالة ـ يتوبون ـ من قريب ـ أعتدنا).

ج:

الكلمة	معناها
التوبة	الرجوع من اللَّه بالعفو والصفح عن العبد.
السوء	عموم الذنوب والمعاصي والكبائر، بل والكفر إذا تاب منه العبد في حياته تاب اللَّه عليه.
بجهالة	أي متلبسين أثناء عملهم السوء بالجهل، فكل من عصى اللَّه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته، فما دام يعمل السوء فهو جاهل، ومن الجهالة عمل السوء، وليس المراد فقط أنه يعمل السوء وهو يجهل حكمه، بل استخفافه بالعقوبة نوع من الجهل أيضًا، والإقدام

	على المعصية نوع من الجهل أيضًا.
يتوبون من	يرجعون إلى طاعة ربهم عزَّ وجلَّ.
قريب	قبل حضور الموت ـ ما داموا في صحتهم ما لم تحضرهم الغرغرة
أعتدنا	أعددنا

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ قد يفهم من هذا القول شخصٌ أن قبول التوبة على إطلاقه فأبان اللَّه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أن قبول التوبة إنما هو في حالة كون التوبة قبل حضور الموت، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر مزيدًا من أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة:

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: تأويلها: إنما التوبة على

اللَّه للذين يعملون السوء، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها، عامدين كانوا للإثم، أو جاهلين بما أعد اللَّه لأهلها.

وذلك أنه غير موجود في كلام العرب تسمية العمد للشيء: الجاهل به، إلا أن يكون معنيًّا به أنه جاهل بقدر منفعته ومضرته، فيقال: هو به جاهل، على معنى جهله بمعنى نفعه وضُره.

فأما إذا كان عالمًا بقدر مبلغ نفعه وضره، قاصدًا إليه، فغيرُ جائز من أجل قصده إليه أن يقال: هو به جاهل، لأن الجاهل بالشيء، هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو الذي يعلمه، فيشبَّه فاعله إذ كان خطأ من فعله بالجاهل الذي يأتي الأمر وهو به جاهل، فيخطئ موضع الإصابة منه، فيقال: إنه لجاهل به، وإن كان به عالمًا، لإتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله إلا أهل الجهل به.

وكذلك معنى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء:١٧]، قيل فيهم: يعملون السوء بجهالة وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب اللَّه أهله، عامدين إتيانه، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام، لأن فعلهم ذلك كان من الأفعال التي لا يأتي مثله إلا من جَهِل عظيم عقاب اللَّه عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، فقيل لمن أتاه وهو به عالم: أتاه بجهالة، بمعنى أنه فعل فعل الجهال به، لا أنه كان جاهلاً.

وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه: أنهم جهلوا كُنْه ما فيه من العقاب، فلم يعلموه كعلم العالم، وإن علموه ذنبًا، فلذلك قيل: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾.

قال أبو جعفر: ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول، لوجب

أن لا تكون توبة لمن علم كُنْه ما فيه، وذلك أنه جل ثناؤه قال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] دون غيرهم، فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوءًا على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة، وذلك خلاف الثابت عن رسول اللَّه ﷺ من أن كل تائب عسى اللَّه أن يتوب عليه، وقوله: «**باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها**» وخلاف قول اللَّه عز وجل: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

* * *

س: هل من أذنب ولم يتب حتى مات لزامًا أن يعاقب؟

ج: ليس بلازمٍ أن يُعاقب بل قد يغفر اللَّه له؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

فما دام الذنب دون الشرك، فإن اللَّه سبحانه قد يغفره، وقد يعاقب عليه، كما قال النبي ﷺ لما بايع أصحابه، وذكر طائفة من الكبائر قال: «**ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه فهو إلى اللَّه إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**»(١).

* * *

(١) البخاري (حديث ١٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على اللَّه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه...» الحديث.

س: اذكر بعض الأدلة التي تفيد أن توبة العبد مقبولة مادام في حياته قبل حضور الموت.

ج: من ذلك ما يلي:

قول اللَّه عزَّ وجل في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وقول اللَّه في الحديث القدسي لما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال اللَّه: «**فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني**»(٢).

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾ [النساء: ١٧].

وقوله: ﴿**مِن قَرِيبٍ**﴾، قال عدد من العلماء: أي في الحياة الدنيا قبل الممات.

* * *

س: ما وجه تذييل الآية الكريمة: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؟

ج: قوله تعالى: ﴿**عَلِيمًا**﴾ لبيان علم اللَّه سبحانه وتعالى بتوبة التائبين وأوبة الأوابين.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

(٢) أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩).

حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ . . ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

يعني بذلك جل ثناؤه: وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي اللَّه ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، يقول: إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه، قال: وقد غُلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته: ﴿إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾، يقول: فليس لهذا عند اللَّه تبارك وتعالى توبة؛ لأنه قال ما قال في غير حال توبة.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾.

ج: من الآيات في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤].

وكذلك قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(كرهًا ـ تذهبوا ببعض ـ فاحشة ـ مبينة).

ج:

الكلمة	معناها
كرْهًا	بغير رضاهن
لتذهبوا ببعض	لتأخذوا بعض
فاحشة	زنا ـ نشوز
مبينة	ظاهرة في أنها فاحشة وواضحة في كونها فاحشة

* * *

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه حيث قال: حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا أسباط بن محمد، حدثنا الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس: قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السُّوائي ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوَّجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك.

* * *

س: من النساء المعنيات بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ ﴾.

ج: هن نساء الآباء ونساء الأقارب.

* * *

س: كيف كانوا يرثون النساء كرهًا؟

ج: ذلك كما قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

فإن قال قائل: كيف كانوا يرثونهن؟ وما وجه تحريم وراثتهن؟ فقد علمت أن النساء موروثات كما أن الرجال مورثون!

قيل: إن ذلك ليس من معنى وراثتهن إذا هن مِتن فتركن مالاً، وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها، كان ابنه أو قريبُه

(١) البخاري (حديث ٤٥٧٩).

أولى بها من غيره، ومنها بنفسها، إن شاء نكحها، وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت، فحرَّم اللَّه تعالى ذلك على عباده، وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم، ونهاهم عن عضلهن عن النكاح.

* * *

س: هل للرجل أن يتزوج امرأة أخيه بعد موته؟

ج: نعم للرجل أن يتزوج امرأة أخيه بعد موته إن رضيت هي وأولياؤها بذلك.

* * *

س: هل التقييد بقوله تعالى: ﴿كرها﴾ في قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ دل على جواز وراثة النساء بغير كره؟

ج: لا يدل على ذلك؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، فلا يدل ذلك على جواز قتل الأولاد لغير خشية إملاق.

ومن ثم فلا يحل لأولياء الميت أن يرثوا امرأته (كرهًا ولا غير كره) بل أولياؤها أحق بها، فإن أرادوا أن يزوجوها لأحد أقرباء الميت ممن تحل لهم زوجوها (وذلك بموافقتها) وإن أرادوا أن يزوجوها لغيرهم (برضاها) زوجوها، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر مزيداً من الإيضاح لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾.

ج: قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته رأى قريبه ـ كأخيه وابن عمه ونحوهما ـ أنه أحق بزوجته من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت، فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها، فلا يزوجها إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئًا من ميراث قريبه أو من صداقها.

وكان الرجل أيضًا يعضل زوجته التي يكون يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فنهى اللَّه المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت، واختارت نكاح قريب زوجها الأول، كما هو مفهوم من قوله: ﴿كَرْهًا﴾.

وإذا أتين بفاحشة مبينة: كالزنا، والكلام الفاحش، وأذيتها لزوجها، فإنه في هذه الحال، يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها، لتفتدي منه إذا كان عضلاً بالعدل.

وقال الجزائري ـ حفظه اللَّه تعالى ـ «أيسر التفاسير»:

تضمنت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**﴾ إبطال ما كان شائعًا بين الناس قبل الإسلام من الظلم اللاحق بالنساء، فقد كان الرجل إذا مات والده عن زوجته ورثها أكبر أولاده من غيرها ـ فإن شاء زوجها وأخذ مهرها ـ وإن شاء استبقاها حتى تعطيه ما

يطلب منها من مال، فأنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ فبطل ذلك الحكم الجاهلي بهذه الآية الكريمة: وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت في بيت زوجها، فإذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها مالها وما ورثته من زوجها أيضًا.

* * *

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ موجه لمن؟

ج: الخطاب على قول أكثر المفسرين موجهٌ للأزواج؛ وذلك لأن الزوج هو الذي يقدر على إعضال امرأته وأيضًا هو الذي آتاها الصداق.

والقول القائل: بأن الولي يُعضل، فنعم إن الولي يمكن أن يعضلها ويمنعها من الزواج، لكنه ليس المراد من الآية؛ لأنه لم يؤت الزوجة شيئًا.

وكذلك يمكن أن يُقال إن هذا الخطاب: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ موجه لأولياء الميت الذي مات وترك زوجة، فقاموا بإعضالها على ما كان أهل الجاهلية يفعلون، لكن وجه هذا أيضًا هنا ضعيف لقول اللَّه تعالى: ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ وهؤلاء الأولياء لم يعطوا المرأة شيئًا.

فظهر بذلك أن المراد الأزواج الذين ليست لهم حاجة في أزواجهن إلا الإضرار بهن لافتداء أنفسهن بشيء من الصداق الذي قدموه لهن، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾؟

ج: المراد به الصداق، أي: ببعض الصداق الذي أعطيتموهن إياه.

* * *

س: ما المراد بالفاحشة المبينة في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إنها الزنا.

وقال آخرون: إنها النشوز.

وقال غيرهم: إنها الزنا والنشوز.

والظاهر أن ما اختاره الطبري صحيح في هذا الباب، وهو القول بالتعميم، أي: أن المراد الزنا والنشوز والعصيان، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

ج: معنى ذلك والله أعلم: ولا تضيقوا أيها الأزواج على نسائكم ولا تؤذوهن لتضطروهن إلى أن يفتدين أنفسهن منكم بشيء من الصداق الذي أعطيتموهن إياه إلا أن يفعلن فواحش كالزنا أو أن ينشزن ويتمردن ويتعالين على الأزواج.

فإذا زنت المرأة جاز لزوجها أن يُضيق عليها، وأن يُضارها حتى ترد إليه صداقه الذي أعطاها إياه، أو بعضه ثم يطلقها.

وكذلك إذا صدر منها نشوز بَيِّنٌ وعصيان واضح يعرف الناس أنه نشوز وعصيان، فحينئذ يجوز للزوج أن يقوم بإعضالها حتى تفتدي نفسها منه بشيء من الصداق الذي أعطاها إياه، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

يعني بذلك جل ثناؤه: لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضراراً منكم لهن، وأنتم لصحبتهن كارهون، وهن لكم طائعات، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فيحل لكم حينئذ الضرارُ بهن ليفتدين منكم.

وقال أيضًا في ختام تأويل الآية:

فمعنى الآية: ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف؛ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ من زنا أو بَذاءٍ عليكم، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة، فيحل لكم حينئذ عَضْلهن والتضييق عليهن، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق إن هنَّ افتدين منكم به.

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري ـ حفظه اللَّه تعالى ـ:

﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

فهـذا حكم آخر وهو أنـه يحرم على الزوج إذا كـره زوجتـه أن يضايقـها ويضارها حتـى تفتدي منه ببعض مـهرها؛ إذ من معاني العضـل المضايقة والمضارة، هذا مـا لم ترتكب الزوجة فاحشـة الزنى، أو تترفع عن الزوج وتتمـرد عليه وتبخـسه حقه في الطاعـة والمعاشرة بالمعـروف، أما إن أتت بفاحشة مبينة لا شك فيها أو نشـزت نشوزًا بينا فحينئذ للزوج أن يضايقها حتى تفتـدي منه بمهرها أو بأكثر حتى يطلقهـا؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ**﴾.

* * *

س: اذكر طرفًا من حسن معاشرة النبي ﷺ لأزواجه.

ج: من ذلك ما أخـرجه البخـاري ومسلم[1] في «صحـيحيهـما» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان الحبش يلعبون، فسترني رسول اللَّه ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنـا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» قالت: نعم[2].

ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد[3] بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قـالت: خرجت مع الـنبي ﷺ في بعض أسـفاره وأنا جـارية لم أحمل اللحم، ولـم أبدن، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال لي:

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٠)، ومسلم (في طرق حديث ٨٩٢).

(٢) عزاها الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٤٤) إلى النسائي، وصحح إسنادها.

(٣) أحمد في «المسند» (٦/ ٢٦٤).

«**تعالي حتَّى أسابقك**»، فسابقته فسبقتُهُ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتى أسابقك**»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**».

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم، فقال: «**ويحك يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير**».

وتأتيه زوجته وهو معتكف، فيجلس معها يحدثها في معتكفه ساعة، ثم يقوم معها يردها إلى قريب من بيتها[2].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل ينقمعن منه فيُسربهن إليَّ فيلعبن معي».

فها هي أم المؤمنين عائشة وقد تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهي بنت

---

(١) البخاري (١٠/ ٥٣٨ مع «الفتح»)، ومسلم (٥/ ١٧٧).
شبه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، وأمر أنجشة أن يتلطف في إنشاده وهو يحدو للإبل، فإن الإبل إذا سمعت صوت الحادي أسرعت، فخشي على النساء من سرعتها.

(٢) أخرج البخاري (حديث ٢٠٣٥)، ومسلم (١٧١٢) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها أم المؤمنين أنها جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها.. الحديث.

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٥٢٦)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٢٩٥).

ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين ومكث معها تسع سنين تلعب مع زميلاتها وصويحباتها بالبنات (وهي الصور التي كانت تصنع من العهن أو من القطن على هيئة البنات) فيدخل النبي ﷺ فتختفي صويحباتها فيرسلهن رسول اللَّه ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها يلعبن معها، فأي حلمٍ بعد هذا مع الزوجة؟!

ويحبس[1] النبي ﷺ (أي: يؤخر الجيش) للبحث عن قلادة أسماء التي فقدت من عائشة رضي اللَّه تعالى عنها في السفر[2].

وفي «صحيح البخاري»[3]: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله ـ تعني: خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة».

وروى أبو داود[4] بإسناد حسن لغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليس من اللهو ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله**».

وقد حث رسول اللَّه ﷺ على ملاعبة الأهل ومداعبتها، فأخرج

---

(١) ومحل هذا إذا لم يكن فيه مشقة على عموم المسلمين.

(٢) أخرج البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عقد لي فأقام رسول اللَّه ﷺ على التماسه وأقام معه الناس وليسوا على ماء... الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٢/ ١٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١٣) وللحديث شواهد ذكرتها في كتابي «جامع أحكام النساء» (أبواب الأدب..).

البخاري في «صحيحه» ومسلم[١] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «... **أتزوجت؟**» قلت: نعم، قال: «**أبكرًا أم ثيبًا؟**» قال: قلت: بل ثيبًا، قال: «**فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟**» قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً** ـ أي: عشاءً ـ **لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**».

ويدعوه رجل إلى وليمة فيشترط[٢] على الرجل أن يصطحب أهله معه فقد أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن جارًا لرسول اللَّه ﷺ فارسيًّا كان طيب المرق، فصنع لرسول اللَّه ﷺ ثم جاء يدعوه فقال: «**وهذه؟**» لعائشة، فقال: لا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا**».

فعاد يدعوه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وهذه؟**» قال: لا، قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا**».

ثم عاد يدعوه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وهذه؟**» قال: نعم ـ في الثالثة ـ فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[٣].

ويجلس عليه الصلاة والسلام مستمعًا إلى أم المؤمنين عائشة وهي تقص عليه حديث النسوة اللاتي جلسن وتعاقدن على أن لا يكتمن من خبر أزواجهن شيئًا ألا وهو **حديث أم زرع**، وهو حديث طويل ومع ذلك لا يمل رسول اللَّه ﷺ من عائشة وهي تقصُّه عليه، والحديث قد أخرجه البخاري ومسلم[٤] من حديث أم المؤمنين عائشة، ونسوقه لما فيه من

---

(١) أخرجه البخاري (حديث٥٢٤٧)، ومسلم (حديث٧١٥) من عدة وجوه.

(٢) وليس هذا في كل الأحوال. (٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (حديث ٢٤٤٨).

الفوائد، قالت رضي الله عنها:

«جلس إحدى عشرة امرأةً فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتُمن من أخبار أزواجهن شيئًا.

قالت الأولى: زوجي لحمُ جَمَلٍ غَثٍّ[١] على رأس جَبَلٍ[٢]، لا سهلٍ[٣] فيُرتَقى[٤] ولا سَمين[٥] فيُنتقل[٦].

قالت الثانية: زوجي لا أبثُّ خَبَرَهُ[٧] إني أخاف أن لا أَذَرَه[٨] إن أذكرْهُ أذكر

---

(١) الغث: الهزيل النحيف الضعيف.

(٢) في رواية: على رأس جبل وعر.

(٣) أي: الجبل ليس بسهل، والمعنى: أن صعوده شاق لوعورته.

(٤) يُرتقى أي: يُصعد عليه.

(٥) المراد: اللحم.

(٦) يُنتقل: أي يتحول.

والمعنى الإجمالي لقولها ـ والله أعلم ـ: أنها شبهت زوجها بلحم الجمل الضعيف الهزيل، وهذا اللحم رغم أنه لحم جمل ضعيف هزيل فهو موضوع على قمة جبل وعرٍ يصعب الصعود إليه، فالجبل ليس بسهلٍ للارتقاء، واللحم ليس بسمين يستحق مكابدة المشاق.

وتنزيل هذا على الزوج كالتالي: أنها تذم زوجها فتقول: إن لحمه كلحم الإبل ليس كلحم الضأن الطيب، والمعنى: أنها لا تستمتع بزوجها ذلك الاستمتاع المطلوب، فهو رجل ضعيف لحمه غير جيد، وكأنها تصف مضاجعته لها، تعني: أنني إذا استمتعت منه بشيء فكأني آكل لحم الجمل الهزيل، وهو مع هذه الحالة من الهزال والضعف خُلقه سيئ، فلا أحد يعرف كيف يتكلم معه ولا كيف يتخاطب معه، ولا يصل إليه لسوء خلقه، وحتى إذا وصلت إليه بعد مكابدتي المشاق فماذا عَساي أن أحصل منه؟! إنني بعد هذا الجهد للوصول إليه لا أجد شيئًا يستحق أن آخذه وأنتفع به وأستمتع به، والله أعلم.

(٧) أبث: معناه أنشر.

(٨) أذره: أتركه، والمعنى: أترك خبره.

عُجَرَهُ[١] وبُجَرَهُ[٢].

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق[٣] إن أنطق أطلَّق، وأن أسكت أُعَلَّق[٤].

قالت الرابعة: زوجي كليلِ تِهامةَ[٥] لا حرٌّ ولا قَرٌّ ولا مخافة ولا سآمة[٦].

(١، ٢) عُجره وبُجره: العُجر هي العروق والأعصاب التي تنتفخ وتظهر في الوجه والجسد عند الغضب أو عند الكبر، والبُجر مثلها إلا أنها مختصة بالبطن.

والمعنى الإجمالي ـ واللَّه أعلم ـ أن المرأة تشير إلى أن زوجها مليء بالعيوب، فهي تقول: إنني إذا تكلمت فيه ونشرت أخباره أخشى أن أستمر في الحديث ولا أنتهي لكثرة ما فيه من شرور وانفعالات، وماذا أتذكر من زوجي إن تذكرت منه شيئًا فالذي أتذكره هو العُقد الموجودة في وجهه، وانتفاخ أوداجه، والنتوء الظاهرة في عروق البطن والجسد، هذا الذي أذكره منه.

ومن العلماء من قال: إن معنى قولها إني أخاف أن لا أذره، أي: أخاف أن لا أتحمل مفارقته؛ فإنه إذا بلغه أنني تكلمت فيه طلقني فأخشى من مفارقته لوجود أولادي وعلاقتي به، والأول أولى، واللَّه أعلم.

(٣) العَشَنَّق: هو الطويل المذموم الطول، وقيل: وهو السيئ الخلق، وقيل: هو النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا تتحكم فيه النساء، وقيل عكس ذلك: إنه الأهوج الذي لا يستقر على حال.

(٤) أما قولها: إن أنطق أُطلَّق وإن أَسْكت أعلق: فمعناه ـ واللَّه أعلم ـ إذا تكلمت عنده وراجعته في أمر طلقني، وإن سكتُّ على حالي لم يلتفت إليَّ وتركني كالمعلقة التي لا زوج لها ولا هي أيم، فلا زوج عندها تنتفع به، ولا هي أيم تبحث عن زوج لها، واللَّه أعلم.

(٥) قولها: كليل تهامة: أما تهامة: فبلاد تهامة المعروفة، والليل في هذه البلاد معتدل والجو فيها طيب لطيف، فهي تصف زوجها بأنه لين الجانب هادئ الطبع رجل لطيف.

(٦) مخافة: من الخوف، والسآمة من قوله: سأم الرجل أي ملَّ وتعب، والمعنى: أنني أعيش مع زوجي آمنة مطمئنة مرتاحة البال لست خائفة ولا أملُّ من معيشته معي، وحالي عنده كحال أهل تهامة وهو يستمتعون بلذة ليلهم المعتدل وجو بلادهم اللطيف.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهِد[١] وإن خرج أَسِد[٢] ، ولا يسألُ عمَّا عَهِد[٣] .

قالت السادسة: زوجي إن أكل لَفَّ[٤] وإن شرب اشتفَّ[٥] ، وإن اضطجع التفَّ[٦] ولا يُولجُ الكفَّ؛ ليعلم البثَّ[٧] .

قالت السابعة: زوجي غَيَاياء[٨] ـ أو عَيَاياء[٩] ـ طباقاء[١٠] كلُّ داءٍ له داءٌ،

---

(١) فَهِد: بفتح الفاء وكسر الهاء وفتح الدال من الفهد المعروف، أي فيه من خصال الفهد.

(٢) أَسِد: بفتح الألف وكسر السين وفتح الدال من الأسد، أي فيه من خصال الأسد.

(٣) هذا الوصف الذي وصفت به المرأة زوجها محتمل احتمالين: إما المدح وإما الذم.

أما المدح: فله وجوه أحدها: أنها تصف زوجها بأنه فهد؛ لكثرة وثوبه عليها وجماعه لها فهي محبوبة عنده لا يصبر إذا رآها، أما هو في الناس إذا خرج فشجاع كالأسد.

وقولها: لايسأل عما عهد: أي أنه يأتينا بأشياء من طعام وشراب ولباس ولا يسأل أين ذهبت هذه ولا تلك.

والوجه الثاني للمدح: أنه إذا دخل البيت كان كالفهد في غفلته عما في البيت من خلل وعدم مؤاخذته لها على القصور الذي في بيتها، وإذا خرج في الناس فهو شجاع مغوار كالأسد، ولا يسأل عما عهد. أنه يسامحها في المعاشرة على ما يبدو منها من تقصير.

أما الذم: فهي تصف زوجها بأنه إذا دخل كان كالفهد في عدم مداعبته لها قبل المواقعة، وأيضًا سيئ الخلق يبطش بها ويضربها ولا يسأل عنها، فإذا خرج من عندها وهي مريضة ثم رجع لا يسأل عنها ولا عن أحوالها ولا عن أولاده، واللَّه أعلم.

(٤) أي: مر على جميع ألوان الطعام التي على السفرة فأكل منها جميعًا.

(٥) اشتف: أي شرب الماء عن آخره.

(٦) أي: التف في اللحاف والفراش وحده بعيدًا عني.

(٧) لا يدخل يده إليَّ جسدي ويرى ما أنا عليه من حال وأحزان، فهي تصف زوجها بما يُذم به الرجل وهو كثرة الأكل والشرب وقلة الجماع، واللَّه أعلم.

(٨، ٩) الغياياء: هو الأحمق، والعياياء: (من العي) الذي لا يستطيع جماع النساء.

(١٠) طباقاء: بلغ الغاية في الحمق.

شَجَّكِ[١] أو فَلَّكِ[٢] أو جمع كلاً لكِ.

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنَب[٣] والريحُ ريحُ زرْنب[٤]

قالت التاسعة: زوجي رفيعُ العماد[٥] طويل النجاد[٦] عظيم الرماد[٧] قريب البيت من الناد[٨] .

قالت العاشرة: زوجي مالك[٩] وما مالك؟ مالكٌ خيرٌ من ذلك[١٠] له إبلٌ

---

(١) شجَّك: أي إذا كلمتيه شجَّك، والشج هو الجرح في الرأس.

(٢) والفلول هي الجروح في الجسد، والمعنى: إذا راجعته في شيء ضربني على رأسي فكسرها أو على جسدي فأدماه أو جمعهما لي معًا، أي جمع لي الضرب على الرأس (الذي هو الشج) مع جراح الجسد (الفلول)، والله أعلم.

(٣) قولها: المس مس أرنب: أي أن زوجها إذا مسته وجدت بدنه ناعمًا كوبر الأرنب، وقيل: كَنَّت بذلك عن حسن خلقه ولين عريكته بأنه طيب العرق لكثرة نظافته واستعماله الطيب تظرفًا.

وفي رواية: أنا أغلبه والناس يغلب.

(٤) الزرنب: نبت له ريح طيب، فهي تصف زوجها بحسن التجمل والتطيب لها، والله أعلم.

(٥) رفيع العماد: تعني: أن بيته مرتفع كبيوت السادة والأشراف حتى يقصده الأضياف.

(٦) طويل النجاد: النجاد هو حمالة السيف، كجراب السيف تصفه بالجرأة والشجاعة.

(٧) المراد بالرماد: رماد الحطب الذي نشأ عن إيقاد النار في الخشب والحطب، وكونه عظيم الرماد يدل على أنه كريم يكثر الأضياف من المجيء إليه فيكثر من الذبح والطهي لهم؛ فيكثر الرماد لذلك، وهو أيضًا كريم في أهله.

(٨) قريب البيت من الناد أي: من النادي فالناس يذهبون إليه في مسائلهم ومشاكلهم، فالمعنى: أنها تصفه بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة، والله أعلم.

(٩) زوجها اسمه مالك.

(١٠) أي: خيرٌ من المذكورين جميعًا.

كثيرات المبارك قليلاتُ المسارح[١] وإذا سمعن صوتَ المزهر[٢] أيقنَّ أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع؟ أناس[٣] من حُلِيٍّ أذنيَّ وملأ مِن شحمٍ عضُديَّ[٤] وبجَّحني فَبَجِحَت[٥] إليَّ نفسي، وجدني في أهل غُنَيمةٍ بشقٍّ[٦] فجعلني في أهل صَهيل[٧] وأطيط[٨] ودائس[٩] ومُنقٍ[١٠]، فَعِنْدَه أقول فلا أقبَّح[١١] وأَرقُدُ فأَتَصَبَّحُ[١٢] .....،

(١) أي: قليل من الإبل من يسرح ليرعى، وكثير منها يبقى بجواره استعدادًا لإكرام الضيف بذبحها.

(٢) المزهر آلة كالعود ـ على ما قاله العلماء ـ يُضرب به لاستقبال الأضياف والترحيب بهم. والمعنى: أن الإبل إذا سمعت صوت المزهر علمت أن هناك أضيافًا قد وصلوا، فإذا وصل الأضياف أيقنت الإبل أنها ستذبح، واللَّه أعلم.

(٣) أناس: من النوس وهو الحركة، والمعنى: حرك أذني بالحلي، والمعنى أيضًا: أكثر في أذني من الحلي حتى تدلى منها واضطرب وسمع له صوت.

(٤) أي: أن عضديها امتلأت شحمًا.

(٥) بجحني: أي: عظمني وجعلني أتبجح فعظمت إليَّ نفسي وتبجحت.

(٦) بشق: قيل: هو مكان، وقيل: شق جبل، والمعنى: وجدني عندما جاء يتزوجني أعيش أنا وأهلي في فقر وفي غنيمات قليلة نرعاها بشق الجبل.

(٧) أي: صهيل الخيول.

(٨) أطيط: أي: إبل، أي: أنها أصبحت في رفاهية بعد أن كانت في ضنك من العيش.

(٩) الدائس هو ما يُداس، وهو القمح الذي يداس عليه ليخرج منه الحبُّ ويفصل عنه التبن كما يفعل الآن في بعض بلاد الريف يرمون القمح في طريق السيارات كي تدوسه فتفصل بين الحب والتبن، وكان الدائس في زمان السلف هو الدواب.

(١٠) المُنق: هو الذي له نقيق، قال بعض العلماء: هو الدجاج.

والمعنى: أنها أصبحت في ثروة واسعة من الخيل والإبل والزرع والطيور وغير ذلك.

(١١) أي: لا يقبح قولي ولا يرده بل أنا مُدللة عنده.

(١٢) أي: أنام إلى الصباح لا يوقظني أحدٌ لعملٍ، بل هناك الخدم الذين يعملون لي الأعمال فلا يقول لي: قومي جهزي طعام، ولا اعلفي دابة ولا هيئي المركب، بل هناك من الخدم من يكفيني ذلك.

وأشرب فأتقنَّحُ[١] .

أم أبي زرع، فما أم أبي زرع؟ عكومها[٢] رداح[٣] وبيتها فِساحٌ.

ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسلِّ شَطْبَةٍ[٤] ويُشبعه ذراع الجَفْرة[٥] .

بنتُ أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟ طوعُ أبيها وطوعُ أمها وملءُ كسائها[٦] وغيظُ جارتها[٧] .

---

(١) أتقنَّح، أي: أشرب حتى أرتوي، وقيل: أشرب على مهل لأني لا أخشى أن ينتهي اللبن فهو موجود دائمًا.

(٢) العكوم: هي الأعدال والأحمال التي توضع فيها الأمتعة.

(٣) رداح: أي: واسعة عظيمة.

والمعنى: أنها وصفت والدة زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث والمتاع والقماش، وبيتها متسع كبير، ومالها كثير، تعيش في خير كثير وعيش رغيد وفير.

(٤) الشطبة: هي سعف الجريد الذي يشق فيؤخذ منه قضبان رقاق تنسج منه الحصر، والمسل: هي العود الذي سُلَّ (أي: سُحب) من هذه الحصيرة. تعني: أن المضجع الذي ينام فيه الولد صغير قدر عود الحصير الذي يسحب من الحصيرة، أي: أن الولد لا يشغل حيزًا كبيرًا في البيت.

أما الحافظ بن حجر ـ رحمه اللَّه ـ فقال «فتح الباري (٩/ ١٧٩): ويظهر لي أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها؛ لأن زوج الأب غالبًا يستثقل ولده من غيرها، فكان هذا يخفف عنها، فإذا دخل بيتها فاتفق أنه قال فيه: (أي: نام فيه) مثلاً لم يضطجع إلا قدر ما يسل السيف من غمده ثم يستيقظ؛ مبالغة في التخفيف عنها.

(٥) الجفرة هي: الأنثى من الماعز التي لها أربعة أشهر. وتعني: أن الولد ليس بكثير الطعام ولا الشراب.

(٦) أي: أن جسمها ممتلئ أتاها اللَّه بسطة فيه.

(٧) قيل: جارتها ضرتها، وقيل: جارتها على الحقيقة.

جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تَبُثُّ[١] حديثنا تَبثيثًا ولا تُنَقِّثُ[٢] مِيراثنا[٣] تنقيثًا، ولا تملأ بيتنا تعشيشًا[٤] .

قالت: خرج أبو زرع والأوطابُ تَمْخَضُ[٥] فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين[٦] يلعبان من تحت خاصرتها برمانتين[٧] فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سَرِيًّا[٨] ركب شريًّا[٩] وأخذ خطيًّا[١٠] وأراح[١١] عليَّ نعمًا

(١) لا تبث: أي: لا تنشر ولا تُظهر.

(٢) أي: لا تخوننا فيه ولا تسرق منه

(٣) في رواية: ميرتنا، والمعني بها الطعام.

(٤) أي: أنها نظيفة وتنظف البيت فلا تترك البيت قذرًا دنسًا مليئًا بالخرق ومليئًا بما لا فائدة فيه.

ومعنى آخر: أنها لا تدخل على بيتنا شيئًا من الحرام. وأيضًا: لا تترك الطعام يفسد.

(٥) الأوطاب: هي قدور اللبن وأوعيته، وتمخض أي: تُخضُّ كي يستخرج منها الزبد والسمن.

ومن أهل العلم من قال: إنه خرج من عندها وهي تمخض اللبن فكانت متعبة فاستلقت فرآها متعبة فكأنه زهد فيها.

(٦) أي: أنه سُرَّ بالولدين وأعجب بهما ومن ثمَّ أحب أن يرزق منها بالولد.

(٧) ذكر بعض أهل العلم أن معناه: أن أليتيها عظيمتين فإذا استلقت على ظهرها ارتفع جسمها الذي يلي أليتيها من ناحية ظهرها عن الأرض، حتى لو جاء الطفلان يرميان الرمانة من تحتها مرت الرمانة من تحت ظهرها وذلك من عظم إليتيها.

- وقول آخر: أن الطفلين يلعبان وهما مجاورين لها، ومنهم من حمل الرمانتين على ثدييها، ودلَّل بذلك على صِغَر سنها أي: أن ثديها لم يتدل من الكبر.

(٨) سريًّا: أي: من سراة الناس، من كبرائهم في حسن الصورة والهيئة.

(٩) شريًّا: أي: فرسًا جيدًا خيارًا فائقًا يمضي في سيره بلا فتور.

(١٠) هو الرمح الخطي أي: الذي يجلب من موضع يقال له: الخط، وهو موضع بنواحي البحرين كانت تجلب منه الرماح.

(١١) راح: أي: أتى بها إلى المراح وهو موضع الماشية، أو رجع إليَّ (عند رواحه).

ثريًّا[١] وأعطاني من كل رائحة[٢] زوجًا، وقال: كُلي أمَّ زرع وميري[٣] أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع[٤]، قالت عائشة: قال رسول اللَّه ﷺ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[٥].

(١) الثري: هو المال الكثير من الإبل وغيرها.

(٢) في رواية (ذابحة)، المعنى: أعطاني من كل شيء يذهب ويروح صنفين فمثلاً الإبل والغنم والبقر والعبيد وغيرها تروح فكل شيء يروح (أو كل شيء يذبح) أعطاني منه بدلاً من الواحد اثنين أو أعطاني منه صنفًا.

(٣) الميرة: هي الطعام، ومنه قول إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ونمير أهلنا﴾ [يوسف:٦٥] أي: نجلب لهم الميرة، والمراد أنه قال لها: صليهم وأوسعي عليهم بالميرة.

فهذه المرأة وصفت زوجها بالسيادة والشجاعة والفضل والجود والكرم، فهو رجل يركب أفضل الفرسان ويخرج غازيًا معه سهمٌ جيد من أجود السهام فيرجع منتصرًا غانمًا الغنيمة فيُدخل عليَّ من كل نوع مما يُذبح زوجًا، ولا يضيق عليَّ في الإهداء وصلة أهلي بل يقول: كُلي يا أم زرع وصلي أهلك وأكرميهم.

(٤) من العلماء من قال: إن الذي يجمعه هذا الزوج من الغزوة إذا قسم على الأيام حتى تأتي الغزوة الثانية كان نصيب كل يوم من الأيام لا يملأ أصغر إناء من آنية أبي زرع.

والذي يظهر لي أنها أرادت المبالغة في فضل أبي زرع، واللَّه أعلم.

(٥) هذا هو القدر المرفوع من حديث رسول اللَّه ﷺ، وها هي بعض الفوائد المتعلقة بحديث أم زرع ذكرها الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفضِ ذلك إلى ما يمنع.

وفيه: المزح أحيانًا وبسط النفس به ومداعبة الرجل أهله وإعلامه بمحبته لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليه وإعراضها عنه.

وفيه: منع الفخر بالمال وبيان جواز ذكر الفضل بأمور الدين، وإخبار الرجل أهله بصورة حاله معهم وتذكيرهم بذلك لا سيما عند وجود ما طبعن عليه من كفر الإحسان.

وفيه: ذكر المرأة إحسان زوجها.

وفيه: إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها بما يخصها به من قول أو فعل، محله عند السلامة من الميل المفضي إلى الجور، وقد تقدم في أبواب الهبة جواز =

. . . . . .

= تخصيص بعض الزوجات بالتحف واللطف إذا استوفى للأخرى حقها.

وفيه: جواز تحدث الرجل مع زوجته في غير نوبتها. وفيه الحديث عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بهم اعتبارًا، وجواز الانبساط بذكر طرف الأخبار ومستطابات النوادر تنشيطًا للنفوس.

وفيه: حض النساء على الوفاء لبعولتهن وقصر الطرف عليهم والشكر لجميلهم، ووصف المرأة زوجها بما تعرفه من حسن وسوء، وجواز المبالغة في الأوصاف، ومحله إذا لم يصر ذلك ديدنًا لأنه يفضي إلى خرم المروءة.

وفيه: تفسير ما يجمله المخبر من الخبر إما بالسؤال عنه وإما ابتداءً من تلقاء نفسه.

وفيه: إن ذكر المرء بما فيه من العيب جائز إذا قصد التنفير عن ذلك الفعل ولا يكون ذلك غيبة، أشار إلى ذلك الخطابي، وتعقبه أبو عبد اللَّه التميمي شيخ عياض بأن الاستدلال بذلك إنما يتم أن لو كان النبي ﷺ سمع المرأة تغتاب زوجها فأقرها، وأما الحكاية عمن ليس بحاضر فليس كذلك، وإنما هو نظير من قال: في الناس شخص يسيء، ولعل هذا هو الذي أراده الخطابي فلا تعقب عليه، وقال المازري: قال بعضهم: ذكر بعض هؤلاء النسوة أزواجهن بما يكرهون ولم يكن ذلك غيبة لكونهم لا يعرفون بأعيانهم وأسمائهم، قال المازري: وإنما يحتاج إلى هذا الاعتذار لو كان من تحدث عنده بهذا الحديث سمع كلامهن في اغتياب أزواجهن فأقرهن على ذلك، فأما والواقع خلاف ذلك وهو أن عائشة حكت قصة عن نساء مجهولات غائبات فلا، ولو أن امرأة وصفت زوجها بما يكرهه لكان غيبة محرمة على من يقوله ويسمعه، إلا إن كانت في مقام الشكوى منه عند الحاكم، وهذا في حق المعين، فأما المجهول الذي لا يعرف فلا حرج في سماع الكلام فيه لأنه لا يتأذى إلا إذا عرف أن من ذكر عنده يعرفه، ثم إن هؤلاء الرجال مجهولون لا تعرف أسماؤهم ولا أعيانهم فضلاً عن أسمائهم ولم يثبت للنسوة إسلام حتى يجري عليهن الغيبة فبطل الاستدلال به لما ذكر.

وفيه: تقوية لمن كره نكاح من كان لها زوج لما ظهر من اعتراف أم زرع بإكرام زوجها الثاني لها بقدر طاقته، ومع ذلك فحقرته وصغرته بالنسبة إلى الزوج الأول.

وفيه أن الحب يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من =

وأوصى اللَّه سبحانه وتعالى بإحسان المعاشرة فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ عند تفسير هذه الآية:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] أي: طيِّبوا أقوالكم لهن، وحسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال

= المبالغة في وصفه إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو.

وقد وقع في بعض طرقه إشارة إلى أنَّ أبا زرع ندم على طلاقها وقال في ذلك شعرًا، ففي رواية عمر بن عبد اللَّه بن عروة عن جده عن عائشة: أنها حدثت عن النبي ﷺ عن أبي زرع وأم زرع، وذكرت شعر أبي زرع على أم زرع.

وفيه: جواز وصف النساء ومحاسنهن للرجل، لكن محله إذا كنَّ مجهولات، والذي يمنع من ذلك وصف المرأة المعنية بحضرة الرجل، أو أن يذكر من وصفها ما لا يجوز للرجال تعمد النظر إليه.

وفيه: أنَّ التشبيه لا يستلزم مساواة المشبه بالمشبه به من كل جهة لقوله ﷺ: «كنت لك كأبي زرع» والمراد ما بيَّنه بقوله في رواية الهيثم في الألفة إلى آخره لا في جميع ما وصف به أبو زرع من الثروة الزائدة والابن والخادم وغير ذلك وما لم يذكر من أمور الدين كلها.

وفيه: أن كناية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية؛ فإنه ﷺ تشبه بأبي زرع وأبو زرع قد طلق، فلم يستلزم ذلك وقوع الطلاق لكونه لم يقصد إليه.

وفيه: جواز التأسي بأهل الفضل من كل أمة؛ لأن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته فامتثله النبي ﷺ، كذا قال المهلب واعترضه عياض فأجاد، وهو: أنه ليس في السياق ما يقتضي أنه تأسى به، بل فيه أنه أخبر عن حاله معه مثل حال أم زرع، نعم ما استنبطه صحيح باعتبار أن الخبر إذا سيق وظهر من الشارع تقريره مع الاستحسان له جاز التأسي به.

رسول اللَّه ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[١]، وكان من أخلاقه ﷺ جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول اللَّه ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد أن حملت اللحم فسبقني فقال: «**هذه بتلك**».. إلى آخر ما ذكره رحمه اللَّه. (التفسير ١/ ٤٦٧).

فحسن المعاشرة مطلوب والترفيه عن الأهل بين الحين والآخر مطلوب.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه وكان من كُتاب رسول اللَّه ﷺ قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان اللَّه ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول اللَّه ﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسول اللَّه ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضَّيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فو اللَّه إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول اللَّه ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول اللَّه نكون عندك تُذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرًا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرات.

---

(١) صحيح وسيأتي.

(٣) مسلم مع النووي (١٧/ ٦٥).

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي ﷺ هيبة أن ينزل فينا شيء، فلما توفي رسول الله ﷺ تكلمنا وانبسطنا.

* * *

س: وضح شيئًا من المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

ج: هذه الآية الكريمة توضح أن علم الإنسان قاصر، فقد يرى الخير في أمرٍ من الأمور، وقد حمل هذا الأمر كل الشرور، والعكس أيضًا فقد يرى في أمرٍ ما شرًا وهو يحمل كل أنواع الخير، وهذا شيء واضح في سورة الكهف وفي غيرها من السور.

ففي سورة الكهف يقول الله جل ذكره: ﴿..**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ [الكهف:٧٩] فقد يرى شخص أن في خرق السفينة أذىً لأصحابها، ولكنه حمل خيرًا كثيرًا في حفظ السفينة من غصب المغتصبين، وكذلك الغلام الذي قُتل، وكذلك بناء الجدار في قرية البخلاء، وكذلك الأمر في القتال إذ قال الله فيه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢١٦] وكذلك كان الأمر في حديث الإفك؛ إذ قال الله سبحانه: ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [النور:١١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥١٨٧)

وكـذلك الأمر في النسـاء: فقـد يكره زوج زوجتـه لدمامـة مثـلاً أو لانخفاض في نسبها أو لفقرها ويجعل اللَّه فـيها خيرًا كثيرًا بأن يُرزق منها الولد الصالح مثلاً، أو تُذكره بصلة أرحامه، أو يرزق رزقًا واسعًا بسببها، أو أنها تعينه على طـاعة اللَّه ورسوله فيرث بذلك فـسيح الجنان، وكذلك تُجنبه معصـية اللَّه ورسوله فيتقي بذلك النيران، وبـالجملة فكما قال النبي ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنةً إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر**»[1].

وكما قال النبي ﷺ: «**إنما الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة**»[2]، فحتى الرجال لا تكاد تجد رجلاً شجـاعًا مغوارًا مقدامًا كريمًا سخيًّا عـالمًا محسنًا متصـدقًا كاظمًا للغيظ عافيًا عن الناس صـبورًا يقوم الليل ويصوم النهار، واصلاً للأرحام بـارًّا بوالديه.. نادرًا ما تجد خصال الخير تجتمع في رجل، كالإبل في المائة واحد تجده صبـورًا على الجوع والعطش مريحًا في المشي هادئ الطبع لبنه كثير.. نادرًا ما تجـد في الإبل كهذا، فإذا كان هذا هو الشـأن في الناس أنهم كإبل مـائة لا تكاد تجد فـيهـا راحلة، فالنـساء اللواتي خلقن من ضلع من باب أولى ألا تجتمع فيهن خـصال الخير، فقد تكون المرأة جميلة حسناء ولكنها بذيئـة اللسان، وقد تكون جميلة حسناء، لسانها طيب وقـولها حلو جميل، لكنها مـبذرة في الإنفاق ومتوسعـة فيه وغير مقتصدة في معيشتها، وقـد تكون مقتصدة في معيشتها لكن لا تجيد الطهي والخبز، وقـد تكون جميلة حسنة الخـلق حسنة التبعل متـقنة لعمل البيت لكنها شديدة الغيرة.

---

(١) مسلم (٣/ ٦٥٧).

(٢) البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

وقد يكون فيها ما ذُكر من جمال وبهاء وحسن تبعل وإتقان للعمل إلا أنها ضعيفة في العبادة.. إلى غير ذلك.

الشاهد أن المرأة بها عوج كما قال النبي ﷺ كالضلع وكالعود، عودٌ في آخره عوج تريد أن تقومه وتعدله فإذا ذهبت تقوِّمه كُسر منك، وإن تركته بقي أعوج، فكذلك المرأة إن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج.

فلا بد أن يكون في المرأة عيب وعوج، وكما قال النبي ﷺ: «**فدارها تعش بها**»[1].

لا نقول لك: اتركها بعيوبها، ولكن قوِّمها برفق ولين قدر الاستطاعة، وسدد وقارب، ولن تستطيع أن تصل إلى التمام؛ لقول النبي ﷺ: «**وإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج**»[2].

فليكن منك هذا الحديث على بال، واللَّه المستعان وعليه صلاح الأحوال، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ إشارة إلى كراهية الطلاق، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الكراهية إن لم يكن منشؤها سببًا شرعيًا فإمساك الزوجة أولى من طلاقها.

---

(١) ابن حبان (موارد الظمآن ١٣٠٨) بإسناد صحيح.

(٢) البخاري (٥١٨٤) ومسلم (ص ١٠٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه اللَّه:

وإن فرض أن أحدًا منكم كره زوجته وهي لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولا يطلقها، فلعل اللَّه تعالى يجعل في بقائها في عصمته خيرًا كثيرًا له نتيجة الصبر عليها وتقوى اللَّه تعالى فيها وفي غيرها، فقد يرزق منها ولدًا ينفعه، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة. والمراد: أن اللَّه تعالى أرشد المؤمن إن كره زوجته أن يصبر ولا يطلق لما في ذلك من العاقبة الحسنة، لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع، وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل اللَّه تعالى فيه الخير الكثير.

قلت: ومما يؤيد كراهية الطلاق لغير سبب شرعي، قول النبي ﷺ[1]: «**إنَّ إبليسَ يَضَعُ عرشَهُ على الماء، ثم يَبعَثُ سراياهُ، فأَدناهُم منهُ منزلةً أعظمُهُم فتنةً، يجيءُ أحدُهُم فيقول: فعلتُ كذا وكذا. فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا. قال: ثمَّ يجيء أحدُهُم فيقولُ: ما تركتُهُ حتَّى فرَّقتُ بينَهُ وبين امرأته. قال: فيدنيهِ منهُ ويقولُ: نِعمَ أَنتَ**». قال الأعمش: أُراهُ قال: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»[2].

* * *

(١) أخرجه مسلم (ص ٢١٦٧).

(٢) يلتزمه أي: يضمه إلى نفسه ويعانقه.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(قنطارًا ـ بهتانًا ـ إثمًا مبينًا ـ أفضى بعضكم إلى بعض).

ج:

الكلمة	معناها
قنطارًا	القنطار المال الكثير، ومن العلماء من حدَّه بحدٍّ معين.
بهتانًا	ظلمًا بغير حق.
إثمًا مبينًا	إثمًا واضحًا.
أفضى بعضكم إلى بعض	الإفضاء: الوصول إلى الشيء مباشرة، والإفضاء: الجماع أيضًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وإن أردتم أيها الأزواج الزواج بامرأة مكان زوجة لكم تريدون تطليقها وكنتم قد أعطيتم التي تريدون تطليقها صداقًا كبيرًا جدًّا ـ قنطارًا ـ فلا تضروا بالزوجة التي تريدون تطليقها حتى تفتدي نفسها منكم بشيء من المال الذي أعطيتموه لها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ هل يتنزل على التي يُراد تطليقها فقط، أم على التي يراد الزواج بها كذلك؟

ج: يتنزل على الاثنتين معًا، فقد يتزوج رجل بامرأةٍ وعنده امرأة أخرى يُريد تطليقها، ويكون قد أعطى الزوجة التي يُراد تطليقها صداقًا كبيرًا من قبل، وأعطى التي يريد أن يتزوج بها صداقًا كبيرًا هي الأخرى، فيمارس أنواعًا من الأذى على التي يريد تطليقها حتى تفتدي منه بجزء من المال، وكذلك يعمد إلى الزوجة الثانية يمارس معها أنواعًا من الإغراءات وأنه يريد أن يطلق الأولى كي تعطيه الزوجة الثانية جزءًا من صداقها مقابل تطليقه للأولى وثمَّ صور أُخر للمضارة، والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ..﴾؟

ج: الاستفهام للإنكار والتغليظ وكذلك للتهديد والوعيد.

* * *

س: ما المراد بالميثاق الغليظ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

● أن المراد بالميثاق الغليظ هو ما أُخذ على الرجال في قوله تعالى: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة في قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقد كان في عقد المسلمين عند إنكاحهم (آللَّه عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان).

● ومنها: أن الميثاق الغليظ هو الكلمة التي تم بها النكاح.

● ومنها: أنها المذكورة في حديث رسول اللَّه ﷺ: «**فإنكم أخذتموهن بأمانة اللَّه واستحللتم فروجهن بكلمة اللَّه**».

* * *

س: هل هذه الآية ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا..﴾ محكمة أم منسوخة؟ وما حجة القائلين بالنسخ؟

ج: الآية محكمة غير منسوخة، أما حجة القائلين بالنسخ فقالوا: إن اللَّه أجاز للزوج أن يأخذ من زوجته بعض ما أعطاها في بعض الأحيان كما قال سبحانه: ﴿**وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**﴾ ووجه دفع الاستدلال أن يقال: إن الآية الكريمة المذكورة ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ..**﴾ هذه في صورة من الصور غير التي نحن بصددها؛ إذ هي في المختلعات.

وتحمل الآية التي هي ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ على غير المختلعات، وأيضًا على من لم تطب نفسًا بالإعطاء.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: إنها محكمة غير منسوخة، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها إذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها، ولا ريبة أتت بها.

وذلك أن الناسخ من الأحكام ما نَفَى خلافه من الأحكام، على ما قد بيَّنا في سائر كتبنا. وليس في قوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ نفي حكم قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة:٢٢٩]؛ لأن الذي حرَّم اللَّه على الرجل بقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، أخذ ما آتاها منها إذا كان هو المريد طلاقها.

وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ فهو إذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع. وليس في حكم إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى.

وإذ كان ذلك كذلك، لم يجز أن يُحكم لإحداهما بأنها ناسخة، وللأخرى بأنها منسوخة، إلا بحجة يجبُ التسليم لها.

وأما ما قاله بكر بن عبد اللَّه المزني: من أنه ليس لزوج المختلعة أخذُ ما أعطته على فراقه إياها، إذا كانت هي الطالبة الفرقةَ وهو الكاره! فليس

بصواب؛ لصحة الخَبرِ عن رسول اللَّه ﷺ بأنه أمرَ ثابت بن قيس بن شماس بأخذ ما كان ساق إلى زوجته وفراقِها إذ طلبت فراقه، وكان النشوز من قِبَلها.

* * *

س: ورد عن عمر رضي الله عنه أثر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ ما هذا الأثر وما مدى صحته؟

ج: هذا الأثر أخرجه سعيد بن منصور[1] ومن طريقة البيهقي وذلك من طريق مجالد عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال: ألا لا تغالوا في صُدُق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول اللَّه أو سِيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين! كتاب اللَّه عز وجل أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب اللَّه عز وجل، فما ذلك؟

قالت: نهيتَ الناس آنفًا أن يغالوا في صدق النساء، واللَّه عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠] فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر - مرتين أو ثلاثًا - ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني نهيتكم أن تغالوا في صُدُقِ النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له.

وهذا الأثر ضعيف الإسناد ففيه مجالد وهو ضعيف، وفيه أيضًا الشعبي

---

(١) سعيد بن منصور (٥٩٨) والبيهقي (٧/ ٢٣٣).

وهو لم يسمع من عمر.

لكن لأصله شواهد أشرت إليها في كتابي «جامع أحكام النساء» وأرى أنه يحسن بهذه الشواهد[١]، والله أعلم.

* * *

س: هل تستحب المغالاة في المهور؟

ج: المغالاة في المهور في الجملة مكروهة، وذلك لما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «**هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئًا؟**» قال: قد نظرت إليها، قال: «**على كم تزوجتها؟**» قال: على أربع أواق، فقال له النبي ﷺ: «**على أربع أواق؟!! كأنما تنحتون الفضة من عُرضِ هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه**»، قال: فبعث بعثًا إلى بني عبس بعث ذلك الرجل فيهم.

وكذلك عند الإمام أحمد[٣] بإسناد صحيح من حديث أبي حدرد الأسلمي: أنه أتى النبي ﷺ يستفتيه في مهر امرأة، فقال: «**كم أمهرتها؟**» قال: مائتي درهم، فقال: «**لو كنتم تغرفون من بُطحان ما زدتم**».

* * *

(١) وانظر هذه الشواهد في كتابي «جامع أحكام النساء».

(٢) مسلم (٣/ ٥٨١).

(٣) أحمد (المسند ٣/ ٤٤٨).

س: هل المغالاة في المهور حرام؟

ج: ليست بحرام؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا**﴾ ولأن النجاشي زوَّج أم حبيبة لرسول اللَّه ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف[1].

ولقول الشيخ الصالح لموسى عليه السلام: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ**﴾ [القصص: ٢٧].

لكن الأفضل والأليق الاقتداء بالنبي ﷺ في عدم المغالاة في المهور.

* * *

س: هل هناك حدٌّ لأكثر المهر أو لأقله؟

ج: لا نعلم دليلاً يحدد أقل المهر ولا أكثره.

- وقد نقل القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ الإجماع على أنه لا حدَّ لأكثره.

- **وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:** ومن كان له يسار (أي: غنى) ووجد فأحب أن يعطي امرأته صداقًا كثيرًا فلا بأس بذلك كما قال تعالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٢٠]، أما من يشغل ذمته بصداق لا يريد أن يؤديه أو يعجز عن وفائه فهذا مكروه كما تقدم، وكذلك من جعل في ذمته صداقًا كثيرًا من غير وفاءٍ له فهذا ليس بمسنون واللَّه أعلم.

- **قلت:** ولكن عند التنازع في صداق لم يكن قد سُمي، فهذا يُصار فيه إلى مهر المثل على ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه.

(١) أبو داود (٢/ ٥٨٣) وسنده صحيح.

• **أما قولنا:** ليس هناك حدٌّ لأقله ولا لأكثره، فهذا في حالة التراضي والوفاق، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: هل يجوز تزويج رجلٍ بما معه من القرآن؟

ج: نعم يجوز تزويج الرجل بما معه من القرآن، وذلك إذا كان مُعسرًا، أما إذا لم يكن مُعسرًا فلا، وهذا وذاك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إني لفي القوم عند رسول اللَّه ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول اللَّه، إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا، ثم قامت فقالت: يا رسول اللَّه، إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا، ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فقام رجل فقال: يا رسول اللَّه، أنكحنيها، قال: «**هل عندك من شيء؟**» قال: لا قال: «**اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد**» فذهب وطلب ثم جاء فقال: ما وجدت شيئًا ولا خاتمًا من حديد، قال: «**هل معك من القرآن شيء؟**» قال: معي سورة كذا وكذا، قال: «**اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن**»[1].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

ج: قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «تفسيره»: بيان ذلك: أن

(١) البخاري (حديث ٥١٤٩)، ومسلم (ص ٥٨٤).

الزوجة قبل عقد النكاح، محرمة على الزوج، ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر، الذي يدفعه لها، فإذا دخل بها، وأفضى إليها، وباشرها المباشرة التي كانت حرامًا قبل ذلك، والتي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض، فثبت عليه العوض، فكيف يستوفي المعوض، ثم بعد ذلك يرجع في العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ اللَّه على الأزواج ميثاقًا غليظًا بالعقد والقيام بحقوقها.

● **وقال القاسمي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «محاسن التأويل»:**

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾:

﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ**﴾: إنكار لأخذه إثر إنكار، وتنفير عنه أيَّ تنفير على سبيل التعجب.

أي بأي وجه تستحلون المهر ﴿**وَقَدْ أَفْضَى**﴾ أي: وصل ﴿**بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**﴾ فأخذ عوضه ﴿**وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ أي عهدًا وثيقًا مؤكدًا مزيد تأكيد، يعسر معه نقضه، كالثوب الغليظ يعسر شقه.

قال الزمخشري: الميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة، ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه، فقد قالوا: صحبة عشرين يومًا قرابة، فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟! انتهى.

قال الشهاب الخفاجي: قلت: بل قالوا:

صحبة يوم نسب قريب وذمة يعرفها اللبيب

أو الميثاق الغليظ: ما أوثق اللَّه تعالى عليهم في شأنهم بقوله تعالى:

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. أو قول الولي عند العقد: أنكحتك على ما في كتاب اللَّه: من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

* * *

س: اذكر سبب نزول قول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ..﴾.

ج: سبب ذلك ما أخرجه الطبري[1] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الجاهلية يُحرِّمون ما يحرم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، قال: فأنزل اللَّه: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾.

* * *

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

قد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلُفُون على حلائل آبائهم فجاء الإسلام وهم على ذلك فحرم اللَّه تعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم، من فعل ذلك لم يؤاخذهم به إن هم اتقوا اللَّه في إسلامهم وأطاعوه فيه، وذكر ـ رحمه اللَّه ـ بعض الآثار في ذلك. ثم قال:

وقال آخرون: معنى ذلك ولا تنكحوا نكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا

(١) الطبري أثر (٨٩٣٨).

كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾. يعني: أن نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلاً. إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداءً مثله في الإسلام فإنه معفوٌّ لكم عنه ثم قال أيضًا:

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم إلا ما قد سلف منهم من وجوه بالزنا عندهم، فإن نكاحهن لكم حلال؛ لأنهن لم يكن لهم حلائل، وإنما كان ما كان من آبائكم ومنهن من ذلك فاحشة ومقتًا وساء سبيلاً.

واختار الطبري ـ رحمه اللَّه ـ القول الثاني ألا وهو: (ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم)، أي الوجه الثاني وهو وجه مرجوح لدينا لبعده عن الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول الآية.

تنبيه: لا يفهم من اختيار ابن جرير أنه ـ رحمه اللَّه ـ يجيز نكاح امرأة الأب كلا؛ فهذا أمر مجمع على تحريمه، ولكنه ـ رحمه اللَّه ـ يريد أن يوسع دائرة العمل بالآية فيدخل فيها منع كل أنكحة الجاهلية الباطلة، واللَّه تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ (١/ ٤٦٨):

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ الآية: يحرم اللَّه تعالى زوجات الآباء تكرمة لهم وإعظامًا واحترامًا أن توطأ من بعده حتى إنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها، وهذا أمرٌ مجمع عليه.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ (٥/ ٦٨):

قوله تعالى: ﴿**مَا نَكَحَ**﴾ قيل: المراد بها النساء، وقيل: العقد، أي: نكاح آبائكم الفاسد المخالف لدين اللَّه إذ اللَّه قد أحكم وجه النكاح وفصَّل شروطه، وهو اختيار الطبري فـ (من) متعلقة بـ ﴿**تَنكِحُوا**﴾ و﴿**مَا نَكَحَ**﴾ مصدر.

قال: ولو كان معناه ولا تنكحوا النساء اللاتي نكح آباؤكم لوجب أن يكون موضع (ما) «من» فالنهي على هذا إنما وقع على ألا ينكحوا مثل نكاح آبائهم الفاسد، والأول أصح، وتكون (ما) بمعنى «الذي» و«من» والدليل عليه أن الصحابة تلقت الآية على هذا المعنى، ومنه استدلت على منع نكاح الأبناء حلائل الآباء.

ثم قال القرطبي: وقيل المراد بالآية النهي عن أن يطأ الرجل امرأةً وطئها الآباء إلا ما قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنى بالنساء لا على وجه المناكحة، فإنه جائز لكم زواجهن وأن تطأوا بعقد النكاح ما وطئه آباؤكم من الزنى قاله ابن زيد.

قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ (أضواء البيان ١/ ٢٧٦):

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ الآية: نهى اللَّه تعالى في هذه الآية الكريمة عن نكاح المرأة التي نكحها الأب، ولم يبين ما المراد بنكاح الأب هل هو العقد أو الوطء لكنه بين في موضع آخر أن اسم النكاح يطلق على العقد وحده، وإن لم يحصل مسيس وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ فصرح بأنه نكاح، وأنه لا مسيس فيه.

وقد أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حرمت على ابنه، وإن لم يمسها الأب، وكذلك عقد الابن محرم على الأب إجماعًا، وإن لم يمسها، وقد أطلق تعالى النكاح في آية أخرى مريدًا به الجماع بعد العقد وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾ لأن المراد بالنكاح هنا ليس مجرد العقد، بل لابد معه من الوطء كما قال ﷺ لامرأة رفاعة القرظي: «**لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**».

أما قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ففيه لأهل العلم كلام:

- **قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:**

قال بعضهم: معناه لكن ما قد سلف فدعوه، وقالوا: هو من الاستثناء المنقطع. وقال أيضًا: (نقلاً عن غيره) إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداءً مثله في الإسلام فإنه معفو لكم عنه.

- **وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه:**

قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ أي: تقدم ومضى، والسلف ما تقدم من آبائك وذوي قرابتك وهذا استثناء منقطع، أي لكن ما قد سلف فاجتنبوه ودعوه، وقيل: (إلا) بمعنى بعد أي: بعد ما سلف.. وذكر جملة أقوال في ذلك، وانظر قوله المتقدم في تفسير أول الآية.

- **وقال الشوكاني ـ رحمه اللَّه ـ (فتح القدير ١/ ٤٤٢):**

قوله: ﴿**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ هو استثناء منقطع، أي: لكن ما قد سلف فاجتنبوه ودعوه... وذكر أقوالاً أخرى نحو ما تقدم.

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

س: ما المراد بالنكاح في قوله تعالى: ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم..﴾؟

ج: المراد به الزواج، أي: ما تزوج آباؤكم.

* * *

س: رجل عقد على امرأة ولم يدخل بها، هل لولده أن يتزوجها؟

ج: لا يصح للولد أن يتزوجها.

قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه تعالى:

وقد أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حرمت على ابنه، وإن لم يمسها الأب، وكذلك عقد الابن محرم على الأب إجماعًا وإن لم يمسها.

* * *

س: زواج امرأة الأب أعظم جرمًا من الزنى، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في نكاح امرأة الأب: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، بينما قال تعالى في شأن الزنى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

وكذلك العقوبة الشديدة اللاحقة بمن تزوج امرأة أبيه، فقد أخرج أبو داود [١] بإسناد صحيح لشواهده من حديث البراء رضي الله عنه قال: لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله.

* * *

(١) أبو داود (حديث ٤٤٥٧).

• لفتة في أمر الدعوة إلى الله •

س: علاج الأمور الأكثر تفشيًا في الناس يُقدَّم على علاج غيرها، وإن كان غيرها أشد خطرًا منها، وعمومًا قد يُقدم أمر على آخر لعلة من العلل، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

تقديم قول اللَّه تعالى: ﴿**وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ [النساء: ٢٢] على قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ [النساء: ٢٣].

فكما هو معلوم فنكاح الأم أشد خطرًا من نكاح امرأة الأب، ومع ذلك قدم تحريم نكاح امرأة الأب؛ لكونه كان متفشيًا في الجاهلية بخلاف نكاح الأم فلم يكن فيهم.

• ومن ذلك قول اللَّه تعالى في شأن الحجيج: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم..**﴾ [الحج: ٢٨].

فشهادة المنافع من تجارة وتعارف ونحوه أدنى درجة من ذكر اللَّه في الحج بلا شك، ولكن لما كانت شهادة المنافع قد تستنكر في الحج بُدِئ بذكرها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ [النساء: ١٢] مع أن الدين يقدم علي الوصية بالإجماع، لكن لأن صاحب الدين أقوى مطالبة به من الموصى له ومن ثمَّ قد تُهمل الوصية، فلهذا ـ واللَّه أعلم ـ قدمت

الوصية في الذكر.

ومن ثمَّ ننطلق في الأمور الدعوية من هذا المنطلق، فتراعى الأمور الأكثر تفشيًا، وتعالج قبل غيرها وتراعى الأمور التي تستدعيها المقامات قبل غيرها، وإن كان غيرها من الأهمية بمكان أكبر، واللَّه أعلم.

* * *

• من حرّم على الرجل نكاحهن
وبيان بعض الأنكحة المحرمة والفاسدة •

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ
وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ
وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ
وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن
نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ
أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ
ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ
أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا
ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(ربائبكم ـ حجوركم ـ حلائل أبنائكم ـ من أصلابكم ـ ما قد سلف ـ المحصنات ـ كتاب اللَّه عليكم ـ ما وراء ذلكم ـ محصنين ـ غير مسافحين).

ج:

الكلمة	معناها
ربائبكم	بنات أزواجكم من رجال آخرين غيركم فالربيبة هي بنت امرأة الرجل من زوجٍ غيره.
حجوركم	بيوتكم ـ حضاناتكم.
حلائل أبنائكم	أزواج أولادكم.
من أصلابكم	يعني: الأبناء الحقيقيين، ليسوا الأدعياء، فقد كان الرجل يتبنى ولدًا ويسميه باسمه وينسبه إليه، فلذلك احترز بقوله: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾.
ما قد سلف	ما قد صدر منكم في جاهليتكم.
المحصنات	المُزوجات.
كتاب اللَّه عليكم	كتاب كتبه اللَّه عليكم أي: فالزموه.
ما وراء ذلكم	ما سوى ذلك.
محصنين	متعففين.
غير مسافحين	غير زناة.

• المحرمات من النسب •

س: اذكر السبع(*) المحرمات من النسب.

ج السبع المحرمات من النسب هن المذكورات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ(١) وَبَنَاتُكُمْ(٢) وَأَخَوَاتُكُمْ(٣) وَعَمَّاتُكُمْ(٤) وَخَالاتُكُمْ(٥) وَبَنَاتُ الأَخِ(٦) وَبَنَاتُ الأُخْتِ(٧)﴾.

• **وقد نقل الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الإجماع على تحريم هؤلاء.**

• **وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه** (٨) : فالسبع المحرمات من النسب:

(*) أخرج البخاري (٥١٠٥) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَرُم من النسب سبع...».

(١) حرَّم الأمهات: وهن كل من بينك وبينه إيلاد من جهة الأمومة أو الأبوة كأمهاته وأمهات آبائه وأجداده من جهة الرجال والنساء وإن علون.

(٢) وحرم البنات: وهن كل من انتسب إليه بإيلاد كبنات صلبه وبنات بناته، وأبنائهن وإن سفلن.

قلت: ويلتحق بالبنت بنت الزنى عند الجمهور كما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه.

(٣) وحرم الأخوات من كل جهة.

(٤) وحرم العمات وهن أخوات آبائه وإن علون من كل جهة وأما عمة العم فإن كان العم لأب فهي عمة أبيه، وإن كان لأم فعمته أجنبية منه فلا تدخل في العمات، وأما عمة الأم فهي داخلة في عماته كما دخلت عمة أبيه في عماته.

(٥) وحرَّم الخالات: وهن أخوات أمهاته وأمهات آبائه وإن علون، وأما خالة العمة فإن كانت العمة لأب فخالتها أجنبية، وإن كانت لأم فخالتها حرام لأنها خالة، وأما عمة الخالة فإن كانت الخالة لأم فعمتها أجنبية، وإن كانت لأب فعمتها حرام؛ لأنها عمة الأم.

(٦)، (٧) وحرَّم بنات الأخ وبنات الأخت فيعمُّ الأخ والأخت من جهة وبناتهما وإن نزلت درجتهن.

(٨) القرطبي (٥/ ٧٠).

الأمهات، والبنات، والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت.

• **ونقل عن الطحاوي قوله**: وكل هذا من المحكم المتفق عليه وغير جائز نكاح واحدة منهن بإجماع.

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: قوله تعالى: ﴿**أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ تحريم الأمهات عام في كل حال لا يتخصص بوجه من الوجوه؛ ولهذا يسميه أهل العلم (**المبهم**) أي: لا باب فيه ولا طريق إليه؛ لانسداد التحريم وقوته، وكذلك تحريم البنات، والأخوات، ومن ذكر من المحرمات.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ:

فالأم: اسم لكل أنثى لها عليك ولادة، فيدخل في ذلك الأم دنية وأمهاتها، وجداتها وأم الأب وجداته وإن علون.

والبنت: اسم لكل أنثى لك عليها ولادة، وإن شئت قلت: كل أنثى يرجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات، فيدخل في ذلك بنت الصلب وبناتها وبنات الأبناء وإن نزلن.

والأخت: اسم لكل أنثى جاورتك في أصليك أو في أحدهما، والبنات جمع بنت، والأصل بَنَيَةٌ، والمستعمل ابنة وبنت، قال الفراء: كُسرت الباء من بنت لتدل الكسرة على الياء، وضُمت الألف من أخت لتدل على حذف الواو، فإن أصل أخت: أَخَوَة، والجمع أخوات.

والعمة: اسم لكل أنثى شاركت أباك أو جدك في أصليه أو في أحدهما، وإن شئت قلت: كل ذكر نسبه إليك فأخته عمتك، وقد تكون العمة من جهة الأم، وهي أخت أب أمك.

والخالة: اسم لكل أنثى شاركت أمك في أصليها أو في أحدهما، وإن شئت قلت: كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة فأختها خالتك، وقد تكون الخالة من جهة الأب، وهي أخت أم أبيك.

وبنت الأخ: اسم لك أنثى لأخيك عليها ولادة بواسطة أو مباشرة، وكذلك بنت الأخت، فهذه السبع المحرمات من النسب.

● **وقال الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى**[1] :

والأمهات أم الرجل الوالدة وأمهاتها، وأمهات آبائه، وإن بعدت الجدات لأنهن يلزمن اسم الأمهات، والبنات بنات الرجل لصلبه، وبنات بنيه، وبناتهن وإن سفلن فكلهن يلزمهن اسم البنات كما لزم الجدات اسم الأمهات وإن علون، وتباعدن منه، وكذلك ولد الولد وإن سفلوا، والأخوات من ولد أبيه لصلبه أو أمه نفسها، وعماته من ولد جده الأدنى أو الأقصى، ومن فوقهما من أجداده، وخالاته من ولدته أم أمه ومن فوقهما من جداته من قبلها، وبنات الأخ كل ما ولد الأخ لأبيه أو لأمه أو لهما من ولد ولدته والدته فكلهم بنو أخيه وإن تسفلوا، وهكذا بنات الأخت.

● **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى**[2] :

أما المحرمات بالنسب فالضابط فيه: أن جميع أقارب الرجل من النسب حرام عليه إلا بنات أعمامه، وأخواله، وعماته، وخالاته.

● **وقال ـ رحمه اللَّه أيضًا:**

فدخل في الأمهات أم أبيه وأم أمه وإن علت بلا نزاع ـ أعلمه ـ بين

---

(١) «الأم» (٥/ ٣٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٦٢).

العلماء، وكذلك دخل في (البنات) بنت ابنه وبنت ابن ابنته، وإن سفلت بلا نزاع أعلمه، وكذلك دخل في (الأخوات) الأخت من الأبوين والأب، والأم ودخل في (العمات) و(الخالات) عمات الأبوين وخالات الأبوين وفي (بنات الأخ والأخت) ولد الإخوة وإن سفلن، فإذا حرم عليه أصوله وفروعه، وفروع أصوله البعيدة دون بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات.

قلت: وباقي كلام شيخ الإسلام في المحرمات بالصهر سيأتي قريبًا إن شاء اللَّه.

* * *

• تحريم زواج البنت من الزنى •

وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على من جوز ذلك

س: ما حكم زواج البنت من الزنى؟

ج أجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بقوله:

لا يجوز أن يتزوج بها عند جمهور أئمة المسلمين حتى إن الإمام أحمد أنكر أن يكون في ذلك نزاع بين السلف، وقال: من فعل ذلك فإنَّه يقتل، وقيل له عن مالك: إنه أباحه فكذَّب النقل عن مالك، وتحريم هذا هو قول أبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، ومالك وجمهور أصحابه، وهو قول كثير من أصحاب الشافعي، وأنكر أن يكون الشافعي نص على خلاف ذلك، وقالوا: إنما نص على بنته من الرضاع دون الزانية التي زنى بها، واللَّه أعلم.

وسئل نفس السؤال فأجاب عليه بتوسع (٣٢/ ١٣٤) فسئل عن بنت الزنا هل تزوج بأبيها؟ فأجاب:

الحمد للَّه: مذهب الجمهور من العلماء أنه لا يجوز التزويج بها، وهو الصواب المقطوع به حتى تنازع الجمهور هل يقتل من فعل ذلك؟ على قولين، والمنقول عن أحمد: أنه يقتل من فعل ذلك، فقد يقال: هذا إذا لم يكن متأولاً وأما المتأول فلا يقتل، وإن كان مخطئًا، وقد يقال هذا مطلقًا كما قال الجمهور: إنه يجلد من شرب النبيذ المختلف فيه متأولاً، وإن كان مع ذلك لا يفسق عند الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين، وفسقه مالك وأحمد في الرواية الأخرى، والصحيح أن المتأول المعذور لا يفسق بل ولا

يأثم، وأحمد لم يبلغه أن في هذه المسألة خلافًا، فإن الخلاف فيها إنما ظهر في زمنه، لم يظهر في زمن السلف فلهذا لم يعرفه.

والذين سوغوا نكاح البنت من الزنا حجتهم في ذلك أن قالوا: ليست هذه بنتًا في الشرع بدليل أنهما لا يتوارثان ولا تجب نفقتها ولا يلي نكاحها، ولا تعتق عليه بالملك ونحو ذلك من أحكام النسب، وإذا لم تكن بنتًا في الشرع لم تدخل في آية التحريم فتبقى داخلة في قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وأما حجة الجمهور فهو أن يقال: قول اللَّه تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآية، هو متناول لكل من شمله هذا اللفظ سواء كان حقيقة أو مجازًا، وسواء ثبت في حقه التوارث وغيره من الأحكام أم لم يثبت إلا التحريم خاصة ليس العموم في آية التحريم كالعموم في آية الفرائض ونحوها، كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

وبيان ذلك من ثلاثة أوجه:

● **أحدها:** أن آية التحريم تتناول البنت وبنت الابن وبنت البنت، كما يتناول لفظ العمة عمة الأب والأم والجد، وكذلك بنت الأخت وبنت ابن الأخت وبنت بنت الأخت، ومثل هذا العموم لا يثبت لا في آية الفرائض ولا نحوها من الآيات، والنصوص التي علق فيها الأحكام بالأنساب.

الثاني: أن تحريم النكاح يثبت بمجرد الرضاعة كما قال النبي ﷺ: «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة**»[1]، وفي لفظ: «**ما يحرم من النسب**»، وهذا حديث متفق على صحته، عمل الأئمة به، فقد حرم اللَّه

(١) الحديث صحيح، وسيأتي إن شاء اللَّه.

على المرأة أن تتزوج بطفل غذته من لبنها أو أن تنكح أولاده، وحرم على أمهاتها وعماتها وخالاتها، بل حرم على الطفلة المرتضعة من امرأة أن تتزوج بالفحل صاحب اللبن، وهو الذي وطئ المرأة حتى در اللبن بوطئه، فإذا كان يحرم على الرجل أن ينكح بنته من الرضاع ولا يثبت في حقها شيء من أحكام النسب سوى التحريم وما يتبعها من الحرمة فكيف يباح له نكاح بنت خلقت من مائه؟! وأين المخلوقة من مائه من المتغذية بلبن در بوطئه؟! فهذا يبين التحريم من جهة عموم الخطاب، ومن جهة التنبيه والفحوى وقياس الأولى.

الثالث: أن اللَّه تعالى قال: ﴿**وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ**﴾ [النساء:٢٣] قال العلماء: احتراز عن ابنه الذي تبناه كما قال: ﴿**لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٧] ومعلوم أنهم في الجاهلية كانوا يستلحقون ولد الزنا أعظم مما يستلحقون ولد المتبنى، فإذا كان اللَّه تعالى قيد ذلك بقوله: ﴿**مِنْ أَصْلابِكُمْ**﴾، علم أن لفظ «البنات» ونحوها يشمل كل من كان في لغتهم داخلاً في الاسم.

● **وأما قول القائل**: إنه لا يثبت من حقها الميراث ونحوه فجوابه: أن النسب تتبعض أحكامه، فقد ثبت بعض أحكام النسب دون بعض كما وافق أكثر المنازعين في ولد الملاعنة على أنه يحرم على الملاعن، ولا يرثه واختلف العلماء في استلحاق ولد الزنا إذا لم يكن فراشًا على قولين كما ثبت عن النبي ﷺ أنه ألحق ابن وليدة زمعة بن الأسود ابن زمعة بن الأسود وكان قد أحبلها عتبة بن أبي وقاص[1] فاختصم فيه سعد وعبد بن

(١) الصواب أن يقال: إن عتبة ادعى ذلك، وعهد إلى أخيه سعد بذلك، وسيأتي الحديث إن شاء اللَّه.

زمعة، فقال سعد: ابن أخي عهد إليَّ أن ابن وليدة زمعة هذا ابني، فقال عبدٌ: أخي وابن وليدة أبي ولد على فراش أبي، فقال النبي ﷺ: «**هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش، وللعاهر الحجر، احتجبي منه يا سودة**» لما رأى من شَبَهِهِ البيِّن بعتبة، فجعله أخاها في الميراث دون الحرمة.

وقد تنازع العلماء في ولد الزنا هل يعتق بالملك؟ على قولين في مذهب أبي حنيفة وأحمد وهذه المسألة لها بسط لا تسعه هذه الورقة.

ومثل هذه المسألة الضعيفة ليس لأحدٍ أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه ولا على وجه المتابعة له فيها فإن في ذلك ضربًا من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة وبمثل ذلك صار وزير التتر يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في مذاهب الرافضة وأهل الإلحاد، واللَّه أعلم.

* * *

• المحرمات من الرضاع •

وأبحاث في الرضاعة

س: اذكر المحرمات من الرضاعة على وجه الإجمال.

ج: المحرمات من الرضاع سبع، وهن المحرمات من النسب، وذلك لما أخرجه البخاري، ومسلم [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة: «**لا تحل لي، يَحْرُم من الرضاعة ما يَحْرُمُ من النَّسب، هي ابنة أخي من الرضاعة**»[٢].

* * *

س: هل العم من الرضاعة يدخل على المرأة؟

ج: نعم يدخل عليها، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث

---

(١) البخاري (حديث٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).

(٢) **قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ** (فتح الباري ٩/ ١٤١): قال القرطبي: في الحديث دلالة على أن الرضاع ينشر الحرمة بين الرضيع والمرضعة وزوجها، يعني: الذي وقع الإرضاع بين ولده منها، أو السيد فتحرم على الصبي لأنها تصير أمه، وأمها؛ لأنها تصير جدته فصاعدًا، وأختها لأنها خالته وبنتها لأنها أخته وبنت بنتها فنازلاً؛ لأنها بنت أخته وبنت صاحب اللبن؛ لأنها أخته وبنت بنته فنازلاً لأنها بنت أخته، وأمه فصاعدًا؛ لأنها جدته وأخته لأنها عمته ولا يتعدى التحريم إلى أحدٍ من قرابة الرضيع فليست أخته من الرضاعة أختًا لأخيه ولا بنتًا لأبيه؛ إذ لا رضاع بينهم والحكمة في ذلك: أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها هو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءًا من أجزائهما فانتشر التحريم بينهم بخلاف قرابات الرضيع؛ لأنه ليس بينهم وبين المرضعة ولا زوجها نسب ولا سبب والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ٥٠٩٩)، ومسلم (ص١٠٧٠).

عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال النبي ﷺ: «**أراه فلانًا**» لعم حفصة من الرضاعة، قالت عائشة: لو كان فلانًا حيًّا ـ لعمها من الرضاعة ـ دخل عليَّ؟ فقال: «**نعم، الرضاعة تُحرم ما تُحرم الولادة**»(١).

* * *

(١) **قال** النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم ٣/ ٦٢١): هذه الأحاديث متفقة على ثبوت حرمة الرضاع، وأجمعت الأمة على ثبوتها بين الرضيع والمرضعة، وأنه يصير ابنها يحرم عليه نكاحها أبدًا ويحل له النظر إليها والخلوة بها والمسافرة، ولا يترتب عليه أحكام الأمومة من كل وجه فلا يتوارثان، ولا يجب على واحد منهما نفقة الآخر، ولا يعتق عليه بالملك، ولا ترد شهادته لها، ولا يعقل عنها، ولا يسقط عنها القصاص بقتله فهما كالأجنبيين في هذه الأحكام، وأجمعوا ـ أيضًا ـ على انتشار الحرمة بين المرضعة وأولاد الرضيع وبين الرضيع وأولاد المرضعة، وأنه في ذلك كولدها من النسب لهذه الأحاديث وأما الرجل المنسوب ذلك اللبن إليه لكونه زوج المرأة أو وطئها بملك أو شبهة، فمذهبنا ومذهب العلماء كافة ثبوت حرمة الرضاع بينه وبين الرضيع ويصير ولدًا له، وأولاد الرجل إخوة الرضيع وإخوته، وتكون إخوة الرجل أعمام الرضيع وأخواته عماته، وتكون أولاد الرضيع أولاد الرجل، ولم يخالف في هذا إلا أهل الظاهر وابن عُلية فقالوا: لا تثبت حرمة الرضاع بين الرجل والرضيع، ونقله المازري عن ابن عمر وعائشة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾، ولم يذكر البنت أو العمة كما ذكرهما في النسب، واحتج الجمهور بهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة في عم عائشة وعم حفصة وقوله ﷺ مع إذنه فيه: «إنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»، وأجابوا عما احتجوا به من الآية: أنه ليس فيها نص بإباحة البنت والعمة ونحوهما؛ لأن ذكر الشيء لا يدل على سقوط الحكم عما سواه لو لم يعارضه دليل آخر، كيف وقد جاءت هذه الأحاديث الصحيحة؟ والله أعلم.

س: وضح المراد بلبن الفحل.

ج: تتضح صورة لبن الفحل مما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب، فأبيت أن آذن له، فلما جاء رسول اللَّه ﷺ أخبرته بالذي صنعت فأمرني أن آذن له.

ومما رواه مالك في الموطأ[٢]، عن ابن شهاب، عن عمرو بن الشريد: أن عبد اللَّه بن عباس سئل عن رجل كانت له امرأتان فأرضعت إحداهما غلامًا وأرضعت الأخرى جارية، فقيل له: هل يتزوج الغلام الجارية؟ فقال: لا، اللقاح واحد.

* * *

س: هناك مستند استند عليه من يرى أن لبن الفحل لا يحرم، فما هذا المستند وما مدى صحته؟

ج: هذا مستند ضعيف وهو ما أخرجه ابن أبي شيبة[٣] من طريق زينب ابنة أبي سلمة قالت: كانت أسماء أرضعتني، وكان ابن الزبير يدخل عليَّ وأنا أمتشط ويأخذ القرن من قروني ويقول: «أقبلي على محمد بحديثي ترى أنه أبي وإنما ولد أخواتي»، فلما كان يوم الحرة أرسل عبد اللَّه بن الزبير

(١) البخاري (حديث ٥١٠٣)، ومسلم (حديث ١٤٤٥).

والفحل المراد به هنا: الرجل، ونسبة اللبن إليه لكونه السبب فيه، قاله الحافظ، وقال ـ رحمه اللَّه ـ: وفي الحديث أن لبن الفحل يحرم فتنتشر الحرمة لمن ارتضع الصغير بلبنه فلا تحل له بنت زوج المرأة التي أرضعته من غيره مثلاً.

(٢) مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٠٢)، وإسناده صحيح.

(٣) ابن أبي شيبة «المصنف» (٤/ ٣٤٩).

يخطب ابنتي على حمزة بن الزبير ـ وحمزة ومصعب للكلبية ـ فأرسلت إليه: هل تصلح له؟ فأرسل إليَّ إنما تريدين منعي بنتك، وأنا أخوك وما ولدت أسماء فهم إخوتك، وما ولد الزبير لغير أسماء فليسوا لك بإخوة فأرسلي فسلي، فأرسلت فسألت، وأصحاب النبي ﷺ متوافرون وأمهات المؤمنين، فقالوا: إن الرضاعة من قبل الرجال لا تُحرم شيئًا.

وهذا كما قدمنا إسناده ضعيف.

* * *

• عدد الرضعات المحرمات •

س: اذكر على وجه الإجمال أقوال العلماء في عدد الرضعات المحرمات.

ج: لأهل العلم جملة أقوال في عدد الرضعات المُحرمات نورد بعضها على سبيل الإجمال، ونعقب ـ إن شاء اللَّه ـ بدليل كلٍّ منهم.

• **ذهب جمهور العلماء**[1] **إلى أن الرضعة الواحدة تحرم ويثبت بها حكم الرضاع**، مستدلين بالعمومات الواردة في الباب كقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ..﴾ [النساء: ٢٣] فلم يُذكر عددٌ، وكذلك عموم قول النبي ﷺ: «**إنما الرضاعة من المجاعة**»[2] فلم يُذكر عدد.

وأجابوا على الروايات التي ورد فيها تحديد العدد المحرم من الرضعات بأنها قد اختلفت، وبأن عائشة رضي الله عنها التي ورد عنها عددٌ من الأحاديث في تحديد ذلك ـ اختلف عليها فيما يُعتبر من ذلك، فوجب الرجوع إلى أقل ما ينطلق عليه الاسم.

وهذا قول عدد من أهل العلم منهم عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن

---

(١) كما نقل عنهم ذلك النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٦٣٢) وابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٤٧).

(٢) وكذلك احتجوا بعمومات أُخر مثل قول النبي ﷺ في ابنة حمزة: «إنها ابنة أخي من الرضاعة»، وقوله عليه الصلاة والسلام في بنت أبي سلمة: «إنها ابنة أخي من الرضاعة»، وقول النبي ﷺ لعائشة في شأن عمها من الرضاعة: «إنه عمك فليلج عليك..».

المسيَّب ـ في قولٍ له ـ وطاوس، وعروة بن الزبير، والزهري، ومالك وأشار البخاري إلى ترجيحه بقوله: (وما يحرم من قليل الرضاع وكثيره) وإيراده حديث «**إنما الرضاعة من المجاعة**»، ونُقل كذلك عن الثوري، وأبي حنيفة، والأوزاعي، وأحمد ـ في رواية عنه ـ والليث بن سعد، ومكحول وغيرهم (انظر «المحلى» ١٠/ ١٢) والنووي في «شرح مسلم» (٣/ ٦٣٢) وابن حجر («فتح الباري» ٩/ ١٤٧).

• **وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الذي يحرم هو ثلاث رضعات فما فوقها**، لحديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا تُحرم المصة والمصتان**»، فقالوا: ما زاد على ذلك فهو يُحرم. وهذا قول أحمد بن حنبل ـ في الرواية الأخرى عنه ـ وقول أهل الظاهر ـ إلا ابن حزم ـ وقول سليمان بن يسار، وسعيد بن جبير، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، وأبي ثور، وابن المنذر، وأبي سليمان، «كما نقله عنهم ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ في «المحلى» (١٠/ ١٠)».

• **وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الذي يحرم خمس رضعات**، لحديث عائشة رضي الله عنها: «كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرمن، ثم نسخ بخمسٍ معلومات، فتوفي رسول اللَّه ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن». ومن القائلين بهذا القول الشافعي وأصحابه، وقبله أم المؤمنين عائشة[1] رضي الله عنها.

---

(١) أخرج البيهقي من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يُحرم دون خمس رضعات معلومات. «السنن الكبرى» (٧/ ٤٥٦)، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ ٤٦٦) بإسقاط عروة من الإسناد، وأظنه خطأ من الناسخ، واللَّه أعلم.

وقريب من قولهم قول ابن حزم ـ رحمه اللَّه.

• **وذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي يُحرم هو سبع رضعات،** ولا نعلم لهؤلاء دليلاً عن رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: اذكر بشيء من التفصيل أدلة أهل العلم في عدد الرضعات المحرمات.

ج: أولاً: أدلة القائلين بأن الرضعة الواحدة تُحرم:

من ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ قدمت باقي الأدلة عن قريب.

وهذا مزيدٌ من الآثار بشيء من التفصيل:

أثر ابن عمر رضي الله عنهما:

أخرج عبد الرزاق في «المصنف»[1] بسند صحيح عن عمرو بن دينار: أنه سمع ابن عمر سأله رجل أتحرم رضعة أو رضعتان؟ فقال: ما نعلم الأخت من الرضاعة إلا حرامًا. فقال رجل: إن أمير المؤمنين ـ يريد ابن الزبير ـ يزعم أنه لا تحرِّم رضعة ولا رضعتان؟ فقال ابن عمر: قضاء اللَّه خير من قضائك وقضاء أمير المؤمنين.

أثر سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ـ رحمهما اللَّه:

• أخرج مالك[2] في «الموطأ» عن إبراهيم بن عقبة: أنه سأل سعيد بن

(١) عبد الرزاق (٧/ ٤٦٧).

(٢) مالك في «الموطأ» (ص ٦٠٤) وهو صحيح عن سعيد وعروة ـ رحمهما اللَّه.

المسيب عن الرضاعة، فقال سعيد: كُلُّ ما كان في الحولين وإن كانت قطرة واحدة فهو يُحرِّمُ، وما كان بعد الحولين فإنما هو طعام يأكله.

قال إبراهيم بن عقبة: ثم سألت عروة بن الزبير[١] فقال مثل ما قال سعيد ابن المسيب.

• **وصح عن طاوس**[١] أنه قال: تُحرِّم المرةُ الواحدة.

• **وصحَّ عن ابن شهاب**[٢] أنه كان يقول: الرضاعة قليلها وكثيرها تُحرِّم، والرضاعة من قبل الرجال تُحرم.

• **وقال مالك «الموطأ»**[٣]: الرضاعة قليلها وكثيرها إذا كان في الحولين تُحرِّم، فأما ما كان بعد الحولين فإن قليله وكثيره لا يُحرِّم شيئًا وإنما هو بمنزلة الطعام.

• **أما دليل من قال: إن الذي يُحرِّم ثلاث رضعات**: فهو ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[٤] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تحرم المصة والمصتان**».

• وأخرج مسلم[٥] أيضًا من حديث أم الفضل رضي الله عنها قالت: دخل أعرابي على نبي اللَّه ﷺ وهو في بيتي فقال: يا نبي اللَّه، إني كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى فزعمت امرأتي الأولى أنها أرضعت امرأتي الحُدثى رضعةً أو رضعتين. فقال نبي اللَّه ﷺ: «**لا تحرم الإملاجة**

---

(١) عبد الرزاق (٧/ ٤٦٧).

(٢)، (٣) مالك في «الموطأ» (ص ٦٠٤).

(٤) مسلم (حديث ١٤٥٠).

(٥) مسلم (حديث ١٤٥١).

والإملاجتان».

• أما من قال إن الخمس رضعات هي التي تُحرِّم فهو ما أخرجه مسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرمن ثم نُسخ بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يُقرأ من القرآن.

* * *

(١) مسلم (حديث ١٤٥٢).

• الحاصل في عدد الرضعات المحرمات •

س: ما الوجه الذي يظهر رجحانه في عدد الرضعات المحرمات؟

ج: الذي يظهر مما تقدم ـ واللَّه تعالى أعلم ـ أن رأي من رأى من أهل العلم أن الذي يُحرِّم هو خمس رضعات فما زاد هو الأصح، وذلك لأن العموم الوارد في قوله تعالى ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ وسائر العمومات قد خُصَّت بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تحرم المصة والمصتان**»، وبحديث عائشة رضي الله عنها: «**كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات، ثم نُسخ بخمسٍ معلومات..**» الحديث.

وقوله ﷺ: «**لا تحرم المصة ولا المصتان**» ليس صريحًا في أن الثلاث والأربع تُحرِّم، أما القول بأن الذي يحرم سبع أو عشر فليس فيه دليل عن رسول اللَّه ﷺ.

فبقي في المسألة حديث عائشة رضي الله عنها: «**كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثم نسخ بخمس معلومات..**» الحديث، فيتعين المصير إليه والعمل به، وقد أجبنا عن بعض الاعتراضات التي وُجهت إليه، وباللَّه التوفيق.

فالحاصل: أن الذي يُحرم هو خمس رضعات كما في حديث عائشة رضي الله عنها، وهو قولها وقول الشافعي وغيره واللَّه تعالى أعلم.

* * *

• زمن الرضاعة •

س: اذكر بإيجاز زمن الرضاع المُحرِّم.

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الرضاع الذي يحرم هو ما كان في الصغر قبل الحولين؛ لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة:٢٣٣]، ولقول النبي ﷺ: «**إنما الرضاعة من المجاعة**»(١)؛ ولقول النبي ﷺ: «**لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام**»(٢).

بينما ذهب بعض أهل العلم منهم عائشة رضي الله عنها وأبو محمد بن حزم ـ رحمه اللَّه ـ إلى أن الرضاع كله يحرم سواء كان في الصغر أو كان في الكبر، وذلك لحديث عائشة(٣) رضي الله عنها في قصة سهلة مع سالم مولى أبي حذيفة وقول النبي ﷺ: «**أرضعيه**»، قالت: «وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟» فتبسم رسول اللَّه ﷺ وقال: «**قد علمت أنه رجل كبير**». واستدلوا أيضًا بعموم قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ**﴾.

أما جمهور العلماء فأجابوا عن قصة سهلة مع سالم بأنها خاصة بسهلة

---

(١) أخرج البخاري (٥١٠٢) ومسلم (١٤٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، فكأنَّه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي، فقال: «انظرن ما إخوانكن؛ فإنما الرضاعة من المجاعة».

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي (١١٦٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٣) أخرج مسلم (حديث ١٤٥٣) قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم ـ وهو حليفه ـ فقال النبي ﷺ: «أرضعيه» قالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟! فتبسَّم رسول اللَّه ﷺ وقال: «قد علمت أنه رجل كبير».

مع سالم، ومنهم من قال: إنها منسوخة.

ويتأيد لديَّ رأي الجمهور بقول النبي ﷺ: «.. **وكان قبل الفطام**»، والله أعلم.

* * *

• صفة الرضاع المحرم •

س: ما صفة الرضاع المُحرِّم؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن لبن المرضع يُحرِّم سواء تناوله الطفل من ثديها، أو حُلب له في إناء وشربه من الإناء.

بينما ذهب أبو محمد بن حزم ومعه بعض العلماء إلى أن الذي يُحرِّم هو ما ارتُضع من الثدي فقط متمسكين بالمعنى اللغوي للإرضاع.

ولا شك أن رأي الجمهور أرجح؛ لأنه لبن امرأة سُدَّت به المجاعة، وفُتقت به الأمعاء، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

• المحرمات بالمصاهرة •

س: اذكر المحرمات بالمصاهرة.

ج: المحرمات بالمصاهرة أصولهن أربع، وهن:

١ ـ ما نكح الأب، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ..**﴾.

٢ ـ أمهات النساء، لقوله تعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**﴾.

٣ ـ الربيبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم..**﴾.

٤ ـ حلائل الأبناء الذين هم من الأصلاب، لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ**﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه [1] :

وأما المحرمات (بالصهر) فيقول: كل نساء الصهر حلال له إلا أربعة أصناف بخلاف الأقارب، فأقارب الإنسان كلهن حرام إلا أربعة أصناف، وأقارب الزوجين كلهن حلال إلا أربعة أصناف، وهن: حلائل الآباء والأبناء، وأمهات النساء وبناتهن، فيحرم على كل من الزوجين أصول الآخر وفروعه.

يحرم على الرجل أم امرأته، وأم أمها وأبيها وإن علت، وتحرم عليه بنت امرأته، وهي الربيبة، وبنت بنتها وإن سفلت، وبنت الربيب أيضًا حرام كما نص عليه الأئمة المشهورون: الشافعي وأحمد وغيرهما، ولا أعلم فيه نزاعًا.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٦٥).

ويحرم عليه أن يتزوج بامرأة أبيه وإن علا، وامرأة ابنه وإن سفل، فهؤلاء (الأربعة) هن المحرمات بالمصاهرة في كتاب اللَّه، وكل من الزوجين يكون أقارب (الآخر) أصهارًا له، وأقارب الرجل أحماء المرأة، وأقارب المرأة أختان الرجل، وهؤلاء الأصناف الأربعة يحرمن بالعقد إلا الربيبة، فإنها لا تحرم حتى يدخل بأمها؛ فإن اللَّه لم يجعل هذا الشرط إلا في الربيبة، والبواقي أطلق فيهن التحريم، فلهذا قال الصحابة: أبهموا ما أبهم اللَّه، وعلى هذا الأئمة الأربعة وجماهير العلماء.

وأما بنات هاتين وأمهاتهما فلا يحرمن، فيجوز له أن يتزوج بنت امرأة أبيه وابنه باتفاق العلماء؛ فإن هذه ليست من حلائل الآباء والأبناء؛ فإن الحليلة هي الزوجة.

وبنت الزوجة وأمها ليست زوجةً بخلاف الربيبة؛ فإن ولد الربيبة ربيب، كما أن ولد الولد ولد.

وكذلك أم أم الزوجة أم للزوجة، وبنت أم الزوجة لم تحرم فإنها ليست أمًّا فلهذا قال من قال من الفقهاء: بنات المحرمات محرمات إلا بنات العمات والخالات وأمهات النساء وحلال الآباء والأبناء، فجعل بنت الربيبة محرمة دون بنات الثلاث وهذا مما لا أعلم فيه نزاعًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

ج: المراد أم الزوجة، وهي من المحرمات بالمصاهرة، فإن كان الرجل دخل بزوجته حَرُمت عليه أمها بالإجماع، وإذا كان قد عقد على الزوجة فقط، ولم يدخل بها فأمها أيضًا تحرم عليه، وذلك على رأي جمهور أهل

العلم، وهو الصواب لإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، فلم تتقيد بالدخول كما قُيِّدت الربيبة.

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك[١].

● **أثر ابن مسعود** رضي الله عنه:

أخرج عبد الرزاق[٢] بإسناد صحيح عن ابن مسعود: أن رجلاً من بني شمخ بن فزارة تزوج امرأة، ثم رأى أمها فأعجبته فاستفتى ابن مسعود، فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها، فتزوجها وولدت له أولادًا، ثم أتى ابنُ مسعود المدينة فسأل عن ذلك، فأُخبر أنها لا تحلُّ له، فلما رجع إلى الكوفة، قال للرجل: إنها عليك حرام، إنها لا تنبغي لك ففارقها.

● **أثر ابن عباس** رضي الله عنهما:

أخرج سعيد بن منصور[٣] بإسناد صحيح عن مسروق: أنه سئل عن قول اللَّه عز وجل: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ فقال ابن عباس: هي مبهمة، فأرسلوا ما أرسل اللَّه، واتبعوا ما بيَّن اللَّه عز وجل، قال: رخص في

---

(١) وفي الباب حديث فيه ضعف أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٦) من طريق المثنى، قال: حدثنا ابن موسى قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج الابنة».

وفي إسناده المثنى بن الصباح، وهو ضعيف، والمثنى (شيخ الطبري)، وهو ابن إبراهيم الآملي لم نقف له على ترجمة، وقد توبع المثنى بن الصباح عند البيهقي (٧/ ١٦٠) تابعه ابن لهيعة، وابن لهيعة ضعيف أيضًا.

(٢) عبد الرزاق (٦/ ٢٧٣) «المصنف».

(٣) «سنن سعيد بن منصور» (١/ ٢٣٤).

الربيبة إذا لم يكن دخل بأمها وكره الأم على كل حال.

• **وروى عبد الرزاق[1] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد اللَّه** رضي الله عنهما قال في الرجل ينكح المرأة ثم تموت قبل أن يمسها: ينكح أمها إن شاء.

وثمَّ آثار أُخر عن عليٍّ وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وفيها مقال.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ..﴾ الآية.

ج: من المحرمات بالمصاهرة الربيبة وهي محرمة بشرطين ذكرا في الآية الكريمة:

أولهما: أن تكون في الحجر.

الثاني: أن يكون الرجل قد دخل بأمها.

وإلى هذا التقييد بهذين الشرطين ذهب بعض أهل العلم منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو محمد بن حزم ـ رحمه اللَّه ـ ونقل ذلك عن الإمام مالك ـ رحمه اللَّه.

بينما ذهب جمهور العلماء إلى أنه يشترط الدخول بأمها فقط، وتحرم عليه الربيبة سواء كانت في حجره أو لم تكن في حجره، وحملوا قوله تعالى: ﴿**فِي حُجُورِكُم**﴾ علي أنه خرج مخرج الغالب ولا اعتبار له، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**﴾ [النور: ٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ**﴾ [الأنعام: ١٥١]، وكقوله تعالى:

---

(١) عبد الرزاق (١٠٨١٨) وما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس أصح واللَّه تعالى أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] وغيرها من الآيات في هذا الباب.

● وظاهر القرآن الكريم يؤيد ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأبو محمد بن حزم ألا وهو: أنه لكي تحرم الربيبة لا بد من شرطين: أن تكون في الحجر، وأن يكون دخل بأمها، والله أعلم.

● أما صفة الدخول بأمها فاختلف فيها على قولين:

أولهما: أن المراد الجماع، والنكاح.

الثاني: أن المراد الخلوة والتجريد.

والأول هو الأظهر والأصح وهو رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، واختاره ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ ألا وهو أن المراد بالدخول: الجماع والنكاح، والله تعالى أعلم.

● **وهذا أثر عليٍّ رضي الله عنه في هذا الباب**، وقد أخرجه عبد الرزاق[1] بسندٍ صحيح عن مالك بن أوس بن الحدثان النصري قال: كانت عندي امرأة قد ولدت لي، فتُوفيت فوجدت عليها، فلقيت عليَّ بن أبي طالب فقال: ما لك؟ فقلت: توفيت المرأة. فقال: ألها ابنة؟ قلت: نعم، قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي في الطائف. قال: فانكحها. قال: قلت: فأين قوله: ﴿رَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾، قال: إنها لم تكن في حجرك، وإنما ذلك إذا كانتْ في حجرك.

* * *

(١) عبد الرزاق «المصنف» (١٠٨٣٤).

س: رجل تزوج امرأة ثم طلقها أو ماتت قبل أن يدخل بها، هل يحل له نكاح ابنتها؟

ج: نعم، يحل له نكاح ابنتها، لأن اللَّه قال في التي يمتنع الشخص من نكاحها ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، وهذه غير مدخولٍ بها، وقد نقل القرطبي الإجماع على جواز ذلك، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾.

ج: قال الحافظ بن كثير ـ رحمه اللَّه:

وقوله تعالى: ﴿وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ أي: وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم، يحترز بذلك عن الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٧] الآية. ونقل ابن كثير الاتفاق على أن حليلة الابن تحرم على الأب بمجرد العقد عليها سواءً دخل بها الابن أو لم يدخل.

* * *

س: هل زوجة الابن من الرضاع تحرم؟

ج: نعم تحرم؛ لقول النبي ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»(١)

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

• وقال الحافظ بن كثير ـ رحمه اللَّه ـ (١/ ٤٧٢):

فإن قيل: فمن أين تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور ومن الناس من يحكيه إجماعًا وليس من صلبه؟ فالجواب من قوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**».

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره الحافظ ابن حجر[1] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وغيره من العلماء حيث قال الحافظ:

والجمع بين الأختين في التزويج حرام بالإجماع سواء كانتا شقيقتين أَمْ من أبٍ أمْ من أُمٍّ، وسواء النسب والرضاع، واختُلف فيما إذا كانتا بملك اليمين، فأجازه بعض السلف، وهو رواية عن أحمد، والجمهور وفقهاء الأمصار على المنع.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى:

وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديمًا وحديثًا على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح.

ومن أسلم وتحته أختان خُيِّر، فيمسك إحداهما ويُطلق الأخرى لا محالة.

* * *

س: هل ورد شيء من السنة يفيد تحريم الجمع بين الأختين؟

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ١٦٠).

ج: نعم ورد في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أم حبيبة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول اللَّه، انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «**أو تحبين ذلك؟**» فقلت: نعم، لست لك بمُخلية، وأَحَبُّ من شاركني في خيرِ أُختي، فقال النبي ﷺ: «**إن ذلك لا يحلُّ لي**»، قلت: فإنا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: «**بنت أمِّ سلمة؟**» قلت: نعم، فقال: «**لو أنها لم تكن ربيبتي في حِجري ما حلَّت لي، إنها لابنةُ أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثُويبةُ، فلا تعرضْنَ عليَّ بناتكن ولا أخواتكن**»، قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَهُ بعضُ أهله بشرِّ حِيبةٍ قال له: ماذا لقيتَ؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سُقيت في هذه بعتاقتي ثويبة.

* * *

س: هل يصح الجمع بين الأختين إذا كانتا بملك اليمين؟

ج: الجمع بين الأختين في التزويج إذا كانتا بملك اليمين حرام أيضًا، لعموم قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾.

وقد تقدم في ثنايا أقوال أهل العلم أن هذا هو رأي جمهور العلماء وفقهاء الأمصار، رأيهم أن الجمع بين الأختين في التزويج إذا كانتا بملك اليمين حرام. وهذا مزيد من الأقوال:

- **قال العلامة ابن القيم ـ رحمه اللَّه (زاد المعاد ٥/ ١٢٥):**

وحرَّم سبحانه الجمع بين الأختين، وهذا يتناول الجمع بينهما في عقد النكاح وملك اليمين كسائر محرمات الآية، وهذا قول جمهور الصحابة

(١) البخاري (حديث ٥١٠١) ومسلم (حديث ١٤٤٩).

ومن بعدهم، وهو الصواب، وتوقفت طائفة في تحريمه بملك اليمين لمعارضة هذا العموم بعموم قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

ولهذا قال أمير المؤمنين عثمان[1] رضي الله عنه: أحلتهما آية وحرمتهما آية. وقال الإمام أحمد في رواية عنه: لا أقول: هو حرام، ولكن ننهى عنه، فمن أصحابه من جعل القول بإباحته رواية عنه، والصحيح أنه لم يبحه، ولكن تأدب مع الصحابة أن يطلق لفظ الحرام على أمر توقف فيه عثمان، بل قال: ننهى عنه. والذين جزموا بتحريمه رجحوا آية التحريم من وجوه:

أحدها: أن سائر ما ذُكر فيها من المحرمات عام في النكاح وملك اليمين، فما بال هذا وحده حتى يخرج منها؟! فإن كانت آية الإباحة مقتضيةً لِحلِّ الجمع بالملك فلتكن مقتضيةً لحل أم موطوءته بالملك ولموطوءة أبيه وابنه

(١) أخرج مالك (ص ٥٣٨) عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب: أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية، فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك، قال: فخرج من عنده فلقي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسأله عن ذلك فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحدًا فعل ذلك لجعلته نكالاً.

قلت: وإسناده صحيح، قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (١/ ٤٧٢): وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عبد الله بن أبي عتبة ـ أو عتبة ـ عن ابن مسعود: أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين فكرهه، فقال له ـ يعني السائل ـ يقول الله تعالى: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ فقال له ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: وبعيرُك مما ملكت يمينك.

وهذا الأثر عن ابن مسعود رجاله ثقات، إلا أنني لا أعلم لعبد الله بن أبي عتبة رواية عن ابن مسعود، والله تعالى أعلم.

بالملك؛ إذ لا فرق بينهما ألبتة، ولا يُعلم بهذا قائل.

الثـــاني: أن آية الإباحة بملك اليمـين مخصوصة قطعًـا بصور عديدة لا يختلف فيها اثنان، كأمه، وابنته، وأخـته، وعمته، وخالته من الرضاعة، بل كأخته وعـمته، وخالته من النسب عند من لا يرى عتـقهن بالملك، كمالك والشافعي، ولم يكن عمومُ قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ معارضًا لعموم تحريمهن بالعقد والملك، فهذا حكم الأختين سواء.

الثالث: أن حلَّ الملك ليس فيه أكثر من بيان جهة الحل وسببه ولا تعرُّض فيه لشـروط الحل ولا لموانعه، وآية التحريم فيهـا بيان موانع الحل من النسب والرضاع والصهر وغيره، فلا تعارض بينهما ألبتة، وإلا كان كلُّ موضع ذُكر فيه شـرط الحل وموانعُه مـعارضًا لمقتـضى الحل، وهذا باطل قطعًا، بل هو بيان لما سكت عنه دليل الحل من الشروط والموانع.

الرابع: أنه لو جاز الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء جاز الجمع بين الأم وابنتها المملوكتين؛ فإن نص التحـريم شامل للصورتين شمولاً واحدًا، وإن إباحة المملوكات إن عمت الأختين عمت الأم وابنتها.

الخـامس: أن النبي ﷺ قـال: «**من كان يؤمن باللَّه واليـوم الآخر فلا يجمع ماءه في رحم أختين**»[1] ولا ريب أن جمع الماء كما يكون بعقد النكاح يكون بملك اليمين، والإيمان يمنع منه.

* * *

(١) لم أقف عليه.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

ج: المراد والله أعلم، إلا ما قد كان منكم في جاهليتكم، فقد عفونا لكم عنه وغفرناه لكم، ولكن لا يجوز أن تبقوا تحتكم أختين.

فقد قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله: ومن أسلم وتحته أختان فيمسك إحداهما ويُطلق الأخرى لا محالة.

* * *

س: هل يجوز الجمع بين المرأة وعمتها تحت رجل واحد، وكذلك هل يجوز الجمع بين المرأة وخالتها؟

ج: لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها لقول رسول الله ﷺ: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**»[1]. وأخرج البخاري أيضًا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن تُنكح المرأة على عمتها أو خالتها[2].

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن عدد من أهل العلم أنهم نقلوا الإجماع على تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها.

هذا وقد قال الإمام الترمذي ـ رحمه الله: والعمل على هذا عند عامة أهل العلم، لا يُعلم بينهم اختلاف أنه لا يحل للرجل أن يجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فإن نكح امرأة على عمتها أو خالتها، أو العمة على بنت أخيها فنكاح الأخرى منهما مفسوخ، وبه يقول عامة أهل العلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨).

(٢) البخاري (حديث ٥١٠٨).

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

ج: سبب نزول الآية الكريمة ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًّا فقاتلوهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن.

* * *

س: وضح معنى الإحصان، والمعاني التي تحمل عليها كلمة المحصنات.

ج: أما الإحصان فمعناه: المنع، والتحصن: التمنع.

وقيل للحِصان: حصان (بكسر الحاء)؛ لأنه يمنع صاحبه من الهلاك، أما المعاني التي تحمل عليها كلمة المحصنات فمن ذلك ما يلي.

١ - المحصنات: المزوجات، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

٢ - المحصنات: العفيفات؛ لقوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾.

٣ - المحصنات: الحرائر؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤].

٤ - المحصنات: المسلمات؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ أي: أسلمن.

---

(١) مسلم (حديث ١٤٥٦).

وكل هذه المذكورات يفترض أنها تمنع من الزنا، فالمزوجات زواجهن يفترض أنه يمنعهن من الزنا، وكذلك العفيفات عفتهن تمنعهن من الزنا، والحرائر أيضًا يُفترض أن الحرية تمنعهن من الزنا، وكذلك الإسلام يُفترض أنه يمنع المسلم من الزنا، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

ج: الذي يظهر من سياق الآية الكريمة وسبب نزولها أن المراد بالمحصنات فيها هن المزوجات، ويكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم، و...و... والمحصنات، أي: وحرمت عليكم النساء المزوجات فلا يحل لكم التزوج بهن أثناء كونهن مزوجات، إلا امرأة ملكتها يمينكم بالسبي فإنها تحل لكم ـ وإن كانت مزوَّجةً ـ إذا انقضت عدتها بالاستبراء.

وهذا قول كثير من أهل العلم[1]، ويؤيده سبب نزول الآية الكريمة واللَّه تعالى أعلم. ويكون معنى الآية ـ **كما قال النووي رحمه اللَّه** ـ:

والمزوجات حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي، فإنه ينفسخ نكاح زوجها الكافر وتحل لكم إذا انقضى استبراؤها.

---

(١) ورد عن ابن عباس أنه قال: «كل ذات زوج إتيانها زنا إلا ما سُبيت» أخرجه الطبراني بإسناد صحيح عن ابن عباس.
وكذلك صحَّ عن ابن المسيب والحسن في قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء﴾ قال: هن ذوات الأزواج، حرَّمَ اللَّه نكاحهن، إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها. أخرجه الطبري (٨٩٧٥).

والمراد بقوله في الحديث: «**إذا انقضت عدتهن**» أي: استبراؤهن، وهي بوضع الحمل عن الحامل، وبحيضة من الحائل كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، والله أعلم.

● **أما قول ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ** الذي اختاره وذكره في تفسيره وحاصله: أنه عمَّ المحصنات فأدخل فيهن الحرائر، والعفائف، والمسلمات، والمزوجات، فهذا تأويل بعيد ـ وإن كان ما ذكره من إطلاق الإحصان على العفة والحرية والإسلام والزواج صحيح ـ لأن الآية في بيان المحرمات علينا من النساء، فكيف يقال: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم، و... والحرائر؟! فكيف تُعطف الحرائر على الأمهات، وكيف تعطف العفائف على الأمهات، في كونهن محرمات؟!

أما اختياره ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾، أن المراد ما ملكته أيماننا منهن بشراء أو بنكاح فنراه قولاً ضعيفًا؛ وذلك لأن إطلاق ملك اليمين على الزوجة الحرة ليس بوارد في كتاب الله ـ حد علمنا ـ فمدلول قوله تعالى: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ شرعًا لا ينسحب على الزوجة وإن كان يصح لغةً، وقد فرَّق الله سبحانه وتعالى بين الزوجة وملك اليمين في جملة آيات، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ..**﴾ [المعارج:٢٩] فظهر الفرق بين ملك اليمين والزوجة، وكيف يستساغ شرعًا أن يُطلق على عائشة أنها مما ملكته يمين رسول الله ﷺ أو على فاطمة أنها مما ملكته يمين علي بن أبي طالب مثلاً؟! فرحمة الله على ابن جرير، وعفا عنه.

● **قلت:** ويلتحق بالمحصنات المباحات المرأة التي أسلمت وكانت تحت

رجل كافر؛ فإن إسلامها يُفرِّق بينها وبين زوجها المشرك لقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ الآية.

* * *

س: هل هناك صور من الأنكحة حُرمت غير المذكورة في هذه الآيات؟

ج: نعم، هناك صور مُحرمة من الأنكحة غير المذكورة في هذه الآية:

- من ذلك نكاح المشركات، وقد قال تعالى: ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**﴾ [البقرة: ٢٢١].

- ومن ذلك نكاح الشغار، لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الشغار[٢].

- ومن ذلك نكاح التحليل لما أخرجه الترمذي وغيره بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن رسول اللَّه ﷺ المُحل والمُحلَّل له[٣].

- ومن ذلك نكاح المتعة[٤] فقد نهى عنه رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) البخاري (حديث ٦٩٦٠) ومسلم (٣/ ٥٧٢).

(٢) وقد فسر نافع الشغار بقوله: ينكح ابنة الرجل ويُنكحه ابنته بغير صداق، وينكح أخت الرجل ويُنكحه أخته بغير صداق.

(٣) الترمذي (حديث ١١٢٠).

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥١١٥) ومسلم (حديث ١٤٠٧) من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، وثمَّ أحاديث أخر.

- وتقدم أيضًا تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.
- وثمَّ صور فيها بعض الكلام مثل نكاح الزانية[1] ونكاح المُحرِمَة.

* * *

س: وضح المراد بقولـه تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهـما: أن المراد بذلك نكاح المتعة، وأن الأجر هو مقابل الاستمتاع، إلا أن هذا النكاح منسوخ كما عليه جماهير أهل العلم.

الثاني: أن المراد بالأجور هنا المهور.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾.

ج: على قول من قال: إنها في نكاح المتـعة الذي قد نُسخ فالمعنى: لا إثم عليكم فيـما تراضيـتم به من زيادة مدة المتعـة أو نقصانهـا. أما على الرأي القائل بأن الآية في المهـور. فالمعنى: لا جناح عليكم فـيما تراضـيتم به من نقص المهور أو زيادتها بعد أن اتفقتم عليها ما دام ذلك عن تراضٍ منكم.

* * *

(١) والكلام عن نكاح الزانية مبسوط في «تفسير سورة النور».

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ
فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ
خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي: (طولاً ـ ينكح ـ المحصنات ـ ما ملكت أيمانكم ـ أجورهن ـ محصنات ـ أخدان ـ العنت) .

ج:

الكلمة	معناها
طولاً	سعةً ـ غنىً.
ينكح	يتزوج.
ما ملكت أيمانكم	المراد بهن الإماء.
أجورهن	صداقهن.
محصنات	متعففات.
أخدان	عُشَّاق.
العنت	الزنا ـ الحدّ ـ الضرر في الدين أو البدن.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ومن لم يجد منكم أيها المؤمنون مالاً وسعة وقدرة لنكاح المؤمنات الحرائر، وذلك للوفاء بالصداق المطلوب للحرة، فليتزوج أمةً مؤمنة يمتلكها إخوانكم المؤمنون[1].

* * *

س: ما المراد بالفتيات في قوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ..﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وأما الفتيات فإنهن جمع فتاة، وهن الشواب من النساء، ثم يُقال لكل مملوكة ذات سنٍّ أو شابَّة «فتاة»، والعبد «فتى».

* * *

س: ذكر الله عز وجل في الآية الكريمة ثلاثة أمور لنكاح الإماء، وضح هذه الأمور.

ج: هذه الأمور باختصار هي:

أولاً: عدم استطاعة نكاح الحرائر المؤمنات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً﴾ أي: من لم يجد منكم سعةً.

(١) أخرج الطبري (٩٠٦٧) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ قال: لا يجد ما ينكح به حرة فينكح هذه الأمة فيتعفف بها ويكفيه أهلها مؤونتها ولم يحل الله ذلك، إلا أن لا يجد ما ينكح به حرة فينفق عليها ولم يحل له حتى يخشى العنت.

ثانيًا: خشية الوقوع في العنت؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾.

ثالثًا: أن تكون المنكوحة مؤمنة؛ لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

● وذكر آخرون رابعًا، وهو أن يكون أهلها مؤمنين كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ﴾.

قال القاسمي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «محاسن التأويل»:

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: لم يقدر، ﴿مِنكُمْ﴾ أيها الأحرار، بخلاف العبيد، أن يحصل ﴿طَوْلاً﴾ أي: غنى يمكنه به ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الحرائر المتعففات، بخلاف الزواني إذ لا عبرة بهن، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إذ لا عبرة بالكوافر، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ أي: فله أن ينكح بعض ما يملكه أَيْمَانُ إخوانكم ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ﴾ أي: إمائكم حال الرق ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ لا الكتابية؛ لأنه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر، وقد استفيد من سياق هذه الآية أن اللَّه تعالى شرط في نكاح الإماء شرائط ثلاثة: اثنان منها في الناكح، والثالث في المنكوحة.

أما اللذان في الناكح فأحدهما: أن يكون غير واجد لما يتزوج به الحرة المؤمنة من الصداق. وهو معنى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، فعدم استطاعة الطول عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة.

فإن قيل: الرجل إذا كان يستطيع التزوج بالأمة، يقدر علي التزوج بالحرة الفقيرة، فمن أين هذا التفاوت؟ قلنا: كانت العادة في الإماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة السادات، وعلى هذا التقدير يظهر

التفاوت، وأما الشرط الثاني فهو المذكور في آخر الآية وهو قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي: الزنى، بأن بلغ الشدة في العزوبة، وأما الشرط الثالث المعتبر في المنكوحة، فأن تكون الأمة مؤمنة لا كافرة؛ فإن الأمة إذا كانت كافرة كانت ناقصة من وجهين: الرق والكفر، ولا شك أن الولد تابع للأم في الحرية والرق، وحينئذ يعلق الولد رقيقًا على ملك الكافر. فيحصل فيه نقصان الرق ونقصان كونه ملكًا للكافر، وما ذكرناه هو المطابق لمعني الآية، ولا يخلو ما عداه عن تكلف لا يساعده نظم الآية.

* * *

س: ذكر بعض العلماء أن نكاح الإماء مكروه، وإن توفرت الشروط الثلاثة المذكورة، فما الدليل على هذه الكراهية؟

ج: الدليل هو قوله تعالى في ختام الآية الكريمة: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: وإن تصبروا وتتعففوا وتمتنعوا من نكاح الإماء خير لكم.

* * *

س: هل يجوز لمسلمٍ أن يتزوج أمةً نصرانية أو يهودية؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن هذا لا يجوز، أي: لا يجوز لمسلم أن يتزوج أمة نصرانية أو يهودية؛ لأن اللَّه تبارك وتعالى قال: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فقُيدت الإماء المنكوحات هنا بالإماء المؤمنات.

وأجاب هؤلاء على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ {المائدة: ٥} على

الإباحة بقولهم: إن المحصنات من الذين أوتوا الكتاب المعني بها الحرائر، بمعنى أنه يحل للمسلم أن يتزوج بكتابية حرة دون الكتابية الأمة، صحيح أنه يتسرى بالكتابية الأمة إذا كانت مملوكة له، لكن لا يتزوجها.

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى جواز الزواج بأمة كتابية وحملوا قوله تعالى: ﴿**فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ بأنها فيما دون عبدة الأوثان، وحملوا المحصنات في آية المائدة ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ على العفيفات، فيدخل فيهن الحرائر والإماء، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: من استطاع أن ينكح المحصنات المؤمنات هل له أن ينكح الإماء؟

ج: منع من ذلك بعض أهل العلم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ قالوا: فرخص اللَّه لمن لم يستطع طولاً، أما من استطاع فلا، قالوا: ويحرم عليه أن يتزوج بأمةٍ.

قال الزمخشري: وعليه مذهب الشافعي ـ رحمه اللَّه.

أما أبو حنيفة ـ رحمه اللَّه ـ فيقول: الغني والفقير سواء في نكاح الإماء.

قلت (مصطفى): ويستأنس لرأي أبي حنيفة بأن اللَّه ذكر المحرمات قبل هذه الآية الكريمة، وقال: ﴿**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ..**﴾، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ فيه إشارة إلى معنىً من المعاني، وضح هذا المعنى.

ج: هذا المعنى يكمن في أننا نحكم بالظواهر التي أمامنا لكن بواطن الأمور يعلمها اللَّه سبحانه وتعالى، فنحن وإن حرصنا على انتقاء المؤمنات واخترناهن بناء على رؤيتنا إلا أن علمنا أيضًا قاصر، فاللَّه أعلم بالمؤمنات حقًا من مُدعيات الإيمان.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ..**﴾ [الممتحنة: ١٠].

فقد تنجح امرأة تُمتحن أمام أهل الإيمان، ولكن حقائق الأمور وبواطنها لا يعلمها إلا اللَّه، واللَّه تعالى أعلم.

هذا ويمكن أن يتأتى هنا معنى آخر، ألا وهو التذكير باللَّه بين يدي الأعمال والاختيارات، فعند اختيارك لأمة مؤمنة فسل اللَّه التوفيق، وعند امتحانك للمؤمنات المهاجرات فسل اللَّه التوفيق كذلك، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: هل صداق الأمة لها أو لسيدها؟

ج: ذهب الإمام مالك ـ رحمه اللَّه ـ إلى أن صداق الأمة لها؛ وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾، بينما ذهب الجمهور إلى أن صداقها لسيدها، قالوا: وإنما أضافه (أي: الصداق) إليهن؛ لأن التأدية إليهن تأدية إلى سيدهن لكونهن ماله.

نقل ذلك القاسمي في «محاسن التأويل»، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما الفرق بين المسافحات، ومتخذات الأخدان؟

ج: المسافحات هنَّ الزواني اللواتي يُعْلِنَّ بالزنا ويجاهرن به، ولا يتوقفن في زناهن على أحد بعينه، أما المتخذات الأخدان فهن الزواني اللواتي يقتصرن في زناهن على العشيق[1]

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: فإذا تزوجن، وقول آخر: فإذا أسلمن.

* * *

س: هل الأمة غير المسلمة تجلد؟

ج: نعم، تجلد لعموم قول النبي ﷺ: «**إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد، ولا يُثرب عليها، ثُمَّ إن زنت فليجلدها الحد ولا يُثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر**»[2].

* * *

س: ما المراد بالإحصان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

---

(١) أخرج الطبري (٩٠٨٠) بإسنادٍ حسنٍ إلى قتادة قال: المسافحة البغيّ التي تؤاجر نفسها من عَرَض لها، وذات الخدن: ذات الخليل الواحد، فنهاهم اللَّه عن نكاحهما جميعًا.
وأخرج الطبري أيضًا (٩٠٨٣) بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: «المسافح» الذي يلقى المرأة فيفجر بها ثم يذهب وتذهب، و«المخادن» الذي يقيم معها على معصية اللَّه وتقيم معه فذلك «الإخدان».

(٢) مسلم(حديث ١٧٠٣)، وانظر أيضًا البخاري (حديث ٦٨٣٧، ٦٨٣٨).

أحدهما: أن المراد بالإحصان هنا الإسلام.

الثاني: التزويج، أي: فإذا تزوجن.

* * *

س: ما المراد بالمحصنات في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾؟

ج: المحصنات هنا أي: الحرائر.

* * *

س: ما الحد الذي يقام على الأمة المحصنة إذا هي زنت؟

ج: عليها نصف ما على الحرة من العذاب، فالحرة إذا زنت عليها إذا كانت بكرًا جلد مائة وتغريب عام، وإذا كانت ثيبًا فعليها الرجم.

أما الأمة فعليها خمسون جلدة، وذلك لأن الرجم لا يتنصف.

أما بالنسبة للتغريب، فمن العلماء من قال: عليها تغريب ستة أشهر (نصف ما على الحرة)، وهذا قول الطبري ـ رحمه اللَّه ـ أما قتادة[1] وغيره فذهبوا إلى أنه لا تغريب على الأمة، فقد روى الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: خمسون جلدة ولا نفي ولا رجم.

قلت: ومما يؤيد ما ذهب إليه قتادة ـ رحمه اللَّه ـ : أن لزوج الأمة ولسيدها حقًّا فيها، فإذا غُرِّبت الأمة فقد ضاع عليهما هذا الحق، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

(١) روى ذلك عنه الطبري (٩١٠٩).

س: ما الحد الذي يقام على الأَمَة غير المحصنة إذا هي زنت؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الأمة غير المحصنة تجلد أيضًا خمسين جلدة كالمحصنة، فقد نقل ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكرًا.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ قد يستفاد منه أن غير المحصنة من الإماء لا حد عليها، أو أن عليها غير الخمسين، فبأي دليل أوجبتم عليها خمسين جلدة؟

ج: أما إقامة الحد على الأمة غير المحصنة فللآتي ذكره:

أولاً: ما أخرجه البخاري، ومسلم[1] من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ قال: «**إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير**».

ثانيًا: ما أخرجه مسلم[2] من طريق أبي عبد الرحمن قال: خطب عليٌّ فقال: يا أيها الناس، أقيموا على أرقائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يُحصن[3]، فإن أمةً لرسول اللَّه ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديث عهدٍ بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أحسنت**».

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٣٧، ٦٨٣٨) ومسلم (حديث ١٧٠٣) (ص ١٣٢٩، ١٧٠٤).

(٢) مسلم (حديث ١٧٠٥).

(٣) وقد روى هذا القدر مرفوعًا ولكن رجح الحافظ ابن حجر أنه موقوف.

• أما بالنسبة لعدد الجلدات التي تجلدها، فهي عند الجمهور خمسون جلدة ولم أقف على مستند صريح لذلك.

ومن ثمَّ فلم تتفق كلمة العلماء في عدد الجلدات، فذهب الجمهور - كما قدمنا - إلى أنها خمسون جلدة.

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه ليس على الأمة حدٌّ حتى تحصن، وذلك للمفهوم من الآية الكريمة؛ ولما ورد عن ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ: «**ليس على أمة حدٌّ حتى تحصن - يعني: تزوج - فإذا أُحصنت بزوج فعليها نصف ما على المحصنات**»[1].

إلا أن هذا الخبر اختلف في رفعه ووقفه، ورجح كثيرون من أهل العلم وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما، ومن الذين رجحوا الوقف ابن خزيمة، والبيهقي[2]، وابن حجر[3]، وغيرهم.

قلت أيضًا: وهذا الحديث أيضًا مدفوع بما قدمناه من رواية أبي هريرة وزيد بن خالد عن رسول اللَّه ﷺ قريبًا.

إلا أن من العلماء القائلين بأنه لا حد على الأمة حتى تحصن، منهم من قال: تضرب تأديبًا لا حدًا. وبهذا ألفوا بين الأدلة، فقالوا: إن حديث زيد ابن خالد وأبي هريرة الذي فيه: أن الأمة التي لم تحصن يقام عليها الحد.

---

(١) أخرجه البيهقي «في معرفة السنن والآثار» (٦/ ٣٦٤)، ونقل قول ابن خزيمة في هذا الحديث: هذا خطأ ليس هذا من قول النبي ﷺ إنما هو من قول ابن عباس.
قلت: وكذلك أخرجه موقوفًا عبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٣٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٤٣).

(٢) نقله عنه الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه تعالى.

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ١٦١).

ليس فيه عدد الجلدات، ومن ثم فإننا نؤدب الأمة لكن لا يلزم من التأديب أن تجلد خمسين جلدة.

إلا أنه قد ورد عند مسلم[١] في حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ: «**إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها**» إلا أن هذا الحديث ليس فيه ذكر إحصان الأمة من عدمه، ثم أيضًا فإنه لم يُحدد عدد الجلدات.

ثم كذلك من العلماء[٢] من قال: إن التعزير يدخل تحته لفظ الحد في لسان الشارع.

هذا وقد أجاب الجمهور على المفهوم من الآية الكريمة الذي هو أن الأمة غير المحصنة تختلف عن المحصنة فيما عليها من الحد بعدة أجوبة منها ما يلي:

١ ـ أن منطوق الأحاديث مقدمٌ على مفهوم الآية، ومنطوق الأحاديث أفاد أن الأمة التي لم تحصن تجلد أيضًا.

٢ ـ ما ذكره البيهقي[٣] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث قال: ويحتمل أن يكون نص على الجلد في أكمل حاليها ليستدل به على سقوط الرجم عنها لا على إرادة إسقاط الجلد عنها إذا لم تتزوج.

٣ ـ أن الحد يختلف قبل التزويج وبعده من ناحية الذي يقيم الحد، قالوا:

---

(١) مسلم (١٧٠٣).

(٢) قاله ابن القيم في «زاد المعاد» (٥/ ٤٣).

(٣) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٦١) وذكره ابن القيم في «الزاد» ولم يعزه للبيهقي (٥/ ٤٤).

فقبل التزويج للسيد أن يقيمه على أمته، أما بعد التزويج فلا يقيمه إلا الإمام[1] وثمَّ أجوبة أخرى ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم مذهبًا غريبًا، فقالوا: إن الأمة إذا لم تحصن تجلد مائة جلدة للآية الكريمة ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ [النور: ٢] فإذا أحصنت جلدت خمسين، وهذا مذهب شاذ غريب.

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن أورد هذا القول:

وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال.

هذا واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: النعم إذا توالت على العبد وتكاثرت كانت مؤاخذته أشد ممن لم تتوالَ عليه النعم، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- أن الحرة ـ لما كانت متمتعة بالحرية، والزوج يجبر على القسمة لها ـ كان عليها إذا زنت الرجم، أو الجلد والتغريب إذا لم تكن ثيبًا.

أما الأمة فلما حُرمت هذه الحرية وحرمت القسمة كان عليها إذا هي زنت خمسون جلدة فقط، لقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾.

- ويدل على ذلك أيضًا أن أزواج النبي ﷺ لما تفضل اللَّه عليهن

(١) نقل ذلك ابن القيم «زادالمعاد» (٥/ ٤٣).

بالزواج من رسول اللَّه ﷺ قال اللَّه في شأنهن: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

● وقال فريق من العلماء أيضًا: إن العباد المرسلين أعلى درجة من الأنبياء الملوك، فنبينا محمد ﷺ، وأولو العزم من الرسل كنوح وإبراهيم وموسى، وعيسى، عليهم السلام أعلى درجة من يوسف، وداود، وسليمان، عليهم السلام.

وذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى قال لسليمان عليه السلام: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، أي: أعط من شئت وتفضل على من شئت، لا حساب عليك ولا مؤاخذة، أما نبينا محمد ﷺ فإنما يقول عن نفسه: «**إنما أنا قاسم واللَّه يعطي**»(١).

وفي رواية: «**ما أعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أضع حيث أُمرتُ**»(٢).

● وكذلك فالملك الكذاب عقابه أشد من عقاب غيره، قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»(٣). واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى العنت.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

والصواب من القول في قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ ذلك لمن

(١) البخاري (حديث ٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) البخاري (حديث ٣١١٧).

(٣) مسلم (حديث ١٠٧).

خاف منكم ضرراً في دينه وبدنه.

قال أبو جعفر: وذلك أن (العنت) هو ما ضرَّ الرجل. يقال منه: «قد عَنِتَ فلان فهو يَعْنِتُ عنتًا»، إذا أتى ما يضرُّه في دين أو دنيا، ومنه قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران:١١٨]، ويقال: «قد أعنتني فلان فهو يعنتني»، إذا نالني بمضرة، وقد قيل: (العنت): الهلاك.

فالذين وجهوا تأويل ذلك إلى الزنا، قالوا: الزنا ضَرَرٌ في الدين، وهو من العنت.

والذين وجهوه إلى الإثم قالوا: الآثام كلها ضرر في الدين، وهي من العنت.

والذين وجهوه إلى العقوبة التي تعنته في بدنه من الحد، فإنَّهم قالوا: الحد مضرة على بدن المحدود في دنياه، وهو من العنت.

وقد عمَّ اللَّه بقوله: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ جميع معاني العنت، ويجمع جميع ذلك الزِّنا؛ لأنه يوجب العقوبة على صاحبه في الدنيا بما يُعنت بدنه، ويكتسب به إثمًا ومضرة في دينه ودنياه، وقد اتفق أهل التأويل الذين هم أهله على أن ذلك معناه، فهو وإن كان في عينه لذة وقضاء شهوة، فإنه بأدائه إلى العنت منسوبٌ إليه موصوف به؛ إذ كان للعنت سببًا.

* * *

س: الصبر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ صبرٌ عن ماذا؟

ج: الصبر هنا هو الامتناع عن نكاح الإماء.

* * *

س: لماذا كان نكاح الإماء منحطًا عن نكاح الحرائر ومكروهًا؟

ج: أجاب عن ذلك الزمخشري[١] بقوله:

لما فيه من اتباع الولد الأمَّ في الرِّقِّ، ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها؛ ولأنها ممتهنة مبتذلة خرَّاجة ولاجة، وذلك كله راجع إلى الناكح، ومهانة له، والعزة من صفات المؤمنين.

● وقال القاسمي في «محاسن التأويل»[٢] عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾.

﴿**وَأَن تَصْبِرُوا**﴾ على تحمل تلك المشقة متعففين عن نكاحهن ﴿**خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ من نكاحهن، وإن سبقت كلمة الرخصة، لما فيه من تعريض الولد للرق، قال عمر رضي الله عنه: «أيما حر تزوج بأمة فقد أَرَقَّ نصفه»؛ ولأن حق المولى فيها أقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر؛ ولأن المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر، وعلى بيعها للحاضر والبادي، وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مزيد عليه؛ ولأنها ممتهنة مبتذلة خرَّاجة ولاجة، وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح، والعزة هي اللائقة بالمؤمنين، ولأن مهرها لمولاها، فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج، فلا ينتظم أمر المنزل. كذا حرره أبو السعود، وقد قيل:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... تدبره ضاعت مصالح داره

قال في «الإكليل»: في الآية كراهة نكاح الأمة عند اجتماع الشروط بقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.

* * *

(١) «الكشاف».

(٢) القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٢٧٤).

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾
يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(ليبين لكم ـ سُنن)

ج:

الكلمة	معناها
ليبين لكم	أن يبين لكم[1] ـ أن يظهر لكم ـ أن يوضح لكم.
سنن	طرق ـ مسالك.

* * *

(١) ونحوه قوله: ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ فمعناها: وأمرنا أن نُسلم، وكذلك: ﴿يريدون ليطفئوا نور اللَّه بأفواههم﴾، فالمعنى: يريدون أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم، وكقوله: ﴿وأمرت لأعدل﴾ فمعناها: وأمرت أن أعدل.
وثمَّ وجه آخر: وهو أن اللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال، أو لتأكيد إرادة التبيين.
ووجه ثالث: أن هنا إضمارًا، فالمعنى: يريد اللَّه إنزال هذه الآيات ليبين لكم.

س: قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يبين لكم ماذا؟

ج: المراد هنا، واللَّه أعلم ـ يبين لكم الحلال والحرام، أي: ما أحله لكم وما حرَّمه عليكم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم ـ: ويدلكم على سبل أهل الإيمان من قبلكم، ويوفقكم لها؛ وذلك أن الناس قد استحدثوا صوراً من الأنكحة لم ينزل بها شرع، وحرَّموا وأحلوا حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم، فبين اللَّه سبحانه وتعالى طرائق أهل الإيمان وسبلهم ومناهجهم، وحرَّم عليهم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات، و.. إلى سائر المحرمات حتى يترك الناس ما كانوا عليه في كفرهم وما أملته عليهم أهواؤهم ويرجعوا إلى طريق اللَّه سبحانه وتعالى.

ووجه آخر: وهو أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ في بيان ما لكم فيه من المصلحة كما بينه لهم؛ فإن الشرائع والتكاليف وإن كانت مختلفة في نفسها إلا أنها متفقة في باب المصالح.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني بذلك تعالى ذكره: واللَّه يريد أن يراجع بكم طاعته والإنابة إليه، ليعفوَ لكم عمَّا سلف من آثامكم، ويتجاوز لكم عما كان منكم في

جاهليتكم من استحلالكم ما هو حرامٌ عليكم من نكاح حلائل آبائكم وأبنائكم وغير ذلك مما كنتم تستحلونه وتأتونه، مما كان غير جائز لكم إتيانه من معاصي اللَّه.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾؟

ج: هم عموم من يتبع الشهوات ويؤثر هواه وشهوته على طاعة اللَّه ورسوله، فيدخل في ذلك من ينكحون المحرمات ويدخل في ذلك اليهود والنصارى، وأهل الكفر، ويدخل في ذلك أيضًا أهل الباطل وطلاب الزنا.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾، يقول: ويريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها ﴿أَن تَمِيلُوا﴾ عن أمر اللَّه تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرَّم عليكم وركوبكم معاصيه ﴿مَيْلاً عَظِيماً﴾ جورًا وعدولاً عنه شديدًا.

* * *

س: المبطلون ومرتكبو الكبائر يريدون أن يقع الناس في مثل باطلهم وفي كبائرهم[1]، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الكفار يريدون لأهل الإيمان الكفر، والزناة يريدون أن يزني الناس، والسارق الذي قد اكتشف أمره يحب أن يسرق الناس حتى ينالهم من العقاب ما ناله وهذا في الجملة، إلا من رحمه اللَّه وتاب عليه.

---

(١) إلا من رحمه اللَّه وتاب عليه.

ومما يشهد لهذا المعنى ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].
- وقوله تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ١٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

* * *

س: ما المراد بالتخفيف وضعف الإنسان في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾؟

ج: صحَّ عن طاوس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ قال: في أمر النساء، وفي لفظٍ عنه: في أمر الإجماع، وفي ثالثٍ: ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في النساء[1].

- ونقل ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ قول وكيع: يذهب عقله عندهن[2].

أما بالتخفيف فالمراد هنا، واللَّه أعلم ـ بالترخيص في نكاح الإماء.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾، يريد اللَّه أن ييسر عليكم بإذنه لكم في نكاح الفتيات المؤمنات إذا لم تستطيعوا طولاً لحرة، ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ يقول: يسَّر ذلك عليكم إذا كنتم غير مستطيعي

(١) انظر الآثار (٩١٣٦) وما بعدها عند الطبري.

(٢) وهو عند ابن أبي حاتم في التفسير (٩٢٦).

وقد قال النبي ﷺ «ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن».

الطول للحرائر، لأنكم خُلقتم ضعفاء عجزة عن ترك جماع النساء، قليلي الصبر عنه، فأذن لكم في نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العَنَت على أنفسكم، ولم تجدوا طولاً لحرة، لئلا تزنوا؛ لقلة صبركم على ترك جماع النساء.

قلت: والتخفيف عن هذه الأمة لا يقف عند هذا الحد، بل هو عام، وقد خفف اللَّه الصلوات عن أمة محمد ﷺ من خمسين إلى خمسة.

- **وقال القرطبي في تفسيره:**

قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ نصب على الحال؛ والمعنى: أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه، وهذا أشد الضعف فاحتاج إلى التخفيف. وقال طاوس: ذلك في أمر النساء خاصة. وروي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ أي: وخلق اللَّه الإنسان ضعيفًا، أي: لا يصبر على النساء.

قال ابن المسيب: لقد أتى عليَّ ثمانون سنة، وذهبت إحدى عيني، وأنا أعشو بالأخرى، وصاحبي أعمى أصم ـ يعني ذكره ـ، وإني أخاف من فتنة النساء.

ونحوه عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال عبادة: ألا تروني لا أقوم إلا رِفدًا ولا آكل إلا ما لُوِّق لي ـ قال يحيى: يعني لُيِّن وسُخِّن ـ وقد مات صاحبي منذ زمان ـ قال يحيى : يعني ذكره ـ وما يَسرُّني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وأنَّ لي ما تطلع عليه الشمس؛ مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه عليّ، إنه لا سمع له ولا بصر.

وكذلك لا يقف الضعف عند هذا الحد المذكور، بل هو ضعيف في

أصل خلقته لكونه خلق من ماء مهين، وخلق آدم عليه السلام أجوفَ، وكذلك فهو ضعيف العزم يستميله الهوى، ولا يصبر كثيراً على الشهوات.

* * *

س: الإنسان ضعيفٌ بصفة عامة فيقع في الذنوب سريعًا، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٨].
- وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وكان الإنسان عجولا**﴾ [الإسراء: ١١].
- وكذلك فإنه خُلق خلقًا لا يتمالك، قال النبي ﷺ: «**لَمَّا صوَّر اللَّه آدم في الجنة تركه ما شاء اللَّه أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو؟ فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقًا لا يتمالك**»(١).
- وجُبل الإنسان على الخطأ، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب اللَّه بكم ولجاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون اللَّه فيغفر لهم**»(٢).

وفي سنن الترمذي(٣) بإسناد صحيح لشواهده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَمَّا خلق اللَّه آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كلُّ نسمةٍ هو خالقُها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من هؤلاء؟**

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) الترمذي حديث (٣٠٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وشاهده عند ابن حبان (٢٠٨٢)، والحاكم (١/ ٦٤).

قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه فقال: أي رب ، من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب، كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة. فلما قُضِيَ عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تُعطِها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته».

● فلم ينج من الذنوب أحد، حتى أهل الصلاح، قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣ ـ ٣٥]، فانظر إلى قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾؟ ففيه دليل على أنهم عملوا أعمالاً فيها سوء لكن غفرها اللَّه لهم.

● وقد تقدم حديث: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة».

* * *

س: اذكر بعض الوارد في رفع الحرج عن أمة محمد ﷺ.

ج: جاء في ذلك كمٌّ كبيرٌ من النصوص من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقول النبي ﷺ: «**صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[٢].

وترخيصه ﷺ في الكذب من أجل الإصلاح[٣].

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين سعة رحمة اللَّه، وتحث على التوبة وتبين محبة اللَّه للتائبين.

ج: من الآيات الواردة في ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

---

(١) البخاري (حديث ١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «صلِّ قائمًا...» الحديث.

(٢) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس ويقول خيرًا، وينمى خيرًا». أخرجه مسلم (حديث ٢٦٠٥).

رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

● وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

● وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

● وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

● وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

● وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

● وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

● وكذلك قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

● وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥].

● وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن =

● ولما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، قال اللَّه تعالى: «**فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني**»(١).

● وينادي اللَّه سبحانه عباده في الثلث الأخير من الليل: «**من يستغفرني فأغفر له**»(٢).

● **أما فرح اللَّه تعالى بتوبة عبده**، فقد قال النبي ﷺ: «**للَّه أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام(٤) أيضًا: «**للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويَّة(٥) مُهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وعليها طعامه وشرابه، فاللَّه أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**».

وفي «الصحيحين»(٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

= ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...» الحديث.

(١) أحمد (٣/ ٢٩).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٢٨) ومسلم (٦/ ٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (ص٢١٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وأشار إليه البخاري (٢٣٠٨).

(٥) الدويَّة: هي الأرض القفر والفلاة الخالية.

(٦) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).

«للَّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط عن بعيره وقد أضله في أرض فلاة».

وفي لفظ لمسلم[١]: «للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللَّهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٤٧).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم
بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن
تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا
فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(الباطل - إلا أن تكون تجارة - عدوانًا - ظلمًا - نصليه - كان ذلك يسيرًا).

ج:

الكلمة	معناها
الباطل	غير الحق.
إلا أن تكون تجارة	لكن أن تكون تجارة.
عدوانًا	تعديًا على الآخرين، وعلى حدود اللَّه.
ظلمًا	ظلمًا لنفسه.
نصليه	ندخله فيُصلى بها.
كان ذلك	كان ذلك الإصلاء والإدخال.
يسيرًا	هينًا سهلاً.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم لا يأكل بعضكم مال بعض، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١] أي: ولا تلمزوا إخوانكم، وكقوله تعالى: ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ [النور:١٢] أي: على إخوانكم، وكقوله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢] أي: بإخوانهم. وكقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] أي: ليقتل بعضكم بعضًا.

* * *

س: ما صور الباطل التي تؤكل بها الأموال؟

ج: الباطل عمومًا هو ما لا يحل في الشرع، ومن صور أكل الأموال بالباطل أكلها بالربا، والقمار والغش، والظلم، والسرقة ـ تطفيف ـ غصب ـ خيانة ـ شهادة زور ـ أخذ الأموال بالأيمان الكاذبة، وبالفتاوى المحرمة، إلى غير ذلك.

* * *

س: ما المراد بالتراضي في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾؟

ج: توافق ورضا، ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس، كما قال الرسول ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**»[1] فإذا تبايع رجلان ولم يفترقا من مجلسهما فلكل منهما أن يرجع فيما باع أو اشترى.

---

(١) البخاري (حديث ٢٠٧٩)، ومسلم (حديث ١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه مرفوعًا.

س: هل يُمنع الشخص من قبول أموال إلا عن طريق التجارة فقط؟

ج: للشخص أن يقبل أموال الآخرين بطرقٍ حلالٍ أخرى متعددة غير التجارة، فإذا وهب له واهب هبةً فله أن يقبلها، وأموال الميراث أيضًا كذلك، وإذا تصدق عليه شخص بصدقة، وكان من أهل الاستحقاق فله أن يقبلها، وكذلك إذا وجد لقطةً وعرفها حولاً ولم يأت صاحبها فله أن يستمتع بها، وكذلك إذا وجد ركازًا ـ وهو ما وجد من دفن قديم كدفن أهل الجاهلية ونحوهم ـ فله أن يستمتع به إذا أدى الخمس منه، وثمَّ صور أخرى للاستمتاع بمالٍ غير مال التجارة.

* * *

س: لماذا إذن نُبِّه على التجارة دون سائر أنواع المعاوضات؟

ج: نبه على التجارة دون سائر أنواع المعاوضات كالهبة والصدقة؛ لكونها أكثرها وأغلبها؛ ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالبًا؛ ولأنها أرفق بذوي المروءات بخلاف الوهب وطلب الصدقات.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، ولا يقتل بعضكم بعضًا، وأنتم أهل ملة واحدة، ودعوة واحدة، ودين واحد، فجعل ـ جل ثناؤه ـ أهل الإسلام كلهم بعضهم من بعض، وجعل القاتل منهم قتيلاً في قتله إياه منهم بمنزلة قتله نفسه؛ إذ كان القاتلُ والمقتول أهل يد واحدة على من خالف مِلَّتَهُما.

قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره، وأن اللَّه حرم على العبد قتل نفسه، وهذا الظاهر.

والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضًا، وهذا قول ابن عباس، والحسن وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة.

والثالث: أن المعنى: لا تكلفوا أنفسكم عملاً ربما أدى إلى قتلها وإن كان فرضًا، وعلى هذا تأولها عمرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جُنبًا في ليلة باردة، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال له: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فقال: يا رسول اللَّه إني احتلمتُ في ليلة باردة، وأشفقت إذا اغتسلت أن أهلك، فذكرت قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ فضحك رسول اللَّه ﷺ[1].

والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظها، فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض.

والخامس: لا تقتلوها بارتكاب المعاصي.

* * *

س: اذكر وجه الرحمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾، فإنه يعني: أن اللَّه

---

(١) هذا الحديث معلول سندًا ومتنًا، وقد أوضحت الحكم عليه والكلام عليه في كتابي «جامع أحكام النساء» (١/ ٩٨)، وكذلك في تحقيقي لرسالة إرشاد النقاد (للصنعاني).

تبارك وتعالى لم يزل «رحيمًا» بخلقه، ومن رحمته بكم كفُّ بعضكم عن قتل بعض، أيها المؤمنون، بتحريم دماء بعضكم على بعض إلا بحقها، وحظر أكل مال بعضكم على بعض بالباطل، إلا عن تجارة يملك بها عليه برضاه وطيب نفسه، لولا ذلك هلكتم وأهلك بعضكم بعضًا قتلاً وسلبًا وغصبًا.

* * *

س: علامَ يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ؟

ج: من العلماء من قال: إن ذلك يرجع إلى قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾.

ومنهم من قال: إن ذلك راجع إلى قوله: ﴿**لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾، وقوله: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾.

ومنهم من حمل ذلك على كل المذكور من أول السورة إلى هذا القدر.

أما الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال:

والصواب من القول عندي أن يقال: معناه: ومن يفعل ما حرَّم اللَّه عليه من قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**﴾ [النساء:١٩]، إلى قوله: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ**﴾من نكاح المحرمات، وعضل المحرَّم عضلُها من النساء، و أكل المال بالباطل، وقتل المحرم قتله من المؤمنين؛ لأن كل ذلك مما وعد اللَّه عليه أهله العقوبة.

فإن قال قائل: فما منعك أن تجعل قوله: «ذلك»، معنيًا به جميع ما أوعد اللَّه عليه العقوبة من أول السورة؟

قيل: منعني ذلك: أن كلَّ فصل من ذلك قد قُرن بالوعيد إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرم اللَّه في الآي التي بعده إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ فكان قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ معنيًا به ما قلنا، مما لم يُقرن بالوعيد، مع إجماع الجميع على أن اللَّه تعالى قد توعد على كل ذلك، أولى من أن يكون معنيًا به ما سلف فيه الوعيد بالنهي مقرونًا قبل ذلك.

- **وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:**

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قتل النفس، قاله ابن عباس وعطاء.

والثاني: أنه عائد إلى كل ما نهى اللَّه عنه من أول السورة إلى هاهنا، روي عن ابن عباس أيضًا.

والثالث: قتل النفس، وأكل الأموال بالباطل، قاله مقاتل.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عدوانا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وأما قوله: ﴿عُدْوَانًا﴾ فإنه يعني به تجاوزًا لما أباح اللَّه له، إلى ما حرمه عليه، ﴿وَظُلْمًا﴾، يعني: فعلاً منه ذلك بغير ما أذن اللَّه به، وركوبًا منه ما قد نهاه اللَّه عنه، وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ يقول: فسوف نورده نارًا يصلَى بها فيحترق فيها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني: وكان إصلاء

فاعل ذلك النار وإحراقه بها، على اللَّه سهلاً يسيرا؛ لأنه لا يقدر على الامتناع على ربه مما أراد به من سوء، وإنما يصعب الوفاءُ بالوعيد لمن توعده، على من كان إذا حاول الوفاء به قدر المتوعد من الامتناع منه، فأما من كان في قبضة مُوعده، فيسيرٌ عليه إمضاءُ حكمه فيه، والوفاءُ له بوعيده، غيرُ عسير عليه أمرٌ أراده به.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في الترهيب من الانتحار.

ج: من ذلك ما يلي:

قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾.

- وما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسه؛ فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

- وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قتل نفسه بحديدة عُذِّب بها في نار جهنم**».

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٧٨)، ومسلم (حديث ١٧٥).

(٢) البخاري (حديث ١٣٦٣)، ومسلم (حديث ١١٠).

«والذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار»[١]

● ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري، ومسلم[٢] في «صحيحه» من حديث جُندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إنَّ رجلاً ممن كانَ قبلَكُم خرجت به قَرْحَةٌ، فلمَّا آذتهُ انتزعَ سهمًا من كنانَته، فَنَكأهَا، فلم يرقأ الدَّمُ حتَّى مات، قال ربُّكم: قد حرَّمتُ عليه الجنة»**، ثم مدَّ يده إلى المسجد فقال: إي والله لقد حدثني بهذا الحديث جُنْدَبٌ، عن رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

وفي الباب أحاديث أخر عن النبي ﷺ كحديث الرجل الذي تحامل على السيف حتَّى قتل نفسه، وكان لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا تبعها، وقد قال عنه النبي ﷺ **«هو في النار»**[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث.

* * *

(١) البخاري (حديث ١٣٦٥).

(٢) مسلم (حديث ١١٣) والبخاري (حديث ٣٤٦٣).

(٣) وانظر الأحاديث بذلك عند البخاري (٤٢٠٢، ٤٢٠٣).

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(تجتنبوا ـ سيئاتكم ـ مدخلاً ـ كريمًا ـ لا تتمنوا).

ج:

الكلمة	معناها
تجتنبوا	تتركوه جانبًا.
سيئاتكم	المراد بها هنا: صغار الذنوب.
مدخلاً	مكانًا ـ إدخالاً.
كريمًا	طيبًا حسنًا.
	مُكرمًا ينفي الآفات والعاهات عنه وكذلك مُكرمًا بارتفاع الهموم والأحزان والكدر
لا تتمنوا	التمني، التشهي، وهو الرغبة في حصول الشيء.

* * *

س: وضح باختصار المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾.

ج: المعنى باختصار: إذا اجتنبتم كبائر الذنوب واتقيتموها ولم تقعوا فيها كفرنا عنكم صغارها وأدخلناكم الجنة.

* * *

س: ما المراد بالمدخل الكريم في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾؟

ج: المراد بالمدخل الكريم: الجنة.

وقد قال القرطبي في «تفسيره»: وقال أبو سعيد الأعرابي: سمعت أبا داود السجستاني يقول: سمعت أبا عبد اللَّه أحمد بن حنبل يقول: المسلمون كلهم في الجنة، فقلت له: وكيف؟ قال: يقول اللَّه عزَّ وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ يعني: الجنة.

* * *

س: ما الحد والضابط الذي يُحكم به على الشيء أنه كبيرة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها: أن حدَّ الكبيرة وضابطها أنها ما كان فيها حدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة لفاعلها، أو نفي إيمان عنه، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه[1].

- **وبسياق ثانٍ:** هي كل موجبةٍ[2]، وكل ما أوعَد اللَّه أهله عليه النار.

---

(١) هذا اختيار السعدي في تفسيره «تيسير الكريم المنان».

(٢) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير وآخرين، انظر الطبري (٩٢١٣) فما بعده.

• وبسياق ثالث: كل ذنب ختمه اللَّه بنارٍ أو غضب أو لعنة أو عذاب[١].

• وبسياق رابع: كل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظَّم ضرره في الوجود فهو كبيرة، وما عداه صغيرة[٢].

• وبسياق خامس: أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنةٍ[٣]. وهذه الوجوه كلها تدور حول معنى واحد، وهو الأول.

أما ثانيها: فإن الكبائر هي المذكورة من أول سورة النساء إلى هذه الآية (آية ٣٠) وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، فقد صحَّ عنه من عدة وجوه[٤] عند الطبري أنه قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين منها.

أما ثالثها: فهو: أن كل ما نهى اللَّه عنه فهو كبيرة[٥].

أما الرابع: فهو أن الضابط في ذلك هو قول رسول اللَّه ﷺ، فكل ما ذكر النبي ﷺ أنه كبيرة فهو كبيرة، وهذا قول ظاهر الحسن جدًّا، إلا أن الإيراد عليه قوي أيضًا، فالإيراد عليه يتمثل في أن هناك كبائر لا يستطيع شخص أن ينفي عنها أنها كبائر، ومع ذلك لم ترد في حديث بالنص على أنها كبائر، كمثال لذلك مثلاً نكاح المحرمات، فهو كبيرة بالاتفاق، فهذا

(١) أخرجه الطبري (٩٢١٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي الإسناد كلام.

(٢) وهذا قول القرطبي.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره».

(٤) الطبري (٩١٦٨).

(٥) أخرجه الطبري (٩٢٠١، ٩٢٠٢)، من طريق ابن سيرين عن ابن عباس وفي رواية محمد (وهو ابن سيرين) أنبئت أن ابن عباس كان يقول...

وهذا ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن سيرين وابن عباس.

الذي يرد على القول الرابع، وإلا فهو قوي جدًّا.

وبه قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ فقد قال:

وأولى ما قيل في تأويل «الكبائر» بالصحة: ما صحَّ به الخبر عن رسول اللَّه ﷺ، دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً من الذين ذكرنا أقوالهم، قد اجتهد وبالغ في نفسه، ولقوله في الصحة مذهبٌ، فالكبائر إذن: الشرك باللَّه، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرَّم قتلها، وقول الزور، وقد يدخل في قول الزور، شهادة الزور وقذف المحصنة، واليمين الغموس، والسحر، ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه، والفرار من الزحف، والزنا بحليلة الجار.

وإذ كان ذلك كذلك، صحَّ كل خبر رُوي عن رسول اللَّه ﷺ في معنى الكبائر، وكان بعضه مصدِّقًا بعضًا، وذلك أن الذي روى عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «هي سبع» يكون معنى قوله حينئذ: «**هي سبع**» على التفصيل، ويكون معنى قوله في الخبر الذي روى عنه أنه قال: «**هي الإشراك باللَّه، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور**» على الإجمال، إذ كان قوله: «**وقول الزور**» يحتمل معاني شتى، وأن يجمع جميع ذلك «قول الزور».

* * *

س: كم عدد الكبائر؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال، ومنشأ الاختلاف في عدد الكبائر هو الاختلاف في ضوابطها وحدودها.

• فمن العلماء من قال: هي سبع، لما في «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول اللَّه، وما هُنَّ؟ قال: «**الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

• ومنهم من قال: هي أربع، لما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الكبائر ـ أو سئل عن الكبائر ـ فقال: «**الشرك باللَّه، وقتل النفس، وعقوق الوالدين**» فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قال: «**قول الزور، أو شهادة الزور**»، قال شعبة: فأكثر ظني أنه قال: «**شهادة الزور**».

• ومنهم من قال: هي ثلاث، لما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك باللَّه، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشهادة الزور** ـ ثلاثًا، أو: ـ **قول الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه[٤] قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تَقتل ولدك خشية أن يأكل معك**» قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»،

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٦٦)، ومسلم (حديث ٨٩).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٧٧)، ومسلم (حديث ٨٨).

(٣) البخاري (حديث٦٩١٩) ومسلم (حديث ٨٧).

(٤) البخاري (حديث ٦٠٠١)، ومسلم (حديث ٨٦).

وأنزل اللَّه تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

ولحديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما[1] قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ما الكبائر؟ قال: «**الإشراك باللَّه**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**ثم عقوق الوالدين**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**اليمين الغموس**»، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «**الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب**».

● وثمَّ أقوال أُخر متعددة في هذا الباب منها ما عليه دليل ومنها ما لا دليل عليه، وقد ذكر طرفًا منها فريق من أهل العلم منهم ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ومنهم الحافظ ابن كثير، وقبله ابن جرير الطبري وكذلك أغلب المفسرين ـ رحمهم اللَّه.

● هذا وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن ذكر حديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قال:

فالنص على هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفي ما عداهن، إلا عند من يقول بمفهوم اللقب، وهو ضعيف عند عدم القرينة، ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم.

● هذا وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ من عدة طرق تصح بلا شك عنه ـ أنه قال: وقد قيل له: الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعين أقرب. ذكر هذه الآثار الطبري ـ رحمه اللَّه ـ وابن كثير في تفسيره.

* * *

(١) البخاري (٦٩٢٠).

س: هل الكبائر تغفر أم لا تغفر؟

ج: لا مانع من غفران الكبائر إذا أراد اللَّه ذلك، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا..**﴾.

وفي «الصحيحين»[1] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ وكان شهد بدرًا، وهو أحد النُّقَبَاء ليلَة العقبة ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال وحَوْلَهُ عِصابةٌ من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تُشركوا باللَّه شيئًا، ولا تَسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تَعْصوا في معروف، فمن وفَى منكم فأجره على اللَّه، ومَن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك.

* * *

س: هل من الذنوب كبائر وصغائر أم أن كلها كبائر؟

ج: نعم من الذنوب كبائر وصغائر، وهذا قول عامة الفقهاء[2] نقله عنهم

---

(١) البخاري (حديث ١٨)، ومسلم (حديث ١٧٠٩).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٠/٤٠٩) ط دار المعرفة.

الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى.

● وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

● وقال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرج، ويكذبه**»[١].

أما الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما، والذي عزاه الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ إلى إسماعيل القاضي، والطبري وصحح الحافظ إسناده[٢] وقال: إنه على شرط الشيخين، فهو عند الطبري[٣] من طريق ابن سيرين عن ابن عباس، وقد عقبه الطبري برواية تضعفه وهي أنه قال في الرواية التي تلتها: أنبئت[٤] أن ابن عباس كان يقول.

فدلَّ ذلك على أن هناك واسطة بين ابن سيرين وابن عباس، وقد قال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٢) «الفتح» (١٠/ ٤١٠).

(٣) أثر (٩٢٠١)، عن ابن عباس، وقد ذكرت عنده الكبائر فقال: «كل ما نهى اللَّه عنه فهو كبيرة».

(٤) أثر (٩٢٠٢).

الإمام أحمد[١] في ترجمة ابن سيرين: لم يسمع من ابن عباس شيئًا.

ومن ثمَّ فقد جنح[٢] القرطبي وغيره إلى تضعيف هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

* * *

س: ما الشيء المكتسب المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ...﴾.

ج: من أهل العلم من قال: إنه الميراث، فالمعنى: للرجال نصيبٌ من الميراث ذكره اللَّه في كتابه، وللنساء نصيب من الميراث.

إلا أن الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ اختار أن المراد بالشيء المكتسب ثواب الأعمال وجزاؤها، فالمعنى: كما أن الرجال يثابون على أعمالهم أو يعاقبون فكذلك النساء يُثبن ويُعاقبن أيضًا.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: معناه: للرجال نصيب من ثواب اللَّه وعقابه مما اكتسبوا فعملوه من خير أو شر، وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كما للرجال.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى بتأويل الآية من قول من قال: تأويله: للرجال نصيب من الميراث، وللنساء نصيب منه؛ لأن اللَّه جل ثناؤه أخبر أن لكل فريق من الرجال والنساء نصيبًا مما اكتسب، وليس الميراث مما اكتسبه الوارث، وإنما هو مال أورثه اللَّه عن ميته بغير اكتساب، وإنما الكسب العمل،

(١) نقلاً من «التهذيب».

(٢) انظر «الفتح» المصدر المشار إليه قريبًا.

والمكتسب المحترف، فغير جائز أن يكون معنى الآية وقد قال اللَّه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ : للرجال نصيب مما ورثوا، وللنساء نصيب مما ورثن، لأن ذلك لو كان كـذلك لقيل: «للرجال نصيب مما لم يكتسبوا، وللنساء نصيب مما لم يكتسبن!!».

* * *

س: ما المراد بـالفضل المشار إلـيه في قوله تـعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾؟

ج: المراد بالفضل هنا الرزق على قولٍ من الأقوال، والقول الثاني: العون على الطاعة.

والقول بالعمـوم أولى، بمعنى: اسألوا اللَّه من رزقه العـون على طاعته، واسـألوا اللَّه كذلك العلم النـافع وعمـوم الخيـر في الدنيا والآخـرة، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعـلم: لا يتـمنينَّ أحـدكم أن تزول النعم عن إخـوانه وتتحول إليه ولكن ربنا كريم وهَّاب؛ فلنسأله حاجاتنا ومسائلنا.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى:

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: من جميع مـصالحكم في الدين والدنيا، فهـذا كمال العـبد، وعنوان سـعادته، لا من يترك العـمل، أو يتكل على نفسه، غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين، فإن هذا مخذول خاسر.

* * *

س: وضح بصورة مجملة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

ج: قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل اللَّه به غيره، من الأمور الممكنة وغير الممكنة، فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال، تمنيًا مجردًا؛ لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة اللَّه على غيرك أن تكون لك، ويسلب إياها، ولأنه يقتضي السخط على قدر اللَّه، والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل، ولا كسب، وإنما المحمود أمران، أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل اللَّه تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه، ولا على غير ربه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب. ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه.

* * *

س: وضح وجه الختام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

يعني بذلك جل ثناؤه: إنَّ اللَّه كان بما يصلح عباده فيما قسم لهم من خير، ورفع بعضهم فوق بعض في الدين والدنيا، وبغير ذلك من قضائه وأحكامه فيهم ﴿عَلِيمًا﴾، يقول: ذا علم؛ فلا تتمنوا غير الذي قضى لكم، ولكن عليكم بطاعته والتسليم لأمره والرضى بقضائه، ومسألته من فضله.

أما الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ فقد قال:

هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها، وبمن يستحق الفقر فيفقره، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها، وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطي الخير وأسبابه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

وقال الرازي ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره»: والمعنى أنه تعالى هو العالم بما يكون صالحًا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل، وليحترز في دعائه عن التعيين، فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر واللَّه أعلم.

قلت (مصطفى): وقول الرازي هذا في الجملة، لكن لا يُمنع التعيين في كل الأحوال، فقد عيَّن النبي ﷺ في بعض أدعيته، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل النهي عن التمني عام أم هو مخصوص؟

ج: الظاهر واللَّه تعالى أعلم، أنه مخصوص.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ[1]: قال ابن عطية: يجوز تمني ما لا يتعلق بالغير أي: مما يباح، وعلى هذا فالنهي عن التمني مخصوص بما يكون داعية إلى الحسد والتباغض، وعلى هذا يحمل قول الشافعي: «لولا أنَّا نأثم بالتمني لتمنينا أن يكون كذا»، ولم يرد أن كل التمني يحصل به الإثم.

* * *

س: اذكر بعض صور التمني المذمومة التي لا تجوز؟

ج: من ذلك الأماني التي تورث أهلها الحسد والبغي بغير الحق:

(١) «فتح الباري» ط المكتبة السلفية (١٣/ ٢٣٣).

بمعنى أن شخصًا يتمنى أن تزول النعم عن إخـوانه وأن تتحول إليه، فهذه مرتبة من مراتب الحسد المذموم فاعله الآثم مرتكبه.

ومن ذلك تمني ما لا يجوز ولا يكون أصلاً:

كأن تتمنى المرأة مثل ما للرجال من الميراث والقوامة، وأن تعدل شهادتُها شهادة الرجل، ونحو ذلك.

وقـد ذكـر بعض أهل العلم أن الآيـة الكريمة نزلت في ذلك، فـعند الترمذي[1]، وغيره من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أم سلمة، أنها قـالت: يغزو الرجال ولا يغـزو النساء، وإنما لنا نصف الميـراث، فأنزل اللَّه: ﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾، قال مجاهد: فأُنزل فيها ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة.

ومن ذلك أن يتمنى الشخص ويقتصر في أمانيه على ما في الحياة الدنيا

متغافلاً عن أمر الآخرة، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ولما قال الذين يريدون الحيـاة الدنيا من قوم قارون: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[القصص: ٧٩] أجابهم الذين أوتوا العلم بقولهم: ﴿**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ**﴾ [القصص: ٨٠].

* * *

(١) الترمذي (٣٠٢٢) وغير الترمذي أيضًا، وقال الترمذي عقبه: هذا حديثٌ مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلاً: أن أم سلمة قالت: كذا وكذا.

س: اذكر بعض صور التمني الجائزة.

ج: من ذلك أن تتمنى مثل ما فيه إخوانك من حملهم لكتاب اللَّه وتلاوته له وعملهم به وفهمهم لمعانيه وإخلاصهم فيه.

وأن تتمنى مثل ما معهم من أموال وتنفقها في أوجه الخير وأعمال البر، كما ينفقونها.

وهكذا كل ما يقرب من اللَّه سبحانه وتعالى، كل ذلك يستحب لك أن تتمناه غير محبٍّ لزوال النعم عن إخوانك، بل تتمنى مثل الذي لهم.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: **«لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه اللَّه مالاً يُنفقه في حقِّه، فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلتُ كما يفعل»**.

* * *

(١) البخاري (حديث ٧٢٣٢).

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(موالي ـ عقدت أيمانكم).

ج:

الكلمة	معناها
موالي	ورثة[1] ـ عصبة[2]
عقدت	أما عقدت فمعناها: أكَّدت، أما الأيمان: فجمع يمين والمراد هنا العهود والمواثيق المؤكدة بالأيمان، فالمعنى: والذين تعاهدتم معهم ووثقتم العهد بالأيمان.
أيمانكم	

(١) وقد صح عن ابن عباس القول بذلك عند الطبري (٩٢٥٨).

(٢) وقد صحَّ عن مجاهد القول به عند الطبري (٩٢٦٠، ٩٢٦١)، وصحَّ أيضًا عن قتادة عند الطبري (٩٢٦٢)، أما ابن زيد فصحَّ عنه أيضًا عند الطبري (٩٢٦٤) أنه قال في ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال: الموالي: العصبة، هم كانوا في الجاهلية الموالي، فلما دخلت العجم على العرب لم يجدوا لهم اسمًا، فقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ [الأحزاب: ٥]، فسموا: الموالي، قال: والمولى اليوم موليان: مَولى يرث، ويورث، فهؤلاء ذوو الأرحام، ومولى يورَث ولا يرِث، فهؤلاء العَتَاقة، وقال: ألا ترون قول زكريا: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ [مريم: ٥]؟ فالموالي ههنا الورثة.

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة سبب نزول؟

ج: نعم، وقد ورد في ذلك ما خرجه البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** ﴾ قال: ورثة ﴿ **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرِث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوَّة التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم، فلما نَزَلت: ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** ﴾ نُسِخَت، ثم قال: ﴿ **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصِي له.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ لكلٍّ مِنْ مَنْ؟

ج: لكل من الرجال والنساء.

* * *

س: على مَن يُطلق المولى، وما المراد بالموالي هاهنا؟

ج: المولى يطلق على وجوهٍ: منها المُعتِق، والمُعتَق، فإذا أعتق شخص شخصًا أصبح كل منهما مولى للآخر.

- ويطلق المولى على الناصر، وقد قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ** ﴾ [محمد: ١١].
- ويطلق المولى على ابن العم، ومنه قول الشاعر:

مهلاً بني عَمِّنا مَهلاً مَوالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مَدْفونا[٢]

- ويطلق على الورثة كذلك.

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٨٠). (٢) وفي بعض النسخ: لا تُظْهِرُن لنا ما كان مدفونا.

- ويطلق المولى على الحليف كذلك.
- ويطلق على الجار أحيانًا.

أما المراد بالمولى هنا: فهم الورثة والعصبة الذين يرثونه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾.

ج: المعنى واللَّه تعالى أعلم يتلخص في وجهين:

الوجه الأول: ولكلٍّ منكم ـ أيها الناس ـ جعلنا له ورثةً وعصبةً يرثونه إذا هو مات، ويرثون ما ترك له والداه وأقرباؤه.

أو بتعبير آخر: ولكلٍّ منكم ـ أيها الناس ـ جعلنا له ورثة يرثونه إذا هو مات (يرثون تركته سواء التي جمعها هو بنفسه أو آلت إليه بطريق الإرث من والديه وأقربائه).

فعلى هذا التأويل يكون الوالدان والأقربون موروثًا عنهما.

وهذا الذي جنح إليه الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بقوله: فتأويل الكلام: ولكلكم ـ أيها الناس ـ جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له. انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

- **والوجه الثاني:** ولكل منكم ـ أيها الناس ـ جعلنا ورثة يرثون ما ترك، وإذا سألت عن هؤلاء الورثة فهم الوالدان والأقربون، فعلى هذا التأويل يكون الوالدان والأقربون ورَّاثًا، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

الأول: أنهم المهاجرون والأنصار الذين آخى بينهم رسول اللَّه ﷺ، فقد كان المهاجريُّ يرث الأنصاريَّ دون ذوي رحمه، وكذلك الأنصاريُّ يرث المهاجريَّ، ثم نسخ ذلك، وقد تقدم ذلك في سبب النزول الذي أوردناه، وهذا سياق الطبري أيضًا[1] في ذلك، ذكر الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي آخى رسول اللَّه ﷺ بينهم، فلما نزلت هذه الآية: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت.

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ قال: ورثة، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نُسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له.

الثاني: أن هذا كان في القوم الذين كانت بينهم تحالفات في الجاهلية، فقد كان الرجل يتحالف مع الرجل يناصره ويعاونه ويرثه إذا هو مات، فنسخ ذلك بما فرض اللَّه من الفرائض.

أخرج الطبري بإسناد صحيح[2] عن سعيد بن جبير قال: كان الرجل

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح (٩٢٧٥).

(٢) الطبري (٩٢٦٧).

يعاقد الرجل فيرثه.

وأخرج أيضًا بإسناد صحيح[١] إلى قتادة قال:

قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول: «دمي دمُك، وهدمي هدمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك. فجعل له السدس من جميع المال في الإسلام، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم، فنسخ ذلك بعد في سورة الأنفال، فقال اللَّه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

أما القول الثالث: فهو أن الآية نزلت في الأقوام الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية، فأمروا أن يوصوا لهم عند الموت.

وثمَّ أقوال أخر.

ومما سبق يتبين أن ابن عباس كان يحمل الآية الكريمة على المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم رسول اللَّه ﷺ، ولكن غير ابن عباس كان يعمم فيحملها على من آخى بينهم رسول اللَّه ﷺ وعلى عموم من كانت بينهم تحالفات.

وقال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قول من قال: والذين عقدت أيمانكم على المحالفة وهم الحلفاء؛ وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها أن عقد الحلف بينها كان يكون

(١) الطبري (٩٢٦٩، ٩٢٧٠).

بالأيمان والعهود والمواثيق، على نحو ما ذكرنا من الرواية في ذلك.

فإذا كان اللَّه جل ثناؤه إنما وصف الذين عقدت أيمانهم ما عقدوه بها بينهم، دون من لم تعقد عقدًا بينهم أيمانهم، وكانت مؤاخاة النبي ﷺ بين من آخى بينه وبينه من المهاجرين والأنصار، لم تكن بينهم بأيمانهم وكذلك التبني، كان معلومًا أن الصواب من القول في ذلك قول من قال: هو الحلف، دون غيره، لما وصفناه من العلة.

* * *

س: ما المراد بقول النبي ﷺ: «لا حِلف في الإسلام»[1] ؟

ج: المراد واللَّه أعلم: لا تحالف ولا تآخي يتم بناء عليه التوارث.

أما المحالفة على طاعة اللَّه ورسوله والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهذا باق لم يُنسخ، وهذا معنى قوله ﷺ: **«وأيما حلفٍ كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»**.

قال النووي: وأما قوله ﷺ: **«لا حلف في الإسلام»** فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما المراد بالنصيب المذكور في قوله تعالى: ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالنصيب: النصيب من الميراث الذي قد تم الاتفاق عليه

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا، وتمامه: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة».

بينكم وبينهم، ولكن هذا منسوخ.

الثـــاني: أن المراد الوصية التي يوصي بهـا من كان تبنى ولدًا غير ولده، يوصي بها لذلك المُتبنى.

الثـــالث: أن المراد بالنصيب هنا النصيب من النُّصرة والـنصيحة والمشورة والرِّفادة[1] والمعاونة والعقل[2].

وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث قال:

وأما قوله: ﴿**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾، فإن أولى التأويلين به، ما عليه الجميع مجمعون من حكمه الثـابت، وذلك إيتاء أهل الحلف الذي كان في الجاهلية دون الإسلام، بعضهم بعضًا أنصباءَهم من النصرة والنصيحة والرأي، دون الميراث؛ وذلك لصحة الخـبر عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا حلـف في الإسلام، و ما كان من حلف في الجاهلية، فلم يزده الإسلام إلا شدة**».

* * *

س: هل هذا القدر مـن الآية منسوخ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾؟ وما هذا الناسخ إن كان ثَمَّ ناسخ؟

ج: يرى ابن عبـاس رضي الله عنهما أن ذلك منسوخ، وذلك بناءً عـلى أن هذا كان في المؤاخـاة بين المهـاجرين والأنصـار، والتي بمقـتـضاها يـرث المهاجـريُّ

(١) و«الرفادة» (بكسر الراء): الإعانة بالعطية والصلة، ومنه «الرفادة» التي كانت قريش تترافد بها في الجاهلية، يخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالاً عظيمًا أيام الموسم، فيـشترون به للحاج الجـزر والطعام والزبيب، فلا يزالون يطعمـون الناس حتى تنقضي أيام الحج، وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم. (نقلاً عن حاشية الطبري لشاكر ـ رحمه اللَّه).

(٢) العقل المراد به الدية.

الأنصاريَّ ويرث الأنصاريُّ المهاجريَّ.

والقول الثاني: أن هذا ليس بمنسوخ، وهو قول من حمل النصيب على النصيحة والمشورة والرفادة والعقل، دون الميراث.

وهذا رأي الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقد قال:

فإذا كان ما ذكرنا عن رسول اللَّه ﷺ صحيحًا، وكانت الآية إذا اختُلف في حكمها منسوخ هو أم غير منسوخ، غير جائز القضاء عليه بأنه منسوخ مع اختلاف المختلفين فيه، ولوجوب حكمها ونفي النسخ عنها وجه صحيح، إلا بحجة يجب التسليم لها، لما قد بينَّا في غير موضع من كتبنا الدلالة على صحة القول بذلك، فالواجب أن يكون الصحيح من القول في تأويل قوله: ﴿**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ هو ما ذكرنا من التأويل، وهو أن قوله: ﴿**عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ من الحلف، وقوله: ﴿**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ من النصرة والمعونة والنصيحة والرأي، على ما أمر به من ذلك رسول اللَّه ﷺ في الأخبار التي ذكرناها عنه دون قول من قال: معنى قوله: فآتوهم نصيبهم من الميراث، وأن ذلك كان حكمًا ثم نُسخ بقوله ﴿**وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال:٧٥]، ودون ما سوى القول الذي قلناه في تأويل ذلك وإذا صحَّ ما قلنا في ذلك وجب أن تكون الآية محكمة لا منسوخة.

● **أما ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ** فيجنح إلى القول بالنسخ مع بقاء حقوق من كانت لهم تحالفات في الجاهلية، ولا تُنشأ تحالفات[1] جديدة.

---

(١) أي: لا تنشأ تحالفات جديدة ينبني عليها ما يخالف ما قد استقر في الشرع.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ أي: والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة ـ أنتم وهم ـ فآتوهم نصيبهم من الميراث، كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن اللَّه شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا، ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة.

وأورد الحافظ ابن كثير جملة آثار، ثم قال: والصحيح الأول، وأن هذا كان في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف، ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك، وإن كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعقود والعهود، والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك تقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة: «**لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة**».

وهذا نص في الرد على من ذهب إلى التوارث بالحلف اليوم، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ورواية عن أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه.

والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ**﴾ أي: ورثته من أقربائه من أبويه وأقربيه، هم يرثونه دون سائر الناس، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر**»[1] أي: اقسموا الميراث على أصحاب الفروض الذين ذكرهم اللَّه في آيتي الفرائض، فما بقي بعد ذلك فأعطوه العصبة، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ أي: قبل نزول هذه الآية

(١) البخاري (حديث ٦٧٣٢)، ومسلم (حديث ١٦١٥).

فآتوهم نصيبهم، أي: من الميراث، فأيما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له.

وقد قيل: إن هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل، وحكم الماضي أيضًا، فلا توارث به، كما قال ابن أبي حاتم.

حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إدريس الأودي، أخبرنا طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ قال: من النصر والنصيحة والرفادة، ويوصي له، وقد ذهب الميراث[1].

قلت (مصطفى): وإذا حُمل النصيب في الآية على الميراث فهذا منسوخ بلا شك، والناسخ على قول أهل العلم أحد آيتين، الأولى قوله تعالى: ﴿**وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا**﴾ [الأنفال: ٧٥].

الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ**﴾.

أما إذا حملنا النصيب على النصرة والرفادة، فالآية غير منسوخة كما ذهب إليه الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى.

وإذا حملنا النصيب على الأمرين معًا، على الميراث وعلى النصيحة والمشورة والرفادة... فالميراث منسوخ، وما سواه باقٍ، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني بذلك جل ثناؤه: فآتوا الذين عقدت أيمانكم نصيبهم من النصرة

(١) إسناده صحيح، وهو موقوف كما ترى.

والنصيحـة والرأي، فإن اللَّه شاهد على ما تفـعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم، مُـرَاعٍ لكل ذلك، حافظٌ، حتى يجازى جميـعكم على جميع ذلك جزاءه، أما المحسن منكم المتبع أمـري وطاعتي فبالحسنى، وأما المسيء منكم المخالف أمري ونهيي فبالسوأى.

* * *

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(قوَّامون ـ قانتات ـ حافظات للغيب ـ بما حفظ اللَّه ـ نشوزهن ـ فعظوهن ـ شقاق)

ج:

الكلمة	معناها
قوَّامون	جمع قوَّام، وهو القائم بالأمور، فالرجل قائم على المرأة يُدبر شؤونها ويوفر احتياجاتها ويأمرها بطاعة اللَّه ويؤدبها إن احتاجت إلى تأديب، ويأمرها وينهاها، إلى سائر ذلك من مستلزمات القوامة.

قانتات	مطيعات للَّه عز وجل ثم للأزواج.
حافظات للغيب	حافظات لأنفسهن[1] عند غياب أزواجهن وكذلك حافظات لأموال الأزواج وكذلك حافظات لما عليهن من عموم الحقوق.
بما حفظ اللَّه	بحفظ اللَّه لهن ـ بعون اللَّه تسديده لهن، فلولا أن اللَّه حفظهن وأعانهن ما حفظن، وذلك كقوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا باللَّه﴾. ووجه آخر، حافظات لحقوق الأزواج كما أن اللَّه سبحانه وتعالى حفظ لهن حقوقهن عند الأزواج إذ أمر الأزواج بحسن عشرة النساء والإحسان إليهن.
نشوزهن	استعلاءهن على طاعة الأزواج ـ عصيانهن
فعظوهن	الوعظ: هو التذكير بالخير بما فيه من ترقيق للقلب. وقد يطلق أيضًا على التخويف، فالمعنى: ذكروهن بما في كتاب اللَّه وبما أوجبه اللَّه عليهن من طاعة الأزواج، وخوفوهن وعيد اللَّه لهن إذا هن عصين الأزواج. وذكروهن أيضًا بما يجب للأزواج من جميل العشرة، وحسن الصحبة، والاعتراف بالدرجة التي للرجال عليهن.
شقاق	الشقاق: المنازعة والخصومة.

(١) وذلك كما في حديث النبي ﷺ في شأن هذه المرأة الصالحة: «وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله».

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾؟

ج: لم يصح لهذه الآية سبب نزول، وقد ورد في ذلك ما أخرجه الطبري[1] وغيره ـ وفي إسناده ضعف ـ من طريق الحسن: أن رجلاً لطم امرأته فأتت النبي ﷺ فأراد أن يقصها منه فأنزل اللَّه: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾، فدعاه النبي ﷺ فتلاها عليه، وقال: أردت أمراً وأراد اللَّه غيره.

* * *

س: اذكر عدداً من الأدلة على قوامة الرجل على المرأة.

ج: من ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾.
- وقول اللَّه عز وجل: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾.
- وقول النبي ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[2].

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3]: أن رجلاً أتى بابنة له إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي هذه أَبَتْ أن تَزوَّج.

---

(١) الطبري (٩٣٠٤) وهو مرسل، ثم إن مراسيل الحسن ضعيفة أيضًا، واللَّه أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٥٩) وابن حبان «موارد الظمآن» (١٢٩١) وغيرهما وإسناده صحيح بمجموع طرقه.

(٣) ابن أبي شيبة «المصنف» (٤/٣٠٣).

قال: فقال لها: «**أطيعي أباك**» قال: فقالت: لا، حتَّى تُخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فرددت عليه مقالتها، فقال: «**حق الزوج على زوجته أن لو كان به قرحة فلحستها أو ابتدر منخراه صديداً ولحسته ما أدت حقه**» قال: فقالت: والذي بعثك بالحق لاأتزوَّج أبدًا. قال: فقال: «**لا تنكحوهن إلا بإذنهن**».

● وبقول النبي ﷺ لما سئل: أي النساء خير؟ قال: «**التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**»[١].

● وكذلك فالمرأة لا تصوم[٢] وزوجها شاهد إلا بإذنه.

● ولا تأذن لأحدٍ في بيته إلا بإذنه[٣].

● ولا تخرج إلى المسجد إلا بإذنه[٤].

● وإذا دعاها إلى فراشه وجب عليها طاعته، فإن أبت لعنتها الملائكة حتى تصبح[٥]، وكان الذي في السماء ساخطًا عليها[٦]، إلى غير ذلك من

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١) بإسناد صحيح لشواهده.

(٢) صوم التطوع، والحديث أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٢)، ومسلم (ص٧١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرج البخاري (ـ٥٢٣٨)، ومسلم (ص٣٢٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها».

(٥) أخرج البخاري (٥١٩٣) ومسلم (١٠٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح».

(٦) وأخرج مسلم (٣/ ٦١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها».

وفي رواية للبخاري (٥١٩٤) ومسلم (ص١٠٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع».

الأدلة الدالة على قوامة الرجل على المرأة وليس للمرأة أن تعترض على ذلك فهي قسمة اللَّه سبحانه وتعالى الحكيم العليم اللطيف الخبير، وقد قال سبحانه: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

* * *

س: هل بين الرجل وامرأته قصاص؟

ج: ليس بينهما قصاصٌ في الضرب المأذون به، فالرجل قيم على المرأة يؤدبها ويأخذ على يديها، وقد قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.

أما إذا كُسر عظم أو سقط سنٌ أو فُقِأت عين فقد قال بعض العلماء: عليه الدية في ذلك.

ولا أعلم دليلاً يُسقط عنه القصاص في ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، أما إذا قتلها فإنه يُقتل بها.

* * *

س: بأي شيء كانت للرجل قوامةٌ على المرأة؟

ج: قوامة الرجل على المرأة بأمرين ذكرهما اللَّه في كتابه:

أولهما: المذكور في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وذلك بما جبل اللَّه عليه الرجال من القوة في البدن ورجحان العقل والدين والفضيلة بصفة عامة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة**»[١].

ومن ثمَّ جعلت النبوة في الرجال، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾ [الأنبياء:٧]، وجعلت شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين.

ثانيهما: المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾، وذلك يتضمن النفقات التي ينفقها الرجل على زوجته، فإنفاق الرجل على زوجته واجب بالإجماع، ويتضمن أيضًا الصداق الذي دفعه الرجل لامرأته، ومن ثمَّ جعل اللَّه للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

- **قال الرازي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «التفسير الكبير»:**

واعمل أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية، وبعضها أحكام شرعية، أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم، وإلى القدرة، ولا شك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر، ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة والكتابة في الغالب، والفروسية والرمي، وإن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف، والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق، وفي الأنكحة عند الشافعي رضي الله عنه، وزيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث، وفي تحمل الدية في القتل والخطأ، وفي القسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، فكل ذلك يدل على فضل

(١) البخاري (حديث ٧٠٩٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

الرجال على النساء.

والسبب الثاني: لحصول هذه الفضيلة قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: الرجل أفضل من المرأة لأنه يعطيها المهر وينفق عليها.

● **وقال صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «فتح البيان»:**

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون، ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً إثر بيان تفاوت استحقاقهم إجمالاً، وعلل ذلك بأمرين (أولهما): وهبي (والثاني): كسبي، والمعنى أنهم يقومون بالذب عنهن كما يقوم الحكام والأمراء بالذب عن الرعية، وهم أيضًا يقومون بما يحتجن إليه من النفقة والكسوة والمسكن.

وجاء بصيغة المبالغة لتدل على أصالتهم في هذا الأمر، وهو جمع قوَّام وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، يشير به إلى أن المراد قيام الولاة على الرعايا، قال ابن عباس: أمروا عليهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة اللَّه.

﴿بِمَا﴾ الباء سببية وما مصدرية، ﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾ والضمير في قوله ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، للرجال والنساء، أي: إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل اللَّه إياهم عليهن بما فضلهم به من كون فيهم الأنبياء والخلفاء والسلاطين والحكام والأئمة والغزاة، وزيادة العقل والدين والشهادة والجمعة والجماعات، وأن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد، وزيادة النصيب والتعصيب في الميراث، وبيده الطلاق والنكاح والرجعة وإليه الانتساب، وغير ذلك من الأمور، فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء.

● **وقال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى:**

﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء، وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء، من وجوه متعددة، من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات، كالجهاد، والأعياد، والجمع.

وبما خصَّهم اللَّه به من العقل والرزانة والصبر والجلد، الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال، ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله: ﴿**بِمَا أَنفَقُوا**﴾ وحذف المفعول، ليدل على عموم النفقة، فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة، فوظيفته: أن يقوم بما استرعاه اللَّه به، ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها.

ملاحظة: يلاحظ مما سبق أن القوامة بأمرين:

الأول: ما جُبل عليه الرجال وفُضِّلوا به على النساء.

والثاني: الإنفاق الذي يقوم به الرجل على زوجته.

وبتخلف أحد الأمرين أو أحدهما نرى أو نلاحظ أن القوامة تهتز بحسب ما تخلف من متطلباتها، بمعنى أن المرأة إذا كانت هي التي تنفق على البيت من مالها فإنها حينئذ تنازع الزوج القوامة[1]؛ إذ قد تخلف سبب القوامة الثاني وهو ﴿**وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾.

---

(١) لا أعني أن ذلك جائزٌ لها، وإنما أذكر واقعًا يعيشه الناس.

ومن ثمَّ ترى أن الأسر التي بها نساء لهن دخل ينفقنه على البيت، ترى فيها نشوز النساء على الرجال أكثر من النشوز في تلك الأسر التي يقوم الزوج بالإنفاق كاملاً.

وكذلك الأسر التي بها زوج غير راجح العقل، وغير قادر على إعفاف الزوجة وتأديبها ترى فيها نشوزًا أكثر، واختلالاً أوسع[1].

* * *

س: مَن المَعنيّات بالصالحات؟

ج: هن المستقيمات في دينهن ـ العاملات بالخير.

* * *

س: قد يأتي الخبر يُراد به الأمر وضِّح ذلك من الآية الكريمة، وزده إيضاحًا بآية أُخرى من سورة أخرى.

ج: إيضاحه أن اللَّه سبحانه وتعالى أخبر عن الصالحات بقوله: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾ وهذا خبرٌ لكن المراد منه أمر الصالحات بأن يكن قانتات حافظات للغيب.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ قوله تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ**﴾ هذا كله خبرٌ، ومقصوده الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله، وفي نفسها في حال غيبة الزوج.

قلت: وكإيضاح آخر من آية أخرى، قوله تعالى في شأن البيت الحرام: ﴿**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهذا خبر لكن مقتضاه الحث على

(١) وهذا من باب المُشاهد، واللَّه تعالى أعلم.

تأمين من يدخل البيت الحرام، وعدم ترويعه وإزعاجه وإيذائه، والله أعلم.

* * *

س: وضح فائدة تستفاد من قوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

ج: تفيد الآية الكريمة أن المحفوظ من حفظه الله، فمن ثمَّ فالمرأة الصالحة الحافظة للغيب إنما صلاحها وحفظها للغيب بعون الله وسداده لها، ومن ثم فينبغي أن تسأل المرأة ربها العون على حفظ نفسها، وحفظ زوجها في غيابه في ماله وولده، وليست المرأة فحسب بل عموم الخلق، ومن ثمَّ قال الصديق يوسف: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣٣].

وقال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا**﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقال شعيب عليه السلام ومن معه: ﴿**وما يكون لن أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا**﴾ [الأعراف: ٨٩].

فكل هذا استفيد منه أن المعصوم من عصمه الله، والمحفوظ من حفظه الله، ومن ثمَّ يلزمنا أن نسأل ربنا التوفيق والسداد على الدوام والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بالخوف في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن الخوف هنا بمعنى العلم، فالمعنى: واللاتي عرفتم نشوزهن واستعلاءهن عليكم أي: واللاتي صدر منهن نشوز واستعلاءٌ عليكم وعصيان لأوامركم. ومجيء الخوف بمعنى العلم كمجيء

الظن بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ وكما في قوله تعالى عن صاحب اليمين ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

● ومن العلماء من قال: إن الخوف هنا على بابه، وهو الظن، فالمعنى إن صدرت منهن بوادر نشوزهن وظننتم أنه سيكون هناك نشوز.

والظاهر (لي) واللَّه أعلم أن بوادر النشوز لها تصرف، والنشوز الواضح البين له تصرف آخر.

* * *

س: هل يجوز للمرأة أن تطلب الفراق بسبب إعسار الزوج؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الزوج إذا أُعسر عن نفقة امرأته واختارت فراقه أنه يُفرَّق بينهما، بينما ذهب فريق آخر من العلماء إلى عدم التفريق بينهما، وهذه أدلة كل فريق على ما ذهب إليه، وبعض أقوالهم في ذلك:

● **أولاً: أدلة الجمهور القائلين بالتفريق بسبب الإعسار:**

١ ـ قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾.

٢ ـ ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أفضل الصدقة عن ظهر غِنًى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**».

وهذا القدر مرفوع صحيح، وللحديث تتمة الظاهر أنها موقوفة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه وهي: «تقول المرأة: إما أن تُطعمني، وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى من تدعني؟»

(١) البخاري (حديث ٥٣٥٥).

فقالوا: يا أبا هريرة: سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: لا هذا من كيس أبي هريرة.

٣ ـ قول سعيد بن المسيب[١] ـ رحمه اللَّه ـ وسئل عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته أَيُفرَّق بينهما؟ قال: نعم، قلت: سُنَّة؟ قال: سنة.

٤ ـ القياس: فقاس الجمهور نفقة النساء على الرقيق والحيوان، قالوا: إن من أُعسر بالإنفاق عليه أُجبر على بيعه اتفاقًا.

٥ ـ وأخرج عبد الرزاق[٢] بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كتب عمر إلى أمراء الأجناد أن ادع فلانًا وفلانًا ـ ناسًا قد انقطعوا من المدينة، وخلوا منها ـ فإما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهن بنفقة، وإما أن يطلقوا، ويبعثوا بنفقة ما مضى.

● **ثانيًا: أدلة القائلين بأن الإعسار لا يستلزم التفريق:**

١ ـ أخرج مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال: فأُذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا، قال: فقال: لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول اللَّه ﷺ، وقال: «**هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة**»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور «السنن» (٢/ ٥٥ أثر ٢٠٢٢)، والذي سأله هناك هو أبو الزناد.

(٢) عبد الرزاق «المصنف» (٧/ ٩٣).

(٣) مسلم (حديث ١٤٧٨).

عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه ﷺ ما ليس عنده، فقلن: واللَّه لا نسأل رسول اللَّه ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ**﴾ حتى بلغ ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ قال: فبدأ بعائشة، فقال: «**يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**» قالت: وما هو يا رسول اللَّه؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول اللَّه أستشير أبويَّ؟ بل أختار اللَّه ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت: قال: «**لا تسألني امرأةٌ منهن إلا أخبرتها، إنَّ اللَّه لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني مُعلمًا مُيسرًا**».

٢ ـ واستدلوا أيضًا بأنه لم يرد أن النبي ﷺ فرَّق بين رجل وامرأته بسبب الإعسار.

٣ ـ واستدلوا كذلك بقول اللَّه تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾.

وهذه أقوال بعض أهل العلم نقلها الصنعاني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ عنهم، قال ـ رحمه اللَّه[1]:

وقد اختلف العلماء في هذا الحكم، وهو فسخ الزوجية عند إعسار الزوج على أقوال:

الأول: ثبوت الفسخ، وهو مذهب علي وعمر وأبي هريرة وجماعة من التابعين، ومن الفقهاء: مالك والشافعي وأحمد، وبه قال أهل الظاهر

(١) «سبل السلام» (ص١١٧٠).

مستدلين بما ذكر، وبحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»، وبأن النفقة في مقابل الاستمتاع بدليل أن الناشز لا نفقة لها عند الجمهور، فإذا لم تجب النفقة سقط الاستمتاع، فوجب الخيار للزوجة، وبأنهم قد أوجبوا على السيد بيع مملوكه إذا عجز عن إنفاقه، فإيجاب فراق الزوجة أولى؛ لأن كسبها ليس مستحقًّا للزوج كاستحقاق السيد لكسب عبده، وبأنه قد نقل ابن المنذر الإجماع على الفسخ بالعنة، والضرر الواقع من العجز عن النفقة أعظم من الضرر الواقع بكون الزوج عنينًا، وبأنه تعالى قال: ﴿**وَلا تُضَارُّوهُنَّ**﴾، وقال: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾، وأي إمساك بمعروف وأي ضرر أشد من تركها بغير نفقة؟!

والثاني: ما ذهب إليه الهادوية والحنفية، وهو قول للشافعي: إنه لا فسخ بالإعسار عن النفقة مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ قالوا: وإذا لم يكلفه اللَّه النفقة في هذا الحال، فقد ترك ما لا يجب عليه، ولا يأثم بتركه، فلا يكون سببًا للتفريق بينه وبين سكنه.

وبأنه قد ثبت في «صحيح مسلم» أنه ﷺ لما طلب أزواجه منه النفقة، قام أبو بكر وعمر إلى عائشة وحفصة فوجآ أعناقهما، وكلاهما يقول: أتسألن رسول اللَّه ﷺ ما ليس عنده؟.. الحديث، قالوا: فهذا أبو بكر وعمر يضربان بنتيهما بحضرته ﷺ لما سألتاه النفقة التي لا يجدها، فلو كان الفسخ لهما وهما طالبتان للحق لم يقر النبي ﷺ الشيخين على ما فعلا، ولبين أن لهما أن تطالبا مع الإعسار حتى تثبت على تقدير ذلك المطالبة بالفسخ.

ولأنه كان في الصحابة المعسر بلا ريب، ولم يخبر النبي ﷺ أحدًا

منهم بأن للزوجة الفسخ، ولا فسخ أحد، قالوا: ولأنها لو مرضت الزوجة، وطال مرضها حتى تعذر على الزوج جماعها لوجبت نفقتها، ولم يمكن من الفسخ وكذلك الزوج، فدلَّ على أن الإنفاق ليس في مقابلة الاستمتاع كما قلت.

وأما حديث أبي هريرة، فقد بين أنه من كيسه، وحديثه الآخر لعله مثله، وحديث سعيد مرسل، وأجيب: بأن الآية إنما دلت على سقوط الوجوب عن الزوج، وبه نقول، وأما الفسخ فهو حق للمرأة تطالب به، وبأن قصة أزواجه ﷺ، وضرب أبي بكر وعمر إلى آخر ما ذكرتم هي كالآية دلت على عدم الوجوب عليه ﷺ، وليس فيه أنهن سألن الطلاق أو الفسخ، ومعلوم أنهن لا يسمحن بفراقه، فإن اللَّه تعالى قد خيرهن فاخترن رسول اللَّه ﷺ والدار الآخرة، فلا دليل في القصة، وأما إقراره لأبي بكر وعمر على ضربهما، فلما علم أن للآباء تأديب الأبناء إذا أتوا ما لا ينبغي، ومعلوم أنه ﷺ لا يفرط فيما يجب عليه من الإنفاق، فلعلهن طلبن زيادة على ذلك، فتخرج القصة عن محل النزاع بالكلية.

وأما المعسرون من الصحابة فلم يعلم أن امرأة طلبت الفسخ أو الطلاق لإعسار الزوج بالنفقة ومنعها عن ذلك حتى تكون حجة، بل كان نساء الصحابة كرجالهن يصبرن على ضنك العيش وتعسره، كما قال مالك: إن نساء الصحابة كن يردن الآخرة، وما عند اللَّه تعالى، ولم يكن مرادهن الدنيا، فلم يكنَّ يبالين بعسر أزواجهن، وأما نساء اليوم، فإنما يتزوجن رجاء الدنيا من الأزواج والنفقة والكسوة.

وأما حديث ابن المسيب فقد عرفت أنه من مراسيله، وأئمة العلم يختارون العمل بها كما سلف، فهو موافق لحديث أبي هريرة المرفوع الذي عاضده

مرسل سعيد، ولو فرض سقوط حديث أبي هريرة ففيما ذكرناه غنية عنه.

والقول الثالث: أنه يحبس الزوج إذا أعسر بالنفقة حتى يجد ما ينفق، وهو قول العنبري، وقالت الهادوية: يحبس للتكسب، والقولان مشكلان، لأن الواجب إنما هو الغداء في وقته والعشاء في وقته، فهو واجب في وقته، فالحبس إن كان في خلال وجوب الواجب فهو مانع عنه، فيعود على الغرض المراد بالنقض، وإن كان قبله، فلا وجوب فكيف يحبس لغير واجب؟ وإن كان بعده صار كالدين، ولايحبس له مع ظهور الإعسار اتفاقًا.

وفي هذه المسألة قال محمد بن داود لامرأة سألته عن إعسار زوجها، فقال: ذهب ناس إلى أنه يكلف السعي والاكتساب، وذهب قوم إلى أنها تؤمر المرأة بالصبر والاحتساب، فلم تفهم منه الجواب، فأعادت السؤال وهو يجيبها ثم قال: يا هذه قد أجبتك، ولست قاضيًا فأقضي، ولا سلطانًا فأمضي ولا زوجًا فأرضى.

وظاهر كلامه الوقف في هذه المسألة فيكون قولاً رابعًا.

القول الخامس: إن الزوجة إذا كانت موسرة وزوجها معسرًا كلفت الإنفاق على زوجها، ولا ترجع عليه إذا أيسر لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ**﴾، وهو قول أبي محمد بن حزم، ورد بأن الآية سياقها في نفقة المولود الصغير، ولعله لا يرى التخصيص بالسياق.

القول السادس: لابن القيم وهو: أن المرأة إذا تزوجت عالمة بإعساره أو كان موسرًا ثم أصابته جائحة، فإنه لا فسخ لها، وإلا كان لها الفسخ، وكأنه جعل علمها رضًا بعسرته، ولكن حيث كان موسرًا عند تزوجه، ثم أعسر للجائحة لا يظهر وجه عدم ثبوت الفسخ لها، وإذا عرفت هذه الأقوال

عرفت أن أقواها دليلاً وأكثرها قائلاً هو القول الأول.

وقد اختلف القائلون بالفسخ في تأجيله بالنفقة، فقال مالك: يؤجل شهرًا، وقال الشافعي: ثلاثة أيام، وقال حماد: سنة، وقيل: شهرًا أو شهرين.

قلت: ولا دليل على التعيين، بل ما يحصل به التضرر الذي يعلم، من قال إنه يجب عليه التطليق قال: ترافعه الزوجة إلى الحاكم لينفق أو يطلق، وعلى القول بأنه فسخ ترافعه إلى الحاكم ليثبت الإعسار، ثم تفسخ هي، وقيل: ترافعه إلى الحاكم ليجبره على الطلاق، أو يفسخ عليه، أو يأذن لها في الفسخ، فإن فسخ أو أذن في الفسخ فهو فسخ لا طلاق، ولا رجعة له، وإن أيسر في العدة، فإن طلق كان طلاقًا رجعيًا له فيه الرجعة.

* * *

س: هل ينفق على الناشز؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الناشز لا نفقة لها ما دامت قائمة على نشوزها، بينما ذهب بعض العلماء منهم ابن حزم إلى أن الناشز ينفق عليها، ومفهوم كلام ابن حزم أنه تَمَسَّك بكونها زوجة، وما دامت زوجة فلاتسقط نفقتها إلا بدليل، والدليل مفتقر إليه ها هنا.

إلا أنه يشهد للجمهور عموم قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾، ونحو هذه العمومات، ونحو حديث رسول اللَّه ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قيل كيف أنصره ظالمًا يا رسول اللَّه؟! قال: «**تمنعه من الظلم**»، فإذا كان ظلم المرأة لزوجها يمنع بمنع النفقة فعلى قدر الظلم يقدر منع النفقة، واللَّه تعالى أعلم. وها هي بعض مقالات العلماء في ذلك:

قال ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ «المحلى» (١٠/ ٨٨):

وينفق الرجل على امرأته من حين يعقد نكاحها دعى إلى البناء أو لم يدع ولو أنها في المهد ناشزًا كانت أو غير ناشز، غنية كانت أو فقيرة، ذات أب كانت أو يتيمة، بكرًا أو ثيبًا، حرة كانت أو أمة، على قدر ماله، فالموسر خبز الحواري واللحم وفاكهة الوقت على حسب مقداره، والمتوسط على قدر طاقته، والمقل أيضًا على حسب طاقته.

برهان ذلك ما قد ذكرنا بإسناده قبل من قول رسول اللَّه ﷺ في النساء: «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»، وهذا يوجب لهن النفقة من حين العقد. وقال قوم: لا نفقة للمرأة إلا حيث تدعى إلى البناء بها، وهذا قول لم يأت به قرآن ولا سنة ولا قول صاحب ولا قياس ولا رأى له وجه، ولا شك في أن اللَّه عز وجل لو أراد استثناء الصغيرة والناشز لما أغفل ذلك حتى يبينه له غيره حاشا للَّه من ذلك، وقد نا يونس بن عبد اللَّه، نا أحمد بن عبد اللَّه بن عبد الرحيم، نا أحمد بن خالد، نا محمد بن عبد السلام الخشني، نا محمد بن بشار، نا يحيى بن سعيد القطان، نا عبيد اللَّه بن عمر، أخبرني نافع عن ابن عمر قال: كتب عمر بن الخطاب إلي أمراء الأجناد أن انظروا من طالت غيبته أن يبعثوا نفقة أو يرجعوا أو يفارقوا، فإن فارق فإن عليه نفقة ما فارق من يوم غاب.

قال أبو محمد: ولم يخص عمر ناشزًا من غيرها، ومن طريق شعبة سألت الحكم بن عتيبة عن امرأة خرجت من بيت زوجها غاضبة هل لها نفقة؟ قال: نعم.

وقال أبو سليمان وأصحابه وسفيان الثوري: النفقة واجبة للصغيرة من حين العقد عليها، قال أبو محمد: وما نعلم لعمر في هذا مخالفًا من الصحابة، إنما هو شيء روي عن النخعي والشعبي، وحماد بن أبي سليمان والحسن والزهري وما نعلم لهم حجة إلا أنهم قالوا: النفقة بإزاء الجماع، فإذا منعت الجماع منعت النفقة، قال أبو محمد: وهذه حجة أفقر إلى ما يصححها مما راموا تصحيحها به وقد كذبوا في ذلك ما النفقة والكسوة إلا بإزاء الزوجية، فإذا وجدت الزوجية فالنفقة والكسوة واجبتان.

قال أبو محمد: والعجب كله استحلالهم ظلم الناشز في منع حقها من أجل ظلمها للزوج في منع حقه، وهذا هو الظلم بعينه والباطل صراحًا، والعجب كله أن الحنفيين لا يجيزون لمن ظلمه إنسان فأخذ له مالاً فقدر على الانتصاف من مالٍ يجده لظالمه أن ينتصف، ورأوا منع الناشز النفقة والكسوة ولا يدرى لماذا، وقد تناقضوا في حجتهم المذكورة فرأوا النفقة للمريضة التي لا يمكن وطؤها، فتركوا قولهم: إن النفقة بإزاء الجماع.

وفي «المجموع» (١٨/ ٢٣٥):

وإن امتنعت من تسليم نفسها أو مكنت من استمتاع دون استمتاع، أو في منزل دون منزل، أو في بلد دون بلد لم تجب النفقة؛ لأنه لم يوجد التمكين التام، فلم تجب النفقة كما لا يجب ثمن المبيع إذا امتنع البائع من تسليم المبيع، أو سلَّم في موضع دون موضع، فإن عرضت عليه وبذلت له التمكين التام والنقل إلى حيث يريد وهو حاضر وجبت عليه النفقة؛ لأنه وجد التمكين التام.

وفي المجموع (١٨/ ٢٤٢):

إذا انتقلت الزوجة من منزل الزوج الذي أسكنها فيه إلى منزل غيره بغير

إذنه، وخرجت من البلد بغير إذنه فهي ناشزة وسقطت بذلك نفقتها، وبه قال أهل العلم كافة إلا الحكم بن عتيبة، فإنه قال: لا تسقط نفقتها كما لو لم تسلم نفسها.

قال الخرقي ـ رحمه اللَّه ـ (مع «المغني» ٧/ ٦١١):

مسألة: والناشز لا نفقة لها، فإن كان لها منه ولد أعطاها نفقة ولدها.

قال ابن قدامة في «المغني» في شرح هذه المسألة: معنى النشوز: معصيتها لزوجها فيما له عليها مما أوجبه له النكاح، وأصله الارتفاع مأخوذ من النشز، وهو المكان المرتفع، فكأن الناشز ارتفعت عن طاعة زوجها فسميت ناشزًا، فمتى امتنعت من فراشه، أو خرجت من منزله بغير إذنه، أو امتنعت من الانتقال معه إلى مسكن مثلها، أو من السفر معه؛ فلا نفقة لها ولا سُكنى في قول عامة أهل العلم منهم الشعبي وحماد ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، وأبو ثور.

وقال الحكم: لها النفقة، وقال ابن المنذر: لا أعلم أحدًا خالف هؤلاء إلا الحكم ولعله يحتج بأن نشوزها لا يسقط مهرها، فكذلك نفقتها.

ولنا: أن النفقة إنما تجب في مقابلة تمكينها، بدليل أنها لا تجب قبل تسليمها إليه، وإذا منعها النفقة كان لها منعه التمكين، فإذا منعته التمكين كان له منعها من النفقة كما قبل الدخول، وتخالف المهر، فإنه يجب بمجرد العقد، ولذلك لو مات أحدهما قبل الدخول وجب المهر دون النفقة، فأما إذا كان له منها ولد فعليه نفقة ولده، لأنها واجبة له فلا يسقط حقه بمعصيتها كالكبير وعليه أن يعطيها إياها إذا كانت هي الحاضنة له أو المرضعة له،

وكذلك أجر رضاعها يلزمه تسليمه إليها، لأنه أجر ملكته عليه بالإرضاع لا في مقابلة الاستمتاع ولا يزول بزواله.

ونقل الصنعاني في «سبل السلام» (ص١١٧٠) عن الجمهور أن الناشز لا نفقة لها.

* * *

• صور الهجران في المضاجع •

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.

ج: لذلك صور ذكرها العلماء، منها ما يلي:

الأول: اتركوا جماعهن مع نومكم معهن في فراش واحد، أي: أن الرجل يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها.

الثاني: أن الرجل يجامعها ولا يكلمها أثناء الجماع.

الثالث: أن الزوج يهجر النوم معها بالمرة، فلا ينام معها.

الرابع: أنه يكلمها بغلظة وبشدة، ولا يدع جماعها.

الخامس: أن الزوج يترك كلامها بالكلية.

السادس: أن الزوج يدع جماعها، ويكلمها أيضًا بغلظةٍ وبشدة، وثمَّ أقوال أُخر.

والظاهر لي ـ واللَّه أعلم ـ أن صور النشوز تتعدد، فقد تنشز المرأة على زوجها وتمتنع إذا دعاها لفراشه فمثل هذه لا يكون هجرانها في الفراش رادعًا لها، فالتي تمتنع من الجماع لا يكون عدم جماعها رادعًا لها، بل ذلك ما كانت تبغي، فمثل هذه الناشز التي تأبى الجماع تُجبر عليه ويُغلظ لها في القول.

وثمَّ ناشزأُخرى نشوزها بالتعالي على أمر زوجها وعصيانه، مع حبها للجماع، وشدة توقانها إليه، فهذه يمتنع الشخص من جماعها، ففي ذلك تأديب لها.

وثمَّ ناشز أُخرى تأديبها يكمن في الامتناع عن كلامها، فليكن هجران كلامها هو السبيل لتقويمها، واللَّه تعالى أعلم.

س: اذكر شيئًا من الوارد في هجران النساء.

ج: أخرج البخاري[١] من حديث أنس رضي الله عنه قال: آلى[٢] رسول اللَّه ﷺ من نسائه شهرًا، وقعد في مشربة له، فنزل لتسع وعشرين فقيل: يا رسول اللَّه، إنك آليت شهرًا؟! قال: «**إن الشهر تسع وعشرون**».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ حلف لا يدخل على بعض أهله شهرًا، فلما مضى تسعة وعشرون يومًا غدا عليهن ـ أو راح ـ فقيل له: يا نبي اللَّه، حلفت أن لا تدخل عليهن شهرًا؟! قال: «**إن الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا**».

وأخرج أبو داود[٤] بإسناد صحيح من حديث معاوية القشيري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللَّه: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ـ أو إذا اكتسبت ـ ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت**»[٥].

* * *

(١) مع «الفتح» (٩/ ٣٠٠).

(٢) آلى.. أي: أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا.

(٣) البخاري (حديث ٥٢٠٢)، ومسلم (ص ٧٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٢١٤٢).

(٥) في الحديث السابق بيان أن النبي ﷺ كان يهجر خارج البيوت، وفي هذا الحديث بيان أن الهجران في غير البيوت لا يجوز، والجمع بينهما: أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، فإذا احتيج إلى الهجر خارج البيوت فعل، وإلا فتكون داخل البيوت، وقد جنح البخاري إلى حديث أنس السابق، وذكر أنه أصح من حديث بهز فكأنه يذهب إلى العمل بحديث أنس وهو الهجران خارج البيوت، واللَّه أعلم.

س: ما صفة الضرب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾؟

ج: هو ضربٌ غير مؤثرٍ ولا شائن، فلا يكسر عظمًا ولا يُخضِّر جلدًا.

* * *

س: اذكر بعض الوارد عن رسول اللَّه ﷺ في ضرب النساء، مع مزيد بيان لصفة الضرب.

ج: من ذلك ما يلي:

قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.

أما صفة الضرب، فكما أوضحها رسول اللَّه، وهو يخطب الناس في حجة الوداع، ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه في ذكر حجة النبي ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ خطب الناس، فكان فيما قال: «**فاتقوا اللَّه في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان اللَّه، واستحللتم فروجهن بكلمة اللَّه، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**».

وقد ورد في مسألة ضرب النساء بعض الأحاديث منها:

- ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن زمعة[2] أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة، والذي عقر فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذ انبعث أشقاها: انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة**»، وذكر النساء فقال: «**يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من**

(١) «مسلم مع النووي» (٣/ ٣٤٥)، والضرب غير المبرح هو ما ليس بشديد ولا شاق ولا مؤثر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (ص٢١٩١).

آخر يومه..» الحديث.

● ومنها ما أخرجه الترمذي[١] من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول اللَّه ﷺ فحمد اللَّه وأثنى عليه وذكَّر ووعظ، فذكر في الحديث قصة فقال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**».

● وأخرج أبو داود[٢] بإسناد حسن لغيره من حديث إياس بن عبد اللَّه ابن أبي ذباب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تضربوا إماء اللَّه**»، فجاء عمر إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ذئرن النساءُ على أزواجهن**» فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول اللَّه ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم**».

وينبغي أن لا يُلجأ إلى الضرب إلا في حال الضرورة، واستنفاد محاولات الإصلاح والوعظ، وعدم جدوى الهجر في المضجع، وذلك لما أخرجه

---

(١) الترمذي (١١٦٣) بإسناد حسن لغيره.

(٢) أبو داود (حديث ٢١٤٦).

وقد ورد في مسألة ضرب النساء حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يُسأل الرجل فيمَ ضرب امرأته»، وهو حديث ضعيف.

مسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول اللَّه ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه، وما نِيل منه من شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم اللَّه فينتقم للَّه عز وجل.

* * *

س: هل الواو في قوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ للترتيب أم للتخيير؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قال ابن عباس: اهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن اللَّه لك أن تضربها ضربًا غير مبرح. وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرّره، واللجاج فيه، ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز. قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد، وقال الشافعي: يجوز ضربها في ابتداء النشوز.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم ينزعن بالهجران ضربًا غير مبرح ولا شائن، وظاهر النظم القرآني أنه يجوز للزوج أن يفعل جميع هذه الأمور عند مخافة النشوز، وقيل حكم الآية مشروع على الترتيب وإن دلَّ ظاهر العطف بالواو على الجمع، لأن الترتيب مستفاد من قرينة المقام، وسوق الكلام للرفق في

(١) مسلم (ص١٨١٤).

إصلاحهن، وإدخالهن تحت الطاعة.

فالأمور الثلاثة مرتبة، أي: لأنها لدفع الضرر كدفع الصائل فاعتبر فيها الأخف فالأخف، وقيل: إنه لا يهجرها إلا بعد عدم تأثير الوعظ، فإن أثَّر الوعظ لم ينتقل إلى الهجر، وإن كفاه الهجر لم ينتقل إلى الضرب، وقال الشافعي: الضرب مباح، وتركه أفضل.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: لا تلتمسوا الطرق التي بها تتوصلون إلى ضربهن ولا تبحثوا عن أسبابٍ تافهةٍ لضربهن من أجلها، ولا تتجن عليها بالعلل.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أطعنكم ـ أيها الناس ـ نساؤكم اللاتي تخافون نشوزهن عند وعظكم إياهن، فلا تهجروهن في المضاجع، فإن لم يطعنكم، فاهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن راجعنَ طاعتكم عند ذلك وفِئْنَ إلى الواجب عليهن، فلا تطلبوا طريقًا إلى أذاهن ومكروههن، ولا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يحل لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل، وذلك أن يقول أحدكم لإحداهن وهي له مطيعة: «إنك لست تحبيني، وأنت لي مبغضة»، فيضربها على ذلك أو يُؤذيها. فقال اللَّه تعالى للرجال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أي: على بغضهنَّ لكم فلا تجنَّوا عليهن، ولا تكلفوهن محبتكم، فإنَّ ذلك ليس بأيديهن، فتضربوهن أو تؤذوهن عليه.

ومعنى قوله: ﴿فَلا تَبْغُوا﴾، لا تلتمسوا ولا تطلبوا، من قول القائل: بغيتُ الضالة، إذا التمستها، ومنه قول الشاعر في صفة الموت:

بَغَاكَ وما تَبْغِيه حتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قد واعَدْتَهُ أمسِ مَوْعِدًا

بمعنى طلبك، وما تطلبه.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؟

ج: في هذا الختام تهديد ووعيد للأزواج الظلمة الذين يلتمسون العلل التافهة والأسباب الفارغة لإيذاء الأزواج، أي: فاعلموا يا هؤلاء الأزواج أن اللَّه أكبر منكم، وأقدر عليكم منكم على نسائكم.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

إن اللَّه ذو علوّ على كل شيء، فلا تبغوا ـ أيها الناس ـ على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن اللَّه لكم من حق سبيلاً، لعلوِّ أيديكم على أيديهن، فإنَّ اللَّه أعلى منكم ومن كل شيء عليكم، منكم عليهن، و أكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته. فاتقوا اللَّه أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلاً، وهن لكم مطيعات، فينتصر لهن منكم ربُّكم الذي هو أعلى منكم ومن كل شيء، وأكبر منكم ومن كل شيء.

* * *

س: اذكر بعض الآثار الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه عبد الرزاق[١] بإسنادٍ صحيح عن ابن أبي مليكة: أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت: تصبر لي وأُنفق عليك. فكان إذا دخل عليها قالت: أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة؟ فيسكت عنها حتى إذا دخل عليها يومًا وهو بَرِم[٢] قالت: أين عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة؟ قال: عن يسارك في النار إذا دخلتِ، فشَدَّت عليها ثيابها، فجاءت عثمان فذكرت ذلك له فضحك، فأرسل إلى ابن عباس ومعاوية، فقال ابن عباس: لأفرِّقن بينهما، وقال معاوية: ما كنت لأفرِّق بين شيخين من بني عبد مناف. فأتيا فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما، وأصلحا أمرهما فرجعا.

وما أخرجه الشافعي[٣] بإسناد صحيح عن عبيدة: أنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا..﴾ [النساء: ٣٥]، قال: جاء رجل وامرأة إلى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئام[٤] من الناس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها، ثم قال للحكمين: ما عليكما[٥] إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا، وإن رأيتما أن تفرقا أن تفرقا، قال: قالت المرأة: رضيت بكتاب اللَّه بما عليَّ فيه وليَّ، وقال الرجل: أما الفرقة فلا. فقال عليّ رضي الله عنه: كذبت واللَّه حتَّى تقرَّ بمثل

(١) عبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ٥١٣)، والشافعي (ص٢٦٢)، وابن جرير (٩٤٢٧).

(٢) بَرِم، أي: ضَجِر.

(٣) الشافعي (١/ ٢٦٢).

(٤) الفئام: الجماعات الكثيرة.

(٥) في بعض الروايات: «أتدريان ما عليكما»؟

الذي أقرت به.

* * *

س: ما المراد بالخوف في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ومن المخاطب؟

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بالخوف هنا العلم، أي: أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ معناه: وإن علمتم، أما المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المخاطب هم الحكام والأمراء، ونقل الحافظ عن ابن بطال أنه قال: أجمع العلماء على أن المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥] الحكام[1].

بينما ذهب الطبري إلى أن المراد من ذلك هم الناس.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ وذلك مشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيانه ما يشق عليه من الأمور، فأما من المرأة فالنشوز، وتركها أداء حق اللَّه عليها الذي ألزمها اللَّه لزوجها، وأما من الزوج فتركه إمساكها بالمعروف أو تسريحها بإحسان.

والشقاق مصدر من قول القائل: «شاق فلان فلانًا» إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه ما يشق عليه من الأمور فهو «يشاقه مشاقة وشقاقًا» وذلك قد يكون عداوة.

---

(١) «الفتح» (٩/ ٤٠٣).

س: لماذا كان الحكمان من الأقارب؟

ج: ذلك لأمور، منها: أن الأقارب أعلم ببواطن الأمور من غيرهم وأشد طلبًا للإصلاح من غيرهم؛ ولأن الزوجين يفشيان لأقاربهما ما لا يفشيان لغيرهم.

* * *

س: هل الحكمان حاكمان أم وكيلان؟

ج: قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى[1] :

وقد اختلف السلف والخلف في الحَكَمين هل هما حاكمان أو وكيلان؟ على قولين:

أحدهما: أنهما وكيلان، وهو قول أبي حنيفة، والشافعي في قول، وأحمد في رواية.

والثاني: أنهما حاكمان، وهذا قول أهل المدينة ومالك، وأحمد في الرواية الأخرى، والشافعي في القول الآخر، وهذا هو الصحيح.

والعجب كل العجب ممن يقول: هما وكيلان لا حاكمان واللَّه تعالى قد نصبهما حكمين وجعل نصبهما إلى غير الزوجين، ولو كانا وكيلين لقال: فليبعث وكيلاً من أهله، ولتبعث وكيلاً من أهلها.

وأيضًا: فلو كانا وكيلين لم يختصا بأن يكونا من الأهل.

وأيضًا: فإنه جعل الحكم إليهما فقال: ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ والوكيلان لا إرادة لهما إنما يتصرفان بإرادة موكليهما.

---

(١) ابن القيم «زاد المعاد» (٥/ ١٨٩).

وأيضًا: فإن الوكيل لا يسمى حكمًا في لغة القرآن، ولا في لسان الشارع ولا في العرف العام ولا الخاص.

وأيضًا: فالحكم من له ولاية الحكم والإلزام وليس للوكيل شيء من ذلك، وأيضًا: فإن الحكم أبلغ من حاكم؛ لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على الثبوت ولا خلاف بين أهل العربية في ذلك، فإذا كان اسم الحاكم لا يصدُق علي الوكيل المحض فكيف بما هو أبلغ منه؟!

وأيضًا: فإنه سبحانه خاطب بذلك غير الزوجين، وكيف يصح أن يوكل عن الرجل والمرأة غيرهما، وهذا يُحوِجُ إلى تقدير الآية هكذا: وإن خفتم شقاق بينهما فمروهما أن يوكِّلا وكيلين وكيلاً من أهله، ووكيلاً من أهلها، ومعلوم بُعد لفظ الآية ومعناها عن هذا التقدير وأنها لا تدل عليه بوجه، بل هي دالة على خلافه، وهذا بحمد اللَّه واضح، وبعث عثمانُ بن عفان عبد اللَّه بن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبي طالب وامرأته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، فقيل لهما: إن رأيتما أن تفرقا فرقتما.

وصحَّ عن عليِّ بن أبي طالبٍ أنه قال للحكمين بين الزوجين: عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما.

فهذا عثمان وعلي وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم جعلوا الحُكم إلى الحكمين ولا يُعرف لهم من الصحابة مخالف، وإنما يعرف الخلاف بين التابعين فمَنْ بعدهم واللَّه أعلم.

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ يرجع إلى من؟

ج: الضمير يرجع إلى الحكمين على قول أكثر أهل العلم.

س: ما مهمة الحكمين وما دورهما؟

ج: مهمتهما ودورهما: الإصلاح بين الزوجين ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً، وتذكير كل منهما بحق اللَّه ثم بحق صاحبه عليه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة، وتذكير الزوجة بما لزوجها من حق عليها، وتذكير الزوج بوصايا رسول اللَّه ﷺ في النساء من خفض الجناح لهن والصبر عليهن وتقويمهن برفق ولين.

ثم إن رأى الحكمان أن يجمعا بين الزوج وزوجته نفذ قولهما عند الجميع لا نعلم مخالفًا في ذلك.

أما إذا رأى الحكمان التفريق بين الرجل وزوجته، ففي هذه المسألة خلاف: هل ينفذ قولهما بالتفريق أم لا؟

فذهب كثير من أهل العلم إلى أن السلطان يبعث الحكمين وحكمهما ماضٍ على الزوجين في الجمع والتفريق، وهذا القول هو قول أكثر أهل العلم، وقد نقل ابن كثير الإجماع على ذلك، باستثناء بعض من خالف، ويؤيده قول ابن عباس المتقدم ذكره في الآثار قريبًا[1].

وذهب آخرون إلى أن الذي يبعث الحكمين هو السلطان، ولكنه يبعثهما للإصلاح ومعرفة الظالم من المظلوم والشهادة على الظالم بظلمه، أما التفريق فليس إليهما، وهذا رأي الحسن البصري وقتادة وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ودليلهم: أن اللّه عز وجل قال: ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء:٣٥]، ولم يذكر التفريق.

بينما ذهب فريق ثالث من أهل العلم إلى أن الزوجين يبعثان الحكمين

(١) ابن كثير (١/ ٤٩٣).

بتوكيل منهما إياهما بالنظر بينهما، وليس لهما أن يعملا شيئًا في أمرهما إلا ما وكَّلاهما به.

والذي نراه من هذه الأقوال أولى بالصواب ـ واللَّه أعلم ـ هو:

أن الحكمين ـ إذا كانا مبعوثين من قِبل السلطان بمثابة قاضيين وارتضاهما الزوجان ـ لهما أن يجمعا أو يفرقا، هذا هو مقتضى عمل صحابة رسول اللَّه ﷺ كما قدمنا عن علي وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم.

أما إذا كان الحكمان مبعوثين من قِبل الزوجين أو من قِبل الناس فرأيهما نافذ في الجمع، لقوله تعالى: ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾، غير نافذ في التفريق إذ إن الطلاق بيد الزوج واللَّه تعالى أعلم بالصواب.

تنبيهات:

١ ـ إذا اختلف الحكمان فلا عبرة بقول أحد منهما، نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك (نقل ذلك عنه ابن كثير ـ رحمه اللَّه)[١].

٢ ـ بعث الحكمين إلى الزوجين يكون في حالة إشكال الأمر بينهما وعدم تبين المسيء منهما.

أما إذا عرف المسيء فإنه يؤخذ لصاحبه الحق منه، أشار إلى ذلك الشوكاني في «فتح القدير»[٢].

٣ ـ إذا لم يتوفر حكمان من أهل الزوجين كان الحكمان من غيرهم. أشار إلى ذلك الشوكاني في «فتح القدير».

٤ ـ بيَّنَّا أن بعض أهل العلم حمل الخوف في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ**

---

(١) ابن كثير (١/ ٢٩٣).

(٢) «فتح القدير» (١/ ٤٦٣).

خِفْتُمْ﴾ على العلم، فقال: وإن علمتم، بينما أجراه بعض أهل العلم على ظاهره واستنبط من الآية العمل بسد الذرائع، قال: لأن اللَّه تعالى أمر ببعثة الحكمين عند خوف الشقاق قبل وقوعه، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾؟

ج: وجه ذلك: أن هذا خبرٌ يُراد منه الحض على إصلاح النوايا، نوايا الحكمين، ونوايا الزوجين، فليحسن الحكمان نواياهما وليحسن الزوجان النوايا كذلك، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(واعبدوا اللَّه ـ إحسانًا ـ ذي القربى ـ الجار ذي القربى ـ الجار الجنب ـ الصاحب بالجنب ـ ما ملكت أيمانكم ـ مختالاً ـ فخورًا).

ج:

الكلمة	معناها
واعبدوا اللَّه	اخضعوا للَّه ـ وحدوا اللَّه ـ أطيعوا اللَّه ـ أفردوه بالألوهية والربوبية ـ أخلصوا للَّه بالخضوع والطاعة والذلة ـ وذلك بالانتهاء إلى أمره، والانزجار عن نهيه، ولا تجعلوا له في العبودية والربوبية شريكًا تعظمونه تعظيمكم إياه.
إحسانًا	برًا.
وبالوالدين إحسانًا	أي: أحسنوا إلى الوالدين إحسانًا[1].
ذي القربى	قرابة الشخص من جهة أمه وأبيه.

(١) قال أبو المظفر السمعاني في «تفسيره»: ومن الإحسان بالوالدين لين الجانب وألا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يجبه بالرد ويكون لهما كالعبد الذليل لسيده.

الجار ذي القربى	الجار الذي بينك وبينه قرابة[١] .
الجار الجنب	الجار الذي لا قرابة بينك وبينه[٢] . ومنه قولهم فلان أجنبي أي: بعيد، ومنه إطلاق الجنب على من به جنابة لبعده عن الصلاة واعتزاله لها حتى يغتسل، ومنه أيضًا قول الشاعر: أتيت حُريثًا زائرًا عن جنابةٍ فكانَ حُرَيثٌ عن عطائي جامدًا
الصاحب بالجنب	هوالرفيق في السفر، وهذا قول أكثر أهل العلم، ومنهم من قال: إنها الزوجة. وقول ثالث: إنه الرفيق الذي يُلازمك، كالطلاب، والسائقين، والحاشية التي تصاحب الشخص، ونحو هؤلاء[٣] .

(١) صح عن قتادة عند «الطبري» (٩٤٤٣) أنه قال: ﴿والجار ذي القربى﴾ إذا كان له جار له رحم فله حقَّان اثنان: حق القرابة، وحق الجار.

(٢) وصح عن قتادة عند «الطبري» (٤٩٤٩) أنه قال: ﴿والجار الجنب﴾: الذي ليس بينهما قرابة، وهو جار، فله حق الجوار.

(٣) قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن معنى الصاحب بالجنب: الصاحب إلى الجنب، كما يقال: (فلان يجنب فلانًا) وإلى جنبه وهو من قولهم: (جنب فلان فلانًا فهو يجنبه جنبًا) إذا كان لجنبه، ومن ذلك (جنب الخيل) إذا قاد بعضها إلى جنب بعض.

وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر والمرأة، والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه؛ لأن كلهم يجنب الذي هو معه، وقريب منه وقد أوصى اللَّه تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب. =

ابن السبيل	المسافر الذي يجتاز مارًا، يمر عليك وهو مسافر قال بعض العلماء: وإن كان في الأصل غنيًا. ومن أهل العلم من قال: إنه لضيف.
ما ملكت أيمانكم	أي: ما ملكتم من الأرقاء (العبيد والإماء).
مختالاً فخوراً	مفتخرًا على العباد.

* * *

س: هل هذه الآية منسوخة ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ...﴾؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

أجمع العلماء على أن هذه الآية من المُحْكَم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعُرف ذلك من جهة العقل، وإن لم ينزل به الكتاب.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في الحث على بر الوالدين والإحسان إليهما.

ج: قدمنا طرفًا من ذلك في تفسير سورة البقرة[1] عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ وهذا مزيدٌ:

= أن يكون داخلاً فيه كل من جنب رجلاً بصحبة في سفر أو نكاحٍ أو انقطاع إليه واتصال به، ولم يكن اللَّه جل ثناؤه خصَّ بعضهم مما احتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يُقال: جميعهم معنيون بذلك، وكلهم قد أوصى اللَّه بالإحسان إليه.

(١) انظر كتابنا «التسهيل لتأويل التنزيل» تفسير سورة البقرة (٢/ ٥٧).

وقد قدمنا أيضًا شيئًا كثيرًامما يتعلق بهذه الآية الكريمة كلاً في موطنه الأليق به.

• أخرج الإمام البخاري في «صحيحه»[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول اللّـه ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرةٌ من الجبل، فأطبقتْ عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها للّه صالحة فادعوا اللّه بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللّهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صِبيةٌ صغارٌ كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجرُ فما أتيتُ حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبتُ كما كنت أحلُبُ، فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما، أكرَهُ أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدميَّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فُرجةً نَرَى منها السماء، ففرج اللّه لهم فُرجةً حتى رأوا منها السماء.

وقال الثاني: اللّهم إنه كانت لي ابنة عمٍّ أحبها كأشد ما يحب الرجالُ النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها فلما قَعدتُ بين رجليها قالت: يا عبدَ اللّه، اتق اللّه ولا تفتَح الخاتمَ إلا بحقه؛ فقمت عنها، اللّهم فإن كنت تعلم أني قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها. ففرج لهم فُرجة.

وقال الآخر: اللّهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فَعَرَضتُ عليه حقه، فتركه ورغبَ عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها فجاءني وقال: اتق اللّه ولا تظلمني وأعطني حقي

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٠٤).

فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها، فقال: اتق اللَّه ولا تهزأ بي. فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق، فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج اللَّه عنهم».

● وأخرج مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أُسير بن جابر رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أُوَيْسُ بنُ عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويسُ بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد ثم من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك بَرَصٌ فبرأتَ منه إلا موضع دِرْهَم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قَرنَ كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَر، لو أقسم على اللَّه لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غَبراء الناس أحبُّ إليَّ، قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على اللَّه لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، فأتى أويسًا فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس

(١) مسلم (٥/٤٠٣).

فانطلق على وجهه، قال أُسير: وكَسَوْتُهُ بردة فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟!

● وأخرج البخاري ومسلم [١] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثةٌ: عيسى ابن مريم، وصاحب جُريج، وكان جُريج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعةً، فكان فيها فأتته أمهُ وهو يُصلِّي فقالت: يا جُريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جُريج، فقال: يا رب، أمي وصلاتي فأقبَلَ على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يُصلي فقالت: يا جُريج، فقال: أي رب، أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته، فقالت: اللَّهم لا تُمتهُ حتى ينظر إلى وجوهِ المومسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بَغيٌّ يُتمثل بحسنها فقالت: إن شِئْتُم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفِت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جُريج. فأتوه فاستنزَلُوهُ وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه! فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البَغيّ فولدت منك. فقال: أين الصبيُّ؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي. فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام، من أبوك؟ قال: فلانٌ الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يُقبِّلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

* * *

(١) البخاري (٦/ ٤٧٦)، ومسلم (٥/ ٤١٤).

س: إذا كان الوالدان كافرين هل يصلهما ولدهما؟

ج: نعم يصلهما ولدهما؛ وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقال اللَّه عز وجل: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وقال اللَّه عز وجل: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ..﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

• وأخرج البخاري ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ في عهد رسول اللَّه ﷺ فاستفتيت رسول اللَّه ﷺ قلت: إن أمي قَدِمَت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك»[1].

* * *

س: اذكر بعض الوارد في بيان حق الجار والحث على الإحسان إليه.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.

(١) البخاري مع «الفتح» (٥/ ٢٣٣)، ومسلم (٣/ ٤١).

● ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[١].

وقد ورد هذا الحديث من عدة طرق عن رسول اللَّه ﷺ.

● ومن الوارد أيضًا قول رسول اللَّه ﷺ: «**خير الأصحاب عند اللَّه خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند اللَّه خيرهم لجاره**»[٢].

● وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره**»[٣].

● وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»[٤].

● وها هو رسول اللَّه ﷺ يحث على الإهداء للجارة فيقول: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسنَ شاة**»[٥].

● وحتى الجار اليهودي يُهدى إليه، أخرج الترمذي وأبو داود والبخاري[٦] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من طريق مجاهد: أن عبد اللَّه بن عمرو ذُبحت له شاة في أهله فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار**

---

(١) البخاري (حديث ٦٠١٤)، ومسلم (حديث ٢٦٢٤).

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (ص٣٣٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٤٢) بتحقيقي.

(٣) البخاري (حديث ٦٠١٨)، ومسلم (حديث ٤٧) (ص٦٨).

(٤) مسلم (ص ٢٠٢٥).

(٥) الحديث عند البخاري (٦٠١٧) ومسلم (١٠٣٠). ومعناه: لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئًا ولو أن تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب، وهو «فرسن»: حافر شاة.

(٦) الترمذي (حديث ١٩٤٣)، وأبو داود (٥١٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥).

حتى ظننت أنه سيورِّثه».

• وفي «الصحيح» كذلك من حديث أبي شريح العدوي قال: سمعت أُذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره...**»[١]

• وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَمْنَع جارٌ جاره أن يغرز خَشَبَة في جداره**» ثمَّ يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرْمِيَنَّ بها بَيْنَ أكتافِكُم.

• وفي «الصحيح» من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ: إن لي جارين فإلى أيهما أُهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»[٣].

• وانظر إلى عقوبة من خان الجار في أهله:

في «الصحيحين»[٤] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**».

• وفي «الصحيح»[٥]: أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**».

---

(١) البخاري (حديث ٦٠١٩)، ومسلم (حديث ٤٨).

(٢) البخاري (حديث ٢٤٦٣)، ومسلم (حديث ١٦٠٩).

(٣) البخاري (حديث ٦٠٢٠).

(٤) البخاري (حديث ٤٤٧٧)، وانظر أطرافه هناك، ومسلم (حديث ٨٦).

(٥) البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» (حديث ٦٠١٦)، مسلم (حديث ٤٦).

• وفي رواية لمسلم: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**».

• وفي «مسند الإمام أحمد»[١] من حديث المقداد بن الأسود قال: قال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرَّمه اللَّه ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: فقال: فما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرمها اللَّه ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**».

* * *

س: لماذا ورد مزيدٌ من الحث على إكرام الجار؟

ج: ورد هذا الحث على إكرام الجار؛ لكونه ابتداءً من مكارم الأخلاق، ولما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة؛ ولأن الجار قريب من أذى جاره وسدِّ خلته وحاجته، وأسرع إلى إجابة لهفته وإغاثته، وأعلم بما يدخل إلى جاره وما يخرج من عنده.

* * *

س: هل يُكرم الجار المشرك ويُحسن إليه أم لا؟

ج: نعم يُكرم الجار المشرك ويُحسن إليه لعموم الوصية بالجار، فالآية الكريمة ﴿**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ لم تُقيد الجار بقيد الإيمان بل هي عامة.

وكذلك قول النبي ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار..**» لم يقيد بالجار المؤمن، وكذا عموم النصوص.

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ٨)، وإسناده صحيح.

وقد تقدم في هذا الباب أثر عبد اللَّه بن عمرو، وفيه: أنه حثَّ على الإهداء لجاره اليهودي.

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: قال العلماء: الأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة، حتى الكافر كما بينا.

* * *

س: لماذا نسب الملك إلى اليمين؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

أضاف «الملك» إلى «اليمين»، كما يقال: «تكلم فوك»، و«مشت رجلك»، و«بطشت يدك»، بمعنى: تكلمت، ومشيت، وبطشت، غير أن ما وصف به كل عضو من ذلك فإنما أضيف إليه ما وُصف به؛ لأنه بذلك يكون في المتعارف في الناس دون سائر جوارح الجسد، فكان معلومًا بوصف ذلك العضو بما وصف به من ذلك المعنى المراد من الكلام.

فكذلك قوله: ﴿**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾، لأن مماليك أحدنا تحت يديه، إنما يطعم ما تُناوله أيماننا، ويكتسي ما تكسوه، وتصرِّفه فيما أحبَّ صرفه فيه بها، فأضيف ملكهم إلى «الأيمان» لذلك.

* * *

س: لماذا خُتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾؟

ج: ذلك واللَّه أعلم؛ لأن المختال يأنف من ذوي قراباته، ومن جيرانه إذا كانوا فقراء. أما الفخور فيفتخر عليهم ويُعدِّد عليهم صنائع الإحسان التي أسداها إليهم.

قال صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «فتح البيان»:

وخص هاتين الصفتين؛ لأنهما يحملان صاحبهما على الأنفة مما ندب اللَّه إليه في هذه الآيـة يعني: يأنف من أقاربه الفـقراء، ومن جيـرانه الضعـفاء، وغيرهم، ولا يلتفت إليهم، ومن كان متكبراً لا يقوم بحقوق الناس.

* * *

س: اذكر بعض ما ورد في ذم الكبر والخيلاء.

ج: أما الآيات الكريمات الواردة في ذلك فهذا بعضها:

- قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾.
- وقـوله تـعـالى: ﴿**فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾.
- وقوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾.
- وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾.
- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾.
- أما الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ فمنها:
- قول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبر**»[1].
- وقول النبي ﷺ: «**من جرَّ ثوبه مخيلة لم ينظر اللَّه إليه يوم القيامة**»[2].
- وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) مسلم (حديث ٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٥٧٩١)، ومسلم (ص ١٦٥٢).

(٣) البخاري (حديث ٥٧٨٩)، ومسلم (حديث ٢٠٨٨).

«**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه مُرَجِّل جُمته، إذ خسف اللَّه به؛ فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».

وأخرج الإمام أحمد[1] بإسنادٍ صحيح عن مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير قال: بلغني عن أبي ذر حديث، فكنت أحب أن ألقاه، فلقيته، فقلت له: يا أبا ذر، بلغني عنك حديث فكنت أحب أن ألقاك، فأسألك عنه فقال: قد لقيت فاسأل.

قال: قلت: بلغني أنك تقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ثلاثة يحبهم اللَّه عز وجل، وثلاثة يبغضهم اللَّه عز وجل**» قال: نعم، فما إخالني أكذب على خليلي محمد ﷺ ـ ثلاثًا يقولها ـ.

قال: قلت من الثلاثة الذين يحبهم اللَّه عز وجل؟ قال: رجل غزا في سبيل اللَّه فلقي العدو مجاهدًا محتسبًا فقاتل حتى قتل، وأنتم تجدون في كتاب اللَّه عز وجل ﴿**إن اللَّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا**﴾، ورجل له جار يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه اللَّه إياه بموت أو حياة، ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتى يشق عليهم الكرى أو النعاس، فينزلون في آخر الليل فيقوم إلى وضوئه وصلاته.

قال: قلت من الثلاثة الذين يبغضهم اللَّه عز وجل؟ قال: الفخور المختال، وأنتم تجدون في كتاب اللَّه عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾، والبخيل المنان، والتاجر والبياع الحلاف.

قال: قلت: يا أبا ذر، وما المال؟ قال: فرق لنا وذرد. يعني بالفرق غنمًا

---

(١) أحمد في المسند (٥/١٧٦)، وله طرقٌ أخر في المسند (٥/١٥١ ـ ١٥٣)، وانظر أيضًا الترمذي (٢٥٦٨).

يسيـرة، قال: قلت: لست عن هذا أسأل، إنما أسـألك عن صامت المال؟ قال: ما أصـبح لا أمسى وما أمسى لا أصبح، قـال: قلت: يا أبا ذر ما لك ولإخوتك من قريش؟ قال: واللَّه لا أسألهم دنيـا ولا أستفتيهم عن دين اللَّه تبارك وتعالى حتى ألقى اللَّه ورسوله. ثلاثًا يقولها.

* * *

الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث.

٣ ـ فهرس الموضوعات.

• فهرس الآيات •

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
فمن الناس من يقول ربنا	٢٠	٣٥١
الذين ينقضون عهد اللَّه	٢٧	٢٢
يُذَبِّحون أبناءكم	٤٩	٧٤
فتوبوا إلى بارئكم	٥٤	٣٣٢
وما اللَّه بغافل عمَّا تعملون	٧٤	٢٦
أولا يعلمون أن اللَّه يعلم	٧٧	٢٦
وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل	٨٣	٤٠١
الذين آتيناهم الكتاب	١٤٦	٤١٤
فمن اضطر غير باغ ولا عاد	١٧٣	٣٢٧
إن الذين يكتمون ما أنزل اللَّه	١٧٤	١٣٥
كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت	١٨٠	١١٧
يريد اللَّه بكم اليسر	١٨٥	٣٢٧
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	١٨٨	٩٧
كتب عليكم القتال	٢١٦	٢٤٥
ويسألونك عن اليتامى	٢٢٠	٣٨ ـ ٣٩
وإن تخالطوهم فإخوانكم	٢٢٠	١١١ ـ ١٣٤
ولا تنكحوا المشركات	٢٢١	٣٠٣

ولهن مثل الذي عليهن	٢٢٨	٢٤٣
وللرجال عليهن درجة	٢٢٨	٣٦٦ـ٢٦٨
فإمساك بمعروف	٢٢٩	٣٧٧ـ٢٥٨
ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا	٢٢٩	٢٥١
فإن خفتم ألا يقيما حدود اللَّه	٢٢٩	٢٥٢
فإن طلقها فلا تحل له من بعد	٢٣٠	٢٦١
ولا تمسكوهن ضراراً	٢٣١	٢٧٤
واتقوا اللَّه واعلموا	٢٣١	٢٦
والوالدات يرضعن أولادهن	٢٣١	٢٨٦
وعلى الوارث مثل ذلك	٢٣٣	٣٧٩
فإذا بلغن أجلهن	٢٣٤	٣٢
واللَّه بما تعملون خبير	٢٣٤	٢٦
واعلموا أن اللَّه يعلم	٢٣٥	٢٦
فنصف ما فرضتم	٢٣٧	٨٩
ولا تنسوا الفضل بينكم	٢٣٧	٢٦
وللمطلقات متاع بالمعروف	٢٤١	١١٩
قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	٢٤٩	٣٧٤
مثل الذين ينفقون أموالهم	٢٦١	٤٣٠
يا أيها الذين آمنوا	٢٦٤	٤٢٣
فإن لم يكونا رجلين	٢٨٢	٧٦
فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا	٢٨٢	٩٥
واستشهدوا شهيدين	٢٨٢	٢١٣
لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها	٢٨٦	٩٩ـ٣٢٦

سورة آل عمران

وليس الذكر كالأنثى	٣٦	٣٦٨
وإني أعيذها بك وذريتها	٣٦	١٣١
ومن دخله كان آمنًا	٩٧	٣٧٢
يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه	١٠٢	٢٧
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا	١٣٠	٣٦ ـ ٢٩٣
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم	١٣٣	٣٢٦
ولقد كنتم تمنون الموت	١٤٣	١٣٥
يقولون بأفواههم	١٦٧	١٣٧
ولا يحسبن الذين يبخلون	١٨٠	٤١٧ ـ ٤١٩

سورة النساء

يا أيها الناس اتقوا ربكم	١	٧، ١١، ٢٧ ، ٢٨
وخلق منها زوجها	١	١١
واتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام	١	١٦
وآتوا اليتامى أموالهم	٢	٣٠، ٣١، ٥١
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب	٢	٣٢
ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم	٢	٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ١٣٦
إنه كان حوبًا كبيراً	٢	٤٠
وإن خفتم ألا تقسطوا	٣	٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥٠، ٥٦، ٧٣، ٧٥، ٨٠
فانكحوا ما طاب لكم	٣	٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٨٤

مثنى وثلاث ورباع	٣	٥٠
فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة	٣	٤٥، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨١
أو ما ملكت أيمانكم	٣	٤٣، ٧٢، ٣٠٢
ذلك أدنى ألا تعولوا	٣	٨٠
وآتوا النساء صدقاتهن	٤	٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥
فإن طبن لكم عن شيء	٤	٨٩، ٩٣
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم	٥	٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١
وارزقوهم فيها	٥	٩٩، ١٠١
وابتلوا اليتامى	٦	٣١، ١٠٣
حتى إذا بلغوا النكاح	٦	١٠٥
ولا تأكلوها إسرافًا	٦	١٠٥
ومن كان غنيًا فليستعفف	٦	١٠٧، ١١٠
ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف	٦	١٠٩، ١١٢، ١٣٤
وكفى باللَّه حسيبًا	٦	١١٤
للرجال نصيب مما ترك	٧	١١٥، ١١٦
وإذا حضر القسمة	٨	٣٦، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧
وقولوا لهم قولاً معروفًا	٨	١٢٨
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية	٩	١٢٩، ١٣١، ١٣٢
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا	١٠	٣٨، ٣٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦
يوصيكم اللَّه في أولادكم	١١	١١٦، ١١٨، ١٤٣،

		١٤٦، ١٤٧، ٢٠٧، ٢٧٣
للذكر مثل حظ الأنثيين	١١	١٨٤
فإن كن نساء فوق اثنتين	١١	١٤٨، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠
وإن كانت واحدة فلها النصف	١١	١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ٢٠١
ولأبوية لكل واحد منهما السدس	١١	١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٨٢، ١٩٦، ٢٠٣
فإن لم يكن له ولد	١١	١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٧٣
فإن كان له إخوة فلأمه السدس	١١	١٥٦، ١٥٩، ١٧٤، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٩
من بعد وصية يوصي بها	١١	١٦٥، ١٦٧
لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا	١١	١٦٧
ولكم نصف ما ترك أزواجكم	١٢	١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٩٣، ١٩٤
فإن كان لهن ولد فلكم الربع	١٢	٢٠٠
ولهن الربع مما تركتم	١٢	١٦٩، ١٩٥، ١٩٦
فإن كان لكم ولد فلهن الثمن	١٢	٢٠٣
وإن كان رجل يورث كلالة	١٢	١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠
فإن كانوا أكثر من ذلك	١٢	١٧٢، ١٧٣، ١٧٤
فهم شركاء في الثلث	١٢	١٨٥
من بعد وصية يوصى بها أو دين	١٢	٢٦٤
وصية من اللَّه	١٢	٢٠٥
تلك حدود اللَّه	١٣	٢٠٦
ومن يعص اللَّه ورسوله	١٤	٢٠٦

واللاتي يأتين الفاحشة	١٥	٢١٢
أربعة منكم	١٥	٢١٠
أو يجعل اللَّه لهن سبيلاً	١٥	٢١٢
واللذان يأتيانها منكم	١٦	٢١٥
فإن تابا وأصلحا	١٦	٢١٦، ٢١٨
إنما التوبة على اللَّه	١٧	٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١
يعملون السوء بجهالة	١٧	٢١٩
وليست التوبة للذين يعملون السيئات	١٨	٢٢١
أولئك أعتدنا لهم	١٨	٣٣٦
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا	١٩	٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٣٤
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن	١٩	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة	١٩	٢٣٠
وعاشروهن بالمعروف	١٩	٦٦، ٢٤٣
فإن كرهتموهن	١٩	٢٤٧
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج	٢٠	٦٢، ٢٤٩، ٢٥٢
وآتيتم إحداهن قنطاراً	٢٠	٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥
فلا تأخذوا منه شيئًا	٢٠	٢٥١، ٢٥٢
وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض	٢١	٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٧
وأخذن منكم ميثاقًا	٢١	٢٥٠
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء	٢٢	٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٩
إلا ما قد سلف	٢٢	٢٦١
إنه كان فاحشة ومقتًا	٢٢	٢٥٩، ٢٦٢
حرمت عليكم أمهاتكم	٢٣	٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٠

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم	٢٣	٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦
وأمهات نسائكم	٢٣	٢٨٩، ٢٩١
وربائبكم اللاتي في حجوركم	٢٣	٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٤
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن	٢٣	٢١٣
وحلائل أبنائكم	٢٣	٢٧٤، ٢٨٩، ٢٩٤
وأن تجمعوا بين الأختين	٢٣	٢٥٨، ٢٩٥، ٢٩٦
إلا ما قد سلف	٢٣	٢٩٩
والمحصنات من النساء	٢٤	٣٠٠، ٣٠١
إلا ما ملكت أيمانكم	٢٤	٣٠٢
وأحل لكم ما وراء ذلكم	٢٤	٢٧٣، ٣٠٩
فما استمتعتم به منهن	٢٤	٦٢، ٨٥، ٣٠٤
ولا جناح عليكم	٢٤	٣٠٤
ومن لم يستطع منكم طولاً	٢٥	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩
فمن ما ملكت أيمانكم	٢٥	٣٠٦، ٣٠٨
فتياتكم المؤمنات	٢٥	٣٠٩
والله أعلم بإيمانكم	٢٥	٣١٠
وآتوهن أجورهن	٢٥	٨٥، ١١٠
محصنات غير مسافحات	٢٥	٣٠٠
فإذا أحصن	٢٥	٣١١
فإن أتين بفاحشة	٢٥	٣١٦
فعليهن نصف ما على المحصنات	٢٥	٣١٢
ذلك لمن خشي العنت منكم	٢٥	٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨
وأن تصبروا خير لكم	٢٥	٣٠٨، ٣١٨، ٣١٩
يريد الله ليبين لكم	٢٦	١٠، ٣٢٠
ويهديكم سنن	٢٦	٣٢١

واللَّه يريد أن يتوب عليكم	٢٧	٣٢١
ويريد الذين يتبعون الشهوات	٢٧	٣٢٢، ٣٢٣
يريد اللَّه أن يخفف عنكم	٢٨	٣٢٣، ٣٢٧
وخلق الإنسان ضعيفًا	٢٨	١٠، ٣٢٤، ٣٢٥
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم	٢٩	٣٣١، ٣٣٥
ولا تقتلوا أنفسكم	٢٩	٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧
إن اللَّه كان بكم رحيمًا	٢٩	٣٣٤
ومن يفعل ذلك	٣٠	٣٣٦
فسوف نصليه نارًا	٣٠	٣٣٦
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	٣١	١٠، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٦
وندخلكم مدخلاً كريمًا	٣١	٣٤٠
ولا تتمنوا ما فضل اللَّه به	٣٢	٣٤٩، ٣٥١، ٣٦٨
للرجال نصيب مما اكتسبوا	٣٢	٣٤٨، ٣٤٩
واسألوا اللَّه من فضله	٣٢	٣٤٨
إن اللَّه كان بكل شيء عليمًا	٣٢	٣٤٩، ٣٥٠
ولكل جعلنا موالي	٣٣	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦١
والذين عقدت أيمانكم	٣٣	٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١
فآتوهم نصيبهم	٣٣	٣٥٨، ٢٥٩، ٣٦٢
الرجال قوامون على النساء	٣٤	١٤٨، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠
بما فضل اللَّه بعضهم على بعض	٣٤	٣٧١
وبما أنفقوا من أموالهم	٣٤	٣٦٩، ٣٧٠
فالصالحات قانتات	٣٤	٣٧٢
بما حفظ اللَّه	٣٤	٣٧٣

واللاتي تخافون نشوزهن	٣٤	٣٧٣
فعظوهن واهجروهن	٣٤	٣٨٩
واهجروهن في المضاجع	٣٤	٣٨٥
واضربوهن	٣٤	٣٨٧
فإن أطعنكم	٣٤	٣٩٠
فلا تبغوا عليهن سبيلاً	٣٤	٣٩٠
وإن خفتم شقاق بينهما	٣٥	٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣
إن يريدا إصلاحًا	٣٥	٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧
إن اللَّه كان عليمًا خبيرًا	٣٥	٣٩٨
واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به	٣٦	٢٠، ٣٩٩، ٤٠١
والجار ذي القربى	٣٦	٤٠٥، ٤٠٨
وما ملكت أيمانكم	٣٦	٤٠٩
إن اللَّه لا يحب من كان مختالاً فخورًا	٣٦	٤٠٩، ٤١٠
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٣٧	٤١٣
وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا	٣٧	٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٣
والذين ينفقون أموالهم	٣٨	٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤
ومن يكن الشيطان له قرينًا	٣٨	٤٢٥
وماذا عليهم لو آمنوا باللَّه	٣٩	٤٢٥
إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة	٤٠	١٠
إن اللَّه لا يظلم الناس شيئًا	٤٠	٤٢٧
وإن تك حسنة	٤٠	٤٢٧، ٤٢٨
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	٤١	٤٢٩
يود الذين كفروا	٤٢	٤٣١
ولا يكتمون اللَّه حديثًا	٤٢	٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣
ولم تجدوا ماء فتيمموا	٤٣	٤٢٧

إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به	٤٨، ١١٦	١٠، ١٣٧، ٢٠٦، ٢٢٠، ٣٤٥
والذين آمنوا باللَّه ورسله	٥٢	١٠
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم	٦٤	١٠
ودوا لو تكفرون	٨٩	٣٢٣
يستخفون من الناس	١٠٨	٢٧
ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه	١١٠	١٠، ٣٢٨
ويستفتونك في النساء	١٢٧	٤٨، ٧٤
وترغبون أن تنكحوهن	١٢٧	٤٨
وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً	١٢٨	٧٠
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء	١٢٩	٥٨
فلا تتبعوا الهوى	١٣٥	٦٦
يستفتونك قل اللَّه يفتيكم	١٧٦	١١٦، ١٥٠، ١٩٣
إن امرؤ هلك ليس له ولد	١٧٦	١٧٠
فإن كانتا اثنتين فلهما	١٧٦	١٤٩، ١٩٠، ١٩٥
وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً	١٧٦	١٤٧، ١٨٤

سورة المائدة

اليوم أحل لكم الطيبات	٥	٣٠٧
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب	٥	٣٠٩
ولا يجرمنكم شنئان قوم	٨	٦٦
والسارق والسارقة	٣٨	١٥٨

سورة الأنعام

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا	٢٣	٤٣١
واللَّه ربنا ما كنا مشركين	٢٣	٤٣٢
ياليتنا نرد	٢٧	٤٣٢
ولا طائر يطير بجناحيه	٣٨	١٣٧

ولا أخاف ما تشركون به	٨٠	٣٧٣
فمن أظلم ممن افترى على اللَّه	١٤٤	٦٠
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم	١٥١	١٣٦
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق	١٥١	٢٩٢
يوم يأتي بعض آيات ربك	١٥٨	٢٢٢
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	١٦٠	٤٢٨

سورة الأعراف

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	٢٦	١٦٣
وما يكون لنا أن نعود فيها	٨٩	٣٧٣
الذين يتبعون الرسول	١٥٧	٤١٥
هو الذي خلقكم من نفس واحدة	١٨٩	١٤
ورحمتي وسعت كل شيء	٢٥٦	٣٢٧

سورة الأنفال

فاضربوا فوق الأعناق	١٢	١٤٩
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض	٧٥	١٩٢، ١٩٨، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٢

سورة التوبة

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٢٣	٤٠٥
وإن خفتم عيلة	٢٨	٧٧
والذين يكنزون الذهب والفضة	٣٤	٤١٨

سورة يونس

وما تكون في شأن	٦١	٢٧
حتى إذا أدركه الغرق	٩٠	٢٢٢

سورة هود

ألا إنهم يثنون صدورهم	٥	٢٧

سورة يوسف

وإلا تصرف عني كيدهن	٣٣	٣٧٣
قال أحدهما	٣٦	١٣٥
الآن حصحص الحق	٥١	١٢٠
يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر	٨٨	١٢٠

سورة الرعد

والذين يصلون ما أمر اللَّه به	٢١	٢٠

سورة إبراهيم

أفي اللَّه شك	١٠	٣٢٨

سورة النحل

إنه لا يحب المستكبرين	٢٣	٤١٠
ما كنا نعمل من سوء	٢٨	٤٣٢
ادخلوا أبواب جهنم	٢٩	٤١٠
ليكفروا بما آتيناهم	٥٥	٤٦
ولو يؤاخذ اللَّه الناس	٦١	٣٢٦
إلا من أكره وقلبه مطمئن	١٠٦	٣٢٧

سورة الإسراء

وكان الإنسان عجولاً	١١	٣٢٥
ولا تقل لهما أفٍّ	٢٣	٣٦
ولا تبذر تبذيراً	٢٦	٩٦
وآت ذا القربى حقه	٢٦	١٢١
وإما تعرضَن عنهم	٢٨	١٠٢
ولا تجعل يدك مغلولة	٢٩	٩٦، ٤١٨
ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق	٣١	٣٢٥
إنه كان فاحشة وساء سبيلاً	٣٢	٢٦٢
ولا تقربوا مال اليتيم	٣٤	٣٨

سورة الكهف

فمن شاء فليؤمن	٢٩	٤٦
وقالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب	٤٩	٤٢٦
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة	٤٩	١٦٥
أما السفينة فكانت لمساكين	٧٩	٢٤٥
وأما الجدار فكان لغلامين	٨٢	١٣١

سورة طه

إني معكما أسمع وأرى	٤٦	٢٦
فلا تسمع إلا همسًا	١٠٨	٤٣٢
نحن نرزقك	١٣٢	٥٨

سورة الأنبياء

وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً	٧	٣٦٩
ونضع الموازين القسط	٤٧	٤٢٦

سورة الحج

يا أيها الناس اتقوا ربكم	١	١١
ليشهدوا منافع لهم	٢٨	٢٦٤
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور	٤٦	١٣٧
وما جعل عليكم في الدين من حرج	٧٨	٣٢٦
ملة أبيكم إبراهيم	٧٨	١٦٢، ١٥٣

سورة المؤمنون

والذين هم لفروجهم حافظون	٥	٢٩٧
فلا أنساب بينهم	١٠١	٤٣٠

سورة النور

الزانية والزاني	٢	٢١٢
والذين يرمون المحصنات	٤	٣٠٠
لا تحسبوه شرًا لكم	١١	٢٤٥
لولا إذ سمعتموه	١٢	٣٣٢

يوم تشهد عليهم ألسنتهم	٢٤	٤٣٠
وتوبوا إلى اللَّه جميعًا	٣١	٣٢٨
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا	٣٣	٥٧
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء	٣٣	٢٩٢
فمنهم من يمشي على بطنه	٤٥	٤٣
ليس على الأعمى حرج	٦١	٩٣
ولا على أنفسكم	٦١	١١١
فسلموا على أنفسكم	٦١	٩٧، ٣٣٢

سورة الفرقان

والذين إذا أنفقوا	٦٧	٩٦، ٤١٨
والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر	٦٨	٣٤٤
إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا	٧٠	٢٢٠
فألقي السحرة ساجدين	٦	٣٢
الذي خلقني فهو يهدين	٧٨	١٤
وتوكل على العزيز الرحيم	٢١٧	٢٦

سورة القصص

ما خطبكما قالتا لا نسقي	٢٣	٢١٤
إني أريد أن أنكحك	٢٧	٢٥٥
يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون	٧٩	٣٥١
ويلكم ثواب اللَّه خير	٨٠	٣٥١

سورة العنكبوت

وإن جاهداك لتشرك بي	٨	٤٠٥

سورة الروم

ليكفروا بما آتيناهم	٣٤	٤٦

سورة لقمان

يا بني إنها إن تك مثقال حبة	١٦	٢٦، ٤٢٦
إن اللَّه لا يحب كل مختال فخور	١٨	٤١١

سورة الأحزاب

وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض	٦	١٩٢، ١٩٨، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٢
يا أيها النبي قل لأزواجك	٢٨	٣٧٦
من يأت منكن بفاحشة مبينة	٣٠	٣١٧
وقرن في بيوتكن	٣٣	٢١٤
فلما قضى زيد منها وطراً	٣٧	٢٩٤
لكي لا يكون على المؤمنين حرج	٣٧	٢٧٤
يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات	٤٩	٢٦٠
يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه	٧٠	٢٨

سورة فاطر

لا يقضى عليهم فيموتوا	٣٦	٤٢٨

سورة يس

اليوم نختم على أفواههم	٦٥	٤٣٢

سورة ص

هذا عطاؤنا فامنن	٣٩	٣١٧

سورة الزمر

خلقكم من نفس واحدة	٦	١٤
والذي جاء بالصدق	٣٣	٣٢٦
قل يا عبادي الذين أسرفوا	٥٣	٣٢٧، ٣٤٥
أليس في جهنم مثوى للمتكبرين	٦٠	٤١٠

سورة غافر

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا	٨٤	٢٢٢

سورة فصلت

فاستقيموا إليه	٦	٣٢٨
أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض	٩	٤٣٠
خلق الأرض في يومين	٩	٤٣١

وقالوا لجلودهم	٢١	٤٣٠

سورة الشورى

قل لا أسألكم عليه أجراً	٢٣	١٨
وهو الذي يقبل التوبة	٢٥	٣٢٨
وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠	٣٨٠
ولَمَنِ انتصر بعد ظلمه	٤١	٣٨٠

سورة الزخرف

وجعلها كلمة باقية في عقبه	٢٨	١١٩

سورة محمد

ذلك بأن اللَّه مولى الذين آمنوا	١١	٣٥٤
فهل عسيتم إن توليتم	٢٢	٢٢
ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه	٣٨	٤١٧

سورة الفتح

يقولون بألسنتهم	١١	١٣٧

سورة الحجرات

فأصلحوا بينهما بالعدل	٩	٤١
ولا تلمزوا أنفسكم	١١	٣٣٢
يا أيها الناس إنا خلقناكم	١٣	١٤

سورة الذاريات

وفي السماء رزقكم وما توعدون	٢٢	٥٨

سورة الطور

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم	٢١	١٦٨
وأقبل بعضهم على بعض	١٢٥	٤٣٠

سورة النجم

الذين يجتنبون كبائر الإثم	٣٢	٣٤٦

سورة القمر

وكل شيء فعلوه في الزبر	٥٢	٤٢٦

سورة الحديد

واللَّه لا يحب كل مختال	٢٣	٤١٠

سورة المجادلة

والذين يظاهرون من نسائهم	٣	٢١٣
لا تجد قومًا يؤمنون باللَّه	٢٢	٤٠٥

سورة الممتحنة

لا ينهاكم اللَّه عن الذين لم يقاتلوكم	٨	٢٥
يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات	١٠	٣٠٣، ٣١٠
ولا جناح عليكم أن تنكحوهن	١٠	٨٥

سورة الصف

إن اللَّه يحب الذين يقاتلون في سبيله	٤	٤١١

سورة الجمعة

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة	٩	٩٠

سورة التغابن

فاتقوا اللَّه ما استطعتم	١٦	٣٢٧

سورة الطلاق

ولا تضاروهن	٦	٣٧٧
لا يكلف اللَّه نفسًا إلا ما آتاها	٧	٣٢٦
لينفق ذو سعة من سعته	٧	٦٣، ٩٩، ١٠٠، ٣٧٦، ٣٧٧

سورة التحريم

إن تتوبا إلى اللَّه	٤	١٥٨
يا أيها الذين آمنوا توبوا	٨	٣٢٨

سورة القلم

إنا بلوناهم	١٧	٤١٨
ودوا لو تدهن	١٩	٣٢٣

سورة الحاقة

إني ظننت أني ملاق حسابيه	٢٠	٣٧٤

سورة المعارج

والذين هم لفروجهم حافظون	٢٩	٢٩٧، ٣٠٢

سورة نوح

استغفروا ربكم	١٠	٣٢٨

سورة الجن

وأما القاسطون	١٥	٤١

سورة المزمل

واستغفروا اللَّه	٢٠	٣٢٨

سورة المطففين

كلا إنهم عن ربهم	١٥	١٦٠

سورة الأعلى

سبح اسم ربك الأعلى	١	٤٢٢

سورة الشمس

والسماء وما بناها	٥	٤٣

سورة الزلزلة

فمن يعمل مثقال ذرة	٧	٤٢٦

• فهـرس الأحاديث •

طرف الحديث	الصفحة

حرف الألف

اتقوا الظلم	٤١٩
اثنان فما فوقهما جماعة	١٥٧
اجتنبوا السبع	٣٩، ١٣٦، ٣٤٣
اذهبوا فمن وجدتم	٤٢٦
اذهب فأفرغه عليك	٤٤٦
ارموا بني إسماعيل	١٦٢
افعلي ما يفعله الحاج	٤٣٩
اقرأ ابن حضير	١٣٢
اقرأ عليَّ	٤٢٩
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٣٨٠
الإشراك باللَّه	٣٤٤
البيعان بالخيار	٣٣٢
التي تسره إذا نظر	٣٦٧
الثلث والثلث كثير	١٦٧
الخالة بمنزلة الأم	١٢١
الدنيا متاع وخير متاعها	٥٦
الدَّيْن قبل الوصية	١٦٥
الرحم معلقة بالعرش	٢٣
الشرك باللَّه	٣٤٣
الضرار في الوصية	١٦٧
العلم ثلاثة	١٤١

الكبائر من أول سورة	٣٤١
المرأة عورة	٢١٤
اللَّهم إني أعوذ بك	٤٢٠ ، ٤٢١
الولد مبخلة مجبنة	١٨٢
أتي عبد اللَّه في امرأة	٤٢، ٨٨
أترون هذه طارحة؟	١٤٧
أتزوجت؟	٢٣٣
أحلتهما آية	٢٩٧
أحسنت	٣١٣
إذ انبعث أشقاها	٣٨٧
إذا استأذنت	٣٦٧
إذا باتت المرأة	٣٦٧
إذا دعا الرجل امرأته	٣٦٧
إذا زنت أمة أحدكم	٣١١، ٣١٥
إذا زنت فاجلدوها	٣١٣
إذا قام أحدكم	٤٣٧
إذا نكح الرجل المرأة	٢٩١
إذا ابن آدم	١٦٨
إذا ما رب النعم لم	٤٢٠
أرب ماله	٢١
أراه فلانًا	٢٧٧
أرضعيه	٢٨٦
أردت أمرًا	٣٦٦
أسلمت على ما سلف	٢١
أشياء تختلف عليّ	٤٣١
أطيعي أباك	٣٦٧
أظننت أن يحيف اللَّه عليك؟	٦٧

أعطوني ردائي	٤٢٠
أفضل الصدقة	٣٧٤
أقبل النبي ﷺ من نحو بئر	٤٦٠، ٤٦٤
أكبر الكبائر	٣٤٣
ألا إن آل أبي	٢٥
ألا واستوصوا بالنساء	٣٨٨
ألم تر أن اللَّه قال	١٣٧
ألحقوا الفرائض بأهلها	١٤٦، ١٥٦، ٣٦١
إلى أقربهما منك بابًا	٤٠٧
أما أهل النار	١٣٨
أو تحبين ذلك	٢٩٦
أيما رجل من أمتي	٤٣٩
إياكم والشح	٤١٦
أين أنا غدًا	٦٤، ٦٧
أن اللَّه عز وجل يقول يوم القيامة	١٥
أن النبي ﷺ يُقبّل بعض نسائه	٤٥٣
أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل	٤٤٥
أن النبي ﷺ نهى عن المتعة	٣٠٣
أن النبي ﷺ كان يطوف	٥٦
أن النبي ﷺ قضى بالدَّين	١٦٥
أن أفلح أخا أبي القعيس	٢٧٨
أن تجعل للَّه ندًا	٣٤٣، ٤٠٧
أن تطعمها إذا طعمت	٩٩، ٣٨٦
أن رجلاً كانت له يتيمة	٤٨
أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الشغار	٣٠٣
أن رسول اللَّه ﷺ يوم حنين بعث	٣٠٠
أن رسول اللَّه ﷺ أعتق صفية	٦٢، ٨٧

أن رجلاً من بني شمخ بن فزارة ٢٩١
أن عبد اللَّه بن عباس سئل عن رجل ٢٧٨
أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم ٥٥
أنها استعارت من أسماء قلادة ٤٦٥
أنها كانت تحت عبيد اللَّه ٦٢
أنه سمع ابن عمر سأله رجل ٢٨٢
إن اللَّه لا يظلم مؤمنًا حسنة ٤٢٧
إن اللَّه عز وجل ليرفع الدرجة للعبد ١٦٨
إن اللَّه كره لكم قيل وقال ٩٦
إن اللَّه خلق الخلق ٢٢
إن الرحم شجنة ٢٢
إن الشهر يكون تسعة وعشرين ٣٨٦
إن الشهر تسع وعشرون ٣٨٦
إن المسلم لا ينجس ٤٣٩
إن النساء سفهاء ١٠١
إن أحدكم يجمع خلقه ٥٨
إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ٤٢٤
إن إبليس يضع عرشه على الماء ٢٤٨
إن حيضتك ليست في يدك ٤٤١
إن رجلاً ممن كان قبلكم ٣٣٨
إن كنت فعلت فافعلي ١٢٠
إن لزوجك عليك حقا ٧١
إنما يكفيك أن تصنع هكذا ٤٥٨
إنما أنا قاسم ٣١٧
إنما الرضاعة من المجاعة ٢٨٦، ٢٨٠
إنما الناس كإبل ٢٤٦
إنما يلبس هذه ٢٥

إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك ٤٥٩
إنه ليس بك على أهلك ٩٦
إن هذا شيء كتبه اللَّه ٤٤١
إنها صفية ١١٣
إنهم خيروني أن يسألوني ٤٢٠
إني أجد في القرآن أشياء ٤٣٠
إني لا أحل المسجد لجنب ٤٣٨

حرف الباء

بالمعروف غير مسرف ١١٢
بايعوني على أن لا تشركوا ٣٤٥
بلغ عائشة أن عبد اللَّه بن عمرو يأمر النساء ٤٤٨
بين كل أذانين صلاة ١٥٣
بينما ثلاثة نفر ٤٠٢
بينما رجل يمشي ٤١١

حرف التاء

تأخذ إحداكن ماءها ٤٤٧
تزوج أبو طلحة أم سليم ٨٧
تزوج فإن خير هذه الأمة ٥٦
تستأمر اليتيمة ٧٣
تصدق رجل من ديناره ٢٨
تقدموا ٢٣٠

حرف الثاء

ثلاثة لا يكلمهم اللَّه ٣٥، ٣١٧
ثلاثة يحبهم اللَّه ٤١١
ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم ١٠١

حرف الجيم

جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال ١٠٨

جلس إحدى عشرة امرأة ٢٣٤

حرف الحاء

حرم من النسب سبع ٢٦٨

حرف الخاء

خذوا عني ٢١٠
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ١٠٠
خير مساجد النساء ٢١٥
خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره ٢٣٢، ٤٥٥
خيركم خيركم لأهله ٢٤٤
خير الأصحاب عند اللَّه ٤٠٦
خطب أبو طلحة أم سليم ٨٧
خطب عمر بن الخطاب الناس ٢٥٣

حرف الزاي

زملوني زملوني ٢١

حرف السين

سمعت ابن عباس يقول ١٧٠

حرف الشين

شر ما في رجل شح ٤١٩

حرف الصاد

صل قائمًا ٣٢٧

حرف العين

عادني النبي ﷺ وأبو بكر ١٤٣
عَلمنا رسول اللَّه ﷺ خطبة الحاجة ٢٧
على رسلكما إنها صفية ٦٥

حرف الغين

غارت أمكم ٦٤

حرف الفاء

فبعزتي وجلالي ٢٢١، ٣٢٩
فاتقوا اللَّه في النساء ٣٨٧
فإنكم أخذتموهن ٢٥١
فدارها تعش ٢٤٧
فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ٤٥٩
فقدت رسول اللَّه ﷺ ليلة ٤٥٢
فلها الصداق ٨٨

حرف الكاف

كان النبي ﷺ يعجبه التيمن ٤٤٥
كان النبي ﷺ يدور على نسائه ٧١
كان الرجل يعاقد الرجل ٣٥٦، ٣٥٧
كان المهاجرون حين قدموا المدينة ٣٥٦
كان الحبش يلعبون ٢٣٠
كان المال للولد ١٤٤
كان أهل الجاهلية يحرمون ٤٥٨
كانت إحدانا إذا كانت حائضًا ٦٧
كانت عند امرأة قد ولدت ٢٩٣
كان رسول اللَّه ﷺ إذا أراد سفرًا ٦٨
كان يتوضأ من قُبلة المرأة ٤٥٠
كان فيما أنزل من القرآن ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥
كانوا إذا مات الرجل ٢٢٤
كُتب على ابن آدم ٣٤٦
كل ما نهى اللَّه عنه ٣٤٦
كل ذات زوج إتيانها ٣٠١
كل ما كان في الحولين ٢٨٢
كل من مال يتيمك غير مسرف ١١٢

كم أمهرتها؟ ٢٥٤
كنا نغتسل وعلينا الضماء ٤٤٨
كنا إذا أصابت أحدنا جنابة ٤٤٧
كنا نتقي الكلام والانبساط ٢٤٥
كنت آخر الناس عهداً ١٧٠
كنت ألعب بالبنات ٢٣١
كنت أنام بين يدي رسول اللّه ﷺ ٤٥٢

حرف اللام

لا أحل المسجد لجنب ٤٤٣
لا، إنما يكفيك أن تحثي ٤٤٨
لا تضربوا إماء اللّه ٣٩٢
لا تصوم المرأة وبعلها شاهد ٣٦٧
لا تحاسد إلا في اثنتين ٣٥٢
لا تحرم المصة والمصتان ٢٨١، ٢٨٣
لا تحرم الإملاجة ٢٨٣
لا تحل لي ٢٧٦
لا تمنعوا نساءكم المساجد ٢١٥
لا تجعلوا بيوتكم مقابر ١٣٣
لا حبس ٨
لا حسد إلا في اثنتين ٩٤
لا حلف في الإسلام ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١
لا نورث ما تركنا صدقة ١٤٦
لا نكاح إلا بولي ٩٧
لا وصية لوارث ١٦٦
لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ٦٥
لا يحل مال امرئ مسلم ٩٠
لا يتم بعد احتلام ١٠٤، ١٠٥

لا يرث المسلم الكافر ١٤٦
لا يدخل الجنة من كان في قلبه ٤١٠
لا يدخل الجنة قاطع ٢٣
لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة ١٩
لا يمنع جار جاره ٤٠٧
لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته ٣٨٨
لا يفرك مؤمن مؤمنة ٢٤٦
لا يحرم من الرضاعة إلا ٢٨٦
لا يجمع بين المرأة وعمتها ٢٩٩
لئن كنت كما قلت ٢٤
لعن رسول اللَّه ﷺ المحل والمحلل له ٣٠٣
للَّه أشد فرحًا ٣٢٩، ٣٣٠
للَّه أفرح بتوبة عبده ٣٣٠
لما أنزل اللَّه عز وجل: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ ٣٨
لما خلق اللَّه آدم مسح ١١٣، ٣٢٥
لما صور اللَّه آدم ٣٢٥
لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ٤٠٤
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ٣٦٩
لولا حواء ١٢
لو كنت آمرًا أحدًا ٣٦٦
ليس الكذاب الذي ٣٢٧
ليس الواصل بالمكافئ ٢٤
ليس على أَمَة حد ٣١٤
ليس لنا مثل السوء ٩١
ليس من اللهو ثلاثة ٢٣٢

حرف الميم

ما أعطيكم ولا أمنعكم ٣١٧
ما تقولون في الزنا ٤٠٨
ما رأيت النبي ﷺ أَوْلَم ٦٣
ما رأيت من ناقصات عقل ٣٢٣
ما زال جبريل يوصيني بالجار ٤٠٦
ما ضرب رسول اللّه ﷺ قط بيده ٣٨٩
ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ٢٣٢
ما من مولود يولد ١٤٥
ما من يوم يصبح العباد ٤١٩
ما منعك يا فلان أن تصلي ٤٤٥
ما نزلت سورة البقرة والنساء ٨
مبيت المرأة السوداء ٤٣٩
من السنة إذا تزوج الرجل ٦٨
من النصر والنصيحة ٣٦٢
من أحب أن يبسط له ٢٠
من آتاه اللّه مالاً ٤١٩
من تردى من جبل ٣٣٧
من جر ثوبه مخيلة ٤١٠
من سيدكم ٤١٨
من قتل نفسه بحديدة ٣٣٧
من كان يؤمن باللّه ٢٩٨، ٤٠٦، ٤٠٧
من يستغفرني فأغفر له ٣٢٩

حرف النون

ناوليني الخمرة ٤٤٠
نعم، هو في ضحضاح من نار ٤٢٨
نعم، صِلي أمك ٤٠٥

نهى رسول اللّه ﷺ ٢٩٩

حرف الهاء

هل عندك من شيء ٨٦، ٢٥٦
هل نظرت إليها ٢٥٤
هن حولي كما ترى ٣٧٥
هو في النار ٣٣٨
هي يتيمة ٧٥

حرف الواو

واللّه لايؤمن ٤٠٧
والذي نفسي بيده ١٢٢، ٣٢٥، ٣٦٧
والذي يخنق نفسه ٣٣٨
وابدأ بمن تعول ٩٩
وأي داء أدوأ ٤١٦
وإذا غاب عنها ٣٦٥
وأما الصبي فينقطع ٣١
وإنهن خلقن ١٢
﴿وإذا حضر القسمة﴾ قال: هي محكمة ١١٧
وان استمتعت بها ٢٤٧
ورأيت النار ١٥
وضعت لرسول اللّه ﷺ غسلاً ٤٤٤
وفي بضع أحدكم صدقة ٥٧
ولكن لها رحم ٢٥
ولهن عليكم رزقهن ٩٩، ٣٨١
ولا تأذن لأحد في بيته ٣٦٧
﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال: ورثة ٣٥٤
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّه ١٣٢
وما أمرتكم به ٣٢٧

وما ذاك ٢٤٤
﴿ومن كان غنيًّ﴾ أنزلت في والي اليتيم ١٠٧
ومن أصاب من ذلك شيئًا ٢٢٠
ومن سأل باللَّه ١٨
ومن كان يؤمن باللَّه ٢٠
ونودي بالصلاة فصلى الناس ٤٦٢
ويعتزل الحيض المصلى ٤٤٢
ويحك يا أنجشة ٢٣١

حرف الياء

يا بن أختي هذه اليتيمة ٤٨
يا أبا ذر إذا طبخت ٤٠٦
يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا ١١٣
يا أبا هريرة تعلموا الفرائض ١٤١
يأتي أويس ٤٠٣
يا حميراء، أتحبين ٢٣٠
يا رسول اللَّه، يومي لعائشة ٧٠
يا عمرو، صليت بأصحابك ٣٣٤
يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل ٢٢١، ٣٢٨
يا معشر الشباب ٥٧
يأمرنا بالصلاة ٢١
يا نساء المسلمات ٤٠٦
يحرم من الرضاع ٢٩٤
يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه ٢٠٧
يقضي اللَّه في ذلك ١٤٣
يكفيك الوجه والكفان ٤٥٦
يكون كنز أحدكم ٤١٩
يغزو الرجال ولا يغزو النساء ٣٥١

• فهرس الموضوعات •

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم...﴾	٧ ـ ٢٩
بعض آيات الرجاء	١٠
المراد بالأرحام	١٧
بحث مختصر في السؤال باللَّه	١٨
الحث على صلة الأرحام والتحذير من قطعها	٢٠
قول النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ»	٢٤
وصل من قطع	٢٤
وصل الرحم الكافرة	٢٥
آيات تدل على مراقبة اللَّه عز وجل للعبد	٢٦
تفسير قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم...﴾	٣٠ ـ ٤٠
متفرقات تتعلق باليتامى	٣٠
طرف مما يتعلق باليتامى وأموالهم	٣١
تفسير قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى...﴾	٤١ ـ ٨١
الأدلة على اعتبار مهر المثل عند المشكلات	٤٢
مبحث مختصر في تعدد الزوجات	٤٤
أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى..﴾	٤٧
مزيد من الأسئلة حول تعدد الزوجات	٥٦
التفاضل بين النساء في الصداق والوليمة	٦٢
لكل زوجة بيت	٦٤
القسم بين الزوجات	٦٦

تفسير قوله تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة...﴾ ٨٢ ـ ٩٣
مسائل في أبواب الصداق ٨٢
تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم...﴾ ٩٤ ـ ١٠٢
تفسير قوله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى...﴾ ١٠٣ ـ ١١٤
تفسير قوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون...﴾ إلى قوله تعالى ﴿... وقولوا لهم قولاً معروفًا﴾ ١١٥ ـ ١٢٨
نماذج أخر من تطييب الخواطر ١٢١
تفسير قوله تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وسيصلون سعيرًا﴾ ١٢٩ ـ ١٣٨
تفسير قوله تعالى: ﴿يوصيكم اللَّه في أولادكم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...وله عذاب مهين﴾ ١٣٩ ـ ٢٠٨
العول وأحكامه ١٩١
بيان أحكام الرد على أصحاب الفرائض ١٩٢
حكم الرد على الزوجين في الميراث ١٩٢
بعض الأمثلة التطبيقية على العول ١٩٣
تطبيقات على الرد ١٩٩
تفسير قوله تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... إن الله كان توابًا رحيمًا﴾ ٢٠٩ ـ ٢١٦
تفسير قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على اللَّه للذين يعملون السوء بجهال ثم يتوبون...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾ ٢١٧ ـ ٢٢٢
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها...﴾ ٢٢٣ ـ ٢٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. وأخذنا منكم ميثاقًا غليظًا﴾ ٢٤٩ ـ ٢٦١
تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...﴾ ٢٦٢ ـ ٢٦٥
لفتة في أمر الدعوة إلى اللَّه ٢٦٤
من حُرِّم على الرجل نكاحهن، وبيان بعض الأنكحة المحرمة والفاسدة ٢٦٦
تفسير قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾ ٢٦٦ ـ ٣٠٤
المحرمات من النسب ٢٦٨
تحريم زواج البنت من الزنا ٢٧٢
المحرمات من الرضاع وأبحاث في الرضاعة ٢٧٦
عدد الرضعات المحرمات ٢٨٠
الحاصل في عدد الرضعات المحرمات ٢٨٥
زمن الرضاعة ٢٨٦
صفة الرضاع المحرم ٢٨٨
المحرمات بالمصاهرة ٢٨٩
تفسير قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً...﴾ ٣٠٥ ـ ٣١٩
تفسير قوله تعالى: ﴿يريد اللَّه ليبين لكم ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...وخلق الإنسان ضعيفًا﴾ ٣٢٠ ـ ٣٣٠
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وكان ذلك على الله يسيرًا﴾ ٣٣١ ـ ٣٣٨
تفسير قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...إن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ ٣٣٩ ـ ٣٥٢
تفسير قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون...﴾ ٣٥٣ ـ ٣٦٣

تفسير قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... إن الله كان عليمًا خبيرًا﴾ ٣٦٤ ـ ٣٩٨
صور الهجران في المضاجع. ٣٨٥
تفسير قوله تعالى: ﴿واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا...﴾ ٣٩٩ ـ ٤١٢

تم الصف بمكتب
إحياء السنة
٠١٠٥٤١٢٥٢٧ ـ ٠١٢٣٧٣١٣٠٥
٢٩٩٤٥٠٠

مطابع دار الصحيفة ٠١٢٣٢٢٥٨٨١

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب..

سورة النساء

تأليف

أبي عبد الله

مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

١١٢٥٩/ ٢٠٠١

الناشر

مكتبة مكة

هاتف : ٣٣٤٥٧٤٥/ ٠٤٠

طنطا

جوال : ٣٤٨٩٨٥٣/ ٠١٢

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ
وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا
لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا
بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ
قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ
يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ
إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(مهينًا ـ رئاء الناس ـ قرينًا ـ لا يظلم ـ مثقال ذرة ـ من لدنه ـ يود ـ لو تسوى بهم الأرض).

ج:

الكلمة	معناها
مُهينًا	مُذلاً مُخزيًا.
رئاء الناس	مراءاةً للناس.
قرينًا	صاحبًا وخليلاً.
لا يظلم	لا يبخس ـ لا ينقص.
مثقال	وزن.
ذرة	الذرة هنا: هي النملة الصغيرة الحمراء، وقيل: الذرة اليسيرة من التراب، وقيل: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس إذا طلعت من ثقب.
من لدنه	من عنده.
يود	يتمنى.
لو تسوى بهم الأرض	لو صاروا ترابًا فصاروا هم والأرض سواء.

* * *

س: ما معنى البخل، ومن المعنيّون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ وبأي شيء بخلوا؟

ج: أما البخل فهو منع الواجب بذله من المعروف.

وقال الطبري ـ رحمه اللّه: والبخل في كلام العرب: منع الرجل سائله ما لديه، وعنده ما فضل عنه.

قلت: أما المعنيون بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾ فيرى كثير من أهل العلم أنهم اليهود، ومن العلماء من يرى أنهم البخلاء عمومًا.

أما الشيء الذي بخلوا به، فمن العلماء من قال: إنه العلم بصفة محمد ﷺ، فقد كان اليهود يعلمون صفة النبي ﷺ تمامًا، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦].

وكما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فاليهود بخلوا بصفة محمدٍ، وبخلوا أيضًا بالمال إذ طُلب منهم ووجب عليهم.

وغير اليهود بخلوا بما أوجبه اللَّه عليهم من مالٍ وغيره.

أما الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقد قال:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك، ما قاله الذين قالوا: إن اللَّه وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآية، بالبخل بتعريف من جهل أمر محمد ﷺ أنه حق، وأن محمدًا للَّه نبيّ مبعوث، وغير ذلك من الحق الذي كان اللَّه ـ تعالى ذكره ـ قد بينه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه. فبخل بتبيينه للناس هؤلاء، وأمروا من كانت حاله حالهم في معرفتهم به أن يكتموه من جَهِل ذلك، ولا يبيِّنوه للناس.

وإنما قلنا: هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن اللَّه جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل، ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمرُ الناس

بالبخل ديانةً ولا تخلُّقًا، بل ترى ذلك قبيحًا وتذمَّ فاعله؛ وتمتدح ـ وإن هي تخلَّقت بالبخل واستعملته في أنفسها ـ بالسخاء والجود، وتعدُّه من مكارم الأفعال، وتحثُّ عليه.

ولذاك قلنا: إن بخلهم الذي وصفهم اللَّه به، إنما كان بخلاً بالعلم الذي كان اللَّه آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه، دون البخل بالأموال إلا أن يكون معنى ذلك: الذين يبخلون بأموالهم التي ينفقونها في حقوق اللَّه وسُبله، ويأمرون الناس من أهل الإسلام بترك النفقة في ذلك، فيكون بخلهم بأموالهم وأمرهم الناس بالبخل بهذا المعنى ـ على ذِكْرنا من الرواية عن ابن عباس ـ فيكون لذلك وجه مفهومٌ في وصفهم بالبخل وأمرهم به.

● **أما الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ** فقد قال: يقول تعالى ذامًّا الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم اللَّه به من بر الوالدين، والإحسان إلى الأقارب واليتامى، والمساكين ،والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانهم من الأرقاء ولا يدفعون حق اللَّه فيها ويأمرون الناس بالبخل أيضًا، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**وأي داء أدوأ من البخل؟**» ، وقال: «**إياكم والشح، فإنَّه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**».

ثم قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد ﷺ، وكتمانهم ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [النساء: ٣٧] رواه ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد[1] ، عن عكرمة أو سعيد بن

(١) محمد بن أبي محمد مجهول.

جبير، عن ابن عباس، وقاله مجاهد وغير واحد، ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأولى فإن السياق في الإنفاق على الأقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها وهي قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ٣٨]، فإنه ذكر المسكين المذمومين وهم البخلاء ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يُمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه اللَّه.

وفي حديث الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم العالم والغازي والمنفق والمراءون بأعمالهم يقول صاحب المال: «**ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك. فيقول اللَّه: كذبت، إنما أردت أن يُقال: جواد، فقد قيل**» أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بفعلك. انتهى المراد.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الوارد في ذم البخل والتنفير منه.

ج: قد قدمت كثيراً من هذا في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٠] فليرجع إلى تفسير هذه الآية من أراد المزيد، ونذكر هنا بعض ما أوردناه هنالك، مع إضافات قليلة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ [النساء: ٣٧].

- وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ** ﴾ [محمد: ٣٨].

● وقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

● وقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

● وقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقد ذكر اللَّه سبحانه وتعالى عقوبة قومٍ نووا البخل وأضمروه وعزموا عليه، وذلك في سورة القلم، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلا يَسْتَثْنُونَ...﴾ [القلم: ١٧] الآيات، وبين اللَّه فيها كيف كان جزاؤهم، وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل إن شاء اللَّه في تفسير سورة القلم.

أما الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ فمنها ما يلي:

● قول النبي ﷺ: «**من سيدكم يا بني سلمة؟**» قلنا: جدُّ بن قيس، على أنَّا نُبخِّله، قال: «**وأي داءٍ أدوأ من البخل؟! بل سيدكم عمرو بن الجموح**»(١).

وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية، وكان يولم عن رسول اللَّه ﷺ إذا تزوج.

(١) البخاري «الأدب المفرد» (ص ٢٩٧)، وإسناده صحيح.

● وما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللَّهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللَّهم أعط ممسكًا تلفًا**».

● وما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**شرُّ ما في رجلٍ شُحٌّ هالع، وجُبْنٌ خالع**»[٢].

● وما أخرجه الإمام مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**».

● وأخرج البخاري[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**من آتاه اللَّه مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّلَ[٥] له يوم القيامة شجاعًا[٦] أقرع له زبيبتان[٧] يُطوِّقُه[٨] يوم القيامة، ثم يأخذُ بلهزِمَيته ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُك، أن كَنزُك، ثمَّ تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ...﴾** [آل عمران: ١٨٠].

وفي رواية أخرى للبخاري[٩] قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**يكون كنز أحدكم**

(١) البخاري مع «الفتح» (٣/ ٣٠٤)، ومسلم (٧/ ٩٥).
(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢) بإسناد صحيح، والشُّحُّ: هو البخل مع الحرص.
(٣) مسلم مع النووي (١٦/ ٣٤).
(٤) البخاري مع «الفتح» (٣/ ٢٦٨).
(٥) مثل: صوِّر له.
(٦) الشجاع الأقرع: هو الحية الذَّكر.
(٧) الزبدتان اللتان في الشدقين، وقيل: النكتتان السوداوان فوق عينيه.
(٨) يطوِّقه: يصير له طوقًا.
(٩) البخاري مع الفتح (١٢/ ٣٣٠).

يوم القيامة شجاعًا أقرع يفر منه صاحبه فيطلبه ويقول: أنا كنزك. قال: واللَّه لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيُلقمها فاه».

وقال رسول اللَّه ﷺ: «إذا ما ربُّ النَّعمِ لم يُعطِ حقها تُسلط عليه يوم القيامة فتخبطُ وجهه بأخفافها».

● وأخرج البخاري[١] من حديث جبير بن مطعم: أنه بينما هو يسير مع رسول اللَّه ﷺ ومعه الناس مَقفَلَهُ من حُنين، فعلقه الناسُ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العِضاة نَعمًا لقسمتهُ بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوبًا ولا جبانًا».

● وأخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قسم رسول اللَّه ﷺ قسمًا فقلت: واللَّه يا رسول اللَّه لَغَيْرُ هؤلاء كان أحقَّ به منهم. قال: «إنهم خيَّروني أن يسألوني بالفُحشِ، أو يُبَخِّلوني فلست بباخل».

● وكان رسول اللَّه ﷺ يتعوَّذ من البخل في ما لا يُحصى من المواطن، وهذه بعض الأحاديث بذلك:

● أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من البخل».

---

(١) البخاري مع الفتح (٦/ ٣٥).

(٢) مسلم مع النووي (٧/ ١٤٦).

(٣) البخاري مع الفتح (١١/ ١٧٩) ومسلم (١٧/ ٢٩).

• وأخرج البخاري[١] أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يأمر بهؤلاء الخمس، ويحدِّثهن عن النبي ﷺ: «**اللَّهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدُّنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**».

• وأخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول اللَّه ﷺ يقول، كان يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهَرَم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**».

• وأخرج الترمذي[٣] من طريق مصعب بن سعد، وعمرو بن ميمون قالا: كان سعد يُعلِّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلِّمُ المُكتِّبُ الغلمان، ويقول: إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوذ بهن دُبُرَ الصلاة: «**اللَّهم إني أعوذُ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**».

* * *

س: ما الشيء الذي آتاهم اللَّه إياه فكتموه؟

ج: في ذلك قولان:

---

(١) البخاري مع الفتح (١١/ ١٧٨).

(٢) مسلم مع النووي (١٧/ ٤١).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٥٦٧).

أحدهما: أنهم أوتوا العلم بصفة النبي ﷺ فكتموها.

الثاني: أنهم أرباب الأموال الذين آتاهم اللَّه أموالاً فبخلوا بها.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؟

ج: في ذلك وجهان:

أولهما: إن حملنا البخل هنا على كتمان صفة محمد ﷺ، فمن كتمها فهو كافر، ومن ثم استحق أن يُوصف بالكفر، ويُعد له العذاب المهين.

ثانيهما: إن حملنا البخل هنا على البخل بالمال، فالكفر هنا المراد به الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة اللَّه عليه، ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعمة اللَّه عليه، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أم صنف آخر؟

ج: يحتمل أن يكونوا هم أنفسهم الموصوفين في الآيتين، وتكون الواو عاطفة لصفة على صفة، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾، فالواو عاطفة لصفة على صفة، فالذي خلق فسوى هو اللَّه الذي قدر فهدى، وهو اللَّه الذي أخرج المرعى.

- ويحتمل أن يكون الموصوفون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

رِئَاءَ النَّاسِ﴾ صنفٌ آخر غير المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ فتكون الواو تقتضي المغـايرة، فيكون هؤلاء صنف آخر من الناس ذكرهم اللَّه عز وجل في معرض الذم.

❊ ❊ ❊

س: من هم الذين ذكـرهم اللَّه بقـوله: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إنهـم اليهود، وقيل: إنهم المنافقـون الذين ينفقون رياءً وسمعة، وقيل أيضًا: هم المشركون الذين أنفقوا أموالاً طائلة في عداوة محمد ﷺ.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من الرياء في الإنفاق، وإثْم ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

ومن الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ في ذلك:

- ما أخـرجه مسلم في «صحـيحه» من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ

استشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عَملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جَوَادٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار»[1] .

❊ ❊ ❊

س: كلا طرفي الأمور ذميم، اذكر من هذه الآيات ما يبين هذا المعنى.

ج: إيضاح ذلك أن البخلاء ذمهم اللَّه عز وجل في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**﴾، وكذلك فالمنفقون رياءً وسمعة ذمهم اللَّه بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾. فوجه ذلك كما قال العلماء: أن الأولين بخلوا بما آتاهم اللَّه من فضله، والآخرين قد أنفقوا رياءً وسمعة، والوسط أن تنفق قدر استطاعتك ابتغاء وجه اللَّه، مبتعدًا عن البخل، ومبتعدًا عن الرياء والسمعة، واللَّه تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥).

س: في قوله تعالى ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ فيه إضمار، وضح هذا المضمر.

ج: قال بعض العلماء: إن المضمر هو: (فقرينهم الشيطان)، فيكون المعنى: ولا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر فقرينهم الشيطان، ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء قرينا، واللَّه أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني بذلك جل ثناؤه: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ﴿**لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ لو صدقوا بأن اللَّه واحدٌ لا شريك له، وأخلصوا له التوحيد، وأيقنوا بالبعث بعد الممات، وصدَّقوا بأن اللَّه مجازيهم بأعمالهم يوم القيامة، ﴿**وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ**﴾ يقول: وأدوا زكاة أموالهم التي رزقهم اللَّه وأعطاهموها طيبة بها أنفسهم، ولم ينفقوها رئاء الناس، التماس الذكر والفخر عند أهل الكفر باللَّه، والمحمدة بالباطل عند الناس، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ**﴾ بهؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم ينفقون أموالهم رئاء الناس نفاقًا، وهم باللَّه واليوم الآخر مكذبون ﴿**عَلِيمًا**﴾ يقول: ذا علم بهم وبأعمالهم ، وما يقصدون ويريدون بإنفاقهم ما ينفقون من أموالهم، وأنهم يريدون بذلك الرياء والسُّمعة والمحمدة في الناس، وهو حافظ عليهم أعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها، حتى يجازيهم بها جزاءهم عند معادهم إليه.

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في معنى هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ..﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
- وقوله تعالى في شأن لقمان وولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].
- وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].
- وهذا حديث لرسول اللَّه ﷺ في هذا الباب:

في حديث الشفاعة الطويل من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: ... فذكر الحديث وفيه: أن اللَّه سبحانه وتعالى: يقول: «**اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه..**»[1] الحديث.

* * *

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (حديث ١٨٣).

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

ج: قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ في «محاسن التأويل»:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يبخس أحدًا من ثواب عمله ولا يزيد في عقابه شيئًا مقدار ذرة، وهي النملة الصغيرة في قول أهل اللغة، قال ثعلب: مائة من الذر زنة حبة شعير، وهذا مثل ضربه اللَّه تعالى لأقل الأشياء، والمعنى: أن اللَّه تعالى لا يظلم أحدًا شيئًا، قليلاً ولا كثيرًا.

فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ أي: وإن تك مثقال ذرة حسنة يضاعف ثوابها. وإنما أنث ضمير المثقال لتأنيث الخبر. أو لإضافته إلى الذرة ﴿وَيُؤْتِ﴾ أي: زيادة في الأضعاف ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ مما يناسب عظمته على نهج التفضل ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: عطاءً جزيلاً.

* * *

س: كيف يُصنع بالمشرك الذي يعمل حسنات في الدنيا؟

ج: من أهل العلم من قال: إن الكافر يجازَى بحسناته في الدنيا كما في رواية مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه لا يظلم مؤمنًا حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها للَّه في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها**»[1] فهذا وجه. وإما أن يُخفف عنه من العذاب يوم القيامة، وذلك كما ورد في شأن أبي طالب عم رسول اللَّه ﷺ، ففي «الصحيح»[2]

(١) مسلم (حديث ٢٨٠٨). (٢) البخاري (حديث ٦٢٠٨)، ومسلم (حديث ٢٠٩).

عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول اللَّه، هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يَحوطَكَ ويَغضبُ لك، قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل من النار**».

ولكن يعكر على هذا الأخير قوله تعالى: ﴿**لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا**﴾ [فاطر: ٣٦].

س: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ إلى قدر كم يكون التضعيف؟

ج: للتضعيف صورٌ، فأحيانًا يكون التضعيف إلى عشرة أضعاف، وأحيانًا يكون إلى سبعمائة ضعف، وأحيانًا يكون أكثر من ذلك بكثير، وبين ذلك أيضًا.

أما التضعيف إلى عشرة أضعاف فلقوله تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والتضعيف إلى سبعمائة ضعف فلقوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

أما التضعيف: «**من تصدَّق بعدل تمرةٍ من كسب طيبٍ ـ ولا يصعد إلى اللَّه إلا الطيب ـ فإن اللَّه يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فُلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**»[1].

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٠)، ومسلم (حديث ١٠١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

س: قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ..﴾ ثمَّ بكى، اذكر مناسبة ذلك.

ج: مناسبة ذلك أن النبي ﷺ قال لابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ عليَّ»، قال ابن مسعود: قلت: آقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري». فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان»[1].

❊ ❊ ❊

س: من المراد بالشهيد في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ومن المعنيون بـ (هؤلاء)؟

ج: الشهيد على كل أمةٍ هو نبيها.

• أما المعنيون بقوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ فمن العلماء من قال: الشهداء من جميع الأمم[2]، ومن العلماء من قال: المنافقون والمشركون المتواجدون في زمن رسول اللَّه ﷺ، ومن العلماء من قال: هم عموم المؤمنين، واللَّه أعلم.

هذا، وإن قلنا: إن المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ هم المشركون والمنافقون، فإن الرسول ﷺ يشهد عليهم.

وإن قلنا: إنهم أهل الإيمان فإن النبي ﷺ يشهد لهم، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

س: كيف قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وقد قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٨٢).

(٢) ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: يُقال لنوح..

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا إذن؟

ج: على ذلك أجوبة، أولها: لا تكتم جوارحُهم شيئًا، وإن كتمته أفواههم كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤] وكما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا**﴾ [فصلت: ٢١].

• أخرج البخاري في «صحيحه»[1] من طريق المنهال عن سعيد قال: قال رجلٌ لابن عباس: إني أجدُ في القرآن أشياء تختلف عليَّ، قال: ﴿**فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [الطور: ١٢٥]، ﴿**وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية. وقال: ﴿**أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١]، فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال تعالى: ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾، ﴿**عزيزا حكيما**﴾، ﴿**سميعا بصيرا**﴾ فكأنه كان ثُمَّ مضى.

فقال: ﴿**فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ**﴾ في النفخة الأولى ثُمَّ يُنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه، فلا أنساب بينهم عند

(١) البخاري في التفسير (تفسير سورة حم السجدة) وصورته هناك صورة المعلق إلا أن البخاري وصله بعد أن أورد متنه.

ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ـ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ﴾ فإن اللَّه يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فخُتِمَ على أفواههم فتنطقُ أيديهم، فعندَ ذلك عُرِفَ أنَّ اللَّه لا يُكتَمُ حديثًا، وعنده: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهنَّ في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودَحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: ﴿دحاها﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩]، فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخُلقت السماوات في يومين، ﴿وكان الله غفورا﴾ سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي: لم يزل كذلك، فإن اللَّه لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليكَ القرآن فإن كلاً من عند اللَّه.

وقد أخرج الطبري بإسناد فيه كلام[1] :

عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياءُ تختلف عليَّ في القرآن؟ فقال: ما هو؟ أشكٌّ في القرآن؟ قال: ليس بالشك، ولكنه اختلاف! قال: فهات ما اختلف عليك. قال: أسمع اللَّه يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، وقال: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، وقد كتموا! فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن اللَّه يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب، ولا يغفر شركًا، ولا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره جحد المشركون فقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، رجاء أن يغفر

(١) الطبري (٩٥٢١) بإسناد فيه رجلٌ لم يُسمَّ، ولكن يشهد له ما قبله.

لهم، فختم على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بين في موضع آخر أن عدم الكتم المذكور هنا، إنما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ما عملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم، وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] لا يتنافى قوله: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ مع قوله عنهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله عنهم أيضًا ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، وقوله عنهم: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤] للبيان الذي ذكرنا، والعلم عند اللَّه.

وقال الرازي ـ رحمه اللَّه ـ «التفسير الكبير»:

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ والجواب من وجوه:

الأول: أن مواطن القيامة كثيرة، فموطن لا يتكلمون فيه وهو قوله ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وموطن يتكلمون فيه كقولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾، وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيكذبون في موطن، وفي مواطن يعترفون على أنفسهم بالكفر ويسألون الرجعة وهو قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم وجلودهم، فنعوذ باللَّه من خزي

ذلك اليوم.

الثاني: أن هذا الكتمان غير واقع، بل هو داخل في التمنى على ما بيَّنَّا.

الثالث: أنهم لم يقصدوا الكتمان، وإنما أخبروا على حسب ما توهموا، وتقديره: واللَّه ما كنا مشركين عند أنفسنا، بل مصيبين في ظنوننا حتى تحققنا الآن، وسيجيء الكلام في هذه المسألة في سورة الأنعام إن شاء اللَّه تعالى.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**﴾:

أنهم يودون لو تنطبق عليهم الأرض ولم يكونوا كتموا صفة محمد ﷺ ولا كفروا به ولا نافقوا، وعلى هذا فالكتمان عائدٌ إلى ما كتموا من أمر محمد ﷺ.

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(لا تقربوا ـ سكارى ـ جنبًا ـ عابري سبيل ـ على سفر ـ الغائط ـ تيمموا ـ صعيدًا ـ طيبًا).

ج:

الكلمة	معناها
لا تقربوا	لا تصلوا ـ لا تدخلوا في الصلاة ـ ووجه آخر: لا تقربوا مواطن الصلاة.
الصلاة	
سكارى	جمع سكران ـ والسُّكر نقيض الصحو، والسكر غياب العقل، إما لخمرٍ وهو الأغلب وهو المراد هنا، وإما لجنونٍ وإما لنوم.
جُنبًا	الجنب غير الطاهر، فهو الذي نزل منه المني، أو جاوز ختانه ختان الأنثى، أي أنه الذي خرج منه المني

عابري سبيل	عابر السبيل هو المسافر، وعابري سبيل أيضًا مجتازي الطريق.
على سفر	مسافرين وأنتم على جنابة.
الغائط	أصل الغائط المكان المنخفض من الأرض وبه سُميت غوطة دمشق، ومنه قول القائل: هذا شيءٌ غويط، أي: عميق، وكانت العرب تقصد هذا النوع من الأماكن لقضاء حاجتها فيه تسترًا عن أعين الناس ثم سُمِّي الحدث الخارج من الإنسان غائطًا لمقارنته بالمكان، فعلى ذلك فقوله تعالى: أو جاء أحد منكم من الغائط أي: إذا قضى أحدكم حاجته أي: إذا تبرز.
تيمموا	اقصدوا[1] ـ تعمدوا ـ تحروا.
صعيدًا	ترابًا[2]، وقيل: كل ما كان من جنس التراب[3]

(١) أي اذهبوا إلى، ومما ورد في التيمم قوله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ أي: ولا تقصدوا الخبيث لإخراجه، ولا تتحروا الخبيث كي تتصدقوا به.

(٢) وهو قول الإمام الشافعي والإمام أحمد وأصحابهما رحمهم اللَّه نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه، ومما يتقوى به هذا الوجه: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥/ ٤ مع النووي) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه: فضلنا على الناس بثلاث: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء».

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾ أي ترابًا أملس.

(٣) وهو مذهب أبي حنيفة رحمه اللَّه، نقله الحافظ ابن كثير أيضًا.

	(تراب ـ رمل ـ نورة. .)، وقيل: ما صعد على وجه الأرض[١]، فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات، وقيل: الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات[٢] .
طيبًا	طاهرًا.

(١) وهو قول مالك، نقله عنه الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالي، وانتصر له القرطبي فقال: الصعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، قال الخليل وابن الأعرابي والزجاج: قال: لا أعلم فيه خلافًا بين أهل اللغة قال اللَّه تعالى: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا﴾ أي: أرضًا غليظةً لا تنبت شيئًا، وقال تعالى: ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾، ثم قال: وإنما سمي صعيدًا لأنه نهاية ما يُصعد إليه من الأرض.

وأجاب القرطبي رحمه اللَّه على الاستدلال بقوله عليه الصلاة والسلام: «وجعلت تربتها لنا طهورًا» على أن المراد التراب بأن قال: إنما هو من باب النص على بعض أشخاص العموم، كما قال تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخلٌ ورمان﴾.

(٢) وهو قول قتادة فقد أخرج الطبري بسند حسنٍ عنه، قال: «صعيدًا طيبًا»، قال: التي ليس فيها شجرٌ ولا نبات. «طب أثر ٩٦٤٤/ ط: شاكر».

واختاره الطبري فقال: وأولى ذلك بالصواب قول من قال: هو وجه الأرض الخالية من النبات والغروس والبناء المستوية.

هذا، وقد قال السعدي رحمه اللَّه تعالى في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

والصعيد هو كل ما تصاعد على وجه الأرض سواءً كان له غبارٌ أم لا، ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار؛ لأن اللَّه قال في آية الوضوء من سورة المائدة: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ وما لا غبار له لا يمسح به.

س: كيف يوجَّه الخطاب والأمر والنهي لقومٍ سكارى، والسكران لا يدري ما الخطاب وما الأمر والنهي؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالسكران هنا سكران لم يزل عقله بالكلية وإنما سكران يدري ما يقول لكنه لا يستطيع إقامة القراءة ولا الأركان.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأولى القولين[1] في ذلك بتأويل الآية، تأويل من قال: ذلك نهيٌ من اللَّه المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر؛ للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ بأن ذلك كذلك، نهيٌ من اللَّه وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه[2].

فإن قال لنا قائل: وكيف يكون ذلك معناه، والسكران في حال زوال عقله، نظيرُ المجنون في حال زول عقله، وأنت ممن يُحيل تكليف المجانين لفقدهم الفهم لما يُؤمر وينهى؟

قيل له: إن السكران لو كان في معنى المجنون لكان غير جائز أمره ونهيه، ولكن السكران هو الذي يفهم ما يأتي ويذر، غير أن الشراب قد أثقل لسانه وأجزاء جسمه وأخدرها، حتى عجز عن إقامة قراءته في صلاته، وحدودها الواجبة عليه فيها، من غير زوال عقله، فهو بما أمر به ونهى عنه عارف فَهِمٌ، وعن أداء بعضه عاجز بخدَرِ جسمه من الشراب، وأما من صار إلى حدٍّ لا يعقل ما يأتي ويذر، فذلك منتقل من السكر إلى الخبل ومعاني المجانين، وليس ذلك الذي خوطب بقوله: ﴿**لا تَقْرَبُوا**

(١) يعني: بالقول الآخر سكر النوم.

(٢) بينا أنه لم يصح لها سبب نزول.

الصَّلاةَ﴾ لأن ذلك مجنون، وإنما خوطب به السكران، والسكران ما وصفنا صفته.

* * *

س: الذي يغلبه النوم، هل له أن يصلي؟

ج: من غلبه النوم ينبغي له أن ينام ويصلي إذا استفاق وعلم ما يقول، وذلك لما أخرجه مسلم[1] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع**».

● وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه**».

* * *

س: ما مدى صحة حديث «إني لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض»؟

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ[3]، ففي إسناده جسرة بنت دجاجة، وحاصل القول فيها أنها لم يوثقها معتبرٌ، وقول الحافظ ابن حجر فيها: إنها مقبولة، أي: إذا توبعت وإلا فهي ليِّنةٌ، وهي في هذا الحديث لم تتابع فالحديث ضعيف.

* * *

(١) مسلم (حديث ٧٨٧).

(٢) البخاري (حديث ٢١٢)، ومسلم (حديث ٧٨٦).

(٣) ولمزيد انظر كتابنا: «جامع أحكام النساء».

س: اذكر بعض أدلة القائلين بجواز دخول الحائض المسجد، وكيف أجابوا على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا..﴾؟

ج: ابتداء فهذه المسألة قد ذكرناها بتفصيل في كتابنا «جامع أحكام النساء» وعلى كلٍّ فهذا وجه الجواب:

أولاً: أدلة القائلين بإباحة دخول الحائض المسجد:

١ ـ البراءة الأصلية (ومعناها: أنه لم يرد نهي ينهى الحائض عن دخول المسجد)، وقد قال النبي ﷺ: «**أيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**»[(١)].

٢ ـ مبيت المرأة السوداء ـ التي كانت تقم المسجد ـ في المسجد على عهد رسول الله ﷺ ولم يرد أنه ﷺ أمرها وقت حيضتها أن تعتزل المسجد، وحديثها بذلك في «صحيح البخاري»[(٢)].

٣ ـ قول النبي ﷺ لعائشة في الحج: «**افعلي ما يفعله الحاج إلا أن تطوفي بالبيت**»[(٣)] فالذي مُنعت منه إنما هو الطواف فقط، ولم يمنعها النبي ﷺ من دخول المسجد، فلما جاز للحجيج أن يدخلوا المسجد جاز لها أيضًا أن تدخل.

٤ ـ قول النبي ﷺ: «**إن المسلم لا ينجس**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥)، ومسلم (حديث ٥٢١).

(٢) البخاري (مع «الفتح» ١/ ٥٣٣).

(٣) البخاري (حديث ٢٩٤)، ومسلم (٢/ ٣١٢).

(٤) البخاري (مع «الفتح» ١/ ٣٩٠)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٦٦).

٥ ـ ما أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» حيث قال: ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: رأيت رجالاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يجلسون في المسجد، وهم مجنبون إذا توضئوا وضوء الصلاة. وإسناده حسن.

فقاس بعض أهل العلم الحائض على الجنب، ولنا على ذلك القياس مؤاخذات لعلها تتضح في أدلة المانعين، وأتبعوا ذلك أيضًا بمبيت أهل الصفة بالمسجد ومنهم طبعًا من يحتلم وهو نائم، وكذلك مبيت المعتكفين والمعتكفات في المسجد، ومن المعتكفين من يحتلم فيجنب، ومن المعتكفات من تحيض.

٦ ـ ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**ناوليني الخُمرة**[٢] **من المسجد**»، قالت: فقلت: إني حائض. فقال: «**إن حيضتك ليست في يدك**».

وفي رواية لمسلم: «**تناوليها فإن الحيضة ليست في اليد**»، ونحوه عند مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا.

وقد اختلف في فقه هذا الحديث على النحو التالي:

هل الخمرة هي التي في المسجد، أم أن رسول اللَّه ﷺ هو الذي كان بالمسجد، وطلب منها ذلك وهي خارجه؟

فذهب فريق من أهل العلم إلى الأول أي: أن الخمرة هي التي كانت في

---

(١) مسلم (ص ٥٩٦).

(٢) هي هنا مشابهة للسجادة التي يصلى عليها (وليس معنى ذلك أن بها أعلام، فقد وردت كراهية الصلاة في الثوب الذي له أعلام حتى لا يفتن المصلي كما هو مبسوط في بابه).

المسجد، واستدلوا لقولهم بما أخرجه أحمد من طريق منبوذ عن أمه قالت: كنت عند ميمونة فأتاها ابن عباس فقالت: يا بنيّ، مالك شعثًا رأسك؟ قال: أم عمار مرجلتي حائض، قالت: أي بنيّ، وأين الحيضة من اليد؟ كان رسول اللَّه ﷺ يدخل على إحدانا وهي حائض فيضع رأسه في حجرها فيقرأ القرآن وهي حائض، ثم تقوم إحدانا بخمرته فتضعها في المسجد وهي حائض، أي بنيّ، وأين الحيضة من اليد؟!

ولكن إسناد هذا الحديث ضعيف.

وبناء على هذا الرأي ـ أي: بناءً على رأي من قال: إن الخمرة هي التي كانت في المسجد ـ فإن الحديث يفيد أن المرأة تدخل (وهي حائض) للمجيء بالخمرة من المسجد، وقوله عليه السلام: «**إن حيضتك ليست في يدك**»، يكون معناه ـ على هذا التنزيل ـ إن حيضتك بيد اللَّه، كحديث: «**إن هذا شيء كتبه اللَّه على بنات آدم**»، فعليه يجوز على هذا الوجه من التأويل للحديث أن تدخل الحائض المسجد.

وثم وجه آخر للحديث وهو ما نقله النووي ـ رحمه اللَّه ـ (شرح مسلم ١/ ٥٩٦) عن عياض قال: معناه أن النبي ﷺ قال لها ذلك من المسجد، أي: وهو في المسجد لتناوله إياها من خارج المسجد لا أن النبي ﷺ أمرها أن تخرجها له من المسجد؛ لأنه ﷺ كان في المسجد معتكفًا، وكانت عائشة في حجرتها وهي حائض؛ لقوله ﷺ: «**إن حيضتك ليست في يدك**»، فإنها خافت من إدخال يدها في المسجد، ولو كان أمرها بدخول المسجد لم يكن لتخصيص اليد معنى. كذا قال عياض ـ رحمه اللَّه.

فعلى هذا يكون في الحديث منع الحائض من دخول المسجد؛ لأنه عليه

السلام أذن لها في إدخال يدها فقط، ولم يأذن لها في إدخال سائر جسمها.

ولكن في الحقيقة أن هذا الحديث ليس صريحًا في الحظر ولا في الإباحة فنسقطه من أدلة المجيزين والمانعين.

ويبقى هنا بعض أدلة المانعين نوردها، وبالله التوفيق، منها:

١ ـ **قول الله تعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا**﴾ [النساء:٤٣]، فقالوا: المراد بالصلاة هنا: مواضع الصلاة، وقد منع منها الجنب إلا في حالة كونه عابر سبيل، واستدلوا لقولهم بأن الصلاة تطلق على مواضع الصلاة بقول الله تعالى: ﴿**لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**﴾ [الحج:٤٠]، فقالوا: تهدم الصلوات معناه: تهدم أماكنها.

قلت: وبالنظر في هذا الدليل للمانعين نجد أنهم قاسوا الحائض على الجنب، ونحن هنا لا نوافقهم على ذلك، لأن الجنب بيده أن يتطهر، ففي الآية حثٌّ له على الإسراع في التطهر أما الحائض فلا تملك أمرها.

٢ ـ **الثاني من أدلة المانعين:** قول النبي ﷺ لما أمر النساء بالخروج للعيدين فقال: «**ويعتزل الحيَّض المصلى**».

والإجابة على هذا الدليل أن المراد بـ(المصلى) هنا الصلاة نفسها، وذلك لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون العيد بالفضاء وليس بالمسجد، وقد جعلت الأرض كلها مسجدًا.

٣ ـ **الدليل الثالث للمانعين:** هو أن رسول الله ﷺ كان يدني رأسه

لعائشة وهو في المسجد وهي خارجه حتى ترجله وهي حائض، والإجابة على هذا الدليل: أنه ليس صريحًا في المنع من دخول المسجد فقد يكون بالمسجد رجال ولم يحب رسول اللَّه ﷺ أن يطلع الرجال على حرمه الشريف.

٤ ـ الأوامر الواردة بتنظيف المساجد من القاذورات.

قلت: وهذا ليس نصًّا في المنع إنما هو في تنظيفها من القاذورات.

٥ ـ الدليل الخامس: حديث: «**لا أحل المسجد لجنب ولا حائض**»، ولكنه حديث ضعيف؛ إذ إنه من طريق جسرة بنت دجاجة، حاصل القول فيها: أنها مقبولة كما قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في «التقريب»، ومعنى مقبولة ـ عند الحافظ ـ: أنها مقبولة إذا توبعت وإلا فلينة، وهي هنا لم تتابع.

وأخيرًا بعد هذا السرد لأدلة المانعين نرى أنه لا دليل صحيح صريح يمنع الحائض من دخول المسجد، وعلى ذلك فيجوز للحائض أن تدخل المسجد وأن تمكث فيه.

* * *

س: وضح إجمالاً المراد بقوله تعالى: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها وأنتم على جنابة حتى تغتسلوا إلا إذا كنتم مسافرين، ولم تجدوا ماءً للغسل فلكم أن تتيمموا.

ومن العلماء من حمل الصلاة على مواطن الصلاة، أي: على المساجد

فقال: إن المعنى: لا تقربوا المساجد وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم على جنابة حتى تغتسلوا إلا إذا كنتم مارِّين فقط، فمجرد المرور مباح لكم.

هذا، وقد أورد الطبري جملة آثار مؤداها أنه لا بأس أن يمرَّ الجنب في المسجد إذا لم يكن له طريق غيره[١]، والله أعلم.

* * *

س: اذكر صفة الغسل من الجنابة.

ج: تتلخص صفة الغسل من الجنابة في الآتي:

يبدأ الرجل بغسل يديه ثم يغسل ذكره بشماله غسلاً جيدًا، ثم يغسل يده غسلاً جيدًا[٢]، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، (وإن شاء أَخَّر غسل رجليه وإن شاء غسلهما مع وضوئه)، ثُمَّ يفرغ على رأسه ثلاث حفنات من الماء (أو يصب الماء على رأسه) ويدلك رأسه حتى يصل الماء إلى أصول الشعر، ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثم على سائر جسده، وإن لم يكن غسل رجليه تنحى فغسلهما.

وهذا الذي ذكرناه كله على سبيل الاستحباب، وإلا فلو أفرغ الماء على جسده دفعة واحدة فغمر جسده بالماء جاز ذلك.

وها هي بعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في ذلك:

• أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قالت: وَضعتُ لرسول الله ﷺ غُسلاً، وسترته فصَبَّ على يده فغسلها مرَّةً أو

(١) انظر «الطبري» (٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٢) وإن شاء أن يغسلهما بالصابون مع الماء فعل، وإن شاء بالتراب فعل.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٦)، ومسلم (٣١٧).

مرتين ـ قال سليمان: لا أدري أَذَكَرَ الثالثة أم لا ـ ثمَّ أفرغ بيمينه على شماله فغسل فرجه، ثم دَلَكَ يده بالأرض أو بالحائط، ثم تمضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه وغسل رأسه، ثم صبَّ على جسده، ثمَّ تنحَّى فغسل قدميه، فناولتُهُ خِرقَةً فقال بيده هكذا ولم يُرِدها.

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيُخلِّلُ بها أصول شعره، ثم يصبُّ على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله.

أما البدء باليمين فلما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُعجبه التيمن في تنعُّله وترجُّله وطهوره وفي شأنه كله.

أما إفراغ الماء على الجسد بلا وضوء فلما أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنا في سفرٍ مع النبي ﷺ، . . . فذكر الحديث، وفيه: ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يُصلِّ مع القوم، قال: «**ما منعك يا فلان أن تُصلِّي مع القوم؟**» قال: أصابتني جنابة، ولا ماء، قال: «**عليك بالصعيد فإنه يكفيك**». . . فذكر الحديث، وفيه: وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناءً من ماء قال: «**اذهب فأفرغه عليك**».

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٢٤٨)، ومسلم (حديث ٣١٦).

(٢) البخاري (حديث ١٦٨)، ومسلم (مع النووي ٢/ ١٦١).

س: وضح صفة غسل المرأة من الجنابة.

ج: تتلخص صفة غسل المرأة من الجنابة في الآتي:

تأخذ المرأة ماء فتتوضأ فتحسن الوضوء، (وتبدأ باليمين في الوضوء) لحديث عائشة: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وفي شأنه كله، ثم تصب على رأسها ثلاث حفنات، وتدلكه حتى تبلغ به شئون رأسها (أي: أصول شعرها) ثم تفيض الماء على جسمها مبتدئة بالشق الأيمن ثم تعقب بالشق الأيسر، ولا يلزمها مع هذا أن تنقض ضفائرها.

- وليست هذه الأشياء المذكورة بواجبة بل هي مستحبة لكونها مأخوذة من جملة أحاديث لرسول الله ﷺ، فإن اقتصرت المرأة في غسلها على بعض الوارد ـ بشرط أن يعم الماء جسمها ـ أجزأ ذلك عنها.

- فإن أخذت بيديها ثلاث حفنات فوق رأسها ثم صبت الماء على شقها الأيمن ثم الأيسر أجزأ ذلك عنها.

- ولتتجنب المرأة مس فرجها بيدها بدون حائل بعد غسلها من الجنابة.

- وإن دخلت المرأة مباشرة تحت «الدش» جاز ذلك الاغتسال، وأجزأ عنها لحديث عمران بن حصين في البخاري[1] في قصة المزادتين وفيه: . . . وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناءً من ماءٍ قال: «**اذهب فأفرغه عليك**».

ففي قوله: «**فأفرغه عليك**» بدون ذكر ترتيب ولا وضوء ولا بدء باليمين

(١) تقدم.

ما يدل على أن ذلك يجزئ عن فاعله إلا أن الأفضل والأكمل ما ذُكر أولاً والله أعلم.

وذلك للأدلة الآتية:

● ما أخرجه البخاري[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنا إذا أصابت إحدانا جنابة أخذت بيدها ثلاثًا فوق رأسها، ثم تأخذ بيدها على شقِّها الأيمن، وبيدها الأخرى على شقها الأيسر.

● وأخرج مسلم[٢] أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها: أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غُسل المحيض فقال: «**تأخذ إحداكن ماءَها وسدرتها فتطهَّر فتحسن الطُّهور، ثم تصبُّ على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا حتى تبلغَ شُئون**[٣] **رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فِرصةً**[٤] **مُمسكة فتطهر بها**» فقالت أسماء: وكيف تَطَّهر بها؟ فقال: «**سبحان اللَّه! تطهرين بها**» فقالت عائشة ـ كأنها تُخفي ذلك ـ: تتبعين بها أثر الدم.

وسألته عن غسل الجنابة فقال: «**تأخذ ماءً فتَطَّهر فتحسن الطُّهور أو تُبلِغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تُفيض عليها الماء**».

فقالت عائشة: نِعْمَ النساء نساء الأنصار؛ لم يَكُن يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدين.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٢٧٧).
(٢) مسلم (ص ٢٦١).
(٣) شئون رأسها أي: أصول شعرها.
(٤) فرصة، أي: قطعة.

س: هل يجب على المرأة نقض ضفائرها عند غسلها من الجنابة؟

ج: لا يجب ذلك على المرأة، وذلك لما أخرجه مسلم[١] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول اللَّه، إني امرأة أشُدُّ ضُفْر رأسي أفأنقُضُهُ لِغسل الجنابة؟ قال: «**لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسكِ ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين**».

● وأخرج أبو داود[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نغتسل وعلينا الضماد[٣]، ونحن مع رسول اللَّه ﷺ مُحلات ومحرمات.

● وفي «صحيح مسلم»[٤] من طريق عبيد بن عمير قال: بلغ عائشة أن عبد اللَّه بن عمرو يأمُرُ النساء ـ إذا اغتسلن ـ أن ينقضن رؤوسهن فقالت: يا عجبًا لابن عمرو هذا! يأمرُ النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟! لقد كنتُ أغتسلُ أنا ورسول اللَّه ﷺ من إناءٍ واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات.

* * *

س: ما المراد باللمس في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾؟ وهل مس المرأة ينقض الوضوء؟

ج: أما لمراد باللمس في هذا الموطن فلأهل العلم فيه قولان:

أحدهما: قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومعه فريقٌ من أهل العلم أن المراد

---

(١) مسلم (ص ٢٥٩).

(٢) أبو داود (حديث ٢٥٤)، وإسناده صحيح.

(٣) المراد بالضماد هنا ما يلطخ به الشعر مما يلبده ويُسكنه من طيب وغيره.

(٤) مسلم (حديث ٢٣١ ـ ص ٢٦٠).

باللمس هنا الجماع.

الثـــاني: قول ابن مـسعود رضي الله عنه، ومعـه فريق من أهل العلم أن المراد باللمس هنا الجماع وما دونه.

● **أما قول ابن عبـاس** رضي الله عنهما **وهو أن المراد باللمس الجماع** فقـد ورد عنه من عدة طرقٍ ثابتة وصحيحـة منها ما أخرجه الطبري[1] بإسناد صـحيح عن سعيـد بن جبير قـال: ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي: ليـس بالجماع، وقال ناس من العرب: اللمـس الجماع، قال: فأتيت ابن عـباس فقلت: إن ناسًا من الموالي والعرب اختلفوا في «الـلمس» فقالت الموالي: ليس بالجماع، وقـالت العرب: الجـمـاع، قال: من أي الفـريقين كنت؟ قـالت: كنت من الموالي، قـال: غُلِـب فـريق الموالي إن «المس»، و«اللمـس» و«المبـاشـرة»: الجماع، ولكن اللَّه يكني ما شاء بما شاء.

● وأخرج الطـبري[2] بإسنادٍ صحيح أيضًـا عن ابن عباس أنه قال: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ قال: هو الجماع[3].

● وعزا ابن كثـير هذا القول إلى علي وأُبي بن كعـب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمـير وسعيد بن جبير والشعبي وقـتادة ومقاتل بن حيان قلت: وبعض الآثار عنهم أخرجهـا الطبري في «تفسيره»، واخـتار الطبري ـ رحمه اللَّه ـ أن المراد بقوله تعالى: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ الجماع دون غيره

---

(١) الطبري أثر (٩٥٨١).

(٢) الطبري (٩٥٨٣).

(٣) واستدل القائلون بأن المس يطلق على الجماع خـاصة: إذا جاء في القرآن الكريم مقرونًا بالنساء.

من معاني اللمس.

• **أما قول ابن مسعود، وهو أن المراد باللمس ما دون الجماع أيضًا كالقبلة ونحوها**، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن عبد اللَّه (ابن مسعود) أنه قال شيئًا هذا معناه: الملامسة: ما دون الجماع[١].

وأورد الطبري جملة طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه تفيد أن اللمس ما دون الجماع وأن القبلة من المس.

وكذلك أورد بإسناد صحيح[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يتوضأ من قبلة المرأة ويرى فيها الوضوء، ويقول: هي من اللمس.

وعزا ابن كثير هذا القول في التفسير إلى أبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يعني: ابن عبد اللَّه بن مسعود، وعامر الشعبي (أيضًا) وثابت بن الحجاج، وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم[٣].

قلت (مصطفى): ولما كان المس واللمس في اللغة يأتي عامًّا ويراد به الجماع وغيره كما قال تعالى: ﴿**فلمسوه بأيديهم**﴾، [الأنعام:٧] وكما قالت عائشة: «واللَّه ما مست يد رسول اللَّه ﷺ يد امرأة قط».

ولما كان المس واللمس إذا جاء في القرآن مقيدًا بالنساء كان المراد به النكاح (على ما سيأتي بيانه)؛ لذلك لم نستطع حسم المسألة بالآية الكريمة فقط فكان لا بد من الاتجاه إلى سنة رسول اللَّه ﷺ لحسم هذا النزاع، فبالنظر

(١) هذا لفظه عند الطبري (٩٦٠٦).

(٢) الطبري (٩٦١٧).

(٣) وأخرج الطبري بعض الآثار عن المذكورين، وانظر أيضًا ـ لمزيد من الوقوف على الآثار ـ «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٤ ـ ٤٦)، (١/ ١٦٦)، و«مصنف عبد الرزاق» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٦).

في سنة رسول اللَّه ﷺ لم نجد دليلاً صحيحًا ملزمًا لمن مس امرأة (فيما دون الجماع) أن يتوضأ بل وجدنا الأمر على العكس من ذلك[١]

• **ونذكر هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في هذا الباب قال ـ رحمه اللَّه ـ (مجموع الفتاوى ٢١/ ٤٠١):**

ونذكر هذا على قوله تعالى: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾.

المراد به الجماع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من العرب وهو يروى عن علي رضي الله عنه وغيره وهو الصحيح في معنى الآية وليس في نقض الوضوء من مس النساء لا كتاب ولا سنة، وقد كان المسلمون دائمًا يمسون نساءهم، وما نقل مسلم واحد عن النبي ﷺ أنه أمر أحدًا بالوضوء من مس النساء.

وقول من قال: إنه أراد ما دون الجماع، وإنه ينقض الوضوء فقد روي عن ابن عمر والحسن «باليد» وهو قول جماعة من السلف في المس بشهوة والوضوء منه حسن مستحب لإطفاء الشهوة كما يستحب الوضوء من الغضب لإطفائه. وأما وجوبه فلا.

وأما المس المجرد عن الشهوة فما أعلم للنقض به أصلاً عن السلف وقوله تعالى: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾، لم يذكر في القرآن الوضوء منه، بل إنما ذكر التيمم بعد أن أمر المحدث القائم للصلاة بالوضوء وأمر الجنب بالاغتسال، فذكر الطهارة بالصعيد الطيب ولا بد أن يبين النوعين.

وقوله: ﴿**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ**﴾ بيان لتيمم هذا.

---

(١) وهذا مأخوذ من كتابنا «جامع أحكام النساء» فارجع إليه إن شئت.

وقوله: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ لم يذكر واحدًا منهما لبيان طهارة الماء. إذا كان قد عرف أصل هذا فقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، فالآية ليس فيها إلا أن اللامس إذا لم يجد الماء يتيمم فكيف يكون هذا من الحدث الأصغر؟ يأمر من مس المرأة أن يتيمم، وهو لم يأمره أن يتوضأ فكيف يأمر بالتيمم من لم يأمره بالوضوء؟ وهو إنما أمر بالتيمم من أمره بالوضوء والاغتسال ونظير هذا يطول، ومن تدبر الآية قطع بأن هذا هو المراد) انتهى كلام شيخ الإسلام.

قلت: فعليه يتقرر لدينا أن من مس امرأة (فيما دون الجماع) لا يلزمه الوضوء وكذلك لا يلزمها هي أيضًا أن تتوضأ.

مما يدل على ما ذكرنا من أن مس المرأة (بما دون الجماع) لا ينقض الوضوء ما أخرجه مسلم[1] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت أنام بين يَدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني، فقبضت رجليَّ، فإذا قام بسطتُّهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.

---

(١) مسلم (مع النووي ص ١٢٣).

(٢) البخاري (مع «الفتح» ١/ ٤٩١)، ومسلم (ص ٣٦٧).

تنبيه: استدل بعض أهل العلم على أن مس المرأة لا ينقض الوضوء بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يُقبل بعض نسائه ثم يخرج إلى الصلاة ولا يتوضأ، وبالنسبة لهذا الحديث فقد ضعفه أهل العلم المتقدمون، وقد أوردت كلام أهل العلم عليه في كتابنا «جامع أحكام النساء»[1].

فحاصل القول ـ والله تبارك وتعالى أعلم ـ أن الاستدلال بالآية على وجوب الوضوء من مس المرأة (فيما دون الجماع) في غير موضعه، إذ أن المس (وهو في الحقيقة أعم من الجماع) إذا جاء في القرآن مقترنًا بالنساء فالمراد به الجماع، ولم يرد لنا حديث صحيح صريح ولا صحيح غير صريح يوجب على من مسَّ امرأته الوضوء ولا على المرأة أن تتوضأ إذا مسها زوجها، أما دعوى أن الآية ناسخة للأحاديث فليست مقبولة لما بيناه بشأن النسخ.

فالحاصل أن مس المرأة (غير الجماع) لا يوجب الوضوء كما قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ ومن معه.

تنبيه آخر: القائلون بنقض الوضوء من مس المرأة اختلفوا في المرأة نفسها هل ينقض وضوؤها أم لا (انظر «المغني» لابن قدامة ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) قال:

... ووجه عدم النقض أن النص إنما ورد بالنقض بملامسة النساء فيتناول اللامس من الرجال فيختص به النقض كلمس الفرج، ولأن المرأة الملموس لا نص فيه، ولا هو في معنى المنصوص، لأن اللمس من الرجل مع الشهوة مظنة لخروج المذي الناقض فأقيم مقامه ولا يوجد ذلك في حق المرأة، والشهوة من اللامس أشد منها في الملموس وأدعى إلى الخروج فلا

(١) وانظر أيضًا «سنن الدارقطني» (١/ ١٣٥ ـ ١٤٢).

يصح القياس عليه، وإذا امتنع النص والقياس لم يثبت الدليل.

كذا قال ـ رحمه اللَّه ـ ولنا بعض التحفظ على هذا القول، وإنما أوردناه فقط لبيان عدم اتحاد قول من استدل بقوله تعالى: ﴿أو لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ على القول بنقض وضوء المرأة.

❊ ❊ ❊

س: من المعنيون بالمرضى في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾؟

ج: هم المصابون بمرض لا يستطيعون معه الوضوء، أو الغسل من الجنابة فيدخل فيهم الجريح والمكسور والمجدور (الذي به مرض الجدري) ونحو هؤلاء ممن يضرهم الماء إذا استعملوه، وكذلك يدخل فيهم المريض الذي لا يجد أحدًا يأتيه بالماء.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد[1] أنه قال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ قال: المريضُ الذي لا يجد أحدًا يأتيه بالماء، ولا يقدر عليه، وليس له خادم ولا عون، فإذا لم يستطع أن يتناول الماء، وليس عنده من يأتيه به، ولا يحبو إليه، تيمم وصلَّى إذا حلَّت الصلاة، قال: هذا كله قول أبي إذا كان لا يستطع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به، لا يترك الصلاة، وهو أعذَرُ من المسافر.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: فتأويل الآية إذًا: وإن كنتم جَرْحَى أو بكم قروح، أو كسر، أو علة لا تقدرون معها على الاغتسال من الجنابة، وأنتم مقيمون غير مسافرين، فتيمموا صعيدًا طيبًا.

(١) الطبري (٩٥٧٩).

• بعض المباحث في التيمم •

س: اذكر سبب نزول آية التيمم.

ج: سبب نزول آية التيمم ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره حتَّى إذا كُنَّا بالبيداء ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عِقدٌ لي، فأقام رسول اللَّه ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول اللَّه ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول اللَّه ﷺ واضع رأسه على فَخِذِي قد نام، فقال: حَبَسْتِ رسول اللَّه ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماءٌ.

فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء اللَّه أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول اللَّه ﷺ على فَخِذِي، فقام رسول اللَّه ﷺ حين أصبح على غير ماءٍ، فأنزل اللَّه آية التيمم، فتيمموا.

فقال أسيد بن الحُضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العِقد تحته.

• لكن يبقى النظر في المراد بآية التيمم هل هي آية النساء، أم آية المائدة؟

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٤)، ومسلم (مع النووي ٤/٥٨).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى[١] :

قوله: فأنزل اللَّه آية التيمم، قال ابن العربي: هذه معضلة ما وجدت لدائها من دواء، لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، قال ابن بطال: هي آية النساء أو آية المائدة، وقال القرطبي: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر فيها للوضوء فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحدي في أسباب النزول هذا الحديث عند ذكر آية النساء أيضًا، وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرَّح فيها بقوله: فنزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾ الآية.

قلت: رواية عمرو بن الحارث التي أشار إليها الحافظ هي عند البخاري[٢] وفيها: فنزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾ فدلَّ ذلك على أنها آية المائدة، اللَّهم إلا إذا خشي أن تكون من تصرف بعض الرواة بناءً على فهمه فنزلت آية التيمم، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: إلى أين يبلغ الشخص بالتيمم في اليدين؟

ج: الراجح لديَّ في هذا الباب، واللَّه أعلم أن التيمم يكون للوجه والكفين فقط، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: تمعكتُ فأتيت النبي ﷺ فقال: «**يكفيك الوجه والكفان**»[٣].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥١٧).

(٢) البخاري (حديث ٤٦٠٨).

(٣) البخاري (حديث ٣٤١).

● **قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه:**

ويستفاد من هذا اللفظ أن ما زاد على الكفين ليس بفرض[١] ، وإليه ذهب أحمد وإسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن خزيمة . . .

قلت: أما النووي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فذهب في «شرح مسلم» إلى أن الذي يمسح من اليدين إنما هو المرفقين، فقال ـ رحمه اللَّه ـ: وقد أوجب اللَّه تعالى غسل اليدين إلى المرفقين في الوضوء، ثم قال تعالى في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، والظاهر أن اليد المطلقة هنا هي المقيدة في الوضوء في أول الآية فلا يترك هذا الظاهر إلا بدليل، واللَّه أعلم.

قلت: والأظهر عندي ما ورد في حديث عمار ففيه (يكفيك الوجه والكفان) وقد ورد في بعض الأحاديث (فمسح بوجهه وذراعيه) لكنها روايات ضعيفة، وقد أشار إلى ضعفها الحافظ في «الفتح»[٢] .

❊ ❊ ❊

س: كم ضربة تجزئ في التيمم؟

ج: ذهب أكثر علماء الحديث إلى أن التيمم الواجب ضربة واحدة للوجه والكفين، فقال النووي ـ رحمه اللَّه: وذهبت طائفة إلى أن الواجب ضربة واحدة للوجه والكفين، وهو مذهب عطاء ومكحول والأوزاعي وأحمد وإسحاق وابن المنذر وعامة أصحاب الحديث.

قلت (مصطفى): وله بوَّب البخاري بباب «التيمم ضربةٌ واحدة»، وأورد

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٣١).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٢٧).

حـديثًـا[١] من طريق شقيـق قال: كنت جالسًا مع عبـد اللَّه، وأبي موسى الأشعري، فـقال له أبو موسى: لو أنَّ رجلاً أجنب فلم يجد الماء شـهرًا أما كان يتـيمم ويُصلِّي؟ فكيف تصنعون بهـذه الآية في سورة المائدة: ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾ [المائدة: ٦]؟ فقال عبد اللَّه: لو رُخِّص لهم في هذا لأوشكوا إذا بردَ عليهم الماء أن يتـيمموا الصعـيد، قلت: وإنما كرهتم هذا لذا؟ قال: نعم، فقـال أبو موسى: ألم تسمع قول عمارٍ لعـمر: بعثني رسول اللَّه ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرَّغت في الصعيد كما تمرَّغ الدابة. فذكرت ذلك لـلنبي ﷺ فقال: «**إنما كـان يكفـيك أن تصنع هكذا**» ـ فضرب بكفه ضربة على الأرض ثمَّ نفضها ثم مسح بهما ظهر كفِّه بشماله، أو ظهر شـماله بكفِّه ثم مسح بهما وجهه. فـقال عبد اللَّه: أفلم تر عمر لم يقنع بقول عمار؟

وزاد يعلى عن الأعمش عن شـقيق: كنت مع عبـد اللَّه وأبي موسى، فقال أبو موسى: ألم تسمع قول عـمَّار لعمر إن رسول اللَّه ﷺ بعثني أنا وأنت فأجنبت فتـمعكت بالصعيـد فأتينا رسول اللَّه ﷺ فأخبـرناه فقال: «**إنما كان يكفيك هكذا**» ومسح وجهه وكفيه واحدة؟

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في شرح هذا الحديث:

وفيـه الاكتفـاء بضربة واحدة في التـيمم، ونقله ابن المنذر عن جمـهور العلماء واختاره.

● أما النووي ـ رحمـه اللَّه تعالى ـ فقال: فمذهبنا ومـذهب الأكثرين أنه لا بد من ضربتين، ضـربة للوجه وضربة لليدين، قـال: وممن قال بهذا من العلماء علي بن أبي طالب، وعبد اللَّه بن عمـر، والحسن البصري والشعبي

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٦٠ ـ ٦١).

وسالم بن عبد اللَّه بن عمر، وسفيان الثوري ومالك، وأبو حنيفة، وأصحاب الرأي، وآخرون رضي اللَّه عنهم أجمعين[١].

• **وأجاب النووي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ على حديث عمار بقوله:**

فيه دلالة لمذهب من يقول: يكفي ضربة واحدة للوجه والكفين جميعًا، وللآخرين أن يجيبوا بأن المراد هنا صورة الضرب للتعليم، وليس المراد بيان جميع ما يحصل به التيمم.

* * *

س: هل يُنفخ في اليدين عند التيمم لإزالة شيء من الغبار؟

ج: الظاهر من سنة رسول اللَّه ﷺ أنه ينفخ فيهما.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث عمار رضي الله عنه قال: فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه.

وفي رواية في «الصحيح» كذلك أن النبي ﷺ قال: «**إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك**»[٣] إلا أن بعض العلماء يرى أن المراد بالنفض هنا تخفيف الغبار الكثير، فإنه يستحب إذا حصل على اليد غبارٌ كثير أن يُخفف بحيث يبقى ما يعم العضو، نقله عنهم النووي ـ رحمه اللَّه تعالى.

---

(١) فيتلخص في ذلك أن رأي الأئمة الثلاثة مالك وأبي حنيفة والشافعي أن التيمم ضربتان، أما رأى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ فهو أن التيمم ضربة واحدة، نقله عنه القرطبي وغيره.

(٢) البخاري (٣٣٨)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٦١).

(٣) هي في بعض طرق الحديث المتقدم، وانظر «مسلم مع النووي» (٤/ ٦٢).

قلت: وقد علق البخاري الترجمة لهذا الحديث فقال: المتيمم هل ينفخ فيهما؟

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في شرح التبويب: وإنما ترجم بلفظ الاستفهام لينبه على أن فيه احتمالاً كعادته؛ لأن النفخ يحتمل أن يكون لشيء علق بيده خشى أن يصيب وجهه الكريم، أو علق بيده من التراب شيء له كثرة فأراد تخفيفه؛ لئلا يبقى له أثرٌ في وجهه، ويحتمل أن يكون لبيان التشريع.

قلت (مصطفى): ومما يقوي وجهة من قال: إنه لبيان التشريع، قول النبي ﷺ: «**إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ فيهما**».. والله أعلم.

* * *

س: هل يجوز التيمم على الجدار؟

ج: نعم يجوز؛ وذلك لما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي الجهيم رضي الله عنه قال: أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جملٍ فلقيه رجل فسلَّم عليه فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم ردَّ عليه السلام.

* * *

س: هل هناك أشياء أجمع العلماء على جواز التيمم بها، وأشياء أجمعوا على عدم جواز التيمم بها؟

(١) البخاري (حديث ٣٣٧).

ج: نعم هناك أشياء أجمعوا على جواز التيمم بها وأخرى أجمعوا على عدم جواز التيمم بها.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: اعلم أن مكان الإجماع مما ذكرناه أن يتيمم الرجل على تراب منبت طاهر غير منقول، ولا مغصوب، ومكان الإجماع في المنع أن يتيمم الرجل على الذهب الصِّرف والفضة والياقوت والزُّمرُّد، والأطعمة كالخبز واللحم وغيرهما، أو على النجاسات.

* * *

س: هل يلزم أن يكون السفر طويلاً كي يتيمم الشخص إذا لم يجد الماء؟

ج: لا يلزم أن يكون السفر طويلاً، إذ الآية الكريمة مطلقةٌ غير مقيدة بسفر طويلٍ ولا قصير، **قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:** والسفر معروف ولا فرق بين الطويل والقصير.

* * *

س: ما حد المرض الذي يباح لمن حلَّ به أن يتيمم؟

ج: هو ما خُشي معه التلف والهلاك، أو حدوث علةٍ وزيادة ضررٍ بالاغتسال أو الوضوء، أو خشي تأخر البرء منه.

* * *

س: أجمع العلماء على جواز التيمم عن الحدث الأصغر فهل يجوز التيمم عن الحدث الأكبر؟ بمعنى هل يجوز للجنب أن يتيمم، وهل يجوز ذلك للحائض والنفساء؟

ج: نعم يجوز للجنب وللحائض والنفساء أيضًا أن يتيمموا، وذلك لعموم قول اللَّه تعالى ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا** ﴾ ولما تقدم من حديث عمار رضي الله عنه، وعلى هذا أكثر أهل العلم[1].

ومما يشهد لتيمم الجنب أيضًا إذا لم يجد الماء حديث عمران بن حصين رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري[2] وغيره، ففيه... ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجلٍ معتزلٍ لم يُصلِّ مع القوم، قال: «**ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم**»؟ قال: أصابتني جنابة ولا ماء، قال: «**عليك بالصعيد فإنه يكفيك**».

* * *

س: من لم يجد الماء فتيمم لجنابة أو لحدث أصغر ثم وجد الماء بعد ذلك، هل يجب عليه الغسل للجنابة أو الوضوء للحدث الأصغر أم أن التيمم يرفع الجنابة والحدث؟

ج: نعم يجب عليه أن يغتسل من الجنابة إذا كان جنبًا ثم وجد الماء، أو يتوضأ إذا كان به حدثٌ أصغر.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: وأجمع العلماء[3] على أن التيمم لا يرفع الجنابة ولا الحدث وأن المتيمم بهما إذا وجد الماء عاد جُنبًا كما كان أو مُحدثًا.

* * *

(١) ولمزيدٍ انظر: «النووي في شرح مسلم».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٤).

(٣) ونقل القرطبي بعد ذلك استثناءات لا يلتفت إليها.

س: من تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة، هل يلزمه الوضوء؟

ج: نعم يجب عليه الوضوء.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: وأجمعوا على أن من تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه وعليه استعمال الماء، وكذلك نقل الإجماع النووي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «شرح مسلم»، واستُثني من ذلك أبو سلمة بن عبد الرحمن ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقد قال بقولٍ آخر، والصواب ما عليه إجماع الأمة، واللَّه أعلم.

* * *

س: من تيمم وصلى وفرغ من صلاته، وكان قد اجتهد في طلب الماء ولم يجده، ثم وجده بعد أن صلى هل تلزمه الإعادة؟

ج: لا تلزمه الإعادة، قال بذلك جمهور العلماء كما نقله عنهم القرطبي ـ رحمه اللَّه.

* * *

س: هل يجوز للرجل أن يجامع امرأته التي انتهت حيضتها ورأت الطهر ـ ولكنها لم تجد ماءً للاغتسال ـ إذا تيممت؟

ج: نعم يجوز له جماعها إذا تيممت لكونها لم تجد الماء.

* * *

س: يجوز التيمم في السفر بالإجماع، فهل يجوز التيمم في الحضر؟

ج: نعم يجوز التيمم في الحضر إذا لم يجد الماء وخاف فوات الصلاة، وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا**﴾ولقول النبي ﷺ:

«الصعيد الطيب طهور المؤمن وإن لم يجد الماء عشر سنين».

ولحديث أبي الجهيم الأنصاري، وقد تقدم، وفيه: أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جملٍ فلقيه رجل فسلَّم عليه فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم ردَّ عليه السلام[1].

❊ ❊ ❊

س: في قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مقدرٌ محذوف، ما هو؟

ج: هذا المقدر المحذوف هو (منه) أي فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، وقد دلت على هذا آية المائدة، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

س: هل يجوز الوضوء بالماء المتغير بشيء من الطاهرات؟

ج: نعم يجوز ذلك، واللَّه أعلم، فما دام لم يخرج عن مسمى الماء جاز الوضوء به، ولا يسوغ التيمم في وجوده.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه ـ في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

واستدل لذلك أيضًا، أي: بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ على أن المتغير بشيء من الطاهرات يجوز، بل يتعين التطهر به؛ لدخوله في قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾، وهذا ماء، ونوزع في ذلك، أنه ماء غير مطلق، وفي ذلك نظر.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٧).

س: إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش إذا اغتسل بالماء، فهل له أن يتيمم؟

ج: نعم له أن يتيمم، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾.

* * *

س: ماذا يصنع فاقد الطهورين (الماء والتراب) هل يصلي أو لا يصلي؟ وهل تجب عليه الإعادة أم لا تجب؟

ج: فاقد الطهورين يصلي ولا تجب عليه الإعادة وإن كان في هذا عدة أقوال لأهل العلم أصحها ما ذكرناه.

قال النووي في «شرح مسلم»: وهو أقوى الأقوال دليلاً.

قلت: وعضده النووي بحديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] ففيه عن عائشة أنها استعارت من أسماء قِلادةً فهلكت، فبعث رسول اللَّه ﷺ رجلاً فوجدها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلُّوا، فشكوا ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ، فأنزل اللَّه آية التيمم، فقال أُسيد بن حُضير لعائشة: جزاكِ اللَّهُ خيرًا، فواللَّه ما نزل بك أمرٌ تكرهينَهُ إلا جعل اللَّه ذلك لك وللمسلمين فيه خيرًا.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنهم ـ قبل نزول آية التيمم ـ صلوا بلا ماءٍ ولا تيمم، ولم يُعيدوا الصلاة، فإذا نزلت آية التيمم ولم يوجد ما يتيممون به صلوا أيضًا بلا ماء ولا تيمم ولم يعيدوا الصلاة كذلك، واللَّه أعلم.

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٦)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٥٩ ـ ٦٠).

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ
وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ
ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ
مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن
لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ
أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ
أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(ألم تر ـ أوتوا ـ نصيبًا ـ يشترون الضلالة ـ تضلوا السبيل ـ وليًا ـ يحرفون ـ يحرفون الكلم عن مواضعه ـ اسمع غير مسمع ـ راعنا ـ ليًا بألسنتهم ـ انظرنا ـ أقوم ـ لعنهم اللَّه ـ بكفرهم ـ نطمس وجوهًا ـ مفعولاً).

ج:

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم ـ ألم تُخبر ـ ألم تر بقلبك علمًا.
أوتوا	أُعطوا.
نصيبًا	حظًا وقسطًا.

يشترون الضلالة	يختارون غير طريق الحق وغير سبيل الرشاد ـ يشترون الكفر بالإيمان.
تضلوا السبيل	تخطئوا طريق الوصول إلى الحق.
وليًا	ناصرًا ـ متوليًا للأمور.
يحرفون	يبدلون ـ يغيرون.
يحرفون الكلم عن مواضعه	يتأولونه على غير تأويله متعمدين لذلك، والكلم جمع كلمة، قيل المراد بها كلمات التوراة.
اسمع غير مسمع	اسمع لا سمعت ـ اسمع غير مقبولٍ منك ولا مجاب.
راعنا	راعنا سمعك ـ استمع إلينا ـ افهم عنَّا وأفهمنا.
ليًا بألسنتهم	تحريكًا وتحريفًا بألسنتهم ـ تحريفًا لكلمة راعنا.
انظرنا	أمهلنا ـ لا تعجل علينا ـ انظر إلينا
أقوم	أصوب في الرأي ـ أعدل ـ أكثر أدبًا
لعنهم اللَّه	أبعدهم اللَّه عن الرشد واتباع الحق ـ طردهم بجحودهم نبوة نبيه ﷺ وما جاءهم من البينات والهدى.
نطمس وجوهًا	نمحو معالمها.
مفعولاً	ناجزًا، لا يتخلف ولا يتأخر.

* * *

س: هل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ مقدر محذوف؟ وما المراد باشتراء الضلالة؟

ج: من العلماء من قدر محذوفًا فقال: المعنى يشترون الضلالة بالهدى

كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦].

ومن العلماء من قال: لا حاجة إلى التقدير، فيكون المعنى يشترون الضلالة فيبحثون عنها ويلتمسونها ولو بالأثمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

أما المراد باشتراء الضلالة، فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: ما قدمناه وأنهم يستبدلون الضلالة بالهدى.

الثاني: استبدالهم التكذيب بالنبي ﷺ بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره.

الثالث: إيثارهم التكذيب بالنبي ﷺ لأخذ الرشوة وثبوت الرئاسة لهم.

الرابع: إعطاؤهم أحبارهم أموالهم على ما يصنعونه من التكذيب بالنبي ﷺ.

وهذه الوجوه ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير».

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾؟ وما هذا النصيب الذي أوتوه؟

ج: هم أعداء اللَّه اليهود، وقد أخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن إلى قتادة قال: هم أعداء اللَّه اليهود، اشتروا الضلالة.

أما النصيب: فهو العلم الذي آتاهم اللَّه إياه وهو في كُتبهم، ومنه العلم بنبوة محمد ﷺ.

---

(١) الطبري (٩٦٩٣).

س: يرغب اليهود وأهل الكفر عمومًا في إضلال المسلمين، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

* * *

س: اذكر بعض المستفاد من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

ج: في هذا تحذيرٌ من اللَّه عز وجل لعباده أن يستنصحوا أحدًا من أعداء الإسلام في شيء من أمر دينهم، أو أن يسمعوا من طعنهم في الحق.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥] فإنه يقول:

فبالله أيها المؤمنون، فثقوا، وعليه فتوكلوا وإليه فارغبوا، دون غيره، يكفكم مهمكم، وينصركم على أعدائكم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾، يقول: وكفاكم وحسبكم بالله ربكم وليًّا يليكم ويلي أموركم بالحياطة لكم، والحراسة من أن يستفزكم أعداؤكم عن دينكم، أو يصدوكم عن اتباع نبيكم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يقول: وحسبكم بالله ناصرًا لكم على أعدائكم وأعداء دينكم، وعلى من بغاكم الغوائل، وبغى دينكم العَوَج.

* * *

س: لماذا كرر قوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ في قوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن التكرار في مثل هذا المقام يكون أشد تأثيرًا في القلب وأكثر مبالغة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان من أوجه التأويل:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء:٤٦] متصلٌ بما قبله، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ومع ذلك فهم يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معناه قائم بذاته فيكون المعنى من الذين هادوا مَن يُحرف الكلم، فتكون كلمة (مَنْ) قد حُذفت من الكلام لكن دلَّ عليها السياق، وهذا الحذف وارد في كلام العرب، كقول

بعضهم: منَّا يقول كذا. أي: منَّا مَن يقول كذا.

أو يكون المعنى: من الذين هادوا قومٌ يُحرفون الكلم عن مواضعه، فتكون كلمة (قوم) قد حُذفت من الكلام، لكن دلَّ عليها السياق.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وبعض صور هذا التحريف.

ج: أما ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ فمعناها: يُغيِّرون ويُبدِّلون، أما قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ فمعناه: عن أماكنه وعن معانيه الصحيحة، أما الكلم فهو كلمات التوراة وتحريفهم للكلم عن مواضعه محتملٌ لأمرين:

أحدهما: أنهم يبدلون كلمة بكلمة، أي: يضعون كلمة مكان أخرى، ويزيدون فيه وينقصون منه.

الثاني: أنهم يؤولونه بتأويلات باطلة.

ومما ورد في كتاب اللَّه بهذا الصدد:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

- وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

- وقوله تعالى عن بني إسرائيل لَمَّا قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، فمنهم من قال: حبةٌ في شعرة، ومنهم من قال: حنطة،

وذلك على سبيل العناد والشقاق والتحريف[١] .

وكذلك قولهم عند مجيئهم رسول اللَّه ﷺ : (السام عليك يا محمد)، ويقصدون بالسام: الموت أو اللعنة، وهم يوهمونه أنهم يقولون: السلام عليك يا محمد.

إلى غير ذلك من ظلم هؤلاء اليهود وتحريفهم.

* * *

س: هل التوراة التي بأيدي اليهود الآن مُبدلة، أم أن التبديل وقع في التأويل دون التنزيل؟

ج: بعد النظر إلى السؤالين السابقين والجواب عليهما، أورد قول ابن القيم في هذا المقام.

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في إغاثة اللهفان[٢] :

وقد اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بأيديهم: هل هي مبدلة، أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل؟

على ثلاثة أقوال: طرفين ووسط.

فأفرطت طائفة وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة، ليست التوراة التي أنزلها اللَّه تعالى على موسى عليه السلام، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض.

وغلا بعضهم، فجوَّز الاستجمار بها من البول.

---

(١) وقد قدمنا تأويل ذلك في سورة البقرة.

(٢) «إغاثة اللهفان» (ص ٦٧١).

وقابلهم طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل.

وهذا مذهب أبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري، قال في «صحيحه»: «يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب اللَّه تعالى ولكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله». وهذا اختيار الرازي في «تفسيره».

وسمعت شيخنا(*) يقول: وقع النزاع في هذه المسألة بين بعض الفضلاء، فاختار هذا المذهب ووهن غيره؟ فأنكر عليه، فأحضر لهم خمسة عشر نقلاً به.

ومن حجة هؤلاء: أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وانتشرت جنوبًا وشمالاً، ولا يعلم عدد نسخها إلا اللَّه تعالى، ومن الممتنع أن يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ، بحيث لا يبقى في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة، والتغيير على منهاج واحد، وهذا مما يحيله العقل، ويشهد ببطلانه.

قالوا: وقد قال اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه تعالى عليه وسلم محتجًا على اليهود بها: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

قالوا: وقد اتفقوا على ترك فريضة الرجم، ولم يمكنهم تغييرها من التوراة، ولهذا لما قرأوها على النبي صلى اللَّه تعالى عليه وسلم وضع القارئ يده على آية الرجم، فقال له عبد اللَّه بن سلام: «ارفع يدك عن آية الرجم» فرفعها، فإذا هي تلوح تحتها، فلو كانوا قد بدلوا ألفاظ التوراة لكان هذا من

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى.

أهم ما يبدلونه.

قالوا: وكذلك صفات النبي صلى اللَّه تعالى عليه وسلم ومخرجه هو في التوراة بيِّن جداً، . ولم يمكنهم إزالته وتغييره، وإنما ذمهم اللَّه تعالى بكتمانهم، وكانوا إذا احتج عليهم بما في التوراة من نعته وصفته يقولون: ليس هو، ونحن ننتظره.

قالوا: وقد روى أبو داود في «سننه» عن ابن عمر قال: «أتى نفر من اليهود، فدعوا رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى عليه وسلم إلى القف، فأتاهم في بيت المدراس، فقالوا: يا أبا القاسم، إن رجلاً منَّا زنا بامرأة، فاحكم، فوضعوا لرسول اللَّه صلى اللَّه تعالى عليه وسلم وسادة، فجلس عليها، ثم قال: «**ائتوني بالتوراة**»، فأُتي بها، فنزع الوسادة من تحته، ووضع التوراة عليها، ثم قال: «**آمنت بك وبمن أنزلك**»، ثم قال: «**ائتوني بأعلمكم**». فأُتي بفتى شاب» ثم ذكر قصة الرجم.

قالوا: فلو كانت مبدلة مغيرة لم يضعها على الوسادة، ولم يقل: «**آمنت بك وبمن أنزلك**».

قالوا: وقد قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنعام: ١١٥]، والتوراة من كلماته.

قالوا: والآثار التي في كتمان اليهود صفة رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم في التوراة ومنعهم أولادهم وعوامهم الاطلاع عليها مشهورة، ومن اطلع عليها منهم، قالوا له: ليس به.

فهذا بعض ما احتجت به هذه الفرقة.

وتوسطت طائفة ثالثة وقالوا: قد زيد فيها، وغير ألفاظ يسيرة، ولكن

أكثرها باق على ما أنزل عليه، والتبديل في يسير منها جدًّا.

وممن اختار هذا القول شيخنا في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح».

وقال شيخ الإسلام[1] ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح»:

ومن حجة الجمهور الذين يمنعون أن تكون جميع ألفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند اللَّه، لم يقع فيها تبديل، ويقولون: إنه وقع التبديل في بعض ألفاظها، ويقولون: إنه لم يعلم أن ألفاظها منزلة من عند اللَّه، فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ما علم ثبوته أنهم قالوا: التوراة والإنجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسى، وعيسى ـ عليهما السلام ـ أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً، وأُجلي منه بنو إسرائيل، ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عزرا، وزعموا أنه نبي.

ومن الناس من يقول: إنه لم يكن نبيًّا، وإنها قوبلت بنسخة وجدت[1] عتيقة.

وقد قيل: إنه أحضرت نسخة كانت بالمغرب، وهذا كله لا يوجب تواتر جميع ألفاظها، ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما يجري مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها، وحفظها القليل، الاثنان والثلاثة.

وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح ـ عليه

---

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ٣٩٥) ط دار العاصمة بالرياض.

السلام ـ ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملاه بعد رفع المسيح «متى» و«يوحنا» ـ وكانا قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر ـ و«مرقس» و«لوقا»، وهما لم يريا المسيح ـ عليه السلام ـ وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح، وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله.

* * *

س: ما وجه الطعن في الدين من جراء قولهم: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾؟

ج: وجه ذلك أن الطعن في رسول اللَّه ﷺ يُعد طعنًا في الدين، فقولهم: واسمع غير مسمع أي: اسمع لا أسمعك اللَّه، أو اسمع غير مجاب، والأول دعاء على رسول اللَّه ﷺ، وهذا كفرٌ، والثاني رد أمر رسول اللَّه ﷺ وهذا كفرٌ أيضًا.

• وثمَّ وجه آخر وهو أنهم يقولون فيما بينهم: لو كان هذا نبيًّا حقًّا يَعلم أننا نشتمه ونسبه، وكذلك فلو كان نبيًّا حقًّا ونحن نشتمه لأنزل اللَّه علينا العذاب.

فهذا وجه طعنهم في الدين، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾.

ج: المعنى واللَّه أعلم: ولكن لم يسلكوا هذا المسلك الرشيد وهو قول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا﴾ [النساء:٤٦]، ولم يأتوا بما هو خير لهم وأقوم، فلهذا لعنهم اللَّه بكفرهم.

ووجه آخر: أنهم لم يسلكوا هذا المسلك الرشيد لأن اللَّه لعنهم وطردهم وأبعدهم عن طريق الحق والخير والصواب بسبب كفرهم، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ج: هذه محتملة لمعانٍ:

أحدها: لا يؤمنون إلا بشيء قليل لا يستحقون به اسم الإيمان لكونهم آمنوا ببعض الآيات دون بعض، ولكونهم آمنوا ببعض النبيين وكفروا ببعض، فقد كفروا بالجميع.

الثاني: لا يُصدقون إلا تصديقًا قليلاً، وهو راجع للأول.

الثالث: لا يؤمن منهم إلا نفرٌ قليل، كعبد اللَّه بن سلام وغيره.

الرابع: لا يؤمنون إيمانًا نافعًا.

الخامس: أنه عُبر بالقليل عن العدم، فالمعنى أنهم لا يؤمنون ألبتة، وهذا الخامس أراه ضعيفًا واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

ج: إيضاحه: أن القرآن الذي نزل على رسول اللَّه ﷺ مصدق للتوراة وتصديقه لها من وجوه:

أحدها: أن نزول القرآن كان تصديقًا للتوراة؛ وذلك لأن التوراة أخبرت أن القرآن سينزل على نبي كريم وهو محمد ﷺ، فكان نزول القرآن تصديقًا لها من هذا الوجه.

الثـــاني: أن القرآن فيـه إخبار بأمور أخبـرت بها التوراة، فكان في هذا الإخبار تصديق أيضًا للتوراة.

* * *

س: ما المراد بطمس الوجوه، وردها على الأدبار؟

ج: في ذلك وجوهٌ لأهل العلم:

أولها: نردها إلى الأدبار ونجعل الأبصار من الوراء.

ثانيـــهـــا: نجعل وجوههم من قـبل أقفيتهم فـيمشون القهـقرى، ونجعل لأحدهم عينين من قبل قفاه.

ثالثها: نطمسها فلا نجعل لها سمعًا ولا بصرًا، ولا أثرًا، فتصير كالقفا لا أنف فيها ولا فمٌ ولا أذن ولا عين.

رابعها: نطمس وجوهًا، أي: نعميها عن الحق، فنردها على أدبارها أي: نردها إلى الضلالة والكفر.

خامسها: نمحو آثارها من هذه البلاد، ونردهم من حيث جاءوا إلى بلاد الشام.

* * *

س: كـيف هُدِّد اليهـود بطمس الوجـوه إذا لم يؤمنوا، ولم يؤمنوا ولم يفعل ذلك بهم؟

ج: قال بعض أهل العـلم: إن ذلك لم يفعل بهم لكون فـريقٍ منهم قد آمن فرفع العذاب والطمس بسبب إيمان بعضهم كعبد اللَّه بن سلام رضي الله عنه، وثمَّ قول آخر، وهو أن الوعيد باقٍ منتظر وسيمسخ قومٌ يوم القيامة وتطمس وجوههم.

س: من هم أصحاب السبت؟

ج: هم الذين اعتدوا في السبت وخالفوا أمر اللَّه عز وجل، إذ قال اللَّه لهم: ﴿**لا تعدوا في السبت**﴾ وأخذ منهم على ذلك ميثاقًا غليظًا، وهم الذين ذكرهم اللَّه في قوله تعالى: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ..**﴾ [الأعراف:١٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦٦].

* * *

س: كيف لُعن أصحاب السبت؟

ج: طُردوا من رحمة اللَّه عز وجل، وقال اللَّه لهم: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦٦]، فأصبحوا قردة مطرودين مبعدين من رحمة اللَّه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [البقرة:٦٥]، وكما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [الأعراف:١٦٦]، وكما قال سبحانه: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [المائدة: ٦٠].

* * *

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن
يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(افترى - يزكون أنفسهم - يزكي - فتيلاً - مبينا - أهدى - لعنهم - نقيراً).

ج:

الكلمة	معناها
افترى	اختلق.
يزكُّون أنفسهم	يبرؤنها من الذنوب ويدعون طهارتها وعلوها وشرفها.
يُزكِّي	يُطَهِّر.
فتيلاً	الفتيل هو الخيط الرفيع الذي يكون في بطن النواة، وقيل: هو ماخرج من بين الإصبعين والكفين من

	الوسخ إذا فتلت إحداهما بالأخرى.
مُبينًا	مُظهرًا للكذب ـ مبينًا كذبهم لسامعيه ـ موضحًا.
أهدى	أعدل وأقوم.
لعنهم	أخزاهم وأبعدهم من رحمته.
نقيرًا	النقطة التي في ظهر النواة ـ وسط النواة.

❊ ❊ ❊

س: هل صحَّ لقوله تعالى ﴿إنَّ اللَّه لا يَغفرُ أن يُشْرَكَ به﴾ سبب نزول؟

ج: لا نعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزول صحيح، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّه لا يَغفرُ أن يُشْرَكَ به﴾.

ج: المعنى واللَّه أعلم: إن اللَّه لا يغفر لمن مات وهو مشرك لم يتب من شركه في دنياه، ولكن من تاب من شركه قبل موته، فاللَّه سبحانه يغفر له، وذلك لقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ {الأنفال: ٣٨}، ولقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..**﴾ {الفرقان: ٦٨} إلى قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ {الفرقان: ٧٠}.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الوارد في ذم الشرك وبيان خطره.

ج: من ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ**

ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

● وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

● وروى مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ قال اللَّه تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه**».

● وأخرج الإمام[2] أحمد في «مسنده» بإسناد صحيح عن محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه؟ قال: «**الرياء، يقول اللَّه**

(١) مسلم (حديث ٢٩٨٥).

(٢) أحمد (٥/ ٤٢٨).

عز وجل لهم يوم القيامة ـ إذا جزى الناس بأعمالهم ـ: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».

• وأخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يَلقى إبراهيم أباه آزَرَ يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربِّ، إنك وعدتني ألا تُخزِيَني يوم يُبعثون، فأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول اللَّه تعالى: إني حرَّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ مُلتَطخ، فيؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار».

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يقول اللَّه تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدم: أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي».

* * *

س: لماذا سمى المشرك مفتريًا؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: وإنما جعله اللَّه تعالى ذكره (مفتريًا) لأنه قال زورًا وإفكًا بجحوده وحدانية اللَّه، وإقراره بأن للَّه شريكًا من خلقه، وصاحبة أو ولدًا، فقائل ذلك مُفْترٍ، وكذلك كل كاذب فهو مُفترٍ في كذبه مختلقٌ له.

---

(١) البخاري (٣٣٥٠).

(٢) البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾؟

ج: هم اليهود والنصارى، ومن سار على طريقتهم.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: هذا اللفظ عام في ظاهره، ولم يختلف أحدٌ من المتأولين في أن المراد اليهود.

* * *

س: كيف كانت تزكيتهم لأنفسهم؟

ج: تزكيتهم لأنفسهم بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وبقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١].

- ومن ذلك قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

ووجه آخر ذكره المفسرون، وهو أن اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة يؤمونهم ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم، ولكن هذ الوجه الأخير وجه ضعيف، وما قبله أولى منه وأصح.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم تزكية النفس والمبالغة في الإفراط في الثناء على الآخرين.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩].

• أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجلٍ عند النبي ﷺ فقال: «**ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك**» مرارًا، ثم قال: «**من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا ـ والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا ـ أحسب كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه**».

• وفي «الصحيح»[٢] أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويُطريه في مدحه فقال: «**أهلكتم ـ أو قطعتم ـ ظهر الرجل**».

• وأخرج مسلم[٣] من حديث المقداد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**».

* * *

س: هل تجوز تزكية النفس في بعض الأحيان؟

ج: نعم يجوز تزكية النفس في بعض الأحيان، وذلك إذا كانت الفتنة مأمونة، ولم يكن هناك غش ولا تدليس، وفي الوقت نفسه كانت الحاجة داعية لذلك.

• وقد أثنى رسول الله ﷺ على عدد من أصحابه فقال النبي ﷺ: «**إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[٤].

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٦٢).

(٢) البخاري (٢٦٦٣).

(٣) مسلم (ص٢٢٩٧).

(٤) البخاري (حديث ٤٦٧).

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح...**»[١] الحديث.

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[٢].

• وقال عمر رضي الله عنه: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ـ يعني بلالاً»[٣].

• وقال النبي ﷺ في شأن عثمان رضي الله عنه: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**»[٤].

• وقال عثمان رضي الله عنه: ألستم تعلمون أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من حفر رومة فله الجنة**» فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهَّز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزتُه؟ قال: فصدقوه بما قال»[٥].

• وقال رسول اللَّه ﷺ مساء الليلة التي فتحت فيها خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحبه اللَّه ورسوله، أو يحب اللَّه ورسوله**»[٦]، فأعطاها عليًّا.

وفي الباب عدة أحاديث عن رسول اللَّه ﷺ.

قال القرطبي[٧] ـ **رحمه اللَّه تعالى**: فأما مدح الرجل بما فيه من الفعل الحسن والأمر المحمود ليكون منه ترغيبًا له في أمثاله، وتحريضًا للناس على

(١) الترمذي (٣٧٩٥) بإسنادٍ حسن.
(٢) البخاري (٣٦٨٩).
(٣) ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠١٤) بإسنادٍ صحيح.
(٤) مسلم (٢٤٠١).
(٥) صحيح لشواهده، وقد أخرجه البخاري معلقًا (٢٧٧٨).
(٦) البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧). (٧) قرطبي (٥/ ١٦٠).

الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحًا بما تكلم به من جميل القول فيه، وهذا راجع إلى النيات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ أمثلة لذلك.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾.

ج: المراد واللَّه أعلم: أن المرجع في التزكية إلى اللَّه لأنه سبحانه يعلم بواطن الأمور وحقائقها وغوامضها.

فالمزكَّى والمطهر من الذنوب من زكَّاه اللَّه وطهره.

ومن تزكية اللَّه عز وجل للعبد ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

ومن ذلك أيضًا: توفيقه للعمل الصالح الذي به تزكو النفوس.

ومن ذلك: مغفرته للعبد وتجاوزه عن سيئاته ومحو آثارها.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا يبخسون شيئًا من حقوقهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي: كفى به إثمًا واضحًا ظاهرًا بينًا يردي صاحبه ويهلكه، فالمراد تعظيم الذنب وذمه.

❊ ❊ ❊

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ عائد على ماذا؟ وضح المراد بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ج: الضمير عائدٌ على الافتراء، أي: افتراء الكذب على اللَّه، أما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ فمعناه كفى بالكذب إثمًا مبينًا يغمس صاحبه في النار.

* * *

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ سبب نزول؟

ج: لهذه الآية سبب نزول مختلف في وصله وإرساله، وهو ما أخرجه الطبري[1] وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منَّا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خيرٌ منه، قال: فأنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وأنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

وهذا كما قدمنا قد روي مرسلاً (بإسقاط ابن عباس) وروي متصلاً، وأورد ذلك الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى.

وقد صوَّب شيخنا مقبل ـ حفظه اللَّه تعالى ـ الإرسال، في تعليقه على

(١) الطبري (٨/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

ابن كثير، واللَّه أعلم[١] .

* * *

س: وضح المراد بالجبت والطاغوت.

ج: لأهل العلم أقوال في تفسير الجبت والطاغوت، نسوقها على النحو التالي:

الجبت	الطاغوت
معبود من دون اللَّه	معبود من دون اللَّه.
صنمٌ.	صنمٌ.
الأصنام.	تراجمة الأصنام الذين يكونون بينها وبين الناس.
السحر.	الشيطان.
الساحر.	الكاهن.
حيي بن أخطب.	كعب بن الأشرف.
الشيطان.	

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾.

ج: المعنى واللَّه أعلم: أن اليهود الذين آتاهم اللَّه نصيبًا من الكتاب

(١) وإضافة إلى الإرسال ففي إسناده داود يرويه عن عكرمة (وهذا في الوجه المتصل) فإن كان داود هو ابن الحصين فروايته عن عكرمة ضعيفة وإن كان هو ابن أبي هند فروايته صحيحة عن عكرمة وغيره، واللَّه أعلم.

يقولون للكفار الذين وصفهم اللَّه بالكفر: إنكم يا أهل الكفر باللَّه أولى بالحق من أهل الإيمان به، وأن دين أهل التكذيب للَّه ورسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق للَّه ورسوله.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أم أن لهؤلاء اليهود نصيبًا من الملك، فإذا كان لهم نصيب من الملك فإنهم لن يعطوا محمدًا ولا أحدًا من الناس قدر النقير من ملكهم، وذلك لشدة بخلهم.

والمعنى أيضًا: ليس لهم نصيب من الملك كما يدعون، فالاستفهام للإنكار عليهم دعوة أن الملك يؤول إليهم ولشدة بخلهم فإن الملك إذا آل إليهم لما أعطوا أحدًا أحقر الأشياء وأتفهها ولو مقدار النقير.

❊ ❊ ❊

أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ
ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا
عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ
وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ
نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(كفى بجهنم سعيراً ـ نصليهم ـ نضجت ـ مطهرة ـ ظليلاً).

ج:

الكلمة	معناها
كفى بجنهم سعيراً	حسبهم جهنم تُسعر عليهم، أي: توقد عليهم، والسعير الوقود.
نصليهم	نشويهم في النار.
نضجت	شويت واحترقت.
مطهرة	بريئة من الدنس والرَّيب والحيض والغائط والبول والمنيّ والولد.
ظليلاً	كنينًا يُكنُّهم ـ يُظِّلهم.

س: من المعنيون بالناس في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾؟ وعلامَ حسدتهم اليهود؟

ج: قال بعض العلماء: إن المعنيين بالناس هنا هم العرب، حسدتهم اليهود على ما منَّ اللَّه به عليهم من بعثة النبي ﷺ منهم.

وحسدت اليهود أيضًا نبينا محمدًا ﷺ لما آتاه اللَّه - عز وجل - من النبوة والقرآن.

وحسدوا أصحاب محمدٍ ﷺ لإيمانهم به ولتصديقهم إياه.

وقال آخرون: إنه ما خصَّ اللَّه به نبيه ﷺ من نكاح ما شاء من النسوة.

إلا أن أكثر أهل العلم على أن المراد هو النبي ﷺ حسدته اليهود لما منَّ اللَّه عليه به من النبوة.

* * *

س: من المعنيون بآل إبراهيم؟

ج: هم أهله وأبناؤه والذين هم على دينه.

* * *

س: ما المراد بالكتاب والحكمة، وما المراد بالملك العظيم؟

ج: أما الكتاب: فهو عموم الكتب التي نزلت على آل إبراهيم قبل نبينا محمد ﷺ كصحف إبراهيم عليه السلام، وكذلك صحف موسى ومنها التوراة والألواح، وكذلك كالزبور والإنجيل.

أما الحكمة: فهي ما أوحاه اللَّه إلى أنبيائه من آل إبراهيم ولم يكن كتابًا

مقروءًا. وأيضًا هي وضع الأمور في نصابها.

أما الملك العظيم: فمنه ما أمدَّ اللَّه به نبيه داود عليه السلام وكذلك ما أعطاه نبيه سليمان عليه السلام.

وقال بعض العلماء: يدخل فيه الإمداد بالملائكة والجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين.

* * *

س: ما وجه ربط قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم؛ لأن اليهود حسدوا محمدًا ﷺ وحسدوا العرب على ما منّ اللَّه به عليهم من النبوة فيهم، فكأنه قيل لهم: لمَ تحسدون هؤلاء على ما آتاهم اللَّه من فضله من النبوة والإيمان، فقد آتينا أجدادكم الذين هم آل إبراهيم النبوة، وأنزلنا عليهم الكتب المتعددة، وعلمناهم الحكمة، وآتيناهم الملك العظيم، ومع ذلك كله فقد كذَّب فريق من ذرياتهم وأممهم ولم يشكروا نعمة اللَّه عليهم إذ جعل النبوة في أجدادهم، بل كفروا النعمة وعصوا الرب جل وعلا، وسعوا في صد الناس وصرفهم وإبعادهم عن طريق الخير.

فائدة: قال الرازي ـ رحمه اللَّه تعالى: واعلم أن الحسد لا يحصل إلا عند الفضيلة، فكلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم، ومعلوم أن النبوة أعظم المناصب في الدين، ثم إنه تعالى أعطاها لمحمد ﷺ، وضم إليها أنه جعله كل يومٍ أقوى دولةً وأعظم شوكةً

وأكثر أنصارًا وأعوانًا وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم، فأما كثرة النساء فهو كالأمر الحقير بالنسبة إلى ما ذكرناه، فلا يمكن تفسير هذا الفضل به، بل إن جعل الفضل اسمًا لجميع ما أنعم اللَّه تعالى به عليه دخل هذا أيضًا تحته، فأما على سبيل القصر عليه فبعيد.

واعلم أنه تعالى لَمَّا بيَّن أن كثرة نعم اللَّه عليه صارت سببًا لحسد هؤلاء اليهود، بين ما يدفع ذلك فقال: ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾، والمعنى: أنه حصل في أولاد إبراهيم جماعة كثيرون جمعوا بين النبوة والملك، وأنتم لا تتعجبون من ذلك ولا تحسدونه، فَلِمَ تتعجبون من حال محمد، ولِمَ تحسدونه؟!

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ يرجع إلى من؟

ج: الضمير يرجع إلى أحد أمرين:

أولهما: ما أوتيه آل إبراهيم.

والثاني: القرآن الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ.

* * *

س: اذكر دليلين على بطلان القول القائل بفناء النار.

ج: أما الدليل الأول: فهو قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾.

أما الدليل الثاني[١] : فهو قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة: ٢٠].

❊ ❊ ❊

س: وضح شيئًا من الوارد في وصف هذا الظل، مع بيان بعض من يظلهم اللَّه.

ج: من الوارد في وصف هذا الظل قول النبي ﷺ : «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عامٍ لا يقطعها»[٢] .

أما الذين يظلهم اللَّه في هذا الظل فمنهم ما يلي:

- الذين ورد ذكرهم في قول النبي ﷺ : «سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله[٣] : الإمام العادل، وشابٌّ نَشَأَ بعبادة اللَّه، ورجلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المساجد، ورجلان تحابَّا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللَّهَ، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتَّى لا تعلم يمينه ما تُنْفِقُ شِمالُهُ، ورجل ذكر اللَّه خاليًا ففاضت عيناه» .

- والذي ذكره النبي ﷺ في حديثه إذ قال: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظلَّه اللَّه في ظله»[٤] .

- وعموم المؤمنين الذين يعملون الصالحات، لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

---

(١) وقد أوردنا مزيدًا من الاستدلالات لذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾ من سورة النبأ.

(٢) البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (حديث٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٦٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٣١).

(٤) مسلم (حديث ٣٠٠٦).

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

❊ ❊ ❊

س: هل هناك ظل غير ظليل؟

ج: نعم هناك ظلٌّ غير ظليل، لا يُظل ولا يُكنُّ، قال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١].

• وقال تعالى في شأن قوم شعيب عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

• وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٤].

❊ ❊ ❊

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم
بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ
ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ
تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى
ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن
يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ
إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ
مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ
ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(إن اللَّه نعما يعظكم به ـ تنازعتم ـ أحسن تأويلاً ـ يزعمون ـ ضلالاً بعيداً ـ يصدون عنك صدوداً ـ بما قدمت أيديهم ـ توفيقًا ـ عظهم ـ بليغًا ـ شجر ـ حرجًا ـ يُسلموا تسليمًا).

ج:

الكلمة	معناها
إن اللَّه نعما يعظكم به	نعم الشيء الذي يعظكم به ربكم، نعم ما يعظكم به ربكم.
تنازعتم	تجادلتم واختلفتم.
أحسن تأويلاً	أحسن عاقبة وجزاءً ـ أحسن مردًّا ومرجعًا، أحسن تصديقًا ـ أحسن من تأويلكم.
يزعمون	يقولون كذبًا[1] .
ضلالاً بعيداً	ضلالاً شديدًا ـ ضلالاً مستمرًّا إلى الموت.
يصدون عنك صدوداً	يعرضون عنك إعراضًا.
بما قدمت أيديكم	بما اقترفتموه من ذنوب وآثام.
توفيقًا	توفيقًا بين الخصمين.
عظهم	ذكِّرهم وخوِّفهم.
بليغًا	مؤثرًا ـ واصلاً إلى القلوب. والبلاغة: إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ.

(١) استعمال الزعم في الأكثر على القول الكاذب، وأحيانًا يطلق على مطلق القول.

شجر	اختلف واختلط، والتشاجر الاختلاف في الكلام والأمر.
حرجًا	ضيقًا ـ شكًّا ـ إثمًا.
يُسلموا تسليمًا	ينقادوا انقيادًا ويذعنوا إذعانًا.

* * *

أداء الأمانات

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وما هذه الأمانات؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المخاطبين بالآية هم ولاة الأمور، أما الأمانات فهي حقوق الرعية بصفةٍ عامة، ويدخل فيها ما للرعية من الحقوق من الفيء والغنائم والحكم والقسمة بينهم بالعدل، والأخذ للمظلوم من الظالم، والوعظ، والتذكير.

الثاني: أن المخاطب بذلك هو رسول اللَّه ﷺ أُمر برد مفاتيح الكعبة لعثمان بن طلحة، إلا أن سبب النزول بذلك لا يصح.

الثالث: أن المراد كل من اؤتمن على شيء، أمر برد الأمانة كاملة مستوفاة، فيدخل في ذلك ما ذكر أولاً، وتدخل الأمانات التي تكون بين الأشخاص كالأمانات المالية والعينية ونحوها، وكذلك الشهادات وأنواع الإقرار، وتدخل في ذلك أنواع العلوم كذلك، فكل من آتاه اللَّه علمًا فهو مؤتمن عليه.

هذا، وقد جمع الرازي في «تفسيره»[1] عموم ما ذُكر وزاد عليه فقال:

«واعلم أن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه، أو مع سائر العباد، أو

---

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٠/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

تنبيه: في تفسير الفخر الرازي في كثير من المسائل بُعد استطراد فيما لا فائدة فيه، بل وخطأ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نأخذ منه ما أفاد فيه وأصاب وأجاد.

مع نفسه، ولا بد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة.

أما رعاية الأمانة مع الرب: فهي في فعل المأمورات وترك المنهيات، وهذا بحر لا ساحل له، قال ابن مسعود: الأمانة في كل شيء لازمة، في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إنه تعالى خلق فرج الإنسان وقال: هذا أمانة خبأتها عندك فاحفظها إلا بحقها، واعلم أن هذا باب واسع، فأمانة اللسان ألا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة، والفحش وغيرها، وأمانة العين ألا يستعملها في النظر إلى الحرام، وأمانة السمع ألا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي، وسماع الفحش والأكاذيب وغيرها، وكذا القول في جميع الأعضاء.

وأما القسم الثاني: وهو رعاية الأمانة مع سائر الخلق فيدخل فيها رد الودائع، ويدخل فيه ترك التطفيف في الكيل والوزن، ويدخل فيه ألا يفشي على الناس عيوبهم، ويدخل فيه عدل الأمراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام، بألا يحملوهم على التعصبات الباطلة، بل يرشدونهم إلى اعتقادات وأعمال تنفعهم في دنياهم وأخراهم، ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان أمر محمد ﷺ، ونهيهم عن قولهم للكفار: إن ما أنتم عليه أفضل من دين محمد ﷺ، ويدخل فيه أمر الرسول ﷺ برد المفتاح إلى عثمان بن طلحة، ويدخل فيه أمانة الزوجة للزوج في حفظ فرجها، وفي ألا تلحق بالزوج ولدًا يولد من غيره، وفي إخبارها عن انقضاء عدتها.

وأما القسم الثالث: وهو أمانة الإنسان مع نفسه فهو ألا يختار لنفسه إلا

ما هو الأنفع والأصلح له في الدين والدنيا، وأن لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» فقوله: ﴿**يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٥٨] يدخل فيه الكل.

وقد عظم اللَّه أمر الأمانة في مواضع كثيرة في كتابه، فقال: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ**﴾ [الأحزاب:٧٢]، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المعارج:٣٢]، وقال: ﴿**وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**﴾[الأنفال:٢٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، وقال ميمون بن مهران: ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم.

وقال القاضي: لفظ الأمانة وإن كان متناولاً للكل إلا أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٥٨]، فوجب أن يكون المراد بهذه الأمانة ما يجري مجرى المال؛ لأنها هي التي يمكن أداؤها إلى الغير.

* * *

س: هل تؤدى الأمانات إلى أصحابها الفجار؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار، كما قال ابن المنذر.

قلت (مصطفى): وإن ورد نوع من الاستثناء فذلك حسن، فعلى سبيل المثال: إذا استأمن شخصٌ شخصًا على سلاح، ثم جاءه يطلب سلاحه كي

يقتل به مُسلمًا ظلمًا وعدوانًا فمنعته السلاح ولم أعطه ـ ليس من باب جحد الأمانة، ولكن من باب نصرته ظالمًا بمنعه من الظلم فهذا ـ فيما أرى والله أعلم ـ صنيع حسن.

وكذلك إذا استأمنني رجل على مالٍ، ثم جاء يطلب ماله وأنا موقن أنه سيشتري به مخدرات ومُسكرات؛ فمنعه المال حينئذ أولى من إعطائه، والله أعلم؛ وذلك لنصوص عدة، كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وكقوله تعالى: ﴿**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

وقد قال تعالى في شأن الأيتام: ﴿**فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ [النساء: ٦].

* * *

س: هل يجوز لرجلٍ اغتُصب مالُه أن يأخذ من مال المغتصب بغير إذن المغتصب؟

ج: نعم يجوز ذلك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ**﴾ [الحج: ٦٠]، وفي الباب قصة هند كذلك، ففي «الصحيحين»(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن هندًا بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٥٦٤)، ومسلم (حديث ١٧١٤).

س: ما مدى صحة حديث: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»؟

ج: هذا الحديث ضعيف من كل طرقه التي وقفت عليها، وقد أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والطبري[1] وآخرون، وفي كل الطرق عندهم ضعف.

وأحب أن أورد هنا ما أورده الحافظ في «التلخيص».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى:

حديث: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»، أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة، تفرد به طلق بن غنام عن شريك، واستشهد له الحاكم بحديث أبي التياح عن أنس، وفيه أيوب بن سويد مختلف فيه، وذكر الطبراني أنه تفرد به، وفي الباب عن أبي بن كعب ذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية»، وفي إسناده من لا يعرف، وروى أبو داود، والبيهقي من طريق يوسف بن ماهك عن فلان عن آخر، وفيه هذا المجهول، وقد صححه ابن السكن، ورواه البيهقي من طريق أبي أمامة بسند ضعيف، ومن طريق الحسن مرسلاً، قال الشافعي: هذا الحديث ليس بثابت، وقال ابن الجوزي: لا يصح من جميع طرقه، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: هذا حديث باطل لا أعرفه من وجه يصح[2].

* * *

(١) أبو داود (٣٥٣٤)، و(٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤)، والطبري (٩٨٥٠)، وغيرهم كثيرون.

(٢) «تلخيص الحبير» (٣/ ٩٧).

س: إذا تلفت الأمانة هل يلزم المؤتمن غرمها؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: فإذا تلفت الأمانة لم يلزم المؤتمن غرمها لأنه مصدقٌ.

قلت: بينما ذهب فريق آخر من العلماء إلى أن العارية مضمونة، وهذا الأخير قول الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وحجته الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٥٨].

قلت (مصطفى): وينبغي أن يكون هناك تفصيل بين المفرط في حفظ الأمانة والمحافظ عليها ولكنها تلفت بغير إرادته، أو فقدت منه بغير تفريط واللَّه أعلم.

* * *

نصوص تحث على العدل بين الناس

س: اذكر بعض النصوص التي تحث على العدل بين الناس في الحكم.

ج: من ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..﴾ إلى قوله ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ [الحجرات: ٨].
- وقول النبي ﷺ: «إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوا»(١).
- وقوله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة...»(٢) الحديث.

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٢٧)، وقوله (وما دولوا) أي: من كانت له عليهم ولاية.
(٢) البخاري (حديث ٢٧٠٧)، ومسلم (حديث ١٠٠٩).

س: هل يتجه الحاكم إلى الإصلاح بين الخصوم، وإن استبان له الحق؟

ج: نعم يجوز له ذلك، فله أن يحث صاحب الحق على التنازل عن شيء من حقه، وذلك للأدلة الآتية.

• ورد من حديث كعب بن مالك[1] رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول اللَّه ﷺ، وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى: «**يا كعب**» قال: لبيك يا رسول اللَّه! قال: «**ضع من دَينك هذا**» ـ وأومأ إليه أي: الشطر ـ قال: لقد فعلت يا رسول اللَّه، قال: «**قم فاقضه**».

فهنا حثَّ النبي ﷺ كعب بن مالك على وضع النصف من ماله الذي له عند ابن أبي حدرد، وهذا نوع من أنواع الإصلاح، أما القضاء فيستلزم أن يستوفى كعبٌ حقه كاملاً.

وفي «الصحيح»[2] أيضًا من حديث عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج[3] الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري سرِّح[4] الماء يمرُّ، فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ للزبير: «**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**» فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك. فتلوَّن وجه

---

(١) انظر البخاري (حديث ٢٧١٠)، و(٢٧٠٦)، ومسلم (حديث١٥٥٨).

(٢) البخاري (حديث ٢٧١٠)، ومسلم (حديث ١٥٥٨).

(٣) شراج: هو مسيل الماء، أما الحرة: فهي موضع بمدينة رسول اللَّه ﷺ.

(٤) سرح الماء: أي: أطلق الماء، قال الحافظ في الفتح: وإنما قال له ذلك؛ لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبسه لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع.

رسول اللَّه ﷺ، ثم قال: «**اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**»[١] فقال الزبير: واللَّه إني لأحسب أن هذه الآية نزلت في ذلك ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء: ٦٥].

فهنا أشار عليهما النبي ﷺ بأمرٍ لهما فيه سعة، على سبيل الإصلاح بينهما، فلما أبى الأنصاري ذلك استوفى النبي ﷺ للزبير حقه كاملاً، فأمره أن يسقي حتى تمتلئ أرضه بالماء (حتى يرجع الماء إلى الجدر) ثم يرسله إلى الأنصاري.

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث بباب: إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين.

وكنحو ذلك الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: ١٢٨].

جاء في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هذه الآية: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؟

ج: وجه ذلك أن اللَّه يحذر عباده من خيانة الأمانات، وذلك بإخبارهم

---

(١) في رواية للبخاري: (حديث ٤٥٨٥)، وانظر أيضًا: (حديث ٢٧٠٨) «واستوعى له حقه».

أنه سبحانه سميع لأقوالهم بصيرٌ بهم وبأفعالهم ومن ثمَّ سيجازيهم على حفظهم للأمانات ويعاقبهم على خيانتها واللَّه أعلم، فهو سبحانه حافظ لأعمالهم حتى يجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته.

* * *

س: ما مدى صحة الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فوضع إبهامه اليمنى على أذنه اليمنى؟

ج: أخرج أبو داود[1] وغيره بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ يضع إبهامه على أُذنه والتي تليها على عينه، قال أبوهريرة: رأيت رسول اللَّه ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه.

* * *

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

ج: سبب ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ قال: نزلت في عبد

---

(١) أبو داود (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٤٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» حديث (٣٩٠)، وغيرهم جمٌّ غفير، وإسناده صحيح كما أشرنا إليه، واللَّه أعلم.

(٢) البخاري (حديث ٤٥٨٤)، ومسلم (حديث ١٨٣٤).

اللَّه بن حُذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

قلت: ولعل هذا البعث يتضح من حديث علي رضي الله عنه[1] قال: بعث رسول اللَّه ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار. وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبًا. فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا. فأوقدوا. ثم قال: ألم يأمركم رسول اللَّه ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول اللَّه ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطُفِئَت النار. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف**».

* * *

س: فيم تتمثل طاعة رسول اللَّه ﷺ؟

ج: تتمثل طاعة رسول اللَّه ﷺ في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه في حياته، وامتثالها أيضًا بعد مماته.

* * *

س: اذكر بعض النصوص التي تحث على طاعة اللَّه ورسوله.

ج: من ذلك ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٠، ٢١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٤٠)، ومسلم (حديث ١٨٤٠).

● وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

● وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

● وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

● وقوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

● وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

● قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

● وقول النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فقد عصى اللَّه..**»(١).

* * *

س: من المعنيون بأولي الأمر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها: أن أولي الأمر المراد بهم الأمراء والسلاطين.

الثاني: أهل العلم والفقه والعقل والرأي.

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه: والظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أنها عامة في كل

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

أولى الأمر من الأمراء والعلماء.

قلت: ومما يؤيد الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وسيأتي ما فيها إن شاء اللَّه.

• **أما الطبري ـ رحمه اللَّه ـ** فقد اختار الأول، فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان للَّه طاعة وللمسلمين مصلحة.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في الحث على طاعة أولي الأمر؟

ج: من ذلك ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

• قول النبي ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل حبشيٌ كأن رأسه زبيبة**»(١).

• وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أم الحُصين رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أُمِّر عليكم عبدٌ مُجدَّع** (قال الراوي: حسبتها قالت) **أسود يقودكم بكتاب اللَّه تعالى فاسمعوا له وأطيعوا**».

• وقال النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فقد عصى**

---

(١) البخاري (حديث ٦٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) مسلم (حديث ١٢٩٨).

اللَّه، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[١] .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرةً علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان.

● وفي «الصحيحين»[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتةٌ جاهلية**».

● وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي اللَّه يوم القيامة لا حُجَّة له**».

● وفي «صحيح مسلم»[٥] أيضًا من حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتُنكرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سَلِم، ولكن من رضي وتابع**»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا**».

● وفي «صحيح مسلم»[٦] من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويُصلُّون عليكم**

(١) صحيح، وتقدم تخريجه قريبًا.
(٢) البخاري (حديث ٧٠٥٥)، ومسلم (ص ١٤٧٠).
(٣) البخاري (حديث ٧٠٥٣)، ومسلم (حديث ١٨٤٩).
(٤) مسلم (حديث ١٨٥١).
(٥) مسلم (حديث ١٨٥٤).
(٦) مسلم (حديث ١٨٥٥).

وتُصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول اللَّه، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتِكُم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تَنزِعوا يدًا من طاعة».

● وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

● وفي البخاري[٢] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول اللَّه ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها». قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا اللَّه حقكم».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا اجتزأنا بما ذكرناه.

* * *

س: هل طاعة الأمر طاعة مطلقة؟

ج: ليست طاعة مطلقة، بل هي في المعروف، كما ورد عن رسول اللَّه ﷺ، فقد تقدم قول النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»، وقوله ﷺ: «... فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٩٥٥) ومسلم (حديث ١٨٣٩).
(٢) البخاري (١٠٥٢).

س: ما المراد بالرد إلى اللَّه، وما المراد بالرد إلى رسول اللَّه ﷺ ؟

ج: المراد بالرد إلى اللَّه الرد إلى كتاب اللَّه، والمراد بالرد إلى رسول اللَّه ﷺ الرد إلى سنته، وهذا قول الجمهور.

• ومن العلماء من قال: إن الرد إلى اللَّه ورسوله أن يقول من لا يعلم: اللَّه ورسوله أعلم.

* * *

س: ما المراد بالتحاكم إلى الطاغوت؟

ج: المراد بالتحاكم إلى الطاغوت التحاكم إلى ما سوى الكتاب والسنة من الباطل. ومن العلماء من أنزل الطاغوت في هذه الآية على كعب بن الأشرف، والقول الأول أصح وأعم وأولى، واللَّه أعلم.

* * *

س: شأن أهل النفاق أنهم إذا دعوا إلى الحكم بكتاب اللَّه، وكان الحكم لا يوافق أهواءهم أعرضوا عنه، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨، ٤٩].

• وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

• وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ

الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١].

* * *

س: ما الذي قدمته أيديهم وهددوا بالمصائب بسببه إذ قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه نفاقهم واستهزاؤهم.

الثاني: ردهم حكم النبي ﷺ.

الثالث: معاصيهم المتقدمة.

* * *

س: ما مراد أهل النفاق بقولهم ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾؟

ج: مرادهم، والله تعالى أعلم، أنهم ما أرادوا بمصادقة اليهود وأهل الكفر إلا المداراة والمصانعة والتسديد والمقاربة بينهم وبين المسلمين.

ووجه آخر قريب: ما أردنا باحتكامنا إلا الإحسان من بعضنا لبعض، وتحري الصواب فيما احتكمنا فيه.

* * *

الأدلة على استحباب الوعظ والتذكير

س: اذكر بعض ما يدل على استحباب الوعظ ومشروعيته؟

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.
- ومن ذلك حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع.. الحديث[1].
- ومن ذلك موعظة موسى عليه السلام لبني إسرائيل، ففي «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «**موسى رسول الله ﷺ ذكَّر الناسَ يومًا، حتى إذا فاضت العيون ورقَّت القلوب ولَّى..**» الحديث[2].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن طاعة المطيع تكون بإذن الله وتوفيقه، وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ يدخل في معناه: (إلا ونحن نريد أن يُطاع).

* * *

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (حديث (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (حديث ٤٢، ٤٣)، وغيرهم.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (حديث ٤٧٢٦)، وأصله عند مسلم (٢٣٨٠).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؟

ج: المعنى - واللَّه تعالى أعلم - ولو أن هؤلاء الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وأعرضوا عن التحاكم إلى اللَّه ورسوله جاءوك بعد ذلك تائبين من ذنبهم، مقلعين عن غيهم، مستغفرين ربهم ،وسائلين نبيهم أن يستغفر لهم بدلاً من أن يأتوك مجادلين يعلنون بها منافحين عنها؛ لغفر اللَّه لهم، ولتاب اللَّه عليهم ورحمهم.

* * *

س: هذا المجيء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ هل هو في حياته ﷺ أم في حياته وبعد مماته عليه الصلاة والسلام؟

ج: هذا المجيء مختصٌ بزمان حياته ﷺ، وذلك بدليل فعل صحابة رسول اللَّه ﷺ، فلم نقف على شيء صحيح يفيد أن أحد أصحاب النبي ﷺ جاءه طالبًا منه الاستغفار بعد موته عليه الصلاة والسلام.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وهذا المجيء يختص بزمان حياته ﷺ، وليس المجيء إليه يعني إلى مرقده المنوّر بعد وفاته ﷺ مما تدل عليه هذه الآية كما قرره في «الصارم المنكى» ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا من التابعين ولا ممن تبعهم بإحسان.

قلت (مصطفى): ثم إن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

● وقال نحوه النبي ﷺ (١) إذ رُدَّ أقوامًا عن حوضه فقال: «يا رب أصحابي»، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾.

● **وأما الأثر الذي أورده الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث قال في تفسيره:**

وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه، سمعت اللَّه يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «يا عُتَبِى الحق الأعرابي فبشره أن اللَّه قد غفر له».

فهذا الأثر عليه مآخذ من وجوه.

أحدها: أنه لا يُدرى من هذا العتبى.

ثانيها: أن الرؤى لا ينبني عليها أحكام شرعية.

---

(١) أخرج ذلك البخاري (٤٦٢٥) ومسلم (ص٢١٩٥).

ثالثها: أن أفعال الصحابة ليست وفق ذلك.

ومن ثمَّ فلا وجه لبناء أي حكم على مثل هذا الأثر، وكان يجدر بالحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أن يلفت النظر إلى هذا، ولكن عفا اللَّه عنه ورحمه اللَّه، وسبحان من لا تخفى عليه خافية.

* * *

س:هل صح للآية الكريمة: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شِراج الحرَّةِ التي يسقُون بها النخل، فقال الأنصاريُّ: سرِّح الماء يمر. فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال: رسول اللَّه ﷺ للزبير: اسق يا زُبير، ثم أرسل الماء إلى جارك. فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك. فَتَلوَّن وجه رسول اللَّه ﷺ، ثم قال: اسقِ يا زُبير ثم احبِس الماء حتى يرجع إلى الجَدْرِ. فقال الزبير: واللَّه إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

* * *

س:ما حكم من ترك هذا التحكيم المذكور في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؟

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٥٩، ٢٣٦٠) وفي غير موطن، ومسلم (١٨٢٩).

ج: قال السعدي ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن»:

ومن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.

❊ ❊ ❊

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟
مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا
يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا
لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ
وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ
ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟
جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ۖ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ
قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾
وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(ما يوعظون به ـ تثبيتًا ـ الصديقين ـ الشهداء ـ الصالحين ـ رفيقًا ـ خذوا حذركم ـ انفروا ـ ثبات ـ جميعًا ـ ليبطئن ـ مصيبة ـ فضل من اللَّه ـ مودة ـ شهيدًا).

ج:

الكلمة	معناها
ما يوعظون به	ما يُذكَّرون به ـ ما يخوَّفون به ـ ما يؤمرون به.
تثبيتًا	تصديقًا ـ قوةً وعونًا على الطاعة.
الصديقين	جمع صِّديق[1]، والصِّديق: كثير التصديق فالصديقون هم أتباع الأنبياء الذين صدقوهم، واتبعوا مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم. والصِّديق أيضًا: هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه.
الشهداء	جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل اللَّه، أي: المقتول لتكون كلمة اللَّه هي العليا[2].
الصالحين	من صلحت سرائرهم وعلانيتهم.
رفيقًا	رفقاء، وكذلك كقوله: ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ أي: أطفالاً والرفق: لين الجانب، والرفيق: الصاحب لكونه يُلين جانبه لصاحبه.
خذوا حِذركم	خذوا جُنَّتكم وأسلحتكم التي تتقون بها من عدوكم.
انفروا	انهضوا لقتال عدوكم.
ثبات	جمع ثُبه وهي العُصبة من الناس ـ سرايا متفرقين فِرقًا فِرقًا.
جميعًا	كلكم مجتمعين، فقوله: ﴿انفروا جميعًا﴾ أي: فلينفر الجيش كله.

(١) فالصديق فعيلٌ من الصدق، كما يُقال: رجل سكِّير أي: كثير السُّكْر مُدْمنٌ لذلك.

(٢) قال الطبري رحمه اللَّه: سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب اللَّه حتى قُتل.

ليبطئن	ليبطئ من أطاعه عن الجهاد ـ يصد غيره ويُكسِّله عن الجهاد ويزهده فيه وأيضًا يتأخرون عن الجهاد ويؤخرون غيرهم.
مصيبة	المراد بها هنا القتل والهزيمة.
فضل من اللَّه	غنيمة وفتح.
مودة	محبةٌ وصلة ـ معاقدة على الجهاد.
شهيدًا	حاضرًا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

ج: هذه الآية الكريمة في قومٍ من بني إسرائيل افتخروا بأجدادهم الذين قيل اقتلوا أنفسكم فقتلوها.

فقال اللَّه لهؤلاء اليهود المفتخرين بآبائهم: إنكم إذا أُمرتم بقتل أنفسكم ما فعلتم، ولو اقتصرتم على فعل ما أمركم اللَّه به دون الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة التي تفترضونها؛ لكان فعلكم لما توعظون به خيرًا لكم وأشد تثبيتًا.

* * *

س: لا ينبغي أن يتمنى الشخص من التكاليف شيئًا زائدًا فإنه قد يُكلَّف ولا يفعل، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

● وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

● وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

● ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لا تمنَّوا لقاء العدو»(١).

● وقوله عليه الصلاة والسلام: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألةٍ وُكِلْت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألةٍ أعنت عليها»(٢).

* * *

س: من عمل بما علم أورثه اللَّه علم ما لم يعلم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٥)، ومسلم (حديث ١٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (حديث ١٦٥٢).

[العنكبوت:٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦:٦٨].

* * *

س: هل أهل الإيمان يرون الأنبياء في الجنة؟

ج: نعم، يرون الأنبياء في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

• وقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»(١).

* * *

س: تلا رسول الله ﷺ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم..﴾ في موطن من المواطن، اذكر هذا الموطن.

ج: تلاها رسول الله ﷺ عند موته، ففي «الصحيحين»(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يَمرضُ إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة». وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» فعلمت أنه خُيِّر.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦١٦٨)، ومسلم (حديث ٢٦٤٠).

(٢) البخاري (حديث ٤٥٨٦)، ومسلم (ص ١٨٩٣).

س: من هو صدِّيق هذه الأمة؟

ج: صدِّيق هذه الأمة هو أبو بكر رضي الله عنه.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: وأجمع المسلمون على تسمية أبي بكر الصديق رضي الله عنه صديقًا.

* * *

س: المطيع للَّه والصديق والشهيد، كل هؤلاء حازوا ما هم فيه من الفضل بتوفيق اللَّه، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: إيضاحه أن الموفق من وفقه اللَّه.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ عند تفسير قول اللَّه تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٠]: أخبر تعالى أنهم لم ينالوا الدرجة بطاعتهم بل نالوها بفضل اللَّه تعالى وكرمه. خلافًا لما قالت المعتزلة: إنما ينال العبد ذلك بفعله، فلما امتنَّ اللَّه سبحانه على أوليائه بما آتاهم من فضله، وكان لا يجوز لأحد أن يُثْنِيَ على نفسه بما لم يفعله دلَّ ذلك على بطلان قولهم. واللَّه أعلم.

* * *

س: لماذا أطلق على الشهيد شهيد؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال:

أحدها: لأن اللَّه تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، قاله ثعلب.

والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده.

والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي.

والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر اللَّه حتى قُتل، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والخامس: لأنه يشهد ما أعدَّ اللَّه له من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد اللَّه.

* * *

س: اذكر بعض ما يقرب من النبي ﷺ في الآخرة.

ج: من ذلك ما يلي:

- حب رسول اللَّه ﷺ مع امتثال ما أمر؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(١).

- كثرة السجود؛ وذلك لقول النبي ﷺ للصحابي الذي سأله المرافقة في الجنة: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

- طاعة اللَّه ورسوله ﷺ؛ وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩].

- حسن الخلق، وذلك لقول النبي ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٣).

---

(١) صحيح، وقد تقدم قريبًا. (٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٨٩).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وللحديث شواهد انظرها في «مسند أحمد» =

س: علمنا اللَّه كيف نباشر الحروب وكيف نقاتل العدو اذكر بعض الأصول في هذا الباب.

ج: من الأصول في هذا الباب ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] وفي هذا تنبيه على الاحتياط وأخذ الحذر.

• وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

• وقوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

• وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

• وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

• وكذلك شرعت صلاة الخوف، وكذلك وردت أحكام الغنائم والأنفال، والإمارة وغير ذلك.

* * *

س: متى ينفر المسلمون ثُبات ومتى ينفرون جميعًا؟

ج: ينفرون ثبات إذا احتاج الأمر إلى ذلك، وينفرون جميعًا إذا

= (٤/ ١٩٣، ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

استنفرهم الإمام لذلك.

* * *

س: أحيانًا يكون في تخلف القوم عن الجهاد مع المؤمنين نفع لأهل الإيمان، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن قومًا لو خرجوا مع أهل الإيمان لثبطوا فريقًا منهم وخذلوهم وأوضعوا خلالهم يبغونهم الفتنة، قال تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ {الأحزاب: ١٨}.

- وقوله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ {التوبة: ٤٧}.
- وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ..**﴾ {النساء: ٧٢}.

* * *

س: لماذا يحضر المنافقون الحروب إن حضروا، ولماذا يتخلفون؟

ج: يحضرونها ـ إن حضروا ـ طلبًا للغنيمة، وتسترًا أيضًا عن أعين المؤمنين، أما تخلفهم فللجبن الذي في قلوبهم وللشك والارتياب.

* * *

س: من هم الذين يبطئون؟

ج: هم أهل النفاق.

* * *

س: لماذا وصفوا بالنفاق، ومطلع الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

خُذُوا حِذْرَكُمْ..﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾، فمعنى ذلك أن الذي يبطئ من المؤمنين؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأن أهل النفاق في ظاهر الحال يدخلون في عداد المسلمين لإجراء أحكام المسلمين عليهم.

* * *

فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ
وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ۖ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ
وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ
مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ
حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(في سبيل اللَّه ـ يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ـ وليًا ـ فيقتل ـ يغلب ـ سبيل الطاغوت ـ كيد الشيطان ـ كفوا أيديكم ـ أجلٍ قريب ـ بروجٍ مشيدة ـ حسنةٌ ـ سيئة ـ تولى ـ حفيظًا ـ برزوا ـ بيَّت ـ يبيتون ـ أعرض عنهم ـ توكل على اللَّه ـ وكيلاً).

ج:

الكلمة	معناها
في سبيل اللَّه	لإعلاء كلمة اللَّه[١] .
يشرون الحياة الدنيا بالآخرة	يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة ـ يبذلون أنفسهم وأموالهم للَّه عز وجل.
وليًا	الولي من يلي الأمر ويكفي المؤونة.
فيقتل	يستشهد.
يغلب	ينتصر ـ يفوز ـ يظفر بالغنيمة.
سبيل الطاغوت	طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر به.
كيد الشيطان	ما يكيد به الشيطان لأهل الإيمان، وكيد الشيطان أيضًا مكره.
كفوا أيديكم	امتنعوا عن القتال
إلى أجل قريب	إلى أن نموت في منازلنا على فُرشنا ـ إلى أن تنقضي آجالنا فنموت غير مقتولين.

(١) ففي الحديث: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العلي فهو في سبيل الله».

بروج مشيدة	قصور محصَّنة - حصون منيعة - قصور في السماء مُزيَّنة - بروج في السماء
حسنة	رخاءٌ وظفرٌ وفتحٌ وغنيمة - خصبٌ ورزق من ثمار وزروع وأولاد(١) .
سيئة	شدةٌ من عيش - فقرٌ - هزيمة - جراح - آلام - مصائب - قحط - جدب - نقص من الأموال والأنفس والثمرات.
تولى	أعرض عن الطاعة.
حفيظًا	حافظًا لما يعملون محاسبًا لهم.
برزوا	خرجوا - ابتعدوا عنك.
بيَّت	غيَّر وبدَّل - دبَّر - وكل عملٍ عُمل بالليل فقد بُيِّت.
يبيتون	يغيرون ما قالوه للنبي ﷺ ويخالفونه ليلاً - يتفقون في الليل.
أعرض عنهم	اصفح عنهم - احلم عليهم - لا تؤاخذهم - لا تلتفت إليهم - لا تكشف سرائرهم.
توكل على اللَّه	فوِّض أمرك إلى اللَّه، وثق به في أمورك وولِّها إياه.
وكيلاً	مدافعًا عنك - نصيرًا لك - وليًّا لأمورك.

* * *

(١) قال شيخ الإسلام: والذي عليه عامة المفسرين أن (الحسنة) و(السيئة) يراد بهما النعم والمصائب، ليس المراد مجرد ما يفعله الإنسان باختياره باعتباره من الحسنات والسيئات.

س: ما موقع الفاء في قوله تعالى: ﴿فليقاتل﴾؟

ج: الفاء جواب شرط مقدر، أي: إن أبطأ وتأخر هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة.

* * *

س: هل يستوي من قتل شهيدًا في المعركة مع من انقلب غانمًا؟

ج: لا يستويان، فقد ورد عند مسلم[1] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من غازية أو سريَّة تغزو فتغنم وتَسْلَم إلا كانوا قد تعجَّلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سريةٍ تخفق وتصاب إلا تمَّ أجورهم**».

• وفي لفظ آخر عند مسلم أيضًا: «**ما من غازية تغزو في سبيل اللَّه فيصيبون الغنيمة إلا تعجَّلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تَمَّ لهم أجرهم**».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..﴾ الآية.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿**وَمَا لَكُمْ**﴾ أيها المؤمنون، ﴿**لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، وفي ﴿**الْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾، يقول: عن المستضعفين منكم، ﴿**مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ**﴾، فأما من ﴿**الرِّجَالِ**﴾، فإنهم كانوا قد أسلموا

(١) مسلم (حديث ١٩٠٦ ص ١٥١٤ ـ ١٥١٥).

بمكة، فغلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم، وآذوهم، ونالوهم بالعذاب والمكاره في أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم، فحضَّ اللَّه المؤمنين على استنقاذهم من أيدي من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار، فقال لهم: وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل اللَّه، وعن مستضعفي أهل دينكم وملتكم الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدِّهم عن دينهم؟ ﴿**مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ**﴾، جمع «ولد»: وهم الصبيان، ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾ يعني بذلك أن هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، يقولون في دعائهم ربَّهم بأن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين: «يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها».

والعرب تسمي كل مدينة «قرية» ـ يعني: التي قد ظلمتنا وأنفسها أهلُها ـ وهي في هذا الموضع فيما فسر أهل التأويل «مكة».

❊ ❊ ❊

س: على أي أساس قيل: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؟

ج: ذُكر في ذلك وجهان:

أحدهما: أن يكون مجرورًا عطفًا على سبيل اللَّه، أي: في سبيل اللَّه وفي خلاص المستضعفين.

الثاني: منصوبًا على الاختصاص، أي: واختص من سبيل اللَّه خلاص المستضعفين، لأن سبيل اللَّه عام في كل خيرٍ، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه.

❊ ❊ ❊

س: تخليص الأسارى من أيدي الأعداء هل هو واجب؟

ج: نعم، يجب ذلك على جماعة المسلمين عمومًا؛ وذلك لقول رسول اللَّه ﷺ: «**فكُّوا العاني..**»[١] أخرجه البخاري.

وعند البخاري[٢] من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعليٍّ رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب اللَّه؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه اللَّه رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلمٌ بكافرٍ.

* * *

س: اذكر بعض المستضعفين الذين كانوا بمكة من المؤمنين.

ج: من هؤلاء المستضعفين عبد اللَّه بن عباس وأمه رضي الله عنهم، فعند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين[٣].

ومنهم الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة وغيرهم. ففي «الصحيحين»[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويُكبر ويرفع رأسه: «**سمع اللَّه لمن حمده، ربنا ولك الحمد**» ثم يقول وهو قائم:

---

(١) البخاري (حديث ٣٠٤٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «فكّفو العاني ـ يعني: الأسير ـ وأطعموا الجائع، وعودوا المريض».

(٢) البخاري (حديث ٣٠٤٧).

(٣) البخاري (حديث ٤٥٨٧).

(٤) البخاري (حديث ٤٥٩٨)، ومسلم (حديث ٦٧٥) واللفظ لمسلم.

«اللَّهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين».

* * *

س: ما المراد بالقرية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾.

ج: القرية المعنية هي مكة، وقد نقل القرطبي وغيره الإجماع على ذلك.

* * *

س: وضح المراد بقول المستضعفين ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾؟

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ اجعل لنا رجلاً من المؤمنين يكون سببًا في نصرتنا ورفع المعاناة والظلم عنَّا، ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا، واجعل لنا من عندك من يكون سببًا في نصرنا على عدونا.

* * *

س: وضح بعض أسباب ضعف كيد الشيطان وأوليائه.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم اللَّه من فضله، والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب اللَّه، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد اللَّه في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند اللَّه إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن

سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، فقد ورد عند النسائي[1] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول اللَّه، إنا كُنَّا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنَّا صرنا أذلة، فقال: «**إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا**»، فلما حوَّلنا اللَّه إلى المدينة أمرنا بالقتال فكَفُّوا فأنزل اللَّه تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾؟

ج: هذا ـ واللَّه أعلم ـ أمر من اللَّه سبحانه وتعالى لأهل الإيمان بكف الأيدي، والمراد به الامتناع عن القتال، فقد كان هناك قوم من أهل الإيمان سألوا القتال قبل أن يفرض عليهم، فسألوا رسول اللَّه ﷺ أن يسأل ربه

---

(١) النسائي (٦/٣)، والطبري (٩٩٥٧) ط. دار الكتب العلمية، ورجاله ثقات إلا أن في إسناده الحسين بن واقد، وإن كان ثقة إلا أن الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ قال عنه: في أحاديثه زيادة ما أدري أي شيء هي، ونفض يديه (كما في التهذيب).

قلت (مصطفى): وأخشى أن يكون ذكر الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف في هذا الحديث من هذه الزيادات التي أشار أحمد إلى نكارتها، واللَّه أعلم.

عز وجل أن يرخص لهم في قتال عدوهم وأن يـفرضه عليهم، فلم يجابوا إلى ذلك أول الأمـر، وقيل لهم كـفوا أيديكم، أي: عن قـتال عـدوكم، واقتـصروا على إقامة الصـلاة وإيتاء الزكاة، فكرهوا مـا أمروا به من كف الأيدي عن قتال المشركين، وشق ذلك عليـهم، فلما فُرض الذي كانوا قد سألوا عنه، وهو القتال إذا فريق منهم يخشون الناس، أي: يخافون الناس أن يقتلوهم.

* * *

بعض أسباب منع المؤمنين من القتال بمكة

س: لماذا قيل لهم، وهم بمكة: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾؟

ج: ابتداءً فاللَّه سبحانه وتعالى أعلم بشرعه إذ شرع، ولكنا نلتمس أسبابًا لذلك إن أصبنا فيها فمن اللَّه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، فنقول وباللَّه التوفيق: لذلك أسباب كثيرة ذكرها العلماء ـ رحمهم اللَّه ـ نورد منها ما يلي:

أولاً: كونهم كانوا في بلد حرام، وكانت هذه البلدة محرمة في كتاب اللَّه عز وجل: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**﴾ [النمل: ٩١]، فكانت مكة موقرة حتى من أهل الكفر، فكان الرجل يلتقي بقاتل أبيه وقاتل أخيه بمكة ولا يُهيجه ولا يؤذيه رعاية لحرمة هذه البلدة، فإذا قاتل النبي ﷺ وأصحابه في بداية أمرهم لوُسِمُوا ووصفوا واتهموا بانتهاك حرمة البلدة ومن ثمَّ استثاروا عليهم غضب الأقوام، بل والعرب كافة.

ثانيًا: إن أهل الإسلام كانوا أقل عددًا وعتادًا من أهل الكفر، وكانوا دونهم في القوة بمراحل كثيرة جدًّا.

ثالثًا: إن النبي ﷺ ـ مع كونه لم يأمر بقتال ـ كان يتهم بأنه يُفرِّق بين الوالد وولده، والوالدة وولدها، فكيف إذا أمر بقتال، وأذن للوالد بقتال ولده، وللولد بقتال أبيه.

رابعًا: أن الدعوات في مستهل أمرها لا بد أن تبين بيانًا صحيحًا وهذا البيان الصحيح لا يتأتى إلا في جوٍ هادئٍ بعيدًا عن القلاقل والفتن والقتل والقتال.

ألا ترى أن أهل الكفر كانوا يقولون: ﴿**لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: ٢٦]؟!

خامسًا: أن الدعوة لم تكن بينت بيانًا شافيًا لعموم الناس، بل كان هناك من يحجب ويمنع بشدةٍ وصولها إلى الناس، فإذا أمروا بقتال أقوام يجهلون مضمون هذه الدعوة وأصلها لكان في ذلك نوع من العجلة عليهم وعدم التأني.

سادسًا: أن في تأخر فرض القتال تدريبًا للأنفس المؤمنة على الصبر على الأذى، وتدريبًا لها أيضًا على السمع والطاعة والانقياد للأوامر، فالعرب عمومًا كانوا يأنفون من الانقياد، وقد ورد في الحديث: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(١) أي: مات كما يموت أهل الجاهلية.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن بعض الذين سألوا ربهم القتال قبل أن يُفرض عليهم ﴿**يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ ومنهم من يخشى الناس أشد من خشيته لله.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥١).

س: القتال في سبيل اللَّه لا يُقرِّب أجلاً ولا يباعده، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].
- وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].
- وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ فلأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وإن تصبهم مصيبة في أموالهم، أو في أهليهم وأولادهم، أو في أبدانهم فيقولون: أصابنا ذلك بشؤمك وشؤم أصحابك، فيقولون: منذ أن جاءنا هذا الرجل والبلاء يحل بنا، وقد قلَّت ثمارُنا وضعفت مواشينا،

ومات أولادُنا.

وهذا كما قال قوم صالح لصالح عليه السلام: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل:٤٧]، وكما قال أصحاب القرية للمرسلين: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس:١٨]، وكما قال قوم فرعون إذ حكى اللَّه مقالتهم: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف:١٣١].

الثاني: أن الذي أصابنا بسوء تدبيرك، وقلة حيلتك، وبخطئك في تدبير الأمور، فقد أسأت التدبير وأخطأت النظر.

الثالث: أن هذا بسبب اتباعنا لك واقتدائنا بك، ودخولنا في دينك.

• أما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: فأنت المتسبب لنفسك[1] فيها، وإن كانت مقدرة عليك.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم: أن النصر والهزيمة والشدة والرخاء كل ذلك من عند اللَّه عز وجل.

* * *

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟

ج: وجه الجمع أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ معناه: إن الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها تقع من عند اللَّه، ومعنى الآية

(١) والخطاب لعموم بني آدم (المكلفين منهم).

الثانية: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: ما أصابك من سيئة من اللَّه فبذنب نفسك عقوبةً لك[١]. واللَّه أعلم.

* * *

س: هل في الآية الكريمة ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ متعلقٌ لأهل القدر؟

ج: أجاب عن ذلك أبو المظفر السمعاني في «تفسيره» فقال:

واعلم أنه ليس في الآية متعلق لأهل القدر أصلاً؛ فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي؛ إذ لو كان المراد ما توهموا، لقال: ما أصبت من حسنة، فمن اللَّه وما أصبت من سيئة؛ فلما قال: ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة؛ دل أنه أراد: ما يصيب العباد من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي، وحكى عبد الوهاب بن مجاهد، عن مجاهد، أن ابن عباس قرأ: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك)، وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك، وهو معروف عن ابن عباس، وهو يؤيد قولنا: إن المراد: بذنب نفسك.

وفي الآية قول آخر: مضمر فيه، وتقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا؛ يقولون: ما أصابك من حسنة فمن اللَّه، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيكون حكاية لقول الكفار.

---

(١) أشار إلى ذلك أبو المظفر السمعاني ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى[١] :

وليس للقدرية أن يحتجوا بالآية لوجوه:

منها: أنهم يقولون: فعل العبد ـ حسنة كان، أو سيئة ـ هو منه، لا من اللَّه؛ بل اللَّه قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات، والسيئات، لكن هذا عندهم أحدث إرادة فعل بها الحسنات، وهذا أحدث إرادة فعل بها السيئات، وليس واحد منهما من إحداث الرب عندهم.

والقرآن قد فرق بين الحسنات والسيئات، وهم لا يفرقون في الأعمال بين الحسنات والسيئات، إلا من جهة الأمر لا من جهة كون اللَّه خلق فيه الحسنات دون السيئَّات؛ بل هو عندهم لم يخلق لا هذا ولا هذا.

لكن منهم من يقول: بأنه يحدث من الأعمال الحسنة والسيئة ما يكون جزاء كما يقوله أهل السنة.

لكن على هذا: فليست عندهم كل الحسنات من اللَّه ولا كل السيئات؛ بل بعض هذا وبعض هذا.

الثاني: أنه قال: ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ فجعل الحسنات من عند اللَّه كما جعل السيئات من عند اللَّه، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال؛ بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ**﴾ و: ﴿**مِن سَيِّئَةٍ**﴾ مثل قوله: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ**﴾ وقوله: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾.

الثالث: أن الآية أريد بها النعم والمصائب كما تقدم، وليس للقدرية المجبرة أن تحتج بهذه الآية على نفي أعمالهم التي استحقوا بها العقاب؛

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/١٨٨ ـ ١٩٠) الطبعة المحققة.

فإن قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هو النعم والمصائب، ولأن قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ حجة عليهم، وبيان أن الإنسان هو فاعل السيئات، وأنه يستحق عليها العقاب، والله ينعم عليه بالحسنات ـ عملها وجزائها ـ فإنه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله؛ فالنعم من الله سواء كانت ابتداءً أو كانت جزاءً، وإذا كانت جزاء ـ وهي من الله ـ: فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضًا من الله، أنعم بهما الله على العبد، وإلا فلو كان هو من نفسه ـ كما كانت السيئات من نفسه ـ لكان كل ذلك من نفسه، والله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب والسنة.

كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله: «**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه**»، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١] وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [هود:١٠١] وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦].

وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]، وقال تعالى: للمؤمنين: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧] وقد أمروا أن يقولوا في الصلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾.

ج: أي: ما أصابك خصب وغنى ورخاء وسعة رزق وعافية وسلامة وصحة وأمان وولد وزوجات فمن فضل اللَّه عليك وإحسانه إليك، وما أصابك من جدبٍ وشدة وبلاء ومحنة وفتنة فبذنب فعلته[1] عوقبت عليه، والخطاب للنبي ﷺ وأمته داخلةٌ فيه.

* * *

س: المصائب والابتلاءات تنزل بالشخص في كثير من الأحيان وتحل به لذنوبٍ اقترفها ولجرائم ارتكبها، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقد قدمنا لذلك أدلة أُخرى في مواطن متعددة.

* * *

(١) هذا في كثير من الأحيان كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠]، وإلا فقد يُبتلى العبد لرفعة درجاته كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ =

من بركة الحسنة أنها تتبعها حسنات

س: الحسنة التي يعملها الشخص تتبعها حسنة من اللَّه وتوفيق وهدى، والسيئة التي يقترفها الشخص قد تجره إلى خذلان وتتسبب في عقوبته دلِّل على ذلك.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة جدًّا ومتعددة، فمما يدل على أن الحسنة تتبعها حسنة وتوفيق وهدى ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: ٦٦، ٦٨]، ففعلهم ما يوعظون به كان سببًا في هدايتهم الصراط المستقيم.

- وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت: ٦٩] فجهادهم في اللَّه كان سببًا في هدايتهم.

- وقوله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالذين اتبعوا رضوان اللَّه هداهم اللَّه سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

- وقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور: ٥٤] فالطاعة تبعتها هداية.

= [محمد: ٣١]. وكما قال تعالى في شأن أيوب عليه السلام: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٤٤].

• وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

فتقوى اللَّه والقول السديد سببٌ في صلاح الأعمال وغفران الذنوب.

• وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] فسلكوا طريقة الهداية فزادهم اللَّه هديً وتقىً.

• وفي «الصحيحين» (١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرِّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقًا، وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند اللَّه كذابًا**».

* * *

(١) مسلم (ص ٢٠١٣)، والبخاري (٦٠٩٤)، واللفظ لمسلم.

والمعاصي تجر إلى السيئات

أما كون السيئة قد تجر إلى خذلان وعقوبة فمن الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فعدم إيمانهم تسبب لهم في بقائهم في الطغيان وتقليب الأفئدة والأبصار.

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].
- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].
- وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨].
- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
- وقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].
- وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].
- وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ

اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢ - ٤].

• وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

• وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٧].

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾؟

ج: وجه ذلك بيان أنه ليس عليك إلا البلاغ، وما وراء ذلك من أمور الهداية فمردها إلى اللَّه عز وجل.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ شهيداً على ماذا؟

ج: شهيداً على كل شيء، وفي هذا المقام شهيداً على إرسالك للناس فإن الآية فيها: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، وقيل شهيداً على أن الحسنة والسيئة من اللَّه سبحانه وتعالى، وشهيداً أيضًا على تبليغك ما أُمرت بتبليغه.

* * *

س: طاعة الرسول ﷺ من طاعة اللَّه عز وجل، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

• ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠]، وقول النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه**»(١).

• وأيضًا فإن اللَّه تبارك وتعالى كلَّف عباده بتكاليف كالصلاة والصوم والحج والزكاة والطهارة والوضوء والغسل وغير ذلك، وهذا كله ليس مُبينًا في القرآن ولا سبيل لنا بمعرفته إلا ببيان رسول اللَّه ﷺ، فمن ثمَّ كانت طاعة رسول اللَّه ﷺ طاعةٌ للَّه.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿**وَمَن تَوَلَّى**﴾؟

ج: المراد، ومن أعرض عن طاعة رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿**فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: ما أرسلناك حافظًا لما يعملون محاسبًا لهم بل إنما أرسلناك لتبين للناس ما نُزِّل إليهم وكفى بنا حافظين، وكفى بنا حاسبين.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ**﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم ـ يقولون أمرك طاعة، أي: لك منا الطاعة فيما

(١) صحيح، وقد تقدم.

تأمرنا به أو تنهانا عنه كأنهم يقولون: سمعًا وطاعة لما تأمرنا به وتنهانا عنه.

وأيضًا يرد من معاني قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: أمرنا طاعة وشأننا أننا مطيعون لك.

* * *

س: من هم القائلون: ﴿طاعة﴾ المعنيون بهذه الآية الكريمة؟

ج: هم أهل النفاق.

* * *

س: ما المراد بالإعراض عنهم، وهل الأمر بالإعراض عنهم منسوخ؟

ج: المراد بالإعراض عنهم - والله أعلم، عدم ذكر أسمائهم وعدم هتك سترهم وعدم فضيحتهم.

وقد قال بعض العلماء: إن ذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

وقال فريق آخر بعدم النسخ، ولكن المواطن تختلف فحيثما احتيج الأمر إلى ستر سُترت العيوب، وحيثما احتاج إلى ذكر الأسماء ذُكرت أسماؤهم، والله أعلم.

* * *

س: اذكر بعض سبل دفع شر الشريرين، وأذى المؤذين، وحسد الحاسدين، وكيد الكائدين والنجاة من ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

- **الإعراض عنهم والتوكل على الله:** لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [الأحزاب:٣] فلا ينبغي أن يوليهم الشخص كبير اهتمام ولا كبير تفكير في كثير من الأحوال.

• الصبر على أذاهم: لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

• تقوى اللَّه فيهم، فإن طعنوا في عرضك ونالوا منك فلك أن تعفو عنهم وهو الأفضل والأكمل، ولك أن تنتصر ولكن تتقي اللَّه في انتصارك، فلا تتجاوز فيه ولا تتعدى، «**فالمستبان ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد المظلوم**»(١) كما قال النبي ﷺ.

وكذلك فإن اللَّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء:٣٣] فما دام الانتصار في حدود المظلمة فاللَّه ناصرك إذ اللَّه قال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ [الحج:٦٠]، أما إذا تجاوزت في انتصارك فليس لك وعدٌ بأن تُنصر.

• الاستعانة بالصلاة والدعاء: لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣].

ولقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر:٩٧، ٩٨].

• العفو والصفح في كثير من الأحيان:

قال تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٧).

الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

• الاستغفار من الذنوب فالذنوب في كثير من الأحيان تكون سببًا في تسلط عدوك عليك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

• إذا كان الأمر يحتاج إلى مجالدة ومجاهدة وبيان فُعِلَ ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالذي لا تُجدي معه البينات فالحديد فيه بأس شديد، والقوة تنفع معه بإذن اللَّه.

* * *

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟
فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ
ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ
وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا
نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن
يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ
شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ
أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(اختلافًا ـ أذاعوا به ـ يستنبطونه ـ لا تكلَّف إلا نفسك ـ حرض المؤمنين ـ يكُفَّ بأس الذين كفروا ـ بأسًا ـ تنكيلاً ـ يشفع ـ كفلٌ ـ مقيتًا ـ ردوها ـ حسيبًا).

ج:

الكلمة	معناها
اختلافًا	تعارضًا ـ تضادًا.
أذاعوا به	أفشوه ـ بثوه ـ نشروه.
يستنبطونه	يعرفون حقيقته ـ يستخرجون معناه ـ يتحسونه ـ يتتبعونه.
لا تكلف إلا نفسك	لا تؤاخذ إلا بما كلفك اللَّه به، دون ما كُلِّف به غيرك.
حرض المؤمنين	حثهم وحضهم على قتال عدو اللَّه وعدوك وعدوهم، ورغِّبهم.
يكف بأس الذين كفروا	يمنع الكفار من القتال إذا علموا أنك ستقاتلهم، فلا يطمعون فيك ولا في أصحابك إذا علموا منكم شدة.
بأسًا	قتالاً ـ نكايةً
تنكيلاً	التنكيل: العقوبة المؤلمة الشديدة.
يشفع	يتوسط لجلب الخير أو لدفع الضر ـ يسعى لإمضاء رغبة المشفع فيه.
كفلٌ	نصيب وحظٌ من الوزر والإثم.
مقيتًا	حفيظًا ـ شهيدًا ـ مقتدرًا ـ كافيًا، والمقيت: أيضًا القائم على كل شيء بالتدبير.
ردوها	أجيبوها بمثلها.
حسيبًا	حفيظًا يحفظ أعمالكم ويحسبها ويحصيها عليكم، ومن ثم يكافؤكم بها.

س: لماذا أُمروا بتدبر القرآن؟

ج: بصفة عامة حتى يعلموا مراد اللَّه عز وجل منهم، ومن ثم يمتثلونه فيؤول بهم امتثالهم إلى جنة المأوى.

وكذلك حتى يتأكدوا ـ لعدم وجود الاختلاف فيه ـ أنه من عند اللَّه عز وجل.

وأيضًا: أمروا بتدبر القرآن حتى يعلموا حجة اللَّه عليهم في طاعة اللَّه ورسوله ﷺ واتباع أمره.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء:٨٢]، أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب اللَّه، فيعلموا حجَّة اللَّه عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم؛ لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير اللَّه لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

ثم أورد بإسناد حسن عن قتادة[١] قال في قوله: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢] أي: قول اللَّه لا يختلف، وهو حق ليس فيه باطل، وإن قول الناس يختلف.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد[٢] قال: إن القرآن لا يكذب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، ما جهل الناس من أمرٍ، فإنما هو من تقصير

---

(١) أثر (٩٩٨٧).

(٢) أثر (٩٩٨٨).

عقولهم وجهالتهم! وقرأ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ قال: فحقٌّ على المؤمن أن يقول: ﴿كل من عند اللَّه﴾، ويؤمن بالمتشابه، ولا يضرب بعضه ببعض، وإذا جهل أمرًا ولم يعرفه أن يقول: الذي قال اللَّه حق، ويعرف أن اللَّه تعالى لم يقل قولاً وينقضه، ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من اللَّه.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في الحث على تدبر القرآن وتفهمه.

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
- وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
- وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].
- وقول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، إلى غير ذلك من الوارد في الحث على تعلم القرآن وتفهمه وتدبره.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٧٤).

س: ما المراد بالاختلاف الكثير؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها: أنه التناقض.

الثاني: أنه الكذب.

الثالث: أنه التفاوت من جهة بليغٍ من الكلام ومرذول؛ إذ لا بد للكلام إذا طال من مرذول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكر ذلك ابن الجوزي في «تفسيره»، وعزاه للماوردي.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾؟

ج: هم طائفة من ضعاف الإيمان، وطائفةٌ أيضًا من الذين لا يتثبتون في الأمور، بل دأبهم العجلة وعدم التأني، وطائفة أيضًا من أهل النفاق، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما المراد بالأمر الذي أذاعوا به؟

ج: المراد، واللَّه أعلم عموم الأمور والأخبار التي تُسعد المسلمين أو تُحزنهم، فيدخل فيها أمور السرايا والغزوات وما نالته تلك السرايا من نصرٍ وغنيمة، وما لحق بها من ضرر وابتلاء وفتنة ومحنة، وكذلك سائر الأمور التي تهم عموم المسلمين.

* * *

س: هل كل من أذاع بالأمر من الأمن أو الخوف يذم؟

ج: ليس كل من أذاع بالأمر من الأمن أو الخوف يُذم، فقد أخبر النبي ﷺ بمقتل القراء، وأخبر بمقتل زيد وجعفر، وابن رواحة رضي الله عنهم.

فإذا كان في إذاعة الأمر خيرٌ ونفعٌ، وعلم ذلك أهل العلم وأهل العقل والفضل وأشاروا به فيذاع الأمر حينئذٍ.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ إجمالاً.

ج: المعنى، والله أعلم: أن ضعفة الإيمان وضعفة العقول من المسلمين كانوا يغشون الأمور ويذيعون الأخبار قبل أن يقفوا على حقيقتها، سواء كانت هذه الأمور تحمل ظفرًا وغنيمة للمسلمين، أو كانت تحمل أمورًا مزعجة ينزعج منها أهل الإسلام وتضطرب صفوفهم.

* * *

س: إذن لماذا ذمَّ الله سبحانه من أذاع بالأمر من الأمن أو الخوف؟

ج: ذُمُّوا لبثهم الأخبار مصحوبةً بما يجلب الضرر والنكد على المسلمين، وأيضًا قبل رجوعهم إلى رسول الله ﷺ، فالمذموم من بثَّ الخبر قبل الرجوع إلى رسول الله ﷺ، أو إلى أولى الأمر وخاصة إذا كان هذا الخبر يحمل ضررًا على المسلمين، وذلك أن شخصًا ما قد ينشر خبرًا مصحوبًا بحالةٍ من الطمأنينة، وقد ينشره بحالةٍ صاحبها الإرجاف، وبحالة فيها قذف للرعب في صدور الناس.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ الأمر الذي نالهم من عدوهم {والمسلمين} إلى رسول اللَّه ﷺ وإلى أولي أمرهم يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر، حتى يكون رسول اللَّه ﷺ أو ذوو أمرهم، هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن تثبت عندهم صحته أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحًا، أو يبطلوه إن كان باطلاً.

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يقول: لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به الذين يبحثون عنه ويستخرجونه «مِنْهُمْ»، يعني: أولي الأمر «والهاء» و«الميم» في قوله: «مِنْهُمْ» من ذكر أولي الأمر. يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تحث على التثبت في الأمور والأخبار.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، لها سبب نزول صحيح، وهو ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي اللَّه ﷺ نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكُتُون بالحصى ويقولون: طَلَّقَ رسول اللَّه ﷺ نساءَهُ. وذلك قبل أن يُؤْمَرْنَ بالحجاب. فقال عمر: فقلت: لأعلمن ذلك اليوم.

قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: مالي ومالك يا بن الخطاب؟ عليكَ بِعَيبتك[٢].

قال: فدخلتُ على حفصة بنت عُمر. فقلتُ لها: يا حفصةُ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول اللَّه ﷺ؟ واللَّه لقد علمت أن رسول اللَّه ﷺ لا يُحِبُّكِ، ولولا أنا لطلَّقَكِ رسول اللَّهِ ﷺ. فبكت أشدَّ البُكاء، فقلت لها: أينَ رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: هو في خِزَانَتِهِ[٣] في المَشْرُبَة[٤].

---

(١) مسلم (حديث ١٤٧٩).

(٢) عليك بعيبتك: المراد عليك بوعظ بنتك حفصة.

قال أهل اللغة: العيبة في كلام العرب وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه، فشبهت ابنته بها.

(٣) خزانته: الخزانة مكان الخزن، كالمخزن. وما يخزن فيه يسمى خزينة.

(٤) المشربة: قال في المصباح: بفتح الميم والراء، الموضع الذي يشرب منه الناس. وبضم الراء وفتحها، الغرفة.

فدخلت فإذا أنا بِرَباح ـ غُلامِ رسول اللَّه ﷺ ـ قاعدًا على أُسْكُفَّة[١] المشربة، مُدَلٍّ رجليه[٢] على نقير[٣] من خشب، وهو جِذْعٌ يرقى عليه رسول اللَّه ﷺ وينحدِرُ، فناديْتُ: يا رَبَاحُ، استأذن لي عندك على رسول اللَّه ﷺ، فنظر رباح إلى الغُرْفَة، ثمَّ نظر إليَّ فلم يقل شيئًا.

ثم قلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول اللَّه ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليّ فلم يقل شيئًا، ثم رَفَعْتُ صوتي فقلت: يا رباحُ، استأذن لي عندك على رسول اللَّه ﷺ، فإنِّي أَظُنُّ أن رسول اللَّه ﷺ ظَنَّ أني جِئْتُ من أجلِ حفصةَ، واللَّه لئن أمرني رسول اللَّه ﷺ بضربِ عُنُقِها لأَضرِبَنَّ عُنُقها، ورفعتُ صوتي فأَوْمأَ إليَّ أن ارْقَهْ[٤].

فدخلتُ على رسول اللَّهِ ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ على حصيرٍ، فجلست فأدنى عليه إزاره ـ وليس عليه غيره ـ وإذا الحَصِيرُ قد أثَّر في جَنبه.

فنظرت ببصري في خزانة رسول اللَّه ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا[٥] في ناحية الغرفة وإذا أَفِيقٌ[٦] معلقٌ.

---

(١) أسكفة: هي عتبة الباب السفلى. (٢) مدلّ رجليه: أي: مرسلهما.

(٣) نقير: أي على شيء من خشب نقر وسطه حتى يكون كالدرجة، قال النووي: هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ.
وذكر القاضي: أنه بالفاء بدل النون، وهو فقير بمعنى مفقور، مأخوذ من فقار الظهر، وهو جذع فيه درج.

(٤) أن ارقه: أي: أشار إليّ رباح بالصعود إلى المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم. فـ(أن) تفسيرية، و(ارقه) أمر من الرقيّ، والهاء في آخره للسكت. وفي الكلام حذف. تقديره فرقيت فدخلت.

(٥) قرظًا: القرظ ورق السَلَم يدبغ به.

(٦) أفيق: هو الجلد الذي لم يتم دباغه، وجمعه أَفَق كأديم وأَدَم، وقد أَفَقَ أديمه يأفِقُهُ.

قال: فابتدرت عيناي[١] قال: «**ما يبكيك يا بن الخطاب؟!**» قلت: يا نبي اللَّه، ومالي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثَّر في جَنْبِكَ، وهذه خزانَتُكَ لا أرى فيها إلا ما أَرَى، وذاك قيصَرُ وكِسرى في الثِّمارِ والأنهارِ، وأنت رسول اللَّه ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك.

فقال: «**يا بن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**» قلت: بلى.

قال: ودخلتُ عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول اللَّه، ما يَشُقُّ عليك من شأن النساء؟ فإن كُنت طَلَّقتَهُنَّ فإنَّ اللَّه معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلَّما تكلمتُ ـ وأحمدُ اللَّه ـ بكلام إلا رجوت أن يكون اللَّه يُصَدِّق قولي الذي أقول. ونزلت هذه الآية ـ آية التخيير ـ: ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ**﴾ [التحريم: ٥]، ﴿**وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم: ٤].

وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول اللَّه، أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قال: «**لا**»، قلت: يا رسول اللَّه، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكُتُون بالحصى، يقولون: طَلَّقَ رسول اللَّه ﷺ نساءَه، أفأنْزِلُ فأُخبرهم أنك لم تُطَلِّقْهُنَّ؟ قال: «**نعم، إن شئتَ**» فلم أزل أحدثه حتى تَحَسَّر الغَضَبُ[٢] عن وجهه، وحتَّى كَشَرَ[٣]

---

(١) فابتدرت عيناي: أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي.

(٢) تحسر الغضب: أي زال وانكشف.

(٣) كشر: أي أبدى أسنانه تبسما. ويقال أيضًا في الغضب. قال ابن السكيت: كشر =

فضحك، وكان من أحسن الناس ثغراً.

ثم نزل نبي اللَّه ﷺ ونزلتُ، فنَزَلتُ أتشبَّثُ[1] بالجذْعِ ونَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ كأنَّما يمشي على الأرضِ ما يَمَسُّهُ بيده.

فقلتُ: يا رسول اللَّه، إنما كُنتَ في الغرفة تسعةً وعشرين. قال: «**إن الشهر يكون تسعًا وعشرين**».

فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول اللَّه ﷺ نساءَه، ونزلت هذه الآية: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل اللَّه آية التَّخيير.

* * *

س: من المعنيون بأولي الأمر في هذه الآية ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾؟

ج: يدخل في معنى أولى الأمر هنا الأمراء والحكام، ويدخل فيها أيضًا عموم المسئولين، كما يدخل فيها كذلك أهل العلم. واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ...﴾ الآية، حثٌّ على التثبت في الأخبار، اذكر آيتين في معناها.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**

= وبسم وابتسم وافترّ، كله بمعنى واحد، فإن زاد قيل: قهقه وزهزق وكركر.

(١) أتشبث: أي: مستمسكًا بذلك الجذع، الذي هو كالسلم للغرفة.

فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦].

وفي معناها كذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء: ٩٤].

* * *

س: في آية سورة النساء: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ... ﴾ إضافة إلى ما أفادته سورة الحجرات ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا.. ﴾ اذكر هذا المعنى الإضافي.

ج: هذا المعنى مؤداه أن التثبت في إذاعة الأخبار مطلوب ولو لم تأت هذه الأخبار من فُسَّاق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: ولولا إنعام اللَّه عليكم أيها المؤمنون ـ بفضله وتوفيقه ورحمته، فأنقذكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول اللَّه ﷺ إذا أمرهم بأمر: «طاعة»، فإذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذي يقول ـ لكنتم مثلهم، فاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، كما اتبعه هؤلاء الذين وصف صفتهم.

وخاطب بقوله تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ الذين خاطبهم بقوله جل ثناؤه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا

حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١].

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: هم المستنبطون لحقائق الأمور، الذين قد نفعهم استنباطهم.

الثاني: هم طائفة من الذين قالوا: «طاعة» وثبتوا على قولهم وعملهم بمقتضاها.

الثالث: قول من قال من العلماء: إن هذا من المقدم والمؤخر، فالمعنى: وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلكم ولم ينج منكم قليل ولا كثير.

الرابع: أن قومًا من الصحابة رضي الله عنهم حدثوا أنفسهم بأمور من الشيطان، لكن طائفة قليلة منهم لم تحدث نفسها بذلك.

• أما الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فاختار في «تفسيره» أن القليل مستثنى من الإذاعة، أي: لأذعتموه إلا قليلاً منكم لم يذع هذا الأمر، فقال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: عنى باستثناء «القليل» من «الإذاعة»، وقال: معنى الكلام: وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً، ولو ردوه إلى الرسول.

وإنما قلنا إن ذلك أولى بالصواب؛ لأنه لا يخلو القولُ في ذلك من

أحد الأقوال التي ذكرنا. وغير جائز أن يكون من قوله: ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، لأن من تفضل اللَّه عليه بفضله ورحمته فغير جائز أن يكون من تُبَّاع الشيطان.

وغير جائز أن نحمل معاني كتاب اللَّه على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل، فنوجِّهه إلى المعنى الذي وجهه إليه القائلون: «معنى ذلك: لاتبعتم الشيطان جميعًا»، ثم زعم أن قوله: «إلا قليلاً» دليل على الإحاطة بالجميع. هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل.

وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله: «لعلمه الذين يستنبطونه منهم»، لأن علم ذلك إذا رُدَّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، فبيَّنه رسول اللَّه ﷺ وأولو الأمر منهم بعد وضوحه لهم، استوى في علم ذلك كل مستنبط حقيقته، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم، وخصوص بعضهم بعلمه، مع استواء جميعهم في علمه، وإذ كان لا قول في ذلك إلا ما قلنا، ودخل هذه الأقوال الثلاثة ما بينا من الخلل، فبيِّنٌ أن الصحيح من القول في ذلك هو الرابع، وهو القول الذي قضينا له بالصواب من الاستثناء من «الإذاعة».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾.

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

كأن هذا المعنى: لا تدع جهاد العدو والاستنصار عليهم للمستضعفين

من المؤمنين ولو وحدك؛ لأنه وعده بالنصر.

قال الزجاج: أمر اللَّه تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده؛ لأنه قد ضمِن له النصرة.

قال ابن عطية: «هذا ظاهر اللفظ، إلا أنه لم يجئ في خبر قطُّ أن القتال فُرض عليه دون الأمة مدة ما؛ فالمعنى واللَّه أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحدٍ في خاصة نفسه؛ أي: أنت يا محمد وكل واحدٍ من أمتك القول له؛ ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾. ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده؛ ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**واللَّه لأقاتلنهم حتى تنفرد سالِفتي**»، وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدت بشمالي.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم، أنك بتحريضك لأهل الإيمان على القتال تبعث همهم على مناجزة عدوهم، وتبعث همهم على المدافعة عن حوزة الإسلام ومقاومة أعدائه، فمن ثم تضعف شوكة أهل الكفر، ودبت إليهم الرهبة وتسرب إليهم الخوف من المقاتلين المؤمنين؛ فمن ثم لا يفكرون في قتالهم ولا في غزوهم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك وجوه:

أحدها: أن المراد شفاعة الناس بعضهم لبعض.

الثاني: من ينضم إلى صفوف أهل الإيمان فيكون مع الوتر شفعًا، فالمعنى: إذا كان شخص من المسلمين يقاتل في سبيل اللَّه، وانضم إليه آخر فقد صيره شفعًا. فمن كان شافعًا لأخيه المؤمن (منضمًا إليه في قتال العدو) فله نصيب وحظ من ثواب اللَّه عز وجل.

وهذا المعنى الثاني يؤيده سياق الآيات الكريمة؛ إذ الآية التي تقدمتها ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ٨٤] ثم جاء التوجيه إلى المؤمنين وحثهم على الخير بقوله تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً**﴾ [النساء: ٨٥].

وهذا القول الأخير هو الذي اختاره الطبري، فقال ـ رحمه اللَّه:

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ من يَصِرْ، يا محمد شفعًا لوتر أصحابك، فيشفع في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل اللَّه، وهو «الشفاعة الحسنة» ﴿**يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾، يقول: يكن له من شفاعته تلك نصيب، وهو الحظ من ثواب اللَّه وجزيل كرامته، ﴿**وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾، يقول: ومن يشفع وتر أهل الكفر باللَّه على المؤمنين به، فيقاتلهم معهم، وذلك هو «الشفاعة السيئة» ﴿**يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾.

يعني: بـ«الكفل»، النصيب والحظ من الوزر والإثم، وهو مأخوذ من

كفل البعير والمركب، وهو الكساء أو الشيء يهيّأ عليه شبيه بالسرج على الدابة.

يقال منه: «جاء فلان مكتفلاً» إذا جاء على مركب وطيء له ـ على ما بينا ـ لركوبه.

وقد قيل إنه عنى بقوله: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ الآية، شفاعة الناس بعضهم لبعض. وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا، ثم عُمَّ بذلك كل شافع بخير أو شر.

وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك، لأنه في سياق الآية التي أمر اللَّه نبيه ﷺ فيها بحض المؤمنين على القتال، فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول اللَّه ﷺ، والوعيد لمن أبى إجابته، أشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض، التي لم يجر لها ذكر قبل، ولا لها ذكرٌ بعد.

وقال الرازي في «التفسير»:

الشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو أن يصير الإنسان نفسه شفعًا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها.

إذا عرفت هذا فنقول: في الشفاعة المذكورة في الآية وجوه:

الأول: أن المراد منها تحريض النبي ﷺ إياهم على الجهاد، وذلك لأنه إذا كان عليه الصلاة والسلام يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعًا لهم في تحصيل الأغراض المتعلقة بالجهاد، وأيضًا فالتحريض على الشيء عبارة عن الأمر به لا على سبيل التهديد، بل على سبيل الرفق والتلطف، وذلك

يجري مجرى الشفاعة.

الثاني: أن المراد منه ما ذكرنا من أن بعض المنافقين كان يشفع لمنافق آخر في أن يأذن له الرسول ﷺ في التخلف عن الجهاد، أو المراد به أن بعض المؤمنين كان يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث في أن يحصل له ما يحتاج إليه من آلات الجهاد.

الثالث: نقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما معناه أن الشفاعة الحسنة ههنا هي أن يشفع إيمانه باللَّه بقتال الكفار، والشفاعة السيئة أن يشفع كفره بالمحبة للكفار وترك إيذائهم.

الرابع: قال مقاتل: الشفاعة إلى اللَّه إنما تكون بالدعاء، واحتج بما روى أبو الدرداء أن النبي ﷺ قال: «**من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال الملك له ولك مثل ذلك**»، فهذا هو النصيب، وأما الشفاعة السيئة فهي ما روي أن اليهود كانوا إذا دخلوا على الرسول ﷺ قالوا: السام عليكم، والسام: هو الموت، فسمعت عائشة رضي الله عنها فقالت: عليكم السام واللعنة، أتقولون هذا للرسول! فقال ﷺ: «**قد علمت ما قالوا فقلت وعليكم**»، فنزلت هذه الآية.

الخامس: قال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد: المراد هو الشفاعة التي بين الناس بعضهم لبعض، فما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة، ثم قال الحسن: من يشفع شفاعة حسنة كان له فيها أجر وإن لم يشفع، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿**من يشفع**﴾ ولم يقل: ومن يشفع، ويتأيد هذا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**اشفعوا تؤجروا**».

وأقول: هذه الشفاعة لا بد وأن يكون لها تعلق بالجهاد وإلا صارت الآية منقطعة عما قبلها، وذلك التعلق حاصل بالوجهين الأولين، فأما الوجوه الثلاثة الأخيرة فإن كان المراد قصر الآية عليها فذلك باطل، وإلا صارت هذه الآية أجنبية عما قبلها، وإن كان المراد دخول هذه الثلاثة مع الوجهين الأولين في اللفظ فهذا جائز؛ لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الشفاعة في الخير.

ج: من ذلك قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾.

وقول النبي ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**»[1].

وقد قدمنا مزيداً مما يتعلق بأبواب الشفاعة في تفسير سورة البقرة.

❊ ❊ ❊

س: ما مدى صحة حديث: «من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»؟

وكيف يجمع بينه ـ في حالة ثبوته ـ وبين قول اللَّه تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾؟

ج: هذا الحديث رواه الإمام أحمد[2] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وكذلك رواه

---

(١) البخاري (حديث ١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) أحمد (٥/ ٢٦١)، وأبو داود (٣٥٤١).

أبو داود كلاهما من طريق عبيد اللَّه بن أبي جعفر عن خالد بن أبي عمران عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ.

ورواه الطبراني[١] من طريق عبيد اللَّه بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ.

أما سند الطبراني فتالفٌ جدًا، ففيه عبيد اللَّه بن زحر، وعلي بن يزيد، وكلاهما ضعيف، ثم القاسم فيه كلام أيضًا.

أما سند أحمد وأبي داود ففيه عبيد اللَّه بن أبي جعفر، وهو ثقة لكنني أخشى أن يكون عبيد اللَّه بن زحر (الذي في سند الطبراني) قد تصحف إلى عبيد اللَّه بن أبي جعفر، ولكن لكوني لا أستطيع القطع بذلك أعرضت عن هذه العلة، لكن يبقى النظر في القاسم (الراوي عن أبي أمامة)، فالقاسم في الأصل حديثه حسن، لكن إذا انفرد بحكمٍ أو خالف أصلاً فإنني أتوقف في حديثه جمعًا بين أقوال العلماء فيه.

وأراه في هذا المقام تحمل هذا الحديث وليس له كبير شواهد بل قد قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ [الرحمن: ٦٠]، وفي الحديث: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له**» وثم نصوص في هذا المعنى.

وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في «العلل المتناهية»[٢] فقال: عبيد اللَّه ضعيف عظيم، والقاسم أشد ضعفًا منه. ولكني لا أوافق ابن الجوزي على هذا التعليل؛ فعبيد اللَّه بن أبي جعفر موثق، والقاسم حديثه ليس

---

(١) الطبراني (٧٩٢٨).

(٢) «العلل المتناهية» (٢/ ٧٥٤).

بساقط بالمرة، بل على التفصيل الذي ذكرته.

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الربا في هذا الحديث ـ في حالة صحته ـ محمول على ما يُذهب الثواب، بمعنى أن من قبل الهدية على شفاعته فقد ذهب ثواب شفاعته.

وقد يحمل هذا أيضًا على الأعمال التي تُعطل عند الأمراء وأجهزة الحكومات والوزارات حتى يتدخل شخص بمنصبه أو بجاهه لقضاء المصلحة، ويتقاضى الهدايا مقابل هذه المساعي فهذا منعه كثير من العلماء.

● ومن العلماء من حمل هذا على القضاة، ومن لهم ولاية والله تعالى أعلم.

يبقى بعد ذلك الجواب على ما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] أنه قال: «من شفع لرجلٍ ليدفع عنه مظلمة أو يرد عليه حقًّا فأهدى له هدية فذلك السُّحت». فهذا قوي في المنع إلا أنه موقوف، ومن العلماء من حمله على الورع، لكن حمله على الورع بعيدٌ عندي، إلا أن المسألة لا تخلو من خلاف بين العلماء.

قال ابن حزم ـ رحمه الله[2]:

وأما من نصر آخر في حقٍّ، أو دفع عنه ظلمًا ولم يشترط عليه في ذلك عطاءً، فأهدى إليه مكافأة فهذا حسنٌ لا نكرهه؛ لأنه من جملة شكر

(١) ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١١٣٤) وانظر الطبري (١١٩٦١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿أكالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢].

(٢) ابن حزم في «المحلى» مسألة (١٦٣٧ ج ٩).

المنعم وهدية بطيب نفس، وما نعلم قرآنًا ولا سنة في المنع من ذلك.

وقد روينا عن علي وابن مسعود المنع من هذا ولا نعلم برهانًا يمنع منه، وبالله التوفيق.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام طيب ونافع جدًّا في هذا الصدد فارجع إليه إن شئت.

❊ ❊ ❊

س: هل (الكفل) يختص بنصيب الشر؟

ج: لا يختص بنصيب الشر، فقد قال تعالى في موطن آخر من كتابه ﴿**يؤتكم كفلين من رحمته**﴾.

وقد أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: «الكفل، والنصيب واحد، وقرأ يؤتكم كفلين من رحمته»

قلت: لكن الكفل في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥] مختص بنصيب الشر كما هو واضح.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وإذا حُيِّيتُم بتحيَّة﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: إذا دُعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلام كما قال الطبري رحمه الله.

❊ ❊ ❊

(١) الطبري (١٠٠٢٩).

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ اذكر بعض صور ذلك.

ج: أما قوله تعالى: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ فمعناه بأفضل منها.

ومن صور ذلك: إذا قال قائل: السلام عليكم. قلنا له: وعليكم السلام ورحمة اللَّه.

وإذا قال قائل: السلام عليكم ورحمة اللَّه، قلنا له: وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته.

* * *

س: هل تُسن الزيادة على (وبركاته) في التحية إذا قلنا: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته؟

ج: لم أقف على أثر صحيح بذلك، والسند الذي فيه: «ومغفرته» في إسناده ضعف، وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «انتهى السلام إلى وبركاته».

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: ردوا بمثلها إن لم تردوا بأحسن منها.

الثاني: ردوها على أهل الكتاب فقولوا: وعليكم، وذلك لحديث: «إذا سلم عليكم اليهود والنصارى فقولوا: وعليكم».

* * *

س: ما مدى صحة الأثر الذي أورده الطبري[١] عن سلمان قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه. فقال: «وعليك ورحمة اللَّه». ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه ورحمة اللَّه. فقال له رسول اللَّه: وعليك ورحمة اللَّه وبركاته، ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته. فقال له: وعليك. فقال له الرجل: يا نبي اللَّه، بأبي أنت وأمي، أتاك فلان وفلان فسلَّما عليك، فرددت عليهما أكثر مما رددت عليّ؟! فقال: إنك لم تدع لنا شيئًا قال اللَّه: ﴿وإذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ فرددناها عليك.

ج: في إسناده ضعف، ففيه هشام بن لاحق[٢] وهو إلى الضعف أقرب، وفي الإسناد عند الطبري عبد اللَّه بن السري الأنطاكي وهو متروك.

* * *

س: هل يشرع إلقاء السلام على من لا نعرف؟

ج: نعم، يشرع ذلك بل يستحب في بلاد المسلمين، وذلك للآتي ذكره:

- ما أخرجه البخاري، ومسلم[٣] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول اللَّه ﷺ بسبعٍ.. فذكر منها: وإفشاء السلام.
- قول النبي ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٤].

(١) الأثر أورده الطبري عن سلمان (١٠٠٤٤) وأخرجه أيضًا الطبراني (٦١١٤).
(٢) وهشام بن لاحق حاصل القول فيه أن حديثه لا يصح.
(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨)، ومسلم (١٤/ ٣٠).
(٤) مسلم (٢/ ٣٥).

• وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عبد اللَّه بن عمرو: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

• وعند البخاري في «الأدب المفرد» من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن السلام اسم من أسماء اللَّه، وضعه اللَّه في الأرض فأفشوا السلام بينكم**»[٢].

* * *

س: كيف يُرد السلام على أهل الكتاب؟ وهل يُشرع ابتداؤهم بالسلام؟

ج: لا يشرع ابتداء أهل الكتاب بالسلام؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**»[٣].

أما كيف يُرد عليهم فكما قال النبي ﷺ: «**إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[٤].

* * *

س: هل يجوز إلقاء السلام على النساء؟

ج: نعم، يجوز ذلك ما دامت الفتنة مأمونة؛ وذلك لأن رسول اللَّه

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨)، ومسلم (١٤/ ٣٠).
(٢) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩) بإسناد صحيح.
(٣) مسلم (مع النووي ـ ١٤/ ١٤٨).
(٤) البخاري (مع الفتح ١٢/ ٢٨٠)، ومسلم (١٤/ ١٤٤).

ﷺ مر في المسجد يومًا وعصبة من النساء قعود فسلَّم عليهن[١] .

وعند البخاري[٢] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة تجعل على أربِعاء في مزرعة لها يقال لها: سِلقا، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السِّلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة شعير تطحنها، فتكون أصول السلق عَرْقَه وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك.

* * *

س: هل يجب رد السلام على أصحاب المعاصي؟

ج: رد السلام على أصحاب المعاصي ينبني على المفاسد والمصالح، فإن رُجيت المصلحة في عدم الرد لم نرد، وإن خيفت المفسدة من عدم الرد رددنا، والأصل في ذلك رد السلام لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾.

أما الامتناع عن الرد إذا رُجيت المصلحة فلما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، وآتي رسول الله ﷺ فأُسلِّم عليه، فأقول في نفسي: هل حرك

---

(١) أخرجه الترمذي (٧/ ٤٧٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٨) بإسناد حسن لشواهده، وليس المراد من السلام المصافحة، وإنما إلقاء السلام، وقد وردت عنه ـ ﷺ ـ نصوص تمنع من مصافحة النساء.

(٢) البخاري (مع الفتح٢/ ٤٢٧).

(٣) البخاري (مع الفتح١١/ ٤٠)، ومسلم (١٧/ ٨٧ مع النووي).

شفتيه برد السلام أم لا؟ حتى كملَت خمسون ليلة، وآذن النبي ﷺ بتوبة اللّه علينا حين صلى الفجر.

وعند أبي داود[١] بإسناد حسنٍ لغيره عن عمار بن ياسر قال: قدمت على أهلي وقد تشققت يداي، فخلقوني بزعفران، فغدوت على النبي ﷺ فسلمت عليه فلم يرد عليَّ، وقال: اذهب فاغسل هذا عنك».

❊ ❊ ❊

س: إذا سُلِّم على شخصٍ وهو يبول، هل يشرع له الرد؟

ج: يكره للمتبول أن يرد السلام، وذلك لما أخرجه مسلم[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً مرَّ ورسول اللّه ﷺ يبول فسلَّم فلم يرد عليه.

وكذلك أخرج البخاري[٣] من حديث أبي الجهيم الأنصاري قال: أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جمل، فلقيه رجل فسلَّم عليه، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام.

س: اذكر بعض صيغ إلقاء السلام.

ج: من صيغ إلقاء السلام ما يلي:

- ما أخرجه البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خلق اللّه آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على**

---

(١) أبو داود (٥/ ٨).

(٢) مسلم (مع النووي ٤/ ٦٤).

(٣) البخاري (مع الفتح ١/ ٤٤١).

(٤) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٦٢)، ومسلم (١٧/ ١٧٧ مع النووي).

أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليكم ورحمة اللَّه، فزادوه: ورحمة اللَّه، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

• وأخرج أبو داود[١] بإسنادٍ صحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس فقال النبي ﷺ: «عشر»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه، فرد عليه فجلس فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، فرد عليه فجلس فقال: «ثلاثون».

* * *

س: كيف يرد المصلي السلام إذا سُلِّم عليه؟

ج: يرد إشارةً كما في «سنن أبي داود»[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول اللَّه ﷺ إلى قباء يصلي فيه فجاءته الأنصار، فسلموا عليه وهو يصلي، قال: فقلت لبلال: كيف كان رسول اللَّه ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال: يقول هكذا، وبسط كفه، وبسط جعفر بن عون كفه، وجعل بطنه أسفل، وجعل ظهره إلى فوق.

* * *

(١) أبو داود (٥/ ٣٧٩).

(٢) أبو داود (١/ ٥٦٩) بإسنادٍ حسن.

س: هل رد السلام واجب؟

ج: نعم هو واجب لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء:٨٦]، ووجوب رد السلام هو قول العلماء قاطبةً نقله عنهم ابن كثير ـ رحمه اللَّه.

* * *

س: ما موقع اللام في قوله تعالى: ﴿**ليجمعنكم**﴾؟

ج: هي لام القسم، قاله القرطبي، وقال: كل لام بعدها نون مشددة هي لام القسم.

* * *

س: لماذا سميت القيامة قيامة؟

ج: ذلك لأن الناس يقومون فيها لرب العالمين، ويقومون فيها أيضًا للحساب.

* * *

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ
أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ
أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ
ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ
سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ
يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾ وَمَا
كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا
فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن
كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ
وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ
مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن
يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا
وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(فما لكم ـ فئتين ـ أركسهم ـ ودوا ـ حيث وجدتموهم ـ يصلون إلى قوم ـ ميثاق ـ حصرت ـ السَّلم ـ ألقوا إليكم السَّلم ـ الفتنة ـ ثقفتموهم ـ فتحرير رقبة ـ مُسلَّمة ـ لعنه).

ج:

الكلمة	معناها
فما لكم	فما بالكم ـ فما شأنكم ـ فلمَ أنتم.
فئتين	طائفتين ـ فرقتين (والمراد طائفتين مختلفتين).
أركسهم	ردَّهم[1] ، والإركاس الرد، وأوقعهم.
ودوا	تمنوا ـ أحبوا.
حيث وجدتموهم	في أي مكان وجدتموهم فيه.
يصلون إلى قوم	يتصلون بهم ويدخلون معهم في الحلف والجوار ـ يلجؤون إلى قومٍ بينكم وبينهم عهد ويتحيزون إليهم.
ميثاق	عهد ـ معاهدة ـ مهادنة.
حصرت	ضاقت.
السَّلم	الاستسلام ـ الصلح.
ألقوا إليكم السَّلم	استسلموا وانقادوا لكم.
الفتنة	الكفر.
ثقفتموهم	وجدتموهم ـ لقيتموهم.

(١) أى ردهم عن الغزو فحُرِموا الأجر ـ أو ردهم إلى الكفر.

تحرير رقبة	فك رقبة ـ السعي بالمال لعتق رقبة (لتحرير عبد أو أمة من الرق).
مُسلمة	موفرة ـ مؤداة ـ مدفوعة.
لعنه	أبعده من رحمته وأخزاه.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أُحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقةٌ تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزلت: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا**﴾ وقال: إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة.

* * *

س: لمن وُجِّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؟ وما وجه الاستفهام هنا؟

ج: الخطاب موجهٌ لأهل الإيمان، والاستفهام هنا للإنكار.

* * *

س: من المعنيون بالمنافقين في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؟

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٥٠)، ومسلم (حديث ٢٧٧٦).

ج: هم عبد اللَّه بن أُبي بن سلول وأصحابه.

❊ ❊ ❊

س: المعاصي سبب لزوال النعم، وضح ما يدل على ذلك من هذه الآية الكريمة.

ج: إيضاحه أن اللَّه سبحانه وتعالى رد المنافقين عن الغزو مع النبي ﷺ وحرمهم شرف الجهاد معه، وذلك لكسبهم الذي اكتسبوه من قبل من سيئ الأعمال وقبيح الصفات، فحرموا بسبب ذلك جميل الأجر وعظيم الثواب كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا**﴾.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الآيات التي تُفيد أن المهتدي من هداه اللَّه.

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٩٩].
- وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ [السجدة: ١٣].
- وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [يونس: ١٠٠].
- وقال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦].
- وقال سبحانه: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤٩].
- ويقول أهل الإيمان يوم القيامة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا**

لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

- وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].
- وقال اللَّه عز وجل: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].
- وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].
- وفي الحديث القدسي: «كلكم ضال إلا من هديته»(١).
- ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «واللَّه لولا اللَّه ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا»(٢).
- وكذلك الإضلال:
- قال تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤].
- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].
- وقال نوح لقومه: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].
- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾ [الشورى: ٤٤].
- وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديتُهُ فاستهدوني أهدكم..» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (حديث ١٨٠٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا.

● وقال سبحانه: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٨٨].

● وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

● وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٤].

❊ ❊ ❊

س: صدر الآية الكريمة ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ ثم قال الله بعد ذلك ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقد علم أن المنافقين كانوا بالمدينة فكيف قيل: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والهجرة كانت إلى المدينة؟

ج: في هذا ـ والله أعلم ـ وجوه:

أحدها: أنه كان هناك من الأعراب أيضًا منافقون، وكان نفاقهم أشد من نفاق أهل المدينة، كما قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

الثاني: أن المراد بالهجرة هنا هجرة أخرى، وهي هجرة صحيحة تحقق إيمانهم، وذلك بالخروج مع رسول الله ﷺ للقتال في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين، ذكره صديق حسن خان.

ونقل قول عكرمة: هي هجرة أخرى.

الثالث: أن الآية الكريمة في المسلمين الذين كانوا بمكة وكانوا قد تكلموا

بالإسلام ولكنهم ظاهروا المشركين وعاونوهم وأبوا أن يهاجروا فاختلف في شأنهم المؤمنون، فعلى ذلك فالهجرة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ على بابها، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾؟ وعن أي شيء تولوا؟

ج: المعنيون بذلك هم منافقو الاعتقاد، وتوليهم عن الإيمان باللَّه ورسوله، وعن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتوليهم أيضًا يكون بإظهارهم الكفر.

* * *

س: هل قتل رسول اللَّه ﷺ المنافقين؟

ج: لم يقتل رسول اللَّه ﷺ المنافقين.

* * *

س: لِمَ ترك رسول اللَّه ﷺ قتل المنافقين؟

ج: ترك رسول اللَّه ﷺ قتل المنافقين حتى لا يتحدث الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه، وثمَّ أسباب أُخر أوضحناها في سورة البقرة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾،

فإن تولَّى هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم فيهم عن الإيمان باللَّه ورسوله، وأبوا الهجرة فلم يهاجروا في سبيل اللَّه، فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، سوى من وَصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم مُوادعة وعهد وميثاق، فدخلوا فيهم، وصاروا منهم، ورضوا بحكمهم، فإن لمن وصل إليهم فدخل فيهم من أهل الشرك راضيًا بحكمهم في حقن دمائهم بدخوله فيهم: أن لا تسبى نساؤهم وذراريهم، ولا تغنم أموالهم.

• وأورد بإسناد حسن عن ابن زيد في قوله: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**﴾، يصلون إلى هؤلاء الذين بينكم وبينهم ميثاق من القوم، لهم من الأمان مثل ما لهؤلاء.

❊ ❊ ❊

س: في الآيات دليل على إثبات الهدنة والموادعة بين أهل الحرب وأهل الإسلام، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، من أي موضعٍ من الآيات أُخذ ذلك؟

ج: أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**﴾، فأفادت الآية وجود مواثيق بين أهل الإيمان وغيرهم.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾.

ج: هؤلاء قوم استثناهم اللَّه أيضًا من الذين أمر بقتلهم، فهم قوم أتوكم لا تطيب أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم فأمسكوا عن القتال.

س: إلام يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾؟

ج: يرجع إلى المنافقين الذين وصلوا إلى قومٍ بينهم وبين أهل الإيمان عهود ومواثيق ومصالحات.

• ويرجع أيضًا إلى القوم الذين حصرت صدورهم أن يقاتلوا أهل الإيمان، وأن يقاتلوا قومهم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾، ولو شاء اللَّه لسلط هؤلاء الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فيدخلون في جوارهم وذمتهم، والذين يجيئونكم قد حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم عليكم، أيها المؤمنون، فقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين ولكن اللَّه تعالى ذكره كفَّهم عنكم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم: ليس هناك طريق مباح شرعه اللَّه لكم لأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم وسفك دمائهم، والسبيل أيضًا هنا الحُجة لقتلهم.

• قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأما قوله: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾، فإنه يقول: إذا استسلم لكم هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم، صلحًا منهم لكم، ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾، أي: فلم يجعل اللَّه لكم على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم طريقًا إلى قتل أو سباء أو غنيمة، بإباحةٍ منه ذلك لكم ولا إذنٍ، فلا تعرَّضوا لهم في ذلك، إلا سبيل خير.

* * *

س: هل هذه الآية منسوخة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾؟

ج: قال بالنسخ الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وذكر عن بعض أهل العلم أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾ [التوبة: ١].

قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ عقب كلامه الذي ذكرناه عنه من قبل:

ثم نسخ اللَّه جميع حكم هذه الآية والتي بعدها بقوله تعالى ذكره: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وهؤلاء فريق آخر من المنافقين، كانوا يظهرون الإسلام لرسول اللَّه

ﷺ وأصحابه ليأمنوا به عندهم من القتل والسباء وأخذ الأموال وهم كفار، يعلم ذلك منهم قومهم، إذا لقوهم كانوا معهم وعبدوا ما يعبدونه من دون اللَّه، ليأمنوهم على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم، يقول اللَّه: ﴿ **كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا** ﴾ ، يعني: كلما دعاهم قومهم إلى الشرك باللَّه، ارتدُّوا فصاروا مشركين مثلهم.

* * *

س: ما الفرق بين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ والمذكورين في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿ **أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ...** ﴾ الآية، هؤلاء قوم آخرون من المُستَثنين عن الأمر بقتالهم، وهم الذين يجيئون إلى المصاف وهم حَصِرَةٌ صدورهم، أي: ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضًا أن يقاتلوا قومهم معكم، بل هم لا لكم ولا عليكم.

﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ** ﴾، أي: من لطفه بكم أن كفهم عنكم، ﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ** ﴾ أي: المسالمة ﴿ **فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾ أي: فليس لكم أن تقتلوهم، ما دامت حالهم كذلك، وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين، فحضروا القتال وهم كارهون، كالعباس ونحوه، ولهذا نهى النبي ﷺ يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره.

وقوله: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ... ﴾ الآية، هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء منافقون يظهرون للنبي ﷺ ولأصحابه الإسلام، ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم، ويصانعون الكفار في الباطن، فيعبدون معهم ما يعبدون، ليأمنوا بذلك عندهم، وهم في الباطن مع أولئك كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ.. ﴾ [البقرة: ١٤] الآية، وقال هاهنا: ﴿ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾، أي: انهمكوا فيها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، كلما دعاهم قومهم إلى الشرك بالله ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ يكفون أيديهم عن ماذا؟

ج: يكفون أيديهم عن قتال أهل الإيمان.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، كما قال الطبري ـ رحمه الله ـ إذ قال:

﴿وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ يقول جل ثناؤه: وهؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ـ وهم على ما هم عليه من الكفران، ولم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم ـ جعلنا لكم حجة في قتلهم أينما لقيتموهم، بمقامهم على كفرهم، وتركهم هجرة دار الشرك ﴿مُّبِينًا﴾ يعني: أنها تبين عن استحقاقهم ذلك منكم، وإصابتكم الحق في قتلهم. وذلك قوله: ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ والسلطان: هو الحجة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم، وما أذن اللَّه لمؤمن أن يقتل مؤمنًا وما أباح اللَّه له ذلك، إلا أن المؤمن قد يقتل مؤمنًا خطأ.

• وأيضًا: وما ينبغي لمومن أن يقتل مؤمنًا، ولكن قد يصدر هذا بطريق الخطأ، فقوله: ﴿إِلا﴾ بمعنى «لكن»، والاستثناء منقطع، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾.

* * *

س: هل خصص من هذه الآية شيءٌ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾؟

ج: نعم، هناك من يقتل عمدًا كالذين ورد ذكرهم في حديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١).

---

(١) البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

• وأيضًا: قطاع الطرق المفسدون في الأرض، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ..﴾ [المائدة: ٣٣].

• وأيضًا: فالفئة الباغية تقاتل، قال تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1] [الحجرات: ٩].

❊ ❊ ❊

س: اذكر مثالاً للقتل الخطأ.

ج: مثاله: أن ترمي شيئًا بشيءٍ فتصيب إنسانًا فيقتله وأنت لا تريد قتله.

❊ ❊ ❊

س: رجل صدم آخر بسيارته فقتله، هل هذا قتل خطأ؟

ج: نعم، هو قتل خطأ تجب فيه الدية، وقد نقل القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ عن الشافعي في رجلين يصدم أحدهما الآخر فماتا قال: دية المصدوم على عاقلة الصادم، ودية الصادم هدر.

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بالرقبة المؤمنة؟

ج: من أهل العلم من قال: كل من بلغ فصلى وصام وآمن وعرف الإيمان.

وقال آخرون: كل مولود بين أبوين مسلمين فهو مؤمن وإن كان طفلاً.

❊ ❊ ❊

---

(١) ولمزيد انظر تفسير سورة الحجرات.

س: هل يلزم أن تكون الرقبة قد بلغت الحلم؟

ج: لا يلزم ذلك، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ والذي عليه الجمهور أنه متى كان مُسلمًا صحَّ عتقه عن الكفارة سواء كان صغيرًا أو كبيرًا.

* * *

س: كم دية المؤمن إذا قُتل خطأ؟

ج: دية المؤمن مائة من الإبل على اختلاف في أسنانها، وقد نقل عدد من العلماء الإجماع على ذلك.

- وأورد الطبري آثارًا عن عليٍّ رضي الله عنه ـ تصح بمجموعها ـ تدل على أن الدية مائة من الإبل.
- وكذلك أورد آثارًا تصح بمجموعها عن ابن مسعود رضي الله عنه بمثل ذلك.
- أما الدية على أهل الذهب فألف دينار.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأما الذين أوجبوها في كل زمان على أهل الذهب ذهبًا ألف دينار، فقالوا: ذلك فريضة فرضها اللَّه على لسان رسوله، كما فرض الإبل على أهل الإبل، قالوا: وفي إجماع علماء الأمصار في كل عصر وزمان إلا من شذَّ عنهم، على أنها لا تزاد على ألف دينار ولاتنقص عنها، أوضح الدليل على أنها الواجبة على أهل الذهب، وجوب الإبل على أهل الإبل؛ لأنها لو كانت قيمة لمائة من الإبل، لاختلف ذلك بالزيادة والنقصان لتغير أسعار الإبل.

وهذا القول هو الحق في ذلك، لما ذكرنا من إجماع الحجة عليه.

● **وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه:**

وأجمع أهل العلم على أن على أهل الإبل مائة من الإبل.

واختلفوا فيما يجب على غير أهل الإبل؛ فقالت طائفة: على أهل الذهب ألفُ دينار، وهم أهل الشام ومصر والمغرب؛ هذا قول مالك وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي والشافعي في أحد قوليه في القديم.

ورُوي هذا عن عمر وعروة بن الزبير وقتادة، وأما أهل الوَرِق فاثنا عشر ألف درهم، وهم أهل العراق وفارس وخراسان، هذا مذهب مالك على ما بلغه عن عمر أنه قوَّم الدية على أهل القرى فجعلها على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الوَرِق اثني عشر ألف درهم.

وقال المُزَني: قال الشافعي الدية الإبل؛ فإن أعوزت فقيمتها بالدراهم والدنانير على ما قوَّمها عمر: ألف دينار على أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم على أهل الورق.

وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري: الدِّية من الورق عشرة آلاف درهم.

❊ ❊ ❊

س: كم دية المرأة؟

ج: هي على النصف من دية الرجل، وقد نقل الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الإجماع على ذلك إلا من لا يُعدُّ خلافه خلافًا.

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه: وأجمع العلماء على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل.

س: من يؤدي الدية عن قاتل الخطأ؟

ج: يؤديها القاتل والعاقلة معًا.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: والذي وجب على العاقلة لم يجب تغليظًا، ولا أن وزر القاتل عليهم، ولكنها مواساة محضة.

* * *

س: ما معنى العاقلة؟ وهل يجب أن تُعطى الدية في الحال؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

والعاقلة: العصبة، وليس ولد المرأة إذا كان من غير عصبتها من العاقلة، ولا الإخوة من الأم بعصبة لإخوتهم من الأب والأم، فلا يعقلون عنهم شيئًا.

وكذلك الديوان لا يكون عاقلة في قول جمهور أهل الحجاز.

وقال الكوفيون: يكون عاقلة إن كان من أهل الديوان فتنجَّم الدية على العاقلة في ثلاثة أعوام على ما قضاه عمر وعليّ؛ لأن الإبل قد تكون حوامل فتضرّ به، وكان النبي ﷺ يعطيها دفعة واحدة لأغراض:

منها: أنه كان يعطيها صلحًا وتسديدًا.

ومنها: أنه كان يعجلها تأليفًا، فلما تمهد الإسلام قدّرتها الصحابة على هذا النظام؛ قاله ابن العربي.

وقال أبو عمر: أجمع العلماء قديمًا وحديثًا أن الدية على العاقلة لا تكون إلا في ثلاث سنين ولا تكون في أقل منها، وأجمعوا على أنها على البالغين من الرجال، وأجمع أهل السير والعلم أن الدية كانت في الجاهلية

تحملها العاقلة فأقرها رسول اللَّه ﷺ في الإسلام.

* * *

س: لماذا سقطت الدية عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما قتل رجلاً قال: لا إله إلا اللَّه؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: قال علماؤنا:

وأما سقوط الدية فلأوجهٍ ثلاثة:

الأول: لأنه كان أُذن له في أصل القتال فكان عنه إتلاف نفس محترمة غَلَطًا كالخاتن والطبيب.

الثاني: لكونه من العدو ولم يكن له وليٌّ من المسلمين تكون له ديته؛ لقوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ**﴾ [النساء: ٩٢]، كما ذكرنا.

الثالث: أن أُسامة اعترف بالقتل ولم تقم بذلك بينة ولا تعقل العاقلة اعترافًا، ولعل أسامة لم يكن له مال تكون فيه الدية. واللَّه أعلم.

* * *

س: هل يجب على الطبيب المعالج إن قتل شخصًا على سبيل الخطأ أثناء مداواته أن يدفع دية؟

ج: من التعليل السابق يفهم أنه لا دية عليه؛ لأنه قد أُذن له في التطبيب.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم: ودية مؤداة إلى أهل القتيل تؤديها عاقلة القاتل إلا أن يتصدق أهل القتيل على من لزمته دية قتيلهم، فيعفون أو

يتجاوزون عن ديته.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؟

ج: هو الرجل يكون مؤمنًا وقومه كفارًا، فلا دية له، ولكن تحرير رقبة مؤمنة.

* * *

س: هل من حكمة ظاهرة في إسقاط دية القتيل المؤمن وأهله كفار؟

ج: الظاهر، واللَّه أعلم، حتى لا يتقووا بها على المسلمين.

أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح إلى ابن زيد قال: في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ القتيل مسلم وقومه كفار، فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ، ولا يؤدِّي إليهم الدية فيتقوون بها عليكم.

* * *

س: لماذا قُدمت الدية للذين بينهم وبيننا ميثاق على تحرير الرقبة، وقدم تحرير الرقبة على الدية في القتيل المؤمن من قومٍ مؤمنين؟

ج: ذلك ـ واللَّه تعالى أعلم ـ احترامًا للعهود والمواثيق.

* * *

س: القتيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ هل هو مسلم أم غير مسلم؟

---

(١) الطبري (١٠١٢٠) ط. العلمية.

ج: ذهب قومٌ من أهل العلم: إلى أنه كافر من أهل الذمة، وبه قال الزهري ـ رحمه اللَّه ـ فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح[١] عن أيوب قال: سمعت الزهري يقول: دية الذمي دية المسلم وكان يتأول ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾.

● وذهب آخرون إلى أنه مؤمن.

واختار الطبري ـ رحمه اللَّه ـ أنه المقتول من أهل العهد، فقال رحمه اللَّه:

وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: عُني بذلك المقتول من أهل العهد؛ لأن اللَّه أبهم ذلك فقال: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم﴾، ولم يقل: «وهو مؤمن» كما قال في القتيل من المؤمنين وأهل الحرب، وعنى المقتول منهم وهو مؤمن، فكان في تركه وصفه بالإيمان الذي وصف به القتيلين الماضي ذكرهما قبل الدليل الواضح على صحة ما قلنا في ذلك.

قلت (مصطفى): وكان من اللائق إذ لم يبين اللَّه حال المقتول أن نذهب إلى التعميم سواء كان المقتول كافرًا أو مؤمنًا، فما دام من قومٍ بيننا وبينهم ميثاق، فلزامًا علينا تأدية ديةٍ إلى أهله، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ لم يجد ماذا؟

ج: قيل: لم يجد الرقبة التي يحررها لإعساره بثمنها، وقيل: لم يجد

---

(١) الطبري (١٠١٢٣).

الرقبة ولا الدية، واختار الطبري القول الأول فقال:

والصواب من القول في ذلك: أن الصوم عن الرقبة دون الدية، لأن دية الخطأ على عاقلة المقتول، والكفارة على القاتل، بإجماع الحجة على ذلك نقلاً عن نبيها ﷺ، فلا يقضي صومُ صائم عما لزم غيره من ماله.

* * *

س: هل الحيض يمنع التتابع؟

ج: لا يمنع الحيض التتابع، فالحائض تفطر أيام حيضتها ثم إذا طهرت واصلت الصيام.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: والحيض لا يمنع التتابع من غير خلاف، وإنها إذا طهرت ولم تؤخر وَصَلَت باقي صيامها بما سلف منه، لا شيء عليها غير ذلك.

* * *

س: هل المرض يجوِّز قطع تتابع الصيام (صيام الشهرين المتتابعين)؟

ج: نعم المرض يجوز قطع التتابع؛ وذلك لأن المرض يجوز إفطار رمضان، ورمضان أولى، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

* * *

س: من لم يستطع الدية ولا الصيام ـ في حالة قتل الخطأ ـ هل يُطعم ستين مسكينًا؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه: واختلفوا فيمن لا يستطيع الصيام

هل يجب عليه إطعام ستين مسكنيًا كما في كفارة الظهار؟ على قولين:

أحدهما: نعم، كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار، وإنما لم يذكر هاهنا؛ لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير، فلا يناسب أن يذكر فيه الأحكام لما فيه من التسهيل والترخيص.

والقول الثاني: لا يُعدل إلى الإطعام لأنه لو كان واجبًا لما أُخِّر بيانه عن وقت الحاجة.

* * *

س: ما صفة القتل الذي يستحق أن يسمى صاحبه متعمدًا؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

واختلف أهل التأويل في صفة القتل الذي يستحق صاحبه أن يسمى متعمدًا، بعد إجماع جميعهم على أنه إذا ضرب رجلٌ رجلاً بحدٍّ حديد يجرح بحدِّه، أو يَبْضع ويقطع، فلم يقلع عنه ضربًا به حتى أتلف نفسه، وهو في حال ضربه إياه به قاصدٌ ضربه أنه عامدٌ قتله.

وأورد صورًا أُخر ثم قال:

والصواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: كل من ضرب إنسانًا بشيء الأغلب منه أنه يتلفه، فلم يقلع عنه حتى أتلف نفسه به أنه قاتل عمد، ما كان المضروب به من شيء، للذي ذكرنا من الخبر عن رسول اللَّه ﷺ.

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

واختلف العلماء في صفة المتعمِّد في القتل؛ فقال عطاء والنخعي

وغيرهما: هو من قتل بحديدة كالسيف والخنجر وسِنان الرمح ونحو ذلك من المشحوذ المُعد للقطع، أو بما يُعلم أن فيه الموتَ من ثقال الحجارة ونحوها.

وقالت فرقة: المتعمد كل من قتل بحديدة كان القتل أو بحجر أو بعصا أو بغير ذلك؛ وهذا قول الجمهور.

قلت: وينبغي أن يلحق بذلك من أطلق الرصاص على شخص ومن شنق شخصًا ومن تعمد إلقاء شخص في اليم، ومن تعمد حبس شخص ومنعه من الطعام والشراب حتى مات، ونحو ذلك من الصور المستحدثة كالقتل في غرفة الغاز والقتل بالكهرباء، ونحو ذلك، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾.

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: جزاؤه جهنم إن جازاه، أي: إن جوزي هذا القاتل فهذا جزاؤه، لكن قد يكون له عمل صالح يحول بينه وبين وصول هذا الجزاء إليه.

الثاني: جزاؤه جهنم إن قتله متعمداً مستحلاً قتله.

الثالث: جزاؤه جهنم إلا من ندم وتاب.

الرابع: جزاؤه جهنم والخلود في النار.

قال الطبري ـ رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا، فجزاؤه ـ إن جازاه ـ جهنم خالدًا فيها، ولكنه يعفو

ويتفضَّل على أهل الإيمان به وبرسوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٥٣].

* * *

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من قتل المؤمن بغير حق؟

ج: من ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣].

- وقوله سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

- وقول النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: «**الشرك باللَّه والسحر وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق**» الحديث، وقد تقدم.

- وقول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كُفر**»(١).

- وقول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كُفاراً يضرب بعضكم**

(١) البخاري (حديث ٧٠٧٦)، ومسلم (حديث ٦٤).

رقاب بعض»[١] .

● وقول النبي ﷺ : «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا : يا رسول اللَّه، هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[٢] .

● وقول النبي ﷺ : «**قتل المؤمن أعظم عند اللَّه من زوال الدنيا**»[٣] .

● وقول النبي ﷺ : «**لن يزال المسلم في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»[٤] .

● قول النبي ﷺ : «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[٥] .

● وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلِّه[٦] .

● وأخرج مسلم في «صحيحه»[٧] من حديث جندب بن عبد اللَّه البجلي أنه بعث إلى عسعس بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم. فبعث رسولاً إليهم فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به حتى دار

---

(١) البخاري (حديث ٧٠٨٠)، ومسلم (حديث ٦٥).

(٢) البخاري (حديث ٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٣) النسائي (٧/ ٨٣) بإسناد صحيح لغيره، وانظر كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

(٤) البخاري (٦٨٦٢).

(٥) البخاري (حديث ٦٨٦٤).

(٦) البخاري (حديث ٦٨٦٣).

(٧) مسلم (حديث ٩٧).

الحديث فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم إن رسول اللَّه ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قومٍ من المشركين وإنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا اللَّه، فقتله فجاء البشير إلى النبي ﷺ فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع.

فدعاه فسأله فقال: «**لم قتلته؟**» قال: يا رسول اللَّه أوجع في المسلمين وقتل فلانًا وفلانًا وسمى له نفرًا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا اللَّه.

قال رسول اللَّه ﷺ: «**أقتلته؟**» قال: نعم، قال: «**فكيف تصنع بـ لا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول اللَّه استغفر لي. قال: «**وكيف تصنع بـ لا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بـ لا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة**».

❊ ❊ ❊

س: سُدت جميع السبل الموصلة إلى قتل المؤمن بغير حق، اذكر بعض ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

- قول النبي ﷺ: «**لا يحل لمُسلم أن يُروِّع مسلمًا**»[1].

---

(١) أبو داود (حديث ٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢).

● قول النبي ﷺ: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يديه فيقع في حفرةٍ من النار»(١).

● قول النبي ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(٢).

● وقول النبي ﷺ: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا ـ أو في سوقنا ـ ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها، أو قال: فليقبض بكفه؛ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»(٣).

❊ ❊ ❊

س: اذكر قول ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا..﴾.

ج: وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما عدة روايات في هذا الصدد، منها: ما أخرجه البخاري(٤) من طريق سعيد بن جبير قال: «سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قال: لا توبة له. وعن قوله جل ذكره ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨] قال: كانت هذه في الجاهلية».

وهذا في ظني ـ واللَّه أعلم ـ أنه لا يوفق للتوبة، وذلك لما أخرجه الطبري(٥) من طريق يحيى الجابر(٦) عن سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند

(١) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).
(٢) مسلم (حديث ٢٦١٦).
(٣) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).
(٤) البخاري (٤٧٦٤).
(٥) الطبري (١٠١٩٣).
(٦) إسناده ضعيف، فيحيى هو يحيى بن عبد اللَّه، وهو لين الحديث.

ابن عباس بعد ما كُفَّ بصره، فأتاه رجل فناداه: يا عبد اللَّه بن عباس، ما ترى في رجل قتل مؤمنًا متعمدًا؟ فقال: ﴿**فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾.

قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه! وأنَّى له التوبة والهدى؟ فوالذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**ثكلته أمه! رجل قتل رجلاً متعمدًا جاء يوم القيامة آخذًا بيمينه أو بشماله، تَشْخَب أوداجه دمًا، في قُبُل عرش الرحمن، يَلزم قاتلَه بيده الأخرى يقول: سلْ هذا فيم قتلني؟**» ووالذي نفس عبد اللَّه بيده، لقد أنزلت هذه الآية، فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ، وما نزل بعدها من برهان.

* * *

س: ما مدى صحة حديث: «كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا؟ وكيف يوجه في حالة صحته.

ج: أما بالنسبة للحكم عليه صحة وضعفًا، فالحديث صحيح الإسناد، وقد أخرجه أبو داود[1] وغيره بسند صحيح.

أما توجيهه في حال صحته وخاصة ما يتعلق بالرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا، فوجه ذلك: أن المقتول يطالب القاتل يوم القيامة بحقه، وهذا من حقوق الآدميين، وحقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة، كالدَّين ونحو ذلك.

---

(١) أبو داود (٤٢٧٠)، وانظر تخريجه باستفاضة في كتابي «الصحيح من المسند من أحاديث الفتن والملاحم».

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى:

وأما حديث معاوية: «**كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»، فـ «عسى» للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينتفي وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل، لما ذكرنا من الأدلة.

وأما من مات كافرًا فالنص أنه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة، ولا بد من أدائها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من الطلابة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع الطلابة وقوع المجازاة، وقد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض اللَّه المقتول من فضله بما يشاء من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل على قاتل العمد كفارة[1] ؟

ج: لأهل العلم قولان في هذه المسألة.

فمنهم من قال: قتل العمد أعظم من أن يُكفَّر فلا كفارة فيه.

ومنهم من قال: تجب عليه الكفارة لحديث واثلة بن الأسقع قال: أتى

(١) هذا في حالة ما إذا عفا عنه أهل المقتول أو طلبوا الدية.

النبي ﷺ نفرٌ من بني سليم فقالوا: إن صاحبنا قد أوجب قال: «**فليعتق رقبة يفدي اللَّه بكل عضوٍ منها عضواً منه من النار**».

إلا أن إسناده ضعيف، ففيه الفريف وهو مجهول.

* * *

س: هل تتحمل العاقلة دية العمد؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: أجمع العلماء على أن العاقلة لا تحمل دية العمد، وأنها في مال الجاني.

* * *

س: كيف يُجمع بين آية الفرقان ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ** ﴾ وبين قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: إن مطلق آية النساء يحمل على مقيد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم إلا من تاب.

الثاني: أن تكون الآية محمولة على ما حُكي عن ابن عباس أنه قال: متعمدًا معناه مُستحلاً لقتله، فهذا أيضًا يؤول إلى الكفر إجماعًا.

الثالث: فجزاؤه جهنم إن جازاه.

الرابع: إن لم يتب وأصر على الذنب.

الخامس: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

السادس: أن الخلود في هذا الموطن يطلق على طول البقاء، ليس على مطلق التأبيد، وذلك في بعض الأحيان.

وأورد القرطبي نحو هذا فقال:

والخلود لا يقتضي الدوام، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة:٣]، وقال زهير: «ولا خالدًا إلا الجبال الرواسيا».

وهذا كله يدل على أن الخُلد يطلق على غير معنى التأبيد؛ فإن هذا يزول بزوال الدنيا.

وكذلك العرب تقول: لأخلدنَّ فلانًا في السجن. والسجن ينقطع ويفنى، وكذلك المسجون. ومثله قولهم في الدعاء: خلَّد اللَّه ملكه وأبَّد أيامه.

* * *

س: اذكر بعض الآيات الكريمات التي تبين أن قاتل النفس له توبة؟ وكذلك شيئًا من الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ . . ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

- وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧].
- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].
- وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

أما الأحاديث فمنها:

- حديث قاتل المائة نفس، ففيه أن نبي اللَّه ﷺ قال: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون اللَّه، فاعبد اللَّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى اللَّه، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه، فوجدوه أدنى إلي الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد.

• وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ففيه أن رسول اللَّه ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابِهِ: «**بايعُوني على أن لا تُشرِكوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تَزْنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بِبُهتان تفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفَى منكم فأجره على اللَّه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فَعُوقِبَ في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثُمَّ ستره اللَّه فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»[1] فبايعناه على ذلك.

❊ ❊ ❊

س: ما رأي أهل السنة والجماعة في قاتل النفس؟ وهل له من توبة؟

ج: قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى:

وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ما ورد من ذلك على التغليظ، وصححوا توبة القاتل كغيره، وقالوا: معنى قوله: ﴿**فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ**﴾ أي: إن شاء اللَّه تعالى أن يجازيه؛ تمسكًا بقوله تعالى في سورة النساء أيضًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]. ومن الحجة في ذلك حديث الإسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم أتى تمام المائة فقال له: لا توبة، فقتله فأكمل به مائة، ثم جاء آخر فقال: «ومن يحول بينك وبين التوبة» الحديث، وهو مشهور، وسيأتي في الرقاق واضحًا.

وإذا ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى لما خفف اللَّه

---

(١) البخاري (١٨)، ومسلم وقد تقدم.

عنهم من الأثقال التي كانت على من قبلهم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى:

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحًا، بدل اللَّه سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته، وأرضاه عن طلابته. قال اللَّه تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا..**﴾ [الفرقان: ٦٨، ٧٠] الآية، وهذا خبر لا يجوز نسخه، وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج إلى دليل، واللَّه أعلم.

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا
تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ
عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسۡتَوِي
ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا
عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ
قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ
تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ
سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(ضربتم ـ ضربتم في سبيل اللَّه ـ تبينوا ـ ألقى إليكم السلام ـ تبتغون ـ عرض الحياة الدنيا ـ تبينوا ـ أولي الضرر ـ الحسنى ـ توفاهم ـ ظالمي أنفسهم ـ مأواهم ـ ساءت مصيرًا ـ المستضعفين).

ج:

الكلمة	معناها
ضربتم	سافرتم[1] .
ضربتم في سبيل اللَّه	سرتم مسيرًا للجهاد في سبيل اللَّه.
تبينوا	تثبتوا ـ تأنوا ـ انظروا ـ تحققوا.
ألقى إليكم السلام	استسلم لكم ولم يقاتلكم مظهرًا لكم أنه من أهل الإسلام.
تبتغون	تريدون ـ تطلبون ـ ترغبون في.
عرض الحياة الدنيا	متاع الحياة الدنيا الزائل، وأطلق عليه عرض لزواله.
أولي الضرر	أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج، والمريض ونحوهم.
الحسنى	الجنة.
توفاهم	تقبض أرواحهم.
ظالمي أنفسهم	جالبي لأنفسهم غضب اللَّه وسخطه ـ باخسي أنفسهم حقها ومتسببين لها في الهلاك.
مأواهم	مسكنهم الذي يأوون إليه ـ مصيرهم.

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾.

ساءت مصيراً	ساءت مسكنًا ومأوىً.
المستضعفين	العجزة عن الهجرة لإعسارهم ولقلة حيلتهم، وقلة معرفتهم بالطريق الصحيح للخروج.

* * *

س: هل وردت قراءة أخرى لقوله تعالى: ﴿فتبينوا﴾، وكذلك هل وردت قراءة أخرى لقوله: ﴿السلام﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿**فتبينوا**﴾ فقد وردت فيها قراءة أخرى (فتثبتوا) وعزاها الطبري إلى معظم قراء الكوفة.

وكذلك ﴿**السلام**﴾ قد وردت فيها قراءة (السلم) بلا ألف.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

واختلفت القرأة في قراءة قوله: ﴿**فتبينوا**﴾.

فقرأ ذلك عامة قرأة المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين والبصريين: ﴿**فتبينوا**﴾ بالياء والنون، من «التبين» بمعنى، التأني والنظر والكشف عنه حتى يتَّضح.

وقرأ ذلك عُظْم قرأة الكوفيين: «فَتَثَبَّتُوا»، بمعنى التثبُّت، الذي هو خلاف العجلة.

قال أبو جعفر: والقولُ عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ؛ لأن «المتثبت» متبيِّن، و«المتبين» متثبِّت، فبأي القراءتين قرأ القارئ، فمصيبٌ صوابَ القراءة في ذلك.

س: هل صحَّ لهذه الآية سبب نزول: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾؟

ج: نعم، قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلٌ في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته؛ فأنزل اللَّه في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة.

* * *

س: اذكر دليلاً على أن الأحكام على الناس تجري على ما ظهر منهم.

ج: أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ في سرية فصبَّحنا الحُرُقات[٣] من جُهَيْنة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا اللَّه. فطعنتُهُ فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أقال: لا إله إلا اللَّه وقتلته؟**» قال: قلت: يا رسول اللَّه، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «**أفلا شققْتَ عن قلبه**[٤] **حتى تَعْلَمَ أقالها أم لا**»، فما زال يُكررها عليَّ حتى تمنيت أني ما أسلمت يومئذ».

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٩١)، ومسلم (حديث ٣٠٢٥).

(٢) البخاري (حديث٦٨٧٢)، ومسلم (حديث٩٦)، واللَّفظ لمسلم.

(٣) (فصبحنا الحرقات) أي: أتيناهم صباحًا، والحرقات موضع ببلاد جهينة، والتسمية به كالتسمية بعرفات وأذرعات، وفي رائه الضم والفتح. والحاء مضمومة في الوجهين.

(٤) (أفلا شققت عن قلبه) معناه: إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه. فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال: أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه، أم لم تكن فيه، بل جرت على اللسان فحسب. (نقلاً عن حاشية مسلم).

س: لماذا أطلق على متاع الدنيا عرض؟

ج: لأنه شيء زائل وذاهب، وذلك كالشيء العارض.

* * *

س: تارك الحرام والمشكوك فيه يعوضه اللَّه خيرًا، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ**﴾ [النساء: ٩٤] أي: مغانم كثيرة حلال بعيدة عن الشبهات.
- قوله ﷺ: «**إنك لن تدع شيئًا اتقاء اللَّه تبارك وتعالى إلا آتاك اللَّه خيرًا منه**»(١).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾؟

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ كذلك كنتم تخفون إيمانكم من المشركين كما استخفى هذا الراعي بإيمانه(٢).

- ووجه آخر: كذلك كنتم مشركين لم تكونوا مؤمنين.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

﴿**كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ**﴾ أي: كذلك كنتم تخفون إيمانكم عن قومكم

---

(١) أحمد في «المسند» (٥/٧٨، ٧٩، ٣٦٣) بإسناد صحيح، وأخرجه غير أحمد أيضًا.

(٢) أخرجه البخاري معلقًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ للمقداد: «إذا كان رجل مؤمن يُخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل».

خوفًا منكم على أنفسكم حتى منَّ اللَّه عليكم بإعزاز الدين وغلبة المشركين، فهم الآن كذلك كل واحد منهم في قومه متربص أن يصل إليكم، فلا يصلح إذ وصل إليكم أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره.

وقال ابن زيد: المعنى: كذلك كنتم كفرة ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن أسلمتم فلا تنكروا أن يكون وهو كذلك ثم يُسلم لحينه حين لقيكم فيجب أن تتثبتوا في أمره.

● **وقال الطبري ـ رحمه اللَّه:**

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بتأويل الآية: القول الأول، وهو قول من قال: كذلك كنتم تخفون إيمانكم في قومكم من المشركين وأنتم مقيمون بين أظهرهم، كما كان هذا الذي قتلتموه مقيمًا بين أظهر قومه من المشركين مستخفيًا بدينه منهم.

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالصواب، لأن اللَّه ـ عز ذكره ـ إنما عاتب الذين قتلوه من أهل الإيمان بعد إلقائه إليهم السلم، ولم يُقَدْ به قاتلوه، للبْس الذي كان دخل في أمره على قاتليه بمقامه بين أظهر قومه من المشركين، وظنِّهم أنه ألقى السلم إلى المؤمنين تعوذًا منهم، ولم يعاتبهم على قتلهم إياه مشركًا.

فيقال: كما كان كافرًا كنتم كفارًا بل لا وجه لذلك؛ لأن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ لم يعاتب أحدًا من خلقه على قتل محارِبٍ للَّه ولرسوله من أهل الشرك، بعد إذنه له بقتله.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ منَّ عليكم بماذا؟

ج: • منَّ عليكم بإظهار دينه وإعزاز أهله.

• منَّ عليكم بالإسلام.

• منَّ عليكم بالتوبة عليكم بعد قتلكم له.

* * *

س: لماذا أُعيد الأمر بالتبين في قوله تعالى: ﴿فتبينوا﴾؟

ج: أُعيد للتأكيد، تأكيد الأمر بالتبين، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ماذا يحمل هذا الإخبارُ من المعاني: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؟

ج: هذا يحمل معنى التهديد والوعيد.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه بقوله: **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾**، لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل اللَّه من أهل الإيمان باللَّه وبرسوله، المؤثرون الدعةَ والخفضَ والقعودَ في منازلهم على مقاساة حُزُونة الأسفار والسير في الأرض، ومشقة ملاقاة أعداء اللَّه بجهادهم في ذات اللَّه، وقتالهم في طاعة اللَّه، إلا أهل العذر منهم بذهاب أبصارهم، وغير ذلك من العِلل التي لا سبيل لأهلها ـ للضَّرَر الذي بهم ـ إلى قتالهم وجهادهم في سبيل اللَّه، **﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ﴾ ومنهاج دينه، لتكون كلمة اللَّه هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء اللَّه وأعداء دينهم ﴿بأموالهم﴾ إنفاقًا لها فيما أوهَن كيد أعداء أهل الإيمان باللَّه، و﴿بأنفسهم﴾، مباشرة بها قتالهم، بما تكون به كلمة اللَّه العالية، وكلمة الذين كفروا السافلة.

❊ ❊ ❊

س: قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ نزل في شأن بعض الصحابة، اذكر مناسبة ذلك مع بيان اسم هذا الصحابي.

ج: أخرجه البخاري[1] من حديث سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلستُ إلى جَنبه، فأخبرنا أن زيدَ بن ثابت أخبره أن رسول اللَّه ﷺ أملى عليه: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاءه ابن أمِّ مكتوم وهو يُملُّها عليَّ قال: يا رسول اللَّه، واللَّه لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل اللَّه على رسوله ﷺ وفخذُهُ على فخذي، فثقُلَت عليَّ حتى خفتُ أن تُرضَّ فخذِي، ثمَّ سُرِّيَ عنه فأنزل اللَّه ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾.

❊ ❊ ❊

س: قد يتأخر نزول قدرٍ من الآية زمانًا ثم ينزل بعد ذلك، اذكر ما يفيد ذلك.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وبعد ذلك نزل قوله تعالى: ﴿مِنَ

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٢).

الْفَجْرِ﴾[١]، وكذلك نزل: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾، وبعد ذلك نزل ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾.

وذلك فيما تقدم في الحديث السابق من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وفيما أخرجه البخاري[٢] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: لما نزلت ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادعوا فلانًا، فجاءهُ ومعه الدواةُ واللوح ـ أو الكتفُ ـ فقال: اكتب: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال: يا رسول اللَّه أنا ضرير، فنزلت مكانها: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

* * *

س: أصحاب الأعذار لهم من الفضل ـ إن حسنت نواياهم ـ مثل من باشر الجهاد والعمل، اذكر بعض ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم المرض» أخرجه مسلم[٣] من حديث جابر رضي الله عنه.

وعند البخاري[٤] من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاةٍ فقال: **«إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا، حبسهم العذر»**.

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٥١١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال.

(٢) البخاري (حديث ٤٥٩٤). وانظر ما قدمناه في التسهيل (سورة البقرة).

(٣) مسلم (حديث ١٩١١). (٤) البخاري (حديث ٣٨٣٩).

س: هل القاعدون المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ هم القاعدون المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؟

ج: يرى الطبري ـ رحمه اللَّه ـ أن هؤلاء غير أولئك؛ فالقاعدون المذكورون في قوله تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾ هم القاعدون أولى الضرر.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿**فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾ فضل اللَّه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر، درجة واحدة ـ يعني: فضيلة واحدة ـ وذلك بفضل جهاده بنفسه، فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان.

• أما القاعدون المذكورون في قوله تعالى: ﴿**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ فهم القاعدون من غير أولي الضرر.

* * *

س: قال تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ وقال بعد ذلك: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ ففي الآية الأولى: أنهم فضلوا بدرجة، وفي الآية الثانية: أنهم فضلوا بالأجر العظيم الذي هو درجات، فكيف توفق بين هذه الآية وبين تلك؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى: قوله تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ**

بأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ وقد قال بعد هذا: ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ فقال قوم: التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات إنما هو مبالغة وبيان وتأكيد.

وقيل: فضل اللَّه المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر بدرجة واحدة، وفضل اللَّه المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات؛ قاله ابن جريج والسدي وغيرهما.

وقيل: إن معنى درجة علوّ، أي: أعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح والتقريظ. فهذا معنى درجة، ودرجات يعني: في الجنة.

قال ابن محيريز: سبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس الجواد سبعين سنة. و﴿درجات﴾ بدل من أجر وتفسير له، ويجوز نصبه أيضًا على تقدير الظرف أي: فضلهم بدرجات، ويجوز أن يكون توكيدًا لقوله: ﴿أجرا عظيما﴾ لأن الأجر العظيم هو الدرجات والمغفرة والرحمة، ويجوز الرفع؛ أي: ذلك درجات.

و«أجرًا» نصب بـ «فَضَّل»، وإن شئت كان مصدرًا وهو أحسن، ولا ينتصب بـ «فضل» لأنه قد استوفى مفعوليه وهما قوله: ﴿المجاهدين﴾، و﴿وعلى القاعدين﴾؛ وكذا ﴿درجة﴾ فالدرجات: منازل بعضها أعلى من بعض.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»، ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ «كلاً» منصوب بـ «وَعَدَ» و«الحُسنى» الجنة؛ أي: وعد اللَّه

كلاً الحسنى، ثم قيل: المراد بـ «كل» المجاهدون خاصة، وقيل: المجاهدون الضرر. والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بالدرجة؟

ج: الدرجة هي المنزلة العليا والفضيلة الكبرى.

• أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿**دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً**﴾ كان يُقال: الإسلام درجة والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة.

• وأخرج بإسناد صحيح[2] عن ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قول الله تعالى: ﴿**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ**﴾، والدرجات: هي السبع التي ذكرها في «سورة براءة» ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١]. قال: هذه السبع الدرجات.

قال: وكان أول شيء، فكانت درجة الجهاد مجملة، فكان الذي جاهد بماله له اسمٌ في هذه، فلما جاءت هذه الدرجات بالتفصيل أخرج منها، فلم يكن له منها إلا النفقة، فقرأ: ﴿**لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ**﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقال: ليس هذا لصاحب النفقة. ثم قرأ: ﴿**وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً**﴾ [التوبة: ١٢٠]،

---

(١) الطبري (١٠٢٦١).

(٢) الطبري (١٠٢٦٢).

قال: وهذه نفقة القاعد.

* * *

س: كم درجات الجنان التي أعدت للمجاهدين؟

ج: أخرج البخاري في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جَلَسَ في أرضه التي ولدَ فيها. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدَّرجتين كما بينَ السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنَّة وأعلى الجنة ـ أراه قال: وفوقه عرشُ الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة»**.

* * *

س: إذا كان أولو الضرر قد فُضِّل عليهم غيرهم بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ فكيف يوفَّق بين ذلك وبين قوله ﷺ: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا شاركوكم الأجر حبسهم العذر»؟

ج: • إذا قلنا: إن المشاركة لا تقتضي التسوية فلا إشكال.

• ولكن إذا حملنا المشاركة على التسوية فنقول وبالله التوفيق: إن أولي الضرر على قمسين:

قسمٌ منهم تخلف عن الجهاد والغزو لعذر.

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٩٠).

وقسمٌ آخر نحوه لكنه كان يرغب رغبة شديدة من قلبه في الغزو، ويحب الجهاد ولكنه حُبس فلا شك أن رغبة القلب في الخير وعقد العزم عليه يؤجر عليها العبد وقد يرتقي بها إلى درجات العاملين.

فعليه يمكن أن يُقال إن قوله تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾ هم القاعدون من أولي الضرر الذين لم تصاحبهم الرغبة الشديدة في الجهاد.

أما حديث: «**إن بالمدينة لرجالاً..**» فهو في قوم توفرت عندهم الرغبة الشديدة لكنهم حُبسوا.

فالفارق هنا قلبي، أي: أن التفضيل إنما ينبني على أعمال القلوب.

• **وثم وجه آخر**، وهو أن الجهاد ذُكر بصورتين (بالمال وبالنفس) فالقاعد من أولي الضرر قعوده إنما كان لعجزه عن الجهاد بالنفس لكن بقي الجهاد بالمال، وهذا قد يكون بإمكانه أن يجاهد بماله فإذا جاهد بماله وحدث نفسه وعقد عزمه على الجهاد بالنفس لكنه حُبس أو منع لضرره فهذا قد يستوي مع المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ...﴾؟

ج: نعم لها سبب نزولٍ صحيح، وهو ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثرون سواد

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٦).

المشركين على رسول اللَّه ﷺ، يأتي السهم يُرمى به فيُصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل، فأنزل اللَّه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

المراد بها: جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي ﷺ الإيمان به، فلما هاجر النبي ﷺ أقاموا مع قومهم وفُتِن منهم جماعة فافتتنوا، فلما كان أمر بَدْر خرج منهم قوم مع الكفار؛ فنزلت الآية.

وقيل: إنهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك في دينهم فارتدوا فقُتلوا على الردة؛ فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأُكرِهوا على الخروج فاستغفروا لهم؛ فنزلت الآية، والأول أصح.

* * *

س: من القائلون: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟ ولمن قالوا ذلك؟

ج: القائلون هم الملائكة، قالوا ذلك للذين ظلموا أنفسهم.

* * *

س: ما المراد بقولهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم: على أي شيء من أمر الدين كنتم؟

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ؟

ج: المعنى، واللَّه أعلم: كان أهل الشرك يستضعفوننا بكثرة عددهم وقوتهم فيمنعوننا من الإيمان باللَّه واتباع رسوله ﷺ.

* * *

س: هل المستضعف لزامًا عليه أن يهاجر من بلده؟

ج: إذا كان مقيمًا لدينه فلا يلزمه الخروج منها، لقول النبي ﷺ: «**من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على اللَّه أن يُدخله الجنة، جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي ولد فيها..**» الحديث، وقد تقدم.

* * *

س: اذكر بعض هؤلاء المستضعفين.

ج: من هؤلاء المستضعفين: ابن عباس وأمه؛ فعند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت أمي ممن عذر اللَّه[1].

وفي رواية عند البخاري عن ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين[2]. وفي رواية: كنت أنا وأمي ممن عذر[3].

• ومنهم عياش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هشام، والوليد بن الوليد؛ فعند البخاري ومسلم[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان

---

(١) البخاري (٤٥٩٧).
(٢) البخاري (٤٥٨٧).
(٣) البخاري (٤٥٨٨).
(٤) البخاري (حديث ١٠٠٦)، ومسلم (حديث ٦٧٥).

إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: «**اللَّهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللَّهم أنج سلمة بن هشام، اللَّهم أنج الوليد بن الوليد، اللَّهم أنج المستضعفين من المؤمنين**».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يعفو عنهم لماذا؟

ج: يعفو عنهم لكونهم لم يتركوا (الهجرة) اختيارًا للكفر على الإسلام، ولا لدار الكفر على دار الإسلام، ولكنهم تركوها لعجزهم.

* * *

س: هل كل الناس تجب عليهم الهجرة من ديار الكفر؟

ج: الهجرة لا تجب على الجميع، بل في ذلك الأمر تفصيل، وهذا وجهه:

أولاً: من كان يدعو إلى اللَّه في ديار الكفر، ويستطيع إظهار دينه ففي بقائه حينئذ في ديار الكفر للدعوة إلى اللَّه ونفع العباد ولقضاء مصالح المسلمين فيها فهذا يستحب له البقاء فيها.

ثانيًا: من لم يستطع إظهار دينه خوفًا على نفسه، وباستطاعته أن يهاجر إلى بلدة آمنة لإظهار دينه فهذا تجب عليه الهجرة لذلك، وذلك لقوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ولقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [النساء: ٩٧].

ثالثًا: من كان يستطيع إظهار دينه في دار الحرب، فهذا يستحب له أن يهاجر أيضًا لتقوية شوكة المسلمين ولتكثير سوادهم فضلاً عما يحصل عليه

من الخيـر في بقائه مع المسلمين مـن شهود جنائزهم، وعـيادة مـريضهم، وإفشاء السلام بينهم، ومواساة ضعيفهم وما يتبع ذلك من أوجه النفع.

رابعًـا: من لا تجب عليه الهجرة، وهو المسـتضعف الذي لا يقدر على إظهار دينه، وأيضًا يخشى عليه من مشـاق السفر، وتبعات الهجرة التي لا يتحملها، وذلك كالشيخ الطاعن في السن، والزَّمن (المريض مرضًا مزمنًا) فلم تستحب له للحوق المشقة به.

* * *

فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾
وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن
يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ
أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ
فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ
وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ
وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ
وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۚ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ
تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ
أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ
فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا
مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ
فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٠٤﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(مُراغمًا ـ سعة ـ وقع أجره على اللَّه ـ ضربتم في الأرض ـ جُناح ـ تقصروا من الصلاة ـ ودَّ ـ يميلون ـ اطمأننتم ـ كتابًا موقوتًا ـ ابتغاء ـ تألمون).

ج:

الكلمة	معناها
مُراغمًا	المراغم[1] هو المكان الذي يتجه إليه الشخص فيأمن فيه ويطمئن فيرغم أنف عدوه وخصمه باتجاهه إليه، ويكيده ويُذله. ويطلق المُراغم على المتحوَّل والمذهب والمهاجر والمتسع. فمراغمًا: متسعًا ـ متزحزحًا عما يكره ـ مبتغًى للمعيشة متحولاً.
سعة	سعةً في الرزق ـ سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى ـ سعة في البلاد: فرجًا من ضيق العيش وغمٍّ جوار أهل الشرك وضيق الصدر بتعذر إظهار الإيمان.
ضربتم في الأرض	سافرتم ـ سرتم في الأرض.
جناح	حرجٌ ـ إثمٌ.
تقصروا من الصلاة	من صور ذلك أن تقصروا من عددها فتصلّوا ما كان

(١) قاله القرطبي ـ رحمه اللَّه.

	من الفرائض عدده أربعًا في الحضر، فتصلّوه اثنتين في السفر.
ودَّ	تمنى ـ أحب.
يميلون عليكم	يحملون عليكم ـ يهجمون عليكم.
اطمأننتم	رجعتم إلى بلادكم ـ انتهيتم من الحرب مع عدوكم ـ استقررتم في أوطانكم ـ أَمِنْتم.
أقيموا الصلاة	أتموا الصلاة.
	أقيموا حدودها وركوعها وسجودها.
	لا تصلها راكبًا ولا ماشيًا ولا قاعدًا.
كتابًا موقوتًا	فريضةً مفروضة ـ فرضًا واجبًا موقتًا بوقتٍ.
ولا تهنوا	لاتضعفوا.
ابتغاء	طلب القوم وملاحقة العدو وقتاله.
تألمون	تتألمون ـ تتوجعون ـ توجعكم الجراح.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم، ومن يهاجر في سبيل اللَّه فيفارق أرض الشرك وأهلها المشركين هربًا بدينه للمحافظة عليه، ويتجه إلى دار الإسلام وأهلها المسلمين يجد في الأرض أماكن كثيرة يلجأ إليها فيعبد اللَّه آمنًا مطمئنًا فيعيش في مأمنٍ من عدوه ويستطيع إظهار دينه وكيد أعداء اللَّه.

* * *

س: اذكر بعض أنواع الهجرة.

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

والهجرة أنواع: منها الهجرة إلى المدينة لنُصرة النبي ﷺ، وكانت هذه واجبة أوَّل الإسلام حتى قال: «**لا هجرة بعد الفتح**».

وكذلك هجرة المنافقين مع النبي ﷺ في الغزوات، وهجرة من أسلم في دار الحرب فإنها واجبة، وهجرة المسلم ما حرَّم اللَّه عليه؛ كما قال ﷺ: «**والمهاجر من هجر ما حرم اللَّه عليه**»، وهاتان الهجرتان ثابتتان الآن.

وهجرة أهل المعاصي ـ حتى يرجعوا ـ تأديبًا لهم، فلا يُكَلَّمون ولا يخالَطون حتى يتوبوا، كما فعل النبيُّ ﷺ مع كعب وصاحبيْه.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً..**﴾ سبب نزول؟

ج: للآية الكريمة سبب نزول يصح بمجموع الطرق؛ وهو ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح من مرسل سعيد بن جبير في قوله: ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [النساء: ١٠٠]، قال: كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص ـ أو: العيص بن ضمرة بن زنباع ـ قال: فلما أمروا بالهجرة كان مريضًا، فأمر أهله أن يفرشُوا له على سريره ويحملوه إلى رسول اللَّه ﷺ، قال: ففعلوا، فأتاه الموتُ وهو بالتَّنعيم، فنزلت هذه الآية.

وله جملة من المراسيل تشهد له، منها: ما أخرجه الطبري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٧]، فكان بمكة رجل يقال له: «ضمرة» من بني بكر، وكان مريضًا، فقال لأهله: «أخرجوني من مكة، فإني أجد الحرّ» فقالوا: أين نخرجك؟ فأشار بيده نحو المدينة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى آخر الآية.

❊ ❊ ❊

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ أين هذا الإدراك المُشار إليه؟

ج: هذا الإدراك في طريق الهجرة قبل الوصول إلى دار الإسلام.

أي: أنه يموت قبل أن يصل إلى دار الإسلام.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ج: المعنى، أنه قد استوجب ثواب هجرته، وإن لم يبلغ دار الهجرة.

❊ ❊ ❊

س: كيف يفتن الكفار أهل الإيمان؟

ج: يحملون عليهم وهم في صلاتهم ساجدون فيلحقون بهم الهزيمة ومن ثم يصرفونهم عن الإيمان إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ ويحولون بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوجه إليه.

❊ ❊ ❊

---

(١) الطبري (أثر ١٠٢٩٩).

بعض أحكام قصر الصلاة

س: هل القصر واجب أم رخصة؟

ج: أكثر أهل العلم على أن القصر سنَّة، ذكره عنهم القرطبي فقد قال ـ رحمه اللَّه: وأكثر العلماء من السلف والخلف أن القصر سنة، وهو قول الشافعي وهو الصحيح.

* * *

س: اذكر بعض أدلة القائلين بأن القصر واجب، وبعض أدلة القائلين بأن القصر سنة مستحبة.

ج: أما أدلة القائلين بأن القصر واجب فمنها ما يلي:

- ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: الصلاة أول ما فُرضت ركعتين، فأُقرت صلاة السفر وأُتمت صلاة الحضر.
- وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صحبت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فكان لا يزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك رضي الله عنهم.
- وحديث أنس رضي الله عنه خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يُصلِّي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة[3].

---

(١) البخاري (حديث ١٠٩٠)، ومسلم (حديث ٦٨٥).

(٢) البخاري (١١٠٢)، ومسلم (٦٩٤).

(٣) البخاري (حديث ١٠٨١).

أما أدلة القائلين بالاستحباب فمنها ما يلي:

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قالوا: فرفع الجناح لا يقتضي الإيجاب، وإنما يعني رفع الإثم فقط.

● قول النبي ﷺ: «**صدقة تصدق اللَّه بها عليكم فاقبلوا صدقته**»[1].

قال بعض أهل العلم: فقبول الصدقة ليس بواجب.

● ما ورد من صلاة عثمان أربع ركعات بالصحابة في منًى، فعند البخاري[2] من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: «صلَّى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنًى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع ثم قال: صلَّيتُ مع رسول اللَّه ﷺ بمنًى ركعتين، وصليتُ مع أبي بكر رضي الله عنه بمنًى ركعتين وصليتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنًى ركعتين، فليت حَظِّي من أربع ركعات ركعتان متقبَّلتان».

* * *

س: هل يلزم للقصر وجود الخوف لقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

ج: لا يلزم، وذلك لما أخرجه مسلم في «صحيحه»[3] من طريق يعلى ابن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس!!

(١) وذلك فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث ٦٨٦).

(٢) البخاري (حديث ١٠٨٤).

(٣) مسلم (حديث ٦٨٦).

فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول اللَّه ﷺ عن ذلك فقال: «**صدقة تصدق اللَّهُ بها عليكم فاقبلوا صدقته**».

وعند البخاري[١] من حديث حارثة بن وهب قال: صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنًى ركعتين.

❊ ❊ ❊

س: ما المسافة التي إذا سافرها الشخص أو زاد عليها قصر الصلاة؟

ج: المسافة هي عموم ما يُطلق عليه سفرٌ في العُرْفِ السائد بين الناس.

وقد ورد في تحديدها حديث عند مسلم[٢] لكن نوزع في الاستدلال به وهذا الحديث أخرجه مسلم من طريق يحيى بن يزيد الهنائي، قال: سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة، فقال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال، أو ثلاثة فراسخ (شك شعبة، وهو أحد الرواة) صلى ركعتين.

- ووجه الخدش في الاستدلال بهذا الحديث من نواحي:

أحدها: أن يحيى بن يزيد الهنائي لا يرتقي حديثه إلى مرتبة الاحتجاج به.

الثاني: أن الراوي شك في الحديث فلا يدري ثلاثة أميال أم ثلاثة فراسخ.

الثالث: أن من أهل العلم من حمل ذلك على أنه لم يكن منتهى سفره.

---

(١) البخاري (حديث ١٠٨٣).

(٢) مسلم (حديث ٦٩١).

● وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إني لأسافر الساعة من النهار فأقصر، أخرجه ابن أبي شيبة [١] بإسنادٍ صحيح عنه.

● وصحح الحافظ ابن حجر في «الفتح» أثر ابن عمر رضي الله عنهما: «لو خرجت ميلاً قصرت الصلاة»[٢].

وقد قال فريق من أهل العلم بمقتضى ما أشرنا إليه وهو:

أن السفر الذي تقصر فيه الصلاة هو عموم ما يطلق عليه سفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى[٣]:

وقد تنازع العلماء: هل يختص بسفر دون سفر؟ أم يجوز في كل سفر؟ وأظهر القولين أنه يجوز في كل سفر قصيراً كان أو طويلاً، كما قصر أهل مكة خلف النبيِّ ﷺ بعرفة ومنى، وبين مكة وعرفة نحو بريد: أربع فراسخ.

وأيضًا فليس الكتاب والسنة يخصان بسفر دون سفر، لا بقصر ولا بفطر، ولا تيمم، ولم يحد النبيُّ مسافة القصر بحد: لا زماني، ولا مكاني، والأقوال المذكورة في ذلك متعارضة، ليس على شيء منها حجة، وهي متناقضة، ولا يمكن أن يحد ذلك بحد صحيح.

فإن الأرض لا تذرع بذرع مضبوط في عامة الأسفار، وحركة المسافر تختلف، والواجب أن يطلق ما أطلقه صاحب الشرع ﷺ، ويقيد ما

---

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٥).

(٢) «الفتح» (٢/ ٦٦٠)، وقد أورد الحافظ ابن حجر هنالك أوجهًا من الرويات عن ابن عمر في هذا الصدد بينها بعض الاختلافات والتفاوتات.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٢ ـ ١٣).

قيده، فيقصر المسافر الصلاة في كل سفر، وكذلك جميع الأحكام المتعلقة بالسفر من القصر والصلاة على الراحلة، والمسح على الخفين.

ومن قسم الأسفار إلى قصير وطويل، وخص بعض الأحكام بهذا وبعضها بهذا، وجعلها متعلقة بالسفر الطويل، فليس معه حجة يجب الرجوع إليها، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم.

وقال شيخ الإسلام أيضًا في موضع آخر من «مجموع الفتاوى»[1] : فما كان سفرًا في عرف الناس فهو السفر الذي علق به الشارع الحُكْم.

وقال أبو محمد بن حزم ـ رحمه اللَّه[2] :

وقد موَّه بعضهم بأن قال: إن من العجب ترك سؤال الصحابة رضي الله عنهم لرسول اللَّه ﷺ عن هذه العظيمة، وهي حد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ويفطر فيه في رمضان.

فقلنا: هذا أعظم برهان وأجل دليل وأوضح حجة لكل من له أدنى فهم وتمييز: على أنه لا حدَّ لذلك أصلاً إلا ما سُمِّيَ سفرًا في لغة العرب التي بها خاطبهم عليه السلام، إذ لو كان لمقدار السفر حدٌّ غير ما ذكرنا لما أغفل عليه السلام بيانه ألبتة، ولا أغفلوا هم سؤاله عليه السلام عنه، ولا اتفقوا على ترك نقل تحديده في ذلك إلينا، فارتفع الإشكال جملة، وللَّه الحمد، ولاح بذلك أن الجميع منهم قنعوا بالنص الجلي، وإن كل من حدَّ في ذلك حدًّا فإنما هو وهم أخطأ فيه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) «المحلى» (٥/ ٢١).

بينما ذهب بعض أهل العلم ـ وهم الجمهور: إلى أن الذي تقصر فيه الصلاة هو مسافة أربعة بُرد، وهي ما تعادل ستة عشر فرسخًا أي ثمانية وأربعين ميلاً.

● وقد ورد في هذا الباب خبرٌ ضعيف الإسناد جدًّا[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أهل مكة لا تقصروا الصلاةَ في أدنى من أربعة بُرد من مكة إلى عَسفان**».

● وقد أخرج عبد الرزاق بإسنادٍ صحيح[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل أيُقصر إلى عرفة؟ قال: لا، ولكن إلى عسفان وإلى جدة وإلى الطائف.

أما الأحناف: فقد ذهبوا إلى تحديد مسافة القصر بمسيرة ثلاثة أيام، وذلك لما أخرجه مسلم في «صحيحه»[٣] من حديث علي رضي الله عنه قال: «جعل رسول اللَّه ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم» وذلك في المسح على الخفين، فقاسوا على ذلك السفر الذي تقصر فيه الصلاة.

● واستدلوا أيضًا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم**»[٤].

قلت (مصطفى): وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب، واللَّه أعلم، القول الأول الذي فيه الرد إلى العرف السائد في تحديد السفر، وذلك لعدم وجود شيء صحيح عن رسول اللَّه ﷺ يوضح أقل مسافة

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٣٧)، وفي إسناده عبد الوهاب بن مجاهد وهو متروك.

(٢) عبد الرزاق (المصنف ٤٢٩٧). (٣) مسلم (حديث ٢٧٦).

(٤) البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٨).

القصر واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: إذا خرج الرجل مسافرًا فما المسافة التي إذا تجاوزها قصر الصلاة؟

ج: إذا خرج مسافرًا وفارق بلدته قصر الصلاة.

قال ابن المنذر في «الأوسط» [١] : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن للذي يريد السفر أن يقصر إذا خرج من جميع بيوت القرية التي منها يخرج.

وقد أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أنس رضي الله عنه قال: «صليت الظهر مع النبي ﷺ بالمدينة أربعًا وبذي الحليفة ركعتين».

وقال مالك في «الموطأ»[٣]: ولا يقصر الصلاة الذي يريد السفر حتى يخرج من بيوت القرية، ولا يتم حتى يدخل بيوتها أو يقاربها.

* * *

س: هل كان أحدٌ من الصحابة يُتم في السفر؟

ج: نعم، فقد ورد من طرق عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تتم في السفر[٤].

* * *

س: ما المراد بالقصر المذكور في قوله تعالى: ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

---

(١) ابن المنذر (الأوسط ٤/ ٣٥١).

(٢) البخاري (حديث ١٠٨٩)، ومسلم (٦٩٠). (٣) «الموطأ» (١/ ١٥).

(٤) وهذه الطرق تصح بمجموعها، انظر «تفسير الطبري» (١٠٣٢٢، ١٠٣٢٤، ١٠٣٢٥).

ج: لأهل العلم ـ في المراد بالقصر هنا ـ أقوال، نوردها بإيجاز على النحو التالي:

• **القول الأول**: أن هذا القصر هو قصر الصلاة الرباعية (التي كانت تؤدى في الحضر أربعًا) إلى ركعتين في السفر.

• **القول الثاني**: هو نفس القول الأول إلا أن هذا القصر لا يكون إلا في حالة خشية فتنة العدو لأهل الإيمان.

• **القول الثالث**: أن المراد قصر صلاة الخوف من ركعتين إلى ركعة.

• **القول الرابع**: هو عدم إقامة حدودها على النحو الذي كانت تصلى به في الحضر، فلا بأس عند التحام الصفوف أو عند الخوف من فتنة الذين كفروا أن يُصلي الشخص بالإيماء حسب ما تيسر له وتوافق، مستقبل القبلة أو غير مستقبلها ولا بأس أن يخفف أيضًا في هذه الصلاة.

وثمَّ أقوال أُخر بين ذلك:

وهذا القول الأخير هو قول الطبري ـ رحمه اللَّه ـ واختياره، فقد قال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن أورد جملة من الأقوال:

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالقصر فيها، من حدودها.

وذلك ترك إتمام ركوعها وسجودها، وإباحة أدائها كيف أمكن أداؤها، مستقبل القبلة فيها ومستدبرها، وراكبًا وماشيًا، وذلك في حالة السَّلَّة والمسايفة والتحام الحرب وتزاحف الصفوف، وهي الحالة التي قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا**﴾ [البقرة:٢٣٩]، وأذن بالصلاة المكتوبة فيها راكبًا، إيماءً بالركوع والسجود، على نحو ما روي عن ابن

عباس من تأويله ذلك.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بقوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، لدلالة قول اللَّه تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، على أن ذلك كذلك.

لأن إقامتها: إتمامُ حدودها من الركوع والسجود وسائر فروضها، دون الزيادة في عددها التي لم تكن واجبةً في حال الخوف.

فإن ظن ظان أن ذلك أمرٌ من اللَّه بإتمام عددها الواجب عليه في حال الأمن بعد زوال الخوف، فقد يجب أن يكون المسافر في حال قصره صلاته عن صلاة المقيم، غيرَ مقيم صلاته، لنقص عدد صلاته من الأربع اللازمة كانت له في حال إقامته إلى الركعتين. وذلك قولٌ إن قاله قائل، مخالف لما عليه الأُمَّة مجمعة: من أن المسافر لا يستحق أن يقال له ـ إذا أتى بصلاته بكمال حدودها المفروضة عليه فيها، وقصر عددها عن أربع إلى اثنتين ـ: «إنه غير مقيم صلاته».

وإذا كان ذلك كذلك، وكان اللَّه تعالى قد أمر الذي أباح له أن يقصر صلاته خوفًا من عدوه أن يفتنه، أن يقيم صلاتَه إذا اطمأن وزال الخوف، كان معلومًا أن الذي فرض عليه من إقامة ذلك في حال الطمأنينة، عين الذي كان أسقط عنه في حال الخوف. وإذا كان الذي فرض عليه في حال الطمأنينة: إقامة صلاته، فالذي أسقط عنه في غير حال الطمأنينة: ترك إقامتها. وقد دللنا على أن ترك إقامتها، إنما هو ترك حدودها، على ما بيَّنا.

• قلت (مصطفى): وهذا الذي اختاره الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يفهم منه أن قصر الصلاة الرباعية إلى اثنتين في السفر ممنوع وإنما هذا وجه تأويل الطبري للآية.

أما قصر الرباعية إلى اثنتين في السفر فدلت عليه جملة من الأدلة، بل ومنها قول عمر في الآية الكريمة.

❊ ❊ ❊

س: ما المدة التي يسمح للشخص فيها بالقصر ثم يتم إذا زاد عليها؟

ج: ذهب جمهور العلماء[1] إلى أن الشخص إذا نوى الإقامة أربعة أيام فصاعدًا فله أن يقصر ما دام دون الأربعة أيام ثم يتم بعد الأربعة أيام.

ومن أدلتهم على ذلك:

• ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث العلاء بن الحضرمي، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاث للمهاجر بعد الصَّدْر**»، وفي رواية مسلم: «**ثلاث ليالٍ يمكثهن المهاجر بمكة بعد الصَّدْر**»، وفي روايةٍ لمسلم أيضًا: «**مكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثًا**».

---

(١) أعني بهم هنا: مالكًا والشافعي وأحمد ـ رحمهم اللَّه.

(٢) البخاري (حديث ٣٩٣٣)، ومسلم (حديث ١٣٥٢).

قال النووي ـ رحمه اللَّه: معنى الحديث أن الذين هاجروا من مكة ـ قبل الفتح ـ إلى رسول اللَّه ﷺ حرم عليهم استيطان مكة والإقامة بها، ثم أُبيح لهم إذا وصلوا بحج أو عمرة أو غيرهما أن يقيموا بعد فراغهم ثلاثة أيام، ولا يزيدوا على الثلاثة، واستدل أصحابنا وغيرهم بهذا الحديث على أن إقامة ثلاثة ليس لها حكم الإقامة بل صاحبها في حكم المسافر، قال فإذا نوى المسافر الإقامة في بلد ثلاثة أيام غير يوم الدخول ويوم الخروج جاز له ال يص برخص السفر من القصر والفطر وغيرهما من رخصه ولا يصير له حكم المقيم.

● قال ابن قدامة في «المغني»[١] في شرح قول الخرقي: (وإذا نوى المسافر الإقامة في بلد أكثر من إحدى وعشرين صلاة أتم): المشهور عن أحمد رحمه اللَّه أن المدة التي تلزم المسافر الإتمام بنية الإقامة فيها هي ما كان أكثر من إحدى وعشرين صلاة، رواه الأثرم والمروذي وغيرهما، وعنه أنه إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم، وإن نوى دونها قصر، وهذا قول مالك والشافعي وأبي ثور، لأن الثلاث حد القلة بدليل قول النبي ﷺ: «**يقيم المهاجر بعد قضاء منسكه ثلاثًا**»...

● وذهب فريق من أهل العلم إلى أن المسافر يقصر ما دام مسافرًا وإن طال زمن سفره، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه ـ فقد قال[٢]:

وأما «الإقامة» فهي خلاف السفر، فالناس رجلان: مقيم، ومسافر. ولهذا كانت أحكام الناس في الكتاب والسنة أحد هذين الحكمين: إما حكم مقيم، وإما حكم مسافر، وقد قال تعالى: ﴿**يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ**﴾ [النحل: ٨٠] فجعل للناس يوم ظعن، ويوم إقامة، واللَّه تعالى أوجب الصوم وقال: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، فمن ليس مريضًا ولا على سفر فهو الصحيح المقيم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة**» فمن لم يوضع عنه الصوم وشطر الصلاة فهو المقيم.

● وقد أقام النبي ﷺ في حجته بمكة أربعة أيام، ثم ستة أيام بمنى ومزدلفة وعرفة يقصر الصلاة هو وأصحابه، فدل على أنهم كانوا

---

(١) ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٣٦ ـ ١٣٨).

مسافرين، وأقام في غزوة الفتح تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة، وأقام بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة، ومعلوم بالعادة أن ما كان يفعل بمكة وتبوك لم يكن ينقضي في ثلاثة أيام ولا أربعة، حتى يقال: إنه كان يقول اليوم أسافر، غدًا أسافر، بل فتح مكة وأهلها وما حولها كفار محاربون له، وهي أعظم مدينة فتحها، وبفتحها ذلت الأعداء، وأسلمت العرب. وسرى السرايا إلى النواحي ينتظر قدومهم، ومثل هذه الأمور مما يعلم أنها لا تنقضي في أربعة أيام، فعلم أنه أقام لأمور يعلم أنها لا تنقضي في أربعة، وكذلك في تبوك.

وأيضًا فمن جعل للمقام حدًّا من الأيام: إما ثلاثة، وإما أربعة، وإما عشرة، وإما اثني عشر، وإما خمسة عشر، فإنه قال قولاً لا دليل عليه من جهة الشرع، وهي تقديرات متقابلة، فقد تضمنت هذه الأقوال تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام: إلى مسافر، وإلى مقيم مستوطن، وهو الذي ينوي المقام في المكان، وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة وتجب عليه، وهذا يجب عليه إتمام الصلاة بلا نزاع، فإنه المقيم المقابل للمسافر، والثالث مقيم غير مستوطن أوجبوا عليه إتمام الصلاة والصيام وأوجبوا عليه الجمعة، وقالوا: لا تنعقد به الجمعة، وقالوا: إنما تنعقد الجمعة بمستوطن.

وهذا التقسيم ـ وهو تقسيم المقيم إلى مستوطن وغير مستوطن ـ تقسيم لا دليل عليه من جهة الشرع، ولا دليل على أنها تجب على من لا تنعقد به؛ بل من وجبت عليه انعقدت به، وهذا إنما قالوه لما أثبتوا مقيمًا يجب عليه الإتمام والصيام ووجدوه غير مستوطن، فلم يمكن أن يقولوا تنعقد به الجمعة. فإن الجمعة إنما تنعقد بالمستوطن، لكن إيجاب الجمعة على هذا،

وإيجاب الصيام والإتمام على هذا هو الذي يقال: إنه لا دليل عليه، بل هو مخالف للشرع، فإن هذه حال النبي ﷺ بمكة في غزوة الفتح، وفي حجة الوداع، وحاله بتبوك، بل وهذه حال جميع الحجيج الذين يقدمون مكة ليقضوا مناسكهم ثم يرجعوا، وقد يقدم الرجل بمكة رابع ذي الحجة، وقد يقدم قبل ذلك بيوم أو أيام، وقد يقدم بعد ذلك، وهم كلهم مسافرون لا تجب عليهم جمعة ولا إتمام، والنبي ﷺ قد صبح رابعة من ذي الحجة وكان يصلي ركعتين، لكن من أين لهم أنه لو قدم صبح ثالثة وثانية كان يتم ويأمر أصحابه بالإتمام؟ ليس في قوله وعمله ما يدل على ذلك.

ولو كان هذا حدًّا فاصلاً بين المقيم والمسافر لبيَّنه للمسلمين كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ**﴾ [التوبة: ١١٥] والتمييز بين المقيم والمسافر بنية أيام معدودة يقيمها ليس هو أمرًا معلومًا لا بشرع ولا لغة ولا عرف.

وقد رخص النبي ﷺ للمهاجر أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثًا، والقصر في هذا جائز عند الجماعة، وقد سماه إقامة، ورخص للمهاجر أن يقيمها، فلو أراد المهاجر أن يقيم أكثر من ذلك بعد قضاء النسك لم يكن له ذلك، وليس في هذا ما يدل على أن هذه المدة فرق بين المسافر والمقيم بل المهاجر ممنوع أن يقيم بمكة أكثر من ثلاث بعد قضاء المناسك.

فعلم أن الثلاثة مقدار يرخص فيه فيما كان محظور الجنس؛ قال ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج**» وقال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» وجعل ما

تحرم المرأة بعده من الطلاق ثلاثًا فإذا طلقها ثلاث مرات حرمت عليه حتى تنكح زوجًا غيره، لأن الطلاق في الأصل مكروه، فأبيح منه للحاجة ما تدعو إليه الحاجة وحرمت عليه بعد ذلك إلى الغاية المذكورة، ثم المهاجر لو قدم مكة قبل الموسم بشهر أقام إلى الموسم، فإن كان لم يبح له إلا فيما يكون سفرًا كانت إقامته إلى الموسم سفرًا فتقصر فيه الصلاة.

تنبيه: **قال ابن قدامة في «المغني»[1] في شرح قول الخرقي:**

«مسألة: قال: (وإن قال: اليوم أخرج، غدًا أخرج، قصر وإن أقام شهرًا).

قال ابن قدامة: وجملة ذلك: أن من لم يجمع الإقامة مدة تزيد على إحدى وعشرين صلاة فله القصر ولو أقام سنين، مثل أن يقيم لقضاء حاجة يرجو نجاحها أو لجهاد عدو أو حبس سلطان أو مرض، وسواء غلب على ظنه انقضاء الحاجة في مدة يسيرة أو كثيرة بعد أن يحتمل انقضاؤها في المدة التي لا تقطع حكم السفر، قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم: أن للمسافر أن يقصر ما لم يجمع إقامة وإن أتى عليه سنون، وقد روى ابن عباس قال: «أقام النبي ﷺ في بعض أسفاره تسع عشرة يصلي ركعتين» رواه البخاري .

وقال جابر: «أقام النبي ﷺ في غزوة تبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة» رواه الإمام أحمد في «مسنده».

وفي حديث عمران بن حصين «أن النبي ﷺ أقام بمكة ثماني عشرة لا يصلي إلا ركعتين» رواه أبو داود.

---

(١) «المغنى» (٢/ ٢٩٢).

وروي عن عبد الرحمن بن المسور عن أبيه قال: «أقمنا مع سعد بعمان أو سلمان فكان يصلي ركعتين، ويصلي أربعًا، فذكرنا ذلك له، فقال: نحن أعلم» رواه الأثرم.

وروى سعيد بإسناده عن المسور بن مخرمة، قال: أقمنا مع سعد ببعض قرى الشام أربعين ليلة يقصرها سعد، ويتمها.

وقال نافع: أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين، وقد حال الثلج بينه وبين الدخول.

وعن حفص بن عبد اللَّه: أن أنس بن مالك أقام بالشام سنين يصلي صلاة المسافر، وقال أنس: أقام أصحاب رسول اللَّه ﷺ برامهرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة.

وعن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال: أقمت معه سنتين بكابل يقصر الصلاة ولا يجمع.

وقال إبراهيم: كانوا يقيمون بالري السنة وأكثر من ذلك وبسجستان السنتين يجمعون ولا يصومون وقد ذكرنا عن علي رضي الله عنه أنه قال: ويقصر إذا قال اليوم أخرج غدًا أخرج شهرًا، وهذا مثل قول الخرقي، ولعل الخرقي ـ رحمه اللَّه ـ إنما قال ذلك اقتداء به، ولم يرد أن نهاية القصر إلى شهر وإنما أراد أنه لا نهاية للقصر، واللَّه أعلم.

هذا وقد أخرج عبد الرزاق [1] بإسناد حسن عن أبي مجلز أنه قال لعبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما: يا أبا عبد الرحمن، آتي المدينة طالب حاجة

(١) عبد الرزاق (٤٣٦٤).

فأقيم بها السبعة الأشهر والثمانية الأشهر، كيف أُصلي؟ قال صلِّ ركعتين ركعتين.

❊ ❊ ❊

س: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ من هم هؤلاء؟

ج: هم الضاربون في الأرض الخائفون من عدوهم أن يفتنهم.

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم، فصليت بهم.

أما الطبري رحمه اللَّه فاختار ـ بناءً على تأويله الذي قدمناه ـ أن المراد: فأقمت لهم الصلاة بحدودها وركوعها وسجودها.

❊ ❊ ❊

س: وضح صفة صلاة الخوف من هذه الآية الكريمة.

ج: هذه الآية الكريمة أجملت صفة صلاة الخوف، ومما أفهمه من ظاهرها أن اللَّه عز وجل أمر نبيه ﷺ إذا أقام الصلاة لأصحابه أن تقوم طائفة منهم معه تصلي[1] وليأخذوا أسلحتهم، فقوله تعالى: ﴿**وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ**﴾ عائد على المصلين معه إذ السياق ما زال في شأنهم وأيضًا يحتمل أن يكون عائدًا على الفئة التي لم تُصلِّ مع نبيها ﷺ وذلك إذا نظرنا إلى السياق بعدها، فبعدها ﴿**فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ**﴾.

---

(١) ومن ثمَّ فالطائفة الأخرى لم تصل معه، ويحتمل أن تكون دخلت معه في التكبير لكنها لم تركع ولم تسجد معه في الركعة الأولى.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾ فأيضًا محتمل أن يكون قوله: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المراد بها السجود على حقيقته فإذا سجدوا فالطائفة التي كبرت مع الإمام أول ما كبَّر تكون واقفة لا تسجد، وتكون في الوراء تحرس ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: ﴿فَإِذَا﴾ صلوا فليتأخروا ويكونوا هم في الوراء، ويتقدم غيرهم وهم الذين لم يصلوا، فليصلوا معك وهم مسلحون حذرون، ومنهم أيضًا من يحرسهم، إلا أن الآية الكريمة ما أبانت صراحة كم ركعة صلى كل فريق، وماذا صنع كل فريق من ناحية التسليم من الصلاة، هل سلَّم كلٌّ بمفرده أم إنهم انتظروا إمامهم حتى صلَّى بهم وسلَّموا معه.

ومن ثمَّ فكان لزامًا أن نتجه إلى السُّنَّة ففيها تفصيل لما أُجمل في هذه الآية الكريمة.

وهذه طائفة من الأحاديث الثابتة الصحيحة الواردة في صلاة الخوف، من ذلك:

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «غزوتُ مع رسول اللَّه ﷺ قبل نجد، فوازيْنا العدوَّ فصافَفْنا لهم، فقامَ رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِّي لنا، فقامَتْ طائفةٌ معه تصلِّي، وأقبلَتْ طائفة على العدو، وركع رسولُ اللَّه ﷺ بمن معه وسجد سجدتين، ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصلِّ، فجاءُوا فركع رسولُ اللَّه ﷺ بهم ركعةً وسجد سجدتين ثم سلَّم، فقامَ كلُّ واحدٍ منهم، فركع لنفسه ركعةً وسجد سجدتين».

(١) البخاري (حديث٩٤٢)، ومسلم (حديث ٨٣٩).

● وما أخرجه البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما «قام النبي ﷺ وقام الناسُ معه فكبَّر وكبَّروا معه وركع وركَعَ ناسٌ منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثمَّ قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانَهم، وأتتِ الطائفةُ الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناسُ كلُّهم في صلاة ولكن يحرُسُ بعضُهم بعضًا».

● وأخرج مسلم[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: «شهدت مع رسول اللَّه ﷺ صلاة الخوف، فصفَّنا صفَّيْنِ: صفٌّ خلف رسولِ اللَّه ﷺ والعدوُّ بيْننا وبين القبلة، فكبَّر النبيُّ ﷺ وكبَّرْنا جميعًا، ثم ركع وركعنا جميعًا ثم رفع رأسَه من الركوع ورفعنا جميعًا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبيُّ ﷺ السجودَ، وقام الصفُ الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود، وقاموا، ثم تقدَّم الصفُ المؤخَّرُ، وتأخَّر الصف المقدم.

ثم ركع النبيُّ ﷺ وركعنا جميعًا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرًا في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحور العدو.

فلما قضى النبيُّ ﷺ السجودَ والصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلم النبي ﷺ وسلَّمْنَا جميعًا.

---

(١) البخاري (حديث ٩٤٤).

(٢) مسلم (حديث ٨٤٠).

قال جابرٌ: كما يصنع حرَسُكُم هؤلاء بأمَرائِهِم.

● وفي رواية أخرى لمسلم عن جابر قال: «غزونا مع رسول اللَّه ﷺ قوْمًا من جهينة فقاتلونا قتالاً شديدًا فلما صليْنا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلةً لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسولَ اللَّه ﷺ ذلك فذكر ذلك لنا رسولُ اللَّه ﷺ.

قال: وقالوا: «إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد فلما حضرت العصر، قال: صفنا صفين، والمشركون بيننا وبين القبلة.

قال: فكبر رسولُ اللَّه ﷺ وكبَّرْنا وركع فركعنا ثم سجد وسجد معه الصف الأول، فلما قاموا سجد الصف الثاني، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني، فقاموا مقام الأول، فكبر رسولُ اللَّه ﷺ وكبرنا، وركع فركعنا، ثم سجد وسجد معه الصف الأول، وقام الثاني، فلما سجد الصف الثاني، ثم جلسوا جميعًا، سلم عليهم رسولُ اللَّه ﷺ.

قال أبوالزبير: ثم خصَّ جابرٌ: كما يُصلِّى أُمَراؤُكُم هؤلاء.

● وأخرج البخاري ومسلم [1] حديث سهل بن أبي خيثمة: أن رسول اللَّه ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصفهم خلفه صفين، فصلَّى بالذين يلونه ركعة ثم قام فلم يزل قائمًا حتى صلى الذين خلفهم ركعة ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم.

(١) البخاري (حديث ٤١٣١)، ومسلم (حديث ٨٤١)، وقد رواه البخاري موقوفًا ومرفوعًا.

س: لماذا أُمروا في الآية الكريمة بأخذ السلاح، وفي الآية الثانية بأخذ الحذر والسلاح؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم؛ لأنهم لتماديهم في صلاتهم وتأخرهم وتقدمهم - في هذه الأثناء - قد يطمع فيهم عدوهم، ومن ثمَّ أُمروا بمزيد من أخذ الحذر.

● ووجه آخر قريبًا أن العدو قد لا يلتفت إلى المسلمين في أول الصلاة، أما في الركعة الثانية فيتأكد العدو أنهم في صلاة فيتجرأ عليهم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**﴾، ولا حرج عليكم ولا إثم ﴿**إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ**﴾، يقول: إن نالكم من مطر تمطرونه وأنتم مواقفو عدوكم ﴿**أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ**﴾، يقول: أو كنتم جرحى أو أعلاء ﴿**أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**﴾، إن ضعفتم عن حملها، ولكن إن وضعتم أسلحتكم من أذى مطر أو مرض، فخذوا من عدوكم ﴿**حِذْرَكُمْ**﴾ يقول: احترسوا منهم أن يميلوا عليكم وأنتم عنهم غافلون غارّون ﴿**إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾، يعني بذلك: أعدّ لهم عذابًا مُذِلاً يبقون فيه أبدًا، لا يخرجون منه. وذلك هو عذاب جهنم.

* * *

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾؟

ج: أخرج البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ**﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف وكان جريحًا.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ**..﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في بيان ذلك:

يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا فرغتم، أيها المؤمنون، من صلاتكم وأنتم مواقفو عدوِّكم ـ التي بيناها لكم، فاذكروا اللَّه على كل أحوالكم ـ قيامًا وقعودًا ومضطجعين على جنوبكم بالتعظيم له، والدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم، لعل اللَّه أن يظفركم وينصركم عليهم، وذلك نظير قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

ذهب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور به إنما هو إثر صلاة الخوف، أي: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا اللَّه بالقلب واللسان على أي حالٍ كنتم ﴿**قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ**﴾ وأديموا ذكره بالتكبير والتهليل والدعاء بالنصر لا سيما في حال القتال، ونظيره ﴿**إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (٤٥٩٩).

س: أفادت الآية الكريمة أن ذكر اللَّه عند الاضطجاع جائز دلل على ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**﴾.
- وقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يذكر اللَّه على كل أحيانه»[1].
- ومن ذلك حديث[2]: «**من تعارَّ من الليل فقال لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد للَّه وسبحان اللَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، ثم قال اللهم اغفر لي ـ أو دعا ـ استجيب فإن توضأ قبلت صلاته**».
- ومن ذلك أن رسول اللَّه ﷺ كان يتوسد يمينه عند المنام ثم يقول: «**رب قني عذابك يوم تبعث عبادك**»[3].

وعموم الأذكار الواردة عند النوم تفيد هذا المعنى.

* * *

س: يشرع ذكر اللَّه أيضًا بعد إنهاء الأعمال، وذلك حتى لا يظن أن العمل إذا انتهى، انتهى معه الذكر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٣].

---

(١) مسلم (مع النووي ٤/ ٦٨).
(٢) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٩).
(٣) الترمذي (مع التحفة ٩/ ٣٤٢).

• وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ[١].

• قوله تعالى في الحج: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

• قوله تعالى في الصوم: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* * *

س: هل استثني من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ شيء؟

ج: استثنيت بعض الصور كالجمع بين الصلوات في الأسفار والأعذار واستثني أيضًا من نام عن صلاة أو نسيها فمن نام عن صلاة أو نسيها فصلاتها حين يذكرها[٢].

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٤)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٨٤).

(٢) عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يُصليها إذا ذكرها».

وأخرج البخاري (٥٩٧) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها».

بحث مختصر في مواقيت الصلاة

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الصلاة في وقتها والتحذير من ضياع وقتها.

ج: من ذلك ما يلي:

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: ١٠٣].

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥].

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩].

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت النبي ﷺ: أي العمل أحبُّ إلى اللَّه؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**»[2] قال: ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ برُّ الوالدين**»، قال: ثم أي؟ قال: «**الجهادُ في سبيل اللَّه**» قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني).

● **تنبيه:**

الرواية الواردة بلفظ (الصلاة في أول وقتها) نراها رواية شاذة، وقد أوضحت شذوذها في كتابي «يواقيت الفلاة في مواقيت الصلاة».

ومما يدل على شذوذها من ناحية المعنى أن العشاء يستحب تأخيرها في

(١) البخاري (حديث٥٢٧)، ومسلم (حديث٨٥).

(٢) في بعض الروايات: «الصلاة لوقتها».

كثير من الأحيان ـ على ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه ـ وأنه يستحب أيضًا الإبراد بالظهر في شدة الحر وقد ورد أيضًا «**أسفروا بالصبح، فإنه أعظم للأجر**» وقد قال النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**» والمراد الأذان والإقامة، وقد تطول هذه الصلاة وقد تقصر.

● وليس معنى كلامنا هذا أن الصلاة تؤخر عن أول وقتها دومًا، بل الأصل والأفضل أن تصلى في أول وقتها إلا ما استثني بالدليل.

ومن ثمَّ قال ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ في «المحلى» (٣/ ١٨٢):

«مسألة: وتعجيل جميع الصلوات في أول أوقاتها أفضل على كل حال حاشا العشاء فإن تأخيرها إلى آخر وقتها في كل حال وكل زمان أفضل إلا أن يشق ذلك على الناس فالرفق بهم أولى، وحاشا الظهر للجماعة خاصة في شدة الحر خاصة، فالإبراد بها إلى آخر وقتها أفضل، برهان ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢] وقوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] فالمسارعة إلى الخير والمسابقة إليه أفضل بنص القرآن».

● وما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[1] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أشهد أني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن اللَّه تعالى من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن وأتمَّ ركوعهن وخشوعهن كان له على اللَّه عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على اللَّه عهد إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه**».

---

(١) أبو داود (حديث ٤٢٥)، وله طرق أخرى عن عبادة ـ بالمعنى ـ أخرجها النسائي (١/ ٢٣٠)، وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٢).

• وقال النبي ﷺ: «**الذي تفُوتُهُ صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله**»[١].

• وقال النبي ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عملُهُ**»[٢].

❊ ❊ ❊

س: كيف العمل إذا كان الأئمة يؤخرون الصلاة عن وقتها؟

ج: جواب ذلك فيما أجاب به النبي ﷺ، فعند مسلم[٣] من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمَراء يُوخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها؟**» قال قلتُ: فما تأمرني؟ قال: «**صلِّ الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصلِّ فإنها لك نافلة**».

وعند أبي داود[٢] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها؟**» قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «**صل الصلاة لوقتها، واجعل صلاتك معهم سُبْحة**».

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٥٥٢)، ومسلم (حديث ٦٢٦)، وقوله: «وتر أهله وماله»: أي فقد أهله وماله.

(٢) البخاري (حديث ٥٥٣).

(٣) مسلم (٦٤٨).

(٤) أبو داود (٤٣٢) بإسناد صحيح.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في بيان مواقيت الصلاة[١] .

ج: من ذلك ما يلي:

● ما أخرجه مسلم[٢] من طريق أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه، عن رسول اللَّه ﷺ: أنه أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة فلم يَرُدَّ عليه شيئًا قال: فأقام الفجر حين انشق الفجرُ والناسُ لا يكادُ يعرِفُ بعضهم بعضًا، ثم أمَرَهُ فأقام بالظهر حين زالت الشمسُ، والقائل يقول قد انتصف النهار، وهو كان أعْلم منهم، ثم أمره فأقام بالعصر والشمسُ مرتفعة، ثم أمره فأقام بالمغرب حين وقعت الشمسُ، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أخَّر الفجر من الغد حتى انصرف منها، والقائل يقول: قد طلعت الشمسُ أو كادتْ، ثم أخَّر الظهر حتى كان قريبًا من وقت العصر بالأمس ثم أخَّر العصر حتى انصرف منها، والقائل يقول: قد احمرت الشمسُ ثم أخَّر المغربَ حتى كان عند سقوط الشفق، ثم أخَّر العشاء حتى كان ثلثُ الليل الأول، ثم أصبح فدعا السائل فقال: «**الوقت بين هذين**».

● وما أخرجه مسلم[٣] من طريق بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن رجلاً سأله عن وقت الصلاة فقال له: «**صل معنا هذين**» ـ يعني اليومين ـ فلما زالتِ الشمسُ أمرَ بلالاً فأذَّن ثم أمره فأقام الظُّهر، ثم أمره فأقام العصرَ والشمسُ مرتفعةٌ بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت

---

(١) أوردنا هنا بعضها، ومن أراد المزيد فعليه بكتابي «يواقيت الفلاة في مواقيت الصلاة».

(٢) مسلم (حديث ٦١٤).

(٣) مسلم (حديث ٦١٣).

الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر، فلما أن كان اليوم الثاني، أمره فأبْرد بالظهر فأبْردَ بها، فأنعم أن يُبردَ بها، وصلى العصر والشمس مرتفعةٌ، أخَّرَها فوق الذي كان، وصلى المغربَ قبل أن يغيبَ الشفق، وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلثُ الليل، وصلى الفجر فأسفر بها، ثم قال: «**أين السائل عن وقت الصلاة؟**» فقال الرجل: أنا يا رسول اللَّه، قال: «**وقت صلاتكم بين ما رأيتم**».

● وما أخرجه النسائي[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه قال: «جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ حين زالت الشمس، فقال: قم يا محمد فصل الظهر، حين مالت الشمس، ثم مكث حتى إذا كان فيء الرجل مثله، جاءه للعصر، فقال: قم يا محمد فصلِّ العصر، ثم مكث، حتى إذا غابت الشمس، جاءه فقال: قم فصلِّ المغرب، فقام فصلاها حين غابت الشمس سواء، ثم مكث حتى إذا ذهب الشفق جاءه فقال: قم فصلِّ العشاء، فقام فصلاها، ثم جاءه حين سطع الفجر في الصبح، فقال: قم يا محمد فصلِّ، فقام فصلَّى الصبح، ثم جاءه من الغد حين كان فيء الرجل مثله، فقال: قم يا محمد فصلِّ فصلَّى الظهر، ثم جاءه جبريل عليه السلام حين كان فيء الرجل مثليه، فقال: قم يا محمد فصلِّ، فصلى العصر، ثم جاءه للمغرب حين غابت الشمس وقتًا واحدًا، لم يزل عنه، فقال: قم فصلِّ، فصلَّى المغرب، ثم جاءه للعشاء حين ذهب ثلث الليل الأول، فقال: قم فصلِّ، فصلَّى العشاء، ثم جاءه للصبح حين

---

(١) النسائي (١/ ٢٦٣) بإسنادٍ صحيح.

أسفر جـدًّا، فقال: قم فصلِّ، فصلَّى الصبح، فقال: ما بين هذين وقت كله.

● وما أخرجـه النسائي[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**هذا جبريل عليه السلام جاءكم يعلمكم دينكم**» فصلَّى الصبح حين طلع الفـجر، وصلى الظهر حـين زاغت الشمس، ثم صلى العـصر حين رأى الظل مـثله، ثم صلى المغـرب حين غـربت الشـمس وحل فطر الصائم، ثم صلى العشاء حين ذهب شـفق الليل، ثم جاءه الغد فصلى به الصبح حين أسفر قليلاً، ثم صلى به الظهر حين كان الظل مثله، ثم صلى العصـر حين كان الظل مثليـه، ثم صلى المغرب بوقت واحـد حين غربت الشمس وحل فطر الصائم، ثم صلى العـشاء حين ذهب ساعة من الليل، ثم قال: «الصلاة ما بين صلاتك أمس وصلاتك اليوم».

❊ ❊ ❊

س: بيِّن أول وقت صلاة الظهر وآخر وقتها.

ج: أجـمع أهـل العلم[٢] على أن أول وقت صـلاة الظهـر إذا زالت الشمس.

---

(١) النسائي (١/ ٢٤٩) بإسناد حسن.

(٢) انظر نقل الإجـماع في «شـرح معـاني الآثار» (١/ ١٤٨)، وابن قدامـة (١/ ٣٧١)، والزوال: هو ميل الشمس عن كبـد السماء بعد انتصاف النهـار، وعلامته زيادة الظل بعد تناهي نقـصانه، وذلك أن ظل الشخص يكون في أول النهار طويلاً ممتـدًا فكلما ارتفعت الشمس نقص، فإذا انتصف النهار وقف الظل، فإذا زالت الشمس عاد الظل إلى الزيادة. (نووي في المجموع ٣/ ٢٤).

أما آخر وقت الظهر: فهو دخول وقت العصر، وذلك لحديث النبي ﷺ: «**إنما التفريط على من لم يُصلِ الصلاة حتى يأتي وقت الصلاة الأخرى**»، أخرجه مسلم وسيأتي إن شاء اللَّه.

❊ ❊ ❊

س: ذهب بعض أهل العلم إلى استحباب تأخير صلاة الظهر في شدة الحر إلى أن يبرد الوقت وينكسر الوهج، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك:

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**إذا اشتد الحر فأبردوا**[2] **عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**».

● وأخرج البخاري والنسائي[3] واللفظ للنسائي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا كان الحر أبْرَدَ بالصلاة، وإذا كان البَردُ عجَّل إلا أن هذا الأمر بالإبراد أمر استحباب ليس بأمر إيجاب، وذلك لما في «الصحيحين»[4] من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كنا إذا صلينا خلف رسول اللَّه ﷺ بالظهائر سجدنا على ثيابنا اتقاء الحر».

● تنبيه:

يضاف ظل الزوال إلى ظل المثل لخروج وقت الظهر ودخول وقت

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٣)، ومسلم (حديث ٦١٥).

(٢) قال النووي: والصحيح استحباب الإبراد، وبه قال جمهور العلماء.

(٣) البخاري (٩٠٦)، والنسائي (حديث ٤٩٩).

(٤) البخاري (حديث ٥٤٢)، ومسلم (٦٢٠).

العصر.

ولتقريب هذا التنبيه، أقول وبالله التوفيق:

إن وقت العصر يدخل إذا صار ظل كل شيء مثله كما في الأحاديث المتقدمة، وفي رواية عند مسلم: «**ووقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرَّجُل كطوله ما لم يحضر العصر**»[1] لكن يضاف إلى ظل المثل الظلُّ الذي يكون عند الزوال.

بمعنى: إذا تصورنا رجلاً طوله ١٧٠ سم مثلاً، وكان طول ظله عند زوال الشمس ٣٠ سم[2] فهل يخرج وقت الظهر ويدخل وقت العصر حينما يكون طول ظله مائة وسبعين مضافًا إليها ثلاثون؟ أي: ٢٠٠ سم أم أن وقت العصر يدخل إذا كان الطول مائة وسبعين فقط؟

فأقول: الذي عليه أهلُ العلم أن ظل الزوال يضاف إلى ظل المثل، بمعنى أن وقت العصر ـ على التمثيل السابق ـ يدخل إذا صار الظل ٢٠٠سم.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

- **قال ابن قدامة في «الكافي» (١/ ٩٥)**: وآخره: (أي آخر وقت الظهر) إذا كان ظل كل شيء مثله بعد القدر الذي زالت عليه الشمس.

- **وقال أيضًا في «المقنع» (١/ ١٠٥)**: ووقتها: (أي وقت الظهر) من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله بعد الذي زالت عليه الشمس.

---

(١) انظر طرق حديث مسلم (رقم ٦١٢).

(٢) إذ الظل عند الزوال لا ينعدم في غالب الأحوال بل يكون له قدرٌ.

وقال الشارح: وهذا هو المراد بقولهم سوى الزوال نص عليه لما سبق.

وعن عبد اللَّـه بن عمرو رضي الله عنهما: «**ووقت صلاة الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر**» رواه مسلم.

قيل لأبي عبد اللَّه[1] : متى يكون الظل مثله؟ قال: إذا زالت الشمس فكان الظل بعد الزوال مثله، ومعرفة ذلك أن تضبط ما زالت عليه الشمس ثم تنظر الزيادة عليه فإن بلغت قدر الشخص فقد انتهى وقت الظهر.

- **وفي «المحرر» لمجد الدين أبي بركات (١/ ٢٨)**: وآخره (أي آخر وقت الظهر) تساوي الشيء وظله سوى فيء الزوال.

- **وفي «زاد المستقنع» (١/ ٤٦٦)**: ويستمر (أي وقت الظهر) من مساواة الشيء الشاخص (فيئه بعد فيء الزوال) أي بعد الظل الذي زالت عليه الشمس.

وقال الشارح: فتضبط ما زالت عليه الشمس من الظل، ثم تنظر الزيادة عليه، فإذا بلغت قدر الشاخص، فقد انتهى وقت الظهر.

- **قال ابن حزم «المحلى» (٣/ ١٦٣)**: ثم يتمادى وقتها (أي وقت الظهر) إلى أن يكون ظل كل شيء مثله لا يعد في ذلك الظل الذي كان له في أول زوال الشمس لكن يعد ما زاد على ذلك.

- **قال ابن تيمية رحمه اللَّه «المجموع» (٢٣/ ٢٦٧)**: فإنه إذا صلى الظهر بعد الزوال بعد مصير ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال صحت صلاته.

- **قال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (١/ ١١٠)**: قوله ﷺ: «**إذا صليتم الظهر فإنه وقت إلى أن يحضر العصر**» معناه وقت لأداء الظهر؛ وفيه

(١) هو الإمام أحمد.

دليل للشافعي والأكثرين أنه لا اشتراك بين وقت الظهر ووقت العصر؛ بل متى خرج وقت الظهر بمصير ظل الشيء مثله غير الظل الذي يكون عند الزوال دخل وقت العصر، وإذا دخل وقت العصر لم يبق شيء من وقت الظهر.

● **قال الشنقيطي: «أضواء البيان» (١/ ٣٣٦)**: أما وقتها الاختياري فأوله عندما يكون ظل كل شيء مثله من غير اعتبار ظل الزوال ويدخل وقتها بانتهاء وقت الظهر المتقدم بيانه.

● **وفي «مختصر خليل في الفقه المالكي» (ص ٢٣)**: والوقت المختار للظهر: من زوال الشمس لآخر القامة بغير ظل الزوال وهو أول وقت العصر.

❊ ❊ ❊

س: بيِّن أول وقت صلاة العصر وآخر وقتها.

ج: أما أول وقت العصر فإن أكثر أهل العلم على أنه يبدأ بمصير ظل كل شيءٍ مثله مضافًا إليه الظل الذي يكون عند الزوال[١].

أما آخر وقتها فكما في حديث رسول اللَّه ﷺ **«من أدرك ركعةً من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر»**[٢].

❊ ❊ ❊

(١) وهو رأي الجمهور، نقله عنهم النووي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (شرح مسلم ٥/ ١٢٣).
(٢) البخاري (حديث ٥٧٩).

س: بيِّن أول وقت المغرب وآخره.

ج: أما أول وقت المغرب: فهو إذا غربت الشمس وتكامل غروبها.

قال النووي[١]: وهذا لا خلاف فيه.

أما آخر الوقت: فهو سقوط الشفق، وذلك لحديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عند مسلم[٢]: «**فإذا صليتم المغرب فإنه وقتٌ إلى أن يسقط الشفق**».

* * *

س: بيِّن أول وقت العشاء وآخر وقتها.

ج: أما أول وقت العشاء فمغيب الشفق[٣]، وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك.

أما آخر وقت العشاء[٤] فقد تقدم في حديث أبي موسى أن النبي ﷺ أخَّر العشاء حتى كان ثلث الليل، وقال: «**الوقت بين هذين الوقتين**».

وتقدم في حديث بريدة أن النبي ﷺ صلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل وفيه: «**وقت صلاتكم بين ما رأيتم**».

وتقدم في حديث جابر عند النسائي وغيره في إمامة جبريل للنبي ﷺ أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حين ذهب ثلث الليل الأول، فقال: قم فصلِّ، فصلى العشاء.

---

(١) قاله النووي في «المجموع» (٣/ ٢٩).

(٢) مسلم (حديث ٦١٢).

(٣) منهم ابن قدامة في «المغني» (١/ ٤٢٦)، والمراد بالشفق عند أكثر أهل العلم: الحمرة.

(٤) وانظر ما كتبته في كتابي «يواقيت الفلاة في مواقيت الصلاة»، وقد نقلت هذا منه.

وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عند مسلم: «**فإذا صليتم العشاء فإنه وقت إلى نصف الليل**».

وتقدم أيضًا حديث أبي قتادة عند مسلم «**إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى**».

فلهذه الأحاديث اختلفت أقوال أهل العلم في آخر وقت العشاء.

● فذهب فريق منهم إلى أن آخر وقتها ثلث الليل؛ وذلك لحديث أبي موسى، وحديث بريدة، وحديث جابر، وحديث ابن عباس.

من هؤلاء الذين قالوا بأن وقتها إلى ثلث الليل: عمر بن الخطاب، وأبو هريرة رضي الله عنهما. نقله عنهما الخطابي في «معالم السنن» (١/ ٢٧٧).

وأثر عمر أيضًا موجود في «الموطأ» من وجهين عنه (ص ٦، ٧) ونقله عنه الشوكاني أيضًا في «النيل» (٢/ ١١).

ومنهم أيضًا عمر بن عبد العزيز، والشافعي في أحد الأقوال عنه. نقله عنهم الخطابي، وفي رسالة أبي زيد القيرواني «تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة» (ص٦٣٩): ووقت العشاء غيبوبة الشفق... وذلك لها وقت إلى ثلث الليل.

ولكن الذي يضعف هذا الرأي: هو ما ورد في حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.. وفيه: «**فإذا صليتم العشاء فإنه وقت إلى نصف الليل**»، وحديث أنس ـ وسيأتي ـ (أخَّر النبي ﷺ العشاء إلى نصف الليل)، وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ وسيأتي ـ وفيه: «**ولولا ضعف الضعيف، وسقم السقيم، لأخَّرت هذه الصلاة إلى شطر الليل**» وغير ذلك.

● وذهب فريق من أهل العلم إلى أن آخر وقتها هو نصف الليل،

مستدلين بحديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه: «**فإذا صليتم العشاء فإنه وقت إلى نصف الليل**».

من هؤلاء: الثوري، وأصحاب الرأي، وابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وكان الشافعي يقول به إذ هو بالعراق. نقله عنهم الخطابي ـ رحمه اللَّه ـ في «معالم السنن».

● ومن هؤلاء أيضًا الذين ذهبوا إلى أن آخر وقت العشاء إلى نصف الليل الإمام أحمد فقد قال ابن تيمية رحمه اللَّه «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٧٤): ووقت العشاء إلى منتصف الليل على ظاهر مذهب أحمد.

● ومنهم أيضًا البخاري ـ رحمه اللَّه ـ فقد بوب في «صحيحه مع الفتح» (٢/ ٥١) باب وقت العشاء إلى نصف الليل، وقال أبو برزة: كان النبي ﷺ يستحب تأخيرها.

● ومنهم أيضًا ابن حزم في «المحلى» (٣/ ١٦٤) فقال ـ رحمه اللَّه:

ثم يتمادى وقت صلاة العتمة إلى انقضاء نصف الليل الأول وابتداء النصف الثاني فمن كبر بها في أول النصف الثاني من الليل فقد أدرك صلاة العتمة بلا كراهة ولا ضرورة فإذا زاد على ذلك فقد خرج وقت الدخول في صلاة العتمة.

● هذا بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى أن آخر وقت العشاء هو طلوع الفجر.

قال الخطابي في «معالم السنن» (١/ ٢٧٧): وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا يفوت وقت العشاء إلى الفجر، وإليه ذهب عطاء، وطاوس، وعكرمة.

قلتُ: وحجة هؤلاء حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما التفريط على من لم يصلّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى**» والقائلون بهذا الرأي أكثر من غيرهم.

وقد قسم كثير منهم وقت العشاء إلى وقت اختيار، ووقت ضرورة:

- **فقال النووي «شرح مسلم» (٥/ ١١١):**

قوله: «**فإذا صليتم العشاء فإنه وقت إلى نصف الليل**» معناه وقت لأدائها اختيارًا أما وقت الجواز فيمتد إلى طلوع الفجر الثاني لحديث أبي قتادة (وقد ذكرناه) وعزا النووي ـ رحمه اللَّه ـ هذا القول للجمهور.

- والواضح مما ورد في «المجموع» للنووي (٣/ ٣٩) أن جمهور الشافعية على أن الوقت المختار ثلث الليل، فإذا ذهب وقت الاختيار بقي وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني.

- **وقال ابن قدامة في «المغني» (١/ ٤٨٤):**

والأولى إن شاء اللَّه تعالى أن لا يؤخرها عن ثلث الليل، وإن أخَّرها إلى نصف الليل جاز، وما بعد النصف وقت ضرورة، الحكم فيه حكم وقت الضرورة، في صلاة العصر على ما مضى شرحه وبيانه ـ أي عند ابن قدامة ـ ثم لا يزال الوقت ممتدًا حتى يطلع الفجر الثاني.

- **وقال أيضًا في «المقنع» (ص ٢٤):**

ثم العشاء، ووقتها من مغيب الشفق الأحمر إلى ثلث الليل الأول، وعنه نصفه ـ ثم يذهب وقت الاختيار، ويبقى وقت الضرورة إلى طلوع الفجر الثاني، وهو البياض المعترض في المشرق ولا ظلمة بعده وتأخيرها

أفضل ما لم يشق.

• **وقال الحجاوي صاحب «زاد المستقنع»:**

ويليه وقت العشاء إلى الفجر الثاني «الروض المربع» (١/ ٥٢).

• **وقال الشوكاني «نيل الأوطار» (٢/ ١١):**

فالحق أن آخر وقت اختيار العشاء نصف الليل.

وأما وقت الجواز والاضطرار فهو ممتد إلى الفجر لحديث أبي قتادة.

• **وفي «مختصر خليل في الفقه المالكي»:**

الوقت المختار للعشاء من غروب حمرة الشفق للثلث الأول... والضرورة بعد المختار... للفجر في العشائين.

قلتُ: في قوله في العشائين نظر، وهو مخالف لصريح الأدلة التي أوردناها في آخر وقت المغرب.

• والذي يبدو لي ـ واللَّه أعلم ـ أن هذا الرأي الأخير، الذي نقله الخطابي عن ابن عباس وغيره، وعزاه النووي للجمهور، هو الأقرب لاحتوائه جميع الأدلة والعلم عند اللَّه تعالى.

❊ ❊ ❊

س: بيِّن أول وقت الفجر وآخره.

ج: قال النووي رحمه اللَّه «المجموع» (٣/ ٤٣):

وأجمعت الأمة على أن أول وقت الصبح: طلوع الفجر الصادق، وهو الفجر الثاني.

• **قال ابن قدامة «المغني»** (١/ ٤٢٩) في شرح مسألة: وإذا طلع الفجر الثاني وجبت الصلاة (صلاة الصبح) والوقت مبقي إلى أن تطلع الشمس.

• **قال ابن قدامة:** وجملته أن وقت الصبح: يدخل بطلوع الفجر الثاني إجماعًا، وقد دلت عليه أخبار المواقيت وهو البياض المستطير المنتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق، لأنه صدقك عن الصبح وبينه لك، والصبح ما جمع بياضًا وحمرة، ومنه سمي الرجل الذي في لونه بياض وحمرة أصبح، فأما الفجر الأول فهو البياض المستدق صعدًا من غير اعتراض فلا يتعلق به حكم ويسمى الفجر الكاذب.

• **قال أبو عوانة في «صحيحه»** (١/ ٣٦٩): وصفة الفجر الذي إذا طلع حل أداء صلاة الفجر إذا صلى الفجر وإباحة الأذان بالليل لها، والدليل على أن الفجر هذا المستطير الذي لم تخالطه حمرة، ثم ذكر رحمه اللَّه جملة أدلة أوردناها في هذا الباب أولها حديث عائشة.

• **قال ابن حزم «المحلي»** (٣/ ١٦٤): فإذا طلع الفجر الثاني فقد دخل أول وقت صلاة الصبح فلو كبر لها قبل ذلك لم يجزه.

• **وفي الرسالة لأبي زيد القيرواني «تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة»** (ص٦١٣): فأول وقت الصبح: انصداع الفجر المعترض بالضياء في أقصى المشرق ذاهبًا من القبلة إلى دبر القبلة حتى يرتفع فيعم الأفق.

قلت: فبهذا يتضح جليًّا أن أول وقت الفجر هو ذلك البياض المستطير الذي يملأ الأفق مستعرضًا ناحية المشرق.

أما آخر وقت الفجر: فهو طلوع الشمس، وذلك لحديث عبد اللَّه بن

عمرو رضي الله عنهما[١] أن نبي اللَّه ﷺ قال: «**إذا صليتم الفجر فإنه وقت إلى أن يطلع قرن الشمس الأول**».

وأيضًا فقد قال النبي ﷺ: «**من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح**»[٢].

قال الخرقي[٣]: والوقت (يعني وقت الصبح) مبقيٌ إلى ما قبل أن تطلع الشمس ومن أدرك منها ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدركها، وهذا مع الضرورة.

* * *

س: وضح المعنى المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾.

ج: المعنى المستفاد ـ واللَّه تعالى أعلم ـ أن في ذلك حثًا على التصبير والتثبيت تصبير أهل الإيمان وتثبيتهم، فيا أهل الإيمان، ويا أهل القتال لا تضعفوا في طلب الأعداء وقتالهم، وأظهروا القوة والجلد في حربهم فليس ما تجدونه من ألم الجراح ومزاولة القتال مختصًا بكم ـ بل هو أمر مشترك بينكم وبينهم، فليسوا بأولى بالصبر على القتال والحرب منكم[٤].

ومع ذلك فلكم عليهم مزيّة لا توجد فيهم وهي أنكم ترجون من ثواب اللَّه وعظيم الأجر والجزاء ما لا يرجون؛ لكفرهم وجحودهم، فأنتم أحق

---

(١) أخرجه مسلم (٦١٢).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٩).

(٣) مع «المغني» (١/ ٤٢٩).

(٤) ذكر هذا المعنى صديق حسن خان في «فتح البيان».

بالصبر منهم، وأولى بعدم الضعف منهم، فإن أنفسكم قوية لأنها ترى الموت مغنمًا وهم يرونه مغرمًا[١] .

● وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ .

* * *

(١) ذكر هذا المعنى صديق حسن خان في «فتح البيان».

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ
أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ
ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ
ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ
عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩
وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ
يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا
فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١
وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ
ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ
وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ
وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ
تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣

س: وضح معنى ما يلي:

(الكتاب ـ الخائنين ـ خصيمًا ـ يختانون ـ خوانًا ـ يستخفون ـ يبيتون ـ أمن يكون عليهم وكيلاً ـ سوءًا ـ يظلم نفسه ـ خطيئة ـ إثمًا ـ بهتانًا ـ إثمًا مبينًا ـ يضلوك).

ج:

الكلمة	معناها
الكتاب	المراد به هنا القرآن.
الخائنين	جمع خائن.
خصيمًا	مخاصمًا عنهم ـ مدافعًا عنهم.
يختانون	يخونون ـ يجعلونها خائنة، يجعل أحدهم نفسه خائنةً بسبب خيانته.
خوَّانًا	خائنًا يخون الناس.
يستخفون	يستترون.
يبيتون	يتكلمون في الليل ـ يدبرون في الليل.
أمن يكون عليهم وكيلاً	من يتولى الدفاع عنهم يوم القيامة.
سوءًا	ذنبًا.
يظلم نفسه	يكسبها ما تستحق به العقوبة.
خطيئة	ذنبًا.
إثمًا	الإثم هنا ما لا يحل من المعصية.
بهتانًا	فريةً وكذبًا.
إثمًا مبينًا	جرمًا عظيمًا.
يُضلوك	يصرفونك عن طريق الحق.

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف على سبب نزول بإسنادٍ صحيح لهذه الآية الكريمة ولكن وردت عدة روايات بأسانيد فيها مقال توضح سبب نزولها ومن العلماء من يجنح إلى تصحيح هذه الروايات بمجموع طرقها ومن هذه الروايات ما يلي:

● ما أخرجه الطبري[1] من طريق قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر، وبَشِير، ومُبَشِّر، وكان بشير رجلاً منافقًا، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ثم ينحله إلى بعض العرب، ثم يقول: «قال فلان كذا»، و«قال فلان كذا»، فإذا سمع أصحاب رسول اللَّه ﷺ ذلك الشعر قالوا: واللَّه ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث! فقال:

أَوَكُلَّمَا قالَ الرِّجَالُ قَصِيدةً أَضمُوا وَقَالُوا: ابْنُ الأُبَيْرِقِ قَالَهَا!

قال: وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمرُ والشَّعير، وكان الرجل إذا كان له يسَار فقدمت ضافِطة من الشأم بالدَّرْمَك، ابتاع الرجل منها فخصَّ به نفسه، فأما العيال، فإنما طعامهم التمر والشَّعير. فقدمت ضافطة من الشأم، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدَّرْمَك، فجعله في مَشْرُبة له، وفي المشربة سلاح له: دِرْعَان وسيفاهما وما يصلحهما. فُعدِي عليه من تحت الليل،

---

(١) الطبري (١٠٤١٦)، وفي إسناده ضعف، فمحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وعمر بن قتادة قال الحافظ فيه: مقبول.

فنُقِبَت المشربة، وأُخِذَ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذُهبِ بسلاحنا وطعامنا! قال: فتحسَّسنا في الدار، وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نراه إلا على بعض طعامكم.

قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: واللَّه ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل! رجلاً منا له صلاح وإسلام.

فلما سمع بذلك لبيد، اخترط سيفه ثم أتى بني أبيرق فقال: واللَّه ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عنَّا أيها الرجل فواللَّه ما أنت بصاحبها! فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسولَ اللَّه ﷺ فذكرت ذلك له!

قال قتادة: فأتيت رسولَ اللَّه ﷺ فذكرت ذلك له فقلت: يا رسول اللَّه، إن أهل بيت منا أهل جفاءٍ، عَمَدُوا إلى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أنظر في ذلك**».

فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلاً منهم يقال له: «أسير بن عروة»، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا رسول اللَّه، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهلَ إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيِّنةٍ ولا ثَبَتٍ.

قال قتادة: فأتيت رسول اللَّه ﷺ فكلمته، فقال: «**أعَمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثَبَت!**» قال: فرجعت ولوددْتُ أنِّي خرجت من بعض مالي ولم أكلِّم رسولَ اللَّه ﷺ في ذلك. فأتيت عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول اللَّه ﷺ، فقال: اللَّه المستعان!.

فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ يعني: بني أبيرق ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**﴾ أي: مما قلت لقتادة ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ**﴾ أي: بني أبيرق ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ**﴾ إلى قوله: ﴿**ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ أي: إنهم إن يستغفروا اللَّهَ يغفر لهم ﴿**وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ قولهم للبيد ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ**﴾ يعني: أسيرًا وأصحابه ﴿**وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾.

فلما نزل القرآن، أتى رسول اللَّه ﷺ بالسلاح فردَّه إلى رفاعة.

قال قتادة: فلما أتيتُ عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عَسَا في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مَدْخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: يا بن أخي، هو في سبيل اللَّه، قال: فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا. فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة ابنة سعد بن شُهَيد، فأنزل اللَّه فيه:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٥ - ١١٦] فلما نزل على سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت فرمتْ به في الإبطح، ثم قالت: أهديتَ إليّ شعر حسان! ما كنت تأتيني بخير!

● ومنها ما أخرجه الطبري بسند حسن عن قتادة[1] : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ يقول: بما أنزل اللَّه عليك وبيَّن لك ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ فقرأ إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ ذُكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طُعْمة بن أبيرق، وفيما همَّ به نبي اللَّه ﷺ من عذره، وبين اللَّه شأن طعمة بن أبيرق، ووعظ نبيَّه وحذَّره أن يكون للخائنين خصيمًا.

وكان طعمة بن أبيرق رجلاً من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعًا لعمّه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له: «زيد بن السمين»، فجاء اليهودي إلى نبي اللَّه ﷺ يُهْنِف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر، جاءوا إلى نبي اللَّه ﷺ ليعذروا صاحبهم، وكان نبي اللَّه عليه السلام قد همَّ بعُذْره، حتى أنزل اللَّه في شأنه ما أنزل، فقال: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النساء: ١٠٧ - ١٠٩]، يعني بذلك قومه ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ

(١) إلا أنه من مرسل قتادة، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل.

احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢] وكان طعمة قذف بها بريئًا، فلما بيَّن اللَّه شأن طعمة، نافق ولحق بالمشركين بمكة، فأنزل اللَّه في شأنه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]. وثمَّ شواهد أخر عند الطبري وفي أسانيدها ضعف.

* * *

س: اذكر بعض ما يدل على كراهية العمل بالمحاماة للدفاع عن الظلمة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء:١٠٧].
- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢].
- وقوله عليه الصلاة والسلام: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول اللَّه هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا. قال: «**تأخذ فوق يديه**»(١).

وقد أمر اللَّه نبيَّه ﷺ بالاستغفار بعد قوله: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء:١٠٥].

* * *

س: هذه الآية الكريمة فيها كثير مما تفضل اللَّه به على أُمَّة محمد ﷺ وضح ذلك.

---

(١) البخاري (٢٤٤٤).

ج: أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح[1] عن عبد اللَّه وهو ابن مسعود رضي الله عنه قال: كانت بنو إسرائيل إذا أصابَ أحدهم ذنبًا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البولُ شيئًا منه، قَرَضه بالمقراض. فقال رجل: لقد آتى اللَّه بني إسرائيل خيرًا، فقال عبد اللَّه: ما آتاكم اللَّه خيرٌ مما آتاهم، جعل اللَّه الماءَ لكم طهورًا، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى هذه الآية الكريمة ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يأت ذنبًا على عمْدٍ منه له ومعرفة له، فإنما يجترح وَبَال ذلك الذنب وضُرَّه وخِزْيه وعاره على نفسه، دون غيره من سائر خلق اللَّه.

يقول: فلا تجادلوا أيها الذين تجادلون، عن هؤلاء الخونة، فإنكم وإن كنتم لهم عشيرةً وقرابةً وجيرانًا، برآء مما أتوه من الذنب ومن التَّبِعة التي يُتَّبعون بها، وإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتم بسببهم، كنتم مثلَهم، فلا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا.

❊ ❊ ❊

---

(١) الطبري (أثر ١٠٤٢٧).

س: لماذا فُرِّق هنا بين الخطيئة والإثم؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وإنما فرق بين «الخطيئة» و«الإثم» لأن «الخطيئة» قد تكون من قبل العَمْد وغير العمد، و«الإثم» لا يكون إلا من العَمْد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما فقال: ومن يأت ﴿**خَطِيئَةً**﴾ على غير عمد منه لها ﴿**أَوْ إِثْمًا**﴾ على عمد منه.

* * *

س: لماذا قيل ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ ولم يقل بهما؟

ج: أجاب على ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

فإن قيل: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف قال: به، فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه أراد: ثم يرم بهما، فاكتفى بإعادة الذكر على الإثم من إعادته على الخطيئة، كقوله تعالى: ﴿**انفضوا إليها**﴾ فخص التجارة، والمعنى للتجارة واللهو.

والثاني: أن الهاء تعودُ على الكسب، فلما دل بـ «يكسب» على الكسب، كنى عنه.

والثالث: أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: ومن يكسب ذنبًا، ثم يرم به، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

والرابع: أن الهاء تعود على الإثم خاصة، قاله ابن جرير الطبري.

* * *

س: كيف يُضلون أنفسهم؟

ج: يصرفونها عن الحق والصواب، ويوجهونها إلى الغيِّ والشرِّ والفساد وذلك؛ لكونهم يدافعون عن الظالم الباغي، ويلصقون التهم بالبرآء.

* * *

س: المحفوظ من حفظه اللَّه، والمثبت من ثبته اللَّه . دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ**﴾ [النساء: ١١٣].
- وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٤].
- وقول يوسف عليه السلام: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣٣].
- وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ٨٣].

* * *

س: ما الذي علَّمه اللَّه نبيه ﷺ ولم يكن يعلمه؟

ج: يدخل في هذا القرآن كله بما حمله من عقائد وأحكام وقصص وغير ذلك، وقد قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣].

● وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

* * *

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾
إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا
شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(نجواهم ـ معروف ـ يشاقق ـ نولِّه ما تولى ـ نُصله ـ ضَلَّ ضلالاً بعيدًا ـ مريدًا ـ لعنه اللَّه ـ نصيبًا مفروضًا ـ ولأضلنهم ـ ولأمنينهم ـ يُبتكنَّ ـ يعدهم ـ غرورًا ـ مأواهم ـ محيصًا ـ قيلاً).

ج:

الكلمة	معناها
نجواهم	حديثهم الذي يتساررون به ـ يقولونه في السر.
معروف	كل ما أمر اللَّه به أو حثَّ عليه من أعمال البر والخير والواجبات والمستحبات.
يُشاقق	يسلك طريقًا أخرى وشقًّا آخر، وذلك عن عمدٍ؛ يُفارق مع عداوة.
نولِّه ما تولى	نُحسِّن له ما اختاره وذهب إليه ونزينه له استدراجًا كما قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾(١). نجعل ناصره ووليه الأصنام، وهي لا تغني شيئًا ولا تدفع عنه عذابًا.
نُصله	نُدخله جهنم فيحترق بها ـ نلزمه جهنم.
ضل ضلالاً بعيدًا	ذهب عن طريق الحق ذهابًا بعيدًا وزال زوالاً شديدًا.
مريدًا	مُتمردًا.

(١) وكما قال تعالى: ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾، وكما قال سبحانه: ﴿فلما زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم﴾، وكما قال: ﴿ثم انصرفوا صرف اللَّه قلوبهم﴾.

لعنه	أخزاه ـ أقصاه ـ أبعده عن كل خيرٍ ـ طرده.
نصيبًا مفروضًا	مقداراً معينًا معلومًا.
ولأضلنهم	لأصرفنهم عن طريق الهُدى والإيمان إلى طريق الغواية والشرك والكفران.
ولأمنينهم	لأقذفن في قلوبهم الأماني التي تزيغهم وتضلهم.
يُبتكنَّ	يُقطعن ـ يشقِّقن.
يعدهم	يعدهم بالنصر على المسلمين.
غروراً	باطلاً ـ خداعًا، والغرور ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ومجهول.
مأواهم	مصيرهم.
محيصًا	معدلاً ـ مهربًا ـ مصرفًا ـ مخلصًا.
قيلاً	قولاً.

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿نَّجْوَاهُمْ﴾ يرجع إلى من؟

ج: يرجع إلى عموم الناس.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ...﴾.

ج: في بيان هذا المعنى وجوه:

أحدها: لا خير في كثير من حديثهم الذي يتساررون به إلا نجوى من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ...

الثـــــاني: لا خيـر في كثـيرٍ من المتناجين إلا فيـمن أمر بصـدقة أو معـروف. . . فتكون النجـوى بمعنى: جمع المتناجين كـالسكرى والجرحى والمرضى.

الثالث: لا خير في كثير من نجواهم لكن من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس.

❊ ❊ ❊

بعض آداب التناجي

س: اذكر بعض آداب التناجي.

ج: ينبغي أن يبتعد الشخص عن التناجي قدر الاستطاعة فالنجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا، ولكن إذا كان ثمَّ أسباب تدعو إلى التناجي، فهذه بعض آدابه:

أولاً: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن ذلك يحزنه**»[1].

ثانيًا: ينبغي أن يكون التناجي بالبر والتقوى، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [المجادلة: ٩].

ثالثًا: على المتناجيين أن يراقبا اللَّه عز وجل ويعلما أن اللَّه يكتب ما يبيتون ويعلما أن على كل منهما حافظًا كما قال تعالى: ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ [الطارق: ٤] أي: مراقب يراقب الأقوال ويرصد الأعمال، ويكتب هذا وذاك.

* * *

س: أرشد اللَّه أهل الإيمان إلى قلة الحديث والإعراض عن اللغو، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**

(١) البخاري (حديث ٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣].

● وقوله سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

● وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والثرثارون ـ وهم كثيرو الكلام ـ من أبغض الناس إلى رسول اللَّه ﷺ قال ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم منِّي مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**» قالوا: يا رسول اللَّه، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: «**المتكبرون**»(١).

● قال الترمذي ـ رحمه اللَّه: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم.

● وقد كره اللَّه سبحانه وتعالى لنا قيل وقال، قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
قلت (مصطفى): وله شواهد يُحسن بها، انظر «مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

(٢) أخرج البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص ١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب: «.. كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

● وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: «**وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلى حصائد ألسنتهم**»[١].

● وفي قول النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن فيها يزلَّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»[٢].

● وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه لا يلقي لها بالاً يرفعه اللَّه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[٣].

❊ ❊ ❊

س: ما مدى صحة هذا الحديث «كلام ابن آدم كلُّه عليه لا له إلا ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ...»[٤].

ج: هذا الحديث ضعيف، وقد أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وفي إسناده أم صالح بنت صالح وهي مجهولة، ومحمد بن يزيد بن خنيس وهو مقبول.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤/٢٨٦) «المستدرك».

(٢) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ١٥٥٣)، والترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٦٤)، وغيرهم.

س: ينبغي أن تُعمل الأعمال ويُرجى بها وجْهُ اللَّه سبحانه وتعالى دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● في باب الإنفاق: قال تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٨ ـ ٢١].

● وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

● وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

● وفي باب الإطعام: قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

● وفي باب الصدقات أيضًا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

● وهي في المعروف والإصلاح كذلك.

● وكذلك في باب الصبر: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

● وفي باب طلب العلم والجهاد وقراءة القرآن أيضًا:

أخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتي به**

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥).

فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ بها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأنْ يُقالَ: جريءٌ، فقد قِيل. ثُمَّ أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وقَرَأتُ فيكَ القُرآنَ، قَالَ: كذبتَ ولكنك تَعَلَّمْتَ العلمَ لِيُقالَ: عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليُقَالَ هو قارئ. فقد قِيل، ثُمَّ أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجلٌ وسَّع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تَرَكْتُ من سَبيلٍ تحبُّ أن ينفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، فقال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ، فقد قيل. ثُمَّ أُمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».

● وعمومًا فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

* * *

س: هل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ دليل على الإجماع؟ وهل الإجماع حجة؟

ج: استدل الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بهذه الآية ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على حجية الإجماع وأن مخالفته تحرم.

والإجماع حجةٌ؛ لقول رسول اللَّه ﷺ: «لا تجتمع أُمَّتي على ضلالة»[١].

أما صديق حسن خان فقد قال في «فتح البيان»:

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجية الإجماع لقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولا حجة في ذلك عندي؛ لأن المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين الإسلام إلى غيره كما يفيده اللفظ ويشهد به السبب، فلا يصدق على عالم من علماء هذه الملة الإسلامية اجتهد في بعض مسائل الدين فأداه اجتهاده إلى مخالفة مَن بعصره من المجتهدين، فإنه إنما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية، ولم يتبع غير سبيلهم.

قلتُ (مصطفى): ووجه حجية الإجماع من الآية الكريمة مأخوذ من كون المؤمنين لهم سبيل يتبع، وكل مخالف لهذا السبيل محكومٌ عليه بحجم مخالفته وبقدرها.

* * *

س: ما فائدة تكرير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؟

ج: الظاهر، واللَّه أعلم، أن التكرير لتأكيد هذا المعنى.

* * *

(١) له عدة طرق في كلٍّ منها مقال، وقد أوردها الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى في «تلخيص الحبير» (٣/ ١٤١)، وتكلم عليها طريقًا طريقًا وقد أخرج ابن أبي عاصم في «السنة» بعضها (٨٢، ٨٣، ٨٤) وأخرج طريقًا موقوفة أيضًا، وبالجملة فقد صحح بعض أهل العلم هذا الحديث بمجموع طرقه ولشواهده، واللَّه أعلم.

س: ما المراد بقوله ﴿إِنَاثًا﴾؟

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد اللات والعُزَّى ومناة، وأُطلق عليها إناثًا؛ لتسمية المشركين لها بذلك.

أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن أبي مالك قال: اللات والعُزَّى ومناة كلها مؤنث.

الثاني: ﴿إِنَاثًا﴾ أي: مواتًا لا روح فيها.

أخرج الطبري[2] بإسناد حسن عن قتادة ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾ [النساء: ١١٧] أي: إلا ميتًا لا روح فيه.

الثالث: أن المشركين كانوا يزعمون أن الملائكة إناث، فيكون المعنى: ﴿إِلاَّ إِنَاثًا﴾ بزعمهم.

الرابع: ﴿إِنَاثًا﴾ معناها: أوثانًا.

والذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن المعنى: أوثانًا لا روح فيها وأطلقوا عليها اسم الإناث والله أعلم.

* * *

س: كيف يدعون شيطانًا مريدًا؟

ج: يدعونه أي: يطيعونه ويعبدونه؛ وذلك لأنه زين لهم الشرك وزين لهم المعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله الله فاتبعوه في ذلك وأطاعوه.

---

(١) الطبري (١٠٤٣٥).

(٢) الطبري (١٠٤٤٠).

س: كم هذا النصيب المفروض؟

ج: مما يبين به هذا النصيب المفروض ما ذكره النبي ﷺ إذ قال ـ فيما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه تعالى: يا آدم فيقول: لبَّيْك وسعْدَيْك، والخيرُ في يديك، فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النار، قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كُلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى النَّاسَ سُكارَى وما هم بسكارى، ولكن عذاب اللَّه شديد**».

قالوا: يا رسول اللَّه، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «**أبشروا فإنَّ منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفٌ**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إنِّي أرجو أن تكونوا ربُع أهل الجنة**» فكبَّرْنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» فكبَّرْنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**» فكبَّرْنا، فقال: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبْيض، أو كشعرة بيضاءَ في جلد ثورٍ أسود**».

* * *

س: كيف يتخذ الشيطان من العباد نصيبًا مفروضًا؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ أنه يُزين لهم طريق الضلالة ويدعوهم إلى طاعته، ويغويهم ويصرفهم عن سواء السبيل، فمن اتبعه وأطاعه فهو من حظه ونصيبه، واللَّه أعلم.

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٣٤٨)، ومسلم (حديث ٢٢٢).

س: ما حكم اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ..﴾؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إنها لام القسم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ ولآمرنهم بالشرك وعبادة غير الله من الأوثان والأنداد حتى يذبحوا للأوثان وينسكوا لها ويحرموا منها ويحللوا ما شاءوا بأنفسهم، ويعمدوا إلى آذان بعض هذه الأنعام فيشققونها ويقطعونها كدَليلٍ على أنها موقوفة للأصنام متقربٌ بها إليهم.

* * *

س: ما المراد بتغييرهم لخلق الله؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بتغيير خلق الله الخصاء.

فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كره الإخصاء، وقال: فيه نزلت: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الثاني: أن المراد دين الله ـ لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

الثالث: أن المراد الوشم والفلج والنمص ونحو ذلك، وفي الحديث أن النبي ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحُسْنِ المغيرات لخلق الله.

(١) الطبري (٩/ ٢١٥).

س: هل الخصاء جائز؟

ج: أما خصاء بني آدم فلا يجوز؛ وذلك لأن النبي ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التبتل قال سعد بن أبي وقاص: ولو أجاز له التبتل لاختصينا[١].

● وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول اللَّه إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني، ثم قلتُ مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت له مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة جفَّ القلم بما أنت لاقٍ فاختصِ على ذلك أو ذرْ**»[٢].

● **قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:**

وأما الخصاء في الآدمي فمصيبة؛ فإنه إذا خُصي بطل قلبه وقوته عكس الحيوان، وانقطع نسله المأمور به في قوله عليه السلام: «**تناكحوا تناسلوا فإني مكاثرٌ بكم الأُمم**»[٣]، ثم إن فيه ألمًا عظيمًا ربما يفضي بصاحبه إلى الهلاك، فيكون فيه تضييع مالٍ وإذهاب نفسٍ، وكل ذلك منهي عنه.

● أما خصاء البهائم فجائز للحاجة، إذ لا نهي صريح صحيح عن هذا فيما علمنا، وقد قال القرطبي رحمه اللَّه: وأما خصاء البهائم فرخَّص فيه جماعة من أهل العلم إذا قصدت فيه المنفعة إما لسمنٍ أو غيره.

---

(١) البخاري (حديث ٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢)، والتبتل هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعًا إلى عبادة اللَّه.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٧٦).

(٣) الحديث أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، وغيره بسند صحيح بلفظ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».

س: هل تجوز الأضحية بالخصي؟

ج: ذهب جمهور العلماء ـ كما نقل عنهم القرطبي وغيره ـ إلى جواز التضحية بالخصي، فقال القرطبي ـ رحمه اللَّه: والجمهور من العلماء وجماعتهم على أنه لا بأس أن يُضحي بالخصي، واستحسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره.

وقد ورد في الباب «أن النبي ﷺ ذبح يوم الذبح كبشين أقرنين أملحين مُوجئين..»[1] إلا أن طرق هذا الحديث لا تخلو من مقال.

* * *

س: اذكر بعض الأماني التي يُمني الشيطانُ بها أولياءَه.

ج: من هذا إلقاؤه في قلب الإنسان أنه سيعيش عُمرًا طويلاً، وينال من الدنيا أمله ومقصوده وأنه سينتصر على عدوه ويسوِّف له في أمر التوبة والطاعة والاستقامة ويمنِّيه أيضًا ويعده بأنه لن يعذب، وأنه على صواب في عمله ـ حتى العمل الباطل. ويمنِّيه أيضًا بأنه لن يبعث ولن يُعذب.

ويمنِّيه أيضًا بأنه إذا بعث فلن يعذب، كما قال الكافر ﴿**وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ**﴾ [فصلت: ٥٠].

* * *

س: اذكر بعض المواقف التي يخذل الشيطان فيها أولياءَه.

ج: يخذلهم عمومًا في المواطن التي يحتاجون فيها إلى معين ونصير، ومن هذه المواطن التي يخذلهم فيها ما يلي:

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٩٥)، وغيره، وفي إسناده ضعف.

• يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

• وكما قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

• وأيضًا: خذلهم يوم بدر، فقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

❊ ❊ ❊

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا
يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾
وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى
ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ
وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟
لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ
عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ
وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ
ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(سوءًا ـ نقيرًا ـ أسلم وجهه للَّه ـ محسن ـ ملة ـ حنيفًا ـ خليلاً ـ محيطًا ـ يستفتونك ـ لا تؤتونهن ـ ما كتب لهن ـ أن تقوموا لليتامى بالقسط ـ خافت ـ نشوزًا ـ إعراضًا ـ جناح ـ الشُّح ـ تعدلوا ـ يُذهبكم).

ج:

الكلمة	معناها
سوءًا	السوء: هو كل معصية للَّه عزَّ وجلَّ، كبيرةً كانت أو صغيرةً، ومن العلماء من قال السوء الشرك.
نقيرًا	النقرة التي تكون في ظهر النواة.
أسلم وجهه للَّه	استسلم وانقاد لأمر اللَّه ـ أطاع مُصدقًا بوعد اللَّه ووعيده ـ أخلص دينه للَّه وخضع له وتوجه إليه بالعبادة.
وهو محسن	وهو عاملٌ بما أمره اللَّه به مُحلاً حلاله مُحرمًا حرامه، قاله القرطبي.
ملة	دين.

حنيفًا	مستقيمًا على منهجه وشرعه وسبيله ـ مائلاً عن الشرك إلى التوحيد.
خليلاً	وليًّا.
محيطًا	عالمًا لا يخفى عليه شيء ـ مُحصيًا.
يستفتونك	يطلبون منك الفتيا.
لا تؤتونهن	لا تعطونهن الميراث ـ لا تورثونهن ـ لا تعطونهن الصداق.
ما كتب لهن	ما فُرض لهن.
وأن تقوموا لليتامى بالقسط	أن تقوموا بإعطاء الصغير حقه والكبير حقه بالعدل.
خافت	علمت ـ شعرت.
نشوزًا	تباعدًا ـ استعلاءً بنفسه عليها وعنها إلى غيرها ـ تفضيلاً لأُخرى عليها كبرًا وتعاليًا.
إعراضًا	انصرافًا ـ عدم أُنس بها.
جناح	إثم ـ حرج.
الشح	الإفراط في الحرص على الشيء.
تعدلوا	تسووا بين نسائكم.
يُذهبكم	يُهلككم ـ يميتكم.

* * *

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾؟

ج: قيل: إن المخاطبين هم المسلمون.

● فأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح[١] عن مسروق، قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام، فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء نحن أفضل منكم فأنزل اللَّه ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣].

لكن هذا مرسل فمسروق تابعي.

● وقد أورد الطبري أيضًا بإسناد صحيح[٢] عن مسروق قال: لما نزلت: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣]، قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء! فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء:١٢٤].

● **وفي سند ثالث صحيح**[٣] عند الطبري أيضًا عن مسروق في قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء]، قال: احتجَّ المسلمون وأهلُ الكتاب، فقال المسلمون: نحن أهدى منكم! وقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم! فأنزل اللَّه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال: ففلَج عليهم المسلمون بهذه الآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء:١٢٤] إلى آخر الآيتين.

● وورد أيضًا بإسنادٍ حسن[٤] عن قتادة قال: ذُكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى باللَّه منكم! وقال المسلمون: نحن أولى باللَّه منكم، نبيُّنا

---

(١) الطبري (١٠٤٩٥).

(٢) الطبري (١٠٤٩٦).

(٣) الطبري (١٠٤٩٧).

(٤) الطبري (أثر ١٠٤٩٨)، ولكنه لا يصح عن رسول اللَّه فهو مرسل.

خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله! فأنزل اللَّه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥] فأفلج اللَّه حُجَّة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان.

• بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن المخاطبين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء:١٢٣] هم المشركون:

فأخرج الطبري ذلك من طرق عن مجاهد[1]، وفيها ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣] قال قريش، قالت لن نُبعث ولن نعذَّب.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء:٥١] إلى آخر الآية، قال: جاء حُيَيّ بن أخطب إلى المشركين فقالوا له: يا حُيَيّ، إنكم أصحاب كتب، فنحن خير أم محمد وأصحابه؟ فقال: نحن وأنتم خير منه، فذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥١، ٥٢]، ثم قال للمشركين: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤]، قال: ووعد اللَّه المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم يعد أولئك، وقرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٧].

---

(١) وهي طرق تصح بمجموعها عن مجاهد.

وهذا مرسل فابن زيد لم يدرك رسول اللَّه ﷺ.

• أما الطبري ـ رحمه اللَّه ـ فقد اختار أن المراد مشركو قريش، فقال ـ رحمه اللَّه:

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ وإنما جرى ذكر أمانيِّ نصيب الشيطان المفروض، وذلك في قوله: ﴿ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ وقوله: ﴿يعدهم ويمنيهم﴾، فإلحاق معنى قوله جل ثناؤه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ بما قد جرى ذكره قبل، أحقُّ وأولى من ادَّعاء تأويلٍ فيه، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا أثر عن الرسول ﷺ ولا إجماع من أهل التأويل.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾؟

ج: قال قومٌ: إن المعنيين هم المؤمنون وأهل الكتاب والكفار.

وقال فريق منهم: إنهم الكفار خاصة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧].

قلتُ: ومما يؤيد ذلك أن اللَّه قال: لأهل الإيمان: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١].

* * *

س: اذكر بعض الأحاديث الدالة على أن الأمراض والهموم والأحزان كفارات يُكفر اللَّه بها عن الشخص من ذنوبه.

ج: من ذلك ما يلي:

● ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يُصيب المؤمن من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا سقمٍ ولا حزن حتى الهمَّ يُهمُّه إلا كفَّر به من سيئاته**».

● وما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَك، فمسستُهُ بيدي، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّك لتُوعَكُ وعْكًا شديدًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أجلْ، إنِّي أوعك كما يوعَكُ رجُلانِ منكُمْ**» قال: فقلتُ: ذلك، أن لك أجرينِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أجل**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما منْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أذًى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته، كما تحُطُّ الشَّجرةُ ورقها**».

● وما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكُها**».

● وأخرج مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لما نزلت ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ به**﴾ [النساء:١٢٣] بلَغَتْ من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قَارِبُوا وسدِّدُوا ففي كُلِّ ما يُصاب به المسلم كفارة حتى النَّكْبَةِ يُنْكَبُها، أو الشوكة يشاكُها**».

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٧٣)، واللفظ له.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٨)، ومسلم (حديث ٢٥٧١).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (حديث ٢٥٧٢ ص ١٩٩٢).

(٤) مسلم (حديث ٢٥٧٤).

● وعند مسلم[١] أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ دخل على أم السَّائِبِ، أو أُمِّ المُسَيَّبِ، فقال: «**ما لك يا أم السَّائب أوْ يا أُمَّ المُسَيَّب، تُزَفْزِفِينَ؟**» قالت: الحُمَّى لا بارك اللَّه فيها، فقال: «**لا تسبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذْهِب خطايا بني آدم كما يذهب الكِيرُ خبثَ الحديدِ**».

● وأخرج الإمام أحمد[٢] بإسناد حسن عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعكٍ كان به، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**أبشر إن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة**».

❊ ❊ ❊

س: على ماذا حمل الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الآيةَ الكريمةَ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وما مدى صحة هذا الحمل؟

ج: حملها الطبريُّ على العموم فقال ـ رحمه اللَّه:

وأولى التأويلات التي ذكرناها بتأويل الآية: التأويلُ الذي ذكرناه عن أبيّ بن كعب وعائشة: وهو أن كل من عمل سوءًا صغيرًا أو كبيرًا من مؤمن أو كافر، جوزي به.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية: لعموم الآية كلَّ عامل سوء، من غير أن يُخصَّ أو يستثنى منهم أحد. فهي على عمومها، إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول ﷺ.

---

(١) مسلم (حديث ٤٥٧٥).

(٢) أحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والترمذي (٢٠٨٨).

واستدل لذلك ببعض الآثار.

أما هذا الحمل: ففيه نظرٌ عندي، فإن من لوازمه أن المؤمن يُعاقب على كل صغيرةٍ وكبيرةٍ كما هو مفهوم من كلام الطبري، لكن عندنا من النصوص جملةٌ كبيرة تفيد أن اللَّه يعفو ـ والعفو: المحو والإزالة ـ ويتجاوز تفضلاً منه وتكرُّمًا عن عباده المؤمنين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الفتح: ٥].

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «... **ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره اللَّهُ فأمرُه إلى اللَّه إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له**»(١).

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني بذلك جل ثناؤه: ولا يجد الذي يعمل سوءًا من معاصي اللَّه وخلاف ما أمره به ﴿**مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ يعني: من بعد اللَّه، وسواه ﴿**وَلِيًّا**﴾ يلي أمره، ويحمي عنه ما ينزل به من عقوبة اللَّه ﴿**وَلَا نَصِيرًا**﴾ يعني: ولا ناصرًا ينصره مما يحلّ به من عقوبة اللَّه وأليم نكاله.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح، وقد تقدم.

س: ما وجه دخول ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ؟ ألم يكن يصح أن يقال: ومن يعمل الصالحات؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

لدخولها وجهان:

أحدهما: أن يكون اللَّه قد علم أن عبادَه المؤمنين لن يُطيقوا أن يعملوا جميع الأعمال الصالحات، فأوجب وعده لمن عمل ما أطاق منها، ولم يحرمه من فضله بسبب ما عجزتْ من عمله منها قوّته.

والآخر منهما: أن يكون تعالى ذكره أوجب وعدَه لمن اجتنب الكبائر وأدَّى الفرائض، وإن قصر في بعض الواجب له عليه، تفضلاً منه على عباده المؤمنين، إذ كان الفضل به أولى، والصفح عن أهل الإيمان به أحرى.

وقد تقوّل قوم من أهل العربية، أنها أدخلت في هذا الموضع بمعنى الحذف، ويتأوّله: ومن يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن. وذلك عندي غير جائز، لأن دخولها لمعنًى، فغير جائز أن يكون معناها الحذف.

* * *

س: ما فائدة التقييد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لبيان أن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا مع الإيمان وإلا فالشرك يحبطها كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وذلك لأن المشركين كانوا يفخرون بخدمة الكعبة وإطعام الحجيج وسقايتهم، وأيضًا: فاليهود والنصارى يفخرون بسبقهم ويقولون نحن أبناء اللَّه وأحباؤه.

* * *

س: ما معنى الخلة التي اختص اللَّه بها إبراهيم عليه السلام؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

فإن قال قائل: وما معنى «الخُلَّة» التي أعطيها إبراهيم؟

قيل: ذلك من إبراهيم عليه السلام: العداوةُ في اللَّه والبغض فيه، والولاية في اللَّه والحب فيه، على ما يعرف من معاني «الخلة».

وأما من اللَّه لإبراهيم: فنُصرتُهُ على من حاوله بسوءٍ، كالذي فعل به إذْ أراده نمرود بما أراده به من الإحراق بالنار فأنقذه منها أو على حجته عليه إذ حاجَّه، وكما فعل بملك مصر إذ أراده عن أهله وتمكينه مما أحب، وتصييره إمامًا لمن بعده من عباده وقدوةً لمن خلفه في طاعته وعبادته، فذلك معنى مُخَالَّته إيَّاه.

- وقال القرطبي: فخلة اللَّه لإبراهيم: نصرته إياه.. وذكر أقوالاً أُخر منها: أن الخليل مأخوذة من الاختصاص فاللَّه عز وجل أعلم اختص إبراهيم في زمنه بالرسالة.

- قال القرطبي: واختار هذا النحاس. قال: والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «**وقد اتخذ اللَّه صاحبكم خليلاً**» يعني نفسه. وقال ﷺ: «**لوكنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**» أي لو كنت مختصًا أحدًا

بشيء لاختصصت أبا بكر رضي الله عنه.

● **وقال القرطبي أيضًا:** أما الخلة بين الآدميين: الصداقة مشتقة من تخلل الأسرار بين المتخالَلين وقيل: هي من الخلة فكل واحدٍ من الخليلين يسدّ خلة صاحبه.

❊ ❊ ❊

س: لماذا سُمي إبراهيم خليل اللَّه؟

ج: سُمِّي بذلك؛ لكثرة طاعته لربِّه عزَّ وجلَّ ومحبته له.

❊ ❊ ❊

س: هل لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وجه ربطٍ بما قبلها؟

ج: نعم، لها وجه ربط، فيما يبدو، وذلك من وجهين ـ واللَّه أعلم:

أحدهما: أن اللَّه لا يحتاج إلى أحدٍ من خلقه، بل هو المتفضل على خلقه بالنعم وباتخاذ من اتخذ منهم خليلاً.

الثاني: أنه سبحانه له ما في السموات وما في الأرض فسارعوا إلى مرضاته وطاعته ومحبته حتى يتخذكم أولياء.

❊ ❊ ❊

س: عن أي شأنٍ من شئون النساء استفتى الناسُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم؟

ج: استفتوا رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم عن الواجب للنساء عليهم والواجب عليهم للنساء، وكذلك عن ميراثهن ونكاحهن وسائر شئونهن.

❊ ❊ ❊

س: أفتانا اللَّه سبحانه في شأن النساء إذ قال: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ فما هذه الفتوى التي أفتانا اللَّه بها في شأن النساء؟

ج: ذكر بعض أهل العلم: أن هذه الفتوى سبق بيانها في أول سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى..﴾ [النساء:٣] وفي آيات المواريث في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ..﴾ [النساء:١١]. وفي آيات المحرمات من الأنكحة، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، قد صح لها سبب نزول وهو:

• ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق عروة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول اللَّه تعالى: ﴿وإن خفتم ـ إلى ـ ورُبَاع﴾ فقالت: «يا ابن أختي، هي اليتيمةُ تكون في حَجرِ وليِّها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيُعْطيها مثل ما يعطيها غيرُهُ، فنهوا أن ينكحوهنَّ إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سُنَّتِهِنَّ من الصداق، وأُمِروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسولَ اللَّه ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل اللَّه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ إلى قوله ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء:١٢٧] والذي ذكر اللَّه أنه يُتْلَى عليكم في الكتاب الآيةُ الأُولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ

(١) البخاري (٢٤٩٤) ومسلم (٣٠١٨).

لكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣] قالت عائشة: وقولُ اللَّه في الآية الأُخْرى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم ليتيمته التي تكون في حَجْرِه حين تكون قليلة المال والجمال، فَنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجلِ رغبتهم عنهنَّ».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال بعضها مرتبط بالآية التي قبلها.

وإليك بعض هذه الأقوال:

الأول: قل اللَّه يفتيكم فيهن وفيما يُتلى عليكم في الكتاب..

الثاني: قل اللَّه يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب في آخر سورة النساء، وذلك لما سألوا الكلالة، فيكون المعنى: قل اللَّه يُفتيكم فيما سألتم عنه وفيما لم تسألوا عنه مما سيذكره اللَّه في كتابه من آخر هذه السورة.

الثالث: أنهم سألوا عن أشياء وتركوا المسألة عن أشياء كانوا يفعلونها فأفتاهم اللَّه فيما سألوا وفيما تركوا.

فقال بعض أهل العلم: إن الذي سألوا عنه فأُجيبوا هو سؤالهم عن يتامى النساء وما يتعلق بهن من الميراث، والذي لم يسألوا عنه ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء:١٢٨].

● **أما الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال بعد أن أورد طائفة من الأقوال:**

وأولى هذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه بالصواب، وأشبهها

بظاهر التنزيل، قول من قال: معنى قوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ وما يتلى عليكم من آيات الفرائضِ في أول هذه السورة وآخرها.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الصداق ليس مما كُتب للنساء إلا بالنكاح، فمن لم تنكح فلا صداق لها قِبَل أحد.

وإذا لم يكن ذلك لها قِبَل أحدٍ، لم يكن مما كتب لها، وإذا لم يكن مما كتب لها، لم يكن لقول قائل: عني بقوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الإقساطَ في صدقات يتامى النساء، وجهٌ؛ لأن اللَّه قال في سياق الآية، مبيِّنًا عن الفتيا التي وعدنا أن يفتيناها: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [النساء:١٢٧]، فأخبر أن بعض الذي يفتينا فيه من أمر النساء، أمرُ اليتيمة المَحُولِ بينها وبين ما كتب اللَّه لها.

والصداق قبل عقد النكاح، ليس مما كتب اللَّه لها على أحد. فكان معلومًا بذلك أن التي عنيت بهذه الآية، هي التي قد حيل بينها وبين الذي كتب لها مما يتلى علينا في كتاب اللَّه. فإذا كان ذلك كذلك، كان معلومًا أن ذلك هو الميراث الذي يوجبه اللَّه لهن في كتابه.

قلتُ (مصطفى): والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه تعالى ـ أن تأويل الآية الكريمة على النحو التالي:

ويطلب منك أصحابك يا محمد الفتيا في أمر النساء وشئونهن وما يتعلق بهن من الميراث، وما الواجب عليهن والواجب لهن قل اللَّه يُفتيكم فيهن ويفتيكم أيضًا في يتامى النساء وما يتعلق بهن من نكاحٍ وميراث، ويفتيكم كذلك في شأن المستضعفين من الولدان مبينًا أحكامهم، وكذلك فهو سبحانه يفتيكم في شأن اليتامى ويحثكم على العدل في أمورهم.

فإن قال قائلٌ: فأين هذه الفتاوى؟ فجوابه إن منها ما تقدم في أوائل هذه السورة المباركة، ومنها ما سيأتي في هذه السورة كذلك، ومنها في غيرها أيضًا. واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: ترغبون عنهم، أى تبتعدون عن الزواج بهن.

الثاني: ترغبون فيهن وتحبون الزواج بهن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: لا تعطونهن حقهن من الميراث، وفي ذات الوقت ترفضون الزواج بهن، وترفضون أيضًا أن تزوجوهن لغيركم حتى يَمُتْنَ ومن ثَمَّ ترثونهن.

الثاني: لا تعطونهن حقهن من الميراث، وفي ذات الوقت تريدون الزواج بهن بلا صداق المِثل.

* * *

س: بماذا أفتانا اللَّهُ في شأن المستضعفين من الولدان؟

ج: أفتانا في شأنهم أن نعطيهم حقهم من الميراث؛ وذلك لأن القوم كانوا لا يورثون الضعفاء من أولاد الميت.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ عائدٌ على مَن؟

ج: عائدٌ على المرأة خائفة النشوز، وعلى زوجها المتعالي عليها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾.

ج: يتضح ذلك مما أخرجه البخاري في «صحيحه»[1] من حديث عائشة رضي الله عنها ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له: أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حلٍّ من النفقة عليَّ والقسمة لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

- وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

- أورد ابن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه: جملة آثار تشهد لهذا المعنى الوارد عن عائشة رضي الله عنها وقال هناك (٩/ ٢٦٧):

يعني بذلك جل ثناؤه: وإن خافت امرأة من بعلها يقول: علمت من

(١) البخاري (حديث ٢٥٠٦).

زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ يعني: استعلاءً بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعًا بها عنها إما لبغضة، وإما لكراهة منه بعض أسبابها: إما دمامتها، وإما سنها وكبرها أو غير ذلك من أمورها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يعني: انصرافًا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ يقول: فلا حرج عليهما يعني: على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وهو أن تترك له يومها، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يعني: والصلح بترك بعض الحق استدامةً للحرمة وتمسكًا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق.

أما قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ فالذي اختاره ابن جرير أن المعنى به هو أحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة.

ثم قال: و﴿الشُّحَّ﴾: الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها، فتأويل الكلام: وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائرهن.

ثم قال ـ رحمه اللَّه: وأما قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ فإنه يعني: وإن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقًا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وتتقوا اللَّه فيهن بترك الجور منكم

عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم من القسمة له، والنفقة، والعشرة بالمعروف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول: فإن اللَّه كان بما تعملون في أمور نسائكم أيها الرجال من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف والجور عليهن فيما يلزمكم لهن ويجب ﴿خَبِيرًا﴾، يعني عالمًا خابرًا، لا يخفى عليه منه شيء، بل هو به عالم، وله محصٍ عليكم حتى يوفيكم جزاء ذلك، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

● أما ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

فإذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تُسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها، فلا حرج عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: من الفراق، وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: الصلح عند المشاحة خير من الفراق.

● وأورد ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ جملة آثار ثم قال: ولا أعلم في ذلك خلافًا أن المراد بهذه الآية هذا. واللَّه أعلم.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ : وقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وإن تتجشموا مشقة الصبر على ما تكرهون منهن وتقسموا لهن أسوةَ أمثالهن فإن اللَّه عالم بذلك، وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

● وأورد القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ نحوًا مما تقدم وقال:

قال علماؤنا: وفي هذا أن أنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة بأن

يُعطِي الزوجُ على أن تصبر هي، أو تعطِي هي على أن يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء فهذا كله مباح.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: إخبار بأن الشح في كل أحد، وأن الإنسان لا بد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره، يقال: شح يشِح (بكسر الشين) قال ابن جبير: هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقَسَمه لها أيامها، وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها، وقال ابن عطية: وهذا أحسن، فإن الغالب على المرأة الشح بنصيبها من زوجها، والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة.

قلتُ (مصطفى): فقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ معناه ـ واللَّه أعلم ـ أن المرأة التي اصطلحت، أو كادت أن تصطلح مع زوجها على ترك شيءٍ من أيامها التي لها، أو على شيءٍ من النفقة المستحقة لها، هذه المرأة والنسوة اللاتي على شاكلتها قد حضر أنفسهن الشُّحُّ، فقالت: كيف أتنازل له عن حقي في الأيام والليالي، وكيف أترك له نفقتي؟!!

وكذلك فالزوج حضره الشُّحُّ فيقول في نفسه: إذا لم تكن لي حاجةٌ في هذه المرأة فلمَ أُمسكها وأنفق عليها؟! فيحضره أيضًا شحُّ نفسه، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه: وأما قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ فإنه

يعني: وإن تحسنوا، أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خُلُقًا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وتتقوا اللّه فيهن بترك الجَوْر منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم، من القسمة له، والنفقة، والعشرة بالمعروف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول: فإن اللّه كان بما تعملون في أمور نسائكم، أيها الرجال، من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف، والجور عليهن فيما يلزمكم لهن ويجب ﴿خَبِيرًا﴾ يعني: عالمًا خابرًا لا يخفى عليه منه شيء، بل هو به عالم وله محصٍ عليكم حتى يوفيكم جزاء ذلك المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

* * *

س: ما العدل الذي لا يستطيع الزوج أن يقوم به بين نسائه؟

ج: هو العدل في محبة القلب وفي الجماع.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ..﴾ الآية، مع بيان أقوال أهل العلم فيها.

ج: أما أقوال أهل العلم في الآية:

• **قال ابن جرير الطبري ـ رحمه اللّه ـ «التفسير» (٩/ ٢٨٤)** تعليق أحمد شاكر:

يعني ـ جل ثناؤه ـ بقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ لن

تطيقوا أيها الرجال أن تُسَوُّوا بين نسائكم وأزواجكم في حبهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهن في ذلك فلا يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثل ما لصواحبها، لأن ذلك مما لا تملكونه وليس إليكم ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ يقول: ولو حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك، كما حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ قال: واجب أن لا تستطيعوا العدل بينهن.

قلتُ (القائل مصطفى): وهذا الأثر الذي أورده عن مجاهد ضعيف الإسناد فقد قال يحيى بن سعيد كما في «التهذيب»: لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد.

ثم قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ يقول: فلا تميلوا بأهوائكم إلى من لم تملكوا محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق في القسم لهن، والنفقة عليهن والعشرة بالمعروف ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ يقول: فتذروا التي هي سوى التي ملتم بأهوائكم إليها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ يعني: كالتي لا هي ذات زوج ولا هي أيِّمٌ.

ثم أورد ابن جرير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ جملة آثار تؤيد ما ذهب إليه منها ما أورده بإسناد صحيح عن عبيدة ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾. قال: بنفسه في الحبِّ والجماع.

ونحوه بإسناد ضعيف (فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف) عن الحسن: في الحب.

ومنها ما أورده من طريق علي عن ابن عباس ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ لَوْ حَرَصْتُمْ**﴾ يقول: لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت.

قلتُ: وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه (فعليٌّ وهو ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس).

ومنها ما أورده من طريق قتادة، قال: ذُكِرَ لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: «اللهم أما قلبي فلا أملك، وأما سوى ذلك فأرجو أن أعدل» وهذا أيضًا ضعيف.

ومنها: ما أورده من طريق أبي قلابة أن رسول اللَّه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «**اللهم هذا قَسْمِي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» وهذا مرسل وسيأتي الكلام عليه إن شاء اللَّه.

وأورد ابن جرير جملة آثار تحمل المعنى المتقدم ثم قال: وإنما أمر اللَّه ـ جل ثناؤه ـ بقوله: ﴿**فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ الرجال بالعدل بين أزواجهم فيما استطاعوا فيه العدل بينهن من القسمة بينهن والنفقة وترك الجور في ذلك بإرسال إحداهن على الأخرى فيما فرض عليهم العدل بينهن فيه، إذ كان قد صفح لهم عما لا يطيقون العدل فيه بينهن مما في القلوب من المحبة والهوى.

قلتُ: وقد صح عن ابن عباس عند ابن أبي شية في «المصنف» (٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) في قوله: ﴿**فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ قال: لا مطلقة ولا ذات بعل.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ يعني: بذلك جل ثناؤه ﴿**وَإِن تُصْلِحُوا**﴾ أعمالكم أيها

الناس فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم، وما فرض اللَّه لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف فلا تجوروا في ذلك ﴿وتتقوا﴾ يقول وتتقوا اللَّه في الميل الذي نهاكم عنه بأن تميلوا لإحداهن على الأخرى فتظلموها حقها مما أوجبه اللَّه لها عليكم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يقول: فإن اللَّه يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك بتركه عقوبتكم عليه، ويغطي ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم في ذلك قبل.

﴿رَّحِيماً﴾ يقول: وكان رحيمًا بكم إذ تاب عليكم فقَبِلَ توبتكم من الذي سلف منكم من جوركم في ذلك عليهن، وفي ترخيصه لكم الصلح بينكم وبينهن، بصفحهن عن حقوقهن لكم من القَسْمِ على أن لا يطلَّقن.

• **وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ (١/ ٥٦٣):**

أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة فلابد من التفاوت في المحبة والشهوة.

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: فتبقى هذه الأخرى معلقة، ونقل عن بعض أهل العلم قولهم أن معناها لا ذات زوج ولا مطلقة، وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ أى: وإن أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم اللَّه في جميع الأحوال غفر اللَّه لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

• وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ (٥/ ٤٠٧):

أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء، وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب، فوصف اللَّه تعالى حالة البشر وأنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض.

• قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ «أضواء البيان» (١/ ٣٧٥):

هذا العدل الذي ذكر اللَّه تعالى هنا أنه لا يستطاع: هو العدل في المحبة والميل الطبيعي؛ لأنه ليس تحت قدرة البشر، بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ لا تميلوا بأهوائكم إلى التي أحببتموها ميلاً كاملاً، وتتركوا الأُخرى وتجوروا عليها فتذروها كالمحبوسة المسجونة التي لا هي ذات زوجٍ ولا هي أيِّمٌ.

❊ ❊ ❊

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «اللهم هذا قَسْمِي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك»؟

ج: هذا حديثٌ إسناده معلول، وقد أعل بالإرسال[1].

❊ ❊ ❊

(١) الحديث أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، وغيره، وقد تكلمنا عليه وبينا تخريجه في كتابنا «جامع أحكام النساء».

س: ما مدى صحة حديث: «من كان له امرأتان فلم يعدل بينهما أتى وشقُّه مائل يوم القيامة»؟

ج: هذا الحديث أيضًا فيه كلام[١].

* * *

س: ما المراد بالمعلقة؟

ج: المعلقة: أي: كالتي لا هي ذات زوج ولا هي أيِّم. ومنه الشيء المعلق: لأنه لا على الأرض استقر، ولا على ما عُلِّق عليه انحمل.

* * *

س: ما المراد بالإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾؟

ج: المراد: إصلاح الأعمال بالعدل في القسمة بين الأزواج فيما يُطاق ويستطاع، وكذلك في المعاشرة بالمعروف.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾؟

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم: إن تفرق الزوجان لسوء ما بينهما من معاشرة، أو لعدم وفاق فتفرقا بطلاق الزوج إياها ﴿**يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ**﴾ يرزق اللَّه الزوجة بزوج صالحٍ آخر وبرزقٍ حلال وافر وبمن يعفها وهو أصلح لها من مطلقها. ويرزق الزوج بزوجة صالحة ورزق حلالٍ وزوجة تُعفه هي أصلح له من المطلقة.

* * *

(١) وقد تكلمت عليه أيضًا بما فيه كفاية في «جامع أحكام النساء» (٣/ ٤٨٣).

س: ما وجه التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بعد ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾؟

ج: وجه ذلك واللَّه أعلم: قذف الطمأنينة في قلب المرأة المطلقة والزوج المطلق ما داما قد ابتغيا وجه اللَّه بهذا الفراق فلا تظن الزوجة أن رزقها قد انقطع بفراق زوجها، ولا يظن الزوج أنه قد ضاع بفراق زوجته، فخزائن اللَّه ملأى ورزق اللَّه واسع، فله ملك ما حوته السموات والأرض، وهو المدبر لأمر ذلك كله، وهو العليم بعباده وهو وليهم ومدبر أمرهم، واللَّه أعلم.

* * *

س: تكرر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فهل لهذا التكرير معنى؟

ج: لذلك معنى بلا شك، وإذا التمسناه وجدنا أن:

الآية الأولى: فيها بيان استغناء اللَّه عن خلقه، وبيان حمده لسعي الساعي منهم.

والثانية: فيها حفظ اللَّه لمن تولاه من خلقه وتدبيره لأمره.

* * *

س: إيمان المؤمنين وكفر الكافرين لا يُنقص من ملك اللَّه شيئًا اذكر دليلاً على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

● وقوله تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

● وفي الحديث[1] عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن اللَّه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا فلا تظَالَمُوا، يا عبادي، كُلُّكُم ضال إلا من هديتُهُ فاستهدوني أهدِكُمْ، يا عبادي، كُلُّكُم جائعٌ إلا من أطعمتُهُ، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلُّكُم عارٍ إلا من كسوتُهُ فاستكسوني أَكْسُكُمْ، يا عبادي، إنَّكُم تخطئون بالليلِ والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفْعِي فتنفعوني، يا عبادي، لوْ أنَّ أوَّلَكم وآخرَكُم وإنْسَكُم وجنَّكم كانوا على أتْقى قلْبِ رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أوَّلَكُم وآخرَكُمْ وإنسكم وجنَّكُم، كانوا على أفْجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من مُلْكِي شيئًا، يا عبادي ، لو أن أوَّلَكُم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيتُ كُلَّ إنْسانٍ مسألتَهُ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المخيط إذا أُدْخِلَ البحرَ، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيَّاها، فمن وجد خيرًا فليحمَدِ اللَّهَ، ومن وجد غير ذلك فلا يلُومنَّ إلا نفْسَهُ».

قال سعيدٌ: كان أبو إدريس الخوْلاني إذا حدَّثَ بهذا الحديث جثَا على رُكْبَتَيْهِ.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

فمعنى الآية: من كان من العاملين في الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثواب الدنيا وجزاءها من عمله، فإن اللَّه مجازيه به جزاءه في الدنيا من الدنيا، وجزاءه في الآخرة من الآخرة من العقاب والنكال.

وذلك أن اللَّه قادر على ذلك كله، وهو مالك جميعه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦].

قلتُ: وبيَّن اللَّهُ ذلك حتى يُجد المُجدون ويجتهد المجتهدون في دعاء ربهم بخيري الدنيا والآخرة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

ج: بيَّن اللَّه ذلك؛ حتى يَجدَّ المُجدون ويجتهد المجتهدون في دعاء ربهم بخيري الدنيا والآخرة.

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ
أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ
لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ
أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ
بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا
مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن
مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ
وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن
يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ

كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ
بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ
لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا
مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ
لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ
وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن
شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(قوامين بالقسط ـ شهداء للَّه ـ أولى بهما ـ تلووا ـ تعرضوا ـ آمنوا ـ من دون المؤمنين ـ أيبتغون ـ العزة ـ يخوضوا ـ يتربصون بكم ـ فتح من اللَّه ـ نستحوذ ـ يحكم ـ سلطانًا ـ مذبذبين ـ الدرك ـ اعتصموا باللَّه ـ أخلصوا دينهم للَّه).

ج:

الكلمة	معناها
قوَّامين	قائمين بالعدل، والقوَّام مبالغة من القائم، أي مستمرين في القيام بالعدل ثابتين فيه وعليه.
شهداء للَّه	مؤدين شهادتكم ابتغاء وجه اللَّه.
أولى بهما	أحق بهما.

تلووا	تحرفوا الشهادة[١] ، واللي: التحريف وتعمد الكذب.
تعرضوا	تكتموا.
آمنوا	صدِّقوا.
من دونَ المؤمنين	من غير المؤمنين.
أيبتغون	أيطلبون.
العزة	المنعة ـ النصر والغلبة ـ القوة.
يخوضوا	يتحدثوا.
يتربصون بكم	ينتظرون حلول المصائب بكم، ويتحينون زوال دولتكم وظهور الكفار عليكم.
فتح من اللَّه	نصرٌ وغنيمة.
نستحوذ عليكم	نغلب عليكم[٢] ، ومنه استحوذ عليهم الشيطان.
يحكم	يفصل.
سبيلاً	حُجةً ـ طريقًا لاستئصالهم بالكلية.
سلطانًا	حُجة ـ طريقًا إلى التأنيب والعقوبة.
مذبذبين	مترددين ـ مضطربين ـ متحركين.
الدرك	الطابق.
اعتصموا باللَّه	تمسكوا بعهده وميثاقه الذي عهد به إليهم أن يطيعوه ويتركوا معصيته.
أخلصوا دينهم للَّه	أخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي يعملونها للَّه وابتغوا بأعمالهم وجه اللَّه، ولم يبتغوا وجه الناس، ولم يشكُّوا في دينهم.

❊ ❊ ❊

(١) واللي هنا: المماطلة في الكلام والحديث حتى يُنَفَّذَ الحكم لصالح أحد الخصمين دون الآخر، وفي الحديث: «ليُّ الواجد ظلم» أي: مماطلته عن أداء الدين.

(٢) أكثرنا عليكم من الكلام وإقامة الحجج حتى نثبت لكم أنا معكم حتى غلبناكم بحججنا.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم: ولو كانت شهادتكم على أنفسكم، أي، ولو عاد ضررها على أنفسكم.

* * *

س: هل يشهد شاهدٌ على نفسه؟ وكيف ذلك؟

ج: نعم، قد يشهد الشاهد على نفسه، ومن صور ذلك: أن يعترف بالحق الذي عليه للآخرين، وأن يقر بخطئه إذا كان قد أخطأ.

* * *

س: ما فائدة ذكر الوالدين والأقربين؟

ج: ذُكِرَ الوالدان لكون برهما واجبًا على الشخص، ولكونهما أحبَّ الخلق إلى الشخص في غالب الأحوال، فمن ثمَّ إذا شهد الشخص عليهما بالحق فسيشهد على غيرهما إن كان على غيرهما الحق أيضًا.

أما ذِكْرُ الأقربين فلأن الشخص يتعصب لأقربائه ويتعصبون له لما بينهم من القرابة والمودة، فإذا أُمر الشخص أن يشهد على أقربائه إن كان عليهم الحق، فمن باب أولى أن يؤمر بالشهادة على غيرهم، وإذا شهد عليهم مع ما يربطه بهم من روابط فمن باب أولى أن يشهد على غيرهم والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم: الحث على قول الحق أيَّمَّا كان الشخص الذي تشهدون له أو عليه فلا يحملنكم فقرُ الفقير على أن تشهدوا له

لضعفه ولا أن تشهدوا عليه لفقره، ولا يحملنكم غنى الغني على أن تشهدوا له لغناه، ولا أن تشهدوا عليه لثروته.

● وبتعبير آخر: لا تميلوا في الشهادة لغنيٍّ من أجل غناه، ولا لفقير من أجل ضعفه وفقره؛ فإن اللَّه سوَّى في الحكم بين الغني والفقير فيما ألزمكم، فلا يحملنك فقرُ هذا على أن ترحمه فتجور وتظلم، ولا غنى هذا على مجاملته فتجور وتظلم كذلك.

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ الآية، هذا في الشهادة. فأقم الشهادة يا ابن آدم، ولو على نفسك، أو الوالدين، أو على ذوي قرابتك، أو شَرَفِ[2] قومك. فإنما الشهادة للَّه وليست للناس، وإن اللَّه رضي العدل لنفسه، والإقساط والعدل ميزانُ اللَّه في الأرض، به يردُّ اللَّه من الشديد على الضعيف، ومن الكاذب على الصادق، ومن المبطل على المحق.

وبالعدل يصدِّق الصادقَ، ويكذِّب الكاذب، ويرد المعتدي ويُرَنِّخُه[3] تعالى ربنا وتبارك.

وبالعدل يصلح الناس، يا ابن آدم ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، يقول: أولى بغنيكم وفقيركم.

قال: وذكر لنا أن نبيَّ اللَّه موسى عليه السلام قال: «يا ربِّ، أي شيء وضعت في الأرض أقل؟»، قال: «العدل أقلُّ ما وضعت في الأرض».

(١) الطبري (أثر ١٠٦٨٧).

(٢) أشراف قومك.

(٣) يُرنخه: أي يُذلله.

فلا يمنعك غِنى غني ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم، فإن ذلك عليك من الحق، وقال جل ثناؤه: ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

• وبتعبير آخر: لا تراعِ هذا الغني لغناه، ولا تشفق على ذاك لفقره، فاللَّه يتولاهما، وهو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ في الكلام إضمار وهو اسم كان؛ أي: إن يكن الطالب أو المشهود عليه غنيًّا فلا يُراعى لغناه، ولا يخاف منه، وإن يكن فقيرًا فلا يراعى إشفاقًا عليه ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: فيما اختار لهما من فقرٍ وغنى.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فلا تتبعوا الْهَوَىٰ أن تَعْدِلُوا﴾.

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: فلا تتبعوا الهوى أن تميلوا عن الحق.

الثاني: فلا تتبعوا الهوى هربًا من أن تعدلوا.

الثالث: فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا عن الحق، أي: لتجوروا.

❊ ❊ ❊

س: لمن وُجِّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿وإن تلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾؟

ج: الخطاب وجِّه للشاهد، وذلك على الصحيح من أقوال العلماء؛ لأن الآية الكريمة مطلعها: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ وقد عزا السمعاني هذا القول لأكثر المفسرين، أعني: أن الخطاب للشهود.

• ومن العلماء من قال: هي للقاضي الذي يلوي على أحد الخصوم ويضغط عليه في الحديث دون الآخر، حتى يُحرجه ويوقعه في إدانة نفسه، ومن ثمَّ يقضي للآخر، أو يهم الاستماع لخصم من الخصوم ويُصغي للآخر ويهتم به.

* * *

س: لماذا خُتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؟

ج: هذا خبر يقتضي التهديد والتحذير من الإعراض واللي، وهو أعلم بكتمان الشهادة إذا كتمتموها، وبأدائها إذا أديتموها.

وقوله: ﴿خَبِيرًا﴾ **قال الطبري ـ رحمه اللَّه:**

﴿خَبِيرًا﴾ يعني: ذا خبرة وعلم به، يحفظ ذلك منكم عليكم، حتى يجازيكم به جزاءكم في الآخرة، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، يقول: فاتقوا ربكم في ذلك.

* * *

س: من المعنيون بالذين آمنوا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ وكيف وجه لهم الأمر بالإيمان في قوله: ﴿آمِنُوا﴾ وهم مؤمنون؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: أن الخطاب لأهل الإيمان والإسلام الذين آمنوا برسول اللَّه ﷺ وصدقوه، وعلى ذلك فقوله تعالى: ﴿آمِنُوا﴾ أي: اثبتوا على إيمانكم وأقيموا على تصديقكم، بل وازدادوا إيمانًا وتصديقًا كذلك، فيكون

الأمر بالإيمان من باب الحث على الثبات على الإيمان والاستمرار عليه والحرص على الازدياد منه.

الثاني: أن المراد: أهل النفاق، فيكون المعنى: يا من آمنتم في الظاهر آمنوا من قلوبكم وأخلصوا للَّه من بواطنكم.

الثالث: أن المخاطبين هم أهل الكتاب، فيكون المعنى: يا من آمنتم بكتابكم آمنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن الذي أُنزل عليه وذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن قوله تعالى لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إنما هو إيمان مخصوص، وليس إيمانًا مُطلقًا، فإيمانهم كان ببعض الكتب دون بعض، وببعض الرسل دون بعض، ومن ثمَّ قيل لهم آمنوا؛ على ما وصف اللَّه في كتابه: ﴿**بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ**﴾.

- **قال الطبري ـ رحمه اللَّه:**

فإن قال قائل: وما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان باللَّه ورسوله وكتبه، وقد سماهم «مؤمنين»؟ قيل: إنه جل ثناؤه لم يسمِّهم «مؤمنين»، وإنما وصفهم بأنهم ﴿**آمَنُوا**﴾، وذلك وصف لهم بخصوصٍ من التصديق، وذلك أنهم كانوا صنفين: أهل توراة مصدقين بها وبمن جاء بها، وهم مكذبون بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد صلوات اللَّه عليهما، وصنف أهل إنجيل، وهم مصدِّقون به وبالتوراة وسائر الكتب، مكذِّبون بمحمد ﷺ والفرقان.

فقال جل ثناؤه لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، يعني: بما هم مؤمنون من الكتب والرسل، ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ محمد ﷺ ﴿**وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ**﴾، فإنكم قد علمتم أن محمدًا رسول اللَّه، تجدون صفته في

كتبكم، وبالكتاب الذي أنزل من قبلُ الذي تزعمون أنكم به مؤمنون، فإنكم لن تكونوا به مؤمنين وأنتم بمحمد مكذبون؛ لأن كتابكم يأمركم بالتصديق به وبما جاءكم به، فآمنوا بكتابكم في اتباعكم محمدًا، وإلا فأنتم به كافرون. فهذا وجه أمرهم بالإيمان بما أمرهم بالإيمان به، بعد أن وصفهم بما وصفهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

* * *

س: ما المراد بالكتاب الذي نزَّل على رسوله، وما المراد بالكتاب الذي أُنزل من قبل؟

ج: أما الكتاب الذي نزَّل على رسوله فهو القرآن الكريم، وأما الكتاب الذي أنزل من قبل فهو عموم الكتب التي نزلت من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها، فالكتاب اسم جنس لعموم الكتب التي نزلت من قبل.

* * *

س: لماذا عُقِّب في ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ومَن يَكْفُرْ باللَّه وملائكته...﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لكون من كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بكل الرسل، ومن كفر بالقرآن فقد كفر بكل الكتب.

- **قال الطبري ـ رحمه اللَّه:**

وإنما قال تعالى ذكره: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، ومعناه: من يكفر بمحمد وبما جاء به من عند اللَّه، لأن جحود شيء من ذلك بمعنى جحود جميعه، وأنه لا يصح إيمان أحدٍ من الخلق

إلا بالإيمان بما أمره اللَّه بالإيمان به، والكفر بشيء منه كفر بجميعه، فلذلك قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، بعقب خطابه أهل الكتاب وأمره إياهم بالإيمان بمحمد ﷺ، تهديدًا منه لهم، وهم مقرون بوحدانية اللَّه، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، سوى محمد ﷺ وما جاء به من الفرقان.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن هؤلاء أهل الكتاب: آمنت اليهود بموسى، ثم آمنت بالتوراة، ثم كفرت، وآمنت النصارى بعيسى ثم بالإنجيل، ثم كفروا، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ.

أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا**﴾، وهم اليهود والنصارى. آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت، وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت.

وكفرهم به: تركهم إياه، ثم ازدادوا كفرًا بالفرقان وبمحمد ﷺ. فقال اللَّه: ﴿**لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً**﴾، يقول: لم يكن اللَّه ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق هدًى، وقد كفروا بكتاب اللَّه وبرسوله محمد ﷺ.

الثاني: أن هؤلاء هم أهل النفاق: آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا، ثم

---

(١) الطبري (١٠٧٠٢).

ارتدوا، ثم ازدادوا كفرًا حتى ماتوا على الكفر.

الثالث: أنهم قومٌ كفروا بمحمد ﷺ وأتوا ذنوبًا فلم تُغفر ذنوبهم، وذلك لكفرهم، فلا يغفر مع الكفر ذنبٌ.

● **أما الطبري ـ رحمه اللَّه ـ فاختار الأول فقال:**

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: عنى بذلك أهلَ الكتاب الذين أقرُّوا بحكم التوراة، ثم كذَّبوا بخلافهم إياه، ثم أقرَّ من أقرَّ منهم بعيسى والإنجيل، ثم كذَّب به بخلافه إياه، ثم كذَّب بمحمد ﷺ والفرقان، فازدادَ بتكذيبه به كفرًا على كفره. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية؛ لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين ـ أعني قوله ـ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ ولا دلالة تدلُّ على أن قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا**﴾، منقطع معناه من معنى ما قبله، فإلحاقه بما قبله أولى، حتى تأتي دلالة دالَّة على انقطاعه منها.

● **وقال صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه:**

وهذا الاضطراب منهم تارة يدَّعون أنهم مؤمنون، وتارة يمرقون من الإيمان ويرجعون إلى ما هو دأبهم وشأنهم من الكفر المستمر والجحود الدائم، يدل أبلغ دلالة على أنهم متلاعبون بالدِّين ليست لهم نيةٌ صحيحة، ولا قصدٌ خالص.

* * *

س: كيف لا يغفر لهم واللَّه يقبل التوبة عن عباده؟

ج: لا يغفر لهم إن ماتوا على الكفر، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن**

يُشْرَكَ به ﴾ [النساء: ٤٨].

* * *

س: هل المرتد له توبة؟

ج: نعم له توبة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ** ﴾ [الزمر: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ [الحجر: ٥٦].
- وفي الحديث: «**إن اللَّه عزَّ وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

* * *

س: فكيف إذن يوجه قوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لهم** ﴾؟

ج: لم يكن اللَّه ليغفر لهم إذا ماتوا على ذلك.

* * *

س: كم مرةٍ يستتاب المرتد؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن المرتد يستتاب كلما ارتد، بينما ذهب آخرون إلى أنه يستتاب ثلاثًا فقط وذلك للآية الكريمة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا** ﴾.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تحذر من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٥٩).

ج: من ذلك ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

• وقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

• وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وسيأتي لذلك مزيدٌ في مواطنه إن شاء اللَّه.

❊ ❊ ❊

س: كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: وجه التوفيق أن يقال إن العزة كلها للَّه سبحانه وتعالى، وكل من سوى اللَّه إنما صار عزيزاً بإعزاز اللَّه له، فالعزة الحاصلة لرسول اللَّه ﷺ وللمؤمنين إنما هي بإعزاز اللَّه لهم.

❊ ❊ ❊

س: أين هذا الذي نزَّله اللَّه في الكتاب إذ قال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ﴾؟

ج: هذا ـ واللَّه أعلم ـ في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم: إنكم مثلهم في فعلهم كما قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾ يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات اللَّه ويستهزئ بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلُهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم اللَّه بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آياتِ اللَّه يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات اللَّه.

فقد أتيتم من معصية اللّه نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذًا مثلهم في ركوبكم معصية اللَّه، وإتيانكم ما نهاكم اللَّه عنه.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا...﴾ دليل على العذر بالجهل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الذَّم إنما لحق أهل النفاق بعد أن أنزل اللَّه عليهم: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ**

غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨] فخالفوا ذلك.

* * *

س: المسلم ليس بمخير في مجالسه، فليس له أن يجلس كيف يشاء ولا يُصادق من يشاء، وذلك بحكم إسلامه وإيمانه، وضح ذلك، ودلِّل على ما تقول مع بيان شيء من أثر الجليس.

ج: إيضاحه: أننا كمسلمين ليس لنا أن نتصرف كيف نشاء، وليس لنا أن نجلس حيث نريد، فنحن دائمًا وأبدًا مستسلمون لأمر اللَّه عز وجل سامعون له مطيعون في شؤوننا كلها، في مجالسنا وفي مساكننا، وفي منشطنا وفي مكرهنا، وفي عسرنا، وفي يسرنا، وكما قدمنا فليس لأحد منا أن يجلس حيث يريد، فإن اللَّه تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

• وفي حديث رسول اللَّه ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**».

(١) البخاري (حديث ٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

فالجليس الصالح: دائم التذكير بالله، والتماس الأعذار للمؤمنين، والحث على أعمال البر، والحث على ذكر الله والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالصدق، والحث على إكرام اليتيم، والحض على إطعام المساكين إلى غير ذلك، وكل ذلك يترك آثارًا طيبة على القلب.

ومجالسة الصالحين سبب في نجاة من جالسهم، ففي الحديث القدسي: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(١).

أما جليس السوء؛ فدائم التذكير بالمعاصي ودائم اللهو والمجون والسخرية وازدراء المؤمنين والمؤمنات وقذف الشر في قلب العبد تجاه المؤمنين والمؤمنات، فحري بالعبد أن ينتقي جلساء صالحين لمجالسه.

وحتى أهل الشر والفساد يقل شرهم بمجالسة أهل الإيمان ومخالطة أهل الإيمان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ**﴾ [التوبة: ٩٧].

ترى أشد كفرًا ونفاقًا مِن مَنْ؟!

قال بعض العلماء: إنهم أشد كفرًا ونفاقًا من منافقي المدينة وذلك ـ والله أعلم ـ لأن المنافقين من أهل المدينة اقتبسوا بعض الأخلاق من رسول الله ﷺ وأصحابه، فمع نفاقهم كانت عندهم بعض صور المراعاة للآداب العامة التي عليها المسلمون.

● وكذلك ترى مثلاً النصراني الذي يُجالس المسلمين ويعاشرهم في

(١) أخرجه البخاري (٨ ـ ٦٤)، ومسلم مع (النووي ١٧/ ١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

بلدة كمصر مثلاً ليس كالنصراني الموجود في أوساط الملاحدة كنصراني روسيا مثلاً فالأول يستحيي مثلاً من الزنا بينما الثاني لا يلقي لذلك بالاً.

وفي الجملة فالمجالسات تؤثر في الجلساء وفي قلوبهم.

● ولا تقتصر المجالسة على مجالسة بني آدم، فمجالسة الكتب واستماع الشرائط كل ذلك ينبغي أن يتحرى فيه الخير أيضًا، ولا نجلس إلا إلى كتاب قد حوى مادة سليمة صحيحة، ولا نستمع إلا إلى شريط يحوي مادة سليمة صحيحة مدعمة بالكتاب والسنة، واللَّه ولي التوفقق.

* * *

س: كيف كان أهل النفاق يمنعون الكافرين من المؤمنين، حيث قالوا: ﴿ونَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن أهل النفاق كانوا يُخذِّلون المؤمنين عن المنافقين ويثبطونهم عنها.

هذا، وقد قال الرازي ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير: **﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**:

وفي تفسير هذه الآية وجهان:

الأول: أن يكون بمعنى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيئًا من ذلك ونمنعكم من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم، وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا لنا نصيبنا مما أصبتم.

الثاني: أن يكون المعنى: أن أولئك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول في الإسلام، ثم إن المنافقين حذروهم عن ذلك وبالغوا في

تنفيرهم عنه وأطمعوهم أنه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم، فإذا اتفقت لهم صولة على المسلمين قال المنافقون: ألسنا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الإسلام ومنعناكم منه وقلنا لكم بأنه سيضعف أمره ويقوى أمركم، فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا إلينا نصيبًا مما وجدتم.

والحاصل أن المنافقين يمنون على الكافرين بأنا نحن الذين أرشدناكم إلى هذه المصالح، فادفعوا إلينا نصيبًا مما وجدتم.

* * *

س: قد يكون في خروج بعض الناس للقتال في صفوف المؤمنين في كثير من الأحيان ضرر شديد على المؤمنين، اذكر من الأدلة ما يؤيد ذلك.

ج: كإيضاح لذلك أولاً: فقد يخرج قوم في صفوف المؤمنين يوهنونهم ويرهبونهم من عدوهم ويخذلونهم عن قتاله، فضلاً عما ينشرونه ويذيعونه في أوساط المسلمين من الأراجيف والأكاذيب.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ٤٧].
- وقوله تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الأحزاب: ١٨].
- وها هم المنافقون يخبرون عن أنفسهم إذ قالوا للكافرين: ﴿**أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ١٤١].

فمن ثمَّ لا ينبغي أن يأسف أهل الإسلام ولا أن يحزنوا لتخلف بعض

ضعاف الإيمان في صفوفهم.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح السبيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم: ولن يجعل الله للكافرين طريقًا إلى الشماتة بالمؤمنين يوم القيامة، وذلك أن الله عز وجل إذا عذب أهل الإيمان يوم القيامة وأدخلهم مدخل الكافرين شمت بهم الكافرون[1]، وقالوا ها أنتم صرتم الآن معنا فحينئذ يجدون سبيلاً إلى تعييرهم.

- **قال الطبري ـ رحمه الله:**

﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، يعني: حجة يوم القيامة.

وذلك وعدٌ من الله للمؤمنين: أنه لن يدخل المنافقين مدخلَهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخَل المنافقين، فيكون بذلك للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم، إن أدخلوا مدخلهم: ها أنتم كنتم في الدنيا أعداءَنا، وكان المنافقون أولياءنا، وقد اجتمعتم في النار، فجمع بينكم وبين أوليائنا! فأين الذي كنتم تزعمون أنكم تقاتلوننا من أجله في الدنيا؟ فذلك هو «السبيل» الذي وعد الله المؤمنين أن لا يجعلها عليهم للكافرين.

---

(١) وإن دخل بعض أهل الإسلام النار لذنوب ارتكبوها وجرائم اقترفوها إلا أنهم لن يدخلوا مدخل الكافرين، ولن يعذبوا في دركات الكافرين، وليسوا كذلك في النار بمخلدين، بل مآلهم إلى الخروج منها.

• أما القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ فقد استفاض فقال:

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ للعلماء فيه تأويلات خمس أحدها: ما روي عن يُسَيْع الحضرميّ قال: كنت عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول اللَّه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ كيف ذلك، وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحيانًا! فقال عليّ رضي الله عنه: معنى ذلك يوم القيامة يوم الحكم. وكذلك قال ابن عباس: ذاك يوم القيامة. قال ابن عطية: وبهذا قال جميع أهل التأويل.

قال ابن العربي: وهذا ضعيف: لعدم فائدة الخبر فيه، وإن أوهم صدر الكلام معناه؛ لقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فأخَّر الحكم إلى يوم القيامة، وجعل الأمر في الدنيا دولاً تَغلب الكفار تارةً وتُغلَب أخرى؛ بما رأى من الحكمة وسَبَقَ من الكلمة. ثم قال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ فتوهَّم من توهم أن آخر الكلام يرجع إلى أوّله، وذلك يسقط فائدته، إذ يكون تكراراً.

الثاني: أن اللَّه لا يجعل لهم سبيلاً يمحو به دولة المؤمنين، ويُذهب آثارهم ويستبيح بَيْضَتهم؛ كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث ثَوْبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وإني سألت ربي ألا يهلكها بسَنَة عامة وألا يُسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرَدّ وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا**

أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويَسْبِي بعضهم بعضًا».

الثالث: أن اللَّه سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، قال ابن العربي: وهذا نفيس جدًّا.

قلت: ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث ثَوبَان: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا» وذلك أن «حتى» غاية؛ فيقتضي ظاهر الكلام أنه لا يسلط عليهم عدوَّهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض، وسبي بعضهم لبعض، وقد وجد ذلك في هذه الأزمان بالفتن الواقعة بين المسلمين؛ فغلظت شوكة الكافرين واستولوا على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الإسلام إلا أقله؛ فنسأل اللَّه أن يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه. وانظر السؤال الآتي والجواب عليه.

* * *

س: كيف توفِّق بين قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ وبين ما هو مشاهد وظاهر من كون الكافرين يقتلون أهل الإيمان في كثير من الأحيان ويظهرون عليهم؟

ج: إذا علمت أن السبيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ إنما يكون يوم القيامة زال عنك حينئذ الإشكال وهذا واضحٌ وجليٌّ، إذ الآية الكريمة فيها: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

وقد قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى: لا خلاف بينهم في أن معناه: ولن يجعل اللَّه للكافرين يومئذٍ على المؤمنين سبيلاً.

وأورد الطبري[١] من طرق عن الأعمش عن ذر عن يُسيع الحضرمي قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضوان اللَّه عليه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول اللَّه: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له عليّ: ادْنُه، ادْنُه! ثم قال: ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾، يوم القيامة.

* * *

س: كيف يُخادع المنافق ربَّه وكيف يخدعه اللَّه عز وجل؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم: أن المنافق يُخفي أمره على ربه بما يظهره من قول لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ليحقن دمه وماله فلا يقتل من أجل قوله لا إله إلا اللَّه، وقد خفي عليه أن اللَّه يراه ويسمعه ويعلم سرَّه وعلانيته.

أما خداع ربه له: فمن أهل العلم من قال: إن ذلك يوم القيامة، يوم يقسم النور على من قال لا إله إلا اللَّه، كل بحسب إيمانه فيذهب اللَّه بنور أهل النفاق ويبقى لأهل الإيمان نورهم فيقول أهل النفاق حينئذ لأهل الإيمان ما ذكره اللَّه في كتابه إذ قال: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ**

(١) انظر الطبري (أثر١٠٧١٩ فما بعده)، وهو صحيحٌ عن علي ﷺ.

أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤].

وقد قدمنا لذلك مزيدًا في سورة البقرة، فارجع إليه إن شئت.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأما قوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾، فإنَّه يعني: أن المنافقين لا يعملون شيئًا من الأعمال التي فرضها اللَّه على المؤمنين على وجه التقرُّب بها إلى اللَّه؛ لأنهم غير موقنين بمعادٍ ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة إبقاءً على أنفسهم، وحذارًا من المؤمنين عليها أن يُقتلوا أو يُسلبوا أموالهم. فهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة، قاموا كسالى إليها، رياءً للمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم، لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى.

وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

أي: يصلون مراءاة وهم متكاسلون متثاقلون، لا يرجون ثوابًا ولا يعتقدون على تركها عقابًا.

وفي صحيح الحديث: «**إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح**»، فإن العتمة تأتي وقد أتعبهم عمل النهار فيثقل عليهم القيام إليها، وصلاة الصبح تأتي والنوم أحب إليهم من مفروح به، ولولا السيف ما قاموا.

والرياء: إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر اللَّه.

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بهذا الذكر القليل؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بهذا الذكر القليل: هو الذكر الذي يذكرونه ليدفعوا عن أنفسهم القتل والسبي وسلب الأموال.

- وقال آخرون: إنما قل هذا الذكر لأن اللَّه لم يقبله[1].
- وقال غيرهم: إن المراد بالذكر القليل الذكر القليل داخل الصلاة، وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأما قوله: ﴿**وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، فلعلَّ قائلاً أن يقول: وهل من ذكر اللَّه شيء قليل؟ قيل له: إن معنى ذلك ـ بخلاف ما ذهبت: ولا يذكرون اللَّه إلا ذكر رياء، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلبَ الأموال، لا ذكر موقن مصدِّق بتوحيد اللَّه، مخلص له الربوبية. فلذلك سماه اللَّه ﴿**قَلِيلاً**﴾؛ لأنه غير مقصود به اللَّه، ولا مبتغى به التقرب إلى اللَّه، ولا مرادٌ به ثواب اللَّه وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نَصَب عامله وذاكره، في معنى السراب الذي له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه:

قوله ﴿**وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ أي في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون

---

(١) أورد الطبري (١٠٧٣٣) بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ولا يذكرون اللَّه إلا قليلا﴾ قال: إنما قلَّ ذكر المنافق لأن اللَّه لم يقبله، وكل ما ردَّ اللَّهُ قليل، وكل ما قبل اللَّهُ كثيرٌ.

ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يراد بهم من الخير معرضون.

وأخرج مسلم[١] من طريق العلاء بن عبد الرحمن:

أنه دخل على أنس بن مالكٍ في داره بالبصرةِ حين انصرف من الظُّهر، ودارُهُ بجنبِ المسجد، فلمَّا دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تلك صلاة المنافق، يجلس يرقُبُ الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان؛ قام فنقرها أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلاً**».

وقال الفخر الرازي في «تفسيره»:

والمعنى: أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة، لا لأجل الدين.

فإن قيل: ما معنى المراءاة، وهي مفاعلة من الرؤية.

قلنا: إن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسان ذلك العمل، وفي قوله: ﴿**وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ وجوه:

الأول: أن المراد بذكر اللَّه الصلاة، والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلاً، لأنه متى لم يكن معهم أحد من الأجانب لم يصلوا، وإذا كانوا مع الناس فعند دخول وقت الصلاة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن أعين الناس.

الثاني: أن المراد بذكر اللَّه أنهم كانوا في صلاتهم لا يذكرون اللَّه إلا

(١) مسلم (حديث ٦٢٢) ص (٤٣٤).

قليلاً، وهو الذي يظهر مثل التكبيرات، فأما الذي يخفى مثل القراءة والتسبيحات فهم لا يذكرونها.

الثالث: المراد أنهم لا يذكرون اللَّه في جميع الأوقات سواء كان ذلك الوقت وقت الصلاة أو لم يكن وقت الصلاة إلا قليلاً نادراً.

قال صاحب «الكشاف»: وهكذا نرى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام، ولو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته لا يفتر عنه.

الرابع: قال قتادة: إنما قيل: إلا قليلاً، لأن اللَّه تعالى لم يقبله، وما رده اللَّه تعالى فكثيره قليل، وما قبله فقليله كثير.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ**﴾.

ج: إيضاح ذلك فيما ذكره النبي ﷺ حيث قال: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة**[1] **بين الغنمين تعير إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً، ولا تدري أيتهما تتبع**»[2].

● وقال قتادة[3] في قوله تعالى: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ**﴾، يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرِّحين بالشرك، قال: وذُكر لنا أن نبي اللَّه عليه السلام كان يضرب مثلاً للمؤمن

(١) العائرة: هي المترددة الحائرة.

(٢) الحديث أخرجه مسلم (٢٧٨٤).

(٣) الطبري (١٠٧٣٧) بإسنادٍ حسن.

والمنافق والكافر، كمثل رَهْط ثلاثة دفعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقَطع، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر: أن هلم إليَّ، فإني أخشى عليك! وناداه المؤمن: أن هلم إليَّ، فإن عندي وعندي! يحصي له ما عنده. فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه آذيٌّ فغرقه. وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك. قال: وذكر لنا أن نبي اللَّه ﷺ كان يقول: مثل المنافق كمثل ثاغِية بين غنمين، رأت غنمًا على نَشَزٍ فأتتها فلم تعرف، ثم رأت غنمًا على نشزٍ فأتتها وشامَّتها فلم تعرف.

وقال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مذبذبين﴾، متردِّدين. وأصل التذبذب: التحرك والاضطراب، كما قال النابغة:

ألم تر أن اللَّه أعطاك سُورَةً ترَى كُلُّ ملكٍ دونها يتذَبْذَبُ

وإنما عنى اللَّه بذلك: أن المنافقين متحيِّرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارَى بين ذلك، فمثلهم المثلُ الذي ضرب لهم رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم: ومن يصده اللَّه ويخذله عن طريق الرشاد والإسلام فلن تجد له طريقًا يسلكه إلى الحق؛ إذ ليس من سبيل مُوصل

إلى الحق وإلى طريق الجنة إلا طريق الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [آل عمران: ٨٥].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم: أتريدون باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين أن تجعلوا هناك أسبابًا لتعذيبكم؟

وذلك ـ واللَّه أعلم ـ أن من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنه بذلك يكون قد ارتكب ما يجلب له العذاب، وفعل ما يعرضه لغضب اللَّه عليه.

* * *

س: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، كيف تجمع بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وبين قوله تعالى في شأن المكذبين بالمائدة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾؟

ج: وجه الجمع ممكن بأن يقال:

أولاً: أن جميعهم في العذاب الشديد سواء.

وثانيًا: يُمكن أيضًا أن يُقال إن الدرك الأسفل من النار دركات هو الآخر، فيكونون في الجملة في الدرك الأسفل لكن لا يمنع أن يكون هناك تفاوت في العذاب في الدرك الأسفل أيضًا، واللَّه تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وأصلحوا﴾ أصلحوا ماذا؟

ج: أصلحوا أعمالهم وأخلصوها للَّه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿مع المؤمنين﴾ أين هذه المعية؟

ج: مع المؤمنين في الجنة.

* * *

س: التوبة باللسان فقط لا تكفي في كل الأحوال، بل يلزم إصلاح العمل أيضًا، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾ [البقرة: ١٦٠].
- وقوله تعالى: ﴿**فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٣٩].
- وقوله تعالى في شأن القذفة الذين يقذفون المحصنات الغافلات المؤمنات: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٤، ٥].
- وقوله تعالى: ﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾ [الفرقان: ٧١]. والآيات في هذا المعنى متعددة وكثيرة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿**وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾، يقول: وسوف يُعطي اللَّه هؤلاء ـ الذين هذه صفتهم على توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم باللَّه وإخلاصهم دينهم له وعلى إيمانهم ـ ثوابًا عظيمًا، وذلك: درجات في الجنة، كما أعطى الذين ماتوا على النِّفاق منازل في النار، وهي السفلى منها؛ لأن اللَّه جل ثناؤه وعد عباده المؤمنين أن يؤتيهم على إيمانهم ذلك، كما أوعد المنافقين على نفاقهم ما ذكر في كتابه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾: ما يصنع اللَّه أيها المنافقون بعذابكم، إن أنتم تُبتم إلى اللَّه ورجعتم إلى الحق الواجب للَّه عليكم، فشكرتموه على ما أنعم عليكم من نعمه في أنفسكم وأهاليكم وأولادكم، بالإنابة إلى توحيده، والاعتصام به، وإخلاصكم أعمالكم لوجهه، وترك رياء الناس بها، وآمنتم برسوله محمد ﷺ فصدَّقتموه، وأقررتم بما جاءكم به من عنده فعملتم به؟

يقول: لا حاجة باللَّه أن يجعلكم في الدَّرك الأسفل من النار، إن أنتم أنبتم إلى طاعته وراجعتم العمل بما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، لأنه

لا يجتلب بعذابكم إلى نفسه نفعًا، ولا يدفع عنها ضُرًّا، وإنما عقوبته من عاقب من خلقه جزاءٌ منه على جَراءته عليه، وعلى خلافه أمره ونهيه، وكفرانه شكر نعمه عليه.

فإن أنتم شكرتم له على نعمه، وأطعتموه في أمره ونهيه، فلا حاجة به إلى تعذيبكم، بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعةٍ له وشكر، بمجازاتكم على ذلك بما تقصر عنه أمانيكم، ولم تبلغه آمالكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لكم ولعباده على طاعتهم إياه بإجزاله لهم الثوابَ عليها، وإعظامه لهم العِوَض منها، ﴿عَلِيمًا﴾ بما تعملون، أيها المنافقون، وغيركم من خير وشر، وصالحٍ وطالح، محص ذلك كله عليكم، محيط بجميعه، حتى يجازيكم جزاءَكم يوم القيامة، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

* * *

س: الشكر والإيمان والاستغفار سبب عظيم من أسباب دفع البلايا والعذاب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

ج: المراد: أن اللَّه سبحانه وتعالى يعلم بعبادة العابدين وإيمان المؤمنين وعمل الصالحين وطاعة المطيعين ويثيب العباد على ذلك على إيمانهم به وطاعتهم له وعبادتهم إياه، ويشكر لهم هذه الصنائع منهم شكرًا يقتضي إثابتهم وإعطاء الأجر الجزيل لهم.

❊ ❊ ❊

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا
عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ
سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ
بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا
عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ
بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى
ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ
وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾
وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا
قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ

عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ
مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(السوء من القول ـ تبدوا خيرًا ـ الكافرون حقًا ـ سوف يؤتيهم ـ جهرة ـ بظلمهم ـ البينات ـ سلطانًا مبينًا ـ الطور ـ بميثاقهم ـ لا تعدوا في السبت ـ ميثاقًا غليظًا ـ فبما نقضهم ـ آيات اللّه ـ غلفٌ ـ بهتانًا ـ شبِّه لهم ـ وما قتلوه يقينًا ـ أليمًا ـ الراسخون في العلم).

ج:

الكلمة	معناها
السوء من القول	القول السيئ الذي يسيء إلى من ذُكر في حقه.
الكافرون حقًا	الكاملون في الكفر، لا شك في كفرهم.
تبدوا خيرًا	تتكلموا بكلام طيب جميل.

سوف يؤتيهم	سوف يُعطيهم.
جهرةً	عيانًا.
بظلمهم	بسبب ظلمهم.
البينات	البراهين والدلالات والمعجزات الظاهرات.
سلطانًا مبينًا	حجة قوية مبينةً لصدقه.
الطور	الجبل[1].
بميثاقهم	الميثاق: هو العهد المؤكد باليمين، الذي أعطوه لربهم عز وجل: لنعملن بما في التوراة، وقوله: ﴿بميثاقهم﴾: أي: بنقضهم ذلك الميثاق.
لا تعدوا في السبت	لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم، وقال بعض أهل العلم: أُمر القوم أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت ولا يتعرضوا لها فتجاوزوا ذلك واصطادوها على ما ذكره اللَّه في سورة الأعراف: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾.
ميثاقًا غليظًا	عهدًا مؤكدًا.
فبما نقضهم	فبنقضهم.
ميثاقهم	عهدهم الذي عاهدوا اللَّه أن يعملوا به.
آيات اللَّه	الدلائل التي احتج اللَّه بها عليهم لإثبات صدق أنبيائه ورسله وحقيقة ما جاءوا به عن اللَّه.
غلف	عليها غشاوةٌ وأغطية ـ في أغلفة فلا نفقه ما تقول[2]

(١) وانظر أيضًا ما قدمناه من تفصيل في سورة البقرة.

(٢) وذلك كما قال تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾.

	أوعية للعلم فلا تحتاج إلى علمك.
بهتانًا	البهتان ذكرك أخاك بما يكره إن لم يكن فيه ما تقول، الافتراء الكاذب العظيم. وأيضًا فالمعنى: كذبًا شديدًا مُفرطًا يُتعجب من جُرأة فاعله.
شُبِّه لهم	ألقى شبهه على غيره.
وما قتلوه يقينًا	قال اللَّه ذلك قولاً يقينًا ـ يقينًا ما قتلوه، وما بحثوا أمره بحثًا واسعًا.
أليمًا	مؤلمًا موجعًا.
الراسخون في العلم	الثابتون في العلم، الذين لهم قدمٌ راسخةٌ فيه.

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بالسوء من القول؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك الدعاء على الأشخاص، فلا يحب اللَّه سبحانه وتعالى أن يجهر أحدٌ على أحدٍ بالدعاء إلا مظلوم يدعو على ظالمه بقدر مظلمته، فقد رخص لهذا المظلوم أن يدعو على ظالمه[1].

الثاني: أنه الضيف ينزل على رجلٍ فلا يُقدم له ما ينبغي للضيف؛ فللضيفِ حينئذ أن يتكلم بما كان من بَخْسِهِ حق ضيافته.

الثالث: أن الآية في عموم المظلومين، فلهم أن ينتصروا ممن ظلمهم

(١) مع أن العفو أولى وسيأتي إن شاء اللَّه.

بقدر مظلمتهم، وذلك بالتكلم في حقهم والنيل من أعراضهم بقدر مظالمهم.

وجمع بعض العلماء بين ذلك كله، فقال الطبري ـ رحمه اللَّه:

لا يحب اللَّه، أيها الناس، أن يجهر أحدٌ لأحد بالسوء من القول، ﴿إلا من ظلم﴾ بمعنى: إلا من ظلم، فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء عليه.

وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ، أو أسيء قراه، أو نيل بظلم في نفسه أو ماله، غيرَه من سائر الناس.

وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم: أن ينصره اللَّه عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له.

* * *

س: أجاز اللَّه سبحانه وتعالى وأباح الانتصار من الظالم، وأشار سبحانه إلى أن العفو أفضل، وذلك في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعض ما يدل على ذلك.

ج: أمر اللَّه سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن، قال اللَّه عز وجل: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٤٠ ـ ٤٣].

- فقوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ عدلٌ.

• وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إرشاد إلى الإحسان والعفو.

• وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

• وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

• وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] كل هذا عدل.

وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو.

• وكذلك قوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

• وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] إرشاد إلى العفو والإحسان.

• وأيضًا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] عدلٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] فيه إرشاد إلى العفو.

• فهنيئًا له من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

• فهنيئًا له من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾؟

ج: وجه الختام - والله أعلم: أن الله سبحانه وتعالى سميع لأقوالكم، ولأقوال غيركم فيكم، وعليم بقدر انتصاركم لأنفسكم ونواياكم من وراء هذا الانتصار.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا...﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله:

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿**إِن تُبْدُوا**﴾ أيها الناس ﴿**خَيْرًا**﴾، يقول: إن تقولوا جميلاً من القول لمن أحسن إليكم، فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان من حسن إليكم، ﴿**أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ يقول: أو تتركوا إظهار ذلك فلا تبدوه، ﴿**أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ**﴾ يقول: أو تصفحوا لمن أساءَ إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به، ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا**﴾، يقول: لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يصفح عمن عصاه وخالف أمره، ﴿**قَدِيرًا**﴾ يقول: ذا قدرة على الانتقام منهم.

وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه.

يقول: فاعفوا، أنتم أيضًا، أيها الناس، عمن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره.

* * *

س: من الذين عناهم اللَّه بقوله: إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾؟

ج: هم اليهود والنصارى، قال قتادة[1] ـ رحمه اللَّه:

أولئك أعداء اللَّه اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وبموسى وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن وبمحمد ﷺ، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان ليستا من اللَّه، وتركوا الإسلام وهو دين اللَّه الذي بعث به رسله.

* * *

س: كيف يفرقون بين اللَّه ورسله؟

ج: ذلك بأنهم يكذبون الرسل عليهم الصلاة والسلام ويزعمون أن الرسل كذبت على ربها سبحانه وتعالى، كما ذكر اللَّه سبحانه قولهم إذ قالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾، وكما قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾.

ج: أي: نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعضهم، فيقولون: نصدِّق بهذا، ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود إذ آمنت بموسى (على طريقتهم) وكذبت بعيسى وبمحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، وكما فعلت النصارى من الإيمان بعيسى وتكذيب محمد ﷺ.

---

(١) الطبري (١٠٧٧٠) وإسناده حسن.

س: ما المراد بالسبيل في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ يقول: ويريد المفرِّقون بين اللَّه ورسله، الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، أن يتخذوا بين أضعاف قولهم: «نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض» ﴿سَبِيلاً﴾ يعني: طريقًا إلى الضلالة التي أحدثوها، والبدعة التي ابتدعوها، يدعون أهل الجهل من الناس إليه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقًّا، فاستيقنوا ذلك، ولايشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَة؛ وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن.

فأما من صدَّق ببعض ذلك وكذَّب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب، وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من

زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم باللَّه وبرسله ـ الذين يزعمون أنهم به مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون ـ كافرون، فهم الجاحدون وحدانية اللَّه ونبوة أنبيائه حق الجحود، المكذبون بذلك حق التكذيب، فاحذروا أن تغتروا بهم وببدعتهم، فإنا قد أعتدنا لهم عذابًا مهينًا.

❊ ❊ ❊

س: أهل الكتاب يُفرِّقون في الإيمان بالرسل، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، أما أهل الإيمان فليسوا كذلك، اذكر من الأدلة ما يوضح ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].
- وقوله تعالى: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٣].

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً**﴾.

ج: الآية الكريمة أفصحت عن أربعة أقسام:

القسم الأول: كفر باللَّه ورسله.

القسم الثاني: فرق بين اللَّه ورسله في الإيمان فآمن باللَّه وكفر بالرسل.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه:

«فنص سبحانه على أن التفريق بين اللَّه ورسله كفر؛ وإنما كان كُفرًا؛ لأن اللَّه سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل وردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم فكانوا ممتنعين عن التزام العبودية التي أُمروا بالتزامها فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفرٌ لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر» انتهى المراد من كلام القرطبي ـ رحمه اللَّه.

القسم الثالث: آمن ببعض الرسل دون بعض، فحينئذ فقد كفر بهم جميعًا؛ كما قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٢٣] وهم إنما كذبوا هودًا.

القسم الرابع: هم المنافقون.

* * *

س: ما هذا الكتاب الذي سأل اليهود نبينا محمدًا ﷺ أن ينزله عليهم من السماء؟

ج: أرادوا كتابًا مكتوبًا ينزل مكتوبًا من السماء كالألواح التي أنزلت على موسى ﷺ.

ووجه آخر: أنهم أرادوا كتابًا خاصًّا بهم.

ووجه ثالث: أن المراد أنهم يريدون لكل واحدٍ منهم كتابًا مستقلاً، كما

قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

ج: إيضاحه أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتابًا مكتوبًا فيه ما يدلهم على صدقه، وما يدعوهم ويحثهم على ذلك، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

* * *

س: على أي وجهٍ من الوجوه كان سؤالهم هذا؟

ج: كان سؤالهم هذا على سبيل التعنت.

* * *

س: اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ لم يعاصروا موسى عليه اسلام، فكيف قيل إذن ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾؟

ج: جوابه أن يقال: إنما أسند السؤال إليهم، وإن وجد في آبائهم في أيام موسى عليه السلام لأنهم كانوا على مذهب آبائهم وكانوا راضين بسؤال آبائهم ومُقرين لهم ومشابهين لهم في تعنتهم، والله أعلم.

* * *

س: لماذا لم يوافقوا على طلبهم لما سألوا كتابًا من السماء؟

ج: جواب ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الأنعام:٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ** ﴾ [الإسراء:٥٩].

وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿**فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ [النساء:١٥٣]؛ فمفاده أنهم لن يقفوا عند حدٍّ في طلباتهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ بظلمهم ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم: بسبب ظلمهم لأنفسهم، وذلك كان بسبب مسألتهم موسى عليه السلام أن يريهم ربهم جهرةً، وذلك لأن هذا مما لم يكن لهم أن يسألوه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم: أن بني إسرائيل الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرةً أخذتهم الصاعقة بسؤالهم هذا؛ فأماتهم الله ثم أحياهم، ومع ذلك لم يتعظوا بهذه الموعظة أي: بالحياة بعد الموت، بل اتخذوا العجل الذي صنعه لهم السامري ونبذ فيه ما نبذ، اتخذوه إلهًا يعبدونه من دون الله.

* * *

س: ما المراد بالبينات المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؟

ج: أعظم هذه البينات ما يلي:

- اليد: التي تخرج بيضاء من غير سوء.
- والعصا: التي تتحول إلى حيةٍ تسعى.
- وفلق البحر: إذ قال تعالى: ﴿**فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: ٦٣].
- الحجر: الذي ضُرب بالعصا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا.
- وتظليل الغمام: لما ضُرب عليهم التيه في الأرض فظلَّل اللَّه عليهم الغمام.
- وإنزال المنِّ والسلوى: وذلك في التيه أيضًا.
- وإنجاؤهم من عدوهم: الذي كان يسومهم سوء العذاب، ويُقتِّل الأبناء ويستحيي النساء.
- والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم: (وإن كانت هذه في آل فرعون، لكن في ذلك أيضًا دلالة على صدق نبيهم وحفظ اللَّه وعونه له).
- ورفع الطور فوقهم، وبعثهم من بعد موتهم.
- وإنزال الألواح والتوراة.

* * *

س: ما المراد بالبينات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؟

ج: المراد ـ والله أعلم: التسع آيات التي قال الله فيها: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ**﴾ [الإسراء: ١٠١].

وقول آخر: أن المراد بالبينات: الدلالات الواضحات على أنهم لن يروا الله عز وجلَّ عيانًا.

* * *

س: ما الشيء الذي عفا الله عنه إذ قال: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾؟

ج: عفا الله عن عبادتهم العجل، وذلك بعد توبتهم، كما قال الطبري ـ رحمه الله ـ إذ قال:

﴿**فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ**﴾، يقول: فعفونا لعبدة العجل عن عبادتهم إياه، وللمصدقين منهم بأنه إلههم بعد الذي أراهم الله أنهم لا يرون ربهم في حياتهم من الآيات ما أراهم، عن تصديقهم بذلك، بالتوبة التي تابوها إلى ربهم بقتلهم أنفسهم، وصبرهم في ذلك على أمر ربهم.

﴿**وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾ يقول: وآتينا موسى حجة تبين عن صدقه، وحقيقة نبوّته، وتلك الحجة هي: الآيات البينات التي آتاه الله إياها.

* * *

س: هل عُفي عن عُباد العجل بدون عقوبة؟

ج: بل عوقبوا ثم عُفي عنهم، كما قال تعالى: ﴿**فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ**

فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

فعوقبوا بعد أن قتل بعضهم بعضًا، كما قد بيناه في سورة البقرة.

❊ ❊ ❊

س: أي باب هذا الذي قال اللَّه لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه باب من أبواب بيت المقدس.

❊ ❊ ❊

س: ما موقع (ما) في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه اللَّه: هي زائدةٌ مؤكدة كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❊ ❊ ❊

س: هل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم...﴾ متصل بما قبله أو منفصل عنه؟

ج: في ذلك قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنه متصل بما قبله، فالمعنى: فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم وكفرهم بآيات اللَّه وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف.

والثاني: ليس بمتصل بما قبله، بل المعنى: فبنقضهم ميثاقهم وكفرهم.. بسبب ذلك كله طبع اللَّه على قلوبهم.

وهذان الوجهان حكاهما الطبري، واختار أنه منفصلٌ عما قبله؛ لأن هؤلاء الذين أخذتهم الصاعقة، والذين قتلوا الأنبياء كانوا بعد ذلك أخذتهم الصاعقة.

والصواب من القول في ذلك أن قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ وما بعده، منفصل معناه عن معنى ما قبله، وأن معنى الكلام: فبما نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات اللَّه، وبكذا وبكذا، لعناهم وغضبنا عليهم، فترك ذكر «لعناهم» لدلالة قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ على معنى ذلك، إذ كان من طبع على قلبه، فقد لُعِن وسُخِط عليه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الذين أخذتهم الصاعقة، إنما كانوا على عهد موسى، والذين قتلوا الأنبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم، وقالوا: «قتلنا المسيح»، كانوا بعد موسى بدهر طويل. ولم يدرك الذين رموا مريم بالبهتان العظيم زمان موسى، ولا من صُعق من قومه.

وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين أخذتهم الصاعقة لم تأخذهم عقوبةً لرميهم مريم بالبهتان العظيم، ولا لقولهم: «إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم»، وإذ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن القوم الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة.

وإذ كان ذلك كذلك، كان بيِّنًا انفصال معنى قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ من معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.

قلت: ويرد على ما قاله الطبري ـ رحمه اللَّه ـ أن اللَّه سبحانه وتعالى خاطب بني إسرائيل الموجودين في المدينة بما صنعه أجدادهم، وذلك في غير موطن من كتابه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وهو سبحانه قد أنجى الآباء.

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، والميثاق إنما أخذ على الأجداد، وكذلك فالطور إنما رفع على الأجداد،

ولذلك نظائر متعددة في كتاب اللَّه عز وجل.

❊ ❊ ❊

س: شأن اليهود نقض العهود والمواثيق، وكذلك الافتراء والكذب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].
- وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].
- وقوله تعالى: ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٢].
- وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

ج: إيضاحه: أنهم لما ادعوا أن قلوبهم غلف، أي: في أغلفة وأغطية، واعتذروا عن الإيمان بأن قلوبهم لا تعي ولا تفقه ما يُقال: قال اللَّه لهم بل هي مطبوع عليها بكفرهم.

ووجه آخر: أنهم لما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: أوعية للعلم رُدَّ هذا القول عليهم بأن قيل لهم: ليس هي أوعية للعلم ولا كرامة، ولكنها مطبوع عليها بسبب كفرهم ـ واللَّه أعلم.

* * *

س: ما هذا الإيمان القليل الذي ذكره اللَّه عن أهل الكتاب هؤلاء إذ قال: ﴿فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾؟

ج: هو الإيمان ببعض الرسل.

* * *

س: هل هذا الإيمان القليل ينفعهم؟

ج: لا ينفعهم هذا الإيمان بشيءٍ؛ لأنهم كذَّبوا من وجه آخر تكذيبًا ذهب بثواب إيمانهم الذي آمنوا، وذلك أن من كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وهم إنما كذبوا هودًا عليه الصلاة والسلام.

* * *

س: ما فائدة تكرير الكفر في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك لأن الكفر منهم متوالٍ، فكفروا كفرًا بعد

كفر. وقيل: المعنى: وبكفرهم بعيسى.

* * *

س: ما هذا البهتان الذي رُميت به مريم عليها السلام؟

ج: هذا البهتان هو رميها بالزنا، واتهامها به، كما قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا**﴾ [مريم:٢٧].

* * *

س: هل في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إقرار منهم برسالة عيسى عليه السلام؟

ج: ليس في هذا إقرارٌ منهم، إنما قالوه على سبيل التهكم والسخرية، فكأن المعنى: إنما قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الذي يزعم أنه رسول اللَّه ويدعي ذلك، وهذا كقول المشركين لرسول اللَّه ﷺ: ﴿**يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ [الحجر:٦]، وكذلك قول قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ [هود:٨٧].

* * *

س: كيف شُبِّه عيسى عليه السلام لليهود؟

ج: أمثل ما وجدت في ذلك من الآثار من ناحية الإسناد ما أخرجه ابن أبي حاتم[1] بإسنادٍ حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

لما أراد اللَّه تعالى أن يرفع عيسى إلى السماء، فخرج على أصحابه وفي

---

(١) ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٠) والنسائي في «التفسير» (٦١١) والطبري في تفسير سورة «الصف» (٣٤٠٦٦).

البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، يعني: فخرج عيسى من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سنًّا، فقال له اجلس، ثم أعاد عليهم فقال الشاب: أنا، فقال: أنت هو ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه، فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق.

فقالت فرقة: كان اللَّه فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن اللَّه ما شاء اللَّه ثم رفعه إليه، فهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد اللَّه ورسوله ما شاء اللَّه ثم رفعه اللَّه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث اللَّه محمدًا ﷺ.

* * *

س: من هم الذين اختلفوا فيه؟

ج: قال بعض أهل العلم: هم اليهود الذين أحاطوا بعيسى ﷺ.

وقال آخرون: هم أصحاب عيسى الذين كانوا معه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

ج: المعنى المتبادر هو: ويقينًا أنهم ما قتلوه، أي: يقينًا ما قتلوا عيسى عليه السلام، فبعد أن قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

هذا هو الوجه الذي أختاره هاهنا.

• **وهذا وجه آخر**: وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكِّين في أمره متوهمين ذلك، وأما الطبري ـ رحمه اللَّه ـ فقال ما حاصله: إن الهاء في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عائدةٌ على الظن، أي أنهم لم يقتلوا ظنهم بيقين.

فالقائل يقول: قتلت المسألة بحثًا، أو هذه المسألة قُتلت بحثًا، ومراده أنها لم تبحث بحثًا جيدًا مستفيضًا.

فالمعنى: أنهم لم يقطعوا في شأن عيسى عليه السلام، بل هم في شكٍّ منه ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظن، وما قتلوا الظن بيقين جازم لكن الذي قطع اللَّه به هو قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يرجع إلى مَن؟

ج: اختلف أهل التأويل في تفسير هذه الآية على وجوه:

أولها وأقواها: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: بعيسى عليه السلام والضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى عليه السلام.

• ومن القائلين بهذا القول: ابن عباس رضي الله عنهما فقد صحَّ عنه (كما عند ابن جرير الطبري ١٠٧٩٤، ١٠٧٩٥) أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم.

• ومنهم أيضًا: أبو هريرة رضي الله عنه؛ ففي حديث أبي هريرة المذكور في هذا الباب والذي فيه: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم..» وفي آخره: «واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ما يشعر بأن أبا هريرة رضي الله عنه يرى ما يراه ابن عباس رضي الله عنهما، ويتأيد ذلك بما عزاه الحافظ ابن كثير إلى ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة مرفوعًا... فذكر الحديث، وفي آخره موت عيسى ابن مريم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

• ومن القائلين بهذا الرأي أيضًا: أبو مالك، فقد صحَّ عنه عند ابن جرير الطبري (١٠٧٩٦) في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

• ومنهم أيضًا: الحسن البصري، فعند ابن جرير بإسناد صحيح إلى الحسن أنه قال: قبل موت عيسى، واللَّه إنه الآن لحي عند اللَّه، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

• وصحَّ نحو ذلك أيضًا: عن قتادة.

• وصح عن ابن زيد أنه قال: إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال لم يبق يهودي في الأرض إلا آمن به، قال: فذلك حين لا ينفعهم الإيمان.

● وهذ القول: (أي أن المراد أن الضمير في قوله تعالى: ﴿**لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ**﴾ وفي قوله تعالى: ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ المراد به عيسى في الموضعين) هو الذي اختاره ابن جرير الطبري، وابن كثير وغيرهما من أهل العلم كما سنذكر ذلك بعد قليل إن شاء اللَّه.

● **القول الثاني**: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿**لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ**﴾ أي: بعيسى، والضمير في قوله: ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ أي: موت الكتابي نفسه، وذلك لأن من نزل به الموت من أهل الكتاب لا يموت حتى يتجلى له ما كان جاهلاً فيؤمن عند ذلك بعيسى عليه السلام.

روى معنى ذلك من وجهين ضعيفين عن ابن عباس قد يرتقيان بمجموعهما إلى الصحة حاصلهما أنه لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام.

ولكن القول الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما أصح.

وأورد ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ جملة آثار في كل منها مقال توضح أن المعنى لا يموت صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى عليه السلام.

وقال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (شرح مسلم ١/ ٣٧٢):

وأما قوله: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ ففيه: دلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هريرة في الآية أن الضمير في موته يعود على عيسى عليه السلام.

ومعناها: وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد اللَّه وابن أمته، وهذا مذهب جماعة من المفسرين.

وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابي، ومعناها: وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبد اللَّه وابن أمته، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه في حضرة الموت، وحالة النزع، وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها فلا يصح فيها إسلام، ولا كفر، ولا وصية، ولا بيع، ولا عتق، ولا غير ذلك من الأقوال، لقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾ [النساء:١٨] وهذا المذهب أظهر، فإن الأول يخص الكتابي، وظاهر القرآن عمومه لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزوله، ويؤيد هذا قراءة من قرأ: ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِمْ**﴾.

● **القول الثالث**: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿**لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ**﴾ أي: بمحمد ﷺ.

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال لأن اللَّه جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ يحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة.

فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ

مسلم كان ميراثه مصروفًا حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه، وغسله وتقبيره لأن من مات مؤمنًا بعيسى فقد مات مؤمنًا بمحمد وبجميع الرسل، وذلك أن عيسى صلوات اللَّه عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات اللَّه عليهم، فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء اللَّه، ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء اللَّه ورسله، فغير جائز أن يكون مؤمنًا بعيسى من كان بمحمدٍ مكذبًا.

وأقر ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ ما قاله ابن جرير ووافقه عليه، لكنه رد ما احتج به ابن جرير لدفع القول الآخر فقال ـ رحمه اللَّه:

ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأن المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر اللَّه أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حيّ وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء اللَّه قريبًا فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام، أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم؛ ولهذا قال: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ [النساء:١٥٩] أي: بأعمالهم التي شاهدها

منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض، فأما من فسَّر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لايكون ذلك إيمانًا نافعًا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى: في أول هذه السورة: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [غافر: ٨٤] الآيتين.

وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال:

ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أن يصير بذلك مسلمًا ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو ضرب سيفًا أو افترسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى، فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه ـ والله أعلم.

ومن تأمل هذا جيدًا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمَّه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن

مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى اللَّه عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوًا كبيرًا، وتنزه وتقدس لا إله إلا هو.

❊ ❊ ❊

س: على قول من أرجع الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إلى الكتاب، أي: أن أي كتابيّ إذا حضرته الوفاة سيؤمن بعيسى عليه السلام، فهل هذا الإيمان ينفع؟

ج: لا ينفعه ذلك الإيمان؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤].

وكذلك فرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقال تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

❊ ❊ ❊

س: نزول عيسى عليه السلام علامةٌ من علامات اقتراب الساعة، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في نزول عيسى ﷺ وصفته، وبعض ما يصاحب نزوله ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

• ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن[٢] أن ينزل فيكم[٣] ابن مريم حكمًا[٤] عدلاً فيكسر الصليب[٥] ويقتل الخنزير[٦]** .....

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٥٥).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩١) قوله: «ليوشكن» أي: ليقربن أي: لا بد له من ذلك سريعًا.

(٣) قوله: «أن ينزل فيكم» أي: في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

(٤) حكمًا أي: حاكمًا، وفي بعض الروايات: «إمامًا مقسطًا» والمقسط: العادل بخلاف القاسط فهو الجائر.

وفي رواية لمسلم من طريق عطاء بن ميناء عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه وفيه من الزيادة: «ولتتركن القلاص» وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد.

(٥) قال النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم ١/ ٣٧٠): وقوله ﷺ: «فيكسر الصليب» معناه يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

(٦) قال النووي: فيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل، وقتل الخنزير من هذا القبيل وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها وتمكنا من قتله قتلناه، وإبطال لقول من شذَّ من أصحابنا وغيرهم فقال: يترك إذا لم يكن فيه ضرواة.

وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩١): يستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس؛ لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه.

وقال رحمه الله (الفتح ٥/ ١٢١): وفيه إشارة إلى أن من قتل خنزيرًا أو كسر صليبًا =

ويضع الحرب[١] .....

لا يضمن؛ لأنه فعل مأمورًا به، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله، وهو إذا نزل كان مقررًا لشرع نبينا ﷺ.

ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين، أو الذمي إذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه، فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان معتديًا؛ لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية، وهذا هو السر في تعميم عيسى عليه السلام كسر كل صليب؛ لأنه لا يقبل الجزية، وليس ذلك منه نسخًا لشرع نبينا محمد ﷺ بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره.

(١) في بعض روايات «الصحيحين»: «ويضع الجزية»، قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: الصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء ـ رحمهم اللَّه تعالى.

وحكى القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية وهو ضربها على جميع الكفرة فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول.

والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا فقد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم؛ فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها، ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا؛ فدل على أن الامتناع من قبوله الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ.

● هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٩٢) عن ابن بطال قوله: وإنما قبلناها (أي: الجزية) قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع

ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[١] ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[٢] ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾.

● وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

● وما أخرجه مسلم[٤] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه هذه الأمة».

= قديم بزعمهم فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم، هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً واللَّه أعلم.

(١) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (شرح مسلم١/ ٣٧١) معناه أن المال يكثر وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتفيء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضًا الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة، فإن عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة ـ واللَّه أعلم.

(٢) قال النووي ـ رحمه اللَّه: وأما قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» فمعناه واللَّه أعلم: أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة ولقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث.

وقال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه: معناه أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وهوانه، وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد، قال: والسجدة هي السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة ـ واللَّه أعلم.

(٣) البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (ص١٣٦، ١٣٧).

(٤) مسلم (حديث ١٥٦).

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًّا أو معتمرًا أو ليثنيهما**»[١].

● وعند الإمام أحمد[٢] بإسنادٍ صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي الموت، فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام**».

● وعند الإمام أحمد بإسناد حسن[٣] أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لعلات[٤] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل،**

---

(١) ليثنيهما: أي: يقرن بينهما. (٢) أحمد (٢/ ٢٩٨).

(٣) أحمد (٢/ ٤٠٦)، وإن كان في إسناده قتادة مدلس وقد عنعن إلا أن الراوي عنه همام وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه، وقد رواه عنه أيضًا سعيد وهو من أثبت الناس فيه.

(٤) في رواية: «والأنبياء أولاد علات»: قال الحافظ في «الفتح»: والعلات بفتح المهملة: الضرائر، وأصله: أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، والعلل: الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وهو من باب التفسير كقوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسَّه الشرُّ جزوعًا وإذا مسَّه الخير منوعًا﴾.

ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

والنِّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

* * *

س: بم يشهد عيسى على قومه يوم القيامة؟

ج: يشهد بما ذكره اللَّه في كتابه إذ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

* * *

س: هل التحريم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾ تحريم قدري أو أنه شرعي ديني؟

وبتعبير آخر: هل هذا التحريم نتج عن كونهم حرفوا كتاب اللَّه فجعلوا الحلال حرامًا تشددًا منهم كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ فثبت ذلك عليهم وعلى ذرياتهم، أم أن اللَّه سبحانه وتعالى حرَّم عليهم أشياء في التوراة كانت حلالاً لهم قبل ذلك؟

ج: الظاهر ـ واللَّه أعلم: أن التحريم شرعيٌّ ديني، بمعنى: أنهم لما أسرفوا على أنفسهم حُرِّمت عليهم هذه الأشياء، وقد كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

س: اذكر بعض الطيبات التي حرَّمها اللَّه على بني إسرائيل.

ج: منها المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾.

* * *

س: هل تجوز معاملة اليهود بيعًا وشراءً مع أنهم قد أفسدوا أموالهم في دينهم؟

ج: نعم، يجوز ذلك، فإن اللَّه قال: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ**﴾ [المائدة: ٥]، وقد اشترى النبي ﷺ طعامًا من يهودي ورهنه درعه[١].

وأيضًا عامل النبي ﷺ أهل خيبر على أن يزرعوها ويعملوها، ولهم شطر ما يخرج منها[٢].

وقد طرح هذا السؤال في تفسير القرطبي فهناك قال:

قال ابن العربي: لا خلاف في مذهب مالك أن الكفار مخاطبون، وقد بيَّن اللَّه في هذه الآية أنهم قد نهوا عن الربا وأكل الأموال بالباطل؛ فإن كان ذلك خبرًا عما نزل على محمد في القرآن وأنهم دخلوا في الخطاب فبها ونعمت، وإن كان خبرًا عما أنزل اللَّه على موسى في التوراة، وأنهم بدَّلوا وحرفوا وعصوا وخالفوا فهل يجوز لنا معاملتهم والقوم قد أفسدوا أموالهم في دينهم أم لا؟ فظنت طائفة أن معاملتهم لا تجوز؛ وذلك لما في

(١) البخاري (٢٥١٣)، ومسلم (١٦٠٣ ص ١٢٢٦).

(٢) البخاري (٢٣٣١)، ومسلم (١١٨٧).

أموالهم من هذا الفساد.

والصحيح جواز معاملتهم مع رباهم واقتحام ما حرَّم اللَّه سبحانه عليهم؛ فقد قام الدليل القاطع على ذلك قرآنًا وسنة؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]، وهذا نصٌّ؛ وقد عامل النبي ﷺ اليهود ومات ودِرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله.

والحاسم لداء الشك والخلاف: اتفاق الأمة على جواز التجارة مع أهل الحرب؛ وقد سافر النبي ﷺ إليهم تاجرًا، وذلك من سفره أمر قاطع على جواز السفر إليهم والتجارة معهم.

فإن قيل: كان ذلك قبل النبوة؛ قلنا: إنه لم يتدنس قبل النبوة بحرام - ثبت ذلك تواترًا - ولا اعتذر عنه إذ بُعِث، ولا منع منه إذ نُبِّئ، ولا قطعه أحد من الصحابة في حياته، ولا أحد من المسلمين بعد وفاته، فقد كانوا يسافرون في فك الأسرى وذلك واجب، وفي الصلح، كما أرسل عثمان وغيره؛ وقد يجب وقد يكون ندبًا، فأمَّا السفر إليهم لمجرد التجارة فمباح.

* * *

س: ما وجه العقوبة بتحريم الطيبات على قومٍ ظلموا وصدوا عن سبيل اللَّه كثيرًا وقتلوا الأنبياء بغير حق، ونقضوا العهود والمواثيق، وكفروا بآيات اللَّه وتقوّلوا على مريم بهتانًا عظيمًا؟ فهل هذه العقوبة كافية رادعة أن تحرم عليهم الطيبات؟

ج: ليست هذه هي العقوبة الوحيدة، بل هي مضافة إلى عقوبات أخر؛ فقد مُسخ قوم منهم قردةً وخنازير، وقد لُعن منهم أصحاب السبت، لكن

هذه العقوبة لاحقة بهم أيضًا ولاحقة بذريتهم.

ووجه هذه العقوبة بتحريم الطيبات: أن هذا الشخص الذي حُرِّمت عليه هذه الطيبات، وإن كان لا يبالي بالتحريم ولن يعبأ به فسيُقدم على انتهاك حرمات اللَّه عز وجل، ومن ثمَّ فسيحلُّ عليه مزيدٌ من العذاب لانتهاكها إضافةً إلى العذاب الذي سيحل عليه بنقض العهد والميثاق وقتل الأنبياء بغير حق، واللَّه تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

س: كيف كان اليهود يصدون عن سبيل اللَّه؟

ج: لهم في ذلك طرق، منها ما يلي:

- افتراؤهم الكاذب وقولهم الباطل على اللَّه عز وجل.
- تحريفهم كتاب ربهم عز وجل بالزيادة فيه والنقصان.
- تأويلهم الكتاب على غير معانيه الصحيحة عن تعمدٍ منهم، وصرف المعاني إلى معانٍ أخرى باطلة.
- تشكيكهم في كتاب اللَّه وفي رسول اللَّه إذ قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ٧١].

وقال تعالى: ﴿**وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٢].

- كتمانهم صفة محمد ﷺ وجحودهم نبوته عليه الصلاة والسلام، وقد وصفه اللَّه لهم في كتبهم، وبشر به على ألسنة رسلهم.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض صور أكل أموال الناس بالباطل التي كان اليهود يمارسونها.

ج: • من ذلك خيانة الأمانات، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**﴾ [آل عمران: ٧٦].

• ومن ذلك أكل الأموال مقابل تحريف التوراة والتزوير فيها، قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾.

• ومن ذلك تعاملاتهم الربوية، كما قال تعالى: ﴿**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾ [النساء: ١٦١].

• ومن ذلك قبولهم الرشوة، وقد قال تعالى: ﴿**وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ٦٢].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ...﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى:

﴿**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ**﴾، وهم الذين رَسخوا في العلم بأحكام اللَّه التي جاءت بها أنبياؤه، وأتقنوا ذلك، وعرفوا حقيقته.

وقد بينا معنى: «الرسوخ في العلم»، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: والمؤمنون بالله ورسله، هم يؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله إليك، يا محمد، وبالكتب التي أنزلها على من قبلك من الأنبياء والرسل، ولا يسألونك كما سألك هؤلاء الجهلة منهم: أن تنزل عليهم كتابًا من السماء، لأنهم قد علموا بما قرأوا من كتب الله وأتتهم به أنبياؤهم، أنك لله رسول، واجبٌ عليهم اتباعك، لا يَسعهم غير ذلك، فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك آية معجزة ولا دلالة غير الذي قد علموا من أمرك بالعلم الراسخ في قلوبهم من إخبار أنبيائهم إياهم بذلك، وربما أعطيتك من الأدلة على نبوتك، فهم لذلك من علمهم ورسوخهم فيه، يؤمنون بك وبما أنزل إليك من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من سائر الكتب.

وأورد أثر قتادة وفيه: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، استثنى الله أُثْبِيَّةً[1] من أهل الكتاب، وكان منهم من يؤمن بالله، وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبي الله، يؤمنون به ويصدِّقون ويعلمون أنه الحق من ربهم.

* * *

س: هل الراسخون في العلم والمؤمنون هم أنفسهم المقيمون الصلاة، أم أن المقيمين الصلاة قسم آخر؟

ج: ذهب بعض أهل العلم: إلى أنهم هم أنفسهم، فالراسخون في العلم والمؤمنون والمقيمون الصلاة.. صنف واحد.

---

(١) طب (١٠٨٤١) ومعنى أثبية: جماعة من الناس.

وقال آخرون: إن المقيمين الصلاة منهم صنف آخر.

* * *

س: إذا كانوا صنفًا واحدًا، فلماذا اختلفت ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ في الإعراب عن غيرها؟

ج: لذلك عند العلماء وجوه:

أول هذه الوجوه - وآراه ضعيفًا -: أن الكاتب أخطأ، فلما قيل له: اكتب، قال: وماذا أكتب، قيل: اكتب: والمقيمين الصلاة، فكتب ما قيل له.

ووجه ضعف هذا القول أن اللَّه سبحانه قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

الثاني: أن ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ**﴾ نُصبت على المدح.

قال الطبري - رحمه اللَّه:

وقال آخرون، وهو قول بعض نحويي الكوفة والبصرة: ﴿**والمقيمون الصلاة**﴾، من صفة «الراسخين في العلم»، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين «الراسخين في العلم»، ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ**﴾ ما اعترض من الكلام فطال، نصب «المقيمين» على وجه المدح.

قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانًا، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بالأبيات التي

ذكرتها في قوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قلت: أما سائر الوجوه فمبناها على أن ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ من صفة غير الراسخين في العلم في هذا الموضع، وإن كان الراسخون في العلم من المقيمين الصلاة.

قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون «المقيمين» في موضع خفض، نسقًا على «ما» التي في قوله: ﴿**بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾، وأن يوجه معنى: «المقيمين الصلاة» إلى الملائكة.

فيكون تأويل الكلام: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يا محمد من الكتاب: ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة. ثم يرجع إلى صفة: «الراسخين في العلم»، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون باللَّه واليوم الآخر.

قلت: وهذا أيضًا وجه إيضاح آخر:

القول الأول: أن ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ منصوب على المدح كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

القول الثاني: أن ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ معطوف على: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة.

أو ويؤمنون بإقامة الصلاة، وأنها فرض، والأول أولى.

❊ ❊ ❊

س: اذكر صحابيًّا كان يهوديًّا فأسلم، وكان من الراسخين في العلم، واذكر بعض فضائله.

ج: هذا الصحابي هو عبد اللَّه بن سلام رضي الله عنه، وهذه بعض فضائله:

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد اللَّه بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ**﴾ [الأحقاف: ١٠]، الآية، قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث.

● وأخرج ابن حبان[2] بإسناد حسن من طريق أبي إدريس الخولاني عن يزيد بن عميرة أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، قال: أجلسوني ثم قال: إن العلم والإيمان مظانهما من التمسهما وجدهما ـ أو العلم والإيمان مكانهما من التمسهما وجدهما ـ فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد اللَّه بن مسعود، وعند عبد اللَّه بن سلام الذي كان يهوديًا فأسلم؛ فإني سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنه عاشر عشرة في الجنة**».

ولمزيد من فضائله انظر كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

---

(١) البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

(٢) ابن حبان (موارد ٢٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٧٠)، والنسائي في «الفضائل» (١٤٩)، والترمذي (٢٨٠٤).

س: وضح المراد بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾؟

ج: أما قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فهم المصدقون بوحدانية اللَّه وألوهيته، والمصدقون بالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب.

* * *

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ
عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ
بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا
بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ
وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ
إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ
مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا
لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ

ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن
يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا
مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى
رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ
قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ
أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً
رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ
أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(أوحينا إليك ـ الأسباط ـ زبُورًا ـ تكليمًا ـ أنزله بعلمه ـ لا تغلوا ـ كلمته ـ روح منه ـ لا تقولوا ثلاثة ـ سبحانه ـ يستنكف ـ فيوفيهم أجورهم ـ عذابًا أليمًا ـ برهان ـ اعتصموا ـ صراطًا مستقيمًا ـ يستفتونك ـ أن تضلوا).

ج:

الكلمة	معناها
أوحينا إليك	أرسلنا إليك بالنبوة، والوحي الإعلام في خفاء، وأحيانًا يُطلق الوحي على الإعلام بصفة عامة.
الأسباط	هم أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر[1].
زبوراً	الزبور: هو الكتاب الذي أنزله اللَّه على داود عليه السلام.
تكليمًا	خطابًا ـ مشافهة.
أنزله بعلمه	علمه بما فيه ـ علمه بأنك أهل لنزوله عليك ـ علمه بأنك خيرته من خلقه ـ بالعلم الذي يريد أن يطَّلع عليه خلقه.
لا تغلوا	لا تتجاوزوا الحد ـ لا تتجاوزوا الحق إلى الباطل.
كلمته	كلمة (كُن) الذي خُلق بها عيسى كما قال تعالى: ﴿إنَّ مثل عيسى عند اللَّهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ من ترابٍ ثُمّ قالَ له كُنْ فيكون﴾. بشارة اللَّه لمريم.
روح منه	للعلماء في ذلك أقوال، أحدها: نفخةٌ منه، كما قال تعالى: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾، ثانيها: حياةٌ منه، ثالثها: أن الروح: جبريل ألقى الكلمة إلى مريم بإذن اللَّه، رابعها: روح من عنده.
لا تقولوا ثلاثة	لا تقولوا الأرباب ثلاثة.
سبحانه	تعالى وتعظم وتنزه عن أن يكون له ولد.

(١) وقد تقدم لهم ذكر في تفسير سورة البقرة.

يستنكف	يأنف ويستكبر ـ يتعالى ويتعاظم.
فيوفيهم أجورهم	يعطيهم أجورهم على أعمالهم وافيةً كاملة.
عذابًا أليمًا	عذابًا مؤلمًا مُوجعًا.
برهان	بينة ـ وحجة تبين لكم وتبرهن لكم.
اعتصموا	تمسكوا.
صراطًا مستقيمًا	طريقًا واضحًا موصلاً إلى الجنة، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف.
يستفتونك	يسألونك أن تفتيهم.
أن تضلوا	كي لا تضلوا ـ لئلا تضلوا ـ لئلا تجوروا عن الحق في ذلك وتخطئوا الحكم فيه؛ فتضلوا عن قصد السبيل.

* * *

س: كيف كان الوحي يأتي رسول اللَّه ﷺ؟

ج: أغلب الصور التي كان الوحي يأتي النبي ﷺ بها تتمثل فيما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثلَ صلصلة الجرس، وهوَ أشَدُّهُ علي؛ فَيُفْصَمُ عنِّي وقد وَعَيْتُ عَنْهُ ما قالَ، وأحيانًا يَتَمَثَّلُ لي الملكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُني فأعي ما يقول**». قالت عائشةُ رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البردِ فَيَفْصِم عنه وإن جَبِينَهُ لَيتفصَّدُ عَرَقًا.

(١) البخاري (حديث ٢)، ومسلم (حديث ٢٣٣٣).

وهناك صور أخرى لمجيء الوحي أوردها الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فقال: (كما في فتح الباري)[١] : وأورد على ما اقتضاه الحديث ـ وهو أن الوحي منحصر في الحالتين ـ حالات أخرى: إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل، والنفث في الروع، والإلهام، والرؤيا الصالحة، والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة. وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سدَّ الأفق.

والجواب منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب، أو حمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما، فقد ثبت عن عائشة أنه لم يره كذلك إلا مرتين، أو لم يأته في تلك الحالة بوحي أو أتاه به فكان على مثل صلصلة الجرس، فإنه بين بها صفة الوحي لا صفة حامله.

وأما فنون الوحي فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين ـ كما في حديث عمر ـ يسمع عنده كدوي النحل، والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه، وأما النفث في الروع فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ في روعه.

وأما الإلهام: فلم يقع السؤال عنه، لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل، وكذا التكليم ليلة الإسراء.

---

(١) «الفتح» (جـ ١/ ص ١٩ ـ ٢٠).

وأما الرؤية الصالحة فقال ابن بطال: لا ترد، لأن السؤال وقع عما ينفرد به عن الناس، لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره اهـ.

والرؤيا الصادقة وإن كانت جزءًا من النبوة فهي باعتبار صدقها لا غير، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبيًا وليس كذلك، ويحتمل أن يكون السؤال وقع عما في اليقظة، أو لكون حال المنام لا يخفى على السائل فاقتصر على ما يخفى عليه، أو كان ظهور ذلك له ﷺ في المنام أيضًا على الوجهين المذكورين لا غير، قاله الكرماني، وفيه نظر.

وقد ذكر الحليمي: أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعًا ـ فذكرها ـ وغالبها من صفات حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر، وحديث و«**أن روح القدس نفث في روعي**».

❊ ❊ ❊

س: لماذا نصبت «رسلاً» مع كونها معطوفة على مجرور بإلى؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: لأنها في معنى النصب، فمعنى الكلام: إنا أرسلناك رسولاً كما أرسلنا نوحًا والنبيين من بعده، وكما أرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك فعُطفت الرسل على المعنى دون اللفظ.

الثاني: أن يكون المعنى: وقصصنا رسلاً عليك، كما قال تعالى: ﴿**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الإنسان: ٣١]. أي: وأعد للظالمين عذابًا أليمًا، فتكون الواو متعلقة بالفعل، و«أعد». وفي الآية التي نحن بصددها تكون متعلقة بالفعل (وقصصنا)، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: اذكر أسماء الأنبياء الذين سماهم اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه:

وهذه تسمية الأنبياء الذين نص على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ.

قلت (مصطفى): وهناك من فيهم خلاف كالخضر، وتُبَّع، والأسباط، واللَّه أعلم.

* * *

س: كم عدد المرسلين؟

ج: ورد في ذلك حديث بإسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، أنبيٌّ كان آدم؟ قال: «**نعم، معلم مكلم**». قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»، قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عشرة قرون**». قال: يا رسول اللَّه، كم كانت الرسل؟ قال: «**ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»(١).

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (حديث ٤٤٠) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، وغيرهم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت: وفي رواية الطبراني (ثلاثمائة وثلاثة عشر).

س: المعتزلة ينكرون تكليم اللَّه لموسى عليه السلام ويُحرِّفون قوله: ﴿وكَلَّم﴾ إلى (وكَلَم) فهل من دليل آخر يدفع قولهم؟

ج: نعم، هناك أدلة أخرى تدفع قولهم وترده، ومن ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**ولَمَّا جاءَ مُوسَىٰ لِميقاتِنا وكلَّمهُ ربُّهُ قالَ ربِّ أرِني أنظُرْ إليْكَ قالَ لَن تَرانِي ولَكِنِ انظُرْ إلَى الْجَبَلِ..**﴾ [الأعراف: ١٤٣].
- وقوله تعالى: ﴿**يا مُوسَىٰ إنِّي اصْطَفَيْتُكَ علَى النَّاسِ برِسالاتِي وبِكلامِي**﴾ [الأعراف: ١٤٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ﴾ مبشرين بماذا، ومنذرين ماذا؟

ج: مبشرين بثواب اللَّه لمن أطاعه واتبع أمره وصدَّق رسله، ومنذرين عقاب اللَّه لمن عصاه، وخالف أمره وكذَّب رسله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**لئلاَّ يكُونَ للنَّاسِ علَى اللَّهِ حُجَّةٌ بعْدَ الرُّسُلِ**﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

﴿**لئلاَّ يكُونَ للنَّاسِ علَى اللَّهِ حُجَّةٌ بعْدَ الرُّسُلِ**﴾ يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين، لئلا يحتجَّ من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردتُّ عقابه: ﴿**لولا أرْسَلْتَ إلَيْنا رسُولاً فنتَّبِعَ آياتِكَ مِن قبْلِ أن نَّذِلَّ ونَخْزَىٰ**﴾ [طه: ١٣٤]، فقطع حجة كل مبطل ألحدَ

في توحيده وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذارًا منه بذلك إليهم، لتكون للَّه الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الأدلة على العذر بالجهل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].
- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].
- قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨، ٩].
- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].
- قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].
- وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].
- قول الحواريين لعيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢].

• قول أصحاب موسى لموسى عليه السلام: ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** .. ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

والأدلة في هذا الباب كثيرة متعددة، ومن السنة أيضًا:

• ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال رجلٌ لم يعمل خيرًا قط: إذا مات فحرِّقوه واذروا نصفَه في البر ونصفَه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذِّبنَّه عذابًا لا يعذِّبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البرَّ فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلتَ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلمُ؛ فَغَفَر له**».

• وما أخرجاه[٢] أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر رجلاً فيمن سلف ـ أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمةً، يعني أعطاه الله مالاً وولدًا فلما حضرت الوفاةُ قال لبنيه: أيَّ أبٍ كُنت لكم؟ قالوا: خيرَ أب، قال: فإنه لم يَبْتَئِر[٣] ـ أو لم يبتئز ـ عند الله خيرًا، وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا متُّ فأحرِقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقُوني ـ أو قال: فاسحكوني ـ فإذا كان يومُ ريحٍ عاصفٍ فأَذْروني فيها.

فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: «**فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي ففعلوا ثم أذرَوه في يومٍ عاصفٍ فقال الله عز وجل: كُنْ فإذا هو رجل قائمٌ، قال الله: أي عبدي، ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك ـ أو فرقٌ منك ـ**

(١) البخاري (حديث ٧٥٠٦)، ومسلم (حديث ٢٧٥٦).

(٢) البخاري (حديث ٧٥٠٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٣) لم يبتئر: لم يدخر.

قال: فما تلافاهُ أن رَحمَهُ عندها»، وقال مرة أخرى: «فما تلافاه غيرُها».

والأدلة في هذا الباب متعددة جداً.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ تسلية لرسول اللَّه ﷺ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن هؤلاء المكذبين الذين كذبوك فيما أرسلت به وجئت به، فإنهم وإن كذبوك فإن ربك يُصدقك ويعلم فضلك وكذلك الملائكة تشهد لك بالفضل أيضًا، وكفى بربك شاهدًا على صدقك دون ما سواه من خلقه، فإن اللَّه سبحانه إذا شهد لك بالصدق لم يضرك تكذيب من سواه.

ونحو هذا النوع من تطييب الخواطر، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا..**﴾ [الإسراء: ١٠٧] الآية.

* * *

س: اللَّه سبحانه وتعالى يدافع عن نبيه ﷺ ويبين صدقه وصحة ما أنزله عليه، اذكر بعض المواطن من كتاب اللَّه في هذا الصدد.

ج: من ذلك قوله تعالى: وقسمة بالقرآن: ﴿**يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [يس: ١ - ٤].

- وقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٤٣].

• وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

• وقوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٢ - ٤].

• ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

• وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

• وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣].

• وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ..﴾ [النساء: ١٧٠].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا لا يكاد الحصر يأتي عليها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وظلموا﴾ ظلموا مَن؟

ج: ظلموا أنفسهم بكفرهم وجحدهم، وظلموا غيرهم بصدهم عن سبيل اللَّه، وظلموا محمدًا بكتمانهم نبوته وكتمانهم صفته الموجودة عندهم في كتبهم.

* * *

س: الكافر الظالم إذا تاب هل يقبل اللَّه توبته؟

ج: نعم، يقبل اللَّه توبته، إذ اللَّه قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى:٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

* * *

س: إذن كيف قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لأنهم ماتوا على الكفر والظلم.

ووجه آخر: ما داموا قائمين على شركهم، وكفرهم، وظلمهم.

* * *

س: ما المراد بالطريق في قوله تعالى: ﴿وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾؟

ج: المراد طريق الإسلام والهداية والإيمان.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ راجع إلى ماذا؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه راجع إلى التخليد في النار، كما قال الطبري ـ رحمه الله ـ فقد قال: وكان تخليدُ هؤلاء الذي وصفت لكم صفتهم في جهنم، على الله يسيرًا، لأنه لا يقدر من أراد ذلك به على الامتناع منه، ولا له أحد يمنعه منه، ولا يستصعب عليه ما أراد فعله به من ذلك، وكان ذلك على الله يسيرًا؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمرُهُ.

* * *

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ..﴾؟

ج: وجه ذلك ـ واللَّه أعلم: أن كفرهم لن يضر اللَّه شيئًا، ولن يُنقص من ملك اللَّه ولا من سلطانه شيئًا، وكذلك كما في الحديث القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**»(١).

* * *

س: ما وجه غلو النصارى في عيسى عليه السلام؟

ج: غلوهم فيه هو مبالغتهم في الإطراء والثناء عليه، حتى جعلوه ربًا.

* * *

س: وضح أصل اشتقاق المسيح.

ج: المسيح: هو الممسوح، قال بعض أهل العلم: سماه اللَّه لذلك لتطهيره من الذنوب، وقيل: مُسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه.

* * *

س: لماذا أُطلق على الدجال: مسيح؟

ج: أطلق على الدجال: مسيح لأنه ممسوح العين كما ورد في الحديث.

---

(١) الحديث، وقد تقدم بلفظه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

ج: اللهم - والله تعالى أعلم: ما المسيح - أيها الغالون في دينهم المتجاوزون للحد - بابن لله كما تزعمون، ولكنه عيسى ابن مريم، أمه هي مريم، ليس له نسب غير ذلك.

* * *

س: المعهود في كتاب الله عز وجل أن أسماء النساء لا تُذكر، فلماذا ذكرت مريم عليها السلام؟

ج: ذلك - والله أعلم - لأن عيسى عليه السلام كان منسوبًا لوالدته فكيف يكون إلهًا؟

وشيء آخر ذكره القرطبي - رحمه الله - قال - رحمه الله:

لم يذكر الله عز وجل المرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران؛ فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعًا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ؛ فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملأ، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك؛ فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها؛ فلما قالت النصارى في مريم ما قالت، وفي ابنها صرح الله باسمها، ولم يكنِّ عنها بالأمومة والعبودية التي هي صفة لها؛ وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها.

الثالثة: اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب، فإذا تكرر اسمه منسوبًا للأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده في نفي الأب عنه،

وتنزيه الأمم الظاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله.. والله أعلم..

❋ ❋ ❋

س: لماذا أضيفت الروح إلى الله في قوله: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾؟

ج: الإضافة هنا إضافة تشريف كقوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٧٣] فهذا تشريف للهذه الناقة..

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨] فتشريف للمساجد أيضًا، ومنه: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]..

❋ ❋ ❋

س: ما مرادهم بقولهم ثلاثة؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

﴿ وَلَا تَقُولُوا ﴾ آلهة ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ عن الزجاج.. قال ابن عباس: يريد بالتثليث الله تعالى وصاحبته وابنه.. وقال الفراء وأبو عبيد: أي: لا تقولوا هم ثلاثة، كقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾ [الكهف: ٢٢] قال أبو علي: التقدير ولا تقولوا هو ثالث ثلاثة، فحذف المبتدأ والمضاف..

والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون: إن الله جوهر واحد وإله ثلاثة أقانيم، فجعلوا كل أقنوم إلهًا ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالآب والابن وروح القدس، فيعنون بالآب الوجود وبالروح الحياة وبالابن المسيح، ففي كلام لهم فيه تخبط بينه في أصول الدين..

❋ ❋ ❋

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ج: في معنى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ كم قدر هذه الزيادة؟

ج: هذه الزيادة لا يعلم قدرها إلا اللَّه سبحانه وتعالى، وقد ورد في كتاب اللَّه عز وجل أن الحسنة بعشر أمثالها كما قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وجاء أيضًا أن من الحسنات من يتضاعف إلى سبعمائة قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وورد في الحديث كذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى: «**يُربي التمرة من الكسب الطيب حتى تكون يوم القيامة كالجبل العظيم**»(١) واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما المراد بالبرهان في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وما المراد بالنور المبين؟

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٤٣٠)، ومسلم (حديث ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من تصدَّق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيب ـ ولا يقبل اللَّه إلا الطيب ـ فإن اللَّه يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فُلُوَّه حتى تكون مثل الجبل».

ج: قال بعض أهل العلم: إن البرهان هو محمد ﷺ، والمعجزات التي أيده اللَّه بها، وأما النور فهو القرآن الذي أنزله اللَّه على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

* * *

س: الضمير في قوله: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ راجع إلى ما ذا؟

ج: راجع ـ واللَّه أعلم ـ إلى القرآن.

* * *

س: اذكر تعريف الكلالة.

ج: تقدم الكلام على الكلالة في صدر هذه السورة الكريمة.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه: فسرها أكثر العلماء: بمن يموت وليس له ولد ولا والد، قال: ومن الناس من يقول من لا ولد له.

* * *

س: ما المراد بالولد في قوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ وما المراد بالأخت هنا؟

ج: المراد بالولد: أي ولدٍ كان ذكرًا كان أو أنثى.

ومن أهل العلم من قال: إن المراد بالولد هنا الولد الذكر، ونقله السمعاني عن أكثر العلماء[1].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٣٤) عن الأسود بن يزيد قال: أتانا معاذ بن جبل باليمن مُعلمًا وأميرًا فسألناه عن رجل تُوُفي وترك ابنته وأخته فأعطى الابنة النصف، والأخت النصف. =

• أما المراد بالأخت فهي الأخت الشقيقة (أي: أخت الميت لأمه وأبيه) أو الأخت لأب أيضًا.

* * *

س: ما الفرق بين الكلالة في هذه الآية، والكلالة التي تقدم ذكرها في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ.. ﴾؟

ج: أما الكلالة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فهي متعلقة بالإخوة والأخوات الأشقاء، أو الإخوة والأخوات لأب.

أما الكلالة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾، فهي متعلقة بالإخوة والأخوات لأم.

* * *

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، فقد أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مَرِضتُ فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ يعودانِي ماشيان - فأغمي عليَّ؛ فتوضأ ثمَّ صبَّ عليَّ من وضوئه، فأفقتُ. قلتُ: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يردَّ عليَّ شيئًا، حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

• وعند البخاري (٦٧٣٦) أن ابن مسعود قضى في ابنة وابنة ابن وأخت أن للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت، ورفع هذا إلى رسول الله ﷺ.

(١) مسلم (حديث ١٦١٦).

س: هل صحَّ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أن هذه الآية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ هي آخر ما نزل من القرآن؟

ج: نعم، قد صحَّ ذلك من البراء بن عازب رضي الله عنهما فقد أخرج البخاري[1] عنه أنه قال: «آخر سورة نزلت: براءة، وآخر آية نزلت: يستفتونك». وقد قدمنا مزيداً في سورة البقرة[2].

* * *

س: لماذا سميت آية الكلالة هذه بآية الصيف؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لكونها نزلت في الصيف، كما قاله القرطبي وغير واحد من المفسرين.

وأخرج مسلم[3] في «صحيحه» من حديث معدان بن أبي طلحة، أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أَدَعُ بعدي شيئًا أهم عندي من الكلالة. ما راجعتُ رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعنَ بإصبعه في صدري، وقال: «يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟»، وإني إن أعِش أقضِ فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن.

* * *

(١) البخاري (حديث ٥ - ٤٦).

(٢) فقد ورد أيضًا أن آخر آية نزلت آيات الربا التي في ختامها: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾.

(٣) مسلم (حديث ١٦١٧).

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ واللَّه أعلم: يتمثل في أنه إجابة للمتشكك، فإذا شك شاكٌّ في قسمة الميراث، وقال: لماذا أعطى اللَّه فلانًا كذا وأعطى فلانًا كذا، ولماذا قسم بطريقة كذا وكذا.

فجوابه: أن اللَّه بكل شيء عليم، وكذلك كي يطمئن المؤمن السائل عن الحكمة في ذلك، فكأن اللَّه سبحانه وتعالى يقول لهم: إن اللَّه عليم بمصالح عباده في قسمة مواريثهم وفي جميع الأشياء، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

تم بحمد اللَّه «تفسير سورة النساء» في سؤال وجواب

وما كان في ذلك من صواب فمن اللَّه وحده، فله الحمد والشكر وله الثناء الحسن، وما كان من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان، وأعوذ باللَّه من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث.

٣ ـ فهرس الموضوعات.

• فهرس الآيات •

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
اهدنا الصراط المستقيم	٦	١١٣٩
البقرة		
وإذا خلوا إلى شياطينهم	١٤	١٨٩
ويمدهم في طغيانهم يعمهون	١٥	٢٨٨ هامش
فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله	٢٠٠	٣٥٧
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	٢٦	٦٠
فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم	٥٤	٣٧٨
ادخلوا الباب سجداً	٥٨	٦٣
فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم	٥٩	٦٣
وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور	٦٣	٣٨٠
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت	٦٥	٧١
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	٧٩	٤٠٠
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق	٨٩	٣٨١
أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم	١٠٠	٣٨١
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق	١٠١	٣٨١
ود كثير من أهل الكتاب	١٠٩	٦١
لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى	١١١	٧٦
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	١٤٦	٧
يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة	١٥٣	١٤٧
إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا	١٦٠	٣٦٠
قل آمنا بالله وما أنزل علينا	١٦٣	٣٧٣
والموفون بعهدهم إذا عاهدوا	١٧٧	٤٠٣
فمن كان منكم مريضاً أو على سفر	١٨٤	١٩٨، ٢٤٥
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله	١٨٥	٢٥٧
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم	١٨٧	٢١٩
والله لا يحب الفساد	٢٠٥	٩٥
والله يعلم المفسد من المصلح	٢٢٠	٧٩
فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً	٢٣٩	٢٤٢
ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل	٢٤٦	١١٧
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	٢٦١	٢٠، ٤٢٢

يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم	٢٦٤	١٥
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون	٢٦٧	٢٧
وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله	٢٧٢	٢٩٤
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	٢٨٥	٣٧٣
آل عمران		
لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات	٢٤	٧٦
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء	٢٨	٣٤٤
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	٣١	١٠٣
ودت طائفة من أهل الكتاب	٦٩	٦١
يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل	٧١	٣٩٩
وقالت طائفة من أهل الكتاب	٧٢	٣٩٩
ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك	٧٦	٤٠٠
وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب	٧٨	٦٣
ولكن كونوا ربانيين	٧٩	١٥٢
ومن يبتغ غير الإسلام دينًا	٨٥	٣٥٩
قل فأتوا بالتوراة فاتلوها	٩٣	٦٥
ودوا ما عنتم	١١٨	٦١
وإن تصبروا وتتقوا	١٢٠	١٤٧
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم	١٣٣	٢٥٩
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	١٣٥	٢٨٣
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب	١٥١	١٤٣
قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل	١٥٤	١٣٥
إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان	١٥٥	١٤٠، ١٤٣
أو لما أصابتكم مصيبة	١٦٥	١٣٩
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله	١٨٠	٩، ١١
الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم	١٩١	٢٥٦
النساء		
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى	٣	٣١٥
فإن آنستم منهم رشدًا	٦	٩٥
يوصيكم الله في أولادكم	١١	٣١٥
وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة	١٢	٤٢٤
وليست التوبة للذين يعملون السيئات	١٨	٣٨٨
والله يريد أن يتوب عليكم	٢٧	٢٠٩
ولا تقتلوا أنفسكم	٢٩	٥٧
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	٣١	٣٠٨
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٣٧	٥، ٨، ٩، ١٤، ١٥
والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس	٣٨	٩، ١٤، ١٥، ١٦
لو آمنوا بالله واليوم الآخر	٣٩	١٧

إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة	٤٠	١٨، ١٩
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	٤١	٢١
يود الذين كفروا وعصوا الرسول	٤٢	٢١، ٢٤، ٢٥
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى	٤٣	٢٦، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٦
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب		
واللَّه أعلم بأعدائكم	٤٤	٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه	٤٥	٦١، ٦٢
مصدقًا لما معكم	٤٦	٦٢، ٦٣، ٦٨، ٦٩
إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به	٤٧	٦٩
ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم	٤٨	٧٣، ٢٠٨، ٢١٠، ٣٤٢
وكفى به إثمًا مبينًا	٤٩	٧٦، ٧٩
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب	٥٠	٧٩، ٨٠
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا	٥١	٨٠، ٨١، ٣٠٧
فلن تجد له نصيرًا	٥٢	٨٠، ٣٠٧
أم لهم نصيب من الملك	٥٣	٨٢
أم يحسدون الناس	٥٤	٨٤، ٨٥، ٨٦
فمنهم من آمن به	٥٥	٨٦
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها	٥٦	٨٦
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات	٥٧	٨٨
إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	٥٨	٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠١
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول	٥٩	١٠١، ١٠٣، ١٠٤
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	٦٠	١٠٧
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللَّه	٦١	١٠٧
إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا	٦٢	١٠٨
وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا	٦٣	١٠٩
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللَّه	٦٤	١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١١١
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم	٦٥	١٠٠، ١١٢
ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم	٦٦	١١٦، ١١٧
وإذًا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا	٦٧	١١٨، ١٤١
ولهديناهم صراطًا مستقيمًا	٦٨	١١٨، ١٤١
ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك	٦٩	١١٨، ١٢٠
ذلك الفضل من اللَّه	٧٠	١١٩
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم	٧١	١٢١، ١٢٢، ١٦٠، ١٦١
وإن منكم لمن ليبطئن	٧٢	١٢٣
وما لكم لا تقاتلون في سبيل اللَّه والمستضعفين	٧٥	١٢٧، ١٢٨، ١٣٠
ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم	٧٧	١١٧، ١٣١، ١٣٤
أينما تكونوا يدرككم الموت	٧٨	١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩
ما أصابك من حسنة فمن اللَّه	٧٩	١٣٧، ١٣٨، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٤

من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه	٨٠	١٠٣، ١٤٥
ويقولون طاعة	٨١	١٤٥، ١٤٦
أفلا يتدبرون القرآن	٨٢	١٥١، ١٥٢
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف	٨٣	١٠٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢
فقاتل في سبيل اللَّه لا تكلف إلا نفسك	٨٤	١٦٢، ١٦٣، ١٦٤
من يشفع شفاعة حسنة	٨٥	١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧
وإذا حييتم بتحية فحيوا	٨٦	١٧٠، ١٧١
فما لكم في المنافقين فئتين	٨٨	١٤٣، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء	٨٩	٦١، ١٨٣
إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق	٩٠	١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨
ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم	٩١	١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطئًا	٩٢	١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧
ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا	٩٣	٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢١٠
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه	٩٤	١٥٥، ١٦٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨
لا يستوي القاعدون من المؤمنين	٩٥	٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥
درجات منه ومغفرة	٩٦	٢٢٢، ٢٢٣
إن الذين توفاهم الملائكة	٩٧	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤
فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم	٩٩	٢٢٧، ٢٢٨
ومن يهاجر في سبيل اللَّه	١٠٠	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح	١٠١	٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣
وإذا كنت فيهم	١٠٢	٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥
فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا اللَّه	١٠٣	٢٤٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨
إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون	١٠٤	٢٧٤
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس	١٠٥	٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢
واستغفر اللَّه إن اللَّه كان غفورًا رحيمًا	١٠٦	٢٨٠
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم	١٠٧	٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢
ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا	١٠٩	٢٨١
ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه	١١٠	٢٠٩، ٢٨٠، ٢٨٣
ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه على نفسه	١١١	٢٨٠، ٢٨٣
ومن يكسب خطيئة أو إثمًا	١١٢	٢٨٠، ٢٨١
ولولا فضل اللَّه عليك ورحمته	١١٣	٢٨٠، ٢٨٥
لا خير في كثير من نجواهم	١٤	٢٨٩، ٢٩٤
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى	١١٥	٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٥
إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به	١١٦	٢٨١، ٢٩٦
إن يدعون من دونه إلا إناثًا	١١٧	٢٩٧

ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام	١١٩	٢٩٩، ٣٠٨
ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب	١٢٣	٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١
ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى	١٢٤	٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٢
ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله	١٢٥	٣٠٧
ولله ما في السموات وما في الأرض	١٢٦	٣١٤
ويستفتونك في النساء	١٢٧	٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨
وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا	١٢٨	١٠٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم	١٢٩	٣٢٣، ٢٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦
وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته	١٣٠	٣٢٨، ٣٢٩
ولله ما في السموات وما في الأرض	١٣١	٣٢٩
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة	١٣٤	٣٣١
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط	١٣٥	٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله	١٣٦	٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١
إن الذين آمنوا ثم كفروا	١٣٧	٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣
فإن العزة لله جميعًا	١٣٩	٤٤
وقد نزل عليكم في الكتاب	١٤٠	٣٤٥، ٣٤٦
ألم نستحوذ عليكم	١٤١	٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى	١٤٢	٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦
مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء	١٤٣	٣٥٧، ٣٥٨
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء	١٤٤	٣٤٤، ٣٥٩
إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار	١٤٥	٣٥٩
وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا	١٤٦	٣٦١
ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم	١٤٧	٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول	١٤٨	٣٦٩، ٣٧٠
إن تبدوا خيرًا أو تخفوه	١٤٩	٣٧٠
إن الذين يكفرون بالله ورسله	١٥٠	٣٥٢، ٣٧٣
أولئك هم الكافرون حقًا	١٥١	٣٧٢
يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء	١٥٣	٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠
ادخلوا الباب سجدًا	١٥٤	٣٧٩
فبما نقضهم ميثاقهم	١٥٥	١٤٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١ ٣٨٢
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا	١٥٦	٣٨٢
إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم	١٥٧	١٩٠، ٣٨٣، ٣٨٥
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته	١٥٩	٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات	١٦٠	٣٩٦
وأخذهم الربا وقد نهوا عنه	١٦١	٤٠٠
لكن الراسخون في العلم منهم	١٦٢	٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣
رسلاً مبشرين ومنذرين	١٦٥	٤١٣، ٤١٤
لكن الله يشهد بما أنزل إليك	١٦٦	٤١٦، ٤١٧

إن الذين كفروا وظلموا لم يكن اللَّه ليغفر لهم	١٦٨	٤١٨
وكان ذلك على اللَّه يسيرًا	١٦٩	٤١٨
يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم	١٧٠	٤١٧، ٤١٩
ولا تقولوا ثلاثة	١٧١	٤٢١
ويزيدهم من فضله	١٧٣	٤٢٢
قد جاءكم برهان من ربكم	١٧٤	٤٢٢
واعتصموا به	١٧٥	٤٢٣
يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة	١٧٦	٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦
المائدة		
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان	٢	٩٥، ٢٨٢
وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم	٥	٣٩٧، ٣٩٨
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة	٦	٢٨، ٤٤، ٤٨
		٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٦
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا	٨	٩٨
ولقد أخذ اللَّه ميثاق بني إسرائيل	١٢	٣٨١
ولا تزال تطلع على خائنة منهم	١٣	٣٨١
قد جاءكم من اللَّه نور وكتاب مبين	١٥	١٤١
يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه	١٦	١٤١
نحن أبناء اللَّه وأحباؤه	١٨	٧٦
إنما جزاء الذين يحاربون اللَّه ورسوله	٣٣	١٩١
فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح	٣٩	٣٦٠
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس	٤٥	٣٦٩
فمن تصدق به فهو كفارة له	٤٥	٣٦٩
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً	٥٧	٣٤٤
قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند اللَّه	٦٠	٧١
وترى كثيرًا منهم يسارعون في الإثم	٦٢	٤٠٠
إنه من يشرك باللَّه فقد حرم اللَّه عليه الجنة	٧٢	٧٤
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة	١١٢	٤١٤
فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا	١١٥	٣٥٩
وإذ قال اللَّه يا عيسى ابن مريم	١١٦	٣٩٦
اعبدوا اللَّه ربي وربكم	١١٧	١١٠، ٣٩٦
الأنعام		
ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس	٧	٤٢، ٣٧٦
ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا	٢٣	٢٢، ٢٣، ٢٤
يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا	٢٧	٢٤
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا	٦٨	٣٤٥، ٣٤٦
ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون	٨٨	٧٤
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم	١١٠	١٤٣

وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا	١١٥	٦٦
ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم	١٣١	٤١٤
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر	١٤٦	٣٩٦، ٣٩٧
قل فللَّه الحجة البالغة	١٤٩	١٨١
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم	١٥١	٧٤
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	١٦٠	٢٠
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه	١٦٢	٢٩٥
لا شريك له وبذلك أمرت	١٦٣	٢٩٥

الأعراف

ولكل أمة أجل	٣٤	١٣٥
الحمد للَّه الذي هدانا لهذا	٤٣	١٨١
هذه ناقة اللَّه	٧٣	٤٢١
وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه	١٣١	١٣٦
اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة	١٣٨	٤١٥
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه	١٤٣	٤١٣
يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي	١٤٤	٤١٣
إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء	١٥٥	١٨٣
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي	١٥٧	٧
واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر	١٦٣	٧١
فلما عتوا عما نهوا عنه	١٦٦	٧١
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق	١٨١	٩٨

الأنفال

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا	١٥	١٢١
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه ورسوله	٢٠	١٠٢
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا	٢١	١٠٢
وتخونوا أماناتكم	٢٧	٩٤
وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون	٣٣	٣٦٢
إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل اللَّه	٣٦	٦٠
قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم	٣٨	٧٣
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا	٤٥	٢٥٥
فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه	٤٨	٣٠٢
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٦٠	١٢١
الآن خفف اللَّه عنكم	٦٦	١٢١

التوبة

فإذا انسلخ الأشهر الحرم	٥	١٨٧
والذين يكنزون الذهب والفضة	٣٤	١٠
يوم يحمى عليها في نار جهنم	٣٥	١٠

لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا	٤٧	١٢٢، ٣٤٩
ومنهم من عاهد الله	٧٥	١٤٤
فلما أتاهم من فضله	٧٦	١٤٤
فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم	٧٧	١٤٤
الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا	٩٧	٣٤٧
وممن حولكم من الأعراب منافقون	١٠١	١٨٣
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين	١١٣	٤١٤
وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم	١١٥	٢٤٧
ما كان لأهل المدينة ومن حولهم	١٢٠	٢٢٣
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة	١٢١	٢٢٣
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم	١٢٧	١٤٣، ٢٨٨ هامش
يونس		
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض	٩٩	١٨١
وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله	١٠٠	١٨١
هود		
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها	١٥	٣٣١
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار	١٦	٣٣١
ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٣٤	١٨٢
وما ظلمونا ولكن ظلموا أنفسهم	١٠١	١٣٩
يوسف		
نحن نقص عليك أحسن القصص	٣	٢٨٥
وإلا تصرف عني كيدهن	٣٣	٢٨٥
إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون	٨٧	٢٠٩
الرعد		
والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم	٢٢	٢٩٤
أفلم ييأس الذين آمنوا	٣١	١٨٢
ومن يضلل الله فما له من هاد	٣٣	١٨٢
إبراهيم		
إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا	٨	٣٢٩
وقال الشيطان لما قضي الأمر	٢٢	٣٠٢
فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء	٤٠	١٨٢
الحجر		
يا أيها الذي نزل عليه الذكر	٦	٣٨٣
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون	٥٦	٣٤٣
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك	٩٧	١٤٧
فسبح بحمد ربك	٩٨	١٤٧

النحل

ما كنا نعمل من سوء	٢٨	٢٤
يوم ظعنكم ويوم إقامتكم	٨٠	٢٤٥
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	٣٦٩

الإسراء

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً	١٥	٤١٤
ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا	٣٣	١٤٧
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	٣٩	١٠
وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون	٥٩	٣٧٦
ولولا أن ثبتناك	٧٤	٢٨٥
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا	٩٠	٣٧٥
أو تكون لك جنة من نخيل	٩١	٣٧٥
أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا	٩٢	٣٧٥
أو يكون لك بيت من زخرف	٩٣	٣٧٥
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات	١٠١	٣٧٨
قل آمنوا به أو لا تؤمنوا	١٠٧	٤١٦

الكهف

وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً	٨	٢٨ هامش
ومن يضلل الله فلن تجد له وليًا مرشداً	١٧	١٨٢
سيقولون ثلاثة	٢٢	٤٢١
فتصبح صعيداً زلقًا	٤٠	٢٧، ٢٨ هامش
ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب	٤٩	١٨

مريم

فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة	٥٩	٢٥٨

طه

فلا تسمع لهم همسًا	١٠٨	٢٤
ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله	١٣٤	٤١٤
لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك	١٣٤	٤١٣

الأنبياء

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد	٣٤	٢٠٨
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة	٤٧	١٨

الحج

وطهر بيتي للطائفين والقائمين	٢٦	٤٢١
ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء	٣١	٧٤
لهدمت صوامع وبيع	٤٠	٣٤
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به	٦٠	٩٥، ١٤٧، ٣٦٩

المؤمنون

قد أفلح المؤمنون	١	٣٩١، ٣٩٢

النور

والذين يرمون المحصنات	٤	٣٦٠-
يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم	٢٤	٣٣
يهدي الله لنوره من يشاء	٣٥	١٨٣، ٣٣
والله يهدي من يشاء	٤٦	١٨٣، ٣٣
وإذا دعوا إلى الله ورسوله...	٤٨	٣-١١
وإن تطيعوه تهتدوا	٥٤	٣٣-١١، ٣٤١١
فليحذر الذين يخالفون عن أمره	٦٣	٣٣-١١، ٣٤٣١

الفرقان

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا	٦٣	٣٩٢
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا	٦٧	١١-
والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر	٦٨	٣٣، ٣٤-٣، ٣٨-
يضاعف له العذاب يوم القيامة	٦٩	١-٣، ٣٣-٣، ٣٩-٣، ٣١١١
إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا	٧٠	٣٣، ٣١٨
ومن تاب وعمل صالحًا	٧١	٣٦٠-
وإذا مروا باللغو مروا كرامًا	٧٢	٣٩٢
قل ما يعبأ بكم ربي	٧٧	٣٦٢

الشعراء

فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم	٦٣	٣٧٧
كذبت عاد المرسلين	١٢٣	٣٧٤، ٣٨٢
فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة	١٨٩	٨٨

النمل

اطيرنا بك وبمن معك	٤٧	١٣٦
إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة	٩١	١٣٣

القصص

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	٥٥	٢٩٢
إنك لا تهدي من أحببت	٥٦	١٨١

العنكبوت

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم	٧	٣-٧
يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة	٥٦	٢٢٨
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩	١٤١

الروم

فطرت الله التي فطر الناس عليها	٣٠	٢٩٩
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم	٣٦	١٣٩

وما آتيتم من زكاة تريدون وجه اللَّه	٣٩	٢٩٤
ظهر الفساد في البر والبحر	٤١	١٣٩
لقمان		
إن الشرك لظلم عظيم	١٣	٧٤
يا بني إنها إن تك مثقال ذرة	١٦	١٨
السجدة		
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	١٣	١٨١
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار	٢٠	٨٧
بل هو الحق من ربك	٣٠	٤١٧
الأحزاب		
وتوكل على اللَّه وكفى باللَّه وكيلاً	٣	١٤٦
ولو دخلت عليهم من أقطارها	١٤	١٨٩
قل لن ينفعكم الفرار	١٦	١٣٥
قل من ذا الذي يعصمكم من اللَّه	١٧	١٣٥
قد يعلم اللَّه المعوقين منكم	١٨	١٢٢، ٣٤٩
يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه...	٧٠	١٤٢
إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال	٧٢	٩٤
سبأ		
وهل نجازي إلا الكفور	١٧	٣٠٨
فاطر		
لا يقضى عليهم فيموتوا	٣٦	٢٠
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر	٣٧	٤١٤
يس		
يس..	١	٤١٦
إنا تطيرنا بكم	١٨	١٣٦
اليوم نختم على أفواههم	٦٥	٢٤
ص		
إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب	٤٤	١٤١
لأملان جهنم منك وممن تبعك	٨٥	١٣٩
الزمر		
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩	١٥٢
ليكفر اللَّه عنهم أسوأ الذي عملوا	٣٥	٣١١
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم	٥٣	٢٠١، ٣٤٣، ٤١٧
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك	٦٥	٧٤، ٣١٢
غافر		
ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب	٤٦	٣٥٩

إن الذين يستكبرون عن عبادتي	٦٠	٤٢٢
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا	٧٤	٢٤
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده	٨٤	٣٩٠
فصلت		
وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه	٥	٣٦٦ هامش
خلق الأرض في يومين	٩	٢٣
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض	٩	٢٢
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا	٢١	٢٢
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه	٢٦	١٣٤
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	٣٤	١٤٧
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم	٤١	٤١٧
ولئن رجعت إلى ربي	٥٠	٣٠١
الشورى		
وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة	٢٥	٤١٨
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم	٣٠	٣١١، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٨
وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠	٩٥، ٣٦٩، ٣٦٨
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور	٤٠ ـ ٤٣	٣٦٩
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده	٤٤	١٨٢
الزخرف		
فاستمسك بالذي أوحي إليك	٤٣	٤١٦
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين	٧٦	١٣٩
الجاثية		
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	٢٤	١٨٣
الأحقاف		
وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله	١٠	٤٠٤
محمد		
والذين اهتدوا زادهم هدى	١٧	١٤٢
أفلا يتدبرون القرآن	٣٤	١٥٢
ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه	٣٨	٩
الفتح		
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات	٥	٣١١
الحجرات		
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦	١٥٥، ١٥٩، ١٦٠
ولكن الله حبب إليكم الإيمان	٧	١٣٩
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٨	٩٨
فإن بغت إحداهما على الأخرى	٩	١٩١

ق

قال قرينه ربنا ما أطغيته	٢٧	٣٠٢

الطور

فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن	٢٩	٤١٧
وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون	١٢٥	٣٢

النجم

فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى	٣٢	٧٦

القمر

وكل شيء فعلوه في الزبر	٥٢	١٨

الرحمن

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	٦٠	١٦٧، ١٦٨
فيهما فاكهة ونخل ورمان	٦٨	٢٨ هامش

الواقعة

والسابقون السابقون	١	٢٥٩
وأصحاب الشمال	٤١	٨٨

الحديد

يوم يقول المنافقون والمنافقات	١٣	٣٥٣
ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات	٢٥	١٤٨
ورهبانية ابتدعوها	٢٧	٣٩٦
يؤتكم كفلين من رحمته	٢٨	١٧٠

المجادلة

يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم	٩	٢٩١

الحشر

هو الذي أخرج الذين كفروا	٢	١٤٣
وما آتاكم الرسول فخذوه	٧	١٠٣

الصف

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٥	٢٨٨ هامش

الجمعة

انفضوا إليها	١١	٢٨٤

المنافقون

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	٨	٣٤٤

التغابن

فكفروا وتولوا	٦	٣٣٠

التحريم

وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل	٤	١٥٨
عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن	٥	١٥٨
جاهد الكفار والمنافقين	٩	١٤٦

الملك

كلما ألقي فيها فوج	٨	٤١٤

القلم

ما أنت بنعمة ربك بمجنون	٢	٤١٧
إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة	١٧	١٠

المعارج

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون	٣٢	٩٤

الجن

وأن المساجد لله	١٨	٤٢١

المدثر

بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة	٥٢	٣٧٥

الإنسان

ويطعمون الطعام على حبه	٨	٢٩٤
يدخل من يشاء في رحمته	٣١	٤١١

المرسلات

انطلقوا إلى ظل	٣٠	٨٨

النازعات

أم السماء بناها	٢٧	٢٢

الأعلى

سبح اسم ربك الأعلى	١	١٤

الليل

الذي يؤتي ماله يتزكى	١٨	٢٩٤

الزلزلة

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	٧	١٨

الهمزة

يحسب أن ماله أخلده	٣	٢٠٨

الماعون

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون	٤	٢٥٨

• فهـرس الأحاديث •

طرف الحديث	رقمه
(حرف الألف)	
ائتوني بالتوراة	٦٦
اتقوا الظلم	١١
ادعوا فلانًا	٢٢٠
اذهب فأفرغه عليك	٣٨
اذهبوا فمن وجدتم في قلبه	١٨
اجتنبوا السبع الموبقات	٢٠١
احتج المسلمون وأهل الكتاب	٣٠٦
اسق يا زبير	٩٩، ١١٢
اشفعوا تؤجروا	١٦٦، ١٦٧
افعلي ما يفعله الحاج	٣١
اقرأ عليّ	٢١
انصر أخاك	٢٨٢
أبشر إن اللَّه عز وجل	٣١٠
أتانا معاذ بن جبل	٤٢٣
أجل إني أوعك	٣٠٩
أحيانًا يأتيني مثل	٤٠٩
آخر سورة نزلت: براءة	٤٢٥
أد الأمانة إلى من ائتمنك	٩٦
أسفروا بالصبح	٢٥٩
أعطوني ردائي	١٢
أعمدت إلى أهل بيت	٢٨٠
أعني على نفسك	١٢٠
أقال: لا إله إلا اللَّه وقتلته؟	٢١٥
أقام النبي ﷺ في غزوة	٢٤٨
أقبل النبي ﷺ	٥٢
ألا أستحيي من رجل	٧٨
أن ابن مسعود قضى	٤٢٤
أن النبي ﷺ أقام بمكة	٢٤٨
أن رسول اللَّه ﷺ	٢٥٣

طرف الحديث	رقمه
أن عمر بن الخطاب خطب	٤٢٥
أن ناسًا من المسلمين	٢٢٥
أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٧٤
أنظر في ذلك	٢٧٩
أنه أتاه سائل يسأله	٢٦١
أنه كان يتوضأ	٤٢
أهلكتم أو قطعتم	٧٧
أول ما يقضى بين الناس	٢٠٢
أيما رجل من أمتي	٣١
أين السائل عن وقت الصلاة	٢٦٢
إذا اشتد الحر فأبردوا	٢٦٤
إذا التقى المسلمان بسيفيهما	٢٠٢
إذا رأيتم المداحين	٧٧
إذا سلم عليكم أهل الكتاب	١٧٣
إذا سلم عليكم اليهود والنصارى	١٧١
إذا صليتم الظهر	٢٦٦
إذا صليتم الفجر	٢٧٤
إذا قام أحدكم من الليل	٣٠
إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه	٢١٦
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان	٢٩١
إذا ما ربُّ النعم لم يعط حقها	١٢
إذا مر أحدكم في مسجدنا	٢٠٤
إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد	٣٠
إن السلام اسم من أسماء اللَّه	١٧٣
إن الشهر يكون تسعًا وعشرين	١٥٩
إن العبد ليتكلم بالكلمة	٢٩٣
إن المسلم لا ينجس	٣١
إن المقسطين عند اللَّه	٩٨
إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل	٣٤٣
إن اللَّه كره لكم قيل وقال	٢٩٢

إن اللَّه لا يظلم مؤمنًا حسنة ١٩
إن اللَّه وضع عن المسافر الصوم ٢٤٥
إن أثقل صلاة على المنافقين ٣٥٤
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك ٧٤
إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ٢٢
إن أمر عليكم عبد مجدع ١٠٤
إن أول الناس يقضى يوم القيامة ١٥، ٢٩٤
إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ٢٢١
إن حيضتك ليست في يدك ٣٣
إن من أحبكم إلي ١٢٠
إن في الجنة لشجرة ٨٧
إن في الجنة مائة درجة ٢٢٢
إنك لن تدع شيئًا ٢١٦
إنكم سترون بعدي أثرة ١٠٦
إنما التفريط على من لم يصل ٢٦٤
إنما الطاعة في المعروف ١٠٦
إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا ٥٠
إنما كان يكفيك أن تضرب ٥١، ٥٢
إنما كان يكفيك هكذا ٥٠
إنه عاشر عشرة في الجنة ٤٠٤
إنه ليس من الناس أحد أمنَّ ٧٧
إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش ١٢
إياكم والشح ٨
إني لا أحل المسجد لجنب ٣٠
إني لأرجو إن طال بي عمر ٣٩٥
إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا ١٣١
الأنبياء إخوة لعلات ٣٩٥

(حرف الباء)

بايعوني على ألا تشركوا ٢١٠
بعث رسول اللَّه ﷺ سرية ١٠٢
بلغ عائشة أن عبد اللَّه بن عمرو ٤٠
بين كل أذانين صلاة ٢٥٩

(حرف التاء)

تأخذ إحداكن ماءها وسورتها ٣٩
تأخذ ماء فتطهر ٣٩
تزوجوا الودود الولود ٣٠٠
تطعم الطعام وتقرأ السلام ١٧٣
تفاخر النصارى وأهل الإسلام ٣٠٦
تلك صلاة المنافق ٣٥٦
تناكحوا تناسلوا ٣٠٠
تناوليها فإن الحيضة ليست في اليد ٣٢

(حرف الثاء)

ثكلته أمه ٢٠٥
ثلاث للمهاجر بعد الصدر ٢٤٤
ثلاث ليال يمكثهن المهاجر بمكة ٢٤٤

(حرف الجيم)

جاء جبريل عليه السلام ﷺ ٢٦٢

(حرف الحاء)

حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ٣٥٢

(حرف الخاء)

خرجنا مع النبي ﷺ من المدينة ٢٣٥
خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ ٤٧
خلق اللَّه آدم وطوله ستون ذراعًا ١٧٥
خمس صلوات افترضهن اللَّه تعالى ٢٥٩
خيار أئمتكم الذين تحبونهم ١٠٥
خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٥٢

(حرف الدال)

دعانا النبي ﷺ فبايعناه ١٠٥

(حرف الذال)

ذُكر لنا أن المسلمين ٣٠٦
الذي تفوته صلاة العصر ٢٦٠

(حرف الراء)

رأيت رجالاً من أصحاب ٣٢
رب قني عذابك يوم تبعث عبادك ٢٥٦

(حرف السين)

سألت أنس بن مالك عن [illegible] ٣٣٣٣٧

سيأتي الناس زمان [illegible] ٣٣٠٠١١

سبعة يظلهم الله في ظله ٨٨٨٧

سكرتن أمور الله [illegible] ١١١٠٠٥

سمع الله لمن حمده ١١١٣٣٣

(حرف الشين)

شر ما في رجل شح هالع ١١١١١

شهدت مع رسول الله ﷺ ٣٣٥٥٣

(حرف الصاد)

صحبت رسول الله ﷺ ٣٣٣٣٥

صلاة تصلي الله بها عليكم ٣٣٣٣٣

صلى معنا اثنتين ٣٣٣٣١١

صلى بنا عشاء الآخرة ٣٣٣٣٣

صليت الظهر مع النبي ﷺ ٣٣٣٣١١

الصعيد الطيب طهور المؤمن ٥٥٣٣

الصلاة أول ما فرضت ركعتين ٣٣٣٣٥

الصلاة على وقتها ٣٣٥٥٨

(حرف العين)

على الذي يصلي الصبح والظهر ١١١٠٠٣

عليكم بالصدق ١١٣٥٣٣

عن عائشة أنها استعارت من أسماء ٥٥٨٧

(حرف الغين)

غزوت مع رسول الله ﷺ ٣٣٥٥١١

غزوت مع رسول الله ﷺ ٣٣٥٥٣

(حرف الفاء)

فقال لي ما قال لأبي طلحة النبي ﷺ ١١٣٥٨٧

فقاتلوا التي تبغي ٥٥١١٥٥

فقد أحسن الله ٣٣٣٣٣٣

فقد أحسن الله ٣٣٣٣٥٨

فقد أخبرني ١١١٠٠٣

فقد كنا على الناس ٣٣٣٧

فكروا الله في ١١١٣٣٣

فليتق ربه ٣٣٠٠٧

فمسح برؤوسهم وبشروا ٥٥٥٣

(حرف القاف)

قال رسول الله ﷺ ٣٣٠٠٣٣

قال رجل للنبي ﷺ ٥٥١١٥٥

قال نعم ٥٥١١٣٣

قام النبي ﷺ وقام الناس معه ٣٣٥٥٣٣

قال الله عز وجل ٣٣٠٠٣٣

قد علمت ما قالوا ١١٣٣٣٣

(حرف الكاف)

كان النبي ﷺ يذكر الله ٣٣٥٥٣٣

كان رجل في غنيمة ٣٣١١٥٥

كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن ٣٣٣٥٥

كان رسول الله ﷺ إذا كان الحر ٣٣٣٣٥٥

كانت أمي عن عذر الله ٣٣٣٣٥٧

كان فيمن قبلكم رجل قتل ٣٣٠٠٣٣

كلام الجن أنهم كانوا عليه ٣٣٣٣٣٣

كل ذنب عسى الله أن يغفره ٣٣٠٠٥٥

كل سلامى من الناس عليه صدقة ٥٥٥٨

كلكم راع وكلكم مسئول ٥٥٥٥

كلكم ضال إلا من هديته ١١١٨٣٣

كنا إذا أحللنا خلف رسول الله ٣٣٣٣٥٥

كنت عند ميمونة فأكلنا الخبز على الناس ٣٣٣٣٣

كيف أنت إذا كانت عليك أمراء ٣٣٣٣٠٠

كيف بكم إذا أنت عليكم أمراء ٣٣٣٣٠٠

(حرف اللام)

لا أحل المسجد لجنب ولا حائض ٣٣٣٥٥

لا إنظاب كفيلك أن تحتي ٥٥٠٠

لا الجلاد الذي لا أطلقه الله ٥٥٥٥

لا يتبايعوا الذهب ولا الفضة ١١١٨٣٣

لا يجمع النبي على صلاة ٣٣٥٥٣٣

لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ١١١٨٣٣

لا ترجعوا بعدي كفاراً ٢٠١
لا تزال طائفة من أمتي ٣٩٤
لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا ٢٤٠
لا تمنوا لقاء العدو ١١٧
لا هجرة بعد الفتح ٢٣٣
لا يحل لامرأة ٢٤٧
لا يحل دم امرئ مسلم ١٩٠
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه ٢٤٧
لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً ٢٠٣
لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ٢٠٤
لأعطين الراية غداً رجلاً ٧٨
لقد كان فيما قبلكم ٧٨
لما اعتزل نبي الله نساءه ١٥٦
لما أراد الله أن يرفع عيسى ٣٨٣
لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد ١٨٠
لما قدم كعب بن الأشرف مكة ٨٠
لما نزلت: ﴿ليس بأمانيكم﴾ ٣٠٦
لمَ قتلته؟ ٢٠٣
لن يزال المسلم في فسحة من دينه ٢٠٢
لو أن أولكم وإنسكم وجنكم ٤١٩
لو دخلوها ما خرجوا منها ١٠٢
لو كنت متخذاً خليلاً ٣١٣
اللهم أما قلبي فلا أملك ٣٢٥
اللهم أنج الوليد بن الوليد ١٣٠
اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ٢٢٨
اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ٤٤
اللهم إني أعوذ بك من الجبن ١٣
اللهم إني أعوذ بك من العجز ١٣
اللهم إني أعوذ بك من البخل ١٣
اللهم إني أعوذ بك من الكسل ١٢
اللهم هذا قسمي فيما أملك ٣٢٥

(حرف الميم)

ما تركت من شيء ٩
ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد ٤٠٤
مالك يا أم السائب ٣١٠
ما منعك يا فلان أن تصلي ٣٧، ٥٤
ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم ١٢٧
ما من غازية تغزو في سبيل الله ١٢٧
ما من مسلم يصيبه أذى ٣٠٩
ما من مصيبة تصيب المسلم ٣٠٩
ما من نبي يمرض إلا خير ١١٨
ما من يوم يصبح العباد فيه ١١
ما يصيب المسلم من وصب ٣٠٩
ما يبكيك يا بن الخطاب ١٥٨
مثل الجليس الصالح ٣٤٦
مثل المنافق كمثل الشاة ٣٥٧
مرضت فأتاني رسول الله ﷺ ٤٢٤
مع الذين أنعم الله عليهم ١١٨
مكث المهاجر بمكة ٢٤٤
من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ١١
من أدرك ركعة من العصر ٢٦٧
من أدرك من الصبح ركعة ٢٧٤
من أشار إلى أخيه بحديدة ٢٠٤
من أطاعني فقد أطاع الله ١٠٤
من آمن بالله وبرسوله ٢٢٤
من أنظر معسراً أو وضع عنه ٨٧
من ترك صلاة العصر ٢٦٠
من تصدق بعدل تمرة ٢٠، ٤٢٢
من تعار من الليل ٢٥٦
من جهز جيش العسرة ٧٨
من خلع يداً من طاعة ١٠٥
من دعا لأخيه المسلم ١٦٦
من رأى من أميره شيئاً يكرهه ١٠٥
من سيدكم يا بني سلمة ١٠
من شفع لأخيه فأهدى له هدية ١٦٧
من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ١٦٨

من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا ١٢٥
من مات وليس في عنقه بيعة ١٣٤
من نسي صلاة أو نام عنها ٢٥٧
من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ٢٥٧
موسى رسول اللَّه ﷺ ١٠٩
المرء مع من أحب ١٢٠

(حرف النون)

ناوليني الخمرة من المسجد ٣٢
نعم الرجل أبو بكر ٧٨
نَعم، هو في ضحضاح ٢٠

(حرف الهاء)

هذا جبريل عليه السلام جاءكم ٢٦٣
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ٣٤٧
هي المرأة تكون عند الرجل ٣١٩

(حرف الواو)

والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم ٣٩٥
والذي نفسي بيده ليوشكن ٣٨٦
واللَّه لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي ١٦٣
واللَّه لولا اللَّه ما اهتدينا ١٨٢
واللَّه ما مَسَّتْ يد رسول اللَّه ﷺ ٤٢
والمهاجر من هجر ما حرم اللَّه عليه ٢٣٣
وأي داء أدوأ من البخل ٨، ١٠
وجعلت تربتها لنا طهوراً ٢٨
وضعت لرسول اللَّه ﷺ غسلاً ٣٦
وعليك ورحمة اللَّه ١٧٢
وقت الظهر إذا زالت الشمس ٢٦٥
وقت صلاتكم بين ما رأيتم ٢٦٨
وقد اتخذ صاحبكم خليلاً ٣١٣
ولولا ضعف الضعيف ٢٦٩
ومن أصاب من ذلك شيئًا ٣١١
وهل يكب الناس ٢٩٣
ووقت صلاة الظهر ٢٦٦
ويعتزل الحيض المصلى ٣٤
ويلك، قطعت عنق صاحبك ٧٧
الوقت بين هذين الوقتين ٢٦٨

(حرف الياء)

يا أبا هريرة، جفَّ القلم ٣٠٠
يا أهل مكة، لا تقصروا الصلاة ٢٤٠
يا بن الخطاب، ألا ترضى ١٥٨
يا بن أختي، هي اليتيمة ٣١٥
يا رب، أي شيء وضعت ٣٣٦
يا عبادي، إنما هي أعمالكم ١٣٥
يا عبادي، إني حرمت الظلم ١٨٢
يا عبد الرحمن بن سمرة ١١٧
يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف ٤٢٥
يربي التمرة من الكسب الطيب ٤٢٢
يقول اللَّه تعالى: لأهون أهل النار ٧٥
يقيم المهاجر بعد قضاء منسكه ٢٤٥
يكفيك الوجه والكفان ٤٨، ٤٩
يكون كنز أحدكم يوم القيامة ١٢
يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ٧٥

• فهرس الموضوعات •

الموضوع	الصفحة
تفسير قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. ولا يكتمون اللَّه حديثًا﴾	٥ ـ ٢٥
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. إن اللَّه كان غفوراً رحيمًا﴾	٢٦ ـ ٥٧
• بعض المباحث في التيمم	٤٧
تفسير قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. وكان أمر اللَّه مفعولاً﴾.	٥٨ ـ ٧١
تفسير قوله تعالى: ﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. فإذًا لا يؤتون الناس نقيراً﴾.	٧٢ ـ ٨٢
تفسير قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللَّه...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾.	٨٣ ـ ٨٨
تفسير قوله تعالى: ﴿إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. ويسلموا تسليمًا﴾	٨٩ ـ ١١٣
أداء الأمانات	٩٢
نصوص تحث على العدل بين الناس	٩٨
الأدلة على استحباب الوعظ والتذكير	١٠٩
تفسير قوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. فأفوز فوزاً عظيمًا﴾	١١٤ ـ ١٢٣
تفسير قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل اللَّه..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. وكفى باللَّه وكيلاً﴾	١٢٤ ـ ١٤٨
بعض أسباب منع المؤمنين من القتال بمكة	١٣٣
من بركة الحسنة أنها تتبعها حسنات	١٤١
والمعاصي تجر إلى السيئات	١٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...إن اللَّه كان على كل شيء حسيبًا﴾ ١٤٩ ـ ١٧٧
تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّه لا إله إلا هو...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ ١٧٨ ـ ٢١١
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.. لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ ٢١٢ ـ ٢٢٩
تفسير قوله تعالى: ﴿فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وكان اللَّه عليمًا حكيمًا﴾ ٢٣٠ ـ ٢٧٥
بعض أحكام قصر الصلاة ٢٣٥
بحث مختصر في مواقيت الصلاة ٢٥٨
تفسير قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وكان فضل اللَّه عليك عظيمًا﴾ ٢٧٦ ـ ٢٨٦
تفسير قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...ومن أصدق من اللَّه قيلا﴾ ٢٨٧ ـ ٣٠٢
بعض آداب التناجي. ٢٩١
تفسير قوله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ...وكان اللَّه سميعًا بصيرًا﴾ ٣٠٣ ـ ٣٣١
تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وكان اللَّه شاكرًا عليمًا﴾ ٣٣٢ ـ ٣٦٣
تفسير قوله تعالى: ﴿لا يحب اللَّه الجهر بالسوء ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا﴾ ٣٦٤ ـ ٤٠٥
تفسير قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... واللَّه بكل شيء عليم﴾ ٤٠٦ ـ ٤٢٦

تم الصف بمكتب
إحياء السنة
٠١٠٥٤١٢٥٢٧ ـ ٠١٢٣٧٣١٣٠٥

مطابع دار الصفا
القاهرة: ٠١٢٣٢٢٥٨٨١
فاكس: ٣٩٧٨٤٧٤٠

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

سورة المائدة

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

تفسير سورة المائدة

في سؤال وجواب

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير
سورة المائدة
في سؤال وجواب

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب : التسهيل لتأويل التنزيل (سورة المائدة)

اسم المؤلف : أبو عبد الله مصطفى بن العدوى

المقاس : ١٧×٢٤سم

عدد الصفحات : ٦٢٤صفحة

عدد المجلدات : مجلد واحد

سنة الطبع : ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٠٢٩٤

اسم الناشر : مكتبة مكة

مطابع دار الصحيفة

٢٩٩٩٥٣٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ . [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد: فهذا تفسير سورة المائدة أقدمه لإخواني المسلمين وأخواتي المسلمات سائلاً الله أن ينفعني وإياكم به ويجعله في سجل حسناتنا جميعًا .

وهذا الجزء جزءٌ من سلسلة «**تفسير القرآن في سؤال وجواب**» الذي أقدمه لإخواني تحت مسمى «**التسهيل لتأويل التنزيل**» سائلاً الله أن يتقبله منا بقبولٍ حسنٍ ثمَّ إنه قد صدر من هذا التفسير حتى الآن ولله الحمد أربعة

عشر مجلداً تحوي تفسير سورة : (الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ يوسف ـ النور ـ القصص ـ الحجرات ـ جزء قد سمع ـ جزء تبارك ـ جزء عم) .

فالله أسأل أن يعيننا على إتمامه على الوجه الذي يرضيه وأن يتجاوز عن هفواتنا ثم إنني بين يدي هذه السورة المباركة الكريمة أُقدِّم هذه المقدِّمة كنظرةٍ عامةٍ على السورة بكاملها وما حوته من موضوعات، وما تطرقت إليه من أحكام.

فأقول، وبالله التوفيق:

إن هذه السورة الكريمة المباركه ـ سورة المائدة ـ آخر سورة نزلت من كتاب الله عزَّ وجل ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله عنهما [1] ، وبها قول الله جل ذكره : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] .

فمن ثمَّ إذا تعذر الجمع بين آيةٍ من آياتها وآياتٍ من سُور أُخر فالحكم لما ورد في سورة المائدة لتأخر نزولها فإن كان ثمَّ نسخٌ فآياتها هي الناسخة التي تنْسخُ غيرها .

ومن ثم فما ورد من أحاديث عقب نزول المائدة كان يُفرح به لبعده عن مظنة النسخ .

ولذا فإن الصحابة رضي الله عنهم كان يُعجبهم حديث جرير وذلك لأن إسلام جرير رضي الله عنه كان بعد نزول سورة المائدة .

● هذا ، ولكون هذه السورة آخر السور نزولاً ، فمعنى ذلك أيضًا أنها نزلت ودولة المسلمين قائمة آمنة مستقرةً إلي حدٍ كبيرٍ ومن ثمَّ فآياتُها تضبط العلاقات بين المسلمين وبعضهم وتضبط علاقة المسلمين بغيرهم أيضًا .

---

(١) وسيأتي تخريجهما في آخر السورة إن شاء الله .

● ولكونها من السور المدنية فهي تُوضح كثيراً من أحكام الدين وشرائعه وتُبين كثيراً من الحلال الذي أحلَّه الله، والحرام الذي حرَّمه، وكذا الشرائع التي شرعها الله لعباده والمناهج التي أنتهجها لهم.

هذا مع ما ورد فيها من تذكير بالله عزَّ وجل وأسمائه وصفاته وقضائه وقدره، وكذا التذكير باليوم الآخر وما فيه، وأيضًا بسائر أركان الإيمان، بل والإسلام، شأنها في ذلك شأن كثيرٍ من طوال السور في الكتاب العزيز.

فبنظرةٍ عامة لهذه السورة الكريمة وما ورد فيها تتضح لنا الأمور التالية:

● افتتحت السورة الكريمة المباركة **بالحث على الوفاء بالعقود** عموم العقود سواء التي مع الخلق (مسلمهم وكافرهم) أو التي مع الخالق سبحانه وتعالى، إذ الله قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١].

● ثمَّ تخللت السورة المباركة **آياتٌ تُذكر بالمواثيق وتبين عقوبة من نقضها ومن أخلَّ بها، فمن ذلك:**

قوله تعالى ـ عقب آية الوضوء والغسل والتيمم ـ: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [المائدة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [المائدة: ١٢].

ثم بيّن الله عقوبة من نقض الميثاق فقال سبحانه:

﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا**

منْهُم ﴾ [المائدة: ١٣].

ومما ورد أيضًا من تذكير بالمواثيق: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

وقوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠، ٧١].

- ومن الأوامر بحفظ العهود مع الخالق والتحذير من نقضها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

فظهرت من هذه النصوص المتقدمة جملة عقوبات لمن نقض العهد وأخل بالميثاق، من تلك العقوبات:

لعنهم، جُعلت قلوبهم قاسية، الزيغ وتحريف الكلم عن مواضعه، تَركُ قدْرٍ كبيرٍ مما ذكروا به كما قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[المائدة: ١٤]، صدور الخيانة بعد الخيانة، إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم، حسابهم يوم القيامة على ما صدر منهم من خيانات، إصابتهم بالعمى والصمم عن الحق وضلالهم عن سواء السبيل، العذاب الأليم.

فكل هذه عقوبات لحقت بمن نقض العهود والمواثيق.

أيضًا فقد تخلل هذه السورة المباركة بيان أحوال بني إسرائيل وأهل الكتاب بصفة عامة من يهود ونصارى، وذلك لاحتياج المسلمين إلى معرفة

خصال من يتعاملون معهم حتىٰ يتعاملوا معهم علىٰ هدىٰ وبصيرةٍ .

فذُكِرَتْ في هذه السورة الكريمة المباركة جملةٌ من مخازي بني إسرائيل، فهم - وإن كانوا من ذرية نبي صالح كريم، وهو نبي الله إسرائيل، الذي هو يعقوب عليه السلام، إلا أن أغلبهم قد حاد عن طريقه وخالف وصيته، وقد قال ربنا في كتابه الكريم في شأن نبيه إبراهيم وإسحاق عليهما السلام [١]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا [٢] مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣] فكما أن هناك من ذرية هؤلاء الأنبياء الكرام من هو مُحسن بل وقد فضلوا في الجملة علىٰ العالمين إذ الله قال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] أي: في زمانهم، وكذا آتاهم ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] أي: في أزمانهم، إلا أن منهم أيضًا - من هو ظالم لنفسه بل ولغيره فذكرت جملةٌ من مخازي هؤلاء وأفعالهم الشنيعة البشعة المستبشعة، فمن ذلك:

نقضهم العهود والمواثيق وصدور الخيانة منهم بعد الخيانة:

فكانوا ولا يزالون خونة أهلٌ للغدر وعدم الوفاء قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

ومن ذلك تحريفهم للكتب التي أنزلها الله عزَّ وجل وافتراؤهم على الله وكذبهم عليه: قال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

فيأخذون من كتاب الله ما أرادوا ويرفضون وينبذون ما أرادوا نبذه وطرحه.

---

(١) نبي الله إبراهيم خليل الرحمن جد يعقوب عليه السلام، واسحاق هو والد يعقوب عليه السلام.

(٢) أي من ذرية إبراهيم واسحاق عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

وأيضًا يخفون ما أرادوا إخفاءه ويظهرون ما أرادوا إظهاره:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

وأيضًا: فإنهم قد تركوا العمل بقدرٍ كبير مما ذكروا به ووعظوا به وأمروا به:

قال تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

ومن مخازيهم تلك الخيانات التي تصدر منهم، فخيانةٌ تلو خيانةٍ تلو خيانة:

إذ الله قال: ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

ومن مخازيهم أيضًا نفاقهم وتناقضهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].

وقال تعالي: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٤٣].

وقال تعالى في شأن أهل الكتاب وإصغائهم للكذب ونقلهم الأحاديث لغيرهم: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾[المائدة: ٤١].

وشأن هؤلاء اليهود دَوْمًا هو شأن أهل النفاق والزيغ: فدومًا الآيات تتنزل فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، والذين في قلوبهم مرضٌ تزيدهم الآيات رجسًا إلى رجسهم.

قال الله تعالىٰ: في شأن هؤلاء اليهود: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن العار الذي لحق بهم تخلفهم عن طاعة نبيهم موسى الكليم الكريم عليه السلام وعصيانهم لأمره وتخليهم عنه إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة:

فإذا هم يرفضون الامتثال رفضًا تامًّا، بل ويردُّون علىٰ نبيهم أمره بتبجح وجحود ونفور قائلين: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

فهذا قولهم لنبيهم الكريم الكليم الذي أنجاهم الله علىٰ يديه!!

هكذا يقابلون نعم الله عليهم إذ جعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين.

ومن جرائمهم سعيهم في الأرض بالفساد، وسعيهم لإيقاد الحروب وإشعال الفتن بين الناس:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن سوء صنيعهم وشدة حرصهم وطمعهم قبولهم الرشوة وأكلهم السحت والمسارعة في الإثم والعدوان:

قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:].

ومن مخازيهم تركهم التناهي عن المنكر بل وموالاتهم الكفار:

فمن ثم حلَّت عليهم اللعنات.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

أما علماؤهم من الربانيين والأحبار فتقاعسوا هم الآخرون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسكتوا عن الباطل وقد انتشر، والفساد حين استشرى:

قال تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

ومن عبثهم واستهتارهم بالأديان سخريتهم من الصلاة ومن المُنادين لها، بل ومن الدين كله كذلك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾.

ومع هذا الذي ذُكر، ومع غير الذي ذكر أيضًا فدعواهم عريضة إذ يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

ومن عظيم جرائمهم وسيئ أفعالهم قتلهم الأنبياء بغير حق:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأشـدُّ من ذلك كلِّه وأَنْكَى، وأبشع من ذلك كله وأدهى قـولهم يد الله مغلولة:

قـال تعـالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾ [المائدة: ٦٤].

فهؤلاء هم بنو إسرائيل وتلك سجاياهم، وهذه خصالهم!!!

نقضوا العهد مع الرب!، ومع العبد!، وأفسدوا في الأرض وقالوا الإثم وأكلوا السحت!! نجانا الله والمؤمنين منهم ومن شرهم.

فكيف يأمنهم شخصٌ على نـفسه، وكيف يأمنهم على مـاله وكيف يثق لهم في عهد أو ميثاق!!

فلذلك ولغـيـره حلَّتً عليـهـم اللعنات ونزلت بهم الـعـقـوبات وضُرب عليـهم التيـه، وضربت عليهم الذلة والمسكـنة وبآءوا بغضب من الله.

- فلعنهم الله!
- وغضب عليهم!!
- وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت!!!
- وجعلهم في شر الأماكن!!، وأبعد الخلق عن طريق الخير.
- ووصفهم ربي بأنهم مسرفون ـ مفسدون ـ لا يعقلون.
- وجعل لهم أليم العذاب
- وألقىٰ ربنا بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة.
- وعاقبهم ربنا بالعمىٰ والصمم عن الحق.

كما قال سبحانه: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١].

● ولعنوا على لسان الأنبياء كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨].

ونرجع فنقول لقد تخللت هذه السورة أيضًا آيات تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتذم تاركيه، وتذم غاية الذم أهل العلم المقصرين، في إبلاغ ما أمرهم الله بتبليغه، فما أشد هذه الآية عليهم: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

وأيضًا بينت السورة الكريمة ما يصنعه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلم يستجب له، فحينئذٍ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وردت في هذه السورة الكريمة المباركة جملة من النصوص تنهى عن موالاة الكفار عمومًا وعن موالاة اليهود والنصارى أيضًا وكذا عن موالاة كل مستهزئ بالدين كذلك:

● قال الله تبارك وتعالى ـ مبينًا بعض أسباب لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ـ ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ . . .﴾ [المائدة: ٥٢].

● فأوضح الله سبحانه أن الذين في قلوبهم مرض هم الذين يسارعون إلى موالاة اليهود والنصارى وعقب الله ذلك بالتحذير من الردة إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . . .﴾ [المائدة: ٥٤] وكأن موالاتهم تُؤَدِّي إلى الردة والعياذ بالله.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

ومن ثمَّ سأل نبي الله موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٥٥].

● وبين لنا ربنا سبحانه وتعالى من نوالى فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

وبيَّن سبحانه أن الغلبة لأوليائه إذ قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

● وبيَّن ربنا سبحانه وتعالى أن عداوة أهل الكتاب لأهل الإيمان لا لشيء إلا لكونهم آمنوا بالله وما أنزل من عنده سبحانه وتعالى، فقال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]؟!

ونُفيت وفُنِّدت في هذه السورة مزاعم باطلة، مزاعم النصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، والآخرين الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة:

● قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾.

وبيَّن ربنا حقيقة المسيح عليه السلام فقال سبحانه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ . . .﴾ [المائدة: ٧٥] الآيات.

● وبيَّن الله تبارك وتعالى تبرؤ المسيح ممن عبدوه إذ قال لما سئل: ﴿أَأَنتَ

قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١٦].

- وحذر ربنا أهل الكتاب عمومًا من الغلو:
- فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وكُذِّبت أيضًا مزاعم المشركين القائلين بتحريم بعض الأنعام:

فقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وأيضًا تخللت هذه السورة الكريمة آيات عدة تنهي عن الغلو والتنطع والتكلف:

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ . . .﴾ [المائدة: ٧٧].
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ . . .﴾ [المائدة: ١٠١].

وبُيِّنت بعض مشاهد القيامة ومواقفها في هذه السورة المباركة أيضًا، لعل متذكرًا يتذكر وخاشعًا يخشع!!

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩].
- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ . .﴾ [المائدة: ١١٦].
- وقال تعالى أيضًا: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

تخللتها أيضًا أوامرُ عديدةٌ بالحكم بما أنزل الله والتحذير من الحيود عن ذلك، أشد التحذير:

● قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

● وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

● وقال أيضًا: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

● وقال أيضًا: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

● وقال كذلك: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

● وقال أيضًا: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . . .﴾ [المائدة: ٤٩].

● وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

● وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ . . .﴾ [المائدة: ٦٨].

فلا محيد ولا مناص عن الحكم بما أنزل الله.

ذُكرت أيضًا في السورة طائفة من الأحكام الفقهية، وبيان ما أحله الله وما حرم، وطائفة من الأوامر والنواهي:

فمن الأحكام الفقهية ما يتعلق بالوضوء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ . . .﴾ [المائدة: ٦].

● وما يتعلق بالتيمم في نفس الآية كذلك.

● وما يتعلق بالأيمان وما ورد فيها من الكفارات في قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ . . .﴾ [المائدة: ٨٩].

● وكذلك بعض صور الشهادات والوصايا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ . . .﴾ [المائدة: ٨٩].

● وكذلك بعض الأحكام المتعلقة بالمُحرم والحَرَم والصيد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ . . .﴾ [المائدة: ٩٥].

● ومما حرمه الله عزَّ وجل في هذه السورة المباركة وشُدِّد في تحريمه الخمر، إذ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

وتخللت هذه السورة الكريمة طائفة من الآيات الخاصة بالحدود اللازمة لردع الجناة والأخذ على أيديهم كي ينزجر من سوَّلت له نفسه أن يتطاول على العباد أو أن يبغي عليهم:

● قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

● وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ . . . ﴾ [المائدة: ٤٥].

● كل هذا حتى تحفظ بلاد المسلمين آمنة مطمئنة ومواطنيها وأن يحفظ أمنهم الداخلي فلا يعبث عابثٌ ولا يبغ باغ ولا يُفكر في الإفساد مُفسد.

وفي هذه السورة أيضًا قد فتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة أمام التائبين ولم يغلقه في وجوههم.

● فحتى هؤلاء الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم والذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، كل هؤلاء الكفار تفتح أمامهم أبواب التوبة كي يتوبوا ويرجعوا عن كفرهم، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

● وهؤلاء قطاع الطرق الذين سعوا في الأرض بالفساد وحاربوا الله ورسوله تفتح لهم أبواب التوبة.

فيقول تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

● وهذا السارق، وتلك السارقة يقول تعالى في شأنهما بعد أن بين الحدَّ الذي يستحقانه، ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩].

وتخللها أيضًا ترغيب في الإيمان والعمل الصالح وبيان ما أعده الله للصالحين المؤمنين وأيضًا تنفير من أعمال الشر والسوء، وما أعده الله للغواة المفسدين.

مع سوق أمثلة للبغاة وأهل الصلاح كابني آدم وكيف وأن العاقبة للتقوى.

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم . . .﴾ [المائدة: ٦٥-٦٧].
- وقال تعالى: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . . .﴾ [المائدة: ٨٥].

وأيضًا في هذه السورة المباركة قد اتضح وتجلى أن الأمر كله لله.

- فالمهتدي من هداه الله !!
- والمفتون من فُتن !! قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].
- وربي يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويهدي ويضل من يشاء له الأمر من قبل ومن بعد.

وثمَّ بيانٌ في هذه السورة الكريمة لشيء من قدرة الله عزَّ وجل

- فقد أنزل الله المائدة لما سألها الحواريون فقال تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥].
- ومكَّن عيسى عليه السلام من النطق في المهد.
- ومكَّنه من خلق الطير والنفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله.
- إذ أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله وإذ مكنه الله من إخراج الموتى وكلُّ ذلك بإذن الله فالله على كل شيء قدير !!

فهذه إشارات قدمناها لبعض الوارد في هذه السورة الكريمة المباركة:

- فسبحان الله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا!
- سبحان الله ما فرَّط في الكتاب من شيءٍ!
- وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً - وتبارك

الذي وسع سمعه الأصوات وسبحان علام الغيوب!!

- سبحان من قدَّر فهدىٰ، وقضىٰ فأحكم، وجازىٰ فأحسن، وحكم فعدل!
- كتابه أصدقُ الكتب، وكلامُه أحسن الكلام.
- وأدبه الذي أدب به العباد أحسن الأدب، ودينه الذي شرعه لعباده خير الأديان.
- رسُله خيرةُ خلقه!!
- كتابه العظيم ربيع قلوب المؤمنين، ونُور أبصارهم وجلاءُ أحزانهم.
- وإذهابٌ لهموهم وغمومهم!!
- يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام!
- يخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور!!
- يهديهم به إلىٰ صراطه المستقيم!!

فالحمد لله علىٰ الإسلام والحمد لله علىٰ الإيمان والحمد لله علىٰ الإحسان، والحمد لله علىٰ هذا الدين القيم.

رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولاً.

فإلى هذه السورة الكريمة المباركة: نقف مع آياتها الكريمات بعض الوقفات، نطرح عليها بعض الأسئلة لتفتيح الأذهان ولفت الأنظار وجذب الانتباه وتجسيد المعلومة، نطرحها للتفكر والتدبر والنظر والاعتبار، والتوفيق من الله وبالله راجين ثواب الله، وراجين عفو الله، سائلين الله أن يجازينا بالإحسان إحسانًا فهو أهل لذلك، ولما هو فوق ذلك إنه جواد كريم

سائلين الله أن يتجاوز عن سيئاتنا وزلاتنا وعثراتنا وأن يكلل ذلك بالعفو والغفران وجميل الستر فربي أهل للتقوىٰ وأهل للمغفرة.

• تطرح بعض الأسئلة مع الإجابة عليها، وما في ذلك من صواب فمن الله سبحانه وتعالىٰ؛ فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان من خطأٍ فمن أنفسنا ومن الشيطان فإلىٰ ما أشرنا إليه من السؤال والجواب.

والحمد لله رب العالمين،

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد ﷺ.

وكتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود

سُورَةُ المَائِدَةِ

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

(أَوْفُوا ـ الْعُقُود ـ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ـ إِلاَّ مَا يُتْلَى ـ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ ـ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ـ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْفُوا﴾	أتموا ما عقدتموه ـ أمضوا ما اتفقتم عليه.
﴿الْعُقُودِ﴾	العهود[1].
﴿بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾	الأنعام كلها (صغيرها وكبيرها وجنينها) من الإبل والبقر والضأن والمعز[2]، وهذا أقوى الأقوال ومن العلماء من قال: إنها الأجنة في بطون الأمهات[3] ومنهم من قال الأنعام ما يعم

(١) نقل الطبري الإجماع على أن المراد بالعقود العهود.

(٢) قال تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾، وقال تعالى: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ وقال أيضاً: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين...﴾ فمن الإبل الجمل والناقة، ومن البقر الثور والبقرة، ومن الضأن الكبش والنعجة، ومن الماعز الجدي والعنز.
قال الطبري رحمه الله تعالى: وأما (النعم) فإنها عند العرب اسمٌ للإبل والبقر والغنم خاصة، كما قال جل ثناؤه: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون﴾ ثم قال: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان.

(٣) وقد أورد الطبري من طرقٍ عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال: الجنين من بهيمة الأنعام فكلوه (أخرجه الطبري ١٠٩٢٦، ١٠٩٢٧، ١٠٩٢٨، ١٠٩٢٩) وقابوس (الغالب) هو ابن أبي ظبيان وقد تُكلم فيه، وإن كان ابن المخارق فأبوه لم أقف على أحدٍ من المعتبرين الأولين من الموثقين وثقه (سوى ابن حبان). وفي لفظ من طريق قابوس عن أبيه قال: ذبحنا بقرة فإذا في بطنها جنين فسألنا ابن عباس فقال هذه بهيمة الأنعام وفي =

الكلمـــة	معنـــاهـــا
	الأنثى منها (كالإبل والبقر والغنم) والوحش كالظباء والبقر [١] والحمر الوحشية.
﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى﴾	إلا ما سيُتلى عليكم.
﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾	غير مستحلين للاصطياد (اصطياد ما يُصطاد غالبًا كالحمر الوحشية والظِباء ونحو ذلك).
﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾	في حال إحرامكم، وأنتم محرمون بالحج أوالعمرة.
﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [٢]	إن الله يحكم في خلقه بما يشاء، إن الله يشرع ما يشاء كيف يشاء، فليس لأحدٍ أن يعترض.

= رواية من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس: أن بقرةً نُحرت فُوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنب الجنين فقال هذا من بهيمة الأنعام التي أُحلَّت لكم.
قال الطبري رحمه الله: وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: عنى بقوله: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ الأنعام كلها، أجنَّتها وسِخَالها وكبارها، لأن العرب لا تمتنع من تسمية جميع ذلك: «بهيمة وبهائم» ولم يخصص الله منها شيئًا دون شيء، فذلك على عمومه وظاهره حتى تأتي حجةٌ بخصوصه يجب التسليم لها).

(١) يعني البقر الوحشية.

(٢) قال الطبري رحمه الله: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: إن الله يقضي في خلقه ما يشاء ممن تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، وإيجاب ما شاء إيجابه عليهم وغير ذلك من أحكامه وقضاياه، فأوفوا أيها المؤمنون له بما عقد عليكم من تحليل ما أحل لكم وتحريم ما حرَّم عليكم، وغير ذلك من عقوده، فلا تنكثوها ولا تنقضوها. وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة نحو ما ذُكر (الطبري ١٠٩٤٠).

س: بيَّنتم أن المراد بالعقود: العهود، فأي عهود هذه التي عناها اللَّه بقوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالعقود: العهود والتحالفات التي كان أهل الجاهلية يتعاقدونها فيما بينهم على نصر المظلوم ومؤازرته، وأخذهم الحق له ممن ظلموه وبغوا عليه، وهذه التحالفات التي كانت فيما بينهم.

وهذه هي المعنية بقوله عليه الصلاة والسلام: «**وأيما حِلفٍ كان في الجاهليةِ لم يَزِدْهُ الإسلامُ إلا شدةً**»(١).

الثاني: أن المراد بالعقود: العهود التي أخذها اللَّه على عباده بالإيمان به،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٠)، والمراد بالحلف العهد، والعهد منفيٌّ في قوله عليه الصلاة والسلام «هي العهود التي كانوا يتعاقدون عليها في الجاهلية، وقد خالفت الإسلام وتعاليمه، فكانوا يتعاقدون على التوارث (يرث بعضهم بعضًا) دون ذوي رحمهم، وكانوا يتعاقدون على النصرة والمؤازرة، ولو على الباطل، ثم عقود أُخر، فكل ما خالف الإسلام فحلفٌ باطل، أما ما أقرَّه الإسلام فهو صواب، وقد حالف النبي ﷺ بين قريش والأنصار (كما في البخاري ٢٢٩٤، ومسلم ٢٥٢٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.
قال النووي في شرح مسلم (تعليق على ط. محمد فؤاد ص١٩٦٠):
«لا حلف في الإسلام»: المراد به حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه.
قال القاضي: قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم، فإن المذكور في الحديث والموارثة به وبالمؤاخاة، كله منسوخ لقوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض».
وقال الحسن: كان التوارث بالحلف فنسخ بآية الميراث.
قلت (القائل هو الإمام النووي): أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة اللَّه تعالى، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم يُنسخ، وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة».

وطاعته فيما أحلَّ لهم وحرَّم عليهم، وهي المعنية بقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] ويدخل فيها: أوامر اللَّه؛ كالأمر بالصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، وكذا النذور...

الثالث: المراد: العقود التي يتعاقدها الناس فيما بينهم، ويعقدها المرء علىٰ نفسه، كعقده اليمين، والعهد الذي يأخذه الشخص علىٰ نفسه، وكالبيع والشراء، والحلف، والنكاح، ونحو ذلك من الطلاق، والمزارعة، والمصالحة، والتمليك... وغيرها.

الرابع: المراد بهذا الأمر أهل الكتاب، أُمروا بالوفاء بالعهود المأخوذة عليهم في التوراة والإنجيل من الإيمان برسول اللَّه ﷺ إذا بُعث فيهم، كما قال اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قالوا: فالعهد المأخوذ علىٰ الأنبياء عليهم السلام أخذته الأنبياء علىٰ أممهم.

ويدخل في هذا العهد أيضًا (في الوجه الرابع المذكور) عموم العهود التي أخذها اللَّه عزَّ وجلَّ علىٰ أهل الكتاب.

قلت: والذي يبدو وبعد هذا البيان: أن المراد بالعهود جميع العهود المذكورة في الوجوه المتقدِّمة، فقوله تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يشمل عموم العقود مع الخالق سبحانه وتعالىٰ، ومع الخلق أيضًا.

وقد دلَّت على ذلك نصوص أُخر من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، ومن سنة رسوله ﷺ، من ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

● وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤].

● وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

● وقوله عليه الصلاة والسلام في التحذير من نقض العهود: «**لكل غادر لواءٌ يُنصب يوم القيامة بغدرته**»(١).

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

فالذي يبدو أن الأمر بالوفاء بالعهود أمرٌ عامٌّ يشمل الوفاء بكل عهد مع الخالق ومع الخلق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٧)، وله ألفاظٌ متعددة، منها عند مسلم (١٧٣٨): «لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة».

ومنها: إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواءٌ فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان» مسلم، حديث (١٧٣٥)، وغيره.

أمَّا الطبري رحمه اللَّه فقد اختار وجهًا فقال:

وأولىٰ الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس[١] ، وأن معناه: أوفوا يأيها الذين آمنوا بعقود اللَّه التي أوجبها عليكم، وعقدها فيما أحلَّ لكم وحرَّم عليكم، وألزمكم فرضه، وبيَّن لكم حدوده.

وإنما قلنا ذلك أولىٰ بالصواب من غيره من الأقول؛ لأن اللَّه جلَّ وعزَّ أتبع ذلك البيان عمَّا أحلّ لعباده وحرم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه، فكان معلومًا بذلك أن قوله: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ أمرٌ منه عبادَه بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقوده عقيب ذلك، ونَهيٌ منه لهم عن نقض ما عقده عليهم منه، مع أن قوله: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخصّ منه شيء حتىٰ تقوم حجة بخصوص شيء منه يجب التسليم لها، فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفنا، فلا معنىٰ لقول من وجَّه ذلك إلىٰ معنىٰ الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمرَ اللَّه بالوفاء بها دون بعض.

أما القرطبي فقال بعد أن ذكر وجوهًا في تفسير الآية:

والمراد بالعقود: وقال الزجاج: المعنىٰ: أوفوا بعقد اللَّه عليكم وبعقدكم بعضكم علىٰ بعض، وهذا كله راجع إلىٰ القول بالعموم، وهو الصحيح في الباب؛ قال ﷺ: «**المؤمنون عند شُرُوطهم**» وقال: «**كل شرط ليسَ فِي كتابِ اللَّه فهو باطلٌ، وإنْ كانَ مائة شرط**» فبيَّن أن الشرط أو العقد الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب اللَّه، أي: دين اللَّه؛ فإن ظهر فيها ما يخالف رُدّ، كما قال ﷺ: «**مَنْ عَمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»[٢].

* * *

(١) لم أذكر أثر ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما؛ لأنه عند الطبري ضعيف الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم (ص١٣٤٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

س: اذكر بعض الآيات الواردة في الحث على الوفاء بالعهد، والمُحذِّرة من نقضه، وكذا بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

● وقوله تعالى مُثنيًا على أهل الإيمان: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

● وقوله تعالى في ذمِّ الذين لا يوفون بالعهود: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

● وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

● وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

● وقول النبي ﷺ: «آيةُ المنافقِ ثلاث، إذا حدَّث كذب، وإذا وعَدَ أَخلَفْ، وإذا اؤتمن خَان»(١).

● وقوله ﷺ: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• وقوله ﷺ: «لكلِّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة»[١].

• وفي رواية: «لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يُقال: هذه غدرة فلان»[٢].

• وفي ثالثة: «لكلِّ غادرٍ لواءٌ عند استه يوم القيامة»[٣].

* * *

س: هل العهود مع الكفار يُحافظ عليها أيضًا وتُحترم؟

ج: نعم، فالأدلة المذكورة قبلُ أدلةٌ عامَّةٌ تشمل العهود مع الكفار والمؤمنين.

* * *

س: هل هذه الآية يُستدل بها على نفي خيار المجلس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]؟

ج: نعم يُستدلُّ بها على نفي خيار المجلس، لولا ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ: «البَيعان بالخيارِ ما لم يتفرَّقا».

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

• وقد استدل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، قال: فهذا يدلُّ على لزوم العقد وثبوته، فيقتضي نفي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١١)، ومسلم (١٧٣٥).

(٣) انظر مسلم (١٣٦٠ ـ ١٣٦١)، والبخاري (١٣٨٦)، وغيرهما.

خيار المجلس، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك، وخالفهما في ذلك الشافعي وأحمد بن حنبل، والجمهور.

• والحجة في ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا**»(١).

• وفي لفظ آخر للبخاري: «**إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا**»(٢).

• وهذا صريح في إثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع، وليس هذا منافيًا للزوم العقد، بل هو من مقتضياته شرعًا، فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود.

* * *

س: ماذا تعرف عن حلف الفضول، وما معنى قوله ﷺ «لا حلف في الإسلام، وأيما حلفٍ كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدةً»؟

ج: قال القرطبي في تفسيره:

ذكر ابن إسحاق قال(٣): اجتمعت قبائل من قريشٍ في دار عبداللَّه ابن جُدْعان ـ لشرفه ونسبه ـ فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها أو غيرهم، إلا قاموا معه حتى تُردَّ عليه مظلمتُه؛ فَسَمَّت قريشٌ ذلك الحلف حلف الفُضول، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**لقد شَهدت في دار عبداللَّه بن جُدعان حِلفًا ما أحب أن لي به حُمر النعم، ولو ادُّعِي به في الإسلام لأجبتُ**».

---

(١) البخاري (٢١٠٩)، ومسلم (١٥٣١).

(٢) البخاري (٢١١٢)، ومسلم (١٥٣١).

(٣) صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٣٠).

وهذا الحلف هو المعنى المراد في قوله عليه السلام: «**وأيُّما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شِدَّةً**»[١]؛ لأنه موافق للشرع إذ أمر بالانتصاف من الظالم؛ فأما ما كان من عهودهم الفاسدة وعقودهم الباطلة على الظلم والغارات فقد هدمه الإسلام والحمد للَّه.

قال ابن إسحاق[٢]: تحامل الوليد بن عُتبة على الحسين بن عليّ في مال له ـ لسلطان الوليد؛ فإنه كان أميراً على المدينة ـ فقال له الحسين: أحلِفُ باللَّهِ لتُنصفَنِّي من حقي، أو لآخذنّ بسيفي ثم لأقومنّ في مسجد رسول اللَّه ﷺ ثم لأدعونّ بحلف الفضول. قال عبداللَّه بن الزبير: وأنا أحلف باللَّه لئن دعاني لآخذنّ بسيفي ثم لأقومنّ معه حتى ينتصف من حقِّه أو نموت جميعًا؛ وبلغت المِسور بن مخرَمة فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد اللَّه التيميّ فقال مثل ذلك؛ فلمَّا بلغ ذلك الوليد أنصفه.

* * *

س: لماذا أُطلق على البهيمة بهيمة؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها، وعدم تمييزها وعقلها.

ومنه قولهم: بابٌ مُبهم أي مُغلق، وليلٌ بهيم، أي: مُظلم.

* * *

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٣٠).

(٢) ابن إسحاق لم يدرك تلك القصة.

س: هل كانت بهيمة الأنعام حرامًا ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]؟

ج: كلا، بل بهيمة الأنعام كانت حلالاً منذ أنزلها اللَّه تعالى، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية.

* * *

س: إذًا فما وجه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]؟

ج: وجه ذلك: أن القوم كانوا قد حرّموا على أنفسهم بعضًا من بهيمة الأنعام؛ كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فقيل لهم: إن بهيمة الأنعام حلالٌ، إلا ما سيتلوه ربُّنا علينا، لا الذي حرّمتموه بأنفسكم.

ووجه آخر: أن يُقال: إننا قد أحللنا لكم بهيمة الأنعام، ففيها فسحةٌ وفيها غنية لكم عن الحرام الذي حرّمناه عليكم.

ووجه ثالثٌ: أن هذا لمزيد من التأكيد على حِلِّ بهيمة الأنعام، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل ذكاة الجنين ذكاةُ أُمِّه، أو بسياق آخر: هل إذا ذبحنا بقرةً مثلاً فوجدنا في بطنها جنينًا واستخرجناه ميتًا، هل يؤكل أم لا؟

ج: من العلماء من ذهب إلى حِلِّ ذلك مستدلاً بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ فأحد الوجوه في تفسيرها كما قدَّمناه أن المراد ببهيمة الأنعام

الأجنَّة في بطون أمهاتها، ومستدلاً بقوله ﷺ: «ذكاة الجنين ذكاةُ أُمِّه»(١).

* * *

س: ما المستثنى بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]؟

ج: هو المذكور في قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...﴾ [المائدة: ٣].

فهي الميتة المتمثلة فيمن ماتت من الأنعام عمومًا، وكذا التي ماتت خنقًا، أو وقيذًا، والتي ماتت بسبب سقوطها، والتي ماتت بسبب نطح غيرها لها، وكذا ما أكل السبع إلا ما أدركت ذكاته.

• ويلتحق بذلك من غير بهيمة الأنعام كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع، للحديث الوارد في ذلك عن رسول اللَّه ﷺ(٢).

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هل هذا الذي يُتلى علينا يُتلى علينا في القرآن فقط، أم أنَّ السُّنَّةَ داخلةٌ فيه؟

ج: بل تدخل فيه، سنة رسول اللَّه ﷺ داخلة في المتلوّ علينا أيضًا، وذلك:

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: فله عن رسول اللَّه ﷺ عدةُ طرق، منها: عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا عند أحمد (١١٣٤٣، و١١٤١٤)، والبيهقي (٩/ ٣٣٥)، وغيرها، ومنها: حديث ابن عباس عند البيهقي (٩/ ٣٣٥)، وغيره، ومنها: حديث ابن عمر وغيرهم، وفي جلِّ الطرق مقال، لكنها تحسَّن بمجموع طرقها، واللَّه تعالى أعلم.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣٤)، من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.
وللحديث طرق أُخر عن رسول اللَّه ﷺ له بتمامه، ولبعض فقراته، انظر البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٥٣٤).

• لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

• وللحديث الوارد في قصة العسيف(*) كذلك، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي اللَّه عنهما أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أنشُدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه(١)، فقال الخصم الآخر ـ وهو أفقه منه ـ(٢): نعم، فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي، فقال رسول اللَّه ﷺ: «قُل» قال: إنَّ ابني كان عسيفًا(٣) علىٰ هذا(٤)، فزنىٰ بامرأته، وإني أُخبرت أنَّ علىٰ ابني الرجم، فافتديت(٥) منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني، أنما علىٰ ابني جلدُ مائةٍ وتغريب عامٍ، وأنَّ علىٰ امرأة هذا الرجم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والَذي نفسِي بيده، لأقْضِيَنَّ بينكما بكتابِ اللَّهِ؛ الوليدةُ والغَنَمُ رَدٌّ**(٦)**، وعَلَى**

(*) البخاري (٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧، و١٦٩٨).

(١) أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه: معنىٰ أنشدك: أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي، وقوله: بكتاب اللَّه: بما تضمنه كتاب اللَّه.

(٢) وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد بالإضافة أكثر فقهًا منه، ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها علىٰ وجهها، ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام، وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالىٰ: ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك اللَّه، فإنه من جفاء الأعراب.

(٣) عسيفًا: العسيف هو الأجير، وجمع عسفاء، كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

(٤) علىٰ هذا: يشير إلىٰ خصمه، وهو زوج مزنيَّة ابنه، وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور، فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(٥) فافتديت: أي: أنقذت ابني منه، بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية، وكأنه زعم أن الرجم حقٌّ لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

(٦) الوليدة والغنم ردّ: أي: مردودة، ومعناه يجب ردها إليك، وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

ابنك جلدُ مائةٍ، وتغريبُ عامٍ، واغدُ يا أُنيس[١] إلى امرأة هذا، فإنِ اعترفَتْ فارْجُمْها».

قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول اللَّه ﷺ فرُجِمَتْ.

• ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من طريق علقمة قال: لعن عبد اللَّه[٣] الواشمات والمتنمصات، والمُتَفَلِّجات للحسن المُغيرات خلق اللَّه، فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد اللَّه وما لي لا ألعن من لَعَنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وفي كتاب اللَّه؟! قالت: واللَّه لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، فقال: واللَّه لئن قرأتيه لقد وجَدْتِيه ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾.

• و من ذلك أيضًا قول النبي ﷺ[٤]: «**أَلا إِنِّي أُوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ مَعَهُ...**» الحديث.

• وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه أيضًا في هذا الباب[٥]

---

(١) واغد يا أنيس: قال الإمام النووي رضي اللَّه تعالىٰ عنه: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم علىٰ إعلام المرأة بأن هذا الرجل قد قذفها بابنه، فيعرّفها بأن لها عنده حد القذف فتطالب به أو تعفو عنه، إلا أن تعترف بالزنا، فلا يجب عليه حد القذف، بل يجب عليها حد الزنا، وهو الرجم؛ لأنها كانت محصنة، فذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنا، فأمر النبي ﷺ برجمها، فرجمت. ولا بد من هذا التأويل؛ لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حدّ الزنا، وهذا غير مراد، لأن حد الزنا لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقرّ به الزاني استحبّ أن يُلقَّن الرجوع. (حاشية مسلم).

(٢) البخاري مع الفتح (١٠/ ٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٨٣٦).

(٣) هو ابن مسعود.

(٤) صحيح، وأخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وغيره.

(٥) البخاري (٦٨٣٠).

ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وفيه: فجلس عمر على المنبر، فلمَّا سكت المؤذنون قام فأثنى على اللَّه بما هو أهله، ثم قال: أما بعدُ، فإنِّي قائلٌ لكم مقالة قد قُدِّرَ لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدِّث بها حيث انتهتْ به راحِلَتُه، ومن خَشِي ألا يعقلها فلا أُحِلُّ لأحد أن يكذِبَ عليّ.

إنَّ اللَّه بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل اللَّهُ آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجمَ رسولُ اللَّه ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمانٌ أن يقول قائل: واللَّه ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللَّه.

والرجم في كتاب اللَّه حقٌّ على من زَنى إذا أُحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبَلُ أو الاعتراف.

* * *

س: وضِّح وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١] وبين ما تقدَّمها من مطلع السورة المباركة، مع بيان المعنى الإجمالي.

ج: أما وجه ذلك، واللَّه أعلم، فللعلماء فيه أقوال:

منها: ـ مع المعنى ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ غير مستحلين الصيد أثناء إحرامكم، فإنا قد أحللنا لكم بهيمة الأنعام، ففيها فسحة لكم وغنية وكفاية عن الصيد حال إحرامكم.

الوجه الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ

مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا ما كان وحشيًّا، فإنه صيدٌ، فلا تصطادوه وأنتم حُرم.

ووجه آخر: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وإلا ﴿الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

فاستثنىٰ من الإنسي ما تقدَّم ذكره من الميتة وغيرها.

واستثنىٰ من الوحشي الصيدُ حال الإحرام، واللَّه أعلم.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ
ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ
وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ
عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(لا تُحلُّوا ـ شَعَائِرَ اللَّه ـ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ـ الْهَدْيَ ـ الْقَلائِدَ ـ آمِّينَ ـ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ـ يَبْتَغُونَ ـ فَضلاً ـ رِضْوَانًا ـ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ـ لا يَجْرِمَنَّكُمْ ـ شَنَآنُ قَوْمٍ ـ تَعْتَدُوا ـ تَعَاوَنُوا ـ الْبِرِّ ـ التَّقْوَى ـ الإِثْمِ ـ الْعُدْوَانِ ـ اتَّقُوا اللَّهَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿لا تُحلُّوا﴾ ﴿شَعَائِرَ اللَّه﴾	لا تستحلوا ـ لا تضيعوا ـ لا تنتهكوا معالم الدين الظاهرة، وشعائر جمع شعيرة وهي فعليةٌ، من قول القائل شعرت بكذا. وشعائر الله أيضًا حرمات الله ـ معالم حدود الله ـ وأمره ونهيه وفرائضه ـ وشعائر الله حَرَم الله ـ معالم حدود الله في الحج ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾. وقوله تعالىٰ: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾. وقوله تعالىٰ: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوىٰ القلوب لكم فيها منافع إلىٰ أجل مسمىٰ ثم محلها إلىٰ البيت العتيق﴾ ومن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾: لا تحلوا حرمات الله ـ لا تضيعوا فرائض الله ـ لا تحلوا ما حرَّم الله عليكم في إحرامكم، لا تضيعوها ـ لا تستحلوا تجاوزها[1]، لا تتعدوا حدود الله في أمرٍ من الأمور.

(١) ذكر بعض أهل العلم أن المشركين كانوا يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم فقال الله تعالىٰ: ﴿لا تحلوا شعائر الله...﴾. والله أعلم.

الكلمة	معناها
﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾	المراد الأشهر الحُرُم، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿منها أربعة حرم﴾ وهي ذو القعدة وذو الحجة وشهر الله المحرم، ورجب مُضر الذي بين جُمادىٰ وشعبان فالشهر اسم جنسٍ والمراد الأشهر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب. . .﴾ أي الكتب.
﴿الْهَدْيَ﴾	ما أهداه الشخصُ من بعيرٍ، أوبقرةٍ أو شاةٍ إلىٰ بيت الله الحرام تقربًا إلىٰ الله عزَّ وجل وطلبًا لثوابه [1].
﴿الْقَلَائِدَ﴾	* الهدي المقلد بقلادة لتعلم أنها مُهداة إلىٰ البيت العتيق الهدي ذوات القلائد. والقلائد لحاء السمر الذي كان يتقلده المشركون. * ووجه آخر: أن القلائد هي التي كان يتقلدها الشخص أي يلبسها في رقبته عند ذهابه وعند رجوعه من الحرم، قالوا فقد كان الرجل يتقلد من شجر السمر عند ذهابه، ويتقلد عند رجوعه قلادة شعر فلا يتعرض له أحدٌ. * وقال آخرون بل كان يتقلد من شجر الحرم عند خروجه عنه حتىٰ يرجع، ومن العلماء من قال إن ذلك كان في جاهليتهم. * ووجه آخر: أن المراد بقوله ولا القلائد: أي ولا تتقلدوا بشجر الحرم، أي: فلا تنزعوا شجر الحرم لتتقلدوا به. * ووجه آخر: أن المراد لا تتركوا الإهداء ولا التقليد.

(١) فرَّق البعض بين شعائر الله والهدي، فقالوا شعائر الله هي البدن، والهدي البقر والغنم والثياب وكلُّ ما يُهدىٰ، بينما ذهب الجمهور إلىٰ أن الهدي عام في كل ما يتقرب به من الذبائح والصدقات نقله عنهم القرطبي رحمه الله.

الكلمة	معناها
﴿آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾	قاصدين البيت الحرام المتجهين إليه، وهم الحجيج.
﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾	مسجد الكعبة.
﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً﴾	يلتمسون أرباحًا في تجارتهم.
﴿وَرِضْوَانًا﴾	رضي الله عنهم بنسكهم وحجهم.
﴿إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾	إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا إن شئتم الصيد الذي كنا قد نهيناكم عنه حال إحراكم.
﴿لا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾	لا يحملنكم ـ لا يحقنكم، لا يحُقن لكم
﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾	وجرم بمعنى حقًا. بغض قومٍ ـ عداوة قوم.
﴿تَعْتَدُوا﴾	تجاوز الحد
﴿تَعَاوَنُوا﴾	ليعُن بعضكم بعضًا.
﴿الْبِرِّ﴾	العمل بما أمر الله ـ عمل الخيرات.
﴿التَّقْوَى﴾	اتقاء ما أمر الله باتقائه وإجتنابه من المعاصي.
﴿الإِثْمِ﴾	الآثام عمومًا ـ ما نهى الله عنه.
﴿وَالْعُدْوَانِ﴾	تجاوز ما حدَّه الله لنا، وفرضه علينا في أنفسنا وفي غيرنا.
﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾	احذروا غضبه وعقابه.

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.

أما الذي أورده الطبري[1] رحمه اللَّه تعالى:

من طريق أسباط، عن السُّديّ قال: أقبل الحُطم بن هند البكري ثم أحد بني قيس بن ثعلبة، حتى أتى النبي ﷺ وحده، وخلَّف خيله خارجة من المدينة، فدعاه، فقال: إلام تدعو؟ فأخبره ـ وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: «**يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة، يتكلم بلسان شيطان**»، فلمَّا أخبره النبي ﷺ قال: أنظر، ولعلِّي أُسلم، ولي من أشاوره، فخرج من عنده، فقال رسول اللَّه ﷺ، لقد دخل بوجه كافر، وخرج بعَقِب غادرٍ! فمرَّ بسرح من سرحِ المدينة فساقه، فانطلق به وهو يرتجز:

قد لفَّها اللَّيلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلا غَنَمْ
وَلا بجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الوَضَمْ ... بَاتُوا نِيامًا وَابْنُ هند لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلامٌ كَالزَّلَمْ ... خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ القَدَمْ

ثم أقبل من عام قابلٍ حاجًّا قد قلَّد وأهدى، فأراد رسول اللَّه ﷺ أن يبعث إليه، فنزلت هذه الآية حتَّى بلغ ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] قال له ناس من أصحابه: يا رسول اللَّه، خلِّ بيننا وبينه، فإنه صاحبنا! قال: «**إنَّه قد قلَّد**» قالوا: إنما هو شيء كنَّا نصنعه في الجاهلية. فأبى عليهم، فنزلت هذه الآية.

وهذا ضعيف الإسناد.

---

(١) الطبري، (١٠٩٦١).

وكذا الذي أورده الطبري[١] رحمه اللَّه تعالى:

من طريق عكرمة قال: قدِمَ الحُطَم أخو بني ضبيعة بن ثعلبة البكري المدينة في عِيرٍ له، يحمل طعامًا فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلمَّا ولَّى خارجًا نظر إليه فقال لمن عنده: «**لقد دخل عليّ بوجه فاجر، وولَّى بقفا غادر!**» فلمَّا قدم اليمامة ارتدّ عن الإسلام، وخرج في عِير له تَحمل الطعام في ذيِّ القعدة يريد مكة، فلمَّا سمع به أصحاب رسول اللَّه ﷺ تهيَّأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾ الآية، فانتهى القوم.

فهو ضعيفٌ أيضًا.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿**لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾ [المائدة: ٢]؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم، أن المشركين كانوا قد ظلموا المسلمين وكانوا يحجون ويعتمرون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فَمُنِعُوا من ذلك.

* * *

س: كيف كانوا يستحلون الشهر الحرام؟

ج: استحلاله بالقتال فيه، وبظلم العباد فيه.

● قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢١٧].

● وقال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣٦].

---

(١) الطبري (١٠٩٦٢).

س: هل يجوز الآن ابتداء المشركين بالقتال في الأشهر الحُرم؟

ج: نعم، يجوز ذلك، وقد نقل الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ إجماع العلماء علىٰ ذلك.

* * *

س: كيف كانوا يستحلون الهدي؟

ج: كانوا يستحلونه باغتصابه من أهله، وأيضًا كانوا يحولون بينه وبين الوصل إلىٰ المحل الذي جعله اللَّه عزَّ وجلَّ مَحلاً له.

وثمَّ وجه آخر في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ أي: ولا تتركوا الإهداء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

يعني: لا تتركوا الإهداء، فإن فيه تعظيمًا لشعائر اللَّه.

* * *

س: ما معنى إشعار الهدي؟ وهل ثبت أن النبي ﷺ أشعر هَدْيه؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

وإشعارها أن يُجز سَنامها حتىٰ يسيل منه الدم، فيعلم أنها هَديٌ، والإشعار الإعلام من طريق الإحساس، يقال: أشعر هَديه أي: جعل له علامة ليُعرف أنه هَدْيٌ؛ ومنه المشاعر: المعالم، واحدها مَشعر، وهي: المواضع التي قد أُشعِرت بالعلامات، ومنه الشّعر؛ لأنه يكون بحيث يقع الشعور، ومنه الشَّاعر؛ لأنه يشعر بفطنته لما لا يفطن له غيره؛ ومنه الشعير لشَعرته التي في رأسه.

فالشعائر علىٰ قولٍ ما أُشعر من الحيوانات لتُهْدَىٰ إلىٰ بيت اللَّه.

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ أَشعر بُدنه[١] .

* * *

س: ما المراد بعدم استحلال القلائد؟

ج: المراد، واللَّه أعلم، لا تستحلوا الشيء المقلد، وليس المراد القِلادة نفسها، إنسانًا كان أو شيئًا مهدًىٰ للحرم.

* * *

س: هل هذه الآية الكريمة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢] في المشركين؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم.

* * *

س: إذا كانت الآية في المشركين، فكيف يبتغون فضلاً من ربِّهم ورضوانًا وهم مشركون؟

ج: قال بعض العلماء: يبتغون من ربهم ألا يُعاجلهم بالعقوبة في الدنيا، وأن يُصلح معايشهم فيها، ويبتغون رضا ربهم عنهم في الحج.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال فيه جمهور المفسرين: معناه يبتغون الفضل والأرباح في التجارة،

---

(١) أخرج البخاري (١٦٩٩)، ومسلم (٩٥٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: فتلتُ قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها وقلَّدها، أو قلدتها.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه مشروعية الإشعار، وهو أن يُكشط جلد البدنة حتىٰ يسيل دم، ثم يسلته فيكون ذلك علامة علىٰ كونها هديًا، وبذلك قال الجمهور من السلف والخلف.

وذكر الحافظ ابن حجر وجوه العلماء وأقوالهم هنالك في هذه المسألة.

ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنِّهم وطمعهم، وقيل: كان منهم من يبتغي التجارة، ومنهم من يطلب بالحج رضوان اللَّه وإن كان لا يناله؛ وكان من العرب من يعتقد جزاءً بعد الموت، وأنه يبعث، ولا يبعد أن يحصل له نوع تخفيف في النار، قال ابن عطية: هذه الآية استئلاف من اللَّه تعالىٰ للعرب ولطف بهم؛ لتنبسط النفوس، وتتداخل الناس، ويردون الموسم فيستمعون القرآن، ويدخل الإيمان في قلوبهم وتقوم عندهم الحجة كالذي كان، وهذه الآية نزلت عام الفتح، فنسخ اللَّه ذلك كله بعد عامٍ سنة تسع؛ إذ حجّ أبو بكر ونودِي الناسُ بسورة «براءة».

* * *

س: هل تجوز للحجيج التجارة في موسم الحج؟

ج: نعم يجوز الاتجار في الحج، واستدل فريق من العلماء لذلك:

- بقوله تعالىٰ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨].
- وبقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].
- وبقوله تعالىٰ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢].
- وقد أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن أبي أميمة قال: قال ابن عمر في الرجل يحج ويحمل معه متاعًا، قال: لا بأس به، وتلا هذه الآية: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾.

* * *

(١) الطبري (١٠٩٨٦).

س: هل لقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢] تأثير في الحكم على ما سبق من الآية الكريمة، بمعنى: هل الذين يؤمون المسجد الحرام لا يبتغون فضلاً من ربهم ولا رضوانًا يجوز الاعتداء عليهم؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ فله تأثيرٌ في الحكم، فمن قصد البيت الحرام لا يبتغي فضلاً من ربِّه ولا رضوان اللَّه عليه، بل قصده للإلحاد فيه وأذىٰ المسلمين، فهذا يُمنع، فقد قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا...﴾ [التوبة: ٢٨] واللَّه أعلم.

* * *

س: هل هذه الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ...﴾ [المائدة: ٢] منسوخة؟ وما الناسخ عند من قال بالنسخ؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الآية كلها منسوخة، وقال بعضهم: إن الناسخ هو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾ [التوبة: ٥].

قالوا: والمراد أشهر التسيير الأربعة، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ قالوا: فلم يستثن شهرًا حرامًا من غيره(١).

وقال آخرون: إن الناسخ هو قوله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

---

(١) وإلىٰ هذا ذهب الجمهور، كما نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه.

وقال آخرون: إن جزءًا من الآية منسوخ، وهو ﴿وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] (١).

والناسخ قوله تعالىٰ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

أو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

• بينما ذهب فريق من العلماء إلىٰ أن الآية الكريمة مُحكمة، ولكنها محمولة الآن علىٰ ما يتعلق بأهل الإسلام، وهذا أولىٰ من دعوىٰ النسخ، واللَّه أعلم.

ومما يقوِّي وجهة هؤلاء العلماء القائلين بعدم النسخ:

• قوله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

• وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ٣٦].

---

(١) قال الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: نسخ اللَّه من هذه الآية قوله: ﴿ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمِّين البيت الحرام﴾ [المائدة: ٢]، لإجماع الجميع علىٰ أنَّ اللَّه قد أحلّ قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة كلها، وكذلك أجمعوا علىٰ أن المشرك لو قلَّد عنقه أو ذراعيه لحاء جميع أشجار الحرم، لم يكن ذلك له أمانًا من القتل، إذا لم يكن تقدَّم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان، وقد بيَّنَّا فيما مضىٰ معنىٰ ﴿القلائد﴾ في غير هذا الموضع.

• وفي «صحيحي البخاري ومسلم»(*) عن أبي بكرة، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ الزمان قد استدار**(١) **كهيئته يوم خلقَ اللَّهُ السموات والأرض، السَّنةُ اثنا عشر شهرًا، منها أربعةٌ حُرُم. ثلاثةٌ متواليات: ذو القَعدَة وذو الحجَّة**(٢)**، والمحرَّمُ، ورجبٌ ـ شهرُ مُضَرَ الذي بين جُمادَى وشعبان**(٣)» ثم قال: «**أيُّ شَهرٍ هذا**(٤)**؟**» قُلنا: اللَّه ورسوله أعلم(٥) قال: فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليسَ ذا الحجة؟**» قُلنا بلىٰ. قال: «**فَأيُّ بَلَدٍ**

(*) البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(١) إن الزمان قد استدار: قال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلىٰ قتال أخروا تحريم المحرَّم إلىٰ الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرىٰ إلىٰ شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حتىٰ اختلط عليهم الأمر.
وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم، وقد طابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرَّموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم اللَّه تعالىٰ به يوم خلق السموات والأرض.
وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون، أي: يؤخرون وهو الذي قال اللَّه تعالىٰ فيه: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [المائدة:٣٧] فربما احتاجوا إلىٰ الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلىٰ صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرىٰ، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلىٰ موضعه.

(٢) ذو القعدة وذو الحجة: هذه اللغة المشهورة، ويجوز في لغة قليلة كسر القاف وفتح الحاء.

(٣) ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان: إنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة اللبس عنه، قالوا: وقد كان بين مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب، فكانت مُضر تجعل رجبًا هذا الشهر المعروف الآن، وهو الذي بين جمادىٰ وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي ﷺ إلىٰ مضر.

(٤) أي شهر هذا: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه علىٰ عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم.

(٥) قلنا: اللَّه ورسوله أعلم: هذا من حسن أدبهم، فإنهم علموا أنه ﷺ لا يخفىٰ عليه ما يعرفونه من الجواب، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون.

هَـذَا؟» قُلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: فسكتَ حتَّىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليسَ البَلدةَ؟**» قُلنا: بلَىٰ. قال: «**فأي يومٍ هذا؟**» قُلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: فسكت حتَّىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس يومَ النَّحر؟**» قلنا بَلَىٰ يا رسول اللَّه. قال: «**فإنَّ دمَاءَكم وأموالكم**[1] ـ قال محمدٌ: وأحسبه قال ـ **وأعراضكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. وستلقون ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم. فلا تَرجِعُنَّ بعدي كفَّارًا ـ أو ضُلالاً ـ يضرب بعضكم رقاب بعضٍ. ألا لِيُبلغ الشاهد الغائب، فلعلّ بعض من يُبلَّغُه يكون أوعى له من بعض من سمعه**» ثم قال: «**ألا هَل بلَّغت؟**».

* * *

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]؟

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا ـ إن شئتم ـ ما قد منعناكم من صيده حال إحرامكم، أو فقد حلّ لكم الصيد الذي حرّمناه عليكم أثناء إحرامكم.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: وإذا حللتم فاصطادوا الصيد الذي نهيتكم أن تُحلُّوه ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يقول: فلا حرج عليكم في اصطياده، واصطادوا إن شئتم حينئذٍ؛ لأن المعنىٰ الذي من أجله كنت حرَّمته عليكم في حال إحرامكم قد زال.

---

(١) فإن دماءكم وأموالكم: المراد بهذا كله بيان توكيد غِلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض، والتحذير من ذلك.

قال الطبري: وبما قلنا في ذلك قال جميع أهل التأويل.

* * *

س: هل يجب على من تحلل من إحرامه أن يصطاد لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]؟

ج: لا يجب على من تحلل أن يصطاد، إنما يُباح له الصيد الذي كان مُحرَّمًا عليه حال إحرامه، وذلك لأنه لم يرد أن النبي ﷺ وعموم أصحابه اصطادوا بعد تحللهم من إحرامهم.

* * *

س: إذن كيف يوجَّه الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] أمرٌ كما هو واضح، ولكنه أمرٌ جاء بعد الحظر، أعني أنه قد كان مُباحًا للمرء قبل أن يُحرم بالحج أو العمرة أن يصطاد، ثم مُنع من الصيد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٢]، ثم أُمر بالصيد بعد التحلل من الإحرام، فهذا الأمر بعد الحظر.

لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أنه للوجوب، وهذا القول منتقض بما قدَّمناه قريبًا من أنه لم يرد عن النبي ﷺ وعموم أصحابه أنهم اصطادوا بعد تحللهم.

لكن أجاب أهل هذا القول عن صنيع النبي ﷺ وأصحابه من عدم اصطيادهم بقولهم: إن أصل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ للوجوب، لكن صنيع النبي ﷺ وأصحابه صرف هذا الوجوب إلى الإباحة.

القول الثاني: أن الأمر بعد الحظر يُفيد الإباحة فحسب، وهذا منتقض بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

القول الثالث: أن الأمر بعد الحظر يرجع إلىٰ ما كان قبل الحظر، إن كان واجبًا فواجب، وإن كان مباحًا فمباح، فقد كان الاصطياد قبل الإحرام مباح، ثم مُنع للإحرام، ثم أُمر به بعد التحلل، فالأمر بعد التحلل راجع إلىٰ الحال قبل الإحرام من كونه مباحًا.

ولهذا المذكور نظائر في كتاب اللّٰه تعالىٰ، كقوله تعالىٰ في شأن النساء الحُيَّض: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فهل جماع المرأة بعد تطهرها من المحيض واجب أم لا؟ فالأكثرون علىٰ أنه مباح؛ لأن الجماع قبل الحيض كان مباحًا، ثم منع بالحيض، ثم أُمر به بعد الطهر، فالأمر بعد الطهر راجع إلىٰ الحال قبل الحيض وهو الإباحة(١).

ونحوه في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] فقد كان البيع والشراء بعد النداء إلىٰ أن تنقضي الصلاة ممنوعين، وكان قبل ذلك مباحًا، ثم بعد الصلاة أُمرنا بالانتشار، فالأمر بالانتشار بعد قضاء الصلاة هل هو للوجوب؟ فالظاهر أنه ليس للوجوب لعدم ورود ذلك عن الرسول وأصحابه، فلم يرد أنهم بجملتهم كانوا يخرجون للبيع والشراء، إنما يخرج بعضهم إذا شاء، ويجلس بعضهم في المسجد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**والملائكة يصلون على أحدكم**

---

(١) وإن كان البعض يرىٰ الوجوب، وجوب إتيان المرأة بعد طهرها من المحيض كبعض أهل الظاهر.

مادام في مصلاه الذي صلَّى فيه يقولون: اللَّهُمّ اغفر له اللَّهُمّ ارحمه، اللَّهُمّ تُب عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يُحدِث فيه»[١].

وهذه بعض الأقوال في ذلك:

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

وقوله تعالىٰ ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] أي: إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه، فقد أبحنا لكم ما كان محرمًا عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت علىٰ السَّبْر أنه يَرُدُّ الحكم إلىٰ ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجبًا ردَّه واجبًا، وإن كان مُستحبًّا فمستحبٌّ، أو مباحًا فمباح، ومن قال: إنه علىٰ الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أخرىٰ، والذي ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول، واللَّه أعلم.

أما القرطبي رحمه اللَّه تعالى فقال:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] أمر إباحةٍ ـ بإجماع الناس ـ رفع ما كان محظوراً بالإحرام؛ حكاه كثير من العلماء، وليس بصحيح، بل صيغة «افعَل» الواردة بعد الحظر علىٰ أصلها من الوجوب، وهو مذهب القاضي أبي الطيب وغيره؛ لأن المقتضي للوجوب قائم وتقدّم الحظر لا يصلح مانعاً؛ دليله قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، فهذه «افعل» علىٰ الوجوب؛ لأن المراد بها الجهاد، وإنما فهمت الإباحة هناك وما كان مثله من قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] من النظر إلىٰ المعنىٰ والإجماع لا من صيغة الأمر، واللَّهُ أعلم.

---

(١) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)، واللفظ لمسلم.

س: اذكر حديثًا يعطي بعض معنى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]؟

ج: ذلك والله أعلم، هو قوله ﷺ(١) «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «**تأخذ فوق يديه**» وفي رواية: «**تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره**».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في بيان معنى ذلك:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ وليُعن بعضكم أيها المؤمنون بعضًا، ﴿**عَلَى الْبِرِّ**﴾ وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، ﴿**وَالتَّقْوَىٰ**﴾، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه.

وقوله: ﴿**وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ يعني: ولا يُعن بعضكم بعضًا ﴿**عَلَى الْإِثْمِ**﴾ يعني: على ترك ما أمركم الله بفعله، ﴿**وَالْعُدْوَانِ**﴾ يقول: ولا على أن تتجاوزوا ما حدَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

وقال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالِم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغنِي

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤)، ومسلم (٢٥٨٤).

بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل اللَّه، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم**» ويجب الإعراض عن المتعدي، وترك النصرة له، وردّه عمَّا هو عليه.

ثم نهىٰ فقال: ﴿**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ**﴾ وهو الحكم اللاحق عن الجرائم، وعن «العدوان» وهو ظلم الناس، ثم أمر بالتقوىٰ وتوعَّد توعداً مجملاً فقال: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

* * *

س: ما الفرق بين الإثم والعدوان؟

ج: إذا افترق الإثم عن العدوان في السياق أخذ كلٌّ منهما معنىٰ الآخر، أما إذا اجتمعا في سياق فالإثم يتعلق بالآثام التي يرتكبها الشخص في حق نفسه مع ربه، والعدوان هو التعدي علىٰ الآخرين، وتجاوز الحدود.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢] كل منهما إذا أفرد تضمن الآخر، فكل إثم عدوان، إذ هو فعل ما نهىٰ الله عنه، أو ترك ما أمر الله به. فهو عدوان علىٰ أمره ونهيه. وكل عدوان إثم.

فإنه يأثم به صاحبه، ولكن عند اقترانهما فهما شيئان، بحسب متعلقهما.

فالإثم ما كان محرم الجنس، كالكذب والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك.

والعدوان ما كان محرم القدر والزيادة فالعدوان تعدي ما أبيح منه إلىٰ القدر المحرم، كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه. إما بأن يتعدىٰ علىٰ

ماله، أو بدنه ، أو عرضه . فإذا غصبه خشبة لم يرض عوضها إلا داره . وإذا أتلف عليه شيئًا أتلف عليه أضعافه . وإذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها . فهذا كله عدوان وتعدٍّ للعدل[١] .

* * *

(١) التفسير القيم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(الْمَيْتَةُ - مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ - الْمُنْخَنِقَةُ - الْمَوْقُوذَةُ - الْمُتَرَدِّيَةُ - النَّطِيحَةُ - السَّبُعُ - إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ - النُّصُبِ - الأَزْلامِ - تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ - يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ - اضْطُرَّ - مَخْمَصَةٍ - مُتَجَانِفٍ - لإِثْمٍ).

الكلمة	معناها
﴿الْمَيْتَةُ﴾	ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاةٍ ولا اصطياد أو كلُّ مَالَهُ نفسٌ من دواب البر وطيره مما أباح الله أكله فارقته روحه بغير تذكية.
﴿مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾	ما ذُكر عليه اسمٌ غير اسم الله عز وجل - ما ذبح للآلهة والأوثان يُسمىٰ عليه غير اسم الله عز وجل. قال الطبري رحمه الله: وأصله من استهلال الصبي، وذلك إذا صاح حين يسقط من بطن أمه، ومنه إهلال المحرم بالحج إذا لبَّىٰ به.
﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾	التي تموت بالخنق، التي تموت في خناقها أي في الحبل الذي تربط به عند عنقها، إما قصداً، وإما اتفاقًا كأن تتخبل في وثاقها فتموت، أو تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت[1].

(١) وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتىٰ إذا ماتت أكلوها. طبري (١١٠١٠).

الكلمة	معناها
	أو هي التي يُحبس نَفَسها سواءً بفعل فاعلٍ أو يحدث لها ذلك اتفاقًا.
﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾	هي الميتة وقيذًا، وهي التي تُضرب حتى تشرف على الهلاك ثم تموت من ذلك، وقيد ذلك بعض العلماء بقولهم: تضربُ بشيءٍ ثقيل غير مُحدد بحجرٍ أو بعصا[1].
﴿الْمُتَرَدِّيَةُ﴾	هي التي تسقط من أعلى إلى أسفل فتموت سواءً تردت من جبل فماتت، أو سقطت في بئرٍ فماتت، وسواءً سقطت بنفسها أو أسقطها أحدٌ.
﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾	هي التي تموت من نطح غيرها لها بغير تذكيةٍ فالنطيحة بمعنى المنطوحة، فحرمها الله على المؤمنين إن لم يدركوا ذكاتها قبل موتها. وأيضًا هي التي تموت من نطحها لغيرهافتكون النطيحة بمعني الناطحة والمنطوحة[2].
﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾	هي التي عدا عليها أسدٌ أو فهدٌ أو نمرٌ أو ذئبٌ أو كلبٌ وكل ذي نابٍ وأظفارٍ من الحيوان... فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرامٌ. وإن كان قد سال منها الدم، ولو من مذبحها فلا تحل

(١) أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿والموقوذة﴾ كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصى حتي إذا ماتت أكلوها.

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة (١١٠٢٩، ١١٠٣٠) قال: الكبشان ينتطحان فيقتل أحدهما الآخر فيأكلونه.

الكلمة	معناها
﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾	بالإجماع[١] والمراد بالسبع هنا السبع غير المعلم[٢] . إلا ما ذبحتم - من المذكورات من قبل - وفيه روح فكلوه فهو ذكي إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً .
﴿النُّصُبِ﴾	حجارة تُنصب فتعبد[٣] وتُصب عليها دماء الذبائح ، وقال آخرون : إنها أصنام كانت تصور وتنقش .
﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾	تطلبوا علم ما قسموا لكم أو لم يُقسم لكم .
﴿الأَزْلَامِ﴾	الأقداح .
﴿تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ﴾	تستعلموا (تطلبوا العلم بالأقداح[٤] (أي : بواسطة الأقداح) .
﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾	ذلكم خروج عن طاعة الله عز وجل وأمره .
﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾	يئس الذين كفروا من رجوعكم عن دينكم وارتدادكم عنه إلى الشرك[٥] .

(١) قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، وقال أيضًا : وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة ، أو البعير أو البقرة ونحو ذلك ، فحرَّم الله ذلك على المؤمنين .

(٢) قاله الطبري رحمه الله تعالى .

(٣) وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (١١٠٥٦) قال : والنُصبُ حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها ، فنهى الله عن ذلك وأرد الطبري بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن جريج قال : (أثر ١١٠٥٢) قال : (النصب) : ليست بأصنام ، «الصنم» يصوَّر ، وينقش ، وهذه حجارة تنصب ، ثلاثمائة وستون حجراً ، منهم من يقول ثلاثمائة منها لخزاعة ، فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت ، وشرَّحوا اللحم وجعلوه على الحجارة .
فقال المسلمون : يا رسول الله ، كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحقُّ أن نعظمه!
فكأن النبي ﷺ لم يكره ذلك ، فأنزل الله : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ [الحج : ٣٧] .

(٤) وسيأتي لها مزيدٌ من الشرح إن شاء الله تعالى .

(٥) كما في حديثٍ في «صحيح مسلم» من حديث جابر رضي الله عنه (٢٨١٢) أن النبي ﷺ قال : «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم .

الكلمة	معناها
دِينِكُمْ ﴾	ووجه آخر يئس الذين كفروا من مشابهة المسلمين لما تميَّز به المسلمون من صفات طيبة وخصالٍ حميدة من عفة وطهارة ونقاء وصفاء وصلاة وصيام و . . . فعجزوا عن مشابهتكم في ذلك[1] .
﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾	فلا تخافوهم وخافون ـ فلا تخافوا منهم وخافوا مني .
﴿ دِينِكُمْ ﴾	فرائض دينكم التي افترضتها عليكم وحدودي التي حددتها لكم وسائر الأوامر والنواهي التي أمرتكم بها ونهيتكم عنها ، وما أحللته لكم وما حرمته عليكم وقيل المراد بدينكم هنا حجكم .
﴿ الإِسْلامَ ﴾	الاستسلام لأوامر الله عزَّ وجل والانقياد له والإسلام أيضًا بأركانه الخمس شهادة ألا إله رلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً[2] .
﴿ اضْطُرَّ ﴾	ألجأته ضرورة ـ أصابه ضرٌّ .
﴿ مَخْمَصَةٍ ﴾	مجاعة ـ خلاء البطن من الجوع ـ والخمص ضمور البطن .
﴿ مُتَجَانِفٍ ﴾	مُتمايل ـ متعمد ـ قاصد ـ والجنف الميل .
﴿ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾	متمايل له ـ منحرفٌ إليه ـ متعرض لمعصية ـ يتعمد أكل ذلك لغير دفع الضرورة النازلة به ، ولكن للمعصية .

(١) كما قال تعالى في شأن الصلاة : ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ .

(٢) كما ورد في حديث عمر في سؤالات جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام .

س: هل كل ميتة يحرم أكلها؟

ج: ليست كل ميتةً يحرم أكلها، بل يستثنى من الميتة المُحرَّم أكلها السمك والجراد، وذلك لأثر ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال(١).

ولقول النبي ﷺ في البحر: «**هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته**»(٢).

* * *

س: اذكر سببًا من أسباب تحريم الميتة؟

ج: ذكر بعض العلماء من أسباب ذلك ما فيها من الدم المُحتقن الذي ينشأ عنه الضرر.

* * *

س: ما المراد بالدم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]؟ وهل من الدم شيء يحلُّ؟

ج: المراد، واللَّه تعالى أعلم: الدم المسفوح(٣) لقوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: ١٤٥] أما الدم الذي يحل، فالمذكور فيما تقدَّم «الكبد والطحال». وكذا الدم المتبقي على اللحم من أثر الذبح، وبعد الغسل، الذي لا يمكن الاحتراز منه.

---

(١) صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما موقوفًا وله حكم المرفوع، وسيأتي إن شاء اللَّه هو والذي بعده عند تفسير قوله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ [المائدة: ٩٦].

(٢) صحيح، وسيأتي.

(٣) قلت: ولإيضاح معنى الدم المسفوح أورد الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى أثرًا بإسناد ضعيف عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال: بعثني رسول اللَّه ﷺ إلى قومي، أدعوهم إلى اللَّه ورسوله، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم، فبينا نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة من دم، فاجتمعوا عليها يأكلونها، فقالوا: هلم يا صدي فكل. قال: قلت: =

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وأما «الدم» فإنه الدم المسفوح دون ما كان منه غير مسفوح؛ لأن اللَّه جل ثناؤه قال ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾ فذكر الآية.

قال: فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكبد والطحال، وما كان في اللحم غير منسفح فإن ذلك غير حرام لإجماع الجميع على ذلك.

* * *

س: هل شحم الخنزير ودمه حرام؟

ج: نعم حرام، لقوله تعالى: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾

= ويحكم إنما أتيتكم من عند من يحرِّم هذا عليكم، وأنزل اللَّه عليه. فأقبلوا عليه، قالوا: وما ذاك؟ قال: فتلوت عليهم هذه الآية: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [المائدة: ٣].

وأورد له سياقًا آخر بنفس السند الضعيف قال: فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبون عليّ، فقلت لهم: ويحكم اسقوني شربة من ماء، فإني شديد العطش، قال: وعليّ عباءتي، فقالوا: لا، ولكن ندعك حتى تموت عطشًا. قال: فاغتممت، وضربت برأسي في العباء، ونمتُ على الرمضاء في حرٍّ شديد، قال: فأتاني آت في منامي بقدح من زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس ألذ منه، فأمكنني منها فشربتها، فلمَّا فرغت من شرابي استيقظت، فلا واللَّه ما عطشت ولا عريت بعد تيك الشربة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وما أحسن ما أنشد الأعشى في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق:

وإياك والميتات لا تقربنَّها ... ولا تأخذنّ عظمًا حديدًا فتفصدا

أي: لا تفعل فعل الجاهلية، وذلك أن أحدهم كان إذا جاع أخذ شيئًا محددًا من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره، أو حيوانًا من أي صنف كان، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرَّم اللَّه الدمَ على هذه الأمة، ثم قال الأعشى:

وذا النصب المنصوب لا تأتينه ... ولا تعبد الأوثان واللَّه فاعبدا

[الأنعام: ١٤٥] على قول من أعاد قوله ﴿ رِجْسٌ ﴾ إلى الخنزير عمومًا.

وفي الحديث عن رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»(١).

* * *

س: إذا أصاب السهمُ الصيد فتردَّى من جبلٍ أو من شجرةٍ إلى الأرض هل يؤكل أم لا؟

ج: قال القرطبي في «تفسيره»:

وإذا أصاب السهم الصيد فتردَّىٰ من جبل إلىٰ الأرض حرم أيضًا؛ لأنه ربما مات بالصدمة والتردّي لا بالسهم؛ ومنه الحديث: «**وإن وجدته غريقًا في الماء فلا تأكله، فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك**»(٢) أخرجه مسلم.

وكانت الجاهلية تأكل المتردّي، ولم تكن تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يُعرف؛ فأما هذه الأسباب فكانت عندها كالذكاة، فحصر الشرع الذكاة في صفة مخصوصة علىٰ ما يأتي بيانها، وبقيت هذه كلها ميتة، وهذا كله من المُحْكَم المتفق عليه، وكذلك النطيحة وأكيلة السبع التي فات نَفَسها بالنطح والأكل.

* * *

س: لماذا أثبتت الهاء في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: طرح الطبري نحواً من هذا السؤال في «تفسيره»، وأجاب عليه فقال رحمه اللَّه:

---

(١) البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) مسلم (١٥٣١).

فإن قال قائل: وكيف أثبتت «الهاء» ـ هاء التأنيث فيها ـ، وأنت تعلم أن العرب لا تكاد تثبت «الهاء» في نظائرها إذا صرفوها صرف «النطيحة» من مفعول إلىٰ «فعيل»، إنما تقول: «لحية دهين» و«عين كحيل» و«كف خضيب»، ولا يقولون: كف خضيبة، ولا عين كحيلة؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك:

فقال بعض نحويي البصرة: أثبتت فيها «الهاء» أعني في «النطيحة» لأنها جعلت كالاسم مثل: «الطويلة»، و«الطريقة».

فكأن قائل هذا القول وجه «النطيحة» إلىٰ معنىٰ «الناطحة».

فتأويل الكلام علىٰ مذهبه: وحرمت عليكم الميتة نطاحًا، كأنه عنىٰ: وحرّمت عليكم الناطحة التي تموت من نِطاحها.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما تحذف العرب «الهاء» من «الفعيلة» المصروفة عن «المفعول»، إذا جعلتها صفة لاسم قد تقدَّمها، فتقول: «رأينا كفًّا خضيبًا، وعينًا كحيلاً» فأما إذا حذفت «الكف» و«العين» والاسم الذي يكون «فعيل» نعتًا لها، واجتزءوا بـ «فعيل» منها أثبتوا فيه هاء التأنيث، ليعلم بثبوتها فيه أنها صفة للمؤنث دون المذكر، فتقول: «رأينا كحيلةً وخضيبةً»، و«أكيلة السبع»، قالوا: ولذلك أدخلت «الهاء» في «النطيحة»؛ لأنها صفة المؤنث، ولو أسقطت منها لم يُدْرَ أهي صفة مؤنث أم مذكر.

وهذا القول هو أولىٰ القولين في ذلك بالصواب، لشائع أقوال أهل التأويل، بأن معنىٰ «النطيحة»: المنطوحة.

* * *

س: إذا عدا الذِّئب على شاة فأكل بعضها، وأُدركت قبل أن تموت فذكِّيت بالذبح الشرعي، وسالَ منها الدم، فهل تحل أم لا؟

ج: نعم تحلُّ، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٤٣] وهذا رأي جمهور الفقهاء، نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ، وقال: وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل.

● ونقل الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه عن ابن وهب قال: سُئل مالكٌ عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتَّىٰ تخرج أمعاؤها، فقال مالك: لا أرىٰ أن تُذكىٰ، أي شيء يُذكىٰ منها؟!.

* * *

س: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] عائدٌ على ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه عائدٌ علىٰ ما ذُكر من قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣] فإذا أدركت شيئًا من هذه قبل الوفاة فذكيتها فقد حلَّت لك.

● وأورد الطبري آثاراً بذلك منها صحيح الإسناد ومنها ما في إسناده ضعف، فمن الصحيح الذي أورده:

أثر قتادة[1] قال: فكلُّ هذا الذي سمَّاه اللَّه عزَّ وجلَّ هاهنا ما خلا لحم الخنزير، إذا أدركت منه عينًا تطرف، أو ذنبًا يتحرَّك، أو قائمة تركض فذكيته، فقد أحلّ اللَّه لك ذلك.

وأثر طاووس[2] قال: إذا ذبحت فمصعت بذنبها، أو تحركت؛ فقد حلَّت لك، أو قال: فَحَسْبُه.

---

(١) الطبري (١١٠٣٨).

(٢) الطبري (١١٠٤٣).

وأثر الحسن[1] قال: إذا كانت الموقوذة تطرف ببصرها، أو تركض برجلها، أو تمصع بذنبها فاذبح وكُلْ.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى: فتأويل الآية على قول هؤلاء: حرمت الموقوذة والمتردية، إن ماتت من التردّي والوقذ والنطح وفرْس السبع، إلا أن تدركوا ذكاتها فتدركوها قبل موتها، فتكون حينئذٍ حلالاً كلها.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] نصب على الاستثناء المتّصل عند الجمهور من العلماء والفقهاء، وهو راجع على كلّ ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة، فإن الذكاة عاملة فيه؛ لأن حق الاستثناء أن يكون مصروفًا إلى ما تقدّم من الكلام، ولا يجعل منقطعًا إلا بدليل يجب التسليم له.

وقال آخرون من أهل العلم: إن الاستثناء منقطع، فالمعنى: إلا ما ذكيتم مما أحللته لكم، لا من المذكورات في الآية.

وأورد ذلك الطبري فقال:

وقال آخرون: هو استثناء من التحريم، وليس باستثناء من المحرَّمات التي ذكرها اللَّه تعالى في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾؛ لأن الميتة لا ذكاة لها، ولا للخنزير، قالوا: وإنما معنى الآية: حرّمت عليكم الميتة والدم وسائر ما سمينا مع ذلك؛ إلا ما ذكيتم مما أحلَّه الله لكم بالتذكية، فإنه لكم حلال.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ قول مالك وسئل عن الشاة التي يخرق جوفها السبع حتى تخرق أمعاؤها، فقال مالك: لا أرى أن تذكَّى، ولا يؤكل أي

---

(١) الطبري (١١٠٤٤).

(٢) الطبري (١١٠٤٩).

شيء يُذكَّىٰ منها[٢] .

وأورد لفظًا آخر عن أشهب[١] قال: سُئل مالكٌ عن السبع يعدو علىٰ الكبش فيدق ظهره، أترىٰ أن يذكَّىٰ قبل أن يموت فيؤكل؟ قال: إن كان بلغ السَّحْرَ، فلا أرىٰ أن يؤكل، وإن كان إنما أصاب أطرافه، فلا أرىٰ بذلك بأسًا. قيل له: وثب عليه فدقَّ ظهره؟ قال: لا يعجبني أن يؤكل، هذا لا يعيش منه. قيل له: فالذئب يعدو علىٰ الشاة فيشق بطنها ولا يشق الأمعاء؟ قال: إذا شقَّ بطنها فلا أرىٰ أن تؤكل.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وعلىٰ هذا القول يجب أن يكون قوله: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناءً منقطعًا.

فيكون تأويل الآية: حُرِّمت عليكم الميتة والدم وسائر ما ذكرنا، ولكن ما ذكيتم من الحيوانات التي أحللتها لكم بالتذكية حلال.

قال أبو جعفر: وأولىٰ القولين في ذلك عندنا بالصواب، القول الأول، وهو أن قوله ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء من قوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾؛ لأن كل ذلك مستحق الصفة التي هو بها قبل حال موته، فيقال لما قرَّب المشركون لآلهتهم فسموه لهم هو ﴿مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بمعنىٰ: سمي قربانًا لغير اللَّه، وكذلك «المنخنقة»، إذا انخنقت وإن لم تمت، فهي منخنقة، وكذلك سائر ما حرَّمه اللَّه جل وعزَّ بعد قوله ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، إلا بالتذكية، فإنه يوصف بالصفة التي هو بها قبل موته، فحرمه اللَّه علىٰ عباده إلا بالتذكية المحللة، دون الموت بالسبب الذي كان به موصوفًا.

---

(١) الطبري (١١٠٥٠).

فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وحرم عليكم ما أهل لغير اللَّه به والمنخنقة، وكذا، وكذا، وكذا، إلا ما ذكيتم من ذلك.

فـ«ما» إذ كان ذلك تأويله ـ في موضع نصب بالاستثناء مما قبلها، وقد يجوز فيه الرفع.

وإذ كان الأمر على ما وصفنا، فكل ما أدركت ذكاتُه من طائر أو بهيمة قبل خروج نفسه، ومفارقة روحه جسده، فحلالٌ أكله، إذا كان مما أحلَّه اللَّه لعباده.

فإن قال لنا قائل: فإذ كان ذلك معناه عندك، فما وجه تكريره ما كرّر بقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وسائر ما عدَّد تحريمه في هذه الآية، وقد افتتح الآية بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾؟ وقد علمت أن قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ شامل كل ميتة، كان موته حتف أنفه من علة به من غير جناية أحد عليه، أو كان موته من ضرب ضارب إياه، أو انخناق منه، أو انتطاح، أو فَرْس سبع؟ وهلاَّ كان قوله ـ إن كان الأمر على ما وصفت في ذلك، من أنه معنيٌّ بالتحريم في كل ذلك: الميتة بالانخناق والنطاح والوقذ وأكل السبع أو غير ذلك، دون أن يكون معنيًّا به تحريمه إذا تردَّى أو انخنق أو فرسه السبع، فبلغ ذلك منه ما يعلم أنه لا يعيش مما أصابه منه إلا باليسير من الحياة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ مغنيًا من تكرير ما كرر بقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وسائر ما ذكر مع ذلك، وتعداده ما عدَّدَ؟

قيل: وجه تكراره ذلك، وإن كان تحريم ذلك إذا مات من الأسباب التي هو بها موصوف، وقد تقدَّم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، أن الذين خُوطبوا بهذه الآية كانوا لا يعدُّون ﴿الْمَيْتَةُ﴾ من الحيوان، إلا ما مات من علة عارضة به

غير الانخناق والتردِّي والانتطاح وفرس السبع، فأعلمهم اللَّه أن حكم ذلك، حكم ما مات من العلل العارضة، وأن العلة الموجبة تحريم الميتة ليست موتها من علة مرض، أو أذىٰ كان بها قبل هلاكها، ولكن العلة في ذلك أنها لم يذبحها من أجل ذبيحته بالمعنىٰ الذي أحلها به.

* * *

س: ما صحة حديث «لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك»؟

ج: الحديث ضعيف الإسناد، وقد رواه أبو داود[1] وغيره من طريق أبي العشراء، وهو أعرابيٌّ مجهول كما قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالىٰ.

وقد صححه الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى، ولكنه حمله علىٰ ما لا يُقدر علىٰ ذبحه في الحلق واللُّبة.

قال أبو داود عقب روايته لهذا الحديث: وهذا لا يصلح إلا في المتردية والمتوحش.

* * *

س: ما المراد بالذكاة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾؟ وما الذي تقع به التذكية؟

ج: المراد واللَّه أعلم: إنهار الدم وفَري الأوداج في المذبوح، والنحر في المنحور، والعقر في غير المقدور مقرونًا بنية القصد للَّه، وذكر اسم اللَّه عليه، قال ذلك القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ.

أما الذي تقع به التذكية:

● فقد قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

---

(١) أبو داود (٢٨٢٥)، والترمذي (١٤٨١)، وغيرهما.

واختلف العلماء فيما يقع به الذكاة.

فالذي عليه الجمهور من العلماء أن كل ما أفرى الأوداج وأنهر الدَّم فهو من آلات الذكاة ما خلا السن والعظم، على هذا تواترت الأخبار، وقال به فقهاء الأمصار.

* * *

س: ما الحكم إذا ذُبحت ذبيحة وخرج ما في بطنها حيًّا، هل يؤكل بلا ذبح؟

ج: لا يؤكل بلا ذبح، بل يجب أن يُذبح.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

وأجمع أهل العلم على أن الجنين إذا خرج حيًّا أن ذكاة أمِّه ليست بذكاة له.

* * *

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الاستقسام بالأزلام.

ج: أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن سعيد بن جبير قال:

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣] قال: القداح، كانوا إذا أرادوا أن يخرجوا في سفر جعلوا قداحًا للجلوس والخروج، فإن وقع الخروج خرجوا، وإن وقع الجلوس جلسوا.

وعن الحسن[2]: في قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ قال: كانوا إذا أرادوا أمرًا أو سفرًا يعمدون إلى قداح ثلاثة، على واحد منها مكتوب

(١) الطبري (١١٠٦٢).

(٢) الطبري (١١٠٦٤).

«اؤمرني» وعلىٰ الآخر: «انهني» ويتركون الآخر محلَّلاً بينهما ليس عليه شيء، ثم يجيلونها، فإن خرج الذي عليه «اؤمرني» مضوا لأمرهم، وإن خرج الذي عليه «انهني» كفُّوا، وإن خرج الذي ليس عليه شيءٌ أعادوها.

وبإسناد حسن[1] عن قتادة: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ وكان أهل الجاهلية إذاً أراد أحدهم خروجًا أخذ قدحًا فقال: «هذا يأمر بالخروج»، فإن خرج فهو مصيب في سفره خيراً، ويأخذ قدحًا آخر فيقول: «هذا يأمر بالمكوث»، فليس يصيب في سفره خيراً، و«المنيح» بينهما. فنهىٰ اللَّه عن ذلك وقدَّم فيه.

قال الطبري رحمه اللَّه: يعني بقوله ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾، وأن تطلبوا علم ما قَسِم لكم أو لم يقسم بالأزلام.

وهو «استفعلت» من «القَسْم» قَسم الرزق والحاجات، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القِداح، وهي «الأزلام» وكانت قِداحًا مكتوبًا علىٰ بعضها: «نهاني ربي»، وعلىٰ بعضها «أمرني ربي»، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه «أمرني ربي»، مضىٰ لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك، وإن خرج الذي عليه مكتوب «نهاني ربي»، كفّ عن المضي لذلك وأمسك، فقيل: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾؛ لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يَقْسِمن لهم، ومنه قول الشاعر مفتخراً بترك الاستقسام بها:

وَلَمْ أَقْسِم فَتَربُثَني القُسُومُ

وأما «الأزلام»، فإن واحدها «زَلَم»، ويقال: «زُلَم»، وهي القداح التي وصفنا أمرها.

---

(١) الطبري (١١٠٧١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أي: حرّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام، واحدها: زُلَم، وقد تفتح الزاي فيقال: زَلَم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قِداح ثلاثة، علىٰ أحدها مكتوب «افعل» وعلىٰ الآخر «لا تفعل»، والثالث: غفلٌ ليس عليه شيء، ومن الناس من قال: مكتوب علىٰ الواحد «أمرني ربي»، وعلىٰ الآخر «نهاني ربي» والثالث غفلٌ ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد.

والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام، هكذا قرَّر ذلك أبو جعفر بن جرير.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ معطوف علىٰ ما قبله، و«أن» في محل رفع، أي: وحُرّم عليكم الاستقسام، والأزلام قداح المَيْسِر، واحدها زَلَم، وزُلَم، قال:

باتَ يُقاسيها غلامٌ كالزَّلَمْ

وقال آخر، فجمع:

فَلَئِنْ جذيمة قَتّلت سَرَواتها فنساؤها يَضْرِبْن بالأزلامِ

وذكر محمد بن جرير: أن ابن وكيع حدّثهم عن أبيه، عن شُريك عن أبي حُصين عن سعيد بن جُبير، أن الأزلام حصىٰ بيض كانوا يضربون بها، قال محمد بن جرير: قال لنا سُفيان بن وكيع: هي الشِّطرنج، فأما قول لَبيد:

تَزِلُّ عن الثّرى أزلامُها

فقالوا: أراد أظلاف البقرة الوحشية.

والأزلام للعرب ثلاثة أنواع:

منهـــا: الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه، على أحدها افعل، وعلى الثاني: لا تفعل، والثالث مُهمل لا شيء عليه، فيجعلها في خريطة معه، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده ـ وهي متشابهة ـ فإذا خرج أحدها ائتمر وانتهى بحسب ما يخرج له، وإن خرج القِدْح الذي لا شيء عليه أعاد الضّرب؛ وهذه هي التي ضَرب بها سُراقة بن مالك بن جُعْشُم حين اتّبع النبي ﷺ وأبا بكر وقت الهجرة، وإنما قيل لهذا الفعل: استقسام لأنهم كانوا يستقسمون به الرّزق وما يريدون، كما يُقال: الاستسقاء في الاستدعاء للسّقي، ونظير هذا الذي حرّمه اللّه تعالى قول المُنَجِّم: لا تخرج من أجل نَجم كذا، واخرج من أجل نجم كذا، وقال جل وعزَّ: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾ [لقمان: ٣٤]، وسيأتي بيان هذا مستوفًى إن شاء اللّه.

والنوع الثاني: سبعة قِداح كانت عند هُبَل في جوف الكعبة مكتوب عليها ما يدور بين الناس من النوازل، كل قِدح منها فيه كتاب؛ قِدح فيه العقل من أمر الديات، وفي آخر «منكم» وفي آخر «من غيركم»، وفي آخر «مُلصَق»، وفي سائرها أحكام المياه وغير ذلك؛ وهي التي ضَرَبَ بها عبد المطلب على بنيه إذ كان نذر نحر أحدهم إذا كملوا عشرة؛ الخبر المشهور ذكره ابن إسحاق، وهذه السبعة أيضًا كانت عند كل كاهِن من كهان العرب وحكامهم، على نحو ما كانت في الكعبة عند هُبل.

والنوع الثالث: هو قِداح الميسر وهي عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أغفال، وكانوا يضربون بها مقامرة لهواً ولَعِبًا، وكان عُقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين والمُعْدِم في زمن الشتاء وكَلَب البَرْد وتعذُّر التحرُّف، وقال مجاهد: الأزلام هي كِعاب فارس والروم التي يتقامرون

بها، وقال سُفيان ووكيع: هي الشِّطرنج؛ فالاستقسام بهذا كله هو طلب القَسْم والنّصيب كما بيّنّا؛ وهو من أكل المال بالباطل، وهو حرام، وكل مُقامرة بحمامٍ أو بنردٍ أو شطرنج أو بغير ذلك من هذه الألعاب فهو استقسام بما هو في معنىٰ الأزلام حرام كلُّه، وهو ضرب من التكهّن والتعرض لدعوىٰ عِلم الغيب.

قال ابن خُوَيْزِ منْدَاد: ولهذا نهىٰ أصحابنا عن الأمور التي يفعلها المنجمون علىٰ الطرقات، من السهام التي معهم، ورِقاع الفأل في أشباه ذلك.

وقال الكيَا الطبري: وإنما نهىٰ اللَّه عنها فيما يتعلق بأمور الغيب؛ فإنه لا تدري نفسٌ ماذا يُصيبها غَدًا، فليس للأزلام في تعريف المغيبات أثر؛ فاستنبط بعض الجاهلين من هذا الردّ علىٰ الشافعي في الإقراع بين المماليك في العِتق، ولم يعلم هذا الجاهل أن الذي قاله الشافعي بُني علىٰ الأخبار الصحيحة، وليس مما يُعتَرض عليه بالنهي عن الاستقسام بالأزلام، فإن العِتق حكم شرعيّ، يجوز أن يجعل الشرع خروج القرعة علمًا علىٰ إثبات حكم العِتق قطعًا للخصومة، أو لمصلحة يراها، ولا يساوي ذلك قول القائل: إذا فعلت كذا أو قلت كذا فذلك يدلُك في المستقبل علىٰ أمر من الأمور، فلا يجوز أن يُجعل خروج القِداح عَلَمًا علىٰ شيء يتجدد في المستقبل، ويجوز أن يُجعل خروج القرعة علمًا علىٰ العتق قطعًا؛ فظهر افتراق البابين.

قلت: وقد ورد في ذكر الأزلام ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ لَمَّا رأىٰ الصور في البيت لم يدخل حتَّىٰ أمر بها فمُحيت، ورأىٰ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال:

«قاتلهم اللَّه، واللَّه إن استقسما بالأزلام قط»[١] .

وقال سراقة بن مالك بن جعشم وهو يصف حاله أثناء تعقبه للنبي ﷺ في طريق الهجرة: قال: فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلىٰ كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره. . . الحديث[٢] .

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: عائدٌ علىٰ ما ذُكر من أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وسائر ما ذُكر في الآية الكريمة، فهو عائدٌ علىٰ تعاطِي ما ذُكر.

* * *

س: في شرعنا ما هو خيرٌ لنا من الاستقسام بالأزلام؟ فما هو؟

ج: في شرعنا شُرعت الاستخارة، وشُرعت القرعة في المشكلات، وقد قدَّمنا طرفًا من ذلك في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] .

* * *

س: أي يوم هذا الذي قال اللَّه فيه: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ. . .﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: ذاك يوم عرفة؛ ففي «الصحيحين»[٣] من حديث طارق بن شهاب

---

(١) البخاري (٣٣٥٢). (٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

(٣) البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٢٣١٣)، وانظر عبد بن حُميد في «المنتخب» حديث رقم (٣٠)، وذكر الجمعة ثابت في الحديث.

قال: قالت اليهودُ لعُمر: لو علينا معشر يهود نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] نعلمُ اليومَ الذي أُنزلت فيه، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: فقال عمر: فقد علمتُ اليوم الذي أُنزلت فيه، والساعة، وأين رسول اللَّه ﷺ حين نزلت. نزلت ليلة جَمعٍ ونحن مع رسولِ اللَّه ﷺ بعرفاتٍ.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣] مع ما قبلها؟

ج: المعنى، واللَّه أعلم: اثبتوا على دينكم ولا تخشوا هؤلاء الكفار أن يصرفوكم عن دينكم ويغلبوكم، فلا تخافوهم وخافون أن أنتقم منكم إذا تركتم دينكم الذي أكملته لكم، وخالفتم أمري وعصيتم رسلي.

* * *

س: متى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: نزلت يوم عرفة، وقد تقدَّم الحديث بذلك.

* * *

س: ذكر بعض العلماء آيةً في معنى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ما هذه الآية؟

ج: ذكروا في معناها قول اللَّه تبارك وتعالي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما صحة الحديث الذي أورده ابن جرير وفيه: لَمَّا نزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بكى عمر فقال له النبي ﷺ «ما يُبكيك»؟ قال: أبكاني أنَّا كُنَّا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيءٌ إلا نقص، فقال: «صدقتَ»؟

وهل هناك حديث صحَّ يعطي معناه؟

ج: أما إسناد ابن جرير الطبري[1] بالحديث الأول فهو ضعيف، ففيه سفيان بن وكيع، وقد تُكلِّم فيه بسبب وراق السوء الذي كان عنده.

أما الحديث الذي صحّ في معناه فهو قول رسول اللَّه ﷺ: «**بَدَأَ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها**»[2].

وفي رواية لمسلم أيضًا: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**»[3].

* * *

(١) الطبري (١١٠٨٧).

(٢) مسلم (١٤٦).

(٣) مسلم (١٤٥).

س: كيف يُدفع الإشكال الذي قد يرد على البعض من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وقد كان هذا كما بينتم يوم عرفة، مع أن هناك أوامر ونواهي وردت بعد هذه الآية؟

ولمزيد إيضاح للسؤال: نقول: قد وردت عن رسول اللّه ﷺ أوامر ونواه في آخر حياته تأمره بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ووصاياه بالصلاة وما ملكت الأيمان، ونهيه عن اتخاذ قبره عيداً، ونحو ذلك، فكيف نوجه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهذه المذكورات قد وردت بعد ذلك؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ معظم الفرائض والتحليل والتحريم[1].

القول الثاني: أن المراد بالدين في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الحج.

أي: أكملت لكم حجكم، فأنتم تحجون وحدكم لا يخالطكم في حجكم مشرك، ولا تعلو له راية.

---

(١) عزا القرطبي هذا القول للجمهور، فقال القرطبي: وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم.

قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت آية الكلالة، إلى غير ذلك، وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج، إذ لم يطف معهم هذه السنة مشرك، ولا طاف بالبيت عُريان، ووقف الناس كلهم بعرفة.

وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه فقال:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إن اللَّه عزَّ وجلَّ أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به أنه أكمل لهم يوم هذه الآية علىٰ نبيه ﷺ دينهم بإفرادهم بالبيت الحرام، وإجلائه عنه المشركين، حتىٰ حجه المسلمون دونهم لا يخالطونهم المشركون.

قال الطبري: فأما الفرائض والأحكام فإنه قد اختلف فيها هل كانت كملت ذلك اليوم أم لا؟

فأشار إلى بعض الآثار ثم قال:

ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أن قُبض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعًا، فإذ كان ذلك كذلك، وكان قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] آخرها نزولاً، وكان ذلك من الأحكام والفرائض، كان معلومًا أن معنىٰ قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ علىٰ خلاف الوجه الذي تأوَّله من تأوَّله، أعني: كمال العبادات والأحكام والفرائض.

فإن قال قائل: فما جعل قولَ من قال: «قد نزل بعد ذلك فرض»، أولىٰ من قول من قال: «لم ينزل»؟

قيل: لأن الذي قال: لم ينزل، مخبر أنه لا يعلم نزول فرض، والنفي لا يكون شهادة، والشهادة قول من قال: نزل، وغير جائز دفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقًا.

القول الثالث: قول من قال: إنه لم ينزل بعد هذه الآية علىٰ رسول اللَّه تحليل ولا تحريم، وإنما الذي نزل كان تأكيدًا علىٰ أمور سبق بيانها، فوصيته عليه الصلاة والسلام بالصلاة قد تقدّمت مراراً، وإنما ذكر ذلك في مرض

موته كالتأكيد على ما سبق، وكذا وصيته بملك اليمين ونحو ذلك.

قلت: وهذا القول إن سلم في مواطن فلا يكاد يسلم لقائله في مواطن ومسائل أُخر.

القول الرابع: أكملت لكم دينكم بأن رفعتُ لكم رايتكم، وأعليتُ لكم شأنكم، فأصبحت كلمتكم بإذن اللَّه وبأمره هي أقوى الكلمات، وشوكتكم أقوى من شوكة من عداكم في جزيرة العرب، وأظهرت لكم دينكم على الدين كله، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: ما وجه إتمام النعمة في قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: وجه ذلك أن منارات الجاهلية هُدمت، وعُبد اللَّه وحده لا شريك له، ولم يحج مشرك، ولم يطف بالبيت بعد اليوم عُريان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى «التفسير القيم» في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾:

النعمة نعمتان: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة.

فالنعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام و السنة وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم به وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩] فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضًا هم المعنيون بقول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ فأضاف الدين إليهم، إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم.

والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضاف إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه ولهذا يقال في الدعاء: اللهم انصر دينك الذي أنزلت من السماء.

ونسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة، مع إضافتها إليه لأنه هو وليها ومسديها إليهم. وهم محل محض النعمة قابلين لها، ولهذا يقال في الدعاء المأثور للمسلمين: «واجعلهم مثنين بها عليك، قابليها، وأتمها عليهم» وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به، الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم، فقال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكان الإكمال في جانب الدين والإتمام في جانب النعمة.

واللفظتان ـ وإن تقاربتا وتواخيتا ـ فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل. فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها، كما قال النبي ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد**» وقال عمر بن عبد العزيز: «إن للإيمان حدودًا وفرائض، وسننًا وشرائع، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان».

وأما الإتمام فيكون في الأعيان والمعاني، ونعم الله أعيان وأوصاف ومعان.

وأما دينه فهو شرعه المتضمن لأمره ونهيه ومحابه[1]، فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن، كما كانت إضافة الدين إليهم

(١) كذا في الأصل، والمراد: المستحبات.

والنعمة إليه أحسن.

والمقصود: أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة، وهي التي اختصت بالمؤمنين. وإذا قيل: ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح.

والنعمة الثانية: النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وبسطة الجاه، وكثرة الولد والزوجة الحسنة، وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر.

وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار، فهو حق.

فلا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراجًا للكافر، ومآلها إلى العذاب والشقاء، فكأنها لم تكن نعمة، وإنما كانت بلية، كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك.

فقال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ**﴾ [الفجر: ١٥، ١٦] أي: ليس كل من أكرمته في الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه، وإنما كان ذلك ابتلاء مني له واختبار.

ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته بقدر فضلة أكون قد أهنته، بلى أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب.

فإن قيل: كيف يلتئم هذا المعنى ويتفق مع قوله: ﴿**فَأَكْرَمَهُ**﴾ فأثبت له الإكرام، ثم أنكر عليه قوله: ﴿**رَبِّي أَكْرَمَنِ**﴾ وقال: ﴿**كَلاَّ**﴾ أي: ليس ذلك إكرامًا مني هو ابتلاء، فكأنه أثبت له الإكرام ونفاه.

وقيل: الإكرام المثبت غير الإكرام المنفي، وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة، فليس هذا الإكرام المقيد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المطلق.

وكذلك أيضًا إذا قيل: إن الله أنعم على الكافر نعمة مطلقة، ولكنه رد نعمة الله وبدَّلها. فهو بمنزلة من أعطي مالاً ليعيش به فرماه في البحر.

كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] فهدايته إياهم نعمة منه عليهم، فبدلوا نعمة الله، وآثروا عليها الضلال.

فهذا فصل النزاع في مسألة: هل لله على الكافر نعمة أم لا؟

وأكثر اختلاف الناس من جهتين:

إحداهما: اشتراك الألفاظ وإجمالها والثانية من جهة الإطلاق والتفصيل.

* * *

س: هل ربُّنا سبحانه وتعالى لم يرتض الإسلام دينًا للمسلمين قبل هذا اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة؟

ج: لا شك أن الدين عند اللَّه الإسلام.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ولا يُقبل من عبدٍ دينًا سواه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولكن وجه قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]:

فمن العلماء من قال: إن المراد إعلام المسلمين بذلك، وهذا هو القول الأول.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

أي: أعلمتكم برضاي به لكم دينًا، فإنه تعالىٰ لم يزل راضيًا بالإسلام لنا دينًا، فلا يكون لاختصاص الرضا بذلك اليوم فائدة، إن حملناه علىٰ ظاهره.

القول الثاني: رضيت لكم استسلامكم لأمري، وانقيادكم لطاعتي، ورضيت عنكم لذلك، ورضيت به منكم.

القول الثالث: رضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم دينًا باقيًا بكماله إلىٰ آخر الآية، لا أنسخ منه شيئًا.

وقد طرح الطبري نحو هذا السؤال المُشار إليه، وأجاب عليه فقال في السؤال والجواب عليه:

فإن قال قائل: أوَ ما كان اللَّه راضيًا الإسلام لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية؟

قيل: لم يزل اللَّه راضيًا لخلقه الإسلام دينًا، ولكنه جلَّ ثناؤه لم يزل يصرِّف نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة، ومرتبة بعد مرتبة، وحالاً بعد حال، حتىٰ أكمل لهم شرائعه ومعالمه، وبلغ بهم أقصىٰ درجاته ومراتبه.

ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ﴾ بالصفة التي هو بها اليوم، والحال التي أنتم عليها اليوم منه ﴿دِينًا﴾ فالزموه ولا تفارقوه.

* * *

س: اذكر حديثًا في فضل من رضي باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً.

ج: أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت باللَّه ربًّا وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبه**»[1].

* * *

س: إلى مَتى تحل الميتة للمضطرين إلى أكلها؟

ج: الظاهر أنه إلى أن يجدوا ما يقوموا به من غيرها الذي أحله اللَّه لهم، وقد ورد في الباب خبر مرسل[2] ضعيف الإسناد، أخرجه الطبري من طريق الحسن، أن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: إلى متى يحل لي الحرام؟ قال: فقال: «**إلى أن يروَى أهلك من اللبن، أو تجيء ميرتهم**».

وانظر السؤال التالي وجوابه.

* * *

س: هل يُشترط مرور ثلاثة أيام بلا طعام على الشخص حتى يكون مضطرًا لأكل الميتة؟

ج: لا نعلم دليلاً على ذلك، أما حديث أبي واقدٍ الليثي الوارد في هذا، وفيه: قلنا يا رسول اللَّه، إنا بأرض تصيبنا فيها مخمصةٌ، فما يصلح لنا من

---

(١) مسلم (٣٨٦)، وقد ورد عند أبي عوانة «المستخرج» (١/ ٣٤٠) أن هذا الذكر مع شهادة ألا إله إلا اللَّه ففيه: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا اللَّه قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، رضيت باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا»، وفي رواية «رسولاً».

(٢) الطبري (١١١٢٩).

الميتة؟ قال: «إذا لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتفئوا بقلاً فشأنكم بها»[١]. ففي سنده ضعف.

* * *

س: ما مدى صحة حديث: «إن اللَّه يحبُّ أن تؤتى رُخصته كما يكره أن تؤتى معصيته»؟

ج: أخرجه أحمد في «المسند»[٢] بسند حسن.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: في معناها من الآيات ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

* * *

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وأما قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن معناه: فإن اللَّه لمن أكل ما حرمت عليه بهذه الآية أكله، في مخمصة، غير متجانف لإثم، ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: يستر له عن أكله ما أكل من ذلك، بعفوه عن مؤاخذته إياه، وصفحه

---

(١) الطبري (١١١٢٩).

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨).

ولمزيد من الكلام على هذا الحديث انظر ما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه اللَّه في «الإرواء» (٥٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٤٠).

عنه وعن عقوبته عليه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ يقول: وهو به رفيق، ومن رحمته ورفقه به، أباح له أكل ما أباح له أكله من الميتة وسائر ما ذكر معها في هذه الآية، في حال خوفه على نفسه من كلب الجوع، وضُرِّ الحاجة العارضة ببدنه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيه مقدَّرٌ محذوف، ما هو؟

ج: هذا المقدر هو (له)؛ فالمعنى: فإن اللَّه غفور رحيم له، أي: لمن اضطر إلى أكل الميتة.

* * *

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(الطَّيِّبَاتُ - الْجَوَارِحِ - مُكَلِّبِينَ - أَمْسَكْنَ - حِلٌّ - الْمُحْصَنَاتُ - أُجُورَهُنَّ - مُحْصِنِينَ - غَيْرَ مُسَافِحِينَ - مُتَّخِذِي - أَخْدَانٍ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿الطَّيِّبَاتُ﴾	الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من الذبائح دون الخبائث. وأيضًا فهي كل ما استلذه آكله وشاربه ولم يكن عليه منه ضرر في الدنيا أو الآخرة.
﴿الْجَوَارِحِ﴾	الطيور الجارحة، والجوارح الكواسب، وأطلق عليها جوارح لكونها تكتسب لأصحابها أقواتهم من الصيد ومنه قوله تعالى: ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ أي: ما كسبتم بالنهار. ومن العلماء من قال: والجوارح كلُّ ما عُلم الصيد فتعلمه [1] وصاد من بهيمة أو طائر فيدخل فيه الصقر والبازي والفهد. ومن العلماء من قال: إنها الكلاب دون غيرها[2].

(١) أخرج الطبري من طريق (١١١٤٠، ١١١٤١) عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن في قوله: ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾ قال: كل ما عُلِّم فصار من كلب أو صقر أو فهد أو غيره. وأخرج بإسنادٍ صحيح (١١١٤٨) عن خيثمة قال: هذا ما قد بينت لك أن الصقر والبازي من الجوارح.

(٢) قال الطبري رحمه الله: وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: «كل ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح، وأنّ صيد جميع ذلك حلال إذا صاد بعد التعليم»، لأن الله جل ثناؤه عم بقوله: ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾، كلَّ جارحة، ولم يخصص منها شيئًا. فكل «جارحة»، كانت بالصفة التي وصف الله من كل طائر وسبع، فحلال أكل صيدها.

الكلمة	معناها
﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾	أصحاب كلاب. أو في حالة كون الجوارح مكلبة للصيد، وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها. فمكلبين تحمل معنيين أحدهما: أنها حال من الفاعل، أي وأنتم أصحاب كلاب. والثاني: حال من المفعول أي: في حال كونها مكلبات للصيد.
﴿ حِلٌّ ﴾	حلالٌ
﴿ الْمُحْصَنَاتُ ﴾	الحرائر - وقيل العفائف.
﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾	مهورهن.
﴿ مُحْصِنِينَ ﴾	متعففين - أعفاء.
﴿ مُسَافِحِينَ ﴾	زناة، والسفاح: الزنا بكل فاجرة يقدر عليها، فالسفاح الزنا بصفة عامة (غير مقيد بامرأة واحدة).
﴿ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾	متخذي عشيقات، فاتخاذ الأخدان الزنا بامرأة بعينها.

س: مما جاء به نبينا ﷺ حل الطيبات، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* * *

س: أحيانًا يأتي السؤال مجملاً، فيفهم وجهه من الجواب، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤] فهذا سؤال مجمل، فهو محتمل؛ يحتمل سؤالاً عن الحلال من الطعام، أو عن الملبس، أو عن الحلال من النساء، أو عن العمل الحلال، إلى غير ذلك، لكن فُهم من الجواب أن المراد من سؤالهم الحلال من الطعام والصيد، بدليل قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

● وأيضًا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا سؤال عام واسع، فمحتمل أنهم يسألون عن علم ربنا وحلمه، أو عن قربه أو بعده، أو عن رحمته وعقوبته، أو عن أسمائه وصفاته... إلى غير ذلك، لكن فُهم من الجواب أنهم يسألون عن القرب أو البعد، فكأنهم قالوا: أقريب ربنا يا رسول الله منَّا يسمعنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه، فجاء الجواب: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* * *

س: بماذا يُستدلّ على تحريم شرب البول، أو أكل الطين، أو أكل الخنافس والصراصير ونحو ذلك؟

ج: يُستدل على تحريم ذلك بأن الذي أحله اللَّه لنا هو الطيبات، والمذكورات هذه ليست من الطيبات، وقد قال تعالى في شأن نبيه ﷺ مع أمته: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ [المائدة: ٤] إضمار، وضِّح هذا الإضمار.

ج: هذا الإضمار هو (وصَيْد) أي: وصيد ما علَّمتم من الجوارح. أي: ما صادته الجوارح المعلمة.

● قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

ولولاه (أي: لولا الإضمار) لكان المعنى يقتضي أن يكون الحل المسئول عنه متناولاً للمعلَّم من الجوارح المكلبين، وذلك ليس مذهبًا لأحد.

* * *

س: كيف يصبح الكلب مُعلَّمًا؟

ج: يصبح الكلب معلمًا حينما ينطلق للصيد إذا أرسله صاحبه، ولا يأكل من الصيد إذا أخذه، وأن يستجيب لصاحبه إذا دعاه، ولا يفر منه إذا أراده، فإذا تتابع ذلك منه كان مُعلَّمًا.

هذا قول طائفة من العلماء، أورده الطبري عنهم بتصرف يسير.

وأورد الطبري بإسناد صحيح[1] عن عطاء قال: كل شيء قتله صائدك قبل أن يعلم ويُمسك ويصيد فهو ميتة، ولا يكون قتله إياه ذكاة، حتى يعلَّم

(١) الطبري (١١١٦٢).

ويُمسك ويصيد، فإن كان ذلك ثم قتل، فهو ذكاته.

وأورد عن ابن عباس[١] أيضًا: إذا أرسل الرجل الكلب فأكل من صيده فقد أفسده، وإن كان ذكر اسم اللَّه حين أرسله، فزعم أنه إنما أمسك على نفسه ـ واللَّه يقول: ﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] فزعم أنه إذا أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه أنه ليس بمعلَّم، وأنه ينبغي أن يُضرب ويعلَّم حتى يترك ذلك الخُلُق.

* * *

س: هل الصيد بالطيور المعلَّمة كالصيد بالكلاب المعلَّمة؟

ج: ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، كما نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى فقال: والمحكي عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب؛ لأنها تكلِّب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.

* * *

س: ما حُكم الصيد إذا أكل منه الكلب؟

ج: ذهب جمهور العلماء[٢] إلى أن الصيد يحرم مطلقًا إذا أكل منه الكلب، ودليلهم على ذلك قول النبي ﷺ: «**فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه**»[٣] أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ورد عن بعض السلف ما يخالف ذلك؛ فصحَّ عن ابن عمر

---

(١) الطبري (١١١٦٥)، وسنده صحيح.

(٢) حكاه عن الجمهور غير واحد، منهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى.

(٣) البخاري (٥٤٨٣)، ومسلم (١٩٢٩)، من حديث عدي بن حاتم مرفوعًا.

رضي اللَّه عنهما[١] أنه قال: إذا أرسلت كلبك المُعلَّم، وذكرت اسم اللَّه، فكل ما أمسك عليك، أكل أو لم يأكل.

وورد من طريق سعيد بن المسيب[٢] قال: قال سلمان: إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم اللَّه فأكل ثلثيه وبقي ثُلثه فكل.

ووردت جملة من الآثار بذلك، أوردها الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ وغيره.

فصحَّ[٣] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: إذا أرسلت كلبك فأكل منه، فإن أكل ثُلثيه وبقي ثلثه فكُلْ.

بل قد وردت أخبار مرفوعة إلىٰ رسول اللَّه ﷺ تفيد ذلك، وجُلُّها ضعيف، وبعضها حسن.

فأما الحسن فمنه ما أخرجه أبو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[٤]، أن أعرابيًّا يُقال له: أبو ثعلبة قال: يا رسول اللَّه، إنَّ لي كلابًا مكلبة، فأفتني في صيدها، فقال النبي ﷺ: «**إن كان لك كلاب مكلبة، فكل مما أمسكن عليك**» فقال: ذكيًّا وغير ذكيّ، قال: «**نعم**»، قال: وإن أكل منه؟ قال: «**نعم، وإن أكل منه**»، فقال: يا رسول اللَّه، أفتني في قوسي. قال: «**كل ما ردت عليك قوسك**» قال: «ذكيًّا وغير ذكي» قال: وإن تغيب عني، قال: «**وإن تغيب عنك ما لم يَضِلَّ، أو تجد فيه أثرًا غير سهمك**» قال: أفتني في آنية المجوس إذا اضطررنا إليها، قال: «**اغسلها وكل فيها**».

وأورد ابن كثير إسنادًا آخر عند أبي داود[٥]، عن أبي ثعلبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا أرسلت كلبك، وذكرت اسم اللَّه، فكل، وإن أكل منه،**

---

(١) الطبري (١١٢٠٥)، وهو صحيح عن سلمان رضي اللَّه عنه.

(٢) الطبري (١١١٩٤). (٣) الطبري (١١٢٠١).

(٤) سنده حسن وهو عند أبي داود (٢٨٥٧).

(٥) انظر بعضه عند أبي داود (٢٨٥٥، ٢٨٥٦).

وكل ما ردت عليك يدك».

وفي «الصحيح» من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي اللَّه عنه قال: قلت: يا نبي اللَّه، إنا بأرض قومٍ أهل كتاب.. فذكر الحديث وفيه: «**وما صدتَ بكلبك المعلم فذكرت اسم اللَّه فكل، وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت ذكاته فكل**»[1].

وقد جمع الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ بين الوارد في النهي عن الأكل من الصيد إذا أكل منه الكلب، وبين الأحاديث المجوِّزة لذلك فقال بعد أن أورد هذا وذاك:

فهذه آثار دالَّةٌ علىٰ أنه يغتفر إن أكل منه الكلب، وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه، كما تقدّم عمن حكيناه عنهم، وقد توسّط آخرون فقالوا: إن أكل عقب ما أمسكه؛ فإنه يحرم لحديث عدي بن حاتم، وللعلة التي أشار إليها النبي ﷺ: «**فإن أكل فلا تأكل؛ فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه**».

وأما إن أمسكه، ثم انتظر صاحبه، فطال عليه وجاع، فأكل منه لجوعه، فإنه لا يؤثر في التحريم، وحملوا علىٰ ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني، وهذا تفريق حسن، وجمع بين الحديثين صحيح.

وقد تمنىٰ الأستاذ أبو المعالي الجويني في كتابه النهاية، أن لو فصَّل مفصِّل هذا التفصيل، وقد حقق اللَّه أمنيته، وقال بهذا القول والتفريق طائفة من الأصحاب منهم، وقال آخرون قولاً رابعًا في المسألة، وهو: التفرقة بين أكل الكلب فيحرم لحديث عدي، وبين أكل الصقور ونحوها، فلا يحرم؛ لأنه لا يقبل التعليم إلا بالأكل.

---

(١) البخاري (٥٤٧٨)، ومسلم (١٩٣٠).

وقال القرطبي رحمه اللَّه تعالى في الجمع بين الحديثين:

ولمَّا تعارضت الروايتان رام بعض أصحابنا وغيرهم الجمع بينهما فحملوا حديث النهي على التنزيه والورع، وحديث الإباحة على الجواز، وقالوا: إن عديًّا كان موسَّعًا عليه فأفتاه النبي ﷺ بالكف ورعًا، وأبا ثعلبة كان محتاجًا فأفتاه بالجواز، واللَّه أعلم.

وقد دلَّ على صحة هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث عدي: «**فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه**» هذا تأويل علمائنا، وقال أبو عمر في كتاب «الاستذكار» وقد عارض حديث عدي هذا حديث أبي ثعلبة.

والظاهر أن حديث أبي ثعلبة ناسخ له؛ فقوله: وإن أكل يا رسول اللَّه؟ قال: وإن أكل.

قلت: هذا فيه نظر؛ لأن التاريخ مجهول؛ والجمع بين الحديثين أولى ما لم يُعلم التاريخ؛ واللَّه أعلم. وأما أصحاب الشافعي فقالوا: إن كان الأكل عن فرط جوع من الكلب أكل وإلا لم يؤكل؛ فإن ذلك من سوء تعليمه، وقد روي عن قوم من السلف التفرقة بين ما أكل منه الكلب والفَهْد فمنعوه، وبين ما أكل منه البازي فأجازوه، قاله النخعي، والثوري وأصحاب الرأي وحماد بن أبي سليمان، وحكي عن ابن عباس، وقالوا: الكلب والفهد يمكن ضربه وزجره، والطير لا يمكن ذلك فيه، وحدّ تعليمه أن يُدعى فيجيب، وأن يُشْلى فينشَلي، ولا يمكن فيه أكثر من ذلك، والضرب يؤذيه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤] هل هو على عمومه، أم هو مخصوص؟

ج: بل هو مخصوص بالذي يحل أكله من الصيد، فإذا اصطاد الكلب شيئًا لا يحل فلا يحل أكل المُصاد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

مسلك آخر: وهو أن قوله تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ**﴾ عامٌّ فيما قتلن بجرح أو غيره، لكن هذا المقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا يخلو إما أن يكون نطيحًا أو في حكمه، أو منخنقًا أو في حكمه، وأيًّا ما كان؛ فيجب تقديم هذه الآية على تلك؛ لوجوه.

أحدها: أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد، حيث يقول لعدي بن حاتم: «**وإن أصابه بعرضه، فإنما هو وقيذ فلا تأكله**» ولم نعلم أحدًا من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية، فقال: إن الوقيذ معتبر حالة الصيد، والنطيح ليس معتبرًا، فيكون القول بحل المتنازع فيه خرقًا للإجماع، لا قائل به، وهو محظور عند كثير من العلماء.

الثاني: أن تلك الآية ﴿**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ**﴾ [المائدة: ٤] ليست على عمومها بالإجماع، بل مخصوصة بما صدن من الحيوان المأكول، وخرج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول بالاتفاق، والعموم المحفوظ مقدّم على غير المحفوظ.

* * *

س: لماذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل فكلوا ما أمسكن عليكم؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم؛ لأن «مِن» في قوله تعالى: ﴿**مِمَّا**﴾ إنما هي تبعيضية، فليست كل ما أمسكنه الجوارح يؤكل، بل إذا أمسكت الجوارح بعقرب أو بحية، أو بشيء لايؤكل، فإن هذا الشيء لا يؤكل، إذ هو لا يحل ابتداءً، وقد أورد الطبري رحمه اللَّه تعالى نحو هذا السؤال وأجاب عليه بجوابٍ شافٍ كافٍ إن شاء اللَّه، فقال رحمه اللَّه:

فإن قال قائل: وما وجه دخول (من) في قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وقد أحلّ اللّه لنا صيد جوارحنا الحلال، و(من) إنما تدخل في الكلام مبعِّضة لما دخلت فيه؟

قيل: قد اختلف في معنى دخولها في هذا الموضع أهل العربية.

فقال بعض نحويي البصرة: دخلت (من) في هذا الموضع لغير معنًى، كما تدخل العرب في قولهم: (كان من مطر)، و(كان من حديث) قال: ومن ذلك قوله: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، قال: وهو فيما فسِّر، وينزل من السماء جبالاً فيها برد. قال: وقال بعضهم: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ أي: من السماء من برد، بجعل (الجبال من برد) في السماء، وبجعل الإنزال منها.

وكان غيره من أهل العربية ينكر ذلك ويقول: لم تدخل (من) إلا لمعنى مفهوم، لا يجوز الكلام ولا يصلح إلا به، وذلك أنها دالّة على التبعيض، وكان يقول: معنى قولهم (قد كان من مطر) و(كان من حديث)؛ هل كان من مطرٍ مَطَرَ عندكم؟ وهل من حديثٍ حُدِّث عندكم؟ ويقول: معنى ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: ويكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاء ويريد، وفي قوله ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ فيجيز حذف (من) من (من برد)، ولا يجيز حذفها من (الجبال)، ويتأول معنى ذلك: وينزل من السماء أمثال جبالٍ بردٍ، ثم أدخلت (من) في (البرد) لأن (البرد) مفسَّر عنده من (الأمثال)، أعني: (أمثال الجبال)، وقد أقيمت (الجبال) مقام (الأمثال)، و(الجبال) وهي (جبال برد) فلا يجيز حذف (من) من (الجبال)؛ لأنها دالّة على أن الذي في السماء الذي أنزل منه البرد، أمثالُ جبال بردٍ،

وأجاز حذف (من) من (البرد)، لأن (البرد) مفسَّر عن (الأمثال)، كما تقول: (عندي رطلان زيتًا)، و(عندي رطلان من زيت)، وليس عندك (الرطل)، وإنما عندك المقدار. فـ(من) تدخل في المفسِّر وتخرج منه.

وكذلك عند قائل هذا القول: من السماء، من أمثال جبال، وليس بجبال، وقال: وإن كان (أنزل من جبال في السماء من برد جبالاً)، ثم حذف (الجبال) الثانية، و(الجبال) الأول في السماء، جاز. تقول: (أكلت من الطعام)، تريد أكلت من الطعام طعامًا، ثم تحذف (الطعام) ولا تسقط (من).

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك: أن (من) لا تدخل في الكلام إلا لمعنىً مفهوم، وقد يجوز حذفها في بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة، لدلالة ما يظهر من الكلام عليها، فأما أن تكون في الكلام لغير معنىً أفادته بدخولها، فذلك قد بيَّنا فيما مضىٰ أنه غير جائز أن يكون فيما صحّ من الكلام. ومعنىٰ دخولها في قوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤] للتبعيض، إذ كانت الجوارح تمسك علىٰ أصحابها ما أحل اللَّه لهم لحومه، وحرَّم عليهم فرْثه ودمَه، فقال جلّ ثناؤه: ﴿فَكُلُوا﴾ ـ مما أمسكت عليكم جوارحكم ـ الطيبات التي أحللت لكم من لحومها، دون ما حرّمت عليكم من خبائثه من الفرث والدم، وما أشبه ذلك، مما لم أطيبه لكم، فذلك معنىٰ دخول (من) في ذلك.

* * *

س: كيف يوجَّه ما ورد عند الطبري عن سلمان الفارسي عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا أرسل الرجل كلبه المعلَّم على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي»؟

ج: ابتداءً فالحديث ضعيف لا يثبت عن رسول اللَّه ﷺ، والأكثرون علىٰ

وقفه على سلمان رضي اللَّه عنه.

ومن ثمَّ فقول رسول اللَّه ﷺ الثابت الصحيح عنه أولى من هذا الضعيف، وفوق أقوال البشر، فهو أولى من قول سلمان بلا شك.

* * *

س: إذا صاد الصقر المعلَّم أو الكلب المعلَّم صيدًا فمات الصيد معه، هل يحل أكله؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، وقد أورد الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال: إذا أرسلت كلبك المعلَّم أو طيرك أو سهمك فذكرت اسم اللَّه فأخذ أو قتل فكُلْ.

* * *

س: إذا أكل الصقر المعلَّم من الصيد فمات الصيد من أكله، هل يحل أكله أم لا؟

ج: إذا أكل الصقر شيئًا من الصيد فليس الصقر إذن بمُعلَّم عند كثير من العلماء[1]، ومن ثمَّ فلا يحلّ أكله.

* * *

س: هل صيد الكلب الأسود حلالٌ؟

ج: نعم، صيدُ الكلب الأسود حلال، لعموم الآية الكريمة، بينما منع من ذلك بعض العلماء لحديث: «**الكلب الأسود شيطان**».

---

(١) وله يشهد الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٤٨٣)، ومسلم (١٩٢٩)، من حديث عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، إنا قوم نصيد بهذه الكلاب، قال: إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم اللَّه، فكل مما أمسكن عليك، وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه، وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل.

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

فإن كان الكلب أسود بهيمًا فكره صيدَه الحسن وقتادة والنخعي، وقال أحمد: ما أعرف أحدًا يرخِّص فيه إذا كان بهيمًا؛ وبه قال إسحاق بن راهويه؛ فأما عوامّ أهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز صيد كل كلب مُعلَّم، أما من منَع صيد الكلب الأسود فلقوله ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**» أخرجه مسلم[1] احتج الجمهور بعموم الآية.

* * *

س: ما صورة صيد الجوارح الذي يحلّ أكله بالإجماع؟ وهل من دليل على ذلك؟

ج: هو الصيد الذي اصطاده الجارح المعلَّم[2] الذي أمسك على صاحبه (أي لم يأكل من الصيد)، وكان قد ذكر اسم اللَّه عليه وقت إرساله.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

فمتى كان الجارح معلمًا وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم اللَّه عليه وقت إرساله حلَّ الصيد، وإن قتله بالإجماع.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى دليلاً على ذلك من حديث عدي ابن حاتم في «الصحيحين» فقال: وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة، كما ثبت في «الصحيحين» عن عدي بن حاتم، قال: قلت: يا رسول اللَّه إني أرسل الكلاب المعلمة، وأذكر اسم اللَّه، فقال: «**إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم اللَّه فكل ما أمسك عليك**». قلت: وإن قتلن؟ قال: «**وإن قتلن، ما لم يشركها كلب ليس منها؛ فإنك إنما سميت على**

(١) مسلم (٥١٠) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) وأخرج بعض العلماء (الكلب الأسود).

كلبك، ولم تُسمِّ على غيره» قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب؟ قال: «**إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصابه بعرض فإنه وقيذ، فلا تأكله**».

وفي لفظ لهما: «**إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم اللَّه، فإن أمسك عليك فأدركته حيًّا فاذبحه، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله، فإن أخذ الكلب ذكاته**».

وفي رواية لهما: «**فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه**»[1].

فهذا دليل للجمهور، وهو الصحيح من مذهب الشافعي، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقًا، ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث، وحكي عن طائفة من السلف أنهم قالوا: لا يحرم مطلقًا.

وقال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

أجمعت الأمة على أن الكلب إذا لم يكن أسود، وعلّمه مسلم فَيَنْشَلِي إذا أُشْلِي، ويجيب إذا دُعي، وينزجر بعد ظَفَره بالصيد إذا زُجر، وأن يكون لا يأكل من صيده الذي صاده، وأثّر فيه بجرح أو تنييب، وصاد به مسلمٌ وذكر اسم اللَّه عند إرساله أنَّ صيده صحيح يؤكل بلا خلاف.

* * *

س: هل يجوز اتِّخاذ الكلاب واقتناؤها للصيد؟

ج: نعم، يجوز اتخاذ الكلاب واقتناؤها للصيد، ففي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: عن النبي ﷺ قال: «**من اقتنى كلبًا،**

---

(٢) انظر هذه الروايات في البخاري (٥٤٧٥) فما بعدها من الأحاديث، ومسلم (١٩٢٩)، وعمومًا كتابي الذبائح والصيد من البخاري ومسلم.

إلا كلب صيدٍ أو ماشية، نقص من أجره كل يوم قيراطان»[١] .

وفي بعض الأحاديث[٢] : «**إلا كلب حرثٍ أو ماشية**» .

وانظر مزيداً - إن شئت - من التفصيل في ذلك في البخاري، كتاب الصيد، ومسلم في كتاب المساقاة .

* * *

س: هل تلزم التسمية عند إرسال الصيد؟

ج: نعم، تلزم التسمية، وهذا رأي الجمهور .

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

وقد ذهب الجمهور إلى أن التسمية لا بد منها بالقول عند الإرسال؛ لقوله ﷺ: «**وذكرت اسم اللَّه**» فلو لم توجد على أي وجهٍ كان لم يؤكل الصيد .

وقد ذهب الجمهور من العلماء إلى أن التسمية لا بد منها بالقول عند الإرسال؛ لقوله «**وذكرت اسم اللَّه**» فلو لم توجد على أي وجه كان لم يؤكل الصيد، وهو مذهب أهل الظاهر وجماعة أهل الحديث، وذهبت جماعة من أصحابنا وغيرهم إلى أنه يجوز أكل ما صاده المسلم وذبحه وإن ترك التسمية عمداً، وحملوا الأمر بالتسمية على الندب، وذهب مالك في المشهور إلى الفرق بين ترك التسمية عمداً أو سهواً، فقال: لا تؤكل مع العمد، وتؤكل مع السهو، وهو قول فقهاء الأمصار، وأحد قولي الشافعي .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٤٨١)، ومسلم (١٥٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٢)، ومسلم (ص١٢٠٣) .

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] دليلٌ على فضل العلم، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه أن صيد الجوارح المعلمة حلالٌ، وصيد الجوارح الجاهلة لا يحل، ففضلت الجوارح المعلمة؛ لتعلمها.

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

وفي هذه الآية دليل علي أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل؛ لأن الكلب إذا عُلِّم يكون له فضيلة علىٰ سائر الكلاب، فالإنسان إذا كان له عِلم أولىٰ أن يكون له فضل علىٰ سائر الناس، لا سيَّما إذا عمِل بما عَلِم؛ وهذا كما رُوي عن عليّ بن أبي طالب كرّم اللَّه وجهه أنه قال: لكل شيءٍ قيمة، وقيمة المرء ما يُحسنه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤] على ماذا؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الذي يُذكر اسم اللَّه عليه هنا هو الجوارح التي تُرسل للصيد كالكلب والصقر، وكذا السهم الذي يُرمىٰ به يذكر اسم اللَّه عند الرمي به، وهذا رأي جمهور العلماء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤] أي: عند إرساله، كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم: «**إذا أرسلت كلبك المعلَّم، وذكرت اسم اللَّه، فكل ما أمسك عليك**»، وفي حديث أبي ثعلبة المخرَّج في «الصحيحين» أيضًا: «**إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم اللَّه، وإذا رميت بسهمك، فاذكر اسم اللَّه**».

ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كالإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ في

المشهور عنه: التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية، وهذا الحديث، وهذا القول هو المشهور عند الجمهور، أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال، كما قاله السُّدِّي وغير واحد.

● وذهب آخرون من العلماء أن المراد ذكر اسم اللَّه على الصيد الذي أمسكته الجوارح عند إرادة أكله.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في التسمية على الطعام.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عمر بن أبي سلمة قال: كنت غُلامًا في حجر رسول اللَّه ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة؛ فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا غُلام، سَمِّ اللَّهَ، وكُل بيمينك، وكُل مِمَّا يَلِيك**» فما زالت تلك طُعمتي بعد.

وفي رواية الطبراني وإسنادها حسن: «**يا غُلام، إذا أكلت فقل: بسم اللَّه**»[٢].

وفي الباب ما أخرجه مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه قال: كنَّا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول اللَّه ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنَّها تُدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابيٌّ كأنَّما يُدفع، فأخذ بيده، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم اللَّه عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذتُ**

---

(١) البخاري (مع الفتح) (٩/ ٥٢١)، ومسلم (١٣/ ١٩٢ مع النووي).

(٢) الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٤ رقم ٨٣٠٤)، ويبدو لي أن الرواية الأصح هي الأولى، واللَّه أعلم.

(٣) مسلم (١٣/ ١٨٧).

بيدها، فجاء بهـذا الأعرابي ليستحلّ به، فأخـذت بيده، والذي نفسي بيده، إنَّ يده في يدي مع يدها».

وفي الباب ما أخرجه ابن السني[١] وغيره، من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من نسي أن يذكر اللَّه عزَّ وجل في أوَّل طعامه فليقل حين يذكر: بسم اللَّه أوَّله وآخره، فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه»**.

وعند البخاري[٢] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه عنهما... فذكر قصة وفيها أن أبا بكر وضع يده في الطعام فقال: بسم اللَّه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]؟

ج: أجاب على ذلك الطبري رحمه اللَّه تعالى بقوله:

يعني جل ثناؤه: واتقوا اللَّه أيها الناس، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فاحذروه في ذلك أن تقدموا على خلافه، وأن تأكلوا من صيد الجوارح غير المعلّمة، أو مما لم تمسك عليكم من صيدها وأمسكته على أنفسها، أو تطعَموا ما لم يُسمَّ اللَّه عليه من الصيد والذبائح مما صادَه أهل الأوثان وعبدة الأصنام ومن لم يوحّد اللَّه من خلقه، أو ذبحوه، فإن اللَّه قد حرَّم ذلك عليكم فاجتنبوه.

ثُمَّ خوَّفهم إن هم فعلوا ما نهاهم عنه من ذلك ومن غيره. فقال: اعلموا أن اللَّه سريعٌ حسابه لمن حاسبه على نِعَمه عليه منكم، وشكرِ الشاكر منكم ربَّه على ما أنعم به عليه بطاعته إياه فيما أمر ونهى؛ لأنَّه حافظ لجميع ذلك

---

(١) «عمل اليوم والليلة» لابن السني (٤٦١).

(٢) البخاري (مع الفتح) (١٠/ ٥٣٤)، ومسلم (١٤/ ٢١).

فيكم، فيحيط به، لا يخفىٰ عليه منه شيء، فيجازي المطيع منكم بطاعته، والعاصي بمعصيته، وقد بيَّن لكم جزاء الفريقين.

❊ ❊ ❊

س: اذكر المعنى الإجمالي لهذه الآية وما دلت عليه من أمور؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالىٰ في «تفسيره» في بيان ذلك:

يقول تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ﴾ [المائدة: ٤]. من الأطعمة؟ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤] وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن، ولا بالعقل. فدخل في ذلك، جميع الحبوب، والثمار، التي في القرىٰ والبراري، ودخل في ذلك، جميع حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع، والخبائث منها.

ولهذا دلت الآية بمفهومها، علىٰ تحريم الخبائث، كما صرح به في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ [المائدة: ٤] أي: أحل لكم ما علمتم من الجوارح إلىٰ آخر الآية.

دلت هذه الآية على أمور:

أحدها: لطف الله بعباده، ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم، ما لم يذكوه، مما صادته الجوارح.

والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه، أو بمخلبه.

الثاني: أنه يشترط، أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليمًا، بأن يسترسل، إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك، لم يأكل؛ ولهذا قال: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤] أي:

أمسكن من الصيد لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يُعْلَمُ أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه.

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب، أو الطير ونحوهما؛ لقوله: من الجوارح مع ما تقدم من تحريم المنخنقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله، لم يبح. هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد، بأنيابها، أو مخالبها. والمشهور أن الجوارح، بمعنى الكواسب أي: المحصلات للصيد، والمدركات له. فلا يكون فيها ـ على هذا ـ دلالة. والله أعلم.

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم؛ لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه، جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد؛ لأن الله أباحه، ولم يذكر له غسلاً، فدل على طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم ـ بسبب العلم ـ يباح صيده، والجاهل بالتعليم، لا يباح صيده.

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود؛ لأنه وسيلة لحل صيده، والانتفاع به.

الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد. قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم الله متعمداً، لم يبح ما قتل الجارح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح، أم لا وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة، فإنه لا يباح إلا بها.

س: ما المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [المائدة: ٥]؟

ج: قيل: إنه يوم عرفة، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

وأورد القرطبي وجهًا آخر فقال: وقيل: أشار بذكر اليوم إلى وقت محمد ﷺ كما يقال: هذه أيام فلان أي: هذا أوان ظهوركم وشيوع الإسلام؛ فقد أكملت بهذا دينكم، وأحللت لكم الطيبات.

* * *

س: ما المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب في هذه الآية؟

ج: المراد هنا الذبائح، وهذا لا يمنع عموم طعامهم الذي لم يأت نص عندنا بتحريمه.

هذا، وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى عن كثير من العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٥] قالوا: يعني ذبائحهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير اللَّه، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم اللَّه، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدّس، وقد ثبت في «الصحيح» عن عبداللَّه بن مغفل قال: دلي بجراب من شحم يوم خيبر، فاحتضنته وقلت: لا أُعطي اليوم من هذا أحدًا، والتفتُّ فإذا النبي ﷺ يتبسَّم(١).

---

(١) البخاري (٣١٥٣، ٤٢١٤)، ومسلم (١٧٧٢) بلفظ قريب.

هذا وقد ورد في هذا الباب أن النبي ﷺ دعته امرأة يهوديةٌ إلىٰ شاةٍ فأكل منها[١].

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلىٰ ذكاة كالطعام الذي لا محاولة فيه، كالفاكهة والبُرّ جائز أكله؛ إذ لا يضر فيه تملُّك أحد، والطعام الذي تقع فيه محاولة علىٰ ضربين:

أحدهما: ما فيه محاولة صنعة لا تعلُّق للدين بها، كخبز الدقيق وعصر الزيت ونحوه؛ فهذا إن تُجنِّب من الذمي فعلىٰ وجه التَّقَزّز.

والضرب الثاني: هي التذكية التي ذكرنا أنها هي التي تحتاج إلىٰ الدِّين والنية؛ فلمَّا كان القياس ألا تجوز ذبائحهم ـ كما نقول إنهم لا صلاة لهم ولا عبادة مقبولة ـ رخّص الله تعالىٰ في ذبائحهم علىٰ هذه الأمة، وأخرجها النص عن القياس علىٰ ما ذكرناه من قول ابن عباس، واللَّه أعلم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أي: ذبائح اليهود والنصارىٰ، حلال لكم ـ يا معشر المسلمين ـ دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين.

وذلك لأن أهل الكتاب، ينتسبون إلىٰ الأنبياء والكتب. وقد اتفق الرسل كلهم، علىٰ تحريم الذبح لغير الله؛ لأنه شرك.

فاليهود والنصارىٰ، يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم، دون غيرهم.

---

(١) أخرج البخاري (٢٦١٧) من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاةٍ مسمومة فأكل منها، فقيل: ألا نقتلها؟ قال: «لا».

والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي ليس من الذبائح، كالحبوب، والثمار، ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك، ولو كان من طعام غيرهم. وأيضًا، فإنه أضاف الطعام إليهم.

فدل ذلك على أنه كان طعامًا، بسبب ذبحهم، ولا يقال: إن ذلك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون؛ لأن هذا لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين.

س: من المعنيون بالذين أوتوا الكتاب؟

ج: هم اليهود الذين أوتوا التوراة، والنصارى الذين أوتوا الإنجيل، فدانوا بهما لله عزَّ وجلَّ.

* * *

س: هل أهل الكتاب هم بنو إسرائيل فقط، أم هم وعموم من دان دينهم؟

ج: هم عموم أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المعنيين بالذين أوتوا الكتاب هم فقط بنو إسرائيل وأبناؤهم.

واحتجوا في ذلك بما صحّ عن عليٍّ رضي الله عنه[1] بأنه قال: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر».

وهذا ليس بصريح عن عليٍّ رضي الله عنه بأن أهل الكتاب هم بنو إسرائيل فحسب، ثم هو موقوف على عليٍّ رضي الله عنه، وقد أورد

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن علي رضي الله عنه (١١٢٣٣، ١١٢٣٤، ١١٢٣٥).

الطبري هذا القول القائل بأن أهل الكتاب هم بنو إسرائيل وأبناؤهم وتعقبه، فقال رحمه اللَّه بعد أن أورد جملة من الآثار في إباحة طعام الذين أوتوا الكتاب عمومًا سواء من بني إسرائيل أم من غيرهم:

منها: أثر ابن عباس[1] رضي الله عنهما، قد سئل عن ذبائح نصارىٰ بني تغلب، فقرأ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ﴾ إلىٰ قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ومنها: أثر الحسن وعكرمة[2]، أنهما كانا لا يريان بأسًا بذبائح نصارىٰ بني تغلب، وبتزوُّج نسائهم، ويتلوان: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وبإسناد صحيح عن الشعبي[3] أنه كان لا يرىٰ بأسًا بذبائح نصارىٰ بني تغلب، وقرأ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وأورد جملةً أُخرى من الآثار في هذا المعنى ثم قال:

وقال آخرون: إنما عني بالذين أوتوا الكتاب في هذه الآية، الذين أنزل عليهم التوراة والإنجيل، من بني إسرائيل وأبنائهم، فأما من كان دخيلاً فيهم من سائر الأمم ممن دان بدينهم وهم من غير بني إسرائيل، فلم يعن بهذه الآية، وليس هو ممن يحل أكل ذبائحه، لأنه ليس ممن أوتي الكتاب من قَبْل المسلمين، وهذا قول كان محمد بن إدريس الشافعي يقوله ـ حدثنا بذلك عنه الربيع ـ ويتأول في ذلك قول من كره ذبائح نصارىٰ العرب من الصحابة والتابعين.

قال أبو جعفر: وهذه الأخبار عن علي رضوان اللَّه عليه، إنما تدلّ علىٰ أنه كان ينهىٰ عن ذبائح نصارىٰ بني تغلب، من أجل أنهم ليسوا علىٰ

(١) الطبري (١١٢٢٣، ١١٢٢٤)، وسنده صحيح.

(٢) الطبري (١١٢٢٥) من طريق قتادة عنهما، وفي سنده ضعف.

(٣) الطبري (١١٢٢٧).

النصرانية، لتركهم تحليل ما تحلّل النصارىٰ، وتحريم ما تحرّم غير الخمر، ومن كان منتحلاً ملة هو غير متمسك منها بشيء، فهو إلىٰ البراءة منها أقرب منه إلىٰ اللحاق بها وبأهلها، فلذلك نهىٰ عليٌّ عن أكل ذبائح نصارىٰ بني تغلب، لا من أجل أنهم ليسوا من بني إسرائيل.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان إجماعًا من الحجة: أن لا بأس بذبيحة كل نصرانيّ ويهوديّ دان دين النصراني أو اليهودي، فأحلّ ما أحلُّوا وحرَّم ما حرموا، من بني إسرائيل كان أو من غيرهم، فبيِّنٌ خطأ ما قال الشافعي في ذلك، وتأويله الذي تأوّله في قوله ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أنه ذبائح الذين أوتوا الكتاب التوراة والإنجيل من بني إسرائيل وصواب ما خالف تأويله ذلك، وقولِ من قال: إن كل يهودي ونصراني فحلال ذبيحته، من أي أجناس بني آدم كان.

* * *

س: ما حكم ذبائح نصارى بني تغلب؟

ج: الظاهر، واللّه تعالىٰ أعلم، أن حكم ذبائحهم حكم ذبائح أهل الكتاب سواءً بسواءٍ، فهم منسوبون إلىٰ أهل الكتاب، وهذا رأي جمهور العلماء.

قال القرطبي رحمه اللّه:

وقال جمهور الأمة، إن ذبيحة كل نصرانيٍّ حلال؛ سواء كان من بني تغلب أو غيرهم، وكذلك اليهودي، واحتجّ ابن عباس بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فلو لم تكن بني تغلب من النصارىٰ إلا بتوليهم إياهم لأكلت ذبائحهم.

* * *

س: إذا ذكر الكتابي اسمًا على الذبيحة غير اسم اللَّه عزَّ وجلَّ، هل تؤكل ذبيحته تلك؟

ج: أجاب على ذلك القرطبي بما حاصله: أن المسألة فيها وجهان للعلماء، فقال رحمه اللَّه تعالىٰ:

قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] ابتداء وخبر، والطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاصّ بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل، وأما ما حرم علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب

قال ابن عباس: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ثم استثنىٰ فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] يعني: ذبيحة اليهوديّ والنصرانيّ، وإن كان النصراني يقول عند الذبح: باسم المسيح واليهودي يقول: باسم عُزير، وذلك لأنهم يذبحون علىٰ المِلَّة.

وقال عطاء: كل من ذبيحة النصراني وإن قال باسم المسيح؛ لأن اللَّه جلَّ وعزَّ قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون، وقال القاسم بن مخيمرة: كل من ذبيحته وإن قال باسم سَرْجِس - اسم كنيسة لهم - وهو قول الزهري وربيعة والشعبي ومكحول، وروي عن صحابيين، عن أبي الدرداء وعُبادة ابن الصامت.

وقالت طائفة: إذا سمعت الكتابي يسمي غير اسم اللَّه عزَّ وجلَّ فلا تأكل، وقال بهذا من الصحابة عليٌّ وعائشةٌ وابن عمر، وهو قول طاوس والحسن متمسكين بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال مالك: أكره ذلك، ولم يحرّمه.

* * *

س: ما مدى صحة حديث «لا يأكل طعامك إلا تقي»؟ وهل له من معارض؟

ج: في إسناد هذا الحديث ضعفٌ[١]، ثم إن مما يعارضه قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقول النبي ﷺ: «ولك في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»[٢]

* * *

س: ما حكم الأكل والشرب من آنية الكفار؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

ولا بأس بالأكل والشرب والطبخ في آنية الكفار كلهم، ما لم تكن ذهبًا أو فضة، أو جلد خنزير بعد أن تُغسل وتُغلىٰ؛ لأنهم لا يتوقّون النجاسات ويأكلون الميتات؛ فإذا طبخوا في تلك القدور تنجست، وربما سرت النجاسات في أجزاء قدور الفخار، فإذا طُبخ فيها بعد ذلك تُوقّع مخالطة تلك الأجزاء النجسة للمطبوخ في القِدر ثانية؛ فاقتضىٰ الورع الكفّ عنها.

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن كان الإناء من نُحاس أو حديد غُسل، وإن كان من فخار أغلي فيه الماء ثم غُسل ـ هذا إذا احتيج إليه.

وقاله مالك: فأما ما يستعملونه لغير الطبخ فلا بأس باستعماله من غير غسل؛ لما روىٰ الدارقطني عن عمر أنه توضّأ من بيت نصرانيّ في حُقٍّ نصرانيّة؛ وهو صحيح وسيأتي في «الفرقان» بكماله، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي ثعلبة الخُشَنِيّ قال: أتيت رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه، إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في آنيتهم، وأرض صيد، أصيد بقوسي وأصيد بكلبي المعلَّم، وأصيد بكلبي الذي ليس بمعلَّم، فأخبرني ما

(١) وسيأتي قريبًا إن شاء اللَّه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

الذي يحلّ لنا من ذلك؟ قال: «**أما ما ذكرت أنكم بأرض قوم من أهل كتاب تأكلون في آنيتهم، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها**»(١) ثم ذكر الحديث.

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]؟

ج: اختار الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى في معنى الآية أن المراد: ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم، قال:

وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد اللَّه بن أبيٍّ بن سلول حين مات ودفنه فيه، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه، فجازاه النبي ﷺ ذلك بذلك، فأما الحديث الذي فيه: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٢) فمحمول على الندب والاستحباب، واللَّه أعلم.

● أما القرطبي رحمه اللَّه فقال:

أي: إذا اشتروا منَّا اللحم يحلُّ لهم اللحم، ويحل لنا الثمن المأخوذ منهم.

* * *

س: ما حكم ذبائح المجوس؟

ج: لا تؤكل ذبائح المجوس، فالذي أباحه اللَّه من الذبائح ذبائح المسلمين بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وذبائح أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) مسلم (١٩٣٠).

(٢) سنده ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، والترمذي (٢٣٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وفي سنده ضعف، وللحديث طرق أخرى ضعيفة أيضًا.

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

وأما المجوس، فالعلماء مُجمعون ـ إلا من شذَّ منهم ـ على أن ذبائحهم لا تؤكل، ولا يتزوج منهم؛ لأنهم ليسوا أهل كتاب على المشهور عند العلماء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

وأما المجوس؛ فإنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعًا وإلحاقًا لأهل الكتاب؛ فإنهم لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، خلافًا لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، أحد الفقهاء، من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل، ولمَّا قال ذلك واشتهر عنه، أنكر عليه الفقهاء ذلك، حتى قال عنه الإمام أحمد: أبو ثور كاسمه، يعني في هذه المسألة، وكأنه تمسك بعموم حديث، رُوي مرسلاً عن النبي ﷺ أنه قال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»(١).

ولكن لم يثبت بهذا اللفظ، وإنما الذي في صحيح البخاري، عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول اللَّه ﷺ، أخذ الجزية من مجوس هجر.

ولو سلم صحة هذا الحديث، فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾ [المائدة: ٥] فدلّ بمفهومه ـ مفهوم المخالفة ـ على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحلُّ.

* * *

س: إذا زنت امرأة مسلمة ثم تابت من زناها، فهل تُزوَّج بعفيفٍ؟ وهل يُخبر بما حدث لها أم لا؟

ج: نعم إذا تابت تُزوَّج، ولا يُخبر بسرّها(٢)، فإن النبي ﷺ قال: «**من ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة**»(٣).

---

(١) البخاري (٣١٥٧). (٢) ولذلك مزيدٌ في تفسيرنا لسورة النور في سؤال وجواب.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٠)، والبخاري (٢٤٤٢).

وأخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن طارق بن شهاب، أن رجلاً طلَّق امرأته وخُطبَت إليه أخته، وكانت قد أحدثت، فأتىٰ عمر فذكر ذلك له منها، فقال عمر: ما رأيت منها؟ قال: ما رأيت منها إلا خيراً! فقال: زوِّجها ولا تُخْبِر.

وبسياق آخر: عن طارق بن شهاب: أن رجلاً أراد أن يزوِّج أخته، فقالت: إني أخشىٰ أن أفضَح أبي، فقد بَغَيْتُ! فأتىٰ عُمر فقال: أليس قد تابت؟ قال: بلىٰ! قال: فزوِّجها.

وعن الطبري من طريق الشعبي: أن رجلاً من أهل اليمن أصابت أختُه فاحشة، فأمرَّت الشفرةُ علىٰ أوداجِها، فأدرِكت، فدُووِي جُرحها حتىٰ برئت، ثم إنَّ عمها انتقل بأهله حتىٰ قدم المدينة، فقرأت القرآن ونسكت، حتىٰ كانت من أنسك نسائهم، فخطبت إلىٰ عمِّها، وكان يكره أن يدلِّسها ويكره أن يفشي علىٰ ابنة أخيه، فأتىٰ عمر فذكر ذلك له فقال عمر: لو أفشيت عليها لعاقبتك! إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوّجها إياه[٢].

* * *

س: هل يجوز نكاح الكتابية[٣]؟

ج: نعم، يجوز نكاح الكتابيات، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**

---

(١) الطبري (١١٢٦١).

(٢) صحيح عن الشعبي: وهو عند الطبري (١١٢٦٥)، والشعبي لم يُدرك عمر رضي اللَّه عنه، لكن للقصة شواهد، انظرها في الطبري وغيره (١١٢٦٥، ١١٢٦٩، ١١٢٧٠).

(٣) المراد هنا اليهوديات أو النصرانيات، هذا ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج بمشرك ولا بيهودي ولا نصراني.

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

قوله تعالىٰ: ﴿... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ذهب جمهور العلماء[١] إلىٰ أن المراد بالمحصنات هنا هُنَّ العفائف، ومن ثم أباح فريق منهم نكاح كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة.

هذا والإحصان قد يطلق علىٰ العفة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] أي: عفَّت فرجها عن الزنا.

وقد تزوج حذيفة يهودية، فكتب إليه عمر: طلِّقها، فكتب إليه: لِمَ؟ أحرام هي؟ فكتب إليه: لا ولكني خِفت أن تعاطوا المومسات منهنّ[٢].

وأخرج سعيد بن منصور[٣] بسند صحيح عن الشعبي قال: تزوج أحد الستة من أصحاب الشورىٰ يهودية فقلت له: الزبير هو؟ قال الشعبي: إن كان لكريمَ المناكح.

وصحَّ[٤] عن سعيد بن منصور عن الحسن، أنه كان لا يرىٰ بأسًا أن يتزوج اليهودية والنصرانية علىٰ المسلمة، قال: والقسم بينهما سويّ.

* * *

(١) نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه، وعقَّبه بقوله: وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالُها بالكلية، ويتحصل زوجها علىٰ ما قيل في المثل «حشفًا وسوء كيلة» والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ [النساء: ٢٥].
وأخرج سعيد بن منصور رحمه اللَّه (التفسير من السنن ص١٢٢٠) بإسناد صحيح عن الشعبي، أنه قال في قوله عزَّ وجلّ: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة: ٥] قال: إحصانها أن تُحصن فرجها من الفجور، وأن تغتسل من الجنابة.

(٢) صحيح: وأخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (٧١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ١٧٢).

(٣) سعيد بن منصور (٧١٧).

(٤) سعيد بن منصور (٧١٩).

س: هل يحل لرجلٍ أن يتزوج أمةً كتابيةً؟

ج: منع من ذلك فريق من العلماء محتجين بقوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] علىٰ تأويل المحصنات بأنهنّ الحرائر، فقالوا: المستثنىٰ من المشركات في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] هن المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، أي: الحرائر من الذين أتوا الكتاب، أما إماء أهل الكتاب فما زلن داخلات في المشركات اللواتي نهىٰ اللَّه تبارك وتعالىٰ عن نكاحهنّ.

واحتجوا أيضًا ـ علىٰ المنع ـ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].

● أمَّا الذين جوَّزوا ذلك فحملوا الآية الكريمة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ علىٰ العفائف، حرائر كنَّ أو إماء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ﴾، ومن يجحد ما أمر اللَّه بالتصديق به من توحيد اللَّه ونبوة محمد ﷺ وما جاء به من عند اللَّه وهو (الإيمان)، الذي قال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] يقول: فقد بطل ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، يرجو أن يدرك به منزلة عند اللَّه ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] يقول: وهو في الآخرة من الهالكين، الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها من ثواب اللَّه بكفرهم بمحمد، وعملهم بغير طاعة اللَّه.

قال السعدي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] أي: ومن كفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به، من كتبه ورسله، أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] أي: الذين خسروا أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم يوم القيامة وحصلوا على الشقاوة الأبدية.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]؟

ج: وجه ذلك: حتى لا يظنّ ظانٌّ أنه لما أباح نكاح الكتابيات فقد رضي دينهم.

* * *

س: ما حُكم من يكفر بالإيمان ثم يؤمن مرةً ثانية؟

ج: قال الشنقيطي رحمه اللَّه[1]:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] ظاهر هذه الآية الكريمة، أن المرتد يحبط جميع عمله بردته من غير شرط زائد، ولكنَّه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات على الكفر، وهو قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] ومقتضى الأصول: حمل هذا المطلق على هذا المقيد، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر، وهو قول الشافعي ومن وافقه، خلافًا لمالك القائل بإحباط الردة العمل مطلقًا، والعلم عند اللَّه تعالى.

(١) أضواء البيان (٢/ ٧).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ
أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا
فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(جُنُبًا - الْغَائِط - لامَسْتُمُ النِّسَاءَ - تَيَمَّمُوا - طَيِّبًا - حَرَجٍ - نِعْمَةَ اللَّهِ - مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ) .

ج:

الكلمة	معناها
﴿ جُنُبًا ﴾	أصابتكم جنابة .
﴿ الْغَائِط ﴾	المكان المنخفض ، وكانوا يذهبون إليه للاستتار به عند قضاء الحاجة ، فقيل لكل من رجع من قضاء الحاجة : إنه رجع من الغائط .
﴿ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾	جامعتم النساء ، (وأنتم مسافرون) .
﴿ تَيَمَّمُوا ﴾	اقصدوا - (وافعلوا ما علمتموه من صفة التيمم) .
﴿ طَيِّبًا ﴾	طاهراً نظيفًا غير قذرٍ ولا نجس .
﴿ حَرَجٍ ﴾	ضيق وعنت ، ومن العلماء من خص الحرج بالضيق في الدين ، لقوله تعالى : ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .
﴿ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾	فضل الله عليكم بهدايته لكم وتوفيقه إياكم .
﴿ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ﴾	عهده الذي عاهدكم به .

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] سبب نزول؟

ج: نعم، صحَّ لذلك سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سقطت قلادةٌ لي بالبيداء ـ ونحن داخلون المدينة ـ فأناخ النبيُّ ﷺ ونزل فثَنىٰ رأسه في حجري راقدًا، أقبلَ أبو بكر فلكَزَني لكزة شديدة، وقال: حبستِ الناس في قِلادة؟ فبي الموتُ لمكان رسول اللَّه ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرتِ الصُّبحُ، فالتمسَ الماءُ فلم يوجَد، فنزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾ [المائدة: ٦] الآية، فقال أُسيد بن حضير: لقد باركَ اللَّه للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركةٌ لهم.

* * *

س: ما معنى قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾؟

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: إذا أردتم القيام، وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا أردت القراءة ونحوه. كان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بكَ من الخبث والخبائث**»[٢] أي: إذا أراد أن يدخل، كما قد جاء في الروايات الأخر لهذا الحديث[٣].

* * *

(١) البخاري (٤٦٠٨)، ومسلم (٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح (١/ ٢٤٢)، ومسلم (٣٧٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) والرواية الصحيحة المتفق عليها في «الصحيحين» لهذا الحديث: «كان إذا دخل». أما الرواية بلفظ: «إذا أراد أن يدخل» فهو رواية مرجوحة.

س: وضِّح المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ...﴾ [المائدة: ٦] الآية. وهل كل من قام إلى الصلاة عليه أن يتوضأ في كل الأحوال؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهو قول جمهور أهل العلم[١]: أن المراد إذا قمتم إلى الصلاة مُحْدثين، أي: على غير طهارة.

● وأورد الطبري جملة من الآثار عن عددٍ من أهل العلم تُفيد هذا المعنى.

الثاني: أن المراد بالقيام القيام من النوم، فالمعنى: إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة، وقد صحّ هذا القول عن زيد بن أسلم، أخرجه عنه الطبري[٢].

الثالث: أن المراد كل قيام، فإذا قمتم أي قيام للصلاة ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُم...﴾ الآية.

وأورد الطبري أيضًا بذلك جملة آثار عن السلف القائلين بذلك.

الرابع: أن هذا الأمر كان أمر إيجاب للمُحدِث وغير المُحدث، ثم نُسخ في حق غير المحدث، واحتج لهذا القول بما أخرجه أحمد وغيره، من حديث ابن عمر، وها هو مع بعض الكلام عليه:

قال ابن كثير رحمه اللَّه:

قال أحمد[٣] حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدَّثني محمد ابن يحيى بن حبان الأنصاري، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر، قال:

---

(١) عزاه القرطبي إلى الجمهور، وعزاه الحافظ في «الفتح» إلى الأكثرين أيضًا.

(٢) الطبري (١١٣٢٣).

(٣) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٥)، وانظر «سنن أبي داود» (٤٨)، وابن خزيمة (١٥)، والدارمي (٦٦٤).

قلت له: أرأيت وضوء عبد اللَّه بن عمر لكل صلاة، طاهراً كان أو غير طاهر، عمَّن هو؟ قال: حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب، أن عبد اللَّه بن حنظلة بن أبي عامر بن الغسيل، حدثها أن رسول اللَّه ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة، طاهراً كان أو غير طاهر، فلمَّا شقَّ ذلك على رسول اللَّه ﷺ أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث، فكان عبد اللَّه يرى أن به قوّة على ذلك، كان يفعله حتى مات.

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الحمصي، عن أحمد بن خالد الذهبي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر، ثم قال أبو داود: ورواه إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، فقال: عبيد اللَّه بن عمر. يعني: كما تقدَّم في رواية الإمام أحمد.

وأيًّا ما كان فهو إسناد صحيح، وقد صرّح ابن إسحاق فيه بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان، فزال محذور التدليس، لكن قال الحافظ ابن عساكر: رواه سلمة بن الفضل، وعلي بن مجاهد، عن ابن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن محمد بن يحيى بن حبان به، واللَّه أعلم.

وفي فعل ابن عمر هذا، ومداومته على إسباغ الوضوء لكل صلاة، دلالة على استحباب ذلك، كما هو مذهب الجمهور.

الخامس: أن الأمر في قوله تعالى: ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا**﴾ [المائدة: ٦] أمر إيجاب للمحدث، وأمر استحباب[1] لغير المحدث.

---

(١) وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى عن الجمهور استحبابهم إسباغ الوضوء لكل صلاة.

وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى، فقد قال رحمه اللَّه:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: إن اللَّه عنى بقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦] جميع أحوال قيام القائم إلى الصلاة غير أنه أمرُ فرضٍ بغسل ما أمر اللَّه بغسله القائم إلى صلاته، بعد حدثٍ كان منه ناقضٍ طهارته، وقبل إحداث الوضوء منه، وأمر ندب لمن كان على طهر قد تقدّم منه، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته، ولذلك كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة، ثم صلّى يومئذٍ الصلوات كلها بوضوء واحد، ليعلّم أمته أن ما كان يفعل عليه السلام من تجديد الطهر لكل صلاة، إنما كان منه أخذًا بالفضل، وإيثارًا منه لأحب الأمرين إلى اللَّه، ومسارعةً منه إلى ما ندبه إليه ربه، لا على أن ذلك كان عليه فرضًا واجبًا.

فإن ظنَّ ظانٌّ أن في الحديث الذي ذكرناه عن عبد اللَّه بن حنظلة أن النبي ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة، دلالة على خلاف ما قلنا من أن ذلك كان ندبًا للنبي عليه السلام وأصحابه ـ وخُيِّل إليه أن ذلك كان على الوجوب ـ فقد ظنّ غير الصواب.

وذلك أن قول القائل: أمر اللَّه نبيه ﷺ بكذا وكذا، محتملٌ من وجوه لأمر الإيجاب، والإرشاد والندب، والإباحة، والإطلاق، وإذ كان محتملاً ما ذكرنا من الأوجه، كان أولى وجوهه به ما على صحته الحجة مجمعة، دون ما لم يكن على صحته برهان يوجب حقيقة مدَّعيه، وقد أجمعت الحجة على أن اللَّه عزَّ وجلَّ لم يوجب على نبيه ﷺ ولا على عباده، فرض الوضوء لكل صلاة، ثم نسخ ذلك، ففي إجماعها على ذلك الدلالة الواضحة على صحة ما قلنا: من أن فعل النبي ﷺ ما كان يفعل من ذلك، كان على ما وصفنا، من إيثاره فعل ما ندبه اللَّه عزّ ذكره إلى فعله وندب إليه

عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] الآية، وأن تركه في ذلك الحال الذي تركه، كان ترخيصًا لأمته، وإعلامًا منه لهم، أن ذلك غير واجب ولا لازم له ولا لهم، إلا من حدَثٍ يوجب نقض الطهر.

ووجه سادس: ذكره الطبري رحمه اللَّه حيث قال:

وقد قال قومٌ: إن هذه الآية أنزلت على رسول اللَّه ﷺ إعلامًا من اللَّه له بها، أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى صلاته، دون غيرها من الأعمال كلها، وذلك أنه كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ، فأذن اللَّه بهذه الآية أن يفعل كل ما بدا له من الأفعال بعد الحدث عدا الصلاة، توضأ أو لم يتوضأ، وأمره بالوضوء إذا قام إلى الصلاة قبل الدخول فيها.

أمَّا هل يجوز للشخص أن يصلي عدة صلوات بوضوء واحد، ما لم ينتقض ذلك الوضوء بناقض؟

فلا بأس بذلك؛ ففي البخاري[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة.

قلت (القائل هو الراوي عن أنس): كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزئ أحدنا الوضوء ما لم يُحدث.

وفي رواية الطبري لهذا الحديث قال أنس: كنَّا نُصلي الصلوات بوضوء واحد.

وقد صلى النبي ﷺ الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد، فسأله عمر عند ذلك فقال: «**عمدًا صنعتُه يا عمر**»[2].

* * *

(١) البخاري (٢١٤).

(٢) مسلم (٢٧٧) من حديث بريدة رضي اللَّه عنه.

س: ما مدى صحة هذه الأحاديث:

«لا وضوء إلا من حدث».

وحديث: «وضوء على وضوء: نور على نور».

وحديث: «من توضأ على طُهر كُتب له عشر حسنات»؟

ج: كلها أحاديث ضعيفة الأسانيد.

* * *

س: ما حكم المضمضة والاستنشاق؟

ج: المضمضة والاستنشاق كلاهما مستحبٌّ، وهذا رأي جمهور العلماء، أما ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ من أنه كان يمضمض ويستنشق، وورد أيضًا أنه كان يأمر بالاستنشاق، فذلك محمول على الاستحباب.

وذلك لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «**توضأ كما أمرك اللَّه**»(١).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من توضأ فليستنثر، ومن استجمر فليوتر**»(٢).

قال الطبري رحمه اللَّه في شرحه لهذا الحديث:

«**إذا توضأ أحدكم فليستنثر**» دليلاً على وجوب الاستنثار، فإن في إجماع الحجة على أن ذلك غير فرض واجب، يجب على من تركه إعادة الصلاة التي صلاها قبل غسله، ما يغني عن إكثار القول فيه.

وأما الأذنان: فإن في إجماع جميعهم على أن ترك غسلهما، أو غسل ما أقبل منهما مع الوجه، غيرُ مفسد صلاةَ من صلى بطهره الذي ترك فيه

---

(١) حديث: «توضأ كما أمرك اللَّه» صحيح، أخرجه أبو داود (٨٥٨)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (١٦١)، ومسلم (٢٣٧) بلفظ: «إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترًا».

غسلهما، مع إجماعهم جميعًا على أنه لو ترك غسل شيء مما يجب عليه غسله من وجهه في وضوئه، أن صلاته لا تجزئ بطهوره ذلك، ما ينبئ عن أن القول في ذلك ما قاله أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين ذكرنا قولهم: إنهما ليسا من الوجه، دون ما قاله الشعبي.

* * *

س: هل الوضوء مرة مرة يجزئ، أم لا بد من الثلاث؟

ج: نعم، يجزئ الوضوء بغسل الأعضاء مرة مرة، أي: كل عضو يُغسل مرةً واحدة.

- فقد توضأ النبي ﷺ مرة مرة[١].
- وتوضأ أيضًا مرتين مرتين[٢].
- وتوضأ ثلاثًا ثلاثًا[٣] (أعني: باستثناء مسح الرأس، فمرة واحدة).

* * *

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الوجه الذي أمر اللَّه عزَّ وجل بغسله عند القيام للصلاة.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندنا قول من قال: «الوجه» الذي أمر اللَّه جلّ ذكره بغسله القائم إلى صلاته: كل ما انحدر عن منابت شعر الرأس إلى مُنقطع الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضًا، مما هو ظاهر لعين الناظر، دون ما بطن من الفم والأنف والعين، ودون ما غطاه شعر اللحية والعارضين والشاربين فستره عن أبصار الناظرين، ودون الأذنين.

(١، ٢، ٣) أخرجها كلها البخاري (١٥٧، ١٥٨، ١٥٩).

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

فحدُّه في الطول من مبتدأ سطح الجبهة إلىٰ منتهىٰ اللحيين، ومن الأذن إلىٰ الأذن في العرض، وهذا في الأمرد، وأما الملتحي: فإذا اكتسىٰ الذقن بالشعر فلا يخلو أن يكون خفيفًا أو كثيفًا، فإن كان الأول بحيث تبين منه البشرة، فلا بد من إيصال الماء إليها، وإن كان كثيفًا فقد انتقل الفرض إليه كشعر الرأس، ثم ما زاد علىٰ الذقن من الشعر واسترسل مع اللحية.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وحدُّ الوجه عند الفقهاء: ما بين منابت شعر الرأس، ولا اعتبار بالصلع، ولا بالغمم، إلىٰ منتهىٰ اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلىٰ الأذن عرضًا، وفي النزعتين والتحذيف خلاف، هل هما من الرأس أو الوجه؟ وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض، قولان.

* * *

س: هل ثبتت عن رسول اللَّه ﷺ أحاديث في تخليل اللحية؟

ج: لا أعلم في تخليل اللحية حديثًا صحيحًا، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالىٰ في كتابه «تلخيص الحبير»[1].

فائدة: قال عبد اللَّه بن أحمد عن أبيه: ليس في تخليل اللحية شيءٌ صحيح، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا يثبت عن النبي ﷺ في تخليل اللحية شيءٌ.

* * *

س: هل المرافق تدخل في الغسل أم لا تدخل؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

---

(١) «التلخيص» ص (٨٥-٨٧)، ولمزيد راجع ما ذكره الحافظ ابن حجر هناك، وانظر «نصب الراية» كذلك.

أحدهما: أن المرافق تدخل فيما يُغسل[١]، ومن حجج القائلين بهذا القول أن ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] بمعنى: مع المرافق[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢].

● واستدلوا أيضًا بحديث ضعيف، من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه، ونقل الطبري عن الشافعي قوله: «لم أعلم مخالفًا في أن المرافق فيما يُغسل».

قال الطبري: كأنه يذهب إلى أن معناها: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى أن تُغسل المرافق، حدَّثنا بذلك عنه الربيع.

القول الثاني: أن غسل المرفقين ليس بواجب، بل هو مستحب.

وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى، وحكاه أيضًا عن غيره، فقد قال رحمه اللَّه:

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن غسل اليدين إلى المرفقين من الفرض، الذي إن تركه أو شيئًا منه، تارك لم تجزه الصلاة مع تركه غسلَه، فأما المرفقان وما وراءهما: فإن غسل ذلك من الندب الذي ندب إليه ﷺ أمته بقوله: «**أمتي الغرّ المحجلون من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل**

---

(١) وعزا القرطبي هذا القول إلى أكثر العلماء.

(٢) وقد تعقب القرطبي هذا الوجه هنا، مع اختياره أن المرافق تدخل فيما يغسل فقال:
وقد قال بعضهم: إن «إلى» بمعنى مع، كقولهم: الذَّود إلى الذَّود إبل، أي: مع الذود، وهذا لا يحتاج إليه كما بيَّنَّاه في «النساء»؛ ولأن اليد عند العرب تقع على أطراف الأصابع إلى الكتف، وكذلك الرجل تقع على الأصابع إلى أصل الفخِذ، فالمرفق داخل تحت اسم اليد، فلو كان المعنى مع المرافق لم يُفد، فلمَّا قال: «إلى» اقتطع من حدّ المرافق عن الغسل، وبقيت المرافق مغسولة إلى الظُّفر، وهذا كلام صحيح يجري على الأصول لغةً ومعنًى.

غُرَّته فليفعل»، فلا تفسد صلاة تارك غسلهما، وغسل ما وراءهما، لما قد بيّنا قبل فيما مضىٰ: من أن كل غاية حُدَّت بـ«إلىٰ»، فقد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحد وخروجها منه.

وإذا احتمل الكلام ذلك، لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه، إلا لمن لا يجوز خلافه فيما بيّن وحكم، ولا حُكم بأن المرافق داخلة فما يجب غسله عندنا ممن يجب التسليم بحكمه.

* * *

س: هل يستحب الشروع في غسل العضد عند الوضوء؟

ج: نعم، يستحب ذلك، لقول النبي ﷺ: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء**» الحديث.

ولقول النبي ﷺ: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1].

وعند مسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه، ورفعه إلىٰ النبي ﷺ: . . . ثم غسل يده اليمنىٰ حتىٰ أشرع في العضد، ثم يده اليسرىٰ حتىٰ أشرع في العضد.

وفيه أيضًا: ثم غسل رجله اليمنىٰ حتىٰ أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرىٰ حتىٰ أشرع في الساق.

* * *

س: ما حدُّ الرأس؟

ج: حدُّ الرأسِ من منابت الشعر إلىٰ القفا.

* * *

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٠)، من طريق أبي حازم.
(٢) مسلم (٢٤٦).

س: هل الأذنان من الرأس أم لا؟

ج: أما الحديث الوارد عن رسول اللّه ﷺ وفيه: «**الأذنان من الرأس**»[١] فحديث ضعيف من كل طرقه، ولكن هل يُمسحا لكونهما في الرأس، فقد ذهب إلىٰ ذلك كثير من أهل العلم.

قال القرطبي رحمه اللّه:

وأما الأذنان فهما من الرأس عند مالك وأحمد والثوري، وأبي حنيفة، وغيرهم، ثم اختلفوا في تجديد الماء؛ فقال مالك وأحمد: يستأنف لهما ماء جديداً، سوىٰ الماء الذي مسح به الرأس، علىٰ ما فعل ابن عمر، وهكذا قال الشافعيّ في تجديد الماء، وقال: هما سنّة علىٰ حالهما لا من الوجه ولا من الرأس؛ لاتفاق العلماء علىٰ أنه لا يحلق ما عليهما من الشعر في الحج؛ وقول أبي ثور في هذا كقول الشافعي، وقال الثوري وأبو حنيفة: يُمسحان مع الرأس بماء واحد، وروي عن جماعة من السلف مثل هذا القول من الصحابة والتابعين، وقال داود: إن مسح أذنيه فحسن، وإلا فلا شيء عليه، إذ ليستا مذكورتين في القرآن، قيل له: اسم الرأس تضمّنهما كما بيّنّاه.

* * *

س: هل يجب مسحُ الرأس كلها أم أن مسح بعضها يجزئ؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم، مع إجماع جميعهم علىٰ أن من مسح رأسه كله فقد أحسن، وفعل ما يلزمه[٢].

---

(١) وانظر رسالتنا «نظرات في السلسلة الصحيحة».

(٢) نقل القرطبي هذا الإجماع في «تفسيره».

فذهب بعضهم إلى أن مسح بعض الرأس يجزئ، ومما احتجوا به أن الباء في قوله تعالى: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] للتبعيض، فقالوا: لو مسح بعض الرأس أجزأه ذلك.

واحتجوا أيضًا بأن النبي ﷺ مسح على ناصيته وعلى العِمامة(١).

ومن القائلين بذلك عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه تعالى عنهما، فقد أورد الطبري بأسانيد كثيرة، عن نافع عن ابن عمر، أنه كان إذا توضأ مسح مقدَّم رأسه(٢).

وأورد الطبري أيضًا جملة من الآثار بذلك، عن آخرين من أهل العلم.

● وممن قالوا بذلك أيضًا الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى، فقد نقل عنه القرطبي قوله: احتمل قول اللَّه تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] بعض الرأس، ومسح جميعه، فدلّت السنة أن مسح بعضه يُجزئ، وهو أن النبي ﷺ مسحَ بناصيته، وقال في موضع آخر، فإن قيل: قد قال اللَّه عزَ وجلّ ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] في التيمم أيجزئ بعض الوجه فيه؟ قيل له: مسح الوجه في التيمم بدل من غسله، فلا بد أن يأتي بالمسح على جميع موضع الغسل منه، ومسح الرأس أصل؛ فهذا فرق ما بينهما.

● وهذا اختيار الطبري أيضًا، فقد قال رحمه اللَّه:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن اللَّه جلَّ ثناؤه أمر بالمسح برأسه القائم إلى صلاته، مع سائر ما أمره بغسله معه أو مسحه، ولم يحدَّ ذلك بحدٍّ لا يجوز التقصير عنه ولا يجاوزه، وإذ كان ذلك كذلك، فما مسح به

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠) من حديث المغيرة بن شعبة، وفيه: أن النبي ﷺ مسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه.

(٢) وهي صحيحة عن ابن عمر بلا ريب، انظرها في الطبري (١١٤٣٦، ١١٤٣٧، ١١٤٣٨، ... فما بعدها).

المتوضئ من رأسه فاستحقَّ ذلك أن يُقال: «مسح برأسه» فقد أدىٰ ما فرض اللَّه عليه من مسح ذلك، لدخوله فيما لزمه اسم «ماسحٍ برأسه» إذا قام إلىٰ صلاته.

وأجاب هؤلاء علىٰ ما ورد في بعض الطرق عن رسول اللَّه ﷺ من أنه مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر... الحديث بأن ذلك علىٰ الاستحباب.

بينما ذهب آخرون من العلماء إلىٰ أنه يجب مسحه كله، وإن لم يفعل أعاد الصلاة، وحمل هؤلاء الباء في قوله تعالىٰ: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ علىٰ أنها للإلصاق، واستدلوا لقولهم بما ورد في سنة رسول اللَّه ﷺ من طريق مالك عن عمرو بن يحيىٰ المازني عن أبيه، أن رجلاً قال لعبد اللَّه بن زيد بن عاصم ـ وهو جد عمرو بن يحيىٰ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول اللَّه ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد اللَّه بن زيد: نعم، فدعا بوضوء، فأفرغ علىٰ يديه فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاثًا، وغسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلىٰ المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدّم رأسه، ثم ذهب بهما إلىٰ قفاه، ثم ردّهما حتَّىٰ رجع إلىٰ المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه[1].

● ومن القائلين بذلك مالك رحمه اللَّه تعالىٰ، فقد أخرج الطبري[2] من طريق يونس بن عبد الأعلىٰ قال: حدثنا أشهب قال: قال مالك: من مسح بعض رأسه ولم يعمَّ، أعاد الصلاة، بمنزلة من غسل بعض وجهه أو بعض ذراعه، قال: وسئل مالك عن مسح الرأس قال: يبدأ من مقدَّم وجهه، فيدير يديه إلىٰ قفاه، ثم يردُّهما إلىٰ حيث بدأ منه.

وأجاب هؤلاء علىٰ حديث المغيرة بما ذكر بعضه القرطبي عنهم إذ قال:

أجاب علماؤنا عن الحديث بأن قالوا: لعلّ النبيّ ﷺ فعل ذلك لعذر

(١) انظر البخاري (١٨٥)، ومسلم (٢٣٥) بنحوه، وله مصادر أُخر عندهما، وأخرجه مالكٌ في «الموطأ»، وهو أول حديث عنده في كتاب الطهارة.

(٢) الطبري (١١٤٤٩).

لاسيما وكان هذا الفعل منه ﷺ في السفر وهو مَظنَّة الأعذار، وموضع الاستعجال والاختصار، وحذف كثير من الفرائض لأجل المشقّات والأخطار؛ ثم هو لم يكتف بالناصية حتىٰ مسح علىٰ العِمامة، أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شُعبة، فلو لم يكن مسح جميع الرأس واجبًا لما مسح علىٰ العمامة، واللَّه أعلم.

* * *

س: كم عدد المرات التي تمسح بها الرأس؟

ج: هي مرة واحدة.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] هل هو بالنصب؟ بمعنى: هل هو (وَأَرْجُلَكُمْ)، أم بالخفض، فيكون (وَأَرْجُلِكُمْ)؟

ج: جمهور العلماء علىٰ أن القراءة بالنصب (وأرجلَكم)، وأن الفرض في الرجلين الغسلُ لا المسح[1]، فيكون التأويل: إذا قمتم إلىٰ الصلاة

(١) قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿وأرجلكم﴾ [المائدة: ٦] قرأ نافع وابن عامر والكسائي «وَأَرْجُلَكُمْ» بالنصب، وروىٰ الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ: «وَأَرْجُلُكُمْ» بالرفع، وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخفض، وبحسب هذه القراءات اختلف الصحابة والتابعون؛ فمن قرأ بالنصب جعل العامل «اغْسِلُوا» وبنىٰ علىٰ أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فِعل النبي ﷺ، واللازم من قوله في غير ما حديث، وقد رأىٰ قومًا يتوضئون وأعقابهم تَلُوح فنادىٰ بأعلىٰ صوته: «ويلٌ للأعقاب من النار؛ أسبغوا الوضوء»(*) ثم إن اللَّه حدَّهما فقال: ﴿إلىٰ الكعبين﴾ [المائدة: ٦] كما قال في اليدين: ﴿إلىٰ المرافق﴾ [المائدة: ٦] فدلَّ علىٰ وجوب غسلهما، واللَّه أعلم.

(*) بهذا اللفظ عند مسلم (٢٤١) من حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا، وله طرق عن رسول اللَّه ﷺ بألفاظ قريبة.

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلىٰ المرافق وأرجلكم إلىٰ الكعبين، وامسحوا برءوسكم، فتكون الآية في الأصل من المؤخر الذي معناه التقديم، وتكون الأرجل منصوبة عطفًا علىٰ الأيدي.

وممن قالوا بذلك: عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما، فقد صحَّ عنه أنه قرأها (وأرجلَكم) يقول: رجعت إلىٰ الغسل[١].

ومما يتقوىٰ به هذا الرأي جدًّا النصوصُ الواردة عن رسول اللَّه ﷺ في الأمر بغسل الأرجل.

● ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: تخلَّف النبي ﷺ عنَّا في سفرةٍ سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح علىٰ أرجلنا، فنادىٰ بأعلىٰ صوته: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثًا.

● ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث عثمان رضي اللَّه عنه في وصف وضوء النبي ﷺ، ففيه: «ثم غسل رجليه ثلاث مرات»، وأخرج مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ رأىٰ رجلاً لم يغسل عقبيه فقال: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» وفي حديث عبد اللَّه بن زيد[٥] رضي اللَّه عنه يصف وضوء النبي ﷺ وفيه: «... ثم غسل رجليه».

---

(١) الطبري (١١٤٥٩)، وفي سنده عنده ابن وكيع، وهو سفيان بن وكيع فيه ضعف، لكنه قد توبع، فقد عزاه الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ لابن أبي حاتم من طريق فيها متابعة لابن وكيع.

وقد ورد عن ابن عباس من وجوه أُخر فيها كلام أن المراد المسح.

(٢) البخاري (١٦٣)، ومسلم (٢٤٣).

(٣) البخاري (١٦٤)، ومسلم (٢٢٦).

(٤) مسلم (٢٤٢).

(٥) البخاري (١٨٥)، ومسلم (٢٣٥).

وانظر أيضًا حديث ابن عباس، وعلي، وجابر بن عبد اللَّه، وعمر رضي اللَّه عنهم أجمعين[١].

● وقرأ آخرون من أهل العلم (وأرجلِكم) بالخفض عطفًا على رءوسكم.

ومن ثمَّ قال من قال بالمسح، وأن الفرض في الرجلين المسح، وهم طوائف الشيعة.

● وقد وردت بعض الآثار عن بعض السلف بذلك، لكن حملها بعض العلماء على أن المراد بالمسح الغسل الخفيف، لما قد ورد عن رسول اللَّه ﷺ من السنن الثوابت في وجوب غسل الرجلين.

● ومن العلماء من قرأها بالخفض، لكن كما أشرنا فإن هذا القائل أوجب غسل الرجلين بسنة رسول اللَّه ﷺ.

● ومن العلماء من قرأها بالخفض، لكنه أوَّل المسح هنا بأن معناه إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما، فضمَّن المسح معنى الغسل، وجعل المسح في بعض الأحيان يقتصر على إمرار اليد على العضو، وأحيانًا إمرارها مع الغسل، وحمل الآية على أن المراد منها: إمرارها على الرجلين بالغسل، ومن هؤلاء الطبري رحمه اللَّه تعالى.

❊ ❊ ❊

(١) أوردها الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في «تفسيره»، ومنها في «الصحاح».

س: ما المراد بالكعبين؟

ج: الكعبان هما العظمان الناتئان في جنبي الرجل، نقل ذلك القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ عن الجمهور.

ونقل القرطبي عن الشافعي قوله: لم أعلم مخالفًا في أن الكعبين هما العظمان في مجمع مفصل الساق.

ونقل الطبري عن الربيع، عن الشافعي قوله: لم أعلم مخالفًا في أن الكعبين اللذين ذكرهما اللَّه في كتابه في الوضوء هما الناتئان، وهما مجمع مفصل الساق والقدم.

* * *

س: هل يجب تخليل أصابع القدم؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال ابن وهب عن مالك: ليس علىٰ أحد تخليل أصابع رجليه في الوضوء، ولا في الغسل، ولا خير في الجفاء والغُلو؛ قال ابن وهب: تخليل أصابع الرجلين مُرغَّب فيه، ولا بد من ذلك في أصابع اليدين، وقال ابن القاسم عن مالك: من لم يُخلِّل أصابع رجليه فلا شيء عليه.

* * *

س: ما مدى صحة حديث: «فمن زاد أو نقص فقد تعدَّى وظلم» وما متنه بتمامه؟

ج: هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه[1] وغيره بسند حسن، ولكن

---

(١) أبو داود (١٣٥) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا.

وفي الجملة؛ فإن إسناد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إسنادٌ حسن، إلا أنه يستنكر=

في متنه بعض النكارة، ففي الحديث أن النبي ﷺ غسل كفيه ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل ذراعيه ثلاثًا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السبابتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أُذنيه، وبالسبابتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «**هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم ـ أو ـ ظلم وأساء**».

ووجه النكارة في هذا الحديث أن الحديث وصفَ من نقص بأنه أساء، وقد ثبت من طرق صحاح أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة، وتوضأ أيضًا مرتين مرتين، فكيف يوصف من صنع هذا بأنه أساء.

ومن ثمَّ فقد حكم الإمام مسلم رحمه اللَّه على هذا الحديث بالنكارة، كما نقل عنه في الفتح.

* * *

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الوضوء؟

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ[1] «**ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ويرفع به**

= عليه الشيء بعد الشيء.

ومن ثمَّ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه في ترجمة عمرو بن شعيب: له أشياء مناكير، وإنما يُكتب حديثه يعتبر به، فأما أن يكون حجة فلا، وقال الأثرم عن أحمد: أنا أكتب حديثه، وربما احتججنا به، وربما وجس في القلب منه شيء.

وقال أبو داود عن أحمد بن حنبل: أصحاب الحديث إذا شاءوا احتجوا بحديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده، وإذا شاءوا تركوه...

وثمَّ أقوال أُخر توافق في الجملة عموم ما قرَّرناه من أن الأصل أن حديثه يُحسَّن، إلا ما استُنكر عليه، واللَّه أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٢٥١).

الدرجات»، قالوا: بلىٰ يا رسول اللَّه. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»[١].

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[٢].

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**أنتم الغُرُّ المُحجَّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليُطل غرته وتحجيله**»[٣].

وثم فضائل لإسباغ الوضوء وقول أشهد ألا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله عقب الوضوء.

فإن من فعل ذلك فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[٤].

وفي رواية: أشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وكذا فضل للوضوء والصلاة بعده، والمحافظة علىٰ ذلك.

وفي ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٥] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال، حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**» قال: ما عملت عملاً أرجىٰ عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطهور ما كُتبَ لي أن أصلي. وهذا لفظ البخاري.

وفي لفظ مسلم: ما عملت عملاً في الإسلام أرجىٰ عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطُّهور ما كتب اللَّه لي أن أصلي.

---

(١) وفي رواية: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٠).

(٣) مسلم (٢٤٦).

(٤) انظر «صحيح مسلم» (٢٣٤).

(٥) البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

وعند البخاري[١] أيضًا أن النبي ﷺ توضأ . . . ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا.

● وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

* * *

س: لماذا أُفرد (جُنب) مع أنه خبرٌ عن الجمع؟

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

ووحَّد «الجنب» وهو خبر عن الجميع؛ لأنه اسم خرج مخرج الفعل، كما قيل: «رجل عدل»، و«قوم عدل»، و«رجل زور»، و«قوم زور» وما أشبه ذلك، لفظ الواحد والجميع والاثنين والذكر والأنثىٰ فيه واحد، يقال منه: «أجنب الرجل» و«جُنُب»، و«اجتنب»، والفعل «الجنابة»، و«الإجناب».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وإن كُنتُم مَّرْضَىٰ...﴾ [المائدة: ٦] هل يفيد أن كل مريض يتيمم؟

ج: لا يُفيد ذلك، إنما هنا مقدرٌ محذوف مفهوم من السياق، فالمعنىٰ: وإن كنتم مرضىٰ فشقّ عليكم الوضوء، أو حال المرض بينكم وبين الوضوء لكون المرض سيزداد، أو يتأخر برؤه، واللَّه أعلم.

* * *

(١) البخاري (١٥٩).

س: ما المراد بقوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [المائدة: ٦] ؟

ج: المراد، واللَّه أعلم: أو كنتم مسافرين، فأصابتكم جنابة.

* * *

س: إذا كان المراد باللمس في قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦] الجماع، فما فائدة التكرير، وقد تقدّم ذكر الجنابة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] ؟

ج: لذلك وجوه، واللَّه تعالى أعلم، فمنها:

أولاً: أن قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] هذا في حال وجود الماء، وقوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦] معقبٌ بقوله تعالى: ﴿فلمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ [المائدة: ٦] فهذا حكم من أجنب ولم يجد الماء.

والأول حكم من أجنب ووجد الماء

ثانيًا: أن قوله تعالى: ﴿جُنُبًا﴾ أعم من قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فالجنابة قد تتأتى بملامسة النساء وقد تتأتى باحتلام، وقد تتأتى باستمناء.

ثالثًا: أن ملامسة النساء بالجماع، ولو لم يكن معها إنزال (ولكن تم جماع بغياب ما يسمى بالمدورة في الفرج) تستلزم غسلاً عند جماهير العلماء.

● هذا وقد طرح الطبري رحمه اللَّه تعالى نحو هذا السؤال المتقدّم وأجاب عليه ببعض ما ذكر، فقال رحمه اللَّه تعالى:

فإن قال قائل: وما وجه تكرير قوله: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦] إن كان معنى «اللمس» الجماع، وقد مضى ذكر الواجب عليه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] ؟

قيل: وجه تكرير ذلك، أن المعنى الذي ألزمه تعالى ذكره من فرضه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] غير المعنى الذي ألزمه بقوله: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ و [المائدة: ٦] ذلك أنه بيَّن حكمه في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] إذا كان له السبيل إلى الماء الذي يطهره، ففرض عليه الاغتسال به، ثم بيَّن حكمه إذا أعوزه الماء، فلم يجد إليه السبيل، وهو مسافر غير مريض مقيم، فأعلمه أن التيمم بالصعيد له حينئذٍ الطهور.

* * *

س: هل للجنب أن يتيمم إذا لم يجد الماء، أم أن التيمم للمحدث حدثًا أصغر فقط؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن الجنب لا يتيمم؛ لأن اللَّه قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] ومن هؤلاء عمر، وابن مسعود، رضي اللَّه عنهما، بينما ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم إلى أن الجنب يتيمم لحديث عمار بن ياسر رضي اللَّه عنهما الوارد في ذلك، وأيضًا فلقوله تعالى ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦] ولحديث عمران بن حصين الوارد في إباحة ذلك أيضًا(١)

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] وقد مضى في «النساء» معنى الجنب، و«اطَّهَّرُوا» أمر بالاغتسال بالماء؛ ولذلك رأى عمر وابن مسعود ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن الجنب لا يتيمم البتة، بل يدع الصلاة حتى يجد الماء. وقال الجمهور من الناس: بل هذه العبارة هي لواجد الماء، وقد ذكر الجنب بعد في أحكام عادم الماء بقوله: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨)، ومسلم (٦٨٢).

والملامسة هنا الجماع، وقد صح عن عمر وابن مسعود أنهما رجعا إلىٰ ما عليه الناس وأن الجنب يتيمم، وحديث عمران بن حُصين نص في ذلك، وهو أن رسول اللَّه ﷺ رأىٰ رجلاً معتزلاً لم يصلّ في القوم فقال: «**يا فلان، ما منعك أن تصلي في القوم**» فقال: يا رسول اللَّه، أصابتني جنابة ولا ماء. قال: «**عليك بالصعيد؛ فإنه يكفيك**» أخرجه البخاري[1].

* * *

س: هل يجوز أن يُصلى بالتيمم الواحد فريضتين أو لا؟

ج: أورد الشنقيطي هذا السؤال وأجاب عليه بقوله: ذهب بعض العلماء إلىٰ أنه يجوز به فريضتان، أو فرائض ما لم يحدث؛ وعليه كثير من العلماء، منهم الإمام أحمد في أشهر الروايتين، والحسن البصري؛ وأبو حنيفة؛ وابن المسيب؛ والزهري.

وذهب مالك والشافعي، وأصحابهما إلىٰ أنه لا تصلىٰ به إلا فريضة واحدة، وعزاه النووي في «شرح المهذب» لأكثر العلماء، وذكر أن ابن المنذر حكاه عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، والشافعي، والنخعي. وقتادة، وربيعة، ويحيىٰ الأنصاري، والليث، وإسحق، وغيرهم.

* * *

س: هل تكفي للتيمم ضربة واحدة؟

ج: نعم يجوز ذلك، بل هو الوارد عن رسول الله ﷺ وقدمنا ذلك في تفسير سورة النساء.

---

(١) انظر التخريج السابق.

وأيضًا فقد قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

اختلف العلماء هل تكفي للتيمم ضربة واحدة أو لا؟

فقال جماعة: تكفي ضربة واحدة للكفين والوجه، وممن ذهب إلىٰ ذلك الإمام أحمد، وعطاء، ومكحول، والأوزاعي، وإسحاق، ونقله ابن المنذرعن جمهور العلماء واختاره، وهو قول عامة أهل الحديث، ودليله حديث عمار المتفق عليه المتقدم آنفًا. وذهب أكثر الفقهاء إلىٰ أنه لابد من ضربتين: إحداهما للوجه، والأخرىٰ للكفين، ومنهم من قال: وجوب الثانية، ومنهم من قال بسنيتها كمالك، وذهب ابن المسيب، وابن شهاب، وابن سيرين إلىٰ أن الواجب ثلاث ضربات، ضربة للوجه، وضربة لليدين، وضربة للذراعين.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: الظاهر من جهة الدليل الاكتفاء بضربة واحدة؛ لأنه لم يصح من أحاديث الباب شيء مرفوعًا، إلا حديث عمار المتقدم، وحديث أبي جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري، قال: «أقبل رسول الله ﷺ، من نحو بئر جمل فلقيه رجل، فسلم عليه فلم يرد عليه النبي ﷺ، حتىٰ أقبل علىٰ الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام»، أخرجه البخاري موصولاً، ومسلم تعليقًا وليس في واحد منهما ما يدل علىٰ أنهما ضربتان كما رأيت، وقد دل حديث عمار أنها واحدة.

* * *

س: هل يُشرع التيمم لإزالة النجاسة التي تعلقت بالبدن؟

ج: لا نعلم دليلاً علىٰ ذلك، ثم إن السياق الوارد في التيمم إنما هو في الأحداث وهذا قول جمهور العلماء ـ أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم، والله أعلم.

* * *

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] .

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] ما يريد اللَّه بما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم إلىٰ صلاتكم، والغُسل من جنابتكم، والتيمم صعيداً طيباً عند عدمكم الماء ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] ليلزمكم في دينكم من ضيق، ولا ليعنتكم فيه.

وقال أيضًا: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ولكن اللَّه يريد أن يطهركم بما فرض عليكم من الوضوء من الأحداث، والغسل من الجنابة، والتيمم عند عدم الماء، فتنظفوا وتطهّروا بذلك أجسامكم من الذنوب.

* * *

س: ما المراد بإتمام النعمة في قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ؟

ج: المراد واللَّه أعلم: إتمام النعمة بالتخفيف والتيسير علينا بفرض التيمم للذي لا يجد الماء، وللذي يضره استعمال الماء.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] فإنه يقول: ويريد ربكم، مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل إذا قمتم إلىٰ الصلاة بالماء إن وجدتموه، وتيممكم إذا لم تجدوه، أن يتم نعمته عليكم بإباحته لكم التيمم، وتصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً، رخصةً منه لكم في ذلك، مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم، أيها المؤمنون ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] يقول: لكي تشكروا اللَّه علىٰ نعمه التي أنعمها عليكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم.

• وقال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] أي: بالترخيص في التيمم عند المرض والسفر، وقيل: بتبيان الشرائع، وقيل: بغفران الذنوب، وفي الخبر: «إتمام النعمة: دخول الجنة والنجاة من النار».

* * *

س: ما المراد بذكر النعمة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ ...﴾ [المائدة: ٧] وما المراد بالنعمة هنا؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد عدم النسيان.

الثاني: أن المراد التحديث بها.

أما المراد بنعمة اللَّه هنا: فهي هدايته وتوفيقه إياكم بأن هداكم من العقود لما فيه الرضى والنجاة.

* * *

س: ما المراد بالميثاق هنا؟

ج: قال بعض العلماء: إنه البيعة على السمع والطاعة للَّه ولرسوله ﷺ فيما أحبوا أو كرهوا، والعمل بكل ما أمرهم به اللَّه ورسوله، وإلى هذا القول جنح الطبري رحمه اللَّه تعالى.

وعزا القرطبي هذا القول للجمهور، قال كما جرى ليلة العقبة وليلة الشجرة.

وقول آخر: أنه الميثاق الذي أُخذ عليهم وهم في صلب آدم ﷺ.

والقول الثالث: أنه تذكار بالعهد الذي أخذه اللَّه على اليهود.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَحِيمِ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ
فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(قَوَّامِينَ لِلَّهِ - وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ - شَنَآنُ قَوْمٍ - يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ - فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾	قائمين بأعمالكم تبتغون بها وجه الله.
﴿لا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾	لا يوقعنكم في الجرم - لا يحملنكم.
﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾	بغض قومٍ - عداوة قومٍ.
﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾	يمدوا إليكم إيديهم بالضرب
﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾	منعهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يعني بذلك جل ثناؤه: يأيها الذين آمنوا باللَّه وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام للَّه شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري.

وأما قوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] فإنه يقول: ولا يحملنَّكم عداوةُ قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

* * *

س: الأعمال كلها بما فيها الشهادات ينبغي أن يُبتغَى بها وجه اللَّه سبحانه وتعالى، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].
- وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [المائدة: ٨].
- وقوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].
- وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم].

● وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٨-٢١].

● وقول أهل الإيمان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا ومتعددة، اجتزأ منها بقوله ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تجعلها في فيِّ امرأتك**»(١).

وبالحديث الذي أخرجه مسلم(٢) في «صحيحه» مبينًا خطورة من عمل عملاً يُبتغى به وجهٌ آخر غير وجه اللَّه، فعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استُشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأن يُقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتَّى أُلقي في النار.**

ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمَهُ وقرأ القُرآن، فأُتي به، فعرَّفَهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُهُ وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمت العلم ليُقال عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليُقال هو قارئٌ، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ وسَّع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نعمهُ فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن ينفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقيَ في النار».

---

(١) البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) مسلم (١٩٠٥).

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]؟

ج: المعنى، واللَّه أعلم: لا يحملنَّكم بغض قومٍ على ترك العدل فيهم، بل قوموا بالعدل في كل أحدٍ صديقًا كان أو عدوًّا.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] هل يُفيد أن عدم العدل قريب من التقوى، ولكن العدل أقرب؟

ج: ليس المعنى كذلك، ولكن هذا من باب أفعل التفضيل الذي ليس في الوجه المقابل منه شيءٌ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] وكقول بعض الصحابيات لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول اللَّه ﷺ(١).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعد اللَّه أيها الناس، الذين صدّقوا اللَّه ورسوله، وأقروا بما جاءهم به من

---

(١) صحيح، وقد تقدَّم.

عند ربهم، وعملوا بما واثقهم اللَّه به، وأوفوا بالعقود التي عاقدهم عليها بقولهم: «لنسمعنّ ولنطيعنّ اللَّه ورسوله» فسمعوا أمر اللَّه ونهيه وأطاعوه، فعملوا بما أمرهم اللَّه به، وانتهوا عمَّا نهاهم عنه.

ويعني بقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لهؤلاء الذين وفوا بالعقود والميثاق الذي واثقهم به ربهم، ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ وهي ستر ذنوبهم السالفة منهم عليهم وتغطيتها، بعفوه لهم عنها، وتركه عقوبتهم عليها وفضيحتهم بها، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: ولهم مع عفوه لهم عن ذنوبهم السالفة منهم جزاءً على أعمالهم التي عملوها، ووفائهم بالعقود التي عاقدوا ربهم عليها، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ و«العظيم» من خيره غير محدود مبلغه، ولا يعرف منتهاه غيره تعالى ذكره.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]؟.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والذين جحدوا وحدانية اللَّه ونقضوا ميثاقه وعقوده التي عاقدوها إياه، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول: وكذبوا بأدلة اللَّه وحججه الدالَّة على وحدانيته التي جاءت بها الرسل وغيرها، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، أهل ﴿الْجَحِيمِ﴾ يعني: أهل النار الذين يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة: ١١] يبسطوا أيديهم بماذا؟

ج: يبسطوا إليكم أيديهم بالسوء، كما قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة: ٢].

س: ما المراد بكف اليد في هذا الموطن؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن ذلك حين تآمروا لقتل رسول اللَّه ﷺ فحفظه اللَّه منهم، وقد وردت بذلك آخبارٌ مرسلة، أخرج الطبري بعضها.

● منها: ما أخرجه الطبري[1] من طريق عاصم بن عمر بن قتادة وعبد اللَّه ابن أبي بكر قالا: خرج رسول اللَّه ﷺ إلىٰ بني النضير ليستعينهم علىٰ دية العامريَّين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضّمري. فلمَّا جاءهم، خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجلٌ يظهر علىٰ هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا. فأتىٰ رسول اللَّه ﷺ الخبرُ وانصرف عنهم، فأنزل اللَّه عزَّ ذكره فيهم وفيما أراد هو وقومه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ [المائدة: ١١] الآية.

● وأخرج الطبري أيضًا[2]: من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول اللَّه: ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ [المائدة: ١١] قال: اليهود، دخل عليهم النبي ﷺ حائطًا لهم وأصحابه من وراء جداره، فاستعانهم في مَغرَم دية غرِمها، ثم قام من عندهم، فائتمروا بينهم بقتله، فخرج يمشي القَهْقَرَىٰ ينظر إليهم، ثم دعا أصحابه رجلاً رجلاً حتَّىٰ تَتَامُّوا إليه.

● وثمَّ آثار أخر بهذا المعنىٰ:

الثاني: أن المراد إنجاء اللَّه لرسوله ﷺ من السم الذي وضعته له امرأةٌ يهودية.

---

(١) الطبري (١١٥٦٠)، وفي سنده ضعف.

(٢) الطبري (١١٥٦١)، وفي سنده ضعف.

الثالث: أن المراد إنجاء اللَّه لرسوله ﷺ من الأعرابي الذي تناول سيف رسول اللَّه ﷺ ليقتل به النبي ﷺ.

● أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث جابر بن عبد اللَّه قال: غزونا مع رسول اللَّه ﷺ غزوةً قِبَلَ نجدٍ[٢]، فأدركنا رسول اللَّه ﷺ في وادٍ كثير العِضَاه[٣]، فنزل رسول اللّه ﷺ تحت شجرةٍ، فعلَّق سيفه بغصنٍ من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلُّون بالشجر.

قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ رجلاً أتاني وأنا نائمٌ، فأخذ السيفَ فاستيقظتُ وهو قائمٌ على رأسي، فلم أشعر إلا والسيفُ صَلْتًا[٤] في يده، فقال لي: من يمنعك منِّي؟**»؛

قال: «**قلت: اللَّهُ. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟**».

قال: «**قلت: اللَّه**».

قال: «**فشام السيف فها هو جالسٌ**» ثم لم يعرض له رسول اللَّه ﷺ.

* * *

(١) البخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣) ص (١٧٨٦، ١٧٨٧).

(٢) قبل نجد: أي: ناحية نجد، في غزوته إلى غطفان، وهي غزوته ذي أَمَر، موضع من ديار غطفان.

(٣) العضاه: هي كل شجرة ذات شوك.

(٤) صلتًا: بفتح الصاد وضمها، أي: مسلولاً.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ
إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾
وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ
فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

اذكر معنى ما يلي:

(بَنِي إِسْرَائِيلَ - نَقِيبًا - إِنِّي مَعَكُمْ - وَعَزَّرْتُمُوهُمْ - وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا - لَأُكَفِّرَنَّ - ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ - فَبِمَا نَقْضِهِم - لَعَنَّاهُمْ - قَاسِيَةً - يُحَرِّفُونَ - الْكَلِمَ - يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ - وَنَسُوا حَظًّا - خَائِنَةٍ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	المراد بهم هنا اليهود من أهل الكتاب أما إسرائيل فهو نبي الله يعقوب ﷺ.
﴿نَقِيبًا﴾	كفيلاً - وكيلاً - والنقيب الأمين الضامن وكبير القوم [1]، والنقيب كالعريف على القوم.
﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾	إني معكم بنصري وتأييدي وحفظي وكلاءتي - إني ناصركم.
﴿عَزَّرْتُمُوهُمْ﴾	نصرتموهم - رددتم عنهم أعداءهم.
﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	أنفقتم في سبيل الله وفي جهاد عدوكم وعدوه وفي وجوه الخير من خالص أموالكم وطيبها تبتغون بذلك مرضاة الله عزَّ وجل ولم تتعدوا فيها حدود الله.
﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾	لأغطِّين - لأمحون - لأسترن عليكم ولا أؤاخذكم.
﴿ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	حاد عن الطريق الواضح العدل الوسط الموصل للجنَّةِ.
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾	فبسبب نقضهم - فبنقضهم.

(١) ومن العلماء من قال: النقيب قيل عنه نقيب؛ لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، والله أعلم.

الكلمة	معناها
﴿لَعَنَّاهُمْ﴾	طردناهم - أبعدناهم عن الحق - صرفناهم عن الهدىٰ وحرمناهم الجنة .
﴿قَاسِيَةً﴾	غليظةٌ لا تنتفع بموعظة ولا يدخلها إيمان ، منزوعٌ منها الخير والرحمة .
﴿يُحَرِّفُونَ﴾	يغيرون - يبدلون - يؤولون
﴿الْكَلِمَ﴾	المراد بالكلم كلام الله ، وهو هنا التوراة
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾	يتأولونه علىٰ غير تأويله ، ويبدلون حروفه يكتبون بأيديهم غير الذي أنزله .
﴿نَسُوا حَظًّا﴾	تركوا نصيباً - تركوا أوامر الله ، رغبةً عنها ورفضاً لها .
﴿خَائِنَةٍ﴾	خيانة ، كقوله قائلة أي : قيلولة ، وخاطئة أي : خطيئة .
﴿فَأَغْرَيْنَا﴾	والخائنة أيضاً الكذب والفجور والمكر والخداع . حرشنا بينهم (من التحريش) [1] - ألقينا بينهم ألقينا في قلوب بعضهم لبعض - ألصقنا العداوة بقلوبهم [2] .

(١) من الإغراء الذي هو التسليط .

(٢) ومنه الغراء الذي تلصق به الأشياء ببعضها .

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ١٢]؟

ج: لذلك والله أعلم وجهان:

أحدهما: أن ذلك لبيان أخلاق اليهود حتى يحذرهم رسول الله ﷺ.

الثاني: أن ذلك لمواساة رسول الله ﷺ حتى لا يستغرب ما يصدر منهم وحتى يتأسَّى بالصابرين من الأنبياء من قبله الذين صبروا على مكر هؤلاء اليهود وخيانتهم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وهذه الآية أنزلتْ إعلامًا من الله جلّ ثناؤه نبيَّه ﷺ والمؤمنين به، أخلاقَ الذين همُّوا ببسط أيديهم إليهم من اليهود.

وأن الذي هموا به من الغدر ونقض العهد الذي بينهم وبينه، من صفاتهم وصفات أوائلهم وأخلاقِهم وأخلاقِ أسلافهم قديمًا، واحتجاجًا لنبيه ﷺ على اليهود، بإطلاعه إياه على ما كان علمه عندهم دون العرب، من خفيّ أمورهم ومكنون علومهم، وتوبيخًا لليهود في تماديهم في الغيّ وإصرارهم على الكفر، مع علمهم بخطأ ما هم عليه مقيمون.

يقول الله لنبيه ﷺ: لا تستعظموا أمر الذين همُّوا ببسط أيديهم إليكم من هؤلاء اليهود بما همُّوا به لكم، ولا أمر الغدر الذي حاولوه وأرادوه بكم، فإنَّ ذلك من أخلاق أوائلهم وأسلافهم، لا يعدُون أن يكونوا على منهاج أوَّلهم وطريق سلفهم.

* * *

س: أي ميثاق هذا الذي أخذه الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل؟

ج: هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ [المائدة: ١٢] الآية.

وقال بعض أهل العلم: إنها أيضًا المواثيق المذكورة في سورة البقرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

* * *

س: مَن النُّقباء الذين بايعهم رسول الله ﷺ ليلة العقبة؟

ج: ذكرهم الحافظ ابن كثير رحمه الله نقلاً عن غيره فقال:

وهكذا لمَّا بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة؛ كان فيهم اثنا عشر نقيبًا، ثلاثة من الأوس وهم: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة ابن عبد المنذر.

ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان ـ رضي الله عنهم ـ وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبدالله بن رواحة، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خُنيس ـ رضي الله عنهم ـ، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعرٍ له، كما أورده ابن إسحاق رحمه الله.

والمقصود: أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذٍ، عن أمر النبي ﷺ لهم بذلك، وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة.

* * *

س: من هؤلاء النُّقباء الذين بعثهم اللَّه من بني إسرائيل؟ وإلى أين بُعثوا؟

ج: لم تُذكر أسماؤهم في خبر ثابت عن رسول اللَّه ﷺ، وعدم ذكر أسمائهم ليس بضائر شيئًا، وكذا لم يذكر اللَّه عزَّ وجلّ إلى أين بعثوا.

وقد قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وإنما كان الله عزَّ ذكره أمر موسى نبيه ﷺ ببعثة النقباء الاثني عشر من قومه بني إسرائيل إلى أرض الجبابرة بالشام؛ ليتحسسوا لموسى أخبارَهم، إذ أراد هلاكهم، وأن يورِّث أرضهم وديارهم موسى وقومه، وأن يجعلها مساكن لبني إسرائيل، بعد ما أنجاهم من فرعون وقومه، وأخرجهم من أرض مصر، فبعث موسى الذين أمره اللَّه ببعثهم إليها من النقباء.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ١٢].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: قَسَمًا أقسمه، لئن أقمتم الصلاة.

* * *

س: اذكر بعض مقومات النصر.

ج: من هذه المقومات: ما ذكره اللَّه تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة، ومنها: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل وتعزيرهم وتوقيرهم، والقرض الحسن.

● ومنها أيضًا: حفظ حدود اللَّه عزَّ وجل؛ ففي الحديث: «**احفظ اللَّه يحفظك**»(١).

● ومنها: نصرة دين اللَّه؛ قال تعالىٰ: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ [الحج: ٤٠].

● ومنها: تبليغ رسالات اللَّه؛ قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧].

● ومنها: سؤال اللَّه النصر والثبات.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ**﴾ [المائدة: ١٣].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تبارك وتعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ولا تزال يا محمد، تَطَّلع من اليهود الذين أنبأتك نبأهم من نقضهم ميثاقي، ونكثهم عهدي، مع أياديَّ عندهم، ونعمتي عليهم - علىٰ مثل ذلك من الغدر والخيانة - ﴿**إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ**﴾ إلا قليلاً منهم لم يخونوا.

و«الخائنة» في هذا الموضع: الخيانة، وُضع - وهو اسم - موضع المصدر، كما قيل «خاطئة» للخطيئة، و«قائلة» للقيلولة.

وقوله: ﴿**إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ**﴾ استثناء من «الهاء والميم» اللتين في قوله: ﴿**عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ**﴾.

---

(١) صحيح لشواهده: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وانظر عددًا من شواهده في «جامع العلوم والحكم».

س: هل وفى الإسرائيليون بما عاهدوا الله عليه؟

ج: لم يوف الإسرائيليون بذلك، بل نقضوا العهد والميثاق قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

س: اذكر بعض العقوبات التي عاقبهم الله بها.

ج: من ذلك أنهم لُعنوا، وجُعلت قلوبهم قاسية ثم لم يوفقوا للخير، بل حرفوا الكلم عن مواضعه، وتركوا العمل بما وعظوا، واستمر صدور الخيانات منهم خيانة بعد خيانة، قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: عن عمد وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون، من حرمان الثواب، وحصول العقاب.

فكأنه قيل: ليت شعري، ماذا فعلوا؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه، أم نكثوا؟ فبين أنهم نقضوا ذلك فقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات.

الأولى: أن ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا علىٰ أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف.

وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة، التي لا يفيده معها، الهدى، والخير إلا شرًّا.

الثالثة: أنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون الكلام الذي أراد الله له معنى، غير ما أراد الله، ولا رسوله.

الرابعة: أنهم ﴿نَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظًّا منه. وهذا شامل، لنسيان علمه، وأنهم نسوه، وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه، عقوبة منه لهم، وشامل لنسيان العلم، الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به.

ويستدل بهذا على أهل الكتاب، بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي: ﴿لا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: خيانتهم لله، ولعباده المؤمنين. ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم الحق، عن من يعظهم، ويحسن فيهم الظن، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة، وهذه الخصال الذميمة، حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب ونسيان حظ مما ذكر به. وأنه لابد أن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفي عنهم. واصفح، فإن ذلك من الإحسان: ﴿وَاللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم.

أي: وكما أخذنا من اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ١٤] لعيسى بن مريم، وزكوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله، وما جاءوا به، ونقضوا العهد.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] نسيانًا علميًّا، ونسيانًا عمليًّا.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن، ما يقتضي بغض بعضهم بعضًا ومعاداة بعضهم بعضًا إلى يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصارى لم يزالوا في بغض وعداوة وشقاق.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤] فيعاقبهم عليه.

وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظًّا؛ لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية. كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص: ٧٩].

وقال في الحظ النافع: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

وقوله: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾[المائدة: ١٣] أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم، وهداهم للصراط المستقيم.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣] منسوخ؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فورد من طرق يشدُّ بعضها بعضًا عند الطبري وغيره عن قتادة أنه قال: نسختها ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

● وقد قال الطبري رحمه اللَّه تعالى بعد إيراده أثر قتادة:

والذي قاله قتادة غير مدفوع إمكانُه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافيًا كلَّ معاني خلافه الذي كان قبله، فأمّا ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من اللَّه جل وعزّ أو من رسوله ﷺ، وليس في قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان جائزاً مع إقرارهم بالصَّغار وأدائهم الجزية بعد القتال، الأمر بالعفو عنهم في غَدرة هموُّا بها، أو نكثةٍ عزموا عليها، ما لم ينصِبوا حربًا دون أداء الجزية، ويمتنعوا من الأحكام اللاَّزمتهم، لم يكن واجبًا أن يحكم لقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية، بأنه ناسخ قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

❊ ❊ ❊

س: اذكر طوائف يحبها اللَّه عزَّ وجلَّ.

ج: من هؤلاء الذين يحبهم اللَّه عزَّ وجلَّ ما يلي:

● أهل الإحسان: الذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

فأهل الإحسان عمومًا يحبهم اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

● أهل العدل والإنصاف: يحبهم اللَّه عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

● أهل التطهر والتنظف: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

● أهل الصبر والثبات: قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

● أهل التقوى والوفاء بالعهد: قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوب: ٧]، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل: عمران: ٧٦].

● المقاتلون في سبيل الله الموحدة صفوفهم: المتحدة كلمتهم، المجتمع رأيهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

● متبعو رسول الله ﷺ القائمون على سنته: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

● المؤمنون المتراحمون فيما بينهم الأشداء على الكفار: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

● المتقربون إلى الله عزَّ وجلَّ بالنوافل: ففي الحديث: «وما زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه»(١).

● المتحابون في الله: ففي الحديث القدسي: «وجبت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ»(٢).

● المتزاورون في الله.

* * *

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح بمجموع طرقه: وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦)، وفي مواطن أُخر من «المسند».

س: من المعنيون بالذين قالوا: «إنا نصارى»؟ وهل يجوز إطلاق المسيحي على النصراني؟

ج: هم الذين ادعوا أنهم أنصارٌ لعيسىٰ عليه السلام، وليسوا كذلك، وادعوا أنهم أتباع عيسىٰ عليه السلام.

أما إطلاق المسيحي علىٰ النصراني فلا أعلم له دليلاً من الكتاب أو السنة، ثم هو في الوقت ذاته مخالفٌ لواقع القائلين به، فالقائل عن نفسه إنه مسيحي يفترض أنه تابع للمسيح عيسىٰ عليه السلام، وليس هو بتابعٍ له، فعيسىٰ عليه السلام قال عن نفسه: ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾، وهذا الذي يقول عن نفسه مسيحي يقول: إن المسيح ابن اللَّه، وبعضهم يقول: إن اللَّه هو المسيح عيسىٰ بن مريم، وآخرون يقولون: ثالث ثلاثة.

هذا، وفي الحديث عن رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

قلت: فسمّاه النبي ﷺ «نصراني».

* * *

س: أي ميثاق هذا الذي أخذه اللَّه تبارك وتعالى على النصارى؟

ج: هذا الميثاق هو الميثاق علىٰ الإيمان والتوحيد والإيمان برسول اللَّه ﷺ.

وأيضًا الميثاق الذي أُخذ علىٰ أنبيائهم، وأخذته الأنبياء علىٰ أممها، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ**

(١) مسلم (٢٤٠).

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ [المائدة: ١٤] أي: ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارىٰ، يتابعون المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ وليسوا كذلك، أخذنا عليهم العهود والمواثيق علىٰ متابعة الرسول صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم، ومناصرته، ومؤازرته، واقتفاء آثاره، وعلىٰ الإيمان بكل نبي يرسله اللَّه إلىٰ أهل الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود؛ خالفوا المواثيق، ونقضوا العهود؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

* * *

س: ما المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤]؟

ج: النسيان هنا بمعنىٰ الترك، أي: فتركوا حظًّا مما ذكِّروا به.

* * *

س: ما الحظ الذي نسيته النصارى؟

ج: هذا الحظ هو توحيد اللَّه عزَّ وجلَّ، والإيمان بالنبي ﷺ، وقد قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

هذا وقد أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: نسوا كتاب اللَّه بين أظهرهم، وعهد اللَّه الذي عهده إليهم، وأمر اللَّه الذي أمرهم به.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، مع بيان هذا الإغراء.

ج: هذا الإغراء كان بقذف العداوة والبغضاء في قلوب بعضهم لبعض، وذلك لأن كلاً منهم يجري على هواه في شأن عيسى عليه السلام، فلمَّا ابتعدوا عن الحق ونسوا حظًّا مما ذكِّروا به، واختلق كلٌّ منهم قولاً، ولَّد ذلك ـ وكلٌّ بإذن اللَّه ـ عداوات في القلوب وجدالاً بالباطل بما آل إلى قتلٍ وقتالٍ يدور بينهم.

وقد أورد الطبري آثارًا في ذلك، منها ما يلي:

أثر إبراهيم النخعي[1] بسند صحيح عنه، وفيه أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ قال: هذه الأهواء المختلفة والتباغض فهو الإغراء.

● وأورد الطبري أيضًا بإسناد حسن عن قتادة[2]: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآية، إن القوم لما تركوا كتاب اللَّه وعصوا رسله، وضيعوا فرائضه وعطّلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، بأعمالهم أعمال السوء، ولو أخذ القوم كتاب اللَّه وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا.

أما الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى فقال في معنى ذلك:

أي: فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضًا، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم: لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا،

---

(١) الطبري (١١٦٠١، ١١٦٠٢).

(٢) الطبري (١١٦٠٤).

فكل فرقة تحرم الأخرىٰ، ولا تدعها تلج معبدها، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذلك الآخرون، وكذلك النسطورية والآريوسية، كل طائفة تكفِّر الأخرىٰ في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

* * *

س: ترك الناس أوامر ربهم وكتب ربهم يجلب بينهم التباغض والاختلاف، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن الناس إذا تركوا أوامر اللَّه وارتكبوا ما نهاهم عنه وتركوا أنفسهم للأهواء تتلاعب بهم وتتجارىٰ بهم قادتهم أهواؤهم إلىٰ الافتراء والاختلاق بما حملهم علىٰ الجدل والقتال.

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ [المائدة: ١٤] عائدٌ على من؟

ج: مِن أهل العلم مَن قال: إنه عائدٌ علىٰ النصارىٰ فيما بينهم، ومنهم من قال: إنه عائدٌ علىٰ اليهود والنصارىٰ، والأول أظهر؛ إذ السياق في شأن النصارىٰ[1]، والثاني ليس بمستبعد ولا مستنكر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]؟

ج: هذا واللَّه أعلم تهديد لهم، فاللَّه تعالىٰ سيخبرهم يوم القيامة بالذي

---

(١) تقدَّم قول الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في ذلك.

قالوه وبالذي اختلقوه وافتروه إخباراً يتبعه عقاباً جزاءً وفاقًا، فسيجدوا قولهم قد سُطِّر عليهم في صحائف أعمالهم السيئة كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾ [الكهف:٤٩]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢،٥٣].

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمدٍ ﷺ: اعفُ عن هؤلاء الذين همُّوا ببسط أيديهم إليك وإلىٰ أصحابك واصفح، فإن اللَّه عزّ وجلّ من وراء الانتقام منهم، وسينبئهم اللَّه عند ورودهم عليه في معادهم، بما كانوا في الدنيا يصنعون، من نقضهم ميثاقه، ونكثهم عهده، وتبديلهم كتابه، وتحريفهم أمره ونهيه، فيعاقبهم علىٰ ذلك حسب استحقاقهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤] وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارىٰ، علىٰ ما ارتكبوه من الكذب علىٰ اللَّه وعلىٰ رسوله، وما نسبوه إلىٰ الرب ـ عزّ وجلّ ـ وتعالىٰ وتقدَّس عن قولهم علوًّا كبيراً، من جعلهم له صاحبةً وولداً، تعالىٰ اللَّه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

* * *

﴿ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧
وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾

اذكر معنى ما يلي:

(سُبُلَ السَّلامِ - الظُّلُمَاتِ - النُّورِ - بِإِذْنِه - وَيَهْدِيهِمْ - يُبَيِّنُ لَكُمْ - فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ - أَن تَقُولُوا - بَشِيرٌ - وَنَذِيرٌ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾	طرق السلام الموصلة إلى جنات النعيم.
﴿الظُّلُمَاتِ﴾	ظلمات الكفر والجهل.
﴿النُّورِ﴾	نور الإسلام والهدى والإيمان.
﴿بِإِذْنِه﴾	بتوفيقه وإرادته.
﴿يَهْدِيهِمْ﴾	يرشدهم ويسددهم ويوفقهم.
﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾	يعرفكم الحق ويوضحه لكم ويظهره لكم.
﴿فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾	الفترة[1] من الفتور والانقطاع والسكون والمعنى على انقطاع ما بين النبيين.
﴿أَن تَقُولُوا﴾	كراهية أن تقولوا - لئلا تقولوا.
﴿بَشِيرٍ﴾	مبشرٌ لمن آمن وأطاع بعظيم ثواب الله في الآخرة.
﴿وَنَذِيرٌ﴾	منذرٌ من عصى وكذّب وعمل بغير أمر الله منذرٌ له بالنار وأليم العقاب.

(١) ومنه قولهم زمن الفترة أي الزمن الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام الذي لم يكن فيه رسل.

س: من المعنيون بأهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾ [المائدة: ١٥]؟ ومن الرسول المُشار إليه في الآية الكريمة؟ وما الشيء الذي كانوا يخفونه؟

ج: هؤلاء طائفة من أهل الكتاب (اليهود والنصارىٰ) الذين كانوا في عصر النبي ﷺ، والرسول هو رسول اللَّه ﷺ، وقد كانوا يخفون أموراً، منها رجم الزانين المحصنين، وكانوا يخفون صفة رسول اللَّه ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٦] وقد كانوا يخفون ما حلَّ بأسلافهم من العقوبات كالمذكور في قوله تعالىٰ: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ [الأعراف: ١٦٣].

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه يسكت عن مسائل كثيرة من مسائلكم ولا يخبركم بها، بل يسترها عليكم ولا يفضحكم بذكر مخازيكم، فيعفو عن كثير، أي: عن كثير من المسائل فيتركها بلا بيان.

الثاني: أنه يعفو عن كثير من التكاليف الشاقة التي كنتم قد كُلِّفتم بها، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* * *

س: ما المراد بالنور؟ وما المراد بالكتاب المبين؟

ج: النور هو محمد ﷺ، والكتاب المبين هو القرآن.

* * *

س: من هؤلاء الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]؟ وما وجه كفرهم؟

ج: هؤلاء هم النصارى، وكفرهم كان بتغطيتهم الحق الذي علموه من وحدانية اللَّه عزَّ وجلَّ، وأنه لا ولد له، فكفروا بذلك وغطوه، وادعوا الولد للَّه - سبحانه - وادعوا أن اللَّه هو المسيح بن مريم، وكانوا يتدينون بذلك.

* * *

س: اذكر بعض ما يُدفع به قول من قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

ج: أما من الآيات والأحاديث، فمن ذلك كمٌّ لا يكاد يُحصر.

- كقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].
- قول موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].
- وقوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢].
- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- وقول عيسى عليه السلام ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

ومن ذلك أيضًا:

● كون عيسىٰ عليه السلام كان يأكل الطعام، وهل الربّ سبحانه وتعالىٰ يأكل ويشرب؟! فالذي يأكل يجوع، والذي يشرب يشرب عن عطشٍ، فهل الرب سبحانه وتعالىٰ يجوع ويعطش حتىٰ يأكل ويشرب؟!

تعالىٰ اللَّه عن ذلك علوًّا كبيراً.

● وكذا فالذي يأكل ويشرب يحتاج إلىٰ إخراج فضلات، ذلك في صورة بولٍ أو غائط وعرق، فهل الرب سبحانه وتعالىٰ يحدث له ذلك؟!!

● والذي يأكل ويشرب يمرض ويتداوىٰ، فهل هذا يحدث للرب سبحانه وتعالىٰ؟!

● وإلىٰ هذه الحجج أشير بقوله تعالىٰ: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾ [المائدة: ٧٥].

● وإذا كان عيسىٰ هو اللَّه ـ تعالىٰ اللَّه عن ذلك عُلوًّا كبيراً ـ فمن الذي خلق السموات والأرض قبل أن يولد عيسىٰ عليه السلام؟ ومن الذي كان يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض قبل أن يولد عيسىٰ عليه السلام؟! ومن الذي خلق أم عيسىٰ وهي مريم عليها السلام؟! ومن الذي كان يعبده آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وسائر الأنبياء، بل وسائر الخلق قبل ميلاد عيسىٰ عليه السلام؟!

● وإذا كان عيسىٰ إلهًا فهل يسع هذا الإله بطنُ امرأة؟!

● وإذا كان عيسىٰ إلهًا، فكيف يُصلب هذا الإله ـ عند من قالوا بأنه صُلب[1] ـ وكيف يتمكن منه عدوه ويقيده بالقيود ويهينه ويستذله؟!

---

(١) أما نحن المسلمين فنقر بقول ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾ [النساء: ١٥٧]، وبقوله تعالىٰ: ﴿بل رفعه اللَّه إليه﴾ [النساء: ١٥٨].
ثم كيف يوقَّر الصليب الذي صُلب عليه هذا الإله بزعمهم؟!!

● ثم إذا كان إلهًا، وقد صلب فمن الذي أحياه ؟!

● ثم إذا كان إلهًا فلمَ لم يدفع عن أمه الموت، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

قال الطبري في تفسير ذلك:

وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧] يقول: من ذا الذي يقدر أن يرد من أمر اللَّه شيئًا، إن شاء أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه من الأرض وإعدام أمه مريم، وإعدام جميع من في الأرض من الخلق جميعًا.

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الجهلة من النصارىٰ: لو كان المسيح كما تزعمون ـ أنه هو اللَّه، وليس كذلك ـ لقدرأن يردّ أمر اللَّه إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه، وقد أهلك أمَّه فلم يقدر علىٰ دفع أمره فيها إذ نزل ذلك. ففي ذلك لكم معتبرٌ إن اعتبرتم، وحجة عليكم إن عقلتم: في أن المسيح، بشر كسائر بني آدم، وأن اللَّه عزَّ وجلَّ هو الذي لا يُغلب ولا يقهر، ولا يردُّ له أمر، بل هو الحيُّ الدائم القيوم الذي يحيي ويميت، وينشئ ويفني، وهو حي لا يموت.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: من أمر اللَّه. و﴿يَمْلِكُ﴾ بمعنىٰ يقدر، من قولهم ملكت علىٰ فلان أمره، أي: اقتدرت عليه، أي: فمن يقدر أن يمنع من ذلك شيئًا؟ فأعلم اللَّه تعالىٰ أن المسيح لو كان إلهًا لقدر علىٰ دفع ما ينزل به أو بغيره، وقد أمات أمه ولم يتمكن من دفع الموت عنها، فلو أهلكه هو أيضًا فمن يدفعه عن ذلك أو يرده.

وهل المسيح عليه السلام هو الذي خلقنا أول مرةٍ، وخلق آدم ونوحًا وآل إبراهيم، وآل عمران وسائر الخلق؟!

وهل المسيح عليه السلام قد خلق الملائكة الكرام الكاتبين؟!

وهل هو الذي يدبر أرزاق الخلق من إنس وجن وطيرٍ ودواب وحيتان؟!

وهل الذي إذا مرضنا فهو يشفينا هو المسيح عيسىٰ عليه السلام؟!

وهل قال الخليل إبراهيم ذلك، أم أنه قال: ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾ [٧٨-٨١]؟!

وهل الذي خلق الحبة وبرأ النسمة هو عيسىٰ عليه السلام؟!

وهل عيسىٰ خلق موسىٰ عليهما السلام، وهل خلق الخلق وأحصاهم عددًا؟!

إن المسيح يتبرأ يوم القيامة من كل ما نُسب إليه من أمر الألوهية، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨].

ج: هذا، واللَّه أعلم وجه احتجاج علىٰ اليهود في زعمهم أن اللَّه عزَّ وجلَّ اصطفاهم وجعلهم له أبناء وأحبابًا، فيقال لهؤلاء: إنكم تُقرون-

خاصة أنتم يا يهود ـ بأنكم ستعذبون في النار أيامًا معدودات، كما قد أخبرنا ربنا إذ قال: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فهل الحبيب يُعذِّب حبيبه بالنار؟!

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا الباب:

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول اللَّه لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكذبة المفترين على ربهم ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ ربكم، يقول: فلأي شيء يعذبكم ربكم بذنوبكم، إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه، فإن الحبيب لا يعذِّب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وذلك أن اليهود قالت: إن اللَّه معذبنا أربعين يومًا عددَ الأيام التي عبدنا فيها العجل، ثم يخرجنا جميعًا منها، فقال اللَّه لمحمد ﷺ: قل لهم: إن كنتم كما تقولون أبناء اللَّه وأحباؤه، فلم يعذبكم بذنوبكم؟ يعلمهم عزّ ذكره أنهم أهل فرية وكذب على اللَّه جلّ وعزّ.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

وقيل: المعنى: نحن أبناء رسل اللَّه، فهو على حذف مضاف، وبالجملة فإنهم رأوا لأنفسهم فضلاً؛ فردّ عليهم قولهم فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين؛ إما أن يقولوا هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذًا أبناءه وأحباءه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقرُّون بعذابه، فذلك دليل على كذبكم ـ وهذا هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخلف ـ أو يقولوا: لا يعذبنا فيكذّبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم؛ ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم.

وقيل: معنى «يعذبكم» عذَّبكم، فهو بمعنى المُضِيّ، أي: فلم مسخكم

قردة وخنازير؟ ولِمَ عذّب من قبلكم من اليهود والنصارىٰ بأنواع العذاب وهم أمثالكم؟ لأن اللّه سبحانه لا يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد، لأنهم ربما يقولون لأن نُعذَّب غداً، بل يحتج عليهم بما عرفوه.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ...﴾ [المائدة: ١٩] دليل على العذر بالجهل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن اللّه عزَّ وجلّ أرسل رسوله ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً بعد فترة من انقطاع الرسل من بعد عيسىٰ عليه السلام، وذلك حتىٰ لا يتعلل مُتعلِّلٌ فيقول: ما جاءني من بشيرٍ ونذيرٍ، فها هو رسولنا قد جاءكم لقطع حجتكم ولقطع علَّتكم.

قال الطبري رحمه اللّه:

يقول جل ثناؤه لهؤلاء اليهود الذين وصفنا صفتهم: قد أعذرنا إليكم، واحتججنا عليكم برسولنا محمد ﷺ إليكم، وأرسلناه إليكم ليبين لكم ما أُشكل عليكم من أمر دينكم، كيلا تقولوا: «لم يأتنا من عندك رسولٌ يبيِّن لنا ما نحن عليه من الضلالة»، فقد جاءكم من عندي رسول يبشر من آمن بي وعمل بما أمرته وانتهىٰ عما نهيته عنه، وينذر مَن عصاني وخالف أمري، وأنا القادر علىٰ كل شيء، أقدر علىٰ عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني، فاتقوا عقابي علىٰ معصيتكم إياي وتكذيبكم رسولي، واطلبوا ثوابي علىٰ طاعتكم إياي وتصديقكم بشيري ونذيري، فإني أنا الذي: لا يُعجزه شيء أراده، ولا يفوته شيء طلبه.

* * *

س: كم قدر هذه الفترة المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]؟ وهل كان بين رسول اللَّه ﷺ وبين عيسى عليه السلام نبي؟

ج: لم يرد نصٌّ بذلك عن رسول اللَّه ﷺ.

أما أقوال أهل العلم في قدر هذه الفترة أنه ما بين الأربعمائة إلى الستمائة عام.

أما عيسى عليه السلام، فلم يكن بينه وبين رسول اللَّه ﷺ نبي؛ قال ﷺ: **«أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علاَّت، ليس بيني وبينه نبي»**[1].

* * *

س: اذكر بعض معالم هذه الفترة التي سكنت فيها الرسل، ولم يرسل اللَّه عزَّ وجلَّ فيها رسلاً.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

والمقصود أن اللَّه بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتمَّ النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عمَّ جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعُبَّاد النصارى والصابئين، كما قال الإمام أحمد[2]: حدَّثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام،

---

(١) البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
ومعنى أولاد علات: أي: إخوة لأب، أي: أن أباهم واحد، وأمهاتهم شتَّى.
يعني، واللَّه أعلم: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، أما الشرائع فمتنوعة.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٢٨٦٥).

حدَّثنا قتادة، عن مطرف، عن عياض بن حمار المجاشعي ـ رضي اللَّه عنه ـ، أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته:

«وإن ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإن الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سُلطانًا، ثم إن اللَّه عزَّ وجلَّ نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب.

وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظانًا.

ثم إن اللَّه أمرني أن أحرق قريشًا فقلت: يا رب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خُبزةً، فقال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق عليهم فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك.

وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط موفق متصدِّق، ورجل رحيم رقيق القلب، بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدِّق.

وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، والذين هم فيكم تبعًا أو تبعاء ـ شك يحيى ـ لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل أو الكذب، والشنظير الفاحش.

ثم رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي من غير وجه، عن قتادة عن مطرِّف بن عبداللَّه بن الشخير، وفي رواية سعيد عن قتادة التصريح بسماع

قتادة هذا الحديث من مطرِّف.

وقد ذكر الإمام أحمد في «مسنده» أن قتادة لم يسمعه من مطرف، وإنما سمعه من أربعة عنه، ثم رواه هو عن روح عن عوف عن حكيم الأثرم عن الحسن، قال: حدثني مطرف، عن عياض بن حمار، فذكره. ورواه النسائي من حديث غُندر، عن عوف الأعرابي به.

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله: «**وإن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجمهم وعربهم، إلا بقايا من بني إسرائيل**» وفي لفظ مسلم «**من أهل الكتاب**» فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم، حتى بعث اللَّه محمداً ﷺ، فهدى الخلائق، وأخرجهم اللَّه به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغرَّاء.

ولهذا قال تعالى: ﴿**أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ**﴾ [المائدة:١٩] أي: لئلا تحتجوا وتقولوا ـ يأيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ـ: «ما جاءنا من رسول يبشر بالخير، وينذر من الشر»؛ فقد جاءكم بشير ونذير، يعني محمداً ﷺ ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة:١٩] قال ابن جرير: معناه إني قادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

اذكر معنى ما يلي:

(مُلُوكًا - الْمُقَدَّسَةَ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ - لا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ - تَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ - جَبَّارِينَ - لا أَمْلِكُ - فَافْرُقْ بَيْنَنَا - الْفَاسِقِينَ - مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ - يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ - فَلا تَأْسَ) .

ج:

الكلمة	معناها
﴿ مُلُوكًا ﴾	تملكون دوراً وخدمًا وأزواجًا .
﴿ الْمُقَدَّسَةَ ﴾	المطهرة المباركة .
﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(١)	وعدكم الله بدخلوها إذا أطعتموه . فرض عليكم دخولها .
﴿ لا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ﴾	لا ترجعوا إلى الوراء - لا تتخلفوا عن لقاء عدوكم ولا تفروا منه .
﴿ تَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾	ترجعون خائبين .
﴿ جَبَّارِينَ ﴾	ضخام الأجسام ذوو بأسٍ شديد - قاهرون لغيرهم - ظلمةٌ وعتاةٌ .
﴿ لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي ﴾	لا أقدر إلا على نفسي وأخي .
﴿ افْرُقْ بَيْنَنَا ﴾	افصل بيننا - اقض بيننا - ميِّز بيننا وبينهم ولا تعذبنا إذا عذبتهم .

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم اسرائيل ، أنه وراثة من آمن منكم .

الكلمة	معناها
﴿ الْفَاسِقِينَ ﴾	الخارجين عن الطاعة .
﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾	ممنوعون من دخولها .
﴿ يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾	يضلون في الأرض ، يمشون كثيراً فيصبحون حيث أمسوا ، ويمسون حيث أصبحوا .
﴿ فَلا تَأْسَ ﴾	فلا تندم ـ فلا تأسف ـ فلا تحزن .

س: ما وجه تذكير اللَّه عزَّ وجلَّ لنبيه محمد ﷺ بما قاله موسى لقومه، وبالذي صنعوه مع موسى عليه السلام؟

ج: فائدة ذلك، واللَّه أعلم: تصبير النبي ﷺ وتثبيته أمام ما يفعله اليهود المعاصرون له، فكأنّ المعنى: إن كذبوك يا محمد وآذوك فقد آذوا نبي اللَّه موسى عليه السلام مع ما أنعم اللَّه به عليهم بسببه، وما أجراه على يديه لهم من الخير ومن الإنجاء من القوم الظالمين، بل وإغراق الظالمين كذلك، فيا محمد إن كان صدر من اليهود الذي يعاصرونك غدرٌ وخيانات وتكذيبٌ وعنادٌ، فهذا شأنهم باضطراد، وعلى دينهم ونهجهم على الدوام.

قال الطبري رحمه اللَّه:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]: وهذا أيضًا من اللَّه تعريفٌ لنبيه محمد ﷺ، قديمَ تمادي هؤلاء اليهود في الغي، وبعدهم عن الحق، وسوء اختيارهم لأنفسهم، وشدة خلافهم لأنبيائهم، وبطء إنابتهم إلى الرشاد مع كثرة نعم اللَّه عندهم، وتتابع أياديه وآلائه عليهم، مسلِّيًا بذلك نبيه محمداً ﷺ عمَّا يحلّ به من علاجهم، وينزل به من مقاساتهم في ذات اللَّه، يقول اللَّه له ﷺ: لا تأسَ على ما أصابك منهم، فإن الذهاب عن اللَّه والبعد من الحق، وما فيه لهم الحظ في الدنيا والآخر، من عاداتهم وعادات أسلافهم وأوائلهم، وتعزَّ بما لاقى منهم أخوك موسى ﷺ، واذكر إذ قال موسى لهم: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: اذكروا أيادي اللَّه عندكم وآلاءه قبلكم.

* * *

س: كيف يذكرون نعمة اللَّه عليهم؟

ج: الذكر هنا يشمل أمرين:

أولهما: أن المراد بالذكر هنا التذكر الذي هو ضد النسيان، ذلك التذكر الحامل على العمل فيها بطاعة اللَّه عزَّ وجلَّ، والحامل على الشكر.

الثاني: أن المراد بالذكر هنا التحديث بنعم اللَّه على وجه الثناء على اللَّه عزَّ وجلَّ، والتذكير بفضله، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوم موسى من هم؟

ج: هم بنو إسرائيل.

* * *

س: كيف جعل اللَّه فيهم أنبياء؟

ج: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيّ، كما في الحديث عن رسول اللَّه ﷺ[1]، وكان غير هؤلاء الساسة من الأنبياء أنبياء آخرون أيضًا كثيرون يأتونهم بوحي اللَّه، ويخبرونهم بالغيب.

* * *

س: كيف جعلهم اللَّه مُلوكًا؟

ج: جعل اللَّه لهم بيوتًا وأزواجًا وخدمًا، فلمَّا ملكوا البيوت والأزواج والخدم قيل لهم: ملوك. هكذا قال كثيرٌ من أهل العلم.

ومن العلماء من قصر الملوك على ذوي الخدم.

هذا، وقد أخرج مسلم[2] في «صحيحه» من أبي عبد الرحمن الحُبُلي

---

(١) أخرج ذلك البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (٢٩٧٩) ص(٢٢٨٥)، والطبري (١١٦٢٨).

قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وسأله رجلٌ فقال: ألسنا من فُقراء المُهاجرين؟ فقال له عبد اللَّه: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مَسكنٌ تسكنُهُ؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادمًا. قال: فأنت من الملوك.

وقد ورد في هذا الباب خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كُتب ملكًا**» لكنه ضعيف الإسناد.

* * *

س: كيف آتاهم اللَّه ما لم يؤت أحدًا من العالمين، وقد أوتيت أمَّةُ محمد ﷺ القرآن، وجعلها اللَّه خيرَ الأمم، وأرسل إليها خير رسول؟

ج: إما أن يُقال: إن اللَّه آتى بني إسرائيل ما لم يؤت أحدًا من العالمين ممن هم في زمانهم، أو ممن قد سبقوهم.

وإما أن يُقال: إن اللَّه آتاهم من كثرة الأنبياء ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

وكذا آتاهم من أشياء مخصوصة بعينها ما لم يؤت أحدًا من العالمين، كما قال تعالى لنبيه موسي عليه السلام: ﴿**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي**﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وكما قال تعالى لمريم عليها السلام: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢] أي: على عالمي زمانها أو من تقدَّمها.

قال الطبري رحمه اللَّه:

فإن ظنّ ظانٌّ أن قوله: ﴿**وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾[المائدة: ٢٠] لا يجوز أن يكون لهم خطابًا إذ كانت أمة محمد قد أوتيت من كرامة اللَّه جلَّ وعزَّ بنبيها عليه السلام محمد، ما لم يُؤتَ أحدٌ غيرهم - وهم من العالمين -

فقد ظنَّ غير الصواب، وذلك أن قوله: ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ خطاب من موسىٰ ﷺ لقومه يومئذٍ، وعنىٰ بذلك عالمي زمانه، لا عالمي كل زمان، ولم يكن أوتي في ذلك الزمان من نعم اللَّه وكرامته، ما أوتي قومُه ﷺ أحد من العالمين، فخرج الكلام منه صلىٰ اللَّه عليه علىٰ ذلك، لا علىٰ جميع عالم كلِّ زمان.

* * *

س: ما الشيء الذي أعطاه اللَّه بني إسرائيل ولم يعطه أحداً من العالمين؟

ج: من العلماء من قال: إن ذلك هو كثرة الأنبياء الذين بُعثوا فيهم.

ومنهم من قال: إن المراد بذلك المنَّ والسلوىٰ الذي أنزله اللَّه لهم، وكذا الحجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً، وكذا الغمام الذي ظُلل عليهم.

وقيل: إنها الآيات التي جاءتهم.

* * *

س: ما هي الأرض المقدَّسة التي عناها موسى عليه السلام بقوله لقومه: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها الطور وما حوله.

الثاني: أنها أريحاء.

الثالث: أنها الشام.

الرابع: أنها دمشق، وفلسطين، وبعض الأردن.

هذا، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة نصٌّ صريحٌ فيما علمت بتحديدها وبيانها.

ولذا فإن الطبري رحمه اللَّه تعالى قد قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: هي الأرض المقدَّسة، كما قال نبي اللَّه موسى صلى الله عليه، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك.

* * *

س: ما وجه الخُسران الذي وقعوا فيه؟

ج: الخسران من وجوه:

أحدها: خلاف أمر نبيهم ﷺ الذي أمرهم به.

الثاني: تضييع فرض الجهاد الذي فرضه اللَّه عليهم.

الثالث: حرمانهم من دخول الأرض المقدَّسة.

* * *

س: اذكر بشيء من التفصيل معنى «الجبارين»، وما مدى صحة الوارد في وصف هؤلاء الجبَّارين في كتب التفاسير؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وأصل «الجبار» المصلح أمر نفسه وأمر غيره، ثم استعمل في كل من اجترَّ نفعًا إلى نفسه بحق أو باطل طلب الإصلاح لها، حتى قيل للمتعدِّي إلى ما ليس له، بغيًا على الناس، وقهرًا لهم، وعُتوًّا على ربه «جبار»، وإنما هو «فعَّال» من قولهم «جبر فلان هذا الكسر» إذا أصلحه ولأمه، ومنه قول الراجز:

قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فجبرْ وَعَوَّرَ الرحمنُ مَنْ وَلَّى العَوَرَ

يريد: قد أصلح الدين الإله فصلح.

ومن أسماء اللَّه تعالىٰ ذكره «الجبار»؛ لأنه المصلح أمر عباده، القاهر لهم بقدرته.

قلت: أما ما ذكر من عظيم خلقتهم فلم أقف علىٰ شيءٍ ثابت عن رسول اللَّه ﷺ، واللَّه أعلم.

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة[1] قال: ذُكر لنا أنهم كانت لهم أجسام وخِلَق ليست لغيرهم.

● وقد أخرج الطبري[2] بسنده إلىٰ ابن عباس رضي اللَّه عنه قال: أمر موسىٰ أن يدخل مدينة الجبَّارين، قال: فسار موسىٰ بمن معه حتىٰ نزل قريبًا من المدينة ـ وهي أريحا ـ فبعث إليهم اثني عشر عينًا، من كل سبطٍ منهم عينًا، ليأتوه بخبر القوم. قال: فدخلوا المدينة، فرأوا أمرًا عظيمًا من هيئتهم وجثثهم وعظمهم، فدخلوا حائطًا لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه، فجعل يجتني الثمار وينظر إلىٰ آثارهم، وتتبعهم، فكلما أصاب واحدًا منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة، وذهب إلىٰ ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلىٰ موسىٰ فأخبروه بما عايَنُوا من أمرهم.

وأورد الطبري[3] **كذلك أثرًا**: من طريق موسىٰ بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط، عن السدي في قصة ذكرها من أمر

---

(١) الطبري (١١٦٦١).

(٢) الطبري (١١٦٦٠).

(٣) الطبري (١١٦٥٩).

موسىٰ وبني إسرائيل، قال: ثم أمرهم بالسير إلىٰ أريحا ـ وهي أرض بيت المقدس ـ، فساروا حتىٰ إذا كانوا قريبًا منهم، بعث موسىٰ اثني عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين، فلقيهم رجل من الجبارين يُقال له «عاج»، فأخذ الاثني عشر فجعلهم من حُجْزَته، وعلىٰ رأسه حملة حطب، وانطلق بهم إلىٰ امرأته فقال: انظري إلىٰ هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا!! فطرحهم بين يديها، فقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلِّ عنهم حتىٰ يُخبروا قومهم بما رأوا. ففعل ذلك.

قلت: وهذا المذكور في وصفهم بعيدٌ عن قول النبي ﷺ في شأن آدم عليه السلام، وأن اللَّه خلقه طوله في السماء ستون ذراعًا، ولم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن[1].

* * *

س: ما مرادهم بقولهم: ﴿حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [المائدة: ٢٢]؟

ج: مرادهم، واللَّه أعلم: حتىٰ يسلِّموها لنا بدون قِتالٍ.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ﴾ [المائدة: ٢٣] يخافون ماذا؟

ج: يخافون من ربهم، ومن غضبه وعقابه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣] أنعم عليهما بماذا؟

ج: أنعم عليهما بالإيمان، واليقين، والشجاعة، والثبات، والتوفيق،

---

(١) انظر البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

وطاعة اللَّه ورسوله.

وقيل: أنعم اللَّه عليهما بالخوف منه.

* * *

س: من هذان الرجلان اللذان أنعم اللَّه عليهما؟

ج: لم يرد باسمهما نصٌّ من كتاب ولا سنة، وقد ذهب جمهور من المفسرين إلىٰ أنهما يوشع بن نون، وكلاب بن يافنا، قالوا: وهم من النقباء، فاللَّه أعلم.

* * *

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وعنيا بقولهما: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم مصدِّقي نبيكم ﷺ فيما أنبأكم عن ربِّكم من النصرة والظفر عليهم، وفي غير ذلك من إخباره عن ربه، ومؤمنين بأن ربَّكم قادر علىٰ الوفاء لكم بما وعدكم من تمكينكم في بلاد عدوِّه وعدوِّكم.

* * *

س: أيّ بابٍ هذ االمشار إليه بقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [المائدة: ٢٣]؟

ج: هو باب مدينة الجبارين.

* * *

س: اذكر شيئًا من مخازي الكفار من بني إسرائيل، وعنادهم وجهلهم، وخلافهم لأمر رسولهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

● جبنهم وتقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة، وسوء أدبهم مع نبيهم عليه السلام، وقولهم: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

● وقولهم لمَّا أنجاهم اللَّه من فرعون وملئه، وأغرق عدوهم أمام أعينهم، وقد مروا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم: ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

● ومن ذلك قولهم: ﴿يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

● ومن جهلهم استبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، إذ قالوا: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]. طلبوا ذلك بدلاً من المنِّ والسلوى.

● ومن ذلك عبادتهم العجل وقولهم ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه: ٨٨].

● ومن ذلك قتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، وتركهم التناهي عن المنكر، وسعيهم في الأرض بالفساد.

● ومن ذلك تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتقوِّلهم على اللَّه بغير علم، وكفرهم بآيات اللَّه.

● ومن ذلك عداؤهم لجبريل عليه السلام، وطعنهم في الأنبياء، وتكذيبهم لهم، واعتداؤهم في السبت بعد أن أُخذ عليهم الميثاق الغليظ.

● ومن ذلك ظلمهم وصدهم عن سبيل اللَّه كثيراً، وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل.

● ومن ذلك وصفهم ربهم بأوصاف كاذبة، مفتراةً ليست من صفاته، كقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوًّا كبيراً.

● ومن ذلك نسبتهم الولد للَّه سبحانه وتعالى، بقوله: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيراً.

س: فرقٌ كبير بين موقف صحابة نبينا محمد ﷺ مع نبيهم لَمَّا دعاهم نبيهم للقاء عدوهم يوم بدر، وعدوهم أكثر منهم عدداً، وعُدداً، وبين موقف بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن أصحاب موسىٰ قالوا له لَمَّا دعاهم، وقد نكلوا عن الجهاد وتخلوا عن طاعة رسول اللَّه موسىٰ عليه السلام، فقالوا: ﴿**إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤].

أما أصحاب محمد ﷺ فلم يكونوا كذلك، بل كان عدوهم ثلاثة أضعاف عددهم، ومع ذلك لَمَّا استشارهم رسول اللَّه ﷺ يوم بدر، ترىٰ ماذا كان موقفهم؟

أخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالىٰ بسند صحيح عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: لقد شهدتُ من المقداد مشهداً؛ لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما علىٰ الأرض من شيء، قال: أتىٰ النبي ﷺ وكان رجلاً فارساً قال: فقال أبشر يا نبي اللَّه، واللَّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك حتىٰ يفتح اللَّه عليك[1].

● وأخرج الإمام مسلم[2] في «صحيحه» من حديث أنس رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول اللَّه؟، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلىٰ برك الغماد لفعلنا قال: فندب

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، وفي غير موضع، والبخاري مختصراً (٤٦٠٩).
(٢) مسلم (١٧٧٩).

رسول اللَّه ﷺ الناس فانطلقوا حتىٰ نزلوا بدراً، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه، ورسول اللَّه ﷺ قائمٌ يصلي، فلمَّا رأىٰ ذلك انصرف، قال: «**والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم**» قال: فقال رسول الله ﷺ: «**هذا مصرع فلان**» قال، ويضع يده علىٰ الأرض ههنا وههنا، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: اذكر بعض أقوال العلماء في هذا التيه الذي فُرض على بني إسرائيل.

ج: من ذلك ما يلي:

ما ورد عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما: في حديث الفتون الطويل[1]، وفيه:

ثم سار بهم موسىٰ متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذي أُمر به أن يبلغهم من الوظائف، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يُقروا بها، فنتق اللَّه عليهم الجبل كأنَّه ظُلَّة، ودنا منهم

(١) مسند أبي يعلىٰ الموصلي (٥/ ١٠)، وسنده صحيح، وانظره في كتابنا: «الصحيح المسند من أحاديث الفتن».

حتىٰ خافوا أن يقع عليهم، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلىٰ الجبل والأرض، والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلىٰ الجبل مخافة أن يقع عليهم، ثم مضوا حتىٰ أتوا الأرض المقدسة، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون، خلقهم خلق منكر، وذكروا من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، لا طاقة لنا بهم، ولا ندخلها ما داموا فيها، ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [المائدة: ٢٣] من الجبارين آمنا بموسىٰ، فخرجا إليه، فقالا: نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم، ولا منعة عندهم.، فادخلوا عليهم الباب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ويقول ناسٌ: إنهما من قوم موسىٰ، وزعم عن سعيد بن جبير أنهما من الجبابرة آمنا بموسىٰ، يقول: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إنما عني بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فأغضبوا موسىٰ، فدعا عليهم وسمَّاهم فاسقين، ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأىٰ منهم من المعصية وإساءتهم، حتَّىٰ كان يومئذٍ فاستجاب اللَّه له فسمَّاهم كما سمَّاهم موسىٰ: فاسقين، وحرَّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلَّل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المنّ والسلوىٰ، وجعل لهم ثياباً لا تبلَىٰ ولا تتسخ، وجعل بين ظهورهم حجراً مربعاً، وأمر موسىٰ فضربه بعصاه ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها، لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة ـ قيل: في قدر ستة فراسخ ـ يومهم وليلتهم فيُصبحون حيث أمسوا، ويُمسون حيث أصبحوا؛ فكانوا سيَّارةً لا قرار لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿**فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٦] لما دعا عليهم موسىٰ عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد، حكم اللَّه عليهم بتحريم دخولها قدر مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام، وإنزال المنّ والسلوىٰ عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صمَّاء، تحمل معهم علىٰ دابة، فإذا ضربها موسىٰ بعصاه؛ انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينًا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات، التي أيد اللَّه بها موسىٰ بن عمران، وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد، ويُقال لها: قبة الزمان.

هذا، وقد أخرج البخاري[1] رحمه اللَّه تعالى من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «أرسلَ مَلَكُ الموت إلىٰ موسىٰ عليهما السلام، فلما جاءه صكَّهُ، فرجع إلىٰ ربِّه فقال: أرسلتني إلىٰ عبد لا يريد الموت، فردَّ اللَّه عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده علىٰ متنِ ثور، فله بكل ما غطَّتْ به يده بكل شعرةٍ سنةٌ. قال: أي ربِّ، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل اللَّه أن يُدنيَه من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ. قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فلو كنتُ ثمَّ لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**».

---

(١) البخاري (١٣٣٩)، وانظره فسيأتي قريبًا إن شاء اللَّه.

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث:

قوله (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها) قال الزين بن المنير: المراد بقوله «أو نحوها» بقية ما تُشد إليه الرحال من الحرمين، وكذلك ما يمكن من مدافن الأنبياء وقبور الشهداء والأولياء تيمنًا بالجوار وتعرضًا للرحمة النازلة عليهم اقتداء بموسى عليه السلام. انتهى.

وهذا بناء على أن المطلوب القرب من الأنبياء الذين دُفنوا ببيت المقدس، وهو الذي رجحه عياض، وقال المهلب: إنما طلب ذلك ليقرب عليه المشي إلى المحشر وتسقط عنه المشقة الحاصلة لمن بعد عنه.

ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة: «أرسل ملك الموت إلى موسى» الحديث بطوله من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عنه، ولم يذكر فيه الرفع، وقد ساقه في أحاديث الأنباء من هذا الوجه، ثم قال: وعن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه، وقد ساقه مسلم من طريق معمر بالسندين كذلك، وقوله فيه: «رمية بحجر» أي: قدر رمية حجر، أي: أدنني من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر، أو أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر، وعليه شرح ابن بطال وغيره، وأما الأول فهو وإن رجحه بعضهم فليس بجيد، إذ لو كان كذلك لطلب الدنو أكثر من ذلك، ويحتمل أن يكون القدر الذي كان بينه وبين أول الأرض المقدسة كان قدر رمية، فلذلك طلبها، ولكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمى موضع قبره لئلا تعبده الجهَّال من ملته. انتهى.

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن اللَّه لَمَّا منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض

المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء، ومات هارون ثم موسىٰ عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة علىٰ الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا، فكأنَّ موسىٰ لما لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طلب القرب منها لأن ما قارب الشيء يعطىٰ حكمه، وقيل: إنما طلب موسىٰ الدنو لأن النبي يُدفن حيث يموت، ولا ينقل، وفيه نظر؛ لأن موسىٰ قد نقل يوسف عليهما السلام معه لمَّا خرج من مصر كما سيأتي ذلك في ترجمته إن شاء اللَّه تعالىٰ، وهذا كله بناء علىٰ الاحتمال الثاني، واللَّه أعلم.

واختلف في جواز نقل الميت من بلد إلىٰ بلد، فقيل: يكره لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته، وقيل: يستحب، والأولىٰ تنزيل ذلك علىٰ حالتين: فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة، وتختلف الكراهة في ذلك، فقد تبلغ التحريم والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نصّ الشافعي علىٰ استحباب نقل الميت إلىٰ الأرض الفاضلة كمكَّة وغيرها، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل كان موسى عليه السلام معهم في هذا التيه؟

ج: أولاً: قد قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٦] وموسىٰ ليس بداخل فيهم.

ثانيًا: أن موسىٰ عليه السلام قد سأل ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

أخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ: قال: «**جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربَّك. ـ قال: ـ فلطم موسى عليه السلام عينَ ملك الموت ففقأها. ـ قال: ـ فرجع الملك إلى اللَّه تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني. ـ قال: ـ فردَّ اللَّه إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعره، فإنك تعيشُ بها سنة. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب. ربِّ أمتني من الأرض المقدَّسة رمية بحجر**» قال رسول اللَّه ﷺ: «**واللَّه، لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر**».

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه:

واختلف، هل كان معهم موسىٰ وهارون؟ فقيل: لا؛ لأن التيه عقوبة، وكانت سنو التيه بعدد أيام العجل، فقوبلوا علىٰ كل يوم سنة؛ وقد قال: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] وقيل: كانا معهم لكن سهّل اللَّه الأمر عليهما، كما جعل النار برداً وسلامًا علىٰ إبراهيم، ومعنىٰ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ أي: أنهم ممنوعون من دخولها، كما يقال: حرَّم الله وجهك علىٰ النار، وحرمت عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع، عند أكثر أهل التفسير.

---

(١) مسلم ص (١٨٤٣)، وقد روي موقوفًا، انظر البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم ص (١٨٤٢)، وقد تقدَّم بلفظ آخر قريبًا.

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا
فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١
مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(نَبَأَ - بالْحَقِّ - قُرْبَانًا - بَسَطتَ - تَبُوءَ - فَطَوَّعَتْ - يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ - سوأة - يَا وَيْلَتَى - مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ - كَتَبْنَا - أَحْيَاهَا - مُسْرِفُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَبَأَ﴾	خبر.
﴿بالْحَقِّ﴾	بالصدق الذي لا كذب فيه ولا التباس معه.
﴿قُرْبَانًا﴾	قربةً
﴿بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾	مددت يدك إليَّ بالضرب والقتل والأذىٰ.
﴿تَبُوءَ﴾	ترجع
﴿فَطَوَّعَتْ﴾	شجعت - زيَّنت - حسَّنت - سهلت عليه
﴿يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾	يفتش في الأرض بمنقاره ويثير التراب ويحفر
﴿سَوْءَةَ﴾	جيفة - عورة.
﴿يَا وَيْلَتَى﴾	كلمة تقولها العرب عند الهلاك.
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾	من جرّاء ذلك - من جناية ذلك
﴿كَتَبْنَا﴾	حكمنا
﴿أَحْيَاهَا﴾	تركها فلم يقتلها [1].
﴿مُسْرِفُونَ﴾	مكثرون من فعل المعاصي.

(١) ومنه قول الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ أي: أترك أنفس لا أقتلها، وأقتل نفوسًا أُخر، والله أعلم.

س: قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٧١] على من؟

ج: يتلو على اليهود المجاورين له الناقضين للعهود والمواثيق، الذين هموا أن يبسطوا إليه أيديهم بالسوء، وصدرت منهم الخيانات تلو الخيانات.

ولا يمتنع أن يتلو على غيرهم أيضًا، فإن اللَّه قال: ﴿... لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

* * *

س: لماذا أمر رسول اللَّه ﷺ أن يتلو عليهم؟ ولماذا أخبر اللَّه نبيه بذلك؟

ج: أُمر بذلك تذكيرًا لهم، وتحذيرًا لهم من نقض العهود، والمواثيق.

وأخبر اللَّه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بذلك تسليةً له وتصبيرًا له وتحذيرًا له من هؤلاء اليهود الذين يحيطون به ويساكنونه في مدينته.

* * *

س: من هما ابنا آدم المعنيان في الآية الكريمة؟

ج: هما ابناه لصلبه[1]، وجمهور المفسرين على أنهما قابيل وهابيل، وعلى أن القاتل قابيل، والمقتول هابيل، مع أنه لم يرد بتسميتهما خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل**»[2].

---

(١) نقل الطبري إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما كانا ابني آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه.

قلت: وما ذكره الطبري رحمه اللَّه هو الصواب، مع أنه قد نقلت أقوال أُخر تُخالف ذلك، لكن لا يُلتفت إليها، ومما يدلّ على بُطلانها كون القاتل لم يكن يعرف الدفن حتَّى علَّمه غراب كيف يواري سوأة أخيه.

(٢) البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث ابن مسعود مرفوعًا.

س: لماذا قرَّبا قربانًا؟

ج: قال بعض العلماء: إن اللَّه أمرهما بذلك.

قلت: وليس في الآية الكريمة ما ينفي ذلك ولا ما يثبته.

وقال آخرون: إنهما قرَّبا قربانًا لكون الصدقة لم تكن موجودة في زمانهما لعدم وجود من يقبلها.

وقال غيرهم: قرباه كي يفصل بينهما نزاع في أمر زواج أحدهما بأخت الآخر «توأمه»، وكان التقريب بأمر أبيهما آدم عليه السلام.

وثمَّ أقوال أُخر.

● هذا، وقد أورد المفسرون في هذا الصدد آثارًا لا يصحّ منها شيءٌ عن رسول اللَّه ﷺ، وأيضًا ففي أسانيدها المنسوبة إليهم ضعف، فمن ذلك ما رواه الطبري[1] عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ:

وكان لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية، فكان يزوّج غلام هذا البطن، جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن، غلام هذا البطن الآخر.

حتىٰ ولد له ابنان يُقال لهما: قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضَرعٍ. وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإنّ هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبىٰ عليه وقال: هي أختي، ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحقُّ أن أتزوَّجها، فأمره أبوه أن يزوِّجها هابيل، فأبىٰ.

---

(١) الطبري (١١٧١٨).

وإنهما قرّبا قربانًا إلىٰ اللّه أيُّهما أحق بالجارية، كان آدم يومئذٍ قد غاب عنهما إلىٰ مكة ينظر إليها، قال اللّه عزَّ ذكره لآدم: يا آدمُ، هل تعلم أن لي بيتًا في الأرض؟ قال: اللّهُمّ لا. قال: فإن لي بيتًا بمكة فأته. فقال آدم للسماء: «احفظي ولدي بالأمانة» فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم. تذهب وترجع وتجدُ أهلك كما يسرُّك.

فلمَّا انطلق آدم قرَّبا قربانًا، وكان قابيل يفخر عليه فقال: أنا أحق بها منك، هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصيُّ والدي. فلمَّا قرَّبا قرب هابيل جذعة سمينة، وقرب قابيل حُزمة سنبل، فوجد فيها سنبلةً عظيمة، ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنَّك حتىٰ لا تنكح أختي. فقال هابيل: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

وأورد الطبري[1] بإسناد حسن عن ابن عباس قال:

﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ**﴾ [المائدة: ٢٧] قال: قرب هذا كبشًا، وقرَّب هذا صُبَرًا من طعام، فتقبل من أحدهما.

قال: تُقُبل من صاحب الشاة، ولم يتقبل من الآخر.

* * *

س: ما صورة تَقَبُّل القربان؟ أي: كيف كان يُعرف أن القربان تُقبِّل؟

ج: كان ذلك يُعرف بنزول نار من السماء تأكل القربان المتقبَّل فيُعرف حينئذٍ أنه تُقبِّل.

---

(١) الطبري (١١٧١٤).

ومن كتاب اللَّه ما يشهد لذلك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا: «غزا نبيٌّ من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولَمَّا يبن بها، ولا آخر قد بنى بنيانًا ولَمَّا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خلفات[٢] وهو منتظر ولادها. قال: فغزا، فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور. اللَّهم احبسها عليَّ شيئًا. فحُبست عليه حتَّى فتح اللَّه عليه. ـ قال: ـ فجمعوا ما غنموا فأقبلت النارُ لتأكله فأبت أن تطعمه. فقال: فيكم غُلُولٌ. فليُبايعني من كل قبيلة رجلٌ. فبايعوه، فلصقت يد رجلٍ بيده، فقال: فيكم الغُلول. فلتبايعني قبيلتك. فبايعته. قال: فلصقت بيدٍ رجلين أو ثلاثة. فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتُم. قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب. قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد[٣] فأقبلت النار فأكلته. فلم تَحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن اللَّه تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيَّبها[٤] لنا».

* * *

س: لماذا تُقبّل قربان أحدهما ولم يُتقبَّل من الآخر؟

ج: للَّه الأمر في ذلك، فهو يتقبَّل ممن يشاء، وقد أخبر سبحانه أنه يتقبل من المتقين، فتقبل قربان أحدهما لتقواه، ورد قربان الآخر لفجوره وظلمه،

---

(١) البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٢) الخلِفات: هي الإبل الحوامل.

(٣) الصعيد: وجه الأرض.

(٤) فطيَّبها: أي: جعلها لنا حلالاً.

وقد ذكر العلماء أسبابًا أُخر أيضًا، منها: أن المقتول كان قد قدَّم قربانًا من أفضل ما عنده، فكان يعمل إلىٰ الطيب من غنمه، ومن زرعه يتقرّب به، والآخر يعمد إلىٰ الرديء من ذلك يتقرَّب به[1]، واللَّه أعلم بوجه الصواب من ذلك.

* * *

س: من المعنيون بالمتقين هنا؟

ج: من العلماء من قال: إن المتقين هم الذين اتقوا اللَّه في أفعالهم وأقوالهم ونواياهم.

ومن العلماء من قال: إنهم قومٌ اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا العبادة للَّه.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال ابن عطية: المراد بالتقوىٰ هنا: اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحِّد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة.

* * *

س: ما الحكم في أعمال البر التي يعملها الكفار في دنياهم من صدقة وصلة ونحو ذلك؟

ج: هذه الأعمال ليست بمقبولة منهم في الآخرة، إذ اللَّه عزَّ وجل قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وقال سبحانه في شأن أهل الكفر: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) أخرج الطبري (١١٧٢٦) بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧] قال: يقول: إنك لو اتقيت اللَّه في قربانك تُقبِّل منك، جئت بقربانٍ مغشوش بأشرِّ ما عندك، وجئت أنا بقربان طيِّب بخير ما عندي. قال: وكان قال: يتقبل اللَّه منك ولا يتقبَّل مني!

وقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

● ولكن قد يثابون عليها في دنياهم، كما في الحديث[١]: «**إن اللَّه لا يظلم مؤمنًا حسنة، يُعطَى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأمَّا الكافر، فيُطعمُ بحسناتِ ما عمل بها للَّه في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنةٌ يُجزى بها**».

وفي رواية عند مسلم: «**إنَّ الكافر إذا عمل حسنةً أُطعم بها طُعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإنَّ اللَّه يدخر له حسناته في الآخرة، ويُعقبه رزقًا في الدنيا، على طاعته**».

* * *

س: ما الذي حمل ابن آدم المقتول على أن يقول ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨]؟

ج: الحامل له على ذلك خوفه من اللَّه عزّ وجلّ، وذلك لقوله: إني أخاف اللَّه رب العالمين.

* * *

س: وضِّح معنى قوله ﴿تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩].

ج: إيضاحه، أن الإثم في قوله «بإثمي» أي: إثم قتلي، أما قوله: ﴿وَإِثْمِكَ﴾: أي: ذنوبك السابقة، فالمعنى: تتحمل ذنب قتلي مع سائر ذنوبك السابقة التي صدرت منك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة[١] قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] يقول: بقتلك إياي وإثمك قبل ذلك.

قال الطبري رحمه اللَّه:

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن تأويله: إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي، وذلك هو معنىٰ قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾، أما معنىٰ: ﴿وَإِثْمِكَ﴾ فهو إثمه بغير قتله، وذلك معصيته اللَّه جلّ ثناؤه في أعمالٍ سواه.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب، لإجماع أهل التأويل عليه، لأن اللَّه عزّ ذكره قد أخبرنا أن كل عامل فجزاءُ عمله له أو عليه، وإذا كان ذلك حكمه في خلقه، فغير جائز أن يكون آثام المقتول مأخوذًا بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرَّم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه، دون ما ركبه قتيله.

وما ذُكر لا يمنع من تحمّل القاتل بعض آثام المقتول، وذلك لحديث المفلس، ففيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثم طُرح في النار**»[١] [٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ بعد أن أورد حديثًا في هذا الباب وضعفه، ألا وهو حديث: «**قتل الصبر لا يمرّ بذنبٍ إلا محاه**».

---

(١) الطبري (١١٧٣٤).

(٢) مسلم (٢٥٨١).

قال الحافظ ابن كثير بعد تضعيفه:

ولو صحّ فمعناه: أن اللَّه يكفِّر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فأما أن يتحمل على القاتل فلا، ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص، وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه، أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت على القاتل، وقد صحَّ الحديث بذلك عن رسول اللَّه ﷺ في المظالم كلها، والقتل من أعظمها وأشدها، واللَّه أعلم.

* * *

س: كيف أراد المقتول لأخيه أن يبوء بإثمه وإثمه، والقتل حرام، فكيف أراد لأخيه أن يقع في الحرام؟

ج: الظاهر، واللَّه أعلم، أن قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩١] خرج مخرج الزجر والوعظ والتحذير، ولم يخرج مخرج الرغبة في أن يقتله أخوه.

وقد أورد الطبري نحو هذا السؤال، وأجاب عليه فقال:

فإن قال قائل: أو ليس قتل المقتول من بني آدم كان معصية للَّه من القاتل؟

قيل: بلى، وأعظم بها معصية.

فإن قال: فإذا كان للَّه جل وعزّ معصية، فكيف جاز أن يريد ذلك منه المقتول، ويقول: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾، وقد ذكرت أن تأويل ذلك، إني أريد أن تبوء بإثم قتلي؟

قيل: معناه: إني أريد أن تبوء بإثم قتلي إن قتلتني؛ لأني لا أقتلك، فإن أنت قتلتني، فإني مريد أن تبوء بإثم معصيتك اللَّه في قتلك إياي. وهو إذا

قتله، فهو لا محالة باء به في حكم اللَّه، فإرادته ذلك غير موجبةٍ له الدخول في الخطأ.

ويعني بقوله: ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩] ويقول: فتكون بقتلك إياي من سكان الجحيم، ووقود النار المخلدين فيها، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، يقول: والنار ثواب التاركين طريق الحق، الزائلين عن قصد السبيل، المتعدِّين ما جُعل لهم إلىٰ ما لم يُجعل لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

قلت: وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ، وزجراً له لو انزجر، ولهذا قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ أي: تتحمل إثمي وإثمك، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

* * *

س: هل ابن آدم الأول (القاتل) كان كافراً، أم كان مسلمًا عاصيًا؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أنه كان عاصيًا، ولم يكن كافراً.

وأورد القرطبي أثر عبد اللَّه بن عمرو، وفيه: كان هابيل أشد قوةً من قابيل ولكنه تحرَّج[1].

وقال: قال ابن عطية: وهذا هو الأظهر، ومن ههنا يقوىٰ أن قابيل إنما هو عاصٍ لا كافر؛ لأنه لو كان كافراً لم يكن للتحرج هنا وجه، وإنما وجه التحرج في هذا أن المتحرج يأبىٰ أن يقاتل موحداً، ويرضىٰ بأن يُظلم ليجازىٰ في الآخرة، ونحو هذا فعل عثمان رضي اللَّه عنه، وقيل: المعنىٰ: لا أقصد قتلك بل أقصد الدفع عن نفسي، وعلىٰ هذا قيل: كان نائمًا فجاء

(١) عند الطبري (١١٧٣٠) من طريق أبي المغيرة عن عبد اللَّه بن عمرو أنه قال: ايم اللَّه، إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إلىٰ أخيه.

قابيل ورضخ رأسه بحجر على ما يأتي ومدافعة الإنسان عمن يريد ظلمه جائزة، وإن أتى على نفس العادي، وقيل: لئن بدأت بقتلي فلا أبدأ بالقتل، وقيل: أراد: لئن بسطت إليّ يدك ظلمًا، فما أنا بظالم، إني أخاف اللَّه رب العالمين.

* * *

س: هل يجوز للمعتدَى عليه أن يدفع المعتدِي أم يتركه حتى يقتله؟

ج: يجوز دفعه إجماعًا.

وقد نقل القرطبي هذا الإجماع، ثم قال:

وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك لما فيه من النهي عن المنكر.

* * *

س: على ماذا حمل العلماء حديث أبي ذر الذي رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وفيه: أن أبا ذر رضي اللَّه عنه قال: ركب رسول اللَّه ﷺ حمارًا، وأردفني خلفه، ثم قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديدٌ، حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «تعفف». قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديدٌ حتى يكون البيت بالعبد، كيف تصنع؟» قال: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «اصبر يا أبا ذر. أرأيتَ إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت في الدماء كيف تصنع؟» قال: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك». قال: أرأيت إن لم أُترك؟ قال: ائتِ من

أنت منه فكن فيهم» قال: فآخذ سلاحي؟ قال: «إذًا تشاركهم، ولكن إذا خشيتَ أن يروعك شعاعُ السيفِ فألقِ طرفَ ردائك على وجهك، يبوءُ بإثمه وإثمك»(١)؟

ج: مثل هذه الأحاديث أجاب عليها القرطبي بقوله: وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة، وكف اليد عند الشبهة.

* * *

س: كيف قتل ابن آدم الأول أخاه؟

ج: اللَّه أعلم كيف قتله، ولم يرد في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ولا في سنة رسوله ﷺ بيان لكيفية القتل، فاللَّه أعلم كيف كان.

* * *

س: الحسد قد يُحمل على الكفر وفعل الكبائر، دلِّل على ذلك؟

ج: نعم، قد يحمل الحسد أهله على الكفر والكبائر.

- فحسدُ إبليس منعه من السجود لآدم.
- وحسد اليهود منعهم من الإيمان بمحمد ﷺ، بل ورغبوا في إضلال العباد حسداً للعباد، كما قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾ [البقرة: ١٠٩].
- وحسد ابن آدم الأول حمله على قتل أخيه لمَّا تقبَّل اللَّه منه القربان.
- وحسد كفَّار قريش منعهم من الإيمان برسول اللَّه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٣١].
- وحسد إخوة يوسف حملهم على إلقائه في غيابة الجب وقطع الرحم، وعقوق الوالدين.

---

(١) ابن حبان في «الموارد» (١٨٦٢)، وسنده صحيح.

● وهكذا يفعل الحسد دائمًا بأهله، فليتق اللَّه امرؤٌ في نفسه، ويستغفر اللَّه من الحسد، ويرضىٰ بقضاء اللَّه وقسمته.

* * *

س: اذكر بعض المستفاد من هذا المثل؟

ج: من المستفاد من هذا المثل بيان عاقبة الظلم، وفيه أيضًا الحث علىٰ العفو وبيان فضله.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وكل ما ذكر اللَّه عزَّ وجلّ في هذه الآيات، مثلٌ ضربه اللَّه عزّ ذكره لبني آدم، وحرَّض به المؤمنين من أصحاب رسول اللَّه ﷺ علىٰ استعمال العفو و الصفح عن اليهود الذين كانوا هموا بقتل النبي ﷺ وقتلهم من بني النضير، إذ أتوهم يستعينونهم في دية قتيلي عمرو بن أمية الضمري، وعرَّفهم جلّ وعزّ رداءة سجيّة أوائلهم، وسوء استقامتهم علىٰ منهج الحق، مع كثرة أياديه وآلائه عندهم، وضرب مثلهم في غدرهم، ومثل المؤمنين في الوفاء لهم والعفو عنهم، بابني آدم المقرِّبين قرابينهما، اللذين ذكرهما اللَّه في هذه الآيات، ثم ذلك مثلٌ لهم علىٰ التأسِّي بالفاضل منهما دون الطالح.

* * *

س: يذكر البعض في هذا المقام أن فاسقًا تعلَّم من فاسق، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه: أن ابن آدم الأول يُعد فاسقًا بقتله لأخيه، وقد تعلَّم كيفية الدفن من فاسق، وهو الغراب، فالغراب فاسقٌ كما قد جاء عن رسول اللَّه ﷺ: «**خمسٌ من الدوابِّ كلهن فاسق يُقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور**»[1].

---

(١) البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨).

س: اجتمعت في القاتل جملة من الكبائر، وضح بعضها.

ج: من ذلك ما يلي:

- حسده لأخيه.
- بغيه على أخيه وقتله.
- قطع الرحم، وعقوق الوالدين بذلك.
- انتهاكه لحرمات اللَّه عزَّ وجلَّ.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] نادمين على ماذا؟ وهل الندم توبة؟ ولماذا ـ إذا كان الندم توبة ـ لم تُقبل منه توبته تلك؟

ج: أما بالنسبة لقوله ﴿مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فمن العلماء من قال: أصبح من النادمين على فراق أخيه، ليس على قتله.

- ومنهم من قال: أصبح من النادمين على قتل أخيه، لكن لم يستمر ندمه.
- ومنهم من قال: أصبح من النادمين حيث رأى إكرام اللَّه لأخيه المقتول، بأن قيَّض له الغراب حتى واراه ولم يكن ذلك ندم توبة.

أما بالنسبة لسؤال: هل الندم توبة؟: فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**الندم توبة**»(١).

أما لماذا لم يقبل منه ندمه على أنه توبة؟: فمن العلماء ـ كما قدَّمنا ـ من يرى أن ندمه لم يكن على القتل، إنما كان على الفراق وغيره، فمن ثم لم يغفر له ذنبه.

---

(١) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد (١/ ٤٢٣، ٤٣٣)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، والحاكم (٤/ ٢٤٣).

● ومن العلماء من قال: إن الندم في شريعتهم لم يكن توبة، أما في شريعتنا فالندم توبة.

● ومن العلماء من قال: إن الندم في حق اللَّه عزَّ وجلَّ توبة، لكن في حقوق العباد لا يكفي الندم، واللّه أعلم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى ...﴾ [المائدة: ٣١] مقدَّرٌ مفهوم من السياق، وضح هذا المقدَّر.

ج: ذكره الطبري فقال:

وهو فأراه بأن بحث في الأرض لغرابٍ آخر ميت فواراه فيها، فقال القاتل حينئذ: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ...﴾.

* * *

س: لماذا كتب هذا على بني إسرائيل مع أن القتل كان محرمًا قبلهم؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبةٌ:

منها: أن العقوبة غُلِّظت عليهم لتفشي القتل فيهم، ولتهاونهم به، كما في الأثر عن ابن مسعود أن الحيضة سُلِّطت على نساء بني إسرائيل[1]، يعني لكثرة المعاصي فيهنّ، مع أن الحيض كتبه اللَّه على بنات آدم عمومًا[2].

---

(١) انظره في «الفتح» (١/ ٤٠٠) ففيه: كان الرجال والنساء في بني إسرائيل يصلون جميعًا، فكانت المرأة تتشرف الرجل، فألقى اللَّه عليهنّ الحيضة ومنعهنّ المساجد.

(٢) انظر البخاري (٢٩٤)، ومسلم ص (٨٧٣) ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الحيض: «إن هذا أمر كتبه اللَّه على بنات آدم».

ومنها: أنهم أول أمة نزل عليهم الوعيد في قتل الأنفس مكتوبًا[١]، واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [المائدة: ٣٢].

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: من قتل نفسًا بغير أن تقتل النفس المقتولة نفسًا تُقتل بها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٢].

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: ومن قتل نفسًا بغير فسادٍ في الأرض ارتكبته تستحق به القتل.

وهذا الفساد في الأرض يكون بالشرك، وبحرب اللَّه ورسوله، وإخافه السبيل، وقطع الطريق، ونحو ذلك.

* * *

س: هل من قتل شخصًا كمن قتل شخصين في العقوبة؟

ج: لا، بل من قتل شخصين أعظم إثمًا ممن قتل شخصًا.

* * *

س: إذا كان قتل نفسين أعظم من قتل نفس واحدة، فوضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

---

(١) ذكر ذلك القرطبي رحمه اللَّه.

أحدها: أن المراد هنا الاستحلال، أي: من استحلّ قتل واحدٍ فقد استحل قتل الجميع؛ لأنه أنكر الشرع، ومن انتهك حرمة نفس وقتلها كان كمن انتهك حرمة الناس وقتلهم[1].

الثاني: أن المراد بالنفس هنا النبي، أو الإمام العادل، وقد ورد بهذا أثرٌ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عند الطبري[2] وغيره وفيه عن ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] قال: من شدّ على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعًا، ومن قتل نبيًا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعًا.

الثالث: أن من قتل نفسًا فعليه من العقوبة ما ذكره اللّه تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وكذا فهذه العقوبة لمن قتل الناس جميعًا، وإن كان هناك تفاوتٌ في الغضب وتفاوت في اللعن، واللّه أعلم.

وقد اختار الطبري نحو مطلع هذا القول الثالث فقال:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفسًا مؤمنًا بغير نفس قتلتها فاستحقت القود بها والقتل قِصاصًا، أو بغير فساد في الأرض، بحرب اللّه ورسوله وحرب المؤمنين فيها، فكأنما قتل الناس جميعًا، فيما استوجب من عظيم العقوبة من اللّه جلّ ثناؤه، كما

---

(١) وضرب له البعض مثلاً برجلين حلفا على شجرتين ألا يطعما من ثمرهما شيئًا، فطعم أحدهما واحدة من ثمر شجرته، وطعم الآخر ثمر شجرته كلها، فقد استويا في الحنث.

(٢) الطبري (١١٧٧٤).

أوعده ذلك من فعله ربُّه بقوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

الرابع: أن هذا الحكم كان خاصًّا ببني إسرائيل تغليظًا عليهم.

الخامس: المعنى أن من قتل نفسًا فالمؤمنون كلهم خصماؤه؛ لأنه قد وَتَرَ الجميع، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، أي: يجب على الكل شكره.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]؟

ج: المعنى، والله أعلم: من تركها فلم يقتلها، وحفظ حرمتها فقد حفظ حرمة الأنفس جميعًا.

وجه آخر: ومن عفا عن نفس استوجبت القتل قصاصًا فتركها ولم يقتص منها عفواً وتفضلاً فكأنما أحيا الناس جميعًا.

الثالث: أن من لم يقتل نفسًا فقد حَيِيَ الناس منه.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فأولى التأويلات به، قول من قال: من حرَّم قتل من حرّم الله عزّ ذكره قتله على نفسه، فلم يتقدّم على قتله، فقد أحيا الناس منه بسلامتهم منه، وذلك إحياؤه إياها، وذلك نظير خبر الله عزّ ذكره عمن حاجّ إبراهيم في ربه إذ قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فكان معنى الكافر في قيله: «أنا أحيي» أنا أترك من قدرت على قتله، وفي قوله:

«وأميت» قتله من قتله. فكذلك معنى «الإحياء» في قوله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، من سلم الناس من قتله إياهم، إلا فيمن أذن اللَّه في قتله منهم ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بتأويل الآية؛ لأنه لا نفس يقومُ قتلها في عاجل الضُرّ مقام قتل جميع النفوس، ولا إحياؤها مقام إحياء جميع النفوس في عاجل النفع، فكان معلومًا بذلك أن معنى «الإحياء»: سلامة جميع النفوس منه؛ لأنه من لم يتقدم على نفس واحدة، فقد سلم منه جميع النفوس.

وأن الواحدة منها التي يقوم قتلُها مقام جميعها إنما هو في الوزر، لأنه لا نفس من نفوس بني آدم يقوم فقدها مقام فقد جميعها، وإن كان فقد بعضها أعمّ ضررًا من فقد بعض.

وقال القاسمي رحمه الله في «محاسن التأويل».

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: بسبب قتل قابيل هابيل ظلمًا ﴿كَتَبْنَا﴾ أي: فرضنا وأوجبنا ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وإنما خُصّوا بالذكر لأنهم أول من تعبدوا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ أي: أو بغير فساد يوجب إهدار دمها - كالكفر مع الحراب، والارتداد، وقطع الطريق الآتي بعد، وزنا المحصن - ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: من حيث إنه هَتَك حرمة الدماء، وسنَّ القتل، وجرّأ الناس عليه.

أو من حيث إن قتل الواحد وقتل الجميع سواء، في استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

أي: ومن تسبب لبقاء حياتها بعفوٍ أو منعٍ عن القتل أو استنقاذٍ من بعض أسباب الهلكة، فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا والمقصود منه: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبًا عن التعرض لها، وترغيبًا في المحاماة عليها. أفاده البيضاويّ.

وقال أبو مسلم في معنى الآية:

من قتل نفسًا وجب على المؤمنين معاداته. وأن يكونوا خصومه كما لو قتلهم جميعًا. لأن المسلمين يدٌ واحدة على من سواهم. ومن أحيا وجب موالاته عليهم، كما لَوْ أحياهم. انتهى.

* * *

س: الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ ...﴾ [المائدة: ٣٢] واو ماذا؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أنها واو القسم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وهذا قسمٌ من اللَّه جلّ ثناؤه، أقسم به: أن رسله صلوات اللَّه عليهم قد أتت بني إسرائيل الذين قصّ اللَّه قصصهم وذكر نبأهم في الآيات التي تقدّمت، من قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ [المائدة: ١١] إلى هذا الموضع، ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ يعني: بالآيات الواضحة والحجج البينة على حقيقة ما أرسلوا به إليهم، وصحة ما دعوهم إليه من الإيمان بهم، وأداء فرائض اللَّه عليهم.

* * *

س: من الرسل المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة: ٣٢]؟

ج: هم عموم الرسل الذين أُرسلوا إلى بني إسرائيل.

* * *

س: ما المراد بالبينات المذكورات في الآية؟

ج: المراد: الدلائل الواضحات على صدقهم، أي: صدق الأنبياء والرسل فيما ينقلوه عن ربهم سبحانه وتعالى، والحجج والبراهين الدالّة على صدقهم أنهم رسلٌ وأنبياء للّه تبارك وتعالى، وكذا الدلائل الواضحات على عقوبة الظالمين، وإكرام المتقين ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضًا المعجزات التي أيد اللّه بها رسله المرسلين إلى بني إسرائيل، واللّه أعلم.

* * *

﴿ ٣٢ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ
وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ
لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ
لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ
عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦
يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ
أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(خِزْيٌ ـ وَابْتَغُوا ـ الْوَسِيلَةَ ـ مُّقِيمٌ ـ جزاءً ـ بِمَا كَسَبَا ـ نَكَالاً).

ج:

الكلمة	معناها
﴿خِزْيٌ﴾	شرٌ وعار
﴿ابْتَغُوا﴾	اطلبوا ـ التمسوا
﴿الْوَسِيلَةَ﴾	القربة بالأعمال الصالحة.
﴿مُّقِيمٌ﴾	مستمر ـ دائمٌ لا يزول
﴿جَزَاءً﴾	مكافأة ـ مقابلاً.
﴿بِمَا كَسَبَا﴾	بسبب كسبهما وجنايتهما (بسبب سرقتهما).
﴿نَكَالاً﴾	عقوبة.

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [المائدة: ٣٣]؟

ج: أولاً: قد أخرج البخاري[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قدِم قومٌ على النبي ﷺ فكلَّموه فقالوا: قد استوخَمنا هذه الأرض، فقال: هذه نَعَمٌ لنا تخرج لترعى فاخرجوا فيها، فاشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فيها فشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطردوا النعم. فما يُستبطأ من هؤلاء؟ قتلوا النفس، وحاربوا اللَّه ورسوله، وخوَّفوا رسول اللَّه ﷺ، فقال: سبحان اللَّه، فقلتُ تتّهمني؟ قال: حدَّثنا بهذا أنس. قال: وقال: يا أهل كذا، إنكم لن تزالوا بخير ما أُبقي هذا فيكم ومثلُ هذا».

هذا، وقد أخرج أبو داود[٢] الحديث وفيه، فبعث رسول اللَّه ﷺ في طلبهم قافلةً، فأتى بهم فأنزل اللَّه في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا...﴾ الآية.

* * *

س: لماذا سَمَل رسول اللَّه ﷺ أعين العرنيين؟

ج: ذلك لأنهم سملوا عين الراعي، فكان ذلك قصاصًا.

أخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاء.

* * *

(١) البخاري (٤٦١٠).

(٢) أبو داود (٤٣٦٦)، ورجاله رجال الصحيح، ولا تشوبه إلا عنعنة يحيى بن أبي كثير، ولا أراها ضارّة ههنا، لكون أصل الحديث في البخاري، ولكون الراوي عن يحيى روايته الأوزاعي، ولكون يحيى روى عن تابعي صغير أيضًا.

(٣) مسلم (١٢٩٨).

س: اذكر بعض حجج القائلين بأن الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] نزلت في المشركين.

ج: من حُجج القائلين بذلك أن الحدود كفارات لأهلها من المسلمين، ففي حديث، عن عبادة بن الصامت، قال: كُنَّا مع رسول اللَّه ﷺ في مجلس. فقال: «**تُبايعوني على أن لا تُشركوا باللَّه شيئًا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحقِّ، فمن وَفَى منكم فأجره على اللَّه، ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به، فهو كفَّارةٌ له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره اللَّه عليه، فأمره إلى اللَّه. إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه**»(١).

فلمَّا ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ العقوبة بقوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا...﴾ أتبعها بقوله: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. فدلَّ ذلك على أن الحدود لم تكفِّر ذنوب هؤلاء، فدلَّ على أنهم كفَّار، كذا ذكر الذين ذهبوا إلى أن الآية في المشركين.

* * *

س: هل المحاربة تكون على الطرق والمارّة فقط، أم أنها تكون في الأمصار وفي الطرق على السواء؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن المحاربة عامّة، فمن قطع على الناس طرقهم وأخافهم وروَّعهم وسلب أموالهم وقتل وسلب، فإن هذا داخلٌ في المحاربة بلا شك، وكذا من غزا الناس في بيوتهم وعدا عليهم في مدنهم ودورهم وسلب أموالهم واغتصب نساءهم داخل في المحاربة أيضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: كنُّا مع رسول اللَّه ﷺ في مجلس فقال: ... فذكره.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء، في ذهابهم إلىٰ أن المحاربة في الأمصار، وفي السبلان علىٰ السواء، لقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾ [المائدة: ٣٣] وهذا مذهب مالك، والأوزاعي، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، حتىٰ قال مالك في الذي يغتال الرجل، فيخدعه حتىٰ يدخله بيتًا، فيقتله ويأخذ ما معه: إن هذه محاربة، ودمه إلىٰ السلطان، لا إلىٰ ولي المقتول، ولا اعتبار بعفوه عنه في إنفاذ القتل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تكون المحاربة إلا في الطرقات، فأما في الأمصار فلا؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث، بخلاف الطريق، لبعده ممن يغيثه ويعينه.

* * *

س: ما الذي يقع به اسم المحارب علىٰ شخصٍ من الأشخاص؟

ج: ذكر العلماء من ذلك صنوفًا:

- فمنهم الذين يقطعون الطريق علىٰ العباد، ويسلبون أموالهم ويقتلونهم.
- ومنهم الذين يرتدون عن دينهم ويغيرون علىٰ العباد.
- ومنهم الذين يحرقون الزروع والثمار، ويسممون المواشي والأنعام.
- ومنهم اللصوص المجاهرون باللصوصية، الذين يهددون الناس بالسلاح ويروِّعونهم، ويغتصبون نساءهم.
- ومنهم الذين ينشرون الرذائل والفجور، ويحاربون الإسلام، ويقتلون الفضيلة.

وثَمَّ صنوف أُخر.

* * *

س: هل هذه العقوبات المذكورة في الآية الكريمة ﴿يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] تقع على الشخص باستحقاقه اسم المحارب، أم أنه يُعاقب على قدر جنايته التي ارتكب؟

أو بمعنى آخر: هل الإمام مُخيَّر أن يفعل مع كل من انطبق عليه اسم المحاربة أية عقوبة من العقوبات المذكورة، أم أن المحارب يعاقب على قدر جريمته؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الجاني المحارب يُعاقب على قدر جنايته، فالذي قطع الطريق وسرق، لا يستوي مع الذي قطع الطريق وسرق وقتل، وهكذا.

وهذا قولٌ مروي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وإن كان في الأسانيد (التي وقفنا عليها إليه) ضعف، فعند الطبري بإسناد فيه ضعف، عن ابن عباس قال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] إلى قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ قال: إذا حارب فقتل، فعليه القتل إذا ظُهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخذ المال وقتل، فعليه الصلب إن ظُهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخذ ولم يقتل، فعليه قطع اليد والرجل من خلافٍ إن ظُهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخاف السبيل، فإنما عليه النفي[1].

وصحَّ[2] هذا القول عن قتادة أيضًا، فعند الطبري عن قتادة أنه كان يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ حدودٌ أربعة أنزلها اللَّه، فأما من أصاب الدم والمال جميعًا صُلب،

(١) الطبري (١١٨٣٣).

(٢) الطبري (١١٨٣٩).

وأما من أصاب الدم وكفّ عن المال، قُتل، ومن أصاب المال وكفّ عن الدم، قُطع، ومن لم يصب شيئًا من هذا، نفي.

ولفظ آخر عند الطبري[1]، عن قتادة وعطاء الخراساني:

في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، قال: هذا اللص يقطع الطريق فهو محارب، فإن قتل وأخذ مالاً صُلب، وإن قتل ولم يأخذ مالاً قُتل، وإن أخذ مالاً ولم يقتل، قطعت يده ورجله، وإن أخذ قبل أن يفعل شيئًا من ذلك نُفي.

وقال بهذا القول كثيرون آخرون من أهل العلم.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

واعتلَّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن اللَّه أوجب علىٰ القاتل القود، وعلىٰ السارق القطع، وقالوا: قال النبي ﷺ: «**لا يحل دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خلال: رجل قتل فقتل، ورجل زنى بعد إحصان فرُجم، ورجل كفر بعد إسلامه**» قالوا: فحظر النبي ﷺ قتل رجل مسلم إلا بإحدىٰ هذه الخلال الثلاث، فأما أن يُقتل من أجل إخافته السبيل من غير أن يقتل أو يأخذ مالاً، فذلك تقدُّمٌ علىٰ اللَّه ورسوله بالخلاف عليهما في الحكم. قالوا: ومعنىٰ قول من قال: «الإمام فيه بالخيار، إذا قتل وأخاف السبيل وأخذ المال» فهنالك خيار الإمام في قولهم بين القتل أو القتل والصلب، أو قطع اليد والرجل من خلاف، وأما صلبه باسم المحاربة، من غير أن يفعل شيئًا من قتل أو أخذ مال، فذلك ما لم يقله عالم.

وقال آخرون من أهل العلم: إن الإمام مخيَّر أن يفعل في أي محارب انطبق عليه اسم المحاربة ما يشاء من العقوبات، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ

---

(١) الطبري (١١٨٤٢).

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ فقوله تعالىٰ: ﴿أو﴾ يفيد أن الإمام مخيَّرٌ في كل ذلك.

وهذا قول طائفةٍ من أهل العلم منهم الحسن البصري رحمه اللَّه تعالىٰ، فأورد الطبري[1] بإسناده إليه في المُحارب قال ذاك إلىٰ الإمام يصنع به ما شاء.

قال الطبري رحمه اللَّه:

واعتلّ قائلو هذه المقالة بأن قالوا: وجدنا العطوف التي بـ«أو» في القرآن بمعنىٰ التخيير، في كل ما أوجب اللَّه به فرضًا منها، وذلك كقوله في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩] وكقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، وكقوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]. قالوا: فإذا كانت العطوف التي بـ«أو» في القرآن في كل ما أوجب اللَّه به فرضًا منها في سائر القرآن بمعنىٰ التخيير، فكذلك ذلك في آية المحاربين، الإمام مخيَّرٌ فيما رأىٰ الحكم به علىٰ المحارب إذا قَدَرَ عليه قبل التوبة.

أما الطبري رحمه اللَّه، فقد اختار القول الأول، إذ قال: وأولىٰ التأويلين بالصواب في ذلك عندنا تأويل من أوجب علىٰ المحارب من العقوبة علىٰ قدر استحقاقه، وجعل الحكم علىٰ المحاربين مختلفًا باختلاف أفعالهم، فأوجب علىٰ مُخيف السبيل منهم ـ إذا قُدر عليه قبل التوبة وقبل أخذ مالٍ أو قتل ـ النفي من الأرض، وإذا قُدر عليه بعد أخذ المال وقتل النفس المحرم

(١) الطبري (١١٨٥٦، ١١٨٥٧)، وهو صحيح عن الحسن.

قتلها الصلب، لما ذكرت من العلة قبل لقائلي هذه المقالة.

فأما ما اعتلّ به القائلون: إن الإمام فيه بالخيار، من أن «أو» في العطف تأتي بمعنىٰ التخيير في الفرض، فقولٌ لا معنىٰ له؛ لأن «أو» في كلام العرب قد تأتي بضروب من المعاني، لولا كراهة إطالة الكتاب بذكرها لذكرتها، وقد بينت كثيراً من معانيها فيما مضىٰ، وسنأتي علىٰ باقيها فيما يُستقبل في أماكنها إن شاء اللّه.

فأما في هذا الموضع، فإن معناها التعقيب، وذلك نظير قول القائل: «إن جزاء المؤمنين عند اللّه يوم القيامة أن يُدخلهم الجنة، أو يرفع منازلهم في عليين، أو يسكنهم مع الأنبياء والصديقين»، فمعلوم أن قائل ذلك غير قاصد بقيله إلىٰ أن جزاء كل مؤمن آمن باللّه ورسوله فهو في مرتبة واحدة من هذه المراتب، ومنزلة واحدة من هذه المنازل بإيمانه، بل المعقول عنه أن معناه: أن جزاء المؤمن لن يخلو عند اللّه عزّ ذكره من بعض هذه المنازل، فالمقتصد منزلته دون منزلة السابق بالخيرات، والسابق بالخيرات أعلىٰ منه منزلة، والظالم لنفسه دونهما، وكلٌّ في الجنة كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾ [الرعد: ٢٣]، فكذلك معنىٰ المعطوف بـ«أو» في قوله: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المائدة: ٣٣] الآية إنما هو التعقيب.

فتأويله: إن الذي يحارب اللّه ورسوله ويسعىٰ في الأرض فساداً لن يخلو من أن يستحق الجزاء بإحدىٰ هذه الخلال الأربع التي ذكرها اللّه عزّ ذكره، لا أن الإمام محكم فيه ومخيّر في أمره ـ كائنة ما كانت حالته، عظمت جريرته أو خفّت؛ لأن ذلك لو كان كذلك لكان للإمام قتل من شهر السلاح مخيفًا السبيل وصلبه، وإن لم يأخذ مالاً ولا قتل أحداً، وكان له نفيُ من قتل وأخذ المال وأخاف السبيل. وذلك قولٌ إن قاله قائل خلافُ ما صحّت به الآثار عن رسول اللّه ﷺ من قوله: «**لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا**

بإحدى ثلاث: رجل قتل رجلاً فقتل به، أو زنىٰ بعد إحصان فرجم، أو ارتدّ عن دينه» وخلاف قوله: «**القطعُ في رُبع دينارٍ فصاعداً**» وغير المعروف من أحكامه.

فإن قال قائلٌ: فإن هذه الأحكام التي ذكرت كانت عن رسول اللّه ﷺ في غير المحارب، وللمحارب حكم غير ذلك منفرد به.

قيل له: فما الحكم الذي انفرد به المحارب في سننه؟

فإن ادَّعىٰ عنه ﷺ حكمًا خلاف الذي ذكرنا، أكذبه جميعُ أهل العلم؛ لأن ذلك غير موجود بنقل واحدٍ ولا جماعة.

وإن زعم أن ذلك الحكم هو ما في ظاهر الكتاب، قيل له: فإن أحسن حالاتك إن سُلِّم لك أن ظاهر الآية قد يحتمل ما قلت، وما قاله من خالفك، فما برهانك علىٰ أنّ تأويلك أولىٰ بتأويل الآية من تأويله؟

وبعد، فإذ كان الإمام مُخيَّرًا في الحكم علىٰ المحارب من أجل أنّ «أو» بمعنىٰ التخيير في هذا الموضع عندك، أفله أن يصلبه حيًّا، ويتركه علىٰ الخشبة مصلوبًا حتىٰ يموت من غير قتله.

فإن قال: «ذلك له» خالف في ذلك الأمة.

وإن زعم أنَّ ذلك ليس له، وإنما له قتله ثم صلبه، أو صلبه ثم قتله، ترك علّته من أنّ الإمام إنما كان له الخيار في الحكم علىٰ المحارب من أجل «أو» تأتي بمعنىٰ التخيير.

وقيل له: فكيف كان له الخيار في القتل أو النفي أو القطع، ولم يكن له الخيار في الصلب وحده، حتىٰ تجمع إليه عقوبة أخرىٰ؟

وقيل له: هل بينك وبين من جعل الخيار حيث أبيت، وأبىٰ ذلك حيث جعلتَه له، فرقٌ من أصلٍ أو قياس؟ فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في

الآخر مثله.

وقد روي عن رسول اللَّه ﷺ بتصحيح ما قلنا في ذلك، بما في إسناده نظر، وذلك ما حدَّثنا به علي بن سهل قال: حدَّثنا الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أنَّ عبد الملك بن مروان كتب إلىٰ أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين، وهم من بجيلة.

قال أنس: فارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، وساقوا الإبل، وأخافوا السبيل، وأصابوا الفرجَ الحرام. قال أنس: فسأل رسول اللَّه ﷺ جبريل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب، فقال: من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقته، ورجله بإخافته، ومن قتل فاقتله، ومن قتل وأخاف السبيل واستحلَّ الفرج الحرام فاصلبه.

وأما قوله: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾، فإنه يعني به جل ثناؤه أنَّه تُقطع أيديهم مخالِفًا في قطعها قَطع أرجلهم. وذلك أن تُقطع أيمُن أيديهم، وأشمُلُ أرجلهم، فذلك الخلاف بينهما في القطع.

ولو كان مكان ﴿مِّنْ﴾ في هذا الموضع «علىٰ»، أو «الباء» فقيل: «أو تقطع أيديهم وأرجلهم علىٰ خلاف ـ أو بِخلاف» لأدَّيا عمَّا أدَّت عنه ﴿مِّنْ﴾ في المعنىٰ.

واختلف أهل التأويل في معنىٰ النفي الذي ذكر اللَّه في هذا الموضع.

فقال بعضهم: هو أن يطلب حتىٰ يقدر عليه، أو يهرب من دار الإسلام.

قال السعدي رحمه الله:

واختلف المفسرون: هل ذلك علىٰ التخيير، وأن كل قاطع طريق، يفعل به الإمام أو نائبه، ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة؟ وهذا ظاهر اللفظ.

أو أن عقوبتهم، تكون بحسب جرائمهم ، فكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية، بحكمها وموافقتها لحكمة الله تعالىٰ. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالاً تحتم قتلهم وصلبهم، حتىٰ يشتهروا ويختزوا، ويرتدع غيرهم. وإن قتلوا، ولم يأخذوا مالاً تحتم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالاً، ولم يقتلوا، تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنىٰ، والرجل اليسرىٰ. وإن أخافوا الناس، ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالاً، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد، حتىٰ تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه، وكثير من الأئمة، علىٰ اختلاف في بعض التفاصيل.

* * *

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ [المائدة: ٣٣]؟

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: أن اليد اليمنىٰ تُقطع مع الرجل اليُسرىٰ، أو الرجل اليمنىٰ مع اليد اليُسرىٰ.

وانظر قول الطبري المتقدم.

* * *

س: ما المراد بالنفي من الأرض؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالنفي من الأرض الإخراج من الأرض التي أحدث فيها وارتكب ما ارتكب إلىٰ أرض أخرىٰ.

الثاني: أن المراد النفي من الأرض إلىٰ أرض أخرىٰ، والسجن في تلك

الأرض التي نُفِي إليها[١] .

الثالث: أنه يطارد حتىٰ يخرج من أرض الإسلام إلىٰ أرض العدو .

الرابع: أنه يُطارد حتىٰ يُقبض عليه ويُقام عليه الحد .

الخامس: أن المراد مجرد السجن ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س: هل فعل النبي ﷺ بالعرنيين منسوخ بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] أم أن فعل النبي ﷺ محكم لم يُنسخ؟

ج: الظاهر أن فعل النبي ﷺ بالعرنيين لم ينسخ ، وذلك لكونه كان قصاصًا ، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ: ٤٠] ، ثم إنه لم يُعلم المتقدِّم من المتأخِّر ، هل الآية هي التي تقدَّمت أم فعل النبي ﷺ بالعرنيين هو المتقدِّم ، وعليه ، فدعوىٰ النسخ تفتقر إلىٰ الدليل ، واللَّه أعلم .

ومن ثمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء العرنيين ، هل هو منسوخ أو محكم ، فقال بعضهم: هو منسوخ بهذه الآية ، وزعموا أن فيها عتابًا للنبي ﷺ كما في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] .

ومنهم من قال: هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المُثلة ، وهذا القول فيه نظر ، ثم قائله مُطالبٌ ببيان تأخر الناسخ الذي ادَّعاه عن المنسوخ .

---

(١) وهذا القول هو اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ ، فقد قال:

وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال: معنىٰ «النفي من الأرض» في هذا الموضع هو نفيه من بلد إلىٰ بلد غيره ، وحبسه في السجن في البلد الذي نُفي إليه ، حتىٰ تظهر توبته من فسوقه ، ونُزوعه عن معصيته ربه .

وقال بعضهم: كان هذا قبل أن تنزل الحدود، قاله محمد بن سيرين، وفي هذا نظر؛ فإن قصتهم متأخِّرة. وفي رواية جرير بن عبداللَّه لقصتهم ما يدلُّ على تأخرها؛ فإنه أسلم بعد نزول المائدة.

ومنهم من قال: لم يسمل النبي ﷺ أعينهم، وإنما عزم على ذلك، حتى نزل القرآن فبيَّن حكم المحاربين، وهذا القول أيضًا فيه نظر؛ فإنه تقدَّم في الحديث المتفق عليه أنَّه سمل، وفي رواية: سمر أعينهم.

* * *

س: وضح المعنيين بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٣٤].

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم المشركون الذين تابوا من شركهم، وتابوا من حربهم للَّه ورسوله، والسعي في الأرض بالفساد، ودخلوا في الإسلام ورضوا بالإيمان، فهؤلاء لا يؤاخذون بما صدر منهم حال شركهم من جنايات.

الثاني: أنهم مسلمون قطعوا على الناس طرقهم وسفكوا الدماء، وسلبوا الأموال، وهربوا فلم يُقدر عليهم، أو لحقوا بأرض الحرب فلم يُقدر عليهم، فطلبوا الأمان، فأعطاهم الإمام الأمان.

أو مرتدون أفسدوا ولحقوا بدار الكفر، ثم تابوا من ردتهم وأرسلوا يطلبون الأمان، فأعطوا الأمان.

وقد أورد الطبري[1] رحمه اللَّه تعالى أثرًا بإسنادين، عن الشعبي في كل

(١) الطبري (١١٨٨٤).

منهما مقال، أحدهما من طريق مجالد[١]، عن الشعبي: أن حارثة بن بدر حاربَ في عهد علي بن أبي طالب، فأتي الحسن بن علي رضوان اللَّه عليهما، فطلب إليه أن يستأمن له من علي، فأبىٰ، ثم أتىٰ ابن جعفر، فأبىٰ عليه. فأتىٰ سعيد بن قيس الهمداني، فأمَّنه، وضمَّه إليه، وقال له: استأمِنْ لي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: فلمَّا صلَّىٰ عليٌّ الغداةَ، أتاه سعيد بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون اللَّه ورسوله؟ قال: أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو يُنفوا من الأرض. قال: ثم قال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

قال سعيد: وإن كان حارثة بن بدر؟ قال: وإن كان حارثة بن بدر! قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائبًا، فهو آمن؟ قال: نعم! قال: فجاء به فبايعه، وقبِلَ ذلك منه، وكتبَ له أمانًا.

الثالث: أن الآية عامَّةٌ في كل محارب من المسلمين جاء تائبًا قبل القدرة عليه، سواء استأمن[٢] الإمام فأمنه أو لم يستأمنه.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: من هؤلاء المحاربين.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فيسقط عنه، ما كان لله، من تحتم القتل، والصلب، والقطع، والنفي. ومن حق الآدمي أيضًا، إن كان

---

(١) ومجالد ضعيف، وقد تابعه علىٰ بعضه أشعث بن سوار عن الشعبي، علىٰ الطبري (١١٨٨٣)، ثم إن من العلماء من تكلَّم في سماع الشعبي من عليٍّ، وقالوا: لم يسمع منه إلا حديثًا واحدًا.

(٢) استأمن: أي: طلب الأمان، وجاء التقييد بالمسلمين لما نقله القرطبي رحمه اللَّه حيث قال: لأنه إن آمن بعد القدرة عليه لم يقتل أيضًا بالإجماع.

المحارب كافرًا ثم أسلم. فإن كان المحارب مسلمًا، فإن حق الآدمي، لا يسقط عنه من القتل، وأخذ المال. ودل مفهوم الآية، على أن توبة المحارب - بعد القدرة عليه - أنها لا تسقط عنه شيئًا.

والحكمة في ذلك ظاهرة. وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه، تمنع من إقامة الحد في الحرابة، فغيرها من الحدود، إذا تاب من فعلها، قبل القدرة عليه - من باب أولى.

وقد ورد في هذا الباب بسندٍ فيه كلام[1] من طريق الوليد قال: قال الليث: وكذلك حدثني موسى بن إسحاق المدني، وهو الأمير عندنا: أن عليًّا الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال، فطلبته الأئمة والعامَّة، فامتنع ولم يُقدر حتَّى جاء تائبًا، وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، فوقف عليه فقال: يا عبد اللَّه، أعد قراءتها، فأعادها عليه، فغمد سيفه، ثم جاء تائبًا، حتى قدم المدينة من السَّحَر، فاغتسل، ثم أتى مسجد رسول اللَّه ﷺ فصلى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في غمار أصحابه، فلمَّا أسفر عرفه الناس وقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليّ، جئت تائبًا من قبل أن تقدروا عليَّ! فقال أبو هريرة: صدق.

وأخذ بيده أبو هريرة حتى أتى مروان بن الحكم في إمرته على المدينة في زمن معاوية، فقال: هذا عليٌّ جاء تائبًا، ولا سبيل لكم عليه ولا قتل. قال: فترك من ذلك كله.

قال: وخرج عليٌّ تائبًا مجاهدًا في سبيل اللَّه في البحر، فلقُوا الروم

---

(١) الطبري (١١٨٩٣)، والوليد المذكور هو الوليد بن مسلم، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه يدلّس تدليس التسوية، وفي السند انقطاع.

فقرَّبوا سفينته إلىٰ سفينة من سفنهم، فاقتحم علىٰ الروم في سفينتهم، فهُزِموا منه إلىٰ سفينتهم الأخرىٰ، فمالت بهم وبه، فغرقوا جميعًا.

والذي يبدو بعد ذكر هذه الأقوال ـ واللَّه أعلم بالصواب ـ أن الآية الكريمة تختص بالمحاربين الذين حاربوا اللَّه ورسوله وسعوا في الأرض بالفساد، ولم يقدر أحدٌ علىٰ إحضارهم كي ينالوا عقوبة ما صنعوا، بل تمنعوا من إمام المسلمين، إما بقوة في أيديهم، أو برجال معهم، أو بانتقال إلىٰ دار الكفر، أو بغير ذلك، ثم تابوا، وجاءوا عن اختيار منهم وطواعية منهم، لا لكونهم أُجبروا علىٰ المجيء، فهؤلاء لا تنسحب عليهم العقوبة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿**أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ [المائدة: ٣٣].

وكأن هذا الاختيار هو اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى، حيث قال رحمه اللَّه:

وأولىٰ هذه الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: توبة المحارب الممتنع بنفسه أو بجماعة معه قبل القدرة عليه، تضع عنه تبعات الدنيا التي كانت لزمته في أيام حربه وحِرَابته، من حدود اللَّه، وغُرم لازم، وقَوَدٍ وقصاص، إلا ما كان قائمًا في يده من أموال المسلمين والمعاهدين بعينه، فيردّ علىٰ أهله؛ لإجماع الجميع علىٰ أن ذلك حكم الجماعة الممتنعة المحاربة للَّه ولرسوله، الساعية في الأرض فسادًا علىٰ وجه الردة عن الإسلام، فكذلك حكم كل ممتنع سَعَىٰ في الأرض فسادًا، جماعةً كانوا أو واحدًا.

فأمَّا المستخفي بسرقته، والمتلصِّص علىٰ وجه اغتفال من سرقه، والشاهرُ السلاحَ في خلاء علىٰ بعض السابلة، وهو عند الطلب غير قادر علىٰ

الامتناع، فإن حكم اللَّه عليه ـ تاب أو لم يتب ـ ماضٍ، وبحقوق من أخذ ماله، أو أصاب وليَّه بدم أو خَتْلٍ، مأخوذ، وتوبته فيما بينه وبين اللَّه جلّ وعزّ، قياسًا على إجماع الجميع على أنه لو أصاب شيئًا من ذلك وهو للمسلمين سِلمٌ، ثم صار لهم حربًا: أن حربه إياهم لن يضعَ عنه حقًّا للَّه عزَّ ذكره، ولا لآدمي، فكذلك حكمه إذا أصاب ذلك في خلاء أو باستخفاء، وهو غير ممتنع من السلطان بنفسه إن أراده، ولا له فئة يلجأ إليها مانعةٌ منه.

وفي قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ دليل واضح لمن وُفِّق لفهمه، أن الحكم الذي ذكره اللَّه جل وعزّ في المحاربين، يجري في المسلمين والمعاهدين، دون المشركين الذين قد نصبوا للمسلمين حربًا، وذلك أن ذلك لو كان حكمًا في أهل الحرب من المشركين، دون المسلمين ودون ذمتهم، لوجب أن لا يُسقِطَ إسلامُهم عنهم ـ إذا أسلموا أو تابوا بعد قدرتنا عليهم ـ ما كان لهم قبل إسلامهم وتوبتهم من القتل، وما للمسلمين في أهل الحرب من المشركين، وفي إجماع المسلمين أنّ إسلام المشرك الحربيِّ يضع عنه، بعد قدرة المسلمين عليه، ما كان واضعَه عنه إسلامه قبل القدرة عليه ما يدلّ على أن الصحيح من القول في ذلك قول من قال: «عني بآية المحاربين في هذا الموضع، حُرَّاب أهل الملة أو الذمة، دون من سواهم من مشركي أهل الحرب».

وأما قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن معناه: فاعلموا أيها المؤمنون أن اللَّه غير مؤاخذ من تاب من أهل الحرب للَّه ولرسوله، الساعين في الأرض فسادًا، وغيرهم بذنوبه، ولكنه يعفو عنه فيسترها عليه، ولا يفضحه بها بالعقوبة في الدنيا والآخرة، رحيم به في عفوه عنه، وتركه عقوبته عليها.

• وأورد الطبري من طريق علي بن سهل[١] قال: حدَّثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك: أرأيت هذا المحارب الذي قد أخاف السبيل وأصاب الدم والمال، فلحق بدار الحرب، أو تمنع في بلاد الإسلام، ثم جاء تائبًا من قبل أن يُقدر عليه؟ قال: تُقبل توبته. قال: قلت: فلا يُتَّبَع بشيء من أحداثه؟ قال: لا، إلا أن يوجد معه مالٌ بعينه فيردّ إلى صاحبه، أو يطلبه وليٌّ من قَتل بدم في حربه، يثبت ببيّنةٍ أو اعترافٍ فيقاد به، وأما الدماء التي أصابها ولم يطلبها أولياؤها، فلا يتَّبعه الإمام بشيء.

قال عليّ: قال الوليد: فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: تُقبل توبته إذا كان محاربًا للعامة والأئمة، قد آذاهم بحربه، فشهر سلاحه، وأصاب الدماء والأموال، فكانت له منعة أو فئة يلجأ إليهم، أو لحق بدار الحرب فارتدَّ عن الإسلام، أو كان مقيمًا عليه، ثم جاء تائبًا من قبل أن يُقدر عليه، قُبِلت توبته، ولم يتَّبَع بشيء منه.

* * *

س: هل هذا المحارب الذي حارب اللَّه ورسوله وسعى في الأرض فسادًا ثم تاب قبل القدرة عليه، هل تسقط عنه الحدود والتبعات؟

ج: ذهب بعض العلماء في ذلك إلى رأيٍ مفاده: أن توبته تضع ـ تسقط ـ عنه حدّ اللَّه الذي وجب عليه بمحاربته، ولا تسقط عنه حقوق بني آدم، وممن قال بذلك الشافعي رحمه اللَّه، كما نقل عنه الطبري.

وأورد الطبري نحو هذا أيضًا عن هشام بن عروة[٢]، أنهم سألوا عُروة عمن تلصّص في الإسلام فأصاب حدودًا ثم جاء تائبًا، قال: لا تقبل توبته،

---

(١) الطبري (١١٨٩٠)، وعلي بن سهل ثقة، وكذا الوليد ثقة.

(٢) الطبري (١١٨٩٦).

لو قُبل ذلك منهم اجترءوا عليه، وكان فساداً كبيراً. ولكن لو فرّ إلى العدو، ثم جاء تائبًا، لم أر عليه عقوبة.

* * *

س: اذكر ببعض الإيضاح معنى الوسيلة.

ج: الوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل أمر من الأمور، والمراد بالوسيلة في الآية الكريمة: القربة. فقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] أي: اطلبوا القرب من اللَّه بالأعمال الصالحة، أو تقرَّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، والتمسوا ما يقرّبكم من اللَّه.

والوسيلة أيضًا عَلَمٌ على أعلى منزلة في الجنة، يرجوها رسول اللَّه ﷺ لنفسه، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قال حين يسمعُ النداءَ: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوة التَّامَّة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محموداً الذيَ وعدته، حلَّت له شفاعَتي يوم القيامة**».

وأورد القاسمي رحمه الله تعالى قول شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة مقراً له ومعتمداً، فقال يعني شيخ الإسلام.

قال رحمه الله بعد مقدّمات:

إن لفظ الوسيلة والتوسل، فيه إجمال واشتباه، يجب أن تعرف معانيه ويعطي كل ذي حقٍّ حقه. فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه. وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلون ومعنى ذلك. ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه. فإن كثيراً من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتى تجد أكثرهم لا يعرف

(١) البخاري (٦١٤).

في هذا الباب فصل الخطاب. فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧][1].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا، فالواجب والمستحب هو ما شرّعه الرسول فأمر به أمر إيجاب واستحباب. وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول. فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلاَّ ذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ[2]: «**سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلاَّ لعبد من عباد الله. وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد. فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**»، وقوله: «**من قال حين يسمع النداء[3]: اللهم! رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة! آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**».

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة. وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة. وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله. وهو يرجو أن يكون ذلك العبد.

---

(١) [١٧/ الإسراء/ ٥٦، ٥٧].

(٢) أخرجه مسلم في: ٤ ـ كتاب الصلاة، (١١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) أخرجه البخاري في: ١٠ ـ كتاب الأذان، ٨ ـ باب الدعاء عند النداء، (٣٩٢)، عن جابر بن عبد الله.

وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول ﷺ. وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلّت عليه الشفاعة يوم القيامة، لأن الجزاء من جنس العمل. فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هُوَ لَهُم فإن الشفاعة نوع من الدعاء. كما قال: «**إنه من صلّى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً**» وأما التوسل بالنبي ﷺ: والتوجه به في كلام الصحابة، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به. كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح، وحينئذ، فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنىً ثالث لم ترد به سنة. فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء، فأحدهما هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم. فهذان جائزان بإجماع المسلمين. ومن هذا قول عمر بن الخطاب: «اللهم! إنّا كنا إذا أجدبنا توسّلنا إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». أي: بدعائه وشفاعته. وقوله تعالىٰ: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ أي: القربة إليه بطاعته. وطاعة رسوله طاعته، قال تعالىٰ: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠] فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحدٌ من المسلمين، وأما التوسّل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنه توسّل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بعمه العباس.

ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولىٰ من التوسل بالعباس. فلما عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذّر بموته. بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائمًا فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتمّ الإيمان إلا به.

والثـــاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته. فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم. وإنما ينقل شيءٌ من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عن من ليس قوله حجة.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له.

وذلك بأداء فرائضه القلبية: كالحب له، وفيه، والخوف، والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة، والحج، والمركبة من ذلك: كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق، بالمال، والعلم، والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله. فكل هذه الأعمال، تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله، حتى يحبه، فإذا أحبه، كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ويستجيب الله له الدعاء.

ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو بذل الجهد في قتال الكافرين، بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله، بكل ما يقدر عليه العبد، لأن هذا النوع، من أجل الطاعات، وأفضل القربات، ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره، أحرى وأولى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إذا اتقيتم الله، بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله، ابتغاء مرضاته.

وقال الشنقيطي رحمه الله :

قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الآية ، اعلم أن جمهور العلماء علىٰ أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلىٰ الله تعالىٰ بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه علىٰ وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالىٰ ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلىٰ رضا الله تعالىٰ ، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة .

وأصل الوسيلة الطريق التي تقرب إلي الشيء ، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء ، لأنه لا وسيلة إلىٰ الله تعالي إلا باتباع رسوله ﷺ وعلىٰ هذا فالآيات المبينة للمراد من الوسيلة كثيرة جدًّا كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] ، وقوله : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢] ، إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالوسيلة الحاجة ، ولما سأله نافع الأزرق هل تعرف العرب ذلك؟ أنشد له بيت عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال يعني : لهم إليك حاجة ، وعلىٰ هذا القول الذي روي عن ابن عباس ، فالمعنىٰ : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ، واطلبوا حاجتكم من الله ، لأنه وحده هو الذي يقدر علىٰ إعطائها ، ومما يبين معنىٰ هذا الوجه قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧] الآية ، وقوله : ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢] الآية ، وفي الحديث : «**وإذا سألت فاسأل الله**» .

قال مقيده عفا الله عنه : التحقيق في معنىٰ الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالإخلاص له في العبادة ، علىٰ وفق

ما جاء به الرسول ﷺ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا، لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته.

وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخبط في الجهل والعمى وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنه: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣] إلى قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس: ١٨] فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع رسوله ﷺ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل، ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣] الآية.

والظاهر أن الوسيلة في بيت عنترة معناها التقرب أيضًا إلى المحبوب لأنه وسيلة لنيل المقصود منه، ولذا أنشد بيت عنترة المذكور ابن جرير، والقرطبي وغيرهما لهذا المعنى الذي ذكرنا وجمع الوسيلة: الوسائل، ومنه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون وعدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائل

وهذا الذي فسرنا به الوسيلة هنا هو معناها أيضًا في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية، وليس المراد بالوسيلة أيضًا المنزلة التي في الجنة التي أمرنا ﷺ أن نسأل له الله أن يعطيه إياها، نرجو الله أن يعطيه إياها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦].

ج: يوضح ذلك حديث رسول اللَّه ﷺ الذي أخرجه مسلمٌ وغيره، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا بن آدم، هل رأيت خيراً قطّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطّ؟ فيقول: لا واللَّه يا ربِّ. ويؤتَى بأشدِّ الناس بُؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة، فيُصبغُ صبغةً في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطّ؟ فيقول: لا واللَّه يا ربِّ، ما مرَّ بي بُؤْسٌ قط، ولا رأيت شدَّةً قط**»(١).

* * *

س: لماذا قُدِّم السارق على السارقة في الآية الكريمة؟

ج: ذلك واللَّه أعلم، لأن الرجل أجرأ على السرقة من المرأة.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

يقال: بدأ اللَّه بالسارق في هذه الآية قبل السارقة، وفي الزنى بالزانية قبل الزاني، ما الحكمة في ذلك؟

فالجواب أن يُقال: لَمَّا كان حب المال على الرجال أغلب، وشهوة الاستمتاع على النساء أغلب بدأ بهما في الموضعين، هذا أحد الوجوه في المرأة على ما يأتي بيانه في سورة «النور» من البداية بها على الزاني إن شاء اللَّه.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

س: لماذا قال تعالى: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ولم يقل يديهما؟

ج: طرح هذا السؤال القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ وأورد الجواب عليه فقال:

قوله تعالىٰ: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ لم قال أيديهما ولم يقل يديهما؟

تكلَّم علماء اللسان في ذلك ـ قال ابن العربي: وتابعهم الفقهاء علىٰ ما ذكروه حسن ظن بهم ـ فقال الخليل بن أحمد والفراء: كل شيء يوجد من خلق الإنسان إذا أضيف إلىٰ اثنين جمع، تقول: هشمت رءوسهما وأشبعت بطونهما، و﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، ولهذا قال: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل يديهما. والمراد فاقطعوا يمينًا من هذا ويمينًا من هذا، ويجوز في اللغة: فاقطعوا يديهما، وهو الأصل؛ وقد قال الشاعر فجمع بين اللغتين:

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ ظهراهما مِثلُ ظُهورِ التُّرسينِ

وقيل: فعل هذا لأنه لا يشكل، وقال سيبويه: إذا كان مفردًا قد يجمع إذا أردت به التثنية، وحكي عن العرب: وضعا رِحالهما. ويريد به رحلي راحلتيهما؛ قال ابن العربي: وهذا بناء علىٰ أن اليمين وحدها هي التي تقطع وليس كذلك، بل تقطع الأيدي والأرجل، فيعود قوله «أيديهما» إلىٰ أربعة: وهي جمع في الاثنين، وهما تثنية فيأتي الكلام علىٰ فصاحته، ولو قال: فاقطعوا أيديهم لكان وجهًا؛ لأن السارق والسارقة، لم يرد بهما شخصين خاصة، وإنما هما اسما جنس يَعُمَّان ما لا يُحصىٰ.

* * *

س: أي يدٍ تلك التي أمر اللَّه عزَّ وجل بقطعها؟

ج: هي اليد اليمنىٰ، ونقل ابن كثير رحمه اللَّه هذا الحكم عن جميع العلماء.

وقال القرطبي: لا خلاف أن اليمني هي التي تقطع أولاً.

* * *

س: إلى أين تُقطع اليد؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى:

فقال الكافّة: تُقطع من الرسغ، والرجل من المفصل، ويُحسم[1] الساق إذا قُطع.

* * *

س: هل جحد المتاع يقوم مقام السرقة؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما ـ وهو رأي الجمهور ـ: أنه لا يُقطع في جحد العارية.

الثاني: وهو رأي الإمام أحمد رحمه اللَّه، وابن حزم، أن اليد تُقطع في جحد العارية كما أنها تُقطع في السرقة.

ومنشأ الخلاف بسبب رواية أن امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده، فالذين صححوها ذهب فريقٌ منهم إلىٰ العمل بظاهرها، وذهب فريقٌ آخر إلىٰ تأويلها وتوجيهها.

والذين ضعفوها ورجحوا رواية: «**أن امرأة سرقت**» عليها، وحكموا علىٰ رواية «**تجحد**» بالشذوذ، ذهبوا من ثم إلىٰ أنه لا قطع في جحود العارية.

وقد أورد الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى هذا المبحث في شرحه للبخاري، وكان مما قاله هنالك ما يلي:

وقد اختلف نظر العلماء في ذلك، فأخذ بظاهره أحمد في أشهر الروايتين

---

(١) يحسم: أي: يوضع في الزيت المغلي لوقف الدم.

عنه، وإسحاق وانتصر له ابن حزم من الظاهرية، وذهب الجمهور إلىٰ أنه لا يقطع في جحد العارية وهي رواية عن أحمد أيضًا، وأجابوا عن الحديث بأن رواية من روىٰ «**سرقت**» أرجح، وبالجمع بين الروايتين بضرب من التأويل، فأمَّا الترجيح فنقل النووي أن رواية معمر شاذة مخالفة لجماهير الرواة، قال: والشاذة لا يُعمل بها. وقال ابن المنذر في الحاشية وتبعه المحب الطبري: قيل: إن معمراً انفرد بها، وقال القرطبي: رواية «**أنها سرقت**» أكثر وأشهر من رواية الجحد، فقد انفرد بها معمر وحده من بين الأئمة الحفاظ، وتابعه علىٰ ذلك من لا يُقتدىٰ بحفظه، كابن أخي الزهري ونمطه، هذا قول المحدثين.

قلت: سبقه لبعضه القاضي عياض، وهو يشعر بأنه لم يقف علىٰ روايته شعيب ويونس بموافقة معمر إذ لو وقف عليها لم يجزم بتفرّد معمر، وأن من وافقه كابن أخي الزهري ونمطه ولا زاد القرطبي نسبة ذلك للمحدثين إذ لا يعرف عن أحد من المحدثين أنه قرن شعيب بن أبي حمزة ويونس بن يزيد وأيوب بن موسىٰ بابن أخي الزهري، بل هم متفقون علىٰ أن شُعيبًا ويونس أرفع درجة في حديث الزهري من ابن أخيه، ومع ذلك فليس في هذا الاختلاف عن الزهري ترجيح بالنسبة إلىٰ اختلاف الرواة عنه إلا لكون رواية «**سرقت**» متفقًا عليها، ورواية «**جحدت**» انفرد بها مسلم، وهذا لا يدفع تقديم الجمع إذا أمكن بين الروايتين. وقد جاء عن بعض المحدثين عكس كلام القرطبي فقال: لم يختلف علىٰ معمر ولا علىٰ شعيب وهما في غاية الجلالة في الزهري، وقد وافقهما ابن أخي الزهري، وأما الليث ويونس وإن كانا في الزهري كذلك فقد اختلف عليهما فيه، وأما إسماعيل ابن أمية وإسحاق بن راشد فدون معمر وشعيب في الحفظ.

قلت: وكذا اختلف على أيوب بن موسى كما تقدَّم، وعلى هذا فيتعادل الطريقان ويتعين الجمع، فهو أولى من إطراح أحد الطريقين، فقال بعضهم كما تقدم عن ابن حزم وغيره: هما قصتان مختلفتان لامرأتين مختلفتين، وتعقب بأن في كل من الطريقين أنهم استشفعوا بأسامة، وأنه شفع، وأنه قيل له: «**لا تشفع في حدٍّ من حدود اللَّه**» فيبعد أن أسامة يسمع النهي المؤكد عن ذلك ثم يعود إلى ذلك مرة أخرى ولا سيما أن اتحد زمن القصتين، وأجاب ابن حزم بأنه يجوز أن ينسى، ويجوز أن يكون الزجر عن الشفاعة في حد السرقة تقدَّم فظن أن الشفاعة في جحد العارية جائز، وأن لا حدّ فيه فشفع فأجيب بأن فيه الحد أيضًا، ولا يخفى ضعف الاحتمالين.

وحكى ابن المنذر عن بعض العلماء أن القصة لامرأة واحدة استعارت وجحدت وسرقت فقطعت للسرقة لا للعارية، قال: وبذلك نقول. وقال الخطابي في «معالم السنن» بعد أن حكى الخلاف وأشار إلى ما حكاه ابن المنذر: وإنما ذكرت العارية والجحد في هذه القصة تعريفًا لها بخاص صفتها إذ كانت تكثر ذلك كما عرفت بأنها مخزومية، وكأنها لما كثر منها ذلك ترقت إلى السرقة وتجرَّأت عليها. وتلقف هذا الجواب من الخطابي جماعة، منهم البيهقي، فقال: تحمل رواية من ذكر جحد الجارية على تعريفها بذلك والقطع على السرقة، وقال المنذري نحوه، ونقله المازري ثم النووي عن العلماء.

وقال القرطبي: يترجح أن يدها قطعت على السرقة لا لأجل جحد العارية من أوجه: أحدها قوله في آخر الحديث الذي ذكرت فيه العارية «**لو أن فاطمة سرقت**» فإن فيه دلالة قاطعة على أن المرأة قطعت في السرقة، إذ لو كان قطعها لأجل الجحد لكان ذكر السرقة لاغيًا، ولقال: لو أن فاطمة جحدت العارية.

قلت: وهذا قد أشار إليه الخطابي أيضًا. ثانيها: لو كانت قطعت في جحد العارية لوجب قطع كل من جحد شيئًا إذا ثبت عليه ولو لم يكن بطريق العارية. ثالثها: أنه عارض ذلك حديث «**ليس على خائن ولا مختلس ولا منتهب قطع**» وهو حديث قوي[١].

قلت: وانظر إن شئت تتمة ما قاله الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه هنالك.

ويبدو لي واللَّه تعالىٰ أعلم، كوجهٍ من وجوه الجمع بين الروايتين رواية: «**كانت تستعير المتاع وتجحده**» ورواية: «**كانت تسرق**» أن استعارة المتاع وجحده كانت عادةً لها وصفة لها، ولكن قطع يدها كان بسبب السرقة، واللَّه تعالىٰ أعلم.

وهذا قول ابن عبد البر رحمه اللَّه تعالى في هذه المسألة، فقد قال رحمه اللَّه[٢]:

قال مالك في الذي يستعير العارية فيجحدها: إنه ليس عليه قطع، وإنما مثل ذلك مثل رجل كان له علىٰ رجلٍ دينٌ فجحده ذلك، فليس عليه فيما جحده قطعٌ.

قال أبو عمر[٣]: جمهور الفقهاء علىٰ ما قاله مالك، في المستعير الجاحد، أنه لا قطع عليه.

وهو قول أهل الحجاز والعراق، وأهل الشام، ومصر.

وقال أحمد بن حنبل وإسحاق: يُقطع.

قال أحمد: لا أعلم شيئًا يدفع حديث عائشة في ذلك.

---

(١) مع الفتح (١٣/ ٩٤) في بعدها.

(٢) الاستذكار (ج٢٤/ ٢٤٤).

(٣) أبو عمر هو ابن عبد البر.

قال أبو عمر: احتجّ من قال بهذا الحديث رواه معمر، ذكره عبدالرزّاق، وغيره، عن معمر، أنه أخبرهم عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كانت امرأةٌ مخزوميةٌ تستعير المتاع، وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلُها أسامة، فكلَّموه فكلَّم أسامة النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**يا أسامة، ألا أراك تتكلَّم في حدٍّ من حدود اللَّه عزَّ وجلَّ**» ثم قام النبي ﷺ خطيبًا فقال: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإن سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده، لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتُ يدها**».

فقطع يد المخزومية.

قال أبو عمر: احتج من قال بهذا الحديث بما فيه من قوله: كانت تستعير المتاع، وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها.

قالوا: فالظاهر أنه لم يقطع يدها، إلا لأنها كانت تستعير المتاع وتجحده.

قالوا: قد تابعه معمر على ما ذكرناه من ذلك ابن أخي الزهري، وغيره، وحسبك بمعمر في الزهري.

قالوا: وقد رواه عن نافع، عن صفية بنت أبي عُبيد، أن امرأة كانت تستعير المتاع، على عهد رسول اللَّه ﷺ وتجحده، ولا تردُّه، فأمر رسول اللَّه ﷺ بقطعها.

ورواه معمرٌ عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: كانت امرأةٌ مخزوميةٌ تستعير متاعًا على جارتها وتجحده، فأمر رسول اللَّه ﷺ بقطع يدها.

قال أبو عمر: من تدبَّر هذا الحديث علم أنه لم يقطع يدها إلا لأنها سرقت؛ لقوله ﷺ فيه لأسامة: «**ألا أراك تتكلَّم في حد من حدود اللَّه عزَّ وجلَّ**».

وليس للَّه عزَّ وجل في كتابه، ولا في المعروف من سنة نبيه ﷺ حدٌّ من حدوده فيمن استعار المتاع وجحده.

ودليلٌ آخر من الحدود، من حديث أيضًا؛ قوله ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه**».

وهذا يدلُّ على أنه إنما قطعها لسرقتها، لا لأنها كانت تستعير المتاع وتجحده، ولو كان ذلك لقال ﷺ: إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا استعار فيهم الشريف من المتاع وجحده تركوه.

هذا ما ظهر إليّ من ظاهر لفظ الحديث الذي احتجَّ به من رأى قطع المستعير الجاحد.

وقد روى هذا الحديث الليثُ بن سعد، عن الزهري بإسناده، وقال فيه: إن المخزومية سرقت، وقال في آخره: «**واللَّه، لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعت يدها**».

وهذا كله يوضح أن القطع إنما كان من أجل السرقة، لا من أجل جحد العارية من المتاع.

ويحتمل ـ واللَّه تعالى أعلم ـ أن تلك القُرشية المخزومية، كان من شأنها استعارةُ المتاع، وجحده فعُرِفت بذلك، ثم إنها سرقت، فقيل: المخزومية التي كانت تستعير المتاع، وتجحده، قطع رسول اللَّه ﷺ يدها، يعنون في السرقة ـ واللَّه أعلم.

* * *

س: هل تجوز الشفاعة في السارق ما لم يصل أمره إلى الحاكم؟

ج: أجاز ذلك فريقٌ من أهل العلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى في شرحه لحديث المرأة المخزومية التي سرقت[١] :

وفي هذا الحديث من الفوائد: منع الشفاعة في الحدود، وقد تقدَّمت في الترجمة الدلالة على تقييد المنع بما إذا انتهى ذلك إلى أولي الأمر، واختلف العلماء في ذلك، فقال أبو عمر بن عبد البر: لا أعلم خلافًا أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته.

وذكر الخطابي وغيره عن مالك أنه فرق بين من عرف بأذى الناس ومن لم يعرف، فقال: لا يشفع للأول مطلقًا سواء بلغ الإمام أم لا، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام.

❊ ❊ ❊

س: هل للسرقة نصاب معتبر؟ وقدر كم هذا النصاب إن وجد؟

ج: نعم، للسرقة نصاب معتبر عند جمهور أهل العلم، وقولهم الأصح الأرجح، واللَّه أعلم.

● أما الظاهرية، فطائفة منهم تذهب إلى أنه متى سرق السارق شيئًا قُطعت يده به، سواء كان قليلاً أو كثيراً.

● أما قدر النصاب، فالظاهر أنَّه ربع دينار فصاعداً، لحديث رسول اللَّه ﷺ: «**تُقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً**»[٢].

أما الوارد عن رسول اللَّه ﷺ من أنه قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم[٣] فمحمول على أن الدراهم الثلاث تعدل ربع دينار.

❊ ❊ ❊

(١) (حديث ٦٧٨٨) في «صحيح البخاري». (٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٩) و (٦٧٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦٧٩٥) ومسلم (١٦٨٦).

س: كيف وجَّه الجمهور من العلماء حديث رسول اللَّه ﷺ «لعن اللَّه السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقد أجاب الجمهور عمَّا تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة: «**يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[1] بأجوبة:

أحدها: أنه منسوخ بحديث عائشة[2]، وفي هذا نظر؛ لأنه لا بد من بيان التاريخ.

والثاني: أنه مُؤوَّل ببيضة الحديد وحبل السفن، قاله الأعمش فيما حكاه البخاري وغيره عنه.

والثالث: أن هذه وسيلة إلىٰ التدرج في السرقة من القليل إلىٰ الكثير الذي تقطع فيه يده، ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الإخبار عمَّا كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير، فلعن السارق الذي يبذل يده الثمينة في الأشياء المهينة.

قلت: وأورد القرطبي نحواً مما ذُكر، واختار الوجه الثاني إذ قال ـ بعد أن ذكر وجوهًا:

وأحسن من هذا ما قاله الأعمش، وذكره البخاري في آخر الحديث كالتفسير قال: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل كانوا يرون أنه منها ما يساوي دراهم.

قلت: كحبال السفينة وشبه ذلك، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري (٦٧٨٣) ومسلم (١٦٨٧).

(٢) حديث عائشة مرفوعًا «تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا» وقد تقدم.

س: هل يُشترط أن يكون المسروق شيئًا مُحرزًا؟

ج: نعم، يلزم أن يكون مُحرزًا[١]، بمعنى أنه لو وجد شيئًا في الطريق فأخذه لا يتعين القطع.

قال القرطبي رحمه اللَّه: اتفق جمهور الناس على أن القطع لا يكون إلا على من أخرج من حِرز ما يجب فيه القطع.

قال الشيخ السعدي رحمه الله

وحد اليد عند الإطلاق: من الكوع، فإذا سرق، قطعت يده من الكوع، وحسمت في زيت، لتنسد العروق فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية، من عدة أوجه: منها: الحرز، فإنه لابد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز، فلا قطع عليه.

ومنها: أنه لابد أن يكون المسروق نصابًا: وهو: ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك، فلا قطع عليه. ولعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة ومعناها.

فإن لفظ: «السرقة» أخذ الشيء، على وجه لا يمكن الاحتراز منه. وذلك أن يكون المال محرزًا. فلو كان غير محرز، لم يكن ذلك سرقة شرعية. ومن الحكمة أيضًا أن لا تقطع اليد، في الشيء النزر التافه، فلما كان لابد من التقدير، كان التقدير الشرعي، مخصصًا للكتاب (أي: آية السرقة).

* * *

(١) قال القرطبي رحمه الله: الحِرْز هو ما نُصب عادة لحفظ أموال الناس.
وهو يختلف في كل شيءٍ بحسب حاله وقال أيضًا: والقبر والمسجد حِرْزٌ فيقطع النباش عند الأكثر وقال أيضًا: وظهور الدواب حرز. لما حملت، وأقنية الحوانيت حرزٌ لما وضع فيها في موقف البيع، وإن لم يكن هناك حانوت كان معه أهله أم لا، سرقت بليل أو نهار.

س: هل يُلزم السارق برد ما سرقه أو برد قيمته مع القطع، أم لا؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن السارق يلزم برد ما سرقه مُعسرًا كان أو موسرًا، قطعت يده أم لم تُقطع، وهو قول الشافعي رحمه اللَّه تعالى، نقله عنه القرطبي.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن العين إذا كانت قائمة ردَّها، وإن تلفت وكان موسرًا ألزم برد قيمتها، وإن كان مُعسرًا لم يُتبع دينًا ولم يكن عليه شيء، نقله القرطبي عن مالك رحمه اللَّه.

* * *

س: ما شأن المخزومية هذه وما قصتها؟

ج: شأنها أنها امرأة من بني مخزوم، وهي قبيلة لها شأن كبير، وكانت هذه المرأة قد سرقت.

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عن عائشة رضي اللَّه عنها، أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يُكلِّم فيها رسول اللَّه ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول اللَّه ﷺ. فكلَّم رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدود اللَّه؟!**» ثم قام فخطب فقال: «**يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايمُ اللَّه، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٌ يدها**».

* * *

(١) البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨).

س: إذا قُطعت يد السارق فهل يُكفَّر عنه الذنب؟

ج: نعم، يُكفَّر عنه الذنب، في «الصحيحين»[١] من حديث عبادة ابن الصامت رضي اللَّه عنه قال: بايعت رسول اللَّه ﷺ في رهطٍ فقال: «**أبايعكم على أن لا تُشركوا باللَّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا أولادَكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على اللّه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**».

* * *

س: هل القطع يسقط بالتوبة؟

ج: القطع لا يسقط بالتوبة.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [المائدة: ٤٠]؟

ج: وجه ذلك أن يحمل جوابًا على اعتراض من قد يعترض فيقول: لماذا تقطع يد السارق، والذي سرقه قد لا يتجاوز واحداً بالمائة من قيمة دية اليد[٢].

---

(١) البخاري (٦٨٠١) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) كالمنسوب إلى أبي العلاء المعري، إذ قد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالاً على الفقهاء، في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار، ونظم في ذلك شعراً دل علي جهله وقلة عقله، فقال:

يد بخمس مئين عسجد وُدِيَتْ ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

ولما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء، فهرب منهم، وقد أجابه الناس في ذلك، فكان =

أما القرطبي رحمه اللَّه فقد قال:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ وغيره؛ أي: لا قرابة بين اللَّه تعالىٰ وبين أحد توجب المحاباة حتىٰ يقول القائل: نحن أبناء اللَّه وأحباؤه، والحدود تُقام علىٰ كل من يُقارف موجب الحد، وقيل: أي: له أن يحكم بما يريد؛ فلهذا فرّق بين المحارب وبين السارق غير المحارب.

* * *

= جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله، أنه قال: لما كانت أمينة، كانت ثمينة، ولما خانت هانت، ومنهم من قال: هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار، لئلا يجنىٰ عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار؛ لئلا يتسارع الناس في سرقة الأموال، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب، ولهذا قال: ﴿جزاء بما كسبا نكالاً من الله، والله عزيز حكيم﴾ [المائدة: ٣٨] أي: مجازاة علىٰ صنيعهما السيئ في أخذهما أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ
ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ
يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا
هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ - الَّذِينَ هَادُوا - سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ - سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ - لَمْ يَأْتُوكَ - يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ - إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا - فَخُذُوهُ - فَاحْذَرُوا - فِتْنَتَهُ - خِزْيٌ - لِلسُّحْتِ - بِالْقِسْطِ - الْمُقْسِطِينَ - نُورٌ - أَسْلَمُوا - وَالرَّبَّانِيُّونَ - الْأَحْبَارُ - اسْتُحْفِظُوا - فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾	يتسارعون إلي الكفر بك وجحود نبوتك، والكفر بما جئت به.
﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾	اليهود.
﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾	قابلون للكذب مستجيبون له، سمّاعون من أجل الكذب، (ليزيدوا على قولك - ليكذبوك - وليفتروا عليك).
﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾	مطيعون لقومٍ آخرين - مستجيبون لقومٍ آخرين - يستمعون لنقل الكلام لقومٍ آخرين.
﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾	لم يحضروا مجلسك.
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾	يغيرِّون حكم الله الذي أنزله في التوراة[1] - يتأولونه على غير تأويله.

(١) ومن ذلك تحريفهم حد الزاني المحصن من الرجم إلى التحميم.

(٢) كقوله: ﴿ولكن البر من آمن﴾ فمعناه ولكن البر برُّ من آمن.

الكلمة	معناها
﴿ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾	من بعد وضع الله ذلك الحكم في مواضعه [٢] .
﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾	إن حكم له به فاقبلوه
﴿ فَاحْذَرُوا ﴾	فاحذروا قبوله واتباعه، وارفضوه .
﴿ فِتْنَتَهُ ﴾	صرفه عن الحق [١] ـ عذابه ـ غوايته وإضلاله .
﴿ خِزْيٌ ﴾	ذلٌ وهوان .
﴿ لِلسُّحْتِ ﴾	الحرام[٢] ـ الرشوة في الحكم [٣] .
﴿ بِالْقِسْطِ ﴾	بالحق والعدل
﴿ الْمُقْسِطِينَ ﴾	العادلين في الأحكام ـ القائمين بالحق .
﴿ نُورٌ ﴾	جلاء وإيضاح لما أظلم عليهم والتبس عليهم .
﴿ أَسْلَمُوا ﴾	أذعنوا لحكم الله وأقروا به .
﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ ﴾	العلماء العُبَّاد ـ معلمو الخير ـ الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم، وهي جمع رباني .
﴿ الأَحْبَارُ ﴾	العلماء ـ القراء والفقهاء .
﴿ اسْتُحْفِظُوا ﴾	استُودعوا ـ جُعلوا حفظة ـ حملوه في قلوبهم وصدورهم .
﴿ فَلا تَخْشَوُا ﴾	فلا تخافوا الناس .

(١) ومنه ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ أي : بصارفين عن الحق والإسلام .

(٢) أي كل أنواع المال الحرام .

(٣) أي أنهم يقبلون الرشوة من أجل تبديل الأحكام، فالسحت على هذا هو المال المدفوع للقضاة والحكام .

س: من هؤلاء الذين يسارعون في الكفر؟

ج: هؤلاء هم اليهود وأهل النفاق.

* * *

س: كيف لا يُحزنه ذلك، وقد عُلم أن المسلم يفرح بهداية الناس ويأسف على كفرهم وضلالهم؟

ج: الظاهر والله أعلم: أن النهي عن الحزن إنما هو نهيٌ عن المبالغة في الحزن والتأسف والهلكة من أجل كفرهم، كما قال تعالى: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: ٣]، وكما قال سبحانه: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف: ٦]، أي: مهلك نفسك.

ونحوه: ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ [فاطر: ٨].

والله أعلم.

* * *

س: هل سُمِّي أحدٌ من هؤلاء المسارعين في الكفر في خبر ثابت؟

ج: لم أقف على سند ثابت بذكر أحد هؤلاء باسمه، ولكن من العلماء من قال: إن منهم ابن صوريا، وقد ورد ذكره في خبر ضعيف الإسناد، أخرجه الطبري[1] وفيه أن النبي ﷺ قال: «**يا بن صوريا، أنشدك الله وأذكرك أياديه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟**» فقال: اللهم نعم! أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعلمون أنك نبي مرسلٌ، ولكنهم يحسدونك. فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده، في بني غنم بن مالك بن النجار، ثم كفر بعد ذلك ابن

(١) الطبري (١١٩٢١)، وفي سنده ضعف.

صوريا، فأنزل اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

* * *

س: بيِّن سبب نزول الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ...﴾ [المائدة: ٤١].

ج: أخرج مسلم في «صحيحه»[1] من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهوديٍّ مُحمَّمًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: «**هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟**» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «**أنشُدك باللَّه الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكُنَّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**» فأمر به فرُجم، فأنزل اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: ائتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلُّها.

---

(١) حديث (١٧٠٠).

وأخرج أبو داود[١] من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قُتل به، وإذا قتل رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة فودي بمائة وسق من تمرٍ، فلمَّا بُعث النبي ﷺ قتل رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأتوه، فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]، ـ والقسط: النفس بالنفس ـ ثم نزلت: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال أبو داود: قريظة والنضير جميعًا من ولد هارون النبي عليه السلام.

* * *

س: ما فائدة إخبار الله عزَّ وجل لنبيه ﷺ بأن الذين هادوا سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت؟

ج: فائدة ذلك تعزية رسول اللَّه ﷺ ومواساته، وتصبيره على ما يناله من أذى اليهود وتكذيبهم له مع علمهم بصدقه، فهم كذبةٌ وخونةٌ، فهم وإن كذبوك فهم للكذب أهلٌ، وأهلٌ أيضًا لاستحلال الحرام، وأهلٌ لأكل أموال الناس بالباطل، وأهلٌ للرشوة، فمن ثمَّ فلا بأس أن يصدر منهم الكذب وأن تأتي من قبلهم الخيانة تلو الخيانة، وأن تكتشف منهم المكر بعد المكر، وكما هو معلوم فإن الكذب إذا صدر من كذاب فإن الخطب يكون أيسر، والحزن أخفُّ. وكذا إذا صدرت الخيانة من خائن، فإن ذلك أمرٌ غير مستغربٌ ولا مستنكر.

* * *

(١) أبو داود (٤٤٩٤) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة وللحديث شواهد فيها ضعف، وقد قواها الحافظ ابن كثير بأن الآية الكريمة التي بعدها فيها ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥]..

س: ما المراد بالكذب في قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢]؟

ج: المراد أنهم قابلون لما افتراه رؤساؤهم وكبراؤهم وعلماؤهم، مقرُّون به مذعنون له، وذلك ما استحدثه هؤلاء العلماء، والكبار والرؤساء في حكم الزاني من أنه التحميم وليس الرجم.

● وأيضًا قابلون لقول من قال: إن محمداً ﷺ كذاب وليس بنبي.

وعمومًا، فإنهم سمَّاعون للأباطيل والإفك، قابلون لها.

❊ ❊ ❊

س: القرآن من عند الله، والتوراة من عند الله فلما حُفظ القرآن، وحُرفت التوراة؟

ج: أورد الشنقيطي نحو هذا، وأجاب عليه فقال: هنالك في تفسيره «أضواء البيان».

إن قيل: ما الفرق بين التوراة والقرآن، فإن كلاً منهما كلام الله أنزله على رسول من رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والتوراة حرفت؛ وبدلت كما بيناه آنفًا، والقرآن محفوظ من التحريف والتبديل؛ ولو حرف منه أحد حرفًا واحداً فأبدله بغيره، أو زاد فيه حرفًا أو نقص فيه آخر لرد عليه آلاف الأطفال من صغار المسلمين فضلاً عن كبارهم.

فالجواب: أن الله استحفظهم التوراة؛ واستودعهم إياها؛ فخانوا الأمانة ولم يحفظوها، بل ضيعوها عمداً.

والقرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكنه تضييعه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة، كما أوضحه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:٤٢] الآية، إلى غير ذلك من الآيات و «الباء» في قوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ [المائدة:٤٤] متعلقة بالرهبان والأحبار، لأنهم إنما صاروا في تلك المرتبة بسبب ما استحفظوا من كتاب الله.

* * *

س: قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة:٤١] إشارة إلى ماذا؟

ج: هذا إشارة إلى الجلد والتحميم بدلاً من الرجم، فالمعنى، إن حكم لكم محمدٌ ﷺ بالتحميم والجلد بدلاً من الرجم فاقبلوا حكمه، وإلا فلا.

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

ويعني بقوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ يقول: هؤلاء الباغون السماعون للكذب: إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم في صاحبنا ﴿فَخُذُوهُ﴾ يقول: فاقبلوه منه، وإن لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم ﴿فَاحْذَرُوا﴾.

* * *

س: ما المراد بالفتنة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة:٤١] وما وجه التذكير بهذه الآية؟ وضح معنى الآية باختصار.

ج: أما المراد بالفتنة في الآية الكريمة فهو الإضلال عن قصد السبيل، والصرف عن طريق الحق.

ووجه التذكير بذلك تسلية النبي ﷺ، وذلك بإخباره بأن المهتدي من هداه اللَّه، والغويَّ من أغواه اللَّه، فمن ثمَّ فلا تحزن ولا تضجر، فلو شاء اللَّه لهداهم أجمعين، ولكن سبحانه يتفضل بالهداية على من يشاء من خلقه.

أما الآية فمعناها: ومن يرد اللَّه صرفه عن طريق الهداية وإضلاله عنه وإغواءه فلن تملك له استنقاذًا من الضلالة والحيرة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من اليهود الذين وصفت لك صفتهم، وإن مسارعتهم إلى ذلك أن اللَّه قد أراد فتنتهم، وطبع على قلوبهم، ولا يهتدون أبدًا ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، يقول: هؤلاء الذين لم يرد اللَّه أن يطهر من دنس الكفر ووسخ الشرك قلوبهم، بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان، فيتوبوا، بل أراد بهم الخزي في الدنيا، وذلك الذل والهوان، وفي الآخرة عذابُ جهنَّم خالدين فيها أبدًا.

* * *

س: ما صحة الخبر الوارد عن رسول اللَّه ﷺ في تفسير السحت بأنه الرشوة في الحكم؟ اذكر أيضًا تعريف السحت بشيء من التفصيل.

ج: ذاك خبر ضعيف الإسناد لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وأصل السحت: كَلَبُ الجوع، يقال منه: «فلان مسحوت المعِدة»، إذا كان أكولاً لا يُلفَىٰ أبدًا إلاَّ جائعًا، وإنما قيل للرشوة «السحت» تشبيهًا بذلك، كأنَّ بالمسترشي من الشره إلىٰ أخذ ما يُعطاه من ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلىٰ الطعام، يقال منه: «سحته، وأسحته» لغتان محكيتان عن العرب، ومنه قول الفرزدق بن غالب:

وَعَضُّ زمانٍ يا بنَ مَروانَ لم يَدَعْ ... من المالِ إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ

يعني بـ«المسحت» الذي قد استأصله هلاكًا بأكله إياه وإفساده، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١]، وتقول العرب للحالق: «اسحَتِ الشعر» أي: استأصله.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَإِن جَاءُوكَ﴾ [المائدة: ٤٢] جاءوك لماذا؟

ج: جاءوك طالبين منك أن تحكم بينهم.

* * *

س: هل التخيير في قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] منسوخ أم محكم؟

ج: قال بعض العلماء: إن الآية محكمة ليست بمنسوخة، وأورد الطبري عدة آثار بذلك، منها أثر قتادة[1] قوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ يقول: إن جاءوك فاحكم بينهم بما أنزل اللَّه، أو أعرض عنهم. فجعل اللَّه له في ذلك رُخصة، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم.

وصحَّ عن عكرمة والحسن البصري القول بالنسخ.

---

(١) الطبري (١١٩٨٤).

أما الطبري رحمه اللَّه تعالى فقد قال:

وأولىٰ القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: إن حكم هذه الآية ثابتٌ لم ينسخ، وأن للحكام من الخيار في الحكم بين أهل العهد إذا ارتفعوا إليهم فاحتكموا، وترك الحكم بينهم والنظر، مثلُ الذي جعله اللَّه لرسوله ﷺ من ذلك في هذه الآية.

وإنما قلنا ذلك أولاهما بالصواب؛ لأن القائلين إن حكم هذه الآية منسوخ، زعموا أنه نسخ بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩] وقد دللنا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام» أن النسخ لا يكون نسخًا إلا ما كان نفيًا لحكم غيره بكلِّ معانيه، حتىٰ لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعًا علىٰ صحته بوجه من الوجوه، بما أغنىٰ عن إعادته في هذا الموضع.

وإذ كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل في الكلام أن يقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، ومعناه: وأن احكم بينهم بما أنزل اللَّه إذا حكمت بينهم، باختيارك الحكم بينهم، إذا اخترت ذلك، ولم تختر الإعراض عنهم، إذ كان قد تقدَّم إعلام المقول له ذلك من قائله: إنّ له الخيار في الحكم وترك الحكم كان معلومًا بذلك أن لا دلالة في قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أنه ناسخٌ قوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة:٤٢]، لما وصفنا من احتمال ذلك ما بيَّنَّا، بل هو دليل علىٰ مثل الذي دلَّ عليه قوله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾.

وإذ لم يكن في ظاهر التنزيل دليلٌ علىٰ نسخ إحدىٰ الآيتين الأخرىٰ، ولا نفي أحد الأمرين حكم الآخر، ولم يكن عن رسول اللَّه ﷺ خبرٌ يصحُّ بأن

أحدهما ناسخ صاحبَه ولا من المسلمين على ذلك إجماعٌ صحَّ ما قلنا من أن كلا الأمرين يؤيد أحدهما صاحبه، ويوافق حكمُه حكمَه، ولا نسخ في أحدهما للآخر.

* * *

س: لماذا أعطى رسول اللَّه ﷺ حق الإعراض عنهم كما في قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؟

ج: أُعطي النبي ﷺ هذا الحق لأن هؤلاء اليهود لا يقصدون الحق بالتحاكم إلى النبي ﷺ بل يريدون ما وافق أهواءهم، ثم إن التوراة بين أيديهم، وهم يزعمون أنهم يتديَّنون بها، ومع ذلك فهم يحرفونها، فكيف يعدلون عنها ويذهبون إلى ما يعتقدون بطلانه وعدم لزومه لهم وهو القرآن.

ومن ثمَّ فإن اللَّه تعالى قال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٤].

* * *

س: ما وجه الثناء على التوراة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]؟

ج: هذا ثناء على التوراة التي أعرض عنها اليهود مع زعمهم أنهم يتبعونها، فحتى لا يظن ظانٌّ لكون اليهود قد ذمهم الله عزّ وجلّ وذم صنيعهم أن التوراة قد ذُمَّت، فدُفع هذا الظن وبُيِّن فضل التوراة وفضل المستمسكين بها، وهذا إلى مبعث رسول اللَّه ﷺ.

أما بعد مبعث النبي ﷺ فالتمسك إنما هو بالقرآن، مع الإيمان بالتوراة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

س: العدل في الأحكام واجب، وإن كان المتحاكمون إليك كفارًا، وضح ذلك.

ج: إيضاحه، أن اللَّه تبارك وتعالىٰ قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] فأمر بالعدل والقسط، مع أن المقضي عليهم يهود.

● وأيضًا قد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

والأدلة في هذا الباب كثيرة معلومة.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني تعالىٰ ذكره: وكيف يحكمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم، فيرضون بك حكمًا بينهم، ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ﴾ [المائدة: ٤٣] التي أنزلتها علىٰ موسىٰ، التي يقرُّون بها أنها حقٌّ، وأنها كتابي الذي أنزلته إلىٰ نبيي، وأن ما فيه من حكم فمن حكمي، يعلمون ذلك لا يتناكرونه ولا يتدافعونه، ويعلمون أن حكمي فيها علىٰ الزاني المحصن الرجم، وهم مع علمهم بذلك ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾، يقول: يتركون الحكم به، بعد العلم بحكمي فيه، جراءة عليّ وعصيانًا لي.

وهذا، وإن كان من اللَّه تعالىٰ ذكره خطابًا لنبيه ﷺ، فإنه تقريعٌ منه لليهود الذين نزلت فيهم هذه الآية، يقول لهم تعالىٰ ذكره: كيف تقرّون، أيها اليهود بحكم نبيي محمد ﷺ، مع جحودكم نبوته وتكذيبكم إياه،

وأنتم تتركون حكمي الذي تقرّون به أنه حقٌّ عليكم واجبٌ، جاءكم به موسىٰ من عند اللَّه؟ يقول: فإذ كنتم تتركون حكمي الذي جاءكم به موسىٰ الذي تُقرّون بنبوته في كتابي، فأنتم بترك حكمي الذي يخبركم به نبيي محمد أنه حكمي أحرىٰ، مع جحودكم نبوَّته.

* * *

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]؟

ج: قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] أي: إرشاد إلىٰ الحق ﴿وَنُورٌ﴾ أي: إظهار لما انْبَهَمَ من الأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤] من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤] أي: الذين كانوا مسلمين من لدن موسىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهم السلام. وسنذكر سرّ هذه الصفة ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] وهم اليهود. (وهاد) بمعنىٰ تاب ورجع إلىٰ الحق.

قال المهايميّ: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: لا لمن يأتي بعدهم. ولم يختص بالحكم بها الأنبياء بل يحكم بها ﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾ أي: الزهاد العبّاد ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ أي: العلماء الفقهاء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: بسبب الذي استودعوه من كتاب الله أن يحفظوه من التغيير والتبديل وأن يقضوا بأحكامه. والضمير في ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ للأنبياء والربانيين والأحبار جميعًا. ويكون الاستحفاظ من الله، أي: كلفهم حفظه. أو للربانيين والأحبار، ويكون الاستحفاظ من الأنبياء ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: رقباء يحمونه من أن يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه. أو بأنه حق وصدق من عند الله. فَمُعَلِّمُو اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتون ولا

يقضون إلا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها؛ لشيوعه وتداوله وتواتر العمل به.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ﴾ علىٰ موسىٰ بن عمران، عليه الصلاة والسلام.

﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي إلي الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة.

﴿وَنُورٌ﴾ يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات، والشهوات كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ بين الذين هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوىٰ.

﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ لله، وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم، أعظم من إسلام غيرهم، صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام، والسادة للأنام، قد اقتدوا بها، وائتموا، ومشوا خلفها، فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود، من الاقتداء بها؟ وما الذي أوجب لهم، أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد ﷺ، الذي لا يقبل عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار الباطل، أولئك أئمة الضلال، الذين يدعون إلىٰ النار.

وقوله: ﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ أي: وكذلك يحكم بالتوراة الذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين، الذين يربون الناس

بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين.

﴿وَالأَحْبَارُ﴾ أي: العلماء الكبار الذين يقتدىٰ بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أممهم. وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ أي: بسبب أن الله استحفظهم علىٰ كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه، من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه، وهم شهداء عليه، بحيث أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه علىٰ الناس منه. فالله تعالىٰ قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا. وأن لا يقتدوا بالجهال، في الإخلاد إلي البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا علىٰ مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم، سلموا ونجوا، وأما أهل العلم، فكما أنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم علىٰ ما يحتاجون إليه، من أمور دينهم، خصوصًا الأمور الأصولية، والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم ولهذا قال: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [المائدة: ٤٤] فتكتموا الحق، وتظهروا الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات، إذا سلم منها العالم، فهو من توفيقه. وسعادته بأن يكون همه، الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم، أن الله قد استحفظه بما أودعه من العلم، واستشهده عليه وأن يكون خائفًا من ربه. ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم، من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا علىٰ الدين. كما أن علامة شقاوة العالم، أن يكون مخلدًا للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه. قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشىٰ في أحكامه، وأخذ المال علىٰ

فتاويه، ولم يعلم عباد الله، إلا بأجرة وجعالة، فهذا قد منّ الله عليه بمنة عظيمة، كفرها، ودفع حظًّا جسيمًا، حرم منه غيره.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَالنَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ دليلٌ على أن الأنبياء كانوا على الإسلام دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].
- وقول يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].
- قول ملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وأما قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾، فإنه يعني: أن الربانيين والأحبار بما استودعوا من كتاب اللَّه يحكمون بالتوراة مع النبيين الذين أسلموا للذين هادوا، وكانوا على حكم النبيين الذين أسلموا للذين هادوا شهداء أنهم قضوا عليهم بكتاب اللَّه الذي أنزله على نبيه موسى وقضائه عليهم.

قلت: وكإيضاحٍ للمعنى: فالربانيون والأحبار يحكمون بين الذين هادوا بالتوراة كما أن النبيين الذين جاءوا من قبلهم حكموا بها، ويشهد هؤلاء الربانيون والأحبار أن الأنبياء قضوا بكتاب اللَّه بين أممهم.

ومن العلماء من قال: إن قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي أن الربانيين والأحبار كانوا على رسول الله ﷺ شهداء بأنه نبي من عند الله، أتته اليهود ليقضي بينهم، فقضى بينهم بكتاب الله، والله أعلم.

* * *

س: هل امتثل الربانيون والأحبار أمر الله عز وجل وحفظوا ما كلفوا بحفظه؟

ج: أورد الشنقيطي نحو هذا فقال في كتابه «الأضواء» قوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ الآية.

أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأحبار والرهبان استحفظوا كتاب الله يعني استودعوه، وطلب منهم حفظه، ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفظوه، أو لم يمتثلوا الأمر في ذلك وضيعوه؟ ولكنه بين في مواضع أخر أنهم لم يمتثلوا الأمر، ولم يحفظوا ما استحفظوه، بل حرفوه وبدلوه عمداً كقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية.

وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ [الأنعام:٩١] وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩] الآية، وقوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٧٨] الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: لا تأخذوا مقابل تحريف الكتاب ومقابل تبديل الحق عوضاً خسيساً.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: ومن كتم حُكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكمًا بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة، وفي بعض بنصف الدية، وفي الأشراف بالقصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوَّى اللَّه بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل اللَّه في كتابه، ولكن بدلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحق الذي أنزله في كتابه ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: هم الذين ستروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينه، وغطَّوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به، لسحتٍ أخذوه منهم عليه.

* * *

س: هل هذه الآية الكريمة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في الكفار، أم في المسلمين، أم هي عامَّة؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآيات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] كلها في الكافرين من أهل الكتاب، ومن حجج القائلين بذلك أن سياق الآيات الكريمات إنما هو في أهل الكتاب.

ومن حججهم أيضًا: ورود خبر بذلك عن رسول اللَّه ﷺ لفظه في الكافرين كلها، لكنه خبرٌ ضعيف الإسناد، أخرجه الطبري، وفي السند

عنده ابن وكيع، وهو: سفيان بن وكيع، وقد ضُعِّف لورَّاقِ السوء الذي كان عنده.

هذا، ومن القائلين بأن الآية في الكفار عددٌ من العلماء، وهم أكثر العلماء[1] منهم أبو مجلز لاحق بن حميد، فعند الطبري[2] بسندٍ صحيح عن عمران بن حُدير قال: أتىٰ أبا مجلز ناسٌ من بني عمرو بن سدوس فقالوا: يا أبا مجلز، أرأيت قول اللَّه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] أحقٌّ هو؟ قال: نعم! قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] أحقٌّ هو؟ قال: نعم! قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] أحقٌّ هو؟ قال: نعم! قال: فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل اللَّه؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدْعون، فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبًا، فقالوا: لا والله، ولكنَّك تَفرَق! قال: أنتم أولىٰ بهذا مني، لا أرىٰ، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرَّجون، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارىٰ وأهل الشرك، أو نحواً من هذا[3].

وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه فقد قال بعد إيراد جملة من الأقوال: وأولىٰ هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب؛ لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها، وهذه الآيات سياقُ الخبر عنهم فكونُها خبراً عنهم أولىٰ.

فإن قال قائلٌ: فإن الله تعالىٰ ذكره قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع من لم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالىٰ: وعلىٰ هذا المعُظم

(٢) الطبري (أثر ١٢٠٢٥).

(٣) والظاهر أن الذين أتوه هؤلاء من الخوارج من الإباضية كما أوضحتهم الروايات الأُخر وإن كان في سند الروايات الأُخر مقال.

يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًّا؟

قيل: إن الله تعالىٰ عمّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم علىٰ سبيل ما تركوه، كافرون، وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس؛ لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوّة نبيه بعد علمه أنه نبي.

ويتأيَّد هذا بسبب نزول الآية الكريمة، الذي أخرجه مسلم[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما وتقدّم قريبًا، ففيه أن الآية الكريمة نزلت في شأن اليهود.

وذهب بعض العلماء إلىٰ أن الآيات، وإن كان سياقها في بني إسرائيل إلا أن الله عز وجل رضي بها لهذه الأمة وهي علينا واجبة، فصحّ عن إبراهيم النخعي عن الطبري[2] وغيره أنه قال في هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] أنه قال: نزلت في بني إسرائيل، ثم رضي بها لهؤلاء، وفي رواية: ورضي لهذه الأمة بها.

وأخرج الطبري[3] بسند صحيح عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال: من السحت. قال: فقالا: أفي الحُكم؟ قال: ذاك الكفر. ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

- وذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا

---

(١) مسلم (حديث ١٧٠٠).

(٢) الطبري (١٢٠٥٩).

(٣) الطبري (١٢٠٦١) وفي عبد الملك بن أبي سليمان بعض الكلام.

أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] هذا في المسلمين، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] هذا في اليهود، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في النصارىٰ.

وممن قالوا بهذا القول الشعبي رحمه اللَّه تعالىٰ، فقد صحّ الإسناد بذلك إليه عند الطبري وغيره[١].

ولا أدري ما وجه هذا الكلام ولا مستنده.

● وذهب فريقٌ من العلماء إلىٰ أن الآيات عامّة في المسلمين وغيرهم، ولكن ثمّ تفصيل، فقال بعضهم: إن الكفر هنا كفر دون كفر، أي: ليس بكفرٍ مخرج من الملة، وكذا ظلم دون ظلم، وكذا الفسق دون الفسق الأكبر المخرج من الملة.

أخرج الطبري[٢] وغيره بإسناد صحيح، عن عطاء رحمه اللَّه في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، قال: كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم.

● وصحّ عن طاوس[٣] عن الطبري وغيره ـ أنه قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: ليس بكفر ينقل عن الملة، وفي لفظ: وليس كمن كفر باللَّه وملائكته وكتبه ورسله[٤].

---

(١) الطبري (١٢٠٤٣)، (١٢٠٤٢).

(٢) الطبري أثر (١٢٠٤٧) ط. شاكر. (٣) الطبري (أثر ١٢٠٥٢)، (١٢٠٥٤).

(٤) قال القرطبي رحمه الله معقبًا علىٰ هذا: وهذا يختلف إن حكم بما عنده علىٰ أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوىً ومعصيةً فهو ذنب تدركه المغفرة علىٰ أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين.

• وصح أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري[١] وغيره ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: «هي به كفرٌ، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله».

وأخرج الحاكم[٢] من طريق هشام بن حجير عن طاوس قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] كفرٌ دون كفر».

وقال الحاكم هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرجه ابن أبي حاتم[٣] من طريق هشام بن حجير، عن طاوس عن ابن عباس مقتصراً على قوله: «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه».

وفي بعض الروايات عنه: «هي كبيرة»[٤].

• وذهب بعض العلماء إلى تفصيلٍ آخر قريب في المعنى مما سبق، فقالوا: من جحد ما أنزل اللَّه فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق، وهذا منقول أيضًا عن ابن عباس، ولكن في إسناده عند الطبري ضعفٌ[٥].

---

(١) الطبري (١٢٠٥٣) طبعة الشيخ شاكر رحمه الله.

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٣)، وهشام بن حُجير وثقه قوم وضعفه آخرون، لكن يشهد لمعنى الأثر ما في سائر الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ابن أبي حاتم في تفسير سورة المائدة ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] (٦٤٣٤).

(٤) ابن أبي حاتم (٦٤٣٥).

(٥) هو عند الطبري (١٢٠٦٣) ط. شاكر، وفي سنده المثنى، وهو ابن إبراهيم الآملي لم نقف له على ترجمة، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو إلى الضعف أقرب، وكذا فهو من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيها كلام أيضًا.

• وقال القاسمي رحمه اللَّه تعالى في «محاسن التأويل»:

كفر الحاكم بغير ما أنزل اللَّه بقيد الاستهانة به، والجحود له، هو الذي نحاه كثيرون، وأثروه عن عكرمة وابن عباس.

ويجدر بنا هنا أن ننقل كلام ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ في كتابه: «الصلاة وحكم تاركها» إذ قال في فصل: (كفر الاعتقاد وكفر العمل):

وههنا أصلٌ آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلىٰ ما يضاد الإيمان، وإلىٰ ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه، يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعًا، ولا يمكن أن ينفىٰ عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل اللَّه كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً، ولا يطلق عليهما اسم كافر.

وقد نفىٰ الرسول ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر[1]، وعمن لا يأمن جاره بوائقه[2]، وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وإن انتفىٰ عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**[3]»، فهذا كفر عمل، وكذلك

---

(١) انظر البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

(٢) انظر البخاري (٦٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وأخرجه البخاري من حديث ابن عباس (١٧٣٩، ٧٠٧٩)، ومسلم (١٦٧٩).

قوله: «من أتى كاهنًا فصدَّقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أُنزل على محمد»، وقوله: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدُهما»(١).

وقد سمَّى الله ـ سبحانه وتعالى ـ من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به وكافرًا بما ترك العمل به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه، وهذا يدل على تصديقهم به أنهم لا يقتل بعضهم بعضًا، ولا يُخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، ثم أخبر أنهم عصوا أمره، وقتل فريق منهم فريقًا وأخرجوهم من ديارهم، فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخبر أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق، وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه، فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي.

وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(٢) ففرق بين سبابه وقتاله، وجعل أحدهما فسوقًا لا يكفر به، والآخر كفرًا، ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي،

---

(١) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه، وقد تقدم.

وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب اللَّه وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقىٰ هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين: فريقًا أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا علىٰ أصحابها بالخلود في النار، وفريقًا جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدىٰ اللَّه أهل السنة للطريقة المثلىٰ والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل.

فههنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم، قال سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] قال: «هو بهم كفر، وليس كمن كفر باللَّه وملائكته وكتبه ورسله» وقال في رواية أخرىٰ عنه: «كفر لا ينقل عن الملة»، وقال طاوس: «ليس بكفر ينقل عن الملة». وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء: «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق».

وهذا الذي قاله عطاء بيِّنٌ في القرآن لمن فهمه، فإن اللَّه ـ سبحانه ـ سمىٰ الحاكم بغير ما أنزله كافراً، وسمىٰ جاحد ما أنزله علىٰ رسوله كافراً، وليس الكافران علىٰ حد سواء، وسمىٰ الكافر ظالمًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وسمىٰ متعدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالمًا فقال: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ [الطلاق: ١]، وقال نبيه يونس: ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقال صفيُّه

آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال كليمه موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

ويسمى الكافر فاسقًا كما في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩] وهذا كثير في القرآن، ويسمى المؤمن العاصي فاسقًا، كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] نزلت في الحكم بن أبي العاص، وليس الفاسق كالفاسق، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] وقال عن إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧] وليس الفسوق كالفسوق.

فالكفر كفران، والظلم ظلمان، والفسق فسقان، وكذا الجهل جهلان: جهل كفر، كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وجهل غير كفر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، كذلك الشرك شركان: شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملة، وهو الشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء، قال تعالى في الشرك الأكبر: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وفي شرك الرياء: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ: «من حلف بغير اللَّه فقد أشرك»، رواه أبو داود وغيره،

ومعلوم: أن حلفه بغير اللَّه لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار، ومن هذا قوله ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**» فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل إلىٰ ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلىٰ ما لا ينقل عنها، وكذا النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد، ونفاق عمل، فنفاق الاعتقاد: هو الذي أنكره اللَّه علىٰ المنافقين في القرآن، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار، ونفاق العمل: كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»، وفي الصحيح أيضًا: «**أربعٌ من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا ائتمن خان**»، فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهىٰ المؤمن عن هذه الخلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا.

وكلام الإمام أحمد يدل علىٰ هذا، فإن إسماعيل بن سعيد الشالنجي قال: سألت أحمد بن حنبل عن المصر علىٰ الكبائر يطلبها بجهده، إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم، وهل يكون مصرًّا من كانت هذه حاله؟ قال: هو مُصر مثل قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام، ونحو قوله: «**لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**»، ونحو قول ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]، قال إسماعيل: فقلت له ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر، حتَّىٰ يجيء من ذلك أمرٌ لا يختلف فيه.

وهذا مزيد من أقوال أهل العلم رحمهم اللَّه في هذا الباب:

وقال البغوي في تفسيره:

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة.

رُوي عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنه في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، والظالمون، والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم، وقال ابن عباس وطاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، قال عطاء: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وقال عكرمة: معناه: ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه جاحداً به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق، وسئل عبدالعزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل اللَّه لا على بعضه، وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل اللَّه فهو كافر ظالم فاسق، فأمّا من حكم بما أنزل اللَّه من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم ببعض ما أنزل اللَّه من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات.

وقال العلماء: هذا إذا ردّ نصَّ حكم اللَّه عيانًا عمداً، فأما من خفي عليه، أو أخطأ في تأويل فلا.

وأورد الفخر الرازي في «التفسير الكبير»، جملة أقوال في تفسير هذه الآية الكريمة، وختمها بقوله:

والخامس: قال عكرمة: قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه

حكم الله، إلا أنه أتىٰ بما يضاده، فهو حاكم بما أنزل اللَّه تعالىٰ، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح، واللَّه أعلم.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، و﴿الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] نزلت كلها في الكفار، ثبت ذلك في «صحيح مسلم» من حديث البراء، وقد تقدَّم، و علىٰ هذا المعظَم.

فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل: فيه إضمار، أي: ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه ردًّا للقرآن وجحدًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر؛ قاله ابن عباس ومجاهد، فالآية عامّة علىٰ هذا، قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل اللَّه من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقدًا ذلك ومستحلاًّ له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكبٌ محرَّم فهو من فُسَّاق المسلمين، وأمره إلىٰ اللَّه تعالىٰ، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

وقال أبو المظفر السمعاني في «تفسيره»:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال البراء بن عازب ـ وهو قول الحسن ـ: الآية في المشركين، قال ابن عباس: الآية في المسلمين، وأراد به كفر دون كفر، واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية ويقولون: من لم يحكم بما أنزل اللَّه فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم، وللآية تأويلان:

أحدهما: معناه: ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه ردًّا وجحدًا، فأولئك هم الكافرون.

والثاني: معناه: ومن لم يحكم بكل ما أنزل اللَّه، فأولئك هم الكافرون، والكافر هو الذي يترك الحكم بكل ما أنزل اللَّه دون المسلم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الكريمة قولان:

أحدهما: أنه الكفر باللَّه تعالىٰ.

والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملة.

وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل اللَّه جاحداً له، وهو يعلم أن اللَّه أنزله، كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلىٰ الهوىٰ من غير جحود، فهو ظالم وفاسق، وقد روىٰ علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: «من جحد ما أنزل اللَّه فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم».

وقال الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى في «أضواء البيان»، بعد أن أورد طائفة من أقوال أهل العلم رحمهم اللَّه في تفسير الآية الكريمة:

قال مقيده عفا اللَّه عنه: الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] نازلة في المسلمين؛ لأنه تعالىٰ قال قبلها مخاطباً لمسلمي هذه الأمة: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلاً له، أو قاصداً به جحد أحكام اللَّه وردها مع العلم بها، أما من حكم بغير حكم اللَّه، وهو عالمٌ أنه مرتكب ذنباً فاعل قبيحاً، وإنما حمله علىٰ ذلك الهوىٰ، فهو من سائر عصاة المسلمين، وسياق القرآن ظاهر أيضاً في أن آية: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] في اليهود؛ لأنه قال قبلها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ

وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

فالخطاب لهم؛ لوضوح دلالة السياق عليه كما أنه ظاهر، وأيضًا في أن آية ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في النصارىٰ؛ لأنه قال قبلها: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث، أن الكفر والظلم والفسق، كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادًا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرىٰ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ معارضة للرسل وإبطالاً لأحكام اللَّه فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه معتقدًا أنه مرتكب حرامًا فاعل قبيحًا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل علىٰ أن الأولىٰ في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارىٰ، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وتحقيق أحكام الكل هو ما رأيت، والعلم عند اللَّه تعالىٰ.

قال السعدي رحمه اللَّه تعالى «تيسير الكريم الرحمن»:

فالحكم بغير ما أنزل اللَّه من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كُفرًا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حلَّه وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد.

- وقال أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحلٍّ له.

حاصل القول في الحكم بغير ما أنزل اللَّه:

مما سبق يتبين أنه لأهل العلم أقوال وتفصيلات فيمن حكم بغير ما

أنزل اللَّه، حاصلها، والذي يظهر لي من أوجه الصواب فيها ما يلي:

أولاً: من حكم بغير ما أنزل اللَّه معتقداً أن ما أنزله اللَّه هو الحق والخير والصواب، ولكنه حكم بغير ما أنزل اللَّه طمعًا في دنيا، أو إشباعًا لرغبة نفس وانتصاراً لها، فهذا لا يكفر كفراً مخرجًا عن الملة، بل كفره دون الكفر الأكبر، وليس كفره ككفر من كفر باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن سمَّيناه كافراً كما قد سماه اللَّه عزَّ وجلّ.

ثانيًا: من حكم بغير ما أنزله اللَّه مستحلاً له، أو مفضلاً له على حكم اللَّه عزّ وجلّ، فقد كفر كفراً مخرجًا له عن الإسلام، وكذا من استهزأ بأحكام اللَّه عزَّ وجلّ.

ثالثًا: من جحد حكم اللَّه عزّ وجلّ المنزل على رسله، وأظهر خلافه وزعم أنه من عند اللَّه، وحكم به فهو كافر كفراً مخرجًا عن الإسلام، كاليهود الذين بدلوا حكم اللَّه في الزانين، الذي هو الرجم، واختلقوا التحميم وزعموا أن التحميم هو حكم اللَّه المنزل في القرآن، فهؤلاء كفار خارجون عن الإسلام.

رابعًا: أن الحاكم بغير ما أنزل اللَّه قد وردت فيه آيات ثلاث في هذا المقام، وهي: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

والكفر والظلم والفسق كلها قد تأتي بمعنى واحد، وهو الكفر المخرج عن الملة أحيانًا، كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وكما قال اللَّه عن قوم فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وقد تأتي بمعانٍ أُخر، وتكون كلها ليست بمخرجة عن الملة، كحديث: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(١) فليس بكفر مخرج عن الملة؛ لأن اللَّه قال: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: ٩] فسماهم اللَّه مؤمنين، وقد قال النبي ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(٢)، فسماهما اللَّه مُسلمين، وكذا في الحديث: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر... فأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا، فهذا كافر بي مؤمن بالكوكب**»(٣)، وكذا كفران النساء للعشير.

خامسًا: إن المكره على الحكم بغير ما أنزل اللَّه، والمجبر على فعل ذلك لا ينسحب عليه الحكم بالكفر، وذلك لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾.

سادسًا: إن المتأول الذي حكم بغير ما أنزل اللَّه، وهو متأوِّل لا يحكم عليه بالكفر.

وقد علمنا أن الخوارج حكموا على المسلمين بالكفر؛ لصدور بعض المعاصي منهم، وحكم هؤلاء على الناس ليس بما أنزله اللَّه، ولكن أهل السنة لم يكفروا الخوارج، بل وصفوهم بالضلال؛ لكونهم تأوَّلوا تأويلات فاسدة.

هذا واللَّه تعالى أعلى و أعلم.

* * *

(١) البخاري (٧٠٧٦) ومسلم (٦٤). (٢) البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨).
(٣) البخاري مع الفتح (٣/ ٥٢٢)، ومسلم (٢/ ٥٩).

س: اذكر بعض النصوص الواردة في الأمر بالحكم بما أنزل اللَّه والتحذير من ترك ذلك.

ج: من هذه النصوص ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٤].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، و﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

● وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

● وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا - النَّفْسَ بِالنَّفْسِ - الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ - الأَنفَ بِالأَنفِ - الأُذُنَ بِالأُذُنِ - السِّنَّ بِالسِّنِّ - الْجُرُوحَ قِصَاصٌ - تَصَدَّقَ بِهِ - قَفَّيْنَا - عَلَى آثَارِهِم - مُصَدِّقًا - لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ - هُدًى وَنُورٌ - مَوْعِظَةً - الْفَاسِقُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾	فرضنا عليهم في التوراة.
﴿فِيهَا﴾	في التوراة.
﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	النفس القاتلة تقتل بالنفس المقتولة.
﴿الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾	تُفقأ عين من فقأ عين شخص آخر.
﴿وَالأَنفَ بِالأَنفِ﴾	تجدع أنف من جدع أنف شخصٍ آخر.
﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾	تقطع أذن من قطع أذن شخص آخر.
﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾	تقلع سن من قلع سن رجل آخر.
﴿وَالْجُرُوحَ	من جرح غيره عمدًا وظلمًا جرح بقدر ما جرح.

الكلمة	معناها
قصاص ﴾	
﴿ تَصَدَّقَ بِهِ ﴾	تصدق بالدم ـ أي : عفا عنه .
﴿ قَفَّيْنَا ﴾	أتبعنا .
﴿ عَلَى آثَارِهِم ﴾	من بعدهم .
﴿مصدقًا﴾	مؤمنًا بها ـ حاكمًا .
﴿لما بين يديه﴾	لما سبقه وتقدمه .
﴿ هُدًى ﴾	بيانُ ودلالة لما جهله الناس في زمانه .
﴿ نُورٌ ﴾	ضياء من عمىٰ الجهالة .
﴿ مَوْعِظَةً ﴾	زاجراًعن ارتكاب المحارم والمآثم .
﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾	الخارجون عن الطاعة ـ الكاذبون المائلون عن الحق ، التابعون للباطل .

س: هل يلزم المسلمون بالأحكام الواردة في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ...﴾ [المائدة: ٤٥]، أم أنها خاصة باليهود؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: في التوراة؟

ج: بل يُلزم المسلمون بما في هذه الآية من الأحكام، وقد دلَّ على ذلك حديث أنس رضي اللَّه عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] وفيه أن الرّبيع - وهي ابنة النَّضر - كسرت ثَنِيَّةَ جارية، فطلبوا الأرش، وطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أَتُكْسَر ثنيَّةُ الرّبيع يا رسول اللَّه؟ لا، والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيَّتها. فقال: «**يا أنسُ كتاب اللَّه القصاص**». فرضي القوم وعَفَوا. فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد اللَّه من لو أقسم على اللَّه لأبرَّه**»، زاد الفزاري عن حُميد عن أنس: فرضي القوم وقبلوا الأرش.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا، إذا حكي مقرراً ولم يُنسخ، كما هو المشهور عن الجمهور، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني، عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب - بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة.

وقال الحسن البصري: هي عليهم وعلى الناس عامّة. رواه ابن أبي حاتم.

وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي، في هذه المسألة ثلاثة أوجه؛ ثالثها: أن شرع إبراهيم حجة دون غيره، وصحح منها عدم الحجية، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني أقوالاً عن الشافعي، ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا، فاللَّه أعلم.

---

(١) البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٨٥).

وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «الشامل» ـ إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلّت عليه، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة.

* * *

س: هل يُقتل المسلم بالكافر؟

ج: لا يُقتل المسلم بالكافر، لحديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا يُقتل مسلم بكافر**»[1]، وهذا رأي جمهور أهل العلم، وقد خالفوا في ذلك أبا حنيفة الذي استدلّ بالآية الكريمة ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة: ٤٥]، على قتل المسلم بالكافر، وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك.

* * *

س: إذا قطع شخص أنف شخص ثم قتله، ماذا يُفعل به؟ أي: ماذا يفعل بهذا الذي ارتكب الجريمتين: القطع والقتل؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال أصحاب الشافعي وأبو حنيفة: إذا جرح أو قطع الأذن أو اليد ثم قتل فُعل ذلك به؛ لأن اللَّه تعالى قال: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**﴾ [المائدة: ٤٥]، فيؤخذ منه ما أخذ، ويفعل به كما فعل. وقال علماؤنا: إن قصد به المُثلة، فُعل به مثله، وإن كان ذلك في أثناء مضاربته ومدافعته قُتل بالسيف، وإنما قالوا ذلك في المُثلة يجب؛ لأن النبي ﷺ سَمل أعين العُرنيين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٥) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

س: هل الجُرح الخطأ فيه دية؟

ج: الجُرح الخطأ ليس فيه قصاص، إنما فيه الدية، وكذا القتل الخطأ، وفقء العين الخطأ، وكل المذكورات إذا كانت على سبيل الخطأ ففيها الدية.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة: ٤٥] أنه في العمد، فمن أصاب سن أحدٍ عمداً ففيه القصاص على حديث أنس.

قلت (مصطفى): وانظر حديث أنس المتقدم في قصة الربيع بنت معوذ.

* * *

س: إذا كان القصاص في مكان ما من الجسم، سيتسبب في موت المقتص منه، فهل يُقتص منه؟

ج: لا يُقتص منه في هذه الحالة، لكن يدفع الدية.

قال القرطبي في «تفسيره»:

ولا قصاص في كل مخوف، ولا فيما يوصل إلى القصاص فيه إلا بأن يخطئ الضارب، أو يزيد، أو ينقص.

قال الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى في «أضواء البيان»:

ومن هنا منع العلماء القصاص، فيما يظن به الموت، كما بعد الموضحة من منقلة أطارت بعض عظام الرأس، أو مأمومة وصلت إلى أم الدماغ، أو دامغة خرقت خريطته، وكالجائفة، وهي التي نفذت إلى الجوف، ونحو ذلك للخوف من الهلاك، وأنكر الناس على ابن الزبير القصاص في المأمومة، وقالوا: ما سمعنا بأحد قاله قبله.

واعلم أن العين الصحيحة لا تؤخذ بالعوراء، واليد الصحيحة لا تؤخذ بالشلاء، ونحو ذلك كما هو ظاهر.

* * *

س: شرع اللَّه سبحانه وتعالى القصاص، ولكنه سبحانه أرشد إلى العفو وبيَّن فضله، دلِّل على ذلك بجملة من الأدلة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

● وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]. فهذا قصاص وعدل، ثم إرشاد إلى العفو بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] وهذا كله قصاص وعدل، ثم إرشادٌ إلى العفو بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، فهذا إرشاد إلى الصدقة.

● وكذلك قوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ...﴾ [النساء: ١٤٨]. فهذا قصاص وعدل، ثم حثٌّ على العفو: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] عائدٌ على من؟ أي: كفَّارة لمن؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن ذلك عائدٌ على ولي المقتول، وكذا عائد على المجروح، فإذا عفا ولي المقتول عن القاتل، هُدم من ذنوب ولي المقتول مثل ما تصدَّق، وإذا عفا المجروح عمن جرحه عُفي له من ذنوبه بالقدر الذي تصدّق به وعفا عنه.

● وقد وردت بذلك عدة أحاديث وآثار، فقد ورد عند الطبري[1] بسند منقطع من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من جُرِح في جسده جراحة فتصدَّق بها، كُفّر عنه ذنوبه بمثل ما تصدّق به**».

وعند الطبري من طريق أبي السفر[2] قال: دفع رجل من قريش رجلاً من الأنصار فاندقَّت ثنيَّتُه، فرفعه الأنصاري إلى معاوية، فلمَّا ألحّ عليه الرجل قال معاوية: شأنك وصاحبك. قال: وأبو الدرداء عند معاوية، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما من مسلم يُصاب بشيء من جسده فيهبه، إلا رفعه اللَّه به درجة، وحطّ عنه به خطيئة**» فقال له الأنصاري: أنت سمعته من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: سمعته أذناي ووعاه قلبي. فخلَّى سبيل القرشي، فقال معاوية: مروا له بمالٍ.

وعند الطبري[3] بسند صحيح عن الهيثم بن الأسود أبي العريان قال: رأيت معاوية قاعداً على السرير، وإلى جنبه رجلٌ أحمر كأنَّه مَوْلًى ـ وهو

---

(١) أثر (١٢٠٨١) ط. شاكر، والأثر منقطع، فالشعبي لم يسمع عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) الطبري (١٢٠٨٠)، وأيضًا فهو أثرٌ منقطع.

(٣) الطبري (١٢٠٧٥).

عبد اللَّه بن عمرو ـ فقال في هذه الآية: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] قال: يهدم عنه ذنوبه مثل ما تصدَّق به.

وعند الطبري بسند حسن[١]، عن قتادة: قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] يقول: لولي القتيل الذي عفا.

القول الثاني: مؤداه أن قوله تعالى: ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] أي: كفارة للجاني، فكما أن الحدود كفارة لمرتكبي الكبائر، وكما أن القصاص كفارةٌ أيضًا، فكذا العفو كفارة لهم أيضًا.

فالمعنى: إذا عفا أولياء المقتول عن قاتل أبيهم فعفوهم كفارةٌ للجاني، وإذا عفا المجروح عمن جرحه كان هذا العفو كفارةً للجارح.

وقد صاغ الطبري هذا القول بقوله:

وقال آخرون: عنى بذلك الجارح، وقالوا: معنى الآية: فمن تصدَّق بما وجب له من قود أو قصاص على من وجب ذلك له عليه، فعفا عنه، فعفوه ذلك عن الجاني كفَّارة لذنب الجاني المجرم، كما القصاص منه كفَّارة له، قالوا: فأما أجر العافي المتصدِّق فعلى اللَّه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم﴾ [المائدة: ٤٦] آثار من؟

ج: آثار النبيين عليهم الصلاة والسلام.

* * *

(١) الطبري (١٢٠٨١).

س: كيف كان عيسى عليه السلام مصدقًا لما بين يديه من التوراة؟ وكيف كان الإنجيل مصدقًا لما بين يديه من التوراة؟

ج: أما كون عيسى عليه السلام كان مصدقًا للتوراة، فذلك لكونه كان مؤمنًا بها، مصدِّقًا لها، حاكمًا بما فيها(١).

أما كون الإنجيل مصدِّقٌ للتوراة لكونه أخبر بالأخبار التي قد أخبرت بها التوراة، وصدَّق الأحكام التي جاءت فيها، وأنها من عند اللَّه عزَّ وجلَّ.

* * *

س: هل نسخ الإنجيل شيئًا من أحكام التوراة؟

ج: نعم، ولكنه نسخ شيئًا قليلاً، قال عيسى عليه السلام ـ وقد نزل الإنجيل عليه ـ: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

* * *

س: وضح وجوه القراءات ومعانيها في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

ج: في ذلك وجهان مشهوران:

أحدهما: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بالتسكين والجزم على وجه الأمر.

قال الطبري رحمه اللَّه:

اختلفت القرأة في قراءة قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ﴾ [المائدة: ٤٧] فقرأته قرأة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بتسكين اللام، على وجه الأمر من اللَّه لأهل الإنجيل: أن يحكموا بما أنزل اللَّه فيه من أحكامه،

---

(١) باستثناء بعض الأمور التي نسختها شريعة عيسى عليه السلام، وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.

وكأنّ من قرأ ذلك كذلك أراد: وآتيناه الإنجيل فيه هدىٰ ونور، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل اللّٰه فيه فيكون في الكلام محذوف، ترك استغناءً بما ذكر عما حُذِف.

الثاني: ﴿وليحكمَ﴾ بالنصب علىٰ أن اللام لام كي.

قال الطبري رحمه اللّٰه:

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الإِنجِيلِ﴾ [المائدة:٤٧] بكسر اللام، من «ليحكم» بمعنىٰ: كي يحكم أهل الإنجيل، وكأنّ معنىٰ من قرأ ذلك كذلك: وآتيناه الإنجيل فيه هدىٰ ونورٌ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة كي يحكم أهله بما فيه من حكم اللّٰه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:٤٧] قرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بالنصب، علىٰ أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم، وقرئ: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بالجزم، علىٰ أن اللام لام الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] أي: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلىٰ الباطل، التاركون للحق.

* * *

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِالْحَقِّ - مُصَدِّقًا - لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ - مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ - لا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ - شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا - لِّيَبْلُوَكُمْ - فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ - مَرْجِعُكُمْ - فَيُنَبِّئُكُم - بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ - يَفْتِنُوكَ - تَوَلَّوْا - فَاسِقُونَ - حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ - يَبْغُونَ - وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا - يُوقِنُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِالْحَقِّ﴾	بالصدق (ولا كذب فيه).
﴿مُصَدِّقًا﴾	موافقًا - مبينًا صدقها، للكتب التي سبقته وتقدمته.
﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	شهيدًا عليه (على أنها حق وأنها من عند الله) أمينا عليه - حافظًا لها عاليًا عليه ومرتفعًا عليه - حاكمًا عليها.
﴿لا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾	لا تعمل بمرادهم - لا تقبل آراءهم.
﴿شِرْعَةً﴾	سبيلاً - شريعة.
﴿مِنْهَاجًا﴾	سنةً.
﴿شِرْعَةً	سبيلاً وسنةً[1]، رجحه ابن كثير على قول من قال سنةً وسبيلاً.

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن، عن قتادة قال:
قوله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ يقول: سبيلاً وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل.

الكلمة	معناها
﴿وَمِنْهَاجًا﴾	
﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾	ليختبركم .
﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾	بادروا إلى الطاعات ، وأعمال البر ، واتباع شرع الله .
﴿مَرْجِعُكُمْ﴾	معادكم ومصيركم ـ رجوعكم .
﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾	فيخبركم .
﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾	بحكم الله الذي أنزله عليك في كتابه .
﴿يَفْتِنُوكَ﴾	يصدوك ويصرفوك .
﴿تَوَلَّوْا﴾	أعرضوا ـ أبوا أن يقبلوا حكمك .
﴿فَاسِقُونَ﴾	تاركون للعمل ـ خارجون عن طاعة الله عزَّ وجل .
﴿حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	كل حكم غير حكم الله ـ حكم أهل الشرك والكفر وعبدة الأوثان .
﴿يَبْغُونَ﴾	يبتغون ويريدون .
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾	ومن أعدل من الله في حكمه .
﴿يُوقِنُونَ﴾	يقرون بالتوحيد ، وبربوبية الله عز وجل وألوهيته ، يصدقون .

س: ما المراد بالكتابين في الموطنين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٤٨]؟

ج: أما الكتاب في الموطن الأول ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٤٨] فهو القرآن. أما الكتاب في الموطن الثاني فالمراد به - والله أعلم - عموم الكتب التي نزلت قبل نبينا محمد ﷺ مثل التوراة والإنجيل والزبور، وسائر الكتب.

* * *

س: ذكر العلماء وجهين في كون القرآن جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب، اذكر هذين الوجهين.

ج: الوجهان:

أولهما: أن مجيء القرآن تصديقٌ للكتب التي أخبرت بمجيئه.

ثانيهما: أن القرآن بين صدق الكتب التي سبقته، فقد أخبر بالذي أخبرت به. والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

ج: قال الطبري رحمه الله:

وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصّه بشريعته، يقول تعالى ذكره: احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين بما أُنزل إليك من كتابي، وأحكامي، في كل ما احتكموا فيه إليك، من الحدود والجروح والقَوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلمًا، وافقأ العين بالعين، واجدع

الأنف بالأنف، فإني أنزلت إليك القرآن مصدِّقًا في ذلك ما بين يديه من الكتب، ومهيمنًا عليه رقيبًا، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبلَه، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلدَ في الزاني المحصن دون الرجم، وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله، وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله، فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا عن الذي جاءك من عند اللَّه من الحق، وهو كتاب اللَّه الذي أنزله إليك يقول له: اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك فاخترت الحكم عليهم.

ولا تتركنَّ العمل بذلك اتباعًا منك أهواءهم، وإيثارًا لها على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي.

* * *

س: جاءت جملة من النصوص في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ تحذر من اتباع هوى النفس وأهواء أهل الظلم ـ اذكر بعضها.

ج: من هذه النصوص ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

● قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

● وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

● وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

● وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

● وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

● وقوله تعالىٰ: ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦٠].

● وقوله تعالىٰ في الذي آتاه اللَّه الآيات فانسلخ منها: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

● وقوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وثم نصوصٌ كثيرة جدًّا في هذا الباب.

● وفي الحديث[1] عن رسول اللَّه ﷺ: «**يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه مفصل إلا دخله**».

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] مع بيان الذي اتفق عليه المرسلون، والذي تنوع بينهم.

ج: المعنىٰ، واللَّه تعالىٰ أعلم: لكل أمة منكم أيتها الأمم جعلنا لها سبيلاً تسلكه، ومنهاجًا تنتهجه، وشريعة تتبعها، وذلك فيما يتعلق ببعض الأوامر

---

(١) صحيح: بمجموع طرقه، وهو أول حديث في كتاب «السنة» لابن أبي عاصم رحمه الله، وانظر أيضًا «سنن أبي داود» عقب حديث (٤٥٩٧).

ومعنىٰ الكلب في قوله: «يتجارىٰ الكلب بصاحبه» المرض الذي يُصاب به من عضَّة الكلب المسعور.

والنواهي، وأمور الحلال والحرام، والمستحب والمكروه، ونحو ذلك، أما أصول الاعتقاد وما جاءوا به من أمر التوحيد فواحدة، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فلذلك كان من كذَّب نبيًّا فيما يدعو إليه كان قد كذب المرسلين أجمعين، وذلك لأن دعوتهم واحدة، فمن ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٤١]، وعاد إنما أرسل إليهم هود، وثمود إنما أرسل إليهم صالح عليه السلام.

● أما الشرائع فكما بيناه، فقد يحرم شيء علىٰ بعض الأمم ويحل لأمة أخرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وقال تعالىٰ: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد ذكر أنه حرَّم علىٰ نفسه ألبان الإبل ولحومها، كل هذا حلالٌ لأمة محمد ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث اللَّه به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد؛ كما ثبت في «صحيح البخاري»، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد**»(١) يعني بذلك: التوحيد الذي بعث اللَّه به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن**

(١) صحيح وتقدم.

رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] الآية.

وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا، ثم يحل في الشريعة الأخرىٰ، وبالعكس، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه؛ وذلك لما له تعالىٰ في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة، قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] يقول: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة، هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل اللَّه فيها ما يشاء ويحرِّم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: المخاطب بهذه الآية هذه الأمة، ومعناه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا﴾ [المائدة:٤٨] القرآن ﴿مِنكُمْ﴾ أيتها الأمة ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أي: جعلناه يعني القرآن ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: سبيلاً إلىٰ المقاصد الصحيحة وسنة أي: طريقًا ومسلكًا واضحًا بينًا.

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد رحمه اللَّه، والصحيح: القول الأول، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ بعده: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] فلو كان هذا خطابًا لهذه الأمة لما صحّ أن يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالىٰ العظيمة، التي لو شاء لجمع الناس كلهم علىٰ دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها، ولكنه تعالىٰ شرع لكل رسول شرعة علىٰ حده، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده،

حتىٰ نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ، الذي ابتعثه إلىٰ أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة:٤٨] أي: أنه تعالىٰ شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم علىٰ طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] عائدٌ على من؟

ج: من العلماء من قال: إنه عائدٌ علىٰ أهل الملل المختلفة اليهود والنصارىٰ والمسلمين وغيرهم، وهذا رأي أكثر العلماء.

أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] يقول: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، يُحل اللَّه فيها ما يشاء ويُحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص للَّه الذي جاءت به الرسل.

وأورد الطبري وجهًا آخر وضعَّفه، وهو أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] أنهم أمة محمد ﷺ، وضعفه أيضًا الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ فيما قدمناه قبل قليل.

* * *

س: هل شرع من قبلنا شرعٌ لنا؟

ج: هذه المسألة من مسائل الأصول المختلف فيها، والظاهر ـ والعلم

---

(١) الطبري (١٢١٢٦).

عند اللَّه ـ أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يأت من شرعنا ما ينسخه.

وقد دلَّت الآيات على وجهات لأهل العلم في ذلك.

فمما استدل به القائلون أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا قوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

وثم وجهة أُخرى للعلماء، أن شرع من قبلنا ليس بشرعٍ لنا؛ إذ اللّه قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

والقول الذي قدمناه يجمع بين ذلك، واللَّه أعلم.

قال الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه «الموافقات»:

المسألة الثالثة:

كل حكاية وقعت في القرآن، فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها [1] وهو الأكثر رد لها، أو لا، فإن وقع رد؛ فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد؛ فذلك دليل صحة المحكي وصدقه.

أما الأول: فظاهر، ولا يحتاج إلى برهان ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

فأعقب بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ [الأنعام: ٩١] الآية.

---

(١) حـ٤/ ١٥٨ ط. دار ابن عفان

وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام:١٣٦] الآية.

فوقع التنكيت على افتراء ما زعموا بقوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾، وبقوله ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

ثم قال: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام:١٣٨] إلى تمامه.

ورد بقوله: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٨].

ثم قال: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ [الأنعام:١٣٩].

فنبه على فساده بقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٩] زيادة على ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤].

فرد عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان:٤].

ثم قال: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان:٥] الآية.

فرد بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ [الفرقان:٦].

ثم قال: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الرقان:٨].

ثم قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾ [الفرقان:٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا...﴾ إلى قوله ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص:٤-٦].

ثم رد عليهم بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ [ص:٨].

إلى آخر ما هنالك:

وقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦].

ثم رد عليهم بأوجه كثيرة ثبتت في أثناء القرآن، كقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦].

وقوله: ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨] الآية.

وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠].

إلىٰ آخره، وأشباه ذلك.

ومن قرأ القرآن وأحضره في ذهنه عرف هذا بيُسرٍ.

وأما الثاني: فظاهر أيضًا، ولكن الدليل علىٰ صحته من نفس الحكاية وإقرارها، فإن القرآن سمي فرقانًا، وهدىً، وبرهانًا، وبيانًا، وتبيانًا لكل شيء، وهو حجة الله علىٰ الخلق علىٰ الجملة والتفصيل والإطلاق والعموم، وهذا المعنىٰ يأبىٰ أن يحكىٰ فيه ما ليس بحق ثم لا ينبَّه عليه.

وأيضًا، فإن جميع ما يحكىٰ فيه من شرائع الأولين وأحكامهم، ولم ينبه علىٰ إفسادهم وافترائهم فيه؛ فهو حق يجعل عمدة عند طائفة في شريعتنا، ويمنعه قوم، لا من جهة قدح فيه، ولكن من جهة أمر خارج عن ذلك فقد اتفقوا علىٰ أنه حق وصدق كشريعتنا، ولا يفترق ما بينهما إلا بحكم النسخ فقط، ولو نبه علىٰ أمر فيه لكان في حكم التنبيه علىٰ الأول؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ فصار هذا من النمط الأول.

ومن أمثله هذا القسم جميع ما حكي عن المتقدمين من الأمم السالفة مما كان حقًّا، كحكايته عن الأنبياء والأولياء، ومنه قصة ذي القرنين، وقصة الخضر مع موسىٰ عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف، وأشباه ذلك.

... ثم قال رحمه الله:

وللسُّنة مدخلٌ في هذا الأصل، فإنَّ القاعدة المحصّلة أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يسكت عما يسمعه أو يراه من الباطل؛ حتىٰ يغيره أو يبيِّنه إلا إذا تقرر عندهم بطلانه، فعند ذلك يمكن السكوت إحالةً علىٰ ما تقدم من البيان فيه، والمسألة المذكورة في الأصول.

قال القاسمي رحمه الله تعالى في «محاسن التأويل»:

أقول: القاعدة في ذلك؛ أن جميع ما يحكىٰ في القرآن من شرائع الأولين وأحكامهم، ولم ينبّه علىٰ إفسادهم وافترائهم فيه، فهو حقّ.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في معرض الجواب على سؤال طرحه على نفسه قال:

ما وجه الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية مع أنه حكاية عن قوم موسىٰ، والله تعالىٰ يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فقال:

الجواب: أن التحقيق الذي عليه الجمهور، ودلت عليه نصوص الشرع أن كل ما ذكر لنا في كتابنا، وسنة نبينا ﷺ، مما كان شرعًا لمن قبلنا أنه كان شرعًا لنا، من حيث إنه وارد في كتابنا، أو سنة نبينا ﷺ، لا من حيث إنه كان شرعًا لمن قبلنا، لأنه ما نص علينا في شرعنا إلا لنعتبر به، ونعمل بما تضمن.

والنصوص الدالة علىٰ هذا كثيرة جدًّا، ولأجل هذا أمر الله في القرآن العظيم في غير ما آية بالاعتبار بأحوالهم، ووبخ من لم يعقل ذلك كما في قوله تعالىٰ في قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] ففي قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟توبيخ لمن مر بديارهم، ولم يعتبر بما

وقع لهم ويعقل ذلك ليجتنب الوقوع في مثله، وكقوله تعالىٰ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [محمد: ١٠]، ثم هدد الكفار بمثل ذلك، فقال: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠].

وقال في حجارة قوم لوط التي أهلكوا بها، أو ديارهم التي أهلكوا فيها: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] وهو تهديد عظيم منه تعالىٰ لمن لم يعتبر بحالهم، فيجتنب ارتكاب ما هلكوا بسببه، وأمثال ذلك كثير في القرآن.

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] فصرح بأنه يقص قصصهم في القرآن للعبرة، وهو دليل واضح لما ذكرنا، ولما ذكر الله تعالىٰ مَن ذكر من الأنبياء في سورة الأنعام، قال لنبينا ﷺ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأمر ﷺ أمر لنا، لأنه قدوتنا، ولأن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية، ويقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، ويقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] الآية.

ويقول: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ومن طاعته اتباعه فيما أمر به كله، إلا ما قام فيه دليل علي الخصوص به ﷺ، وكون شرع من قبلنا الثابت بشرعنا شرعًا لنا، إلا بدليل علىٰ النسخ هو مذهب الجمهور، منهم مالك وأبو حنيفة، وأحمد في أشهر الروايتين، وخالف الإمام الشافعي رحمه الله في أصح الروايات عنه، فقال: إن شرع من قبلنا الثابت بشرعنا ليس شرعًا لنا إلا بنص من شرعنا علىٰ أنه مشروع لنا، وخالف أيضًا في «الصحيح» عنه في أن الخطاب الخاص بالرسول ﷺ، يشمل حكمة الأمة؛ واستدل للأول بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وللثاني: بأن الصيغة الخاصة بالرسول لا تشمل الأمة وضعًا.

فإدخالها فيها صرف للفظ عن ظاهره، فيحتاج إلىٰ دليل منفصل، وحمل الهدىٰ في قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والدين في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ [الشورىٰ: ١٣] الآية علىٰ خصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية، لأنه تعالىٰ قال في العقائد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال في الفروع العلمية: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]: فدل ذلك علىٰ اتفاقهم في الأصول، واختلافهم في الفروع، كما قال ﷺ: «**إنا معشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد**»، أخرجه البخاري في «صحيحه» . . . ثم قال رحمه الله:

وحاصل تحرير المقام في مسألة «شرع من قبلنا» أن لها واسطة وطرفين طرف يكون فيه شرعًا لنا إجماعًا، وهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لمن قبلنا، ثم بين لنا في شرعنا أنه شرع لنا، كالقصاص، فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لمن قبلنا، في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، الآية، وبين لنا في شرعنا أنه مشروع لنا في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وطرف يكون فيه غير شرع لنا إجماعًا وهو أمران:

أحدهما: ما لم يثبت بشرعنا أصلاً أنه كان شرعًا لمن قبلنا، كالمتلقىٰ من الإسرائيليات، لأن النبي ﷺ نهانا عن تصديقهم، وتكذيبهم فيها، وما نهانا ﷺ عن تصديقه لا يكون مشروعًا لنا إجماعًا.

والثاني: ما ثبت في شرعنا أنه كان شرعًا لمن قبلنا، وبين لنا في شرعنا أنه غير مشروع لنا كالآصار، والأغلال التي كانت على من قبلنا، لأن الله وضعها عنا، كما قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقد ثبت في «صحيح مسلم»: «أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أن الله قال: نعم قد فعلت».

ومن تلك الآصار التي وضعها الله عنا، على لسان نبينا ﷺ ما وَقَعَ لعبدة العجل، حيث لم تقبل توبتهم إلا بتقديم أنفسهم للقتل، كما قال تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

والواسطة هي محل الخلاف بين العلماء، وهي ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لمن قبلنا، ولم يبين لنا في شرعنا أنه مشروع لنا، ولا غير مشروع لنا، وهو الذي قدمنا أن التحقيق كونه شرعًا لنا، وهو مذهب الجمهور، وقد رأيت أدلتهم عليه، وبه تعلم أن آية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية، يلزمنا الأخذ بما تضمنته من الأحكام.

مع أن القرآن صرح بذلك في الجملة في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] وقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه المتقدم في التصريح بأن ما فيها من قتل النفس بالنفس مشروع لنا، حيث قال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله - ﷺ - إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس**» الحديث.

وإلى هذا أشار البخاري في «صحيحه»، حيث قال: باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، إلى قوله: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]،

ثم ذكر حديث ابن مسعود المتقدم، وقال ابن حجر: والغرض من ذكر هذه الآية مطابقتها للفظ الحديث، ولعله أراد أن يبين أنها وإن وردت في أهل الكتاب، فالحكم الذي دلت عليه مستمر في شريعة الإسلام، فهو أصل في القصاص في قتل العمد، ويدل لهذا قوله ﷺ: «**كتاب الله القصاص**» أخرجه الشيخان من حديث أنس، بناء على أن المراد بكتاب الله قوله تعالى: ﴿**وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ**﴾ في هذه الآية التي نحن بصددها، وعلى بقية الأقوال فلا دليل في الحديث، ولم يزل العلماء يأخذون الأحكام من قصص الأمم الماضية، كما أوضحنا دليله. فمن ذلك قول المالكية وغيرهم، إن القرينة الجازمة ربما قامت مقام البينة مستدلين على ذلك بجعل شاهد يوسف شق قميصه من دبر قرينة على صدقه، وكذب المرأة، في قوله تعالى: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف: ٢٦-٢٨] الآية، فذكره تعالى لهذا مقرراً له يدل على جواز العمل به، ومن هنا أوجب مالك حد الخمر على ما استنكه فشم في فيه ريح الخمر، لأن ريحها في فيه قرينة على شربه إياها.

وأجاز العلماء للرجل يتزوج المرأة من غير أن يراها فتزفها إليه ولائد، لا يثبت بقولهن أمر - أن يجامعها من غير بينة على عينها أنها فلانة بنت فلان التي وقع عليها العقد اعتماداً على القرينة، وتنزيلاً لها منزلة البينة، وكذلك الضيف ينزل بساحة قوم فيأتيه الصبي، أو الوليدة بطعام فيباح له أكله من غير بينة تشهد على إذن أهل الطعام له في الأكل، اعتماداً على القرينة.

وأخذ المالكية وغيرهم إبطال القرينة بقرينة أقوى منها من أن أولاد يعقوب لما جعلوا يوسف في غيابة الجب، جعلوا على قميصه دم سخلة، ليكون الدم على قميصه قرينة على صدقهم في أنه أكله الذئب، فأبطلها يعقوب بقرينة

أقوىٰ منها، وهي عدم شق القميص فقال: سبحان الله متىٰ كان الذئب حليماً كيساً يقتل يوسف، ولا يشق قميصه؟ كما بينه تعالىٰ بقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، وأخذ المالكية ضمان العزم من قوله تعالي في قصة يوسف وإخوته: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٧٢] وأخذ بعض الشافعية ضمان الوجه المعروف بالكفالة من قوله تعالىٰ في قصة يعقوب وبنيه: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦] وأخذ المالكية تلوم القاضي للخصوم ثلاثة أيام بعد انقضاء الآجال من قوله تعالىٰ في قصة صالح: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥].

وأخذوا وجوب الإعذار إلىٰ الخصم الذي توجه إليه الحكم: «أبقيت لك محجّة؟» ونحو ذلك من قوله تعالىٰ في قصة سليمان مع الهدهد: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:٢١] وأخذ الحنابلة جواز طول مدة الإجازة من قوله تعالىٰ في قصة موسىٰ، وصهره شعيب أو غيره: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص:٢٧] الآية، وأمثال هذا كثيرة جداً، وقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، لا يخالف ما ذكرنا لأن المراد به أن بعض الشرائع تنسخ فيها أحكام كانت مشروعة قبل ذلك، ويجدد فيها تشريع أحكام لم تكن مشروعة قبل ذلك.

وبهذا الاعتبار يكون لكل شرعة منهاج من غير مخالفة لما ذكرنا، وهذا ظاهر، فبهذا يتضح لك الجواب عن السؤال الأول، وتعلم أن ما تضمنته آية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥] الآية. مشروع لهذه الأمة،

وأن الرجل يقتل بالمرأة كالعكس على التحقيق الذي لا شك فيه، وكأن القاتل بعدم القصاص بينهما يتشبث بمفهوم قوله: ﴿وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، وسترى تحقيق المقام فيه إن شاء الله قريبًا

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: ولو شاء اللَّه لجعلكم يا أتباع الرسل أمة واحدة على شريعة واحدة، ولكنه سبحانه وتعالى اختبركم بأوامر ونواهٍ وأحكام ليعلم هل تطيعوه وتمتثلوا أمره إذا أمركم أم ستخالفوه إلى ما ذهبتم إليه من الأهواء.

وقد يرد في المعنى أيضًا: ولو شاء اللَّه لجعلكم أمة واحدة على الإيمان والتقوى، ولكن جرت حكمته على أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].

لكن الوجه الأول أظهر وألصق بهذا المقام، واللَّه أعلم.

قال الطبري رحمه اللّه تعالى:

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل لكل أمة شريعةً ومنهاجًا غير شرائع الأمم الأخر ومنهاجهم، فكنتم تكونون أمة واحدةً لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، فخالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من العاصي، والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه ﷺ من المخالف.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] أي: لجعل شريعتكم واحدة، فكنتم على الحق، فبين أنه أراد بالاختلاف إيمان قوم وكفر قوم ﴿وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة:٤٨] في الكلام حذف تتعلق به لام كي؛ أي: ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء الاختبار.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة:٤٨] فيما آتاكم من ماذا؟

ج: فيما آتاكم من القرآن، وقيل في عموم ما آتاكم من مبعث النبي فيكم، ومن التكاليف التي كلفكم بها، ومن الرزق الذي رزقكموه، ونحو ذلك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة:٤٨] يُعمل بعمومه، وضح بعض أفراد هذا العموم.

ج: من ذلك العموم الحج والعمرة والصلوات وصيام النفل، وقضاء الصيام، وقضاء الفوائت.

فيؤخذ من عموم الآية الكريمة المبادرة إلى الحج متى تيسَّرت سُبله والمبادرة إلى العمرة، والمبادرة إلى قضاء الفوائت وأداء الديون ونحو ذلك، وكذا المنافسة في هذه الأعمال، واللَّه أعلم.

* * *

س: قد بيّن الله لنا في الدنيا ـ في كتابه الكريم ـ ما نحن فيه مختلفون، فما وجه البيان في الآخرة؟

ج: وجه ذلك البيان في الآخرة، أنه بيان مصحوب بالثواب أو العقاب،

ويتأكد للمحق أنه محق، وللمبطل أنه مبطل، وكل يقرُّ بذلك، أما الدنيا فقد يحدث فيها جدال في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩].

* * *

س: ما وجه تكرير قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]؟

ج: وجه ذلك، واللَّه أعلم: أنه لتأكيد ما قبله من الأمر بحكم اللَّه عزّ وجلّ، والنهي عن خلافه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: واحذر يا رسول اللَّه أن يصرفك هؤلاء اليهود[1] بمكرهم وحيلهم وكيدهم عن شيء، ولو كان يسيراً من كتاب الله الذي أنزله عليك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور، فلا تغتر بهم فإنهم كذبةٌ كفرةٌ خونة.

* * *

(١) وكذلك فاحذر أهل الكفر وأهل النفاق أن يصرفوك عن بعض ما أنزل الله إليك.

س: ترك بعض المُنزَّل يجلب العذاب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

● وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥-٢٧].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

ج: المعنى، والله أعلم: فإن تولى هؤلاء اليهود أو غيرهم عن التحاكم إلى ما أنزله الله عليك من كتابه الكريم، فاعلم أن توليهم هذا مقدَّر، قدَّره الله عليهم لسالف ذنوبهم، وذلك حتى يعاقبهم الله على هذا التولي الذي كان من أسبابه الذنوب السالفة، فحينئذٍ ستجتمع عليهم عقوبتان، عقوبة التولي والإعراض، وعقوبة سالف الذنوب، فمن ثم يشتد عليهم العذاب.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩] يقول تعالىٰ ذكره: فإن تولىٰ هؤلاء اليهود الذين اختصموا إليك عنك، فتركوا العمل بما حكمت به عليهم وقضيت فيهم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]، يقول: فاعلم أنهم لم يتولوا عن الرضا بحكمك وقد قضيت بالحق إلا من أجل أن اللَّه يريد أن يتعجَّل عقوبتهم في عاجل الدنيا ببعض ما قد سلف من ذنوبهم، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩]، يقول: وإن كثيراً من اليهود لفاسقون، يقول: لتاركو العمل بكتاب اللَّه، والخارجون عن طاعته إلىٰ معصيته.

* * *

س: لماذا قيل ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩] ولم يقل (بذنُوبِهِمْ)؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم؛ لأن الأخذ ببعض الذنوب كافٍ للتدمير.

* * *

س: الذنوب السالفة قد تكون سببًا في حرمان الشخص من الخير، وصده عن الحق إذا لم يُقدم لها استغفاراً، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩].

٢ ـ قوله تعالىٰ في أهل النفاق الذين حُرموا فضل الجهاد مع النبي ﷺ: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ [النساء:٨٨] يا أهل الإيمان ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء:٨٨] في شأن المنافقين ﴿فِئَتَيْنِ﴾ [النساء:٨٨] فئة تقول نقتلهم، وفئة تقول غير ذلك ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء:٨٨] أي: والله ردهم وحرمهم شرف الجهاد وحضور الغزو مع النبي ﷺ بسبب كسبهم السيئ السالف منهم.

٣ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

٤ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى في تفسير قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩] قال رحمه اللَّه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عما تحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩] أي: فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة اللَّه وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدىٰ لما عليهم من الذنوب السالفة التي اقتضت ضلالهم ونكالهم.

* * *

س: ما وجه الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؟

ج: هذا استفهام إنكاري، واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾ [المائدة: ٥٠].

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: أيريد هؤلاء اليهود ومن سار علىٰ دربهم وطريقتهم أن يتركوا حكم اللَّه ويتحاكموا إلىٰ أحكام أهل الجهل الحائدين عن طريق اللَّه ورسوله، وأهل الشرك عبدة الأوثان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ينكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم اللَّه المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء

والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللَّه كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكيزخان) الذي وضع لهم (اليساق)، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتىٰ: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها علىٰ الحكم بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ.

فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم اللَّه ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ [المائدة: ٥٠] أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم اللَّه يعدلون ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: ٥٠] أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن اللَّه شرعه، وآمن به وأيقن، وعلم أن اللَّه أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالىٰ هو العالم بكل شيء، القادر علىٰ كل شيء، العادل في كل شيء.

* * *

س: اذكر حديثًا في ذم من حكم بغير ما أنزل اللَّه.

ج: ورد في ذلك حديثٌ يمكن الاستدلال به، ألا وهو ما أخرجه البخاري[1]، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى اللَّه ثلاثة: مُلحدٌ في الحرم، ومُبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**».

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٨٢).

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ
يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ
إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَدْ دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَوْلِيَاءَ - يَتَوَلَّهُم - مَّرَضٌ - يُسَارِعُونَ فِيهِمْ - دَائِرَةٌ - عَسَى - الْفَتْحِ - مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ - جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - يَرْتَدَّ - أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ - وَلِيُّكُمُ - حِزْبَ اللَّهِ - هُزُوًا - الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ - أَوْلِيَاءَ - تَنقِمُونَ مِنَّا - مَثُوبَةً - لَّعَنَهُ اللَّهُ - غَضِبَ عَلَيْهِ - وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ - أَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ - يسارعون في الإِثْمِ - الْعُدْوَانِ - لَوْلَا - الرَّبَّانِيُّونَ - الْأَحْبَارُ - قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ - السُّحْتَ - مَغْلُولَةٌ - غُلَّتْ - لعنوا بِمَا قَالُوا - ينفق كيف يشاء - طُغْيَانًا وَكُفْرًا - يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا - كَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ - جَنَّاتِ النَّعِيمِ - أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ - أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أنصار - حلفاء.
﴿يَتَوَلَّهُم﴾	يُعضدهم - يُقوهم على المسلمين - يُناصرهم.
﴿مَّرَضٌ﴾	شكٌ ونفاق، مرضٌ في إيمانهم بنبوتك وفي تصديق ما جئتهم به من عند ربك.
﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾	يسارعون إلى موالاتهم ومُصانعتهم ونُصرتهم
﴿دَائِرَةٌ﴾	دولة يُدال علينا عدونا فنحتاج إلى نصرة اليهود بلية (فنحتاج إلى مساعدة اليهود).

الكلمة	معناها
﴿عَسَى﴾	لعل
﴿بِالْفَتْحِ﴾	قيل المراد بالفتح فتح مكة ـ والفتح أيضًا القضاء[1] .
﴿مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾	ما أخفوه في أنفسهم
﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	مجتهدين في الأيمان .
﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾	ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب فيها ولا أجر لها .
﴿يَرْتَدَّ﴾	يرجع .
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	أرقاء رحماء بالمؤمنين .
﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	أشداء غلاظ على الكافرين .
﴿وَلِيُّكُمُ﴾	ناصركم .
﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾	أنصار الله .

(١) أخرج الطبري (١٢١٧٢) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: بالفتح: بالقضاء.
قال الطبري رحمه الله: والفتح في كلام العرب هو القضاء كما قال قتادة، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [سورة الأعراف: ٨٩].
وقد يجوز أن يكون ذلك القضاء الذي وعد الله نبيه محمداً ﷺ بقوله: «فعسى الله أن يأتي بالفتح»، فتح مكة، لأن ذلك كان من عظيم قضاء الله، وفَصْل حُكمه بين أهل الإيمان والكفر، ومقرِّرًا عند أهل الكفر والنفاق، أن الله معلي كلمته وموهن كيد الكافرين.

الكلمـــة	معنـاهـــا
﴿ هُزُوًا ﴾	استهزاءً وسخرية .
﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾	اليهود والنصارىٰ الذين أُعطوا كتبًا والكتاب هنا بمعنىٰ الكتب ، والمراد التوراة والإنجيل .
﴿ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾	تكرهون منا ـ تعيبون علينا ـ تسخطون علينا ـ تأخذون علينا .
﴿ مَثُوبَةً ﴾	جزاءً وعقوبةً .
﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾	طرده وأبعده من رحمته .
﴿ غَضِبَ عَلَيْهِ ﴾	غضب عليه غضبًا لا يرضىٰ بعده عنه أبدًا .
﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾	عبد الشيطان ـ عبد غير الله (والطاغوت كل ما عُبد من دون الله) .
﴿ أَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾	أبعد عن الصراط المستقيم .
﴿ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ ﴾	يبادرون بارتكاب جميع المعاصي والمآثم .
﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾	التعدي وظلم العباد ـ مجاوزة الحد الذي حده الله في كل شيءٍ .
﴿ لَوْلا ﴾	أفلا
﴿ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾	الأئمة المؤمنون ـ الساسة العلماء .
﴿ الأَحْبَارُ ﴾	العلماء
﴿ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ ﴾	قولهم الزور والكذب .
﴿ السُّحْتَ ﴾	الرشوة في الحكم ، الرشوة التي كانوا يأخذونها علىٰ الحكم بغير ما أنزل الله .

الكلمة	معناها
﴿مَغْلُولَةٌ﴾	موثقة مربوطة إلى نحره، ويعنون أن الله بخيل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾	ألصقت أيديهم برقابهم قبضت أيديهم عن الخير.
﴿لُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	طردوا من رحمة الله بسبب قولهم.
﴿ينفق كيف يشاء﴾	يرزق كيف يشاء.
﴿طُغْيَانًا﴾	تمادياً وازدياداً (في الظلم والجحود والإنكار).
﴿كُفْرًا﴾	تكذيباً وجحوداً.
﴿يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾	يعملون في الأرض بالمعاصي والمحرمات وينشرون ذلك.
﴿كَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	محونا عنهم ذنوبهم ـ غطينا عليها فلم نؤاخذهم بها ولم نفضحهم بها.
﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	بساتين ينعمون فيها في الآخرة.
﴿أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾	عملوا بما في التوراة والإنجيل.
﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾	جماعة قائلة بالحق [1] ـ متوسطة معتدلة ليست بمغالية (في شأن عيسى عليه السلام وفي سائر شئونها).

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

س: هل صحّ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ...﴾ [المائدة: ٥١] سبب نزول؟

ج: لم أقف لهذه الآية على سبب نزول صحيح الإسناد، وقد أورد الطبري وغيره جملةً من أسباب النزول ضعيفة الإسناد، منها ما أخرجه الطبري من طريق عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إن لي موالي من يهود كثيرٌ عددهم، وإني أبرأ إلى اللَّه ورسوله من ولاية يهود، وأتولَّى اللَّه ورسوله. فقال عبد اللَّه بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية مواليَّ. فقال رسول اللَّه ﷺ لعبد اللَّه بن أبي: «**يا أبا الحباب، ما بخلتَ به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه؟**» قال: قد قبلتُ. فأنزل اللَّه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ [المائدة: ٥٢].

- وثمَّ أسبابُ نزول أُخر أوردها الطبري وهي ضعيفة الأسانيد أيضًا.

* * *

س: اذكر بعض صور اتخاذ اليهود والنصارى أولياء.

ج: من ذلك: مصادقتهم ومصاحبتهم، وإخبارهم بأسرار المسلمين، وتقديم آرائهم على آراء المسلمين.

ومن ذلك أيضًا: الدفاع عنهم والذبُّ عن مناهجهم ومذاهبهم.

ومن ذلك أيضًا: اتخاذهم مستشارين يُستشارون في الأمور العامة والخاصة.

ومن ذلك: توليتهم المناصب التي تؤثر على دين المسلمين وسلوك المسلمين.

وأورد الحافظ بن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ في هذا الباب أثراً عزاه لابن أبي حاتم فقال: قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب، حدثنا محمد ـ يعني: ابن سعيد بن سابق ـ، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن سماك بن حرب، عن عياض: أن عمر أمر أبا موسىٰ الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطىٰ في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام. فقال: إنه لا يستطيع. فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا، بل نصراني. قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ**﴾ [المائدة: ٥١] الآية.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ٥١] في ماذا؟

ج: الظاهر واللَّه أعلم أن المعنىٰ: فإنه منهم في التحزب علىٰ الله وعلىٰ رسوله والمؤمنين، وأن اللَّه ورسوله منه بريئان.

وقد ذكر ذلك الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ، وذكر أقوالاً أُخر.

وقال آخرون من أهل العلم، فإنه منهم: أي: فحكمه كحكمهم، وتجب معاداته كما تجب معاداتهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

ج: المعنىٰ، واللَّه تعالىٰ أعلم: إن اللهَ لا يوفق ـ فالهداية هنا هداية التوفيق ـ للإيمان القوم الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم بوضعهم الأمور في غير مواضعها، فقد وضع هؤلاء ولايتهم في غير مواضعها، فموضع الولاية أهل الإيمان وأهل الإسلام، فمن وضعها في غير مواضعها فوالىٰ اليهود

ووالى النصارى مع عداوتهم للَّه ورسوله والمؤمنين وناصرهم على أهل الإسلام فهو ظالمٌ، واللَّه لا يوفقه.

* * *

س: كيف، واللَّه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] وقد هدى الله أقوامًا من الظالمين؟

ج: في ذلك وجهان يوردهما العلماء:

أحدهما: والله لا يهدي القوم الظالمين الذين كتبت عليهم الشقاوة، وأُثبتت في اللوح المحفوظ.

الثاني: واللَّه لا يهدي القوم الظالمين ما داموا قائمين على ظلمهم.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

ج: هذا قولٌ يقوله أهل النفاق الذين يتولون اليهود والنصارى ويصادقونهم، يقول هؤلاء - ملتمسين المعاذير عند من يعاتبهم على سوء صنيعهم - إن مصادقتنا لليهود والنصارى خشية أن يكون للكفار دولة وغلبةٌ على أهل الإسلام، فحينئذٍ نستعين باليهود والنصارى على أهل الكفر ونحتمي بهم.

● ووجه آخر: نخشى أن يكون لليهود أو النصارى نصرٌ على المسلمين فتكون حينئذٍ مصادقتنا التي كانت بيننا وبينهم سبب في دفع أذى قد يلحق بنا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] أي: يتأولون في مودتهم

وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمرٌ من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارىٰ فينفعهم ذلك.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[المائدة:٥٢] أي: يدور الدهر علينا إما بقحط فلا يميزوننا ولا يُفضلوا علينا، وإما أن يظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم الأمر لمحمد ﷺ، وهذا القول أشبه بالمعنىٰ، كأنه من دارت تدور، أي: نخشىٰ أن يدور الأمر؛ ويدل عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾[المائدة:٥٢]، وقال الشاعر:

يَردّ عنك القَدَر المقدورا ودائرات الدهر أن تدورا

يعني: دول الدهر دائرة من قوم إلىٰ قوم.

* * *

س: ما المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة:٥٢]؟

ج: المراد بالأمر هنا ـ والله أعلم ـ أنه أمرٌ يسرُّ المسلمين، ويُحزن الكافرين والمنافقين، وقد يكون هذا الأمر نصراً من عند اللَّه يؤيد به عباده المؤمنين، وقد يكون جزيةً تُفرض علىٰ اليهود فتجبىٰ للمسلمين.

* * *

س: ما الذي أسرُّوه في أنفسهم؟

ج: أسروا في أنفسهم موالاة اليهود والنصارىٰ ومصادقتهم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢] نادمون على ماذا؟

ج: نادمون على غش المسلمين ومصادقة الكافرين، وعلى افتضاح أمرهم.

قال ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿نَادِمِينَ﴾ أي: على ما كان منهم مما لم يُجد عنهم شيئًا ولا دفع عنهم محذوراً، بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا، وأظهر اللَّه أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يُدرىٰ كيف حالهم، فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد اللَّه المؤمنين، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين، ويحلفون علىٰ ذلك ويتأولون، فبان كذبهم وافتراؤهم.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].

قلت: ووجه آخر لندمهم، وهو عند معاينتهم العذاب وحلوله بهم عند الموت.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٣].

ج: أولاً: قد ذكر العلماء وجهين للقراءة في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أحدهما بإثبات الواو ﴿وَيَقُولُ﴾، والأخرىٰ بحذفها (يقول الذين آمنوا).

ثانيًا: جاءت وجوه التفسير بناء علىٰ القراءتين.

فقال الطبري رحمه اللَّه:

اختلفت القرأة في قراءة قوله ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقرأتها قرأة أهل المدينة: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣] بغير واو.

وتأويل الكلام على هذه القراءة: فيصبح المنافقون، إذا أتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على ما أسروا في أنفسهم نادمين، يقول المؤمنون تعجبًا منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على اللَّه في أيمانهم الكاذبة باللَّه: أهؤلاء الذين أقسموا لنا باللَّه إنهم لمعنا، وهم كاذبون في أيمانهم لنا؟

وقال الطبري أيضًا:

وقرأ ذلك بعض البصريين ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالواو، ونصب «يقول» عطفًا به على ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢]، وذكر قارئ ذلك أنه كان يقول: إنما أريد بذلك: فعسى الله أن يأتي بالفتح، وعسى أن يقول الذين آمنوا، ومحالٌ غير ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يُقال: «وعسى اللَّه أن يقول الذين آمنوا»، وكان يقول: ذلك نحو قولهم: «أكلت خبزًا ولبنًا» كقول الشاعر:

ورأيتِ زوجكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورمحَا

فتأويل الكلام على هذه القراءة: فعسى اللَّه أن يأتي بالفتح للمؤمنين، أو أمر من عنده يُديلهم به على أهل الكفر من أعدائهم، فيصبح المنافقون على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، وعسى أن يقول الذين آمنوا حينئذٍ: أهؤلاء الذين أقسموا باللَّه كذبًا جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟

وهي في مصاحف أهل العراق بالواو ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقرأ ذلك قرأة الكوفيين ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالواو، ورفع «يقول»

بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب.

وتأويل من قرأ ذلك كذلك: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم يندمون، ويقول الذين آمنوا، فيبتدئ «يقول» فيرفعها.

قال أبو جعفر: وقراءتنا التي نحن عليها ﴿وَيَقُولُ﴾ بإثبات الواو في «ويقول» لأنها كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل المشرق بالواو، وبرفع «يقول» على الابتداء.

فتأويل الكلام ـ إذ كانت القراءة عندنا على ما وصفنا ـ: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول المؤمنون: أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذبًا إنهم لمعنا؟

يقول الله تعالى ذكره ـ مخبرًا عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب لها ولا أجر؛ لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرضٌ واجب، ولا على صحة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرها، إذ لم تكن له، ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر قد وُكِسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم، وهلكوا.

* * *

س: لماذا أقسموا بالله جهد أيمانهم؟

ج: أقسموا لأمور، ذكر الشنقيطي أغلبها فقال:

بين تعالى أن سبب حلفهم بالكذب للمسلمين، أنهم منهم، إنما هو الفرق أي الخوف، وأنهم لو وجدوا محلاً يستترون فيه عن المسلمين لسارعوا

إليه، بغضهم للمسلمين، وهو قوله: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧] ففي هذه الآية بيان سبب أيمان المنافقين، ونظيرها قول: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢].

وبين تعالىٰ في موضع آخر، أنهم يحلفون تلك الأيمان ليرضىٰ عنهم المؤمنون وأنهم إن رضوا عنهم، فإن الله لا يرضي عنهم، وهو قوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

وبين في موضع آخر: أنهم يريدون بأيمانهم إرضاء المؤمنين، وأن الله ورسوله أحق بالإرضاء، وهو قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

وبين في موضع آخر أنهم يحلفون ليرضوا عنهم، بسبب أن لهم عذرًا صحيحًا، وأن الله أمرهم بالإعراض عنهم، لا لأن لهم عذرًا صحيحًا، بل مع الإعلام بأنهم رجس، ومأواهم النار بسبب ما كسبوا من النفاق، وهو قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥].

وبين في موضع آخر: أن أيمانهم الكاذبة سبب لإهلاكهم أنفسهم وهو قوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٢] الآية.

وهذه الأسباب لحلف المنافقين التي ذكرت في هذه الآيات راجعة جميعًا إلىٰ السبب الأول، الذي هو الخوف. لأن خوفهم من المؤمنين: هو سبب رغبتهم في إرضائهم، وإعراضهم عنهم بأن لا يؤذوهم، ولذا حلفوا لهم، فيرضوهم، وليعرضوا عنهم، خوفًا من أذاهم، كما هو ظاهر.

س: لماذا حبطت أعمالهم؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول الله تعالىٰ ذكره، مخبراً عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٣] يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها علىٰ غير يقين منهم بأنها عليهم للَّه فرضٌ واجب، ولا علىٰ صحة إيمان باللَّه ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط اللَّه أجرها، إذ لم تكن له، ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣] يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون عند مجيء أمر اللَّه بإدالة المؤمنين علىٰ أهل الكفر قد وُكِسوا في شرائهم الدنيا، وخابت صفقتهم وهلكوا.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

أخبر تعالىٰ المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضهم فإن الله يأتي عوضًا عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين، والتواضع لهم ولين الجانب، والقسوة والشدة علىٰ الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه ﷺ، فأمره بلين الجانب للمؤمنين، بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وأمره بالقسوة علىٰ غيرهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩] وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد قال الشاعر في رسول الله ﷺ:

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
وأعطى إذا ما طلب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفي المهند

وقال الآخر فيه:

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد

ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل الشدة ضعف، وخور، والشدة في محل اللين حمق، وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

* * *

س: هل في قوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] قراءات أخر؟

ج: نعم هناك قراءات أخر:

فقد قرأها بعض القراء (هل تَسْتَطِيعُ ربك) أي هل تستطيعُ أن تسأل ربك؟ أو هل تستطيع أن تدعو ربك؟

* * *

س: من هؤلاء القوم الذين عناهم الله بقوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]؟

ج: أخرج الطبري[١] بإسنادٍ صحيح عن عياض الأشعري قال: لَمَّا نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال: أومأ رسول الله ﷺ إلىٰ أبي موسىٰ بشيء كان معه فقال: هم قوم هذا.

ثم عقبه الطبري[٢] برواية من طريق عياض عن أبي موسىٰ، أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قال: يعني قوم أبي موسىٰ.

قلت: ولا يمنع أن يدخل مع قوم أبي موسىٰ غيرهم، فنعم قوم أبي موسىٰ من أهل اليمن، والإيمان يمان والحكمة يمانية، ولكن لا يمنع أن يدخل معهم غيرهم، ومنهم المؤمنون الأذلة علىٰ المؤمنين الأعزّة علىٰ الكافرين، الذين يُجاهدون في سبيل اللَّه ولا يخافون لومة لائم.

وثم صحابةٌ أخبر نبينا محمد ﷺ أن اللَّه يحبهم، منهم عليٌّ رضي اللَّه عنهم، فالنبي قد قال عنه: يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله، ثم آخرون عدة.

وكذا فاللَّه يحب المحسنين، ويحب الصابرين، ويحب المتقين.

* * *

(١) الطبري (١٢١٨٨).

(٢) الطبري (١٢١٨٩).

قلت (مصطفىٰ) وعياض الأشعري مختلف في صحبته والذي يظهر أن حديثه مرسل، وأما رواية من روىٰ عن عياض عن أبي موسىٰ فأراها رواية مرجوحه، والصواب رواية من روىٰ هذا الحديث مرسلاً، والله أعلم.

س: من صفات أهل الإيمان شدتهم على الكفار، وتراحمهم فيما بينهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن قومٍ يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قول النبي ﷺ في صفات أهل الجنة «... ورجل رحيم، رقيق القلب، لكل ذي قربى ومسلم»(١).

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

* * *

س: لا ينبغي أن يمتنع الشخص من فعل الخير وقول الحق بسبب لوم اللائمين، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قول اللَّه تبارك وتعالى في شأن قومٍ يحبهم ويحبونه: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].
- وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].
- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه مرفوعًا.

إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

● وفي الحديث عن رسول اللَّه ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه**»(١).

وفي بعض الروايات: «**فإنه لا يُقرب من أجل ولا يُباعد من رزق أن يقول بحق، أو أن يُذكِّر بعظيم**».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤] إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك إشارة إلى أمور، منها:

١ ـ محبتهم لله عزّ وجلّ ومحبة اللَّه لهم.

٢ ـ كونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

٣ ـ كونهم يجاهدون في سبيل اللَّه.

٤ ـ كونهم لا يخافون لومة لائم.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]؟

ج: وجه ذلك أن اللَّه جواد.

قال الطبري رحمه اللَّه:

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يقول: والله جواد بفضله على من جاد به عليه، لا يخاف نفاد خزائنه فتتلف في عطائه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بموضع جوده وعطائه، فلا

---

(١) عبد بن حميد في «المنتخب» (٨٦٧).

وانظر أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٧١).

يبذله إلا لمن استحقه، ولا يبذل لمن استحقه إلا على قدر المصلحة، لعلمه بموضع صلاحه له من موضع ضره.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: إنما ناصركم يا أهل الإيمان اللَّه سبحانه وتعالى، ورسوله، والذين آمنوا، ليس اليهود ولا النصارى، ولا الكفار، فهؤلاء يتمنون هزيمتكم، ويتمنون فشلكم، وليسوا لكم بأولياء ولا نصراء.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا اللَّه ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم اللَّه أن تبرأوا من ولايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء لا نُصَراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]؟

ج: من العلماء من حمل الآية على ظاهرها، وقال إن عليًّا رضي اللَّه عنه تصدَّق وهو راكع.

إلا أن الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى تعقَّب هذا بقوله:

وأما قوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك؛ لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح،

وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوىٰ، وحتىٰ إن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب: أن هذه الآية نزلت فيه؛ وذلك أنه مرّ به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه[1].

قلت: وثمَّ وجوه أُخر.

● فمن العلماء من حمل قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥] علىٰ صلاة الفرض، وحمل ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ علىٰ النفل.

● ومن العلماء من قال: خُصّ الركوع بالذكر لشرفه.

● ومنهم من قال: إن المؤمنين وقت نزول الآية كان بين متمم للصلاة وراكع.

وأورد القرطبي وجهًا آخر فقال:

ويحتمل أن يكون المدح متوجهًا علىٰ اجتماع حالتين، كأنه وصف من يعتقد وجود الصلاة والزكاة، فعبَّر عن الصلاة بالركوع، وعن الاعتقاد للوجوب بالفعل، كما تقول: المسلمون هم المصلّون، ولا تريد أنهم في تلك الحال مُصلّون ولا يوجه المدح حال الصلاة؛ فإنما يريد من يفعل هذا الفعل ويعتقده.

* * *

س: هل صحّ أن عليًّا رضي اللَّه عنه تصدَّق وهو راكع؟

ج: وردت بذلك جملة من الآثار تفيد أن عليًّا رضي اللَّه عنه تصدَّق وهو

---

(١) وردت بهذا عدة آثار، وإن كان كلٌّ منها لا يخلو من مقال، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ، وليس يصح شيء فيها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها..

قلت (مصطفىٰ): وقد يسوغ لشخصٍ القول بتصحيح الآثار بمجموع طرقها، وذلك لكثرة هذه الطرق، والمسألة تحتاج مني إلىٰ مزيد بحث وتحرير.

راكع، ولا يخلو إسنادٌ منها من مقال، ومن ثمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ: وليس يصح شيءٌ منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها.

قلت (مصطفى): وإن قال قائل بتحسينها بمجموع طرقها لم يبتعد كثيراً عن الصواب، فهي طرقٌ متعددة ومخارجها متنوعة، ومنها ما ليس ضعفه بشديد، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ج: هذا إعلامٌ من اللَّه عزّ وجلّ لعباده المؤمنين يخبرهم ربهم عزّ وجلّ بأن من رضي بولاية الله ورسوله له، واطمأن إلىٰ وعد اللَّه ورسوله وبادر بامتثال أمر اللَّه ورسوله فإن اللَّه ناصره ومعينه علىٰ عدوه.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وهذا إعلامٌ من اللَّه تعالىٰ ذكره عباده جميعًا الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم رضًا بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم، فسارعوا إلىٰ موالاتهم أنّ مَن وثق بالله وتولىٰ الله ورسوله والمؤمنين، ومن كان علىٰ مثل حاله من أولياء اللَّه من المؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة علىٰ من عاداهم وحادّهم، لأنهم حزب اللَّه، وحزب اللَّه هم الغالبون، دون حزب الشيطان.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٦] أي: من فوّض أمره إلىٰ اللَّه وامتثل أمر رسوله ووالىٰ المسلمين، فهو من حزب اللَّه،

وقيل: أي: ومن يتولى القيام بطاعة اللَّه ونصرة رسوله والمؤمنين ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، قال الحسن: حزب اللَّه جند اللَّه، وقال غيره: أنصار اللَّه، قال الشاعر:

وكيف أَضْوَى وبِلال حِزْبِي

أي: ناصري، والمؤمنون حزب اللَّه، فلا جرم غلبوا اليهود بالسبي والقتل، والإجلاء وضرب الجزية.

* * *

س: كيف كان اليهود يتخذون هذا الدين هزواً ولعبًا؟

ج: لذلك صور، منها:

أنهم يتواصون بالإيمان أوّل النهار، وأن يكفروا آخره للتشويش على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

قال الطبري رحمه اللَّه:

وكان اتخاذ هؤلاء اليهود الذين أخبر اللَّه عنهم المؤمنين أنهم اتخذوا دينهم هُزواً ولعبًا بالدين على ما وصفهم به ربنا تعالى ذكره، أن أحدهم كان يظهر للمؤمنين الإيمان وهو على كفره مقيم، ثم يراجع الكفر بعد يسير من المدة بإظهار ذلك بلسانه قولاً، بعد أن كان يُبدي بلسانه الإيمان قولاً وهو للكفر مستبطن تلعبًا بالدين واستهزاءً به، كما أخبر تعالى ذكره عن فعل بعضهم ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

ومن ذلك السخرية من رسول اللَّه ﷺ، كما قد جاء في تفسير قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ

كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومن ذلك أيضًا سخريتهم من أعمال الدين وأحكام الشريعة، كسخريتهم من الصلاة والحج والعمرة وغير ذلك.

* * *

س: من المعنيون بالكفار في قوله تعالى: ﴿وَالْكُفَّارَ...﴾ [المائدة: ٥٧]؟

ج: المراد بهم هنا، واللَّه أعلم: هم المشركون من عبدة الأوثان.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أنهم سخروا من الصلاة والمنادي لها لقلة فقههم، ولضعف عقولهم، فهم بمنزلة من لا عقل له.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: هل تأخذون علينا، وهل تعتبرون عيبًا علينا إلا إيماننا باللَّه، وبالكتب التي أنزلها وبالقرآن، وآمنا أن أكثركم خارجون عن طاعة اللَّه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

يقول تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبًا من أهل الكتاب: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩] أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة؛ فيكون الاستثناء منقطعًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨]، وكقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٧٤]، وفي الحديث المتفق عليه: «ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه اللَّه».

وقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩] معطوف على ﴿أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة:٥٩] أي: وآمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم.

قلت (مصطفى): أما قوله ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٧٤] فمعناه: وما عابوا على هذا الدين إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم اللَّه بعد دخولهم فيهم.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

و«تنقمون» بمعنى تعيبون، أي: هل تنقمون منَّا إلا إيماننا باللَّه وقد علمتم أنّا علي الحق، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩] أي: في تركككم الإيمان، وخروجكم عن امتثال أمر اللَّه؛ فقيل: هو مثل قول القائل: هل تنقم منِّي إلا أني عفيفٌ وأنك فاجر، وقيل: أي: لأن أكثركم فاسقون تنقمون منَّا ذلك.

* * *

س: أهل الكفر يأخذون على أهل الإيمان أموراً هي في الحقيقة مناقب، وضح ذلك.

ج: إيضاحه مما يلي من الآيات:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨] أي: فما أخذوا عليهم شيئًا، ولا انتقموا منهم لشيء إلا لكونهم آمنوا باللَّه العزيز الحميد.
- وقول قوم لوط لبعضهم في شأن آل لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن

قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

● وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩].

● وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣].

● وقول ورقة بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ: لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي[1].

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩]؟

ج: المراد، واللَّه أعلم بقوله ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن الذي أُنزل إلينا، وقوله ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ الكتب التي أنزلت قبل القرآن، وهي التوراة والزبور والإنجيل، وصحف إبراهيم، وكل ما أنزل من قبل.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٠].

ج: المعنىٰ، واللَّه أعلم: قل يا نبي اللَّه وقولوا يا أهل الإيمان لأهل الكتاب هؤلاء الذين ما عابوا عليكم شيئًا إلا إيمانكم بالله وإيمانكم بالقرآن وسائر الكتب، قل لهؤلاء: إن كنتم تظنون أنا سنعاقب ونجازىٰ علىٰ إيماننا بالله وكتبه ـ فتنزُّلاً معكم ـ هل أخبركم بشرٍّ مما وصفتمونا به عقوبة عند اللَّه؟!! إنها عقوبة من اللَّه لمن حاد عن طريقه فعاقبه عقوبة شديدة،

(١) البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

فلعنه وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، وعلى هذا، فقوله: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾ من باب أفعل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيءٌ، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] فهم خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً من أهل النار، مع أن أهل النار ليس في أي شيء من الخيرية في مستقرهم ومقيلهم.

ونحو قول النسوة لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول اللَّه ﷺ[1] مع أن النبي ﷺ ليس بغليظ ولا فظ مع أهل الإيمان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: هل أخبركم بشر جزاء عند اللَّه يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة، فقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال أيضًا بعد أن أورد بعض القراءات:

وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا: الذي هو توحيد اللّه وإفراده بالعبادات دون ما سواه، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر؟! ولهذا قال: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله عزّ وجلّ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤].

---

(١) البخاري (٣٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦).

س: هل من القردة والخنازير الموجودة الآن ما هو نسلٌ وعقبٌ لليهود الممسوخين إلى قردة وخنازير؟

ج: يجاب على ذلك بما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قالت أم حبيبة ـ زوج النبي ﷺ ـ «اللهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. قال: فقال النبي ﷺ: «**قد سألت اللَّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعجِّل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حلّه ،ولو كُنت سألتِ اللَّه أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل**».

قال: وذكرت عنده القردة، قال مِسعر: وأُراه قال: والخنازير من مسخٍ. فقال: «**إن اللَّه لم يجعل لمسخٍ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**»[1].

وفي رواية أخرى عند مسلم قال: فقال رجلٌ: يا رسول اللَّه، القردة والخنازير، هي مما مُسخ؟ فقال النبي ﷺ: «**إن اللَّه عزَّ وجلَّ لم يُهلك قومًا، أو يُعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك**».

* * *

س: اذكر بعض وجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] مع بيان معانيها.

ج: من ذلك ما يلي:

١ ـ ﴿عَبَدَ الطاغوت﴾: وعزا الطبري هذه القراءة إلى قراءة الحجاز والشام والبصرة وبعض الكوفيين، والمعنى: وجعل منهم القردة والخنازير،

(١) مسلم (٢٦٦٣).

ومن عَبَد الطاغوت، أي: وجعل منهم القردة والخنازير وعابد الطاغوت.

٢ ـ ﴿عَبُدَ الطاغوت﴾ بفتح العين وضم الباء، وكسر التاء من الطاغوتِ بإضافة (عبد) إليه عزاها الطبري إلى جماعة من الكوفيين، والمعنى: وخدم الطاغوت.

٣ ـ ﴿عُبُدَ الطاغوت﴾ بمعنى عبيد الطاغوت.

٤ ـ ﴿عابد الطاغوت﴾ ذكرها الطبري بسندٍ ضعيف عن بُريدة الأسلمي رضي اللَّه عنه.

● واختار الطبري رحمه اللَّه الوجهين الأولين، وانتصر لأولهما، ومعناه: ومن عبد الطاغوت.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الذين لعنهم اللَّه وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير، وعبد الطاغوت، أولئك في شر الأماكن؛ لأن مكانهم النار، وهذا من باب أفعل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء.

كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] فأهل النار ليسوا في شيء من الخيرية بحالٍ.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ لأن مكانهم النار، وأما المؤمنون فلا شر في مكانهم، وقال الزجاج: أولئك شر مكانًا على قولكم. النحاس: ومن أحسن ما قيل

فيه: أولئك الذين لعنهم اللَّه شر مكانًا في الآخرة من مكانكم في الدنيا لما لحقكم من الشر، وقيل: أولئك الذين لعنهم الله شر مكانًا من الذين نقموا عليكم. وقيل: أولئك الذين نقموا عليكم شر مكانًا من الذين لعنهم اللَّه.

وأما قوله: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] فإنه يعني بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ هؤلاء الذين ذكرهم تعالىٰ ذكره، وهم الذين وصف صفتهم فقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وكل ذلك من صفة اليهود من بني إسرائيل.

يقول تعالىٰ ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم «شر مكانًا» في عاجل الدنيا والآخرة عند اللَّه ممن نقمتم عليهم، يا معشر اليهود، إيمانهم باللَّه وبما أنزل إليهم من عند اللَّه من الكتاب، وبما أنزل إلىٰ من قبلهم من الأنبياء ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] يقول تعالىٰ ذكره: وأنتم مع ذلك أيها اليهود أشد أخذًا علىٰ غير الطريق القويم، وأجورُ عن سبيل الرشد والقصد منهم.

قال أبوجعفر: وهذا من لحن الكلام، وذلك أن الله تعالىٰ ذكره إنما قصد بهذا الخبر إخبارَ اليهود الذي وصف صفتهم في الآيات قبل هذه، بقبيح فعالهم وذميم أخلاقهم، واستيجابهم سخطه بكثرة ذنوبهم ومعاصيهم، حتىٰ مسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير، خطابًا منه لهم بذلك، تعريضًا بالجميل من الخطاب، ولَحَن لهم بما عَرَفوا معناه من الكلام بأحسن اللحن، وعلّم نبيه ﷺ من الأدب أحسنه فقال له: قل لهم يا محمد: أهؤلاء المؤمنون باللَّه وبكتبه الذين تستهزئون منهم شرٌّ أم من لعنه اللَّه؟ وهو يعني المقول ذلك لهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٦١].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أن هؤلاء اليهود وأهل النفاق إذا جاءوكم أظهروا لكم الإيمان بألسنتهم مع كونهم يضمرون الكفر في صدورهم، ولا يُبيتون رغبة حسنةً في الإيمان فدخلوا وهم كفار، وخرجوا وهم كفار، لم يستفيدوا شيئًا من مجالستكم يا أهل الإيمان.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره: وإذا جاءكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون من اليهود قالوا لكم ﴿آمَنَّا﴾ أي: صدقنا بما جاء به نبيكم محمد ﷺ واتبعناه على دينه، وهم مقيمون على كفرهم وضلالتهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ويُضمرونه في صدورهم، وهم يبدون كذبًا التصديق لكم بألسنتهم، ﴿قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ يقول: وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم، لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على اللَّه جهلاً منهم باللَّه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١] يقول: واللَّه أعلم بما كانوا ـ عند قولهم لكم بألسنتهم ـ آمنا بالله وبمحمد وصدّقنا بما جاء به. يكتمون منهم بما يضمرونه من الكفر بأنفسهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة [1] قال:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ الآية، أناسٌ من اليهود كانوا يدخلون علي النبي ﷺ فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم والكفر، وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي اللَّه ﷺ.

---

(١) الطبري (. ١٢٢٣).

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٤] فإذا رجعوا إلىٰ كفارهم من أهل الكتاب وشياطينهم رجعوا بكفرهم، وهؤلاء أهل الكتاب من اليهود(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٦١] وهذه صفة المنافقين منهم: أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية علىٰ الكفر؛ ولهذا قال: ﴿وَقَد دَّخَلُوا﴾ أي: إلىٰ عندك يا محمد ﴿بِالْكُفْرِ﴾ أي: مستصحبين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر، ولهذا قال: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ فخصَّهم به دون غيرهم.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٢].

ج: المعنىٰ، واللَّه تعالىٰ أعلم: ترىٰ يا رسول اللَّه، وترىٰ أيها المسلم، وترىٰ أيها الناظر كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون إلىٰ ارتكاب المحرمات ومخالفة أمر اللَّه عزّ وجلّ وغشيان المعاصي، وكذلك يسارعون في تعدي حدود اللَّه، والتعدي علىٰ خلقه كذلك وتراهم أيضًا يسارعون إلىٰ أكل السحت والذي منه الرشوة في الحكم.

* * *

(١) الطبري (١٢٢٣٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أقسم لبئس العمل الذي كانوا يعملون.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول اللَّه تعالى ذكره: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: أقسم لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملون في مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت.

* * *

س: ما وجه هذا القول من الإثم؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وذلك أنهم كانوا يحكمون فيهم بغير حكم اللَّه، ويكتبون كتبًا بأيديهم ثم يقولون: هذا من حكم اللَّه، وهذا من كتبه. يقول اللَّه: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

* * *

س: ذمَّ اللَّه سبحانه وتعالى العلماء الذين لا ينهون أقوامهم عن المنكر في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعضها.

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

- ورد عن ابن عباس [1] عند الطبري قال: ما في القرآن آية أشدّ توبيخًا من هذه الآية: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ

(١) الطبري أثر (١٢٢٣٩).

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] قال: كذا قرأ.

● وعنده أيضًا بإسناده إلى الضحاك قال: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] قال: ﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ فقهاؤهم وقراؤهم وعلماؤهم. قال: ثم يقول الضحاك: وما أخوفني من هذه الآية(١).

● وعند ابن أبي حاتم من طريق يحيى بن يعمر قال: خطب علي بن أبي طالب، فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً.

● ومن ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

● وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

● وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٩، ١٦٠].

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿لَوْلا﴾ أي هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ أي: الزهاد منهم والعباد

---

(١) الطبري (١٢٢٤٠).

﴿وَالأَحْبَارُ﴾ أي العلماء ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ أي الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أي الرشوة، المفسدة أمر العالم كله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من ترهبهم وتعلمهم لغير دين الله. أو من تركهم نهيهم. وهذا الذم المقول فيهم، أبلغ مما قيل في حق عامتهم.

أولاً: لأنه لما عبّر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعبّر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ـ كان هذا الذم أشد، لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء، وحرفة لازمة، هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم.

* * *

س: ما مراد اليهود بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]؟

ج: مرادهم ـ والعياذ باللَّه من مرادهم ومنهم ـ أن اللَّه بخيل، تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيراً.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [المائدة: ٦٤] من بني إسرائيل ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يعنون: أن خير اللَّه مُمسك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالىٰ ذكره في تأديب نبيه ﷺ: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وإنما وصف تعالىٰ ذكره «اليد» بذلك، والمعنىٰ العطاء؛ لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم، فجرىٰ استعمال الناس في وصف بعضهم بعضًا، إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشحّ وضيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلىٰ يديه، كما قال الأعشىٰ في مدح رجل:

يداك يدا مجد، فكفٌّ مُفيدةٌ وكفٌّ إذا ما ضُنّ بالزاد تُنفق

فأضاف ما كانً صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلىٰ «اليد»، ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يُحصىٰ، فخاطبهم اللَّه بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني بذلك: أنهم قالوا: إن اللّه يبخل علينا، ويمنعنا فضله فلا يُفضِل، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذلِ معروف، تعالىٰ الله عما قالوا، أعداء اللَّه.

فقال اللَّه مكذِّبهم ومخبرهم بسخطه عليهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، يقول: أمسكت أيديهم عن الخيرات، وقُبضت عن الانبساط بالعطيات ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] وأبعدوا من رحمة اللَّه وفضله بالذي قالوا من الكفر، وافتروا علىٰ الله ووصفوه به من الكذب والإفك ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يقول: بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غير مغلولتين ولا مقبوضتين، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] يقول: يعطي هذا ويمنع هذا فيقتِّر عليه.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة[1]: قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] إلىٰ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] أما قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] قالوا: الله بخيل غير جواد! قال اللَّه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

* * *

س: ما فائدة إخبار اللَّه عزّ وجلّ لنبيه ﷺ بقول اليهود ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؟

ج: أجاب علىٰ ذلك الطبري رحمه الله تعالىٰ بقوله:

---

(١) الطبري (١٢٢٤٦).

وهذا خبر من اللَّه تعالىٰ ذكره عن جرأة اليهود علىٰ ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخًا لهم بذلك، وتعريفًا منه نبيَّه ﷺ قديم جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم، واحتجاجًا لنبيه محمد ﷺ بأنه له نبيٌّ مبعوث ورسول مرسل: أن كان هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت من خفيِّ علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود، فضلاً عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرءوا كتابًا، ولا وَعَوا من علوم أهل الكتاب علمًا، فأطلع الله علىٰ ذلك نبيه محمداً ﷺ ليقرِّر عندهم صدقه، ويقطع بذلك حجتهم.

* * *

س: وضح المراد باليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ج: الظاهر واللَّه تعالىٰ أعلم: أن «اليد» هنا صفة من صفات ربنا تبارك وتعالىٰ كسائر صفاته، وليست يده كيد خلقه إذ الله تبارك وتعالىٰ قد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ فنثبت أن لله يداً ولكنها ليست كيد خلقه.

هذا وقد أورد أهل العلم وجوهًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وأورد الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ كثيراً منها في «تفسيره» والمختار لدينا منها ما قدمنا ذكره، ولكن لا بأس بنقل ما ذكره الطبري رحمه اللَّه.

قال رحمه اللَّه تعالى: واختلف أهل الجدل في تأويل قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فقال بعضهم: عنىٰ بذلك: نِعمتاه، وقال: ذلك بمعنىٰ: «يد الله علىٰ خلقه»، وذلك نعمه عليهم، وقال: إن العرب تقول: «لك عندي يد» يعنون بذلك: نعمةٌ.

وقال آخرون منهم: عنىٰ بذلك القوة. وقالوا: ذلك نظير قول اللَّه تعالىٰ

ذكره: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي﴾ [ص: ٤٥].

وقال آخرون منهم: بل «يده» ملكه، وقال: معني قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ملكه وخزائنه.

قالوا: وذلك كقول العرب للملوك: «هو ملك يمينه»، و«فلان بيده عقدة نكاح فلانة» أي: يملك ذلك، وكقول اللَّه تعالىٰ ذكره: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢].

وقال آخرون منهم: بل «يد الله» صفة من صفاته، هي يد، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم.

قالوا: وذلك أنّ الله تعالي ذكره أخبر عن خصوصه آدم بما خصّه به من خلقه إياه بيده. قالوا: ولو كان معنىٰ «اليد»، النعمة، أو القوة أو الملك، ما كان لخصوصه آدم بذلك وجه مفهوم، إذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته ومشيئته في خلقه تعمةٌ، وهو لجميعهم مالك.

قالوا: وإذ كان تعالىٰ ذكره قد خصّ آدم بذكره خلقه إياه بيده دون غيره من عباده كان معلومًا أنه إنما خصه بذلك لمعنىٰ به فارق غيره من سائر الخلق.

قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، بطل قول من قال معنىٰ «اليد» من اللَّه القوة والنعمة أو الملك، في هذا الموضع.

قالوا: وأحرىٰ أن ذلك لو كان كما قال الزاعمون أن «يد اللَّه» في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] هي نعمته، لقيل: «بل يده مبسوطة»، ولم يقل: «بل يداه»، لأن نعمة اللَّه لا تحصىٰ كثرة، وبذلك جاء التنزيل يقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

قالوا: ولو كانت نعمتين كانتا محصاتين.

قالوا: فإن ظنّ ظانٌّ أن النعمتين بمعنىٰ النعم الكثيرة فذلك منه خطأ،

وذلك أن العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد لأداء الواحد عن جميع جنسه، وذلك كقول الله تعالىٰ ذكره ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] وكقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ [البلد: ٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ [الفرقان: ٥٥]، قال: فلم يُرد بـ «الإنسان» و«الكافر» في هذه الأماكن إنسان بعينه، ولا كافر مشار إليه حاضر، بل عنىٰ به جميع الإنس وجميع الكفار، ولكن الواحد أدَّىٰ عن جنسه، كما تقول العرب: «ما أكثر الدرهم في أيدي الناس»، وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ معناه: وكان الذين كفروا.

قالوا: فأما إذا ثنَّىٰ الاسم، فلا يؤدي عن الجنس ولا يؤدي إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما.

قالوا: وخطأ في كلام العرب أن يُقال: «ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس»، بمعنىٰ: ما أكثر الدراهم في أيديهم.

قالوا: وذلك أن الدرهم إذا ثنِّي لايؤدي في كلامها إلا عن اثنين بأعيانهما.

قالوا: وغير محال: «ما أكثر الدرهم في أيدي الناس»، و«ما أكثر الدراهم في أيديهم» لأن الواحد يؤدي عن الجميع.

قالوا: ففي قول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] مع إعلامه عباده أن نعمه لا تُحصىٰ، مع ما وصفنا من أنه غير معقول في كلام العرب أن اثنين يؤديان عن الجميع ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنىٰ «اليد»، في هذا الموضع النعمة، وصحة قول من قال: إن« يد اللَّه»هي له صفة.

قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ، وقال به العلماء وأهل التأويل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيءٍ إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] والآيات في هذا كثيرة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤].

ج: كما هو معلوم فإن الله تبارك وتعالى قد جعل كتابه الكريم هداية للمتقين، وزيادة في التوفيق للمؤمنين، أما أهل الكفر فلا يزيدهم إلا خسارًا، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

● وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

● وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

● فالآية من كتاب اللَّه تنزل فتشفى بها صدور أقوام، ويضيق بها أقوامٌ آخرون ذرعًا.

● قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

● وقال تعالىٰ في شأن أهل الكفر: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢].

● وهنا في الآية الكريمة التي نحن بصددها يقول تعالىٰ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الطبري رحمه اللَّه في تأويله[1]:

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن هذا الذي أطلعناك عليه من خفيِّ أمور هؤلاء اليهود، مما لا يعلمه إلا علماؤهم وأحبارهم، احتجاجًا عليهم لصحة نبوتك، وقطعًا لعذر قائلٍ منهم أن يقول: «ما جاءنا من بشير ولا نذير»: «ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا و كفرا». يعني بـ «الطغيان»: الغلو في إنكار ما قد علموا صحته من نبوة محمد ﷺ والتمادي في ذلك. «وكفراً» يقول: ويزيدوهم مع غلوِّهم في إنكار ذلك، جحودهم عظمة الله ووصفهم إياه بغير صفته، بأن ينسبوه إلىٰ البخل، ويقولوا: «يد الله مغلولة»، وإنما أعلم تعالىٰ ذكره نبيه ﷺ أنهم أهل عتوّ وتمرد علىٰ ربهم، وأنهم لا يذعنون لحق، وإنما علموا صحته، ولكنهم يعاندونه، يسلِّي بذلك نبيه محمداً ﷺ عن الموجدة بهم في ذهابهم عن اللَّه وتكذيبهم إياه.

ونقل بإسناده عن قتادة قال:

«وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفراً» حملهم حسدُ محمد ﷺ والعرب علىٰ أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالىٰ ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤] أي: يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق

---

(١) الطبري (١٢٢٤٩).

أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقًا وعملاً صالحًا وعلمًا نافعًا يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولأمتك ﴿طُغْيَانًا﴾ وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: تكذيبًا، كما قال تعالىٰ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ [المائدة: ٦٤] بين من؟

ج: هذه تحتمل أحد وجهين:

أولهما: بين اليهود وبعضهم البعض.

الثاني: بين اليهود والنصارىٰ.

واختار الطبري الثاني وأورد علىٰ نفسه سؤالاً وأجاب عليه فقال: فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ جعلت الهاء والميم في قوله بينهم، كناية عن اليهود والنصارىٰ، ولم يجر لليهود والنصارىٰ ذكر؟

قيل: قد جرىٰ لهم ذكر، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] جرىٰ الخبر في بعض الآي عن الفريقين، وفي بعض عن أحدهما، إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ثم قصد بقوله ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ [المائدة: ٦٤] الخبر عن الفريقين.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائمًا؛ لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: كلما أوشكوا على أن يتفقوا على رأي لحرب رسول اللَّه ﷺ أفشل اللَّه خططهم وشتت اللّه شملهم وفرق اللَّه جماعتهم.

فالحرب ـ هنا ـ من العلماء من قال حرب رسول اللَّه ﷺ، ومن العلماء من عمَّم فقال ـ وهذا قول الطبري رحمه اللَّه ـ:

قال رحمه الله: يقول تعالى ذكره: كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى، فأرادوا مناهضة من ناوأهم، شتته الله عليهم وأفسده، لسوء فعالهم وخبث نياتهم.

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها، أبطلها الله وردّ كيدهم عليهم، وحاق مكرهم السيئ بهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه في تأويلها:

يقول تعالىٰ ذكره: ويعمل هؤلاء اليهود والنصارىٰ بمعصية الله فيكفرون بآياته، ويكذبون رسله، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيهم فيها بالفساد ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، يقول: واللَّه لا يحب من كان عاملاً بمعاصيه في أرضه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [المائدة: ٦٥] آمنوا بماذا واتقوا ماذا؟

ج: آمنوا باللَّه ورسوله والكتاب الذي أنزل علىٰ رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، وأيضًا اعتقدوا سائر أركان الإيمان.

واتقوا الشرك وما حرّم الله.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٦٥] وهم اليهود والنصارىٰ «آمنوا» بالله وبرسوله محمد ﷺ، فصدَّقوه واتبعوه وما أنزل عليه «واتقوا» ما نهاهم الله عنه فاجتنبوه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥]، يقول: محونا عنهم ذنوبهم فغطينا عليها، ولم نفضحهم بها، ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥] يقول: ولأدخلناهم بساتين ينعمون فيها في الآخرة (١).

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [المائدة: ٦٥] يقول: آمنوا بما أنزل اللَّه واتقوا ما حرّم اللَّه، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥].

---

(١) الطبري أثر (١٢٢٥٦).

س: كيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل على رسول اللَّه ﷺ مع أن هذه الكتب بعضها منسوخ وبعضها ناسخ؟

ج: أورد الطبري نحواً من هذا السؤال وجوابه فقال:

وكيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ مع اختلاف هذه الكتب، ونسخ بعضها بعضًا؟

قيل: إنها وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها، فهي متفقة في الأمر بالإيمان برسل اللَّه، والتصديق بما جاءت به من عند اللَّه، فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ: تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقة فيه، وبكل واحد منها في الحين الذي فرض العمل به.

وأما معنى قوله: ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦]، فإنه يعني: لأنزل اللَّه عليهم من السماء قطرها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارها.

وأما قوله: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦]، فإنه يعني تعالى ذكره: لأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض، وذلك ما تخرجه الأرض من حبها ونباتها وثمارها، وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

ج: أما الأكل من فوقهم، فالمراد به أن السماء ترسل عليهم مدراراً، وأما الأكل من تحت أرجلهم، فالمراد به أن الأرض تخرج ثمرتها وأُكُلها وبركتها لا تنقص شيئًا، واللَّه أعلم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وأما معنى قوله: ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦]، فإنه يعني: لأنزل الله عليهم من السماء قطرها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارها.

وأما قوله: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: لأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض، وذلك ما تخرجه الأرض من حبها ونباتها وثمارها وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض.

وأورد عن ابن عباس بسند فيه ضعف قال[1]: ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ﴾، يعني: لأرسل السماء عليهم مدراراً ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ تخرج الأرض بركتها.

وعن قتادة بسند حسن قال[2]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦] يقول: إذاً لأعطتهم السماء بركتها، والأرض نباتها.

* * *

س: طاعة الله ورسوله والتوبة من الذنوب من أعظم أسباب سعة الرزق حتى في الحياة الدنيا، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى

---

(١) الطبري (١٢٢٥٧).
(٢) الطبري (أثر ١٢٢٥٨).

أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

● وقول نبي الله نوح عليه السلام ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ خاصٌ بأهل الكتاب أم أنه عامٌ؟

ج: هذا ليس بخاص بأهل الكتاب بل عام في المؤمنين أيضًا.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وبين في مواضع أخر أن ذلك ليس خاصًا بهم، كقوله عن نوح وقومه ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] وقوله: عن هود وقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] الآية، وقوله عن نبينا عليه الصلاة والسلام وقومه ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣] وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الآية. على أحد الأقوال وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣] وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [الطلاق:١٣٢] ومفهوم الآية أن معصية الله تعالىٰ. سبب لنقيض ما يستجلب بطاعته، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ ذلك بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم:٤١] الآية، ونحوها من الآيات.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [المائدة:٦٦] أي: أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ. وأصل الإقامة الثبات في المكان. ثم استعير إقامة الشيء لتوفية حقه ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة:٦٦] أي: بينوا ما بين لهم ربهم في التوراة والإنجيل. ويقال: أقروا بجملة الكتب والرسل من ربهم، ويقال: هو القرآن ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦] لوسَّع عليهم أرزاقهم، بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض، ويكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع، أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار، فيجتنونها من رأس الشجر، ويلتقطون ما تساقط علىٰ الأرض. وجَعْلُ ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦] بمعنىٰ الأمطار والأنهار التي تحصل بها أقواتهم ـ بعيدٌ من الأكل. والأقرب الوجوه الثلاثة المتقدمة، ونبه تعالىٰ بذلك علىٰ أن ما أصابهم من الضنك والضيق، إنما هو بشؤم مَعَاصيهم وكفرهم، لا لقصورٍ في فيض الكريم، تعالىٰ: ودلّت الآية علىٰ أن العمل بطاعة الله تعالىٰ سبب لسعة الرزق، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا..﴾ [نوح:١٠] الآيات. ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦].

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: أنه من أهل الكتاب أمةٌ مقتصدةٌ وسطٌ معتدلة في اعتقادها وأعمالها، مقتصدة في اعتقادها، في عيسى عليه السلام، لا تصفه بما يصفه به أهل الافتراء والكفر من اليهود، إذ وصفه اليهود عليهم لعائن اللَّه بأنه ولد زنا، وكذلك لا تصفه بما وصفه به الضالون من النصارى الذين وصفوه بأنه اللَّه، أو ابنٌ للَّه، أو ثالث ثلاثة، بل تصفه بأنه عبد اللَّه ورسوله.

وكذلك فهذه الأمة المقتصدة مقتصدة في أعمالها بلا إفراط ولا تفريط، ولا وكسٍ ولا شطط.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ منهم جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يقول: مقتصدة في القول في عيسى بن مريم، قائلةٌ فيه الحق أنه رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا غاليةٌ قائلةٌ إنه ابن الله، تعالى اللَّه عمَّا قالوا من ذلك، ولا مقصرة قائلةٌ: هو لغير رِشْدَة.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: من بني إسرائيل من أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: كثير منهم سيئ عملهم.

وذلك أنهم يكفرون بالله، فتكذب النصارى بمحمد ﷺ، وتزعم أن المسيح ابن الله، وتكذب اليهود بعيسى وبمحمد صلى اللَّه عليهما، فقال الله تعالى فيهم ذامًّا لهم: ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ في ذلك من فعلهم.

* * *

س: استلَّ بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] منقبة لأمة محمد ﷺ فما وجه ذلك؟

ج: وجهه، أن هذا الفريق من أهل العلم ذهب إلى أنه سبحانه وتعالى ذكر من أهل الكتاب فئتين ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، فالدرجة العليا منهم أمة مقتصدة، أما المقتصدة من أمة محمد ﷺ فهي في المرتبة الثانية، إذ اللَّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهناك من أمة محمد ﷺ مرتبة أعلى من مرتبة المقتصد، وهي مرتبة السابق بالخيرات بإذن اللَّه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا
لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾
لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ

إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَعْصِمُكَ - تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ - طُغْيَانًا - كُفْرًا - فَلا تَأْسَ - وَالصَّابِئُونَ - لا تَهْوَى - فِتْنَةٌ - عَمُوا - صَمُّوا - بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ - يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ - خلت - صِدِّيقَةٌ - نُبَيِّنُ - الآيَاتِ - يُؤْفَكُونَ - لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ - وَأَضَلُّوا كَثِيرًا - سَوَاءِ السَّبِيلِ - لُعِنَ - يَعْتَدُونَ - لا يَتَنَاهَوْنَ - قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ - أَوْلِيَاءَ - فَاسِقُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَعْصِمُكَ﴾	يمنعك.
﴿تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾	تعملوا بما في التوراة والإنجيل
﴿طُغْيَانًا﴾	تجاوزًا وغُلوًّا في التكذيب
﴿كُفْرًا﴾	جحودًا وإنكارًا لنبوتك
﴿فَلا تَأْسَ﴾	فلا تحزن
﴿الصَّابِئُونَ﴾	قومٌ لا دين لهم
﴿لا تَهْوَى﴾	لا تحب - لا تشتهي
﴿فِتْنَةٌ﴾	ابتلاء - شدة - انتقام
﴿عَمُوا﴾	أصيبوا بالعمى عن الحق
﴿صَمُّوا﴾	أصيبوا بالصمم عن الحق
﴿بَصِيرٌ بِمَا﴾	مطلعٌ على أعمالهم

الكلمة	معناها
﴿يَعْمَلُونَ﴾	
﴿يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾	يرجعون إلى الله
﴿خَلَتْ﴾	مضت
﴿صِدِّيقَةٌ﴾	مؤمنةٌ برسالته مصدقةٌ له ـ كثيرة التصديق
﴿نُبَيِّنُ﴾	نوضِّح
﴿الآيَاتِ﴾	الأدلة والحجج والبراهين .
﴿يُؤْفَكُونَ﴾	يُصرفون (عما بيناه لهم) .
﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	لا تتجاوز الحد في اتباع الحق .
﴿أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾	صرفوا كثيراً من الناس عن الحق .
﴿سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	وسط الطريق ـ الطريق المستقيم .
﴿لُعِنَ﴾	طردوا (من الرحمة) .
﴿يَعْتَدُونَ﴾	يتجاوزون الحد .
﴿لا يَتَنَاهَوْنَ﴾	لا ينهون ـ لا ينهى بعضهم بعضاً .
﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾	قدموا لأنفسهم ليوم القيامة ـ زيّنت ـ سوّلت .
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أصدقاءً ـ أنصاراً .
﴿فَاسِقُونَ﴾	خارجون عن الطاعة .

س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾ [المائدة: ٦٧]؟

ج: لم أقف للآية على سبب نزول صحيح، أما الذي أخرجه ابن حبان في «الموارد» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فينزل تحتها وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر، فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علَّق السيف عليها، إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي صلى الله عليه وعلي آله وسلم وهو نائم فأيقظه فقال: يا محمد، من يمنعك مني، فقال النبي صلى الله عليه علي آله وسلم: «الله» فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية.

ففي سنده مؤمل بن إسماعيل، وفيه كلام، وقد أورد الحافظ ابن كثير متابعًا له، وعزاه لابن مردويه من طريق ابن مردويه حدثنا أبو عمرو أحمد ابن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثنا آدم... فالمتابع هو آدم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى ذلك: إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك لم تُبلِّغ رسالته (١).

* * *

(١) وقد ورد هذا عن ابن عباس بسندٍ ضعيف (عند الطبري (١٢٢٧٠).

س: أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يُبلغ وذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]؟

وضح ما يدل على أن النبي ﷺ قد أمتثل ما أُمر به وبلغ؟

ج: نعم قد بلغ رسول الله ﷺ ما أُنزل إليه من ربه وقد شهد له الصحابة بذلك، شهدوا أنه بلغ وأدىٰ ونصح، بل شهد الله له بذلك، إذ الله قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٤٣]. وقال له: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

* * *

س: ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها هذه الآية عند كلام معين، اذكر ذلك.

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللّه عنها قالت: من حدَّثك أن محمداً ﷺ كتم شيئًا، وقال محمدٌ حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تُصدِّقه، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾» [المائدة: ٦٧].

وفي رواية لمسلم[2]: ولو كان محمدٌ ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

---

(١) البخاري (٧٥٣١) ومسلم (١٧٧).

(٢) مسلم (ص١٦٠).

* * *

س: هل كان رسول اللَّه ﷺ يُحرس؟

ج: نعم، قد كان رسول اللَّه ﷺ يُحرس، ففي «الصحيحين»[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: أرق[٢] رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة، فقال: «**ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**»، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من هذا؟**» قال: سعد بن أبي وقاص يا رسول اللَّه، جئت أحرسك. قالت عائشة: فنام رسول اللَّه ﷺ حتَّىٰ سمعت غطيطه[٣].

وفي رواية أخرى: أن عائشة قالت: سهر رسول اللَّه ﷺ مَقْدَمَه المدينة ليلة، فقال: «**ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**» قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «**من هذا؟**» قال: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ما جاء بك؟**» قال: وقع في نفسي خوفٌ علىٰ رسول اللَّه ﷺ فجئت أحرسه. فدعا له رسول اللَّه ﷺ، ثم نام.

* * *

س: وضح بعض صور عصمة الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ:

ج: ذكر طرفًا من ذلك الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه فقال:

---

(١) البخاري (٢٨٨٥) ومسلم (٢٤١٠).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث . . .

وقد روىٰ الترمذي من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتىٰ نزلت هذه الآية، ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧].

وإسناده حسن، واختلف في وصله وإرساله.

(٢) أرق: سهر.

(٣) الغطيط: صوت النائم المرتفع.

ومن عصمة اللَّه لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها، وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه اللَّه من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مُطاعًا كبيراً في قريش، وخلق اللَّه في قلبه محبة طبيعية لرسول اللَّه ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه.

فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذًى يسيراً، ثم قيض اللَّه له الأنصار، فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم، وهي المدينة، فلما صار إليها حَمَوه من الأحمر والأسود، فكلما همّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده اللَّه ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه اللَّه منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه اللَّه به وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

● ومن حفظ الله لنبيه ﷺ حفظه عندما أراد به المشركون السوء عند هجرته ﷺ، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: ٤٠].

وفي «الصحيحين» (١) من حديث أبي بكر رضي اللَّه عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدَهُم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنُّك يا أبا**

(١) البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

بكر باثنين الله ثالثهما».

● ومن حفظ الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ ما أخرجه مسلم [١] من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما قال: غزونا مع رسول اللّه ﷺ غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول اللّه ﷺ تحت شجرة، فعلّق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول اللّه ﷺ: «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتًا في يده، فقال لي: من يمنعك مني ـ قال: ـ قلت: الله! ثم قال في الثانية من يمنعك مني ـ قال: ـ قلت: اللّه! ـ قال: ـ فشام السيف فها هو ذا جالس**» ثم لم يعرض له رسول اللّه ﷺ.

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[٢] في المسند بسندٍ حسن من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: . . . فذكر الحديث وفيه: . . . وشرىٰ عليٌّ نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول اللّه ﷺ فجاء أبو بكر وعليّ نائم قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي اللّه، قال: فقال يا نبي اللّه. قال: فقال له عليّ إن نبي اللّه ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه. قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليٌّ يُرمىٰ بالحجارة كما كان يرمىٰ نبي اللّه وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتىٰ أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم، كان صاحبك نراميه فلا يتضور، وأنت تتضور قد استنكرنا ذلك.

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (٨٤٣).

(٢) أحمد (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) ولبعضه شواهده (انظر المسند ٣٤٨) وخاصة لنومِ عليٍّ رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ.

س: الدعاة إلى الله عزّ وجلّ المُبلغون رسالته إلى الناس والعاملون بشرعه يحفظهم اللَّه وينصرهم، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

● وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

● وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾(١) [القصص: ٣٥].

● وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

● وقوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»(٢).

* * *

(١) قال بعض العلماء بتبليغكما آياتنا.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨].

ج: المعنى، واللَّه أعلم، قل: يا أهل التوراة ويا أهل الإنجيل لستم على شيء مما تدَّعون أنكم عليه من الدين، أي: إنكم لم تعملوا بشيء مما تزعمون أنكم تتدينون ربكم به، فيا أهل التوراة أنتم لستم على التوراة، ويا أهل الإنجيل لستم على الإنجيل.

* * *

س: س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

ج: المعنى، واللَّه أعلم: حتى تعملوا بما في التوراة وما في الإنجيل، وتعملوا أيضًا بما في القرآن الذي أنزل إليكم من ربكم، وتؤمنوا بذلك كله، أما إذا آمنتم ببعض وكفرتم ببعض فقد كفرتم بالجميع، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

قال الطبري رحمه اللَّه:

وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ بإبلاغ اليهود والنصارى الذين كانوا بين ظهراني مُهاجره، يقول تعالى ذكره له: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصاري: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٦٨] التوراة والإنجيل، ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٦٨] مما تدَّعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى ﷺ معشرَ اليهود، ولا مما جاءكم به عيسى معشر النصارى ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مما جاءكم به محمد ﷺ من الفرقان، فتعملوا بذلك كله،

وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه، وتقرُّوا بأن كل ذلك من عند اللَّه، فلا تكذبوا بشيء منه، ولا تفرِّقوا بين رسل اللَّه فتؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض، فإن الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه، لأن كتب اللَّه يصدق بعضها بعضًا، فمن كذَّب ببعضها فقد كذَّب بجميعها.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]؟

ج: المراد، واللَّه تبارك وتعالى أعلم، القرآن العظيم.

* * *

س: كيف لا يأس على القوم الكافرين، وقد عُلم أن الشخص يفرح بإيمان الناس ويحزن لكفرهم؟

ج: النهي عن الحزن في الآية الكريمة إنما هو عن الحزن الشديد المفرط الذي تتقطع منه النفس ويتفطر معه القلب، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [لقمان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]؟

ج: المعنى، والله أعلم، لا خوف عليهم مما هو آت ولا هم يحزنون على ما قد تركوا وفات.

قال الطبري رحمه الله: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، فيما قَدِمو عليه من أهوال القيامة.

﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما خلَّفوا وراءهم من الدنيا وعيشها، بعد معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [المائدة: ٧٠] الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله في تفسيرها: يقول تعالى ذكره: أقسم: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخلاص في توحيدنا، والعمل بما أمرناهم به، والانتهاء عما نهيناهم عنه، وأرسلنا إليهم بذلك رسلاً، ووعدناهم على ألسن رسلنا إليهم على العمل بطاعتنا الجزيل من الثواب، وأوعدناهم على العمل بمعصيتنا الشديدَ من العقاب، كلما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهيه نفوسهم ولا يوافق محبَّتهم، كذَّبوا منهم فريقًا، ويقتلون منهم فريقًا، نقضًا لميثاقنا الذي أخذناه عليهم، وجرأة علينا وعلى خلاف أمرنا.

قلت (مصطفى): وقد تقدم تفسير الميثاق في هذه السورة، وفي سورة البقرة أيضًا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أن اليهود كذبوا فريقًا من الأنبياء وقتلوا فريقًا آخر منهم أيضًا.

وقد ذكر كثيرٌ من أهل العلم أن اليهود قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام.

* * *

س: لماذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠] ولم يقُل فريقًا كذبوا وفريقًا قتلوا؟

ج: أجاب العلماء على ذلك بأجوبة:

أحدها: إن ذلك قيل مراعاة لرءوس الآيات.

الثاني: أنهم - أي اليهود - ما زالوا قائمين بقتل الأنبياء وقد حاولوا قتل نبينا محمد ﷺ مِراراً فأنجاه الله منهم.

* * *

س: اذكر بعض الأنبياء الذين قتلهم الإسرائيليون، وبعض من كذبوهم؟

ج: كذبوا عيسى عليه السلام، وقتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام وبهذا قال أكثر أهل العلم.

* * *

س: كيف تمكنوا من قتل الرسل، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [الصفات: ١٧١: ١٧٣] ويقول: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟

ج: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن النصر في الدنيا بالحجة والبيان.

الثاني: أن من الرسل من كلف بقتال وهؤلاء قد نصرهم الله، ومنهم من لم يؤمر بقتال، وهؤلاء منهم من قد اتخذه الله شهيداً بعد أن قتله أعداء الله والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وظن هؤلاء اليهود الإسرائيليون الذين أُخذت عليهم العهود والمواثيق فنقضوها وكذبوا الرسل بل وقتلوهم بغير حق، ظن هؤلاء اليهود أن الله لن يعاقبهم ولن يبتليهم ولن يسلط عليهم الشدائد بما كانوا يفعلون وظنوا أنه لن يترتب على صنيعهم شرٌ، ولكنه قد ترتب وهو أنهم عموا وصموا فلا يسمعون حقًّا ولا يهتدون إليه.

وهذا الظن الذي تسرَّب إليهم من كونهم لا يعذبون إنما تسرب إليهم للاعتقاد الباطل الذي اعتقدوه وهو قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] أي أنه لن يعذبنا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١]؟

ج: المعنى، والله أعلم أن هؤلاء اليهود لما قتلوا الأنبياء وكذبوهم أصيبوا بالعمى عن الحق وبالصمم عنه، وهذه عقوبة كبرى من الله عزَّ وجل فحالت ذنوبهم دون فهم الحق، وحالت جرائمهم دون رؤيته وسماعه.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] أي: ظن بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾

[المائدة: ٧١] عطف على ﴿حَسِبُوا﴾ و (الفاء) للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: أمنوا بأس الله تعالى، فتمادوا في فنون الغيّ والفساد، وعموا عن الدين، بعدما هداهم الرسل إلى معالمه الظاهرة، وصمّوا عن استماع الحق الذي أَلْقَوْهُ عليهم، ولذلك فعلوا ما فعلوا: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٧١] أي: مما كانوا فيه.

قال العلامة أبو السعود: لم يسند التوبة إليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى والصمم، تجافياً عن التصريح بنسبة الخير إليهم، وإنما أُشير إليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم، تمهيداً لبيان نقضهم إياها بقوله تعالى:

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١] كرة أخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] بدل من الضمير في الفعلين أو خبر محذوف، أي: أولئك كثير منهم ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١] أي: بما عملوا، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها الفظيعة ورعايةً للفواصل. والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور. ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا، إشارة إجمالية، اكتفى بها تعويلاً على ما فصّل نوع تفصيل في سورة (بني إسرائيل) ـ أفاده أبو السعود. وهو مأخوذ من كلام القفال، كما سيأتي:

تنبيه: في هذه الآية إشارة إلى ما اكتنف بني إسرائيل من الفتنة وعذاب الله الذي حاق بهم قبل عيسى وبعده وذلك أن أنبياءهم قبل عيسى كانوا يوبخون رؤساءهم الأشرار وشعبهم علي خطاياهم. ولا سيما في عبادتهم الأوثان. وينصحونهم أن يرجعوا إلى الله. وينذرونهم بعقابه تعالى الشديد ودمارهم إن لم يتوبوا.

كما أنبأهم إرْميا عليه السلام بخراب بلدهم، وقضائه تعالى الهائل

عليهم، إن أصرّوا على طغيانهم، فيما استمعوا له. حتى روي أنه ختم له بالشهادة. إذ رجمته اليهود بمصر عتوًّا واستكبارًا، ثم سلّط الله عليهم بختنصر، ملك بابل، وسبى شعبهم وهدمت جنوده مدينتهم بيت المقدس وهيكلها، وصارت تلال خرابٍ.

وذلك لاستئصال كفرهم وشرورهم، وتطهير هيكلهم من نجاسة أوثانهم. فحلَّ عليهم من البابلية الشقاء والويل. وأُخذوا أسرى إلى ما وراء الفرات. ولم يترك منهم إلاّ الفقراء فقط. و بذلك انتهى ملكهم. وكان ذلك قبل ولادة عيسى عليه السلام بنحو خمسمائة وثمانٍ وثمانين سنة. ثم تاب الله عليهم ورحمهم من سبيهم، وأعادهم برحمته إلى مدينتهم بيت المقدس. بعد أن أقاموا في بابل سبعين سنة، وابتدءوا ببناء هيكلهم ثانية. وأرجعوا العبادة إليه. وقام حزقيال عليه السلام بوعظهم وتهذيبهم ودعوتهم إلى التوبة وتذكيرهم بما مضى ليعتبروا، وهكذا كل نبيٍّ فيهم، لم يزل ينذرهم ويدعوهم إلى الله إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام. فعموا عن الاهتداء به وصمّوا عن وعظه، وكان ما كان من همّهم بقتله، فدمرهم الله بعد ذلك وأباد مملكتهم. وطُرِدوا من أرضهم بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو أربعين سنة، وأخذ الرومانيون مدينتهم وهدموها مع الهيكل، وحلّت عليهم نقمة الله فتفرقوا شذر مذر.

هذا، وما قيل بأن قوله تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ إشارة إلى عبادتهم العجل - فإنه بعيد. لأنها، وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم، لكنها في عصر موسى عليه السلام. ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاءوهم بعده عليه السلام بأعصار. وكذا ما قيل بأن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ إشارة إلى طلبهم الرؤية فبعيد أيضًا لما ذكرنا. وفنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى. خلا أن انحصار ما

حكي عنهم ههنا في المرتين، وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام، يقضي بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب. كما أفاده أبو السعود.

ونحن نوافقه على ما رآه. بيد أن ما سقناه في التنبيه أظهر في مجرياتهم، وأشدّ مطابقةً لما في تواريخهم، مما ساقه هنا، فتثبت.

ويرحم الله الإمام القفال حيث قال: ذكر الله تعالى في سورة (بني إسرائيل) ما يجوز أن يكون تفسيراً لهذه الآية فقال: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٦] فهذا في معنى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١] ثم قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] فهذا في معني قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] انتهى.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٧١] إضمارٌ، وضح هذا الإضمار؟

ج: إيضاحه أن المعنى: ثم تابوا فتاب الله عليهم أي أنهم لما وقعت بهم البلايا والشدائد والمحن تابوا ورجعوا إلى الله فقبل الله رجوعهم إليه أو يكون المعنى فكشف الله ما بهم من ضرّ.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٧١] في الكلام إضمار، أي: أوقعت بهم

الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم بكشف القحط، أو بإرسال محمد ﷺ يخبرهم بأن الله يتوب عليهم إن آمنوا، فهذا بيان ﴿تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٧١] أي: يتوب عليهم إن آمنوا وصدّقوا لا أنهم تابوا على الحقيقة. ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي عمي كثير منهم وصمّ بعد تبيّن الحق لهم بمحمد عليه الصلاة والسلام.

* * *

س: من القائلون بأن الله هو المسيح ابن مريم؟

ج: هم طائفة اليعقوبية من النصارى.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال المسيح ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ [المائدة: ٧٢] الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيرها:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض ما فتن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة. يقول تعالى ذكره: فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به، فنقضوا فيه ميثاقي، وغيَّروا عهدي الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي، ولا يتخذوا ربًّا غيري، وأن يوحِّدوني، وينتهوا إلى طاعتي - عبدي عيسى بن مريم، فإني خلقته، وأجريت على يده نحو الذي أجريت على يد كثير من رسلي، فقالوا كفراً منهم: «هو الله».

وهذا قول اليعقوبية من النصارى عليهم غضب الله.

يقول الله تعالى ذكره: فلما اختبرتهم وابتليتهم بما ابتليتهم به، أشركوا بي، وقالوا لخلق من خلقي، وعبد مثلهم من عبيدي، وبشر نحوهم معروف نسبه وأصله، مولود من البشر، يدعوهم إلى توحيدي، ويأمرهم

بعبادتي وطاعتي، ويقرّ لهم بأني ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بي شيئًا: «هو إلههم»، جهلاً منهم بالله وكفرًا به، ولا ينبغي لله أن يكون والدًا ولا مولودًا.

ويعني بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢] يقول: اجعلوا العبادة والتذلل للذي له يَذل كل شيء، وله يخضع كل موجود ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ يقول: مالكي ومالككم، وسيدي وسيدكم، الذي خلقني وإياكم ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] أن يسكنها في الآخرة ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ يقول: ومرجعه ومكانه ـ الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكًا في عبادته ـ نارُ جهنم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٧٢] يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق، ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم.

* * *

س: هل لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ ارتباط بما قبله [المائدة: ٧٢]؟

ج: نعم له ارتباط بما قبله، فهو بيان لجهل من قال: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإيضاح ذلك أنه إذا كان المسيح يقول: اعبدوا الله ربي وربكم، فكيف يكون إلهًا؟

قال القرطبي رحمه الله: أي: إذا كان المسيح يقول يا رب ويا الله فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها؟

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي توضح حرمان المشركين من دخول الجنة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وإرسال النبي ﷺ بلالاً ينادي في الناس: «**إنه لن يدخل الجنة إلا نفسٌ مُسلمة**»(١) وأخرج البخاري(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبيُّ ﷺ: «**يخطب فقال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] **الآية، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنكَ لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ - إلىٰ قوله - الْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٧، ١١٨] **قال فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم**».

* * *

س: ما مرادهم بقولهم إن الله ثالث ثلاثة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أن مراد النصارىٰ ذلك أن المسيح إله وأمه إله، والله ثالث ثلاثة.

قالوا: وهي كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا القول هو الأظهر، والله أعلم.

---

(١) مسلم (١١١).

(٢) البخاري (٦٥٢٦).

أما الطبري رحمه الله تعالى فقال في تفسير الآية: بصفة عامة:

وهذا أيضًا خبر من الله تعالىٰ ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: أنه لما ابتلاهم بعد حسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون، قالوا كفرًا بربهم وشركًا: ﴿اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وهذا قول كان عليه جماهير النصارىٰ قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنَّسطورية كانوا فيما بلغنا يقولون: «الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبَّعة بينهما».

يقول الله تعالىٰ ذكره، مكذّبًا لهم فيما قالوا من ذلك: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] يقول: ما لكم معبود، أيها الناس، إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود، بل هو خالق كل والد ومولود ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [المائدة: ٧٣]، يقول: إن لم ينتهوا قائلو هذه المقالة عما يقولون من قولهم: ﴿اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] يقول: ليمسن الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرىٰ: ﴿هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٣]، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلىٰ العموم، ولم يقل: (ليمسنهم عذاب أليم) لأن ذلك لو قيل كذلك، صار الوعيد من الله تعالىٰ ذكره خاصًّا لقائل القول الثاني، وهم القائلون: ﴿اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، ولم يدخل فيهم القائلون: (المسيح هو الله). فعمّ بالوعيد تعالىٰ ذكره كلَّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار علىٰ مثل الذي هم عليه.

فإن قال قائل: وإن كان الأمر على ما وصفت، فعلى من عادت «الهاء والميم» اللتان في قوله: ﴿منهم﴾؟

قيل: على بني إسرائيل.

فتأويل الكلام: إذْ كان الأمر على ما وصفنا: وإن لم ينته هؤلاء الإسرائيليون عما يقولون في الله من عظيم القول، ليمسنّ الذين يقولون منهم: (إن المسيح هو الله)، والذين يقولون: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وكل كافر سلك سبيلهم عذاب أليم، بكفرهم بالله.

أما القرطبي رحمه الله فقال:

وهذا قول فرق النصارى من المَلْكِية والنُّسْطُورية واليعقوبية، لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم. وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة؛ وذلك أنهم يقولون: إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله. وقد تقدّم القول في هذا في «النساء» فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

* * *

س: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤] ما المقصد منه؟

ج: المقصد منه ـ والله تعالى أعلم ـ التقرير والتوبيخ، فالمعنى فليتوبوا إليه وليسألوه ستر ذنوبهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في إيضاح ذلك:

يقول تعالىٰ ذكره: أفلا يرجع هذان الفريقان الكافران القائل أحدهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] والآخر القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] عما قالا من ذلك، ويتوبان مما قالا ونطقا به من كفرهما، ويسألان ربهما المغفرة مما قالا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [المائدة: ٧٤] لذنوب التائبين من خلقه، المنيبين إلىٰ طاعته بعد معصيتهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤] بهم، في قبوله توبتهم ومراجعتهم إلىٰ ما يحبّ مما يكره، فيصفح بذلك من فعلهم عما سلف من أجرامهم قبل ذلك.

* * *

س: المعهود في كتاب الله عز وجل في كثير من الأحيان بعد ذكر الجرائم والكبائر وعقوباتها يفتح باب التوبة أمامَ التائبين كي يرجعوا عما هم فيه، دلّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

- قوله تعالىٰ في شأن قطاع الطرق وما ذكر في شأنهم من العقوبة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

أي: فاغفروا لهم فإن الله غفور رحيم.

- وقوله تعالىٰ في شأن تارك الصلاة: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

- وقوله تعالىٰ في شأن أهل الشرك والقتلة والزناة[1].

﴿... وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

- وقوله تعالىٰ في شأن أصحاب الأخدود ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) لا يفهم من هذا أن القتلة والزناة يخلدون في النار.

وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

ففتح لهم باب التوبة مع كونهم فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

وهؤلاء الذين قالوا بالتثليث يفتح أمامهم باب التوبة ليتوبوا في دنياهم، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤] وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه، ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه.

* * *

س: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] على أن الأنبياء ليس منهم نساء وضح ذلك؟

ج: إيضاحه فيما ذكره ابن كثير رحمه الله حيث قال: وقوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى؛ استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيًّا إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك.

س: ما وجه إيراد قوله تعالى ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ ...﴾ [المائدة: ٧٥] ؟

ج: وجه ذلك إثبات بشرية عيسى ومريم عليهما السلام فكونهما كانا يأكلان الطعام دليلٌ على بشريتهما.

فالذي يأكل يجوع حتى يأكل، والذي يأكل يحتاج إلى أن يتبول ويتبرز، والذي يأكل يمرض، وكل ذلك محالٌ على الله تبارك وتعالى.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، خبرٌ من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوُهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك، فغيرُ كائنٍ إلهًا، لأن المحتاج إلى الغذاء قوَامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليلٌ واضحٌ على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا ربًّا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين، كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: هذا غايته، ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر، ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، ولا مزية له عليهم، تخرجه عن البشرية، إلى مرتبة الربوبية.

﴿وَأُمُّـهُ﴾ مـريم ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: هذا أيضًا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلىٰ الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية: هي العلم النافع، المثمر لليقين، والعمل الصالح. وهذا دليل علىٰ أن مريم، لم تكن نبية، بل أعلىٰ أحوالها، الصديقية، وكفىٰ بذلك فضلاً وشرفًا، وكذلك سائر النساء، لم يكن منهن نبية، لأن الله تعالىٰ جعل النبوة في أكمل الصنفين. في الرجال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف:١٠٩]. فإذا كان عيسىٰ عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأي شيء اتخذهما النصارىٰ إلهين مع الله؟

وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] دليل ظاهر، علىٰ أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلىٰ الطعام والشراب. فلو كانا إلهين، لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلىٰ شيء، فإن الإله، هو الغني الحميد.

ولما بين تعالي البرهان قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا، لا تفيد فيهم شيئًا، بل لا يزالون علىٰ إفكهم، وكذبهم، وافترائهم. وذلك ظلم وعناد منهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]؟

ج: قال ابن كثير رحمه الله:

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ [المائدة: ٧٥]: أي: نوضحها ونظهرها ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] أي: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء، أين يذهبون؟ وبأي قول يتمسكون؟ وإلىٰ أي مذهب من الضلال يذهبون؟.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦] ؟

ج: قال الطبري رحمه الله في معنى ذلك:

وهذا أيضًا احتجاجٌ من الله تعالىٰ ذكره لنبيه ﷺ علىٰ النصارىٰ القائلين في المسيح ما وصف من قيلهم فيه قبلُ.

يقول تعالىٰ ذكره لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لهؤلاء الكفرة من النصارىٰ، الزاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة أتعبدون سوىٰ الله الذي يملك ضركم ونفعكم، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو يحييكم ويميتكم شيئًا لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا؟ يخبرهم تعالىٰ ذكره أن المسيح الذي زعم من زعم من النصارىٰ أنه إله، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابنٌ لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم، ولا نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم يقول تعالىٰ ذكره: فكيف يكون ربًّا وإلهًا من كانت هذه صفته؟ بل الربُّ المعبودُ: الذي بيده كل شيء، والقادر علىٰ كل شيء. فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فإنه يعني تعالىٰ ذكره بذلك: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾، لاستغفارهم لو استغفروه من قيلهم ما أخبر عنهم أنهم يقولونه في المسيح، ولغير ذلك من منطقهم ومنطق خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾، بتوبتهم لو تابوا منه، وبغير ذلك من أمورهم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦] زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم؛ أي: أنتم مقرون أن

عيسىٰ كان جنينًا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرًّا ولا نفعًا، وإذ أقررتم أن عيسىٰ كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلهًا، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: لم يزل سميعًا عليمًا يملك الضرّ والنفع. ومن كانت هذه صفته فهو الإله علىٰ الحقيقة. والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم، لا تتجاوز الحد في اتباع الحق، ولا تغالوا في الاستقامة ولا تطغوا فيها بتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم ولا تتجاوز الحد في عيسىٰ عليه السلام كذلك، فتتخذونه ربًّا وإلهًا وابنًا لله، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فمغالاة النصارىٰ في المسيح منهم من جعله ابنًا لله ومنهم من اتخذه إلهًا، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة ومغالاة اليهود في عيسىٰ عليه السلام، قولهم فيه إنه ولد زنا، قال تعالىٰ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

قال الطبري رحمه الله:

وهذا خطابٌ من الله تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ يقول تعالىٰ ذكره: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء الغالية من النصارىٰ في المسيح ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، يعني بـ ﴿الْكِتَابِ﴾: الإنجيل.

﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، يقول: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحقَّ إلىٰ الباطل، فتقولوا فيه: «هو الله»، أو «هو ابنه»، ولكن قولوا: (هو عبد الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه)،

﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً﴾، يقول: ولا تتبعوا أيضًا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدىٰ في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا: «هو لغير رشْدة»، وتبهتوا أمَّه كما بَهتُوا بالفرية وهي صدِّيقة ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيراً﴾، يقول تعالي ذكره: وأضل هؤلاء اليهود كثيراً من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحق، وحملوهم علىٰ الكفر بالله والتكذيب بالمسيح: ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] يقول: وضلَّ هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجَّة الحق.

وإنما يعني تعالىٰ ذكره بذلك، كفرهم بالله، وتكذيبَهم رسله: عيسىٰ ومحمداً ﷺ، وذهابَهم عن الإيمان وبعدَهم منه. وذلك كان ضلالهم الذي وصفهم الله به.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتىٰ تخرجوه عن حيز النبوة إلىٰ مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلىٰ طريق الغواية والضلال.

* * *

س: ما مدى صحة هذا الخبر المروي عن رسول الله ﷺ الذي أخرجه الطبري والترمذي وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم علي لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئًا فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم[1] على الحق أطرًا».

وفي لفظ آخر:

إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] فقرأ حتي بلغ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١] قال: وكان نبي الله ﷺ متكئًا فجلس، فقال: «لا، حتي تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطرًا».

ج: هذا الحديث ضعيف الإسناد فهو من رواية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عبد الله بن مسعود ولم يسمع أبو عبيدة من أبيه شيئًا، وأيضًا فأبو عبيدة ليس له كبير موثق، وثالثًا أن الحديث قد اختلف في وصله وإرساله ، كما قد أشار إلى ذلك الترمذي رحمه الله تعالى .

* * *

(١) الترمذي (٣٠٤٧، ٣٠٤٨)، والطبري (١٢٣٠٧)، و (١٢٣٠٨).

س: الأنساب لا تنفع الأشخاص إذا كان الأشخاص شريرين ومفسدين دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

● قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

● وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

● وقوله تعالى في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

● ولما سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته إذ الله قال له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

● وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وفي هذه الآية يقول تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨] فيه مسألة واحدة: وهي جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء. وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم. ومعنى: ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: لعنوا في الزبور والإنجيل، فإن الزبور لسان داود، والإنجيل لسان عيسى أي: لعنهم الله في الكتابين.

قلت (مصطفى): وقد قال النبي ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[١]

وقال النبي ﷺ «**يا فاطمة - بنت رسول الله - سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**»[٢].

وفي رواية: «**سلوني من حالي ما شئتم**».

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨]؟

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [المائدة: ٧٨] أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله.

﴿**عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة: ٧٨] أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها.

﴿**ذَلِكَ**﴾ الكفر واللعن ﴿**بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨].

أي: بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله، صار سببًا لكفرهم، وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات.

ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: ﴿**كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾ [المائدة: ٧٩] أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهي بعضهم بعضًا. فيشترك بذلك المباشر وغيره، الذي سكت عن النهي عن المنكر، مع قدرته على ذلك. وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله،

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) مسلم (٢٠٦) و (٢٠٥).

وأن معصيته خفيفة عليهم. فلو كان لديهم تعظيم لربهم، لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه.

وإنما كان السكوت عن المنكر - مع القدرة - موجبًا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة. منها أن مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت.

فإنه - كما يجب اجتناب المعصية - فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية ومنها ما تقدم، أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها. ومنها: أن ذلك يجرئ العصاة والفسقة، على الإكثار من المعاصي، إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور.

ثم بعد ذلك، يضعف أهل الخير، عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولاً، ومنها: أنه بترك الإنكار للمنكر - يندرس العلم، ويكثر الجهل.

فإن المعصية - مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة. وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالاً؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقًّا؟!! ومنها: أن بالسكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضه ببعض. فالإنسان، مولع بالاقتداء بأحزابه، وبني جنسه، ومنها ومنها. فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم، لعنهم بمعاصيهم، واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]؟

ج: المعنى، والله أعلم، لبئس الصنيع الذي كانوا يصنعونه ألا وهو ترك التناهي عن المنكر واعتداؤهم على أنبياء الله ورسل الله وعلى خلق الله، وتجاوزهم لحدود الله وانتهاكهم لمحارمه.

قال الطبري رحمه الله:

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] وهذا قسم من الله تعالى ذكره يقول: أقسم: لبئس الفعل كانوا يفعلون، في تركهم الانتهاء عن معاصي الله تعالى ذكره، وركوب محارمه، وقتل أنبياء الله ورسله.

* * *

س: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان عظيمان من أسباب الحفظ والفلاح وتركهما من أسباب اللعن والخسران دلّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤](١).

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

---

(١) ولمزيد انظر تفسيرنا لسورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

* * *

س: اذكر بعض ما ينبغي أن يكون متواجداً في الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر؟

ج: من ذلك أن يبدأ بنفسه، لقوله الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (١) [البقرة: ٤٤].

لكن قد قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: (٢)

واعلم أن التحقيق أن هذا الوعيد الشديد الذي ذكر من اندلاق الأمعاء في النار، وقرض الشفاه بمقاريض النار، ليس على الأمر بالمعروف(٣).

وإنما هو على ارتكابه المنكر عالماً بذلك، ينصح الناس عنه. فالحق أن الأمر بالمعروف غير ساقط عن صالح، ولا طالح، والوعيد على المعصية، لا على الأمر بالمعروف، لأنه في حد ذاته ليس فيه إلا الخير، ولقد أجاد من قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الآخر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

وقال الآخر:

فإنك إذا ما تأت ما أنت آمر ... به تلف من إياه تأمر آتيا

---

(١) وقد قدمنا مزيداً لذلك في سورة البقرة.

(٢) أضواء البيان.

(٣) يعني حديث يؤتى بالرجل من أهل النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار=

وأما الآية الدالة على أن المعرض عن التذكير كالحمار أيضًا، فهي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥١].

والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فيجب على المذكر - بالكسر - والمذكر بالفتح - أن يعملا بمقتضى التذكرة، وأن يتحفظا من عدم المبالاة، لئلا يكونا حمارين من حمر جهنم.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى أيضًا:

يشترط في الأمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به، أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر، لأنه إن كان جاهلاً بذلك فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ولا سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل وصار فيه الحق منكراً، والمنكر معروفًا والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية، فدل على أن الداعي إلى الله لابد أن يكون على بصيرة، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] الآية، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق، فإنها تضر أكثر مما تنفع فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقًا إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى للناس، لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم وهو مستلزم

= برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وقد سبق تخريجه في البقرة ومعنى تندلق أقتابه: تتدلى أمعاؤه.

للأذى من الناس لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده، فيما قص الله عنه: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمان: ١٧] الآية، ولما قال النبي ﷺ لورقة بن نوفل: «**أومخرجي هم؟**» يعني قريشاً أخبره ورقة «أن هذا الدين الذي جاء به لم يأت به أحد إلا عودي»، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما ترك الحق لعمر صديقاً.

واعلم أنه لا يحكم على الأمر بأنه منكر، إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله تعالى؛ أو سنة نبيه ﷺ؛ أو إجماع المسلمين.

وأما إن كان من مسائل الاجتهاد، فيما لا نص فيه فلا يحكم على أحد المجتهدين المختلفين بأنه مرتكب منكراً. فالمصيب منهم مأجور بإصابته: والمخطئ منهم معذور كما هو معروف في محله.

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين، طريق لين؛ وطريق قسوة؛ أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه، فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ [الحديد: ٢٥] الآية.

ففيه الإشادة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وقال أيضاً: يشترط في جواز الأمر بالمعروف، ألا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر، لإجماع المسلمين على ارتكاب أخف الضررين؛ قال في مراقي السعود:

وارتكب لأخف من ضررين وخير لدى استوا هذين

ويشترط في وجوبه مظنة النفع به، فإن جزم بعدم الفائدة فيه لم يجب عليه، كما يدل ظاهر قوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، وقوله ﷺ: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر. حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصابر فيهن كالقابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**».

وفي لفظ: «**قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا، أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم**» أخرجه الترمذي، والحاكم وصححاه وأبو داود وابن ماجه وابن جرير، والبغوي في «معجمه»، وابن أبي حاتم، والطبراني وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وقال الراوي هذا الحديث عنه أبو أمية الشعباني، وقد سأله عن قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]: والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمر**» إلىٰ آخر الحديث.

وهذه الصفات المذكورة في الحديث من الشح المطاع والهوىٰ المتبع... إلخ مظنة لعدم نفع الأمر بالمعروف، فدل الحديث علىٰ أنه إن عدمت فائدته سقط وجوبه.

س: وضح حال الرعية مع السلطان إذا ارتكب السلطان ما لا ينبغي؟

ج: لخص ذلك الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» فقال: واعلم أن الحديث الصحيح قد بين أن أحوال الرعية مع ارتكاب السلطان ما لا ينبغي ثلاث:

الأولى: أن يقدر على نصحه وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، فآمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه، ويجب أن يكون نصحه له بالموعظة الحسنة مع اللطف، لأن ذلك هو مظنة الفائدة.

الثانية: ألا يقدر على نصحه لبطشه بمن يأمره، وتأدية نصحه لمنكر أعظم، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب، وكراهية منكره والسخط عليه، وهذه الحالة هي أضعف الإيمان.

الثالثة: أن يكون راضيًا بالمنكر الذي يعمله السلطان متابعًا له عليه، فهذا شريكه في الإثم، والحديث المذكور هو ما قدمنا في سورة البقرة عن أم المؤمنين، أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «**إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع**، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: **لا ما أقاموا فيكم الصلاة**» أخرجه مسلم في «صحيحه».

فقوله ﷺ: «**فمن كره**» يعني بقلبه، ولم يستطع إنكارًا بيد ولا لسان فقد برئ من الإثم، وأدى وظيفته: ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بها وتابع عليها، فهو عاص كفاعلها.

ونظيره حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

* * *

س: ما الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

الأمر بالمعروف له ثلاث حكم:

الأولى: إقامة حجة الله على خلقه، كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

الثانية: خروج الآمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف، كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت، ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢١٤] الآية، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة لكان معلومًا.

الثالثة: رجاء النفع للمأمور كما قال تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وقد أوضحنا هذا البحث في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في سورة الأعلى في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩].

ويجب على الإنسان أن يأمر أهله بالمعروف كزوجته وأولاده ونحوهم، وينهاهم عن المنكر: لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] الآية.

وقوله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»، الحديث.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على ترك مجالسة أهل العصيان؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، ومن التناهي ترك مجالسة العصاة والمجرمين.

قال القرطبي رحمه الله: وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠].

● ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

● وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

● وقوله تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؟

ج: إيضاحه أن الله تعالى ذكره قال: أقسم لبئس الشيء الذي قدمته أنفسهم لهم يقابلون به ربهم يوم القيامة، إنهم قدموا لأنفسهم أعمالاً بها يسخط الله عليهم يوم القيامة ويُخلدون بسببها في العذاب، أعظم هذه الأعمال موالاة الكفار وترك موالاة المؤمنين.

وكإيضاح آخر: قد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ

مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، فأهل الإيمان يقدمون لأنفسهم أعمال صلاح وخيرٍ وبرٍ يقابلون بها ربهم عزَّ وجل في الآخرة.

أما هؤلاء الذين كفروا من بني إسرائيل فقدموا لأنفسهم أعمالاً سيئةً شريرةً جلبت عليهم سخط الله عز وجل والخلود في النار، ألا وهي موالاة أهل الكفر، وترك موالاة أهل الإيمان.

قال الطبري رحمه الله:

أقسم: لبئس الشيء الذي قدمت لهم أنفسهم أمامهم إلى معادهم في الآخرة: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] يقول: قدمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا.

* * *

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(الَّذِينَ أَشْرَكُوا - مَّوَدَّةً - قِسِّيسِينَ - رُهْبَانًا - تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ - مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ - اكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ - فَأَثَابَهُمْ - خَالِدِينَ فِيهَا - الْجَحِيمِ - طَيِّبَاتِ - مَا أَحَلَّ - وَلَا تَعْتَدُوا - عَقَّدتُّمُ - مَسَاكِينَ - أَوْسَطِ - تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾	عبدة الأوثان (الذين يتخذونها آلهة ويعبدونها).
﴿ مَّوَدَّةً ﴾	محبة.
﴿ قِسِّيسِينَ ﴾	رؤساء في النصارىٰ، وخطباؤهم، وعلماؤهم.
﴿ رُهْبَانًا ﴾	عباد، أهل اجتهاد في العبادة - أهل ترهُّب في الدِّير والصوامع. والراهب أيضًا: العابد، مشتق من الرهبة وهي الخوف.
﴿ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾	تمتلئ من الدمع.
﴿ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾	لمعرفتهم بأن الذي يُتلىٰ عليهم من كتاب اللَّه حق، وأن اللَّه قد أنزله علىٰ رسوله ﷺ.
﴿ اكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾	اجعلنا مع الشاهدين - أثبتنا معهم وفي عِدادهم.

الكلمة	معناها
﴿فَأَثَابَهُمْ﴾	جازاهم .
﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾	ماكثين فيها ، لا يخرجون منها ، ولا يحوّلون عنها .
﴿الْجَحِيمِ﴾	النار الشديدة الاتقاد .
﴿طَيِّبَاتِ﴾	اللذيذات التي تشتهيها النفوس ، وتهفو إليها القلوب .
﴿مَا أَحَلَّ﴾	ما أحله اللّه .
﴿لا تَعْتَدُوا﴾	لا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام .
﴿عَقَّدتُّمُ﴾	تعمدتم .
﴿مَسَاكِينَ﴾	محاويج .
﴿أَوْسَطِ﴾	أعدل ـ متوسط ـ أفضل .
﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾	إعتاق عبدٍ أو أمة .

س: ما سبب شدة عداوة اليهود لأهل الإيمان؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

موجزًا القول في هذا بقوله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢] وما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود، ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء، حتىٰ هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسموه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين، عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ..﴾ [المائدة: ٨٢]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، ذكر كثيراً منها الطبري رحمه الله:

أحدها: إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر قدموا علىٰ رسول الله ﷺ من نصارىٰ الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله ﷺ.

الثاني: أنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه.

الثالث: إنهم قوم كانوا علىٰ شريعة عيسىٰ عليه السلام من أهل الإيمان فلما بعث الله تعالىٰ ذِكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به.

● أخرج الطبري [(١)] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٨٢] فقرأ حتى بلغ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى، يؤمنون به وينتهون. (فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ صدَّقوا به وآمنوا به، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق، فأثنى عليهم ما تسمعون.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: ﴿إِنَّا نَصَارَى﴾، أن نبي الله ﷺ يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمِّ لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه.

وأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة: ٨٢] فإنه يقول: قَرُبت مودَّة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين، من أجل أن منهم قسيسين ورهبانًا.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢] لا يستكبرون عن ماذا؟

ج: لا يستكبرون عن الانقياد للحق.

* * *

(١) الطبري (١٢٣٢٠).

س: ما وجه الثناء على هذه الفئة من النصارى؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالىٰ ذكره أخبرَ عن النفر الذين أثنىٰ عليهم من النصارىٰ بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أن ذلك إنما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة، وترهبٌ في الديارات والصوامع، وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه، لأنهم أهل دين واجتهاد فيه، ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد دَرِبُوا بقتل الأنبياء والرسل، ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾[المائدة: ٨٢] أي: الذين زعموا أنهم نصارىٰ من أتباع المسيح وعلىٰ منهاج إنجيله ـ فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا علىٰ دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالىٰ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧] وفي كتابهم: من ضربك علىٰ خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر وليس القتال مشروعًا في ملتهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[المائدة: ٨٢] أي: يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم.

وقال أيضًا: فقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] أي: مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] أي: مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به.

* * *

س: هل النصارى القائلون بأن المسيح هو الله والقائلون أن الله ثالث ثلاثة، وكذا القائلون أن المسيح ابن الله هل يدخلون في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]؟

ج: لا يدخل المذكورون في الآية الكريمة، وذلك لأن هذه الفرق الثلاث كفار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٢].
- وقال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وإنما الآية الكريمة في قوم آمنوا بعيسى ﷺ واتبعوه وصدقوا ما جاءهم به ثم لما بعث النبي ﷺ آمنوا به أيضًا وصدقوا بما معه، والله أعلم.

* * *

س: فيمن نزل قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]؟

ج: نزلت في النجاشي وأصحابه.

أخرج الطبري بسند صحيح[1] عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣].

---

(١) الطبري (١٢٣٢٦)، وانظر أيضًا النسائي في «التفسير» عند تفسير الآية الكريمة.

ومما يؤيد أن النجاشي بكىٰ عند سماع القرآن ما أخرجه أحمد بسندٍ حسن من حديث أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا[1] أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا علىٰ ديننا وعبدنا الله تعالىٰ لا نؤذىٰ ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلىٰ النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم فجمعوا له أدمًا كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلىٰ كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا فقدما علىٰ النجاشي ونحن عنده بخير دارٍ وخير جارٍ فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم إنه قد صبأ إلىٰ بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلىٰ الملك فيهم أشراف قومهم لنردهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلمهم؛ فإن قومهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا: نعم.

ثم إنهما قربا هداياهم إلىٰ النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبأ إلىٰ بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٠) وأخرجه أيضًا ـ (١/ ٢٠٢).

بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلىٰ عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردانهم إلىٰ بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا هايْمُ الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قومًا جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني علىٰ من سواي حتىٰ أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلىٰ قومهم، وإن كانوا علىٰ غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ليسألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسبي الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلىٰ الله تعالىٰ لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدم، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال: فعدد عليه

أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت : فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ فقرأ عليه صدرًا من كهيعص . قالت : فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا ولا أكاد . قالت أم سلمة رضي الله عنها : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتِيَنَّه غدًا أعيبهم عنده ثم أستأصل به خضراءهم ، قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبد . قالت : ثم غدا عليه الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت أم سلمة : فأرسل إليهم يسألهم عنه قالت : ولم ينزل بنا مثلها ، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى وما جاء به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، هو عبد الله

ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت: فضرب النجاشي يده علي الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دير ذهب وأني آذيت رجلاً منكم، والدير بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع فيَّ الناس فأطيعهم فيه قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به.

وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به - يعني من ينازعه في ملكه - قالت: فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفًا أن يظهر ذلك؛ على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت: فقال الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور، على عدوه والتمكين له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة».

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على جواز البكاء عند تلاوة القرآن واستماعه؟

ج: من ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧: ١٠٩].

وفي «الصحيحين» (١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ» قلت: يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: «نعم»، وفي رواية: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه حتى أتيت على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

* * *

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]؟

ج: قال فريق من العلماء: إنهم أمة محمد ﷺ ورسولهم الكريم محمد عليه الصلاة والسلام أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد أنه قال: ﴿الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤] رسول الله ﷺ وأصحابه.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٩٤) ومسلم (٦/ ٨٦).

س: هل من آيات أُخر تدل على أن طائفة من أهل الكتاب أهل إيمان ودين وورع؟

ج: نعم هناك من الآيات ما يدل على أن فيهم من كان كذلك، ولكنهم قد أسلموا بعد فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٢-٥٤].

* * *

س: من الذين عناهم الله بقوله ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الشاهدين هم أمة محمد ﷺ شهدوا للرسول بالبلاغ، وشهدوا للأنبياء قبله أيضًا بأنهم بلغو أممهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أخرج البخاري (١) من حديث أبي سعيد قال:

قال: رسول الله ﷺ: «يجيء نوحٌ وأمتهُ، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟

(١) البخاري (٢٣٣٩).

فيقول: نعم أي ربّ. فيقول لأمته: هل بلَّغكم ؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ » [البقرة: ١٤٣] والوسط : العدل .

الثاني: أن الشاهدين : هم القائلون بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

الثالث: أن الشاهدين هم الذين يشهدون أن ما أنزلته إلى رسولك من الكتاب حق .

* * *

س: وضح المراد بقولهم : ﴿وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]؟

ج: قال الطبري: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد ﷺ من كتابه، آمنوا به وصدّقوا كتاب الله ، وقالوا : ﴿مَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، يقول: لا نقرّ بوحدانية الله ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ ، يقول: وما جاءنا من عند الله من كتابه وآي تنزيله، ونحن نطمع بإيماننا بذلك أن يدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين .

يعني بـ ﴿الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين بالله، المطيعين له، الذين استحقُّوا من الله الجنة بطاعتهم إياه .

وإنما معنى ذلك: ونحن نطمعُ أن يدخلنا ربُّنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة، ويلحق منازلنا بمنازلهم، ودرجاتنا بدرجاتهم في جنَّاته .

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري (١) من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا ألا نختص؟ فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

وهذا ليس بصريح في كونه سببًا للنزول.

وقد أخرج الترمذي (٢) من طريق عثمان بن سعد حدثنا عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرتُ للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت عليَّ اللحم! فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

قلت (مصطفى): وهذا السند فيه عثمان بن سعد وهو إلى الضعف أقرب ثم إن الحديث أعل بالإرسال كما قد أشار إليه الترمذي رحمه الله.

قلت (مصطفى): وأرى أن الإرسال أصح، وعليه فهذا السبب لا يثبت سنده، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]؟

ج: المعنى، والله أعلم، يا من آمنتم بالله وصدقتم رسله وأقررتم بكتبه وبملائكته وقضائه وقدره واليوم الآخر يا هؤلاء لا تحرموا على أنفسكم ما

(١) البخاري (٤٦١٥). (٢) الترمذي (٣٠٥٤).

أحله الله لكم من الطيبات من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح التي تشتهيها نفوسكم وتهفوا إليها قلوبكم ولا تتجاوزوا ما حدّه الله لكم من التحليل والتحريم فتحرموا ما أحله الله لكم.

وذلك المذكور لأن قومًا قد حرموا على أنفسهم اللحم وآخرون حرَّموا على أنفسهم النكاح.

وغيرهم أخذ على نفسه أن يصوم ولا يفطر، وأن يقوم من الليل لا يفتر.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: يأيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حق من عند الله، ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، يعني: بـ ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالذي فعله القسيسون والرُّهبان، فحرَّموا علي أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصَّوامع بعضُهم أنفسهم، وساح في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك، ولا تعتدوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم وفيما حرم عليكم، فتجاوزوا حدَّه الذي حدَّه، فتخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحب من اعتدى حدَّه الذي حدّه لخلقه، فيما أحل لهم وحرَّم عليهم.

قلت: وفي هذا الباب حديث الرهط الذين تذاكروا عبادة رسول الله ﷺ فتقالُّوها، فقد أخرج البخاري [1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال

(١) البخاري (٥٠٦٣).

الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» (١).

وقال القرطبي رحمه الله:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها رَدٌّ على غلاة المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوّفين، إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه، قال الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة؛ ولذلك رد النبي ﷺ التبتل على ابن مَظْعون فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبرّ إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه وعمل به رسول الله ﷺ، وسنّه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون، إذ كان خير الهَدْي هَدْيُ نبينا محمد ﷺ، فإذا كان كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشَّعر والصّوف على لباس القطن والكتّان إذا قدر على لباس ذلك من حلِّه، وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حَذَراً من عارض الحاجة إلى النساء.

قال الطبري: فإن ظن ظانّ أن الخير في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ؛ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة لأنها مفسدة

---

(١) أي ليس على طريقتي وليس على سنتي.

لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببًا إلىٰ طاعته. وقد جاء رجل إلىٰ الحسن البصري؛ فقال إن لي جارًا لا يأكل الفالوذج فقال: ولِم؟ قال: يقول لا يؤدي شكره؛ فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل، فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج. قال ابن العربي قال علماؤنا: هذا إذا كان الدِّين قَوَامًا، ولم يكن المال حرامًا فأما إذا فسد الدّين عند الناس وعَمّ الحرام فالتبتل أفضل، وترك اللذات أولىٰ، وإذا وجد الحلال فحال النبي ﷺ أفضل وأعلىٰ. قال المهلب: إنما نهىٰ ﷺ عن التبتل والترهب من أجل أنه مُكَاثر بأمته الأمم يوم القيامة، وأنه في الدنيا مقاتل بهم طوائف الكفّار، وفي آخر الزمان يقاتلون الدّجال؛ فأراد النبي ﷺ أن يكثر النّسل.

* * *

س: ما وجه الاعتداء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ في هذا المقام؟

ج: الاعتداء هنا هو تعدي حدود الله بتحريم ما أحله الله، والله تعالىٰ أعلم والآية إذن نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢] أي: لا تتجاوزوا الحد في الاستقامه فتحرموا ما أحله الله، وتشقوا علىٰ أنفسكم بما هو فوق طاقتكم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

يقول تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه، إذ أحلها، لكم، واشكروه، ولا تردوا نعمته بكفرها، أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها. فتجمعوا بذلك بين قول الكذب علىٰ الله، وكفر النعمة،

واعتقاد الحلال الطيب، حرامًا خبيثًا، فإن هذا من الاعتداء . والله قد نهىٰ عن الاعتداء فقال: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧] بل يبغضهم ويمقتهم، ويعاقبهم علىٰ ذلك. ثم أمر بضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله فقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٨] أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالاً، لا سرقة، ولا غصبًا، ولا غير ذلك، من أنواع الأموال، التي تؤخذ بغير حق. وكان أيضًا طيبًا، وهو: الذي لا خبث فيه.

فخرج بذلك، الخبيث من السباع والخبائث.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾ يحتمل أن يكون المراد منه: ولا تبالغوا في التضييق علىٰ أنفسكم بتحريم المباحات عليكم، كما قاله من قاله من السلف، ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

* * *

س: وضح المراد بتقوى الله في هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾؟

ج: المراد الخوف والحذر من الله عز وجل، في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨] فإنه يقول: وخافوا، أيها المؤمنون، أن تعتدوا في حدوده، فتُحلُّوا ما حُرِّم عليكم، وتُحرِّموا ما أحلَّ لكم، واحذروه في ذلك أن تخالفوه، فينزل بكم سَخَطُه، أو تستوجبوا به عقوبته ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]، يقول: الذي أنتم بوحدانيته مقرُّون، وبربُوبيته مصدِّقون.

س: هل من صلة بين قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] وبين ما تقدم من الآيات؟

ج: أشار بعض العلماء إلى صلةٍ ورابط بينها، مؤداه أن القوم الذين حرموا طيبات ما أحله الله لهم قد يكونون أقسموا أيمانًا مع تحريمهم هذه الطيبات على أنفسهم فكأنهم تساءلوا كيف نصنع، وقد أقسمنا أيمانًا على أن هذه الطيبات حرام علينا، فأتاهم الجواب الذي حاصله إن كنتم أقسمتم أيمانًا خرجت منكم على سبيل اللغو فلا مؤاخذة عليكم بها.

وإن كنتم أقسمتم تلك الأيمان وعقدتم عليها القلوب فلكم من ذلك مخرجٌ أيضًا، وهو في الكفارة التي أشار إليها ربنا بقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ...﴾ [المائدة: ٨٩].

وقد ورد بذلك خَبرٌ ضعيف (١) الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] في القوم الذين كانوا حرَّموا النساء واللحم على أنفسهم، قالوا: يا رسول

(١) أخرجه الطبري (١٢٣٥٦).

الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] الآية.

* * *

س: فيمَ نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]؟

ج: أخرج البخاري (١) من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [المائدة: ٨٩] قال قالت: أُنزلت في قوله لا والله وبلى والله.

وأخرج عبد الرزاق (٢) في المصنف بسندٍ صحيح عن عائشة قالت: هم القوم يتدارءون في الأمر يقول هذا «لا والله» و «بلى والله» و «كلاَّ والله» يتدارءون في الأمر: لا يعقد عليه قلوبهم.

وأخرج الطبري (٣) بإسنادٍ صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: أيمان الكفارة، كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدٍّ من الأمور في غضب أو غيره: «ليفعلن، ليتركنّ» فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة، وقال تعالى ذكره: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾؟

ج: ابتداء فالمراد بلغو اليمين قول الرجل لا والله وبلى والله والقلب غير منعقد على هذا القول، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] قالت: أنزلت في قوله لا والله

---

(١) البخاري (٦٦٦٣).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١٥٩٥٢).
(٣) الطبري (١٢٣٦٥).

وبلىٰ والله.

وكذلك صح عن عددٍ من السلف أن لغو اليمين هي قول الرجل لا والله وبلىٰ والله [١].

وقال الإمام الشافعي [٢] رحمه الله تعالىٰ:

«ولغو اليمين كما قالت عائشة رضي الله عنها والله تعالىٰ أعلم قول الرجل لا والله وبلىٰ والله، وذلك إذا كان علىٰ اللجاج والغضب والعجلة لا يعقد علىٰ ما حلف عليه...». اهـ.

فعلىٰ ما ذُكر، فمعنىٰ الآية الكريمة: لا يؤاخذكم الله بقولكم الذي لم تنعقد عليه قلوبكم «لا والله وبلىٰ والله» هذا، ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن المراد بلغو اليمين الخطأ غير العمد.

أن تحلف علىٰ الشيء وأنت ترىٰ أنه كما حلفت عليه ثم لا يكون كذلك فهذا لا كفارة عليه ولا مأثم فيه.

● وصح عن إبراهيم النخعي أنه قال: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] قال: أن يحلف الرجل علىٰ الشيء وهو يرىٰ أنه صادق وهو كاذب فذلك اللغو لا يؤاخذ به.

وثمَّ أقوال أخر في لغو اليمين، وأقواها ما ذكرناه أولاً، والله أعلم.

● أما اليمين الغموس فهي اليمين الكاذبة، ومن العلماء من قيدها بأنها لاقتطاع مال امرئ مسلم أي: يقسم الرجل كاذبًا كي يقتطع بيمينه مال امرئ مسلم.

● أما اليمين المنعقدة فهي اليمين التي ينعقد عليها القلب ولها شروط.

---

(١) والآثار بذلك قدمناها في تفسيرنا لسورة البقرة.

(٢) الشافعي في «الأم» (٧/ ٨٩).

أولها: أن ينعقد عليها القلب ويقصد إليها.

الثاني: أن يكون حالفها غير مكره بل يكون مختاراً.

الثالث: أن تكون مستقبلية، أي: على شيء في المستقبل.

الرابع: ألا يكون القسم بمخلوق، بل يكون بالله أو بأسمائه أو بصفاته، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم عزمتم وتعمدتم، أي: عزمتم على إمضاءها

أخرج الطبري [١] بإسناد حسنٍ عن الحسن قال: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩] يقول: ما تعمَّدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة.

قال القرطبي رحمه الله: فاليمين المنعقدة منفعلة من العقد، وهي عقد القلب في المستقبل ألاَّ يفعل ففعل، أو ليفعلن فلا يفعل، فهذه التي يحُلها الاستثناء [٢] والكفارة.

* * *

س: هل تنعقد اليمين بغير الله؟

ج: لا تنعقد اليمين بغير الله، وهذا قول أكثر الفقهاء.

قال القرطبي رحمه الله: لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [٣].

---

(١) الطبري (١٢٣٥٩).

(٢) يعني بالاستثناء قول إن شاء الله عقبها.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ٤٨).

وأما أنواع الأيمان الثلاثة:

فالأول: أن يعقد اليمين بالله، والثاني أن يعقدها لله، والثالث: أن يعقدها بغير الله أو لغير الله... وأما الثالث: وهو أن يعقدها بمخلوق أو لمخلوق مثل أن يحلف بالطواغيت أو بأبيه أو الكعبة أو غيرها من المخلوقات، فهذه يمين غير محترمة لا تنعقد ولا كفارة بالحنث فيها باتفاق العلماء. لكن نفس الحلف بها منهي عنه...». اهـ.

● قال الحافظ في «الفتح»[1]:

في شرح حديث: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**».

«... وفيه أن من حلف بغير الله مطلقًا لم تنعقد يمينه سواء كان المحلوف به يستحق التعظيم لمعنى غير العبادة كالأنبياء والملائكة والعلماء والصلحاء والملوك والآباء والكعبة أو كان لا يستحق التعظيم كالآحاد أو يستحق التحقير والإذلال كالشياطين وسائر من عُبد من دون الله.

* * *

س: ما معنى الاستثناء في اليمين وما حكم اليمين التي أعقبها الاستثناء؟

ج: أما الاستثناء فهو قول الرجل بعد اليمين إن شاء الله واليمين التي أعقبها استثناء لا تنعقد، أي: لا يلزم من قال والله لأفعلن كذا وكذا إن شاء الله ثم لم يفعل أن يُكفِّر.

أخرج الترمذي[2] بسندٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف علي يمين فقال: إن شاء الله فقد استثنى فلا**

---

(١) «الفتح» (١١/ ٥٣٤).

(٢) الترمذي (١٥٣١) لكن قد أُعل هذا الحديث بالوقف، وانظر تعليق الترمذي رحمه الله وكذا البيهقي «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٦).

حنث عليه».

وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى**» (١) وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك:

قال السرخسي في «المبسوط» (٢): وإذا حلف على يمين أو نذر وقال إن شاء الله موصولاً فليس عليه شيءٌ عندنا. اهـ.

وأخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: كان لسليمان ستون امرأة. فقال لأطوفن عليهن الليلة. فتحمل كل واحدة منهن. فتلدُ كل واحدة منهن غلامًا فارسًا، يُقاتل في سبيل الله. فلم تحمل منهم إلا واحدة. فولدت نصف إنسان. فقال رسول الله ﷺ: «**لو كان استثنى، لولدت كلُّ واحدةٍ منهن غلامًا، فارسًا يقاتل في سبيل الله**».

وفي رواية أخرى عند مسلم:

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: «**قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأةً. كلهن تأتي بغلام يُقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه، أو الملك قل: إن شاء الله. فلم يقل، ونسي. فلم تأت واحدة من نسائه. إلا واحدة جاءت بشق غلامٍ**».

فقال رسول الله ﷺ: «**ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركًا له في حاجته**».

وفي ثالثة عن أبي هريرة أيضًا عند مسلم:

قال سليمان بن داود: لأطيفَنَّ الليلة على سبعين امرأةً، تلد كلُّ امرأة

---

(١) البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٦)، .

(٢) «المبسوط» (٨/ ١٤٣).

(٣) مسلم (١٦٥٤)، والبخاري (٦٧٢٠).

منهن غلامًا . يُقاتل في سبيل الله .

فقيل له : قل : إن شاء الله . فلم يقل . فأطاف بهنَّ فلم تلد منهن ، إلا امرأة واحدة ، نصف إنسانٍ . قال : فقال رسول الله ﷺ : «**لو قال : إن شاء الله، لمْ يحنثْ، وكان دركًا لحاجته**» .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1] :

«من قال : والله أو حلف بيمين ما كانت بطلاق أو عتاق أو غيره أو أوجب على نفسه شيئًا ثم قال : إن شاء الله موصولاً بكلامه فقد استثنى ولم يقع عليه شيء من اليمين وإن حنث ، والوصل أن يكون كلامه نسقًا وإن كان بينه سكتة كسكتة الرجل بين الكلام للتذكر أو العِي أو انقطاع الصوت ثم وصل الاستثناء فهو موصول وإنما القطع أن يحلف ثم يأخذ بين كلام ليس من اليمين من أمر أو نهي أو غيره أو يسكت السكات الذي يبين أنه يكون قطعًا فإذا قطع ثم استثنى لم يكن له الاستثناء .

فإن حلف فقال : والله لأفعلن كذا وكذا إلا أن يشاء فلان ، فله أن يفعل ذلك الشيء حتى يشاء فلان ، فإن مات فلان أو خرص أو غاب لم يفعل ، وإن قال : لا أفعل كذا وكذا إلا أن يشاء فلان ، فليس له أن يفعل ذلك الشيء إلا أن يشاء فلان ، فإن مات فلان أو خرص لم يكن له أن يفعل ذلك الشيء حتى يعلم أن فلانًا شاء» . اهـ .

وقال الخرقي[2] :

مسألة : «وإذا حلف فقال : إن شاء الله تعالى ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ولا كفارة عليه إن لم يكن بين الاستثناء واليمين كلام» . اهـ .

---

(١) «الأم» (٧/ ٨٨) .

(٢) «المغني مع الشرح» (١١/ ٢٢٦) .

● قال ابن قدامة:

وجملة ذلك أن الحالف إذا قال: إن شاء الله مع يمينه فهذا يسمىٰ استثناء، فإن ابن عمر روىٰ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف فقال: إن شاء الله، فقد استثنى**» رواه أبو داود، وأجمع العلماء علىٰ تسميته استثناء، وأنه متىٰ استثنىٰ لم يحنث فيه.

* * *

س: الهاء في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ عائدةٌ على ماذا؟

ج: إنها، والله أعلم عائدة علىٰ (ما) التي في قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، فالمعنىٰ فكفارة ما عقدتم من الأيمان إطعام عشرة مساكين.

* * *

س: هل تُجزئ القيمة في كفارة اليمين أم لابد من المنصوص عليه في الآية الكريمة؟

ج: لا تجزئ القيمة عند جمهور العلماء، وذلك لأن الآية الكريمة نصت علىٰ الإطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

ولم يرد للقيمة ذكرٌ في الآية الكريمة، ولذا قال الجمهور وهم أكثر العلماء بعدم إجزاء القيمة، أما أبو حنيفة فيرىٰ أن ذلك يجزئ ولا دليل معه رحمه الله لذلك.

قال الشافعي[1]: وما أرىٰ أن يجزيهم دراهم وإن كان أكثر من ثمن قيمة الطعام.

---

(١) «الأم» (٧/ ٩١).

وقال ابن حزم[١] في «المحلى»:

بعد كلامه على التخيير في الكفارة:

مسألة: ولا يجزيه بدل ما ذكرنا صدقة ولا هدي ولا قيمة ولا شيء سواه أصلاً، لأن الله تعالى لم يوجب غير ما ذكرنا، فمن أوجب في ذلك قيمة، فقد تعدى حدود الله، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، وقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. اهـ.

قال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

«ولنا قول الله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] هذا ظاهر في عين الطعام والكسوة، فلا يحصل التكفير بغيره، لأنه لم يؤد الواجب إذا لم يؤد ما أمره الله بأدائه.

ولأن الله تعالى خير بين ثلاثة أشياء، ولو جازت القيمة لم ينحصر التخيير في الثلاثة، ولأنه لو أريدت القيمة لم يكن للتخيير معنى لأن قيمة الطعام إن ساوت قيمة الكسوة فهما شيء واحد فكيف يخير بينهما؟ وإن زادت قيمة أحدهما على الآخر، فكيف يخير بين شيء وبعضه؟

ثم ينبغي أنه إذا أعطاه في الكسوة ما يساوي إطعامه أن يجزئه، وهو خلاف الآية، وكذلك لو غلت قيمة الطعام فصار نصف المد يساوي كسوة المساكين ينبغي أن يجزئه نصف المد، وهو خلاف الآية، ولأنه أحد ما يكفر به فتعين ما ورد به النص...» اهـ.

---

(١) «المحلى» (٨/ ٦٩).

(٢) «المغني مع الشرح الكبير» (١١/ ٢٥٦).

وقال القرطبي رحمه الله:

«لا تجزئ القيمة عن الطعام والكسوة ، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: تجزئ، وهو يقول: تجزئ القيمة في الزكاة فكيف في الكفارة قال ابن العربي: وعمدته أن الغرض سد الخلة فأين العبادة؟ وأين نص القرآن على الأعيان الثلاثة والانتقال بالبيان من نوع إلى نوع ؟». اهـ.

وهذا الذي ذكره القرطبي عن ابن العربي هو رأي مالك، ففي «المدونة» قال سحنون[1] :

قلت: ولا يجزئ أن يعطي العروض؛ فكان هذا الطعام وإن كان مثل ثمنه؟ قال: نعم لا يجزئ عند مالك.

وقال أيضًا[2] : قلت: أرأيت إن أعطي المساكين قيمة الثياب أيجزئ أم لا، قال: لا يجزئ عند مالك». اهـ.

* * *

س: إذا أطعم الشخص مسكينًا واحدًا عشر وجبات فهل يجزئ ذلك عنه؟

ج: لا يجزئ ذلك عنه إلا إذا لم يجد من المساكين إلا واحدًا فحينئذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

أما إذا كان هناك مساكين عشرة فلا يجزئ أن يعطي أحدهم عشر وجبات ويترك الآخرين لأن الله قال: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩].

● أما الجواز في حال عدم وجود المساكين فلأن النبي ﷺ قال للمجامع

---

(١) «المدونة» (٢/ ٤٠).

(٢) : (٢/ ٤٧).

في رمضان [١] ـ لما لم يكن بين لابتي المدينة أهل بيت أفقر من أهل بيته خذه (أي : العذق الذي يفترض أن يطعم منه ستين مسكينًا) فأطعمه أهلك ويبعد أن يُقال إن أهله كانوا ستين مسكينًا .

قال الإمام الشافعي في «الأم» [٢] :

«وليس له إذا كفر بإطعام أن يطعم أقل من عشرة ، وإن أطعم تسعة وكسا واحداً كان عليه أن يطعم عاشراً ، أو يكسو تسعًا لأنه إنما جعل له أن يطعم عشرة أو يكسوهم وهو لا يجزئه أن يكسو تسعة ويطعم واحداً لأنه حينئذ لا أطعم عشرة ولا كساهم» . اهـ .

● قال ابن قدامة كما في «المغنى» مع الشرح [٣] :

«ولنا قول الله تعالىٰ : ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة : ٨٩] ومن أطعم واحداً فما امتثل الأمر فلا يجزئه ولأن الله تعالىٰ جعل كفارته إطعام عشرة مساكين فإذا لم يطعم عشرة ما أتىٰ بالكفارة . . . » . اهـ .

بينما استدل من ذهب إلىٰ الجواز بأن من أطعم مسكينًا عشر مرات في عشرة أيام مثلاً كان قد أطعم كل يوم مسكينًا فأجزأ كما لو أعطىٰ غيره ولأنه لو أطعم هذا المسكين من كفارة أخرىٰ أجزأه فكذلك إذا أطعمه من هذه

---

(١) أخرج البخاري (١٩٣٧) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال : إن الآخر وقع علىٰ امرأته في رمضان (يعني بقوله الآخر : نفسه) فقال أتجد ما تُحرر رقبة؟ قال : لا

قال : فتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال : لا قال : أفتجد ما تُطعم به ستين مسكينًا؟ قال : لا فأُتىٰ النبي ﷺ بعَرَقٍ فيه تمرٌ وهو الزَّبيل قال : أطعم هذا عنك ، قال : علىٰ أحوج منا؟ ما بين لابتيها أهل بيتٍ أحوج منا . قال فأطعمه أهلك .

(٢) «الأم» (٧/ ٩١) .

(٣) «المغني مع الشرح الكبير» (١١/ ٢٥٨) .

الكفارة كما أن المقصود في الكفارة سد الخلة وذلك يتجدد له بتجدد الأيام فكان هو في اليوم الثاني في المعنىٰ مسكينًا آخر.

* * *

س: هل يُطعم كل مسكين وجبةً واحدة أم أنه يُطعم وجبتين؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه يُطعم وجبتين (غداءً وعشاءً).

أورده القرطبي عن عليٍّ[1] رضي الله عنه أنه قال: لا يجزئ إطعام العشرة وجبة واحدة يعني غداء دون عشاء، أو عشاء دون غداء، حتىٰ يُغديهم ويعشيهم، قال أبو عمر، وهو قول أئمة الفتوىٰ بالأمصار.

- قال سحنون[2]:

قال: وسألنا مالكًا عن الكفارة أغداءً وعشاءً أم غداءً بلا عشاء وعشاءً بلا غداء؟ قال: بل غداءً وعشاءً.

- قال السرخسي[3]:

«ثم المعتبر في التمكين أكلتان مشبعتان إما الغداء والعشاء وإما غدآن أو عشآن لكل مسكين، فإن المعتبر حاجة اليوم، وذلك بالغداء والعشاء عادة». اهـ.

أما القائلون بأن وجبةً واحدةً تجزئ فهذه بعض أقوالهم.

قال ابن حزم[4] رحمه الله:

«وأما من حد كيلاً و... ومن أوجب أكلتين فأقوال لا حجة لها من قرآن

---

(١) وينظر سنده إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه، ففي إسناده عن عليٍّ عند الطبري (١٢٤٢٧) ضعف إذ في سنده الحارث وهو الأعور ضعيف جدًا.

(٢) المدونة (٢/ ٤٠).

(٣) «المبسوط» (٧/ ١٥).

(٤) «المحلىٰ» (٨/ ٧٤).

ولا سنة ولا قياس ولا قول صاحب لا مخالف له منهم، وبالله تعالىٰ نتأيد» . اهـ.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] ـ رحمه الله ـ:

«. . . وكفارة اليمين يخير فيها بين العتق أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وإذا أطعمهم أطعم كل واحد جراية من الجرايات المعروفة في بلده مثل أن يطعم ثماني أواق أو تسع أواق بالشامي، ويطعم مع ذلك إدامها كما جرت عادة أهل الشام في إعطاء الجرايات خبزاً وإداماً. .».

قلت: والأقرب إلىٰ الصواب قول من قال إنها وجبة واحدة إذ لو كانت وجبتين لجاء النص واضحًا بذلك، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] سبب نزول؟

ج: نعم قد صح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما[٢] ـ أنه قال:

«كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة وكان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه شدة فنزلت﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾» [المائدة: ٨٩].

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بأوسط الطعام؟

ج: للعلماء فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد بالأوسط، الطعام المتوسط بين الطعامين، لا بالأعلىٰ ولا بالأدنىٰ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٣/ ٦٩).

(٢) ابن ماجه (٢١١٣).

الثاني: أن الأعدل هو الأفضل.

وأشهر الأقوال في ذلك القول الأول:

أخرج الطبري [١] بسندٍ صحيح عن ابن سيرين قال: كانوا يقولون أفضله الخبز واللحم، وأوسطه الخبز والسمن وأخسه الخبز والتمر.

وعند الطبري [٢] بإسنادٍ صحيح عن ابن سيرين عن ابن عمر في قوله: «من أوسط ما تطعمون أهليكم»، قال: من أوسط ما يطعم أهله: الخبز والتمر. والخبز والسمن، والخبز والزيت. ومن أفضل ما تطْعمهم: الخبزَ واللحم.

وعند عبد الرزاق بإسنادٍ صحيح [٣] عن يسار بن نمير قال: قال لي عمر ابن الخطاب: «إني أحلف أن لا أعطي رجالاً ثم يبدو لي فأعطيهم فإذا رأيتني فعلت ذلك فأطعم عني عشرة مساكين (كل مسكين) صاعًا من شعير أو صاعًا من تمر أو نصف صاع من قمح».

وفي الموطأ بسند صحيح[٤] عن ابن عمر قال:

أنه كان يقول: «من حلف بيمين فوكدها ثم حنث فعليه عتق رقبة أو كسوة عشرة مساكين ومن حلف بيمين فلم يوكدها ثم حنث فعليه إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد من حنطة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام».

وأخرج الطبري [٥] بإسنادٍ صحيح عن الحسن:

---

(١) الطبري (١٢٣٨٧). (٢) الطبري (١٢٣٨٠).

(٣) عبد الرزاق (١٠٦٧٥) والطبري (١٢٣٩٧).

(٤) «الموطأ» (ص٤٧٩).

٥) الطبري (١٢٣٩٤).

قال في كفارة اليمين: يجزيك أن تطعم عَشَرَةَ مساكين أكلة واحدة. خبزًا ولحمًا. فإن لم تجد، فخبزًا وسمنًا ولبنًا. فإن لم تجد، فخبزًا وخلاًّ وزيتًا حتىٰ يشبعوا.

* * *

س: ما مقدار الكسوة التي تجزئ في كفارة اليمين؟

ج: أكثر العلماء علىٰ أن تلك الكسوة أقلها ثوب يستر العورة ويغطي المنكبين تصلح الصلاة فيه هذا بالنسبة للرجل.

أما المرأة فأضافوا إلىٰ ما ذُكر خماراً تختمر به.

- قال مالك في «الموطأ»:

«أحسن ما سمعت في الذي يكفر عن يمينه بالكسوة أنه إن كسا الرجال كساهم ثوبًا ثوبًا، وإن كسا النساء كساهن ثوبين ثوبين درعًا وخماراً، وذلك أدنىٰ ما يجزئ كلاًّ في صلاته».

وقال الشافعي في «الأم»:

وأقل ما يكفي من الكسوة كل ما وقع عليه اسم كسوة من عمامة أو سراويل أو إزار أو مقنعة وغير ذلك للرجل والمرأة، لأن ذلك كله يقع عليه اسم كسوة، ولو أن رجلاً أراد أن يستدل بما تجوز فيه الصلاة من الكسوة علىٰ كسوة المساكين جاز لغيره أن يستدل بما يكفيه في الشتاء أو في الصيف أو في السفر من الكسوة، ولكن لا يجوز الاستدلال عليه بشيء من هذا، وإذا أطلقه الله فهو مطلق، ولا بأس أن يكسو رجالاً ونساءً وكذلك يكسو الصبيان، وإن كسا غنيًّا وهو لا يعلم رأيت عليه أن يعيد الكسوة». اهـ.

* * *

س: هل يشترط في الرقبة المُعتقة أن تكون مؤمنة؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم، إلى أن الرقبة المعتقة في كفارة اليمين يجب أن تكون مؤمنة، وحملوا هذه الآية المطلقة على آية سورة النساء الواردة في كفارة قتل الخطأ ففيها التقييد بالإيمان (وتحرير رقبة مؤمنة) بينما ذهب آخرون إلى عدم اشتراط الإيمان في الرقبة قالوا لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] ولم يقيدها بالإيمان، فمن ثمَّ فأية رقبةٍ تجزئ، والله أعلم.

- قال الإمام الشافعي في «الأم»:

«لو أعتق في كفارة اليمين أو في شيء وجب عليه العتق لم يجزه إلا رقبة مؤمنة ويعتق منها الأسود والأحمر والسوداء والحمراء وأقل ما يقع به اسم الإيمان على العجمي أن يصف الإيمان إذا أمر بصفته ثم يكون به مؤمنًا. . . .» . اهـ.

وقال ابن حزم في «المحلى»:

«ويجزئ في العتق في كل ذلك الكافر والمؤمن ثم قال وعمدة البرهان في ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] فلم يخص رقبة من رقبة وما كان ربك نسيًّا، فإن قالوا: قسنا الرقبة في هذا على رقبة القتل لا تجزئ إلا مؤمنة قلنا: فقيسوها عليها في تعويض الإطعام منها، فإن قالوا: لا نفعل لأننا نخالف القرآن نزيد على ما فيه، قلنا: وزيادتكم في كفارة اليمين أن تكون مؤمنة ولا بد خلاف للقرآن وزيادة على ما فيه. . . فإن احتجوا بالخبر الذي فيه أن القائل قال لرسول الله ﷺ أنه لطم وجه جارية له وعلي رقبة أفأعتقها؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» فلا حجة لهم فيه لأنها بعض الخبر لم تكن كفارة يمين ولا وطء في رمضان ولا عن ظهار. . .

وأيضًا أنه ليس فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال: لا تجزئ إلا مؤمنة وإنما فيه: أعتقها فإنها مؤمنة، ونحن لا ننكر عتق المؤمنة وليس فيه أنه لا يجوز عتق الكافرة فنحن لا نمنع من عتقها» . اهـ.

* * *

س: ما القدر الذي به يكون الإنسان واجدًا فيُلزم بالإطعام في الكفارة؟

ج: ذهب كثيرون من أهل العلم إلى أن الإنسان يكون واجدًا ويُلزم بالإطعام إذا فضل عن قوته وقوت أولاده وأهله لإخراج الكفارة.

* * *

س: هل يجوز لشخصٍ أن يُكفر عن يمينه بالصيام وهو قادر على الإطعام؟

ج: لا يجوز له ذلك، لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

«والصواب من القول في ذلك عندنا أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك يصوم ثلاثة أيام وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق، وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يعتق فلا يجزيه حينئذ الصوم لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذ من إطعام أو كسوة أو عتق حق قد أوجبه الله تعالى في ماله وجوب الدين، وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرق ماله بين غرمائه أنه لا يترك ذلك اليوم إلا ما لابد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته فكذلك حكم المعدم بالدين الذي أوجبه الله تعالى في ماله بسبب الكفارة التي لزمت ماله» . اهـ.

وقال الخرقي في «المغني مع الشرح الكبير»:

ويكفر بالصوم من لم يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته مقدار ما يكفر به.

* * *

س: هل يشترط في صيام الأيام التتابع؟

ج: لا يشترط التتابع، إذ الآية هنا مطلقة ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم إذا اقسمتم - وعقدتم الأيمان - على فعل شيءٍ فافعلوه (١)، فإن لم تفعلوه فكفروا عن أيمانكم بالكفارة المذكورة، والله تعالى أعلم.

وقد يحتمل أيضًا أن يكون معنى واحفظوا أيمانكم، لا تكثروا الأيمان فإن الإكثار منها قد يوقعكم في الحرج فتفعلوا خلاف ما أقسمتم عليه ثم لا تكفروا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها، ثم تُضيعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [المائدة: ٨٩]، كما بين لكم كفارة أيمانكم، كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعني: أعلام دينه فيوضِّحها لكم. لئلا يقول المضيع المفرِّط فيما ألزمه الله: «لم أعلم حكم الله في ذلك» ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]، يقول: لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم.

---

(١) يعني إن كان خيراً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾
أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ
عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ
تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(الْمَيْسِرُ - الأَنصَابُ - الأَزْلامُ - رِجْسٌ - عَمَلِ الشَّيْطَانِ - فَاجْتَنِبُوهُ - يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ - الْبَلاغُ - الْمُبِينُ - جُنَاحٌ - لَيَبْلُوَنَّكُمُ - تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ - يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ - أَلِيمٌ - حُرُمٌ - بَالِغَ الْكَعْبَةِ - عَدْلُ ذَلِكَ - لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ - صَيْدُ الْبَحْرِ - طَعَامُهُ - مَتَاعًا لَّكُمْ - لِلسَّيَّارَةِ - حُرُمًا - تُحْشَرُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿الْمَيْسِرُ﴾	القمار.
﴿الأَنصَابُ﴾	حجارة كانوا يذبحون عليها تقربًا لآلهتهم.
﴿الأَزْلامُ﴾	أحجار (أقداح) كانوا يستقسمون بها.
﴿رِجْسٌ﴾	سخط - شرٌ - نتن.
﴿عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾	تزيين الشيطان - دعاء الشيطان.
﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾	ارفضوه - اتركوه - ابتعدوا عنه اجعلوه في جانب وأنتم في جانب.
﴿يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ﴾	ينشر بينكم العداوة والبغضاء
﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾	يجعل بعضكم يبغض بعضا، ويعادي بعضا.
﴿الْبَلاغُ﴾	التبليغ - إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة.
﴿الْمُبِينُ﴾	الواضح - الموضح.
﴿جُنَاحٌ﴾	إثم.

الكلمـــة	معنـاهـــا
﴿ لِيَبْلُوَنَّكُمُ ﴾	ليختبرنكم .
﴿ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾	تستطيعون صيده بأيديكم (مثل الفراخ ونحوها) أو برماحكم مثل الحمر الوحشيه ونحوها .
﴿ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾	يخشىٰ ربه وهو لا يرىٰ ربه ـ يخشىٰ ربه وهو بعيد عن أعين الناس .
﴿ أَلِيمٌ ﴾	مؤلم موجع .
﴿ حُرُمٌ ﴾	محرمون لم تتحللوا من إحرامكم .
﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾	واصل إلىٰ الحرم .
﴿ عَدْلُ ذَلِكَ ﴾	قيمة ذلك .
﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾	لينال جزاء معصيته .
﴿ صَيْدُ الْبَحْرِ ﴾	ما اصطادوه من البحر .
﴿ طَعَامُهُ ﴾	ما قذف به البحر ميتًا ـ ما اصطيد ثم مُلِّح .
﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ ﴾	منفعة لكم يا مقيمين ـ يا حاضرين لم تسافروا .
﴿ لِلسَّيَّارَةِ ﴾	السائرون (المسافرون) من أرض إلىٰ أرض .
﴿ حُرُمًا ﴾	محرمين لم تتحللوا من إحرامكم
﴿ تُحْشَرُونَ ﴾	تجمعون يوم القيامة .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

ثم أخبرهم عن الذي حرّم عليهم مما إذا استحلوه وتقدَّموا عليه، كانوا من المعتدين في حدوده.

فقال لهم: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن الخمر التي تشربونها، والميسرَ الذي تَتَياسرونه، والأنصاب التي تذبحُون عندها، والأزلام التي تستقسمون بها ﴿رِجْسٌ﴾، يقول: إثم ونَتنٌ سَخِطه الله وكرهه لكم ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، يقول: شربكم الخمر، وقماركم على الجُزُر، وذبحكم للأنصاب، واستقسامكم بالأزلام، من تزيين الشيطان لكم، ودعائه إياكم إليه، وتحسينه لكم، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربُّكم، ولا مما يرضاه لكم، بل هو مما يسخطه لكم ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، يقول: فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، يقول: لكي تنجحُوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بترككم ذلك.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لذلك سبب نزول وهو ما أخرجه مسلم [١] في

(١) مسلم (حديث ١٧٤٨).

«صحيحه» من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سعد أنه نزلت فيه آيات من القرآن . . . فذكر الحديث وفيه قال: وأتيت علىٰ نفرٍ من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نُطعمك ونَسقيك خمراً، وذلكَ قبل أن تحرَّم الخمر. قال فأتيتهم في حشٍّ ـ والحشُّ البستان ـ فإذا رأس جزورٍ مشوي عندهم، وزق مِن خمرٍ ـ قال: فأكلتُ وشربتُ معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجَرَح بأنفي. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته. فأنزل الله عز وجل في ـ يعني نفسه ـ شأن الخمر: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾ [المائدة: ٩٠].

وصح عن ابن عباس [١] رضي الله عنهما:

نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا. حتىٰ إذا ثملوا، عبث بعضهم علىٰ بعض. فلما أن صحَوْا جعل الرجل منهم يرىٰ الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان! وكانوا إخوة، ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رءوفًا رحيمًا ما فعل بي هذا! حتىٰ وقعت في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]! فقال ناس من المتكلِّفين: رجْسٌ في بطن فلانٌ قتل يوم بدر، وقتل فلان يوم أحُدٍ! فأنزل الله: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.

وقد وردت في الباب أسباب نزولٍ أخر [٢] ـ لكنها لا تخلوا من مقالٍ،

---

(١) الطبري (١٢٥٢٢).

(٢) وإن كان قد صحح بعضها بعض أهل العلم كحديث أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر فقد صححه ابن المديني وغيره، وسيأتي بيان ما فيه من علة.

فمنها ما أخرجه الترمذي والطبري [١] وغيرهما من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: قال عمر: اللهمّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا!

قال: فنزلت الآية التي في «البقرة»: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: فدُعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا! فنزلت الآية التي في «النساء»: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

قال: وكان مُنَادي النبي ﷺ يُنادي إذا حضرت الصلاة: لا يقربن الصلاة السكران! قال: فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا: ! قال: فنزلت الآية التي في «المائدة»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١] فلما انتهى إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، قال عمر: انتهينا انتهينا[٢]!!

* * *

س: اذكر بعض الوارد من الأحاديث[٣] في تحريم الخمر وذمّها؟

ج: من ذلك ما يلي:

● ما أخرجه البخاري ومسلم[٤] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من شرب الخمر في الدنيا ثمَّ لم يتب منها حُرمها في الآخرة**».

---

(١) الطبري (ط. شاكر أثر ١٢٥١٢).

(٢) هذا الحديث أُعل بالإرسال.

(٣) أما الآيات الواردة في ذلك فقد قدمناها في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ [البقرة: ٢١٩].

(٤) البخاري (٥٥٧٥) ومسلم (ص١٥٨٨).

● وعند مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ مُسكر خمر وكل مُسْكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يُدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة**»(١).

● وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البِتع فقال: «**كلُّ شراب أسكر فهو حرام**»(٢).

● وعند مسلم(٣) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنهما قال: بعثني النبي ﷺ أنا ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن: فقلتُ: يا رسول الله! إن شرابًا يُصنع بأرضنا يقالُ له المزرُ من الشعير وشرابٌ يقال له البتعُ من العسل. فقال: «**كل مُسْكر حرامٌ**».

● وعند مسلم(٤) من حديث جابر رضي الله عنه أن رجلاً قدمَ من جيشان ـ وجيشانُ من اليمن ـ فسأل النبي ﷺ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزرُ؟ فقال النبي ﷺ: «**أوَ مُسْكرٌ هُوَ؟**» قالَ: نعم. قال: رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مسكر حرامٌ، إن على الله عز وجل، عهدًا، لمن يشربُ المسكر، أن يسقيهُ من طينة الخَبال**» قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخَبالِ؟ قال: «**عَرق أهْلِ النارِ، أو عصارةُ أَهْلِ النارِ**».

● وعند مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مُسكرًا**»(٥).

وفي لفظ: «**... وكل مُسكرٍ حرامٌ**»(٦).

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٠٣).

(٢) البخاري (حديث ٥٥٨٥) ومسلم (حديث ١٧٣٢).

(٣) مسلم (حديث ١٧٣٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٠٠٢).

(٥، ٦) مسلم (حديث ٩٧٧).

● وفي «الصحيحين» (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**».

● وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ أتى ليلة أسري به بإيلياء، بقدحين من خمرٍ ولبنٍ. فنظر إليهما فأخذ اللبن. فقال له جبريل عليه السلامُ: الحمد لله الذي هداك للفطرة. لو أخذت الخمرَ، غوت أمتُك.

● وفي «الصحيحين» (٣) من حديث: أنس بن مالك؛ أنه قال: كُنت أسقي أبا عبيدة بن الجراحِ وأبا طلحة وأبي بن كعب، شرابًا من فضيخ(٤) وتمْرٍ. فأتاهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرمتْ. فقال أبو طلحة: يا أنس! قم إلى هذه الجرة فاكسرها، فقمت إلى مهراس (٥) لنا فضربتها بأسفلِهِ. حتى تكسَّرت.

● وعند البخاري معلقًا (٦) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَ والحرير والخمر والمعازف**».

● وأخرج أبو داود في «سننه» (٧) والإمام أحمد في «مسنده» بإسناد

---

(١) البخاري (حديث ٥٥٧٨) ومسلم (حديث ٥٧).

(٢) البخاري (حديث٥٥٧٦) ومسلم (حديث ١٦٨ ص ١٥٩٢).

(٣) البخاري (حديث ٥٥٨٢) ومسلم (حديث ١٩٨٠).

(٤) الفضيخ: اسمٌ للبُسر إذا شدخ ونُبذ.

(٥) المهراس: الحجر المنقور.

(٦) البخاري (٥٥٩٠).

(٧) سنن أبي داود (حديث ٣٦٧٤) وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥، ٧١) وغيرهما، وانظر «سنن البيهقي» (٨/ ٢٨٧).

يُحسن بطرقه وشواهده أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**».

- وفي بعض الطرق: «**وآكل ثمنها**».
- وهذا من الآثار السيئة لشرب الخمر في «الصحيح»(*) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أصبت شارفًا[1] مع رسول الله ﷺ في مغنمٍ، يوم بدرٍ. وأعطاني رسول الله ﷺ شارفًا أخرىٰ. فأنختهما يومًا عند باب رجُلٍ من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرًا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينُقاع[2]، فأستعين به علىٰ وليمة فاطمة. وحمزة بن عبد المطلب يشربُ في ذلك البيت. معه قينةٌ[3] تغنيه. فقالت: ألا يا حمز للشرف النواء[4] فثار إليهما حمزة بالسيف فجبَّ[5] أسنمتهما[6] وبقر خواصرهما[7] ثمَّ أخذ من أكبادهما.

قلتُ لابن شهاب: ومن السَّنام؟ قال: قد جبَّ أسْنمتهما فذهب بها.

قال ابن شهاب: قال علي: فنظرت إلىٰ منظرٍ أفظعني. فأتيت نبي الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة. فأخبرته الخبر. فخرج ومعَهُ زيدٌ. وانطلقتُ معه.

(*) ومسلم (حديث ١٩٧٩).

(١) شارفا: هي الناقة المسنة. وجمعها شُرُفٌ، بضم الراء وإسكانها.

(٢) قينقاع بضم النون وكسرها وفتحها، وهم طائفة من يهود المدينة، فيجوز صرفه علىٰ إرادة الحيّ، وترك صرفه علىٰ إرادة القبيلة أو الطائفة.

(٣) قينة: هي الجارية المغنّية.

(٤) للشرف النواء: الشرف جمع شارف وهي الناقة المسنة. والنواء أي السمان. جمع ناوية وهي السمينة. وقد نوت الناقة تنوي كرمت ترمي. يقال لها ذلك إذا سمنت.

(٥) فجب: أي قطع.

(٦) أسنمتهما: السَّنام، بفتح السين، حدبة في ظهر البعير.

(٧) وبقر خواصرهما: أي شقها.

فدخل على حمزة فتغيظ عليه. فرفع حمزة بصرهُ. فقال: هل أنتم إلا عبيدٌ لآبائي؟ فرجع رسول الله ﷺ يقهقر (١) حتَّى خرج عنهم.

● وفي رواية أخرى لهذا الحديث (٢).

أن عليًّا قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم، يوم بدرٍ، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفًا من الخمس يومئذ. فلمَّا أردتُ أن أبتني بفاطمة، بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلاً صواغًا من بني قينقاع يرتحلُ معي. فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصَّواغين (٣) فأستعين به في وليمة عُرْسي. فبينا أنا أجمع لشارفيَّ متاعًا من الأقتاب(٤) والغرائر (٥) والحبال، وشارفاي مُناخان(٦) إلى جنب حجرة رجل من الأنصار. وجمعت حين جمعت ما جمعت. فإذا شَارفَاي قد اجتبت أسنمتهما، وبُقرت خَواصرهما، وأخذَ منْ أكبادهمَا. فلم أمْلك عْينيَّ حينَ رأيْتُ ذلكَ المَنْظَرَ منْهُمَا. قُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هذَا؟ قَالوا: فَعَلَهُ حَمزة بن عبد المطلب. وهو في هذا البيت في شَرْبٍ (٧) من الأنصار. غنتْهُ قينة وأصحابه. فقالت في

---

(١) يقهقر يمشي إلى الوراء، فقد يصدر من حمزة أثناء سكره أمرٌ مكروه لو ولاه النبي ﷺ ظهره.

(٢) ومسلم (ص١٥٦٩).

(٣) أردت أن أبيعه من الصواغين: هو هكذا في جميع نسخ مسلم وفي بعض الأبواب من البخاري من الصواغين ففيه دليل لصحة استعمال الفقهاء في قولهم: بعتُ منه ثوبا وزوجت منه ووهبت منه جارية، وشبه ذلك. والفصيح حذف منْ، فإن الفعل متعد بنفسه. ولكن استعمال من في هذا صحيح. وقد كثر ذلك في كلام العرب.

(٤) الأقتاب: جمع قَتَب، وهو رحل صغير على قدر السَّنام.

(٥) والغرائر: جمع غرارة، وهي الجوالق.

(٦) مناخان: هكذا في معظم النسخ: مناخان. وفي بعضها مناختان، بزيادة التاء: وهما صحيحان. فأنث باعتبار المعنى، وذكر باعتبار اللفظ.

(٧) شرب: الشرب هو الجماعة الشاربون.

غنائها: ألا يا حمز للشرف النواء. فقام حمزة بالسيف. فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما. فأخذ من أكبادهما.

قال علي: فانطلقت حتىٰ أدخل علىٰ رسول الله ﷺ وعندهُ زيد بن حارثة. قال فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيتُ فقال رسول الله ﷺ: «ما لك؟» قلتُ: يا رسول الله! والله! ما رأيت كاليوم قطُّ، عدا حمزة علىٰ ناقتيَّ فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب. قال فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه. ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتىٰ جاء الباب الذي فيه حمزة. فاستأذن فأذنوا له فإذا هم شرب فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة محمرة عيناه فنظر حمزة إلىٰ رسول الله ﷺ. ثم صعد النظر إلىٰ ركبتيه. ثم صعد النظر فنظر إلىٰ سرَّته. ثمَّ صعَّد النظر فنظر إلىٰ وجهه. فقال حمزةُ: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثملٌ. فنكص رسول الله ﷺ علىٰ عقبيْه القهقرىٰ، وخرج وخرجنا معه.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فهذه الأربعة، نهىٰ الله عنها، وزجر، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلىٰ تركها، واجتنابها.

فمنها: أنها رجس، أي: نجس، خبث معنىٰ، وإن لم تكن نجسة حسًّا، والأمور الخبيثة، مما ينبغي اجتنابها، وعدم التدنس بأوضارها.

ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدىٰ الأعداء للإنسان، ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصًا الأعمال التي يعملها، ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم، البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها.

ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها. فإن الفلاح هو: الفوز

بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب. وهذه الأمور مانعة من الفلاح، ومعوقة له.

ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصًا: الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء، فإن في الخمر من انقلاب العقل، وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه، من المؤمنين خصوصًا، إذا اقترن بذلك من الأسباب، ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلي القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعدواة والبغضاء.

ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، وتبعد البدن عن ذكر الله، وعن الصلاة، الذين خلق لهم العبد، وبهما سعادته. فالخمر والميسر، يصدانه، عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة، وهو لا يدري أين هو.

فأي معصية أعظم وأقبح، من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له، كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد، وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟!! فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟!! ولهذا عرض تعالى، على العقول السليمة، النهي عنها، عرضًا بقوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، لأن العاقل - إذا نظر إلي بعض تلك المفاسد - انزجر عنها، وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير، ولا زجر بليغ.

وأخرج النسائي [١] بسندٍ صحيح عن عثمان رضي الله عنه قال:

«اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته[٢] امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كُلَّما دخل بابًا أغلقتهُ دونه حتىٰ أفضىٰ إلىٰ امرأةٍ وضيئةٍ عندها غلامٌ وباطيةُ خمرٍ، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليَّ[٣] أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا فسقته كأسًا، قال: زيدوني فلم يرم حتىٰ وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه».

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩١] يريد أبعدوه واجعلوه ناحية؛ فأمر الله تعالىٰ باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم؛ فبهذا حرمت الخمر. ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سورة «المائدة» نزلت بتحريم الخمر، وهي مدنية من آخر ما نزل، وورد التحريم في الميتة والدم ولحم الخنزير في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وغيرها من الآي خبرًا، وفي الخمر نهيًا وزجرًا، وهو أقوىٰ التحريم وأوكده. روىٰ ابن عباس قال: لما نزل تحريم الخمر، مشىٰ أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلىٰ بعض، وقالوا حُرِّمت الخمر، وجعلت عدلاً للشِّرك، يعني أنه قرنها بالذبح للأنصاب وذلك شرك. ثم علق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فعلق الفلاح بالأمر، وذلك يدل علىٰ تأكيد الوجوب. والله أعلم.

* * *

(١) النسائي (حديث ٥٦٨٢) كتاب الأشربة باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر.

(٢) علقته أي عشقته وأحبته.

(٣) تعني ليزني بها.

س: هل الخمر المتُخذ من التمر يحرم؟

ج: نعم يحرم الخمر المُتخذ من التمر ومن غير التمر أيضًا وفي «الصحيح»[1] أن عمر رضي الله عنه قام على المنبر فقال: أما بعد: نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة: العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل.

قال القرطبي رحمه الله:

هذه الآية وهذا الحديث نظير سؤالهم عمن مات إلى القبلة الأولى فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] ومن فعل ما أبيح له حتى مات على فعله لم يكن له ولا عليه شيء، لا إثم ولا مؤاخذة ولا ذم ولا أجر ولا مدح؛ لأن المباح مستوي الطرفين بالنسبة إلى الشرع، وعلى هذا فما كان ينبغي أن يُتخوف ولا يُسأل عن حال من مات والخمر في بطنه وقت إباحتها، فإما أن يكون ذلك القائل غَفَل عن دليل الإباحة فلم يخطر له، أو يكون لغلبة خوفه من الله تعالى، وشفقته على إخوانه المؤمنين تَوهَّم مؤاخذة ومعاقبةً لأجل شرب الخمر المتقدّم، فرفع الله ذلك التوهم بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.

وقال أيضًا: هذا الحديث في نزول الآية فيه دليل واضح على أن نبيذ التمر إذا أسكر خمْر، وهو نصٌّ ولا يجوز الاعتراض عليه؛ لأن الصحابة رحمهم الله هم أهل اللسان، وقد عَقلوا أن شرابهم ذلك خمر إذ لم يكن لهم شراب ذلك الوقت بالمدينة غيره؛ وقد قال الحَكمي:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٨١) وغيره.

لنا خَـمـرٌ وليـست خـمـر كَـرْمٍ ولكن مِـن نِتـاجِ الـبـاسِـقـاتِ
كِـرامٌ فـي السـمـاءِ ذهبن طُولاً وفـات ثِمـارهـا أيدِي الجناةِ

ومن الدليل الواضح على ذلك ما رواه النسائي: أخبرنا القاسم بن زكريا، أخبرنا عبيد الله عن شيبان عن الأعمش عن مُحارِب بن دِثار عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**الزبيب والتمر هو الخمر**». وثبت بالنقل الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وحسبك به عالمًا باللسان والشرع ـ خطب على منبر النبيّ ﷺ فقال: يأيها الناس، ألاَ إنه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل، وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل. وهذا أبين ما يكون في معنى الخمر؛ يخطب به عمر بالمدينة على المنبر بمحضر جماعة الصحابة، وهم أهل اللسان ولم يفهموا من الخمر إلا ما ذكرناه. وإذا ثبت هذا بطل مذهب أبي حنيفة والكوفيين القائلين بأن الخمر لا تكون إلا من العنب، وما كان من غيره لا يسمى خمراً ولا يتناوله اسم الخمر، وإنما يسمى نبيذًا، وقال الشاعر:

تركت النَّبيـذ لأهل النبيـذ. وصِـرتُ حليـفًـا لمن عـابه
شَـرابٌ يُدنِّس عِـرْض الفَـتَى ويَفـتح لـلشَّـر أبوابَـه

س ـ هل الخمر نجسة العين؟

ج ـ ذهب جمهور العلماء إلى أن الخمر نجسة، ومن أدلتهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ** ﴾ [المائدة: ٩٠] قالوا: رجس معناها نجس.

قال القرطبي رحمه الله:

فهِم الجمهور من تحريم الخمر، واستخباث الشرع لها، وإطلاق الرِّجس

عليها، والأمر باجتنابها، الحكم بنجاستها. وخالفهم في ذلك ربيعة والليث ابن سعد والمزني صاحب الشافعي، وبعض المتأخرين من البغداديين والقرويين فرأوا أنها طاهرة، وأن المحرم إنما هو شربها.

وقد استدل سعيد بن الحداد القروي على طهارتها بسفكها في طرق المدينة؛ قال: ولو كانت نجسة لما فعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، ولنهى رسول الله ﷺ عنه كما نهى عن التخلي في الطرق. والجواب: أن الصحابة فعلت ذلك: لأنه لم يكن لهم سُروب ولا آبار يريقونها فيها، إذ الغالب من أحوالهم أنهم لم يكن لهم كنف في بيوتهم. وقالت عائشة رضي الله عنها إنهم كانوا يتقذرون من اتخاذ الكُنُف في البيوت، ونقلها إلى خارج المدينة فيه كلفة ومشقة، ويلزم منه تأخير ما وجب على الفور. وأيضًا فإنه يمكن التحرز منها؛ فإن طرق المدينة كانت واسعة، ولم تكن الخمر من الكثرة بحيث تصير نهراً يعم الطريق كلها، بل إنما جرت في مواضع يسيرة يمكن التحرز عنها ـ هذا مع ما يحصل في ذلك من فائدة شهرة إراقتها في طرق المدينة، ليشيع العمل على مقتضى تحريمها من إتلافها، وأنه لا ينتفع بها، وتتابع الناس وتوافقوا على ذلك، والله أعلم.

فإن قيل: التَّنجيس حكم شرعي ولا نص فيه، ولا يلزم من كون الشيء محرّمًا أن يكون نجسًا؛ فكم من محرم في الشرع ليس بنجس؛ قلنا: قوله تعالى: «رجسٌ» يدل على نجاستها؛ فإن الرجس في اللسان النجاسة، ثم لو التزمنا ألا نحكم بحكم إلا حتى نجد فيه نصًّا لتعطلت الشريعة؛ فإن النصوص فيها قليلة؛ فأيُّ نص يوجد على تنجيس البول والعَذِرة والدّم والميتة وغير ذلك؟ وإنما هي الظواهر والعمومات والأقيسة. وسيأتي في سورة «الحج» ما يوضح هذا المعنى إن شاء الله تعالى.

هذا ، وقد قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: في معنى قوله تعالى: ﴿رِجْسٌ﴾ قال ابن عباس في هذه الآية: ﴿رِجْسٌ﴾ سخط وقد يقال للنَّتن والعذرة والأقْذار رجسٌ، والرِّجز بالزّاي العذاب لا غير، والركس العذرة لا غير، والرجسُ: يقال للأمرين. ومعنى: ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] أي بحمله عليه وتزيينه. وقيل: هو الذي كان عمل مبادئ هذه الأمور بنفسه حتى اقتدي به فيها.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى «في أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠] الآية. يفهم من هذه الآية الكريمة أن الخمر نجسة العين، لأن الله تعالى قال: إنها رجس، والرجس: في كلام العرب كل مستقذر تعافه النفس.

وقيل: إن أصله من الركس، وهو العذرة والنتن. قال بعض العلماء: ويدل لهذا مفهوم المخالفة في قوله تعالى في شراب أهل الجنة ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] لأن وصفه لشراب أهل الجنة بأنه طهور يفهم منه، أن خمر الدنيا ليست كذلك، ومما يؤيد هذا أن كل الأوصاف التي مدح بها تعالى خمر الآخرة منفية عن خمر الدنيا، كقوله: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصفات: ٤٧] وكقوله: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]، بخلاف خمر الدنيا ففيها غول يغتال العقول وأهلها يصدعون أي: يصيبهم الصداع الذي هو وجع الرأس بسببها، وقوله ﴿لا يُنزَفُونَ﴾ على قراءة فتح الزاي مبنيًّا للمفعول، فمعناه: أنهم لا يسكرون، والنزيف السكران، ومنه قول حميد بن ثور:

نزيف ترى ردع العبير بجيبها كما ضرح الضاري النزيف المكلما

يعني: أنها في ثقل حركتها كالسكران، وأن خمرة العبير الذي هو الطيب في جيبها كخمرة الدم على الطريد الذي ضرجه الجوارح بدمه، فأصابه نزيف الدم من جرح الجوارح له، ومنه أيضًا قول امرئ القيس:

وإذا هي تمشى كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر

وقوله أيضًا:

نزيف إذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفؤاد الرخص ألا تخترا

وقوله أيضًا:

فلثمت فاها آخذًا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وعلى قراءة ﴿يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي مبنيًّا للفاعل، ففيه وجهان من التفسير للعلماء:

أحدهما: أنه من أنزف القوم إن حان منهم النزف وهو السكر؛ ونظيره قولهم: أحصد الزرع إذا حان حصاده وأقطف العنب إذا حان قطافه، وهذا القول معناه راجع إلى الأول.

والثاني: أنه من أنزف القوم إذا فنيت خمورهم. ومنه قول الحطيئة:

لعمري لئن أنزفتمو أو صحوتمو لبئس الندامى أنتم آل أبجرا

وجماهير العلماء على أن الخمر نجسة العين لما ذكرنا: وخالف في ذلك ربيعة والليث، والمزني صاحب الشافعي، وبعض المتأخرين من البغداديين والقرويين، كما نقله عنهم القرطبي في تفسيره.

واستدلوا لطهارة عينها بأن المذكورات معها في الآية من مال ميسر، ومال قمار وأنصاب وأزلام ليست نجسة العين، وإن كانت محرمة الاستعمال.

وأوجب من جهة الجمهور بأن قوله ﴿ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠] يقتضي نجاسة العين في الكل، فما أخرجه إجماع، أو نص خرج بذلك، وما لم يخرجه نص ولا إجماع، لزم الحكم بنجاسته، لأن خروج بعض مما تناوله العام بمخصص من المخصصات، لا يسقط الاحتجاج به في الباقي، كما هو مقرر في الأصول، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

وهو حجة لدى الأكثر إن مخصص له معينًا بين

س: هل تُتخذ الخمر خلاًّ؟

ج: أخرج مسلم [1] من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سُئل عن الخمر تتخذ خلاًّ؟ فقال: «لا».

قال القرطبي رحمه الله:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الخمر لا يجوز تخليلها لأحد، ولو جاز تخليلها ما كان رسول الله ﷺ ليدع الرجل أن يفتح المزادة حتى يذهب ما فيها؛ لأن الخل مال وقد نهي عن إضاعة المال، ولا يقول أحد فيمن أراق خمراً على مسلم أنه أتلف له مالاً، وقد أراق عثمان بن أبي العاص خمراً ليتيم، واستؤذن ﷺ في تخليلها فقال: «لا» ونهى عن ذلك، ذهب إلى هذا طائفة من العلماء من أهل الحديث والرأي، وإليه مال سُحْنون بن سعيد. وقال آخرون: لا بأس بتخليل الخمر ولا بأس بأكل ما تخلل منها بمعالجة آدمي أو غيرها؛ وهو قول الثوري والأوزاعي والليث بن سعد والكوفيين، وقال أبو حنيفة: إن طرح فيها المِسك والملح فصارت مُرَبًّى وتحولت عن حال الخمر جاز. وخالفه محمد بن الحسن في المربَّى وقال: لا تُعالَج الخمر بغير تحويلها إلى الخلّ وحده، قال أبو

(١) مسلم (حديث ١٩٨٣).

عمر: احتج العراقيون في تخليل الخمر بأبي الدرداء، وهو يُروىٰ عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء من وجه ليس بالقوي أنه كان يأكل المربَّىٰ منه، ويقول دبغته الشمس والملح، وخالفه عمر بن الخطاب وعثمان بن أبي العاص في تخليل الخمر؛ وليس في رأي أحد حجة مع السنة. وبالله التوفيق. وقد يحتمل أن يكون المنع من تخليلها كان في بدء الإسلام عند نزول تحريمها؛ لئلا يستدام حبسها لقرب العهد بشربها، إرادة لقطع العادة في ذلك. وإذا كان كذلك لم يكن في النهي عن تخليلها حينئذٍ، والأمر بإراقتها ما يمنع من أكلها إذا خُلِّلت. وروىٰ أشهب عن مالك قال: إذا خلّل النصراني خمراً فلا بأس بأكله وكذلكً إن خلّلها مسلم واستغفر الله؛ وهذه الرواية ذكرها ابن عبد الحكم في كتابه. والصحيح ما قاله مالك في رواية ابن القاسم وابن وهب أنه لا يحل لمسلم أن يعالج الخمر حتىٰ يجعلها خلاًّ ولا يبيعها، ولكن ليُهرِيقها.

لم يختلف قول مالك وأصحابه أن الخمر إذا تخللت بذاتها أن أكل ذلك الخلّ حلال، وهو قول عمر بن الخطاب وقبيصة وابن شهاب وربيعة وأحد قولي الشافعي، وهو تحصيل مذهبه عند أكثر أصحابه.

* * *

س: هل يجوز التداوي بالخمر؟

ج: لا يجوز التداوي بالخمر، وقد أخرج مسلم [1] في «صحيحه» من حديث وائل الحضرمي؛ أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهاه، أو كره أن يصنعها. فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: «**إنه ليس بدواءٍ ولكنه داءٌ**».

---

(١) مسلم (حديث ١٩٨٤).

س - هل يجوز بيع الخمر؟

ج: لا يجوز بيع الخمر، وقال القرطبي رحمه الله تعالىٰ.

أجمع المسلمون علىٰ تحريم بيع الخمر والدم، وفي ذلك دليل علىٰ تحريم بيع العَذرات وسائر النجاسات وما لا يحل أكله؛ ولذلك - والله أعلم - كره مالك بيع زبل الدواب، ورخص فيه ابن القاسم لما فيه من المنفعة، والقياس ما قاله مالك، وهو مذهب الشافعي، وهذا الحديث شاهد بصحة ذلك.

وأخرج مسلم [1] من طريق أبي عمر النخعي قال:

سأل قوم ابن عباس عن بيع الخمر وشرائها والتجارة فيها؟ فقال: أمسلمون أنتم؟ قالوا: نعمْ، قال: فإنه لا يصلح بيعها ولا شراؤها ولا التجارة فيها.

* * *

س: ما مدى صحة حديث «ما أسكر كثيره فقليله حرام»؟

ج: هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه وقد أخرجه أبو داود وغيره بسندٍ حسن من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**» [2].

وأخرج النسائي [3] وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ نهىٰ عن قليل ما أسكر كثيره.

قال القرطبي رحمه الله:

قال الإمام أبو عبد الله المازري: ذهب جمهور العلماء من السلف

---

(١) مسلم (ص١٥٨٩).

(٢) أبو داود (حديث ٣٦٨١) وغيره.

(٣) النسائي (٨/ ٣٠١) وغيره.

وغيرهم إلىٰ أن كل ما يسكر نوعه حرم شربه، قليلاً كان أو كثيراً، نيئًا كان أو مطبوخًا، ولا فرق بين المستخرج من العنب أو غيره، وأنّ من شرب شيئًا من ذلك حُدَّ؛ فأما المستخرج من العنب المسكر النيِّئ فهو الذي انعقد الإجماع علىٰ تحريم قليله وكثيره ولو نقطة منه، وأما ما عدا ذلك فالجمهور علىٰ تحريمه. وخالف الكوفيون في القليل مما عدا ما ذكر، وهو الذي لا يبلغ الإسكار؛ وفي المطبوخ المستخرج من العنب؛ فذهب قوم من أهل البصرة إلىٰ قصر التحريم علىٰ عصير العنب، ونقيع الزَّبيب النيِّئ؛ فأما المطبوخ منهما، والنِّيئ والمطبوخ مما سواهما فحلال ما لم يقع الإسكار. وذهب أبو حنيفة إلىٰ قصر التحريم علىٰ المعتصر من ثمرات النخيل والأعناب علىٰ تفصيل؛ فيرىٰ أن سُلاَفة العنب يحرم قليلها وكثيرها إلا أن تطبخ حتىٰ ينقص ثلثاها، وأما نقيع الزّبيب والتمر فيحل مطبوخهما وإن مسّته النار مسًّا قليلاً من غير اعتبار بحدّ، وأما النيِّئ منه فحرام، ولكنه مع تحريمه إياه لا يوجب الحد فيه؛ وهذا كله ما لم يقع الإسكار، فإن وقع الإسكار استوىٰ الجميع قال شيخنا الفقيه الإمام أبو العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ: العجب من المخالفين في هذه المسألة؛ فإنهم قالوا: إن القليل من الخمر المعتصر من العنب حرام ككثيره، وهو مجمع عليه؛ فإذا قيل لهم: فلم حرم القليل من الخمر وليس مذهبًا للعقل. فلابد أن يقال: لأنه داعية إلىٰ الكثير، أو للتعبد؛ فحينئذ يقال لهم: كلّ ما قدرتموه في قليل الخمر هو بعينه موجود في قليل النبيذ فيحرم أيضًا، إذ لا فارق بينهما إلا مجرد الاسم إذا سلم ذلك. وهذا القياس هو أرفع أنواع القياس؛ لأن الفرع فيه مساوٍ للأصل في جميع أوصافه؛ وهذا كما يقول في قياس الأمة علىٰ العبد في سراية العتق. ثم العجب من أبي حنيفة وأصحابه رحمهم اللّه! فإنهم يتوغلون في القياس ويرجحونه علىٰ أخبار الآحاد، ومع ذلك فقد تركوا هذا القياس الجليّ

المعضود بالكتاب والسنة وإجماع صدور الأمة، لأحاديث لا يصح شيء منها على ما قد بيّن عِلَلها المحدّثون في كتبهم، وليس في الصحاح شيء منها، وسيأتي في سورة النحل تمام هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

* * *

س: ما حدُّ شارب الخمر؟

ج: لم يحدث اتفاق بين العلماء على حدٍ معين لشارب الخمر، إنما جاءت روايات متنوعة في حد شارب الخمر، فقد أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة قال: أتي النبيُّ ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنَّا من يَضربه بيده ومنّا من يضربه بنعله ومنّا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل ما لَهُ أخزاه الله! فقال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا عَون الشيطان على أخيكم**».

وأخرج البخاري[2] أيضًا من حديث عقبة بن الحارث أنَّ النبي ﷺ أتي بنعيمان ـ أو بابن نعيمان ـ وهو سكرانُ، فشق عليه، وأمر من في البيت أن يضربوه فضربوه بالجريد والنعال، وكنتُ فيمن ضربه.

وعند مسلم[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ أتي برجلٍ قد شرب الخمر فجلده بجريدتين، نحو أربعين.

قال: وفعله أبو بكر. فلمَّا كان عمر استشار الناس. فقال عبدالرحمن: أخف الحدود ثمانين فأمر به عُمر.

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أنس أيضًا:

أن نبي الله ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين.

---

(١) البخاري (حديث ٦٧٨١). (٢) البخاري (حديث ٦٧٧٥).

(٣) مسلم (حديث ١٧٠٦).

(٤) مسلم (ص١٣٣١) واللفظ له، والبخاري مختصرًا، (٦٧٧٦).

فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرىٰ [٢] قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أرىٰ أن تجعلها كأخف الحدود. قال: فجلد عمر ثمانين.

وعند البخاري [٣] من حديث:

السائب بن يزيد قال: كنا نؤتىٰ بالشارب علىٰ عهد رسول الله ﷺ وإمرة أبي بكر فصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالِنا وأرديتنا، حتىٰ كان آخرُ إمرة عمر فجلد أربعين، حتىٰ إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين.

وأخرج مسلم [٣] من طريق حضين بن المنذر، أبوُ ساسان. قال: شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد [٤] قد صلىٰ الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان: أحدهما حُمران: أنه شرب الخمر وشهد آخرُ؛ أنه رآه يتقيَّأ. فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتىٰ شربها فقال: يا علي قم فاجلده. فقال علي: قُمْ، يا حسنُ! فاجلدْهُ، فقال الحسن: ولِّ حارَّها من

---

(١) «ودنا الناس من الريف والقرىٰ» الريف المواضع التي فيها المياه، أو هي قريبة منها، ومعناه: لما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفتحت الشام والعراق، وسكن الناس في الريف ومواقع الخصب وسعة العيش وكثرة الأعناب والثمار ـ أكثروا من شرب الخمر، فزاد عمر في حد الخمر تغليظًا عليهم وزجرا لهم عنها. (حاشية مسلم).

(٢) البخاري (حديث ٦٧٧٩).

(٣) مسلم (حديث ١٧٠٧).

(٤) قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في حاشيته علىٰ مسلم «شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد» أي: حضرت عنده بالمدينة وهو خليفة، والوليد هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي أنزل فيه: إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. أتي به من الكوفة وكان واليًا عليها، وكان شاربًا سيئ السيرة، صلّىٰ بالناس الصبح أربعًا وهو سكران، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال أهل الصف الأول: ما زلنا في زيادة منذ وليتنا وما تزيدنا؟ لازادك الله من الخير! وحصب الناس الوليد بحصباء المسجد، فشاع ذلك في الكوفة، وجري من الأحوال ما اضطر سيدنا عثمان إلىٰ استحضاره.

تولىٰ قارَّها [١] (فكأنه وجد عليه) [٢]. فقال: يا عبد الله بن جعفر! قم فاجلده. فجلده. وعليٌّ يعدُّ، حتىٰ بلغ أربعين. فقال: أمْسك. ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين. وجلد أبو بكر أربعين. وعمر ثمانين. وكل سنّة وهذا أحب إليَّ.

فلهذه الروايات وغيرها تعددت أقوال العلماء في حد شارب الخمر ومن ثم فقد صح عن عليٍّ - رضي الله عنه - كما في «الصحيحين» [٣] وغيرها أنه قال: ما كُنْت أقيم علىٰ أحدٍ حدًّا فيموت فيه، فأجد منه في نفسي، إلا صاحب الخمر. لأنه إن مات وَدَيْتُهُ [٤] لأن رسول الله ﷺ لم يَسُنَّه [٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ [٦]:

والذي تحصل لنا من الآراء في حدِ الخمر ستة أقوال:

الأول: أن النبي ﷺ لم يجعل فيها حدًّا معلومًا بل كان يقتصر في ضرب الشارب علىٰ ما يليق به، قال ابن المنذر: قال بعض أهل

---

(١) (ول حارها من تولىٰ قارها) الحار الشديد المكروه. والقار البارد الهنيء الطيب. وهذا مثل من أمثال العرب قال الأصمعي وغيره: معناه ول شدتهاوأوساخها من تولىٰ هنيئها ولذاتها. والضمير عائد إلىٰ الخلافة والولاية. أي: كما أن عثمان وأقاربه يتولون هنيء الخلافة ويختصون به - نكدها وقاذوراتها. ومعناه ليتول هذا الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة أقاربه الأدنين.

(٢)(وجد عليه): أي غضب عليه.

(٣)البخاري (حديث ٦٧٧٨) ومسلم (١٧٠٧٠ - ص ١٣٣٢).

(٤)(إن مات وديته) أي: أي غرمت ديته. قال بعض العلماء: وجه الكلام زن يقال: فإنه إن مات وديته. وهكذا هو في رواية البخاريّ.

(٥)(لأن رسول الله ﷺ لم يسنه) معناه: لم يقدّر فيه حدًّا مضبوطًا.

(٦)«فتح الباري» (١٢/ ٧٦).

العلم: أتىٰ النبي ﷺ بسكران فأمرهم بضربه وتبكيته، فدل علىٰ أن لا حد في السكر بل فيه التنكيل والتبكيت ولو كان ذلك علىٰ سبيل الحد لبينه بيانًا واضحًا. قال: فلما كثر الشراب في عهد عمر استشار الصحابة، ولو كان عندهم عن النبي ﷺ شيء محدود لما تجاوزوه كما لم يتجاوزوا حد القذف ولو كثر القاذفون وبالغوا في الفحش، فلما اقتضىٰ رأيهم أن يجعلوه كحد القذف، واستدل علي بما ذكر من أن في تعاطيه ما يؤدي إلي وجود القذف غالبًا أو إلىٰ ما يشبه القذف، ثم رجع إلىٰ الوقوف عند تقدير ما وقع في زمن النبي ﷺ دلّ علىٰ صحة ما قلنا لأن الروايات في التحديد بأربعين اختلفت عن أنس وكذا عن علي فالأولىٰ أن لا يتجاوزوا أقل ما ورد أن النبي ﷺ ضربه لأنه المحقق سواء كان ذلك حدًّا أو تعزيراً.

الثاني: أن الحد فيه أربعون ولا تجوز الزيادة عليها.

الثالث: مثله لكن للإمام أن يبلغ به ثمانين. وهل تكون الزيادة من تمام الحد أو تعزيراً؟ قولان.

الرابع: أنه ثمانون ولا تجوز الزيادة عليها.

الخامس: كذلك وتجوز الزيادة تعزيراً. وعلىٰ الأقوال كلها هل يتعين الجلد بالسوط أو يتعين بما عداه أو يجوز بكل من ذلك؟ أقوال.

السادس: إن شرب فجلد ثلاث مرات فعاد الرابعة وجب قتله، وقيل إن شرب أربعًا فعاد الخامسة وجب قتله، وهذا السادس في الطرف الأبعد من القول الأول وكلاهما شاذ وأظن الأول رأي البخاري فإنه لم يترجم بالعدد أصلاً ولا أخرج هنا في العدد الصريح شيئًا مرفوعًا، وتمسكك من قال لا يزاد علىٰ الأربعين بأن أبا بكر تحرىٰ ما كان في زمن النبي ﷺ فوجده أربعين فعمل به ولا يعلم له في زمنه مخالف، فإن كان السكوت إجماعًا فهذا

الإجماع سابق على ما وقع في عهد عمر و التمسك به أولى لأن مستنده فعل النبي ﷺ و من ثم رجع إليه علي ففعله في زمن عثمان بحضرته وبحضرة من كان عنده من الصحابة منهم عبد الله بن جعفر الذي باشر ذلك والحسن بن علي، فإن كان السكوت إجماعًا فهذا هو الأخير فينبغي ترجيحه، وتمسك من قال بجواز الزيادة بما صنع في عهد عمر من الزيادة، ومنهم من أجاب عن الأربعين بأن المضروب كان عبداً وهو بعيد فاحتمل الأمرين: أن يكون حدًّا أو تعزيراً، وتمسك من قال بجواز الزيادة على الثمانين تعزيراً بما تقدم في الصيام أن عمر حدّ الشارب في رمضان ثم نفاه إلى الشام، وبما أخرجه ابن أبي شيبة أن عليًّا جلد النجاشي الشاعر ثمانين ثم أصبح فجلده عشرين بجراءته بالشرب في رمضان.

وتمسك من قال يقتل في الرابعة أو الخامسة بما سأذكره في الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى. وقد استقر الإجماع على ثبوت حد الخمر وأن لا قتل فيه واستمر الاختلاف في الأربعين والثمانين وذلك خاص بالحُر المسلم وأما الذمي فلا يحد فيه، وعن أحمد رواية أنه يحد، وعنه إن سكر والصحيح عندهم كالجمهور، وأما من هو في الرق فهو على النصف من ذلك إلا عند أبي ثور وأكثر أهل الظاهر فقالوا الحر والعبد في ذلك سواء لا ينقص عن الأربعين نقله ابن عبدالبر وغيره عنهم، وخالفهم ابن حزم فوافق الجمهور.

* * *

س: ما مدى صحة الوارد في قتل شارب الخمرة للمرة الرابعة؟

ج: أما من ناحية الإسناد فهو صحيح، فقد روي من طرق عن النبي ﷺ، منها حديث شرحبيل بن أوس الكِندي، وكان من أصحاب النبي ﷺ.

عن النبي ﷺ قال: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن شربها فاجلدوه، فإن شربها فاجلدوه، فإن شربها الرابعة فاقتلوه**»(١)

ولكن ليس على هذا الحديث العمل، وذلك لما أخرجه البخاري(٢) من حديث عمر بن الخطاب أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقبُ حِمارًا وكان يُضحكُ رسول الله ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ قد جلدهُ في الشراب، فأتى به يومًا فأُمر به فجُلدَ، فقال رجلٌ من القوم: اللهمَّ العنهُ، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعَنوه، فوالله ما علمتُ أنه يحبُّ الله ورسوله**».

ووجه الاستدلال في قولهم... ما أكثر ما يؤتى به.

---

(١) صحيح أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ٤٠٨ بتحقيقي).
وأخرجه أحمد (٤/ ٢٣٤) ونمران بن محمد ترجمته موجودة في «تعجيل المنفعة».
والحديث قد أخرجه جمع من أصحاب السنن وغيرهم عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.
فمن حديث ابن عمر: أخرجه أبو داود في كتاب «الحدود»، باب إذا تتابع شرب الخمر (٤/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥)، والنسائي في «الأشربة» باب: ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر (٨/ ٢٨١) عن ابن عمر ونفر من أصحاب النبي ﷺ، وأحمد (٢/ ١٣٦) ومن حديث أبي هريرة: أخرجه أبو داود بلفظ «إذا سكر فاجلدوه» حديث رقم (٤٤٨٤) وقال أبو داود: وكذا حديث عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة: «إذا شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه» اهـ. وابن ماجه رقم (٢٥٧٢)، والنسائي (٨/ ٢٨١)، والدارمي (٢/ ١١٥) وأحمد (٢/ ٢٨٠ ـ ٥٠٤ ـ ٥١٩)، و (٢/ ٢٩١) بزيادة مخالفة: «فأتى برجل سكران في الرابعة فخلى سبيله».
ومن حديث معاوية بن أبي سفيان: أخرجه أبو داود رقم (٤٤٨٢)، وأحمد (٤/ ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١) وابن ماجه (٢٥٧٣)، والترمذي «تحفة» (٤/ ٧٢٢).

(٢) البخاري (حديث ٦٧٨٠).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[١]: وقد استقر الإجماع على ثبوت حد الخمر وأن لا قتل فيه واستمر الخلاف في الأربعين والثمانين، وذلك خاص بالحُر المسلم، أما الذمي فلا يُحد، وعن أحمد رواية أنه يُحد، وعنه إن سكر، والصحيح عندهم كالجمهور.

● ونقل الحافظ ابن حجر[٢] في «الفتح» عن الشافعي قوله بعد تخريجه هذا ما لا اختلاف فيه بين أهل العلم علمته.

❊ ❊ ❊

س: ما مدى صحة حديث ابن عباس[٣] ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى عن طعام المُتباريين أن يؤكل؟ وما معنى المتباريين؟

ج: هذا الحديث لا يثبت سنده إلى النبي ﷺ فقد رواه أبو داود من طريق جرير بن حازم عن الزبير بن حريث قال: سمعت عكرمة يقول: كان ابن عباس يقول: إن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل.

قال أبو داود: أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس.

قلت: يعني أبو داود أن الأكثرين على أنه مرسل.

أما المتباريان فقد قال الخطابي: المتعارضان بفعلهما يقال: تبارى الرجلان إذا فعل كل واحدٍ منهما مثل فعل صاحبه ليرى أيهما يغلب صاحبه وإنما كره ذلك لما فيه من الرياء والمباهاة، ولأنه داخل في جملة ما نهي عنه من أكل المال بالباطل.

❊ ❊ ❊

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٧٥).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٣٧٥٤).

وقد أورد له الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله طريقًا آخر صححه به في «السلسلة الصحيحة» (٦٢٦) ومراجعه ليست بين يدي الآن.

س: ما حكم اللعب بالشطرنج؟

ج: لم أقف في الشطرنج على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ أما ما ورد عن عليٍّ - رضي الله عنه - أن الشطرنج من الميسر فلا يصح سنده عن عليٍّ - رضي الله عنه -، وكذا الوارد عنه لما مرّ على قومٍ يلعبون بالشطرنج فقال: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون». فهو ضعيف الإسناد عنه أيضاً.

أما أقوال أهل العلم:

فاختصاراً فقد قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: إنه شرٌّ من النرد، وتقدم عن عليٍّ أنه قال هو من الميسر(١).

ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد، وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى.

هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنّرد والشطرنج قماراً أو غير قمار؛ لأن الله تعالى لما حرم الخمر أخبر بالمعنى الذي فيها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] الآية. ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١] الآية. فكل لهو دعا قليله إلى كثير وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر، وأوجب أن يكون حرامًا مثله.

فإن قيل: إن شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاة وليس في اللعب بالنّرد والشِّطْرَنج هذا المعنى؛ قيل له: قد جمع الله تعالى بين الخمر والميسر في التحريم، ووصفهما جميعًا بأنهما يوقعان العداوة

(١) قلت: (وسنده ضعيف إلى عليٍّ رضي الله عنه).

والبغضاء بين الناس، ويصدّان عن ذكر الله وعن الصلاة؛ ومعلوم أن الخمر إن أسكرت فالميسر لا يسكر، ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لأجل ما اشتركا فيه من المعاني.

وأيضًا: فإن قليل الخمر لا يسكر كما أن اللعب بالنَّرد والشِّطْرَنج لا يسكر، ثم كان حرامًا مثل الكثير، فلا ينكر أن يكون اللعب بالنَّرد والشِّطْرَنج حرامًا مثل الخمر وإن كان لا يسكر. وأيضًا فإن ابتداء اللعب يورث الغَفْلة، فتقوم تلك الغَفْلة المستولية على القلب مكان السكر، فإن كانت الخمر إنما حرمت لأنها تسكر فتصدّ بالإسكار عن الصلاة، فليحرم اللعب بالنّرد والشِّطْرَنج لأنه يُغفل ويُلهي فيصدّ بذلك عن الصلاة. والله أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في اللعب بالنرد؟

ج: أخرج مسلم [1] في «صحيحه» من حديث بريدة ـ رضي الله عنه قال ـ: قال رسول الله ﷺ: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**» وأخرج أبو داود [2] وغيره بسندٍ فيه كلام عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله**».

* * *

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إنما يُريد لكم الشيطانُ شرب الخمر والمياسرةَ بالقِداح،

---

(١) مسلم (حديث ٢٢٦٠).

(٢) أبو داود (حديث ٤٩٣٩).

ويحسِّن ذلك لكم، إرادةً منه أن يوقع بينكم العَداوةَ والبغضاءَ في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح، ليعادي بعضكم بعضًا، ويبغض بعضكم إلى بعض، فيشتِّت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٩١]، يقول: ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم، وباشتغالكم بهذا الميسر، عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، التي فرضها عليكم ربكم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، يقول: فهل أنتم منتهون عن شرب هذه، والمياسرة بهذا، وعاملون بما أمركم به ربُّكم من أداء ما فرَض عليكم من الصلاة لأوقاتها، ولزوم ذكره الذي به نُجْح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم؟

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في إيضاح ذلك:

يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، [المائدة: ٩٢] في اجتنابكم ذلك، واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بيَّنها لكم في هذه الآية وغيرها، وخالفوا الشيطان في أمره إياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره، فإنه إنما يبغي لكم العداوة والبغضاءَ بينكم بالخمر والميسر ﴿وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢] يقول: واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه الأمور التي حرّمها عليكم في هذه الآية وغيرها، أو يفقدكم عند ما أمركم به، فتُوبقوا أنفسكم وتهلكوها ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، يقول: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم

به، و تنتهوا عمّا نهيناكم عنه ورجعتم مدبرين عمّا أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله، واتباع ما جاءكم به نبيكم ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ [المائدة: ٩٢]، يقول: فاعلموا أنه ليس على ما أرسلناه إليكم بالنِّذارة غير إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم، مبينةً لكم بيانًا يوضِّح لكم سبيل الحق، والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه. وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية، فعلى المرسَل إليه دون الرسل.

وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولَّى عن أمره ونهيه، يقول لهم تعالى ذكره: فإن توليتم عن أمري ونهيي، فتوقعوا عقابي، واحذَرُوا سَخَطي.

* * *

س: على الداعي إلى الله أن يبلغ بلاغًا مبينًا دلِّل على ذلك موضحًا معنى البلاغ المبين؟

ج: أما البلاغ فمأخوذ من الإبلاغ، أما المبين فمعناه المُظهر الموضح، وأيضًا الواضح الظاهر فعلى الداعي إلى الله أن يُفهم مَن أمامه المراد بوضوح وجلاء وسهولة في الألفاظ ويُسرٍ في الأساليب، يفهمهم بأساليب تصل إلى قلوبهم وتؤثر فيها بإذن الله، قال تعالى: ﴿**وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ [النساء: ٦٣].

وقال العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون.

أما التقعر في الكلام والتشدق فيه والناس لا يكادون يفهمون شيئًا فهذا أمرٌ لا يسوغ ولا يشرع بل يشرع للمرء أن يُفهم الناس أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ بما يطيقونه ويفهمونه ويتحملونه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] كيف ذلك، والرسول ﷺ قد أُمر بقتال الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وأُمر أيضًا بأمور أُخر؟

ج: على التسليم بقول من قال أن ﴿أَنَّمَا﴾ تفيد الحصر إلا أنها هنا لا تعني الحصر المُطلق، ولكن المعنى فإنما على رسولنا في باب الدعوة التبليغ و البلاغ فقط، وأما أمر الهداية فهو موكول إلى الله تبارك وتعالى.

وكذلك ليس على الرسول حسابهم، بل حسابهم على الله ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي بمجبر على الهداية، ثم قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ...﴾ [المائدة: ٩٣] سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال:

كنتُ ساقي القوم، يوم حُرمت الخمرُ، في بيت أبي طلحة وما شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر[٢]. فإذا منادٍ ينادي. فقال: اخرج فانظر. فخرجت

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٢٠) ومسلم (حديث ١٩٨٠).

(٢) (الفضيخ البسر والتمر) قال إبراهيم الحربي: الفضيخ أن يفضخ البسر ويصبّ عليه الماء ويتركه حتى يغلي. وقال أبو عبيد: هو ما فضخ من البسر من غير أن تمسه نار. فإن كان=

فإذا منادٍ يُنادي: ألا إن الخمر قد حرمت. قال فجرت في سكك المدينة. فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها فهرقتها فقالوا أو قال بعضهم: قُتل فلانٌ. قتل فلانٌ. وهي في بطونهم. (قال فلا أدري هو من حديث أنس) فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣].

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾ [المائدة: ٩٣] الآية؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في إيضاح ذلك:

يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها؟ وبنا وقد كنا نشربها؟ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك، في الحال التي لم يكن الله تعالى حرَّمه عليهم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[المائدة: ٩٣]، يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم فخافوه، وراقبوه في اجتنابهم ما حرم عليهم منه، وصدَّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم

= معه تمر فهو خليط. أما البسر فقد قال ابن فارس: البسر من كل شيء الغض. ونبات بسر أي طريّ، وفضخه شدخه.

نقلاً عن حاشية مسلم ترتيب محمد فؤاد.

محارمه بعد ذلك التكليف أيضًا، فثبتوا علي اتقاء الله في ذلك والإيمان به، و لم يغيروا و لم يبدلوا ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفُهم الله إلىٰ الإحسان، وذلك (الإحسان) هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافلُ تقرَّبوا بها إلىٰ ربّهم طلب رضاه، وهربًا من عقابه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣] يقول: والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها.

فالاتقاء الأول: هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبُول والتصديق، والدينونة به والعمل.

والاتقاء الثاني: بالثبات علىٰ التصديق، وترك التبديل والتغيير.

والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرُّب بنوافل الأعمال.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣] أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانًا صحيحًا، موجبًا لهم عمل الصالحات، ثم استمروا علىٰ ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك، في وقت دون آخر، فلا يكفي، حتىٰ يكون كذلك، حتىٰ يأتيه أجله، ويدوم علىٰ إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق المحسنين في نفع العبيد. ويدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه، وتاب إلىٰ الله، واتقىٰ وعمل صالحًا فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه ليس في ذكر التقوىٰ تكرار.

والمعنىٰ: اتقوا شربها، وآمنوا بتحريمها؛ والمعنىٰ الثاني: دام اتقاؤهم

وإيمانهم؛ والثالث: على معنى الإحسان إلى الاتقاء.

والثاني: اتقوا قبل التحريم في غيرها من المحرمات، ثم اتقوا بعد تحريمها شربها، ثم اتقوا فيما بقي من أعمالهم، وأحسنوا العمل.

الثالث: اتقوا الشرك وآمنوا بالله ورسوله؛ والمعنى الثاني: ثم اتقوا الكبائر، وازدادوا إيمانًا؛ ومعنى الثالث: ثم اتقوا الصغائر وأحسنوا أي: تَنَفَّلُوا.

وقال محمد بن جرير: الاتقاء الأول: هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول، والتصديق والدينونة به والعمل، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، والثالث: الاتقاء بالإحسان، والتقرب بالنوافل.

* * *

س: أحيانًا يُبتلى الشخص بتمكينه من المعصية والظلم لُينظر ويُعلم هل يراقب ربه ويقف عند حدوده أم أنه سينتهكها دلِّل على ذلك مع مزيد من الإيضاح؟

ج: إيضاحه أن الشخص قد يكون في موقف يمكنه فيه أن يظلم العباد ولا يحول بينه وبين ظلمهم حائلٌ من الخلق لُينظر هل سيظلم أم سيتقي الله.

وأحيانًا يُبتلى بالتمكين من امرأة أجنبية ويخلو بها وليس ثمَّ رقيب إلا الله، وليس ثمَّ شيء يُخشى إلا الله، وذلك لُيعلم هل سينتهك حرمات الله أم لا؟

وكذا فأحيانًا يكون الشخص قائمًا على عمل والمال تحت يده ولا رقيب عليه إلا الله، ولا هناك من يحاسبه إلا الله لُيعلم هل تمتد يده إلى المال الذي لا يحل له أم لا.

وها هم الإسرائيليون ـ أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر أُخذت عليهم العهود والمواثيق ألا يعتدوا في السبت، وغلظت العهود عليهم

بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].

ويشاء الله أن يبتليهم، فتأتيهم الحيتان طافية ظاهرةً شارعةً أمام أعينهم يوم السبت، يسوقها الله إليهم ويقربها الله منهم، حيتانٌ تتلألأ مع ضوء الشمس وأسماك تأتي من كل صوب لإغراء الإسرائيليين بصيدها في اليوم المُحرم عليهم فيه الصيد، وأما غير السبت فلا تأتي حيتان، بل تهرب ولا يعثر منها علىٰ شيء.

ترىٰ من الذي يسوق الحيتان ومن ذا الذي يصرفها؟!!

إنه الله سبحانه وتعالىٰ يبلوهم بذلك ـ وهذا الابتلاء كان بسبب فسقهم، كما قال تعالىٰ ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] يبتليهم الله بذلك حتىٰ تمتد أيديهم إلىٰ الأسماك ويصطادوها فمن ثمَّ تحل عليهم العقوبة، وقد حلت.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وأيضًا قد يعاهد شخص شخصًا آخر عهدًا ويتفق معه اتفاقيةً، ويأتي من هو أعز من هذا الشخص وأغنىٰ منه وأحسن وجاهةً في الدنيا فيبتلىٰ الشخص بهذا العزيز القادم، هل ينقض العهد مع صاحبه الأول أم يُمضيه.

وربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ...﴾ [النحل: ٩٢].

وأحيانًا تخطب امرأة لشخص وتركن إليه ويركن إليها وتُعلن له الموافقة كذا أولياؤها يعلنون له الموافقة ثم يلوح لهم آخر أغنىٰ منه، ابتلاءٌ يبتليهم

الله به هل سيغدرون بالأول أم سيفون له بالذي عاهدوه عليه.

كذا في البيوع وسائر العقود، والمعصوم من عصمه الله.

وها هم أهل الإيمان يبتليهم الله بشيءٍ من الصيد وهم محرمون والصيد أمام أعينهم وبإمكانهم أن يتناولوه بأيديهم وبإمكانهم أيضًا أن يصطادوا الكبير منه بأسلحتهم بنبالهم ورماحهم، ليعلم الله من يخشاه ويتقيه، ومن سيقترف المآثم، وينتهك الحرمات، ويتجاوز الحدود.

فنسأل الله العصمة من الزلل.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ...﴾ [المائدة: ٩٤] الآية؟

ج: أما معنى قوله تعالى بالغيب، أي: وهو لا يرى الله عز وجل ووجه آخر أي وقد غاب هذا الصائد عن أعين الناس.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يعني تعالى ذكره: ليختبرنكم الله، أيها المؤمنون، ببعض الصيد في حال إحرامكم، كي يعلم أهل طاعة الله والإيمان به، والمنتهين إلى حدوده وأمره ونهيه، ومن الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه، ويجتنبه خوف عقابه، ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بمعنى: في الدنيا، بحيث لا يراه.

وقد بينا أن (الغيب)، إنما هو مصدر قول القائل: «غاب عني هذا الأمر فهو يغيب غيبًا وغيبةً» وأن ما لم يُعاين، فإن العرب تسميه «غيبًا» فتأويل الكلام إذًا: ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره، بحيث لا يراه ولا يُعاينه.

وأما قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [المائدة: ٩٤]، فإنه يعني: فمن تجاوز

حدَّ الله الذي حدّه له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام ، فاستحلَّ ما حرَّم الله عليه منه بأخذه وقتله ﴿فَلَهُ عَذَابٌ﴾ ، من الله ﴿أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤] يعني : مؤلم موجع .

* * *

س: كم من المساكين يطعمهم من قتل صيداً في الحرم؟

ج: هذا يختلف باختلاف الصيد المقتول، فإذا كان الصيد كبيراً فعدد المساكين أكثر فتنظر قيمة هذا الصيد، وكم تكفي هذه القيمة من المساكين .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ :

وقوله تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] أي : واصلاً إلى الكعبة ، والمراد : وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك ، ويفرق لحمه على مساكين الحرم، وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة .

وقوله : ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] أي : إذا لم يجد المحرم مِثْل ما قتل من النعم ، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال ، أو قلنا بالتخيير في هذا المقام بين الجزاء والإطعام والصيام ، كما هو قول مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وأحد قولي الشافعي ، والمشهور عن أحمد ـ رحمهم الله ـ؛ لظاهر الآية ﴿أَوْ﴾ فإنها للتخيير ، والقول الآخر أنها على الترتيب .

فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة ؛ فيقوِّم الصيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه وحماد وإبراهيم ، وقال الشافعي : يقوم مثله من النعم لو كان موجوداً ، ثم يُشترى به طعام فيتصدق به ، فيصرف لكل مسكين مد منه عند الشافعي ومالك وفقهاء الحجاز ، واختاره ابن جرير .

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يطعم كل مسكين مُدَّين ، وهو قول مجاهد .

وقال أحمد: مدٌّ من حنطة أو مدّان من غيره.

فإن لم يجد أو قلنا بالتخيير صام عن إطعام كل مسكين يومًا.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: يصوم مكان كل صاع يومًا كما في جزاء المترفه بالحلق ونحوه، فإن الشارع أمر كعب بن عجرة أن يطعم فرقًا بين ستة، أو يصوم ثلاثة أيام، والفرق: ثلاثة آصع.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٩٥] الكفارة إنما هي عن الصيد لا عن الهدي. قال ابن وهب قال مالك: أحسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه، أنه يقوّم الصيد الذي أصاب، لينظر كم ثمنه من الطعام، فيطعم لكل مسكين مدًّا، أو يصوم مكان كل مدّ يومًا. وقال ابن القاسم عنه: إن قوّم الصيد دراهم ثم قوّمها طعامًا أجزأه؛ والصواب الأول. وقال عبد الله بن عبد الحكم مثله؛ قال عنه: وهو في هذه الثلاثة بالخيار، أي ذلك فعل أجزأه؛ موسرًا كان أو معسرًا. وبه قال عطاء وجمهور الفقهاء؛ لأن ﴿أَوْ﴾ للتخيير.

* * *

س: أين يُطعم هؤلاء المساكين؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، أوردها الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال رحمه الله:

واختلفوا في مكان هذا الإطعام، فقال الشافعي: محله الحرم وهو قول عطاء، وقال مالك: يطعم في المكان الذي أصاب فيه الصيد أو أقرب الأماكن إليه، وقال أبو حنيفة: إن شاء أطعم في الحرم، وإن شاء أطعم في غيره.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ :

وأما الإطعام فاختلف فيه قول مالك هل يكون بمكة أو بموضع الإصابة، وإلى كونه بمكة ذهب الشافعي. وقال عطاء: ما كان من دم أو طعام فبمكة ويصوم حيث يشاء؛ وهو قول مالك في الصوم، ولا خلاف فيه. قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: ولا يجوز إخراج شيء من جزاء الصيد بغير الحرم إلا الصيام. وقال حماد وأبو حنيفة: يكفر بموضع الإصابة مطلقًا. و قال الطبريّ: يكفر حيث شاء مطلقًا فأمّا قول أبي حنيفة فلا وجه له في النظر، ولا أثر فيه. وأما من قال يصوم حيث شاء، فلأن الصوم عبادة تختص بالصائم فتكون في كل موضع كصيام سائر الكفارات وغيرها. وأما وجه القول بأن الطعام يكون بمكة؛ فلأنه بدل عن الهدي أو نظير له، والهدي حق لمساكين مكة، فلذلك يكون بمكة بدله أو نظيره. وأما من قال إنه يكون بكل موضع؛ فاعتبار بكل طعام وفدية، فإنها تجوز بكل موضع. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: متى تكون هذه الكفارة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ:

ثم الجمهور من العلماء على أنه متى قتل المُحرم الصيد وجب الجزاء.

● ونقل القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن العربي قوله: والصحيح أنه تلزمه القيمة يوم الإتلاف.

❊ ❊ ❊

س: قوله تعالى: ﴿أَوْ﴾ هل هي للتخيير أم هي للترتيب؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن ﴿أَوْ﴾ في هذا الموطن للتخيير.

❊ ❊ ❊

س: كم قدر الأيام التي تُصام؟

ج: يُقدر ثمن الصيد، ويُقدر إطعام المساكين ويقدر من ثمَّ عدد المساكين، ومن ثمَّ يُصام عن كل مسكين يومًا ، كذا قال بعض أهل العلم وهذه أقوال فريق من العلماء.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ :

يعني تعالىٰ ذكره بذلك: أو علىٰ قاتل الصيد محرمًا، عدلُ الصيد المقتول من الصيام، وذلك أن يقوّم الصيد حيًّا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم ثم يصوم مكان كل مدٍّ يومًا. وذلك أن النبي ﷺ عدل المدَّ من الطعام بصوم يوم في كفارة المُوَاقع في شهر رمضان.

وأخرج الطبري[1] من طريق ابن جريج:

قال: قلت لعطاء: ما «عدل ذلك صيامًا» ؟ قال: عدل الطعام من الصيام. قال: لكل مدٍّ يومًا يأخذ زعم بصيام رمضان وبالظِّهار وزعم أن ذلك رأي يراه ، ولم يسمعه من أحد، ولم تمض به سنة. قال: ثم عاودته بعد ذلك بحين، قلت: ما «عدل ذلك صيامًا» ؟ قال: إن أصاب ما عدْله له شاةٌ، قوِّمت طعامًا ، ثم صام مكان كل مدٍّ يومًا. قال: ولم أسأله: هذا رأي أو سنة مسنونة؟

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ :

وقال يحيىٰ بن عمر من أصحابنا : إنما يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف العدد، ثم يقال: كم من الطعام يشبع هذا العدد؟ فإن شاء أخرج ذلك الطعام وإن شاء صام عدد أمداده. وهذا قول حسن احتاط فيه.

---

(١) الطبري (أثر ١٢٦٣٠).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: ٩٥]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول جل من قائل لعباده المؤمنين به وبرسوله ﷺ: عفا الله، أيها المؤمنون، عمَّا سلف منكم في جاهليتكم، من إصابتكم الصيد وأنتم حُرُم، وقتلكموه، فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم، ولا يلزمكم له كفارةً في مال ولا نفس.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]؟

ج: أورد الطبري وجوهًا لأهل العلم في ذلك:

أحدها: أن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره، وقبل تحريمه عليه، من استحلاله قتله، فينتقم الله منه.

وقد يحتمل أن يكون معناه: من عاد لقتله بعد تحريمه في الإسلام، فينتقم الله منه في الآخرة فأما في الدنيا، فإن عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بيَّنت.

وأورد بإسنادٍ صحيح [1] من طريق ابن جريج.

قال، قلت لعطاء: ما ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: ٩٥]؟ قال: عما كان في الجاهلية. قال قلت: ما ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]؟ قال: من عاد في الإسلام، فينتقم الله منه.

وعليه مع ذلك الكفارة.

الثاني: أن معنى ذلك:

---

(١) الطبري (١٢٦٣٦).

عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية ، ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه ، بإلزامه الكفّارة .

الثالث: ذكر الطبري بقوله :

عفا الله عما سلف من قتل مَن قتل منكم الصيد حرامًا في أول مرة . ومن عاد ثانية لقتله بعد أولىٰ حرامًا ، فالله وليُّ الانتقام منه دون كفارة تلزمه لقتله إياه .

وأورد بإسنادٍ صحيح [١] عن إبراهيم قال :

إذا أصاب الرجلُ الصيد وهو محرم قيل له : أصبت صيدًا قبل هذا؟ فإن قال : «نعم» ، قيل له : اذهب فينتقم الله منك! وإن قال : «لا» حكم عليه .

وبلفظ آخر عن إبراهيم ـ أيضًا ـ بإسنادٍ صحيح [٢] :

في الذي يقتل الصيد ثم يعود ، قال : كانوا يقولون : من عاد لا يحكم عليه ، أمرُه إلىٰ الله عز وجل .

وأخرج بإسنادٍ صحيح عن عامر قال[٣] :

جاء رجل إلىٰ شريح فقال : إني أصبت صيدًا وأنا محرمٌ! فقال : هل أصبت قبل ذلك شيئًا؟ قال : لا ، قال : لو قلت «نعم» ، وكلتك إلىٰ الله يكون هو ينتقم منك ، إنه عزيز ذو انتقام! قال داود : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : بل يحكم عليه ، أفيخلع! .

* * *

(١) الطبري (١٢٦٥٣) .

(٢) الطبري (١٢٦٥٤) .

(٣) الطبري (١٢٦٥٢) .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول عز وجل: والله منيعٌ في سلطانه، لا يقهره قاهرٌ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع. لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة المَنَعة.

وأما قوله: ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، فإنه يعني به معاقبته لمن عصاه على معصيته إياه.

وأورد ـ أيضًا ـ بإسناده إلى ابن عباس [(١)] ـ رضي الله عنهما ـ قال. فيمن أصاب صيداً فحكم عليه ثم عاد، قال لا يحكم، ينتقم الله منه.

أما الوجه الرابع: الذي ذكره الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فهو أن معنى ذلك: عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذكره ذلك عليكم. ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه. عالمًا بتحريمه ذلك عليه، عامداً لقتله، ذاكراً لإحرامه، فإن الله هو المنتقم منه، ولا كفارة لذنبه ذلك، ولا جزاء يلزمه له في الدنيا.

والوجه الخامس: أن ذلك عُني به شخص بعينه.

أما اختيار الطبري رحمه الله: فقد قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قولُ من قال: معناه: «ومن عاد في الإسلام لقتله بعد نهي الله تعالى ذكره عنه، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة»، لأن الله عز وجل إذ أخبر أنه ينتقم منه، لم يخبرنا وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمداً ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ

(١) الطبري (١٢٦٦١) وسنده صحيح.

مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥] أنه قد أزال عنه الكفارة في المرة الثانية والثالثة، بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمداً، ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد، ولم يقل: «ولا كفارة عليه في الدنيا».

وقد لخص القرطبي الأقوال بقوله: ﴿**وَمَنْ عَادَ**﴾ يعني للمنهي ﴿**فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ**﴾ [المائدة: ٩٥] أي: بالكفارة، وقيل: المعنى ﴿**فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ**﴾ [المائدة: ٩٥] يعني: في الآخرة إن كان مستحلاً، ويكفر في ظاهر الحكم وقال شُرَيْح وسعيد بن جُبير: يحكم عليه في أول مرة، فإذا عاد لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، أي ذنبك أعظم من أن يُكفَّر كما أن اليمين الفاجرة لا كفارة لها عند أكثر أهل العلم لعظم إثمها. والمتورعون يتقون النقمة بالتكفير.

أما الحافظ ابن كثير فقد زاد المسألة تلخيصاً فقال:

ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المُحرم الصيد وجب الجزاء، ولا فرق بين الأولى والثانية، وإن تكرر ما تكرر، سواء الخطأ في ذلك والعمد.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ [المائدة: ٩٥].

ج: قال الطبري رحمه الله:

أحل لكم أيها المؤمنون طريّ سمك الأنهار الذي صدتموه في حلكم وحَرَمكم، وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رمى به إلى ساحله.

* * *

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٩٦] موجَّه لمن؟

ج: هذا الخطاب موجهٌ لعموم المؤمنين المُحرم منهم بالحج أو العمرة أو غير المحرم.

* * *

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «صيد البحر لكم حلال ـ قال سعيد وأنتم حرم ـ ما لم تصيدوه أو يُصد لكم»؟

ج: الحديث ضعيف الإسناد لانقطاعه فالتابعي المطلب بن عبدالله بن حنطب لم يسمع من الصحابي جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ.

* * *

س: هل ذهب أحدٌ من العلماء إلى تحريم ميتة البحر؟ وما مستنده لهذا التحريم؟ وما مدى صحة هذا الذي قد ذهب إليه؟

ج: نعم قد ذهب أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إلى تحريم ذلك، وحجته عموم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣].

وما روي عن النبي ﷺ: «**ما صدتموه وهو حيٌّ فمات فكلوه، وما ألقى البحر ميتًا طافيًا فلا تأكلوه**».

• أما رأيه هذا فضعيفٌ، فالآية استثنى منها ميتة البحر للأحاديث التي قدمناها.

أما الحديث: فقد حكم عليه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بالنكارة.

* * *

س: إذا اصطاد شخص صيداً من أجل مُحرم، فأعطاه للمُحرم بعد أن صاده هل يأكله المحرم؟

ج: لا يأكل منه المُحرم شيئًا.

* * *

س: اذكر دليلاً من السنة على أن ما قذفه البحر من الميتة من الأسماك والحيتان حلال؟

ج: أخرج مسلم (*) من حديث جابر رضي الله عنه قال:

بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة. نتلقى عيراً[١] لقريش. وزودنا جراباً[٢] من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يُعطينا تمرة تمرة. قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها[٣] كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنّا نضرب بعصيِّنا الخَبَطَ[٤]. ثم نبله بالماء فنأكله قال: وانطلقنا على ساحل البحر. فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[٥] الضخم. فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتة. ثم قال: لا. بل نحن رسل رسول الله ﷺ. وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهراً. ونحن ثلاث مائةٍ حتى سمنَّا. قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب[٦] عينه، بالقلال[٧]، الدهن

(*) مسلم (حديث ١٩٣٥)، وانظر أيضًا «صحيح البخاري» (٢٤٨٣) ومسلم ص (١٦٣٦).

(١) عيرا: العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره.

(٢) جرابًا: بكسر الجيم وفتحها الكسر أفصح وهو وعاء من جلد.

(٣) نمصها: بفتح الميم وضمها. الفتح أفصح وأشهر.

(٤) الخَبَط: ورق السَّلَم.

(٥) الكثيب: هو الرمل المستطيل المحدوب.

(٦) وقب: هو داخل عينه ونقرتها.

(٧) بالقلال: جمع قُلَّة وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه، أي يحملها.

ونقتطع منه الفدر[١] كالثور (أو كقدر الثور[٢]) فلقد أخذ منَّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعًا من أضلاعه، فأقامها. ثم رحل[٣] أعظم بعير معنا. فمر من تحتها. وتزودنا من لحمه وشائق[٤]. فلمَّا قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ. فذكرنا ذلك له. فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم. فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا؟**» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منهُ. فأكله.

وقد سأل رجلٌ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر، فقال رسول الله ﷺ «**هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته**»[٥].

وفي الباب أيضًا أثر ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال[٦].

وأخرج الطبري[٧] بسندٍ صحيح عن نافع:

---

(١) الفِدر) هي القِطع.

(٢) كقدر الثور: رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا: أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة أي مثل الثور.

والثاني: كفِدَر جمع فِدْرة، والأول أصح.

(٣) رحل: أي جعل عليه رحلاً.

(٤) وشائق: قال أبو عبيد: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء، ولا ينضج، ويحمل في الأسفار. ويقال: وشقت اللحم فاتشق. والوشيقة الواحدة منه. والجمع وشائق ووُشُق، وقيل الوشيقة القديد. نقلاً عن حاشية مسلم.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٨٣) والترمذي (حديث ٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو قول أكثر الفقهاء من أصحاب النبي ﷺ.

(٦) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٥٤) بسندٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا وله حكم المرفوع وقد رواه البيهقي وغيره عن ابن عمر مرفوعًا، لكن في السند ضعف.

(٧) الطبري (١٢٧٠٠).

أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر فقال: إن البحر قذف حيتانًا كثيرة ميتة، أفنأكلها؟ قال: لا تأكلوها، فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ «سورة المائدة» فأتى على هذه الآية: ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] قال: اذهب فقل له فليأكله، فإنه طعامه.

* * *

س: ما الحكم فيمن صاد صيدًا، وهو حلال (أي: غير محرم) لحلال (أي: لرجل غير محرم) ثم أهداه الحلال لُمحرم؟

ج: جوَّز هذه الصورة أو قريبًا منها الطبري ـ رحمه الله ـ فقال رحمه الله [1]:

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره، عمَّ تحريم كل معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه، من غير أن يخص من ذلك شيئًا دون شيء، فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حرامًا بيعه، وشراؤه واصطياده وقتله، وغير ذلك من معانيه، إلا أن يجده مذبوحًا قد ذبحه حلالٌ لحلالٍ، فيحلّ له حينئذ أكله، للثابت من الخبر عن رسول الله ﷺ الذي:

حدثناه يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج وحدثني عبد الله بن أبي زياد قال، حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الملك بن جريج قال: أخبرني ابن المنكدر، عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان قال: كنا مع طلحة بن عبيد الله

(١) الطبري (١٢٧٧٢).

ونحن حُرُم ، فأهدي لنا طائرٌ، فمنا من أكل، ومنا من تورع فلم يأكل. فلما استيقظ طلحة وفَّق من أكل، وقال: أكلناه مع رسول الله ﷺ.

● وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أنه سئل عن صيد صاده حلال، أيأكله المحرم؟ قال: فأفتاه هو بأكله، ثم لقي عمر بن الخطاب رحمه الله فأخبره بما كان من أمره، فقال: لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعتُ لك رأسك.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره واخشوا الله أيها الناس، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه، وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم ﷺ، من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وعن إصابة صيد البر وقتله في حال إحرامكم وفي غيرها، فإن لله مصيركم ومرجعكم. فيعاقبكم بمعصيتكم إياه، ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له.

* * *

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(قِيَامًا ـ الْبَلاغُ ـ تُبْدُونَ ـ تَكْتُمُونَ ـ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿قِيَامًا﴾	صلاحًا لدينهم ومعاشهم.
﴿الْبَلاغُ﴾	التبليغ
﴿تُبْدُونَ﴾	تظهرون (من الأقوال والأعمال).
﴿تَكْتُمُونَ﴾	تخفون في صدوركم
﴿يَا أُوْلِي﴾	يا أصحاب العقول.

س: لماذا سميت الكعبة بالكعبة؟

ج: سميت الكعبة بالكعبة لكونها مربعة (لتربيعها).

* * *

س: ما المراد بالكعبة؟

ج: المراد البلد الحرام كله، والله أعلم.

* * *

س: ما معنى قوله تعالى ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ...﴾ [المائدة: ٩٦]؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن الناس كما أن لهم قيّمًا يقوم بأمورهم كالخليفة والأمير ونحوهما، فكذا البلد الحرام جعلها الله قيامًا للناس أي: يحفظ بعضهم من شر بعض ويحجز بعضهم عن بعض، فقد كان الرجل يلتقي بقاتل أبيه وقاتل أخيه في البلد الحرام فلا يقربه بسوءٍ ولا مكروه تعظيمًا ومهابة للبلد الحرام.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: صير الله الكعبة البيت الحرام قوامًا للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم، ومسيئهم عن محسنهم، وظالمهم عن مظلومهم: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٦] فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض، إذ لم يكن لهم قيامٌ غيره، وجعلها معالم لدينهم، ومصالح أمورهم.

وقال أيضًا: وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائليها ألفاظُها، فإن معانيها آيلةٌ إلى ما قلنا في ذلك، من أن «القوام» للشيء، هو الذي به صلاحه، كما الملك الأعظم، قوامُ رعيته ومن في سلطانه، لأنه مدبِّر أمرهم، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك

كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد، قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية، وهي في الإسلام لأهله معالمُ حجهم ومناسكهم، ومتوجَّههم لصلاتهم، وقبلتهم التي باستقبالها يتمُّ فرضُهم.

وأخرج الطبري بإسناده عن قتادة [١]:

قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية، فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يقرب، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه.

وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من الناس. وكان إذا نفر تقلَّد قلادة من الإذْخِر أو من لحاء السمُر، فمنعته من الناس حتى يأتي أهله، حواجزُ أبقاها الله بين الناس في الجاهلية.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد [٢] في:

قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]، قال: كان الناس كلهم فيهم ملوكٌ تدفع بعضهم عن بعض. قال: ولم يكن في العرب ملوكٌ تدفع بعضهم عن بعض، فجعل الله تعالى ذكره لهم البيت الحرام قيامًا، يُدفع بعضهم عن بعض به، والشهر الحرام كذلك، يدفع الله بعضهم عن بعضهم بالأشهر الحرام، والقلائد. قال: ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له. وهذا كله قد نُسِخ.

* * *

(١) الطبري (١٢٧٩٠).

(٢) الطبري (١٢٧٩١).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يعني تعالىٰ ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾، تصييره الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. يقول تعالىٰ ذكره: صيرت لكم، أيها الناس، ذلك قيامًا، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث، مما به قوامكم، علمًا منه بمنافعكم ومضاركم، أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاحُ عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾، لا يخفىٰ عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم، حتىٰ يجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلي جعل الله هذه الأمور قيامًا؛ والمعنىٰ: فعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل أمور السموات والأرض، ويعلم مصالحكم أيها الناس قبل وبعد، فانظروا لطفه بالعباد علىٰ حال كفرهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]؟

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى ذلك:

يقول تعالىٰ ذكره: اعلموا، أيها الناس، أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يخفىٰ عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها، وهو يُحصيها عليكم ليجازيكم بها، شديد عقابه من عصاه وتمرَّد عليه، علىٰ معصيته إياه وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب إليه، فساترٌ عليه، وتاركٌ فضيحته بها رحيم به أن يعاقبه علىٰ ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها.

س: كثيراً ما نُذكَّر في كتاب الله عز وجل بسعة رحمة الله، وبشدة عقابه وذلك حتى لا يقنط قومٌ من رحمة الله، ولا يجترئ قومٌ على مقارفة الذنوب والآثام، اذكر عدداً من الآيات تفيد هذا المعنى؟

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].
- وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].
- وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].
- وقوله تعالى: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣٣].
- وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥٠، ٥١].
- وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٤، ٥].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ما على الرسول توفيقكم ولكن عليه

إبلاغ رسالة الله لكم، وما عليه ثوابكم ولا عقابكم إنما ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كذلك.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد. يقول تعالى ذكره: ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم، أيها الناس، بإنذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم إلاَّ أن يؤدي إليكم رسالتنا، ثم إلينا الثواب على الطاعة، وعلينا العقاب على المعصية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٩٩] يقول: وغير خفي علينا المطيعُ منكم، القابلُ رسالتنا، العاملُ بما أمرته بالعمل به من العاصي الآبي رسالتنا، التارك العمل بما أمرته بالعمل به، لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به بلسانه ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، يعني: وما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر أو يقين وشك ونفاق.

يقول تعالى ذكره: فمن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس، مما في السموات وما في الأرض، وبيده الثواب والعقاب فحقيق أن يُتَّقى، وأن يُطاع فلا يُعصى.

وقال القرطبي رحمه الله: أي ليس له الهداية ولا التوفيق ولا الثواب، وإنما عليه البلاغ.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [المائدة:٩٩] ؟

ج: من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ١١، ٢٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

* * *

س: كيف ما على الرسول إلا البلاغ، وقد أُمر النبي بالجهاد، وأُمر بأمور أُخر؟

ج: ذلك، والله أعلم في باب معين، فالمعنى: في باب هدايتهم وتوفيقهم ليس لك الهداية والتوفيق، إنما عليك البلاغ والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، واحذروا أن يستحوذ عليك الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث، فتصيروا منهم ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، يعني: بذلك أهل العقول والحجى الذين عقلوا عن الله آياته، وعرفوا مواقع حججه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، يقول: اتقوا الله لتفلحوا، أي: كي تنجحوا في طلبكم ما عنده.

* * *

س: ما المراد بالخبيث والطيب في هذه الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال كلها تدور حول معنى واحد نذكرها ملخصةً

الخبيث	الطيب
المشرك	المؤمن
العاصي	المطيع
الطالح	الصالح
الحرام	الحلال
الرديء	الجيد

قال القرطبي رحمه الله: والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور، يُتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها؛ فالخبيث من هذا كله لا يُفلح ولا يُنجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة.

قال الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وقوله: ﴿أَمْ

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، فالخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا إنفاقًا، ولا مكانًا ولا ذهابًا، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] والمراد منه؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، قل يا محمد: لا يعتدل الردئ والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا تعجبنَّ من كثرة من يعصي الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم.

وقال أيضًا:

وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ فالمراد به بعض أتباعه، يدل على ذلك قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يعني أن القليل الحلال النافع خيرٌ من الكثير الضار.

❊ ❊ ❊

س: وضح سبب نزول قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]؟

ج: لهذه الآية أسباب نزولٍ منها.

ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث أنس رضي الله عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «**عرضت علي الجنة والنار. فلم أر كاليوم في الخير والشر. ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً**» قال، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشدُ منه. قال، غطَّوا رءوسهم ولهم حنين. قال فقام عمر فقال: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، قال، فقام ذاك الرجل فقال: من أبي؟ قال: «**أبوك فلان**» فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١].

وأخرج البخاري [٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً فيقول الرجل من أبي، ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١].

وعند الطبري [٣] بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج**. فقام محْصن الأسدي فقال: أفي كل عام، يا رسول الله؟ فقال: **أما إني لو قلت «نعم»**

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٢١) ومسلم (حديث ٢٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٢). وعند مسلم بسند مرسل من طريقه قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة، ما سمعت بابن قطُّ أعقَّ منك؟ أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله ابن حذافة: والله! لو ألحقني بعبد أسود، للحقته.

(٣) الطبري (أثر ١٢٨٠٥).

=

لوجبت ، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكتُّ عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم! فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾» [المائدة: ١٠١] إلى آخر الآية.

قلت: ومن هذا يتبين لنا أنه قد تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة، فتحدث مسألة ويحدث أمرٌ ثم أمرٌ آخر فتنزل الآية في ذلك كله والله تعالى أعلم.

* * *

س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وكذا قول النبي ﷺ «أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرم فحرِّم من أجل مسألته» وبين قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]؟

ج: قال ابن عبد البرّ[1] رحمه الله تعالى: (كما نقل عن القرطبي):

السؤال اليوم لا يُخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله، فمن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثًا عن معنى يجب الوقف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العِيِّ السؤال، ومن سأل متعنتًا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره؛ قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سُبُل النظر، وتحصيل مقدّمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد؛ فإذا عرضت نازلة أتيت من بابها ونشدت في مظانها، والله يفتح في صوابها.

= وعقبه الطبري بأثرٍ من طريق بن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وفيه فقام عكاشة بن محصن.

(١) (القرطبي) ٦/ ٢١٥).

وقال القرطبي: إن قال قائل: ما ذكرتم من كراهية السؤال والنهي عنه، يعارضه قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فالجواب، أن هذا الذي أمر الله به عباده هو ما تقرّر وثبت وجوبه مما يجب عليهم العمل به، والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به؛ ولم يذكره في كتابه. والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] أي: وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتم عن السؤال عنها، حين ينزل الوحي على رسول الله ﷺ تبين لكم، وذلك يسير.

ثم قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عما كان منكم قبل ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقيل: المراد بقوله ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] أي: لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق، وقد ورد في الحديث: «**أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته**» (١) ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذٍ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها.

* * *

(١) صحيح، وقد تقدم.

س: قوله تعالى: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [المائدة:١٠١] فيه نهي عن السؤال وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] فيه إباحةٌ للسؤال فكيف الجمع بين هذا وذاك؟

ج: وجه الجمع أن يُقال أن الشخص لا يسأل عن الكامن المخفي الذي قد يسوء إظهاره والتكليف به ولكنه إذا نزل فأردنا الاستيضاح والاستبيان من الأمر والنهي فُسِّر لنا ذلك.

فكأن المعنى، والله أعلم، كقوله ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا**»(١).

ونحوه: «**لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**»(٢).

فالشاهد أن الشخص لا يسأل، فإنه إذا كلف لم يطق القيام.

ولكنه إذا جاء الحكم سأل مستبينًا فظهر له جواب سؤاله.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله ﷺ عن مسألة رسول الله ﷺ عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه، من فرائض لم يفرضها الله عليهم، وتحليل أمور لم يحللها لهم، وتحريم أشياء لم يحرِّمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك: أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولي مما لم أنزل به كتابًا ولا وحيًا، لا تسألوا عنه، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيانٌ بوحي وتنزيل ساءكم، لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم، إما بإيجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم، وفي ذلك عليكم مشقة ولزوم مئونة وكلفة وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحي، كنتم من التقدم عليه في فُسحة وسعة وإما بتحليل ما

(١) البخاري (حديث ٣٠٢٥) ومسلم (١٧٤١٠).

(٢) البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (حديث ١٦٥٢).

تعتقدون تحريمه ، وفي ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقًّا إلىٰ ما كنتم ترونه باطلاً، ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم ببيان أمرها في كتابي إلىٰ رسولي إليكم، ليسَّر عليكم ما أنزلته إليه من بيان كتابي، وتأويل تنزيلي ووحيي .

وأورد بسند فيه ضعف[1] عن ابن عباس قال : ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [المائدة:١٠١] يقول : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإن نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه .

أما القرطبي رحمه الله فقال:

قوله تعالىٰ : ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] فيه غموض، وذلك أن في أول الآية النهي عن السؤال، ثم قال : ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] فأباحه لهم، فقيل : المعنىٰ وإن تسألوا عن غيرها فيما مست الحاجة إليه ، فحذف المضاف، ولا يصح حمله علىٰ غير الحذف .

قال الجرجاني: الكناية في ﴿عَنْهَا﴾ ترجع إلىٰ أشياء أخر؛ كقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ يعني آدم، ثم قال : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون:١٢ ، ١٣]أي ابن آدم؛ لأن آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين، لكن لما ذكر الإنسان وهو آدم دل علىٰ إنسان مثله، وعرف ذلك بقرينة الحال ؛ فالمعنىٰ وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن من تحليل أو تحريم أو حكم، أو مست حاجتكم إلىٰ التفسير، فإذا سألتم فحينئذٍ تبدىٰ لكم ؛ فقد أباح هذا النوع من السؤال : ومثاله أنه بيّن عدة المطلقة والمتوفىٰ عنها زوجها والحامل، ولم يجز ذكر عدّة التي ليست بذات قرء ولا حامل فسألوا عنها

(١) الطبري (١٢٨١٦).

فنزل ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] فالنهي إذًا في شيء لم يكن بهم حاجة إلىٰ السؤال فيه؛ فأما ما مست الحاجة إليه فلا.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في كراهية كثرة السؤال لغير فائدة؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]. وقوله ﷺ «**أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته**»(١)

وقول النبي ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**» (٢)

وقول النبي ﷺ: «**ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**» (٣).

قال القاسمي رحمه الله تعالى في «محاسن التأويل»:

قال بعض الأئمة: والتحقيق في ذلك؛ أن البحث عما لا يوجد فيه نص، علىٰ قسمين:

أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالة النص علىٰ اختلاف وجوهها؛ فهذا مطلوب لا مكروه.

بل ربما كان فرضًا علىٰ من تعين عليه من المجتهدين.

---

(١) البخاري (٧٢٨٩) ومسلم حديث (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٧) ومسلم (حديث ٥٩٣).

(٣) البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (حديث ١٣٣٧) ص ١٨٣٠.

ثانيهما: أن يدقق النظر في وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلاً، فهذا الذي ذمه السلف. وعليه ينطبق حديث ابن مسعود رفعه: «**هلك المتنطعون**». أخرجه مسلم، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته.

ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، وهي نادرة الوقوع جدًّا، فيصرف فيها زمانًا كان صرفه في غيرها أولى، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع في بيان ما يكثر وقوعه. وأشد من ذلك ـ في كثرة السؤال ـ البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها. ومنها لا يكون له شاهد في عالم الحسّ. كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة... إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء، فيجب الإيمان به من غير بحث. وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة.

قال بعضهم: مثال التنطع في السؤال حتى يفضي بالمسئول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتي بالإذن ـ أن يسأل عن السلع التي توجد في الأسواق: قد يكره شراؤها ممن هي في يده من قبل البحث عن مصيرها إليه أو لا؟ فيجيبه بالجواز، فإن عاد فقال: أخشى أن يكون من نهب أو غصب، ويكون ذلك الوقت قد وقع شيء من ذلك في الجملة، فيحتاج أن يجيبه بالمنع. ويقيد ذلك إن ثبت شيء من ذلك حرم، وإن تردد كره أو كان خلاف الأولى، ولو سكت السائل عن هذا التنطع لم يزد المفتي على جوابه بالجواز، وإذا تقرر ذلك، فمن يسدّ باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها فإنه يقل فهمه وعلمه؛ ومن توسع في تفريع المسائل وتوليدها

ولاسيما فيما يقل وقوعه أو يندر، ولاسيما إن كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة ـ فإنه يذم فعله، وهو عين الذي كرهه السلف. ومن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله، محافظًا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه وعن معاني السنة وما دلت عليه كذلك، مقتصراً على ما يصلح للحجة منها فإنه الذي يحمد وينتفع به. وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين فمَن بعدهم. ـ كذا في «فتح الباري».

ثم رأيت في «موافقات» الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى، في أواخرها ـ في هذا الموضوع ـ مبحثًا جليلاً قال في أوله: الإكثار من الأسئلة مذموم ـ والدليل عليه النقل المستفيض من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح.

من ذلك قوله تعالى... ـ وساق هذه الآية وما أسلفناه من الآثار وزاد أيضًا عما نقلنا ـ ثم قال: ... والحاصل أن كثرة السؤال ومتابعة المسائل بالأبحاث العقلية والاحتمالات النظرية، مذموم، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد وُعِظوا في كثرة السؤال حتى امتنعوا منه وكانوا يحبون أن يجيء الأعراب فيسألون حتى يسمعوا كلامه ويحفظوا منه العلم.. ثم قال: ويتبيّن من هذا أن لكراهية السؤال مواضع، نذكر منها عشرة مواضع:

أحدها: السؤال عمّا لا ينفع في الدين، كسؤال عبدالله بن حذافة: «من أبي؟» وروي في «التفسير» أنه عليه السلام سُئِل: «ما بال الهلال يبدو رقيقًا كالخيط ثم لا يزال ينمو حتى يصير بدراً ثم ينقص إلي أن يصير كما كان؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ...﴾ [البقرة:١٨٩] فإنما أُجيب بما فيه من منافع الدين.

وثانيها: أن يسأل بعد ما بلغ من العلم حاجته: كما سأل الرجل عن الحج «أكلَّ عام؟» مع أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قاض بظاهره

أنه للأبد، لإطلاقه . ومثله سؤال بني إسرائيل بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً . . .﴾ [البقرة: ٦٧].

وثالثها: السؤال من غير احتياج إليه في الوقت، وكأن هذا والله أعلم خاص بما لم ينزل فيه حكم، وعليه يدل قوله: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» وقوله: «وسكت عن أشياء رحمةً بكم، لا عَنْ نسيان، فلا تبحثوا عنها».

ورابعها: أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها، كماجاء في النهي[1] عن الأغلوطات.

وخامسها: أن يسأل عن علة الحكم ـ وهو من قبيل التعبدات، أو السائل ممّن لا يليق به ذلك السؤال ـ كما في حديث[2] قضاء الصوم دون الصلاة.

وسادسها: أن يبلغ بالسؤال إلىٰ حدّ التكلّف والتعمق، وعلىٰ ذلك يدل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] ولما سئل الرجل[3]: «يا صاحب الحوض! هل ترد حوضك السباع؟ قال عمر بن الخطاب: يا صاحب الحوض! لا تخبرنا، فإنا نرد علىٰ السباع وترد علينا».

وسابعها: أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب و السنة بالرأي، ولذلك قال سعيد: «أعراقيّ أنت؟» وقيل لمالك بن أنس: «الرجل يكون عالمًا بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا . ولكن يخبر بالسنّة فإن قبلت منه، وإلاّ سكت».

وثامنها: السؤال عن المتشابهات، وعلىٰ ذلك يدل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ . . .﴾ [آل عمران: ٧] الآية. وعن عمر ابن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أسرع التنقل ومن ذلك

(١) البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه مرفوعًا.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).
(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) ص(١٨٣٠).

سؤال من سأل مالكًا عن الاستواء؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة».

وتاسعها: السؤال عما شجر بين السلف الصالح، . وقد سُئل عمر ابن عبد العزيز عن قتال أهل صفين؟ فقال: «تلك دماء كفّ الله عنها يدي، فلا أُحب أن أُلطّخ بها لساني».

وعاشرها: سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام، وفي القرآن في ذم نحو هذا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وفي الحديث: «**أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم**».

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١]، فإنه يعني به: عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله ﷺ، الذي كَرِه الله لكم مسألتكم إياه عنها أن يؤاخذكم بها، أو يعاقبكم عليها، إذ عرف منها توبتكم وإنابتكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ يقول: والله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة ﴿حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١] ذو أناة عن أن يعاقبه بها، لتغمده التائب منها برحمته، وعفوه عن عقوبته عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] أي: ما لم يذكره في كتابه فهو ما عفا عنه فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة:١٠١] أي: عن المسألة التي سلفت منهم. وقيل: عن الأشياء التي سألوا عنها من أمور الجاهلية وما جرىٰ مجراها. وقيل العفو بمعنىٰ الترك؛ أي: تركها ولم يُعرف بها في حلال ولا حرام، فهو معفو عنها فلا تبحثوا عنه فلعله إن ظهر لكم حكمه ساءكم، وكان عُبيد بن عُمير يقول إن الله أحل وحرم، فما أحل فاستحلوه، وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك أشياء لم يحللها ولم يحرمها، فذلك عفو من الله، ثم يتلو هذه الآية. وخرج الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى فرض فرائض فلا تُضيعوها وحرم حُرمات فلا تنتهكوها وحدّد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[1].

والكلام علىٰ هذا التقدير فيه تقديم وتأخير؛ أي: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسؤكم، أي: أمسك عن ذكرها فلم يوجب فيها حُكمًا.

قال القاسمي رحمه الله:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة:١٠١] أي: عن تلك الأشياء حين لم ينزل فيها القرآن ولم يوجبها عليكم توسعةً عليكم أو: عفا الله عن بيانها لئلا يسوءكم بيانها فالجملة في موضع جر صفة أخرىٰ لـ ﴿أَشْيَاءَ﴾ [المائدة:١٠١] أو المعنىٰ: عفا الله عن مسائلكم السالفة، وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية بمسائلكم، فلا تعودوا إلىٰ مثلها. فالجملة حينئذٍ مستأنفة مبينة لأن نهيهم عنها لم يكن لمجرّد صيانتهم عن المساءة. بل لأنها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها. وفيه من حثهم علىٰ الجِدّ في الانتهاء عنها ما لا يخفىٰ.

---

(١) انظر شيئًا من الكلام علىٰ هذا الحديث وشواهده في «فتح الباري» (١٣/ ٢٦٦) شرح (حديث ٧٢٨٩).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢]؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم بمراده، أن قومًا طلبوا الآيات وسألوا المعجزات، فلما أتتهم الآيات والمعجزات كفروا بها وكذبوا، كما سأل قومُ صالحٍ صالحًا أن يخرج لهم ناقة، فلما خرجت لهم الناقة عقروها، وكالذين سألوا المائدة فلما نزلت كفروا بها.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وكما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠].

ولا يمتنع أيضًا أن يدخل في الآية الكريمة سؤال الذين سألوا مزيدًا من التكاليف فلما كلفوا بها ما قاموا بها كالذين سألوا فرض الجهاد فلما فُرض ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وكالذين سألوا عن فرض الحج أفي كل عام يا رسول الله؟ فأجابهم الرسول ﷺ بقوله: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»(١).

ولا يمتنع أن يدخل فيها أيضًا قول من قال: من أبي يا رسول الله؟ فما يدري إذا نُسب إلى غير أبيه ماذا كان سيصنع؟

فكل ذلك يدخل في الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

---

(١) مسلم (حديث ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(بَحِيرَةٍ ـ سَائِبَةٍ ـ وَصِيلَةٍ ـ حَامٍ ـ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ـ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿بَحِيرَةٍ﴾	مشقوقة الأذن (يشقون أذنها) ويمنحون درها (لبنها) للطواغيت فلا يحلبها أحدٌ من الناس .
﴿سَائِبَةٍ﴾	متروكة ـ يسيبونها أي يتركونها للآلهة فلا يحمل عليها شيءٌ .
﴿وَصِيلَةٍ﴾	تصل شيئًا بشيءٍ (كأن تصل أنثى بأنثى) (أي تلد أنثى بعد أنثى) . أو تصل ذكرًا بأنثى (أي تلد توأما ذكرًا وأنثى) ولذلك صور أُخر فلكونها وصلت شيئًا بشيء تسمى وصيلة فيتركونها لا يذبحونها لكونها وصلت، أو يتركون بعض نتاجها لكون أمه كانت وصيلة .
﴿حَامٍ﴾	الذي يحمى ظهره من الركوب والانتفاع به، فلا يركب ولا ينتفع به لكونه لقح عددًا من النوق .
﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا .
﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	عليكم بحفظ أنفسكم ـ الزموا أنفسكم فأصلحوها .

س: ما صفات البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوالٌ، ونصيغها على النحو التالي:

البحيرة	السائبة	الوصيلة	الحام
١ ـ هي الناقة تلد ستة أبطن، البطن السادس أنثى.	الناقة تلد سبعة، البطن السابع ذكر أو ذكرين.	الشاة تلد سبعة، والسابع يكون توأمًا ذكرًا وأنثى فيمنع الذكر بسبب أخته ويُسمى وصيلة، لكون أخته وصلته فحرمته عليهم.	الفحل الذي يلقح عشراً.
٢ ـ الناقة المولودة الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعد ذلك لناقة ولدت عشر إناث، فالناقة الحادية عشرة والثانية عشرة فما زاد كل ذلك يطلق	الناقة التي تلد عشر إناث ليس بينهنّ ذكر، تسيب فلا يركب ظهرها، ولم يُجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف.	الأنثى إذا ولدت توأمًا ذكرًا وأنثى، فالأنثى المولودة مع الذكر تُسمَّى وصيلة.	الفحل إذا نُتج له عشر إناث ليس بينهنّ ذكر، فحينئذٍ يُحمى فلا يركب ظهره، ولا يُجز وبره، ويُخلَّى في إبله يضرب فيها.

عليه بحيرة لا يركب ظهرها ولا يجز وبرها، فعليه فهي ابنة السائبة (في الوجه الثاني).			
٣ ـ التي يمنح درها للطواغيت.	التي يسيبونها مطلقًا للآلهة.	الناقة تبكِّر بأنثى، ثم تثني بأنثى، فيسمونها وصيلة لكونها وصلت أنثى بأنثى، ليس بينهما ذكر.	الذي يضرب عددًا معلومًا (أي: ينكح مرات معلومة).
٤ ـ الأنثى الخامسة التي تلدها ناقة تشق أذنها ويحرم على النساء أكلها وشرب لبنها، فإذا ماتت حلت للإناث.	البعير يسيب بسبب نذر، يكون على الرجل بسبب شفاء من مرض أو عودٍ من سفر، فلا يُحبس عن رعي ولا ماء ولا يُركب.	من الغنم على وجه الخصوص، تلد أنثى بعد أنثى.	الفحل إذا قضى عددًا من الأنكحة جعلوا عليه من ريش الطاووس وسيَّبوه.

س: ما سبب الاختلاف بين العلماء في هذه الأوصاف المذكورة للبحيرة والسائبة والوصيلة والحام؟

ج: وجه ذلك، والله تعالىٰ أعلم، أن الصور التي كان عليها أهل الجاهلية تعددت.

فمنهم من يجعل البحيرة بمواصفات أملاها عليه شيطانهُ وسلفُهُ وسلف آبائه وأجداده وعُرف قومه وبلاده.

ومنهم من يصف البحيرة بأوصاف أُخر تراءت له واستحسنها، وهكذا في السائبة والوصيلة والحام فلما لم يكن لهم مرجع يرجعون إليه، وكانت الأهواء هي المتحكمة فيهم، طفق كلٌّ يصنع ما يريد ويسمي ما يشاء.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام. فلا نعرف قومًا يعملون بها اليوم.

فإذا كان ذلك كذلك وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا يوصل إلىٰ علمه إذ لم يكن له في الإسلام اليوم أثر، ولا في الشرك، نعرفه إلا بخبر، وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذي ذكرنا، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: أما معاني هذه الأسماء فما بيّنا في ابتداء القول في تأويل هذه الآية، وأما كيفية عمل القوم في ذلك، فما لا علم لنا به.

وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك علىٰ ما قد حكينا، وغير ضائرٍ الجهلُ بذلك إذا كان المرادُ من علمه المحتاج إليه، موصولاً إلىٰ حقيقته، وهو أن القوم كانوا يحرِّمون من أنعامهم علىٰ أنفسهم ما لم يحرمه الله، اتباعًا

منهم خطوات الشيطان ، فوبَّخهم الله تعالىٰ ذكره بذلك ، وأخبرهم أن كل ذلك حلال .

فالحرام من كل شيء عندنا ما حرَّم الله تعالىٰ ذكره ورسوله ﷺ بنصٍّ أو دليل ، والحلال منه ما حلّله الله ورسوله كذلك .

❊ ❊ ❊

س: وضح وجه افترائهم الكذب على الله عزَّ وجل؟

ج: وجه ذلك كما قال القرطبي رحمه الله ، إذ قال : ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣] بقولهم : إن الله أمر بتحريمها ، ويزعمون أنهم يفعلون ذلك لرضا ربهم في طاعة الله ، وطاعة الله إنما تعلم من قوله ، ولم يكن عندهم من الله بذلك قول ، فكان ذلك مما يفترونه علىٰ الله ، وقالوا : ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] يعني : من الولد والألبان ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ [الأنعام: ١٣٩] يعني إن وضعته ميتًا اشترك فيه الرجال والنساء ؛ فذلك قوله عز وجل : ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩] ، أي : بكذبهم العذاب في الآخرة ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩] أي : بالتحريم والتحليل .

❊ ❊ ❊

س: من أولُ من سيَّب السوائب؟

ج: أول من سيَّب السوائب عمرو بن عامر الخُزاعي أخرج البخاري [(١)] ومسلم من طريق سعيد بن المسيَّب قال : وقال أبو هريرة قال رسولُ الله ﷺ : «**رأيتُ عمرَو بن عامر الخُزاعيَّ يجرُّ قَصبه في النار، كان أولَ مَن سيَّبَ السوائب**» .

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٤٦٢٣) ومسلم (حديث ٢٨٥٦) .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ [المائدة: ١٠٤] الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيِّبون السوائب، الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى ذكره يفترون على الله الكذب: تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله، ليتبين لكم كذبُ قيلكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمكم ما تحرِّمون من هذه الأشياء ـ أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا: حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به، ويقولون: «نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة، قد اكتفينا بما أخذنا عنهم، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل». قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أوَ لو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئًا؟ يقول: لم يكونوا يعلمون أنّ ما يضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، كذبٌ وفريةٌ على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة، لأنهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدءوا تحريم ذلك، افتراءً على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يضيفون ولا كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب، بل كانوا على ضلالة وخطأ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤] أي: إذا دعوا إلي دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء؛ والأجداد من الطرائق والمسالك، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [المائدة: ١٠٤] أي: لا

يفهمون حقًّا ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه ، فكيف يتبعونهم والحالة هذه ؟ لايتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يا من آمنتم بالله وصدقتم المرسلين عليكم إصلاح أنفسكم وتزكيتها ونهيها عن الهوى وفعل ما يسعدها في الدنيا والآخرة واعلموا أنكم إذا فعلتم ذلك وقمتم بما أوجبه الله عليكم من الأمر والنهي ولم يستجب لكم فليس ذلك بضائركم شيئًا .

فلا يضركم ضلال من ضلَّ ولا فساد من فسد .

وقد قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى ذكره: يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، فأصلحوها، واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره، وانظروا لها فيما يقرِّبها من ربها، فإنه: ﴿**لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ**﴾ [المائدة: ١٠٥] يقول: لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله .

وقال في خاتمة بحثه في هذه الآية:

وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها، وهو: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥] الزموا العمل بطاعة الله وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه، ﴿**لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥] يقول: فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأديتم فيمن ضل

من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله، إذا أنتم اهتديم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى، ومن القيام بالقسط، الأخذ على يدي الظالم. ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو كان للناس تركُ ذلك، لم يكن للأمر به معنىً، إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله ﷺ تركَ ذلك، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة، فيكون مرخصًا له تركه، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه.

وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فبيِّنٌ أنه قد دخل في معنى قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك: «إذا أمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر» ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: هل في الآية الكريمة مستدلٌ، لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج: ليس في الآية الكريمة مستدلٌ لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما غاية ما فيها أن ضلال من ضل لا يضر من اهتدى

- وكيف يكون فيها مُستَدلٌ، وكما هو معلوم أن المهتدي من أعماله

وأوصافه أنه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

● فلا يكاد الاهتداء يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأيضًا كيف يكون فيها مستدلٌ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويقول: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

ويقول تعالىٰ: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

● وقد أخرج الإمام أحمد (١) في مسنده وكذا أخرج غيره من طريق قيس ابن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «إنكم تقرءون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقابه**».

وإسناد هذا الأثر صحيح، لكن أُعل بالوقف علىٰ أبي بكر رضي الله عنه.

ووجه آخر من الوجوه قد يُذكر: ألا وهو أن الشخص إذا ـ رأىٰ القوم قد اتبعوا الأهواء وأعجب كل منهم برأيه وغلب عليهم الشح، وعلم الشخص بالقرائن المحيطة سلفًا أن الذكرىٰ لن تنفع فله حينئذٍ أن يُصلح نفسه ويُعرض عمن سواه وقد ذكر بعض العلماء وجهًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢، ٥، ٧، ٩) وأبو داود (حديث ٤٣٣٨) وغيرهم، وانظر عبد بن حميد في «المنتخب» حديث ١.

نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩] أي: حيث ترىٰ أن الذكرىٰ تنفع والله أعلم.

وأخرج الطبري [١] بإسنادٍ صحيح عن سوار بن شبيب قال:

كنت عند ابن عمر، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين، شديد اللسان، فقال: يا أباعبد الرحمن، نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه، وكلهم مجتهد لا يألو، وكلهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً، وهم في ذلك يشهد بعضهم علىٰ بعض بالشرك! فقال رجل من القوم: وأي دناءة تريد، أكثر من أن يشهد بعضهم علىٰ بعض بالشرك! قال: فقال الرجل: إني لست إياك أسأل، أنا أسأل الشيخ! فأعاد علي عبد الله الحديث، فقال عبد الله بن عمر: لعلك ترىٰ لا أبًا لك، أني سآمرك أن تذهب أن تقتلهم! عظهم وانههم، فإن عصوك فعليك بنفسك، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

ج: وجه الختام بذلك لحث المهتدي علىٰ الاستمرار في السير علىٰ طريق الهداية وعدم التأثر بمن ضل وعدم التأسف عليه، وكذا تحذير من سلك طريق الغواية فقوله تعالىٰ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] أي: فيجازي كل عاملٍ بعمله، المحسن علىٰ إحسانه والغويّ بغوايته والله أعلم.

---

(١) الطبري (١٢٨٥٤) وسوار بن شبيب ثقة مترجم في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالىٰ ذكره للمؤمنين به من عباده اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه ومُروا أهل الزَّيغ والضلال ومن حاد سبيلي بالمعروف، وانهوهم عن المنكر، فإن قبلوا، فلهم ولكم، وإن تمادوا في غيهم وضلالهم، فإن إليّ مرجع جميعكم ومصيركم في الآخرة ومصيرهم، وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر، فأخبر هناك كلَّ فريق منكم بما كان يعمله في الدنيا، ثم أجازيه علىٰ عمله الذي قَدِم به علىٰ جزاءه حسب استحقاقه، فإنه لا يخفىٰ عليَّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ
بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا
عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ
وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ
أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

(شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ - حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ - حِينَ الْوَصِيَّةِ - ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ - مِنْ غَيْرِكُمْ - ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ - إِنِ ارْتَبْتُمْ - لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا - وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى - عُثِرَ - اسْتَحَقَّا إِثْمًا - يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا - اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ - الأَوْلَيَانِ - أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا - وَمَا اعْتَدَيْنَا - الظَّالِمِينَ - أَدْنَى - يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا - تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) .

الكلمة	معناها
﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾	حضور عندكم - ليشهدكم عند الموت - يمينٌ بينكم ليشهد عند الحكام .
﴿ حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾	اقترب أحدكم من الموت - نزل به مرض الموت .
﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾	عند الوصية - وقت الوصية .
﴿ ذَوَا عَدْلٍ ﴾	عدلان - ذوي عقلٍ ودين .
﴿ مِّنكُمْ ﴾	من المسلمين .

(١) صحيح عن شريح عند الطبري (١٢٩٠٩) أنه قال:
في هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾، قال: إذا كان الرجل بأرض غُرْبة ولم يجد مسلمًا يشهده علي وصيته، فأشهد يهوديًّا أو نصرانيًا أو مجوسيًّا، فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما، أجيزت شهادة المسلمين، وأبطلت شهادة الآخرَيْن.

الكلمة	معناها
﴿ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾(١)	من أهل الكتاب ـ من المشركين .
﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ﴾	سافرتم
﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾	إن شككتم ـ إن ظهر لكم منهما أنهما قد خانا .
﴿ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾	لا نشتري بأيماننا ثمنًا ـ لا نحلف كاذبين مقابل مالٍ وعوضٍ نأخذه .
﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾	ولو كان الذي نقسم من أجله قريبًا لنا .
﴿ عُثِرَ ﴾	اكتشف ـ ظهر وتحقق
﴿ اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾	استوجبا إثمًا ـ ارتكبا مُحرمًا فأثما بسببه (وهو اليمين الكاذبة) .
﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾	يقومان بالأيمان أو بالشهادة .
﴿ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾	استحق عليهم الإيصاء ـ الورثة المستحقين للتركة حقت لهم الوصية .
﴿ الأَوْلَيَانِ ﴾	مُثنى الأَوْلَى ، قيل الأولى بالميت فالمعنى الأوليان بالميت وهذا هو الأشهر ، وقيل الأولى بالخيانة .
﴿ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾	أصح من شهادتهما لأيماننا أحق من أيمان اللذين أقسما أولاً ـ لإقرارنا وما شهدنا به أولى من إقرار غيرنا .

الكلمة	معناها
﴿ وَمَا اعْتَدَيْنَا ﴾	وما تجاوزنا الحد، وما تجاوزنا الحق
﴿ الظَّالِمِينَ ﴾	المتعدين للحدود ـ المتجاوزين للحق إلىٰ الباطل .
﴿ أَدْنَى ﴾	أقرب ـ أحرىٰ أن يصدقوا في شهادتهم .
﴿ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾	يقوموا بالشهادة الصحيحة ويأتوا بها علىٰ وجهها الصحيح بلا كذب ولا تحريف ـ يعطوا شهادة الحق
﴿ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾	يأتي أقوام بعدهم فيقسمون علىٰ كذبهم فيفضحونهم بذلك .

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ...﴾ [المائدة: ١٠٦] سبب نزول؟ وما هذا السبب؟

ج: ابتداءً فقد نقل الطبري عن النحاس قوله: ولا أعلم خلافًا أن هذه الآيات نزلت بسبب تميم الداري وعدي بن بدَّاء.

هذا، وقد أخرج البخاري [1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«خرج رجل من بني سهم مع تميم الدّاريِّ وعديٍّ بن بدَّاءٍ فمات السهمي بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلما قدما بتركته فقدُوا جامًا من فضةٍ مخوَّصًا من ذهبٍ، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة فقالوا: ابتعناه من تميمٍ وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم.

قال وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] بمزيدٍ من الإيضاح؟

ج: من العلماء من قال معناها ليشهد عندكم عند الموت أي: ليحضركم فيشهد على ما وصى به الميت.

- وقال آخرون: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أي: يمين ما بينكم أن يحلف اثنان ذوا عدل منكم.

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٨٠).

● وقد ذهب الطبري رحمه الله تعالى إلى أن الشهادة هنا بمعنى اليمين.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة:١٠٦] ما المراد به؟ فالميت لا يستطيع أن يُوصي؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم بقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة:١٠٦] إذا قارب الحضور، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ . . .﴾ [الطلاق:٢] فالمراد به إذا قاربن بلوغ الأجل.

● ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١] أي: اقترب.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ [المائدة:١٠٦] معناه إذا قارب الحضور، وإلا فإذا حضر الموت لم يشهد ميت.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] وكقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ [الطلاق:١] ومثله كثير.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] وكذا ما المراد بقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦]؟

ج: الأظهر في ذلك والأشهر، والله تعالى أعلم، أن قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين، وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] أي:

من غير المسلمين وهذا الذي عليه جمهور المفسرين.

بينما ذهب فريق آخر، وهم قلةٌ، إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] أي: من قبيلة الموصي، وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] أي: من غير قبيلة الموصي.

والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] للتخيير أم للتعقيب؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم - كما نقل عنهم الطبري رحمه الله تعالى - إلى أن ﴿أَوْ﴾ للتعقيب في هذا الموطن وليست للتخيير.

قال الطبري رحمه الله تعالى[1]:

ووجه أكثر أهل التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير، وقالوا معناه: شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية، اثنان ذوا عدل منكم إن وجدا، فإن لم يوجدا فآخران من غيركم.

وإنما فعل ذلك من فعله، لأنه وجَّه معنى (الشهادة) في قوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦]، إلى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم، أو يُبطلها.

وأورد آثاراً عن السلف بذلك، منها أثرٌ صحيح عن شريح أنه قال في هذه الآية:

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] إلى قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦]

---

(١) الطبري أثر (١٢٩٤٣).

، قال: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلمًا يشهده على وصيته، فأشهد يهوديًّا أو نصرانيًّا، أو مجوسيًّا، فشهادتهم جائزة.

وأورد الطبري أيضًا وجهًا آخر: يُفيد بأنها للتخيير فقال:

ووجه ذلك آخرون إلى معنى التخيير، وقالوا: إنما عني بالشهادة في هذا الموضع، الأيمان على الوصية التي أوصى إليهما، وائتمان الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدِّياه إلى ورثته بعد وفاته، إن ارتيب بهما.

قالوا: وقد يأتمِن الرجلُ على ماله من رآه موضعًا للأمانة من مؤمن وكافر في السفر والحضر.

وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى، وسنذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ منسوخٌ؟

ج: ذهب جمهور العلماء، إلى أنه منسوخ، وأن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وبقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

بينما ذهب آخرون إلى أن قوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] محكمٌ وليس بمنسوخٍ، ولكن محله إذا لم يوجد شهود مسلمون.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ [المائدة: ١٠٦] صفة لقوله: ﴿اثْنَانِ﴾، و﴿مِّنكُمْ﴾ صفة بعد صفة. وقوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أي: أو شهادة آخرين من غيركم؛ فمن غيركم صفة لآخرين وهذا الفصل هو المشكل في هذه الآية، والتحقيق فيه أن يقال:

اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الكاف والميم في قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] ضمير للمسلمين: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦]. للكافرين؛ فعلىٰ هذا تكون شهادة أهل الكتاب علي المسلمين جائزة في السفر إذا كانت وصية وهو الأشبه بسياق الآية، مع ما تقرّر من الأحاديث، وهو قول ثلاثة من الصحابة الذين شاهدوا التنزيل؛ أبو موسي الأشعري، وعبد الله بن قيس، وعبد الله بن عباس، فمعنىٰ الآية من أوّلها إلىٰ آخرها علىٰ هذا القول؛ أن الله تعالىٰ أخبر أن حكمه في الشهادة علىٰ الموصي إذا حضر الموت أن تكون شهادة عدلين؛ فإن كان في سفر وهو الضرب في الأرض، ولم يكن معه أحد من المؤمنين، فليُشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر، فإذا قدما وأدّيا الشهادة علىٰ وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا وما بَدّلا، وأن ما شهِدا به حق، ما كتما فيه شهادة وحكِم بشهادتهما؛ فإن عُثِرَ بعد ذلك علىٰ أنهما كذبا أو خانا، و نحو هذا مما هو إثم، حلف رجلان من أولياء الموصِي في السفر، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما. هذا معنىٰ الآية علىٰ مذهب أبي موسىٰ الأشعري، وسعيد بن المسيب، ويحيىٰ بن يعمر؛ وسعيد بن جبير وأبي مجلز وإبراهيم وشريح وعبيدة السلماني؛ وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدي وابن عباس وغيرهم.، وقال به من الفقهاء سفيان الثوري؛ ومال إليه أبو عبيد القاسم بن سلام لكثرة من قال به. واختاره أحمد بن حنبل وقال: شهادة أهل الذمة جائزة علىٰ المسلمين في السفر عند عدم المسلمين؛ كلهم يقولون: ﴿مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] من المؤمنين ومعنىٰ ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] يعني: الكفار. قال بعضهم: وذلك أن الآية نزلت ولا مؤمن إلا بالمدينة؛ وكانوا يسافرون بالتجارة صحبة أهل الكتاب وعبدة الأوثان وأنواع الكفرة. والآية: محكمة علىٰ مذهب أبي موسىٰ وشُريح وغيرهما.

القول الثاني: أن قوله سبحانه: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] منسوخ؛ هذا قول زيد بن أسلم والنخعي ومالك؛ والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من الفقهاء، إلا أن أبا حنيفة خالفهم فقال: تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض؛ ولا تجوز على المسلمين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢] وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢] فهؤلاء زعموا أن آية الدين من آخر ما نزل؛ وأن فيها: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهو ناسخ لذلك؛ ولم يكن الإسلام يومئذ إلا بالمدينة؛ فجازت شهادة أهل الكتاب، وهو اليوم طبق الأرض فسقطت شهادة الكفار؛ وقد أجمع المسلمون على أن شهادة الفُساق لا تجوز؛ والكفار فساق فلا تجوز شهادتهم.

قلت: ما ذكرتموه صحيح إلا أنا نقول بموجبه؛ وأن ذلك جائز في شهادة أهل الذمة على المسلمين في الوصية في السفر خاصة للضرورة بحيث لا يوجد مسلم، وأما مع وجود مسلم فلا؛ ولم يأت ما ادعيتموه من النسخ عن أحد ممن شهد التنزيل؛ وقد قال بالأول ثلاثة من الصحابة وليس ذلك في غيره؛ ومخالفة الصحابة إلى غيرهم ينفر عنه أهل العلم. ويقوي هذا أن سورة «المائدة» من آخر القرآن نزولاً حتى قال ابن عباس والحسن وغيرهما: إنه لا منسوخ فيها. وما ادعوه من النسخ لا يصح؛ فإن النسخ لابدّ فيه من إثبات الناسخ على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تراخي الناسخ؛ فما ذكروه لا يصح أن يكون ناسخًا؛ فإنه في قصة غير قصة الوصية لمكان الحاجة والضرورة ولا يمتنع اختلاف الحكم عند الضرورات؛ ولأنه ربما كان الكافر ثقة عند المسلم ويرتضيه عند الضرورة؛ فليس فيما قالوه ناسخ.

القول الثالث: أن الآية لا نسخ فيها؛ قاله الزهري والحسن وعكرمة، ويكون معنى قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] أي: من عشيرتكم وقرابتكم؛ لأنهم أحفظ وأضبط وأبعد عن النسيان.

ومعنى قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أي: من غير القرابة والعشيرة.

قال النحاس: وهذا ينبني على معنى غامض في العربية وذلك أن معنى (آخر) في العربية من جنس الأول؛ تقول: مررت بكريم وكريم آخر؛ فقوله «آخر» يدل على أنه من جنس الأول؛ ولا يجوز عند أهل العربية مررت بكريم وخسيس آخر؛ ولا مررت برجل وحمار آخر؛ فوجب من هذا أن يكون معنى قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أي: عدلان؛ والكفار لا يكونون عدولاً فيصح على هذا قول من قال: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من غير عشيرتكم من المسلمين. وهذا معنى حسن من جهة اللسان؛ وقد يحتج به لمالك ومن قال بقوله؛ لأن المعنى عندهم ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] من غير قبيلتكم؛ على أنه قد عورض هذا القول بأن في أول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ١٠٦] فخوطب الجماعة من المؤمنين.

* * *

س: ما المراد بالصلاة في قوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ١٠٦]؟

ج: المراد عند الجمهور صلاة العصر.

أخرج الطبري [1] بسند صحيح عن الشعبي:

أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا، فلم يجد أحداً من المسلمين يشهده علي وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، قال: فقدما الكوفة، فأتيا الأشعري فأخبراه، وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ! قال: فأحلفهما بعد العصر: بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما، ولا غيّرا، وإنها لوصية الرجل

(١) أخرجه الطبري (١٢٩٤٨)، وأبو داود (٣٦٠٥).

وتركته. قال: فأمضى شهادتهما.

هذا ومن العلماء من قال: صلاة أهل ملتهما.

* * *

س: هل يحبس المسلمُ لليمين؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن اللذين يحبسان إنما هما الكتابيان أو المشركان اللذان عناهما الله بقوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] أما المسلم فلا يحبس لليمين بعد العصر في مسألتنا هذه بينما ذهب آخرون إلى أنه يحبس لليمين أيضًا بعد صلاة العصر. فالله أعلم.

* * *

س: بمَ تُغلَّظ الأيمان؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

هذه الآية أصل في التغليظ في الأيمان، والتغليظ يكون بأربعة أشياء:

أحدها: الزمان كما ذكرنا.

الثاني: المكان كالمسجد والمنبر، خلافًا لأبي حنيفة وأصحابه حيث يقولون: لا يجب استحلاف أحد عند منبر النبي ﷺ، ولا بين الركن والمقام لا في قليل الأشياء ولا في كثيرها، وإلى هذا القول ذهب البخاري - رحمه الله - حيث ترجم: باب: يَحلف المدَّعَى عليه حيثما وجَبَت عليه اليمينُ ولا يُصرف من موضع إلى غيره.

وقال مالك والشافعي: ويُجلب في أيمان القسامة إلى مكة من كان من أعمالها، فيحلف بين الركن والمقام، ويُجلب إلى المدينة من كان من أعمالها، فيحلف عند المنبر.

الثالث: الحال، روىٰ مُطرف وابن الماجشون وبعض أصحاب الشافعي أنه يحلف قائمًا مستقبل القبلة؛ لأن ذلك أبلغ في الردع والزجر.

وقال ابن كنانة: يحلف جالسًا.

قال ابن العربي: والذي عندي أنه يحلف كما يُحْكم عليه بها إن كان قائمًا فقائمًا وإن جالسًا فجالسًا إذ لم يثبت في أثر ولا نظر اعتبار ذلك من قيام أو جلوس.

قلت: قد استنبط بعض العلماء من قوله في حديث علقمة بن وائل عن أبيه: «**فانطلق ليحلف**» القيامَ. . . ـ والله أعلم ـ أخرجه مسلم.

الرابع: التغليظ باللفظ، فذهبت طائفة إلىٰ الحلف بالله لا يزيد عليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿**فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ**﴾ [المائدة: ١٠٦] وقوله ﴿**قُلْ إِي وَرَبِّي**﴾ [يونس: ٥٣] وقال ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم**﴾ [الأنبياء: ٥٧] وقوله عليه السلام: «**من كان حالفًا فليحلف باللَّه أو لِيَصْمُتْ**» وقول الرجل: والله لا أزيد عليهن.

وقال مالك: يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندي حق، وما ادعاه عليّ باطل؛ والحجة له ما رواه أبو داود حدّثنا مسدّد قال حدثنا أبو الأحوص قال: حدثنا عطاء بن السائب عن أبي يحيىٰ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ـ يعني لرجل حلفه ـ «**احلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندك شيء**» يعني للمدعي؛ قال أبو داود: أبو يحيىٰ اسمه زياد كُوفي ثقة ثبت. وقال الكوفيون: يحلف بالله لا غير، فإن اتهمه القاضي غلظ عليه اليمين؛ فيحلفه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وزاد أصحاب الشافعي التغليظ بالمصحف.

قال ابن العربي: وهو بدعة ما ذكرها أحد قط من الصحابة.

وزعم الشافعي أنه رأى ابن مازن قاضي صنعاء يحلف بالمصحف ويأمر أصحابه بذلك ويرويه عن ابن عباس، ولم يصح.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ [المائدة: ١٠٦] عائدٌ على ماذا؟

ج: عائد على الأَيمان والقسم أي: لا نشتري بأيماننا ثمنًا، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوضٍ نأخذه، أو من أجل مالٍ نحصل عليه.

* * *

س: لماذا أضيفت الشهادة إلى الله في قوله تعالى: ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]؟

ج: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم.

كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] تشريف وتعظيم للمساجد إذ قد نسبت إلى الله.

ونحوه ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣].

* * *

س: من هذان الآخران اللذان يقومان مقامهما؟

ج: هما آخران من ورثة الميت.

أخرج الطبري [1] بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير.

---

(١) الطبري (أثر ١٢٩٥٩).

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، قال: إذا كان الرجل بأرض الشرك، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب، فإنهما يحلفان بعد العصر. فإذا اطّلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئًا، حلف أولياء الميت أنه كان كذا وكذا، ثم استحقوا.

● وعنده بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما [١]:

في قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، من غير المسلمين: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله: ما اشترينا بشهادتنا ثمنًا قليلاً، فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنا لم نعتد فذلك قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ [المائدة: ١٠٧] يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبا ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [المائدة: ١٠٧]، يقول: من الأولياء، فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنا لم نعتد، فتردّ شهادة الكافرين، وتجوز شهادة الأولياء.

* * *

س: لماذا أُلزم الورثة باليمين؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الشاهدين ألزما اليمين في ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله، ودعواهم قبلهما خيانة مالٍ معلوم المبلغ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما، أو علي

(١) الطبري (أثر ١٢٩٦١).

أحدهما، إنما صحح دعواه إذ حُقِّق حقه أو: الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعىٰ عليهما الوارث أو بجميعه، ثم دعواهما في الذي أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة، ثم لا يكون لهما علىٰ دعواهما تلك بيِّنة. فينقل حينئذ اليمين إلىٰ أولياء الميت.

وإنما قلنا ذلك أولىٰ الأقوال في ذلك بالصحة لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكمًا يجب فيه اليمين علىٰ الشهود، ارتيب بشهادتهما أو لم يُرتب بهما، فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرًا لذلك ولا - إذ لم نجد ذلك كذلك - صحّ بخبر عن الرسول ﷺ، ولا بإجماع من الأمة. لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالىٰ ذكره، فيكون أصلاً مسلَّمًا والقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيرًا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة. كان واضحًا فسادُه.

وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا، فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادعيا علىٰ الميت وصية لهما بمال من ماله، أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم في أن من حكم الله تعالىٰ ذكره أن مدّعيًا لو ادعىٰ في مال ميت وصية، أن القول قولُ ورثة المدعي في ماله الوصية مع أيمانهم، دون قول مدعي ذلك مع يمينه، وذلك إذا لم يكن للمدعي بينة، وقد جعل الله تعالىٰ اليمين في هذه الآية علىٰ الشهود إذا ارتيب بهما، وإنما نُقل الأيمانُ عنهم إلىٰ أولياء الميت، إذا عثر علىٰ أن الشهود استحقوا إثمًا في أيمانهم، فمعلوم بذلك فساد قول من قال: «ألزم اليمين الشهودُ، لدعواهم لأنفسهم وصية أوصىٰ بها لهم الميت من ماله».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ [المائدة: ١٠٨]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ [المائدة: ١٠٨] أي: شرعية هذا الحكم على هذا.

الوجه المرضي: من تحليف الشاهدين الذمّيين ـ وقد استريب بهما ـ أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي.

وقوله: ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ١٠٨] أن يكون الحامل لهم على الإتيان بالشهادة على وجهها، هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه وإجلاله، والخوف من الفضيحة بين الناس إذا ردّت اليمين على الورثة، فيحلفون ويستحقون ما يدعون؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ١٠٨].

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ...﴾ [المائدة: ١٠٦] الآية؟ والآيتين اللتين بعدها؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يا من آمنتم بالله وصدقتم به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، يا هؤلاء إذا خرجتم من دياركم لسفر أردتموه، فنزل بكم في سفركم مرض الموت، أو حل بكم من المصاب ما غلب على ظنكم أو أيقنتم أن بعده الموت وكان لكم أمر تريدون أن توصوا فيه بشيء، أو كان معكم مال أو متاع تريدون إرساله إلى أحد فليشهدكم رجلان عدلان ثقتان من ذوي الدين والصلاح والعقل (من المسلمين) فلتشهدوهما على ما تريدون، وليحملا منكم ما أردتم أن يحملاه إلى بلادكم.

فإن لم تجدوا رجلين عدلين من المسلمين، فأشهدوا اثنين آخرين من أهل الكتاب، أو من أهل الشرك، فليُبلغا ما أردتم إبلاغه، وليحملا ما أردتم أن يحملاه.

فإذا وصل هذان الشاهدان اللذان شهداكم في مرض موتكم واستمعا إلىٰ ما أوصيتم به وحملا ما أردتما حمله إلىٰ بلادكم استوقفتموهما [١] بعد صلاة العصر[٢] كي يقسما علىٰ صحة ما نقلاه عن ميتكم (أي: أنهما يحلفان بالله علىٰ صدق قولهما)، وهذا الاستحلاف (أي: طلب القسم منهما) ليس بواجب عليكم يا أهل الإسلام طلبه منهما لكن إذا ارتبتم في أمرهما وشككتم في صدقهما وفيما نقلاه فحينئذ عليكم أن تستحلفوهما فإذا أقسما فليكن مع قسمهما قولهما (لا نشتري بيميننا ثمنًا)، أي: أنهما يُحلفان علىٰ أنهما لا يقسمان بالله من أجل متاع عارض من عرض الحياة الدنيا ولا من أجل مالٍ يتقاضيانه، ولو كان المحلوف له أو عليه قريبًا لهما أو بعيدًا عنهما، ويقسمان أيضًا علىٰ أنهما لا يكتمان هذه الشهادة العظيمة، إذ هي شهادة الله، فإن فعلنا فإنا إذن من المتحملين للآثام المحشورين والمعدودين في جملة الآثمة الداخلين معهم في إثمهم.

لكن لفظ اليمين يُقدم كما قال تعالىٰ: ﴿**لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ**﴾ [المائدة: ١٠٦] ولكن بينت ههنا معناه.

فإن اكتُشف بعد ذلك وظهر وتبين أن هذين الشاهدين قد كذبا في شهادتهما وفي يمينهما فاكتسبا إثمًا بسبب هذا الكذب وتلك الخيانة، فحينئذ يقوم شخصان آخران من أولياء الميت المستحقين للتركة، فيشهدان ويقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿**وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[المائدة: ١٠٧]

---

(١) من العلماء من قال: إن هذا الوقف (الحبس) للكتابيين أو المُشركين فقط أما المسلمان فلا يُحبسان لليمين في هذا الموطن.

(٢) من العلماء من قال: إن المراد بالصلاة صلاة أهل ملتهما.

أي: لشهادتنا أصوب وأصح من شهادة الشاهدين الأولين، وما قمنا في هذا المقام للقسم والحلف بالله كذبًا وظلمًا وتجاوزًا وتعديًا.

وإن كنا قمنا كذبًا وتعديًا وتجاوزًا فإنا محشورون في عداد الظالمين وداخلون في سلك أهل الظلم وسالكون سبيلهم.

وهذا الذي أمرناكم بفعله من قيام الشاهدين بالشهادة عقب شهادة الشاهدين الأولين يحمل الشاهدين الأولين على صدق الحديث والحلف بالحق، وذلك أن الشخص إذا علم أن شخصًا ما سيتعقبه باليمين إذا هو كذب، فإنه حينئذٍ يحترز من الكذب أشد الاحتراز خوفًا من الفضيحة بين الناس، بعد خوفه من الله وذلك لأن كثيراً من الناس خشيتهم لله ضعيفة فإذا علموا أن الناس سيتعقبونهم ويظهرون كذبهم فإنهم سينكفوا حينئذ عن الأيمان الكاذبة والمقولات الزائفة ثم أمر الله عز وجل العباد جميعًا بتقواه وخشيته فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ [المائدة: ١٠٨] أي: اسمعوا ما يتلى عليكم واعملوا به أما الخارجون عن الطاعة الفساق فإن الله لا يوفقهم، فكونوا يا أهل الإيمان من الموفقين ولا تسلكوا سبيل الفاسقين.

هذا، والله تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الأحكام المستفادة من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ... ﴾ [المائدة: ١٠٦] الآية؟

ج: ذكر طائفةً كبيرةً من ذلك العلامة السعدي رحمه الله تعالى في «تفسيره»، فقال: ويستدل بالآيات الكريمات، على عدة أحكام: منها: أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت، أن يوصي.

ومنها: أنها معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلامته، ما دام عقله ثابتًا.

ومنها: أن شهادة الوصية، لابد فيها من اثنين عدلين.

ومنها: أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوها، مقبولة لوجود الضرورة وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ. وهذه دعوىٰ لا دليل عليها.

ومنها: أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار ـ عند عدم غيرهم، حتىٰ في غير هذه المسألة ـ مقبولة، كما ذهب إلىٰ ذلك، شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومنها: جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذوراً.

ومنها: جواز السفر للتجارة.

ومنها: أن الشاهدين إذا ارتيب منهما، ولم تبد قرينة تدل علىٰ خيانتهما، وأراد الأولياء أن يؤكدوا عليهما اليمين، يحبسونهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالىٰ.

ومنها: أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن حاجة إلىٰ حبسهما، وتأكيد اليمين عليهما.

ومنها: تعظيم أمر الشهادة، حيث أضافها تعالىٰ إلىٰ نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها، والقيام بها، بالقسط.

ومنها: أنه يجوز امتحان الشاهدين، عند الريبة منهما، وتفريقهما، لينظر في قيمة شهادتهما صدقًا أو كذبًا.

ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة علىٰ كذب الوصيين في هذه المسألة ـ قام اثنان من أولياء الميت، فأقسما بالله. أن أيماننا أصدق من أيمانهما، ولقد خانا وكذبا.

ثم يدفع إليهما ما ادعياه، وتكون القرينة ـ مع أيمانهما ـ قائمة مقام البينة.

* * *

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَاذَا أُجِبْتُمْ - أَيَّدتُّكَ - رُوحِ الْقُدُسِ - الْمَهْدِ - كَهْلاً - الْكِتَابَ - الْحِكْمَةَ - تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ - كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ - بِإِذْنِي - الأَكْمَهَ - كَفَفْتُ - الْبَيِّنَاتِ - أَوْحَيْتُ - الْحَوَارِيِّينَ - مُسْلِمُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾	ما الذي أجابتكم به أُممكم - ماذا عمل قومكم من بعدكم.
﴿أَيَّدتُّكَ﴾	قويتك.
﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾	جبريل عليه السلام (ومنه نزل به الروح الأمين).
﴿الْمَهْدِ﴾	فراش الصغير - في الصغر.
﴿كَهْلاً﴾	عند كهولتك.
﴿الْكِتَابَ﴾	الخط - الكتابة
﴿الْحِكْمَةَ﴾	الفهم - الإصابة في القول والعمل - وضع الأمور مواضعها الصحيحة.
﴿تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾	تُصوِّر وتصنع وتعمل من الطين.
﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾	أشكالاً على هيئة الطير.

الكلمة	معناها
﴿ بِإِذْنِي ﴾	بوحي وأمري - بإذني لك في صناعتها .
﴿ الأَكْمَهَ ﴾	الأعمى الذي لا يُبصر شيئًا .
﴿ كَفَفْتُ ﴾	منعت - صرفت - دفعت
﴿ الْبَيِّنَاتِ ﴾	الدلالات الواضحات (على صدقك ونبوتك) .
﴿ أَوْحَيْتُ ﴾	ألهمت[1] - أمرت - بيّنت[2] .
﴿ الْحَوَارِيِّينَ ﴾	وزراء عيسى عليه السلام وأنصاره وأعوانه وأصحابه وأتباعه .
﴿ مُسْلِمُونَ ﴾	مستسلمون - خاضعون - سامعون - مطيعون .

(١) ومنه ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ - ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ - ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ .

(٢) ويحتمل أيضًا أن معناه أوحيت إلى عيسى عليه السلام ليأمرهم .

س: هل لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة:١٠٩] تعلق بما قبله؟

ج: ذكر بعض العلماء تعلقًا له بما قبله، فقالوا المعنى: واحذروا يوم يجمع الله الرسل، واتقوا يوم يجمع الله الرسل.

ووجهٌ آخر: واسمعوا خبر يوم يجمع الله الرسل.

* * *

س: لماذا سأل الله سبحانه وتعالى الرسل عن أحوال أممهم بقوله: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٩]؟

ج: ذكر العلماء جوابين عن ذلك:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى سأل الرسل عن أحوال أممهم ليعلمهم بالذي أحدثته أممهم من بعدهم.

ثانيًا: أنه أراد بذلك أن يفضح أهل الشرك وأهل النفاق على رءوس الأشهاد ليكون ذلك نوعًا من العقوبة لهم.

وثم وجهٌ ثالث: ألا وهو لبيان عدم علم الرسل بالغيب وما فيه.

والله تعالى أعلم.

* * *

س: كيف قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة:١٠٩] وهم قد علموا أجوبة حولهم؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبةٌ:

أحدها: أنهم من هول الموقف ذهلت عقولهم ثم أجابوا بعد أن ثابت

إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم [١] ، ومما يدل على أنهم أجابوا في مواطن أُخر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ [النحل: ٨٤].

ثانيًا: أن مرادهم بقولهم: ﴿لا عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة: ١٠٩]، أي: لا علم لنا إلا ما علمتنا.

ثالثًا: أن المعنى لا علم لنا إلا علمٌ أنت أعلمُ به منا.

رابعًا: أنهم سئلوا عما أحدثت أممهم من بعدهم فقالوا لا علم لنا، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

وكما ورد في الحديث الصحيح الذي فيه أن النبي ﷺ قيل له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وسيأتي إن شاء الله، وهو في «الصحيحين».

* * *

س: لماذا ذكَّر الله سبحانه وتعالى نبيه عيسى عليه السلام بنعمه عليه وعلى والدته؟

ج: ذلك، والله أعلم لأمور منها:

أحدها: لتذكيره بنعم الله عليه حتى يؤدي لذلك شكراً.

الثاني: ليؤكد بذلك حُجته على قومه، وليرُدَّ به على جاحد نبوته، وكذا ليرُدَّ به على من ادَّعى ألوهيته.

---

(١) قال بعض العلماء: وهذا لا يصح لأن الرسل صلوات الله عليهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الثالث: ليتلوا على أمته ما فضلهم الله به ليقدموا شكراً لذلك.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

قال الرازي: إن قيل: إنه تعالى قال في أول الآية ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ ثم إن جميع ما ذكره تعالى من النعم مختص بعيسى عليه السلام، وليس لأمه تعلق بشيء منها.

قلنا: كل ما حصل للولد من النعم الجليلة والدرجات العالية، فهو حاصل علي سبيل التضمن والتبع للأم.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] فجعلهما معًا آية واحدة لشدة اتصال كل واحد منهما بالآخر انتهى.

وقال بعضهم: قيل: أريد بالذكر في قوله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ١١٠] الشكر. ففي ذلك دلالة على وجوب شكر النعمة.

وإن النعمة على الأم نعمة على الولد والشكر يكون بالقول والفعل والاعتقاد.

* * *

س: متى أُيد عيسى عليه السلام بروح القدس؟

ج: أُيِّد عيسى عليه السلام بروح القدس في مواطن شتى:

منها: أنه أُيد عند نطقه في المهد بروح القدس فقد نطق عيسى عليه السلام، بالذي نطق به بالوحي الذي أوحاه الله إليه عن طريق روح القدس كذا قال البعض.

ومنها: أنه أُيد عند صلبه بروح القدس، فقد رفعه بإذن الله، كذا قال البعض أيضًا.

ومنهـا: أن الوحي كان إلى عيسى عليه السلام عن طريق روح القدس عليه السلام، والله تعالى أعلم.

* * *

س: ما وجه الامتنان على عيسى بكونه يكلم الناس في كهولته؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، بتكليم عيسى عليه السلام للناس في كهولته تكليمهم بما أوحاه الله إليه، أي: أنه يوحي إليه في كهولته أيضًا، والوحي من الله إلى عباده نعمة عظمى من الله عزَّ وجل، ويكلم الناس، منه دعوتهم إلى الله عزَّ وجل وهذا نعمة أيضًا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَهْلاً﴾ [المائدة: ١١٠] إشارة أيضًا إلى أمرٍ آخر ألا وهو أن عيسى يجري عليه ما يجري على سائر البشر من كونه كان صغيرًا ثم تقدم به السن، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً . . .﴾ [الروم: ٥٤].

فهذا يدل على بشريته وأنه ليس إلهًا كما زعمت النصارى، والله أعلم.

قال السعدي رحمه الله تعالى: في تفسير قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ [المائدة: ١١٠]:

المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله، ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه، من أولي العزم، من المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر. وامتاز عنهم، بأنه كلم الناس في المهد فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١] الآية.

* * *

س: تعليم الكتابة نعمةٌ من الله وفضلٌ كما قال تعالى: ممتنا على عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ...﴾ [المائدة: ١١٠] فلماذا كان نبينا ﷺ أُميًّا؟

ج: كان رسول الله ﷺ أُميًّا لحكمة ذكرها الله تعالى في كتابه إذ قال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

فكونه كان أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يخبر بأدق الأخبار وعظيم الأخبار التي حدثت من قبل، بل والتي أخبره الله بمجيئها بعدُ كل ذلك دالٌّ على صدق نبوته ﷺ. والله أعلم.

* * *

س: وضح بعض وجوه إنعام الله عزَّ وجل على عيسى عليه السلام؟ وما وجه الإنعام على مريم عليها السلام؟

ج: من هذه الوجوه أنه سبحانه خلقه بلا أبٍ ومنها أن الله عزَّ وجل برأ أم عيسى (مريم عليها السلام) على لسان عيسى في المهد.

فنعمة من الله على عيسى عليه السلام. إذ أنطقه في المهد.

ومنها: أن الله عزَّ وجل حفظه من الذين أرادوا قتله وصَلْبه، ورفعه الله إليه.

ومن ذلك أيضًا: النعم المذكورة في الآية الكريمة ﴿إذ أيدتك بروح القدس...﴾ [المائدة: ١١٠].

أما وجه الإنعام على مريم عليها السلام فله صورٌ عدةٌ أيضًا:

منها: أن الرزق كان يأتيها في المحراب كلما دخل عليها زكريا ومنها أن الله سبحانه وتعالى اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين.

ومنها: أن الله عزَّ وجل برأها على لسان وليدها إذ أنطقه الله عزَّ وجل في المهد.

ومنها: أن الله عزَّ وجل جعلها صديقة، كما قال تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

ومنها: قبل ذلك أيضًا أن الله عزَّ وجل كفلها زكريا عليه السلام فتربت ونشأت في بيت نبوة كريم فاستفادت من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾؟

ج: يذكر الله سبحانه وتعالى منَّته على نبيه عيسى عليه السلام فيقول له: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] أي: تناديهم فيخرجون من قبورهم بإذن الله وقدرته وإرادته ومشيئته.

* * *

س كيف كفَّ الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل عن نبيه عيسى عليه السلام؟

ج: كفَّه عنهم بأن رفعه إليه وأنجاه مما أرادوه به من الصلب وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

س: دومًا الكفار يصفون الأنبياء بالسحر اذكر أدلة على ذلك؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وقال تعالى ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]

● وها هم قوم فرعون يقولون عن موسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ [القصص:٤٨].

وقالوا عن موسىٰ عليه السلام: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩].

● وقوم عيسىٰ يقولون عن عيسىٰ عليه السلام: وما جاء به ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

وقالوا عن رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٢].

● وأيضًا: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الفرقان:٨].

● وأيضًا: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤].

والآيات في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا.

* * *

س: ما السر في ذكر قول الكفار ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] والمقام هنا مقام امتنان على عيسى عليه السلام؟

ج: قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

إن قيل: إن السياق في تعديد نعمه تعالىٰ علىٰ عيسىٰ عليه السلام وقول الكفار في حقه، إن هذا إلا سحر مبين، ليس من النعم بحسب الظاهر. فما السر في ذكره؟ فالجواب: إن من الأمثال المشهورة: إن كل ذي نعمة محسود. فطعن اليهود فيه بهذا الكلام يدل علىٰ أن نعم الله تعالىٰ في حقه كانت عظيمة. فحسن ذكره عند تعديد النعم، للوجه الذي ذكرناه. أفاده الرازيّ.

* * *

س: ما وجه الامتنان بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١] على عيسى عليه السلام؟

ج: وجه الامتنان بذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ جعل له أصحابًا وأنصارًا

ووزراء صالحين، ومن المعلوم أن الأنصار والأصحاب والوزراء، إذا كانوا من أهل الصلاح فإنهم عون على طاعة الله عز وجل وإقامة شرعه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩، ٣٤].

وكما قال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ . . .﴾ [القصص: ٣٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي . . .﴾ [المائدة: ١١١] مع بيان وجه الامتنان على عيسى عليه السلام بذلك؟

ج: أما وجه الامتنان بذلك: فمن جهة أن الله سبحانه وتعالى امتن عليه بهداية الحواريين فكانوا له أعوانًا وأنصاراً وأتباعًا.

وهذه منة واضحة، وقد امتن الله بها على موسى عليه السلام فأيده بأخيه هارون وأشركه في أمره وشدَّ به أزره.

وامتن الله بذلك على نبينا محمد ﷺ إذ ألف الله بين قلوب أصحابه على الإيمان.

أما معنى الآية فقد قال السعدي رحمه الله تعالى:

فهذه منن، امتن الله بها على عبده ورسوله، عيسى بن مريم، ودعاه إلى شكرها، والقيام بها. فقام بها عليه السلام، أتم القيام، وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم.

أي: واذكر نعمتي عليك، إذ يسرت لك أتباعًا وأعوانًا.

فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي

من عند الله. فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا، واشهد بأننا مسلمون.

فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة والإيمان الباطن، المخرج لصاحبه من النفاق، ومن ضعف الإيمان.

والحواريون هم: الأنصار، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين:

﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

قال الشنقيطي رحمه الله:

قال بعض أهل العلم: المراد بالإيحاء إلى الحواريين الإلهام، ويدل له ورود الإيحاء في القرآن بمعنى الإلهام كقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] الآية يعني ألهمها، قال بعض العلماء: ومنه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] وقال بعض العلماء معناه: أوحيت إلي الحواريين إيحاء حقيقيًّا بواسطة عيسى، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَائِدَةً - الشَّاهِدِينَ - لأَوَّلِنَا - وَآخِرِنَا - آيَةً مِّنكَ - إِلَهَيْنِ - سُبْحَانَكَ - مَّا دُمْتُ - تَوَفَّيْتَنِي - الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَائِدَةً﴾	سفرةٌ عليها طعام.
﴿الشَّاهِدِينَ﴾	الشاهدين بقدرة الله، الشاهدين عند من لم يروها.
﴿لأَوَّلِنَا﴾	لحضورنا (الذين حضروا).
﴿آخِرِنَا﴾	من يأتون بعدنا.
﴿آيَةً مِّنكَ﴾	دلالة وحجة على قدرتك.
﴿إِلَهَيْنِ﴾	معبودين.
﴿سُبْحَانَكَ﴾	تنزهت.
﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾	ما دمت حيًّا أعيش بين أظهرهم.
﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾	قبضتني إليك
﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾	الحفيظ - المراقب لهم - الشاهد على أفعالهم.

س: هل كان الحواريون يشكُّون في قدرة الله عزَّ وجل على إنزال مائدة من السماء؟

ج: ذكر ذلك بعض أهل العلم، فقالوا: المعنى هل يقدر ربك، وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل؛ ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما لا يجوز: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ١١٢] أي: لا تشكوا في قدرة الله تعالى.

وتعقب آخرون هذا القول من وجوه، حاصلها أن الحواريين هم خُلَّص أصحاب عيسى وأفضلهم وقد أوحى الله إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي فكيف يصدر منهم شكٌ في قدرة الله عزَّ وجل؟!!

قال القرطبي رحمه الله:

لأن الحواريين خلصان الأنبياء ودخلاؤهم وأنصارهم كما قال: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٥٢] وقال عليه السلام: «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**». ومعلوم أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا بمعرفة الله تعالى وما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه وأن يبلغوا ذلك أممهم؛ فكيف يخفى ذلك على من باطنهم وأختص بهم حتى يجهلوا قدرة الله تعالى؟

● هذا وقد أجاب العلماء على الإشكال الوارد في الآية بوجوه من الأجوبة.

أحدها: ما ذكره العلماء من القراءة بـ (هل تستطيع ربك) أي: هل تستطيع أن تسأل ربك.

الثاني: أن الذين قالوا ذلك هم الجهال وقليلو العلم قال القرطبي: يجوز أن يقال: إن ذلك صدر ممن كان معهم، كما قال بعض جهال الأعراب للنبي ﷺ:

اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكما قال من قوم موسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ٨٣].

الثالث: ذكره القرطبي أيضًا فقال: وقيل: إن القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي وقد علمت أنه يستطيع؛ فالمعنى: هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبني إلي ذلك أم لا؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره علم دلالة وخبر ونظر فأرادوا علم معاينة كذلك؛ كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] على ما تقدّم، وقد كان إبراهيم علم لذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة؛ لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك، ولذلك قال الحواريون: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣] كما قال إبراهيم: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

* * *

س: هل نزلت المائدة على عيسى عليه السلام والحواريين؟

ج: نعم قد نزلت فإن الله قال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥].

والله سبحانه لا يخلف الميعاد، ومن أصدق من الله قيلاً.

قال الطبري رحمه الله وبعد: فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخُلف وقد قال تعالى ذكره مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، ثم لا ينزلها عليهم، جاز

أن يقـــول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة: ١١٥] .

ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة.

وغير جائز أن يوصف ربنا تعالىٰ ذكره بذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: بعد أن أورد قولاً بعدم نزولها عن الحسن (١) ومجاهد(٢) . . . . ولكن الذي عليه الجمهور:

أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأن الله تعالىٰ أخبر بنزولها في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] قال: ووعد الله ووعيده حق وصدق.

وهذا القول هو والله أعلم الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فالذي عليه الجمهور ـ وهو الحق ـ نزولها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ .

وقال مجاهد: ما نزلت وإنما هو ضَرْبُ مثَلٍ ضَرَبه الله تعالىٰ لخلقه فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه، وقيل: وعدهم بالإجابة فلما قال لهم: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥] ـ الآية ـ استعفوا منها، واستغفروا الله وقالوا: لا نريد هذا؛ قاله الحسن. وهذا القول والذي قبله خطأ، والصواب أنها نزلت.

❊ ❊ ❊

(١) قلت (مصطفىٰ) أما الحسن فالخبر ثابت إليه وأما الخبر إلىٰ مجاهد ففي سنده ضعف.

س: ماذا كان في هذه المائدة من الطعام؟

ج: لم يثبت بذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ قال الطبري رحمه الله.

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائزٌ أن يكون كان ثمرًا من ثمر الجنة، وغيرُ نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.

وقد ورد عند الطبري[1] وغيره من حديث عمار بن ياسر قال: نزلت المائدة وعليها ثمرٌ من ثمر الجنة، فأمروا أن لا يخبئوا ولا يخونوا ولا يدخروا، قال: فخان القوم وخبئوا وادَّخروا، فحوَّلهم الله قردة وخنازير.

* * *

س: هل ثبت أن النبي ﷺ أكل على خوان؟

ج: أخرج البخاري في «صحيحه»[2] من حديث أنس رضي الله عنه قال... ولا أكل - يعني النبي ﷺ - على خِوانٍ[3] قط.

وقد ورد في «الصحيح»[4] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا**».

---

(١) الطبري (١٣٠١٤) والترمذي (حديث/ ٣٠٦١) مرفوعًا ورجاله ثقات، لكن الترمذي قد أشار إلى أن الموقوف أصح وقال ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

(٢) البخاري (حديث ٥٣٨٦).

(٣) الخوان ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.

(٤) البخاري (مع الفتح ٩/ ٥٨٠).

فكأن المراد بالخوان مائدة لها صفة معينة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال ابن بطال: تركه عليه الصلاة والسلام الأكل على الخوان وأكل المرقق إنما هو لدفع طيبات الدنيا اختياراً لطيبات الحياة الدائمة .

* * *

س: لماذا طلبوا الأكل منها؟

ج: قال بعض العلماء، طلبوا الأكل لحاجتهم إلى الأكل وقال آخرون: طلبوا الأكل للتبرك به .

* * *

س: قولهم : ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [المائدة: ١١٣] بماذا؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣] يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها: تطمئن إلى أن الله تعالى بعثك إلينا نبيًّا .

الثاني: تطمئن إلى أن الله تعالى قد اختارنا لدعوتنا .

الثالث: تطمئن إلى أن الله تعالى قد أجابنا إلى ما سألنا؛ ذكرها الماوردي .

وقال المهدوي: أي: تطمئن بأن الله قد قبل صومنا وعملنا .

قال الثعلبي: نستيقن قدرته فتسكن قلوبنا .

* * *

س: قولهم : ﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ [المائدة: ١١٣] صدقتنا في ماذا؟

ج: صدقتنا في أنك رسول الله من عند الله .

س: قولهم: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣] شاهدين بماذا؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣] لله بالوحدانية، ولك بالرسالة والنبوة. وقيل: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣] لك عند من لم يرها إذا رجعنا إليهم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [المائدة: ١١٤]؟

ج: أي: يكون وقت نزولها عيداً نعظمه ونعبد الله فيه.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤]؟

ج: أما قوله ﴿لِأَوَّلِنَا﴾ أي: للأحياء منا الذين رأوا نزولها أما قوله: ﴿وَآخِرِنَا﴾ أي: ولمن يجيء من بعدنا.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤]: فإن معناه: وعلامةً وحجة منك يا رب، على عبادك في وحدانيتك، وفي صدقي على أني رسولٌ إليهم بما أرسلتني به ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وأعطنا من عطائك، فإنك يا رب خير من يعطي، وأجود من تفضَّل، لأنه لا يدخل عطاءه منٌّ ولا نكد.

* * *

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: في شأن من كفر بالمائدة: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]؟

وقوله تعالى: في شأن قوم فرعون: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾؟

ج: من العلماء من حمل الآية الأولى على عالمي زمانكم يا من كفرتم بعد نزول المائدة.

قلت: وعمومًا فإن مثل هذه الإيرادات يأتي عليها جوابان، فمثلاً قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

فللعلماء في ذلك وجهان:

أحدهما: الاختصاص، بمعنى لا أحد من الكاذبين أظلم من كذب على الله، ولا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه.

الثاني: أن جميعهم في الظلم سواء، و في الدرجة العليا منه والله أعلم.

* * *

س: متى يقول الله عز وجل لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن ذلك في الآخرة، وعلى هذا أكثر المفسرين (١).

---

(١) ويترجح هذا بما تقدم من قوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ [المائدة: ١٠٩].
وبعدها بآيات أيضًا قوله تعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ [المائدة: ١١٩].

الثاني: أن هذا قيل لعيسىٰ عليه السلام حين رفعه الله إليه وهذا الثاني اختيار الطبري رحمه الله، وأورد علىٰ نفسه سؤالاً فقال: فإن قال قائلٌ:

وما كان وجه سؤال الله عيسىٰ: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهو العالم بأن عيسىٰ لم يقل ذلك؟

قيل: يحتمل ذلك وجهين من التأويل:

أحدهما: تحذير عيسىٰ عن قيل ذلك ونهيه، كما يقول القائل لآخر: «أفعلت كذا وكذا؟» مما يعلم المقولُ له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له «أفعلته»، علىٰ وجه النهي عن فعله، والتهديد له فيه.

والآخر: إعلامه أنّ قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده، وبدّلوا دينهم بعده. فيكون بذلك جامعًا إعلامه حالهم بعده، وتحذيراً له قيله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ..﴾ [المائدة: ١١٦]؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في تأويل ذلك:

وأما تأويل الكلام فإنه: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، أي: معبودين تعبدونهما من دون الله.

قال عيسى: تنزيهًا لك يا رب وتعظيمًا أن أفعل ذلك أو أتكلم به ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، يقول: ليس لي أن أقول ذلك، لأني عبد مخلوق، وأمي أمةٌ لك، وكيف يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية؟ ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦]، يقول: إنك لا يخفىٰ عليك شيء، وأنت عالم أني لم أقل ذلك ولم آمرُهم به.

س: اذكر دليلاً آخر على أن الله عزّ وجل يسأل المرسلين يوم القيامة؟

ج: ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

* * *

س: ما وجه السؤال في قوله تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ...﴾ [المائدة: ١١٦]؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في معني هذا السؤال ـ وليس هو باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام ـ على قولين:

أحدهما: أنه سأله عن ذلك توبيخًا لمن ادعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب، وأشد في التوبيخ والتقريع.

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيَّروا بعده، وادَّعوا عليه ما لم يقله.

* * *

س: إن قال قائل إن النصارى لم تتخذ مريم إلهًا فكيف قيل لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

ج: جواب ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر أنهم اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله، والله أصدق القائلين.

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله: لما كان من قولهم أنها لم تلد بشراً وإنما ولدت إلهًا لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له .

* * *

س: لماذا قدم عيسى عليه السلام التسبيح على الجواب بقوله: ﴿ سُبْحَانَكَ . . . ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

ج: أجاب على ذلك القرطبي بقوله :

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين :

أحدهما : تنزيهًا له عما أضيف إليه .

الثاني: خضوعًا لعزته، وخوفًا من سطوته .

قلت (مصطفى): ونحو ذلك من تقديم التسبيح بين يدي الجواب، قوله تعالى للملائكة ﴿أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] .

● وقولهم أيضًا: لما قال الله لهم: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢] .

● وأيضًا عموم قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧] .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي . . . ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن نبيه عيسى ﷺ : أنه يبرأ إليه مما قالت فيه

وفي أمه الكفرةُ من النصارىٰ، أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به، فقال: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ثم قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة:١١٦]، يقول: إنك، يا رب، لا يخفىٰ عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحي، فكيف بما قد نطقتُ به وأظهرته بجوارحي؟ يقول: لو كنت قد قلت للناس: ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، كنت قد علمته، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به، فكيف بما قد نطقت به؟

﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦] يقول: إنك أنت العالم بخفيّات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، ولا يعلمها غيرك.

* * *

س: وضح معنى قول نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة:١١٧]؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم ما دعوتهم إلا للذي كلفتني وأمرتني بإبلاغه ألا وهو دعوتهم إلىٰ التوحيد وإبلاغهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٧] هذا هو الذي قلته لهم.

أما قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة:١١٧] أي: وكنت شاهداً علىٰ أعمالهم وأقوالهم وأنا بين أظهرهم حيًّا، أما بعد أن توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىٰ كل شيءٍ شهيد في حياتي وبعد مماتي وفي كل وقت وحين وأنت أيضًا شاهد عليَّ وعلىٰ ما قلته لهم وعلىٰ ما أجابوني به.

س: هل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون شيئًا عن أممهم بعد موتهم؟

ج: الأنبياء لا يعلمون شيئًا عما دار بعد موتهم، دلَّ على ذلك قول عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] وأخرج البخاري ومسلم [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرلاً**». ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إلى آخر الآية. ثم قال: «**ألا وإنَّ أولَ الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ. ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيُؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصَيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدَك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾** [المائدة: ١١٧] **فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذُ فارقتهم**».

أما الحديث الوارد في هذا الباب، وفيه مماتي خيرٌ لكم تُعرض عليَّ أعمالكم... الحديث، فهو ضعيف الإسناد.

* * *

س: وضح معنى الوفاة في قول عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٢٥)، ومسلم حديث (٢٨٦٠) ص ٢١٩٤).

قيل: هذا يدل على أن الله عز وجل توفاه قبل أن يرفعه؛ وليس بشيء؛ لأن الأخبار تظاهرت برفعه، وأنه في السماء حيّ، وأنه ينزل ويقتل الدَّجَّال ـ على ما يأتي بيانه ـ وإنما المعنى فلما رفعتني إلى السماء.

قال الحسن: الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه:

وفاة الموت، وذلك قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] يعني: وقت انقضاء أجلها.

ووفاة النوم. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، يعني: الذي ينيمكم.

ووفاة الرفع، قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

* * *

س: ما وجه ذكر ﴿أَنتَ﴾ عقب قوله ﴿كُنتَ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، للتوكيد.

* * *

س: هل ثبت أن النبي ﷺ قام ليلة بقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]؟

ج: ورد ذلك بإسنادٍ فيه ضعف، فالخبر غير ثابتٍ عن رسول الله ﷺ إذ هو عند أحمد من طريق فليت العامري عن جسرة العامرية وهو مجهول وهي كذلك، أما قول الحافظ إنها مقبولة فمعناه عنده مقبولة إذا توبعت وإلا فليِّنة.

ثم هي لم تتابع ـ فيما علمت ـ على هذا الخبر من ثقةٍ من الثقات.

* * *

س: هل يغفر للمشرك حتى قال عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]؟

ج: أشار ابن كثير إلى الجواب على ذلك بقوله، ومعنى ذلك التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات.

أما الطبري فأشار إلى وجه آخر: فقال: في الآية الكريمة يقول تعالى ذكره: إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، بإماتتك إياهم عليها ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨]، مستسلمون لك، لا يمتنعون مما أردت بهم، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرًّا ولا أمرًا تنالهم به ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة:١١٨]، بهدايتك إياهم إلى التوبة منها، فتستر عليهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾[المائدة:١١٨]، في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحدٌ يدفعه عنه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة، وتوفيقه من وفَّق منهم لسبيل النجاة من العقاب.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وإن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة:١١٨] لمن تاب منهم قبل الموت؛ وهذا حسن. وأما قول من قال: إن عيسى عليه السلام لم يعلم أن الكافر لا يغفر له فقول مجترئ على كتاب الله عز وجل؛ لأن الأخبار من الله عز وجل لا تُنسخ.

وقيل: كان عند عيسى أنهم أحدثوا معاصي، وعملوا بعده بما لم يأمرهم به، إلا أنهم على عمود دينه، فقال: وإن تغفِر لهم ما أحدثوا بعدي من المعاصي.

* * *

س: لماذا ختمت الآية بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] ولم تختم بـ (الغفور الرحيم) فالذي يشاكل المغفرة (فإنك أنت الغفور الرحيم)؟

ج: أجاب على ذلك القرطبي بقوله:

وقال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]:

ولم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره، والتفويض لحكمه ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه وذلك مستحيل فالتقدير إن تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذّبهم فإنهم عبادك، وإن تَهدهم إلى توحيدك وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده؛ الحكيم فيما تفعله؛ تضل من تشاء وتهدي من تشاء وقد قرأ جماعة: (فإنك أنت الغفور الرحيم) وليست في المصحف. ذكره القاضي عياض في كتاب «الشّفا».

وقال أبو بكر الأنبَاري: وقد طعن على القرآن من قال إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] ليس بمشاكل لقوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة:١١٨] لأن الذي يُشاكل المغفرة فإنك أنت الغفور الرحيم ـ والجواب ـ أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله، ومتى نقل إلى الذي نقله إليه ضعُف معناه؛ فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني فلا يكون له بالشرط الأوّل تعلّق، وهو على ما أنزله الله عز وجل، واجتمع على قراءته المسلمون مَقْرُونٌ بالشرطين كليهما أوّلهما وآخرهما؛ إذ تلخيصه إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم في الأمرين كليهما من التّعذيب والغفران فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان لعمومه؛ فإنه يجمع الشرطين، ولم يصلح الغفور الرحيم إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم، وما شهد بتعظيم الله تعالى وعدله والثناء عليه في الآية كلها

والشرطين المذكورين أولىٰ وأثبت معنىٰ في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض . خرج مسلم من غير طريق عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل في إبراهيم : ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقال عيسىٰ عليه السلام : ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة:١١٨] فرفع يديه وقال : «**اللهم أمتي أمتي**» وبكىٰ ، فقال الله عز وجل : «**يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسَله ما يُبكيك**» فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله : «**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نَسوءك**»(١) وقال بعضهم : في الآية تقديم وتأخير ، ومعناه إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك ، ووجه الكلام علىٰ نَسَقه أولىٰ لما بَيَّناه . وبالله التوفيق .

* * *

س: من المعنيون بالصادقين في الآية الكريمة؟

ج: المعنيون بالصادقين هنا هم الموحدون ، وصدقهم أي : توحيدهم فالمعنىٰ هذا يوم ينفع الموحدين توحيدُهم .

أي : الذي كان منهم في حياتهم الدنيا .

● ويحتمل أن يكون الصادقون هنا هم الذين صدقوا في الأقوال والأعمال وأخلصوا النوايا لله رب العالمين .

ويدخل أيضًا في ذلك صدقهم في إخبارهم عن الأنبياء بأنهم بلغوا .

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢) .

س: كيف يرضى أهل الإيمان عن ربهم عزَّ وجل؟

ج: قال الطبري رحمه الله: رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾، يقول: ورضوا هم عن الله تعالىٰ ذكره في وفائه لهم بما وعدهم علىٰ طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩]، يقول: هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها مرضيًّا عنهم وراضين عن ربهم، هو الظفر العظيم بالطَّلبة، وإدراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا، ولها كانوا يعملون فيها، فنالوا ما طلبوا، وأدركوا ما أملوا.

قال القرطبي رحمه الله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] أي: عن الجزاء الذي أثابهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [المائدة:١١٩] الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يقول تعالىٰ ذكره: أيها النصارىٰ، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[المائدة:١٢٠]، يقول له سلطان السموات والأرض ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، دون عيسىٰ الذي تزعمون أنه إلهكم، ودون أمه، ودون جميع من في السموات ومن في الأرض.

فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهن، وعيسىٰ وأمُّه من بعض ذلك بالحلول والانتقال، يدلاَّن بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال، أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهن. ينبِّههم وجميع خلقه علىٰ موضع حجته عليهم، ليدَّبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٢٠] يقول تعالىٰ ذكره: والله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، قادرٌ علىٰ إفنائهن وعلىٰ إهلاكهن، وإهلاك عيسىٰ وأمه ومن في الأرض جميعًا كما ابتدأ خلقهم، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده، لأن قدرته القدرةُ التي لا تشبهها قدرة، وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] أي: هو الخالق للأشياء المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] الآية جاء هذا عقب ما جرىٰ من دعوىٰ النصارىٰ في عيسىٰ أنه إله، فأخبر تعالىٰ أن ملك السموات والأرض له دون عيسىٰ ودون سائر المخلوقين ويجوز أن يكون المعنىٰ أن الذي له ملك السموات والأرض يعطي الجنات المتقدّم ذكرها للمطيعين من عباده؛ جعلنا الله منهم بمنِّه وكرمه.

* * *

س: هل ورد أن سورة المائة هي آخر سورة نزلت في القرآن؟

ج: نعم قد ورد ذلك بما يصح بمجموع طرقه، وذلك فيما أخرجه الترمذي وغيره[1] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: آخر

(١) الترمذي (٣٠٦٣) وقال هذا حديث حسن غريب، وروىٰ عن ابن عباس أنه قال آخر =

سورة أُنزلت المائدة.

وللحديث شاهد عند النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١).

من طريق جبير بن نفير قال: دخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها فقالت لي هل تقرأ سورة المائدة، قلت نعم، قالت أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه...

تم تفسير سورة المائدة في سؤال وجواب والحمد لله رب العالمين وما كان فيها من صواب فمن الله وما كان فيها من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصل اللهم علىٰ نبينا محمد ﷺ.

وكتبه

أبو عبد الله

مصطفى العدوي

= سورة أُنزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [النصر: ١].

قلت: وسند الترمذي فيه حُيي، وثقه بعض أهل العلم، وضعفه آخرون.

(١) النسائي في السنن الكبرىٰ في التفسير (٦/ ٢٣٣) (١١١٣٨/ ٢)

فهرست الأحاديث

الحديث	الصفحة
باب الهمزة	
أبغض الناس إلى الله ثلاثة	٣٤٠
أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا	٢٦٨
أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟	١٣٩
أتشفع في حد من حدود الله	٢٦٤/ ٢٦٧
أتدرون من المفلس.	٢١٧
أتي النبي ﷺ بسكران	٤٩٣
احفظ الله يحفظك	١٦٧
احلت لنا ميتتان ودمان	٥٢٠
اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث	٤٨٣
أخذ ربي من الخمس شيئًا	٤٧٤
إذا التقى المسلمان بسيفهما	٣٠٣
إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر	٢٩٤
إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترًا	١٣٢
إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة	٢٨
إذا تبايع الرجلان	٣٢
أربع من كن فيه كان منافقًا	٣٠
أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام	٢٠٥
إسباغ الوضوء على المكاره	١٤٥
استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله وعنده نسوة	٣٦٧
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	٣٠٣
أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم	٥٣٨
ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	٣٧
ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم	١٨٧

الحديث	الصفحة
البيعان كل منهما بالخيار على صاحبه	٦٦
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا	٣١/ ٣٢
الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه	٥٩٤
الكلب الأسود شيطان	١٠٤
المؤمنون عند شروطهم	٢٩
الندم توبة	٢٢٣
أما بعد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة	٤٨٤
إن الله كره لكم قيل وقال	٥٣٨
إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها	٥٤٣
إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال	٥٤٦
إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام	٦٦
إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٥٥٤
إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال	١٣٨
إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة	٢١٦
إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم	٥٤١
إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين	١٣٦
إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد	١٥٦
إن الزمان قد استدار	٥١
إن الشيطان يستحل الطعام	١٠٨
إن الشيطان قد أيس أن يعبده	٦٢
إن النبي ﷺ سئل عن الخمر تتخذ خلاً قال: لا	٤٨٩
إن الله يحب أن تؤتى رخصته	٨٩
إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٤٥٧
إن الله لم يجعل لمخ نسلاً ولا عقبًا	٣٦٨

إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت ١٦٠/ ٣٩٩
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٥٦
إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة ١٩
إن قوم تصيد بهذه الكلاب ٩٦/ ١٠٣
إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها ١٥٦
إن كان لك كلاب مكلِّبة فكُلْ مما أمسكن عليك ٩٧
إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ٢٢٤
أن النبي ﷺ أُتي بنعيمان وهو سكران ٤٩٣
أن النبي ﷺ أُتي برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين ٤٩٣
أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين ١٣٣
أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل ٧٨
أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر ١٢٠
إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في آنيتهم ١١٩
أنا أولى الناس بابن مريم ١٨٧
أن أناسًا من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا ٧٨
أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ١٤٥
أن رسول الله ﷺ أتي ليلة أَسري به ٤٧٨
أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم ٢٦٤
إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ٢٣٣
إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك ٢٣٣
أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ٣٦٦
أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ١١٢
آية المنافق ثلاث ٣٠

باب الباء

بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا ٨٠
بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا ٨٠
بعث رسول الله ﷺ بعثًا قبل الساحل ٥١٩

باب التاء

تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ٢٣٤
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ١٣٦/ ١٤٥
تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدًا ٢٦٤
توضأ كما أمرك الله ١٣٢
توضأ النبي ﷺ مرة مرة ١٣٣

باب الثاء

ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ١٤٠

باب الجيم

جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبى بكر دية ٧٨
جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ٢٠٨
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ ٤٤٩
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الآخر: وقع على امرأة ٤٦٣
جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد ٤٩٣
جلد النبي ﷺ أربعين ٤٩٤

باب الخاء

خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري ٥٦١
خطب رسول الله ﷺ ٦٠٢
خلق الله آدم على صورته ١٩٩
خمس من الدواب كلهن فاسق يُقتلن في الحرم ٢٢٢

باب الدال

دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم ٥٤١

باب الذال

ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين قبلكم ٥٣٨

باب الراء

رأيت عمرو بن عامر الخزاعي ٥٤٤/ ٥٥٠
ركب رسول الله ﷺ حمارًا وأردفني خلفه ٢٢٠

باب الزاي

زكـاة الجنين زكـاة أمـه ٣٥

باب السين

سـألت جـابر عن ثمن الكلب ٤٨٠
سألت النبي ﷺ عن صيد المعراض ١٠٥
سباب المسلم فسوق ٢٩٤/ ٣٠٣
سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة ١٢٧
سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة ٢٥١
سنوا بهم سنة أهل الكتـاب ١٢٠

باب الصاد

صلاة الجماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه ٥٥

باب العين

عمداً صنعته يا عمر ١٣١

باب الغين

غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه ٢١٤

باب الفاء

فتلت قلائد هدى النبي ﷺ ثم أشعرها وقلدها ٣٨
فرجع رسول الله ﷺ يقهقر حتى خرج عنهم ٤٧٩
فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم ٤٤٨

باب القاف

قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليَّ ٤٤٥

باب الكاف

كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء ١٢٧
كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بحراب فيه شحم ١١٢
كنا نأتي بالشارب على عهد رسول الله ٤٩٤
كنا نغزوا مع النبي ﷺ ٤٤٨
كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ١٣١
كان الرجل يقوت أهله قوتاً ٤٦٥
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ١٩٤
كل ذي مخلب من الطير ٣٥
كل مسكر حرام ٤٧٧
كل شرط ليس في كتاب الله ٢٩
كل شراب أسكر فهو حرام ٤٧٧
كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ٤٧٧
كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة ٤٧٨
كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة ٥٠٤
كنت أقري رجالاً من المهاجرين ٣٨
كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم ١٣٦

باب اللام

لا تلعنوه فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله ٤٩٨
لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ٢٩٣
لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ٢١١
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله ١٤٥
لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ١١٩
لا نورث ما تركنا صدقة ٤٥٨
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٢٩٣
لا يؤاخذكم الله باللغو نزلت في قوله: لا والله وبلى والله ٤٥٤
لعن الله الخمر وشاربها ٤٧٩
لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ٣٢
لكل غادر لواء ينصب يوم القيامة بغدرته ٢٨/ ٣١
لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة ٢٨/ ٣١
لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ٤٢١
لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك ٧٢
ليس على خائن ولا مختلس ولا منتهب قطع ٢٦١
ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ٣٩٧
ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ ٤٧٩

باب الميم

ما أسكر كثيره فقليله حرام ٤٩١
ما كنت لأقيم حداً على أحد فيموت ٤٩٥
ما علمت النبي ﷺ أكل على سكرُجة ولا خوان ٥٩٤
من اقتنى كلبًا إلا كلب صيد ١٠٦
من أمسك كلبًا فإنه ينقص كل يوم من أجره ١٠٦
من توضأ فليستنثر ومن استجمر فليوتر ١٣٢
من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين ١٣٣
من حلف على يمين فقال إن شاء الله ٤٥٧/ ٤٥٨
من حدثك أنَّ النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فقد كذب ٣٩٦
من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ١٢٠
من شرب الخمر فاجلدوه ٤٩٨
من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب ٤٧٦
ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ٣٩٨
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ٢٩
من قال حين يسمع المؤذن ٨٨
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ٢٥١
من كان يدًا بيد فلا بأس به ٤٩١
من لعب بالنرد فقد عصى الله ٥٠١
من لعب بالنردشير ٥٠١
من نسي أن يذكر الله عز وجل على طعامه ١٠٩

باب النون

نهى النبي ﷺ عن طعام المتبارين ٤٩٩
نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء ٤٧٧
نهى النبي ﷺ عن قليل ما أسكر كثيره ٤٩١

باب الهاء

هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ٢٧٤/ ٢٩٠
هو الطهور ماؤه الحل ميتته ٦٤/ ٥٢٠

باب الواو

والله لا يؤمن والله لا يؤمن ٢٩٣
والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد ١٧٣
والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم ٢١٢
والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ٣٦
والشمس تجري لمستقر لها ومستقرها تحت العرش ١٤٤
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ١٤١
وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة ٢٦/ ٣٣
وجب محبتي للمتحابين في ١٧٢
ولك في كل كبد رطبة أجر ١١٨
﴿وما أتاكم الرسول فخذوه﴾ ٣٧
وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ١٧٢
وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ٢٧٥
ويل للأعقاب من النار ١٤١

باب الياء

يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ٢٥٦
يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ١٤٥
يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك ٦٠٦
يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت ٤٤٦
يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ٢١٢
يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ٢٦٥
يا غلام سم الله وكل بيمينك ١٠٨
يا فلان ما منعك أن تصلي معنا ١٤٨/ ٣٥٨
يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء ٣٢١
ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ١٣٨

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الوفاء بالعقود	٢٣ ـ ٣٣
تفسير بهيمة الأنعام	٣٣ ـ ٣٨
حُكم الصيد للمحرم	٣٨، ٣٩
تعظيم شعائرالله والهدي والقلائد	٤٤ ـ ٤٦
حكم التجارة في موسم الحج	٤٨
هل الآية (٢) منسوخة؟	٤٩ ـ ٥٢
لا حرج في الصيد إذا أحلّ المحرم	٥٢ ـ ٥٧
الفرق بين الإثم والعدوان	٥٧
حكم الميتة والدم ولحم الخنزير	٦٤ ـ ٦٦
المتردية والنطيحة	٦٦ ـ ٦٧
حُكم المذكاة قبل الموت	٦٨ ـ ٧٣
إذاخرج جنين الذبيحة حيًا	٧٣
الاستقسام بالأزلام	٧٣ ـ ٧٨
معنى قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾	٨١ ـ ٨٧
حد الاضطرار لأكل الميتة	٨٨ ـ ٩٠
حكم صيد الكلب والطيور المُعَلَّمة	٩٥ ـ ١٠٨
التسمية على الطعام	١٠٨ ـ ١٠٩
حكم ذبائح أهل الكتاب	١١٢ ـ ١١٧
حكم الأكل والشرب في آنية الكفار	١١٨
حكم ذبائح المجوس	١١٩
هل تُزوج التائبة من الزنى بعفيف؟	١٢٠ ـ ١٢١
حكم نكاح الكتابية	١٢١ ـ ١٢٢
حكم نكاح الأمة الكتابية	١٢٣
أحكام الوضوء وفضله	١٢٧ ـ ١٤٦
التيمم	١٤٦ ـ ١٥٠
بنو إسرائيل وميثاق الله عليهم	١٦٤ ـ ١٧١
النصارى وميثاق الله عليهم	١٧٣ ـ ١٧٧
كُفر مَن ألَّه المسيح	١٨١ ـ ١٨٤
العُذر بالجهل	١٨٦
معنى «الجبارين»	١٩٧ ـ ١٩٩
موقف بني إسرائيل مع موسى (عليه السلام)	٢٠٢ ـ ٢٠٣
قصة ابنَيْ آدم	٢١١ ـ ٢٣٠
حد الحرابة	٢٣٣ ـ ٢٥٠
معنى الوسيلة	٢٥٠ ـ ٢٥٥
حد السرقة	٢٥٧ ـ ٢٥٨
هل يُحَدُّ مَن جحد العارية؟	٢٥٨ ـ ٢٦٣
هل للسرقة نِصَاب؟	٢٦٤، ٢٦٥
لماذ حُفظ القرآن وَحُرِّفت التوراة؟	٢٧٦، ٢٧٧
إيضاح قوله تعالى: ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة﴾	٢٨٢ ـ ٢٨٣
إيضاح قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾	٢٨٣ ـ ٢٨٦
الأنبياء كانوا على الإسلام	٢٨٦
كفر الحاكم بغير ما أنزل الله	٢٨٨ ـ ٣٠٣
ما اتفق عليه المرسلون وما تنوع بينهم	٣٢١ ـ ٣٢٤
هل شرعُ مَنْ قبلنا شرعٌ لنا؟	٣٢٤ ـ ٣٣٤
ترك بعض المُنَزَّل يجلب العذاب	٣٣٧
الإعراض عن تحكيم ما أنزل الله عقوبة لذنوبٍ سَلَفَتْ	٣٣٧ ـ ٣٣٨
إيضاح قوله تعالى: ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾	٣٤٩، ٣٥٠
للحلم واللين موضع وللشدة موضع	٣٥٥، ٣٥٦
قراءاتٌ أُخَر في قوله تعالى: ﴿هل يستطيع ربُّك...﴾	٣٥٦
إيضاح قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾	٣٦٠
إيضاح قوله تعالى: ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾	٣٦٠، ٣٦١
إيضاح قوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبة﴾	٣٦٦، ٣٦٧

قراءات أُخَر في قوله تعالىٰ: ﴿وعبد الطاغوت﴾ ٣٦٨
اليهود يبطنون غير ما يُظهرون ٣٧١، ٣٧٢
ذم العلماء الذين لا ينهون عن المنكر ٣٧٢ ـ ٣٧٥
المراد باليد في قوله تعالىٰ: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ٣٧٧ ـ ٣٨٠
كيف يُقيمون التوراة والإنجيل وهما منسوخان بالقرآن؟ ٣٨٥
طاعة الله (عز وجل) وتقواه تُبارك في الرزق وتوسع فيه ٣٨٥ ـ ٣٨٧
منقبة لأمة محمد (ﷺ) ٣٩٠
هل كان (ﷺ) يُحْرَس؟ ٣٩٧
بعض صور عصمة الله لنبيه ٣٩٧ ـ ٣٩٩
إيضاح قوله تعالىٰ ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ ٤٠٥
ما مرادهم بقولهم (الله ثالث ثلاثة)؟ ٤١١ ـ ٤١٣
هل في الأنبياء نساء؟ ٤١٥
مَنْ بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ٤٢٢ ـ ٤٢٤
مغبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٢٥
ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٢٦ ـ ٤٢٩
ما حال الرعية إذا فعل السلطان منكراً؟ ٤٢٩، ٤٣٠
هل مَن أشرك مِن النصارىٰ داخلٌ في ﴿ولتجدن أقربهم مودة﴾؟ ٤٤٠
بكاء النجاشي عند سماع القرآن ٤٤٠ ـ ٤٤٤
إيضاح قوله تعالىٰ: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ ٤٤٨ ـ ٤٥١
ما اللغو في الأيمان؟ وما حكمه؟ ٤٥٤ ـ ٤٥٦
هل تنعقد اليمين بغير الله؟ ٤٥٦، ٤٥٧
ما معنىٰ الاستثناء في اليمين؟ ٤٥٧ ـ ٤٦٠
هل تجزئ القيمة في كفارة اليمين؟ ٤٦٠ ـ ٤٦٢
إذا أطعمت مسكيناً عشر وجبات هل يُجزئ؟ ٤٦٢ ـ ٤٦٤
ما المراد بأوسط الطعام؟ ٤٦٥ ـ ٤٦٧
مقدار الكسوة التي تجزئ في كفارة اليمين ٤٦٧
أحاديث في تحريم الخمر ٤٧٦ ـ ٤٨٣
هل الخمر نجسة العين؟ ٤٨٥ ـ ٤٨٩
حكم تخليل الخمر والتداوي بها ٤٨٩، ٤٩٠
ما حدُّ شارب الخمر؟ ٤٩٣ ـ ٤٩٧
حكم اللعب بالشطرنج والنرد ٥٠٠ ـ ٥٠٢
الابتلاء بتيسير المعاصي والتمكين منها ٥٠٧ ـ ٥٠٩
كفارة من قتل صيداً في الحَرَم ٥١٠ ـ ٥١٣
صيد البحر هل هو حلال للمحرم؟ ٥١٧
ميتة البحر حلالٌ أكلها. ٥١٩ ـ ٥٢١
إيضاح معنىٰ: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ ٥٢٥ ـ ٥٢٧
كراهة السؤال بغير فائدة أو كثرته ٥٣٨
صفات البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ٥٤٧ ـ ٥٥٠
إيضاح قوله تعالىٰ: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ ٥٥٢ ـ ٥٥٥
هل قوله تعالىٰ (أو آخران مِن غيركم) منسوخ؟ ٥٦٤ ـ ٥٦٧
بم تُغَلَّظ الأَيْمان؟ ٥٦٨ ـ ٥٧٠
إيضاح آيات الأمر بالإشهاد عند الموت ٥٧٣ ـ ٥٧٦
لماذا كان رسولنا ﷺ أميًّا؟ ٥٨٤
بعض وجوه الإنعام علىٰ عيسىٰ (عليه السلام) ٥٨٤ ـ ٥٨٨
هل كان الحواريون يشكُّون في قدرة الله؟ ٥٩، ٥٩٢
هل أكل النبي (ﷺ) علىٰ خوان؟ ٥٩٤، ٥٩٥
سؤال الله (عز وجل) لعيسىٰ وجوابه (عليه السلام) ٥٩٧ ـ ٦٠٦
كيف يرضىٰ أهل الإيمان عن ربهم؟ ٦٠٧
هل سورة المائدة آخر سورة نزلت؟ ٦٠٨، ٦٠٩
فهرست الموضوعات ٦١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد...

سورة الأنعام إحدى السور المكية، والشأن فيها شأن السور المكية عموما تهتم بالعقائد والتوحيد وإثبات البعث والمعاد والثواب والعقاب والحث على اتباع المرسلين والترغيب الترهيب وبيان مشاهد القيامة من حشر وجمع وجنةٍ ونار إلى غير ذلك مما تتناوله السور المكية عموما، وبشيء من التفصيل، أقول- وبالله تعالى التوفيق- لقد بدت بعض الأمور في هذه السورة الكريمة وتجلت، ومن هذه الأمور التي وردت في هذه السورة الكريمة ما يلي:

۞ التذكير بوحدانية الله ﷻ وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك وكذلك بيان قدرته ﷻ وواسع علمه وأن المهتدي من هداه الله، وأن الذي يكشف الضر هو الله ﷻ، وأن الذي بيد الخير هو الله ﷻ، وذلك في عدة آيات من هذه السورة المباركة كقوله تعالى تذكيرا بوحدانيته: (إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) [الأنعام: ١٩].

۞ وبيان اختصاصه سبحانه بمفاتح الغيب في قوله تعالى: (۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ) [الأنعام: ٥٩].

۞ وبيان أن ما السموات والأرض ملك له، كما في قوله: (قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ) [الأنعام: ١٢].

۞ وكقوله (۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ) [الأنعام: ١٣].

۞ وكقوله تعالى بيانا لقدرته: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) [الأنعام: ٦٥].

۞ وكقوله تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ) [الأنعام: ١٧].

۞ وكقوله تعالى بيانا لواسع علمه: (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) [الأنعام: ١٤].

۞ وبيان خلقه السموات والأرض، والظلمات والنور وجناتٍ معروشات وغير معروشات، وأنه أنزل من الأنعام ثمانية أزواج إلى غير ذلك مما ذكره الله ﷻ ممتنا به

على خلقه.

وكما أسلفت بيان أن المهتدي من هداه الل، قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) [الأنعام: ٣٥].

وكقوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩].

وكقوله تعالى: (مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٣٩].

۞ وتذكير بنعم الله ﷻ يتلوه تذكير يتلوه تذكير، حتى إن من العلماء من سماها سورة النعم، ومن ثم، ولأن الخالق هو الله والرازق هو الله وهو المحي والمميت والمعز والمذل والقادر، إلى غير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، فمن ثم فهو المستحق للعبادة لا يستحقها أحد سواه، والتذكير بذلك: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

وكما قال: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) [الأنعام: ٥٦].

وفي السورة أيضا تذكير بالأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه

فأكبر سورة انتظمت أسماء أنبياء ومرسلين هذه السورة على ما ذكره بعض العلماء، ثم بيان بعض ما حدث للمرسلين مع أممهم وحث على الصبر كما صبروا وحث على الاقتداء بهم.

۞ وكذا تذكير بالكتب التي أنزلها الله عليهم، وتعنت الكفار والمشركين مع المرسلين وطلبهم الآيات والمعجزات كقولهم: (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) [الأنعام: ٨].

۞ وبيان أن المعجزات لا تنفع من ختم الله على قلبه كما قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ).

[الأنعام: ١١١]

وكما قال: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [الأنعام: ٧].

وكما قال سبحانه: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ).

[الأنعام: ٤]

والتحذير من الشقاق والعناد وبيان الذنوب والمعاصي والتمرد على أوامر الله ﷻ، وأوامر رسله عليهم صلوات الله وسلامه سبب لزوال النعم، وسبب للهلاك والدمار والعذاب قال تعالى: (فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ) [الأنعام: ٦].

وقال تعالى: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: ١٤٦، ١٤٧].

وفي ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وفي السورة الكريمة بيان لضلالات المشركين وجهلهم وشدة غبائهم، وأقيستهم الباطلة التي يردون بها قول الله ﷻ وقوله رسوله ﷺ.

وفي السورة الكريمة ما يذكر بأن عداوات المشركين للرسل مستمرة وقائمة.

قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام: ١٢٣].

وكقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ) [الأنعام: ١١٢].

وفي السورة بيان لبعض الأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي:

كقوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ) [الانعام: ١٢١].

وكقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ) [الأنعام: ١١٩].

وكقوله تعالى: (۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) [الأنعام: ١٥١].

وكقوله تعالى: (قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ) [الأنعام: ١٤٥].

وتذكير بالصلاة والزكاة فضلا عن سائر أركان الإيمان والإسلام.

قال تعالى: (وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنعام: ٧٢].

وقال تعالى: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ) [الأنعام: ١٤١].

وفي ثنايا السورة المباركة الكريمة إرشاد لنا في دنيانا في طرائق التعامل مع النفس، ومع الناس، فمن ذلك:

قوله تعالى: (وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) [الأنعام: ١٤١].

وكقوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: ١٠٨].

وكقوله تعالى في بيان من نجالسهم: (وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ) [الأنعام: ٥٢].

وكقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ) [الأنعام: ٦٨].

وتحذير من اتباع أهواء أهل الكفر قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وقال: (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنعام: ٣٢].

إلى غير ذلك مما تضمنته السورة المباركة الكريمة فالمقام لا يتسع لذكر ما حوته هذه السورة الكريمة.

ثم إنها ختمت بجميل الختام ختام يحمل تذكيرا بالمرجع والمآب، والثواب والعقاب ويحمل ترهيبا وترغيبا لعل عاصيا أن ينزجر، وكافرا يقلع عن كفره، وكذا لعل مستغفرا أن يستغفر ومستدركا أن يستدرك وكذلك حتى لا يقنط قانط من رحمة الله ﷻ فدائما باب التوبة مفتوح.

قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ) [الأنعام: ١٦٥].

وبالجملة فالسورة المباركة الكريمة انتظمت أصول الدين وفروعه انتظمت أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

انتظمت أمور الدين والدنيا على السواء، وبين فيها الحلال والحرام.

وهكذا دائما سور الكتاب العزيز سور جمامعة شاملة.

ألا فهلموا بارك الله فيكم إلى كتاب ربكم ﷻ ففيه الهدى والنور، وفيه الأمن والأمان واطمأنينة القلوب.

جعلنا الله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وفقهنا الله في الدين وعلمنا التأويل والحكمة وصل اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين وإلى السورة المباركة..

قَالَ تَعَالَى: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن
طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ٢
وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا
ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ
فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ٦ وَلَوْ
نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ
وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا
لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١١ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢)

(١١) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿خَلَقَ﴾	أنشأ وأوجد.
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يساوون (يساوون الله بخلقه) يميلون (عن التوحيد إلى الشرك)- ينحرفون (عن عبادة الله إلى الشرك به).
﴿تَمْتَرُونَ﴾	تجادلون – تشكُّون.
﴿تَكْسِبُونَ﴾	تعملون (من خيرٍ أو شرٍّ).
﴿ءَايَةٍ﴾	معجزةٍ- حجةٍ وعلامةٍ ودلالة (على وحدانية الله ﷻ).
﴿مِّدْرَارًا﴾	متواصلًا- شيئًا بعد شيء- غزيرًا دائمًا كثيرًا.
﴿قَرْنًا﴾	جيلًا، وقيل: القرن مائة عام.
﴿قِرْطَاسٍ﴾	كتاب- ورق- صحيفة- كل ما يكتب عليه.
﴿مُّبِينٌ﴾	مظهر- موضح (لكهانة من قام به وتمكنه من السحر)، كذا قالوا.
﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾	لانتهت حياتهم وانقضت آجالهم.
﴿لَا يُنظَرُونَ﴾	لا يمهلون- لا يؤخرون- لا يؤجّلون.
﴿وَلَلَبَسْنَا﴾	خلطنا- شبَّهنا.
﴿فَحَاقَ﴾	حلَّ- نزل.
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه.

س: هل صح عن رسول الله ﷺ حديث في أن سورة الأنعام شيعها عند نزولها سبعون ألف ملك؟

ج: وردت عن رسول الله ﷺ عدة أسانيد بذلك مفادها أن هذه السورة شيعها عند نزولها سبعون ألفا من الملائكة قد سدوا الأفق لهم زجل بالتسبيح والتحميد.

وإلا أن كل إسناد من هذه الأسانيد لا يخلو من ضعف بل وضعفٍ شديد، وقد أوردها الحافظ ابن كثير خ في تفسيره.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)؟

ج: قال بعض العلماء: معناه الحمد الكامل لله ﷻ وحده لا شريك له؛ وذلك لأن الشخص قد يحمد شخصا على معروف صنعه معه لكن المحمود على كل الأحوال وفي كل الأوقات حمدا كاملا دائما هو الله وحده لا شريك له.

وقال بعض العلماء:

إن المعنى: قولوا الحمد لله.

وقال آخرون: إن المعنى: أخلصوا الحمد والشكر لله.

هذا، وقد قال الطبري في معنى ذلك:

يعني تعالى ذكره بقوله: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)، الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام.

وهذا كلام مخرجه مخرج ينحي به نحو الأمر.

يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم، أيها الناس، وخلق السموات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحدا أو شيئا، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه، وتجعلونه له شريكا من خلقه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) بدأ سبحانه فاتحتها بالحمد على نفسه، وإثبات الألوهية؛ أي أن الحمد كله له فلا شريك له.

فإن قيل: فقد افتتح غيرها بالحمد لله فكان الاجتزاء بواحدة يغني عن سائره؛ فيقال: لأن لكل واحدة منه معنى في موضعه لا يؤدي عنه غيره من أجل عقده بالنعم المختلفة، وأيضا فلما فيه من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون.

س: ما وجه الامتنان بخلق السموات وخلق الأرض؟

ج: وجه ذلك أن الله جعل السماء سقفا محفوظا، وجعل فيه من الآيات ما يدعو إلى التفكر والتدبر في وحدانية الله ﷻ فبذلك يستدل على وحدانيته ويقر له بذلك، ومن ثم يسلم لنا أمرنا وننجو من عذاب ربنا.

وكذلك خلق السموات وأنزل منها من الأرزاق ما أنزل، فبذلك أيضا تصفو لنا حياتنا الدنيا.

وكذا في الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ومع ذلك يفضل بعضها على بعض في الأكل، وكل ذلك، وغير ذلك يدعو إلى التفكر في وحدانية الله ﷻ والإقرار له بالوحدانية.

وكذلك جعلها لنا كفاتا أحياء وأمواتا.

وكذا أخرج منها من الكنوز ما أخرج، وكل ذلك نافع لنا ومفيد في دنيانا، ونهتدي به للنافع في أخرانا إذا أراد الله لنا الهداية.

هذا وقد قال القرطبي خ في تفسير:

قوله تعالى: (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) [الأنعام: ١].

أخبر عن قدرته وعلمه وإرادته فقال: الذي خلق أي اخترع وأوجد وأنشأ وابتدع.

والخلق يكون بمعنى الاختراع، ويكون بمعنى التقدير، وقد تقدم، وكلاهما مراد هنا؛ وذلك دليل على حدوثهما؛ فرفع السماء بغير عمد، وجعلها مستوية من غير أودٍ، وجعل فيها الجبال أوتادا، وسبلا فجاجا، وأجرى فيها الأنهار والبحار، وفجر فيها العيون من الأحجار دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وأنه هو الله الواحد القهار، وبين بخلقه السموات والأرض أنه خالق كل شيء.

س: ما المراد بـ (ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ) [الأنعام: ١]؟

ج: قيل المراد بالظلمات ظلمات الليل.

والنور نور النهار.

وهذا قول جمهور المفسرين: نقله عنهم القرطبي وغيره، أي أن المراد سواد الليل وضياء النهار.

وقيل ظلمات الكفر ونور الإيمان.

قال القرطبي: واللفظ يعمه.

س: ما معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؟

ج: المعنى، أنه أظلم ليلهما (أي جعل ليلهما مظلما) وأنار نهارهما (أي جعل نهارهما مبصرا).

س: لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؟

ج: ذلك-والله أعلم- لأمور ذكره العلماء:

أحدها: بيان فضل النور وشرفه، وهذا كقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائل.

الثاني: لكون طريق الحق واحد، وطرائق الباطل متعددة وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الثالث: أنه ترك جمعه استغناء بجمع السماء قبله في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

الرابع: أن الظلمة اسم، والنور مصدر والمصادر لا تجمع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؟

ج: المعنى، ثم الذين كفروا- بعد أن علموا أن الله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور تفضلا منه عليهم بعد ذلك يجعلون له شريكا ويعدلون عن عبادته وحده لا شريك له فيعبدون معه غيره، وينصرفون عن توحيده إلى الشرك به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، معجبًا خلقه المؤمنين من كفرة عباده، ومحتجا على الكافرين: إن الإله الذي يجب عليكم، أيها الناس، حمده وهو الذي خلق السموات والأرض، الذي جعل منهما معايشكم وأقواتكم، وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم.

فمن السموات ينزل عليكم الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم.

ومن الأرض ينبت الحب الذي به غذاؤكم، والثمار التي فيها ملاذكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم، أيها الناس (بِرَبِّهِمْ)، الذي فعل ذلك وأحدثه (يَعْدِلُونَ)، يجعلون له شريكا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيءٍ من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره. فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكر فيها بعقل، وتدبرها بفهم!

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عطية: فـ«ثم» دالة على قبح فعل الكافرين لان المعنى: أن خلقه السموات والأرض قد تقرر وآياته قد سطعت وإنعامه بذلك قد تبين ثم بعد ذلك كله عدلوا بربهم فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم والله أعلم.

وقال الشنقيطي خ في تفسيره «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، في قوله تعالى: (يَعْدِلُونَ)، وجهان للعلماء:

أحدهما: أنه من العدول عن الشيء بمعنى الانحراف، والميل عنه، وعلى هذا فقوله: (بِرَبِّهِمْ) متعلق بقوله: (كَفَرُواْ)، وعليه فالمعنى: إن الذين كفروا بربهم يميلون وينحرفون عن طريق الحق إلى الكفر والضلال، وقيل على هذا الوجه: إن «الباء» بمعنى «عن» أي: يعدلون عن ربهم، فلا يتوجهون إليه بطاعة، ولا إيمان.

والثاني: أن «الباء» متعلقة بيعدلون، ومعنى يعدلون يجعلون له نظيرا في العبادة، من قول العرب: عدلت فلانا بفلان إذا جعلته له نظيرا وعديلا، ومنه قول جرير:

أثعلبة الفوارس أم رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا

يعني أجعلت طهية والخشاب نظراء وأمثالا لبني ثعلبة وبني رياح، وهذا الوجه الأخير يدل له القرآن، كقوله تعالى، عن الكفار الذين عدلوا به غيره: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي

(١٦) أحمر
أسود

ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾) [الشعراء: ٩٧، ٩٨]،

وقوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ) [البقرة: ١٦٥]، وأشار تعالى في آيات كثيرة إلى أن الكفار ساووا بين المخلوق والخالق، قبحهم الله تعالى، كقوله: (أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ)، وقوله: (أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)، وقوله: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ) [الروم: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات، وعدل الشيء في اللغة مثله ونظيره، قال بعض علماء العربية: إذا كان من جنسه، فهو عدل بكسر العين، وإذا كان من غير جنسه، فهو عدل بفتح العين، ومن الأول قول مهلهل:

على أن ليس عدلًا من كليب ... إذا برزت مخبأة الخدور

على أن ليس عدلًا من كليب ... إذا اضطرب العضاه من الدبور

على أن ليس عدلًا من كليب ... غداة بلابل الأمر الكبير

يعني أن القتلى الذين قتلهم من بكر بن وائل بأخيه كليب الذي قتله جساس بن مرة البكري لا يكافئونه، ولا يعادلونه في الشرف.

ومن الثاني قوله تعالى: (أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا) [المائدة: ٩٥]. لأن المراد نظير الإطعام من الصيام، وليس من جنسه، وقوله: (وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ) [الأنعام: ٧٠]، وقوله: (وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ) [البقرة: ١٢٣]، والعدل: الفداء، لأنه كأنه قيمة معادلة للفدى تؤخذ بدله.

س: من الذين عناهم الله بقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ)؟

ج: ذلك آدم عليه السلام، فهو الذي خلق من طين.

أما ذريته فخلقت من مبني يمنى، قال تعالى: (أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ) [المرسلات: ٢٠].

فقوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن طِينٖ) أي: خلق أصلكم وأباكم آدم عليه السلام من طين.

س: ما المراد بالأجل، وما المراد بالأجل المسمى عنده؟

ج: قال بعض العلماء:

أما قوله: (ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا) هذا الأجل هو العمر الذي قضاه المرء في دنياه.

(وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ) هو مدة بقائه في قبره إلى أن يبعث.

وقيل ثم قضى أجلا هو الحياة الدنيا، والأجل المسمى هو مدة الوقوف للحساب يوم القيامة.

وقيل: المراد بالأجل الذي قضاه الله هو مدة استقرار الذرية في الصلب.

والمراد بالأجل المسمى الأجل الذي يعيشه الشخص في دنياه.

وأورد ابن الجوزي (في زاد المسير) ستة أقوال في تفسير الأجل والأجل المسمى:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت والأجل الثاني: أجل الموت إلى البعث.

والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تقبض فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان.

والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا.

والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة.

والخامس: أن الأول: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا.

والسادس: أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت من بعد.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (تَمْتَرُونَ)؟ ووضح يمترون في ماذا؟

ج: تقدم أن معنى تمترون تشكون (من الشك) فالمرية الشك، ويقال أيضا تمترون تجادلون. المراء الجدل وقوله: (تَمْتَرُونَ) أي: تشكون في البعث، وفي قدره الله عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السماوات والأرض، وإظلام الليل وإنارة النهار، وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم، وإيجاده إياكم بعد عدمكم.

و«المرية» في كلام العرب، هي الشك.

س: ما الفائدة من مخاطبة المشركين بقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ)؟

ج: فائدة ذلك توبيخ أهل الشرك والتنديد بباطلهم فكيف تشكون في بعثكم وحسابكم والله هو الذي خلقكم من طين.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، وهو المعبود الذي يعبده أهل السموات وأهل الأرض، وذلك كقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) [الزخرف: ٨٤] أي وهو الذي في السماء معبود، وفي الأرض معبود.

وقيل المعنى: هو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين، تعالى عن قولهم علوا كبيرا، بأنه في كل مكانٍ، حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال: أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول، كقوله تعالى:(وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) [الزخرف: ٨٤] أي هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) خبرا أو حالا.

[والقول الثاني] أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهرٍ، فيكون قوله (يَعْلَمُ)، متعلقا بقوله (فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ) تقديره، وهو الله

(١٩) أحمر
أسود

يعلم سركم وجهركم، في السموات وفي الأرض، ويعلم ما تكسبون.

[والقول الثالث] أن قوله (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) وقف تام، ثم استأنف الخبر، فقال (وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) وهذا اختيار ابن جريرٍ، وقوله (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) أي جميع أعمالكم خيرها وشرها.

وقال الشنقيطي خ في «أضواء البيان».

واعلم أن ما يزعمه الجهمية من أن الله تعالى في كل مكان، مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض، ضلال مبين، وجهل بالله تعالى؛ لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض، الذي هو أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، فالسماوات والأرض في يده - جل وعلا - أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها، أو في كل جزء من أجزائها، لا وكلا، هي أصغر وأحقر من ذلك، فإذا علمت ذلك، فاعلم أن رب السماوات والأرض أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، ولا يكون فوقه شيء: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [سبأ: ٣]، علوا كبيرا لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا) [طه: ١١٠].

س: الذي يعلم السر يعلم الجهر، فلماذا ذكر الجهر في قوله: (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ)؟

ج: قال بعض أهل العلم، إن الجهر ذكر على سبيل المقابلة كما قال تعالى: (فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ) [البقرة: ٢٠٣]. على أحد الوجوه في تفسيرها. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا) [الأنعام: ٤]؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هؤلاء الكفار لم ينتفعوا بالآيات والمعجزات التي أتاهم بها الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه بل ازدادوا تكذيبا وعنادا، فلما رأوا القمر منشقا أعرضوا وقالوا: هذا سحر مستمر، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم (ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ)، يقول: حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوتك، يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي (إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ)، يقول: إلا أعرضوا عنها، يعني عن الآية، فصدوا عن قبولها والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته، جهلا منهم بالله، واغترارا بحلمه عنهم.

س: ما المراد بالحق الذي كذب به هؤلاء المعرضون؟

ج: قيل هذا الحق هو محمد ﷺ، وقيل هذا الحق هو القرآن الذي نزل على النبي ﷺ وبين هذين القولين تلازم، فالمكذب بمحمد ﷺ يعد مكذبا للقرآن.

هذا، وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله، الحق لما جاءهم، وذلك «الحق»، هو محمد ﷺ: كذبوا به، وجحدوا نبوته لم جاءهم.

س: الآيات والمعجزات لا تنشيء إيمانا لمن ختم الله على قلبه دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا

(٢١) أحمر
أسود

سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) [الحجر: ١٤، ١٥].

وقوله تعالى: (وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) [يونس: ١٠١].

وقوله تعالى: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا) [الأنعام: ٤].

وقوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [الأنعام: ٧].

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقوله تعالى: (۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) [الأنعام: ١١١].

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير خ في تفسير هذه الآية الكريمة: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ):

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين: أنهم مهما أتتهم (مِّنْ ءَايَةٍ)، أي: دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

س: ما استفاد من إخبارنا بأن أهل الكفر لا ينتفعون بالآيات؟

ج: من المستفاد من ذلك طمأنينة قلوبنا وعلمنا بأن أمر الهداية موكول إلى الله عز وجل.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، سيأتي هؤلاء الكفار، ويتحقق لهم ما وعدناهم به من العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

قال الطبري رحمه الله:

قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم إياه وجحودهم نبوته: سوف يأتي المكذبين بك، يا محمد، من قومك وغيرهم (أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)، يقول: سوف يأتيهم

أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزئون من آياتي وأدلتي التي آتيتهم. ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا في غيهم، وعتوا على ربهم، فقتلتهم يوم بدرٍ بالسيف.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥] وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه، وليذوقن وباله.

س: هل أتاهم أنباء ما كانوا به يستهزئون؟

ج: نعم قد أتاهم فمن مات منهم أتاه ما كان به يستهزأ من سؤال الملكين في القبر وغير ذلك كنزول ملائكة العذاب عليه عند الاحتضار.

ومنهم من أتاه يوم بدرٍ حتفه، وما كان به يستهزئ وقد أصاب الله القرشيين بسنواتٍ عجاف، كان فيها قحط، وكانت فيه شدة شديدة حتى رأوا الدخان في السماء من شدة الجوع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾؟

ج: قيل في معناها أعطيناهم من الدنيا ما لم نعطكمن وقيل قويناهم وكانوا أكثر منكم جمعا وأشد قوة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي الجاحدون نبوتك، كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطاءة لم أوطئها لكم، وأعطيتهم فيها ما لم أعطكم؟

وقال أيضًا:

أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض ريع نباتها، وجابوا صخور جبالها، ودرت عليهم السماء بأمطارها، وتفجرت من تحتهم عيون المياه

بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم، وعصوا رسول خالقهم، وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حق عليهم قولي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصيحة، وغير ذلك من أنواع العذاب.

قال الحافظ ابن كثير خ :

قال تعالى واعظا لهم ومحذرا لهم، أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم، من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستغلالا للأرض، وعمارة لها، فقال: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) أي: من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض والسعة والجنود، ولهذا قال وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي شيئا بعد شيء (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ) أي أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض، أي استدراجا وإملاء لهم.

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ)؟

ج: المراد –والله أعلم– وأرسلنا المطر من السماء.

س: كثيرا ما تهلك الأمم ويهلك الأفراد بسبب الذنوب، وكذا تحل عليهم البلايا والنقم بسبب الذنوب، دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ).

وقوله تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾) [الطلاق: ٨، ٩].

وقوله تعالى: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾) [الفجر: ١٠- ١٣].

وقوله تعالى: (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ

(٢٤) أحمر
أسود

خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ) [سبأ: ١٦، ١٧] إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ)؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ) أي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها (وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) أي: فذهب الأولون كأمس الذاهب، وجعلناهم أحاديث (وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) أي: جيلا آخر؛ لنختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم، فهلكوا كهلاكهم، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فم أنتم بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– إن الآيات والمعجزات لا تنشئ إيمانا عند من أراد الله له الغواية، فهؤلاء الكفار المعرضون الذين طلبوا أن تنزل على كل منهم صحف منشرة تأمره بأمر الله وتنهاه عما أراد الله أن ينتهي عنه، أراد كل واحد منهم ذلك لنفسه بخصوصه، كما قال تعالى: (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) [المدثر: ٥٢] هؤلاء مهما جاءتهم الآيات فلن يؤمنوا، ولو نزلنا عليك كتابا من السماء مدلى بحبل من السماء، وموجود بين السماء والأرض فأتى هؤلاء القوم ولمسوه بأيديهم وتأكدوا من كونه كتاب منزل من عند الله، لجادلوا في ذلك أيضا، وما استجابوا لذلك، بل لوصفوا ذلك بأنه سحر مبين، وهذا دوما شأنهم، كما وصفهم الله ع، قال تعالى: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) [الحجرات: ١٤، ١٥].

وكما قال (وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) [الطور: ٤٤].

هذا، وقد قال الطبري خ :

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ، عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام.

يقول تعالى ذكره: وكيف يتفقهون الآيات، أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوتك، بحجج الله وآياته وأدلته، وهم لعنادهم الحق وبعدهم من الرشد، لو أنزلت عليك، يا محمد، الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي، في قرطاس يعاينونه ويمسونه بأيديهم، وينظرون إليه ويقرءونه منه، معلقا بين السماء والأرض، بحقيقة ما تدعوهم إليه، وصحة ما تأتيهم به من توحيدي وتنزيلي، لقال الذين يعدلون بي غيري فيشركون في توحيدي سواي:(إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)، أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر سحرت به أعيننا، ليست له حقيقة ولا صحة (مُّبِينٌ)، يقول: مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له.

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؟

ج: ذلك والله أعلم، لتأكيد رؤيتهم له ومعاينتهم له، فلم يقف الأمر على رؤية العين، بل تأكدوا من ذلك بلمسهم له، هذا، وقد قال بعض العلماء: إن مراتب العلم ثلاثة، علم اليقين –عين اليقين– حق اليقين، وعلم اليقين مثلا أن تعلم أن هناك كعبة مثلا، وعين اليقين أن تراها بعينك، وحق اليقين أن تدخل الكعبة وتلمسها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) أي عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) أي فعاينوا ذلك ومسوه باليد وبالغوا في ميزه وتقليبه جسا بأيديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل إشكال.

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره:

---

(١) أي: مسوه بالبشرة، أي: لمسوه.

(٢٦) أحمر
أسود

(فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) فإن قال قائل: لم لم يقل: فرأوه بأعينهم؟ قيل: لأن اللمس أبلغ؛ لأن الملموس يصير مرئيا، والمرئي لا يصير ملموسا؛ فذكر اللمس ليكون أبلغ.

س: وصح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هؤلاء الكفار طلبوا من رسول الله ﷺ أن يأتي معه بملكٍ من السماء يؤازره في دعوته ويصدقه ويطلب من الكفار أن يؤمنوا به ويتابعوه ويكون معه نذيرا.

قال تعالى: (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) [الفرقان: ٧].

ولو أجبناهم إلى طلبهم وأعطيناهم ما سألوا وأنزلنا الملك كما أرادوا فكذبوا به لجاءهم العذاب ولم يملهوا ولم يؤخروا، ولم يكن هناك ثم مجال- إذا كذبوا- للإمهال والتأخير والإنظار، بل لنزل عليهم العذاب فورا كما قال تعالى: (مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ) [الحجر: ٨] وكما قال تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ) [الفرقان: ٢٢].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المكذبون بآياتي، العادلون بي الأنداد والآلهة، يا محمد، لك لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم: هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته، يصدقك على ما جئتنا به، ويشهد لك بحقيقة ما تدعي من أن الله أرسلك إلينا!

كما قال تعالى ذكره مخبرا عن المشركين في قيلهم لنبي الله ﷺ: (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) [الفرقان: ٧]، (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) [الأنعام: ٨]، يقول: ولو أنزلنا

ملكا على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي، لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات، ثم كفرت بعد مجيئها، من تعجيل النقمة، وترك الإنظار.

س: ما هذا الأمر الذي قضى، وذلك في قوله تعالى: (لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ)؟

ج: الذي يبدو أن هذا الأمر هو أمر دعوتهم وأمر إيمانهم وأمر إمهالهم وأمر عنادهم، وأمر عذابهم أي ما يتعلق بهم من الأمور عموما، وذلك بإنزال العذاب عليهم.

قال الشنقيطي خ:

قوله تعالى: (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) يعني: أنه لو نزل عليهم الملائكة وهم على ما هم من الكفر والمعاصي. لجاءهم من الله العذاب من غير إمهال ولا إنظار.

لأنه حكم بان الملائكة لا تنزل عليهم إلا بذلك، كما بينه تعالى بقوله: (مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ) [الحجر: ٨].

وقوله: (يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ) [الفرقان: ٢٢].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولو قدرنا أن ننزل إلى هؤلاء المشركين ملكا من الملائكة لجاءهم هذا الملك في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة على الحال التي خلق الله الملائكة عليها، فإذا كان الأمر بهذه المثابة،ونزل الملك في صورة رجل لازداد الأمر التباسا واشتباها ففريق سيقول إنه ملك، وفريق آخر سيقول ليس بملك بل هو بشر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بي، القائلين: لولا أنزل على محمدٍ ملك بتصديقه- ملكا ينزل عليهم من السماء، يشهد بتصديق محمد ﷺ،

ويأمرهم باتباعه (لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا)، يقول: لجعلناه في صورة رجل من البشر، لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته. يقول: وإذا كان ذلك كذلك، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكا إنما أنزله بصورة إنسي، وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة: بأنك صادق، وأن ما جئتهم به حق.

وقال أيضا:

يعني تعالى ذكره بقوله:(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم): ولو أنزلنا ملكا من السماء مصدقا لك، يا محمد، شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بي، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك، فجعلناه في صورة رجل من بني آدم، إذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقته بها، التبس عليهم أمره، فلم يدروا أملك هو أم إنسي! فلم يوقنوا به أنه ملك، ولم يصدقوا به، وقالوا:«ليس هذا ملكا»! وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك، وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك.

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) أي: ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا، أي: لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة رجلٍ لتفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري، كما قال تعالى: (قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا) [الإسراء: ٩٥] ، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنفٍ من الخلائق رسلا منهم، ليدعو بعضهم بعضا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعضٍ في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا) أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة، لأن كله جنسٍ يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به،

ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم.

وكانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة البشر فأتوا إبراهيم ولوطا في صورة الآدميين، وأتى جبريل النبي عليه الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي. أي لو أنزل ملك لرأوه في صورة رجلٍ كما جرت عادة الأنبياء، ولو نزل على عادته لم يروه، فإذا جعلناه رجلا التبس عليهم فكانوا يقولون: هذا ساحر مثلك.

وقال الزجاج: المعنى (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم) أي على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفتهم وكانوا يقولون لهم: إنما محمد بشر وليس بينه وبينكم فرق فيلبسون عليهم بهذا ويشككونهم، فأعلمهم الله ﷻ أنه لو أنزل ملكا في صورة رجلٍ لوجدوا سبيلا إلى اللبس كما يفعلون. واللبس الخلط، يقال: لبست عليه الأمر ألبسه لبسا أي خلطته، وأصله التستر بالثوب ونحوه وقال:«للبسنا» بالإضافة إلى نفسه على جهة الخلق، وقال(مَّا يَلْبِسُونَ) فأضاف إليهم على جهة الاكتساب. ثم قال مؤنسًا لنبيه عليه الصلاة والسلام ومعزيا.

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية؟

ج: في هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتصبير له ووعد له وللمؤمنين بالنصر والانتقام من المستهزئين، وذلك بتذكيره بما أصاب إخوانه المرسلين من قبله، فيقال له: إن كنت قد أوذيت فقد أوذي إخوانك من المرسلين فمن ثم فاصبر كم صبروا، واثبت كثباتهم ففيه إذن حث على الصبر والثبات. كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكذلك فيه بيان لعواقب الظالمين، وذلك من قوله تعالى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون أي أن هؤلاء المكذبين لك الساخرين منك سينزل بهم ويحل بهم أيضا جزاء تكذيبهم وعنادهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هون عليك، يا محمد، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفين بحقك في وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيهم، وأصروا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة لهم، وحلول المثلات بهم. فقد استهزأت أمم من قبلك برسلٍ أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل ما فعل قومك بك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)؟

ج: قيل: المعنى فنزل بالكفار المكذبين العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به وبمن أخبرهم به هذا وجه.

ووجه آخر فنزل بالكفار المكذبين المستهزئين جزاء استهزائهم وسخريتهم بالمرسلين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) يعني بقوله: «فحاق»، فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم، (مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)، يقول: العذاب الذي كانو يهزأون به، وينكرون أن يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم.

يقال منه: «حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقا وحيوقا وحيقانا».

س: اذكر بعض الآيات الدالة على استهزاء الكفار بالمرسلين؟ مع بيان بعض صور هذا الاستهزاء؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى في شأن نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ) [هود: ٣٨].

(٣١) أحمر
أسود

وقولـه تعـالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) [الأنعام: ٣٤].

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) [الذاريات: ٥٢]

هذا، ومن صور الاستهزاء ما أورده الشنقيطي حيث قال:

فمن استهزائهم بنوح قولهم له: «بعد أن كنت نبيا صرت نجارا»، وقد قال الله تعالى عن نوح: (إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) [هود: ٣٨]، وذكر ما حاق بهم بقوله: (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [العنكبوت: ١٤] وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم بهود ما ذكره الله عنهم من قولهم: (إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) [هود: ٥٤]، وقوله عنهم أيضا: (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ) [هود: ٥٣]. وذكر ما حاق بهم من العذاب في قوله: (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) [الذاريات: ٤١]، وأمثالها من الآيات.

ومن استهزائهم بصالح، قولهم فيما ذكر الله عنهم: (يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [الأعراف: ٧٧]. وقولهم: (يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا) [هود: ٦٢]، وذكر ما حاق بهم بقوله: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [هود: ٦٧] ونحوها من الآيات.

ومن استهزائهم بلوط قولهم فيما حكى الله عنهم: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ) [النمل: ٥٦].

وقولهم له أيضا: (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) [الشعراء: ١٦٧]، وذكر ما حاق بهم بقوله: (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) [الحجر: ٧٤] ونحوها من الآيات.

ومن استهزائهم بشعيب قولهم فيما حكى الله عنهم: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) [هود: ٩١]، وذكر ما حاق بهم بقوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الشعراء: ١٨٩] ونحوها من الآيات.

س: قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) خطاب موجة لمن؟

ج: هذا يحتمل أن يكون موجها للكفار المعرضين عن طريق الله ﷻ المكذبين للرسل، فيقال لهم: يا هؤلاء يا من كذبتم رسلي وكفرتم بآياتي وحججي، انظروا في سير من كانوا قبلكم الذين سلكوا مسلككم، وانظروا ما حل بهم وما نزل بسبب تكذيبهم فلعل هذا يمنعكم مما أنتم فيه من الكفر، ويزجركم عما أنتم فيه من الطغيان.

ويحتمل أن يكون موجها للمؤمنين، فيقال لهم: يا أهل الإيمان اصبروا على أذى من آذاكم وتكذيب من كذبكم وانتظروا به وتربصوا فسيحل به ما حل بالأمم المكذبة من قبله.

ففيها- على هذا الوجه تصبير لأهل الإيماان وتصبيت لهم. وتبشير بالفرج والنصر والانتقام من أهل الظلم والعناد والله أعلم.

س: كيف كان عاقبة المكذبين؟

ج: كانت عاقبتهم أن دمرهم الله ﷻ وأهلكهم- على اختلاف في صور التدمير والإهلاك – فمنهم من خسف به الأرض ومنهم من أغرقه الله، ومنهم من أرسل الله عليه حاصبا،ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أ×ذته الرجفة، إلى غير ذلك من صور الإهلاك والدمار.

قال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن).

(قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) [الأنعام: ١١].

أي: فإن شككتم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلا قوما مهلكين، وأمما في المثلات تالفين، قد أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به، سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار. وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (قُلْ)، يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد،

المكذبين بك، الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندي(سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)، يقول: جولوا في بلاد المكذبين رسلهم، الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس (ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ)، يقول: ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك، الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله عليهم، من البوار وخراب الديار وعفو الآثار. فاعتبروا به، إن لم تنهكم حلومكم، ولم تزجركم حجج الله عليكم، عما أنتم [عليه] مقيمون من التكذيب، فاحذروا مثل مصارعهم، واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ)؟

ج: هذا، والله تعالى أعلم استفهام يحمل معنى التوبيخ للكفار المشركين الذين اتخذوا مع الله إلها آخر، فقيل: قل (يا رسول الله) لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر، قل لهم لمن ما في السموات والأرض؟ فسيقرون أن ذلك لله، كما قال تعالى: (قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، فسواء قالوا ذلك أم لم يقولوه فقل أنت مظهرا دينك، وموضحا أمرك (لله) أي أن ما في السموات وما في الأرض ملكه لله، هو مالكه وهو المتصرف فيه بما يشاء، فإذا كان ذلك كذلك فكيف تجعلون مع الله إلها آخر.

ثم أخبر هؤلاء المشركين بأن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة فإذا سألوك لماذا لم يعاجلهم الله -بالعقوبة- وهم يعبدون معه غيره ويشركون به؟ فقل لهم إن ربكم ﷻ كتب على نفسه الرحمة وفتح لكم أبوابها ولم يعاجلكم عن طاعته، وترك عقوبتكم في الدنيا فإلى الله المرجع والمآب وسيجمعكم يوم القيامة ويحاسب كل نفس على ما قدمت من خيرٍ أو شرٍ في دنياها وهناك سيجازي أهل الشرك الذين ظلموا أنفسهم وجلبوا لأنفسهم العذاب بشركهم بالله، أسوأ الجزاء وذلك لتماديهم في الكفر ولعنادهم ولعدم إيمانهم حتى الممات.

هذا، وقد قال الطبري خ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُل)، يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم، (لِّمَن مَّا

(٣٤) أحمر
أسود

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)، يقول: لمن ملك ما في السموات والأرض؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كل شيء، وقهر كل شيء بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد، ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلها من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا.

وقوله: (كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) [الأنعام: ١٢]، يقول: قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة.

وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة، يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بي، الجاحدين نبوتك، يا محمد، إن تابوا وأنابو قبلت توبتهم، وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء.

س: اذكر بعض الأحاديث في معنى قوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) [الأنعام: ٥٤] وبعض الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله ﷻ؟

ج: من ذلك ما يلي:

حديث أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه- فهو عنده فوق العرش- إن رحمتي غلبت غضبي**».

وفي بعض الروايات: «**سبقت رحمتي غضبي**»[٢].

وقول رسول الله ﷺ: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»[٣].

وقول رسول الله ﷺ[٤]: «**جعل الله الرحمة مائة جزءٍ فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**».

---

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).
(٢) مسلم (في طرق الحديث السابق).
(٣) مسلم (حديث ٢٧٥٥).
(٤) البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له.

(٣٥) أحمر
أسود

وحديث سلمان[١] الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله مائة رحمة فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة**».

وفي الصحيحين[٢] من حديث عمر رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولده في النار؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

س: ما موقع اللام في قوله تعالى: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)؟

ج: قال ابن كثير رحمه الله:

هذه اللام هي: الموطئة للقسم.

وقال القرطبي رحمه الله: اللام لام القسم والنون للتوكيد.

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٥٣).

(٢) البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

قَالَ تَعَالَى:

(وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ
أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ
قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن
يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن
يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ
ٱلۡخَبِيرُ ١٨ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ
وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ
أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا
يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ
شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ
وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ
وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ
وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن
يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ

يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥ وَهُمۡ
يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ
٢٦ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ
مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨
وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ وَلَوۡ تَرَىٰٓ
إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ
ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا

(٣٧) أحمر
أسود

فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ
٣١ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٣٢ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ
لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ٣٣ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٤ وَإِن
كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي
ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ
عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٥) [الأنعام: ١٣-٣٥].

الكلمة	معناها

(٣٨) أحمر
أسود

﴿سَكَنَ﴾	استقر.
﴿وَلِيًّا﴾	ناصرًا- مُعينًا.
﴿فَاطِرِ﴾	خالق على غير مثالٍ سابق- مبتدئ الخلق على غير مثالٍ سابق.
﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	يَرْزُقُ ولا يُرْزَقُ.
﴿أَسْلَمَ﴾	انقاد (خضع) – استسلم – اعتنق الإسلام دينًا.
﴿يَوْمَئِذٍ﴾	يوم القيامة.
﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾	أهلكوا بالذنوب والمعاصي وتسببوا لها في دخول النار.
﴿ٱفْتَرَىٰ﴾	اختلق- كذب.
﴿نَحْشُرُهُمْ﴾	نجمعهم- نبعثهم.
﴿تَزْعُمُونَ﴾	تفترون.
﴿فِتْنَتُهُمْ﴾	حجتهم- قولهم- معذرتهم- جوابهم.
﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	ما جعلنا لله شريكًا، وما دعونا أحدًا من دون الله.
﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾	غاب عنهم – فارقهم- هرب منهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون (بادعاء الشريك لله) – يشركون.
﴿أَكِنَّةً﴾	أغطية- جمع كنان؛ وهو: الغطاء- الغلاف.
﴿يَفْقَهُوهُ﴾	يفهموه.
﴿وَقْرًا﴾	صممًا- ثقلًا في الآذان.
﴿ءَايَةٍ﴾	معجزة- حجة.
﴿أَسَٰطِيرُ﴾	قصص وخرافات وحكايات.
﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾	القرون المتقدمة.
﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾	يبتعدون عنه.
﴿بَدَا لَهُم﴾	ظهر لهم – تبين لهم.
﴿إِنْ هِيَ﴾	ما هي.

الكلمة	معناها

(٣٩) أحمر
أسود

﴿بَغْتَةً﴾	فجأةً.
﴿يَٰحَسۡرَتَنَا﴾	يا ندمنا.
﴿فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾	قصرنا في العمل لها- ضيعنا.
﴿أَوۡزَارَهُمۡ﴾	آثامهم- ذنوبهم- أحمالهم من الذنوب.
﴿أَلَا سَآءَ﴾	ما أسْوَأ.
﴿يَزِرُونَ﴾	يحملون.
﴿يَجۡحَدُونَ﴾	ينكرون.
﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾	لا مغير- لا مانع يمنعها من التحقق والوقوع.
﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾	آيات الكتاب العزيز (المتعلقة بالوعد بالنصر) – الكلمات التي تكلم بها وقضى بها الأمور قبل أن تخلق.
	خبر.
﴿نَبَإِيْ﴾	عَظُم – شَقَّ.
﴿كَبُرَ﴾	نفورهم- انصرافهم.
﴿إِعۡرَاضُهُمۡ﴾	تطلب- تلتمس- تجد.
﴿تَبۡتَغِيَ﴾	سِربًا.
﴿نَفَقًا﴾	مِصْعَدًا.
﴿سُلَّمًا﴾	تأتيهم بمعجزة.
﴿فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾	

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)؟

ج: لذلك والله أعلم تعلق بما قبله، فكأن المعنى: قل لهؤلاء المشركين كيف تكفرون بالله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العلم؟!

أما قوله تعالى: (سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ) فمعلوم أن كل شيءٍ في الأرض له سكون، أم أنه يسكن- أي: يهدأ- ليلا أو يسكن نهارا، فلأن كل شيء يسكن فكل شيء ملك له.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان، فيخلصوا له التوحيد، ويفردوا له الطاعة، ويقروا بالألوهية، جهلا (وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ)، يقول: وله ملك كل شيء، لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار.

فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ)، يقول: وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه، من ادعائهم له شريكا، وما يقول غيرهم من خلقه (ٱلۡعَلِيمُ)، بما يضمرونه في أنفسهم، وما يظهارونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو يحصيه عليهم، ليوفي كل إنسان ثواب ما اكتسب، وجزاء ما عمل.

س: لماذا خص السكون بالذكر دون الحركة في قوله تعالى: (وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ)؟

ج: أجاب على ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» بقوله:

فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن السكون أعم وجودا من الحركة.

والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك.

والثالث: أن في الآية إضمارا؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله تعالى: (تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ) [النحل: ٨١] أراد: والبرد؛ فاختصر.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ)؟

ج: المعنى، والله أعلم قل (يا رسول الله) لهؤلاء المشركين الجاحدين: كيف اتخذ وليا يتولاني وناصرا ينصرني، وربي خالق السموات والأرض على غير مثال سابق وهو الذي يرزق ولا يرزق، فكيف اتخذ وليا غيره؟!

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلۡ) يا محمد، لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشيئا غير الله تعالى ذكره: (أَتَّخِذُ وَلِيّٗا)

استنصره وأستعينه على النوائب والحوادث.

قال أيضا: ويعني بقوله: (فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) مبتدعهما ومبتدؤهما وخالقهما.

وقال كذلك: وأما قوله: (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) فإنه يعني وهو يرزق خلقه ولا يرزق.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال تعالى لعبده ورسوله محمدٍ ﷺ، الذي بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) كقوله (قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ) [الزمر: ٦٤] والمعنى لا أتخذ وليا إلا الله وحده لا شريك له، فإنه فاطر السموات والأرض، أي خالقهما ومبدعهما، على غير مثالٍ سبق.

(وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) أي وهو الرزاق لخلقه من غير احتياجٍ إليهم، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦] الآية.

وقرأ بعضهم هاهنا وهو يطعم ولا يطعم أي لا يأكل.

س: لماذا خص الإطعام من بين سائر النعم؟

ج: ذلك لاحتياج جميع الخلق إليه وأيضا لأن من يطعم يحتاج إلى تبرز، وإلى تبولٍ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله ﷺ، لهؤلاء المعرضين عن شرعك، المخالفين أمرك، من أهل الشرك وغيرهم، قل لهم: إنه قد قيل لي كن (أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) أي أول من استسلم لأمر الله ﷻ وخضع لأمر الله وانقاد له وخضع وتذلل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) أي من هذه الأمة.

وقيل لي أيضا: لا تكونن من المشركين الذي يجعلون مع الله إلها آخر.

(٤٢) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ)، يا محمد، للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله، ويحثونك على عبادتها: أغير الله فاطر السماوات والأرض، وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد، أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضا: إني أمرني ربي: «أن أكون أول من أسلم» يقول: أول من خضع له بالعبودية، وتذلل لأمره ونهيه، وانقاد له من أهل دهري وزماني (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)، يقول: وقل: وقيل لي: لا تكونن من المشركين بالله، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء.

وجعل قوله: (أُمِرْتُ) بدلا من: «قيل لي»، لأن قوله(أُمِرْتُ) معناه:«قيل لي». فكأنه قيل: قل إني قيل لي: كن أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين= فاجتزئ بذكر«الأمر» من ذكر«القول»، إذ كان«الأمر»، معلوما أنه«قول».

وقال الشنقيطي خ : (أضواء البيان):

قوله تعالى: (قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) الآية، يعني أول من أسلم من هذه الأمة التي أرسلت إليها، وليس المراد أول من أسلم من جميع الناس، كما بينه تعالى بآيات كثيرة تدل على وجود المسلمين قبل وجوده - ﷺ - ووجود أمته، كقوله عن إبراهيم: (إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [البقرة: ١٣١]، وقوله عن يوسف: (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ) [يوسف: ١٠١] ، وقوله: (يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟) [المائدة: ٤٤]، وقوله عن لوط وأهله: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

س: ما المراد باليوم العظيم، ولماذا قيل عنه عظيم؟:

ج: المراد يوم القيامة، وقيل عنه عظيم لشدة الأهوال فيه ولفظاعة شأنه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بك المنكرين لما جئت به من الحق، قل لهم: إني أمرت أن أكون أول من أسلم فإن عصيت ربي

وتخلفت عن الإسلام، وإن عصيت ربي وأشركت فقد أعد العذاب العظيم لمن عصى وأشرك، فلذا إني أخاف العذاب في هذا اليوم يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم: إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه (إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي)، فعبدتها (عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)، يعني: عذاب يوم القيامة. ووصفه تعالى بـ«العظم» لعظم هوله، وفظاعة شأنه.

س: في قوله تعالى: (يُصۡرَفۡ) قراءتان وضحهما؟

ج: القراءتان هما يصرف بفتح الياء (أي يصرف الله عنه العذاب).

والثانية: يصرف أي يصرف عنه يومئذ العذاب، وقد ذكر القراءتين الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

س: ما المراد باليوم في قوله تعالى: (يَوۡمَئِذٖ)؟

ج: المراد، والله أعلم، يوم القيامة.

س: وضح معنى كلمة (ٱلۡمُبِينُ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– المظهر الموضح للمؤمن بأنه قد فاز.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المبين) يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطلبة.

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: (مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ)؟

ج: الآية التي في معناها هي قوله تعالى: (فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ) [آل عمران: ١٨٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ)؟

ج: يبين لنا ربنا أن الذي يكشف الضر هو الله ﷻ لا كاشف له إلا هو، فإذا حل بأحدٍ مرض مثلا فلا كاشف له ولا شافي إلا الله ﷻ، قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ) [الشعراء: ٨٠].

(٤٤) أحمر
أسود

وقال سبحانه: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) [النمل: ٦٢].

وقال النبي ﷺ: «اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»(١).

وكذا فإذا أرادنا الله بخير فلا راد لفضله.

فإذا كان الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله فلماذا نعدل عنه إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك الله (بِضُرٍّ)، يقول: بشدة في دنياك، وشظف في عيشك وضيق فيه، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه، وأذعن له من أهل زمانك، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام، ودون كل شيء سواها من خلقه (وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ)، يقول: وإن يصبك بخير، أي: برخاء في عيش، وسعة في الرزق، وكثرة في المال، فتقر أنه أصابك بذلك: (فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، يقول تعالى ذكره:

والله الذي أصابك بذلك، فهو على كل شيء قدير هو القادر على نفعك وضرك، وهو على كل شيء يريده قادر، لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه، ليس كالآلهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها، ولا دفع ضر عنها ولا غيرها. يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان هكذا، أم كيف لا تخلص العبادة، وتقر لمن كان بيده الضر والنفع، والثواب والعقاب، وله القدرة الكاملة، والعزة الظاهرة؟!

يقول تعالى مخبرا: أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأنعام: ١٧]، كما قال تعالى: (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ) [فاطر: ٢].

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٧٥).

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

س: ما الحكم في هؤلاء الذين يسألون غير الله أن يكشف عنهم الضر ويجلب لهم النفع، ويطلبون المدد من غير الله ﷻ؟

ج: هؤلاء في خطر عظيم وفي ضلالٍ بعيد ويقعون بذلك في الشرك بالله، وذلك لأن الدعاء عبادة، ولأن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ولأن الله قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

فعلى هؤلاء أن يتوبوا ويوقنوا بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

س: اذكر حديثا في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾؟

ج: من ذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس[٢] رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلماتٍ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾؟

ج: قال الطبري خ في معناها:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ نفسه، يقول: والله الظاهر فوق عباده، ويعني

---

(١) البخاري (حديث ٨٤٤)، ومسلم (حديث ٥٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) بإسناد يصح لشواهده، وانظر شواهده في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، وقال الترمذي عقب إخراجه: هذا حديث حسن صحيح.

بقوله: (ٱلْقَاهِرُ)، المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم، وإنما قال: (فَوْقَ عِبَادِهِۦ)؛ لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم. ومن صفة كل قاهر شيئا، أن يكون مستعليا عليه.

(فمعنى الكلام إذا: والله الغالب عباده المذللهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دوه)، (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ)، يقول: والله الحكيم في علوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره، (ٱلْخَبِيرُ)، بمصالح الأشياء ومضارها، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديهان ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ) أي وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له لوجوه، وقهر كل شيءٍ، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه، وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت قهره وحكمه.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

(وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ) فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون.

فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة.

(وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ) فيما أمر به ونهى، وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر.

(ٱلْخَبِيرُ) المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله ﷺ لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين نبوتك: أي الأشياء شهادتها أعظم؟! وبتعبير آخر؛ أي شيء شهادته أعظلم

الشهادات التي ترضون بها، أي ترضون شهادة من التي هي أعظم الشهادة؟!!، فبلا شك شهادة الله أعظم الشهادة، فإذا شهد ربي على شيء فشهادته أعدل الشهادات وأصدق الشهادات وقد شهد ربي لنفسه بالوحدانية كما قال: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) [آل عمران: ١٨]، وشهد لنبيه ﷺ بالرسالة إذ قال: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ) [الفتح: ٢٩]، وشهد للقرآن بأنه من عنده، إذ قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) [الحجر: ٩] وقال: (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: ٤٢].

فربي الذي شهادته أعظم الشهادات وقوله أصدق الأقوال، شهيد يوم القيامة بيني وبينكم يعلم الحق من الباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة:(ٱللَّهِ)، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في [شهادة] غيره من خلقه من السهو والخطأ، والغلط والكذب.

ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة، شهيد بيني وبينكم، بالمحق منا من المبطل، والرشيد منا في فعله وقوله من السفيه، وقد رضينا به حكما بيننا.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

وقال الزجاج: أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن شهادة الله ﷻ في نبوته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ) ففي الإنذار به دليل على نبوته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي وفيه خبر ما كان وما يكون ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال.

س: ما وجه قوله تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ)؟

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ أوحى إلي هذا القرآن الذي يشهد بنبوتي وصدقي.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَنۢ بَلَغَ)؟

(٤٨) أحمر
أسود

ج: المعنى: ومن بلغه القرآن، فيكون قوله: (لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ) أي: لأنذركم بالقرآن ومن بلغه القرآن من غيركم وممن جاء من بعدكم من الأمم.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: أما (وَمَنۢ بَلَغَۚ) يقول: من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره. ثم قرأ (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا) [الأعراف: ١٥٨].

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله: (وَمَنۢ بَلَغَۚ) أي: ومن بلغ الحلم، أي: لأنذركم به وأنذر كل بالغٍ عاقل.

والأول أولى، والثاني ليس بمرفوع المعنى والله أعلم.

س: اذكر الدليل على عموم رسالة النبي محمد ﷺ؟

ج: على ذلك جملة أدلةٍ، منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]

وقوله تعالى: (لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ) [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان: ١]

وقوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ: ٢٨].

وقوله ﷺ: «وبعثت إلى الناس كافة»[١].

وقوله ﷺ: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[٢].

س: اذكر دليلا من الكتاب والسنة على مشروعية تبليغ الشريعة؟

ج: أما من كتاب الله ﷻ فقد قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ) [المائدة: ٦٧].

وقوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[٣].

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٨)، ومسلم (حديث ٥٢١).
(٢) مسلم (حديث ٥٢١).
(٣) البخاري حديث (٣٤٦١).

وقوله ﷺ: «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها»[١].

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، سل يا رسول الله هؤلاء المشركين، وقل لهم أئنكم- وبعد ما بيناه لكم من الحجج والآيات- تشهدون أن هناك معبودات غير الله تستحق العبادة فمن ثم فأنتم تعبدونها؟!!

فإذا كان أمركم كذلك فأنا أخالفكم في ذلك ولا أشهد أبدا شهادة كشهادتكم، بل أمرت أن أقول: إنما هو إله واحد، وإنني أبرأ إلى الله من عبادتكم لهذه الآلهة وأتبرأ منها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، الجاحدين نبوتك، العادلين بالله، ربا غيره: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾، أيها المشركون ﴿لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ﴾، يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام.

(ثم قال لنبيه محمد ﷺ: (قُل)، يا محمد (لَّا أَشْهَدُ ۚ)، بما تشهدون: أن مع الله آلهة أخرى، بل أجحد ذلك وأنكره (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ)، يقول: إنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة (وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)، يقول: قل: وإنني بريء من كل شريك تدعونه لله، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه معه، لا أعبد سوى الله شيئا، ولا أدعو غيره إلها).

س: من المعنيون بقوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) وما الكتاب؟

ج: أما الذين آتاهم الله الكتاب فهم اليهود والنصارى أما كتاب اليهود فالتوراة، وكتاب النصارى هو الإنجيل.

س: قوله تعالى: (يَعْرِفُونَهُ) يعرفون ماذا؟

---

(١) صحيح متواتر.

(٥٠) أحمر
أسود

ج: قيل يعرفون أن الله إله واحد، وهذا المعنى يتأتى بالنظر إلى الآية التي سبقت هذه الآية.

والقول الآخر: يعرفونه، أي: يعرفون نبي الله محمدا ﷺ وصفته، وأنه رسول من عند الله كما يعرفون أبناءهم.

وقيل: يعرفون القرآن، وأنه من عند الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ)، التوراة والإنجيل- يعرفون أنما هو إله واحد- لا جماعة الآلهة، وأن محمدا نبي مبعوث، (يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ).

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة:

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ)، يعرفون أن الإسلام دين الله، وأن محمدا رسول الله، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.

وقد قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: ١٥٧].

هذا، ولقد قال الله ﷻ: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ) [الفتح: ٢٩].

وورد عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في «صحيح البخاري»[١] أنه قال: إنه -يعني: رسول الله ﷺ- لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الأحزاب: ٤٥]، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظٍ، ولا سخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا».

(١) البخاري (٢١٢٥).

(٥١) أحمر
أسود

وقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه فيها الإشارة إلى ذلك؛ ففيها[١]:

أن صاحب عمورية قال لسلمان: أي بنى والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان [ص ٤٤٣] استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ما شاء الله ان أمكث ثم مر بي نفر من كلب تجارا فقلت لهم تحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فأعطيتهموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبدا فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي فبينما أنا عنده قدم عليه بن عم له من المدينة من بنى قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة فوالله انى لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل بن عم له حتى وقف عليه فقال فلان قاتل الله بنى قيلة والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي قال فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت سأسقط على سيدي قال ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول ماذا تقول قال فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك قال قلت لا شيء إنما أردت أن استثبت عما قال وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا وامسك يده فلم يأكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه

(١) أحمد (٥/ ٤٤١) بسندٍ حسن.

(٥٢) أحمر
أسود

هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال فقلت في نفسي هاتان اثنتان ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قال وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي قال فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه اقبله وأبكى فقال لي رسول الله ﷺ تحول فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا بن عباس قال فأعجب رسول الله ﷺ ان يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر واحد قال ثم قال لي رسول الله ﷺ كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية فقال رسول الله ﷺ لأصحابه أعينوا أخاكم فاعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعنى الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكون انا أضعها بيدي ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فاديت النخل وبقى على المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال ما فعل الفارسي المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه فادبها ما عليك يا سلمان فقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما على قال خذها فان الله عز و جل سيؤدى بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد.

س: وضح معنى قوله تعالى: (خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)؟

ج: المعنى: أهلكوها وتسببوا لها في دخول النار، وذلك بإنكارهم أن محمدا رسول الله، مع معرفتهم به، وذلك أيضا بسبب شركهم بالله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ) من نعت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول.

(٥٣) أحمر
أسود

ويعنى بقوله:(خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)، أهلكوها وألقوها في نار جهنم، بإنكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل، وهم بحقيقة ذلك عارفون (فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)، يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون.

وقد قيل: إن معنى«خسارتهم أنفسهم»، أن كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار. فإذا كان يوم القيامة، جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار، فذلك خسران الخاسرين منهم، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار، بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله، وظلمهم أنفسهم، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره:(ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)، [سورة المؤمنون: ١١].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ)؟

ج: المعنى – والله أعلم- لا أحد أشد ظلما من شخصٍ اختلق قولا كاذبا ونسبه إلى الله ﷻ، ورب العزة [redacted] لم يقله وكذا لا أحدٍ أشد ظلما من شخص كذب بآيات الله ووصفها بأنها سحر وكهانة وأساطير الأولين.

إنه لا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وأوردوها لظى والجحيم وذلك بتقولهم على الله وتكذيبهم بآيات الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أشد اعتداء، وأخطأ فعلا وأخطأ قولا (مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)، يعني: ممن اختلق على الله قيل باطل، واخترق من نفسه عليه كذبا، فزعم أن له شريكا من خلقه، وإلها يعبد من دونه – كما قاله المشركون من عبدة الأوثان – أو ادعى له ولدا أو صاحبة، كما قالته النصارى (أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ)، يقول: أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم، كذبت بها اليهود (إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ)، يقول: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب، والجاحدون بنبوة أنبيائه.

س: متى لا يفلح الظالمون؟

ج: لا يفلحون في الدنيا ولا يفلحون يوم نحشرهم.

س: ما صورة الافتراء الكاذب على الله؟

ج: لذلك صور:

منها: ادعاء أن الله له شريك، أو أن له صاحبه وولد.

ومنها: نسبة ما لم يقله ربنا إليه .

ومنها: دعوى أن الملائكة بنات الله ﷻ.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤] وما على شاكلتها من الآيات؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن هؤلاء كلهم في الدرجة العليا من الظلم، وهو سواء في ذلك.

فالمفتري على الله كذبا، والذي منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه في الظلم سواء وهو في غاية الظلم ومنتهاه.

الثاني: أن ذلك ينزل منزلة الاختصاص، بمعنى: ليس من الكاذبين أظلم ممن كذب على الله، وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: واذكر يوم نجمع الخلق جميعهم، وذلك يوم القيامة، و هنالك نقول لمن جعلوا لله شركاء: أين شركاؤكم الذين زعمتم أنهم لله شركاء.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

[القصص: ٦٢].

هذا وقد أورد الطبري قولا آخر فقال:

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المفترين على الله كذبا، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعا- يعني: ولا في الآخرة.

ففي الكلام محذوف قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف.

وتأويل الكلام: إنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا،(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا)، فقوله:(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ)، مردود على المراد في الكلام. لأنه وإن كان محذوفا منه، فكأنه فيه، لمعرفة السامعين بمعناه (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)، يقول: ثم نقول، إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب، بادعائهم له في سلطانه شريكا، والمكذبين بآياته ورسله، فجمعنا جميعهم يوم القيامة (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)، أنهم لكم آلهة من دون الله، افتراء وكذبا، وتدعونهم من دونه أربابا؟ فأتوا بهم إن كنتم صادقين!

س: وضح معنى قولهم: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم-: والله وربنا ما كنا ندعو لك شريكا في دنيانا ولا دعونا أحدا سواك.

وقيل: المعنى: والله يا ربنا ما أشركنا في دنيانا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ) التفنة: الاختبار، أي: لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي (إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) تبرءوا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا من تجاوزه ومغفرته للمؤمنين.

س: ما المراد بالنظر في قوله تعالى: (ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ)؟

ج: المراد بالنظر: النظر بالقلب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنظر في قوله تعالى: (ٱنظُرْ) يراد به نظر الاعتبار.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ)؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ) كذب المشركين قولهم: إن عبادة الأصنام تقربنا إلى الله زلفى، بل ظنوا ذلك وظنهم الخطأ لا يعذرهم ولا يزيل اسم الكذب عنهم، وكذب المنافقين باعتذارهم بالباطل، وجحدهم نفاقهم.

س: أهل الشرك كذبة في الدنيا والآخرةن وضح ذلك؟

ج: أما كذبهم في الدنيا: فمتمثل في افترائهم على الله ﷻ واتخاذ الشريك له والند والولد.

أما كذبهم في الآخرة: فمنه قولهم: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ)، وكما قال تعالى: (يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ) (١) [المجادلة: ١٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر، يا محمد، فاعلم، كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام، في الآخرة عند لقاء الله = على أنفسهم بقيلهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها يتخلقون في الدنيا، من الكذب والفرية.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا) [النساء: ٤٢].

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ قِيلَ: كَذَبُوا بِمَعْنَى يَكْذِبُونَ، فَعَبَّرَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْمَاضِي، وَجَازَ أَنْ يَكْذِبُوا فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ دَهَشٍ وَحِيرَةٍ وَذُهُولِ عَقْلٍ.

وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ كَذِبٌ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهَا دَارُ جَزَاءٍ عَلَى مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا- وَعَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّظَرِ- وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَمَعْنَى ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ عَلَى هَذَا: مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ عِنْدَ أَنْفُسِنَا.

فقد أفادت الآية أنهم يصدقون يوم القيامة، وبين قولهم: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) التي مفادها أنهم قد كذبوا؟

ج: **الجواب على ذلك حاصله:** أن المواقف يوم القيامة تتعدد، فيوم كألف سنةٍ مما نعد تتعدد فيه الأحوال فأهل الكفر لما يروا الغفرة تتنزل على أهل الإيمان والتوحيد، يقول بعضهم لبعض: هلموا نقول لربنا والله ربنا ما كنا مشركين، فيقولون ذلك، فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم، فحينئذٍ (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا) [النساء: ٤٢].

وأخرج البخاري[١] من طريق سعيد (وهو ابن جبير) قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال: (فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) [المؤمنون: ١٠١] (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ) [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]، (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا)، (رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فقد كتموا في هذه الآية.

فذكر الحديث وفيه: وأما قوله: (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا) فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا.

وأخرج الطبري[٢] أيضا من طريق سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول:(وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) وقال في آية أخرى: (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا) [النساء: ٤٢]؟ قال ابن عباس: أما قوله: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: «تعالوا نجحد»، فقالوا: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم(وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا) [النساء:٤٢]

ولمزيد انظر تفسيري لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى: (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا)[٣].

---

(١) تفسير سورة فصلت (مع الفتح ٤١٨/٨)، وصورته في أوله مرسل، لكنه متصل فيما بعد.

(٢) الطبري (١٣١٤٣)، وفي سنده ابن محمد بن حميد الرازي متكلم فيه.

(٣) آية (٤٢) النساء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعلى جواز أن يكذبوا في الآخرة يعارضه قوله: (وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا)، ولا معارضة ولا تناقض، لا يكتمون الله حديثا في بعض المواطن إذا شهدت عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بعملهم، ويكذبون على أنفسهم في بعض المواطن قبل شهادة الجوارح على ما تقدم. والله أعلم.

وقال سعيد بن جبيرٍ في قوله تعالى: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال: اعتذروا وحلفوا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: أن أهل الشرك يوم القيامة لما أرادوا أن تنصرهم آلهتهم التي عبدوها في الدنيا، وذلك يوم القيامة أي: أرادوا أن تنصرهم ألهتهم وأن تشفع لهم تلك الآلهة يوم القيامة، فحينئذٍ غابت عنهم تلك الآلهة وغاب عنهم نصرها، فهذه الآلهة لم تنصر نفسها فضلا عن نصرتها لعابديها، بل وشهدت عليهم بكفرهم وتبرأت منهم.

فقوله تعالى: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ) معناه: وغابت عنهم الآلهة المفتراة من دون الله، أو غاب عنهم نصرها وغابت عنهم شفاعتها، وإن وجدت فتوجد للشهادة عليهم لا لهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)، يقول: وفارقهم الأنداد والأصنام، وتبرءوا منها، فسلكوا غير سبيلها، لأنها هلكت، [وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراء] أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله، وعبادتهم إياها، وإشراكهم إياها في سلطان الله، فضلت عنهم، وعوقب عابدوها بفريتهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: ومن أهل الشرك من يستمع إليك، واستماعه

بأذنه فقط، لا يتعداها ولا يتخطاها، إنما يسمع قراءتك وصوتك فقط بلا فهم ولا تدبر ولا تأمل ولا تعقل كالبهيمة التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها؛ وذلك لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية وأغلفة فلا يصل إليها خير، وكذلك فقد جعلنا في الآذان ثقلا وصمما فإنما تسمع أحرفا فقط ولا يدخل مما تقرؤه شيء إلى القلب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك، يا محمد (مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ)، يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول، لأن الله قد جعل على قلبه(أَكِنَّةً).

وهي جمع«كنان»، وهو الغطاء، مثل: «سنان»،«وأسنة». يقال منه: «أكننت الشيء في نفسي»، بالألف،«وكننت الشيء»، إذا غطيته، ومن ذلك:(بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ)، **[سورة الصافات: ٤٩]**، وهو الغطاء، ومنه قول الشاعر:

تحت عينٍ، كنانها ظل بردٍ مرحل

يعني غطاؤهم الذي يكنهم.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾، يقول تعالى ذكره: وجعل في آذانهم ثقلا وصمما عن فهم ما تتلوا عليهم، والإصغاء لما تدعوهم إليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ). [أفرد] على اللفظ يعني المشركين كفار مكة. (وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً) أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم. وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم. والأكنة الأغطية جمع كنانٍ مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان. كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه. وأكننت الشيء أخفيته. والكنانة معروفة. والكنة (بفتح الكاف والنون) امرأة أبيك، ويقال: امرأة الابن أو الأخ، لأنها في كنه. (أَن يَفۡقَهُوهُ) أي يفهموه وهو في موضع نصبٍ، المعنى كراهية أن يفهموه،أو

(٦٠) أحمر
أسود

لئلا يفهموه. (وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ) عطف عليه أي ثقلا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَن يَفۡقَهُوهُ)؟

ج: قال عدد من أهل العلم: المعنى أن لا يفقهوه، أي: كي لا يفهموه –والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى ذكره: (وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ) بمعنى: أن لا يفقهوه، كما قال (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ) [النساء: ١٧٦]، بمعنى: أن لا تضلوا؛ لأن «الكن» إنما جعل على القلب؛ لئلا يفقهه، لا ليفقهه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ) [الانعام: ٢٥]؟

ج: وإن يرى الكافرون الجاحدون عابدوا الأوثان والأصنام كل معجزةٍ دالة على صدقك وحقيقة ما أخبرتهم به من أن الله واحد لا شريك له لا يصدقون بهذه الآية، مهما أتيتهم به من آيات؛ وذلك كما قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ) [يونس: ٩٦، ٩٧] وكما قال تعالى: (وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ) [الحجر: ١٤، ١٥]؛ وكما قال تعالى: (وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ) [الإسراء: ٥٩]...

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك (كُلَّ ءَايَةٖ)، يقول: كل حجة وعلامة تدل أهل الحجا والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك (لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ)، يقول: لا يصدقون بها، ولا يقرون بأنها دالة على ما هي عليه دالة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)؟

(٦١) أحمر
أسود

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن اهل الكفر يستمرون في تكذيب الآيات، وكلما جاءتهم آية كذبوا بها، حتى إذا حتى جاءوك وقد استمعوا الآيات الدالة على صدقك والتي كان ينبغي أن يؤمنوا بها إذا هم يجادلونك ويخاصمونك ويقول العتاة في الكفر منهم وأكابر المجرمين منهم والجاحدون لآيات الله، يقولون: ما هذا الذي تخبرنا به تقصه علينا إلا قصص وحكايات تؤثر عن المتقدمين الذي سلفوا ومضوا كانوا يذكرونها في مجالسهم يتفكهون بذكرها ليس إلا ذلك.

هذا، ومن أهل الكفر من كان يجادل أيضا في الآيات، فكان منهم من يقول: كيف تحرمون المنية والذي أماتها هو الله؟

فيكف تأكلون ما قتلتم بأيديكم (أي ذبتحتم بأيديكم) وتذرون ما أماته الله.

ومنهم من كان يقول أيضا- إذا قيل له أنفق مما رزقك الله-(أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ) [يس: ٤٧] فيقولون حقا يريدون به باطلا.

وكان منهم من يقول: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ) [الانعام: ١٤٨]. إلى غير ذلك من صور المجادلات التي كانت تصدر منهم.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ) أي: بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم إذا جاءوك يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل.

ثم فسر المجادلة بقوله: (يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ)أي: أباطيلهم وأحاديثهم التي لا نظام لها. وعد أحسن الحديث وأصدقه، من قبيل الأباطيل وهو الذي(لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ)- رتبة من الكفر لا غاية وراءها.

س: وضح قوله تعالى: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدهما: وأهل الشرك ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ وهم أنفسهم أيضا يتباعدون عنه أي: أنهم يتخلفون عن الإيمان، وينهون الناس أيضا عن الإيمان.

الثاني: وهم ينهون الناس عن القرآن ويبتعدون هم أنفسهم أيضا عن القرآن.

الثالث: ومنهم من يدافع عن النبي ﷺ وينهى الناس عن إلحاق الأذى به، ومع

(٦٢) أحمر
أسود

ذلك فهو ينأى (يبتعد) عن هديه صلوات الله وسلامه عليه.

هذا، ويستفاد من هذه الآية الكريمة: أن أهل الكفر لا ينتفعون بالقرآن ولا بالإسلام ولا بالرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يدعون غيرهم ينتفع.

وأورد البعض هنا حديثا في سنده ضعف وفيه: أن النبي ﷺ قال لأبي طالب: «تمنع قريشا أن تؤذيني وتأبى أن تؤمن بي»، فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك يقينا

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم–: وما يهلك هؤلاء الكفرة الذين يبتعدون عن النبي ﷺ وعن القرآن ويصرفون عنهما، ما يهلكون إلا أنفسهم بصنيعهم السيء، فهم الذين يجنون عواقب عملهم السيء الوخيم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ)، يقول: وما يهلكون بصدهم عن سبيل الله، وإعراضهم عن تنزيله، وكفرهم بربهم - إلا أنفسهم لا غيرها، وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك، سخط الله وأليم عقابه، وما لا قبل لها به، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يقول: وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم).

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ)؟

ج: أورد ابن الجوزي في «زاد المسير» جملة أقوالٍ في ذلك فقال: قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ) في معنى «وقفوا» ستة أقوال:

(٦٣) أحمر
أسود

أحدها: حبسوا عليها، قاله ابن السائب.

والثاني: عرضوا عليها، قاله مقاتل.

والثالث: عاينوها.

والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم.

والخامس: دخلوا إليها فعوفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: (عَلَى) ها هنا بمعنى «في».

السادس: جعلوا عليها وقفا، كالوقوف المؤبدة على سبلها، ذكره الماوردي.

والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجبا.

س: وضح معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ولو ترى الكفار حين حبسوا في النار ودخلوها لرأيت منظرا عظيما هائلا مروعا مخوفا لرأيتهم قالوا: يا ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا وإذا رجعنا إليها لا نكذب بآيات ربنا وسنكون حينئذٍ من المؤمنين.

فيخبرون عن أحوالهم إذا رجعوا إلى الدنيا وعما كانوا يعملونه.

الثاني: أن معنى قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: وقفوا على حافتها وشفيرها قبل أن يقذفوا فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾، يقول: فقال هؤلاء المشركون بربهم، إذ حبسوا في النار: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، يقول: ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: ونكون من المصدقين بالله وحججه ورسله، متبعي أمره ونهيه.

(٦٤) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك، قالوا (يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) يتمنون أن يردوا إلى الدار الدنيا، ليعملوا عملا صالحا، ولا يكذبوا بآيات ربهم، ويكونوا من المؤمنين.

قال الله تعالى: (بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ) أي بل ظهر لهم حينئذٍ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبله بيسيرٍ (ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ) [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم، من صدق ما جاءتهم به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه، كقوله مخبرا عن موسى، أنه قال لفرعون (لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ) [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ) [النمل: ١٤].

ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين، الذين كانوا يظهرون الإيمان للناس ويبطنون الكفر، ويكون هذا إخبارا عما يكون يوم القيامة، من كلام طائفةٍ من الكفار، ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورةٍ مكيةٍ، وهي العنكبوت، فقال (وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ) [العنكبوت: ١١] وعلى هذا فيكون إخبارا عن قول المنافقين في الدار الآخرة، حين يعاينون العذاب، فظهر لهم حينئذٍ غب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق، والله أعلم.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

قوله تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ) [أي إذ] وقفوا غدا و (إذ) قد تستعمل في موضع (إذا) و (إذا) في موضع (إذ) وما سيكون فكأنه كان، لأن خبر الله تعالى حق وصدق، فلهذا عبر بالماضي.

(٦٥) أحمر
أسود

ومعنى «إذ وقفوا» حبسوا يقال: وقفته وقفا فوقف وقوفا.

وقرأ ابن السميقع «إذ وقفوا» بفتح الواو والقاف منالوقوف (عَلَى ٱلنَّارِ) أي هم فوقها على الصراط وهي تحتهم.

وقيل: «على» بمعنى الباء؛ أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها.

وقال الضحاك: جمعوان بمعنى على أبوابها.

ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم.

وفي الخبر: أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كأنها متن إهالةٍ «٢»، ثم ينادي منادٍ خذي أصحابك ودعي أصحابي. وقيل: (وقفوا) دخلوها- أعاذنا الله منها- فعلى بمعنى (في) أي وقفوا في النار. وجواب (لو) محذوف ليذهب الوهم إلى كل شي فيكون أبلغ في التخويف، والمعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حالٍ، أو لرأيت منظرا هائلا، أو لرأيت أمرا عجبا وما كان مثل هذا التقدير.

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، أن أهل الكفر الذين قالوا يا يلتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ما رغبوا في الرجوع إلى الدنيا للإيمان حقيقة، ولكنهم لما رأوا أعمالهم السيئة قد ظهرت أمام أعينهم تلك الأعمال النسيئة التي عملوها خافوا مما هو حال بهم (فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لا رغبة في الإيمان وال حبا فيه ولكن خوفا مما هو نازل بهم ومما سيلقونه من العذاب.

قال الطبري خ:

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء العادلين بربهم، الجاحدين نبوتك، يا محمد، في قيلهم إذا وقفوا على النار: (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الأسى والندم على ترك الإيمان بالله والتصديق بك، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه، على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤوس الأشهاد، ففضحهم بها، ثم جازاهم

بها جزاءهم.

يقول: بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها من قبل ذلك في الدنيا، فظهرت (وَلَوْ رُدُّوا)، يقول: ولو ردوا إلى الدنيا فأمهلوا (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ)، يقول: لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك، من جحود آيات الله، والكفر به، والعمل بما يسخط عليهم ربهم (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)، في قيلهم: «لو رددنا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين»، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب، لا إيمانا بالله.

وأخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قالك (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول: ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما معنى الإضراب في قوله: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ) فهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة في الإيمان، بل خوفا من العذاب الذي عاينوه جزاء ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار؛ ولهذا قال: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: في تمنيهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ) بل إضراب عن تمنيهم وادعائهم الإيمان لو ردوا. واختلفوا في معنى (بَلْ بَدَا لَهُم) على أقوالٍ بعد تعيين من المراد، فقيل: المراد المنافقون لأن اسم الكفر مشتمل عليهم، فعاد الضمير على بعض المذكورين، قال النحاس: وهذا من الكلام العذب الفصيح.

وقيل: المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفطن بهم ضعفاؤهم، فيظهر يوم القيامة، ولهذا قال الحسن: (بدا لهم) أي بدا لبعضهم ما كان يخفيه عن بعضٍ.

وقيل: بل ظهر لهم ما كانوا يجحدونه من الشرك فيقولون: (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)

---

(١) الطبري (١٣١٨٦).

(٦٧) أحمر
أسود

فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك حين (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ). قاله أبو روقٍ. وقيل: (بَلْ بَدَا لَهُم) ما كانوا يكتمونه من الكفر، أي بدت أعمالهم السيئة كما قال: «(وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) [الزمر: ٤٧].

قال المبرد: بدا لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يخفونه.

وقيل: المعنى بل ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث والقيامة، لأن بعده (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال مخبرا عنهم: إنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (من الكفر والمخالفة) (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: في قولهم: (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ).

أي: لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون ولقالوا: إن هي لا حياتنا الدنيا، أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ثم لا معاد بعدها؛ ولهذا قال: (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)، ثم قال: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ) أي: أوقفوا بين يديه (قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) أي: أليس هذا المعاد بحق، وليس بباطل كما كنتم تظنون، (قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) أي: بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مسه، (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) [الطور: ١٥].

س: في قوله تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ....) دليل على تمكن الكفر من قلوب الكفار وشدة عتوهم وعنادهم، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن أهل الكفر، والعياذ بالله- مع شدة ما يرونه ويطلعون عليه، حتى إنهم رأو النار بأعينهم وقفوا على شفيرها، بل ودخلوها ومع ذلك كله لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والعناد والشر والفساد.

ومما ورد في معنى الآية الكريمة قوله تعالى: (۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [المؤمنون: ٧٥].

وقوله تعالى: (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥].

وقوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) [الزخرف: ٥٠].

س: ما المستفاد من قوله تعالى: (وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ)؟

ج: المستفاد من ذلك: إعلامنا وإخبارنا بأن أهل الكفر ينكرون البعث، ويقولون: لا حياة بعد الموت، فإذا كان هذا شأنهم فما الحامل لهم إذن على الإيمان والتصديق؟! وما المانع من ارتكاب الفواحش؟! ومال الرادع لهم من من ظلم العباد؟!

فلنحذرهم إذن وليكن التعامل معهم في ضوء ما أخبرنا الله ﷻ به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين، العادلين به الأوثان والأصنام، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبرعنهم.

يقول تعالى ذكره: (وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا)، يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: «لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء». فهم بجحودهم ذلك، وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية، لأنهم لا يرجون ثوابا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعملٍ صالح بعد موت، ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله وسيئٍ من عمل يعملونه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ) الآية.

ج: قال الطبري خ في معناها:

يقول تعالى ذكره: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ) يا محمد هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (إِذۡ وُقِفُواْ) يوم القيامة: أي حبسوا، (عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ) يعني: على حكم الله وقضائه فيهم. (قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ) يقول: فقيل لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقا؟ فأجابوا فقالوا بلى والله إنه لحق. (قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ) يقول: فقال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون، (بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ) يقول: بتكذيبكم به وجحودكموه الذي كان منكم في

الدنيا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ) (وقفوا) أي حبسوا (عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ) أي على ما يكون من أمر الله فيهم.

وقيل: (على) بمعنى (عند) أي عند ملائكته وجزائه، وحيث لا سلطان فيه لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، تقول: وقفت على فلانٍ أي عنده، وجواب« لو» محذوف لعظم شأن الوقوف.

(قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ) تقرير وتوبيخ أي أليس هذا البعث كائنا موجودا؟! (قَالُواْ بَلَىٰ) ويؤكدون اعترافهم بالقسم بقولهم:(وَرَبِّنَآۚ). وقيل: إن الملائكة تقول لهم بأمر الله أليس هذا البعث وهذا العذاب حقا؟ فيقولون: (بلى وربنا) إنه حق.(قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ).

س: اذكر بعض الأدلة على لقاء العباد ربهم يوم القيامة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ) [البقرة: ٢٢٣].

قوله تعالى: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ) [التوبة: ٧٧].

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ) [البقرة: ٤٦].

وأخرج ابن أبي حاتم[1] وغيره بسندٍ صحيح عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**يلقى العبد يوم القيامة، فيقول: أي فل. ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع، فظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. يقول: فإني أنساك كما نسيتني**».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ٣١]؟.

(١) ابن أبي حاتم (٧٢٢٢).

(٧٠) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، قد وكس الذين انكروا البعث وخسروا في صفقتهم لما عرض عليهم الإيمان والجنة مقابله، فأبوا أن يقبلوا الإيمان واعتاضوا عنه بالكفر فجاءتهم آجالهم فجأة فهماتوا على الكفر فهنالك تنادوا: يا حسرة، يا ندم، تعالى يا حسرة، تعال يا ندم، فأنزل بنا وحل بنا على ما ضيعناه في أعمارنا وعلى ما قصرنا فيه من العميل لآخرتنا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذلك، حتى تقوم الساعة، فإذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم، قالوا حينئذ، تندما: (يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا).

﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾، يقول تعالى ذكره: وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار، فإذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التي سلفت منهم في الدنيا، تندما وتلهفا على عظيم الغبن الذي غبنوه أنفسهم، وجليل الخسران الذي لا خسران أجل منه ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾، يقول: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها، يعني: صفقتهم تلك.

و«الهاء والألف» في قوله: (فِيهَا)، من ذكر «الصفقة»، ولكن اكتفى بدلالة قوله: (قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ) عليها من ذكرها، إذ كان معلوما أن «الخسران» لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرت.

وإنما معنى الكلام: قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله، ببيعهم الإيمان الذي يستوجبون به من الله رضوانه وجنته، بالكفر الذي يستوجبون به منه سخطه وعقوبته، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن خسارة من كذب بلقاء الله وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وعن ندامته على ما فرط من العمل، وما أسلف من قبيح الفعال (٦) ولهذا قال: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا). وهذا الضمير يحتمل عوده على الحياة [الدنيا] وعلى الأعمال، وعلى الدار الآخرة، أي: في أمرها.

(٧١) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا) وقع النداء على الحسرة وليست بمنادى في الحقيقة، ولكنه يدل على كثرة التحسر، ومثله يا للعجب ويا للرخاء وليسا بمنادين في الحقيقة، ولكنه يدل على كثرة التعجب والرخاء.

قال سيبويه: كأنه قال يا عجب تعال فهذا زمن إتيانك، وكذلك قولك يا حسرتي [أي يا حسرتا] تعالي فهذا وقتك، وكذلك ما لا يصح نداؤه يجري هذا المجرى، فهذا أبلغ من قولك تعجبت. ومنه قول الشاعر:

فيا عجبا من رحلها المتحمل

وقيل: هو تنبيه للناس على عظيم ما يحل بهم من الحسرة، أي يا أيها الناس تنبهوا على عظيم ما بي من الحسرة، فوقع النداء على غير المنادى حقيقة، كقولك: لا أرينك ها هنا. فيقع النهي على غير المنهي في الحقيقة.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى الحسرة؟

ج: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (يَٰحَسۡرَتَنَا) الحسرة: التلهف على الشيء الفائت، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا.

فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟

فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءا فتدخل عليه «يا» للتنبيه، والمراد: تنبيه الناس، لا تنبيه المنادي.

ومثله قولهم: لا أرينك هاهنا. لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمنهي؛ ومن هذا قولهم: يا خيل الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله.

وقال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عجب فهذا زمانك، وأما التفريط فهو: التضييع.

س: هل صح لقوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ) سبب نزول؟

ج: لا أعلم له سبب نزول صحيح، والوارد فيه ضعيف الإسناد والله أعلم.

|

س: اذكر ما يدل على أن أهل الكفر يحملون الأوزار، ويحملونها علي الظهور.

ج: قوله تعالى: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ).

وقوله تعالى: (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت: ١٣].

وقوله تعالى: (وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ)[فاطر:١٨]

|

س: هل تتجسد الذنوب فتصبح أثقالا توضع على الظهور؟

ج: نعم، هذا يفيده ظاهر الآية الكريمة (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ).

وقد ورد في حديث مانعي الزكاة، «**ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاةٍ يحملها على رقبته لها يعار فيقول يا محمد، فأقول: لا أملك شيئا قد بلغت**»[١].

|

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)؟

ج: قال بعض أهل العلم في معنى ذلك: وما مريد الحياة الدنيا ولذاتها الفانية ونعيمها الزائل إلا في لعبٍ ولهو، أي: أن مريد الحياة الدنيا ومبتغيها إنما يلهو ويلعب، فلا تغتروا أيها الناس بها وبما فيها فإنها ستزول وستنتهي لا محالة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، مكذبًا لهم في قبلهم ذلك: (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ)، أيها الناس (إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، يقول: ما باغي لذات الحياة التي أدنيت لكم وقربت منكم في داركم هذه، ونعيمها وسرورها، فيها، والمتلذذ بها، والمنافس عليها، إلا في لعب ولهو، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها، فتمر عليه وتكدر، كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندما،

(١) البخاري (١٤٠٢).

(٧٣) أحمر
أسود

ويورثه منه ترحا. يقول: لا تغتروا، أيها الناس، بها، فإن المغتر بها عما قليل يندم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: المعنى متاع الحياة الدنيا لعب ولهو، أي الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له، فهو بمنزلة اللعب واللهو. ونظر سليمان بن عبد الملك في المرآة فقال: أنا الملك الشاب، فقالت له جارية له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... كان في الناس غير أنك فاني

وقيل: معنى (لعب ولهو) باطل وغرور، كما قال: (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ) [آل عمران: ١٨٥] فالمقصد بالآية تكذيب الكفار في قولهم:(إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا). واللعب معروف، والتلعابة الكثير اللعب، والملعب مكان اللعب، يقال: لعب يلعب. واللهو أيضا معروف، وكل ما شغلك فقد ألهاك، ولهوت من اللهو.

وقيل: أصله الصرف عن الشيء، من قولهم: لهيت عنه، قال المهدوي: وفيه بعد، لأن الذي معناه الصرف لامه ياء بدليل قولهم: لهيان، ولام الأول واو.

س: هل الحياة الدنيا كلها لهو ولعب؟ فكيف بمن يصلون ويصومون ويحجون ويجاهدون ويتصدقون..؟

ج: المراد –والله أعلم– أن الحياة الدنيا في نظر مبتغيها وطالبها والعامل لها دون غيرها إنما هو فيها في لهو ولعب.

وقيل: المعنى: إنما غالب أمر الحياة الدنيا في لهو ولعب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به واللهو ما يلتهي به، وما كان مرادا للآخرة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم–: أن الدار الآخرة خير للذين يعملون في الدنيا بطاعة الله

(٧٤) أحمر
أسود

ويتقون ما حرم الله فافهموا ذلك أيها الناس واعقلوه. واعملوا في الدنيا بطاعة الله واستقيموا على أمره واتقوا ما نهاكم عنه ربكم واجعلوا من هذه الدنيا زادا تتزودون لأخراكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنعام: ٣٢]، يقول: وللعمل بطاعته، والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقى منافعها لأهلها، ويدوم سرور أهلها فيها، خير من الدار التي تفنى وشيكا، فلا يبقى لعمالها فيها سرور، ولا يدوم لهم فيها نعيم (لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ)، يقول: للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه، والمسارعة إلى رضاه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، يقول: أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به، من أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وهم يرون من يخترم منهم، ومن يهلك فيموت، ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع.

ففي ذلك لمن عقل مدكر ومزدجر عن الركون إليها، واستعباد النفس لها = ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلق إخلاص العبادة له، بغير إشراك شيءٍ سواه معه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– إننا نعلم تمام العلم أن أقوال هؤلاء المكذبين تحزنك وتضايقك، لا يخفى علينا شيء من ذلك.

أما الذي يقولونه فمنه: قولهم عن رسول الله ﷺ: شاعر، كاهن، كذاب، مفترٍ، مجنون، ساحر.

ويقولون عن القرآن: سحر، قول البشر، شعر، أساطير الأولين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ) أي: قد أحطنا علما بتكذيب قومك لك، وحزنك وتأسفك عليهم، (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ) [فاطر: ٨] كما قال تعالى في الآية الأخرى: (لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ

(٧٥) أحمر
أسود

نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [الشعراء: ٣] (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) [الكهف: ٦].

س: قوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) قراءتان، وضحهما مع ذكر معنيهما؟

ج: القراءتان ذكرهما الطبري في «تفسيره»:

إحداهما: (فإنهم لا يكذبونك) بكسر الدال.

الثانية: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ).

أما معنى القراءة الأولى: فهو فإن أهل الشرك والكفر والعناد لا يكذبونك فيما جئتهم به بل يعلمون صحته وصدقة ولكنهم ينكرون حقيقته بألسنتهم وأفواههم.

فقوله: (لَا يُكَذِّبُونَكَ) أي: لا ينكرون صحة ما جئتهم به من القرآن ولكن يجادلون بألسنتهم.

أما معنى القراءة الثانية ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: لا يعتقدون أنك كاذب، بل يعلمون صدق حديثك وأمانتك في الحديث، ويعتقدون أنك صادق ولكنهم عنادا واستكبارا ينكرون بألسنتهم صدقك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم.

وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ، ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوة، فكان بعضهم يقول: «هو شاعر»، وبعضهم يقول: «هو كاهن»، وبعضهم يقول: «هو مجنون»، وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء، ومن تنزيل رب العالمين، قولا. وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسدا له وبغيا.

فالقارئ: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) بمعنى أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق قولك فيما تقول، يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله، قولا - وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا مصيب، لما ذكرنا من أنه

قد كان فيهم من هذه صفته.

وفي قول الله تعالى في هذه السورة: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ) [سورة المائدة: ٢٠]، أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم المعاند في جحود نبوته ﷺ، مع علمٍ منهم به وبصحة نبوته.

وكذلك القارئ: (فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ) بمعنى: أنهم لا يكذبون رسول الله ﷺ إلا عنادا، لا جهلا بنبوته وصدق لهجته مصيب، لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ) أي: لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر (وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ) أي: ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ) [الأنعام: ٣٤]؟

ج: يخبر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ بأن إخوانه من المرسلين قد كذبهم أقوامهم، فكما أن قومك كذبوك فقد كذبتهم أيضا أقوامهم، وما كان من الأنبياء من قبلك إلا الصبر على الأذى والتكذيب، ولقد تمادى بهم الصبر حتى جاءهم نصر الله ﷻ.

ولم يكن هناك ما يدفع نصر الله الذي أراده لعباده المرسلين، ولم يكن هناك مغير لما أراده وقضاه ووعد به في كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، بل نفذ أمر الله الذي أراده ووقع ما وعد الله به من نصر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

س: ما المستفاد من إخبار الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ بقوله: (وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ .....) الآية؟

ج: من المستفاد من ذلك: تصبير النبي ﷺ وتثبيته وتسليته، فإن الشخص إذا علم أن هناك من شاركه في نفس الابتلاء هان عليه بلاؤه، وإذا علم أن من كان قبله صبر واحتسب، صبر هو الآخر واحتسب.

ومن المستفاد أيضًا: تبشير النبي ﷺ بنصر الله.

ومن المستفاد أيضًا: تبشير النبي ﷺ بنصر الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ) هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله.

يقول تعالى ذكره: إن يكذبك، يا محمد، هؤلاء المشركون من قومك، فيجحدوا نبوتك، وينكروا آيات الله أنها من عنده، فلا يحزنك ذلك، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله، حتى يأتي نصر الله، فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أممهم، فنالوهم بمكروه، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم، ولم يثنهم ذلك من المضي لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه، حتى حكم الله بينهم وبينهم (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ)، يقول: ولا مغير لكلمات الله و«كلماته» تعالى ذكره: ما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ، من وعده إياه النصر على من خالفه وضاده، والظفر على من تولى عنه وأدبر (وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ)، يقول: ولقد جاءك يا محمد، من خبر من كان قبلك من الرسل، وخبر أممهم، وما صنعت بهم = حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء وترك ذكر «أنباء»، لدلالة (مِن) عليها.

يقول تعالى ذكره: فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر مثل الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل إذ كذبهم قومهم، واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ أي: فاصبر كما صبروا ﴿وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾

(٧٨) أحمر
أسود

أي: عوننا، أي فسيأتيك ما وعدت به. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مبين لذلك النصر؛ ما وعد الله ﷻ به فلا يقدر أحد أن يدفعه؛ لا ناقض لحكمه، ولا خلف لوعده؛ و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– ولا مغير لكلمات الله التي كتبها قبل الخليقة بخمسين ألف عام، ففي الحديث: «كتب الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ»[١] هذا، والمراد بالكلمات هنا: الكلمات التي كتبها الله منها أنه ينصر عباده المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا قال: (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ) أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، وقال تعالى: (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ)

وانظر ما تقدم من قول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ) فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا خلف لمواعيده، قاله ابن عباس.

والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج.

والثالث: لا مبدل لحكوماته وأقضيته النافذة في عباده، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله تعالى: (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) [الزمر: ٧١] أي: وجب

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٥٣).

(٧٩) أحمر
أسود

ما قضي عليهم. فعلى هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به وقد حكم بنصر أنبيائه بقول:(لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ)

والرابع: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار فالمعنى: لا يبدلن أحد كلمات الله، فهو كقوله: (لَا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة: ٢].

والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الألفاظ الثلاثة ابن الأنباري.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ)؟

ج: المعنى –والله أعلم-: إن كان يا رسول الله قد شق عليك إعراض المعرضين عنك وتكذيب المكذبين لك، وكذبوا بالآيات التي جئتهم بها فلا تجزع ولا تحزن، فليس هناك أبلغ من الآيات التي جئتهم بها وليس هناك أدل على نبوتك منها فأيقن أن الهداية من عند الله ولو شاء الله لهدى هؤلاء المكذبين، فإن رضيت بهذا وأمرت به فكن صابرا محتسبا، وإن لم ترض بهذا فافعل ما استطعت فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض تبحث فيه عن آية يؤمنون بها فافعل، ولن يؤمنوا أبدا، وكذا لو استطعت أن تبحث عن مصعدٍ تصعد به إلى السماء كي تأتيهم بآية فافعل، ولن تستطيع، فكن موقنا بأن الهادي هو الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن كان عظم عليك، يا محمد، إعراض هؤلاء المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به، فشق ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم (فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ)، يقول: فإن استطعت أن تتخذ سربا في الأرض مثل نافقاء اليربوع، وهي أحد جحرته فتذهب فيه (أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ) يقول: أو مصعدا تصعد فيه، كالدرج وما أشبهها، كما قال الشاعر:

لا تحرز المرء أحجاء البلاد، ولا ... يبني له في السماوات السلاليم

(٨٠) أحمر
أسود

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ ﴾، منها يعني بعلامةٍ وبرهان على صحة قولك، غير الذي أتيتك فافعل.

وقال أيضا:

وترك جواب الجزاء فلم يذكر، لدلالة الكلام عليه، ومعرفة السامعين بمعناه. وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به، فيقول الرجل منهم للرجل: «إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا، إن قدرت على معونتنا»، ويحذف الجواب، وهو يريد: إن قدرت على معونتنا فافعل. فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب، لم يحذفوه.

لا يقال: «إن تقم»، فتسكت وتحذف الجواب، لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره، حتى يقال: «إن تقم تصب خيرا»، أو: «إن تقم فحسن»، وما أشبه ذلك. ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد، لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر:

فبحظ مما نعيش، ولا تذ ... هب بك الترهات في الأهوال

والمعنى: فبحظ مما نعيش فعيشي.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ) أي: شق عليك، من حرصك عليهم، ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك، أن تهدي من لم يرد الله هدايته.

(فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ) أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئا، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين.

(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ) ولكن حكمته تعالى، اقتضت أنهم يبقون على الضلال.

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ) الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها.

س: اذكر بعض الأدلة على أن الهداية من الله عَزَّ وَجَلَّ؟

(٨١) أحمر
أسود

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ).

۞ قوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا) [السجدة: ١٣].

۞ قوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) [القصص: ٥٦].

۞ قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) [يونس: ١٠٠].

۞ قوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩].

س: ما المراد بقوله: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) [الأنعام: ٣٥]؟

ج: المراد –والله أعلم– لا تكونن من الجاهلين بأن مرد الأمور إلى الله، وأن نفسا لن تهتدي إلا إذا أراد الله لها الهداية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يقول: فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه، وأن من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ونافذ قضائه بأنه كائن من الكافرين به اختيارا لا اضطرارا، فإنك إذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحق، وتكذيب من كذبك منهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) أي من الذين اشتد حزنهم وتحسروا حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد، وإلى ما لا يحل، أي لا تحزن على كفرهم فتقارب حال الجاهلين. وقيل: الخطاب له والمراد الأمة، فإن قلوب المسلمين كانت تضيق من كفرهم وإذايتهم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى.

والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم ويكفر بعضهم.

(٨٢) أحمر
أسود

والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له؛ لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين.

(٨٣) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ٣٦ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ
عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٧ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي
ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي
ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٣٩ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ
ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ
فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ٤١ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا
ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ
أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٥ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ
وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ٤٦ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ
ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٧ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ
يَفْسُقُونَ ٤٩ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ
وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن
يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ٥١ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٤ وَكَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ٥٥ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ
أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا
وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ
مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ٥٧ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨

(٨٥) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿ءَايَةٌ﴾	معجزة.
﴿دَآبَّةٍ﴾	كل شيء يدب على الأرض.
﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾	ما تركنا- ما ضعينا.
﴿صُمٌّ﴾	لا يسمعون (الحق).
﴿وَبُكْمٌ﴾	لا يتكلمون (بالحق).
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	ظلمات الكفر.
﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾	شدة الفقر والضيق في المعيشة.
﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾	الأمراض والأسقام والعلل العارضة في الأجسام.
﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾	يدعون ربهم متضرعين متذللين لله بالطاعة والدعاء.
﴿بَأْسُنَا﴾	عذابنا- الفقر والشدة.
﴿فَلَوْلَآ﴾	فَهَلَّا.
﴿تَضَرَّعُواْ﴾	دعوا- استكانوا- خضعوا.
﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	غلظت قلوبهم.
﴿وَزَيَّنَ﴾	حسَّن.
﴿نَسُواْ﴾	تركوا- لم يعملوا.
﴿بَغْتَةً﴾	فجأة.
﴿مُّبْلِسُونَ﴾	آيسون – حزينون- نزل بهم شرٌّ لا يستطيعون دفعه- هلكى – انقطعت حُججهم.
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾	استؤصلوا- هلكوا عن آخرهم.
﴿يَصْدِفُونَ﴾	يعرضون- يعدلون- يصدون.
﴿أَتَىٰكُمْ﴾	نزل بكم- حلَّ بكم.
﴿جَهْرَةً﴾	عيانًا (يرونه بأعينهم).

(٨٦) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾	يجمعوا.
﴿وَلِيٌّ﴾	ناصرٌ.
﴿شَفِيعٌ﴾	من يشفع لهم لاستنقاذهم من العذاب.
﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾	الصباح.
﴿وَٱلْعَشِيِّ﴾	المساء.
﴿فَتَنَّا﴾	اختبرنا- ابتلينا.
﴿مَنَّ ٱللَّهُ﴾	تفضَّل الله عليهم.
﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾	لتظهر- لتتضح.
﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾	يقص القصص الحق- يقص بالحق- يقضي القضاء الحق.
﴿خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾	خيرُ من قضى وحكم وعدل.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: إنما يستجيب لك ولما تدعو إليه من الإيمان والإسلام من رزقه الله حسن الاستماع وهم الذين فتح الله آذانهم وأسماعهم للاستماع للحق والإصغاء له والإنصات غليه وسهل الله لهم اتباع الرشد وسلوك طرائق الهداية، فهؤلاء الذين رزقهم الله الفهم وحسن الاستماع ولم يختم على سمعهم ولم يجعل في آذانهم وقرا هم الذين يجيبونك إلى ما تدعهم إليه من توحيد الله ﷻ وعبادته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يكبرن عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم والإقرار بنبوتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك،إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهل لهم اتباع الرشد، دون من ختم الله على سمعه، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها، فهم كما وصفهم به الله تعالى ذكره: (صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) [البقرة: ١٧١] (وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ)، يقول: والكفار

(٨٧) أحمر
أسود

يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا، ولا يعقلون دعاء، ولا يفقهون قولا إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم.

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ)، قال: هذا مثل المؤمن، سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله. والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم، وهذا مثل الكافر أصم أبكم، لا يبصر هدى ولا ينتفع به.

وقوله الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ) أي: إنما يستجيب لدغائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه، كقوله: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) وقوله: (وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) يعني: بذلك الكفار؛ لانهم موتى القلوب، فشبههم الله بأموات الأجساد فقال: (وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم.

س: من الذين عناهم الله ﷻ بقوله: (وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ).

ج: قيل في تفسيرها قولان:

أحدهما: أن الموتى هم الكفار، ودليلهك قوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ) [الانعام: ١٢٢] فالكافر ميت.

وبدليل قوله: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ) وهم المؤمنون، والموتى هم الكفار.

الثاني: أن الموتى هم الأموات عموما مؤمنهم وكافرهم.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوجه الاول، وقال في قوله: (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

وأما قوله: (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)، فإنه يقول تعالى ذكره: ثم إلى الله يرجع المؤمنون الذين الذين استجابوا لله والرسول، والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئا، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب، ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من العقاب، لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة.

(٨٨) أحمر
أسود

س: من القائلون (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ).

ج: قائلوا ذلك هم: أهل الشرك والعناد.

س: اذكر بعض هذه الآيات التي طلبها المشركون؟

ج: من ذلك قولهم: (وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ) [الإسراء: ٩٠- ٩٣].

ومن ذلك قولهم: (لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) [الفرقان: ٧، ٨].

ومن ذلك قولهم: اجعل لنا الصفا ذهبا! إلى غير ذلك.

س: قوله تعالى: (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يعلمون قدرة الله وعظيم قدره وأيضا: لا يعلمون ما في الآيات – إذا نزلت- من العقوبات لهم إذا لم يؤمنوا بها.

وأيضا: لا يعلمون خطورة قولهم وشدة خطئه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي: هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: (وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) [الإسراء: ٥٩] وقال تعالى: (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ) [الشعراء: ٤].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان».

قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، ذكر في هذه

(٨٩) أحمر
أسود

الآية الكريمة: أنه قادر على تنزيل الآية التي اقترحها الكفار على رسوله، وأشار لحكمة عدم إنزالها بقوله: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، وبين في موضع آخر أن حكمة عدم إنزالها: أنها لو أنزلت ولم يؤمنوا بها لنزل بهم العذاب العاجل، كما وقع بقوم صالح لما اقترحوا عليه إخراج ناقة عشراء، وبراء، جوفاء، من صخرة صماء، فأخرجها الله لهم منها بقدرته ومشيئته، فعقروها (وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) [الأعراف: ٧٧]، فأهلكهم الله دفعة واحدة بعذاب استئصال، وذلك في قوله: (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) [الإسراء: ٥٩]، وبين في مواضع أخر أنه لا داعي إلى ما اقترحوا من الآيات ؛ لأنه أنزل عليهم آية أعظم من جميع الآيات التي اقترحوها وغيرها، وتلك الآية هي هذا القرآن العظيم ؛ وذلك في قوله: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) [العنكبوت: ٥١]، فإنكاره جل وعلا عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية، وهو كذلك ؛ ألا ترى أنه آية واضحة، ومعجزة باهرة، أعجزت جميع أهل الأرض، وهي باقية تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله، بخلاف غيره من معجزات الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - فإنها كلها مضت وانقضت.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) [الأنعام: ٣٨] الآية

ج: معنى ذلك –والله أعلم– أنه ما من شيء يدب على الأرض برجليه، أو ببطنه أو بأي شيء، وكذا ولا طائر يطير في السماء أيا كان هذا الطائر إلا جماعات أمثالكم يا بني آدم، لم أسماؤهم، ولهم أفهامهم، ولهم أساليب تخاطبهم، وقد علمهم ربي ﷻ وأحصى أعمالهم وكتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقهم وكذا أحصى عليهم أعمالهم في الدنيا حتى يوافيهم بها يوم يجمعهم، فإذا كان هذا شيء من علم ربي ﷻ فهل تخفى عليه منكم يا بني آدم خافية؟ كلا بل قد أحاط بكم وبأفعالكم بل وبكل شيء علما.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبن الله غافلا عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناسا مجنسة وأصنافا مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها. يقول: فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء، أحرى أن لا يضيع أعمالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها، أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم يعم به غيركم في الدنيا، وكنتم بشكره أحق، وبمعرفة واجبه عليكم أولى، لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير، الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون.

س: قد علم أن كل طائر إنما يطير بأجنحة، فلماذا ذكر قوله ولا طائر يطير بجناحيه؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك للمبالغة والتأكيد، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: فما وجه قوله:(وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ)؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟

قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم. فإذ كان من كلامهم إذا

(٩١) أحمر
أسود

أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: «كلمت فلانا بفمي»، و«مشيت إليه برجلي»، و«ضربته بيدي»، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم، ويستعملونه في خطابهم، ومن ذلك قوله تعالى ذكره: (إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ) [سورة ص: ٢٣].

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ)؟

ج: قال بعض العلماء: المعنى: أنها أمثالكم في الخلق والموت والبعث، كما أنكم خلقتم فقد خلقت وستموت كما تموتون وتبعث كما تبعثون.

وقيل: أمثالكم في الأخلاق؛ منهم الطيب والخبيث، وقيل: أمثالكم في العلم بما يضرها وما ينفعها، وقيل: أمثالكم فيما بينها فيعرف بعضهم أسماء بعض وخصال بعض ونحو ذلك والله أعلم.

هذا، ومن الأدلة على أن الدوابك أمم قوله ﷺ:« أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة حرقت أمة من الأمم تسبح؟، ألا هلا نملة واحدة؟!»[1].

س: كيف قيل: (مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ)، وهنالك أمور لم تذكر في الكتاب العزيز؟

ج: إذا قيل: إن المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ فلا إشكال وإذا قيل: إن المراد القرآن، فإن لم يكن الشيء مذكور فيه صراحة فقد ذكر فيها ضمنا، والله أعلم.

قال السمعاني في «تفسيره»:

(مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ) فإن قال قائل: نرى كثيرا من الأحكام ليست في الكتاب، فما معنى قوله: (مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ)؟ قيل: ما من شيء إلا وأصله في الكتاب، وقيل: ما قاله الرسول، فإنما قاله من الكتاب؛ لأنه قد قال في خبر معروف:«أوتيت القرآن ومثله» وقد قال الله - تعالى - (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ) [النجم: ٣، ٤] فكل ما ثبت بالسنة فكأنه ثابت في الكتاب، وقيل: معناه: ما

(١) مسلم (٢٢٤١)، والبخاري بنحوه (بدء الخلق: ٣٣١٩).

فرطنا في الكتاب من شيء تقع الحاجة إليه.

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ).

ج: قيل: المراد به: اللوح المحفوظ، وعلى أكثر أهل العلم.

وقيل: المراد: الكتاب فيه أعمالهم التي عملوها، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ) أي: الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان بريا أو بحريا، كما قال: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [هود: ٦]، أي: مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها، وحاصر لحركاتها وسكناتها، وقال الله تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) [العنكبوت: ٦٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ) أي في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث.

وقيل: أي في القرآن أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: ٨٩] وقال: « (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٤] وقال: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) [الحشر: ٧] فأجمل في هذه الآية وآية (النحل) ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شي إلا ذكره، إما تفصيلا وإما تأصيلا، وقال: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ٣].

وقال السعدي في «تفسيره»:

(مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ) أي: ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ شيئا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ،

على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

وفي هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب:

علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد.

ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ).

س: ما المراد الحشر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بالحشر: جمعهم يوم القيامة للحساب، وهذا يؤيده قول رسول الله ﷺ «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١].

وقد ورد في الباب[٢] من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال لي: «**يا أبا ذر، أتدري فيم انتطحتا**»؟ قلت: لا! قال: «**لكن الله يدري وسيقضي بينهما**»، قال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما.

والثاني أن المراد بحشرها: موتها، وقد ورد عن[٣] ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: موت البهائم حشرها.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه. وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة وجائز أن يكون معنيا

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٢).

(٢) الطبري (١٣٢٢٧)، وفي سنده بعض الضعف.

(٣) الطبري (١٣٢٢٢)، (١٣٢٢٣).

به حشر الموت وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن النبي ﷺ أي ذلك المراد بقوله:(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، إذ كان «الحشر»، في كلام العرب الجمع،ومن ذلك قول الله تعالى ذكره: (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ) [سورة ص: ١٩] ، يعني: مجموعة.

فإذ كان الجمع هو«الحشر»، وكان الله تعالى ذكره جامعا خلقه إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة، إذ كان الله تعالى ذكره قد عم بقوله:(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، ولم يخصص به حشرا دون حشر.

أما القرطبي خ :

فقال بعد أن أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١) وأورد جملة أقوال ثم قال:

الصحيح القول الأول لما ذكرناه من حديث أبي هريرة، وإن كان القلم لا يجري عليهم في الأحكام ولكن فيما بينهم يؤاخذون به، وروي عن أبي ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر هل تدري فيما انتطحتا؟**» قلت: قال: «**لكن الله تعالى يدري وسيقضي بينهما**» وهذا نص.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)؟

ج: المعنى –والله أعلم-: والذين كذبوا بما أخبرناهم به من قدرتنا على كل شيءٍ وإحاطتنا بكل شيء، وبصحة ما جاء به رسولنا ﷺ، هؤلاء المكذبون دوما لا يسمعون حقا، وإن سمعوا لا يفهمون ولا يفقهون، ودوما كلامهم مظلم، وكلامهم مظلم، فهم غارقون في الظلمات لا يخرجون منها إلا إذا شاء الله، وقد شاء الله أن يضلهم فلا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى.

(١) صحيح وتقدم قريبًا.

(٩٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته (صُمٌّ)، عن سماع الحق (وَبُكْمٌ)، عن القيل به (فِي ٱلظُّلُمَٰتِ)، يعني: في ظلمة الكفر حائرا فيها، يقول: هو مرتطم في ظلمات الكفر، لا يبصر آيات الله فيعتبر بها، ويعلم أن الذي خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره، وقدره أحسن تقدير، وأعطاه القوة، وصحح له آلة جسمه = لم يخلقه عبثا، ولم يتركه سدى، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلا لاستعمالها في طاعته وما يرضيه، دون معصيته وما يسخطه. فهو لحيرته في ظلمات الكفر، وتردده في غمراتها، غافل عما الله قد أثبت له في أم الكتاب، وما هو به فاعل يوم يحشر إليه مع سائر الأمم.

ثم أخبر تعالى ذكره أنه المضل من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر، والهادي إلى الصراط المستقيم منهم من أحب هدايته، فموفقه بفضله وطوله للإيمان به، وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه، وأنه لا يهتدي من خلقه أحد إلا من سبق له في أم الكتاب السعادة، ولا يضل منهم أحد إلا من سبق له فيها الشقاء، وأن بيده الخير كله، وإليه الفضل كله، له الخلق والأمر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله (وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ) أي: مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم -وهو الذي لا يسمع -أبكم -وهو الذي لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلامٍ لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه؟ كما قال تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [البقرة: ١٧، ١٨]، وكما قال (أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ) [النور: ٤٠]؛ ولهذا قال تعالى: (مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أي: هو المتصرف في خلقه بما يشاء.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا) أي القرآن (صُمٌّ وَبُكْمٌ) أي لا يسمعون بأسماعهم ولا

(٩٦) أحمر
أسود

ينطقون بألسنتهم، نزلهم بمنزلة من لا يسمع ولا ينطق لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة، وقال أبو علي: يجوز أن يكون صممهم وبكمهم في الآخرة.

(فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ) أي في ظلمات الكفر والجهل والحيرة والعناد والتقليد لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، والمعنى كائنين في الظلمات التي تمنع من إبصار المبصرات فضموا إلى الصمم والبكم عدم الانتفاع بالأبصار لتراكم الظلمة عليهم فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال، وقد تقدم في البقرة تحقيق المقام بما يغني عن الإعادة.

ثم بين الله سبحانه أن الأمر بيده ما شاء فعل فقال: (مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ) أي أضله عن الإيمان (وَمَن يَشَأۡ) أن يهديه (يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) أي على دين الإسلام لا يذهب به إلى غير الحق ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامة، وفيه دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى، وهذا عدل منه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

س: وضح موقع الكاف في قوله تعالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ)

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل العربية في معنى قوله:(أَرَءَيۡتَكُمۡ).

فقال بعض نحويي البصرة: «الكاف» التي بعد«التاء» من قوله:(أَرَءَيۡتَكُمۡ) إنما جاءت للمخاطبة، وتركت«التاء» مفتوحة = كما كانت للواحد. قال: وهي مثل«كاف»«رويدك زيدا»، إذا قلت: أرود زيدا = هذه«الكاف» ليس لها موضع مسمى بحرف، لا رفع ولا نصب، وإنما هي في المخاطبة مثل كاف«ذاك». ومثل ذلك قول العرب: «أبصرك زيدا»، يدخلون«الكاف» للمخاطبة.

وقال آخرون منهم: معنى:(أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ)، أرأيتم. قال: وهذه«الكاف» تدخل للمخاطبة مع التوكيد، و«التاء» وحدها هي الاسم، كما أدخلت«الكاف» التي تفرق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة، كقولهم: «هذا، وذاك، وتلك، وأولئك»، فتدخل«الكاف» للمخاطبة، وليست باسم، و«التاء» هو الاسم للواحد والجميع،

(٩٧) أحمر
أسود

تركت على حال واحدة، ومثل ذلك قولهم: «ليسك ثم إلا زيد»، يراد: ليس = و«لا سيك زيد»، فيراد: ولا سيما زيد = و«بلاك» فيراد،«بلى» في معنى: «نعم» = و«لبئسك رجلا ولنعمك رجلا». وقالوا: «انظرك زيدا ما أصنع به» = و«أبصرك ما أصنع به»، بمعنى: أبصره. وحكى بعضهم: «أبصركم ما أصنع به»، يراد: أبصروا = و«انظركم زيدا»، أي انظروا. وحكي عن بعض بني كلاب: «أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة؟ » فأدخل«الكاف».

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ) الآية.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وتأويل الكلام: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام: أخبروني، إن جاءكم، أيها القوم، عذاب الله، كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة = أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم، وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء، أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء؟ (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)، يقول: إن كنتم محقين في دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا معقب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سئل يجيب لمن يشاء؛ ولهذا قال: (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ) أي: أتاكم هذا أو هذا (أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أي: لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواه؛ ولهذا قال: إن (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أي: في اتخاذكم آلهة معه.

(٩٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ).

ج: المعنى- والله أعلم-: بل إذ آتاكم عذاب الله أو جاءتكم الساعة لن تتجهوا بدعائكم إلى غير الله ﷻ بل ستخلصون الدعاء لله وحده كما قال (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ) [الإسراء: ٦٧] وحينئذ ستنسون كل الآهلة التي عبدتموها مع الله ﷻ. فحينئذ يذهب الله عنكم السوء ويصرف عنكم المكروه إذا دعوتموه، ولكن ذلك موكول إلى مشيئته، فإن شاء كشف العذاب وإن شاء أبقاكم فيه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مكذبًا لهؤلاء العادلين به الأوثان: ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشيءٍ غير الله في حال شدة الهول النازل بكم من آلهةٍ ووثنٍ وصنمٍ، بل تدعون هناك ربكم الذي خلقكم وبه تستغيثون وإليه تفزعون دون كل شيءٍ غيره. (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ)يقول: فيفرج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم إليه عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرج ذلك عنكم، لأنه القادر على كل شيءٍ ومالك كل شيءٍ دون ما تدعونه إلها من الأوثان والأصنام. (وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) يقول: وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه فتجعلونه له ندا من وثنٍ وصنمٍ، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) أي: في وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه، وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم، كما قال: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ) الآية.

س: ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية الكريمة: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) مقيدة لآيات أخرى من آيات الدعاء، وضح ذلك؟

ج: نعم قد ذكر ذلك بعض أهل العلم، فقالوا: إن قوله تعالى: (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ

إِلَيْهِ إِن شَآءَ).

وكذا قوله تعالى: (أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ) [البقرة: ١٨٦]، مقيد بقوله تعالى: (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)

ج: المعنى -الله أعلم-: وكما أخذنا قومك ببعض الشدة حتى يرجعوا إلى طريق الله ﷻ، فكذلك أرسلنا رسلا إلى قومهم فأخذناهم بالفقر والأسقام والعلل لعلهم يتجهون إلينا بالدعاء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ومحذرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا ومخبرا نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ)، يا محمد،(إِلَىٰٓ أُمَمٍ)، يعني: إلى جماعات وقرون (مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ)، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء(بِٱلْبَأْسَآءِ)، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة (وَٱلضَّرَّآءِ)، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام.

وقال أيضًا:

وقوله: (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إلي دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إلي بالإنابة. وفي الكلام محذوف قد استغني بما دل عليه الظاهر من إظهاره دون قوله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم)، وإنما كان سبب أخذه إياهم، تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره لا إرسال الرسل إليهم. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن معنى الكلام:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) رسلا فكذبوهم،(فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ).

و«التضرع»: هو«التفعل» من«الضراعة»، وهي الذلة والاستكانة.

(١٠٠) أحمر
أسود

س: استدل البعض بقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) على تهذيب أنفسهم بتجويعها ومنعها الملذات، ما مدى صحة الاستدلال؟

ج: الاستدلال بهذه الآية الكريمة في غير محله، فقد كان النبي ﷺ يلبس جميل الثياب، ويأكل اللحم في حال وجوده وتوافره فلما دخل عليه بطعام غير اللحم ذات يوم قال ألم أر البرمة (يعني التي بها للحم).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عطية: استدل العباد في تأديب أنفسهم بالبأساء في تفريق الأموال، والضراء في الحمل على الأبدان بالجوع والعري بهذه الآية.

قلت: هذه جهالة ممن فعلها وجعل هذه الآية أصلا لها، هذه عقوبة من الله لمن شاء من عباده أن يمتحنهم بها، ولا يجوز لنا أن نمتحن أنفسنا ونكافئها قياسا عليها، فإنها المطية التي نبلغ عليها دار الكرامة، ونفوز بها من أهوال يوم القيامة، وفي التنزيل: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا) [المؤمنون: ٥١] وقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: ٢٦٧]. (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ) [البقرة: ١٧٢] فأمر المؤمنين بما خاطب به المرسلين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يأكلون الطيبات ويلبسون أحسن الثياب ويتجملون بها، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا، على ما تقدم بيانه في (المائدة) وسيأتي في (الأعراف) من حكم اللباس وغيره، ولو كان كما زعموا واستدلوا لما كان في امتنان الله تعالى بالزروع والجنات وجميع الثمار والنبات والانعام التي سخرها وأباح لنا أكلها وشرب ألبانها والدفء بأصوافها- إلى غير ذلك مما امتن به- كبير فائدةٍ، فلو كان ما ذهبوا إليه فيه الفضل لكان أولى به رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم من التابعين والعلماء، وقد تقدم في آخر (البقرة) بيان فضل المال ومنفعته والرد على من أبى من جمعه، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال مخافة الضعف على الأبدان، ونهى عن إضاعة المال ردا على الأغنياء الجهال.

(١٠١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)

ج: المعنى، والله أعلم، فهلا إذا حل بهؤلاء عذابنا المتمثل في البأساء والضراء استكانوا وتذللوا لربهم ودعوه وسألوه، ولكن ما حدث ذلك بل اشتدت قسوة قلوبهم وحسن لهم الشيطان أعمال السوء التي يعملونها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتأويل الكلام إذا: فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها، الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء، (تَضَرَّعُواْ)، فاستكانوا لربهم، وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه، وهو عذابه.

(وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ)، يقول: ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهمن وأصروا على ذلك، واستكبروا على أمر ربهم، استهانة بعقاب الله، واستخفافا بعذابه، وقساوة قلب منهم، (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)، يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم.

س: كثيرا ما يؤخذ الناس بالعذاب لإرجاعهم إلى طريق ربهم ﷻ، وكثيرا ما تسلط عليهم المحن والابتلاءات حتى يرجعوا إلى ربهم، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأعراف: ١٦٨].

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) [الأعراف: ٩٤].

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) [المؤمنون: ٧٦].

(١٠٢) أحمر
أسود

س: ما صحة هذا الحديث إذا رأيت الله يعطي عبده في دنياه إنما هو استدراج[1] ثم تلا هذه الآية (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) والحمد لله رب العالمين؟

ج: في رجال سند هذا الحديث بعض الكلام، ولكن له عدة شواهد من الكتاب العزيز كالآية المذكورة، وكقول الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [آل عمران: ١٧٨] وغير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، أننا لم أخذنا هؤلاء الظلمة بأنواع الفقر والشدة، والمرض، وذلك حتى يتضرعوا ويستكينوا ويجأرون إلينا، فلما لم يجد ذلك ولم ينفع وسعنا عليهم في الأرزاق وأمددناهم بالأموال والأولاد استدراجا منا لم حتى إذا فرحوا بما أوتوا أحللنا عليهم عذابنا فجأة فإذا هم آيسون من رحمتنا، فإذا هم في حزنٍ دائم نادمون على ما صدر منهم لا يستطيعون دفع ما حل بهم ونزل بهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذا بالله من مكره، ولهذا قال: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) أي: من الأموال والأولاد والأرزاق (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أي: على غفلة (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) أي: آيسون من كل خير.

س: كيف يؤاخذ هؤلاء القوم على النسيان في قوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) والنسيان ليس من فعلهم؟

---

(١) أخرجه الطبري (١٣٢٤٣، ١٣٢٤٤)، ولفظه:
أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله تعالى ذكره يعطي العباد ما يسألون على معاصيهم إياه، فإنما ذلك استدارج منه لهم»! ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية.

(١٠٣) أحمر
أسود

ج: المراد بالنسيان هاهنا ترك العمل، وكثيرا ما يأتي النسيان ويراد به ترك العمل، كما في قوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا) [الأعراف: ٥١]. وكما قال تعالى: (كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ) [طه: ١٢٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ)؟

ج: المعنى، والله أعلم استؤصل الذين ظلموا، وأبيدوا من أصلهم فلم يبق منهم أحد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله:(فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ)، فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذبوا رسله، وخالفوا أمره، عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله.

وقال أيضا:

و﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾، الذي يدبرهم، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم.

يقال في الكلام: «قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا» إذا كان آخرهم، ومنه قول أمية:

فأهلكوا بعذابٍ حص دابرهم فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

س: إهلاك أهل الظلم نعمة من الله ﷻ دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في الفاجر يموت «مستراح منه»[١].

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ)؟

---

(١) البخاري (حديث ٦٥١٢)، ومسلم (حديث ٩٥٠).

ج: معنى ذلك، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بك المشركين بالله العابدين للوثن والصنم، يا هؤلاء أرأيتم إن أصابكم الله بالصمم، والعمى وذهب بأفهامكم فلم تعودوا تعقلون، من الإله غير الله الذي يأتيكم بما أخذه الله منكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام، المكذبين بك: أرأيتم، أيها المشركون بالله غيره، إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم، وأعماكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم فطبع عليها، حتى لا تفقهوا قولا ولا تبصروا حجة، ولا تفهموا مفهوما، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد (يَأْتِيكُم بِهِۦٓ)، يقول: يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام، فتعبدوه أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم، وعلى رده عليكم إذا شاء؟

وهذا من الله تعالى ذكره، تعليم نبيه الحجة على المشركين به، يقول له: قل لهم: إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا، وإنما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع، والقبض والبسط، القادر على كل ما أراد، لا العاجز الذي لا يقدر على شيء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: (قُلْ) لهؤلاء المكذبين المعاندين (أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ) أي: سلبكم إياهما كما أعطاكموها، فإنه (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) [الملك: ٢٣].

ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي؛ ولهذا قال: (وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم) كما قال: (أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ) [يونس: ٣١] وقال: (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ) [الأنفال: ٢٤].

س: لماذا وحد السمع في قوله تعالى: (سَمْعَكُمْ)

ج: قال بعض العلماء: لأنه مصدر يدل على الجمع.

س: لماذا وحدت الهاء في قوله: (يَأْتِيكُم بِهِۦٓ) وقد ذكر السمع والأبصار والقلوب وهذا جمع.

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

فإن قال قائل: وكيف قيل: (مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ)، فوحد «الهاء»، وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال:(أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم)؟

قيل: جائز أن تكون«الهاء» عائدة على«السمع»، فتكون موحدة لتوحيد«السمع» = وجائز أن تكون معنيا بها: من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة، فتكون موحده لتوحيد«ما». والعرب تفعل ذلك، إذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية، وإن كثر ما يكنى بها عنه من الأفاعيل، كقولهم: «إقبالك وإدبارك يعجبني».

وقد قيل: إن«الهاء» التي في(بِهِ) كناية عن«الهدى».

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله:(يَصْدِفُونَ)، قال أهل التأويل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ) أي: هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه؛ ولهذا قال(ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ) أي: نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) أي: ثم هم مع هذا البيان يعرضون عن الحق، ويصدون الناس عن اتباعه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، انظر يا رسول الله كيف ننوع الآيات ونتابعها على هؤلاء ثم هم بعد ذلك يعرضون عن هذه الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ)، يقول: انظر

(١٠٦) أحمر
أسود

كيف نتابع عليهم الحجج، ونضرب لهم الأمثال والعبر، ليعتبروا ويذكروا فينيبوا، (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)، يقول: ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج، وتنبيهنا إياهم بالعبر، عن الادكار والاعتبار يعرضون.

س: وضح معنى الآية الكريمة (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين لما جئت به، المشركين بالله، أرأيتم يا هؤلاء إن حل بكم عذاب الله عزوجل وعقابه فجأة أو أتاكم وأنتم تتوقعون نزوله بكم وترونه عيانا وهو قادم عليكم، من الذي سيصاحبه الهلاك ولا ينفك عنه العذاب ولا يزول بل يلازمه إن الذي سيصاحبه الهلاك ويدوم عليه العذاب هو الظالم لنفسه باتخاذه شريكا لله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، المكذبين بأنك لي رسول إليهم: أخبروني (إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ)، وعقابه على ما تشركون به من الأوثان والأنداد، وتكذيبكم إياي بعد الذي قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولي(بَغْتَةً)، يقول: فجأة على غرة لا تشعرون (أَوْ جَهْرَةً)، يقول: أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه(هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)، يقول: هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة، وترك عبادة من يستحق علينا العبادة؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً) بغتة أي: وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم (أَوْ جَهْرَةً) أي: ظاهرا عيانا (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)أي: إنما: كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله [ﷻ] وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. كما قال تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [الأنعام:٨٢]

س: قد ينزل على الناس عذاب عام يعم المؤمن والكافر على السواء فكيف يجاب إذن على قوله تعالى: (هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)؟

ج: في حالة نزول العذاب العام، فإن المؤمن، وإن مات فإنه يرحم بعد هذا الموت، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في ميتٍ «مستريح ومستراح منه»[1] فالمؤمن يستريح من نصب الدنيا وتعبها، والفاجر يستريح منه الناس والدواب.

فعليه فإذا نزل العذاب عاما فالفاجر يلازمه العذاب ولا ينفك عنه، فهو عند حلول البلاء به في الدنيا معذب وعند الموت معذب وفي القبر معذب وعند البعث معذب ويوم الحساب معذب، وهذا العذاب حق العذاب، عافانا الله والمسلمين.

هذا، وكمزيدٍ من الإيضاح لما سبق، أقول، وبالله التوفيق إن بيتا ما قد يهدم على قومٍ- عافانا الله من الهدم والتردي، - فيموت بسبب هذا الهدم أقوام فريق مؤمن وفريق كافر فالمؤمن الذي مات بهذا الهدم شهيد، والكفار الذي قد مات بسبب هذا الهدم انتقم الله منه.

فقوله ﷺ: «وصاحب الهدم شهيد»[2] منزل على المؤمنين.

وقوله تعالى في شأن أهل الكفر: (فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ) [النحل: ٢٦] والله أعلم.

س: قوله تعالى: (وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ) [الكهف: ٥٦] مبشرين من؟ ومنذرين من؟

ج: مبشرين أهل الطاعة والإيمان بالجنة ومنذرين العصاة وأهل الكفر بالنار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاء منا لهم على طاعتنا وبإنذار من عصانا وخالف أمرنا،

(١) صحيح وقد تقدم.
(٢) البخاري (حديث ٦٥٣)، ومسلم (حديث ١٩١٤).

عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة، جزاء منا على معصيتنا، لنعذر إليه فيهلك إن هلك عن بينة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) [الكهف: ٥٦] أي: مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات.

س: كيف يقال: (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) وقد أمر الرل عليهم صلوات الله وسلامه بأمور أخر كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك؟

ج: الظاهر، والله أعلم أن قوله تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) متعلق بجانب من الجوانب، تلك المعلقة بالدعوة إلى الله وهداية الناس فيقال إن أمر الهداية ليس بموكولٍ إلى الرسل، بل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وما على الرسل إلا البلاغ، بتبشير من آمن بالجنة وإنذار من عصى بالنار.

س: قوله تعالى: (فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ) يفيد أمرا؟ وضحه.

ج: إيضاحه أن التصديق القلبي فقط لا يكفي ولكن لا من عمل الصالحات، وذلك لقوله تعالى: (فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ) ولقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) [البقرة: ٢٧٧] إلى غير ذلك من الآيات كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: ٣٠] فلابد من العمل الصالح.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي لا خوف عليهم مما هم مقبلون عليه فلا خوف عليهم من عذاب الله وعقابه، لا خوف عليهم عند الاختضار ولا خوف عليهم في القبر ولا خوف عليهم عند البعث والحساب ولا خوف عليهم من النار.

وأقول، وبالله التوفيق، ولا خوف عليهم أيضا في دنياهم فالله عَزَّ وَجَلَّ بتولاهم.

أما قوله تعالى: (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فقد قالوا في معناه لا هم يحزنون على ما قد فات، فلا يحزنون على أبناء تركوهم ولا على بنات، ولا على أزواج، ولا على أموال لا يحزنون على ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا وكذلك لا يحزنون في دنياهم على شيء فاتهم فإن أمر الدنيا زائل ومنتهى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ)، يقول: فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه، وقبل منهم ما جاؤوه به من عند الله، وعمل صالحا في الدنيا (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، عند قدومهم على ربهم، من عقابه وعذابه الذي أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ....)

ج: المعنى الإجمالي قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين لك الجاحدين نبوتك من أهل الشرك وغيرهم، لا أدعي ربوبية، فلست بربٍ عنده الخزائن يتحكم فيها كيف يشاء، ولست بعالم للغيب الذي اختص ربنا نفسه بالعلم به، ولست بملكٍ من الملائكة بل إنما أنا بشر أتبع الوحي الذي أوحاه الله إلي وأمتثله، ثم قل لهؤلاء أيضا هل يستوي الأعمى عن الحق المعرض عنه والبصير به المتبع له أفلا تتفكرون فيما أذكره لكم وأحاججكم به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السماوات والأرض، وأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذبوني فيما أقول من ذلك، لأنه لا ينبغي أن يكون ربا إلا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره(وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ)، لأنه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر في الدنيا، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ)، يقول: قل لهم: ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه، إلا وحي الله الذي يوحيه إلي،

(١١٠) أحمر
أسود

وتنزيله الذي ينزله علي، فأمضي لوحيه وأئتمر لأمره، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولي في ذلك، وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة، فما وجه إنكاركم ذلك؟

وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه ﷺ على موضع حجته على منكري نبوته من مشركي قومه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ) أي: لست أملكها ولا أتصرف فيها، (وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ) أي: ولا أقول: إني أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله، ﷻ، لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه، (وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ) أي: ولا أدعي أني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يوحي إلي من الله، ﷻ، شرفني بذلك، وأنعم علي به؛ ولهذا قال: (إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ) أي: لست أخرج عنه قيد شبرٍ ولا أدنى منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ) هذا جواب لقولهم: (لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ) [الأنعام: ٣٧] فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترن من الآيات، ولا أعلم الغيب فأخبركم به. والخزانة ما يخزن فيه الشيء.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد بالأعمى والبصير في هذه الآية (قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ)؟

ج: المراد –والله أعلم–: كما سلف أن الأعمى في هذا المقام هو الأعمى عن الحق المعرض عنه المكذب به، فالتكذيب الذي صدر منه وما زال يصدر والعناد والشقاق كل ذلك يترك سوادا على قلبه فيرى الحق باطلا ويرى الباطل حقا ولا يهتدي إلى وجوه الخير والصواب.

أما البصير، فكما سلف أيضا أنه من نور الله قلبه بالإيمان والطاعات فأصبح يرى الحق حقا ويبادر باتباعه ويرى الباطل باطلا ويسارع إلى اجتنابه وإتقانه.

(١١١) أحمر
أسود

هـذا، وقـد أورد الطـبري[١] بإسـنادٍ حسـنٍ عـن قتـادة في قولـه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ)، الآية، قال: «الأعمى»، الكـافر الـذي قـد عمي عـن حـق الله وأمـره ونعمه عليه، و«البصير»، العبد المؤمن الـذي أبصـر بصـرا نافعـا، فوحـد الله وحـده، وعمل بطاعة ربه، وانتفع بما آتاه الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ)أي: هل يستوي من اتبع الحق وهدي إليه، ومن ضل عنه ولم ينقد له: (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) وهذه كقوله تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) [الرعد: ١٩].

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ)؟

ج: فـي معناهـا قولـه تعـالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ) [الرعد: ١٦].

وقوله تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ).

وقوله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ) [الزمر: ٢٢].

وقولـه تعـالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) [الزمر: ٩].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ...)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأنذر بهذا القرآن قوما وسينتفع بإنذارك منهم الـذين إذا ذكـروا تـذكروا، وهـم الـذين يخشـون البعـث والعقـاب ويرجـون الأجـر والثواب، هـم الـذين يعتقـدون أن لا ولـي يتـولاهم إذا أراد الله بهـم سـوءا، ولا ناصـر ينصرهم إن أراد الله بهم عذابا، ولا شفيع يشفع لهم إن ماتوا على كفرهم، أنذر هـؤلاء وخصهم بمزيد من الإنذار لعلهم يتقون النار لعلهم يتقون غضب الله ﷻ وعقابه،

(١) الطبري (١٣٢٥٧).

فيعملون بالطاعات ويتركون المحرمات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر، يا محمد، بالقرآن الذي أنزلناه إليك، القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، علما منهم بأن ذلك كائن، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضي الله، دائبون في السعي، فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله (لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ)، أي ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم (وَلِيٌّ)، ينصرهم فيستنقذهم منه، (وَلَا شَفِيعٌ)، يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه(لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم، ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه.

وقيل:(وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ)، ومعناه: يعلمون أنهم يحشرون، فوضعت«المخافة» موضع«العلم»، لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك.

وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه، وتذكيرهم، والإقبال عليهم بالإنذار = وصد عنه المشركون به، بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجة عليهم، حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد (إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) [المؤمنون: ٥٧] والذين (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ) [الرعد: ٢١].

(ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ) أي: يوم القيامة. (لَيْسَ لَهُم) أي: يومئذٍ (مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) أي: لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم، (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي: أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله، ﷻ (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه.

(١١٣) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَأَنذِرْ بِهِ) أي بالقرآن. والإنذار الإعلام وقد تقدم في« البقرة». وقيل: « به» أي بالله. وقيل: باليوم الآخر.

وخص(ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ) لأن الحجة عليهم أوجب، فهم خائفون من عذابه، لا أنهم يترددون في الحشر، فالمعنى« يخافون» يتوقعون عذاب الحشر.

وقيل: « يخافون» يعلمون، فإن كان مسلما أنذر ليترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق.

وقال الحسن: المراد المؤمنون.

قال الزجاج: كل من أقر بالبعث من مؤمنٍ وكافرٍ.

وقيل: الآية في المشركين أي أنذرهم بيوم القيامة.

والأول أظهر.

(لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ) أي من غير الله (شَفِيعٌ) هذا رد على اليهود والنصارى في زعمهما أن أباهما يشفع لهما حيث قالوا: (نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ) [المائدة: ١٨] والمشركون حيث جعلوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله، فأعلم الله أن الشفاعة لا تكون للكفار.

ومن قال الآية في المؤمنين قال: شفاعة الرسول لهم تكون بإذن الله فهو الشفيع حقيقة إذن، وفي التنزيل: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ) [الأنبياء: ٢٨]. (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ) [سبأ: ٢٣]. (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) [البقرة: ٢٥٥]. (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي في المستقبل وهو الثبات على الايمان.

س: أهل الكفر في كثيرٍ من الأحيان يستنكفون عن الإيمان بسبب إيمان الضعفاء والفقراء، فلا يريدون أن يكونوا والفقراء والضعفاء شيئا واحدا تجمعهم مجالس واحدة فمن ثم يطلبون طرد أهل الإيمان، ولكن يثبت الله رسله ويحثهم على مجالسة أهل الإيمان ولو كانوا ضعفاء وفقراء، دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

(١١٤) أحمر
أسود

قوله قوم نوح عليه السلام: (قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ) [الشعراء: ١١١-١١٤].

وقوله تعالى: (وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ). [الأنعام: ٥٢]

وقوله تعالى: (وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا) [الكهف: ٢٨].

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾؟

ج: نعم صح لها سبب نزولٍ، أخرج مسلم (١) في صحيحه عن سعدٍ رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾.

س: ما المراد بدعائهم بالعداة والعشي:

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذلك إقامتهم الصلوات المكتوبة وكانت في أول الأمر صلاتان صلاة الصبح وصلاة العصر (٢) ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك (٣).

وقال آخرون: إن المراد بذلك ذكرهم لله عز وجل.

---

(١) مسلم (مع النووي ١٥/١٨٧).

(٢) رواه الطبري (١٣٢٧٦) بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ) [الكهف: ٢٨]، هما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر.

(٣) وعند الطبري بإسناد صحيح، عن مجاهد وإبراهيم ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾، قال: الصلوات الخمس.

(١١٥) أحمر
أسود

وقال آخرون: إن المراد بذلك عبادتهم ربهم ﷻ.

والذي يظهر أن كل ذلك داخل في دعاء ربهم، فالظاهر أنهم يصلون الصلوات المكتوبات ويذكرون الله بكرة وعشيا، وكذلك يديمون عبادة ربهم ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدا ﷺ أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، و«الدعاء لله»، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلاما وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التي كان عليهم فرضها، وغيرها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابده بما هو عامل له.

وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي، لأن الله قد سمى «العبادة»، «دعاء»، فقال تعالى ذكره: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [سورة غافر: ٦٠]. وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء.

ولا قول أولى بذلك بالصحة، من وصف القوم بما وصفهم الله به: من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فيعمون بالصفة التي وصفهم بها ربهم، ولا يخصون منها بشيء دون شيء.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ)؟

ج: يبدو والله أعلم أن معناها يبتغون ثوابه يوم يلقونه.

وقد يكون المعنى، والله أعلم، أنهم لا يراءون بل يخلصون في عملهم ذلك لله ﷻ.

بيد أن هذا التفسير وذاك لا ينفيان صفة الوجه عن الله ، بل صفة الوجه ثابتة لله ﷻ من عدة أدلة، وليس وجهه سبحانه كوجه خلقه، إذ الله قال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

(١١٦) أحمر
أسود

س: وضح المراد بقوله تعالى: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها:

فتأويل الكلام إذا: يا محمد، أنذر القرآن الذي أنزلته إليك، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير، في العمل له دائبون إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك، استكبارا على الله = ولا تطردهم ولا تقصهم، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه، وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه، فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوه ومغفرته بصالح أعمالهم، وأداء ما ألزمهم من فرائضه، ونوافل تطوعهم، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشي، يلتمسون بذلك القربة إلى الله، والدنو من رضاه (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ)، يقول: ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء = وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء (فَتَطْرُدَهُمْ)، حذار محاسبتي إياك بما خولتهم في الدنيا من الرزق.

وقوله: (فَتَطْرُدَهُمْ)، جواب لقوله: «ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء».

وقوله: (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) جواب لقوله: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ) كقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب الذين (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) [الشعراء: ١١١- ١١٣].

أي: إنما حسابهم على الله عَزَّ وَجَلَّ وليس علي من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فاستفاض في ذلك فقال:

قوله تعالى: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) أي من جزائهم ولا كفاية «٥»

أرزاقهم، أي جزاؤهم ورزقهم على الله، وجزاؤك ورزقك على الله لا على غيره.

(من) الأولى للتبعيض، والثانية زائدة للتوكيد.

وكذا(مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) المعنى وإذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل، فإن فعلت كنت ظالما.

وحاشاه من وقوع ذلك منه، وإنما هذا بيان للأحكام، ولئلا يقع مثل ذلك من غيره من أهل السلام، وهذا مثل قوله: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥] وقد علم الله منه أنه لا يشرك ولا يحبط عمله.

(فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفي.

(فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) نصب بالفاء في جواب النهي، المعنى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين، وما من حسابك، عليهم من شي فتطردهم، على التقديم والتأخير.

والظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه.

وقد تقدم في« البقرة» مستوفى. وقد حصل من قوة الآية والحديث النهي عن أن يعظم أحد لجاهه ولثوبه، وعن أن يحتقر أحد لخموله ولرثاثة ثوبيه.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا) ؟

ج: الظاهر، والله أعلم أن معناها أننا جعلنا بعض الخلق فتنة لآخرين فجعلنا الفقراء المؤمنين فتنة للأغنياء الكافرين فيقول الكافر صاحب المال أهذا الفقير المؤمن أفضل مني؟ فيستنكف عن الإسلام والإيمان.

وفي الجملة فالخلق بعضهم لبعض فتنة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾.

قا الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) أي ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم

(١١٨) أحمر
أسود

ببعضٍ، (لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ) وذلك أن رسول الله ﷺ، كان غالب من اتبعه في أول بعثته، ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشرف إلا قليل، كما قال قوم نوحٍ لنوحٍ (وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ) [هود: ٢٧] الآية،

وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل، فقال له: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل،

والغرض أن مشركي قريشٍ كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، ويعذبون من يقدرون عليه منهم، وكانوا يقولون: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أي ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير، لو كان ما صاروا إليه خيرا ويدعنا، كقولهم: (لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ) [الأحقاف: ١١] وكقوله تعالى: (وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا) [مريم: ٧٣].

قال الله تعالى في جواب ذلك: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا) [مريم: ٧٤]، وقال في جوابهم حين قالوا: أ(أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣] أي أليس هو أعلم بالشاكرين له، بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، كما قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩] وفي الحديث الصحيح[1]: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

س: جعل الله بعض الخلق فتنة لبعض وضح ذلك؟

ج: نعم قد جعل الله عزوجل بعض الخلق فتنة لبعض قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ) [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: (وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم) [محمد: ٤] إلى ذلك من الآيات وإيضاح ذلك، والله أعلم، أن الله جعل الغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، فيقول الفقير لماذا

(١) مسلم (٢٥٦٤).

(١١٩) أحمر
أسود

أغنى الله فلانا وأفقرني! فيفتن بذلك ويحسد الغني على ما أعطاه الله!

والغني هو الآخر يزدري الفقير ويحتقره فيفتن بذلك ويتعالى عليه ويظلمه!!

والمريض فتنة للصحيح، فيظلمه الصحيح ويزدريه!

والصحيح فتنة المريض فيعترض المريض على القضاء ويحسد!!

وكذا الجميلة فتنة للدميمة، والدميمة هي الأخرى فتنة لها!!

ومن رزقت بولد فتنة للعاقر، والعاقر فتنة لها هي الأخرى!!

والذكي فتنة للغبي والغبي فتة للذكي!!

والعالم فتنة للجاهل، والجاهل فتنة للعالم!!

والكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر!

والمؤمن الضعيف فتنة للكافر صاحب المال، فينظر الكافر صاحب المال إلى من من الله عليهم بالإيمان كالمال، يظن أن من رزق مالا لابد وأن يرزق الهداية إلى وجوه الحق والصواب! فيفتن بالمؤمن ويكفر بما آمن به المؤمن، إذ هو لا يريد أن يتساوي به لا في مالٍ ولا في إيمان وهداية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ)، يقول تعالى: اختبرنا الناس بالغنى والفقر، والعز والذل، والقوة والضعف، والهدى والضلال، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق، للذين هداهم الله ووفقهم: (أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم)، بالهدى والرشد، وهم فقراء ضعفاء أذلاء (مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ)، ونحن أغنياء أقوياء؟ استهزاء بهم، ومعاداة للإسلام وأهله.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣] أجرى الله تعالى الحكمة بأن أكثر أتباع الرسل ضعفاء الناس، ولذلك لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن نبينا - ﷺ: «أأشراف الناس يتبعونه، أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، قال: هم أتباع الرسل» .

(١٢٠) أحمر
أسود

فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنه تعالى أشار إلى أن من حكمة ذلك فتنة بعض الناس ببعض، فإن أهل المكانة والشرف والجاه يقولون: لو كان في هذا الدين خير لما سبقنا إليه هؤلاء ؛ لأنا أحق منهم بكل خير كما قال هنا: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ)، إنكارا منهم أن يمن الله على هؤلاء الضعفاء دونهم، زعما منهم أنهم أحق بالخير منهم، وقد رد الله قولهم هنا بقوله: (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ).

وقد أوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ) ، وقوله: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) [مريم: ٧٣].

والمعنى: أنهم لما رأوا أنفسهم أحسن منازل ومتاعا من ضعفاء المسلمين اعتقدوا أنهم أولى منهم بكل خير، وأن اتباع الرسول - ﷺ - لو كان خيرا ما سبقوهم إليه، ورد الله افتراءهم هذا بقوله: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا)، وقوله: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ) [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ﷻ أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فالشاكرون لنعم الله عليهم-ويعلمهم الله- هم الذين يستحقون الهداية وإن كانوا فقراء والجاحدون لنعم الله -والله بهم عليم- يصرفهم الله عن الإيمان لكونهم قد أعرضوا عن شكر الله ولم يقبلوا هديه الذي بعث نبيه به إليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ)، وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق، وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكرا نعمتي، ممن هو لها كافر.

(١٢١) أحمر
أسود

فمني على من مننت عليه منهم بالهداية، جزاء شكره إياي على نعمتي، وتخذيلي من خذلت منهم عن سبيل الرشاد، عقوبة كفرانه إياي نعمتي، لا لغنى الغني منهم ولا لفقر الفقير، لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذي اكتسبه، لا على غناه وفقره، لأن الغنى والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقي.

س وضح: المراد بقوله تعالى: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ...)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المعنيين بقوله: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا) هم الذين نهي النبي ﷺ عن طردهم، فيكون المعنى إذا جاءك هؤلاء المؤمنون فرحب بهم وبشرهم ولا تقنطهم من رحمة الله.

والآخر: أن المعني بقوله: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا) هم قوم من المؤمنين كانوا قد أشاروا على النبي ﷺ بطرد أهل الإيمان الفقراء فلما نزل قوله تعالى: (وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ...) ندم المؤمنون الذين أشاروا بذلك، واستغفروا لذنوبهم فقيل للنبي ﷺ أقبل توبة هؤلاء وأقبل عذرهم، وأخبرهم بأن الله كتب على نفسه الرحمة، وأنه من عمل منهم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: المعنيون بقوله: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ) غير الذين نهى الله النبي ﷺ عن طردهم،

لأن قوله: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا) خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم،

ولو كانوا هم لقيل: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ) وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأولين ما ينبئ عن أنهم غيرهم.

(١٢٢) أحمر
أسود

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرون بذلك قولا وعملا، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم، هل لهم منها توبة؟ فلا تؤيسهم منها، وقل لهم: (سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ) أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها، (كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ) يقول: قضى ربكم الرحمة بخلقه، (أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) .

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ) أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: (كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ) أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلا منه وإحسانا وامتنانا.

س: اذكر بعض الأدلة على أن الله كتب على نفسه الرحمة؟

ج: أخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**».

س: وضح المراد بقوله تعالى: (مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ)؟

ج: قال بعض العلماء: إن المراد بالجهالة الخطأ، والمعنى من اقترف سوءا عن غير قصدٍ بل بجهلٍ منه.

وقال آخرون: ويظهر أن قولهم أولى بالصواب- أن كل من عصى الهل فهو جاهل لمعصيته التي عصى، فهؤلاء الذين جهلوا لعصيانهم إذا تابوا وأقبلوا معتذرين عن سالف ذنوبهم ورجعوا عنها وأصلحوا من شأنهم وعملهم، فرحب بهم وقل لهم (سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ) أي أمان من الله عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى قوله: (أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ)، أنه من اقترف منكم ذنبا، فجهل

---

(١) البخاري (٧٤٥٣)، وانظر مسلم كذلك (٢٧٥١)؛ ففيه أحاديث كثيرة في بيان سعة رحمة الله ﷻ.

باقترافه إياه ثم تاب وأصلح «فإنه غفور»، لذنبه إذا تاب وأناب، وراجع العمل بطاعة الله، وترك العود إلى مثله، مع الندم على ما فرط منه (رَّحِيمٌ)، بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه.

س: التوبة تستلزم الإصلاح دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنعام: ٥٤].

قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

قوله تعالى: (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا) [الفرقان: ٧١].

قوله تعالى: (فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ) [المائدة: ٣٩].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ)؟

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، وكما فصلنا لك الآيات في هذه السورة وبيناها لك، تلك الآيات الدالة على قدرتنا وعلى وحدانيتنا، تلك الآيات التي تحاجج بها أهل الشرك وتبين لهم بها ما هم عليه من شر وفسادٍ فدائما نفصل لك الآيات ونوضحها لك ونبينها حتى تظهر لك وتتضح لك ولمن آمنوا بك طرائق أهل الإجرام حتى تنقيها ويتقيها المؤمنون.

ويحتمل أن يكون هناك وجه آخر، وهو كما بينا لك حججنا وآياتنا في سور أخر نبينها لك أيضا في هذه السورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ)، وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها، يا محمد، إلى هذا الموضع، حجتنا على المشركين من عبدة

(١٢٤) أحمر
أسود

الأوثان، وأدلتنا، وميزناها لك وبيناها، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم، فنبينها لك، حتى يبين حقه من باطله، وصحيحه من سقيمه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد، وذم المجادلة والعناد، (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ) أي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ) أي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل، وقرئ: (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ) أي: وليستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين.

س: كيف قيل ولتستبين سبيل المجرمين، مع أن سبيل المؤمنين تظهر أيضا.

ج: أجاب السمعاني على ذلك بقوله:

فإن قيل: لم خص سبيل المجرمين؟

قيل: تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنين؛ فحذف أحدهما اختصارا، والأصح أن تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إذا دعوك إلى عبادة آلهتهم، أو إذا استمروا على شركهم وكفرهم، قل لهم قد نهاني الله ﷻ أن أعبد آلهتكم التي عبدتموها من دون الله، ولقد نهاني الله عن اتباع أهوائكم فإن خالفت أمر ربي ﷻ وعبدت آلهتكم التي تعبدون أو اتبعت أهواءكم فيما تريدون مخالفا بذلك أمر ربي فقد حدت عن طريق الحق وطريق الصواب، وابتعدت عن طريق الهداية والرشاد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٢٥) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ولا أوافقكم عليه، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه، وإن فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق وسلكت على غير الهدى، فصرت ضالا مثلكم على غير استقامةٍ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين بالله المكذبين لك ولم جئتهم به إني على بصيرة وبرهان من الله ﷻ، وعلى بيانٍ قد تبينته وحججٍ علمنيها ربي ﷻ، أما أنتم قد أعرضتم عن برهان ربكم وكذبتم بربكم ﷻ، فقوله: (وَكَذَّبْتُم بِهِۦ) أي وكذبتم بربكم ﷻن وكذا تحتمل معنى آخر: وهو وكذبتم ببرهان ربكم وحجج ربكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: (قُلْ)، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم، الداعين لك إلى الإشراك بربك (إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي)، أي إني على بيان قد تبينته، وبرهان قد وضح لي (مِّن رَّبِّي)، يقول: من توحيدي، وما أنا عليه من إخلاص عبودته من غير إشراك شيء به.

وكذلك تقول العرب: «فلان على بينة من هذا الأمر»، إذا كان على بيان منه، ومن ذلك قول الشاعر:

أبينة تبغون بعد اعترافه ... وقول سويدٍ قد كفيتكم بشرا

(وَكَذَّبْتُم بِهِۦ) يقول: وكذبتم أنتم بربكم = و«الهاء» في قوله: (بِهِۦ) من ذكر الرب جل وعز.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) أي: على بصيرةٍ من شريعة الله التي أوحاها إلي (وَكَذَّبْتُم بِهِۦ) أي: بالحق الذي جاءني من الله (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ)

(١٢٦) أحمر
أسود

أي: من العذاب، (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) أي: إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم؛ لما له في ذلك من الحكمة العظيمة. ولهذا قال (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ) أي: وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده.

س: وضح معنى (مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين استعجلوك بأمورٍ وطلبوها منك، إن الذي تطلبونه مني وتستعجلوني به ليس لي ولا عندي إنما هو من عند الله يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد يقضي بيني وبينكم بالحق، وهو خير من قضى بالحق وحكم وعدل وهو خير من ميز الحق من الباطل وأنصف وانتصر.

أما عن الشيء استعجله المشركون رسول الله ﷺ فقد استعجلوا أمورا وسألوا أمورا قد استعجلوا العذاب فقالوا: (قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: ٣٢].

وقال تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ) [الحج: ٤٧].

وأيضًا فقد طلبوا معجزاتن فقالوا: (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ) [الإسراء: ٩٠-٩٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ)، يقول: ما الذي تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدي، ولا أنا على ذلك بقادر.

وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا ﷺ بتوحيده، فدعاهم إلى الله، وأخبرهم أنه رسوله إليهم: (هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) [سورة الأنبياء: ٣]. وقالوا للقرآن: هو أضغاث أحلام.

وقال بعضهم: بل هو اختلاق اختلقه.

وقال آخرون: بل محمد شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون = فقال الله لنبيه ﷺ: أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك، وإنما أنت رسول، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به، وأن الله يقضي الحق فيهم وفيك، ويفصل به بينك وبينهم، فيتبين المحق منكم والمبطل (وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ)، أي: وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعدلهم، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور، لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين.

وقال أيضا: ما الحكم فيما تستعجلون به، أيها المشركون، من عذاب الله وفيما بيني وبينكم، إلا الله الذي لا يجور في حكمه، وبيده الخلق والأمر، يقضي الحق بيني وبينكم، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه.

س: وضح معنى قوله: (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أنه لو كان بيدي ما تسألوني إياه كتعجيل العذاب عليكم أو إتيانكم بمعجزةس من المعجزات، لكانت هذه أو تلك الفيصل بيني وبينكم، فلو كان العذاب بيدي وسألتموني إنزال العذاب واستعجلتموني بذلك لأنزلته عليكم فهلكتم وانتهى ما بيني وبينكم، وكذلك لو كانت المعجزات بيدي لآتيناكم بها ومن لم يؤمن عذب وأخذ كما أخذ من كان قبله من أهل الظلم والعناد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان، المكذبيك فيما جئتهم به، السائليك أن تأتيهم بآيةٍ استعجالا منهم بالعذاب: لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب (لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ)، ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه، ولكن ذلك بيد الله الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التي لا

(١٢٨) أحمر
أسود

تنبغي أن تكون إلا لله في غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بيني وبينهم.

وقال أيضًا:

وإنما هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي، لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي من العذاب لأنزلته بكم حتى ينقضي الأمر إلى آخره.

والاستعجال: تعجيل طلب الشيء قبل وقته.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي بالمشركين وبوقت عقوبتهم.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ها هنا حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحدٍ؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم**». قال: «**فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين**»، فقال رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئا**»[١].

وأورد الحافظ ابن كثير خ سؤالا فقال:

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(١٢٩) أحمر
أسود

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا. فما الجمع بين هذا، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟

فالجواب -والله أعلم-: أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له، لأوقعه بهم. وأما الحديث، فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين -وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا -فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم.

(١٣٠) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ
ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩ وَهُوَ ٱلَّذِى
يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦٠
وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ٦٢ قُلْ
مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم
مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ٦٤ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ
أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ٦٥ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل
لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٦٧
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ
يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ وَمَا
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ٦٩ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ٧٠ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى

(١٣١) أحمر
أسود

ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ٧١ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ٧٢ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ
وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى
ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ٧٣

(١٣٢) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿مَفَاتِحُ﴾	مفاتيح: (جمع مِفتاح)- خزائن.
﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾	يقبض أرواحكم.
﴿جَرَحْتُم﴾	اكتسبتم – عملتم- اكتسبتم بجوارحكم.
﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾	يحييكم في النهار.
﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾	لينتهي أجلكم الذي كتبه الله لكم.
﴿ٱلْقَاهِرُ﴾	الغالب- المتعالي عليهم بقدرته.
﴿حَفَظَةً﴾	ملائكة يحفظون الأعمال ويحصونها، وكذا يحفظون بني آدم مما لم يكتب عليهم.
﴿رُسُلُنَا﴾	ملائكتنا.
﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾	لا يقصِّرون- لا يضيِّعون.
﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾	سيدهم وخالقهم.
﴿تَضَرُّعًا﴾	استكانةً وخضوعًا- جهرًا.
﴿وَخُفْيَةً﴾	في الخفاء.
﴿يَلْبِسَكُمْ﴾	يخلطكم.
﴿شِيَعًا﴾	فِرقًا.
﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾	يجعلكم فِرقًا متناحرة.
﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾	يسلط بعضكم على بعض فيقتل بعضكم بعضًا ويؤذي بعضكم بعضًا.
﴿نُصَرِّفُ﴾	ننوع -نكرر- نبين- نوضح.
﴿يَفْقَهُونَ﴾	يفهمون.
﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾	لست عليكم بحفيظ ولا رقيب.
﴿نَبَإٍ﴾	خبر.

(١٣٣) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾	قرار يستقر عنده- حقيقة- وقت يتحقق فيه- نهاية ينتهي عندها- وقت يظهر عنده صدق الخبر من كذبه.
﴿يَخُوضُونَ﴾	يستهزئون- يكذبون- يسخرون.
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	فانصرف عنهم- لا تجالسهم.
﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾	التذكر.
﴿وَذَرِ﴾	اترك.
﴿تُبْسَلَ﴾	تُسلّم بكسبها – تفضح- تُجزى- تُرتهن- تُحبس.
﴿وَلِيٌّ﴾	من يتولاها.
﴿شَفِيعٌ﴾	من يشفع لها (لإنقاذها من العذاب).
﴿تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾	تفتدي بكل فدية.
﴿أُبْسِلُوا۟﴾	أُسلموا- جوزوا- ارتهنوا- حُبسوا- مُنعوا من الخير.
﴿حَمِيمٍ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه.
﴿أَنَدْعُوا۟﴾	أنعبد- أنسأل.
﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا﴾	نرجع إلى الوراء- نبتعد عما نريد- نُحرم مما نسأل- نرجع إلى الجهل بعد العلم، وإلى الكفر بعد الإيمان.
﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾	لعبت بهواه- قادته إلى ما تريد- قادته إلى الهاوية.
﴿حَيْرَانَ﴾	متحير لا يهتدي.
﴿تُحْشَرُونَ﴾	تجمعون.
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرنٌ ينفخ فيه.
﴿ٱلْغَيْبِ﴾	ما غاب عن الحواس والأبصار (ما لا تحسونه ولا تبصرونه).
﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	الأمور التي تشاهدونها.
﴿ٱلْحَكِيمُ﴾	ذو الحكمة (في كل شيء، وفي تدبير الأمور وتصريفها)
﴿ٱلْخَبِيرُ﴾	الخبير بكل ما يعملونه وما يكسبونه، وبكل شيءٍ.

(١٣٤) أحمر
أسود

س: ما مفاتح الغيب؟

ج: مفاتح الغيب خمس، بينها رسول الله ﷺ بقوله: «**مفاتح الغيب خمس**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤] (١).

س: اذكر بعض الأدلة على أن الغيب لا يعلمه إلا الله؟

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ) [آل عمران: ١٧٩].

وقوله تعالى: (قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ) [الأعراف: ١٨٨].

وقوله تعالى: (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ) [سبأ: ١٤].

س: هل من رابطٍ بين قوله تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ) والآية التي سبقتها؟ وإذا كان رابط فوضحه؟

ج: الظاهر أن هناك رابطا بينهما، ووجه هذا الرابط يتلخص في أن أهل الكفر لما استعجلوا أمورا؛ (كنزول العذاب عليهم، أو مجيئهم بالمعجزات) قيل لهم: إن العلم بهذا الذي طلبتموه وسألتموه موكول إلى الله ﷻ، وليس لي ولا لكم؛ فالله ﷻ يعلم متى ينزل؛ فعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وكذلك فهو يعلم ما هو ظاهر أو خفي في بركم وبحركم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذا: والله أعلم بالظالمين من خلقه، وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه، ولن يعلموه ولن يدركوه (وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ)، يقول: وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين، يعلمه العباد.

(١) البخاري (٤٦٢٧).

(١٣٥) أحمر
أسود

فكأن معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم، أيها الناس، مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم.

فأخبر الله تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون، وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب.

س: هل هناك أمور مستقبلية أطلع الله ﷻ عليها البشر؟

ج: نعم، هناك أمور مستقبلية أطلع الله عليها البشر، فمن ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ) [النمل: ٨٢]

وقوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ) [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقوله تعالى في شأن نزول عيسى عليه السلام: (وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) [الزخرف: ٦١].

وقوله تعالى: (غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ) [الروم: ٢- ٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومن ذلك ما أخبر الله به من البعث والجزاء والحساب، ومن ذلك سائر الأشراط الصغرى والكبرى للساعة التي بينها رسول الله ﷺ؛ كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال، و النار التي تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا، وكالنساء الكاسيات العاريات المائلات والمميلات اللواتي رءوسهم كأسنمة البخت المائلة، وكذلك تكليم السباع للإنس، وتكليم الحجر والشجر للمسلم إلى غير ذلك.

وهناك أمور من أمور الغيب أطلع الله عليها بعض رسله؛ فقد تعالى: (عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا) [الجن: ٢٦، ٢٧].

وهناك أمور من أمور الغيب لا يعلمها إلا الله؛ كالوارد في الآية الكريمة: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ) وتفسير النبي ﷺ لها، والله أعلم.

س: أي ورقة هذه التي قال الله عنها: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)؟

ج: تلك أي ورقة سقطت من أية شجرة كانت في أي مكان كانت، والله أعلم.

|

س: وضح المراد بالرطب واليابس؟

ج: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الرطب واليابس، خمسة أقوال:

أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية.

والثاني: الرطب. ما ينبت، واليابس: ما لا ينبت.

والثالث: الرطب: الحي، واليابس: الميت.

والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله.

والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه رطبا، ويعلمه يابسا.

|

س: ما لامراد بالكتاب المبين؟

ج: قيل: المراد بالكتاب المبين: اللوح المحفوظ، وقوله: (مُّبِينٍ) قيل في معناه: إنه يبين أن ما كتب فيه صحيح، وذلك بتحقق وقوعه كما هو مثبت فيه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويعني بقوله: (مُّبِينٍ) أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم.

|

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)؟

ج: قال الطبري خ في معنى ذلك:

ولا شيء أيضًا مما هو موجود، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في

(١٣٧) أحمر
أسود

اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه، ومرسوم عدده ومبلغه، والوقت الذي يوجد فيه، والحال التي يفنى فيها.

قال السعدي خ في «تفسير» هذه الآية الكريمة:

هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه.

وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلا عن غيرهم من العالمين،

وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة إلا يعلمها.

(وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ) من حبوب الثمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوابت البرية التيينشئ منها أصناف النباتات.

(وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ) هذا عموم بعد خصوص (إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها.

وأن الخلق -من أولهم إلى آخرهم- لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط.

وجل من إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

هذا كله، تقرير لألوهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام.

(١٣٨) أحمر
أسود

س: أليس من نام فروحه معه؟

ج: بلى، روحه في جسمه.

س: فكيف قيل إذن: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ)؟

ج: أجاب على ذلك السمعاني في «تفسيره» حيث قال:

قيل هو قبض النفس المميزة المتصرفة، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– والله هو الذي يقبض أرواحكم إذا أنتم نمتم بالليل، ويعلم ما اكتسبتموه وما عملتموه في الأعمال في نهاركم.

قال الطبري خ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وقل لهم، يا محمد، والله أعلم بالظالمين، والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ)، يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار.

ومعنى «التوفي»، في كلام العرب استيفاء العدد، كما قال الشاعر:

إن بني الأدرم ليسوا من أحد ... ولا توفاهم قريش في العدد

بمعنى: لم تدخلهم قريش في العدد.

وأما «الاجتراح» عند العرب، فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه، وهي «الجوارح» عندهم، جوارح البدن فيما ذكر عنهم. ثم يقال لكل مكتسب عملًا «جارح»، لاستعمال العرب ذلك في هذه «الجوارح»، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبا، بأي أعضاء جسمه اكتسب: «مجترح».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر كما قال تعالى: (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ) [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

(١٣٩) أحمر
أسود

ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) [الزمر: ٤٢]، فذكر في هذه الآية الوفاتين: الكبرى والصغرى، وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، فقال: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ) أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار. وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وفي حال حركتهم، كما قال: (سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ) [الرعد: ١٠]، وكما قال تعالى: (وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ) [القصص: ٧٣] أي: في الليل (وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ) [القصص: ٧٣] أي: في النهار كما قال: (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا) [النبأ: ١٠، ١١] ولهذا قال هاهنا: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ) أي: ما كسبتم بالنهار (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أي: في النهار.

س: قوله تعالى: (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) في ماذا؟

ج: في النهار.

س: ما المراد بالأجل المسمى؟

ج: المراد: آجالكم يا بني آدم التي كتبها الله لكم، فما من أحدٍ إلا وله أجل قد أجله الله إليه فلن يموت شخص حتى يستوفي أجله؛ فالأجل المسمى: العمر الذي كتبه الله للأشخاص.

س: الحفظة هؤلاء يحفظون ماذا؟

ج: يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها ويكتبونها ويحفظون أجسامهم أيضًا بإذن الله.

قال الشنقيطي خ «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾، لم يبين هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع أخر؛ فذكر أن ما يحفظونه بدن الإنسان بقوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من

خيـــر وشـــر، بقولـــه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، بقولـه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقولـــه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾؟

ج: قال الطبري خ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ)، والله الغالب خلقه، العالي عليهم بقدرته، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم، المذلل المعلو عليه لذلته (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً)، وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا، يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله في الآية الكريمة: حفظه-يا بن آدم- يحفظون عليك علمك ورزقك وأجلك إذا توفيت ذلك قبضت إلى ربك.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)، يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم، إلى أن يحضركم الموت، وينزل بكم أمر الله، فإذا جاء ذلك أحدكم، توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح، ورسلنا المرسلون به (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)، في ذلك فيضيعونه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ) أي وهو الذي قهر كل شيءٍ وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيءٍ، (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، كقوله (لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ) وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كقوله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ).

(١٤١) أحمر
أسود

وكقوله (عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ).

وقوله (إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ) الآية.

وقوله (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ) أي احتضر وحان أجله ت(تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) أي ملائكة موكلون بذلك.

وقال كذلك:

وقوله (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) أي: في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷻ إن كان من الأبرار ففي عليين وإن كان من الفجار ففي سجين – عياذا بالله من ذلك.

وقال السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»: (وَهُوَ) تعالى (ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ) ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيئته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئا، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) فهذا حفظه لهم في حال الحياة.

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح.

(وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية.

س: هل ملك الموت له أعوان؟

ج: نعم، لملك الموت أعوان، قال تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) فدل قوله: (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) على أن ملك الموت له أعوان.

س: كيف الجمع بين هذه الآيات:

قوله تعالى: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) [الزمر: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

(١٤٢) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

فالأولى: أفادت أن الذي يتوفى الأنفس هو الله، والثانية: أنه ملك الموت، والثالثة: أنهم الملائكة؟

ج: وجه الجمع بين ذلك أن الله ﷻ يأمر ملك الموت، وملك الموت يأمر أعوانه، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل:(تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا)،«والرسل» جملة وهو واحد؟ أو ليس قد قال:(قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) [سورة السجدة: ١١] ؟

قيل: جائز أن يكون الله تعالى ذكره أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون«التوفي» مضافا وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره، كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان، إلى السلطان، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه، ولا وليه بيده.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ)؟

ج: قال الطبري خ في معنى ذلك:

يقول يقول تعالى ذكره: ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم، إلى الله سيدهم الحق، (أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ)، يقول: ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه (وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ)، يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم، أيها الناس، وأحصاها، وعرف مقاديرها ومبالغها، لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [سورة سبأ: ٣].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ) يعني: الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة، فيحكم فيهم بعدله، كما قال تعالى (قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ) [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال (وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾) [الكهف: ٤٧] إلى قوله: (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا) [الكهف: ٤٩]؛ ولهذا قال: (مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– قل هؤلاء المشركين: يا أهل الشرك، إذا ضللتم وتحيرتم في البراري والقفار والصحاري والوديان، وكذا إذا لعبت بكم الأمواج في البحار وأظلمت عليكم فيها الليالي، وأشرفتم على الغرق والهلاك من الإله الذي تدعونه من دون الله، إن الآلهة التي تدعونها من دون الله تضل عنكم في هذه الأوقات، وتتجهون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده بالدعاء لكشف الضر وزوال البلاء، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ) [الإسراء: ٦٧].

فإذا مسكم ما قد ذكر أقبلتم على الله عَزَّ وَجَلَّ وقدمتم الوعود: لئن أنجانا من هذا البلاء؛ لنقدمن شكرا وتوحيدا وإخلاصا لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم، الداعين إلى عبادة أوثانهم: من الذين ينجيكم (مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ)، إذا ضللتم فيه فتحيرتم، فأظلم عليكم الهدى والمحجة = ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه، فأخطأتم فيه المحجة، فأظلم عليكم فيه السبيل، فلا تهتدون له = غير الله الذي إليه مفزعكم حينئذ بالدعاء (تَضَرُّعٗا)، منكم إليه واستكانة جهرا (وَخُفۡيَةٗ)، يقول: وإخفاء للدعاء أحيانا، وإعلانا وإظهارا تقولون: لئن أنجيتنا من هذه يا رب = أي من هذه الظلمات التي نحن فيها (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)، يقول: لنكونن ممن يوحدك بالشكر، ويخلص لك العبادة، دون

من كنا نشركه معك في عبادتك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنا على عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أي: الحائرين الواقعين في المهامه البرية، وفي اللجج البحرية إذا هاجت الريح العاصفة، فحينئذٍ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له، كما قال: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا) [الإسراء: ٦٧] وقال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) [يونس: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [النمل: ٦٣].

وقال في هذه الآية الكريمة: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) أي: جهرا وسرا (لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ) أي: من هذه الضائقة (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) أي: بعدهان.

قال الله [تعالى] (قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ) أي: بعد ذلك «(تُشْرِكُونَ) أي: تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى.

س: كثيرا ما يقدم أهل الشرك الوعودن وكثيرا ما يعقدون العهود، ثم بعد ذلك إذا هم ينكثون دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قولهم: (لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ).

وقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ).

وقوله تعالى: (۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ)

(١٤٥) أحمر
أسود

[التوبة:٧٥،٧٦]

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ) [يونس: ١٢]، وقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ).

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا).

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ)؟

ج: قال الطبري خ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة، إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البر والبحر: الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البر والبحر من هم الضلال وخوف الهلاك، ومن كرب كل سوى ذلك وهم = لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه، التي لا تقدر لكم على نفع ولا ضر، ثم أنتم بعد تفضيله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب، ودفع الحال بكم من جسيم الهم، تعدلون به آلهتكم وأصنامكم، فتشركونها في عبادتكم إياه.

وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم، وكفر لأياديه عندكم، وتعرض منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم.

س: من الذين عناهم الله ﷻ بقوله: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ)؟

ج: ذهب بعض العلماء: إلى أن الذين عناهم الله بهذه الآية هم أهل الشرك الذين تقدم ذكرهم وذكر فعالهم؛ وذلك لأن سياق الآيات فيهم.

(١٤٦) أحمر
أسود

وذهب آخرون من العلماء: إلى أن الذين عناهم الله بهذه الآية هم المسلمون من أمة محمد ﷺ؛ وذلك لأن النبي ﷺ استعاذ عند نزولها، وقال عند قوله تعالى: (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) هذه أهون أو أيسر.

وذهب فريق ثالث من العلماء إلى أن صدر الآية في المشركين.

وقوله: (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) في المسلمين.

وذهب فريق رابع من العلماء: إلى أنها في اهل الشرك، ومن سلك طريقهم في الشقاق والعناد والعصيان.

واختار الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان وإياهم خاطب بها، لأنها بين إخبارٍ عنهم وخطابٍ لهم، وذلك أنها تتلو قوله: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ).

ويتلوها قوله: (وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ)، وغير جائزٍ أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين. فإذا كان غير جائزٍ أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر.

غير أن ذلك وإن كان كذلك فإنه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها.

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سألت ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة**» فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدا لمن ذكرت من المشركين، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات، فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إياه من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها، ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها.

وأما الذين تأولوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة، فإني أراهم تأولوا أن

(١٤٧) أحمر
أسود

في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة من خلافه والكفر به، فيحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من المثلات والنقمات، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله: جاء منهن اثنتان بعد رسول الله ﷺ، أنه قال: «**سيكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، وأن قوما من أمته سيبيتون على لهو ولعبٍ ثم يصبحون قردة وخنازير**» . وذلك إذا كان، فلا شك أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– قل يا رسول الله لهؤلاء الذين دعوا ربهم تضرعا وخفية وهم في ظلمات البر والبحر، وأعطوا العهود والمواثيق لئن أنجاهم الله؛ ليكونن من الشاركين، ثم نقضوا تلك العهود والمواثيق بعد أن سلمهم الله ونجاهم إلى البر، وأشركوا بالله مرة ثانية– قل لهؤلاء: إن الله قادر– وإن كنتم على البر وشعرتم بالأمن والأمان– على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، حصباء تصحبكم من السماء، كما صنع بقوم لوط وكما صنع بأبرهة الأشرم وغيرهما، أو يهلككم بريح عاصفٍ تصبحون معها كأعجاز النخل الخاوية، أو سقطو البيوت عليكم أو الطوفان، وقادر أيضا على أن يرسل عليكم عذابا من تحت أرجلكم كالخسف[١] ونحوه.

أو يجعلكم فرقا متناحرة وأحزابا متفرقة تتقاتلون وتتصارعون، ويسفك بعضكم دماء بعض.

فلا تأمنوا يا من وعدتم وأخلفتم!! لا تأمنوا يا من كنتم في ظلمات البر والبحر وأنجاكم الله! فالله عليكم قادر أينما كنتم وحيثما كنتم!

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ عقبه

---

(١) وأورد البعض قولًا آخر في هذا الباب، حاصله أن العذاب من فوق المراد به: أمراء السوء، والعذاب من أسفل: هم الخدم.

(١٤٨) أحمر
أسود

بقوله: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا) أي: بعد إنجائه إياكم؛ كقوله في سورة سبحان: (رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا) [الإسراء ٦٦- ٦٩].

وقال القرطبي خ في تفسير قوله تعالى: (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا):

وهذا اللبس بأن يخلط أمرهم فيجعلهم مختلفي الأهواء. عن ابن عباس.

وقيل: معنى (يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) يقوي عدوكم حتى يخالطكم وإذا خالطكم فقد لبسكم.

(شِيَعًا) معناه فرقا.

وقيل يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا؛ وذلك بتخليط أمرهم وافتراق أمرائهم على طلب الدنيا.

وهو معنى قوله: (وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) أي: بالحرب والقتل في الفتنة؛ عن مجاهد.

والآية عامة في المسلمين والكفار. وقيل: هي في الكفار خاصة. وقال الحسن: هي في أهل الصلاة.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) الآية؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري[١] من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) [الأنعام: ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: (أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذ بوجهك» (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون – أو

(١) البخاري (٤٦٢٨).

(١٤٩) أحمر
أسود

هذا أيسر -».

وأخرج مسلم[١] من طريق عامر بن سعد عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يومٍ من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**».

وأخرج الإمام أحمد[٢] بسندٍ حسن لغيره من حديث معاذ، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة فأحسن فيها القيام والخشوع والركوع والسجود قال: «**إنها صلاة رغبٍ ورهبٍ سألت الله فيها ثلاثا، فأعطاني اثنتين وزوى عني واحدة سألته أن لا يبعث على أمتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيه، وسألته أن لا يبعث عليهم سنة تقتلهم جوعا فأعطانيه، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي**».

وأخرج مسلم[٣] من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ عامةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها** - أو قال من بين أقطارها - **حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا**».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾؟

ج: المعنى-والله أعلم- انظر إلى هؤلاء المشركين، وقد نوعنا لهم الآيات وسقنا إليهم الحجج والبينات لعلهم يفهمون عنا مرادنا، لعلهم ينزجرون عما هم

---

(١) مسلم (٢٨٩٠).
(٢) أحمد (٢٤٧/٥).
(٣) مسلم (٢٨٨٩).

فيه من غي وكفرٍ وشر وفساد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر، يا محمد، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين بربهم الجاحدين نعمه، وتصريفناها فيهم (لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ)، يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه، يذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم، من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسوله ﷺ.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ)؟

ج: وكذب بهذا القرآن، وما فيه من الوعد والوعيد قومك من أهل الشرك. يا رسول الله- فلا تتشكك أنت فيه؛ فإنه الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فيه، فامض فيما أنت ماضٍ، وقل لهؤلاء المكذبين: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، إنما أنا منذر ومبلغ عن الله ﷻ، ثم هو الرقيب عليكم العليم، بأعمالكم وأقوالكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكذب، يا محمد، قومك بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد (وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ)، يقول: والوعيد الذي أوعدناهم على مقامهم على شركهم: من بعث العذاب من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، أو لبسهم شيعا، وإذاقة بعضهم بأس بعض (ٱلۡحَقُّ) الذي لا شك فيه أنه واقع إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به، إلى طاعة الله والإيمان به (قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ)، يقول: قل لهم، يا محمد، لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- لكل خيرٍ يستقر فيه، فيعلم صدقه من كذبه، وسوف تعلمون صدق ما أخبرتكم به من الأخبار.

والمعنى أيضا: لكل نبإٍ حقيقة، أي: لكل خبر وقوع، ولو بعد حين؛ كقوله

(١٥١) أحمر
أسود

تعالى: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ) [ص: ٨٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ)، يقول: لكل خبر مستقر، يعني قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليه، فيتبين حقه وصدقه، من كذبه وباطله (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)، يقول: وسوف تعلمون، أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم، أيها المشركون، حقيقته عند حلول عذابه بكم، فرأوا ذلك وعاينوه، فقتلهم يومئذ بأيدي أوليائه من المؤمنين.

قلت: ويحتمل أيضا أن يكون قوله: (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ) بمعنى المواساة لرسول الله ﷺ، ويكون المعنى لا تجزع لما حل بك ونزل فكل خبر له نهاية وكل حادثةٍ لها انكشاف، والحوادث عند نزولها تكون شديدة، ثم يزول أثرها شيئا فشيئا، وتأتي حوادث هي أعظم منها فترفق التي قبلها، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ)؟

ج: الآية تحمل توجيها للنبي ﷺ وكيف يتصرف إذا رأى قوما يخوضون في آيات الله ويسخرون منها ويكذبون بها، فقيل له: وإذا رأيت القوم الذين يكذبون بآياتنا ويسخرون منها، فاترك مجالسهم وانصرف عنها، وإذا قدر ونسيت وجالستهم وهم يخوضون فيها ثم تذكرت ما ذكرك الله به، فانصرف عن مجالستهم ولا تقعد معهم مرة ثانية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رأيت، يا محمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناه إليك، = و«خوضهم فيها»، كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ)، يقول: فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم (حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ) يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

(١٥٢) أحمر
أسود

ٱلشَّيۡطَٰنُ)، يقوله: وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، فقهم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه. وذلك هو معنى«ظلمهم» في هذا الموضع.

س: هذه الآيات الكريمة (وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ....) تصلح أن تكون مثالا لتفسير القرآن بالقرآن، وضح ذلك؟

ج: نعم تصلح أن تكون مثالا لتفسير القرآن بالقرآن، فهي موضحة لقوله تعالى: (وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ) [النساء: ١٤٠]، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ)

نهى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته، ولم يبين كيفية خوضهم فيها التي هي سبب منع مجالستهم، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا، خوضهم فيها التي هي سبب منع مجالستهم، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا، وبين ذلك كله في موضع آخر، فبين أن خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: (وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ) الآية.

وبين أن من مجالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم بقوله: (إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ)، وبين حكم من جالسهم ناسيا، ثم تذكر بقوله هنا: (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)، كما في سورة النساء.

س: ما المراد بالخوض في آيات الله؟

ج: لذلك صور منها: الكفر بها والاستهزاء بها؛ ففي الآية الكريمة: (وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ).

(١٥٣) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلا وأمته تبعا، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور.

فإن كان مصلحة كان مأمورا به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

(لَعِبًا وَلَهْوًا) حيث سخروا به واستهزؤوا فيه، فلا تعلق قلبك بهم فإنهم أهل تعنت وإن كنت مأمورا بإبلاغهم الحجة، وقيل هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقيل المعنى أنهم اتخذوا دينهم الذي هم عليه لعبا ولهوا كما في فعلهم بالأنعام من تلك الجهالات والضلالات المتقدم ذكرها.

وقيل: المراد بالدين هنا العيد أي اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا قال قتادة أي أكلا وشربا وكذا من جعل طريقته الخمر والزمر والرقص ونحوه، وفي البيضاوي بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب.

س: اذكر بعض الأدلة الناهية عن مجالسة أهل الباطل ومجالس الباطل؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ).

وقوله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [النساء: ١٤٠].

(١٥٤) أحمر
أسود

وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا) [الفرقان:٧٢]

وقوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ) [القصص: ٥٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)؟

ج: الظاهر - والله تعالى أعلم-: أن معناها وما على أهل الإيمان والتقوى من إثم من جزاء جلوسهم مع هؤلاء الخائضين ما داموا ليس براضين عن صنيعهم وعن خوضهم، وإنما أمر أهل التقوى بالإعراض عن هذه المجالس والقيام منها تذكيرا لأهل الخوض حتى ينكفوا عن خوضهم، فالقيام نفسه تذكير لهؤلاء الخائضين، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن اتقى الله فخافه، فأطاعه فيما أمره به، واجتنب ما نهاه عنه، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات الله في حال خوضهم في آيات الله، شيء من تبعة فيما بينه وبين الله، إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه، وكان لله بحقوقه متقيا، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج، ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، يقول: ليتقوا.

ومعنى«الذكرى»، الذكر. و«الذكر» و«الذكرى» بمعنى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) أي إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدتهم وتخلصوا من إثمهم.

س: من وسائل تذكير المعتدين والعصاة ترك مجالستهم وهجرانهم، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ

(١٥٥) أحمر
أسود

وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ....) الآية؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- واترك هؤلاء الذين جعلوا دين الله لعبا ولهوا فهذا حظهم من هذا الدين: السخرية والاستهزاء فاترك هؤلاء الساخرين العابثين لا تنشغل بهم، فأنا أكفيكهم، كما قال تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) [المدثر: ١١]، أي: فأنا أكفيكه، وكما قال سبحانه: (وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ) [المزمل: ١١]، أي: فأنا أكفيكهم وأنتقم لك منهم.

اترك هؤلاء ولا تهتم بهم ولا تنشغل بهؤلاء الذين شغلتهم دنياهم عن أخراهم فاغتروا بزخارفها ورضوا بها بدلا عن الآخرة وأقبل على تذكير سائر الخلق بهذا القرآن من قبل أن يأتي يوم تسلم نفس للعذاب وتفتضح بسبب كسبها السيء الذي اكتسبته في دنياها، وحينئذٍ لا ينفعها شفيع، ولس لها ناصر ينصرها، وإن قامت كل فدية كي تفتدي نفسها بها من العذاب، فلن تقبل منها تلك الفدية؛ فهؤلاء الذين أسلِموا له وذاقوه بما كسبوا وما اجترحوا من المعاصي والآثام، هؤلاء لهم يوم القيامة شراب حار في غاية من الحرارة، إنه شراب من حميم، ولهم عذاب مؤلم موجع بسبب كسبهم الذي اكتسبوه من الكفر والشرك بالله ﷻ.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم- بناء على تأويله (وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) بأن المراد به: تركهم وعدم مؤاخذتهم- ذهبوا إلى أن قوله تعالى: (وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ ...) منسوخ بقوله تعالى: (فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته، واللهو والاستهزاء بها إذا

(١٥٦) أحمر
أسود

سمعوها وتليت عليهم، فأعرض عنهم، فإني لهم بالمرصاد، وإني لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى ذكره والمصير إليه بعد الممات.

وقال أيضًا:

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله: (فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ) [التوبة: ٥] وكذلك قال عدد من أهل التأويل.

وقال كذلك:

وأما قوله: (وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ)، فإنه يعني به: وذكر -يا محمد- بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه، (أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ)، بمعنى: أن لا تبسل، كما قال: (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ) [النساء: ١٧٦] بمعنى: أن لا تضلوا، وإنما معنى الكلام: وذكرهم به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق، فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار، ولكن حذفت «لا»، لدلالة الكلام عليها.

وقال الطبري أيضًا:

وأصل «الإبسال» التحريم، يقال منه: «أبسلت المكان»، إذا حرمته فلم يقرب، ومنه قوله الشاعر:

بكرت تلومك بعد وهنٍ في النَّدَى ... بسل عليك ملامتي وعتابي

أي: حرام [عليك ملامتي وعتابي] . ومنه قولهم: «أسد باسل»، ويراد به: لا يقربه شيء، فكأنه قد حرم نفسه، ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته. ويقال: «أعط الراقي بسلته»، يراد بذلك: أجرته،«وشراب بسيل»، بمعنى متروك. وكذلك«المبسل بالجريرة»، وهو المرتهن بها، قيل له: «مبسل»، لأنه محرم من كل شيء إلا مما رهن فيه وأسلم به، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي:

وإبسالي بني بغير جرمٍ ... بعونه ولا بدمٍ مراق

وقال الشنفرى:

هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سمير الليالي مبسلا بالجرائر

(١٥٧) أحمر
أسود

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذا: وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ)، يقول: ليس لها، حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها، أحد ينصرها فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاءها (وَلَا شَفِيعٌ)، يشفع لها، لوسيلة له عنده.

وقال السعدي في «تفسير»:

(وَذَكِّرْ بِهِۦٓ) أي: ذكر بالقرآن، ما ينفع العباد، أمرا، وتفصيلا وتحسينا له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهيا عنه، وتفصيلا لأنواعه، وبيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه.

وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب وتجرئه على علام الغيوب، واستمرارها على ذلك المرهوب، فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر، وتكف عن فعلها.

س: وضح معنى قول الله ﷻ: (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ) مع ذكر بعض الآيات في معناها؟

ج: أما عن معنى الآية الكريمة –والله أعلم– فهو: وإن تفتدي النفس الكافرة– التي أسلمت للعذاب بسبب كفرها– بكل أنواع الفداء بجبال الأرض من ذهب، بالمال، بالبنون، بأي شيء تملكه حتى يخفف عنها العذاب أو يصرف فلن تقبل منها تلك الفدية ولن يخفف عنها العذاب ولن يصرف.

أما الآيات في معناها فمنها قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) [المائدة: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: (وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) [البقرة: ٤٨].

(١٥٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) الآية؟

ج: المعنى –والله أعلم– قل لهؤلاء المشركين الذي عبدوا مع الله آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر: يا هؤلاء أتامرونني أن أعبد آلهة لا تنفع ولا تضر، وأرجع إلى الجهل بعد العلم، وإلى الظلمات بعد النور، وقد وضح الله لي طريق الهداية وبصرني به ورزقني سلوكه، فإني إن فعلت ذلك؛ فمثلي كمثل شخص استهوته الشياطين فانتزعته ولعبت بعقله وفؤاده وقادته إلى طريق الردى، وأخذت به إلى طريق الغواية وحسنته له وزينته له، وحيرته فأضلته مع أن له فئة من أهل الصلاح من أصحاب وأصدقائه ينادونه فلا يسمع ويحذرونه فلا يحذر، فقل له: إن هدى الله هو الهدى لا الذي تسمعه من الشياطين ولا الذي تقودك إليه الشياطين، وأما نحن فأمرنا أن نسلم لرب العالمين نستسلم له ونخضع، نقبل هدايته ونسمع.

قال الطبري خ في تفسير هذه الآية الكريمة:

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان. يقول له تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد، والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم: أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره!

(وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا)، يقول: ونرد إلى أدبارنا، فنرجع القهقري خلفنا، لم نظفر بحاجتنا. وقد بينا معنى: «الرد على العقب»، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها: «رد على عقبيه»، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وإنما يراد به في هذا الموضع: ونرد من الإسلام إلى الكفر «بعد إذ هدانا الله، فوفقنا له، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان، يهوي في الأرض حيران.

وقوله: «استهوته»،«استفعلته»، من قول القائل: «هوى فلان إلى كذا يهوي إليه»،

(١٥٩) أحمر
أسود

ومن قول الله تعالى ذكره: (فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ) [إبراهيم: ٣٧]، بمعنى: تنزع إليهم وتريدهم.

وأما«حيران»، فإنه«فعلان» من قول القائل: «قد حار فلان في الطريق، فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة»، وذلك إذ ضل فلم يهتد للمحجة.

(لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى)، يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض، أصحاب على المحجة واستقامة السبيل، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه، يقولون له: ائتنا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا:

وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين، من أهل الشرك بالله = وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحق، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: «ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى»! وهو يأبى ذلك، ويتبع دواعي الشيطان، ويعبد الآلهة والأوثان.

وقال في تفسير قوله تعالى:

(قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين لأصحابك: (ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ) [العنكبوت: ١٢]، فإنا على هدى: ليس الأمر كما زعمتم (إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ) يقول: إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه، وسبيلنا الذي أمرنا بلزومه، ودينه الذي شرعه لنا فبينه، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فلا نترك الحق ونتبع الباطل. (وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) يقول: وأمرنا ربنا ورب كل شيءٍ، تعالى وجهه، لنسلم له: لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قُلۡ) يا أيها الرسول للمشركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى

(١٦٠) أحمر
أسود

دينهم، مبينا وشارحا لوصف آلهتهم، التي يكتفي العاقل بذكر وصفها، عن النهي عنها، فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين جزم ببطلانه، قبل أن تقام البراهين على ذلك، فقال: (أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) وهذا وصف، يدخل فيه كل من عبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله.

(وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ) أي: وننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم. فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها (كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ) أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه له الموصل إلى مقصده. فبقي (حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى) والشياطين يدعونه إلى الردى، فبقي بين الداعين حائرا وهذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة (يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى) والصعود إلى أعلى عليين.

ودواعي الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع داعي الهدى، في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك. ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: (قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ) أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى وهلاك. (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) بأن ننقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، وندخل تحت عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصلها إليهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ)

ج: هذا –والله أعلم-: معطوف على ما قبله، فالمعنى: وأمرنا لنسلم لرب

(١٦١) أحمر
أسود

العالمين، وأمرنا أن نقيم الصلاة وأن نتقي الله فهو الذي إليه نحشر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام: وأمرنا بإقامة الصلاة، وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا (وَٱتَّقُوهُۚ)، يقول: واتقوا رب العالمين الذي أمرنا أن نسلم له، فخافوه واحذروا سخطه، بأداء الصلاة المفروضة عليكم، والإذعان له بالطاعة، وإخلاص العبادة له (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)، يقول: وربكم رب العالمين، هو الذي إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة، فيجازي كل عامل منكم بعمله، وتوفي كل نفس ما كسبت.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالحق: الصواب الذي هو مقابل الباطل والخطأ، فالمعنى: وهو الذي خلق السماوات والأرض، وليس في خلقه لهما خطأ، بل خلقهما عين الحق والصواب.

فيكون المعنى: وهو الذي خلق السماوات والأرض حقا وصوابا؛ كقولنا: فلان يقول بالحق، أي: يقول حقا وصوابا.

ومما يتأيد به هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ [ص: ٢٧].

الثاني: أن المراد بالحق: أي: بكلامه الذي هو الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (بِٱلۡحَقِّۖ).

فقال بعضهم: معنى ذلك، وهو الذي خلق السماوات والأرض حقا وصوابا، لا باطلا وخطأ، كما قال تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ) [ص: ٢٧].

قالوا: وأدخلت فيه«الباء» و«الألف واللام»، كما تفعل العرب في نظائر ذلك فتقول: «فلان يقول بالحق»، بمعنى: أنه يقول الحق.

قالوا: ولا شيء في«قوله بالحق» غير إصابته الصواب فيه لا أن«الحق» معنى

(١٦٢) أحمر
أسود

غير«القول»، وإنما هو صفة للقول، إذا كان بها القول، كان القائل موصوفا بالقول بالحق، وبقول الحق. قالوا: فكذلك خلق السماوات والأرض، حكمة من حكم الله، فالله موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه = لا أن ذلك حق سوى خلقهما خلقهما به.

وقال آخرون: معنى ذلك: خلق السماوات والأرض بكلامه وقوله لهما: (ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) [فصلت: ١١]. قالوا: فالحق، في هذا الموضع معني به: كلامه. واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله:(وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ)،«الحق» هو قوله وكلامه. قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة. قالوا: فإذ كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق.

قال صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ خلقا ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ أو حال كون الخلق بالحق، فكيف تعبدون الأصنام المخلوقة أو إظهارا للحق، وعلى هذا الباء بمعنى اللام، وقيل: كل ذلك بالحق، وقيل: خلقهما بكلامه الحق، وهو قوله: كن، وقيل: بالحكمة أو محقا لا هازلا ولا عبثا.

س: وضح وجه الربط بين قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ) وقوله تعالى: (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)؟

ج: قال الطبري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في وجه الربط بينها:

يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد ﷺ: قل- يا محمد- لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد، الداعيك إلى عبادة الأوثان: «أمرنا لنسلم لرب العالمين، الذي خلق السماوات والأرض بالحق، لا من لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر».

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ).

ج: في ذلك أقوال:

(١٦٣) أحمر
أسود

أحدها: واذكر يوم يقول الله ﷻ: كن فيكون.

الثاني: وقوله: الحق يوم ينفخ في الصور. أي: يوم يأمر الملك بالنفخ في الصور.

الثالث: أن قول الله حق إذا أمر بالأشياء فأعيدت بعد فنائها، ففعل الله هذا حق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض دون كل ما سواه، معرفا من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الأوثان والأصنام، وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها = ومحتجا عليهم في إنكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء، وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه، فقال:(وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ)، أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء (ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ)، حجة على خلقه، ليعرفوا بها صانعها، وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه، فيخلصوا له العبادة (وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ)، يقول: ويوم يقول حين تبدل الأرض غير الأرض والسماوات كذلك:(وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ)، كما شاء تعالى ذكره، فتكون الأرض غير الأرض ويكون [الكلام] عند قوله:(كُن فَيَكُونُ) متناهيا.

وإذا كان كذلك معناه، وجب أن يكون في الكلام محذوف يدل عليه الظاهر، ويكون معنى الكلام: ويوم يقول كذلك:(كُن فَيَكُونُ) تبدل [السماوات والأرض] غير السماوات والأرض. ويدل على ذلك قوله:(وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ)، ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال:(قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ)، بمعنى وعده هذا الذي وعد تعالى ذكره، من تبديله السماوات والأرض غير الأرض والسماوات، الحق الذي لا شك فيه(وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ)، فيكون قوله:(يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ)، من صلة (ٱلْمُلْكُ)ويكون معنى الكلام: ولله الملك يومئذ، لأن النفخة الثانية في الصور حال تبديل الله السماوات والأرض غيرهما.

وجائز أن يكون«القول» أعني:(قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ)، = مرفوعا بقوله:(وَيَوْمَ يَقُولُ كُن

(١٦٤) أحمر
أسود

فَيَكُونُۚ)، ويكون قوله:(كُن فَيَكُونُۚ) محلا للقول مرافعا، فيكون تأويل الكلام: وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ويوم يبدلها غير السماوات والأرض، فيقول لذلك:(كُن فَيَكُونُۚ)،(قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ).

وأما قوله:(وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ)، فإنه خص بالخبر عن ملكه يومئذ، وإن كان الملك له خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة، لأنه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدعي له، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة، فأذعن جميعهم يومئذ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله (وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ) يعني يوم القيامة، الذي يقول الله كن فيكون، عن أمره كلمح البصر، أو هو أقرب، ويوم منصوب إما على العطف على قوله (وَٱتَّقُوهُۚ)، وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون، وإما على قوله (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ) أي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق وإعادته وهذا مناسب وإما على إضمار فعلٍ تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ)؟

ج: ذلك –والله أعلم– كقوله تعالى: (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)، فليس هنالك يوم ينفخ في الصور من ينازع في ملك الله.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ) أي: يوم القيامة خصه بالذكر– مع أنه مالك كل شيء–؛ لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا الله الواحد القهار.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ) جملتان محلهما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين.

وقوله: (يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ) يحتمل أن يكون بدلا من قوله: (يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ)

(١٦٥) أحمر
أسود

(يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ)، ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله: (وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ)؛ كقوله: (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [غافر: ١٦]؛ وكقوله: (ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا) [الفرقان: ٢٦]، وما أشبه ذلك.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولين للعلماء في المراد بـ «الصور»:

أحدهما أن المراد بالصور: جمع صورة، أي: يوم ينفخ فيها فتحيا.

والآخر: وصححه ابن كثير، وهو الأصوب والأصح، والله أعلم- أن المراد بالصور: قرن ينفخ فيه كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ.

س: اذكر معنى قوله تعالى: (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ)؟

ج: قال الطبري خ في معنى ذلك:

ويعني بقوله: (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ)، عالم ما تعاينون: أيها الناس، فتشاهدونه، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ)، في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود، ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب (ٱلْخَبِيرُ)، بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ، حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك. يقول تعالى ذكره: فاحذروا، أيها العادلون بربكم، عقابه، فإنه عليم بكل ما تأتون وتذرون، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون.

(١٦٦) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ
وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا
كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا
ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا
رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ
هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ
رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ
وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ
ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ
يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢ وَتِلْكَ
حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ
وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى

(١٦٧) أحمر
أسود

ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ

وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٨٨
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ
فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ
٩٠ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن
شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ
تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۗ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ
٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ
ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩٢ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ
٩٣ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا
خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ

(١٦٨) أحمر
أسود

أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)

[الأنعام: ٧٤- ٩٤].

الكلمة	معناها
﴿أَصْنَامًا﴾	جمع صنم- تمثال في صورة إنسان أو حيوان.
﴿ءَالِهَةً﴾	معبودة (تَعْبُدُهَا).
﴿ضَلَٰلٍ﴾	بُعدٍ عن الحق وعدولٍ عن الصواب.
﴿مُّبِينٍ﴾	مُظهر (لجهل من فعله).
﴿مَلَكُوتَ﴾	مُلك- خلق- آيات، وقيل: إنها الشمس والقمر والنجوم فهي ملكوت السموات وملكوت الأرض:الجبال والأشجار والبحار
﴿ٱلْمُوقِنِينَ﴾	المصدقين تمام التصديق.
﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾	غطَّاه الليل- أقبل عليه الليل- تغشاه الليل وستره.
﴿كَوْكَبًا﴾	نجمًا.
﴿أَفَلَ﴾	غاب- ذهب.
﴿بَازِغًا﴾	طالعًا- ظاهرًا.
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	الذين أخطئوا الحق ولم يصيبوا الهدى وهم الذين عبدوا غير الله ﷻ.
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾	اتجهت بقصدي ونيتي وعبادتي.
﴿فَطَرَ﴾	خلق على غير مثالٍ سابق.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا (عن الشرك إلى التوحيد).
﴿وَحَآجَّهُۥ﴾	جادله.
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾	أتجادلونني في توحيدي لله وإخلاص العمل له دون من سواه.
﴿هَدَىٰنِۚ﴾	وفقني لتوحيده – بَصَّرني بالحق.
﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ﴾	

(١٦٩) أحمر
أسود

عِلْمًا ﴿	أحاط ربي علمًا بكل شيء.
﴿تَتَذَكَّرُونَ ﴾	تتعظون- تعتبرون- تنزجرون.

الكلمة	معناها

(١٧٠) أحمر
أسود

﴿سُلْطَٰنًا﴾	حجةً.
﴿يَلْبِسُوٓاْ﴾	يخلطوا.
﴿ٱلْأَمْنُ﴾	السلامة من عذاب الله.
﴿مُّهْتَدُونَ﴾	مصيبون للحق- سالكون طريق النجاة.
﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾	هديناهم جميعًا.
﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾	اخترناهم- اصطفيناهم.
﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾	توفيق الله.
﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾	ذهب عنهم ثواب العمل الصالح الذي عملوه.
﴿وَٱلْحُكْمَ﴾	الفهم في الدين- فهم الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام.
﴿يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾	يجحدها هؤلاء ولا يؤمنون بها.
﴿وَكَّلْنَا بِهَا﴾	رزقناها قومًا- هدينا إليها قومًا- مننا بها على قوم.
﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾	بطريقتهم – على طريقهم.
﴿ٱقْتَدِهْ﴾	سِرْ- تَأَسَّ- اتبع.
﴿ذِكْرَىٰ﴾	إنذار- وعظ.
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	ما عظموا الله حق تعظيمه.
﴿قَرَاطِيسَ﴾	أوراقًا – كتبًا.
﴿تُبْدُونَهَا﴾	تظهرونها.
﴿ذَرْهُمْ﴾	اتركهم.
﴿خَوْضِهِمْ﴾	باطلهم- كفرهم.
﴿يَلْعَبُونَ﴾	يستهزئون- يسخرون.
﴿مُبَارَكٌ﴾	كثيرٌ خَيرُهُ.
﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	موافق للكتب التي تقدمته.
﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾	مكة (أصل القرى).

(١٧١) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾	اختلق الكذب.
﴿غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾	سكرات الموت.
﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾	مَادُّو أيديهم (بالضرب).
﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾	العذاب الذي يهين ويذل.
﴿خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾	مكناكم (في الدنيا من الأشياء التي يتباهى به الناس).
﴿تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾	تقطع ما بينكم- تقطعت أسباب التواصل التي كانوا يتواصلون بها.
﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾	غاب عنكم- حاد عن طريقكم.
﴿تَزۡعُمُونَ﴾	تدعون أنه شريك لله.

س: من آزر؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى: أن آزر هو اسم والد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

وقيل: إن اسم والد إبراهيم تارح.

وقيل: إن والد إبراهيم له اسمان أحدهما تارح، والآخر آزر كيعقوب عليه السلام اسمه يعقوب، واسمه إسرائيل.

وقيل: إن آزر اسم لصنم.

وقيل: إن آزر الزائغ معناه أعوج، فكأن المعنى، وإذ قال إبراهيم لأبيه الأعوج.

قال الطبري رحمه الله:

فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: «هو اسم أبيه»، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت.

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى«تارح»، فكيف يكون«آزر» اسما له، والمعروف به من الاسم«تارح قيل له: غير محال أن يكون له

(١٧٢) أحمر
أسود

اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم. وجائز أن يكون لقبا يلقب به.

هذا، وقد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ[1] متلطخٍ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر، يا محمد = لحجاجك الذي تحاج به قومك، وخصومتك إياهم في آلهتهم، وما تراجعهم فيها، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين، وحقيقة ما أنت عليهم به محتج حجاج إبراهيم خليلي قومه، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله والرضا به وليا وناصرا دون الأصنام، فاتخذه إماما واقتد به، واجعل سيرته في قومك لنفسك مثالا إذ قال لأبيه مفارقا لدينه، وعائبا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر.

س: ما المراد بالأصنام؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

و«الأصنام»: جمع «صنم»، و«الصنم» التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان، وهو «الوثن». وقد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان في الحائط وغيره: «صنم» و«وثن».

(١) قيل: إنه الضبع الذكر المتلوث بعذرته.

(١٧٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله: (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً)؟

ج: المعنى –والله أعلم–: أتجعل لنفسك أصناما تعبدها من دون الله ترجو عندها النفع؟!! تدعوها لكشف الضر؟! تركع لها وتسجد؟! وتلجأ إليها وترغب؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال: (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً) تعبدها وتتخذها ربا دون الله الذي خلقك فسواك ورزقك؟

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ)؟

ج: قال الطبري خ: في معنى قوله: (وَكَذَٰلِكَ):

وكم أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلافه– ما كانوا عليه من الضلال–، نريه ملكوت السموات والأرض، يعني: ملكه.

وقال أيضا:

وزيدت فيه «التاء» كما زيدت في «الجبروت» من «الجبر»، وكما قيل: «رهبوت خير من رحموت»، بمعنى: رهبة خير من رحمة.

وحكي عن العرب سماعا: «له ملكوت اليمن والعراق» بمعنى: له ملك ذلك.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد بـ (مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)؟

ج: هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

الأول: ملكوت السموات والأرض أي: ملك السموات والأرض.

الثاني: ملكوت السموات والأرض: ما ذكر في الآيات بعدها وهي الشمس والقمر والنجوم.

الثالث: ملكوت السموات هي الشمس والقمر والنجوم،وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

الرابع: المراد: الآيات في السماوات وفي الأرض، الدالة على وحدانية الله وقدرته.

وثم أقوال أخر أضربت عنها عن عمدٍ لعدم وجود ما يعضدها ويشهد لها بالصحة.

(١٧٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن أورد جملة من الآثار[١]:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عنى الله تعالى ذكره بقوله:(وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)، أنه أراه ملك السماوات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلى له بواطن الأمور وظواهرها، لما ذكرنا قبل من معنى«الملكوت»، في كلام العرب، فيما مضى قبل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) أي: نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلفهما، على وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: (قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) [يونس: ١٠١]، وقال: (أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) [الاعراف: ١٨٥]، وقال: (أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ) [سبأ: ٩].

---

(١) ما أخرجه الطبري بسند حسن عن سلمان، قال:

« لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، رأى عبدًا على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. فقال: أنزلوا عبدِي لا يُهْلِك عبادِي!

ونحوه عن عطاء، قال:

« لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السماوات، أشرفَ فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رُفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فنودي: على رِسْلِك يا إبراهيم، فإنك عبد مستجابٌ لك، وإني من عبدي على ثلاث: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه. وفي سنده بعض الكلام.

وبسند رجاله ثقات، عن أسامة قال:

«عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرّحمن حدَّث نفسه أنه أرحمُ الخلق، وأن الله رفعه حتى أشرفَ على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم. فلما رآهم يعملون بالمعاصي قال: اللهم دمِّر عليهم! فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبطْ، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويُراجِعوا.

وأثر عن ابن عباس في معنى ذلك، لكن سنده ضعيف جدًّا.

وكلها كما رأيت موقوفات ليس منها شيء مرفوع إلى النبي □.

(١٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وليكون من المصدقين تمام التصديق، وليكون من المقرين بوحدانية الله وقدرته مام الإقرار،ومن المطمئنين لذلك تمام الطمأنينة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ)، فإنه يعني أنه أراه ملكوت السماوات والأرض، ليكون ممن يقر بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له وبصره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة، من عبادتهم الأصنام، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ) قيل: الواو زائدة، تقديره: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين؛ كقوله: (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ) [الأنعام: ٥٥].

وقيل: بل هي على بابها: أي: نريه ذلك ليكون عالما موقنا.

س: ما وجه قول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للكوكب هذا ربي، ثم إعراضه عن ذلك وقوله للمقر هذا ربي، وكذا إعراضه بعد ذلك عن القمر، وقوله للشمسك هذا ربي هذا أكبر؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى حمل هذه الآيات على ظاهرها، وقالوا: إنه تفكر في ملكوت السماوات والأرض ونظر فيهما فرأى كوكبا فقال: هذا ربي ثم أتبعه بصره، أي: استمر في النظر إليه حتى غاب، فلما غاب (أيك أفل) قال: لا أحب الأفلين، أي: لا أحب إلها يأتي في وقتٍ ويزول في آخر، (فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ)، لكونه أكبر من الكوكب وأنور، فلما غاب القمر قال: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ)، (فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ)، أي أكبر من الكوكب والقمر وأنور، فلما غابت الشمس تبرأ من كل ما عبد من دون الله، و(قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ).

فحملوا الآيات الكريمات على ظاهرها. وإلى هذا ذهب الطبري خ .

وأورد آخرون قولا آخر حاصله: إنما قال ذلك إبراهيم عليه السلام على وجه الإنكار على قومه، وعلى وجه السخرية من آلهتهم والعيب لآلهتهم وأصنامهم؛ فإذا كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلة زائلة غير دائمة؛ فالأصنام.... التي هي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم- أحق أن لا تكون معبودة ولا .....

قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة؛ كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له في قول باطل قال به بباطل من القول، على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده، اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعي فساد الآخر.

وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفولته، وقبل قيام الحجة عليه. وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان.

وقال آخرون منهم: إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي.

وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف «الألف» التي تدل على معنى الاستفهام. وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعني: أهم هم؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا ... شعيث بن سهمٍ أم شعيث بن منقر

بمعنى: أشعيث بن سهم؟ فحذف (الألف)، ونظائر ذلك. وأما تذكير ﴿هَٰذَا﴾ في قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾، فإنما هو على معنى: هذا الشيء الطالع ربي.

أورد ذلك الطبري، ولكنه- كما أشرت قريبا- اختار القول الأول إذ قال:

وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ

(١٧٧) أحمر
أسود

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ)، الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم، وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه.

وأورد الحافظ ابن كثير خ سؤالا حول ما ذكر، وأجاب عليه، فقال في سؤاله- وقد اختلف المفسرون في هذا المقام-: هل هو مقام نظرٍ أو مناظرة؟ ثم قال:

والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبين أولا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسيرٍ معينٍ، لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بين في النجم.

ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، (قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، وخالق كل شيءٍ وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ

(١٧٨) أحمر
أسود

تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [الأعراف: ٥٤] وكيف يجوز أن يكون إبراهيم [الخليل] ناظرا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ) الآيات [الأنبياء: ٥١، ٥٢]، وقال تعالى: (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [النحل: ١٢٠ -١٢٣]، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١].

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمادٍ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء**»(١) وقال الله في كتابه العزيز: (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ) [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ) [الأعراف: ١٧٢] ومعناه على أحد القولين، كقوله: (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ) كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل -الذي جعله الله أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن المشركين- ناظرا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريبٍ. ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى: (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ).

وقال السعدي في تفسيره:

(قَالَ هَٰذَا رَبِّى) أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة ولا برهان.

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(١٧٩) أحمر
أسود

وقال ابن الجوزي (في زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قال هذا ربي، فعبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت واحتج أرباب هذا القول بقوله تعالى:(لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي) وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يرتضى، والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال.

فأما قوله: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي) فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقولهم: (وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ)، ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السماوات والأرض ليكون موقنا، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟!

والثاني: أنه قال ذلك استدراجا للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: (أَيْنَ شُرَكَآءِيَ) [النحل: ٢٧]، وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى:(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ) [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الانباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنما، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال: ها هنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثالث: أنه قال مستفهما، تقديره: أهذا ربي؟ فأضمرت ألف الاستفهام، كقوله: (أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ) [الأنبياء: ٣٤]؟ أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ ... غلس الظلام من الرباب خيالا

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذ كان فارقا بين الإخبار والاستخبار وظاهر قوله: (هَٰذَا رَبِّي)أنه إشارة إلى الصانع.

وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي هذا الذي يدبرني، فاحتج

عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر، لا نرى فيه إلا مدبر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى:(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى)، الآيات، قوله: هذا ربي، في المواضع الثلاثة محتمل لأنه كان يظن ذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره،

ومحتمل، لأنه جازم بعدم ربوبية غير الله، ومراده هذا ربي في زعمكم الباطل، أو أنه حذف أداة استفهام الإنكار، والقرآن يبين بطلان الأول، وصحة الثاني.

أما بطلان الأول: فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: (وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١]، في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوما ما.

وأما كونه جازما موقنا بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى)، إلى آخره، «بالفاء» على قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ)؛ فدل على أنه قال ذلك موقنا مناظرا ومحاجا لهم، كما دل عليه قوله تعالى: (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ)، وقوله: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ)، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: إني بريء من عباده الأوثان والأصنام التي تعبدونها، والتي جعلتموها شريكا لله، وعبدتموها مع عبادة الله، وسألتموها كما تسألون الله عَزَّ وَجَلَّ.

س: هل كان قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ ويعبدون معه الأصنام والأوثان، أم كانوا يعبدون الأوثان والأصنام فقط؟

ج: الظاهر –والله تعالى أعلم– أنهم كانوا يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى، فيعبدون معه الأصنام والأوثان بدليل قوله: ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾، فهذا دل على أنهم كان يشركون مع الله آلهة أخرى.

(١٨١) أحمر
أسود

وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: في قول قوم إبراهيم لإبراهيم: تركت عبادة هذه؟ فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، فقالوا: ما جئت بشيء! ونحن نعبده ونتوجهه! فقال: لا، حنيفا!! قال: مخلصا، لا أشركه كما تشركون.

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)؟

ج: يقول الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه المشركين الذين اتخذوا مع الله أوثانا وأصناما يعبدونها، مخالفا لهم فيما هم عليه، ومعلنا ذلك لهم: إني توجهت بعبادتي لله عز وجل وحده لا شريك له، ذلكم الذي خلق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، توجهت إليه حنيفا أي مائلا عن الأصنام التي تبعدونها مع ا لله، فلن أعبد إلا الله عز وجل وحده لا شريك له، ولست منكم ولا على طريقكم ولا في سلككم أيها المشركون.

قال الطبري خ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه لما تبين له الحق وعرفه، شهد شهادة الحق، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله، وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم(يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت = لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع.

ثم أخبرهم تعالى ذكره: أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة في ذلك لربه على ما يحب من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيه الوجه على غير التحنف غير نافع موجهه، بل ضاره ومهلكه (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ولست منكم، أي: لست ممن يدين دينكم، ويتبع ملتكم أيها المشركون.

(١٨٢) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ...) الآية؟

ج: المعنى -الله تعالى أعلم-: وجادل إبراهيم قومه لما أعلن عن توحيده لله ﷻ وعن براءته من الشرك، وعن هجرانه للأصنام واعتزاله لها، فتعجب من صنيعهم هذا قائلا أتجادلونني لما وحدت الله ﷻ وأفردته بالعبادة، وقد تفضل علي بذلك الفضل؟!! فأمركم عجيب، ثم إني أعلنها لكم كرة أخرى فأقول: إنني لا أخشى أصنامكم، ولا أوثانكم التي عبدتموها من دون الله، فهي لا تنفع ولا تضر ولا تحيي ولا تميت ولا ترزق ولا تشفي ولا تمرض.

إنما الذي أخشاه: أن يقدر الله ﷻ شيئا على من سوء أو مكروه فالأمر كله لله، لا لأحدٍ سواه، فهو قادر على تقليب قلبي، قادر على إحيائي وإماتتي، وضري ونفعي قد علم ربي كل شيءٍ وأحاط بكل شيءٍ علما أفلا تتعظون وتعتبرون؟!!!

هذا، وقد قال الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة:

يقول تعالى ذكره: وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام، وكان جدالهم إياه قولهم: أن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه.

قال إبراهيم: (أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ)، يقول: أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة (وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ)، يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصرني طريق الحق حتى أيقنت أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه (وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ)، يقول: ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئا ينالني به في نفسي من سوء ومكروه.

وذلك أنهم قالوا له: «إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل، لذكرك إياها بسوء»! فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا مكروه، لأنها لا تنفع ولا تضر (إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ)، يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السماوات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاءٍ، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك، نالني به، لأنه القادر على ذلك.

وقال أيضا:

(١٨٣) أحمر
أسود

(وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)، يقول: وعلم ربي كل شيء، فلا يخفى عليه شيء، لأنه خالق كل شيء، وليس كالآلهة التي لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيئا، وإنما هي خشبة منحوتة، وصورة ممثلة (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)، يقول: أفلا تعتبرون، أيها الجهلة، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون، من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة، لا تقدر على ضر ولا على نفع، ولا تفقه شيئا ولا تعقله = وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شيء، وبيده الخير، وله القدرة على كل شيء، والعالم لكل شيء.

س: على المؤمن دائما أن يكون حذرا من تقلبات الأمور سائلا الله ﷻ الثبات، دلل على ذلك؟

ج: نعم، على المؤمن أن يكون كذلك فهؤلاء أهل الإيمان من دعائهم: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) [آل عمران: ٨].

والخليل إبراهيم عليه السلام يقولك (وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا)

أي أن الله قادر على أن يغير الأمور ويحدث أشياء غير التي أنا عليها الآن.

وكذلك يقول نبي الله شعيب عليه السلام: (قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ) [الأعراف: ٨٩].

ونبينا محمد ﷺ كان يقولك «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»(١).

وكان من أكثر إيمانه لا ومقلب القلوب.

وكان يتعوذ قائلا: «اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت»(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ): أستثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله ﷻ.

س: وضح معنى قوله: (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)؟

---

(١) صحيح: أخرجه في «المسند» (١٨٢/٤).

(٢) مسلم (مع النووي: ٣٨/١٧)، مطلعة: اللهم لك أسلمت.

(١٨٤) أحمر
أسود

ج: قال الحافظ ابن كثير خ في معناها:

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: فيما بينته لكم، فتعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها، وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد، فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣- ٥٦].

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ الآية؟

ج: المعنى -والله أعلم-: وكيف أخشى آلهتكم التي لا تنفع ولا تضر ولا تملك دفع الضر عن نفسها فضلا عن غيرها، وأنتم لا تخشون عاقبة شرككم بالله عز وجل وعاقبة عبادتكم أصناما لم ينزل الله لكم برهانا بعبادتها ولا إذنا بعبادتها، فمن منا الذي ينبغي أن يخشى ويخاف؟ المشرك الذي جعل مع الله إلها آخر؟!!

أم من يعبد ربا واحدا أم من يعبد أربابا كثيرة؟!!

أم المؤمن الموحد الذي لم يتخذ لله شريكا؟!!، أفيدوني إن كان عندكم علم بالجواب؟!، أجيبوني إن كنتم تعلمون صدق مقولتي؟!!

قال الطبري رحمه الله:

وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه، لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه، وهو لا يضر ولا ينفع؟ ولو كانت تنفع أو تضر، لدفعت عن أنفسها كسرى إياها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم وضركم في إشراككم في عبادتكم إياه (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا)، يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة، ولم يضع

لكم عليه برهانا، ولم يجعل لكم به عذرا (فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ)، يقول: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصا له العبادة، حنيفا له ديني، بريئا من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانا ولا حجة (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)، يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول، وحقيقة ما أحتج به عليكم، فقولوا وأخبروني: أي الفريقين أحق بالأمن؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾ أي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: أي: حجة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ) ففي« كيف» معنى الإنكار، أنكر عليهم تخويفهم إياه بالأصنام وهم لا يخافون الله عَزَّ وَجَلَّ، أي كيف أخاف مواتا وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شي (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا) أي حجة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أي: فأي الطائفتين أصوب؟ الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

س: من قائل: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ).

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو الله ﷻ فصل فيه الخصومة بين إبراهيم عليه السلام وقومه.

الثاني: أن قائل ذلك هم قوم إبراهيم، فحاججهم إبراهيم عليه السلام فحججهم، أي غلبهم بالحجة حتى اضطرهم وألجأهم إلى أن يقولوا ذلك.

واورد الطبري القولين فقال:

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعني:(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ)، الآية.

فقال بعضهم: هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم:(وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني: بشرك ولم يشركوا في عبادته شيئا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ربه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله.

ثم قال:

وقال آخرون: هذا جواب من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم، حين قال لهم: «أي الفريقين أحق بالأمن»؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالأمن، إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

واختار الطبري خ القول الأول وانتصر له فقال:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن، وفصل قضاءٍ منه بين إبراهيم ﷺ وبين قومه. وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله، لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بديا.

(١٨٧) أحمر
أسود

س: ما لمراد بقوله: (بِظُلْمٍ) في الآية الكريمة؟

ج: ذهب أكثر العلماء إلى: المراد بالظلم في هذا الموطن الشرك، وقد ورد في هذا حديث رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت (وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم) قال أصحابه وأينا لم يظلم؟ فنزلت: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣] (١).

س: ما المراد بالحجة في قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ)؟

ج: قال بعض العلماء إنها المجادلة التي غلب إبراهيم عليه السلام وقومه، وهي قوله لهم: (فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ).

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ)، قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين: «أي الفريقين أحق بالأمن»، أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: «بل من يعبد ربا واحدا أحق بالأمن»، وقضاؤهم له على أنفسهمن فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم. فهي الحجة التي أتاها الله إبراهيم على قومه.

س: في قوله تعالى: (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ) قراءتان وضحهما مع إيضاح المعنى.

ج: القراءتان أولاهما درجاتٍ بالتنوين.

الثانية درجاتٍ بالكسر والإضافة.

قال الطبري رحمه الله:

واختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قرأة الحجاز والبصرة: «نرفع درجات من نشاء»، بإضافة «الدرجات» إلى (مَن)، بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء.

(١) البخاري (٤٦٢٩).

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ) بتنوين «الدرجات»، بمعنى: نرفع من نشاء درجات.

و«الدرجات» جمع «درجة»، وهي المرتبة. وأصل ذلك مراقي السلم ودرجه، ثم تستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة، متقارب معناهما. وذلك أن من رفعت درجته، فقد رفع في الدرج = ومن رفع في الدرج، فقد رفعت درجته. فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)؟

ج: المعنى والله أعلم، وهذه التي ذكرناها لك يا رسول الله من محاججة إبراهيم لقومه ومناقشته معهم وغلبه لهم بالحجة لما قال لهم فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أمن عبد إلها واحدا كمن تعددت معبوداته؟! وهزيمتهم أمام قوله هذا.

تلك الحجة فضل من الله تفضل به على إبراهيم عليه السلام، ومنقبة أتاه الله إياها فغلب قوله بفضل الله عز وجل، يرفع الله بهذا العلم وبتلك الحجج من يشاء من خلقه على من جهلوا تلك الحجج والبراهين، وإن سأل سائل لماذا اختص الله إبراهيم عليه السلام بذلك، فجواب قوله في ختام الآية الكريمة إن ربك حكيم في تلقينه عباده الصالحين حججهم كي يغلبوا بها أهل الكفر، عليم بمن يستحق الهداية والغلبة بالحجة فقوله نرفع درجات من نشاء قيل بالعلمن وقيل بالنبوة، وقيل هي عامة والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

فمعنى الكلام إذا: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ)، فرفعنا بها درجته عليهم، وشرفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا، فآتيناه فيها أجره وأما في الآخرة، فهو من الصالحين (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ

(١٨٩) أحمر
أسود

مَّن نَّشَآءُۗ)، أي بما فعل من ذلك وغيره.

وأما قوله: (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)، فإنه يعني: إن ربك، يا محمد،(حَكِيمٌ)، في سياسته خلقه، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم، الجاحدة توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره(عَلِيمٌ)، بما يؤول إليه أمر رسله والمرسل إليهم، من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم، وهلاكهم على ذلك، أوإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ذكره وتصديق رسله، والرجوع إلى طاعته.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فأتس، يا محمد، في نفسك وقومك المكذبيك، والمشركين، بأبيك خليلي إبراهيم ﷺ، واصبر على ما ينوبك منهم صبره، فإني بالذي يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم، وبالتدبير فيك وفيهم حكيم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات. خصوصا العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إماما للناس، بحسب حاله ترمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشى بعلمه في ظلمة ديجوره.

قال تعالى (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ) [المجادلة: ١١] .

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللائق بها، وهو أعلم بذلك المحل، وبما ينبغي له.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ) الآية؟

ج: المعنى؟ والله تعالى أعلم، ورزقنا إبراهيم عليه السلام بولدٍ صالح ونبي كريم وهو إسحاق عليه السلام، وكذا رزقنا إسحاق بولدٍ صالح ونبي كريم وهو يعقوب عليه السلام، فهدينا هؤلاء أجمعين، ووفقناهم إلى طريق الحق والرشاد، وإلى الطريق المستقيم وكذا هدينا من قبلهم نوحا، وهدينا من ذرية نوحٍ داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وبهذا الجزاء الذي جازينا به هؤلاء من هدايتهم إلى الطريق المستقيم نجزي كل محسن وكل منيب، فهدايتنا لا تقتصر على هؤلاء بل نجزي كل محسنٍ

بالهداية أيضا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم ﷺ على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين، منهم: ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب (كُلًّا هَدَيْنَا)، يقول: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ)، يقول: وهدينا لمثل الذي هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحق والصواب، فوفقناه له نوحا، من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر الله تعالى عبده وخليله، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكر ما من الله عليه به، من العلم والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب. وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ) ابنه، الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين.

(كُلًّا) منهما (هَدَيْنَا) الصراط المستقيم، في علمه وعمله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق، بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامرأته «سارة» من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوطٍ، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: (قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) [هود: ٧٢، ٧٣]، وبشروه مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلا وعقبا، كما قال: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) [الصافات: ١١٢]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ) [هود: ٧١] أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده، فإن الفرح بولد الولد

(١٩١) أحمر
أسود

شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم «يعقوب»، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم، عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله، عز وجل، عن قومه وعشيرته بأولادٍ صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال [تعالى] ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٩]، وقال هاهنا: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَا ﴾.

س: الهاء في قوله تعالى: ﴿قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ عائدة على من؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها عائدة على نوح عليه السلام وليست بعائدة على إبراهيم عليه السلام وذلك لقوله تعالى ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ ولوط ليس من ذرية إبراهيم عليه السلام.

وانتصر الطبري لذلك بقوله:

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ ﴾، و«الهاء» التي في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾، من ذكر نوح. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطا فقال: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفا على أسماء من سمينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطا ليس من ذرية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح، فلذلك وجب أن تكون«الهاء» في«الذرية» من ذكر نوح.

فتأويل الكلام: ونوحا وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدينا أيضا من ذرية نوح، داود وسليمان.

= و«داود»، هو داود بن إيشا و«سليمان» هو ابنه: سليمان بن داود = و«أيوب»، هو أيوب بن موص بن رزاح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم = و«يوسف»، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم = و«موسى»، هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب و«هارون»، أخو موسى.

(١٩٢) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله في هذه الآية الكريمة: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ) أي: وهدينا من ذريته (دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ) الآية، وعود الضمير إلى «نوحٍ»؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه. وعوده إلى «إبراهيم»؛ لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك «لوط»، فإنه ليس من ذرية «إبراهيم»، بل هو ابن أخيه مادان بن آزر؛ اللهم إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليبا، كما في قوله تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)[البقرة: ١٣٣] فإسماعيل عمه، ودخل في آبائه تغليبا.

وكما قال في قوله: (فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ) [الحجر: ٣٠، ٣١] فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود، وذم على المخالفة؛ لأنه كان قد تشبه بهم، فعومل معاملتهم، ودخل معهم تغليبا، وكان من الجن وطبيعتهم النار والملائكة من النور]

وفي ذكر «عيسى»، عَلَيْهِ السَّلَامُ، في ذرية «إبراهيم» أو «نوحٍ»، على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال؛ لأن «عيسى»، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما ينسب إلى «إبراهيم»، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأمه «مريم» عَلَيْهَا السَّلَامُ، فإنه لا أب له.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما جازينا هؤلاء المذكورين وهديناهم فنجزي أيضا كل محسن، فخرجت الآية الكريمة بمفهومها عن الخصوص إلى العموم تبشيرا لأهل الإحسان في كل زمانٍ ومكان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)، يقول تعالى ذكره: جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا، بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه

(١٩٣) أحمر
أسود

له. وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كل محسن.

|

س: ما أسماء آباء الأنبياء المذكورين في قوله تعالى: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ)؟

ج: الله أعلم بالصواب من ذلك.

وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

زكريا بن إدو بن برخيا، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن ياشهم ابن أمون بن حزقيا، (وَإِلْيَاسَ).

|

س: من: (وَإِلْيَاسَ) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج: هو نبي من أنبياء الله عَزَّ وَجَلَّ من ذرية نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا أعلم له ذكر في حديث ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أورد الطبري: من طريق عبيدة بن ربيعة[1] عن ابن مسعود قال: (إدريس) هو (إلياس) فالله أعلم بالصواب من ذلك.

|

س: من اليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج: نبي من أنبياء عَزَّ وَجَلَّ من ذرية نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا أعلم له ذكرا في سندٍ ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

|

س: قوله تعالى: (وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ) لأي شيءٍ اجتبيناهم؟

ج: اجتبيناهم لإبلاغ رسالتنا إلى خلقنا.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)؟

ج: ودللناهم طريق مستقيم يوصلهم إلى مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ وجناته، ووفقناهم لذلك

(١) وسنده صحيح إلى عبيدة بن ربيعة، أخرجه الطبري (١٣٥١٩).

وسهلنا ذلك عليهم وحببنا سلوك هذا الطريق إليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)ن يقول: وسددناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوج، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربنا لأنبيائه، وأمر به عباده.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله:(ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ)، هذا الهدي الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحق الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرف الدنيا، وكرامة الآخرة، هو(هُدَى ٱللَّهِ)، يقول: هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام (وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)، يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره (لَحَبِطَ عَنْهُم)، يقول: لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى: (ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله لهم وهدايته إياهم (وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كقوله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥] الآية، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله: (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ) [الزخرف: ٨١]، وكقوله: (لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ) [الأنبياء: ١٧]، وكقوله: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ) [الزمر: ٤].

(١٩٥) أحمر
أسود

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ)؟

ج: المراد بالكتاب هنا عموم الكتب التي أنزلها الله ﷻ على الأنبياء المذكورين، والتي منها صحف إبراهيم وموسى، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام والتوراة التي أنزلت على موسى وكذا الألواح، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام.

س: وضح المراد بقوله تعالى (فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ)؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، أننا قد مننا يا رسول الله عليك بالقرآن وبالحجج والآيات، فإن كفر بها هؤلاء المشركون فهنالك من يؤمن بها ويقبلها شاكرا، هنالك من رزقناهم الإيمان والهداية فقبلوا نعمتنا عليهم التي هي القرآن وما فيه من الحجج والآيات شاكرين لنعمنا مثنين بها علينا.

والآية في معنى قوله تعالى: (قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا) [الإسراء: ١٠٧].

وفي معناها قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ) [المائدة: ٥٤].

ثم إن أهل العلم اختلفوا في تعيين الذين قال الله عنهم (قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ) فقال بعضهم إنهم الأنصار، فيكون المعنى إن كفرتم يا أهل الشرك من أهل مكة، فقد رزق الله أهل المدينة حب الإيمان وحب القرآن وحب النبي عليه الصلاة والسلام.

وقال آخرون: إن المراد بالقوم الذين ليسوا بكافرين: الملائكة.

وقال آخرون: إنهم الأنبياء المذكورون في الآيات التي قبلها والتي مطلعها (وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ....).

وهذا الأخير هو اختيار الطبري رحمه الله فقد قال:

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾، كفار قريش، ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية.

(١٩٦) أحمر
أسود

وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبرا عنهم، أولى وأحق من أن يكون خبرا عن غيرهم.

فتأويل الكلام، إذ كان ذلك كذلك: فإن كفر قومك من قريش، يا محمد، بآياتنا، وكذبوا وجحدوا حقيقتها، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك، الذين لا يجحدون حقيقتها، ولا يكذبون بها، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة. قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وقتادة، والسدي. ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي: إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريشٍ وغيرهم من سائر أهل الأرض، من عربٍ وعجمٍ، وملبين وكتابيين، فقد وكلنا بها قوما ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا﴾ يعني: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة، ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يجحدون شيئا منها، ولا يردون منها حرفا واحدا، بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه.

س: وضح معنى قوله تعاليك (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ)؟

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره: (أُوْلَٰٓئِكَ) هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك. (فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ) يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، (ٱقۡتَدِهۡۗ) يا محمد: أي فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: (فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ) أنهم الأنبياء المسمون في الآيات المتقدمة، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك.

وأما على تأويل من تأول ذلك: أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة- أو:

(١٩٧) أحمر
أسود

أنهم هم الملائكة- فإنهم جعلوا قوله: (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ)، اعتراضا بين الكلامين، ثم ردوا قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، على قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا ﷺ: (أُو۟لَٰٓئِكَ) يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه (ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ) أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، (فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ) أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرا للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه [لهم] ويأمرهم به.

س: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟

ج: ذهب إلى ذلك فريق من العلماء مستدلين بقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ)، وبقوله تعاله تعالى: (وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ) [لقمان: ١٥].

وذهب آخرون إلى أن شرع من قبلنا ليس بشرعٍ لنا وذلك لقوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨].

ويمكن الجمع بأن يقال إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت من شرعنا ما ينسخه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص، كما في صحيح مسلمٍ وغيره[١]: أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانا فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**القصاص القصاص**» فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقتص من فلانة؟! والله لا يقتص منها.

فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله**» قالت: والله لا يقتص منها أبدا. قال: فما زالت حتى قبلوا الدية. فقال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**».

(١) مسلم بنحوه (١٦٧٥)، والبخاري (٤٦١١).

فأحال رسول الله ﷺ على قول:(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ) [المائدة: ٤٥] الآية.

وليس في كتاب الله تعالى نص على القصاص في السن إلا في هذه الآية، وهي خبر عن شرع التوراة ومع ذلك فحكم بها وأحال عليها.

وإلى هذا ذهب معظم أصحاب مالكٍ وأصحاب الشافعي، وأنه يجب العمل بما وجد منها.

قال ابن بكيرٍ: وهو الذي تقتضيه أصول مالك وخالف في ذلك كثير من أصحاب مالكٍ وأصحاب الشافعي والمعتزلة، لقول تعالى:(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨]. وهذا لا حجة فيه، لأنه يحتمل التقييد: إلا فيما قص عليكم من الأخبار عنهم مما لم يأت من كتابكم. وفي صحيح البخاري عن العوام قال: سألت مجاهدا عن سجدة« ص» فقال: سألت ابن عباس عن سجدة« ص» فقال: أو تقرأ(وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ) [الأنعام: ٨٤] إلى قوله (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ)؟ وكان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم ﷺ بالاقتداء به.

قلت: (مصطفى): ولمزيد انظر: تأويل قوله تعالى من سورة المائدة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾؟

ج: قال الطبري في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُل) لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي، أن تبسل نفس بما كسبت، من مشركي قومك يا محمد:(لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ)، على تذكيري إياكم، والهدى الذي أدعوكم إليه، والقرآن الذي جئتكم به، عوضا أعتاضه منكم عليه، وأجرا آخذه منكم، وما ذلك مني إلا تذكير لكم، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل، بأس الله أن يحل بكم، وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم = وإنذار لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتذكروا وتنزجروا.

(١٩٩) أحمر
أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ) أي: لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أي: أجرة، ولا أريد منكم شيئا، (إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ) أي: يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ)؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) أي فيما وجب له واستحال عليه وجاز.

قال ابن عباسٍ: ما آمنوا أنه على كل شي قدير.

وقال الحسن: ما عظموه حق عظمته.

وهذا يكون من قولهم: لفلانٍ قدر.

وشرح هذا أنهم لما قالوا: (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ) نسبوا الله عَزَّ وَجَلَّ إلى أنه لا يقيم الحجة على عباده، ولا يأمرهم بما لهم فيه الصلاح، فلم يعظموه حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته. وقال أبو عبيدة: أي ما عرفوا الله حق معرفته.

قال النحاس: وهذا معنى حسن، لأن معنى قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره.

ويدل عليه قول تعالى: (إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ) أي لم يعرفوه حق معرفته، إذ أنكروا أن يرسل رسولا. والمعنيان متقاربان. وقد قيل:

وما قدروا نعم الله حق تقديرها. وقرأ أبو حيوة (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) بفتح الدال، وهي لغة.

س: وضح مرادهم بقولهم: (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ) ومن قائله؟

ج: مرداهم أن الله عَزَّ وَجَلَّ ما أنزل التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا الإنجيل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أنزل أي كتاب على أي شخصٍ من البشر.

(٢٠٠) أحمر
أسود

أما قائل ذلك فقد اختلف في تعيينه فمن العلماء من قال:

إن القائل رجل من اليهود، قيل هو مالك بن الصيف وقيل فخاص اليهودي.

والقول الثاني: أن قائل ذلك جماعة من اليهود، وذلك للآية التي تلت هذه الآيات وهي: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ....).

والقول الثالث: أن قائل ذلك مشركوا قريش وهذا الأخير اختيار الطبري، وذلك لأن السياق المتقدم فيهم، وانفك الطبري خ عن احتجاج أهل القول الثاني بقوله والأصوب في قوله: (تَجْعَلُونَهُۥ) بالياء أي (يجعلونه).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني بقوله(وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)، مشركو قريش.

وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم، أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود: الإقرار بصحف إبراهيم وموسى، وزبور داود.

وإذا لم يأت بما روي من الخبر، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود، خبر صحيح متصل السند = ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله:(وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)، موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

ولكني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبرا عن اليهود، وجدوا قوله:(قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ)، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرءوه على وجه الخطاب لهم: (تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ)

فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم، إذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم.

وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله:(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ) والأول هو الأظهر؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش -والعرب قاطبة -كانوا يبعدون إرسال رسولٍ من البشر، كما قال (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ) [يونس: ٢] ، وقال تعالى: (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا) [الإسراء: ٩٤، ٩٥]، وقال هاهنا: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ) إذ قالوا (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ) قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ)؟ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيءٍ من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام بإثبات قضيةٍ جزئيةٍ موجبةٍ: (مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ) يعني: التوراة التي قد علمتم -وكل أحدٍ -أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران (نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ)، أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تشنيع على من نفى الرسالة، [من اليهود والمشركين] وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملا لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي قدح في الله أعظم من هذا؟ « قل لهم -ملزما بفساد قولهم، وقررهم، بما به يقرون-: (مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ) وهو التوراة العظيمة (نُورًا) في ظلمات الجهل (وَهُدًى) من الضلالة، وهاديا إلى الصراط المستقيم

(٢٠٢) أحمر
أسود

علما وعملا وهو الكتاب الذي شاع وذاع، وملأ ذكره القلوب والأسماع. حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه، أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك، أخفوه وكتموه، وذلك كثير.

س: ما الكتاب الذي جآء به موسى عليه السلام؟

ج: المراد به التوراة.

س: اذكر بعض ما أخفاه اليهود من التوراة؟

ج: أخفوا أمورًا كثيرة كما قال تعالى: (وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)، وقد ذكر العلماء من ذلك ما يلي:

صفة رسول الله ﷺ، فقد موصوفا عندهم في التوراة تمام الوصف ومعروفا لديهم تمام المعرفة.

آية الرجم فقد أخفوها.

وفضح أمرهم في ذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

بعض صور العذاب التي حلت بسلفهم، والتي منها مسخهم إلى قردة وخنازير.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ...)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين لك من اليهود القائلين: (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ) يا هؤلاء من أنزل التوراة على موسى ﷺ، تلك التوراة التي أبديتم بعضها وأخفيتم بعضها، ومع كونكم أخفيتم بعضها إلا أنكم أقررتم بالبعض الآخر، وإقراركم أي جزءٍ منها إقرار بأن الله أنزل كتبا على بشرٍ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ)، يا محمد، لمشركي قومك القائلين لك: (مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ)، قل: (مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا)، يعني: جلاء وضياء من ظلمة الضلالة، (وَهُدًى لِّلنَّاسِ)، يقول: بيانا للناس، يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم، (تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا).

س: وضح معنى قوله تعالى: (تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا)؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: يجعلها حملتها قراطيس، أي: قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم، وتحرفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتتأولون هذا من عند الله، أي: في كتابه المنزل، وما هو من عند الله؛ ولهذا قال: (تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا).

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، وعلمتم يا معشر يهود أمورا كانت خافية عليكم من قبل، وكذا كانت خافية على الآباء وذلك مما أخفاه عليكم أسلافكم وأجدادكم، علمناكم تلك الأمور وأخبرناكم بها، كما قال تعالى: (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ) [المائدة: ١٥] أي ويستر كثيرا من الأمور فلا يفضحكم بها، ومن ذلك بعض صور العذاب التي حلت بسلفكم، وبعض المخازي التي ارتكبها سابقوكم.

ويحتمل أن يكون المعنى أيضا، وعلمتم يا أهل الشرك من أهل مكة في هذا الكتاب الذي أنزل الله على نبيه محمد ﷺ أمورا كنتم تجهلونها، فمن ذلك إخباركم بأحوال الأمم المتقدمة وما حل بها وما حدث لها، وكذا إخباركم بما هو آتٍ من أمر البعث والمعاد والحساب، والجنة والنار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعلمكم الله جل ثناؤه بالكتاب الذي أنزله إليكم، ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم، وما هو كائن في معادكم يوم القيامة (وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ)، يقول: ولم يعلمه آباؤكم، أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله ﷺ

س: استدل بعض أهل الأهواء بقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ) على جواز الذكر بقول الله الله الله...ما مدى صحة هذا الاستدلال؟

(٢٠٤) أحمر
أسود

ج: هذا بلا شك استدلال في غير محله، لأن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إجابة على سؤال سابق، وهو ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله:(قُلِ ٱللَّهُ)، فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله:(قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)، بقيل الله، كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)، [سورة الأنعام: ٦٣] . فأمره باستفهام المشركين عن ذلك، كما أمره باستفهامهم إذ قالوا:(مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ)، عمن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: (قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) [سورة الأنعام: ٦٤] ، كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله على موسى.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وبعد أن طرحت يا رسول الله على هؤلاء المنكرين نبوتك سؤالك من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى....ولم يجدوا جوابا وجيها يردن عليك به، فأخبرهم أنت بصحيح الجواب، ثم اتركهم في ضلالاتهم وجهالتهم واستهزائهم وسخريتهم يخوضون فيما هم فيه خائضون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)، فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، بعد احتجاجك عليهم في قيلهم:(مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ)، بقولك:(مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ)، وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله: الله الذي أنزل عليك كتابه (فِى خَوْضِهِمْ)، يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته (يَلْعَبُونَ)، يقول: يستهزئون ويسخرون.

وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهدد لهم: يقول الله جل ثناؤه: ثم دعهم

(٢٠٥) أحمر
أسود

لاعبين، يا محمد. فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد، وأذيقهم بأسي، وأحل بهم إن تمادوا في غيهم سخطي.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم أن هذا الكتاب موافق للكتب التي تقدمته وذلك في نفي الشرك وإثبات التوحيد وغير ذلك.

س: ما المراد بالذي (بَيْنَ يَدَيْهِ)؟

ج: المراد، والله أعلم، الكتب التي تقدمته كالتوراة والإنجيل.

س: وضح معنى قوله: (وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين يصدقون بالبعث وبالثواب والعقاب وأن ذلك كائن يوم القيامة، هؤلاء يصدقون بهذا القرآن ويحافظون على الصلوات، فخوفهم من الحساب وإيمانهم بالبعث، كل ذلك يحملهم على المحافظة على الصلاة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله، ويصدق بالثواب والعقاب، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، ويصدق به، ويقر بأن الله أنزله، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله بإقامتها، لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه، وإنما يجحد به وبما فيه ويكذب، أهل التكذيب بالمعاد، والجحود لقيام الساعة، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابا، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وليس هناك أحد أظلم من شخص تقول على الله عَزَّ وَجَلَّ ونسب إليه ما لم يقله، أو ادعى أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعله نبيا وأوحى إليه قرآنا ولم يوحي الله إليه قرأنا، أو قال: سآتي من عند نفسي بقرآن كالذي أنزل الله على رسوله محمد

(٢٠٦) أحمر
أسود

ﷺ فلا أحد أظلم من هؤلاء الكذبة المفترين هذا، وهذه الآية تنسحب على مسيلمة الكذب الذي ادعى أنه قد أوحي إليه، وأمثاله من المفترين الكذابين وكذا تنسحب على عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي ادعى أنه سيأتي بقرآنٍ كالذي أنزل على رسول الله ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جل ذكره بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، ومن أخطأ قولا وأجهل فعلا، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، يعني: ممن اختلق على الله كذبا، فادعى عليه أنه بعثه نبيا وأرسله نذيرا، وهو في دعواه مبطل، وفي قيله كاذب.

وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب، وتجهيل منه لهم، في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والحنفي مسيلمة، لنبي الله ﷺ، بدعوى أحدهما النبوة، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ ونفي منه عن نبيه محمد ﷺ اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل.

وذكر الطبري عن بعضهم أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي السرح خاصة، ولكنه تعقب ذلك بقوله: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله قال: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ)، ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: «إني قد قلت مثل ما قال محمد»، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفتريا كذبا.

وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين، ادعيا على الله كذبا. أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قيله.

فإذ كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا، وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره: «أوحى الله إلي»، وهو في قيله كاذب، لم يوح الله إليه شيئا.

فأما التنزيل، فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب إذ كان قائلو ذلك منهم، فلم يغيروه.

(٢٠٧) أحمر
أسود

فعيرهم الله بذلك، وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك، ومع تركهم نكيره هم بنبيه محمد ﷺ مكذبون، ولنبوته جاحدون، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون، فقال لهم جل ثناؤه: «ومن أظلم ممن ادعى علي النبوة كاذبا»، وقال:(أُوحِيَ إِلَيَّ)، ولم يوح إليه شيء، ومع ذلك يقول:(مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٖۗ)، فينقض قوله بقوله، ويكذب بالذي تحققه، وينفي ما يثبته. وذلك إذا تدبره العاقل الأريب علم أن فاعله من عقله عديم.

فائدة:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (عند تفسيره لهذه الآية الكريمة:

قلت: ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكليات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص. وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون، ويستدلون على هذا بالخضر، وأنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤالٍ ولا جوابٍ، فإنه يلزم منه هد الأحكام وإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ. وسيأتي لهذا المعنى في«الكهف» مزيد بيانٍ إن شاء الله تعالى.

وقال السعدي في تفسيره:

يقول تعالى: لا أحد أعظم ظلما، ولا أكبر جرما، ممن كذب [على] الله. بأن نسب إلى الله قولا أو حكما وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله -ما هو من أكبر المفاسد.

ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه -مع

(٢٠٨) أحمر
أسود

كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه- يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم.

ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

(وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ) أي: ومن أظلم ممن زعم. أنه يقدر على ما يقدر الله عليه ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله. ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله.

وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟!!

س: من الذين عناهم الله بقوله: (ٱلظَّٰلِمُونَ)؟

ج: هم، والله أعلم، الذين ذكرهم الله ﷻ في صدر الآية الكريمة، وهم المفترون على الله كذبا، والزاعمون أن الله ﷻ قد أوحى إليهم، والزاعمون أنهم سيأتون بقرآنٍ كالذي نزل الله على نبيه محمد ﷺ.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ...)؟

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) [الأنفال: ٥٠].

وقوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ)[محمد: ٢٧]

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ....) بإيجاز؟

ج: المعنى، ولو رأيت ما يحدث للكفار عند الاحتضار، والملائكة تتلقاهم بالضرب قائلة لهم أخرجوا أنفسكم...، لو رأيت ذلك لرأيت منظرا بشعا رهيبا مخيفا

(٢٠٩) أحمر
أسود

تقشعر منه الجلود وتذهل له العقول.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: (أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ) أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

س: هل بنو آدم الذين يقبضون أنفسهم من أجسامهم حتى يقال لهم (أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ)؟

ج: قل: بل الذي يقبضها ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) [السجدة: ١١].

وقال تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) [الأنعام: ٦١].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: ما وجه قوله: (أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ)، ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار، وأمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم؟ فإن كان ذلك كذلك، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم!

قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي [إليه] ذهبت وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها.

س: اذكر حديثا يبين كيفية نزع الأرواح من الأجساد؟

(٢١٠) أحمر
أسود

ج: ورد في ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما بسند صحيح عن رسول الله ﷺ، عند الإمام أحمد وغيره[1]، وفيه:

خطبنا رسول الله ﷺ، في يوم نحرٍ فقال: «**لا يذبحن أحد حتى نصلي**»، فقام خالي، فقال: يا رسول الله، هذا يوم اللحم فيه مكروه، وإني عجلت، وإني ذبحت نسيكتي لأطعم أهلي وأهل داري، أو أهلي وجيراني، فقال: «**قد فعلت فأعد ذبحا آخر**»، فقال: يا رسول الله، عندي عناق لبنٍ هي خير من شاتي لحمٍ، أفأذبحها؟ قال: « نعم، وهي خير نسيكتيك، ولا تقضي جذعة عن أحدٍ بعدك.

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن منهال بن عمرٍو، عن زاذان، عن البراء بن عازبٍ، قال: خرجنا مع النبي ﷺ، في جنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثا**» ، ثم قال: « **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ** ». قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض**» قال: « **فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملإٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلانٍ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماءٍ مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها**

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧، ٢٨٨).

(٢١١) أحمر
أسود

أخرجهم تارة أخرى ». قال: « فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة ». قال: «فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره» . قال: « ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي ». قال: « وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ ». قال: « فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له »، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: «اكتبوا كتابه في سجينٍ في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا» . ثم قرأ: (وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: ٣١] « فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر

(٢١٢) أحمر
أسود

بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة».

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد جئتمونا وحدانا لا مال معكم ولا أولاد ولا أهل ولا عشيرة ولا أصحاب ولا رفيق (أي ولا عبيد) ولا شيء معكم مما كانوا يتباهون في الدنيا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أضواء البيان):

قوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ) ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار يأتون يوم القيامة كل واحد منهم بمفرده ليس معهم شركاؤهم، وصرح تعالى بأن كل واحد يأتي فردا في قوله: (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مريم: ٩٥]، وقوله في هذه الآية: (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي منفردين لا مال، ولا أناث، ولا رفيق، ولا خول عندكم، حفاة عراة غرلا، أي غير مختونين (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ١٠٤].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال متقاربة المعنى:

أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس.

والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن.

والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل.

والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغي، وشقيقه، قاله الزجاج.

والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) مع إيراد بعض أحاديث رسول الله ﷺ في ذلك؟

(٢١٣) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كما ولدتكم أمهاتكم حفاة عراة غرلا (أي غير مختونين) غلفا (أي بأعضائكم).

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد جئتمونا يوم القيامة فرادى لا شيء معكم، ولا ولد ولا والد ولا مال ولا جاه ولا شيء، فلقد تركتم كل ذلك خلفكم في دنياكم كما في الحديث: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ) أي: من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[2]. وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟)؟

ج: هذا قول الله ﷻ للمشركين الذين كانوا يزعمون أن الأصنام والأوثان تشفع فيهم، فقيل لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وتدعونها لله شركاء لقد ذهبت عنكم فما ترى!!

أين اللات؟! أين العزى؟!! أين مناة؟!

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟) تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في [الدار] الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب، ﷻ، على رءوس

(١) البخاري (حديث ٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
(٢) مسلم (٢٩٥٩).

(٢١٤) أحمر
أسود

الخلائق: (أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [القصص: ٦٢] وقيل لهم (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ) [الشعراء: ٩٢، ٩٣]؛ ولهذا قال هاهنا: (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟) أي: في العبادة، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)؟

ج: المعنى، والله أعلم، لقد تقطعت أسباب التواصل التي كنتم تتواصلون بها في دنياكم- إلا وصلة الإيمان لقد تقطعت القرابات فلم يعد قريب يغني عن قريبه شيئا، وكذا تقطعت الصداقات، وكما قال تعالى: (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ) [عبس: ٣٤- ٣٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) قرئ بالرفع أي: شملكم، وقرئ بالنصب أي: لقد انقطع ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل (وَضَلَّ عَنكُم) أي: وذهب عنكم (مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) من رجاء الأصنام والأنداد، كقوله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ) [البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: (إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ) [العنكبوت: ٢٥]، وقال: (وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ) [القصص: ٦٤] الآية، وقال: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟) [الأنعام: ٢٢] إلى قوله: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ) [الأنعام: ٢٤] والآيات في هذا كثيرة جدا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (في أضواء البيان):

قوله تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام: ٩٤].

(٢١٥) أحمر
أسود

ذكر في هذه الآية الكريمة: أن الأنداد التي كانوا يعبدونها في الدنيا تضل عنهم يوم القيامة، وينقطع ما كان بينهم من الصلات في الدنيا، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جدا كقوله: (وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ) [الأحقاف: ٦]، وقوله: (كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) [مريم: ٨٢]، وقوله: (وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ) [العنكبوت: ٢٥]، وقوله: (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ)، وقوله هنا: (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ) [الأنعام: ٩٤].

(٢١٦) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٩٥ فَالِقُ
ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ
تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩٧
وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ
فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ٩٨ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ
مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟
إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٩٩
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ
١٠٣ قَدْ

جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٦
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٠٨ وَأَقْسَمُوا۟

(٢١٧) أحمر
أسود

بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠) [الأنعام: ٩٥-١١٠].

(٢١٨) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿فَالِقُ﴾	الذي يشق (الحب والنوى)- فلق: شقَّ، والفلقة هي: الشق بين الحبة.
﴿ٱلْحَبِّ﴾	جمع حبة.
﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾	جمع نواة[١].
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾	فاعل ذلك هو: الله[٢].
﴿فَأَنَّىٰ﴾	من أيِّ وجهٍ (من وجوه الباطل).
﴿تُؤْفَكُونَ﴾	تصرفون عن الصواب.
﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾	شاق الصبح من ظلمة الليل- مُضيء الفجر من ظلمة الليل، أتى بضوء الفجر من ظلمة الليل.
﴿سَكَنًا﴾	وقتًا للسكون والراحة، يسكن فيه كل متحرك – مستقرًّا – مأوى.
﴿حُسْبَانًا﴾	يجريان بحساب (إلى أجل معلوم) كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].
﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾	الذي عزَّ سلطانه – الذي يفعل ما يريد ولا يمنعه مانع مما أراد – عظيم السلطان منيع الجناب.
﴿فَصَّلْنَا﴾	ميزنا- بينا- فرَّقنا.
﴿أَنشَأَكُم﴾	خلقكم.
﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾	مكانٌ تستقرون[٣] فيه (قيل: هو: الرحم).
﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾	مكان يستودعكم غيركم فيه (قيل: هو: القبر).
﴿يَفْقَهُونَ﴾	يفهمون.
﴿خَضِرًا﴾	النبات الأخضر- وقيل: الخضروات- وقيل: البقول.

(١) فلق النواة فأخرج منها نبات النخلة، وفلق الحبة فأخرج منها نباتها.
(٢) من أي وجه تهربون من الإقرار بوحدانية، وقد فصَّل لكم الآيات وبينها.
(٣) وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

(٢١٩) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿حَبًّا﴾	ما في السنابل (حب الحنطة – الشعير – الأرز).
﴿مُّتَرَاكِبًا﴾	يركب بعضها بعضًا (كحب السنابل).
﴿قِنْوَانٌ﴾	جمع قنوٍ، وهو: العذق.
﴿دَانِيَةٌ﴾	متدلية[1] – قريبة.
﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾	نضجه – بلوغه حين يبلغ.
﴿وَخَرَقُوا۟﴾	اخترعوا – افتروا – كذبوا – تخرصوا.
﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾	تنزَّه.
﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾	علا وارتفع.
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	محدثهما على غير مثال سابق (بعد أن لم يكونا شيئًا) الذي أحسن خلق السموات والأرض.
﴿صَـٰحِبَةٌ﴾	زوجة.
﴿وَكِيلٌ﴾	رقيب – حفيظ.
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾	لا تحيط به الأبصار.
﴿ٱللَّطِيفُ﴾	الرفيق بعباده – موصِّل الشيء باللين والرفق الذي يعامل أهله باللطف والرأفة.
﴿بَصَآئِرُ﴾	جمع بصيرة؛ وهي: الحجة والبينة، والمراد: الآيات.
﴿بِحَفِيظٍ﴾	برقيب – بِمُحْصٍ للأعمال.
﴿نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾	نفصل الآيات – ننوع الآيات.
﴿دَرَسْتَ﴾	تعلمت من غيرك.
﴿عَدْوًا﴾	جهلًا واعتداءً.
﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	بجهل.

(١) قريبة من الأرض، وذلك في نوعٍ من النخيل قصير.

(٢٢٠) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾	حلفوا بالله.
﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	مجتهدين في الأيمان.
﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾	ليصدقن بها- ليصدقنك في أنها من عند الله.
﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾	وما يدريكم.
﴿أَفْئِدَتَهُمْ﴾	قلوبهم.
﴿وَنَذَرُهُمْ﴾	نتركهم.
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يترددون- يتحيرون- لا يهتدون للحق- لا يبصرون صوابا.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى فالق الحب والنوى؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الله ﷻ هو الذي شق الحبة فأخرج منها النبات، وفلق النواة فأخرج منها النخة وكما أنه فعل ذلك فهو قادر على إحياء الموتى، وعلى إخراج الحي من الميت والميت من الحي.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجته عليهم، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه. يقول تعالى ذكره: إن الذي له العبادة، أيها الناس، دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان، هو الله الذي فلق الحب = يعني: شق الحب من كل ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع =«والنوى»، من كل ما يغرس مما له نواة، فأخرج منه الشجر.

و«الحب» جمع«الحبة»، و«النوى» جمع«النواة».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى، أي: يشقه في الثرى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب، والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها من النوى؛ ولهذا فسر قوله: (فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ) بقوله: (يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ) أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت، كقوله: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ

(٢٢١) أحمر
أسود

ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) [يس: ٣٣] على قوله: (وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) [يس: ٣٦].

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ) الفلق: الشق، ومعناه: أنه يشق الحبة؛ فيستخرج السنبلة من الحبة، ويشق النواة؛ فيستخرج النخلة من النواة، ويدخل في قوله : (فَالِقُ ٱلْحَبِّ) جميع البذور والحبوبن ويدخل في قوله: (وَٱلنَّوَىٰ) نواة جميع الأشجار مثل: نواة المشمش، ونواة الخوخ، ونواة الغبيراء، ونحو ذلك، وقيل: فالق الحب والنوى بمعنى: خالق الحب والنوى.

س: ما المراد بالحي، وما المراد بالميت في قوله تعالى: (يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ)؟

ج: في ذلك أقوال ذكرها العلماء منها ما يلي:

الحي: المؤمن.

والميت: الكافر.

الحي: السنبلة.

الميت: الحبة.

الحي: النخلة.

الميت: النواة.

والحي: الإنسان الحي.

الميت: النطفة.

الحي: الدجاجة.

الميت: البيضة.

وثم أقوال أخر.

وقد اختار الطبري في هذا المقام بعض ما ذكر دون الأخر فقال:

يقول تعالى ذكره: يخرج السنبل الحي من الحب الميت، ومخرج الحب الميت

(٢٢٢) أحمر
أسود

من السنبل الحي، والشجر الحي من النوى الميت، والنوى الميت من الشجر الحي.

والشجر ما دام قائما على أصوله لم يجف، والنبات على ساقه لم ييبس، فإن العرب تسميه«حيا»، فإذا يبس وجف أو قطع من أصله، سموه«ميتا».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد عبروا عن هذا [وهذا] بعباراتٍ كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائلٍ: يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، من قائلٍ: يخرج الولد الصالح من الكافر، والكافر من الصالح، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا)؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الله ﷻ يذكر خلقه بنعمه عليهم ويذكرهم بقدرته، فيقول: فالق الإصباح أي: أنه أخرج الضياء من الظلام وفلق الصبح من الليل، فجعل النهار منيرا ليسعى الناس على معايشهم ويلتمسوا أسباب الرزقن وجعل الليل لهم للراحة والهدوء والسكون تستريح فيه الأبدان من العناء والتعب.

قال الحافظ ابن كثر رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا) أي: خالق الضياء والظلام، كما قال في أول السورة: (وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ) فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بدآدئه وظلام رواقه، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه، كما قال(يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤]، فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله: (وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا) أي: ساجيا مظلما تسكن فيه الأشياء، كما قال: (وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) [الضحى: ١، ٢]، وقال(وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) [الليل: ١، ٢]، وقال (وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا) [الشمس: ٣، ٤].

وقال السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»..:

(فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ) أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل

(٢٢٣) أحمر
أسود

الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئا فشيئا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، ومعايشهم، ومنافع دينهم ودنياهم.

ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور (وَجَعَلَ) الله (ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا) يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضياء، وهكذا أبدا إلى يوم القيامة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ)؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن الله ﷻ جعل الشمس والقمر يجريان بحساب لا يتعديانه ولا يتجاوزانه فلهما مسارات يسيران فيها وأزمنة لمسير كل منهما، يقدر ذلك كله العزيز الذي لا يمنعه مما أراد مانع ولا يحول بينه وبين مراده حائل (العليم) بمصالح العباد والعليم بكل شيء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ) أي: يجريان بحسابٍ مقننٍ مقدرٍ، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا، كما قال (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ) الآية [يونس: ٥]، وكما قال: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ) [يس: ٤٠]، وقال (وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ) [الأعراف: ٥٤].

وقوله: (ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) أي: الجميع جارٍ بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيءٍ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية، وكما في قوله: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ)[يس:٣٨،٣٧]

(٢٢٤) أحمر
أسود

وقال السعدي في «تفسيره»:

وجعل تعالى: (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا) بهما تعرف الأزمنة والأوقات فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بهما مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتنار بهما، واختلافهما لما عرف ذلك عامة الناس ولا اشتركوا في علمه. بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

س: ما المراد بالظلمات في قوله تعالى: (لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) وما المراد بظلمات البر وظلمات البحر؟

ج: أما الظلمات فهي: ظلمات الليل.

أما ظلمات البر: فظلمات الليل التي تسبب لكم الخطأ والضلال والحيود عن الطريق وأنتم على الأرض.

أما ظلمات البحر: فالظلمات التي تحل بكم وأنتم في البحر فتضلوا عن الطريق بسببها، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي جعل لكم، أيها الناس، النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جل ثناؤه: (وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: ١٦]، أي: من ضلال الطريق في البر والبحر = وعنى بالظلمات، ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء.

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية الاهتداء بالنجوم والاستدلال بها، وهل في ذلك إشارة إلى شيءٍ؟

ج: من ذل ما يلي:

قوله تعالى: (وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: ١٦].

(٢٢٥) أحمر
أسود

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ).

وقال بعض العلماء: كما أن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فكذلك الرسل يهتدي بهم إلى طريق الله ﷻ،وينقذنا الله بهم من ظلمات الكفر والجهالة، وأيضا فالدعاة إلى الله يهتدي بهم.

والكافر ميت في ظلمةٍ والمؤمن حي في نور وضياء، وحياة المؤمن بإقباله على هدى الله ﷻ وإيمانه، وموت الكافر بضلاله وكفره وابتعاده عن الإيمان.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)؟

ج: معنى ذلك، والله أعلم: قد ذكرنا الآيات والدلالات على وحدانيتنا وقدرتنا وعملنا في عدة مواطن من كتابنا الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ، لعل قوما يعلمون ذلك ويفقهونه ويتدبرونه فيقبلون على طاعتنا وامتثال أمرنا وتوحيدنا.

فقوله: (فَصَّلْنَا) من فصل الشيء بعضه عن بعض، وفصلنا الآيات أي: أتينا بها في مواطن متفرقة، ولعل المعنى يتضح من قوله تعالى في شأن الآيات التي أرسلها الله على فرعون وقومه(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ) [الأعراف: ١٣٣] أي: بين كل آيةٍ وآية فواصل أي: فواصل زمنية؛ فأرسلنا عليهم الطوفان وتركوا زمنا لعلهم يتذكرون فما تذكروا فأرسل عليهم الجراد....وهكذا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول: قد ميزنا الأدلة وفرقنا الحجج فيكم وبيناها أيها الناس ليتدبرها أولو العلم بالله منكم ويفهمها أولو الحجا منكم، فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون، ولا يتمادوا عنادا لله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم.

س: ما المراد بالنفس الواحدة؟

ج: المراد بالنفس الواحدة: آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير: المستقر والمستودع؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: المستقر هو: المستقر في الرحم، المستودع: القبور.

الثاني: المستقر هو: المستقر في الصلب- يعني: أصلاب الرجال-، المستودع: حيث تموت (المكان الذي تموت فيه).

الثالث: المستقر: مستقر بطون النساء، المستودع: أصلاب الرجال.

الرابع: المستقر: في الصلب، المستودع: على ظهر الأرض.

الخامس: المستقر: على الأرض، المستودع: عند الله.

السادس: المستقر: في الرحم، المستودع في الصلب.

السابع: المستقر: في القبر، المستودع: في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)؟

ج: المعنى، والله أعلم: قد فرقنا الآيات وبينا الحجج في غير موضع من كتابنا لعل هؤلاء المعرضين عن ذكر ربهم وهداه يفهمون عن الله مراده، وتتبين لهم قدرته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)، يقول تعالى: قد بينا الحجج، وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها (لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)، مواقع الحجج ومواضع العبر، ويفهمون الآيات والذكر، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر، وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه في عبادتهم إياه.

س: اذكر المستفاد من قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ....)؟

ج: المستفاد، والله تعالى أعلم: بيان قدرة الله ﷻ ونعمته في إنزال هذا الماء من السماء ذلكم الماء الذي يشرب منه الإنس وتشرب منه الدواب والأنعام، وتنمو به الأرض ويرزق منه بنو آدم وخرجت بسببه جميع النباتات، فالذي أنزل ذلك جدير با،

يعبد ولا يشرك به شيء، جدير بأن يخشى، جدير بأن يرهب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) أي: بقدر مباركا رزقا للعباد وإحياء وغياثا للخلائق رحمة من الله بخلقه (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ) كقوله: (وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ) [الأنبياء: ٣٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ)؟

ج: المعنى، والله أعلم: فأخرجنا به كل النباتات، وقيل: المعنى فأخرجنا به ما ينبت به كل شيءٍ.

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وإنما معنى قوله: (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ)، فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح.

ولو قيل: معناه: فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات، فيكون (كُلِّ شَىْءٍ) هو أصناف النبات، كان مذهبا، وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأول. كذا قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا)؟

ج: قال الحافظ ابن كثير خ :

(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) أي: زرعا وشجرا أخضر، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والثمر؛ ولهذا قال: (نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) أي: يركب بعضه بعضا، كالسنابل ونحوها (وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ) أي: جمع قنو وهي عذوق الرطب (دَانِيَةٌ) أي: قريبة من المتناول.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ) أي: من ذلك النبات الخضر، (حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) بعضه فوق بعض، من بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك، من أصناف الزروع، وفي

(٢٢٨) أحمر
أسود

وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار.

س: على أي أساس رفعت (قِنْوَانٌ)؟

ج: رفعت على أنه خبر لمبتدأ وهو جملة (وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا) أو مبتدأ والمعنى: وقنوان النخل التي تخرج من الطلع دانية، ولذلك رفعت قنوان.

س: كثيرا ما يمتن الله ﷻ على العباد بثمرات النخيل والأعناب دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى(وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) [النحل:٦٧]

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ) [يس: ٣٤].

وقوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذان النوعان: أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ).

ج: المعنى، والله أعلم: وأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء زيتونا ورمانا مشتبها في قولونه مختلفا في طعمه، أو مشتبها ورقه مختلفا ثمره هكذا، والمراد بقوله: (وَٱلزَّيْتُونَ) أي: شجر الزيتون، وكذا (وَٱلرُّمَّانَ): شجر الرمان.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ) يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضا، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل

ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به.

س: هل في الزيتون والرمان زكاة؟

ج: أما الرمان: فأكثر أهل العلم على أنه: لا زكاة فيه، أما الزيتون: فلأهل العلم فيه قولان: أحدها: لا زكاة فيه؛ لاقترانه بالرمان، وقال آخرون من أهل العلم: فيه الزكاة؛ لأنه يعصر وزيته له بقاءه ويدخر، ولأن الكريمة فيها:(وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ) [الأنعام: ١٤١]

ولمزيد انظر: كتب الفقه «المغني» وغيره، وكذا انظر: «تفسير القرطبي».

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ)؟

ج: المعنى، والله أعلم: فكروا أيها الناس فيما يحدث لهذه الزروع المذكورة، وكيف نمت، وكيف ترعرعت، معنى هذا: دلالة على قدرة الله ﷻ وعلى وحدانيته فلا يقدر على فعل ذلك أحد سواه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ) أي نضجه، قاله البراء بن عازبٍ، وابن عباسٍ، والضحاك، وعطاء الخراساني، والسدي، وقتادة، وغيرهم، أي فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطبا، صار عنبا ورطبا، وغير ذلك مما خلق ، من الألوان والأشكال والطعوم والروائح، كقوله تعالى: (وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [الرعد: ٤] الآية، ولهذا قال هاهنا إن في ذلكم أيها الناس لآياتٍ أي دلالاتٍ، على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقومٍ يؤمنون أي يصدقون به ويتبعون رسله.

س: اذكر معنى قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)؟

ج: المعنى: إن في المذكور في الآية الكريمة من نعم الله ﷻ على عباده من إنزال الماء وإخراج النبات به الذي منه الأخضر، ومنه ذو الحب والمتراكب، وكذا النخيل

والأعناب الزيتون والرمان المشتبه في لونه المختلف في طعمه، وكذا حاله عند البلوغ والنضج في كل ذلك دلالات على قدرتنا ووحدانيتنا يستدل بها على على وحدانيتنا قوم كتبنا لهم الهداية ووفقناهم للإيمان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره إن في إنزال الله من السماء الماء الذي أخرج به نبات كل شيء، والخضر الذي أخرج منه الحب المتراكب، وسائر ما عدد في هذه الآية من صنوف خلقه (لَأَيَٰتٍ)، يقول: في ذلكم، أيها الناس، إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره، وعند ينعه وانتهائه، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه في زيادته ونموه، علمتم أن له مدبرا ليس كمثله شيء، ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد، وكان فيه حجج وبرهان وبيان (لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)، يقول: لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء.

وخص بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها، دون من قد طبع الله على قلبه، فلا يعرف حقا من باطل، ولا يتبين هدى من ضلالة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أن هؤلاء المشركين جعلوا لله شركاء وعبدوهم مع الله عَزَّ وَجَلَّ، هؤلاء الشركاء هم الجن.

فجعلوا الجن شركاء لله مع أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو خالقهم وخالق الجن كذلك هو وحده لا شريك له الذي خلقهم لم يشاركه في خلقهم أحد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا به في عبادته، أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل: فيكف عبدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب: أنهم ما عبدوا الأصنام إلا عن طاعة الجن، وأمرهم إياهم بذلك، كقوله: (إِن يَدۡعُونَ مِن

(٢٣١) أحمر
أسود

دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا) [النساء: ١١٧-١٢٠]، وكقوله تعالى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا) [الكهف: ٥٠]، وقال إبراهيم لأبيه: (۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾) [يس: ٦٠، ٦١].

وتقول الملائكة يوم القيامة: (سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) [سبأ: ٤١]؛ ولهذا قال تعالى: (وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ) أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره، كقول إبراهيم: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ومعنى الآية: أنه [redacted] هو المستقل بالخلق وحده، فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ)

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: أن هؤلاء المشركين منهم فريق جعلوا الجن شركاء لله فعبدوهم مع الله، ومنهم من افترى كذبا على الله واختلق لله البنين والبنات، فادعى أن الله له أبناء وبنات، فالمشركون عبدوا الجن، واليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، وقبائل من العرب زعموا أن الملائكة بنات الله.

أما الأدلة على ما ذكر فمنها– على وجه الإيجاز– ما يلي:

قوله تعالى: (بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) [سبأ: ٤١].

وقوله تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: (وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ) [الصافات: ١٥٨].

(٢٣٢) أحمر
أسود

وقولـــه تعـــالى: (وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ) [الزخرف: ١٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ) ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا، كما يزعم من قاله من اليهود في العزير، ومن قال من النصارى في المسيح وكما قال المشركون من العرب في الملائكة: إنها بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ومعنى قوله (وَخَرَقُواْ) أي: واختلقوا وائتفكوا، وتخرصوا وكذبوا، كما قاله علماء السلف.

س: وضح معنى قوله تعالى: (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ)؟

ج: المعنى- والله تعالى أعلم-: تنزه الله وارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة الكفرة أهل الشرك، إذ وصفوه بما لا يليق به فادعوا له الشريك وزعموا أن الجن شركاء لله زعموا أن لله البنات وأنه اتخذا ولدا كالعزير والمسيح، فنزه الله نفسه عن هذه الأوصاف وبين تعاليه عنها بقوله(سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: تنزه الله، وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه، في ادعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنات، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطرهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ)؟

ج: المعنى-والله تعالى أعلم-: خالق السموات والأرض من أي وجهٍ يأتيه

(٢٣٣) أحمر
أسود

الولد، والولد إنما يأتي من ذكر وأنثى والله ليست له صاحبه (أي: زوجة) فمن أين يأتيه الولد؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾، والولد إنما يكون من الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد. وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء. يقول: فإذا كان لا شيء إلا الله خلقه، فأنى يكون لله ولد، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) أي مبدعهما، وخالقهما، ومنشئهما، ومحدثهما، على غير مثالٍ سبق، كما قال مجاهد والسدي: ومنه سميت البدعة بدعة، لأنه لا نظير لها فيما سلف،

(أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ)أي كيف يكون ولد، (وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ)، أي والولد إنما يكون متولدا بين شيئين متناسبين، والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه، لأنه خالق كل شيءٍ، فلا صاحبة له ولا ولد، كما قال تعالى: (وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا) [مريم: ٨٨- ٩٥] وخلق كل شيءٍ وهو بكل شيءٍ عليم فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيءٍ، وأنه بكل شيءٍ عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه، وهو الذي لا نظير له، فأنى يكون له ولد، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

|

س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى:(وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله خلق كل شيء، ولا خالق سواه. وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه، خلقه وعبيده، ملكا، كان الذي تدعونه ربا وتزعمون أنه له ولد، أو جنيا أو إنسيا(وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)، يقول: والله الذي خلق كل شيء، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء،

(٢٣٤) أحمر
أسود

عالم بعددكم وأعمالكم، وأعمال من دعوتموه ربا أو لله ولدا، وهو محصيها عليكم وعليهم، حتى يجازي كلا بعمله.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)؟

ج: المعنى –الله تعالى أعلم–: ذلكم الذي خلقكم، والذي خلق السموات والأرض، والذي تنزه عن الصاحبة والولد، العالم بكل شيء هو ربكم الذي ينبغي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وهو خالق كل شيء وهو على كل من خلقهم حفيظ ورقيب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وآلهتكم التي لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا تفعل خيرا ولا شرا (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ).

وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق

كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة (فَٱعۡبُدُوهُۚ)، يقول: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك، (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ)، يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ) أي الذي خلق كل شيءٍ، ولا ولد له ولا صاحبة (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ) أي فاعبدوه وحده، لا شريك له، وأقروا له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له، ولا والد ولا صاحبة له، ولا نظير ولا عديل وهو على كل شيءٍ وكيل أي حفيظ ورقيب، يدبر كل ما سواه،

(٢٣٥) أحمر
أسود

ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار.

س: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

ج: نعم يرى المؤمنون ربهم ﷻ، قال الله ﷻ: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [يونس: ٢٦].

قال كثير من أهل التفسير إن المراد بالزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ.

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».

وقد قدمنا في تفسير سورة القيامة مزيدا من ذلك فارجع إليه إن شئت.

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: لا تحيط به الأبصار، وذلك لعظمته فهو أجل وأعظم من أن يحيط به بصر أحد من خلقه، ولكن يحيط بالأبصار لا يخفى عليه شيء منها وهو الخبير بخلقه، العليم بهم، هذا وقد أورد الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال لا يحيط بصرُ أحدٍ بالملك.

هذا، وقد وردت عن بعض أهل العلم أقوال أخر منها أن المراد بالإدراك الرؤية، ولكن هذا قول ضعيف، ولعل ضعفه يظهر مما سيأتي قريبا إن شاء الله.

س: كيف نفهم قوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) مع الوارد من الأدلة من الكتاب والسنة التي تثبت رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة؟

ج: ذلك يفهم من وجوه:

أحدها: أن الإدراك شيء والرؤية شيء آخر فالإدراك أعم من الرؤية، فقد يرى الشخص سخصا لكنه لا يدركه، دل على ذلك قوله تعالى في شأن الجمعين جمع

(١) الطبري (١٣٦٩٩).

(٢٣٦) أحمر
أسود

موسى عليه السلام، وقوم فرعون (فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ) [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فحصلت الرؤية ولم يحدث الإدراك.

أما العلماء الذين ذهبوا إلى تفسير الإدراك بالرؤية فلهم تأويلات أخر منها لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، أما في الآخرة فإنها تدركه.

والثاني: أن الأبصار التي لا تدركه أبصار الظالمين، فأما أبصار المؤمنين فإنها تدركه.

الثالث: أن الله ﷻ سيحدث لأوليائه حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس يوم القيامة فيرونه بها.

وكل هذه الأقوال التي بنيت على تفسير الإدراك بالرؤية أقوال ضعيفة، والصواب القول الذي قدمناه أولا الذي حاصله أن الإدراك أعم من الرؤية فالشخص قد يرى الشيء ولكنه لا يدركه. والله تعالى أعلم.

وقال السعدي خ : في معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ) الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن، ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ)؟

ج: المعنى الإجمالي، والله تعالى أعلم، قد جاءكم يا أهل الشرك يا من هم غارقون في الضلالة حجج وبينات من ربكم، وتلك الحجج والبينات هي الآيات المباركات الواضحات في هذا الكتاب العزيز،جاءتكم كي تستضيؤا بها وتبصروا بها الإيمان من الكفر، والهداية من الضلالة فمن قبل هذا النور واستضاء به فإنما أفاد

(٢٣٧) أحمر
أسود

نفسه ونفعها باستضاءته، ومن أعرض عن هذا النور فلن يضر إلا نفسه وسيقى غارقا في الضلالة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات من قوله:(إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ) إلى قوله:(وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ) على حججه عليهم، وعلى سائر خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذبين بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاءهم من عند الله= قل لهم يا محمد:(قَدْ جَآءَكُم)، أيها العادلون بالله، المكذبون رسوله (بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ)، أي: ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر.

= وهي جمع «بصيرة»، ومنه قول الشاعر:

حملوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة.

ثم قال:

وقوله:(فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ) يقول: فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر بها، وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بغى الخير﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾، يقول: ومن لم يستدل بها، ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها.

وأما قوله:(وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)، يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم، الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) أي آيات وبراهين يبصر بها ويستدل، جمع بصيرةٍ وهي الدلالة. قال الشاعر:

(٢٣٨) أحمر
أسود

جـاءوا بصـائرهم علـى أكتـافهم وبصـيرتي يعـدو بهـا عتـد وآي

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة.

ووصف الدلالة بالمجيء لتفخيم شأنها، إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس، كما يقال: جاءت العافية وقد انصرف المرض، وأقبل السعود وأدبر النحوس (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ) الإبصار: هو الإدراك بحاسة البصر، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع.

(وَمَنْ عَمِيَ) لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى، فعلى نفسه يعود ماه. (وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) أي لم أومر بحفظكم على أن تهلكوا أنفسكم.

وقيل: أي لا أحفظكم من عذاب الله.

وقيل: «بحفظ» برقيب، أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شي من أفعالكم. قال الزجاج: نزل هذا قبل فرض القتال، ثم أمر أن يمنعهم بالسيف من عبادة الأوثان.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– وكما صرفنا الآيات وفصلناها وبيناها في هذه السورة تلك الآيات الدالة على وحدانيتي فأبين لكم دائما حججي لتعلموا كل ما جهلتموه، وكان من اللائق أن يقدم القوم لذلك شكرا لكن ما قدموا شكرا، وإنما كفروا وافتروا ونسبوا إليك ما ليس بصدق فقالوا عنك وقد جئتهم بالبينات من ربك، قالوا (دَرَسْتَ) أي لقد درست هذا الذي تنقله لنا من كتب الأولين وتعلمت منها قال تعالى: (وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفرقان: ٥]، وفي قراءة (دَرَسَتَ) أي دارست غيرك وجالست غيرك فعلموك، وقد قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ) [النحل: ١٠٣].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله –تعالى–: (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ) أي: تفصل الآيات، مرة هكذا، ومرة

(٢٣٩) أحمر
أسود

هكذا (وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ) قيل: هذه «لام العاقبة» أي: عاقبه أمرهم أن يقولوا: درست، وهذا مثل قوله -تعالى-: (فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا) [القصص: ٨] ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لهذا، ولكن أراد أن عاقبة أمره معهم أن كان عدوا لهم؛ فيسمون ذلك لام العاقبة، كذلك ها هنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)؟

ج: المعنى- والله تعالى أعلم-: وكما بينا الآيات لأهل الشرك لعلهم ينزجروا بها ويتعظوا، فكذلك نبين الآيات لعلهم يزدادوا علما وفهما عن الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما تأويل قوله:(وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)، يقول تعالى ذكره: كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم: «إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب»، فينزجروا عن تكذيبهم إياه، وتقولهم عليه الإفك والزور، ولنبين بتصريفنا الآيات الحق، لقوم يعلمون الحق إذا تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم به بعدا.

س: اذكر معنى قوله تعالى: (ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ)؟

ج: المعنى-والله تعالى أعلم-: أقبل يا رسول الله على كتاب الله الذي أنزله عليك واعمل بما فيه وامتثل ما أمرت بالامتثال له واعمل ما أمرت بعمله، واجتنب ما نهيت عنه ولا تلتفت لأهل الشرك الذين يريدون صرفك عما أنت فيه من طريق الخير فربك واحد لا شريك له، ولا إله سواه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اتبع، يا محمد، ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو

قومك من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه لا إله إلا هو. يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا لرسوله ﷺ ولمن اتبع طريقته (ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ) أي اقتد به واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق، الذي لا مرية فيه، لأنه لا إله إلا هو.

(وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك، وينصرك ويظفرك عليهم، واعلم أن لله حكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعا.

س: هل قوله تعالى: (وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) منسوخ أم محكم؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية الكريمة منسوخة بقوله تعالى: (فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ) بينما ذهب آخرون إلى أنها محكمة، وأن المراد بالإعراض عن المشركين الإعراض عن جدالهم إذا تمادوا فيما هم فيه والله أعلم.

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ)؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئا، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك (وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ)، يقول جل ثناؤه: وإنما بعثتك إليهم رسولا مبلغا، ولم نبعثك حافظا عليهم ما هم عاملوه، تحصي ذلك عليهم، فإن ذلك إلينا دونك (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ)، يقول: ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم، فما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم.

س: اذكر بعض الأدلة على أن المهتدي من هداه الله؟

(٢٤١) أحمر
أسود

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) [الأنعام: ٣٥].
وقوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا) [السجدة: ١٣].
وقوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟).
وقوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) [يونس: ٩٩].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)؟

ج: المعنى- والله تعالى أعلم-: وما جعلناك يا رسول الله رقيبا على هؤلاء تكتب أعمالهم وأقوالهم وتحفظها عليهم بل الله ﷻ هو الحفيظ، وكذا: (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) أي ليست بموكل على أرزاقهم وعلى تدبير أمورهم بل كل ذلك إلى الله ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟)أي بل له المشيئة والحكمة، فيما يشاؤه ويختاره، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ) أي حافظا، تحفظ أقوالهم وأعمالهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) أي موكلٍ على أرزاقهم وأمورهم إن عليك إلا البلاغ كما قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) [الغاشية: ٢١- ٢٢]. وقال: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ) [الرعد: ٤٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
(وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ) أي لا يمكنك حفظهم من عذاب الله. (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) أي قيم بأمورهم في مصالحهم لدينهم أو دنياهم، حتى تلطف لهم في تناول ما يجب لهم، فلست بحفيظٍ في ذلك ولا وكيلٍ في هذا، إنما أنت مبلغ. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ)

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: ولا تشتموا يا أهل الإيمان الأصنام والأوثان التي

يعبدها المشركون توقيرا للأصنام والأوثان كلا، بل حفاظا على دينكم حتى لا يسبوا الله ﷻ اعتداء منهم وبغيا وتطاولا بسبب جهلهم بالله وجهلهم عقوبة صنيعهم.

س: في قوله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ) قاعدة هامة وضحها مع ذكر مثالٍ لها؟

ج: تلك قاعدة سد الذرائع ولها أدلة متعددة وفحواها أننا امتنعنا عن سب آلهة المشركين منعا للمشركين من سب الرب ﷻ ومن الأدلة لهذه القاعدة:

قوله ﷺ (١): «من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)؟

ج: المعنى والله تعالى أعلم كما ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال يقول تعالى ذكره كما زينا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن، كذلك زينا لكل جماعةٍ أجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذي هم عليه مجتمعون ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) يقول فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا ثم يجازيهم بها إن كان خيرا فخيرا، وإن كان شرا فشرا أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) أي: وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار، (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم الخالية على الضلال (عَمَلَهُمْ) الذي كانوا فيه، ولله الحجة البالغة، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره. (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ) أي: معادهم ومصيرهم، (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)

(١) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (حديث ٩٠).

أي: يجازيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) الآية؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أن أهل الشرك حلفوا واجتهدوا في الحلف، وذلك يكون بتكراره أحيانا وتأكيده وتغليظه أحيانا، أقسموا على أنه إذا جآءتهم معجزةق من جنس تلك المعجزات التي أيد الله بها الأنبياء كناقة صالح عليه السلام، أو عصا موسى عليه السلام أو تسخير الريح لسليمان عليه السلام أو غير ذلك ليصدقن بأنها من عند الله وأنك رسول الله، فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم إن أمر الآيات والإتيان بها ليس إلى إنماء مرده إلى الله عز وجل هو الذي يأتي بالآيات إن شاء.

۞أما قوله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) فقد قيل إن ذلك خطاب للكافرين فيكون المعنى، وما يدريكم، ويكون المعنى قد اكتمل إلى هذا القدر، فيكون المعنى وما يدريكم يا أهل الكفر أنكم ستؤمنون إذا جآتكم الآيات، ثم أخبر الله عز وجل أنهم وإن جآءتهم الآيات أيضا لن يؤمنوا، فقال إنها إذا جآءت لا يؤمنون.

۞وقد قال بعض العلماء قولا آخر، فقالوا إن قوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) أي يا أهل الإيمان، يا من تمنيتم نزول الآيات حتى يؤمن هؤلاء الكفار ما يدريكم يا أهل الإيمان أن أهل الكفر سينتفعون بهذه الآيات.

على اعتبار أن حرف (لا) هنا صلة لتقوية الكلا، كما تقول لا والله وأنت تقصد والله.

ووجه آخر وما يدريكم يا أهل الإيمان لعل الآيات إذا جآءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلهم الله عز وجل بالعذاب ولا يمهلوا ولا يؤخروا بعد ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى إخبارا عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: حلفوا أيمانا مؤكدة (لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ) أي: معجزة وخارق، (لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا) أي: ليصدقنها، (قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ) أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعنادا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء

أجابكم، وإن شاء تركَكم.

وقال أيضًا:

وقوله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) قيل: المخاطب بما يشعركم المشركون. وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تقسمون بها. وعلى هذا فالقراءة:(أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) بكسر «إنها» على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقراءة بعضهم: (أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) بالتاء المثناة من فوق.

وقيل: المخاطب بقوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) المؤمنون، أي: وما يدريكم أيها المؤمنون، وعلى هذا فيجوز في (أَنَّهَآ) الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم. وعلى هذا فتكون «لا» في قوله: (أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) صلة كما في قوله: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) [الأعراف: ١٢]، وقوله (وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: ٩٥]. أي: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون. وتقديره في هذه الآية: وما يدريكم -أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصا على إيمانهم -أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الكسائي والفراء: أن« لا» زائدة، والمعنى: وما يشعركم أنها- أي الآيات- إذا جاءت المشركين يؤمنون، فزيدت« لا»، كما زيدت« لا» في قول تعالى:(وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: ٩٥]. لأن المعنى: وحرام على قريةٍ مهلكةٍ رجوعهم. وفي قول: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ). والمعنى: ما منعك أن تسجد. وضعف الزجاج والنحاس وغيرهما زيادة« لا» وقالوا: هو غلط وخطأ، لأنها إنما تزاد فيما لا يشكل. وقيل: في الكلام حذف، والمعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حذف هذا لعلم السامع، ذكره النحاس وغيره.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أننا كما صرفنا قلوب وأبصار أهل الكفر عن الإيمان، وكما حجبناهم عن الإيمان أول مرةٍ، فإننا وبعد نزول الآيات التي طلبوها

نحول بينهم وبين الإيمان أيضا لأن الهداية من الله ﷻ، ليست من الآيات وهنالك وجه آخر ذكره العلماء حاصله، ولو رددنا أهل الكفر إلى الحياة الدنيا بعد أن توفيناهم وأحييناهم يوم القيامة فعاينوا العذاب ورأوه، وتمنى العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات كما قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

لو رددناهم إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر ثانية لأننا وكما صرفناهم عن الإيمان في الدنيا قبل موتهم نصرفهم عنه بعد إعادتهم إلى الدنيا أيضا قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ..﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها: أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد وأن قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، دليل على محذوف من الكلام= وأن قوله: «كما» تشبيه ما بعده بشيء قبله.

وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك.

وإذا كان ذلك تأويله، كانت «الهاء» من قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ كناية ذكر «التقليب».

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم

(٢٤٦) أحمر
أسود

فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم، ومشيئتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ) حتى يكلمهم (قُبُلًا) ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيها.

س: المعجزات لا تنفع إلا من كتب الله له الهداية دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقوله تعالى: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) [الحجر: ١٤، ١٥].

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) [يونس: ١٠٠].

وقوله تعالى: (وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) [يونس: ١٠١].

وقوله تعالى: (۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) [الأنعام: ١١١].

(٢٤٧) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأدلة على أن أمر القلوب موكول إلى الله ﷻ؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ) .

قوله تعالى: (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ) [الأنفال: ٢٤].

قوله تعالى: (فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) [الشورى: ٢٤].

قوله تعالى: (سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ) [آل عمران: ١٥١].

قوله تعالى: (لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [القصص: ١٠].

قوله تعالى: (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...) [البقرة: ٧].

قوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥].

قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ...) [آل عمران: ٨].

قَالَ تَعَالَى:

(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ
الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢
وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ
وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ
الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
١١٤ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١١٥ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ
١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ١١٧ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ
مُؤْمِنِينَ ١١٨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ
فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ
١١٩ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ

وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ
١٢٠ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ
الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ
بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢٢
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ١٢٣ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ

(٢٤٩) أحمر
أسود

قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ
حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ
وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ
ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ
فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦) [الأنعام: ١١١-١٢٦].

الكلمة	معناها

(٢٥٠) أحمر
أسود

﴿وَحَشَرْنَا﴾	جمعنا عليهم- سقنا إليهم.
﴿قُبُلًا﴾	عيانًا يرونه بأعينهم- أمامهم- قبيلة قبيلة - صفًّا صفًّا- جماعة جماعة- مقابلة ومواجهة.
﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	المتمردون من الإنس والجن الذين يغوون العباد ويضلونهم.
﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾	المزخرف من القول- المُزين- المُحسَّن- تزيين الباطل باللسان.
﴿غُرُورًا﴾	خداعًا.
﴿فَذَرْهُمْ﴾	دعهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يختلقون من الإفك والزور.
﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾	ولتميل.
﴿أَفْـِٔدَةُ﴾	قلوب.
﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾	ليكتسبوا- ليعملوا.
﴿مُّقْتَرِفُونَ﴾	مكتسبون- عاملون.
﴿مُفَصَّلًا﴾	مبينًا فيه الحكم الذي تختصمون فيه.
﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾	الشاكِّين.
﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	القرآن – وقيل: الأمور المقدرة.
﴿صِدْقًا﴾	صدقًا في الأخبار- أخبارُ حقٍّ.
﴿وَعَدْلًا﴾	عدلًا في الأحكام- أحكام عادلة.
﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾	لا مغير لقضاء الله الذي قضاه، وقدره الذي قدر.
﴿يَخْرُصُونَ﴾	يظنون – يكذبون- يتكلمون بلا علم.
﴿فَصَّلَ﴾	بيَّن.
﴿ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	ألجأتكم إليه الضرورة.
﴿وَذَرُوا۟﴾	اتركوا- دعوا.

الكلمة	معناها

(٢٥١) أحمر
أسود

﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾	المعاصي الظاهرة (التي يجاهر بها صاحبها ويعلنها).
﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾	المعاصي التي يُسر بها صاحبها- يعملها سرًّا.
﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾	يعملون السيئات.
﴿سَيُجْزَوْنَ﴾	سيعاقبون.
﴿يَقْتَرِفُونَ﴾	يعملون المعاصي.
﴿لَفِسْقٌ﴾	معصية- خروج عن الطاعة.
﴿أَوْلِيَآئِهِمْ﴾	أتباعهم وأنصارهم.
﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾	ليُحاجوكم – ليخاصموكم.
﴿مَيْتًا﴾	كافرًا.
﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾	فهديناه للإيمان ورزقناه إياه.
﴿نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾	قرآنا يهتدي به في الناس.
﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	المراد: ظلمات الكفر والجهل.
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّن.
﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾	الأكابر: الكبراء؛ جمع أكبر.
﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾	يخادعوا- يحتالوا- يغدروا.
﴿ءَايَةٌ﴾	معجزة.
﴿صَغَارٌ﴾	ذلةٌ وإهانةٌ.
﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	شديد الضيق- شاكًّا- ملتبسًا.
﴿يَصَّعَّدُ﴾	يضيق.
﴿ٱلرِّجْسَ﴾	العذاب- الشيطان- القذر- النجاسة- حل ما لا خير فيه.
﴿صِرَٰطُ﴾	طريق.
﴿يَذَّكَّرُونَ﴾	يتعظون ويعتبرون.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ...) الآية.

(٢٥٢) أحمر
أسود

ج: المعنى -والله أعلم-: ولو أننا نزلنا إلى هؤلاء الكفار المطالبين بالآيات الملائكة من السماء فرأوها بأعينهم، وأخبرتهم بان وعد الله حق وأحيينا لهم من مات من الأموات يخبرهم بأن هناك عذاب وحساب وجنة أو نار وبأن الله حق، وكذا لو جمعنا لهم كل خلقنا فرأوهم عيانا وجاءهم الخلق صفوفا، كل يشهد بأن وعد الله حق، وبأن الله واحد لا شريك له ما آمنوا؛ وذلك لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ، وأن الإيمان من عند الله ﷻ ولكن أكثر هؤلاء القوم يجهلون أن أمر الإيمان من الله ﷻ يظنون أن إيمانهم بأيديهم يؤمنوا متى شاءوا ويكفروا متى شاءوا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، آيس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين لك: «لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك»، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانا، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حجة لك، ودلالة على نبوتك، وأخبروهم أنك محق فيما تقول، وأن ما جئتهم به حق من عند الله، وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهم لك قبلا، ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)، يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا. وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا)؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: وجمعنا لهؤلاء الكفار كل ضامنٍ يضمن لهم أن ما وعدناهم به من الجنات حق لهم إن هم آمنوا وما أعددناه لهم من العذاب إن هم كفروا، كل ذلك حق ما آمنوا ولا صدقوا.

الثاني: ولو أننا سقنا لهؤلاء الكفار كل الآيات والحجج التي طلبوها وسألوها فرأوها بأعينهم عيانا ما آمنوا.

الثالث: ولو أننا سقنا لهؤلاء الكفار الأشياء صنوفا صنوفا، وكل المخلوقات أجناسا أجناسا وقبائل قبائل ما آمنوا ولا صدقوا.

س: قوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) يجهلون ماذ؟

ج: ذلك الجهل – والله أعلم-: هو الجهل بقدرة الله والجهل بأن أمر الإيمان والهداية موكول إلى الله،؛ فالشخص لا يستطيع توفيقا لنفسه إلا إذا وفقه الله؛ فهؤلاء الذين زعموا أنهم سيؤمنون إذا جاءتهم آية، واقسموا بالله على ذلك مجتهدين في الأيمان يجهلون أن أمر الإيمان والهداية من الله وبتوفيق الله، والله أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) جهلا يحول بينهم وبين درك الحق والوصول إلى الصواب، وقال البيضاوي: أي يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون، ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم انتهى.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ)؟

ج: هذه الآية من آيات المواساة يواسي فيها ربنا نبيه محمد ﷺ ويصبره بها، فيقول الله ع له ما حاصله: وكما أننا جعلنا لك أعداء وهم شياطين الإنس والجن فقد جعلناهم- من قبلك- أعداء لعموم الأنبياء؛ فما من نبي إلا وناصبته شياطين الجن والإنس العداء، فاصبر كما صبر غيرك من الأنبياء من قبلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسليه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله، وحاثا له على الصبر على ما نال فيه: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا)، يقول: وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول، ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك

وبما جئتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات. يقول: فهذا الذي امتحنتك به، لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم. يقول: فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل.

س: ما المراد بشياطين الإنس والجن؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بشياطين الإنس والجن المتمردون على طاعة الله ورسوله من الإنس والجن؛ فشياطين الإنس هم المتمردون على طاعة الله ورسوله من البشر، وشياطين الجن هم المتمردون على طاعة الله ورسوله من الجن.

الثاني: أن المراد بشياطين الإنس والجن الشياطين التي تغوي الإنس والجن، وهم ذرية إبليس، فيكون هناك إنس وجن وذرية إبليس، وذرية إبليس منهم من يغوي الإنس ومنهم من يغوي الجن.

والقول الأول أقوى، والله تعالى أعلم.

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]؟

ج: من المستفاد من ذلك أن النفس لا تذهب حسرات على من أعرض عن طريق الله ﷻ؛ لأن الهداية من الله ﷻ.

وكذلك فيها مواساة لأهل الإيمان فيما يلاقونه من أهل العناد والشقاق من أذى، وذلك في التذكير بما حدث لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، فحتى الأنبياء، لم يتركوا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.

س: هل هناك شياطين من الإنس؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

(٢٥٥) أحمر
أسود

أحدهما: نعم هناك شياطين من الإنس، وهم المتمردون على طاعة الله ورسوله من الإنس وحجة أصحاب هذا القول الوجه الأول الذي قدمناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.

ومن حججهم أيضا بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذه الصور.

الثاني: ليس هناك شياطين من الإنس وحجة أصحاب هذا القول وجه التأويل الثاني الذي قدمناه للآية الكريمة.

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ، إلا وقد وكل به قرينه من الجن**» قالوا: وإياك؟ يا رسول الله قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخيرٍ**».

وفي رواية عند مسلم[٢]: «**وقد كل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**».

وقد أخرج مسلم[٣] أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «**ما لك؟ يا عائشة أغرت؟**» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أقد جاءك شيطانك**» قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: «**نعم**» قلت: ومع كل إنسانٍ؟ قال: «**نعم**» قلت: ومعك؟ يا رسول الله قال: «**نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**».

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾؟

ج: في ذلك قولان لأهل العلم:

أحدهما: أن المتمردين من الجن الذين هم أعداء الأنبياء يوسوسون إلى المتمردين من الإنس الذين هم اعداء الأنبياء أيضا فيزينون لهم الباطل ليجادلوا به الأنبياء، ويحسنون لهم الكلام الذي يلبسون به على الطغام من البشر.

الثاني: أن ذرية إبليس يوحي بعضها إلى بعض ويؤازر بعضهم بعضا؛ لإعانته على

---

(١) مسلم (٢٨١٤).
(٢) عقب الرواية السابقة.
(٣) مسلم (٢٨١٥).

(٢٥٦) أحمر
أسود

أهل الإيمان من الجن والإنس فيلقي الشيطان الموكل بالإنس إلى الشيطان الموكل بالجن، وعكسه كل ما يساعده على الإضلال والإغواء من القول الباطل المزخرف والمحسن المزين.

وأورد الطبري خ بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ)، قال: «الزخرف» المزين، حيث زين لهم هذا الغرور، كما زين إبليس لآدم ماجاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين. وقرأ: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم) [فصلت: ٢٥]. قال: ذلك الزخرف.

وأما «الغرور»، فإنه ما غر الإنسان فخدعه فصده عن الصواب إلى الخطأ، وعن الحق إلى الباطل، وهو مصدر من قول القائل: «غررت فلانا بكذا وكذا، فأنا أغره غرورا وغرا».

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: ولو شاء الله ﷻ ما عادت الشياطين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا كادت لهم، ولا أوحى بعضهم إلى بعض، ولكن الله ﷻ جعل ذلك ابتلاء يبتلي به العباد، فيصبر الصابرون على طاعة الله وليثبت أهل الإيمان على طاعتهم لله ﷻ.

وكما قال تعالى في آية مشابهة في المعنى: (ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ ...) [محمد: ٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو شئت، يا محمد، أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم، فعلت ذلك، ولكني لم أشأ ذلك، لأبتلي بعضهم ببعض، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق (فَذَرْهُمْ)، يقول: فدعهم يعني الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن (وَمَا يَفْتَرُونَ)، يعني: وما يختلقون من إفك وزور.

(٢٥٧) أحمر
أسود

يقول له ﷺ: اصبر عليهم، فإني من وراء عقابهم على افترائهم على الله، واختلاقهم عليه الكذب والزور.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء.

(فَذَرْهُمْ) أي: فدعهم، (وَمَا يَفْتَرُونَ) أي: يكذبون، أي: دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ....)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن الشياطين الإنس والجن تلقي الشبه والشهوات على أوليائها ليجادلوا أهل الإيمان وغيرهم فيسلم الله ﷻ أهل الإيمان، ويقدر الله ﷻ على الذين لا يؤمنون بالآخرة أن يستمعوا لهذا الباطل وتميل قلوبهم إليه ويعتقدوه، ومن ثم يكتسبوا من الآثام ما هم مكتسبون، وليعملوا من السيئات ما هم عاملون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام: ١١٢]، (وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ) يقول جل ثناؤه: يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعضٍ المزين من القول بالباطل، ليغروا به المؤمنين من أتباع الأنبياء، فيفتنوهم عن دينهم، (وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ) يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ (١) اللام لام كي وقيل اللام للأمر وهو غلط فإنها لو كانت لام الأمر جزمت الفعل، والإصغاء الميل يقال صغوت أصغو وصغيت أصغي

---

(١) وقال السمعاني في «تفسيره»: إنها لام العاقبة، كما قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أي: فكانت العاقبة أن يكون لهم عدوًا وحزنًا.

(٢٥٨) أحمر
أسود

ويقال أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض، ويقال صغت النجوم إذا مالت للغروب وأصغت الناقة إذا مالت برأسها.

والضمير في (إِلَيْهِ) لزخرف القول أو لما ذكر سابقا من زخرف القول وغيره أي أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم ولتصغي إليه (أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) من الكفار والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به، وهو قوله (وَلِيَرْضَوْهُ) لأنفسهم بعد الإصغاء إليه (وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ) من الآثام والإقتراف والاكتساب، يقال خرج ليقترف لأهله أي ليكتسب لهم، وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه، وقرفه إذا رماه بالرمية واقترف كذب، وأصله اقتطاع قطعة من الشيء أي ليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون.

وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لأنه أولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل أي الإقتراف، فكل واحد مسبي عما قبله قاله أبو حيان.

وقال السعدني في «تفسيره».

(وَلِيَرْضَوْهُ) بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولا فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقا قبلوها، وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظا غير وافية، وإن كانت باطلا ردوها على من قالها، كائنا من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحرير.

س: من قوله تعالى: (وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) ما يفيد أن أصحاب القلوب الفارغة من الإيمان يتسرب إليه الكفر أكثر من غيرهم، وضح ذلك؟

(٢٥٩) أحمر
أسود

ج: نعم، فيه ما يفيد هذا المعنى، فالذين يستمعون إلى إملاءات شياطين الإنس والجن هم الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ فقلوبهم جوفاء فارغة من الإيمان؛ فلذا استقبلت هذا الكفر ووحي الشياطين، ورضيت به وعملت بمقتضاه.

أما الذين آمنوا وامتلئت قلوبهم إيمانا؛ فلا يجد وحي الشياطين إلى قلوبهم سبيلا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ)؟

ج: المعنى-الله تعالى أعلم- قل يا رسول الله، لهؤلاء المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، المتبعين للباطل من القول وللزور منه، هؤلاء الذين تميل قلوبهم إلى الباطل وتعتقده قل لهم: إن الله ﷻ هو الذي حكم على ما أنتم فيه من عبادة الأصنام والأوثان بأنه باطل، ولن أرض بحكمٍ غير حكم الله ﷻ، وهو سبحانه الذي أنزل إليكم الكتاب مبينا فيه الحلال والحرام، والتوحيد من الشرك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)؟

ج: المعنى –الله تعالى أعلم-: إن أنكر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من الحق – وهو القرآن – فهنالك خير منهم يعلمون أن هذا القرآن نزل من عند الله حاملا الحق مبينا له عن الباطل، مظهرا لوجوه الحق والصواب، فلا تكن في شك مما أنزلناه إليك، ولا ترتاب في أنه من عند الله، أي: فلا تدخلن نفسك في عداد الشاكين.

وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ)؛ كقوله تعالى: (قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) [الإسراء: ١٠٧]؛ وكقوله تعالى: (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ) [الأنعام: ٨٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيد الله،

وأشركوا معه الأنداد، وجحدوا ما أنزلته إليك، وأنكروا أن يكون حقا وكذبوا به = فالذين آتيناهم الكتاب، وهو التوراة والإنجيل، من بني إسرائيل= (يعلمون أنه منزل من ربك) ، يعني: القرآن وما فيه = (بالحق) يقول: فصلا بين أهل الحق والباطل، يدل على صدق الصادق في علم الله، وكذب الكاذب المفتري عليه = (فلا تكونن من الممترين) ، يقول: فلا تكونن، يا محمد، من الشاكين في حقيقة الأنباء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب، وغير ذلك مما تضمنه، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) ؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) قرأ أهل الكوفة كلمة بالتوحيد والباقون بالجمع والمراد العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى أن الله قد أتم وعده ووعيده فظهر الحق وانطمس الباطل، وقيل المراد بالكلمة أو الكلمات القرآن أي لا أحد يقدر على تحريفه كما فعل بالتوراة فيكون هذا ضمانا له من الله بالحفظ أو لا نبي ولا كتاب بعده ينسخه، ومعنى تمت بلغت الغاية.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن قاله قتادة.

والثاني: أقضيته وعداته.

والثالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه. وفي قوله تعالى: (صِدْقًا وَعَدْلًا) قولان:

أحدهما: صدقا فيما أخبر، وعدلا فيما قضى وقدر.

والثاني: صدقا فيما وعد وأوعد، وعدلا فيما أمر ونهي.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ) ؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: لا مغير لضاء الله الذي قضاه؛ فما قدره الله لابد

وأن يقع، كما قدر في الوقت الذي قدر فيه وقوعه، والمكان الذي قدر أن يقع فيه أيضا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ) ، يقول: لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ) [الفتح:١٥].

فكانت إرادتهم تبديل كلام الله، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين: (ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ) [الفتح: ١٥].

بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم تعالى ذكره في كتابه بقوله: (فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ) الآيـــــة، [التوبة: ٨٣]، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبي الله في غزاةٍ، ولن يقاتلوا معه عدوا بقولهم لهم: (ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ)، فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ:(يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ) بمسألتهم إياهم ذلك كلام الله وخبره: (قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ) .

فكذلك معنى قوله: (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ)، إنما هو: لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن، فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه، لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها. وذلك أن اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذي أخبر أنه لا مبدل له.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به لما وصفها بالتمام وهو في كلامه تعالى يقتضي عدم قبول النقص والتغير، قال محمد بن كعب القرظي: لا تبديل لشيء قاله في الدنيا والأخرة كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩].

وقال ابن الجوزي في الجوزي في «زاد المسير»:

(٢٦٢) أحمر
أسود

وفي قوله: (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ) قولان:

أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والنقصان منها.

والثاني: لا خلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.

س: اذكر بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)؟

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد، يا محمد، فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم، وأهلوا به لغير ربهم، وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال، فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله، ومحجة الحق والصواب، فيصدوك عن ذلك.

وإنما قال الله لنبيه: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ)، من بني آدم، لأنهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم، وكنت مثلهم، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه. ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم، فقال: (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ)، فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم، وحسبان على صحة عزمٍ عليه كان خطأ في الحقيقة (وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ)، يقول: ما هم إلا متخرصون، يظنون ويوقعون حزرا، لا يقين علمٍ.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي ماذا يطعيهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: في أكل الميتة.

والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام.

والثالث: في عبادة الأوثان.

والرابع: في اتباع ملل الأباء.

قلت: (مصطفى): والقول بالعموم أولى؛ فالمعنى: وإن تطع أكثر من في الأرض

-فيما هم عليه من خلافٍ للكتاب العزيز- يضلوك عن سبيل الله، والله أعلم.

قال السعدي في «تفسيره»:

يقول تعالى، لنبيه محمد ﷺ، محذرا عن طاعة أكثر الناس: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم. فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق.

بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني من الحق شيئا، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومن كان بهذه المثابة، فحرى أن يحذر الله منه عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا -وإن كان خطابا للنبي ﷺ- فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه. والله تعالى أصدق قيلا وأصدق حديثا، و (هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ) وأعلم بمن يهتدي. ويهدي.

فيجب عليكم -أيها المؤمنون- أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، وأرحم بكم من أنفسكم.

ودلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عددا، الأعظمون -عند الله- قدرا وأجرا، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه.

س: اذكر بعض الأدلة على قلة أهل الإيمان، وأنهم دون المشركين في العدد؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ) [سبأ: ١٣].

وقوله تعالى: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ).

وقوله تعالى: (وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ) [يوسف: ١٠٣].

وقوله تعالى: (فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ) [الحديد: ٢٦].

وقوله تعالى: (وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ) [الصافات: ٧١].

(٢٦٤) أحمر
أسود

وقوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) [غافر: ٥٩].

وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) [الشعراء: ٨].

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: إن ربك-إن ربك يا رسول الله- هو أعلم من يحيد عن طريق الحق والصواب بسبب ما يلقيه شياطين الإنس والجن من القول المزخرف المزين، وهو أعلم بمن سيسلمه الله ويحفظه من كيد الشياطين ومن وساوس الشياطين، وما يوحون من زخرف القول الذي يخادعون به الناس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان، لئلا يضلوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض، فيصدوا عن طاعته واتباع ما أمر به (وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ)، يقول: وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسدادٍ، لا يخفى عليه منهم أحد.

يقول: واتبع، يا محمد، ما أمرتك به، وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضل من خلقي، منك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- فكلوا- يا أهل الإيمان- الذبائح التي ذبحت وذكر اسم الله عليها عند الذبح، سواء كان الذابح مسلما أو كتابيا ما دام قد سمى الله ﷻ عند الذبح إن كنتم مصدقين بما أنزلته على نبي محمد ﷺ.

قال السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة:

يأمر تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا

(٢٦٥) أحمر
أسود

حلها، ولا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال، ابتداعا من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله. وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه، ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفا من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام.

ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ) إلى أن قال: (فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المائدة: ٣].

س: ما الذي حرم علينا مما فصله الله في كتابه؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك هو المذكور في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ) [المائدة: ٣].

وفي حديث عن رسول الله ﷺ: «إن الله حرم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير».

وفي السنة أيضًا تحريم الحمر الأهلية.

وقد قال تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ) [الأعراف: ١٥٧].

هذا، وقد تعقب الشنقيطي خ القول القائل بأن قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ﴾ مفسر بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ...﴾ [المائدة: ٣] بدعوى أن الآية ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم ...﴾: مكية، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ...﴾ [المائدة: ٣]: مدنية، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) الآية، التحقيق أنه فصله لهم بقوله: (قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً) [الأنعام: ١٤٥]،

ومعنى الآية: أي شيء يمنعكم أن تأكلوا ما ذكيتم، وذكرتم عليه اسم الله؟ ، والحال أن الله فصل لكم المحرم أكله عليكم في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية ، وليس هذا منه.

وما يزعمه كثير من المفسرين من أنه فصله لهم بقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، فهو غلط؛ لأن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾، من سورة الأنعام، وهي مكية، فالحق هو ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى.

قلت: (مصطفى):

وما ذكره الشنقيطي خ فيه نظر خاصة وأن ما خطأه الشنقيطي هو قول كثير من المفسرين، ووجه النظر فيما قاله الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السورة، وقد تكون مكية- في الأغلب- ولا يمنع أن تتخللها بعض الآيات المدنية وهذا وارد بكثرة، فإذا كان ذلك كذلك فلا تثريب ولا تخطئة لأهل التفسير القائلين بما ذكرناه، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وما المانع لكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه.

وهنالك وجه آخر حاصله: وما الفائدة العائدة عليكم من الامتناع من أكل ما ذكر اسم الله عليه عند الذبح.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وإن كثيرا من الناس ليضلون غيرهم بغير علم، فيحرمون عليهم ما أحله الله لهم ويحلون لهم ما حرمه الله عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن كثيرا من الناس [الذين] يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم، أيها المؤمنون بالله، من الميتة، ليضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوبا منهم لأهوائهم، واتباعا

(٢٦٧) أحمر
أسود

منهم لدواعي نفوسهم، اعتداء وخلافا لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ)، يقول: إن ربك، يا محمد، الذي أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم، هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها، وهو لهم بالمرصاد.

قال السعدي في «تفسيره»:

ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم) أي: بمجرد ما تهوى أنفسهم (بِغَيْرِ عِلْمٍ) ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم -كما وصفهم الله لعباده- أن دعوتهم غير مبنية على برهان، ولا لهم حجة شرعية، وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، بخلاف الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه.

س: الأهواء كثيرا ما تضل أهلها دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ).

وقوله تعالى: (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) [الأنعام: ١١٦]

وقوله تعالى: (وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) [المؤمنون: ٧١].

وقوله تعالى: (أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) [ص: ٢٦].

س: ما المراد بالاعتداء في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ)؟

ج: المراد: الاعتداء على الشرع بتحريم ما أحل اللهن وتحليل ما حرم الله، والله أعلم.

(٢٦٨) أحمر
أسود

فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرم الله، وليس من حق أحدٍ أن يشرع خلاف ما شرع الله وما جاء به رسول الله ﷺ.

س: ما المراد بظاهر الإثم وباطنه؟

ج: ابتداء فظاهر الإثم هو المعاصي المعلن بها، وباطنه المعاصي في السر.

أي أن ظاهر الإثم وباطنه، علانية المعاصي وسرها، أما المعاصي المعلنة فهي عموم ما ظهر من المعاصي ويدخل فيها الكبائر وغيرها،ومنها نكاح أزواج الآباء؛ فقد كانوا يصنعون ذلك، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢].

ومن ظاهر الإثم أيضا الزنا بالنسوة اللواتي يجاهرون بالزنا، ويضعن الرايات على بيوتهن إشعارا بأنهن يفعلن ذلك.

- ومنها الجمع بين الأختين في الزواج.
- ومنها التعري والتجرد من الثياب.
- ومنها أكل ما حرم الله من الأطعمة: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وغير ذلك جهرا.

وعموما فالمراد اقتراف المعاصي والذنوب جهرا.

أما باطن الإثم فمنه الزنا واتخاذ العشيقات وأكل الأطعمة التي حرمها الله سرا، وكذا كل معصية أسر بها الشخص وأخفاها.

والآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والله تعالى أعلم.

وقال الطبري خ : بعد أن أورد صورا لما ظهر من الإثم وما بطن:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه، وذلك سره وعلانيته. و«الإثم» كل ما عصي الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سر الزنى وعلانيته، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن، ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات، والطواف بالبيت عريانا،

(٢٦٩) أحمر
أسود

وكل معصية لله ظهرت أو بطنت.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميع ذلك«إثما»، وكان الله عم بقوله: (وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ)، جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن لم يكن لأحد أن يخص من ذلك شيئا دون شيء، إلا بحجة للعذر قاطعة.

غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان، كان توجيهه إلى أنه عنى بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بين الله تحريمه في قوله: (حرمت عليكم الميتة) إلى آخر الآية، أولى، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى، وهذه في سياقها. ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله، فخرج الأمر عاما بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم.

وقال السعدي في «تفسيره»:

المراد بالإثم: جميع المعاصي، التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم، والحرج، من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده. فنهى الله عباده، عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد، ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن، والعلم بذلك واجبا متعينا على المكلف.

وكثير من الناس، تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة.

ثم أخبر تعالى، أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته.

س: ما حكم اللحوم المستوردة؟

(٢٧٠) أحمر
أسود

ج: اللحوم المستوردة ينبني الحكم عليها من عدة جوانب:

أولا: مكان الاستيراد:

فإذا كانت مستوردة من دول مسلمة أو من دول كتابية، فالأصل في ذلك الحل لقوله تعالى: (وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ) [المائدة: ٥].

وإن كانت مستوردة من دول ملحدة أو مشركة؛ فالأصل أن ذبائحهم لا تؤكل.

ثانيا: طريقة التذكية: فإن كانت ذكيت التذكية الشرعية فهي حلال، وإن كانت لم تذك التذكية الشرعية فهي حرام.

فإذا علمنا يقينا أنها ذكيت تذكية شرعية حل أكلها، وإن كانت واردة من دول ملحدة ما دام اسم الله قد ذكر عليها.

س: قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ) عائد على ماذا؟

ج: ذلك عائد على الأكل مما لم يذكر اسم الله.

س: ما المراد بالشياطين في قوله تعالى: (وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ...)

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالشياطين: هنا شياطين الإنس، كالمجوس الذين يرون جواز أكل الميتة، وكذا اليهود الذين يفسدون على الناس دينهم، علم هؤلاء وأولئك أهل الشرك من مشركي قريش وغيرهم.

وقال آخرون: إن المراد بذلك شياطين الجن الذين يقذفون في صدور أهل الشرك صور الباطل وأساليب الكلام التي يجادلون بها أهل الشرك، والظاهر من ذلك أن المراد: كل شيطان إنسيا كان أو جنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة، بما ذكرنا من جدالهم إياهم = وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم= وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس= وجائز أن يكون الجنسان

(٢٧١) أحمر
أسود

كلاهما تعاونا على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. بل ذلك الأغلب من تأويله عندي، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس، كما جعل لأنبيائه من قبله، يوحي بعضهم إلى بعض المزين من الأقوال الباطلة، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وإن الشياطين ليزينون لأتباعهم من أهل الكفر القول الباطل المزخرف؛ كي يجادلوا أهل الإيمان، ومن صور هذا الجدل قولهم في شأن تحريم أكل الميتة، كيف تأكلون يا أهل الإسلام ما ذبحتموه بأيديكم وتحرموا ما ذبحه الله وهي الميتة؟!

أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الآية، يعني: عدو الله إبليس أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة؛ فقال لهم: خاضموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا: «أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله»! فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلها آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله.

س: ما حكم من أكل الميتة غير مستحل لأكلها؟

ج: آكل الميتة والحالة هذه مرتكب لكبيرة من الكبائر، إلا إذا كان مضطرا، فقد قال تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ...) [البقرة: ١٧٣].

س: قوله تعالى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) أطاعوهم في ماذا؟

ج: قيل: أطاعوهم فيما يدعون إليه من الشرك بالله.

(٢٧٢) أحمر
أسود

وقيل: أطاعوهم في استحلال ما حرم الله؛ فإن أكلوا الميتة مستحلين أكلها؛ فقد صاروا مثلهم مشركين، وإلى هذا الأخير ذهب الطبري خ؛ إذ قال:

وأما قوله: (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)، يعني: إنكم إذا مثلهم؛ إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا فإذا أنتم أكلتموها كذلك؛ فقد صرتم مثلهم مشركين.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) أي في تحليل الميتة (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) فدلت الآية على أن من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركا. وقد حرم الله سبحانه الميتة نصا، فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. قال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركا إذا أطاعه في الاعتقاد، فأما إذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاصٍ، فافهموه. وقد مضى في« المائدة».

وقال السعدي في «تفسيره»:

(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فلذلك كان طريقكم، طريقهم.

ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل -بمجردها على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام، يكون الرحمن ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين، حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيه إلا الله.

س: وضح معنى قوله تعالى (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أو من كان كافرا غارقا في العمى والجهالة

(٢٧٣) أحمر
أسود

والظلمة والضلالة، فأحياه الله بالإيمان ورزقه الله الهداية والإسلام، وأنزل له كتابا يستنير به ويستضيء، كمن هو غارق في الضلالة متمادٍ في الغواية لا يستبصر ولا يلتمس هداية، فهو في ظلمات الكفر يتردى ظلمةٍ إلى ظلمةٍ؟!

وقيل في المعنى أيضا: أطاعة من كان كافرا فهداه الله للإيمان وبصره الله بالقرآن أولى، أم طاعة من لا زال في الضلالة غارقا وفي الجهالة متحيرا؟

وفي معناها قوله تعالى: (أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [يونس: ٣٥] والله أعلم.

وقال أبو المظفر السمعاني في «تفسيره»:

وفي الآية قول آخر: أن معناه: أو من كان ميتا بالجهل؛ فأحييناه بالعلم، وكل جاهل ميت، وكل عالم حي، قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت ... وليس له قبل النشور نشور

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (أَوَمَن كَانَ) من قبل هداية الله له (مَيْتًا) في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي.

(فَأَحْيَيْنَٰهُ) بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرا في أموره، مهتديا لسبيله، عارفا للخير مؤثرا له، مجتهدا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفا بالشر مبغضا له، مجتهدا فيتركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمن هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي.

(لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضرها لهم والغم والحزن والشقاء. فنبه تعالى العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات.

فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلمات متحيرا: فأجاب بأنه (زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) فلم يزل

الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسنوها ورأوها حقا. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح. وهؤلاء الذين في الظلمات يعمهون، وفي باطلهم يترددون، غير متساوين.

فمنهم: القادة، والرؤساء، والمتبوعون، ومنهم: التابعون المرءوسون، والأولون، منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال.

س: من الذي زين للكافرين عملهم؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الذي زين لهم ذلك هو الله، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

بينما ذهب قليل من أهل العلم إلى أن الذي زين لهم ذلك هو الشيطان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤] ولا تعارض؛ فالشيطان سبب في التزيين، وإنما جرى منه ما جرى، بإذن الله ﷻ و تقديره ، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المعنى: وكما زينا للكفار أكل الميتة، وأكل ما لم يذكر اسم الله عليه، زينا لهم أيضا كل أعمال السوء التي يعملونها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم = أيها المؤمنون بالله ورسوله، في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم = عن الحق، فزينت له سوء عمله فرآه حسنا، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النكال.

(٢٧٥) أحمر
أسود

س: الله ﷻ هو الذي زين الإيمان للمؤمنين، وزين الكفر للكافرين، دلل على ذلك، مع ذكر أقوال العلماء في ذلك إن أمكن؟

ج: من الأدلة على ما ذكر ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ) [الحجرات: ٧].

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ) [الأنعام: ١٠٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الأمور إلى خلقه في أعمالهم فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية، لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به. وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عاملٍ منهم عمله ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخص أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان به والطاعة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وكما زينا للكافرين أعمالهم جعلنا أيضا في كل قرية من القرى الأكابر الذي هم فيها أهل إجرام، يمكروا فيها للصد عن سبيل الله وذلك تارة بزخرفٍ من القول وخداعٍ وتمويه، وتارة أخرى بالتدبير لقتل الأنبياء وأهل الصلاح، وثالثة بالمجادلة بالباطل والمحاججة بالمنكر.

ثم إن عائدة هذا المكر إنما هي عليهم بالشر والعذاب؛ فالمكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

هذا، ويحتمل أن يكون في الآية الكريمة وجه آخر، خاصة في صدرها فيكون

المعنى، وكما جعلنا الكبراء في قريتك يا رسول الله هم المجرمون: كأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وغيرهم، فهكذا في كل قرية الكبراء بها هم المجرمون....فلا تأس ولا تحزن ولا تتأسف.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها= يعني أهل الشرك بالله والمعصية له= (ليمكروا فيها) ، بغرور من القول أو بباطل من الفعل، بدين الله وأنبيائه = (وما يمكرون) : أي ما يحيق مكرهم ذلك، إلا بأنفسهم، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله =«وهم لا يشعرون»، يقول: لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه، (١) فهم في غيهم وعتوهم على الله يتمادون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمراد بالمكر ها هنا: دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال، كما قال تعالى إخبارا عن قوم نوح: (وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا) [نوح: ٢٢]، وكقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [سبأ: ٣١-٣٣].

ثم قال أيضًا:

وقوله تعالى: (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) أي: وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه غلا على أنفسهم، كما قال تعالى: (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ) [العنكبوت: ١٣]، وقال: (وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ) [النحل: ٢٥].

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

(٢٧٧) أحمر
أسود

قولـــه تعـــالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا) الآية.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه جعل في كل قرية أكابر المجرمين منها ليمكروا فيها، ولم يبين المراد بالأكابر هنا، ولا كيفية مكرهم، وبين جميع ذلك في مواضع أخر: فبين أن مجرميها الأكابر هم أهل الترف، والنعمة في الدنيا، بقوله: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) [سبأ: ٣٤]، وقولـــه: (وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) [الزخرف: ٢٣]. ونحو ذلك من الآيات.

وبين أن مكر الأكابر المذكور: هو أمرهم بالكفر بالله تعالى، وجعل الأنداد لـــه بقولـــه: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا) [سبأ: ٣٣]، وقولـــه: (وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ) [نوح: ٢٢، ٢٣].

وأظهر أوجه الإعراب المذكورة في الآية عندي اثنان:

أحدهما: أن «أكابر» مضاف إلى مجرميها، وهو المفعول الأول لجعل «التي بمعنى: «صير»، والمفعول الثاني: هو الجار والمجرور، أعني: في كل قرية.

والثاني: أن مجرميها مفعول أول، و«أكابر» مفعول ثانن أي: جعلنا مجرميها أكابرها،و الأكابر: جمع الأكبر.

وقال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن»:

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾أي مثل ذلك الجعل بمكة ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ ﴾ الأكابر جمع أكبر قيل هم الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم، وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم، وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءها وجعل فساقها أكابر ﴿مُجْرِمِيهَا ﴾ قال الواحدي في الآية تقديم وتأخير أي مجرميها أكابر، وإنما جعل المجرمين أكابر لأن ما فيهم من السعة أدعى لهم إلى المكر والكفر. (لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا) بالصد عن الإيمان، واللام على ظاهرها أو للعاقبة أو للعلة

(٢٧٨) أحمر
أسود

مجازا، قال أبو عبيدة: المكر الخديعة والغدر والحيلة والفجور، وزاد بعضهم الغيبة والنميمة والأيمان الكاذبة وترويج الباطل، قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب، عن عكرمة قال: نزلت في المستهزئين، وقيل المعنى ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي، دليله (وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ) [الشورى: ٢٧].

(وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ) المكر الحيلة في مخالفة الاستقامة وأصله الفتل، فالماكر يفتل عن الاستقامة أي يصرف عنها أي ما يحيق هذا المكر إلا بهم لأن وبال مكرهم عائد عليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ)بذلك لفرط جهلهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا) أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم (لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ) بالخديعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.

وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسدا منهم وبغيا.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى الأكابر؟

ج: قال الطبري خ في إيضاح ذلك:

و«الأكابر»: جمع«أكبر»، كما «الأفاضل» جمع«أفضل». ولو قيل: هو جمع«كبير»، فجمع«أكابر»، لأنه قد يقال:«أكبر»، كما قيل: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا) [الكهف: ١٠٣]، واحدهم«الخاسر»، لكان صوابا. وحكي عن العرب سماعا

(٢٧٩) أحمر
أسود

«الأكابرة» و«الأصاغرة»، و«الأكابر»، و«الأصاغر»، بغير الهاء، على نية النعت، كما يقال: «هو أفضل منك». وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على« أفعل»، إذا أخرجوها إلى الأسماء، مثل جمعهم«الأحمر» و«الأسود»،«الأحامر» و«الأحامرة»، و«الأساود» و«الأساودة»، ومنه قول الشاعر:

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت ... مالي، وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين إدامه ... والزعفران، فلن أروح مبقعا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾؟

ج: ذلك –والله أعلم– يحتمل وجوها:

أحدها: وإذا نزلت عليك آية من كتاب الله ﷻ، كتلك الآيات التي فيها تحليل لأمور وتحريم لأمور أخر، أو كتلك التي فيها الدلالات على وحدانية الله ﷻ أبي المشركون أن يؤمنوا وقالوا: لن نؤمن حتى تأتينا بمعجزة، كما أتى رسل الله السابقون أقوامهم بمعجزات، كتلك العصا التي أوتاها موسى عليه السلام، أو إحياء الموتى الذي أوتاه عيسى عليه السلام، أو الناقة العظيمة الهائلة التي أوتاها صالح عليه السلام، أو تسخير الرياح كما سخرت لسليمان عليه السلام، وغير ذلك، ويشهد لهذا المعنى قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

المعنى الثاني: وإذا أيدناك بمعجزةٍ كما طلب هؤلاء، كفروا أيضا واستمروا في كفرهم قائلين: كل منا يريد معجزة خاصة به، فكل منهم يريد أن يؤتى– لشخصه هو– معجزة كالتي أوتاها رسل الله صلوات الله وسلامة عليهم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٔ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] أي: أن كلا منهم يريد أن يوحي إليه هو نفسه، فقال تعالى: ما حاصله ليس لكم ذلك، ليس لكم أن تكونوا رسلا، وليس لكم أن تأتيكم المعجزات وفق ما أردتم، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو الذي يصطفي من الناس من يشاء؛ كي يكون رسولا.

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

يقول تعالى ذكره: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم، ليصدوا عن سبيل الله (ءَايَةٌ) ، يعني: حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد من عند الله وحقيقته، قالوا لنبي الله وأصحابه: (لَن نُّؤْمِنَ).

يقول: يقولون: لن نصدق بما دعانا إليه محمد ﷺ من الإيمان به، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرمه علينا (حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ)، يعنون: حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ)، يعني بذلك جل ثناؤه: أن آيات الأنبياء والرسل لن يعطاها من البشر إلا رسول مرسل، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها. يقول جل ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك علي أنتم، لأن تخير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ) أي: إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة (قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ) أي: حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل، كقوله جل وعلا: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا) [الفرقان: ٢١].

وقال صديق حسن خان «في فتح البيان»:

(وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ) من الآيات أي حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد ﷺ والمعنى إذا جاءت الأكابر آية (قَالُوا۟) هذه المقالة ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ) وإنما قالوها حسدا منهم للنبي ﷺ، وقيل المعنى إذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد ﷺ قالوا لن نصدقك حتى يأتينا جبريل ويخبرنا بصدقك يريدون أنهم لا يؤمنون حتى يكونوا أنبياء متبوعين لا تابعين.

وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغريبة وعجرفتهم العجيبة ونظيره (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ

(٢٨١) أحمر
أسود

ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) [المدثر: ٥٢].

قال بعضهم يسن الوقف هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين.

(قلت) لعل هذا من التجارب دون المأثورات.

فأجاب الله عنهم بقوله: (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ) أي أن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولا ويكون موضعا لها وأمينا عليها، وقد اختار أن يجعلها في محمد ﷺ صفيه وحبيبه، فدعوا طلب ما ليس من شأنكم.

عن ابن جريج قال: قالوا لمحمد - ﷺ - حين دعاهم إلى ما دعاهم إليه من الحق: لو كان هذا حقا لكان فينا من هو أحق أن يؤتى به من محمد، (وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف: ٣١].

ثم توعدهم بقوله: (سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ) أي ذل وهوان.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ)؟

ج: قال الحافظ ابن كثير خ في معناها:

وقوله: (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ) أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، كما قال تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) [الزخرف: ٣١، ٣٢] يعنون: لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ عظيمٍ كبيرٍ مبجلٍ في أعينهم (مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ) أي: مكة والطائف. وذلك لأنهم - قبحهم الله -كانوا يزدرون بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بغيا وحسدا، وعنادًا واستكبارًا كما قال تعالى مخبرًا عنهم: (وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ) [الأنبياء: ٣٦]، وقال تعالى: (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا) [الفرقان: ٤١]، وقال تعالى: (وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) [الأنبياء: ٤١].

هذا وهم يعترفون بفضله وشرفه ونسبه. وطهارة بيته ومرباه ومنشئه، حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه: «الأمين»، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار «أبو

(٢٨٢) أحمر
أسود

سفيان» حين سأله «هرقل» ملك الروم: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسبٍ. قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته، عليه السلام، على صدقه ونبوته وصحة ما جاء به[1].

وأورد حديث:

واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[2].

وقال السعدي رحمه الله في قولهم:

(لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ) من النبوة والرسالة.

وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه.

فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلا أن يكونوا من النبيين والمرسلين.

فقال: (ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ) فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا.

ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية، دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيما واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله.

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– سيحل بهؤلاء المجرمين الذي اجترموا الشرك

---

(١) البخاري (٧).
(٢) مسلم (٢٢٧٦).

واجترموا السيئات ذل وهوان من الله ﷻ وسيحل بهم مع الذل والهوان عذاب شديد بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله، وبسبب جدالهم بالباطل زخرفة القول؛ لخداع أهل الإيمان وأهل الطاعات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه:(سَيُصِيبُ)، يا محمد، الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره (صَغَارٌ)، يعني: ذلة وهوان.

ثم قال:

وأما قوله: (صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ)، فإن معناه: سيصيبهم صغار من عند الله، كقول القائل: «سيأتيني رزقي عند الله»، بمعنى: من عند الله، يراد بذلك: سيأتيني الذي لي عند الله.

وغير جائز لمن قال: (سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ)، أن يقول: «جئت عند عبد الله»، بمعنى: جئت من عند عبد الله، لأن معنى«سيصيبهم صغار عند الله»، سيصيبهم الذي عند الله من الذل، بتكذيبهم رسوله. فليس ذلك بنظير: «جئت من عند عبد الله».

وقوله: (وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ)، يقول: يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله، المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة، مع الصغار عذاب شديد، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل، والزخرف من القول، غرورا لأهل دين الله وطاعته.

هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله. صغار وهو الذلة الدائمة، لما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلا كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠] أي: صاغرين ذليلين حقيرين.

وقوله: (وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ) لما كان المكر غالبا إنما يكون خفيا، وهو التلطف في التحيل والخديعة، قوبلوا بالعذاب الشديد جزاء وفاقا، (وَلَا يَظۡلِمُ

(٢٨٤) أحمر
أسود

رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩]، كما قال تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ) [الطارق: ٩] أي: تظهر المستترات والمكنونات والضمائر. وجاء في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينصب لكل غادرٍ لواء عند استه يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلانٍ ابن فلانٍ»(١).

والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ) ؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: أن من أراد الله أن يوفقه للإسلام والطاعة شرح صدره لقبول الإسلام، أي: جعل صدره فسيحا رحيبا واسعا قابلا لكل ما يلقى إليه من التوحيد والشهادة للرسول ﷺ بالرسالة، بل يجعله قابلا لكل تعاليم هذا الدين دين الإسلام، فرحا بذلك مسرورا راضيا مستنيرا بتعاليمه شاكرا الله على نعمته عليه بذلك(٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره: فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له (يشرح صدره للإسلام) ، يقول: فسح صدره لذلك وهونه عليه، وسهله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ) أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ) [الحجرات: ٧].

---

(١) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (١٧٣٥)، وله عدة طرق عن النبي ﷺ، وكذلك انظر: مسلم (حديث ١٧٣٨).
(٢) وقد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة الانشراح ترجع إليه إن شئت.

(٢٨٥) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى -مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله-: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: ومن يرد الله أن يصرفه عن الهداية يضيق صدره أمامها، فلا تجد الهداية مدخلا تدخل منه إلى قلبه، فكلما سمع شيئا من تعاليم الإسلام لا يجد في صدره مكانا لقبوله، فيرد تعاليم هذا الدين ويرفض شرائعه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يشغله بكفره وصده عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه، حرجا.

و«الحرج»، أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان، لرين الشرك عليه. وأصله من«الحرج»، و«الحرج» جمع«حرجة»، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها.

ثم ذكر الطبري خ كلاما جديرا بالنقل فقال:

وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذي به توصل إلى الإيمان والطاعة غير السبب الذي به توصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقا عن الإسلام حرجا، كأنما يصعد في السماء. ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان خلاف تضييقه له، وأنه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق، ولكان من ضيق صدره عن الإيمان قد شرح صدره له، ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه، إذ كان موصولا

(٢٨٦) أحمر
أسود

بكل واحدٍ منهما، أعني من التضييق والشرح، إلى ما يوصل به إلى الآخر. ولو كان ذلك كذلك، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهلٍ للإيمان به وضيق صدر رسول الله ﷺ عنه، وهذا القول من أعظم الكفر بالله. وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون، وأن كلا السببين من عند الله وبيده، لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذي يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله.

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ)؟

ج: المعنى –الله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يجعل صدر الكافر ضيقا ضيقا شديدا فلا يصل إليه الإيمان، كالذي يريد الصعود إلى السماء ولكن لا يستطيع ذلك لشدة ذلك عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل من الله تعالى ذكره، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقا حرجا. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه.

وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى.

س: وضح معنى قوله تعالى (كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)؟

ج: المعنى –الله أعلم-: وكما أننا جعلنا صدور الكفار ضيقه حرجة فلا تقبل إيمانان فكذلك يجعل العذاب على أهل الكفر والتكذيب وأيضا يسلط الله عليهم الشيطان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا، كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان فيجزيه بذلك، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصده عن سبيل الحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا)؟

ج: معناه –والله أعلم-: وهذا الإسلام الذي بيناه لك في هذه السورة وغيرها، هو الطريق الذي ارتضاه الله لك؛ فالذين عند الله هو الإسلام، وكذا فهذا هو الطريق الموصل إلى مرضاة ربك ﷻ.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي بينا لك، يا محمد، في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، هو صراط ربك.

يقول: طريق ربك، ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينا، وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه، فاثبت عليه، وحرم ما حرمته عليك، وأحلل ما أحللته لك، فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته (لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يقول: لمن يتذكر ما احتج الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها. وخص بها (الذين يتذكرون)؛ لأنهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو الحجى والفضل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: معتدلا موصلا إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصلت شرائعه، وميز الخير من الشر. ولكن هذا التفصيل والبيان، ليس لكل أحد، إنما هو (لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعد الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
١٢٧ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ
ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا
مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟
كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ
ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ
مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ

وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ
لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ
وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ١٣٧ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا
مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
١٣٨ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا

(٢٨٩) أحمر
أسود

وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾ [الأنعام: ١٢٧- ١٤٠].

الكلمة	معناها
﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾	الجنة- دار الأمان (السالمة من الآفات) – جنة الله.
﴿وَلِيُّهُم﴾	ناصرهم.
﴿يَحْشُرُهُمْ﴾	يجمعهم.
﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾	أكثرتم من إغواء بني آدم- أضللتم كثيرًا من بني آدم.
﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾	أنصارهم- أصدقاؤهم.

الكلمة	معناها

(٢٩٠) أحمر
أسود

﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾	مكانكم الذي تقيمون فيه.
﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾	نجعلهم أولياء لبعضهم البعض وأنصارًا لبعضهم البعض فيما هم عليه من الباطل – نتبع بعضهم بعضًا في جهنم- نسلط بعضهم على بعض.
﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾	من بعد خلقٍ آخرين كانوا قبلكم.
﴿بِمُعْجِزِينَ﴾	بفائتين- بمُرهقين ربكم- بغالبين ربكم- لن تُعجزوا ربكم بالهرب منه.
﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾	على ناحيتكم.
﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾	العاقبة الحسنة في الدار الآخرة (عاقبة دنياه خيرٌ له من دنياه).
﴿لَا يُفْلِحُ﴾	لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب.
﴿ذَرَأَ﴾	خَلَق.
﴿نَصِيبًا﴾	جزءًا- قسمًا.
﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	أساءوا في حكمهم- ما أسوأ الحكم الذي يحكمون به.
﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾	ليهلكوهم.
﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾	وليخلطوا.
﴿حِجْرٌ﴾	حرامٌ (ممنوعة).
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون.
﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾	لا يأكل منها إلا الذكور.
﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾	ممنوع ومحرم على أزواجنا.
﴿وَصْفَهُمْ﴾	قولهم الكاذب على الله- كذبهم (في وصفهم).
﴿سَفَهًا﴾	جهالة وقلة عقل- افتراءً كاذبًا على الله.
﴿ٱفْتِرَآءً﴾	كذبًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؟

(٢٩١) أحمر
أسود

ج: المعنى –الله أعلم-: لهؤلاء الذين هداهم الله وشرح صدورهم للإسلام (دار السلام) أي جنة الله ﷻ؛ (فالدار هي الجنة، والسلام اسم من أسماء الله ﷻ)، وهو ناصرهم ومتولي جزاء لهم بما كانوا يعملون من صالح الأعمال في دنياهم.

وقد قيل: إن معنى دار السلام: دار الأمان، والله تعالى أعلم.

قال القرطبي:

قوله تعالى: (لَهُمْ) أي: للمتذكرين. (دَارُ ٱلسَّلَٰمِ) أي: الجنة، فالجنة دار الله؛ كما يقال: الكعبة بيت الله. ويجوز أن يكون المعنى: دار السلامة، أي: التي يسلم فيها من الآفات. ومعنى (عِندَ رَبِّهِمْ) أي: مضمونة لهم عنده يوصلهم إليها بفضله. (وَهُوَ وَلِيُّهُم) أي: ناصرهم ومعينهم.

قال السعدي في «تفسيره»:

وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. (وَهُوَ وَلِيُّهُم) الذي يتولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته، وإنما تولاهم، بسبب أعمالهم الصالحة، ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاهم، بخلاف من أعرض عن مولاه، واتبع هواه، فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ)؟

ج: المعنى –والله أعلم-: واذكر يوم يجمع الله تعالى شياطين الإنس والجن الذين كانوا في الدنيا أولياء لبعضهم وظهراء لبعضهم يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف المزين لمجادلة المرسلين والخداع المؤمنين، يوم يجمع الله هؤلاء كلهم

(٢٩٢) أحمر
أسود

فيقول للجن: يا معشر الجن، يا جماعة الجن قد أغويتم كثيرا من الإنس فاتبعوكم على ضلالكم، ويا معشر الجن قد أضللتم عن طريق الله كثيرا من الإنس، وهذه الآية الكريمة في معناها قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)[يس:٦٢]

قال السعدي في «تفسيره»:

يقول تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي: جميع الثقلين، من الإنس والجن، من ضل منهم، ومن أضل غيره.

فيقول موبخًا للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوهم إلى المعاصي:

(يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ) أي: من إضلالهم، وصدهم عن سبيل الله،

فكيف أقدمتم على محارمي، وتجرأتم على معاندة رسلي؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صد عباد الله عن سبيله إلى سبيل الجحيم؟

فاليوم حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم. وليس لكم عذر به تعتذرون، ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسأل حينئذ عما يحل بهم من النكال، والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله لهم اعتذارا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا) مع بيان بعض صور هذا الاستمتاع؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: أن البشر المتبعون للشياطين الذين والوهم وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، هؤلاء البشر يجيبون ربهم يوم القيامة قائلين: يا ربنا: استمتع بعضنا ببعض في دنيانا، وبلغنا آجالنا وأعمارنا التي قدرت لنا أن نعيشها في دنيانا.

أما صور استمتاع الجن بالإنس: فهي ما يلقاه من الإنس من تعظيم له وإجلاله وتقديره والاستعاذة به واعتقاد أنه يعلم الغيب ويخبر بما هو كائن ونحو ذلك.

أما استمتاع الإنس بالجن فمنها إخباره بما يسترقه من السمع وما يعاونه به من

(٢٩٣) أحمر
أسود

التفريق بين المرء وزوجه وبما يعاونه به من أمور السحر والشعوذات، وبما يصدر من الإنس من تعوذات بالجن إذا نزل بفلاةٍ من الأرض ونحو ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ) نداء مضاف.

(قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ) أي من الاستمتاع بالإنس، فحذف المصدر المضاف إلى المفعول، وحرف الجر، يدل على ذلك قوله: (رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ) وهذا يرد قول من قال: إن الجن هم الذين استمتعوا من الإنس، لأن الإنس قبلوا منهم. والصحيح أن كل واحدٍ مستمتع بصاحبه.

والتقدير في العربية: استمتع بعضنا بعضا، فاستمتاع الجن من الإنس أنهم تلذذوا بطاعة الإنس إياهم، وتلذذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زنوا وشربوا الخمور بإغواء الجن إياهم.

وقيل: كان الرجل إذا مر بوادٍ في سفره وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر. وفي التنزيل: (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا) [الجن: ٦]. فهذا استمتاع الإنس بالجن.

وأما استمتاع الجن بالإنس فما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر. وقيل: استمتاع الجن بالإنس أنهم يعترفون أن الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يحذرون.

ومعنى الآية تقريع الضالين والمضلين وتوبيخهم في الآخرة على أعين العالمين.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»: (وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ) لعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين وهم الإنس دون المضلين وهم الجن للإيذان بأن المضلين قد أفحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم أصلا.

س: ما المراد بالأجل الذي أجل الله لهم؟

ج: المراد –الله أعلم– أعمارهم التي كتبها لهم، أي: كتب لهم أن يعيشوها في الدنيا.

(٢٩٤) أحمر
أسود

قال السعدي في «تفسيره»:

(بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ) أي: وقد وصلنا المحل الذي نجازي فيه بالأعمال. فافعل بنا الآن ما تشاء، واحكم فينا، بما تريد. قد انقطعت حجتنا، ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك.

وكان في هذا الكلام منهم نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه.

س: ما المراد بالاستثناء في قوله تعالى: (خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها المدة التي ما بين موتهم إلى بعثهم من قبورهم ودخولهم النار، فهذه المدة من الموت إلى دخول النار هي المستثناة كذا اختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإلى مثل هذا جنح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثاني: أن مدة بقائهم في النار موكولة إلى مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولكن جاءت آيات أخر تدل على أن بقاءهم في النار أبدي، وأنهم لن يخرجوا منها.

الثالث: أن قوله إلا ما شاء الله مختص بأهل التوحيد الذي أغويتهم الشياطين فحملتهم على فعل الكبائر واقراف المعاصي والآثام؛ فهؤلاء يبقون في النار-إذا لم يغفر الله لهم- زمنا ثم يخرجون منها، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ)؟

ج: المعنى -الله أعلم-: إن ربك يا رسول الله حكيم فيما شرع من شرائع، وحكيم في تدبير الأمور وتصريف الخلق، عليم بالعواقب وعليم بالعباد وما يستحقون.

قال الطبري خ:

(إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ)، في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال، وغير ذلك من أفعاله، (عَلِيمٞ) بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائرة أمرهم من خير وشر.

(٢٩٥) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وكما أننا جعلنا النار مثوى الجن الذين أضلوا الإنس، وللإنس كذلك الذين اتبعوا الجن، فكذلك في الدنيا جعلنا بعض الظالمين أولياء لبعض يناصرونهم في باطلهم، ويزخرفون القول لهم، ويهدونهم إلى طرائق الغي والضلال.

فالكافر يوالي الكافر ويناصره.

وثم قول آخر: في تأويل الآية الكريمة حاصله: وكذلك نسلط بعض الظالمين على بعض، فنسلط شياطين الجن على الظلمة من الإنس، كما قال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وكذا نسلط ظلمة الإنس على بعضهم البعض.

ومن أهل العلم من أورد قولا آخر حاصله أن قوله تعالى: (نُوَلِّي) أي نتابع، أي نجعل بعضهم يتبع بعضا في النار.

هذا، وقد أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال:

قوله: (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)، وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي.

أما الطبري نفسه فقد قال:

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعضٍ أولياء. لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال جل ثناؤه: (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ)، وأخبر جل ثناؤه: أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور (بِمَا

(٢٩٦) أحمر
أسود

كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)، من معاصي الله ويعملونه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين، نسلط بعضهم على بعضٍ، ونهلك بعضهم ببعضٍ، وننتقم من بعضهم ببعضٍ، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا) المعنى وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعضٍ أجعل بعض الظالمين أولياء بعضٍ، ثم يتبرأ بعضهم من بعضٍ غدا.

ومعنى(نُوَلِّى) على هذا نجعل وليا.

قال ابن زيدٍ: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس.

وعنه أيضا: نسلط بعض الظلمة على بعضٍ فيهلكه ويذله. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالما آخر.

ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم.

وقال فضيل بن عياضٍ: إذا رأيت ظالما ينتقم من ظالمٍ فقف، وانظر فيه متعجبا.

وقيل: المعنى نكل بعضهم إلى بعضٍ فيما يختارونه من الكفر، كما نكلهم غدا إلى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم من العذاب.

أي: كما نفعل بهم ذلك في الآخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ نكله إلى ما وكل إليه نفسه.

وقال السعدي في «تفسيره»:

(وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) أي: وكما ولينا الجن المردة وسلطناهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك.

كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالما مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه،

ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها.

والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ) [فصلت: ٤٦] ومن ذلك، أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولى عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين.

كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف.

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ....) الآية؟

ج: إيضاحه-والله أعلم-: أن الله يسأل كفرة الجن والإنس يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع، فيقول لهم: يا جماعة الجن ويا جماعة الإنس، ألم يأتكم رسل منكم، يخبرونكم بآياتي ويذكرونكم بناري، ويبشرون من أطاع رسلي بجناتي، ويحذرونكم عقابي ويدلونكم على وحدانيتي فهل أطعتموهم واتبعتم أمرهم؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجن، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ: (يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي) ، يقول: يخبرونكم بما أوحي إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي، وتعريفي لكم أدلتي على توحيدي، وتصديق أنبيائي، والعمل بأمري، والانتهاء إلى حدودي (وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ)، يقول: يحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا، وعقابي على معصيتكم إياي، فتنتهوا عن معاصي.

وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا

(٢٩٨) أحمر
أسود

من الفسوق والمعاصي. ومعناه: قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تتذكروا ولم تعتبروا.

س: هل هناك رسل من الجن؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فقالوا: نعم، هناك رسل من الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ فقالوا: من الجن رسل للجن، ومن الإنس رسل للإنس، اللهم إلا أن رسول الله محمد ﷺ بعث للثقلين: الجن والإنس على السواء؛ وذلك لقول الجن لما استمعوا قراءته: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ...﴾ [الاحقاف: ٣٠، ٣١].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

بينما ذهب آخرون من العلماء إلى أن الجن ليس منهم رسل وحمل هؤلاء الآية الكريمة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ على أن ذلك أطلق تغليبا، كما قال تعالى في شأن البحرين: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، واللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح فقط كذا قالوا، وكما قال القائل: «أكلت خبز ولبنا» واللبن إنما يشرب ولكن أطلق عليه الأكل تغليبا، والله أعلم.

هذا، وتوسط آخرون فقالوا: هناك من الجن رسل لكنهم هم الذين سمعوا الرسل البشرين وبلغوا أقوامهم ما سمعوه من المرسلين، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: (إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ) [النساء: ١٦٣] إلى قوله: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ) [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى عن إبراهيم: (وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ) [العنكبوت: ٢٧] فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته،

(٢٩٩) أحمر
أسود

ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم ببعثته، وقال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ) [الفرقان: ٢٠]، وقال: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ) [يوسف: ١٠٩]، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إخبارا عنهم: (وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ) [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ)؟

ج: المعنى -الله تعالى أعلم-: أن أهل الكفر لما سئلوا يوم القيامة: ألم يأتكم رسل منكم...؟ قالوا: شهدنا على أنفسنا....أي: أقررنا على أنفسنا يا ربنا بأن رسلك قد جاءتنا بآياتك الدالة على وحدانيتك، وأنذرتنا عذابك وخوفتنا نارك، ولكننا يا ربنا كذبنا بذلك وجحدنا رسالاتك وآياتك، وقد غرت هؤلاء المشركين زينة الحياة وزخارفها، وشهد هؤلاء الكفار على أنفسهم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم: (أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ)، أنهم يقولونه.....(شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ)، بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا، فكذبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها.

قال الله خبرا مبتدأ: وغرت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، وأولياءهم من الجن (ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا)، يعني: زينة الحياة الدنيا، وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها، أن

يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله، فاستكبروا وكانوا قوما عالين. فاكتفى بذكر (ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا) من ذكر المعاني التي غرتهم وخدعتهم فيها، إذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها، لدلالة الكلام على ما ترك ذكره = يقول الله تعالى ذكره: (وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) ، يعني: هؤلاء العادلين به يوم القيامة = أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله، لتتم حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى: (وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا) أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا، [وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم للمعجزات؛ لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا] وزينتها وشهواتها (وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) أي: يوم القيامة (أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ) أي: في ا لدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ)؟

المعنى –والله أعلم–: ذلك الذي فعلناه من إرسال الرسل؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ حكم عدل لم يكن ليهلك أهل القرى بسبب شركهم دون إنذار منه لهم ودون تحذير منه لهم، ولكن أرسل لهم رسله يحذرونهم وينذرونهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ)، أي: إنما أرسلنا الرسل، يا محمد، إلى من وصفت أمره، وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجن، يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إلي، من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم.

وقد يتجه من التأويل في قوله:(بِظُلْمٍ)، وجهان:

أحدهما: (ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ)، أي: بشرك من أشرك، وكفر من كفر من أهلها، كما قال لقمان: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣] (وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ)، يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة

فيقولوا:(مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٌ) [المائدة: ١٩].

والآخر: (ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ)، يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام لعبيده.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب عندي، القول الأول: أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم، دون إرسال الرسل إليهم، والإعذار بينه وبينهم.

وذلك أن قوله: (ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ)، عقيب قوله: (أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي)، فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله:(ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ)، إنما هو: إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه.

وأما قوله: (ذَٰلِكَ)، فإنه يجوز أن يكون نصبا، بمعنى: فعلنا ذلك = ويجوز أن يكون رفعا، بمعنى الابتداء، كأنه قال: ذلك كذلك.

وأما (أَن)، فإنها في موضع نصب، بمعنى: فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى= فإذا حذف ما كان يخفضها، تعلق بها الفعل فنصب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ) أي: إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لئلا يعاقب أحدا بظلمه وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى: (وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ) [النحل: ٣٦]، كقوله: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: (كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا) [تبارك: ٨، ٩] والآيات في هذا كثيرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: إنما فعلنا هذا بهم؛ لأني لم أكن أهلك القرى بظلمهم؛ أي بشركهم قبل إرسال الرسل إليهم.

فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير. وقيل: لم أكن أهلك القرى بشرك من أشرك

منهم؛ فهو مثل (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) [الأنعام: ١٦٤] ولو أهلكهم قبل بعثة الرسل فله أن يفعل ما يريد. وقد قال عيسى: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) [المائدة: ١١٨].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)؟

ج: المعنى -الله أعلم-: ولكل عامل من البشر درجات يبلغها بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فمن عمل من الصالحات أعمالا كبيرة بلغ بها أعلى الجنان، ومن عمل دون ذلك فرتبته ودرجته دون ذلك، ومن عمل السيئات أعمالا موبقة تردى بها في الجحيم حسب أعماله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)، يقول جل ثناؤه: وكل ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل أن يعود قوله: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أي: ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته من كافري الجن والإنس، أي: ولكل درجة في النار بحسبه، كقوله: (قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ) [الأعراف: ٣٨]، وقوله: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) [النحل: ٨٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أي من الجن والإنس؛ كما قال في آية أخرى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) [الأحقاف: ١٨] ثم قال: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأحقاف: ١٩]، وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي منهم في النار؛ كالإنس سواء.

وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه.

ومعنى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ) أي: ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب.

ولكل عامل بمعصية دركاتق في العقاب.

(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ) أي: ليس بلاهٍ ولا ساهٍ. والغفلة أن يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ...) الآية؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وربك – يا رسول الله– الغني عن خلقه وعن عبادتهم، فلو أنهم كانوا جميعا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا، ومع أنه غني عنهم لكنه رحيم بهم ورءوف بهم يجازي المحسن خير الجزاء ويثيبه ويكرمه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه:(وَرَبُّكَ)، يا محمد، الذي أمر عباده بما أمرهم به، ونهاهم عما نهاهم عنه، وأثابهم على الطاعة، وعاقبهم على المعصية (ٱلْغَنِيُّ)، عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه، لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم. يقول عز ذكره: فلم أخلقهم، يا محمد، ولم آمرهم بما أمرتهم به، وأنهم عما نهيتهم عنه، لحاجةٍ لي إليهم، ولا إلى أعمالهم، ولكن لأتفضل عليهم برحمتي، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرأفة والرحمة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (وَرَبُّكَ) يا محمد (ٱلْغَنِيُّ) أي: عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم (ذُو ٱلرَّحْمَةِ) أي: وهو مع ذلك رحيم بهم، رءوف كما قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحج: ٦٥].

(٣٠٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم-: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتي بعد الذهاب بكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من بعد خلقٍ آخرين ذهب بهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾، فإنه يقول: إن يشأ ربك، يا محمد، الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾، يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾، يقول: ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم، يخلفونكم في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِكُمْ﴾، يعني: من بعد فنائكم وهلاككم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾، كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم.

ومعنى ﴿مِّن﴾ في هذا الموضع التعقيب، كما يقال في الكلام: «أعطيتك من دينارك ثوبا»، بمعنى: مكان الدينار ثوبا، لا أن الثوب من الدينار بعض.

كذلك الذين خوطبوا بقوله: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾، لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلقٍ خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم.

و«الذرية»«الفعلية»، من قول القائل: «ذرأ الله الخلق»، بمعنى خلقهم،«فهو يذرؤهم»، ثم ترك الهمزة فقيل: «ذرا الله»، ثم أخرج«الفعلية» بغير همز، على مثال«العبية».

وقد روي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ:﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ على مثال«فعيلة».

وعن آخر أنه كان يقرأ: «ومن ذرية»، على مثال«علية».

قال أبو جعفر: والقراءة التي عليها القرأة في الأمصار: ﴿ذُرِّيَّةِ﴾، بضم الذال، وتشديد الياء، على مثال«عبية».

وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته ههنا.

(٣٠٥) أحمر
أسود

وأصل «الإنشاء»، الإحداث. يقال: «قد أنشأ فلان يحدث القوم»، بمعنى ابتدأ وأخذ فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾أي: إذا خالفتم أمره ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ أي: قوما آخرين، أي: يعملون بطاعته، (كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: هو قادر على ذلك، سهل عليه، يسير لديه، كما أذهب القرون الأول وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا) [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ) [فاطر: ١٥ -١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم) [محمد: ٣٨].

وقال السعدي في «تفسيره»:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم، فلم اتخذتموها قرارا؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم دارا، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟

وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فثم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فلله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات» وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون» ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار.

قال صديق حسن خان «في فتح البيان»:

(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ)أيها العباد العصاة فيستأصلكم بالعذاب المفضي إلى الهلاك، وقيل الخطاب لأهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم، والعموم أولى ويدخل فيه أهل مكة دخولا أوليا (وَيَسْتَخْلِفْ) أي ينشئ ويوجد (مِنۢ بَعْدِكُمْ) أي بعد إهلاككم (مَّا يَشَآءُ) من خلقه ممن هم أطوع له وأسرع إلى امتثال أحكامه منكم (كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ) أي من نسل قوم لم يكونوا على مثل صفتكم بل كانوا طائعين، قيل هم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم.

قال الواحدي والزمخشري: ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم ولا استخلف غيرهم رحمة لهم ولطفا بهم، وقال الرازي: المراد منه خلق ثالث أو رابع، واختلفوا فيه فقيل خلقا آخر من أمثال الجن والإنس.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: إن الذي يعدكم الله به من الثواب إذا أطعتم، ومن العذاب إذا أشركتم، وكذا عموم ما يعدكم الله به لكائن وحاصل، ولن تستطيعوا فرارا ولا هربا مما يريدكم الله به فلن تعجزوا الله ﷻ بالهرب مما أراده بكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم، واقع بكم (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ)، يقول: لن تعجزوا ربكم هربا منه في الأرض فتفوتوه، لأنكم حيث كنتم في قبضته، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر. يقول: فاحذروه وأنيبوا إلى طاعته، قبل نزول البلاء بكم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ...﴾؟

ج: المعنى –الله أعلم-: قل يا رسول الله لقومك المشركين: يا قوم، اعملوا على ناحيتكم التي أنتم عليها وإليها سائرون.

(٣٠٧) أحمر
أسود

واثبتوا على ما أنتم فيه من الزيغ والضلال، أما فأنا أيضا عامل بمقتضى ما أنا فيه من الإيمان والإسلام، فأنا ثابت على إيماني عامل بما يمليه علي ديني وإيماني، وسوف تعلمون عند حلول العذاب عليكم ونزول النقم بكم من منا المحق ومن المبطل أأنا أم أنتم؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أي استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي كقوله: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ) [هود: ١٢١- ١٢٢].

وقد أنجز الله موعده لرسوله صلوات الله عليه أي فإنه تعالى مكنه في البلاد وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك في حياته ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، كما قال الله تعالى: (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: ٢١] وقال (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ) [غافر: ٥١- ٥٢] وقال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ) [الأنبياء: ١٠٥].

وقال تعالى إخبارا عن رسله: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ) [إبراهيم: ١٣- ١٤] وقال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ) [النور: ٥٥] الآية وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية وله الحمد والمنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣٠٨) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) [الزمر: ٣٩] وقـرأ أبـو بكـرٍ بالجمع« مكاناتكم». والمكانة الطريقة.

والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه فأنا أثبت على ما أنا عليه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار.

فالجواب أن هذا تهديد، كما قال ﷻ:(فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) [التوبة: ١١٥].

ودل عليه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ) أي العاقبة المحمودة التي يحمد صاحبها عليها، أي من لـه النصر في دار الإسلام، ومن لـه وراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة، أي الجنة. قال الزجاج:(مَكَانَتِكُمْ) تمكنكم في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: أن أهل الشرك جعلوا من ثمرات الأرض جزءا لله وجزءا للآلهة والأوثان والأصنام والأوثان والشياطين والكهنة والسحرة تركوه على حاله للأصنام والأوثان.. ولكن إذا ذهب جزء من الذي جعلوه للأصنام والأوثان والشياطين إلى الجزء الذي جعلوه لله ردوه ثانية إلى مكانه وكذا جعلوا من الأنعام: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلبئس الحكم الذي حكموا به ولبئس الصنيع الذي صنعوا هذا، وقد وردت جملة آثار عن ابن عباس رضي الله عنهما حاصلها- وإن كان في أسانيدها ضعف- أنه قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما، جعلوا منها لله سهما، وسهما لآلهتهم، وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه لله، ردوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم. وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي جعلوه لآلهتهم، أقروه ولم يردوه. فذلك قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

وفي رواية أخرى:

قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيبا، وللشيطان والأوثان نصيبا. فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في

(٣٠٩) أحمر
أسود

نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه. فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء. وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله: (مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) [المائدة: ١٠٣].

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة:

قوله: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا)، الآية، عمد ناس من أهل الضلالة فجزؤوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله وجزءا لشركائهم. وكانوا إذا خالط شيء مما جزؤوا لله فيما جزءوا لشركائهم خلوه. فإذا خالط شيء مما جزؤوا لشركائهم فيما جزؤوا لله ردوه على شركائهم. وكانوا إذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزؤوا لله، وأقروا ما جزؤوا لشركائهم قال الله:(سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)

هذا، وقد أورد بعض أهل العلم قولا آخر فحواه: أنهم كانوا إذا ذبحوا شيئا على غير اسم الله أكلوه، وإن ذبحوا شيئا على اسم الله لم يأكلوه حتى يذكروا اسم آلهتهم أيضا معه، والله أعلم.

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله - تعالى -: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا) وكانوا يقسمون الحرث، فيجعلون لله نصيبا، وللأصنام نصيبا، ويقسمون الأنعام، فيجعلون لله نصيبا، وللأصنام نصيبا، ثم ما جعلوا لله، صرفوه للفقراء والمساكين، وما جعلوا للأصنام أنفقوه على الأصنام، وعلى خدم الأصنام؛ فهذا معنى قوله: (فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا) فأما قوله: (فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ) معنى هذا: أنهم كانوا إذا قسموا الحرث والأنعام كما وصفنا، فإذا سقط مما جعلوا لله من الحرث شيء فيما جعلوه للأصنام تركوه، وإذا سقط شيء من نصيب الأصنام، فيما جعلوه لله ردوه إلى نصيب الأصنام، وكان إذا هلك أو انتقص مما جعلوا لله من الأنعام شيء؛ لم يبالوا به، وكان إذا هلك أو انتقص من نصيب الأصنام، جبروه مما جعلوه لله، وقالوا: الله غني، والصنم محتاج، وكانوا إذا أجدبوا وقحطوا؛ أكلوا مما

جعلوه لله، ولم يأكلوا من نصيب الأصنام.

وقال السعدي في «تفسيره»:

يخبر تعالى، عما عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ،

وعدد ع شيئا من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاءالسفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلا فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق،

فذكر من ذلك أنهم ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ ولشركائهم من ذلك نصيبا، والحال أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد، وأوجده رزقا، فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم على الله، في جعلهم له نصيبا، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع،

وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلا إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم -من زروعهم وثمارهم وأنعامهم، التي أوجدها الله لهم- شيء، جعلوه قسمين:

قسما قالوا: هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه، ولا يقبل عمل من أشرك به.

وقسما جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد.

فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها.

فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟ » حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله.

ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال عن الله تعالى أنه قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي شيئا تركته وشركه**».

(٣١١) أحمر
أسود

وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه لله -على زعمهم- فإنه لا يصل إليه لكونه شركا، بل يكون حظ الشركاء والأنداد، لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ساء الحكم الذي حكموا به، والصنيع الذي صنعوه، فلم يقف إجرامهم على كونهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا،ولم يقف إجرامهم أن جعلوا للأصنام والأوثان والكهان نصيبا، بل امتد إجرامهم إلى أن فضلوا آلهتهم على ربهم ﷻ، وجعل الجزء الذي لله ﷻ أقل الأجزاء، وإذا وصل منه شيء إلى نصيب الآلهة التي عبدوها مع الله ﷻ جعلوه للآلهة، أما إذا وصل جزء من الذي جعلوه للآلهة إلى ما جعلوه لله ردوه إلى آلهتهم فساء هذا الصنيع، وأساءوا بصنيعهم إلى أنفسهم؛ إذ قد حكموا عليها بالضلال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: وقد أساءوا في حكمهم إذ أخذوا من نصيبي لشركائهم، ولم يعطوني من نصيب شركائهم. وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحق بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرهم ولا ينفعهم، حتى فضلوه في إقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه.

قال السمعاني في «تفسيره»:

وقوله: (سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي: لم يأتهم فيه وحي، ولا يقتضيه عقل؛ فإن القياس يقتضي التسوية- على زعمهم- بين الشريكين، لا ما حكموا به.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وكما زينت الشياطين لأهل الشرك الكلام المزخرف لجدال الأنبياء وأهل الصلاح، وكما زينت لهم أن يجعلوا للأوثان والأصنام نصيبا مما رزقهم الله، فكذلك زينت لهم الشياطين قتل الأولاد وكذا قتل البنات وحسنت ذلك لهم، فمنهم: من كان يقتل ولده خشية أن يطعم معه، ومنهم: من كان يئد البنات لا لشيء إلا لكونهن إناث، فحسنت الشياطين لهم كل ذلك؛ ليهلكوهم بهذا الصنيع، فهذه أمور موبقات تتسبب لصاحبها في دخول الجحيم، وكذلك زينت لهم الشياطين ذلك وحسنت لهم ذلك لتخليط الأمور- أمور دينهم- عليهم وجعل الحرام حلالا، والحلال حراما، ولو شاء الله ما تمكنت الشياطين من ذلك، وما أغوت بني آدم، وكذا لو شاء الله ما قتل المشركون أبناءهم فاتركهم وكذبهم فإني أكفيكهم، وأنتقم لك منهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم، من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم، وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم، وردهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله، إلى قسم شركائهم (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ) ، من الشياطين، فحسنوا لهم وأد البنات (لِيُرْدُوهُمْ)، يقول: ليهلكوهم(وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) ، فعلوا ذلك بهم، ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، بفعلهم ما حرم الله عليهم ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه، بأن كان يهديهم للحق، ويوفقهم للسداد، فكانوا لا يقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم.

يقول الله لنبيه، متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها:(هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا)، وفي قتلهم أولادهم (فَذَرْهُمْ)، يا محمد، (وَمَا يَفْتَرُونَ)، وما يتقولون علي من الكذب والزور، فإني لهم بالمرصاد، ومن ورائهم العذاب والعقاب.

(٣١٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ووأد البنات خشية العار.

ثم قال:

وهذا كقوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل: ٥٨- ٥٩] الآية، وكقوله (وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: ٨- ٩] وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الإملاق وهو الفقر أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك.

قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ) أي كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونا وله الحكمة التامة في ذلك فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)أي فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم.

قال السعدي في «تفسيره»:

ومن سفه المشركين وضلالهم، أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم -أي: رؤساؤهم وشياطينهم- قتل أولادهم، وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار.

وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن يمنعهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم، ما فعلوه، ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجا منه لهم، وإمهالا لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لنيضروا الله شيئا.

(٣١٤) أحمر
أسود

ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموما، وجعلها رزقا ورحمة، يتمتعون بها وينتفعون، قد اخترعوا فيها بدعا وأقوالا من تلقاء أنفسهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ)؟

ج: هذا-والله أعلم-: بيان لجهل المشركين وافترائهم على الله ﷻ وتحريمهم ما شاءوا أن يحرموه وتحليلهم ما شاءوا وما أرادوا فقالوا: هذه أنعام (يريدون بذلك: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك) وحرث حجر أي: حرام على الناس أن يأكلوا منها إلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عند ركوبها، بل هي -عندهم- للآلهة فحسب، حتى إن ذبحت فلا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وأيضا إن حلبوها لا يذكرون اسم الله عليها عند حلبها، فعلوا ذلك كله كذبا على الله وتقولا عليه بغير علم، ونسبوا إلى الله ﷻ ما لم يقله، وما لم يحرمه وسيجزيهم الله على افترائهم عليه وكذبهم عليه.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله - تعالى -: (وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ) أي: حرام (لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ) إلا من نشاء بزعمهم) ثم بين (تحريمهم) ؛ فقال (لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ) يعني: من خدم الأصنام، وقيل: هو تحريم البحيرة والسائبة على الإناث، ولا يطعمها إلا الذكور.

(وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا) هي الحوامي التي ذكرنا في المائدة، كانوا يقولون: حمت ظهورها (وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا) قيل: ذبائح كانوا يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله - تعالى - وقيل معناه: أنهم لا يركبون عليها لفعل الخير.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: معناه: أنهم لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الحج، إلا أنه جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير، فعبر بذكر اسم الله عن فعل الخير؛ فقال: (وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ) يعني: افتراء على الله

(٣١٥) أحمر
أسود

(سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أي: جزاء ما كانوا يكذبون.

قال السعدي في «تفسيره»:

(هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ) أي: محرم (لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ) أي: لا يجوز أن يطعمه أحد، إلا من أردنا أن يطعمه، أو وصفناه بوصف -من عندهم-.

وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة إلا أهويتهم، وآراؤهم الفاسدة.

وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها، أي: بالركوب والحمل عليها، ويحمون ظهرها، ويسمونها الحام، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم وما كانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك.

(سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) على الله، من إحلال الشرك، وتحريم الحلال من الأكل، والمنافع.

س: ما المراد بالأنعام في قوله تعالى: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ....)؟

ج: الذي يظهر -والله تعالى أعلم-: أنها الأنعام المذكورة في قوله تعالى: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ...) فهي الأنعام التي أوقفوها لآلهتهم وأوثانهم: كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام؛ فهذه أنعام جعلوها وقفا على آلهتهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون بعض الأنعام، ويعينونها -محرما ما في بطنها على الإناث دون الذكور، فيقولون:

(مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا) أي: حلال لهم، لا يشاركهم فيها النساء.

(وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا) أي: نسائنا، هذا إذا ولد حيا،

وإن يكن ما [في] بطنها يولد ميتا، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال للذكور

(٣١٦) أحمر
أسود

والإناث.

﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى الله.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ حيث أمهل لهم، ومكنهم مما هم فيه من الضلال. ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافيهم ويرزقهم جل جلاله.

س: ما المراد بالأزواج في قولهم: (وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا)؟

ج: الظاهر - والله أعلم-: أن المراد بالأزواج النساء، وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقد قال: والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شك بنات من هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ)؟

ج: المعنى -الله أعلم-: أن أهل الشرك قالوا- كذبا وزورا- ما حوته بطون هذه الأنعام (البحائر والسوائب والوصائل) من اللبن والأجنة (جمع جنين) الذكور وحرام على النساء الأكل من لحمها والشرب من لبنها، أما إذا كان الجنين ميتا فيشترك في أكله الذكور والإناث، كذا قالوا وسيعاقبهم الله على ما صنعوا وما اختلفوا من الكذب إنه (حَكِيمٌ) في تدبير أمور خلقه (عَلِيمٌ) بما يصلحهم.

س: لماذا قيل: (خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا) ولم يقل: خالص لذكورنا؟

ج: قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في بيان ذلك:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام التي كانوا حرموا ما في بطونها على أزواجهم، لذكورهم دون إناثهم، كما فعل ذلك«بالراوية» و«النسابة» و«العلامة»، إذا أريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته، كما يقال: «فلان خالصة فلان، وخلصانه».

(٣١٧) أحمر
أسود

وقال -أيضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي قول الله ﷻ: (وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَا) ، الدليل الواضح على أن تأنيث «الخالصة»، كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوصة للذكور، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل: و«محرمة على أزواجنا»، ولكن لما كان التأنيث في«الخالصة» لما ذكرت، ثم لم يقصد في«المحرم» ما قصد في«الخالصة» من المبالغة، رجع فيها إلى تذكير«ما»، واستعمال ما هو أولى به من صفته.

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ)؟

ج: المعنى -والله أعلم- سيجزيهم الله على وصفهم السيء وتشريعهم الذي شرعوا أسوأ الجزاء.

ونقل ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن عدد من أهل العلم:

(سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ) أي: قولهم الكذب في ذلك.

يعني قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ) الآية [النحل: ١١٦، ١١٧].

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزيهم عليها أتم الجزاء.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ....)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: قد خسر هؤلاء الجهلة قليلوا العلم والعقل، هؤلاء الذين قتلوا أولادهم جهالة ونقصا في العقل، هؤلاء الذين حرموا على أنفسهم (البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام...) تلك الأنعام التي رزقهم الله إياها، فافتروا على الله الكذب وزعموا أن الله هو الذي حرمها؛ فقد ضلوا بصنيعهم هذا، وما كانوا قبل هذا الضلال مهتدين.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣١٨) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب، العادلون به الأوثان والأصنام، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم [ما أنعمت به] عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم، وحرموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقا من أنعامهم (سَفَهًا)، منهم.

يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم، ونقص عقول، وضعف أحلام منهم، وقلة فهم بعاجل ضره وآجل مكروهه، من عظيم عقاب الله عليه لهم (ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ)، يقول: تكذبا على الله وتخرصا عليه الباطل (قَدۡ ضَلُّواْ)، يقول: قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ)، يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين له.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله:

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾، فقال: هذا صنيع أهل الجاهلية.

كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه، وقوله: (وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ)، الآية، وهم أهل الجاهلية. جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلةص وحاميا، تحكما من الشياطين في أموالهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، كما قال تعالى: (قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ).

قال السمعاني في «تفسيره»:

(قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ) أي: هلك وغبن الذين قتلوا أولادهم وذلك من وأد البنات، وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات حية، حتى كان الرجل منهم يقتل ولده،

(٣١٩) أحمر
أسود

ويربي كلبه. وكان البعض يفعل ذلك دون البعض، وقيل: كان ذلك في قبيلتين: ربيعة، ومضر، كانا يدفنان البنات وهن حيات، فأما بنو كنانة وسائرهم ما كانوا يفعلون ذلك.

(سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) أي: جهلا لا عن بصيرة (وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) (وهو) ما ذكرنا من تحريم أولاد البحيرة، والوصيلة ونحو ذلك (من) الحوامى، حرموها تدينا (افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ) لأنهم كانوا يدعونه دينا من الله - تعالى - وقد كذبوا في ذلك عليه (قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ).

(٣٢٠) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ
وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا
تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ
وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ
لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ
ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ
ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا
ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ
بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ
أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ
دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ
ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
١٤٥ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ
وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ
ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ

بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦ فَإِن كَذَّبُوكَ
فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ
أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ
لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ
ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ قُلۡ هَلُمَّ
شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا

(٣٢١) أحمر
أسود

تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١٥٠) [الأنعام: ١٤١-١٥٠].

الكلمة	معناها
﴿أَنشَأَ﴾	خلق- أحدث- ابتدع.
﴿جَنَّٰتٍ﴾	بساتين.
﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾	ما يجعل له الناسُ عُروشًا يحمل عليها كالعنب، وقيل: (مرفوعات).
﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾	غير مرفوعات- غير مبنيات (كالنباتات التي تخرج بالبر والجبال، ولا تحتاج إلى عروش كما يحتاج العنب).
﴿أُكُلُهُۥ﴾	طَعْمه- مذَاقُهُ- ثمره.
الكلمة	معناها

(٣٢٢) أحمر
أسود

﴿حَمُولَةً﴾	التي يحمل عليها كالإبل[(١)].
﴿وَفَرْشًا﴾	قيل: صغار الإبل، وقيل: الأغنام، وقيل: الفرش: ما يتخذ منه الفرش كالأغنام.
﴿ٱلضَّأْنِ﴾	(كالكبش والنعجة).
﴿ٱلْمَعْزِ﴾	(كالجدي والعنز).
﴿ٱلْإِبِلِ﴾	(الجمل والناقة).
﴿ٱلْبَقَرِ﴾	(الثور والبقرة).
﴿طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾	آكل يأكله.
﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾	دماً مُنصبًّا مُهراقًا- سائلًا يسيل.
﴿رِجْسٌ﴾	نجس.
﴿فِسْقًا﴾	خروجًا عن الطاعة (وذلك لكونه ذبح على غير اسم الله).
﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾	ذبح على غير اسم الله ﷻ.
﴿ٱضْطُرَّ﴾	ألجأته الضرورة.
﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾	غير باغٍ في أكله إياه تلذذًا به.
﴿وَلَا عَادٍ﴾	ولا متجاوز الحدَّ في الأكل، إنما يأكل ما دعته الضرورة إلى أكله.

الكلمة	معناها

(١) وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه عند الطبري - أنه قال: الحمولة: ما حُمل عليه من الإبل، والفرش الصغار.
وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره» قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: وقال عبد الرحمن ابن أسلم: الحمولة: ما تركبون، والفرش: ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل تأكلون لحمها، وتتخذون من صوفها لحافًا وفراشًا.

وعقبه ابن كثير بقوله:

وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن، يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

(٣٢٣) أحمر
أسود

﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	اليهود.
﴿ذِى ظُفُرٍ﴾	ما كان غير مشقوق القدم من البهائم والطيور كالإبل والنعام والبط والأوز ونحو ذلك فهذا مما لا تأكله اليهود.
﴿ٱلْحَوَايَآ﴾	المباعر- الأمعاء.
﴿بَأْسُهُۥ﴾	عذابه- عقابه.
﴿تَخْرُصُونَ﴾	تتقولون الكذب والباطل.
﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾	الحجة الغالبة التي تبلغ مرادها في ثبوتها على الخصم- الحجة التي تُسكت الخصم وتقطع أعذاره وتمنعه من الكلام.
﴿هَلُمَّ﴾	هاتوا.
﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾	الشهود الذين يشهدون لكم.
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يساوون به (الأصنام والأوثان)- يتحولون عن عبادته إلى عبادة غيره.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ...)الآية؟

ج: يذكر الله نعمه ومننه على خلقه، فيقول مذكرا الخلق لعلهم يتعظون ويعتبرون، وهو – لا أحد سواه- الذي خلق وأحدث بساتين وحدائق على كل الصور والأشكال فمنها بساتين معروشات، أي: مبنيات مرفوعات، كالعنب مثلا يحتاج أن تسند أشجاره بالأخشاب، ويصبح معها كالعريش ومنها ما لا يحتاج إلى ذلك، وكذا أنشأ النخل الذي منه الرطب والتمر، والزروع عامة التي تخرج منها الحبوب والثمار، كل ذلك مختلف ثمره وطعمه، وكذا الزيتون والرمان متشابها في المنظر وغير متشابهٍ في الطعم.

وبين لنا ربنا حل هذا الطعام لنا؛ إذ قال: (كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ)، وذكرنا ربنا بالفقراء والمساكين؛ إذ قال: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ) ونهانا ﷻ عن التبذير والإسراف بقوله: (وَلَا تُسْرِفُوٓاْ)، وأخبر أنه لا يحب المسرفين.

(٣٢٤) أحمر
أسود

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ)؟

ج: قيل في معناها ما يلي:

١- متشابها في اللون غير متشابه في الطعم.

س: ما المراد بالحق الذي أمر الله به؛ إذ قال: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بهذا الحق: هو الزكاة المفروضة التي بين رسول الله ﷺ مقاديرها، وهي العشر فيما سقته السماء، ونصف العشر بما سقي بالآلة.

الثاني: أن المراد بهذا الحق: حق آخر سوى الزكاة المفروضة، وهو أن يعطي الفقير ومن حضر الحصاد جزءا من المحصود، كالقبضة من الطعام ونحو ذلك.

الثالث: أن هذا الحق كان قبل فرض الزكاة، ثم نسخ بالزكوات المفروضات، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: (يَوْمَ حَصَادِهِۦ)؟

ج: الظاهر -الله أعلم-: أن المراد بذلك اليوم الذي يحصد فيه، وقد قال بعض العلماء إن المراد بذلك اليوم الذي يكال فيه الثمر.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للايتاء فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن

الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.

س: هل يجوز تأخير إخراج زكاة الحبوب عن يوم الحصاد؟

ج: الأصل أنها تؤدي يوم الحصاد؛ إلا إذا تعذر ذلك لعدم استطاعة إيصالها أو لعدم وجود مستحقيها، وذلك لقوله تعالى: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ) ولقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ) [البقرة: ٨٦].

س: هل يلزم حلول الحول على الثمار حتى تزكي؟

ج: لا يلزم حلول الحول على الثمار حتى تزكي؛ فالله يقول: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده.

وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده.

س: وضح معنى الإسراف الذي نهينا عنه في الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالإسراف هنا مجاوزة الحد في الإعطاء بما يضر بصاحب المال، أي: أن الشخص يخرج كثيرا بدرجةٍ تضره وتذهب بماله، ولهذا المعنى شواهد عدة من كتاب الله ﷻ؛ كقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) [الفرقان: ٦٧].

الثاني: أن المراد بالإسراف: الإسراف على النفس، وذلك بمنع الصدقة ومنع الحق الذي أوجبه الله ﷻ عن أهله ومستحقيه.

(٣٢٦) أحمر
أسود

الثالث: أن الأمر في قوله: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا) موجه للسلطان الذي يأخذ الصدقات، نهي هذا السلطان عن أخذ شيءٍ من مال الناس بغير حق، فلا يأخذ إلا القدر المأذون له في أخذه شرعا.

هذا، والظاهر من هذه الأقوال أولها؛ وذلك لأن الخطاب موجه لأرباب البساتين والثمار والنخل والزرع و...، فأمرهم الله أن يؤتوا الحق الذي عليهم ونهاهم عن الإسراف، فبعيد أن نقول: إنه موجه للسلطان، ثم إن المعنى الأشهر للإسراف: هو إخراج قدر زائدٍ يجحف بالمال، فلا نعدل عن المعنى الأشهر إلي ما دونه إلا بدليل، والله أعلم.

هذا، وقد ذهب الطبري إلى القول بالعموم- عموم معاني الإسراف- إذ قال:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: (وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ)، عن جميع معاني«الإسراف»، ولم يخصص منها معنى دون معنى.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان «الإسراف» في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حده في الزيادة، وإما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما أن المفرق ماله مباراة، والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حد الله إلى ما [ليس له] . وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها. وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: (وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ)، في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم= إذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله ﷺ بسبب خاص من الأمور، والحكم بها على العام، بل عامة آي القرآن كذلك. فكذلك قوله:(وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ).

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى «الإسراف» أنه على ما قلنا، قول الشاعر:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... ما في عطائهم من ولا سرف

يعني بـ«السرف»: الخطأ في العطية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَا تُسْرِفُوٓاْ) يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أوغرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه.

وقال السمعاني في «تفسيره»:

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي: لا تنفقوا الأموال في معصية الله، وكل من أنفق في معصية فهو مسرف، وقيل: هو إعطاء الكل، وذلك أن يعمد الرجل إلى جميع زرعه ونخله فيعطي الكل، ويترك عياله عالة. وروى: « أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة كانت له، فأعطى الكل؛ فنزلت الآية ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وأورد ابن الجوزي أقوالا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ حاصلها ما يلي:

الأول: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يجحف به.

الثاني: أن الإسراف: يمنع الصدقة الواجبة.

الثالث: أنه الإنفاق في المعصية.

الرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام.

والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة.

والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة.

|

س: الاقتصاد في الإنفاق أمرنا الله به في جملة آيات، اذكر بعضها؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ).

قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [الإسراء: ٢٩].

قوله تعالى: (وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ

(٣٢٨) أحمر
أسود

ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا) [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

قوله تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ) [الأعراف: ٣١].

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا). [الفرقان: ٦٧]

س: وضح معنى قوله تعالى: (كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ)؟

ج: المعنى –والله أعلم-: كلوا يا أهل الإيمان من رزق الله ﷻ الذي رزقكم إياه من الزروع والثمار والحرث والأنعام، ولا تطيعوا الشيطان فيما حرم عليكم فقد أبان لكم الشيطان عن عداوته لكم ولأبيكم من قبلكم وذلك بالكيد الذ يكاده لأبيكم آدم عليه السلام حتى أخرجه وزوجه من الجنة، وبالكيد المستمر الذي يكيده لكم الآن لإغوائكم وإضلالكم، وحرمانكم من الحلال الطيب بما يلقيه على أوليائه لجدالكم وصرفكم عن دينكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: كلوا مما رزقكم الله، أيها المؤمنون، فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم، ولحوم أنعامكم، إذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وللشيطان مثله، فقالوا:(هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ)، (وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ) ، كما اتبعها باحرو البحيرة، ومسيبو السوائب، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه، فتطيعوا بذلك الشيطان، وتعصوا به الرحمن.

وقال رحمه الله:

إن الشيطان لكم عدو يبغي هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم(مُّبِينٌ)، قد أبان لكم عدواته، بمناصبته أباكم بالعداوة، حتى أخرجه من الجنة بكيده، وخدعه حسدا منه له، وبغيا عليه.

(٣٢٩) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله، وجعلها رزقا لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: طرائقه وأومره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراء على الله ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ﴾ أي: عن الشيطان أيها الناس لكم ﴿عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ أي: بين ظاهر العداوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ﴾ [الأعراف: ٢٧] الآية، وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠] والآيات في هذا كثيرة في القرآن.

س: ما الأزواج الثمانية؟

ج: الأزواج الثمانية: هي المذكورة في الآيات الكريمات:

(مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ): وهما الكبش والنعجة.

(وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ): وهما الجدي والعنز.

(وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ): وهما الجمل والناقة.

(وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ) وهما الثور والبقرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ) فذلك أربعة؛ لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج، فالأنثى منه زوج الذكر، والذكر منه زوج الأنثى، وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان.

فلذلك قال جل ثناؤه: (ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ)، كما قال: (وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ) [الذاريات: ٤٩]؛ لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ) [الأعراف: ١٨٩]، وكما قال: (أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ) [الأحزاب: ٣٧].

س: لماذا أطلق عليهم ثمانية أزواج، والمذكور أربعة؟

ج: لأن كل صنف من الأصناف الأربعة فيه ذكر وأنثى، والذكر يقال عنه: زوج للأنثى، فهو زوج، والأنثى يقال عنها: زوج للذكر، فهي زوج أيضا فالجمل زوج للناقة، والناقة زوج للجمل فهذان إذا زوجان، وكذا البقر والغنم والمعز.

س: وضح معنى الآية الكريمة (ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أنزل الله لكم ثمانية أصناف (الكبش والنعجة، والجدي والعنز، والجمل والناقة والثور والبقرة).

أو ومن الأنعام حمولة وفرشا، وهي ثمانية أزواج.

أما قوله: (قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ) أي: قل لهؤلاء المشركين الذين حرموا ما أحل الله، قل لهم: ماذا حرم الله؟ أحرم الله الكبش والجدي؟!! فإذا كان حرمهما فلماذا تأكلون لحومهما وتستمتعون بأصوافهما وجلودهما؟ أم أن الله حرم النعجة والعنز؟!! فلماذا أيضا تأكلون منهما وتستمتعون بأصوافهما؟!!

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم أن الذي حرمه الله هو الأجنة في البطون، فلماذا إذن تأكلون من الأجنة؟!!

فلن يجدوا جوابا على ذلك، فأقوالهم في كل ذلك متضاربة متناقضه، ومن ثم قل لهم: (نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أي: إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوني بدليل يظهر أن الله حرم هذا (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) في دعواكم: أنها محرمة.

قال السمعاني في «تفسيره»:

(قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ) هذا في تحريمهم الوصيلة والبحيرة ونحوها، والآية في الاحتجاج عليهم، ومعنى هذا: أن الذي تدعون على الله من تحريمها إن كان بسبب الذكورة، فينبغي أن تحرم كل الذكور، وإن كان التحريم بسبب الأنوثة؛ فينبغي أن تحرم كل الإناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم كل ما اشتملت عليه الرحم، فأما تخصيص

(٣٣١) أحمر
أسود

التحريم بالولد السابع والخامس فمن أين؟ ! (نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ) أخبروني بعلم (إن كان لكم به علم) (إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ).

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وفي هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله لأهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله، وذكر الرازي وجهين آخرين في معنى هذه الآية ونسبهما إلى نفسه فقال: إن هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الإنكار، يعني أنكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم.

والوجه الثاني أنكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالإبل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الأنواع الأربعة، وهي الضأن والمعز والبقر والإبل، فلم لم تحكموا بهذه الأحكام في هذه الأنواع الثلاثة وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الإبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة انتهى؟.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ).

ج: المعنى –والله أعلم-: قل يا رسول الله لأهل الشرك الذين حرموا ما أحل الله ﷻ وافتروا الكذب على الله، قل لهم: من أين أتاكم تحريم ما قد حرمتموه على أنفسكم وعلى غيركم، أجآءكم رسول من عند ربكم يتلو علكيم، وكان فيما تلى أن هذه الأشياء محرمة؟؟!! أم هل رأيتم ربكم ﷻ وشاهدتموه بأعينكم فأخبركم أنه حرم هذه الأشياء أم من أين أتاكم التحريم ؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ)، فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم في هذه الآيات التي مضت.

يقول له عز ذكره: قل لهم، يا محمد، أي هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك،

(٣٣٢) أحمر
أسود

فقل لهم: أخبرا قلتم: «إن الله حرم هذا عليكم»، أخبركم به رسول عن ربكم، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذي تقولون وتزورون على الله؟ فإن هذا الذي تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون، لا يعلم إلا بوحي من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه، أو بسماع منه، فبأي هذين الوجهين علمتم أن الله حرم ذلك كذلك، برسول أرسله إليكم، فأنبئوني بعلم إن كنتم صادقين؟ أم شهدتم ربكم فأوصاكم بذلك، وقال لكم: «حرمت ذلك عليكم»، فسمعتم تحريمه منه، وعهده إليكم بذلك؟ فإنه لم يكن واحد من هذين الأمرين.

يقول جل ثناؤه: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)، يقول: فمن أشد ظلمًا لنفسه، وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله قيل الكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم، وتحليل ما لم يحلل (لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)، يقول: ليصدهم عن سبيله (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)، يقول: لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم، كفرا بالله، وجحودا لنبوة نبيه محمد ﷺ، وهذا تقريع من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام، الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل= وتعليم منه نبيه ﷺ والمؤمنين به، الحجة عليهم في تحريمهم ما حرموا من ذلك.

فقال للمؤمنين به وبرسوله: وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشا. ثم بين جل ثناؤه«الحمولة» و«الفرش»، فقال: «ثمانية أزواج».

وإنما نصب«الثمانية»، لأنها ترجمة عن«الحمولة» و«الفرش»، وبدل منها. كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج= فلما قدم قبل«الثمانية»«الحمولة» و«الفرش» بين ذلك بعد فقال: (ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ)، على ذلك المعنى.

وقال أيضا:

ثم قال لهم: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم، واركبوا هذه الحمولة، أيها المؤمنون، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمري إياهم بذلك.

(٣٣٣) أحمر
أسود

= قل، يا محمد، لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والأنعام اتباعا للشيطان، من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك=: آلذكرين حرم ربكم، أيها الكذبة على الله، من الضأن والمعز؟ فإنهم إن ادعوا ذلك وأقروا به، كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم. لأنهم إذا قالوا: «يحرم الذكرين من ذلك»، أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها. وفي ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم (أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ)، فإنهم إن قالوا: «حرم ربنا الأنثيين»، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها.

وفي ذلك أيضًا تكذيب لهم، ودحض دعواهم أن ربهم حرم ذلك عليهم، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره (أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ)، يقول: أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، يعني أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز، فلذلك قال:(أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ)، وفي ذلك أيضا لو أقروا به فقالوا:(أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ)، بطول قولهم وبيان كذبهم، لأنهم كانوا يقرون بإقرارهم بذلك أن الله حرم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها، أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها.

و«ما» التي في قوله: (أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ) ، نصب عطفا بها على (ٱلْأُنثَيَيْنِ).

(نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ) ، يقول: قل لهم: خبروني بعلم ذلك على صحته: أي ذلك حرم ربكم عليكم، وكيف حرم؟ (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)، فيما تنحلونه ربكم من دعواكم، وتضيفونه إليه من تحريمكم.

وإنما هذا إعلام من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك وأضافوه إلى الله، فهو كذب على الله، وأنه لم يحرم شيئا من ذلك، وأنهم إنما اتبعوا في ذلك خطوات الشيطان، وخالفوا أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام، وجعلوها

(٣٣٤) أحمر
أسود

أجزاء وأنواعا: بحيرة، وسائبة، ووصيلة وحاما، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار، فبين أنه تعالى أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا. ثم بين أصناف الأنعام إلى غنمٍ وهو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز، ذكره وأنثاه، وإلى إبلٍ ذكورها وإناثها، وبقرٍ كذلك. وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولاده. بل كلها مخلوقة لبني آدم، أكلا وركوبا، وحمولة، وحلبا، وغير ذلك من وجوه المنافع، كما قال (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ) الآية [الزمر: ٦].

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا) تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله، من تحريم ما حرموه من ذلك، (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ)أي: لا أحد أظلم منه(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

وأول من دخل في هذه الآية: عمرو بن لحي بن قمعة، فإنه أول من غير دين الأنبياء، وأول من سيب السوائب، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، كما ثبت ذلك في الصحيح.

س: قوله تعالى: (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [الصف: ٧] كيف وقد هدى الله ﷻ عددا من أهل الظلم؟

ج: لأهل العلم في ذلك جوابان:

أحدهما: أن المراد بالظالمين هنا: الظالمون الذين سبق في علم الله ﷻ أنهم سيموتون على الكفر، وقد كتبت عليهم الشقاوة.

الثاني: أن الله لا يهديهم ما داموا قائمين على ظلمهم، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ...﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا عبده ورسوله محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه: (قُل) لهؤلاء

(٣٣٥) أحمر
أسود

الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ أي: آكل يأكله. قيل: معناه: لا أجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه. وقيل: معناه: لا أجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه. فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة «المائدة»، وفي الأحاديث الواردة، رافعا لمفهوم هذه الآية.

ومن الناس من يسمي ذلك نسخًا، والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخا؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل، والله أعلم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أن ثم محرمات لم تذكر فيها، كالسباع وكل ذي مخلب من الطير ونحو ذلك، فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحي إليه في ذلك الوقت، وقال بعضهم: إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحا، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة.

فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو الأخير منها فقط: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم، وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس.

ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنها تفسر القرآن، وتبين المقصود منه، فإذا كان الله تعالى لم يحرم من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره، إلا شرع الله -دل ذلك على أن المشركين، الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه ما لم يقل.

وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو: أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في

(٣٣٦) أحمر
أسود

الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله به، وما سوى ذلك فحلال.

ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم، فينمونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله من باب التنزيه لهم والصيانة.

وأما ما حرم على أهل الكتاب، فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ.

والثاني: أنها جاءت جوابا عن سؤال سألوه فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حرم بعد ذلك ما حرم.

والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها.

والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخنقة والموقوذة، وفي السنة من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير.

وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

س: هل من الدماء شيء حلال تناوله؟

ج: نعم، هناك من الدماء ما هو حلال تناوله كالدم المتبقي مع اللحم بعد الذبح، والدم الذي في العروق، وكذا فهنالك الكبد والطحال، فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: أحلت لنا ميتتان ودمان؛ أما الدمان: فالكبد الطحال، وأما الميتتان: فالسمك والجرد.

س: هل يلزم إزالة أثر الدم الذي على اللحم بعد الذبح، وكذا الدم الذي في العروق؟

ج: لا يلزم إزالة ذلك الدم، وكذا لا يتتبع الدم الذي في العروق لإزالته، لأن الله عز وجل إنما حرم الدم المسفوح، وهو: المنصب المهراق.

ومن ثم فقد روي عن عددٍ من أهل العلم أنهم قالوا لولا هذه الآية (أَوْ دَمًا

مَّسْفُوحًا) لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.

س: قوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ) عائد على ماذا؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك عائد على: الخنزير؛ لأنه أقرب مذكور، وقال آخرون: إنه عائد على لحم الخنزير، وأيما كان فالمؤدي واحد فإذا كان اللحم رجسا وهو أعظم ما ينتفع به- عند من ينتفعون به- فغيره من باب أولى كالشحم ونحوه، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: (فِسْقًا)؟

ج: المراد: الذبائح التي ذبحت على غير اسم الله، فهذا الصنيع يعد فسقا، فقد قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ....) [الأنعام: ١٢١].

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

ج: المعنى –والله أعلم-: فمن ألجأته الضروره إلى الأكل مما سبق ذكره، وأنه محرم من الميتة والدم ولحم الخنزير، فأكل من ذلك ليس تلذذا بل اضطرارا، وكذا أكل القدر الذي ينقذه من التهلكه فإن ربك غفور رحيم له، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وأن معناه: فمن اضطر إلى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير، أو ما أهل لغير الله به، غير باغٍ في أكله إياه تلذذا، لا لضرورة حالةٍ من الجوع، ولا عادٍ في أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه له من أكله، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه، فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك. (غَفُورٌ) فيما فعل من ذلك، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه، ولو شاء عاقبه عليه. (رَّحِيمٌ) بإباحته إياه أكل

(٣٣٨) أحمر
أسود

ذلك عند حاجته إليه، ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ....) الآية؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: قل لهؤلاء المعرضين عن الإيمان، الذين يحرمون ما أحله الله، ويحلون ما حرم الله، قل لهم: إنني لا أجد في الوحي الذي أوحاه الله إلي والقرآن الذي أنزله الله علي شيئا محرما مما ذكرتموه، إنما الذي وجدته محرما ما كان ميتة أو دما منصبا مهراقا أو لحم خنزير فإنه رجس –أي: نجس- وكذا فيما وجدته محرما علي ما كان فسقا أهل لغير الله به، أي: ذكر عليه اسم غير اسم الله ﷻ عند الذبح.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله = والقائلين هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم= والمحرمين من أنعام أخر ظهورها= والتاركين ذكر اسم الله على أخر منها= والمحرمين بعض ما في بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم، ومحليه لذكورهم، المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله، وإضافة منهم ما يحرمون من ذلك إلى أن الله هو الذي حرمه عليهم=: أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم، فأنبئونا به، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه؟ فإنكم كذبة إن ادعيتم ذلك، ولا يمكنكم دعواه، لأنكم إذا ادعيتموه علم الناس كذبكم= فإني لا أجد فيما أوحي إلي من كتابه وآي تنزيله، شيئا محرما على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم (إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً)، قد ماتت بغير تذكية (أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا)، وهو المنصب = أو إلا أن يكون لحم خنزير (فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا) ، يقول: أو إلا أن يكون فسقا، يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته، فذكر عليه اسم وثنه، فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك، لأنه ميتة.

(٣٣٩) أحمر
أسود

وهذا إعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبي الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به، أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذي حرمه الله، وأن الذي زعموا أن الله حرمه حلال قد أحله الله، وأنهم كذبة في إضافتهم تحريمه إلى الله.

س: هل هناك اطعمة محرمة غير المذكورة في الآية الكريمة؟ وما هذه الأطعمة؟

ج: نعم، هناك أطعمة حرمت بسنة رسول الله ﷺ؛ فقد حرم النبي ﷺ لحوم الحمر الإنسية[(١)]، وكذا حرم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير[(٢)]، وغير ذلك.

س: حرمت على بني إسرائيل جملة من الطيبات بسبب ذنوبهم ومعاصيهم وتعاليهم على العباد وظلمهم، دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

---

(١) البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧).

(٢) مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

والبخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) ببعضه من حديث أبي ثعلبة الخشني، ولفظه، نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب من السباع.

(٣٤٠) أحمر
أسود

س: ما الشحوم التي حرمها الله ﷻ على اليهود؟

ج: المراد-والله أعلم-: كل الدهون ما عدا الدهون التي استثناها الله ﷻ، والذي استثناه الله ﷻ: هو الدهن الذي جملته الظهر أو الدهون التي حملتها الحوايا، وهي المباعر والتي منها الأمعاء، وكذا أحللنا لهم الشحوم (الدهون) المختلطة بالعظام وقد ألحق بعض العلماء شحم الألية والجنب بالمختلط بالعظم وألحقه بعضهم بالذي حملته الظهور، فالله أعلم.

وعلى ذلك فالشحوم التي في الكرش كانت محرمة على اليهود.

س: ما المراد بالذي حملته الظهور؟

ج: قال الطبري خ : المراد: شحوم الجنب وما علق بالظهر فإنها لم تحرم عليهم.

س: ما المراد بالحوايا؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

و﴿ٱلْحَوَايَآ﴾جمع، واحدها «حاوياء»، و«حاوية»، و«حوية»، وهي: ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار، وهي: بنات اللبن، وهي: «المباعر»، وتسمى: «المرايض»، وفيها الأمعاء.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن هذه الأشياء التي ذكر الله ﷻ أنه حرمها على بني إسرائيل (كالمذكور في قوله تعالى: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ) يعني: الإبل والنعام والبط وغيرها مما لم يكن مشقوق القدمين، وكذا الشحوم المذكورة صفتها...) إنما حرمها الله ﷻ عليهم بسبب البغي والظلم كما قال سبحانه: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ).

وكما قال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ)[النساء:١٦٠،١٦١]

(٣٤١) أحمر
أسود

وليس التحريم كما زعم اليهود فنذر من يعقوب: (الذي هو إسرائيل) عليه السلام؛ وذلك لأن اليهود لم قيل لهم: حرمت عليكم هذه الأشياء لظلمكم وبغيكم ،....، قالو: لا، إنما ذلك محرم في شريعة يعقوب (الذي هو إسرائيل) عليه السلام فهو محرم كشريعة، ليس محرما بسبب الذنوبن فكذبهم الله في قيلهم هذا، وقال: (كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [آل عمران: ٩٣].

وكذبهم الله أيضًا بقوله: (ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) أي: وإنا لصادقون فيما أخبرنا به من أسباب التحريم، وإنا لصادقون في كل ما نقول ومن خالفنا فهو الكاذب.

وصدق الله وهو أصدق القائلين ومن أصدق من الله قيلا؟!! ومن أصدق من الله حديثا؟!!

قال الطبري خ في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير، ذوات الأظافير غير المنفرجة، ومن البقر والغنم، ما حرمنا عليهم من شحومهما، الذي ذكرنا في هذه الآية، حرمناه.

وقال أيضًا:

وقوله: (وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)، يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التي ذكرنا أنا حرمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرمه إسرائيل على نفسه، وأنهم إنما حرموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.

س: وما وجه العقوبة في تحريم بعض الأشياء على بني إسرائيل؟

ج: وجهها-والله أعلم-: أنهم إذا حرمت عليهم أشياء وفعلوا ما حرمه الله عليهم فقد استوجبوا بذلك عقابا وغضبا من ربهم عز وجل، ومن ثم تحل عليهم العقوبات لأسباب منها: اقترافها المآثم وفعلهم ما حرم الله عز وجل عليهم.

فلذلك -على سبيل المثال- لما حرم عليهم الصيد يوم السبت واحتالوا

(٣٤٢) أحمر
أسود

واصطادوا عوقبوا بأن جعل منهم القدرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

ولذا فإن نبينا محمد ﷺ قد قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(١) فما وجه المشقة؟

وجهها: أنه إذا أمرهم بالسواك عند كل صلاة ثم لم يستاكوا لعذبهم الله ﷻ، ولأنزل بهم العقوبة لمخالفتهم أمر نبيهم ﷺ، والله أعلم.

|

س: كانت العقوبات على بني إسرائيل تتمثل في أمور منها: تحريم الطيبات عليهم، وقطعا فإن هذا لا يتأتى الآن في شأن أمةٍ كأمة محمد ﷺ بل ولا في غيرها من الأمم؛ لأن الدين قد كمل ببعثة النبي ﷺ إذ الله قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلم بعد هناك نوع من العقوبات يتمثل في تحريم الحلال، فما صورة العقوبات التي يمكن إنزالها الآن؟

ج: العقوبات الآن للمخالفين تتمثل في أمور منها: زوال النعم عن العباد وحلول النقم بهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] إلى غير ذلك من العقوبات، وقد تدخر العقوبات للآخرة وذلك أشد وأنكى، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾؟

ج: معنى ذلك -والله أعلم-: فإن كذبك هؤلاء اليهود يا محمد فيما أخبرتهم به عما أحل الله لهم وما حرم فقل لهم: ربكم- وإن كذبتموني- رحيم بي وبمن آمن بي، وكذا هو رحيم بكم إذا لم يعاجلكم بالعقوبة بل فتح لكم باب التوبة، ولكن إذا تماديتم على غيكم وضلالكم فعذاب الله حال بكم ونقمته نازلة عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فإن كذبك، يا محمد، هؤلاء اليهود فيما أخبرناك

(١) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٣٤٣) أحمر
أسود

أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم، كما بينا في هذه الآية(فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ)، بنا، وبمن كان به مؤمنا من عباده، ويغيرهم من خلقه (وَٰسِعَةٍ)، تسع جميع خلقه، المحسن والمسيء، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة، ولا من عصاه بالنقمة، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه، ولا يحرمه ثواب عمله، رحمة منه بكلا الفريقين، ولكن بأسه= وذلك سطوته وعذابه لا يرده إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء = و«المجرمون» هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فإن كذبك -يا محمد -مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم، فقل: (فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ) وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله، (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين. وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنعام: ١٦٥]، وقال (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [الرعد: ٦]، وقال تعالى: (نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ) [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ) [غافر: ٣]، وقال(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ) [البروج: ١٢ -١٤]، والآيات في هذا كثيرة جدا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ...)؟

ج: الظاهر: أن المعنى -والله تعالى أعلم-: أن أهل الشرك قالوا مجادلين لرسولنا محمد ﷺ: عن الله رضي منا عبادة الأوثان والأصنام، ورضي منا تحليل ما أحللناه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وتحريم ما حرمناه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، و لو أراد غير ذلك منا لمنعنا منه فكذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ في قولهم: إن الله قد رضي منهم عبادة الأوثان والأصنام وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، فالله لا يرضى بذلك من عباده وهم في قبلهم هذا وافتراءهم هذا وتكذيبهم

(٣٤٤) أحمر
أسود

الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله ﷻ قد سلكوا ملك من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلها المعاندة المجادلة لهم، فاستمر بهم تكذيبهم إلى أن حل بهم بأس ربهم ونزلت بهم نقمته ولحق بهم عذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟) وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريشٍ: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا) يقول: قالوا احتجازا من الإذعان للحق بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحق، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والأنعام، على ما قد بين تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك: (وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا) وما بعد ذلك: لو أراد الله منا الإيمان به وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكا، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا، ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون، لأنه قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك، حتى لا يكون لنا إلى فعل شيءٍ من ذلك سبيل، إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به وإلى القول بتحليل ما حرمنا، وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير إلى الإقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام، وإلى تحليل ما حرمنا، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام، واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد، وأراد ما نحرم من الحروث والأنعام، فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك.

قال الله مكذبًا لهم في قيلهم: إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم، ورادا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول: كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه، وردوا عليهم نصائحهم. (حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا) يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة، يقول: وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم إن هم لم ينيبوا

فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم: «رضي الله منا عبادة الأوثان، وارأد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والأنعام»، دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ) ، وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم ما كانوا يحرمون؟

قيل له: الدلالة على ذلك قوله: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدا ﷺ فيما آتاهم به من عند الله = من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى ذكره، وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله = مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة الله ورسوله. والتكذيب منهم إنما كان لمكذب، ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم في قيلهم: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا) ، لقال:(كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، بتخفيف «الذال»، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله، لا إلى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه.

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبثت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا؛ فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك؛ ولهذا قال: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ) كما في قوله (وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ) [الزخرف: ٢٠]، وكذلك التي في «النحل» مثل هذه سواء قال الله تعالى: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي: بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام. (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ) أي: بأن الله [تعالى] راضٍ عنكم فيما أنتم فيه (فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ) أي: فتظهروه لنا وتبينوه

(٣٤٦) أحمر
أسود

وتبرزوه، (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ) أي: الوهم والخيال. والمراد بالظن هاهنا: الاعتقاد الفاسد. (وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى:(سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟) أي: إذا لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله لو شاء الله ما أشركنا، فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيكم: إنهم ضالون، وإنما هم على المشيئة أيضا؟

فلا حجة لهم، لأنهم تعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)؟

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين زعموا أن الله ﷻ رضي منهم الشرك الذي هم عليه ورضي منهم تحليل ما حرم عليهم وتحريم ما أحل لهم، قل لهم: هل عندكم علم بأن الله ﷻ ضي بذلك فلتظهروا لنا هذا العلم، أوحي أوحاه الله إليكم؟! أم أنزل ذلك على ليان رسولٍ قبلي؟!! أم ماذا؟

كلا، فما حدث شيء من ذلك ولكنكم ما تتبعون حقا، إنما تتبعون الظنون الباطلة والأماني الخادعة وما أنتم بصادقين في قيلكم فما أنتم إلا تتقولون الباطل على الله ﷻ وتفترون الكذب عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والأنعام، القائلين: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ)، ولكن رضي منا ما نحن عليه من الشرك

(٣٤٧) أحمر
أسود

وتحريم ما نحرم: (هَلُمَّ عِندَكُم) بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون، علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر، أو حجةٍ توجب لنا اليقين من العلم، (فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ)؟ يقول: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع. (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ) يقول له: قل لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرمون إلا ظنا وحسبانا أنه حق، وأنكم على حق وهو باطل، وأنتم على باطل. (وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) يقول: (وَإِنْ أَنتُمْ) وما أنتم في ذلك كله (إِلَّا تَخْرُصُونَ)، يقول: إلا تتقولون الباطل على الله ظنا بغير يقينٍ علمٍ ولا برهانٍ واضحٍ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم–: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين عجزوا عن الإتيان بعلمٍ يثبت لهم صحة ما قالوه وتقولوه على الله، قل لهم: إن الحجة البالغة إنما هي لله على خلقه فقوله سبحانه غالب لقول الأقوال وقاطع لكل الأعذار، ولكنه سبحانه أراد لكم الزيغ ولو شاء لهداكم ووفقكم لقبول الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين على ربهم الكذب، في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم: (هَلُمَّ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ) بما تدعون على ربكم (فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ)، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شك عن ذلك عجزة، وعن إظهاره مقصرون، لأنه باطل لا حقيقة له (فَلِلَّهِ)، الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيئا، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام (ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ)، دونكم أيها المشركون. ويعني بـ(ٱلْبَٰلِغَةُ)، أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه، وقطع عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه.

(فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ)، يقول: فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للإجماع على

(٣٤٨) أحمر
أسود

إفراده بالعبادة، والبراءة من الأنداد والآلهة، والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله، وترك اتباع خطوات الشيطان، وغير ذلك من طاعاته، ولكنه لم يشأ ذلك، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول [تعالى] لنبيه ﷺ: (قُلْ) لهم -يا محمد: (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) أي: له الحكمة التامة، والحجة البالغة في هداية من هدى، وإضلال من أضل، (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين، كما قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) [الأنعام: ٣٥]، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) [يونس: ٩٩]، وقوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [هود: ١١٨، ١١٩].

قال الضحاك: لا حجة لأحدٍ عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين تخاصمهم ويجادلونك من أهل الشرك والافتراء: هاتوا يا هؤلاء شهودكم الذين يشهدون لكم أن الله حرم ما تذكرونه من المحرمات كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، فإن أتوا بشهداء زور يشهدون لهم بذلك فلا تشهد معهم ولا تنساق وراء ما تمليه عليهم أهواؤهم وشياطينهم ولا تنخدع بآراء هؤلاء المكذبين بالآيات المنكرين للبعث والحساب والثواب والعقاب هؤلاء الذين جعلوا لله أندادا وأمثالا ونظراء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله لنبيه: (فَإِنْ شَهِدُوا) يقول: يا محمد، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم. (فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ)، فإنهم كذبة وشهود زورٍ في

(٣٤٩) أحمر
أسود

شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله. وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه ﷺ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به. (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا) يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم، ولكن اتبع ما أوحي إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. (وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ) يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم. (وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يقول: وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات، وجحودهم قيام الساعة بالله، يعدلون الأوثان والأصنام، فيجعلونها له عدلا، ويتخذونها له ندا يعبدونها من دونه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ) أي: أحضروا شهداءكم (ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا) أي: هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه، (فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) أي: لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا، (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) أي: يشركون به ويجعلون له عديلا.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أمره الله سبحانه أن يقول لهؤلاء المشركين: هاتوهم وأحضروهم.

قال السدي: أروني شهداءكم وهلم اسم فعل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع عند أهل الحجاز وأهل نجد يقولون هلما هلمي هلموا فينطقون به كما ينطقون بسائر الأفعال وبلغة أهل الحجاز نزل القرآن ومنه قوله تعالى: (وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) والأصل عند الخليل ها ضمت إليها لم.

وقال غيره أصلها هل زيدت عليه الميم، وفي كتاب العين للخليل أن أصلها هل أؤم أي هل أقصدك، ثم كثر استعمالهم لها، وهذا أيضا من باب التبكيت لهم حيث يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرم تلك الأشياء مع علمه أنه لا شهود لهم

(٣٥٠) أحمر
أسود

لتلزمهم الحجة، ويظهر ضلالهم، وأنه لا متمسك لهم سوى تقليدهم، ولذلك قيد الشهداء بالإضافة إليهم الدالة على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم.

قَالَ تَعَالَى:

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا
تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ
مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ
أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ
لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا

سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ
يَصْدِفُونَ ١٥٧ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ
رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا
يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ
إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ
دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ
ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ
عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ١٦٠ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا

(٣٥٢) أحمر
أسود

قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ إِنَّ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا
شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣ قُلْ أَغَيْرَ
ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ
ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ
ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٥)
[الأنعام: ١٥١-١٦٥].

الكلمة	معناها

(٣٥٣) أحمر
أسود

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾	أن تشركوا.
﴿إِمْلَٰقٍ﴾	فقر- جوع.
﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾	ما فحش من الأقوال والأعمال.
﴿مَا ظَهَرَ﴾	ما أُعلن.
﴿وَمَا بَطَنَ﴾	ما خفي.
﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	إلا للأسباب التي أباح الله فيها القتل.
﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	إلا بالطريقة التي هي أفضل.
﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾	حتى يبلغ الحُلم (حتى يحتلم) والعقل والرشاد.
﴿وَأَوْفُوا۟﴾	أتموا- أعطوهم الحقوق تامةً.
﴿بِٱلْقِسْطِ﴾	بالعدل.
﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	لا نحمل نفسًا فوق طاقتها- لا نؤاخذ نفسًا بما لا تطيقه ولا تستطيعه.
﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾	تكلموا بالحق- احكموا بالحق.
﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾	من الأقارب والأرحام.
﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾	قوموا بأوامر الله ﷻ وانتهوا عما نهاكم عنه.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتذكرون عواقب الأمور فتنزجرون عمَّا أنتم فيه من الشرك والعصيان- تتعظون وتعتبرون.
﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾	طريقي الموصل إلى مرضاتي الذي لا اعوجاج فيه ولا ميل ولا انحراف، وهو: طريق الإسلام.
﴿ٱلسُّبُلَ﴾	الضلالات-الطرق-الملل الأخرى غير ملة الإسلام
﴿مُبَارَكٌ﴾	كثيرةٌ بركته- كثير خيره.
﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾	اجعلوه إمامًا وقائدًا لكم تتبعونه وتعملون بما فيه – امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه وصدِّقوا أخباره.

الكلمة	معناها

(٣٥٤) أحمر
أسود

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	ليرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وأليم عقابه ويسكنكم فسيح جناته.
﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾	عن تلاوتهم- دراسة أخبارهم والاطلاع عليها- ما يتلونه من الكتب التي أنزل الله لهم.
﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	حجة من ربكم واضحة ظاهرة-يحتج بها عليكم إذا أنكرتم
﴿وَصَدَفَ﴾	أعرض عنها.
﴿يَصْدِفُونَ﴾	يُعْرِضون.
﴿كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾	عملت أعمال برٍّ وهي مومنة- انتفعت بإيمانها.
﴿شِيَعًا﴾	فِرقًا- أحزابًا.
﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾	لا يبخسون شيئًا من حقوقهم.
﴿قِيَمًا﴾	مستقيمًا- قويمًا.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.
﴿وَنُسُكِي﴾	ذبحي، ومن النسك: الذبح (في الحج والعمرة)- وقيل: النسك العبادة.
﴿وَمَحْيَايَ﴾	حياتي.
﴿وَمَمَاتِي﴾	وفاتي.
﴿أَبْغِي﴾	أطلب.
﴿رَبًّا﴾	سيدًا- مُدبرًا يدبر أمري- معلمًا يصلح شأني- إلهًا.
﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾	لا تجترح إثمًا إلا عليها.
﴿وَلَا تَزِرُ﴾	لا تحمل – لا تأثم.
﴿وَازِرَةٌ﴾	حاملةٌ- آثمةٌ.
﴿وِزْرَ﴾	حمل.
﴿خَلَٰٓئِفَ﴾	جمع خليفة- تخلفون غيركم – تأتون من بعدهم.
﴿غَفُورٌ﴾	ساتر ذنوب من ابتلى.

س: هل لهذه الآية: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...) نظائر في التوراة؟

(٣٥٥) أحمر
أسود

ج: أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: سمع كعب الأحبار رجلا يقرأ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) فقال: والذي نفس كعب بيده، إن هذا لأول شيء في التوراة: «بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم».

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المفترين الذين كذبوا على الله وحرموا ما لم يحرمه الله ﷻ: يا هؤلاء تعالوا أقرأ عليكم من الكتاب المنزل على من عند الله ﷻ ما حرمه ربكم عليكم، أتل عليكم ذلك الحق، لا بالكذب ولا بالافتراء كما صنعتم أنتم وكما تقولتم بالباطل، ولكن اقرأه عليكم كما أنزل علي، إن الذي حرمه ربكم عليكم الشرك به.

فقوله تعالى: (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) معناه: أن تشركوا به شيئا، فمن العلماء من قال إن (لا) صلة لتقوية الكلام؛ كقوله تعالى:(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) [الأعراف: ١٢].

ومنهم من قال: إن المعنى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، أتل أن لا تشركوا به شيئا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما«أن» في قوله: (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ، فرفع، لأن معنى الكلام: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، هو أن لا تشركوا به شيئا.

وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله: (تشركوا) ، وجهان:

الجزم بالنهي، وتوجيهه«لا» إلى معنى النهي.

والنصب، على توجيه الكلام إلى الخبر، ونصب(تُشْرِكُوا)، بـ«أن لا»، كما يقال: «أمرتك أن لا تقوم».

وإن شئت جعلت«أن» في موضع نصبٍ، ردا على«ما» وبيانا عنها، ويكون في قوله:

(تشركوا) ، أيضا من وجهي الإعراب، نحو ما كان فيه منه. و«أن» في موضع رفع.

ويكون تأويل الكلام حينئذٍ: قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، أتل أن لا تشركوا به شيئا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما تفسيرها فيقول تعالى: لنبيه ورسوله محمدٍ ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم، وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم (قُلْ) لهم (تَعَالَوْاْ) أي هلموا وأقبلوا (أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا ولا ظنا بل وحيا منه وأمرا من عنده (أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا) وكأن في الكلام محذوفا دل عليه السياق، وتقديره وأوصاكم (أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا) ولهذا قال في آخر الآية: (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿).

قال السمعاني في «تفسيره»:

قوله - تعالى -: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا) لأنهم سألوه أيش الذي حرم الله - تعالى -؟ فنزل قوله - تعالى -: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) فإن قال قائل: الله - تعالى - ما حرم ترك الشرك بل أمر ربه، فما معنى قوله: (أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا)؟ .

فيه جوابان: أحدهما: أن قوله « لا » صلة، وتقديره : أن تشركوا؛ فعلى هذا استقام الكلام.

والثاني: أن قوله: (تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) كلام تام. (ثم) قوله: (عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ) ابتداء كلام. وإذا قدر هكذا استقام الكلام أيضا.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) «ما» بمعنى «الذي» .

وفي «لا» قولان:

أحدهما: أنها زائدة كقوله تعالى: ألا تسجد.

والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي باقية فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة

(٣٥٧) أحمر
أسود

أقوال:

أحدها: أن يكون قوله: «أن لا تشركوا» ، محمولا على المعنى فتقديره: أتل عليكم أن لا تشركوا، أي أتل تحريم الشرك.

والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله تعالى: (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانا، ذكرهما الزجاج.

والثالث: أن الكلام تم عند قوله: (حَرَّمَ رَبُّكُمْ). ثم في قوله: «عليكم» قولان:

أحدهما: أنها إغراء، كقوله (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) [المائدة: ١٠٥]، فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الانباري.

والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا. وفي هذا الشرك قولان:

أحدهما: أنه ادعاء شريك مع الله ﷻ.

والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

س: ما المراد بالشرك، وما حقيقته؟

ج: قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أويصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا، مخلصا لله في جميع أحواله.

س: اذكر بعض الآيات المحذرة من الشرك؟

ج: الآيات الواردة في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣].

قوله تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥].

قوله تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ٨٨].

(٣٥٨) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: (وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: ٣١].

قوله تعالى: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ) [فصلت: ٦].

قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ....) فبدأ بالشرك.

قولـه تعـالى: (إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) [المائدة: ٧٢].

س: كثيرا ما يقرن الأمر بالإحسان للوالدين مع الأمر بعبادة الله ﷻ، وكذا يقرن النهي عن الشرك بالنهي عن العقوق، اذكر بعض أدلة ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) [النساء: ٣٦].

وقولـه تعـالى: (۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا).

وقوله تعالى: (۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) [الإسراء: ٢٣].

ووصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان: ١٣، ١٤].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئا فجلس فقال: **ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت.

وعند البخاري[٢] ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر -

(١) البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).
(٢) البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

(٣٥٩) أحمر
أسود

أوسئل عن الكبائر- فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين**».

فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قال: «**قول الزور**، أو **شهادة الزور**» قال شعبة: فأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور.

فجاء العقوق-في ترتيب الجرائم- بعد الشرك بالله ﷻ، فكما أن بر الوالدين جاء بعد الأمر بالتوحيد، في أعمال البر، فكذلك ففي المقابل جاء النهي ن العقوق وبيان خطره بعد النهي عن الشرك. فسبحان الله، جاء العقوق قبل الزنا والقتل والعياذ بالله، وبلا شك فللعقوق مراتب ودركات.

س: في قوله تعالى: (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) مقدر محذوف وضحه؟

ج: هذا المقدر هو وأوصى بالوالدين إحسانا، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؟

ج: المعنى -الله أعلم-: لا تقتلوا أولادكم بسبب فقرٍ ألم بكم، أو خشية فقرٍ تتوقعونه بسببهم؛ فإن الله هو رازقكم ورازقهم.

ولقد ذكر النبي ﷺ الكبائر فقال: «..**وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) لما أوصى تعالى ببر الآباء والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار؛ ولهذا جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله ابن مسعودٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[١]. ثم تلا رسول الله ﷺ: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

(١) البخاري (حديث٤٤٧٧)، ومسلم (حديث ٨٦).

(٣٦٠) أحمر
أسود

ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا) [الفرقان:٦٨].

وقوله: (مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ) قال ابن عباسٍ، وقتادة، والسدي: هو الفقر، أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة «سبحان»: (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ) [الإسراء:٣١]، أي: خشية حصول فقرٍ، في الآجل؛ ولهذا قال هناك: (نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلا قال: (نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ)؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم.

|

س: وضح المراد بالفواحش ما ظهر منها وما بطن؟

ج: الفواحش: ما فحش من الأقوال والأفعال، وقد تطلق على الزنا خاصة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقد تطلق على نكاح امرأة الأب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢].

والمعنى إجمالًا: لا تقتربوا من الفواحش عموما ولا تفعلوها سواء الظاهر منها المعلن، أو المخفي منها الباطن، هذا، ومن العلماء من قال: إن ظاهر الفواحش: كان منه نكاح البغايا اللواتي يعلقن رايات على البيوت، والباطن: الزنا واتخاذ العشيقات.

وقيل المراد بظاهر الفواحش: الجمع بين الأختين في الزواج والباطن: الزنا، والله أعلم.

قال السمعاني في «تفسيره»:

(وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ) هذا نهي عن أنواع الزنا سرا وعلنا، وكانت الزواني في الجاهلية على نحوين: كانت لبعضهم رايات على الأبواب، علما لمن أراد الزنا؛ كن يزنين علنا، وأخريات كن يزنين سرا. فهذا المراد بالفواحش ما ظهر منها وما بطن.

س: اذكر بعض الأدلة الزاجرة عن الفواحش؟

(٣٦١) أحمر
أسود

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

قوله تعالى: (وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ).

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ) [النجم: ٣٢].

وفي الحديث: «أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[(١)].

س: ما المراد بالنفس التي حرمها الله ﷻ؟

ج: المراد: النفس المسلمة، أو النفس الذمية المعاهدة.

س: ما المراد بالحق الذي به تقتل نفس مسلمة؟

ج: من ذلك ما ورد عن رسول الله؛ إذ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[(٢)].

وكذا منه ما ورد في شأن قطاع الطريق المفسدين في الأرض؛ إذ الله تعالى قد قال: (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٣٣].

ومن ذلك أيضًا قتال الفئة الباغية، قال تعالى: (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ) [الحجرات: ٩]

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن قتل الذمي المعاهد؟

---

(١) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٨٧٨)، ومسلم (حديث ١٦٧٦).

(٣٦٢) أحمر
أسود

ج: من ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما»[(١)].

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– هذه الأمور التي تلوناها عليكم؛ إذ قلنا: (قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ) هي وصايا عظيمة، وصى بها الله عباده على العموم ليعملوا بها، وليعقلوا ما وصاكم ربهم به.

قال الطبري رحمه الله: (ذَٰلِكُمۡ) يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه، هي الأمور التي وصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به، (لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ)، يقول: وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم.

س: اذكر بإيجاز بعض علامات البلوغ؟

ج: من ذلك ما يلي:

الاحتلام: وذلك لما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وأما الصبي فينقطع عنه اليتم إذا احتلم»[(٢)].

الإنبات: أي: إنبات شعر حول العانة؛ وذلك لأن سعد بن معاذ لما حكم –رضي الله عنه– في اليهود أن تقتل مقاتلتهم كانوا ينظرون إلى الصبي المشكوك في أمره إذا وجدوا شعرا قد نبت له حول فرجه (أي: شعر العانة) قتل، وإلا ترك.

الثالث: بلوغ الخامسة عشر؛ وذلك لأن ابن عمر رضي الله عنهما عرض على النبي ﷺ يوم أحد وعمره أربعة عشر عامًا فرده النبي ﷺ، وعرض عليه يوم الأحزاب وعمره خمسة عشر عامًا فقبله[(٣)] النبي ﷺ.

قال الشنقيطي خ في «أضواء البيان»:

والبلوغ يكون بعلامات كثيرة: كالإنبات، واحتلام الغلام، وحيض الجارية،

---

(١) البخاري (٦٩١٤).
(٢) أحمد (١/٢٢٤- ٢٩٤- ٣٠٨)
(٣) البخاري (٤٠٩٧).

(٣٦٣) أحمر
أسود

وحملها، وأكثر أهل العلم على أن سن البلوغ خمس عشرة سنة.

س: اذكر بعض الآيات المحذرة من أكل أموال اليتامى ظلما؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ).

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) [النساء: ١٠].

وقوله تعالى: (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ) [البقرة: ٢٢٠].

ومن السبع الموبقات: كما ذكر رسول الله ﷺ: «أكل مال اليتيم»(١).

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)؟

ج: المراد بذلك -والله تعالى أعلم-: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق، وذلك كاستثماره في شيءٍ حلال أو الإتجار به في تجارة حلال لصالح اليتيم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ) إنما خص مال اليتيم، لأن الطمع فيه، لقلة مراعيه وضعف مالكه أقوى. وفي قوله: (إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ).

أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب.

والرابع: أنه حفظه عليه، وتثميره له، قاله الزجاج. قال: و «حتى» محمولة على المعنى فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فاذا بلغ أشده، فادفعوه إليه.

(١) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

س: ما المراد ببلوغ الأشد؟

ج: قال بعض العلماء: المراد: بلوغ الحلم، وقال آخرون: بل المراد ببلوغ الأشد بلوغ الثلاثين عاما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف. وذلك أن معنى الكلام: (وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ)، فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا، فادفعوا إليه ماله لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يقرب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، ليحل لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتي هي أسوأ، ولكنه نهاهم أن يقربوه حياطة منه له، وحفظا عليه، ليسلموه إليه إذا بلغ أشده.

س: إذا بلغ اليتيم الحلم ولم يكن مع ذلك رشيدا، هل يدفع إليه المال؟

ج: ذهب إلى جواز إعطائه ماله في الحالة هذه فريق من العلماء؛ وذلك لقول الله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ) فقالوا: إذا بلغ الأشد دفع إليه ماله، وأولوا الأشد بأنه بلوغ النكاح.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن: اليتيم لا يعطي المال، -وإن بلغ الأشد- إلا إذا آنسنا منه رشدا؛ وذلك قوله تعالى: (وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ...) [النساء: ٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ...)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وأتموا يا من تبيعون سلعكم للناس المكاييل والموازين، فإذا كلتم للناس فأعطوهم حقوقهم كاملة مستوفاة بالعدل لا تبخسوهم شيئا منها، وكذا إذا وزنتم لهم فأتموا لهم حقوقهم.

س: لماذا عقب قوله تعالى: (وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ)؟

ج: في ذلك وجهان -والله تعالى أعلم-:

أحدها: أن الله أمر البائع بإيفاء الكيل والميزان بالعدل،ولم يأمره بأكثر من ذلك

(٣٦٥) أحمر
أسود

فقد علم الله ﷻ أن نفوس بني آدم شحيحة فقد لا تطيب بإعطاء الشخص أكثر من حقه، فأمر الشخص بإيفاء الناس حقوقهم، ولم يؤمر بأكثر من ذلك.

وكذا المشتري قد علم الله أن نفسه لا تطيب بأن يأخذ أقل من حقه، فكان له حقه وليس عليه أن يأخذ أقل من حقه.

وهذا اختيار الطبري خ فقد قال:

وأما قوله: (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ، فإنه يقول: لا نكلف نفسا، من إيفاء الكيل والوزن، إلا ما يسعها فيحل لها ولا تحرج فيه.

وذلك أن الله جل ثناؤه، علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له، ولم يكلفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر الذي له الحق، بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه.

فلم يكلف نفسا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق، فلذلك قال: (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

الوجه الثاني: أن البالغ قد يبالغ في تحري إقامة الكيل والميزان، ومع ذلك يشعر أنه قد أساء أو ظلم أو زاد أو نقص فيوسوس له شيطانه، ويوقعه في الحرج والعنت.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ع: (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أي: من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وإذا قلتم قولا تقضون به بين الناس فقولوا الحق والعدل، ولو كان هذا القول ليس في صالح قراباتكم وأرحكم، أي ولو كان المقضي عليه بهذا القول قريب لكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: قل

للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها، لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد ووأد البنات واتباع خطوات الشيطان. (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقب أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقب أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا إلى طاعة ربكم.

وقال السعدي في تفسيره: (وَإِذَا قُلْتُمْ) قولا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال (فَٱعْدِلُواْ) في قولكم، بمراعاة الصدق في من تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه. وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين، في لحظه ولفظه.

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ)؟

ج: المراد بذلك –والله تعالى أعلم-: جميع العهود التي أخذها الله ﷻ عليكم على لسانه نبيه ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾، يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك: أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: ذلكم الذي ذكرناكم به من هذه الأمور وتلك الوصايا إنما ذكرناكم بها لعلكم تتذكرون عقوبة ما أنتم عليه مقدمون من المعاصي

(٣٦٧) أحمر
أسود

إذا أنتم خالفتم أوامرنا وخطأ ما أنتم عليه قائمون فتنزجرون عن فعل المعاصي وارتكاب الكبائر.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ)؟

ج: معنى ذلك –والله أعلم-: وأن هذا الذي بينته لكم مما حرمته عليكم إن سرتم عليه فحرمتم ما حرمت عليكم وأحللتم ما أحللته لكم وابتعتم ما تلوته عليكم فقد سرتم على صراطي المستقيم فالزموا هذا الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى جنة الله ﷻ ويصرفكم عن ناره، ولا تسلكوا سبل أهل الزيغ والكفر والضلالات فتصدكم عن طريق الله وتصرفكم عن طريق جنته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله:(قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ)، وأمركم بالوفاء به، هو«صراطه» يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده (مُسْتَقِيمًا) ، يعني: قويما لا اعوجاج به عن الحق (فَٱتَّبِعُوهُ ۖ) ، يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه، فاتبعوه (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ)، يقول: ولا تسلكوا طريقا سواه، ولا تركبوا منهجا غيره، ولا تبغوا دينا خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ) ، يقول: فيشتت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان، اتباعكم إياها (عَن سَبِيلِهِۦ) ، يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم.

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ حديث في تفسير قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا)؟

(٣٦٨) أحمر
أسود

ج: نعم ورد في هذا ما أخرجه الإمام أحمد[1] في مسنده بسندٍ حسنٍ وكذا أخرجه غيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ)».

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ذلك الذي ذكرناه لكم ووصيناكم به إنما وصيناكم به لعلكمن تمتثلوه فتتقون النار وتتقون العذاب.

قال الطبري رحمه الله: (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ)، وصاكم به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ركبم فيها فلا تسخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه.

س: كثيرا ما يقرن بين القرآن الكريم والتوراة عند التذكير بهما أو ذكرهما، دلل على ذلك وبين سبب ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ...﴾ وهذا في القرآن الكريمن ثم قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ...﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ ...﴾ [الأنعام: ٩١] إلى قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾.

وقول الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ

---

(١) أحمد (١/ ٤٣٥) وفي سنده بعض الاختلاف، ولكنه يحسَّن لمجموع طرقه، وانظر: «المنتخب» لعبد الله بن حميد بتحقيقي رقم (١١٣٩).

(٣٦٩) أحمر
أسود

يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ) [القصص: ٤٨].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهاهنا لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ) عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ) وكثيرا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة، كقوله تعالى: (وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا) [الأحقاف:١٢]، وقوله [في] أول هذه السورة: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ) [الآية:٩١]، وبعدها (قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ) الآية [الأنعام:٩١]، وقال تعالى مخبرا عن المشركين: (فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ) قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ) [القصص:٤٨]، وقال تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا: (قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الأحقاف:٣٠].

س: ما الكتاب الذي آتاه الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: الكتاب هو التوراة.

س: كيف قيل: (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)، بعد قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ)، ومعلوم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قبل نبينا محمد ﷺ؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنى ليس هو الذي ذهب إليه هذا الذاهب، ولكن المعنى:ثم قل لأمتك-بعد أن قلت لهم:(تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ) - قد آتى الله موسى الكتاب.....والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)، ثم قل بعد ذلك يا محمد: آتى

(٣٧٠) أحمر
أسود

ربك موسى الكتاب فترك ذكر«قل»، إذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها، وذلك قوله:(تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)، فقص ما حرم عليهم وأحل، ثم قال: ثم قل: (ثُمَّ ءَاتَيْنَا)، فحذف«قل» لدلالة قوله: «قل» عليه، وأنه مراد في الكلام.

وإنما قلنا: ذلك مراد في الكلام، لأن محمدًا ﷺ لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه. ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه. و«ثم» في كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر، بعد الذي قبلها.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: ثم قل يا محمد- بعد أن قلت لأمتك: (تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)-قل لهم أيضا: قد آتى ربك موسى عليه السلام التوراة إتماما لنعمنا عليه جزاء لإحسانه الذي أحسن.

وهناك معنى آخر ذكره بعض العلماء تفسيرا لقوله تعالى: (تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ) أي: فضيلة منا تفضلنا بها على موسى عليه السلام جزاء لأتباعه المؤمنين به الذي أحسنوا، فآتينا موسى عليه السلام التوراة فضيلة منا عليه ثم هداية للذين أحسنوا يستنيرون بها ويهتدون.

وقال غيرهم: ثم آتينا موسى التوراة إظهارا منا لفضيلته على قومه كما قال تعالى: (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى) [الأعراف: ١٤٤].

أما الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فق قال:

فتأويل الكلام إذا: ثم أتينا موسى التوراة تماما لنعمنا عنده وأيادينا قبله، تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه، وتبيينا لكل ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم.

أما الحافظ ابن كثير خ فقد قال:

(٣٧١) أحمر
أسود

وقوله تعالى: (تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا) أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تمامًا كاملًا، جامعًا يحتاج إليه في شريعته، كقوله: (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا) [الأعراف: ١٤٥].

وقوله تعالى: (عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ) أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا، كقوله: (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ) [الرحمن: ٦٠]، وكقوله: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ) [البقرة: ١٢٤]، وكقوله: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: ٢٤].

وقال السعدي في «تفسيره»:

فأخبر أنه آتي: (ءَاتَيْنَا مُوسَى) وهو: التوراة (تَمَامًا) لنعمته، وكمالا لإحسانه، (عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ) من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنعم لا تحصى.

من جملتها وتمامها: إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: لعل بني إسرائيل- بعد إتياني موسى التوراة بما فيها من وعظٍ ونصح وإرشاد- يستضيئون بها ويوقنون بالبعث بعد الموت، فيقدموا أعمالا صالحة يلقون بها ربهم ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) ، فإنه يعني: إيتائي موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى، على إحسان موسى، وتفصيلا لشرائع دينه، وهدى لمن اتبعه، ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به، وبلقائه بعد مماته، فيطيع ربه، ويصدق بما جاءه به نبيه موسى ﷺ.

(٣٧٢) أحمر
أسود

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾: وما المراد بالطائفتين؟

ج: أما الكتاب فالمراد به: الكتابان: التوراة والإنجيل، والمراد بالطائفتين: اليهود (أنزلت التوراة على نبيهم موسى عليه السلام)، والنصارى (وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾؟

ج: قيل معناها: كراهة أن تقولوا.

وقيل معناها: أن لا تقولوا.

والمعنى على كل الأحوال: لكي لا تتعلوا بعلةٍ وتقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أننا أنزلنا هذا الكتاب المبارك على نبي الله محمد ﷺ يتلوه عليكم؛ لئلا تعتلوا يوم القيامة بالعلل؛ فتقولوا يوم القيامة معتذرين عن الإيمان، إنما أنزلت الكتب على الطوائف من قبلنا ولم تنزل علينا، أنزلت التوراة لليهود، وأنزل الإنجيل للنصارى ولم نكن على علم بتلاوتهم، ولا ندري ما هي ولا ما فيها فقطعا لمثل هذه الأعذار أنزلنا هذا الكتاب المبارك يتلوه عليكم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون: «لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نؤمر ولم ننه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول»، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا = فإنهما اليهود والنصارى، وكذلك قال أهل التأويل.

(٣٧٣) أحمر
أسود

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما (وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ) ، فإنه يعني: أن تقولوا: وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم«غافلين»، لا ندري ما هي، ولا نعلم ما يقرؤون وما يقولون، وما أنزل إليهم في كتابهم، لأنهم كانوا أهله دوننا، ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا، فيتخذوا ذلك حجة. فقطع الله بإنزاله القرآن على نبيه محمد ﷺ حجتهم تلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ)؟

ج: المعنى –والله أعلم– أننا أنزلنا هذا الكتاب المبارك أيضا؛ لئلا تتعللوا بعدم نزوله عليكم وتبقوا على شرككم؛ فأنزلنا هذا الكتاب قطعا لأعذاركم، وحتى لا تقولوا: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فها هو الكتاب قد أتاكم فاسلكوا سبل الهداية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ) أي: وقطعنا تعللكم أن تقولوا: لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيما أوتوه، كقوله: (وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [فاطر:٤٢]، وهكذا قال هاهنا: (فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) يقول: فقد جاءكم من الله على لسان محمدٍ ﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ)؟

ج: المعنى –الله أعلم–: فأي شخصٍ أظلم من شخصٍ كذب بآيات الله التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ وأعرض عنها، فهؤلاء المكذبون المعرضون سيجزيهم الله أسوأ

صور العذاب، وأشد صنوف العذاب؛ بسبب إعراضهم الذي كانوا يعرضون وتكذيبهم الذي كانوا يكذبون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: فمن أخطأ فعلا وأشد عدوانا منكم، أيها المشركون، المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته (وَصَدَفَ عَنْهَا)، يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها، ولم يصدق بحقيقتها.

وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)، مخرج الخبر عن الغائب، والمعني به المخاطبون به من مشركي قريش.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)، يقول: سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها، ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله، وحقيقة نبوة نبيه، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم (سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)، يقول: شديد العقاب، وذلك عذاب النار التي أعدها الله لكفرة خلقه به (بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ)، يقول: يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: ماذا ينتظر هؤلاء المشركون عباد الصنم والوثن؟!، ماذا ينتظر هؤلاء المشركون عموما؟!

هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالعذاب عند قبض الأرواح؟! أو هل ينتظرون مجيء ربك يوم القيامة كما قال: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [الفجر: ٢٢].

أو ماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون بعض المعجزات التي إذا جاءت لم تنتفع نفس بإيمان حينئذٍ؛ وذلك كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٧٥) أحمر
أسود

يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام (إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)، بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك، يا محمد، بين خلقه في موقف القيامة (أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ)، يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك. وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

في قولـــه: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ)، قال: يصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب، كالبعيرين القرينين = زاد ابن حميد في حديثه: «فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»، وقال: «كالبعيرين المقترنين».

س: ما المراد بآيات ربك المذكورة في قوله تعالى: (أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ)؟

ج: من ذلك: طلوع الشمس من مغربها. بل نقل السمعاني الإجماع على ذلك[١]، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها**» ثم قرأ الآية[٢].

ونحوه في الصحيحين[٣] هو حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدري أين تذهب الشمس إذا غربت؟**» قلت: لا أدري، قال: «**إنها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة، ثم تقوم حتى يقال لها: ارجعي، فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها: ارجعي من حيث، جئت، وذلك حين (لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ ...)**».

وذكر بعض العلماء أيضا من الآيات: الدابة، كما قال تعالى: (۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ) [النمل: ٨٢].

ومن ذلك أيضًا- كما ذكر بعض أهل العلم - يأجوج ومأجوج.

---

(١) كما في تفسير أبي المظفر السمعاني، وفيه ضعف إلا في رواية شاذة عن معاذ بن جبل أنه: خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

(٢) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (٢٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) البخاري (٤٧٢٤)، ومسلم (١٥٩) بنحوه.

(٣٧٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إن هؤلاء المشركين إذا أخروا الإيمان فلم يؤمنوا إلى أن أتتهم بعض المعجزات: كطلوع الشمس من مغربها فلن ينتفعوا حينئذٍ بإيمانٍ، وكذا الذين تركوا صالح الأعمال إلى أن تأتيهم العجزات كطلوع الشمس من مغربها لن ينتفعوا بعمل صالحٍ بعد طلوعها من مغربها، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا)، فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرا، من عمل صالح يصدق قيله ويحققه، من قبل طلوع الشمس من مغربها. لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك، إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا، ولفرائض الله مضيعا، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير المرجو قبل أن يأتي بعض الآيات.

والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانا بالغيب، وكان اختيارا من العبد، فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، أقلع عما هو فيه كما قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ

(٣٧٧) أحمر
أسود

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ) [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى متوعدًا للكافرين به والمخالفين لرسوله والمكذبين آياته، والصادين عن سبيله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) وذلك كائن يوم القيامة (أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ) وذلك قبل يوم القيامة، كائن من أمارات الساعة وأراطها البخاري في تفسير هذه الآية.

وأورد حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين: (لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ)**»(١).

وأورد جملة أحاديث أخر.

وقال أيضًا:

فقوله تعالى: (لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ) أي: إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذٍ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك، فإن كان مصلحا في عمله فهو بخيرٍ عظيمٍ، وإن كان مخلطا فأحدث توبة حينئذٍ لم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: (أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ) أي: ولا يقبل منها كسب عملٍ صالحٍ إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)؟

ج: المعنى –والله أعلم–: قل لهؤلاء المعرضين عن الإيمان، ولهؤلاء الذين تركوا العمل الصالح: أنتظروا قضاء الله فينا وفيكم فإنا منتظرون قضاء الله فينا وفيكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام: انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم، أو أن يأتي ربكم

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٣٧٨) أحمر
أسود

لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها، فتطوى صحف الأعمال، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن آمنتم، حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل، والمسيء من المحسن، والصادق من الكاذب، وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله، ومن الناجي منا ومنكم ومن الهالك - إنا منتظرو ذلك، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه، وإخلاصنا العبادة له، وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه، ويفصل بيننا وبينكم بالحق، وهو خير الفاصلين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ) تهديد شديد للكافرين، ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقتٍ لا ينفعه ذلك. وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها، لاقتراب وقت القيامة، وظهور أشراطها كما قال: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ) [محمد:١٨]، وقال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ) [غافر:٨٤، ٨٥].

س: اذكر الأشراط الكبرى للساعة؟

ج: من هذه الأشراط ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحة» من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر: «**الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** ﷺ، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**».

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أضواء البيان» (٣/ ٣١٤): (وأشراط الساعة الكبرى: العشرة، وهي: نزول عيسى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان،

(١) مسلم (٢٩٠١).

ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة، والخسف.

قلت: وينبغي أن يدرج مع هذا كله نزول عيسى عليه السلام.

تنبيه: لا يمتنع أن تتخلل الأشراط الصغرى الأشراط الكبرى، فلا يمتنع مثلا أيام الدجال أن يكثر الزنا ويحدث ارتداد في طوائف المسلمين وتفشو التجارة مثلا، إلى غير ذلك من الأشراط الصغرى المتقدمة).

س: ما حكم من تاب عند معاينة الموت؟(١)

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن توبة من عاين الموت لا تقبل؛ لقوله تعالى: (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ) [النساء: ١٨].

ولقوله تعالى لفرعون لما أدركه الغرق فقال: (ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) [يونس: ٩٠] فقال الله: (ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٩١].

وقوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا).

س: من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا؟

ج: قيل: هم اليهود والنصارى.

وقيل: هم أهل البدع من أمة محمد ﷺ.

وقيل: هي شاملة للجميع.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيه ﷺ أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقًا فيه وأحزابًا شيعًا، وأنه ليس منهم. ولا هم منه، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إبراهيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أن

---

(١) أي: معاينة الموت فقد قال بعض العلماء: إن المراد بها رؤية مقعده من الجنة أو النار.

يقول: (قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [سورة الأنعام: ١٦١].

فكان من فارق دينه الذي بعث به ﷺ من مشرك ووثني يهودي ونصراني ومتحنف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد ﷺ، ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ) .

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وَكَانُواْ شِيَعٗا) أي: فرقا كأهل الملل والنحل - وهي الأهواء والضلالات -فالله قد برأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ) الآية [الشورى:١٣]، وفي الحديث: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد**»(١).

فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل برآء منها، كما قال: (لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ).

س: ذكر بعض أهل العلم قراءتين في قوله تعالى: (فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ) اذكرهما، مع بيان معنى كل قراءة؟

ج: أما القراءة الأولى التي ذكروها فهي:

فارقوا دينهم أي: ارتدوا عن دينهم.

أما الثانية فهي: فرقوا دينهم أي: تفرقوا واختلفوا فتهود قوم وتنصر غيرهم

---

(١) البخاري (٣٤٤٣) بلفظ البخاري «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» ومسلم (٢٣٦٥).

(٣٨١) أحمر
أسود

وتمجس آخرون، وابتدع فريق آخر كذلك، والله أعلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، قد قرأت بكل واحدةٍ منهما أئمة من القراء، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه. وذلك أن كل ضال فلدينه مفارق، وقد فرق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهود بعض، وتنصر آخرون، وتمجس بعض، وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرقين غير مجتمعين، فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون، فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب، غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراء، وذلك تشديد الراء من (فرقوا).

س: كيف فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟

ج: قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكل أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة.

ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية.

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: لست مسؤلا عنهم ولا عن شيء عن أمرهم، وقيل: لست منهم في شيء أي: أنت بريء منهم وبريء من أعمالهم.

وقيل: لم تؤمر بقتالهم، ثم نسخت بعد بقوله تعالى: (فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوله: (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)، إعلام من الله نبيه محمدًا ﷺ أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي

(٣٨٢) أحمر
أسود

قومه، ومن اليهود والنصارى. وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم، لأنه غير محال أن في الكلام: «لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم. فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافرا فيقبض روحه، أو يقتله بيدك على كفره، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه».

وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ)، ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر كان غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة، حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك، لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة، في كتابنا كتاب: «اللطيف عن أصول الأحكام.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: (لَّسْتَ مِنْهُمْ) أي من تفرقهم أو من السؤال عن سبب تفرقهم والبحث عن موجب تحزبهم (فِي شَيْءٍ) من الأشياء فلا يلزمك من ذلك شيء ولا تخاطب به إنما عليك البلاغ، وهو مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من غشنا فليس منا»[1] أي نحن برآء منه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)؟

ج: معنى ذلك –والله أعلم-: إنما أمر حسابهم إلى الله إن شاء عاقب وإن شاء عفا، أما أهل الشرك فقد أخبر سبحانه: أن الشرك لا يغفر، أما أهل البدع فواقعون تحت المشيئة.

وقيل: إنما أمر هدايتهم إلى الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ)، فإنه يقول: أنا الذي إلي أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك، دونك ودون كل أحد. إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها،

(١) مسلم (١٠١).

(٣٨٣) أحمر
أسود

وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم (ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ، (١) يقول: ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم علي يوم القيامة بما كانوا يفعلون، فأجازي كلا منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون، المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة. ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة فقال: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ) .

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)، كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) [الحج: ١٧].

س: ما المراد بالحسنة والسيئة في قوله تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى: أن المراد بالحسنة هنا: قول لا إله إلا الله، والمراد بالسيئة: الشرك بالله، وذهب آخرون إلى شيء أعم من ذلك فقالوا: المراد بالجنة: الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والإقرار بوحدانيته والتصديق برسوله ﷺ، والمراد بالسيئة: الشرك بالله وتكذيب رسله.

وذهب آخرون إلى أعم من ذلك كله فقالوا: المراد بالحسنة: عموم الحسنات والمراد بالسيئة: عموم السيئات، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها.

ويعني بقوله: (فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ)، فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها (وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ)، يقول: ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء، كما وافى الله به من عمله السيئ (وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)،

(٣٨٤) أحمر
أسود

يقول: ولا يظلم الله الفريقين، لا فريق الإحسان، ولا فريق الإساءة، بأن يجازي المحسن بالإساءة والمسيء بالإحسان، ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له، لأنه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيئا إلا في موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه، ولا يجازي أحدا إلا بما يستحق من الجزاء.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ)؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة، فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعفٍ**».

وفي الصحيحين[2] أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسناتٍ إلى سبع مائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**».

س: ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ) قال: هذه للأعراب وللمهاجرين سبعمائة، فهل هذا صحيح عن أبي سعيد؟

ج: نعم، هذا صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه الطبري[3].

---

(١) البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).
(٢) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).
(٣) الطبري (١٤٩٨).

(٣٨٥) أحمر
أسود

س: كيف يكون لقول: لا إله إلا الله عشرة أمثال؟ إذ الله قال: (مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أن كلمة لا إله إلا الله لها ثواب يستحقه قائلها، إلا أن الله ﷻ يجعل له عشرة أمثال هذا الثواب، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال: قلت: فهل لقول: «لا إله إلا الله» من الحسنات مثل؟

قيل: له مثل هو غيره، [ولكن له مثل هو قول لا إله إلا الله] ، وذلك هو الذي وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله. وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك، إلا أنه لا يجازى صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم- قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين ولغيرهم: إن الله ﷻ أرشدني وسددني ووفقني لسلوك طريقا مستقيما، طريق الدين المستقيم الموصل إلى الله ع، ذلكم الطريق الذي سلكه إبراهيم عليه السلام، سلكت هذا الطريق طريق توحيد الله ﷻ، مائلا عن الشرك إلى التوحيد معلنا عن توحيدي لخالقي ومولاي، نافيا عن نفسي الشرك بالله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام: (إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقني له. (دِينًا قِيَمًا) يقول: مستقيما. (مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) يقول: دين إبراهيم. (حَنِيفًا) يقول: مستقيما. (وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) يقول: وما كان من المشركين بالله، يعني إبراهيم صلوات الله عليه، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

(٣٨٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا نبيه ﷺ سيد المرسلين: أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم، الذي لا اعوجاج يه ولا انحراف (دِينًا قِيَمًا) أي: قائما ثابتا (مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)، كقوله: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ) [البقرة: ١٣٠]، وقوله (وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ) [الحج: ٧٨]، وقوله: (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [النحل: ١٢٠-١٢٣].

وليس يلزم من كونه [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قام بها قياما عظيما، وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرهب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

|

س: ما صحة هذا الحديث؟

ج: عن ابن أبزى، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «**أصبحنا على ملة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**»(١).

|

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ...) الآية؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦)، ولفظه: «**أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**».

(٣٨٧) أحمر
أسود

الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي)، يقول: وذبحي (وَمَحْيَايَ)، يقول: وحياتي (وَمَمَاتِي) يقول: ووفاتي (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، يعني: أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان (لَا شَرِيكَ لَهُ) في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصا (وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ)، يقول: وبذلك أمرني ربي (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)، يقول: وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢] أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى مخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

س: كيف قال: (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)، وثم مسلمون قبل نبينا ﷺ؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد: وأنا أول المسلمين من هذه الآمة.

وقال آخرون: المعنى: وأنا أول الممتثلين أمرك السامعين المطيعين لك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)، قال قتادة: أي: من هذه الأمة.

وهو كما قال: فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوته إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه: (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس: ٧٢] وقال تعالى: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ

فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٠-١٣٢]، وقال يوسف عليه السلام: (رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ) [يوسف: ١٠١]، وقال موسى: (يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ) [يونس: ٨٤-٨٦]، وقال تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ) [المائدة: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضا، إلى أن نسخت بشريعة محمدٍ ﷺ التي لا تنسخ أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة، ولهذا قال عليه السلام «نحن معاشر الأنبياء أولاد علاتٍ ديننا واحد» فإن أولاد العلات هم الإخوة من أبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتى، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباءٍ شتى، والإخوة الأعيان الأشقاء من أبٍ واحدٍ وأم واحدةٍ. والله أعلم.

س: ما صحة الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ كان يقول: (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؟ وما موطنه الذي كان يقال فيه؟ وما لفظه؟

ج: ذلك حديث صحيح[1] أخرجه مسلم في «صحيحه»، وكان النبي ﷺ يقوله في استفتاح صلاة الليل من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي لذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما**

(١) مسلم (حديث ٧٧١).

(٣٨٩) أحمر
أسود

أنا من المشركين، (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)....» الحديث.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا)؟

ج: المعنى والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين المعرضين عن طاعة الله ﷻ وعن عبادته: أغير الله أطلب سيدا يسودني ومدبرا يدبر أمري ومصلحا يصلح شئوني، والله هو رب كل شيء، ومصلح شأنه ومدبر أمره.

وكل نفس عملت سوءا فإنما تجزي به وتتحمله دون غيرها ممن لم يشارك فيه، ولا تحمل نفس ذنوب نفس أخرى، ولا تأثم نفس لكون نفس أخرى قد أثمت.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان (أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) ، يقول: أسوى الله أطلب سيدا يسودني؟(وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) ، يقول: وهو سيد كل شيء دونه ومدبره ومصلحه(وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) ، يقول: ولا تجترح نفس إثما إلا عليها، أي: لا يؤخذ بما أتت من معصية الله ع، وركبت من الخطيئة، سواها، بل كل ذي إثم فهو المعاقب بإثمه والمأخوذ بذنبه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، يقول: ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها، ولكنها تأثم بإثمها، وعليه تعاقب، دون إثم أخرى غيرها.

وإنما يعني بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يقول هذا القول لهم. يقول: قل لهم: إنا لسنا مأخوذين بآثامكم، وعليكم عقوبة إجرامكم، ولنا جزاء أعمالنا. وهذا كما أمره الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون:٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: (أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) أي: أطلب ربا سواه، (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) ، يربني ويحفظني

(٣٩٠) أحمر
أسود

ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيءٍ ومليكه، وله الخلق والأمر.

ففي هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا [في القرآن] كما قال تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥]، وقوله (فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هود: ١٢٣]، وقوله (قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) [الملك: ٢٩]، وقوله (رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا) [المزمل: ٩]، وأشباه ذلك من الآيات.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) مع ذكر مختصر لمعنى الآية الكريمة؟

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: ١٨].

وقوله تعالى: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...) [النجم: ٣٦-٣٨].

وقوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ....) [المدثر: ٣٨، ٣٩].

أما عن معنى الآية الكريمة، فيقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة، في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحدٍ على أحدٍ. وهذا من عدله تعالى، كما قال: (وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: ١٨]، وقوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) [طه: ١١٢]، قال علماء التفسير: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته. وقال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ...) [المدثر: ٣٨، ٣٩]، معناه: كل نفسٍ مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم، كما

(٣٩١) أحمر
أسود

قال في سورة الطور: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) [الطور: ٢١]، أي: ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان، (وَمَآ أَلَتْنَٰهُم) أي: أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم، بفضله ومنته ثم قال: (كُلُّ ٱمْرِيءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور: ٢١]، أي: من شر.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

(وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) أي لا تؤخذ بما أتت من الذنب وارتكبت من المعصية سواها فكل نفس كسبها للشر عليها لا يتعداها إلى غيرها. وهو مثل قوله تعالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ) [البقرة: ٢٨٦] وقوله (لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) [طه: ١٥] (وَلَا تَزِرُ) تحمل نفس (وَازِرَةٌ) حاملة (وِزْرَ) حمل (أُخْرَىٰ) ولا تؤاخذ نفس آثمة بإثم أخرى.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أن كل نفس فعلت فعلا إنما تتحمل جزاء فعلها ثم توافي بها يوم القيامة وترجع إليه فيخبرها بعملها الذي عملت، ومعتقدها الذي اعتقدت، والصحيح من ذلك كله والباطل منه، ووجه الصواب ووجه الخطأ، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان: كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله، وعليه وزره، فاعملوا ما أنتم عاملوه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم)، أيها الناس (مَّرْجِعُكُمْ)، يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ)، في الدنيا، (تَخْتَلِفُونَ) من الأديان والملل،إذ كان بعضكم يدين باليهودية، وبعض بالنصرانية، وبعض بالمجوسية، وبعض بعبادة الأصنام وادعاء الشركاء مع الله والأنداد، ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر، فتعلموا حينئذ من المحسن

(٣٩٢) أحمر
أسود

منا والمسيء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) أي: اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كما قال تعالى: (قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ) [سبأ: ٢٥، ٢٦].

س: قوله تعالى: (خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ) خلائف لمن؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس.

والثاني: أن بعضهم يخلف بعضا؛ قاله ابن قتيبة.

والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ) ؟

ج: المعنى -والله أعلم-: والله الذي جعلكم خلائف لقوم آخرين كانوا في الأرض فأتيتم من بعدهم، وفضل بعضكم على بعض فجعل منكم الغني والفقير، والطويل والقصير، والقوي والضعيف والدميم والجميل، والوجيه والوضيع، إلى غير ذلك من صور التفضيل، كل ذلك ابتلاء من الله عَزَّ وَجَلَّ، يبتلي بعضكم ببعض ويختبر بعضكم ببعض، فينظر هل رضي الفقير بقضاء الله وصبر، أم تسخط الأقدار وكفر.

وهل حمد الغني وشكر، أم أنه طغى، وبطر، وهكذا الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾، وكما قال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

(٣٩٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما قوله: (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)، فإنه يقول: وخالف بين أحوالكم، فجعل بعضكم فوق بعض، بأن رفع هذا على هذا، بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى، على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى، فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) أي: جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرنٍ، وخلفا بعد سلف. قاله ابن زيدٍ وغيره، كما قال: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ) [الزخرف: ٦٠]، وكقوله تعالى: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) [النمل: ٦٢]، وقوله (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: ٣٠]، وقوله (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١٢٩].

وقوله: (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك، كقوله: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ) [الزخرف: ٣٢]، وقوله [تعالى]: (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٢١].

قوله: (لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

وقد روى مسلم في صحيحه، من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ الخدري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في**

---

(١) مسلم (٢٧٤٢).

النساء».

وقال صديق حسن خان «فتح البيان»:

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الخلق والرزق والقوة والضعف والعلم والعقل والجهل والحسن والقبح والغنى والفقر والشرف والوضع، وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو الجهل أو البخل، فإن الله سبحانه منزه عن صفات النقص.

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج: قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في معناها:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: (إِنَّ رَبَّكَ)، يا محمد، لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوله، توليًا وإدبارًا عنه، مع إنعامه عليه، وتمكينه إياه في الأرض، كما فعل بالقرون السالفة (وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ)، يقول: وإنه لساتر ذنوب من ابتلى منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة، واختباره إياه بأمره ونهيه، فمغط عليه فيها، وتارك فضيحته بها في موقف الحساب (رَّحِيمٌ) بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه، إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) ترهيب وترغيب، أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه، وخالف رسله (وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن والاه، واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب.

س: كثيرا ما يُذكر الله ﷻ بواسع رحمته ومغفرته وكذلك يذكر بمؤاخذته وأليم عقابه، وضح ذلك؟

ج: نعم، كثيرًا ما يحدث هذا تذكير بسعة رحمة الله ومغفرته، وكذا أليم عقابه وشدة مؤاخذته، وذلك حتى لا يقنط شخص من رحمة الله، ولا يتجرأ شخص على

(٣٩٥) أحمر
أسود

معصية الله، وقد ذكرنا الله بذلك كثيرا في كتابه الكريم.

قال تعالى: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ) [غافر: ٣].

وقال سبحانه: (ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) [المائدة: ٩٨].

وقال تعالى: (هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ) [المدثر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكثيرا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) [الرعد: ٦] وقوله (نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ) [الحجر: ٤٩، ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهما لينجع في كل بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب.

وأورد حديث أبي هريرة[1]، عن النبي ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٥٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد...:

فبين يدي السورة أقول وبالله التوفيق إن هذه السورة المباركة –وكتاب الله ﷻ كله مبارك– سورةٌ مكية، والشأن فيها – في غالب موضوعها– شان السور المكية تحمل تذكيرًا بوحدانية الله ﷻ وأمرًا بعبادته وحده لا شريك له وتحذيرًا من الشرك وطرائقه، وتذكيرًا بالجنة والنار والثواب والعقاب ومشاهد القيامة، وكذا تذكيرًا بأركان الإيمان والإسلام، وتذكيرًا بالملائكة والكتب والرسل واليوم والآخر والقدر خيره وشره، وضرب الأمثال لتقرير التوحيد وبيان عاقبة المطيعين، وكذا بيان حال الظالمين الحائدين عن طريق الله ﷻ ولا تخلو من بعض الإرشادات لجميل المعاملات وصحيح العبادات، وكريم الأخلاق، وها هي إشارات سريعة مجملة عابرة لما تضمنته هذه السورة المباركة، فأقول، وبالله التوفيق:

۞ من ذلك– وهو أصل الأصول على الإطلاق تقرير وحدانية الله ﷻ والأمر بعبادته وحده لا شريك له، والتذكير بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقد ورد في هذه السورة المباركة من ذلك شيء كثير، فتقرير ربوبية الله ﷻ ووحدانيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ وكذا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي قول موسى عليه السلام: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠].

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

۞ وكذا بيان عبودية الخلق لله ﷻ، ومنهم وأشرفهم الملائكة وقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

۞ وبيان أن الأمر كله لله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٤٩]، وكذا الهداية: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىٌ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

۞ ومن ثمَّ الأمر بذكره ﷻ ودعائه ﷻ قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وكذا قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

۞ ثم بيان واسع رحمة الله ﷻ إذ قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وكذا واسع علمه كما في قول شعيب عليه السلام ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾.

۞ والتذكير بأن الخير كلَّ الخير في طاعة الله ﷻ وتوحيده، وأن الشر كل الشر في في الشرك بالله ﷻ ومخالفة أمره.

وقد توالت النصوص المحذرة من الشرك والمنفرة منه كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾.

۞ وتوالت النصوص الآمرة بتوحيد الله ﷻ المُذكِّرة بأسمائه وصفاته والمحذرة من الشرك والتكذيب بآيات الله ﷻ، كما في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ).

۞ وكذا تضمَّنت السورة الكريمة طائفة من الآيات (المعجزات) الدالة على قدرة الله ﷻ والمظهرة لشيءٍ من عظمته ، وتجلَّى ذلك في عدة مواطن من هذه السورة المباركة.

۞ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾.

۞ وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾.

۞ وكما ورد في الناقة التي أيدّ الله بها نبيه صالحًا عليه السلام وهي ناقة عظيمة هائلة يكفي لبنها القوم بأكملهم.

۞ وكالوارد في شأن عصا موسى عليه السلام التي ألقاها فإذا هي حية تسعى تلقف ما يأفكون، ولما ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وكما ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينًا، وتظليل الغمام على بني إسرائيل وإنزال المنِّ والسلوى عليهم إلى غير ذلك من الآيات التي تضمنتها هذه السورة المباركة.

۞ وتضمنت هذه السورة المباركة تحذيرًا شديدًا من التقول على الله بغير علم ومن الكذب على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾. وكما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾.

۞ كما تضمنت السورة المباركة تذكيرًا مُجملًا بالملائكة الكرام عليهم السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ﴾.

وكذا عبادتهم لله ﷻ وطاعتهم وامتثالهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾.

۞ والتذكير بالكتب المنزلة من عند الله وحث الأمم على اتباعها، ثم يُؤمَر الجميع باتباع هذا الكتاب العزيز المنزل من عند الله ﷻ.

۞ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

۞ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾

۞ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

ووصف القرآن الكريم بجميل الأوصاف ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

۞ وكذا التذكير بالتوراة والإنجيل وشيء مما فيها من وصف هذا النبي الكريم محمد ﷺ وبيان ما جاء به كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الآية.

۞ والتذكير بالألواح التي أنزلت على موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا ﴾.

۞ ثم بيان أجر المستمسكين بالكتاب العزيز وفضلهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾.

۞ وكذا الأدب مع هذا الكتاب العزيز عند تلاوته كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾، وذلك مع الأمر باتباعه كما سلف في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

۞ ومن ذلك التذكير بالمرسلين والحث على اتباعهم والتحذير من عصيانهم والتمرد عليهم ومخالفتهم، وذكر شيءٍ من قصصهم وعقوبة من خالفهم، والتذكير بأن الجميع مسئولون يوم القيامة، فمن الوارد في ذلك كله ما يلي:

۞ وقال تعالى حثًّا على الإيمان بالرسل وتصديقهم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.

۞ وبيان أن الرسل ستُسأل وكذا من أرسلوا إليهم سيُسألون: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

۞ وإقرار المكذبين يوم القيامة بصدق الرسل وما جاءوا به كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

۞ والتذكير ببعض الرسل وما كان منهم مع أقوامهم وما كان من أقوامهم معهم وأن العاقبة دومًا للتقوى وللمتقين، فقد ذُكر في ثنايا هذه السورة المباركة شيءٌ من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم جميعًا وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه.

وإن كان هناك قدرٌ كبيرٌ قد ذُكر من قصة موسى عليه السلام، وذلك لأن سيرته هي أكثر السير شبهًا بسيرة رسول الله محمد ﷺ كما قد أوضحنا ذلك في سورة القصص.

۞ ثم في ثنايا هذه السورة المباركة الحث على اتباع رسولنا محمد ﷺ، وبيان عموم رسالته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.

والإيمان به والأمر بتوقيره وتعظيمه صلوات الله وسلامه عليه وبيان صفته وما جاء به كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

وكما في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

۞ وكذا تضمنت هذه السورة المباركة تذكيرًا باليوم الآخر وبالبعث ومشاهد يوم القيامة واستأثر بأصحاب الأعراف وأحوالهم، وهو شيء لم يرد في سورة من الكتاب العزيز إلا في هذه السورة أعني شأن أصحاب الأعراف لم يرد في موطنٍ آخر غير هذه السورة.

وهنالك أيضًا بيانٌ عظيم لأحوال أهل الجنة وأهل النار والنداءات التي ينادي بها كلٌّ الآخر.

وكذا حوار أهل الاعراف معهم وكذا التذكير بالميزان وغيره من مشاهد القيامة.

۞ وكذا تضمنت كثيرًا من الآيات الدالة على أن الأمور مقدرة، وأن كل شيء بيد الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾.

وكقول أهل الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ ﴾.

۞ كما تضمنت هذه السورة المباركة تذكيرًا بقصة آدم عليه السلام وكذا زوجه حواء عليها السلام، وما كان من أمرهما مع الشيطان، وما تسبب الشيطان لهما فيه من إخراجهما من الجنة وكشف سوءاتهما، ثم إن الله ﷻ تاب عليهما بعد ذلك، وكذا ما كان من شأنهما لما دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا لنكونن من الشاكرين.

۞ ويعقُب هذا التحذير من الشيطان ومكائده وشروره وطرائفه.

۞ وكذا تضمنت هذه السورة قصصًا وأمثالًا للاتعاظ والاعتبار كقصة أصحاب السبت (أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر).

۞ وكذا الذي أتاه الله الآيات فانسلخ منها.

۞ وكذا شيئًا كثيرًا من قصص الأنبياء عليهم السلام.

۞ وكذا من الأمثال كقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾.

۞ أيضًا قد تضمنت السورة المباركة تذكيرًا بشيء هام ألا وهو أن الطاعات من أعظم أسباب النعم وازديادها، وكذا الإيمان والتُّقى كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وأن المعاصي من أعظم أسباب زوال النعم وحلول النقم، وهذا ظاهر جليٌّ فيما حدث للأمم المكذبة وما مر

بها.

۞ وكذا تضمنت السورة الكريمة بعض الإشارات إلى مسائل فقهية وأخلاقية كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

وكما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ والحث على ستر العورات.

۞ وكذا إشارة إلى الاقتصاد في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ وكذا: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

۞ وكذا تضمنت السورة الكريمة تحذيرات من العهود والمواثيق وتبكيت من نقضها كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ ﴾.

وكالذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها.

وكالوارد في قوله تعالى: (دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ).

۞ والإشارة إلى أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر وكيف أنهم لم يفوا بعهدٍ ولا التزام ولا ميثاق.

۞ وفي ثنايا السورة المباركة أمور متعددة أُخر كطرائق التعامل مع شياطين الإنس ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وطرائق التعامل مع شياطين الجن: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ ﴾.

۞ والتذكير بالابتلاءات بالحسنات والسيئات والحكمة من هذه الابتلاءات والتذكير بالميثاق الأول المأخوذ على بني آدم.

إلى غير ذلك مما تضمنته هذه السورة المباركة.

وحقيقةً إن الكلم ليعجز وكذا اللسان والجنان وسائر الأركان عن بيان الفوائد التي تضمنتها هذه السورة المباركة، فصدق الله ﷻ إذ وصف كتابه بأنه مبارك، فكل آية من آيات هذا الكتاب العزيز فيها نفع وبركة وخيرٌ لا يعلمه إلا الله، ولكن الموفق من وفقه الله.

فجدير بنا أن نُقبل على هذا الكتاب العزيز تالين له متدبرين لآياته عاملين به موقنين بوعده ووعيده، وبكل ما فيه!، وكيف لا؟! وهو كتاب الله أنزله بعمله، وهذا أعلم بخلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟!!

فعذرًا أعتذر به لله ﷻ عن القصور في بيان فضائل هذا القرآن وما فيه من جميل بيان وحسن نظام وقصص ترق لها القلوب وتقشعر لها الأبدان وصدق الله إذ يقول: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾.

وها هو تفسير سورة الأعراف في سؤال وجواب.

وما كان فيه من صواب فمن الله ﷻ فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وما كان من زللٍ وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه من كل شيء لا يرضيه.

هذا، وإلى التفسير في سؤال وجواب والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي
٧ من صفر ١٤٣٠هـ
منية سمنود- أجا- دقهلية
|

(١٣) أحمر
أسود

سُورَةُ الأعرَافِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: (الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠) [الأعراف: ١-١٠].

الكلمة	معناها
﴿الٓمٓصٓ﴾	أحرف لا يعلم معناها إلا الله.
﴿حَرَجٞ﴾	ضِيق – شك.
﴿وَذِكۡرَىٰ﴾	تذكيرٌ.
﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	قليلٌ منكم من يتذكر – تذكركم قليلٌ – قليلٌ من يتعظ – انتفاعكم بالذكرى قليل.

الكلمة	معناها
﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾	كثيرٌ من القرى.
﴿بَأْسُنَا﴾	عذابُنا- عقوبتنا.
﴿بَيَٰتًا﴾	ليلًا قبل أن يصبحوا.
﴿قَآئِلُونَ﴾	نهارًا وقت القيلولة.
﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾	دعاؤهم.
﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾	فلنخبرنهم بما عملوا.
﴿بِعِلْمٍ﴾	بيقين – عن علم.
﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾	لم نكن غائبين عنهم لما صنعوا الذي صنعوه، بل كنا شهودًا عليهم نراهم ونطلع على عملهم كما قال تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾.
﴿وَٱلْوَزْنُ﴾	وزن الأعمال.
﴿ٱلْحَقُّ﴾	بالحق (لا تظلم نفسٌ ولا تُظلم).
﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾	ثقلت موازين حسناته، رجحت حسناته على سيئاته.
﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الفائزون بالمطلوب (وهو: رضوان الله عليهم والفوز بجنته والناجون من المرهوب (وأعظمه سخط الله عليهم ودخولهم النار).
﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾	باعوها بثمن بخسٍ- أضاعوها.
﴿مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	جعلناكم ممُكنين فيها- جعلناها قرارًا لكم تفعلون عليها ما شئتم- هيأنا لكم المعيشة فيها بما جعلناه فيها من أسباب المعيشة- سخرناها لكم.
﴿مَعَٰيِشَ﴾	ما تتعيشون به من الطعام والشراب، وما يحيا به الأشخاص أيام حياتهم.
﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	قليلٌ منكم من يشكر – شكركم قليل.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها احرف افتتحت بها تلك السورة المباركة كما افتُتِحت سور أُخر بأحرف أُخر، وهذه وتلك لا يعلم معناها إلا الله، وقد سيقت للتحدي والإعجاز، فكأنه قيل لهم: هذه الأحرف أحرفٌ تعرفونها تقرؤنها وتكتبونها، ولكن لا تستطيعون أن تأتوا منها آية ولا بحديث كهذا القرآن.

الثاني: أن معناها أنا الله أفضل.

الثالث: أن فيها إشارة إلى اسم الله المصور.

الرابع: أنها أحرف فيها اسم الله الأعظم.

هذا، وثمَّ أقوالٌ أُخر قد أشرنا إلى بعضها في سورة البقرة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا القرآن كتابٌ أنزل إليك يا رسول الله من عند الله ﷻ.

س: في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ إشارة إلى أن الله ﷻ في السماء، وضح ذلك؟

ج: نعم إشارةٌ إلى ذلك فالإنزال يكون من أعلى إلى أسفل كما هو معلوم من معاني الإنزال قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾، وهكذا كل الآيات التي فيها ذِكر الإنزال يستدل بها على مسألة العلو، وقد قال تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾.

س: هل كان في صدر رسول الله ﷺ حرجٌ حتى قيل له: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ وما هذا الحرج؟

ج: أولًا: قد ذكر بعض العلماء معنى الحرج في هذا الموطن وأن المراد به الضيق، ولكن ضيق من ماذا؟

فقالوا: إن الضيق من عدم إيمانهم، وعلى هذا فنقول.

ثانيًا: قد كان النبي ﷺ متألمًا حزينًا من عدم إيمان قومه ومت تكذيبهم له، ومن

(١٦) أحمر
أسود

قبل كان مترقبًا قتلهم له، ومن ثمَّ قيل: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى هاهنا: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، وذلك لأن الذي عليك إنما هو البلاغ، وإنما أنت منذر، وكذا فلست عليهم بمسيطر، وكذا فلست عليهم بجبار أي لست لهم بمجيرٍ على الهداية والإيمان إنما أنزلنا إليك الكتاب لتنذر به وذكرى للمؤمنين فمن ثم لا تتحرج ولا تتخوف هذا، وقد ورد في حديث عياض ابن حمار الأشجعي، ذلكم الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم[١] في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ».

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، واذكر بعض أقوال العلماء فيها؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا القرآن كتابٌ أنزله الله إليك لتحذر به العُصاة والتحذر به المشركين والغواة، ولتذكِّر به أهل الإيمان وتخوفهم من العقوبة التي تحل بمن خالف أمر ربِّه ﷻ، والتي تحل بمن أشرك، وجعل مع الله إلهًا آخر، والتي تحل بمن أنكر البعث والحساب وسائر ما أُمر بالإيمان به، فلا تتحرج ولا تتضايق من التكاليف التي أمرت بإبلاغها فإنما أنت مُذكر وما وراء ذلك من الأمور فموكولة إلى الله ﷻ.

۞ وأيضًا لا تشك في كون هذا الكتاب من عند الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

(١) مسلم (حديث ٢٨٦٥).

يعني بذلك تعالى ذكره: هذا كتاب أنزلناه إليك، يا محمد، لتنذر به من أمرتك بإنذاره، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو من المؤخر الذي معناه التقديم، ومعناه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾)، و﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾.

وإذا كان ذلك معناه، كان موضع قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ نصبًا، بمعنى: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به، وتذكر به المؤمنين.

ولو قيل معنى ذلك: هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه، أن تنذر به، وتذكّر به المؤمنين، كان قولًا غير مدفوعة صحته.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فلا يضيق صدرك، يا محمد، من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه، ولا تشك في أنه من عندي، واصبر للمضيّ لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن الله معك.

و«الحرج»، هو الضيّق في كلام العرب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولهذا قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: أنزلناه إليك لتنذر به الكافرين ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

س: اذكر بعض صور الإنذار في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾.

ج: أعظم ذلك الإنذار بالنار قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾.

۞ والإنذار بالصواعق قال تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فُصِّلَتْ: ١٣].

وثم إنذارٌ في قوله تعالى: (إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا) [النبأ: ٤٠].

وإنذار بالعذاب عند الاحتضار والموت، قال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ

فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ) [الأنعام: ٩٣].

س: أليس هذا القرآن ذكرى للبشر؟ فإذا كان كذلك ذِكرى للبشر فلماذا إذن قيل ها هنا ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فخص الذكرى بالمؤمنين؟

ج: جواب ذلك، والله تعالى أعلم، أن المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بالذكرى فمن ثمَّ كانت الذكرى لهم دون غيرهم، إذ هم الذين قبلوها وشكروها وانتفعوا بها، والله أعلم.

وذلك، والله أعلم كقول القائل خذ فلان هذا البيت، فيرفضه وتقول يا فلان خذ هذا البيت فيرفضه ثم يقبله زيدٌ مثلًا فنقول: هذا البيت لزيدٍ لكونه الذي قبله وانتفع به. والله أعلم.

س: في الآية الكريمة: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ دليل على ترك اتباع الآراء المخالفة للنصوص، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الله ع أمر باتباع الوحي قائلًا: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ونهى عن اتباع ما سواه بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

س: اذكر بعض الآيات الآمرة باتباع هذا القرآن والناهية عن اتباع الأهواء وأصحابها؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

(١٩) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢].

س: ما الذي أُنزل إلينا من ربنا؟

ج: أُنزل إلينا من ربنا القرآن قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزمر: ٢]، وكذلك فالسنُّة وحيٌ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾.

ج: هذا الخطاب للناس كافة وأمرٌ لهم أن يتبعوا الكتاب والسنة وأن يقتفوا أثر الكتاب والسُّنة وأن يمتثلوا ما فيهما، وأن يُعرضوا عما سواهما وعما خالفهما.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) يَعْنِي الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) [الحشر: ٧].

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هَذَا أَمْرٌ يَعُمُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأُمَّتَهُ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَمْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ دُونَهُ.

أَيِ اتَّبِعُوا مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنَ، وَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَهُ، وَاجْتَنِبُوا نَهْيَهُ.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى تَرْكِ اتِّبَاعِ الْآرَاءِ مَعَ وُجُودِ النَّصِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ)، (مِن دُونِهِۦٓ) مِنْ غَيْرِهِ.

وَالْهَاءُ تَعُودُ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَالْمَعْنَى: لَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا مَنْ عَدَلَ عَنْ دِينِ اللهِ وَلِيًّا، وكل من رضي مذهبًا فأهل ذلك المذهب أولياؤه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِلْعَالَمِ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ أَي: اقْتَفُوا آثَارَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِكِتَابٍ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ أَيْ: لَا تَخْرُجُوا عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَكُونُوا قَدْ عَدَلْتُمْ عَنْ حُكْمِ اللهِ إِلَى حُكْمِ غَيْرِهِ.

قلت (مصطفى): هكذا ذهب القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء إلى أن الخطاب للناس كافة في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾، وهذا القول فيما يبدو لي، والله أعلم هو الصواب، أما الطبري خ فحاصل كلامه أن هذا الخطاب موجهٌ لأهل الشرك إذ قد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا، أيها الناس، ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم، ولا تتبعوا شيئًا من دونه يعني: شيئًا غير ما أنزل إليكم ربكم.

يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم.

والذي يبدو، والله أعلم: أن القول بعموم الخطاب أوْلى، ويكون خطابًا للمؤمنين كي يَثْبُتُوا على ما هم عليه من إيمانٍ وحُسن اتباع للكتاب والسُّنة، وخطابًا للكافرين بحثِّهم على الرجوع عما هم فيه من الباطل، واتباع ما أنزل إليهم من ربهم ﷻ، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

ج: المعنى، و الله تعالى أعلم، قليلًا ما تعتبرون وتتعظون وترجعون للحق.

أي إن اتعاظكم قليلٌ واعتباركم قليلٌ، وانتفاعكم قليل.

ووجه آخر أن المعنى: قليلٌ منكم من يتعظ، وقليلٌ منكم من يعتبر، وقليل منكم من يؤمن.

قال الحافظ ابن كثير خ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ كقوله: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ

حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

س: قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا ﴾ كيف يُفهم والإهلاك إنما يكون بعد مجيء البأس؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الإهلاك يكون بخذلان أهلها عن الطاعات وعدم توفيقهم لها، وامتناع أهلها عن اتباع ما أُنزل إليها من البينات والهدى، كما قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أن بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة أن الشخص يُذنب الذنب فيقول لن يغفر لي فيلقى حينئذٍ- وبعد تسرب اليأس إليه- بيديه إلى التهلكة، فحينئذٍ، وبعد إهلاك القرية على النحو المذكور يأتي أهلها العذاب.

الثاني: أن الإهلاك هو البأس بعينه فيكون المعنى أهلكناها بمجيء بأسنا إليها.

الثالث: أن الفاء في قوله: ﴿فَجَآءَهَا ﴾ بمعنى الواو ثم إن الواو لا تفيد ترتيبًا فيكون المعنى وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتًا.

الرابع: أن المعنى، وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

وذلك كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾ أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ أي: بمخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولًا بذل الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠]، وكقوله: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ

مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وقيل هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت لشدة الحر من دون نوم، وخص الوقتين لأنهما وقت السكون والدعة فمجيء العذاب فيهما أشد وأفظع وأزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة. والمعنى جاءها عذابنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون وقت الظهيرة أي جاءهم البأس على غير تقدم أمارة لهم على وقت نزوله، وفيه وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة فإن عذاب الله إذا نزل نزل دفعة واحدة.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لقد كانت هناك قرىً كثيرة أهلكها الله ﷻ بإغراقها في الذنوب والمعاصي فلما غرقت في ذنوبها ومعاصيها جاءها عذاب الله ﷻ، منها قرى أتاها عذاب الله ﷻ وهم قبل أن يصبحوا، وقرىً أُخر أهلكها الله ﷻ نهارًا وقت قيلولتهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ أي: فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلًا ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ من القيلولة، وهي الاستراحة وسط النهار، وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو؛ كما قال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، وقال ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[النحل: ٤٥-٤٧]

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾

ج: المعنى، والله أعلم فما كان قول هؤلاء المعذبين أهل القرى التي أهلكها الله- لما رأوا بأس الله وعذابه إلا أن اعترفوا على أنفسهم بأنهم كانوا ظلمةً يستحقون ما حلَّ بهم من العذاب.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰمِدِينَ ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها، إذ جاءهم بأسنا وسطوتُنا بياتًا أو هم قائلون، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين، وبربهم آثمين، ولأمره ونهيه مخالفين.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن تلك القرى الكثيرة التي أهلكها في حال البيات، أو في حال القيلولة، لم يكن لهم من الدعوى إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين.

وأوضح هذا المعنى في قوله: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ) [الأنبياء: ١١-١٥].

س: كيف تمكنوا من قول: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ وقد جاءهم العذاب؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم قالوا ذلك لما رأوا مقدمات العذاب.

الثاني: أنهم قالوا ذلك لما رأوا أن بعضهم قد هلك أمامهم، والهلاك والدمار في طريقه إليهم.

قال الطبري خ:

فإن قال قائل: وكيف قيل: (فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ).

وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك، وقد جاءهم بأس الله بالهلاك؟ أقالوا ذلك قبل الهلاك؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك، فإنهم قالوا قبل مجيء البأس، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم، لا قبل ذلك؟ أو قالوه بعد ما جاءهم، فتلك حالة قد هلكوا فيها، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله، وحقيقة ما كانت الرسل تَعِدهم من سطوة الله؟.

قيل: ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوّله وآخره مَهَلٌ، بل كان منهم من غرق بالطوفان. فكان بين أوّل ظهور السبب الذي علموا أنهم به هالكون، وبين آخره الذي عمَّ جميعهم هلاكُه، المدة التي لا خفاء بها على ذي عقل. ومنهم من مُتِّع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أيامًا ثلاثة، كقوم صالح وأشباههم. فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به، وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم، دعوا: (يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ)، فلم يك ينفعهم إيمانهم مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم. فحذّر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه محمدًا ﷺ من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ما حلَّ بمن كان قبلهم من الأمم إذ عصوا رُسله، واتبعوا أمر كل جبار عنيد.

س: عن أي شيء يُسأل المرسلون، وعن أيِّ شيءٍ يُسأل الذين أُرسل إليهم؟

ج: يُسأل المرسلون عن إجابة أقوامهم لهم، ويُسألون أيضًا هل بلَّغوا ما أُمروا بتبليغه أم لا؟

قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ) [المائدة: ١٠٩].

وفي الحديث: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

(٢٥) أحمر
أسود

وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ) [البقرة: ١٤٣] (١).

أما الأمم الذين أُرسلت إليهم فيُسألون عن جملةٍ من الأمور، منها أنهم يُسألون عما أجابوا به المرسلَين قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥] فهذا إجمالًا.

وبشيءٍ من التفصيل: فأهل الشرك يُسألون، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٧٤] وثمت أسئلةٌ أُخر. وأهل الإيمان يُسألون كذلك، قال تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٨].

وثمت أسئلة أُخر كما في الحديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٢).

س: كيف يسأل الله ﷻ الرسل، وهو أعلم بما كان وما هو كائن وما سيكون؟

ج: أما سؤال الأمم المكذبة فلتوبيخها وتقريرها وإهانتها ولتعذيبها وفضيحتها.

أما سؤال الأمم المصدقة المؤمنه فلإكرامها وللإنعام عليها.

أما سؤال الأنبياء عليهم السلام فلإشهادهم على أممهم ولإكرامهم كذلك، وكذلك لسؤالهم عن البلاغ كما في الحديث: «يُقَالُ لِنُوح عليه السلام هل بلغت؟.....»، وذلك المذكور كله؛ لأنه معلوم بداهة لدى أي مسلم، أن الله ﷻ يعلم ما في السموات وما في الأرض ويعلم ما مضى وما هو كائن وما سيكون، لا يشك في ذلك مسلم.

هذا، وقد طرح الطبري نحو هذا السؤال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ فقال: فإن قال قائل: وكيف يسأل الرسل، والمرسل إليهم، وهو يخبر أنه يقصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك؟

قيل: إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد، ولا مسألة تعرّف منهم ما هو به غير عالم، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر، كما يقول الرجل للرجل: «أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ فأَسأْت؟»، و«أَلَمْ أَصِلْكَ فَقَطَعْتَ؟».

---

(١) البخاري (٣٣٣٩).

(٢) البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

فكذلك مسألة الله المرسل إليهم، بأن يقول لهم: « أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلِي بِالْبَيِّنَاتِ؟ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكُمُ النُّذُرَ فَتُنْذِرَكُمْ عَذَابِي وَعِقَابِي فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ غَيْرِي؟ كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ قَائِلٌ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ: (۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [يس: ٦٠، ٦١] . وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي ظَاهِرُهُ ظَاهِرُ مَسْأَلَةٍ، وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ وَالْقَصَصُ وَهُوَ بَعْدُ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيرٌ.

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الرُّسُلِ الَّذِي هُوَ قَصَصٌ وَخَبَرٌ، فَإِنَّ الْأُمَمَ الْمُشْرِكَةَ لَمَّا سُئِلَتْ فِي الْقِيَامَةِ قِيلَ لَهَا: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ) [الزمر: ٧١] ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَقَالُوا: (مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ) [المائدة: ١٩].

فَقِيلَ لِلرُّسُلِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ أَوْ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ تُبَلِّغُوا إِلَى هَؤُلَاءِ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ؟ كَمَا جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِأُمَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ) [البقرة: ١٤٣].

فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ مَسْأَلَةٌ لِلرُّسُلِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِشْهَادِ لَهُمْ عَلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَمِ وَلِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَى الْقَصَصِ وَالْخَبَرِ.

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ عَنِ اللهِ مَنْفِيٌّ مِنْ مَسْأَلَتِهِ خَلْقَهُ، فَالْمَسْأَلَةُ الَّتِي هِيَ مَسْأَلَةُ اسْتِرْشَادٍ وَاسْتِثْبَاتٍ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ السَّائِلُ عَنْهَا وَيَعْلَمُهُ الْمَسْئُولُ، لِيَعْلَمَ السَّائِلُ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهِ. فَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِهِ، لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا وَفِي حَالِ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا، وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي نَفَاهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) [الرحمن: ٣٩]، وَبِقَوْلِهِ: (وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ) [القصص: ٧٨]، يَعْنِي: لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ عِلْمَ مُسْتَثْبِتٍ، لِيَعْلَمَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَنْ سَأَلَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ.

قال القرطبي خ:

وَسُؤَالُهُمْ تَقْرِيرٌ وَتَوْبِيخٌ وَإِفْضَاحٌ. وَسُؤَالُ الرُّسُلِ سُؤَالُ اسْتِشْهَادٍ بِهِمْ

وَإِفْصَاحٍ، أَيْ عَنْ جَوَابِ الْقَوْمِ لَهُمْ.

وَهُوَ مَعْنَى قوله:(لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ) [الأحزاب: ٨] عَلَى مَا يَأْتِي.

وَقِيلَ: المعنى (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) أي: الأنبياء (وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ) أَيِ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ. وَاللَّامُ فِي (فَلَنَسْـَٔلَنَّ) لام القسم وحقيقتها التوكيد.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وبين قوله تعالى: (وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ).

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن مواقف القيامة تتعدد فهنالك مواقف ليس فيها تساؤلات، بل الكل سكوت صامتون، ومواطن فيها أسئلة، ولس هذا ببعيد فيوم كألف سنةٍ مما نَعدُّ لا يمتنع أن يحدث فيه هذا وذاك. والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ يُحَاسَبُونَ.

وَفِي التَّنْزِيلِ: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم) [الغاشية: ٢٦].

وفي سورة القصص: (وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ) [القصص: ٧٨] يَعْنِي إِذَا اسْتَقَرُّوا فِي الْعَذَابِ.

وَالْآخِرَةُ مَوَاطِنُ: مَوْطِنٌ يُسْأَلُونَ فِيهِ لِلْحِسَابِ.

وَمَوْطِنٌ لَا يُسْأَلُونَ فِيهِ.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وهنا إشكال معروف: وهو أنه تعالى قال هنا: (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ)، وقال أيضا: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال: (وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ) [الصافات: ٢٤]، وهذا صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة، مع أنه قال: (وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ) [القصص: ٧٨]، وقال: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) [الرحمن: ٣٩].

وقد بينا وجه الجمع بين الآيات المذكورة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن

آيات الكتاب) وسنزيده إيضاحا هنا إن شاء الله تعالى.

اعلم أولًا: أن السؤال المنفي في الآيات المذكورة، أخص من السؤال المثبت فيها؛ لأن السؤال المنفي فيها مقيد بكونه سؤالا عن ذنوب خاصة، فإنه قال: (وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ) فخصه بكونه عن الذنوب، وقال: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) فخصه بذلك أيضا.

فيتضح من ذلك أن سؤال الرسل والموءودة مثلا ليس عن ذنب فعلوه فلا مانع من وقوعه؛ لأن المنفي خصوص السؤال عن ذنب، ويزيد ذلك إيضاحا قوله تعالى: (لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ) الآية، وقوله بعد سؤاله لعيسى المذكور في قوله: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) الآية (قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ) [المائدة: ١١٩] الآية، والسؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام؛ لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع؛ لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ).

وقوله: (أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) [الطور: ١٥]. إلى غير ذلك من الآيات وباقي أوجه الجمع مبين في كتابنا المذكور، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾.

ج: في ذلك لأهل العلم أقوال، منها ما يلي:

الأول: أن الله يخبر العباد يوم القيامة بما صدر منهم في دنياهم كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ فيه[1]: قال رجلٌ لابنِ عُمَرَ: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقولُ في النجوي؟ قال: سمعتُهُ يقول: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ

(١) البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢٩) أحمر
أسود

وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ».

الثاني: أن كتاب الأعمال ينطق على العباد بأعمالهم التي عملوها أو أنهم يقرأون كتاب أعمالهم، وفيه قد أُثْبِتَتْ أعمالهم

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كنا غائبين عن العباد وهم يعملون أعمالهم التي عملوها، بل كنا مشاهدين لها ولهم وهم يعملونها، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وكما قال تعالى: (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ) [الأنبياء: ٧٨] إلى غير ذلك من الآيات كقوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [الأنعام: ٥٩]. والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير:

(وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ) يَعْنِي: أَنَّهُ تَعَالَى يُخْبِرُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا قَالُوا وَبِمَا عَمِلُوا، مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَجَلِيلٍ وحَقِيرٍ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْفَلُ عَنْ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْعَالِمُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، (وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [الْأَنْعَامِ: ٥٩] .

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾، وبيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يقص على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا، وأخبرهم بأنه جل وعلا لم يكن غائبا عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق، المحيط علمه بكل ما فعلوه من صغير وكبير، وجليل وحقير، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]. وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[يونس:٦١]

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ووزن الأعمال يوم القيامة يوم يُسأل المرسلون ويُسأل المرسل إليهم يكون بالحق ليس فيه ظُلمٌ ولا بخسٌ، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

س: اذكر بعض الآيات الواردة في الميزان، وكذا بعض الأحاديث؟

ج: أما الآيات فمنها ما يلي:

قوله تعالى: (وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ).

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ) [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ) [المؤمنون: ١٠١-١٠٤] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾

(٣١) أحمر
أسود

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ) [القارعة: ٦-١١]، وقوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا) [الكهف: ١٠٥].

أما الأحاديث فمنها:

قول رسول الله ﷺ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١]: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

وعند الإمام أحمد والترمذي وغيرهما بسندٍ حسن[٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ عز وجل يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وعند البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَالَ: «اقْرَءُوا: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا) [الكهف: ١٠٥]».

وعند أحمد من حديث علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتني الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

---

(١) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).
(٢) أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٣٦٩).
(٣) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

هُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ»[١].

س: ما الذي يُوزن؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الذي يوزن هو العمل.

الثاني: أن الذي يوزن صاحب العمل.

الثالث: أن الذي يوزن هو العمل وصاحبه.

الرابع: أن الذي يوزن كتاب الأعمال.

وقد دلَّت على كلٍ من المذكورات أدلة تقدمت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ صَحِيحًا، فَتَارَةً تُوزَنُ الْأَعْمَالُ وَتَارَةً تُوزَنُ محالها وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم فمن ثقلت موازين حسناته أي أن حسناته قد كثرت،وأعمال البر قد ازدادت فأولئك هم المفلحون الذين فازوا بالمطلوب وهو الجنة ونجوا وسَلِموا من المرهوب، وهو النار، ومن خفت موازن حسناته وازدادت سيئاته وكثرت الشرور منه فأولئك الذين خسروا أنفسهم، فبخسوها حقها وأودوها الجحيم والعياذ بالله.

س: ما الحكمة من وزن الأعمال، وقد علم الله كل صغير وكبير؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك والله أعلم- كي تُقام الحجج على الخلق فيرون سيئاتهم وحسناتهم، ويرون السيئات قد طغت وازدادت فيقرون بأن الله عَزَّ وَجَلَّ حكم عدل، ويرى أهل الإيمان أن الحسنات قد ازدادت فيقرون لله بأنه صاحب الفضل وأنه سبحانه ضاعف لهم الحسنات ووهبهم ثوابها أضعافًا مضاعفة.

---

(١) أحمد: (١/ ٤٢٠).

ومن أمثلة هذه الحجج التي تقام على الخلق استنطاق الأعضاء كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه، وِجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ = أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله: «وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها»: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم.

|

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ومن خفت موازين حسناته وذلك لعدم توحيده وإيمانه، وقلة ما عمل من خيرٍ وصلاح فأولئك الذين غبنوا أنفسهم وأنقصوها حقوقها وضيعوها وذلك بجحودهم آيات الله المنزلة على رسول الله ﷺ وتكذيبهم لها.

|

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد جعلناكم مُمكنين في الأرض تسكنونها وتتخذون

(٣٤) أحمر
أسود

منها أماكن لمعيشتكم وتستقرون فيها وهيأنا لكم فيها أسباب المعيشة من طعام وشراب ومسكن وملبس ومع ذلك كله فشكركم قليل، وقليل منكم من يشكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عَبِيدِهِ فِيمَا مَكَّنَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَنَازِلَ وَبُيُوتًا، وَأَبَاحَ مَنَافِعَهَا، وَسَخَّرَ لَهُمُ السَّحَابَ لِإِخْرَاجِ أَرْزَاقِهِمْ مِنْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، أَيْ: مَكَاسِبَ وَأَسْبَابًا يَتَّجِرُونَ فِيهَا، وَيَتَسَبَّبُونَ أَنْوَاعَ الْأَسْبَابِ، وَأَكْثَرُهُمْ مَعَ هَذَا قَلِيلُ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ) [إِبْرَاهِيمَ: ٣٤] .

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ الآية، لم يبين هنا كيفية هذه المعايش التي جعل لنا في الأرض، ولكنه بين ذلك في مواضع أُخر كقوله: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

وقوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٣، ٥٤]، وذكر كثيرًا من ذلك في سورة النحل كقوله: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] إلى غير ذلك من الآيات.

قَالَ تَعَالَى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَٓدَمَ
فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن
طِينٍ ١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا
فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ
١٧ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ
فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ
عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ٢٠
وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا
ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا
ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا
ظَلَمْنَآ

أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣
قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
تُخْرَجُونَ ٢٥

الكلمة	معناها

﴿ٱلصَّٰغِرِينَ﴾	الأذلاء- المُهانين.
﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾	أخرني- أمهلني- أجِّلني- لا تقبض روحي إلى يوم البعث - اتركني حيًّا.
﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾	المُؤجلين- المؤخرين.
﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾	أضللتني- أهلكتني.
﴿لَأٓتِيَنَّهُم﴾	أجيئنهم- أحضر إليهم- أُوَسْوِسُ لهم.
﴿شَٰكِرِينَ﴾	مُوحدين- مُطيعين- حامدين- مُظهرين للشكر.
﴿مَذۡءُومٗا﴾	مذمومًا- معيبًا- مطرودًا.
﴿مَّدۡحُورٗا﴾	منفيًّا- مطرودًا- مُبعدًا- مُقْصًى.
﴿لِيُبۡدِيَ﴾	ليُظهر.
﴿مَا وُۥرِيَ﴾	ما غُطِّي- ما سُتِرَ.
﴿سَوۡءَٰتِهِمَا﴾	عورتيهما.
﴿مَلَكَيۡنِ﴾	من الملائكة.
﴿ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾	الذين لا يموتون- الماكثين فيها أبدًا.
﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾	حَلَفَ لهما.

الكلمة	معناها
﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾	فأوقعهما في الهلاك بزخرفٍ من القول وبباطل منه - جرأهما على المعصية فخرجا من الجنة.
﴿بَدَتۡ﴾	ظهرت.
﴿وَطَفِقَا﴾	بدأ (في الفعل).
﴿يَخۡصِفَانِ﴾	يقطعان الورق ويُلزقانه ويضمانه بعضًا إلى بعض.
﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾	قرار تستقرون عليها- وقيل: القبور.

(٣٧) أحمر
أسود

شيءٌ من قصة آدم عليه السلام مع إبليس

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها وأشهرها: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: ولقد خلقنا أباكم آدم عليه السلام، فخلق الوالد يُعتبر خلقًا للولد، كما قال تعالى في شأن بني إسرائيل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وهذا خطاب لبني إسرائيل الموجودين في زمن رسول الله ﷺ، ولم يؤخذ عليهم الميثاق، وإنما أُخذ على أجدادهم وكذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وإنما الذين أنجاهم الله هم الآباء.

أما قوله: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فالمراد على هذا القول تصوير آدم عليه السلام أيضًا، وذلك حتى يستقيم المعنى والترتيب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ فيكون الترتيب مستقيمًا.

القول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ المراد به آدم عليه السلام وقوله: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ المراد به ذريته حيث صورهم الله عز وجل وهم في صلبه، أو في ظهره.

القول الثالث: أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: ذريته في أرحام النساء.

القول الرابع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في أصلاب آبائكم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في بطون أمهاتكم. والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ)، ولقد خلقنا آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ)، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ) [البقرة: ٦٣].

وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ)، معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله: (قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ)، ومعلوم أن الله ع قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم.

و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل:«قمت ثم قعدت»، لا يكون«القعود» إذ عطف به بـ«ثم» على قوله:«قمت» إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل:«قمت وقعدت»، فجائز أن يكون«القعود» في هذا الكلام قد كان قبل«القيام»، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفًا، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين، أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيهما المتأخر.

فلما وصفنا قلنا إنّ قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ)، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا. فإن ظن ظانّ أن العربَ، إذ كانت ربما نطقت بـ«ثم» في موضع«الواو» في ضرورة شعره، كما قال بعضهم:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ!

بمعنى: أبًا وأمًّا، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره= فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف.

وقد وجَّه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذي معناه التقديم، وزعم أن معنى ذلك: ولقد خلقناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم. وذلك غير جائز في كلام العرب، لأنها لا تدخل«ثم» في الكلام وهي مرادٌ بها التقديم على ما قبلها من الخبر، وإن كانوا قد يقدِّمونها في الكلام، إذا كان فيه

دليل على أن معناها التأخير، وذلك كقولهم: «قام ثم عبد الله عمرو»، فأما إذا قيل: «قام عبد الله ثم قعد عمرو»، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله، إذا كان الخبر صدقًا.

فقول الله ع: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا)، نظير قول القائل: «قام عبد الله ثم قعد عمرو»، في أنه غير جائز أن يكون أمرُ الله الملائكةَ بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير، لما وصفنا قبل.

س: هل إبليس من الملائكة أم من الجن؟

ج: نصُّ الكتاب العزيز أنه من الجن، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

۞ ثم من المعلوم أن الملائكة عليهم السلام خُلقوا من نور، وأن الجان خلق من مارج من نار.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] (١).

وقال النبي ﷺ: «وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» (٢).

وقال إبليس عن نفسه ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾.

س: إذن، وما دام إبليس لم يكن من الملائكة فلماذا وجِّه إليه اللوم لما امتنع من السجود؟

ج: جواب ذلك، والله أعلم، أنه وإن لم يكن منهم إلا أن الأمر توجَّه إليه معهم، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فدلَّ ذلك على أنه أُمِرَ مع من أُمروا والله تعالى أعلم.

س: ما المانع الإبليس من السجود لآدم؟

ج: المانع له أمور:

---

(١) ولمزيد انظر تفسيرنا لسورة البقرة.

(٢) مسلم (٢٩٩٦).

أولها: الكبر والتعالي واعتقاد أنه أفضل، ولقد صرح بذلك في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾

الثاني: حسده لآدم عليه السلام.

الثالث: قياسه الفاسد وذلك أنه اعتقد أن النار أفضل من الطين ومن ثـمَّ اعتقد في نفسه أنه خير من آدم وأخطأ في ذلك من وجوه، منها أن هذا قياس يُصادم النص، فقد أمره الله بالسجود فلا يقابل أمر الله عز وجل بالأقيسة، فلا قياس مع النص.

ومنها: أنه اعتقد أن النار أفضل من الطين، وهذا ليس بمسلِّم له، بل قد ذهب عددٌ من أهل العلم إلى أن الطين أفضل من النار ومنها، وهب أن النار أفضل من الطين فماذا يغني الأصل الصالح عن الفرع الفاسد؟!

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: (أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ)، فإنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم، فأحوجه إلى أن لا يسجد له، واضطره إلى خلافه أمرَه به، وتركه طاعته = أنّ المانعَ كان له من السجود، والداعيَ له إلى خلافه أمر ربه في ذلك: أنه أشد منه أيْدًا، وأقوى منه قوة، وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذي منه خلق، وهو النارُ، على الذي خلق منه آدم، وهو الطين. فجهل عدوّ الله وجه الحق، وأخطأ سبيل الصواب. إذ كان معلومًا أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوًّا، والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حملَ الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق، على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه، فأورثه العطبَ والهلاكَ. وكان معلومًا أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبُّت، وذلك الذي هو في جوهره من ذلك، كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق، إلى التوبة من خطيئته، ومسألته ربَّه العفوَ عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان:«أول مَنْ قاسَ إبليس»، يعنيان بذلك: القياسَ الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله، وبعده من إصابة الحق، في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه: من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كلِّ شيء، مع سائر ما خصه به من كرامته. فضرب عن ذلك كلِّه الجاهلُ

(٤١) أحمر
أسود

صفحًا، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلق من نار وخلق آدم من طين!! وهو في ذلك أيضًا له غير كفء، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شيء غيره، فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده، ويملّ إحصاؤه؟.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ الطِّينَ أَفْضَلُ مِنَ النَّارِ مِنْ وُجُوهٍ أَرْبَعَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ الطِّينِ الرَّزَانَةَ وَالسُّكُونَ، وَالْوَقَارَ وَالْأَنَاةَ، وَالْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ، وَالصَّبْرَ.

وَذَلِكَ هُوَ الدَّاعِي لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ السَّعَادَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّضَرُّعِ، فَأَوْرَثَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالِاجْتِبَاءَ وَالْهِدَايَةَ.

وَمِنْ جَوْهَرِ النَّارِ الْخِفَّةُ، وَالطَّيْشُ، وَالْحِدَّةُ، وَالِارْتِفَاعُ، وَالِاضْطِرَابُ.

وَذَلِكَ هُوَ الدَّاعِي لِإِبْلِيسَ بَعْدَ الشَّقَاوَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى الِاسْتِكْبَارِ وَالْإِصْرَارِ، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء، قال الْقَفَّالُ.

الثَّانِي: أَنَّ الْخَبَرَ نَاطِقٌ بِأَنَّ تُرَابَ الْجَنَّةِ مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَلَمْ يَنْطِقِ الْخَبَرُ بِأَنَّ فِي الْجَنَّةِ نَارًا وَأَنَّ فِي النَّارِ تُرَابًا.

الثَّالِثُ: أَنَّ النَّارَ سَبَبُ الْعَذَابِ، وَهِيَ عَذَابُ اللهِ لِأَعْدَائِهِ، وَلَيْسَ التُّرَابُ سَبَبًا لِلْعَذَابِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الطِّينَ مُسْتَغْنٍ عَنِ النَّارِ، وَالنَّارَ مُحْتَاجَةٌ إلى المكان ومكانها التراب.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾

ج: المعنى، والله أعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ طرد إبليس من الجنة قائلًا له فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها، أي أن الجنة لا يسكنها مستكبرٌ عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، إنما يسكنها المتواضعون الممتثلون أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ أهانه بقوله، وقد طرده شر طردةٍ فاخرج منها فإنك من الصاغرين أي من الأذلاء الحقيرين.

بعض عواقب الكبر

س: اذكر بعض العواقب السيئة للكِبر؟

(٤٢) أحمر
أسود

ج: أوردها موجزة فيما ذكره الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» إذ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك؛ وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾.

وبين في مواضع أخر كثيرًا من العواقب السيئة التي تنشأ عن الكبر- أعاذنا الله والمسلمين منه – فمن ذلك أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[الأعراف:١٤٦]

ومن ذلك أنه من أسباب الثواء في النار كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ومن ذلك أن صاحبه لا يحبه الله تعالى كما في قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، ومن ذلك أن موسى استعاذ من المتصف به ولا يستعاذ إلا مما هو شر، كما في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] إلى غير ذلك من نتائجه السيئة، وعواقبه الوخيمة، ويفهم من مفهوم المخالفة في الآية: أن المتواضع لله جل وعلا يرفعه الله.

وقد أشار تعالى إلى مكانة المتواضعين له عنده في مواضع أخر كقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»، وقد قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى صفحات الجو وهو وضيع

(٤٣) أحمر
أسود

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولـــو لـــم يعـــل إلا ذو محـــل تعـــال الجـــيش وانحـــط القتـــام

المعاصي سبب لزوال النعم

س: المعاصي سبب لزوال النعم اذكر من الآية دليلًا عل ذلك مع ذكر بعض الأدلة الأخرى؟

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ طرد إبليس من الجنة بسبب عصيانه وامتناعه عن طاعة الله ﷻ إذ أمره بالسجود لآدم.

ومن الاستدلالات أيضًا على أن المعاصي سبب لزوال النعم إخراج آدم عليه السلام من الجنة بسبب أكلهما من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها.

ومنها ما حل بقوم نوح وبقوم هود بقوم صالح وبقوم سبأٍ، وكذلك بفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وغير هؤلاء الكثير.

س: من قوله تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ ما يُفيد أن الجزاء من جنس العمل، و ضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن إبليس لما استكبر وتعالى عن السجود لآدم جعله الله من الصاغرين والأذلاء الحقيرين.

فلما أراد الكِبر عوقب بنقيض مراده فجعل من الصاغرين. والله أعلم.

س: من الذين عناهم إبليس بقوله: ﴿يُبۡعَثُونَ﴾.

ج: قيل المراد آدم وزوجته وذريته، وقيل عموم الخلائق.

س: أي وقت أُنظر إبليس؟

ج: فُسِّر ذلك بما في آية سورة الحجر إذ الله قال: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [ص: ٨٠، ٨١].

س: هل هناك من أُنظر غير إبليس؟ ومن هم؟

ج: نعم هناك من أُنظر غير إبليس، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾، وهم الذين تقوم عليهم الساعة والله أعلم.

هذا، وقد طرح الطبري مثل هذا السؤال على نفسه وأجاب عليه فقال: فإن قال قائل: فهل أَحَدٌ مُنْظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس، فيقال له:«إنك منهم»؟

قيل: نعم، مَنْ لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم، ممن تقوم عليه الساعة، فهم من المنظرين بآجالهم إليه. ولذلك قيل لإبليس: (إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ)، بمعنى: إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم.

س: وضح معنى قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾.

ج: قيل فيه ما يلي:

- كما أضللتني وأهلكتني، أي كما أهلكتني لأهلكنهم.
- فبإضلالك لي وإهلاكك لي.
- قيل الباء بمعنى اللام فيكون المعنى فلإغوائك إياي.

س: في قول إبليس لعنه الله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ ردٌّ على القدرية وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن القدرية يقولون ما حاصله إن الإنسان هو الذي يُغوي نفسه، ويهدي نفسه، وليس لربِّه تدخل في شئونه.

وهذا خطأ بلا شكٍ فإننا في كل صلاة نقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ولو كانت هدايتنا بأيدينا فِلم نسأل ربنا الهداية؟!

وقول إبليس ها هنا: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ يُفيد أنه علم أن الغويَّ من أغواه الله ﷻ.

قال القرطبي في تفسيره:

مذهب أهل السنة أي أن الله تعالى أضلّه وخلق فيه الكفر؛ ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى، وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى.

وَخَالَفَ الْإِمَامِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا شَيْخَهُمْ إِبْلِيسَ الَّذِي طَاوَعُوهُ فِي كُلِّ مَا زَيَّنَهُ

(٤٥) أحمر
أسود

لَهُمْ، وَلَمْ يُطَاوِعُوهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَيَقُولُونَ: أَخْطَأَ إِبْلِيسُ، وَهُوَ أَهْلٌ لِلْخَطَأِ حَيْثُ نَسَبَ الْغَوَايَةَ إِلَى رَبِّهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: وَإِبْلِيسُ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِلْخَطَأِ فَمَا تَصْنَعُونَ فِي نَبِيٍّ مُكَرَّمٍ مَعْصُومٍ، وهو ونوح عليه السلام حَيْثُ قَالَ لِقَوْمِهِ: (وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [هود: ٣٤] وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ طَاوُسًا جَاءَهُ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكَانَ مُتَّهَمًا بِالْقَدَرِ، وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْكِبَارِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ طَاوُس: تَقُومُ أَوْ تُقَامُ؟ فَقِيلَ لِطَاوُس: تَقُولُ هَذَا لِرَجُلٍ فَقِيهٍ! فَقَالَ: إِبْلِيسُ أَفْقَهُ مِنْهُ، يَقُولُ إِبْلِيس: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي. وَيَقُولُ هَذَا: أَنَا أَغْوِي نَفْسِي.

س: وضح معنى قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لأقعدن للعُبَّاد على طريق الحق والاستقامة والإسلام أصرفهم عنها وأزهدهم فيها وفي سلوكها وأصدهم عنها، وأزين لهم الباطل حتى يهلكوا كما هلكت ويضلوا كما ضللت، ويخيبوا كما خبتُ.

وفي هذا الصدد ورد حديث عن رسول الله ﷺ الإسناد، ومنه[1] من حديث سبرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٦/٢١-٢٢).

(٤٦) أحمر
أسود

س: وضح المراد بقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ).

ج: أما قوله ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أن قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني به أُشككهم فيما هم مقبلون عليه من أمر البعث والجزاء والثواب والعقاب، فلأشككنهم في ذلك، وأوسوس إليهم بأن لا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار.

۞ وقوله: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أشككهم في الأخبار التي نقلت لهم عن سلفهم من الأمم الماضية التي أهلكتها أو أكرمتها ولأحلمنهم على تكذيب تلك الأخبار.

الثاني: أن قوله: (مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ) يعني به الدنيا أحببهم فيها وأرغبهم في طلبها، (وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ) يعني الآخرة أشككهم فيها وأصرفهم عن العمل لها.

أما قوله: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ ففيه أيضًا أقوال:

أحدها: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يعني: من قِبلِ الحق أُلبسه عليهم وأزهدهم فيه وأُنفرهم عنه. ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ يعني: من قبل الباطل أزينه لهم وأحببهم فيه وأرغبهم في عمله وسلوكه.

الثاني: أن ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يعني: من قبل الحسنات أحملهم على تركها وأشغلهم عنها. (وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ) يعني المعاصي أزينها لهم.

الثالث: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي من ناحية دينهم أُلبس عليهم أمر دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أزين لهم المعاصي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل.

وذلك أن ذلك عَقِيب قوله: (لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ)، فاخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الله دينِ الحق، فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه، من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك (مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ) ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه، وذلك (وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ).

وقيل: ولم يقل:«من فوقهم»، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم.

وهذا الذي قاله ابن جرير حسنٌ، ولذا فقد وردت الاستعاذة من الشيطان وتسلطه من الجهات المذكورة وغيرها ففي الحديث: «**اللهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**».

س: وضح معنى قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ). فإنه يقول: ولا تجد، ربِّ، أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتَك التي أنعمت عليهم، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به، من إسجادك له ملائكتك، وتفضيلك إياه عليَّ = و«شكرهم إياه»، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده، واتّباع أمره ونهيه.

س: اذكر بعض الأدلة على قلة أهل الإيمان وقلة الشاكرين؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] مع قول إبليس: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾.

وثَمَّ آيات وأحاديث أُخر تأتي في محلها إن شاء الله.

س: قال إبليس ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ وذلك ظنًّا منه وتوهمًا فهل تحقق ظنه هذا في بني آدم؟

ج: يبدو ذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ج: قال الطبري خ:

وهذا قسم من الله جل ثناؤه. أقسم أن مَنْ اتبع من بني آدم عدوَّ الله إبليس وأطاعه وصَدَّق ظنه عليه، أن يملأ من جميعهم = يعني: من كفرة بني آدم تُبّاع إبليس، ومن إبليس وذريته = جهنم.

فرحم الله امرأً كذّب ظن عدوِّ الله في نفسه، وخيَّب فيها أمله وأمنيته، ولم يمكّن من طمعَ طمعٍ فيها عدوَّه، واستغشَّه ولم يستنصحه، فإن الله تعالى ذكره إنما نبّه بهذه الآيات عباده على قِدَم عداوة عدوِّه وعدوهم إبليس لهم، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم، وبغيه عليه وعليهم، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديمًا في أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته ويُنيبوا إليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كقوله: (قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) [الإسراء: ٦٣-٦٥]

س: لماذا لم يقل: (وزوجتك) بدلًا من قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾.

ج: ذلك، والله أعلم؛ لأن الأفصح (زوجك)، ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وإن كانت كلمة الزوجة (بإثبات التاء) ليست بمدفوعة عن الصحة، ولكن الأولى أفصح، والله أعلم.

أما عن اسم زوجته، فزوجته هو حواء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

س: ما الشجرة التي نهى آدم وزوجه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عن الأكل منها؟

ج: لم يذكر اسمها في كتاب عَزَّ وَجَلَّ ولا في سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينعقد إجماعٌ

(٤٩) أحمر
أسود

على تسميتها فمن ثمَّ فلا نقطع في اسمها بشيء، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم إن الجهل باسمها غير صارٍّ، ولو كان في تسميتها نفعٌ لبيَّنه الله ﷻ لنا والله أعلم.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ بعد أن أنعم على آدم عليه السلام بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه وعلَّمه أسماء كل شيءٍ، وأكرمه بسجود الملائكة له، تفضَّل عليه وعلى زوجته أيضًا بأن أسكنهما جنته يتنعمان فيها كيف شاءا، ويأكلان من حيث أرادا، وكما قال أيضًا: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]، ولكنه سبحانه اختبرهما وابتلاهما بشجرةٍ معينة، ونهاهما عن الاقتراب منها والأكل منها، وحذرهما من إبليس اللعين بقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

وفي هذه الآية الكريمة يقول تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فأسكنهما الله ﷻ الجنة، وأباح لهما الأكل منها بقوله: ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ ونهاهما عن شجرة بعينها فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ وحذرهما من مغبة ذلك إذا هما أكلا من الشجرة بقوله: ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: من الذين بخسوا أنفسهم حقوقها وذلك بعصيانها أمر ربها، ومن ثمَّ إحلال العقوبة بها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال الله لآدم: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أيّ مكان شاءا منها، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها.

س: بماذا كانت هذه الوسوسة التي وسوس الشيطان بها إلى آدم وزوجته؟

ج: تلك الوسوسة وضحت في الآية الكريمة ألا وهي قوله: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ

(٥٠) أحمر
أسود

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن إبليس ألقى في نفس آدم وحواء عليهما السلام القول بأن الله عز وجل ما نهاهما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لحجبهما عن أن يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين وأقسم لهما على ذلك، ومن ثمَّ شجعهما عن الأكل منها كي يكشف عنهما الستر الذي سترهما الله به، وستر به عورتيهما.

۞ أي أنه وسوس لهما كي يعصيان، ومن ثم يعاقبان بكشف الستر الذي سترهما الله به.

أما هذا الستر الذي سترهما الله به فمن العلماء من قال كان عليهما نُور لا تُرى سوءاتهما معه.

س: وضح معنى قوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ).

ج: المعنى، والله أعلم أن الشيطان غرَّر بآدم وحواء قائلًا ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لئلا تكونا ملَكين من الملائكة أو من الخالدين الذين لا يموتون أبدًا بل يحيون على الدوام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَبَاحَ لِآدَمَ عليه السلام وَلِزَوْجَتِهِ حَوَّاءَ الْجَنَّةَ أَنْ يَأْكُلَا مِنْهَا مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِهَا إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَسَدَهُمَا الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة، ليسلبهما مَا هُمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ (وَقَالَ) كَذِبًا وَافْتِرَاءً (مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ) أَيْ لِئَلَّا تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ خَالِدَيْنِ ها هنا، وَلَوْ أَنَّكُمَا أَكَلْتُمَا مِنْهَا لَحَصَلَ لَكُمَا ذَلِكُمَا، كَقَوْلِهِ (قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) [طه: ١٢٠].

(٥١) أحمر
أسود

س: قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ بمعنى: إلا أن لا تكونا ملكين، وأسقطت اللام لدلالة السياق عليها، فهل لذلك من شواهد أُخر من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟

ج: نعم هنالك شواهد أُخر، منها:

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦].

قال عدد من العلماء: معناها يبين الله لكم لئلا تضلوا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] فالمعنى (لئلا تميد بكم).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم أن إبليس أقسم بالله عزَّ وجل لآدم وحواء إنه لناصح لهما؛ وكما هو معلوم فإن إبليس أكذب الكاذبين.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ) أي: لممن ينصح لكما في مشورته لكما، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتما عن أكل ثمرها، وفي خبري إياكما بما أخبركما به، من أنكما إن أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين، وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، فحلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أُرشدكما. وكان بعض أهل العلم يقول: «من خادعنا بالله خُدِعْنا».

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن الشيطان قرَّب آدم وحواء عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من المعصية بباطلة وكلامه المزخرف المُزين، وما زال يُقربهما من المعصية ويُمنيهما بالمُلك الذي لا يبلى، إلى أن أوقعهما في المعصية فأكلا من الشجرة فحينئذ انكشف ما كان

على السوءات من الستر الذي يسترها وظهرت لهما عورتهما فشرع آدم وحواء عليهما السلام يأخذان أوراقًا من أوراق الجنة ويضمان بعضها إلى بعضس كي يسترا العورات التي كَشفت.

ولقد قيل إنهما تسترا بورقٍ من شجرة التين، ولم يرد في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ.

قال الطبري رحمه الله:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾، فخدعهما بغرور.

يقال منه: «ما زال فلان يدلّي فلانًا بغرور»، بمعنى: ما زال يخدعه بغرور، ويكلمه بزخرف من القول باطل.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾، يقول: فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة، يقول: طعماه ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾، يقول: انكشفت لهما سوءاتهما، لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ والمعصية التي ركبا ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، يقول: أقبلا وجعلا يشدَّان عليهما من ورق الجنة، ليواريا سوءاتهما.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أنه، وبعد أن أكل آدم وزوجته حواء من الشجرة، وذلك بإغواء إبليس اللعين لهما بالأكل منها ناداهما ربهما ألم أنهكما عن الأكل من هذه الشجرة وأخبرتكما وأعلمتكما أن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة قد أبان عن عدواته لكما، وذلك بترك السجود لآدم وحسده لآدم؟!!

س: وضح معنى قول آدم وحواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية؟

ج: قال الطبري في معناها:

ومعنى قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾، قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا، فعلنا

بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدوَّنا وعدوَّك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها، ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾، يقول: وإن لم تستر علينا ذنبنا فتغطية علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾، بتعطفك علينا، وتركك أخذنا به، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، يعني: لنكونن من الهالكين.

س: لمن وجِّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾.

ج: ظاهر الخطاب أنه موجهٌ لآدم وحواء عليهما السلام وكذا مُوجه لإبليس؟

إلا أن كثيرًا من أهل العلم قال والحيَّةُ كذلك قالوا، وذلك لأن الشيطان كان قد دخل فيها وتسلل إلى الجنة، وكانت من أحسن الدواب فمسخت وأصبحت على منظرها الموجود الآن.

قلت (مصطفى): ولم أقف لذلك على خبرٍ صحيح عن رسول الله ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرَ آدم وحواءَ وإبليس والحية، إذ أهبطوا إلى الأرض: أنهم عدوٌّ بعضهم لبعض، وأن لهم فيها مستقرًّا يستقرون فيه، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرًّا في حال حياتهم دون حال موتهم، بل عمَّ الخبرَ عنها بأن لهم فيها مستقرًّا، فذلك على عمومه، كما عمّ خبرُ الله، ولهم فيها مستقر في حياتهم على ظهرها، وبعد وفاتهم في بطنها، كما قال جل ثناؤه: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) [المرسلات: ٢٥-٢٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ فِي (اهْبِطُوا) آدَمُ، وَحَوَّاءُ، وَإِبْلِيسُ، وَالْحَيَّةُ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرِ الْحَيَّةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالْعُمْدَةُ فِي الْعَدَاوَةِ آدَمُ وَإِبْلِيسُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ «طه» قَالَ: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا) الآية، وَحَوَّاءُ تَبَعٌ لِآدَمَ. وَالْحَيَّةُ -إِنْ كَانَ ذِكْرُهَا صَحِيحًا- فَهِيَ تَبَعٌ لِإِبْلِيسَ.

(٥٤) أحمر
أسود

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ الْأَمَاكِنَ الَّتِي هَبَطَ فِيهَا كُلٌّ مِنْهُمْ، وَيَرْجِعُ حَاصِلُ تِلْكَ الْأَخْبَارِ إِلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا. وَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الْبِقَاعِ فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، أَوْ دُنْيَاهُمْ، لَذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَوْ رَسُولُهُ ﷺ فِي سننه.

قلت (مصطفى): وقد قال النبي ﷺ في شأن الحيات ما سالمناهن منذ حاربناهن، وذلك في حديث أبي داود[١] بسندس حسن.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، يا بني آدم، ويا من أهبطتم من الجنة لكم في الأرض قرارٌ تستقرون فيه، ومتاعٌ تستمتعون به إلى وقت معلوم،وهو انقضاء دنياكم فالمستقر هو المكان الذي يُستقر فيه وهو الأرض، وقيل القبر، والحين المراد به الوقت، ولكنه وقت معلوم، وهو -هنا- انقضاء الحياة الدنيا.

س: قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ في ماذا؟ وضح معنى الآية الكريمة؟

ج: المراد والله أعلم، في الأرض تعيشون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلُهُ: (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَجْعَلُ الْأَرْضَ دَارًا لِبَنِي آدَمَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِيهَا مَحْيَاهُمْ وَفِيهَا مَمَاتُهُمْ وَقُبُورُهُمْ، وَمِنْهَا نُشُورُهُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه: (فِيهَا تَحْيَوْنَ)، يقول: في الأرض تحيون، يقول: تكونون فيها أيام حياتكم (وَفِيهَا تَمُوتُونَ)، يقول في الأرض تكون وفاتكم، (وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)، يقول: ومن الأرض يخرجكم ربكم

---

(١) أبو داود (٥٢٤٨).

ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء.

قَالَ تَعَالَى:

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقٗا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠

الكلمة	معناها
﴿يُوَٰرِي﴾	يُغطي.
﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾	عوراتكم (سميت العورة سوأة؛ لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده).
﴿وَرِيشٗا﴾	ما يُتجمل به من الثياب ما يُتريش به من المال والمتاع.
﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾	ما يكتسى به من الإيمان والحياء والعمل الصالح والسمت الصالح وخشية الله.
﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾	لا يصرفنكم (عن الطاعة إلى المعصية)- لا يختبرنكم.

الكلمة	معناها

(٥٧) أحمر
أسود

﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾	نسلُهُ – جُنوده (الجن والشياطين).
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصارًا– أصدقاء.
﴿فَٰحِشَةً﴾	قبيحة من القبائح.
﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾	القبائح.
﴿بِٱلْقِسْطِ﴾	العدل.
﴿وَٱدْعُوهُ﴾	اعبدوه – اسألوه.
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	مخلصين له العمل (تعملون لوجهه سبحانه وتعالى).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾.

ج: يمتنُّ الله ﷻ على عباده فيقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ تلبسونه فـ ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ أي يغطي عوراتكم ويسترها عن أعين الآخرين من النظر إليها وكذلك أنزلنا إليكم ريشًا تتجملون به، والريش هو الثياب الظاهرة التي يتجمل بها، وقيل الريش المال ورفاهية العيش، فاشكروا نعمة الله عليكم واستروا عوراتكم وتمتعوا بنعم الله عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرَّون للطواف، اتباعًا منهم أمرَ الشيطان، وتركًا منهم طاعةَ الله، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعمَ به عليهم، حتى أبدى سوءاتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به، وأنهم قد سار بهم سيرته في أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوءاتهما فعرّاهما منه: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا)، يعني بإنزاله عليهم ذلك، خلقَه لهم، ورزقه إياهم = و«اللباس» ما يلبسون من الثياب (يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ)، يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم وكنى بـ«السوءات»، عن العورات.

(والسوءات) واحدتها«سوءة»، وهي«فعلة» من«السوء»، وإنما سميت«سوءة»،

(٥٨) أحمر
أسود

لأنه يسوء صاحبها انكشافُها من جسده، كما قال الشاعر:

خَرَقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ لَمْ يُبَالُوا سَوْءَةَ الرَّجُلَهْ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَمْتَنُّ ع عَلَى عِبَادِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللباس والريش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات -وهي السوآت وَالرِّيَاشُ وَالرِّيشُ: هُوَ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ظَاهِرًا، فَالْأَوَّلُ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ، وَالرِّيشُ مِنَ التَّكَمُّلَاتِ وَالزِّيَادَاتِ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ قال كثير من العلماء: هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة؛ لأنه قال: ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾.

وقال قوم إنه ليس فيها دليل على ما ذكروه، بل فيها دلالة على الإنعام فقط.

قلت: القول الأوَّل أصح.

وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِنْعَامِ سَتْرُ الْعَوْرَةِ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ ( ) جَعَلَ لِذُرِّيَّتِهِ مَا يَسْتُرُونَ بِهِ عَوْرَاتِهِمْ، وَدَلَّ عَلَى الْأَمْرِ بِالسَّتْرِ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي وُجُوبِ سَتْرِ الْعَوْرَةِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْعَوْرَةِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: هِيَ مِنَ الرَّجُلِ الْفَرْجُ نَفْسُهُ، الْقُبُلُ وَالدُّبُرُ دُونَ غَيْرِهِمَا.

وَهُوَ قَوْلُ دَاوُدَ وَأَهْلِ الظَّاهِرِ وَابْنِ أَبِي عَبْلَةَ وَالطَّبَرِيِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ)، (بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا) [الأعراف: ٢٢]، (لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ) [الأعراف: ٢٧].

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ: «فَأَجْرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ- وَفِيهِ- ثُمَّ حَسِرَ الْإِزَارُ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ».

وَقَالَ مَالِكٌ: السُّرَّةُ لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ، وَأَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْشِفَ فَخِذَهُ بِحَضْرَةِ زَوْجَتِهِ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الرُّكْبَةُ عَوْرَةٌ. وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَيْسَتِ السُّرَّةُ وَلَا الرُّكْبَتَانِ مِنَ الْعَوْرَةِ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَحَكَى أَبُو حَامِدٍ التِّرْمِذِيُّ أَنَّ لِلشَّافِعِيِّ فِي السُّرَّةِ قَوْلَيْنِ.

وَحُجَّةُ مَالِكٍ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِجَرْهَدٍ: (غَطِّ فَخِذَكَ فَإِنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ). خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ

(٥٩) أحمر
أسود

تَعْلِيقًا وَقَالَ: حَدِيثُ أَنَسٍ أَسْنَدُ، وَحَدِيثُ جَرْهَدٍ أَحْوَطُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ اختلافهم. وحديث جرهد هذا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ مَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَبَّلَ سُرَّةَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ: أُقَبِّلُ مِنْكَ مَا كَانَ رسول الله صلى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ مِنْكَ.

فَلَوْ كَانَتِ السُّرَّةُ عَوْرَةً مَا قَبَّلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَا مَكَّنَهُ الْحَسَنُ مِنْهَا. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ فَعَوْرَةٌ كُلُّهَا إِلَّا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ. عَلَى هَذَا أَكْثَرُ أَهْلِ العلم.

س: كيف كان هذا الإنزال المذكور في قوله تعالى ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) يَعْنِي الْمَطَرَ الَّذِي يُنْبِتُ الْقُطْنَ وَالْكَتَّانَ، وَيُقِيمُ الْبَهَائِمَ الَّذِي مِنْهَا الْأَصْوَافُ وَالْأَوْبَارُ وَالْأَشْعَارُ، فَهُوَ مَجَازٌ مِثْلُ: (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) [الزمر: ٦].

وَقِيلَ: هَذَا الْإِنْزَالُ إنزال شي اللِّبَاسِ مَعَ آدَمَ وَحَوَّاءَ، لِيَكُونَ مِثَالًا لِغَيْرِهِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ) خَلَقْنَا لَكُمْ، كَقَوْلِهِ: (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أَيْ خَلَقَ. عَلَى مَا يَأْتِي.

وَقِيلَ: أَلْهَمْنَاكُمْ كَيْفِيَّةَ صَنْعَتِهِ.

س: في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ قراءتان وضِّحهما.

ج: القراءة الأولى في قوله تعالى: (ولباس) بالضم، ضم السين (لباسُ) والثانية بفتحها (ولباسَ).

(٦٠) أحمر
أسود

المُراد بلباس التقوى

س: ما المراد بلباس التقوى؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: المراد بلباس التقوى: الإيمان. **الثاني:** أنه الحياء.

الثالث: أنه خشية الله ﷻ. **الرابع:** أنه العمل الصالح.

الخامس: أنه السمت الحسن. **السادس:** أنه ستر العورة.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

ج: المراد –الله تعالى أعلم– على قراءة من قرأ برفع لباس– وهناك يا بني آدم لباسُ التقوى الذي علمتوه فاكتسوا به وكونوا أتقياء فلباس التقوى خيرٌ لكم من لباس الدنيا وخيرٌ الريش الذي تتزينون به!

أي أن لزوم قلوبكم لتقوى الله ﷻ وخشيتكم من الله ﷻ وحياؤكم منه وأعمالكم الصالحة التي منشؤها تقوى الله خيرٌ لكم من مجرد الكسوة الظاهرية والزينة الظاهرة هذا، وليُعلم أن من تقوى الله ﷻ ومن خشيته ومن الحياء منه ستر العورات، فإن ستر العورات من العمل الصالح بلا شكٍ وبلا ريب.

۞ وعلى هذا التأويل تكون في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ إشارة إلى ما قد تكرر مرارًا في كتاب الله ﷻ من التذكير بالآخرة والعمل لها، فكثيرًا ما تُذكر المباحات في الدنيا ثم تُعقَّب بذكر زاد الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ أي: يا أيها الحجيج لأسفاركم ولحجكم ثم أُشير إلى زاد الآخرة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي تزودوا أيضًا بخير زادٍ لآخرتكم، وهو زاد التقوى.

۞ وكما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] أي وكما خلقنا الخيل والبغال والحمير لتركبوها وتتزينوا بركوبها وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس، فكما أننا يسرنا لكم ذلك وذللنا لكم تلك، فكذلك علينا بيان الطرق الموصلة إلى جنة الله ﷻ وإلى مرضاته، فثمَّ سُبلٌ جائرةٌ

حائدة لا توصل إلى جنة الله ولا إلى مرضاته[١].

۞ هذا، وثمَّ أمثلةٌ كثيرة في هذا الصدد.

أما عن بعض أقوال أهل العلم في تفسير الآية الكريمة (على قراءة الرفع لباسُ).

فقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام = إذا رفع«لباس التقوى» =: ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه، خير لكم يا بني آدم، من لباس الثياب التي تواري سوءاتكم، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم، هكذا فالبَسوه.

أما تأويل الآية على قراءة من قرأ بالنصب، نصب (لباس) فهو والله أعلم قد أنزلنا لباس التقوى، وبيناه وعلمناكم إياه فالزموه أيضًا واكتسوا به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما تأويل مَنْ قرأه نصبًا، فإنه:﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾، هذا الذي أنزلنا عليكم من اللباس الذي يواري سوءاتكم، والريش، ولباس التقوى خير لكم من التعرِّي والتجرد من الثياب في طوافكم بالبيت، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرِّي من الثياب، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة، كما فعل بأبويكم آدم وحواء، فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله الذي كان ألبسهما بطاعتهما له، في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصَياه بأكلها.

قال أبو جعفر: وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، أعني نصب قوله:(وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ)، لصحة معناه في التأويل على ما بيّنت، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوءاتنا والرياش، توبيخًا للمشركين الذين كانوا يتجرّدون في حال طوافهم بالبيت، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كل حال، مع الإيمان به واتباع طاعته = ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله، وتعرِّيهم، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خيرٌ من بعض.

وما يدل على صحة ما قلنا في ذلك، الآيات التي بعد هذه الآية، وذلك قوله:
(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

(١) وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله تعالى في تفسير سورة النحل.

(٦٢) أحمر
أسود

سَوْءَٰتِهِمَآۗ) وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله: (وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، فإنه جل ثناؤه يأمر في كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب، واستعمال اللباس وترك التجرّد والتعرّي، وبالإيمان به، واتباع أمره والعمل بطاعته، وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان، مؤكدًا في كل ذلك ما قد أجمله في قوله: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ).

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله:(وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ)، استشعار النفوس تقوى الله، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان، والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسمتَ الحسن، لأن مَنْ اتقى الله كان به مؤمنًا، وبما أمره به عاملا ومنه خائفًا، وله مراقبًا، ومن أن يُرَى عند ما يكرهه من عباده مستحييًا. ومَنْ كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سَمْته وهَدْيه، ورُئِيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره.

وإنما قلنا: عنى بـ«لباس التقوى»، استشعارَ النفس والقلب ذلك = لأن «اللباس»، إنما هو ادِّراع ما يلبس، واجتياب ما يكتسى، أو تغطية بدنه أو بعضه به. فكل من ادَّرع شيئًا واجتابهُ حتى يُرَى عَيْنه أو أثرُه عليه، فهو له«لابس». ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسًا، وهن لهم لباسًا، وجعل الليل لعباده لباسًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ذلك الإنعام الذي أنعمنا به عليكم من آيات الله ﷻ الدالة على أنه الخالق، لا خالق سواه، وكذا فإنها من حجج الله ﷻ على خلقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أنّي أنزلته إليكم، أيها الناس، من اللباس والرياش، من حجج الله وأدلته التي يعلم بها مَنْ كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة (لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ)، يقول جل ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي.

(٦٣) أحمر
أسود

س: ما هذا اللباس الذي تسبب الشيطان في نزعه عن آدم وحواء عليهما السلام؟

ج: لم أقف على دليل يوضح ما هذا اللباس ومن أي شيءٍ كان لكنه كان لباسًا يواري السوءات ويستر العورات، ثمَّ إن من العلماء من قال كان هذا الثوب نورًا ستر العورات فلا ترى العورات منه.

وقال علماء آخرون كان أظفارًا (جمع أظفر كأظافرنا) قالوا وكانت تستر آدم وحواء فَنُزِعَتْ ولم يبق منها إلا هذا القدر الذي يغطي أطراف أصابعنا.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء، وأن يجرِّدهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما.«اللباس» المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس، وهو ما اجتابَ فيه اللابس من أنواع الكُسي، أو غطى بدنه أو بعضه.

وإذ كان ذلك كذلك، فالحق أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعوْرَتهما.

وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرًا= ويجوز أن يكون كان ذلك نورًا ويجوز أن يكون غير ذلك = ولا خبر عندنا بأيٍّ ذلك تثبت به الحجة، فلا قول في ذلك أصوب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه:(يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا).

وأضاف جل ثناؤه إلى إبليس إخراجَ آدم وحواء من الجنة، ونزعَ ما كان عليهما من اللباس عنهما، وإن كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه، إذ كان الذي كان منهما في ذلك عن تسْنيةِ ذلك لهما بمكره وخداعه، فأضيف إليه أحيانًا بذلك المعنى، وإلى الله أحيانًا بفعله ذلك بهما.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾.

ج: المعنى الإجمالي، والله تعالى أعلم، يا بني آدم لا يصرفنكم الشيطان عن طاعة الله عز وجل إلى معصيته فيؤول أمركم إلى أن تتبدل نعم الله عنكم وتتحول العافية

إلى كرب وبلاء كما قد حدث لأبيكم آدم ولأمكم حواء عليهما السلام فقد كانا مستورين في الجنة بجميل الستر وجميل اللباس فنزع إبليس عنهما ذلك بإغوائه لهما واختباره لهما، وصرفهما عن الطاعة إلى المعصية.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: يا بني آدم، لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخدعه، من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس، ليريهما سوءاتهما بكشف عورتهما، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترةً.

س: اذكر بعض الأدلة على وجوب ستر العورةن وقُبح كشفها؟

ج: من الأدلة على ذلك الآية الكريمة: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى قُبْحِ كَشْفِ الْعَوْرَةِ، وَأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِمَا السَّتْرَ، وَلِذَلِكَ ابْتَدَرَا إِلَى سَتْرِهَا، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْمَرَا بِذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قِيلَ لَهُمَا: (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ). وَقَدْ حَكَى صَاحِبُ الْبَيَانِ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ إِلَّا وَرَقَ الشَّجَرِ لَزِمَهُ أَنْ يَسْتَتِرَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ سُتْرَةٌ ظَاهِرَةٌ يُمْكِنُهُ التَّسَتُّرُ بِهَا، كَمَا فَعَلَ آدَمُ فِي الْجَنَّةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم إن الشيطان وجنده وجماعته من الجن والشياطين يرونكم من حيث لا ترونهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)، يقول: من حيث لا ترون أنتم، أيها الناس،

(٦٥) أحمر
أسود

الشيطان وقبيله، (إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)، يقول: جعلنا الشياطين نُصراء الكفار الذين لا يوحِّدون الله ولا يصدقون رسله.

س: هل يمكن أن يرى الإنسيُّ جنًّا[1]؟

ج: هناك من الأدلة ما يجوِّز ذلك، فمن ذلك ما يلي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكلَّه رسول الله ﷺ بحفظ زكاة الفطر، وقد أخرجه البخاري معلقًا وفيه:

وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ)، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ

(١) البخاري (من الفتح: ٤٨٧/٤).

عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة[1] قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: (رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ)، قَالَ رَوْحٌ: «فَرَدَّهُ خَاسِئًا».

وأخرج مسلم[2] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ» ثَلاَثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ، وزيادة منه في عقوبة الكافرين ونقمةً منه عليهم سلَّط عليهم الشياطين تزيدهم ضلالًا وإغواءًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وكما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

س: ما المراد بالفاحشة المذكورة في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ وضح معنى الآية الكريمة؟

ج: الفاحشة ها هنا هي طوافهم بالبيت عراةً، وهذا قول أكثر أهل العلم.

---

(١) البخاري (٤٦١) ومسلم.
(٢) مسلم (حديث ٥٤٢).

ومن العلماء من قال الفاحشة هي كفرهم بالله وشركهم به.

۞ أما عن معنى الآية، والله أعلم، فحاصله أن أهل الشرك كانوا يحتجون لتعريهم وطوافهم بالبيت عراةً بأنهم قد وجدوا آباءهم على هذا، ثم يكذبون على الله فيقولون والله أمرنا بهذا، أي بالطواف بالبيت عراة.

قال تعالى: (قل) لهؤلاء الكذبة على الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾، إنما يأمر بكل معروف وجميل، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي أتنسبون إلى الله ﷻ ما لم يقله، وما ليس لكم به علم؟!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذًا: وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء، قبيحًا من الفعل، وهو«الفاحشة»، وذلك تعرِّيهم للطواف بالبيت وتجردهم له، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه، قالوا:«وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم، ونستنّ بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه».

يقول الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلۡ)، يا محمد، لهم:(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ)، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها (أَتَقُولُونَ)، أيها الناس، (عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)، يقول: أتروون على الله أنه أمركم بالتعرِّي والتجرد من الثياب واللباس للطواف، وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك؟!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قُلْتُ: كَانَتِ الْعَرَبُ -مَا عَدَا قُرَيْشًا -لَا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي لَبِسُوهَا، يَتَأَوَّلُونَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَطُوفُونَ فِي ثِيَابٍ عَصَوُا اللهَ فِيهَا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ -وَهُمُ الحُمْس -يَطُوفُونَ فِي ثِيَابِهِمْ، وَمَنْ أَعَارَهُ أَحْمَسِيٌّ ثَوْبًا طَافَ فِيهِ، وَمِنْ مَعَهُ ثَوْبٌ جَدِيدٌ طَافٍ فِيهِ ثُمَّ يُلْقِيهِ فَلَا يَتَمَلَّكُهُ أَحَدٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ثَوْبًا جَدِيدًا وَلَا أَعَارَهُ أَحْمَسِيٌّ ثَوْبًا، طَافَ عُرْيَانًا. وَرُبَّمَا كَانَتِ امْرَأَةً فَتَطُوفُ عُرْيَانَةً، فَتَجْعَلُ عَلَى فَرْجِهَا شَيْئًا يَسْتُرُهُ بَعْضُ الشيء وتقول:

اليوم يبدُو بعضُه أو كله ... وَمَا بدَا مِنْهُ فَلَا أحلّهُ

(٦٨) أحمر
أسود

وَأَكْثَرُ مَا كَانَ النِّسَاءُ يَطُفْنَ عُرَاةً بِاللَّيْلِ، وَكَانَ هَذَا شَيْئًا قَدِ ابْتَدَعُوهُ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، وَاتَّبَعُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِعْلَ آبَائِهِمْ مُسْتَنِدٌ إِلَى أَمْرٍ مِنَ اللهِ وَشَرْعٍ، فَأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: (وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) فَقَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: (قُلْ) أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنِ ادَّعَى ذَلِكَ: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ) أَيْ: هَذَا الَّذِي تَصْنَعُونَهُ فَاحِشَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَاللهُ لَا يَأْمُرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ (أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)أَيْ: أَتُسْنِدُونَ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: واتجهوا بوجوهكم في صلاتكم في أي مسجدٍ كان إلى الكعبة.

الثاني: وأخلصوا في صلاتكم وعبادتكم لله ﷻ في أي مسجدٍ كنتم.

الثالث: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجدٍ فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أُصلي في مسجدي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية، ما قاله الربيع: وهو أن القوم أُمِروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصًا، لا مُكاءً ولا تصدية.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قومًا من مشركي العرب، لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبِيَع لأهل الكتابين. فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بِيعة:«وجِّه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعةٍ».

وأما قوله: (فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ) [غافر: ١٤]، فإنه يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٩) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أَيْ: أَمَرَكُمْ بِالِاسْتِقَامَةِ فِي عِبَادَتِهِ فِي مَحَالِّهَا، وَهِيَ مُتَابَعَةُ الْمُرْسَلِينَ الْمُؤَيَّدِينَ بِالْمُعْجِزَاتِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَمَا جَاءُوا بِهِ عَنْهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَبِالْإِخْلَاصِ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَتَقَبَّلُ الْعَمَلَ حَتَّى يَجْمَعَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ: أَنْ يَكُونَ صَوَابًا مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ، وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا مِنَ الشِّرْكِ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واعبدوه مخلصين في عبادتكم له وفي عملكم له وفي دعائكم له، ووحِّدوه لا تشركوا به شيئًا.

وقيل المراد بالعبادة الدعاء.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

﴿وَادْعُوهُ ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء.

وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ قولان.

أحدهما: مُفْردين له العبادة. والثاني: موحِّدين غير مشركين.

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدهما: كما بدأكم تعودون أشقياء أو سعداء فقد كُتبت الشقاوة على بعضكم، وكُتبت السعادة على آخرين، فمن كانت الشقاوة كتبت عليه فسيعود إليها شقيًّا عياذًا بالله.

ومن كتبت له السعادة ختم له بها وبُعث عليها كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾.

(٧٠) أحمر
أسود

وكما في الحديث: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[١].

وفي رواية: «يَبْعَثُ كُلَّ عَبدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[٢].

وقد صح عن مجاهد أنه قال: يبعث المسلم مُسلمًا والكافر كافرًا.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري[٣] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا في جنازة فِي بَقِيع الْغَرْقَد فَأَتَانَا النَّبِي ﷺ فَقعدَ وقعدنا حوله وَمَعَهُ مخصرة فَنكس فَجعل ينكت بمخصرته ثمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُم من أحد مَا من نفس منفوسة إِلَّا كتب مَكَانهَا من الْجنَّة وَالنَّار وَإِلَّا قد كتب شقية أَو سعيدة» فَقَالَ رجل: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدع الْعَمَل فَمن كَانَ منا من أهل السَّعَادَة فسيصير إِلَى عمل أهل السَّعَادَة وَأما من كَانَ منا من أهل الشقاوة فسيصير إِلَى عمل أهل الشقاوة قَالَ: «أما أهل السَّعَادَة فييسرون لعمل السَّعَادَة وَأما أهل الشقاوة فييسرون لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾» الْآيَة.

ويتأيد هذا القول بالآية التي بعدها ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي كما بدأكم ومنكم الشقي والسعيد فكذلك تعودون إلى مصائر المهتدين السعداء، والضُّلَّال الأشقياء، من جنةٍ أو نار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: «فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ: الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»[٤].

---

(١) هذه رواية ابن جرير الطبري وسندها على شرط مسلم.

(٢) مسلم (٢٨٧٨) من حديث جابر مرفوعًا.

(٣) البخاري (٤٩٤٨)، ومسلم (٢٦٤٧). تلك رواية مسلم في صحيحه.

(٤) البخاري (٦٥٩٤).

(٧١) أحمر
أسود

واستدل له أيضًا بحديث سهل بن سعد[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ».

القول الثاني: كما خلقكم ولم تكونوا شيئًا، فكذلك يردكم أحياء بعد موتكم وفنائكم. أي كما بدأكم ولم تكونوا شيئًا فأحياكم كذلك يُميتكم ثم يُحييكم يوم القيامة.

وقد اختار الطبري هذا القول وانتصر له فقال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، القولُ الذي قاله من قال: معناه: كما بدأكم الله خلقًا بعد أن لم تكونوا شيئًا، تعودون بعد فنائكم خلقًا مثله، يحشركم إلى يوم القيامة = لأن الله تعالى ذكره: أمر نبيه ﷺ أن يُعْلم بما في هذه الآية قومًا مشركين أهلَ جاهلية، لا يؤمنون بالمعاد، ولا يصدِّقون بالقيامة. فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة، ومثيبُ مَنْ أطاعه، ومعاقبُ مَنْ عصاه. فقال له: قل لهم: أمرَ ربي بالقسط، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وأن ادعوه مخلصين له الدين، وأن أقرُّوا بأنْ كما بدأكم تعودون = فترك ذكر «وأن أقروا بأن». كما ترك ذكر «أن» مع «أقيموا»، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء مَنْ كان جاحدًا النشورَ بعد الممات، إلى الإقرار بالصفة التي عليها ينشر مَنْ نُشِر، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك مَنْ كان بالبعث مصدّقًا، فأما مَنْ كان له جاحدًا، فإنما يدعى إلى الإقرار به، ثم يعرَّف كيف شرائط البعث.

وانتصر الطبري لهذا الرأي بحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظةٍ فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم تُحْشَرُونَ إِلى الله حُفَاةً غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قُلْتُ: وَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ -إِنْ كَانَ هُوَ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ- وَبَيْنَ قَوْلِهِ

(١) البخاري (٦٦٠٧)، ومسلم (١١٢).
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٠)، والبخاري (٦٥٢٥).

(٧٢) أحمر
أسود

تَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الرُّوم: ٣٠] وَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسانه»(١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(٢)، عَنْ عِياض ابْنِ حمَار قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاء، فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دينهم» الحديث.

ووجه الْجَمْع عَلَى هَذَا أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهُمْ لِيَكُونَ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، فِي ثَانِي الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَطَرَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، كَمَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقَ، وَجَعَلَهُ فِي غَرَائِزِهِمْ وَفِطَرِهِمْ، وَمَعَ هَذَا قَدَّرَ أَنَّ مِنْهُمْ شَقِيًّا وَمِنْهُمْ سَعِيدًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ(٣): «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقها».

وَقَدَرُ اللهِ نَافِذٌ فِي بَرِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ هُوَ ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأَعْلَى: ٣] وَ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»(٤)؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

هذا، ومن العلماء من فسَّر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

الأول: أن معنى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي كما سبق لكم في علم الله من سعادة أو شقاوة، فإنكم تصيرون إليه، فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة، ومن سبق له العلم بأنه شقي صار إلى الشقاوة، ويدل لهذا الوجه قوله بعده: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ

---

(١) البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) مسلم (حديث ٢٨٦٥).

(٣) كلاهما صحيح وقد تقدما.

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

(٧٣) أحمر
أسود

وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ)، وهو ظاهر كما ترى، ومن الآيات الدالة عليه أيضا قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)، وقوله: (وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي ولذلك الاختلاف إلى شقي، وسعيد خلقهم.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)، أي كما خلقكم أولا، ولم تكونوا شيئا، فإنه يعيدكم مرة أخرى.

ويبعثكم من قبوركم أحياء بعد أن متم وصرتم عظاما رميما، والآيات الدالة على هذا الوجه كثيرة جدا، كقوله: (كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ) الآية، وقوله: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) الآية.

وقوله: (قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ) الآية، وقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ) إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه قد يكون في الآية وجهان، وكل واحد منهما حق، ويشهد له القرآن، فنذكر الجميع؛ لأنه كله حق، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن هؤلاء الذين حقت عليهم الضلالة ضلوا لكونهم اتخذوا الشياطين أولياء– أنصارًا وأعوانًا وقادةً من دون الله، ويحسبون بهذا أنهم على هداية وبصيرة، فضلوا بسبب اتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة، إنما ضلوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله، وظُهراء، جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق، وأن الصواب ما أتوه وركبوا.

قَالَ تَعَالَى: يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ

(٧٤) أحمر
أسود

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ٣٢ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ
سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٣٤ يَٰبَنِيٓ
ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦

الكلمة	معناها
﴿خَالِصَةً﴾	خاصة بهم.
﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾	القبائح.
﴿مَا ظَهَرَ﴾	ما كان مُعلنًا ظاهرًا.
﴿وَمَا بَطَنَ﴾	ما كان سِرًّا في خفاء.
﴿وَٱلْإِثْمَ﴾	المعاصي.
﴿وَٱلْبَغْيَ﴾	التطاول على العباد.

الكلمة	معناها
﴿تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾	تجعلوا مع الله شريكًا له تدعونه وتعبدونه كما يُدعى الرحمن وكما يُعبد.
﴿سُلْطَٰنًا﴾	حجة- برهانًا.
﴿أُمَّةٍ﴾	جماعة- جيل- قرن.
﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾	أنكروها وأنكرتها قلوبهم (أنكرت قلوبهم أدلتنا وآياتنا وجحدوها).
﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾	تركوا العمل بها وترفعوا عنها.

س: اذكر سبب نزول قول تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ج: سبب النزول أورده مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يُعيرني تِطوافًا؛ تجعله على فرجها وتقول:

اليَـــومُ يَبْـــدُو بَعْضُـــهُ أو كُلُّـــهُ فَمَـــا بَـــدَا مِنْـــهُ فَـــلاَ أُحِلُّـــهُ

فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

س: ما المراد بالزينة في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك ما يواري العورة من الثياب (على أقل تقدير).

وقال بعض العلماء: تلك الثياب التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرون.

وثمَّ قول ثالث: وهو أن المراد بالزينة المُشط أي الامتشاط.

س: هل يستحب التزين عند الذهاب إلى المسجد؟

ج: نعم يستحب ذلك؛ لعموم الآية الكريمة ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

س: ما المراد بالإسراف في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾.

ج: أصح الأقوال في ذلك: والله أعلم أن المراد بالإسراف: الإسراف في الطعام والشراب.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ**»(١).

وقد أخرج الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا ومخيلة**»(٢).

قلت (مصطفى): والمراد- على هذا- ألا نتجاوز الحد في الأكل والشرب، فكونوا مقتصدين في طعامكم وشرابكم.

---

(١) صحيح لشواهده: وأخرجه أحمد (١٨٢/٢).

(٢) الطبري (١٤٥٣٥).

القول الثاني: في المراد بالإسراف في الطعام أنه أكل المحرمات من الأطعمة.

القول الثالث: أن المراد التحليل والتحريم أي لا تحرموا ما أحله الله لكم من الطعام والشراب ولا تحلوا ما حرَّمه الله عليكم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

س: هل يجوز الأكل حتى الشبع؟

ج: نعم يجوز ذلك أحيانًا.

أخرج البخاري في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِطَعَامٍ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا»[١].

وأخرج أيضًا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟**»، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ

(١) البخاري (٥٣٨١).

(٧٧) أحمر
أسود

أَوْ نَحْوُهُ، فَعُجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ، مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ، بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً، أَوْ قَالَ: أَمْ هِبَةً؟**»، قَالَ: لاَ بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ البَطْنِ أَنْ يُشْوَى، وَايْمُ اللهِ، مَا فِي الثَّلاَثِينَ وَالمِائَةِ إِلَّا قَدْ حَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتِ القَصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى البَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ»[١].

وأخرج البخاري أيضًا من حديث عائشة ف قالت: توفي النبي ﷺ حين شبعنا من الأسودين التمر والماء[٢].

وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**».

س: الآية أصل في الاقتصاد، وضح ذلك؛ مع مزيد من الاستدلالات لهذا الأصل؟

ج: نعم هي أصلٌ في الاقتصاد، فقد أباح الله ﷻ الأكل والشرب ونهى عن الإسراف فيه.

---

(١) البخاري (٥٣٨٢).
(٢) البخاري (حديث ٥٣٨٣)
(٣) مسلم (٢٠٣٨).

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعض السلف: جمع الله الطب كلَّه في نصف آيةٍ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾.

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم إن الله لا يحب من تجاوز الحد في طعامه وشرابه فأكل ما يَضُّر به أو شرب ما يضُّر به.

وكذلك لا يحب من تجاوز الحد فأحل ما حرّمه الله أو حرَّم ما أحلَّه الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)، يقول: إن الله لا يحب المتعدِّين حدَّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحلّ الله أو حرم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحبّ أن يحلَّل ما أحل ويحرَّم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟) قَالَ ابْنُ عَبَّاس: أَحَلَّ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ مَا لَمْ يَكُنْ سَرَفًا أَوْ مَخِيلَةً «٤». فَأَمَّا مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا سَدَّ الْجَوْعَةَ وَسَكَّنَ الظَّمَأَ، فَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ عَقْلًا وَشَرْعًا، لِمَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ النَّفْسِ وَحِرَاسَةِ الْحَوَاسِّ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ الشَّرْعُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْوِصَالِ، لِأَنَّهُ يُضْعِفُ الْجَسَدَ وَيُمِيتُ النَّفْسَ، وَيُضْعِفُ عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع وتدفعه الْعَقْلُ. وَلَيْسَ لِمَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ قَدْرَ الْحَاجَةِ حَظٌّ مِنْ بِرٍّ وَلَا نَصِيبٍ مِنْ زُهْدٍ، لِأَنَّ مَا حُرِمَهَا مِنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ بِالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ أَكْثَرُ ثَوَابًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الزَّائِدِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ: فَقِيلَ حَرَامٌ، وَقِيلَ مَكْرُوهٌ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهُوَ الصَّحِيحُ، فَإِنَّ قَدْرَ الشِّبَعِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ البلدان والأزمان وَالْأَسْنَانِ وَالطُّعْمَانِ. ثُمَّ قِيلَ: فِي قِلَّةِ الْأَكْلِ مَنَافِعُ

(٧٩) أحمر
أسود

كَثِيرَةٌ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَصَحَّ جِسْمًا وَأَجْوَدَ حِفْظًا وَأَزْكَى فَهْمًا وَأَقَلَّ نَوْمًا وَأَخَفَّ نَفْسًا. وَفِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ كَظُّ الْمَعِدَةِ وَنَتَنُ التُّخْمَةِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْأَمْرَاضُ الْمُخْتَلِفَةُ، فَيَحْتَاجُ مِنَ الْعِلَاجِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْقَلِيلُ الْأَكْلِ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَكْبَرُ الدَّوَاءِ تَقْدِيرُ الْغِذَاءِ. وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْمَعْنَى بَيَانًا شَافِيًا يُغْنِي عَنْ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ فَقَالَ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**». خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَوَى مُسْلِمٌ[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**». وَهَذَا مِنْهُ ﷺ حَضٌّ عَلَى التَّقْلِيلِ مِنَ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا وَالْقَنَاعَةِ بِالْبُلْغَةِ. وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَمْتَدِحُ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ وَتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِ. كَمَا قَالَ قَائِلُهُمْ:

تَكْفِيهِ فِلْذَةُ كَبِدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا ... مِنَ الشِّوَاءِ وَيُرْوِي شُرْبَهُ الْغُمَرُ

وَقَالَتْ أُمُّ زَرْعٍ فِي ابْنِ أَبِي زَرْعٍ: وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ. وَقَالَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ يَذُمُّ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ:

فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أجمعا

وقال الخطاب: مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**» أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ دُونَ شِبَعِهِ، وَيُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَيُبْقِي مِنْ زَادِهِ لِغَيْرِهِ، فَيُقْنِعُهُ مَا أَكَلَ. وَالتَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**» لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ، لِأَنَّ الْمُشَاهَدَةَ تَدْفَعُهُ، فَإِنَّهُ قَدْ يُوجَدُ كَافِرٌ أَقَلُّ أَكْلًا مِنْ مُؤْمِنٍ، وَيُسْلِمُ الْكَافِرُ فَلَا يَقِلُّ أَكْلُهُ وَلَا يَزِيدُ. وَقِيلَ: هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مُعَيَّنٍ. ضَافَ النَّبِيَّ ﷺ ضَيْفٌ كَافِرٌ يُقَالُ: إِنَّهُ الْجَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ. وَقِيلَ: ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ. وَقِيلَ: نَضْلَةُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ. وَقِيلَ: بَصْرَةُ بْنُ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ. فَشَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَشَرِبَ حِلَابَ شَاةٍ فَلَمْ يَسْتَتِمَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْكَافِرُ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقِيلَ: إِنَّ الْقَلْبَ لَمَّا

---

(١) مسلم (٢٠٦٠) والبخاري (٥٣٩٣) و(٥٣٩٤).

(٨٠) أحمر
أسود

تَنَوَّرَ بِنُورِ التَّوْحِيدِ نَظَرَ إِلَى الطَّعَامِ بِعَيْنِ التَّقَوِّي عَلَى الطَّاعَةِ، فَأَخَذَ مِنْهُ قَدْرَ الْحَاجَةِ، وَحِينَ كَانَ مُظْلِمًا بِالْكُفْرِ كَانَ أَكْلُهُ كَالْبَهِيمَةِ تَرْتَعُ حَتَّى تَثْلِطَ. وَاخْتُلِفَ فِي هَذِهِ الْأَمْعَاءِ، هَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ أم لا؟ فقبل حَقِيقَةٌ، وَلَهَا أَسْمَاءٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطِّبِّ وَالتَّشْرِيحِ. وَقِيلَ: هِيَ كِنَايَاتٌ عَنْ أَسْبَابٍ سَبْعَةٍ يَأْكُلُ بِهَا النَّهِمُ: يَأْكُلُ لِلْحَاجَةِ وَالْخَبَرِ وَالشَّمِّ وَالنَّظَرِ وَاللَّمْسِ وَالذَّوْقِ وَيَزِيدُ اسْتِغْنَامًا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنْ يَأْكُلَ أَكْلَ مَنْ لَهُ سَبْعَةُ أَمْعَاءٍ. وَالْمُؤْمِنُ بِخِفَّةِ أَكْلِهِ يَأْكُلُ أَكْلَ مَنْ ليس له إلا معى واحد، فَيُشَارِكُ الْكَافِرَ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ أَكْلِهِ، وَيَزِيدُ الْكَافِرُ عَلَيْهِ بِسَبْعَةِ أَمْثَالٍ. وَالْمِعَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ الْمَعِدَةُ.

وقال القرطبي كذلك:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُسْرِفُوٓاْ) أَيْ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَعَنْهُ يَكُونُ كَثْرَةُ الشُّرْبِ، وَذَلِكَ يُثْقِلُ الْمَعِدَةَ، وَيُثَبِّطُ الْإِنْسَانَ عَنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ، وَالْأَخْذِ بِحَظِّهِ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرِ. فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَا فَوْقَهُ مِمَّا يَمْنَعُهُ الْقِيَامَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ حَرُمَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ أَسْرَفَ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ. رَوَى أَسَدُ بْنُ مُوسَى مِنْ حَدِيثِ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَكَلْتُ ثَرِيدًا بِلَحْمٍ سَمِينٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَتَجَشَّى، فَقَالَ: «**اكْفُفْ عَلَيْكَ مِنْ جُشَائِكَ أَبَا جُحَيْفَةَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ بِمِلْءِ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، وَكَانَ إِذَا تَغَدَّى لَا يَتَعَشَّى، وَإِذَا تَعَشَّى لا يتغدى.

قلت: وقد يكون هذا معنى قوله عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ» أي التام الإيمان؛ لان من حسن إسلامه وكمل إيمانه كأبي جحيفة تفكر فيما يصير إليه من أمر الموت وما بعده؛ فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته. والله أعلم.

وقال ابن زيد: معنى: «وَلاَ تُسْرِفُوا» لا تأكلوا حرامًا.

|

س: ما المراد بزينة الله المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾.

ج: قال عددٌ من أهل العلم: إن المراد الزينة التي تستر العورات والتي يتجملون بها ويتزينون بها.

|

(٨١) أحمر
أسود

س: هل كان المشركون يحرمون الطيبات من الرزق، وما هذه الطيبات التي كانوا يحرمونها؟

ج: نعم قد كانوا يحرمون بعض الطيبات من الرزق.

ومن العلماء من قال: إنهم كانوا يحرمون على أنفسهم اللحم أثناء حجهم أو عمرتهم.

وقال آخرون من أهل العلم: إنهم كانوا يحرمون على أنفسهم البَحِيرةِ والسائبة والوصيلة والحام[1].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل لهؤلاء الكفرة الضُّلال الذين يرحمون ما أحل الله لهم، ويكشفون العورات ولا يسترونها، ويحرمون على أنفسهم ما أحلَّ الله لهم، قل لهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرّون عند طوافهم بالبيت، ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق: من حرَّم، أيها القوم، عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزيَّنوا بها وتتجملوا بلباسها، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى مَنْ حَرَّم شَيْئًا مِنَ الْمَآكِلِ أَوِ الْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ، مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ شَرْعٍ مِنَ اللهِ: (قُلْ) يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُونَ بِآرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَابْتِدَاعِهِمْ: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) الْآيَةَ، أَيْ: هِيَ مَخْلُوقَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَعَبَدَهُ فِي

---

(١) وقد تقدم بيان ذلك في سورة المائدة.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِنْ شَرَكَهُمْ فِيهَا الْكُفَّارُ حِسًّا فِي الدُّنْيَا، فَهِيَ لَهُمْ خَاصَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَشْرَكهم فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْكُفَّارِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل لهؤلاء الذين يحرمون ما أحل الله لهم: إن هذه الزينة والرزق الحلال الطيب، ليست بحرام بل هي حلال وأهل الإيمان يتمتعون بها في الحياة الدنيا ويشاركون فيها غيرهم من الكفار واليهود والنصارى، ذلك في الدنيا، ولكنها في الآخرة خاصة بأهل الإيمان فقط لا يشاركهم فيها غيرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد = لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم: (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)، إذ عَيُّوا بالجواب، فلم يدروا ما يجيبونك =: زينة الله التي أخرج لعباده، وطيبات رزقه، للذين صدّقوا الله ورسوله، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك، في الدنيا، وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه، وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة، لا يشركهم في ذلك يومئذ أحدٌ كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قال ابن الأنباري (خالصة) نصب على الحال من لام مضمرة تقديرها هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة فحذفت اللام لوضوح معناها.

وقال أيضًا: قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات فأكلوا ولبسوا ونكحوا ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيءٌ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٨٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: كما بينت لكم الواجب عليكم في اللباس والزينة، والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها، وميزت بين ذلك لكم، أيها الناس، كذلك أبيِّن جميع أدلتي وحججي، وأعلامَ حلالي وحرامي وأحكامي، لقوم يعلمون ما يُبَيَّن لهم، ويفقهون ما يُمَيَّز لهم.

تحريم الفواحش

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين تجردوا من ثيابهم وطافوا بالبيت عراةً، وفعلوا الفواحش وزعموا أن الله أمرهم بها وأحلها لهم، وحرَّموا على أنفسهم التستر وحرَّموا على أنفسهم الطيبات من الرزق فحرموا الحلال وحللَّوا الحرام، قل لهؤلاء إن الذي حرَّمه ربي ﷻ إنما هي الفواحش، تلك القبائح المنكرة الظاهرة المعلنة كنكاح الأمهات وامرأة الأب والطواف عريانًا أو المستترة الخفية كالزنا ونحوه فالفواحش كلها حرام، وكذا حرَّم ربي المعاصي كلها ومنها الخمر وحرَّم البغي الذي هو التطاول على الناس وأذاهم، وكذا حرَّم الشرك به أشد التحريم، وهو أن تجعلوا الله ﷻ شريكًا تدعونه كما يُدعى الرحمن، وتبعبدونه كما يعبد الرحمن، وترجونه وتخشونه، وكذا وأن تجعلوا له شريكًا بأية صورةٍ من صور الشرك ظاهرًا كان الشرك أم خفيًا، وكذا حرَّم ربي ﷻ التقوُّل عليه بغير علم ونسبة ما لم يقله إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت، ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه: أيها القوم، إن الله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيَّبه لهم، وإنما حرم ربِّي القبائح من الأشياء وهي﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، فكان علانية ﴿وَمَا بَطَنَ﴾، منها فكان سرًّا في خفاء.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: إنما حرم ربي الفواحش والشرك به، أن تعبدوا مع الله إلهًا غيره (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا)، يقول: حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه في عبادته شِرْكًا لشيء لم يجعل لكم في إشراككم إياه في عبادته حجة ولا برهانًا، وهو«السلطان» (وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، يقول: وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعرِّي والتجرُّد للطواف بالبيت، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرمتموها وسيَّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه، أو أمر به، أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحَظْره والأمر به، فإن ذلك هو الذي حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه، أو تقولون إن الله أمركم به، جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله.

أما السعدي فقال في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكِبرِ، وَالعُجْبِ والرياء، والنفاق، ونحو ذلك.

وقال السعدي أيضًا:

﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: الذنوب التي تؤثم، وتوجب العقوبة في حقوق الله. والبغي على الناس، في دمائهم، وأموالهم، و اعراضهم.

فدخل في هذا، الذنوب المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق العباد.

س: كيف فصل الفواحش عن الإثم، وفي كل الفواحش إثمٌ؟

ج: أجاب على ذلك ابن الجوزي في زاد المسير إذ قال: إن كل فاحشة إثم وليس كل إثم فاحشة فكان الإثم كل فعلٍ مذموم، والفاحشة العظيمة، والله أعلم.

س: اذكر حديثًا في تحريم الفواحش.

ج: أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ

مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ»[1].

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾.

تحريم التقوُّل على الله بغير علم

س: اذكر بعض الأدلة على تحريم التقوّل على الله بغير علم، وبعض صور ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) [النحل: ١١٦].

أما صور التقول على الله بغير علم فقد قال السعدي في «تفسيره»:

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولكل جيل من الأجيال، وفئةٍ من الناس عمرٌ وميقاتٌ قد

---

(١) البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٢٧٦٠).

أُجِّلوا إليه فإذا جاء هذا الوقت الذي حُدِّد لآجالهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، أي فلا يتأخرون عن آجالهم ساعة، ولا يموتون قبلها ولو بساعةٍ هذا، ومن العلماء من نزَّل ما ذكر على المشركين العصاة، ولكنه بعمومه يشملهم ويشمل غيرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره تهدُّدًا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا: (وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) ووعيدًا منه لهم على كذبهم عليه، وعلى إصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم = ومذكرًا لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ)، يقول: ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رُسل الله، وردِّ نصائحهم، والشرك بالله، مع متابعة ربهم حججه عليهم (أَجَلٌ)، يعني: وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثُلات بهم على شركهم (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ)، يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقّته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)، يقول: لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا، ولا يُمَتَّعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم، ساعة من ساعات الزمان (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)، يقول: ولا يتقدّمون بذلك أيضًا عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتًا للهلاك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) أَيْ وَقْتٌ مُؤَقَّتٌ. (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ) أَيِ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَرَأَ ابْنُ سِيرِينَ« جَاءَ آجَالُهُمْ» بِالْجَمْعِ (لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عَنْهُ سَاعَةً وَلَا أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ، إِلَّا أَنَّ السَّاعَةَ خُصَّتْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَقَلُّ أَسْمَاءِ الْأَوْقَاتِ، وَهِيَ ظَرْفُ زَمَانٍ.

(وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) فَدَلَّ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْمَقْتُولَ إِنَّمَا يُقْتَلُ بِأَجَلِهِ. وَأَجَلُ الْمَوْتِ هُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ، كَمَا أَنَّ أَجَلَ الدَّيْنِ هو وقت حلوله. وكل شي وقت به شي فَهُوَ أَجَلٌ لَهُ. وَأَجَلُ الْإِنْسَانِ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَعْلَمُ اللهُ أَنَّهُ يَمُوتُ الْحَيُّ فِيهِ لَا مَحَالَةَ وَهُوَ وَقْتٌ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ موته عنه، لأمن حَيْثُ إِنَّهُ لَيْسَ مَقْدُورًا تَأْخِيرُهُ. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِنْهُمْ: إِنَّ الْمَقْتُولَ مَاتَ بِغَيْرِ أَجَلِهِ الَّذِي ضُرِبَ لَهُ، وَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ لَحَيِيَ.

وَهَذَا غَلَطٌ، لِأَنَّ الْمَقْتُولَ لَمْ يَمُتْ مِنْ أَجْلِ قَتْلِ غَيْرِهِ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَا فَعَلَهُ اللهُ مِنْ إِزْهَاقِ نَفْسِهِ عِنْدَ الضَّرْبِ لَهُ. فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ مَاتَ بِأَجَلِهِ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ضَارِبَهُ وَتَقْتَصُّونَ مِنْهُ؟. قِيلَ لَهُ: نَقْتُلُهُ لِتَعَدِّيهِ وَتَصَرُّفِهِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ، لَا لِمَوْتِهِ وَخُرُوجِ الرُّوحِ إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ. وَلَوْ تُرِكَ النَّاسُ وَالتَّعَدِّي مِنْ غَيْرِ قِصَاصٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْفَسَادِ وَدَمَارِ العباد. وهذا واضح.

وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير»:

في معنى الأجل قولين: أحدهما: أجل العذاب، الثاني: أجل الحياه.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقول النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبسَطَ لهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمُه»[1]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بزيادة العمرة الذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيحلقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر، وقد ورد بهذا حديث ضعيف لا يصح.

الثاني: أن المراد الثناء الحسن بعد الموت.

الثالث: أن المراد البركة في العمر.

الرابع: أن هذا من باب الأسباب والمسببات، والشأن في ذلك هو الشأن في جميع الأمور المقدرة، فمثلًا كلنا نعلم أن الرزق مقدر، ولكننا نسعى في الأخذ بأسبابه فنضرب في الأرض ونتاجر ونعمل حتى نتحصل عليه، وكذا نعلم أن الآجال مقدرة ولكننا نتقي الغرق والحوادث والمرض قدر جهدنا.

الخامس: أن الطاعات وصلة الأرحام تزيد في الأعمار حقيقة.

السادس: أن الأجل أجلان فإذا عمل العبد طاعةٌ فله أجل وإذا لم يعملها فله أجل، والله أعلم بما سيختاره العبد وأعلم بما قضاه على العبد. والله أعلم.

---

(١) البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).

(٨٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ).

ج: يُخبر الله ﷻ بني آدم بأنه سيرسل إليهم رسلًا من أنفسهم ويأمرهم ويحثهم على طاعة هؤلاء الرسل واتباعهم، فيقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ أي إن يأْتِكم رسلٌ منكم يا بني آدم، ليسوا من الجن يتلون عليكم آياتي ويُبينون لك حُججي فمن اتقى ربه وأصلح أعماله فلا خوفٌ عليهم مما هو آتٍ ولا يحزنون على ما قد فات لا يحزنون على أموالٍ ولا أولاد، ولا مناصب ولا وجاهات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره معرِّفًا خلقه ما أعدَّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ)، يقول: إن يجئكم رسلي الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتي، والانتهاء إلى أمري ونهيي (مِّنكُمۡ)، يعني: من أنفسكم، ومن عشائركم وقبائلكم (يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي)، يقول: يتلون عليكم آيات كتابي، ويعرّفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاؤوكم به من عندي، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدي (فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ)، يقول: فمن آمن منكم بما أتاه به رُسلي مما قص عليه من آياتي وصدَّق، واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله (وَأَصۡلَحَ) يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسدًا قبل ذلك من معاصي الله بالتحوُّب منها (فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)، يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه (وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)، على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنَّبوها، اتباعًا منهم لنهي الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك.

س: ما جواب قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾.

ج: قال بعض العلماء: جوابه مُضمر مفهوم من السياق وهو فاتبعوهم واطيعوهم، فيكون المعنى إذا جاءكم رسلٌ منكم فاتبعوهم وأطيعوهم.

وقال آخرون: بل جوابه: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

(٨٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: ما جواب قوله: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾.

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك.

فقال بعضهم في ذلك: الجوابُ مضمرٌ، يدل عليه ما ظهر من الكلام، وذلك قوله: (فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ)، كأنه قال: فأطيعوهم.

وقال آخرون منهم: الجواب:(فَمَنِ اتَّقَىٰ)، لأن معناه: فمن اتقى منكم وأصلح. قال: ويدل على أنّ ذلك كذلك، تبعيضه الكلام، فكان في التبعيض اكتفاء من ذكر (مِّنكُمْ).

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين كذبوا آياتنا بألسنتهم وأنكرتها قلوبهم، وترفعوا على العمل بها وتركوه أولئك أصحاب النار المخلدون فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: وأما من كذّب بإيتاء رسلي التي أرسلتها إليه، وجحد توحيدي، وكفر بما جاء به رسلي، واستكبر عن تصديق حُجَجي وأدلّتي (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، يقول: هم في نار جهنم ماكثون، لا يخرجون منها أبدًا.

س: كثيرًا ما يُقرَنُ بين الترغيب والترهيب في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وضح ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

(٩٠) أحمر
أسود

۞ وقولـــــه تعـــــالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة:٩٨]

(٩١) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ
قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ٣٧ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ
أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ
لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ
لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا
كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٣٩
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ
ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣

الكلمة	معناها

(٩٢) أحمر
أسود

﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾	اختلق (من عند نفسه).
﴿كَذِبًا﴾	زورًا من القول.
﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾	ما كتب لهم في الكتاب (من العذاب)، والكتاب: اللوح المحفوظ، وكذا الأمر المقدر المكتوب.
﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾	يقبضون أرواحهم.
﴿تَدۡعُونَ﴾	تعبدون.
﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾	ضاعوا منا – ذهبوا عنا- تركونا فلم ينفعونا.
﴿أُمَمٖ﴾	جماعات.
﴿خَلَتۡ﴾	مضت- سلفت.
﴿ٱدَّارَكُواْ﴾	اجتمعوا.
﴿أُخۡرَىٰهُمۡ﴾	الذين أتوا من بعدهم- الذين أتوا في آخر الزمان.
﴿لِأُوْلَىٰهُمۡ﴾	الذين سلفوا ومضوا وشرعوا لهم ذلك الدين الذي لم يأذن به الله.
﴿أَضَلُّونَا﴾	صرفونا عن طريق الحق الموصل إلى مرضاة الله ﷻ.
﴿ضِعۡفٗا﴾	الضعف المثل الزائد على مثله مرة أو مرات.
﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾	تكبروا عن التصديق بها ورفضوا اتباعها والانقياد لها.
﴿يَلِجَ﴾	يدخل.
﴿ٱلۡجَمَلُ﴾	ذَكَرُ الناقة (الجمل المعروف)، وقيل: الحبل الغليظ الذي تربط به السفن.
﴿سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾	ثقب الإبرة.
﴿مِهَادٞ﴾	فراش يُفترش كفراش الصبي.
﴿غَوَاشٖ﴾	جمع غاشية؛ وهو: ما يغشاهم ويتغطون به، ومنه: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾.
﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	نثيب- نكافئ أهل الظلم أهل الشرك.

الكلمة	معناها

(٩٣) أحمر
أسود

﴿وُسْعَهَآ﴾	طاقتها – قدرتها.
﴿وَنَزَعْنَا﴾	استخرجنا.
﴿غِلٍّ﴾	حقد– حسد– بُغض– عداوة – إحن.
﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾	وفقنا لهذا الإيمان.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لا أحد أشد ظُلمًا لنفسه ولا أجهل ولا أشد خطأ من شخص كذب على الله ونسب إليه ما لم يقله كقول القائل الذي يفعل الفاحشة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾، وكذا، وفضلًا عن كونه يفتري على الله الكذب فإنه يكذب بآيات الله ﷻ التي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، فهؤلاء الذين هذه صفتهم سيلحقهم من أمر الله ﷻ ومن عقوبته ما قد أعده لهم مما قد سطر في اللوح المحفوظ من أنهم ملاقوه من العذاب والعقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلا وأجهلُ قولا وأبعد ذهابًا عن الحق والصواب (مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)، يقول: ممن اختلق على الله زُورًا من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها (أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ)، يقول: أو كذب بأدلته وأعلامه الدّالة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها (أُو۟لَٰٓئِكَ) يقول: مَنْ فعل ذلك، فافترى على الله الكذب وكذب بآياته (أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ)، يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ.

س: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ كيف الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ﴾ ونحوها من الآيات؟

ج: لأهل العلم في ذلك اتجاهان:

أحدهما: أن كل هؤلاء في الظلم سواء، وهم في الدرجة العظمي من الظلم.

الثاني: أن ينزل ذلك منزلة الاختصاص فيقال ليس من الكذابين أظلم ممن كذب على الله، وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وليس من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا. والله أعلم[١].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أولئك الذين ظلموا وافتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته يدركهم ويلحقهم ويحلُّ بهم ما كتبه الله عليهم من العذاب، فقد سبق في علم الله ﷻ أنهم سيعذبون وسُجِّل ذلك في الكتاب، فالذين سُجِّل عليهم سيلحقهم لا محالة وسيحل بهم لِزامًا.

فعليه، فقوله: ﴿نَصِيبُهُم﴾ المراد به نصيبهم من العذاب الذي سيحل بهم نتيجة تكذيبهم.

القول الثاني: أن المراد بالنصيب من الكتاب، ما كُتب عليهم أنهم سيعملونه من خيرٍ وسعادة أو شرٍ وشقاوة.

الثالث: أن المراد بالنصيب من الكتاب الأعمار والأرزاق والأعمال فيُمتَّعوا بما كتب لهم ثم يؤخذون بالعذاب وهذه الأقوال كلها متقاربة ومتلازمة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل.

وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)فأبان بإتباعه ذلك قولَه: (أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ) أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيًّا عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسلَه لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من

(١) وقد قدمنا في ذلك مزيدًا في سورة البقرة فراجعه إن شئت.

الكتاب، أو مما قد أعدّ لهم في الآخرة، لم يكن محدودًا بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه. فبيِّنٌ بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن أورد طائفةً من أقوال العلماء في أن المراد بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ العمل والرزق والعمر: وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ويصير المعنى في هذه الآية كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [لقمان: ٢٣، ٢٤].

وأورد ابن الجوزي في «زاد المسير» أقوالًا في تفسير (الكتاب) ثم قال:

فإذن في الكتاب خمسة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

الثاني: كتب الله كلها.

الثالث: القرآن.

الرابع: كتاب أعمالهم.

الخامس: القضاء.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن هؤلاء المكذبين بآيات الله المفترين على الله الكذب تمتعوا بما كتبه الله لهم في الدنيا حتى بلغوا الآجال التي كتبت لهم، فلما جآءتهم ملائكة الموت يتوفونهم، قالت لهم الملائكة أين ما كنتم تعبدون من دون الله

كي ينصرونكم، أو يدفعون عنكم العذاب قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا عنا، وهربوا منا وحينئذٍ شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا من أهل الكفر والجحود والنكران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: جل ثناؤه بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾، إلى أن جاءتهم رسلنا.

يقول جل ثناؤه: وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب، أو كذبوا بآيات ربهم، ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم، وسبق في علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر في الدنيا، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم. فإذا جاءتهم رسلنا، يعني ملك الموت وجنده (يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ)، يقول: يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة (قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ)، يقول: قالت الرسل: أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء؟ وهلا يُغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه؟ فأجابهم الأشقياء فقالوا: ضَلَّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله. يعني بقوله: (ضَلُّواْ)، جاروا وأخذوا غير طريقنا، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا.

يقول الله جل ثناؤه: وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله، جاحدين وحدانيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا): يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا تَوَفَّتِ الْمُشْرِكِينَ تُفْزِعُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ وقَبْض أَرْوَاحِهِمْ إِلَى النَّارِ، يَقُولُونَ لَهُمْ أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَدْعُونَهُمْ وَتَعْبُدُونَهُمْ مَنْ دُونِ اللهِ؟ ادْعُوهُمْ يُخَلِّصُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ. قَالُوا: (ضَلُّواْ عَنَّا) أَيْ: ذَهَبُوا عَنَّا فَلَا نَرْجُو نَفْعَهُمْ، وَلَا خَيْرَهُمْ. (وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ) أَيْ: أَقَرُّوا وَاعْتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ (أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ).

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ فأفادت أن الذين يتوفون الناس إنما هم جماعةٌ رسلٌ من الملائكة، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ

(٩٧) أحمر
أسود

ﭐلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ﴾ [السجدة: ١١]، فأفادت أن الذي يتوفانا ملك الموت، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ [الزُّمر: ٤٢] فأفاد أن الله هو الذي يتوفى الأنفس؟

ج: جواب ذلك أن الله ﷻ يأمر ملك الموت بأن يتوفى الأنفس وملك الموت له أعوان يأمرهم بما أمره الله به، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) الآية.

ج: هذا القول موجهٌ لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب والذين كذبوا بآيات الله، لما حضرتهم الوفاة وسألتهم الملائكة سؤال توبيخ عند الاحتضار قائلين لهم: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ ﴾ في الدنيا ﴿كَٰفِرِينَ ﴾ فيقول الله لهم: ادخلوا مع أمم كافرة وجماعات كافرة قد مضت من قبلكم وكان مصيرها إلى النار، ادخلوا معهم وألحقوا بهم، ألحقوا بجماعات الإنس والجن الكفرة الذي سبقوكم، وهنالك وفي النار كلما دخلت أمة لعنت سابقتها التي دخلت قبلها وكانت سببًا في إضلالها وإغوائها، والتي هي على شاكلتها وعلى ملتها إذا اداركوا فيها أي: اجتمعوا فيها كلهم أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم قالت آخراهم لأولاهم: يا ربنا هؤلاء الذين تسببوا في إغوائنا وإضلالنا وصرفنا عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان إلى الكفر، فضاعف يا ربنا عليهم العذاب، فيقال لهم لكلٍّ ضعفٌ من العذاب، ولكن لا تعلمون قدر ما أعدَّه الله لكم من العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه، المكذبين آياته يوم القيامة. يقول تعالى ذكره: قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة، ادخلوا، أيها المفترون على ربكم، المكذبون رسله، في جماعات من ضُرَبائكم (قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم)، يقول: قد سلفت من قبلكم (مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ)، ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار، قد خلت من قبلكم من الجن والإنس = وإنما يعني بـ«الأمم»، الأحزابَ وأهلَ الملل الكافرة (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ)، يقول جل ثناؤه:

كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة (لَّعَنَتْ أُخْتَهَا)، يقول: شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها، تبرِّيًا منها.

وإنما عنى بـ«الأخت»، الأخوة في الدين والملة، وقيل:(أُخْتَهَا)، ولم يقل: «أخاها»، لأنه عنى بها (أُمَّةٌ) وجماعة أخرى، كأنه قيل: كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها.

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعًا، يعني اجتمعت فيها.

يقال:«قد ادَّاركوا»، و«تداركوا»، إذا اجتمعوا.

يقول: اجتمع فيها الأوَّلون من أهل الملل الكافرة والآخِرون منهم.

ثم قال في تفسيره قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة. يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فادّاركوا، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار = الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تَقَدَّمتها وكانت لها سلفًا وإمامًا في الضلالة والكفر = لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزيَّنوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعفَ على عذابنا.

وقال: وأما قوله: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، فإنه خبر من الله عن جوابه لهم، يقول: قال الله للذين يدعونه فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: لكلكم، أوَّلكم وآخركم، وتابعوكم ومُتَّبَعوكم، ﴿ضِعْفٌ﴾، يقول: مكرر عليه العذاب.

و«ضعف الشيء»، مثله مرة.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنكم، يا معشر أهل النار، لا تعلمون ما قدْرُ ما أعدَّ الله لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعف منه الأمةُ الكافرة الأخرى لأختها الأولى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَقُولُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ: (ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ) أَيْ: مِنْ أَشْكَالِكُمْ وَعَلَى صِفَاتِكُمْ، (قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم) أَيْ: مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْكَافِرَةِ، (مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ أَيْ: مَعَ أُمَمٍ.

وَقَوْلُهُ: (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) كَمَا قَالَ الخليل، عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ) [البقرة:١٦٦، ١٦٧].

وَقَوْلُهُ: (حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا) أَيِ: اجْتَمَعُوا فِيهَا كُلُّهُمْ، (قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ) أَيْ: أُخْرَاهُمْ دُخُولًا -وَهُمُ الْأَتْبَاعُ- لِأُولَاهُمْ -وَهُمُ الْمَتْبُوعُونَ- لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ جُرْمًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، فَدَخَلُوا قَبْلَهُمْ، فَيَشْكُو هُمُ الْأَتْبَاعُ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَيَقُولُونَ: (رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ) أَيْ: أَضْعِفْ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا) [الْأَحْزَابِ:٦٦-٦٨]

وَقَوْلُهُ: (قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ) أَيْ: قَدْ فَعَلْنَا ذَلِكَ وَجَازَيْنَا كُلًّا بِحَسْبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ) وَقَالَ تَعَالَى: (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ) وَقَالَ: (وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ).

س: قوله تعالى: ﴿أُخۡتَهَاۖ﴾ في ماذا هذه الأخوة؟

ج: المراد الأخوة في الدين والملة، والله أعلم، فيلعن المشركون المشركين الذي

(١٠٠) أحمر
أسود

أضلوهم وسبقوهم ويلعن اليهودُ اليهودَ ويلعن النَّصارى النَّصارى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل النار دارت بينهم خصومات ولعنت كل طائفةٍ أختها، ودعا المتأخرون منهم على الأولين بقولهم ربنا هؤلاء أضلونا اتهم عذابًا ضعفًا من النار فحينئذٍ يقول الأولون: فما كان لكم علينا من فضل، أي: وأنتم ما الفضل الذي لكم علينا، هل قدمتم لنا شيئًا انتفعنا به بل تبعتمونا على ما دعوناكم إليه وسنناه لكم. ثم إنكم ما زدتم علينا بشيء من الإيمان ولا شيء من الإسلام فقد علمتم ما حلَّ بنا وما نزل من العقوبات ولم تتعظوا ولم تعتبروا ولم تؤمنوا، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: بكسبكم الذي اكتسبتم وبضلالكم الذي ضللتم، وسيء أعمالكم التي عملتم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: وقالت أولى كل أمة وملة سبقت في الدنيا، لأخراها الذين جاؤوا من بعدهم، وحَدَثوا بعد زمانهم فيها، فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم: (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ)، وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله جل ثناؤه بمعصيتنا إياه وكفرنا بآياته، بعدما جاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر، فهل أنَبْتم إلى طاعة الله، وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم؟ فانقضت حجة القوم وخُصِموا ولم يطيقوا جوابًا بأن يقولوا:«فضِّلنا عليكم إذ اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله»، قال الله لجميعهم: فذوقوا جميعكم، أيها الكفرة، عذابَ جهنم، بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي، وتجترحون من الذنوب والإجرام.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ أي: قال المتبوعون للأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ قال السدي: فقد ضللتم كما ضللنا.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ وهذا الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال

(١٠١) أحمر
أسود

محشرهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

عقاب المكذبين بآيات الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لا يصعد لهم عمل صالح، ولا قولٌ ولا دعاء.

الثاني: لا تفتح لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت أرواحهم إلى السماء، فلا تفتح لهم حينئذٍ أبواب السماء.

الثالث: يشمل القولين معًا، ألا وهو: لا يصعد لم عمل صالح ولا تفتح لأرواحهم أبواب السماء.

وأورد الطبري حديث أبي هريرة[١] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَيُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ

---

(١) وإسناده حسن.

الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَتَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ».

قال ابن الجوزي في زاد المسير: وفي السماء قولان:

أحدهما: أنها السماء المعروفة وهو المشهور.

الثاني: أن المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها؛ لأن الجنة في السماء.

قلت: وفي الباب أيضًا حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: عن البراء بن عازب قال: خَرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى جنازةٍ، فجلس رسولُ الله ﷺ على القبر، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ: أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتَ وَاللهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللهَ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ

(١٠٣) أحمر
أسود

شِدَادٌ، فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ، كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الْكَثِيرُ الشُّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ، إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ: أَنْ لَا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ، قَالُوا: رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ عَبْدُكَ، قَالَ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»(١).

قَالَ: «فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ، وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنَ اللهِ، وَعَذَابٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ، فَبَشَّرَكَ اللهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ».

س: في قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قراءات وضحها.

ج: ذكرها الطبري خ فقال:

واختلف القراء في قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قراء الكوفة: (لَا يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ)، بالياء من «يفتح»، وتخفيف «التاء» منها، بمعنى: لا يفتح لهم جميعًا بمرة واحدة وفتحةٍ واحدة.

وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾، بالتاء وتشديد التاء الثانية، بمعنى: لا يفتح لهم باب بعد باب، وشيء بعد شيء.

قال أبو جعفر: والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبوابُ السماء بمرة واحدة، ولا مرة بعد مرة، وباب بعد باب. فكلا المعنيين

(١) أحمد (٢٩٦).

في ذلك صحيح.

كذلك «الياء»؛ لأن «التاء» في «يفتح»، و«تفتح»؛ لأن «الياء» بناء على فعل الواحد للتوحيد، و«التاء»؛ لان «الأبواب» جماعة، فيخبر عنها خبر الجماعة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الذين كذبوا بآيات الله ورفضوا الأمتثال لها واستكبروا عن اتباعها يستحيل دخولهم الجنة، فكما أنه يستحيل أن يدخل الجمل (الذي هو زوج الناقة) ثقب الإبرة فكذلك يستحيل دخول هؤلاء الكفار الجنة، والله أعلم.

س: لماذا خُصَّ الجمل من بين سائر الدواب في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

ج: أجاب على ذلك العلماء بأجوبة أرى أمثلها –الله أعلم-: أن الجمل كان أكبر شيءٍ معهود عند العرب، ومنتشرًا ومتواجدًا بينهم، وإن كان ثمَّ دواب أخر كالفيل، مثلًا والحدث كذلك.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

فان قال قائل: كيف خصّ الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصّل المقصود والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقَب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهمًا، وهذا لا يغني عنك فتيلاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، فانهم يقدِّمونه في القوّة على غيره، لأنه يوقَر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجَّبهم من خلق الإبل، فقال: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [الغاشية: ١٧]، فآثر الله تعالى ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الانباري.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ مع ذِكر آيةٍ في معناها.

(١٠٥) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الفرش التي ينام عليها أهل النار ويمتهدونها إنما هي من نار جهنم، وكذا اللُّحف التي يتغطون بها فإنها من نار جهنم أيضًا.

أما عن الآية التي في معناها فهي قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزُّمَر: ١٦].

|

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أننا وعدنا المكذبين بآياتنا المستكبرين عنها الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ فكذبوه ولم يطيعوه ورفضوا الامتثال لأوامر الله ﷻ، وكما أننا وعدناهم بأنهم لن يدخلوا الجنة أبدًا ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾، فكذلك نثيب كل كافرٍ، ونجازيه بمثل هذا الجزاء، ألا وهو الحرمان المطلق من الجنة، والله أعلم.

فهذا القدر من الآية خرج بنا من حيز الخصوص إلى حيز العموم، كما قد أشير إلى ذلك في عدة مواطن من كتاب الله ﷻ، فكما أن الله أرسل على قوم لوط حجارةً من السماء قال بعد ذلك في شأن هذه الحجارة. ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾، والله أعلم.

|

س: كثيرًا ما يُذكر حال أهل الصلاح بعد ذِكر حال أهل الشر والفساد، وكذا يُذكر جزاء هؤلاء ثم يعقب يذكر جزاء أولئك، دلَّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ) [الانفطار: ١٣، ١٤].

۞ قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ) ثم قوله: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ).

۞ وكذا قوله تعالى في شأن طائفة من الأنبياء وأهل التقى في سورة (ص) (هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ) [ص: ٤٩، ٥٠] الآيات، ثم قوله: (هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) [ص:

(١٠٦) أحمر
أسود

٥٥، ٥٦].

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ج: ذلك، والله أعلم، لبيان سهولة أمر الإيمان وسهولة التكاليف الشرعية فالإيمان سهل، والعمل سهلٌ كذلك، وما كان من ذلك فوق الطاقة فلا يكلف به العبد.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين آمنت قلوبهم وأقرت بما جاء من عند الله ﷻ، وما بُعث به المرسلون، واتبعوا الإيمان بالعمل الصالح الموافق لما شرع الله ورسوله، فهؤلاء ما كُلِّفوا بشيء شاق عسيرٍ، بل كُلِّفوا بشيءٍ سهل ويسير، وأولئك أصحاب الجنة الذين هم أهلها لا يتحولون عنها، بل هم ماكثون فيها أبدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: والذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله وشرائع دينه، وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه، وتجنبوا ما نهاهم عنه (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، يقول: لا نكلف نفسًا من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرج فيه (أُولَٰئِكَ)، يقول: هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)، يقول: هم أهل الجنة الذين هم أهلها، دون غيرهم ممن كفر بالله، وعمل بسيئاتهم (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، يقول هم في الجنة ماكثون، دائمٌ فيها مكثهم، لا يخرجون منها، ولا يُسلبون نعيمها.

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

ج: ذلك، والله تعالى أعلم، فيه إشارةٌ إلى رحمة الله ﷻ بهم، وأنه سبحانه لا يحملِّهم ما لا يطيقون، ولا يكلفهم ما يغلبهم.

(١٠٧) أحمر
أسود

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيحًا.

س: متى يتم نزع الغلِّ من القلوب؟

ج: ذلك، والله أعلم في الآخرة عند دخولهم الجنان، قد استُدل لذلك بما أخرجه البخاري في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[١].

وذُكِرَ عن بعض أهل العلم أن ذلك يكون في الجنة – أعني نزع الغلِّ من الصدور – يكون في الجنة مع الشراب الذي يشربونه، قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] قال بعضهم: أي ظهر صدورهم مما فيها من الحقد والحسد والغل ونحو ذلك. فالله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم في ذلك ما حاصله: واستخرجنا ما كان يحمله بعضهم لبعض في الدنيا من حسدٍ ومن حقدٍ وغير ذلك مما يعتري البشر في دنياهم، فاستخرج الله كل ذلك من صدورهم يوم القيامة وهُذِّبوا، ونُقُّوا وأدخلوا الجنة بصدور سليمة، وقلوب صافية.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وَصَف صفتهم، وأخبر أنهم أصحاب الجنة، ما فيها من حقد وغِمْرٍ وعَداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض، فجعلهم في الجنة إذا أدخلهموها على سُرُر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضًا على

(١) البخاري (٢٤٤٠).

شيء خصَّ الله به بعضهم وفضّله من كرامته عليه، تجري من تحتهم أنهار الجنة.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي نضرة قال:

يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحدًا بقلامة ظُفُرٍ ظلمها إياه. ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحدًا بقُلامة ظفر ظلمها إياه.

وقد ذكر ابن الجوزي: -على عادته- أقوالًا كثيرةً أُخر تخالف السياق وملابساته، منها: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا، ومنها: أنهم عشرة من الصحابة، وذكرهم...، والأقوال التي قدمتها (مصطفى) أولى والله أعلم، ومما يؤيده قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ أي أن نزع الغل يكون في حال كونهم على سرر متقابلين، و الله أعلم.

س: ما صحة الوارد عن علي رضي الله عنه من القول: (إني لأرجوا أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

ج: الذي وقفت عليه في ذلك إسناده منقطع، فقد رواه الطبري من طريق قتادة عن عليٍّ رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع عليًّا رضي الله عنه.

س: اذكر بعض الأدلة على أن المهتدي من هداه الله.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله أهل الإيمان: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

(١٠٩) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ج: المعنى، الله تعالى أعلم، أن أهل الإيمان لما استقروا في الجنان قدموا شكرًا لله ﷻ خالقهم المتفضل عليهم بالتوفيق للإيمان ووراثة الجنان، فقالوا: الحمد لله الذي أرشدنا ووفَّقنا للإيمان وسهَّل علينا أمره، وما كانت لنا قدرة، ولا كانت لنا استطاعة أن نسلك طريق الهداية إذا لم يهدنا الله له، ولكن الحمد لله فقد وفقنا الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، حين أدخلوا الجنة، ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته، وما صرف عنهم من العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رُسله: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا)، يقول: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه عنا (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ)، يقول: وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنّه وطَوْله.

وأخرج الطبري بسندٍ حسن عن عليٍّ قال:

ذكر عمر- لشيء لا أحفظه-، ثم ذكر الجنة فقال: يدخلون، فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان. قال: فيغتسلون من إحداهما، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعَث أشعارهم ولا تغبرُّ أبشارهم. ويشربون من الأخرى، فيخرج كل قذًى وقذر وبأس في بطونهم. قال، ثم يفتح لهم باب الجنة، فيقال لهم: (سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ) [الزمر: ٧٣]. قال: فتستقبلهم الوِلدان، فيحفّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته. ثم يأتون فيبشرون أزواجهم، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. فيقلن: أنت رأيته! قال: فيستخفهنَّ الفرَح، قال: فيجئن حتى يقفن على أُسْكُفَّة الباب. قال: فيجيئون فيدخلون، فإذا أسُّ بيوتهم بِجَندل اللؤلؤ، وإذا صُرُوح صفر وخضر وحمر ومن كل لون، وسُرُر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيُّ مبثوثة. فلولا أن الله قدَّرها، لالْتُمِعَتْ أبصارهم مما يرون فيها. فيعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر، ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، الآية.

س: ما الحق الذي جاءت به رسلُ ربنا؟

ج: الحق هو عموم ما جاءت به الرسل، فالقرآن والتوراة والزبور والإنجيل وعموم ما جاءت به الرسل وتكلمت به حق، ويدخل في ذلك ما وعد الله به أهل الإيمان من الجنة والرَّضوان وما وعد به أهل النار من السعير والخسران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة، ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها، وهو أنّ أعداء الله في النار: والله لقد جاءتنا في الدنيا، وهؤلاء الذين في النار، رسل ربنا بالحق من الأخبار عن وعد الله أهلَ طاعته والإيمان به وبرسله، ووعيده أهلَ معاصيه والكفر به.

س: من الذي ناداهم: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ج: هذا المنادى قد يكون ملكًا كلفه الله بهذا النداء، وقد يكون غير ذلك، وقد يكون الذي ناداهم هو الله عَزَّ وَجَلَّ والله أعلم بالصواب من ذلك.

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُم عَمَلُهُ الجنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ»[1].

ج: قال بعض أهل العلم إن دخول الجنة يكون بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ثم إن الأعمال سبب في الترقِّي في درجاتها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تُنال إلا برحمته فإذا دخلوها بأعمالهم فقد وثوها

---

(١) البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا، وكذا البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

برحمته ودخلوها برحمته؛ إذا أعمالهم رحمةٌ منه له وتفضل عليهم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي معنى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنّة ومنزل في النار، فأما الكافر فانه يرث المؤمنَ منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة» فذلك قوله: (أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). وقال بعضهم: لما سمي الكفار أمواتًا بقوله: (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) [النحل: ٢١]. وسمّى المؤمنين أحياء بقوله: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا) [يس: ٧٠] أورث الأحياء الموتى.

والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جُعلت جزاءً لأعمالهم، وثوابًا عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسامَ الدرجات بالأعمال. فلما كان يفسَّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثًا. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث ها هنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

س: عن من ورث أهل الإيمان الجنان؟

ج: قال فريقٌ من أهل العلم: إنه ما من أحدٍ إلا وله مقعدان مقعدٌ في الجنة مقعدٌ في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، ورث أهل الجنة مقاعد الكفار التي كانت لهم فيها، وورث الكفار مقاعد أهل الإيمان في النار.

قَالَ تَعَالَى: وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥ وَبَيۡنَهُمَا

(١١٢) أحمر
أسود

حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ
أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦
وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا
يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ
تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ
ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ وَنَادَىٰٓ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ
مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ
نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
٥١ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ٥٢ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن
شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣

(١١٣) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾	نادى مناد- أَعْلم مُعلمٌ.
﴿لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾	غضب الله وسخطه وعقوبته وطرده من الرحمة.
﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	المراد بهم – هنا-: الكفار.
﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	دين الله- الطريق الموصلة إلى مرضاة الله.
﴿وَيَبْغُونَهَا﴾	يريدونها- يطلبونها.
﴿عِوَجًا﴾	معوجة.
﴿حِجَابٌ﴾	سور.
﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾	الأماكن المرتفعة، وقيل هي: السور الذي يحجز أهل الجنة عن أهل النار.
﴿كُلًّا﴾	أهل الجنة وأهل النار.
﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾	علاماتهم (ومن علامات أهل الجنة: بياض الوجوه، ومن علامات أهل النار: زرق العيون- سود الوجوه- العبوس والقمطرير.
﴿صُرِفَتْ﴾	تحولت.
﴿تِلْقَآءَ﴾	ناحية- جهة اللقاء- جهة المقابلة.
﴿جَمْعُكُمْ﴾	كثرتكم- فريقكم.
﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾	سخريةً ولعبًا.
﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾	خدعتهم.
﴿نَنسَىٰهُمْ﴾	نتركهم في العذاب.
﴿يَجْحَدُونَ﴾	يكذبون.
﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾	بيَّناه ووضحناه.
﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	على علم منا بما بيناه وفصَّلناه (فبيَّنا لكم الحق ونحن نعلم أنه الحق).
﴿يَنظُرُونَ﴾	ينتظرون.

الكلمة	معناها
﴿تَأْوِيلَهُۥ﴾	ثوابه وجزاءَه- عاقبته- ما وعدوا به من الثواب.
﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾	ضيَّعوا أنفسهم وبخسوها حقوقها ولم ينتفعوا بها.
﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾	بطل- غاب عنهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يعبدون من دون الله- يدعون شريكًا لله.

كلام أهل الجنة مع أهل النار

س: اذكر بعض الأدلة على تكليم أهل الجنة لأهل النار أحيانًا.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ).

وقوله تعالى: (وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ).

قوله تعالى في شأن رجل من أهل الجنة لمَّا اطلع على شخص كان يعرفه في الدنيا: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٥-٥٧].

س: ما الذي وعدهم به ربهم ووجدوه حقًّا؟

ج: كل ما وعدهم الله به ووعدهم به رسوله ﷺ من الجنة التي أُعدت للمطيعين والمتقين، ومن النار التي أُعدت للكافرين وغير ذلك، كله رأوه وتحققوا من صدقه ووقوعه، والله أعلم.

س: ما وجه السؤال في قول أصحاب الجنة لأصحاب النار: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾.

ج: هذا سؤال تقريع وتوبيخ وتانيب، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، الذين يصرفون الناس عن الطريق الموصلة إلى طاعة الله ومرضاته وجنته ويريدونها بدلًا من أن تكون سبيلًا واحدةً مستقيمةً توصل إلى الله وإلى مرضاته يريدونها سُبلًا كثيرة كلها معوجَّة ومنحرفة لا توصل إلى طاعة الله ولا إلى جنته ولا إلى مرضاته فبدلوا الدين وغيروا الشرائع وزيفوا العقائد وزينوا الباطل وزخرفوا طرائق الضلال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: (ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) أَيْ: يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ اللهِ وَشَرْعِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَيَبْغُونَ أَنْ تَكُونَ السَّبِيلُ مُعْوَجَّةً غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ، حَتَّى لَا يَتَّبِعَهَا أَحَدٌ. (وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ) أَيْ: وَهُمْ بِلِقَاءِ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كَافِرُونَ، أَيْ: جَاحِدُونَ مُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ لَا يُصَدِّقُونَهُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. فَلِهَذَا لَا يُبَالُونَ بِمَا يَأْتُونَ مِنْ مُنْكَرٍ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ حِسَابًا عَلَيْهِ، وَلَا عِقَابًا، فَهُمْ شَرُّ النَّاسِ أَعْمَالًا وَأَقْوَالًا.

س: اذكر بعض أمثلة التقريع والتوبيخ التي يُقرَّع به الكفار ويُوبَّخون بها يوم القيامة؟

ج: أورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ طائفةً من ذلك فقال: ﴿قَدْ ﴾ للتحقيق، أي: قالوا لهم: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربك حقًّا؟ قالوا: نعم. كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الصافات: ٥٥- ٥٩].

أي: ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا، ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكار، وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا

تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٤-١٦].

وكذلك قرع رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قتلى القليب يوم بدر؛ فنادى: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ» -وسمى رءوسهم- «هل وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا».

وقال عمر: يا رسول الله، تخاطب قومًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا»(١).

الأعراف وأصحابها

س: ما المراد بالحجاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾.

ج: هو حاجز (سور) يحجز بين أهل الجنة وأهل النار، وقد قيل إن هذا السور هو الأعراف.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو: السور الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، وهو ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ التي يقول الله فيها: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الجنة والنار حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ فسمى هذا السور بالأعراف لارتفاعه.

س: ما المراد بالأعراف؟

ج: الأعراف عمومًا هي الأماكن المرتفعة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، فإن ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ جمع، واحدها «عُرْف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو «عُرْف»، وإنما قيل لعُرف الديك «عرف»،

(١) انظر البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥)، ومسند أحمد (١٠٤/٣)، و(٢٨٧٤).

(١١٧) أحمر
أسود

لارتفاعه على ما سواه من جسده، وكما سلف فقد قيل: إنها السور الذي يحجز بين أهل الجنة وأهل النار المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾.

س: من هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملةُ أقوالٍ:

أولها وأشهرها: وعليه أكثر أهل العلم أنهم قوم استوت حسناتهم مع سيئاتهم، فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله ﷻ فيهم بما يشاء، ثم يُدخلهم الله الجنة بفضل رحمته إياهم.

وقد صح عن الشعبي[1] أنه قال سُئِلَ حذيفة رضي الله عنه عن أصحاب الأعراف قال، فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، قال فوقفوا هنالك عل السور حتى يقضى الله فيهم.

القول الثاني: أن أصحاب الأعراف قومٌ قتلوا في سبيل الله عصاةً لآبائهم في الدنيا، وقد ورد بنحو ذلك حديث عن رسول الله ﷺ، لكنه ضعيف الإسناد، وفيه هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله.

القول الثالث: هم قوم صالحون فقهون علماء، أخذوا منازلهم من الجنان وعرفوا درجاتهم فيها فأطلعهم الله على أهل الجنة وأهل النار كي يعرفوا فضل الله ﷻ.

ولكن هذا القول أراه ضعيفًا، فإن دعاءهم فيه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

القول الرابع: أنهم ملائكة، وهذا أيضًا قولٌ بعيد؛ لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾.

القول الخامس: أنهم العدول من كل الأمم يشهدون على أقوامهم.

القول السادس: أنهم أنبياء وهو قولٌ ضعيف أيضًا.

القول السابع: أنهم هُمْ قَوْمٌ كَانَتْ لَهُمْ صَغَائِرُ لَمْ تُكَفَّرْ عَنْهُمْ بِالْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لَهُمْ كَبَائِرُ فَيُحْبَسُونَ عَنِ الْجَنَّةِ لِيَنَالَهُمْ بِذَلِكَ غَمٌّ فَيَقَعُ فِي مُقَابَلَةِ

(١) الطبري (١٤٦٩٤) وله طرق عن الشعبي إلا أنه تلكَّم بعض أهل العلم في سماع الشعبي من حذيفة.

(١١٨) أحمر
أسود

صَغَائِرِهِمْ هذا، وثمت اقوال أُخر، والقول الأول هو أشهر الأقوال، والله أعلم، هذا ولم أقف على خَبَرٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع أنه قد وردت أخبارٌ كثيرة عن رسول الله ﷺ، لكن في كل أسانيدها ضعف، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ من المعنيون به، ويطمعون في ماذا؟

ج: قيل إن المراد أصحاب الأعراف، وهم يطمعون في دخول الجنة، وهذا قول الجمهور كما نقله عنهم ابن الجوزي في «زاد المسير».

وقيل: إن المراد أهل الجنة الذين يمرون على أصحاب الأعراف وهم في طريقهم إلى الجنة.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

ج: أقول، وبالله تعالى التوفيق ومنه السداد، وهو أعلم بكتابه الذي أُنزل وبمراده الذي يريد، أهل الجنة بينهم وبين أهل النار سور يفصل بينهم، كما قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ وهذا السور، وثمَّ أماكن مرتفعة عالية تفصل بين الجنة والنار عليها رجال وقفوا على هذه المرتفعات التي بين الجنة والنار فينظرون إلى أهل الجنة أحيانًا فيسلمون عليهم قائلين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وهؤلاء – أعني أصحاب الأعراف – لم يدخلوا الجنة بعد، ولكنهم يطمعون في دخولها ويرجون رحمة ربهم.

وقد جعل الله ﷻ لأهل الجنة سيما (علامات) معينة يعرفون بها، منها بياض الوجوه وأثر نضرة النعيم البادي على الوجوه.

وجعل الله لأهل النار (سيما) كذلك يُعرفون بها، ألا وهي سواد الوجوه، عياذًا بالله، وزرقة العيون، والغبرة والقترة البادية على الوجوه والعيون.

إنه منظرٌ مهيب، ومشهدٌ عجيب وموقف رهيب لأصحاب الأعراف هؤلاء، إذ ينظرون إلى أهل الجنة تارة وإلى ما هم فيه من النعيم المقيم والخيرات الحسان فيتمنون أن لو دخلوها ويسألون ربهم ذلك وينظرون إلى أهل النار تارةً أخرى وما هم

(١١٩) أحمر
أسود

فيه من العذاب الأليم والجحيم والسعير والأغلال والسلاسل، وغير ذلك فيسالون ربهم أن يصرف ذلك عنهم قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن أصحاب الأعراف هؤلاء الذين وقفوا على سور بين الجنة والنار ينظرون أحيانًا إلى أهل الجنة ويرون ما هم فيه من النعيم المقيم فينادونهم سلام عليكم، ثم إن أبصارهم (أبصار أصحاب الأعراف) تتحول ثانية ناحية أهل النار فيرونهم ويرون ما هم فيه من العذاب والنكال والشقاء فيقولون ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا صرفت أبصارُ أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار، يعني: حِيالَهم ووِجاههم، فنظروا إلى تشويه الله لهم (قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه.

س: ما سيما أصحاب الجنة وأصحاب النار؟

ج: أما أصحاب الجنة فسيماهم (علاماتهم) بياض الوجوه، ونضرة النعيم البادية عليها وآثار السجود ونحو ذلك جعلنا الله منهم.

أما سيما أهل الكفر فسواد الوجوه وزرقة العيون كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ والغَبَرة التي تعلو الوجوه ونحو ذلك، عافانا الله من ذلك.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أصحاب الأعراف- الذين تقدمت صفاتُهم- أطلعهم الله ﷻ على أهل النار فعرفوا قومًا فيها بعلاماتٍ كانوا يعرفونهم بها في الدنيا،

(١٢٠) أحمر
أسود

وبالعلامات التي عرَّفهم الله بها في الآخرة فنادوهم: يا فلان يا فلان إن جموعكم التي كنتم تتعززون بها في دنياكم من أهاليكم وأصدقائكم وأنصاركم وأتباعكم وخدمكم وحشمكم وجندكم كل هؤلاء ما أغنوا عنكم من عذاب من شيء، وكذا لم تغنِ عنكم أموالكم التي جمعتموها شيئًا، وكبركم واستغناؤكم عن الإيمان واستعلاؤكم، كلُّ ذلك لم يغنِ عنكم شيئًا ولم ينفعْكم بشيء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ أَيْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أَيْ لِلدُّنْيَا وَاسْتِكْبَارُكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ، كَبِلَالٍ وَسَلْمَانَ وَخَبَّابٍ وَغَيْرِهِمْ. ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ فِي الدُّنْيَا. ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ. ﴿بِرَحۡمَةٖ﴾ يُوَبِّخُونَهُمْ بِذَلِكَ. وَزِيدُوا غَمًّا وَحَسْرَةً بِأَنْ قَالُوا لَهُمْ ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾، من أهل الأرض ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾، سيما أهل النار ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾، ما كنتم تجمعون من الأموال والعَدَد في الدنيا ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾، يقول: وتكبُّركم الذي كنتم تتكبرون فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَقْرِيعِ أَهْلِ الْأَعْرَافِ لِرِجَالٍ مِنْ صَنَادِيدِ الْمُشْرِكِينَ وَقَادَتِهِمْ، يَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِسِيمَاهُمْ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ أَيْ: كَثْرَتُكُمْ، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أَيْ: لَا يَنْفَعُكُمْ كَثْرَتُكُمْ وَلَا جُمُوعُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ، بَلْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صِرْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله تعالى لأهل النار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهل الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ

(١٢١) أحمر
أسود

أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ) رواه وهب بن منبه عن ابن عباس.

قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطَّلع عليهم ربهم فقال لهم: ادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم.

والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفّار يستهزئون بهم، كسلمان، وصهيب، وخبَّاب، فينادون الكفار: (أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ) وأنتم في الدنيا (لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ). قاله ابن السائب.

فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: (بِرَحْمَةٍ) ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة.

س: وضح معنى قوله: (أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ يقول لأهل النار أهؤلاء-يعني: أهل الأعراف- الذين أقسمتم يمينًا في شأنهم يا أهل النار وحلفتم أنهم سيدخلون النار، ولن ينالهم الله برحمة؟!

هؤلاء (أصحاب الأعراف) قد مننتُ عليهم وتفضلت عليهم ورحمتهم أقول لهم الآن ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف لا خوف عليكم من النار التي رأيتموها ورأيتم أهلها وخاطبتموهم، ولا أنتم تحزنون على شيء قد فاتكم من قبل، فالجنة ولله الحمد مثواكم.

أمَّا متى أقسم الكفار يمينًا أن أصحاب الأعراف لن يدخلوا الجنة؟ فقد قيل: إن ذلك كان في الدنيا، وقيل: إنه في الآخرة لما رأوهم تخلفوا عن دخول الجنة، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ).

ج: هذا إخبار عن حالٍ من أحوال أهل النار وخطابهم مع أهل الإيمان، وذلك، والله أعلم أن الله ﷻ يُطلع أهل النار على أهل الجنة فيرون أهل الجنة وما هم فيه من

(١٢٢) أحمر
أسود

النعيم المقيم الرزق الوفير والجنات التي تجري من تحتها الأنهار، فحينئذ يستغيث أهل النار بأهل الجنة كي يُفيضوا عليهم شيئًا من الماء يتبردون به أو شيئًا من الطعام يقتاتون، يسأل الولد الكافر أباه المؤمن وتسأل الأم الكافرة ابنها المؤمن، عمومًا يسألون أهل الجنة: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾، فيجيب أهل الجنة بامتناع وإباءٍ (إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة، عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع، عقوبةً من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله، وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَنَادَىٰٓ) قِيلَ: إِذَا صَارَ أَهْلُ الْأَعْرَافِ إِلَى الْجَنَّةِ طَمِعَ أَهْلُ النَّارِ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا إِنَّ لَنَا قَرَابَاتٍ فِي الْجَنَّةِ فَأْذَنْ لَنَا حَتَّى نَرَاهُمْ وَنُكَلِّمَهُمْ. وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَعْرِفُونَهُمْ لسواد وجوههم. فيقولون: (أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ) فَبَيَّنَ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَإِنْ كَانَ فِي الْعَذَابِ. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ يَعْنِي طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا. وَالْإِفَاضَةُ التَّوْسِعَةُ، يُقَالُ: أَفَاضَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ.

س: اذكر شيئًا من الوارد عن رسول الله ﷺ في فضل سقيا الماء.

ج: من الوارد في هذا ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

(١) البخاري (٢٣٦٣) ومسلم (٢٢٤٤).

(١٢٣) أحمر
أسود

وعند البخاري ومسلم[١] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا». وفي رواية في الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة. قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

وفي التحذير من منع الماء ما يدل على عظيم إثم من خالفه،ومن الدليل على ذلك قوله تعالى لابن آدم يوم القيامة[٢] «يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».

وفي الصحيحين[٣] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ».

وعند البخاري[٤] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ: «صَلَّى صَلاَةَ الكُسُوفِ، فَقَالَ: «دَنَتْ مِنِّي النَّارُ، حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا».

وأخرج البخاري[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ».

---

(١) البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥).
(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٩).
(٣) البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).
(٤) البخاري (حديث ٢٣٦٤).
(٥) البخاري (حديث ٢٣٦٩)، وفي سنده بعض الاختلاف وقد أعلَّه بعض الحفاظ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، الذين اتخذوا ما أمرهم الله به وما نهاهم عنه سخريةً واستهزاء، فكل من دعاهم إلى الله سخروا منه واستهزؤوا به وبما يدعوهم إليه، وبما يحذرهم ويخوفهم منه، وخدعتهم دنياهم بم فيها من زخارف ومتاع عاجل غير آجل وصرفتهم عن العمل للآخرة أتتهم منيتُهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فاليوم نترك هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هُزوًا وغرتهم الحياة الدنيا، نتركهم في العذاب ونعاملهم معاملة من نسيهم، فلا نخرجهم من النار ولا نغيثهم إذا استغاثوا، ولا نجيبهم إذا دعوا، وذلك لكونهم كذَّبوا باليوم الآخر ولم يعملوا له وتناسوه بل وكانوا بآياتنا يكذبون وكانوا لها منكرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول: وخدعهم عاجلُ ما هم فيه من العيش والخفض والدَّعة، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة، حتى أتتهم المنية يقول الله جل ثناؤه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾، أي ففي هذا اليوم، وذلك يوم القيامة ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾، يقول: نتركهم في العذاب المبين جياعًا عطاشًا بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتأويل الكلام: فاليوم نتركهم في العذاب، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة، وكما كانوا بآيات الله يجحدون، وهي حججه التي احتج بها عليهم، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك، ﴿يَجْحَدُونَ﴾، يكذبون ولا يصدقون بشيء من

ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ أَيْ: نُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ نَسِيهم؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَشِذُّ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ وَلَا يَنْسَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾.

وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى هَذَا مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

وَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.

وأورد خ[1] الحديث القدسي الذي فيه أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: « **ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَقُولُ: «أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ الله تعالى: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**».

س: ما المراد بهذا الكتاب؟

ج: المراد به القرآن. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا فصلنا فيه الحق من الباطل وبينا هذا من ذلك، فكل ما هو حق بينا لكم في هذا الكتاب العزيز أنه حق ورغبناكم فيه، وكل ما هو باطل حذرناكم منه بهذا الكتاب العزيز، وكل ذلك على علم منا بما فصلناه وبيناه فكل ما قال الله عنه أنه حق فهو حق، وكل ما أبطله الله عَزَّ وَجَلَّ وبيَّن بطلانه فهو باطل.

أما قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: فصلناه لهداية القوم المؤمنين ولرحمتهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أقسم، يا محمد، لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب = يعني القرآن

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٢٨) ولفظه: «**أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَمَالًا، وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ فِي يَوْمِكَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**».

(١٢٦) أحمر
أسود

الذي أنزله إليه. يقول: لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن، مفصَّلا مبيَّنًا فيه الحق من الباطل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، يقول: على علم منا بحقِّ ما فُصِّل فيه، من الباطل الذي مَيَّز فيه بينه وبين الحق ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، يقول: بيناه ليُهْدَى ويُرْحَم به قومٌ يصدقون به، وبما فيه من أمر الله ونهيه، وأخباره، ووعده ووعيده، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى.

س: ما وجه الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾. وما معنى هذا القدر من الآية الكريمة؟

ج: كان الاستفهام هنا، والله تعالى أعلم، للتوبيخ والتهديد، فكأن المعنى ماذا ينتظر هؤلاء الجاحدون المعرضون المكذبون المستهزئون؟! إنهم، وبعد تكذيبهم، لا ينبغي أن ينتظروا شيئًا إلا تحقق ما وُعدوا به من العذاب إما في الدنيا بالقتل والأسر والتشريد، وغير ذلك، وإما في الآخرة بعذاب النار وبئس المصير.

فتأويله هنا المراد بها: تحققه ووقوعه، وقيل: المراد بـ (تأويله) ثوابه وجزاؤه، أو تحقق الثواب ووقوع العقاب ولا تعارض بين هذه المعاني، فقد وُعدوا على الطاعة بالثواب وتوعدهم الله على العصيان بالجحيم، وتأويل ذلك وتحققه كائنٌ ولابد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، يقول: إلا ما يؤول إليه أمرهم، من ورودهم على عذاب الله، وصِليِّهم جحيمه، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به.

قلت: هذا، وتأويل- أي تحقق ما وعُدوا به- قد يكون في الدنيا وسيكون في الآخرة، وقد وقع يوم بدرٍ شيئٌ من تأويله، وكذا في فتح مكة وفي غير ذلك، وبلا شك أن أعظم وقتٍ يتحقق فيه كل ما وعدوا به- لا بعضه- هو يوم القيامة وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ هذا، وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾، قال: يوم يأتي حقيقته، وقرأ قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

(١٢٧) أحمر
أسود

قال: هذا تحقيقها. وقرأ قول الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي، إلا الله تعالى.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ)، فإن معناه: يوم يجيء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله (يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ)، أي: يقول الذين ضيَّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب، من قبل ذلك في الدنيا (لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ)، أقسم المساكين حين عاينوا البلاءَ وحلّ بهم العقاب: أنّ رسل الله التي أتتهم بالنِّذارة وبلغتهم عن الله الرسالة، قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله، وذلك حين لا ينفعهم التصديق. ولا ينجيهم من سَخَط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ أَيْ مَا وعدوا به مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَقَالَ مَالِكٌ: ثَوَابَهُ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: لا يزال يجيء من تَأْوِيلُهُ أَمْرٌ حَتَّى يَتِمَّ يَوْمَ الْحِسَابِ حَتَّى يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ فيتم تأويله يومئذٍ وقوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ) أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ (يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ) أَيْ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ وَتَنَاسَوْهُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا (قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ) أَيْ فِي خلاصنا مما صرنا إليه مِمَّا نَحْنُ فِيهِ (أَوْ نُرَدُّ) إِلَى الدَّارِ الدنيا (فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) كَقَوْلِهِ (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) [الأَنْعَامِ: ٢٧- ٢٨] كَمَا قَالَ هَاهُنَا (قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) أي خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) أَيْ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا ينقذونهم مما هم فيه.

(١٢٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يوم يأتي تحقق ما وعدوا به من الثواب العقاب، ألا وهو يوم القيامة الذي تجزي كل نفس فيه بما كسبت يقول الذين تركوا هذا القرآن وهجروه وكذبوا بما فيه وكذَّبوا باليوم الآخر وبالجنة والنار، يقولون: قد جاءت رسل ربنا بالحق وببيانه وبالحث عليه، فهل لنا من شفعاء يشفعوا لنا عند ربنا حتى يرحمنا أو يشفعوا لنا كي نرجع إلى الدنيا فنعمل عملًا صالحًا غير الذي عملناه، وقطعًا لا جواب ولا شفيع لهم ولا مجيب فمن ثمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها بثمن بخس لما اعتاضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة، ورضوا بالدنيا واطمأنوا بها وزهدوا في الآخرة ورغبوا عنها، لقد تسببوا لأنفسهم في الجحيم، أما عن الآلهة التي كانوا في دنياهم يعبدونها مع الله ومن دون الله فكلها قد غابت عنهم واختفت فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، أنهم يقولون عند حلول سَخَط الله بهم، وورودهم أليمَ عذابه، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسلُ الله تعِدهم: هل لنا من أصدقاءَ وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا أو نردّ إلى الدنيا مرة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويُعْتِبُه من أنفسنا؟ قال هذا القولَ المساكينُ هنالك، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خُلة فيه لهم ولا شفاعة.

يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه:(قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ)، يقول: غَبَنوا أنفسهم حظوظها، ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم، بالخسيس من عَرَض الدنيا الزائل (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)، يقول: وأسلمهم لعذاب الله، وحار عنهم أولياؤهم، الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ويزعمون كذبًا وافتراء أنهم أربابهم من

(١٢٩) أحمر
أسود

دون الله.

(١٣٠) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٥٨

الكلمة	معناها
﴿رَبَّكُمُ﴾	سيدكم- مصلح أموركم- منعم عليكم بنعمه.
﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾	يغطي الليلُ بظلامه النهار.
﴿حَثِيثًا﴾	سريعًا.
﴿تَبَارَكَ﴾	ازداد خيره وعطاؤه ونما وتعالى وتعاظم وارتفع.
﴿تَضَرُّعًا﴾	تذللًا- استكانةً.
﴿وَخُفْيَةً﴾	سرًّا (بخشوع قلب).
﴿بُشْرًۢا﴾	مبشرات تُبشر بالمطر.

الكلمة	معناها

(١٣١) أحمر
أسود

﴿نَكِدًا﴾	عَسرًا- قليلًا تافهًا.
﴿نُصَرِّفُ﴾	ننوع- نبين.
﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾	ننوع الآيات في الموضوع الواحد حتى يفهم ولإقامة الحجة
﴿نَشْرًا﴾	طيبة لينة الهبوب.
﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾	أمام – متقدمةً (للمطر).
﴿أَقَلَّتْ﴾	حملت.
﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾	حملت سحابًا كثير الماء.
﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾	ليس فيه نبات.
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾	الأرض الطيبة التي طابت تربتها، العذبةُ مشاربها.
﴿خَبُثَ﴾	الأرض الخبيثة التربة، رديئة التربة.

س: ما الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض وما بينهما؟

ج: هذه الأيام هي أيام الأسبوع ما عدا السبت، فهي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن اليوم من هذه الأيام كألف سنةٍ مما نعدُّ وليس كأيامنا، والله أعلم[١].

الحكمة من خلق السموات والأرض في ستة أيام

س: ما الحكمة من خلق السموات والأرض في ستة أيام، والله قادر على أن يخلقها بكلمة كن فيكون؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَذَكَرَ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَلَوْ أَرَادَ خَلْقَهَا فِي لَحْظَةٍ لَفَعَلَ، إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ لَهَا كُونِي فَتَكُونُ.

---

(١) وقد تقدم مزيد من الكلام على هذه الآية في سورة البقرة فراجعها إن شئت.

وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ الْعِبَادَ الرِّفْقَ وَالتَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ، وَلِتَظْهَرَ قُدْرَتُهُ لِلْمَلَائِكَةِ شَيْئًا بَعْدَ شي.

وَهَذَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ: خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَحِكْمَةٌ أُخْرَى- خَلَقَهَا فِي ستة أيام لأن لكل شي عِنْدَهُ أَجَلًا. وَبَيَّنَ بِهَذَا تَرْكَ مُعَاجَلَةِ الْعُصَاةِ بالعقاب، لأن لكل شي عنده أجلا.

وهذا كقول: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) [ق: ٣٨، ٣٩]. بَعْدَ أَنْ قَالَ:(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا) [ق: ٣٦].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

فان قيل: فهلاَّ خلقها في لحظة، فانه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة:

أحدها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الانباري.

والثاني: أن التثبُّت في تمهيد ما خُلق لآدم وذرّيّته قبل وجوده، أبلغُ في تعظيمه عند الملائكة.

والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: كُنْ فَيَكُونُ.

والرابع: أنه علّم عباده التثبُّت، فاذا تثبت من لا يزلُّ، كان ذو الزّلل أولى بالتثبُّت.

والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.

س: اذكر بعض الأدلة على استقرار الله ﷻ على عرشة؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ وقد تقدمت عدة

نصوص في هذا الباب في تفسير سورة البقرة من كتابي «التسهيل» فراجعه إن شئت.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يغطي الليل بظلامه النهار ويطلبه سريعًا لا يتأخر عن وقته فإذا انتهى النهار جاء الليل بظلامه سريعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) أَيْ: يَذْهَبُ ظَلَامُ هَذَا بِضِيَاءِ هَذَا، وَضِيَاءُ هَذَا بِظَلَامِ هَذَا، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْآخَرَ طَلَبًا حَثِيثًا، أَيْ: سَرِيعًا لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، بَلْ إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس:٣٧-٤٠].

فَقَوْلُهُ: (وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ) أَيْ: لَا يَفُوتُهُ بِوَقْتٍ يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ فِي أَثَرِهِ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الشمس والقمر والنجوم كلها مسخرة مُذلَّلة بتسخير الله ﷻ لها وتذليله لها فلا تستطيع حراكًا ولا انتقالًا ولا طلوعًا ولاغروبًا ولا سقوطًا ولا بقاءً إلا بإذن الله كما قال تعالى: (وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ)، فالمخلوقات كلها بما فيها الشمس والقمر والنجوم مِلكٌ لله يأمر فيها بما يشاء ويحكم فيها بما يريد، تعالى ربنا وتعاظم وتكاثر الخير الوارد منه ونما فهو رب العالمين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلِهَذَا قَالَ: (يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ) مِنْهُمْ مَنْ نَصَبَ،

(١٣٤) أحمر
أسود

وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ، وَكِلَاهُمَا قَرِيبُ الْمَعْنَى،

أَيِ: الْجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ منبِّهًا: (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ)؟ أَيْ: لَهُ الْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، كقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كلّ ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمرَه، ألا لله الخلق كله، والأمرُ الذي لا يخالف ولا يردّ أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر، تبارك الله معبودُنا الذي له عبادة كل شيء، رب العالمين.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ج: هذا حثٌّ على الدعاء في خفاء بتذلل وتضرع واستكانة.

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وبين قوله تعالى: (ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً).

ج: وجه ذلك، والله أعلم، أن الأمر لما كان لله عَزَّ وَجَلَّ، وكذا الخلق خلقه ع وتكاثر الخير الوارد من عنده، ناسب ذلك أن نسأله كل ما نُريد وكلَّ ما نرجو فمن ثم قيل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

س: اذكر بعض الأدلة على استحباب إخفاء الدعاء؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى في شأن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

وفعله ﷺ إذ كان يقوم من الليل إذا ظن أهله قد ناموا فيدعو ويجتهد في الدعاء.

وقد أوردت مزيدًا من ذلك في تفسير سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ما المراد بالاعتداء ها هنا؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: إن المراد بالاعتداء هنا الاعتداء في الدعاء.

وقد ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

أحدها: أن يدعو على المسلمين بالشر، وبالخزي واللعنة.

الثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، ومن ما لم يعطه الله بني آدم.

الثالث: أنه الجهر في الدعاء، في المواطن التي لم يرد فيها الجهر، والله أعلم.

هذا: ومن العلماء من قال: إن المراد بالاعتداء ها هنا مجاوزة الحد المأمور به عمومًا في الدعاء وغيره، والله أعلم.

س: اذكر بعض صور الاعتداء في الدعاء؟

ج: من صور الاعتداء في الدعاء ما يلي:

ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: سؤالهم ما لا يليق بهم، وما لا علم لهم به، وسؤالهم ما يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وفي «سنن أبي داود»، و«مسند الإمام أحمد»[١] بسند صحيح عن أبي نعامة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: «**اللَّهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها**». فقال: يا بني سل الله ع الجنة وعُذْ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَكُونُ قَومٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطهُور**».

۞ ومن صور الاعتداء في الدعاء: أن يسأل الشخص ما لا يليق به، كمن يسأل ربه منازل الأنبياء وكمن يسأل ربه الوسيلة التي لا تنبغي إلا العبد من عباد الله يرجوها رسول الله ﷺ لنفسه، وكمن يسأل أن يكون له الشفاعة العظمى يوم القيامة، أو يسأل ما لايجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، كمن يسأل ربه أن ييسر له أمر السرقة وأمر الزنا وأمر الرِّشوة، أو يسأل ربه أن يفرق بين المسلمين، أو يسأل ربه أن يُخلد أبد الدهر أو يسأل ربه أن يفرق بين المسلمين، أو يسأل ربه أن يُخلد أبد الدهر أو يسأل ربه أن يغنيه عن الطعام والشراب طول حياته، فنحو هذه الأدعية مما يناقض حكمة الله ويخالف أمره ويضاد ما شرعه فكل ذلك اعتداء في الدعاء، وقد قال ع: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥]. فدعاء الرب بما

(١) أحمد في «المسند» (٥/٥٥)، وأبو داود (٢/١٦٢)، وابن ماجه (٣٨٦٤)، وغيرهم.

يخالف ما أمر به يعد اعتداءً في الدعاء.

والأمور التي علمنا من كتاب ربنا ﷻ ومن سنة نبينا ﷺ أن الله قد قضى قضاءً، ليس لن أن ندعو فيها بخلاف ما قضى فيها ربنا ﷻ.

۞ فليس لأحد أن يدعو للشيطان بالهداية والرحمة بعد أن ظهر قضاء الله فيه.

۞ وإبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه لما علم أنه عدو لله ولم يكن له أن يدعو له بالمغفرة.

۞ ونبينا ﷺ قال لعمه: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» ثم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

والشهداء لما سألوا ربهم الرجوع إلى الدنيا لم يجب لهم هذا الطلب.

وليس لأحد أن يسأل لنفسه النوبة بعد أن قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن صور الاعتداء في الدعاء(١): رفع الصوت(٢) به رفعًا زائدًا، ففي «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**» ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» أَوْ قَالَ: «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

وقد قال تعالى كما تقدم: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

---

(١) وقد فسر الاعتداء في الدعاء بالصياح في الدعاء أيضًا.

(٢) وقد وردت أن رسول الله ﷺ دعا بصوت سمعه أصحابه في بعض المواطن- ولكن ليس بتلك الصورة المرتفعة التي تشبه الصياح فقد دعا يوم بدر وسمعه أصحابه ودعا في الاستسقاء وسمعه أصحابه، ودعا الاخ لأبي موسى الأشعري وسمعه أصحابه و..فيقال: إن لرفع الصوت بالدعاء مواطن يفعل فيها وهي الورادة عن رسول الله ﷺ وما سوى ذلك فالأصل في الدعاء والذكر الخفية للآية: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ....﴾ وهذا من المسائل التي ستستفيض فيها إن شاء الله في كتابنا الكبير: (فقه الدعاء)، يسر الله إتمامه.

(١٣٧) أحمر
أسود

[الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير القيم: بعد أن ذكر حديث: «**سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**».

وعلى هذا فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب أو يسأله أن يطلعه على غيبه أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدا من غير زوجة ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء. فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب رسله.

وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضا في الدعاء. قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء، والنداء في الدعاء والصياح

وبعد: فالآية أعم من ذلك كله، وإن كان الاعتداء في الدعاء مرادا بها فهو من جملة المراد والله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره، كما قال:(وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠].

وعلى هذا فيكون قد أمر بدعائه وعبادته وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره. فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانا. فإن أعظم العدوان هو الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها. فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلا في قوله: (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) [الأعراف: ٥٥].

ومن العدوان: أن يدعوه دعاء غير متضرع، بل دعاء مدلّ، كالمستغني بما عنده المدل على ربه به. وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته. فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء: أن تعبده بما لا يشرعه، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه. فإن هذا الاعتداء في دعاء الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة

والطلب.

وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين:

أحدهما: محبوب للرب ع مرضى له، وهو الدعاء تضرعا وخفية.

والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير. وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه الله فأي خير يناله؟.

وفي قوله: (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) عقب قوله: (ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) [الأعراف: ٥٥] دليل على أن من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم. فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داع لله تضرعا وخفية، ومعتد بترك ذلك.

النهي عن الإفساد في الأرض وبيان بعض صور الإفساد

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

ج: هذا يتضمن النهي عن كل صور الإفساد في الأرض فمن ذلك الشرك بالله فهو أشد الفساد، وكذا تكذيب الرسل، وكذلك العصيان والتمرد على أوامر الله ﷻ فذلك فسادٌ في الأرض، وكذلك لا تفسدواها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، وكذلك تحريق الزروع والثمار وتخريب الآبار وهدم الطرق وتقطيع الأشجار لغير فائدة ونشر الرذائل ومحاربة الفضائل، وغير ذلك، كله من الإفساد في الأرض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا)، لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها، وذلك هو الفساد فيها.

وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى، وبينا معناه بشواهده.

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ يقول: بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته، بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق، وإيضاحه حججه لهم ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، يقول: وأخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئًا غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه.

وإنّ مَن كان دعاؤه إياه على غير ذلك، فهو بالآخرة من المكذبين، لأنّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه، لم يبال ما ركب من أمر يسخَطه الله ولا يرضاه (إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)، يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا، قريب منهم، وذلك هو رحمته، لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا) فِيهِ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَهَى عَنْ كُلِّ فَسَادٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ بَعْدَ صَلَاحٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ. فَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ عَلَى الصَّحِيحِ من الأقوال.

وقال الضحاك: معناه لا تعوروا الْمَاءَ الْمَعِينَ، وَلَا تَقْطَعُوا الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ ضِرَارًا.

وَقَدْ وَرَدَ: قَطْعُ الدَّنَانِيرِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَقَدْ قِيلَ: تِجَارَةُ الْحُكَّامِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: الْمُرَادُ وَلَا تُشْرِكُوا، فَهُوَ نَهْيٌ عَنِ الشِّرْكِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْهَرْجِ فِي الْأَرْضِ، وَأَمْرٌ بِلُزُومِ الشَّرَائِعِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ بِبَعْثِهِ الرُّسُلَ، وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَوُضُوحِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَقَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ قَصَدَ إِلَى أَكْبَرِ فَسَادٍ بَعْدَ أَعْظَمِ صَلَاحٍ فَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ.

قُلْتُ: وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الضَّحَّاكُ فَلَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَأَمَّا مَا يَعُودُ ضَرَرُهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَذَلِكَ جَائِزٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ عَوَّرَ مَاءَ قَلِيبِ بَدْرٍ وَقَطَعَ شَجَرَ الْكَافِرِينَ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي قَطْعِ الدَّنَانِيرِ فِي« هُودٍ» إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

(١٤٠) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وادعوه خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾ أَمْرٌ بِأَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي حَالَةِ تَرَقُّبٍ وَتَخَوُّفٍ وَتَأْمِيلٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ لِلْإِنْسَانِ كَالْجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ يَحْمِلَانِهِ فِي طَرِيقِ اسْتِقَامَتِهِ، وَإِنِ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا هَلَكَ الْإِنْسَانُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فَرَجَّى وَخَوَّفَ. فَيَدْعُو الْإِنْسَانُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ) [الأنبياء: ٩٠].

وَالْخَوْفُ: الِانْزِعَاجُ لِمَا لَا يُؤْمَنُ مِنَ الْمَضَارِّ. وَالطَّمَعُ: تَوَقُّعُ الْمَحْبُوبِ.

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْخَوْفُ الرَّجَاءَ طُولَ الْحَيَاةِ، فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ غَلَبَ الرَّجَاءُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ». صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

س: لماذا قيل: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ولم يقل قريبة؟

ج: قال بعض أهل العلم، أن المعنى: إن ثواب الله قريب من المحسنين.

وذكر القرطبي سبعة أوجهٍ ها هنا فقال:

أَوَّلُهَا: أَنَّ الرَّحْمَةَ وَالرُّحْمَ واحد، وهي بمعنى العفو الغفران، قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ.

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: الرَّحْمَةُ مَصْدَرٌ، وَحَقُّ الْمَصْدَرِ التَّذْكِيرُ، كَقَوْلِهِ:(فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ) [البقرة: ٢٧٥].

وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ الزَّجَّاجِ، لِأَنَّ الْمَوْعِظَةَ بِمَعْنَى الْوَعْظِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بالرحمة الإحسان، وَلِأَنَّ مَا لَا يَكُونُ تَأْنِيثُهُ حَقِيقِيًّا جَازَ تَذْكِيرُهُ، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالرَّحْمَةِ هُنَا الْمَطَرَ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ.

قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يُذَكَّرَ كَمَا يُذَكَّرُ بَعْضُ الْمُؤَنَّثِ. وَأَنْشَدَ:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ... وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

(١٤١) أحمر
أسود

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ذُكِّرَ« قَرِيبٌ» عَلَى تَذْكِيرِ الْمَكَانِ، أَيْ مَكَانًا قَرِيبًا. قَالَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ: وَهَذَا خَطَأٌ، وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ لَكَانَ« قَرِيبٌ» مَنْصُوبًا فِي الْقُرْآنِ، كَمَا تَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا قَرِيبًا مِنْكَ. وَقِيلَ: ذُكِّرَ عَلَى النَّسَبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ ذَاتُ قُرْبٍ، كَمَا تَقُولُ: امْرَأَةٌ طَالِقٌ وَحَائِضٌ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: إِذَا كَانَ الْقَرِيبُ فِي مَعْنَى الْمَسَافَةِ يُذَكَّرُ مؤنث، إن كَانَ فِي مَعْنَى النَّسَبِ يُؤَنَّثُ بِلَا اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ. تَقُولُ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَرِيبَتِي، أَيْ ذَاتُ قَرَابَتِي، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ.

وَذَكَرَهُ غَيْرُهُ عَنِ الْفَرَّاءِ: يُقَالُ فِي النَّسَبِ قَرِيبَةُ فُلَانٍ، وَفِي غَيْرِ النَّسَبِ يَجُوزُ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، يُقَالُ: دَارُكَ مِنَّا قَرِيبٌ، وَفُلَانَةُ مِنَّا قَرِيبٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: ٦٣]. وَقَالَ مَنِ احْتَجَّ لَهُ: كَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

لَـهُ الْوَيْـلُ إِنْ أَمْسَـى وَلَا أُمَّ هَاشِـمٍ ... قَرِيـبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَـةُ ابْنَـةُ يَشْـكُرَا

قَالَ الزَّجَّاج: وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ سَبِيلَ المذكر والمؤنث أن يجريا على أفعالهما.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قال الفراء: رأيت العرب تؤنِّث القريبة في النسب، لا يختلفون في ذلك، فاذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منّا قريب، ومن القرب والبعد، ذكّروا وأنّثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خَلَفًا من المكان، كقوله: (وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ) [هود: ٨٣].

وقوله تعالى:(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: ٦٣]، ولو أُنِّث ذلك لكان صوابًا. قال عروة:

عَشِـيَّةَ لاَ عَفْـرَاءُ مِنْـكَ قريبَـةٌ ... فَتَـدْنُو وَلاَ عَفْـرَاءُ مِنْـكَ بَعِيـدُ

وقال الزجاج: إنما قيل: «قريب» لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جائز أن تكون الرّحمة ها هنا في معنى المطر.

س: في قوله تعالى: (نُشرًا) قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءة الأولى: (نُشرًا) بالنون، ومعناها الطيبة لينة الهبوب.

والثانية: ﴿بُشْرًا﴾ أي: مبشرات بالمطر، والله أعلم.

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾.

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾.

ج: المراد بها، والله أعلم، الغيث (المطر) الذي يرحم الله به العباد والبهائم ويحيى به الأرض بعد موتها.

س: كثيرًا ما يضرب المثل ليوم القيامة وإحياء الأنفس بعد موتها بإحياء الأرض بعد موتها دلل على ذلك.

ج: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: (فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ).

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ الذي سخر الشمس والقمر والنجوم، والذي له الخلق والأمر هو الذي يرسل الرياح طيبة الهبوب لينة مبشرات بالمطر

(١٤٣) أحمر
أسود

ومقدماتٍ له، وهذه الرياح تسوق السحب وتحملها وتجمعها وتضم بعضها حتى إذا حملت سُحبًا كثيرة وتثاقلت تلك السحب ساقها الله لبلدةٍ ليس فيها نبات، فأنزلت ماءها وأنبتت الأرض بإذن الله، فأخرج الله بذلك من كل صنوف الثمار حلوها وحامضها، أحمرها وأصفرها، وأخضرها وغير ذلك، وهكذا وكما أننا أخرجنا صنوف الثمار بهذا الماء النازل من السماء فإننا نخرج الموتى يوم القيامة.

وهذا الذي ترونه من إحياء الأرض بعد موتها أريناكم إياه لعلكم تتذكرون بعثكم يوم القيامة، ولعلكم من ثمَّ تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله الذي يرسل الرياح ليّنًا هبوبها، طيبًا نسيمها، أمام غيْثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشئ بها سحابًا ثقالا حتى إذا أقلتها، و«الإقلال» بها، حملها، كما يقال: «استقلّ البعير بحمله»، و«أقله»، إذا حمله فقام به، ساقه الله لإحياء بلد ميت، قد تعفَّت مزارعه، ودَرَست مشاربه، وأجدب أهلُه، فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات.

وأما قوله: (كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)، فإنه يقول تعالى ذكره: كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذي ننزله من السحاب، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقُحُوط أهله، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم ودروس آثارهم (لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)، يقول تعالى ذكرُه للمشركين به من عبدة الأصنام، المكذبين بالبعث بعد الممات، المنكرين للثواب والعقاب: ضربتُ لكم، أيها القوم، هذا المثل الذي ذكرت لكم: من إحياء البلد الميت بقَطْر المطر الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها، لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن مَنْ كان ذلك من قدرته، فيسيرٌ في قدرته إحياء الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقًا سويًّا بعد دُرُوسها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا) أَيْ: حَمَلَتِ الرِّيَاحُ سَحَابًا ثِقَالًا أَيْ: مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، تَكُونُ ثَقِيلَةً قَرِيبَةً مِنَ الْأَرْضِ مُدْلَهِمَّةً، كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو ابْنِ نُفَيْلٍ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١٤٤) أحمر
أسود

وأسلمتُ وجْهي لمنْ أسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْمل عَذْبا زُلالا
وأسلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أسلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تحملُ صَخرًا ثِقالًا

وَقَوْلُهُ: (سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ) أَيْ: إِلَى أَرْضٍ مَيِّتَةٍ، مُجْدِبَةٍ لَا نَبَاتَ فِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) [يس:٣٣]؛ وَلِهَذَا قَالَ: (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ) أَيْ: كَمَا أَحْيَيْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، كَذَلِكَ نُحْيِي الْأَجْسَادَ بَعْدَ صَيْرُورَتِهَا رَمِيمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُنَزِّلُ اللهُ، ، مَاءً مِنَ السَّمَاءِ، فَتُمْطِرُ الْأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَتَنْبُتُ مِنْهُ الْأَجْسَادُ فِي قُبُورِهَا كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ. وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، يَضْرِبُ اللهُ مَثَلًا لِلْقِيَامَةِ بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ).

ج: المعنى إجمالًا- والله تعالى أعلم- بمراده أن الأرض الطيبة، طيبة المنبت التي تُسقى بماءٍ عذب وتُروى به يخرج نباتها نباتًا جيدًا نافعًا، أما الأرض الخبيثة التي خبثت تربتها كالأرض السبخة، والتي تُسقى بماء مالح وغير ذلك فلا يخرج منها نبات نافع إن خرج،وإنما يخرج عَسرًا قليلًا تافهًا غير نافع، كذلك ننوع الآيات ونبينها لقوم يقدِّمون لها شكرًا ويأخذون منها عبرًا ودروسًا.

قال الطبري خ:

يقول تعالى ذكره: والبلدُ الطيبة تربته، العذبةُ مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا، بإذنه، طيبًا ثمرُه في حينه ووقته. والذي خَبُث فردؤت تربته، وملحت مشاربه، لا يخرج نباته إلا نكدًا

يقول: إلا عَسِرًا في شدة، كما قال الشاعر:

لا تُنْجِزُ الوعْدَ، إنْ وَعَدْتَ، وإن أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهًا نَكِدَا

(١٤٥) أحمر
أسود

وقال أيضًا:

وقوله: (كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ)، يقول: كذلك: نُبين آية بعد آية، وندلي بحجة بعد حجة، ونضرب مثلا بعد مثل، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة، باتباعهم ما أمرَهم باتباعه، وتجنُّبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة. وهذا مثل ضرَبه الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، مثل للمؤمن، والذي خَبُث فلا يخرج نباته إلا نكدًا، مثلٌ للكافر.

أما بيان المستفاد من هذا المثل، وكمزيدٍ من الإيضاح والتوسع، فأقول، وبالله تعالى التوفيق.

الذي يبدو، والله تعالى أعلم، أن الغيث النازل من السماء بإذن الله يُضرب مثلًا للقرآن والعلم النافع والأرض الطيبة مثالٌ للقلوب الطيبة الأرض الخبيثة مثلٌ للقلوب الخبيثة.

فلما نزل القرآن على النبي ﷺ، وتلاه صلوات الله وسلامه عليه على الناس انتفع به أصحاب القلوب الطيبة فيآمنوا وصدقوا وعملوا بما أُمروا به وانتهوا عما نهوا عنه فأثمر فيهم القرآن والوحي، فعملوا الصالح من الأعمال وتكلموا بالطيب من الأقوال ونشروا الخير في الأرض وأصلحوا أنفسهم وأصلحوا غيرهم،وتعلموا وعلَّموا.

أما أصحاب القلوب الخبيثة فكانوا كالأرض الخبيثة، الأرض السبخة التي لم تنتفع بماءٍ، ولم تنبت شيئًا نافعًا.

فهؤلاء أصحاب القلوب الخبيثة ما انتفعوا من القرآن بشيء، فكانت أقوالهم خبيثة وأعمالهم خبيثة، وسعوا في الأرض بالشرِّ والفساد وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ﷻ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ

(١٤٦) أحمر
أسود

بِهِ»[١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ الذي هو مستعد له ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ من الأراضي ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إلا نباتا خاسا لا نفع فيه ولا بركة.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلا بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئا، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ الآيات.

---

(١) البخاري (حديث ٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

(١٤٧) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَىٰ:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ
إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى
رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
عَمِينَ ٦٤ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى
سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠
لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ
وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ٧١
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ
وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ٧٢

(١٤٨) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	اخضعوا لله وأطيعوه واستكينوا له وتذللوا وافعلوا ما يأمركم به وانتهوا عما ينهاكم عنه.
﴿ضَلَٰلٖ﴾	ذهاب عن الحق.
﴿مُّبِينٖ﴾	مظهرٌ لمن تأمله أن الشخص ليس على الحق.
﴿ٱلۡمَلَأُ﴾	الأشراف والكبراء وسادة القوم وجماعة الرجال.
﴿عَمِينَ﴾	عميانًا عن الحق.
﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	أفلا تحذرون ربكم وتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية، وذلك بتوحيدكم لله عزَّ وجل وطاعتكم رسله.
﴿سَفَاهَةٖ﴾	قلة عقل- رقة عقل- ضلال عن الحق.
﴿بَصۡطَةٗ﴾	طولًا في الأجسام وقوةً فيها وضخامة.
﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾	نِعم الله.
﴿وَنَذَرَ﴾	نترك.
﴿وَقَعَ عَلَيۡكُم﴾	حلَّ بكم- قُضي عليكم بعذاب.
﴿رِجۡسٞ﴾	عذابٌ- سخطٌ.
﴿سُلۡطَٰنٖ﴾	حجة.
﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ﴾	أهلكنا القوم عن آخرهم.
﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾	لم يكونوا مصدقين بوحدانية الله ﷻ ولا برسولهم هود عليه السلام

شيء من ذكر نبي الله نوح عليه السلام

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

ج: يُذكِّرُ الله المخاطبين بأنه أرسل نوحًا عليه السلام- وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض- إلى قومه مخوِّفًا مُحذِّرًا مذكرًا لهم بعاقبة ما هم فيه من الشرك، وآمرًا لهم بتوحيد الله ﷻ، قال سبحانه ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾

(١٤٩) أحمر
أسود

أي: اخضعوا له واستكينوا له واستجيبوا له واركعوا له واسجدوا واسمعوا له وأطيعوا وتذللوا له وانكسروا وافعلوا ما يأمركم به وانتهوا عما ينهاكم عنه فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

وعلل نوح عليه السلام ذلك بقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فهو إلهكم وربكم وخالقكم ومليككم ثم ذكَّرهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهو عذاب يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية: أنه أرسل نوحًا إلى قومه، منذرَهم بأسَه، ومخوِّفَهم سَخَطه، على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: يا قوم، اعبدوا الله الذي له العبادة، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك(عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، يعني: عذابَ يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربِّكم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ج: هذا بيانٌ لما أجاب به قوم نوح نوحًا عليه السلام لما دعاهم إلى الله عز وجل وإلى توحيده وعبادته وحده لا شريك له فقال له كبراؤهم وسادتهم وقادتهم إنا لنراك في ضلال مبين، أي: في بُعدٍ عن الحق، مظهرٌ لمن تأمله أنك لست بصائب فيما تدعونا إليه.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عن جواب مشركي قوم نوح لنوح، وهم(ٱلْمَلَأُ) و(ٱلْمَلَأُ)، الجماعة من الرجال، لا امرأة فيهم أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له:(إِنَّا لَنَرَىٰكَ)، يا نوح (فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)، يعنون في أمر زائل عن الحق، مبين زوالهُ عن قصد الحقّ لمن تأمله.

قال السعدي خ «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فلم يكفهم - قبحهم الله - أنهم لم ينقادوا له، بل

(١٥٠) أحمر
أسود

استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد.

وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي لا تروج على أضعف الناس عقلا وإنما هذا الوصف منطبق على قوم نوح، الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئا، فنزلوها منزلة فاطر السماوات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم وأعقل.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

ج: هذا بيانٌ لم أجاب به نوحٌ عليه السلام قومه لما وصفوه بأنه في ضلال، فقال- ومنه نتعلم أدب الجواب وأدب الخطاب-: يا قوم ليس بي ضلالة، أي: لست في ذهاب عن الحق وبُعدٍ عنه كما تدعون، ولكني رسولٌ أرسلني الله عز وجل رب العالمين إليكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه مجيبًا لهم: يا قوم، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة، زوالا مني عن محجة الحقّ، وضلالا لسبيل الصواب، وما بي ما تظنون من الضلال، ولكنّي رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به: من إفراده بالطاعة، والإقرار له بالوحدانية، والبراءة من الأنداد والآلهة.

س: في قول نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ أدب من آداب التخاطب، وضحه.

ج: إيضاحه أن نوحًا عليه السلام لم يواجه قومه ولم يقابلهم بمثل ما قالوه له، فلم يقل لهم بل أنتم الضلال، وإن كانوا ضلالًا بلا شك، ولكنه قال نافيًا عن نفسه الضلالة، يا قوم ليس بي ضلالة.

س: ما الشيء الذي يعلمه نوحٌ من ربه وقومه لا يعلمونه الذي عناه بقوله: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

ج: ذلك عموم ما خصَّه الله به من العلم، ومن ذلك أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه: (وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، أرسلني إليكم، فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقابَ الله على كفركم به، وتكذيبكم إياي، وردّكم نصيحتي (وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، من أن عقابه لا يردُّ عن القوم المجرمين.

س: وضح معنى قول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

ج: معناه، والله أعلم، ما الذي دعاكم إلى التعجب الذي أنتم فيه هل دعاكم إلى التعجب أن أرسل الله رسولًا من بينكم تعرفونه وتعرفون نسبه ويتكلم بلسانكم يحذركم عاقبة عصيانكم ويعظكم بوعظٍ من ربكم كي تنزجروا عما أنتم فيه من الباطل وتجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية ومن ثم يرحمكم ربكم عَزَّ وَجَلَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا خبر من الله عز ذكره عن قِيل نوح لقومه أنه قال لهم، إذ ردُّوا عليه النصيحة في الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيًّا، وقالوا له: (مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) [هود: ٢٧]، (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ)، يقول: أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعِظة، يذكركم بما أنزل ربكم (عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ)، قيل: معنى قوله: (عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ)، مع رجل منكم (لِيُنذِرَكُمْ)، يقول: لينذركم بأس الله ويخوِّفكم عقابه على كفركم به (وَلِتَتَّقُوا۟)، يقول: وكي تتقوا عقابَ الله وبأسه، بتوحيده وإخلاص الإيمان به، والعمل بطاعته (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، يقول: وليرحمكم ربكم إن اتقيتم الله، وخفتموه وحَذِرتم بأسه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ).

(١٥٢) أحمر
أسود

ج: معنى ذلك- والله تعالى أعلم- أن قوم نوح كذبوه فيما دعاهم إليه من وحدانية الله ﷻ، وتمادوا في الغي وتمادوا في الشرك فحفظناه وسلمناه هو من آمن معه، وذلك بأن أوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وكذلك فليحمل فيها من آمن معه ومن كلٍّ زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول منهم- كما سيأتي في سورة هود، وفي غيرها إن شاء الله-، ثم جاء الطوفان قوم نوح فأغرقهم وأفناهم وأبادهم وأغرق المكذبين المعاندين فقد كانوا في عميً عن الحق عميانًا عن دعوة المرسلين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فكذب نوحًا قومه إذ أخبرهم أنه لله رسولٌ إليهم، يأمرهم بخلع الأنداد، والإقرار بوحدانية الله، والعمل بطاعته، وخالفوا أمر ربهم، ولجُّوا في طغيانهم يعمهون، فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به، وكانوا بنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنفسًا عشرة.

شيءٌ من ذِكر نبي الله هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

س: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ معطوف عَلَام؟

ج: معطوف على ما ذكر من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ فيكون المعنى، وكما أرسلنا نوحًا إلى قومه أرسلنا هودًا إلى قومه، وهم قوم عاد.

س: قوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ما وجهه؟

ج: قال بعض أهل العلم:

إنه كان أخاهم على الحقيقة ابن أبيهم[١].

وقيل: إنه كان أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشرًا من أبيهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقيل: أخاهم بمعنى صاحبهم، والله أعلم.

س: مَنْ عادٌ هؤلاء وأين كانوا يسكنون؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) ذكرها القرطبي في تفسيره.

(١٥٣) أحمر
أسود

قال محمد بن إسحاق: هم ولد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.

قلت: وهؤلاء هم عاد الأولى، الذين ذكرهم الله، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العمد في البر، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر: ٦-٨] وذلك لشدة بأسهم وقوتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥].

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل.

ونقل أيضًا عن ابن إسحاق قوله:

كانوا يسكنون باليمن بين عمان وحضرموت، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله. وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، فبعث الله إليهم هودا عليه السلام، وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا، فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفّوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوا نبيَّه، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبّروا وبنوا بكل ريع ريع آية عبثا بغير نفع، كلمهم هود فقال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٢٨- ١٣١]، ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٣- ٥٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أرسلنا نوحًا إلى قومه فقد أرسلنا أيضًا إلى قبيلة عادٍ أخاهم هودًا عليه السلام يحذرهم عاقبة ما هم فيه من الشرك والضلال ويأمرهم بعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ويبين له خطر ما هم عليه وسوء العاقبة إذا ماتوا على ذلك.

(١٥٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ولذلك نصب(هُودًا) ، لأنه معطوف به على(نُوحٍ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قال هود: يا قوم، اعبدوا الله فأفردوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلهًا غيره، فإنه ليس لكم إله غيره (أَفَلَا تَتَّقُونَ)، ربكم فتحذرونه، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره، وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه؟

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: مخبرًا عما أجاب هودًا به قومُه الذين كفروا بالله:(قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)، يعني: الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هودًا إليهم (إِنَّا لَنَرَىٰكَ)، يا هود (فِى سَفَاهَةٍ)، يعنون: في ضلالة عن الحق والصواب بتركك ديننا وعبادة آلهتنا (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ)، في قيلك:«إنّي رسول من رب العالمين قال:(قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ)، يقول: أي ضلالة عن الحق والصواب (وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، أرسلني، فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأؤدّيها إليكم كما أمرني أن أؤدِّيها.

س: لماذا قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ولم يقطعوا أنه من الكاذبين؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن الظن أحيانًا يأتي بمعنى اليقين كما في قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾

وقال آخرون من أهل العلم: إن أهل الكفر أحيانًا يتصنعون التعفل، ولا يقطعون كي يتركوا لأنفسهم فحسة حتى إذا انتقدهم منتقدٌ وجدوا متنفسًا فيما قالوه، والله أعلم.

(١٥٥) أحمر
أسود

س: اذكر المعنى الإجمالي لقول هودٍ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يعني بقوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، أؤدي ذلك إليكم، أيها القوم، ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾، يقول: وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله، ناصحٌ، فاقبلوا نصيحتي، فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدِّل، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ)، يقول: أوعجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة، على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)، يقول: فاتقوا الله في أنفسكم، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم، وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لمّا أهلكهم أبدلكم منهم فيها، فاتقوا الله أن يحلّ بكم نظير ما حل بهم من العقوبة، فيهلككم ويبدل منكم غيركم، سنَّته في قوم نوح قبلكم، على معصيتكم إياه وكفركم به (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً)، زاد في أجسامكم طولا وعِظَمًا على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم، نعمة منه بذلك عليكم، فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقُوَاكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأنداد (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، يقول: كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعم في الآخرة، وتنجحوا في طلباتكم عنده.

س: قوله: ﴿أَمِينٌ﴾ على ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: أمين على الوحي الذي يبلغه عن الله عز وجل، وأمين في كل شيء أمر بتأديته أو حفظه، والله أعلم.

تعجب الكفار من إرسال رسولٍ بشرى

س: دائمًا يتعجب الكفار من إرسال رسولٍ من البشر دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ).

۞ وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ).

۞ وقوله تعالى: (بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ) [ق:٢]

۞ وقوله تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) [القمر: ٢٣، ٢٤].

۞ وقوله تعالى: (أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) [التغابن: ٦].

۞ وقوله تعالى: (وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) [المؤمنون: ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى هود عليه السلام: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ أَيْ: لَا تَعْجَبُوا أَنْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ أَيَّامَ اللهِ وَلِقَاءَهُ، بَلِ احْمَدُوا اللهَ عَلَى ذَاكُمْ، (وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أَيْ: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، الَّذِي أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِدَعْوَتِهِ، لَمَّا خَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ أَيْ: زَادَ طُولَكُمْ عَلَى النَّاسِ بَسْطَةً، أَيْ: جَعَلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فِي قِصَّةِ طَالُوتَ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة:٢٤٧] (فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ: نِعَمَهُ ومننه عَلَيْكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

س: ما هذه الآلاء التي أمر هودٌ عليه السلام قومه أن يذكروها؟

(١٥٧) أحمر
أسود

ج: من هذه الآلاء ما منَّ الله به عليهم من صحة الأبدان وسعة الأرزاق والأمن في البلاد وكثرتهم وغير ذلك.

ومن ذلك ما هو اجلُّ وأعظمُ، ألا وهو إرسال رسول لتذكيرهم لإنقاذهم من عذاب الله ﷻ، والله أعلم.

س: وضح معنى قول الكفار: (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ).

ج: إيضاحه، والله أعلم أن قبيلة عاد تتعجب من نبيها هود عليه السلام، ويستغربون ما جاء به فيقولون له أجئتنا على أنك رسولٌ من عند الله تأمرنا بعبادة الله وحده، وترك ما كان يعبد الآباء والأجداد وتحذرنا من عقوبة ذلك، وتتوعدنا بالعذاب إذا عبدنا مع الله إلهًا آخر، فأتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به إن كنت من الصادقين في قيلك: أننا سنعذب إذا أشركنا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قالت عاد له: أجئتنا تتوعَّدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين، كي نعبد الله وحده، وندين له بالطاعة خالصًا، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها، ونتبرَّأ منها؟ فلسنا فاعِلي ذلك، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقابِ والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه مِنَ الأوثان، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعِدُ.

س: كثيرًا ما يتمنى الكفار – بجهلهم وغبائهم – حلول العذاب ونزوله، ويستعجلون ذلك، دلِّل على هذا.

ج: من الأدلة على هذا ما يلي:

۞ قولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

۞ وقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

۞ وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ إلى غير ذلك من الأدلة.

س: وضح معنى قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أتجادلونني كي تثبتوا لي صحة ما افتريتموه وادعيتموه من وجود آلهة أخر مع الله، وإنما هي أسماء لا حقيقة لها ولا معنى ولا وجود لها كالذي يأكل البصل مثلًا ويصطلح مع نفسه على أن يسمى البصل لحمًا فيخرج للناس قائلًا:

أكلت لحمًا، وهذا عين الباطل فهو لم يأكل اللحم، وإنما أكل بصلًا.

فالقوم صنعوا أصنامًا من أحجار ودعوها من دون الله وائتفكوها واختلقوها، وما أنزل الله بشيء من ذلك حجةً ولا برهانًا ولا أمر بعبادتها لا من قريب ولا من بعيد، أما قوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي: فانتظروا ما وعدتكم به من عذاب الله إن أنتم أقمتم على كفركم واستمررتم عليه.

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ إني منتظر قدر الله ﷻ الذي قدَّره عليَّ وعليكم.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ الآية.

لم يبين هنا شيئًا من هذا الجدال الواقع بين هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبين عاد. ولكنه أشار إليه في مواضع أخر كقوله: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣-٥٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١٥٩) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أمر الله ﷻ لما حلَّ بالقوم سلَّم الله هودًا والذين آمنوا معه برحمة من الله، ولم يُبق من الظالمين المكذبين أحدًا، بل أفناهم عن آخرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحًا والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما دعَا إليه، من توحيد الله، وهجر الآلهة والأوثان (بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا) يقول: وأهلكنا الذين كذَّبوا من قوم هود بحججنا جميعًا عن آخرهم، فلم نبق منهم أحدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم) فإنه يقول: أتخاصمونني في أسماء سمَّيتموها أصنامًا لا تضر ولا تنفع (أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ) يقول: ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها، ولا معذرة تعتذرون بها، لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية، ورزق ومنَع.

فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس، فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ، إلا أن تتخذ منه آلةً، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه، لأن الله لم يأذن بذلك، فيعتذر من عبدَه بأنه يعبده اتباعًا منه أمرَ الله في عبادته إياه.

ولا هو -إذ كان الله لم يأذن في عبادته- مما يرجى نفعه، أو يخاف ضرّه، في عاجل أو آجل، فيعبد رجَاء نفعه، أو دفع ضره (فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ) يقول: فانتظروا حكمَ الله فينا وفيكم (فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ) حكمَه وفصل قضائه فينا وفيكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ هُودٌ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ) أَيْ: قَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ بِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ قِيلَ: هُوَ مَقْلُوبٌ مِنْ رِجْزٍ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ السخط وَالْغَضَبُ (أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم) أَيْ: أَتُحَاجُّونِي فِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ آلِهَةً، وَهِيَ لَا تَضُرُّ وَلَا

(١٦٠) أحمر
أسود

تَنْفَعُ، وَلَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا حُجَّةً وَلَا دَلِيلًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ مِنَ الرَّسُولِ لِقَوْمِهِ؛ وَلِهَذَا عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

س: ما صورة العذاب التي أهلك الله بها عادًا؟

ج: أهلكوا بريح صرصرٍ عاتية، كما قال الله ع: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّةُ:٦-٨] لَمَّا تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِرِيحٍ عَاتِيَةٍ، فَكَانَتْ تَحْمِلُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فَتَرْفَعُهُ فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ تُنَكِّسُهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فتبلغ رَأْسَهُ حَتَّى تُبينه من بين جُثَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

(١٦١) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ٧٣ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ
فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٧٤ قَالَ
ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ
مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ
بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ
ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
٧٩ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ
أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ٨٤

الكلمة	معناها
﴿ثَمُودَ﴾	اسم رجل نُسبت إليه قبيلة.
﴿بَيِّنَةٌ﴾	دلالة على صدقي فيما أخبرتكم به (وهي: الناقة التي طلبوها).
﴿ءَايَةً﴾	علامة ودلالة ومعجزة.
﴿فَذَرُوهَا﴾	اتركوها.
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾	لا تلحقوا بها أذى – لا تقتلوها.
﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾	فيصيبكم (عذابٌ أليم تموتون بسببه).
﴿خُلَفَآءَ﴾	جمع خليفة، والمراد: أنكم تخلفون من سبقكم بعد إهلاكهم.
﴿سُهُولِهَا﴾	الأماكن المستوية التي ليست بجبال.
﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾	نعم الله.
﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾	لا تسيروا- لا يشتد إفسادكم.
﴿ٱلْمَلَأُ﴾	الأشراف- عليةُ القوم (في الدنيا).
﴿مُّؤْمِنُونَ﴾	مصدقون.
﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾	جرحوا الناقة- نحروها- وقيل: العقر كشف عرقوب البعير وقيل للعقر نحرٌ؛ لأنه سبب في النحر.
﴿وَعَتَوْا۟﴾	علوا في الباطل وتمادوا فيه- استعلوا عن الحق.
﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾	الصيحة التي زعزعتهم- زلزلة شديدة- صيحة شديدة.
﴿جَٰثِمِينَ﴾	صرعى ميتين لا يتحركون، وقيل: جاثمين على الركب؛ باركين عليها.
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾	فأعرض عنهم.
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	أتفعلون ما فحش من الأفعال، والمراد: (أتجامعون الذكور في الأدبار).

(١٦٣) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿مُّسۡرِفُونَ﴾	أتفعلون ما فحش من الأفعال، والمراد: (أتجامعون الذكور في الأدبار).
﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾	تفعلون ما حرِّم عليكم وتتجاوزون الحدود في فعل المحرم.
﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾	يتنزهون عن فعل المحرم- يتطهرون عن أدبار الرجال.
	الباقين في العذاب - الباقين في الهلاك- الهالكين.
﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	آخر أمر المجرمين- نهايتهم- العقوبة التي حلَّت بهم.

شيء من ذكر نبي الله صالح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًاۗ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود رسولًا وهو أخوهم صالح عليه السلام.

س: مَن ثمود، وما شأنهم؟

ج: قيل إن ثمود اسم شخص، وهو ثمود بن غائر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن غائر، وكانت مساكنهما في الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله.

ومعنى الكلام: وإلى بني ثمود أخاهم صالحًا. قاله الطبري.

قلت: فعلى ذلك فثمود اسم لشخص تناسل وتكاثر أبناؤه وأحفاده ونسبت إليه تلك القبيلة والله أعلم.

ثم إن هذه القبيلة طغت وبغت وتمردت على أوامر الله عز وجل واستكبرت وتعالت، وذلك كله بعد أن بوأهم الله عز وجل في الأرض يتخذون من سهولها قصورًا وينحتون الجبال بيوتًا، فلم يُقدِّموا شكرًا ولم يطيعوا لربهم أمرًا فأرسل الله عز وجل إليهم نبيًّا كريمًا

(١٦٤) أحمر
أسود

من أوسطهم نسبًا وأشرفهم حسبًا يدعوهم إلى الله ﷻ ويُذكرهم بأوامره ويحذرهم من نواهيه فازدادوا عتوًّا وفسادًا، وسألوه- على وجه التعجيز- آية ودلالة على صدقه فيما جاء به من النبوة،وطلبوا ناقة عشراء ضخمة يكفيهم جميعًا لبنها فخرجت ناقة عظيمة عشراء وولدت واستمتعوا بألبانها، فقد كان لبنها يكفيهم جميعًا وكانت ثمَّ بئرٌ فيها ماء فكان للناقة يوم تشرب من ماء البئر وكان للقوم يوم آخر كما قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ وكما قال سبحانه: (هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ).

واستمروا على ذلك زمانًا، ولكنهم أيضًا تمردوا وكفروا وازدادوا عتوًّا وتآمروا لقتل الناقة، بل ولقتل نبيهم صالح عليه السلام فكان من أمرهم ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم في عدة سورة كهذه السورة وسورة النمل وسورة القمر وسورة الشمس وغير ذلك من السور.

هذا، وقد قال الحافظ كثير خ – في تفسيره- في شأن هذه القبيلة:

قال علماء التفسير والنسب: ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طَسْم، كُلُّ هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحْيَاءً مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عليه السلام، وَكَانَتْ ثَمُودُ بَعْدَ عَادٍ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَشْهُورَةٌ فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَا حَوْلَهُ، وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قُرَاهُمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ.

وأورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما في ذلك، وفيه- كما عزاه للإمام أحمد[1] لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ عَلَى تَبُوكَ، نَزَلَ بِهِمُ الْحِجْرَ عِنْدَ بُيُوتِ ثَمُودَ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ مِنَ الْآبَارِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودُ، فَعَجَنُوا مِنْهَا وَنَصَبُوا مِنْهَا الْقُدُورَ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَهْرَقُوا الْقُدُورَ، وَعَلَفُوا العجينَ الإبلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ عَلَى الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا النَّاقَةُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عُذِّبُوا وَقَالَ: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ**».

وفي رواية[2] عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ، وهو بالحجر: «**لَا**

---

(١) أحمد في المسند (١٢٤/١) والبخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١) بنحوه.

(٢) المسند (٧٤/٢).

(١٦٥) أحمر
أسود

تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ المعذَّبين إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مثلُ مَا أَصَابَهُمْ».

وأورد بسندٍ حسن[١] عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ». فقالوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ».

وقد أورد الطبري في شأنهم آثار لا تخلو من مقال من أمثلها ما أورده من طريق الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل قال، قالت ثمود لصالح: ائتنا بآية إن كنت من الصادقين! قال: فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هَضْبَةٍ من الأرض! فخرجوا، فإذا هي تَتَمَخَّض كما تتمخَّض الحامل، ثم إنها انفرجت فخرجت من وسَطها الناقة، فقال صالح: (هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)، (لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ) [الشعراء:١٥٥]. فلما ملُّوها عقروها، فقال لهم: (تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ) [هود:٦٥].

قال عبد العزيز: وحدثني رجل آخر: أنّ صالحًا قال لهم: إن آية العذاب أن تصبحوا غدًا حُمْرًا، واليوم الثاني صُفْرًا، واليوم الثالث سُودًا، قال: فصبَّحهم العذاب، فلما رأوا ذلك تحنَّطوا واستعدُّوا.

وثمَّ آثارٌ كثيرة أوردها الطبري وغيره لا تخلو من مقال[٢].

س: كيف قيل: أخاهم صالحًا، وليسوا بمؤمنين؟

ج: قيل- كما تقدم نظير ذلك في شأن نبي الله هود عليه السلام- كان أخًا لهم في

(١) أحمد في المسند (٣/٢٩٦)، وله طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم.
(٢) الطبري (١٤٨١٨) وهو موقوف كما ترى.

(١٦٦) أحمر
أسود

النسب، وقيل كان أخًا لهم؛ لكونه من نفس القبيلة التي هم، منها، وقيل: إن ذلك قيل لكون الجميع أبناء آدم عليه السلام والله أعلم.

س: ما الدعوة التي جاء بها صالحٌ عليه السلام؟

ج: جاء- كما جاء غيره من المرسلين- يدعو إلى عبادة الله عز وجل وطاعته واتباع أمره، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) [النحل: ٣٦].

س: ما هذه البينة التي جاءتهم من ربهم؟

ج: هي الدلالة على صدقه فيما ذكره لهم من نبوته ورسالته وهي الناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح عليه السلام، وقد جاء تفصيل ذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: (قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ) أَيْ: قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ. وَكَانُوا هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا صَالِحًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَاقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ تَخْرُجَ لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاء عَيّنوها بِأَنْفُسِهِمْ، وَهِيَ صَخْرَةٌ مُنْفَرِدَةٌ فِي نَاحِيَةِ الحِجْر، يُقَالُ لَهَا: الكَاتبة، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِنْهَا نَاقَةً عُشَراء تَمْخَضُ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ لَئِنْ أَجَابَهُمُ اللهُ إِلَى سُؤَالِهِمْ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طُلْبتهم لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَتْبَعُنَّهُ؟ فَلَمَّا أَعْطَوْهُ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ، قَامَ صَالِحٌ، عليه السلام، إِلَى صِلَاتِهِ وَدَعَا اللهَ، عز وجل، فَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ ثُمَّ انْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةٍ جَوْفاء وَبْرَاء يَتَحَرَّكُ جَنِينُهَا بَيْنَ جَنْبَيْهَا، كَمَا سَأَلُوا، فَعِنْدَ ذَلِكَ آمَنَ رَئِيسُ الْقَوْمِ وَهُوَ: «جُندَع

(١٦٧) أحمر
أسود

ابْنُ عَمْرٍو» وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَأَرَادَ بَقِيَّةُ أَشْرَافِ ثَمُودَ أَنْ يُؤْمِنُوا فَصَدَّهُمْ «ذُؤاب ابْنُ عَمْرِو بْنِ لَبِيدٍ» «وَالْحُبَابُ» صَاحِبُ أَوْثَانِهِمْ، وَرَبَابُ بْنُ صَمْعَرَ بْنِ جَلْهَسَ، وكان لـ«جندع بْنِ عَمْرٍو» ابْنُ عَمٍّ يُقَالُ لَهُ: «شِهَابُ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ مُحَلَّاةَ بْنِ لَبِيدِ بْنِ حَرَاسٍ»، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ ثَمُودَ وَأَفَاضِلِهَا، فَأَرَادَ أَنْ يُسْلِمَ أَيْضًا فَنَهَاهُ أُولَئِكَ الرَّهْطُ، فَأَطَاعَهُمْ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ مُؤْمِنِي ثَمُودَ، يُقَالُ لَهُ مِهْوَسُ بْنُ عَنْمَةَ بْنِ الدُّمَيْلِ، رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرو ... إِلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوا شِهَابا
عَزِيزَ ثَمُودَ كُلُّهُمُ جَمِيعًا ... فَهَمَّ بِأَنْ يُجِيبَ فَلَوْ أَجَابَا
لأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزًا ... وَمَا عَدَلوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤابا
وَلَكِنَّ الغُوَاة مِنْ آلِ حُجْرٍ ... تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدهم ذِئَابَا

فَأَقَامَتِ النَّاقَةُ وَفَصِيلُهَا بَعْدَ مَا وَضَعَتْهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُدَّةً، تَشْرَبُ مَاءَ بِئْرِهَا يَوْمًا، وَتَدَعُهُ لَهُمْ يَوْمًا، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمَ شُرْبِهَا، يَحْتَلِبُونَهَا فَيَمْلَئُونَ مَا شَاءُوا مِنْ أَوْعِيَتِهِمْ وَأَوَانِيهِمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ) [الْقَمَر:٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: (هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) [الشُّعَرَاءِ:١٥٥] وكانت تسرح في بعض تلك الأودية تَرِدُ مِنْ فَجٍّ وَتَصْدُرُ مِنْ غَيْرِهِ لِيَسَعَهَا؛ لأنها كانت تتضلَّع عن الْمَاءِ، وَكَانَتْ -عَلَى مَا ذُكِرَ- خَلْقًا هَائِلًا وَمَنْظَرًا رَائِعًا، إِذَا مَرَّتْ بِأَنْعَامِهِمْ نَفَرَتْ مِنْهَا. فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ وَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لِصَالِحٍ النَّبِيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهَا، لِيَسْتَأْثِرُوا بِالْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمُ اتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى قَتْلِهَا.

قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِي قَتَلَ النَّاقَةَ طَافَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِقَتْلِهَا حَتَّى عَلَى النِّسَاءِ فِي خُدُورِهِنَّ، وَعَلَى الصِّبْيَانِ.

قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا) [الشَّمْس:١٤] وَقَالَ (وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا) [الإسراء: ٥٩]: (فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ) فَأَسْنَدَ ذَلِكَ عَلَى مَجْمُوعِ الْقَبِيلَةِ، فَدَلَّ عَلَى رِضَا

(١٦٨) أحمر
أسود

جَمِيعِهِمْ بِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

قال السعدي خ في «تفسيره»:

واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: (تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ) أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم «احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب .هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟». فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله ﷺ مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير[١] كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما.

---

(١) كذا قال السعدي رحمه الله، وفيما قاله بعض النظر محله إن شاء الله كتابي: (أصول التفسير).

(١٦٩) أحمر
أسود

س: معلوم أن الله ﷻ له الخلقُ والأمر، وله ملك السموات والأرض وما فيهن، فلماذا قيل في الناقة خاصة- دون سائر النوق- هذه ناقة الله، مع أن كل سائر النُّوق إنما خلقها الله ﷻ؟

ج: قيل في الجواب على ذلك، والله أعلم: إن الإضافة في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ إضافة تشريف كما تعالى في شأن المساجد: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] مع أن كل البيوت لله وكل الأماكن لله ﷻ.

وثمَّ قولٌ آخر حاصله: أن هذه الناقة قيل عنها ناقة الله لكونها جاءت من عند الله بغير طريق التوالد والتناسل المعلوم لدى الناس في أمر الإبل، ولكنها خرجت من صخرة، وخرجت عظيمة هائلة لا كسائر النوق، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾.

ج: المعنى، فاتركوها وشأنها ترعى في المراعي والجبال ليس عليكم رزقها ومؤونتها.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا).

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن نبيَّ الله صالحًا عليه السلام ذكَّر قومه بنعم الله عليه قائلًا: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ أي: وتذكروا ولا تنسوا نعم الله عليكم في كونه جعلكم خلفاء من بعد قوم عادٍ وأنزلكم منازل في الأرض، ففي سهولها وهي الأماكن المستوية منها تبنون القصور، وكنتم أيضًا تتخذون البيوت في الجبال، قيل: إن السقوف والأبنية كانت تُبلى قبل فناء أعمارهم، فاذكروا هذه النعم واشكروها ولا تسيروا في الأرض بالفساد والله أعلم.

س: هل يجوز بناء القصور؟

ج: نعم يجوز بناءالقصور عند الاحتياج إليها، فقد ذكَّر الله ﷻ قوم ثمود بنعمه

(١٧٠) أحمر
أسود

عليهم، ومنه تمكينهم من بناء القصور في السهول، إذ قال سبحانه ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾. واستدل بعض العلماء لذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

وبقوله ﷺ: «إِذَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ» والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أكابر القوم- قوم ثمود- وذوي الوجاهات منهم وذوي الثراء عاتبوا المؤمنين المستضعفين بقولهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ أي: أتصدقون وتقرون أن صالحًا مرسلٌ من ربه؟ فأقرَّ المؤمنون بذلك ولم يترددوا في إعلان ذلك ولا في بيان هويتهم ووجهتم، فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فحينئذ أعلن أيضًا أهل الكِبْرِ عن هويتهم قائلين: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، فانقسم الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان، وفسطاط كفر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ)، قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والإيمان بالله وبه (لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟) يعني: لأهل المسكنة من تبَّاع صالح والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم وأهل السُّؤدد منهم (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ)، أرسله الله إلينا وإليكم، قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم: إنا بما أرسل الله به صالحًا من الحقّ والهدى مؤمنون، يقول: مصدِّقون مقرّون أنه من عند الله، وأن الله أمر به، وعن أمر الله دعانا صالح إليه (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟)، عن أمر الله وأمر رسوله صالح (إِنَّا)، أيها القوم (بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ)، يقول: صدقتم به من نبوّة صالح، وأن الذي جاء به حق من عند الله (كَٰفِرُونَ)، يقول: جاحدون منكرون، لا نصدِّق به ولا نقرُّ.

(١٧١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن قبيلة ثمود عاندت نبيها صالحًا عليه السلام، وكفرت– إلا القليل من المستضعفين– بما جاء به وكذبوه وعقروا الناقة، وتمادوا في الغيِّ! والفساد والاستكبار عن قبول الحق، بل والتحدي واستعجال العذاب والاستخفاف به وذلك بقولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمودُ الناقة التي جعلها الله لهم آية، ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: تكبروا وتجبروا عن اتباع الله،و استعملوا عن الحق.

وقال أيضًا:

﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، يَقُولُ: قَالُوا: جِئْنَا يَا صَالِحُ بِمَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ، اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ لِلْعَذَابِ.﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ لِلَّهِ رَسُولًا إِلَيْنَا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ. فَعُجِّلَ ذَلِكَ لَهُمْ كَمَا اسْتَعْجَلُوهُ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

س: متى تولي نبي الله صالحٌ عليه السلام عن قومه

ج: قال بعض أهل العلم: إن ذلك كان عند تحديهم له واستخفافهم به وتكذيبهم واستعجالهم العذاب، فلما آيس من إيمانهم فحينئذٍ تولى عنهم، أي أن تلك كان قبل موتهم وهلاكهم.

وقال آخرون من أهل العلم: يحتمل أنه قال ذلك بعد موتهم كالتقريع لهم.

والقول الأول قول ابن جرير وغيره، والقول الثاني قول ابن كثير وغيره.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله، خارجًا عن أرضهم من بين أظهُرهم، لأن الله تعالى ذكره أوحَى إليه: إنّي مهلكهم بعد ثالثة.

(١٧٢) أحمر
أسود

وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهُرها.

فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) صالح وقال لقومه ثمود (لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي)، وأدّيت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربّي من أمره ونهيه (وَنَصَحْتُ لَكُمْ)، في أدائي رسالة الله إليكم، في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان (وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)، لكم في الله، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادِّين لكم عن شهوات أنفسكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذَا تَقْرِيعٌ مِنْ صَالِحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِقَوْمِهِ، لَمَّا أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ إياه، وتمردهم على الله، وَإِبَائِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى العَمى -قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ ذَلِكَ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَهُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، أَقَامَ هُنَاكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فشُدّت بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَرَكِبَهَا ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّم مِنْ أَقْوَامٍ قَدْ جُيِّفُوا؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ»[١].

شيء من ذكر نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: على أي أساس نُصِبَ (لوطًا)؟

ج: لأهل العلم وجهان في ذلك:

أحدهما: أن المعنى: واذكر لوطًا. الثاني: أن المعنى: ولقد أرسلنا لوطًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا لوطًا.

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(١٧٣) أحمر
أسود

ولو قيل: معناه: واذكر لوطًا، يا محمد، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾، إذ لم يكن في الكلام صلة «الرسالة»، كما كان في ذكر عاد وثمود، كان مذهبًا.

س: اذكر بعض ما تعرفه عن نبي الله لوط عليه السلام.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وَلُوطٌ هُوَ ابْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ قَدْ آمَنَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، فَبَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى أهل «سَدُوم» وما حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، عز وجل، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ الَّتِي اخْتَرَعُوهَا، لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا غَيْرِهِمْ، وَهُوَ إِتْيَانُ الذُّكُورِ. وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ بَنُو آدَمَ تَعْهَدُهُ وَلَا تَأْلَفُهُ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ، حَتَّى صَنَعَ ذَلِكَ أَهْلُ «سَدُوم» عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللهِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: قَوْلُهُ: (مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) قَالَ: مَا نَزَا ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ، حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ[1].

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةُ الْأُمَوِيُّ، بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ، عز وجل، قَصَّ عَلَيْنَا خَبَرَ لُوطٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا.

وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ لُوطٌ عليه السلام: (مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ) أَيْ: عَدَلْتُمْ عَنِ النِّسَاءِ، وَمَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْهُنَّ إِلَى الرِّجَالِ، وَهَذَا إِسْرَافٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ؛ لِأَنَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحِلِّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: (هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ) فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نِسَائِهِمْ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَشْتَهُونَهُنَّ، (قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) أَيْ: لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا أَرَبَ لَنَا فِي النِّسَاءِ، وَلَا إِرَادَةَ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مُرَادَنَا مِنْ أَضْيَافِكَ.

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا قَدِ اسْتَغْنَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَكَذَلِكَ نِسَاؤُهُمْ كُنَّ قَدِ اسْتَغْنَى بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ أَيْضًا.

---

(١) هو عند الطبري من طريق (ابن وكيع) وهو سفيان بن وكيع وفيه كلام، لكن لعلَّه متابع عند غير الطبري. وقد قال بهذا القول كثيرون من أهل العلم.

(١٧٤) أحمر
أسود

س: ما هذه القرية التي كان يسكنها قوم لوط؟

ج: هذه القرية هي قرية (سَدُوم) قيل: إنها بالأردن، والله أعلم.

س: وضِّح معنى قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ج: قال كثيرون من أهل العلم: إنه لم يُعلم أن ذكرًا أتى ذكرًا قبل قوم لوط، وقد تقدم قول عمرو بن دينار في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿مِنْ﴾ لاستغراق الجنس، أي لم يكن اللواط في أمّة قبل قوم لوط.

والملحدون يزعمون أن ذلك كان قبلهم. والصدق ما ورد به القرآن.

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ تفسير للقرآن بالقرآن وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن هذه الآية فسرت التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ والله أعلم.

انعكاسُ المَفَاهيم عندَ أهْلِ الشَّرِّ، وتزويدهم للحقائق

س: الفضيلة عند أهل الشر والفساد تُعدُّ رذيلة، وعلى العكس أيضًا الرذيلة عندهم هي الفضيلة، دلِّل على ذلك مع بيان سبب ذلك.

ج: نعم، الفضيلة عند أهل الشر والفساد قد يعدُّونها رذيلة ويحاربون من فعلها، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ وصف قومُ لوط لوطًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه- لما امتنع لوطٌ ومن معه عن هذا الفعل المحرم، وحاربوه- وصفهم لهم بأنهم يتطهرون، فأصبح التطهر من الذنوب والامتناع عن فعل الفواحش جريمة في نظر قوم لوط تستحق الإخراج من البلاد.

وصدق قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقول: (عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذمّ)[1].

(١) أخرج ذلك عنه الطبري بسندٍ حسن (١٤٨٤٩).

(١٧٥) أحمر
أسود

۞ ومن الدليل على ما ذُكر أيضًا قول قوم فرعون لفرعون عليهم لعائن الله، قولهم له في شأن موسى عليه السلام وقومه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾. فوصفوا موسى عليه السلام بأنه مفسدٌ في الأرض وهو الكريم الكليم من أولى العزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

۞ وكذلك ما صنعه أهل الإجرام أصحاب الأخدود مع المؤمنين في زمانهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

۞ وأيضًا في هذا الصدد، وبالنظر إلى ما كان يصنعه فرعون من دعوى الإلهية والربوبية، وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. وما كان يصنعه من ذبح للأطفال وتعبيد للرجال واستحياء للنساء؛ للامتهان والإذلال، مع ذلك كله يقول لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

وغير ذلك كثير كوصف أهل الإجرام للأنبياء عليهم السلام بأنهم سحرة، وكهنه، وكذبه وغير ذلك من الأوصاف التي نزَّه الله عنها المرسلين.

والسبب في ذلك، والحامل عليه: والله تعالى أعلم، ما قد غش قلوب هؤلاء الكفار واعتراها من آثار الكفر والكبائر، والذنوب والمعاصي، فهذه قد تركت على القلوب سوادًا فأصبح أصحابُها لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، بل وأصبحوا يرون المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: (كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)**»(١).

وعند مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ**

---

(١) أحمد بسندٍ حسن (٢/٢٩٧) والترمذي (٣٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(١٧٦) أحمر
أسود

مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[١].

س: بمجرد الإيمان واتباع الشرائع يُؤْذَى أهلُ الإيمان دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

وقول قوم لوطٍ: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

وكذا قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومُك قال: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ»؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي.

س: مَنْ أهل لوط الذين أنجاهم الله معه؟

ج: هم المؤمنون به كبنانته وعموم من آمن به، أما زوجته فكانت من المعذَّبين، وقد ذُكرت مثلًا للذين كفروا كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

ج: هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فأنجينا لوطًا وأهلهن ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط، كما قال تعالى: (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) إِلَّا امْرَأَتَهُ فَإِنَّهَا لَمْ تُؤْمِنْ بِهِ، بَلْ كَانَتْ عَلَى دِينِ قَوْمِهَا، تُمَالِئُهُمْ عَلَيْهِ وتُعْلمهم بِمَنْ يَقْدم عَلَيْهِ مِنْ ضِيفَانِهِ بِإِشَارَاتٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ؛ وَلِهَذَا لَمَّا أُمِرَ لُوطٌ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أَنْ يُسْرِي

(١) مسلم (حديث ١٤٤).

(١٧٧) أحمر
أسود

بِأَهْلِهِ أُمِرَ أَلَّا يُعْلِمَ امْرَأَتَهُ وَلَا يُخْرِجَهَا مِنَ الْبَلَدِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلِ اتَّبَعَتْهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ العذابُ الْتَفَتَتْ هِيَ فَأَصَابَهَا مَا أَصَابَهُمْ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا أَعْلَمَهَا لُوطٌ، بَلْ بَقِيَتْ مَعَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: (إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) أَيْ: الْبَاقِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) الْهَالِكِينَ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ بِاللَّازِمِ.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أبى قوم لوط= مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم= إلا التمادي في غيّهم، أنجينا لوطًا وأهله المؤمنين به، إلا امرأته، فإنها كانت للوط خائنة، وبالله كافرة.

وقوله: (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ)، يقول: من الباقين.

وقيل: (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ)، ولم يقل" الغابرات"، لأنه أريد أنها ممن بقي مع الرجال، فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل: (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾.

ج: ذلك مفسرٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

وقال الطبري خ:

يقول تعالى ذكره: وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطًا ولم يؤمنوا به، مطرًا من حجارة من سجّيل أهلكناهم به (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ)، يقول جل ثناؤه: فانظر، يا محمد، إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط، فاجترموا معاصيَ الله، وركبوا الفواحش، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال، كيف كانت؟ وإلى أي شيء صارت؟ هل كانت إلا البوار والهلاك؟ فإن ذلك أو نظيرَه من العقوبة، عاقبةُ من كذَّبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا، من قومك.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٧ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ٨٩ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ٩٣

قَالَ تَعَالَىٰ:

(١٧٩) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿مَدۡيَنَ﴾	قبيلة يُقال لها: (مدين).
﴿بَيِّنَةٞ﴾	علامة وحجة ودلالة.
﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾	أتموا الكيل ولا تنقصوه- أعطوا الناس حقوقهم مستوفاة عندما تكيلون لهم أو تَزِنُون لهم.
﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ﴾	لا تنقصوا- لا تظلموا.
﴿صِرَٰطٖ﴾	طريق.
﴿تُوعِدُونَ﴾	تهددون (المؤمنين بالقتل).
﴿وَتَصُدُّونَ﴾	تمنعون (تمنعون من أراد أن يؤمن من الإيمان).
﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	طريق الله الموصل إلى جنته ومرضاته.
﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾	تريدونها.
﴿عِوَجٗا﴾	هلاكًا- طريقًا معوجة.
﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾	تريدونها طريقًا معوجة لا توصل إلى طريق الله ولا إلى مرضاته ولا إلى جنته.
﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾	فانتظروا.
﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾	تكبروا عن الإيمان واتباع رسولهم (شعيب عليه السلام).
﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾	لترجعن إلى ديننا وما نحن عليه.
﴿أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾	أو لو كنا كارهين الرجوع إلى ملتكم.
﴿ٱفۡتَرَيۡنَا﴾	اختلقنا- تقولنا عليه بالباطل.
﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾	أحاط ربنا بكل شيء علمًا- ما من شيء إلا والله يعلم عنه كل شيء علمًا كاملًا.
﴿تَوَكَّلۡنَا﴾	اعتمدنا.
﴿ٱفۡتَحۡ﴾	اقصد- احكم.
﴿ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾	الحاكمين.

(١٨٠) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾	الزلزلة المحركة لهم.
﴿جَٰثِمِينَ﴾	بروكًا على رُكبهم- موتى هلكى.
﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾	كأن لم يعيشوا فيها، ولم يسكنوها حتى هلكوا.
﴿ءَاسَىٰ﴾	أحزن.

شيءٌ من ذكر نبي الله شعيب عليه السلام

س: ما المراد (بمدين)؟ ومَنْ شعيب عليه السلام؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن مدين قبيلة من القبائل.

وقيل: إنها اسم لبلدةٍ.

وقيل: إنها اسم لرجل يُقال له مدين بن مديان بن إبراهيم خليل الرحمن، ونسبت إليه بعد ذلك قبيلته، فالله أعلم.

أما شعيب عليه السلام: فنبي كريم أرسله الله عز وجل إلى أهل هذه القبيلة، أو تلك القرية يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من ظلم العباد، وذلك أنهم كانوا يطففون المكاييل والموازين ويبخسون الناس حقوقهم، فدعاهم عليه السلام وأبلغ في دعوتهم، ولقد قيل: إنه خطيب الأنبياء[1] لفصاحة عبارته وجزالة أسلوبه عليه السلام، ونصح ووعظ وذكَّر، ونهاهم عما هم فيه من الغيِّ والشر والفساد والظلم، وسيأتي مزيدُ تفصيلٍ لذلك، إن شاء الله.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله نقلًا عن ابن إسحاق: إن شعيبًا هو شعيب بن ميكيل بن يشجر، وقيل: اسمه بالسريانية (يثرون) فالله أعلم.

س: هل شعيب عليه السلام هو الرجل الصالح المذكور في سورة القصص، والقائل لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾.

---

(١) أي: الذين هم قبل نبينا محمد ﷺ، وإلا فقد أوتي نبينا محمد ﷺ جوامع الكلم.

(١٨١) أحمر
أسود

ج: لم أقف على دليل يثبت ذلك، اللهم إلا ذهاب موسى عليه السلام لبلاد مدين كما ورد في سورة القصص.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولقد أرسلنا إلى قبيلة مدين نبيًّا كريمًا صالحًا من قبيلتهم، ومن بلدتهم، وهو شعيب عليه السلام، فأمرهم هذا النبي الكريم بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيَّن لهم أنه ليس لهم إلةٌ سوى الله عز وجل، وأوضح لهم أن البينَّة قد جاءتهم بذلك، وتلك البينة هي البيان والحجة اللتان جاء بهما شعيب عليه السلام وكذا رسالته إليهم، أي أن الحجة قد قامت عليكم برسالتي إليكم-، ولم تذكر معجزةٌ لشعيب عليه السلام، كالناقة التي أخرجها الله عز وجل لثمود وكعصا موسى عليه السلام، وتسخير الريح لسليمان عليه السلام ونحو ذلك.

۞ ثم إن شعيبًا عليه السلام، وبعد أن أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ذكَّرهم أيضًا بأداء الحقوق لأهلها ونهاهم عن تطفيف المكاييل والموازين، بل وأمرهم بإيفائها قائلًا: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: بعد إصلاحها بإرسال الرسل إليكم وإخباركم بما يريده منكم ربكم عز وجل وبيَّن لهم أن ذلك هو الخير لهم إن كانوا من المصدِّقين المؤمنين.

قال الطبري رحمه الله:

فتأويل الكلام: على ما قاله ابن إسحاق[١]: ولقد أرسلنا إلى ولد مدين، أخاهم شعيب بن ميكيل، يدعوهم إلى طاعة الله، والانتهاء إلى أمره، وترك السعي في الأرض بالفساد، والصدِّ عن سبيله، فقال لهم شعيب: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة غير الإله الذي خلقكم، وبيده نفعكم وضركم (قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)، يقول: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول، وصدق ما أدعوكم إليه (فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ)، يقول: أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به، وبالوزن الذي تزنون به (وَلَا تَبْخَسُوا۟

(١) القدر الذي ذكره ابن إسحاق في هذا المقام التعريف بشعيب عليه السلام فقط.

ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ)، يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم، ولا تنقصوهم إياها.

ومن ذلك قولهم: «تَحْسَبُها حَمْقَاءَ وهي بَاخِسَةٌ»، بمعنى: ظالمة ومنه قول الله: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) [يوسف: ٢٠]، يعني به: رديء.

س: ما هذه البينة التي عناها شعيب عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

ج: هذه البيِّنة هي الرسالة التي أتاهم بها من ربِّه عز وجل، والبيان والحجة.

س: اذكر بعض الوارد في الحث على إيفاء الكيل والميزان والتحذير من البخس والتطفيف.

ج: قد اوردت-والحمد لله- شيئًا كثيرًا من هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

۞ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

س: وضح المراد بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

ج: المراد، والله تعالى أعلم، لا تشركوا بالله بعد أن أتاكم الأمر بتوحيده وجاءتكم الدلائل والبينات على ذلك، وكذا لا تطففوا المكاييل والموازين بعد أن جاءتكم الأوامر بإيفائها، وكذا لا تعصوا ربكم عز وجل، وقد جاءتكم الأوامر بطاعة واتباع رسله، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه، وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه، من عبادة غير الله، والإشراك

(١٨٣) أحمر
أسود

به، وبخس الناس في الكيل والوزن (بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا)، يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم، ينهاكم عما لا يحل لكم، وما يكرهه الله لكم (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ)، يقول: هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن، وترك الفساد في الأرض، خيرٌ لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، يقول: إن كنتم مصدقيَّ فيما أقول لكم، وأؤدِّي إليكم عن الله من أمره ونهيه.

س: شياطين الإنس والجن يقفون دومًا على طريق من آمن يمنعونه من الدخول في الإيمان ويخوفونه إن هو آمن، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

۞ وقول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، فدليل على أنهم كانوا يصرفون الناس عن الإيمان.

۞ وكذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ...»(١) الحديث وقد تقدم.

س: كيف كانوا يصدون عن سبيل الله؟

ج: قال بعض أهل العلم:

كانوا يخوفون الناس الإتيانَ على شعيب والذهاب إليه ويقولون: إنه كذاب.

وقال آخرون: كانوا يجلسون في الطرقات يحذرون من أراد الذهاب إلى شعيب

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٦/٢١-٢٢).

ويهددونه بالقتل.

وقال غيرهم: كانوا قطَّاع طريق يتوعدون الناس بالقتل إذا لم يعطوهم الأموال.

وقال غيرهم: كانوا يمنعون الناس من الإيمان.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تَقْعُدُواْ) للناس (بِكُلِّ صِرَٰطٍ) أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها و (تُوعِدُونَ) من سلكها (وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) من أراد الاهتداء به (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ) أي: تبغون سبيل الله تكون معوجة، وتميلونها اتباعا لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها الله لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتصدون لنصرتها والدعوة إليها والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله، وجعل أقوم الطرق وأعدلها مائلة، وتشنعون على من سلكها. (وَٱذْكُرُوٓاْ) نعمة الله عليكم (إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ) أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم، ولا سلط عليكم عدوا يجتاحكم ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدرار الأرزاق وكثرة النسل. (وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ) فإنكم لا تجدون في جموعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والإنبتات.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ ﴾.

ج: يُذَكِّر الله ﷻ قوم مدين بما كانوا فيه، وبالذي أنعم به عليهم فيقول تعالى: (وَٱذْكُرُوٓاْ) أي: تذكروا ذلك ولا تنسونه، ومن ثمَّ فقدِّموا له شكرًا، تذكروا كونكم كنتم قِلةً قليلةً، فزاد الله عددكم ونسلكم وكثَّر أيضًا أموالكم، فاشكروا ذلك واعتبروا بمن كان حولكم من الأمم التي أبادها الله وأفناها لما تمردت على أمر ربها، وعصت رسله، وأفسدت في الأرض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ)، يذكرهم شعيب نعمة الله

(١٨٥) أحمر
أسود

عندهم بأن كثّرَ جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم، وأنْ رَفعهم من الذلة والخساسة، يقول لهم: فاشكروا الله الذي أنعم عليكم بذلك، وأخلصوا له العبادة، واتقوا عقوبته بالطاعة، واحذروا نقمته بترك المعصية، ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، يقول: وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله، من المَثُلات والنقمات، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه؟ ألم يُهلك بعضهم غرقًا بالطوفان، وبعضهم رجمًا بالحجارة، وبعضهم بالصيحة؟

و«الإفساد"»، في هذا الموضع، معناه: معصية الله.

استحباب استكثار النسل

س: في الآيات الكريمات دليلٌ على استحباب كثرة النسل، اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى ممتنًا على بني إسرائيل: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

۞ وقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

۞ وقول رسول الله ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»(١).

وقد أوردت طائفة من الأدلة في ذلك في تفسير سورة نوح عليه السلام.

س: وضح معنى قول شعيب عليه السلام: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

ج: الحاصل، والله تعالى أعلم، أن شعيبًا عليه السلام ذكَّر قومه وخوفهم وبيَّن لهم حقيقة ما هم عليه مقبلون، فقال لهم ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ﴾ أي: جماعة منكم: ﴿ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ أي: صدقوني فيما أخبرتهم به، وعبدوا الهل وحده ولم

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٢٠٥٠) والنسائي (٦/ ٥٦) وغيرهما من حديث معقل بن يسار مرفوعًا.

(١٨٦) أحمر
أسود

يشركوا به شيئًا وانتهوا عن تطفيف المكاييل والموازين، وتركوا الإفساد في الأرض، بل وأصلحوها، ﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ أي: وطائفة أُخرى بقيت على شركها وعصيانها وتمردها، وبقيت على ظلم العباد، واستمرت على تطفيف المكاييل والموازين، واستمرت على الإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ أي: انتظروا القضاء الذي يقضي به الله ﷻ بيننا وبينكم وفينا وفيكم، وذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ ﴿وَهُوَ﴾ أي: والله ﷻ ﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي أعدل من حكم.

س: أهل الكفر ينابذون أهل الإيمان العداء حتى يَرُدُّوهم عن دينهم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾.

۞ وقول قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

۞ وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

س: وضح المعنى الإجمالي لقول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قد تقولنا على الله الكذب واختلقناه ونسبنا إلى الله ما لم يقله لما دعوناكم إلى توحيده وعبادته وعدم تطفيف المكاييل والموازين، إذا نحن رجعنا إلى دينكم مرةً ثانية، فمعنى رجوعنا إلى دينكم أننا كنا نكذب على الله ونفتري عليه، وإلا فلماذا رجعنا إلى ملتكم؟!! ولكننا بفضل الله وتوفيقه ثابتون على ما نحن عليه من الحق والإيمان ولن نعود في ملتكم بعد إذ سلَّمنا الله وعافانا ونجانا منها، إلا إذا أراد الله بنا أمرًا، فإن أمره نافذٌ فينا، ونسأله الثبات على الإيمان، فربنا

أعلم بما هو كائن، ولكننا اعتمدنا على الله ﷻ، ونسأله ما دمتم قائمين على ضلالكم وتكذيبكم لنا أن يُعَجِّلَ بالقضاء بيننا وبينكم، فهو أعدل من حكم وأعدل من قضى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: قال شعيب لقومه إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم، والدخول فيها، وتوعَّدوه بطرده ومَنْ تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: (قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)، يقول: قد اختلقنا على الله كذبًا، وتخرّصنا عليه من القول باطلا= إن نحن عدنا في ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها، بأن بصَّرنا خطأها وصوابَ الهدى الذي نحن عليه= وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها، ونترك الحق الذي نحن عليه (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ) إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنّا نعود فيها، فيمضي فينا حينئذ قضاء الله، فينفذ مشيئته علينا (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ)، يقول: فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به، فلا يخفى عليه شيء كان، ولا شيء هو كائن. فإن يكن سبق لنا في علمه أنّا نعود في ملتكم، ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه، وإلا فإنا غير عائدين في ملّتكم.

قال السعدي خ:

(وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾ أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك. ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون.

ومنها: اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها.

ومنها: أن عودهم فيها - بعد ما هداهم الله - من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأمحل المحال.

وحيث إن الله منَّ عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال.

وأما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة في خلقه، التي لا خروج لأحد

(١٨٨) أحمر
أسود

عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى، فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئا أو يتركونه، ولهذا استثنى (وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا) أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه وحكمته.

س: في قول شعيب عليه السلام: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ احْتِرَاز حسنٌ، وضح وجهه.

ج: وجه ذلك أن شعيبًا عليه السلام أظهر أمرًا وبيَّنه ألا وهو: أن ثباته ومن معه على الإيمان إنما هو بتوفيق الله عز وجل وبتثبيت الله له على ذلك، فقال من ثمَّ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: فلو شاء الله لنا أن نرجع إلى هذه الملةِ لرجعنا إليها.

ونحو ذلك قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ أي: إذا شاء الله لي أن أخاف من هذه الآلهةِ لخفت منها، فما أنا عليه من الثبات على التوحيد وعدم المبالاة بآلهتكم إنما هو بتوفيق الله لي وتثبيت الله عز وجل لي.

وكل هذا حتى لا تنفك عن سؤال الله الثبات وعن دعائه في كل وقت وحين، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها فيمضي فينا حينئذٍ قضاء الله فينفذ مشيئته علينا.

قال الطبري رحمه الله:

يعني بقوله تعالى ذكره: (وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ)، وإن كانت جماعة منكم وفرقة (ءَامَنُوا)، يقول: صدّقوا بالذي أرسلتُ به من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتّبعوني على ذلك (وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا)، يقول: وجماعة أخرى لم يصدِّقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه (فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا)، يقول: فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم (وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ)، يقول: والله خيرُ من يفصل وأعدل من يقضي، لأنه لا يقع في حكمه مَيْلٌ إلى أحدٍ، ولا محاباة لأحدٍ.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، علم ربنا كلَّ شيءٍ فلا يخفى عليه من الأمور شيءٌ، وأحاط علمًا بكل شيء، فإن كان قد سبق في علمه أننا سنرجع إلى ملتكم فقد علم ذلك ولا محيد لنا عنه وإلا فإننا ثابتون على إيماننا بتثبيت الله ﷻ لنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، على الله اعتمدنا في أمورنا، ووكلنا كل أمورنا إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا)، يقول: على الله نعتمد في أمورنا، وإليه نستند فيما تعدوننا به من شرِّكم، أيها القوم، فإنه الكافي من توكَّل عليه.

س: وضح معنى قول شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن شعيبًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما كذبه قومه وعاندوه وأَبَوا إلا الاستمرار على الكفر، دعا عليهم وطلب من الله ﷻ أن يعجل بانتقامه منهم فقال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: اقض بيننا وبين قومنا بقضائك الحق، وأنت أعدل الحاكمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه= إذ أيس من فلاحهم، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة، والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمني قومه من فَسَقتهم العطبَ والهلكة= بتعجيل النقمة، فقال: (رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ)، يقول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذي لا جور فيه ولا حَيْف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ)، يعني: خير الحاكمين.

ذكر الفرَّاء أنّ أهلَ عُمان يسمون القاضي "الفاتح" و"الفتّاح".

وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب: أنه من لغة مراد، وأنشد لبعضهم بيتًا

(١٩٠) أحمر
أسود

وهو:

أَلا أَبْلِـــغْ بَنـــي عُصْـــمٍ رَسُـــولا بِـــأَنِّي عَـــنْ فُتَـــاحَتِكُمْ غَنِـــيُّ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم(ٱلْمَلَأُ) الذين جحدوا آيات الله، وكذبوا رسوله، وتمادوا في غيِّهم، لآخرين منهم: لئن أنتم اتبعتم شُعَيبًا على ما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى أمره ونهيه، وأقررتم بنبوَّته (إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ)، يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون، إلى دينه الذي يدعوكم إليه= وهالِكُون بذلك من فعلكم.

س: أهل الكفر يصفون أهل الإيمان بالخسران لكونهم آمنوا ويصفونهم بالضلال كذلك، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول قوم شعيب لمن يريد الإيمان: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

قول قوم فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: (ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ)، يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتَّبعوا شعيبًا الخاسرين، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين. لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه: أن الذين كذبوا شعيبًا قالوا للذين أرادُوا اتباعه: (لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ)، فكذبهم الله بما أحلَّ بهم من عاجل نكاله، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ما خسر تُبَّاع شعيب، بل كانَ الذين كذبوا شعيبًا لما جاءت عقوبة الله، هم الخاسرين، دون الذين صدّقوا وآمنوا به.

(١٩١) أحمر
أسود

العذاب الذي عُذب به قوم شعيب عليه السلام

س: ما العذاب الذي عُذِّب قوم شعيب عليه السلام؟

ج: ذُكر العذاب الذي عُذِّب به المكذبون لشعيب عليه السلام في مواطن من كتاب الله عز وجل.

أحدها: أن العذاب هو الرجفة، قال تعالى ها هنا: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

والثاني: الصيحة كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

والثالث: عذاب يوم الظلة، كما قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، وذلك أنهم لما اشتد عليهم الحرُّ مرَّت بهم سحابة فاستظلوا بها فتأججتْ عليهم نار.

هذا، ومن العلماء من قال- لاختلاف صور العذاب التي نزلت القوم- إن شعيبًا عليه السلام أرسل إلى أكثر من قوم، أُرسل إلى أصحاب الأيكة، وأرسل إلى مدين، فالله أعلم.

وهذا، وقد قال الحافظ ابن كثير خ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ شِدَّةِ كُفْرِ قَوْمِ شُعَيْبٍ وَتَمَرُّدِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْمُخَالَفَةِ لِلْحَقِّ، وَلِهَذَا أَقْسَمُوا وَقَالُوا (لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) فَلِهَذَا عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ) أَخْبَرَ تَعَالَى هَاهُنَا أَنَّهُمْ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ كَمَا أَرْجَفُوا شُعَيْبًا وَأَصْحَابَهُ وَتَوَعَّدُوهُمْ بِالْجَلَاءِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ "هُودٍ" فَقَالَ: (وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ) وَالْمُنَاسَبَةُ فِي ذَلِكَ -وَاللهُ أَعْلَمُ -أَنَّهُمْ لَمَّا تَهَكَّمُوا بِنَبِيِّ اللهِ شُعَيْبٍ فِي قَوْلِهِمْ: (أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) فَجَاءَتِ الصَّيْحَةُ فَأَسْكَتَتْهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ فِي سِيَاقِ الْقِصَّةِ: (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا

(١٩٢) أحمر
أسود

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ كُلُّهُ: أَصَابَهُمْ (عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ) وَهِيَ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فِيهَا شَرَرٌ مِنْ نَارٍ ولَهَب ووهَج عَظِيمٍ، ثُمَّ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَرَجْفَةٌ مِنَ الْأَرْضِ شَدِيدَةٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَزَهَقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَفَاضَتِ النُّفُوسُ وَخَمَدَتِ الْأَجْسَادُ، (فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ)أَيْ: كَأَنَّهُمْ لَمَّا أَصَابَتْهُمُ النِّقْمَةُ لَمْ يُقِيمُوا بِدِيَارِهِمُ الَّتِي أَرَادُوا إِجْلَاءَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ مِنْهَا.

هذا، وقد أورد الطبري خ بإسنادٍ فيه الكلام عن السّدي:

(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)، قال: إن الله بعث شعيبًا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة = و«الأيكة»، هي الغيضة من الشجر = وكانوا مع كفرهم يبخَسون الكيل والميزان، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردُّوا عليه.

فلما عتوا وكذبوه، سألوه العذابَ، ففتح الله عليهم بابًا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماء. ثم إنه بعثَ سحابةً فيها ريحٌ طيبة، فوجدوا بَرْدَ الرّيح وطيبها، فتنادوا: الظُّلّةَ، عليكم بها"! فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، انطبقت عليهم فأهلكتهم، فهو قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ)، [سورة الشعراء: ١٨٩] .

س: متى تولَّى شعيب عليه السلام عن قومه؟

ج: ۞ قيل: إنه تولى عنهم لما كذبوه وأيقن أن العذاب سينزل عليهم.

۞ وقيل: تولى عنهم بعد أن أهلكهم الله عزَّ جل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فأدبر شعيب عنهم، شاخصًا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله، وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه، حزنًا عليهم: (يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي)، وأدّيت إليكم ما بعثني به إليكم، من تحذيركم غضبَه على إقامتكم على الكفر به، وظلم الناس أشياءهم (وَنَصَحْتُ لَكُمْ)، بأمري إياكم بطاعة

(١٩٣) أحمر
أسود

الله، ونهيكم عن معصيته- (فَكَيْفَ ءَاسَىٰ)، يقول: فكيف أحزن على قوم جَحَدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله، وأتوجَّع لهلاكهم؟

قَالَ تَعَالَى:

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ
ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ
فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ
ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ
ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَ لَمْ يَهْدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠ تِلْكَ
ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠١ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن
وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢

الكلمة	معناها
﴿أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾	أصبنا أهلها- عذبنا أهلها- ابتلينا أهلها.
﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾	البؤس وضيق المعيشة وشظفها-الفقر،وقيل:الأمراض والأسقام
﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾	الضرُّ في الأبدان وسوء الحال.

(١٩٥) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿يَضَّرَّعُونَ﴾	يدعون- يرجعون- يُنيبون- يلحون في الدعاء ويرجعون عن ضلالهم وغيِّهم ويعتذرون عنه وعن تكذيب الأنبياء- يخشعون ويبتهلون إلى الله ويجأرون إليه لكشف الضرِّ عنهم.
﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾	الشدة والضر في الأبدان.
﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾	السعة في الأرزاق والعافية في الأبدان.
﴿عَفَوا۟﴾	كثروا- كثرت أموالهم وأولادهم ومواشيهم.
﴿بَغْتَةً﴾	فجأة.
﴿ءَامَنُوا۟﴾	صدقوا.
﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾	جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل الطاعات وترك المحرمات.
﴿بَرَكَٰتٍ﴾	أرزاقًا.
﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾	فعاقبناهم- فأهلكناهم- فعذبناهم.
﴿يَكْسِبُونَ﴾	يعملون (الأعمال السيئة).
﴿بَأْسُنَا﴾	عذابنا.
﴿بَيَٰتًا﴾	ليلًا.
﴿ضُحًى﴾	وقت الضحى.
﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾	عذاب الله ونقمته وقدرته عليهم- تدبير الله.
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾	أو لم يظهر ويتبين- نُبيِّن.
﴿أَصَبْنَٰهُم﴾	عذبناهم- أهلكناهم.
﴿وَنَطْبَعُ﴾	نختم- نمنع وصول الخير والإيمان إليها.
﴿أَنۢبَآئِهَا﴾	أخبارها.
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	الدلالات على صدقهم وصدق ما جاءوا به.
﴿لَفَٰسِقِينَ﴾	لخارجين عن الطاعة- لمرتكبين للمحرمات- لمكذبين للرسل.

(١٩٦) أحمر
أسود

بعض الابتلاءات لإرجاع الناس إلى دينهم

س: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا ﴾ فيه مقدرٌ محذوف، وضحه؟

ج: هذا المقدر هو: فكذَّب أهلها، فالمعنى وم أرسلنا في قرية من نبيٍّ فكذب أهلها إلا وأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون، والله أعلم.

|

س: من مقاصد الابتلاءات إرجاع الناس إلى دينهم وإلى ربهم ﷻ دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ).

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨].

|

س: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ تذكيرٌ لمن؟

ج: ذلك، والله أعلم تذكيرٌ لأهل الكفر بأنهم إذا لم يؤمنوا ولم يتضرعوا سيصيبهم بلاءٌ متمثلٌ في البؤس وقلة الرزق وقلة العيش، وكذا الضرُّ في الأبدان إذا هم لم يؤمنوا ولم يتضرعوا. وكذا فالآية فيها تعريف للنبي ﷺ ولأهل الإيمان بسنن الله ﷻ في خلقه، ونوع تبشير لهم بأن أهل الكفر سيصيبهم نوع بلاء لعلهم يرجعون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، معرِّفَه سنّته في الأمم التي قد خَلَت من قبل أمته، ومذكّرَ من كفر به من قريش، لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله،

(١٩٧) أحمر
أسود

والتكذيب لنبيه محمد ﷺ: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ)، قبلك (إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ)، وهو البؤس وشَظَف المعيشة وضِيقها= و"الضراء"، وهي الضُّرُ وسوء الحال في أسباب دُنياهم (لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ)، يقول: فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم، ويستكينوا إليه، وينيبوا، بالإقلاع عن كفرهم، والتوبة من تكذيب أنبيائِهم.

س: ما المراد بالسيئة وبالحسنة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾.

ج: المراد، والله أعلم، بالسيئة البأساء والضراء التي أصابتهم، وذلك كالجوع وقلة الثمرات، وكذا الضرُّ في الأبدان، والبلايا والأسقام، أما الحسنة فهي السعة والرخاء والصحة والعافية.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ الآية؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ثم لم تُجدِ البأساء والضراء مع القوم، أي: لما سلطنا عليهم الابتلاءات، وابتليناهم بالأمراض والأسقام وقلة الأرزاق، ولم ينفع معهم ذلك ولم يُجدِ وسعنا عليهم مرة ثانية في الأرزاق وعافيناهم في الأبدان والأولاد حتى كثرت أموالهم ونمت وازدادت، فلما كان ذلك لم ينتفعوا أيضًا بالرخاء، فلم يردهم الرخاء إلى طريق الله ولكنهم قالوا ما حاصله: إن الذي يحدث لنا من الضرِّ في البدن أحيانًا،وقلة الأرزاق أحيانًا سنةٌ جارية فيمن كانوا قبلنا، ليس لذلك دخل بتكذيبنا للرسل ولا بتصديقنا، ولا بالتوحيد ولا بالشرك، فلما كان ذلك منهم ولم ينتفعوا بأنواع الابتلاءات، أخذهم الله ﷻ بالعذاب بغتة- أي: فجأة وهم لا يشعرون. والله تعالى أعلى وأعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ثُمَّ بَدَّلۡنَا) أهلَ القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء (مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ)، وهي البأساء والضراء. وإنما جعل ذلك"سيئة"، لأنه ممّا يسوء الناس= ولا تسوءهم (ٱلۡحَسَنَةَ)، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة (حَتَّىٰ عَفَواْ)، يقول: حتى كَثُرُوا.

وكذلك كل شيء كثر، فإنه يقال فيه:"قد عفا"، كما قال الشاعر:

ولَكِنَّـــا نُعِـــضُّ السَّـــيْفَ مِنْهَـــا بِأَسْـــوُقِ عَافِيَـــاتِ الشَّـــحْمِ كُـــومِ

وأما قوله: (وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ)، فإنه خبرٌ من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم مكان الحسنة السيئة التي كانوا فيها، استدراجًا وابتلاء، أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابتْ مَنْ قبلنا من آبائنا، ونالت أسلافَنا، ونحن لا نعدُو أن نكون أمثالَهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعايش والرخاء فيها= وهي"السراء"، لأنها تَسرُّ أهلها.

وجهل المساكين شكرَ نعمة الله، وأغفلوا من جهلهم استدامةَ فضلهِ بالإنابة إلى طاعته، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون.

يقول جل جلاله: (فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)، يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة، أتاهم على غِرّة منهم بمجيئه، وهم لا يدرون ولا يعلمون أنّه يجيئهم، بل هُم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويَرَوه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُ ابْتَلَاهُمْ بِالشِّدَّةِ لِيَتَضَرَّعُوا، فَمَا فَعَلُوا شَيْئًا مِنَ الَّذِي أَرَادَ اللهُ مِنْهُمْ، فَقَلَبَ الْحَالَ إِلَى الرَّخَاءِ لِيَخْتَبِرَهُمْ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ) أَيْ: حولَّنا الحال من شدة إِلَى رَخَاءٍ، وَمِنْ مَرَضٍ وَسَقَمٍ إِلَى صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى غِنًى، لِيَشْكُرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَمَا فَعَلُوا.

وَقَوْلُهُ: (حَتَّىٰ عَفَواْ) أَيْ: كَثُرُوا وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، يُقَالُ: عَفَا الشَّيْءُ إِذَا كَثُرَ، (وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يَقُولُ تَعَالَى: ابْتَلَاهُمْ بِهَذَا وَهَذَا لِيَتَضَرَّعُوا ويُنيبوا إِلَى اللهِ، فَمَا نَجَع فِيهِمْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، وَلَا انْتَهَوْا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا بَلْ قَالُوا: قَدْ مَسَّنَا مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، ثُمَّ بَعْدَهُ مِنَ الرَّخَاءِ مِثْلُ مَا أَصَابَ آبَاءَنَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ تَارَاتٌ وَتَارَاتٌ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِأَمْرِ اللهِ فِيهِمْ، وَلَا اسْتَشْعَرُوا ابْتِلَاءَ اللهِ لَهُمْ فِي الْحَالَيْنِ. وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الضَّرَّاءِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «عَجَبًا

(١٩٩) أحمر
أسود

لِلْمُؤْمِنِ، لَا يَقْضِي اللهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَراء شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاء صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

فَالْمُؤْمِنُ مَنْ يَتَفَطَّنُ لِمَا ابْتَلَاهُ اللهُ بِهِ مِنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

ثم قال أيضًا:

وَلِهَذَا عَقَّبَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِقَوْلِهِ: (فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أَيْ: أَخَذْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ بَغْتَةً، أَيْ: عَلَى بَغْتَةٍ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ شُعُورٍ مِنْهُمْ، أَيْ: أَخَذْنَاهُمْ فَجْأَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَوْتُ الْفَجْأَةِ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ للكافر».

س: ما المراد ببركات السماء وبركات الأرض؟

ج: المراد ببركات السماء ما ينزل من الغيث الذي يحيى به الله الأرض بعد موتها ويشرب منه بنو آدم والدواب.

وأما المراد ببركات الأرض ما يخرج منها من نبات وكنوز ونحو ذلك.

التقوى والإيمان من أسباب سعة الأرزاق

س: اذكر بعض الأدلة على أن الإيمان والتُّقى سببان عظيمان من أسباب سعة الأرزاق؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

۞ وقول نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) ولفظه: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾.

۞ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

۞ قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

ج: المفاد، والله أعلم، أن الله ﷻ يُخبر عن سننه في القرى التي أرسل إليها الرسل، وحاصل تلك السنن أن الله ﷻ أرسل المرسلين إلى القرى فكذبوا وعاندوا فأخذهم بالعذاب، ولو أنهم صدقوا المرسلَين واتبعوهم ما حلَّ بهم العذاب ولا النكال، بل كنا وسعنا عليهم وأنزلنا عليهم غيثًا من السماء يغيثهم ولأخرجنا لهم من الأرض ثمرتها ونباتها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عَنْ قِلَّةِ إِيمَانِ أَهْلِ الْقُرَى الَّذِينَ أَرْسَلَ فِيهِمُ الرُّسُلَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) أَيْ: مَا آمَنَتْ قَرْيَةٌ بِتَمَامِهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا عَايَنُوا الْعَذَابَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟) أَيْ: آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَصَدَّقَتْ بِهِ وَاتَّبَعَتْهُ، وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) أَيْ: قَطْرَ السَّمَاءِ وَنَبَاتَ الْأَرْضِ. قَالَ تَعَالَى: (وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) أَيْ: وَلَكِنْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَعَاقَبْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ عَلَى مَا كَسَبُوا مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٠١) أحمر
أسود

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ) يُقَالُ لِلْمَدِينَةِ قَرْيَةٌ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا.

مِنْ قَرَيْتُ الْمَاءَ إِذَا جَمَعْتُهُ. وَقَدْ مَضَى فِي "الْبَقَرَةِ" مُسْتَوْفًى. (ءَامَنُواْ) أَيْ صَدَّقُوا. (وَٱتَّقَوْاْ) أَيِ الشِّرْكَ. (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) يَعْنِي الْمَطَرَ وَالنَّبَاتَ. وَهَذَا فِي أَقْوَامٍ عَلَى الْخُصُوصِ جَرَى ذِكْرُهُمْ.

إِذْ قَدْ يُمْتَحَنُ الْمُؤْمِنُونَ بِضِيقِ الْعَيْشِ وَيَكُونُ تَكْفِيرًا لِذُنُوبِهِمْ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ (ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) [نوح: ١٠، ١١] وَعَنْ هُودٍ (ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) [هود: ٥٢]. فَوَعَدَهُمُ الْمَطَرَ وَالْخِصْبَ عَلَى التَّخْصِيصِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ (وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) أَيْ كذبوا الرسل. والمؤمنون صدقوا ولم يكذبوا.

التحذير من الأمن من مكر الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أفأمن هؤلاء المكذبون من أهل القرى، وهم مقيمون على تكذيبهم ومُعْرِضُون عن الإيمان بالله ورسله وغَارقون في سيء الأعمال والأقوال أفأمنوا وهم على حالهم من التكذيب والعناد والشِّقاق أن يأتيهم عذابنا ليلًا أثناء نومهم، فتأخذهم الزلازل والصيحات، وتخرُّ عليهم البيوت والسقوف وتتنوع عليهم صور العذاب؟! فإن عذاب الله قد يحلُّ بالأقوام وهم نيام، وكذا قد يحلُّ بهم أثناء لعبهم في وقت الضحى، أفأمنوا الكفار صور العذاب هذه وتلك؟ أم هل اطمأنوا إلى أن الله ﷻ لن يعذبهم ولن ينزل بهم رأسه ونكاله وهم متجرؤن على معاصيه؟! فلا يصل إلى هذه الحال إلَّا القوم الخاسرون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقَالَ تَعَالَى مُخَوِّفًا وَمُحَذِّرًا مِنْ مُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، وَالتَّجَرُّؤِ عَلَى زَوَاجِرِهِ: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ) أَيِ: الْكَافِرَةِ (أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا) أَيْ: عَذَابُنَا وَنَكَالُنَا، (بَيَٰتًا) أَيْ: لَيْلًا (وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ) أَيْ: فِي حَالِ شُغْلِهِمْ

وَغَفْلَتِهِمْ، (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ) أَيْ: بَأْسَهُ وَنِقْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ وَأَخْذَهُ إِيَّاهُمْ فِي حَالِ سَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)؛ وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِق وَجِل خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفأمن، يا محمد هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله، ويجحدون آياته، استدراجَ الله إيّاهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحّة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج الذين قصَّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإنّ مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجًا، مع مقامهم على كفرهم، وإصرارهم على معصيتهم (إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ) وهم الهالكون.

دفع إشكال

س: أليس قد يُبْتَلى أهل الإيمان بالضر في الأبدان وقلة الأموال؟ فإذا كان ذلك كذلك فكيف توجه الآية الكريمة؟

ج: بلى قد يَبْتَلى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أهل الإيمان بالضر في الأبدان وبقلة الأموال كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

ولكن ثمَّ فارق بين ابتلاء الله لأهل الإيمان، وبين العقوبات التي تحل بأهل الكفر، فالذي يحلُّ بأهل الكفر عقوبات على جرائم ترتكب وكذلك ليراجعوا دينهم.

أما ما يُبتلى به أهلُ الإيمان فلرفعة الدرجات ولرفع المقامات.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أولم يظهر ويتبين للذين ورثوا الأرض بعد الذين أهلكناهم، واستمرواهم الآخرون على الذنوب وأقاموا عليها أن لو تشاء فعلنا بهم كما فعلنا بالذين كانوا من قبلهم، فأخذناهم بالعذاب كما أخذنا الذين من قبلهم

وكذلك نختم على قلوبهم فلا يسمعونه حقًّا ولا يهتدون لرشدٍ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: أوَلم يَبن للّذين يُسْتخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانُوا أهلها، فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا عن أمر ربهم(أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا)، يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم، فأخذناهم بذنوبهم، وعجّلنا لهم بأسَنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بذنوبهم(وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، يقول: ونختم على قلوبهم (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)، موعظةً ولا تذكيرًا، سماعَ منتفع بهما.

وأورد الحافظ ابن كثير خ قول الطبري هذا ثم قال:

قلت: وهكذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴾، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾، وقال: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾ أي: هل ترى لهم شخصًا، أو تسمع لهم صوتًا، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾، وقال تعالى: بعد ذكره إهلاك عاد: ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي

(٢٠٤) أحمر
أسود

ٱلصُّدُورِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه، وحصول نعمه لأوليائه؛ ولهذا عقَّب ذلك بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾.

ج: المعنى- والله أعلم- تلك القرى التي أهلكناها وأخذناها بصور متعددةٍ ومتنوعة من العذاب نخبرك بأخبارها وما حلَّ بأهلها كما كذبوا المرسلين وطغوا وبغوا واستكبروا في الأرض بغير الحق، حتى تخبر بذلك قومَك وتحذرهم من مغبةِ التكذيب، وكذا حتى توقن أن العاقبة للتقوى، فتصبر كما صبر إخوانك من المرسلين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذه القرى التي ذكرت لك، يا محمد، أمَرها وأمر أهلها= يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا) فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها، وما كان من أمرهم وأمر رُسل الله التي أرسلت إليهم، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذَّب رسل الله، فيرتدعوا عن تكذيبك، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته (وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)، يقول: ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها، (رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)، يعني بالحجج: البينات (فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمَّا قَصَّ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ خَبَرَ قَوْمِ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا كَانَ مِنْ إِهْلَاكِهِ الْكَافِرِينَ وَإِنْجَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقَّ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، قَالَ تَعَالَى: (تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ) أَيْ: يَا مُحَمَّدُ (مِنْ أَنۢبَآئِهَا) أَيْ: مِنْ أَخْبَارِهَا، (وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ) أَيْ: بِالْحُجَجِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)، وَقَالَ تَعَالَى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ

نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فما كان هؤلاء الكفار الذين أُرسلت إليهم وبعثت فيهم وقصصت عليهم قصص من سبقوهم ليؤمنوا بعد أن قصصت عليهم القصص وذكرت لهم الأخبار وحذرتهم أشد التحذير، فما كانوا ليؤمنوا بالذي كذب به من سبقوهم، بل كذبوا كما كذب من كان قبلهم ولم يتَّعظوا ولم يعتبروا.

ويكون قوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ أي: المعاصرون للنبي ﷺ وقوله: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: بما كذب به سابقوهم، ويجوز أن تتنوع الضمائر ويحدث تحولٌ في الخطاب كما هو معلوم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: خلقنا آدم عليه السلام، ثم صورناكم يا بني آدم.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿فَمَا لِيُؤْمِنُواْ كَانُواْ﴾ أي: فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم بعد مجيء الرسل إليهم ﴿لِيُؤْمِنُواْ﴾ عند مجيء الرل إليهم ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: بالذي كذبوا به عند أخذ الميثاق عليهم، وذلك أنهم- على حدِّ قول الذين اختاروا هذا القول- عند أخذ الميثاق عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام، ما أقروا بالوحدانية إلا كرهًا، وكان قوله تعالى لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وقولهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ أي: شهدوا بذلك كرهًا، كذا قال من اختار هذا القول.

القول الثالث: وهو قريب الشبه من القول الثاني، ألا وهو أن قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ أي: فما كانت الأمم المكذبة لرسلها، التي أهلكها الله لتكذيبها لتؤمن عند مجيء الرسل: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: بما سبق في علم الله أنهم سيموتون على التكذيب، ولن يصدقوا المرسلين. فيكون قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: بالذي سبق في علم الله أنهم سيكذبون به.

القول الرابع: أن قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ أي: إذا أحييناهم – بعد موتهم ومعاينتهم العذاب- ورددناهم إلى الدنيا وعرضنا عليهم الإيمان ثانيةً فما

(٢٠٦) أحمر
أسود

كانوا ليؤمنوا أيضًا مع أنهم قد رأوا العذاب، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

القول الخامس: قول من قال من العلماء: إن الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا﴾ سببيةٌ، فالمعنى فما كانوا ليؤمنوا لمَّا جاءتهم الرسل، ولما عاينوا العذاب، ولما بلغهم أمر الأمم من قبلهم، والعذاب والنكال الذي حلَّ بها، وذلك- أي عدم إيمانهم- بسبب تكذيبهم السابق، فتكذيبهم السابق تسبب في الطبع على قلوبهم، فلم تعد المواعظ تجدي، ولم تعد المواعظ تنفع.

وهذا الأخير – القول الخامس- هو اختيار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ الباء سببية، أي: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، حكاه ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو متجه حسن، كقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ولهذا قال هنا: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب، القولُ الذي ذكرناه عن أبيّ بن كعب والربيع. وذلك أن من سبق في علم الله ع أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبدًا، وقد كان سبق في علم الله ع لمن هلك من الأمم التي قص نبأهم في هذه السورة، أنه لا يؤمن أبدًا، فأخبر جل ثناؤه عنهم، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه، قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم. ولو قيل: تأويله: فما كان هؤلاء الذين وَرِثوا الأرض، يا محمد، من مشركي قومك من بعد أهلها، الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده= كان وجهًا ومذهبًا، غير أني لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن»:

قوله تعالى: (فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ) الآية.

(٢٠٧) أحمر
أسود

في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه من التفسير: بعضها يشهد له القرآن.

منها: أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به، ولم يؤمنوا به، لاستحالة التغير فيما سبق به العلم الأزلي، ويروى هذا عن أبي بن كعب وأنس، واختاره ابن جرير، ويدل لهذا الوجه آيات كثيرة كقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) الآية، وقوله: (وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا)، ونحو ذلك من الآيات.

ومنها: أن معنى الآية أنهم أخذ عليهم الميثاق، فآمنوا كرها، فما كانوا ليؤمنوا بعد ذلك طوعا. ويروى هذا عن السدي وهو راجع في المعنى إلى الأول.

ومنها: أن معنى الآية أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة لكفروا أيضا، فما كانوا ليؤمنوا في الرد إلى الدنيا بما كذبوا به من قبل؛ أي في المرة الأولى، ويروى هذا عن مجاهد. ويدل لمعنى هذا القول قوله تعالى: (وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ) لكنه بعيد من ظاهر الآية.

ومنها: أن معنى الآية: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، وهذا القول حكاه ابن عطية، واستحسنه ابن كثير، وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية الكريمة. ووجهه ظاهر؛ لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب والإبعاد عن الهدى، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة، كقوله تعالى: (بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)، وقوله: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ)، وقوله: (فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا)، وقوله: (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد تكون فيها أوجه من التفسير كلها يشهد له قرآن، وكلها حق. فنذكر جميعها، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وكما أن الله ﷻ طبع على قلوب الكفار السابقين بسبب تكذيبهم المرسلين فهكذا يطبع الله على قلب كل مكذبٍ كافرٍ بآيات الله ﷻ، فلا يؤمن مهما جاءته الآيات،ومهما بلغه من البينات.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: (كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)، فإنه يقول تعالى ذكره: كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التي قصصنا عليك نبأهم، يا محمد، في هذه السورة، حتى جاءهم بأسُ الله فهلكوا به (كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)، الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبدًا من قومك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وما وجدنا لأكثر هذه الأمم المكذبة التي أهلكناها من وفاءٍ للعهود التي أخذناها عليهم وهم في صلب آدم، أن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، بل نقضوا العهود والمواثيق، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك، يا محمد، نبأها(مِّنۡ عَهۡدٖۖ)، يقول: من وفاء بما وصيناهم به، من توحيد الله، واتباع رسله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وهجر عبادة الأوثان والأصنام.

و"العهد"، هو الوصية، قد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته. (وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ)، يقول: وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم، تاركين عهده ووصيته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم﴾ أَيْ: لِأَكْثَرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ﴿مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ أَيْ: وَلَقَدْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ فَاسِقِينَ خَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالِامْتِثَالِ. وَالْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ [عَلَيْهِمْ] هُوَ مَا جَبَلَهُمْ عَلَيْهِ وَفَطَرَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَصْلَابِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ، فَخَالَفُوهُ وَتَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَعَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ، لَا مِنْ عَقْلٍ وَلَا شَرْعٍ، وَفِي الْفِطَرِ السَّلِيمَةِ خِلَافُ ذَلِكَ، وَجَاءَتِ الرُّسُلُ الْكِرَامُ

(٢٠٩) أحمر
أسود

مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاء، فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وحَرّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أحللتُ لَهُمْ». وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ» الْحَدِيثَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قلت (مصطفى): وقد أشار بعض العلماء إلى أن المراد بالعهد هنا عموم العهود التي أخذها الله عليهم سواء وهم في صلب آدم، أو التي أخذت عليهم على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو تلك العهود التي تجري بينهم وبين العباد فهم أيضًا للعهود التي يعطونها للعباد ناقضون، لا يفون بعهدٍ ولا يعبثون بميثاق، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، موسى بن عمران.

و«الهاء والميم» اللتان في قوله:(مِنۢ بَعۡدِهِم)، هي كناية ذكر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع.

(بِـَٔايَٰتِنَآ) يقول: بحججنا وأدلتنا (إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ)، يعني: إلى جماعة فرعون من الرجال (فَظَلَمُواْ بِهَاۖ)، يقول: فكفروا بها.

و"الهاء والألف" اللتان في قوله: (بِهَاۖ) عائدتان على "الآيات". ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم= وإنما جاز أن يقال: (فَظَلَمُواْ بِهَاۖ) بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم وَضْعُ الشيء في غير موضعه. وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه، بما أغنى عن إعادته.

والكفر بآيات الله، وضع لها في غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عُنِيت به (فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فانظر

(٢١٠) أحمر
أسود

يا محمد، بعين قلبك، كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض؟ يعني فرعون وملأه، إذ ظلموا بأيات الله التي جاءهم بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعًا في البحر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم) أَيِ: الرُّسُلَ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهُمْ، كَنُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ. (مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ) أَيْ: بِحُجَجِنَا وَدَلَائِلِنَا الْبَيِّنَةِ إِلَى فرعون وَهُوَ مَلِكُ مِصْرَ فِي زَمَنِ مُوسَى، (وَمَلَإِيْهِۦ) أَيْ: قَوْمِهِ، (فَظَلَمُواْ بِهَاۖ) أَيْ: جَحَدُوا وَكَفَرُوا بِهَا ظُلْمًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ).

أَيِ: الَّذِينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، أَيِ: انْظُرْ -يَا مُحَمَّدُ- كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ، وَأَغْرَقْنَاهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، بِمَرْأًى مِنْ مُوسَى وَقَوْمِهِ. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي النَّكَالِ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَأَشْفَى لِقُلُوبِ أَوْلِيَاءِ اللهِ -مُوسَى وَقَوْمِهِ- مِنَ المؤمنين به.

قَالَ تَعَالَى:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٠٣ وَقَالَ
مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ
عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ
بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ قَالَ
ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ
١١٢ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُواْ
يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ١١٥ قَالَ
أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ١١٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا
هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلْقِيَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ
١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
١٢٢
قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ

مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ
إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا

(٢١٢) أحمر
أسود

وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ
مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ
أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
١٢٩

الكلمة	معناها
﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾	بمعجزاتنا (كالعصا واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء وغير ذلك).
﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾	جماعته- أشراف قومه.
﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾	فكفروا بها- فظلموا أنفسهم وغيرهم بسبب كفرهم بها.
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	جزاء المفسدين- آخر أمر المفسدين.
﴿حَقِيقٌ﴾	جديرٌ- حريصٌ – واجبٌ عليَّ- حقٌّ عليَّ.
﴿بِبَيِّنَةٍ﴾	بحجة مظهرة لصدقي.
﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	اتركهم معي حتى نخرج من أرضك.
الكلمة	معناها

(٢١٣) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿بِـَٔايَةٖ﴾	بحجةٍ- بدلالة- بمعجزة.
﴿مُّبِينٞ﴾	تتبين لمن يراها أنها حية- واضح أنه ثعبان- مظهرٌ لقدرة الله ولصدقي.
﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾	أخرج يده.
﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾	لمن نظر إليها من الناس.
﴿ٱلۡمَلَأُ﴾	الأشراف والوجهاء والمستشارون وعلية القوم .
﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾	بِمَ تشيرون؟
﴿أَرۡجِهۡ﴾	أَخِّره- أمهله- احبسه.
﴿وَأَخَاهُ﴾	يعنون: هارون عليه السلام.
﴿ٱلۡمَدَآئِنِ﴾	المُدن.
﴿حَٰشِرِينَ﴾	جمع حاشر، وهو: الذي يجمع الناس ويحشرهم - جامعين يجمعون الناس، وقيل: المراد -هنا-: الشُّرطة الذين يذهبون لإحضار الناس.
﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾	إن غلبنا موسى وتفوقنا عليه.
﴿لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾	لمن قراباتي وفي منزلة أقربائي، ومن المقربين إليَّ في مجالسي.
﴿تُلۡقِيَ﴾	ترمي بعصاك.
﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾	خيَّلوا للناس الأشياء على غير حقيقتها – خدعوا أعين الناس.
﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾	أخافوهم- روَّعوهم.
﴿بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾	بتخييل وخداع عظيم كبير في أعين الناس.
﴿تَلۡقَفُ﴾	تبتلع وتلتهم- تأكل.
﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾	ما يسحرون- ما يأتون به من الكذب والأباطيل والافتراءات والاختلاقات- يُلقون- يكذبون.

(٢١٤) أحمر
أسود

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾	فظهر الحق.
﴿وَبَطَلَ ﴾	ذهب وانهزم واضمحل.
﴿هُنَالِكَ ﴾	عند ذلك.
﴿وَٱنقَلَبُواْ ﴾	انصرفوا- رجعوا - هُزموا.
﴿صَٰغِرِينَ ﴾	مقهورين أذلاء.
﴿ وَأُلْقِيَ ﴾	خرَّوا سُجدًا.
﴿ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾	أصدقتموه بأنه رسول من عند الله وأقررتم بما يقول؟
﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾	خدعة خدعتم بها الناس، وتدبير دبرتموه.
﴿مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾	كأن تُقْطَعَ اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى.
﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾	لأقتلنكم بطريقة الصلب، (وذلك كأن يضعهم على النخيل ويربطهم ويتركهم هكذا حتى يموتوا).
﴿مُنقَلِبُونَ ﴾	راجعون.
﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾	أنزل علينا صبرًا، احفظنا وأنزل علينا حبسًا يحبسنا عن الكفر بك ويمنعنا من الكفر بك عند تعذيبه لنا.
﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	اقبضنا على الإسلام.
﴿أَتَذَرُ ﴾	أتترك.
﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾	نستبقي نساءهم- نترك نساءهم أحياء (للاستمتاع بهن ولإذلال الرجال بذلك، ولاستخدام الناس).
﴿قَٰهِرُونَ ﴾	غالبون- عالون بالقهر.
﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ ﴾	اطلبوا العون من الله.
﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾	النهاية الحسنة والمآل المحمود الطيب.
﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ ﴾	يجعلكم خلفاء.

شيء من ذكر نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

ج: المراد- والله أعلم- بمراده، ثم بعثنا من بعد هذه الأمم التي أهلكناها، والقرى التي أفنيناها، كقوم عادٍ وثمود، وكقوم لوط وشعيب وغير هذه القرى المكذبة، بعثنا بعدها موسى عليه السلام كليم الله عز وجل مؤيدًا بالآيات والمعجزات الدالة على صدقه وعلى أنه رسولٌ من عند الله عز وجل مؤيدًا بالآيات والمعجزات الدالة على صدقه وعلى أنه رسولٌ من عند الله عز وجل كالعصا واليد وغير ذلك بعثناه إلى فرعون المتكبر المتعالي الذي افترى كذبًا وزورًا وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وكذا جماعته المتبعين له على ضلاله، الذين استخفهم فأطاعوه، فكفر فرعون وكفرت جماعته بالآيات التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وكذبوا بها تكذيبًا، وعاندوا عنادًا، فانظر إلى مآل أمرهم وما حلَّ بهم، فلقد أغرقهم الله عز وجل جميعًا في البحر.

|

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله عز وجل لما أرسل موسى عليه السلام رسولًا، والتقى موسى عليه السلام بفرعون أخبره بأن الله عز وجل اختاره واصطفاه لرسالته، فقال لفرعون- وهو ملك مصر آنذاك-: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أرسلني الله عز وجل الذي هو خالق كل شيءٍ ورب كل شيء.

ويدخل فيه السموات والأرض وما بينهما من إنس وجن وسائر المخلوقات، جُدير بي، وواجبٌ عليَّ، وقد أرسلني الله عز وجل أن أكون صادقًا فيما أنقله عن الله عز وجل، وها أنا صادقٌ وأقول لكم: ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهي دلالات وبراهين وحجج على صدقي فيما أقول، فحينئذٍ طلب منه فرعون الحجج والبيِّنات فقال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾، أي: بمعجزةٍ دالة على صدقك فيما تقول فبيِّنها لنا وأظهرها لنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

(٢١٦) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مُنَاظَرَةِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ، وَإِلْجَامِهِ إِيَّاهُ بِالْحُجَّةِ، وَإِظْهَارِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِحَضْرَةِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مِنْ قِبْطِ مِصْرَ، فَقَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) أَيْ: أَرْسَلَنِي الَّذِي هُوَ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: حَقِيقٌ بِأَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ، أَيْ: جَدِيرٌ بِذَلِكَ وَحَرِيٌّ بِهِ.

وَقَالُوا وَ"الْبَاءُ" وَ"عَلَى" يَتَعَاقَبَانِ، فَيُقَالُ رَمَيْتُ بِالْقَوْسِ" وَ"عَلَى الْقَوْسِ"، وَ"جَاءَ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ" وَ "بِحَالٍ حَسَنَةٍ".

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهُ: حَرِيصٌ عَلَى أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ.

وَقَرَأَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: (حقيق عليَّ) بِمَعْنَى: وَاجِبٌ وَحَقٌّ عَلَيَّ ذَلِكَ أَلَّا أُخْبِرَ عَنْهُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لِمَا أَعْلَمُ مِنْ عِزِّ جَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَيْ: بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِنَ اللهِ، أَعْطَانِيهَا دَلِيلًا عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أَيْ: أَطْلِقْهُمْ مِنْ أَسْرِكَ وَقَهْرِكَ، وَدَعْهُمْ وَعِبَادَةَ رَبِّكَ وَرَبِّهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ نَبِيٍّ كَرِيمٍ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ: يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الرَّحْمَنِ.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أَيْ: قَالَ فِرْعَوْنُ: لَسْتُ بِمُصَدِّقِكَ فِيمَا قُلْتَ، وَلَا بِمُطِيعِكَ فِيمَا طَلَبْتَ، فَإِنْ كَانَتْ مَعَكَ حُجَّةٌ فَأَظْهِرْهَا لِنَرَاهَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا ادَّعَيْتَ.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)، يقول: قال موسى لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم، يشهدُ، أيها القوم، على صحة ما أقول، وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياي إليكم رَسولا فأرسل يا فرعون معي بني إسرائيل. فقال له فرعون:(إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ)، يقول: بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول (فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ).

(٢١٧) أحمر
أسود

س: ما مراد موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- دعهم إلى أخرج أنا وهم من بلادك ونرحل عنها ولا تستعبدهم ولا تسترقهم فإنهم من نسل نبيٍّ كريم وهو يعقوب عليه السلام.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، أن المعنى حاصله: أن موسى عليه السلام لما طُلب منه دليلٌ على نبوته ورسالته ألقى عصاه فتحولت إلى حية ذَكر عظيمة هائلة واضحة أنها ثعبان عظيم، فكانت تلك آية عظيمة ودلالة على نبوَّة موسى عليه السلام.

وكذلك فإن موسى عليه السلام أخرج يده ونزعها من جيبه- أي: من فتحة الصدر- فخرجت يده بيضاء لمن نظر إليها شديدة البياض ناصعة، وموسى عليه السلام كان آدم- أي: أسمر- ولكن اليد خرجت هكذا بيضاء دون مرضٍ ودون آفة ولا بَرَص.

هذا، وفي حديث الفتون الطويل عن ابن عباس[1] قال: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن أشراف القوم ووجهاءهم قالوا لبعضهم البعض، وقالوا لفرعون أيضًا: إن موسى- بما جاء به من العصا، واليد- ساحرٌ عليم بالسحر يُخيل الأشياء للناس على غير حقيقتها ويسحر أعينهم أن يجعلها ترى الأمور على غير وجهها الصحيح، فيجعلهم يرون الأسمر أبيضًا (كاليد) فقد كانت يده سمراء، ويجعلهم يرون العصا حية، وقد جاء بهذا الذي جاء به لتمكين بني إسرائيل من البلاد وطردكم منها وإزالتكم عن السيطرة عليها فما الذي تشيرون به في شأن هذا الرجل!

(١) أبو يعلى الموصلي (٥/ ١٠) بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢١٨) أحمر
أسود

أي: قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون، موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه روعه، واستقر على سرير مملكته، بعد ذلك قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره؟ وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور كذبهم وافترائهم؟ وتخوفوا أن يستميل الناس إليه بسحره فيما يعتقدون؛ فيكون ذلك سببًا لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم، والذي خافوا منه وقعوا فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم (إِنَّ هَٰذَا)، يعنون موسى صلوات الله عليه (لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ)، يعنون: أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم العصا حية، والآدم أبيض، والشيء بخلاف ما هو به. ومنه قيل: "سَحر المطرُ الأرضَ"، إذا جادها، فقطع نباتها من أصوله، وقلب الأرض ظهرًا لبطن، فهو يَسْحَرُها سَحْرًا"، و"الأرض مسحورة"، إذا أصابها ذلك. فشبه "سحر الساحر" بذلك، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به، ومنه قول ذي الرمة في صفة السراب:

وَسَاحِرَةِ العُيُونِ مِنَ المَوَامِي تَرَقَّصُ في نَوَاشِرِهَا الأُرُومُ

وقوله (عَلِيمٌ) يقول: ساحر عليم بالسحر (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم) أرض مصر، معشر القبط السحرة وقال فرعون للملأ (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يقول: فأي شيء تأمرون أن نفعل في أمره؟ بأي شيء تشيرون فيه؟

وقيل: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، والخبر بذلك عن فرعون، ولم يذكر فرعون، وقلما يجيء مثل ذلك في الكلام، وذلك نظير قوله: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، [يوسف: ٥١-٥٢]. فقيل: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، من قول يوسف، ولم يذكر يوسف، ومن ذلك أن يقول: "قلت لزيد قم، فإني قائم"، وهو يريد: "فقال

(٢١٩) أحمر
أسود

زيد: إنّي قائم.

س: قولهم: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أيُّ أرض هذه؟ وكيف يخرجهم منها؟

ج: الأرض هي أرض مصر.

وإخراجهم منها بأحد أمرين:

الأول: أن يطردهم منها إلى غيرها.

الثاني: أن يجعل السيادة لبني إسرائيل عليهم فيكون الإسرائيليون سادة، ولهم الكلمة في البلاد، ومن دونهم تحت أيديهم.

س: قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ مَنْ قائله؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك فرعون قاله لقومه، فلما أخبروه بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ سألهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي: بأي شيء تشيرون عليَّ أن أفعل!

والقول الثاني: أن قائل: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ هم الملأ من قوم فرعون؛ وذلك لأن الكلام كلامهم والخطاب خطابهم، أما قولهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ بصيغة الجمع، فذلك-والله أعلم- تعظيم منهم لفرعون فيخاطبونه بخطاب الجماعة.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الملأ من فرعون أشاروا عليه- لما شاورهم- في أمر نبي الله موسى عليه السلام، وأمر أخيه هارون عليه السلام، قالوا: احبسه واحبس أخاه إلى أن ترسل الشُّرط يجمعون لك السحرة من عموم مدن مصر.

وقيل: المعنى: أخِّره وأخِّر أخاه ولا تعاقبهما حتى ترسل الشُّرط إلى مدائن مصر يأتونك بالسحرة المهرة لدحض حجته، والله أعلم.

(٢٢٠) أحمر
أسود

س: وضِّح معنى قوله: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، أن السحرة لما شارطوا فرعون وطلبوا لأنفسهم أجرًا إن هم غلبوا موسى عليه السلام بسحرهم أجابهم فرعون إلى طلبهم، بل ووعدهم بأكثر مما طلبوا بقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: لمن أهل مجلسي وخاصتي وصحبتي.

س: وضح معنى قولهم: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن السحرة لما جمعهم فرعون وشارطوه واتفقوا معه على الأجر إن هم غلبوا موسى عليه السلام اجتمعوا فيما بينهم ثم قالوا لنبي الله موسى عليه السلام: إما أن تلقي عصاك وتظهر ما معك، وإما أن تُلقي نحن أولًا كما في الآية الأخرى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن موسى عليه السلام لما خيَّره السحرة بقولهم: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾، أجابهم بقوله: ﴿أَلْقَوْا۟﴾ كما في الآية الأخرى ﴿بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لِيَرَى النَّاسُ صَنِيعَهُمْ وَيَتَأَمَّلُوهُ، فَإِذَا فُرِغَ مِنْ بَهْرَجِهِمْ وَمُحَالِهِمْ، جَاءَهُمُ الْحَقُّ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ بَعْدَ تَطَلُّبٍ لَهُ وَالِانْتِظَارِ مِنْهُمْ لِمَجِيئِهِ، فَيَكُونَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ وَكَذَا كَانَ.

قلت: أما قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ).

فمعناه: أن سحرة فرعون لما ألقوا ما في أيديهم من العصيِّ وغيرها خدعوا أعين الناس وجعلوها ترى الأشياء على غير حقيقتها، فحولوا العصيِّ - فيما يراه الناظر - إلى حيَّات وثعابين عظيمةً هائلة أرهبت الناس وأخافتهم وجعلتهم يفرون منها.

س: كيف قيل: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾، فهل يوصف بالسحر من سجد؟

(٢٢١) أحمر
أسود

ج: ذلك، والله أعلم، باعتبار ما كانوا فيه من السحر كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ومعلوم أن إعطائهم الأموال يكون بعد بلوغهم لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.

ولكن أطلق عليهم يتامى، باعتبار ما كانوا فيه من اليُتْمِ، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن فرعون لما آمن السحرة بموسى عليه السلام وأقروا بنبوته وأنه رسولٌ من عند الله عز وجل، وأن ما جاء به حقٌّ وليس بسحرٍ وخروا حينئذ سجدًا مقرِّنين بالإيمان.

قال لهم فرعون حينئذٍ: أصدقتموه واتبعتموه قبل أن تأخذوا مني إذنًا بذلك، إن هذا الذي صدر منكم كان على اتفاقٍ ومواطأةٍ منكم لموسى وكان ما حدث من إلقائكم العصِيَّ وإلقائه كل ذلك كان منكم ومنه خدعة خدعتهم بها الناس لتخرجوا الرؤساء والكبراء من أرض مصر وتستولوا أنتم وهو عليها وتصبح لكم الرئاسة والوجاهة، ويصبح الملك بأيديكم ويد موسى فسوف تعلمون ما أُحِّله بكم من العقاب وما أُذيقكم من النكال والعذاب.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله= يعني صدّقوا رسوله موسى عليه السلام، لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه:(ءَامَنتُم بِهِۦ)، يقول: أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته (لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ) يقول لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا، لتخرجوهم منه (قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) بالإيمان به، (إِنَّ هَذَا)، يقول: تصديقكم إياه، وإقراركم بنبوَّته، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)، ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابي إياكم على صنيعكم هذا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَوَعَّدَ بِهِ فِرْعَوْنُ، لَعَنَهُ اللهُ، السَّحَرَةَ لَمَّا آمَنُوا بِمُوسَى، عليه السلام، وَمَا

(٢٢٢) أحمر
أسود

أَظْهَرُهُ لِلنَّاسِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا) أَيْ: إِنَّ غَلَبَه لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّمَا كَانَ عَنْ تَشَاوُرٍ مِنْكُمْ وَرِضَا مِنْكُمْ لِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ) وَهُوَ يَعْلَمُ وَكُلُّ مَنْ لَهُ لُبٌّ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ مُوسَى، عليه السلام، بِمُجَرَّدِ مَا جَاءَ مِنْ "مَدْين" دَعَا فِرْعَوْنَ إِلَى اللهِ، وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةَ وَالْحُجَجَ الْقَاطِعَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي مَدَائِنِ مُلْكِهِ وَمُعَامَلَةِ سَلْطَنَتِهِ، فَجَمَعَ سَحَرَةً مُتَفَرِّقِينَ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ بِبِلَادِ مِصْرَ، مِمَّنِ اخْتَارَ هُوَ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَحْضَرَهُمْ عِنْدَهُ وَوَعَدَهُمْ بِالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ. وَقَدْ كَانُوا مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى الظُّهُورِ فِي مَقَامِهِمْ ذَلِكَ وَالتَّقَدُّمِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ، وَمُوسَى، عليه السلام، لَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا رَآهُ وَلَا اجْتَمَعَ بِهِ، وَفِرْعَوْنُ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا تَسَتُّرًا وَتَدْلِيسًا عَلَى رَعَاعِ دَوْلَتِهِ وجَهَلتهم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ) فَإِنَّ قَوْمًا صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ: (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ) مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ وَأَضَلِّهِمْ.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولة، وتُخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما أصنع لكم.

س: ما المراد بقول فرعون: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾.

ج: المراد، قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾، وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القَطْع، فمخالفته في ذلك بينهما هو "القطع من خلاف".

ويقال: إن أوّل من سن هذا القطع فرعون.

(٢٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قول السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾.

ج: المعنى، إنا إلى ربنا راجعون، وصائرون إليه.

قد أيقنا بالبعث بعد الموت، وما الذي ننكره علينا يا فرعون ما تُنكر علينا شيئًا إلا أننا صدقنا بأن الآيات التي جاء بها نبي الله موسى عليه السلام آيات من عند الله ودلالات ظاهرات على نبوة موسى عليه السلام، ثم سأل السحرة ربهم عز وجل أن ينزِّل عليهم صبرًا وثباتًا على الإسلام يمنعهم به من الكفر عند تعذيب فرعون لهم، وسألوا ربهم عز وجل أن يوفاهم على الإسلام والإيمان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وَقَوْلُ السَّحَرَةِ: (إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ) أَيْ قَدْ تَحَقَّقْنَا أَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَذَابَهُ أَشَدُّ من عذابك ونكاله على ما تدعونا إليه اليوم وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ أَعْظَمُ مِنْ نكالك فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص عن عذاب الله ولهذا قَالُوا (رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) أَيْ عُمَّنَا بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِكَ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) أَيْ مُتَابِعِينَ لِنَبِيِّكَ مُوسَى عليه السلام وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ (فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ) فَكَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً، فَصَارُوا فِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ بَرَرَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ كَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً وَفِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ بررة.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال السحرة مجيبة لفرعون، إذ توعَّدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب: (إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ) يعني بالانقلاب إلى الله، الرجوع إليه والمصير وقوله: (وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا)، يقول: ما تنكر منا، يا فرعون، وما تجد علينا، إلا من أجل أن آمنا، أي، صدقنا (بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا)، يقول: بحجج ربّنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد، سوى الله، الذي له ملك السموات والأرض. ثم فزعوا إلى الله بمسألته الصبرَ على عذاب فرعون، وقبض

أرواحهم على الإسلام فقالوا: (رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا)، يعنون بقولهم: (أَفۡرِغۡ)، أنزل علينا حَبْسًا يحبسنا عن الكفر بك، عند تعذيب فرعون إيانا (وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ)، يقول: واقبضنا إليك على الإسلام دين خليلك إبراهيم ﷺ، لا على الشرك بك.

س: هل صحيح أن موسى عليه السلام التقى مع أمير السحرة قبل المبارزة بإلقاء العصيِّ، ووعده أمير السحرة أن يؤمن إذا انتصر عليه موسى؟

ج: لا يصح بذلك سند فيما علمتُ وكذا لا يصح ما أورده الطبري بإسناده عن السّدي في حديث ذكره، عن أبي مالك،وعلى بن أبي طلحة، عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: التقى موسى وأميرُ السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أنَّ ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك، ولأشهدن أنك حق! وفرعون ينظر إليهم، فهو قول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾، إذ التقيتما لتتظاهر افتخرجا منها أهلها.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال الأشراف ووجهاء الناس من قوم فرعون لفرعون: أتترك موسى يا فرعون يفعل في الناس ما يشاء ويحولهم عن دينهم إلى دينه ويفسدوا في الأرض ويتركوا عبادتك آلهتك.

معنى آخر: أنترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وقد ترك عبادتك وعبادة آلهتك.

والمعنى الثالث: أتترك موسى يا فرعون يفسد في الأرض وتظن أنه سيتركك ويترك آلهتك التي تعبد، أي: أنك إذا تركته فلن يتركك هو، ولن يترك آلهتك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي قوله: (وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ)، وجهان من التأويل:

(٢٢٥) أحمر
أسود

أحدها: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك= وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل، كان النصبُ في قوله: (وَيَذَرَكَ)، على الصرف، لا على العطف به على قوله: (لِيُفْسِدُواْ).

والثاني: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وليذرك وآلهتك = كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين. وإذا وجِّه الكلام إلى هذا الوجه، كان نصب: (وَيَذَرَكَ) على العطف على (لِيُفْسِدُواْ).

قال الطبري:

والوجه الأول أولى الوجهين بالصواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَمَالَأَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ، وَمَا أَظْهَرُوهُ لِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمِهِ مِنَ الْأَذَى وَالْبِغْضَةِ: (وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ) أَيْ: لِفِرْعَوْنَ (أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ) أَيْ: أَتَدَعُهُمْ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، أَيْ: يُفْسِدُوا أَهْلَ رَعِيَّتِكَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ دُونَكَ، يَالَلَّهِ لِلْعَجَبِ! صَارَ هَؤُلَاءِ يُشْفِقُونَ مِنْ إِفْسَادِ مُوسَى وَقَوْمِهِ! أَلَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ هُمُ الْمُفْسِدُونَ، وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ؛ وَلِهَذَا قَالُوا: (وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ) قَالَ بَعْضُهُمْ: "الْوَاوُ" هُنَا حَالِيَّةٌ، أَيْ: أَتَذِرُهُ وَقَوْمَهُ يُفْسِدُونَ وَقَدْ تَرَكَ عبادتك؟ وَقَرَأَ ذَلِكَ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ: "وَقَدْ تَرَكُوكَ أَنْ يَعْبُدُوكَ وَآلِهَتَكَ"، حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَاطِفَةٌ، أَيْ: لَا تَدَعْ مُوسَى يَصْنَعُ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنَ الْفَسَادِ مَا قَدْ أَقْرَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى تَرْكِهِ آلِهَتَكَ.

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: "إِلَاهَتَكَ" أَيْ: عِبَادَتَكَ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ.

وَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ لِفِرْعَوْنَ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ لِفِرْعَوْنَ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ فِي السِّرِّ. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: كَانَ لَهُ جُمَانَة فِي عُنُقِهِ مُعَلَّقَةٌ يَسْجُدُ لَهَا.

وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ) وَآلِهَتُهُ، فِيمَا زَعَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ، كَانَتِ الْبَقَرُ، كَانُوا إِذَا رَأَوْا بَقَرَةً حَسْنَاءَ أَمَرَهُمْ فِرْعَوْنُ أَنْ يَعْبُدُوهَا، فَلِذَلِكَ أَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا.

(٢٢٦) أحمر
أسود

س: كيف الجمع بين الآيتين: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وبين قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وكذا قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

ج: مفادُ الآية الأولى عند قومٍ أن قوله: ﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾ يُفيد أن فرعون كان يعبد إلهًا، فكيف يلتئم هذا مع قول فرعون: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾.

أجاب على ذلك بعض العلماء بقولهم: إن آلهتك معناها عبادتك، وعليه فلا إشكال.

وقال آخرون: إن فرعون كان له إلهٌ يعبده في السر، والله تعالى أعلم.

س: أهل الشر والفساد يزعمون أنهم أهل خيرٍ وصلاح ويصفون مُخالفهم بالجنون والإفساد دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك قول قوم فرعون لفرعون لعنه الله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾.

وقول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

س: ماذا يصنع الشخص أمام تهديد من هددوه وترهيب من أرهبوه؟

ج: عليه أن يلجأ إلى الله ﷻ ويستعين به، ويسأله أن يحفظه فضلًا عن الأخذ بالأسباب التي شرعها الله ع.

وها هو نبي الله موسى عليه السلام يأمر قومه بذلك لما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ ثم- وبعد ذلك- أمر موسى عليه السلام بأن يسرى بعباد الله ليلًا كما أفادته الآيات الأُخر الواردة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- اطلبوا العون من الله ﷻ كي يعينكم على الصبر والثبات وكي ينجيكم من فرعون وقومه، فكما هو معلوم أن الصابر من صبَّره الله ﷻ، ولن يستطيع أحدٌ أن يصبر إلا إذا صبره الله، ولقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ:

(٢٢٧) أحمر
أسود

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على ماذا؟

ج: اثبتوا على إيمانكم ولا تجزعوا بسبب ما ينالكم من المكروه والسوء في أنفسكم وأبنائكم وأموالكم من فرعون وقومه.

والمراد بالصبر الحبس كما هو معلوم، فالمعنى: احبسوا أنفسكم على الإيمان بالله والرضا بقضائه ولا تجزعوا ولا تتركوا إيمانكم.

س: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾؟

ج: المراد ها هنا، والله أعلم، الأرض التي نعيش عليها في ديننا وقد وُعد الإسرائيليون- إن هم صبروا وآمنوا- بذلك كما قال تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ).

وأما الأرض التي وُعد بها الإسرائيليون فهي أرض مصر.

هذا، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الأرض ها هنا أرض الجنة، ولا شك ولا ريب أن الله ﷻ يورث أرض الجنة أيضًا من يشاء من عباده، فأهل الإيمان يقولون: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ج: المراد بالعاقبة النهاية وعاقبةُ كل شيء آخره والمراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ النهاية الحسنةُ والختام الطيب المحمود للذين اتقوا ربهم فاجتنبوا معصيته وعملوا بأوامره ولزموا طاعته وأدوا فرائضه.

والنهاية الحسنة في هذا المقام- التي هي العاقبة- قيل: كونهم ورثوا أرض مصر، وسلمهم الله وأغرق عدوهم، وقيل: إنها الجنة، والله أعلم.

(٢٢٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قول قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، أنهم شكَوْا إلى موسى عليه السلام حالهم وما حلَّ بهم من البلاء من قبل أن يُرسل إليهم موسى عليه السلام ومن بعد ما أرسل إليهم.

أوذوا من قبل أن يبعث موسى بالرسالة، وذلك أن فرعون كان يذَّبح أبناءهم ويستحي نساءهم ويسخرهم للأعمال الشاقة المُرهقة ويسومهم سوء العذاب، وأوذوا من بعد ما جاءهم موسى عليه السلام بهذا التهديد الذي سمعوه من فرعون إذ قال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ فتوقعوا أن يُجدد عليهم العذاب وأن يُنزل بهم النَّكال.

ولقد قيل: إنهم قالوا ذلك لما خشوا أن يدركهم فرعون فقالوا: (إنا لمدركون)، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

ج: ذلك تحضيض وحثٌّ من موسى عليه السلام لقومه على الصبر والثبات والشكر عند النعماء وبشارةٌ لهم أيضًا بأن الله سيهلك عدوهم ويَنْصرهم على عدوهم ويورثهم الأرض ويختبرهم ويبتليهم بالسراء ويبتليهم بالتمكين في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها.

فالمعنى لعلَّ الله عز وجل – الذي هو ربكم ورب الخلق كلهم- أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، وكل من يعاديكم- ويجعلكم خلفاء في الأرض فينظر عملكم الذي ستعملون هل تقومون فيها بأمر الله أم أنكم ستعصونه وتبارزونه بالمعاصي؟!!

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، يقول جل ثناؤه: قال موسى لقومه: لعل ربكم أن يهلك عدوكم: فرعون وقومه (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ)، يقول: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحدًا من الناس غيرهم (

(٢٢٩) أحمر
أسود

فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)، يقول: فيرى ربكم ما تعملون بعدهم، من مسارعتكم في طاعته، وتثاقلكم عنها.

قَالَ تَعَالَى:

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ١٣٥
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟
عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ١٣٧

(٢٣١) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿أَخَذْنَآ﴾	ابتلينا- عَذَّبْنَا.
﴿بِٱلسِّنِينَ﴾	المراد: سنوات الشدة والجدب وعدم إخراج الأرض ثمرتها إلا القليل.
﴿يَذَّكَّرُونَ﴾	ينزجرون وينتهون عما هم فيه من المعاصي ويتعظون.
﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾	العافية والرخاء وسعة الرزق.
﴿يَطَّيَّرُواْ﴾	يتشاءموا.
﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾	نصيبهم والمقدر لهم من الخير والشر.
﴿ءَايَةٍ﴾	معجزة ودلالة.
﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾	لتصرفنا وتحولنا عما نحن فيه.
﴿فَأَرْسَلْنَا﴾	سلَّطنا عليهم.
﴿ٱلطُّوفَانَ﴾	السيل الشديد الجارف- المطر الشديد- الموت – بلاءً حلَّ بهم وطاف بهم.
﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾	قيل: السوس- وقيل: القَمْل المعروف- وقيل: الجراد الصغير- وقيل: دواب سوداء صغار.
﴿ءَايَٰتٍ﴾	علامات ودلالات.
﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾	بينها فواصل زمنية، بعضها يتلو بعضًا.
﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾	فامتنعوا عن الإيمان وتعالوا عن الامتثال لأمر الله ﷻ.
﴿مُّجْرِمِينَ﴾	مجترمين للذنوب والكبائر والكفر والمعاصي، عاملين بما يكرهه الله ﷻ من المعاصي والذنوب والكبائروالكفر
﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾	نزل بهم- حلَّ بهم.
﴿ٱلرِّجْزُ﴾	العذاب- الطاعون- ما سلِّط عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسائر صور العذاب.
﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾	بما أوصاك وأمرك به- بما خصَّك به من العلم بما استودعك من العلم- نسألك بعهده عندك.

(٢٣٢) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾	لئن رفعت عنا العذاب بدعاء ربك ﷻ.
﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾	لنصدقنك بما جئت به.
﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ﴾	نترك لك بني إسرائيل تسافر بهم وتهاجر بهم كيف تشاء.
﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾	رفعنا عنهم العذاب.
﴿يَنكُثُونَ﴾	ينقضون العهود.
﴿ٱلْيَمِّ﴾	البحر.
﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾	يُستذلون ويهانون ويُمتهنون.
﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾	أكثرنا فيها من الخيرات بإخراج الثمار والزروع والنباتات وأجرينا فيها من الأنهار.
﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الوعد الحسن الذي وعدهم به، وقيل: إنه قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ الآية.
﴿يَعْرِشُونَ﴾	يبنون من القصور وسائر الأبنية، وقيل: ما كانوا يعرشون من الحدائق كتعريش العنب في حدائق الأعناب، وعموم ما يحتاج إلى تعريش.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولقد ابتلينا آل فرعون وهم أتباعه وشيعته- بسنوات الشدة والجدب والقحط، وكذا اختبرناهم بنقص الثمرات فكانت الأرض لا تكاد تنبت إلا قليلًا ابتليناهم بذلك لعلهم يتعظون ويعتبرون وينزجرون عما هم فيه من الغي والضلال والكفر والفساد.

فالسنين المراد بها سنوات الشدة والفقر والجدب ومنه دعاء النبي ﷺ على

القرشيين بقوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ».

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة (بِٱلسِّنِينَ)، يقول: بالجُدوب سنة بعد سنة، والقحوط. يقال منه: "أسْنَتَ القوم"، إذا أجدبوا. (وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ)، يقول: واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)، يقول: عظة لهم وتذكيرًا لهم، لينزجروا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ).

ج: المعنى، الله تعالى أعلم، أن آل فرعون إذا صرف الله عنهم المكروه وأبدلهم مكان الضيق سعة ورزقًا واسعًا ومكان الضر في الأبدان عافية وصحة ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ﴾ أي: نحن جديرون بهذا وبأن يكون لنا مثل هذا فنحن أولى بها من غيرنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: إن حلَّ بهم بلاء وضيق في الأرزاق وعدم إخراج الأرض ثمرتها ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ أي: يتشاءموا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبالمؤمنين به فيقولون: ما أصابتنا هذه المصائب، وما حلَّ بنا هذا الجدب إلا بعد أن جاءنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله أعلم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ) وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة (قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ) أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكُروا عليه. (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) وهي القحط والجدب والبلاء(يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ) أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) قال أبو عبيدة: «ألا» تنبيه وتوكيد ومجاز. (طَٰٓئِرُهُمْ) حظهم ونصيبهم، وقال ابن عباس (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) أي: إن الذي

(٢٣٤) أحمر
أسود

أصابهم من الله.

وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدّنيا.

س: أهل الكفر يتشاءمون ويتطيرون بأهل الإيمان في كثير من الأحيان اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول أصحاب القرية المذكورون في سورة يس للمرسلين: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.

وقول قوم ثمود لصالح عليه السلام: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾.

وقوله تعالى في شأن قول قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– إن ما يصيبهم من الخير أو الشر أو السعة أو الضيق أو الشدة أو الرخاء كل ذلك مقدر عند الله ومكتوب.

النهي عن التطير وبيان بعض صوره

س: ما معنى الطيرة، اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأنها؟

ج: أما التطير، فمن معانيه التشاؤم وترك الإنسان فعل شيءٍ معين تشاؤمًا ومن صور التطير أن شخصًا ما على سبيل المثال يريد سفرًا فيأتي بطائر بطيرِّه إن طار يمينًا سافر وإن طار شمالًا لم يسافر، بل وتشاءم بالسفر.

۞ ومن صورة أن يترك حاجته تشاؤمًا بسماع بعض الكلمات القبيحة أو التي تحمل شرًّا، فقد يخرج لعمل من الأعمال فيسمع كلمة: يا هالك أو يا خائب، يا خاسر فيترك الذهاب للعمل.

۞ ومنه التشاؤم بأصوات بعض الطيور كالبومة مثلًا.

(٢٣٥) أحمر
أسود

۞ ومنه التشاؤم بملاقاة شخصٍ أعمى أول النهار مثلًا أو امرأة عجوز شمطاء أو شيخ هرم.

۞ ومنه التشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو الأعوام أو الساعات.

۞ ويدخل فيه الاستقسام بالأزلام كما بيناه في سورة المائدة.

أما الأحاديث الواردة في هذا الصدد فمنها قوله ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قالو: وما الفأْلُ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»(١).

أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

۞ ومنه قوله ﷺ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ**»(٢).

وحديث: «**لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**»(٣).

ومنه قوله: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولكن أكثر هؤلاء المتشاءمين بموسى عليه السلام لا يعلمون أن الأمور مقدرة ومكتوبة، وقد قدرها الله وكتبها.

من جهل شيئًا عاداه

س: من جهل شيئًا فإنه يُعاديه اذكر من معنى الآية ما يدل على ذلك؟

ج: ذلك، والله أعلم، مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فلكون القوم كانوا لا يعلمون أن الأمور مقدَّرة فإنهم تطيروا بموسى عليه السلام وتشاءموا به.

هذا، وثمَّ آيات على أن من جهل شيئًا عاداه كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ والله أعلم.

---

(١) البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) البخاري (٥٧٠٧).

(٣) البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤) وغيرهما.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن قوم فرعون قالوا لموسى عليه السلام: مهما تأتنا به من معجزة لتصرفنا عما نحن فيه وما نحن عليه فما نحن لك بمصدقين وما نحن لك بمتبعين. أو بسياق آخر: وقال قوم فرعون لموسى عليه السلام: إذا جئتنا بأيَّة آية أو بآية معجزة، فما نحن لك بمصدقين ولا بمقرنين ولا متبعين.

س: أهل الكفر لا تنفعهم الآيات ولا يهتدون بها ولا يصدقونها دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾.

وقوله تعالى: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ).

س: ما المراد بالطَّوفان؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في المراد بالطوفان:

أولها وأشرها: أنه المطر الغزير المتلف للزروع والثمار والمُهدم للبيوت والمساكن والمهلك للحرث والماشية والمغرقُ.

الثاني: أن المراد بالطوفان الموت.

الثالث: أن المراد بالطوفان شيءٌ من أمرِ الله عز وجل طاف بهم وأهلكهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾.

قال الطبري مختارًا القول الأخير:

(٢٣٧) أحمر
أسود

والصواب من القول في ذلك عندي، ما قاله ابن عباس، على ما رواه عنه أبو ظبيان أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: "طاف بهم أمر الله يطوف طُوفَانًا"، كما يقال: " نقص هذا الشيء ينقُص نُقْصَانًا ". وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد = وجاز أن يكون الموتَ الذريعَ.

۞ وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ شواهد على أن الطوفان يطلق ويُراد به المطر الشديد.

قلت: (مصطفى): وقد أورد الطبري في «تفسيره» وبسنده حديثًا عن عائشة **ف** قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّوفَانُ الموْتُ**»، إلا أن هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ. ففي سنده ضعف واختلاف. والله أعلم.

س: هل يجوز أكل الجراد؟

ج: نعم يجوز أكل الجراد فلا دليل يمنع، بل ففي «الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات كنا نأكل الجراد معه.

س: هل يجوز أكل الجراد الميت؟

ج: نعم يجوز أكل الجراد الميت، وقد قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢]: «**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، وَدَمَانِ. فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**».

وهذا الذي ذكره ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يُقال من قبيل الرأي بل يأخذ حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ هذا، وقد روي الخبر عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ مرفوعًا ولا يصح مرفوعًا لكنه صحيح موقوفًا وله حكم المرفوع، والله أعلم.

س: هل يجوز قتل الجراد إذا أتلف الزروع والثمار أو إذا حلَّ بأرض فأفسد؟

ج: نعم يجوز قتله، فالله لا يحب الفساد، وعلى هذا جماهير العلماء وإذا كانت النملة المؤذية تقتل مع ورود النهي عن قتل، النمل فالجراد الذي لم يرد نهي صحيح عن قتله إذا أفسد يُقتل والحديث الوارد في النهي عن قتل الجراد ضعيف غير ثابت

---

(١) البخاري (٥٤٩٥)، ومسلم (١٩٥٢).

(٢) صحيح موقوفًا: وله حكم المرفوع، وقد تقدم في تفسير سورة المائدة.

(٢٣٨) أحمر
أسود

عن رسول الله ﷺ.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَتْلِ الْجَرَادِ إِذَا حَلَّ بِأَرْضٍ فَأَفْسَدَ، فَقِيلَ: لَا يُقْتَلُ. وَقَالَ أَهْلُ الْفِقْهِ كُلُّهُمْ: يُقْتَلُ. احْتَجَّ الْأَوَّلُونَ بِأَنَّهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَأْكُلُ مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ الْقَلَمُ. وَبِمَا رُوِيَ (لَا تَقْتُلُوا الْجَرَادَ فَإِنَّهُ جُنْدُ اللهِ الْأَعْظَمُ). وَاحْتَجَّ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ فِي تَرْكِهَا فَسَادَ الْأَمْوَالِ، وَقَدْ رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ بقتال المسلم إذا أراد أخذ مال، فَالْجَرَادُ إِذَا أَرَادَتْ فَسَادَ الْأَمْوَالِ كَانَتْ أَوْلَى أَنْ يَجُوزَ قَتْلُهَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ؟ لِأَنَّهُمَا يُؤْذِيَانِ النَّاسَ فَكَذَلِكَ الْجَرَادُ.

س: ما مدى صحة هذا الحديث: كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الأطباق؟

ج: هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وقد رواه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفي سنده أبو سعد البقَّال وهو ضعيف، والله أعلم.

س: ما المراد بالقُمَّل؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن القمل هو الجراد الصغير الذي لا أجنحة له.

الثاني: أن القمل هو السُّوس الذي يكون بالحنطة- بحبة القمح- وغيره.

الثالث: أن القُمَّل هو البراغيث.

الرابع: أن القُمَّل هو القمل المعروف الذي يكون بالرؤوس وفي الشعور.

الخامس: أن القمل دواب صغيرة سوداء.

السادس: أن القمل دواب صغار تأكلها الإبل.

السابع: أنها دواب صغيرة تلازم الجلود والزروع فتتلفها وتلازم الجلود كأنها الجدري.

والحاصل: أنها دواب صغار سلطها الله عَزَّ وَجَلَّ على القوم آذتهم وأضرتهم في

معايشهم وأبدانهم، والله أعلم.

س: كيف سُلِّطت الصفادع على قوم فرعون؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن الضفادع سلطت عليهم فكانت تسقط- من كثرتها- في أطعمتهم التي في بيوتهم وفي أشربتهم.

وقال بعض العلماء: إنهم كانوا لا يعجنون عجينًا إلا سقطت فهي الضفادع وفردت رجليها فيه، وكان الرجل إذا نام ركبته الضفادع ولا يكاد يُقرَّب له طعام إلا سقطت الضفادع فيه، بل وتكاد أن تقذف بنفسها في فمِه إذا أراد الأكل.

ولا يكاد أحدهم يكشف ثوبًا ولا طعامًا ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، والله أعلم.

س: كيف أُرسل الدم على قوم فرعون؟

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: أنه سُلِّط عليهم الرِّعاف، الذي هو نزيف الأنف.

الثاني: أن الاستحاضة[1]- نزول الدم من الفرج- سلِّطت على نسائهم فكانت المرأة تنزل عليها الدماء غزيرة وبصورة كبيرة وزمن طويل.

الثالث: أن المياه تحولت إلى دم فلا ينزعون دلوًا من بئرٍ إلا وجدوا فيه الدماء بدلًا من الماء. ولا يستسقون من نهر إلا خرج الدلاء بالدماء بدلًا من الماء، بل ويتحول الماء الذي في البيوت إلى دم، و الله تعالى أعلم.

س: قد يبتلي الله ﷻ أقوامًا بتسليط الأوبئة والدواب عليهم وضح ذلك؟

ج: نعم قد يبتلي الله ﷻ بعض الخلق بذلك، يبتليهم بتسليط الدواب والهوام عليهم، فالدواب مسخرةٌ وجنود ربنا لا يعلمها إلا هو، فقد ابتلى قوم فرعون بتسليط الضفادع عليهم، وابتلاهم بالجراد والقمل وغير ذلك.

---

(١) كما هو معلوم أن الاستحاضة غير الحيضة، فالاستحاضة دم يخرج كنزيف من فرج المرأة لونه لون دم الجروح وليست رائحته كرائحة دم الحيض ويخرج في أي وقت.

ولقد طاف على جنة البخلاء (الحديقة والبستان) الذين أقسموا ليَصْرمنها مصبحين طائف من ربك وهم نائمون.

فعلى الخلق إذا ابتُلُوا بشيء من ذلك كالبعوض (الناموس) مثلًا، أو البراغيث أو الديدان والحشرات التي تحل بالزروع والبيوت والأجسام أن يحسنوا التضرع إلى الله ﷻ وأن يراجعوا أنفسهم ويقلعوا عن ذنوبهم، ويسألوا ربهم ﷻ رفع البلوى وكشف الضر؛ فما يعلم جنود ربك إلا هو. والله أعلم.

بعض صور البلاء والعذاب التي أرسلت على قوم فرعون

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم- أن الله ﷻ نوَّع الابتلاءات على قوم فرعون لعلهم يقلعون عما هم فيه من غيٍّ وشرٍّ وفساد، فابتلاهم بابتلاء، ثم عافاهم فلم يُفعلوا عن غيِّهم ولم ينتهوا عن كفرهم فابتلاهم بابتلاء آخر لعلهم يرجعون فلم يرجعوا ولم ينتهوا فعافاهم ثم ابتلاهم وهكذا فلم تُجدِ معهم تلك الابتلاءت.

۞ لقد ابتلاهم الله ﷻ بالطوفان فأرسله عليهم فسألوا موسى عليه السلام كي يسأل ربَّه ﷻ أن يكشف عنهم البلاء ووعدوه فسأل ربَّه ﷻ فكشف عنهم البلاء، ولكنهم نكثوا العهود ونقضوا المواثيق فسلط الله عليهم الجراد يأكل أخضرهم ويابسهم ويتلف زروعهم فسألوا موسى عليه السلام أن يدعوا ربه أن يكف عنهم العذاب ويُذهب عنهم الجراد فدعا ربه فأذهبه عنهم فنقضوا العهود والمواثيق فسلَّط الله عليهم القمل يلازم أبدانهم وشعورهم ويتلف ثمارهم ومواشيهم فسألوا موسى عليه السلام، فدعا ربَّه فأذهب ذلك عنهم فرجعوا إلى غيِّهم وكفرهم، فأرسل الله عليهم الضفادع كثيرة تقفز عليهم وهم نيام وفي طعامهم وهو يأكلون وتملأ عليهم البيوت والحقول والطرقات، فسألوا موسى أن يدعو ربه بصرف هذا عنهم، فدعا فصرفه الله فلم يرجعوا ولم يُقلعوا عن كفرهم فسلط عليهم الدم، فتحولت مياهم إلى دماء وكثرت الاستحاضة في نساءهم وأصيبوا بالرعاف (النزيف) الشديد الحاد وهكذا تنوعت البلاءات فلم يرجعوا، وكما قال تعالى

(٢٤١) أحمر
أسود

في شأن أقوام: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ قَالَ: أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى قَامُوا فِيهِ قِيَامًا، فَدَعَوْا مُوسَى فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ، ثُمَّ عَادُوا بِشِرٍّ مَا يَحْضُرُ بِهِمْ، ثُمَّ أَنْبَتَتْ أَرْضُهُمْ. ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ، فَأَكَلَ عَامَّةَ حُرُوثِهِمْ وَثِمَارِهِمْ، ثُمَّ دَعَوْا مُوسَى فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادُوا بِشِرٍّ مَا يَحْضُرُ بِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ، هَذَا الدَّبَى الَّذِي رَأَيْتُمْ، فَأَكَلَ مَا أَبْقَى الْجَرَادُ مِنْ حُرُوثِهِمْ، فَلَحَسَهُ. فَدَعَوْا مُوسَى، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ، ثَمَّ عَادُوا بِشِرٍّ مَا يَحْضُرُ بِهِمْ.

ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، حَتَّى مَلَأَتْ بُيُوتَهُمْ وَأَفْنِيَتَهُمْ، فَدَعَوْا مُوسَى، فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادُوا بِشَرٍّ مَا يَحْضُرُ بِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ، فَكَانُوا لَا يَغْتَرِفُونَ مِنْ مَائِهِمْ إِلَّا دَمًا أَحْمَرَ، حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عَدُوَّ اللهِ فِرْعَوْنَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ عَلَى الْإِنَاءِ الْوَاحِدِ، الْقِبْطِيِّ وَالْإِسْرَائِيلِيِّ، فَيَكُونُ مِمَّا يَلِي الْإِسْرَائِيلِيَّ مَاءً، وَمِمَّا يَلِي الْقِبْطِيَّ دَمًا. فَدَعَوْا مُوسَى، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ فِي تِسْعِ آيَاتٍ: السِّنِينَ، وَنَقَصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَأَرَاهُمْ يَدَ مُوسَى عليه السلام وَعَصَاهُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، أن المراد علامات ودلالات يُستدل بها على نبوة موسى عليه السلام، وذلك لكونه دعا الله لهم فاستجاب الله دعاءه، أما ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ أي: بينها فواصل زمنية، فبين كل ابتلاء وابتلاء فاصلٌ زمني كي يراجعوا أنفسهم ويرجعوا عن غيِّهم ويفكروا فيما هم عليه من باطلٍ؛ لعلهم أن يقلعوا عنه.

س: هل كان موسى عليه السلام يطالب بني إسرائيل كي يخرج بهم من بلاد مصر إلى بلاد أُخر؟

ج: نعم، قد كان يُطالب بذلك، فقد أَمَرهُ ربُّه بذلك، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦،

١٧].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ).

ج: المعنى الإجمالي، والله أعلم، أن آل فرعون لما نزل بهم من العذاب والبلاء ما قد نزل، من الطاعون أو الموت أو الابتلاءات المذكورة في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ)، اتجهوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه أن يسأل ربَّه ويدعوه-بما علمه من دعاءٍ وعلمٍ ولما اختصه به من النبوة- أن يكشف عنهم البلاء الذي هم فيه وأن يرفع عنهم العذاب ووعدوه أن ذلك إذا حصل وكُشف عنهم البلاء وُرفع عنهم العذاب أن يؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه على ما جاء به وأيضًا أن يتركوا له بني إسرائيل يخرج بهم من أرض مصر التي كانت محلًّا لاضطهادهم وتعذيبهم.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به.

الثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك.

والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن.

والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- قوم فرعون لما سألوا موسى عليه السلام أن يدعوا ربه بكشف البلاء والعذاب عنهم وعاهدوه أن يؤمنوا له ويرسلوا معه بني إسرائيل، فحينئذٍ دعا موسى عليه السلام ربَّه وجلَّ فكشف الله عنهم البلاء ورفع عنهم العذاب، ولكنهم نقضوا العهود مع موسى عليه السلام واستمروا على كفرهم وغيِّهم وضلالهم.

(٢٤٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ هم بالقوة؟

ج: معنى ذلك أننا رفعنا عنهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم، فلكل آمةٍ أجل أجَّلها الله لها.

أهل الكفر لا عهد لهم ولا ميثاق

س: كثيرًا ما بعدُّ أهل الكفر أنبياءهم أنهم إذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا فإذا جاءتهم آية كفروا وعاندوا، دلِّل على ذلك؟

ج: ذلك من أدلته ما ذُكر في الآيات المباركات: إذ قال قوم فرعون لموسى: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾. وطلب قوم صالحٍ من صالحٍ عليه السلام أن يدعو ربه أن يأتيهم بآية فدعا ربه فأخرج لهم الناقة فكذبوه فعقروها.

وعيسى عليه السلام كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله فقال الذين كفروا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾.

وقال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣١-٣٣].

قال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾. والأدلة على هذا كثيرة جدًّا.

س: قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ غافلين عن ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: كانوا عن الآيات غافلين وقال آخرون: كانوا عن النقمة غافلين.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن قوم فرعون لما نقضوا العهود والمواثيق التي

أعطوها لنبي الله ﷺ، فقد أعطوه عهودًا ومواثيق أن يؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب فكشف الله عنهم العذاب فنقضوا العهود والمواثيق فأحلَّ الله بهم نقمته، وأنزل الله عليهم عذابه فأغرقهم في البحر، وذلك أيضًا لتكذيبهم بآيات الله وإنكارهم لها واتهامهم موسى عليه السلام بالسحر، ولكونهم تغافلوا عن الآيات والنِّقم التي يُمكن أن تحلَّ بهم وأن تنزل عليهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما نكثوا عهودهم "انتقمنا منهم"، يقول: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وذلك عذابه (فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ)، وهو البحر، كما قال ذو الرمة:

دَاوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا ... يَمٌّ تَرَاطَنُ فِي حَافَاتِهِ الرُّومُ

وكما قال الراجز:

كَبَاذِخِ الْيَمِّ سَقَاهُ الْيَمُّ

(بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا)، يقول: فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها (وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ)، يقول: وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم، غافلين قبل حلولها بهم أنّها بهم حالَّةٌ.

و"الهاء والألف" في قوله: (عَنْهَا)، كناية من ذكر "النقمة"، فلو قال قائل: هي كناية من ذكر "الآيات"، ووجّه تأويل الكلام إلى: وكانوا عنها معرضين = فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم إذ لم يقبلوها، كان مذهبًا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا عَتَوا وَتَمَرَّدُوا، مَعَ ابْتِلَائِهِ إِيَّاهُمْ بِالْآيَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَاحِدَةٍ بَعْدَ وَاحِدَةٍ، أَنَّهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِإِغْرَاقِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْيَمِّ، وَهُوَ الْبَحْرُ الَّذِي فَرَقَهُ لِمُوسَى، فَجَاوَزَهُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، ثُمَّ وَرَدَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ عَلَى أَثَرِهِمْ، فَلَمَّا اسْتَكْمَلُوا فِيهِ ارْتَطَمَ عَلَيْهِمْ، فَغَرِقُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَتَغَافُلِهِمْ عَنْهَا.

شيء من ذكر نبي الله موسى عليه السلام

وقصته مع بني إسرائيل

س: من القوم الذين كانوا يُستضعفون؟

ج: القوم هم بنو إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون وقومه.

س: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾؟

ج: من أهل العلم من ذهب إلى أن هذه الأرض هي أرض مصر بدليل قوله تعالى في شأن فرعون وقومه: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩].

وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

ومن المعلوم أن فرعون وقومه كانوا يسكنون مصر.

ولكن قد يشكل عل هذا القول أمران:

أحدهما: هل أرض مصر بُورك فيها؛ إذا قال الله: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾؟

والآخر: كيف قيل ذلك، وموسى ومعه قومه الإسرائيليون قد تجاوزا البحر؟

والجواب على الأول: أن معنى باركنا فيها المراد بالبركة فيها: كثرة ما أخرج الله فيها من الثمار والنبات والفواكه وعموم الحدائق والبساتين والمزارع الأنهار، فالبركة بهذا الاعتبار.

والجواب على الثاني: أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه السلام ومن معه رجعوا ثانية إلى مصر فكانوا بينها وبين الشام، والله أعلم.

القول الثاني: أن الأرض التي بُورك فيها للعالمين هي أرض الشام وعلى هذا القول كثير من أهل العلم.

س: ما وجه هذا الاستضعاف الذي كان يعيشه الإسرائيليون؟

ج: هذا الاستضعاف بتمثل فيما كانوا يُعانون منه من السُّخرة عند الفراعنة، ومن ذبح الأبناء واستحياء النساء، وغير ذلك من صور العذاب.

س: ما المراد بكلمة ربنا الحسنى؟

(٢٤٦) أحمر
أسود

ج: هي قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ)، فإنه يقول: وَفَي وعدُ الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه، على ما وعدهم، من تمكينهم في الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعون، و«كلمته الحسنى»، قوله جل ثناؤه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾. [القصص: ٥، ٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾.

ج: أي: بسبب صبرهم على الأذى الذي لحقهم من فرعون وقومه وكذا صبرهم بعد الإيمان بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ما كُلِّفوا به من تكاليف وأُمروا من أوامر، والله أعلم.

س: الصبر على البلاء ابتغاء وجه الله، وكذا الصبر على أوامر الله والانتهاء عما نهى، كل ذلك عاقبته خير، دلِّل على ما تقول؟

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾. وقوله تعالى: (فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ). وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ إلى غير ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

(٢٤٧) أحمر
أسود

سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١

الكلمة	معناها
﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾	قطعنا (جعلناهم يمرون) سلمناهم حتى جاوزوا البحر.
﴿فَأَتَوۡاْ﴾	فمرُّوا.
﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾	يقيمون على العبادة ويلازمون المكان والعكوف: طول المُكْث والإقامة، والأصنام: تماثيل، وقيل: تماثيل لبقرٍ.
﴿إِلَٰهٗا﴾	معبودًا.
﴿مُتَبَّرٞ﴾	مُهلك؛ والتبار: الهلاك.
﴿وَبَٰطِلٞ﴾	مضمحلٌّ وذاهب.
﴿أَبۡغِيكُمۡ﴾	ألتمس لكم.
﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾	أتباع فرعون ومن هم على طريقته، وأهله الذين على دينه وملته.
﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾	يحملونكم- يُذيقونكم.
﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾	أسوأ العذاب وأشده وأقبحه.

الكلمة	معناها
﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾	ناثكم، ويتركون البنات أحياء زيادة في الامتهان والإذلال.
﴿بَلَآءٞ﴾	اختبار، وقيل: نعمة من الله عظيمة (أي: إنجاء الله لكم نعمة عظيمة من الله أنعم بها عليكم).

مرور نبي الله موسى عليه السلام ببني إسرائيل على عباد الأصنام
وبيان بعض جهالات بني إسرائيل

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ) الآية؟

(٢٤٨) أحمر
أسود

ج: يخبر الله ﷻ أنه سلَّم بني إسرائيل ونجَّاهم من عدوهم بل وأغرق فرعون وقومه أمام أعينهم، كل ذلك رحمة منه بهم وفضلًا منه عليهم ودلالة على صحة ما يدعو إليه موسى عليه السلام من وحدانية الله ﷻ، فلما سلمهم الله ونجاهم ووصلوا إلى البرِّ بسلام وأمانٍ مروا على قومٍ يقيمون-ويطيلون المكث والقيام- حول أصنام لهم قد اتخذوها للعبادة يعبدونها ويرجونها ويعظمونها فقال قوم موسى لموسى عليه السلام لما رأوا ذلك: اجعل لنا إلهًا نعبده ونسأله ونتبرك به كما أن لهؤلاء آلهة، وكان هذا منهم جهل عظيمٌ – خاصة بعد أن رأوا آيات الله ﷻ على يد موسى عليه السلام، وبعد أن سلَّمهم الله من عدوهم لما دعوه فأجابهم، فقال لهم موسى عليه السلام إنكم قوم تجهلون، تجهلون عظمة ربكم ووحدانيته وما أوجبه عليكم، والله أعلم.

س: من هؤلاء القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم؟

ج: لم يرد ذكرهم-فيما علمت- في آية من كتاب الله ﷻ ولا في حديثٍ عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ لزمنا الإمساك، والعبرة حاصلة –ولله الحمد- على كل حال، ولو كان في تسميتهم نفع لنا لذُكر اسمهم.

هذا أقوله مع أن هناك من العلماء من قال: إنهم الكنعانيون الذي أُمر موسى عليه السلام بقتالهم، ومن العلماء من قال: إنهم من قبيلة لخم، وثمَّت أقوال أُخر ليس عليها دليل، والله أعلم.

س: استدل بعض العلماء بهذا الآية: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وبما ورد عن رسول الله ﷺ لأصحابه لما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط..الحديث، على العذر بالجهل، فما وجه هذا الاستدلال؟

ج: وجهه: أن النبي ﷺ لم يحكم بكفر الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط[1]؛ لكونهم قالوا ذلك عن جهل، ولو كانوا خرجوا من الملَّة بهذ القول الذي قالوه عن جهل- لأمرهم النبي ﷺ بدخول الإسلام من جديد، والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٨/٥) وغيرهما.

(٢٤٩) أحمر
أسود

س: ورد أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية الكريمة في موطن من المواطن اذكر الحديث الوارد بذلك؟

ج: قد تلاها رسول الله ﷺ لما خرج مع أصحابه إلى حنين، وكان للكفار شجرة (شجرة سدرٍ) يقال لها: ذات أنواط يعلقون بها أسلحتهم ويعكفون عندها، فقال بعض أصحابه: يا نبي الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ إِنَّكُم سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُم....»[1].

س: قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تجهلون ماذا؟

ج: قيل: تجلهون عظمة الله ﷻ، وتجهلون ما أوجبه الله ﷻ عليكم من توحيده، وإفراده بالعبادة فلا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيءٍ سوى الله ﷻ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ج: المعنى- و الله أعلم- أن نبي الله موسى عليه السلام لما سأله قومه أن يجعل لهم إلهًا كما للقوم آلهة وحذَّرهم وزجرهم وذكَّرهم، أخبرهم بمصير هؤلاء القوم الذين يعكفون على أصنام لهم فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي أن الله ﷻ مهلك هذه الأصنام والأعمال التي هم فيها ومُفسدها ومُخسرهم فيها ومجازيهم عليها بالعذاب المهين، ثمإن أعمالهم عمومًا ذاهبة وباطلة لا ثواب لهم فيها ولا أجر لهم عليها فكل أعمالهم تحبط كما قال تعالى في شأن أهل الشرك عمومًا: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

وكما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥٠٦٥/ ١٥٠٦٦/ ١٥٠٦٨) وغيره كما تقدم قريبًا.

س: هل هناك فرق بين معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ وقوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

ج: يبدو، والله تعالى أعلم، أنه ثمَّ فارقٌ فقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ متعلق بهم وبالعمل الذي يعملونه وقت أن رآهم بنو إسرائيل، أما قوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: أن الشرك الذي يصنعونه يبطل كل أعمالهم التي يعملونها.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أفغير الله ألتمس لكم معبودًا تعبدونه، والله قد منَّ عليكم بالنعم التي منها تفضيلكم على العالمين، فكيف أعدل عن عبادة ربي ﷻ الذي لا يستحق العبادة سواه، والذي منَّ عليكم بالنعم العظيمة التي منها تفضيلكم على العالمين، فكيف أعدل عن عبادته وأبحث عن ربٍّ سواه ليعُبد؟!! وكما هو معلوم فإن المعبودات سوى الله ﷻ لا تنفع ولا تضر كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾.

س: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كيف يجمع بينه وبين قوله تعالى لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

ج: الظاهر، والله أعلم، أن قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: على العالمين في زمانهم.

وثمَّ وجهٌ آخر أنهم فضلوا على العالمين كلهم بكثرة الأنبياء فيهم، أي: بشيء مخصوص، وهو كثرة الأنبياء فيهم كما قال موسى عليه السلام: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وفي الحديث: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»[1] الحديث، والله أعلم.

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. واللفظ لمسلم.

(٢٥١) أحمر
أسود

وقيل: فضَّلَهم بإهلاك عدوهم، وبالآيات التي أُيِّد بها نبيهم ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه: أسِوَى الله ألتمسكم إلهًا، وأجعل لكم معبودًا تعبدونه، والله الذي هو خالقكم، فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم؟ يقول: أفأبغيكم معبودًا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه، وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل!

س: كيف خُوطِبَ اليهود الموجودون بمدينة رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾، وهم لم يعايشوا فرعون ولم يسكنوا معه في بلدةٍ؟

ج: المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾ أي: أنجينا أجدادكم وأسلافكم، فإنجاء الاجداد إنجاء وللأبناء كما قد سلف بيانه في سورة البقرة، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ الآية؟

ج: هذا، والله تعالى أعلم، تذكيرٌ لبني إسرائيل بنعم الله ﷻ حتى يثبتوا على الإيمان،ويقدموا لتلك النعم شكرًا فيقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾ أي: واذكروا وقت إنجائنا لكم من آل فرعون، وهم أتباعه وأنصاره ومن هم على دينه وملته، فقد كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ ﴾ أي: يُذيقونكم ويحملونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أسوأ العذاب وأقبحها ومنها أن كانوا ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ أي: الذكور.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ أي: ويتركون النساء أحياء للخدمة والامتهان، وفي ذلكم ﴿بَلَآءٌ ﴾ قيل: المراد به أنه كان اختبارًا عظيمًا، وقيل: (بلاء) المراد به هنا النعمة فقد كان إنجاؤكم نعمة عظيمة أنعم الله بها عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجَر رسول الله ﷺ: واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر،

(٢٥٢) أحمر
أسود

وبعد النعم التي سلفت مني إليكم، والأيادي التي تقدمت فعلَكم ما فعلتم (وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ)، وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه (يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)، يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه.

وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه.

(يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾، الذكورَ من أولادهم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾، يقول: يستبقون إناثهم ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾، يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ
لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي
وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ
سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي
ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن
مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ
مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟
بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ١٤٥ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ
ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا
يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن
يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤٧

الكلمة	معناها

(٢٥٤) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾	للموعد الذي وقتناه له- الزمن الذي حُدد له كي يكلمه الله.
﴿دَكًّا﴾	مُفَتَّتًا- تُرابًا- مستويًا بالأرض.
﴿وَخَرَّ﴾	سقط.
﴿صَعِقًا﴾	مغشيًّا عليه.
﴿سُبْحَٰنَكَ﴾	تنزيهًا لك وتبرئةً أن يراك أحدٌ في الدنيا.
﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾	رجعت إليك عن مسألتي التي سألتها وعن غيرها مما لا يُرضيك.
	فضلتك- اخترتك.
﴿ٱصْطَفَيْتُكَ﴾	بجعلك رسولًا إلى خلقي، وبما حبيتك به من جعلك رسولًا، وبما أنزلته عليك من التوراة.
﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾	بتكليمي لك.
﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾	ما أعطيتك.
﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾	ألواح أنزلها الله لموسى عليه السلام فيها هدايةٌ وأحكامٌ وشرائع لبني إسرائيل.
﴿مَّوْعِظَةً﴾	تذكيرًا.
﴿وَتَفْصِيلًا﴾	تبيانًا.
﴿بِقُوَّةٍ﴾	بجدٍّ واجتهادٍ ونشاط- بعزمٍ أكيد على الطاعة- بطاعةٍ وامتثال.
﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾	يعملوا بأحسن ما فيها – بالعزيمة – بأشد مما أمر به قومه.
﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾	سأطلعكم (على دار الفاسقين).
﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	مصير الفاسقين- جهنم- وقيل: مساكن الفراعنة- وقيل: مساكن الجبابرة بالشام.
﴿ءَايَٰتِيَ﴾	حُجَجِي وبراهيني- وقيل: التوراة- وقيل: المعجزات.
﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾	كل معجزة- كل دليل- كل حجة على وحدانية الله.
﴿سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾	طريق النجاة والسلامة والهداية – الرشد في الدين الصلاح والاستقامة – الحق والرشاد

(٢٥٥) أحمر
أسود

﴿سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾	طريق الهلاك والضلال والغواية.
﴿غَٰفِلِينَ﴾	لاهين- مهملين- تاركين.
﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾	بطلتْ وذهب ثوابها.

ذهاب موسى عليه السلام لتكليم ربه عز وجل وما كان منه في ذلك وماذا صنع قومه من بعده

س: لماذا كان هذا الوعد؟

ج: هذا الوعدُ كان لتكليم موسى عليه السلام وإعطائه التوراة التي فيها الأحكاام وتفصيل الشرائع، كذا قال غير واحد من أهل العلم، وهذا القول صحيح فيما يبدو، والله أعلم، وذلك لقوله تعالى- وسيأتي قريبًا إن شاء الله- ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؟

ج: المعنى: أنه أتمَّ المدة والوقت الذي واعده ربُّه عز وجل، وهو أربعين ليلة.

س: ما هذه الليالي الثلاثون والعشرة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أنها ذو القعدة والعشر الأُول من ذي الحجة.

ولا أعلم شيئًا ثابتًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك.

هذا، ومن العلماء من قال: إن هنا مناسبةٌ بين اليوم الذي تمَّ فيه الميقاتُ وبين اليوم الذي أكمل الله لهذه الأمة دينها يوم عرفة وفيه نزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، والله أعلم.

(٢٥٦) أحمر
أسود

س: قد عُلم أن الثلاثين والعشر أربعون فلماذا قال تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: قد ذُكرت الأربعين؛ لدفع توهم حاصله أنه قد يظن أن العشر داخلة في الثلاثين، ومن تمام الثلاثين فَذُكرت الأربعونه لبيان أن العشر كانت بعد الثلاثين.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد عُلم أن ثلاثين وعشرة أربعون؛ لئلا يتوهم أن المراد أتممنا الثلاثين بعشرٍ منها، فبين أن العشر سوى الثلاثين. هذا، والله أعلم.

س: في الآية جواز تذكير المؤمنين، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذكَّر هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - مع كون هارون نبيًّا كريمًا، ذكَّره بالإصلاح في قوله: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ ونهاه عن اتباع سبيل المفسدين.

ولقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وصية موسى لأخيه هارون ث بالإصلاح.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

ج: المعنى، الله تعالى أعلم، أن نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أراد الذهاب لتكليم ربِّه عَزَّ وَجَلَّ وتلقِّي الأوامر والشرائع أوصى أخاه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال له: كن خليفتي من بعدي في قومي - الذين هم بنو إسرائيل - وأمرهم بطاعة الله وأرفق بهم وانظر ما ينفعهم فافعله وامرهم به، وانظر ما يضرهم فابتعد عنه وانهاهم عنه ولا تسلك سبيل العصاة والغُواة ولا تكن عونًا للظالمين على ظلمهم.

س: لقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تكونَ مِنِّي بمنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟» من أخرج هذا الحديث؟ وما وجهه؟ ومن الصحابي؟ وهل فيه مستندٌ لمن قال بأحقِّيتِهِ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ؟

(٢٥٧) أحمر
أسود

ج: هذ الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًّا فقال: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[١].

والصحابي الجليل الذي قال له رسول الله ذلك هو عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

والحديث ليس بصريح في استخلاف عليٍّ؛ لأن ذلك كان في بعض مغازي النبي ﷺ، وليس بعد موته، ثم إنه قد وردت أحاديث أُخر تشُعر- وليست صريحه أيضًا- بأحقية غير عليٍّ رضي الله عنه بالخلافة، وذلك كما قال النبي ﷺ في مرض موته «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[٢].

وقوله للمرأة التي سألته إن جئت فلم أجدك؛ قال: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِ أَبَا بَكْرٍ»[٣].

ثم إن عمر رضي الله عنه لما طعن، وقيل له: استخلف يا أمير المؤمنين، قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني (يعني: أبا بكر) وإن أترككم فقد تركم من هو خيرٌ، مني رسول الله ﷺ[٤]، فدلّ ذلك على أن رسول الله ﷺ لم يستخلف بعد موته أحدًا، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾

ج: هذا معناه، والله أعلم، أن الله عز وجل واعد موسى عليه السلام أن يأتيه موسى في مكان حدده الله له ليكم موسى فيه، وذلك بعد مضى زمنٍ معين (أربعين ليلة) فلما جاء موسى عليه السلام عند انقضاء الزمن الذي حُدِّد له، وتفضَّل الله عليه بان كلمة ومنَّ عليه بهذه الفضيلة العظمى (تكليم الله له) طلب موسى عليه السلام أن يرى ربَّه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فسأل الله هذه الفضيلة العظمى الأخرى، وهي النظر

(١) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٢) البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).
(٣) البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث ١٨٢٣).

إلى وجه الله فقال الله له ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾

س: هل قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يفيد أن المؤمنين لن يروا ربهم ﷻ؟

ج: يفيد ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فلا، وذلك لورود النصوص الصريحة برؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وكقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وتفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله ﷻ[1] وكقوله ﷺ: «إِنكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم عِيَانًا»[2].

وكقوله ﷺ: «إِنكمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ»[3] .....الحديث.

وقد أوردت كمًّا من الاستدلالات على ذلك في تفسير سورة القيامة.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: قوله تعالى في شأن اهل الكفر: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فدلَّ ذلك على أن أهل الإيمان ليسوا بمحجوبين، والله أعلم.

|

س: هل وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث صحيحة الإسناد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ وهل وردت عن رسول الله ﷺ كذلك أحاديث صحيحه في قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

ج: وردت بعض الأحاديث في هذا الباب في كل منها مقال، لكن ثمَّ حديث بإسنادٍ على شرط مسلم أخرجه أحمد وعدد من أهل العلم[4] من طرق كثيرة عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: «أَخْرَجَ خِنْصَرَهُ فَضَرَبَ عَلَى إِبْهامِهِ فَسَاخَ فِي الجَبَلِ» قال حميد لثابت تُحدث بمثل هذا، فضرب بيده في صدره وقال يقوله أنس ويقوله رسول الله ﷺ وأكتمه.

وكما أسلفت فسند الحديث على شرط مسلم، لكن أورده ابن الجوزي في

---

(١) انظر صحيح مسلم (١٨١).

(٢) البخاري (٧٤٣٥).

(٣) البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٤) انظر أحمد في «المسند» (٣/ ٢٠٩/ ١٢٥) والترمذي (٣٠٨٥)، والحاكم (١/ ٢٥) والطبري عند تفسير الآية وغير هؤلاء جمٌّ غفير، ولمزيد «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد».

«الموضوعات» ونقل كلام ابن عدي قال: كان ابن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث.

لكن تعقب هذا القول من غير واحد من أهل العلم بما حاصله: أن السند الذي فيه أن ابن أبي العوجاء كان يدس هذه الأحاديث سند ضعيف، وإذا سلمنا به رددنا كمًّا كبيرًا من الأحاديث في صحيح مسلم.

س: قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من ماذا؟

ج: قال فريق من أهل العلم: تبت إليك عن مسألة رؤيتك.

وقال آخرون: تبت إليك لكوني سألت من غير استذان.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون.

س: كيف قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد كان هنالك مؤمنون قبله؟

ج: وجَّه العلماء ذلك بتوجيهات:

أحدها: وأنا أول المؤمنين بأنه لن يراك أحدٌ في الدنيا.

الثاني: وأنا أول المؤمنين من بني إسرائيل، وهذا القول به ضعف؛ لأن بني إسرائيل كان منهم الأنبياء ورسل قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثالث: وأنا أول المؤمنين من بني إسرائيل بأنه لن يراك أحد في الدنيا.

الرابع: أن ذلك قيل على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات.

س: قوله ﷺ: «لا تُخَيِّرُونِي بَيْنَ الأَنبِيَاءِ»(١) ما وجهه، وقد علمنا أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: «مَنْ؟»، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «ادْعُوهُ»، فَقَالَ: «أَضَرَبْتَهُ؟»، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: =

(٢٦٠) أحمر
أسود

ج: له وجوه وجَّهه بها العلماء:

منها: أن الرسول ﷺ قال ذلك تواضعًا وتعليم أمته التواضع.

ومنها: أن الأنبياء في أصل النبوة سواء، ولكن التفاضل بينهم بما وراء ذلك من أعمال.

الثالث: أن النبي ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

الرابع: أنه نهى أن يُفضَّل بينهم على وجه الغضبية والتعصب، أو على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي.

س: وضح متى الصعق في قوله ﷺ: «فَإِنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ»؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: «فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الصَّعْقَ يَكُونُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، يَحْصُلُ أَمْرٌ يُصْعَقُونَ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِهِ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ الرَّبُّ ع لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَتَجَلَّى لِلْخَلَائِقِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، كَمَا صَعِقَ مُوسَى مِنْ تَجَلِّي الرَّبِّ، ﷻ، وَلِهَذَا قَالَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

دَفعُ إشكال

س: كيف اصطفى الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الناس برسالاته وبكلامه، وقد أرسل غيره من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه؟

ج: أجاب بعض العلماء على ذلك بما حاصله أن الله ﷻ اصطفاه على الناس

= أَيْ خَبِيثٌ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى».

وكذا عند البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ».

الذي أُرسل إليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ خَاطَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ تَعَالَى وَلَا شَكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ مِنَ الْأَوَّلِينَ والآخرين؛ ولهذا اختصه الله بأن جَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّتِي تَسْتَمِرُّ شَرِيعَتُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَتْبَاعُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كُلِّهِمْ، وَبَعْدَهُ فِي الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ كَلِيمُ الرَّحْمَنِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قلت: (مصطفى):

فيكون قوله ع: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ناسٍ مخصوصين وهم الذين أُرسل إليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الناس أحيانًا يأتي ذكرها يُراد بها ناسٌ مخصوصون، ليسوا الخلق أجمعين، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾، فالمقول لهم ناس وهم المؤمنون، والقائلون لهم ناس وهم المنافقون، والذين جمعوا لهم ناس، وهم الكفار، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما طلب من ربِّه عَزَّ وَجَلَّ الرؤية ولم يُجب إلى هذا الطلب بل وخرَّ موسى صعقًا لما تجلي ربُّه للجبل ناداه ربُّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ أي يا موسى إني قد فضلتك على الناس- وهم الناس الذين أُرسل إليهم- بأن جعلتك رسولًا من بينهم، وفضَّلتك عليهم بتكليمي لك فخذ ما آتيتك من هذه الفضائل واعمل بما أمرتك به من الأوامر وانتهِ عما نهيتك عنه، وأحمد الله على هذه الفضائل التي فضَّلتك بها والشرائع التي بيَّنتها لك.

س: هل من كلَّمه الله عَزَّ وَجَلَّ غير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: نعم قد ورد ذلك، فمن ذلك تكليم الله عَزَّ وَجَلَّ لآدم وحواء، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وكذا فقد كلَّم النبي ﷺ في

(٢٦٢) أحمر
أسود

رحلة المعراج عند فرض الصلوات.

وقد ورد في صحيح السنة أن الله ﷻ نادى أيوب عليه السلام: «أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ؟». فقال: «بَلَى وَلَكِنْ وعِزَّتُكَ لَا غِنىَ لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»(١).

وفي شأن النداء أيضًا: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾(٢).

س: ما الذي آتاه الله موسى عليه السلام؟

ج: آتاه الله التوراة والألوح والصحف، وقد قيل: إنها كلها مسمى لشيء واحد فالله أعلم، كما أوتي التكليم والرسالات وغير ذلك من الآيات، وقد ذُكرت قبل.

س: في الآية الكريمة: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إرشاد إلى القناعة وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله ﷻ أمر موسى عليه السلام أن يقبل على ما آتاه الله إياه ولا يسأل ما ليس له (من الرؤية) وليقدم شكرًا لله ﷻ على ما تفضَّل به عليه، وعلى ما منَّ الله به عليه.

س: ما هذه الألواح؟ ومن أن شيء كانت؟ وما موضوعها؟ وما الأشياء التي كتبها الله فيها؟

ج: ابتداءً لم أقف على خبر ثابتٍ عن رسول الله ﷺ في شأن هذه، وإنما غاية ما فيها من الوارد في كتاب الله ﷻ أنها ألواحٌ كتب الله فيها ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من الأوامر والنواهي والشرائع والأحكام والتوحيد وسائر أمور الدين، وتفصيلات كل ذلك منَّ الله ﷻ بها على موسى عليه السلام، وأعطاه إياها.

هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَتَبَ (لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ)

---

(١) أخرج البخاري (٣٣٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما أيوب يغتسل عريانًا خرَّ عليه رجلٌ من جرادٍ من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فنادى ربُّه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك**».

(٢) وقد يقال إن هذا عن طريق الملك، وسيأتي إن شاء الله بتفصيل.

(٢٦٣) أحمر
أسود

قِيلَ: كَانَتِ الْأَلْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ لَهُ فِيهَا مَوَاعِظَ وَأَحْكَامًا مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْوَاحُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّوْرَاةِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ).

وَقِيلَ: الْأَلْوَاحُ أُعْطِيَهَا مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ، فَاللهُ أَعْلَمُ. وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ كَانَتْ كَالتَّعْوِيضِ لَهُ عَمَّا سَأَلَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَمُنِعَ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

هذا، وقد قال غير الحافظ ابن كثير: إنها كانت من زُمُردة خضراء وقيل: من ياقوتة حمراء، وقيل: من خشب وقيل: من زبرجد وأقوال كثيرةٌ فيها، فالله أعلم بالصواب.

س: ما معنى قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- أقبل عليها بجدٍ واجتهاد ونشاط واعمل بأشد مما أمرت به قومك.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن يعملوا بما أمرهم الله به ويتركوا ما نهاهم الله عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه.

الثاني: أن الأمر هنا أمر ندبٍ وإرشاد، وأيضًا فهناك حسنٌ وهناك أحسن، فمثلًا هناك قصاص وهناك عفو، والعفو أفضل من القصاص، وإن كان القصاص جائزًا.

وهناك صبرٌ وهناك انتصارٌ من الظالم، والصبرُ- في الجملة- أفضل من الانتصار.

وهذا المعنى كالوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، فالعدل القصاص والإحسان العفو.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا) إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حَسَن، قاله قطرب، وقال ابن

(٢٦٤) أحمر
أسود

الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق:

إِنَّ الَّـذِي سَـمَكَ السَّـمَاءَ بَنَـى لَنَـا بَيْتًـا دَعَائِمُـهُ أَعَـزُّ وأَطْـوَلُ

أي: عزيزة طويلة. وقال غيره: «الأحسن» ها هنا صلة، والمعنى أن يأخذوا بها.

والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال: أحدها: أنهم أُمروا فيها بالخير ونُهوا عن الشر، فَفِعْلُ الخير هو الأحسن. والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأُمِروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج.

فعلى هذا القول، يكون المعنى: انهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية. والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح. والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الاشبه بالحق. والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

س: ما المراد بدار الفاسقين؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن دار الفاسقين هي جهنم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لموسى، إذ كتب في الألواح من كل شيء: خذها بجدّ في العمل بما فيها واجتهاد، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها، وانهم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي، فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ، (دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ)، وهي نار الله التي أعدها لأعدائه.

وإنما قال: (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ)، كما يقول القائل لمن يخاطبه: "سأريك غدًا إلامَ يصير إليه حال من خالف أمري! "، على وجه التهدُّد والوعيد لمن عصاهُ وخالف أمره.

القول الثاني: أن المراد بدار الفاسقين هي الشام وقيل: هي مصر، واختار ابن كثير

الأول.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ) أَيْ: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا. وَقِيلَ: مَنَازِلُ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَاللهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ هَذَا كَانَ بَعْدَ انْفِصَالِ مُوسَى وَقَوْمِهِ عَنْ بِلَادِ مِصْرَ، وَهُوَ خِطَابٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ دُخُولِهِمُ التِّيهَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

القول الثالث: أنها مساكن عادٍ وثمود التي كانوا يمرون عليها صباحًا ومساءً.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ) فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: انها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأُرِيكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالآيات آيات القرآن الكريم.

الثاني: أن المراد بذلك عموم الآيات الدالة على وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ وقدرته، وصدق رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيما أخبروا به عنه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إلى غير ذلك والله أعلم.

س: ما المراد بصرف الكفار عن الآيات؟

ج: المراد بصرفهم عن الآيات عدم فهمها وعدم الانتفاع منها والله أعلم.

س: الذي يأتيه الحق فيرفضه، يصرفه الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الباطل ويزيد انصرافًا، والذي يقبل على الحق ييسر الله عَزَّ وَجَلَّ له سبل ذلك، دلِّل على ذلك.

(٢٦٦) أحمر
أسود

ج: نعم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾.
وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.
وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾.
وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠] الآيات.

عقوبة من عقوبات الكبر والإعراض

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

ج: معنى ذلك -والله تعالى أعلم- أن الله ﷻ بأنه سيصرف الكفار المتكبرين في الأرض عن فهم الآيات وتدبرها، فإذا قرؤوا القرآن أو استمعوه فلن يفهموا ولن يستفيدوا ولن يعتبروا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

وكذلك سيصرفهم عن تعقُّل الآيات الكونية وفهمها والاعتبار منها والاتعاظ، فليسوا كأولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه.

والسموات والأرض، وكل موجود من خلقه، فمن آياته، والقرآن أيضًا من آياته، وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون، لأنهم لو وفِّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم، لأنه جلّ ثناؤه قال: (وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا)، فلا

(٢٦٧) أحمر
أسود

تبديل لكلمات الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أَيْ: سَأَمْنَعُ فهم الحجج وَالْأَدِلَّةِ عَلَى عَظْمَتِي وَشَرِيعَتِي وَأَحْكَامِي قُلُوبَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ طَاعَتِي، وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَيْ: كَمَا اسْتَكْبَرُوا بِغَيْرِ حَقٍّ أَذَلَّهُمُ اللهُ بِالْجَهْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَنَالُ الْعِلْمَ حَيِيٌّ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ.

وَقَالَ آخَرُ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذُلِّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً، بَقِيَ فِي ذُلِّ الْجَهْلِ أَبَدًا.

وقال الشافعي:

مَنْ لَم يَذُق مُرَّ التَّعَلُّم سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾.

ج: المعنى- والله أعلم- يتعالون على الخلق ويظنون أنهم أفضل الخلق ويتعالون على الأوامر فيرفضون أمر الله ﷻ ويُقْبِلُونَ على ما نهى عنه.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الآيات.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ صرف المتكبِّرين في الأرض عن الدلالات على وحدانيته، وعن فهم كتابه، فمن ثَمَّ لم يفهموا القرآن ولم تُجدِ معهم ولم تؤثِّر فيهم الآيات فكلما جاءتهم آيةٌ ازدادوا ضلالًا إلى ضلالهم وفجورًا إلى فجورهم، فكانوا كلما عُرض عليهم طريق الحق والصواب، ذلكم الطريق الموصل إلى جنة الله ومرضاته رفضوا أن يسلكوه، وإذا عُرض عليهم طريق الشر والفساد الموصل إلى جهنم-والعياذ بالله- سلكوه واختاروه، وذلك منهم؛ لكونهم كذبوا بآيات الله وأنكروها ولم يعتبروا بها ولم يتعظوا فزُيِّن لهم الباطل وأعمالهم الله عن الحق.

(٢٦٨) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن يرَ هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق و= "وتكبرهم فيها بغير الحق"، تجبرهم فيها، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، والإذعان لأمره ونهيه، وهم لله عبيدٌ يغذوهم بنعمته، ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيًّا، (كُلَّ ءَايَةٍ)، يقول: كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته، وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره.(لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا)، يقول: لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة، ولكنهم يقولون: "هي سحر وكذب"(وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)، يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب، وصاروا إلى نعيم الأبد، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقًا، جهلا منهم وحيرة (وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ)، يقول: وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلّوا وهلكوا.

وقد بينا معنى (ٱلْغَيِّ) فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته. ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾، يقول: يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقًا، لصرف الله إياهم عن آياته، وطبعه على قلوبهم، فهم لا يفلحون ولا ينجحون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾، يقول تعالى ذكره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا، عقوبةً منا لهم على تكذيبهم بآياتنا ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾، يقول: وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه ﴿غَٰفِلِينَ ﴾، لا يتفكرون فيها، لاهين عنها، لا يعتبرون بها، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعَطِبوا.

س: أهل الباطل لا ينتفعون بالآيات، بل تزيدهم ضلالًا دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ) إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين كذبوا بالقرآن وبالدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته وصدق رسله وكذا كذبوا بالبعث والحساب والثواب والعقاب وماتوا على ذلك أحبط الله ﷻ أعمالهم، فإنهم يجازون بما قدموا من عمل، وكما يدين الشخص يدان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق، وكلّ مكذِّبٍ حججَ الله ورسله وآياته، وجاحدٍ أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته، ومنكرٍ لقاء الله في آخرته، ذهبت أعمالهم فبطلت، وحصلت لهم أوزارها فثبتت، لأنهم عملوا لغير الله، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله، فصارت أعمالهم عليهم وبَالا. يقول الله جل ثناؤه:(هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)، يقول: هل يثابون إلا ثواب ما كانوا يعملون؟ فصار ثواب أعمالهم الخلودَ في نار أحاط بهم سرادقها، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان، دون طاعة الرحمن، نعوذ بالله من غضبه.

قَالَ تَعَالَى:

وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ
خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ
وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ
ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ١٤٩ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ
بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا
تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى
وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ١٥٢ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤

(٢٧١) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿حُلِيِّهِمْ﴾	الذهب الذي يتحلون به ويتزينون به.
﴿جَسَدًا﴾	جسمًا- مُجسمًا.
﴿خُوَارٌ﴾	صوت (صوت العجل).
﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾	لا يرشدهم إلى الخير ولا يدلهم عليه ولا يبين لهم طريق الشرك.
﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾	ندموا، وهي كلمة تُقال عن كل نادم.
﴿أَسِفًا﴾	شديد الغضب- الأسف: أشد الغضب- حزينًا.
﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾	بئس الصنيع الذي صنعتموه بعد مفارقتي لكم، وبئس العمل الذي عملتموه.
﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾	أسبقتم أمر ربكم- أستعجلتم مجيئه إليكم.
﴿ٱسْتَضْعَفُونِي﴾	رأوني ضعيفًا فاستذلوني ولم يُبالوا بقولي وتركوا طاعتي واتباع أمري.
﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾	تجعل الأعداء مسرورين بالشر الذي يحدث لي فالشماتة: السرور بما يصيب الشخص من المصائب في الدنيا والدين.
﴿وَذِلَّةٌ﴾	هوان- إهانةٌ.
﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾	الكاذبين على الله.
﴿سَكَتَ﴾	سكن- انكف- ذهب.
﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾	فيما كُتب فيها- فيما نُسخ فيها (أي: كتب).
﴿هُدًى﴾	بيان الحق.
﴿يَرْهَبُونَ﴾	يخافون الله ويخشون عقابه.

(٢٧٢) أحمر
أسود

بنو إسرائيل وعبادتهم العجل

س: في قولـه تعـالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ وكذا في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ مقدرٌ مفهوم من السياق وضح هذا المقدر.

ج: هذا المُقدر، والله أعلم، هو (إلهًا) فالمعنى واتخذ قوم موسى من بعده من حُلِّيهم عجلًا جسدًا إلهًا يعبدوه، وكذا قوله: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتخذوه إلهًا، والله أعلم وهذا التقدير لابد منه؛ لأن من اقتنى عجلًا لتربيته لا يُلام ولكن من اتخذه إلهًا يعبده فهو الذي ضلَّ ضلالًا مبينًا وعليه كلُّ اللوم. والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ)

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن قوم موسى لما خرج من عندهم نبيهم كليم الله ورسول الله موسى عليه السلام المناجاة ربِّه عز وجل وأخذ شرائع الدين، فلما تركهم موسى وخرج لهذا الغرض صنع السامري لهم عجلًا من الذهب الذي كان عند بني إسرائيل للفراعنة والقبط، فقد كانوا حُملوا أمانات من هؤلاء وأولئك، فلما أغرق الله الفراعنة والقبط، ورأى الإسرائيلون أن هذه الأمانات لا تحل لهم ولا يحل لهم الاستمتاع بها قذفوها وألقوا بها كما ذكر ذلك ربنا فقد قال تعالى في شأنهم لما قال موسى عليه السلام: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ - ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ فيحينئذ، ولما ألقوا ما معهم من حُليٍّ أخذه السامري فصنع منه عجلًا جسدًا ثم إن السامري- على ما ذكره كثيرٌ من المفسرين- كان قد رأى جبريل عليه فرسه- بتمكين الله له من هذه الرؤية- فأخذ قبضة من التراب الذي مرَّ عليه جبريل بفرسه- كما قال عن نفسه: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه: ٩٦]، فألقى السامري هذه القبضة من التراب على العجل فسُمِعَ له صوت كصوت البقرة وهو الخوار فقال لقومه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ أي: ولكن موسى نسي أن ربَّه هذا العجل فخرج وترككم.

(٢٧٣) أحمر
أسود

فحينئذ عبد قوم موسى العجل كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ الآية.

۞ أما قوله: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ أي: له صوت.

۞ أما هل تحول العجل الذهبي- بعد أن ألقى السامري القبضة عليه في قوله: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا ﴾- إلى لحم ودم وعجل حقيقي أم كان على حاله من ذَهبٍ ولكن سمع له صوت؟ الله أعلم بكل ذلك.

۞ والحاصل: أن قوم موسى، وهم بنو إسرائيل اتخذوا العجل الذي صنعه لهم السامري من هذا الحلي إلهًا يعبدونه فهذا قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾.

ثم إن الله ﷻ ينقم عليهم صنيعهم هذا فيقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ﴾ أي: ألم ير هؤلاء الإسرائيليون أن هذا العجل لا يرشدهم إلى الخير ولا ينهاهم عن الشر ولا يدلهم على الطريق المستقيم الذي يقربهم إلى الله ﷻ وإلى مرضاته؟!!

كلا فلم يعقل الإسرائيليون حين اتخذوا العجل إلهًا، بل عبدوه وهم ظالمون لأنفسهم قد بخسوها حقها وأردوها سوء المنازل بعبادتهم العجل.

هذا، وقد قال الطبري خ في شأن ذلك:

يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قومُ موسى، من بعد ما فارقهم موسى ماضيًا إلى ربه لمناجاته، ووفاءً للوعد الذي كان ربه وعده (مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا)، وهو ولد البقرة، فعبدوه.

ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: (جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ) و"الخوار": صوت البقر = يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل. وذلك أن الرب جلّ جلاله الذي له ملك السموات والأرض، ومدبر ذلك، لا يجوز أن يكون جسدًا له خوار، لا يكلم أحدًا ولا يرشد إلى خير. وقال هؤلاء الذين قص الله قصَصهم لذلك: "هذا إلهنا وإله موسى"، فعكفوا عليه يعبدونه، جهلا منهم، وذهابًا عن الله وضلالا.

(٢٧٤) أحمر
أسود

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا)، يقول: ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه، أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا؟ يقول: ولا يرشدهم إلى طريق؟ وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقًا، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى. يقول الله جل ثناؤه:(ٱتَّخَذُوهُ)، أي: اتخذوا العجل إلهًا، وكانوا باتخاذهم إياه ربًّا معبودًا ظالمين لأنفسهم، لعبادتهم غير من له العبادة، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، الَّذِي اتَّخَذَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنْ حُلِيِّ الْقِبْطِ، الَّذِي كَانُوا اسْتَعَارُوهُ مِنْهُمْ، فَشَكَّلَ لَهُمْ مِنْهُ عِجْلًا ثُمَّ أَلْقَى فِيهِ الْقَبْضَةَ مِنَ التُّرَابِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَارَ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، وَ"الْخُوَارُ" صَوْتُ الْبَقَرِ. وَكَانَ هَذَا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ تَعَالَى، وَأَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ وَهُوَ عَلَى الطُّورِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ:(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ).

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْعِجْلِ: هَلْ صَارَ لَحْمًا وَدَمًا لَهُ خُوَارٌ؟ أَوِ اسْتَمَرَّ عَلَى كَوْنِهِ مِنْ ذَهَبٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْهَوَاءُ فَيُصَوِّتُ كَالْبَقَرِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمَّا صَوّت لَهُمُ الْعِجْلُ رَقَصُوا حَوْلَهُ وَافْتَتَنُوا بِهِ، (هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)

وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي ضَلَالِهِمْ بِالْعِجْلِ، وذُهُولهم عَنْ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ، أَنْ عَبَدُوا مَعَهُ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَار لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى خَيْرٍ. وَلَكِنْ غَطَّى عَلَى أعيُن بَصَائِرِهِمْ عَمَى الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ

۞ وهذا، وقد أورد القرطبي خ كلامًا في هذا الصدد أيضًا بعضه يشهد له التنزيل وبعضه يفتقر إلى الدليل فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٧٥) أحمر
أسود

وَرُوِيَ فِي قَصَصِ الْعِجْلِ: أَنَّ السَّامِرِيَّ، وَاسْمُهُ مُوسَى بْنُ ظَفَرَ، يُنْسَبُ إِلَى قَرْيَةٍ تُدْعَى سَامِرَةَ.

وُلِدَ عَامَ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ، وَأَخْفَتْهُ أُمُّهُ فِي كَهْفِ جَبَلٍ فَغَذَّاهُ جِبْرِيلُ فَعَرَفَهُ لِذَلِكَ، فَأَخَذَ حِينَ عَبَرَ الْبَحْرَ عَلَى فَرَسٍ وَدِيقٍ لِيَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ- قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ حَافِرِ الْفَرَسِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ) [طه: ٩٦].

وَكَانَ مُوسَى وَعَدَ قَوْمَهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا أَبْطَأَ فِي الْعَشْرِ الزَّائِدِ وَمَضَتْ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ: إِنَّ مَعَكُمْ حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ، وَكَانَ لَهُمْ عِيدٌ يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ وَيَسْتَعِيرُونَ مِنَ الْقِبْطِ الْحُلِيَّ فَاسْتَعَارُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِنْ مِصْرَ وَغَرِقَ الْقِبْطُ بَقِيَ ذَلِكَ الْحُلِيُّ فِي أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، فَهَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ فَنُحَرِّقُهُ.

وَقِيلَ: هَذَا الْحُلِيُّ مَا أَخَذَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ الْغَرَقِ، وَأَنَّ هَارُونَ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْحُلِيَّ غَنِيمَةٌ، وَهِيَ لَا تَحِلُّ لَكُمْ، فَجَمَعَهَا فِي حُفْرَةٍ حَفَرَهَا فَأَخَذَهَا السَّامِرِيُّ.

وَقِيلَ: اسْتَعَارُوا الْحُلِيَّ لَيْلَةَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ مِصْرَ، وَأَوْهَمُوا الْقِبْطَ أَنَّ لهم عرسا أو مجتمعا، وَكَانَ السَّامِرِيُّ سَمِعَ قَوْلَهُمْ (ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ). [الأعراف: ١٣٨]

وَكَانَتْ تِلْكَ الْآلِهَةُ عَلَى مِثَالِ الْبَقَرِ، فَصَاغَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا، أَيْ مصمتا، غير أنهم كانوا يسمعون منه خوار.

وَقِيلَ: قَلَبَهُ اللهُ لَحْمًا وَدَمًا.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا أَلْقَى تِلْكَ الْقَبْضَةَ مِنَ التُّرَابِ فِي النَّارِ عَلَى الْحُلِيِّ صَارَ عِجْلًا لَهُ خُوَارٌ، فَخَارَ خَوْرَةً وَاحِدَةً وَلَمْ يُثَنِّ ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ: (هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) [طه: ٨٨].

يَقُولُ: نسيه هاهنا وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ فَضَلَّ عَنْهُ- فَتَعَالَوْا نَعْبُدُ هَذَا الْعِجْلَ.

فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى وَهُوَ يُنَاجِيهِ: (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ).

(٢٧٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

ج: معنى ذلك- والله تعالى أعلم- أن قوم موسى لما عبدوا العجل ورجع إليهم نبي الله موسى ﷺ وبيَّن لهم خطأ ما هم فيه طريق والضلال الذي سلكوه وصاروا فيه ندموا ندمًا شديدًا على ما صنعوه من عبادة العجل، والنادم يُعبر عنه بأنه قد سُقط في يده، فلما تبين لهم أنهم قد ضلوا بعبادتهم العجل سألوا الله ﷻ الرحمة والمغفرة بقولهم: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ)،: ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جل ثناؤه صفته، عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم.

وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: "قد سُقِط في يديه" و"أسقط"، لغتان فصيحتان، وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه. فالمرميّ به مسقوط في يدي الساقط به. فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه، متندِّمٍ على ما قاله: "سقط في يديه" و"أسقط".

وعنى بقوله: (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا)، ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، وكفروا بربهم، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به: (قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) أَيْ: نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا، (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: «لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا» بِالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ، «رَبَّنَا» مُنَادَى، «وتَغْفِر لَنَا»، (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) أَيْ: مِنَ الْهَالِكِينَ وَهَذَا اعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِذَنْبِهِمْ وَالْتِجَاءٌ إِلَى اللهِ ﷻ.

(٢٧٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قول الإسرائيلين: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لئن لم يتفضل علينا ربنا ويرحمنا برحمته ويتجاوز عن سيئاتنا وعن جرمنا الذي اجترمناه بعبادتنا العجل واتخاذنا له إلهًا لنكونن من الهالكين الذين خسروا أنفسهم فأوردوها اللظى والجحيم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعنى قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ويتغمد بها ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذي حبطت أعمالهم.

س: ذكر بعض العلماء قراءة أُخرى في قولهم: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾، فما القراءة وما وجهها؟

ج: نعم قد ذكر البعض هذه القراءة، فقالوا: (لَئِنْ لَم تَرْحَمْنَا) فجعلوها بالتاء بدلًا من الياء، وجعلوا ربَّنا منادى، فالمعنى على هذا الوجه: (لئن لم ترحمنا يا ربنا لنكونن من الخاسرين).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلفت القرأة في قرأة ذلك.

فقرأه بعض قرأة أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة: (لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا) بالرفع، على وجه الخبر.

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة: (لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا)، بالنصب، بتأويل: لئن لم ترحمنا يا ربنا= على وجه الخطاب منهم لربهم. واعتلّ قارئو ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءتين: (قَالُوا رَبَّنا لئنْ لَمْ تَرْحَمْنَا وَتَغْفِرْ لَنَا)، وذلك دليل على الخطاب.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك، القراءة على وجه الخبر بالياء في (يَرْحَمْنَا)، وبالرفع في قوله: (رَبُّنَا)، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجَّهًا إلى الخطاب.

والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها: (قَالُوا رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا)، لا

نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: " لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا" بِالتَّاءِ عَلَى الْخِطَابِ. وَفِيهِ مَعْنَى الِاسْتِغَاثَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ فِي السُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ." رَبَّنَا" بِالنَّصْبِ عَلَى حَذْفِ النِّدَاءِ. وَهُوَ أَيْضًا أَبْلَغُ فِي الدُّعَاءِ وَالْخُضُوعِ. فَقِرَاءَتُهُمَا أبلغ في الاستكانة والتضرع، فهي أولى. كذا قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

س: ما أخطأ أو أذنب وتبين له وجه خطئه عليه أن يبادر بالاستغفار والإنابة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك سبيل الصالحين، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قول الإسرائيلين: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

۞ وقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قتل القبطي ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾.

وقوله آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما أكلا من الشجرة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وقول يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وعاتبة ربه عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية.

قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– ولما رجع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من سفره الذي فيه إذ كان قد ذهب لتكليم الله عَزَّ وَجَلَّ ومناجاته فذهب وتلقى الألواح وفي نسختها هدى ورحمة

(٢٧٩) أحمر
أسود

وأوامره ونواهٍ وإرشادات وأحكام لبني إسرائيل، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أخبره ربُّه عَزَّ وَجَلَّ أن قومه عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان غضبًا شديدًا، وحزينًا بسبب ذلك، والله أعلم.

أما قوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي: بئس العمل والصنيع الذي صنعتموه بعد فراقي لكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رَجَعَ غَضْبَانَ أَسِفًا؛ لِأَنَّ اللهَ كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ فَتَنَ قَوْمَهُ، وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ أَضَلَّهُمْ، فَكَانَ رُجُوعُهُ غَضْبَانَ أَسِفًا لِذَلِكَ. وَالْأَسَفُ: شِدَّةُ الْغَضَبِ وَالتَّغَيُّظُ بِهِ عَلَى مَنْ أَغْضَبَهُ.

وقال أيضًا:

وقوله: (قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ)، يقول: بئس الفعل فعلتم بعد فراقي إياكم وأوليتموني فيمن خلفت ورائي من قومي فيكم، وديني الذي أمركم به ربكم. يقال منه: "خلفه بخير"، و"خلفه بشر"، إذا أولاه في أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم، خيرًا أو شرًّا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ تَعَالَى وَهُوَ غَضْبَانُ أَسِفٌ.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ "الْأَسَفُ": أَشَدُّ الْغَضَبِ.

(ﭘﭙﭚﭛﭜﭝ) يَقُولُ: بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ فِي عِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ بَعْدَ أَنْ ذَهَبْتُ وَتَرَكْتُكُمْ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقول: استعجلتم مجيئ إليكم وهو مقدرٌ من الله تعالى.

أما الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم وذهبتم عنه.

قلت (مصطفى):

وأقول موضحًا ما ذكره أهل العلم والفضل: إن المعنى لما تأخرت عنكم بادرتم باتباع أوامر غير أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ وقدمتموها على أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ التي أتيتكم بها في الألواح فاتبعتم أوامر السامري الزائغ الذي أضلكم وفتنكم؟!! والله أعلم.

إلقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للألواح

س: لماذا ألقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الألواح؟

ج: ألقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الألواح؛ غضبًا على قومه وتضايقًا منهم، فكأن المعنى: قد كلمني ربي عَزَّ وَجَلَّ وأعطاني الألواح فيها هدايةٌ لكم وإرشادٌ، وفيه الأوامر والنواهي، وفيها الحِكَمُ والمواعظ وفيها ما به ترحمون إن أنتم أتبعتموه، فإذا بكم تستبطئون رجوعي وتعبدون العجل، فغضب موسى منهم من أجل ذلك أشد الغضب وألقى الألواح.

۞ فإلقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الألواح كان بسبب غضبه على قومه.

۞ **وقال بعض العلماء:** وهو قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ- إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألقى الألواح؛ لكونه وجد فيها أن أمةً من الأمم لها من الفضائل أكثر من أمته، وهذه الأمة هي أمة محمد ﷺ وهذا القول الذي قاله قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان سبب إلقاء عَلَيْهِ السَّلَامُ للألواح ليس له تعلقٌ بسياق الآيات ولا مناسبتها، والقول الأول هو الأول.

هذا بغضِّ النظر عن كون أمة محمد ﷺ أفضل الأمم فهي أفضل الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، لكن ليس لهذا تعلق بإلقاء الألواح، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك، أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه فقال: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ

أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ ظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ غَضَبًا عَلَى قَوْمِهِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلَفًا. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي هَذَا قَوْلًا غَرِيبًا، لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ إِلَى حِكَايَةِ قَتَادَةَ، وَقَدْ رَدّه ابْنُ عَطِيَّةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِالرَّدِّ، وَكَأَنَّهُ تَلَقَّاه قَتَادَةُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِيهِمْ كَذَّابُونَ ووَضّاعون وَأَفَّاكُونَ وَزَنَادِقَةٌ.

س: وأورد بعض المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية حديثًا عن رسول الله ﷺ فيه «لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ»، فهل هو صحيحن وما لفظة؟

ج: حديث: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ؛ أَخْبَرَهُ رَبُّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّ قَوْمَهُ فُتِنُوا بَعْدَهُ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا رَآهُمْ وَعَايَنَهُمْ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ»(١) حديث صحيح الإسناد.

س: أخذ بعض العلماء من إلقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الألواح بعض الأحكام الفقهية، اذكر بعض هذه الأحكام؟

ج: أخذ العلماء من هذا مسائل تتعلق بالغضب فبعض أهل العلم لا يوقع طلاق الغضبان غضبًا شديدًا من أجل هذا، ووجه ذلك: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألقى الألواح،وهذا أمرٌ عظيمٌ بلا شك، ولكنه ألقاها وقت غضبه الشديد لما وجد قومه يعبدون العجل، فعفي له عن ذلك، قالوا: فمن ثمَّ لا يقع طلاق الغضبان غضبًا شديدًا أفقده التحكم في عقله وتصرفه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾.

ج: ذلك، والله تعالى أعلم، أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رجع إلى قومه غضبان غضبًا شديدًا، حزينًا كذلك لكونهم عبدوا العجل واتخذوه إلهًا حزن من أخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ ووجد في نفسه عليه ظنًّا منه أن قصَّر في نصحهم وتذكيرهم ونهيهم، كما قال: ﴿يَهَرُونُ

(١) أخرجه ابن حيان (بذل الإحسان ٦٢١٤/١٤) والحاكم (٣٨٠/٢) وكذا أحمد (٢١٥/١، ٢٧١) وغيرهم.

(٢٨٢) أحمر
أسود

مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ فحينئذ أقبل على هارون عليه السلام فأمسكه من لحيته ورأسه يجره إليه، كما في الآية الكريمة:

﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، وكما ها هنا: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، فإن ذلك من فعل نبي الله ﷺ كان لموجدته على أخيه هارون في تركه أتباعه، وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل موسى عليه السلام له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، حين أخبره هارون بعذره فقبل عذره، وذلك قيله لموسى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، وقال: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ الآية.

أما القرطبي رحمه الله: فقد أورد أقوالًا أُخر في هذا المقام فقال:

وللعلماء في أخذ موسى برأس أخيه أربع تأويلات:

الْأَوَّلُ- أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُتَعَارَفًا عِنْدَهُمْ، كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ مِنْ قَبْضِ الرَّجُلِ عَلَى لِحْيَةِ أَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْإِذْلَالِ. الثَّانِي- أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِيُسِرَّ إِلَيْهِ نُزُولَ الْأَلْوَاحِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمُنَاجَاةِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ التَّوْرَاةِ. فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، لِئَلَّا يُشْتَبَهَ سِرَارُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِذْلَالِهِ. الثَّالِثُ- إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ هَارُونَ مَائِلٌ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ أَمْرِ الْعِجْلِ. وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. الرَّابِعُ- ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ لِيَعْلَمَ مَا لَدَيْهِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ هَارُونُ لِئَلَّا يَظُنَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ أَهَانَهُ، فَبَيَّنَ لَهُ أَخُوهُ أَنَّهُمُ اسْتَضْعَفُوهُ، يَعْنِي عَبَدَةَ الْعِجْلِ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ أَيْ قَارَبُوا. فَلَمَّا سَمِعَ عُذْرَهُ قَالَ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي)، أَيِ اغْفِرْ لِي مَا كَانَ مِنَ الْغَضَبِ الَّذِي أَلْقَيْتُ مِنْ أَجْلِهِ الْأَلْوَاحَ، وَلِأَخِي لِأَنَّهُ ظَنَّهُ مُقَصِّرًا فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ تَقْصِيرٌ، أَيِ اغْفِرْ لِأَخِي إِنْ قَصَّرَ.

قلت:

وما قاله الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر تمشيًا مع السياق وأصوب، والله أعلم.

س: لماذا قال ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ ولم يقل: ابن أبي؟

ج: قال العلماء: إن ذلك أشد استدرارًا للعطف والرحمة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (يا ابن أم)، ولم يقل (يا ابن أبي) وهما الأب واحدٍ وأم واحدة استعطافًا له على نفسه برحم الأم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما قال: (ابن أم) لتكون أرأف وأنجع عنده،وإلا فهو شقيقة لأمه وأبيه.

وقال القرطبي:

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ وكان ابن أمه وأبيه، ولكنها كلمة لينٍ وعطفٍ.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ج: هذا استعطاف من نبي الله هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبيانٌ لعذره أمام أخيه نبي الله وكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال مستعطفًا مُذكرًا بالرحم التي تربطهما وبالآخوة لأم التي أقرب في الاسترحام والاستعطاف: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي﴾ أي: رأوني ضعيفًا فاستذلوني ولم يبالوا بقولي، بل ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ لما أصرت على تذكيرهم ونهيهم، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تجعل أعدائي وأعداءك مسرورين بما يحدث لي من أذى من قِبَلَكَ إن أنت آذيتني، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولا تأخذني بجريرة هؤلاء فتعاقبني كما يُعاقبون فأنا لم أعبد العجل ولم أقرهم بحالٍ من الأحوال على عبادته، والله أعلم.

س: في الآيات المباركات ما يدل على أن أهل الفضل والصلاح، بل الأنبياء لهم اعداء، وضح هذا مع مزيدٍ من الاستدلالات.

ج: من الأدلة على هذا قول هارون لموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فدل عل أن هناك أعداءٌ لموسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

وكذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: (لم يأت أحدٌ قطّ بمثل ما جئت به إلا عُودِي).

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

س: هل ورد حديث في التعوذ بالله من شماته الأعداء؟

ج: نعم، قد ورد هذا في الصحيح وغيره، ففيه من طريق سفيان حدثني سُميٌّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يتعوَّذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء[1].

قال سفيان: الحديث ثلاث زدتُ أنا واحدة لا أدري أيتهن هي.

قلت (مصطفى):

قد أشار بعض أهل العلم إلى أن هذه الواحدة هي شماتة الأعداء، أي أن الحديث بدون هذه الزيادة، ولمزيدٍ انظر ما قاله الحافظ في «الفتح» عند شرحه لهذا الحديث.

س: وضح معنى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ج: هذا دعاءٌ وسؤال من موسى عليه السلام لربِّه عز وجل أن يغفر له ولأخيه وأن يدخلهما برحمته مع عبادة المرحومين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال موسى، لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل: (رَبِّ ٱغْفِرْ لِي)، مستغفرًا من فعله بأخيه، ولأخيه من سالفٍ سلف له بينه وبين الله:

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٤٨) ومسلم (مع النووي ١٧/ص ٣٠).

تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ)، يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئًا.

س: هل كان هارون عليه السلام أذنب حتى قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن ذلك تواضعًا من موسى عليه السلام لربِّه عز وجل، وهكذا شأن المتقين.

وقد يحتمل أيضًا أنه سأل المغفرة لما عساه أن يكون قد صدر من قصور في النصح والتذكير والإنكار على بني إسرائيل، ولكنه أبعد من الأولى.

وأيضًا قد يحتمل أن يكون سأل عموم مغفرة الذنوب له ولأخيه هارون عليهما السلام. والله أعلم.

س: ما المراد بالغضب ها هنا، وما المراد بالذلة؟

ج: قال بعض أهل العلم المراد بالغضب ها هنا العقوبة، فلم تقبل توبتهم بمجرد الاستغفار، بل أُمروا أن يقتل بعضهم بعضًا كما قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، وأما المراد بالذلة فالهوان الذي لحقهم من جراء فعلهم، وما نالهم من قتل بعضهم بعضًا، وما وسموا به بعد ذلك من غيرهم.

وقال آخرون: إنها الجزية التي فرضت عليهم.

كذا قال بعض أهل العلم، وثمَّ أقوالٌ أُخر والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾.

ج: المراد، والله أعلم، ان كلَّ مفترٍ يجازيه الله عز وجل بالغضب والذِّلَّة، كل مفترٍ يُذله الله ويهينه ويعاقبه.

قال أبو قلابة[1]: هو جزاء كلِّ مفترٍ يكون إلى يوم القيامة أن يُذله الله عز وجل.

وقد قال كثيرٌ من أهل العلم عند تفسير هذه الآية: إن كلَّ مبتدعٍ تعلوه الذلة

(١) أخرج ذلك الطبري (١٥١٥٨) بسندٍ صحيح عنه.

وتصاحبه، فكل مبتدعٍ ذليل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: (وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ)، وكما جَزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهًا، من إحلال الغضب بهم، والإذلال في الحياة الدنيا على كفرهم ربّهم، ورِدَّتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله، كذلك نجزي كل من افترى على الله، فكذب عليه، وأقر بألوهية غيره، وعبد شيئًا سواه من الأوثان، بعد إقراره بوحدانية الله، وبعد إيمانه به وبأنبيائه ورسله وقِيلَ ذلك، إذا لم يتب من كفره قبل قتله.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾.

ج: هذا إخبارٌ من الله ﷻ مصاحب بالتهديد لمن عبدوا العجل، ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم فيقول تعالى ما معناه: إن الذين اتخذوا العجل إلهًا يعبدونه من دون الله ﴿سَيَنَالُهُمۡ﴾ من جراء هذا الذنب الذي أذنبوا والجرم الذي ارتكبوا والشرك والكفر الذي وقعوا فيه ﴿غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ عقوبة على صنيعهم هذا ﴿وَذِلَّةٞ﴾ وذلٌّ وهوان: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ قبل الآخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ وبمثل هذا الجزاء وتلك العقوبة نجزي، نعاقب كل من افترى وكذب على الله وعبد مع الله إلهًا آخر.

س: كثيرًا ما يُخرج إلى التعميم بعد التخصيص في كتاب الله ﷻ وضح ذلك مع بيان الفائدة منه.

ج: نعم، كثيرًا ما يُخرج إلى التعميم من التخصيص حتى لا تقف العقوبات والجزاءات والإثابات على من ذُكروا بل تتعداهم إلى غيرهم، فإذا كان ثمَّ طالحون ذكرهم الله وذكر ما حلَّ بهم يُذكرنا الله ﷻ بعد ذلك بأن العقوبة التي حلَّت بهم لا تقف عليهم بل تتعداهم إلى غيرهم ممن صنع صنعهم، وقد يكون وجه الشبه متعلقًا بالعقوبة نفسها، وقد يكون متعلقًا بأصلها، أي أنهم سيعاقبون كما عوقبت غيرهم،

بغض النظر على تشابه العقوبة، والله أعلم.

وكذا الصالحون الشاكرون، وما تفضل الله به عليهم من إجابة دعائهم ومن إنجائهم ورفعة درجاتهم لا يقف الأمر - أمر الإثابة والجزاء عليهم - بل من صنع صنيعهم يثاب هو الآخر.

۞ وكل ذلك من فوائده أن يُجدَّ المجدون في الطاعات، وأن يحذر الحذِرون من المعاصي وارتكاب المحرمات.

أما الأدلة على ما ذكر عمومًا فمنها ما يلي:

قوله تعالى في شأن قوم لوط وما أصابهم من جرَّاء عصيانهم من الحجارة التي نزلت عليهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ إشارة إلى أن العقوبة ليست ببعيدة عن كل ظالم سلك مثل هذا المسلك.

وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ).

وكذا في باب الحسنات والإثابات:

قوله تعالى في شأن نبيه نوح عليه السلام وما منَّ به عليه من الإنجاء وإهلاك من عانده: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ وكذا قوله تعالى بعد ذكر نبيه موسى عليه السلام وكذا نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وكذا بعد ذكر نبيه أيوب عليه السلام وما منَّ عليه به من الشفاء: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

فتح أبواب التوبة أمام الجنة والعصاة

س: كثيرًا وبعد ذكر العقوبات-تفتح أبواب التوبة أمام التائبين حتى يرجع من عصى إلى طاعة ربه ﷻ دلِّل على ذلك.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة جدًّا في كتاب الله ﷻ منها قوله تعالى بعد أن ذكر ما أُعدَّ لعبدة العجل من العقوبة ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى في شأن الذين خذُّوا الأخاديد لأهل الإيمان وقذفوها فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ ﴾ أي: أنهم لو تابوا تاب الله عليهم.

وقوله تعالى في شأن تاركي الصلاة الذين جاءوا بعد القوم الصالحين، واتبعوا الشهوات: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾.

وكذا بعد ذكر أهل الشرك والقتلة والزناة ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا).

وكذا قوله تعالى في الأعراب الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين ارتكبوا المحرمات من المعاصي والمآثم وغير ذلك مما يسوء صاحبه وتسوؤه عقوبته من شك وكفر وفسق وظلم، ثم رجعوا إلى الله ﷻ وندموا على ما صنعوا وأخلصوا في توبتهم فإن الله ﷻ قابلٌ لتوبتهم غافرٌ

(٢٨٩) أحمر
أسود

لذنوبهم وسائرٌ عليهم صنيعهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابلٌ من كل تائب إليه من ذنب أتاه، صغيرةً كانت معصيته أو كبيرةً، كفرًا كانت أو غير كفر، كما قَبِلَ من عَبَدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم.

يقول جل ثناؤه: والذين عملوا الأعمال السيئة، ثم رجعوا إلى طلب رضى الله بإنابتهم إلى ما يحب مما يكره، وإلى ما يرضى مما يسخط، من بعد سيئ أعمالهم، وصدَّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين، وتائبٌ على المنيبين، بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك(لَغَفُورٌ)، لهم، يقول: لساتر عليهم أعمالهم السيئة، وغير فاضحهم بها (رَّحِيمٌ)، بهم، وبكل من كان مثلهم من التائبين.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– ولما سكن غضب موسى على قومه، وهدأ عليه الصلاة والسلام واستقرت نفسه أخذ الألواح التي كان قد ألقاها فإذا به يجد المكتوب فيها هدى من الضلالات وإنقاذًا، وفيها أيضًا بيان لما يرحم الله به العباد وينجيهم به إن هم فعلوه وامتثلوه، ولكن هذه الهداية وتلك الرحمة لم يكن لينتفع بها إلا الذين يخافون الله ويمتثلون أمره ويجتنبون نواهيه، الشأن في ذلك شأن القرآن؛ إذ الله قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ).

(٢٩٠) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَىٰ:

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ
وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ
ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ
ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
١٥٨

الكلمة	معناها

(٢٩١) أحمر
أسود

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾	واختار موسى من قومه.
﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾	للوقت والأجل الذي وعده الله أن يأتيه فيه.
﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾	الزلزلة التي أهلكتهم- رجفةٌ حلَّت بهم فماتوا بسببها.
﴿فِتْنَتُكَ﴾	اختبارك-ابتلاؤك- عذابك.
﴿وَلِيُّنَا﴾	ناصرنا.
﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾	فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا.
﴿وَٱرْحَمْنَا﴾	تعطف علينا برحمتك.
﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾	خيرُ من صفح عن جُرْمٍ وستر على ذنبٍ.
﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾	أثبت لنا (في صحائفنا) - أوجب لنا.
﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾	تبنا إليك- رجعنا إليك.
﴿يُؤْمِنُونَ﴾	يصدقون.
﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾	الذي لا يقرأ ولا يكتب.
﴿إِصْرَهُمْ﴾	العهود والمواثيق الثقيلة التي أُخذت عليهم على لسان أنبيائهم.
﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾	الأثقال والأحكام الثقيلة الشاقة.
﴿وَعَزَّرُوهُ﴾	وَقَّروه- دافعوا عنه- أعانوه.
﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾	آياته (قيل: منها عيسى ابن مريم فهو: كلمة الله، وقيل: التوراة والإنجيل والزبور والكتب التي أنزلها الله عمومًا).

موقف آخر لموسى عليه السلام مع بني إسرائيل

س: لماذا اختار موسى عليه السلام سبعين رجلًا من قومه؟

ج: قال بعض أهل العلم: اختارهم موسى عليه السلام كي يخرج بهم في الموعد الذي وعده ربُّه أن يأتي فيه كي يستغفروا الله عز وجل من الذنب العظيم الذي وقع فيه بعضهم بعبادتهم العجل واتخاذه إلهًا.

۞ **وقال آخرون:** بل خرج بهم لدعاء ربهم عز وجل وسؤاله وتلقي الأوامر والنواهي.

۞ وذكر البعض أثرًا وشبير (رجلان) فانطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون عليه السلام فمات فرجع موسى عليه السلام إلى قومه فسألوه عن هارون عليه السلام قال: توفاه الله، قالوا: أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه، قال: فاختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلًا.....الأثر.

وهذا الأخير يبدو عليه الضعف، ففي سنده عمارة بن عبد السلولي لا يرتقي حديثه للحسن، ثم إن الأثر فيه أن موسى عليه السلام قال لهم: اختاروا من شئتم، والآية فيها واختار موسى قومه سبعين رجلًا.

فالذي يظهر: أن القول الأول والثاني أقوى من الأخير، والله أعلم.

س: ما المراد بالميقات المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي هذا الميقات أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّتَهُ الله لموسى ليأخذ التوراة، أُمر أن يأتيَ معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البِكَاليُّ.

والثاني: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعوا ربّهم، فدعوا فقالوا: اللهمّ أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن

(٢٩٣) أحمر
أسود

الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله اليه ان أختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقِ بهم على الجبل انت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فِعْل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربّه إلا بإذن منه.

س: لماذا أخذتهم الرجفة؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنما أخذتهم الرجفة؛ لأنهم سألوا الهل ﷻ ما ليس لهم، وكان مما ذُكر في هذا الصدد- ولا يثبت له سند عن رسول الله ﷺ أنهم قالوا: اللهم أعطنا ما لم تُعطه احدًا قبلنا ولا أحدًا بعدنا.

۞ وقال آخرون: إن الرجفة أخذتهم لكونهم طلبوا أن يروا الله ﷻ جهرةً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾.

وهذا القول الأخير أقرب الأقوال-فيما أرى- من الصحة، والله أعلم بالصواب. وثمَّ قول آخر وهو أن الرجفة أخذتهم؛ لأنهم ادعوا على موسى عليه السلام قتل أخيه هارون، وقد بينت من قبل ضعف هذا الوجه والله أعلم.

س: وضح معنى قوله نبي الله موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ وما المستفاد من ذلك؟

ج: المعنى، والله تعالى يا رب لوشئت أهلكتني وهؤلاء السبعين من قبل أن نأتي لتكيمك في هذا المكان.

أما المستفاد من ذلك- كما أشار إليه بعض أهل العلم- هو أن موسى عليه السلام أراد أن يدفع عن نفسه الشبهة، فقد يتهم بأنه قتل السبعين، فقال من ثمَّ: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي.

س: وضح معنى قول نبي الله موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا﴾.

(٢٩٤) أحمر
أسود

ج: قال بعض أهل العلم: هذا معناه: لا تهلكنا بفعل السفاء منا، فالمعنى الدعاء والطلب.

وقيل: المعنى إنك يا رب لا تفعل ذلك، وكأن الأولى أولى، والله أعلم.

س: من هؤلاء السفهاء؟ وماذا فعلوا؟

ج: قيل: إن السفاء هم عبدة العجل.

وقيل: إنهم الذين اتهموا موسى بقتل هارون.

وقيل: إنهم الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرةً.

وقيل: إنهم من السبعين.

وقيل: هم الساكتون عن تغيير المنكر لما راوه.

سكتوا عن النهي عن المنكر لما وجدوا القوم يعبدون العجل، والله أعلم.

وقيل: إن السبعين عوقبوا لكونهم لم يزايلوا المنكر حين رأوه (أي لم يتركوا مكان المنكر.....).

س: هل يردُ أن قومًا يجالسون أهل المعاصي فيحل عليهم عقابٌ كالذي يحلُّ بأهل المعاصي أم أن هذا غير وارد؟

ج: قد يرد ذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ وسُئِلَ النبيُّ ﷺ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»[1].

س: وضح معنى قول موسى عليه السلام: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾.

ج: قال كثير من أهل العلم: إن المعنى إن هذه الفَعْلَةَ التي فعلها قومي، وهي عبادتهم العجل إلا ابتلاء منك واختبار تضل بها من تشاء وتصرفه عن طريق الحق وتزيغه، وتهدي من تشاء على عبادتك وحدك لا شريك لك.

(١) البخاري (حديث ٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٨٠).

هذا، وقد قال آخرون من أهل العلم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ إن هذا إلا عذابك تعذِّب به من تشاء وتهدي من تشاء، إلا أن القول الأول أشهر وعليه الأكثر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) أَيِ: ابْتِلَاؤُكَ وَاخْتِبَارُكَ وَامْتِحَانُكَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَرَبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَلَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ؛ يَقُولُ: إِنِ الأمرُ إِلَّا أمرُك، وَإِنِ الحكمُ إِلَّا لَكَ، فَمَا شِئْتَ كَانَ، تَضِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِل لِمَنْ هَدَيت، وَلَا مُعطِي لِمَا مَنَعت، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، فَالْمُلْكُ كُلُّهُ لَكَ، وَالْحُكْمُ كُلُّهُ لَكَ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ)، فإنه يقول جل ثناؤه: ما هذه الفعلة التي فعلَها قومي، من عبادتهم ما عبَدُوا دونك، إلا فتنة منك أصَابتهم= ويعني ب"الفتنة"، الابتلاء والاختبار يقول: ابتليتهم بها، ليتبين الذي يضلَّ عن الحق بعبادته إياه، والذي يهتدي بترك عبادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سببٍ منه جل ثناؤه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أَيْ مَا هَذَا إِلَّا اخْتِبَارُكَ وَامْتِحَانُكَ.

وَأَضَافَ الْفِتْنَةَ إِلَى اللهِ ﷻ وَلَمْ يُضِفْهَا إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [الشعراء: ٨٠] فَأَضَافَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ وَالشِّفَاءَ إِلَى اللهِ تَعَالَى: وَقَالَ يُوشَعُ: (وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ) [الكهف: ٦٣].

وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ ذَلِكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قوله تعالى له: (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ) [طه: ٨٥].

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَرَأَى الْعِجْلَ مَنْصُوبًا لِلْعِبَادَةِ وَلَهُ خُوَارٌ قَالَ (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا) أَيْ بِالْفِتْنَةِ. (مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ) وهذا رد على القدرية.

(٢٩٦) أحمر
أسود

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قول موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَنتَ وَلِيُّنَا)، يقول: أنت ناصرنا.(فَٱغْفِرْ لَنَا)، يقول: فاستر علينا ذنوبَنا بتركك عقابَنا عليها(وَٱرْحَمْنَاۖ)، تعطف علينا برحمتك (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ)، يقول: خير من صَفَح عن جُرم، وسَتر على ذنب.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: (أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ) الغَفْرُ هُوَ: السَّتْرُ، وَتَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ، وَالرَّحْمَةُ إِذَا قُرِنَتْ مَعَ الْغَفْرِ، يُرَادُ بِهَا أَلَّا يُوقِعَهُ فِي مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ) أَيْ: لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، (وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ) هُنَاكَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنَ الدُّعَاءِ دَفْعُ الْمَحْذُورِ، وَهَذَا لِتَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ.

س: ما المراد بالحسنة في قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؟

ج: قال كثير من العلماء: إن المراد بها الأعمال الصاحلة مع قول: لا إله إلا الله.

س: وضح معنى قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾.

ج: المعنى، الله تعالى أعلم، وفقنا للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها حسنات وأثبت لنا جزاءها حتى نلقاه في الآخرة.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله عز وجل يخبر أنه يعذب بعذابه من يشاء من خلقه لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه فهو يفعل ما يريد ويقضي بما يشاء ، والله أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: إن هذه الرحمة في الدنيا على العموم، أما في الآخرة

(٢٩٧) أحمر
أسود

فمخصوصة بالمؤمنين.

ويشهد لهذا المعنى ما أخرج مسلم من حديث سلمان الفارسيِّ، قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية أُخرى عند مسلم: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[1].

قال ابن كثير:

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم؛ كقوله تعالى إخبارًا عن حَمَلة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

۞ ومن العلماء من قال: إن مخرج الآية عام، لكن المراد منه أمة محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقد أورد الطبري ها هنا آثارًا منه ما صح عن قتادة في قوله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فقال إبليس: أنا من ذلك «الشيء»! فأنزل الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معاصي الله، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فتمنتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطًا وثيقًا بيِّنًا، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، فهو نبيُّكم، كان أميًّا لا يكتُب ﷺ.

وثمَّ قولٌ ثالث: ألا وهو أن المراد بالرحمة هنا التوبة، وأورد الطبري بإسناد حسن عن ابن زيد في قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، فقال: سأل موسى هذا، فقال الله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ العذاب الذي ذكر ﴿وَرَحْمَتِي﴾، التوبةُ ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

---

(١) مسلم (٢٧٥٣).

(٢٩٨) أحمر
أسود

فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قال: فرحمته التوبةُ التي سأل موسى عليه السلام، كتبها الله لنا.

وأما قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فإنه يقول: فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شيء= ومعنى «أكتب» في هذا الموضع: أكتب في اللوح الذي كُتِب فيه التوراة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يقول: للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه، فيؤدُّون فرائضه، ويجتنبون معاصيه.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرَّ والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه، كقوله في حقّ قارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.

والرابع: أن الرحمة تَسَع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدِّر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الانباري. قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا.

شيء من صفة أمة محمد ﷺ وفضل نبيهم الكريم محمد ﷺ

س: قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يتقون ماذا؟

ج: قيل: يتقون الشرك.

وقيل: يتقون المعاصي ويتقون الشرك.

وقد قال بعض العلماء: إن المراد بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أمة محمد ﷺ.

بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ والنبي الأمي هو رسول الله محمد ﷺ.

قال قتادة رحمه الله[1]: لما قيل: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ

(١) الطبري بإسنادٍ حسن إلى قتادة (١٥٢٣٤).

(٢٩٩) أحمر
أسود

هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ تمنتها اليهود والنصارى فأنزل الهل شرطًا بيِّنًا وثيقًا فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ وهو نبيُّكم ﷺ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

س: المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد زكاة الأموال، وهذا قول الجمهور.

الثاني: وأن المراد طاعة الله ورسوله، وتزكية النفس وطهارتها من الشرك والمعاصي.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾.

ج: معناه والمراد به: أن النبي ﷺ مكتوبٌ في التوراة والإنجيل أنه سيخرج رسولًا نبيًّا إلى الناس، موصوفًا في التوراة موصوفًا في الإنجيل، وكذا موصوفة أمته في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾.

۞ وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري والطبري وغيرهما من طريق عطاء ابن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا)، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(١).

س: ما المراد بالمعروف هنا، وما المراد بالمنكر؟

ج: أعظم المعروف الإيمان بالله ورسله والامتثال لأمر الله ﷻ وأعظم المنكر هو

(١) البخاري (٤٨٣٨/٢١٢٥)، والطبري (١٥٢٣٦).

الشرك بالله ثم الكبائر والموبقات، وارتكاب ما نهى الله عنه وما نهت عنه رسله عليهم الصلاة والسلام. والله أعلم.

س: هل كانت الطِّيبات محرمةً حتى قبل: يحلُّ لهم الطيبات؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: أن المراد بالطيبات هي الأنعام التي أحلها الله، فقد كان المشركون حرموها على أنفسهم، فقالوا: هذه بحيرةٌ وتلك سائبةٌ، وذاك حام، وذلك لأصناف من البقر والإبل تقدم بيانها في سورة المائدة فقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾.

الثاني: أن المراد تحليل ما قد حُرِّم على بني إسرائيل بذنوبهم، فقد قال تعالى: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ).

س: هل الطيبات المراد بها الطيبات من جهة كونها حلال أم أنها طيبات لطيب طعمها؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: أنها الطيبات لكونها حلال والآخر لكونها حلال بضميمة أُخرى وهي طيب طعمها.

قال القرطبي في «تفسيره»:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ) مَذْهَبُ مَالِكٍ أَنَّ الطَّيِّبَاتِ هِيَ الْمُحَلَّلَاتُ، فَكَأَنَّهُ وَصَفَهَا بِالطِّيبِ، إِذْ هِيَ لَفْظَةٌ تَتَضَمَّنُ مَدْحًا وَتَشْرِيفًا. وَبِحَسَبِ هَذَا نَقُولُ فِي الْخَبَائِثِ: إِنَّهَا الْمُحَرَّمَاتُ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاس: الْخَبَائِثُ هِيَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَالرِّبَا وَغَيْرُهُ. وَعَلَى هَذَا حَلَّلَ مَالِكٌ الْمُتَقَذَّرَاتِ كَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ وَالْخَنَافِسِ وَنَحْوَهَا. وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ الطَّيِّبَاتِ هِيَ مِنْ جِهَةِ الطَّعْمِ، إِلَّا أَنَّ اللَّفْظَةَ عِنْدَهُ لَيْسَتْ

عَلَى عُمُومِهَا، لِأَنَّ عُمُومَهَا بِهَذَا الْوَجْهِ مِنَ الطَّعْمِ يَقْتَضِي تَحْلِيلَ الْخَمْرِ وَالْخِنْزِيرِ، بَلْ يَرَاهَا مُخْتَصَّةً فِيمَا حَلَّلَهُ الشَّرْعُ. وَيَرَى الْخَبَائِثَ لَفْظًا عَامًّا فِي الْمُحَرَّمَاتِ بِالشَّرْعِ وَفِي الْمُتَقَذَّرَاتِ، فَيُحَرِّمُ الْعَقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَالْوَزَغَ وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى. وَالنَّاسُ عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي الطيبات أربعة أقوال:

أحدها: أنها الحلال، والمعنى يُحل لهم الحلال.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه.

والثالث: أنها الشحوم المحرَّمة على بني إسرائيل.

والرابع: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام).

س: ما المراد بالخبائث؟ وهل كانت حلالًا؟ هل قيل: ويحرم عليهم الخبائث؟

ج: لم تكن الخبائث حلالًا، وإنما كان القوم قد استحلوها فأحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير، وكلها خبيثة، فحرمها الله ﷻ على لسان نبيه محمد ﷺ فيما أنزل عليه من كتاب.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي الخبائث ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحرام، والمعنى: ويحرِّم عليهم الحرام.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات.

والثالث: ما كانوا يستحلُّونه من الميتة والدم، ولحم الخنزير.

س: وضح المراد بـ ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

ج: المراد الأثقال التي كانت عليهم من التكاليف الشاقة التي كلفوا بها فأورثهم عدم الوفاء بها وعدم القيام بها وزرًا، فحملوا أوزارًا وأثقالًا لاقترافهم كبائر الذنوب بانتهاكهم حرمات الله وعدم قيامهم بما كلفوا به.

(٣٠٢) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، فـالأغلال عبـارة مسـتعارة لتلـك الأثقال، ومن الأثقال ترك الاشتغال يوم السبت؛ فإنه يُروى أن موسى عليه السلام رأى يوم السبت رجلًا يحمل قصبًا فضرب عنقه.

هذا قول جمهور المفسرين: ولم يكن فيهم الدِّية، وإنما كان القصاص. وأُمروا بقتل أنفسهم علامة لتوبتهم، إلى غير ذلك. فشبه ذلك بالأغلال؛ كما قال الشاعر:

فَلَـيْسَ كَعَهْـدِ الـدَّارِ يَـا أُمَّ مَالِـكٍ ... وَلَكِـنْ أَحَاطَـتْ بِالرِّقَـابِ السَّلَاسِـلُ

وَعَـادَ الْفَتَـى كَالْكَهْـلِ لَـيْسَ بِقَائِـلٍ ... سِـوَى الْحَـقِّ شَـيْئًا وَاسْـتَرَاحَ الْعَـوَاذِلُ

فشبه حدود الإسلام وموانعه عن التخطِّي إلى المحظورات بالسلاسل المحيطات بالرقاب. ومن هذا المعنى قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان:

اذْهَـبْ بِهَـا اذْهَـبْ بِهَـا ... طُوِّقْتَهَـا طَـوقَ الحَمَامَـهْ

أي: لزمك عارها. يقال: طوَّق فلان كذا إذا لزمه.

وقال الطبري رحمه الله:

وأما: ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، فكان ابن زيد يقول بما:

(وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ)، قال: (وَٱلۡأَغۡلَٰلَ) قرأ: (غلت أيديهم)[المائدة:٦٤]

قال: تلك الأغلال. قال: ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبيِّ فيضع ذلك عنهم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾.

ج: المراد بقوله تعالى: ﴿إِصۡرَهُمۡ﴾ أي: عهدهم وميثاقهم، وهذا يحتمل أمرين:

أولهما: ما أُخذ عليهم من العهود الشديدة والمواثيق الأكيدة على بعض الأعمال التي فيها مشقةً عليهم كقتل أنفسهم ككفارة من الذنب الذي ارتكبوه بعبادة العجل.

أو ما كان من شأن القصاص فلم تكن عندهم الدِّية بل كان من قتل يُقتل، وكالذي نقل عن بني إسرائيل من أن البول إذا أصاب جلد أحدهم قرضه بالمقْرَاضِ، وكتحريم العمل يوم السبت. ونحو ذلك.

قال القرطبي رحمه الله:

الثاني: ما كانوا قد ألزموا به أنفسهم إذ عاهدوا الله عهودًا ثقيلة عليهم فلم يفوا بها.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) الإصر: الثقل، قال مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُبَيْرٍ.

وَالْإِصْرُ أَيْضًا: الْعَهْدُ، قال ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ.

وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمَعْنَيَيْنِ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ كَانَ أُخِذَ عَلَيْهِمْ عَهْدٌ أَنْ يَقُومُوا بِأَعْمَالٍ ثِقَالٍ، فَوُضِعَ عَنْهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ذَلِكَ الْعَهْدُ وَثِقَلُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، كَغَسْلِ الْبَوْلِ، وَتَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ، وَمُجَالَسَةِ الْحَائِضِ وَمُؤَاكَلَتِهَا وَمُضَاجَعَتِهَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ.

وَرُوِيَ: جِلْدُ أَحَدِهِمْ. وَإِذَا جَمَعُوا الْغَنَائِمَ نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَكَلَتْهَا، وَإِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ يَقْرَبُوهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ "الإصر" هو العهد وقد بينا ذلك بشواهده في موضع غير هذا بما فيه الكفاية وأن معنى الكلام: ويضع النبيُّ الأميُّ العهدَ الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل، من إقامة التوراة والعملِ بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضةً، فنسخها حُكْم القرآن.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

وفي هذا قولان:

أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السّبت، والشّحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفارته أن تنْزِع عينيك، فيْنزِعهُما.

قوله تعالى: (وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال الزجاج: ذِكر الأغلال تمثيل، ألا

(٣٠٤) أحمر
أسود

ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقًا في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأغلال: أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يَقْرِضُوا ما أصاب جلودهم من البول.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذا النبي الكريم ﷺ أرسله الله ﷻ يحل الطيبات التي حرمها أقوامٌ على أنفسهم، ويحرِّم الخبائث التي قد أحلها أقوام لأنفسهم وكذا أرسله الله ﷻ بأحكام وشرائع فيها سماحة وتخفيف تنسخ تلك التي كانت شديدة وثقيلة على بني إسرائيل.

وقوله: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) أي: أنه جاء بالتيسير والسماحة؛ كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «بُعِثْتُ بِالحنيفِيَّةِ السَّمحَةِ»(١).

وقال ﷺ لأميريْهِ معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(٢).

وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي: إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره.

وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تَعْمَلْ»(٣). وقال: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْه»(٤).

ولهذا أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

---

(١) في أسانيده مقال، ولكن معناه صحيح انظر مسند أحمد (٤/ ١٦-١٧ ط. الأرنؤوط).

(٢) البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) البخاري (٦١٦٨) و(٢٥٢٨)، ومسلم (٢٦٤٠)، (١٢٧).

(٤) في أسانيده مقال ولمعانيه شواهد. انظر بعض طرقه عند ابن ماجه (٢٠٤٣) (٢٠٤٥).

وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ).

وثبت في «صحيح مسلم»: أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه «قَدْ فَعَلْتُ قَدْ فَعَلْتُ»(١).

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ أي: عظموه ووقروه ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ﴾ أي: القرآن والوحي الذي جاء به مبلغًا إلى الناس، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

س: وصح المراد بالنور الذي أُنزل معه؟

ج: المراد به القرآن وكذا الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ مبلغًا عن ربه ﷻ.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فالذين صدقوا هذا الرسول الكريم النبي الأمي الأمين محمد ﷺ وأقروا له بالرسالة ودافعوا عنه وحموه من عدوه وجاهدوا معه حتى انتصر واتبعوا القرآن وأسلموا هم الفائزون بالجنة والناجون من النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، فالذين صدَّقوا بالنبي الأمي وأقرُّوا بنبوَّته، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾، يقول: وقَّروه وعظموه وحَمَوْهُ من الناس.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَنَصَرُوهُ)، يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه، بجهادهم ونصب الحرب لهم (وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ)، يعني القرآن والإسلام (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)، يقول: الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد ﷺ، هم المنجحون المدرِكون ما طلبُوا ورجَوْا بفعلهم ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: فما نقموا-

(١) مسلم (حديث ١٢٦).

(٣٠٦) أحمر
أسود

يعني اليهود- إلا أن حسدوا نبيَّ الله، فقال الله:(فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به، ولكن خياركم من آمن بالله واتَّبع النور الذي أنزل معه.

يريد قتادة بقوله "فما نَقَموا إلا أن حسدوا نبي الله"، أن اليهودَ كان محمَّد ﷺ بما جاء به من عند الله رحمةً عليهم لو اتبعوه، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم، فحملهم الحسد على الكفر به، وترك قبول التخفيف، لغلبة خِذْلانِ الله عليهم.

عموم رسالة النبي محمد ﷺ

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

ج: المعنى، الله أعلم، قل يا رسول الله للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم وكان لليهود والنصارى، قل لهؤلاء جميعًا: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، لست بمبعوث للعرب خاصة بل للناس كلهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ قل لهم: إني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو لا تنبغي أن تكون العبادة إلا له فهو الذي يحي ويميت فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقروا له بالوحدانية، وكذا صدقوا برسالة نبيه ﷺ ذلكم النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب الذي يصدق بوحدانية الله، وكذا يصدق بكلمات الله ﷻ التي هي آياته، والتي منها أيضًا عيسى ابن مريم عليه السلام، واتبعوا أيها الناس هذا النبي الكريم لعلكم باتباعه تسلكوا السبيل الموصل إلى مرضاة الله ﷻ وإلى جنته.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمد ﷺ: (قُل)، يا محمد للناس كلهم(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل، مرسلا إلى بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم.

(٣٠٧) أحمر
أسود

وقوله: (ٱلَّذِى)، من نعت اسم (ٱللَّهِ) وإنما معنى الكلام: قل: يا أيها الناس إني رسول الله، الذي له ملك السموات والأرض، إليكم.

ويعني جل ثناؤه بقوله: (ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)، الذي له سلطان السَّموات والأرض وما فيهما، وتدبير ذلك وتصريفه (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)، يقول: لا ينبغي أن تكون الألوهة والعِبادة إلا له جل ثناؤه، دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان، إلا لمن له سلطان كل شيء، والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه، وإفنائه إذا شاء إماتته (فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ)، يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصدِّقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقِرُّوا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنَّه مبعوث إلى خلقه، داع إلى توحيده وطاعته.

وقال أيضًا:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنَّ الله تعالى ذكره أمرَ عباده أن يصدِّقوا بنبوّة النبيّ الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، ولم يخصص الخبرَ جل ثناؤه عن إيمانه من "كلمات الله" ببعض دون بعضٍ، بل أخبرهم عن جميع "الكلمات"، فالحق في ذلك أن يعمَّ القول، فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلِّها، على ما جاء به ظاهرُ كتابِ الله.

وأما قوله: (وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، فاهتدوا به أيها الناس، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، يقول: لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحقّ في اتّباعكم إيّاه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: (قُلْ) يَا مُحَمَّدُ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) وَهَذَا خِطَابٌ لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَالْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ، (إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) أَيْ: جَمِيعُكُمْ، وَهَذَا مِنْ شَرَفِهِ وَعَظَمَتِهِ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ) وَالْآيَاتُ فِي هَذَا

(٣٠٨) أحمر
أسود

كَثِيرَةٌ، كَمَا أَنَّ الْأَحَادِيثَ فِي هَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَهُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةً أَنَّهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ.

وقال الحافظ ابن كثير كذلك:

وَقَوْلُهُ: (ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ) صِفَةُ اللهِ تَعَالَى، فِي قَوْلِهِ (رَسُولُ ٱللَّهِ) أَيْ: الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، وَلَهُ الْحُكْمُ.

وَقَوْلُهُ: (فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ) أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، (ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ) أَيْ: الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ وَبُشِّرْتُمْ بِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُ مَنْعُوتٌ بِذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ) أَيْ: يُصَدِّقُ قَوْلَهُ عَمَلُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ (وَٱتَّبِعُوهُ) أَيْ: اسْلُكُوا طَرِيقَهُ وَاقْتَفُوا أَثَرَهُ، (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أَيْ: إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

أدلة أخر على عموم بعثة النبي محمد ﷺ

س: اذكر مزيدًا من الأدلة على عموم بعثة النبي ﷺ.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾.

۞ قوله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ: يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لاَ يُؤْمِنُ بِي، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

---

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) مسلم (حديث ٢٤٠).

(٣٠٩) أحمر
أسود

وما أخرجه البخاري من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عُمَرُ عَنْهُ مُغْضَبًا، فَأَتْبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رسول الله ﷺ -فقال أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَنَحْنُ عِنْدَهُ -فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فقد غامر**» -أي: غَاضَبَ وَحَاقَدَ -قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَبَرَ -قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ**»[١].

(١) البخاري (٤٦٤٠).

(٣١٠) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٥٩
وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ
ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ
لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ
١٦٢

الكلمة	معناها
﴿قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾	بني إسرائيل.
﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾	يهتدون بالحق- يرشدون الناس إلى طريق الحق- يدعون الناس إلى الهداية- يتبعون الحق (يستقيمون عليه ويدعون الناس إليه).
﴿يَعْدِلُونَ﴾	ينصفون- لا يجورون- يعدلون في حكمهم.
﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾	فرقناهم.
﴿أَسْبَاطًا﴾	قبائل- أُممًا- جماعات كل قبيلة عليها نقيب، كما قال تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.
الكلمة	معناها

(٣١١) أحمر
أسود

﴿ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ﴾	طلبوا منه أن يسأل ربَّه عزَّ وجلَّ السُّقيا (الماء).
﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾	فانصبت- فانفجرت.
﴿وَظَلَّلۡنَا﴾	جعلناه عليهم كالظلة.
﴿ٱلۡغَمَٰمَ﴾	السحاب.
﴿ٱلۡمَنَّ﴾	طعامًا مَنَّ الله به عليهم، قيل: إنه يشبه العسل.
﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾	طائر السمان.
﴿رِجۡزٗا﴾	عذابا.
﴿يَظۡلِمُونَ﴾	يخرجون عن الطاعة.

مزيدَ من الحديث عن
بني إسرائيل، وبيان أن فيهم بعض أهل الصلاح

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾.

ج: هذا ثناءٌ من الله ﷻ على طائفة من بني إسرائيل، فكما أن هناك من قوم موسى من حاد عن طريق الهداية الغواية، ومنهم من عبد العجل واتخذه إلهًا، ثم تاب من ذلك فكذلك هنالك فئامٌ من أهل الصلاح والفضل من بني إسرائيل الذين هم قوم موسى عليه السلام.

فقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ شاهدٌ لهذا المعنى الذي ذكرته.

وكذا قوله تعالى: (لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ).

وقوله تعالى: (وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)، فقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ

﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ) الآية، وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ) الآية، وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩).

۞ فقوله تعالى: (وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ) أي: ومن بني إسرائيل (أُمَّةٌ) جماعة (يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ) يرشدون الناس إلى طريق الحق والهدى، وهم أيضًا يهتدون بالحق (وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ) وبالحق يحكمون فينصفون ولا يجورون.

بنو إسرائيل ومعجزة انفجار الحجر على يد نبيهم موسى عليه السلام بإذن الله

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) الآية؟

ج: المعنى-والله تعالى أعلم- أن الله عز وجل أخبر بأنه فرَّق بني إسرائيل فجعلهم اثنتي عشرة قبيلة وجماعة على كل قبيلة وجماعة نقيبٌ من النُّقباء كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ).

ثم إن هذه القبائل سألوا نبي الله موسى عليه السلام أن يطلب من الله عز وجل السُّقيا لهم فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن يضرب الحجر بعصاه، وتلك آية عظيمة للدلالة على وحدانية الله وقدرته ونبوة نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، فضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه فانفجر انفجارًا شديدًا وخرجت منه عيون، اثنتا عشرة عينًا، كل عين لقبيلة من القبائل، وذلك- والله أعلم- حتى لا يحدث اختلاف بين القبائل، بل كل قبيلة عليها نقيب تعلم العين التي لها، ثم إن الله عز وجل منَّ على هؤلاء القوم الإسرائيلين بمنةٍ أُخرى وهي

(٣١٣) أحمر
أسود

تظليل الغمام عليهم، وذلك لما ضرب عليهم التيه لكونهم تخلفوا ونكلوا عن الجهاد فقال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، فضُرب عليهم التيه ولكن رحمةً من الله ﷻ بهم أنه سبحانه ظلل عليهم الغمام، أي جعل السحاب فوقهم كالظلة يستظلون بالسحاب من حرِّ الشمس.

وتفضَّل الله عليهم بإنزال المن وهو طعام يشبه العسل ينزل على ورق الشجر دون كدٍّ منهم أو تعب، وذكرت في وصف المنِّ أقوال أُخر، وكذا أنزل الله عليهم السلوى، وهي طائر يشبه السمان، فكانوا يأكلون من هذا وذاك ويشربون من الماء العذب الطيب.

فقال لهم الله ﷻ: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: كلوا من الحلال الطيب الذي رزقكم الله إياه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: وما نقصونا من مُلكنا شيئًا بتخلفهم عن طاعتنا، وذلك كما في الحديث القدسي: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»[1].

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، ولكن بخسوا أنفسهم حقوقها وحظوها من الخير بعصيانهم وتمردهم على أوامر الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ)، إذ فرّقنا بني إسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة، وتيَّهناهم في التيه، فاستسقوا موسى من العَطش وغَوْر الماء(أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ).

وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه وبينا معنى الوحي بشواهده.

(فَانبَجَسَتْ)، فانصّبت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينًا من الماء، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾، يعني: كل أناس من الأسباط الاثنتي عشرة ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾، لا يدخل سبط على غيره في شربه ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾، يكنُّهم من حرّ الشمس وأذاها.

وقد بينا معنى (الْغَمَامَ) فيما مضى قبل، وكذلك: (الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ).

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

(٣١٤) أحمر
أسود

(وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ) طعامًا لهم(كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ) يقول: وقلنا لهم: كلوا من حَلال ما رَزقْناكم، أيها الناس، وطيّبناه لكم(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)، وفي الكلام محذوف، ترك ذكره استغناءً بما ظهَر عما ترك، وهو: «فأجِمُوا ذلك، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير(وَمَا ظَلَمُونَا)، يقول: وما أدخلوا علينا نقصًا في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا وفعلهم ما فعلوا (وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أي: ينقصونها حظوظَها باستبدالهم الأدنى بالخير، والأرذل بالأفضل.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (وَقَطَّعْنَٰهُمُ) يعني قوم موسى، يقول: فرَّقناهم (ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا) يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثنى عشر ولداً، فولد كل واحد منهم سبطًا.

قال الفراء: وإنما قال (ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ) والسبط ذكَر، لأن بعده (أُمَمًا) فذهب بالتأنيث إلى الأمم، ولو كان (ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ) لتذكير السبط، كان جائزاً.

وقال الزجاج: المعنى: وقطَّعناهم اثنتي عشرة فرقة، (أَسْبَاطًا) نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرَّقناهم أسباطاً، فيكون (أَسْبَاطًا) بدلاً من (ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ) و (أُمَمًا) من نعت أسباط. والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليُفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق. وقال أبو عبيدة: الأسباط:

قبائل بني إسرائيل، أحدهم: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟

(٣١٥) أحمر
أسود

عناد بني إسرائيل وتعمدهم المعصية والشقاق

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن الله ﷻ يُذَكِّر بنعمه على بني إسرائيل وتمردهم على طاعته ومقابلتهم النعم بالكفران والفضل بالطغيان فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: واذكر حال بني إسرائيل لما قيل لهم اسكنوا هذه القرية، وقد قيل: إنها بيت القدس– ﴿وَكُلُوا﴾ من ثمارها ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم، وادخلوا بابها ﴿سُجَّدًا﴾ أي: وأنتم ساجدين وقولوا يا رب حطِّ عنا خطايانا، فإذا قلتم ذلك غفرنا لكم خطيئاتكم وسنزيد المطيعين منكم من فضلنا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا، يا محمد، من خطأ فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على ربهم، وعصيانهم نبيَّهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتبديلهم القولَ الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: (اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ)، وهي قرية بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا)، يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها (حَيْثُ شِئْتُمْ)، منها، يقول: أنّى شئتم منها (وَقُولُوا حِطَّةٌ)، يقول: وقولوا: هذه الفعلة "حِطّةٌ"، تحطُّ ذنوبنا (نَّغْفِرْ لَكُمْ)، يتغمد لكم ربكم (ذُنُوبَكُمْ)، التي سلفت منكم، فيعفو لكم عنها، فلا يؤاخذكم بها. (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)، منكم، وهم المطيعون لله، على ما وعدتكم من غفران الخطايا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ).

ج: المعنى –الله أعلم– أن فئةً ظالمةً من بني إسرائيل خالفت أمر الله لها لما أمرهم بدخول الباب سجدًا وأن يقولوا حطة أي: يا رب حط عنا خطايانا، فلم يفعلوا ذلك بل عاندوا وكابروا ودخلوا –عن عمدٍ وعن قصدٍ– يزحفون على أستاههم

(٣١٦) أحمر
أسود

ويقولون –بدلًا من حطه– حبَّة في شعره، وبعضهم قال: حنطة، فما كان إلا أن الله ﷻ أرسل عليهم عذابًا من السماء بسبب ظلمهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا= وقد قيل لهم: قولوا: هذه حطة=: "حنطة في شعيرة".

وقولهم ذلك كذلك، هو غير القول الذي قيل لهم قولوه.

يقول الله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)، بَعثنا عليهم عذابًا، أهلكناهم بما كانوا يغيِّرون ما يؤمرون به، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله، ويقولون غير الذي أمرهم الله بفعله.

(٣١٧) أحمر
أسود

قصَّةُ أصْحَابِ القَرْيَة التي كَانَتْ حَاضِرةَ البَحْر وَمَسَخ أهْلَهَا إلى قردة

قَالَ تَعَالَى: وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي
ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٣ وَإِذْ قَالَتْ
أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن
مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٧ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم
بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ
سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم
مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ
وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ
يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠

(٣١٨) أحمر
أسود

الكلمة	معناها

(٣١٩) أحمر
أسود

﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾	مجاورة البحر- على شاطئ البحر.
﴿يَعْدُونَ﴾	يخالفون أمر الله- يعتدون- يصطادون في الوقت المحرم الذي يتجاوزون الحدَّ فيه ويخالفون أمر الله فيه.
﴿فِي ٱلسَّبْتِ﴾	يوم السبت.
﴿حِيتَانُهُمْ﴾	جمع حوت – وكذا الأسماك.
﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾	يوم راحتهم (اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه).
﴿شُرَّعًا﴾	ظاهرة على وجه الماء رافعة رؤوسها من كل طريق وناحية.
﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾	يوم لا يُحَرَّمُ عليهم العمل- لا يدخلون في السبت- لا يدخلون في يوم الراحة.
﴿نَبْلُوهُم﴾	نختبرهم- نشدِّد عليهم في العبادة.
﴿يَفْسُقُونَ﴾	يخرجون عن الطاعة- يعصون.
﴿أُمَّةٌ﴾	جماعة.
﴿تَعِظُونَ﴾	تُذكِّرون- تأمرون وتنهون- تخوِّفون.
﴿مُهْلِكُهُمْ﴾	مُميتهم.
﴿مَعْذِرَةً﴾	اعتذارًا (نعتذر إلى الله) وقيل: (معذرةٌ) بالضم؛ أي: هذه معذرةٌ أو هذا عذر نعتذر به إلى الله.
﴿يَتَّقُونَ﴾	يبتعدون عن الحرام- يتقون المعاصي- يتركون ما هم عليه من المعصية.
﴿نَسُوا۟﴾	تركوا.
﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾	وُعِظُوا به.
﴿ٱلسُّوٓءِ﴾	المنكر- المعصية- المُحرَّم.
﴿بَئِيسٍ﴾	شديد- عظيم- أليم- موجع.
﴿عَتَوْا۟﴾	تمردوا- استحلُّوا ما حرَّم الله- استكبروا عن قبول الحق- تمادَوا في الغيِّ.

(٣٢٠) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿قِرَدَةً﴾	جمع قردٍ.
﴿خَٰسِـِٔينَ﴾	مطرودين- مُبعدين عن الخير- مُهانين ذليلين - حقيرين.
﴿تَأَذَّنَ﴾	أَخْبَر- أعْلَمَ.
﴿يَسُومُهُمْ﴾	يُذِيقُهُم.
﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	أسوأ العذاب.
﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾	فرَّقناهم- مزَّقناهم.
﴿أُمَمًا﴾	جماعات- فرقًا.
﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾	غير ذلك (ليسوا صالحين).
﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾	اختبرناهم.
﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾	الرخاء والسعة في الرزق، والعافية في الأبدان والأولاد، والأمن في الأوطان.
﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	الشدة وضيق المعيشة والأمراض والموت.
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	جاء من بعدهم قوم سوء.
﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾	المراد به – هنا-: التوراة.
﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾	هذا المتاع العاجل القريب.
﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾	العهد المأخوذ عليهم الموجود في كتابهم التوراة، ففي التوراة عهود ومواثيق أُخذت على بني إسرائيل.
﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾	قرؤوا ما في التوراة.
﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾	يتبعون- يلتزمون- يعلمون بما في الكتاب.

(٣٢١) أحمر
أسود

س: اذكر كلمة موجزة عن هذه القصة قصة أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر.

ج: أقول- وبالله التوفيق-:

لقد حرَّم الله على بني إسرائيل الصيد يُوْمَ السبت، وغلَّظ عليهم في ذلك وشدَّد، ونهى أشد النهي عن الاعتداء يوم السبت.

ولقد كان هذا النهي شديدًا!!، والميثاق عليه غليظًا!!.

قال تعالى: (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا).

لقد أُخِذَ عليهم هذا الميثاق على لسان أنبيائهم، وبيَّن لهم الأنبياء-عليهم السلام- خطورة نقض العهد والميثاق أكمل بيانٍ أتمَّ بيان!!.

لقد حذَّروهم أشد التحذير من الاعتداء يوم السبت!!.

ولكن ماذا كان من بني إسرائيل الذين غلب عليهم الشر والفساد؟!!

ماذا كان من هؤلاء الذين أَبَوْا إلا الشقاق والعناد؟؟!

لقد نقضوا العهد والميثاق!! لقد ارتكبوا ما نهاهم الله عنه، ووقعوا في المحظور عن علمٍ وعن عمدٍ!!

فمن ثَمَّ حلَّ من البلاء والعذاب والنكد والمسخ ما حلَّ، ونزل بهم من العقاب ما نزل.

لقد مُسخوا- عياذًا بالله- فأصبحوا قردة!

بل؛ ولعصيانهم أيضًا تحول فريق منهم إلى خنازير!!.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾.

ولقد كان يهود المدينة ومن حولها يتكاتمون ذلك، ولا يظهرون ما حلَّ بأسلافهم من النَّكَالِ ومن العقاب، حتى لا يُعيِّرُهم مُعيِّرٌ، ولا يُوَبِّخُهُم مُوَبِّخٌ.

بل، ولقد كان بعضُهم يوصِي بعضًا بهذا الكتماان، وإذا أفشَى بعضُهم ذلك أو شيئًا مما كتموه من العقوبات التي أنزلها الله بهم لاموه وعاتبوه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا

أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦].

إلا أن الله ﷻ كشف كثيرًا من فضائحهم وأسرارهم، ولكن رحمة منه بعباده، وسترًا منه عليهم لم يُبين كلَّ شيء صنعوه، بل ستر عليهم أشياء أيضًا.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ) [المائدة: ١٥].

وكان مما بينه الله ﷻ وأظهره أمر المعتدين يوم السبت، وما حلَّ بهم، وأوضح أن اليهود الذين كانوا يساكنون رسول الله ﷺ المدينة أو يجاورونها يعرفون ذلك، ولكنهم يتكاتمونه عن علم وعن عمدٍ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

أي: أن أمرهم لا يخفى عليكم ومسخهم لا يغيب عنكم. هذا، والله أعلم.

س: هل المراد السؤال عن القرية أم عن أهلها؟

ج: الذي يبدو، والله أعلم، أن المراد السؤال عن أهل القرية بدليل ذكر ما حدث لهم من كونهم مُسخوا قردة وتكون الآية كقوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ فالمراد واسأل أهل القرية وأهل العير، والله أعلم.

س: من هؤلاء الذين أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يسألهم، وما نوع السؤال هنا؟

ج: أمر الله نبيَّهُ ﷺ أن يسأل اليهود عنها سؤال توبيخ وتقرير، لعلهم يذكرون، لعلهم يتعظون، لعلهم أيضًا يصدقون نبوته، فكيف وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، كيف يخبرهم بهذه الأخبار، ويقص عليهم تلك القصص.

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾.

اسأل هؤلاء اليهود عن أهل هذه القرية، تلك القرية التي كان يسكنها أسلافهم، اسألهم عن القرية وما حلَّ بأهلها بعد صنيعهم الذي صنعوا!!

س: لماذا أمر النبي ﷺ أن يسأل هؤلاء اليهود عن القرية التي كانت حاضرة البحر؟

(٣٢٣) أحمر
أسود

ج: هذا الأمر بسؤالهم- والله تعالى أعلم- لتذكيرهم بعقوبة من خالف أمر الله ﷻ، تجاوز حدوده، وذلك حتى يحذر هؤلاء الإسرائيليون المعاندون المكذبون عقوبة تكذيبهم وعنادهم وكتمانهم ما علموه من أمر رسول الله ﷺ، فأخبروا بالذي حلَّ بمن كان قبلهم حتى يحذروه ويتقوه.

۞ والسؤال أيضًا لتوبيخهم وتقريرهم، فيكون المعنى إذا كنتم قد علمتم عقوبة من خالف أمر الله وعاند رسله وما حلَّ بأسلافكم فلمَ تحاربون رسول الله ﷺ وتكذبونه؟؟!!

۞ وأيضًا حتى يصدقوا أن محمدًا ﷺ رسولٌ من عند الله فكيف يخبرهم بهذه الأخبار التي يتكاتمونها وهو لا يقرأ ولا يكتب؟!!!

س: ما اسم هذه القرية، وما شأن أهلها؟

ج: أما عن القرية وأيُّ قرية هي ؟!! فلم يصح بذلك خبر عن النبي ﷺ.

ولقد قيل: إنها أيلة، وقيل: إنها مدين، وقيل غير ذلك.

فالله أعلم، والعبرة –ولله الحمد- حاصلة على كل حال لمن أراد الله به خيرًا.

والحاصل: أنها كانت قرية مجاورة للبحر، على شاطئ البحر أغلب عمل أهلها الصيد!!.

ولقد تفشَّى فيهم الفسق، وارتكبوا كثيرًا من المحرمات، فابتلاهم الله ﷻ بسبب فسقهم هذا، استدراجًا لهم بعد إمهالٍ، وكثيرًا ما يُبتلى الفسَّاق، يبتلون حتى يقعوا في المعاصي والكبائر، فيأخذهم الله بالعذاب.

ولقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

لقد ابتلاهم الله بابتلاء عجيب، قلَّ من يتفطن له من الناس!! وقلَّ من يدرك منهم أنه ابتلاء!!.

۞ إن المريضَ قد يعلم أن الله ابتلاه بالمرض!!

۞ والفقيرَ قد يعلم أن الله ابتلاه بالفقر!!

۞ والذي أُصيبَ بخسارة في ماله قد يعلم أن الله ابتلاه بذلك!!

۞ لكن كثيرًا من الأغنياء لا يشعرون أنهم في ابتلاء بالغنى!!

۞ وكثيرًا ممن رُزقوا بالجاه والولد لا يشعرون أنهم في ابتلاء بهذا!!

۞ وهناك ابتلاء عجيبٌ قلَّ من يتفطن له، منه هذا الابتلاء الذي ابتلى به أهل هذه القرية.

إنه ابتلاء بتيسير أسباب المعصية!!

وذلك بتمكين الشخص منها، ليُعلم أيرتكبها ويقع فيها، أم أنه سيقاوم مستعينًا بالله حتى ينجو ويسلم.

س: ما المراد بالسبت في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾؟

ج: المراد بالسبت في الآية الكريمة: يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة، أما أصل السبت فقد ورد في (لسان العرب): السِّبت والسُّباب: الدهر، السَّبتُ أيضًا برهة من الدهر، والسَّبتُ كذلك الراحة، وسبت استراح وسكن.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأصل "السبت" الهدوّ والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم "مسبوت" لهدوّه وسكون جسده واستراحته، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) [النبأ: ٩] أي راحة لأجسادكم. وهو مصدر من قول القائل: "سبت فلان يسبت سبتا".

وقد قيل: إنه سمي "سبتا"، لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة - وهو اليوم الذي قبله - من خلق جميع خلقه.

س: هذه الآيات هي تفصيل لآية أُجملت في سورة أخرى، ما الآية التي أجملت وفسرتها هذه الآيات؟

ج: الآية هي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾.

س: اذكر بعض الأدلة على تحريم العمل على اليهود يوم السبت؟

(٣٢٥) أحمر
أسود

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]، وكذا المفهوم من قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

س: هل لزامًا أن تكون- عندنا كمسلمين- إجازة، وتوقف على العمل يوم الجمعة؟

ج: أقول، وبالله التوفيق، إنما التوقف عن العمل يوم الجمعة، يكون عند النداء للصلاة وذلك إلى أن تنتهي الصلاة ويصلي المصلُّون، وأما قبل ذلك وبعده فلا بأس بالعمل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

فدل ذلك على أن هناك بَيعًا قبل الصلاة.

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠].

فدل ذلك عل أن بعد الصلاة عملًا وابتغاء فضل من الله، والله أعلم.

وهذه لفتةٌ أُخرى: فحواها ومؤداها أن لحوم الحيتان ليست بأعظم حرمة من لحوم المسلمين.

فإذا كان الله ﷻ أخذ على قوم عهدًا وميثاقًا أن لا يعدوا في السبت ولا يصطادوا الحيتان، فقد أخذ عهودًا ومواثيق عليهم وعلى غيرهم ألا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتوعد أشد الوعيد مَنْ قتل مؤمنًا بغير حق، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، فإذا كان ثمَّ قوم عجلت لهم العقوبة في دنياهم لكونهم اصطادوا الحيتان في اليوم حرم فيه عليهم الصيد ومُسِخُوا إلى قردة فأجدرُ بقوم قتلوا الأنفس المحرمة أن يحذروا غضب الله ويقلعوا عما هم فيه، وأن يتوبوا إلى الله ﷻ وينيبوا إليه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.

(٣٢٦) أحمر
أسود

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– يعتدون يوم السبت، فيرتكبون المحرمات ويخالفون أمر بهم ﷻ.

س: كيف كانت صورة اعتدائهم يوم السبت؟

ج: حاصل تلك الصورة: أنهم تجاوزوا ما أمرهم الله به واعتدوا يوم السبت.

أما صورة تلك الاعتداء فلخص العلماء ذلك في أقوال:

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روي في اعتدائهم في السبت روايات:

منها– أنهم تحيلوا لاصطياد الحيتان فيه بوضع الحبائل والبرك قبل يوم السبت، حتى إذا جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة، نشبت بتلك الحبائل، فلم تخلص منها يومها، فإذا كان الليل، أخذوها بعد انقضاء السبت.

ومنها– أنهم كانوا يأخذونها يوم السبت بالفعل، ولكن يأكلونها في غيره من الأيام، فتأول لهم الشيطان أن النهي عن الأكل فيه منها، لا عن صيدها. فنهتهم طائفة منهم عن ذلك وقالت: ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف، أو قذف، أو بعض ما عنده من العذاب. فلما أصبحوا وجدوهم أصابهم من المسخ ما أصابهم، وإذا هم قردة.

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبْتِ الْيَهُودُ فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ»؟

ج: الحديث في سنده ضعف، والله تعالى أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الأسماك العظيمة والحيتان الكبيرة والصغيرة كانت تأتي يوم السبت شارعة ظاهرة باديةً على وجه الماء من كل صوبٍ وحدب.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– أنه في اليوم الذي لا يسبتون فيه أي: الذي لم يمنعوا من

الصيد فيه، بل أبيح لهم فيه الصيد لا تأتيهم الحيتان.

وهذا ابتلاء واختبار بلا شك، فالأيام التي أُحل لهم فيها الصيد لا تأتيهم الحيتان واليوم الذي مُنعوا من الصيد فيه تأتيهم الحيتان، وذلك كما أسلفنا ابتلاء بتيسير أسباب المعصية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

وقوله: (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ)، يقول: ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السَّبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت (لَا تَأْتِيهِمْ)، الحيتان (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ)، يقول: كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا، بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل صيده (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم)، ونختبرهم (بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ)، يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

س: ما المراد بهذا الابتلاء المذكور في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾؟

ج: ذلك الابتلاء بإرسال الحيتان إليهم ظاهرةً على وجه الماء في اليوم الذي حرِّم عليهم الصيد فيه.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم) أي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع، نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء، في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم الحلال لهم صيده، أي نعاملهم معاملة من يختبرهم، بسبب فسقهم، فيظهر عدوانهم، فيستحقون المؤاخذة.

س: اذكر بمزيد من الإيضاح نوع الابتلاء الذي ابتلي به أصحاب القرية

ج: أما عن هذا الابتلاء الذي ابتُلي به أصحاب القرية:

(٣٢٨) أحمر
أسود

فلقد كانوا يخرجون لعملهم كصيادين في أيام الأسبوع-سوى السبت- فيطرحون الشباك في البحر، فتهرب الحيتان، ولا يُرى لها أثر، وتخرج الشباك كما طُرحت ليس فيها سمكة واحدة، هكذا في كل أيام الأسبوع سوى السبت، أما يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فإن الأسماك كانت تأتيهم من كل صَوْبٍ وحَدَبٍ، تأتي شارعةً ظاهرةً على وجه الماء!!

حيتانٌ عظيمة تأتي فُرَادَى وجماعات!!

تأتي ويضربها ضوء الشمس فتلمع في ضوء الشمس كالفضة!!

بل ومن العلماء من قال: إنها كانت ترمي بنفسها أحيانًا على البر، كأنها تقول لهم (خذوني، خذوني)!!

فماذا يصنع القوم أمام هذا الاختبار؟!!

إن الحيتان تأتيهم في اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه! وتختفي تمامًا في سائر الأيام!

فماذا يصنعون؟!!

لقد احتال منهم المحتال- كما قال بعض العلماء- نصب الشباك يوم الجمعة، فوقعت فيها يوم السبت، ثم أخذها يوم الأحد!! كذا قال البعض.

وآخرون لم يبالوا أصلًا بحرمة يوم السبت، فاصطادوا يوم السبت،وارتكبوا المحرماتن ووقعوا في المحظور، فماذا كان؟!!

س: اذكر بعض صور الابتلاء بتيسير أسباب المعصية.

ج: أقول، وبالله التوفيق:

إن هذا الابتلاء بتيسير أسباب المعصية قد ذكَّرنا الله به في عدة آيات ومواطن من كتابه العزيز، ولكن: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فمن تلك الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾....الآية

[المائدة: ٩٤]. وقول طالوت لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وسيأتي لذلك مزيد بيان في القوائد المستنبطة من هذه القصة- إن شاء الله تعالى-

س: ما المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ﴾.

ج: المراد بالنسيان هنا الترك والإعراض، كقوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾.

هذا؛ وقد قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ) أي: فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم، ترك الناسي للشيء، وأعرضوا عنه إعراضًا كليًّا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَئِيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ).

ج: المعنى، والله أعلم، فلما نسيت الفئة المعتدية العاصية التي اعتدت في السبت وخالفت أمر ربها، لما نسيت أي تركت تذكير المُذكرين، وأعرضت عن الذكرى أنجى الله عَزَّ وَجَلَّ الناهين عن المنكر، وأحلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بالظالمين المعتدين عذابًا شديدًا بئيسًا بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيَّعت ما وَعظتْها الطائفة الواعظة وذكَّرتها به، من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها، فتقدّمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى الله الذين ينهون منهم عن "السوء"= يعني عن معصية الله، واسْتحلال حِرْمه (وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)، يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت، فاستحلوا فيه ما حرَّم الله من صيد السمك وأكله، فأحلَّ بهم بأسَه، وأهلكهم بعذاب شديدٍ بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو "الفسق".

س: انقسم أهل هذه القرية إلى ثلاثة أقسام مع هذا الابتلاء، وضح ذلك.

ج: أقول، وبالله التوفيق:

انقسم أهل القرية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم الأكثر والأغلب الأعم اعتدوا يوم السبت.

القسم الثاني: فريق موفَّقٌ مباركٌ قام ينهى عن المنكر، ويعظ ويُذكِّر.

القسم الثالث: لم يقع في المحظور، ولم ينه عن المنكر، وهم الساكتون.

سكتوا، بل وقالوا للفئة الموفَّقَة الناهية عن المنكر: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذِّبُهم عذابًا شديدًا؟!! هكذا انقسم أهل القرية إلى هذه الأقسام.

س: ماذ كان من أمر هذه الأقسام وما مصيرهم؟!!

ج: قال الله ع: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

مصير الساكتين عن إنكار المنكر

س: لقد عذَّب الله ﷻ الفئة المعتدية في السبت وجعلهم قردة، وسلَّم الله ﷻ النُّهاة عن المنكر، فما مصير الفئة الثالثة الساكتة التي لم تقع في المحظور ولم تباشره ولكنها لم تنه عن المنكر؟

ج: أما عن هذه الفئة الثالثة التي لم تباشر ولم تنه عن المنكر فقد قال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ لم يذكرها ها هنا؛ لأنها لا تستحق أن تذكر، لكونها سكتت، فسُكِتَ عن ذكرها.

وقال آخرون: إنهم عُذِّبوا مع من عُذِّب.

وذهب فريق ثالث من العلماء: إلى أنهم نجوا وسلموا؛ وذلك لأن الله قال: ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

وهؤلاء الساكتون لم يقعوا في الظلم.

(٣٣١) أحمر
أسود

وأيضًا لأن الله قال: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾، وهؤلاء -أعني الساكتين- ما عَتَوْا، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) أَيْ: فَلَمَّا أَبَى الْفَاعِلُونَ الْمُنْكَرَ قَبُولَ النَّصِيحَةِ، (أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ) أَيْ: ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةَ (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) فَنَصَّ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِينَ وَهَلَاكِ الظَّالِمِينَ، وَسَكَتَ عَنِ السَّاكِتِينَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ مَدْحًا فَيُمْدَحُوا، وَلَا ارْتَكَبُوا عَظِيمًا فَيُذَمُّوا، وَمَعَ هَذَا فَقَدِ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِيهِمْ: هَلْ كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ أَوْ مِنَ النَّاجِينَ.

فهكذا مصير هذه الأقسام وهؤلاء الأقوام:

- الناهون عن المنكر سلمهم الله وحفظهم.
- مرتكبوا الجرائم المعتدون أهلكهم الله وعذبهم ومسخهم وحولهم إلى قردة.
- الساكتون سُكِتَ عنهم.

فسبحانك اللهم، فأنت الله لا إله إلا أنت!.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

ج: المعنى، والله أعلم، أن النهاة عن المنكر وهم الموفقون الفضلاء لما قاموا بما أوجبه الله عليهم من النهي عن المنكر والنهي عن مخالفة أمر الله ﷻ قامت فئةٌ (وهي الفئة الساكتة التي لم ترتكب المحظور ولم تنه عن المنكر) تعاتبهم وتقول لهم ما حاصله: لم تعظون هؤلاء الأقوام المعتدين، وقد علمتم أن الله ﷻ سيهلكهم أو يعذبهم عذابًا شديدًا، دعوهم ولا تنصحوهم، فأجاب الفضلاء الموفقون بقوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي: نعتذر إلى ربنا ﷻ، ونبين له اعتذارنا وعدم موافقتنا لهؤلاء القوم على صنيعهم، ونؤدي ما علينا من حق لهؤلاء من النصح والتذكير ثم نطمع في أن يهديهم الله ويقلعوا عما هم فيه من المنكر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٣٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا، يا محمد(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ)، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ)، في الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرم عليهم(أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)، في الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم: عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدِّي فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعدِّيهم على ما حرّم عليهم من اعتدائهم في السبت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتِ الْمَحْذُورَ، وَاحْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَفِرْقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَتْ وَاعْتَزَلَتْهُمْ. وَفِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَنْهَ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكِرَةِ: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)؟ أَيْ: لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ هَلَكُوا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ مِنَ اللهِ؟ فَلَا فَائِدَةَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ. قَالَتْ لَهُمُ الْمُنْكِرَةُ: (مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) قَرَأَ بَعْضُهُمْ بِالرَّفْعِ، كَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِهِ: هَذَا مَعْذِرَةٌ وَقَرَأَ آخَرُونَ بِالنَّصْبِ، أَيْ: نَفْعَلُ ذَلِكَ (مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) أَيْ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يَقُولُونَ: وَلَعَلَّ بِهَذَا الْإِنْكَارِ يَتَّقُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَتْرُكُونَهُ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ تَائِبِينَ، فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ.

وقال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي جماعة من صلحائهم، يحاورون فريقا ممن دأب في عظتهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ أي: مخترمهم ومطهّر الأرض منهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي بل معذبهم عذابا شديدا، إذ مجرد الإهلاك قد يوجد معه لطف، وأما شدة العذاب فتلك القاصمة ﴿قَالُوا ﴾ أي: الوعاظ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي نعظهم معذرة إليه تعالى، لئلا ننسب إلى التفريط في وصيته بالنهي عن المنكر. وقرئ بالرفع. أي موعظتنا معذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي ورجاء في أن يتقوا فيتوبوا فينجوا من الإهلاك.

مسخ القوم المعتدين إلى قردة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فلما أعرض هؤلاء القوم الذين اعتدوا في السبت عن الذكرى، ولم يقبلوها، وتمادَوْا في غَيِّهم وعصيانهم، واستحلوا ما حرمه الله عليهم.

مسخهم الله ﷻ بقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي: مُبْعَدِين عن الخير.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما تمرَّدوا، فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرَّم الله عليهم من صيد السمك وأكله، وتمادوا فيه (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)، أي: بُعَداء من الخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما مرد القوم على المعصية ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فصاروا قردة أذناب تعاوي، بعدما كانوا رجالًا ونساءً.

س: هل مُسِخَ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة؟

ج: نعم مُسِخُوا قردة على الحقيقة، وهذا ظاهر كلام الله ﷻ، فالله جل ذكره قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، والله قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقد قال جل ذكره أيضًا: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وهذا رأي جمهور المفسرين، رأيهم أن المعتدين في السبت مُسِخُوا قردةً على الحقيقة، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في «تفسيره»، وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير خ في «تفسيره»، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

س: هل الممسوخ يتناسل؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم وغيره، وفيه أن ابن مسعود قال: فقال رجل يا رسول

(٣٣٤) أحمر
أسود

الله، القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلُ لَهُمْ نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣)، وفي رواية لمسلم: «إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك قال رحمه الله (٢/ ٤٤١، ٤٤٢): ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام، قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.

قال ابن عطية: وروي عن النبي ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام.

قلت: هذا هو الصحيح من القولين: وأما ما احتج به ابن لعربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ: «فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إسرائيل لا يدْرَى ما فعلتْ ولا أراها إلا الفأرَ ألا ترونها إذا وضع لَها أَلْبَانُ الإبلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وإذا وضعَ لها ألبانُ الشَّاءِ شربتهُ». رواه أبو هريرة، أخرج مسلم.

وبحديث الضب رواه مسلم ايضًا عن أبي سعيد وجابر، وقال جابرُ بن عبد الله يقولُ: أُتِيَ رسُولُ الله ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكُلَ منْهُ وقال: «لا أدرِي لعلَّهُ مِنَ القُرُونِ التي مُسِخَتْ».

فمتأوَّلٌ على ما يأتي، قال ابن العربي: وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال: رأيتُ في الجاهلية قردةَ قدْ زَنَتْ فرجمُوها فرجمتها معهُمْ، ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها، وثبت في نص الحديث «قد زنت» وسقط هذا اللفظ عند بعضهم.

قال ابن العربي: فإن قيل: وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو؟

قلنا: نعم كذلك كان؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون.

قلت: هذا كلامه في الأحكام، ولا حجة في شيء منه، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين: حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواي حُصين عنه قال: رأيت في الجاهلية قِرَدة اجتمع عليها قِرَدة فرجموها فرجمتها معهم.

كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري في كتابه؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية.

وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري.

والذي قال البخاري في «التاريخ الكبير»: قال لي نعيم بن حماد: أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم. وليس فيه «قد =

(٣٣٥) أحمر
أسود

س: كيف قيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وقد تقدم أنهم مُسِخُوا قردة؟

ج: قال عدد من أهل العلم أن هؤلاء الذين قال في شأنهم (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هم الذين أتوا من بعدهم من اليهود الذين ساروا على طريقة سابقيهم في الغيِّ والضلال، والعناد والشقاق. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

ج: معنى ذلك –والله أعلم–: واذكر يا رسول الله لقومك ومن حولك ومن يأتون

= زنت».

فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية، ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية.

وذكر أبو عمر في «الاستيعاب» عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله «معدود في كبار التابعين من الكوفيين،و هو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك؛ لأن رواته مجهولون.

وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا.

قال: رأيت في الجاهلية قِرْدة زنت فرجموها– يعني: القرَدة– فرجمتها معهم. ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا.

وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان، وليسا ممن يحتج بهما، وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف، وإقامة الحدود في البهائم.

ولو صح لكانوا من الجن؛ لأن العباداات في الإنس والجن دون غيرهما.

وأما قوله ﷺ في حديث أبي هريرة «**وَلاَ أَرَاهَا إلاَّ الفَأْرَ**»، وفي الضب: «**لاَ أَدْرِي لَعَلَّه مِنَ الْقُرونِ التِّي مُسِخَتْ**» وما كان مثله، فإنما كان ظنًّا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحي إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا؛ فلما أوحي إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ فقال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا، أَوْ يُهْلِكْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ، وَالْخَنَازِيرَ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ**».

وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود رواه مسلم في كتاب «القدر».

وثبت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر؛ فدل على صحة ما ذكرنا، وبالله توفيقنا.

وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط. وردَّت أفهامهم كأفهام القردة. ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. والله أعلم.

بعدك أن الله ﷻ أعلم وأخبر أنه سيبعث على هؤلاء اليهود المعاندين للرسل والمخالفين لأوامر ربهم ﷻ من يذيقهم أسوأ العذاب، ذلكم العذاب المتمثل في القتل والتشريد، وفرض الجزية، وكراهية الناس لهم، وذلك إلى يوم القيامة.

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾.

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ أي آذن، (كتوعد بمعنى أوعد) . من (الإيذان) بمعنى (الإعلام) أجري مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله. ولذلك أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله:﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ والمعنى: وإذ حتم ربك وحكم، ليسلطن على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك، بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه، واحتيالهم على المحارم. وقد بعث الله تعالى، بعد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بختنصر مالك بابل، فخرب ديارهم، وقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وجلا كثيرا منهم إلى بابل- قصبة مملكته- وأقاموا فيها سبعين سنة، ثم تسلطت عليهم ملوك شتى، ولبثوا زمانا طويلا يكابدون بلاء عنيفا، من تواتر الحروب على بلادهم، إلى أن صاروا جميعا تحت سلطة الرومان، بعد ولادة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإحدى وسبعين سنة، واستؤصلوا من أرضهم، وتفرقوا في البلاد شذر مذر، صاغرين مقهورين.

ومن هاهنا، استدل من استدل بأنهم لا يكون لهم دولة ولا عز، وباتصال ذلهم. (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ) لمن أقام على كفره، ونبذ وصاياه (وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي لمن تاب وآمن وعمل صالحا.

س: من هؤلاء الذين توعد الله ﷻ اليهود بهم أن يسوموا اليهود سوء العذاب؟

ج: قيل: إنهم أمة محمد ﷺ، وقيل: إنه بختنصر البابلي، وقيل غير ذلك، والحاصل: أن الله ﷻ سيسلط على اليهود من يذيقهم أسوأ العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾، يعني: أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء

العذاب.

قيل: إن ذلك، العربُ، بعثهم الله على اليهود، يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارًا وذلة.

س: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ الآية ما يفيد أن رحمة الله واسعة وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله ﷻ ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ وذلك لمن خالف أمره وعاند رسله، ثم فتح باب التوبة أمام التائبين ومريدي الرجوع إلى طريق الله بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ) أَيْ: لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ [أَمْرَهُ وَ] شَرْعَهُ، (وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ.

وَهَذَا مِنْ بَابِ قَرْنِ الرَّحْمَةِ مَعَ الْعُقُوبَةِ، لِئَلَّا يَحْصُلَ الْيَأْسُ، فَيَقْرِنُ [اللهُ] تَعَالَى بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ كَثِيرًا؛ لِتُبْقَى النُّفُوسُ بين الرجاء والخوف.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وفرقنا بني إسرائيل في الأرض وشتتناهم فيها، وكان منهم قوم من أهل الصلاح، وقوم ليسوا بصالحين.

س: الفرقة والاختلاف نوعُ عقاب، وكذا تمزيق القوم في الأرض وتشتتهم دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وقوله تعالى في بيان العقوبة التي أحلَّها بالإسرائيلين المعتدين في السبت: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: مزقناهم وفرقناهم بعد اجتماع.

وتلك عقوبة طالما تكررت وحلت بأقوام، كما قال تعالى في شأن سبأ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا نوعنا الابتلاء على بني إسرائيل، فأحيانًا نبتليهم بالشدة وأحيانًا نبتليهم بالرخاء، وأحيانًا نبتليهم بالصحة والعافية وأحيانًا نبتليهم بالأمراض والأسقام.

- أحيانًا نبتليهم بالأمن والطمأنينة.
- وأحيانًا نبتليهم بالفزع والجزع والهلع.

كل ذلك لعلهم يراجعون أنفسهم ويرجعون إلى طريق الله .

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، يقول: واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق، وهي "الحسنات" التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بـ"السيئات"، الشدة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه.

س: اذكر بعض الآثار الواردة عن السلف الصالح في شأن أصحاب السبت.

ج: ابتداءً، فلم أقف على أي خبر ثابت عن رسول الله ﷺ في شأن أصحاب السبت.

أما عن الآثار عن الصحابة والتابعين فمنها ما صحَّ، ومنها ما هو ضعيف.

أخرج الطبري بإسناد ضعيف عن عِكْرِمَةَ قال:

جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس، جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات! قال: وإذا هو في "سورة الأعراف"، قال: تعرف

(٣٣٩) أحمر
أسود

أيلة! قلت: نعم! قال: فإنه كان حيّ من يهود، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغُوصوا، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تنبطحُ ظهورُها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام! فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، وتنحَّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت.

وقال الأيمنون: ويلكم! اللهَ، اللهَ، ننهاكم أن تعترّضوا لعقوبة الله! وقال الأيسرون: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا).

قال الأيمنون: (قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي: ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم.

فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم، يا أعداء الله! والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب! فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلّمًا، وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال: أي عبادَ الله، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكي، فتقولُ لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم!

ثم قرأ ابن عباس: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)

قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: إنَّ جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ) قال: فأمرَ بي فكسيت بُرْدَين غليظين.

(٣٤٠) أحمر
أسود

وأخرج الطبري[١] بإسناد صحيح إلى أبوب قال:

تلا الحسن ذات يوم: (وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)، فقال: حوتٌ حرمه الله عليهم في يوم، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرَّمه الله عليهم كأنه المخاض، لا يمتنع من أحد.

وقلَّما رأيت أحدًا يكثر الاهتمامَ بالذنب إلا واقعه، فجعلوا يَهتمُّون ويمْسِكون، حتى أخذوه، فأكلوا أوْخَم أكلة أكلها قوم قطُّ، أبقاه خزيًا في الدنيا، وأشدُّه عقوبة في الآخرة! وايم الله، ما حوتُ أخذه قوم فأكلوه، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن! وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعدَ قومٍ الساعة(وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) [القمر: ٤٦] .

وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسن عن قتادة، (وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ)، ذُكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان، حتى تتبطَّح على سواحلهم وأفنيتهم، لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت، بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فأتاهم الشيطان فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد! .....

قوله: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، صار القوم ثلاثة أصناف، أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبةً لله، وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

س: ما وجه التذكير بالأمم التي قد خلت من قبلنا وما حلَّ بها من النكال والعقاب وما وجه التذكير بقصة أصحاب السبت؟

ج: يُذكِّر الله ﷻ عباده المؤمنين بما حل بالأمم المكذبة حتى يحذر العباد عقوبة الشقاق والعناد،وكيف أن النعم تتحول إلى نقم، وكيف أن الأمن يبدل خوفًا،

---

(١) الطبري (١٥٢٨٤) وهو من قول قتادة.

(٣٤١) أحمر
أسود

والاجتماع يؤول إلى فرقة واختلاف بسبب التمرد والعصيان!!

ولقد ذكَّر الله ▌ بأمر هؤلاء المعتدين في السبت، وذلك في سورة البقرة؛ إذ الله ﷻ قال: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾، ففيه تحذير لبني إسرائيل، ووجهه أن الله ▌ ذكَّر بني إسرائيل بما صنع أسلافُهم وأجدّادُهُم من نقض العهود والمواثيق، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى، وقد كانت العهود أُخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا ▌ : ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ١٥٤].

فلما خالفوا أمر الله ع مسخهم الله ﷻ قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فأنتم يا معشر يهود يا من بُعِثَ محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم، فعليكم حينئذ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

جُملة مِنَ الفوائد والعبر المأخوذة من قصة أصحاب السبت

س: اذكر جملة من الفوائد المأخوذة من قصة أصحاب السبت.

ج: من الفوائد ما يلي:

۞ التذكير بأن الذي يُسَيِّرُ الأمورَ والأشخاصَ هو الله ﷻ، فكل شيء يجري بتقديره ، فليكن المُلْتَجأُ إليه دائمًا، فمن الذي يسُوقُ الحيتانَ يوم السبت حتى تأتي شُرَّعًا؟!! ومن الذي يصرفها؟! إنه الله .

۞ وكذا ترى من الذي ساق الحوت إلى يونس عليه السلام لما أُلقي في اليمِّ، في نفس التوقيت الذي أُلقي فيه عليه السلام دون أن يُتْرَكَ لحظةٌ للغرق؟!! إنه الله .

۞ وكذا من الذي جعل الحوت يضطرب في الزنبيل الذي يحمله فتى موسَى يُوشَعُ بنُ نُون، وجعله كذلك يشق طريقه ويتخذ سبيله في البحر سربًا وعجبًا؟! إنه الله ﷻ.

۞ وكذا كل الأشياء يُسَيِّرُها الله ويوقفها إن شاء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال ﷻ: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ﴾ [الشورى: ٣٣].

فكل من له حاجة يريد قضاءها فليلجأ إلى الله وليسأله إياها، فقضاؤها عنده ﷻ.

۞ ومن الفوائد تقرير نبوة رسول الله ﷺ: والتأكيد على ذلك، ففي القصة دليل على ذلك، وذلك من كونه –صلوات الله وسلامه عليه– يخبر اليهود بما حدث من أسلافهم، وما حلَّ بهم من العقوبات والنكالن وهو نبيٌّ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلِّمٍ.

وهذا الدليل من دلائل النبوة، قد أُشير إليه في عدة آيات من كتاب الله:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمرانك ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [القصص: ٤٥].

ومن الفوائد تفسير القرآن بالقرآن:

فالآيات التي نحن بصددها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾.

تفسيرٌ لما أُجمل في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾.

وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول التفسير، أن القرآن الكريم يُفسِّر بعضه بعضًا.

فعل سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨]، فسره قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩].

ولذلك أمثلة كثيرة جدًّا.

وثَمَّ فائدةٌ يُشار إليها:

مأخوذة من عدم تسمية القرية، مؤداها أن الله ﷻ لم يُسمِّ هذه القرية ولو كان عدم التسمية ضارًّا أو مؤثرًا لسماها ربنا ، ومن ثَمَّ فلا نجشِّم أنفسنا البحث الطويل وراء اسم القرية بما يخرج بنا عن مضمون القصة وعن الاعتبار بما فيها، فالعبرة حاصلة – ولله الحمد– على كل حال.

ومن ثَمَّ فلا يضر الخلاف في تحديد اسم القرية.

وكذلك القرية المذكورة في سورة (يس).

وكذلك لا يضر عدم ذكر أسماء أصحاب الكهف في سورة الكهف، ولا نتعب أنفسنا ونسود الصفحات بالبحث عن اسم قبيلتهم واسم كلبهم كما فعله بعض من تطرق إلى القصة.

ألا فليُحفظ الجهد، وليُحفظ الوقت، ولنحرص على ما هو نافعٌ لنا.

ومن الفوائد:

(٣٤٤) أحمر
أسود

أن الله ﷻ جعل هذه العقوبة ومن حلَّت بهم عبرة يعتبر بها المعتبرون ويتعظ بها المتعظون، كي يحذر العصاة عقوبة مخالفة أمر الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٦٦]

والضمير في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ لأهل العلم فيه أقوال:

فمنهم من يقول: إن الضمير يرجع إلى العقوبة التي هي المسخ.

ومنهم من قال: يرجع إلى القرية، والمراد أهلها.

ومنهم من قال: إنها الحيتان.

وثَمَّ أقوال أُخر، وأقوي هذه الأقوال القول الأول والثاني.

أما النَّكال: فمعناه الزجر بالعقاب، والنكل والنكال: قيود الحديد، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل. قاله ابن عطية.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ لأهل العلم فيه أقوالٌ:

منها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم، وما خلفها الذين كانوا بقوا منهم.

ومنها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق، وما خلفها القرى المحيطة بهم.

ومنها: أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان، وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان، فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر.

والمُؤَدَّى واحدٌ، وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا، وفي هذا عبرة لكل معتبر، والله تعالى أعلم.

ومن الفوائد:

بيا أمر مهم، ألا وهو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب السلامة والنجاة، خلافًا لما قد يظنه بعض الناس ويتصوره آخرون، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة جدًّا من كتاب الله ﷻ:

(٣٤٥) أحمر
أسود

فمنها: ما ذُكر في هذه القصة المباركة من قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾، وقد سبق بيانه.

ومنها: قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ) [هود: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣].

وذلك بعد أن حلَّ بقوم صالح عليه السلام، وهم ثمود ما حل.

وهكذا أنجى الله عز وجل أنبياءه ورسله وانتقم من أهل الظلم والشر والفساد.

وقال الله ع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالعصمة والحفظ مع البلاغ.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

ومن الفوائد:

إبطال الحِيل التي يُتوصل بها إلى المحرم.

وذلك على وجه من وجوه المفسرين لكيفية الاعتداء الذي قام به أصحاب السبت، وذلك من نصبهم الشباك يوم الجمعة، واستخراجها يوم الأحد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله(٢):

أن الله تعالى أخبر عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لما احتالوا على إباحة ما حرمه الله تعالى عليهم من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد. قال بعض الأئمة: ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على

(١) البخاري (٢٤٩٣).
(٢) في كتابه: «إغاثة اللهفان» (ص ٣٧٨)

المناهى الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه إذ الفقيه من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده وتعظيم حرماته والوقوف عندها، ليس المحتال على إباحة محارمه وإسقاط فرائضه. ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيباً لموسى عليه السلام وكفراً بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء، وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا والله أعلم مسخوا قردة، لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان وفى بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه، وهو مخالف له فى الحد والحقيقة. فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين فى بعض ظاهره دون حقيقته، مسخهم الله تعالى قردة، يشبهونهم فى بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقًا.

وقال في موطن آخر من نفس الكتاب:

ثم إنه ﷺ نهانا عن التشبه باليهود، وقد كانوا احتالوا فى الاصطياد يوم السبت، بأن حفروا خنادق يوم الجمعة تقع فيها الحيتان يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد، وهذا عند المحتالين جائز. لأن فعل الاصطياد لم يوجد يوم السبت، وهو عند الفقهاء حرام لأن المقصود هو الكف عما ينال به الصيد بطريق التسبب أو المباشرة.

وفي باب الحيل المحرمة يرد ما بينه النبي ﷺ إذ قال في شأن اليهود: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا**»(١). وفي رواية: «**وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»(٢).

وفي ثالثة مطوَّلة من حديث جابر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ عَامَ الفَتْحِ، وهو بمكة «**إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «**لاَ، هُوَ حَرَامٌ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**»(٣).

---

(١) البخاري (٢٢٢٣)، وقوله: «فجملوها» أي: أذابوها. قال الحافظ ابن حجر: «حرمت عليهم الشحوم» أي: أكلها، وإلا فلو حرم عليهم بيعها لم يكن لهم حيلة فيما صنعوه من إذابتها.

(٢) البخاري (٢٢٢٤).

(٣) البخاري (٢٢٣٦).

(٣٤٧) أحمر
أسود

ولكن ثَمَّ حيلٌ يتوصل بها إلى مباح كقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ولقد قال تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وكان قد أقسم أن يضرب زوجته مائة جَلْدة، فقال الله له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

قال ابن القيم رحمه الله[1]:

من أنواع مكايد الشيطان:

ومن مكايده التى كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع الذى يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته فى أمره ونهيه، وهى من الرأى الباطل الذى اتفق السلف على ذمه

فإن الرأى رأيان: رأى يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذى اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأى يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذى ذموه وأنكروه. وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغى، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالمًا، والظالم مظلومًا، والحق باطلاً والباطل حقًا، فهذا النوع الذى اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يجوز شئ من الحيل فى إبطال حق مسلم.

وقال الميمونى: قلت لأبى عبد الله: من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟ قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز. قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولا فى شئ اتبعناه؟ قال: بلى هكذا هو. قلت: أو ليس هذا منا نحن حيلة؟ قال: نعم.

---

(١) إغاثة اللهفان.

(٣٤٨) أحمر
أسود

فبين الإمام أحمد أن من اتبع ما شرعه الله له وجاء عن السلف فى معانى الأسماء التى علقت بها الأحكام ليس بمحتال الحيل المذمومة.. وإن سميت حيلة فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التى شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التى تسلك لإبطال مقصوده.

ومن الفوائد:

بيان حال بني إسرائيل وما هم عليه من الشقاق والعناد ونقض العهود والمواثيق مع الله ﷻ ومع أنبيائهم، ومن ثَمَّ فسينقضون العهود والمواثيق مع المخلوقين، فالذي لا يخشى الله لن يتورع عن غش العباد وخداعهم وتضليلهم.

ومن الفوائد:

بيان لأمرٍ مهم، وهو أن الله ﷻ سيسأل من رأوا المنكر ولم يغيروه أو يأمروا بتغييره، وذلك مفهوم من قول الفئة الصالحة.

لما أنكر عليهم المنكرون ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾.

قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

بل، وقد تتنزل العقوبات في بعض الأحيان على الساكتين.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

ومنها: تذكير الظالم بما فُعل بالظالمين، وما حلَّ بهم من العقاب والنكال حتى ينتهي عن ظلمة ويُقلع عن غيِّه وفساده.

ومنها: أنه يجوز أحيانًا التشنيع على الظالم حتى يقلع عن ظلمه وبيان ما حلَّ بقومه الظلمة، وإن كان يجوز الستر أحيانًا، وكل ذلك بحسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه المقام، ولقد قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] أي: يظهر كثيرًا كالذي حلَّ بأصحاب القرية، ويستر على أمور كثيرة فلا يفحكم بها.

(٣٤٩) أحمر
أسود

وثَمَّ حديث في الباب أخرجه أبو داود، والبخاري في (الأدب المفرد)، من حديث أبي هريرة قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»(١).

ومن الفوائد:

التذكير بما هو ثابت في كتاب الله ﷻ من وجوه متعددة، والذي حاصله: أن العقوبات تنزل بسبب الذنوب والمعاصي، وكذلك اللعنات قد تحلُّ بسبب ذلك، فعذاب بئيس شديد حلَّ بالمعتدين يوم السبت.

بل مُسخوا قردة وخنازير!!!.

بل، ولعنهم الله ﷻ، كما قال في كتابه: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

ومن الفوائد:

كما أشرت آنفًا التنبيه عل أن هناك ابتلاءً بتيسير أسباب المعصية.

وقلَّ مَنْ يفهم ذلك وقلَّ من يدرك ذلك، وقلَّ مَنْ يتفطن له، وقد دلت عليه أدلة كثيرة من كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [النحل: ٩٢].

وحاصل ذلك:

أن شخصًا أو قومًا قد يُعاهدون قومًا عهدًا ويُبرمون معهم أمورًا واتفاقيات، ويكدون ذلك بالأيمان أحيانًا، فيأتي مَن هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا فينقض الشخص أو القوم عهدهم مع القوم الأولين، ويتعاهدون مع مَنْ هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا.

ووجه ذلك الابتلاء: أن الله ساق (القوم الذين هم أقوى عددًا...) إلى الأولين اختبارًا لهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ﴾ [النحل: ٩٢]، ليُعلم هل يثبتون

(١) أبو داود (٥١٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٤)، وسنده صحيح لشواهده.

(٣٥٠) أحمر
أسود

على العهود الأولى ويحافظون عليها أم ينقضونها ويغدرون؟ فقد تُخطب فتاةٌ وتَرْكَنُ -هي وأهلُها- إلى الخاطب ويُعلنون للخاطب الموافقة على الخطبة، ويرضى بها خاطبها، ويطمئنُّ إلى مخطوبته فتصبح فلانة مخطوبةٌ لفلان، فيأتي آخر يريد أن يخطبها ويعرض من المال أضعاف أضعاف ما عرضه الأول، فتُرى من الذي ساق هذا الآخر لخطبتها، وقد خُطبت؟!!

إنه ابتلاء من الله ﷻ لأهل الفتاة وللفتاة جميعًا.

هل يثبتون على الخِطْبة الأُولى أم ينقضونها؟

وثَمَّ رجلٌ باع بيتًا وتمَّ البيع وتفرَّق المجلس، وقد باع هذا البيت بمائة ألف، فبعد أن تم البيع جاء رجل آخر يريد أن يشتري البيت من البائع الأول الذي قد باعه، فيعرض عليه المشتري الجديد أن يشتري منه البيت الذي قد باعه بثلاثمائة ألف، فحيئذ يُفكر كيف ينقض البيع الأول كي يعقد الصفقة مع الشخص الجديد، فتُرى من الذي ساق هذا المشتري الجديد كي يُغري البائع بنقض البيع الأول، وقد قال الرسول ﷺ: «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أخيه، ولَا يَخْطُبْ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»(١).

ويحضرني في هذا السببُ في كون شهادة خزيمة بن ثابت عدلت شهادة رجلين.

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»(٢) من طريق عمارة بن خزيمة الأنصاري أَنَّ عَمَّهُ، حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْيَ، وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَ بِالْفَرَسِ، لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي ابْتَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ فَابْتَعْهُ، وَإِلَّا بِعْتُهُ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا وَاللهِ مَا بِعْتُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلَى قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**» فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا. فقال

(١) البخاري (٢١٣٩)، (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، (١١٥٤).
(٢) «االمسند» (٥/٢١٥)، وأبو داود (٣٦٠٧)، والنسائي (٧/٣٠١).

(٣٥١) أحمر
أسود

خُزَيْمَةُ بنُ ثابت: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ. فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «بِمَ تَشْهَدُ؟» فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ.

وقد يُعاهد قومٌ قومًا آخرين عهدًا وتكون بينهم هدنة فلا يعتدي أحدٌ على الآخر خمس سنوات ثم تلوح لفريق منهم غرةٌ يراها من الآخر ويمكنه فيها إذا انقضَّ عليه أن يُبيده، وأن ينتصر عليه، وتلك الغرة جعلها الله اختبارًا للقوم، هل يحافظون على العهد والميثاق ممتثلين قول الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ) [المائدة:١] ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]، أم أنه يتجاوز هذا كله طمعًا وغدرًا وخيانةً ونقضًا؟!!

ومن الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ) [المائدة: ٩٤].

فكما هو معلوم أن الشخص المُحرِم لا يجوز له أن يصطاد؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [المائدة: ٩٥].

فقد يتلبَّس شخصٌ بالإحرام ويُهلُّ بالحج أو بالعمرة، ثم يَظْهَرُ له صيدٌ عظيم سمين، يظهر له بقر وحشي (حلال أكله)، وبيده السهم من الممكن جدًّا أن يصطاده فيصبح بالصيد ثريًّا من الأثرياء؛ إذ الصيد سمينٌ وسهلٌ وقريبٌ، ولا يكلف الرجل كبير جهد ولا كبير تصويب.

فتُرى من الذي ساق الصيد؟ إنه ابتلاؤه من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقد تُساق الأرانب والطيور والمُحرِم جائعٌ وبإمكانه صيدها وسد جوعته، ليُعلم هل يعتدي أم أنه سيحافظ على حدود الله ﷻ، وأيضًا قد يرى المُحرِم لقطةً كبيرة، مبلغًا ماليًّا طائلًا أو قطعة كبيرة من الذهب، يراها مُلقاة في مكة –البلد الحرام– وقد علم أن لقطتها لا تُلتقط لا لمُنشد ليُعلم هل يقف عند حدود الله؟ أم أن الطمع يحمله على اكتنازها والاستمتاع بها. فمَنِ الذي ساق له هذه القطعة، ومَنِ الذي أوقع بصره عليها؟!! إنه ابتلاءٌ وإنها فتنةٌ!!.

(٣٥٢) أحمر
أسود

وهذا ابتلاء آخر بتيسير أسباب المعصية:

لقد حدث هذا الابتلاء لطائفة أيضًا من بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام، ألا وهي الطائفة التي خرجت للقتال مع الملك الصالح طالوت، لقد ابتلاهم بنهر يمرون عليه ومنعهم نبي الله طالوت من الشُّرب منه، إلا من اغترف غرفة بيده، فيا سبحان الله! القوم يمرون على النهر وهم عطاش، وقد حذرهم نبيهم من الشرب منه إلا من اغترف غرفة بيده، والماء عذبٌ والقوم عطاش، وذاقوا طعم النهر بالغرفة التي اغترفوها منه، فلم يصبر أكثرهم عن الشُّرب، وهذا قول الله ع: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أعود فأقول: إن هذا النوع من أنواع الابتلاء لا يكاد يُدرك ولا يتفطن له إلا الورعون الأتقياء البررة الأوفياء.

إن المرأة قد تُبتلى بهذا الابتلاء فترى مال زوجها أمامها والزوج لم يُتقن العدَّ ولم يحصه فتُسول لها نفسها ما تسوله، والمحفوظة من حفظها الله.

وقد يتغيب زوجها ويتردد عليها أخوه (الذي هو الحمو) الذي هو خطره وضرره كالموت، والشبهة مندفعة وأعين الناس لا تدرك ولا تكاد تدرك، وكل هذا من الابتلاء وكل ذاك من الفتن.

وكذا الرجل قد يتسضعف امرأته ويستضعف أهلها وينال منها بالسب والشتم والضرب والإهانة، ويخفى عليه أن الله كان عليًّا كبيرًا.

فعلى الجميع أن يراقب الله ويعلم أنه إن لم يكن يرى ربه فإن ربه يراه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

(أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [هود: ٥].

فليعلم الجميع أن الله سميع، وأن الله بصير، وأن الله يرى.

س: ما الفرق بين خَلَفُ وخَلْفٌ؟

ج: قال عدد من أهل العلم: إن (الخَلَف) بالفتح المراد بهم الصالحون، والخَلْفُ السكون (أي بالجزم) المراد بهم الطالحون، والله أعلم.

س: من هؤلاء الخلفُ الذين أتوا من بعد هؤلاء الممسوخين قردة؟

ج: قيل: إنهم اليهود، وقيل النصارى، وقيل أعم من ذلك والله أعلم، وإن كانت القصة تفيد أنهم اليهود، فالله أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَاۚ وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فخلف من بعد هؤلاء الذي ذُكر شأنهم خَلْفٌ (أي قوم سوء) ورثوا الكتاب الذي هو التوراة وكلفوا العمل به فضيَّعوه وخالفوا ما فيه، وأقبلوا على دنياهم ومتاعها الزائل الفاني، فقبلوا الرشوة، وغيروا وبدلوا وأكل أموال الناس بالباطل، ومع ذلك كله تغرُّهم الأماني ويقولون سيغفر لنا، فيقدمون استغفارًا قليلًا دون الإقلاع عن العمل السيء، بل يتقولون على الله بقولهم: (سيغفر لنا)، كما قالوا في آية أخرى: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ ثم بعد ذلك، أي بعد قولهم سيغفر لنا، إذا جاءهم مثل هذا المُحرم الذي صنعوه أولًا، وقعوا فيه وارتكبوا المحرمات مرةً ثانية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتبدَّل من بعدهم بَدَل سوء، ورثوا كتاب الله فَعُلِّموه، وضيعوا العمل به، فخالفوا حكمه، يُرْشَون في حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عَرَض هذا العاجل "الأدنى"، يعني بـ"الأدنى": الأقرب من الآجل الأبعد. ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا، تمنِّيًا على الله الأباطيل، كما قال جل ثناؤه فيهم:(فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ)، [البقرة: ٧٩] (وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ)، يقول: وإن

شرع لهم ذنبٌ حرامٌ مثله من الرشوة بعد ذلك، أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه. يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنُوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا تَوْبة.

وأورد الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ ﴾، إي والله، لَخَلْفُ سَوْء ورِثوا الكتابَ بعد أنبيائهم ورسلهم، ورَّثهم الله وَعهِد إليهم، وقال الله في آية أخرى:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا) [سورة مريم: ٥٩]، قال: (يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا)، تمنوا على الله أمانيّ، وغِرّةٌ يغترُّون بها.

﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ ﴾، لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم عن ذلك، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه، لا يبالون حلالا كان أو حرامًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ) يَقُولُ تَعَالَى: (فَخَلَفَ)مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْجِيلِ الَّذِينَ فِيهِمُ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ (خَلْفٌ) آخَرُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَقَدْ (وَرِثُوا) دِرَاسَةَ هَذَا (الْكِتَابَ) وَهُوَ التَّوْرَاةُ ؟

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُمُ النَّصَارَى -وَقَدْ يَكُونُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، (يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ) أَيْ: يَعْتَاضُونَ عَنْ بذل الحق ونشره بعَرَض الحياة الدنيا، ويسرفون أَنْفُسَهُمْ وَيَعِدُونَهَا بِالتَّوْبَةِ، وَكُلَّمَا لَاحَ لَهُمْ مِثْلُ الْأَوَّلِ وَقَعُوا فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ) كَمَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَعْمَلُونَ الذَّنْبَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ مِنْهُ، فَإِنْ عَرَضَ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَخَذُوهُ.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: (وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.

---

(١) الطبري (١٥٣٣٢).

قوله تعالى: (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ) أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها. وقيل: سماه عرضًا، لقلة بقائه. قال ابن عباس: يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام. وقيل: هو الرِّشوة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان: أحدهما: أنه من الدُّنُوِّ. والثاني: أنه من الدناءة.

قوله تعالى: (سَيُغْفَرُ لَنَا) فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إنا لا نؤاخَذ، تمنِّيًا على الله الباطلَ.

والثاني: أنه ذنْب يغفره الله لنا، تأميلاً لرحمة الله تعالى.

وفي قوله تعالى: (وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ) قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن. والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم، توبيخ لبني إسرائيل الذين غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا ورضوا بالحياة الدنيا فقبلوا الرشوة وغيَّروا الأحكام مقابل متاع زائل قليل فإنٍ، فقيل على سبيل التوبيخ: ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين العصاة أكلة الحرام العهد والميثاق في الكتاب الذين بين أيديهم وهو التوراة، وقد تعلموها وقرؤوها، ألم يؤخذ عليهم العهد فيها أن يكونوا صادقين، وخاصة فيما ينقلون عن الله ﷻ، فلا ينقلون عن الله ﷻ إلا الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (أَلَمْ يُؤْخَذْ)، على هؤلاء المرتشين في أحكامهم، القائلين: "سيغفر الله لنا فعلنا هذا"، إذا عوتبوا على ذلك (عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ)، وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل، بإقامة التوراة، والعمل بما فيها. فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم في هذه الآية، موبخًا على خلافهم أمرَه، ونقضهم عهده وميثاقه: ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه، ألا يقولوا على الله إلا الحق، ولا يُضيفوا إليه إلا ما

(٣٥٦) أحمر
أسود

أنزله على رسوله موسى ﷺ في التوراة، وأن لا يكذبوا عليه؟

وقال أيضًا:

وأما قوله: (وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ)، فإنه معطوف على قوله: (وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ)، ومعناه: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ)، (وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ) ويعني بقوله: (وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ)، قرأوا ما فيه، يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه، فضيعوه وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ) يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِي صَنِيعِهِمْ هَذَا، مَعَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ لَيُبَيِّنُنَّ الْحَقَّ لِلنَّاسِ، وَلَا يَكْتُمُونَهُ كَقَوْلِهِ: (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ).

س: ما الفائدة من الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾؟

ج: المستفاد من ذلك: بيان شدة عناد بني إسرائيل فضلًا لهم لم يكن عن جهلٍ، بل كان عن علمٍ وقراءة ودراسة، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما في الدار الآخرة من النعيم المقيم، ومن قرة العين التي لا تنقطع مما أُعد للمتقين الذين اتقوا الشرك واتقوا الحرام. ما هم خيرٌ لهم وأبقى مما في هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ﴾، يقول جل ثناؤه: وما في الدار الآخرة، وهو ما في المعادِ عند الله، مما أعدّ لأوليائه، والعاملين بما أنزل في كتابه، المحافظين على حدوده﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ﴾، ويخافون عقابه، فيراقبونه في أمره ونهيه، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يقول: أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض

هذا الأدنى على أحكامهم، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، أنَّ ما عند الله في الدار الآخرة للمتقين العادِلين بين الناس في أحكامهم، خير من هذا العرض القليل الذي يستعجلونه في الدنيا على خلافِ أمر الله، والقضاء بين الناس بالجور؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يُرَغِّبُهُمْ تَعَالَى فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، أَيْ: وَثَوَابِي وَمَا عِنْدِي خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى الْمَحَارِمَ، وَتَرَكَ هَوَى نَفْسِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يَقُولُ: أَفَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَاضُوا بِعَرَضِ الدُّنْيَا عَمَّا عِنْدِي عَقْلٌ يَرْدَعُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّفَهِ وَالتَّبْذِيرِ.

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن الآخرة خيرٌ لأهل الإيمان من الدنيا.

ج: تلك آيات كثيرة جدًّا، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

ج: هذا ثناء من الله عَزَّ وَجَلَّ على أهل الاستقامة الاتباع والتمسك بالعهود والمواثيق الواردة في التوراة والعاملين بما فيها، فيقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: يعملون بما فيه ويقتدون بأوامره وينزجرون عن نواهيه، ومع ذلك فهم مقيمون للصلاة مديمون لها محافظون عليها، فإنا لا نضيع أجورهم ولا نحبط أعمالهم، بل أجرهم وأجر كل مُصلحٍ مدخرٌ لهم يوم القيامة ومحفوظ وسيثاب عليه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٣٥٨) أحمر
أسود

ثم أثنى تعالى على مَنْ تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد ﷺ، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

وقال القاسمي في «تفسيره»:

(وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي يتمسكون به في أمور دينهم. يقال: مسّك بالشيء وتمسك به.

وقرئ (يُمَسِّكُونَ)، من (الإمساك) وتمسكوا واستمسكوا (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ) من وضع الظاهر موضع المضمر، تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع، لأن التعليق بالمشتق يفيد علة مأخذ الاشتقاق فكأنه قيل: لا نضيع أجرهم لإصلاحهم. فإن قلت: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة، ومنها إقامة الصلاة، فكيف أفردت؟ أجيب: بأن إفرادها، إظهارا لمزية الصلاة- لكونها عماد الدين، وفارقة بين الكفر والإيمان.

قال الجشمي: تدل الآية على وعيد المعرض عن الكتاب، ووعد من تمسّك به، تنبيها لنا وتحذيرا عن سلوك طريقتهم. وتدل على أن الاستغفار باللسان، وتمني المغفرة لا ينفع حتى يكون معهما التوبة والعمل.

س: في الآية الكريمة إشارة إلى فضل الصلاة، وضح ذلك.

ج: إيضاحه –والله أعلم–، أنها ذُكرت تنصيصًا عليها وعطفًا بعد ذكر التمسك بالكتاب، فقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ يتضمن إقامة الصلاة، لكنها ذكرت تنصيصًا مرةً تذكيرًا بأهميتها، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى:

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٧٤

الكلمة	معناها
﴿نَتَقْنَا﴾	رفعنا – اقتلعنا.
﴿ظُلَّةٌ﴾	مظلة كالسحاب الذي يستظل به.
﴿وَظَنُّوٓاْ﴾	أيقنوا.
﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾	ساقط عليهم.
﴿بِقُوَّةٍ﴾	بجدٍ واجتهاد.
﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾	تذكروا ما فيه.
﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾	لئلا تقولوا – كي لا تقولوا.

رَفعُ الجَبَل فوقَ بَني إسْرائيلَ

س: هل رفع الجبل فوق القوم حقيقةً؟

ج: نعم رفع الجبل بعد أن اقتلع من أصله فأصبح فوقهم كالسحاب الذي يستظل به وهددوا بسقوطه عليهم. وهذه آية عظيمة بلا شكٍّ.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ج: المعنى، والله أعلم، واذكر إذا اقتلعنا الجبل من أصله ورفعناه فوق بني إسرائيل لما رفضوا أن يعملوا بالتوراة فأصبح الجبل فوقهم كالمظلة التي يستظل بها، ثم ألزمهم

الله ﷻ العمل بالتوراة فقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: أقبلوا على التوراة بجد واجتهاد ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الشرائع والأحكام والعهود والمواثيق التي أُلزمتهم بها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ كي تتقوا ربكم ﷻ فتجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر، يا محمد، إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم: (خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ)، من فرائضنا، وألزمناكم من أحكام كتابنا، فاقبلوه، اعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توانٍ (وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ)، يقول ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه (لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)، يقول: كي تتقوا ربكم، فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المَواثيق.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسنادٍ حسن عن قتادة:

(وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ) أي: بجد (وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) جبل نزعه الله من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم، فقال: لتأخذُنَّ أمري، أو لأرمينَّكم به!

أخذ الميثاق على بني آدم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾.

ج: لأهل العلم في هذا قولان مشهوران:

۞ أولهما وأشهرهما: والذي عليه أكثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين أن الله ﷻ أخرج ذرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ظهره (أو من صلبه) ونثرهم بين يديه ﷻ وأشهدهم على أنفسهم (أي: أشهد بعضهم على بعض) ألست بربكم؟ فقالوا مقرِّين بربوبيته وتوحيده بلى، أي: أنك ربنا وحدك لا شرك لك.

۞ وجاءت أحاديث وآثار تفيد هذا المعنى وتقويه- أعني أنها تفيد أن الله ﷻ أخذ الميثاق على بني آدم وهم في صلب آدم أو بعد أن استخرجهم من صلبه ونثرهم

بين يديه ﷻ- وهذا الوجه قويٌّ، وإن كان عليه بعض الاعتراضات نذكرها إن شاء الله ﷻ بعد ذكر الوجه الثاني، وكذا بعد ذكر بعض الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب والتي أشرنا إليها.

وعند ذكر بعض هذه الاعتراضات-أو أقواها- أورد إن شاء الله الجواب عليها قدر الاستطاعة، والله المستعان، وكذا أُورد شيئًا من أقوال أهل العلم في هذا الصدد.

ثانيهما: أعني القول الثاني في تفسير الآية الكريمة، حاصله أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾.

معناه أن الله ﷻ استخرج الأبناء من صلب الآباء في هذه الحياة الدنيا(١) قرنًا بعد قرنٍ وجيلًا بعد جيل كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ فلما خرجنا شهدنا بفطرتنا التي فطرنا الله عليها ﷻ بالوحدانية والربوبية، وهذا لا يستلزم نطقًا من الخلق بلسانهم، بل كانت فطرهم شاهدةً بذلك، وكان لسان الحال يشهد لله ﷻ بالربوبية وعدم الشرك قالوا ويجوز أن يطلق على شهادة الحال أنها قولٌ بدليل الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي أن لسان حالهم يقول: إنهم كفار لامتناعهم عن إعمار مساجد الله ونحوه في التنزيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي أن الإنسان لسان حاله يدل على جحوده.

قال أصحاب هذ القول: ويدل على ما ذُكِرَ قوله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَة»(٢). والآيات والأحاديث التي في معناها.

وهذا الوجه قال به الحافظ ابن كثير خ وانتصر له، وعُورِضض من غيره بشدةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما القول الأول فهو قول سلف الأمة كما قدمت من الصحابة والتابعين، وله تشهد الآثار والأحاديث التي سنشير إليها بإذن الله.

---

(١) وهذا يتأتي بالجماع ثم الولادة كما هو مشاهد.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣٦٢) أحمر
أسود

هذا، ومما أورده الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من العلماء من وجوه اعتراضات على القول الأول ما يمكن تلخيصه في الآتي:

أولًا: قالوا: إننا لا نذكر هذا الميثاق الذي أُخذ علينا بعد أن استُخْرِجْنَا من ظهر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف يحتج علينا بشيءٍ لا نذكره؟!

ثانيًا قالوا: إن الله قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل من آدم.

ثالثًا: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره. هذه أشهر وجوه الاعتراض.

أما عن الإجابة عليها فيمكن تلخيصها في الآتي:

أولًا: كوننا لا نذكر هذا الميثاق، لا يضر في شيءٍ؛ لأن الله ذكرنا به في كتابه الكريم، فتذكيرنا به في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ علينا، فكم من أمر لا نذكره ولم نره ومع ذلك لما ذكَّرنا الله عَزَّ وَجَلَّ به على ألسنة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام صدقنا بما أخبرنا به الله عَزَّ وَجَلَّ كالمعجزات التي حدثت للأنبياء من قبلنا وكالذي تُخبر به من أن الأمور مقدرة وأنه ثمَّ ملائكة كرام، إلى غير ذلك.

ثانيًا: قولهم: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل من آدم، فالجواب عليه بأن الخلائق -البشر- كلهم آنذاك كانوا في صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله على كل شيءٍ قدير.

ثالثًا: وكذلك القول في: (ظُهُورِهِمْ) فكل البشر كانوا في ظهر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

۞ هذا، والذي يعكر على القول الثاني الذي قدمنا ذكره، وحاصله: أن المراد البشر الذين يخلقون جيلًا بعد جيل، وأن الإشهاد كان بلسان الحال وليس بلسان المقال فقولٌ بعيد عن الصواب لأمور منها:

أولًا: مخالفته الصريحة لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

ثانيًا: أن الإنسان لو كان بفطرته شاهدًا على نفسه فقط لم يحتج إلى إرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وإنما أرسلت الرسل للتذكير بالمأخوذ عليهم في صلب آدم كما أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

ثم ها هي بعض الأحاديث والآثار التي وعدنا بسياقها، ثم أقوال بعض أهل

(٣٦٣) أحمر
أسود

العلم في ذلك، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا الله:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ ع لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».

وعند الترمذي من حديث عمر رضي الله عنه، وقد سُئِلَ عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟» قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ»[٢].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلًا مجهولًا.

وأخرج الطبري وغيره من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جُبير ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال[٣]: «أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ يَعْنِي عَرَفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ فَتَلَا فَقَالَ: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟) الْآيَةَ إِلَى (بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ)».

۞ لكن هذا الخبر أُعِلَّ بالوقف، فقد عقَّب الطبري هذه الرواية المرفوعة بروايةٍ

---

(١) البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم – واللفظ له- (٢٨٠٥).
(٢) الترمذي (٣٠٧٥).
(٣) الطبري (١٥٣٤٩).

(٣٦٤) أحمر
أسود

هي أصح عن كُلثوم[١] بن جبر قال: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «مَسَحَ رَبُّكَ ظَهْرَ آدَمَ، فَخَرَجَتْ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِنَعْمَانَ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ).

وهذا الموقوف أصح فقد رواه الأثبت والأوثق موقوفًا وهو الذي اختاره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

وأخرج الطبري[٣] وغيره من طريق أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الضحاك وعن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: أُخِذُوا مِنْ ظَهْرِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بِالْمِشْطِ مِنَ الرَّأْسِ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قَالَتِ الملائِكَةُ: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

۞ وهذا الإسناد أُعلَّ بالوقف كما أشار إلى ذلك الطبري وغيره[٤] فقد رواه عن سفيان قوم فأوقفوه على ابن عمرو ولم يرفعوه إلى رسول الله ﷺ وكذا رُوِيَ من وجوه أُخر عن ابن عمرو موقوفًا.

وهذا مزيدٌ من أقوال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وكما أسلفت فرأيه مخالف لرأي الصحابة والتابعين

---

(١) الطبري (١٥٣٥٠).

(٢) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب «التفسير» من سننه: عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة، عن حسين بن محمد المروزي، به.

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث حسين بن محمد به، إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفًا وأخرجه الحاكم في «مستدركه» من حديث حسين بن محمد وغيره، عن جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وفي احتج مسلم بكلثوم بن جبر، هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع، عن ربيعة بن كلثوم، عن جبير، عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: وكذا رواه العوفي وعن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. فهذا أكثر وأثبت، والله أعلم.

(٣) الطبري (١٥٣٦٥)، وقد روي هذا الحديث في كتاب «التفسير» من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة إلى آخره.

(٤) انظر الآثار (١٥٣٦٦) فما بعدها.

في المسألة، وأراه رَحِمَهُ اللَّهُ قد جانب الصواب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ -فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُولَدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ، عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**».

وأورد رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الأحاديث والآثار: في الباب عمومًا، وأكثر من إيراد الأحاديث والآثار التي تشهد للقول الأول ثم قال: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَأَمَّا الْإِشْهَادُ عَلَيْهِمْ هُنَاكَ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ، فَمَا هُوَ إِلَّا فِي حَدِيثِ كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُمَا مَوْقُوفَانِ لَا مَرْفُوعَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَمِنْ ثَمَّ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ(١): إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِشْهَادِ إِنَّمَا هُوَ فَطْرهم عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِي، وَمِنْ رِوَايَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ. وَقَدْ فَسَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْآيَةَ بِذَلِكَ، قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «مِنْ آدَمَ» ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «مِنْ ظَهْرِهِ» ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أَيْ: جَعَلَ نَسْلَهُمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ وَقَالَ: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

---

(١) هذا العزو ليس بدقيق، بل قد يوهم أن الأكثرية على ذلك، وإنما الأكثرية على خلاف ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣٦٦) أحمر
أسود

وهذا القول من الحافظ ابن كثير خ قد تعقبه عددٌ من العلماء ومن التعقيبات الجيدة التي صيغت بطريقة سهلة ما ذكره الشيخ محمد خليل هراس خ؛ إذ قال في كتابه التوحيد- بعد أن ذكر كلامًا طويلًا.

من تفسير ابن كثير:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحن رغم هذه المحاولات من جانب ان كثير وتلميذه لمناصرة هذا الرأي الثاني نرى أنه بعيد عن ظاهر الآية، وأن القول به يحتاج إلى كثير من التكلف في تأويلها، فلا بد فيه من تأويل الأخذ من الظهور بالإبراز إلى الوجود وتأويل الأشهاد بنصب الأدلة وتأويل شهادتهم على أنفسهم بإقرار الفطرة...إلخ.

كما أننا لا نعرف أحدًا من السلف قال به بل كل كلامهم فيما يوافق الرأي الأول الذي هو أقرب إلى منزعهم في الباسطة وعدم التكلف.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا:

وأما ما احتجَّ به ابن كثير وغيره من أن الأحاديث فيها أخذ الذُّرية من ظهر آدم نفسه، وأما الآية فتصرح بأن الآخذ من ظهور بني آدم، فيكون الأخذان متغايرين، وبذلك لا تصلح الأحاديث حجة في تفسير الآية.

فهذا احتجاج في غاية الضعف، فإن أخذ الذرية من ظهور بني آدم قبل خلقهم هو بعينه أخذها من ظهر آدم، إذ هو الأصل الذي تجمعت فيه بالقوة كل أفراد النوع الإنساني، وقد علم الله كل ما سيخرج منه من ذرية إلى يوم القيامة فاستخرجها وأشهدها.

وأما احتجاجهم بأن مثل هذا الإشهاد لا يصلح أن تقوم به حجة لأن أحدًا ممن أخذ عليهم هذا الميثاق لا يذكره مع أن الآية تفيد أن الله احتج عليهم به، فلا بد أن يكون إشهادًا تقوم به الحجة.

فنقول لهم: إن الحجة ليست في نفس الإشهاد بل في تذكيرهم به على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتكذيبهم للرسل لا ينفي قيام الحجة عليهم، فإنهم قد كذبوا بالمعجزات التي جاءت بها رسلهم، مع أن الحجة قد لزمتهم بها، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾؛ إذ المعنى- والله

أعلم – ذكرنا كم بهذا الميثاق في كتابنا وعلى لسان رسولنا، حتى لا تحتجوا يوم القيامة بأنكم كنتم عنه غافلين لا تذكرونه، وحتى لا تحتجوا بأنكم وجدتم آباءكم مشركين فقلدتموهم في شركهم وضلالهم.

وإني لأعجب كيف ينزع رجل سلفي النزعة كابن كثير إلى مناصرة هذا الرأي وينسبه إلى السلف.

ولعل الفخر الرازي كان أدق منه حين نسب الرأي الأول إلى أهل السنة والثاني إلى المعتزلة، والله أعلم.

وقال الشنقيطي خ في «مجالس التفسير»:

في معنى الآية الكريمة وتفسيرها:

واذكر يا نبي الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾ حين أخذ ﴿رَبُّكَ﴾ جلَّ وعلا.

﴿رَبُّكَ﴾ معناه: خالقك وسيدك ومدبر شؤونك؛ والرب يطلق في لغة العرب على عشرة معانٍ، منها: السيِّد الذي يدبّر الشئون ويسوس الأمور، تقول العرب: «فلان رب هذه البلدة» أي: سيدها الذي يدبر شؤونها ويسوس أمورها، ومنه قول علقمة بن عَبَدة التميمي:

وكنتُ أمرأً أفضتُ إليكَ رَبَابَتِي ... وقبلكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ ربوبُ

أي: سادتني سادة وساسوني.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ من أولاد أبينا آدم.

وقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بدل بعضٍ من كل.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ هذا الحرف ابن كثير والكوفيون- أعني عاصمًا، وحمزة، والكسائي-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بصيغة الإفراد، والذرية بالإفراد تعم، وقرأه نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ بجمع السلامة.

وكلتاهما قراءة صحيحة متواترة ومعناها صحيح.

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ اختلف العلماء في معنى هذا الأخذ- أخذ الذرية- من ظهور بني آدم على قولين: فذهبت جماعة من المفسرين إلى أن معنى

(٣٦٨) أحمر
أسود

أخذهم من ظهور بني آدم وجودهم قرنًا بعد قرنٍ، وجيلًا بعد جيلٍ، على طريق التَّناسل، والمعنى: أن الله خلق بني آدم وخلق من هؤلاء ذرِّيةً، فينقضي هذا القرن ويخلق من هذا القرن ذرية كما قال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣] وعلى هذا القول فالأخذ من ظهورهم: هو استخراج النطف من أصلابهم على طريق التناسل قرنًا بعد قرن.

وعلى هذا القول فقوله: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الذين قالوا هذا القول قالوا: أشهدهم على أنفسهم بلسان الحال لا بلسان المقال؛ لأن الله نصب لهم من الأدلة الواضحة الظاهرة على كمال قدرته وأنه المعبود وحده ما لا يُحْتَاج معه إلى شيء ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ يعني: أَثْبَتَ لهم ربوبيته واستحقاقه للعبادة بما ركز فيهم من الفطرة والعقول، وما نصب لهم من الأدلة، وعلى هذا القول فقوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ قالوا ذلك أيضًا بلسان حالهم، والعرب قد تطلق المقال على مقال لسان الحال، قال بعض العلماء: منه قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [التوبة: ١٧] أي: بلسان حالهم- على القول بذلك – ومنه قوله: (وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ) [العاديات: ٧] أي: بلسان حاله حاله عند من يقول ذلك.

والذين قالوا هذا القول –واختاره غير واحد من المحققين المتأخرين- قالوا: الدليل على أن هذا هو المراد أن الله لم يخلق أحدًا من بني آدم ذاكرًا الميثاق ليلة الميثاق وهم كالذر، وما لا يذكره الإنسان لا يكون حجة عليه، وهذا كأنه جُعل حجة مستقلة عليه، كم يدل عليه قوله: ﴿شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] فعل هذا القول فأخذ الذريات من ظهور بني آدم هو إيجادهم منهم قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيلٍ عن طريق التناسل المعروف.

وعلى هذا القول فالإشهاد عليهم بلسان الحال بما نصب لهم من الأدلة،وما ركز فيهم من الفطرة.

واختار هذا ابن كثير، والزمخشري، وغير واحدٍ م المتأخرين.

القول الثاني: وعليه أكثر المتقدمين من السلف، وهو الذي يدل له بعض

(٣٦٩) أحمر
أسود

الأحاديث الصحيحة، والقرآن قد يُرْشِدُ إليه: أنه هو الأخذ يوم الميثاق المعروف، أن الله ع أخذ من ظهر آدم ومن ظهور ذرياته كل نسمةٍ سبق في علمه أنها مخلوقة إلى يوم القيام، فأخذهم بيده- جل وعلا- بعضهم للجنة وبعضهم للنار، وجعل فيهم إدراكًا وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقالوا: بلى.

إلاَّ أن هذا العهد لا يولد أحد إلا وهو ناسٍ له، والله -جلَّ وعلا- أرسل الرسل يُذَكرون بهذا ا لعهد، وما ثبت عن الرسل هو وما حضره الإنسان في التحقيق واحد؛ لأن ما قاله رسول الله ﷺ نحن نجزم بوقوعه أشد مما نجزم بما شاهدناه ولاحظناه وتذكرناه.

وهذا القول قال به ابن كثير من السلف، ودلت عليه أحاديث كثيرة من أصحها وأدلها عليه ما ثبت في «الصحيحين»- «صحيح البخاري وصحيح مسلم»- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

فهذا الحديث ثابتٌ في «الصحيحين» من حديث أنس، وقد ذكر فيه النبي ﷺ أن عدم الإشراك أُخِذ عليهم وهم في ظهر آدم، فدل لك على أن قوله: (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) أنه استخرج الله لهم وإشهاد عليهم، ثم ردَّهم في ظهر أبيهم آدم.

ومما يدل على هذا: أن الذين قالوا: إنَّ معنى أخذهم من ظهورهم: هو تناسلهم قرنًا بعد قرنٍ، وجيلًا بعد جيل، أنهم جعلوا ما ركب فيهم من الفطرة السليمة والعقول، وما نُصِبَ لهم من الأدلَّة القطعية كافيًا في قيام الحجة عليهم.

والقرآن يدل على عدم صحَّة هذا القول؛ لأن القرآن العظيم- وهو كلام ربِّ العالمين- دلَّ على أنه لا يُقطع عذرُ أحد بنصب الأدلة،وتركيز الفطرة، وخلق العقول؛ بل لا ينقطع عذر بني آدم إلا بإرسال الرسل في دار الدنيا، وإنذارهم مؤيَّدين بالمعجزات؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ولم يقل: حتى نخلق عقولًا ونركز أدلة وننصب فطرة.

(٣٧٠) أحمر
أسود

لم يقل شيئًا من هذا، وقال جلَّ وعلا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] فبيَّن أن حجة الناس لا يقطعها إلا إعذار الرسل وإنذارهم له.

وهذه الحجة التي بيَّن في «سورة النساء» أنه أرسل الرسل لقطعها بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أوضحها في أخريات «سورة طه» وأشار لها في «القصص»، قال في «سورة طه»: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤] ولم يقل: لولا خلقت لنا عقولًا، ونصبت لنا أدلة، وركَّبت فينا فِطَرًا.

لم يقل شيئًا من هذا. وأشار في «القصص» بقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧]؛ لأنه قال: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ ولم يقل: لولا خلقت لنا عقولًا: وركزت فينا فطرة، ورتبت لنا أدلة.

لم يقل شيئًا من هذا. وقد صرَّح -جلَّ وعلا- بأن جميع أفواج النَّار الذين يدخلونها يوم القيامة أنهم جميعهم أنذرتهم الرسل في دار الدنيا، وقطعت أعذارهم قبل الموت، وذلك في قوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨، ٩] فقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ يدل على أن جميع الأفواج التي دخلت النار أنذرتهم الرسل في دار الدنيا، وقد صرَّح الله بذلك في «سورة الزمر» التي ذكر فيها القيامة كأنك تنظر إليها، قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] وكذلك لما قسم الله -جل وعلا- الخلائق قسمين في سورة فاطر جعل المسلمين ثلاث طوائف في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ

(٣٧١) أحمر
أسود

صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧] فقوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ ﴾ هو محل الشاهد و﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ عام لما تقرَّر في الأصول أن صيغ الموصولات أنها من صيغ العموم؛ لأن الموصول من المعلوم أنه يعم كل ما تشمله صلته كما هو معروف في محله.

وهذا معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ على القول الأول: بلسان الحال، وعلى الثاني: بلسان الحال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ أنت ربنا.

انتهى المراد:

ونحو هذا الكلام الذي ذُكِرَ عن الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» ذكر أيضًا في «أضواء البيان».

واجتزئ في هذا المقام بهذا القدر، والذي اختاره هو ما ذهب إليه سلف الأمة كالحبر الكريم ابن عباس وابن عمرو رضي الله تعالى عنهما ومن تبعهما، أما رأي الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو مرجوح عندي، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: معنى ذلك أنه عَزَّ وَجَلَّ أشهد بعضهم على بعض، فالنفس قد تطلق ويُراد بها الآخرون كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: ولا تلمزوا إخوانكم.

وكما قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ أي: بإخوانكم

وكما قال تعالى: (فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) أي: فليقتل بعضكم بعضًا....

وقال غيرهم: بل كلٌّ أقرَّ على نفسه بأنه يشهد لله عَزَّ وَجَلَّ بالواحدانية وبأنه لا شريك له.

وثمَّ قول آخر لبعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) أي: أنه عَزَّ وَجَلَّ أوجدهم وخلقهم شاهدين على أنفسهم بذلك مُقرين به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

(١) وقوله مجانب للصواب كما بينته.

(٣٧٢) أحمر
أسود

ثُمَّ قَالَ: (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ) أَيْ: أَوْجَدَهُمْ شَاهِدِينَ بِذَلِكَ، قَائِلِينَ لَهُ حَالًا وَقَالًا. وَالشَّهَادَةُ تَارَةً تَكُونُ بِالْقَوْلِ، كقوله: (قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا) الْآيَةَ، وَتَارَةً تَكُونُ حَالًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ) أَيْ: حَالُهُمْ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ لَا أَنَّهُمْ قَائِلُونَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ) كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ تَارَةً يَكُونُ بِالْقَالِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِالْحَالِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا هَذَا، أَنْ جَعَلَ هَذَا الْإِشْهَادَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي الْإِشْرَاكِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ هَذَا كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ لَكَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَذْكُرُهُ، لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: إِخْبَارُ الرَّسُولِ بِهِ كَافٍ فِي وُجُودِهِ، فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ. وَهَذَا جَعَلَ حُجَّةً مُسْتَقِلَّةً عَلَيْهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (أَن تَقُولُواْ) أَيْ: لِئَلَّا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا) أَيْ: [عَنِ] التَّوْحِيدِ (غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا) الْآيَةَ.

س: من القائل: ﴿شَهِدْنَا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن قائل ذلك هم بنو آدم، أقرَّ بعضُهم على بعضٍ وشهد بعضُهم على بعضٍ حين أشهد الله بعضَهم على بعضٍ.

الثاني: أنَّ قائل ذلك هم الملائكة فلمَّا قال الله ﷻ لبني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فقالت الملائكة حينئذٍ شهدنا، أي: شهدنا على إقراركم واعترافكم بالربوبية لله ﷻ يا بني آدم.

الثالث: أن قائل ذلك هو الله ﷻ.

الرابع: أن قائل ذلك هو الله ﷻ وملائكته عليهم السلام.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أننا أخذنا عليكم الميثاق وأشهدنا بعضكم على بعض، وكذلك شهدنا نحن عليكم وكذا شَهِدت عليكم الملائكةُ بأنكم أقررتم لله ﷻ بالواحدانية؛ لئلا تعتذروا يوم القيامة قائلين: إنا كنا لا نعلم ذلك، فقد كنا في غفلةٍ منه.

فها نحن قد ذكَّرناكم به في الدنيا مرة ثانية بعد أن أخذناه عليكم وأنتم في الأصلاب والظهور حتى لا تعتذروا يوم القيامة بقولكم: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾، وكذا حتى لا تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل فاتبعناهم وسرنا على نهجهم لجهلنا بالميثاق، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ أفتعذبنا بما فعل المبطلون الذين شهدوا بالباطل أن الله له شريك، وادعوا– باطلًا– أن الله ﷻ معه إله آخر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: شهدنا عليكم (١) أيها المقرُّون بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة: (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)، إنا كنا لا نعلم ذلك، وكنا في غفلة منه (أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ)، اتبعنا منهاجهم (أَفَتُهْلِكُنَا)، بإشراك من أشرك من أبائنا، واتباعنا منهاجَهم على جهل منا بالحق؟ ويعني بقوله: (بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ)، بما فعل الذين أبطلوا في دَعواهم إلهًا غير الله.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– وكما بيَّنا في هذه السورة قصص الأولين وما حلَّ بهم وما نزل، وكيف وأن العاقبة كانت للمتقين نبيِّن أيضًا العهود المأخوذة على عموم بني آدم وهم في أصلاب آبائهم لعل بني آدم الذين أشركوا يرجعوا عن شركهم إلى توحيد ربِّهم ﷻ وخالقهم جلَّ وعلا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة، وبيّنا فيها ما

---

(١) هذا مصيرٌ إلى أنه اختار الرأي القائل بأن (شَهِدْنَا) هي من قول الله عزَّ وجل أنه الشاهد على هذا الإقرار، وثمَّ- كما قدمت- أقوالًا أُخر.

(٣٧٤) أحمر
أسود

فعلنا بالأمم السالفة قبلَ قومك، وأحللنا بهم من المَثُلات بكفرهم وإشراكهم في عبادتي غيري، كذلك نفصل الآيات غيرِها ونبيّنها لقومك، لينزجروا ويرتدعوا، فينيبوا إلى طاعتي ويتوبوا من شركهم وكفرهم، فيرجعوا إلى الإيمان والإقرار بتوحيدي وإفراد الطاعة لي وترك عبادة ما سواي.

(٣٧٥) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ
أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ
فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٧٨ وَلَقَدْ
ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩

الكلمة	معناها
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾	وقصّ عليهم- اقرأ عليهم.
﴿نَبَأَ ﴾	خبر- قصة.
﴿ءَاتَيْنَٰهُ ﴾	أعطيناه- علمناه.
﴿ءَايَٰتِنَا ﴾	حججنا ودلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا (وقيل: المراد اسم الله الأعظم).
﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾	فخرج منها – تبرأ منها وتركها- نُزع منه العلم.
﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	فصيَّره الشيطان تابعًا له- استحوذ عليه وغلبه على أمره (مهما أمره الشيطان امتثل وأطاع).
الكلمة	معناها

(٣٧٦) أحمر
أسود

﴿أَخْلَدَ﴾	سكن- رضي بالدنيا ولذاتها.
﴿تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾	تطرده- تدفعه برجلك أو بحجرٍ.
﴿يَلْهَثْ﴾	يخرج لسانه من التعب والعطش.
﴿سَآءَ مَثَلًا﴾	قبح مثلهم- بئس مثلهم.
﴿ذَرَأْنَا﴾	خلقنا.
﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾	لا يفهمون- لا يعقلون.

س: لقد ذمَّ الله ﷻ حملة الكتاب الذين لا يعملون به والذي يتعمدون مخالفته شر ذمٍّ وضرب لهم شرَّ مثلٍ وضح ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ)، فضُرب لهم مثلٌ بالكلب.

۞ وكذا ضُرب لهم مثلٌ بالحمار قال تعالى: (مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ).

۞ وقال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ).

(٣٧٧) أحمر
أسود

خَبَرُ الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها

س: من هذا الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها؟

ج: لم يرد- فيما علمت- لهذا الرجل اسمٌ في كتاب الله ولا في الثابت الصحيح من سُنَّة رسول الله ﷺ، وإن كان أكثر أهل العلم عل أنه رجل من بني إسرائيل يُقال له بلعم [١]، وقال بعضهم: بلعام واختلفوا أيضًا في اسم أبيه هل هو (أَبر) [٢] أم أنه (باعر) أم أنه (باعوراء).

وقال آخرون من أهل العلم: إنه أمية بن أبي الصلت [٣] الذي كاد أن يسلم ولكنه كفر، وهو رجل من ثقيف وكل ذلك كما أسلفت لم يأت به نص من الكتاب العزيز أو السُّنة المباركة.

هذا، وقد وردت في شأن هذا الرجل الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها جملة آثار لا يثبت منها شيءٌ عن رسول الله ﷺ: وأغلبها مقطوعات (موقوفات على التابعين) ضعيفة الأسانيد أُورد بعضها، وأُعرض عن أغلبها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، يُقَدِّمُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ، بَعَثَهُ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى إِلَى مَلِكِ مَدْين يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ، فَأَقْطَعَهُ وَأَعْطَاهُ، فَتَبِعَ دِينَهُ وَتَرَكَ دِينَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأورد ابن كثير أثرًا بسندٍ ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وحكم عليه بالغرابة وفيه عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال: هو رجل أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها واحدة.

قال: فَلَكِ وَاحِدَةٌ، فَمَا الَّذِي تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اللهَ، فَجَعَلَهَا أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهَا رَغِبَتْ عَنْهُ، وَأَرَادَتْ شَيْئًا آخَرَ، فَدَعَا اللهُ أَنْ يَجْعَلَهَا كَلْبَةً، فَصَارَتْ كَلْبَةً،

(١، ٢) وقد صح هذا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبري وعبد الرزاق وغيرهم.

(٣) روي ذلك عن عبد الله بن عمرو. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الطبري وغيره.

(٣٧٨) أحمر
أسود

فَذَهَبَتْ دَعْوَتَانِ. فَجَاءَ بَنُوهَا فَقَالُوا: لَيْسَ بِنَا عَلَى هَذَا قَرَارٌ، قَدْ صَارَتْ أُمُّنَا كَلْبَةً يُعَيِّرُنَا النَّاسُ بِهَا، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا، فَدَعَا اللهَ، فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ، فَذَهَبَتِ الدَّعْوَاتُ الثَّلَاثُ، وَسُمِّيَتِ الْبَسُوسُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا نَزَلَ فِي أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، أَتَى قَوْمُ بَلْعَامَ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ جَاءَ يُخْرِجُنَا مِنْ بِلَادِنَا وَيَقْتُلُنَا وَيُحِلُّهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّا قَوْمُكَ، وَلَيْسَ لَنَا مَنْزِلٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، فَاخْرُجْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَيْلَكُمْ! نَبِيُّ اللهِ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، كَيْفَ أَذْهَبُ أَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا أَعْلَمُ؟! قَالُوا لَهُ: مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ! فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُرَقِّقُونَهُ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى فَتَنُوهُ فَافْتُتِنَ، فَرَكِبَ حَمَارَةً لَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي يُطْلِعُهُ عَلَى عَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ جَبَلُ حُسْبان، فَلَمَّا سَارَ عَلَيْهَا غَيْرَ كَثِيرٍ، رَبَضَتْ بِهِ، فنزل عنها فضربها، حتى إذا أَذْلَقَهَا قَامَتْ فَرَكِبَهَا. فَلَمْ تَسْرِ بِهِ كَثِيرًا حَتَّى رَبَضَتْ بِهِ، فَضَرَبَهَا حَتَّى إِذَا أَذْلَقَهَا أَذِنَ اللهُ لَهَا فَكَلَّمَتْهُ حُجَّةً عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: وَيْحَكَ يَا بَلْعَمُ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِي هَذَا؟ أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ لِتَدْعُوَ عَلَيْهِمْ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا يَضْرِبُهَا، فَخَلَّى اللهُ سَبِيلَهَا حِينَ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَتْ بِهِ عَلَى رَأْسِ حُسْبَانَ، عَلَى عَسْكَرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، جَعَلَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا يَدْعُو عَلَيْهِمْ بِشَرٍّ إِلَّا صَرَفَ اللهُ لِسَانَهُ إِلَى قَوْمِهِ، وَلَا يَدْعُو لِقَوْمِهِ بِخَيْرٍ إِلَّا صَرَفَ لِسَانَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَتَدْرِي يَا بَلْعَمُ مَا تَصْنَعُ؟ إِنَّمَا تَدْعُو لَهُمْ، وَتَدْعُو عَلَيْنَا! قَالَ: فَهَذَا مَا لَا أَمْلِكُ، هَذَا شَيْءٌ قَدْ غَلَبَ اللهُ عَلَيْهِ! قَالَ: وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ، فَسَأَمْكُرُ لَكُمْ وَأَحْتَالُ، جَمِّلُوا النِّسَاءَ وَأَعْطُوهُنَّ السِّلَعَ، ثُمَّ أَرْسِلُوهُنَّ إِلَى الْعَسْكَرِ يَبِعْنَهَا فِيهِ، وَمُرُوهُنَّ فَلَا تَمْنَعُ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا مِنْ رَجُلٍ أَرَادَهَا، فَإِنَّهُمْ إِنْ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدٌ كُفِيتموهم، فَفَعَلُوا. فَلَمَّا دَخَلَ النِّسَاءُ الْعَسْكَرَ، مَرَّتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ اسْمُهَا "كَسْبَى ابْنَةُ صُورَ، رَأْسِ أُمَّتِهِ" بِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ

(٣٧٩) أحمر
أسود

"زَمْرَى بْنُ شَلُومَ"، رَأْسُ سِبْطِ بَنِي سَمْعَانَ بْنِ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا حِينَ أَعْجَبَهُ جَمَالُهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا حَتَّى وَقَفَ بِهَا عَلَى مُوسَى، عليه السلام، فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّكَ سَتَقُولُ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ، لَا تَقْرَبْهَا. قَالَ: فَوَاللهِ لَا نُطِيعُكَ فِي هَذَا. ثُمَّ دَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا. وَأَرْسَلَ اللهُ، عز وجل، الطَّاعُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِنْحَاصُ بْنُ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ، صَاحِبَ أَمْرِ مُوسَى، وَكَانَ غَائِبًا حِينَ صَنَعَ زَمْرَى بْنُ شَلُومَ مَا صَنَعَ، فَجَاءَ وَالطَّاعُونُ يَجُوسُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ، فَأَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْقُبَّةَ وَهُمَا مُتَضَاجِعَانِ، فَانْتَظَمَهُمَا بِحَرْبَتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا رَافِعَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ، وَالْحَرْبَةُ قَدْ أَخَذَهَا بِذِرَاعِهِ، وَاعْتَمَدَ بِمِرْفَقِهِ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَسْنَدَ الْحَرْبَةَ إِلَى لَحْيَيْهِ -وَكَانَ بَكْرَ الْعَيْزَارِ- وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ. وَرُفِعَ الطَّاعُونُ، فَحُسِبَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الطَّاعُونِ فِيمَا بَيْنُ أَنْ أَصَابَ زَمْرَى الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ فِنْحَاصُ، فَوَجَدُوهُ قَدْ هَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا -وَالْمُقَلِّلُ لَهُمْ يَقُولُ: عِشْرُونَ أَلْفًا- فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ. فَمِنْ هُنَالِكَ تُعْطِي بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَدَ فِنْحَاصَ مِنْ كُلِّ ذَبِيحَةٍ ذَبَحُوهَا الْقُبَّةَ وَالذِّرَاعَ واللَّحَى -لِاعْتِمَادِهِ بِالْحَرْبَةِ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَخْذِهِ إِيَّاهَا بِذِرَاعِهِ، وَإِسْنَادِهِ إِيَّاهَا إِلَى لَحْيَيْهِ -وَالْبِكْرَ مِنْ كُلِّ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بَكْرَ أَبِيهِ الْعَيْزَارِ. فَفِي بَلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ أَنْزَلَ اللهُ: (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا) -إِلَى قَوْلِهِ: (لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ).

س: ما وجه القول القائل بأن أمية بن أبي الصلت هو الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها؟

ج: أشار بعض أهل العلم إلى أن أمية هذا كان قد حمل علمًا عن الأولين وعن الكتب السابقة، ولم ينفعه علمه ذلك، فقد كاد أن يُسلِم ولكنه انتكس وارتكس وضلَّ بعد ما تبين له الهدى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

بعد أن أورد قول ابن عمرو في أن الذي آتاه الله الآيات هو أمية بن أبي الصلت:

(٣٨٠) أحمر
أسود

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْهُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ يُشْبِهُهُ فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّصَلَ إِلَيْهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ الشَّرَائِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ فَإِنَّهُ أَدْرَكَ زَمَانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَلَغَتْهُ أَعْلَامُهُ وَآيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ وَظَهَرَتْ لِكُلِّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَمَعَ هَذَا اجْتَمَعَ بِهِ وَلَمْ يَتْبَعْهُ وَصَارَ إِلَى مُوَالَاةِ الْمُشْرِكِينَ وَمُنَاصَرَتِهِمْ وَامْتِدَاحِهِمْ وَرَثَى أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَرْثَاةٍ بَلِيغَةٍ قبحه الله. وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ مِمَّنْ آمَنَ لِسَانُهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ قَلْبُهُ فَإِنَّ لَهُ أَشْعَارًا رَبَّانِيَّةً وَحِكَمًا وَفَصَاحَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْرَحِ الله صدره للإسلام.

س: ما المراد بهذه الآيات التي آتاها الله ﷻ هذا الشخص؟

ج: قيل: هذه الآيات هي اسم الله الأعظم[١].

وقيل: إن هذه الآيات كتابٌ من كُتب الله ﷻ.

وقيل: إنها النبوة، وأرى هذا الرأي بعيدًا[٢] جدًّا عن الصواب.

وقيل: إنها الحجج الدلالات.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه كان مُجاب الدعوة، وكان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته، وهي "الآيات".

وقد دللنا على أن معنى "الآيات": الأدلة والأعلام، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته.

وجائز أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك "بلعم" =وجائز أن يكون أمية. وكذلك "الآيات" إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض

---

(١) صح عن ابن زيد عند الطبري انه كان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

(٢) قال الحافظ ابن كثير، وقوله حقٌّ في هذا المقام رَحِمَهُ اللهُ؛ وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح.

(٣٨١) أحمر
أسود

أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها؛ فجائز أن يكون الذي كان أوتيها "بلعم" وجائز أن يكون "أمية"، لأن "أمية" كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب.

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلوَ على قومه نبأه =أو بمعنى اسم الله الأعظم= أو بمعنى النبوّة =، فغير جائز أن يكون معنيًّا به "أمية"؛ لأن "أمية" لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك، ولا خبرَ بأيِّ ذلك المراد، وأيّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيِّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ.

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

وأما قوله: (فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا)، فإنه يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرّأ منها.

س: الذي يأتيه الأمر مِنْ أمرِ الله ﷻ فيعرض عنه وينصرف يتبعه الشيطان ويستحوذ عليه، وكذلك يصرف الله قلبه عن الإيمان، وكلما ازداد إعراضًا كلما زاده الله بعدًا، واتبعته الشياطين، دلَّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ).

فلما انسلخ من الآيات أتبعه الشيطان.

وقوله تعالى: (وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ).

وقوله تعالى: (ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ولو شئنا لرفعناه في الآخرة درجات عاليه بسبب العلم الذي آتيناه إيَّاه، فلو شئنا لَوَفَّقْنَاه للعمل بهذا العلم، وبذله فيما يقربه من الله ﷻ.

فيكون قوله: ﴿لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ أي في منازل الجنان في الآخرة بسبب ما علمناه من علم.

الثاني: أن المراد رفعة المنزلة في الدنيا والوجاهة في الدين.

الثالث: لرفعناه من هذا الانحطاط الذي وقع فيه بالآيات التي آتيناه إياها.

الرابع: لَنَزَّهنَاهُ عن قاذورات الحياة الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا)، أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها. والرفع يَعمُّ معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميلِ والثّناء الرفيع.

وجائزٌ أن يكون الله عنى كلَّ ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه.

وإذ كان ذلك جائزًا، فالصواب من القول فيه أن لا يخصَّ منه شيء، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبرٍ ولا عقلٍ.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن هذا الرجل الذي آتاه الله ﷻ الآيات فانسلخ منها رضي بالدنيَّة، وآثر الدنيا الفانية وملذاتها الزائلة على ما هو خيرٌ وأبقى فاختار الدنيا بدلًا من الآخرة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ) يَقُولُ

(٣٨٣) أحمر
أسود

تَعَالَى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ) أَيْ: لَرَفَعْنَاهُ مِنَ التَّدَنُّسِ عَنْ قَاذُورَاتِ الدُّنْيَا بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهُ إِيَّاهَا، (وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) أَيْ: مَالَ إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى لَذَّاتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَغَرَّتْهُ كَمَا غَرَّتْ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القول في تأويل قوله: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه (وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ)، يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة (وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ)، ورفض طاعة الله وخالَف أمرَه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ) يُرِيدُ بَلْعَامَ. أَيْ لَوْ شِئْنَا لَأَمَتْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يَعْصِيَ فَرَفَعْنَاهُ إِلَى الْجَنَّةِ. (بِهَا) أَيْ بِالْعَمَلِ بِهَا. (وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) أَيْ رَكَنَ إِلَيْهَا، عَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيِّ. مُجَاهِدٌ: سَكَنَ إِلَيْهَا، أَيْ سَكَنَ إِلَى لَذَّاتِهَا. وَأَصْلُ الْإِخْلَادِ اللُّزُومُ. يُقَالُ: أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ وَلَزِمَهُ. قَالَ زُهَيْرٌ:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتَهَا بِالْغَرْقَدِ ... كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلَدِ

يَعْنِي الْمُقِيمَ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى لَزِمَ لِذَّاتِ الْأَرْضِ فَعُبِّرَ عَنْهَا بِالْأَرْضِ، لِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. (وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ) أَيْ مَا زَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ. وَقِيلَ: كَانَ هَوَاهُ مَعَ الْكُفَّارِ. وَقِيلَ: اتَّبَعَ رِضَا زَوْجَتِهِ، وَكَانَتْ رَغِبَتْ فِي أَمْوَالٍ حَتَّى حَمَلَتْهُ عَلَى الدُّعَاءِ عَلَى مُوسَى.

س: وضح المثل المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾.

ج: المعنى -الله تعالى أعلم- أن مَثَل هذا الذي آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ الآيات فترك العمل بها وأهملها وخالفها كمثل الكلب فالكلب عن طردته أو دفعته بعضا أو بحجارةٍ يلهث وإن لم تطرده وتركته يلهث أيضًا فهو يلهث على كل حال وهكذا الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها، فإنه سواء عليه وُعِظ أمْ لَم يُوعظ لا يهتدي ولا ينتفع بالموعظة ولا عدمها.

(٣٨٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جَعَل الله مثَله كمثل الكلب.

فقال بعضهم: مثَّله به في اللهث، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك. فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الذي سواءٌ أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال.

ثم أورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ آثارًا في ذلك، ثم قال: وقال آخرون إنما مثَّله جل ثناؤه بالكلب لأنه يلهث كما يلهث الكلب.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: إنما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأنّ معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدَع اللهث في كلتا حالتيه.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب، لدلالة قوله تعالى: (ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ)، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته. وقد علمنا أن اللُّهَاث ليس في خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، (١) وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلوما بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله، مثلٌ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ) اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ فَأَمَّا عَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَالِمِ بن أبي النضر: أن بلعاما انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ -فَتَشْبِيهُهُ بِالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ إِنْ زُجِرَ وَإِنْ

(٣٨٥) أحمر
أسود

تُرِكَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلَهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ، وَعَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ وَعَدَمِ الدُّعَاءِ، كَالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي حَالَتَيْهِ، إن حَمَلْتَ عَلَيْهِ وَإِنَّ تَرَكْتَهُ، هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)، (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ) وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالضَّالِّ، ضَعِيفٌ فَارِغٌ مِنَ الْهُدَى، فَهُوَ كَثِيرُ الْوَجِيبِ فَعَبَّرَ عَنْ هَذَا بِهَذَا، نُقِلَ نَحْوُهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ ابتداء وخبر.

﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾ شرط وجوابه.

وهو في موضع الحال، أي فمثله كمثل الكلب لاهثًا، والمعنى: أنه على شيء واحد لا يرْعوِي عن المعصية؛ كمثل الكلب الذي هذه حالته، فالمعنى: أنه لاهث على كل حال، طردته أو لم تطرده.

قال ابن جُرَيْج:

الْكَلْبُ مُنْقَطِعُ الْفُؤَادِ، لَا فُؤَادَ لَهُ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ، كَذَلِكَ الَّذِي يَتْرُكُ الْهُدَى لَا فُؤَادَ لَهُ، وَإِنَّمَا فُؤَادُهُ مُنْقَطِعٌ.

قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: كُلُّ شي يَلْهَثُ فَإِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إِعْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ، إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْكَلَالِ وَحَالِ الرَّاحَةِ وَحَالِ الْمَرَضِ وَحَالِ الصِّحَّةِ وَحَالِ الرِّيِّ وَحَالِ الْعَطَشِ. فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَقَالَ: إِنْ وَعَظْتَهُ ضَلَّ وَإِنْ تَرَكْتَهُ ضَلَّ، فَهُوَ كَالْكَلْبِ إِنْ تَرَكْتَهُ لَهَثَ وإن طردته لهث، كقول تَعَالَى:(وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ) [الأعراف: ١٩٣].

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: لَهَثَ الْكَلْبُ" بِالْفَتْحِ" يَلْهَثُ لَهْثًا وَلُهَاثًا" بِالضَّمِّ" إِذَا أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنَ التَّعَبِ أَوِ العطش، وكذلك الرجل إذا أعيا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ) لِأَنَّكَ إِذَا حَمَلْتَ عَلَى الْكَلْبِ نَبَحَ وَوَلَّى هَارِبًا، وَإِذَا تَرَكْتَهُ شَدَّ عَلَيْكَ وَنَبَحَ، فَيُتْعِبُ نَفْسَهُ مُقْبِلًا عَلَيْكَ وَمُدْبِرًا عَنْكَ فَيَعْتَرِيهِ عِنْدَ

(٣٨٦) أحمر
أسود

ذَلِكَ مَا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ الْعَطَشِ مِنْ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ.

وقال القرطبي كذلك:

وَهَذَا الْمَثَلُ فِي قَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ فِي كُلِّ مُنَافِقٍ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) أَيْ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ بِدَابَّتِكَ أَوْ بِرِجْلِكَ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ. وَكَذَلِكَ مَنْ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَلَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هَذَا شَرُّ تَمْثِيلٍ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ حَتَّى صَارَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بِكَلْبٍ لَاهِثٍ أَبَدًا، حُمِلَ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ تَرْكَ اللَّهَثَانِ. وَقِيلَ: مِنْ أَخْلَاقِ الْكَلْبِ الْوُقُوعُ بِمَنْ لَمْ يُخِفْهُ عَلَى جِهَةِ الِابْتِدَاءِ بِالْجَفَاءِ، ثُمَّ تَهْدَأُ طَائِشَتُهُ بِنَيْلِ كُلِّ عِوَضٍ خَسِيسٍ. ضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِي قَبِلَ الرِّشْوَةَ فِي الدِّينِ حَتَّى انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

فَدَلَّتِ الْآيَةُ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا عَلَى أَلَّا يَغْتَرَّ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ، إِذْ لَا يَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ. وَدَلَّتْ عَلَى مَنْعِ أَخْذِ الرِّشْوَةِ لِإِبْطَالِ حَقٍّ أَوْ تَغْيِيرِهِ. وَقَدْ مَضَى بَيَانُهُ فِي "الْمَائِدَةِ". وَدَلَّتْ أَيْضًا عَلَى مَنْعِ التَّقْلِيدِ لِعَالِمٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يُبَيِّنُهَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَى هَذَا آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَوَجَبَ أَنْ يَخَافَ مِثْلَ هَذَا عَلَى غَيْرِهِ وَأَلَّا يَقْبَلَ مِنْهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ج: معناه، والله تعالى أعلم، ذلك المثل الذي قصصناه عليك، مثل الذي آتيناه الآيات فانسلخ منها من كونه شُبِّه بالكلب لعدم انتفاعه بالمواعظ، ومن كونه أصبح تابعًا للشيطان يُوجهْه كيف يشاء ويقوده حيث أراد، هذا المثل عامٌ في كل من لم تنفعه المواعظ ولم تُجدِ معه الذِكرى، مثلٌ مضروب لكل من كذَّب بآيات الله ﷻ.

فأخبر بني إسرائيل ومن بعدهم بهذه الأمثال وما هم إليه صائرون لعلهم يتفكرون فيها فيتعظون ويعتبرون.

(٣٨٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربتُه لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ القوم الذين كذبوا بحُججنا وأعلامنا وأدلَّتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلِخ من آياتنا الذي آتيناها إياه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: (فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ)، فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: فاقصص، يا محمد، هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا= على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحَّة نبوّتك، إذ كان نبأ (ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا) من خفيّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم. وفي علمك بذلك =وأنت أميٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم الحُجَّة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها، إلا بوحي من السماء.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ) يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: (فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ) أَيْ: لَعَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَالِمِينَ بِحَالِ بَلْعَامَ، وَمَا جَرَى لَهُ فِي إِضْلَالِ اللهِ إِيَّاهُ وَإِبْعَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِسَبَبِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ -فِي تَعْلِيمِهِ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ -فِي غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِ، بَلْ دَعَا بِهِ عَلَى حِزْبِ الرَّحْمَنِ، وَشِعْبِ الْإِيمَانِ، أَتْبَاعِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَلِيمِ اللهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ) أَيْ: فَيَحْذَرُوا أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَاهُمْ عِلْمًا، وَمَيَّزَهُمْ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَجَعَلَ بِأَيْدِيهِمْ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْرِفُونَهَا كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، فَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَمُنَاصَرَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَتْهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ بِذَلِكَ وَأَمَرَتْهُمْ بِهِ؛ وَلِهَذَا مَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ مَا فِي كِتَابِهِ وَكَتَمَهُ فَلَمْ يُعْلِمْ بِهِ الْعِبَادَ، أَحَلَّ اللهُ بِهِ ذُلًّا فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ.

(٣٨٨) أحمر
أسود

س: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتفكرون في ماذا؟

ج: يتفكرون في هذه القصص والأمثال التي ذكّرتهم بها، وكيف وأنت نبيٌّ أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب وتخبرهم بهذه الأخبار، فلعلهم بعد التفكر في هذا يصدقون بنبوتك ويسلمون ويتفكرون أيضًا في مصائرهم التي هم إليها صائرون إن استمروا على كفرهم وعنادهم وتكذيبهم وتركهم التوراة والعمل بها بعد أن أُوتُوها وحُمِّلوها وأُلْزِموا بما فيها.

س: جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله ﷻ تحث على التذكير بالقصص والأمر بذكرها، اذكر بعض الأدلة على ذلك، وكذا على فضل التذكير بها.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ).

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إلى غير ذلك من الأدلة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، بئس المثل ذلكم المثل المضروب للقوم

(٣٨٩) أحمر
أسود

المكذبين بآيات الله ﷻ، بئس المثل أن شبِّهوا بالكلاب التي إن حَملتُ عليها لهثت وإن تركتها لهثت، لقد كانوا- بتكذيبهم لآيات الله ﷻ- ظالمين لأنفسهم، وذلك ببخسها حقها وحرموها ما تنتفع به من الإيمان والتصديق والأمان وفسيح الجنان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ساءَ مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها، وأنفسَهم كانوا ينقصُون حظوظَها، ويبخسونها منافعها، بتكذيبهم بها لا غيرَها.

وقيل: (سَآءَ مَثَلًا) من السوء"، بمعنى: بئس مثلا مَثَل القوم وأقيم "القوم" مقام "المثل"، وحذف "المثل"، إذ كان الكلام مفهومًا معناه، كما قال جل ثناؤه: (وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ)، [البقرة: ١٧٧] فإن معناه: ولكن البرَّ، برُّ من آمن بالله =وقد بينا نظائر ذلك في مواضع غير هذا، بما أغنى عن إعادته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

سَاءَ مَثَلًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أَيْ: سَاءَ مَثَلُهُمْ أَنْ شُبِّهُوا بِالْكِلَابِ الَّتِي لَا هِمَّةَ لَهَا إِلَّا فِي تَحْصِيلِ أَكْلَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْ حَيِّزِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَأَقْبَلَ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، صَارَ شَبِيهًا بِالْكَلْبِ، وَبِئْسَ الْمَثَلُ مَثَلُهُ؛ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ[١] كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ».

وَقَوْلُهُ: (وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ)أَيْ: مَا ظَلَمَهُمُ اللهُ، وَلَكِنْ هُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْهُدَى، وَطَاعَةِ الْمَوْلَى، إِلَى الرُّكُونِ إِلَى دَارِ الْبِلَى، وَالْإِقْبَالِ عَلَى تَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ وَمُوَافَقَةِ الْهَوَى.

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىْ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

ج: الآية تفيد أن أمر الهداية بيد الله وموكول إلى الله ﷻ فمن يشأ الله أن يهديه هداه ووفقه لسلوك سبيل الطاعة والاستقامة وحبِّب ذلك إليه وزينه في قلبه، فتراه يطيع ربه وهو منشرح الصدر، وتراه يجتنب النواهي وهو منشرح الصدر أيضًا فهذا

(١) البخاري (٢٦٢٢).

هو المفلح الذي وُفق لسلوك سبيل الجنان. أما الذي يزيغه الله ﷻ ويصرفه عن الإيمان فهذا الذي خاب وخُذل وخسر وهلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الهداية والإضلال بيد الله، و(ٱلْمُهْتَدِىۖ) وهو السالك سبيل الحق، الراكبُ قصدَ المحجّة= في دينه، مَن هداه الله لذلك، فوفَّقه لإصابته. والضالُّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو "الخاسر": يعني الهالك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ هَدَاهُ اللهُ فَإِنَّهُ لَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ لَا مَحَالَةَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

ج: من الآيات الواردة في هذا المعنى ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾.

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»(١).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٣٩١) أحمر
أسود

وقوله ﷺ: « مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»[1].

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

ج: المعنى، ولقد خلقنا لجهنم كثيرًا من الجنِّ والإنس، فقدرنا عليهم قبل خلقهم أنهم من أهل النار وكتبنا عليهم ذلك، وهؤلاء، وإن كانت لهم قلوب، لكنهم لا يفهمون بهذه القلوب عن الله ﷻ مراده ولا يتفكرون بها ولا يتدبرون ولا يتعظون ولا ينتفعون ولا يعقلون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، وكذا لهم أعين لا يبصرون بها ما ينفعهم ويقربهم إلى الله ﷻ، ولا يستدلون بها على وحدانيته، وكذا لهم آذان لا يسمعون بها المواعظ ولا يسمعون بها ما ينتفعون به من الخير، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الأوصاف ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾ كالبهائم التي ليس لها همةٌ إلا الأكل والشرب والجماع، بل هم أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تفعل ما ينفعها وهؤلاء لا يفعلون ما ينفعهم، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن الآيات والحجج التي يُستدل بها على وحدانية الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقال جل ثناؤه: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ)، لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربِّهم.

وأما قوله: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)، فإن معناه: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله، فيعلموا توحيد ربِّهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم. فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم: (لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)، لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبُّر صحة [نبوّة] الرسل، وبُطُول الكفر.

وكذلك قوله: (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا)، معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى

(١) صحيح: وقد تقدم.

آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفسادِ ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله؛ فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحقّ، بأنهم لا يبصرون بها.

وكذلك قوله: (وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ)، آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: (لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [فصلت: ٢٦].

وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [البقرة: ١٧١]. والعرب تقول ذلك للتارك استعمالَ بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي السِّتْرُ
وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا ... سَمْعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم.

ومنه قول الآخر:

وَعَوْرَاءُ اللِّئَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا ... وَإِنِّي لَوْ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعُ
وَبَادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا ... وَقَدْ تَثِقَتْ مِنَ الْغَضَبِ الضُّلُوعُ

وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا:

يعني جل ثناؤه بقوله: (أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ)، هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم، هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يَصْلُح، ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر، فتميز بينهما.

فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكَّرون ما يرون بأبصارهم من حُججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه.

ثم قال: (بَلْ هُمْ أَضَلُّ)، يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذَرَأهم لجهنم، أشدُّ ذهابًا عن الحق، وألزم لطريق الباطل من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز، فتختار

(٣٩٣) أحمر
أسود

وتميز، وإنما هي مسَخَّرة، ومع ذلك تهرب من المضارِّ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح.

والذين وصفَ الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميِّزة بين المصالح والمضارّ، تترك ما فيه صلاحُ دنياها وآخرتها، وتطلب ما فيه مضارّها، فالبهائم منها أسدُّ، وهي منها أضل، كما وصفها به ربُّنا جل ثناؤه.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ)، يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم، القومُ الذين غفلوا =يعني: سهوًا عن آياتي وحُججي، وتركوا تدبُّرها والاعتبارَ بها والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها، لا البهائم التي قد عرّفها ربُّها ما سخَّرها له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) أَيْ: خَلَقْنَا وَجَعَلْنَا (لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ) أَيْ: هَيَّأْنَاهُمْ لَهَا، وَبِعَمَلِ أَهْلِهَا يَعْمَلُونَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلَائِقَ، عَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ كَوْنِهِمْ، فَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا[2]، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ خَالَتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، **ف**، أَنَّهَا قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جِنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لَهُ، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؟ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[3] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**».

---

(١) مسلم (٢٦٥٣).
(٢) مسلم (٢٦٦٢).
(٣) البخاري (٣٢٠)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣٩٤) أحمر
أسود

وَتَقَدَّمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ، قَالَ: «هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي».

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَمَسْأَلَةُ الْقَدَرِ كَبِيرَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ) يَعْنِي: لَيْسَ يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ سَبَبًا لِلْهِدَايَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) الآية.

وَقَالَ تَعَالَى: (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) هَذَا فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ، وَقَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ: (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) وَلَمْ يَكُونُوا صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا إِلَّا عَنِ الْهُدَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ).

وَقَالَ: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ)، وَقَالَ (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ) أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ وَلَا يَعُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَ الْهُدَى، كَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا تَنْتَفِعُ بِهَذِهِ الْحَوَاسِّ مِنْهَا إِلَّا فِي الَّذِي يَعِيشُهَا مِنْ ظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً) أَيْ: وَمَثَلُهُمْ -فِي حَالِ دُعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ- كَمَثَلِ الْأَنْعَامِ إِذَا دَعَاهَا رَاعِيهَا لَا تَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَلَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَؤُلَاءِ: (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) أَيْ: مِنَ الدَّوَابِّ؛ لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ مَعَ ذَلِكَ لِرَاعِيهَا إِذَا أَبَسَّ بِهَا، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهْ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ؛ وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْقَهُ مَا خُلِقَتْ لَهُ إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا، بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللَّهَ وَيُوَحِّدَهُ، فَكَفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ؛ وَلِهَذَا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنَ الْبَشَرِ كَانَ أَشْرَفَ مَنْ مِثْلِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي مَعَادِهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْبَشَرِ، كَانَتِ الدَّوَابُّ أَتَمَّ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ).

(٣٩٥) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠

الكلمة	معناها
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	جمع أحسن، والمعنى: ولله أحسن الأسماء.
﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾	فاسألوه بها- فاعبدوه بها- فاذكروه بها.
﴿يُلْحِدُونَ﴾	يميلون وينحرفون- يكذبون - يشركون.

باب مختصر في الأسماء الحسنى

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- ولله أحسن الأسماء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ أَسْمَاءَهُ بِالْحُسْنَى لِأَنَّهَا حَسَنَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِفْضَالِهِ. وَالْحُسْنَى مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ الْحُسْنى " فُعْلَى، مُؤَنَّثُ الْأَحْسَنِ، كَالْكُبْرَى تَأْنِيثُ الْأَكْبَرِ، وَالْجَمْعُ الْكُبَرُ وَالْحُسَنُ. وَعَلَى الْأَوَّلِ أُفْرِدَ كَمَا أُفْرِدَ وَصْفُ مَا لَا يَعْقِلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:(مَٰٓـَٔارِبُ أُخْرَىٰ) [طه: ١٨] و(يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ) [سبأ: ١٠].

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة سبب نزول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

ج: لا أعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزول صحيح، وما أورده القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الصدد عن مقاتلٍ وغيره لا يصح سنده. والله أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- فتعبدوه بها، واسألوه بها (أي متوسلين إليه بها ومُثنين عليه بها)، كقوله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾، وكقول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وكقول النبي ﷺ: «اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي»،

(٣٩٦) أحمر
أسود

وكما هو ملاحظ فإننا نختار من أسماء الله الحسنى اسمًا يوافق الدعوة التي نريدها والمسألة التي نرجوها.

ولا يسوغ أن نقول أن نقول اللهم أذل الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين إنما ندعوه في مثل ذلك باسمه القوي، أو اسمه العزيز، أو اسمه القادر، ونحو ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَٱدْعُوهُ بِهَا) أَيِ اطْلُبُوا مِنْهُ بِأَسْمَائِهِ، فَيُطْلَبُ بِكُلِّ اسْمٍ مَا يَلِيقُ بِهِ، تَقُولُ يَا رَحِيمُ ارْحَمْنِي، يَا حَكِيمُ احْكُمْ لِي، يَا رَازِقُ ارْزُقْنِي، يَا هادي اهْدِنِي، يَا فَتَّاحُ افْتَحْ لِي، يَا تَوَّابُ تُبْ عَلَيَّ، هَكَذَا. فَإِنْ دَعَوْتَ بِاسْمٍ عَامٍّ قُلْتُ: يَا مَالِكُ ارْحَمْنِي، يَا عَزِيزُ احْكُمْ لِي، يَا لَطِيفُ ارْزُقْنِي. وَإِنْ دَعَوْتَ بِالْأَعَمِّ الْأَعْظَمِ فَقُلْتَ: يَا أَللهُ، فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِكُلِّ اسْمٍ. وَلَا تَقُولُ: يَا رَزَّاقُ اهْدِنِي، إِلَّا أَنْ تُرِيدَ يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي الْخَيْرَ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَكَذَا، رَتِّبْ دُعَاءَكَ تَكُنْ مِنَ الْمُخْلِصِينَ.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– فاسألوه متوسلين إليه بها، ومن معانيها أيضًا فاعبدوه بها، ومن الأول يا رحيم ارحمني، ويا خير الرَّازقين ارزقني كقول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

س: ما المراد بالإلحاد في أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ؟

ج: للإلحاد في أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ صور، منها ما يلي:

۞ أخذ أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ مع الزيادة فيها والنقصان منها وإضفاء هذه الأسماء على آلهتهم، فكانوا يأخذون من لفظ الجلالة (الله) اسم اللات ويسمون بها صنمًا من أصنامهم ويأخذون من اسم الله العزيز لفظ (العزى) ويسمون بها صنمًا آخر ويأخذون من اسم الله المنان (مناة) ويسمون بها صنمًا ثالثًا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾

(٣٩٧) أحمر
أسود

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾.

۞ ومن الإلحاد في هذه الأسماء التكذيب بها، فمن العلماء من يطلق التكذيب على الإلحاد.

۞ ومن العلماء من يقول يلحدون أي يشركون.

۞ ومن الإلحاد العدول عن أسماء الله ﷻ والانحراف عنها وإنكارها قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾.

س: هل قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾، منسوخ؟ وما وجه القول بالنسخ؟

ج: أولًا: وجه القول بالنسخ أن قائله فَهِم من قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ أن معناه اتركوهم فلا تقاتلوهم، ومن ثم قال إن آية السيف ناسخة لهذا، والشأن في هذا- عنده- شأن الآيات الآمرة بالعفو والحاثة عليه.

ولكن هذا المفهوم الذي فُهم ليس في محله، وليس بصائب، والله أعلم.

إنما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ كالمعنى في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ المراد به التهدية.

وكالمعنى في قوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

وبنحو هذا الكلام قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد سعن ابن زيد بسندٍ صحيح في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر وقد نُسخ نسخه القتال، فتعقب الطبري هذا بقوله: ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ، لأن قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾، ليس بأمر من الله لنبيِّه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك، حتى يأذن له في قتالهم.

وإنما هو تهديدٌ من الله للملحدين في أسمائه، ووعيدٌ منه لهم، كما قال في موضع آخر: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ الآية، [الحجر: ٣]، وكقوله: ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٦].

وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: أنْ مَهِّل الذين

يلحدون، يا محمد، في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون، إذا جاءهم أجل الله الذي أجَّلهم إليه، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك، من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله.

س: ما صحَّة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعًا وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ». وكذا ما مدى صحَّة الزيادة التي أخرجها الترمذي من طريق الوليد ابن مسلم وفيها: «هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ....» وفيها تعديد أسماء الله ﷻ؟

ج: أما الحديث فثابتٌ في الصحيحين وغيرهما ألا وهو: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعًا وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»(١).

أما هذه الزيادة التي فيها تعديد هذه الأسماء وبيانها فهي زيادة ضعيفة لا تثبت عن رسول الله ﷺ، وقد أعلَّها جماهير المُحدِّثين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وَالَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ أَنَّ سَرْدَ الْأَسْمَاءِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُدْرَجٌ فِيهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَمَا رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْعَانِيُّ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ، أَيْ: أنهم جمعوها من القرآن كما رود عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَأَبِي زَيْدٍ اللُّغَوِيِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

۞ وقال الترمذي بعد إخراجه الحديث: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسنادًا صحيحًا ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روي آدم ابن أبي إياس هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح(٢).

قلت (مصطفى): وكما هو معلوم فإن البخاري ومسلم أخرجا أصل الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعًا وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ

---

(١) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) الترمذي (٣٥٠٧).

الْوِتْرَ». ولم يُوردا تعديد الأسماء.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[١]:

وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج.

س: ما مدى صحة الحديث الذي فيه: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ....» الحديث؟

ج: الحديث في سنده راوٍ يقال له أبو سلمة، وهناك أبو سلمة رجل مجهول لا يُدْري من هو، وأبو سلمة الجهني، وهو ثقة، والأقرب ها هنا أنه المجهول.

والمتابعات التي له تالفة، فالأقرب لديَّ الآن أن الحديث لا يثبت سنده. وإن كنت في بعض المواطن حكمت على سنده بالصحة والله أعلم.

هذا، والحديث أخرجه[٢] الإمام أحمد وغيره من طريق أبي سملة هذا عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فقال.....» الحديث.

هذا، وإن كان هناك أيضًا بعض الكلام في سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه لكني أرى هذا الأخير غير مؤثر، والله أعلم.

س: هل أسماء الله الحسنى تنحصر في تسعة وتسعين أم أن لله عَزَّ وَجَلَّ أسماء حسنى أكثر من ذلك؟

ج: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ[٣] عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثِ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ

---

(١) فتح الباري شرح حديث (٦٤١٠) (جـ ١١/ ٢١٩)، وذكر الحافظ هنالك كلامًا طويلًا في هذا الصدد فليراجعه من شاء.

(٢) أحمد في المسند (١/ ٣٩١/ ٤٥٢) وغيره.

(٣) وفي نقل الاتفاق نظر، والأحوط أن يُقال: إن الجمهور على هذا- لما سيأتي من قول الحافظ ابن حجر

لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةُ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارُ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ.

قلت (مصطفى): ومن حجج العلماء على ذلك قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «فَيَفْتَحُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعٍ مِنَ المَحَامِدِ والثَّنَاءَاتِ لَا أَحْصِيهَا الآنَ».

وكذا الحديث الذي فيه...أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ....ففيه: «**أَو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**». والله أعلم.

لكن قد نقل الحافظ ابن حجر خلافًا فقال: وقد اختلف في هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟ فذهب الجمهور إلى الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه.

س: هل حُصرت الأسماء الحسنى التسعة والتسعين في خير ثابتٍ عن رسول الله ﷺ وإذا لم تكن حُصرت فهل لأحدٍ أن يدعي أنه جمعها ولا يخالفه مخالف؟

ج: لم أقف على سندٍ ثابت عن رسول الله ﷺ فيه جمع الأسماء التسعة والتسعين.

ويصعب أن يدعى أحدٌ أنه جمعها كلها ولم يخطئ، وذلك لأن الأسماء الحسنى –كما هو معلوم– تؤخذ من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة.

وهناك للعلماء بعض الاختلافات في كيفية استخراج الأسماء من الكتاب والسنة، فعلى سبيل المثال:

الإضافات هل يؤخذ منها أسماء أم لا، وذلك كقوله تعالى: ﴿خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ هل يؤخذ منها، اسم الناصر أم لا؟

وكذا ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ثم لماذا لم يؤخذ ذلك من ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ إن قُرر في الأولين رأي؟

وكذلك الأفعال هل تشتق منها أسماء أم لا، مثاله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هل

= رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤٠١) أحمر
أسود

يؤخذ منها اسم المنُعم؟ وكذا: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ هل يؤخذ منها اسم المعز والمذل أم لا؟

وفي السنة كذلك هناك بعض الأحاديث التي استخرجت منها أسماء، وقد نوزع في صحة هذه الأحاديث كحديث: «إنَّ اللهَ حَييٌّ سِتِّير» فمن صحح الحديث استخرج اسم الحي، والسِّتير، ومن ضعفه لم يعتمد الاسمين.

وكذا الأحاديث التي وردت فيها صفات كقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحبُ الجَمالُ**».

هل يؤخذ منها اسم الجميل أم لا؟ وكذا: «**إنَّ اللهَ طَيبٌ لا يقْبَلُ إلاَّ طيبًا**» هل يؤخذ منها اسم الطيب أم لا؟ وكذا: «**هُوَ وِتْرٌ يُحبُ الوِتْرَ**» هل يؤخذ منها اسم الوتر أم لا؟ إلى غير ذلك من أسباب الاختلافات في تحديد الأسماء.

فالذي يمكن أن نلخصه، وبالله التوفيق حاصله:

أن هناك أسماء حسنى لله ﷻ متفق عليها كـ (الله) الرحمن الرحيم، والملك القدوس السلام المؤمن المهيمن....إلى غير ذلك مما ورد به النص الصريح الصحيح.

وأسماء مُنَازَعٌ في صحتها.

وأسماء الراجح أنها ليست بأسماء لعدم وجود دليل عليها والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى:

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٨١
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢
وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم
مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥ مَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي
لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا
تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ
ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ
لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨٨

الكلمة	معناها
﴿أُمَّةٌ﴾	جماعة.
﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾	يهتدون بالحق- يقولون الحق ويدعون الناس إليه ويعملون به.
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يأخذون ويعطون بالحق ويقضون به- يُنصفون الناس- يعملون.

(٤٠٣) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾	سنقربهم مما يحبون درجة بعد درجة ونعطيهم من الدنيا قدرًا مما يحبون.
﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾	أؤخرهم- أؤخر عقوبتهم- أطيل لهم المدة في النعيم.
﴿كَيْدِي﴾	مكري.
﴿مَتِينٌ﴾	قويٌّ شديد.
﴿جِنَّةٍ﴾	جنون- خبل- به مسٌّ من الجنون.
﴿مَلَكُوتِ﴾	ملك (الله) – سلطان (الله).
﴿وَيَذَرُهُمْ﴾	يتركهم.
﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾	تجاوزهم للحد- وتكبرهم وتعاليهم على أمر الله ﷻ.
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يتحيرون- يترددون وقيل: العمه: عمى القلب.
﴿أَيَّانَ﴾	متى.
﴿مُرْسَىٰهَا﴾	قيامها-منتهاها.
﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾	لا يرسلها لوقتها- لا يأتي بها في وقتها- لا يظهرها في وقتها- لا يعلم جلية أمرها وزمن وقوعها.
﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	ثقل علمها على أهل السموات والأرض – ثقل على أهل السموات والأرض العلم بها لخفائها واستتار الناس بها – كبرت.
﴿بَغْتَةً﴾	فجأة.
﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾	أكثرت من السؤال عنها حتى علمت وقتها، فالإحفاء: كثرة السؤال- صديق لهم وحفيٌّ بهم تربطك بهم مودة وصداقة (يظنونه صديقًا؛ لهم لما بينهم وبينه من القرابة) - عالم بها - لطيف بها.
﴿مَسَّنِيَ﴾	أصابني.

س: من هؤلاء القوم الذين عناهم الله بقوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن هؤلاء القوم هم أمةُ محمد ﷺ وقد ورد بذلك خبرٌ حسن الإسناد عن قتادة ولكنه بلاغٌ أخرجه الطبري[1] بسنده إلى قتاده قال قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هَذِهِ لَكُم، وَقَدْ أُعْطِي القَوْمُ بَينَ أَيْدِيكُم مِثْلَهَا: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾».

ولكن سند هذا الخبر ضعيف، فلا يُدري عمن أخذه قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن كان معنى الأثر صحيحًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، هِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ. وأورد أثر قتادة المتقدم، وكذا أثرًا ضعيف الإسناد من طريق الربيع بن أنس مرفوعًا، ولكنه عقب ذلك بحديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، وفيه قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» وَفِي رِوَايَةٍ «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[2].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ج: المعنى، والله أعلم، والذين أنكروا آياتنا وجحدوها وزعموا أنها كذبٌ واختلاط سنقربهم مما يريدون في الدنيا درجة بعد درجة، ونعطيهم مما يحبون شيئًا بعد شيءٍ ونقربهم من العقاب- وهم لا يشعرون أنهم يقتربون منه – شيئًا بعد الشيء ثم نوقعهم في أليم العقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامِنا، فجحدوها ولم يتذكروا بها،

---

(١) الطبري (١٥٤٧١).

(٢) البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٤٠٥) أحمر
أسود

سنمهله بغِرَّته ونزين له سوء عمله، حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن، وحتى يبلغ الغايةَ التي كُتِبَتْ له من المَهَل، ثم يأخذه بأعماله السيئة، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدَّ له. وذلك استدراج الله إياه.

وأصل "الاستدراج" اغترارُ المستدرَج بلطف من [استدرجه]، حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: (وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ) وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَوُجُوهَ الْمَعَاشِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَغْتَرُّوا بِمَا هُمْ فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ) أَيْ: وَسَأُمْلِي لَهُمْ، أُطَوِّلُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ (إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ) أَيْ: قوي شديد.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أَنَّهُ سَيَسْتَدْرِجُهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس: هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ. وَالِاسْتِدْرَاجُ هُوَ الْأَخْذُ بِالتَّدْرِيجِ، مَنْزِلَةً بَعْدَ مَنْزِلَةٍ.

وَالدَّرَج: لَفُّ الشَّيْءِ، يُقَالُ: أَدْرَجْتُهُ وَدَرَّجْتُهُ.

وَمِنْهُ أُدْرِجَ الْمَيِّتُ فِي أَكْفَانِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الدَّرَجَةِ، فَالِاسْتِدْرَاجُ أَنْ يَحُطَّ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ إِلَى الْمَقْصُودِ.

قَالَ الضَّحَّاكُ: كُلَّمَا جَدَّدُوا لَنَا مَعْصِيَةً جَدَّدْنَا لَهُمْ نِعْمَةً.

وَقِيلَ لِذِي النُّونِ: ما أقصى ما يخدع به العبد؟ قَالَ: بِالْأَلْطَافِ وَالْكَرَامَاتِ، لِذَلِكَ قَالَ: (سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ) نُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَنُنْسِيهِمُ الشُّكْرَ، وَأَنْشَدُوا:

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ

وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صفو الليالي يحدث الكدر

(٤٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾.

ج: معنى ذلك، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ أخبر أنه يؤخر المكذبين الجاحدين ويتركهم فيما هم فيه من التمرد والعصيان، فيقترفوا الجرائم والكبائر والمعاصي التي يستحقون بها أليم العقاب، وهو في كل ذلك ليس بغافل عنهم، بل يُدبِّر لهم ويكيد لهم ويمكر بهم، فمكره بهم أليم، وكيده لهم شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأُؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا. [وأصل "الإملاء" من قولهم: "مضى عليه مليٌّ، ومِلاوَة ومُلاوَة]، ومَلاوة" = بالكسر والضم والفتح = "من الدهر"، وهي الحين، ومنه قيل: انتظرتُك مليًّا.

ليبلغوا بمعصيتهم ربهم، المقدارَ الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه. (إِنَّ كَيْدِي). والكيد: هو المكر. وقوله: (مَتِينٌ)، يعني: قويٌّ شديدٌ، ومنه قول الشاعر:

عدلن عدول الناس وأقبح يَبْتَلِي ... أَفَانِينَ مِنْ أُلْهُوبِ شَدٍّ مُمَاتِنِ

يعني: سيرًا شديدًا باقيًا لا ينقطع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

ج: أرى، والله تعالى أعلم، أن الوقف على قوله: ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾ حسنٌ كما أشار القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعليه المعنى، والله أعلم: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآياتنا والجاحدين لها والذين وصفوا رسول الله ﷺ كذبًا وزورًا أنه مجنون، أولم يتفكر هؤلاء في هذا الرسول الذي بعث فيهم وهو منهم، وقد كان فيهم صادقًا أمينًا عاقلًا رشيدًا سديدًا؟ وكذا أولم يتفكروا فيما يقوله هذا النبي ﷺ وفيما يدعوا إليه؟!!

إنه لا يقول إلا حقًّا ولا يُخبر إلا صدقًا، وما هو إلا نذير ينذركم العذاب ويحذركم النار ﴿مُّبِينٌ﴾ مظهر موضح العواقب الأمور التي أنتم عليها مقبلون، وقد أبان لكم وأوضح ما أُعد لكم من أليم العقاب إن أنتم بقيتم على كفركم وشرككم وتكذيبكم.

(٤٠٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم لا جنَّة به ولا خَبَل، وأن الذي دعاهم إليه هو الرأي الصحيح، والذين القويم، والحق المبين؟

ويعني بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ما هو إلا نذيرٌ ينذركم عقاب الله على كفركم به، إن لم تنيبوا إلى الإيمان به.

ويعني بقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾، قد أبان لكم، أيها الناس، إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ تَعَالَى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا (مَا بِصَاحِبِهِم) يَعْنِي مُحَمَّدًا -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ (مِّن جِنَّةٍ) أَيْ: لَيْسَ بِهِ جُنُونٌ، بَلْ هُوَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا دَعَا إِلَى حَقٍّ، (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أَيْ: ظَاهِرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَلُبٌّ يَعْقِلُ بِهِ وَيَعِي بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ)، وَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يَقُولُ إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ، لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبٌ وَلَا عِنَادٌ، (مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) أَيْ: مُجْتَمِعِينَ وَمُتَفَرِّقِينَ، (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فِي هَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِالرِّسَالَةِ مِنَ اللهِ: أَبِهِ جُنُونٌ أَمْ لَا؟ فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، بَانَ لَكُمْ وَظَهَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي فيما جاءهم به محمد ﷺ. والوقف على ﴿تَتَفَكَّرُوا﴾ حسن. ثم قال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ردّ لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقيل: نزلت بسبب أن رسول الله ﷺ قام ليلة على الصّفا يدعو قريشًا، فخِذًا فخذًا؛ فيقول: «يَابَنِي فُلان». يحذرهم بأس الله وعقابه.

فقال قائلهم: إن صاحبهم هذا لمجنون، بات يصّوت حتى الصباح.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله الجاحدون لنبوة رسول الله ﷺ أولم ينظروا بعين الاعتبار والتفكر والتدبر إلى ما في السموات والأرض من آيات، إلى سلطان الله ﷻ في السموات والأرض، وأن كل ما فيها مسخرٌ له ﷻ وكل ما فيها يدبره الله ﷻ، وكل ما فيها دالٌّ على وحدانيته ؟

أولم يتفكر هؤلاء الغافلون الجاحدون في مصائرهم التي هم إليها صائرون فقد يأتيهم الموت فجأة وهم لا يشعرون؟

فبأي حديث بعد هذا القرآن الذي تلاه عليهم رسول الله ﷺ مُذكِّرا ومحذرًا يؤمنون إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن بتلاوة هذا الرسول الكريم؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله، في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمنْ لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْلِ من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذرُوا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ)، يقول: فبأيّ تخويفٍ وتحذير ترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبِه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه، يصدِّقون، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله تعالى؟

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية واستحباب النظر إلى آيات الله ﷻ والاستدلال بها على وحدانيته ﷻ وعلى قدرته؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا

(٤٠٩) أحمر
أسود

يُؤْمِنُونَ). قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ). قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ).

س: في الآية الكريمة: ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾ ردٌّ على القدرية وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن القدرية ينفون أن يكون اللهُ ﷻ أضل أحدًا والآية تثبت أن الذي يضله الله فلن يهتدي، فتثبت أن الله ﷻ يُضلُّ كما قال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾.

ج: هذه الآية الكريمة فيها مواساة لرسول الله ﷺ وتصبير له، وكذا مواساةٌ لأهل الإيمان وتصبيرٌ لهم، وذلك حتى لا يحزنوا ولا يأسفوا ولا تذهب أنفسهم حسرات على أهل الكفر المعرضين عن الإيمان، فيخبر الله ﷻ رسولَه ﷺ وأهل الإيمان وغيرهم أن أمر الهداية موكولٌ إلى الله ﷻ، إن شاء هدى الناس وإن شاء أضلهم، ومن يضلُّه الله ﷻ فلن يستطيع أحدٌ قط أن يهديه مهما جاءته من الآيات ومهما رأى من البينات، وهؤلاء الذين أراد الله أن يضلهم وأضلهم كما أراد يتركهم ربنا فيما هم فيه من الكبر والعناد والظلم والعتو والفجور يتحيرون ويترددون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها، لإضلال الله إياهم، ولو هداهم الله لاعتبرُوا وتدبَّروا فأبصروا رُشْدهم؛ ولكن الله أضلَّهم، فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلا ومن أضلَّه عن الرشاد فلا هادي له إليه، ولكن الله يدعهم في تَمَاديهم في كفرهم، وتمرُّدهم في شركهم، يترددون، ليستوجبوا الغايةَ التي كتبها الله لهم من عُقوبته وأليم نكاله.

(٤١٠) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: من كُتِبَ عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد، ولو نظر لنفسه فيما نظر، فإنه لا يجزي عنه شيئًا ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وكما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ﴾.

ج: من الآيات في معناها قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

س: من السائلون عن الساعة؟

ج: سأل عن الساعة أقوام كثيرون.

فقد سأل عنها مشركو قريش، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وسأل عنها جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) إذ جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ففي الحديث: «.... **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟** قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**...».

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يومًا

(١) مسلم (حديث ٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤١١) أحمر
أسود

بارزًا للناس فأتاه رجل فقال....يا رسول الله متى الساعة؟ قال: « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[١].

وسأل عنها الأعرابيُّ رسول الله ﷺ فقال: متى السَّاعَةُ؟ قال لهُ رسُولُ الله ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» حُبَّ الله ورَسُولِهِ. قالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبتَ».

وفي رواية في الصحيح كذلك عن أنس بن مالك. قال: جاء رجُلٌ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟» قَالَ حُبَّ اللهَ وَرَسُولِهِ. قال: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَس: فَمَا فَرِحنَا، بَعْدَ الإسلام، فَرحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النبيِّ ﷺ: « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ». قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسُولَهُ. وأبا بكر وعمر. فأرجو أن أكون معهم. وإنْ لم أعمَلْ بأعمَالهم[٢].

وسأل عنها عموم الناس: قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ).

ج: المعنى –والله تعالى أعلم- يسألك الناس عن وقت قيام الساعة متى وقت قيامها فأخبر هؤلاء السائلين عن الساعة أنه لا علم لك بوقت قيامها، فإن العلم بذلك موكولٌ إلى الله ﷻ لا يعلمه أحد سواه، ولا يظهرها في وقتها الذي قَدَّر الله وقوعها فيه إلا الله ﷻ.

---

(١) البخاري (حديث ٥٠) ومسلم (حديث ٩).
(٢) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

الساعة لا يعلمها إلا الله

س: اذكر بعض الأدلة على استئثار الله ﷻ بعلم الساعة، وأن لا يعلمها أحد سواه لا مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل ولا غير ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾.

قوله ﷺ: لما سئل عن الساعة قال: « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** »[1].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ثقل علمها على أهل السموات والأرض.

أي ثقل على أهل السموات والأرض العلم بها وبوقت وقوعها، وذلك لاستئثار الله ﷻ بالعلم بها.

الثاني: كَبُرت على أهل السموات والأرض، وشق عليهم قيامها، فما من أحدٍ إلا ويصيبه من ضررٍ يوم القيامة.

بعض علامات الساعة الصغرى والكبرى

س: هل لمجئ الساعة مقدمات وعلامات؟

ج: نعم لمجيء الساعة مقدمات وعلامات، وأشراط صغرى وكبرى.

فمن الأشراط الصغرى:

على سبيل المثال لا الحصر- كثرة التبرج، وذهاب الصالحين، وانتشار الجهل،

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

ورفع العلم، ونقض عرى الإسلام عروة عروة وتفشي الزنا وانتشاره حتى في الطرقات، وأن تلد الأمة ربتها، وأن يُرى الحفاة العراة العالة رعاء البُهم يتطاولون في البنيان وأن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة، وكثرة المال وكثرة الزلازل والفتن، وكثرة القتل، وتقارب الأسواق، وفشو الكذب والتباهي في المساجد، وكثرة الشرط المؤذين للعباد،وانحسار الفرات على كنز من ذهب، وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعضاه، ورجل يُقال له الجهجاه، وتكليم الحجر والشجر للإنسان، بل والسباع كذلك، وكذا يخبره سوطه بالذي أحدث أهله من بعده إلى غير ذلك.

أما الأشراط الكبرى:

فمنها الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض تكلِّم الناس ونار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وريح لينة تقبض أرواح أهل الإيمان، والله أعلم.

وكل ذلك قد بسطته –مع تخريجه والحكم على أسانيده في كتابي «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة» لمن أراد ذلك والمزيد منه. والله أعلم.

س: ما معنى الحديث الوارد عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ وعنده غلام من الأنصار يُقال له محمد: « ن يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَلَّا يُدْرِكَهُ الهَرَم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، وهل هذا الحديث صحيح؟ ومن أخرجه؟

ج: نعم، الحديث صحيح، وقد أخرجه مسلم[1] واللفظ له، في صحيحه، وله طرق أُخر بمعناه وقوله: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» محمول على ما ورد في رواية عائشة: «إِنَّ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ »[2].

فيكون قوله: « حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » موضح بقوله: «حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٩٣).

(٢) مسلم (٢٩٥٢)، والبخاري (٦٥١١).

(٤١٤) أحمر
أسود

ويكون الخطاب حينئذٍ موجه لأصحاب رسول الله ﷺ، أي أن المعنى: أن كلكم يا من أنتم متواجدون أمامي ستقوم ساعتكم (أي: ستموتون) إذا بلغ هذا الغلام الهرم (أي الكبر).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني بذلك: موتهم الذي يُفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة.

أما حديث عائشة **ف** فلفظه[١]: عَنْ عَائِشَةَ، **ف**، قَالَتْ: كَانَتِ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَنَظَرَ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: «**إِنَّ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**».

وحديث أنس عند مسلم[٢] أيضًا وفيه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أن يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَلَّا يُدْرِكَهُ الهَرَم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

هذا، وعند مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ: «**مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ**».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً صَلَاةَ العِشَاءِ، وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ العَتَمَةَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ**».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ، فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ**» يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ.

---

(١) مسلم (٢٩٥٢).
(٢) مسلم (٢٩٥٣).
(٣) مسلم (٢٥٣٨).
(٤) البخاري حديث (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) واللفظ له.

(٤١٥) أحمر
أسود

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن في الآية الكريمة تقديم وتأخير، قالوا: فالمعنى يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم.

أي: يسألونك عن الساعة كأنهم أصدقاء لك تربطك بهم مودةٌ وقرابةٌ ومحبة، ولقرابتك بهم ولمودتك لهم ومحبتك لهم ستخبرهم بها وتخصهم بالعلم بها.

الثاني: يسألونك كأنك لقربك من ربك ﷻ- سألته كثيرًا عنها فأخبرك بها وأسرَّ إليك بوقت قيامها.

الثالث: يسألونك عنها كأنك عالم بها لطيف بها (تعلم بالضبط وقت قيامها).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَفِيهِ أَنَّهُ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ هَذَا الَّذِي لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى عِلْمِهِ، أَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا هُوَ الْأَهَمُّ فِي حَقِّهِمْ، وَهُوَ الِاسْتِعْدَادُ لِوُقُوعِ ذَلِكَ، وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا تَعْيِينَ وَقْتِهِ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَهَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ سَيِّدُ الرُّسُلِ وَخَاتَمُهُمْ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَالْعَاقِبُ والمُقَفَّي، وَالْحَاشِرُ الَّذِي تُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيْهِ، مَعَ قَوْلِهِ فِيمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»(١) وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ، قَدْ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرُد عِلْمَ وَقْتِ السَّاعَةِ إِلَيْهِ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء السائلين عن الساعة والذين يظنون أنك على علم بها ويسألونك كأنك حفيٌّ عنها، قل لهم: إنما العلم

(١) مسلم (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، والبخاري (٤٩٣٦، ٦٥٠٤).

(٤١٦) أحمر
أسود

بوقت قيام الساعة عند الله لا يعلمها إلا هو ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله، بل يظنون أن من البشر من عنده علمٌ بها، أو أن بعض الخلق عندهم علمٌ به.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول للسائلين عن الساعة والذين يظنون أنك على علم بوقت قيامها: إنني فضلًا عن عدم معرفتي بوقت قيام الساعة لا أملك لنفسي جلب خيرٍ أو دفع ضُرٍّ عنها إلا إذا أعانني الله على فعل الخير، وصرف عني الضُّر، وإن لم يعيني الله على دفع الضر وفعل الخير فإني لا أستطيع ذلك.

وأيضًا فإنني لو كانت أعلم ما سيكون لأعددت له عدةً وعملت ما سيكون فيه الخير وازددت من ذلك واتقيت ما سيكون فيه الشر واجتنبته، وكإيضاح لهذا الأخير أقول إن من ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

۞ لو كنت أني أنني في حروبي سأنتصر لأقدمت على الحرب ولو كنت أعلم أنني لن أنتصر لن أقوم عليها ولن أُعرض نفسي للهزيمة.

۞ ولو كنت أعلم أنني سأربح في هذه التجارة لاتجرت فيها، وإلا لصرفت نفسي عنها.

۞ ولو كنت أعلم أن هذا الطعام يضرني أكلُه ما أكلته.

ولو كنت أعلم أن السنة المقبلة مُجدبةٌ لأعددت لها ولعرفت الغلاء من الرخص واستعددت له في الرخص.

وأورد الحافظ ابن كثيرًا خ أثرًا عن مجاهد:

وتعقبه ابن كثير مُضعفًا له ألا وهو: (لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملًا صالحًا).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ عَمَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ دَيمة. وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، فَجَمِيعُ عَمَلِهِ كَانَ عَلَى مِنْوَالٍ وَاحِدٍ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ،

(٤١٧) أحمر
أسود

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ المرادُ أَنْ يُرْشِدَ غَيْرَهُ إِلَى الِاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

أما قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فمعناه، والله أعلم: ما أنا إلا نذيرٌ لأهل الإيمان أحذرهم عقوبة المخالفة، وبشير لهم أُبشرهم بفسيح الجنان إن هم أطاعوا الرحمن ع.

س: كيف قيل ها هنا: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ومعلوم أن رسولنا محمدًا ﷺ نذير وبشير للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم؟

ج: الجواب على ذلك، والله أعلم بالصواب- أن أهل الإيمان لما كانوا هم المنتفعون بالنذارة وبالبشارة وكانوا هم المستفيدين من مبعث النبي ﷺ، فمن ثَمَّ قال: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وإلا فالإنذار للجميع قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وأحيانًا يُخصُّ به العصاة لمزيدٍ من الزجر، كما أن البشارة أحيانًا تخص بأهل الإيمان لحثهم على الخير، كما في الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا﴾.

(٤١٨) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا
أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ
ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا
يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ
سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ
١٩٥ إِنَّ وَلِيِّـَۧ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ
١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٩٨

الكلمة	معناها
﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾	ليألفها ويغشاها ويسكن بها.
﴿تَغَشَّىٰهَا﴾	معنى تغشاها: غطاها وتدثرها لقضاء حاجته منها، والمراد – هنا–: جامعها.
﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾	استمرت بالحمل الخفيف فقامت به وقعدت استمر حملها شكّت فيه أحملت أم لا.
﴿أَثۡقَلَت﴾	صار الحمل ثقيلًا في بطنها واقتربت ولادتها.
﴿ءَاتَيۡتَنَا﴾	رزقتنا.
﴿صَٰلِحٗا﴾	مولودًا صالحًا سالمًا من العيوب، وقيل: غلامًا.
﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	الذين يشكرونك على نعمك– حامدين شاكرين على ما وهبتنا من الولد.
﴿سَوَآءٌ﴾	يستوي.
﴿صَٰمِتُونَ﴾	ساكتون.
﴿تَدۡعُونَ﴾	تعبدون.
﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	من غير الله.
﴿فَٱدۡعُوهُمۡ﴾	فاسألوهم– فاطلبوا منهم النفع وكشف الضر.
﴿كِيدُونِ﴾	تآمروا أنتم وهم عليَّ.
﴿تُنظِرُونِ﴾	تُؤخرون– تؤخرون عقوبتي.
﴿وَلِيِّـَٔ﴾	نصيري.

س: من المراد بالنفس الواحدة، ومن المراد بزوجها؟

ج: المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام، وذلك على رأي جمهور المفسرين أما زوجها فقد قال الجمهور إنها حواء عليها السلام.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– فلما جامعها حملت الحمل وكان خفيفًا فاستمرت به وقامت وقعدت ولم تتأثر به، وأيضًا كانت شاكَّة في الحمل عند بدايته لا تدري أحملت أم لم تحمل.

بحث حول: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؟

ج: المراد– الله تعالى أعلم– لما ثقل الحمل الذي في بطن حواء عليها السلام وكبر دعت هي وآدم عليهما السلام دعوا الله عز وجل وجلَّ ربهما: لئن رزقتنا بغلامٍ سويٍّ لتقدمن شكرًا لك يا ربنا على ما أعطيتنا.

س: ما المراد بالصلاح في قول آدم وحواء عليهما السلام: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه صالح الخلقة تام الخلقة ليس بناقص.

الثاني: أنهما أرادا غلامًا.

الثالث: أنهما خشيًا أن يكون المولد بهيمة.

الرابع: ان المراد الصلاح في الدين.

وأظهر هذه الأقوال وأشهرها القول الأول.

أما القول الأخير فلا أرى له وجهًا هنا لأنه لا يُتبين صلاح المولود فور ولادته.

(٤٢١) أحمر
أسود

إلا أن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعَوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء، صالحًا ليكونان لله من الشاكرين.

و"الصلاح" قد يشمل معاني كثيرة: منها "الصلاح" في استواء الخلق، ومنها "الصلاح" في الدين، و"الصلاح" في العقل والتدبير.

وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني "الصلاح" دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يُعَمَّ كما عمَّه الله، فيقال: إنهما قالا (لئن آتيتنا صالحًا) بجميع معاني "الصلاح".

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: والذي عليه الأكثرون: فلما منَّ الله عَزَّ وَجَلَّ على آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بالولد السويِّ السليم من العيوب تام الخِلقة ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أي جعل آدم وحواء لله عَزَّ وَجَلَّ شريكًا في المولود الذي ولد، وذلك بأنهما أطاعا إبليس لما حثهما على تسمية المولود بـ(عبد الحارث) والحارث اسم من أسماء الشيطان، وذلك أن آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كان لا يعيش لهما ولد، أو بمعنى آخر- لا يولد لهما ولدٌ إلا مات فأتاهما الشيطان فقال لهما سمياه عبد الحارث حتى يعيش، فسمياه بذلك فأشركا في الاسم، ولم يكن شركًا في العبادة وبنحو هذا جاءت جملة من الآثار، المرفوع منها إلى النبي ﷺ في إسناده ضعف، وهو ما أخرجه الطبري[1].

من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: كانت حواء لا يعيش له ولدٌ فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه «عبد الحارث» فعاش لها ولدٌ فسمته (عبد الحارث) وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان

(١) الطبري (١٥٥٢٤) وسنده ضعيف.

(٤٢٢) أحمر
أسود

وقد أخرجه غير الطبري أيضًا[١] وهو ضعيف لعدة أسباب:

أولها: الكلام في عمر بن إبراهيم وخاصة في روايته عن قتادة فهو متكلمٌ فيه وفي روايته عن قتادة.

ثانيًا: عنعنة قتادة وهو مدلس.

ثالثًا: رواية الحسن عن سمرة متكلم فيها.

رابعًا: إعلال هذا الحديث بالوقف، فقد روي موقوفًا على سمرة من وجوهٍ أصح من الوجه المرفوع.

خامسًا: تفسير الحسن للآية بتفسير آخر، ولو كان هذا الخبر عنده مرفوعًا إلى النبي ﷺ ما عدل عنه إلى غيره.

۞ وأورد الطبري أثرًا صحيح الإسناد عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: سمي آدم عليه السلام ابنه (عبد الحارث) وهذا موقوف على سمرة رضي الله عنه.

۞ وآثارًا على ابن عباس رضي الله عنهما لا يخلو أثرٌ منها مقال منها أثر من طريق ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت حوّاء تلد لآدم، فتعبِّدهم لله، وتسميه "عبيد الله" و"عبد الله" ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش! فولدت له رجلا فسماه "عبد الحارث"، ففيه أنزل الله ع: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ)، إلى قوله: (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا)، إلى آخر الآية.

وهذا الآثر ضعيف من وجوه:

منها الكلام في ابن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي ضعيف على الراجح، وكذا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، وكذا الكلام في رواية داود عن عكرمة.

۞ وأورد الطبري أثرًا آخر من طريق محمد بن سعد بالسلسلة الضعيفة (سلسلة العوفيين) عن ابن عباس قوله في آدم عليه السلام: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فشكّت: أحبلت أم لا، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ الآية، فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما

(١) وسيأتي إن شاء الله.

(٤٢٣) أحمر
أسود

يكون؟ أبهيمة يكون أم لا؟ وزيَّن لهما الباطل، إنه غويٌّ مبين.

وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي، لم يخرج سويًّا، ومات كما مات الأولان! فسميا ولدهما «عبد الحارث»، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾، الآية.

وكما أشرت فسلسلة العوفيين التي روى بها السند ضعيف جدًّا.

۞ وكذا أورد سندًا أخر من طريق ابن جريج قال: قال ابن عباس: لما ولد له أول ولد، أتاه إبليس فقال: إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا، تسميه "عبد الحارث"! فقال آدم: أعوذ بالله من طاعتك! =قال ابن عباس: وكان اسمه في السماء "الحارث"= قال آدم: أعوذ بالله من طاعتك، إني أطعتك في أكل الشجرة، فأخرجتني من الجنة، فلن أطيعك. فمات ولده، ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر، فقال: أطعني وإلا مات كما مات الأول! فعصاه، فمات، فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسميه "عبد الحارث". فلم يزل به حتى سماه "عبد الحارث"، فذلك قوله: (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ)، أشركه في طاعته في غير عبادة، ولم يشرك بالله، ولكن أطاعه.

وهذا ضعيف جدًّا أيضًا للإعضال الذي بين ابن جريج وابن عباس.

وأورد ابن أبي حاتم أثرًا في سنده مقالٌ أيضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ) قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا) آدَمُ (حَمَلَتْ) فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللهُ -فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لَتطيعُنِّي أَوْ لأجعلنَّ قَرْنَيْ لَهُ أَيْلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ -يُخَوِّفُهُمَا -فسمِّياه "عَبْدَ الْحَارِثِ" فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّانِيَةَ، فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، لتفعلُنَّ أَوْ لأفعلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا - فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَةَ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ "عَبْدَ الْحَارِثِ"، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ). وفي شريك وخصيف مقال:

وأورد ابن أبي حاتم أيضًا إسنادًا آخر فيه كلام أيضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ أَتَاهَا الشَّيْطَانُ فَقَالَ:

(٤٢٤) أحمر
أسود

أَتُطِيعِينِي وَيَسْلَمْ لَكِ وَلَدُكِ؟ سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَلَمْ تَفْعَلْ فَوَلَدَتْ فَمَاتَ، ثُمَّ حَمَلَتْ فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَ فَجَاءَهَا فَقَالَ: إِنْ تُطِيعِينِي يَسْلَمْ، وَإِلا فإنه يكون بهيمة فهيبهما فأطاعا.

وهذا الأسانيد الكثيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كان كلٌّ منها لا يخلو من مقال إلا أنها – فيما يبدو لي والله أعلم- تصح بمجموعها عنه رضي الله عنه، وخاصةً وأن أصحاب ابن عباس قد تلقوها عنه وأخذوها منه.

والحافظ ابن كثير رحمه الله وإن كان قد تبنى القول الثاني إلا أنه قال:

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه؛ كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسّدي وغير واحد من السلف، وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة.

وأورد الطبري أثرًا صحيحًا عن قتادة من وجهين: (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ)، ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان، فقال لهما: سمياه "عبد الحارث"! وكان من وحي الشيطان وأمره، وكان شركًا في طاعةٍ، ولم يكن شركًا في عبادةٍ.

وآثارًا أُخر أوردها الطبري في هذا الصدد عن مجاهد وسعيد بن جبير والسدي تحمل هذا المعنى.

۞ فهذا هو القول الأول حاصله أن اللذين جعلا له شركاء فيما آتاهما آدم وحواء عليهما السلام.

وكان ذلك بأنهما سميا ولدها عبد الحارث والشرك المذكور إنما هو شرك في الطاعة لا في العبادة.

وقال القرطبي رحمه الله:

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: كَانَ شركا في التسمية والصفة، لا في العباد وَالرُّبُوبِيَّةِ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: إِنَّهُمَا لَمْ يَذْهَبَا إِلَى أَنَّ الْحَارِثَ رَبُّهُمَا بِتَسْمِيَتِهِمَا وَلَدَهُمَا عَبْدَ الحارث، لَكِنَّهُمَا قَصَدَا إِلَى أَنَّ الْحَارِثَ كَانَ سَبَبَ نَجَاةِ الْوَلَدِ فَسَمَّيَاهُ بِهِ كَمَا يُسَمِّي الرَّجُلُ نَفْسَهُ عَبْدَ ضَيْفِهِ عَلَى جِهَةِ الْخُضُوعِ لَهُ، لَا عَلَى أَنَّ الضَّيْفَ رَبُّهُ، كَمَا قَالَ

(٤٢٥) أحمر
أسود

حَاتِمٌ:

وَإِنِّـي لَعَبْـدُ الضَّـيْفِ مَـا دَامَ ثَاوِيًـا ... وَمَـا فِـيَّ إِلَّا تِيـكَ مِـنْ شِـيمَةِ الْعَبْـدِ

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى جِنْسِ الْآدَمِيِّينَ وَالتَّبْيِينِ عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

فَقَوْلُهُ: (جَعَلَا لَهُ) يَعْنِي الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى الْكَافِرَيْنِ، ويعنى به الجنسان. وَدَلَّ عَلَى هَذَا (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وَلَمْ يَقُلْ يُشْرِكَانِ. وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) مِنْ هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ وَشَكْلٍ وَاحِدٍ(وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أَيْ مِنْ جِنْسِهَا(فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا) يَعْنِي الْجِنْسَيْنِ.

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَا يَكُونُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ ذِكْرٌ فِي الْآيَةِ، فَإِذَا آتَاهُمَا الْوَلَدَ صَالِحًا سَلِيمًا سَوِيًّا كَمَا أَرَادَاهُ صَرَفَاهُ عَنِ الْفِطْرَةِ إِلَى الشِّرْكِ، فَهَذَا فِعْلُ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ- فِي رِوَايَةٍ (عَلَى هذه) الملة- أبواه يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ». قَالَ عِكْرِمَةُ: لَمْ يَخُصَّ بِهَا آدَمَ، وَلَكِنْ جَعَلَهَا عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بَعْدَ آدَمَ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ، لِمَا فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُضَافِ مِنَ الْعَظَائِمِ بِنَبِيِّ اللهِ آدَمَ.

القول الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أن هذا ليس مُنزلًا على آدم وحواء إنما هما رجل وامرأة من أهل الشرك من بني آدم.

وهذا القول مشهورٌ عن الحسن البصري خ فقد ورد عنه وجوهٌ تصح بمجموعها أنه قال: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا[1].

أخرج هذه الوجوه الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وصاغ الطبري هذا القول بما هو أعم فقال:

وقال آخرون: بل المعنيُّ بذلك: رجلٌ وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد.

---

(١) يعني: الوارد في الحديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه.

(٤٢٦) أحمر
أسود

وقالوا: معنى الكلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾، أي: هذا الرجل الكافر، (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت)، دعوتما الله ربكما.

قالوا: وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب، ثم رُدَّ إلى الخبر عن الغائب، كما قيل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: ٢٢] وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

إلا أن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ اختار القول الأول فقال:

وأولى القولين بالصواب:

قول من قال: عني بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ في الاسم، لا في العبادة، وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

أما الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقد تقلد القول الثاني وانتصر له ووجَّه الوارد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونحوه، بأن هذا يظهر عليه أنه مأخوذ من أهل الكتاب فقال الحافظ ابن كثير: وَهَذِهِ الْآثَارُ يَظْهَرُ عَلَيْهَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهَا مِنْ آثَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا حَدَّثكم أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»(١).

ثُمَّ أَخْبَارُهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فَمِنْهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ. وَمِنْهَا مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ، بِمَا دُلَّ عَلَى خِلَافِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَيْضًا. وَمِنْهَا: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، فَهُوَ الْمَأْذُونُ فِي رِوَايَتِهِ، بِقَوْلِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»(٢). وَهُوَ الَّذِي لَا يصدَّق وَلَا يُكَذَّبُ، لِقَوْلِهِ: «فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ». وَهَذَا الْأَثَرُ: هَلْ هُوَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ؟ فِيهِ نَظَرٌ. فَأَمَّا مَنْ حَدَّثَ بِهِ مِنْ صحَابي أَوْ تَابِعِيٍّ، فَإِنَّهُ يَرَاهُ مِنَ الْقَسَمِ الثَّالِثِ.

ثم أبرز ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ رأيه فقال:

وَأَمَّا نَحْنُ فَعَلَى مَذْهَبِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي هَذَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا

(١) انظر البخاري (٤٨٥).
(٢) البخاري (٣٤٦١).

(٤٢٧) أحمر
أسود

السِّيَاقِ آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) ثم قال: فذكر آدم وحواء أولًا كالتوطئة لما بعدهم من الوالدين، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس، كقوله: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ الآية .

ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمي بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم.

وأقول، وبالله التوفيق –القائل مصطفى– ومناقشةً لما ذُكر، إن الإشكال الذي أورده العلماءُ القائلون بالقول الثاني الذي حاصله أن اللذين: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ هما رجلٌ وامرأة ومن سلك مسلكهما من أهل الشرك، من بني آدم ليسا بآدم وحواء عليهما السلام مرده إلى الآتي:

١- كيف يتصور أن يشرك أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وقد خدعهما إبليس وأخرجهما من الجنة: «والْمُؤْمِنُ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»(١) كما جاء في الحديث.

٢-إن الله عز وجل قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بصيغة الجمع، وهذا أولى أن يعود على المشركين من بني آدم لا على الاثنين آدم وحواء.

ثم إن هؤلاء العلماء القائلين بهذا القول أجابوا على الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ (حديث سمرة المرفوع) في هذا الصدد بأنه ضعيف.

وأجابوا على الآثار بأن غلبة الظن عندهم أنها مأخوذة من الإسرائيليات والإسرائيليات منها ما يصدق ومنها ما يكذب وحملوا هذا الوجه على أنه من الإسرائيليات التي ينبغي أن تُكذَّب.

۞ وأجابوا على ظاهر الآية بأنه حدث تحول في الخطاب بعد قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ هذا حاصل ما ذكروه في هذا الصدد، فأقول، وبالله التوفيق– مناقشًا هذا القول:

١- أما عن كون آدم وحواء عليهما السلام قد أشركا، فالشرك هنا كما قال جمهور العلماء

---

(١) البخاري حديث (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٤٢٨) أحمر
أسود

القائلين بالقول الأول شرك الطاعة وليس شركًا في العبادة، أعني أنهما أطاعا الشيطان لما أوعز إليهما أن يسميا المولود (بعبد الحارث).

فبهذا حصل الانفكاك عن الشرك المذكور شرك العبادة.

٢- أما عن ضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ فإن الضمائر قد تتناوب فأحيانًا يأتي الحديث عن الاثنين، وكذا قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ وإنما هو يدان.

ويمكن الجواب هنا أيضًا بوجه ثانٍ حاصله أن هذا الذي صدر من أبينا آدم عليه السلام ومن أمنا حواء عليها السلام، ولكونه يصدر أيضًا من كثيرٍ من ذريتهما، لذا عُبر عنه بلفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾.

ثم يُجاب بوجه ثالثٍ حاصله أن الله عز وجل نزَّه نفسه ليس عما صُنع من التسمية بـ (عبد الحارث) فقط، بل عن كل صور الشرك، وعن كل المعبودات التي تُعبد من دون الله عز وجل.

ووجه رابع حاصله أنه حدث تحولٌ في الخطاب من بعد قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ واتجه الخطاب للذرية في قوله: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾، والله أعلم.

۞ أما عن ضعف حديث سمرة المرفوع، فَنَعَمْ حديث سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد ضعيف كما بيناه، لكن لم يكن بناء القول على الحديث فحسب إنما على غيره من الآثار عن الصحابة والتابعين فضلًا عن ظاهر الآية الكريمة.

۞ أما عن كون الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، فأقول: لا يستطاع الجزم بذلك ها هنا فقد نقلها أكثر من صحابي وتلقاها أكثر التابعين المفسرين لهذه الآية من غير نكير، فلو سُلِّم أنها من الإسرائيليات- وهذا بعيدٌ ها هنا- فليست كل الإسرائيليات بمردودة، وسبق أن ظاهر الآية لا يتنافى مع هذا التفسير، والله تعالى أعلى وأعلم.

وفي الختام أقول- وبالله التوفيق- إن قولًا قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ولم يُعلم لهم فيه مخالفٌ، وكذا قاله جمهور التابعين رحمهم الله، ثم هو غير معارضٍ لظاهر الآية الكريمة لهُوَ قولٌ أقوى من غيره من الأقوال، فعليه فالقول الأول

(٤٢٩) أحمر
أسود

المنقول عن سمرة وابن عباس رضي الله عنهما، وعن غيرهما والذي تبناه الطبري خ أصح، والله تعالى أعلى وأعلم.

س: كيف قيل: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، وإنما هو شريك واحد؟

ج: أجاب على ذلك الطبري بقوله:

فإن قال قائل: فإن آدم وحواء إنما سميا ابنهما «عبد الحارث»، و«الحارث» واحد، وقوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾ جماعة، فكيف وصفهما جل ثناؤه وبأنهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، وإنما أشركا واحدًا!.

قيل: قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة، إذا لم تقصد واحدًا بعينه ولم تسمِّه، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وإنما كان القائل ذلك واحدًا، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة، إذ لم يقصد قصده. وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها.

س: إذا ذهب شخصٌ إلى أن النفس الواحدة: آدم عليه السلام، وزوجها حواء فكيف الإجابة على ما ورد بصيغة الجمع في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

ج: أجاب على ذلك بعض أهل العلم بما حاصله أن المراد فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان والأصنام، وأنه قد حدث تحوُّلٌ في الخطاب بعد قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ وانقضي الكلام ثم استؤنف قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

تبكيت من اشركوا بالله وبيان جهلهم وعدم انتفاعهم بشركهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أيتخذ هؤلاء المشركون من الأصنام والأوثان وسائر المعبودات شركاء لله عز وجل، وهي لا تستطيع أن تخلق شيئًا بل هي مخلوقة؟

قال الطبري رحمه الله:

(٤٣٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: أيشركون في عبادة الله، فيعبدون معه (مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا)، والله يخلقها وينشئها؟ وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق.

وقيل: (وَهُمْ يُخْلَقُونَ)، فأخرج مكنيَّهم مخرج مكنيّ بني آدم، (أَيُشْرِكُونَ مَا)، فأخرج ذكرهم ب (مَا) لا ب "من" مخرج الخبر عن غير بني آدم، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجرًا أو خشبًا أو نحاسًا، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها ب "ما" لا ب "من"، فقيل لذلك: (مَا)، ثم قيل: (وَهُمْ)، فأخرجت كنايتهم مُخْرَج كناية بني آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مَرْبُوبَةٌ مَصْنُوعَةٌ، لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْتَصِرُ لِعَابِدِيهَا، بَلْ هِيَ جَمَادٌ لَا تَتَحَرَّكُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَعَابِدُوهَا أَكْمَلُ مِنْهَا بِسَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ وَبَطْشِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أَيْ: أَتُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَتْ آلِهَتُهُمْ كُلُّهَا، مَا اسْتَطَاعُوا خَلْقَ ذُبَابَةٍ، بَلْ لَوِ أستلبتهم الذُّبَابَةُ شَيْئًا مِنْ حَقِيرِ الْمَطَاعِمِ وَطَارَتْ، لَمَا اسْتَطَاعُوا إِنْقَاذَ ذَلِكَ مِنْهَا، فَمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَحَالُهُ، كَيْفَ يُعْبَدُ لِيَرْزُقَ وَيُسْتَنْصَرُ؟ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أَيْ: بَلْ هُمْ مَخْلُوقُونَ مَصْنُوعُونَ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا) أَيْ أَيَعْبُدُونَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ. (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أَيِ الْأَصْنَامُ مَخْلُوقَةٌ. وَقَالَ:(يُخْلَقُونَ) بِالْوَاوِ وَالنُّونِ لِأَنَّهُمُ اعْتَقَدُوا أَنَّ الْأَصْنَامَ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ، فَأُجْرِيَتْ مَجْرَى النَّاسِ، كَقَوْلِهِ:(فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: ٣٣]. وقوله:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ) [النمل: ١٨].

(٤٣١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾.

ج: المعنى، الله تعالى أعلم، ولا تستطيع هذه الآلهة المعبودة من دون الله نصر أنفسها ولا نصر عابديها. كما قال الله ع: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئًا من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءًا، أو أحلّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءًا نصر نفسه ولا دفع ضر عنها؟ وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعدُ؟ يعجِّب ع خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم اللهَ غيرَه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) أَيْ: لِعَابِدِيهِمْ (وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) يَعْنِي: وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ يَنْصُرُونَ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، كَمَا كَانَ الْخَلِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَكْسِرُ أَصْنَامَ قَوْمِهِ ويهينُها غَايَةَ الْإِهَانَةِ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ) وَقَالَ تَعَالَى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن دعوكم أيها الناس هذه الأصنام والآلهة المعبودة من دون الله ﷻ إلى السداد والرشاد ما فهموا مرادكم ولا ابتعوكم، فيستوي دعاؤكم لهم ونداؤكم لهم من سكوتكم فلا يفهمون كلامًا ولا سكوتًا، فكيف تعبدون ما لا يفهم ولا يعقل؟ وذلك كما قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ

(٤٣٢) أحمر
أسود

تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾.

وكما قال أيضًا: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

قال الطبري خ في تأويل الآية الكريمة:

يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربَّهم إياه: ومن صفته أنكم، أيها الناس، إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم، والأمر الصحيح السديد لا يتبعوكم، لأنها ليست تعقل شيئًا، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرًا، وتركب ما كان مستقيمًا سديدًا.

وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها، تنبيهَهم على عظيم خطئهم، وقبح اختيارهم. يقول جل ثناؤه: فكيف يهديكم إلى الرشاد مَنْ إن دُعي إلى الرشاد وعُرِّفه لم يعرفه، ولم يفهم رشادًا من ضلال، وكان سواءً دعاءُ داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه، ولا يسمع صوته، ولا يعقل ما يقال له. يقول: فكيف يُعبد من كانت هذه صفته، أم كيف يُشْكِل عظيمُ جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهًا؟ وإنما الرب المعبود هو النافع من يعبده، الضارّ من يعصيه، الناصرُ وليَّه، الخاذل عدوه، الهادي إلى الرشاد من أطاعه، السامع دعاء من دعاه.

وقيل: (سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ)، فعطف بقوله: (صَٰمِتُونَ)، وهو اسم على قوله: (أَدَعَوْتُمُوهُمْ)، وهو فعل ماض، ولم يقل: أم صمتم، كما قال الشاعر:

سَوَاءٌ عَلَيْكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً ... بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بنِ عَامِرِ

وقد ينشد: "أم أنْتَ بَائِتٌ".

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ) يَعْنِي: أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَسْمَعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهَا، وَسَوَاءٌ لَدَيْهَا مَنْ دَعَاهَا وَمَنْ دَعَاهَا، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: (يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا) ؟

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهَا عَبِيدٌ مِثْلَ عَابِدِيهَا، أَيْ: مَخْلُوقَاتٌ مثلهم، بل الأناسي أكمل منها، لأنها تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَبْطِشُ، وَتِلْكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

(٤٣٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، إن الآلهة التي تعبدونها يا أهل الشرك غير الله ﷻ إنما هي مخلوقة ومملوكة لله ﷻ كما أنكم مملوكون لله ﷻ فسألوها واطلبوا منها كشف الضر أو جلب النفع حتى تتبينوا أنها لا تقدر على جلب خير أو دفع ضرٍّ.

وليس قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ أمرًا بالدعاء إنما هو توبيخٌ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبِّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ) أيها المشركون، آلهةً (مِن دُونِ ٱللَّهِ)، وتعبدونها، شركًا منكم وكفرًا بالله (عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر؛ لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سُئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكي إليه من شيء سمع، فضرّ من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضرّ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) حَاجَّهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. (تَدْعُونَ) تَعْبُدُونَ. وَقِيلَ: تَدْعُونَهَا آلِهَةً. (مِن دُونِ ٱللَّهِ) أَيْ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ. وَسُمِّيَتِ الْأَوْثَانُ عباد الأنها مَمْلُوكَةٌ لِلَّهِ مُسَخَّرَةٌ. الْحَسَنُ: الْمَعْنَى أَنَّ الْأَصْنَامَ مخلوقة أمثالكم. وَلَمَّا اعْتَقَدَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ أَجْرَاهَا مَجْرَى النَّاسِ فَقَالَ: (فَٱدْعُوهُمْ) وَلَمْ يَقُلْ فَادْعُوهُنَّ. وَقَالَ: «عِبَادٌ»، وَقَالَ:(إِنَّ ٱلَّذِينَ) وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ الَّتِي. وَمَعْنَى(فَٱدْعُوهُمْ) أَيْ فَاطْلُبُوا منهم النفع والضر. (فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أن عبادة الأصنام تنفع.

وقال ابْنُ عَبَّاس: مَعْنَى (فَٱدْعُوهُمْ) فَاعْبُدُوهُمْ.

(٤٣٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه، معرِّفهم جهل ما هم عليه مقيمون: ألأصنامكم هذه، أيها القوم (أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ)، فيسعون معكم ولكم في حوائجكم، ويتصرفون بها في منافعكم (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ)، فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروهٍ (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ)، فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه (أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)، فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه؟

يقول جل ثناؤه: فإن كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتُها، والمعظَّم من الأشياء إنما يعظَّم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها، وهي خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر؟

وقوله: (قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ)، قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا شركاءكم الذين جعلتموهم لله شركاء في العبادة ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾، أنتم وهي ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾، يقول: فلا تؤخرون بالكيد والمكر، ولكن عجِّلوا بذلك. يُعْلِمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه، وأنه قد عصمه منهم، ويُعَرِّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أَيْ: اسْتَنْصِرُوا بِهَا عَلَيَّ، فَلَا تُؤَخِّرُونِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَاجْهَدُوا جُهْدَكُمْ! ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] أَيْ: اللهُ حَسْبِي وَكَافِيَّ، وَهُوَ نَصِيرِي وَعَلَيْهِ مُتَّكَلِي، وَإِلَيْهِ أَلْجَأُ، وَهُوَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ صَالِحٍ بَعْدِي. وَهَذَا كَمَا قَالَ هُودٌ،

(٤٣٥) أحمر
أسود

عليه السلام، لَمَّا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وَكَقَوْلِ الْخَلِيلِ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٨] الْآيَاتِ، وَكَقَوْلِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أن نصيري ومُعيني والذي يتولاني ويحفظني هو الله عز وجل الذي أنزل القرآن وهو ينصر الصالحين ويحفظهم ويُعينهم، ينصر ويحفظ أهل الصلاح والاستقامة على أمر الله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، للمشركين من عبدة الأوثان ﴿إِنَّ وَلِىِّىَ﴾، نصيري ومعيني وظهيري عليكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عليّ بالحق، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه.

س: لماذا كرِّر قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾.

ج: ذلك لتأكيد انتفاء النفع الوارد من قبل الآلهة التي تُعبد من دون الله عز وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلى آخر الآية، ومؤكد لما تقدم، إلا أنه بصيغة الخطاب، وذاك بصيغة الغيبة، ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

وقال القرطبي رحمه الله: كَرره ليبين أن ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر.

(٤٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والآلهة التي تعبدونها وتسألونها من دون الله ﷻ لا تستطيع جلب النفع لكم ولا دفع الضر عنكم، وفضلًا عن ذلك فإنها لا تستطيع جلب خيرٍ لنفسها ولا دفع ضرٍّ عن نفسها، فمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا يستطيع دفع ضرٍّ عنها، بملكه لغيره؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقول للمشركين.

يقول له تعالى ذكره: قل لهم: إن الله نصيري وظهيري، والذين تدعون أنتم، أيها المشركون، من دون الله من الآلهة، لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصره أنفسهم.

فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهية؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه؟

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى هذه الآلهة المعبودة من دون الله كالأصنام والأوثان قد صوِّرت وكأنها تنظر إليك بعينها ولكنها في حقيقة الأمر لا ترى شيئًا ولا تعي شيئًا.

هذا، وقد قيل إن قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يرون الحق كما أنهم يستمعون الحق ولا يفهمونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل للمشركين: وإن تدعوا، أيها المشركون، آلهتكم إلى الهدى =وهو الاستقامة إلى السداد ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾، يقول: لا يسمعوا دعاءكم ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وهذا خطاب من الله نبيَّه ﷺ. يقول: وترى، يا محمد، آلهتهم ينظرون إليك وهم

(٤٣٧) أحمر
أسود

لا يبصرون = ولذلك وحَّد. ولو كان أمر النبي ﷺ بخطاب المشركين، لقال: "وترونهم ينظرون إليكم".

وأورد الطبري قول السّدي في الآية وأن المراد بقوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾: قال هؤلاء المشركون.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه؟

قيل: إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئًا أو حاذاه: "هو ينظر إلى كذا"، ويقال: "منزل فلان ينظر إلى منزلي" إذا قابله. وحكي عنها: "إذا أتيتَ موضع كذا وكذا، فنظر إليك الجبل، فخذ يمينًا أو شمالا". وحدثت عن أبي عبيد قال: قال الكسائي: "الحائط ينظر إليك" إذا كان قريبًا منك حيث تراه، ومنه قول الشاعر: إِذَا نَظَرْتَ بِلادَ بَنِي تَمِيمٍ بِعَيْنٍ أَوْ بِلادَ بَنِي صُبَاحِ يريد: تقابل نبتُها وعُشْبها وتحاذَى.

قال أبو جعفر: فمعنى الكلام: وترى، يا محمد، آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، يقابلونك ويحاذونك، وهم لا يبصرونك، لأنه لا أبصار لهم. وقيل: "وتراهم"، ولم يقل: "وتراها"، لأنها صور مصوَّرة على صور بني آدم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

إِنَّمَا قَالَ: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أَيْ: يُقَابِلُونَكَ بِعُيُونٍ مُصَوَّرَةٍ كَأَنَّهَا نَاظِرَةٌ، وَهِيَ جَمَادٌ؛ وَلِهَذَا عَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ يَعْقِلُ؛ لِأَنَّهَا عَلَى صُوَرٍ مُصَوَّرَةٍ كَالْإِنْسَانِ، فَقَالَ: (وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) فَعَبَّرَ عَنْهَا بِضَمِيرِ مَنْ يَعْقِلُ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْمُرَادُ بِهَذَا الْمُشْرِكُونَ وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوُهُ.

وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ.

(٤٣٨) أحمر
أسود

قَالَ تَعَالَى:

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا
يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠
إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم
مُّبْصِرُونَ ٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ
٢٠٢ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا
يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ
٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ
وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ٢٠٦

الكلمة	معناها
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾	الزم جانب العفو واسلكه- خذ ما تيسر من كريم أخلاق الناس وتجاوز عن إساءتهم.
﴿بِٱلْعُرْفِ﴾	المعروف.
﴿يَنزَغَنَّكَ﴾	يُغضبنك – يوسوس لك- يحملنك على فعل ما لا يليق بك (وقت الغضب) يُفسدن بينك وبين غيرك .
﴿نَزْغٌ﴾	غضب- وسوسة- فسادٌ- وقيعة.
﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾	فالتجئ إلى الله- فتعوذ بالله – فاستجر بالله.
﴿ٱتَّقَوْا۟﴾	جعلوا بينهم وبين الشرك والمعاصي وقاية، وذلك بخوفهم من الله وتوحيدهم له.

الكلمة	معناها

(٤٣٩) أحمر
أسود

﴿مَسَّهُمْ﴾	أصابهم- حلَّ بهم.
﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾	الغضب- زلةٌ من الشيطان- لمةٌ من الشيطان - استزلال من الشيطان.
﴿تَذَكَّرُواْ﴾	عرفوا أنهم على خطأ- استدركوا- رجعوا عما وقعوا فيه.
﴿مُّبْصِرُونَ﴾	يرون هدى الله ﷻ ويطيعونه ويهتدون بهداه وينتهون عن معصيته
﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾	يزيدونهم من الضلال- يزيدونهم وقوعًا في الضلال والعصيان والمنكر.
﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾	لا ينتهون (أي: إخوان الشيطان) عن المعاصي ولا يتركونها، لا ينتهون (أي: الشياطين) لا تقصر في إغواء بني آدم ولا ترحمهم بل يستمرون في إضلالهم إضلالًا بعد إضلال.
﴿بِـَٔايَةٍ﴾	بمعجزة- بخارقةٍ للعادة، وقيل: بآية من القرآن.
﴿لَوْلَا﴾	هلَّا.
﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾	اخترعتها- أتيت بها من تلقاء نفسك.
﴿بَصَآئِرُ﴾	آيات القرآن بصائر يستبصر بها العباد.
﴿وَأَنصِتُواْ﴾	استمعوا بتفهم- أصغوا له، والإنصات: الاستماع والإصغاء.
﴿تَضَرُّعًا﴾	تخشعًا- تواضعًا- رغبة فيما عنده.
﴿وَخِيفَةً﴾	خوفًا- إشفاقًا.
﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾	غير مجاهر- في خفاء.
﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾	البكور- البُكَر (من الفجر إلى طلوع الشمس).
﴿وَٱلْـَٔاصَالِ﴾	العشيات قيل: (ما بين العصر إلى المغرب).
﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾	ينزهونه- يعظمونه.

(٤٤٠) أحمر
أسود

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

ج: أخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ قال ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس.

معنى قوله تعالى: (خُذِ ٱلْعَفْوَ)

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾.

ج: العفو له معانٍ منها:

الزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي الزائد عن الحاجة[٢].

المحو والإزالة، ومنه قول الشاعر:

إذا عفا الأثر.....أي: إذا مُحيَ أثر الإبل أو الدواب...

الترك ومنه «أَعْفُوا اللِّحَي» إلى غير ذلك من المعاني.

أما قول تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم وهذا يتضمن أمورًا ويحتملها، منها.

اقبل من الناس ما جادت به نفوسهم وسمحت به أخلاقهم، فاقبل من الكريم عن من حُرموا ذلك أو شيئًا من ذلك.

۞ فالزم جانب العفو والتجاوز عن المقصرين والمخطئين.

۞ وكذلك اقبل من النا ما أبدوه من الاعذار ولا تتحسس ولا تتجسس.

الثاني: قابل الإساءة بإحسانٍ، وهذا يتضمن أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك والرفق بالجاهل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

(الثالث: لا تكلف الناس بما لا يطيقون ولا يحتملون، بل انظر إلى قدراتهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٣، ٤٦٤٤).

(٢) نُسِخَ ذلك بأنصبة الزكوات.

وعقولهم وأفكارهم وأقوالهم وطبائعهم، وخذ من ذلك الطيب وتجاوز عن القصور.

الرابع: خذ العفو أي: الزائد من أموال الناس، وقد قيل إن هذا كان قبل نزول آية الصدقة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ ثم لما نزلت آية الصدقة أمر النبي ﷺ بان يأخذ الزكاة المفروضة، ثم لا يأخذ من الناس إلا ما جادت به نفوسهم بعد ذلك.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن ذكر جملة من الأقوال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم = وقال: أُمر بذلك نبيّ الله ﷺ في المشركين.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه ﷺ محاجَّته المشركين في الكلام، وذلك قوله: (قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ)، وعقَّبه بقوله: (وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا) [الأعراف: ٢٠٢، ٢٠٣]، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه ﷺ في عشرتهم به، أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين.

۞ وقبلها أورد الطبري قول ابن زيد بسندٍ صحيح عنه في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال: أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة.

قال: ثم أمره بالغلظة عليهم، وأن يقعد لهم كل مَرْصَد، وأن يحصرهم،

ثم قال: (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)، [سورة التوبة: ٥، ١١] الآية، كلها.

وقرأ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة: ٧٣ - التحريم: ٩]

قال: وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً)، [التوبة: ١٢٣] بعدما كان أمرهم بالعفو.

وقرأ قول الله: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ)، [الجاثية: ١٤] ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل، فنسخت هذه الآية العفو.

وقال السعدي في تفسيره:

(٤٤٢) أحمر
أسود

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرٍّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه.

س: هل الآية الكريمة ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى ذلك فقال بعضهم نسختها الزكوات المفروضة، فعلى تفسيرهم للعفو بأنه الفائض من المال، كان النبي ﷺ أمر بإخراجه في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم إن ذلك نسخ بالزَّكوات المفروضة.

وقال بعضهم: نسختها آية السيف، ونسخها أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أنها ليست منسوخة وإنما هي في التعامل مع الخلق عمومًا إلَّا من ورد النص بالشدة عليه والغِلظة عليه، قالوا: وقد قال ع: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٤٤٣) أحمر
أسود

فإن قال قائل: أفمنسوخ ذلك؟

قيل: لا دلالة عندنا على أنه منسوخ، إذ كان جائزًا أن يكون = وإن كان الله أنزله على نبيه ﷺ في تعريفه عشرةَ من لم يُؤْمَر بقتاله من المشركين = مرادًا به تأديبُ نبيّ الله والمسلمين جميعًا في عشرة الناس، وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم، فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليمًا من الله خلقه صفةَ عشرة بعضهم بعضًا، إذا لم يجب استعمال الغلظة والشدة في بعضهم، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم، استعمل الواجب، فيكون قوله: (خُذِ ٱلْعَفْوَ)، أمرًا بأخذه ما لم يجب غيرُ العفو، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك. فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة، لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا.

|

س: اذكر بعض الأدلة المجوزة للشدة بل والآمرة بها- على الجُنَاةِ والعُصاة.

ج: من ذلك ما يلي: قوله تعالى لذي القرنين: (إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [الكهف: ٨٦-٨٨].

وقول يوسف عليه السلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٥٩، ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ

(٤٤٤) أحمر
أسود

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

إلى غير ذلك من الآيات.

وسليمان عليه السلام يقول: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١].

من ذلك قول النبي ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ»(١).

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن اللتبية- لما أتاه بمال وقال: هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ-: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ؟!»(٢).

ومن ذلك قول أبي بكر الصديق لعروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية: «اذْهَبْ فَامْصُص بَظْرَ اللَّاتِ»(٣).

وقول حمزة رضي الله عنه لسباع: «يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»(٤).

ومن ذلك قول موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦)، والنسائي في «عمل اليوم الليلة» (ص ٥٤٠) بإسنادٍ صحيح عن الحسن عن عتي بن خمرة عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «**من رأيتموه يتعزَّى بعزاء الجاهلية فأعضُّوه ولا نكتوا**».
قلت: ومعنى التعزي بعزاء الجاهلية المُناداة والاستغاثة بالنعرات الجاهلية كقول القائل: يا للمهاجرين ويا للأنصار، ويا قبيلة فلا وفلان. ومعنى فأعضوه بهن أبيه: أمَّا الهنُّ: فهو عضو الرجل وأداة الجماع منه. ومعنى فأعضوه: أي قولوا له: عضنَّ هَن أبيك.

(٢) صحيح: وقد تقدم وهو في «الصحيحين»، وانظر كذلك مسلم (ص ١٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وقال الحافظ: والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة في سب عُروة بإقامة من كان يبعد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبه المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستبشع منا لألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

(٤) أخرج البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي بن حرب قال: «أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلاَيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ». الحديث.

(٤٤٥) أحمر
أسود

وفي «صحيح مسلم[١]» أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُم المسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**» قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًا سيئًا، وقال: أُخبرك عن رسول الله ﷺ وتقولك والله لنمنعهن؟!

س: ما المراد بـ (العرف) في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؟

ج: أكثر أهل العلم على أن المراد بالعرف هنا المعروف بعمومه.

قال الطبري خ: بعد أن أورد آثارًا في أن العرف هو المعروف:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يأمر الناس بالعرف =وهو المعروف في كلام العرب، مصدر في معنى: "المعروف".

يقال: "أوليته عُرْفًا، وعارفًا، وعارفةً" كل ذلك بمعنى: "المعروف".

فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن "المعروف" صلة رحم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم. وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه، فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى؛ فالحق فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض.

هذا، وقد أورد الطبري أحاديث ضعيفة الإسناد في هذا الصدد أعرضت عن ذكرها ها هنا.

س: هل يجوز النظر إلى الأعراف السائدة بين الناس في الشيء، الذي لا نص فيه من الكتاب والسُّنة؟ اذكر الأدلة على ذلك.

ج: إذا لم يكن في المسألة نص من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله ﷺ ولم يكن في المسألة إجماع، جاز النظر إلى الأعراف السائدة وإعمالها فيما لا يُخالف شرع الله عز وجل، وقد جاءت نصوص نؤيد هذا المعنى منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

---

(١) مسلم (ص ٣٢٧).

(٤٤٦) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]

والإقساط يكون بمقارنتها بمثيلاتها.

وقول النبي ﷺ لهند لما قالت: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يُعطيني ما يكفيني وولد، قال: «لاَ حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ»(١).

وقول النبي ﷺ في شأن بروع بنت واشق: «لَهَا مَهْرُ مِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ وَكْسٍ ولا شطَطٍ»(٢).

وقوله ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا، وَلَهُ مِثْلُهُ، بِمَا اكْتَسَبَ....» فقوله غير مُفسدة يكون مقارنةً بما يحدث من أمثالها وما حولها(٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: لا تؤاخذ الجاهل إذا جهل عليك، ولكن اصبر وتجاوز، وهذا أمر ندب وإرشاد، وإلَّا فالقصاص جائز.

وكذا إذا ارتكب هذا الجاهل ما يستوجب حدًّا فلا يُتجاوز عنه، وكذا إذا أكل مال شخصٍ أو غير ذلك مما يجوزه الشرع في حالة الاشتداد وأداء الحقوق إلى أهلها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، فإنه أمر من الله تعالى نبيّه ﷺ أن يعرض عمن جهل. وذلك وإن كان أمرًا من الله نبيَّه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الواجبَ عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حَرْبٌ.

س: هذه الآية الكريمة تُليت على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موطنٍ من المواطن. اذكر هذا الموطن.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم (ص ١٣٣٩) واللفظ له.
(٢) تقدم في تفسير سورة النساء.
(٣) البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٠٢٤).

(٤٤٧) أحمر
أسود

ج: هذا يتضح مما أخرجه البخاري[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ ﷻ».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإما يُغضبك الشيطان ويوقعنك في الخطأ ويحملك على فعل ما لا يليق ويُفسد بينك وبين إخوانك فالتجئ إلى الله ﷻ واستجر بالله واعتصم به (فإن الله سميع) لما يصدر منك وما أُوذيت به وسميع لكل مقال (عليم) بما يذهب عنك الشيطان، وعليم بك وبنواياك.

وقد ورد في هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن صُرد[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ**» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**».

---

(١) البخاري (٢٦٤٢).

* تنبيه: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: فاستعمال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذه الآية واستدلال الحر بها يدل على أنها مُحكَمة لا منسوخة. وكذلك استعملها الحسن بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ على ما يأتي بيانه. وإذا كان الجَفَاء على السلطان تعمُّدًا واستخفافًا بحقه فله تعزيره. وإذا كان غير ذلك فالإعراض والصَّفح والعفو؛ كما فعل الخليفة العدل.

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٦٥)، ومسلم (١٦/ ١٦٣).

وفي بعض الروايات: «لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ».

قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، يقول: فاستجر بالله من نزغه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان ﴿سَمِيعٌ﴾ لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه.

وقال الطبري أيضًا:

وأصل «النزغ» الفساد يُقال: «نزغ الشيطان بين القوم»، إذا أفسد بينهم، وحمّل بعضهم على بعض. ويُقال منه: «نزغ ينزَغ»، و«نغز ينغز».

طرق للتعامل مع شياطين الإنس والجن

س: لهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ والتي قبلها ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ نظائر في كتاب الله ﷻ توضح كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الجني الشيطاني. وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الآية الكريمة الأولى حثنا الله ﷻ فيها على العفو والصفح عن الناس ومقابلة السيئة بإحسان، وكذا الإعراض عن الجاهلين، والآية الثانية حثتنا على الالتجاء إلى الله ﷻ الاستجارة به من الشيطان عندما يُصيبنا شيءٌ من وسوسته، فالعدو الإنسي قد يُداري بطيب القول والفعل وأنواع الاستمالة، أما العدو الشيطاني فلا يرضى من العبد إلاَّ بالكفر والعياذ بالله.

أما الآيات التي في معنى هذه الآية، فقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ

صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، أي: هذه الوصية ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦] وقال في هذه السورة الكريمة أيضًا: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي "الْأَعْرَافِ" وَ "الْمُؤْمِنُونَ" وَ "حم السَّجْدَةِ"، لَا رَابِعَ لَهُنَّ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُرْشِدُ فِيهِنَّ إِلَى مُعَامَلَةِ الْعَاصِي مِنَ الْإِنْسِ بِالْمَعْرُوفِ وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُفُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ بِإِذْنِهِ تَعَالَى؛ وَلِهَذَا قَالَ: (فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ) [فصلت: ٣٤] ثُمَّ يُرْشِدُ تَعَالَى إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجَانِّ، فَإِنَّهُ لَا يَكُفُّهُ عَنْكَ الْإِحْسَانُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ هَلَاكَكَ وَدَمَارَكَ بِالْكُلِّيَّةِ، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك.

بعض مواطن الاستعاذة

س: اذكر بعض المواطن التي يُستعاذ فيها بالله عَزَّ وَجَلَّ من الشيطان الرجيم.

ج: هناك الكثير من المواطن التي ورد فيها الحث على الاستعاذة، كم أنه ورد الأمر بالاستعاذة عمومًا فقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٥].

وثَمَّ أدلة أُخر:

أما المواطن والحالات التي يُستعاذ بالله من الشيطان الرجيم فهي عمومًا المواطن والحالات التي يحضر فيها الشيطان إما للتشويش على العابد في عبادته وإما تسلطًا من الشيطان على العبد كي يمده في الغيِّ ويوقعه في المعاصي وغير ذلك، فنستعيذ بالله عند تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، وهذا عند التلاوة عمومًا، وكذا داخل الصلاة. وكذا نستعيذ

(٤٥٠) أحمر
أسود

بالله عند وسوسة الشيطان في الصلاة لما ورد من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يُلْبِّسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فتعوذ مِنْهُ وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا**»(١) قَالَ: فَفَعَلْتُ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي.

ونستعيذ بالله إذا وقعنا في الغضب، للحديث المتقدم قريبًا: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»(٢).

ونستعيذ بالله عند جهل الجاهل كذلك، وعند نزغات الشياطين، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [فصلت: ٣٦]، وكذا نستعيذ بالله عند نهيق الحمار ونباح الكلب ودخول الخلاء....إلى غير ذلك من المواطن، وقد أوردتُ كثيرًا من ذلك عند تفسير سورة الناس فراجعه إن شئت.

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ- في شرح حديث «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمان».

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: «**ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**» وَالصَّرِيحُ الْخَالِصُ. وَهَذَا لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ، إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْوَسْوَسَةُ نَفْسُهَا هِيَ الْإِيمَانَ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ الْيَقِينُ، وَإِنَّمَا الْإِشَارَةُ إِلَى مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعَاقَبُوا عَلَى مَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِهِمْ. فَكَأَنَّهُ قَالَ جَزَعُكُمْ مِنْ هَذَا هُوَ مَحْضُ الْإِيمَانِ وَخَالِصُهُ، لِصِحَّةِ إِيمَانِكُمْ، وَعِلْمِكُمْ بِفَسَادِهَا. فَسَمَّى الْوَسْوَسَةَ إِيمَانًا لَمَّا كَانَ دَفْعُهَا وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا والرد لها وعدم قبولها وَالْجَزَعُ مِنْهَا صَادِرًا عَنِ الْإِيمَانِ. وَأَمَّا أَمْرُهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ فَلِكَوْنِ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ مِنْ آثَارِ الشَّيْطَانِ. وَأَمَّا الْأَمْرُ بِالِانْتِهَاءِ فَعَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَالِالْتِفَاتِ نَحْوَهَا. فَمَنْ كَانَ صَحِيحَ الْإِيمَانِ وَاسْتَعْمَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ وَنَبِيُّهُ نَفَعَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ. وَأَمَّا مَنْ خَالَجَتْهُ الشُّبْهَةُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْحِسُّ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الِانْفِكَاكِ عَنْهَا فَلَا بُدَّ مِنْ مُشَافَهَتِهِ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ، كَمَا قَالَ ﷺ لِلَّذِي خَالَطَتْهُ شُبْهَةُ الْإِبِلِ الْجُرْبِ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا عَدْوَى**». وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ أَجْرَبَهَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ**» فَاسْتَأْصَلَ الشُّبْهَةَ مِنْ أَصْلِهَا. فَلَمَّا يَئِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَصْحَابِ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (مع النووي ١٤/١٨٩).
(٢) البخاري (١٠/٤٦٥)، ومسلم (١٦/١٦٣).

(٤٥١) أحمر
أسود

مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْإِغْرَاءِ وَالْإِضْلَالِ أَخَذَ يُشَوِّشُ عَلَيْهِمْ أَوْقَاتَهُمْ بِتِلْكَ الْأُلْقِيَاتِ. وَالْوَسَاوِس: التُّرَّهَاتُ، فَنَفَرَتْ عَنْهَا قُلُوبُهُمْ وَعَظُمَ عَلَيْهِمْ وُقُوعُهَا عِنْدَهُمْ فَجَاءُوا- كَمَا فِي الصَّحِيحِ- فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «**أو قد وَجَدْتُمُوهُ**»؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**» رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ حَسَبَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ:(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ) [الحجر: ٤٢] .

فَالْخَوَاطِرُ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقِرَّةٍ وَلَا اجْتَلَبَتْهَا الشُّبْهَةُ فَهِيَ الَّتِي تُدْفَعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَعَلَى مِثْلِهَا يُطْلَقُ اسْمُ الْوَسْوَسَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ج: المعنى-والله تعالى أعلم- إن أهل التقوى، الذين اتقوا الشرك واتقوا المعاصي، شأنهم إذا أصابهم من الشيطان شيءٌ، إذا أغضبهم الشيطان أو أَلَمَّ بهم أو أصابهم بصرع أو أوقعهم في ذنب ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله ﷻ فانتهوا عما أوقعهم فيه الشيطان ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ لطريق الهداية، ولطريق التوبة والإنابة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ)، اللهَ من خلقه، فخافوا عقابه، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه (إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ) يقول: إذا ألَمَّ بهم لَمَمٌ من الشيطان، من غضب أو غيره مما يصدّ عن واجب حق الله عليهم، تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم، وتركوا فيه طاعة الشيطان.

وقال أيضًا:

وأما قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾، فإنه يعني: فإذا هم مُبصرون هُدَى الله وبيانه وطاعته فيه، فمُنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان.

وقال الحافظ ابن كثير:

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَرَكُوا مَا عَنْهُ زَجَرَ،

(٤٥٢) أحمر
أسود

أَنَّهُمْ (إِذَا مَسَّهُمْ) أَيْ: أَصَابَهُمْ "طَيْفٌ" وَقَرَأَ آخَرُونَ:(طَٰٓئِفٌ)، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ حَدِيثٌ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، فَقِيلَ: بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقِيلَ: بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِمَسِّ الشَّيْطَانِ بِالصَّرَعِ وَنَحْوِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِالْهَمِّ بِالذَّنْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِإِصَابَةِ الذَّنْبِ. وَقَوْلُهُ: (تَذَكَّرُواْ) أَيْ: عِقَابَ اللهِ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا، وَاسْتَعَاذُوا بِاللهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ. (فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) أَيْ: قَدِ اسْتَقَامُوا وَصَحَوْا مِمَّا كَانُوا فِيهِ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وبعد أن ذكر الله ﷻ أهل التقوى والإيمان وأنهم إذا أوقعهم الشيطان في زللٍ أو غضبٍ أو نحو ذلك تعوذوا وبالله ﷻ منه وتابوا وأقلعوا وندموا على ما صنعوا، أما إخوان الشياطين وأولياء الشياطين وأتباع الشياطين، فالشياطين تزيدهم ضلالًا بعد ضلالٍ وعصيانًا بعد عصيانٍ وكُفرًا بعد كُفرٍ وازعاجًا بعد إزعاج وسفهًا وجهلًا بعد سفهٍ وجهل.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ فللعلماء فيه وجهان:

أحدهما: أنه عائد على إخوان الشياطين من بني آدم، فمعناه وثم إن بني آدم لما مدتهم الشياطين في الغي فإنهم لا يقصرون عن فعل المعاصي ولا ينتهون عن فعلها بل هم فيها مستمرون.

الثاني: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ عائد على الشياطين، فالشياطين لا تقصر في الإغواء ولا ترحم، بل توقع الشخص في الكفر بعد الكفر والضلال بعد الضلال والفواحش بعد الفواحش، والعصيان بعد العصيان فلا تقصر ولا تفتر، وكما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣]، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وكما قال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٥].

(٤٥٣) أحمر
أسود

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

يقول تعالى ذكره: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي. يعني بقوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، يزيدونهم، ثم لا ينقصون عما نقص عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان. وإنما هذا خبرٌ من الله عن فريقي الإيمان والكفر، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفَّتهم رهبته عن معاصيه، وردّتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم زلَّةً = وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها، فهو أبدًا في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيده أبدًا، لا يقصر الإنسي عن شيء من ركوب الفواحش، ولا الشيطان من مدِّه منه.

وقال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وقوله تعالى: (وَإِخْوَانُهُمْ) أَيْ وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ كَقَوْلِهِ (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ) [الإِسْرَاءِ: ٢٧] وَهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَالْمُسْتَمِعُونَ لَهُمْ، الْقَابِلُونَ لِأَوَامِرِهِمْ (يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ) أي تساعدهم الشياطين على الْمَعَاصِي وَتُسَهِّلُهَا عَلَيْهِمْ وَتُحَسِّنُهَا لَهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الْمَدُّ الزِّيَادَةُ يَعْنِي يَزِيدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ يَعْنِي الْجَهْلَ وَالسَّفَهَ.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ قِيلَ معناه إن الشياطين تمد الإنس لَا تُقْصِرُ فِي أَعْمَالِهِمْ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابن عباس فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ الآية، قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون، ولا الشياطين تمسك عنهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قِيلَ: الْمَعْنَى وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَهُمُ الْفُجَّارُ مِنْ ضُلَّالِ الْإِنْسِ تَمُدُّهُمُ الشَّيَاطِينُ فِي الْغَيِّ. وَقِيلَ لِلْفُجَّارِ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ لِأَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ مِنْهُمْ. وَقَدْ سبق فهذه الْآيَةِ ذِكْرُ الشَّيْطَانِ. هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ وَالضَّحَّاكِ وَمَعْنَى(لَا يُقْصِرُونَ) أَيْ لَا يَتُوبُونَ وَلَا

(٤٥٤) أحمر
أسود

يَرْجِعُونَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالْمَعْنَى: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ لَكُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَسَّهُ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَنَبَّهَ عَنْ قُرْبٍ، فَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَيَمُدُّهُمُ الشَّيْطَانُ. و(لَا يُقْصِرُونَ) قِيلَ: يَرْجِعُ إِلَى الْكُفَّارِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا. وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الشَّيْطَانِ. قَالَ قَتَادَةُ: الْمَعْنَى ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ عَنْهُمْ وَلَا يَرْحَمُونَهُمْ. وَالْإِقْصَارُ: الِانْتِهَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، أَيْ لَا تُقْصِرُ الشَّيَاطِينُ فِي مَدِّهِمُ الْكُفَّارَ بِالْغَيِّ. وَقَوْلُهُ:(فِي ٱلْغَيِّ) يَجُوزُ أَنْ يكون متصلا بقوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ ويجوز أن يكون مُتصلًا بالإخوان. والغيّ: الجهل.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

ج: أولًا: لأهل العلم قولان في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَةٖ﴾:

أحدهما: أن الآية المعجزة والخارقة.

الثاني: أن الآية هي التي تُتلى من كتاب الله ﷻ. أما قولهم: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ أي اخترتها واصطفيتها وأتيت بها من قِبَلِ نفسك (أي: من عندك).

فعلى المعنى الأول لقوله ﴿بِـَٔايَةٖ﴾:

يقول الله ▌ ما حاصله: وإذا لم تأتهم يا رسول الله بالمعجزة التي طلبوها قالوا لك: هلَّا أتيتنا بها من عند نفسك، وهلَّا اخترت لنا معجزة من بين المعجزات فجئتنا بها حتى نصدقك، قل إنما الأمر فيه الله ﷻ يفعل ما يريد، وإن كنتم تريدون مُعجزة عظيمة هي أعظم الآيات على الإطلاق فهذا القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ تستبصرون بها، وهدىً يهدي به الله من يشاء إلى الطريق المستقيم ﴿وَرَحْمَةٞ﴾ يرحم الله به عباده المؤمنين بما يُنيره لهم من الطريق، وبما يُخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن الكُفر إلى الإيمان.

وهذا المعنى كالوارد في قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

(٤٥٥) أحمر
أسود

يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

أما المعنى الثاني: (أن الآية هي آية من الكتاب العزيز) فالمعنى: وإذا تأخرت عليك آية من الآيات أو تأخر نزول الوحي قال أهل الشرك لولا جئتنا بها من قِبَل نفسك، واخترتها من بين سائر كلامك فصُغتها بالصياغة التي تريدها. ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيٓ﴾ لست بمُختلقٍ لآية ولا بِمُفترٍ لها.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا لم تأت، يا محمد، هؤلاء المشركين بآية من الله (قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ)، يقول: قالوا: هلا اخترتها واصطفيتها.

من قول الله تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ)، [آل عمران: ١٧٩] يعني: يختار ويصطفي. وقد بينا ذلك في مواضعه بشواهده.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها؟ بمعنى: هلا اجتبيتها اختلاقًا؟ كما تقول العرب: "لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلاقًا.

ثم أورد أقوال بعض أهل العلم في ذلك ثم قال:

وقال آخرون: معنى ذلك هلَّا أخذتها من ربك وتقبلتها منه؟

ثم قال:

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويلُ من قال تأويله: هلا أحدثتها من نفسك! لدلالة قول الله: (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيٓ ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ)، فبيَّن ذلك أن الله إنما أمر نبيه ﷺ، بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولا وينشئه فيدعو الناس إليه.

وحكي عن الفراء أنه كان يقول: «اجتبيت الكلام» و«اختلقته»، و«ارتجلته»: إذا افتعلته من قِبَل نفسك.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

يقول تعالى ذكره لنبيه مُحمد ﷺ: قل، مُحمد، للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية: «هلَّا

(٤٥٦) أحمر
أسود

أحدثتها من قبل نفسك!» إن ذلك ليس لي، ولا يجوز لي فعله، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحي إليَّ من عنده، فإنما أتبع ما يوحي إليَّ من ربي، لأني عبده، وإلى أمره أنتهي، وإياه أُطيع، ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يقول: هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم، ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يقول: حجج عليكم، وبيان لكم من ربكم.

واحدتها «بصيرة»، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. وإنما ذكر ﴿هَٰذَا﴾ ووحَّد في قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾، لما وصفت من أنه مُرادٌ به القرآن والوحي.

وقوله: ﴿وَهُدًى﴾، يقول: وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ رحم الله به عباده المؤمنين فأنقذهم به من الضلالة والهلكة، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يقول: هو بصائر من الله وهُدىً ورحمة لمن آمن، يقول: لمن صدَّق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه، وعمل بما فيه، دون من كذب به وجحده وكفر به، بل هو على الذين لا يؤمنون به عمًى وخزي.

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ) أَيْ: مُعْجِزَةٍ، وَخَارِقٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشُّعَرَاءِ: ٤] يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أَلَا تُجْهِدُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الْآيَاتِ مِنَ اللهِ حَتَّى نَرَاهَا وَنُؤْمِنَ بِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: (قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي) أَيْ: أَنَا لَا أَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا أَمَرَنِي بِهِ فَأَمْتَثِلُ مَا يُوحِيهِ إِلَيَّ، فَإِنْ بَعَثَ آيَةً قَبِلْتُهَا، وَإِنْ مَنَعَهَا لَمْ أَسْأَلْهُ ابْتِدَاءَ إِيَّاهَا؛ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُعْجِزَاتِ، وَأَبْيَنُ الدَّلَالَاتِ، وَأَصْدَقُ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ، فَقَالَ: (هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

(٤٥٧) أحمر
أسود

حول الاستماع والإنصات للقرآن الكريم

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، المصدقين بكتابه، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة: (وَإِذَا قُرِئَ)، عليكم، أيها المؤمنون، (ٱلْقُرْءَانُ)، (فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ)، يقول: أصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه (وَأَنصِتُوا۟)، إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه.

قال السعدي في تفسيره:

هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات[١].

والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما غزيرا، وإيمانا مستمرا متجددا، وهدى متزايدا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها.

---

(١) انظر ما سيأتي قريبًا، ففي قوله بالتعميم نظر.

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سبب نزول؟

ج: أورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أسانيد تُفيد أن الآية نزلت في الصلاة لا يخلوا سندٌ منها من مقال.

منها: ما أورده من طريق المُسيب بن رافع قال كان عبد الله (وهو ابن مسعود) يقول: كنا يُسلم بعضنا على بعضٍ في الصلاة (سلام على فلان) و(سلام على فلان) قال فجاء القرآن: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

قلت (مصطفى): وفي سند هذا الأثر أبو بكر بن عياش فيه بعض الكلام وكذا شيخه عاصم بن بهدلة، وكذا لم يسمع المُسيب بن رافع من ابن مسعود.

وأورد أثرًا آخر من طريق الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتىً من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئًا قرأة فنزلت: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾، وسنده ضعيف مُرسل.

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن قتادة قوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾، قال كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أوَّلَ ما فرضت عليهم، فأنزل الله ما تسمعون: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

ولكنه مُرسل كما ترى فقتادة تابعي ومراسيله من أضعف المراسيل.

س: هل الإنصات عند قراءة القرآن يكون في كل وقتٍ وحين أم أنه في أحوال مخصوصة؟

ج: أكثر أهل العلم على أن الاستماع والإنصات يكون في الصلاة أي أنه الاستماع والإنصات للقرآن الذي يُتلى في الصلاة.

ومن العلماء من زاد أيضًا والقرآن الذي يُتلى أثناء خطبة الجمعة.

أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن طلحة بن عُبيد الله بن كريز قال: رأيت عبيد بن عُمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان، والقاصّ يقص، فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظر إليَّ، ثم أقبلا على حديثهما. قال: فأعدت، فنظرا

إليّ، ثم أقبلا على حديثهما. قال: فأعدت الثالثة، قال: فنظر إليّ فقالا: إنما ذلك في الصلاة: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

وأخرج بسندٍ صحيح عن مجاهد أيضًا قال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ قال: في الصلاة.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ قال هذا إذا قام الإمام للصلاة: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

وثم آثارٌ أُخر أوردها الطبري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

وأخرج الطبري بسندٍ رجاله ثقات عن يُسير بن جابر قال: صلى ابن مسعود، فسمع ناسًا يقرؤون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفقهوا! أما آن لكم أن تعقلوا؟ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾، كما أمركم الله.

س: ما مدى صحة هذه اللفظة التي أخرجها مسلم في «صحيحه»: «.....وإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا؟»

ج: هذه اللفظة ذكره مسلم (١) في صحيحه عقب روايته لحديث أبي موسى مرفوعًا وفيه: «.....ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذْ قَالَ (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ، وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ....» الحديث ثم أشار مسلم إلى زيادة: «وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا.....».

قلت (مصطفى): وهذه الزيادة أعلها عدد من أهل العلم، والذي أراه أنها معلولة ولا تثبت، وإن كان معناها تشهد له الآية الكريمة، والله أعلم.

س: أهل الكفر كانوا يُشوشون على القرآن عند تلاوته. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

أي: أعرضوا عن هذه القرآن وانصرفوا عنه وشوشوا عليه وتكلموا عند

---

(١) مسلم (حديث ٤٠٤).

(٤٦٠) أحمر
أسود

تلاوته لعلكم تصرفون الناس عنه، كذا يوصي الكفار بعضهم بعضًا بذلك.

ذكر الله ﷻ تضرعا وخيفة وفي الخفاء

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر الله ﷻ أيها المسلم في نفسك ولا تجهر بذلك، ذكرًا متضمنًا التهليل والتكبير والحمد والتسبيح والتمجيد، وغير ذلك من صور الذكر، وكذا الذكر المتضمن الدعاء أي: ادعه في نفسك، ﴿تَضَرُّعًا﴾ تخشعًا وتواضعًا وإلحاحًا وإشفاقًا ورغبةً،وخوفًا منه ومن تقصيرك في حقه سبحانه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، اذكر الله ﷻ على النحو المذكور، ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أي في وقت الغدوات، وهي من الفجر إلى طلوع الشمس، ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ وهي أوقات العشي، قيل إنها ما بين العصر إل المغرب، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ اللاهين عن ذكر الله المنشغلين بغيره عنه.

والآية كقوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وقال الحافظ ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–:

يَأْمُرُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، كَمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ فِي هَذَيْنَ الْوَقْتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ) [ق:٣٩] وَقَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ.

وَقَالَ هَاهُنَا (بِٱلْغُدُوِّ)-وَهُوَ أَوَائِلُ النَّهَارِ: (وَٱلْآصَالِ) جَمْعُ أَصِيلٍ، كَمَا أَنَّ الْأَيْمَانَ جَمْعُ يَمِينٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) أَيِ: اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ رهبة ورغبة، وبالقول لا جهرًا؛ ولهذا قَالَ: (وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ) وَهَكَذَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ لَا يَكُونُ

(٤٦١) أحمر
أسود

نِدَاءً وَلَا جَهْرًا بَلِيغًا؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البَقَرَة:١٨٦] (١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ (٢) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تدعون أصمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**».

وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الإِسْرَاء:١١٠] فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ سَبُّوهُ، وَسَبُّوا مَنْ أَنْزَلَهُ، وَسَبُّوا مَنْ جَاءَ بِهِ؛ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَلَّا يَجْهَرَ بِهِ، لِئَلَّا يَنَالَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَا يُخَافِتَ بِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ فَلَا يُسْمِعُهُمْ، وَلْيَتَّخِذْ سَبِيلًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ. وَكَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: ٢٠٥].

هذا، وقد ذهب الطبري مذهبًا آخر في تفسيره الآية الكريمة، ولكن أراه بعيدًا في هذا المقام، حيث أنه حمل الآية الكريمة على المُصلي الذي يستمع القرآن من إمامه، ومن ثمَّ تعقبه غير واحدٍ من العلماء منهم الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، فأورد هاهنا قول الطبري وتعقب ابن كثير له –رحمهما الله– وَعَلَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَاذْكُر) أيُّها المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ في صلاة أو خطبة (رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ)، يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، وتذكر معادك إليه عند سماعكه (تَضَرُّعًا)، يقول: افعل ذلك تخشعًا لله وتواضعًا له. (وَخِيفَةً)، يقول: وخوفًا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده. (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ)، يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار. يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار، ولكن

---

(١) ضعيف الإسناد.

(٢) البخاري (مع الفتح: ١١/١٨٧)، ومسلم (مع النووي: ١٧/٢٥).

(٤٦٢) أحمر
أسود

في خفاء من القول.

وتعقب هذا الحافظُ ابن كثير بقوله:

وَقَدْ زعم ابن جرير وقبله عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ إِنَّ المراد بها أَمْرُ السَّامِعِ لِلْقُرْآنِ فِي حَالِ اسْتِمَاعِهِ بِالذِّكْرِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ. وَهَذَا بعِيدٌ مَنَافٍ لِلْإِنْصَاتِ المأمور به، ثم إن الْمُرَادُ بِذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كَمَا تَقَدَّمَ أَوِ فِي الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْصَاتَ إِذْ ذَاكَ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ، سَوَاءً كَانَ سِرًّا أَوْ جَهْرًا، فَهَذَا الَّذِي قَالَاهُ لَمْ يُتَابَعَا عَلَيْهِ، بَلِ الْمُرَادُ الْحَضُّ عَلَى كَثْرَةِ الذِّكْرِ مِنَ الْعِبَادِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، لِئَلَّا يَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ، وَلِهَذَا مَدَحَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فَقَالَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] وإنما ذكرهم بهذا ليقتدى بِهِمْ فِي كَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ.

وَلِهَذَا شُرِعَ لَنَا السُّجُودَ هَاهُنَا لَمَّا ذُكِرَ سُجُودُهُمْ لِلَّهِ ﷻ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «أَلَا تُصَفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا يُتِمُّونَ الصفوف الأول فالأول وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»(١).

س: اذكر بعض الأدلة على الإسرار بالذِّكر.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.

قوله تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»(٢).

وقوله ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»(٣).

وفي حديث السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظله: «.....وَرَجُلٌ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (مع الفتح ١٣/ ٣٨٤)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢).

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٥).

(٤٦٣) أحمر
أسود

ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه»[١].

س: ما مدى صحة ما نُسب إلى النحاس من قوله: ولم يختلف في معنى ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أنه في الدعاء؟

ج: إذا كان يُفهم من كلامه أن الآية في الدعاء فحسب فقد خولف من ذلك: أما إذا كان يقصد أن الدعاء داخلٌ في الآية الكريمة فالمعنى صحيح. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

ج: المعنى، ولا تكن من اللاهين عن ذِكر الله ﷻ المنشغلين بغيره عنه، ولا تكن من التاركين لدُعائه وسؤاله ورجائه.

كذا، ولا تكن من الغافلين عن التدبير والتفهم لكتاب الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وأما قوله: (وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ)، فإنه يقول: ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره، وما فيه من عجائبه، ولكن تدبر ذلك وتفهمه، وأشعره قلبك بذكر الله، وخضوعٍ له، وخوفٍ من قدرة الله عليك، إن أنت غفلت عن ذلك.

التشبه بالملائكة

س: هل التشبه بالملائكة فيما يشتركون فيه مع البشر محمود؟

ج: نعم، محمودٌ؛ لقوله ﷺ: «أَلَا تُصَفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا».

وكذا تشبهنا بهم في إحسان العبادة وإتقانها فإن الله جلَّ ذكره، وبعد أن أمره بذكره بالغدو والآصال، ونهانا عن الغفلة قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ففي هذا إشارة إلى التواضع لله وإحسان عبادته والسجود له كما أن الملائكة يتواضعون ويُحسنون العبادة ويسجدون. والله أعلم.

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٤٢/٢)، ومسلم (مع النووي ١٢٠/٧).

(٤٦٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ج: المعنى، الله تعالى أعلم: اذكر الله ﷻ أيها المسلم ولا تستكبر عن ذكره ولا عن دعائه ولا عن مسألته، فإن الملائكة الذين هم عند الله ﷻ لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن ذكره بل هم يُسبحونه ويسجدون له، فتشبهوا بهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا تستكبر، أيها المستمع المنصت للقرآن، عن عبادة ربك، واذكره إذا قرئ القرآن تضرعًا وخيفة ودون الجهر من القول، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع، وذلك هو "العبادة"(وَيُسَبِّحُونَهُۥ)، يقول: ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم (وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ)، يقول: ولله يصلون وهو سجودهم فصلوا أنتم أيضًا له، وعظموه بالعبادة، كما يفعله من عنده من ملائكته.

س: هل يشرع السجود عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾.

ج: نعم يُشرع ذلك فقد نُقل الإجماع على ذلك.

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

وهذه أول سجدةٍ في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعيها السجود بالإجماع.

تفسير سورة الأنفال

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾

[الأنفال: ١-٤].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْأَنفَالِ - وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ - يَتَوَكَّلُونَ - يُنفِقُونَ - وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْأَنفَالِ﴾	الغنائم – ما يغنمه المسلمون من الكفار
﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	خافت قلوبهم – خشعت – تواضعت – سكنت
﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾	يعتمدون (في قضاء أمورهم كلها على الله)
﴿يُنفِقُونَ﴾	يخرجون
﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	الجنة

❁ ❁ ❁

تعريف الأنفال

س: اذكر المراد بالأنفال بشيء من التفصيل.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها الغنائم عمومًا التي يغنمها المسلمون من الكفار، وهذا قول جمهور العلماء[1].

الثاني: أن المراد بالأنفال الزيادات التي يعطيها الإمام لبعض المحاربين دون غيرهم.

وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثالث: أن الأنفال ما شذَّ من المشركين عمومًا وانتقل إليهم من غير حرب كالفرس الذي يشذ منهم إلى المسلمين من غير قتال أو العبد، أو الأمة، أو أي متاع من الكفار يشذ إلى المسلمين بغير قتال، وهذا القول قول عطاء وغيره، وقد صح عن عطاء.

القول الرابع: أنها الخمس (خمس الغنيمة) فالغنيمة تقسم خمسة، والمراد بالأنفال خُمسها، وهذا القول قول مالك، عزاه إليه الشنقيطي في أضواء البيان.

القول الخامس: أن المراد بالأنفال خمس الخمس فالغنيمة تُقسم خمسة أخماس، وأحد هذه الأخماس يُقسم إلى خمسة، والأربعة أخماس للمجاهدين، والخمس الخامس يقسم إلى خمسة أخماس أحدها لله والرسول بمعنى أننا إذا افترضنا أن الغنيمة كانت مائة مثلًا، فأربعة أخماسها (٨٠) للمجاهدين، والعشرون المتبقية تقسم إلى خمسة، أحد أقسامها لله والرسول، كما قال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾.

---

(١) نقله عنهم غير واحدٍ منهم الشنقيطي في أضواء البيان.

هذا، وكما أسلفت فإن رأي الجمهور أن المراد بالأنفال الغنائم، ولكن يُعكر على هذا بأن يقال، كيف قيل: قل الأنفال لله والرسول، وقيل أيضًا: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾؟!!

وجوابه أن يُقال إن الآية الأولى نسخت بالثانية، أي: أن السؤال كان أولًا عن الأنفال فأخبروا أن الأمر فيها لله والرسول يقضي الله فيها بما يشاء ويحكم فيها بما يريد، ثم بيَّن بعد ذلك قضاءه فيها بأن قال: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ فعلى هذا قد يُقال إن الثانية نسخت الأولى أي: أن قوله: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ نسخ قوله: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾.

أو يكون قد بيَّن ووضَّحه، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ﴿ٱلۡأَنفَالِ﴾ التي ذكرها الله في هذا الموضع.

فقال بعضهم: هي الغنائم، وقالوا: معنى الكلام: يسألك أصحابك، يا محمد، عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر، لمن هي؟ فقل: هي لله ولرسوله.

وأورد عددًا من الآثار بذلك، ثم قال:

وقال آخرون: ﴿ٱلۡأَنفَالِ﴾، ما شذَّ من المشركين إلى المسلمين، من عَبْد أو دابة، وما أشبه ذلك.

وأورد بسندٍ صحيح عن عطاء: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾، قال: هي ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال، من عبد أو أمة أو متاع أوثَقَل، فهو للنبي ﷺ يصنع فيه ما شاء.

وبسندٍ صحيح عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلا سأل ابن عباس عن ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، فقال ابن عباس: الفرس من النَّفَل، والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضًا. ثم قال الرجل: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، التي قال الله في كتابه، ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يُحْرجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا، مَثَلُ صَبِيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

وفي رواية أخرى أيضًا عن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا سئل عن شيء قال: «**لا آمرك ولا أنهاك**». ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا زاجرًا آمرًا، محللا محرمًا - قال القاسم: فسلِّط على ابن عباس رجل يسأله عن: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، فقال ابن عباس: كان الرجل ينفّل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مَثَل هذا، مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه- أو على رجليه؟ فقال الرجل: أمّا أنت فقد انتقم الله لعمر منك.

وقال آخرون: «النفل»، الخمس الذي جعله الله لأهل الخُمُس.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، قولُ من قال: هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيبًا له، وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين. وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس، لأن ذلك أمره إلى الإمام، إذا لم يكن ما وصلوا

(١٠) أحمر
أسود

إليه بغلبة وقهر، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقَهر.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، لأن «النفل» في كلام العرب، إنما هو الزيادة على الشيء، يقال منه: «نفَّلتك كذا»، و«أنفلتك»، إذا زدتك.

و﴿ٱلۡأَنفَالِ﴾، جمع «نَفَل»، ومنه قول لبيد بن ربيعة:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

فإذ كان معناه ما ذكرنا، فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة- إن كان ذلك لبلاء أبلاه، أو لغناء كان منه عن المسلمين- بتنفيل الوالي ذلك إيّاه، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل، فهو منفل ما زيد من ذلك، لأن الزيادة نَفَلٌ، والنَّفَل وإن كان مستوجِبَهُ في بعض الأحوال لحق، ليس هو من الغنيمة التي تقع فيها القسمة. وكذلك كل ما رُضِخ لمن لا سهم له في الغنيمة، فهو«نفل»، لأنه وإن كان مغلوبًا عليه، فليس مما وقعت عليه القسمة.

فالفصل -إذ كان الأمر على ما وصفنا- بين «الغنيمة» و«النفل»، أن «الغنيمة» هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر، نفَّل منه منفِّل أو لم ينفل، و«النفل»: هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغَنَاء عن الجيش على غير قسمة.

أما الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأورد ما أخرجه البخاري من طريق سعيد بن جبير قال: مكث لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[1].

(١) البخاري (٤٦٤٥).

(١١) أحمر
أسود

وأورد ابن كثير أيضًا ما قدمته من طريق القاسم بن محمد عن ابن عباس ثم قال ابن كثير:

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس: أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه، بعد قسم أصل المغنم، وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل، والله أعلم.

وأورد أقوالًا قدمناها ثم أورد ما أخرجه الإمام أحمد[1] بسنده إلى سعد بن مالك (وهو سعد بن أبي وقاص) قال: قلت: يا رسول الله، قد شفاني الله اليوم من المشركين، فهب لي هذا السيف. فقال: «إن هذا السيف لا لك ولا لي، ضعه» قال: فوضعته، ثم رجعت، قلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلي بلائي! قال: رجل يدعوني من ورائي، قال: قلت: قد أنزل الله في شيئا؟ قال: «كنت سألتني السيف، وليس هو لي وإنه قد وهب لي، فهو لك» قال: وأنزل الله هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾.

وأورد أيضًا ما أخرجه الطيالسي ومسلم[2] وغيرهما من حديث سعد قال: نزلت في أربع آيات: أصبت سيفا يوم بدر، فأتيت النبي ﷺ فقلت: نَفِّلْنِيه. فقال: «ضعه من حيث أخذته» مرتين، ثم عاودته فقال النبي ﷺ: «ضعه من حيث أخذته»، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

اختلف العلماء في المراد بالأنفال هنا على خمسة أقوال:

الأول: أن المراد بها خصوص ما شذ عن الكافرين إلى المؤمنين، وأخذ بغير حرب كالفرس والبعير يذهب من الكافرين إلى المسلمين، وعلى هذا

(١) أحمد (١/ ١٧٨) وسنده حسن.

(٢) مسلم (١٧٤٨)، والطيالسي (٢٠٨)، واللفظ أعلاه لفظ مسلم، وهو قريب من لفظ الطيالسي.

(١٢) أحمر
أسود

التفسير فالمراد بالأنفال هو المسمى عند الفقهاء فيئا، وهو الآتي بيانه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، وممن قال بهذا القول عطاء بن أبي رباح.

الثاني: أن المراد بها الخمس وهو قول مالك.

الثالث: أن المراد بها خمس الخمس.

الرابع: أنها الغنيمة كلها وهو قول الجمهور.

الخامس: أن المراد بها أنفال السرايا خاصة وممن قال به الشعبي، ونقله ابن جرير عن علي بن صالح بن حي، والمراد بهذا القول: ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش.

❁ ❁ ❁

الجمع بين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾

س: على قول من قال إن الأنفال هي الغنائم، وهم الجمهور فكيف الجمع بين قوله تعالى: (قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ)، وبين قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ..﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجوهٌ:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية، ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقد نقل القول بالنسخ عن الجمهور[1].

الثاني: أنه ليس بناسخ إنما هو بيانٌ لحكم الله ورسوله، فأولا قيل يسألونك

(١) انظر هذا النقل عند القرطبي وفي أضواء البيان.

(١٣) أحمر
أسود

عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول يصنع الله فيها ما يشاء ويأمر رسوله فيها بما يريد، ثم أوضح الله ﷻ مراده فيها بقوله: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حراما في شرائع الأنبياء المتقدمين فنسخ الله ذلك بهذه الآية وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ ثم نسخ ذلك بقوله ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ وقال آخرون المراد بالأنفال شيئان:

أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه يستخرج به نصحهم ويحرضهم على القتال.

والثاني: ما يفضل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فغنمنا إبلا فأصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فعلى هذا هي محكمة لأن هذا الحكم باق إلى وقتنا هذا.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفوا فيها: أمنسوخة هي أم غير منسوخة؟

فقال بعضهم: هي منسوخة. وقالوا: نسخها قوله: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، الآية.

وقال آخرون: هي محكمة، وليست منسوخة، وإنما معنى ذلك: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ﴾، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة، وللرسول، يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه.

۞ ۞ ۞

(١٤) أحمر
أسود

س: هل قسم رسول الله ﷺ غنائم بدر؟

ج: نعم قسمها رسول الله ﷺ، ويشهد لذلك حديث علي: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ، بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْتَحِلُ مَعِيَ. فَنَأْتِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ. فَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي. فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ. وَشَارِفَايَ مُنَاخَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَجَمَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ. فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتُبَّتْ أَسْنِمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا. فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا. قُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ قَالُوا: فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ. غَنَّتْهُ قَيْنَةٌ وَأَصْحَابَهُ. فَقَالَتْ فِي غِنَائِهَا: أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ. فَقَامَ حَمْزَةُ بِالسَّيْفِ. فَاجْتَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا. فَأَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا. فَقَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجْهِيَ الَّذِي لَقِيتُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ! مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ. عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ فَاجْتَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا. وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَاهُ. ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي. وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. حَتَّى جَاءَ الْبَابَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ. فَاسْتَأْذَنَ. فَأَذِنُوا لَهُ. فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ. فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ. فَإِذَا حَمْزَةُ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ. فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ. ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ. فَقَالَ حَمْزَةُ: وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ثَمِلٌ. فَنَكَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ

(١٥) أحمر
أسود

الْقَهْقَرَى. وَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ[١].

❁ ❁ ❁

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾.

ج: أورد العلماء لهذه الآية أسبابًا للنزول، ويبدو أن الصحيح منها سببان، ولا مانع من أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة، فيحدث أمرٌ من الأمور ثم يحدث آخر فتنزل الآية فيها جميعها.

أما سبب النزول الأول: فهو ما أخرجه مسلم في صحيحه[٢] من طريق مصعب بن سعد عن أبيه قال: نزلت فيَّ أربع آيات...

وذكر الحديث الذي تقدم قريبًا.

وله سياق آخر عند الترمذي: من طريق أَبِي بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَوْ نَحْوَ هَذَا هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ فَقَالَ: هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي فَجَاءَنِي الرَّسُولُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقَالَ: «**إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلِيس لِي وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي وَهُوَ لَكَ**» قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾ الْآيَةَ.

قَالَ الترمذي بعد إخراجه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ مُصْعَبِ بن سعد أَيْضًا[٣].

---

(١) البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩)، واللفظ لمسلم.

(٢) مسلم (١٧٤٨).

(٣) ذلك احترازٌ عن الكلام الموجود في أبي بكر بن عياش ولكن له طرق أخر عن عاصم عند الطبري وغيره.

(١٦) أحمر
أسود

أما سبب النزول الثاني فأخرجه أحمد[١]، وفي سنده مقال، إلا أنه فيما يبدو والله أعلم يُحسَّن لشواهده من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا، نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا، نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

قلت (مصطفى): وفي سنده انقطاع، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا وَكَذَا**» قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ الْمَشْيَخَةُ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوْ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ يَقُولُ: فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فَكَذَلِكَ أَيْضًا

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) والطبري وغيرهما.

(١٧) أحمر
أسود

فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ[١].

❁ ❁ ❁

س: عن أي شيء من شؤون الأنفال سأل المؤمنون نبيهم ﷺ؟

ج: السؤال عن الأنفال كيف تُقسَّم؟ وعلى من تُقسَّم؟ والله أعلم.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي عن قولان:

أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال؛ وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن».

والثاني: أنها أصل، والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي، أو عن حكم الأنفال؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين. وذُكر أنهم إنما سألوا عن حكمها؛ لأنها كانت حراما على الأمم قبلهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإذْ كان ذلك معنى «النفل»، فتأويل الكلام: يسألك أصحابك، يا محمد، عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر، لمن هو؟ قل لهم يا محمد: هو لله ولرسوله دونكم، يجعله حيث شاء.

❁ ❁ ❁

س: هل كانت الغنائم حلالًا للأمم من قبلنا؟

ج: لم تحل الغنائم إلا لأمة محمد ﷺ ونبيهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ففي الصحيحين[٢] من

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩)، والطبري عند تفسير الآية المذكورة (١٥٦٦٥)، وفي غيره، والبيهقي (٦/ ٢٩١) وغيرهم.

(٢) البخاري (٤٣٨)، ومسلم (حديث ٥٢١) واللفظ له.

(١٨) أحمر
أسود

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي. كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي. وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا. فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ. وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».

وفي الصحيحين[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ. وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا. وَلَا آخَرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا. قَالَ: فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ. أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ. وَأَنَا مَأْمُورٌ. اللَّهُمَّ! احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا. فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا. فَأَقْبَلَتْ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ. فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ. فَقَالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ. فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ فَبَايَعُوهُ فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ. فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ فَبَايَعَتْهُ. قَالَ: فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ. أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ. قَالَ: فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ. فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا. ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾؟

(١) البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(١٩) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – فخافوا الله واجعلوا نبيكم وبين عذابه وقاية، وأصلحوا فيما بينكم وبين إخوانكم، وأصلحوا بين إخوانكم وبعضهم البعض وأطيعوا الله فيما أمركم به، وأطيعوا رسوله ﷺ إن كنتم صادقين في إيمانكم، وإن كنتم كاملي الإيمان وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه، وأصلحوا الحال بينكم.

واختلف أهل التأويل في الذي عنى بقوله: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾.

فقال بعضهم: هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر، وشهدوا الوقعة مع رسول الله ﷺ إذ اختلفوا في الغنيمة: أن يردَّ ما أصابوا منها بعضُهم على بعض.

وقال آخرون: هذا تحريج من الله على القوم، ونهيٌ لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره.

وأما قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، فإن معناه: وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال، إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم، فقد بين لكم وجوهه وسبله، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، يقول: إن كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم، كما:

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

الأنفال هي الغنائم التي ينفلها اللّه لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة «بدر» أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول اللّه ﷺ عنها، فأنزل اللّه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ كيف تقسم وعلى من

(٢٠) أحمر
أسود

تقسم؟

﴿ قُلِ ﴾ لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم اللّه ورسوله،. بل عليكم إذا حكم اللّه ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما،. وذلك داخل في قوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه..

﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب والتواصل..فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع -من التخاصم، والتشاجر والتنازع.

ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر،.والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة اللّه ورسوله،.كما أن من لم يطع اللّه ورسوله فليس بمؤمن.

ومن نقصت طاعته للّه ورسوله، فذلك لنقص إيمانه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ أي: اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ أي: في قسمه بينكم على ما أراده الله، فإنه قسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ أم بالتقوى والإصلاح، أي كونوا مجتمعين على أمر الله في الدعاء: اللهم أصلح ذات البين، أي الحال التي يقع بها الاجتماع. فدل هذا على التصريح بأنه شجر بينهم اختلاف، أو

(٢١) أحمر
أسود

مالت النفوس إلى التشاح؛ كما هو منصوص في الحديث. وتقدم معنى التقوى، أي اتقوا الله في أقوالكم، وأفعالكم، وأصلحوا ذات بينكم. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في الغنائم ونحوها. ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي إن سبيل المؤمن أن يمتثل ما ذكرنا. وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى «إذْ».

❁ ❁ ❁

(٢٢) أحمر
أسود

بعض صفات أهل الإيمان وأعمالهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- إنما المؤمنون الذين هم كاملوا الإيمان هم الذين إذا ذكر الله أمامهم خافت قلوبهم وخشعت وخضعت وذلت وانكسرت، فحملهم هذا على تقوى الله ﷻ باتقاء محارمه وبفعل ما يرضيه ولا يُسخطه، وكذا فالمؤمنون هؤلاء من صفاتهم أنهم إذا تليت عليهم آيات الله ازدادوا تصديقًا ويقينًا بأنها من عند الله فزادتهم التلاوة إيمانًا وتصديقًا، وهم في كل أمورهم يعتمدون على الله، قد علموا أن الأمر كلَّه وبيد الله فأنزلوا بالله ﷻ حوائجهم ولم يعتمدوا على أحدٍ سواه وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها، وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، تصديقًا. وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إيَّاهم إيمانًا «وعلى ربهم يتوكلون»، يقول: وبالله يوقنون، في أن قضاءه فيهم ماضٍ، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا

فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وكقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قال: هو الرجل يريد أن يظلم -أو قال: يهم بمعصية- فيقال له: اتق الله فَيجل قلبه.

وقوله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

❁ ❁ ❁

زيادة الإيمان ونقصانه

س: هل الإيمان يزيد وينقص، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: نعم يزيد وينقص، وقد قدمت الأدلى على ذلك في عدة مواطن من هذا التفسير، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] إلى غير ذلك.

(٢٤) أحمر
أسود

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بينا ذلك مستقصى في أول الشرح البخاري، ولله الحمد والمنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن صفات أهل الإيمان الكُمُل في إيمانهم أنهم يقيمون الصلاة، وذلك سيتأتي بالمحافظة على أدائها في أوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها وسائر أركانها وواجباتها، وكذا فإنهم يدعون إلى الصلاة ويرغبون فيها ويحثون على فعلها، وكذا فإن نفعهم يتعدى للآخرين، فإن من صفاتهم بذل الخير وإنفاق المعروف، المفروض منه وغير المفروض فيشمل الزكوات المفروضة، والصدقات المتنفل بها وكذا يشمل المال المبذول في عقيقة المولود والأضاحي، وكذا فإنه يشمل صور الإهداء للآخرين والإحسان إلى الجيران، وكذلك ولائم العرس ونحو ذلك، فضلًا عن ما يبذل في إطعام المساكين وجبر الخواطر المنكسرة، وإقالة العثرات والإعانة على نوائب الحق.

فهؤلاء المتصنعون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان لهم مغفرة عند ربهم، يغفر الله ذنوبهم، ورزق كريم حلال طيب وهو دخول الجنة.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٥) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه، من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقةٍ على من تجب عليهم نفقته، فيؤدُّون حقوقهم -«أولئك»، يقول: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال- «هم المؤمنون»، لا الذين يقولون بألسنتهم: «قد آمنا» وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقًا، لا يقيمون صلاة ولا يؤدُّون زكاة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾، لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم= ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه «الدرجات» التي ذكر الله أنها لهم عنده، ما هي؟

فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة، وفضائل قدّموها في أيام حياتهم.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، يقول: وعفو عن ذنوبهم، وتغطية عليها -﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، قيل: الجنة- وهو عندي: ما أعد الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ ينبه بذلك على أعمالهم، بعد ما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة، وهو حق الله تعالى.

(٢٦) أحمر
أسود

وقال قتادة: إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها، وسجودها.

وقال مقاتل بن حَيَّان: إقامتها: المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ، هذا إقامتها.

والإنفاق مما رزقهم الله يشمل خراج الزكاة، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب، والخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه.

قال قتادة في قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم، أوشكت أن تفارقها.

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان.

وقوله: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: منازل ومقامات ودرجات في الجنات، كما قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أي: يغفر لهم السيئات، ويشكر لهم الحسنات.

وقال الضحاك في قوله: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفلُ أنه فُضّل عليه أحد.

ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل علِّيين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق من آفاق السماء»، قالوا يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا ينالها غيرهم؟ فقال: «**بلى، والذي نفسي بيده**

(٢٧) أحمر
أسود

رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ من فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولبها. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم،.والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين اتصفوا بتلك الصفات ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق اللّه وحقوق عباده. وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها،.وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.

وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه،.وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب اللّه تعالى والتأمل لمعانيه.ثم ذكر ثواب المؤمنين حقا فقال: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: عالية بحسب علو أعمالهم. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وهو ما أعد اللّه لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ودل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان - وإن دخل الجنة - فلن ينال ما نالوا من كرامة اللّه التامة.

---

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢٨) أحمر
أسود

لفتة

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره. وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه. ونظير هذه الآية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]. وقال: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]. فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب. والوجل: الفزع من عذاب الله؛ فلا تناقض. وقد جمع الله بين المعنيين في قوله ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته؛ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير. فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله؛ ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله. ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]. فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم. ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم؛ فمن كان مستنا فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالا؛ والجنون فنون. روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: «**سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا**».

(٢٩) أحمر
أسود

فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فإذا كل إنسان لاف رأسه في ثوبه يبكي. وذكر الحديث. وروى الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. الحديث. ولم يقل: زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا ولا قمنا.

❁ ❁ ❁

(٣٠) أحمر
أسود

قصة غزوة بدر

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ ﴾

[الأنفال: ٥-٨].

(٣١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ - وَتَوَدُّونَ - غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ - يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ - وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ - وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾	إحدى الفرقتين من فرق المشركين، الفرقة التي فيها التجارات والمتاع، وهي فرقة أبي سفيان، والفرقة الأخرى فرقة أبي جهل وما معه من الجند
﴿وَتَوَدُّونَ﴾	تحبون - ترغبون
﴿غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾	غير ذات السلاح، والمراد العير (الإبل التي عليها التجارات)
﴿يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾	ليظهر الحق، وهو الإسلام ويُعليه بكلماته التي تكلم بها قبل أن يخلق الخلق، وأيضًا بأوامره لكم
﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	يهلك الكافرون
﴿وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾	يمحو الشرك

❁ ❁ ❁

(٣٢) أحمر
أسود

س: قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ التشبيه فيه راجع إلى ماذا؟ أعني (الكاف) في قوله: (كما) ما هو الجالب لها؟.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن أهل الإيمان يجادلونك في الأنفال وفي تقسيمها كما جادلوك يوم بدر، فقال بعضهم: إننا خرجنا للعير ولم نخرج للنفير، خرجنا لملاقاة عير أبي سفيان ولم نخرج للقتال.

الثاني: أن تقوى الله ﷻ وإصلاح ذات البين فيه خيرٌ لكم وإن كنتم لا تشعرون، كما كان في خروجكم يوم بدر خيرٌ لكم وأنتم لا تشعرون.

الثالث: أن بعضهم خرج يوم بدر من بيته وهو كاره للخروج من أصله، وكان في الخروج خير، وكذا لما دعوا للقتال إذ فريق منهم كاره كما كان كارهًا للخروج وفي القتال أيضًا خيرٌ لكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه «الكاف» التي في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ﴾، وما الذي شُبِّه بإخراج الله نبيه ﷺ من بيته بالحق.

فقال بعضهم: شُبِّه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمدًا ﷺ من بيته بالحقّ، فكان خيرًا له.

وأورد بسندٍ صحيح عن عكرمة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾، الآية، أي: إن هذا خيرٌ لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيرًا لك.

(٣٣) أحمر
أسود

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك، يا محمد، من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم.

وأورد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله:

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قال: كذلك أخرجك ربك.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل العربية في ذلك.

فقال بعض نحويي الكوفيين: ذلك أمر من الله لرسوله ﷺ أن يمضي لأمره في الغنائم، على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير وهم كارهون.

وقال آخرون منهم: معنى ذلك: يسألونك عن الأنفال مجادلةً، كما جادلوك يوم بدر فقالوا: «أخرجتنا للعِير، ولم تعلمنا قتالا فنستعدَّ له».

ثم قال:

وقال آخرون منهم: هي بمعنى القسم. قال: ومعنى الكلام: والذي أخرجك ربّك.

قال الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال: معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين، لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهًا، وجدالهم في لقاء العدو وعند دنوِّ القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض، مع قرب أحدهما من الآخر، أولى من تشبيهه بما بَعُد عنه.

(٣٤) أحمر
أسود

وأوضح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام عكرمة بقوله:

ومعنى هذا أن الله تعالى يقول: كما أنكم لما اختلفتم في المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة -وهم النفير؛ النفير الذين خرجوا لنصر دينهم، وإحراز عيرهم -فكان عاقبة، كراهتكم للقتال -بأن قدَّره لكم، وجَمَع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد -رَشَدًا وهدى، ونصرا وفتحا، كما قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (لَكَٰرِهُونَ ﴾ كارهون ماذا؟

ج: قيل كارهون للخروج، فلما دعاهم رسول الله ﷺ للخروج لملاقاة عير أبي سفيان تباطؤوا وكرهوا الخروج.

وقيل: كارهون للقتال، قالوا: خرجنا نريد العير، ولم نخرج نريد القتال. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س:ما المراد بالحق الذي جادلوا فيه إذ الله قال: (يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾؟

ج: قال بعض العلماء:

إن المراد بالحق هو ما أمرك الله به، فبعدما تبين لهم أنك لن تفعل إلا ما أمرك الله به جادلوا في ذلك.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بالحق هو القتال خاصة، أي:

(٣٥) أحمر
أسود

يجادلونك في القتال، قتال المشركين بعد ما تبين لهم أنك ماض فيه، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: تبين لهم أنك لا تأمرهم بشيء إلا بإذن الله.

وقيل: من بعد ما تبين لهم أن الله ﷻ وعدهم إما بالظفر بالعير أو الظفر على عدوهم من أهل مكة.

هذا، وهناك قولٌ للسدي ينبغي أن يُعرض عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ وأن هؤلاء هم المشركون.

ولا أرى هذا الوجه صحيحًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – كأن هؤلاء الذين يجادلونك في القتال، لما أخبرتهم أنك ستقاتل كأنهم سائرون في طريق الموت لا محالة، وهم ينظرون أنهم يسيرون في طريق الهلاك بظنهم، أي: تصوروا أنهم سيموتون لا محالة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، فإن معناه: كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدوّ، من كراهتهم للقائهم إذا دعوا إلى لقائهم للقتال، ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وإذ يعدكم الله يا أهل الإيمان على لسان

(٣٦) أحمر
أسود

نبيكم ﷺ فيما أوحاه الله ﷻ إليه أن الله ﷻ سيغنمكم إحدى الطائفتين من أهل الشرك إما أن تغنموا عير أبي سفيان بما فيها وما عليها وإما أن تغنموا أهل الشرك الذي جاءوا لقتالكم عند بدر بقتلهم وأسرهم وأخذ أسلحتهم ومتاعهم، ولكنكم يا أهل الإيمان ترغبون في الغنيمة التي ليست فيها قتال، ولا تصابون فيها بأذى، ترغبون أن تغنموا عير أبي سفيان التي ليس فيها قتال، ولكن الله ﷻ يريد أن ترتفع كلمة الحق، يريد أن يحقَّ الإسلام ويُعليه، ويجعل كلمة الله هي العليا، ويجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وذلك ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بأوامره التي أمركم بها من القتال وأيضًا بما قدَّره الله وقضاه في سابق علمه، وكذا يريد الله ﷻ أن يهلك أهل الكفر بقتل ساداتهم وكبراءهم، فهذا خير لكم من العير، يريد الله ﷻ أن يقطع دابر أهل الكفر وأهل الجحود والنكران لوحدانية الله ليظهر الحق ويُعليه ويجعل الإسلام هو الأعلى، وكلمة المسلمين هي العليا ليُعبد الله ﷻ وحده، ولا يشرك به شيء، وكذا لتبطل عبادة الأصنام والأوثان، وتضمحل رغم أنف أهل الكفرو الإجرام، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ ﴾، يعني إحدى الفرقتين، فرقة أبي سفيان بن حرب والعير، وفرقة المشركين الذين نَفَروا من مكة لمنع عيرهم.

وقوله: ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ﴾، يقول: إن ما معهم غنيمة لكم، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾، يقول: وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة - يقول: ليس لها حدٌّ، ولا فيها قتال- أن تكون لكم. يقول: تودُّون أن تكون لكم

(٣٧) أحمر
أسود

العيرُ التي ليس فيها قتال لكم، دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم، الذين في لقائهم القتالُ والحربُ.

وأصل «الشوكة» من «الشوك».

وأورد من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبد الله بن عباس، كُلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشأم، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفِّلكموها! فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا. وكان أبو سفيان يستيقن حين دنا من الحجاز ويتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفًا على أموال الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: «أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعِيرك»! فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغِفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة. وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ واديًا يقال له «ذَفِرَان»، فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه، نزل، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناسَ، وأخبرهم عن قريش. فقام أبو بكر رضوان الله عليه، فقال فأحسن. ثم قام عمر رضي الله عنه، فقال فأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض إلى حيث أمرك الله، فنحن معك، والله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾، [سورة المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت

(٣٨) أحمر
أسود

وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون! فوالذي بعثك بالحق، لئن سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد = يعني: مدينة الحبشة = لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه! فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ثم دعا له بخيرٍ، ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس!= وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عَدَدَ الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا: «يا رسول الله، إنا برآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا»، فكأن رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نُصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم= قال: فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل! قال: فقد آمنا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخُضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله أن يريك منا ما تَقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله! فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غدًا».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾، قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش. فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يلقوا العير، وأراد الله ما أراد.

(٣٩) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يقول: بأمره إياكم، أيها المؤمنون، بقتال الكفار، وأنتم تريدون الغنيمة، والمال وقوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يقول: يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ الله.

وقال في تأويل قوله: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين، كيما يحق الحق، كيما يُعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعزّ الإسلام، وذلك هو «تحقيق الحق»= ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر، ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾، هم المشركون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبا لعير أبي سفيان، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام، فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين من خَف منهم، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ في طلبه، فبعث ضَمْضَم بن عمرو نذيرا إلى مكة، فنهضوا في قريب من ألف مُقَنَّع، ما بين التسعمائة إلى الألف، وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا، وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميعاد، لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم، والتفرقة بين الحق والباطل، كما سيأتي بيانه.

(٤٠) أحمر
أسود

والغرض: أنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير، أوحى الله إليه يَعدهُ إحدى الطائفتين: إما العير وإما النَّفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير؛ لأنه كسب بلا قتال، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

ثم قال أيضًا:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ أي: يحبون أن الطائفة التي لا حَدَّ لها ولا منعة ولا قتال، تكون لهم وهي العير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال، ليُظَفِّرَكم بهم ويظهركم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالبا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي دبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم، كما قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ﴿ إِحْدَى ﴾ في موضع نصب مفعول ثان. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ في موضع نصب أيضا بدلا من ﴿إِحْدَى ﴾. ﴿وَتَوَدُّونَ ﴾ أي تحبون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ قال أبو عبيدة: أي غير ذات الحد. والشوكة: السلاح. والشوك: النبت الذي له حد؛ ومنه رجل شائك السلاح، أي حديد السلاح. ثم يقلب فيقال: شاكي السلاح. أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب؛ عن الزجاج. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي أن يظهر الإسلام. والحق حق أبدا، ولكن إظهاره تحقيق له من حيث إنه إذا لم يظهر أشبه الباطل. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي

(٤١) أحمر
أسود

بوعده؛ فإنه وعد نبيه ذلك في سورة «الدخان» فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] أي من أبي جهل وأصحابه. وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. [التوبة: ٣٣]. وقيل: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ ﴿إِحْدَى﴾ في موضع نصب مفعول ثان. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ في موضع نصب أيضا بدلا من ﴿إِحْدَى﴾. ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي تحبون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي غير ذات الحد. والشوكة: السلاح. والشوك: النبت الذي له حد؛ ومنه رجل شائك السلاح، أي حديد السلاح. ثم يقلب فيقال: شاكي السلاح. أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب؛ عن الزجاج. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي أن يظهر الإسلام. والحق حق أبدا، ولكن إظهاره تحقيق له من حيث إنه إذا لم يظهر أشبه الباطل. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي بوعده؛ فإنه وعد نبيه ذلك في سورة «الدخان» فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] أي من أبي جهل وأصحابه. وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. [التوبة: ٣٣]. وقيل: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي بأمره؛ إياكم أن تجاهدوهم. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي يستأصلهم بالهلاك. ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ أي يظهر دين الإسلام ويعزه. ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي الكفر. وإبطاله إعدامه؛ كما أن إحقاق الحق إظهاره ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

(٤٢) أحمر
أسود

الله يعلم ونحن لا نعلم

س: كثيرًا ما يكره الشخص أمرًا، وفي الحقيقة أنه يحمل له كل خير، وكذا يحب أمرًا وهو يحب أمرًا وهو يحمل له الشر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلى على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وقوله تعالى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور: ١١].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

وقد كان في اختيار الله كلَّ خير.

❁ ❁ ❁

(٤٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا
ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ
أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾

[الأنفال: ٩-١٤].

(٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ - فَاسْتَجَابَ لَكُمْ - مُرْدِفِينَ - عَزِيزٌ - يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ - أَمَنَةً مِّنْهُ - لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ - رِجْزَ الشَّيْطَانِ - وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ - وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ - فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ - بَنَانٍ - شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾	تستجيرون بربكم – تطلبون منه النصر والغوث
﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾	فأجابكم – أجاب دعاءكم
﴿ مُرْدِفِينَ ﴾	متتابعين
﴿عَزِيزٌ﴾	لا يغلب
﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴾	يلقى عليكم النعاس
﴿أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾	أمانًا من الله ﷻ
﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾	ليطهركم من الحدث ومن الجنابة
﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾	وساوس الشيطان
﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾	يقوي قلوبكم وعزائمكم، يصبركم على لقاء عدوكم – يجعل قلوبكم ثابتة مطئمة
﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾	يثبت بالمطر أقدامكم على الأرض أرض القتال
﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾	فاضربوا الرقاب والرؤوس
﴿بَنَانٍ ﴾	أطراف الأصابع، والمفاصل

(٤٥) أحمر
أسود

(شَآقُّواْ ٱللَّهَ)	خالفوا أمر الله وأمر رسوله واختاروا طريقًا غير طريق الله ﷻ، فكانوا في شقٍّ وأموامر الله ﷻ في شقٍّ آخر

❁ ❁ ❁

(٤٦) أحمر
أسود

شهود الملائكة بدرًا وقتالها مع المؤمنين

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾.

ج: سبب نزولها ما أخرجه الإمام أحمد ومسلم[1] وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَنَيِّفٌ وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ! أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي؟ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا**» قَالَ: فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ عز وجل وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: واذكروا حالكم إذ تستغيثون ربكم، تطلبون منه الغوث والنصر على الأعداء، وتستجيرون به من عدوكم فأجاب ربكم دعاءكم وأخبركم أنه سيمدكم بألف ملك من الملائكة متتابعين يتبع بعضهم بعضًا.

ولقد كان النبي ﷺ في بداية الغزوة – غزوة بدر – نظر إلى المشركين ونظر إلى أصحابه فوجد أصحابه ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين وهم ألف

(١) أحمد (١/ ٣٠)، ومسلم (١٢/ ٨٤).

(٤٧) أحمر
أسود

وزيادة فاستقبل القبلة، ودعا ربه ﷻ، وفيه أنه استقبل القبلة ثم مد يديه عليه رداؤه وإزاره ثم قال: **اللَّهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا**» فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردَّاه – ألبسه – ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك... الحديث.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود قال[1]:

شَهِدْتُ مِنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤] وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ.

ومن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال[2]:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ. فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، حين تستغيثون ربكم، فـ«إذْ» من صلة «يبطل».

ومعنى قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنصر عليهم، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأجاب دعاءكم، بأني ممدكم بألف من الملائكة يُرْدِف بعضهم بعضًا، ويتلو بعضهم بعضًا.

---

(١) البخاري (٣٩٥٢).
(٢) البخاري (٣٩٥٣).

(٤٨) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الوارد في شهود الملائكة غزوة بدر؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾.

وما أخرجه مسلم[1] من حديث ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَر رضي الله عنهما قَالَ -في قصة بدر-: فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**» فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.

وأخرج البخاري[2] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ**».

وعند البخاري[3] أيضًا أنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ**

---

(١) مسلم (١٧٦٣).
(٢) البخاري (٣٩٩٥).
(٣) البخاري (٣٩٩٢).

(٤٩) أحمر
أسود

فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ما جعل الله ﷻ الإمداد بالملائكة وكونهم يردف بعضهم بعضًا إلا بشارات لكم يا أهل الإيمان وطمأنينة لقلوبكم، وما النصر إلا من عند الله، لا من عند الملائكة، إن الله عزيز لا يغلبه غاب، ولا يمنعه من مراده مانعٌ، حكيم فيما يشرع، وحكيم في كل شيء، فكل شيء يجري بحكمة منه ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إردافَ الملائكة بعضها بعضًا وتتابعها بالمصير إليكم، أيها المؤمنون، مددًا لكم- ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ لكم، أي: بشارة لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم- ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم -﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وما تنصرون على عدوكم، أيها المؤمنون، إلا أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه= ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: إن الله الذي ينصركم، وبيده نصرُ من يشاء من خلقه= ﴿عَزِيزٌ﴾، لا يقهره شيء، ولا يغلبه غالب، بل يقهر كل شيء ويغلبه، لأنه خلقه= ﴿حَكِيمٌ﴾، يقول: حكيم في تدبيره ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه، لا يدخل تدبيره وهن ولا خَلل.

(٥٠) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الآية أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بُشرى، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ ﴾؛ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك، ولهذا قال: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٤-٦] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١] فهذه حكم شَرَع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدَّبُور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله تعالى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليمّ، ثم أنزل على موسى التوراة، شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ ﴾ [القصص: ٤٣] وقتل المؤمنين الكافرين أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]؛ ولهذا كان قَتلُ صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم، أنكى لهم

(٥١) أحمر
أسود

وأشفى لصدور حزب الإيمان. فَقَتْلُ أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى، أشد إهانة له من أن يموت على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب -لعنه الله- بالعَدَسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار، مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم، بحوله وقوته، سبحانه وتعالى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. والمراد الإمداد. ويجوز أن يكون الإرداف. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ نبه على أن النصر من عنده جل وعز لا من الملائكة؛ أي لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة. والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجة.

❁ ❁ ❁

س: هل باشرت الملائكة قتالًا يوم بدر؟ أم أن نزولها كان فقط تثبيتًا لأهل الإيمان؟

ج: نعم قد باشرت قتالًا، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾.

وما تقدم من حديث ابن عباس وفيه:... وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ.. الحديث، وقد تقدم قريبًا.

❁ ❁ ❁

(٥٢) أحمر
أسود

فضل من شهد بدرًا

س: اذكر شيئًا من الوارد في فضل من شهد بدرًا؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ، وَالزُّبَيْرَ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ... فذكر الحديث – في قصة حاطب –وفيه:

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ: «**أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟**» فَقَالَ: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وأخرج البخاري[2] من حديث معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه – وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ**».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).
(٢) البخاري (٣٩٩٢).

(٥٣) أحمر
أسود

ومن فضل الله على المؤمنين يوم بدر
(النعاس)

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم– واذكروا يا أهل الإيمان نعمة الله ﷻ عليكم يوم بدر وقد أصابتكم الهموم والغموم من كثرة أعدائكم وقوة شوكتهم وقلة عددكم وعُددكم فعند ذلك ألقى الله ﷻ عليكم النعاس، وهو السّنة الخفيفة، فأذهب الله بذلك عنكم الهموم والغموم، وكثيرًا ما يكون الشخص مهمومًا مغمومًا فتأخذه سنةٌ خفيفة، ويعتريه نعاس خفيف فيفيق منه، وقد أذهب الله كل همومه وكل غمومه، وقد قدمت شيئًا من الأقوال في ذلك في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، «إذ يغشيكم النعاس»، ويعني بقوله: ﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، يلقي عليكم النعاس = ﴿أَمَنَةً﴾ يقول: أمانًا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم، وكذلك النعاس في الحرب أمنة من الله ﷻ.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن أبي رزين، عن عبد الله قال: النعاس في القتال، أمنةٌ من الله ﷻ، وفي الصلاة من الشيطان.

❁ ❁ ❁

س: هل هذا النعاس الذي أصاب أصحاب رسول الله ﷺ كان يوم بدرٍ أم أنه كان يوم أُحد؟

ج: هذا الذي في سياقهذه الآيات كان يوم بدر بلا شكٍّ فسياق الآيات في شأن غزوة بدر.

(٥٤) أحمر
أسود

وأيضًا فقد أصاب النعاس فريقًا من أصحاب النبي ﷺ يوم أُحد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هذا، وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث أبي طلحة قَالَ: غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.

وأخرج أبو يعلى وغيره بإسناد صحيح إلى حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي تَحْتَ شَجَرَةٍ وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ[2].

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يذكرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم، أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عَدُوِّهم وقلة عَدَدهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أُحُد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارا يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحَجَف.

وقال أيضًا:

قلت: أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد، وأمر ذلك مشهور جدا، وأما يوم بدر في هذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر، وهي دالة على وقوع ذلك أيضا وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة

---

(١) البخاري (٤٥٦٢).

(٢) انظر مسند أبي يعلى (١/ ٢٤٢)، وأحمد (٥/ ١٢٥)، وابن حبان (١٦٩٠)، والطبراني (١٥٧٧٧)، وهنالك لم يُذكر النعاس.

(٥٥) أحمر
أسود

مطمئنة بنصر الله. وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمه عليهم، وكما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح: ٥، ٦].

❁ ❁ ❁

وكذا من فضل الله على المؤمنين إنزال المطر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكروا نعمة الله عليكم يا أهل الإسلام إذ أنزل الله عليكم يوم بدر من السماء ماءً لتغتسلون به من جنابةٍ أصابتكم، ومن حدث ألم بكم ومن وسخ أصاب أبدانكم، وهذا الماء طش من السماء أصابهم يوم بدر، وقد صح ذلك عن سعيد بن المسيب والشعبي[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم– ويُذهب الله ﷻ بهذا المطر الذي أنزله عليكم من السماء وساوس الشيطان، وذلك، والله أعلم أنهم قد أصابت بعضهم جنابة ليلة بدر، ولم يكن هنالك ماءٌ يغتسلون به من الجنابة، وقد خصرتهم صلوات، فقالوا: كيف نصنع ونحن على جنابة؟ وكيف نقابل أعداءنا ونحن على جنابة، فوسوس لهم الشيطان بذلك وساوس كثيرة، فأنزل الله ﷻ الماء من السماء فاغتسلوا به وتوضؤوا منه، وأذهب الله عنهم بذلك رجز الشيطان ووساوس الشيطان.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾، فإن ذلك مطرٌ

---

(١) وهذا مرسل فسعيد والشعبي تابعيان.

(٥٦) أحمر
أسود

أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنِبين على غير ماء. فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر. فذلك ربطه على قلوبهم، وتقويته أسبابهم، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء، فلبَّدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئةً من الله ﷻ لنبيه عليه السلام وأوليائه، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم.

وأورد بإسنادٍ فيه مقالٌ عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ -يعني: حين سار إلى بدر- والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دَعْصَة، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُجْنِبين! فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدوابّ، فساروا إلى القوم، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنِّبةً، وميكائيل في خمسمائة مجنبةً.

وبإسنادٍ آخر أشد ضعفًا: عن ابن عباس قوله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾، وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين مُحْدِثين، حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المسلمون، وملئوا الأسقية، وسقوا الرِّكاب، واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهورًا، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين

(٥٧) أحمر
أسود

القوم رَملة، فبعث الله عليها المطر، فضربها حتى اشتدَّت، وثبتت عليها الأقدام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر، نزل على أدنى ماء هناك أي: أول ماء وجده، فتقدم إليه الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نجاوزه، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال: « **بل منزل نزلته للحرب والمكيدة**». فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ما وراءه من القلب، ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء. فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك.

وأورد ما أخرجه ابن إسحاق في السيرة من طريق عروة بن الزبير قال[1]: بعث الله السماء -وكان الوادي دهسا -فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشا ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ أي: من حدث أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: من وسوسة أو خاطر سيئ، وهو تطهير الباطن، كما قال تعالى في حق أهل الجنة: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ فهذا زينة الظاهر ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] أي: مطهرا لما كان من غل أو حسد أو تباغض، وهو زينة الباطن وطهارته.

---

(١) قلت (مصطفى): وهذا مرسل.

(٥٨) أحمر
أسود

* هذا، وقد قال ابن زيد – كما روي عند الطبري ذلك بسندٍ صحيح: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة.

❁ ❁ ❁

ومن فضل الله أيضًا على المؤمنين يوم بدر

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾.

ج: المراد – والله أعلم – يثبت قلوبكم ويقويها لمجاهدة أعداء الله، ويقذف فيها الطمأنينة والثبات وعدم الخوف من مجالدة الأعداء وكذا يُصبركم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

ج: جمهور المفسرين على أن المراد بذلك ويثبت الله ﷻ الأقدام، أقدام المؤمنين عند القتال، فكان بالأرض رمل فلما نزل المطر تماسك حتى يستطيع المسلمون الكرَّ عليه وكذا التحرك السريع بسهولة ويسر.

قال غير واحد من العلماء: أطفأ الله بالمطر الغبار والتبدت به الأرض، وطابت به نفوسهم، وثبتت به أقدامهم.

هذا، وقد ذكر البعض أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أنه ﷻ يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم.

وانتقد الطبري هذا القول بشدة إذ قال:

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم.

وذلك قولٌ خِلافٌ لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحَسْبُ قولٍ خطأً أن يكون خلافًا لقول من ذكرنا، وقد بينا أقوالهم فيه، وأن

(٥٩) أحمر
أسود

معناه: ويثبت أقدام المؤمنين بتليبد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابِّهم.

❁ ❁ ❁

كيفية تثبيت الملائكة للمؤمنين

س: كيف كان تثبيت الملائكة للذين آمنوا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد أن الملائكة كانت تقوي عزائم أهل الإيمان فأحيانًا يتكلمون كلامًا يسمعه أهل الإيمان، حاصله أن أحدهم يقول سمعت المشركين يقولون لئن حمل علينا هؤلاء المؤمنون لننكشفن ولنهزمن فيتقوى المؤمنون بذلك، وبنحو هذه الكلمات.

الثاني: أن المراد قاتلوا مع الذين آمنوا ووازروهم، وقد تقدم ما يفيد شهود الملائكة بدرًا.

الثالث: أن الملائكة كانت تتراءى لأهل الإيمان وتتقدمهم فيتشجعون بذلك.

الرابع: أن الملائكة كانت تتراءى لأهل الكفر تخوِّفهم وتُذعرهم فينكشون ويهربون.

الخامس: أن الملائكة كانت تتنزل وتنزل الرحمة والسكينة على أهل الغيمان فيثبتون لقتال الأعداء.

السادس: أن الملائكة لما تنزلت هرب الشيطان عند ذلك، وقال لأتباعه: إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب.

السابع: أن الملائكة كانت تقذف السكينة – بإذن الله – في قلوب أهل الإيمان.

(٦٠) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال بعض أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، أنصركم، ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾، يقول: قوُّوا عزمهم، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين.

وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين، كان حضورهم حربهم معهم.

وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم.

وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجلَ من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم= يعني المشركين= يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن! فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحي الله إلى ملائكته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي بشروهم بالنصر أو القتال معهم أو الحضور معهم من غير قتال؛ فكان الملك يسير أمام الصف في، صورة الرجل ويقول: سيروا فإن الله ناصركم. ويظن المسلمون أنه منهم؛ وقد تقدم في «آل عمران» أن الملائكة قاتلت ذلك اليوم. فكانوا يرون رؤوسا تندر عن الأعناق من غير ضارب يرونه. وسمع بعضهم قائلا يسمع قوله ولا يرى شخصه: أقدم حيزوم. وقيل: كان هذا التثبيت ذكر رسول الله ﷺ للمؤمنين نزول الملائكة مددا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه -تعالى وتقدس وتبارك وتمجد- أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

(٦١) أحمر
أسود

قال ابن إسحاق: وازروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثروا سوادهم.

وأورد بعض كلام الطبري المتقدم.

❁ ❁ ❁

س: الرعب الذي يقذفه الله في قلوب أعدائه من أعظم أسباب هزيمتهم وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن أهل الكفر إذا قذف الرعب في قلوبهم ضعفت عزائمهم وانهارت قواهم، وفروا لأتفه الأسباب.

ولقد قال النبي ﷺ: «**نُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر**»[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فاضربوا الأعناق، وهي الرقاب قالوا: وكلمة فوق زائدة.

الثاني: فاضربوا الرؤوس.

الثالث: فاضربوا على الأعناق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أن الله أمر المؤمنين، مُعَلِّمَهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف: أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل. وقوله: ﴿فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾، محتمل أن يكون مرادًا به الرؤوس، ومحتمل أن يكون مرادًا له: من فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على

(١) البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ.

(٦٢) أحمر
أسود

الأعناق. وإذا احتمل ذلك، صح قول من قال، معناه: الأعناق. وإذا كان الأمر محتملا ما ذكرنا من التأويل، لم يكن لنا أن نوجِّهه إلى بعض معانيه دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدلّ على خصوصه، فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم، أصحابَ نبيه ﷺ الذين شهدوا معه بدرًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ أي: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم.

وقد اختلف المفسرون في معنى: ﴿ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ فقيل: معناه اضربوا الرؤوس. قاله عكرمة.

وقيل: معناه: ﴿ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ أي: على الأعناق، وهي الرقاب. قاله الضحاك، وعطية العوفي.

ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – واضربوا منهم أطراف الأصابع والأرجل، وكذا اضربوا المفاصل والأصابع عمومًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ﴾فإن معناه: واضربوه أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم.

و«البنان»: جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك

(٦٣) أحمر
أسود

قول الشاعر:

أَلا لَيْتَنِـــي قَطَّعْـــتُ مِنْـــهُ بَنَانَـــةً وَلاقَيْتُـهُ فِـي الْبَيْـتِ يَقْظَـانَ حَـاذِرَا

يعني بـ«البنانة» واحدة «البنان».

❁ ❁ ❁

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ذلك الذي أمرناكم به يا أهل الإيمان من قتال أهل الكفر والضرب فوق الأعناق، وضرب كل بنانٍ منهم، ذلك لكونهم خالفوا أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ فكانوا في شقٍّ، وأوامر الله ورسوله في شقٍّ آخر، ومن يخالف أمر الله ورسوله فإن الله يعاقبه عقابًا شديدًا فالله شديد العقاب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾، هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق وضرب كل بنان منهم، جزاءٌ لهم بشقاقهم الله ورسوله، وعقاب لهم عليه.

ومعنى قوله: ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾، فارقوا أمرَ الله ورسوله وعصوهما، وأطاعوا أمرَ الشيطان.

ومعنى قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، ومن يخالف أمرَ الله وأمر رسوله ففارق طاعتهما، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ له. وشدة عقابه له: في الدنيا، إحلالُه به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم، وفي الآخرة، الخلودُ في نار جهنم،

(٦٤) أحمر
أسود

وحذف «له» من الكلام، لدلالة الكلام عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ أي: خالفوهما فساروا في شق، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق -وهو مأخوذ أيضا من شق العصا، وهو جعلها فرقتين -﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ أي: هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه، لا يفوته شيء، ولا يقوم لغضبه شيء، تبارك وتعالى، لا إله غيره، ولا رب سواه.

❁ ❁ ❁

وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- ذلكم العقاب الذي أمرنا أهل الإيمان بإنزاله بكم يا أهل الكفر هو عقابكم في الدنيا فذوقوه، وفي الآخرة أعد لأهل الكفر عذاب هو أعظم ألا وهو عذاب النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا العقابُ الذي عجلته لكم، أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله، في الدنيا، من الضرب فوق الأعناق منكم، وضرب كل بنان، بأيدي أوليائي المؤمنين، فذوقوه عاجلا واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذابَ النار.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ هذا خطاب للكفار أي: ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا، واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة.

❁ ❁ ❁

(٦٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ
(١٥) وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ
بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (١٦) فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (١٧) ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ
مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٨) إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن
تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَوۡ كَثُرَتۡ
وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا
تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا
يَسۡمَعُونَ (٢١) ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢)
وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٣) ﴾

[الأنفال: ١٥-٢٣]

(٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿زَحْفًا - فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ - مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ - مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ - بَآءَ - ٱلْمَصِيرُ - وَمَا رَمَيْتَ - وَلِيُبْلِيَ - بَلَآءً حَسَنًا - ذَٰلِكُمْ - مُوهِنُ - كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ - تَسْتَفْتِحُوا - ٱلْفَتْحُ - فِئَتُكُمْ - وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ - ٱلدَّوَآبِّ - ٱلصُّمُّ - ٱلْبُكْمُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(زَحْفًا)	متقاربين منكم شيئًا فشيئًا جماعات
(فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ)	فلا تجعلوا ظهوركم لهم وتفروا أمامهم هاربين
(مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ)	ينحرف ويميل ليقاتل – يفر ليصنع مكيدة بأهل الكفر – ينحرف لجهة أخرى ليتمكن من قتال العدو بصورة أقوى
(مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ)	مُنضمًا إلى جماعة مؤمنة وإلى فئة ينصرهم وينصرونه على أهل الكفر
(بَآءَ)	رجع
(ٱلْمَصِيرُ)	الحال والمكان الذي يصير إليه
(وَمَا رَمَيْتَ)	وما ريمت سهمك، وما رميت التراب الذي رميته والحصباء التي أصابت وجوه الكفار فانهزموا
(وَلِيُبْلِيَ)	ليُنعم – ليتفضل

(٦٧) أحمر
أسود

(بَلَآءً حَسَنًا)	نعمة حسنة ونعمة عظيمة، وهي نصرهم وفوزهم كذلك بدرجات المؤمنين في جنات النعيم، وونيلهم الفضل الذي أعد للمجاهدين، ولمن شهد بدرًا منهم
(ذَٰلِكُمْ)	هذا الأمر الذي حدث، وتلك النعمة التي أنعم الله بها عليكم
(مُوهِنُ)	مُضعف
(كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ)	مكر الكافرين
(تَسْتَفْتِحُوا۟)	تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين أهل الإيمان، والحكم بينكم وبينهم، وقيل: المراد النصر
(ٱلْفَتْحُ)	القضاء – الحكم – (قيل: النصر)
(فِئَتُكُمْ)	جماعتكم
(وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ)	ولا تنصرفوا عنه، ولا تبتعدوا عنه
(ٱلدَّوَآبِّ)	ما يدب على الأرض من المخلوقات
(ٱلصُّمُّ)	الذين لا يسمعون الحق
(ٱلْبُكْمُ)	الذين لا يتكلمون بالحق

❁ ❁ ❁

(٦٨) أحمر
أسود

التحذير من الفرار من الزحف

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾.

ج: المعنى يا أهل الإيمان، يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبقدر الله خيره وشره، يا هؤلاء إذا كنتم في قتالٍ مع عدوكم ورايتم أهل الكفر مقبلين عليكم يدنون ويقتربون منكم شيئًا فشيئًا فلا تفروا ولا تهربوا ولا تجعلوا ظهوركم إليهم، ومن يفر ويهرب ويجعل ظهره لهم فقد ارتكب كبيرة عظيم وذنبًا عظيمًا، ورجع بغضب من الله ﷻ عليه ومصيره إلى جهنم وبئس المصير الذي يصير إليه والحال التي يأوي إليها.

هذا إلا إذا كان هذا الذي ولى دبره للكافرين إنما صنع الذي صنع وانحرف كي يتمكن من القتال بصورة أقوى وينزل بالعدو هزيمةً ونكايةً، أو كان هذا الذي ولى الدبر إنما صنع ذلك لينضم إلى فئة مؤمنة يقوِّيها ويتقوى بها، ويناصرها وتناصره، فهذا ليس عليه من جناح ولا من إثم في صنيعه الذي صنع، والله تعالى أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في القتال، ﴿زَحۡفٗا﴾، يقول: متزاحفًا بعضكم إلى بعض، و«التزاحف»، التداني والتقارب، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾، يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم عليهم، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾، يقول: ومن يولهم منكم ظهره ، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾، يقول: إلا مستطردًا لقتال عدوه،

(٦٩) أحمر
أسود

يطلب عورةً له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه ، ﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ أو: إلا أن يوليهم ظهره متحيزًا إلى فئة، يقول: صائرًا إلى حَيِّز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم، ويرجعون به معهم إليهم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يقول: فقد رجع بغضب من الله ، ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ﴾ ، يقول: ومصيره الذي يصير إليه في معاده يوم القيامة جهنم ، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، يقول: وبئس الموضع الذي يصير إليه ذلك المصير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾ أي: تقاربتم منهم ودنوتم إليهم، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ أي: تفروا وتتركوا أصحابكم ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ ﴾ أي: يفر بين يدي قرنه مكيدة؛ ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه، ثم يكر عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك. نص عليه سعيد بن جبير، والسدي.

وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها.

﴿ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ أي: فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين، يعاونهم ويعاونوه فيجوز له ذلك، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم، دخل في هذه الرخصة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب، فإنه حرام وكبيرة من الكبائر، لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل**

(٧٠) أحمر
أسود

مال اليتيم، والتَّوَلِّي يوم الزحف، وقَذْفِ المحصنات الغافلات المؤمنات»[(١)].

ولهذا الحديث شواهد من وجوه أخر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ أي: رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ﴾ أي: مصيره ومنقلبه يوم ميعاده: ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر اللّه تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان،ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقتراب بعضهم من بعض، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرة لدين اللّه، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهابا للكافرين.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ﴾ أي: رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ﴾ أي: مقره ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز

(١) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٧١) أحمر
أسود

إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز،فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح،وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز،ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم.

أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال -أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه،وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد.

يقول تعالى - لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون.

❁ ❁ ❁

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾.

ج: أخرج أبو داود بسندٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلت في يوم بدر: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾[1].

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ هل هي خاصة بيوم بدر، وأما بعده فلا بأس أن يفر الشخص؟

ج: الذي أراه صوابًا – والله أعلم – أنها ليست خاصة بأهل بدر بل هي عامة، وليس هناك دليل صحيح فيما علمت يجوز الفرار من العدو عند الزحف لغير الأمور المكورة في الآية: ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾

(١) أبو داود (٢/ ٣٤٩).

(٧٢) أحمر
أسود

فالآية عامة، والله أعلم.

هذا، وإن كان هناك عددٌ كبير من أهل العلم يرون أن هذه الآية خاصة بيوم بدر.

وقد أورد الطبري وغيره عدة آثار بذلك.

وكثيرٌ منها أسانيدها صحيحة، فأورد بأسانيد صحيحة عن أبي نضرة، وأبي سعيد الخدري، ونافع، وقتادة، ومن وجوهٍ عن عمر وغيرهم أن هذه خاصة بيوم بدر.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي قولُ من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو، أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرفٍ القتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتالٍ منهزمًا بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده، إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

وإنما قلنا هي محكمة غير منسوخة، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره: أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ، وله في غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر يقطع العذر، أو حجة عقل، ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن أورد بعض الأحاديث في التحذير من الفرار من الزحف.

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حراما على الصحابة؛ لأنه -

(٧٣) أحمر
أسود

يعني الجهاد -كان فرض عين عليهم. وقيل: على الأنصار خاصة؛ لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره. وقيل: [إنما] المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة، يروى هذا عن عمر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي نضرة، ونافع مولى ابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

وحجتهم في هذا: أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها سوى عصابتهم تلك، كما قال النبي ﷺ: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[1].

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر، وإن كان سبب النزول فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم، من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا ﴾ منسوخة؟

ج: ليس هناك دليلٌ صريح على النسخ، وإن كان من العلماء من قال: بأنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾، وهذا ليس بصريح في النسخ وسيأتي الحديث عن هذه الآية إن شاء الله، ومنهم من قال إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يعنف الذين فروا يوم حنين، إنما قال واصفًا حالهم ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة: ٢٥]، من غير تعنيف، وهذا أيضًا ليس بصريح في النسخ.

---

(١) مسلم (١٧٦٣).

(٧٤) أحمر
أسود

وقال آخرون أيضًا: إن الله عفا عن الذين فروا يوم أحد، وهذا كله ليس بصريح في النسخ بل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] دليل على أنهم أذنبوا والله تعالى أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الجمهور من العلماء: إنما ذلك إشارة إلى يوم الزحف الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ﴾. وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بشرط الضعف الذي بينه الله تعالى في آية أخرى، وليس في الآية نسخ. والدليل عليه أن الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه. وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأكثر العلماء. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات** - وفيه - **والتولي يوم الزحف**» وهذا نص في المسألة. وأما يوم أحد فإنما فر الناس من أكثر من ضعفهم ومع ذلك عنفوا. وأما يوم حنين فكذلك من فر إنما انكشف عن الكثرة؛ على ما يأتي بيانه.

❁ ❁ ❁

س: هل الفرار من الزحف يُخلِّد فاعله في النار؟

ج: الفرار من الزحف كبيرةٌ من الكبائر موبقةٌ من الموبقات السبع، ولكن لا يخلد صاحبه في النار، بل قد يغفره الله عَزَّ وَجَلَّ، إذ الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ[1]: «**حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ، فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا**

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٧٥) أحمر
أسود

وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا. مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

❁ ❁ ❁

النصر من عند الله والتسديد من عند الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أنكم يا أهل الإيمان، وإن قتلتم في الظاهر أهل الكفر يوم بدر، فحقيقة الأمر أنكم لم تقتلوهم ولكن الله وفقكم لقتلهم وأعانكم على ذلك، وما كنتم تطيقون وقتالهم ولكن الله أعانكم على ذلك ووفقكم له وسددكم، فإذا تُركتم وشأنكم لم تفكروا في قتالهم وإذا قاتلتموهم لم تستطيعوا قتلهم، ولكن الله الذي وفق لذلك، فمن ثَمَّ فالله قتلهم وإن كنتم في الظاهر قد باشرتم قتلهم.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: فأنت يا رسول الله وإن رميت في الظاهر، لكن الذي سدَّد رميتك هو الله ﷻ، وقد اختلف في هذه الرمية، فقيل: إنها رمية رسول الله ﷺ بسهمه في صدور أعداء الله فالذي سدد رمية

(٧٦) أحمر
أسود

رسول الله ﷺ هو الذي ﷻ؛ وقيل: إن الرمية هي قبضة من تراب وحصى قذف بها رسول الله ﷺ في وجوه المشركين فأوصلها الله إلى وجوههم وكانت سببًا في هزيمتهم وانكشافهم، وقد وردت بذلك عدة آثار وفي كلٍّ منها مقال.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ فحاصل معناه: ولينعم الله ﷻ على عباده المؤمنين بنعمة عظيمة حسنة، وهي إدخالهم الجنات والفوز بمراتب المجاهدين.

ثم يخبر الله ﷻ عباده بأنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ولكل شيء، و﴿عَلِيمٌ﴾ بنواياهم وصنيعهم وبكل شيء

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي حدث، وأيضًا: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مُضعفٌ مكرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون، أنتم، ولكن الله قتلهم.

وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم. ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها.

وكذلك قوله لنبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فأضاف الرميَّ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب

(٧٧) أحمر
أسود

الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين ما ذكرنا قد علمتم إضافة الله رَمْيِ نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده، ومن رسول الله ﷺ الحذفُ والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولا إلا ألزموا في الآخر مثله.

وأورد الطبري عدة آثار عن عدد من الصحابة والتابعين:

مفادها أن النبي ﷺ أخذ قبضةً من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين.

وهذه الآثار قد تصح بمجموعها إلى رسول الله ﷺ

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾، فإنّ معناه: وكي ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويغنّمهم ما معهم، ويكتبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ.

وذلك «البلاء الحسن»، رمي الله هؤلاء المشركين، ويعني ب«البلاء الحسن»، النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما وصفت وما في معناه.

وقال:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾، يعني: إن الله سميع، أيها المؤمنون، لدعاء النبي ﷺ، ومناشدته ربه، ومسألته إياه إهلاكَ عدوه وعدوكم، ولقِيلكم وقيل جميع خلقه، ﴿عَلِيمٌ﴾، بذلك كله، وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده، وغير ذلك من الأشياء، محيط به، فاتقوه وأطيعوا أمرَه وأمر رسوله.

(٧٨) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾، هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم= فعلنا الذي فعلنا، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾، يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مُضْعِف، ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، يعني: مكرهم، حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق، أو يُهْلَكوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، أي: بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥] يعلم -تبارك وتعالى- أن النصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والعدد، وإنما النصر من عند الله تعالى كما قال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم قال لنبيه ﷺ أيضا في شأن القبضة من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر[(١)]، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: «**شاهت الوجوه**»[(١)]. ثم أمر الصحابة أن يصدقوا الحملة

---

(١) و(١) أخرجه الطبراني (٣٠٥٨) بسندٍ فيه مقال.

(٧٩) أحمر
أسود

إثرها، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال [تعالى] ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت.

ثم أورد الآثار التي ذكرها الطبري في إثبات رمي النبي ﷺ حصيات في وجوه القوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن عروة بن الزبير في قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي: ليُعَرّف المؤمنين من نعمته عليهم، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم، وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي: سميع الدعاء، عليم بمن يستحق النصر والغلب.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر: أنه أعلمهم تعالى بأنه مُضْعِفُ كيد الكافرين فيما يستقبل، مُصَغِّرًا أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار، ولله الحمد والمنة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بحولكم وقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو اللّه، ويناشده في نصرته،ثم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها اللّه إلى وجوههم،فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه وفمه وعينيه منها،فحينئذ انكسر حدهم، وفتر زندهم، وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا.

(٨٠) أحمر
أسود

يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك - حين رميت التراب - أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا. ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: إن اللّه تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال،ولكن اللّه أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمع تعالى ما أسر به العبد وما أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها،فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النصر من اللّه لكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقا بهم.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال:

أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم. والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم. والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين وأمكنهم منهم. والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم.

وفي قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى وما ظفرت أنت ولا أصبت ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة.

والثاني: وما بلغ رميك كفا من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك؛ قاله الزجاج.

والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ذكره ابن

(٨١) أحمر
أسود

الأنباري.

قولـه تعـالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ أي: ليـنعم علـيهم نعمـة عظيمة بالنصر والأجر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ قال الزجاج: موضعه رفع؛ والمعنى: الأمر ذلكم. وقال غيره: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله. والذي ذكرناه في فتح «أنَّ» في قولـه: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ هو مذكور في فتح «أن» هذه.

❁ ❁ ❁

(٨٢) أحمر
أسود

استفتاح المشركين يوم بدر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: إن تطلبوا من الله ﷻ يا أهل الشرك، أن يحكم بينكم وبين أهل الإيمان، فقد جآءكم حكم الله ﷻ وقضاؤه فيكم بما أحلَّه بكم يوم بدر، وما أصابكم يومها، وذلك أن أهل الشرك كانوا قد طلبوا من الله أن يحكم بينهم وبين أهل الإسلام وأن ينتقم من الظالم من الفريقين، وقد قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فكان القرآن حقًّا من الله فأتاهم العذاب الأليم.

وقد قال كثير من المفسرين: إن أبا جهل استفتح، أي: طلب القضاء والحكم من الله قائلًا: (اللهم أيُّنا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم) فكان هو الأفجر والأقطع للرحم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ معناه: وإن تنتهوا عن شرككم يا أهل الشرك فانتهاؤكم وإقلاعكم عن الشرك خيرٌ لكم، وإن تعودوا لشرككم واستفتاحكم نعد لتعذيبكم، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا، ولو كثر عددها، وأن الله مع المؤمنين ينصره ويؤيدهم ويقويهم.

* وبمثل ما ذكرت قال أكثر أهل العلم بالتفسير.

وإن كانت هناك أقوالٌ أُخر أراها مرجوحة ومنها: أن قوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا ﴾ خطابٌ لأهل الإيمان معناه: إن تطلبوا من الله الفتح (النصر) يا أهل الإيمان، على عدوكم فقد جاءكم الفتح (النصر)، وإن تنتهوا عن اختلافاتكم في شأن الغنائم فهو خير لكم، وإن تعودوا للاختلاف في الغنائم نعد لتوبيخكم.

(٨٣) أحمر
أسود

وقول ثالث: حاصله أن قوله: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ خطاب لأهل الإيمان، إن تطلبوا النصر فقد جاءكم وما سوى ذلك من الآية وهو قوله: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ ..﴾ لأهل الشرك.

وأرى والله أعلم أن هذين القولين، الثاني والثالث ضعيفان، والأصوب هو القول الأول، وبه – كما أسلفت – قال أكثر العلماء.

وها هي بعض أقوالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله ﷺ ببدر: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾، يعني: إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم، وأظلم الفئتين، وتستنصروه عليه، فقد جاءكم حكم الله، ونصرُه المظلوم على الظالم، والمحق على المبطل.

وأورد بعض الآثار بذلك، منها ما تقدم من سبب نزول الآية.

ومنها ما ورد عن السدي بسندٍ حسن عن السدي: قال: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا: «اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين»! فقال الله: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾، يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ ، قال: إن تستفتحوا العذاب، فعُذِّبوا يوم بدر. قال: وكان استفتاحهم بمكة، قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾، [سورة الأنفال: ٣٢]. قال: فجاءهم العذاب يوم بدر. وأخبر عن يوم أحد: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾.

(٨٤) أحمر
أسود

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾، فإنه يقول: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾، يا معشر قريش، وجماعة الكفار، عن الكفر بالله ورسوله، وقتال نبيه ﷺ والمؤمنين به، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾، في دنياكم وآخرتكم، ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾، يقول: وإن تعودوا لحربه وقتاله وقتال اتباعه المؤمنين، ﴿نَعُدْ﴾، أي: بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر.

وقوله: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾، يقول: وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائي وهزيمتكم، ولن تغني عنكم عند عودي لقتلكم بأيديهم وسَبْيكم وهزمكم ﴿فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾، يعني: جندهم وجماعتهم من المشركين، كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين شيئًا، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول جل ذكره: وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم، ينصرهم عليهم، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى للكفار: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ أي: تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم، كما قال محمد بن إسحاق وغيره، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر؛ أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أَقْطَعُنَا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة -وكان ذلك استفتاحا منه- فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ﴾ إلى آخر الآية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي: عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله،

(٨٥) أحمر
أسود

﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ ﴾ كقوله: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء: ٨] معناه: وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة، نعد لكم بمثل هذه الواقعة.

وقال السدي: ﴿ وَإِن تَعُودُواْ ﴾ أي: إلى الاستفتاح ﴿ نَعُدْ ﴾ إلى الفتح لمحمد ﷺ، والنصر له، وتظفيره على أعدائه، والأول أقوى.

﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ أي: ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا، فإن من كان الله معه فلا غالب له، فإن الله مع المؤمنين، وهم الحزب النبوي، والجناب المصطفوي.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾ أيها المشركون، أي: تطلبوا من اللّه أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين.

﴿ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ حين أوقع اللّه بكم من عقابه، ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ عن الاستفتاح ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾ لأنه ربما أمهلتم، ولم يعجل لكم النقمة. ﴿ وَإِن تَعُودُواْ ﴾ إلى الاستفتاح وقتال حزب الله المؤمنين ﴿ نَعُدْ ﴾ في نصرهم عليكم.

﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا ﴾ أي: أعوانكم وأنصاركم، الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شَيئا وأن الله مع الْمؤمنين.

ومن كان اللّه معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية التي أخبر اللّه أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطا من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر اللّه

(٨٦) أحمر
أسود

به من كل وجه، لما انهزم لهم راية [انهزاما مستقرا] ولا أديل عليهم عدوهم أبدا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ شرطه وجوابه. وفيه ثلاثة أقوال: يكون خطابا للكفار؛ لأنهم استفتحوا فقالوا: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه؛ قاله الحسن ومجاهد وغيرهما. وكان هذا القول منهم وقت خروجهم لنصرة العير. وقيل: قاله أبو جهل وقت القتال. وقال النضر بن الحارث: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وهو ممن قتل ببدر. والاستفتاح: طلب النصر؛ أي قد جاءكم الفتح ولكنه كان للمسلمين عليكم. أي فقد جاءكم ما بان به الأمر، وانكشف لكم الحق. ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي عن الكفر ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾. ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ أي إلى هذا القول وقتال محمد. ﴿نَعُدۡ﴾ إلى نصر المؤمنين. ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ﴾ أي عن جماعتكم ﴿شَيۡـٔٗا﴾. ﴿وَلَوۡ كَثُرَتۡ﴾ أي في العدد.

الثاني: يكون خطابا للمؤمنين؛ أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. وإن ﴿تَنتَهُواْ﴾ أي عن مثل ما فعلتموه من أخذ الغنائم والأسرى قبل الإذن؛ ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ﴾. و﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ أي إلى مثل ذلك نعد إلى توبيخكم. كما قال: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية.

والقول الثالث: أن يكون ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ ﴾ خطابا للمؤمنين، وما بعده للكفار. أي وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى مثل وقعة بدر. القشيري: والصحيح أنه خطاب للكفار؛ فإنهم لما نفروا إلى نصرة العير تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الطائفتين، وأفضل الدينين.

(٨٧) أحمر
أسود

المهدوي: وروي أن المشركين خرجوا معهم بأستار الكعبة يستفتحون بها، أي يستنصرون.

قلت: ولا تعارض لاحتمال أن يكونوا فعلوا الحالتين.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر الألف على الاستئناف، وبفتحها عطف على قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. أو على قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ والمعنى: ولأن الله؛ والتقدير لكثرتها وأن الله. أي من كان الله في نصره لم تغلبه فئة وإن كثرت.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ..﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه الطبري وغيره بسند صحيح عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير[1] قال: كان المستفتح يوم بدر ابا جهل، قال: «اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة!»، فأنزل الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾.

❁ ❁ ❁

الحث على طاعة الله ورسوله والتحذير من المخالفة

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: يا أهل الإيمان أطيعوا الله ورسوله فامتثلوا ما أمركم به الله ﷻ وما أمركم به رسوله ﷺ إذ هو مبلغٌ عن الله ﷻ،

(١) وعبد الله بن ثعلبة مختلف في صحبته.

(٨٨) أحمر
أسود

وانتهوا عما نهاكم الله ﷻ عنه، وعن ما نهاكم عنه رسوله ﷺ ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ ولا تعرضوا عن طاعته وامتثال أمره، فطاعة رسول الله من طاعة الله ﷻ فلا تعرضوا عن طاعة الله ورسوله وأنتم تسمعون الآيات بما فيها من أوامر بطاعته، وبما فيها من مواعظ وزواجر وبما فيها من ترغيب وترهيب، وأدلةٍ وبراهين ولا تكونوا كأهل الكفر القائلين سمعنا ما قلتم ولكننا عصيناك وخالفناك، بل اسمعوا أنتم وأطيعوا.

أما قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: شر المخلوقات التي تدب على الأرض ﴿الصُّمُّ﴾ عن الحق الذين يسمعون الحق ولا يمتثلون له ﴿الْبُكْمُ﴾ الذين لا يتكلمون بالحق ولا يقرون به ولا يفهمونه، وليس المراد: صمم الأذان الذي يعتري بعض الناس في الدنيا، وليس المراد الأخرس الذي لا يتكلم، إنما كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ فمعناه: ولو علم الله ﷻ فيهم خيرًا لأسمعهم سماعًا ينتفعون به وينزجرون به، ومن ثَمَّ يؤمنون ويصدقون، ولأفهمهم، ولكنهم لا خير فيهم، فمن ثَمَّ فلو أسمعهم لتولوا وهم معرضون، أي: حتى لو أفهمهم المراد لأعرضوا عنه وانصرفوا معرضين مُدبرين وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، يقول: ولا تدبروا عن رسول الله ﷺ مخالفين أمره ونهيه ، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أمرَه إياكم ونهيه، وأنتم به مؤمنون.

(٨٩) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبي الله ﷺ: لا تكونوا، أيها المؤمنون، في مخالفة رسول الله ﷺ، كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾، بآذاننا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، يقول: وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به، لإعراضهم عنه، وتركهم أن يُوعُوه قلوبهم ويتدبروه. فجعلهم الله، إذ لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بأذانهم، بمنزلة من لم يسمعها. يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله ﷺ: لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله، وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعونه بآذانكم، كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم، ويقولون: ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لا يسمَعُها.

وقال في تأويل قوله: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: إنّ شر ما دبَّ على الأرض من خلق الله عند الله، الذين يصمون عن الحق لئلا يستمعوه، فيعتبروا به ويتعظوا به، وينكُصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾، وليس بالأصم في الدنيا ولا بالأبكم، ولكن صمّ القلوب وبُكمها وعُميها! وقرأ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج: ٤٦].

وقال في تأويل قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، وفي معناها.

(٩٠) أحمر
أسود

فقال بعضهم: عني بها المشركون. وقال: معناه: أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه ﷺ، لم يؤمنوا به، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون.

وقال آخرون: بل عنى بها المنافقون.

ثم قال الطبري:

فتأويل الآية إذًا: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرًا، لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره، حتى يعقلوا عن الله ﷻ حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلَّهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه، معاندون للحق بعد العلم به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: المراد المشركون. واختاره ابن جرير.

وقال ابن إسحاق: هم المنافقون؛ فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وليسوا كذلك.

ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة، فقال: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾.

أي: عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن فهمه؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فهؤلاء شر البرية؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له، وهؤلاء

(٩١) أحمر
أسود

خلقوا للعبادة فكفروا؛ ولهذا شبههم بالأنعام في قوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١]. وقال في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقيل: المراد بهؤلاء المذكورين نَفَرٌ من بني عبد الدار من قريش. روي عن ابن عباس ومجاهد، واختاره ابن جرير، وقال محمد بن إسحاق: هم المنافقون.

قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح، والقصد إلى العمل الصالح.

ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح، لو فرض أن لهم فهما، فقال: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم؛ لأنه يعلم أنه ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ أي: أفهمهم ﴿ لَتَوَلَّواْ ﴾ عن ذلك قصدا وعنادا بعد فهمهم ذلك، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾ قيل: الحجج والبراهين؛ إسماع تفهم. ولكن سبق علمه بشقاوتهم

أي لو أفهمهم لما آمنوا بعد علمه الأزلي بكفرهم. وقيل: المعنى لأسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا إحياءهم؛ لأنهم طلبوا إحياء قصي بن كلاب وغيره ليشهدوا بنبوة محمد ﷺ. الزجاج: لأسمعهم جواب كل ما سألوا عنه. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ إذ سبق في علمه أنهم لا يؤمنون.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٩٢) أحمر
أسود

لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

﴿ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة اللّه، وطاعة رسوله. ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ ما يتلى عليكم من كتاب اللّه، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه،فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها اللّه ولا رسوله،فليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

يقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من لم تفد فيهم الآيات والنذر،وهم ﴿ ٱلصُّمُّ ﴾ عن استماع الحق ﴿ ٱلۡبُكۡمُ ﴾ عن النطق به. ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ما ينفعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم،فهؤلاء شر عند اللّه من جميع الدواب، لأن اللّه أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، ليستعملوها في طاعة اللّه، فاستعملوها في معاصيه وعدموا - بذلك - الخير الكثير،فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية.

فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية،والسمع الذي نفاه اللّه عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب،وأما سمع الحجة، فقد قامت حجة اللّه تعالى عليهم بما سمعوه من آياته،وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته.

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ لَتَوَلَّواْ ﴾ عن الطاعة ﴿ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه،وهذا دليل على أن اللّه تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير

(٩٣) أحمر
أسود

فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده..وله الحمد تعالى والحكمة في هذا.

❁ ❁ ❁

الكفار شرٌ من الدواب

س: الكفار شرٌّ من الدواب، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[الأنفال: ٢٢]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[الأنفال: ٥٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤].

❁ ❁ ❁

(٩٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ
(٢٤) وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٢٥) وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٢٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٢٧) وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ
أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (٢٨) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ
سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (٢٩))

[الأنفال: ٢٤-٢٩]

(٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ - لِمَا يُحۡيِيكُمۡ - يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ - تُحۡشَرُونَ - فِتۡنَةً - خَآصَّةً - يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ - فَـَٔاوَىٰكُمۡ - وَأَيَّدَكُم - أَمَٰنَٰتِكُمۡ - فُرۡقَانًا - وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾	أجيبوا – اسمعوا وأطيعوا
﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾	لما فيه حياتكم
﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾	يمنع المرء من التصرف في قلبه
﴿تُحۡشَرُونَ﴾	تُجمعون (يوم القيامة)
﴿فِتۡنَةً﴾	بلاء واختبار – عقوبة ومصيبة
﴿خَآصَّةً﴾	بخصوصهم
﴿يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾	يقتلكم الناس – يختطفونكم لقتلكم
﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾	فجعل لكم مأوى تأوون إليه
﴿وَأَيَّدَكُم﴾	نصركم ووازركم
﴿أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾	عموم الأمانات التي رحملكم الله إياها والتكاليف التي كلفكم بها، والأمانات التي استأمنكم عليها الخلق
﴿فُرۡقَانًا﴾	ما تفرقون به بين الحق والباطل – نصرًا

(٩٦) أحمر
أسود

٩٦ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)	يمحو عنكم ذنوبكم – يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها

(٩٧) أحمر
أسود

مزيدٌ من الحث على طاعة الله ورسوله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: إيضاحه - والله أعلم-: يا أهل الغيمان أجيبوا ربكم ﷻ وامتثلوا أمره وانتهوا عما نهاكم عنه، وكذا أجيبوا رسوله إذا دعاكم لما فيه حياتكم، والذي به حياتهم هو طاعة الله ورسوله، وكذا الذي به حياتهم ثباتهم على إيمانهم وإسلامهم والذي فيه حياتهم هو الحق الذي جآءهم به رسول الله ﷺ من عند الله ﷻ، أما كون الإسلام فيه حياتهم فلقول الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾.

ومن الدليل على أن المراد بأن الذي يحيينا هو الطاعة؛ طاعة الله ورسوله، ما أخرجه البخاري[1] من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي النبي ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلْ اللهُ:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾». ثُمَّ قَالَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ**». فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجَ، فَذَكَرْتُ لَهُ - وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ حَفْص بن عاصم، سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهَذَا وَقَالَ: هِيَ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ السَّبْعُ الْمَثَانِي.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فحاصل معناه: واعلموا أنه لا تسلط لأحد على قلب نفسه إنما ذلك لله ﷻ هو الذي يصرف القلوب كيف يشاء ويقلبها كيف أراد، فلا

(١) البخاري (٤٦٤٧).

(٩٨) أحمر
أسود

يستطيع الكافر أن يؤمن إلا بإذن الله، ولا يستطيع المؤمن أن يكفر إلا بإذن الله، ولا يستطيع أن يطيع إلا بإذن الله، ولا يستطيع أن يعصى إلا بإذن الله، ولا يستطيع أن يحب ولا أن يبغض إلا بإذن الله، فلذا فبادروا بالطاعة، فإن المعصية سبب لصرف القلب عن الحق إلى الباطل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، هذا، وقد أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً. بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا. فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ! أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ. وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! أَجَلُهُ. فَيَقُولُ رَبُّكَ: مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! رِزْقُهُ. فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ. وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ. ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ. فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ».

وعند أحمد من حديث النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ[2] الْكِلَابِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ». وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ». قال: «وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالًا في تفسير الآية الكريمة وقال:

وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبرٌ من الله ﷻ أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو

(١) مسلم (٢٦٤٥).
(٢) المسند (٤/ ١٨٢).

(٩٩) أحمر
أسود

قلب أن يُدرك به شيئًا من إيمان أو كفر، أو أن يَعِي به شيئًا، أو أن يفهم، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أن «الحول بين الشيء والشيء»، إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبَه إدراكَه سبيلٌ.

وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: «يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان»، وقول من قال: «يحول بينه وبين عقله»، وقول من قال: «يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه»، لأن الله ﷻ إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما مُنِع إدراكه به على ما بيَّنتُ.

غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عم بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾، الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئًا دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة للّه وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه.

وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا اللّه ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية اللّه تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة للّه وللرسول فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ فإياكم أن تردوا أمر اللّه أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه

(١٠٠) أحمر
أسود

إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن اللّه يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

قلت: وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

أي: وأنه إليه تجمعون يوم القيامة، يجمع أولكم وآخركم فيقضي بينكم بالحق ويكافئ المُحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾، فإن معناه: واعلموا، أيها المؤمنون، أيضًا، مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه: أنّ الله الذي يقدر على قلوبكم، وهو أملك بها منكم، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة، فيوفّيكم جزاء أعمالكم، المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم، فيوجب ذلك سَخَطَه، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

❁ ❁ ❁

العذاب قد يعم الظالمين ومن سكت عن ظلمهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾.

ج: واحذروا يا أهل الإيمان ابتلاءً واختبارًا وعقابًا لا يحلُّ بالظالمين فقط، بل يعم فينزل بهم وبمن سكت على صنيعهم، واعلموا أن الله ﷻ شديدٌ عقابه لمن خالف أمره وارتكب معاصيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(١٠١) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿فِتۡنَةٗ ﴾، يقول: اختبارًا من الله يختبركم، وبلاء يبتليكم ، ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ﴾، هذه الفتنة التي حذرتكموها ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله، إما إجْرام أصابوها، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها. يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية، أو يأتوا مأثمًا يستحقون بذلك منه عقوبة.

وقال:

وأما قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾، فإنه تحذير من الله، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ﴾، يقول: اعلموا، أيها المؤمنون، أن ربكم شديد عقابه لمن افتُتن بظلم نفسه، وخالف أمره، فأثم به.

هذا، وقد ورد عن الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من عدة وجوه[1] أنه قال: قرأت هذه الآية زمانًا، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحذر تعالى عباده المؤمنين ﴿فِتۡنَةٗ ﴾، أي: اختبارًا ومحنة يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي، ولا من باشر الذنب، بل يعمها حيث لم تدفع وترفع.

وقال السعدي في تفسيره:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ بل تصيب فاعل الظلم وغيره،وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره،وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من

(١) وهذه تصح بمجموعها عن الزبير.

(١٠٢) أحمر
أسود

المعاصي والظلم مهما أمكن.

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ لمن تعرض لمساخطه، وجانب رضاه.

❁ ❁ ❁

س: الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله ﷻ أن يعمهم بالعقاب، اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ أي: اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم.

وأخرج البخاري من[2] حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**».

وأخرج الترمذي[3] بسندٍ صحيح من أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا**

---

(١) فتح القدير (٢/ ٢٩٩).
(٢) البخاري (٢٤٩٣).
(٣) الترمذي (٢١٦٨).

الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ».

وقد ورد هذا الحديث موقوفًا على أبي بكر، والموقوف والمرفوع كلاهما صحيح، والله أعلم[(١)].

وأخرج البخاري[(٢)] من طريق أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَنَهَانِي أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].

وأخرج البخاري[(٣)] من حديث عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»**. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»**.

وأخرج البخاري[(٤)] من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»**.

وأخرج مسلم[(٥)] في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: عَبَثَ[(٦)] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ.

---

(١) وانظر الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، (تأليفي) فهنالك خرَّجته وبينت ما فيه، وكذلك انظر المنتخب بتحقيقي (حديث ١).

(٢) البخاري (٧٠٨٥).

(٣) البخاري (٢١١٨).

(٤) البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).

(٥) البخاري (٢٨٨٤).

(٦) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (شرح مسلم ٥/ ٧٣٣): عبث هو بكسر الباء: قيل: معناه اضطرب بجسمه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئًا أو يدفعه.

(١٠٤) أحمر
أسود

فَقَالَ: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ. قَالَ: «نَعَمْ فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ(١) وَالْمَجْبُورُ(٢) وَابْنُ السَّبِيلِ(٣) يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمْ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

❁ ❁ ❁

ومن فضل الله على المؤمنين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: واذكروا يا أهل الإيمان حالكم وأنتم بمكة، وأنتم قليلون ضعفاء تخافون أن تقتلوا وأن تغتالوا وأن تسلب أموالكم وتستباح بيضتكم، وأهل الشرك من أهل مكة وغيرهم يحيطون بكم يريدون قتلكم وإذلالكم فجعل الله لكم مأوى تأوون إليه، ومن مدينة رسول الله ﷺ التي هاجروا إليها، وتفضل عليكم بنصره يوم بدر، وفي غير ذلك أيضًا، ووسع عليكم في الأرزاق فرزقكم من الطيبات والغنائم التي طيبها لكم، اذكروا ذلك لعلكم تقدموا شكرًا لخالقكم على ما منَّ به عليكم من النعم وأنعم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

---

(١) (المستبصر): هو المستبين لذلك القاصد للمقاتلة.

(٢) (المجبور) هو المكره.

(٣) (ابن السبيل) المراد هنا سالك الطريق معهم وليس منهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وفي هذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم ومجالستهم البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبه به.

وفيه أن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا.

(١٠٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تذكيرٌ من الله ﷻ أصحابَ رسول الله ﷺ، ومناصحة. يقول: أطيعوا الله ورسوله، أيها المؤمنون، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم، ولا تخالفوا أمرَه وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة، فإن الله يهوِّنه عليكم بطاعتكم إياه، ويعجِّل لكم منه ما تحبون، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليلٌ يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم، وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم، تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم، ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾، يقول: فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾، يقول: وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يقول: وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبًا، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، يقول: لكي تشكروه على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال: كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناس ذلا وأشقاهُ عيشًا، وأجوعَه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينَه ضلالا مكعومين، على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه. من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّي في النار، يوكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلا حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٠٦) أحمر
أسود

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: «عُني بذلك مشركو قريش»، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم، وأشدَّهم عليهم يومئذ، مع كثرة عددهم، وقلة عدد المسلمين.

وأما قوله: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾، فإنه يعني: آواكم المدينة.

وكذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾، بالأنصار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثَّرهم، ومستضعفين خائفين فقوَّاهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه، وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله، من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها، وقيَّض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسَوا بأموالهم، وبذلوا مُهَجهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى ممتنا على عباده في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مقهورون تحت حكم غيركم ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يأخذونكم.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فجعل لكم بلدا تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.

(١٠٧) أحمر
أسود

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللّه على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا.

❁ ❁ ❁

التحذير من الخيانة

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ سبب نزول.

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، وإن كانت قد وردت بذلك بعض الأسانيد لكنها لا تصح. والله أعلم، ومن أشهر ذلك – مع كونه لا يصح إسناده ما أخرجه الطبري في تفسيره من طريق الزهري قال:

قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾، قال: نزلت في أبي لبابة، بعثه رسول الله ﷺ، فأشار إلى حلقه: إنه الذَّبح= قال الزهري: فقال، أبو لبابة: لا والله، لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموتَ أو يتوب الله عليَّ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا حتى خر مغشيًّا عليه، ثم تاب الله عليه. فقيل له: يا أبا لبابة، قد تِيبَ عليك! قال: والله لا أحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يَحُلّني. فجاءه فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب، وأن أنخلع من مالي! قال: «يجزيك الثلث أن تصدَّق به.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله، وخيانة أمانته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأيِّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٠٨) أحمر
أسود

قلت: والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – يا أهل الإيمان لا تخونوا الله ﷻ بنقضكم ما أخذه عليكم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وبمخالفة أمره، ولا تظهروا إيمانًا وتبطنوا كُفرا، وكذا لا تخونوا رسول الله ﷺ فتظهرون له من الأمر ما لا تبطنونه، وتقولون له قولًا، ولا تفوا به، ويكلفكم بأمور فتقرونه ثم تخالفونه، وكذا لا تخونوا الأمانات التي ائتمنتم عليها، وهذا يشمل كل التكاليف الشرعية التي كلفكم الله سابقًا، وكلفكم بها رسول الله ﷺ، وكذا فإنه يشمل الأمانات التي يأتمنكم عليها الناس، وأنتم تعلمون أن خيانة الأمانات عارٌ وخزيٌ وفضيحة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾، وخيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمانَ في الظاهر والنصيحةَ، وهو يستسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلُّون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٠٩) أحمر
أسود

واختلفوا في تأويل قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾. فقال بعضهم: لا تخونوا الله والرسول، فإن ذلك خيانة لأمانتكم وهلاك لها. وقال آخرون: معناه: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

وقال أيضًا:

واختلف أهل التأويل في معنى: الأمانة، التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾.

فقال بعضهم: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله.

وقال آخرون: معنى «الأمانات»، ههنا، الدِّين.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: «وتخونوا أماناتكم» دينكم، ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، قال: قد فعل ذلك المنافقون، وهم يعلمون أنهم كفار، يظهرون الإيمان. وقرأ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سورة النساء: ١٤٢]. قال: هؤلاء المنافقون، أمنهم الله ورسوله على دينه، فخانوا، أظهروا الإيمان وأسرُّوا الكفر.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا، لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما، ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾، وتنقصوا أديانكم، وواجب أعمالكم، ولازمَها لكم، ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أنها لازمة عليكم، وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم اللّه عليه من أوامره ونواهيه، فإن الأمانة قد عرضها اللّه على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا فمن أدى

(١١٠) أحمر
أسود

الأمانة استحق من اللّه الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائنا للّه وللرسول ولأمانته، منقصا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- واعلموا يا أهل الإيمان إنما أموالكم التي رزقكم الله إياها، وأولادكم الذي رزقكم الله إياها، كل هذا فتنة وبلاء واختبار وامتحان، فاعملوا في كل ذلك بطاعة الله ولا تشغلنكم أموالكم ولا أولادكم عن طاعة الله ولا تقدموها على طاعة الله ورسوله، ولا تخونوا الأمانات من أجل أولادكم وأموالكم، وكذا فاعلموا أن الله ﷻ عنده أجرٌ عظيم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا، أيها المؤمنون، أنما أموالكم التي خوَّلكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أمولكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا. وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها، تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١١) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ الآية [التغابن: ١٤].

وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ أي: ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغني عنك شيئا، والله، سبحانه، هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة.

ثم قال:

وفي الصحيح[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه**».

بل حب رسول الله مقدم على الأولاد والأموال والنفوس، كما ثبت في الصحيح[2] أنه ﷺ، قال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين**».

بعض صور الافتتان بالمال والولد

---

(١) رواه البخاري (حديث ١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه (رقم ٦٧)-(٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) البخاري (حديث ١٤).

(١١٢) أحمر
أسود

س: اذكر بعض صور الافتتان بالمال والولد؟

ج: من ذلك أن الشخص قد ينشغل بهما عن طاعة الله فيترك الصلاة من أجل تجاراته، ويترك موالاة المؤمنين من أجل تجاراته وأمواله ويترك ذكر الله من أجل انشغاله بالمال، وقد يسعى في اكتساب المال من الحرام تكاثرًا وتفاخرًا وتباهيًا، وقد يسعى للرشوة المحرمة من أجل تنمية ماله، وقد يُرابي بماله إلى غير ذلك من صور الافتتان بالمال وكذا الولد قد ينشغل به عن الجهاد في سبيل الله كما قال المخلفون من الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ وقد ينتصر لولده الظالم وقد يتباهى بالولد في غير موطن التباهي، وقد يتكاثر ببنيه لظلم العباد، وقد يتخلف بسبب أبنائه عن الإنفاق في سبيل الله، وقد يسعى لاكتساب المال المحرم لأبنائه إلى غير ذلك من صور الافتتان بالولد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – يا أهل الإيمان إن اتقيتم الله ﷻ، جعلتم بينكم وبين عذابه وقاية بمراقبتكم له في السر والعلن وبطاعتكم له فيما أمر وبانتهائكم عما نهاكم عنه يجعل لكم فرقانًا تفرقون به بين الحق والباطل، يجعل لكم بصيرة تبصرون بها الحقائق، ويجعل لكم نصرًا على أعدائكم، ومخرجًا من ضوائقكم، ونجاة مما تخشون أن يحل بكم، وكذا يكفر عنكم سيئاتكم يمحها عنكم، ويعفو عنها ويتجاوز ويصفح، ويغفر لكم عموم ذنوبكم، فيسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها، والله صاحب الفضل الواسع العظيم الذي من العفو والمغفرة والصفح، والذي من فسيح الجنان المُعدة

لأهل التُقى والإيمان، والذي منه النصر والإعزاز في الدنيا والآخرة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ يقول: يجعل لكم فصلا وفرْقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين، بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم ، ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾، يقول: ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾، يقول: ويغطيها فيسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، يقول: والله الذي يفعل ذلك بكم، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله. وإنّ فعله جزاءٌ منه لعبده على طاعته إياه، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها، حتى استحقّ من ربه الجزاء الذي وعدَه عليها.

وأورد ابن كثير أقوالًا في تفسير الفرقان ثم قال:

وقال محمد بن إسحاق: ﴿فُرۡقَانٗا﴾ أي: فصلا بين الحق والباطل.

وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم وقد يستلزم ذلك كله؛ فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه -وهو محوها -وغفرها: سترها عن الناس -سببًا لنيل ثواب الله الجزيل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١١٤) أحمر
أسود

فإذا اتقى العبد ربه - وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه - وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقانا، ورزقه فيما يريد من الخير إمكانا. قال ابن وهب: سألت مالكا عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ قال: مخرجا، ثم قرأ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب اللّه على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا كثيرا،فذكر هنا أن من اتقى اللّه حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب،وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قال مقيده: عفا الله عنه قول الجماعة المذكورة: إن المراد بالفرقان المخرج يشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ والقول بأنه

(١١٥) أحمر
أسود

النجاة أو النصر، راجع في المعنى إلى هذا، لأن من جعل الله له مخرجًا أنجاه ونصره، لكن الذي يدل القرآن واللغة على صحته في تفسير الآية المذكورة هي قول ابن إسحاق، لأن الفرقان مصدر زيدت فيه الألف والنون، وأريد به الوصف أي الفارق بين الحق والباطل، وذلك هو معناه في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان: ١]، أي الكتاب الفارق بين الحق والباطل، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٤]، وقوله: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، ويدل على أن المراد بالفرقان هنا: العلم الفارق بين الحق والباطل. قوله تعالى في الحديد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٨].

لأن قوله هنا: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ يعني: علمًا وهدى تفرقون به بين الحق والباطل، ويدل على أن المراد بالنور هنا الهدى، ومعرفة الحق قوله تعالى فيمن كان كافرًا فهداه الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فجعل النور المذكور في الحديد: هو معنى الفرقان المذكور في الأنفال كما ترى. وتكفير السيئات والغفران المرتب على تقوى الله في آية الأنفال، كذلك جاء مرتبًا أيضًا عليها في آية الحديد، وهو بيان واضح كما ترى.

❁ ❁ ❁

(١١٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ
سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ
قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ
ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ
ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٥﴾ ﴾

[الأنفال: ٣٠-٣٥].

(١١٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَمۡكُرُ بِكَ - لِيُثۡبِتُوكَ - أَسَٰطِيرُ - يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ - أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ - مُكَآءٗ -وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَمۡكُرُ بِكَ﴾	يتآمر عليك
﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾	ليقيدوك - ليحبسوك ويسجنوك - وقيل: ليسحروك
﴿أَسَٰطِيرُ﴾	قصص وحكايات الأولين وما سطره الأولون من الحكايات
﴿يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾	يمنعون أهل الإسلام من الصلاة فيه والطواف بالكعبة
﴿أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾	أهله وأنصاره
﴿مُكَآءٗ﴾	صفيرًا
﴿وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾	تصفيقًا

❁ ❁ ❁

(١١٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- واذكر يا رسول الله نعمة عليك وحفظي لك إذ يتآمر عليك أهل الكفر بسجنك وحبسك، وكذا يتآمرون لقتلك وأمر إخراجك من بلدك، فقد جلسوا يتآمرون فيما يفعلونه برسول الله ﷺ فمن قائل نحبسه، أو من قائل نُخرجه من البلاد، ومن قائل نقتله ونستريح منه، وهكذا دار أقوالهم، وهكذا كان تآمرهم ومكرهم، فيكيدون لرسول الله ﷺ بهذه المكايد ولكن الله ﷻ يمكر بهم ويستدرجهم فحفظك الله يا رسول الله وسلمك من شرورهم ومن كيدهم ومكرهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وأورد الطبري في تفسيره من طريق:

محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال وحدثني الكلبي[1]، عن زاذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس: أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأيٌ ونصحٌ. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يُواثبكم في أموركم بأمره. قال: فقال قائل: احبسوه في وَثاق، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدوُّ الله الشيخ النجدي فقال: والله، ما هذا

(١) الكلبي ضعيف جدًّا.

(١١٩) أحمر
أسود

لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذَ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرَض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأيًا غير هذا! قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره! قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا وَسيطا شابًّا نَهْدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القولُ ما قال الفتى، لا أرى غيره! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمعون له، قال: فأتى جبريل النبيَّ ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذِن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة «الأنفال»، يذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾، وأنزل في قولهم: «تربصوا به ريبَ المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء»: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾، [سورة الطور: ٣٠]. وكان يسمى ذلك اليوم: «يوم الزحمة» للذي اجتمعوا عليه من الرأي.

(١٢٠) أحمر
أسود

وقال الطبري في تفسير الآية الكريمة:

فتأويل الكلام إذًا: واذكر، يا محمد، نعمتي عندك، بمكري بمن حاول المكرَ بك من مشركي قومك، بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يَرْعَبَنَّك كثرة عددهم، فإن ربّك خيرُ الماكرين بمن كفر به، وعبد غيره، وخالف أمره ونهيه.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثارًا في هذا الصدد، منها أثرًا عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

قال: دخلت فاطمةُ على رسول الله ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك يا بُنَيَّة؟» قالت: يا أبت، وما لي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش في الحجْر يتعاقدون باللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك. فقال: «**يا بنية، ائتني بوَضُوء**». فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى المسجد. فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا فطأطؤوا رؤوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم. فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: «**شاهت الوجوه**». فما أصاب رجلا منهم حَصَاة من حصياته إلا قُتل يوم بدر كافرا[1].

ثم قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة.

❁ ❁ ❁

(١) الحاكم (٣/ ١٥٧)، وابن حبان (١٦٩١)، وانظر أحمد (١/ ٣٠٣)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٤٠)، وغيرهم؛ وهذا يحسن لشواهده، والله أعلم.

(١٢١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: هذا بيان لحال أهل الشرك عند تلاوة القرآن عليهم وبيان لقولهم فيه وموقفهم منه، فإنهم إذا تليت عليهم آيات هذا الكتاب العزيز قالوا: قد سمعنا ما تلوته وقلته، ونحن قادرون على أن نقول مثله، وما هذه الذي تذكره إلا خرافات وحكايات وقصص سطرها الذين سبقونا.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آياتِ كتاب الله الواضحةَ لمن شرح الله صدره لفهمه، قالوا جهلا منهم، وعنادًا للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم، ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾، الذي تُلِي علينا، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعني: أنهم يقولون: ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم إلا أساطير الأولين.

و«الأساطير» جمع «أسطر»، وهو جمع الجمع، لأن واحد «الأسطر» «سطر»، ثم يجمع «السطر»، «أسطر» و«سطور»، ثم يجمع «الأسطر» «أساطير» و«أساطر».

وقد كان بعضُ أهل العربية يقول: واحد «الأساطير»، «أسطورة».

وإنما عنى المشركون بقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، إنْ هذا القرآن الذي تتلوه علينا، يا محمد، إلا ما سطَّره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم! كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحِه الله إليه.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير قال: قتل النبيُّ من يوم بدر صبرًا: عقبةَ بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث. وكان

(١٢٢) أحمر
أسود

المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله، أسيري! فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول! فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال المقداد: أسيري! فقال رسول الله ﷺ: «**واللهم اغْنِ المقداد من فضلك!**» فقال المقداد: هذا الذي أردت! وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾، الآية[1].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن كفر قريش وعُتُوِّهم وتمرُّدهم وعنادهم، ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ وهذا منهم قول لا فعل، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا. وإنما هذا قول منهم يَغُرّون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم.

وقد قيل: إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث -لعنه الله- كما قد نص على ذلك سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ، وابن جُرَيج وغيرهم؛ فإنه -لعنه الله- كان قد ذهب إلى بلاد فارس، وتعلم من أخبار ملوكهم رُسْتم واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله، وهو يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام ﷺ من مجلس، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: بالله أيهما أحسن قصصا؟

وأورد آثارًا ثم قال:

ومعنى: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وهو جمع أسطورة، أي: كتبهم اقتبسها، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس. وهذا هو الكذب البحت، كما أخبر الله عنهم

---

(١) ولكنه مرسل؛ لأن سعيد بن جبير تابعيٌّ لم يدرك رسول الله ﷺ ولم يدرك الواقعة.

(١٢٣) أحمر
أسود

في الآيـــة الأخـــرى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٥، ٦].أي: لمن تاب إليه وأناب؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣١ ﴾ وهذا من عنادهم وظلمهم،وإلا فقد تحداهم اللّه أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون اللّه، فلم يقدروا على ذلك، وتبين عجزهم.

فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع،وقد علم أنه ﷺ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ ﴾.

قد بينا قبل هذا الآيات المصرحة بكذبهم، وتعجيز الله لهم عن الإتيان بمثله. فلا حاجة إلى إعادتها هنا، وقوله هنا في هذه الآية عنهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣١ ﴾ رد الله عليهم كذبهم وافتراءهم هذا في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾ وما أنزله عالم السر في السموات والأرض فهو بعيد جدًا من أن يكون أساطير الأولين، وكقوله: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ [النحل: ١٠٣] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(١٢٤) أحمر
أسود

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾

س: من القائل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ بِنَصْرِهِۦ..﴾ الآية، وما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِنَصْرِهِۦ..﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ إلى آخر الآية، فعلى ذلك فقائل ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ هو أبو جهل بن هشام، وقد وردت روايات مرسلة، تقوى بمجموعها تفيد أن قائل ذلك أيضًا هو النضر بن الحارث بن كلدة أخرج هذه الروايات الطبري من وجوه مرسلة متعددة، ولا يمنع أن يقول ذلك عددٌ من المشركين.

وللآية الكريمة سبب نزول آخر: وهو ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من كون المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك فيقول فيقول النبي ﷺ: «قَدْ قَدْ!» فيقولون: «إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»، ويقولون: «غفرانك، غفرانك!»، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبيّ الله، والاستغفار. قال: فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: فهذا عذاب الآخرة. قال: وذاك عذاب الدنيا.

ولا أمانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة.

---

(١) البخاري (٤٦٤٩)، ومسلم (٢٩٧٦).

(١٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- أن أهل الشرك من جهلهم كانوا يقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ يعنون القرآن والإسلام والحق الذي جاء به النبي ﷺ، ورسالة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ أنت أنزلته، وأرسلت هذا الرسول إلينا ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هكذا قالوا بجهلهم ولقلة علمهم، ولو قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه لكان خيرًا لهم وأقوم وأوفق.

ثم بيَّن الله ﷻ سبب عدم تعذيبهم بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ أي: أن المانع من إنزال العذاب عليهم وجودك بين ظهرانيهم بمكة.

وكذا ثمَّ مانع آخر أن منهم من كان يستغفر فكان يعلم قبح ما هو عليه فيستغفر، وكان بعضهم يطوفون بالبيت ويستغفرون، فهذا قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وقد أورد الطبري من طريق أبي حذيفة قال، حدثنا عكرمة، عن أبي زميل، عن ابن عباس: إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: «لبيك، لبَّيك، لا شريك لك»، فيقول النبي ﷺ: «قَدْ قَدْ!» فيقولون: «إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»، ويقولون: «غفرانك، غفرانك!»، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾. فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبيّ الله، والاستغفار. قال: فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾، قال: فهذا عذاب الآخرة. قال: وذاك عذاب الدنيا.

(١٢٦) أحمر
أسود

هذا، ومن أهل العلم من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وما كان الله معذبهم إذا استغفروا، ولكنهم لم يستغفروا فلذا حلَّ بهم العذاب بعد خروج النبي ﷺ من بين أظهرهم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واذكر، يا محمد، أيضًا ما حلّ بمن قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، إذ مكرت بهم، فأتيتهم بعذاب أليم= وكان ذلك العذاب، قتلُهم بالسيف يوم بدر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: تأويله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، أي: وأنت مقيم بين أظهرهم. قال: وأنزلت هذه على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة. قال: ثم خرجَ النبي ﷺ من بين أظهرهم، فاستغفر من بها من المسلمين، فأنزل بعد خروجه عليه، حين استغفر أولئك بها: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾. قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم، فعذّب الكفار.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم، يا محمد، حتى أخرجك من بينهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ وهؤلاء المشركون، يقولون: «يا رب غفرانك!»، وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول. قالوا: وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، في الآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، يا محمد، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أي: لو استغفروا. قالوا: ولم يكونوا يستغفرون، فقال جل ثناؤه إذ لم يكونوا يستغفرون: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا

(١٢٧) أحمر
أسود

يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾، قال: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عُذِّبوا. وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله: فأما أحدهما فمضى، نبيُّ الله. وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم، الاستغفارُ والتوبةُ.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله ليعذبهم وهم يُسلمون. قالوا: و«استغفارهم»، كان في هذا الموضع، إسلامَهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون. قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قولُ من قال: تأويله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾، يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأنّي لا أهلك قرية وفيها نبيها، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾، من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرُّون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: «ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ»، يراد بذلك: لا أحسن إليك، إذا أسأت إليّ، ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إليّ. وكذلك ذلك، ثم قيل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾، بمعنى: وما

(١٢٨) أحمر
أسود

شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ هذا من كثرة جهلهم وعُتُوِّهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، وهذا مما عِيبُوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: «اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه». ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[العنكبوت: ٥٣]، ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾[ص: ١٦]، ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ ﴾ [المعارج: ١-٣]، وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقال هؤلاء: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ابن عباس: كانوا يقولون في الطواف: غفرانك. والاستغفار وإن وقع من الفجار يدفع به ضرب من الشرور والإضرار. وقيل: إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم. أي وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين؛ فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره؛. قاله الضحاك وغيره. وقيل: إن الاستغفار هنا يراد به الإسلام. أي ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي يسلمون؛ قاله مجاهد وعكرمة. وقيل: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي في أصلابهم من يستغفر الله.

(١٢٩) أحمر
أسود

روي عن مجاهد أيضا. وقيل: معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لو استغفروا. أي لو استغفروا لم يعذبوا. استدعاهم إلى الاستغفار.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يدعو إليه محمد ﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب.

فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لهم أن يكونوا على بصيرة ويقين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم.

فمنذ قالوا: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية، علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون،فلو عاجلهم اللّه بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ فوجوده ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.

وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رءوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون اللّه [تعالى فلهذا] قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه.

❁ ❁ ❁

س: على أي وجه نصب: ﴿ٱلْحَقَّ﴾؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القراء على نصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ على خبر ﴿كَانَ﴾. ودخلت ﴿هُوَ﴾ للفصل.

(١٣٠) أحمر
أسود

ويجوز ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ بالرفع ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ قال الزجاج: ولا أعلم أحدا قرأ بها. ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها ولكن القراءة سنة، لا يقرأ فيها إلا بقراءة مرضية.

❁ ❁ ❁

الاستغفار لرفع البلاء

س: الاستغفار سبب لرفع البلاء والعذاب دلّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وقوله تعالى في شأن يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]. إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وما المانع من نزول العذاب على هؤلاء المشركين وهم مع شركهم يمنعون المسلمين من دخول المسجد الحرام، ويصدون الناس عنه وعن الإيمان والإسلام، فهم أهلٌ للعذاب ولكن لكل أجل كتاب.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ فمحتمل أمرين:

أحدهما: وما كانوا أولى الناس بالمسجد الحرام بل الأولى به المتقون الذين اتقوا الشرك وخافوا الله وعبدوه حق عبادته.

(١٣١) أحمر
أسود

والثاني: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ أي: وما كانوا أولياء لله ﷻ من دون الناس، بل أولياء الله هم المتقون كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ أي: ولكن أكثر أهل الشرك لا يعلمون أن أولى الناس بالله هم المتقون، وأن أولى الناس بالمسجد الحرام هم المتقون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين إلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام، ولم يكونوا أولياء الله، ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ﴾، يقول: ما أولياء الله، ﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾، يعني: الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ يقول: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله ﷺ بين أظهرهم؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم، أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقُتل صناديدهم وأسرت سُراتهم. وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد.

قال قتادة والسُّدِّي وغيرهما: لم يكن القوم يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون لما عذبوا.

وقد قيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم.

(١٣٢) أحمر
أسود

وأورد ما أخرجه ابن جرير وأبو حاتم بإسناد حسن: عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في «الأنفال»: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فنسختها الآية التي تليها: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ فقُوتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والضر.

وما أخرجه ابن أبي حاتم إذ قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جُرَيْج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ثم استثنى أهل الشرك فقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

قال ابن كثير:

وقوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي ببكة، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أي: هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

ثم قال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أي شيء يمنعهم من عذاب اللّه،

(١٣٣) أحمر
أسود

وقد فعلوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس عن المسجد الحرام، خصوصا صدهم النبي ﷺ وأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ أي: المشركون ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى اللّه، أي: أولياء اللّه.ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي: وما كانوا أولى به من غيرهم. ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ وهم الذين آمنوا باللّه ورسوله، وأفردوا اللّه بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فلذلك ادَّعَوْا لأنفسهم أمرا غيرهم أولى به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – وما كان صلاة المشركين التي يتقربون بها إلى الله ﷻ ويزعمون أنها تنجيهم ويتعبدون الله بها عند الكعبة البيت العتيق إلا ﴿مُكَآءٗ﴾ تصفيرًا ﴿وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ تصفيقًا، إذا كانت هذه صلواتهم فكيف بباقي عبادتهم، فذوقوا يا هؤلاء، يا أهل الشرك العذاب بكفركم الذي كان يصدر منكم في دنياكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين إلا يعذبهم الله، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه، ولم يكونوا لله أولياء، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام، وهم لا يصلون في المسجد الحرام، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ﴾، يعني: بيت الله العتيق، ﴿إِلَّا مُكَآءٗ﴾، وهو الصفير.

(١٣٤) أحمر
أسود

ثم قال:.. وأما التصدية فإنها التصفيق. وأورد آثارًا بذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾، فإنه يعني العذابَ الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر. يقول للمشركين الذين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب، ﴿فَذُوقُواْ﴾، أي اطعموا، وليس بذوق بفم، ولكنه ذوق بالحسِّ، ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذابَ بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيدَ ربكم، ورسالةَ نبيكم ﷺ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني أن اللّه تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة،فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر،وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ أي: صفيرا وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها،فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟».

فبأي: شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم اللّه به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة.

لا جرم أورثهم اللّه بيته الحرام، ومكنهم منه،وقال لهم بعد ما مكن لهم فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وقال هنا ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

❁ ❁ ❁

(١٣٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠ ﴾

[الأنفال: ٣٦-٤٠].

(١٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ لِيَمِيزَ - ٱلْخَبِيثَ - ٱلطَّيِّبِ - فَيَرْكُمَهُۥ - سَلَفَ - سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ - لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ - مَوْلَىٰكُمْ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ لِيَمِيزَ ﴾	ليفصل – ليجعل هذا في مكان وهذا في مكان
﴿ٱلْخَبِيثَ ﴾	قيل: المال الخبيث الحرام، وقيل: الكافر
﴿ٱلطَّيِّبِ ﴾	قيل: المال الحلال، وقيل: المراد المؤمن
﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾	يجعل بعضه فوق بعض
﴿سَلَفَ ﴾	مضى
﴿سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	طريقة الله ونقمته بالمكذبين الأولين
﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	لا يكون شرك – لا يكون عذاب وبلاء
﴿مَوْلَىٰكُمْ ﴾	متولي أموركم ومعينك

❁ ❁ ❁

(١٣٧) أحمر
أسود

إنفاق أهل الكفر للصد عن سبيل الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – إن أهل الكفر الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وأنكروا رسالة النبي محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن هؤلاء ينفقون أموالهم ليصرفوا الناس عن طاعة الله وعن الإيمان به وعن توحيده، وعن الإسلام، فيعطونها غيرهم ليحاربوا بها المسلمين ويشترون بها سلاحًا لحرب الإسلام وأهله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أي: يوم القيامة يندمون أشد الندم على ما بذلوا من مالٍ في حرب الله ورسوله وصد الناس عن دينهم، ثم إنهم في الدنيا سيغلبون ولن يتوقف الأمر على كونهم يغلبون، بل سيحشرون إلى جهنم والعياذ بالله.

أما قوله تعالى ذكره: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ فمن العلماء من قال الخبيث المال الخبيث، والطيب المال الطيب، فالمال الخبيث الذي أتى من الحرام في الغالب ينفق في الوجوه المحرمة التي فيها الصد عن سبيل الله، والمال الطيب ينفق في طاعة الله. كذا قال بعض أهل العلم.

وقال آخرون: بل الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، فبالجهاد والإنفاق يتبين المؤمن من الكافر فنفقة الكافر في المعصية والصد عن سبيل الله، ونفقة المؤمن في طاعة الله ﷻ والدعوة إلى دينه فالمؤمن يعرف بجهاده لإعلاء كلمة الله وبإنفاقه في هذا السبيل كذلك، والكافر يُعرف بإنفاقه في الصد عن سبيل الله.

(١٣٨) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فأكثر العلماء نزلوا ذلك على الكفار يلقى بعضهم فوق بعض في النار فيتراكمون فيها فيجعلهم الله في جهنم على هذا النحو المذكور ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الذين خسروا دنياهم وأخراهم.

ومن العلماء من قال: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: المال الخبيث الذي أُنفق في معصية الله يُجعل بعضه على بعض في النار لتعذيب أصحابه به، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم، فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوَّوا بها على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم، ﴿حَسْرَةً﴾، يقول: تصير ندامة عليهم، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله مُعْلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم، فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك! أما الحيّ، فحُرِب ماله وذهبَ باطلا في غير دَرَك نفع، ورجع مغلوبًا مقهورًا محروبًا مسلوبًا. وأما الهالك، فقتل وسُلب، وعُجِّل به إلى نار الله يخلُد فيها، نعوذ بالله من غضبه.

(١٣٩) أحمر
أسود

وأورد الطبري عدة آثار مفادها أن أبا سفيان بن حرب، وكان آنذاك كافرًا[1] هو الذي كان ينفق هذه النفقة ليصد عن سبيل الله.

وهذه الآثار، وإن كان جلُّها مراسيل ولا تخلو من مقالٍ إلا أنها، ولكثرتها قد تحسن بمجموع طرفها.

منها ما أورد عن ابن إسحاق قال، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، [وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد. وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد، قالوا: أو من قاله منهم: لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب، ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعِيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم، كما ذكر عن ابن عباس، أنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا، وهو أن يقال: إن الله أخبرَ عن الذين كفروا به من مشركي قريش، أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله.

---

(١) ولكن أسلم كما هو معلوم.

(١٤٠) أحمر
أسود

لم يخبرنا بأيّ أولئك عَنى، غير أنه عم بالخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وجائز أن يكون عَنَى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر، وجائز أن يكون عنى الفريقين. وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش.

وقال في تأويل قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم، وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله، إلى جهنم، ليفرق بينهم، وهم أهل الخبث، كما قال وسماهم «الخبيث»، وبين المؤمنين بالله وبرسوله، وهم «الطيبون»، كما سماهم جل ثناؤه. فميَّز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته، وأنزل أهل الكفر نارَه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فيحمل الكفار بعضهم فوق بعض، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾، يقول: فيجعلهم ركامًا، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا، كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [سورة النور: ٤٣]، أي مجتمعًا كثيفًا، وكما:-

وقوله: ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ يقول: فيجعل الخبيث جميعًا في جهنم، فوحَّد الخبر عنهم لتوحيد قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، فجمع، ولم يقل: «ذلك هو الخاسر»، فردَّه إلى أول الخبر.

ويعني بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، الذين كفروا، وتأويله: هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، ويعني بقوله: ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

(١٤١) أحمر
أسود

الذين غُبنت صفقتهم، وخسرت تجارتهم. وذلك أنهم شَرَوْا بأموالهم عذابَ الله في الآخرة، وتعجَّلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبيّ الله والمؤمنين به، الخزيَ والذلَّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد أن أورد ما مفاده أنها نزلت في أبي سفيان، قال: وعلى كل تقدير، فهي عامة. وإن كان سبب نزولها خاصا، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تُجْدِ شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومُعْلِن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قُتِل منهم أو مات، فإلى الخِزْي الأبدي والعذاب السَّرْمَدِيّ؛ ولهذا قال: ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء وقال السُّدِّي: يميز المؤمن من الكافر. وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [يونس: ٢٨]، وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الروم: ١٤]، وقال في الآية الأخرى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الروم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يس:٥٩].

ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين،

(١٤٢) أحمر
أسود

وتكون «اللام» معللة لما جعل الله للكفار من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله، أي: إنما أقدرناهم على ذلك؛ ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ أي: من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢] ونظيرتها في براءة أيضا.

فمعنى الآية على هذا: إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك؛ ليتميز الخبيث من الطيب، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، ﴿ فَيَرْكُمَهُ ﴾ أي: يجمعه كله، وهو جمع الشيء بعضه على بعض، كما قال تعالى في السحاب: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾ [النور:٤٣] أي: متراكما متراكبا، ﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي: هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معنى ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ أي المؤمن من الكافر. وقيل: هو عام في كل شيء، من الأعمال والنفقات وغير ذلك.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي لام ليميز قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾ قاله ابن الانباري.

والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ قاله ابن جرير الطبري.

(١٤٣) أحمر
أسود

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال السدي، ومقاتل: يميز المؤمن من الكافر.

والثاني: ليميز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾. قال الزجاج: الركم أن يجعل بعض الشيء على بعض. يقال: ركمت الشيء أركمه ركما؛ والركام: الاسم؛ فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض، ومن قال: أموالهم فله في ذلك قولان:

أحدهما: أنها ألقيت في النار ليعذب بها أربابها كما قال تعالى ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

والثاني: أنهم لما عظموها في الدنيا، أراهم هوانها بالقائها في النار كما تلقى الشمس والقمر في النار، ليرى من عبدهما ذُلهَّما.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – قل يا رسول الله لأهل الجحود والنكران، وأهل الكفر والعصيان، لهؤلاء المشركين إن ينتهوا عما هم عليه من الكفر والعناد والتكذيب والشقاق يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وشركهم

(١٤٤) أحمر
أسود

فالإسلام يجب ما قبله، وإن يعودوا إلى ما هم عليه من الكفر والقتال والصبر عن سبيل الله وعداء أهل الإسلام، فقد مضت سنة الله وطريقته في المكذبين من أمثالهم فلينظروا إلى سنة الله ﷻ فيمن مضى من أمثالهم، لقد أنزل الله بهم النكال وأحلَّ بهم العقاب.

وقال بعض العلماء: إن المراد بسنة الأولين ما أحلَّه الله بأمثالهم يوم بدر.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُل ﴾، يا محمد، ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾، من مشركي قومك، ﴿إِن يَنتَهُواْ ﴾، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله، وقتالك وقتال المؤمنين، فينيبوا إلى الإيمان ، يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ ﴾، يقول: وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر، فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر، ومن غيرهم من القرون الخالية، إذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم، من إحلال عاجل النِّقَم بهم، فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك، مثل الذي أحللت بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سَلَف، أي: من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم، كما جاء في الصحيح، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحْسَن في الإسلام، لم**

(١٤٥) أحمر
أسود

يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر»[1].

وفي الصحيح أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**الإسلام يَجُبُّ ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها**».

وقوله: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ أي: يستمروا على ما هم فيه، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

وقوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم. وقال السدي ومحمد بن إسحاق: أي: يوم بدر.

❁ ❁ ❁

فتح أبواب التوبة أمام التائبين

س: أبواب التوبة دومًا تفتح حتى يتوب من شاء، وحتى يرجع من أراد الرجوع إلى الله دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وقوله تعالى في شأن الذين فتنوا المؤمنين وألقوهم في الأخاديد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

وفتح بابُ التوبة لقطاع الطرق إذ قال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) البخاري (٦٩٢١).

(١٤٦) أحمر
أسود

وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ..﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

إلى غير ذلك من الآيات.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ...﴾:

قال ابن العربي: هذه لطيفة من الله سبحانه من بها على الخلق؛ وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي والمآثم؛ فلو كان ذلك يوجب مؤاخذة لهم لما استدركوا أبدا توبة ولا نالتهم مغفرة. فيسر الله تعالى عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب لدخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم لكلمة المسلمين، ولو علموا أنهم يؤاخذون لما تابوا ولا أسلموا. وفي صحيح مسلم: أن رجلا فيمن كان قبلكم قتل تسعة وتسعين نفسا ثم سأل هل له من توبة فجاء عابدا فسأل هل له من توبة فقال: لا توبة لك فقتله فكمل به مائة؛ الحديث. فانظروا إلى قول العابد: لا توبة لك؛ فلما علم أنه قد أيأسه قتله، فعل الآيس من الرحمة. فالتنفير مفسدة للخليقة، والتيسير مصلحة لهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن كفرهم وذلك بالإسلام للّه وحده لا شريك له.

﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ منهم من الجرائم ﴿ وَإِن يَعُودُواْ ﴾ إلى كفرهم

(١٤٧) أحمر
أسود

وعنادهم ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون،فهذا خطابه للمكذبين.

❁ ❁ ❁

من معاني الفتنة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم -: وقاتلوا يا أهل الإيمان أهل الكفر حتى لا تكون في الأرض فتنة، وقيل الفتنة الشرك، وصرف الناس عن الإيمان إلى الكفر، وهذه أعظم الفتن ومن معاني الفتنة الصرف والتحويل، أي: وقاتلوهم حتى لا ينصرف الناس من الإيمان والإسلام إلى الكفر والشرك.

وقيل: الفتنة هنا البلاء والعذاب، فالمعنى: وقاتلوهم؛ لأنهم إذا استمروا على كفرهم نزل بالأرض بلاء وعذاب، إذا لم تقاتلوهم وتأخذوا على أيديهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: وينتهي الشرك بالله ويكون الدين في الأرض، هو التوحيد الخالص، وعند ذلك يعبد الله ﷻ وحده لا يشرك به معه غيره، فإن انتهى هؤلاء الكفار عن شركهم وكفرهم وقتالهم بالباطل فإن الله ﷻ مطلعٌ عليهم وعالم بهم وبنواياهم وسيكرم أهل طاعته والإنابة إليه وسينتقم من أهل الظلم وأهل الكفر والجحود والنكران والغش والخداع، أما قوله تعالى ذكره: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أي: وإن أعرضوا عن الاستجابة للإسلام ولم يؤمنون ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ يا أهل الإيمان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ متولي

(١٤٨) أحمر
أسود

أمركم ومعينكم وناصركم فهو ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ نعم من تولى الأمور و﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الذي ينصر عباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو «الفتنة»، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصةً دون غيره.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾، فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة، وهي الشرك بالله، وصارُوا إلى الدين الحق معكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام، لأنه يبصركم ويبصر أعمالكم، والأشياء كلها متجلية له، لا تغيب عنه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

وقد قال بعضهم: معنى ذلك، فإن انتهوا عن القتال.

قال أبو جعفر: والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال، فإنه كان فرضًا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا.

وقال في تأويل قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإن أدبر هؤلاء المشركون عما

(١٤٩) أحمر
أسود

دعوتموهم إليه، أيها المؤمنون من الإيمان بالله ورسوله، وترك قتالكم على كفرهم، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فقاتلوهم، وأيقنوا أنّ الله معينكم عليهم وناصركم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾، هو لكم، يقول: نعم المعين لكم ولأوليائه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾، وهو الناصر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر، فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

وقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

وفي الصحيح[1] أن رسول الله ﷺ قال لأسامة -لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال: «لا إله إلا الله»، فضربه فقتله، فذكر ذلك لرسول الله -فقال لأسامة: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا. قال: «**هلا شَقَقْتَ عن قلبه؟**»، وجعل يقول ويكرر عليه: «**من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟**» قال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم.

وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ أي: وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ﴾ سيدكم وناصركم على أعدائكم، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(١) البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(١٥٠) أحمر
أسود

وأورد ابن كثير عددًا من الآثار عن السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ مؤداها حتى يُقال لا إله إلا الله، ولا يكون مع الإسلام دين ثم قال بعد أن أوردها.

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله** ﷻ».

وفي الصحيحين[2] عن أبي موسى الأشعري قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رِيَاءً، أيُّ ذلك في سبيل الله، ﷻ؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله** ﷻ».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ أي: شرك وصد عن سبيل اللّه، ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين اللّه الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ ﴾ عن ما هم عليه من الظلم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ لا تخفى عليه منهم خافية.

﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾ الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية. ﴿ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار.

---

(١) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢) البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(١٥١) أحمر
أسود

ومن كان اللّه مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان اللّه عليه فلا عِزَّ له ولا قائمة تقوم له.

هذا، وقد وردت عدة آثار عند تفسير هذه الآية الكريمة منها:

ما أخرجه البخاري[١] من طريق نافع عن عن ابن عمر؛ أن رجلا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية [الحجرات: ٩]، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، أُعَيَّر بهذه الآية ولا أقاتل، أحب إلي من أن أُعَيَّر بالآية التي يقول الله، ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ إلى آخر الآية [النساء:٩٣]، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي ﷺ إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يُفتن في دينه: إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، وكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنُه -وأشار بيده -وهذه ابنته أو: بنته -حيث ترون.

ثم أورد البخاري بسنده إلى سعيد بن جُبَيْر قال: خرج علينا -أو: إلينا - ابن عمر، رضي الله عنهما، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس بقتالكم على الملك[٢].

ومنها ما أخرجه الطبري من طريق عروة بن الزبير:[٣] أن عبد الملك بن

---

(١) البخاري (٤٦٥٠).
(٢) البخاري (٤٦٥١).
(٣) وهذا مرسلٌ.

(١٥٢) أحمر
أسود

مروان كتبَ إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة: «سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإنك كتبت إليّ تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وسأخبرك به، ولا حول ولا قوة إلا بالله. كان من شأن خروج رسول الله ﷺ من مكة، أن الله أعطاه النبوة، فنعم النبيُّ! ونعم السيد! ونعم العشيرة! فجزاه الله خيرًا، وعرّفنا وجهه في الجنة، وأحيانَا على ملته، وأماتنا عليها، وبعثنا عليها. وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يَبْعُدوا منه أوّلَ ما دعاهم إليه، وكادوا يسمعون له، حتى ذكر طواغيتهم. وقدم ناس من الطائف من قريش، لهم أموال، أنكر ذلك ناسٌ، واشتدّوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه، إلا من حفظه الله منهم، وهم قليل. فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنةً شديدة الزلزال ، فافتتن من افتتن، وعصم الله من شاء منهم. فلما فُعِل ذلك بالمسلمين، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة. وكان بالحبشة ملك صالح يقال له «النجاشي»، لا يُظلم أحد بأرضه، وكان يُثْنَى عليه مع ذلك [صلاح]، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يَتْجَرون فيها، ومساكن لِتِجَارهم يجدون فيها رَفاغًا من الرزق وأمنًا ومَتْجَرًا حسنًا، فأمرهم بها النبي ﷺ، فذهب إليها عامتهم لما قُهِروا بمكة، وخاف عليهم الفتن. ومكث هو فلم يبرح. فمكث ذلك سنوات يشتدُّون على من أسلم منهم. ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومَنَعتهم. فلما رأوا ذلك، استرخوْا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه. وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قِبَل أرض الحبشة، مخافتَها، وفرارًا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال. فلما

(١٥٣) أحمر
أسود

استُرْخي عنهم، ودخل في الإسلام من دخل منهم، تُحُدِّث باسترخائهم عنهم. فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ: أنه قد استُرْخِيَ عمن كان منهم بمكة، وأنهم لا يفتنون. فرجعوا إلى مكة، وكادوا يأمنون بها، وجعلوا يزدادون، ويكثرون. وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة. فلما رأت ذلك قريش ذلك، تذامرَتْ على أن يفتنوهم ويشتدّوا عليهم، فأخذوهم، وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جَهْدٌ شديد. وكانت الفتنة الآخرة. فكانت ثنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة، حين أمرهم رسول الله ﷺ بها، وأذن لهم في الخروج إليها، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسولَ الله ﷺ من المدينة سبعون نقيبًا، رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج، فبايعوه بالعقبة، وأعطوه عهودهم على أنّا منك وأنت منا، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا. فاشتدت عليهم قريش عند ذلك. فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه، وخرج هو، وهي التي أنزل الله فيها: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾.

❁ ❁ ❁

(١٥٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

[الأنفال: ٤١-٤٤].

(١٥٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ - ٱلْجَمْعَانِ - بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا - بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ - وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ - لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ - وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾	اليوم الذي فرَّ من الله فيه بين الحق والباطل ونصر أهل الحق وخذل أهل الباطل
﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾	جمع الكفار وجمع المؤمنين
﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾	ناحية الوادي القريبة من المدينة
﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾	ناحية الوادي القريبة من مكة، والبعيدة عن المدينة
﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾	ركب أبي سفيان، العير التي تحمل التجارات التي أتى بها أبو سفيان من الشام، وقيل: الإبل التي كانت تحمل متاع الرسول وأصحابه
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	ليكفر ويهلك بكفره من هلك وهو على بصيرة بأنه على ضلال، ويؤمن من آمن فيحيا بالغيمان، من هو على بصيرة بأنه على الحق، وبأن القرآن من عند الله

❁ ❁ ❁

(١٥٦) أحمر
أسود

الفرق بين الغنيمة والفيء

س: ما المراد بالغنيمة وما المراد بالفيء؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أن المراد بالغنائم ما يغنمه المسلمون من الكفار بعد هزيمة الكفار وبعد حربهم.

أما الفيء فهو ما أفاء الله به على أهل الإسلام من أهل الكفر بدون قتال.

وأحيانًا يطلق الفيء على الغنيمة وتطلق الغنيمة على الفيء بحسب ما يقتضيه المقام والسياق، والله أعلم.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾ اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد أم يختلفان؟ على قولين:

أحدهما: أنهما يختلفان، ثم في ذلك قولان. أحدهما: أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب.

والثاني: أن الغنيمة ما أخذ عنوة والفيء ما أخذ عن صلح قاله سفيان الثوري وقيل بل الفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال المهادنة والصلح وما هربوا عنه.

والثاني: أنهما واحد، وهما كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف؛ فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سماه الله تعالى: أنفالًا وغنائم؛ وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب، فقد سماه فيئًا؛ وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة. وأما قوله: ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم الشيء، قال مجاهد: المخيط من الشيء.

(١٥٧) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

اعلم أولًا أن أكثر العلماء: فرقوا بين الفيء والغنيمة فقالوا: الفيء: هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر، كفيء بني النضير الذين نزلوا على حكم النَّبي ﷺ ومكنوه من أنفسهم وأموالهم يفعل فيها ما يشاء لشدة الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم، ورضي لهم ﷺ أن يرتحلو بما يحملون على الإبل غير السلاح، وأما الغنيمة: فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر، وهذا التفريق يفهم من قوله: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم ﴾ الآية مع قوله: ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ فإن قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ الآية: ظاهر في أنه يراد به بيان الفرق بين ما أوجفوا عليه وما لم يوجفوا عليه كما ترى.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾ الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي، ومن ذلك قول الشاعر:

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال آخر:

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه ... أنى توجه والمحروم محروم

والمغنم والغنيمة بمعنى؛ يقال: غنم القوم غنما. وأعلم أن الاتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾ مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر. ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص على ما بيناه، ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع. وسمى الشرع الواصل من الكفار إلينا من الأموال باسمين: غنيمة وفيئا. فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم

(١٥٨) أحمر
أسود

بالسعي وإيجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة. ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفا. والفيء مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف. كخراج الأرضين وجزية الجماجم وخمس الغنائم. ونحو هذا قال سفيان الثوري وعطاء بن السائب. وقيل: إنهما واحد، وفيهما الخمس؛ قاله قتادة. وقيل: الفيء عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الأموال بغير قهر. والمعنى متقارب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فإنه مرادٌ به: كل ما وقع عليه اسم ﴿شَيْءٍ﴾، فما خوّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين، مما وقع عليه القسم، حتى الخيط والمخيط، كما.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ على عمومه أم أنه يدخله الخصوص، واستثنيت منه أشياء؟

ج: بل هو مخصوص، خصَّ واستثنيت منه أشياء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لم يختلف العلماء أن قوله: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ ليس على عمومه، وأنه يدخله الخصوص، فمما خصصوه بإجماع أن قالوا: سلب المقتول لقاتله إذا نادى به الإمام. وكذلك الرقاب، أعني الأسارى، الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف، على ما يأتي بيانه. ومما خص به أيضا الأرض. والمعنى: ما غنمتم من ذهب وفضة وسائر الأمتعة والسبي. وأما الأرض فغير

(١٥٩) أحمر
أسود

داخلة في عموم هذه الآية، لما روى أبو داود عن عمر بن الخطاب أنه قال: (لولا أخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر). ومما يصحح هذا المذهب ما رواه الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت الشام مدها ودينارها" الحديث. قال الطحاوي: «منعت» بمعنى ستمنع، فدل ذلك على أنها لا تكون للغانمين، لأن ما ملكه الغانمون لا يكون فيه قفيز ولا درهم، ولو كانت الأرض تقسم ما بقي لمن جاء بعد الغانمين شيء. والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] بالعطف على قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]. قال: وإنما يقسم ما ينقل من موضع إلى موضع. وقال الشافعي: كل ما حصل من الغنائم من أهل دار الحرب من شيء قل أو كثر من دار أو أرض أو متاع أو غير ذلك قسم، إلا الرجال البالغين فإن الإمام فيهم مخير أن يمن أو يقتل أو يسبي. وسبيل ما أخذ منهم وسبي سبيل الغنيمة. واحتج بعموم الآية. قال: والأرض مغنومة لا محالة، فوجب أن تقسم كسائر الغنائم. وقد قسم رسول الله ﷺ ما أفتتح عنوة من خيبر. قالوا: ولو جاز أن يدعى الخصوص في الأرض جاز أن يدعى في غير الأرض فيبطل حكم الآية.

❁ ❁ ❁

استحقاق القاتل سلب القتيل

س: اذكر ما يدل على أن من قتل قتيلًا فله سلبه؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ

(١) البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(١٦٠) أحمر
أسود

مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا. قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا. فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ. ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**» قَالَا: لَا. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ**» وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ.

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يوم حُنَيْنٍ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ عَلَا رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ؛ فَاسْتَدَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ؛ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: مَا بَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ اللهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا، وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**». فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**». فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ. ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ مِثْلَهُ فَقُمْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟**» فَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَلَبُهُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عَنِّي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَاهَا اللهِ إِذًا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللهِ

(١) البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

(١٦١) أحمر
أسود

وَرَسُولِهِ ﷺ يُعْطِيكَ سَلَبَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ» فَأَعْطَاهُ، فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا، فِي بَنِي سَلِمَةَ، فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ.

❁ ❁ ❁

س: هل يشترط حتى يأخذ من قتل قتيلًا في المعركة سلب القتيل أن يأذن الإمام له بذلك، بمعنى إذ قتل مسلمٌ كافرًا بعينه في المعركة فأخذ غنيمته هل له أن يأخذها دون إذن الإمام أم أنه يلزم أنه يأذن له الإمام بأخذها؟

ج: قال الشنقيطي في ذلك (أضواء البيان):

واعلم أن العلماء اختلفوا في استحقاق القاتل السلب، هل يشترط فيه قول الإمام: « **من قتل قتيلًا فله سلبه!**» أو يستحقه مطلقًا قال الإمام ذلك أو لم يقله؟

وممن قال بهذا الأخير: الإمام أحمد، والشافعي، والأوزاعي، والليث، وإسحاق، وأبو عبيد، وأبو ثور، والطبري، وابن المنذر.

وممن قال بالأول: الذي هو أنه لا يستحقه إلا بقول الإمام: « من قتل قتيلًا » الخ الإمام أبو حنيفة، ومالك، والثوري.

وقد قدمنا عن مالك وأصحابه: أن قول الإمام ذلك: لا يجوز قبل القتال، لئلا يؤدي إلى فساد النية، ولكن بعد وقوع الواقع، يقول الإمام: من قتل قتيلًا... الخ.

واحتج مالك، وأبو حنيفة، ومن وافقهما بأدلة:

منها: قوله ﷺ في حديث سلمة بن الأكوع، المتفق عليه في قصة قتل معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ ابن عفراء الأنصاريين لأبي جهل يوم بدر. فإن فيه « ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: «**أيكما قتله؟!**»، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتله**»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح اهـ.

(١٦٢) أحمر
أسود

قالوا: فتصريحه ﷺ في هذا الحديث، المتفق عليه، بأن كليهما قتله، ثم تخصيص أحدهما بسلبه، دون الآخر، صريح في أن القاتل لا يستحق السلب، إلا بقول الإمام: إنه له، إذ لو كان استحقاقه له بمجرد القتل لما كان لمنع معاذ بن عفراء وجه، مع أن النَّبي ﷺ صرح بأنه قتله مع معاذ بن عمرو، ولجعله بينهما.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، عن عوف بن مالك قال: قتل رجل من حمير، رجلًا من العدو، فأراد سلبه، فمنعه خالد بن الوليد، وكان واليًا عليهم، فأتى رسول الله ﷺ، عوف بن مالك فأخبره. فقال لخالد: «**ما منعك أن تعطيه سلبه**» قال: استكثرته يا رسول الله، قال: «**ادفعه إليه**»، فمر خالد بعوف فجر بردائه، ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ؟ فاستغضب فقال: لا تعطه يا خالد، لا تعطهيا خالد، هل أنتم تاركون لي أمرائي، إنما مثلكم ومثلهم، كمثل رجل استرعى إبلًا، أو غنمًا فرعاها، ثم تحين سقيها فأوردها حوضًا فشرعت فيه، فشربت صفوه، وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم.

وفي رواية عند مسلم أيضًا: عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة، في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من اليمن، وساق الحديث عن النبي ﷺ بنحوه، غير نه قال في الحديث: قال عوف بن مالك: فقلت: يا خالد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل، قال بلى، ولكني استكثرته، هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي رواية عن عوف أيضًا، عند الإمام أحمد وأبي داود قال خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من أهل اليمن، ومضينا فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له، أشقر، عليه سرج مذهب. وسلاح

(١٦٣) أحمر
أسود

مذهب. فجعل الرومي يفري في المسلمين. فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه. فخر وعلاه فقتله. وحاز فرسه. وسلاحه. فلما فتح الله ﷻ للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد.

فأخذ السلب. قال عوف: فأتيته. فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ. قضى بالسلب للقاتل. قال. بلى ولكن استكثرته. قلت: لتردنه إليه، أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرد عليه، قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ، فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد، وذكر بقية الحديث بمعنى ما تقدم اه.

فقول النَّبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: « لا تعطه يا خالد » دليل على أنه لم يستحق السلب بمجرد القتل، إذ لو استحقه به، لما منعه منه النَّبي ﷺ.

ومنها: ما ذكره ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن الأسود بن قيس، عن بشر بن علقمة قال: بارزت رجلًا يوم القادسية، فقتلته، وأخذت سلبه، فأتيت سعدًا، فخطب سعد أصحابه، ثم قال: هذا سلب بشر ابن علقمة لهو خير من اثني عشر ألف درهم، وإنا قد نفلناه إياه.

فلو كان السلب للقاتل قضاء من النَّبي ﷺ، لما أضاف الأمراء ذلك التنفيل إلى أنفسهم باجتهادهم، ولأخذه القاتل دون أمرهم، قاله القرطبي.

قال مقيده – عفا الله عنه–: أظهر القولين عندي دليلًا، أن القاتل لا يستحق السلب إلا بإعطاء الإمام. لهذه الأدلة الصحيحة، التي ذكرنا فإن قيل: هي شاهدة لقول إسحاق: إن كان السلب يسيرًا فهو للقاتل، وإن كان كثيرًا خمس.

فالجواب: أن ظاهرها العموم مع أن سلب أبي جهل لم يكن فيه كثرة زائدة، وقد منع منه النَّبي ﷺ معاذ ابن عفراء.

مصارف الخُمس

(١٦٤) أحمر
أسود

س: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أين تصرف الأربعة أخماس الأخرى؟

ج: هذه تصرف للمجاهدين، أي: الأربعة أخماس الأخرى تقسم بين المجاهدين.

قال الشنقيطي في أضواء البيان:

اعلم أن جماهير علماء المسلمين على أن أربعة أخماس الغنيمة للغزاة الذين غنموها، وليس للإمام أن يجعل تلك الغنيمة لغيرهم، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿غَنِمْتُم﴾، فهو يدل على أنها غنيمة لهم فلما قال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ علمنا أن الأخماس الأربعة الباقية لهم لا لغيرهم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١] أي ولأبيه الثلثان الباقيان إجماعًا، فكذلك قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أي وللغانمين ما بقي، وهذا القول هو الحق الذي لا شك فيه.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة فأما الخمس الخامس فكيف يقسم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم.

والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل على ظاهر الآية وبه قال الجمهور.

والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم: فسهم الله ﷻ، وسهم رسوله عائد على ذوي القربى لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئًا وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١٦٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: كيف يُجاب على ما صنعه النبي ﷺ تخصيص بعض القوم يوم حنين بعطاء أكثر من غيرهم كأبي سفيان والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس وغيرهم؟

ج: أجاب الشنقيطي على ذلك بقوله:

وأما ما وقع في قصة حنين فالجواب عنه ظاهر، وهو أن النَّبي ﷺ استطاب نفوس الغزاة عن الغنيمة ليؤلف بها قلوب المؤلفة قلوبهم لأجل المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، ويدل على ذلك أنه ﷺ لما سمع أن بعض الأنصار قال: يمنعنا ويعطي قريشًا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، جمعهم النَّبي ﷺ، وكلمهم كلامه المشهور البالغ في الحسن، ومن جملته أنه قال لهم: « ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكم » إلى آخر كلامه، فرضي القوم، وطابت نفوسهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظًا، وهذا ثابت في الصحيح.

قلت: هذا، ومن العلماء من قال إن النبي ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من الخمس الذي له ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم تُقسَّم مكة لما فتحها النبي ﷺ؟

ج: قال الشنقيطي جوابًا على ذلك:

ومن أظهر الأجوبة عما وقع في فتح مكة، أن مكة ليست كغيرها من البلاد، لأنها حرام بحرمة الله من يوم خلق السماوات والأرض إلى يوم القيامة، وإنما أحلت له ﷺ ساعة من نهار، ولم تحل لأحد قبله ولا بعده، وما كان بهذه المثابة، فليس كغيره من البلاد التي ليست لها هذه الحرمة العظيمة.

(١٦٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: الخمُسم الخامس المذكور في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ كيف يصنع به؟

ج: يُقسم بين من ذكرهم الله تعالى إذ قال: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ستةٌ فهل الخمس يقسم إلى ستة أقسام قسم لله ﷻ، ثم قسم للرسول، وقسم لذي القربى، وقسم لليتامى، وقسم للمساكين، وقسم لابن السبيل أم ماذا؟

ج: ذهب أكثر العلماء إلى أنه يُقسم إلى خمسة أقسام فقط، أي: القسم الخامس يقسم إلى خمسة أقسام فقط أي: أن كل قسم منها يكون بالنسبة للغنيمة الكلية يمثل واحدًا من خمسة وعشرين قسمًا.

❁ ❁ ❁

س: إذا كان القسم الخامس إنما يقسم خمسة أقسام فقط، فما توجيه القول بأن المذكورين ستة؟

ج: لأهل العلم هنا أقوال:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مفتاح كلام، بمعنى أن كل شيء لله ﷻ وذكر الله ﷻ هنا استفتاح كلام للتبرك، فعلى هذا فالأقسام خمسة للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

القول الثاني: أن الإمام قبل أن يقسم الخمس الخامس يضرب بيده فيه فيأخذ قبل تقسيمه شيئًا منه فيضعه للكعبة ثم يقسم الباقي إلى خمسة أقسام

(١٦٧) أحمر
أسود

سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

القول الثالث: أن خمس الله ورسوله واحد، أي: سهم واحد.

القول الرابع: أن الواو زائدة في قوله لله وللرسول كالواو في قوله فلما أسلما وتلَّه للجبين، فيكون المعنى فإن لله خمسه، وبيانه للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

القول الخامس: أن الخمس يُقسم على ستة فيجعل السدس للكعبة، وهو الذي لله ﷻ، وهذا راجع إلى القول الثاني الذي ذكرناه لكن بتحديد الذي يجعل للكعبة بأنه السدس، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

أورد الطبري بإسناد صحيح عن قيس بن مسلم قال: سألت الحسن عن قول الله ﷻ: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾ قال: مفتاح كلام، لله الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف العلماء في كيفية قسم الخُمس على أقوال ستة:

الأول: قالت طائفة: يقسم الخمس على ستة، فيجعل السدس للكعبة، وهو الذي لله. والثاني لرسول الله ﷺ. والثالث لذوي القربى. والرابع لليتامى. والخامس للمساكين، والسادس لابن السبيل. وقال بعض أصحاب هذا القول: يرد السهم الذي لله على ذوي الحاجة.

الثاني: قال أبو العالية والربيع: تقسم الغنيمة على خمسة، فيعزل منها سهم واحد، وتقسم الأربعة على الناس، ثم يضرب بيده على السهم الذي عزله فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة، ثم يقسم بقية السهم الذي عزله على خمسة، سهم للنبي ﷺ، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم

(١٦٨) أحمر
أسود

للمساكين، وسهم لابن السبيل.

الثالث: قال المنهال بن عمرو: سألت عبدالله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقال: هو لنا. قلت لعلي: إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فقال: أيتامنا ومساكيننا.

الرابع: قال الشافعي: يقسم على خمسة. ورأى أن سهم الله ورسوله واحد، وأنه يصرف في مصالح المؤمنين، والأربعة الأخماس على الأربعة الأصناف المذكورين في الآية.

الخامس: قال أبو حنيفة: يقسم على ثلاثة: اليتامى والمساكين وابن السبيل. وارتفع عنده حكم قرابة رسول الله ﷺ بموته، كما ارتفع حكم سهمه. قالوا: ويبدأ من الخمس بإصلاح القناطر، وبناء المساجد، وأرزاق القضاة والجند، وروي نحو هذا عن الشافعي أيضا.

السادس: قال مالك: هو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده، فيأخذ منه من غير تقدير، ويعطي منه القرابة باجتهاد، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين. وبه قال الخلفاء الأربعة، وبه عملوا. وعليه يدل قوله ﷺ: «**ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم**». فإنه لم يقسمه أخماسا ولا أثلاثا، وإنما ذكر في الآية من ذكر على وجه التنبيه عليهم، لأنهم من أهم من يدفع إليه. قال الزجاج محتجا لمالك: قال الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٥] وللرجل جائز بإجماع أن ينفق في غير هذه الأصناف إذا رأى ذلك. وذكر النسائي عن عطاء قال: خمس الله وخمس رسوله واحد، كان رسول الله ﷺ يحمل منه ويضعه حيث شاء ويصنع به ما شاء.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

(١٦٩) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ وروى عبد الوارث: «خُمْسَهُ» بسكون الميم. وفي المراد بالكلام قولان:

أحدهما: أن نصيب الله مستحق يصرف إلى بيته قال أبو العالية كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم فيقسم أربعة بين الناس ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال.

والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين أحدهما لأنه المتحكم فيه والمالك له والمعنى فان للرسول خمسة ولذي القربى كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ والثاني: أن يكون المعنى إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى وهذ قول الجمهور فعلى هذا تكون الواو زائدة كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣] المعنى ناديناه ومثله كثير.

قال الشنقيطي في أضواء البيان:

والتحقيق أن نصيب الله جل وعلا، ونصيب الرسول ﷺ واحد، وذكر اسمه جل وعلا استفتاح كلام للتعظيم.

هذا، وقد استدل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقول بأن خمس الله ﷻ وخمس رسوله ﷺ واحد بحديث رواه البيهقي[1] فقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القُرى، وهو يعرض فرسًا، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «**لله خمسها، وأربعة أخماس للجيش**». قلت: فما أحد أولى به من أحد؟ قال: « **لا ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم**».

---

(١) البيهقي (٦/ ٣٢٤).

(١٧٠) أحمر
أسود

وأورد عدة آثار عن السلف تفيد أن خمس الله ورسوله واحد.

وأورد أيضًا حديثًا ضعيف الإسناد من حديث المقدام بن معد يكرب عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وفي سنده ضعف.

❁ ❁ ❁

س: ما يخص رسول الله ﷺ من الخمس المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ...﴾ ماذا يصنع به رسول الله ﷺ؟

ج: ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أن النبي ﷺ كان يضعه في المصالح العامة للمسلمين، وكان له أن يصطفي شيئًا منه لنفسه صلوات الله وسلامه عليه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وعن عمرو بن عبسة، أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بعير من المغنم، فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير. ثم قال: «**ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس، والخمس مردود عليكم**» رواه أبو داود، والنسائي[1].

فإذا عرفت أن التحقيق أن الخمس في حياة النَّبي ﷺ. يقسم خمسة أسهم، لأن اسم الله ذكر للتعظيم، وافتتاح الكلام به، مع أن كل شيء مملوك له جل وعلا، فاعلم أن النَّبي ﷺ كان يصرف نصيبه، الذي هو خمس الخمس، في مصالح المسلمين. بدليل قوله في الأحاديث التي ذكرناها آنفًا. «**والخمس مردود عليكم**»، وهو الحق.

ويدل له ما ثبت في الصحيح: من أنه كان يأخذ قوت سنته من فيء بني النضير، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

---

(١) أبو داود (٢٧٥٥).

(١٧١) أحمر
أسود

سهم للّه ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة، لأن اللّه جعله له ولرسوله، واللّه ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد اللّه.فإذا لم يعين اللّه له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد كان للنبي ﷺ من المغانم شيء يصطفيه لنفسه عبدًا أو أمة أو فرسًا أو سيفًا أو نحو ذلك، كما نص على ذلك محمد بن سيرين وعامر الشعبي، وتبعهما على ذلك أكثر العلماء.

وأورد الحافظ ابن كثير بعض الأحاديث بذلك وقال:

وعن عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: كانت صفية من الصّفي. رواه أبو داود في سننه[1].

وروى أيضًا بإسناده، والنسائي أيضًا عن يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمِرْبَد إذ دخل رجل معه قطعة أديم، فقرأناها فإذا فيها: «**من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي وسهم الصّفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله**». فقلنا: من كتب لك هذا؟ فقال: رسول الله ﷺ[2].

فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرر هذا وثبوته؛ ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه.

وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء.

وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا قول مالك وأكثر

---

(١) أبو داود (٢٩٩٤).

(٢) أبو داود (٢٩٩٩)، والنسائي (٧/ ١٣٤).

(١٧٢) أحمر
أسود

السلف، وهو أصح الأقوال.

❁ ❁ ❁

سهم رسول الله ﷺ بعد الموت

س: ماذا يُصنع بسهم رسول الله ﷺ بعد موته؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أن سهم رسول الله ﷺ ينتقل بعد حماته إلى الخليفة من بعده ينفقه في مصالح المسلمين العامة.

وذهب بعض العلماء إلى سقوط سهم النبي ﷺ بوفاته.

وذهب بعضهم إلى أنه يرجع إلى أهل بيته أي: إلى ذوي القربى.

وثمَّ أقوال أُخر.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا ثبت هذا وعلم، فقد اختلف أيضا في الذي كان يناله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الخمس، ماذا يُصنع به من بعده؟ فقال قائلون: يكون لمن يلي الأمر من بعده. روى هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة جماعة، وجاء فيه حديث مرفوع[1].

وقال آخرون: يصرف في مصالح المسلمين.

وقال آخرون: بل هو مردود على بقية الأصناف: ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، اختاره ابن جرير.

وقال آخرون: بل سهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى

---

(١) وكأنه يشير على ما ورد من طريق الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: لما سألت فاطمة أبا بكر عن الخمس فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أطعم الله نبيًّا طعمة ثم قبضة كانت للذي يلي بعده» فلما وليت رايت أن أرده على المسلمين.
أخرجه البيهقي (٦/ ٣٠٣) السنن الكبرى.

(١٧٣) أحمر
أسود

والمساكين وابن السبيل.

قال ابن جرير: وذلك قول جماعة من أهل العراق.

وقيل: إن الخمس جميعه لذوي القربى.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وأما بعد وفاته، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه. فإن بعض العلماء يقول بسقوط نصيبه بوفاته.

وممن قال بذلك: أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واختاره ابن جرير.

وزاد أبو حنيفة سقوط سهم ذوي القربى أيضًا: بوفاته ﷺ.

والصحيح أن نصيبه ﷺ باق، وأن إمام المسلمين يصرفه فيما كان يصرفه فيه رسول الله ﷺ من مصالح المسلمين.

وقال بعض العلماء يكون نصيبه ﷺ لمن يلي الأمر بعده، وروي عن أبي بكر، وعلي وقتادة، وجماعة، قال ابن كثير: وجاء فيه حديث مرفوع.

قال مقيده: - عفا الله عنه - والظاهر أن هذا القول راجع في المعنى إلى ما ذكرنا أنه الصحيح، وأن معنى كونه لمن يلي الأمر بعده، أنه يصرفه فيما كان يصرفه فيه ﷺ، والنَّبي قال: « **والخمس مردود عليكم** » وهو واضح كما ترى.

ولا يخفى أن كل الأقوال في نصيب النَّبي ﷺ بعد وفاته. راجعة إلى شيء واحد. وهو صرفه في مصالح المسلمين.

وقد كان الخلفاء الراشدون المهديون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يصرفونه فيما كان يصرفه فيه ﷺ.

وكان أبو بكر، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يصرفانه في الكراع والسلاح.

وقال الشنقيطي أيضًا:

(١٧٤) أحمر
أسود

وأما قول بعض أهل البيت. كعبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين رضي الله عنهم: بأن الخمس كله لهم دون غيرهم، وأن المراد باليتامى، والمساكين: يتاماهم، ومساكينهم، وقول من زعم أنه بعد النَّبي ﷺ، يكون لقرابة الخليفة الذي يوليه المسلمون، فلا يخفى ضعفهما، والله تعالى أعلم.

وقال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

فأما سهم الرسول الله ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيَّنَّا.

وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين. وفيما يُصنَع به قولان: **أحدهما:** أنه للخليفة بعده، قاله قتادة.

والثاني: أنه يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفيُّ، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة.

وأورد الطبري رأيًا آخر في المسألةى واختاره فقال:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن سهم رسول الله ﷺ مردودٌ في الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم، على ما روي عن ابن عباس: للقرابة سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم، لأن الله أوجبَ الخمس لأقوام موصوفين بصفات، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين. وقد أجمعوا أنّ حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم. فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه، إلى غير أهل السهمان الأخَر.

تعريف (ذوي القربى)

(١٧٥) أحمر
أسود

س: من هم ذوو القربى الذين قال الله في شأنهم: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾؟

ج: ذهب جمهور العلماء[١] إلى أنهم بنو هاشم وبنو المطلب.

ومن الدليل على ذلك ما أخرجه البخاري[٢] من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ**» قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ وَزَادَ قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يَقْسِمْ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ وَالْمُطَّلِبُ إِخْوَةٌ لِأُمٍّ. وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ. وَكَانَ نَوْفَلٌ أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم بنو هاشم فقط وذلك لما أخرجه مسلم[٣] أَنَّ نَجْدَةَ[٤] كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ خَمْسِ خِلَالٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا[٥] مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ، كَتَبَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ أَمَّا بَعْدُ:... وَعَنْ الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ... وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ؟ وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ هُوَ لَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ.

قلت (مصطفى): وقد وردت في هذا الحديث (في بعض طرقه) زيادة فيها ضعف، بعد قوله: (فأبى علينا ذلك قومنا) وهي: وقالوا قريش كلها ذوو قربى، زادها أبو معشر وهو ضعيف.

(١) نقل هذا عن الجمهور الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) البخاري (٣١٤٠).
(٣) مسلم (١٨١٢).
(٤) وهو نجدة الحروري.
(٥) ذلك لأن نجدة كان من الخوارج.

(١٧٦) أحمر
أسود

هذا وهناك من قال: قريش كلها ذوو قربى.

قلت (مصطفى): والذي عليه الجمهور، هو ما تقدم من أن ذوي القربى الذين يُخرج لهم الخمس هم بنو هاشم وبنو المطلب كما ورد في الحديث، والله أعلم، وهذه بعض الأقوال في ذلك.

قال الشنقيطي (في أضواء البيان):

أما ذو القربى: فهم بنو هاشم، وبنو المطلب. على أظهر الأقولا دليلًا، وإليه ذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج، ومسلم بن خالد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما سهم ذوي القربى فإنه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية [وفي أول الإسلام] ودخلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله ﷺ وحماية له: مسلمهم طاعة لله ولرسوله، وكافرهم حَمِيَّة للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول الله. وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل -وإن كانوا أبناء عمهم -فلم يوافقوهم على ذلك، بل حاربوهم ونابذوهم، ومالئوا بطون قريش على حرب الرسول؛ ولهذا كان ذَمُّ أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم، لشدة قربهم. ولهذا يقول في أثناء قصيدته:

جَزَى الله عَنَّا عبدَ شمس ونَوفلا ... عُقُوبة شرٍّ عاجل غير آجلِ
بميزان قسْط لا يَخيس شَعِيرة ... لهُ شَاهدٌ مِنْ نَفْسه غير عائلِ
لقد سَفُهت أحلامُ قوم تَبَدَّلوا ... بني خَلَف قَيْضا بنا والغَيَاطِلِ
ونحنُ الصَّميم من ذؤابة هاشم ... وآل قُصَى في الخُطُوب الأوائلِ

(١٧٧) أحمر
أسود

وقال جبير بن مطعم بن عدي [بن نوفل] مشيت أنا وعثمان بن عفان - يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس -إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وَهُم منك بمنزلة واحدة، فقال: «**إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد**»[1].

وهذا قول جمهور العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب.

❁ ❁ ❁

س: هل سهم ذوي القربى باق بعد وفاة رسول الله ﷺ؟

ج: نعم باق بعد وفاة رسول الله ﷺ ولا يسقط.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجمهور العلماء على أن نصيب ذوي القربى باق، ولم يسقط بموته ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: هل ذوو القربى الإغنياء يأخذون من الخمس، أم أن الخمس (أعني خمس الخمس) لا يعطى إلا لفقرائهم؟

ج: الجمهور من العلماء على أنه يشترك فيه غنيهم وفقيرهم؛ لأن الله ﷻ لم يقيد بالفقراء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وجمهور العلماء القائلين بنصب القرابة على أنه يقسم على جميعهم. ولم يترك منهم أحد خلافًا لقوم.

والظاهر شمول غنيهم. خلافًا لمن خصص به فقراءهم، لأنه ﷺ لم يخصص به فقراءهم، بخلاف نصيب اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

---

(١) تقدم تخريجه.

(١٧٨) أحمر
أسود

فالظاهر أنه يخصص به فقراؤهم، ولا شيء لأغنيائهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والخمس الثاني: لذي القربى، وهم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب.وأضافه اللّه إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهل اليتامى الأغنياء لهم من الغنيمة نصيب أم أن هذا خاص باليتامى الفقراء فحسب؟

ج: أما اليتامى: فهم من مات آباؤهم وهم دون البلوغ، والظاهر، والله أعلم، أن اليتيم الغني يدخل فيهم أيضًا؛ لأن الله ﷻ لم يقيد اليتامى بالفقراء، وأيضًا للمواساة فيدخل في اليتامى أبناء من قتلوا في المعارك.

أما المساكين: فهم الذين لا تكفيهم الأموال التي تدخل عليهم، أي: لا تكفيهم دخولهم.

أما أبناء السبيل: فهم الغرباء الذين انقطعت بهم النفقة ولا يجدون مالًا يرجعون به إلى أهاليهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما «اليتامى»، فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم.

و«المساكين»، هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين.

و«ابن السبيل»، المجتاز سفرًا قد انقُطِع به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٧٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ أي: يتامى المسلمين. واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء، أو يعم الأغنياء والفقراء؟ على قولين.

﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم.

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو المسافر، أو المريد للسفر، إلى مسافة تقصر فيها الصلاة، وليس له ما ينفقه في سفره ذلك.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل اللّه لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده.

❁ ❁ ❁

س: هل هذا الخمس الذي ذكره الله تبارك وتعالى إذ قال: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ يُقسم بالتساوي بين من ذكرهم الله جل ذكره أم أنه لا يشترط التساوي في ذلك؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلزم التساوي وهذا القول أحوط.

والثاني: أنه لا يلزم، وأن الآية كآية الصدقات، إذ الله قال: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ... ﴾ فلا يلزم تقسيم الزكاة بالتساوي بين الأصناف الثمانية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

(١٨٠) أحمر
أسود

وبعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى.

وهذا رأيٌ لمالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشنقيطي (في أضواء البيان):

ومذهب الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أن أمر خمس الغنيمة موكول إلى نظر الإمام واجتهاده. فيما يراه مصلحة، فيأخذ منه من غير تقدير، ويعطي القرابة باجتهاده، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة التي نحن بصددها: ويقول مالك هذا: قال الخلفاء الأربعة، وبه عملوا، وعليه يدل قوله ﷺ: «**مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم**»، فإنه لم يقسمه أخماسًا، ولا أثلاثًا، وإنما ذكر في الآية من ذكر على وجه التنبيه عليهم. لأنهم من أهم من يدفع إليه.

قال الزجاج: محتجًا لمالك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

❁ ❁ ❁

أداء الخمس من الإيمان

س: اذكر ما يدل على أن الخمس من الدين؟

ج: يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْخُذُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ شَهَادَةِ**

(١) البخاري (٣٠٩٥)، ومسلم (١٩٩٧).

(١٨١) أحمر
أسود

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - وَعَقَدَ بِيَدِهِ - وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا لِلَّهِ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ».

❁ ❁ ❁

مزيدٌ من الحديث عن غزوة بدر

وضح معنى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– أقروا يا أهل الإسلام بتقسيم الغنائم على النحو الذي ذكرناه لكم واعملوا فيها بما أمرناكم به إذ قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ...﴾، أقروا بذلك واعملوا فيها بما بيَّن الله لكم إن كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وأقررتم بما جآءكم به نبيه ﷺ، وإن كنتم آمنتم بما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان اليوم الذي فرَّق الله ﷻ فيه بين الحق والباطل فنصر أهل الحق، ورفع رايتهم وهزم أهل الباطل وشتت شملهم، وفرق جمعهم في ذلكم اليوم الذي التقى فيه الجمعان، جمع أهل الإيمان، وجمع إبليس الذي قد كان جمع، وهو جمع المشركين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل ابن هشام وغير هؤلاء.

والله على كل شيء قدير، ومن بيان شيء قدرته كون نصركم وأنتم أذلة ضعفاء أقل عددًا وأقل عدة وسلاحًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون، أنما غنمتم من شيء فمقسوم القسم الذي بينته، وصدِّقوا به إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد ﷺ يوم فَرَق بين الحق والباطل ببدر، فأبان فَلَج المؤمنين

(١٨٢) أحمر
أسود

وظهورَهم على عدوهم، وذلك ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، جمعُ المؤمنين وجمعُ المشركين، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين، وعلى غير ذلك مما يشاء ﴿قَدِيرٌ﴾، لا يمتنع عليه شيء أراده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي: امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله؛ ولهذا جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس، في حديث وفد عبد القيس[1]: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**وآمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم..**» الحديث بطوله فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان.

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فَرَق به بين الحق والباطل ببدر ويسمى «الفرقان»؛ لأن الله تعالى أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه.

وأورد بإسناد صحيح[2] عن عُرْوَة بن الزبير في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ. وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة، فالتقوا يوم الجمعة لتسعَ عشرةَ - أو: سبع عشرة -مضت من رمضان، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلثمائة

(١) البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).
(٢) وعزاه لعبد الرزاق، ولكنه مرسل كما هو واضح.

(١٨٣) أحمر
أسود

وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة.

فهزم الله المشركين، وقتل منهم زيادة على السبعين، وأسر منهم مثل ذلك.

وأورد يثار أُخر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ قال الزجاج عن فرقة: المعنى فأعلموا أن الله مولاكم إن كنتم، فـ (إن) متعلقة بهذا الوعد. وقالت فرقة: إن (إن) متعلقة بقوله ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾. قال ابن عطية: وهذا هو الصحيح، لأن قوله ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يتضمن الأمر بالانقياد والتسليم لأمر الله في الغنائم، فعلق (إن) بقوله: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ على هذا المعنى، أي إن كنتم مؤمنين بالله فانقادوا وسلموا لأمر الله فيما أعلمكم به من حال قسمة الغنيمة.

قوله تعالى: ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ (ما) في موضع خفض عطف على اسم الله ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ أي اليوم الذي فرقت فيه بين الحق والباطل، وهو يوم بدر. ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ حزب الله وحزب الشيطان. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجعل اللّه أداء الخمس على وجهه شرطا للإيمان فقال: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ وهو يوم «بدر» الذي فرق اللّه به بين الحق والباطل. وأظهر الحق وأبطل الباطل.

﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ جمع المسلمين، وجمع الكافرين، أي: إن كان إيمانكم باللّه، وبالحق الذي أنزله اللّه على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

(١٨٤) أحمر
أسود

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ لا يغالبه أحد إلا غلبه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- وذاكروا يوم الفرقان الذي نصركم الله فيه وأعزَّكم وخذل عدوكم، اذكروا ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: كان منزلكم للقتال عند جانب الوادي الأقرب إلى المدينة، وأهل الكفر ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ بجانب الوادي الأقصى من المدينة والأقرب إلى مكة، والركب ركب أبي سفيان أسفل منكم هنالك تجاه البحر وعلى ساحله، وقد جمع الله بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد، فلو كنتم تواعدتم لتخلفتم إذا سمعتم بكثرة أعداءكم وكثرة عِددِهم وعُددهم، ولكن الله جمعكم بعدوكم على غير ميعاد ليقضي أمرًا كان مفعولًا لينصر الإسلام وأهله ويُحلُّ العقاب بالشرك وأهله ويُقتل من قُتل من أهل الشرك، وكان أمر الله كائنًا متحققًا لا محالة.

فعلنا ذلك بهم وأنزلنا بأهل الشرك عقابنا، ونصرنا الإسلام وأهله حتى تتبين الحقائق وتظهر، فيظهر أن الله ناصر دنيه ومعلي كلمته ومخذل أهل الشرك والباطل، ذلك ليبقى من بقي على الكفر، وهو على بصيرة بأنه كافر وأنه مبطل، ويؤمن من أمن وهو يعلم أنه على الحق، وإن الله لسميع لأقوال العباد سميع لكل شيء ﴿عَلِيمٌ ﴾ بأفعالهم وبكل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٥) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: أيقنوا، أيها المؤمنون، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيَّنه لكم ربكم، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله، ﴿إِذْ أَنتُم﴾، حينئذ، ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾، يقول: وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادي الأقصى إلى مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، يقول: والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾، وهما شفير الوادي. كان نبيُّ الله بأعلى الوادي، والمشركون أسفلَه، ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، يعني: أبا سفيان، انحدر بالعير على حوزته، حتى قدم بها مكة.

وبإسناد حسن عن السدي قال: ذكر منازل القوم والعير فقال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾، والركب: هو أبو سفيان، ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، على شاطئ البحر.

وقال في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: ولو كان اجتماعكم في الموضع الذي اجتمعتم فيه، أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين، عن ميعاد منكم ومنهم، ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾، لكثرة عدد عدوكم، وقلة عددكم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم، ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، وذلك القضاء من الله، كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر.

(١٨٦) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح[1] عن عمير بن إسحاق قال: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه، فالتقوا ببدر، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السُّقَاة. قال: ونَهَدَ الناسُ بعضهم لبعض.

وقال في تأويل قوله: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكن الله جمعهم هنالك، ليقضي أمرًا كان مفعولا ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾.

وهذه اللام في قوله: ﴿لِّيَهۡلِكَ﴾ مكررة على «اللام» في قوله: ﴿لِّيَقۡضِيَ﴾، كأنه قال: ولكن ليهلك من هلك عن بينة، جَمَعكم.

ويعني بقوله: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾، ليموت من مات من خلقه، عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها ﴿وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾، يقول: وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أُثبتت له وظهرت لعينه فعلمها، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك.

وأما قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾، فإن معناه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾، أيها المؤمنون، ﴿لَسَمِيعٌ﴾، لقولكم وقول غيركم، حين يُري الله نبيه في منامه ويريكم، عدوكم في أعينكم قليلا وهم كثير، ويراكم عدوكم في أعينهم قليلا ﴿عَلِيمٌ﴾، بما تضمره نفوسكم، وتنطوي عليه قلوبكم، حينئذ وفي كل حال.

يقول جل ثناؤه لهم ولعباده: فاتقوا ربكم، أيها الناس، في منطقكم: أن تنطقوا بغير حق، وفي قلوبكم: أن تعتقدوا فيها غيرَ الرُّشد، فإن الله لا يخفى

---

(١) ولكنه مرسل.

(١٨٧) أحمر
أسود

عليه خافية من ظاهر أو باطن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي أنزلنا إذ أنتم على هذه الصفة. أو يكون المعنى: واذكروا إذ أنتم. والعدوة: جانب الوادي. وقرئ بضم العين وكسرها، فعلى الضم يكون الجمع عدى، وعلى الكسر عدى، مثل لحية ولحى، وفرية وفرى. والدنيا: تأنيث الأدنى. والقصوى: تأنيث الأقصى. من دنا يدنو، وقصا يقصو. ويقال: القصيا، والأصل الواو، وهي لغة أهل الحجاز قصوى. فالدنيا كانت مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة. أي إذ أنتم نزول بشفير الوادي بالجانب الأدنى إلى المدينة، وعدوكم بالجانب الأقصى. ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني ركب أبي سفيان وغيره. كانوا في موضع أسفل منهم إلى ساحل البحر فيه الأمتعة. وقيل: هي الإبل التي كانت تحمل أمتعتهم، وكانت في موضع يأمنون عليها توفيقا من الله عَزَّ وَجَلَّ لهم، فذكرهم نعمه عليهم. ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ ابتداء ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ ظرف في موضع الخبر. أي مكانا أسفل منكم. وأجاز الأخفش والكسائي والفراء ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي أشد تسفلا منكم. والركب جمع راكب. ولا تقول العرب: ركب إلا للجماعة الراكبي الإبل. وحكى ابن السكيت وأكثر أهل اللغة أنه لا يقال راكب وركب إلا للذي على الإبل، ولا يقال لمن كان على فرس أو غيرها راكب. والركب والأركب والركبان والراكبون لا يكونون إلا على جمال، عن ابن فارس. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ أي لم يكن يقع الاتفاق لكثرتهم وقلتكم، فإنكم لو عرفتم كثرتهم لتأخرتم فوفق الله عَزَّ وَجَلَّ لكم. ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصر المؤمنين وإظهار الدين. واللام في ﴿لِّيَقْضِيَ﴾ متعلقة بمحذوف. والمعنى: جمعهم ليقضي الله، ثم

(١٨٨) أحمر
أسود

كررها فقال: ﴿يَهْلِكَ﴾ أي جمعهم هنالك ليقضي أمرا. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع. ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ في موضع نصب عطف على ليهلك. والبينة إقامة الحجة والبرهان. أي ليموت من يموت عن بينة رآها وعبرة عاينها، فقامت عليه الحجة. وكذلك حياة من يحيا. وقال ابن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على ذلك. وقرئ «من حيي» بياءين على الأصل. وبياء واحدة مشددة، الأولى قراءة أهل المدينة والبزي وأبي بكر. والثانية قراءة الباقين، وهي اختيار أبي عبيد، لأنها كذلك وقعت في المصحف.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، ﴿وَهُم﴾ أي: المشركون نزول ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي: البعيدة التي من ناحية مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ أي: العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: مما يلي سيف البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أي: أنتم والمشركون إلى مكان ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في هذه الآية قال: ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم، ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير ملأ منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه.

(١٨٩) أحمر
أسود

وفي حديث كعب بن مالك قال[١]: إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عِيرَ قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يزيد بن رُوَمان، عن عروة بن الزبير قال[٢]: وبعث رسول الله ﷺ -حين دنا من بدر- عليَّ بن أبي طالب، وسعدَ بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، في نفر من أصحابه، يتجسسون له الخبر فأصابوا سُقَاةً لقريش: غلاما لبني سعيد بن العاص، وغلاما لبني الحجاج، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فوجدوه يصلي، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما: لمن أنتما؟ فيقولان: نحن سُقاة لقريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجَوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما فلما ذلقوهما قالا نحن لأبي سفيان. فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين، ثم سلم وقال: «إذا صدَقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما. صدقا، والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش». قالا هم وراء هذا الكَثيب الذي ترى بالعدوة القصوى -والكثيب: العَقَنْقَل- فقال لهما رسول الله ﷺ: «**كم القوم؟**» قالا كثير. قال: «**ما عدَّتهم؟**» قالا ما ندري. قال: «**كم ينحَرُون كل يوم؟**» قالا يوما تسعًا، ويوما عشرًا، قال رسول الله ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة إلى الألف**». ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشراف قريش؟**» قالا عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البخْتري بن هشام، وحكيم بن حِزَام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزَمَعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا

(١) البخاري (٣٩٥١).
(٢) وهذا مرسل مع أنه حسن الإسناد إلى عروة.

(١٩٠) أحمر
أسود

الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**».

وقال ابن كثير أيضًا:

قال محمد بن إسحاق، رحمه الله تعالى: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم[1]: أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ، لما التقى الناس يوم بدر: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونُنِيخ إليك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب، فقال: وإن تكن الأخرى فتَجلسَ على ركائبك، وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد -والله- تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ لك حبا منهم، لو علموا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، ويوادونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له به. فبُنِيَ له عريش، فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، ما معهما غيرهما.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ قال محمد بن إسحاق: أي ليكفر من كفر بعد الحجة، لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وهذا تفسير جيد. وبَسْطُ ذلك أنه تعالى يقول: إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرًا، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، فحينئذ ﴿يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ أي: يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل، لقيام الحجة عليه، ﴿وَيَحْيَىٰ

---

(١) وهذا أيضًا مرسل.

(١٩١) أحمر
أسود

مَنْ حَيَّ ﴾ أي: يؤمن من آمن ﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: حجة وبصيرة. والإيمان هو حياة القلوب، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقالت عائشة في قصة الإفك: فيَّ هلك من هلك أي: قال فيها ما قال من الكذب والبهتان والإفك.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ ﴾ أي: لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به ﴿عَلِيمٌ ﴾ أي: بكم وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين.

وقال السعدي $:

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته أي: جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحد.

﴿وَٱلرَّكْبُ ﴾ الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ مما يلي ساحل البحر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ ﴾ أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾ أي: لا بد من تقدم أو تأخر أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم أو لهم، يصدفكم عن ميعادكم .

﴿وَلَٰكِن ﴾ اللّه جمعكم على هذه الحال ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ أي: مقدرا في الأزل، لا بد من وقوعه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، فلا يبقى له عذر عند اللّه.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: يزداد المؤمن بصيرة ويقينا، بما أرى اللّه الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب.

﴿ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ ﴾ سميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة.

(١٩٢) أحمر
أسود

وكان اللّه قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وتثبتت أفئدتهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله نعمتي عليك وعلى أصحابك ليلة بدر إذ أن الله سبحانه وتعالى أراك رؤيا منامية، رأيت فيها وأنت نائم أهل الشرك الذين ستحاربهم، ورأيتهم وعددهم قليل فقويت بذلك نفسك، وأخبتر بذلك أصحابك فقويت هممهم ونفوسهم وتجرأوا لقتال عدوهم ولو أراكهم الله كثيرًا، لاختلفتم فيما بينكم وتنازعتم بسبب كثرة عددهم، ولجبنتم عن لقائهم، ولكن الله ﷻ سلَّم من المخالفة والفشل والجبن، إنه عليم بدواخل الصدور، وما يفكر فيه عباده، وعليم بما يصلحهم وما ينفعهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن الله، يا محمد، سميع لما يقول أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ يريك الله عدوك وعدوهم ﴿فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ﴾، يقول: يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك، حتى قويت قلوبهم، واجترأوا على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرًا، لفشل أصحابك، فجبنوا وخاموا، ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك، ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تُجنُّه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب.

(١٩٣) أحمر
أسود

وقال في اختياره لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ ما ذكره إذ قال:

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس، وهو أن الله سلم القومَ -بما أرى نبيه ﷺ في منامه- من الفشل والتنازع، حتى قويت قلوبهم، واجترأوا على حرب عدوهم. وذلك أن قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ عَقِيب قوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، فالذي هو أولى بالخبر عنه، أنه سلمهم منه جل ثناؤه، ما كان مخوفًا منه لو لم يُرِ نبيه ﷺ من قلة القوم في منامه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: من ذلك: بأن أراكهم قليلا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما تجنه الضمائر، وتنطوي عليه الأحشاء، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ لجبنتم عن الحرب. ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ اختلفتم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي سلمكم من المخالفة. ابن عباس: من الفشل. ويحتمل منهما. وقيل: سلم أي أتم أمر المسلمين بالظفر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر أيضًا يا رسول الله نعم الله عليك وعلى أصحابك عند لقاء العدو في اليقظة فقد رايتم أهل الكفر أيضًا في أعينكم قليلًا

(١٩٤) أحمر
أسود

حتى تتجرأوا عليهم، وأيضًا فقد قلَّل الله ﷻ عدوكم في نظر أهل الكفر وأعين حتى لا ينسحبوا قبل القتال، بل تجرأوا لقتلكم، كل ذلك ليمكنكم الله من قتلهم والظفر بهم، وهذا أمرٌ قدَّره الله ولا بد أن يتحقق، وإلى الله ترجع أمور الخلائق كلها، وهو الذي يُدِّبر للمؤمنين أمرهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾، إذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلا وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم.

وقوله: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، يقول جل ثناؤه: قلّلتكم أيها المؤمنون، في أعين المشركين، وأريتكموهم في أعينكم قليلا حتى يقضي الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضًا، وإظهاركم، أيها المؤمنون، على أعدائكم من المشركين والظفر بهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وذلك أمرٌ كان الله فاعلَه وبالغًا فيه أمرَه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾، يقول جل ثناؤه: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة، فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ وهذا أيضًا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين، فيجرؤهم عليهم، ويطمعهم فيهم.

(١٩٥) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلَّله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة. فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣]، وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلا منها حق وصدق، ولله الحمد والمنة.

قلت (مصطفى): وارجع إلى تفسيري التسهيل عند قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ... ﴾.

❁ ❁ ❁

(١٩٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا
لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ
وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ
وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا
غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ
ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ
إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾

[الأنفال: ٤٥-٤٩].

(١٩٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿فِئَةً - وَلَا تَنَٰزَعُواْ - فَتَفۡشَلُواْ - وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ - بَطَرًا - وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ - وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ - مُحِيطٌ - زَيَّنَ - جَارٌ لَّكُمۡ - تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ - نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ - غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ - يَتَوَكَّلۡ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فِئَةً﴾	جماعة (من أهل الشرك)
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾	ولا تختلفوا
﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾	فتضعفوا وتجبنوا
﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾	تذهب قوتكم ويذهب النصر عنكم
﴿بَطَرًا﴾	جحودًا للحق، وإنكارًا له – استعانة بنعم الله على معاصيه
﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾	مرآءة للناس – كي يراهم الناس
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾	يمنعون الناس من الدخول في دين الله
﴿مُحِيطٌ﴾	أحاط بهم علمًا وبأعمالهم
﴿زَيَّنَ﴾	حسَّن
﴿جَارٌ لَّكُمۡ﴾	ناصرٌ لكم – أجيركم
﴿تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾	رأى كل فئةٍ الفئة الأخرى
﴿نَكَصَ عَلَىٰ﴾	رجع هاربًا، ولى هاربًا

(١٩٨) أحمر
أسود

١٩٨ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾	جرأ هؤلاء المسلمين على القتال دينهم الإسلام (هو الذي أوردهم هذا المورد)
﴿يَتَوَكَّلۡ﴾	يعتمد

❁ ❁ ❁

(١٩٩) أحمر
أسود

الثبات والإكثار
من ذكر الله عند لقاء العدو

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

ج: هذا توجيه لأهل الإيمان بالله ﷻ وبيان لما يصنعون عند لقاء عدوهم، يقول تعالى ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ ﴾ جماعة من أهل الكفر في القتال ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ أمامهم ولا تجبنوا ولا تفروا، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ تفوزون بمطلوبكم وتهزمون عدوكم وتنتصرون عليه، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمركم به ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ ولا تختلفوا ولا تخالفوا أمر الله ورسوله ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ فتجبنوا عن لقاء عدوكم ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ وتذهب قوتكم وتتفرقوا، ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ على لقاء عدوكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يؤيدهم ويقويهم وينصرهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرةَ في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعالَ التي يُرْجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم. ثم يقول لهم جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ﴾ جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾، يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾،

(٢٠٠) أحمر
أسود

يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، افترَض الله ذكره عند أشغل ما تكونون، عند الضِّراب بالسيوف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا، أيها المؤمنون، ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾، يقول: فتضعفوا وتجبنوا، ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾.

وهذا مثلٌ. يقال للرجل إذا كان مقبلا ما يحبه ويُسَرّ به «الريح مقبلةٌ عليه»، يعني بذلك: ما يحبه، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص:

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطَبٍ وَالفَضْلُ لِلقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ

يعني: من البأس والكثرة.

وإنما يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل.

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾، يقول: اصبروا مع نبيّ الله ﷺ عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾، يقول: اصبروا فإني معكم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تعليم الله عباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾.

(٢٠١) أحمر
أسود

ثبت في الصحيحين[1]، عن عبد الله بن أبي أوفى، عن رسول الله ﷺ أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: « **يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». ثم قام النبي ﷺ وقال: « **اللهم، مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**».

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم.

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

وقد كان للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه -ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة، مع قلة عَدَدهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبُوش وأصناف السودان والقبْط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى عَلَتْ كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في

---

(١) البخاري (٢٩٣٣) وفي غير موضع، ومسلم (١٧٤٢).

(٢٠٢) أحمر
أسود

مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً﴾ أي جماعة ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾.

للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم.

قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان. قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ [آل عمران: ٤١]. ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾. وقال

(٢٠٣) أحمر
أسود

قتادة: افترض الله جل وعز ذكره على عباده، أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف. وحكم هذا الذكر أن يكون خفيا، لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كان الذاكر واحدا. فأما إذا كان من الجميع عند الحملة فحسن، لأنه يفت في أعضاد العدو.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أمر بالصبر، وهو محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب، كما قال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ أي: طائفة من الكفار تقاتلكم.

﴿ فَٱثْبُتُواْ ﴾ لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر.

واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر اللّه ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم،فالصبر والثبات والإكثار من ذكر اللّه من أكبر الأسباب للنصر.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال.

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، ﴿ فَتَفْشَلُواْ ﴾ أي: تجبنوا ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة اللّه ورسوله.

﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ نفوسكم على طاعة اللّه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له.

(٢٠٤) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة»؟

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ، أخرجه الطبراني[1] وفيه رجل لم يسم وله طرق أُخر فيها ضعف. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

التحذير من الكبر والرياء

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولا تكونوا يا أهل الإيمان عند خروجكم لقتال عدوكم، وكذا لا تكونوا في عموم أحوالكم منكرين للحق جاحدين لله، مستعينين بنعم الله على معصيته مرآئين للناس تبتغون وجوههم ومرضاتهم صادين الناس عن طاعة الله ﷻ، فالمعنى: ولا تكونوا يا أهل الإسلام كأهل الشرك بالله الذي خرجوا يوم بدر من ديارهم، وهم للحق جاحدين وهم منكرون لوحدانيته الله ﷻ، خرجوا لنصرة صاحبهم أبي سفيان وللمحافظة على العير، فلما سلَّم الله لهم العير، وقيل لهم: ارجعوا فقد سلمت عيركم وتجارتكم أصروا على الذهاب إلى بدر مرآءة للناس مع جحودهم الحق، وهم في ذات الوقت صادين الناس عن دخول الإسلام وسلوك طريق الهداية، قائلين لن نرجع حتى نأتي بدرًا نشرب عندها الخمور، وتعزف علينا القيان وتغني لنا وتسمع بنا العرب فلا تزال تخشانا وتهابنا أما قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: والله عالم بهم لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم، قادرٌ عليهم كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

---

(١) الطبراني في الكبير (٥/ ٢١٣).

(٢٠٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملا إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلبَ رئاء الناس. وذلك أنهم أخبروا بفَوْت العِير رسولَ الله ﷺ وأصحابه، وقيل لهم: «انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها!»، فأبوا وقالوا: «نأتي بدرًا فنشرب بها الخمر، وتعزف علينا القِيان، وتتحدث بنا العرب فيها»، فَسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا.

وأورد بإسناد صحيح[1] عن عروة قال: كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي ﷺ يوم بدر، قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: إنا قد أجزنا القوم، وأن ارجعوا. فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشًا بالرجعة بالجُحفة، فقالوا: «والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا، فنقيم فيه ثلاث ليالٍ، ويرانا من غَشِينا من أهل الحجاز، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا». وهم الذين قال الله: ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، والتقوا هم والنبيّ ﷺ، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر، وشفى صدور المؤمنين منهم.

وأورد من طريق ابن إسحاق - في حديث ذكره- قال، حدثني محمد بن مسلم، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، عن ابن عباس قال: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عِيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا! فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع

(١) ولكنه مرسل لأن عروة تابعي.

(٢٠٦) أحمر
أسود

حتى نرد بدرًا، وكان «بدر» موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كل عام- فنقيم عليه ثلاثًا، وننحر الجُزُر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا، فامضوا.

وأورد بإسناد حسن[1] عن قتادة: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾، قال: كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر، خرجوا ولهم بَغْي وفخر. وقد قيل لهم يومئذ: «ارجعوا، فقد انطلقت عيركم، وقد ظفرتم». قالوا: «لا والله، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا!». قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يومئذ: «**اللهم إنّ قريشًا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادَّك ورسولك!**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذًا: ولا تكونوا، أيها المؤمنون بالله ورسوله، في العمل بالرياء والسمعة، وترك إخلاص العمل لله، واحتساب الأجر فيه، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرًا ومراءاة الناس بزّيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾، يقول: ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الإسلام، بقتالهم إياهم، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، من الرياء والصدِّ عن سبيل الله، وغير ذلك من أفعالهم، ﴿مُحِيطٌ﴾، يقول: عالم بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء، وذلك أن الأشياء كلها له متجلّية، لا يعزب عنه منها شيء، فهو لهم بها معاقب، وعليها معذِّب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) ولكنه مرسل.

(٢٠٧) أحمر
أسود

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم ﴿ بَطَرًا ﴾ أي: دفعا للحق، ﴿ وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهو: المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل - لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا -فقال: لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، وننحر الجُزُر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدا، فانعكس ذلك عليه أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام، ورُمُوا في أطواء بدر مهانين أذلاء، صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم على ذلك شر الجزاء لهم.

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ قالوا: هم المشركون، الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه، وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم.

والمقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل اللّه من أراد سلوكه، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة. فليكن قصدكم في خروجكم وجه اللّه تعالى وإعلاء دين اللّه، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط اللّه وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل اللّه القويم الموصل لجنات النعيم.

(٢٠٨) أحمر
أسود

تزيين الشيطان لأهل الباطل
باطلهم وتمثل الشيطان بسراقة بن مالك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– واذكر يا رسول الله واذكروا يا أهل الإيمان وقتًا زيَّن الشيطان لأهل الشرك أعمالهم، وهذا يوم بدر زين لهم خروجهم للقتال وحسَّنه لهم، وكان الخوف قد تسرب إليهم وترددوا، قال كثيرٌ من أهل العلم، وذلك لأنه كانت بينهم وبين بعض قبائل العرب إحنٌ وحروبٌ، وكانوا يخشون من قبيلة بني بكر أن تأتيهم من الخلف وتقاتلهم.

قال كثير من أهل العلم فتمثَّل لهم الشيطان: وتبدَّى لهم في صورة سراقة بن مالك وقال لهم: لا تخشوا بأس بني بكر فإني أحظفكم منهم، وأدفع عنكم شرهم فسيروا وفرغوا أنفسكم لقتال محمد وأصحابه، فأنا لكم جارٌ ولن يغلبكم أحدٌ من الناس فلما تراءت الفئتان فئة المسلمين، وفئة الكفار، رأت كل فئةٍ منهم الفئة الأخرى، وتنزل جبريل عليه السلام وعليه أداة الحرب رآه الشيطان فولى هاربًا مدبرًا متخليًا عن أصحابه قائلًا: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ﴾ أن يهلكني الآن ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه وكفر به.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

أورد الطبري رحمه الله عدة آثار في تفسيره منها ما هو ضعيف الإسناد إلى قائله، ومنها ما هو صحيح الإسناد إلى قائله لكنه مرسل، ولكن في جملتها تصحح وتؤكد أن إبليس تمثل لأهل الشرك وتبدى لهم في صورة سراقة بن

(٢٠٩) أحمر
أسود

مالك بن جعشم وطمأنهم وقال: إني جارٌ لكم ثم بعد ذلك لما رأى جبريل والملائكة نكص على عقبيه متبرًا منهم، من هذه الآثار، أثر ابن عباس[١] قال: جاء إبليس يوم بدر في جُنْد من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مُدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾. فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولَّوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع. إبليس يده فولَّى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾، وذلك حين رأى الملائكة.

ومنها أثر بإسناد حسن[٢] عن السدي قال: أتى المشركين إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانيّ الشاعر، ثم المدلجي، فجاء على فرس، فقال للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾! فقالوا: ومن أنت؟ قال: أنا جاركم سراقة، وهؤلاء كنانة قد أتوكم!

ومنها أثر عن عروة بن الزبير[٣] قال: لما أجمعت قريش المسير، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر - يعني من الحرب- فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: «أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه»! فخرجوا سراعا.

---

(١) وهو ضعيف الإسناد إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) ولكنه مرسل.
(٣) ولكنه مرسل.

(٢١٠) أحمر
أسود

وأثر أيضًا بإسناد حسن عن قتادة[١] قال: ذُكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة، فزعم عدو الله أنه لا يَدَيْ له بالملائكة، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، وكذب والله عدو الله، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسْلَم، وتبرأ منهم عند ذلك.

وأثر عن طلحة بن عبيد الله بن كريز[٢]، وهو من التابعين أنّ رسول الله ﷺ قال: ما رؤي إبليس يومًا هو فيه أصغرُ، ولا أحقرُ، ولا أدحرُ، ولا أغيظُ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر! قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة.

وبإسناده عن الحسن في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ قال: رأى جبريل معتجرًا ببُرْدٍ، يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام، ما رَكِبَ.

وغير ذلك من الآثار، وكذا أورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عددٌ كبير من الآثار تدور حول هذا المعنى، وهي بلا شك ولكثرتها تصحح المعنى المذكور، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾، في هذه الأحوال، وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم، أيها المؤمنون، لحربكم وقتالكم وحسَّن ذلك لهم وحثهم عليكم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم، فاطمئنوا وأبشروا، ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾، من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فمعيذكم،

(١) ولكنه مرسل.
(٢) ولكنه مرسل.

(٢١١) أحمر
أسود

أجيركم وأمنعكم منهم، فلا تخافوهم، واجعلوا حدَّكم وبأسكم على محمد وأصحابه ، ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾، يقول: فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين، ونظر بعضهم إلى بعض، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، يقول: رجع القهقري على قفاه هاربًا.

يقال منه: «نكص ينكُص وينكِص نكوصًا»، ومنه قول زهير:

هُـمْ يَضْـرِبُونَ حَبِيـكَ البَـيْضِ إِذْ لَحِقُـوا لا يَنْكُصُـون، إِذَا مَـا اسْـتُلْحِمُوا وَحَمُـوا

وقال للمشركين: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، يعني أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددًا للمؤمنين، والمشركون لا يرونهم، إني أخاف عقاب الله، وكذب عدوُّ الله، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ الآية: حسَّن لهم -لعنه الله- ما جاؤوا له وما هموا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال: أنا جار لكم، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم، سيد بني مُدْلج، كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه، كما قال الله تعالى عنه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠].

وأورد ابن كثير جملة من الآثار، وقال بعد إيراده أثر قتادة المتقدم:

قلت: يعني بعادته لمن أطاعه قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ

(٢١٢) أحمر
أسود

لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال السعدي في تفسيره:

﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ حسَّنها في قلوبهم وخدعهم. ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنكم في عَدَدٍ وعُدَدٍ وهيئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه.

﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ ﴾ من أن يأتيكم أحد ممن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدَّى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة كانت بينهم.

فقال لهم الشيطان: أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادرين.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ ﴾ المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفا شديدا و﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ أي: ولى مدبرا. ﴿وَقَالَ ﴾ لمن خدعهم وغرهم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ أي: أرى الملائكة الذين لا يدان لأحد بقتالهم.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾ أي: أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾. ومن المحتمل أن يكون الشيطان، قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

(٢١٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن الله ﷻ سميع عليم لأقوال أهل النفاق ومرضى القلوب وهم الذين أسلموا وفي قلوبهم شك وفي قلوبهم ريبٌ، هؤلاء، وأولئك المنافقون قالوا يوم بدر لما رأوا عدد المسلمين قليلًا وكذا رأوا عُددهم قليلة قالوا غرَّ هؤلاء (يعنون المسلمين) ﴿دِينُهُمْ﴾ أي: أن الذي جرأ هؤلاء المسلمين وأوردهم هذا المورد الذي سيقتلون فيه ويُبادون، الذي غرَّهم للقتال هو دينهم الذي هم عليه، الذي هو من وجهة نظر المنافقين ومرضى القلوب، ليس بدينٍ حق، لكن الله ﷻ ثبت أهل الإيمان، وحثهم على حسن التوكل عليه والاعتماد عليه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يعتمد على الله في شؤونه كلها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغلب وكذا فهو غالبٌ على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع ﷻ وفيما يقضي.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾، في هذه الأحوال، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، وكرّ بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، على قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعني: شك في الإسلام، لم يصحَّ يقينهم، ولم تُشرح بالإيمان صدورهم، ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، يقول: غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد ﷺ من أنفسهم، دينُهم، وذلك الإسلام.

وذُكر أن الذين قالوا هذا القول، كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش، ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم.

(٢١٤) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن عامر (وهو الشعبي)[1]: في هذه الآية: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، قال: كان ناسٌ من أهل مكة تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: عن قتادة قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾، قال: رأوا عصابة من المؤمنين تشرّدت لأمر الله. وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه قال: «**والله لا يُعبد الله بعد اليوم!**»، قسوة وعُتُوًّا.

وأورد آثارًا أُخر وقال:

وأما قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، فإن معناه: ومن يسلم أمره إلى الله، ويثق به، ويرض بقضائه، فإن الله حافظه وناصره، لأنه ﴿عَزِيزٌ﴾، لا يغلبه شيء، ولا يقهره أحد، فجارُه منيع، ومن يتوكل عليه مكفيٌّ.

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم، أن يفوِّضوا أمرهم إليه، ويسلموا لقضائه، كيما يكفيهم أعداءهم، ولا يستذلهم من ناوأهم، لأنه ﴿عَزِيزٌ﴾ غير مغلوب، فجاره غير مقهور ﴿حَكِيمٌ﴾، يقول: هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم، لا يدخل تدبيره خلل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يعتمد على جنابه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: لا يُضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

---

(١) ولكنه مرسل.

(٢١٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قيل: المنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر. والذين في قلوبهم مرض: الشاكون، وهم دون المنافقين، لأنهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نية. قالوا عند الخروج إلى القتال وعند التقاء الصفين: غر هؤلاء دينهم. وقيل: هما واحد، وهو أولى. ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] وهما لواحد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قِلَّتهم - على قتال المشركين مع كثرتهم.

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها،يقولونه احتقارا لهم واستخفافا لعقولهم، وهم - والله - الأخِفَّاءُ عقولا الضعفاء أحلاما.

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام،فإن المؤمن المتوكل على اللّه، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا باللّه تعالى،وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه،ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه اللّه عليه، وعلم أنه على الحق، وأن اللّه تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعا ولا جبانا،.ولهذا قال ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب قوته قوة. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضاه وأجراه.

❁ ❁ ❁

(٢١٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۙ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ
وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ
ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤ إِنَّ
شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ
ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي
ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ وَلَا يَحۡسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩ ﴾

[الأنفال: ٥٠-٥٩].

(٢١٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتَوَفَّى - وَأَدْبَارَهُمْ - عَذَابَ الْحَرِيقِ - قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ - كَدَأْبِ - فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ - حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ - شَرَّ الدَّوَابِّ - تَثْقَفَنَّهُمْ - فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ - يَذَّكَّرُونَ - فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ - سَبَقُوا - يُعْجِزُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَوَفَّى)	تقبض أرواحهم عند استيفاء آجالهم
(وَأَدْبَارَهُمْ)	ظهورهم – أعجازهم – استاههم
(عَذَابَ الْحَرِيقِ)	العذاب المُحرق
(قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ)	اكتسبتم من الذنوب والمعاصي والكفر –جرائمكم التي ارتكبتموها
(كَدَأْبِ)	كعادة – كشأن
(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)	فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم بأخذهم بالعذاب الشديد
(حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)	حتى يتحولوا من شكرٍ وطاعة إلى جحود وعصيان ونكران
(شَرَّ الدَّوَابِّ)	شر ما دبَّ على الأرض من الخلائق
(تَثْقَفَنَّهُمْ)	تجدنهم – تتمكن منهم وتأسرهم

(٢١٨) أحمر
أسود

(فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ)	فاجعلهم عبرةً وعظةً ونكالًا لغيرهم فبدِّد بهم من خلفهم، واجعل غيرهم يتفرقون ولا يفكرون في نقض العهد
(يَذَّكَّرُونَ)	يتعظون – يعتبرون
(فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ)	اطرح إليهم العهد وأخبرهم أنك تحللت من العقد الذي بينك وبينهم بسبب بوادر الخيانة التي ظهرت منهم حتى تستوي أنت وهم في العلم بأن بعضكم لبعض حرٌ
(سَبَقُوا)	سبقونا ولن ندركهم ولن نفديهم فأتونا فلن نقدر على إلحاق العذاب بهم
(يُعْجِزُونَ)	لا يغلبوننا، ولن نعجز عنهم

❁ ❁ ❁

(٢١٩) أحمر
أسود

حال الكفار عند قبض أرواحهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولو ترى يا عبد الله حال الكفار عندما تتوفاهم الملائكة، عندما تقبض الملائكة أرواحهم لرايت أمرًا عظيمًا تقشعر منه الجلود والأبدان، إنهم يضربونهم ضربًا شديدًا عند قبض الأرواح، وسواء كان هذا يوم بدر يوم قبضت الملائكة أرواح أهل الكفر أو كان في غير يوم بدر، فإن الملائكة تضرب الكفار عند الاحتضار ضربًا شديدًا على الوجود والأدبار ومن الأمام ومن اخللف وعلى الظهور والأستاه (جمع است)، ومما يؤيد هذا الضرب قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ..﴾ [الأنعام: ٩٣].

وكما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧].

أما الأدبار فقال غير واحد: إنها الظهور.

وقال كثيرون: إنها الأستاه (جمع است) ولكن الله حيي كريم يُكنِّي عنها بالأدبار.

هذا، ثم إن الملائكة أيضًا تبشرهم بالنار عند الاحتضار فتقول لهم: وذوقوا العذاب المحرق، ذلك العذاب، وذلك الضرب، وذاك التبشير بعذاب الحريق، كل ذلك بسبب ما قدمته أيديكم بما اقترفتموه من الذنوب والآثام وبما اجترحتموه من الجرائم، فربكم يجازيكم بأعمالكم ولا يظلمكم شيئًا.

(٢٢٠) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو تعاين، يا محمد، حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عدد من العلماء في تفسير قوله: ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ قال: وأستاههم ولكن كريم يُكنِّي.

ثم قال: وفي الكلام محذوف، استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره، وهو قوله: «ويقولون»، ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، حذفت «يقولون»، كما حذفت من قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [سورة السجدة: ٢١]، بمعنى: يقولون: ربنا أبصرنا.

وقال في تأويل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر، أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم: «ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم»، هذا العذاب لكم، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أي: بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار، واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم، فذوقوا اليوم العذابَ، وفي معادكم عذابَ الحريق؛ وذلك لكم بأن الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، لا يعاقب أحدًا من خلقه إلا بجرم اجترمه، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه.

وفي فتح «أن» من قوله:(وأن الله)، وجهان من الإعراب:

أحدهما: النصبُ، وهو للعطف على «ما» التي في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾،

(٢٢١) أحمر
أسود

بمعنى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وبأن الله ليس بظلام للعبيد، في قول بعضهم، والخفض، في قول بعضٍ.

والآخر: الرفع، على ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ﴾، وذلك أن الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا منكرا؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

وهذا السياق -وإن كان سببه وقعة بدر -ولكنه عام في حق كل كافر؛ ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر، بل قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ وفي سورة القتال مثلها وتقدم في سورة الأنعام [عند] قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: باسطو أيديهم بالضرب فيهم، يأمرونهم إذ استصعبت أنفسهم، وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرًا. وذلك إذ بشروهم بالعذاب والغضب من الله، كما [جاء] في حديث البراء: إن ملك الموت -إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة -يقول: اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سَمُوم وحميم، وظل من يحموم، فتتفرق في بدنه، فيستخرجونها من جسده، كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب؛ ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ أي: لا يظلم أحدا من خلقه، بل هو الحكم العدل، الذي

(٢٢٢) أحمر
أسود

لا يجور، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغني الحميد؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند[1] مسلم، رَحِمَهُ اللَّهُ، من رواية أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

❁ ❁ ❁

سنن الله عَزَّ وَجَلَّ في الظالمين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – شأن هؤلاء الكفار وعادتهم كشأن آل فرعون وعادتهم فآل فرعون جآءهم رسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكذبوه فانتقمنا منهم، وهؤلاء المشركون جآءهم رسول الله محمد ﷺ فكذبوه فانتقمنا منهم. فقوم فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله وجحدوها فأخذهم الله بالعذاب الشديد بسبب ذنوبهم وهؤلاء المشركون كذلك إن الله قوي لا يمنعه مما يريد مانع، ولا يغلبه غالب ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأهل التكذيب والجحود والنكران، وبنحوه قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فِعْلُ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر، كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذّب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم، ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك.

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢٢٣) أحمر
أسود

وقد بينا فيما مضى أن «الدأب»، هو الشأن والعادة.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾، يقول: فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله، ومعصيتهم ربهم،

كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾، لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادٌّ، يُنْفِذ أمره، ويُمضي قضاءه في خلقه ﴿شَدِيدُ﴾ عقابه لمن كفر بآياته وجحد حُججه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعل هؤلاء المشركون المكذبون بما أرسلت به يا محمد، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا، أي: عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل، الكافرين بآيات الله. ﴿ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ [أي: بسبب ذنوبهم أهلكهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب.

❁ ❁ ❁

زوال النعم بالمعاصي

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ذلك الذي صنعناه بالمشركين من أهل مكة وما أحللناه بهم من القتل والأسر يوم بدر بعد أن كانوا آمنين ببلادهم مطئمنين ليس ظُلمًا منا لهم ولكننا لا نغيِّر نقمتنا على قومٍ ونقلبها عليهم نقمةً في غالب الأحوال إلا إذا غيَّروا حالهم من طاعة إلى كفر وعصيان إذا جآءتهم نعمنا فشكروها حفظناها عليهم وزدناهم منها، وإذا كفروا بها وجحدوا

(٢٢٤) أحمر
أسود

أخذناهم بالعذاب، والله سميع لاقوال خلقه ولحركاتهم عليهم بنواياهم وبكل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم، وفعلنا ذلك بهم، بأنهم غيَّروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسولَه منهم وبين أظهرهم، بإخراجهم إياه من بينهم، وتكذيبهم له، وحربهم إياه، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، يقول: «نعمة الله»، محمد ﷺ، أنعم به على قريش، وكفروا، فنقله إلى الأنصار.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يقول: لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه، يسمع كلام كلّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرٍّ، ﴿عَلِيمٌ﴾، بما تضمره صدورهم، وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي أوقعه اللّه بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم،فإن الله لم يك مغيرا

(٢٢٥) أحمر
أسود

نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا. ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة اللّه ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.

وللّه الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول ومن جهر به،ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعليل. أي هذا العقاب، لأنهم غيروا وبدلوا، ونعمة الله على قريش الخصب والسعة، والأمن والعافية. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] الآية. وقال السدي: نعمة الله عليهم محمد ﷺ فكفروا به، فنقل إلى المدينة وحل بالمشركين العقاب.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ ﴾ بالكفران وترك الشكر قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ثم بعث فيهم محمدا ﷺ فلم يعرفوا المنعم عليهم فغير الله ما بهم.

وأوضح الشنقيطي في أضواء البيان بقوله:

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه. وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ

(٢٢٦) أحمر
أسود

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء: ٧٩] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

دفع إشكال

س: كيف يجمع بين الآية الكريمة وبين ما يحدث للصالحين من ابتلاءات؟

ج: هذه الابتلاءات التي تحدث للصالحين إنما تحدث لرفعة الدرجات ولإعلاء المقامات بصبرهم عليهم ورضاهم بقضاء الله ﷻ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التكرير في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ... ﴾؟

ج: أجاب بعض العلماء بأن هذا ليس بتكرير

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس هذا بتكرير؛ لأن الأوّل للعادة في التكذيب، والثاني: للعادة في التغيير، وباقي الآية بين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – شأن هؤلاء إذ غيَّرنا عليهم نعمنا فبعد أن كانوا في أمنٍ وأمانٍ ويتخطف الناس من حولهم وبعد أن كانت بلادهم يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفروا بذلك ولم يشكروا النعم بل كذبوا خير رسول

(٢٢٧) أحمر
أسود

أرسل إليهم، لذا فإننا أحللنا بهم العذاب، وأنزلنا بهم النكال كعادتنا في آل فرعون وفي الأمم المكذبة كقوم عادٍ وثمود وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين وغير هؤلاء لما كذبوا بآيات ربهم أهلكهم الله ﷻ بذنوبهم وأغرق آل فرعون، وكل هذه الأمم المكذبة التي أهلكها الله كانت ظالمة بشركها بالله وبتكذيبها المرسلين فُبِّدلت نعم الله عليهم إلى نقم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: غير هؤلاء المشركون بالله، المقتولون ببدر، نعمةَ ربهم التي أنعم بها عليهم، بابتعاثه محمدًا منهم وبين أظهرهم، داعيًا لهم إلى الهدى، بتكذيبهم إياه، وحربهم له ، ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾، كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله، في تكذيبهم إياه، وقصدهم لحربه، وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلَها وصنيعهم ، ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾، بعضًا بالرجفة، وبعضًا بالخسف، وبعضا بالريح ، ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾، في اليم ، ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾، يقول: كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله، من تكذيبهم رسلَ الله والجحود لآياته، فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر، إذ غيروا نعمة الله عندهم، بالقتل بالسيف، وأذللنا بعضهم بالإسار والسِّبَاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك، بل كانوا هم الظالمين.

(٢٢٨) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ حين جاءتهم ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ كل بحسب جرمه.

﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ ﴾ من المهلكين المعذبين ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ لأنفسهم، ساعين في هلاكها، لم يظلمهم اللّه، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه،فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل اللّه بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين.

❁ ❁ ❁

التصرف مع أهل الكفر من ناقضي العهود والمواثيق

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – إن شرَّ من دب على الأرض من المخلوقات هم أهل الكفر الذين لا يؤمنون بآيات الله بل ويكذبونها ويجحدونها هؤلاء الذين تعاهدهم العهود وتواثقهم المواثيق فلا تمرَّ مرة إلا وهم ينقضون العهود والمواثيق ولا يخافون الله ولا يوقرون حدوه، ولا يتقون عقوبة نقض والميثاق فإذا مكنك الله ﷻ منهم وظفرت بهم فأنزل بهم أشد العقاب وأليم العذاب حتى يتعظ غيرهم بهم، وحتى يكونوا عبرة لغيرهم وعظةً فلا يجترأ غيرهم على نقض العهود والمواثيق معك ففي قوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ أي نكِّل بهم من بعدهم، أي: اجعلهم نكالًا وعبرة وعظة يتعظ بها غيرهم أي: افعل بهم فعلًا تفرق به من خلفهم فلا يجتمعون على نقض

عهدك الذي عاهدتهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن شر ما دبّ على الأرض عند الله، الذين كفروا بربهم، فجحدوا وحدانيته، وعبدوا غيره، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾، يقول: فهم لا يصدِّقون رسلَ الله، ولا يقرُّون بوحيه وتنزيله.

وقال القول في تأويل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾، يا محمد، يقول: أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك، ولا يظاهروا عليك محاربًا لك، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ﴾، عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوك وواثقوك، حاربوك وظاهروا عليك، وهم لا يتقون الله، ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم.

وقال في تأويل قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإما تلقيَنَّ في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة، فتأسرهم، ،

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾، يقول: فافعل بهم فعلا يكون مشرِّدًا من خلفهم من نظرائهم، ممن بينك وبينه عهد وعقد.

و«التشريد»، التطريد والتبديد والتفريق.

(٢٣٠) أحمر
أسود

وإنما أمِرَ بذلك نبيُّ الله ﷺ أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم إذا قدر عليهم فعلا يكون إخافةً لمن وراءهم، ممن كان بين رسول الله ﷺ وبينه عهد، حتى لا يجترئوا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد.

وأورد الطبري عدة آثار: في معنى قوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ مفردها ما ذكرناه (نكِّل بهم من ورآءهم) وعظْ بهم من سواهم من الناس.

وأورد أثر السدي وفيه[1]: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾، يقول: نكل بهم من خلفهم، مَنْ بعدهم من العدوّ، لعلهم يحذرون أن ينكُثوا فتصنع بهم مثل ذلك.

وأثرًا عن ابن زيد بإسناد صحيح: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾، قال: أخفهم بما تصنع بهؤلاء. وقرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأما قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، فإن معناه: كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم، فيحذروا نقضَ العهد الذي بينك وبينهم خوفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخبر تعالى أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ أي: تغلبهم وتظفر بهم في حرب، ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ

---

(١) وسنده إلى السدي حسن.

(٢٣١) أحمر
أسود

خَلْفَهُمْ ﴾ أي: نكل بهم، قاله: ابن عباس، والحسن البصري، والضحاك، والسدي، وعطاء الخراساني، وابن عيينة، ومعناه: غَلّظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف من سواهم من الأعداء، من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقال السدي: يقول: لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيُصنع بهم مثل ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ نظيره ﴿ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢]. ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي لا يخافون الانتقال. «ومن» في قوله: «منهم» للتبعيض، لأن العهد إنما يجري مع أشرافهم ثم ينقصونه. والمعني بهم قريظة والنضير، في قول مجاهد وغيره. نقضوا العهد فأعانوا مشركي مكة بالسلاح، ثم اعتذروا فقالوا: نسينا، فعاهدهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثانية فنقضوا يوم الخندق.

وقال في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي يتذكرون بوعدك إياهم. وقيل: هذا يرجع إلى من خلفهم، لأن من قتل لا يتذكر أي شرد بهم من خلفهم من عمل بمثل عملهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ۞ إِنَّ ﴾ هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث: الكفر، وعدم الإيمان، والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم، فإذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين، لئلا يسري

(٢٣٢) أحمر
أسود

داؤهم لغيرهم، ولهذا قال: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾ أي: تجدنهم في حال المحاربة، بحيث لا يكون لهم عهد وميثاق.

﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون به، عبرة لمن بعدهم ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي من خلفهم ﴿ يَذَّكَّرُونَ ﴾ صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم،وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لمن عملها أن لا يعاودها.

ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أُعْطِيَ عهدا لا يجوز خيانته وعقوبته.

❁ ❁ ❁

نبذ العهود لمن ظهرت منه بوادر الغدر والخيانة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- وإما تريَّن يا رسول الله من المشركين بوادر الخيانة والغدر وتظهر أمارات ذلك منهم وتظهر علاماته فرد إليهم الأمان والعهد الذي أخذوه منك، وقل لهم لا أمان لكم مني ولا إمضاء للعهد الذي بيني وبينكم فقد نقضتموه بما ظهر منكم من علامات النقض والخيانة ومن أماراتها فلم أعد أقبل قولكم لي أنت منا في أمان، وقد ظهر منكم علامات الخيانة، وكذا لا تنتظروا مني أمانًا فها أنا ذا أخبركم أن العهد الذي بيني وبينكم قد أُلغي بما بدر منكم من بواد النقض فلا عهد لي عندكم ولا عهد لكم عندي.

أخبرهم بذلك يا رسول الله حتى يستوي علمك وعلمهم في هذا الباب

(٢٣٣) أحمر
أسود

فيعلم كلٌّ منكم أنه حربٌ على الآخر.

أخبرهم بذلك فإن الله ﷻ لا يحب الخائنين الناقضين للعهود والمواثيق.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهد. وينقض عقده، ويغدر بك، وذلك هو «الخيانة» والغدر ، ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨﴾، الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد.

فإن قال قائل: وكيف يجوز نقضُ العهد بخوف الخيانة، و«الخوف» ظنٌّ ، لا يقين؟

قيل: إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معناه: إذا ظهرت أمارُ الخيانة من عدوك، وخفت وقوعهم بك، فألق إليهم مقاليد السَّلم وآذنهم بالحرب. وذلك كالذي كان من بني قريظة إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ ومحاربتهم معهم، بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسولَ الله ﷺ على المسالمة، ولن يقاتلوا رسولَ الله ﷺ. فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك، موجبًا لرسول الله ﷺ خوف الغدر به وبأصحابه منهم. فكذلك حكم كل قوم أهل موادعةٍ للمؤمنين، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهرَ لرسول الله ﷺ وأصحابه من قريظة منها، فحقٌّ

(٢٣٤) أحمر
أسود

على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء، ويؤذنهم بالحرب.

ومعنى قوله: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾، أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سِلْم.

وأورد الطبري عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ وقال:

وكذلك هذه المعاني متقاربة، لأن «العدل»، وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصّر عنه، وكذلك «الوسط» عدل، واستواء علم الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة، عدل من الفعل ووسط.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ ﴾ قد عاهدتهم ﴿ خِيَانَةٗ ﴾ أي: نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود، ﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أي: عهدهم ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك، قال الراجز:

فَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدر للأعْداء حتى يجيبوك إلى السواء

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ أي: حتى ولو في حق الكفارين، لا يحبها أيضًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن العربي: فإن قيل كيف يجوز نقض العهد مع خوف الخيانة، والخوف ظن لا يقين معه، فكيف يسقط يقين العهد مع ظن الخيانة. فالجواب من وجهين: أحدهما - أن الخوف قد يأتي بمعنى اليقين، كما قد يأتي الرجاء بمعنى العلم، قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ ﴾ [نوح: ١٣]. الثاني - إذا

(٢٣٥) أحمر
أسود

ظهرت آثار الخيانة وثبتت دلائلها، وجب نبذ العهد لئلا يوقع التمادي عليه في الهلكة، وجاز إسقاط اليقين هنا ضرورة. وأما إذا علم اليقين فيستغنى عن نبذ العهد إليهم، وقد سار النبي ﷺ إلى أهل مكة عام الفتح، لما إذا اشتهر منهم نقض العهد من غير أن ينبذ إليهم عهدهم. والنبذ: الرمي والرفض.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

أي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة،بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة.

﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾ عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم. ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب العهد، حتى تخبرهم بذلك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ بل يبغضهم أشد البغض،فلا بد من أمر بيِّنٍ يبرئكم من الخيانة.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يُخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ۝٥٩ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – ولا يحسبن الذين كفروا، جحدوا وحدانية الله

(٢٣٦) أحمر
أسود

وكذبوا رسوله لا يحسبن هؤلاء أنهم سبقونا فلن ندركهم بعذابنا ولن يلحقهم بأسنا، كلا بل إنهم لن يُجزوننا، لن نعجز عن تعذيبهم ولن نعجز عن إدراكهم ولن يغلبونا.

هذا، وقد قرأ بعض أهل العلم (ولا تحسبن) بالتاء، وجعل الخطاب فيها لرسول الله ﷺ، أو للمؤمنين عمومًا، فالمعنى: لا تحسبن يا رسول الله أن أهل الكفر سبقونا فلن ندركهم بعذابنا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أو أورد القرآءتين:

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: (لا تَحْسَبَنَّ)، بالتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ﴾، بكسر الألف من «إنهم»، ﴿لَا يُعۡجِزُونَ﴾، بمعنى: ولا تحسبن أنت، يا محمد، الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها، سبقونا بأنفسهم ففاتونا، إنهم لا يعجزوننا، أي: يفوتوننا بأنفسهم، ولا يقدرون على الهرب منا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ يا محمَّد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾ أي: فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا كما قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤﴾ [العنكبوت: ٤] أي: يظنون، وقال تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧﴾ [النور: ٥٧]، وقال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا يحسب الكافرون بربهم المكذبون بآياته، أنهم سبقوا اللّه وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، واللّه لهم بالمرصاد.

(٢٣٧) أحمر
أسود

وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جملتها ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها.

❁ ❁ ❁

(٢٣٨) أحمر
أسود

الوفاء بالعهود
حتى مع الكفار والتحذير من نقضها

س: هل يجب الوفاء بالعهود وعدم الغدر مع الكفار؟

ج: نعم يجب الوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع أهل الكفر ما دامت بوادر الخيانة لم تظهر منهم، ومن الأدلة على ذلك العمومات الواردة في كتاب الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

* وكقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

* وكقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرعد: ٢٠].

* وكقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٤].

وأخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح[1] عَنْ أَبِي الْفَيْضِ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يَسِيرُ بِأَرْضِ الرُّومِ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَمَدٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُمْ فَإِذَا انْقَضَى الْأَمَدُ غَزَاهُمْ، فَإِذَا شَيْخٌ عَلَى دَابَّةٍ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحِلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**» فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَرَجَعَ؛ وَإِذَا الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رضي الله عنه.

هذا، وقد قدمت طائفة كبيرة من الأدلة الواردة في هذا الباب في أول سورة المائدة فارجع إليها إن شئت.

❀ ❀ ❀

(١) أحمد (٤/ ١١١).

(٢٣٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ
ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن
شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن
مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ
أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن
مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ
ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ

(٢٤٠) أحمر
أسود

مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا
طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم
مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ
وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن
قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾

[الأنفال: ٦٠-٧١].

(٢٤١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ - يُوَفَّ إِلَيْكُمْ - وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ - جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ - حَسْبَكَ ٱللَّهُ - أَيَّدَكَ - وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ - حَرِّضِ - لَّا يَفْقَهُونَ - يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ - عَرَضَ ٱلدُّنْيَا - كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	الخيل المربوطة المُعدة للجهاد
﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾	تثابون عليه يوم القيامة ويخلف الله عليكم أيضًا – إن شاء – في الدنيا
﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾	لا تبخسون شيئًا من حقوقكم
﴿جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾	مالوا إلى المسالمة والمهادنة والموادعة والمصالحة

❁ ❁ ❁

(٢٤٢) أحمر
أسود

التحريض على تسلح المسلمين
واستعدادهم بما استطاعوا من السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- وأعدوا يا أهل الإسلام كل قوةٍ تستطيعون إعدادها، وكذا احتبسوا الخيول واجعلوها مُعدةٍ للغزو في أي وقت وحين، واجعلوها معدة للدفاع كذلك لإرهاب أعداء الله ﷻ وأعدائكم، لتخويفهم وخزيهم، وقذف الرعب في قلوبهم حتى لا يُفكروا في غزوكم ولا في النيل منكم ولا في الغدر بكم، وكذا ترهبون بهذه القوة قومًا آخرين غير الأعداء الظاهرين لكم، ترهبون به قومًا لا تعلمونهم، فإذا رأوا قوتكم حاضرة مُعدةٌ جاهزة، وإذا رأوا خيولكم مرتبطة مستعدة للقتال والغزو والدفاع قُذف الرعب في قلوبهم فكفاكم الله بذلك شرهم، هذا واعلموا أن ما تنفقونه من أموالكم في هذا الباب، باب إعداد العدة للقتال في سبيل الله يوف إليكم ويجازيكم الله به، ولا تُبخسون شيئًا مما أنفقتموه، ولا من ثوابه.

هذا، وقد ورد عن رسول الله ﷺ[1] أنه قال وهو على المنبر ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، وليس معنى هذا أن القوة تنحصر في الرمي، إنم المراد أن أغلب القوة الرمي وأفضلها الرمي، وهذا يشمل كل صور الرمي التي منها القذف بالصواريخ والرمي بالطائرات والدبابات، والرمي بالرصاص والرمي بالسهام والنبال وكل صور الرمي.

هذا، وقد اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، ومسلم (١٩١٧) وغيرهم.

(٢٤٣) أحمر
أسود

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ فقال بعض أهل العلم: إنهم بنو قريظة، وقال آخرون: إنهم الفرس (أهل فارس)، وقال آخرون: إنهم المنافقون، وقال آخرون: إنهم الجن.

والصواب من القول: أنهم قوم لا نعلمهم في الظاهر والله ﷻ أعلم بهم.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾، لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، يقول: ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوَّ الله وعدوكم من المشركين.

وقال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل،ولا وجه لأن يقال: عني بـ «القوة»، معنى دون معنى من معاني «القوة»، وقد عمَّ الله الأمر بها.

فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بيَّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: «**ألا إن القوة الرمي**»؟

قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدلّ على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: «**ألا إن القوة الرمي**»، ولم يقل: «دون غيرها»، ومن «القوة» أيضًا السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال

(٢٤٤) أحمر
أسود

المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم. هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ[(١)].

وأما قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾، فإن قول من قال: عنى به الجن، أقربُ وأشبهُ بالصواب، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، الأمرَ بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوٍّ لله وللمؤمنين يعلمونهم، ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم حرب. ولا معنى لأن يقال: وهم يعلمونهم لهم أعداءً: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾، ولكن معنى ذلك إن شاء الله: ترهبون بارتباطكم، أيها المؤمنون، الخيلَ عدوَّ الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم، لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنسًا آخر من غير بني آدم، لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم، الله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم. وقيل: إن صهيل الخيل يرهب الجن، وأن الجن لا تقرب دارًا فيها فرس.

فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون، فما تنكر أن يكون عُنِي بذلك المنافقون؟

قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم، وإنما كان يَرُوعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستسرُّون من الكفر، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو، فأما من لم يرهبه ذلك، فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون. وقيل: «لا تعلمونهم»، فاكتفي لـ «العلم»، بمنصوب واحد في هذا الموضع، لأنه أريد: لا

(١) وما أدري مراد الطبري بقوله: (مع وهاء سند الخبر) فإن كان يقصد حديث: (ألا إن القوة الرمي) فهو ثابت صحيح في صحيح مسلم، وغيره.

(٢٤٥) أحمر
أسود

تعرفونهم، كما قال الشاعر:

فَـــإِنَّ اللهَ يَعْلَمُنِـــي وَوَهْبًـــا وَأَنَّـــا سَـــوْفَ يَلْقَـــاهُ كِلانـــا

وقـال في تأويـل قولـه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم، أيها المؤمنون، من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُرَاع أو غير ذلك من النفقات، في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدَّخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفِّيكموها يوم القيامة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، يقول: يفعل ذلك بكم ربكم، فلا يضيع أجوركم عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ أي: مهما أمكنكم، ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾.

وأورد عددًا من الأحاديث وقال: وقوله: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي: تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: من الكفار ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعني: قريظة، وقال السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: هم الشياطين التي في الدور.

وأورد حديثًا ضعيفًا في أن الذين لا نعلم هم الجن، ثم قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ ...﴾ أي: مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال، ولهذا جاء في حديث رواه أبو داود: أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ

(٢٤٦) أحمر
أسود

يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ كان يكفي، فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان، خصها بالذكر تشريفا، وأقسم بغبارها تكريما. فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ [العاديات: ١] الآية. ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولا للأرواح، خصها رسول الله ﷺ بالذكر لها والتنبيه عليها. ونظير هذا في التنزيل، ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] ومثله كثير.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**ألا إن القوة الرَّمْيُ**» ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال،ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

(٢٤٧) أحمر
أسود

وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها،حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم،ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار.

ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل اللّه، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا.

❁ ❁ ❁

(٢٤٨) أحمر
أسود

فضل الخيل

س: اذكر بعض الوارد في فضل الخيل واحتباسها في سبيل الله؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث عُرْوَةَ البَارِقِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ».

وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ».

فَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ الْحُمُرِ فقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢٨٥٠).
(٢) البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(٢٤٩) أحمر
أسود

المصالحات مع الكفار عند الاحتياج إليها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – وإن مال هؤلاء المشركون إلى المصالحة والموادعة والمهادنة فأجبهم إلى طلبهم واعتمد على الله ﷻ في شؤونك كلها إنه هو السميع لأقوالك وأقوالهم العليم بنواياك ونواياهم وكذا سميع لكل ما يسمع وعليم بكل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدرًا، فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب، ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾، يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾، يعني بذلك: إن الله الذي تتوكل عليه، «سميع»، لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحربَ من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه، وما يشترط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط، «العليم»، بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه، ومن المضمر ذلك منكم في قلبه، والمنطوي على خلافه لصاحبه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن

(٢٥٠) أحمر
أسود

استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم، ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ﴾ أي: مالوا ﴿لِلسَّلۡمِ﴾ أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، ﴿ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ﴾ أي: الكفار المحاربون، أي: مالوا ﴿لِلسَّلۡمِ﴾ أي: الصلح وترك القتال.

﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماما لقواكم، واستعدادا منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له.فصار هذا السلم عونا للمسلمين على الكافرين.

❁ ❁ ❁

(٢٥١) أحمر
أسود

س: هل هذه الآية الكريمة منسوخة: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ منسوخة؟

ج: اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: إنها منسوخة بآية براءة: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾.

وقال آخرون: بل محكمة، ثم إن منهم من نزلها على أهل الكتاب، إذا جنحوا إلى المصالحة ودفعوا الجزية.

ومنهم من قال بعمومها إذا احتاج المسلمون إلى ذلك، فقد يأتي على المسلمون زمنٌ يحتاجون فيها إلى مهادنةٍ ومصالحة مع أهل الكفر لضعف قوى أهل الإيمان، أو لتقوية شوكتهم أو لغير ذلك، فحينئذٍ إذا مالوا للصلح فلا جناح عليهم، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

أورد الطبري بإسنادٍ صحيح لغيره عن قتادة: قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ ﴾، إلى الصلح، ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾، قال: وكانت هذه قبل «براءة»، وكان نبي الله ﷺ يوادع القوم إلى أجل، فإما أن يسلموا، وإما أن يقاتلهم، ثم نسخ ذلك بعد في «براءة» فقال: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾، [سورة التوبة: ٣٦]، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يقولوا «لا إله إلا الله» ويسلموا، وأن لا يقبلَ منهم إلا ذلك. وكلُّ عهد كان في هذه السورة وفي غيرها، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به، فإن «براءة» جاءت بنسخ ذلك، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا: «لا إله إلا الله».

وتعقب الطبري هذا بقوله:

فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة، فقولٌ لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل.

(٢٥٢) أحمر
أسود

وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك، فغير كائنٍ ناسخا.

وقول الله في براءة: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾، غير نافٍ حكمُه حكمَ قوله. ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، لأن قوله: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾، إنما عني به بنو قريظة، وكانوا يهودًا أهلَ كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحربَ على أخذ الجزية منهم.

وأما قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ فإنما عُني به مشركو العرب من عبدة الأوثان، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم. فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في «براءة»: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩] فيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفًا، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن العربي: وبهذا يختلف الجواب عنه، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥]. فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة، وجماعة عديدة، وشدة شديدة فلا صلح، كما قال:

(٢٥٣) أحمر
أسود

فـلا صـلح حتـى تطعـن الخيـل بالقنـا وتضـرب بـالبيض الرقـاق الجمـاجم

وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح، لنفع يجتلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه. وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم. وقد صالح الضمري وأكيدر دومة وأهل نجران، وقد هادن قريشا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده. وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة.

❁ ❁ ❁

الحث على التوكل على الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- وإن يُرد هؤلاء الذين جنحوا للسلم وطلبوا المصالحة والمهادنة والمسالمة أن يخدعوك بصنيعهم هذا فتوكل على الله واعتمد عليه في شؤونك كلها فهو الذي قواك بنصره الذي نصرك يوم بدر وفي غيرها، وقواك كذلك بأهل الإيمان من الأنصار وغيرهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن يرد، يا محمد، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم، خداعَك والمكرَ بك، ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمِّنٌ أن يجعل كلمته العليا

(٢٥٤) أحمر
أسود

وكلمة أعدائه السفلى ، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه ، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني بالأنصار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ أي بأن يظهروا لك السلم، ويبطنوا الغدر والخيانة، فاجنح فما عليك من نياتهم الفاسدة. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك الله، أي يتولى كفايتك وحياطتك. قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

أي كافيك وكافي الضحاك سيف.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ أي قواك بنصره. يريد يوم بدر. ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النعمان بن بشير: نزلت في الأنصار.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وحده.

❁ ❁ ❁

الله هو الذي يؤلف بين القلوب

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – فإن كافيك الله عَزَّ وَجَلَّ وناصر فهو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وجمع بين قلوب المؤمنين بعد أن كانت متفرقة متشتتةً متباعدةً متباغضةً كالذي كان بين الأوس والخزرج من الأنصار من القتال

والتباعد والتباغض، فجمع الله بين قلوب هؤلاء وقلوب أولئك، وما كان هذا بوسعك فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم وجمع بينها إنه عزيز لا يُغلب حكيم فيما يصنع ويشرع، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يريد جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾، وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيَّرهم به جميعًا بعد أن كانوا أشتاتًا، وإخوانًا بعد أن كانوا أعداء.

وقوله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو أنفقت، يا محمد، ما في الأرض جميعا من ذهب ووَرِق وعَرَض، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيْلك، ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت، تقوية من الله لك وتأييدًا منه ومعونة على عدوك. يقول جل ثناؤه: والذي فعل ذلك وسبَّبه لك حتى صاروا لك أعوانًا وأنصارًا ويدًا واحدة على من بغاك سوءًا هو الذي إن رام عدوٌّ منك مرامًا يكفيك كيده وينصرك عليه، فثق به وامض لأمره، وتوكل عليه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، يقول: إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما، وجعلهم لك أنصارًا ، ﴿عَزِيزٌ﴾، لا يقهره شيء، ولا يردّ قضاءه رادٌّ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه. يقول: فعليه فتوكل، وبه فثق، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبير خلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار؛ فقال:

(٢٥٦) أحمر
أسود

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي الصحيحين[(١)] أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي**» كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أَمَنَّ.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي: عزيز الجناب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه.

وأورد ابن كثير[(٢)] رحمه الله تعالى بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس قال: إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة اللّه،فلو أنفقت ما في الأرض جميعا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿مَّآ

(١) البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).
(٢) وعزاه لعبد الرزاق.

(٢٥٧) أحمر
أسود

أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا اللّه تعالى.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج. وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها. وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين. وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار. والمعنى متقارب.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني الأوس والخزرج وهم الأنصار كانت بينهم عداوة في الجاهلية فألف الله بينهم بالإسلام وهذا من أعجب الآيات لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة فلو أن رجلا لطم رجلا لقاتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثأره فآل بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

❁ ❁ ❁

الله الذي يحفظ ويُسلِّم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – يا أيها النبي كافيك الله ﷻ وحافظك وناصُرك، وكذا فإنه ﷻ كافي وحافظ وناصر أتباعك من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧٢-١٧٣].

(٢٥٨) أحمر
أسود

هذا رأي الأكثرين من العلماء في تأويل الآية، بينما ذهب بعضهم إلى أن قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: حسبك أيضًا من اتبعك من المؤمنين، أي: وناصرك بعد الله أتباعك المؤمنين، والقول الأول أصح وأسلم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾، وحسب من اتبعك من المؤمنين، الله. يقول لهم جل ثناؤه: ناهضوا عدوكم، فإن الله كافيكم أمرهم، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم، فإن الله مؤيدكم بنصره.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾، قال: يا أيها النبي حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين، إنّ حسبك أنت وهم، الله.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فـ«مـنْ» قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾، على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي، نصب، عطفا على معنى «الكاف» في قوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ لا على لفظه، لأنها في محل خفض في الظاهر، وفي محل نصب في المعنى، لأن معنى الكلام: يكفيك الله، ويكفي من اتبعك من المؤمنين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قيل: المعنى حسبك الله، وحسبك المهاجرون والأنصار. وقيل: المعنى كافيك الله، وكافي من تبعك، قال الشعبي وابن زيد. والأول عن الحسن. واختاره النحاس وغيره. فـ«مَن» على القول الأول في موضع رفع، عطفا على اسم الله تعالى. على معنى: فإن

(٢٥٩) أحمر
أسود

حسبك الله وأتباعك من المؤمنين. وعلى الثاني على إضمار. ومثله قوله ﷺ: «**يكفينيه الله وأبناء قيلة**». وقيل: يجوز أن يكون المعنى ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ حسبهم الله، فيضمر الخبر. ويجوز أن يكون «مَن» في موضع نصب، على معنى: يكفيك الله ويكفي من اتبعك.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قال بعض العلماء: إن قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ في محل رفع بالعطف على اسم الجلالة، أي حسبك الله، وحسبك أيضًا من اتبعك من المؤمنين.

وممن قال بهذا. والحسن، واختاره النحاس وغيره، كما نقله القرطبي، وقال بعض العلماء: هو في محل خفض بالعطف على الضمير الذي هو الكاف في قوله: ﴿حَسْبُكَ﴾ وعليه، فالمعنى حسبك الله أي كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين، وبهذا قال الشعبي، وابن زيد وغيرهما، وصدر به صاحب الكشاف، واقتصر عليه ابن كثير وغيره، والآيات القرآنية تدل على تعيين الوجه الأخير، وأن المعنى كافيك الله، وكافي من اتبعك من المؤمنين لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: ٥٩]، فجعل الإيتاء لله ورسوله، كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعل الحسب مختصًا به وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]؟ فخص الكفاية التي هي الحسب به وحده، وتمدح تعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ٦٢] ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده.

(٢٦٠) أحمر
أسود

وقد أثنى سبحانه وتعالى على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث افردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ١٢٩] الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: حسبك الله وحسب من اتبعك هذا قول أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن زيد ومقاتل والأكثرون.

والثاني: حسبك الله ومتبعوك قاله مجاهد وعن الشعبي كالقولين.

وأجاز الفراء والزجاج الوجهين وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فنزلت هذه الآية قال أبو سليمان الدمشقي هذا لا يحفظ والسورة مدنية باجماع والقول الأول أصح.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من طريق عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ فَجَاءَ

(١) البخاري (٤٦٥٣).

(٢٦١) أحمر
أسود

التَّخْفِيفُ فَقَالَ: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ قَالَ: فَلَمَّا خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ الْعِدَّةِ نَقَصَ مِنْ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿ضَعْفًا﴾ قراءتان.

ج: إيضاحهما (ضُعفًا) بضم الضاد، والأخرى ﴿ضَعْفًا﴾ بفتحها، وصحح الوجهين الطبريُّ.

وأورد وجهًا ثالثًا وعزاه لبعض المدنيين ولم يجنح إليه وهو (ضُعفاء) وحكم على هذه الأخيرة بالشذوذ.

❁ ❁ ❁

تحريض المؤمنين على القتال

س: ما صورة تحريض المؤمنين على القتال؟

ج: لذلك صور منها: تذكيرهم بفضل الجهاد في سبيل الله، وتذكيرهم بفضل الشهادة في سبيل الله، ومن ذلك تقدمه بين يديهم للجهاد ابتغاء وجه الله والبذل والعطاء في سبيل الله ولذلك صور متعددة أُخر. وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – يا أيها النبي حُثْ المؤمنين على القتال

(٢٦٢) أحمر
أسود

ورغِّبهم فيه وأرشدهم إليه وبيِّن لهم فضائله، حثهم على القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وأخبرهم أن الله ﷻ معينهم وناصرهم، فإن يكن منهم عشرون صابرون محتسبون يرجون ثواب الله ويبتغون وجهه ولا يفرون إذا القتوا بعدوهم فإنهم يغلبوا مائتين من أهل الكفر، وإن يكن منهم مائة يغلبوا ألفًا من أهل الكفر، ذلك بأن أهل الكفر لا يفقهون حقيقة ما هم منه، ولا يفقهون لماذا يقاتلون ولا يفقهون ما عند الله من الثواب لمن جاهد في سبيله ولا يفقهون لكونهم ينكرون البعث والثواب والعقاب.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ ...﴾ هذا إخبارٌ من الله ﷻ بأن العشرين يغلبوا مائتين، ولكنه أمرٌ من الله ﷻ أي أنه أمر في صدرة الخبر، والمعنى إذا كنتم عشرون لا تفروا من مائتين، وإن كنتم مائة لا تفروا من ألفٍ من أهل الكفر بل قاتلوهم واطلبوهم لقتالهم، فإن الله ناصركم فحاصل الأمر أن الواحد لا يفر في الحرب من العشرة من الكفار، قالوا: ثم نُسخ هذا الأمر بالبية التي بعده، ألا وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: أن الواحد بعد أن كان مكلفًا بقتال العشرة من الكفار، وبعد أن كان العشرون مأمورون بجهاد مئتين من الكفار، والمئةُ المؤمنة مكلفةٌ بالثبات أمام ألف من الكفار، بل وبطلبهم خفف هذا، وأصبح المؤمن مكلفًا باثنين فقط وبجهاد الاثنين فقط، أي: أن العدو إذا كان عدده يربو على ضعف عدد المسلمين فإن المسلمين لا يطالبون بمواجهته آنذاك ولا يُطالبون ولا يكلفون بطلبه لقتاله.

فقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ يؤيد أن الخبر الأول كان معناه الأمر ثم نسخ هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ..﴾.

(٢٦٣) أحمر
أسود

هـذا، ومـن العلمـاء مـن قـال إن قولـه تعـالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ ...﴾ تضـمن أمـرًا وبشـارةً لأهـل الإيمـان فنسـخ الأمـر وبقيـت البشارة.

أما قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ فمفاده أن النصر من عند الله، ولـن تنتصـروا يا أهل الإيمان بقوتكم ولا بعددكم ولا عُددكم إنما النصر من الله، وبإذن الله.

أمـا قولـه تعـالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يؤيـدهم ويرعـاهم وينصـرهم ويقويهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

أخرج البخاري[1] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ فَكُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ فَقَالَ سُفْيَانُ[2] غَيْرَ مَرَّةٍ: أَنْ لَا يَفِرَّ عِشْرُونَ مِنْ مِائَتَيْنِ ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الْآيَةَ. فَكَتَبَ أَنْ لَا يَفِرَّ مِائَةٌ مِنْ مِائَتَيْنِ.

وَزَادَ سُفْيَانُ مَرَّةً: نَزَلَتْ ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ قَالَ سُفْيَانُ: وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: وَأُرَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ مِثْلَ هَذَا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾، حُثَّ متبعيك ومصدِّقيك على ما جئتهم به من الحق، على قتال من أدبر وتـولى عن الحق من المشركين، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ رجلا، ﴿صَٰبِرُونَ﴾، عند لقاء

(١) البخاري (٤٦٥٢).

(٢) سفيان أحد رجال الإسناد، فسند البخاري حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان بن عمرو عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢٦٤) أحمر
أسود

العدو، ويحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم ، ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾، من عدوهم ويقهروهم ، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ﴾، عند ذلك ﴿يَغْلِبُوٓا۟﴾، منهم ﴿أَلْفًا﴾، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، يقول: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب، ولا لطلب أجر ولا احتساب، لأنهم لم يفقهوا أن الله مُوجبٌ لمن قاتل احتسابًا، وطلب موعود الله في الميعاد، ما وعد المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء، خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم. ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين، إذ علم ضعفهم فقال لهم: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، يعني: أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفًا ، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾، عند لقائهم للثبات لهم ، ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ منهم ، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾ منهم ، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بتخلية الله إياهم لغلبتهم، ومعونته إياهم ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، لعدوهم وعدو الله، احتسابًا في صبره، وطلبًا لجزيل الثواب من ربه، بالعون منه له، والنصر عليه.

وأورد الطبري عددًا من الآثار ثم قال:

وهذه الآية -أعني قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾، - وإن كان مخرجها مخرج الخبر، فإن معناها الأمر. يدلّ على ذلك قوله: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل. ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف، وكان ندبًا، لم يكن للتخفيف وجه، لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوتَ للعشرة من العدو. وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدِّمًا، لم يكن للترخيص وجه، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، ناسخ لحكم قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن

يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾. وقد بينا في كتابنا «البيان عن أصول الأحكام»، أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابًا وجزاء، وعلى تركه عقابًا وعذابًا، وإنْ لم يكن خارجًا ظاهرُه مخرج الأمر، ففي معنى الأمر، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ أي: حثهم وذمر عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عَدَدهم وعُدَدهم: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**». فقال عمير بن الحُمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**» فقال: بخ بخ، فقال: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: رجاء أن أكون من أهلها! قال: «**فإنك من أهلها**» فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا للمؤمنين وآمرا: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

وأورد أثر ابن عباس الذي قدمناه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ أي: حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، من الترغيب في الجهاد

---

(١) مسلم (١٩٠١).

(٢٦٦) أحمر
أسود

ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك بأن الكفار ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ أي: لا علم عندهم بما أعد اللّه للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها،.وأنتم تفقهون المقصود من القتال، أنه لإعلاء كلمة اللّه وإظهار دينه، والذب عن كتاب اللّه، وحصول الفوز الأكبر عند اللّه،.وهذه كلها دواع للشجاعة والصبر والإقدام على القتال.

ثم إن هذا الحكم خففه اللّه على العباد فقال: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ بعونه وتأييده.

وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن اللّه يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية.

ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن اللّه أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف.

ثم إن اللّه خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من

(٢٦٧) أحمر
أسود

الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يرد على هذا أمران:

أحدهما: أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر.

ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم، إذا غلب على ظنهم الضرر، كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول بأن قوله: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتم، ثم إن اللّه خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر.

وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر،.وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك. فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر اللّه به من النصر لهذا العدد القليل.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴿٦٧﴾ .. ﴾.

ج: أخرج الحاكم في المستدرك بسندٍ حسن[1]:

(١) الحاكم (٢/ ٣٢٩)، ومسلم (١٢/ ٨٧).

(٢٦٨) أحمر
أسود

عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: «**كاد أن يصيبنا بلاء في خلافك**».

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: قلت: على شرط مسلم.

❁ ❁ ❁

الحكم في الأسرى

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ج: هذا عتابٌ من الله عز وجل لرسوله ﷺ وللمؤمنين، وما كان قد صدر منهم يوم بدر من قبولهم الفدية من أهل الشرك فيقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ أي: ما كان ينبغي لنبي ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ أي: يتخذ أسرى ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حتى يكثر من القتل، قتل الأسرى المشركين، أتريدون بقبولكم الفدية من المشركين وترك قتلهم متاع الحياة الدنيا الزائل، والله يريد لكم ثواب الآخرة، والله عزيز لا يغلب حكيم فيما يشرع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما كان لنبي أن يحتبس كافرًا قدر عليه وصار في يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ.

و«الأسر» في كلام العرب: الحبس، يقال منه: «مأسورٌ»، يراد به: محبوس.

(٢٦٩) أحمر
أسود

ومسموع منهم: «أبَاله الله أسْرًا».

وإنما قال الله جل ثناؤه ذلك لنبيه محمد ﷺ، يعرِّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم ﷺ يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، يقول: حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم غلبة وقسرًا.

يقال منه: «أثخن فلان في هذا الأمر»، إذا بالغ فيه. وحكي: «أثخنته معرفةً»، بمعنى: قتلته معرفةً.

﴿تُرِيدُونَ﴾، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿تُرِيدُونَ﴾، أيها المؤمنون، ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾، بأسركم المشركين، وهو ما عَرَض للمرء منها من مال ومتاع. يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾، يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته في جناته، بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض. يقول لهم: فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا، لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾، يقول: إن أنتم أردتم الآخرة، لم يغلبكم عدوّ لكم، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب، وأنه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره أمرَ خلقه.

وأورد الطبري عدة آثار في هذا الصدد.

وأخرج مسلم[1] في صحيحه حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ... فذكر الحديث وفيه:

(١) مسلم (١٧٦٣).

(٢٧٠) أحمر
أسود

فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ! هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ[1]، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» (شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ) وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، الآية، قال: أراد أصحاب نبيّ الله ﷺ يوم بدر الفداءَ، ففادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف. ولعمري ما كان أثخن رسول الله ﷺ يومئذ! وكان أول قتال قاتله المشركين.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ما أخرجه أحمد[2] من حدي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

---

(١) في رواية أحمد (١/ ٣٠-٣١): وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين.

(٢) أحمد (٣/ ٢٤٣) وسنده صحيح.

(٢٧١) أحمر
أسود

استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: «**إن الله قد أمكنكم منهم**» فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس**». فقام عمر فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله، عز وجل: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية.

وقال السعدي رحمه الله:

هذه معاتبة من اللّه لرسوله وللمؤمنين يوم «بدر» إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء،. وكان رأي: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم.

فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور اللّه ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد اللّه، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم،.فما دام لهم شر وصولة، فالأوفق أن لا يؤسروا.

فإذا أثخنوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم.

يقول تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ بأخذكم الفداء وإبقائهم ﴿ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم.

(٢٧٢) أحمر
أسود

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى ذلك.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافرا قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض. وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد.

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهو المال وكان أصحاب النبي ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف وفي قوله ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ قولان:

أحدهما: يريد لكم الجنة قاله ابن عباس.

والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة ذكره الماوردي.

وقال ابن الجوزي أيضًا:

وقد روي عن ابن عباس و مجاهد في آخرين أن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤]، وليس للنسخ وجه لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قلة فلما كثروا واشتد سلطانهم نزلت الآية الأخرى ويبين هذا قوله ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبري وغيره بسندٍ صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما أحلت الغنائم لأحدٍ سُودِ الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نارٌ من

(٢٧٣) أحمر
أسود

السماء وتأكلها، حتى كان يوم بدر، فوقع الناس في الغنائم، فأنزل الله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾، حتى بلغ، ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – لولا أن الله ﷻ كتب عليكم يا أهل بدر أن لا يعذبكم بسبب صنيعكم الذي صنعتموه لمسكم بسبب ما أخذتموه من الفدية عذاب عظيم، أي لمسكم بسبب قبولكم الفتنة عذاب عظيم.

وقال بعض أهل العلم: لولا كتاب من الله سبق بإحلال الغنائم، لكن لمسكم بسبب قبولكم الفدية عذاب عظيم، وثم قأقوال آخر.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذه ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾، يقول: لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ، بأن الله مُحِلٌّ لكم الغنيمة، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يُضِلّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يعذب أحدًا شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسولا الله ﷺ ناصرًا دينَ الله، لنالكم من الله، بأخذكم الغنيمة والفداء، عذاب عظيم.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الحسن في قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية، قال: إن الله كان مُطْعِم هذه الأمة الغنيمةَ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به. قال: فعاب الله ذلك عليهم، ثم أحله الله.

(٢٧٤) أحمر
أسود

وفي رواية أخرى بإسناد صحيح أيضًا عن الحسن في قول الله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية، وذلك يوم بدر، وأخذ أصحاب النبي ﷺ المغانمَ والأسارى قبل أن يؤمروا به، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب: «المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته»، ولم يكن أحله لأمة قبلهم، وأخذوا المغانم وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك، قال الله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾، يعني في الكتاب الأول. أن المغانم والأسارى حلال لكم ، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

وأورد سبب النزول الذي أشرت إليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الطبري رحمه الله:

وقال آخرون: معنى ذلك: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر، أن لا يعذبهم، لمسهم عذاب عظيم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: عن قتادة قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾، كان سبق لهم من الله خير، وأحلّ لهم الغنائم.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد: ابن زيد في قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾، لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم. فقال: سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم، سبق أنه لا يعذب المؤمنين، لأنه لا يعذب رَسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره.

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾، أن لا يؤاخذ أحدًا بفعل أتاه على جهالة ، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

ثم قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما قد بيناه قبلُ. وذلك أن قوله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾، خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون معنى، وكل هذه

(٢٧٥) أحمر
أسود

المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة، وذلك: ما عملوا من عمل بجهالة، و إحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم. وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه.

واستشهد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحة ما ذهب إليه الطبري بأدلة، فقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أن المراد: (لولا كتاب من الله سبق لهذه الأمة بإحلال الغنائم):

ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين[(١)]، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسا، لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة**».

وقال الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا**»[(٢)].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾ ﴾ فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء: أن الإمام مخير فيهم:

---

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) الطبري، والترمذي (٣٠٨٥)، وقد أشرت إليه قريبًا، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، من حديث الأعمش.

(٢٧٦) أحمر
أسود

إن شاء قتل -كما فعل ببني قريظة -وإن شاء فادى بمال -كما فعل بأسرى بدر -أو بمن أسر من المسلمين -كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ في معناه خمسة أقوال:

أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم فيما تعجلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجَّل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية.

والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنبا على جهالةٍ لعوقبتم روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، وقال ابن اسحاق: سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي ولم يكن نهاهم.

والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعُذِّبتم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجيح، عن مجاهد.

والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، ذكره الزجاج.

والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعُذِّبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه ما كتبه الله

(٢٧٧) أحمر
أسود

في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن.

والثاني: أنه بمعنى القضاء.

❁ ❁ ❁

إباحة الغنائم لأمة محمد ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – فكلوا يا أهل الإسلام، يا أصحاب رسول الله ﷺ مما غنمتموه يوم بدر، وغيره حلالًا فقد أحللنا لكم الغنائم، كلوه في حال كونه طيبًا مباحًا مستساغًا ليس بحرام ولا بخبيث واتقوا الله بمراعاة حدوده ولزوم شرعه، إن الله غفور لما صدر منكم، وغفور لذنوب كذلك، غفور لعباده يغفر لهم رحيم بهم في عدم إنزاله العذاب عليهم وررحيم بهم في إحلال الغنائم لهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر: ﴿ فَكُلُوا۟ ﴾، أيها المؤمنون ، ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾، من أموال المشركين ، ﴿حَلَٰلًا ﴾، بإحلاله لكم ، ﴿طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾، يقول: وخافوا الله أن تعودوا، أن تفعلوا في دينكم شيئا بعد هذه من قبل أن يُعْهَد فيه إليكم، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة، وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وتأويل الكلام: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾.

(٢٧٨) أحمر
أسود

ويعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾، لذنوب أهل الإيمان من عباده، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم، أن يعاقبهم بعد توبتهم منها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغنائم ولم يحلها لأمة قبلها.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع أموركم ولازموها، شكرا لنعم اللّه عليكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يغفر لمن تاب إليه جميع الذنوب،.ويغفر لمن لم يشرك به شيئا جميع المعاصي.

﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم، حيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالا طيبا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾؟

ج: هذا في أسارى بدر من أهل الشرك الذين أسرهم المسلمون يوم بدر. قال بعضهم لما طُلب منه الفداء، قال: إني كنت مُسلمًا ولكني أكرهت على الخروج معكم، وكان من هؤلاء القائلين بهذا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ لما أُسر وطُلب منه الفداء قال: إني كنت مُسلمًا، وقد وردت بذلك عدة آثار، وإن كان في أسانيدها مقال، إلا أنها تصح بمجموعها، والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ الذي أسرتموهم يوم بدر ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ إيمانًا وإسلامًا ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ يؤتكم ويعوِّض عليكم بأفضل مما أُخذ منكم من المال،

(٢٧٩) أحمر
أسود

ولذا فقد أصبح العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل الثراء بعد ذلك، وفضلًا عن ذلك ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما ارتكبتموه من الكفر والعناد وقتال رسول الله ﷺ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إذ فتح لكم باب التوبة والإنابة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي، قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾، من الفداء، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جُرْمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، لذنوب عباده إذا تابوا، ﴿رَّحِيمٌ﴾، بهم، أن يعاقبهم عليها بعد التوبة.

وذُكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول فيَّ نزلت هذه الآية.

قلت (مصطفى): وأورد الطبري وابن كثير عدة آثار تدل على أن العباس قال ذلك، وإن كان – كما أسلفت يها مقال – لكنها قد تصح بمجموع طرقها عند بعض أهل العلم.

فقد ذكر الطبري من خمسة وجوه عن ابن عباس ما مفاده أن العباس قال ذلك.

وأورد ابن كثير وجوهًا أُخر تؤيد ذلك.

ومما أورد الطبري قول:

ابن عباس، قال: قال العباس: فيّ نزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾، فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا، كلهم

(٢٨٠) أحمر
أسود

تاجر، مالي في يديه[١].

ومن وجه آخر عند الطبري أيضًا، وفيه مقالٌ:

ابن عباس قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ الآية، وكان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطاني الله خَصلتين، ما أحب أن لي بهما الدنيا: أني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية، فآتاني أربعين عبدًا، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله.

وأورد الطبري بإسناد حسن[٢]: عن قتادة قوله: ﴿قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ الآية، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ لما قدم عليه مالُ البحرين ثمانون ألفًا، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ شاكيًا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي، فأخذ. قال: وكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة.

وكما أسلفت فهنالك وجوه أُخر عن ابن عباس بهذا المعنى.

وأورد ابن كثير بسندٍ فيه مقال عن الزهري، عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله، قد كنت مسلما! فقال رسول الله ﷺ: «**الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابنيْ أخيك: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر**» قال: ما ذاك عندي يا رسول الله! قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها:

---

(١) وفي سنده ضعف من وجوه.

(٢) ولكنه مرسل.

(٢٨١) أحمر
أسود

إن أصبتُ في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبَني: الفضل، وعبد الله، وقُثم». قال: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغيرُ أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني: عشرين أوقية من مال كان معي فقال؟ رسول الله ﷺ: «**لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك**». ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله، ﷻ فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله ﷻ.

وأخرج البخاريم معلقًا[1]: قال وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنَ طَهْمَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: «**انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ**» فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي إِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي، وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، قَالَ: «**خُذْ**» فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: أْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: «**لا**» قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: «**لا**» فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ. فَقَالَ: فَمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ. قَالَ: «**لا**» قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: «**لا**» فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقال[2] **يعقوب بن سفيان حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن** حميد بن هلال قال: بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ من البحرين

(١) البخاري (معلقًا/ ٣٦٥١).
(٢) وانظر الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٢٩).

(٢٨٢) أحمر
أسود

ثمانين ألفا، ما أتاه مال أكثر منه لا قَبلُ ولا بَعدُ. قال: فنثرت على حصير ونودي بالصلاة. قال: وجاء رسول الله ﷺ، فمثل قائما على المال، وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عددٌ ولا وزنٌ، ما كان إلا قَبْضًا، [قال] وجاء العباس بن عبد المطلب يحثى في خَميصة عليه، وذهب يقوم فلم يستطع، قال: فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ارفع علي. قال: فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكه -أو: نابه -وقال له: «أعدْ من المال طائفة، وقم بما تطيق». قال: ففعل، وجعل العباس يقول -وهو منطلق -: أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا، وما ندري ما يصنع في الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾ الآية، ثم قال: هذا خير مما أخذ منا، ولا أدري ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله ﷺ مائلا على ذلك المال، حتى ما بقي منه درهم، وما بعث إلى أهله بدرهم، ثم أتى الصلاة فصلى.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جملتهم العباس عم رسول اللّه ﷺ،فلما طلب منه الفداء، ادَّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء،فأنزل اللّه تعالى جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ أي: من المال، بأن ييسر لكم من فضله، خيرا وأكثر مما أخذ منكم.

﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾ ذنوبكم، ويدخلكم الجنة وقد أنجز اللّه وعده للعباس وغيره، فحصل له - بعد ذلك - من المال شيء كثير،حتى إنه مرة لما قدم على النبي ﷺ مال كثير، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله.

(٢٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – إن يُرد بعض هؤلاء الذين قالوا: إنا كنا مسلمين بعض أن وقعوا في الأسر، عن يريدوا بهذا القول خيانتك وخداعك، فهذا شأنهم فقد خانوا الله من قبل، فأمكنك الله منهم يوم بدر، وجعلك مُمكنًا من رقابهم تقتلهم وتأسرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بقلوب العباد وبما تنطوي على صدورهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع وفي كل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم، ﴿خِيَانَتَكَ﴾، أي الغدر بك والمكرَ والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلافَ ما في نفوسهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾، يقول: فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر، وأمكن منهم ببدر المؤمنين، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ ﴾ أي: فيما أظهروا لك من الأقوال، ﴿ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل بدر بالكفر به، ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي: بالإسار يوم بدر، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بما يفعله، حكيم فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ ﴾ أي إن كان هذا القول منهم خيانة ومكرا ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ بكفرهم ومكرهم بك وقتالهم لك. وإن كان هذا القول منهم خيرا ويعلمه الله فيقبل منهم ذلك ويعوضهم خيرا مما خرج عنهم ويغفر لهم

(٢٨٤) أحمر
أسود

ما تقدم من كفرهم وخيانتهم ومكرهم». وجمع خيانة خيائن، وكان يجب أن يقال: خوائن لأنه من ذوات الواو، إلا أنهم فرقوا بينه وبين جمع خائنة. ويقال: خائن وخوان وخونة وخانة.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ يعني إن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم وقال ابن زيد فقد خانوا بخروجهم مع المشركين.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ في السعي لحربك ومنابذتك، ﴿ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ فليحذروا خيانتك، فإنه تعالى قادر عليهم وهم تحت قبضته، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عليم بكل شيء، حكيم يضع الأشياء مواضعها، ومن علمه وحكمته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة الجميلة، وأن تكفل بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة.

❁ ❁ ❁

النوايا الصالحة سبب في الخير

س: الله سبحانه وتعالى يثبت على ما في القلوب من خير دلِّل على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾.

وقوله تعالى في شأن أصحاب النبي ﷺ وما كان من أمرهم يوم الحديبية: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَا..﴾.

[الفتح: ١٧، ١٨]

(٢٨٥) أحمر
أسود

وقوله ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» والحب محله القلب كما هو معلوم إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ ❁ ❁

(٢٨٦) أحمر
أسود

قَالَ اللهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

[الأنفال: ٧٢-٧٥].

(٢٨٧) أحمر
أسود

شيءٌ من فضائل المهاجرين والأنصار

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- إن الذين آمنوا بالله ﷻ وصدقوا رسول الله ﷺ فشهدوا الا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ثم هاجروا لإقامة دينهم، ولإعلاء كلمة الله ﷻ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كملة الله، وهؤلاء هم المهاجرون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾ والذين استقبلوا هؤلاء المهاجرين في بلادهم وآووهم إليهم وناصروهم، وقاتلوا معهم لإعلاء كلمة الله، وهم الأنصار، هؤلاء الأنصار، وأولئك المهاجرون بعضهم أولياء بعض، بعض أنصارٌ لبعض، وبعضهم أتباع لبعض وأعوان لبعضهم البعض على أهل الشرك والكفر. هذا قول، وثمَّ قولٌ آخر حاصله أن قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ يرث بعضهم بعضًا دون قراباتهم الذين لم يسلموا، فكان في أولى أمر الهجرة، ولما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كان المهاجري يرث الأنصاري دون ي رحمه وكانوا يتوارثون بالأخوة التي أتى النبي ﷺ بينهم.

إذ آخى بين سلمان وأبي الدرداء على سبيل المثال وكذا بين عبد الرمن بن عوف وسعد بن الربيع وغير هؤلاء ثم إن هذا التوارث نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ ﴾ إلى أي مدينة رسول الله ﷺ ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ ما عليكم يا أهل الإسلام يا من هاجرتم، وما عليكم معشر الأنصار من نصرة هؤلاء الذين لم يهاجروا حتى يهاجروا، فإن هاجروا فلهم

(٢٨٨) أحمر
أسود

حق النصرة عليكم، وحق التوارث إذ كان التوارث مشروعًا[1]، أما إذا قاتلوا قومًا وطلبوا منكم نصرتهم، وكان بمقدوركم أن تنصروهم فانصروهم وقاتلوا معهم إلا إذا كان من يحاربهم قومٌ بينكم وبينهم عهود فلا تنقضوا العهود ولا المواثيق، والله بعملكم جميعًا بصير، وعليكم رقيب وشاهد، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾، يعني: هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم، يعني: تركوهم وخرجوا عنهم، وهجرهم قومهم وعشيرتهم، ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: بالغوا في إتعاب نفوسهم وإنصَابها في حرب أعداء الله من الكفار، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: في دين الله الذي جعله طريقا إلى رحمته والنجاة من عذابه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾، يقول: والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه، يعني: أنهم جعلوا لهم مأوًى يأوون إليه، وهو المثوى والمسكن، يقول: أسكنوهم، وجعلوا لهم من منازلهم مساكنَ إذ أخرجهم قومهم من منازلهم، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾، يقول: ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾، يقول: هاتان الفرقتان، يعني المهاجرين والأنصار، بعضهم أنصار بعض، وأعوان على من سواهم من المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار.

وقد قيل: إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض، وأن الله ورَّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة، دون القرابة والأرحام، وأن الله نسخ ذلك

---

(١) ثم نسخ التوارث الذي كان بين المهاجرين والأنصار وبقيت النصرة.

(٢٨٩) أحمر
أسود

بعدُ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، [سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦].

وأورد بإسنادٍ فيه مقال عن ابن عباس: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، يعني: في الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، يقول: ما لكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، [سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦]، في الميراث، فنسخت التي قبلها، وصار الميراث لذوي الأرحام.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا)، إلى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ قال: لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئًا، فنسخ ذلك بعد ذلك، فألحق الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦]، أي: من أهل الشرك، فأجيزت الوصية، ولا ميراث لهم، وصارت المواريث بالملل، والمسلمون يرث بعضهم بعضًا من المهاجرين والمؤمنين، ولا يرث أهل ملتين.

وبإسناد حسن عن السدي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، في الميراث، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾، وهؤلاء الأعراب، ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، في الميراث، ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يقول: بأنهم مسلمون، ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، في

(٢٩٠) أحمر
أسود

الميراث ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ ، ثم نسختها الفرائض والمواريث، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾. الذين توارثوا على الهجرة ، ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾ ، فتوارث الأعرابُ والمهاجرون.

وقال في تأويل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾. الذين صدقوا بالله ورسوله ، ﴿وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ ﴾. قومهم الكفار، ولم يفارقوا دارَ الكفر إلى دار الإسلام ، ﴿مَا لَكُم ﴾، أيها المؤمنون بالله ورسوله. المهاجرون قومَهم المشركين وأرضَ الحرب ، ﴿ مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾، يعني: من نصرتهم وميراثهم.

وقد ذكرت قول بعض من قال: «معنى الولاية، ههنا الميراث»، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعدُ.

﴿مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾، قومَهم ودورَهم من دار الحرب إلى دار الإسلام ، ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، يقول: إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا ، ﴿فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، يعني: بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين، ﴿فَعَلَيۡكُمُ ﴾، أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار، ﴿ٱلنَّصۡرُ إِلَّا ﴾ أن يستنصروكم ، ﴿ عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ ﴾ ، يعني: عهد قد وثَّق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾، يقول: والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضًا، أيها المهاجرون والأنصار، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم ، ﴿بَصِيرٞ ﴾، يراه ويبصره، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شيء.

(٢٩١) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين، خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاؤوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخَوَان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري[1]، عن ابن عباس.

قلت (مصطفى): لفظ البخاري بسنده إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ «وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» قَالَ: كَانَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْأَنْصَارِيُّ الْمُهَاجِرِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ قَالَ: نَسَخَتْهَا ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ الآية. [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

(١) البخاري (٦٧٤٧).

(٢٩٢) أحمر
أسود

وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الآية [الحشر: ٨، ٩].

وأحسن ما قيل في قوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ أي: لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك.

وقال:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ [قرأ حمزة: «ولايتهم» بالكسر، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدِّلالة والدَّلالة] ﴿ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بَوَاديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا في خُمسها إلا ما حضروا فيه القتال.

ووأورد ما أخرجه مسلم[1] من حديث بُرَيْدة بن الحُصَيب الأسلمي رضي الله عنه

قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال -أو: خلال- فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي

(١) أحمد (٥/ ٣٥٢)، ومسلم (١٧٣١).

(٢٩٣) أحمر
أسود

يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية. فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله ثم قاتلهم».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ يقول تعالى: وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني، على عدو لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروي عن ابن عباس، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ختم السورة بذكر الموالاة ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به. وقد تقدم معنى الهجرة والجهاد لغة ومعنى. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ معطوف عليه. وهم الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، وانضوى إليهم النبي ﷺ والمهاجرون. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ رفع بالابتداء. ﴿بَعْضُهُمْ ﴾ ابتداء ثان ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ خبره، والجميع خبر ﴿ إِنَّ ﴾. قال ابن عباس: ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ في الميراث، فكانوا يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث من آمن ولم يهاجر من هاجر فنسخ الله ذلك بقول: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ ﴾ الآية. أخرجه أبو داود. وصار الميراث لذوي الأرحام من المؤمنين. ولا يتوارث أهل ملتين شيئا. ثم جاء قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها**» على ما تقدم بيانه في آية المواريث. وقيل: ليس هنا نسخ، وإنما معناه في النصرة والمعونة، كما تقدم في «النساء». ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ابتداء والخبر ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ وقرأ يحيى

(٢٩٤) أحمر
أسود

بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿من وِلايتهم﴾ بكسر الواو. وقيل هي لغة. وقيل: هي من وليت الشيء، يقال: ولي بين الولاية. ووال بين الولاية. والفتح في هذا أبين وأحسن، لأنه بمعنى النصرة والنسب. وقد تطلق الولاية والولاية بمعنى الإمارة.

وقال: قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليه، ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته. ابن العربي: إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة، حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد. الزجاج: ويجوز ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ بالنصب على الإغراء.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها اللّه بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل اللّه، وتركوا أوطانهم للّه لأجل الجهاد في سبيل اللّه،وبين الأنصار الذين آووا رسول اللّه ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم،فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ فإنهم قطعوا

(٢٩٥) أحمر
أسود

ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال،فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء.لكنهم ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ والقتال معهم،وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ يعني الأنصار آووا رسول الله وأسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في النصرة. والثاني: في الميراث.

قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر وهو معنى قوله ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- وأهل الكفر والشرك والجحود لوحدانية الله ﷻ بعضهم أولياء بعض، قيل: بعضهم أعوان لبعض وقيل: بعضهم يرث بعضًا.

أي: أن الولاية فيها قولان:

أحدهما: أنها في التناصر (بعضهم ينصر بعضًا).

(٢٩٦) أحمر
أسود

والثاني: أنها في التوارث بعضهم يرث بعضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ فهو عائد أيضًا على عموم ما ذكر، وليس فقط ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ...﴾ إنما عائدٌ على ذلك وعلى ما قبله.

أن أهل الإيمان بعضهم يناصر بعضًا وبعضهم عونًا لبعض، وكذا فاعلموا أن أهل الكفر بعضهم يناصر بعضًا وبعضهم يعادون بعضًا إلا تفقهوا هذا يا أهل الإيمان، وإن لم تتناصروا مع المؤمنين وإن لم تفقهوا أن أهل الكفرينافق بعضهم بعضًا فستكن فتنة في الأرض.

نعم ستكون فتنة في الأرض إذا لم يوالي المؤمنون بعضهم بعضًا وسيكون الشر والفساد إذا لم يناصر بعضهم بعضًا.

وكذلك ستكون الفتنة والفصاد في الأرض إذا لم نتحيز عن الشرك وأهله ونعلم أن أهل الكفر ينافق بعضهم بعضًا، سنخدع ونخدع أنفسنا بجهلنا بهذا، وحينئذٍ سنفضي بأسرارنا إلى أهل الشرك وسنواليهم وستفضي تلك الموالاة لهم إلى الفتنة (التي فيها انصراف المسلمين عن دينهم) وستفضي أيضًا إلى الفساد الكبير في الأرض بالتمكين للمشركين.

هذا، والذي قالوا إن المراد التوارث قالوا: إلا تتركوا الكفار يرث بعضهم بعضًا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء فيما ذُكر، وبالله التوفيق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، بالله ورسوله، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، يقول: بعضهم أعوان بعض وأنصاره، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله.

وقد ذكرنا قول من قال: «عنى بذلك أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين».

(٢٩٧) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، إلى قوله: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، قال: كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذي ليس بمهاجر، لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين. قال: وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح، فلما كان يوم الفتح، وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالأرحام. وقال النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»، وقرأ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

وأورد أثرًا عن قتادة بذلك.

ثم قال:

وأما قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله.

فقال بعضهم: معناه: إلا تفعلوا، أيها المؤمنون، ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة، والأنصار بالإيمان، دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار، ﴿تَكُن فِتْنَةٌ﴾، يقول: يحدث بلاء في الأرض بسبب ذلك، ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، يعني: ومعاصٍ لله.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾، إلا تفعلوا هذا، تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون، ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾. قال: ولم يكن رسول الله ﷺ يقبل الإيمان إلا بالهجرة، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة.

قال الطبري:

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا تَناصروا، أيها المؤمنون، في الدين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

(٢٩٨) أحمر
أسود

ثم قال الطبري:

وأولى التأويلين بتأويل قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾، قول من قال: معناه: أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقامَ في دار الحرب وترك الهجرة، لأن المعروف في كلام العرب من معنى «الوليّ»، أنه النصير والمعين، أو: ابن العم والنسيب. فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه، إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده. وذلك معنى بعيد، وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك.

وإذ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن أولى التأويلين بقوله: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾، تأويلُ من قال: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين، تكن فتنة في الأرض، إذْ كان مبتدأ الآية من قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾. بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء، فكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

وقوله: ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين.

﴿ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ فإنه يحصل بذلك من الشر ما

(٢٩٩) أحمر
أسود

لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم. قال علماؤنا في الكافرة يكون لها الأخ المسلم: لا يزوجها، إذ لا ولاية بينهما، ويزوجها أهل ملتها. فكما لا يزوج المسلمة إلا مسلم فكذلك الكافرة لا يزوجها إلا كافر قريب لها، أو أسقف، ولو من مسلم، إلا أن تكون معتقة، فإن عقد على غير المعتقة فسخ إن كان لمسلم، ولا يعرض للنصراني. وقال أصبغ: لا يفسخ، عقد المسلم أولى وأفضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ الضمير عائد على الموارثة والتزامها. المعنى: إلا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون، قاله ابن زيد. وقيل: هي عائدة على التناصر والمؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي. ابن جريج وغيره: وهذا إن لم يفعل تقع الفتنة عنه عن قريب، فهو أكد من الأول.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في الميراث قاله ابن عباس.

والثاني: في النصرة قاله قتادة.

وفي قوله ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى الميراث فالمعنى إلا تأخذوا في الميراث بما

(٣٠٠) أحمر
أسود

أمرتكم قاله ابن عباس.

والثاني: أنه يرجع إلى التناصر فالمعنى إلا تتعانوا وتتناصروا في الدين قاله ابن جريج. وبيانه: أنه إذا لم يتولَّ المؤمن المؤمن توليًا حقًّا، ويتبرأ من الكافر جدًّا، أدَّى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين. فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

❁ ❁ ❁

س:ما مدى صحة هذا الحديث: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)؟

ج: الحديث ثابت في الصحيحين[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

تضعيف حديث:
«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»؟

ج: هذا حديث معلول ضعيف على الراجح لديَّ ثم إن فتنة متعقبٌ كذلك[2].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).
(٢) وقد أوضحت ذلك بما فيه كفاية بحمد الله في كتابي جامع أحكام النساء.

(٣٠١) أحمر
أسود

حديث:
أنا بريء من المسلم يعيش بين ظهراني المشركين

س: ما مدى صحة هذا الحديث وما معناه: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يَعِيشُ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ»[1]؟

ج: أما عن معناه – والله أعلم – فالمراد به أنا غير مسؤول عن أي شيء يحدث للمسلم الذي أثر ترك الهجرة فلم يهاجر وعاش بين المشركين، فإذا أصابه شيء فلست بمسؤول عنه، كما في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

أما عن صحة الحديث ففي سنده بعض المقال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: هذه بشريات لأهل الإيمان من المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله، وللأنصار، وثناءٌ عليهم، فيقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ وهم المهاجرون إلى مدينة رسول الله ﷺ لنصرته ولنصرة دينه ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء كلمة الله، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ هؤلاء المهاجرين وأسكنوهم وأكرموا منازلهم ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ الدين ونصروا رسول الله ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ حق الإيمان، فقد حققوا القلو بالعمل، واتبعوا النوايا الصالحة والإيمان الصادق بعمل صالحمع قولٍ صالح، فكانوا جديرين بأن يوصفوا بأنهم المؤمنون حقًّا، ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة جعلنا الله من أهلها.

---

(١) أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) وغيرهما.

(٣٠٢) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾، آوَوْا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًّا، لا من آمن ولم يهاجر دارَ الشرك، وأقام بين أظهر أهل الشرك، ولم يغزُ مع المسلمين عدوهم ، ﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾، يقول: لهم ستر من الله على ذنوبهم، بعفوه لهم عنها ، ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾، يقول: لهم في الجنة مطعم ومشرب هنيٌّ كريم، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجْوًا، ولكنه يصير رشحًا كرشح المسك

وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا: أن معنى قول الله: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في هذه الآية، وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾، إنما هو النصرة والمعونة، دون الميراث. لأنه جل ثناؤه عقّب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده، دون من لم يهاجر بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾، الآية، ولو كان مرادًا بالآيات قبل ذلك، الدلالةُ على حكم ميراثهم، لم يكن عَقِيبَ ذلك إلا الحثّ على إمضاء الميراث على ما أمر. وفي صحة ذلك كذلك، الدليلُ الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء، ولا منسوخ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، كما تقدم في أول السورة، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل

(٣٠٣) أحمر
أسود

لحسنه وتنوعه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين.

﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من اللّه تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ﴿وَ﴾ لهم ﴿رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم.

وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – والذين آمنوا وهاجروا من بعد المهاجرين الأولين، وجاهدوا معكم فأولئك منكم يا أهل الإيمان.

وقيل: هاجروا من بعد صلح الحديبية.

فأولئك منكم يا أهل الإيمان.

وقيل: في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: من بعد ما بينته لكم يا أهل الإيمان من حكم موالاة المؤمنين لبعضهم وحكم موالاة الكافرين لبعضهم، وخطر الإقامة في دين الشرك.

(٣٠٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، بالله ورسوله، من بعد تبياني ما بيَّنت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضًا، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾، دارَ الكفر إلى دار الإسلام، ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾، في الولاية، يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة، مثل الذي يجب لكم عليهم، ولبعضكم على بعض، كما:-

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم، إلى الأرحام التي بينهم، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾، أي: بالميراث، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ ﴾ يريد من بعد الحديبية وبيعة الرضوان. وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الأولى. والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصالح، ووضعت الحرب أوزارها نحو عامين ثم كان فتح مكة. ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا هجرة بعد الفتح**». فبين أن من آمن وهاجر من بعد يلتحق بهم. ومعنى ﴿مِنكُمْۚ﴾ أي مثلكم في النصر والموالاة.

❁ ❁ ❁

(٣٠٥) أحمر
أسود

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطيالسي من طريق[1] سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب.

وفي رواية سماك عن عكرمة مقال، لكن أخرج الطبري بسند صحيح عن عيسى بن الحارث: أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيَّة، فولدت منه جارية، فلما شبت الجارية زُوِّجت، فولدت غلامًا، ثم ماتت السرِّية، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها، فجعل شريح بن الحارث يقول: ليس له ميراث في كتاب الله! قال: فقضى شريح بالميراث للغلام. قال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير، فأخبره بقضاء شريح وقوله، فكتب ابن الزبير إلى شريح: «إن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا»، وقلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وإنه ليس كذلك، إنما نزلت هذه الآية: أنّ الرجل كان يعاقد الرجل يقول: «ترثني وأرثك»، فنزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾. فجاء بالكتاب إلى شريح، فقال شريح: أعتقها حيتان بطنها! وأبى أن يرجع عن قضائه.

فحسَّن بعض أهل العلم سبب النزول بالطريقين المتقدمين، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) الطيالسي (٢/ ١٩).

(٣٠٦) أحمر
أسود

س: من الذين عناهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾؟

ج: من العلماء من قال إن المراد بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أن أولي الأرحام هنا هم الذين ذكرهم الله ﷻ في آيات المواريث.

قالوا هؤلاء الذين ذُكروا في آيات المواريث يأخذون أنصبتهم دون غيرهم من الذين كان النبي ﷺ آخى بينهم، أي: أن النبي ﷺ كان قد آخى بين المهاجري والأنصاري فكان المهاجري يرث الأنصاري، والأنصاري يرث المهاجري دون ذوي رحمه، فأنزل الله آية المواريث فنسخت آيةُ المواريث التوارث بالتآخي[1] الذي كان بين المهاجري والأنصاري.

قالوا: فعليه إذا مات المهاجري فالذين يرثونه هم من ذكرهم الله في كتابه الكريم ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ ...﴾ إلى غير ذلك من آيات المواريث فيُعطى كل من له نصيب نصيبه، والباقي يرجع لبيت مال المسلمين.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بذوي الأرحام العصبات خاصة، والمراد قرابة الأب دون قرابة الأم.

قلت: وليعلم أن النبي ﷺ قال: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**».

وقال فريق ثالث من أهل العلم: إن الآية على عمومها فأوجبوا الميراث لذوي الأرحام إذا لم يوجد وارث بفرض أو تعصيب.

وهناك بعض الاختلافات الأُخر في كيفية توريثهم.

قال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(١) أي: ما يختص بالتآخي بين المهاجري والأنصاري من الميراث.

(٣٠٧) أحمر
أسود

لم يعين تعالى في هذه الآية الكريمة المراد بأولي الأرحام. واختلف العلماء في هذه الآية، هل جاء في القرآن ما يبين المراد منها أو لا. فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنها بينتها آيات المواريث. كما قدمنا نظيره في قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧].

قالوا: فلا إرث لأحد من أولي الأرحام غير من عينت لهم حقوقهم في آيات المواريث. وممن قال بهذا زيد بن ثابت، ومالك، والشافعي، والأوزاعي، وأبو ثور، وداود، وابن جرير وغيرهم. وقالوا: الباقي عن نصيب الورثة المنصوص على إرثهم لبيت مال المسلمين، واستدلوا بقوله ﷺ « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».

وخرَّج الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث ثم قال:

وقد قال بعض أهل هذا القول: المراد بذوي الأرحام العصبة خاصة، قالوا: ومنه قول العرب وصلتك رحم، يعنون قرابة الأب دون قرابة الأم، ومنه قول قتيلة بنت الحارث، أو بنت النضر بن الحارث:

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

فأطلقت الأرحم على قرابة بني أبيه، والأظهر على القول بعدم التوريث، أن المراد بذوي الأرحام القرباء، الذين بينت حقوقهم بالنص مطلقًا.

وأورد بعض الأحاديث الضعيفة ثم قال:

وقال جماعة من أهل العلم: لا بيان للآية من القرآن، بل هي باقية على عمومها، فأوجبوا الميراث لذوي الأرحام.

وضابطهم: أنهم الأقارب الذين لا فرض لهم ولا تعصيب.

وهم أحد عشر حيزًا:

(٣٠٨) أحمر
أسود

١- أولاد البنات. ٢- وأولاد الأخوات.
٣- وبنات الإخوة. ٤- وأولاد الأخوة من الأم.
٥- والعمات من جميع الجهات. ٦- والعم من الأم.
٧- والأخوال. ٨- والخالات.
٩- وبنات الأعمام. ١٠- والجد أبو الأم.
١١- وكل جدة أدلت بأب بين أمين، أو بأب أعلى من الجد.

فهؤلاء، ومن أدلى لهم يسمون ذوي الأرحام.

وممن قال بتوريثهم. إذا لم يوجد وارث بفرض أو تعصيب - إلا الزوج والزوجة - الإمام أحمد.

قلت: وذكره الشنقيطي عن عددٍ من أهل العلم وأورد له بعض الاستدلالات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ابتداء. والواحد ذو، والرحم مؤنثة، والجمع أرحام. والمراد بها ههنا العصبات دون المولود بالرحم. ومما يبين أن المراد بالرحم العصبات قول العرب: وصلتك رحم. لا يريدون قرابة الأم.

ثم قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف السلف ومن بعدهم في توريث ذوي الأرحام - وهو من لا سهم له في الكتاب - من قرابة الميت وليس بعصبة، كأولاد البنات، وأولاد الأخوات وبنات الأخ، والعمة والخالة، والعم أخ الأب للأم، والجد أبي الأم، والجدة أم الأم، ومن أدلى بهم. فقال قوم: لا يرث من لا فرض له من ذوي الأرحام.

وأورد القرطبي أقوالًا أُخر.

(٣٠٩) أحمر
أسود

قلت: ومحل بسط الخلاف في هذه المسألة أبواب الفقه والفرائض وبالله التوفيق، أما عن تفسير الآية إجمالًا فانظر السؤال الآتي والإجابة عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأولوا الأرحام الذين قد بُيِّنت أنصبتهم في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسول الله ﷺ وقامت على توريثه الأدلة، هؤلاء أولى بالميراث من المهاجرين والأنصار، بمعنى أن ورثة المهاجري المذكورون في الكتاب والسنة والذين قامت الأدلة على توريثهم أولى بالميراث من الأنصاري الذي كان يرث المهاجري بالمؤاخاة التي آخى بينهم رسول الله ﷺ، وكذا ورثة الأنصاري أولى به من المهاجري، فعليه فنسخ التوارث الذي كان بين المهاجري والأنصاري وبقي التناصر، وبقي التوادد.

أما قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ فقيل في معناه: في حكم الله، وقيل: في اللوح المحفوظ، الذيع ند الله، وقيل: بل في القرآن، إذ قد بين الله كلٍّ، أما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ نعم عليمٌ ربي بكل شيء، وبالذي ينفع عباده ولذا شرع لهم ما شرع من الأحكام والمواريث التي تنفعهم فلا اعتراض على ما شرع فهو يعلم من خلق ويشرع لهم ما يريد، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والمتناسبون بالأرحام، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، في الميراث، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبًا وحظًّا، من الحليف والولي، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من

(٣١٠) أحمر
أسود

القضاء ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾، يقول: إن الله عالم بما يصلح عباده، في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب، دون الحلف بالعقد، وبغير ذلك من الأمور كلها، لا يخفى عليه شيء منها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل اللّه. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم .

فهذه الموالاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل اللّه ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾ فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض،فإن لم يكونوا، فأقرب قراباته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة،وقوله: ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾ أي: في حكمه وشرعه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ ﴾ أي: في حكم الله، وليس المراد بقوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة، الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة، بل يُدْلون بوارث، كالخالة، والخال، والعمة، وأولاد البنات، وأولاد الأخوات، ونحوهم، كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية، ويعتقد ذلك صريحا في المسألة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات. كما نص ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن،

(٣١١) أحمر
أسود

وقتادة وغير واحد: على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أو لا وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص. ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصِيَّة لوارث»، قالوا: فلو كان ذا حق لكان له فرض في كتاب الله مسمى، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا، والله أعلم.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي في المواريث بالهجرة. قال ابن عباس: آخى رسول النبي الله ﷺ بين أصحابه وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية فتوارثوا بالنسب.

قوله تعالى ﴿في كتاب الله﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه القرآن وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة النساء.

والثالث: أنه حكم الله ذكره الزجاج.

❁ ❁ ❁

(٣١٢) أحمر
أسود

(٣١٣) أحمر
أسود

تفسير سورة التوبة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ فَسِيحُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢
وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ
مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم
مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ
عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ
مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾

[التوبة: ١-٦].

(٣١٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بَرَآءَةٌ - عَٰهَدتُّم - فَسِيحُواْ - غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۙ - مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ - وَأَذَٰنٞ - يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ - بَرِيٓءٞ - تُبۡتُمۡ - تَوَلَّيۡتُمۡ - يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ - ٱنسَلَخَ - ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ - وَٱحۡصُرُوهُمۡ - كُلَّ مَرۡصَدٖۚ - فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ - ٱسۡتَجَارَكَ - أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بَرَآءَةٌ)	تبرؤ من العهود والمواثيق السابقة – تبرؤ مما سيحدث لهم
(عَٰهَدتُّم)	كانت بينكم وبينهم عهود ومواثيق
(فَسِيحُواْ)	سيروا آمنين مطمئنين مقبلين ومدبرين
(غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۙ)	غير فائتين من الله وعقابه – لن تعجزوا ربكم
(مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ)	مذلٌ ومهين
(وَأَذَٰنٞ)	إعلامٌ وإخبارٌ
(يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ)	يوم النحر، وقيل: يوم عرفة
(بَرِيٓءٞ)	متبرؤ
(تُبۡتُمۡ)	رجعتم عن الشرك إلى الإسلام والتوحيد
(تَوَلَّيۡتُمۡ)	أعرضتم عن الإيمان
(يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ)	يعاونوا عليكم أحدًا
(ٱنسَلَخَ)	مضت – انقضت – انتهت

(٣١٥) أحمر
أسود

(ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ)	قيل: إنها الأشهر الحرم الأربعة (ذو القعدة وذو الحجة وشهر الله المحرم ورجب) ولكن انسلاخها يكون بانتهاء شهر الله المحرم وقيل: إنها أشهر الأمان التي قال الله فيها لأهل الشرك ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أي: من بداية التأذين ببراءة يوم النحر ولمدة أربعة اشهر
(كُلَّ مَرْصَدٍۚ)	كل مكان ترصدونهم وترقبونهم فيه
(فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ)	فاتركوهم ولا تعترضوهم بسوء
(ٱسْتَجَارَكَ)	طلب منك أن تجعله في جوارك استأمنك على نفسه طلب منك الأمان كي يسمع القرآن ويتعرف على معانيه
(أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ)	وصلِّه إلى المكان الذي يأمن فيه على نفسه

❁ ❁ ❁

(٣١٦) أحمر
أسود

بعض أسماء سورة براءة

س: اذكر بعض أسماء هذه السورة المباركة؟

ج: من أشهر أسمائها، التوبة، وبراءة وهذا كثيرًا ما يحدث في عددٍ من السور تتسمى السورة باسم، وتتسمى أيضًا بمطلعها كسورة السجدة، ويطلق عليها آلم تنزيل، وسورة البينة ويطلق عليها لم يكن، وسورة النبأ، ويطلق عليها (عم) إلى غير ذلك.

ثم إن العلماء ذكروا لهذه السورة أسماء أخر.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب. قاله حذيفة. والرابع: المقشقشة. قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين. قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين. قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة؛ لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم. قاله الحاث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم. قاله قتادة. والتاسع: الحافرة؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. قاله الزجاج.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم تثبت السملة (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول هذه السورة كما أثبتت في غيرها؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن جبريل عليه السلام لم ينزل بها في هذه السورة.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن أورد وجوهًا:... والصحيح أن التسمية لم

تكتب لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة.

الثاني: وهو راجع في معناه إلى الأول في الجملة أن قصتها شبيهةٌ بقصة سورة الأنفال فاختلفوا هل هما سورة واحدة أم سورتان فميزوا بينهما لقول من قال إنهما سورتان، وحذفوا البسملة لقول من قال إنهما سورة واحدة.

وقد ورد بهذا حديث أخرجه الترمذي وغيره[1] في سنده ضعف من طريق يزيد الفارسي، أخبرني ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتموها في السبع الطّوّل، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو يُنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيءُ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذْكر فيها كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية فيقول: «ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها وحَسِبْتُ أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فوضعتها في السبع الطول.

القول الثالث: (من أسباب سقوط البسملة):

أن العرب كان من شأنهم في الجاهلية أنهم إذا كان بينهم وبين قوم عهدٌ فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابًا ولم يكتبوا فيه بسملةٌ، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي والمشركين بعث بها النبي ﷺ علي بن أبي

---

(١) الترمذي (٣٠٨٦)، وأحمد (١/ ٥٧)، وأبو داود (٧٨٦)...وغيرهم، ويزيد الفارسي ضعيف.

(٣١٨) أحمر
أسود

طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

القول الرابع: أن البسملة سقطت لما في السورة من تهديد ووعيد وبيانٌ لفضائح أهل الشرك ومخازيهم[1].

الخامس: أن أول سورة براءة نسخ تلاوة فنسخت معه البسملة.

السادس: لكون أهل الشرك ردوا البسملة في صلح الحديبية، فلم تكرر هاهنا. وهنالك أقوال أُخر في هذا الصدد.

❁ ❁ ❁

براءة آخر من نزل من القرآن

س: هل ورد أن سورة براءة آخر ما نزل من السور؟

ج: نعم قد ورد ما يفيد ذلك أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده إلى ابي إسحاق؛ قال: سمعت البراء يقول: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، وآخر سورة نزلت براءة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – هذه براءةٌ من الله ورسوله، أي: تبرؤ من العهود

---

(١) نقل ابن الجوزي في زاد المسير عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: لِمَ لَمْ تكتبوا في براءة «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: يا بني إن براءة نزلت بالسيف وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان. وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين.

(٢) البخاري (٤٦٥٤، ٤٣٦٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٣١٩) أحمر
أسود

التي عاهد رسول الله ﷺ المشركين عليها، فهي إخبارٌ بأن العهود التي عاهد رسول الله ﷺ عليها أهل الشرك منقوضةٌ.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ المراد: الذين عاهدهم رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ هو الذي كان يُبرم العقود والعهود مع أهل الشرك.

والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾، هذه براءة من الله ورسوله.

فـ«براءة»، مرفوعة بمحذوف، وهو «هذه»، كما قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾، [سورة النور: ١]، مرفوعة بمحذوف هو «هذه».

وأورد قولًا آخر ثم علل اختياره الذي ذكره بقوله:

لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلِّ معاين نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين، «هذا» و«هذه»، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسنَ: «حسن والله»، والقبيحَ: «قبيح والله»، يريدون: هذا حسن والله، وهذا قبيح والله، فلذلك اخترت القول الأول.

وقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾، والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله ﷺ من المشركين، لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله ﷺ، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله ﷺ أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقودَ النبي ﷺ على أمته كانت عقودهم، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلِّمين، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم، فلذلك قال: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، لما كان من عقد رسول الله ﷺ وعهده.

(٣٢٠) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعني إلى الذين عاهدهم رسول الله ﷺ لأنه كان المتولي للعقود وأصحابه بذلك كلهم راضون فكأنهم عاقدوا وعاهدوا فنسب العقد إليهم. وكذلك ما عقده أئمة الكفر على قومهم منسوب إليهم محسوب عليهم يؤاخذون به إذ لا يمكن غير ذلك فإن تحصيل الرضا من الجميع متعذر فإذا عقد الإمام لما يراه من المصلحة أمرا لزم جميع الرعايا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هذه براءة من اللّه ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق.

وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن الله يتعين أن يتمم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قال المفسرون والبراءة هاهنا قطع الموالاة، وارتفاع العصمة وزوال الأمان والخطاب في قوله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ والمراد رسول الله ﷺ لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة وأصحابه راضون فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضا وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

(٣٢١) أحمر
أسود

س: وضح ما قد يبدو للبعض أن به تعارض أو أن بينه اختلاف، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾.

فالأُولى أَقَدُ المشركين فيها أربعة أشهر.

والثانية: أنه يتم إليهم العهد إلى مدته.

والثالثة: أمدها انقضاء الأشهر الحرم فكيف التوفيق؟

ج: للإجابة على هذا وإيضاحه أقول مستعينًا بالله ﷻ:

إن أهل الشرك كانوا من رسول الله ﷺ على أقسام:

* قسمٌ منهم عاهده النبي ﷺ عهودًا توفى للنبي ﷺ بهذه العهود ولم يغدر ولم تظهر منه بوادر الخيانة ولا الغدر، ولم يعاون أحدًا على رسول الله ﷺ، فهذا القسم يفي لهم رسول الله ﷺ بعهدهم وإن كان أمد العهد طويلًا، وهؤلاء، والله أعلم هم الذين عناهم الله بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

فأمر النبي ﷺ أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم.

** وقسم ثان لم يعاهده النبي ﷺ أية عهود ولم يعقد معه أية عقو ولم يلتزم لهم بأية التزامات، فهؤلاء أُجِّلوا إلى انقضاء الأشهر الحرم التي نهايتها انتهاء شهر الله المحرم.

قال بعض العلماء: وهم الذين عناهم الله بقوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.

(٣٢٢) أحمر
أسود

*** وقسم ثالث عاهدهم النبي ﷺ عهودًا لكن أمدها أقل من أربعة أشهر أي: إن وقت الهدنة ينتهي قبل أربعة أشهر فهؤلاء وقت انقضاء العهد معهم فيه قولان:

أحدهما: أن وقت انقضاء عهدهم هو المنصوص عليه في الاتفاقيات، إلا إذا كان الانقضاء في الأشهر الحرم فينتظر بهم إلى انقضاء الأشهر الحرم.

والثاني: أن وقت انقضاء عهدهم يمتد إلى أربعة أشهر، لقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

**** أما القسم الرابع من أقسام المشركين فهم قوم من أهل الشرك كان بينهم وبين رسول الله ﷺ معاهدات أمدها ينتهي بعد أربعة أشهر، ولكنهم ظهرت منهم بوادر الخيانة والغدر وظاهروا (أي عاونوا) المشركين على رسول الله ﷺ وسعوا في نقض العهد فهؤلاء يُمهلوا أربعة أشهرٍ كحد أقصى وبعد ذلك يقاتلوا.

ولعل هؤلاء يدخلون في المشار إليهم بقول تعالى في سورة الأنفال، وإما تخافن لله قومٍ خيانةٍ فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

هذا الذي يتراءى لي في هذه الآيات الكريمات المباركات، والله أعلم بالصواب من تأويل كتابه العزيز.

وها هي أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف أهل التأويل فيمن بَرِئَ الله ورسوله إليه من العهد الذي كان بينه وبين رسول الله من المشركين، فأذن له في السياحة في الأرض أربعة أشهر.

فقال بعضهم: هم صنفان من المشركين: أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله ﷺ أقلَّ من أربعة أشهر، وأمْهِل بالسياحة أربعة أشهر =

(٣٢٣) أحمر
أسود

والآخر منهما: كانت مدة عهده بغير أجل محدود، فقُصِر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين، يقتل حيثما أدرك ويؤسَرُ، إلا أن يتوب.

وقال آخرون: بل كان إمهالُ الله ﷻ بسياحة أربعة أشهر، مَنْ كان من المشركين بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد، فإنما كان أجله خمسين ليلة، وذلك عشرون من ذي الحجة والمحرم كله. قالوا: وإنما كان ذلك كذلك، لأن أجَل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم، كما قال الله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، الآية [سورة التوبة: ٥]. قالوا: والنداء ببراءة، كان يوم الحج الأكبر، وذلك يوم النحر في قول قوم، وفي قول آخرين يوم عرفة، وذلك خمسون يوما. قالوا: وأما تأجيل الأشهر الأربعة، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ من يوم نزلت «براءة». قالوا: ونزلت في أول شوّال، فكان انقضاء مدة أجلهم، انسلاخ الأشهر الحرم. وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول: ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدًا -أعني الذي له العهد، والذي لا عهد له- غير أن أجل الذي كان له عهد كان أربعة أشهر، والذي لا عهد له انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك انقضاء المحرم.

وقال آخرون: كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم، وقتًا واحدًا. قالوا: وكان ابتداؤه يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر.

وقال آخرون ممن قال: «ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدًا». كان ابتداؤه يوم نزلت «براءة»، وانقضاء الأشهر الحرم، وذلك انقضاء المحرم.

(٣٢٤) أحمر
أسود

وأورد الطبري آثارًا لكل قول، وإن كانت هذه الآثار لا تخلو أسانيدها من مقال.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: الأجلُ الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله ﷺ، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته. فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾، [سورة التوبة: ٤]

فإن ظنّ ظانٌّ أن قول الله تعالى ذكره: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، [سورة التوبة: ٥]، يدلُّ على خلاف ما قلنا في ذلك، إذ كان ذلك ينبئ على أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم، قتْلَ كل مشرك، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تبين عن صحة ما قلنا، وفسادِ ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك، كان له عهد من رسول الله ﷺ، أو لم يكن له منه عهد، وذلك قوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾، [سورة التوبة: ٧]، فهؤلاء مشركون، وقد أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم، ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم، وترك مظاهرة عدوهم عليهم.

وبعدُ، ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله ﷺ: أنه حين بعث عليًّا رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم، أمره فيما أمره أن ينادي به

(٣٢٥) أحمر
أسود

فيهم: «ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته»، أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا. وذلك أن الله لم يأمر نبيه ﷺ بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود. فأما من كان أجل عهده محدودًا، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فإن رسول الله ﷺ كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورًا. وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب.

ثم أورد جملة من الأحاديث والآثار الأُخر منها الصحيح، ومنها الضعيف ثم قال:

فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا، وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا. فأما من كان عهده إلى مدة معلومة، فلم يجعل لرسول الله ﷺ وللمؤمنين لنَقْضِه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فإن رسول الله ﷺ قد وَفَى له بعهده إلى مدته، عن أمر الله إياه بذلك. وعلى ذلك دلّ ظاهرُ التنزيل، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول ﷺ.

وأما الأشهر الأربعة، فإنها كانت أجلَ من ذكرنا. وكان ابتداؤها يوم الحج الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جُعِل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم، فيها، السياحةُ في الأرض، يذهبون حيث شاؤوا، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب.

فإن قال قائل: فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت، فما وجه قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، [سورة التوبة: ٥]. وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرّم، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله

(٣٢٦) أحمر
أسود

كان أربعة أشهر، وإنما بين يوم الحجّ الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يومًا أكثرُه، فأين الخمسون يومًا من الأشهر الأربعة؟

قيل: إن انسلاخَ الأشهر الحرم، إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله ﷺ، والأشهر الأربعة لمن له عهد، إما إلى أجل غير محدود، وإما إلى أجل محدود قد نقضه، فصار بنقضه إياه بمعنى من خِيف خيانته، فاستحقّ النبذ إليه على سواء، غير أنه جُعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر. ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة، ويصفهم بأنهم أهل عهد: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية؟ ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وبإتمام عهد الذين لهم عهد. إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين، وإدخال النقص فيه عليهم.

فإن قال قائل: وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر، دون أن يكون كان من شوال على ما قاله قائلو ذلك؟

قيل له: إن قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول «براءة»، وذلك غير جائز أن يكون صحيحًا، لأن المجعول له أجلُ السياحة إلى وقت محدود. إذا لم يعلم ما جُعل له، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه، فكمن لم يجعل له ذلك، لأنه إذا لم يعلم ما له في الأجل الذي جُعل له وما عليه بعد انقضائه، فهو كهيئته قبل الذي جُعل له من الأجل. ومعلوم أن

(٣٢٧) أحمر
أسود

القوم لم يعلموا بما جُعل لهم من ذلك، إلا حين نودي فيهم بالموسم. و إذا كان ذلك كذلك. صحَّ أن ابتداءه ما قلنا، وانقضاءه كان ما وصفنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف المفسرون ها هنا اختلافا كثيرا، فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقَّت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ [التوبة:٤] ولما سيأتي في الحديث: «**ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته**». وهذا أحسن الأقوال وأقواها، وقد اختاره ابن جرير، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورُوي عن الكلبي ومحمد بن كعب القُرَظِيّ، وغير واحد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فأما سبب نزولها فقال المفسرون أخذت العرب تنقض عهودا بنتها مع رسول الله ﷺ فأمره الله تعالى بالقاء عهودهم إليهم فأنزل براءة في سنة تسع فبعث رسول الله أبا بكر أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة وبعث معه صدرا من براءة ليقرأها على أهل الموسم فلما سار دعا رسول الله ﷺ عليا فقال: (اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس بذلك) فخرج علي على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله أنزل في شأني شيء قال: «**لا ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار وأنك صاحبي على الحوض**» قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحج وسار علي ليؤذن ب براءة.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان مؤيدًا قول الطبري...

ويؤيده حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ، بعثه حين أنزلت « براءة » بأربع:

(٣٢٨) أحمر
أسود

ألا يطوف بالبيت عريان.

ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا. ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته.

ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة.

❁ ❁ ❁

س: بداية الأربعة أشهر التي قال الله ﷻ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ تبدء من متى؟

ج: تبدأ منذ أن أُذنَّ في الناس ببراءة، وذلك يوم الحج الأكبر، وسيأتي بيانه هل هو يوم عرفة أم أنه يوم النحر، وهو شهور هلالية عربية كما هو معلوم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾)؟

ج: المعنى – والله أعلم – فسيروا في الأرض يا أهل آمنين مطمئنين ذاهبين وآيبين لمدة أربعة اشهر لن تعترضوا بسوء ولن تصابوا من نبينا بمكروه واعلموا أنكم وإن تركناكم هذه المدة وأنتم على كفركم فلن تهربوا من ربكم ولن يعجز عنكم ربكم ﷻ، لن تعجزوه إذا أراد إدراككم، واعلموا أن الله مذلٌّ ومهينٌ لأهل الكفر.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾، فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ قبل نزول هذه الآية: اعلموا، أيها المشركون، أنكم إن سحتم في الأرض، واخترتم ذلك مع كفركم بالله. على

(٣٢٩) أحمر
أسود

الإقرار بتوحيد وتصديق رسوله ، ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾، يقول: غير مُفِيتيه بأنفسكم، لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض، ففي قبضته وسلطانه، لا يمنعكم منه وزيرٌ، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقلٌ ولا موئل. إلا الإيمان به وبرسوله. والتوبة من معصيته. يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لا تنفعكم.

وأما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾، يقول: واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين، ومُورثهم العارَ في الدنيا، والنارَ في الآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب أي قل لهم سيحوا أي سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا أسر. يقال ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا ومنه السيح في الماء الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلا أمامي تسيح

❁ ❁ ❁

المراد بيوم الحج الأكبر

س: ما المراد بيوم الحج الأكبر؟

ج: ذهب كثيرون من أهل العلم إلى أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، وهو يوم العاشر من ذي الحجة، ومن أهل العلم من قال: إنه يوم عرفة، وهذان أقوى الأقوال في الباب وإن كانت هنالك أقوال أُخر لا وجه لها ولم يقل بها ككبير قائل.

أما حجج القائلين بأنها يوم النحر فمنها.

(٣٣٠) أحمر
أسود

ما أخرجه البخاري[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي الْمُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدٌ: ثُمَّ أَرْدَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ بِبَرَاءَةَ وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وفي رواية أخرى عند البخاري[٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ يُؤَذِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وأورد الطبري آثارًا أُخرى كثيرة جدًّا في الباب للقائلين بأنه يوم النحر وللقائلين بأنه يوم عرفة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال، أخبرنا حيوة بن شريح قال، أخبرنا أبو صخر: أنه سمع أبا معاوية البجليّ من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن «يوم الحج الأكبر» فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقيم للناس الحج، وبعثني معه بأربعين آية من براءة، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إليّ، فقال: قم، يا علي وأدِّ رسالة رسول الله ﷺ! فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من «براءة»، ثم صدرنا، حتى أتينا مِنًى، فرميت الجمرة ونحرتُ البدنة، ثم حلقت رأسي، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم

(١) البخاري (٤٦٥٥).
(٢) البخاري (٣١٧٧).

(٣٣١) أحمر
أسود

عرفة، فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم. فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر، ألا وهو يوم عرفة.

وهذا يمكن أن يجمع به بين الأقوال لكن إن سلم سنده.

وأخرج الإمام أحمد[1] بسندٍ صحيح عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةٌ. فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: كُنَّا نُنَادِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَإِنَّ أَجَلَهُ أَوْ أَمَدَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرِ فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَحُجُّ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، قَالَ: فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي.

وقال الشعبي: حدثني مُحَرر بن أبي هريرة، عن أبيه قال: كنت مع ابن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ ينادي، فكان إذا صَحل ناديتُ. قلت: بأي شيء كنتم تنادون؟ قال: بأربع: لا يطوف بالكعبة عريان، ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد عامنا مشرك.

قال الطبري: وأخشى أن يكون وهما من بعض نقلته لأن الأخبار المتظاهرة في الأجل بخلافه.

وأخرج الإمام أحمد[2] بسندٍ صحيح عَنْ سِمَاكٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بِبَرَاءَةٌ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَا الْحُلَيْفَةِ قَالَ: «**لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» فَبَعَثَ بِهَا مَعَ عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) أحمد (٢/ ٢٩٩).
(٢) أحمد (٣/ ٢٨٣)، ولكن هناك وجوه أخر عن سماك. وأخشى أن يكون اختلافًا على سماك.

(٣٣٢) أحمر
أسود

وعلى كلٍّ فأكثر الأقوال على أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، وهذا اختيار الطبري وابن كثير وغيرهما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قولُ من قال: «يوم الحج الأكبر، يوم النحر»، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ أن عليًّا نادى بما أرسله به رسول الله ﷺ من الرسالة إلى المشركين، وتلا عليهم «براءة»، يوم النحر. هذا، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم النحر: أتدرون أيّ يوم هذا؟ هذا يوم الحج الأكبر.

وبعدُ، فإن «اليوم» إنما يضاف إلى المعنى الذي يكون فيه، كقول الناس: «يوم عرفة»، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة، و«يوم الأضحى»، وذلك يوم يضحون فيه = «ويوم الفطر»، وذلك يوم يفطرون فيه. وكذلك «يوم الحج»، يوم يحجون فيه، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر، لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوفُ بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج. فأما يوم عرفة، فإنه وإن كان الوقوف بعرفة، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر، والحج كله يوم النحر.

وأما ما قال مجاهد: من أن «يوم الحج»، إنما هو أيامه كلها، فإن ذلك وإن كان جائزًا في كلام العرب، فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه، بل أغلبُ على معنى «اليوم» عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد. وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتابُ بلسانه.

❁ ❁ ❁

(٣٣٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وإعلام وإخبار من الله ﷻ ورسوله ﷺ بامر ربه إلى الناس يوم الحج الأكبر – الذي هو يوم النحر على رأي الأكثرين – أن الله ﷻ بريءٌ من أهل الشرك، وكذا رسوله ﷺ بريءٌ من العهود التي كانت بينه وبين أهل الشرك، ولا يوصف رسوله بغدرٍ فقد نبذ إليهم العهود والمواثيق من الآن ولأمدٍ محددٍ حتى تكونوا أنتم وهم على علم بأن بعضكم حربٌ لبعض.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ من شرككم ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ من بقائكم على الكفر والشرك ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ﴾ لن تفوتوا ربكم، ولن يعجز عن إدراككم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بعذاب مؤلم موجع وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾، فإن معناه: أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله، بعد هذه الحجة.

ومعنى الكلام: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر: أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان.

وقال في تأويل قوله: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾، من كفركم، أيها المشركون، ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له – دون الآلهة والأنداد – فالرجوع إلى ذلك

(٣٣٤) أحمر
أسود

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله وأبيتم إلا الإقامة على شرككم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾، يقول: فأيقنوا أنكم لا تُفِيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد، على إقامتكم على الكفر، كما فعل بمن قبلكم من أهل الشرك من إنزال نقمه به، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقول: واعلم، يا محمد، الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم، ﴿بِعَذَابٍ﴾، موجع يحلُّ بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وإعلام ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وتَقَدُّم وإنذار إلى الناس، ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكثرها جمعا ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أي: بريء منهم أيضا.

ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: استمررتم على ما أنتم عليه ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ بل هو قادر، وأنتم في قبضته، وتحت قهره ومشيئته، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: في الدنيا بالخزي والنَّكال، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

نصر اللّه رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار.

فأمر النبي مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن اللّه بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا،

(٣٣٥) أحمر
أسود

وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة.

وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة -يوم النحر- ابن عم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم رغب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ ﴾ أي: فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر أن يسلط عليكم عباده المؤمنين. ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ أي: مؤلم مفظع في الدنيا بالقتل والأسر، والجلاء، وفي الآخرة، بالنار، وبئس القرار.

أي هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أطلق عليه ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وما المراد بالحج الأكبر؟

ج: لأهل اللعم في ذلك أقوال:

أحدها: لأنه اجتمع فيه عيد المسلمين مع عيد اليهود والنصارى، وحج المسلمين مع حج المشركين.

الثاني: أنه أطلق عليه يوم الحج الأكبر لكون أكثر أعمال الحج فيه، هذا، ومن العلماء من قال الحج الأكبر هو الحج والحج الأصغر هو العمرة.

وثمَّ قول لا مستند له، وأراه بعيدًا عن الصواب، وهو قول من قال إن الحج الأكبر هو القران، والحج الأصغر هو الإفراد.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: «الحج الأكبر، الحج»، لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها، فقيل له: «الأكبر»،

(٣٣٦) أحمر
أسود

لذلك. وأما «الأصغر» فالعمرة، لأن عملها أقل من عمل الحج، فلذلك قيل لها: «الأصغر»، لنقصان عملها عن عمله.

❁ ❁ ❁

الوفاء بالعهود حتى مع أهل الشرك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

ج: استثنى من التبرؤ من العهود والإمهال إلى أربعة أشهر أهل الشرك الذين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهودٌ ومواثيق أكثر من أربعة أشهر، ومع ذلك فلم تصدر منهم بوادر خيانات ولا غدر فهؤلاء أتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ما داموا أوفياء بالعهود ولم يتعاونوا مع غيرهم من الكفار عليكم فأتموا إلى هؤلاء عهودهم إلى المدد المتفق عليها معهم أيًّا كانت هذه المدد، إن الله يحب المتقين الذين يتقون الشرك بالله، ويتقون نقص العهود والمواثيق.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾، إلا من عَهْدِ الذين عاهدتم من المشركين، أيها المؤمنون، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾، من عهدكم الذي عاهدتموهم، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾، من عدوكم، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم، ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال، ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ ﴾، يقول: فَفُوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ولا تنصبوا لهم حربًا إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، يقول: إن الله يحب من اتقاه بطاعته، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

(٣٣٧) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾، الآية، قال: هم مشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله ﷺ زمن الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر. فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر، لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت، فأجله، أربعة أشهر، يسيح في الأرض، يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت، فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، وقد تقدمت الأحاديث: «ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته» وذلك بشرط ألا ينقض المعاهد عهده، ولم يظاهر على المسلمين أحدا، أي: يمالئ عليهم من سواهم، فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده إلى مدته؛ ولهذا حرض الله تعالى على الوفاء بذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ أي: الموفين بعهدهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في موضع نصب بالاستثناء المتصل، المعنى: أن الله بريء من المشركين إلا من المعاهدين في مدة عهدهم. وقيل: الاستثناء منقطع، أي أن الله بريء منهم ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فأتموا إليهم عهدهم. وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ يدل على أنه كان من أهل العهد من خاس بعهده ومنهم من ثبت على الوفاء، فأذن الله سبحانه لنبيه ﷺ في نقض عهد من خاس، وأمر بالوفاء لمن بقي على عهده إلى مدته. ومعنى

(٣٣٨) أحمر
أسود

﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾ أي من شروط العهد شيئا. ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ﴾ لم يعاونوا. وقرأ عكرمة وعطاء بن يسار ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾.

بالضاد معجمة على حذف مضاف، التقدير ثم لم ينقضوا عهدهم. يقال: إن هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة. ثم قال: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ﴾ أي وإن كانت أكثر من أربعة أشهر.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقصوكم شيئا، ولا عاونوا عليكم أحدا، فهؤلاء أتموا لهم عهدهم إلى مدتهم، قَلَّتْ، أو كثرت، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾.

يفهم من مفهوم مخالفة هذه الآية: أن المشركين إذا نقضوا العهد جاز قتالهم، ونظير ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ ﴾ [التوبة: ٧] وهذا المفهوم في الآيتين صرح به جلا وعلا في قوله: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢].

❁ ❁ ❁

(٣٣٩) أحمر
أسود

المراد بالأشهر الحرم

س: ما المراد بالأشهر الحرم التي قال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ الآية؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية هي الأشهر الحرم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾.

وهي ذو القعدة وذو الحجة وشهر الله المحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ولكن هذا القائل، وهو الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذهب إلى أن انساخها بنهاية شهر الله المحرم، أي: على وجه التقريب بعد خمسين يومًا من الأذان ببراءة ذلك أن الأذان ببراءة كان يوم النحر، يوم العاشر من ذي الحجة، فيبقى لنهاية محرم خمسون يومًا على التقريب والله أعلم.

** هذا، وذهب آخرون إلى أن المراد بالأشهر الحرم في قوله ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ هي اشهر الأمان التي أمَّن الله فيها المشركين من قتال النبي ﷺ والمؤمنين، أي: هي التي قال الله في شأنها ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾.

وهذا اختيار ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد استظهر أن المراد بها أشهر التيسير الأربعة المنصوص عليها ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾، وسيأتي قوله إن شاء الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا، ما هي؟ فذهب ابن جرير إلى أنها [الأربعة] المذكورة في قوله تعالى: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية [التوبة:٣٦]، قاله أبو جعفر الباقر، لكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم.

(٣٤٠) أحمر
أسود

قال ابن كثير وفيه نظر والذي يظهر من السياق.. أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] ثُمَّ قَالَ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر؛ ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – فإذا انقضت الأشهر الحرم ومضت[1] فاقتلوا المشركين في أي مكان وجدتموهم فيه في الحلِّ والحرم، وفي أي زمان وحاصروهم وامنعوهم من السير في البلاد، واقعدوا لهم في كل طريق وترصدوا لهم في كل مكان لقتلهم وحربهم فإن تابوا من شركهم وحافظوا على الصلوات وأدوا الزكوات المفترضة عليهم فاتركوهم ولا تعترضوهم، فإن الله ﷻ فتح باب التوبة أمام مريد التوبة مهما اقترف من الذنوب وارتكب من الآثام ما دام عليك أمر نفسه فمن تاب تاب الله عليه، أما من مات على الشرك فلن يغفر له.

هذا، وللجزئيات المذكورة في ثنايا الشرح فقه واسع يأتي في كله، فهل كل مُشرك يُقتل؟ أم أن هناك أمانٌ لبعضهم؟! وماذا يصنع المؤمنون في أوقات

(١) وقد بينت اختلاف العلماء فيها، وأن كثيرًا من العلماء رجح أنها أشهر الأمان الأربعة التي قال الله ﷻ ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

(٣٤١) أحمر
أسود

الاستضعاف؟!! وهل هناك أنواع صلح ومعاهدات بين المسلمين وغيرهم أم لا؟ ولا شك أن كل هذا ينبني على ما هو الصالح العام لأهل الإسلام ما لم يخالفوا نصوصًا من كتاب الله ﷻ، ولا من سنة رسوله ﷺ فالقصد أن المسائل المذكورة لها فقه لا يتسع المقام هنا لذكره، وبالله تعالى التوفيق، وفيه العون والسداد.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾، فإذا انقضى ومضى وخرج. يقال منه: سلخنا شهر كذا نسلَخه سَلْخًا وسُلُوخًا، بمعنى: خرجنا منه. ومنه قولهم: «شاة مسلوخة»، بمعنى: المنزوعة من جلدها، المخرجة منه.

ويعني بـ «الأشهر الحرم»، ذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم.

وإنما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحج الأكبر. فمعلوم أنهم لم يكونوا أجَّلوا الأشهرَ الحرم كلَّها -وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى- ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين، وكان هو لهما ثالثًا، وهي كلها متصل بعضها ببعض، قيل: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾، ومعنى الكلام: فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم، أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداءَ على رسول الله وعلى أصحابه، أو كان عهدهم إلى أجل غيره معلوم.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، يقول: فاقتلوهم ، ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، يقول: حيث لقيتموهم من الأرض، في الحرم، وغير الحرم في الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم ، ﴿وَخُذُوهُمْ ﴾ يقول: وأسروهم ، ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾، يقول: وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة ، ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾، يقول:

(٣٤٢) أحمر
أسود

واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم = «كل مرصد»، يعني: كل طريق ومرقَب.

وهو «مفعل»، من قول القائل: «رصدت فلانًا أرصُده رَصْدًا»، بمعنى: رقبته.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾، يقول: فإن رجعوا عما نهاهم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمدﷺ، إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد، والإقرار بنبوة محمد ﷺ ، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يقول: وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها، وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها، ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، يقول: فدعوهم يتصرفون في أمصاركم، ويدخلون البيت الحرام ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، لمن تاب من عباده، فأناب إلى طاعته، بعد الذي كان عليه من معصيته، ساتر على ذنبه، رحيم به، أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته، بعد التوبة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ عام في كل مشرك، لكن السنة خصت منه ما تقدم بيانه في سورة «البقرة» من امرأة وراهب وصبي وغيرهم. وقال الله تعالى في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾. إلا أنه يجوز أن يكون لفظ المشركين لا يتناول أهل الكتاب، ويقتضي ذلك منع أخذ الجزية من عبدة الأوثان وغيرهم، على ما يأتي بيانه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ أي: من الأرض. وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٩١]

(٣٤٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ أي: وأسروهم، إن شئتم قتلا وإن شئتم أسرا.

وقوله: ﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع، وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ولهذا اعتمد الصديق، رضي الله عنه، في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته. ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله، عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين؛ ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» الحديث.

وأورد ابن كثير جملة أحاديث وآثار منها حديث: أنس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم**»[1].

وقال السعدي رحمه الله (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ أي: التي حرم فيها قتال المشركين

(١) البخاري (٣٩٢).

(٣٤٤) أحمر
أسود

المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتمام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة.

﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ في أي مكان وزمان، ﴿ وَخُذُوهُمۡ ﴾ أسرى ﴿ وَٱحۡصُرُوهُمۡ ﴾ أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد اللّه وأرضه، التي جعلها [الله] معبدا لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلا لسكناها، ولا يستحقون منها شبرا، لأن الأرض أرض اللّه، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم.

ولهذا قال: ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ من شركهم ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: أدوها بحقوقها ﴿ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لمستحقيها ﴿ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾ أي: اتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم.

❁ ❁ ❁

آية السيف

س: ذكر بعض العلماء أن هذه الآية: (فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ أَرۡبَعَةٗ .﴾ هي آية السيف فمن القائل بهذا؟

ج: القائلون بهذا كثيرون، منهم **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم: إنها

(٣٤٥) أحمر
أسود

نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين، وكل عهد، وكل مدة.

وأورد بعض الآثار ضعيفة الأسانيد في هذا الباب منها أثر ضعيف الإسناد عن عليٍّ رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف: سيف في المشركين من العرب قال الله: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾.

قال ابن كثير: هكذا رواه مختصرا، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب في قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة:٢٩] والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ... ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم:٩] والرابع: قتال الباغين في قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الحجرات:٩].

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية (آية السيف): (فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ منسوخة؟ وما ناسخها عند من قال بالنسخ؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ... ﴾.

[محمد:٤]

وعكس البعض القضية فقالوا إن آية السيف هي الناسخة، والظاهر عدم النسخ، وأن هذه لها مواطن، وتلك لها مواطن، والله أعلم.

قال ابن كثير رحمه الله:

ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه، فقال الضحاك والسدي: هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد:٤] وقال قتادة بالعكس.

(٣٤٦) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلفوا، فقال الحسين بن الفضل: نسخت هذه كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء. وقال الضحاك والسدي وعطاء: هي منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]. وأنه لا يقتل أسير صبرا، إما أن يمن عليه وإما أن يفادى. وقال مجاهد وقتادة: بل هي ناسخة لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وأنه لا يجوز في الأسارى من المشركين إلا القتل. وقال ابن زيد: الآيتان محكمتان. وهو الصحيح، لأن المن والقتل والفداء لم يزل من حكم رسول الله ﷺ فيهم من أول حرب حاربهم، وهو يوم بدر كما سبق. وقوله: ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ يدل عليه. والأخذ هو الأسر. والأسر إنما يكون للقتل أو الفداء أو المن على ما يراه الإمام. ومعنى: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ يريد عن التصرف إلى بلادكم والدخول إليكم، إلا أن تأذنوا لهم فيدخلوا إليكم بأمان.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ(كلام الله) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؟

ج: المراد به القرآن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وإن طلب منك أحدٌ من المشركين أن تُجيره أي: توفر له سبل الأمان، بدخوله في جوارك طالبًا منك الأمان، فأمِّنه حتى يسمع كلام الله الذي هو القرآن، حتى يفهم ماذا يريد منه ربه ﷻ وعن أي شيء ينهاه، حتى يسمع كلام الله بما فيه من مواعظ وحكم وقصص وعبر

(٣٤٧) أحمر
أسود

وأحكام، حتى يتضح له ما خفي عليه ثم ردَّه إلى حيث يأمن، ردَّه إلى أهله إن أراد ذلك، وهذا الذي أمرناك به في شأنه لأن هؤلاء قوم لا يعلمون عن القرآن كبير شيءٍ.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه ، ﴿فَأَجِرۡهُ﴾، يقول: فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وتتلوه عليه ، ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن، «إلى مأمنه»، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾، يقول: تفعل ذلك بهم، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردِّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿ٱسۡتَجَارَكَ﴾ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: [القرآن] تقرؤه عليه وتذكر له شيئًا من [أمر] الدين تقيم عليه به حجة الله، ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا

(٣٤٨) أحمر
أسود

يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده.

وقال ابن أبي نجيح[١]، عن مجاهد، في تفسير هذه الآية، قال: إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاء.

ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدًا أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود، ومِكْرَز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحدًا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم.

ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له: «**أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟**» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك**»[٢] وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود على الكوفة، وكان يقال له: ابن النواحة، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة، فأرسل إليه ابن مسعود فقال له: إنك الآن لست في رسالة، وأمر به فضربت عنقه، لا رحمه الله ولعنه.

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى

---

(١) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير مقال.
(٢) أحمد (٣/ ٤٨٧)، وأبو داود (٢٧٦١).

(٣٤٩) أحمر
أسود

يرجع إلى مأمنه ووطنه. لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان، عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء، رحمهم الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي من الذين أمرتك بقتالهم. ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ أي سأل جوارك، أي أمانك وذمامك، فأعطه إياه ليسمع القرآن، أي يفهم أحكامه وأوامره ونواهيه. فإن قبل أمرا فحسن، وإن أبى فرده إلى مأمنه. وهذا ما لا خلاف فيه. والله أعلم. قال مالك: إذا وجد الحربي في طريق بلاد المسلمين فقال: جئت أطلب الأمان. قال مالك: هذه أمور مشتبهة، وأرى أن يرد إلى مأمنه. قال ابن قاسم: وكذلك الذي يوجد وقد نزل تاجرا بساحلنا فيقول: ظننت ألا تعرضوا لمن جاء تاجرا حتى يبيع. وظاهر الآية إنما هي فيمن يريد سماع القرآن والنظر في الإسلام، فأما الإجارة لغير ذلك فإنما هي لمصلحة المسلمين والنظر فيما تعود عليهم به منفعته.

ولا خلاف بين كافة العلماء أن أمان السلطان جائز، لأنه مقدم للنظر والمصلحة، نائب عن الجميع في جلب المنافع ودفع المضار. واختلفوا في أمان غير الخليفة، فالحر يمضي أمانه عند كافة العلماء. إلا أن ابن حبيب قال: ينظر الإمام فيه. وأما العبد فله الأمان في مشهور المذهب، وبه قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق والأوزاعي والثوري وأبو ثور وداود ومحمد بن الحسن. وقال أبو حنيفة: لا أمان له، وهو القول الثاني لعلمائنا. والأول أصح، لقوله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم**». قالوا: فلما قال «**أدناهم**» جاز أمان العبد، وكانت المرأة الحرة أحرى بذلك، ولا اعتبار بعلة

(٣٥٠) أحمر
أسود

«لا يسهم له». وقال عبدالملك بن الماجشون: لا يجوز أمان المرأة إلا أن يجيزه الإمام، فشذ بقوله عن الجمهور.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

لما كان ما تقدم من قوله ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ أمرا عاما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم جاز، بل وجب ذلك فقال: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ أي: طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام اللّه، وينظر حالة الإسلام.

﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي: المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، فربما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر اللّه رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام اللّه.

وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق.

وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما

(٣٥١) أحمر
أسود

أمر به ونهي عنه فأجره ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه.

وفي قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ قولان:

أحدهما: أن المعنى ذلك الذي أمرناك به من أن يعرفوا ويجاروا لجهلهم بالعلم.

والثاني: ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان لأنهم قوم جهلة بخطاب الله.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ...﴾ منسوخ؟

ج: الذي يظهر أنه ليس بمنسوخ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي، قولُ من قال: «ليس ذلك بمنسوخ». وقد دللنا على أن معنى «النسخ»، هو نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره. ولم تصحّ حجةٌ بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكل حال، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء، ولا على وجه المنّ عليهم. فإذ كان ذلك كذلك، وكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله ﷺ فيهم من أول حرب حاربهم، وذلك من يوم بدر، كان معلومًا أن معنى الآية: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم للقتل أو المنِّ أو الفداء، واحصروهم. وإذا كان ذلك معناه، صحّ ما قلنا في ذلك دون غيره.

❁ ❁ ❁

(٣٥٢) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟
فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ
عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ
لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ
وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ
فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ
﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

[الأنفال: ٧-١٥].

(٣٥٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ - يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ - لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ - إِلًّا - ذِمَّةً - وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ - فَٰسِقُونَ - فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ - سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ - نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ - وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ - أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ - لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ - وَيُخْزِهِمْ - غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾	فما داموا مستقيمين على العهود موفِّين لها فكونوا أوفياء للعهود كذلك
﴿يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾	يغلبوكم – ينتصروا عليكم
﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾	لا يراعوا فيكم – لا يخشون إذا آذوكم – لا يوقِّروا فيكم – لا يحافظوا
﴿إِلًّا﴾	قيل: الله – وقيل: عهدًا – وقيل: قرابة – وقيل: حلفًا
﴿ذِمَّةً﴾	قيل: عهدًا
﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾	ترفض قلوبهم الإيمان
﴿فَٰسِقُونَ﴾	خارجون عن الطاعة
﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾	منعوا الناس من دخول الإسلام الذي هو الطريق إلى الله عز وجل
﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	أصحاب عمل سيء، أعمالهم سيئة لا ترى الله ولا توافق شرعه
﴿نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾	نقضوا عهودهم

(٣٥٤) أحمر
أسود

٣٥٤ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ)	عابوا دينكم وانتقصوه وسبُّوه
(أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ)	رؤوس الشر والضلال والسعاة في الكفر الدعاة إليه
(لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ)	لا عهود لهم
(وَيُخْزِهِمْ)	يُذلهم – يُهينهم
(غَيْظَ قُلُوبِهِمْ)	كرب قلوبهم – الضيق الذي في قلوبهم الحزن الذي بقلوبهم

❁ ❁ ❁

(٣٥٥) أحمر
أسود

الغَدْرُ حالُ أهل الشرك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – كيف يكون لأهل الشرك عهد عند الله ﷻ وعند رسوله ﷺ، وهم قد نقضوا العهود والمواثيق، وبدت منه بوادر الخيانات والغدر، فهؤلاء الذين بدرت منهم بوادر الخيانة والغدر، والذين نقضوا العهود والميثاق لا عهود لهم فإنهم نقضوها ولا يتصور منهم بعدُ وفاءً لعهدٍ ولا رعايةً لميثاق، لكن منهم طائفة قليلة عاهدت ووفَّت ولم تغدر ولم تخن، فهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام، وفَّوا لهم بالعهد والميثاق وما داموا موفِّين للعهود والمواثيق فوفُّوا لهم أيضًا، وما داموا مستقيمين على العهود والمواثيق فاستقيموا لهم أيضًا إن الله يحب الذين يتقون، ويتقون حدوده ومحارمه، ويحب الذين يفون بالعهد والميثاق ولا يغدرون.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أنّى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله، وبأيِّ معنى، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله، يوفّى لهم به، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد؟ وإنما معناه: لا عهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم، فإن الله جل ثناؤه أمرَ المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين.

(٣٥٦) أحمر
أسود

وأورد الطبري خلافًا ليس من وراءه كبير طائل في الذين عناهم الله بقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ ثم قال:

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فإن معناه: إن الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر، ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا، فقال تعالى: ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ﴾ وأمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ يعني يوم الحديبية، كما قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ الآية [الفتح: ٢٥]، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ أي: مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمون، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست، إلى أن نقضت قريش العهد ومالئوا حلفاءهم بني بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، فقتلوهم معهم في الحرم أيضا، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلد الحرام، ومكنه من نواصيهم، ولله الحمد والمنة، فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم، فسموا الطلقاء، وكانوا قريبا من ألفين، ومن استمر على كفره وفر من رسول الله ﷺ بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر، يذهب حيث شاء: منهم صفوان بن أمية، وعِكْرِمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام

(٣٥٧) أحمر
أسود

التام، والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ اللّه ورسوله من المشركين، فقال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول اللّه والمؤمنين من أذيتهم؟ أما حاربوا الحق ونصروا الباطل؟

أما سعوا في الأرض فسادا؟ فيحق عليهم أن يتبرأ اللّه منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾ من المشركين ﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فإن لهم في العهد وخصوصا في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها.

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ولهذا قال: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

ج: أما قوله تعالى:

﴿إِلًّا﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: ﴿إِلًّا﴾ بمعنى الله فالمعنى: لا يراقبون الله فيكم، ولا يخافون من الله إن ألحقوا بكم أذى أو غدر بكم.

الثاني: ﴿إِلًّا﴾ بمعنى عهدًا وعقدًا.

الثالث: ﴿إِلًّا﴾ بمعنى قرابة.

الرابع: ﴿إِلًّا﴾ بمعنى حلفًا.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: فالذمة: قيل: إنها العهد.

(٣٥٨) أحمر
أسود

أورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي مجلز في قوله: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، قال: مثل قوله: «جبرائيل»، «ميكائيل»، «إسرافيل»، كأنه يقول: يضيف «جَبْر» و «ميكا» و«إسراف»، إلى «إيل»، يقول: عبد الله ، ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ﴾، كأنه يقول: لا يرقبون الله.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾، المشركون ، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ﴾، عهدًا ولا قرابة ولا ميثاقًا.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، قال: «الإل»، الحلف، و«الذمة»، العهد.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، قال: لا يرقبوا فيكم عهدًا ولا ذمة. قال: إحداهما من صاحبتها كهيئة «غفور»، «رحيم»، قال: فالكلمة واحدة، وهي تفترق. قال: والعهد هو «الذمة».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيَّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد: أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم «إلا».

و«الإلّ»: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى «الله». فإذْ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يُعَمّ ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمنٍ اللهَ، ولا قرابةً، ولا عهدًا، ولا ميثاقًا.

❁ ❁ ❁

(٣٥٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – كيف تتركون أهل الشرك بالله ولا تنزلون بهم ما أمركم الله به، وكيف تطمئنون إليهم، وهم إذا تمكنوا منكم وانتصروا عليمك وغلبوكم لن يراعوا فيكم ربًا ولا قرابةً ولا عهدًا ولا ميثاقًا وإنما هم الآن يتكلمون معكم بكلامٍ يرضونكم به، أما قلوبهم فإنها تضمر الكفر والنفاق، وتأبى أن تؤمن، وتضمر الشر وتضمر بكم المكائد لو أنهم تمكنوا منكم، وأكثرهم أهل فسق لا يطيعون الله ولا يوقرون عهدًا ولا ميثاقًا.

وهذه أقوال بعض أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم، أيها المؤمنون، عهد وذمة، وهم ، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، يغلبوكم ، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

واكتفى بـ«كيف» دليلا على معنى الكلام، لتقدم ما يراد من المعني بها قبلها. وكذلك تفعل العرب، إذا أعادت الحرف بعد مضيّ معناه، استجازوا حذف الفعل، كما قال الشاعر:

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَكَثِيبُ

فحذف الفعل بعد «كيف»، لتقدم ما يراد بعدها قبلها. ومعنى الكلام: فكيف يكون الموت في القرى، وهذي هضبة وكثيب، لا ينجو فيهما منه أحد.

ثم قال بعد أن أورد أقوال العلماء في الإل والذمة وأن معنى الإل الله – العهد – القرابة – الحلف – العقد، قال:

(٣٦٠) أحمر
أسود

فأما قوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، فإنه يقول: يعطونكم بألسنتهم من القول، خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: تأبَى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم، بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم. يحذِّر جل ثناؤه أمرَهم المؤمنين، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله، وأن لا يقصِّروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، يقول: وأكثرهم مخالفون عهدَكم، ناقضون له، كافرون بربهم، خارجون عن طاعته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله ولو أنهم إذ ظهروا على المسلمين وأدِيلوا عليهم، لم يبقوا ولم يذروا، ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ أعاد التعجب من أن يكون لهم عهد مع خبث أعمالهم، أي كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة. يقال: ظهرت على فلان أي غلبته، وظهرت البيت علوته، ومنه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أي يعلوا عليه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ﴿يَرْقُبُوا۟﴾ يحافظوا. والرقيب الحافظ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَيْفَ﴾ يكون للمشركين عند اللّه عهد وميثاق ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ بالقدرة والسلطة، لا يرحموكم، و ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا

(٣٦١) أحمر
أسود

ذِمَّةً ﴾ أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون اللّه فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا.

ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقا، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ لا ديانة لهم ولا مروءة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن أهل الكفر هؤلاء الذين نقضوا العهود والمواثيق، اعتاضوا عن الإيمان بالله واليوم الآخر، اعتاضوا عن ذلك كله بعرضٍ زائل من أعراض الحياة الدنيا فرضوا بمتاع الحياة الدنيا الزائل الفاني فمنعوا الناس من الدخول في دين الله ﷻ والاستقامة على أمره، فبئس العمل الذي عملوه فما أسوأه وما أقبحه.

هؤلاء أهل الكفر والعناد والشقاق والصد عن سبيل الله لا يرقبون في مؤمن عهدًا ولا قرابةً ولا يخشون ربًّا ولا يفون بميثاق ولا يحافظون على عقود ﴿وَأُولَٰئِكَ ﴾ أهل الكفر هؤلاء ﴿هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ المتعدون لحدود الله المنتهكون لحرماته.

﴿فَإِن تَابُوا ﴾ من شركهم وكفرهم، ورجعوا عن الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإسلام ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ حافظوا عليها ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ أدوا ما افترضه الله عليهم من الزكوات ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ فهم مسلمون

(٣٦٢) أحمر
أسود

والمسلمون إخوة، مؤمنون والمؤمنون إخوة، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، ونوضح الآيات ونبينها ونظهرها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فالذين يعلمون أن الله واحد لا شريك له هم المستفيدون المنتفعون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبعموم الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله، أيها المؤمنون، بقتلهم حيث وجدتموهم، بتركهم اتباعَ ما احتج الله به عليهم من حججه، يسيرًا من العوض قليلا من عرض الدنيا.

وذلك أنهم، فيما ذُكر عنهم، كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلةٍ أطعمهموها أبو سفيان بن حرب[1].

وأما قوله: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾، فإن معناه: فمنعوا الناس من الدخول في الإسلام، وحاولوا ردَّ المسلمين عن دينهم، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم، ساء عملهم الذي كانوا يعملون، من اشترائهم الكفرَ بالإيمان، والضلالة بالهدى، وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله، أو من أراد أن يؤمن.

وقال في تأويل قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لا يتقي هؤلاء المشركون الذين أمرتكم، أيها المؤمنون، بقتلهم حيث وجدتموهم، في قتل مؤمن لو قدورا عليه، ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، يقول: فلا تبقوا عليهم، أيها المؤمنون، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾، يقول: المتجاوزون فيكم إلى ما

(١) الإسناد بذلك ضعيف.

(٣٦٣) أحمر
أسود

ليس لهم بالظلم والاعتداء.

وقال في تأويل قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾.

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم، أيها المؤمنون، بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله، إلى الإيمان به وبرسوله، وأنابوا إلى طاعته، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، المكتوبة، فأدّوها بحدودها، ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، المفروضة أهلَها، ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾، يقول: فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به، وهو الإسلام، ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، يقول: ونبين حجج الله وأدلته على خلقه، ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، ما بُيِّن لهم، فنشرحها لهم مفصلة، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذما للمشركين وحثا للمؤمنين على قتالهم: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ يعني: أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ﴾ أي: منعوا المؤمنين من اتباع الحق.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا. على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله.

﴿فَصَدُّواْ﴾ بأنفسهم، وصدوا غيرهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ أي لأجل عداوتهم للإيمان ﴿إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ أي لأجل عداوتهم للإيمان وأهله.

فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم هو الإيمان فذبوا عن دينكم وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا

(٣٦٤) أحمر
أسود

واجعلوا الحكم يدور معه وجودا وعدما لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية تميلون بهما حيثما مال الهوى وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء ولهذا ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن شركهم ورجعوا إلى الإيمان ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ وتناسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد اللّه المخلصين وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة لما بين من أحكامه العظيمة ما بين ووضح منها ما وضح أحكاما وحِكَمًا وحُكْمًا وحكمة قال ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي نوضحها ونميزها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإليهم سياق الكلام وبهم تعرف الآيات والأحكام وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وإن نقض أهل الشرك هؤلاء العهود التي بينكم وبينهم وعابوا دينكم وانتقصوه فقاتلوا أئمة الضلال منهم كبراءهم ورؤساءهم والسعاة في الشر منهم عمومًا، قاتلوا من نقض العهود والمواثيق وقاتالوا أتباعهم وجندهم إنهم أئمة الكفر هؤلاء لا عهود لهم، لا يوترون عهدًا ولا يفون بميثاق قاتلوهم لعلهم ينتهون عن نقض العهود والمواثيق ولعلهم ينتهون عن الطعن في دينكم وعيب آلهتكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش، عهودَهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدًا من أعدائكم، ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، يقول: وقدَحوا في دينكم الإسلام، فثلبوه

(٣٦٥) أحمر
أسود

وعابوه ، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِۙ﴾، يقول: فقاتلوا رؤساء الكفر بالله ، ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾، يقول: إن رؤساء الكفر لا عهد لهم ، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾، لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم.

وأورد أقوالًا في بيان أئمة الكفر منها ما أورده عن قتادة بسندٍ حسن: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾، إلى: ﴿يَنتَهُونَ﴾، فكان من أئمة الكفر: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو، وهم الذين همُّوا بإخراجه.

وأورد بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: أبو سفيان منهم.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن صلة عن عمارة بن ياسر في قوله: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ لا عهد لهم.

ونحوه بسندٍ صحيح عن صلة عن حذيفة.

قال الطبري: وأما (النكث) فإن أصله النقض.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ﴾ هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾، أي: عهودهم ومواثيقهم، ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ أي: عابوه وانتقصوه. ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص؛ ولهذا قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال.

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ أي: نقضوها وحلوها، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ أي: عابوه، وسخروا

(٣٦٦) أحمر
أسود

منه.

ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا عهود ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين، ناكثين للعهد، لا يوثق منهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ في قتالكم إياهم ﴿يَنتَهُونَ﴾ عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه، ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف، التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم موصوفون بها، المقتضية لقتالهم.

❁ ❁ ❁

التحريض على قتال من نقضوا العهود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولماذا تتردد في قتال هؤلاء المشركين، فهو تحضيض على قتالهم وتوبيخ من تخلَّف عن قتالهم، ألا تقاتلون قومًا نقضوا العهود والمواثيق إذ قد نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ لما أعانوا بني بكر على حلفاء رسول الله ﷺ من قبيلة خزاعة، فنقضوا العهود، وهموا بإخراج الرسول قبل كذلك من بلده، بل وأخرجوه، وكذا فإنهم بدؤكم بالقتال، وذلك يوم بدر بعد أن سلَّم الله عيرهم، وكذا بدأوا بالقتال إذ قد اعتدوا على حلفاء رسول الله ﷺ وآزروا غيرهم عليهم، أتخافون يا أصحاب رسول الله أهل

(٣٦٧) أحمر
أسود

الشرك هؤلاء؟! فالله أحق أن تخشوه وتخافون إن كنتم مؤمنون حق الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله، حاضًّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ ﴾، أيها المؤمنون، هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم، وطعنوا في دينكم، وظاهروا عليكم أعداءكم، ، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾، من بين أظهرهم فاخرجوه ، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾، بالقتال، يعني فعلهم ذلك يوم بدر، وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة ، ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ ﴾، يقول: أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفًا على أنفسكم منهم ، ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾، يقول: فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم، من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعًا إلا بإذن الله ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾، يقول: إن كنتم مقرِّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، الذين هموا بإخراج الرسول من مكة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾.

[الأنفال:٣٠]

وقال تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾ الآية [الممتحنة:١] وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦﴾ [الإسراء:٧٦] وقوله: ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾ قيل:

(٣٦٨) أحمر
أسود

المراد بذلك يوم بدر، حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجوههم طلبا للقتال، بغيا وتكبرا، كما تقدم بسط ذلك.

وقيل: المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، حتى سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح، وكان ما كان، ولله الحمد.

وقوله: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ يقول تعالى: لا تخشوهم واخشون، فأنا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي، فبيدي الأمر، وما شئت كان، وما لم أشأ لم يكن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ توبيخ وفيه معنى التحضيض نزلت في كفار مكة كما ذكرنا آنفا. ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي كان منهم سبب الخروج، فأضيف الإخراج إليهم. وقيل: أخرجوا الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من المدينة لقتال أهل مكة للنكث الذي كان منهم: عن الحسن. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ ﴾ بالقتال. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي نقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة. وقيل: بدؤوكم بالقتال يوم بدر ؛ لأن النبي ﷺ خرج للعير ولما أحرزوا عيرهم كان يمكنهم الانصراف، فأبوا إلا الوصول إلى بدر وشرب الخمر بها ؛ كما تقدم. ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ أي تخافوا عقابه في ترك قتالهم من أن تخافوا أن ينالكم في قتالهم مكروه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن كفار مكة هموا بإخراجه ﷺ من مكة، وصرح في مواضع أخر بأنهم أخرجوه بالفعل، كقوله ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١] الآية، وقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد:

(٣٦٩) أحمر
أسود

١٣] وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة:٤٠] الآية، وذكر في مواضع أخر: محاولتهم لإخراجه قبل أن يخرجوه، كقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦] الآية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه؟ وهم هموا أن يجلوه ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت قريش -وهم معاهدون- بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول اللّه ﷺ، وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ في ترك قتالهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإنه أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد.

فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر اللّه، ولا تخشوهم فتتركوا أمر اللّه، ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – أمرٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين، أمرٌ بقتال ناقض العهود من أهل الشرك، وبيان لبعض فوائد هذا القتال، وبشارةٌ لأهل الإيمان،

(٣٧٠) أحمر
أسود

فقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ﴾ قاتلوا أهل الشرك ونقض العهود ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ يُنزل بهم الله العذاب على أيديكم، وذلك من قتلٍ وسبيٍ وجراحٍ وغير ذلك، ﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ ويذلهم ويهينهم، ﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يجعل لكم الغلبة عليهم ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ من الغم والضيق والهمّ الذي حلَّ بها، ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ يذهب الكرب الذي في قلوبهم والحزن الذي في قلوبهم، وبقتالكم أهل الكفر ينزجر من سلم منهم، ومن نجا منهم، ينزجر عن كفره ويقلع عن كفره ويبادر بالدخول في الإسلام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلق وبما ينفعهم وعليم بكل شيء، ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما يشرع لعباده.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قاتلوا، أيها المؤمنون بالله ورسوله، هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم، وأخرجوا رسول الله ﷺ من بين أظهرهم، ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾، يقول: يقتلهم الله بأيديكم، ﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾، يقول: ويذلهم بالأسر والقهر، ﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾، فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة، ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾، يقول: ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالكم وقهركم إياهم. وذلك الداء، هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموْجِدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه.

وقيل: إن الله عنى بقوله: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾،: صدورَ خزاعة حلفاءِ رسول الله ﷺ. وذلك أن قريشًا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ بمعونتهم بكرًا عليهم.

(٣٧١) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

يقول الله تعالى ذكره: ويذهب وَجْدَ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة، على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين، وغمَّها وكربَها بما فيها من الوجد عليهم، بمعونتهم بكرًا عليهم.

وقال الطبري أيضًا:

وأما قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾، فإنه خبر مبتدأ، ولذلك رفع، وجُزِم الأحرفُ الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة، كأنه قال: قاتلوهم، فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم، وينصركم عليهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾، لأن القتال غير موجب لهم التوبةَ من الله، وهو موجبٌ لهم العذابَ من الله، والخزيَ، وشفاءَ صدور المؤمنين، وذهابَ غيظ قلوبهم، فجزم ذلك شرطًا وجزاءً على القتال، ولم يكن موجبًا القتالُ التوبةَ، فابتُدِئ الخبرُ به ورُفع.

ومعنى الكلام: ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾، بسرائر عباده، ومَنْ هو للتوبة أهلٌ فيتوب عليه، ومَنْ منهم غير أهل لها فيخذله ، ﴿حَكِيمٌ ﴾، في تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيقه من وفَّقه لذلك، ومن حال إيمان إلى كفر، بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده، وغير ذلك من أمرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى عزيمة على المؤمنين، وبيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا عام في

(٣٧٢) أحمر
أسود

المؤمنين كلهم.

وقال مجاهد، وعِكْرِمة، والسدي في هذه الآية: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ يعني: خزاعة.

وأعاد الضمير في قوله: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ عليهم أيضا.

﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: من عباده، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بما يصلح عباده، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله وأقواله الكونية والشرعية، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو العادل الحاكم الذي لا يجور أبدا، ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر، بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ بالقتل ﴿ وَيُخْزِهِمْ ﴾ إذا نصركم اللّه عليهم، وهم الأعداء الذين يطلب خزيهم ويحرص عليه، ﴿ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ هذا وعد من اللّه وبشارة قد أنجزها.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ ﴾ فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين للّه ولرسوله ساعين في إطفاء نور اللّه وزوالا للغيظ الذي في قلوبهم وهذا يدل على محبة اللّه لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم حتى إنه جعل -من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

ثم قال ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ من هؤلاء المحاربين بأن يوفقهم للدخول في الإسلام ويزينه في قلوبهم ويُكَرِّهَ إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يضع الأشياء مواضعها ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه ومن لا يصلح فيبقيه في غيه وطغيانه.

(٣٧٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾

[التوبة: ١٦-١٨]

(٣٧٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ - وَلِيجَةٗ - شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ - حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ ﴾	أفظننتم
﴿وَلِيجَةٗ ﴾	بطانةً (من الكفار) – أولياء – من يلج فيكم، وليس منكم (من منافقين ونفاق وكفار وكفر...)
﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾	مُقرِّين على أنفسهم بأنهم كفار، فاليهودي يقول عن نفسه يهودي، وكذا النصراني يقول عن نفسه أنه نصراني، وكذا المشرك يعلن أنه يعبد مع الله إلهًا آخر، وقيل: أعمالهم شاهدة عليهم بأنهم كفار لكونهم يعملون أعمال الكفار
﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾	ذهب ثوابها - بطلت

❁ ❁ ❁

(٣٧٥) أحمر
أسود

حتمية الابتلاء

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –أفظننتم يا أهل الإيمان أن تتركوا بلا ابتلاء ولا اختبار ولا تكليف ولما يعلم الله صدقكم في دعواكم للإيمان علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب، ولما يعلم من الممتلئين منكم أمره بالجهاد في سبيله، والناكثين عن أمره، أفظننتم يا أهل الإيمان أن تتركوا ولا تختبروا حتى يُعلم الصادق من الكاذب، الصادق الذي والى أهل الإيمان، واتخذهم له بطانة ووالى الله ورسوله، والكاذب الذي والى أهل الكفر، أفحسبتم أن تتركوا دون أن يظهر ذلك منكم كل بل ستكلفوا حتى يظهر ذلك منكم ظهورًا ينبني عليه الثواب والعقاب، وإلا فالله ﷻ خبيرٌ بكل أعمالكم، مطلع عليها وشاهد، وعليم أيضًا إلى ماذا ستؤول أموركم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين، الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾، الآية، حاضًّا على جهادهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾، أيها المؤمنون، أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها، وبغير اختبار يختبركم به، فيعرف الصادقَ منكم في دينه من الكاذب فيه ، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾، يقول: أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله، من المضيِّعين أمرَ الله في ذلك المفرِّطين ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ ﴾، يقول: ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا

(٣٧٦) أحمر
أسود

من دون رسوله ولا من دون المؤمنين ، ﴿وَلِيجَةً﴾.

= هو الشيء يدخل في آخر غيره، يقالُ منه: «ولج فلان في كذا يلجِه، فهو وليجة».

وإنما عنى بها في هذا الموضع: البطانة من المشركين. نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء، يفشون إليهم أسرارهم ، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، يقول: والله ذو خبرة بما تعملون، من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياءَ وبطانةً، بعد ما قد نهاكم عنه، لا يخفى ذلك عليه، ولا غيره من أعمالكم، والله مجازيكم على ذلك، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ﴾، إلى قوله: ﴿وَلِيجَةً﴾، قال: أبي أن يدعهم دون التمحيص. وقرأ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾، وقرأ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾، [سورة آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾، الآيات كلها، [سورة البقرة ٢١٤] أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحِّصهم ويختبرهم. وقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾، لا يختبرون ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾، [سورة العنكبوت: ١ - ٣]، أبى الله إلا أن يمحِّص.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ أيها المؤمنون أن نترككم مهملين، لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب؟ ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أي: بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله، فاكتفى

(٣٧٧) أحمر
أسود

بأحد القسمين عن الآخر، كما قال الشاعر:

وما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت:١-٣] وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

والحاصل أنه تعالى لما شرع الجهاد لعباده، بين أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبيده: من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؟ فيعلم الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولا راد لما قدره وأمضاه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ ﴾ من دون ابتلاء وامتحان، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب.

﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ أي: علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله: لإعلاء كلمته ﴿ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ ﴾ أي: وليا من الكافرين، بل يتخذون اللّه ورسوله والمؤمنين أولياء.

فشرع اللّه الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين اللّه، من الكاذبين الذين يزعمون

(٣٧٨) أحمر
أسود

الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون اللّه ولا رسوله ولا المؤمنين.

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي: يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها.

❁ ❁ ❁

عُمار المساجد من هم؟

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾.

ج: ما كان من شأن أهل الشرك، وما كان ينبغي لهم، وما كان من خالص قلوبهم أن يعمروا مساجد الله بالحضور فيها والصلاة فيها وتوحيد الله فيها، فليس هذا من شأنهم وليس من شأنهم تعظيمها وبناؤها وتوقيرها والمساجد إنما بنيت لتوحيد الله ﷻ وإفراده بالعبودية وتوحيده والإخلاص له، وهم – أعني أهل الشرك، ليسوا من ذلك في شيء ولا على شيءٍ منه، وهم يقرون على أنفسهم بأ،هم كفار، يقرون على ذلك بصنيعهم الذي يصنعون من الشرك باله ودعاء غير الله وعبادة الأصنام وكذا يؤدون بألسنتهم على أنفسهم، فإذا سألت النصراني عن دينه قال: نصراني، واليهودي يقول: أنا يهودي والصابئ يقول: إنه صابئ والمشرك يقرُّ بعبادة الوثن والصنم ويجادل عن ذلك، بل ويقول: إنه مشرك.

فأمثال هؤلاء لا ينتظر منهم توقيرٌ لمساجد الله ولا عمارة لها، وهؤلاء قد حبطت أعمالها، ذهب ثوابها، ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ ﴾ لشركهم

(٣٧٩) أحمر
أسود

وكفرهم، فالشرك يخلِّد أهله الذين ماتوا عليه في النار.

أما الذين يعمرون مساجد الله حضورًا فيها وصلاةً وتوحيدًا لله فيها، وكذا بناءً وتنظيفًا وتوقيرًا فهم الذين آمنوا بالله وحده لا شريك له وأفردوه بالعبودية وصدقوا بوحدانيته، وكذا آمنوا باليوم الآخر وما فيه من الحساب والثواب والعقاب، وكذا أقاموا الصلاة كما أمرهم بها ربهم وكما وردت على لسان نبيهم ﷺ، وهذا متضمن الإيمان برسول الله ﷺ وكذا آتوا الزكاة التي افترقها الله عليهم ولم يرهبوا أحدًا سوى الله، ولم يخافوا أحدًا غير الله، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ من الذين سلكوا سبيل السلامة والنجاة ووفقوا للعمل بمرضاة الله والسير على الطريق الموصلة إلى جناته ومرضاته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر. يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها، لا للكفر به، فمن كان بالله كافرًا، فليس من شأنه أن يعمُرَ مساجد الله.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قوله: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾، يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروها. وأما ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾، فإن النصراني يسأل: ما أنت؟ فيقول: نصراني، واليهودي، فيقول: يهودي، والصابئ، فيقول: صابئ، والمشرك يقول إذا سألته: ما دينك؟ فيقول: مشرك ! لم يكن ليقوله أحدٌ إلا العرب.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، يقول: بطلت وذهبت أجورها، لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان ، ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾، يقول: ماكثون فيها أبدًا، لا أحياءً ولا أمواتًا.

(٣٨٠) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، المصدِّق بوحدانية الله، المخلص له العبادة، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يقول: الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياءً من قبورهم يوم القيامة، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، المكتوبة، بحدودها، وأدَّى الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يقول: ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه، سوى الله، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾، يقول: فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له. ومن قرأ: «مسجد الله» فأراد به المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له. وأسسه خليل الرحمن هذا، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي: بحالهم وقالهم، كما قال السُّدِّي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال يهودي، والصابئي، لقال: صابئي، والمشرك، لقال: مشرك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بشركهم، ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال:٣٤]؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد.

(٣٨١) أحمر
أسود

وأورد آثارًا ثم قال:

وقوله: ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: التي هي أكبر عبادات البدن، ﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق، ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي: ولم يخف إلا من الله تعالى، ولم يخش سواه، ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق ﴿ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ بالعبادة، والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل.

فإذا كانوا ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ وعدم الإيمان، الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد اللّه، والأصل منهم مفقود، والأعمال منهم باطلة؟!!.

ولهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي: بطلت وضلت ﴿ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾.

ثم ذكر من هم عمار مساجد اللّه فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لأهلها ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم اللّه، ولم يقصر بحقوق اللّه الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية اللّه التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على

(٣٨٢) أحمر
أسود

الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ و «عسى» من اللّه واجبة. وأما من لم يؤمن باللّه ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية للّه، فهذا ليس من عمار مساجد اللّه، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فان قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر. وهم يعتقدون أنهم على الصواب، فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي.

والثاني: أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ وهو حق لا يخفى على مميز فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه.

والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرَّضوا على اتباعه، فلما آمنوا بهم وكذبوه، دلوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبيين وإظهار. ذكرهما ابن الانباري.

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمان لا يتم إلا به. فالجواب: أن فيه دليلا على الرسول، لقوله: ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله الزجاج. فإن قيل: ﴿ فَعَسَىٰٓ ﴾ ترجّ، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك. فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها؛ وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

(٣٨٣) أحمر
أسود

المراد بعمارة المساجد

س: ما المراد بعمارة المساجد التي عناها الله بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: دخول المساجد وعبادة الله ﷻ فيها وتوحيده ودعاؤه ورجاؤه وتلاوة كتابه والصلاة له.

الثاني: بناء المساجد وتطهيرها.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي المراد بالعمارة قولان:

أحدهما: دخوله والجلوس فيه. **والثاني:** البناء له وإصلاحه؛ فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: يجب على المسلمين منعهم من ذلك. قال الزجاج: وقوله: ﴿ شَاهِدِينَ ﴾ حال. المعنى ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر ﴿ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت سند حديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»؟

ج: لم يصح سنده، وقد أخرجه غير واحد من أهل العلم كأحمد والترمذي[1] وغيرهما وفي سنده دراج يرويه عن أبي الهيثم، هذا سند ضعيف.

ولكن على كل حال فمعنى الآية الكريمة قائم بذاته والمعنى واضح فيها وكامنٌ والله أعلم.

---

(١) أحمد (٣/ ٦٨)، والترمذي (٣٠٩٣).

(٣٨٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ
دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ
وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ
وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ
وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ
حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾

[التوبة: ١٩-٢٤].

(٣٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ - وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ - ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ - يَتَوَلَّهُم - وَعَشِيرَتُكُمۡ - ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا - كَسَادَهَا - فَتَرَبَّصُواْ - بِأَمۡرِهِۦ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾	سقيا الحجيج (حمل الماء إلى الحجيج ليشربوا)
(وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ﴾	بناء المسجد – تنظيفه – رعايته
(ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ﴾	اختاروا الكفر وروضوا به
(يَتَوَلَّهُم ﴾	يتخذهم أولياء وبطانة، يصادقهم ويناصرهم ويستنصرهم ويُعينهم
(وَعَشِيرَتُكُمۡ)	أقرباءكم
(ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا)	اكتسبتموها – جمعتموها
(كَسَادَهَا)	ركودها – بوارها – عدم بيعها
(فَتَرَبَّصُواْ)	فانتظروا
(بِأَمۡرِهِۦ)	بأمره بفتح مكة – بأمره بتعذيبكم

❁ ❁ ❁

(٣٨٦) أحمر
أسود

ومن فضل الجهاد في سبيل الله

س: اذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

ج: أخرج مسلم في صحيحه من حديث النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا.

هذا، وقد وردت اسباب نزول أُخر في أسانيدها ضعف، لكن معنى الآية الكريمة ينتظمها، بغض النظر عن الأسماء، أورد هذه الأسباب ابن الجوزي (في زاد المسير)، وأوردها غيره أيضًا.

قال ابن الجوزي:

والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، فنزلت هذه الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت

(٣٨٧) أحمر
أسود

هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس.

والرابع: أن عليًّا والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بتُّ فيه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي.

والخامس: أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد. هكذا ذكر مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة؛ لأن طلحة هذا لم يسلم.

والسادس: أن عليًّا قال للعباس: ألا تلحق بالنبي ﷺ، فقال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة، ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله المرة الهمداني، وابن سيرين، قال الزجاج: ومعنى الآية: أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قال الحسن: كان يُنبذ زبيبٌ، فيسقون الحاج في الموسم. وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه، فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فكلها أسباب في أسانيدها مقال، ولا يثبت منها إلا حديث النعمان بن بشير. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٨٨) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أجعلتم أيها الناس سقيا الحجيج وعمارة المسجد الحرام وكونكم بأيديكم مفاتيح الكعبة وتنظيف المسجد الحرام، وتتميم الناقص من بنيانه كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، أي: أجعلتم من يسقي الحجيج ويعمّر المسجد الحرام بالتشييد والبناء، وهو مشرك بالله كالمؤمن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر ويجاهد في سبيل الله؟!

فالآية الكريمة تنتظم أكثر من صنفٍ.

فتنتظم المؤمنين الذين راى بعضهم أن سقيا الحجيج وعمارة المسجد الحرام أفضل.

وتنتظم الذين قالوا إن عمارة المسجد الحرام أفضل، فقيل لهؤلاء ما حاصله إن الإيمان بالله واليوم الآخر حق الإيمان، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله أفضل مما ذكرتموه.

وكذا قيل لأهل الشرك الذين رأوا أن سقيا الحجيج، وعمارة المسجد أفضل من الإيمان والهجرة والجهاد.

فقيل لهؤلاء بل لا يستوي المؤمنون المجاهدون مع غيرهم، ولا يستوي المؤمنون المجاهدون مع أهل الشرك الذين كفروا، وإن عمروا المسجد الحرام وإن سقوا الحجيج، لا يستوي هؤلاء وأولئك عند الله والله لا يوفّق إلى

(٣٨٩) أحمر
أسود

طاعته مرضاته وإلى الإيمان به وإلى صالح العمل القوم الظالمين المشركين ما داموا قائمين على شركهم وكفرهم، والله لا يوِّفق للإيمان من كتبت عليه الشقاوة كذلك، ثم إن الله ﷻ، وبعد أن ذُكر هذا الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ بيَّن من هم الأفضل والأهدى سبيلا إذ قال: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ لمدينة رسولهم ولإقامة دينهم ﴿وَجَاهَدُوا ﴾ لإعلاء كلمة ربهم بالمال والنفس هؤلاء ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أعظم من أهل الشرك درجات.

ولا يقال إن أهل الشرك على درجة وهؤلاء أعظم منهم، كلا بل هذا من أفعل التفضيل التي ليس في المقابل منها شيءٌ، كما قال تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٤]، وأصحاب النار ليسوا على أي شيء من الخيرية.

أما قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وهو رضوان الله عليهم ودخولهم جنته، والنجاة من عذابه ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ﴾ يخبرهم بانه رحمهم وسلمهم ونجّاهم من العذاب ﴿وَرِضْوَانٍ ﴾ أي: ويبشرهم أيضًا برضاه عنهم ﴿وَجَنَّاتٍ ﴾ وحدائق وبساتين ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ ﴾ ما يتنعمون به من صنوف النعيم ﴿مُقِيمٌ ﴾ لا يتحول ولا يزول ولا يبغون عنه تحولًا ولا انتقالًا بل هم ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ثواب عظيم لهؤلاء على طاعتهم له واستقامتهم على أمره.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو جعفر: وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السِّدانة والسقاية.

(٣٩٠) أحمر
أسود

وأورد عددًا من الآثار ثم قال: فتأويل الكلام إذًا: أجعلتم، أيها القوم، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾ هؤلاء، وأولئك، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملا ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، يقول: والله لا يوفّق لصالح الأعمال من كان به كافرًا ولتوحيده جاحدا.

وقال في تأويل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

وهذا قضاءٌ من الله بَيْن فِرَق المفتخرين الذين افتخرَ أحدهم بالسقاية، والآخرُ بالسِّدانة، والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله. يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله، وصدقوا بتوحيده من المشركين ، ﴿وَهَاجَرُوا۟ ﴾ دورَ قومهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ ﴾ المشركين في دين الله ، ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾، وأرفع منزلة عنده، من سُقَاة الحاج وعُمَّار المسجد الحرام، وهم بالله مشركون ، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾، يقول: وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا، ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾، بالجنة، الناجون من النار.

وقال في تأويل قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، ﴿رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾، لهم، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم، وبرضوان منه لهم، بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه، وأدائهم ما كلَّفهم ، ﴿وَجَنَّٰتٍ ﴾، يقول: وبساتين ، ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾، لا يزول ولا يبيد، ثابت دائمٌ أبدًا لهم.

وأورد بإسنادٍ رجاله ثقات عن جابر بن عبد الله قال: إذا دخل أهل الجنة

(٣٩١) أحمر
أسود

الجنة، قال الله سبحانه: أُعطيكم أفضل من هذا، فيقولون: ربَّنا، أيُّ شيء أفضل من هذا؟ قال: رِضْواني.

وقال في تأويل قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾، ماكثين فيها، يعني في الجنات، ﴿أَبَدًاۚ﴾، لا نهاية لذلك ولا حدَّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾، يقول: إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتَهم جل ثناؤه النعتَ الذي ذكر في هذه الآية، ﴿أَجۡرٌ﴾، ثواب على طاعتهم لربّهم، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال، ﴿عَظِيمٞ ﴾، وذلك النعيم الذي وعدَهم أن يعطيهم في الآخرة.

وأورد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث النعمان بن بشير في سبب نزول الآية ثم قال:

وهذا المساق يقتضي أنها إنما نزلت عند اختلاف المسلمين في الأفضل من هذه الأعمال. وحينئذ لا يليق أن يقال لهم في آخر الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾ فتعين الإشكال. وإزالته بأن يقال: إن بعض الرواة تسامح في قوله، فأنزل الله الآية. وإنما قرأ النبي ﷺ الآية على عمر حين سأله فظن الراوي أنها نزلت حينئذ. واستدل بها النبي ﷺ على أن الجهاد أفضل مما قال أولئك الذين سمعهم عمر، فاستفتى لهم فتلا عليه ما قد كان أنزل عليه، لا أنها نزلت في هؤلاء. والله أعلم.

فإن قيل: فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة. قيل له: لا يستبعد أن ينتزع مما أنزل الله في المشركين أحكام تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء وتوضع صحفة وترفع أخرى ولكنا سمعنا قول الله تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة،

(٣٩٢) أحمر
أسود

ولم ينكر عليه أحد من الصحابة. فيمكن أن تكون هذه الآية من هذا النوع. وهذا نفيس وبه يزول الإشكال ويرتفع الإبهام، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في موضع رفع بالابتداء. وخبره ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾. و﴿دَرَجَةً﴾ نصب على البيان، أي من الذين افتخروا بالسقي والعمارة. وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال: المؤمن أعظم درجة. والمراد أنهم قدروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فخاطبهم على ما قدروه في أنفسهم وإن كان التقدير خطأ كقوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفرقان: ٢٤]. وقيل: ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾ من كل ذي درجة، أي لهم المزية والمرتبة العلية. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ بذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم﴾ أي يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم. والنعيم: لين العيش ورغده.

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾نصب على الحال. والخلود الإقامة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ أي أعد لهم في دار كرامته ذلك الثواب.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان باللّه والجهاد في سبيله، أخبر اللّه تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد ﴿وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾.

فالجهاد والإيمان باللّه أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

(٣٩٣) أحمر
أسود

وأما الجهاد في سبيل اللّه فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر.

ثم صرح بالفضل فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ بالخروج بالنفس ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ جودا منه، وكرما وبرا بهم، واعتناء ومحبة لهم، ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم [بها] كل خير. ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا.

﴿ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ من كل ما اشتهته الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا اللّه تعالى، الذي منه أن اللّه أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ لا ينتقلون عنها، ولا يبغون عنها حِوَلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا تستغرب كثرته على فضل اللّه، ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون.

(٣٩٤) أحمر
أسود

النهي عن موالاة الكافرين ولو كانوا من الأقربين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- يا أهل الإيمان يا من آمنتم بالله وصدقتم رسوله ﷺ وأقررتم برسالته وآمنتم بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقضاء الله وقدره وسائر ما أمرتم به، يا هؤلاء لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أنصارًا وأصدقاء وبطانات تناصرونهم وتوالونهم وتفشون إليهم بأسراركم ودواخلكم ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾، إن اختاروا الكفر بديلًا عن الإيمان، ومن ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ بمناصرتهم ومصاحبتهم وإفشاء الأسرار إليهم واستشاراتهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم وبخسوها حقها وأنزلوها منزلة لا تأمن فيها من العذاب، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسرارَكم، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المُكْثَ بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ، ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾، يقول: إن اختاروا الكفر بالله، على التصديق به والإقرار بتوحيده ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾، يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين، ويؤثر المقَام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، يقول: فالذين يفعلون ذلك منكم، هم الذين خالفوا أمرَ الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها، وعصوا الله في أمره.

وقيل: إن ذلك نزل نهيًا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

(٣٩٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الله تعالى بمباينة الكفار به، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إذا ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين. وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة. فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر. ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ أي أحبوا، كما يقال: استجاب بمعنى أجاب. أي لا تطيعوهم ولا تخصوهم. وخص الله سبحانه الآباء والإخوة إذ لا قرابة أقرب منها. فنفى الموالاة بينهم كما نفاها بين الناس بقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان.

ثم قال:

ولم يذكر الأبناء في هذه الآية إذ الأغلب من البشر أن الأبناء هم التبع للآباء. والإحسان والهبة مستثناة من الولاية. قالت أسماء: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي راغبة وهي مشركة أفأصلها ؟ قال: «**صلي أمك**» خرجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ قال ابن عباس:

(٣٩٦) أحمر
أسود

هو مشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به.

و ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ ﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ﴾ أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لأنهم تجرؤوا على معاصي اللّه، واتخذوا أعداء اللّه أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة اللّه، ومحبتهم على محبة اللّه ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة اللّه ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن موالاة الكفار، ولو كانوا قرباء، وصرح في موضع آخر: بأن الاتصاف بوصف الإيمان مانع من موادة الكفار ولو كانوا قرباء، وهو قوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم

(٣٩٧) أحمر
أسود

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يؤثرون أهاليهم وعشائرهم على أهل الإيمان، وعلى طاعة الله ومرضاته ومرضاة رسوله ﷺ وعلى الجهاد في سبيل الله، قل لهم إن كان حبكم لآبائكم وأبناءكم وإخوانكم وكذا حبكم لأزواجكم وعشائركم وحبكم لدنياكم بما فيها من أموال اكتسبتموها، ومن التجارات التي تخشون أن تكسد وتبور، بزعمكم، وكذا إذا كانت مساكنكم التي تعيشون فيها ورضيتم بها مساك، إذا كان هذا كله أحب إليكم من ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، من الإيمان بالله وبرسوله، وأحب إليكم من طاعة الله ورسوله، وأحب إليكم من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فانتظروا ماذا سيحلُّ بكم، انتظروا أمر الله الذي سينزل وسيأتي فقد ينزل عليكم عذابٌ، وقد ينصر الله أهل الغيمان ويفتح عليهم مكة فيندم أهل النفاق الذين قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله لا يوفق لطاعته ولا لمرضاته ولا للعمل الصالح أهل الفسق والفجور والعصيان والانحراف عن الطاعة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾، يقول: اكتسبتموها ، ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾، بفراقكم بلدكم ، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾، فسكنتموها ، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾، من الهجرة إلى الله ورسوله، من دار الشرك، ومن جهاد في سبيله، يعني: في نصرة دين الله الذي ارتضاه ،

(٣٩٨) أحمر
أسود

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾، يقول: فتنظّروا ، ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾، حتى يأتي الله بفتح مكة ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، يقول: والله لا يوفّق للخير الخارِجين عن طاعته وفي معصيته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله، فقال: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾ أي: اكتسبتموها وحصلتموها ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ أي: تحبونها لطيبها وحسنها، أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري[1] من حديث زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقد ثبت في الصحيح[2] عنه ﷺ أنه قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**».

---

(١) البخاري (٦٦٣٢)، وأحمد (٤/ ٣٣٦)، وقد أورده من طريق الإمام أحمد ولكن آثرت إيراده من البخاري.

(٢) البخاري (بنحوه رقم ١٤)، ومسلم (٤٤).

(٣٩٩) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه والأب لابنه والأخ لأخيه والرجل لزوجته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من تسارع لذلك، ومنهم من أبى أن يهاجر، فيقول: والله لئن لم تخرجوا إلى دار الهجرة لا أنفعكم ولا أنفق عليكم شيئا أبدا. ومنهم من تتعلق به امرأته وولده ويقولون له: أنشدك بالله ألا تخرج فنضيع بعدك، فمنهم من يرق فيدع الهجرة ويقيم معهم، فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

يقول: إن اختاروا الإقامة على الكفر بمكة على الإيمان بالله والهجرة إلى المدينة. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ بعد نزول الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. ثم نزل في الذين تخلفوا ولم يهاجروا: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾ وهي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العشرة فما زاد، ومنه المعاشرة وهي الاجتماع على الشيء. ﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ يقول: اكتسبتموها بمكة. وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره. ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ قال ابن المبارك: هي البنات والأخوات إذا كسدن في البيت لا يجدن لهن خاطبا. قال الشاعر:

كسدن من الفقر في قومهن وقد زادهن مقامي كسودا

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ يقول: ومنازل تعجبكم الإقامة فيها. ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾ من أن تهاجروا إلى الله ورسوله بالمدينة. و﴿أَحَبَّ﴾ خبر كان. ويجوز في غير القرآن رفع «أحب» على الابتداء والخبر، واسم كان مضمر فيها. وأنشد سيبويه:

(٤٠٠) أحمر
أسود

إذا مت كان الناس صنفان: شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع

وأنشد:

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول

وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب. وقد مضى في «آل عمران» معنى محبة الله تعالى ومحبة رسوله. ﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ صيغته صيغة أمر ومعناه التهديد. يقول: انتظروا. ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ يعني القتال وفتح مكة، عن مجاهد. الحسن: بعقوبة آجلة أو عاجلة. وفي قوله: ﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ دليل على فضل الجهاد، وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال. وسيأتي فضل الجهاد في آخر السورة. وقد مضى من أحكام الهجرة في «النساء» ما فيه كفاية، والحمد لله. وفي الحديث الصحيح: «**إن الشيطان قعد لابن آدم ثلاث مقاعد قعد له في طريق الإسلام فقال لم تذر دينك ودين آبائك فخالفه وأسلم وقعد له في طريق الهجرة فقال له أتذر مالك وأهلك فخالفه وهاجر ثم قعد في طريق الجهاد فقال له تجاهد فتقتل فينكح أهلك ويقسم مالك فخالفه وجاهد فحق على الله أن يدخله الجنة**». وأخرجه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان**... » فذكره. قال البخاري: (ابن الفاكه) ولم يذكر فيها اختلافا. وقال ابن أبي عدي: يقال ابن الفاكه وابن أبي الفاكه. انتهى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ في النسب والعشرة ﴿ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾ أي: قراباتكم عموما ﴿ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾ أي:

(٤٠١) أحمر
أسود

اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كَدّ.

﴿ وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ ﴾ الذي لا مرد له.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن طاعة اللّه، المقدمين على محبة اللّه شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة اللّه ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من اللّه ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه اللّه ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا للّه ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه اللّه، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (في زاد المسير):

وفي قوله ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والأكثرون، ومعنى الآية: إن كان

(٤٠٢) أحمر
أسود

المقام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿ وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم ﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين حتى تفتح مكة فيسقط فرض الهجرة.

والثاني: أنه العقاب. قاله الحسن.

❁ ❁ ❁

دفع إشكالات وجمعٌ بين آيات

س: كيف التوفيق بين قوله تعالى: (وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤) وأيضًا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ وبين ما حدث من أن الله ﷻ هدى أقوامًا لا حصر لهم من أهل الظلم والفسق والكفر إلى الإسلام؟

ج: هنا جوابنان يذكرهما العلماء:

أحدهما: أن المراد بالظالمين والفاسقين والكفار الذين لم يهديهم من هم أهل الشقاوة الذين كتبت عليهم الشقاوة وكتب عليهم أنهم سيموتون على الكفر.

الثاني: أن الله لا يوفق أهل العلم والفساق ما داموا قائمين على سقين ولا يرغبون في ترك ما هم عليه.

❁ ❁ ❁

(٤٠٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

(لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖۙ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍۙ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ
كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا
رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ
جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا
يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ
يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾
قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ
يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ
وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا

(٤٠٤) أحمر
أسود

وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ
كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾

[التوبة: ٢٥-٣٣]

(٤٠٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ - حُنَيْنٍ - وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ - بِمَا رَحُبَتْ - وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ - سَكِينَتَهُۥ - جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا - يَتُوبُ ٱللَّهُ - نَجَسٌ - عَيْلَةً - وَلَا يَدِينُونَ - دِينَ ٱلْحَقِّ - ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ - ٱلْجِزْيَةَ - عَن يَدٍ - صَٰغِرُونَ - يُضَٰهِـُٔونَ - أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ - أَحْبَارَهُمْ - وَرُهْبَٰنَهُمْ - أَرْبَابًا - مِّن دُونِ ٱللَّهِ - سُبْحَٰنَهُۥ - عَمَّا يُشْرِكُونَ - يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ - وَيَأْبَى ٱللَّهُ - بِٱلْهُدَىٰ - لِيُظْهِرَهُۥ - ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾	غزوات متعددة – معارك متفرقة – أماكن كثيرة
(حُنَيْنٍ ﴾	موطن بين مكة والطائف، وهو الذي حصلت عنده الغزوة الشهيرة (غزوة حنين)
(وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ - بِمَا	ضاقت عليكم الأرض رغم اتساعها لملاحقة العدو لكم وعدم ووجود مكان للفرار
(وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾	انصرفتم مسرعين هاربين
(سَكِينَتَهُۥ ﴾	طمأنينته
(جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	هم الملائكة
(يَتُوبُ ٱللَّهُ ﴾	يرجع برحمته – يتفضل على أهل الشرك بهدايتهم
(نَجَسٌ ﴾	نجس المعتقد – أجناب (في غالب الأحوال على جنابة إذ لا يغتسلون منها)
(عَيْلَةً ﴾	فقرًا – حاجةً

(٤٠٦) أحمر
أسود

٤٠٦ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَلَا يَدِينُونَ)	لا يتعبدون الله – لا يقرون – لا يتبعون الدين الحق، وهي الإسلام
(دِينَ ٱلْحَقِّ)	دين الله سبحانه، والله هو الحق
(ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ)	اليهود والنصارى
(ٱلْجِزْيَةَ)	مبلغ من المال يدفع كي لا يقاتلوا وكي يأمنوا في بلاد المسلمين
(عَن يَدٍ)	عن قهرٍ (طائعين) ومكرهين، وقيل: كلٌّ يدفع جزيته بيده بلا واسطة
(صَٰغِرُونَ)	أذلاء مُهانون
(يُضَٰهِـُٔونَ)	يشابهون
(أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)	من أيِّ وجه يُصرفون عن الحق إلى الباطل
(أَحْبَارَهُمْ)	علماءهم
(وَرُهْبَٰنَهُمْ)	عبّادهم
(أَرْبَابًا)	كالأرباب يطيعونهم فيما حرم الله، فيحلوا لهم ما حرمه الله ويحرمون عليهم ما أحله الله فيتبعونهم
(مِّن دُونِ ٱللَّهِ)	غير الله – مع الله
(سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ)	تنزه عن الشريك الذي يتخذونه له

(٤٠٧) أحمر
أسود

(يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ)	يخمدوا الإسلام ويمحون معالمه ويشوشون على آياته
(وَيَأۡبَى ٱللَّهُ)	يمنع الله تحقيق مرادهم
(بِٱلۡهُدَىٰ)	بالدلالات الواضحات والآيات البينات
(لِيُظۡهِرَهُۥ)	ليُعليه – ليجعله غالبًا
(ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ)	الأديان الباطلة كلها

❁ ❁ ❁

(٤٠٨) أحمر
أسود

غزوة حنين

س: وض معنى هذه الآيات: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: لقد نصركم الله يا أهل الإسلام ويا أصحاب رسول الله ﷺ في عدة معارك، وفي عدة أماكن، ولقد نصركم أيضًا يوم حنين إذ خرجتم إليها القتال العدو الذي كان قد جمع لكم الجموع وأعدَّ لكم العُدد، لقد خرجتم إلى حنين وعددكم كثير، وقد اختلط بكم من اختلط من ضعفاء الإيمان من الذين أسلموا حديثًا من أهل مكة، أسلموا على ضعف خرجتم جميعًا، وكان عددكم كبيرًا جدًّا.

فاغترَّ بعضكم الكثرة وأعُجب بها، وكأنه غفل عن أن النصر من عند الله العزيز الحكيم، فلما غف أغرَّته الكثرة فاغترَّ بها، وكان عدوكم قد أعدَّ لكم عددًا وعُددًا، فلم تُجد عنكم كثرتكم ولم تدفع عنكم بطش عدوكم فقدانها عليكم عددكم بالنبال، بعد أن كمن لكم وفاجأكم بالنبال تارة يرشقكم بها والسيوف ضربًا مفاجئًا مباغتًا فلم تدروا كي تصنعون فبحثتم عن موطن للفرار ولا موطن أمامكم ورغم سعة الأرض وانبساطها إلا أن الملاحقة أشد فضاقت عليكم الأرض رغم اتساعها فانصرفتم هاربين مسرعين ممعنين في الفرار.

لكن رسولكم ﷺ لم يفر بل ثبت وثبت معه بعض الفضلاء من أصحابه رضي الله عنهم ثبتهم جميعًا ربهم تبارك وتعالى وأنزل عليهم السكينة، وأنزل الله

(٤٠٩) أحمر
أسود

الطمأنينة على رسوله ﷺ وعلى من معه من المؤمنين، فلم يخافوا ولم ينسحبوا ولم يفروا، ولم يهربوا، بل تقدم النبي ﷺ وابن عمه أبو سفيان بن الحارث يقود له الناقة، وكان أبو سفيان بن الحارث أسلم حديثًا، وقبلها كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ ولكن لما اسلم حسن إسلامه جدًّا، وكان شجاعًا مغوارًا فطفق يقود ناقة النبي ﷺ صوب العدو وناحية العدو، ورسول الله ﷺ لا يبالي بأعداء الله، بل يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

ومع رسول الله ﷺ من أصحابه عدد من المهاجرين والأنصار، ولكنهم كانوا في أول الأمر قلةٌ، كان معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان معه من آل بيته كما سلف أبو سفيان بن الحارث وابنه، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس رضي الله عنهم وغيرهم ممن سيأتي بيان بعضهم إن شاء الله، تقدموا صوب العدو، ومكن الله عليًّا من بعض رؤوس الكفر – كما سيأتي بيانه إن شاء الله – تقدم رسول الله ﷺ واثقًا بالله مستعينًا به مستجيرًا مستغيثًا به عليه سكينتهُ من الله هو ومن معه، وأنزل الله ملائكة من السماء بما معها من السكينة، أنزل الله هذه الملائكة جنودًا يؤيد بها رسوله ﷺ ويؤيد بها أهل الغيمان فنصر الله رسوله ﷺ وأهل الإيمان بعد أن صدر من نداءات للأنصار ناداهم العباس عم رسول الله، فاجتمعوا حول رسول الله ﷺ من كل صوبٍ وحدبٍ قائلين للعباس وهو يناديهم يا معشر الأنصار يا أصحاب سورة البقرة، ويا من بايعتم تحت الشجرة، وهم يقولون: يا لبيك يا لبيك فاجتمعوا حول رسول الله ﷺ بعد تفرقٍ، والتئموا بعد تمزقٍ وتشتتٍ فتبدلت الأمور والأموال، ونصر الله عز وجل نبيه والمؤمنين، فطفقوا يضربون رقاب أهل الكفر ويسبون نساءهم ويأخذونهم غنائم ويأخذون سائر الغنائم، فقتل من أهل الكفر من قُتل، وأُسر من أُسر وسُبي من سُبي وجمعت الغنائم العظيمة

(٤١٠) أحمر
أسود

والأموال والسبايا، وذلك أن أهل الكفر من هوازن وغيرهم كانوا قد جمعوا جموعهم وأخرجوا معهم نساءهم وصبيانهم ومواشيهم وأموالهم فمن الله على المؤمنين بالنصر والغنيمة.

ثم إن أهل الشرك ولما فرا، أقبلوا إلى رسول الله ﷺ، وقد أسلموا بعد كفروا، وأقبلوا على الإسلام بعد إدبار، ولكنهم أقبلوا أيضًا يريدون من رسول الله ﷺ أن يرد غليهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم فخيّرهم رسول الله ﷺ بين المال والسبي فاختاروا السبي، فرده رسول الله ﷺ غليهم، على ما سيأتي بيانه.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ فمعناه: ويتفضل الله ﷻ على من يشاء بأهل الشرك فيرجع عليه برحمته فيسلم ويقبل الله توبته، ويتوب الله على من فرَّ من أهل الإيمان أيضًا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ كثير المغفرة ﴿رَّحِيمٞ﴾ بالعباد، ورحيم بالمؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أيها المؤمنون، في أماكن حرب توطِّنون فيها أنفسكم على لقاء عدوّكم، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة، ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍۙ﴾، يقول: وفي يوم حنين أيضًا قد نصركم.

و«حنين» وادٍ، فيما ذكر، بين مكة والطائف.

﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾، يقول: فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا، ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم.

و«الباء» ههنا في معنى «في»، ومعناه: وضاقت عليكم الأرض في رحبها، وبرحبها.

(٤١١) أحمر
أسود

يقال منه: «مكان رحيب»، أي واسع. وإنما سميت الرِّحاب «رحابًا» لسَعَتَها.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾، عن عدوكم منهزمين، ﴿مُّدْبِرِينَ﴾، يقول: وليتموهم، الأدبار، وذلك الهزيمة. يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش، وأنه ينصر القليلَ على الكثير إذا شاء، ويخلِّي الكثيرَ والقليلَ، فَيهْزِم الكثيرُ.

وأورد الطبري آثارًا ثم قال:

في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت، وتوليتكم الأعداءَ أدباركم، كشف الله نازل البلاء عنكم، بإنزاله السكينة -وهي الأمنة والطمأنينة- عليكم.

وقد بينا أنها «فعيلة»، من «السكون»، فيما مضى من كتابنا هذا قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهي الملائكة التي ذكرتُ في الأخبار التي قد مضى ذكرها، ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يقول: وعذب الله الذين جحدوا وحدانيّته ورسالةَ رسوله محمدٍ ﷺ، بالقتل وسَبْي الأهلين والذراريّ، وسلب الأموال والذلة، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يقول: هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي، ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يقول: هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله.

وقال في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

(٤١٢) أحمر
أسود

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه، من بعد عذابه الذي به عذَّب من هلك منهم قتلا بالسيف، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، أي يتوب الله على من يشاء من الأحياء، يُقْبِل به إلى طاعته، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾، لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها، ﴿رَّحِيمٌ﴾، بهم، فلا يعذبهم بعد توبتهم، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُددهم ونبههم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل [الله] نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، كما سنبينه إن شاء الله تعالى مفصلا ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد كانت وقعة: «حُنين» بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وذلك لما فرغ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النَّضْري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جُشم وبنو سعد بن بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنَّعم، وجاءوا بقَضِّهم وقَضِيضهم فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف

(٤١٣) أحمر
أسود

من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له «حنين»، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال الله، ﷻ وثبت رسول الله ﷺ، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو المسلمين إلى الرجعة [ويقول] : «أين يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله»، ويقول في تلك الحال:

«**أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب...**».

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال: ثمانون، فمنهم: أبو بكر، وعمر، رضي الله عنهما ، والعباس وعلي، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وغيرهم، رضي الله عنهم ثم أمر ﷺ عمه العباس -وكان جهير الصوت -أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها، على ألا يفروا عنه -فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ. فلما رجعت شرذمة منهم، أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة

(٤١٤) أحمر
أسود

من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني**» ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

وفي الصحيحين[1] من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال له رجل: يا أبا عمارة، أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين، فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، إن هوازن كانوا قوما رُمَاة، فلما لقيناهم وحَمَلنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وهو يقول:

«**أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب**».

قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حَومة الوَغَى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكرٍّ ولا لفرٍّ ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها إلى وجوههم وينوِّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلا عليه، وعلمًا منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: طمأنينته وثباته على رسوله، ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الذين معه، ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة.

---

(١) البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٤١٥) أحمر
أسود

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ قد تاب الله على بقية هوازن، وأسلموا وقدموا عليه مسلمين، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجِعِرَّانة، وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يوما، فعند ذلك خَيَّرهم بين سبيهم وبين أموالهم، فاختاروا سبيهم، وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة، فرده عليهم، وقسم أموالهم بين الغانمين، ونفل أناسا من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام، فأعطاهم مائةً مائةً من الإبل، وكان من جملة من أعطي مائة مالك بن عوف النَّضْري، واستعمله على قومه كما كان، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

ما إنْ رَأيتُ ولا سَمعتُ بمثْلِه ... في النَّاس كُلّهم بمثل مُحَمَّد
أوْفَى وأعْطَى للجزيل إذا اجتُدى ... ومَتى تَشَأ يُخْبِرْكَ عَمّا في غَد
وإذَا الكتيبة عَرّدَتْ أنيابُها ... بالسَّمْهَريّ وَضَرْب كُلّ مُهَنَّد
فَكَأَنَّه ليث على أشْبَاله ... وسط الهَبَاءة خَادر في مَرْصَد

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم «حنين» الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي ﷺ لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم ﷺ في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين

(٤١٦) أحمر
أسود

بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة.

فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول اللّه ﷺ، إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي ﷺ، يركض بغلته نحو المشركين ويقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم اللّه المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.

وذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ أي: لم تفدكم شيئا، قليلا ولا كثيرا ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي: على رحبها وسعتها، ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ أي: منهزمين.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والسكينة ما يجعله اللّه في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم اللّه العظيمة على العباد.

﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهم الملائكة، أنزلهم اللّه معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر.

(٤١٧) أحمر
أسود

﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ يعذبهم اللّه في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ﴾. فتاب اللّه على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي ﷺ مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم، وأولادهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسنَّ أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد من الأحاديث والآثار في غزوة حنين

س: اذكر بعض الأحاديث والآثار الواردة في غزوة حنين؟

ج: أخرج مسلم[1] في صحيحه من طريق إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ، فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنْ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ، فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ. وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا، وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ، مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي، فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْهَزِمًا، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ**

(١) مسلم (١٧٧٧).

(٤١٨) أحمر
أسود

فَزَعًا» فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنْ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنْ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «**شَاهَتْ الْوُجُوهُ**» فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا، بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ. فَهَزَمَهُمْ اللهُ ﷻ وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وأخرج مسلم[1] بسنده إلى ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ، وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**». فَقَالَ عَبَّاسٌ (وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا): فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ! لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا. فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ! يَا لَبَّيْكَ! قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ! يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ! فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ، كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ. ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ!**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى،

---

(١) مسلم (١٧٧٥).

(٤١٩) أحمر
أسود

قَالَ: فَوَاللهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.

وأخرج البخاري ومسلم[1] من طريق أَبِي إِسْحَاقَ سَمِعَ الْبَرَاءَ - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: لَكِنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَتْ هَوَازِنُ رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ، فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسِّهَامِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ**».

قال ابن إسحاق[2]: وحدَّثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبى سعيد الخدرى قال: لما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى مِن تلك العطايا فى قريش، وفى قبائل العرب، ولم يكن فى الأنصار منها شىء، وَجَدَ هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم، حتى كَثُرت فيهم القالةُ، حتى قال قائلُهم: لقى واللهِ رسولُ الله ﷺ قومَه، فدخل عليه سعدُ بنُ عبادة، فقال: يا رسول الله؛ إن هذا الحىَّ من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم لِما صنعتَ فى هذا الفىء الذى أصبتَ، قسمتَ فى قومك، وأعطيتَ عطايا عِظامًا فى قبائل العرب، ولم يكن فى هذا الحىِّ من الأنصار منها شىء. قال:

«**فأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ**»؟ قال: يا رسولَ الله؛ ما أنا إلا مِن قومِى. قال: «**فاجْمَعْ لى قَومَكَ فى هذِهِ الحَظِيرَةِ**» قال: فجاء رجالٌ من المهاجرينَ، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا، أتى سعدٌ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصار، فأتاهم رسولُ الله ﷺ، فَحَمِدَ الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؛ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِى عَنْكُم، وجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فى**

(١) البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).
(٢) نقلًا عن زاد المعاد، وسنده حسن.

(٤٢٠) أحمر
أسود

أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَداكُم اللهُ بى، وعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بى، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبكُم»؟ قالوا: الله ورسولُه أمَنُّ وأفضلُ، ثم قال: «أَلاَ تُجيبُونى يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ»؟ قالوا: بماذَا نجيبُك يا رسولَ الله، للهِ ولِرسُولِه المنُّ والفَضْلُ؟ قال: «أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُم، لَقُلْتُم، فَلَصَدَقْتُم ولَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فآوَيْنَاكَ، وعائِلاً فآسيناكَ، أَوجَدْتم علىَّ يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ فى أَنْفُسِكُم فى لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قومًا لِيُسْلِمُوا، وَوكَلْتُكُم إلى إسْلامِكُم، ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاء والبَعير، وتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله إلى رحالِكم، فَوالَّذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُون بِهِ خيرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلا الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرُءاً مِن الأَنْصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَوَاديًا، وسَلَكَت الأنصار شِعْبًا وَوَاديًا لَسَلكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ وواديها، الأنصارُ شِعَارٌ، والنَّاسُ دِثارٌ، اللهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصار، وأبناءَ أبناءِ الأَنْصار».

قال: فبكى القومُ حتَّى أخضلُوا لِحاهم، وقالوا: رَضينَا برسُولِ الله ﷺ قَسْمًا وحظًا، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ وتفرَّقوا.

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ. فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ. فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ بِي وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللهُ بِي؟» وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنْ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا». لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا.

(١) البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).

(٤٢١) أحمر
أسود

فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ. وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ. وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ. إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً. فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وأخرج البخاري ومسلم[1] من طريق عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ أَنَّ مَرْوَانَ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ. وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ - وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ - فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ. وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ. فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا. هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْ سَبْيِ هَوَازِنَ».

أورد الطبري بإسناد حسن[2] عن قتادة قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، حتى بلغ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: «حنين»، ماء

(١) البخاري (٤٣١٨، ٤٣١٩).
(٢) ولكنه مرسل.

(٤٢٢) أحمر
أسود

بين مكة والطائف، قاتل عليها نبيُّ الله هوازن وثقيفَ، وعلى هوازن: مالك بن عوف أخو بني نصر، وعلى ثقيف: عبد يا ليل بن عمرو الثقفيّ. قال: وذُكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفًا: عشرة آلافٍ من المهاجرين والأنصار، وألفان من الطُّلَقَاء، وذكر لنا أنَّ رجلا قال يومئذٍ: «لن نغلب اليوم بكَثْرة» ! قال: وذكر لنا أن الطُّلَقَاء انجفَلوا يومئذ بالناس، وجلَوْا عن نبي الله ﷺ حتى نزل عن بغلته الشهباء. وذكر لنا أن نبيَّ الله قال: «**أي رب، آتني ما وعدتني**» ! قال: والعباسُ آخذ بلجام بغلةِ رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «**ناد يا معشر الأنصار، ويا معشر المهاجرين!**»، فجعل ينادي الأنصار فَخِذًا فخِذًا، ثم قال: «نادِ بأصحاب سورة البقرة !». قال: فجاء الناس عُنُقًا واحدًا. فالتفت نبيُّ الله ﷺ، وإذا عصابة من الأنصار، فقال: هل معكم غيركم؟ فقالوا: يا نبي الله، والله لو عمدت إلى بَرْك الغِمادِ من ذي يَمَنٍ لكنَّا مَعَك، ثم أنزل الله نصره، وهزَمَ عدوّهم، وتراجع المسلمون. قال: وأخذ رسول الله كفًّا من تراب -أو: قبضةً من حَصْباء- فرمى بها وجوه الكفار، وقال: «**شاهت الوجوه!**»، فانهزموا. فلما جمع رسول الله ﷺ الغنائم، وأتى الجعرَّانة، فقسم بها مغانم حنين، وتألَّف أناسًا من الناس، فيهم أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، فقالت الأنصار: «**أمن الرجل وآثر قومه**» ! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وهو في قُبَّة له من أَدَم، فقال: «**يا معشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني؟ ألم تكونوا ضُلالا فهداكم الله، وكنتم أذلَّةً فأعزكم الله، وكنتم وكنتم!** » قال: فقال سعد بن عبادة رَحِمَهُ اللَّهُ: ائذن لي فأتكلم ! قال: تكلم. قال: أما قولك: «**كنتم ضلالا فهداكم الله**»، فكنا كذلك، «**وكنتم أذلة فأعزكم الله**»، فقد علمت العربُ ما كان حيٌّ من أحياء العرب أمنعَ لما وراء ظهورهم منَّا! فقال عمر: يا سعد أتدري من تُكلِّم! فقال: نعم أكلّم رسول الله

(٤٢٣) أحمر
أسود

ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو سلكَتِ الأنصارُ واديًا والناس واديًا لسكت وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت امرءًا من الأنصار**». وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**الأنصار كَرِشي وَعَيْبتي، فاقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار، أما ترضون أن ينقلب الناس بالإبل والشاء، وتنقلبون برسولِ الله إلى بيوتكم!**» فقالت الأنصار: رضينا عن الله ورسوله، والله ما قلنا ذلك إلا حرصا على رسول الله ﷺ ! فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرَانكم**».

وأخرج البخاري [(١)] من حديث أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلَا رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ بِالسَّيْفِ فَقَطَعْتُ الدِّرْعَ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ اللهِ ﷻ. ثُمَّ رَجَعُوا، وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**» فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَهُ. فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَهُ فَقُمْتُ فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟**» فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ وَسَلَبُهُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ مِنِّي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَاهَا اللهِ، إِذًا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ فَيُعْطِيكَ سَلَبَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ فَأَعْطِهِ**» فَأَعْطَانِيهِ، فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلِمَةَ، فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ.

وأخرج البخاري [(٢)] من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) البخاري (٤٣٢١).
(٢) البخاري (٤٣٢٣).

(٤٢٤) أحمر
أسود

مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ. قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ، فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي أَلَا تَثْبُتُ، فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: لِأَبِي عَامِرٍ قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئْ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي، وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**» وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنْ النَّاسِ**» فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**» قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.

وأخرج ابن إسحاق[1] في السيرة، وأحمد وغيرهما، بسندٍ حسن من طريق عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ، انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا. قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، وَكَانَ الْقَوْمُ سَبَقُونَا إِلَى الْوَادِي، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَابِهِ وَمَضَايِقِهِ، قَدْ أَجْمَعُوا، وَتَهَيَّئُوا، وَأَعَدُّوا، فَوَاللهِ مَا

(١) ابن إسحاق في السيرة (ص ٥٥٣)، وأحمد (٣٧٦/٣).

(٤٢٥) أحمر
أسود

رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ، قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ثُمَّ قَالَ: «**إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللهِ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**» وَبَقِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَفِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ: عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَابْنُهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وأَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَقُتِلَ يومئذٍ، قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ بِيَدِهِ رَايَةٌ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ أَمَامَ هَوَازِنَ، وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، إِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ، رَفَعَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ فَاتَّبَعُوهُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَهْوَى عَلَيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَأَتَا عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ، فَضَرَبَه ضَرْبَةً أَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَانْعَجَفَ عَنْ رَحْلِهِ، قَالَ: فَاجْتَلَدَ النَّاسُ قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارَى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ: وحَدَّثَنِي عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ، بِيَدِهِ رَايَةٌ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُمْحٍ لَهُ طَوِيلٍ، أَمَامَ هَوَازِنَ، وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، إِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَ رُمْحَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ فَاتَّبَعُوهُ[(١)].

وَعَنْ[(٢)] أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَسِرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ، يُقَالُ

(١) وإسناده حسن أيضًا.
(٢) صحيح: أخرجه ابن إسحاق في السيرة، والترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وغيرهم.

(٤٢٦) أحمر
أسود

لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلّ سَنَةٍ، فَيُعَلّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا. قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**اللّهُ أَكْبَرُ قُلْتُمْ وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] **إنّهَا السّنَنُ لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

وأخرج مسلم[1] من حديث أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا. فَكَانَ مَعَهَا. فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟**» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ. إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنْ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ**».

بعض الفوائد التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في غزوة حنين:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (زاد المعاد):

فصل: فى الإشارة إلى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من المسائل الفقهية والنُّكت الحكمية

كان اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قد وعد رسولَه، وهو صادقُ الوعد، أنه إذا فتح مكَّة، دخل النَّاسُ فى دينه أفواجًا، ودانت له العربُ بأسرها، فلما تمَّ له الفتحُ المبين، اقتضت حِكمتُه تعالى أن أمسك قلوبَ هَوازِنَ ومَن تَبِعَهَا عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألَّبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، لِيظهر أمرُ الله، وتمامُ إعزازه لرسوله، ونصره لدينه، ولِتكون غنائمُهم شكرانًا لأهل الفتح، ولِيُظهرَ

(١) مسلم (١٨٠٩).

(٤٢٧) أحمر
أسود

اللهُ سبحانه رسولَه وعِبادَه، وقهرَه لهذه الشَوْكة العظيمة التى لم يلق المسلمون مثلها، فلا يُقاومهم بعدُ أحدٌ من العرب، ولغير ذلك مِن الحكم الباهرة التى تلوحُ للمتأملين، وتبدو للمتوسمين

واقتضت حكمتُه سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارةَ الهزيمة والكسرة مع كثرة عَددهم، وعُددهم، وقوةِ شَوْكتهم لِيُطامِنَ رُؤوساً رُفِعت بالفتح، ولم تدخل بلدَه وحرمه كما دخله رسولُ الله ﷺ واضعاً رأسه منحنياً على فرسه، حتى إنَّ ذقنه تكادُ تَمَسُّ سرجه تواضعاً لربه، وخضوعاً لعظمته، واستكانةً لعزَّته، أن أحلَّ له حَرَمهُ وبلده، ولم يَحِلَّ لأحد قبله ولا لأحد بعدَه، ولِيبين سُبحانه لمن قال: «لَنْ نُغْلَبَ اليَوْمَ عن قِلَّةٍ» أن النصرَ إنما هو من عنده، وأنه مَن ينصرُه، فلا غالب له، ومَن يخذُله، فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذى تولَّى نصر رسوله ودينه، لا كثرتُكم التى أعجبتكم، فإنها لم تُغن عنكم شيئاً، فوليتُم مُدبرين، فلما انكسرت قلوبُهم، أُرسلت إليها خِلَعُ الجبر مع بَرِيدِ النصر، فأنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وقد اقتضت حكمتُه أن خِلَعَ النصر وجوائزَه إنما تفِيضُ على أهل الانكسار: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

[القصص: ٥، ٦]

ومنها: أن الله سبحانه لما منع الجيش غنائمَ مكة، فلم يغنمُوا منها ذهباً، ولا فضةً، ولا متاعاً، ولا سبياً، ولا أرضاً كما روى أبو داود، عن وهب ابن منبِّه، قال: سألتُ جابراً: هَلْ غَنِمُوا يَوْمَ الفَتْح شَيْئاً؟ قال: لا[1]. وكانوا قد

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٣٠٢٣)، وابن سعد (١٤٣/٢).

(٤٢٨) أحمر
أسود

فتحوها بإيجافِ الخيل والركاب، وهُم عشرةُ آلاف، وفيهم حاجة إلى ما يحتاج إليه الجيشُ مِن أسباب القوة، فحرَّك سبحانَه قلوبَ المشركين لغزوهم، وقذفَ فى قلوبهم إخراجَ أموالهم، ونَعمهم، وشائهم، وسَبيهم معهم نُزُلاً، وضِيافةً، وكرامةً، لِحزبه وجنده، وتمَّمَ تقديرَه سبحانه بأن أطمعهم فى الظفر، وألاح لهم مبادئ النصر، ليقضى اللهُ أمراً كان مفعولاً، فلما أنزل اللهُ نصرَهُ على رسوله وأوليائه، وبردت الغنائمُ لأهلها، وجرت فيها سهامُ الله ورسوله، قيل: لا حاجةَ لنا فى دمائكم، ولا فى نسائكم وذراريكم، فأوحى اللهُ سبحانه إلى قلوبهم التوبةَ والإنابةَ، فجاؤوا مسلمين. فقيل: إن مِن شُكْرِ إسلامِكم وإتيانكم أن نَرُدَّ عَلَيْكُمْ نِسَاءَكُم وأَبْنَاءَكُم وَسَبْيَكُم، و﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومنها: أن الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوةِ بدر، وختم غزوهم بغزوة حُنَيْن، ولهذا يُقْرَنُ بين هاتين الغزاتين بالذكر، فيقال: بدرٌ وحُنَيْن، وإن كان بينهما سبعُ سنين، والملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين فى هاتين الغزاتين، والنبىُّ ﷺ رمى فى وجوه المشركين بالحصباء فيهما، وبهاتين الغزاتين طُفِئَت جمرةُ العرب لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين، فالأُولى:خوَّفتهم وكسرت مِن حَدِّهم، والثانية: استفرغت قواهم، واستنفدت سهامَهم، وأذلَّت جمعهم حتى لم يجدوا بُداً من الدخول فى دين الله.

ومنها: أن الله سبحانه جَبَرَ بها أهلَ مكة، وفرَّحهم بما نالُوه من النصر والمغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم، وإن كان عينَ جبرهم، وعرَّفهم تمامَ نعمته عليهم بما صرف عنهم من شر هَوازِن، فإنه لم يكن لهم بهم طاقة، وإنما نُصِرُوا عليهم بالمسلمين، ولو أُفردوا عنهم، لأكلهم عدوُّهم... إلى غير ذلك من الحكم التى لا يُحيط بها إلا الله تعالى.

(٤٢٩) أحمر
أسود

فصل

وفيها من الفقه: أن الإمام ينبغى له أن يبعث العيونَ ومَنْ يدخلُ بين عدوه ليأتيه بخبرهم، وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوِّه له، وفى جيشه قوة ومَنَعَة لا يقعُد ينتظرهم، بل يسيرُ إليهم، كما سار رسولُ الله ﷺ إلى هَوازِن حتى لقيهم بحُنَيْن.

ومنها: أن الإمام له أن يستعيرَ سلاحَ المشركين وعُدَّتهم لِقتال عدوه، كما استعار رسولُ الله ﷺ أدراع صفوان، وهو يومئذ مشركٌ.

ومنها: أن مِن تمام التوكل استعمالَ الأسبابِ التى نصبها الله لمسبباتها قدراً وشرعاً، فإن رسولَ الله ﷺ وأصحابه أكملُ الخلق توكُّلاً، وإنما كانوا يَلْقَوْنَ عدوَّهم، وهم متحصِّنُون بأنواع السِّلاح، ودخل رسولُ الله ﷺ مكَّة، والبَيْضَةُ على رأسه، وقد أنزل الله عليه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وكثير ممن لا تحقيق عنده، ولا رسوخ فى العلم يستشكلُ هذا، ويتكايس فى الجواب تارة بأن هذا فعله تعليماً للأُمة، وتارة بأن هذا كان قبلَ نزول الآية. ووقعت فى مصر مسألة سأل عنها بعضُ الأمراء، وقد ذُكِرَ له حديثٌ ذكره أبو القاسم بن عساكر فى «تاريخه الكبير» أن رسولَ الله ﷺ كان بعد أن أهدت له اليهوديةُ الشاةَ المسمومةَ لا يأكل طعاماً قُدِّمَ له حتى يأكل منه مَن قدَّمه[1].

قالوا: وفى هذا أُسوة للملوك فى ذلك. فقال قائل: كيف يُجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾؟ فإذا كانَ الله سبحانه قد ضمن له العِصْمةَ، فهو يعلم أنه لا سبيلَ لبَشَرٍ إليه.

وأجاب بعضهُم: بأن هذا يدل على ضعف الحديث، **وبعضُهم:** بأن هذا كان قبلَ نزولِ الآية، فلما نزلت لم يكن لِيفعل ذلك بعدَها، ولو تأمل هؤلاء أن

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٧/٢٢) بسندٍ فيه من لا يُعرف.

(٤٣٠) أحمر
أسود

ضمان الله له العِصمة، لا يُنافى تعاطيه لأسبابها، لأغناهم عن هذا التكلُّف، فإن هذا الضمانَ له من ربه تبارك وتعالى لا يُناقِضُ احتراسَه مِن الناس، ولا يُنافيه، كما أن إخبارَ الله سبحانه له بأنه يُظهر دينَه على الدِّينِ كُلِّه، ويُعليه، لا يُناقض أمره بالقتال، وإعدادِ العُدَّة، والقوة، ورباط الخيل، والأخذ بالجد، والحذر، والاحتراس من عدوه، ومحاربته بأنواع الحرب، والتورية، فكان إذا أراد الغزوة، ورَّى بغيرها، وذلك لأن هذا إخبار من الله سبحانه عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الأسباب التى جعلها الله مُفضية إلى ذلك، مقتضية له، وهو ﷺ أعلمُ بربِّه، وأتبعُ لأمره من أن يعطِّل الأسبابَ التى جعلها الله له بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر، وإظهار دينه، وغلبته لعدوه، وهذا كما أنه سبحانه ضمن له حياتَه حتَّى يُبلِّغ رسالاتِه، ويُظهر دينه، وهو يتعاطى أسبابَ الحياة مِن المأكل والمشرب، والملبس والمسكن، وهذا موضِعٌ يغلَطُ فيه كثير مِن الناس، حتى آل ذلك ببعضهم إلى أن ترك الدُّعاء، وزعم أنه لا فائدةَ فيه، لأن المسؤول إن كان قد قُدِّر، ناله ولا بد، وإن لم يُقدَّر، لم ينله، فأى فائدة فى الاشتغال بالدعاء؟ ثم تكايسَ فى الجواب، بأن قال: الدعاءُ عبادة، فيقال لهذا الغالِط: بقى عليك قسم آخر وهو الحقُّ أنه قد قدَّر له مطلوبَه بسببٍ إن تعاطاه، حصل له المطلوبُ، وإن عطل السبب، فاته المطلوب، والدعاء من أعظم الأسباب فى حصول المطلوب، وما مثل هذا الغالط إلا مثلُ مَن يقول: إن كان الله قد قدَّر لى الشبع، فأنا أشبع، أكلتُ أو لم آكل، وإن لم يُقدِّر لى الشبع، لم أشبع أكلتُ أو لم آكل، فما فائدة الأكل؟ وأمثال هذه التُّرَّهات الباطلة المنافية لحكمة الله تعالى وشرعه.. وبالله التوفيق

فصل

وفيها: أن النبى ﷺ شرط لصفوان فى العارية الضمان، فقال: «بَلْ عَارِيَّةٌ

(٤٣١) أحمر
أسود

مَضْمُونَةٌ» فهل هذا إخبار عن شرعه فى العارية، ووصف لها بوصفٍ شرعه الله فيها، وأن حكمها الضمانُ كما يُضمن المغصوب، أو إخبار عن ضمانها بالأداء بعينها، ومعناه: أنى ضامن لك تأديَتَها، وأنها لا تذهب، بل أردها إليك بعينها؟ هذا مما اختلف فيه الفقهاء.

فقال الشافعى وأحمد بالأول، وأنها مضمونة بالتلف، وقال أبو حنيفة ومالك بالثانى، وأنها مضمونة بالرد على تفصيل فى مذهب مالك، وهو أن العَيْن إن كانت مما لا يُغاب عليه، كالحيوان والعَقار، لم تُضمن بالتلف إلا أن يظهر كَذِبه، وإن كانت مما يُغاب عليه كالحلى ونحوه، ضُمنت بالتلف إلا أن يأتىَ ببينة تشهد على التلف، وسر مذهبه أن العارية أمانة غيرُ مضمونة كما قال أبو حنيفة، إلا أنه لا يُقبل قوله فيما يخالف الظاهر، فلذلك فرَّق بين ما يُغاب عليه، وما لا يُغاب عليه.

ومأخذ المسألة أن قوله ﷺ لصفوان: «بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ»، هل أراد به أنها مضمونة بالرد أو بالتلف؟ أى: أضمنها إن تلفت، أو أضمن لك ردَّها، وهو يحتمل الأمرين، وهو فى ضمان الرد أظهرُ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ فى اللَّفظ الآخر: «**بَلْ عَارِيَّةٌ مُؤَدَّاةٌ**»، فهذا يبينُ أن قوله: «مضمونة»، المراد به: المضمونة بالأداء.

الثانى: أنَّه لم يسأله عن تلفها، وإنما سأله هل تأخذها منى أخذَ غصب تحولُ بينى وبينها؟ فقال: «**لا بل أخذ عارية أُؤديها إليك**». ولو كان سأله عن تلفها وقال: أخاف أن تذهب، لناسب أن يقول: أنا ضامن لها إن تلفت.

الثالث: أنَّه جعل الضمانَ صِفة لها نفسها، ولو كان ضمانَ تلف، لكان الضمانُ لِبدلها، فلما وقع الضمانُ على ذاتها، دل على أنه ضمانُ أداء.

فإن قيل: ففى القصة أن بعض الدروع ضاع، فعرض عليه النبى ﷺ أن

(٤٣٢) أحمر
أسود

يضمنها، فقال: أنا اليوم فى الإسلام أرغبُ، قيل: هل عرض عليه أمراً واجباً أو أمراً جائزاً مُستحَبًا الأَوْلى فعلُه، وهو من مكارم الأخلاق والشيم، ومن محاسن الشريعة؟ وقد يترجح الثانى بأنه عرض عليه الضمان، ولو كان الضمان واجبًا، لم يعرضه عليه، بل كان يفى له به، ويقول: هذا حقُّك، كما لو كان الذاهب بعينه موجوداً، فإنه لم يكن ليعرض عليه رده فتأمله.

فصل

وفيها: جوازُ عقرِ فرسِ العدو ومركُوبه إذا كان ذلك عونًا على قتله، كما عقر علىٌّ رضى الله عنه جمل حامل راية الكفار، وليس هذا مِن تعذيب الحيوان المنهى عنه.

وفيها: عفُو رسولِ الله ﷺ عمن همَّ بقتله، ولم يُعاجله، بل دعا له ومسح صدره حتى عاد، كأنه ولى حميم.

ومنها: ما ظهر فى هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة، من إخباره لشيبة بما أضمر فى نفسه، ومن ثباته، وقد تولَّى عنه الناسُ، وهو يقول:

«أَنَا النَّبِىُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ».

وقد استقبلته كتائبُ المشركين.

ومنها: إيصالُ الله قبضته التى رمى بها إلى عيون أعدائه على البُعْدِ منه، وبركتُه فى تلك القبضة، حتى ملأت أعينَ القوم، إلى غير ذلك من معجزاته فيها، كنزول الملائكة للقتال معه، حتى رآهم العدوُّ جهرة، ورآهم بعض المسلمين.

ومنها: جوازُ انتظار الإمام بقسم الغنائمُ إسلامَ الكفار ودخولَهم فى الطاعة، فيرد عليهم غنائِمَهَم وسبيَهم، وفى هذا دليل لمن يقول: إن الغنيمة إنما تُملك بالقسمة، لا بمجرد الاستيلاء عليها، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد

(٤٣٣) أحمر
أسود

الاستيلاء، لم يستأنِ بهم النبيُّ ﷺ لِيردها عليهم، وعلى هذا فلو مات أحد من الغانمين قبل القسمة، أو إحرازها بدار الإسلام، رُدَّ نصيبُه على بقية الغانمين دون ورثته، وهذا مذهب أبي حنيفة: لو مات قبل الاستيلاء لم يكن لورثته شيء، ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته.

❁ ❁ ❁

نجاسة المشركين

س: ما المراد بالنجاسة في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنهم نجس المعتقد، أي: أن معتقدهم نحس، أي: أنهم خبثاء المعتقد، وأي: معتقد أخبث من معتقد شخص يجعل لله شريكًا ويرى أن الصنم ينفع ويضر، أو أمر غير الله ينفع ويضر.

ويتأيد هذا بقول النبي ﷺ «**إن المؤمن لا ينجس**».

الثاني: أن المراد بالنجاسة نجاسة البدن والمعنى أنهم أجناب، أي: في غالب أحوالهم على جنابة إذ هم لا يغتسلون منها وإن اغتسلوا لا ينوون رفعها.

❁ ❁ ❁

س: هل يُلزم من صافح مشركًا أن يغسل يده؟

ج: لا يُلزم بذلك، ولم يرد أن النبي ﷺ غسل يده من مصافحة مشرك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – يا أهل الغيمان لا تمكنوا المشركين من دخول

(٤٣٤) أحمر
أسود

المسجد الحرام فإنهم نجسوا المعتقد خبثاء المعتقد بشركهم بالله ﷻ ودعائهم غير الله وعبادتهم الأصنام، والمساجد عمومًا بنيت لعبادة الله وحده لا شريك له، إذ الله قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ... الآية﴾ [النور: ٣٦].

وكذا فإن المشركين نجسوا الأبدان في غالب الأحيان لا يغتسلون من جنابة ولا يتطهرون من حدث ولا يزيلون أثر نجاسة فكيف يمكنون وهم نجسوا المعتقد ونجسوا الأبدان من دخول المسجد الحرام.

كلا بل امنعوهم من دخوله ولا تمكنوهم من ذلك، وإن خفتم فقرًا من عدم مجيئهم إلى بلادكم وعدم جلبهم للتجارات وعدم شرائهم منكم كذلك، فالرزق ليس بمتوقفٍ عليهم ولا على مجيئهم فإن الله ﷻ هو الغني، قادرٌ على غناكم والتوسعة عليكم من فضله، قادرٌ على أن يرسل السماء عليكم مدرارًا فترزقون بذلك، قادرٌ على أن تتناسل إبلكم وخيولكم ومواشيكم وأنعامكم عمومًا بصورة أكثر، قادر على التوسعة عليكم من أي باب من أبواب الرزق، فهو الغني خزائن كل شيءٍ بيديه ومنتهى الأمور كلها إليه.

ولكن هذا الرزق موكولٌ إليه إن شاء أغناكم وإن شاء لم يُغنكم، ذلك لأن الإغناء ليس بدليلٍ على رضا الله ﷻ على العبد.

أما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بعباده وما يصلحهم.

﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع وفي كل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٤٣٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقرُّوا بوحدانيته: ما المشركون إلا نَجَس.

واختلف أهل التأويل في معنى «النجس»، وما السبب الذي من أجله سمَّاهم بذلك.

فقال بعضهم: سماهم بذلك، لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، فقال: هم نجس، ولا يقربوا المسجد الحرام = لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة، في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ ﴾، أي: أجْنَابٌ.

وقال آخرون: معنى ذلك: ما المشركون إلا رِجْسُ خنزير أو كلب.

وهذا قولٌ رُوِي عن ابن عباس من وجه غير حميد[1]، فكرهنا ذكرَه.

وقوله: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾، يقول للمؤمنين: فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم. وإنما عنى بذلك منعَهم من دخول الحرم، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام.

وأورد بإسناد صحيح عن عطاء: الحرمُ كله قبلةٌ ومسجد. قال: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾، لم يعن المسجدَ وحده، إنما عنى مكة والحرم. قال ذلك غير مرَّةٍ.

وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما:-

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال، حدثني الوليد بن مسلم قال، حدثنا

---

(١) يعني أنه ضعيف جدًّا، أو به كذاب.

(٤٣٦) أحمر
أسود

أبو عمرو: أن عمر بن عبد العزيز كتب: «أنِ آمنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين»، وأَتْبَعَ في نهيه قولَ الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

وأما قوله: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾، فإنه يعني: بعد العام الذي نادَى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة، وذلك عام حجَّ بالناس أبو بكر، وهي سنة تسع من الهجرة[1].

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، يقول للمؤمنين: وإن خفتم فاقَةً وفقرًا، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾.

يقال منه: عال يَعِيلُ عَيْلَةً وعُيُولا ومنه قول الشاعر:

وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاه ... وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

وقد حكي عن بعضهم أنّ من العرب من يقولُ في الفاقة: «عال يعول» بالواو.

وإنما قيل ذلك لهم، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم، انقطاع تجاراتهم، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك. وأمَّنهم الله من العيلة، وعوَّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم، ما هو خير لهم منه، وهو الجزية، فقال لهم: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، إلى: ﴿صَـٰغِرُونَ﴾.

---

(١) وذهب فريق من العلماء إلى أن ذلك هو ستة عشر.

قال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ فيه قولان: أحدهما - أنه سنة تسع التي حج فيها أبو بكر. الثاني سنة عشر قاله قتادة. ابن العربي: وهو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ وإن من العجب أن يقال: إنه سنة تسع وهو العام الذي وقع فيه الأذان. ولو دخل غلام رجل داره يوما فقال له مولاه: لا تدخل هذه الدار بعد يومك لم يكن المراد اليوم الذي دخل فيه.

(٤٣٧) أحمر
أسود

وقال قوم: بإدرار المطر عليهم.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فإن معناه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾، بما حدثتكم به أنفسكم، أيها المؤمنون، من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، وغير ذلك من مصالح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين، الذين هم نَجَس دينًا، عن المسجد الحرام، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية. وكان نزولها في سنة تسع؛ ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليا صحبة أبي بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عامئذ، وأمره أن ينادي في المشركين: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فأتم الله ذلك، وحكم به شرعا وقدرا.

وقال عبد الرازق: أخبرنا ابن جُرَيْج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ إلا أن يكون عبدًا، أو أحدا من أهل الذمة.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي قوله ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم فكثر خيرهم. قاله عكرمة.

والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك.

والثالث: أن أهل نجد وجرش وأهل صنعاء أسلموا فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر فأغناهم الله به. قاله مقاتل.

(٤٣٨) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم في المشركين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ باللّه الذين عبدوا معه غيره ﴿نَجَسٌ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع اللّه آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟».

وأعمالهم ما بين محاربة للّه، وصد عن سبيل اللّه ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

﴿ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي ﷺ ابن عمه عليا، أن يؤذن يوم الحج الأكبر بـ «براءة» فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن اللّه تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها.

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذُّرَهْم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿عَيْلَةً﴾ أي: فقرا وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فليس الرزق مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب

(٤٣٩) أحمر
أسود

كثيرة، فإن فضل اللّه واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن اللّه أكرم الأكرمين.

وقد أنجز اللّه وعده، فإن اللّه قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: ﴿إِنْ شَآءَ﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة اللّه، فلهذا علقه اللّه بالمشيئة.

فإن اللّه يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

وتدل الآية الكريمة، وهي قوله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول اللّه والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية.

ولما مات النبي ﷺ أمر أن يجلوا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعْدِ كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾

❁ ❁ ❁

س: هل المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الحرم كله (مكة كلها وسائر ما يطلق عليه حرم كمنى وجزء من مزدلفة...) أم المسجد الحرام فقط؟

ج: في هذه المسألة وجهان للعلماء:

أحدهما: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ المسجد فقط، ولكن

(٤٤٠) أحمر
أسود

مُنع المشركون من دخول الحرم كله؛ لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد اقتربوا من المسجد الحرام، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.

الثاني: أن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله، فعلى ذلك لا يدخلون الحرم كله أصالةً.

أي: أن المنع في الوجه الأول من دخول الحرم إنما هو لنهيهم عن الاقتراب.

أما المنع في الوجه الثاني: فهو منع متعلق بالحرم كله، ليس للاقتراب فحسب والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض ما جاء في دخول الكفار المساجد

س: هل يجوز للكفار دخول المساجد

ج: هذه من المسائل التي اختلفت فيها أقوال أهل العلم، وعلى ما يظهر لي، والله أعلم أن المشرك لا يدخل المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾.

أما غيره من المساجد فإن دعت الحاجة (حاجة المسلمين) إلى دخولهم دخلوا بقيد عدم تلويثه، والله أعلم.

أما عن سبب الاختلاف فهو النظر في الآية من ناحية سبب المنع وتخصيص المسجد الحرام، فالذين قالوا إن سبب المنع كونهم نجس عمموا المساجد فمنعوا المشرك من دخول المساجد كلها.

والذين نظروا إلى المنع الوارد في الآية، قالوا: المنع متعلق بالمسجد الحرام لفضيلة العظيمة قالوا: وقد دخل بعض المشركين المسجد على عهد رسول الله ﷺ في المدينة.

(٤٤١) أحمر
أسود

وفي هذا ما أخرجه البخاري[١] وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ.

وله بوَّب البخاري بباب دخول المشرك المسجد.

وفي بعض طرق الحديث[٢] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٣]: وَفِي دُخُولِ الْمُشْرِكِ الْمَسْجِد مَذَاهِب: فَعَنْ الْحَنَفِيَّةِ الْجَوَازُ مُطْلَقًا ، وَعَنْ الْمَالِكِيَّةِ وَالْمُزَنِيِّ الْمَنْع مُطْلَقًا ، وَعَنْ الشَّافِعِيَّةِ التَّفْصِيلُ بَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام وَغَيْره لِلْآيَةِ. وَقِيلَ: يُؤْذَنُ لِلْكِتَابِيِّ خَاصَّةً ، وَحَدِيث الْبَابِ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ ثُمَامَة لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف العلماء في دخول الكفار المساجد والمسجد الحرام على خمسة أقوال، فقال أهل المدينة الآية عامة في سائر المشركين وسائر المساجد. وبذلك كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله ونزع في كتابه بهذه الآية. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦]. ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها. وفي صحيح مسلم وغيره: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والقذر...** » الحديث. والكافر لا يخلو عن ذلك وقال ﷺ: «**لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب**» والكافر جنب وقوله

---

(١) البخاري (٤٦٩).
(٢) البخاري أيضًا (٤٦٢).
(٣) الفتح (١/ ٦٦٧).

(٤٤٢) أحمر
أسود

تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فسماه الله تعالى نجسا فلا يخلو أن يكون نجس العين أو مبعدا من طريق الحكم وأي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب لأن العلة وهي النجاسة موجودة فيهم والحرمة موجودة في المسجد يقال: رجل نجس وامرأة نجس ورجلان نجس وامرأتان نجس ورجال نجس ونساء نجس لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر فأما النجس (بكسر النون وجزم الجيم) فلا يقال إلا إذا قيل معه رجس فإذا أفرد قيل نجس (بفتح النون وكسر الجيم) ونجس (بضم الجيم) وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الآية عامة في سائر المشركين خاصة في المسجد الحرام ولا يمنعون من دخول غيره فأباح دخول اليهودي والنصراني في سائر المساجد قال بن العربي: وهذا جمود منه على الظاهر لأن قوله عَزَّ وَجَلَّ: إنما المشركون نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة فإن قيل: فقد ربط النبي ﷺ ثمامة في المسجد وهو مشرك قيل له: أجاب علماؤنا عن هذا الحديث وإن كان صحيحا بأجوبة:

أحدها: أنه كان متقدما على نزول الآية.

الثاني: أن النبي ﷺ كان قد علم بإسلامه فلذلك ربطه.

الثالث: أن ذلك قضية في عين فلا ينبغي أن تدفع بها الأدلة التي ذكرناها لكونها مقيدة حكم القاعدة الكلية وقد يمكن أن يقال: إنما ربطه في المسجد لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها وحسن آدابهم في جلوسهم في المسجد فيستأنس بذلك ويسلم وكذلك كان ويمكن أن يقال: إنهم لم يكن لهم موضع يربطونه فيه إلا في المسجد والله أعلم وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره ولا يمنع دخول المسجد الحرام إلا المشركون وأهل الأوثان وهذا قول يرده كل ما ذكرناه من الآية وغيرها قال الكيا الطبري: ويجوز للذمي دخول سائر المساجد عند أبي

(٤٤٣) أحمر
أسود

حنيفة من غير حاجة وقال الشافعي: تعتبر الحاجة ومع الحاجة لا يجوز دخول المسجد الحرام وقال عطاء بن أبي رباح: الحرم كله قبلة ومسجد فينبغي أن يمنعوا من دخول الحرم، لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]. وإنما رفع من بيت أم هانئ. وقال قتادة: لا يقرب المسجد الحرام مشرك إلا أن يكون صاحب جزية أو عبدا كافرا لمسلم. وروى إسماعيل بن إسحاق حدثنا يحيى بن عبدالحميد قال حدثنا شريك عن أشعث عن الحسن عن جابر عن النبي ﷺ قال: «لا يقرب المسجد مشرك إلا أن يكون عبدا أو أمة فيدخله لحاجة». وبهذا قال جابر بن عبدالله فإنه قال: العموم يمنع المشرك عن قربان المسجد الحرام، وهو مخصوص في العبد والأمة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بدين الحق، دين الله فالله ﷻ من أسمائه الحق، وقد قال: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

الثاني: أن الحق وصفٌ للدين، فالمعنى الدين الحق.

❁ ❁ ❁

(٤٤٤) أحمر
أسود

بعض أحكام الجزية

س: ما المراد بالجزية، وكم قدرها؟

ج: الجزية مبغ يدفعه اليهودي والنصراني كي يقرَّ على البقاء على دينه بلا قتالٍ في بلاد المُسلمين ويُحافظ عليه فلا يُعتدى عليه فيومَّن بذلك.

أما عن قدرها، فليس لها قدرٌ ثابت، بل تختلف من شخص على شخص ومن حال إلى حال، ومن بلدة إلى بلدة، ومن زمن إلى زمن.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿عَن يَدٍ﴾؟

ج: لأه العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهم يعطونها عن قهرٍ طائعين أو غير طائعين، أي: وهم مقهورين.

الثاني: أن كل واحدٍ منهم يُعطيها بيده ولا يوكل غيره في إعطائها.

وثَمَّ أقوال أُخر.

❁ ❁ ❁

س: هل تقبل الجزية من عموم الكفار؟

ج: لا تُقبل الجزية من عموم الكفار، إنما تقبل من اليهود والنصارى، وألحق عددٌ كبير من العلماء المجوس باليهود والنصارى.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من سُبي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا وإلا الجزية، فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول

(٤٤٥) أحمر
أسود

أبي حنيفة، ومالك.

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، فهم أهل القتال. فأما الزمن، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

❁ ❁ ❁

س: ما العمل إذا لم يستطع المسلمون فرض الجزية على أهل الكتاب؟

ج: حينئذٍ لا يكلف الله نفسًا إلى وسعها.

وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: المعنى، يا أهل الإسلام قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﷻ الإيمان الصحيح، قاتلوا هؤلاء الذين يزعمون أن الله له ولد، قاتلوا هؤلاء الذين لا يؤمنون باليوم الآخر على الوجه الصحيح، قاتلوا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، بل يستبيحون المحرمات ويرتكبون الفواحش والمنكرات، قاتلوا هؤلاء الذي لا يدينون بدين الإسلام، الدين الحق الذي ارتضاه الله للعباد، قاتلوا هؤلاء حتى يرجعوا عن باطلهم أو يُقروا بجزيةٍ يدفعونها لأهل الإسلام مقابل تركهم بلا قتال، ومقابل إقامتهم آمنين مطمئنين في بلاد المسلمين.

قاتلوهم حتى يعطوا هذه الجزية مقهورين أذلاء لكونهم جعلوا لله الولد، لكونهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، واتخذوا المسيح ابن

(٤٤٦) أحمر
أسود

مريم ربًّا عبدوه من دون الله، وليعلموا أن قبول الجزية منهم وتركهم تفضيل لهم عن غيرهم من أهل الشرك، فأهل الشرك الآخرون يقاتلون حتى يُسلموا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ: ﴿ قَٰتِلُواْ ﴾، أيها المؤمنون، القومَ ، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾، يقول: ولا يصدّقون بجنة ولا نار ، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾، يقول: ولا يطيعون الله طاعة الحقِّ، يعني: أنهم لا يطيعون طاعةَ أهل الإسلام ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، وهم اليهود والنصارَى.

وكل مطيع ملكًا وذا سلطانٍ، فهو دائنٌ له. يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له، دينًا»، قال زهير:

لَئِنَ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ ... فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ

وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، يعني: الذين أعطوا كتاب الله، وهم أهل التوراة والإنجيل ، ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾.

و«الجزية»: الفِعْلة من: «جزى فلان فلانًا ما عليه»، إذا قضاه، «يجزيه»، و«الجِزْية» مثل «القِعْدة» و«الجِلْسة».

ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراجَ عن رقابهم، الذي يبذلونه للمسلمين دَفْعًا عنها.

وأما قوله: ﴿عَن يَدٍ ﴾، فإنه يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه.

وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرًا له، شيئًا طائعًا له أو كارهًا: «أعطاه عن يده، وعن يد». وذلك نظير قولهم: «كلمته فمًا لفمٍ»، و«لقيته كَفَّةً لكَفَّةٍ، وكذلك: «أعطيته عن يدٍ ليد».

(٤٤٧) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾، فإن معناه: وهم أذلاء مقهورون.

يقال للذليل الحقير: «صاغر».

واختلف أهل التأويل في معنى «الصغار»، الذي عناه الله في هذا الموضع.

فقال بعضهم: أن يعطيها وهو قائمٌ، والآخذ جالسٌ.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، عن أنفسهم، بأيديهم يمشون بها، وهم كارهون، وذلك قولٌ رُوي عن ابن عباس، من وجهٍ فيه نظر.

وقال آخرون: إعطاؤهم إياها، هو الصغار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾:

ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة، فقال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانا صحيحا لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد، صلوات الله عليه، لأن جميع الأنبياء [الأقدمين] بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به، وهو أشرف الرسل، عُلِم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء، وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم؛ ولهذا قال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ

(٤٤٨) أحمر
أسود

أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهذه الآية الكريمة [نزلت] أول الأمر بقتال أهل الكتاب، بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله ورسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع؛ ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك، وأظهره لهم، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم، فَأَوْعَبوا معه، واجتمع من المقاتلة نحو [من] ثلاثين ألفا، وتخلف بعضُ الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم، وكان ذلك في عام جَدْب، ووقت قَيْظ وحر، وخرج، عليه السلام، يريد الشام لقتال الروم، فبلغ تبوك، فنزل بها وأقام على مائها قريبًا من عشرين يومًا، ثم استخار الله في الرجوع، فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس، كما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله.

وقد استدلَّ بهذه الآية الكريمة مَن يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، أو من أشباههم كالمجوس، لما صح فيهم الحديث أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي، وأحمد -في المشهور عنه- وقال أبو حنيفة، رحمه الله: بل تؤخذ من جميع الأعاجم، سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين، ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب.

وقال الإمام مالك: بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابيٍّ، ومجوسي، ووثني، وغير ذلك، ولمأخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا، والله أعلم.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ أي: إن لم يسلموا، ﴿ عَن يَدٍ ﴾ أي: عن قهر لهم وغلبة، ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ أي: ذليلون حقيرون مهانون. فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صَغَرة أشقياء، كما جاء في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لا تبدءوا**

(٤٤٩) أحمر
أسود

اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ، من رواية عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين صالح نصارى من أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرًا ولا كنيسة، ولا قِلاية ولا صَوْمَعة راهب، ولا نجدد ما خرب منها، ولا نحيي منها ما كان خطط المسلمين، وألا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ينزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم، ولا نأوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسًا، ولا نكتم غشًا للمسلمين، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركا، ولا ندعو إليه أحدًا؛ ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقر المسلمين، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم، في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكُنَاهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح، ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقاديم رءوسنا، وأن نلزم زِينا

---

(١) مسلم (٢١٦٧).

(٤٥٠) أحمر
أسود

حيثما كنا، وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وألا نظهر الصليب على كنائسنا، وألا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيا، وألا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين، ولا نخرج شعانين ولا باعوثًا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين، وأن نرشد المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم».

قال: فلما أتيت عمر بالكتاب، زاد فيه: ولا نضرب أحدًا من المسلمين، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وَوَظَفْنا على أنفسنا، فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ لما حرم الله تعالى على الكفار أن يقربوا المسجد الحرام، وجد المسلمون في أنفسهم بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ ﴾ [التوبة: ٢٨] الآية. على ما تقدم. ثم أحل في هذه الآية الجزية وكانت لم تؤخذ قبل ذلك، فجعلها عوضا مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم. فقال الله ﷻ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ الآية. فأمر سبحانه وتعالى بمقاتلة جميع الكفار لإصفاقهم على هذا الوصف، وخص أهل الكتاب بالذكر إكراما لكتابهم، ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرائع والملل، وخصوصا ذكر محمد ﷺ وملته وأمته. فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة، فنبه على محلهم ثم جعل للقتال غاية

(٤٥١) أحمر
أسود

وهي إعطاء الجزية بدلا عن القتل. وهو الصحيح. قال ابن العربي: سمعت أبا الوفاء علي بن عقيل في مجلس النظر يتلوها ويحتج بها. فقال: «قَاتِلُوا» وذلك أمر بالعقوبة. ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وذلك بيان للذنب الذي أوجب العقوبة. وقوله: ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ تأكيد للذنب في جانب الاعتقاد. ثم قال: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ زيادة للذنب في مخالفة الأعمال. ثم قال: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ إشارة إلى تأكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والأنفة عن الاستسلام. ثم قال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تأكيد للحجة، لأنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل. ثم قال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ فبين الغاية التي تمتد إليها العقوبة وعين البدل الذي ترتفع به.

وقد اختلف العلماء فيمن تؤخذ منه الجزية، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب خاصة عربا كانوا أو عجما لهذه الآية، فإنهم هم الذين خصوا بالذكر فتوجه الحكم إليهم دون من سواهم لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ولم يقل: حتى يعطوا الجزية كما قال في أهل الكتاب. وقال: وتقبل من المجوس بالسنة وبه قال أحمد وأبو ثور. وهو مذهب الثوري وأبي حنيفة وأصحابه. وقال الأوزاعي: تؤخذ الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب. وكذلك مذهب مالك، فإنه رأى الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد، عربيا أو عجميا، تغلبيا أو قرشيا، كائنا من كان، إلا المرتد. وقال ابن القاسم وأشهب وسحنون: تؤخذ الجزية من مجوس العرب والأمم كلها. وأما عبدة الأوثان من العرب فلم يستن الله فيهم جزية، ولا يبقى على الأرض منهم أحد، وإنما لهم القتال أو الإسلام. ويوجد لابن القاسم: أن الجزية تؤخذ منهم، كما يقول مالك. وذلك في التفريع لابن الجلاب وهو احتمال لا نص. وقال ابن وهب: لا تقبل الجزية

(٤٥٢) أحمر
أسود

من مجوس العرب وتقبل من غيرهم. قال: لأنه ليس في العرب مجوسي إلا وجميعهم أسلم، فمن وجد منهم بخلاف الإسلام فهو مرتد يقتل بكل حال إن لم يسلم ولا تقبل منهم جزية. وقال ابن الجهم: تقبل الجزية من كل من دان بغير الإسلام إلا ما أجمع عليه من كفار قريش. وذكر في تعليل ذلك أنه إكرام لهم عن الذلة والصغار، لمكانهم من رسول الله ﷺ. وقال غيره: إنما ذلك لأن جميعهم أسلم يوم فتح مكة. والله أعلم.

وأما المجوس فقال ابن المنذر: لا أعلم خلافا أن الجزية تؤخذ منهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ إيمانا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم. ولا يحرمون ما حرم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه اللّه أصلا وإما دين منسوخ قد شرعه اللّه، ثم غيره بشريعة محمد ﷺ، فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز.

فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب.

وغيَّى ذلك القتال ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ أي: المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كلٌّ على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين.

(٤٥٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ أي: حتى يبذلوها في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، فلا يرسلون بها خادما ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقروهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون مما ينفي عزهم وتكبرهم، ويوجب ذلهم وصغارهم، وجب على الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم.

وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا.

واستدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن اللّه لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم.

وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي ﷺ، أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر من الفرس المجوس.

وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخبارا بالواقع، لا مفهوما له.

ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كِتَابِيٍّ وغيره.

❁ ❁ ❁

(٤٥٤) أحمر
أسود

مَنْ العُزير

س: من عُزير هذا، ولماذا قالوا عن ابن الله؟

ج: لم أقف على خبر صحيح من كتاب أو سنة يوضح من هو العُزير، إلا أن من العلماء من قال إنه ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِـۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والآية التي نحن بصددها: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾.

أما لماذا قالوا ذلك، فهذا من وحي الشيطان لهم بذلك، ولا أعلم مستندًا صحيحًا يبين لماذا قالوا بذلك.

وقد أورد الطبري بإسنادٍ يُسن عن السدي ما قد يبين سبب ذلك، وهذا من الإسرائيليات، وليس بمرفوع إلى رسول الله ﷺ، ولا يعول على مثله.

وكذا أورد الطبري بإسنادٍ ضعيف جدًّا عن ابن عباس سببًا لذلك.

أما أثر ابن عباس وهو ضعيف جدًّا عنه ففيه:

وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عُزَيرًا كان في أهل الكتاب، وكانت التوراة عندهم، فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق، وكان التّابوت فيهم. فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء، رفع الله عنهم التابوت، وأنساهُم التوراة، ونسخها من صدورهم، وأرسل الله عليهم مرضًا، فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبدُه، حتى نسوا التوراة، ونسخت من صدورهم، وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثُوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير قبلُ من علمائهم، فدعا عزيرٌ الله، وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخَ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله، نزل نور من الله فدخل جَوْفه، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فأذّن في قومه فقال: يا قوم، قد آتاني الله التوراةَ

(٤٥٥) أحمر
أسود

وردَّها إليَّ ! فعلقَ بهم يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إنَّ التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرَضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلِّمهم، فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله.

قلت (مصطفى): وهذا ضعيف الإسناد جدًّا كما أسلفت.

أما أثر السدي ففيه:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾، إنما قالت ذلك، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم، وأخذوا التوراة، وذهب علماؤهم الذين بقُوا، وقد دفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلامًا يتعبَّد في رءوس الجبال، لا ينزل إلا يوم عيد. فجعل الغلام يبكي ويقول: «ربِّ تركتَ بني إسرائيل بغير عالم» ! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفارُ عينيه، فنزل مرة إلى العيد، فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلتْ له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه، ويا كاسِياه ! فقال لها: ويحك، من كان يطعمك أو يكسوك أو يسقيك أو ينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله! قال: فإن الله حي لم يمت! قالت: يا عزير، فمن كان يعلِّم العلماء قبلَ بني إسرائيل؟ قال: الله! قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خُصِم، ولَّى مدبرًا، فدعته فقالت: يا عزير، إذا أصبحت غدًا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه، ثم اخرج فصلِّ ركعتين، فإنه يأتيك شيخٌ، فما أعطاك فخُذْه. فلما أصبح انطلق عزير إلى ذلك النهر، فاغتسل فيه، ثم خرج فصلى ركعتين. فجاءه الشيخُ فقال: افتح فمك! ففتح فمه، فألقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة، مجتمع كهيئة القوارير، ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل، إني قد جئتكم بالتوراة! فقالوا: يا عزير، ما كنت

(٤٥٦) أحمر
أسود

كذَّابًا! فعمد فربط على كل إصبع له قلمًا، وكتب بأصابعه كلها، فكتب التوراة كلّها. فلما رجعَ العلماء، أخبروا بشأن عزير، فاستخرج أولئك العلماء كُتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال، وكانت في خوابٍ مدفونة، فعارضوها بتوراة عزير، فوجدوها مثلها، فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه!

قلت: وهذا من الإسرائيليات كما أشرت.

❁ ❁ ❁

س: ما سبب قول النصارى المسيح ابن الله؟

ج: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان:

أحدهما: لكونه ولد من غير ذكر.

والثاني: لأنه أحيى الموتى، وأبرأ الكُمْهَ والبُرص؛ وقد شرحنا هذا المعنى في (المائدة: ١١٠).

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن القول يخرج من الأفواه فما فائدة تكرير قوله: ﴿قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: للتأكيد، وأنهم قالوا هذا القول المفتري.

الثاني: أنهم يقولون ذلك بلا خجل ولا ورع ولا خوف، كأنهم قالوا ذلك بملء أفواههم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ قيل: معناه التأكيد، كما قال

(٤٥٧) أحمر
أسود

تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] وقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣] ومثله كثير. وقيل: المعنى أنه لما كان قول ساذج ليس فيه بيان ولا برهان، وإنما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح لأنهم معترفون بأن الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولدا، فهو كذب وقول لساني فقط بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الأدلة ويقوم عليها البرهان. قال أهل المعاني: إن الله سبحانه لم يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولا زورا، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥] و﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ من هؤلاء المعنيون بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؟

ج: قيل: إنهم اليهود.

أي: أن النصارى لما قالوا المسيح ابن الله شابهوا اليهود والقائلين عزيرٌ ابن الله وقيل: إنهم الكفار عبدة الأوثان.

فلما قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، شابهوا بذلك الكفار الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، والكفار.

وقيل: إن اليهود والصنارى افتروا على الله الكذب بقولهم: إن الله له ولد، فشابهوا أهل الشرك في أصل افترائهم فقد افترى أهل الشرك على الله ﷻ، وقالوا: إن له شريك، فالمشابهة في أصل الافتراء.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

(٤٥٨) أحمر
أسود

وفي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم المسيح ابن الله شابهوا اليهود في قولهم عزير ابن الله، قاله قتادة والسدي.

والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليدا، قاله الزجاج وابن قتيبة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون، ومنه قول العرب: امرأة ضهيأ للتي لا تحيض أو التي لا ثدي لها، كأنها أشبهت الرجال. وللعلماء في ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: قول عبدة الأوثان: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

الثاني: قول الكفرة: الملائكة بنات الله.

الثالث: قول أسلافهم، فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر، كما أخبر عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – بيان لأحوال بعض اليهود والنصارى ولأقوالهم، ففريق من اليهود، قالوا: عزير ابن الله، فنسبوا الولد لله عَزَّ وَجَلَّ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وقال فريق من النصارى: إن المسيح ابن الله، فنسبوا إلى الله الولد

(٤٥٩) أحمر
أسود

كذلك تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فشابهوا بمقولاتهم تلك مقوللات أهل الكفر والزيغ والضلال الذين افتروا على الله الكذب فزعم بعضهم أن الله له شريك وزعم بعضهم أن الملائكة بنات الله، فقاتل الله ولعن وعادى من تقول على الله بغير علم ونسب إلى الله الولد وادّعى له الشريك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾، يعني قول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. يقول: يُشْبه قول هؤلاء في الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابنٌ، كذِبَ اليهود وفريتهم على الله في نسبتهم عزيرًا إلى أنه لله ابن، ولا ينبغي أن يكون لله ولدٌ سبحانه، بل له ما في السماوات والأرض، كل له قانتون.

وقد قيل: إن معنى ذلك: يحكون بقولهم قولَ أهل الأوثان، الذين قالوا: «اللات، والعزَّى، ومناة الثالثة الأخرى».

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ ما حاصله أن معناه لعنهم الله ثم قال:

وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، يقول: أيَّ وجه يُذْهبُ بهم، ويحيدون؟ وكيف يصدُّون عن الحق؟ وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم جميع بني اسرائيل روي عن ابن عباس. **والثاني:** طائفة من سلفهم قاله الماوردي. **والثالث:** جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ وفيهم قولان:

أحدهما: فنحاص وحده وقد ذكرناه عن ابن عمر وابن جريج.

(٤٦٠) أحمر
أسود

والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس.

فإن قيل: إن كان قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم فعنه جوابان:

أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة تقول العرب جئت من البصرة على البغال وإن كان لم يركب إلا بغلا واحدا.

والثاني: أن من لم يقله لم ينكره.

قال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على اللّه، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في ﴿ عُزَيْرٌ ﴾ أنه ابن اللّه، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حَمَلَةَ التوراة، وجدوا عزيرا بعد ذلك حافظا لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ﴾ عيسى ابن مريم ﴿ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ قال اللّه تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ القول الذي قالوه ﴿ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: ﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾ أي: يشابهون في قولهم هذا ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

(٤٦١) أحمر
أسود

كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات اللّه» تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون على الحق، الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين.

وهذا -وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول- يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه.

❁ ❁ ❁

كيفية اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾.

ج: هذا – والله أعلم – إخبارٌ عن أحوال اليهود والنصارى وشركهم بالله ﷻ فيقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾، أي: اتخذ اليهود علماءهم ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: واتخذ النصارى عبادهم والمجتهدين في العبادة منهم ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعبدونهم بطاعتهم إياهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال فيحلوا لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرموا عليهم ما أحلَّه الله لهم فيطيعونهم، وكذا اتخذت النصارى المسيح عيسى ابن مريم ربًّا يعبدونه من دون الله.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ هؤلاء اليهود والنصارى إلا بعبادة إلهٍ واحدٍ لا شريك له، وهو الله ﷻ تنزَّه ﷻ عن أن يكون له شريك أو ولد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: اتخذ اليهود أحبارهم، وهم العلماء.

(٤٦٢) أحمر
أسود

والنصارى «رهبانهم»، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني: سادةً لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم.

وأورد بإسنادٍ ضعيف عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب، فقال: **يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك!** قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في «سورة براءة»، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: **أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟** قال: قلت: بلى! قال: **فتلك عبادتهم!**[(١)]

وأورد من طرق عن أبي البختري[(٢)]، عن حذيفة: أنه سئل عن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أربابًا من دون الله.

وأما قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أربابًا، إلا أن يعبدوا معبودًا واحدًا، وأن يطيعوا إلا ربًّا واحدًا دون أرباب شتَّى، وهو

---

(١) أخرجه أيضًا الترمذي (٣٠٩٥)، وغير واحد، وفي سنده عطيف بن أعين وهو ضعيف مجهول.
(٢) أبو البختري لمي سمع من حذيفة والأثر ضعيف.

(٤٦٣) أحمر
أسود

الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعةُ كل خلق، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾، يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلقُ بعبادته، ولزمت جميع العباد طاعته، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، يقول: تنزيهًا وتطهيرًا لله عما يُشرك في طاعته وربوبيته، القائلون: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾، والقائلون: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾، المتخذون أحبارهم أربابًا من دون الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ الأحبار جمع حبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه. ومنه ثوب محبر أي جمع الزينة. وقد قيل في واحد الأحبار: حبر بكسر الحاء، والدليل على ذلك أنهم قالوا: مداد حبر يريدون مداد عالم، ثم كثر الاستعمال حتى قالوا للمداد حبر. قال الفراء: الكسر والفتح لغتان. وقال ابن السكيت: الحبر بالكسر المداد، والحبر بالفتح العالم. والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة، وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له وعمله معه وأنسه به.

قوله تعالى: ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾ [الكهف: ٩٦] أي كالنار. قال عبدالله بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ أي: الذي إذا حرم الشيء فهو

(٤٦٤) أحمر
أسود

الحرام، وما حلله حل، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن لذلك سببا وهو أنهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ وهم علماؤهم ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة.

﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُحِلُّون لهم ما حرم اللّه فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل اللّه فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضا يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون اللّه، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة.

﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ اتخذوه إلها من دون اللّه، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر اللّه لهم على ألسنة رسله فما ﴿أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبذوا أمر اللّه وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ وتعالى ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس، وتعالت عظمته عن شركهم وافترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، واللّه تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾.

(٤٦٥) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- أن هؤلاء المشركين الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم، وكذا غيرهم من أهل الشرك ويسعون جاهدين لإخماد نور الله الذي أرسله وأنزله لعباده، يريدون محو القرآن والتشويش عليه والكفر به يريدون صرف الناس عن دين الحق دين الإسلام، ويريدون صرف الناس عن رسول الله ﷺ، يريدونها ظلمات ويبغونها عوجًا، ويأبى الله ﷻ أن يمكنهم، ويأبى الله إلا أن يظهر نورُه ويُعلي دينه وتظهر كلمته، ولو كره هؤلاء الجاحدون المنكرون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء المتخذون أحبارَهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أربابًا ، ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعني: أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعثَ به رسوله، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذي جعله الله لخلقه ضياءً ، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، يعلو دينُه، وتظهر كلمته، ويتم الحقّ الذي بعث به رسوله محمدًا ﷺ ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ إتمامَ الله إياه ، ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، يعني: جاحديه المكذِّبين به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

(٤٦٦) أحمر
أسود

والكافر: هو الذي يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل «كافرا»؛ لأنه يستر الأشياء، والزارع كافرا؛ لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي دلالته وحججه على توحيده. جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان. وقيل: المعنى نور الإسلام، أي أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ جمع فوه على الأصل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصَّلوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافتراء افتروه أخبر أنهم ﴿يُرِيدُونَ﴾ بهذا ﴿أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

ونور اللّه: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه اللّه نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور اللّه بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئا.

(٤٦٧) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – الله ﷻ هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالآيات البينات النيِّرات والدلالات الواضحات ودين الإسلام الذي هو دين الله الحق ليُعليه على الأديان كلها، ويجعله هو الظاهر على كل الأديان، وكلمة أهله هي العليا، وإن كره ذلك أهل الشرك.

وبنحوه قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه، ﴿ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾، محمدًا ﷺ، ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾، يعني: ببيان فرائض الله على خلقه، وجميع اللازم لهم، وبدين الحق، وهو الإسلام، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، يقول: ليعلي الإسلام على الملل كلها، ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، بالله ظهورَه عليها.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

فقال بعضهم: ذلك عند خروج عيسى، حين تصير الملَلُ كلُّها واحدةً.

وقال آخرون: معنى ذلك: ليعلمه شرائعَ الدين كلها، فيطلعه عليها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ فالهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع –ودين الحق: هي الأعمال [الصالحة] الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة.

(٤٦٨) أحمر
أسود

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله زَوَى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها**»[(١)].

وأورد ابن كثير بعض الأحاديث في هذا الصدد منها حديث:

تميم الداري، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله هذا الدين، بعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر**»، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخيرَ والشرفَ والعزَّ، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية[(٢)].

ومنها ما أخرجه مسلم[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ[(٤)] حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**».

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يريد محمدا ﷺ. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي

---

(١) مسلم (٢٨٨٩).
(٢) أحمد (٤/ ١٠٣) وغيره، وسنده صحيح.
(٣) مسلم (٢٩٠٧).
(٤) لا ينقضي الزمان.

(٤٦٩) أحمر
أسود

بالفرقان. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي بالحجة والبراهين. وقد أظهره على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها، عن ابن عباس وغيره. وقيل: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي ليظهر الدين دين الإسلام على كل دين.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني محمدا ﷺ ﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوحيد. **والثاني:** القرآن. **والثالث:** تبيان الفرائض فأما دين الحق فهو الإسلام وفي قوله ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ فالمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها فلا يخفى عليه منها شيء قاله ابن عباس.

والثاني: أنها راجعة إلى الدين ثم في معنى الكلام قولان

أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل ومتى يكون ذلك فيه قولان

أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام فانه يتبعه أهل كل دين وتصير الملل واحدة فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية قاله أبو هريرة والضحاك **والثاني:** أنه عند خروج المهدي قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة وإن لم يدخل الناس فيه.

قال السعدي رحمه الله:

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ الذي هو العلم النافع ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث اللّه به محمدا ﷺ مشتملا على بيان الحق من الباطل في أسماء اللّه وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة

(٤٧٠) أحمر
أسود

للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين للّه وحده، ومحبة اللّه وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

فأرسله اللّه بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد اللّه لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لا بد أن يقوم به.

❁ ❁ ❁

(٤٧١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ۞)

[التوبة: ٣٤-٣٧].

(٤٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْأَحْبَارِ - وَٱلرُّهْبَانِ - بِٱلْبَـٰطِلِ - وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - يَكْنِزُونَ - جِبَاهُهُمْ - عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ - حُرُمٌ - ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ - كَآفَّةً - ٱلنَّسِيٓءُ - يُضَلُّ بِهِ - لِّيُوَاطِـُٔوا - عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ - سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْأَحْبَارِ ﴾	علماء اليهود
(وَٱلرُّهْبَانِ ﴾	عُباد النصارى
(بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾	بغير الحق (بالكذب والسرقة والرشوة والاختلاس وغير ذلك)
(وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	يصرفون الناس عن طاعة الله، يمنعون الناس من دخول الإسلام
(يَكْنِزُونَ ﴾	يدخرون ولا يؤدون الزكاة
(جِبَاهُهُمْ)	جمع جبهةٍ
(عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ)	عدد الشهور
(حُرُمٌ)	حرمها الله وحرَّم القتال فيها وظلم العباد وعظَّم الله الحرمات وفيها وشدد يها
(ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ)	الدين المستقيم – الحساب الصحيح للشهور عند الله
(كَآفَّةً)	جميعًا

(٤٧٣) أحمر
أسود

(ٱلنَّسِيٓءُ)	التأخير، والمراد تأخير بعض الشهود (الحرم) عن وقتها أو إلغائها
(يُضَلُّ بِهِ)	يُصرف به عن الحق
(لِّيُوَاطِـُٔواْ)	ليوافقوا
(عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ)	عدد الشهور التي حرمها الله (أي أنهم يجعلون الشهور الحرم أربعة أيضًا لكن يجعلون شهرًا مكان شهر) ونحو ذلك
(سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡ)	أعمالهم السيئة

❁ ❁ ❁

(٤٧٤) أحمر
أسود

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري من طريق زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هَذَا؟ قَالَ: كُنْتُ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقُلْتُ: نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ أَنْ اقْدَمْ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمْتُهَا فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا، فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزِلَ وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: الظلم.

الثاني: الرشوة في الحكم.

الثالث: الكذب.

الرابع: أخذه من غير حلِّه.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٧٥) أحمر
أسود

معنى الكنز

س: ما معنى الكنز؟

ج: أخرج مالك في الموطأ[١] بسند صحيح من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ الْكَنْزِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى مِنْهُ الزَّكَاةُ.

وعند عبد الرزاق بسندٍ صحيح[٢] عن ابن عمر قال: ما أدى زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا يؤدى زكاته فهو كنز.

وأخرج عبد الرزاق بسندٍ صحيح[٣] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إذا أخرجت زكاة مالك فقد أذهبت شره وليس بكنز.

وأخرج عبد الرزاق بسندٍ صحيح[٤] عن عبيد بن عمير يقول: إذا أديت زكاة مالك فليس بكنز، وإن كان مدفونًا، وإن لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا.

وأخرج ابن أبي شيبة[٥] بإسناد صحيح عن مجاهد وعطاء قالا، ليس المال بكنزٍ وإن كان تحت الأرض إذا أدى زكاته، وإن كان لا يؤدي زكاته فهو كنزٌ، وإن كان على وجه الأرض.

هذا، وفي اللسان: الكنز في الأصل المال المدفون تحت الأرض فإذا أخرج منه الواجب عليه لم يبق كنزًا، وإن كان مكنوزًا، وهو حكم شرعي تُجوِّز فيه عن الأصل.

---

(١) الموطأ (١/ ٢٥٦).
(٢) عبد الرزاق في المصنف (٤/ ١٠٧).
(٣) عبد الرزاق في المصنف (٤/ ١٠٧)
(٤) عبد الرزاق في المصنف (٤/ ١٠٧).
(٥) ابن أبي شيبة (٣/ ١٩٠).

(٤٧٦) أحمر
أسود

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، قال: «الكنز»، ما كنز عن طاعة الله وفريضته، وذلك «الكنز». وقال: افترضت الزكاة والصلاة جميعًا لم يفرَّق بينهما.

قال الطبري: وإنما قلنا: «ذلك على الخصوص»، لأن «الكنز» في كلام العرب: كل شيء مجموع بعضُه على بعضٍ، في بطن الأرض كان أو على ظهرها، يدلُّ على ذلك قول الشاعر:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قَرْفَ الْحَتِيِّ وعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ

يعني بذلك: وعندي البرُّ مجموع بعضه على بعض. وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع: «مكتنز»، لانضمام بعضه إلى بعض.

وإذا كان ذلك معنى «الكنز»، عندهم، وكان قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، معناه: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضَها إلى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله... إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

واختلف أهل العلم في معنى «الكنز».

فقال بعضهم: هو كل مال وجبت فيه الزكاة، فلم تؤدَّ زكاته. قالوا: وعنى بقوله: ﴿يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ولا يؤدُّون زكاتها.

وأورد الطبري من عدة وجوه تصح بلا شك عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال:

كل مال أدَّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا. وكل مالٍ لم تؤدَّ زكاته، فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن، يكوى به صاحبه، وإن لم يكن مدفونًا.

قال الطبري: وقال آخرون: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أدَّيت منه الزكاة أو لم تؤدِّ.

(٤٧٧) أحمر
أسود

وقال آخرون: «الكنز» كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، القولُ الذي ذكر عن ابن عمر: من أن كل مالٍ أدّيت زكاته فليس بكنز يحرُم على صاحبه اكتنازُه وإن كثر، وأنّ كل مالٍ لم تُؤَّد زكاته فصاحبه مُعاقب مستحقٌّ وعيدَ الله، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قلّ، إذا كان مما يجبُ فيه الزكاة.

قال الطبري بعد أن أورد جملة آثار وأحاديث:

وإذا كان ذلك معنى «الكنز»، عندهم، وكان قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، معناه: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضَها إلى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله، وهو عامٌّ في التلاوة، ولم يكن في الآية بيانُ كم ذلك القدر من الذهب والفضّة الذي إذا جمع بعضُه إلى بعض، استحقَّ الوعيدَ، كان معلومًا أن خصوص ذلك إنما أدرك، لوقْف الرسول عليه، وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يودَّ حق الله منه من الزكاة دون غيره، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته.

وقد كان بعض الصحابة يقول: هي عامة في كل كنز غير أنها خاصّة في أهل الكتاب، وإياهم عَنَى الله بها.

وأورد بإسناد صحيح[1] عن زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبَذَة، فلقيت أبا ذَرّ، فقلت: يا أبا ذرّ، ما أنزلك هذه البلاد؟ قال: كنت بالشأم، فقرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، الآية، فقال معاوية: ليست هذه الآية فينَا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب! قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم! قال:

(١) وقد تقدم وأنه عند البخاري.

(٤٧٨) أحمر
أسود

فارتَفَع في ذلك بيني وبينه القولُ، فكتب إلى عثمان يشكُوني، فكتب إليَّ عثمان أنْ أقبل إليّ ! قال: فأقبلت، فلما قدمت المدينة ركِبني الناسُ كأنهم لم يروني قبل يومئذ، فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لي: تَنَحَّ قريبًا. قلت: والله لن أدعَ ما كنت أقول!

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل: (ولا ينفقونهما) يعني الذهب والفضة؟

ج: قيل: إن هذا للتغليب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾. وكما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقيل: المراد ولا ينفقون زكاتها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: فكيف قيل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فأخرجت «الهاء» و«الألف» مخرج الكناية عن أحدِ النوعين.

قيل: يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ مرادًا بها الكنوز، كأنه قيل: والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونَها في سبيل الله، لأن الذهب والفضة هي «الكنوز»، في هذا الموضع.

والأخر أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما، من الخبر عن الأخرى، لدلالة الكلام على الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها، ومنه قول الشاعر:

(٤٧٩) أحمر
أسود

نَحْــنُ بِمَــا عِنْــدَنَا وأَنْــتَ بِمَــا عِنْــدَكَ رَاضٍ، وَالــرَّأْيُ مُخْتَلِــفُ

فقال: «راض»، ولم يقل: «رضوان»، وقال الآخر:

إِنَّ شَــرْخَ الشَّــبَابِ والشَّــعَرَ الأَسْ وَدَ مَــا لَــمْ يُعَــاصَ كَــانَ جُنُونَــا

فقال: «يعاص»، ولم يقل: «يعاصيا» في أشياء كثيرة. ومنه قول الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، [سورة الجمعة: ١١]، ولم يقل: «إليهما».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولم يقل ينفقونهما، ففيه أجوبة ستة:

الأول: قال ابن الأنباري: قصد الأغلب والأعم وهي الفضة، ومثله قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥] رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم. ومثله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] فأعاد الهاء إلى التجارة لأنها الأهم وترك اللهو قاله كثير من المفسرين. وأباه بعضهم وقال: لا يشبهها، لأن ﴿أَوْ﴾ قد فصلت التجارة من اللهو فحسن عود الضمير على أحدهما.

الثاني: العكس وهو أن يكون «ينفقونها» للذهب والثاني معطوفا عليه. والذهب تؤنثه العرب تقول: هي الذهب الحمراء. وقد تذكر والتأنيث أشهر.

الثالث: أن يكون الضمير للكنوز.

الرابع: للأموال المكنوزة.

الخامس: للزكاة التقدير ولا ينفقون زكاة الأموال المكنوزة.

السادس: الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذا فهم المعنى، وهذا كثير في كلام العرب.

عقوبة الكافرين

(٤٨٠) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – يا أهل الإيمان بالله ورسوله اعملوا أن ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ﴾ وهم علماء اليهود، ﴿وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ وهم عُباد النصارى ليأكلون أموال الناس بغير حق، فتارة يأكلونها عن طريق الرشوة في الحكم، فيقبلون الرشوة ويظلمون اناس وتارة يأخذون الأموال مقابل فتوى يحلُّون بها الحرام، ويحرمون بها الحلال، وتارة يفرضون على أتباعهم أموالًا للكنائس والبيع والصوامع ويأخذونها لأنفسهم، وتارةً يأكلون الزكوات التي هي حقوق للفقراء، وتارة يأكلون الأموال بوعود باطلة وأماني كاذبة إلى غير ذلك من صور الباطل الذي هو غير الحق، ومع هذا كله فإنهم يصرفون الناس عن طريق الله ﷻ ويمنعونهم من الدخول في الإسلام والتدين به، ثم يُحذر الله سبحانه وتعالى طائفة الأغنياء والكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فيقول تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولا يخرجون زكواتها ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله ومرضاته ولإعلاء كلمته فبشرهم بعذاب مؤلم موجع يوم القيامة.

فالآية إذن تحذير لثلاث طوائف، العلماء والعباد والأثرياء، فإن فساد هؤلاء فيه فساد لسائر الناس وصلاحهم فيه صلاح لسائر الناس في غالب الأحوال.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٤٨١) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وأقروا بوحدانية ربهم، إن كثيرًا من العلماء والقُرَّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، يقول: يأخذون الرشى في أحكامهم، ويحرّفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتبًا ثم يقولون: «هذه من عند الله»، ويأخذون بها ثمنًا قليلا من سِفلتهم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: ويمنعون من أرادَ الدخول في الإسلام الدخولَ فيه، بنهيهم إياهم عنه.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قال: أما ﴿ٱلْأَحْبَارِ﴾، فمن اليهود. وأما ﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾، فمن النصارى. وأما ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فمحمد ﷺ.

قال الطبري:

ويقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، ويأكلها أيضًا معهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، يقول: بشّر الكثيرَ من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذابٍ أليم لهم يوم القيامة، مُوجع من الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال السدي: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى.

وهو كما قال، فإن الأحبار هم علماء اليهود، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] والرهبان: عباد النصارى، والقسيسون: علماؤهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢]

والمقصود: التحذير من علماء السوء وعُبَّاد الضلال كما قال سفيان بن

(٤٨٢) أحمر
أسود

عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح: «**لتركبنّ سَنَن من كان قبلكم حَذْو القُذّة بالقُذّة**». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». وفي رواية: فارس والروم؟ قال: «**وَمَن الناس إلا هؤلاء؟**» .

والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله، صلوات الله وسلامه عليه استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق، ويُلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العُبَّاد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال بعضهم

وَهَل أَفْسَدَ الدِّينَ إلا المُلوكُ ... وَأحبارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُها؟

ثم أورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأقوال في تعريف الكنز:

(٤٨٣) أحمر
أسود

منها: أثر ابن الذي تقدم ذكره وهذا عليه الأكثرون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ دخلت اللام على يفعل، ولا تدخل على فعل لمضارعة يفعل الأسماء. والأحبار علماء اليهود. والرهبان مجتهدو النصارى في العبادة. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قيل: إنهم كانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك، مما يوهمونهم أن النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله تعالى، وهم خلال ذلك يحجبون تلك الأموال، كالذي ذكره سلمان الفارسي عن الراهب الذي استخرج كنزه، ذكره ابن إسحاق في السير. وقيل: كانوا يأخذون من غلاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع. وقيل: كانوا يرتشون في الأحكام، كما يفعله اليوم كثير من الولاة والحكام. وقوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يجمع ذلك كله. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعون أهل دينهم عن الدخول في دين الإسلام، واتباع محمد ﷺ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تحذير من اللّه تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل اللّه، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل اللّه، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم

(٤٨٤) أحمر
أسود

بغير ما أنزل اللّه، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل اللّه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾ أي: يمسكونها ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: طرق الخير الموصلة إلى اللّه، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل اللّه إذا وجبت.

﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا ﴾ أي: على أموالهم، ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا للعلماء في أن الكنز كل مال لم تؤد زكاته[1]:

منها: أنها منسوخة بآيات الزكاة كقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التوبة: ١٠٢].

❁ ❁ ❁

س: هل يجب على كل شخص أن ينفق كل أمواله في سبيل الله؟

ج: لا يجب عليه ذلك بل يجب عليه أن يؤدي الزكاة التي افترضها الله عَزَّ وَجَلَّ عليه.

وذلك بدليل قول السائل لرسول الله ﷺ بعد أن بيَّن له ما فرضه عليه من الزكاة: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ... قَالَ الرَّجُلَ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ. فَقَالَ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[2].

❁ ❁ ❁

(١) إذا استوفيت الشروط كبلوغ النصاب وحلول الحول.
(٢) البخاري (حديث ٤٦)، ومسلم (حديث ١١).

(٤٨٥) أحمر
أسود

س: إذن فما توجيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾؟

ج: هذا يحتمل احتمالات:

أحدها: أن هذا في الأحبار والرهبان الذين يجمعون من الناس أموالًا لإنفاقها في سبيل الله ثم هم يأخذونها لأنفسهم.

وهذا الاحتمال أراه قاصرًا في هذا المقام، وذلك لعموم الآية الكريمة.

الثاني: أن هذا منسوخ كما قال بعض العلماء كان يجب على الشخص في أول أمر الإسلام أينفق الزائد عن حاجته لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].. أي الزائد عن الحاجة.

الثالث: وهو الأظهر وعليه قول أكثر أهل العلم، أن هذا في الزكوات الواجبة المفروضة فالذي يحتسبها ولا يخرجها في مصارفها، ومن مصارفها البذل في سبيل الله، فهو المتوعد بالعذاب، أي: الذي يمسك الزكوات ولا يخرجها في مصارفها. والله أعلم

قال الشنقيطي (أضواء البيان):

أظهر الأقوال وأقربها للصواب في معنى ﴿يَكْنِزُونَ﴾ في هذه الآية الكريمة، أن المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقهم لها في سبيل الله، أنهم لا يؤدون زكاتهما.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- فبشر الكافرين بعذاب أليم يوم يحمى على كنوزهم التي اكتنزوها ولم يؤدوا زكاتها في نار جهنم فتوضع هذه الكنوز

(٤٨٦) أحمر
أسود

المُحمرة التي احمرت بسبب النار التي وضعت عليها توضع على جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم: هذه الأموال التي كنزتموها لأنفسكم ها أنتم تكوون بها فذوقوا بها العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا يخرجون حقوق الله منها، يا محمد، بعذاب أليم، ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، فـ«اليوم» من صلة «العذاب الأليم»، كأنه قيل: يبشرهم بعذاب أليم، يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها.

ويعني بقوله: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾، تدخل النار فيوقد عليها، أي: على الذهب والفضة التي كنزوها، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

وكل شيء أدخل النار فقد أحمي إحماءً، يقال منه: «أحمَيت الحديدة في النار أحميها إحماءً».

وقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾، يعني بالذهب والفضة المكنوزة، يحمى عليها في نار جهنم، يكوي الله بها. يقول: يحرق الله جباهَ كانزيها وجنوبَهم وظهورهم، ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾، ومعناه: ويقال لهم: هذا ما كنزتم في الدنيا، أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها ﴿لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، يقول: فيقال لهم: فاطعَمُوا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوقَ الله وتكنزونها مكاثرةً ومباهاةً.

وحذف من قوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ و«يقال لهم»، لدلالة الكلام عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: يقال لهم هذا

(٤٨٧) أحمر
أسود

الكلام تبكيتا وتقريعا وتهكما، كما في قوله: ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝٤٩ ﴾ [الدخان: ٤٨، ٤٩] أي: هذا بذاك، وهو الذي كنتم تكنزون لأنفسكم؛ ولهذا يقال: من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله، عذب به. وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم، عذبوا بها، كما كان أبو لهب، لعنه الله، جاهدًا في عداوة الرسول، صلوات الله [وسلامه] عليه وامرأته تعينه في ذلك، كانت يوم القيامة عونًا على عذابه أيضا ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أي: [في] عنقها ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥] أي: تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه، ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه -كان -في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء على أربابها، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرها، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولوما: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر اللّه في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة اللّه، وإخراجها للصد عن سبيل اللّه.

وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات، و«النهي عن الشيء، أمر بضده».

(٤٨٨) أحمر
أسود

س: ما الذي جرى بين أبي ذر ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – لكون أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يرى وجوب إخراج الفائض عن الحاجة وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أن الآية نزلت في أهل الكتاب.

وكلا الرأيين بعيدٌ عن الصواب.

أما أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد سمع من النبي ﷺ حديثًا أو أكثر من حديث ففهم منها الذي فهم وخفيت عليه سائر الأحاديث.

فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أُحُدٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ!» قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ. أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ؛ إِلَّا دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ؛ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ. هَكَذَا (حَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وَهَكَذَا (عَنْ يَمِينِهِ) وَهَكَذَا (عَنْ شِمَالِهِ) قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا. فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ!» قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا. قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! كَمَا أَنْتَ حَتَّى آتِيَكَ» قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي. قَالَ: سَمِعْتُ لَغَطًا وَسَمِعْتُ صَوْتًا. قَالَ: فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عُرِضَ لَهُ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ. فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَمِعْتُ قَالَ: فَقَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ».

أما معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقصر الآية على أهل الكتاب، وكما هو معلوم فالعبرة

(١) البخاري (٦٢٦٨)، ومسلم (٩٤) واللفظ له.

(٤٨٩) أحمر
أسود

بالعموم.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: ويحتمل أن يكون مجمل ما روي عن أبي ذر في هذا، ما روي أن الآية نزلت في وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله ﷺ عن كفايتهم، ولم يكن في بيت المال ما يسعهم، وكانت السنون الجوائح هاجمة عليهم، فنهوا عن إمساك شيء من المال إلا على قدر الحاجة ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل ذلك الوقت.

فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم أوجب ﷺ في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار ولم يوجب الكل واعتبر مدة الاستنماء، فكان ذلك منه بيانا ﷺ. وقيل: الكنز ما لم تؤد منه الحقوق العارضة، كفك الأسير وإطعام الجائع وغير ذلك. وقيل: الكنز لغة المجموع من النقدين، وغيرهما من المال محمول عليهما بالقياس. وقيل: المجموع منهما ما لم يكن حليا، لأن الحلي مأذون في اتخاذه ولا حق فيه. والصحيح ما بدأنا بذكره، وأن ذلك كله يسمى كنزا لغة وشرعا. والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: كان من مذهب أبي ذر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال، وكان يفتي [الناس] بذلك، ويحثهم عليه، ويأمرهم به، ويغلظ في خلافه، فنهاه معاوية فلم ينته، فخشي أن يضر بالناس في هذا، فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان، وأن يأخذه إليه، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، وأنزله بالربذة وحده، وبها مات، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في خلافة عثمان. وقد اختبره معاوية، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو عنده، هل يوافق عمله قوله؟ فبعث إليه بألف دينار، ففرقها من يومه، ثم بعث

(٤٩٠) أحمر
أسود

إليه الذي أتاه بها فقال: إن معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت، فهات الذهب! فقال: ويحك! إنها خرجت، ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

وقال ابن حجر في [فتح الباري] قَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ: وَرَدَتْ عَنْ أَبِي ذَرّ آثَار كَثِيرَة تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَذْهَب إِلَى أَنَّ كُلّ مَال مَجْمُوع يَفْضُل عَنْ الْقُوت وَسَدَاد الْعَيْش فَهُوَ كَنْز يُذَمّ فَاعِله ، وَأَنَّ آيَة الْوَعِيد نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ.

وَخَالَفَهُ جُمْهُور الصَّحَابَة وَمَنْ بَعْدهمْ وَحَمَلُوا الْوَعِيد عَلَى مَانِعِي الزَّكَاة ، إلى أن قال: فَكَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا فِي أَوَّل الْأَمْر ثُمَّ نُسِخَ. وَاَللَّه أَعْلَم. ثم ذكر شَدَّاد بْن أَوْس أنه قَالَ: «كَانَ أَبُو ذَرّ يَسْمَع الْحَدِيث مِنْ رَسُول الله ﷺ فِيهِ الشِّدَّة ثُمَّ يَخْرُج إِلَى قَوْمه ، ثُمَّ يُرَخِّص فِيهِ النَّبِيّ ﷺ فَلَا يَسْمَع الرُّخْصَة وَيَتَعَلَّق بِالْأَمْرِ الْأَوَّل» اهـ.

وقال بعض العلماء: هي في خصوص أهل الكتاب، بدليل إقترانها مع قوله: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾ [التوبة: ٣٤] الآية.

فإذا علمت أن التحقيق أن الآية عامة، وأنها في من لا يؤدي الزكاة، فاعلم أن المراد بها هو المشار إليه في آيات الزكاة. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك، أن البيان بالقرآن إذا كان غير واف بالمقصود نتمم البيان من السنة، من حيث إنها بيان للقرآن المبين به، وآيات الزكاة كقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية، وقوله: ﴿ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] لا تفي بالبيان فتبينه بالسنة، وقد قال ابن خويز منداد المالكي، تضمنت هذه الآية: زكاة العين، وهي تجب بأربعة شروط، حرية، وإسلام، وحول، ونصاب سليم من الدين. اهـ. وفي بعض هذه الشروط خلاف.

(٤٩١) أحمر
أسود

حُليُّ المرأة هل عليه زكاة إن كان ذهبًا

س: هل الحلي الذي تتحلى به المرأة عليه زكاة إذا كان ذهبًا وبلغ النصاب؟

ج: في هذه المسألة وجهان لأهل العلم:

أحدهما: أن الذهب الذي تتحلى به المرأة إذا بلغ النصاب، وحال عليه الحول، أي: مرَّت عليه سنةٌ وجبت فيه الزكاة كسائر الأموال.

الثاني: أنه لا زكاة في الحلي ما دامت المرأة تتزين به.

وهنالك أقوالٌ أُخر في الباب لا دليل عليها.

أما القول الذي أختاره في هذه المسألة فهو وجوب الزكاة في الذهب الذي تتحلى به المرأة إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، وذلك للآتي ذكره.

أولًا: أنه مالٌ بلغ النصاب، ولم يرد دليلٌ من الكتاب العزيز، ولا دليل صحيح من السنة المباركة، ولا إجماع بأنه لا زكاة فيه، فبقينا مع الأصل أنه مال يُزكى، ومعلوم أنه يمكن تسييله إلى عملة ورقية في أي وقت، بل درج الناس على ادخار المال في صورة هذا الحلي.

ثانيًا: عموم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقد تقدم تعريف الكنز بأنه كل مالٍ لم تؤد زكاته، وإن كان فوق الأرض.

ثالثًا: العمومات الواردة أيضًا من السنة في إخراج الزكاة عن الذهب والفضة، ومنها ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ**

(١) مسلم (٩٨٧).

(٤٩٢) أحمر
أسود

وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...» الحديث.

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...» الحديث.

وما أخرجه مسلم[1] أيضًا من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: «مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ قَطُّ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[2] تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا، وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِقَوَائِمِهَا، وَلَا صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا، وَلَا صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ، فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ».

---

(١) مسلم (٩٨٨).

(٢) في رواية: بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، والمراد ببطح وقعد هو صاحب الإبل، فهو الذي يُبطح أي: ينام منبطحًا في قاع مستون فتمر عليه إبله بأخفافها وقوائمها، وترفع يديها وتطرحهما معًا على صاحبها.

(٤٩٣) أحمر
أسود

وقال البخاري[١] في صحيحه وَقَالَ[٢] أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَنْ كَنَزَهمَا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُمَا فَوَيْلٌ لَهُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ.

رابعًا: أخبار خاصة وردت في إيجاب إخراج الزكاة عن الذهب المستعمل للزينة، وإن كان في بعضها مقالٌ لكنها تُحسَّن بمجموع طرقها.

فمن ذلك ما رواه أبو داود والنسائي وأحمد[٣] وغيرهم من طريق عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهَا: «**أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟**» قَالَتْ: لَا. قَالَ: «**أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ**» قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ: هُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ.

وله شاهد في سنده ضعف[٤] قريب من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالَتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهَا أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَنَا: «**أَتُعْطِيَانِ زَكَاتَهُ؟**» قَالَتْ: فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: «**أَمَا تَخَافَانِ أَنْ يُسَوِّرَكُمَا اللهُ أَسْوِرَةً مِنْ نَارٍ أَدِّيَا**

---

(١) البخاري (١٤٠٤).

(٢) هذا صورته هنا معلق، لكن في بعض نسخ البخاري (رواية ابي ذر) حدثنا أحمد، وقد وصله أبو داود في كتاب الناسخ والمنسوخ عن محمد بن حيي وهو الذهلي عن أحمد بن شبيب بإسناده، قاله الحافظ ابن حجر.

(٣) أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي (٥/ ٣٨)، وأحمد (٢/ ١٧٨...)، وله شاهد من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند أبي داود (١٥٦٥)، وآخر من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا عند أبي داود (١٥٦٤).

(٤) أحمد (٦/ ٤٦١).

(٤٩٤) أحمر
أسود

زَكَاتَهُ».

هذا، وكما أسلفت لم يصح خبرٌ في إسقاط زكاة الحلي.

والخبر الذي ورد عن النبي ﷺ: «**ليس في الحلي زكاة**» خبر ضعيف جدًّا، وقد أوضحت ضعفه في كتابي جامع أحكام النساء.

هذا، وقد ورد بعض الصحابة أيضًا القول بإخراج الزكاة عن الذهب المعدِّ للزينة.

فروى الدارقطني بسندٍ حسن عن عائشة وابن عمرو[(١)].

فلفظ عائشة لا بأس بلبس الحلي إذا أُعطي زكاته.

وعبد الله بن عمرو كان يكتب إلى خازنه سالم أنه يخرج زكاة حلي نباته كل سنة.

ووردت عدة آثار عن التابعين بإخراج زكاة الذهب المعدّ للزينة.

فسئل سعيد بن المسيب أفي الحلي الذهب والفضة زكاة؟ قال: نعم. قلت: إذن يفنى. قال: ولوْ.

وصح عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

وعن عطاء والزهري وعبد الله بن شداد والثوري وغيرهم[(٢)]، صح عنهم القول بإخراج زكاة عن الذهب المعد للزينة، وكذا الفضة.

هذا، وغاية ما تمسك به المانعون من إخراج الزكاة عن الحلي، أعني الذين قالوا بعدم الوجوب بعض الآثار عن بعض الصحابة كابن عمر[(٣)]،

---

(١) انظر الدارقطني (٢/ ١٠٧).

(٢) وانظر أسانيد تلك الآثار عند عبد الرزاق في المصنف (٧٠٦٣) وغيره.

(٣) موطأ مالك (٢/ ٢٥٠) وغيره.

(٤٩٥) أحمر
أسود

وجابر[١]، وأسماء بنت أبي بكر[٢]، وعائشة[٣]، قد صح عنها أنها كانت تلي بنات أخيها يتامى في حجرها لهن الحلي فلا تخرج من حليهن زكاة، وهذا كله لا يقوى على إسقاط زكاة الذهب والفضة المعدان للزينة، والصواب وجوب الإخراج إذا بلغ الذهب الناب، وحال عليه الحول، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإخراج زكاة الحلي أحوط لأن « **من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** » - « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: هل الحلي الذي تتحلى به المرأة (غير الذهب والفضة) عليه زكاة؟

ج: ليست عليه زكاة.

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: ليس في اللؤلؤ، ولا في المسك، ولا في العنبر زكاة.

وقال الشافعي في الأم[٥]: وما يحلى النساء به أو ادخرنه أو ادخره الرجال من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ومرجان وحلية بحر وغيره فلا زكاة فيه، ولا زكاة إلا في ذهب أو ورق، ولا زكاة في صفر ولا حديد ولا رصاص ولا حجارة ولا كبريت ولا مما أخرج من الأرض ولا زكاة في عنبر ولا لؤلؤ أُخذَ من البحر.. إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١) مسند الشافعي (ص٩٦) وغيره.
(٢) ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٥٥).
(٣) الموطأ (١/ ٢٥٠) ويمكن الجمع بينه وبين أثر عائشة الآخر، بأن يقال إن ذهب اليتامى لم يكن بلغ النصاب والله أعلم.
(٤) الموطأ (١/ ٢٥٠).
(٥) الأم (٢/ ٣٦).

(٤٩٦) أحمر
أسود

س: ما المراد بالأشهر الحرم؟

ج: يبينها قول رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] وأحمد واللفظ لأحمد من حديث أبي بَكْرَة، أن النبي ﷺ خطب في حجته، فقال: «**ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة [حرم، ثلاثة] متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**». ثم قال: «**أي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا؛ بلى. ثم قال: «**أي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا: بلى. ثم قال: «**أي بلد هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليست البلدة؟**» قلنا: بلى. قال: «**فإن دماءكم وأموالكم** -قال: وأحسبه قال: **وأعراضكم -عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي ضُلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷺ في الحديث: « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»، تقرير منه، صَلَوَات الله وسلامه عليه، وتثبيت للأمر على ما جعله الله تعالى في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقص، ولا نسيء ولا تبديل، كما قال في تحريم مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق**

(١) البخاري (٦٧) وفي غير موضع، ومسلم (١٦٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٧) واللفظ له.

(٤٩٧) أحمر
أسود

السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»، وهكذا قال هاهنا: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**».

أي: الأمر اليوم شرعا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم، إلا طائفة منهم يقال لهم: «البَسْل»، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر، تعمقا وتشديدًا.

وأما قوله: «**ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**، [فإنما أضافه إلى مضر، ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان] لا كما كانت تظنه ربيعة من أنَّ رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم، فبين، عليه [الصلاة و] السلام، أنه رجب مضر لا رجب ربيعة. وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سَرْدٌ وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهر، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحُرِّم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر، وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا.

❁ ❁ ❁

س: ما توجيه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ مع العلم بأننا نهينا عن ظلم النفس مطلقًا؟

(٤٩٨) أحمر
أسود

ج: ليس المعنى أنه يباح لنا أن نظلم أنفسنا في غيرها، وإنما المعنى التحذير الشديد من ظلم النفس فيها، فالإثم فيها أعظم من غيرها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، فقد يجب أن يكون مباحًا لنا ظُلْم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة؟

قيل: ليس ذلك كذلك، بل ذلك حرام علينا في كل وقتٍ وزمانٍ، ولكن الله عظَّم حرمة هؤلاء الأشهر وشرَّفهن على سائر شهور السنة، فخصّ الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصّهن بالتشريف، وذلك نظير قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]، ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، ولم يبح ترك المحافظة عليهن، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى، ولكنه تعالى ذكره زادَها تعظيمًا، وعلى المحافظة عليها توكيدًا وفي تضييعها تشديدًا. فكذلك ذلك في قوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خص الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفا لها وإن كان منهيا عنه في كل الزمان. كما قال: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧] على هذا أكثر أهل التأويل. أي لا تظلموا في الأربعة الأشهر أنفسكم.

❁ ❁ ❁

(٤٩٩) أحمر
أسود

الأحكام الشرعية
تبنى على الشهور الهلالية (العربية)

س: الأحكام الشرعية المتعلقة بالشهور على تنبني على الشهور العربية (الهلالية) أم على الشهور الميلادية؟

ج: بل تنبني على الشهور العربية (الهلالية) لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾:

هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط وإن لم تزد على اثني عشر شهرا، لأنها مختلفة الأعداد، منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص، والذي ينقص ليس يتعين له شهر، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالظلم في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بظلم النفس هنا ارتكاب المعاصي والمحرمات.

الثاني: أن المراد بالظلم القتال في هذه الأشهر.

الثالث: أن المراد بالظلم تأخير هذه الأشهر الذي هو النسيء – كما

(٥٠٠) أحمر
أسود

سيأتي.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

يخرج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال:

أحدها: أنه المعاصي؛ فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿ فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] وإن كان منهيا عنه في غير الحج وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأمورا بالمحافظة على غيرها هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرم وتحريم شهر حلال، قاله ابن اسحاق.

والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تُبدؤوا بالقتال، قاله مقاتل.

والرابع: أنه ترك القتال فيهن فيكون المعنى فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوكم. قاله ابن بحر. وهو عكس قول مقاتل، والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض؛ ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعا.

❁ ❁ ❁

(٥٠١) أحمر
أسود

شهور السنة والأشهر الحرم

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى، إجمالًا – والله تعالى أعلم – إن عدد شهور السنة عند الله ﷻ في كتابه الذي كتبه يوم خلق السموات والأرض، في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرمٌ عظمها الله ﷻ وعظم القتال فيها، نهى عن القتال فيها، وهي كما بينها النبي ﷺ ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة، وشهر الله المحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

وأطلق عليها رجب مضر نسبةً على قبيلة مضر فقد كانت هذه القبيلة تحافظ على هذا الشهر فلا تقدم فيه ولا تؤخر، أما سائر القبائل فكانت تتقاتل فإذا دخل رجب يُفترض أنها تتوقف عن القتال، ولكنها لا تفعل ذلك بل تستمر في القتال، وتقول مثلًا نؤخر رجب إلى ما بعد شوال أو نؤخر رجب شهرًا أو شهرين وتقدم غيره عليه أو تلغي رجب هذا العام، وهذا هو النسيء كما سيأتي بيانه.

ثم إن هذه الأشهر الرحم حُرِّم القتال فيها، وذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا التحريم منسوخ، أعني: تحريم القتال.

وعظَّم الله ﷻ إثم المعاصي فيها فالذي يعصي يعاقب عقابًا أشد من العاصي في غيرها.

وكذا عظَّم فيها الطاعات فأجرها في الأشهر الحرم أكثر من غيرها.

(٥٠٢) أحمر
أسود

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ...﴾.

[المائدة: ١]

وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ ...﴾.

[البقرة: ٢١٧]

وقال ﷺ: «**أتدرون أي شهر هذا...**» ثم قال: «**أليس بالشهر الحرام...**» ثم قال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذه...**» الحديث.

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ فالمعنى ذلك هو الدين المستقيم والحساب الصحيح الذي تحسب به الأشياء كما قال تعالى: ﴿ ۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ...﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ يعني بارتكاب المعاصي واستحلال الحرام، وكذا لا تظلموا فيهن إخوانكم فالمسلمون نفس واحدة، وخصت هذه الأشهر بالنهي عن ظلم النفس كما تقدم لعظيم حرمتها وليتعظم أمر الآثام فيها، وقد سبق بذلك سؤال مستقل وجوابه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ قيل: إنه ناسخ لما تقدم من النهي عن القتال في الأشهر الحرم، وقوله: ﴿كَآفَّةٗ﴾ أي: جميعًا أي: قاتلوا أهل الكفر كلهم كما يقاتلونكم جميعًا.

واعلموا أن الله مع المتقين الذين يتقون الشرك به والذين يتقون معصيته ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن عدة شهور السنة اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، الذي

(٥٠٣) أحمر
أسود

كتبَ فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، يقول: هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن، وتحرِّمهن، وتحرِّم القتال فيهن، حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يَهِجْهُ، وهن: رجب مُضر وثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث عن أبي بكرة: أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجبُ مضر الذي بين جمادى وشعبان.

وقال: وهو قول عامة أهل العلم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، فإن معناه: هذا الذي أخبرتكم به، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، وأن منها أربعة حرمًا: هو الدين المستقيم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، قال: الأمر القيم. يقول: قال تعالى: واعلموا، أيها الناس، أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن، وأن من هذه الاثنى عشر شهرًا أربعةُ أشهرٍ حرمًا، ذلك دين الله المستقيم، لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة، وتحريمه ما يحرِّمه منها.

وأما قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلُّوا فيهن ما حرَّم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قِبَل لها به من

(٥٠٤) أحمر
أسود

سخط الله وعقابه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، قال: الظلم العمل بمعاصي الله، والترك لطاعته.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه «الهاء»، و«النون» في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾.

فقال بعضهم: عاد ذلك على «الاثنى العشر الشهر»، وقال: معناه: فلا تظلموا في الأشهر كلِّها أنفسكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرُم أنفسكم = و«الهاء والنون» عائدة على «الأشهر الأربعة».

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: أما قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئةً ووِزْرًا، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظِّم من أمره ما شاء. وقال: إن الله اصطفى صَفَايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسُلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكرَه، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر، فعظِّموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظَّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في تصييركم حرامَ الأشهر الأربعة حلالا وحلالها حرامًا، أنفسَكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسَكم، باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظَّم حرمتها.

(٥٠٥) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾، فإنه يقول جل ثناؤه: وقاتلوا المشركين بالله، أيها المؤمنون، جميعًا غير مختلفين، مؤتلفين غير مفترقين، كما يقاتلكم المشركون جميعًا، مجتمعين غير متفرقين

وأما قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فإن معناه: واعلموا، أيها المؤمنون بالله، أنكم إن قاتلتم المشركين كافة، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم، ولم تخالفوا أمره فتعصوه، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء، لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكم الله وفيما كتب في اللوح المحفوظ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إنما قال ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ليبين أن قضاءه وقدره كان قبل ذلك، وأنه سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على ما رتبها عليه يوم خلق السموات والأرض، وأنزل ذلك على أنبيائه في كتبه المنزلة. وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾. وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها، وتقديم المقدم في الاسم منها. والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها، وتعليق الأحكام على الأسماء التي رتبوها عليه، ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خطبته في حجة الوداع: «**أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض...** » على ما يأتي بيانه. وأن الذي فعل أهل الجاهلية من جعل المحرم صفرا وصفر محرما ليس يتغير به ما وصفه الله

(٥٠٦) أحمر
أسود

تعالى. والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ المصدر الذي هو ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وليس يعنى به واحد الكتب، لأن الأعيان لا تعمل في الظروف. والتقدير: فيما كتب الله يوم خلق السموات والأرض. و﴿عِندَ﴾ متعلق بالمصدر الذي هو العدة، وهو العامل فيه. و﴿فِي﴾ من قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ متعلقة بمحذوف، هو صفة لقوله: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ﴾. والتقدير: اثنا عشر شهرا معدودة أو مكتوبة في كتاب الله. ولا يجوز أن تتعلق بعدة لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر إن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي الحساب الصحيح والعدد المستوفى. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ أي ذلك القضاء. مقاتل: الحق. ابن عطية: والأصوب عندي أن يكون الدين ههنا على أشهر وجوهه، أي ذلك الشرع والطاعة. ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ أي القائم المستقيم، من قام يقوم. بمنزلة سيد، من ساد يسود. أصله قيوم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم، والحَذْو بها على ما سبق في كتاب الله الأول.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنه آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥] وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي، وطائفة كثيرة من العلماء، وكذا في حَقِّ من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم.

(٥٠٧) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴾ أي: جميعكم ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾ أي: جميعهم، ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام: هل هو منسوخ أو محكم؟ على قولين:

أحدهما -وهو الأشهر: أنه منسوخ؛ لأنه تعالى قال هاهنا: ﴿ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ وأمر بقتال المشركين وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أمرًا عاما، فلو كان محرما ما في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها؛ ولأن رسول الله ﷺ حاصر أهل الطائف في شهر حرام -وهو ذو القعدة -كما ثبت في الصحيحين: أنه خرج إلى هوازن في شوال، فلما كسرهم واستفاء أموالهم، ورجع فَلُّهم، فلجئوا إلى الطائف -عَمد إلى الطائف فحاصرها أربعين يوما، وانصرف ولم يفتتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام.

والقول الآخر: أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام، وأنه لم ينسخ تحريم الحرام، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [الآية] [المائدة: ٢] وقال: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ الآية [البقرة: ١٩٤] وقال: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الآية] [التوبة: ٥] .

وقد تقدم أنها الأربعة المقررة في كل سنة، لا أشهر التسيير على أحد القولين.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ ﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله، وأنه حكم مستأنف، ويكون من باب التهييج والتحضيض، أي: كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه أذن للمؤمنين

(٥٠٨) أحمر
أسود

بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾ الآية [البقرة: ١٩١]، وهكذا الجواب عن حصار رسول الله ﷺ أهل الطائف، واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف، فإنهم هم الذين ابتدءوا القتال، وجمعوا الرجال، ودعوا إلى الحرب والنزال، فعندما قصدهم رسول الله ﷺ كما تقدم، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم، فنالوا من المسلمين، وقتلوا جماعة، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبا من أربعين يوما. وكان ابتداؤه في شهر حلال، ودخل الشهر الحرام، فاستمر فيه أياما، ثم قفل عنهم لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء، وهذا هو أمر مقرر، وله نظائر كثيرة، والله أعلم. ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك وقد حررنا ذلك في السيرة، والله أعلم

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في قضائه وقدره. ﴿ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾ وهي هذه الشهور المعروفة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه القدري، ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسمها على هذه الشهور الاثني عشر [شهرا].

﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثنى عشر شهرا، وأن اللّه تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر اللّه تعالى على مِنَّتِهِ بها، وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم

(٥٠٩) أحمر
أسود

فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها.

ومنهم من قال: إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذا بعموم نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾ أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين.

ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئا.

ويحتمل أن ﴿ كَآفَّةٗ ﴾ حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ ﴾ الآية. ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ بعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى اللّه في سركم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين.

❁ ❁ ❁

(٥١٠) أحمر
أسود

معنى النسيء

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ما النسيء الذي يصنعه هؤلاء الكفار من تأخير الأشهر المحرم وتغييرها عن أماكنها كهؤلاء الذين كانوا يتقاتلون ويكاد شهر رجب أن يدخل عليهم مثلًا، ويفترض أنهم يتوقفوا عن القتال فيه لكونه من الأشهر فيقولون نؤجل رجب إلى ما بعد شعبان، أو نؤجل رجب هذا العام فنجعله العام المقبل، أو نلغي رجب، نسقطه بالمرة هذا العام فلا رجب إلى غير ذلك من صور الإنساء، الذي هو التأخير، ما هذا الإنساء إلا زيادة في الكفر، فإنهم كفروا بوحدانية الله وكذبوا رسل الله وأنكروا القرآن وكذبوا المرسلين عمومًا، وأنكروا البعث والحساب إلى غير ذلك من صور الكفر والضلال الذي كانوا فيها، فما النسيء الذي اختلقوه واخترعوه إلى زيادة في الكفر والضلال، فإنهم يغيرون من دين الله الأشهر الحرم، فلا يتركونها على ما هي عند الله، وعلى ما قد شرعه الله في شأنها، بل يزيدون وينقصون، ويغيرون ويبدلون، فهذا فريدٌ من الكفر إلى كفرهم، وذلك لكونهم جحدوا ما شرعه الله من الأشهر الحرم، وانتهكوا فيها الحرمات وارتكبوا فيها المنكرات وأحلوا فيها ما حرم الله فازدادوا بذلك كفرًا إلى كفرهم أما قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يُصرف بهذا الإنساء والتأخير، أهل الكفر من الحق إلى الباطل، فيزدادون ضلالًا إلى ضلالهم، ففي عام من الأعوام يقولون لا نسيء ولا تأخير وسنترك هذه الأشهر الحرم كما هي هذا العام وفي عام آخر يؤخرونها عن مواطنها ومواعيدها.

(٥١١) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فمعناه ليوافقوا بأعمالهم المحرمة الأشهر التي حرم الله فيها القتال ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ فيقاتلون في الأشهر الحرم ويظلموا العباد فيها ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَـٰلِهِمۡۗ﴾ أي: زين لهم الشياطين أعمالهم فحسنها لهم، فارتكبوا أعمالهم فحسنها لهم، فارتكبوا المنكرات وظنوا أنها حسنة وتمادوا في الغي وظنوا أنهم يحسنون صنعًا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ لا يوفق لطاعته ولا للإيمان به، ولا للإسلام من كتبت عليه الشقاوة وقضي عليه بأنه سيموت على الكفر، والعياذ بالله، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما النّسيء إلا زيادة في الكفر.

و«النسيء» مصدر من قول القائل: «نسأت في أيامك، ونسأ الله في أجلك»، أي: زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك، حتى تبقى فيها حيًّا. وكل زيادة حدثت في شيء، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه: «نسيء». ولذلك قيل للبن إذا كُثِّر بالماء: «نسيء»، وقيل للمرأة الحبلى: «نَسُوء»، و«نُسِئت المرأة»، لزيادة الولد فيها، وقيل: «نسأتُ الناقة وأنسأتها»، إذا زجرتها ليزداد سيرها.

وقد يحتمل أن: «النسيء»، «فعيل» صرف إليه من «مفعول»، كما قيل: «لعينٌ» و«قتيل»، بمعنى: ملعون ومقتول. ويكون معناه: إنما الشهر المؤخَّر زيادة في الكفر.

وكأنّ القول الأوّل أشبه بمعنى الكلام، وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة، وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حرامًا، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكامَ الله

(٥١٢) أحمر
أسود

وآياته.

وقد كان بعض القرأة يقرأ ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ بترك الهمز، وترك مدِّه: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

واختلف القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة الكوفيين: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمعنى: يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه، الذين كفروا.

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، بمعنى: يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقًا يسلكونه إلى مرضاته، الذين كفروا.

وقد حكي عن الحسن البصري: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، بمعنى: يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا، الناسَ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: هما قراءتان مشهورتان، قد قرأت بكل واحدةٍ القرأة أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى. لأن من أضله الله فهو «ضال»، ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ. فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيبٌ.

وأما الصواب من القراءة في «النسيء»، فالهمزة، وقراءته على تقدير «فعيل» لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه.

وأما قوله: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾، فإن معناه: يُحلُّ الذين كفروا النسيء، و«الهاء» في قوله: ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾، عائدة عليه.

ومعنى الكلام: يحلُّون الذي أخَّروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم، عامًا، ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾، يقول: ليوافقوا بتحليلهم ما

(٥١٣) أحمر
أسود

حلَّلوا من الشهور، وتحريمهم ما حرموا منها، عدّة ما حرّم الله ، ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ﴾، يقول: حُسِّن لهم وحُبِّب إليهم سيئ أعمالهم وقبيحها، وما خولف به أمرُ الله وطاعته ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يقول: والله لا يوفق لمحاسن الأفعال وجميلها، وما لله فيه رضًى، القومَ الجاحدين توحيدَه، والمنكرين نبوة محمد ﷺ، ولكنه يخذّلهم عن الهُدى، كما خذَّل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِۖ﴾، إلى قوله: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، عمد أناسٌ من أهل الضلالة فزادوا صفرًا في الأشهر الحرم، فكان يقوم قائمهم في الموسم فيقول: «ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرَّم»، فيحرمونه ذلك العام. ثم يقول في العام المقبل فيقول: «ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر»، فيحرمونه ذلك العام. وكان يقال لهما «الصفران». قال: فكان أول من نَسَأ النسيء: بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة صفوان بني أمية أحد بني فقيم بن الحارث، ثم أحد بني كنانة.

وأما قوله: ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِۖ﴾، فإن معناه زيادة كُفْر بالنسيء، إلى كفرهم بالله قبلَ ابتداعهم النسيء.

وأما قوله: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾، فإنه من قول القائل: «واطأت فلانا على كذا أواطئه مُواطأة»، إذا وافقته عليه، معينًا له، غير مخالف عليه.

وإنما معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرِّمونها، عدة الأشهر الأربعة التي حرَّمها الله، لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها، وإن قدَّموا وأخَّروا. فذلك مواطأة عِدتهم عدَّةَ ما حرّم الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم

(٥١٤) أحمر
أسود

الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فإنهم كان فيهم من القوة الغضَبِية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة كما قال شاعرهم -وهو عمير بن قيس المعروف -بجذل الطعان:

لَقَدْ عَلمت مَعد أنَّ قَومِي ... كرَامُ النَّاس أنَّ لَهُمْ كِراما
ألسْنا الناسئينَ على مَعد ... شُهُورَ الحِل نَجْعلُهَا حَرَاما
فأيّ النَّاسِ لَم تُدْرَك بوتْر؟ ... وأيّ النَّاس لم نُعْلك لجاما؟

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق على هذا في كتاب «السيرة» كلامًا جيدًا ومفيدًا حسنًا، فقال: كان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحل منها ما حرم الله، وحرم منها ما أحل الله، عَزَّ وَجَلَّ، «القَلَمَّس»، وهو: حذيفة بن عبد مُدْرِكة فُقَيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة بن مدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعدَّ بن عدنان، ثم قام بعده على ذلك ابنه عَبَّاد ثم من بعد عباد ابنه قَلَع بن عباد، ثم ابنه أمية بن قلع، ثم ابنه عوف بن أمية، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام. فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فقام فيهم خطيبًا، فحرم رجبا، وذا القعدة، وذا الحجة، ويحل المحرم عاما، ويجعل مكانه صفر، ويحرمه عاما ليواطئ عدة ما حرم الله، فيحل ما حرم الله، يعني: ويحرم ما أحل الله.

(٥١٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ بيان لما فعلته العرب من جمعها من أنواع الكفر فإنها أنكرت وجود البارئ تعالى فقالت: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] في أصح الوجوه. وأنكرت البعث فقالت: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. وأنكرت بعثة الرسل فقالوا: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر: ٢٤]. وزعمت أن التحليل والتحريم إليها، فابتدعته من ذاتها مقتفية لشهواتها فأحلت ما حرم الله. ولا مبدل لكلماته ولو كره المشركون.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال اللغويون: النسيء: تأخير الشيء، وكانت العرب تحرم الأشهر الأربعة، وكن هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم، فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضا إلى الشهر الذي بعده، ثم تتدافع الشهور شهرا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها، فكأنهم يستنسؤون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله عَزَّ وَجَلَّ أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلوا الحرام، وحرموا الحلال ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ أي: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة، إذا اجتمعت العرب للموسم، قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعاب، ولا أجاب، ولا يرد لي قضاء، فيقولون: أنسئنا شهرا يريدون أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك، وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها،

(٥١٦) أحمر
أسود

وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما بينا، وقيل: إنما كانوا يستحلون المحرم عاما فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إلي لأن هذا القول ليس فيه استدارة.

وقال ابن الجوزي أيضًا:

وقال ابن الجوزي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم: «يَضِل» بفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد، على ما لم يسم فاعله. وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: يضل بضم الياء وكسر الضاد، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يُضِلُّ الله به، والثاني: يُضِلّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم والثالث: يُضِلّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنُّوه لهم. قال أبو علي: التقدير: يُضل به الذين كفروا تابعيهم. وقال ابن القاسم: الهاء في «به» راجعة إلى النسيء، وأصل النسيء: المنسوء، أي: المؤخَّر، فينصرف عن «مفعول» إلى «فعيل» كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومقدور وقدير، قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسيء كشف تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر والأول اختيارنا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا -بآرائهم الفاسدة- أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم اللّه القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا

(٥١٧) أحمر
أسود

مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراما، فهذا -كما أخبر اللّه عنهم- أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير.

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع اللّه ودينه، واللّه ورسوله بريئان منه.

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.

ومنها: أنهم مَوَّهوا على اللّه بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين اللّه.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: ﴿ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم اللّه.

﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ﴾ أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا.

❁ ❁ ❁

(٥١٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ
لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ
بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا
وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ
بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ
يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ
أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا

(٥١٩) أحمر
أسود

يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨-٤٥].

(٥٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ - ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ - ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ - سَكِينَتَهُۥ - كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ - وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ - خِفَافًا - وَثِقَالًا - عَرَضًا قَرِيبًا - وَسَفَرًا قَاصِدًا - ٱلشُّقَّةُ - وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ - فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	اخرجوا من بيوتكم وبلادكم للغزو لإعلاء كلمة الله
﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾	تكاسلتم ولزمتم بيوتكم وبلادكم وملتم إلى البقاء والدّعة
﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾	أحد اثنين، يعني معه رجل غيره
﴿سَكِينَتَهُۥ﴾	طمأنينته ورحمته
﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	المراد: كلمة الشرك وراية المشركين
﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾	هي كلمة لا إله إلا الله
﴿خِفَافًا﴾	كهولًا – شيوخًا، وقيل: شبابًا
﴿وَثِقَالًا﴾	شبابًا، وقيل: شيوخًا
﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾	غنيمة سهلة ليس معها تعب ولا مشقة ولا سفر
﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾	سفرًا قاصدًا سهلًا يُقصد وراءه الربح والتجارة بلا مخاط

(٥٢١) أحمر
أسود

(ٱلشُّقَّةُ)	المسافة – السفر
(وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ)	تشككت قلوبهم (في وحدانية الله وفي وعده ووعيده)
(فِي رَيۡبِهِمۡ ﴾	في شكِّهم يتحيرون

❁ ❁ ❁

(٥٢٢) أحمر
أسود

الحث على النفر في سبيل الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾.

ج: هذا – والله أعلم – توبيخ لمن تقاعس عن الجهاد في سبيل الله، وعن الخروج للغزو مع رسول الله ﷺ، وكان هذا كما قال كثيرٌ من المفسرين في غزوة تبوك لما حرَّض رسول الله ﷺ على الخروج إليها لغزو الروم، وكان الحرُّ شديدًا جدًّا، والمسافة بعيدةٌ والزاد قليل والرواحل قليلة كذلك، وفي ذات الوقت فإن الثمار فيا لمدينة قد أينعت واقترب وقت قطافها فكان الشخص ينظر في أمره أيجيب أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ ويخرج للغزو مع ما فيه من تعرضه للقتل في سبيل الله، وما مع فيه من مشقة الخروج، أم أنه يبقى في المدينة حيث الظلال والنساء والثمار وطيب المقام الدينوي، فتخلف عن الغزو عددٌ من أهل النفاق، وتكاسل بعض أهل الصلاح، على ما سيأتي بيانه، في قصة كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رضي الله عنهم، وجاءها هنا العتاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أخرجوا غزاة في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، وذلك كما أسلفت لغزو الروم وغزوة تبوك ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أخلدتم إلى الأرض وتباطأتم عن الخروج ولزمتم مساكنكم وثماركم وأراضيكم ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بما فيها من متاع ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بدلًا عن الآخرة، فإذا كان ذلك فاعلموا أن متاع الحياة الدنيا زائلٌ وفانٍ ومتاع الآخرة هو الدائم الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

(٥٢٣) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية حثٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله ﷺ تبوك.

يقول جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، ﴿مَا لَكُمْ﴾، أيّ شيء أمرُكم ، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: إذا قال لكم رسولُ الله محمدٌ، ﴿ٱنفِرُواْ﴾، أي: اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم.

وأصل «النفر»، مفارقة مكان إلى مكان لأمرٍ هاجه على ذلك. ومنه: «نفورًا الدابة». غير أنه يقال: من النفر إلى الغزو: «نَفَر فلان إلى ثغر كذا ينْفِر نَفْرًا ونَفِيرًا»، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرِّقون بها بين اختلاف المخبر عنه، وإن اتفقت معاني الخبر.

فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون، إذا قيل لكم: اخرجُوا غزاة = «في سبيل الله»، أي: في جهاد أعداء الله ، ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها.

وقيل: «اثّاقلتم» لإدغام «التاء» في «الثاء» فأحدثتْ لها ألف. ليُتَوصَّل إلى الكلام بها، لأن «التاء» مدغمة في «الثاء». ولو أسقطت الألف، وابتدئ بها، لم تكن إلا متحركة، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها، كما قال جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾، [سورة الأعراف: ٣٨]، وكما قال الشاعر:

تُولِي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَافَهَا خَصِرًا ... عَذْبَ المَذَاقِ، إِذَا مَا أَتَّابَعَ القُبَلُ

[فهو من «الثقل»، ومجازه مجاز «افتعلتم»]، من «التثاقل».

وقوله: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾، يقول جل ثناؤه، أرضيتم

(٥٢٤) أحمر
أسود

بحظ الدنيا والدّعة فيها، عوضًا من نعيم الآخرة، وما عند الله للمتقين في جنانه، ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يقول: فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذَّاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدَّها الله لأوليائه وأهل طاعته ، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾، يسير. يقول لهم: فاطلبوا، أيها المؤمنون، نعيم الآخرة، وشرف الكرامة التي عند الله لأوليائه، بطاعتِه والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوِّه.

وقال آخرون: بل الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، فبالجهاد والإنفاق يتبين المؤمن من الكافر فنفقة الكافر في المعصية والصد عن سبيل الله، ونفقة المؤمن في طاعة الله ﷻ والدعوة إلى دينه فالمؤمن يعرف بجهاده لإعلاء كلمة الله وبإنفاقه في هذا السبيل كذلك، والكافر يُعرف بإنفاقه في الصد عن سبيل الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا شروع في عتاب من تخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحَمَارَّة القيظ، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار، ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: ما لكم فعلتم هكذا أرضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة

ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة، فقال: ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ كما قال الإمام أحمد.

وأورد ما أخرجه أحمد[1] بسندٍ صحيح إلى رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٢٨)، ومسلم (٢٨٥٨).

(٥٢٥) أحمر
أسود

الآخرة إلا كما يجعل إصبعه هذه في اليم، فلينظر بما ترجع؟ وأشار بالسبابة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ حرف استفهام معناه التقرير والتوبيخ التقدير: أي شيء يمنعكم عن كذا كما تقول: مالك عن فلان معرضا. ولا خلاف أن هذه الآية نزلت عتابا على تتخلف من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، وسيأتي ذكرها في آخر السورة إن شاء الله. والنفر: هو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث، يقال في ابن آدم: نفر إلى الأم يفر نفورا. وقوم نفور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦]. ويقال في الدابة: نفرت تنفر - بضم الفاء وكسرها - نفارا ونفورا. يقال: في الدابة نفار، وهو اسم مثل الحران. ونفر الحاج من منى نفرا.

قوله تعالى: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: معناه أثاقلتم إلى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض. وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وهو نحو من أخلد إلى الأرض. وأصله تثاقلتم، أدغمت التاء في الثاء لقربها منها، واحتاجت إلى ألف الوصل لتصل إلى النطق بالساكن، ومثله ﴿ٱدَّارَكُوا۟﴾ [الأعراف: ٣٨] و﴿فَٱدَّٰرَٰٓءْتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧] و﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكانت تبوك - ودعا الناس إليها - في حرارة القيظ وطيب الثمار وبرد الظلال - كما جاء في الحديث الصحيح على ما يأتي - فاستولى على الناس الكسل فتقاعدوا وتثاقلوا فوبخهم الله بقوله هذا وعاب عليهم الإيثار للدنيا على الآخرة. ومعنى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي بدلا،

(٥٢٦) أحمر
أسود

التقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلا من نعيم الآخرة فـ﴿مِنَ﴾ تتضمن معنى البدل، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف: ٦٠] أي بدلا منكم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي ﷺ المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارا، والزاد قليلا والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم اللّه تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر اللّه، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فـ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أفليس قد جعل اللّه لكم عقولا تَزِنُون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟.

أفليست الدنيا -من أولها إلى آخرها- لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار.

فبأي رَأْيٍ رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما

(٥٢٧) أحمر
أسود

تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فواللّه ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾ قال المفسرون: لما امر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجدب وحر شديد، وقد طابت الثمار، عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام، فنزلت هذه الآية. وقوله: «ما لكم» استفهام معناه: التوبيخ وقوله: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ معناه: اخرجوا، وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك. وقوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أراد تثاقلتم فأدغم التاء في الثاء وأحدثت الألف ليسكن ما بعدها وأراد قعدتم وفي قراءة ابن مسعود والأعمش تثاقلتم.

وفي معنى ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها قاله مجاهد.

والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا قاله الضحاك.

والثالث: تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمها من نعيم الآخرة فما يتمتع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يتمتع به الأولياء في الجنة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هل هو منسوخ؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، وقالوا: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾.

(٥٢٨) أحمر
أسود

وذهب آخرون على عدم النسخ، وقالوا: إنها خاصة بمن استنفرهم رسول الله ﷺ، وقد نقل القول بالنسخ عن الحسن وعكرمة

قال الطبري متعقبًا:

ولا خبرَ بالذي قال عكرمة والحسن، من نسخ حكم هذه الآية التي ذكَرا، يجب التسليم له، ولا حجةَ نافٍ لصحة ذلك. وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عددٌ من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعدُ، وجائزٌ أن يكون قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، الخاص من الناس، ويكون المراد به من استنفرَه رسول الله ﷺ فلم ينفر، على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس.

وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾، نهيًا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمنٍ مقيم فيها، وإعلامًا من الله لهم أن الواجب النَّفرُ على بعضهم دون بعض، وذلك على من استُنْفِرَ منهم دون من لم يُسْتَنْفَر. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى، وكان حكم كل واحدة منهما ماضيًا فيما عُنِيَتْ به.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وقد روي عن ابن عباس والحسن وعكرمة قاله نسخ قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ وقال أبو سليمان الدمشقي ليس هذا من المنسوخ إذ لا تنافي بين الآيتين وإنما حكم كل آية قائم في موضعها وذكر القاضي ابو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا ليس هاهنا نسخ ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو ففرض على الناس النفير إليهم ومتى استغنوا عن إعانة من وراءهم عذر القاعدون عنهم وقال قوم هذا في غزوة تبوك ففرض على الناس النفير مع رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

(٥٢٩) أحمر
أسود

التحذير من التخلف عن النفير مع رسول الله ﷺ

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: هذا تهديد شديد وتحذير أكيد للمتخلصين عن رسول الله ﷺ، وعن الخروج معه، وكذا تهديد لكل متخلفٍ عن الجهاد إذا استنفره الإمام، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا﴾ إلا تخرجوا غزاة مع رسولكم محمد ﷺ يعذبكم الله عذابًا أليمًا، مؤلمًا موجعًا، ومن صور هذا العذاب، عذاب في الدنيا بتسلط أعدائكم عليكم ويمنع القطر من السماء، إلى غير ذلك، من صور العذاب الدنيوي، وكذا يعذبكم في الآخرة بالنار، وكذا ففي الدنيا فإنه يذهب بكم ويأتي بقوم آخرين أطوع لله منكم وأحسن طاعةً واتباعًا، ولا تفروا الله ﷻ بتخلفكم عن الجاهد مع رسوله شيئًا، بل الضرر واقعٌ عليكم أنتم، فإن الله قادر على نصر رسوله ﷺ ولكنه ﷻ يكرمكم ويشرفكم بالجهاد مع رسوله ﷺ ففي الجهاد معه شرف في الدنيا والآخرة ومن حرم شرف الجهاد معه فقد حُرم، ألا واعلموا أن الله على كل شيء قدير، قادر على نصر نبيه ﷺ وإن تخليتم عن نصره، وقادر على الذهاب بكم والإتيان بقوم آخرين، وقادر على أن ينزل عليكم عذابًا، فنعوذ بالله من غضبه وعقابه، ونعوذ بالله أن نرد على أعقابنا أو أن نفتن في ديننا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله، متوعِّدَهم على ترك النَّفْر إلى عدوّهم من الروم: إن لم تنفروا، أيها المؤمنون، إلى من استنفركم

(٥٣٠) أحمر
أسود

رسول الله، يعذّبكم الله عاجلا في الدنيا، بتركم النَّفْر إليهم، عذابًا مُوجعًا ، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، يقول: يستبدل الله بكم نبيَّه قومًا غيركم، ينفرون إذا استنفروا، ويجيبونه إذا دعوا، ويطيعون الله ورسوله ، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾، يقول: ولا تضروا الله، بتركم النّفير ومعصيتكم إياه شيئًا، لأنه لا حاجة به إليكم، بل أنتم أهل الحاجة إليه، وهو الغني عنكم وأنتم الفقراء ، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول جل ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم، وعلى كل ما يشاء من الأشياء، قدير.

وقد ذكر أن «العذاب الأليم» في هذا الموضع، كان احتباسَ القَطْر عنهم.

ثم توعد تعالى على ترك الجهاد فقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حيا من العرب، فتثاقلوا عنه، فأمسك الله عنهم القَطْر فكان عذابهم.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: لنصرة نبيه وإقامة دينه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي: ولا تضروا الله شيئًا بتوليكم عن الجهاد، ونُكُولكم وتثاقلكم عنه، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم.

وقد قيل: إن هذه الآية، وقوله: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ وقوله ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] إنهن منسوخات بقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] رُوي هذا عن ابن عباس، وعِكْرِمة، والحسن، وزيد بن أسلم. ورده ابن جرير وقال: إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله ﷺ إلى الجهاد، فتعين عليهم ذلك، فلو تركوه لعوقبوا عليه.

(٥٣١) أحمر
أسود

وهذا له اتجاه، والله [سبحانه و] تعالى أعلم [بالصواب] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ شرط، فلذلك حذفت منه النون. والجواب ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾، ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد مؤكد في ترك النفير. قال ابن العربي: ومن محققات الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل. فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه، كقوله: إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا، كما ورد في هذه الآية. فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا. وروى أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ و﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ - إلى قوله - يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠] نسختها الآية التي تليها: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. وهو قول الضحاك والحسن وعكرمة. ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ قال ابن عباس: هو حبس المطر عنهم. قال ابن العربي: فإن صح ذلك عنه فهو أعلم من أين قال، وإلا فالعذاب الأليم هو في الدنيا باستيلاء العدو وبالنار في الآخرة.

و﴿أَلِيمًا﴾ بمعنى مؤلم، أي موجع. وقد تقدم. ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ توعد بأن يبدل لرسوله قوما لا يقعدون عند استنفاره إياهم. قيل: أبناء فارس. وقيل: أهل اليمن. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗا﴾ عطف. والهاء قيل لله تعالى، وقيل للنبي ﷺ. والتثاقل عن الجهاد مع إظهار الكراهة حرام على كل أحد. فأما من غير كراهة فمن عينه النبي ﷺ حرم عليه التثاقل وإن أمن منهما فالفرض فرض كفاية، ذكره القشيري. وقد قيل: إن المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم. وظاهر الآية يدل على أن ذلك على

(٥٣٢) أحمر
أسود

وجه الاستدعاء فعلى هذا لا يتجه الحمل على وقت ظهور المشركين فإن وجوب ذلك لا يختص بالاستدعاء، لأنه متعين. وإذا ثبت ذلك فالاستدعاء والاستنفار يبعد أن يكون موجبا شيئا لم يجب من قبل إلا أن الإمام إذا عين قوما وندبهم إلى الجهاد لم يكن لهم أن يتثاقلوا عند التعيين ويصير بتعيينه فرضا على من عينه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الإمام. والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم توعدهم على عدم النفير فقال:

﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى اللّه تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين اللّه، ولا ذب عن كتاب اللّه وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَّ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء اللّه، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده اللّه بالوعيد الشديد، فقال: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ ﴾ فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر اللّه، أو ألقيتموه، وراءكم ظهريا.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

﴿ وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوما غير متثاقلين، ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه كما لم يضرره ذلك إذ كان بمكة. وفي هاء «تضروه» قولان:

(٥٣٣) أحمر
أسود

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن.

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزجاج.

❁ ❁ ❁

شيء من قصة الغار ورسول الله ﷺ فيه مع أبي بكر رضي الله عنه

س: من صاحب رسول الله ﷺ بالغار؟

ج: صاحبه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيأتي ما يؤكد ذلك بما لا يدع مجالًا للشك إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: أي غارٍ هذا الذي قال الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾؟

ج: هو غار ثورٍ.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ على من؟

ج: لأهل العلم قولان:

أحدهما: على رسول الله ﷺ.

الثاني: على أبي بكر.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: على النبي ﷺ.

والثاني: على أبي بكر. ابن العربي: قال علماؤنا وهو الأقوى، لأنه خاف

(٥٣٤) أحمر
أسود

على النبي ﷺ من القوم فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي ﷺ، فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – إن تتخلوا عن نصرة رسول الله ﷺ، وعن النفير معه للغزو يا أهل الإيمان فقد نصره الله ﷻ لما اضطره أهل الكفر إلى الخروج من مكة، فخرج منها ثاني اثنين، أي أحد اثنين، يعني: ومعه رجل آخر غيره نصره الله حين أخرجه من بيته وسلَّمه وقد أزمعوا قتله ووقفوا على باب بيته متربصين به فسلمه الله آنذاك ثم سلمه الله وهو الغار، وأهل الكفر على باب الغار، وكما قال أبو بكر لرسول الله ﷺ، يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فيجيبه النبي ﷺ قائلًا: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

وهنا يقول تعالى إذ يقول لصاحبه (وهو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه) صاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لا تخاف ولا تقلق ولا تضطرب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بحفظه وتأييده ونصره ومعونته، يرانا ويحفظنا ويسلمنا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينة ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على ابي بكر فقد كان حزينًا، أما الرسول ﷺ فازداد طمأنينةً وسكينةً.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ قوَّاه الله ﷻ، قوَّى رسوله ﷺ بجنود لم تروها قيل بالملائكة، وذلك في رحلة الهجرة وعند الغار جعلها الله سببًا في صرف في

(٥٣٥) أحمر
أسود

وجوه الكفار، وقيل: يوم بدر، أي: ونصره الله يوم بدرٍ بجنود لم تروها، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ أي: وجعل كلمة الشرك، وراية الشرك راية مخذولة وكلمة منكوسة، فخذل أهلها وأذلهم ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ جعل الله كلمته، وهي لا إله إلا الله هي العليا وجعل لأتباعه النصر والغبة والقهر والظفر ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يُغلب، ولا يُمنع من شيء أراده ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع وفيما يفعل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله ﷺ أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدوُّ في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟

يقول لهم جل ثناؤه: إلا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم؛ كما نصره، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، بالله من قريش من وطنه وداره، ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾، يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين، أي: واحد من الاثنين.

وكذلك تقول العرب: «هو ثاني اثنين» يعني: أحد الاثنين، و«ثالث ثلاثة، ورابع أربعة»، يعني: أحد الثلاثة، وأحد الأربعة. وذلك خلاف قولهم: «هو أخو ستة، وغلام سبعة»، لأن «الأخ»، و«الغلام» غير الستة والسبعة، «وثالث الثلاثة»، أحد الثلاثة.

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾، رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

(٥٣٦) أحمر
أسود

لأنهما كانا اللذين خرجَا هاربين من قريش إذ همُّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار.

وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾، يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه، في الغار.

و«الغار»، النقب العظيم يكون في الجبل.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾، يقول: إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر، ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وذلك أنه خافَ من الطَّلَب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، لأن الله معنا والله ناصرنا،

فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا.

يقول جل ثناؤه: فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد، فكيف يخذله ويُحْوِجه إليكم، وقد كثَّر الله أنصاره، وعدد جنودِه؟

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، الآية، قال: فكان صاحبَه أبو بكر، وأما «الغار»، فجبل بمكة يقال له: «ثَوْر».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله = وقد قيل: على أبي بكر ، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يقول: وقوّاه بجنودٍ من عنده من الملائكة، لم تروها أنتم ، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وهي كلمة الشرك ، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، لأنها قُهِرَت وأذِلَّت، وأبطلها الله تعالى، ومحق أهلها، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى ، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، يقول: ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله، وهي كلمتُه ، ﴿ٱلْعُلْيَا﴾، على الشرك وأهله، الغالبةُ.

(٥٣٧) أحمر
أسود

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾، خبر مبتدأ، غيرُ مردودٍ على قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، لأن ذلك لو كان معطوفًا على «الكلمة» الأولى، لكان نصبًا.

وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فإنه يعني: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾، في انتقامه من أهل الكفر به، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، ولا ينصر من عاقبه ناصر، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره خلقَه، وتصريفه إياهم في مشيئته.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: تنصروا رسوله، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: عام الهجرة، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربًا صحبة صدِّيقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطَّلَبُ الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يجزع أن يَطَّلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يُسَكِّنه ويَثَبِّته ويقول: « **يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا عفان، حدثنا همام، أنبأنا ثابت، عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ، ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. قال: فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي: تأييده ونصره عليه،

---

(١) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٥٣٨) أحمر
أسود

أي: على الرسول في أشهر القولين: وقيل: على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره، قالوا: لأن الرسول لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي: الملائكة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾

قال ابن عباس: يعني ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الشرك و ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ هي: لا إله إلا الله.

وفي الصحيحين[1] عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب، لا يُضام من لاذ ببابه، واحتمى بالتمسك بخطابه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ يقول: تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك. عاتبهم الله بعد انصراف نبيه عليه السلام من تبوك. قال النقاش: هذه أول آية نزلت من سورة [براءة] والمعنى: إن تركتم نصره فالله يتكفل به، إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة. وقيل: فقد نصره الله بصاحبه في الغار بتأنيسه له وحمله على عنقه، وبوفاته ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله. قال الليث بن سعد: ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق. وقال سفيان بن عيينة. خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾.

---

(١) البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٥٣٩) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو خرج بنفسه فارا، لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله، فنسب الفعل إليهم ورتب الحكم فيه عليهم، فلهذا يقتل المكره على القتل ويضمن المال المتلف بالإكراه، لإلجائه القاتل والمتلف إلى القتل والإتلاف.

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي أحد اثنين.

وقال القرطبي كذلك:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه. روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هو الصديق. فحقق الله تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبة في كتابه. قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع. ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر، لأنه رد نص القرآن. ومعنى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أي بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة. روى الترمذي والحارث بن أبي أسامة قالا: حدثنا عفان قال حدثنا همام قال أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**». قال المحاسبي: يعني معهما بالنصر والدفاع، لا على معنى ما عم به الخلائق، فقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ أي بالنفير معه ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانة على أعدائه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في

(٥٤٠) أحمر
أسود

قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ فأعلمهم أن نصره ليس بهم.

ثم قال:

وفي السكينة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الرحمة. قاله ابن عباس. والثاني: الوقار. قاله قتادة. والثالث: السكون والطمأنينة. قاله ابن قتيبة وهو اصح.

وفي هاء عليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت، واحتج من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئنا.

والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ قاله مقاتل.

والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية والتقدير فأنزل الله سكينته عليهما فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ ذكره ابن الانباري.

وقال ابن الجوزي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُۥ ﴾ أي قواه يعني النبي ﷺ بلا خلاف ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهم الملائكة ومتى كان ذلك فيه قولان:

أحدهما: يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين قاله ابن عباس.

والثاني: لما كان في الغار صرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته قاله الزجاج.

فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في أيده ترجع إلى النبي ﷺ فكيف تفارقها هاء عليه وهما متفقتان في نظم الكلام.

فالجواب: أن كل حرف يرد إلى الأليق به والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج ولم يكن النبي ﷺ منزعجا فأما التأييد بالملائكة فلم يكن إلا للنبي

(٥٤١) أحمر
أسود

ﷺ ونظير هذا قوله: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك جعلها الله السفلى لأنها مقهورة وكلمة الله وهي التوحيد هي العليا لأنها ظهرت هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه وكلمة الله أنه ناصره.

قال السعدي في تفسيره:

﴿إِذْ يَقُولُ ﴾ النبي ﷺ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بعونه ونصره وتأييده. ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم اللّه حرسا له، ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول ﷺ، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم اللّه ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه.

ونصر اللّه رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم اللّه لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر اللّه إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر اللّه رسوله

(٥٤٢) أحمر
أسود

إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾ أي كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١] ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧٣] فدين اللّه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي ﷺ، كافرا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة اللّه على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

❁ ❁ ❁

(٥٤٣) أحمر
أسود

من فضائل الصِّديق ابي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

س: اذكر شيئًا من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

ج: فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة جدًّا، اجتزأ منها بذكر الآتي:

ما أخرجه البخاري[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**».

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا.

ما أخرجه البخاري[٣] من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟**» مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

وقَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ...**»[٤].

ما أخرجه البخاري[٥] من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) البخاري (٤٦٧).
(٢) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).
(٣) البخاري (٣٦٦١).
(٤) أحمد (٢/ ٢٥٣) بسند صحيح.
(٥) البخاري (٣٦٧٥).

(٥٤٤) أحمر
أسود

صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

ثم هو صاحب رسول الله ﷺ في الهجرة[1] ويقول له النبي ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[2].

والبشارات لأبي بكر رضي الله عنه بدخول الجنة كثيرة جدًّا، وكذا استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر كي يصلي بالناس في وصية موته.

راجع كل ذلك في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

❁ ❁ ❁

الحث على النفير والتأكيد عليه

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدهما: شبابًا وشيوخًا.

الثاني: شيوخًا وشبابًا.

الثالث: مشاغيل وغير مشاغيل.

الرابع: أغنياء وفقراء.

الخامس: نشاط وغير نشاط.

السادس: ركبانًا ومشاة.

السابع: ذوو أموال وأراضي، وفقراء ليست لكم ضيعًا.

الثامن: مشاةً وركبانًا.

التاسع: ذوو عيالٍ وبدون عيال.

---

(١) البخاري (٣٦٥٢)، ومسلم (٣٩٠٥).

(٢) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٥٤٥) أحمر
أسود

العاشر: متزوجين وغير متزوجين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافًا وثقالا. وقد يدخل في «الخفاف» كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغ من الاشتغال، وقادرًا على الظهر والركاب.

ويدخل في «الثقال»، كل من كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن مُعسِرٍ من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لا ظهرَ له ولا ركاب، والشيخ وذو السِّن والعِيَال.

فإذ كان قد يدخل في «الخفاف» و«الثقال» من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك صنفًا دون صنف في الكتاب، ولا على لسان الرسول ﷺ، ولا نَصَب على خصوصه دليلا وجب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافًا وثقالا مع رسوله ﷺ، على كل حال من أحوال الخفّة والثقل.

وقال الطبري:

حدثنا سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثنا حريز قال، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة[1] قال، حدثني أبو راشد الحبراني قال: وافيت المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله ﷺ جالسًا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمه، يريد الغزو، فقلت له: لقد

---

(١) عبد الرحمن بن ميسرة ما وثقه معبد إلا أن من العلماء من قال: مشائخ حريز كلهم ثقات، فبناءً على هذا، وعلى توثيق العجلي وابن حبان وثقوه، أما ابن المديني فقال: مجهول، ويشهد للأثر ما بعده، والله أعلم.

(٥٤٦) أحمر
أسود

أعذر الله إليك ! فقال: أبَتْ علينا «سورة البُحُوث»: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وقال أيضًا:

حدثني سعيد بن عمرو قال، حدثنا بقية قال، حدثنا حَرِيز قال، حدثني حبان بن زيد الشرعبيّ قال: نفرنا مع صَفْوان بن عمرو، وكان واليًا على حمص قِبَلَ الأفْسوس، إلى الجَرَاجمة، فلقيت شيخًا كبيرًا هِمًّا، قد سقط حاجباه على عينيه، من أهل دمشق، على راحلته، فيمن أغار. فأقبلت عليه فقلت: يا عمِّ، لقد أعذر الله إليك! قال: فرفع حاجبيه، فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافًا وثقالا من يحبَّه الله يبتَليه، ثم يعيده فيبْتليه، إنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: هذا خطاب لأهل الإيمان بالله ورسوله، يُقال لهم: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخرجوا مع رسولكم ﷺ واتركوا دياركم وبلادكم على أية حال كنتم، كنتم كهولًا أو شبانًا، كنتم متزوجين أو عزابًا، كنتم مشاةً أو ركبانًا، على أية حال كنتم فاخرجوا مع رسول الله ﷺ إذا استنفركم للخروج، ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ لنصرة دينكم ولإعلاء كلمة ربكم، ذلكم الجهاد والنفير خيرٌ لكم من دنياكم الفانية الزائلة إن كنتم تعلمون حق العلم وتوقنون حق اليقين، فالدنيا متاعها زائل، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله تعالى: بعد أن أورد عددًا من الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

(٥٤٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾، أيها المؤمنون، الكفارَ ، ﴿بِأَمۡوَٰلِكُمۡ﴾، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم، حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعًا أو كرهًا، أو يعطوكم الجزية عن يدٍ صَغَارًا، إن كانوا أهل كتابٍ، أو تقتلوهم ، ﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾، يقول: وبأنفسكم، فقاتلوهم بأيديكم، يخزهم الله وينصركم عليهم ، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾، يقول: هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافًا وثقالا وجهادِ أعدائه بأموالكم وأنفسكم، خيرٌ لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم، والخلودِ إليها، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عِوضًا من الآخرة، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بُيِّن لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الله تعالى بالنفير العام مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، عام غزوة تبوك، لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحَتَّم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المَنْشَط والمَكْرَه والعسر واليسر، فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾.

وقال علي بن زيد، عن أنس، عن أبي طلحة: كهولا وشَبَابًا ما أسمع الله عَذَر أحدًا، ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قُتل.

وفي رواية: قرأ أبو طلحة سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فقال: أرى ربنا يستنفرنا شيوخًا وشَبَابًا جهزوني يا بَنِيَّ. فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع رسول الله حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك. فأبى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد

(٥٤٨) أحمر
أسود

تسعة أيام، فلم يتغير، فدفنوه بها.

وقال ابن كثير أيضًا:

ثم رغب تعالى في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله، فقال: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة، ولأنكم تغرمون في النفقة قليلا فيغنيكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «وتكفَّل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرده إلى منزله نائلا ما نال من أجر أو غنيمة» (١).

ولهذا قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد(٢): حدثنا محمد بن أبي عَدِيّ، عن حميد، عن أنس؛ عن رسول الله ﷺ قال لرجل: «أسلم». قال: أجدني كارها. قال: «أسلم وإن كنت كارها» .

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعا، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال. فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه غيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قويًّا. وإن كان له مال وقوة؛ فعليه الجهاد بالنفس والمال. ومن كان معدمًا عاجزًا فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله لقوله: ﴿ وَلَا

(١) البخاري (٧٤٦٣)، ومسلم (١٨٧٦).
(٢) أحمد (٣/ ١٠٩) وإسناده صحيح.

(٥٤٩) أحمر
أسود

عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴾ [التوبة: ٩١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لعباده المؤمنين -مهيجا لهم على النفير في سبيله فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه -كما يجب الجهاد في النفس- يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: الجهاد في النفس والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا اللّه تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين اللّه، والدخول في جملة جنده وحزبه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – لو كان الذي دعوت هؤلاء المتخلفين عن الغزو معك والخروج معك يا رسول الله من أهل النفاق ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غنيمة سهلة غير مُجهدة ولا مكلفة وسفرًا سهلًا مريحًا لتجارة من ورائها مغنم، ولا قتال فيها لأجابوك حين دعوتهم، ولكن ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ شقَّ عليهم السفر للغزو والقتال، وبعدت عليهم مسافته، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ لكم إذا رجعتم

(٥٥٠) أحمر
أسود

إليهم، يحلفون معتذرين لو استطعنا الخروج ما تخلفنا ولخرجنا معكم للغزو والقتال يهلكون أنفسهم بهذه الأيمان الكاذبة، فالذي يحلف كاذبًا يضر نفسه ويستجلب لها العذاب بهذه الأيمان الكاذبة، وكان هذا شأن أهل النفاق دومًا الاتقاء بالأيمان الكاذبة والله يعلم حالهم ولا يخفى عليه أمرهم فهو يعلم إنهم لكاذبون فيما أبدوه من الأعذار الواهية الباطلة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه للنبي ﷺ، وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلُّف عنه حين خرج إلى تبوك، فأذن لهم: لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزاك الذي استنفرتهم إليه، ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾، يقول: غنيمة حاضرة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، يقول: وموضعًا قريبًا سهلا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾، ونفروا معك إليهما، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفرًا شاقًّا عليهم، لأنك استنهضتهم في وقت الحرّ، وزمان القَيْظ وحين الحاجة إلى الكِنِّ، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: وسيحلف لك، يا محمد، هؤلاء المستأذنوك في ترك الخروج معك، اعتذارًا منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم في التخلُّف عنك، بالله كاذبين، ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، يقول: لو أطقنا الخروجَ معكم بوجود السَّعة والمراكب والظهور وما لا بُدَّ للمسافر والغازي منه، وصحة البدن والقوى، لخرجنا معكم إلى عدوّكم، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾.

يقول: يوجبون لأنفسهم، بحلفهم بالله كاذبين، الهلاك والعطب، لأنهم يورثونها سَخَط الله، ويكسبونها أليم عقابه، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، في حلفهم بالله: ﴿بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، لأنهم كانوا للخروج مطيقين،

(٥٥١) أحمر
أسود

بوجود السبيل إلى ذلك بالذي كان عندهم من الأموال، مما يحتاج إليه الغازي في غزوه، والمسافر في سفره، وصحة الأبدان وقوى الأجسام.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، إلى قوله: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾، إنهم يستطيعون الخروج، ولكن كان تَبْطِئَةً من عند أنفسهم والشيطان، وزَهَادة في الخير.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى موبّخًا للذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، وقعدوا عن النبي ﷺ بعد ما استأذنوه في ذلك، مظهرين أنهم ذوو أعذار، ولم يكونوا كذلك، فقال: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال ابن عباس: غنيمة قريبة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريبا أيضا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ أي: لكانوا جاءوا معك لذلك، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ أي: المسافة إلى الشام، ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي: لكم إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ أي: لو لم تكن لنا أعذار لخرجنا معكم، قال الله تعالى: ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[1]. ومعنى الآية: لو كان ما دعوا إليه عرضا قريبا والعرض: كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفرا قاصدا، أي: سهلا قريبا لاتبعوك طمعا في المال ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ قال ابن قتيبة: الشقة السفر وقال الزجاج: الشقة الغاية التي تقصد وقال ابن فارس: الشقة مصير إلى أرض بعيدة تقول: شق شاقة.

---

(١) وإن لم يصح سندٌ لسبب النزول هذا، ولكن سياق الآيات الكريمات دالٌ عليه.

(٥٥٢) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ يعني: المنافقين إذا رجعتم إليهم ﴿ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا ﴾ وقرأ زائدة عن الأعمش والأصمعي عن نافع: لو استطعنا بضم الوا وكذا أين وقع مثل: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الكهف: ١٨] كأه لما احتيج إلى حركة الواو حركت بالضم، لأنها أخت الواو والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالكذب والنفاق ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك أظهر الله نفاق قوم. والعرض: ما يعرض من منافع الدنيا. والمعنى: غنيمة قريبة. أخبر عنهم أنهم لو دعوا إلى غنيمة لاتبعوه. ﴿عَرَضًا ﴾ خبر كان. ﴿قَرِيبًا ﴾ نعته. ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ عطف عليه. وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه. التقدير: لو كان المدعو إليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا - أي سهلا معلوم الطرق - لاتبعوك. وهذه الكناية للمنافقين كما ذكرنا، لأنهم داخلون في جملة من خوطب بالنفير. وهذا موجود في كلام العرب يذكرون الجملة ثم يأتون بالإضمار عائدا على بعضها، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾ [مريم: ٧١] أنها القيامة. ثم قال جل وعز: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] يعني جل وعز جهنم. ونظير هذه الآية من السنة في المعنى قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء». يقول: لو علم أحدهم أنه يجد شيئا حاضرا معجلا يأخذه لأتى المسجد من أجله. ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ ﴾ حكى أبو عبيدة وغيره أن الشقة السفر إلى أرض بعيدة. يقال: منه شقة شاقة. والمراد بذلك كله غزوة تبوك. وحكى الكسائي أنه يقال: شُقة وشِقة. قال الجوهري: الشقة بالضم من الثياب، والشقة أيضا السفر البعيد

(٥٥٣) أحمر
أسود

وربما قالوه بالكسر. والشقة شظية تشظى من لوح أو خشبة. يقال للغضبان: احتد فطارت منه شقة، بالكسر. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ أي لو كان لنا سعة في الظهر والمال. ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ نظيره ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فسرها النبي ﷺ فقال: «**زاد وراحلة**» وقد تقدم. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي بالكذب والنفاق. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في الاعتلال.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة التناول ﴿وَ﴾ كان السفر ﴿سَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريبا سهلا. ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ لعدم المشقة الكثيرة، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: طالت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد للّه على كل حال.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في «غزوة تبوك» وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي ﷺ عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه اللّه على هذه المسارعة إلى عذرهم فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ إلى قوله: ﴿رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

(٥٥٤) أحمر
أسود

عتاب من الله ﷻ لرسوله ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: هذا عتابٌ لطيفٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ، تقدم العتاب بلطيف العبارة، بقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾، تجاوز الله عنك ولم يؤاخذك الله سبحانه وتعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف عن الغزو معك والخروج معك ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ حتى يظهر لك أصحاب الأعذار منهم، وغير أصحاب الأعذار، فعليه فقد كان الإذن إجمالًا لكل من استأذن في التخلف، سواء كان بعذرٍ أو غير عذر فعوتب النبي ﷺ إذ كان من الأولى أن ينظر إلى أصحاب الأعذار فيأذن لهم والذين ليس له عذر فلا يأذن له، وحينئذٍ سيظهر له أهل النفاق الذين عزموا على التخلف سواءً أذن لهم النبي ﷺ أم لم يأذن. هذا قولٌ، وقولٌ آخر إنه عليه السلام عوتب لكونه أذن لهم، وكان الأولى أن لا يأذن لأي أحدٍ ثم نسخ ذلك بعد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [النور: ٦٢].

والقول الأول أولى، إذ لا يسوغ أن يستأذن صاحب عذر ولا يؤذن له، وقد قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى غير ذلك من النصوص.

فالأظهر أن الرسول ﷺ كان قد أذن لكل من استأذن إحسانًا للظن بهم، فعوتب على ذلك صلوات الله وسلامه عليه والله تعالى أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتبٌ به نبيَّه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين.

يقول جل ثناؤه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾، يا محمد، ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذي استأذنوك في ترك الخروج معك، وفي التخلف عنك، من قبل أن تعلم صدقه من كذبه، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، لأي شيء أذنت لهم؟

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك إذ قالوا لك: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، حتى تعرف مَن له العذر منهم في تخلفه، ومن لا عذر له منهم، فيكون إذنك لمن أذنتَ له منهم على علم منك بعذره، وتعلمَ مَنِ الكاذبُ منهم المتخلفُ نفاقًا وشكًّا في دين الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾، الآية، عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل الله التي في «سورة النور»، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء، فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾، [سورة النور: ٦٢]، فجعله الله رخصةً في ذلك من ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مجاهد[1]: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذِنُوا رسول الله فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

---

(١) وهذا مرسلٌ.

(٥٥٦) أحمر
أسود

ولهذا قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ أي: في إبداء الأعذار، ﴿ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ يقول تعالى: هلا تركتهم لما استأذنوك، فلم تأذن لأحد منهم في القعود، لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب، فإنهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو [وإن لم تأذن لهم فيه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ أي: سامحك وغفر لك ما أجريت.

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ في التخلف ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ قيل: هو افتتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله وأعزك ورحمك كان كذا وكذا. وعلى هذا التأويل يحسن الوقف على قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾، حكاه مكي والمهدوي والنحاس. وأخبره بالعفو قبل الذنب لئلا يطير قلبه فرقا. وقيل: المعنى عفا الله عنك ما كان من ذنبك في أن أذنت لهم، فلا يحسن الوقف على قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ على هذا التقدير، حكاه المهدوي واختاره النحاس. ثم قيل: في الإذن قولان:

الأول: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ في الخروج معك، وفي خروجهم بلا عدة ونية صادقة فساد.

الثاني: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ في القعود لما اعتلوا بأعذار، ذكرها القشيري قال: وهذا عتاب تلطف إذ قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾. وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أذن من غير وحي

(٥٥٧) أحمر
أسود

نزل فيه. قال قتادة وعمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما النبي ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئا إلا بوحي وأخذه من الأسارى الفدية فعاتبه الله كما تسمعون. قال بعض العلماء: إنما بدر منه ترك الأولى فقدم الله العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي ليتبين لك من صدق ممن نافق. قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن يومئذ يعرف المنافقين وإنما عرفهم بعد نزول سورة [التوبة]. وقال مجاهد: هؤلاء قوم قالوا: نستأذن في الجلوس فإن أذن لنا جلسنا وإن لم يؤذن لنا جلسنا. وقال قتادة: نسخ هذه الآية بقوله في سورة «النور»: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾ [النور: ٦٢]. ذكره النحاس في معاني القرآن له.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلف لما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس[1]: ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين، قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون. قال مورق: عاتبه ربه بهذا. وقال سفيان بن عيينة: انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب. وقال ابن الانباري: لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه لكن الله وقره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريما عليه: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي

(١) وفي سنده ابن عباس رضي الله عنهما مقالٌ.

(٥٥٨) أحمر
أسود

ورضي الله عنك هلا زرتني.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له.

والثاني: لو لم تأذن لهم لقعدوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم قال قتادة ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقوله ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ..﴾ منسوخ، وما ناسخه؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، وذهبوا إلى أن ناسخه هو قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾، والذي يظهر عدم النسخ، وإنما العتاب – كما بينت – لكون النبي ﷺ أذن لكل من أراد التخلف واستأذن، وإنما كان الأولى أن يأذن لأصحاب الأعذار فمن ثم جاء العتاب، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف في هذه الآية، فقيل إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ [التوبة: ٩١]. وقيل: الناسخ لها قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والصحيح أنها ليست بمنسوخة.

....ثم قال:

وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل.

وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا، شبابا وشيوخا، كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج، من مقاتل أو مكثر. فإن

(٥٥٩) أحمر
أسود

عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم. وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين. ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه، حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو. ولا خلاف في هذا.

وقسم ثان من واجب الجهاد - فرض أيضا على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم، ويكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد.

ومن الجهاد أيضا ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات الغرة وعند إمكان الفرصة والإرصاد لهم بالرباط في موضع الخوف وإظهار القوة.

فإن قيل: كيف يصنع الواحد إذا قصر الجميع، وهي

قيل له: يعمد إلى أسير واحد فيفديه، فإنه إذا فدى الواحد فقد أدى في الواحد أكثر مما كان يلزمه في الجماعة، فإن الأغنياء لو اقتسموا فداء الأسارى ما أدى كل واحد منهم إلا أقل من درهم. ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازيا. قال ﷺ: «**من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**» أخرجه الصحيح. وذلك لأن مكانه لا يغني وماله لا يكفي.

(٥٦٠) أحمر
أسود

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وروي عن ابن عباس[1] أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢] إلى آخر الآية. قال أبو سليمان الدمشقي: وليس للنسخ هاهنا مدخل لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة ذهبوا من غير استئذانه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – لا يستئذنك يا رسول الله أهل الإيمان بالله واليوم الآخر الذين يرجون ثواب الله ويخافون عقابه ويوحدونه ولا يشركون به شيئًا، ويوقنون بوعده ووعيده، هؤلاء لا يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، بل يبادروا بامتثال أمرك إذا دعوتهم، بل إنهم يقبلون على الجهاد معك، والغزو حبًّا في الجهاد ورغبة فيما عند الله من الأجر والثواب، فيبذلون أنسهم لنصرة دين الله ويبذلون من مالهم لنصرة دين الله والله عليم بصنيعهم وعليمٌ بالذي حملهم على ذلك.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ﴾ في التخلف عن الجهاد والغزو معك ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ لا يصدقون بوحدانية الله ولا بوعد الله ولا بوعيده

(١) وفي سنده ابن عباس رضي الله عنهما مقالٌ.

(٥٦١) أحمر
أسود

ولا بثوابه ولا بعقابه، وتشككت قلوبهم فيما تخبرهم به وفيما جئتهم به فهم في شكِّهم يتحيرون والله أعلم، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾، فهذا تعييرٌ للمنافقين حين استأذنوا في القُعود عن الجهاد من غير عُذْر، وعَذَر الله المؤمنين، فقال: ﴿ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ ﴾ [سورة النور: ٦٢].

وهذا إعلامٌ من الله نبيَّه ﷺ سِيمَا المنافقين: أن من علاماتهم التي يُعرفون بها تخلُّفهم عن الجهاد في سبيل الله، باستئذانهم رسول الله ﷺ في تركهم الخروجَ معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة.

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، لا تأذننَّ في التخلُّف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك، لمن استأذنك في التخلف من غير عذر، فإنه لا يستأذنك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر. فأمَّا الذي يصدّق بالله، ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾، يقول: والله ذو علم بمن خافه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه، وغير ذلك من أمره ونهيه.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنما يستأذنك، يا محمد، في التخلف خِلافكَ، وترك الجهاد معك، من غير عذر بيِّنٍ، الذين لا يصدّقون بالله، ولا يقرّون بتوحيده، ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، يقول: وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله، وفي ثواب أهل طاعته، وعقابه أهل معاصيه، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾، يقول: في شكهم متحيِّرون، وفي ظلمة الحيرة متردِّدون، لا يعرفون حقًّا من

(٥٦٢) أحمر
أسود

باطل، فيعملون على بصيرة. وهذه صفة المنافقين.

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في «سورة النور»[(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ أي في القعود ولا في الخروج، بل إذا أمرت بشيء ابتدروه، فكان الاستئذان في ذلك الوقت من علامات النفاق لغير عذر، ولذلك قال: «إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون». روى أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ نسختها التي في «النور» ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ - إلى قوله - غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢] ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ في موضع نصب بإضمار في، عن الزجاج. وقيل: التقدير كراهية أن يجاهدوا، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [النساء: ١٧٦]. ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ شكت في الدين. ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ أي في شكهم يذهبون ويرجعون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو] أحد يؤمن بالله ورسوله، فقال: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ أي: في القعود عن الغزو ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ ؛ لأن أولئك يرون الجهاد قربة، ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا. ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ أي: في القعود ممن لا عذر له ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ أي: لا يرجون

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾.

(٥٦٣) أحمر
أسود

ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: شكت في صحة ما جئتهم به، ﴿ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ أي: يتحيرون، يُقَدِّمُون رجلا ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هَلْكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا.

قا ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود. قال الزجاج: أعلم الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه ﷺ أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر أن المؤمنين باللّه واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث، فضلا عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم، أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد.

﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلَّتْ رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال. ﴿ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ أي: لا يزالون في الشك والحيرة.

❁ ❁ ❁

(٥٦٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ
فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا
زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ
لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ
لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ
تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ
وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا
هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ
إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ
عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ
طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ

(٥٦٥) أحمر
أسود

بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ
كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ
لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٌ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ
مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ۞

[التوبة: ٤٦-٥٧].

(٥٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْخُرُوجَ - لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً - ٱنۢبِعَاثَهُمْ - فَثَبَّطَهُمْ - ٱلْقَٰعِدِينَ - خَبَالًا - وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ - يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ - وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ - ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ - وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ - ٱلْحَقُّ - وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ - وَلَا تَفْتِنِّىٓ - أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ - سَقَطُوا۟ - حَسَنَةٌ - قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ - وَيَتَوَلَّوا۟ - مَوْلَىٰنَا - فَلْيَتَوَكَّلِ - تَرَبَّصُونَ بِنَآ - إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ - بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ - أَوْ بِأَيْدِينَا - طَوْعًا - كَرْهًا - وَتَزْهَقَ - يَفْرَقُونَ - مَلْجَـًٔا - مَغَٰرَٰتٍ - مُدَّخَلًا - لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ - يَجْمَحُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْخُرُوجَ)	المراد الخروج للغزو والجهاد في سبيل الله
(لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً)	لتجهزوا بالجهاز اللازم للغزو من سلاحٍ ومركب وملبس طعام وغير ذلك
(ٱنۢبِعَاثَهُمْ)	خروجهم – نهوضهم
(ٱلْقَٰعِدِينَ)	القاعدين لعذر كالمرض والعجزة والنساء والصبيان
(خَبَالًا)	فسادًا – شرًّا
(وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ)	ولأسرعوا بالسير بينكم بالقول المفسد والنميمة والشر. لأفسدوا صفوفكم في القتال
(يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ)	يطلبون لكم الشر والفساد والفوضى والهزيمة والانصراف عن الدين إلى الشرك

(٥٦٧) أحمر
أسود

(وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ)	وفيكم من يصدقهم، ويسمع لهم، ويطيع لهم، وقيل: وفيكم من يسمتمع منكم الأخبار وينقلها إليهم
(ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ)	بحثنوا عن الشر والفساد يسعوا لنشر الشر والفساد وصرف الناس عن دينهم
(وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ)	أثاروا لك المشاكل والقلاقل
(ٱلْحَقُّ)	الوعد الحق، وهو نصرك على أعداءك
(وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ)	ظهر الدين الحق وعلا وارتفع وانتصر أهله
(وَلَا تَفْتِنِّيٓ)	لا توقفي في الإثم والفتنة
(أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ)	ألا إنهم وقعوا في الإثم والشر والمعصية بتخلفهم عن الخروج معك في سبيل الله
(حَسَنَةٌ)	شيءٌ يسعدك كفتح من الله – غنيمة تغنمها – دخولا لناس في دين الله أفواجًا
(قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن)	قد احتطنا لأنفسنا وأخذنا حذرنا
(وَيَتَوَلَّواْ)	ينصرفوا عنك
(مَوْلَىٰنَا)	متولي أمرنا – ناصرنا
(فَلْيَتَوَكَّلِ)	فليعتمد
(تَرَبَّصُونَ بِنَآ)	تنتظرون أن يحلَّ بنا
(إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ)	إحدى الأمرين الأحسنين (النصر أو الشهادة في سبيل الله)

(٥٦٨) أحمر
أسود

(بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ)	عذاب دون تدخل منا كالخسف أو الصواعق أو الموت أو المجاعات أو غير ذلك
(أَوْ بِأَيْدِينَآ)	عذابٌ على أيدينا نقتلكم ونأسركم
(طَوْعًا)	عن طواعية
(كَرْهًا)	وأنتم كارهون للإنفاق
(وَتَزْهَقَ)	تخرج أرواحهم عند الموت
(يَفْرَقُونَ)	يخافون خوفًا شديدًا
(مَلْجَـًٔا)	حصنًا – مكانًا يلجؤون إليه
(مَغَـٰرَٰتٍ)	فتحات في الجبل – أماكن في الجبال
(مُدَّخَلًا)	سربًا في الأرض – نفقًا في الأرض
(لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ)	لهربوا إليه
(يَجْمَحُونَ)	يسرعون لا يمنعهم من الإسراع شيءٌ

❁ ❁ ❁

(٥٦٩) أحمر
أسود

س: ما المراد بالعدة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدها: أن العدة ما يلزم الغازي في سبيل الله اصطحابه من سلاح وطعام وملبس ومركب وغير ذلك.

الثاني: المراد النية الصالحة.

❁ ❁ ❁

س: من القائل: ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ قاله لهم ذلك غضبًا عليهم وتضايقًا منهم.

الثاني: أن الله جل ذكره صدهم عن الجهاد وصرفهم عنه، وألهمهم التخلف عن الغزو خذلانًا لهم.

الثالث: أن بعضهم (بعض أهل النفاق، قال ذلك للبعض الآخر).

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفتنة في قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: الشر والفساد وتفريق الجماعة، وتشتيت الكلمة.

الثاني: الشرك بالله والانصراف عن دينه.

❁ ❁ ❁

س: هل كان في الصحابة خبالٌ حتى قيل: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾؟

ج: لم يكن فيهم خبال، ولكن هذا من الاستثناء المنقطع.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾.

(٥٧٠) أحمر
أسود

فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالًا.

❁ ❁ ❁

مُريد الخير يعدُّ له عدة

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولو أراد هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الغزو معك وعن الجهاد في سبيل الله، لو ارادوا الخروج لتجهزوا له بالجهاد اللازم للغزو، وبالعدة اللازمة من المركب والسلاح والطعام وغير ذلك من مستلزمات الغازي ولعزموا عزيمة صحيحة على الغزو، ولكن كره الله خروجهم معك لنفاقهم وفسادهم فحرمهم شرف الخروج معك وشرف الجهاد في سبيل الله فأقعدهم عن الخروج وخذلهم وألهموا القعود مع المرضى والنساء والأطفال والعجزة وأصحاب الأعذار، وهذا يا رسول الله من فضل الله عليك، من فضل الله عليك أن خذلهم فلم يخرجوا معك للغزو، فإنهم لو خرجوا معك ما زادوا أصحابك إلا شرًّا وفسادًا بالوشايات التي يقومون بها بين المجاهدين وبالشائعات والأراجيف، ولأسرعوا بينكم بنشر الشر والفساد، والتثبيط عن الجهاد وتخويفكم من العدو وحثكم على الانسحاب والرجوع، وفيكم طائفة تستمع لكلامهم وتصدقهم إحسانًا للظن بهم، وكذا فيكم طائفة تتجسس لصالحهم، والله عليم بأهل الظلم والشر والفساد.

(٥٧١) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أراد هؤلاء المستأذنوك، يا محمد، في ترك الخروج معك لجهاد عدوّك، الخروجَ معك، ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾، يقول: لأعدوا للخروج عدة، ولتأهّبوا للسفر والعدوِّ أهْبَتهما ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾، يعني: خروجهم لذلك ﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾، يقول: فثقَّل عليهم الخروجَ حتى استخفُّوا القعودَ في منازلهم خِلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا لذلك الخروج، ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾، يعني: اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون، ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله ﷺ والمجاهدين في سبيل الله.

وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله ﷺ والمؤمنين به، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله، وأنهم لو خرجوا معهم ضرُّوهم ولم ينفعوا. وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في القعود كانوا: «عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول»، و«الجد بن قيس»، ومن كانا على مثل الذي كانا عليه.

ويقول تعالى ذكره: لو خرج، أيها المؤمنون، فيكم هؤلاء المنافقون، ﴿مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا﴾، يقول: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادًا وضرًّا، ولذلك ثبَّطتُهم عن الخروج معكم.

وقد بينا معنى «الخبال»، بشواهده فيما مضى قبل.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾، يقول: ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم.

وأصله من «إيضاع الخيل والركاب»، وهو الإسراع بها في السير، يقال للناقة إذا أسرعت السير: «وضعت الناقة تَضَع وَضعًا ومَوْضوعًا»، و«أوضعها صاحبها»، إذا جدّ بها وأسرع، «يوضعها إيضاعًا»، ومنه قول الراجز:

(٥٧٢) أحمر
أسود

يَـــا لَيْتَنِـــي فِيهَـــا جَـــذَعْ أَخُـــبُّ فِيهَـــا وَأَضَـــعْ

وأما أصل «الخلال»، فهو من «الخَلَل»، وهي الفُرَج تكون بين القوم، في الصفوف وغيرها. ومنه قول النبي ﷺ: «**تَرَاصُّوا فِي الصُّفُوفِ لا يَتَخَلَّلكُمْ [الشَّيَاطين، كأنها] أَوْلادُ الحذَفِ**».

وأما قوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، فإن معنى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، يطلبون لكم ما تفتنون به، عن مخرجكم في مغزاكم، بتثبيطهم إياكم عنه.

وأما قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله.

فقال بعضهم: معنى ذلك: وفيكم سماعون لحديثكم لهم، يؤدُّونه إليهم، عيون لهم عليكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيكم من يسمع كلامهم ويُطيع لهم.

فعلى هذا التأويل: وفيكم أهلُ سمع وطاعة منكم، لو صحبوكم أفسدوهم عليكم، بتثبيطهم إياهم عن السير معكم.

وأما على التأويل الأول، فإن معناه: وفيكم منهم سمَّاعون يسمعون حديثكم لهم، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم، عيون لهم عليكم.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: معناه: «وفيكم سماعون لحديثكم لهم، يبلغونه عنكم، عيون لهم»، لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم: «سمَّاع»، وصف من وصف به أنه سماع للكلام، كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، واصفًا بذلك قومًا بسماع الكذب من الحديث. وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه: «له سامع ومطيع»، ولا تكاد تقول: «هو له سماع مطيع».

(٥٧٣) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فإن معناه: والله ذو علم بمن يوجّه أفعاله إلى غير وجوهها، ويضعها في غير مواضعها، ومن يستأذن رسول الله ﷺ لعذر، ومن يستأذنه شكًّا في الإسلام ونفاقًا، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين، ومن يسمعه ليسرَّ بما سُرَّ به المؤمنون، ويساء بما ساءهم، لا يخفى عليه شيء من سرائر خلقه وعلانيتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ أي: معك إلى الغزو ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ أي: لكانوا تأهبوا له، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرًا، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: أخرهم، ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ أي: قدرًا.

ثم بين [الله تعالى] وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين. فقال: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لأنهم جبناء مخذولون، ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير.

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن جرير: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم.

وهذا لا يبقى له اختصاص بخروجهم معهم، بل هذا عام في جميع الأحوال، والمعنى الأول أظهر في المناسبة بالسياق، وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين.

وقال محمد بن إسحاق: كان فيما بلغني -من استأذن -من ذوي الشرف

(٥٧٤) أحمر
أسود

منهم: عبد الله بن أبي ابن سلول والجَدُّ بن قيس، وكانوا أشرافا في قومهم، فثبطهم الله، لعلمه بهم: أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم، فقال: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾

ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فأخبر بأنه [يعلم] ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء: ٦٦-٦٨] والآيات في هذا كثيرة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ أي لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر. فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ أي خروجهم معك. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي حبسهم عنك وخذلهم، لأنهم قالوا: إن لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرضنا على المؤمنين. ويدل على هذا أن بعده ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾. ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾.

قيل: هو من قول بعضهم لبعض. وقيل: هو من قول النبي ﷺ، ويكون هذا هو الإذن الذي تقدم ذكره. قيل: قال النبي ﷺ غضبا فأخذوا بظاهر لفظه

(٥٧٥) أحمر
أسود

وقالوا قد أذن لنا. وقيل: هو عبارة عن الخذلان، أي أوقع الله في قلوبهم القعود. ومعنى ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ أي مع أولي الضرر والعميان والزمنى والنسوان والصبيان.

و قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ هو تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم. والخبال: الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف. وهذا استثناء منقطع، أي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال. وقيل: المعنى لا يزيدونكم فيما يترددون فيه من الرأي إلا خبالا، فلا يكون الاستثناء منقطعا.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ المعنى لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد. والإيضاع، سرعة السير. وقال الراجز:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ

يقال: وضع البعير إذا عدا، يضع وضعا ووضوعا إذا أسرع السير. وأوضعته حملته على العدو. وقيل: الإيضاع سير مثل الخبب. والخلل الفرجة بين الشيئين، والجمع الخلال، أي الفرج التي تكون بين الصفوف. أي لأوضعوا خلالكم بالنميمة وإفساد ذات البين. ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ مفعول ثان. والمعنى يطلبون لكم الفتنة، أي الإفساد والتحريض. ويقال: أبغيته كذا أعنته على طلبه، وبغيته كذا طلبته له. وقيل: الفتنة هنا الشرك. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي عيون لهم ينقلون إليهم الأخبار منكم. قتادة: وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم. النحاس: القول الأول أولى، لأنه الأغلب من معنييه أن معنى سماع يسمع الكلام: ومثله ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [سورة المائدة: ٤١]. والقول الثاني: لا يكاد يقال فيه إلا سامع، مثل قائل.

(٥٧٦) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

﴿ و ﴾ أما هؤلاء المنافقون فـ ﴿ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ معكم في الخروج للغزو ﴿ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ قدرا وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ من النساء والمعذورين.

ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ أي: نقصا.

﴿ وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾ أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ ﴾ أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

﴿ وَفِيكُمۡ ﴾ أناس ضعفاء العقول ﴿ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ ﴾ أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفا من أن

(٥٧٧) أحمر
أسود

يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم.

ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر.

❁ ❁ ❁

أهل النفاق يريدون الفتنة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – لقد التمس هؤلاء المنافقون كل سبل الفتن لإلحاق الضرر بك وصرف الناس عنك يا رسول الله، وعن دينك الذي أُرسلت به، وسعوا في قتلك، وسعوا في تخذيلك وسعوا في صرف الناس عنك، وسعوا في الطعن فيك وفي أهل بيتك، كما حدث في الإفك، وكما حدث يوم أُحد من انصرافهم بثلث الجيش وكما صنعوا من مخالفات مع اليهود، وفي غير ذلك من المواطن سعيًا منهم للشر والتماسًا منهم للعيب وأثاروا عليك الفتن والقلاقل سعيًا لإطفاء هذا النور الذي جئت به من عند الله، ولكن خاب سعيهم وبطل عملهم، وأتم الله نوره وأظهر الله دينه وأعلى اللهُ كلمته، وجعلها هي العليا وخذل الشرك وأهله، وأهل النفاق كارهون لكل ذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك، يا محمد، التمسوا صدَّهم عن دينهم وحرصوا على ردّهم إلى الكفرِ بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أحدٍ، حين انصرف عنك بمن

(٥٧٨) أحمر
أسود

تبعه من قومه. وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب وسول الله ﷺ من الفتنة من قبل. ويعني بقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾، من قبل هذا، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾، يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأيَ بالتخذيل عنك، وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾، يقول: حتى جاء نصر الله، ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، يقول: وظهر دين الله الذي أمرَ به وافترضه على خلقه، وهو الإسلام، ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾، يقول: والمنافقون بظهور أمر الله ونصره إياك كارهون. وكذلك الآن، يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به، وهم كارهون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى محرضا لنبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على المنافقين: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي: لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماله مدة طويلة، وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة رمته العرب عن قوس واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته، قال عبد الله بن أبي وأصحابه: هذا أمر قد تَوَجَّه. فدخلوا في الإسلام ظاهرًا، ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي: أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر اللّه عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنين، بتخلفهم عنهم.

(٥٧٩) أحمر
أسود

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ في الفتنة قولان:

أحدهما: الشر قاله ابن عباس. والثاني: الشرك قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل غزوة تبوك.

وفي قوله: ﴿ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: بغوا لك الغوائل. قاله ابن عباس. وقيل: إن اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على طريقه ليلا ليفتكوا به فسلمه الله منهم.

والثاني: احتالوا في تشتت أمرك وإبطال دينك. قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أبي يوم أحد بأصحابه.

والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم.

والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر ومما لأة المشركين في الباطن.

والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني: النصر ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ يعني الإسلام.

❁ ❁ ❁

س: من القائل: ﴿ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾؟

ج: أكثر أهل العلم على أن قائل ذلك هو الجدُّ بن قيس، وقد وردت بذلك حملة من المراسيل أراها تصح بمجموعها منها:

ما أورده الطبري من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العامَ في

(٥٨٠) أحمر
أسود

جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أوْ تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منِّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ! فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾، الآية، أي: إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه، أعظم.

وعند الطبري أيضًا عن مجاهد في قول الله: ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: اغزُوا تبوك، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم ! فقال الجدّ: ائذن لنا، ولا تفتنَّا بالنساء.

وبإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾، قال: هو رجل من المنافقين يقال له جَدُّ بن قيس، فقال له رسول الله ﷺ: العامَ نغزو بني الأصفر ونتَّخذ منهم سراريّ ووُصفاءَ، فقال: أي رسول الله، ائذن لي ولا تفتني، إن لم تأذن لي افتتنت وقعدت ! وغضب [رسول الله ﷺ]، فقال الله: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وثم مراسيل أُخر في هذا الصدد.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: لا تُكسبني الإثم ولا توقعني فيه بأمرك لي بالخروج وهو غير متيسر لي.

---

(١) وهو مرسل، وابن زيد ضعيف، لكنها مجموعة من المراسيل تصحح لمجموعها.

(٥٨١) أحمر
أسود

الثاني: لا تصرفني عن شغلي.

الثالث: لا توقفي في فتنة النساء وارتكاب المحرم معهم.

❁ ❁ ❁

وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن أهل النفاق من يقول ائذن لي في البقاء في المدينة وعدم الخروج معك في الغزو ولا تجعلني أُفتن بالنساء فإني أخشى على نفسي من نساء بني الأصفر، يعني: نساء الروم، فدعني بالمدينة حتى لا أُفتن بانساء، كذا قالوا، ولكنهم بهذا القول سقطوا في الفتن فقد وقعوا في الإثم والعصيان بطلبهم التخلف عنك في الغزو، وقد صُرفوا عن الخير بسبب قيلهم هذا، ثم إن موعدهم لإلى الجحيم، فجهنم محيطةٌ بهم كما قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر أن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس.

ويعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾، ومن المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾، أقم فلا أشخَصُ معك، ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾، يقول: ولا تبتلني برؤية نساء بني الأصفر وبناتِهم، فإنّي بالنساء مغرمٌ، فأخرج وآثَمُ بذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يقول: وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذَّب رسله، محدقة بهم، جامعة لهم جميعًا يوم القيامة.

يقول: فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بِصِلِيِّها خزيًا.

(٥٨٢) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ أي في الإثم والمعصية وقعوا. وهي النفاق والتخلف عن النبي ﷺ. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي مسيرهم إلى النار، فهي تحدق بهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك «الجد بن قيس»

ومقصوده -قبحه اللّه- الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.

قال اللّه تعالى مبينا كذب هذا القول: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، [فإن] في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية اللّه ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم اللّه بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص.

❁ ❁ ❁

(٥٨٣) أحمر
أسود

سعادة أهل النفاق بمصائب المسلمين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – إن تصبك أمور تسعد بها وتفرح لها وينشرح بها صدرك وتنرح بها صدور المؤمنين كالفتوحات التي تُفتح لك وكدخول الناس في دين الله أفواجًا والغنائم التي تغنمها إلى غير ذلك من وجوه الخير التي يرزقك الله إياها، يحزن لذلك أهل النفاق ويسؤوهم ذلك ولا يسرهم، وإن تحل بك مصيبة من مرض أو فرق أو تسلط عدوًا وغير ذلك يفرحوا لذلك وينصرفوا عنك فرحين قائلين قد أخذنا أمرنا، أخذنا احتياطاتنا من قبل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك سرورٌ بفتح الله عليك أرضَ الروم في غَزاتك هذه، يسؤ الجدَّ بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها، يقول الجد ونظراؤه: ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾، أي: قد أخذنا حذرَنا بتخلّفنا عن محمد، وترك أتباعه إلى عدوّه، ﴿مِن قَبْلُ﴾، يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة، ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾، يقول: ويرتدُّوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدًا وأصحابه من المصيبة، بفلول أصحابه وانهزامهم عنه، وقتل من قُتِل منهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعلم تبارك وتعالى نبيه بعداوة هؤلاء له؛ لأنه مهما أصابه من ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: فتح ونصر وظفر على الأعداء، مما يسره ويسر أصحابه، ساءهم ذلك، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قد احترزنا من متابعته من قبل هذا، ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾.

(٥٨٤) أحمر
أسود

وقا القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ ﴾ شرط ومجازاة، وكذا ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ ﴾ عطف عليه. والحسنة: الغنيمة والظفر. والمصيبة الانهزام. ومعنى قوله: ﴿أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ ﴾ أي احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم فلم نخرج إلى القتال. ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ أي عن الإيمان. ﴿وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾ أي معجبون بذلك.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ ﴾ أي: نصر وغنيمة. والمصيبة: القتل والهزيمة. ﴿ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا ﴾ أي: عَمِلنا بالحزم فلم نخرج. ﴿ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾ بمصابك وسلامتهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفا: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ ﴾ كنصر وإدالة على العدو ﴿ تَسُؤۡهُمۡۖ ﴾ أي: تحزنهم وتغمهم.

﴿ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ ﴾ كإدالة العدو عليك ﴿ يَقُولُواْ ﴾ متبجحين بسلامتهم من الحضور معك.

﴿ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ ﴾ أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة.

﴿ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴾ فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها.

❁ ❁ ❁

(٥٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – قل: يا رسول الله لهؤلاء الشامتين الذين يتربصون بكم الدوائر، ويسعدوا لحلول المصائب بكم ويحزنوا لكل خير أصابكم، قل لهم: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلقنا فالأمور مقدرة مكتوبة، وهو سبحانه وتعالى متولي نصرنا وعلى الله فليعتمد المؤمنون، أي: فاعتمدوا يا أهل الإيمان على ربكم واطلبوا منه النصر على عدوكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مؤدِّبًا نبيّه محمدًا ﷺ: ﴿ قُل ﴾، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ ﴾، أيها المرتابون في دينهم ، ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾، في اللوح المحفوظ، وقضاه علينا ، ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ ﴾، يقول: هو ناصرنا على أعدائه ، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، يقول: وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فإنهم إن يتوكلوا عليه، ولم يرجُوا النصر من عند غيره، ولم يخافوا شيئًا غيره، يكفهم أمورهم، وينصرهم على من بغاهم وكادهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أرشد الله تعالى رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جوابهم في عداوتهم هذه التامة، فقال: ﴿ قُل ﴾ أي: لهم ﴿ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ أي: نحن تحت مشيئة الله، وقدره، ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ ﴾ أي: سيدنا وملجؤنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ونحن متوكلون عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٥٨٦) أحمر
أسود

وقال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ قيل: في اللوح المحفوظ. وقيل: ما أخبرنا به في كتابه من أنا إما أن نظفر فيكون الظفر حسنى لنا، وإما أن نقتل فتكون الشهادة أعظم حسنى لنا. والمعنى كل شيء بقضاء وقدر. وقد تقدم في «الأعراف» أن العلم والقدر والكتاب سواء. ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ﴾ أي ناصرنا. والتوكل تفويض الأمر إليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى رادا عليهم في ذلك ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ.

﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ ﴾ أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما قضى علينا. قاله ابن عباس.

والثاني: ما بين لنا في كتبه من أنا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا أو نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضا. قاله الزجاج.

والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ أي: ناصرنا.

(٥٨٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر وينتظرون بكم المصائب ويسعدهم ما يحل بك من المكروه، ويُحزنهم ما يفتح الله به عليك، قل لهؤلاء ماذا عساكم أن تنتظروا أن يحل بنا، إن الذي تنتظرون أن يحل بنا أحد أمرين وكلاهما حسن، إما النصر والفوز والفتح، وإما الشهادة في سبيل الله، وكلّ ذلك حسنٌ ونحن به راضون، أما نحن منتظر أن يحل بكم عذاب من عند الله بالموت أو الصواعق أو الخسف أو القحط أو غير ذلك من صور العذاب، أو أن يُمكننا الله منكم ومن رقابنا فنقتلكم فانتظروا، ولننتظر نحن الآخرون لننتظر كلٌّ منا قضاء الله فيه.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم وبينت لك أمرهم: هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخَلَّتين اللتين هما أحسن من غيرهما، إما ظفرًا بالعدو وفتحًا لنا بِغَلَبَتِنا هم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلا من عدوِّنا لنا، ففيه الشهادة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. وكلتاهما مما نُحبُّ ولا نكره، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾، يقول: ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة، تهلككم، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ﴾، فنقتلكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾، يقول: فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا، وما إليه صائرٌ أمر كلِّ فريقٍ منَّا ومنكم.

(٥٨٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ ﴾ ؟ أي: تنتظرون بنا ﴿ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ شهادَة أو ظَفَرٌ بكم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أي: ننتظر بكم هذا أو هذا، إما أن يصيبكم الله بقارعة من عنده أو بأيدينا، بسبي أو بقتل، ﴿ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾.

وقال السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

أي: قل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر: أي شيء تربصون بنا؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمرا فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والدنيوي. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند اللّه.

وأما تربصنا بكم -يا معشر المنافقين- فنحن نتربص بكم، أن يصيبكم اللّه بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. ﴿ فَتَرَبَّصُوٓاْ ﴾ بنا الخير ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ بكم الشر.

❁ ❁ ❁

نفقات المنافقين غير مقبولة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين الذين اعتذروا عن الخروج معك للغزو في سبيل الله، وهم كذبةٌ في ادعائهم واعتذارهم قل لهؤلاء أنفقوا من أموالكم ما شئتم انفقوا مختارين أو مُكرهين فلن تُتقبل منكم تلك النفقات ولن يثيبكم الله عليها في الآخرة، ذلك لكونكم كنتم قومًا فاسقين

(٥٨٩) أحمر
أسود

أي: خارجين عن الطاعة، والمراد بالفسق هنا الكفر بدليل الآية التي بعدها. وستأتي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء المنافقين: أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره، وعلى أي حال شئتم، من حال الطوع والكره، فإنكم إن تنفقوها لن يتقبَّل الله منكم نفقاتكم، وأنتم في شك من دينكم، وجهل منكم بنبوة نبيكم، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، يقول: خارجين عن الإيمان بربكم.

وخرج قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، مخرج الأمر، ومعناه الجزاء، والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها «إن»، التي تأتي بمعنى الجزاء، كما قال جل ثناؤه: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، فهو في لفظ الأمر، ومعناه الجزاء، ومنه قول الشاعر:

أَسِيئي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةً ... لَدَيْنَا، ولا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ

فكذلك قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، إنما معناه: إن تنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يُتَقَبَّل منكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وسبب عدم قبول نفقات هؤلاء المنافقين التي ينفقونها هو كفرهم بالله عَزَّ وَجَلَّ وكفرهم برسول الله ﷺ فهم يجحدون

(٥٩٠) أحمر
أسود

وحدانية الله ﷻ، وكذا يكذبون رسوله ﷺ، ويضمرون ذلك في قلوبهم، وإن أظهروه بألسنتهم، فهم وإن أنفقوا فنفقتهم ليست بخالصةٍ لوجه الله، وإنما يراءون بها ويدفعون بها عن أنفسهم في الدنيا، وكذا شأنهم مع الصلاة، فإنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، يأتونها خجلًا من المسلمين حتى يدفعوا عن أنفسهم السيف، أما إذا لم يشهدوا جماعة فإنهم لا يؤدون تلك الصلوات في بيوتهم، فصلواتهم إنما هي رياء وسمعة فقط، حتى يُقال إنهم يصلون، ولكنهم في حقيقة الأمر لا يريدون الصلاة، وكذا لا ينفقون إلا عن كراهية، ليس عن حبٍّ للإنفاق ولا رجاءً للثواب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما منع هؤلاء المنافقين، يا محمد، أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك، وفي غير ذلك من السبل، إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله، فـ ﴿أَن﴾ الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، لان معنى الكلام: ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله ، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾، يقول: لا يأتونها إلا متثاقلين بها. لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابًا، ولا يخافون بتركها عقابًا، وإنما يقيمونها مخافةً على أنفسهم بتركها من المؤمنين، فإذا أمنوهم لم يقيموها ، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾، يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئًا ، ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾، أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه، مما فيه تقوية للإسلام وأهله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى عن سبب ذلك، وهو أنهم لا يتقبل منهم، ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ أي: [قد كفروا] والأعمال إنما تصح بالإيمان، ﴿وَلَا يَأْتُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ﴾ أي: ليس لهم قصد صحيح، ولا همة في العمل، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ ﴾ نفقة ﴿إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾.

وقد أخبر الصادق المصدوق أن الله لا يمل حتى تملوا، وأنه طيب لا يقبل إلا طيبا؛ فلهذا لا يتقبل الله من هؤلاء نفقة ولا عملا لأنه إنما يتقبل من المتقين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من اللّه وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

❁ ❁ ❁

النهي عن الاغترار بالدنيا وما أوتاه المنافقين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

(٥٩٢) أحمر
أسود

الثاني: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا تكون عليهم تلك الأموال في الدنيا عذابٌ، وكم من شخص معذب في الدنيا بسبب أمواله بصور متعددة من العذاب.

أما قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تخرج أرواحهم عند موتهم، وهم كافرون، أي: أنهم يموتون حين يموتون على الكفر والعياذ بالله.

وبصورة أوضح أقول – وبالله التوفيق-:

فلا تعجبك يا رسول الله هذه الأموال التي متع الله ﷻ بها أهل النفاق هؤلاء، فقد كانوا أثرياء وسع الله عليهم في الدنيا، ولا تغتر بهذه الأحوال، ولا تلتفت أيضًا إلى ما متعوا به من البنين، فقد رزقهم الله أولاد، فإن ذلك كله متاعٌ زائل ونعيمٌ فانٍ وإنما متعهم الله بهذا المال، وكذا بالأولاد، لتكون عليهم عذابًا في دنياهم، فكم من شخص معه أموال وعنده أولاد، وكل ذلك عذاب عليه يُعذب عند جمع المال، ويعذب عند إنفاقه وتحدث صراعات بينه وبين أولاده وبين الناس بسبب المال، وتحدث صراعات بين أولاده بسبب المال ثم إنه أيضًا يكلف فيه بتكاليف شرعية كالزكوات وغيرها، فلا يفعل فيستجلب لنفسه بذلك عذابًا فلا تغتر يا رسول الله بهذا كله، فإن الله ﷻ يجعل المال والأولاد عذابًا على هؤلاء المنافقين، وكذا يريد لهم، والعياذ بالله – الموت على الكفر أن تخرج أرواحهم من أجسادهم حينما تخرج، على الكفر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: فلا تعجبك، يا محمد، أموال هؤلاء المنافقين ولا

(٥٩٣) أحمر
أسود

أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال: معنى ذلك التقديمُ، وهو مؤخر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾، قال: هذه من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، بما ألزمهم فيها من فرائضه.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن الحسن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، بالمصائب فيها، هي لهم عذابٌ، وهي للمؤمنين أجرٌ.

قال أبو جعفر[1]: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويلُ الذي ذكرنا عن الحسن. لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصرْفُ تأويله إلى ما دلَّ عليه ظاهره، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالةَ على صحته.

وإنما وجَّه من وجَّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا، وجهًا يوجِّهه إليه، وقال: كيف يعذِّبهم.

بذلك في الدنيا، وهي لهم فيها سرور؟ وذهبَ عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامُه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه، إذ كان

(١) هو الطبري.

(٥٩٤) أحمر
أسود

يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيِّب النفس، ولا راجٍ من الله جزاءً، ولا من الآخذ منه حمدًا ولا شكرًا، على ضجرٍ منه وكُرْهٍ.

وأما قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، فإنه يعني وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله، وجحودهم نبوّةَ نبيّ الله محمد ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال الحسن البصري: بزكاتها، والنفقة منها في سبيل الله.

وقال قتادة: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، [في الحياة الدنيا] إنما يريد الله ليعذبهم بها [في الآخرة].

واختار ابن جرير قول الحسن، وهو القول القَوي الحسن.

وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر، ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم، عياذا بالله من ذلك، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد. وفي معنى الآية أربعة اقوال:

أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله

(٥٩٥) أحمر
أسود

ليعذبهم بها في الآخرة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة، فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها.

والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر. قاله ابن زيد.

والثالث: أن المعنى ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله قاله الحسن فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها.

والرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم ذكره الماوردي فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله تعالى: ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: تخرج يقال زهق السهم إذا جاوز الهدف.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضي ربهم، وعصوا اللّه لأجلها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي -لما ألهتهم عن اللّه وذكره- صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا.

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

(٥٩٦) أحمر
أسود

فأي عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن أهل النفاق هؤلاء يقسمون لكم أيمانًا معقدةً بالله ﷻ إنهم على الإسلام والإيمان وشأنكم وشأنهم واحد، وهم وأنتم شيء واحد فيكذّبهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ليسوا منكم يا أهل الإيمان، وليسوا على طريقتكم، ولكنهم قوم يخافونكم ويرهبونكم فلذلك حلفوا وأقسموا اتقاءً لكم كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦] أي: وقاية، ثم بين الله كراهيتهم لك وعدم حبهم لكم بقوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: مكانٍ يلجؤون إليه بعيدًا عنكم، فإنهم لا يحبونكم، ولا يريدون أن يروكم وقد انتصرتم، وقويت شوكتكم، وعلت كلمتكم، فلذا لو وجدوا ملجأ للجؤوا إليه ولهربوا إليه، وكذا لو وجدوا مغارة في الجبل يهربون إليها لهربوا إليها، وكذا لو وجدوا نفقًا في الأرض، أو سربًا في الارض لهربوا إليه، ولكن هذه أمورٌ شقت عليهم لتداخلهم بينكم وعدم الاستغناء عن أموالهم وتجاراتهم، وإلا فمجالستهم لكم عن كراهية واختلاطهم بكم عن اضطرارٍ وصحبتهم لكم عن مداراة، هذه حالهم وذاك شأنهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويحلف بالله لكم، أيها المؤمنون، هؤلاء المنافقون كذبًا وباطلا خوفًا منكم: ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ في الدين والملة. يقول الله تعالى،

(٥٩٧) أحمر
أسود

مكذّبًا لهم: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾، أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم، بل هم أهل شكٍّ ونفاقٍ، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾، يقول: ولكنهم قوم يخافونكم، فهم خوفًا منكم يقولون بألسنتهم: «إنا منكم»، ليأمنوا فيكم فلا يُقْتَلوا.

ويقول تعالى ذكره: لو يجد هؤلاء المنافقون «ملجأ»، يقول: عَصَرًا يعتصِرون به من حِصْن، ومَعْقِلا يعتقِلون فيه منكم، ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾، وهي الغيران في الجبال، واحدتها: «مغارة»، وهي «مفعلة»، من: «غار الرجل في الشيء، يغور فيه»، إذا دخل، ومنه قيل، «غارت العين»، إذا دخلت في الحدقة.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾، يقول: سَرَبًا في الأرض يدخلون فيه.

وقال: «أو مدّخلا»، الآية، لأنه «من ادَّخَل يَدَّخِل».

وقوله: ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾، يقول: لأدبروا إليه، هربًا منكم، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾. يقول: وهم يسرعون في مَشْيِهم.

وقيل: إن «الجماح» مشيٌ بين المشيين، ومنه قول مهلهل:

لَقَدْ جَمَحْتُ جِمَاحًا فِي دِمَائِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما أقاموا بين أَظْهُرِ أصحاب رسول الله ﷺ على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنفاق، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله ﷺ وأهل الإيمان به والعداوة لهم. فقال الله واصِفَهم بما في ضمائرهم: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾، الآية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر الله تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، عن جزعهم وفزعهم

(٥٩٨) أحمر
أسود

وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ يمينًا مؤكدة، ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ أي: في نفس الأمر، ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي: فهو الذي حملهم على الحلف. ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ أي: حصنا يتحصنون به، وحرزا يحترزون به، ﴿ أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ وهي التي في الجبال، ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ وهو السَّرَب في الأرض والنفَق. قال ذلك في الثلاثة ابنُ عباس، ومجاهد، وقتادة: ﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ أي: يسرعون في ذهابهم عنكم، لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغَمٍّ؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزّ ونصر ورفعة؛ فلهذا كلما سُرّ المؤمنون ساءهم ذلك، فهم يودون ألا يخالطوا المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ ﴾ قصدهم في حلفهم هذا أنهم ﴿ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب.

ثم ذكر شدة جبنهم فقال: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، ﴿ أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ يدخلونها فيستقرون فيها ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ أي: محلا يدخلونه فيتحصنون فيه ﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ أي: يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة، يقتدرون بها على الثبات.

(٥٩٩) أحمر
أسود

تفسير سورة التوبة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

[التوبة: ٥٨-٦٠].

(٦٠٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَلۡمِزُكَ - ٱلصَّدَقَٰتِ - يَسۡخَطُونَ - حَسۡبُنَا ٱللَّهُ - لِلۡفُقَرَآءِ - وَٱلۡمَسَٰكِينِ - وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا - وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ - وَفِي ٱلرِّقَابِ - وَٱلۡغَٰرِمِينَ - وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ - وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَلۡمِزُكَ)	يطعن فيك – يعيبك – يشكك في ذمتك وأمانتك
(ٱلصَّدَقَٰتِ)	الزكوات وصدقات التطوع التي عند رسول الله
(يَسۡخَطُونَ)	يتبرمون ويطعنون ويعيبون
(حَسۡبُنَا ٱللَّهُ)	كافينا الله
(إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ)	إنا إلى الله لاجئون لقضاء حوائجنا وتدبير أمورنا وهدايتنا وكل ما تحتاج إليه
(ٱلصَّدَقَٰتِ)	الزكوات
(لِلۡفُقَرَآءِ)	هم الذين لا يجدون مالاً ولا حرفة لهم تقيم أمرهم
(وَٱلۡمَسَٰكِينِ)	هم الذين لهم دخولٌ لا تكفيهم
(وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا)	السعاة والجباة الذين يجمعون الزكوات ويحفظونها ويوزعونها
(وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ)	الذين يرغب في هدايتهم للإسلام أو دفع شرهم أو تثبيتهم على الدين الضعيف

(٦٠١) أحمر
أسود

(وَفِي ٱلرِّقَابِ)	في مساعدة المكاتبين، وهم العبيد الذين اشتروا أنفسهم بمال وكتبوا عقودًا بينهم وبين سادتهم وما زالوا مدينين. وأيضًا في عتق الرقاب أي: شراء العبيد وتحريرهم لكن يكون ولاؤهم للمسلمين عامة أي: إذا ماتوا ولم يكن لهم ورثة فتركتهم لبيت المال، ولا تكن حينئذٍ عن أعتقهم لأنه أعتقهم من الزكوات
(وَٱلْغَـٰرِمِينَ)	المدينون – أو الذين تحملوا غرامات للإصلاح بين الناس أو ضمنوا ضمانات وتحملوها وليس عندهم السداد
(وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)	والغزاة والمجاهدون في سبيل الله تكاليف الغزو للغزاة وتسليحهم
(وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ)	المسافر الذي انقطعت نفقته ولم يعد بالسهل عليه ولا باليسير أن يرجع إلى بلده

❁ ❁ ❁

(٦٠٢) أحمر
أسود

س: هل ورد لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ سبب نزول؟

ج: ورد في ذلك ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ. قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

ولكني في شك من ثبوت هذه الزيادة التي هي فنزلت فيه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فقد روى هذا الحديث من طرق متعددة ليس فيه ذكر سبب النزول، فأراها، والله أعلم ضعيفة.

❁ ❁ ❁

طعن أهل النفاق في أمانة رسول الله ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن هؤلاء المنافقين من يعيب عليك ويطعن

(١) البخاري (٦٩٣٣)، وانظر صحيح مسلم فقد أخرج مسلم وغيره الحديث، من وجوه متعددة بدونها، وكذا أخرجه البخاري من وجوه بدونها.

(٦٠٣) أحمر
أسود

فيك بسبب الصدقات، ويتهمك فيقول: إنك تُحابي وتجامل في الصدقات فتعطى أحبابك وأصحابك وأقرباءك وتمنع غيرهم، يقول هذا: إذا لم تعطه شيئًا فإذا أعطيته شيئًا منها رضى وانشرح صدره وبارك صنيعك، وإن لم تعطه منها شيئًا إذا هو ساقط عليك ناقمٌ صنيعك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم في هذه الآيات ، ﴿مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾، يقول: يعيبك في أمرها، ويطعُنُ عليك فيها.

﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ ﴾، يقول: ليس بهم في عيبهم إياك فيها، وطعنهم عليك بسببها، الدِّينُ، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك.

وأورد الطبري عدة آثار وأحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري المتقدم في سبب النزول.

وأثر ابن زيد بسندٍ صحيح قال في قوله: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾، قال: هؤلاء المنافقون، قالوا: والله ما يعطيها محمد إلا من أحبَّ، ولا يؤثر بها إلا هواه ! فأخبر الله نبيه، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله، وإن هذا أمر من الله ليس من محمد: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ ﴾، الآية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم ﴾ أي ومن المنافقين ﴿مَّن يَلۡمِزُكَ ﴾ أي: يعيب عليك ﴿ فِي ﴾ قَسْم ﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ إذا فرقتها، ويتهمك في ذلك، وهم المتهمون

(٦٠٤) أحمر
أسود

المأبونون، وهم مع هذا لا ينكرون للدين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن ﴿ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ أي: يغضبون لأنفسهم.

وأورد ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أَبِي سَعِيدٍ أيضًا قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ، بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ. قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ. فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ**» فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ. مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ. غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ. نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ. فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ. يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟**» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ. فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ. (يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يلمزونك في الصدقات، ويقولون: إنك تجامل فيها، تعطي من تحب وتمنع من تشاء، لو أن هؤلاء رضوا بما أتاهم الله ﷻ ورزقهم إياه على يد رسوله ﷺ وقال: ﴿حَسْبُنَا

(١) البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٦٠٥) أحمر
أسود

ٱللَّهُ ﴾ أي أن الله ﷻ يكفينا ورضاه عنا يكفينا، وهو سبحانه مُعطينا ما يكفينا، وهو كافينا، وسيعطينا ربنا ﷻ من واسع فضله، وسيعطينا رسول الله ﷺ مما رزقه الله، لو أنهم قالوا ذلك، وقالوا أيضًا: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ لاجئون إليه لقاء حوائجنا وللتوسعة علينا، لو فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم وأفضل من اللمز والهمز والعيب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أنّ هؤلاء الذين يلمزونك، يا محمد، في الصدقات، رضَوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء، وقسم لهم من قسم ، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾، يقول: وقالوا: كافينا الله، ، ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾، يقول: سيعطينا الله من فضل خزائنه، ورسوله من الصدقة وغيرها ، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾، يقول: وقالوا: إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مُنَبِّها لهم على ما هو خير من ذلك لهم، فقال: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده، وهو قوله: ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول وامتثال أوامره، وترك زواجره، وتصديق أخباره، والاقتفاء بآثاره.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال هنا: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: أعطاهم من قليل

(٦٠٦) أحمر
أسود

وكثير. ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: كافينا اللّه، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ أي: متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا.

❁ ❁ ❁

مصارف الزكاة الثمانية

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالًا، إنما زكوات الأموال وسائر الزكوات تصرف للفقراء، وهم الذين لا مال عندهم، ولا حرفة معهم يكتسبون بها من المال ما يكفي لسداد عيشهم ولا لإقامة احتياجاتهم، وكذا للمساكين، وهم الذين لهم دخول لكنها لا تكفيهم، وكذا للعاملين عليها وهم السعاة الذين يقومون بجمعها وحفظها وتصريفها في أماكنها، وكذا لمن يُرجى تأليف قلبه لإدخاله الإسلام إن كان كافرًا أو لصد شرِّه إذا كان شريرًا أو لتقوية إيمانه إن كان مُسلمًا ضعيف الإيمان يخشى عليه من الردة أو غير ذلك من صور التأليف، وكذا فمن مصارف الزكاة. إنفاقها ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ أي: في مساعدة من كاتب عن نفسه من العبيد كي يتحرر أو لإعتاق العبيد من الأصل على أن يكون ولاؤهم لأهل الإسلام، وكذا فإن الزكاة تعطي أيضًا ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾ وهم المدينون، أو الذين تحملوا غرامات وحمالات للإصلاح بين الناس وإزالة الفتن، أو الذين ضمنوا أقوامًا في الخير، وكذا تنفق الزكوات في سبيل الله ﷻ للغزاة والمجاهدين، وقيل: للحجيج كذلك – على رأي من صحح حديث الحج في سبيل الله – وكذا الأنباء السبيل، وهم المسافرون الذين انقطعت بهم النفقة

(٦٠٧) أحمر
أسود

ولم يعد معهم من المال ما يرجعون إلى أهاليهم وذويهم، كل ذلك من الأمر بصرف الزكاة في مصارفها فرض افترضه الله على العباد، والله عليه بخلقه عليمٌ كذلك بمن يستحق الزكاة وعليم بكل شيء ﴿﴾ فيما يشرع لعباده من الشرائع وحكيم في كل تدبيره وتصريف وأمر ونهي وفي كل شيء. والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب اللّه هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك مصارف أُخر غير هذه المصارف الثمانية تُخرج فيها الزكاة؟

ج: جماهير أهل العلم على أن مصارف الزكاة هي هذه المصارف الثمانية المذكورة في هذه الآية بل قد نقل الإجماع على ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يخرج بالصدقات عن الأصناف الثمانية المذكورين في هذه الآية كما دل على ذلك القرآن. انتهى.

ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم أيضًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٥٦٨).

(٦٠٨) أحمر
أسود

هذا، وما ورد في أن الحجاج يأخذون من الزكوات، عند من قال بذلك، فليس هذا بمعارض للإجماع، بل إنهم يدخلون الحج في سبيل الله.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز صرف الزكاة كلها لمصرفٍ واحد من المصارف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة أم يلزم تقسيمها على الأصناف المذكورة كلها، بمعنى هل يجوز صرف الزكاة للفقراء فقط أم يجب إعطاء الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم... إلى آخره؟

ج: الظاهر أنه يجوز صرف الزكوات كلها لمصرفٍ واحد من المصارف الثمانية، ولا يجب توزيعها على الأصناف الثمانية، وهذا قول جماهير العلماء، وعليه تشهد الأدلة، وإن كان من العلماء من ذهب إلى غير ذلك، ولكن الأدلة تشهد لرأي الجمهور كما سأبيِّنه إن شاء الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حق، أو ذلك إلى رب المال؟ ومن يتولى قسمها، في أن له أن يعطي جميعَ ذلك من شاء من الأصناف الثمانية.

فقال عامة أهل العلم: للمتولي قسمُها ووضعُها في أيِّ الأصناف الثمانية شاء. وإنما سمَّى الله الأصناف الثمانية في الآية، إعلامًا منه خلقَه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها، لا إيجابًا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية: هل يجب استيعاب الدفع

(٦٠٩) أحمر
أسود

إليها أو إلى ما أمكن منها؟ على قولين:

أحدهما: أنه يجب ذلك، وهو قول الشافعي وجماعة.

والثاني: أنه لا يجب استيعابها، بل يجوز الدفع إلى واحد منها، ويعطى جميعَ الصدقة مع وجود الباقين. وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف، منهم: عمر، وحذيفة، وابن عباس، وأبو العالية، وسعيد بن جُبَير، وميمون بن مِهْران.

قال ابن جرير: وهو قول عامة أهل العلم، وعلى هذا فإنما ذكرت الأصناف هاهنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعاب الإعطاء.

قلت (مصطفى): ومن الأدلة التي تشهد لقول الجمهور، وقد استدلوا بها ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ...﴾، والشاهد منه قوله: ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ فاقتصر عليهم.

وكذا استدلوا بما أخرجه البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»[(١)].

واستدلوا أيضًا بما أخرجه البخاري[(٢)] من حديث أَنَسِ بن مَالِك رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ، فَرَخَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَأَرْسَلَ

(١) البخاري (١٤٩٦).
(٢) البخاري (١٥٠١).

(٦١٠) أحمر
أسود

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَعَضُّونَ الْحِجَارَةَ»[١].

وهناك استدلالات أُخر في الباب:

قال سحنون في «المدونة»[٢]: قال مالك: إن لم يحد إلا صنفًا واحدًا أجزأه أن يجعلها فيهم، وإذا كنت تجد الأصناف كلها الذين ذكر الله في القرآن وكان منها صنف واحد هم أحوج آثر أهل الحجة حيث كانت تسد حاجتهم.

وقال المرداوي في «الإنصاف»[٣]: ويُستحب صرفها إلى الأصناف كلها، لكل صنف ثُمنها إن وجد حيث وجب الإخراج، فإن اقتصر على إنسان واحد أجزأه، وهذا هو المذهب، نصَّ عليه، وعليه الجماهير من الأصحاب.

قال في «الفروع»: واختاره الخرقي والقاضي والأصحاب وهو المذهب.

وقال ابن قدامة في «المغني»[٤]: وإن أعطاها كلها في صنف واحد أجزأه، وهناك رواية أخرى في المذهب.

وقال السرخسي في «المبسوط»[٥]: وأما الزكاة فيجوز صرفها إلى صنف واحد عندنا.

وذهب فريق من الشافعية، بل جمهورهم[٦]، وابن تيمية[٧]، وابن حزم في

---

(١) سحنون في المدونة (١/ ٢٥٣).

(٢) قال ابن بطال: غرض المصنف – وهو البخاري – في هذا الباب: إثبات وضع الصدقة في صنف واحد، خلافًا لمن قال: يجب استيعاب الأصناف الثمانية، هذا كلام ابن بطال. اهـ انظر الفتح (٣/ ٤١٥).

(٣) المرداوي في الإنصاف (٣/ ٢٤٨).

(٤) المغني (٤/ ١٢٧).

(٥) المبسوط (٣/ ٩).

(٦) انظر المجموع للنووي (٦/ ١٨٦).

(٧) الفتاوى (٥/ ٣٧٣).

(٦١١) أحمر
أسود

المحلى[١]، إلى أنه يلزم التفريق على المصارف الثمانية، واجتمعوا بحديث ضعيف الإسناد أخرجه أبو داود وغيره وفيه: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا هُوَ فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ»[٢].

وذهب فريق من أهل العلم إلى أن مال الزكاة إذا كان قليلًا وزِّع في صنف واحد، وإن كان كثيرًا قسم على الأصناف الثمانية، وهذا القول منقول عن عطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي وغيرهما[٣].

والقول الأول، الذي عليه الجمهور وتشهد له الأدلة فأراه أقوى الأقوال، والله أعلم.

هذا، وإن كان، كما هو معلوم، قد يتأتى حالٌ من الأحوال يترجح فيه مصرف من المصارف فتنفق فيه الزكاة كلها لاحتياج أهله إليه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفقراء، وما المراد بالمساكين؟

ج: الظاهر لي – والله تعالى أعلم – أن الفقير من لا مال له، وليس له عمل وحرفة تُدخلان عليه دخلًا يكفيه أما المسكين فقد يكون له مال وحرفة ودخولهما لا تكفيه، وهو أحسن حالًا من الفقير، وقد قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩] فلهم سفينة مع كونهم مساكين، إذ دخل السفينة لا يكاد يكفيهم، وإن كان بين المساكين تتفاوت في المسكنة،

(١) المحلى (٦/ ١٤٤).
(٢) أبو داود (١٦٣٠).
(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة (١٠٥٤٢، ١٠٥٤٦)، والطبري وغيرهما.

(٦١٢) أحمر
أسود

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[(١)]:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ».

وفي رواية أخرى عند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأُكْلَةَ وَالْأُكْلَتَانِ وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى وَيَسْتَحْيِي أَوْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا»[(٢)].

وهذه بعض أقوال العلماء في التفريق بين الفقير والمسكين، وكذا بعض أقوالهم في تعريف كلٍّ من الصنفين.

أورد الطبري عددًا من الأقوال في ذلك فقال:

يقول تعالى ذكره: ما الصدقات إلا للفقراء والمساكين، ومن سماهم الله جل ثناؤه.

فقال بعضهم: «الفقير»، المحتاج المتعفف عن المسألة، و«المسكين»، المحتاج السائل.

وقال آخرون: «الفقير»، هو ذو الزمانة من أهل الحاجة، و«المسكين»، هو الصحيح الجسم منهم.

وقال آخرون: «الفقراء»، فقراء المهاجرين، و«المساكين»، من لم يهاجر من المسلمين، وهو محتاج.

---

(١) البخاري (١٤٨٠)، ومسلم (مع النووي ٤/ ١٠٩).

(٢) البخاري (١٤٧٦)، وانظر مسلم (مع النووي ٤/ ١٠٩).

قال النووي في «شرح مسلم» (٤/ ١٠٩): المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحوج وأحق بالصدقة وأحوج إليها، ليس هو هذا الطوَّاف، بل هو الذي لا يجد غني يُغنيه ولا يُفطن له، ولا يسأل الناس.

(٦١٣) أحمر
أسود

وقال آخرون: «المسكين»، الضعيف الكسب.

وقال بعضهم: «الفقير»، من المسلمين، و«المسكين» من أهل الكتاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: «الفقير»، هو ذو الفقر أو الحاجة، ومع حاجته يتعفّف عن مسألة الناس والتذلل لهم، في هذا الموضع، و«المسكين» هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم.

ثم بيَّن الطبري حجته لذلك، وقال:

فتأويل الكلام، إذ كان ذلك معناه: إنما الصدقات للفقراء: المتعفِّف منهم الذي لا يسأل، والمتذلل منهم الذي يسأل.

وقال الشافعي[1]: الفقير – والله أعلم – من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعًا، زمنًا كان أو غير زمن سائلًا كان أو مُتعففًا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمسكين من له مال أو حرفة لا تقع منه موقعًا، ولا تُغنيه، سائلًا كان أو غير سائل.

قال ابن تيمية[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الفتاوى»:** بل كل من ليس له كفاية تكفيه وتكفي عياله؛ فهو من الفقراء والمساكين.

وقال المرداوي[3] **في «الإنصاف»:** قال ابن رزين: المسكين من لم يجد أكثر كفايته.

قال الإمام النووي[4]: الله – تعالى – بدأ بالفقراء، والعرب لا تبدأ إلا

---

(١) الأم (٢/ ١٠٧).
(٢) الفتاوى (٢٨/ ٥٧٠).
(٣) المرداوي (الإنصاف ٣/ ٢١٨).
(٤) المجموع (٦/ ١٩٥).

(٦١٤) أحمر
أسود

بالأهم فالأهم، فدل على أن الفقير أمس حاجة من المسكين.

❁ ❁ ❁

س: كم يُعطى الفقير والمسكين من الزكاة؟

ج: يعطينا ما تُسد به حاجتيهما.

قال شيخ الإسلام[1] ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فالفقراء والمساكين يجمعهما معنى الحاجة إلى الكفاية.

وقال النووي في «المجموع»[2]: الفقير والمسكين يعطيان تمام كفايتهما.

وقد أخرج مسلم[3] من حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا. فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ. فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ)، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ! سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

❁ ❁ ❁

س: هل يُعطى الفقير زكاةً بمجرد دعواه أم يلزم التثبت من أمره؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه إذا كانت علامات الفقر والمسكنة بادية عليه، فهذا يجوز إعطاؤه ولا نحتاج مزيد تثبيت.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٧٤).
(٢) المجموع (٦/ ١٩٥).
(٣) مسلم (١٠٤٤).

(٦١٥) أحمر
أسود

أخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ. مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ. عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ. بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ. فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنْ الْفَاقَةِ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ. فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ. فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ» حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

ومن الدليل على ذلك أيضًا حديث الثلاثة: الأبرص، والأقرع والأعمى من بني إسرائيل ففيه[٢]:

«إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ،

(١) مسلم (١٠١٧).
(٢) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٦١٦) أحمر
أسود

(أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ شَكَّ إِسْحَقُ) - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ. وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ - قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ. فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا. قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الْغَنَمِ.

فذكر الحديث وفيه:

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللهِ! لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ. فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ. فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

أما إذا كان الشخص متسولًا دائم التسول أو كان ظاهره الغنى، فحينئذٍ فالأفضل التثبت ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم[1] في صحيحه من حديث قبيصة بن مخارق، وقد تقدم وفيه:

«يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ)، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ

(١) مسلم (١٠٤٤).

(٦١٧) أحمر
أسود

فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ مِنْ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ! سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

هذا، وقد راى بعض أهل العلم أن هذا الأمر لا يُشدَّد فيه لأن الله تعالى قال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قال ابن قدامة[١]: الفقر والغنى مما يعسر الاطلاع عليه والمعرفة بحقيقته. قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، فاكتفى بظهور الفقر ودعواه بخلاف غيره.

وقال النووي في المجموع[٢]: إذا ادعى أنه لا كسب له، فإن كان ظاهره عدما لكسب كشيخ هرم، أو شاب ضعيف البنية ونحوهما؛ قبل قوله بغير يمين بلا خلفا.

وقال المرداوي[٣]: وإن رآه جلدًا أو ذَكَر أنه لا كسب له؛ أعطاه من غير يمين، بلا نزاع؛ وذلك بعد أن يُخبره أنه لا حظَّ فيها لغني، ولا قوي مُكتسب بلا نزاع.

وقال الشافعي[٤]: الأغلب من أمور الناس أنهم غير أغنياء حتى يُعرف غناهم، ومن طلب من جيرانه الصدقة باسم فقر، أو مسكنة؛ أُعطي، ما لم يعلم منه غير ذلك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥]: وإذا ادَّعى الفقر من لم يُعرف بالغنى،

---

(١) المغني (٤/ ١٢٧).
(٢) (٦/ ١٩٥).
(٣) الإنصاف (٣/ ٢٤٧).
(٤) الشافعي الأم (٢/ ٩٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٧٣).

(٦١٨) أحمر
أسود

وطلب الأخذ من الصدقات، فإنه يجوز للإمام أن يُعطيه بلا بيِّنة بعد أن يعلمه أنه لا حظَّ فيها لغني ولا قوي مُكتسب.

قلت: ويشهد له ما أخرجه أحمد[1] بسندٍ صحيح من حديث عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيٍّ: أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلَانِهِ مِنْ الصَّدَقَةِ، فَقَلَّبَ فِيهِمَا الْبَصَرَ، وَرَآهُمَا جَلْدَيْنِ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ».

❁ ❁ ❁

س: إذا اجتهد شخص في البحث عن الفقراء فأعطى شخصًا مبلغًا من الزكاة يحسبه فقيرًا ثم تبين له بعد أن أعطاه أنه غني هل يلزم بإعادة إخراج الزكاة؟

ج: اختلف العلماء في ذلك على قولين، ارى أظهرهما وأقواهما قول من قال إنه لا يُعيد الزكاة، واستدلوا لذلك بما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث حَدَّثَنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ. فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ».

---

(١) أحمد (١٧٩٧٢)، والنسائي (٢٥٩٧)، وأبو داود (١٦٣٣).

(٢) البخاري (١٣٣٢)، ومسلم (١٠٢٢).

(٦١٩) أحمر
أسود

وبما أخرجه البخاري[1] من طريق مَعْنَ بْنَ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا، وَأَبِي، وَجَدِّي، وَخَطَبَ عَلَيَّ فَأَنْكَحَنِي، وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ! فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**».

❁ ❁ ❁

س: هل كل فقير يُعطى من الزكاة؟

ج: الفقراء مصرف من مصارف الزكاة، لكن ليس كل فقير يُعطى من الزكاة، بل يُعطى فقراء المسلمين فالفقراء الكفار لا يعطون من الزكاة، إلا إذا دخلوا في المؤلفة قلوبهم.

وكذا لا يُعطى من الزكاة الفقير القادر على الاكتساب وكلنه يتعمد ألا يعمل لحديث: **ولا حظ فيها لقوي مكتسب**.

وكذلك لا يعطى من الزكاة الفقراء من آل البيت النبي ﷺ، لقوله ﷺ: «**إنا آل محمد لا نأكل الصدقة**»، وهذا إذا كانوا يأخذون من الخمس، أما إذا حرموا الخمس فقد جوَّز كثير من العلماء إخراج الزكاة فيهم، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم أن قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ مطلق ليس فيه شرط وتقييد، بل فيه دلالة على جواز الصرف إلى جملة الفقراء كانوا من بني هاشم أو غيرهم، إلا أن السنة وردت باعتبار شروط: منها ألا يكونوا من بني هاشم وألا يكونوا ممن تلزم المتصدق نفقته. وهذا لا خلاف فيه. وشرط ثالث ألا يكون قويا على

(١) البخاري (١٤٢٢).

(٦٢٠) أحمر
أسود

الاكتساب، لأنه عليه السلام قال: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي**». وقد تقدم القول فيه. ولا خلاف بين علماء المسلمين أن الصدقة المفروضة لا تحل للنبي ﷺ، ولا لبني هاشم ولا لمواليهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

ولا يجوز أن يعطي من الزكاة من تلزمه نفقته وهم الوالدان والولد والزوجة. وإن أعطى الإمام صدقة الرجل لولده ووالده وزوجته جاز. وأما أن يتناول ذلك هو نفسه فلا، لأنه يسقط بها عن نفسه فرضا. قال أبو حنيفة: ولا يعطى منها ولد ابنه ولا ولد ابنته، ولا يعطي منها مكاتبه ولا مدبره ولا أم ولده ولا عبدا أعتق نصفه، لأنه مأمور بالإيتاء والإخراج إلى الله تعالى بواسطة كف الفقير، ومنافع الأملاك مشتركة بينه وبين هؤلاء، ولهذا لا تقبل شهادة بعضهم لبعض.

❁ ❁ ❁

س: فقير عنده أرض يزرعها، أو سيارة يؤجرها أو أثاث منزل يستعمله، هل يلزم ببيع ذلك، ولا يأخذ من الزكاة؟

ج: كلا، لا يلزم ببيع ذلك بل يُعد مصرفًا من مصارف الزكاة، وقد قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ فوصفوا بالمسكنة مع امتلاكهم ذلك.

وقال النووي في «المجموع»[1]: إذا كان له عقار ينقص دخله عن كفايته فهو فقير أو مسكين، فيُعطى من الزكاة تمام كفايته، ولا يكلف بيعه. ذكره أبو العباس الجرجاني في «التحرير»، والشيخ نصر المقدسي، وآخرون.

الزكاة والزواج

(١) المجموع (٦/ ١٩٢).

(٦٢١) أحمر
أسود

س: هل يُعطى مريد الزواج من زكاة المال؟

ج: تكاليف الزواج ليست من مصارف الزكاة، إنما يُعطى مريد الزواج من الزكاة لفقره إذا كان فقيرًا، أو لسداد دينه إذا كان مدينًا، أو لمسكنته إذا كان مسكينًا، فمثلاً إذا كان الشخص يتقاضى في الشهر راتبًا قدره ألفين تكفيه لنفقته ألف واحد منها ويدخر ألفًا لزواجه فمثله في العُرف لا يعدُّ فقيرًا، ومن ثم لا يعطى من أموال الزكاة.

هذا، وأقوال العلماء في هذه المسألة شحيحة، وأرى سبب ذلك أنهم كانوا يردون أمر المتزوج إلى أمر الفقير والمسكين، هذا، ومن العلماء من استدل بدليل على جواز إخراج الزكاة لمريد الزواج، ولا أرى هذا الدليل صريحًا في الباب.

ألا وهو ما أخرجه مسلم في صحيحه[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا؟**» قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا. قَالَ: «**عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟**» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟! كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ**» قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ.

وهذا ليس بصريح في أن الذي كان سيأخذ زكاة، وكذا استدل البعض بحديث ثلاثة حق على الله عونهم: «...**والناكح يريد العفاف**...».

وهذا أيضًا ليس بصريح في أنه يعطى من الزكاة والله أعلم.

---

(١) مسلم (١٤٢٤).

(٦٢٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

حد الفقير

س: ما حد الفقر الذي بناء عليه نعتبر الشخص فقيرًا ونعطيه من الزكاة؟

ج: ليس لذلك حدٌّ معلوم، إنما هذا يرجع إلى احتياجات الأشخاص الضرورية، ويرجع كذلك إلى الأعراف السائدة في الناس.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف العلماء في حد الفقر الذي يجوز معه الأخذ - بعد إجماع أكثر من يحفظ عنه من أهل العلم - أن من له دارا وخادما لا يستغني عنهما أن له أن يأخذ من الزكاة، وللمعطي أن يعطيه. وكان مالك يقول: إن لم يكن في ثمن الدار والخادم فضلة عما يحتاج إليه منهما جاز له الأخذ وإلا لم يجز، ذكره ابن المنذر. وبقول مالك قال النخعي والثوري.

ونقل صاحب عون المعبود[1] عن الشافعي قوله: لَا حَدّ لِلْغَنِيِّ مَعْلُومًا، وإنما يعتبر حال الإنسان، وَقَدْ يَكُون الرَّجُل بِالدِّرْهَمِ غَنِيًّا مَعَ كَسْب وَلَا يُغْنِيه الْأَلْف مَعَ ضَعْف فِي نَفْسه وَكَثْرَة عِيَاله. انتهى.

ونقل ابن قدامة عن الشافعي[2] قوله: الأمر يرجع إلى احتياجه، وليس له حدٌّ معلومٌ.

إذا لم يكن محتاجًا حُرمت عليه الصدقة، وإن لم يملك شيئًا، وإن كان محتاجًا حلت له الصدقة وإن ملك نصابًا.

❁ ❁ ❁

العاملون عليها

---

(١) عون المعبود (٣/ ٣٣٧).

(٢) ابن قدامة (٤/ ١١٨).

(٦٢٣) أحمر
أسود

س: من المعنيون بـ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾؟

ج: المراد العاملون الذين يقومون بجمع الزكوات وتوزيعها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾، وهم السعاة في قبضها من أهلها، ووضعها في مستحقِّيها، يعطون ذلك بالسعاية، أغنياء كانوا أو فقراء.

وأورد بإسناد حسن عن الزهري: هم السعاة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾، قال: جُباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما العاملون عليها: فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك، ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة، لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث: أنه انطلق هو والفضل بن عباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة، فقال: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[1].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾:

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ وهم السعاة لجباية الصدقة يعطون منها بقدر أجور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بزكاة.

وقال السعدي في تفسيره:

العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون

(١) مسلم (١٠٧٢).

(٦٢٤) أحمر
أسود

لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

وقال القرطبي:

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ يعني السعاة والجباة الذين يبعثهم الإمام لتحصيل الزكاة بالتوكيل على ذلك.

ونقل الحافظ ابن حجر[1] في الفتح عن ابن بطال قوله: اتفق العلماء على أن العاملين عليها هم السعاة المتولون بقبض الصدقة.

وقال الإمام الشافعي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاملون عليها المتولون لقبضها من أهلها من السعاة ومن أعانهم من عريف لا يقدر على أخذها إلا بمعرفته، فأما الخليفة ووالى الاقليم العظيم الذى تولى أخذها عامل دونه فليس له فيها حق وكذلك من أعان واليا على قبضها ممن به الغنى عن معونته فليس له في سهم العاملين حق وسواء كان العاملون عليها أغنياء أو فقراء من أهلها كانوا أو غرباء إذا ولوها فهم العاملون، ويعطى أعوان إدارة والى الصدقة بقدر معوناتهم عليها ومنفعتم فيها.

قلت (مصطفى): وأدخل جمعٌ من العلماء في العاملين عليها السعاة الذين يجمعونها، وكذا الذين يقومون بحفظها، وكذا الذين يقومون بتقسيمها. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كم القدر الذي يأخذه العاملون عليها؟

(١) فتح (٣/ ٤٤٦).
(٢) الأم (٢/ ١٠٧).

(٦٢٥) أحمر
أسود

ج: الظاهر – والله أعلم – أنهم يعطون بقدر عملهم وبقدر نفعهم.

قال الإمام الشافعي في الأم[1]: سواء كان العاملون عليها أغنياء أو فقراء من أهلها كانوا أو غرباء، إذا ولوها فهم العاملون، ويعطى أعوان إدارته والي الصدقة بقدر معوناتهم عليها ومنفعتهم فيها. اهـ.

وقال ابن عبد البر في التمهيد[2]: وقد أجمع العلماء أن العامل عليها لا يستحق ثمنها، وإنما له بقدر عمالته.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: يعطى العامل عليها على قدر عُمالته وأجر مثله.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم، وإنما عرّف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم، وإذ كان كذلك، بما سنوضح بعدُ، وبما قد أوضحناه في موضع آخر، كان معلومًا أن من أعطي منها حقًّا، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه. وإذا كان ذلك كذلك، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله، لا على الحاجة التي تزول بالعطية، كان معلومًا أن الذي أعطاه من ذلك إنما هو عِوَض من سعيه وعمله، وأن ذلك إنما هو قدر يستحقه عوضًا من عمله الذي لا يزول بالعطية، وإنما يزول بالعزل.

❁ ❁ ❁

المؤلفة قلوبهم

---

(١) الأم (٢/ ١٠٧).

(٢) التمهيد (٧/ ٦٣).

(٦٢٦) أحمر
أسود

س: من هم المؤلفة قلوبهم؟

ج: هم أصنافٌ:

* صنف منهم كفارٌ: يعطون مالًا كي يدخلوا في الأسلام ويُتألفوا.

وقسم منهم يُعطى من المال لكف شرِّه ودفع أذاه.

* وصنفٌ مسلمون: لكنهم ضعفاء الإيمان فيُعطون من المال لتقوية إيمانهم.

وقسمٌ منهم يعطون من المال لإسلام نظرائهم أو لجمع الزكوات فمن تمرد من قبائلهم ونحو ذلك.

وقسمٌ منهم أيضًا يُعطى من المال لدفع شره مع كونه مُسلمًا، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما المؤلفة قلوبهم: فأقسام: منهم من يعطى ليُسلم، كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين، وقد كان شهدها مشركا. قال: فلم يزل يعطيني حتى صار أحبَّ الناس إليَّ بعد أن كان أبغض الناس إلي، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا زكريا بن عدي، أنا ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى صار وإنه لأحب الناس إلي.

ورواه مسلم والترمذي، من حديث يونس، عن الزهري، به

ومنهم من يُعْطَى ليحسُن إسلامه، ويثبت قلبه، كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من

صناديد الطلقاء وأشرافهم: مائة من الإبل، مائة من الإبل وقال: «إني

(٦٢٧) أحمر
أسود

لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، مخافة أن يَكُبَّه الله على وجهه في نار جهنم»[١].

وفي الصحيحين[٢] عن أبي سعيد: أن عليا بعث إلى النبي ﷺ بذُهَيبة في تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعُيَينة بن بدر، وعلقمة بن عُلاثة، وزيد الخير، وقال: «أتألفهم»

ومنهم من يُعطَى لما يرجى من إسلام نظرائه. ومنهم من يُعطَى ليجبي الصدقات ممن يليه، أو ليدفع عن حَوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد. ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ لا ذكر للمؤلفة قلوبهم في التنزيل في غير قسم الصدقات، وهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. قال الزهري: المؤلفة من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيا. وقال بعض المتأخرين: اختلف في صفتهم، فقيل: هم صنف من الكفار يعطون ليتألفوا على الإسلام، وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف، ولكن يسلمون بالعطاء والإحسان. وقيل: هم قوم أسلموا في الظاهر ولم تستيقن قلوبهم، فيعطون ليتمكن الإسلام في صدورهم. وقيل: هم قوم من عظماء المشركين لهم أتباع يعطون ليتألفوا أتباعهم على الإسلام. قال: وهذه الأقوال متقاربة والقصد بجميعها الإعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقة إلا بالعطاء، فكأنه ضرب من الجهاد.

والمشركون ثلاثة أصناف: صنف يرجع بإقامة البرهان. وصنف بالقهر.

---

(١) البخاري (١٤٧٨).

(٢) البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٦٢٨) أحمر
أسود

وصنف بالإحسان. والإمام الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه سببا لنجاته وتخليصه من الكفر. وفي صحيح مسلم من حديث أنس، فقال رسول الله ﷺ أعني للأنصار -: «**فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم**...» الحديث. قال ابن إسحاق: أعطاهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم. وكانوا أشرافا، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبدالعزى مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير. وكذلك أعطى مالك بن عوف والعلاء بن جارية. قال: فهؤلاء أصحاب المئين. وأعطى رجالا من قريش دون المائة منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمير بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو العامري. قال ابن إسحاق: فهؤلاء لا أعرف ما أعطاهم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون، فأما المسلمون: فصنفان صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن حصن والأقرع، وصنف كانت نياتهم حسنة فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم، وأما المشركون فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذى فتألفهم دفعا لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا كصفوان بن أمية.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، فإنهم قوم كانوا يُتَأَلَّفون على الإسلام، ممن لم تصحّ نصرته، استصلاحًا به نفسَه وعشيرتَه، كأبي سفيان بن حرب، وعيينة بن

(٦٢٩) أحمر
أسود

بدر، والأقرع بن حابس، ونظرائهم من رؤساء القبائل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

❁ ❁ ❁

س: هل سهم المؤلفة قلوبهم ما زال باقيًا؟

ج: نعم ما زال باقيًا فليس هنالك دليلٌ يسقطه، والذي روي عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من إسقاطه في زمانه فإنما كان في زمنٍ أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله، ولم يَعدْ آنذاك يُحتاج إلى تأليف القلوب.

أما إذا حلَّ بالمسلمين ضعف، أو اعترتهم شدة، أو طمعوا في إسلام أحدٍ فليس هناك أي دليل يمنع من إعطائه من باب تاليف القلوب، وقد أعطى النبي ﷺ عددًا من المؤلفة قلوبهم، وهو في حال نصرٍ وتمكين، وذلك بعد انتصاره على هوازن في غزوة حُنين.

وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها، وهل يعطى اليوم أحدٌ على التألف على الإسلام من الصدقة؟

فقال بعضهم: قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها، وفي سبيل الله، أو لعامل عليها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٣٠) أحمر
أسود

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبي ﷺ؟ فيه خلاف، فرُوي عن عمر، وعامر الشعبي وجماعة: أنهم لا يُعطَون بعده؛ لأن الله قد أعز الإسلام وأهله، ومَكَّن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد.

وقال آخرون: بل يُعطَون؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هَوازن، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف العلماء في بقائهم، فقال عمر والحسن والشعبي وغيرهم: انقطع هذا الصنف بعز الإسلام وظهوره. وهذا مشهور من مذهب مالك وأصحاب الرأي. قال بعض علماء الحنفية: لما أعز الله الإسلام وأهله وقطع دابر الكافرين - لعنهم الله - اجتمعت الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين في خلافة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على سقوط سهمهم. وقال جماعة من العلماء: هم باقون لأن الإمام ربما أحتاج أن يستألف على الإسلام. وإنما قطعهم عمر لما رأى من إعزاز الدين. قال يونس: سألت الزهري عنهم فقال: لا أعلم نسخا في ذلك. قال أبو جعفر النحاس: فعلى هذا الحكم فيهم ثابت، فإن كان أحد يحتاج إلى تألفه ويخاف أن تلحق المسلمين منه آفة أو يرجى أن يحسن إسلامه بعد دفع إليه. قال القاضي عبدالوهاب: إن احتيج إليهم في بعض الأوقات أعطوا من الصدقة. وقال القاضي ابن العربي: الذي عندي أنه إن قوي الإسلام زالوا، وإن احتيج إليهم أعطوا سهمهم كما كان رسول الله ﷺ يعطيهم، فإن في الصحيح: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ**».

قال ابن قدامة في «المغني»[1] في المؤلفة قلوبهم:

---

(١) المغني (٤/ ١٢٤).

(٦٣١) أحمر
أسود

ولنا كتاب الله وسنة رسوله فان الله تعالى سمى المؤلفة في الأصناف الذين سمى الصدقة لهم، والنبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء»[(١)].

وكان يعطي المؤلفة كثيرا في أخبار مشهورة، ولم يزل كذلك حتى مات، ولا يجوز ترك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا بنسخ، والنسخ لا يثبت بالاحتمال، ثم إن النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ، لأن النسخ إنما يكون بنص ولا يكون النص بعد موت النبي ﷺ، وانقراض زمن الوحي، ثم إن القرآن لا ينسخ إلا بقرآن، وليس في القرآن نسخ كذلك ولا في السنة فكيف يترك الكتاب والسنة بمجرد الآراء والتحكم أو بقول صحابي؟!!

وقال ابن حزم[(٢)]:

وادعى قومٌ أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط، وهذا باطل، بل هم اليوم أكثر مما كانوا.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في إعطاء رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[(٣)] في صحيحه من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ.

---

(١) سنده ضعيف، وقد تقدم.
(٢) المحلى (٦/ ١٤٥).
(٣) مسلم (٢٣١٢).

(٦٣٢) أحمر
أسود

وما أخرجه مسلم[١] في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ» فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

وما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ: مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ

(١) مسلم (١٠٦٤).
(٢) البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٠٥٩) واللفظ له.

(٦٣٣) أحمر
أسود

اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ قَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ؟!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**» فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ**» قَالُوا: سَنَصْبِرُ.

وما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُود قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلْ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا.

وفي صحيح من سلم من حديث رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

---

(١) البخاري (٤٣٣٥)، ومسلم (١٠٦٢) واللفظ له.

(٦٣٤) أحمر
أسود

وَمَـا كُنْـتُ دُونَ امْـرِئٍ مِنْهُمَـا وَمَـنْ تَخْفِـضْ الْيَـوْمَ لَا يُرْفَـعِ

قَالَ: فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِائَةً.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾؟

ج: المراد - والله تعالى أعلم- أن الزكاة تُخرج في الرقاب.

ولأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بذلك إعانة العبد المكاتب أي: أن العبد قد يشتري نفسه من سيده بمبلغ معين مثلًا، ويكتب كتابًا بينه وبين سيده بذلك فيسمى مكاتبًا، فهذا المكاتب يُعان على سداد ديونه من زكاة المال، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وقال ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم....المكاتب يريد الأداء**»[1].

القول الثاني: أن المراد بقوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ في شراء العبيد وعتقهم على أن يكون ولاؤهم للمسلمين عامة.

وكإيضاح لهذا الكلام أنك إذا اشتريت عبدًا وأعتقته ولم يكن له وارث فأنت يا من أعتقته ترثه، ولهذا يُقال الولاء لمن أعتق، أما قوله: ويكون الولاء للمسلمين فذلك حتى لا يرجع إليك يا من وضعت زكاتك في عتق العبيد، حتى لا ترجع إليك فائدة من العبيد عند موتهم بل يكون ولاءهم للمسلمين.

فلذا منع بعض أهل العلم شراء عبدٍ من الأصل، وعتقه من مال الزكاة، وذلك حتى لا يرجع إلى المزكي ولاءُ هذا الشخص.

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الترمذي (١٦٥٥) وغيره.

(٦٣٥) أحمر
أسود

أما الذين جوزوا شراء عبدٍ وعتقه من مال الزكاة، فإنهم قيدوا ذلك بأن يكون الولاء للمسلمين كلهم، وليس لمن أعتق.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه.

فقال بعضهم، وهم الجمهور الأعظم: هم المكاتبون، يعطون منها في فك رقابهم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لا بأس أن تُعْتَقَ الرقبة من الزكاة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، قولُ من قال: «عنى بالرقاب، في هذا الموضع، المكاتبون»، لإجماع الحجة على ذلك، فإن الله جعل الزكاة حقًّا واجبًا على من أوجبها عليه في ماله، يخرجها منه، لا يرجع إليه منها نفعٌ من عرض الدنيا، ولا عِوَض. والمعتق رقبةً منها، راجع إليه ولاء من أعتقه، وذلك نفع يعود إليه منها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

وقال النووي في «المجموع»[1]:

قال الشافعي والأصحاب: يصرف سهم الرقاب إلى المكاتبين، هذا مذهبنا، وبه قال أكثر العلماء، كذا نقله عن الأكثرين البيهقي في «السنن

---

(١) المجموع (٦/ ٢٠٠).

(٦٣٦) أحمر
أسود

الكبير»، والمتولي، وبه قال علي بن أبي طالب، وسعيد بن جبير، والزهري، والليث بن سعد، والثوري، وأبو حنيفة، وأصحابه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية «الفتاوى»[1]: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يدخل فيه إعانة المكاتبين وافتداء الأسرى وعتق الرقاب.

❁ ❁ ❁

الغارمون

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الغارمين هم المدينون الذين استدانوا لحاجة وليس عندهم وفاءٌ، أي: وليس عندهم مال يسددون به الدين، وكذا الذين ذهبت أموالهم بخسارة كسيلٍ أو خسارة في تجارة، أو حريق، أو غير ذلك فاستدانوا وليس عندهم ما تسدد به ديونهم.

الثاني: أن الغارمين هم الذين تدخلوا للإصلاح بين الناس وغرموا من أموالهم أموالًا لفض المنازعات وإزالة المشاحنات.

وأدخل البعض فيهم الذين ضمنوا أقوامًا فلم يفي الأقوام بالسداد فقاموا بالسداد عنهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما الغارمون: فهم أقسام: فمنهم من تحمّل حمالة أو ضمن دينا فلزمه فأجحف بماله، أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب، فهؤلاء يدفع إليهم. والأصل في هذا الباب حديث قَبِيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك

(١) الفتاوى (٢٨/ ٢٧٤).

(٦٣٧) أحمر
أسود

بها». قال: ثم قال: «**يا قَبِيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمَّل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش: أو قال: سدادًا من عيش -ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه، فيقولون: لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة، حتى يصيب قواما من عيش -أو قال سدادا من عيش -فما سواهن من المسألة سحت، يأكلها صاحبها سحتا**». رواه مسلم[1].

وعن أبي سعيد قال: أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها، فكثر دينه، فقال النبي ﷺ: «**تصدقوا عليه**». فتصدق الناس فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال النبي ﷺ لغرمائه: «**خذوا ما وجدتم، وليس لكم إلا ذلك**». رواه مسلم[2].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما «الغارمون»، فالذين استدانوا في غير معصية الله، ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عَرَض.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء، قال قتادة: هم ناس عليهم دَيْنٌ من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير، وإنما قال هذا؛ لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قُضِيَ دَينُه أن يعود إلى الاستدانة لذلك؛ ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

---

(١) مسلم (١٠٤٤).
(٢) مسلم (١٥٥٦).

(٦٣٨) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والسادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفِّى به دينه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به، ولا خلاف فيه. اللهم إلا من ادّان في سفاهة فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها إلا أن يتوب.

ويعطى منها من له مال وعليه دين محيط به ما يقضي به دينه، فإن لم يكن له مال وعليه دين فهو فقير وغارم فيعطى بالوصفين. روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه. فقال رسول الله ﷺ: «**تصدقوا عليه**». فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه. فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: «**خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك**».

وقال: ويجوز للمتحمل في صلاح وبر أن يُعطى من الصدقة ما يؤدي ما تحمل به إذا وجب عليه وإن كان غنيا، إذا كان ذلك يجحف بماله كالغريم. وهو قول الشافعي وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم. واحتج من ذهب هذا المذهب بحديث قبيصة بن مخارق قال: تحملت حمالة فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها** - ثم قال - **يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها**

(٦٣٩) أحمر
أسود

ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا». فقوله: «ثم يمسك» دليل على أنه غني، لأن الفقير ليس عليه أن يمسك. والله أعلم. وروي عنه عليه السلام أنه قال: «إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع». وروي عنه عليه السلام: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة...» الحديث. وسيأتي.

قال الشافعي في الأم[1]:

وَصِنْفٌ ادَّانُوا في حَمَالَاتٍ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ وَمَعْرُوفٍ وَلَهُمْ عُرُوضٌ تَحْمِلُ حَمَّالَاتهمْ أو عَامَّتَهَا إنْ بِيعَتْ أَضَرَّ ذلك بِهِمْ وَإِنْ لم يَفْتَقِرُوا فَيُعْطَى هَؤُلَاءِ ما يُوَفِّرُ عُرُوضَهُمْ كما يُعْطَى أَهْلُ الْحَاجَةِ من الْغَارِمِينَ حتى يَقْضُوا غُرْمَهُمْ.

وقال النووي في المجموع[2]:

الغارمون ضربان الضرب الأول: من غرم لإصلاح ذات البين، ومعناه أن يستدين مالا ويصرفه في إصلاح ذات البين، بأن يخاف فتنة بين قبيلتين أو طائفتين، أو شخصين، فيستدين مالا ويصرفه في تسكين تلك الفتنة، فينظر إن كان ذلك في دم تنازع فيه قبيلتان أو غيرهما، ولم يظهر القاتل أو نحو ذلك، وبقى الدين في ذمته فهذا يصرف إليه من سهم الغارمين من الزكاة، سواء كان غنيا أو فقيرا، ولا فرق بين غناه بالنقد والعقار وغيرهما، هذا هو المذهب.

---

(١) الأم (٢/ ١٠٨).

(٢) النووي في المجموع (٦/ ٢٠٧).

(٦٤٠) أحمر
أسود

وقال ابن عبد البر في الاستذكار[١]:

وأما الشافعي وأصحابه وأحمد بن حنبل وسائر أهل العلم فيما علمت فإنهم قالوا: جائز للغازي في سبيل الله إذا ذهب نفقته وماله غائب عنه أن يأخذ من الصدقة ما يبلغه.

قالوا: والمحتمل بحمالة في بر وإصلاح، والمتداين في غير فساد، كلاهما يجوز له أداء دينه من الصدقة، وإن كان الحميل غنيا فإنه يجوز له أخذ الصدقة إذا وجب عليه أداء ما تحمل به وكان ذلك يجحف به.

وقال ابن عبد البر أيضًا[٢]: وتحل لغارم غرما قد فدحه، وذهب بماله إذا لم يكن غرمه في فساد ولا دينه في فساد مثل أن يستدين في نكاح أو حج أو غير ذلك من وجوه المباح والصلاح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]: الذين يأخذون الزكاة صنفان: صنف يأخذ لحاجته كالفقير، والغارم لمصلحة نفسه، وصنف يأخذها لحاجة المسلمين كالمجاهد والغارم في إصلاح ذات البين، فهؤلاء يجوز دفعها إليهم، وإن كانوا من أقاربه.

قلت (مصطفى): والأصل في هذا، أعني في تفسير الغارمين ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا. فَقَالَ: «**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ. فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ**

(١) (٩/ ٢٠٢) الاستذكار.
(٢) (٩/ ٢٠٢) الاستذكار.
(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٩٠).

(٦٤١) أحمر
أسود

مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ)، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ! سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

قال النووي في شحر هذا الحديث:

(تَحَمَّلْت حَمَالَةَ) هِيَ بِفَتْحِ الْحَاء ، وَهِيَ الْمَال الَّذِي يَتَحَمَّلهُ الْإِنْسَان أَيْ يَسْتَدِينُهُ وَيَدْفَعهُ فِي إِصْلَاح ذَات الْبَيْن كَالْإِصْلَاح بَيْن قَبِيلَتَيْنِ وَنَحْو ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا تَحِلّ لَهُ الْمَسْأَلَة ، وَيُعْطَى مِنْ الزَّكَاة بِشَرْطِ أَنْ يَسْتَدِينَ لِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار:

قوله: (حمالة) بفتح الحاء المهملة وهو ما يتحمله الإنسان ويلتزمه في ذمته بالاستدانة ليدفعه في إصلاح ذات البين وإنما تحل له المسألة بسببه ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية وإلى هذا ذهب الحسن البصري والباقر والهادي وأبو العباس وأبو طالب. وروي عن الفقهاء الأربعة والمؤيد بالله أنه يعان لأن الآية لم تفصل وشرط بعضهم أن الحمالة لا بد أن تكون لتسكين فتنة وقد كانت العرب إذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة في دية أو غيرها قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به حتى ترتفع تلك الفتنة الثائرة ولا شك أن هذا من مكارم الأخلاق وكانوا إذا علموا أن أحدهم تحمل حمالة بادروا إلى معونته وأعطوه ما تبرأ به ذمته وإذا سأل لذلك لم يعد نقصا في قدره بل فخرا. اهـ.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز قضاء دين الميت من الزكاة إذا لم يكن ترك ميراثًا؟

ج: اختلف العلماء في ذلك على قولين:

(٦٤٢) أحمر
أسود

القول الأول عدم الجواز: ويبدو أنه قول أكثر أهل العلم.

قال ابن قدامة في المغني[١]:

قال أبو داود: سمعت أحمد وسئل يكفن الميت من الزكاة ؟ قال لا ولا يقضى من الزكاة دين الميت وانما لم يجز دفعها في قضاء دين الميت لأن الغارم هو الميت ولا يمكن الدفع اليه وإن دفعها الى غريمه صار الدفع إلى الغريم لا إلى الغارم وقال أيضا: يقضى من الزكاة دين الحي ولا يقضى منها دين الميت لأن الميت لا يكون غارما قيل فانما يعطى أهله قال إن كانت على أهله فنعم.

قال ابن عبد البر[٢]:

وأجمعوا على أنه لا يؤدى من الزكاة دين ميت ولا يكفن منها ولا يبنى منها مسجد ولا يشترى منها مصحف ولا يعطى لذمي ولا مسلم غني.

وقال أبو عبيد في كتاب الأموال[٣]:

فأما قضاء الدين عن الميت والعطية في كفنه وبنيان المساجد واحتفار الأنهار وما أشبه ذلك من أنواع البر، فإن سفيان وأهل العراق وغيرهم من العلماء يجمعون على أن ذلك لا يجزئ من الزكاة؛ لأنه ليس من الأصناف الثمانية.

قال أبو عبيد: وإنما افترق الحي والميت أن يكون الميت غارمًا؛ لأن الدين الذي أدانه قد تحول على غيره وهو الوارث، فإن كان للميت وفاء بدينه؛ كان في ميراثه، وكان ذلك دون الصدقة، وإن لم يكن له مال، فليس على وراثه

---

(١) المغني (٤/ ١٤٦).
(٢) الاستذكار (٩/ ٢٢٣).
(٣) الأموال (ص ٧٢٥).

(٦٤٣) أحمر
أسود

شيء، وليس بغارم؛ لأنه هو الذي أدان هذا الدين.

وقد أجمعت العلماء ألا يعطى من الزكاة في دين ميت، وأما الحي فإنه يُعطاها بالكتاب والسنة.

قلت (مصطفى): وهذا الإجماع الذي نقله ابن عبد البر وأبو عبيد منتقص ولا يصح، فالخلاف في المسألة ثابت ومشهور.

قال النووي في المجموع[1]:

لو مات رجل وعليه دين ولا تركة له هل يقضي من سهم الغارمين؟

فيه وجهان حكاهما صاحب البيان:

أحدهما: لا يجوز، وهو قول الصيمري ومذهب النخعي وأبي حنيفة وأحمد.

والثاني: يجوز لعموم الآية.

وقال ابن تيمية في المجموع[2]:

أما الدين الذي على الميت فيجوز أن يُوفى من الزكاة في أحد قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾، ولم يقل: «وللغارمين»، فالغارم لا يُشترط تمليكه.

وعلى هذا يجوز الوفاء عنه، وأن يملك لوارثه ولغيره، ولكن الذي عليه الدين لا يعطى ليستوفى دينه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفوا، هل يقضى منها دين الميت أم لا، فقال أبو حنيفة: لا يؤدى من

---

(١) المجموع (٦/ ٢١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٨٠).

(٦٤٤) أحمر
أسود

الصدقة دين ميت. وهو قول ابن المواز. قال أبو حنيفة: ولا يعطى منها من عليه كفارة ونحو ذلك من حقوق الله تعالى، وإنما الغارم من عليه دين يسجن فيه. وقال علماؤنا وغيرهم: يقضى منها دين الميت لأنه من الغارمين، قال ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي».

هذا، ومن حجج القائلين بقضاء الدين عن الميت عموم الآية الكريمة ﴿..وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ وقوله ﷺ الذي أخرجه البخاري[1] بلفظ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي».

ورواه البخاري[2] في كتاب «التفسير» من رواية أبي هريرة مرفوعًا: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ**».

ومسلم[3] بلفظ: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٦٧٣١).
(٢) البخاري (٦٧٨١).
(٣) (٨٦٧).

(٦٤٥) أحمر
أسود

الديون التي سببها المعاصي

س: هل يُسدد الدين الذي سببه معصيته؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن الشخص إذا استدان في معصيته ولم يتب لم يعط من الزكاة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال النووي في شرح مسلم[١]: ويُعطى من الزكاة بشرط أن يستدين بغير معصية.

وقال النووي في المجموع[٢]:

من غرم لصلاح نفسه وعياله، فإن استدان ما أنفقه على نفسه أو عياله في غير معصية، أو أتلف شيئا على غيره سهوا، فهذا يعطى ما يقضى به دينه...

ويكون دينه لطاعة أو مباح، فإن كان في معصية كالخمر ونحوه، وكالإسراف في النفقة لم يعط قبل التوبة، هذا هو المذهب، وبه قطع المصنف والجمهور.

قال ابن عبد البر في الاستذكار[٣]:

وتحل –أي: الصدقة– لغارم غرما قد فدحه وذهب بماله إذا لم يكن غرمه في فساد ولا دينه في فساد مثل أن يستدين في نكاح أو حج أو غير ذلك من وجوه المباح والصلاح. اهـ.

وقال المرداوي في الإنصاف[٤]:

ومن غرم أو سافر في معصية لم يدفع إليه.

إذا غرم فيم عصية لم يدفع إليه من الزكاة بلا نزاع، وإذا سافر في معصية لم

(١) مسلم (٤/ ١١٣).
(٢) المجموع (٦/ ٢٠٧).
(٣) (٩/ ٢٠٢).
(٤) الإنصاف (٣/ ٢٤٧).

(٦٤٦) أحمر
أسود

يدفع إليه أيضًا على الصحيح من المذهب، وقطع به الأكثرون.

❁ ❁ ❁

مصرف في (سبيل الله)

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – أن الزكوات من مصارفها أنها تصرف في سبيل الله، ولأهل العلم أقوال في بيان ذلك.

القول الأول: وهو قول الجمهور من العلماء أن في سبيل الله تختص بالمجاهدين في سبيل الله والغزاة ونحوهم، كلهم يُعطى من زكاة المال ويجهزون منها للغزو بما يحتاج إليه الغزو والجهاد، ويعطون منهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء، وهذا قول أكثر العلماء.

القول الثاني: أن في سبيل الله تتعلق بالفقراء من الغزاة فقط، وكذا الفقراء من المجاهدين عمومًا، أما الأغنياء منهم فلا يعطون منها.

القول الثالث: أن قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدخل فيه مع الغزاة والمجاهدين الحجيج كذلك، وسيأتي في ذلك سؤال مستقل وجوابه إن شاء الله.

القول الرابع: وهو أن قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تدخل فيه أعمال البر عمومًا مع الغزاة والمجاهدين، من بناء المساجد والمستشفيات وطبع الكتب والمصاحف وغير ذلك من وجوه الخير.

والقول الأول هو أشهر الأقوال وعليه أكثر العلماء.

وهذه بعض أقوالهم في ذلك: وأورد قبلها بعض الاستدلالات التي استدلوا بها:

(٦٤٧) أحمر
أسود

فمن الأدلة التي استدلوا بها على أن ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الغزاة بعض الآيات وبعض الأحاديث منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

إلى غير ذلك من الآيات.

وكذا ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللهُ وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِىَ عَلَىَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا** »[(١)].

وقول النبي ﷺ الذي أخرجه مسلم[(٢)] من حديث بريدة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: « **اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِى سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا** ».

---

(١) البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

(٢) مسلم (١٧٣١).

(٦٤٨) أحمر
أسود

أما عن أقوال العلماء فها هي بعضها:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قوله:(وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)، فإنه يعني: وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده، بقتال أعدائه، وذلك هو غزو الكفار.

وأورد بإسنادٍ صحيح عنه ابن زيد في قوله: ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال: الغازي في سبيل الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق والحج من سبيل الله الحديث.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير): قوله تعالى (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) يعني الغزاة والمرابطين ويجوز عندنا ان نعطي الأغنياء منهم والفقراء وهو قول الشافعي وقال أبو حنيفة لا يعطى إلا الفقير منهم وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج أم لا فيه عن أحمد روايتان.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والسابع: الغازي في سبيل اللّه، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل اللّه.

وقالوا أيضًا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الثانية والعشرون: قوله تعالى: (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) وهم الغزاة وموضع الرباط، يعطون ما ينفقون في غزوهم كانوا أغنياء أو فقراء. وهذا قول أكثر العلماء، وهو تحصيل مذهب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه أيضًا بعض أقوال الفقهاء:

(٦٤٩) أحمر
أسود

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «المجموع»[(١)]: ومذهبنا أن سهم سبيل الله المذكور في الآية الكريمة يُصرف إلى الغزاة.

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»[(٢)]: فقال مالك وأبو حنيفة: (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) مواضع الجهاد والرباط، وقال أبو يوسف: هم الغزاة.

وقال السرخسي في المبسوط[(٣)]:

- أما قوله: (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)، فهم فقراء الغزاة، هكذا قال أبو يوسف.

- وقول محمد بن الحسن: هم فقراء الحاج المنقطع لهم، لما رُوي أن... جعل بعيرًا له في سبيل الله، فأمر رسول الله ﷺ أن يحمل عليه الحاج. وأبو يوسف يرى الطاعات كلها في سبيل الله تعالى، لكن عند الإطلاق هذا اللفظ المقصود بهم الغزاة عند الناس، ولا يصرف إلى الأغنياء من الغزاة عندنا.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) هم الغزاة الذي لا يعطون من مال الله ما يكفيهم تغزوهم فيطعون ما... به[(٤)].

وقال النووي في «المجموع»[(٥)]: قال أصحابنا: ويُعطى ما يستعين به على الغزو، فيُعطى نفقته وكسوته مدة الذهاب والرجوع والمقام في الثغر وإن طال.

ثم قال: ويعطى ما يشترى به الفرس ان كان يقاتل فارسا وما يشترى به السلاح وآلات القتال ويصير ذلك ملكا للغازي ويجوز أن يستأجر له الفرس والسلاح من مال الزكاة ويختلف الحال بكثرة المال وقلته.

قال أصحابنا: ويسلم الامام الي الغازى ثمن الفرس والسلاح والآلات ثم

(١) المجموع (٦/ ٢١٢).
(٢) الاستذكار (٩/ ٢٢٢).
(٣) (٣/ ١٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٧٤).
(٥) المجموع (٦/ ٢١٣).

(٦٥٠) أحمر
أسود

الغازى يشتريها.

وقال الرازي في تفسيره[(١)]: وظاهر لفظ الآية (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقة إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله: (وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) عامٌّ في الكل....

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: فأما تخصيصه بالجهاد في سبيل الله فلا شك فيه، خلافاً لمن قال: إن المراد في سبيل الله كل عمل برٍ وخير، فهو على هذا التفسير كل ما أريد به وجه الله، فيشمل بناء المساجد، وإصلاح الطرق، وبناء المدارس، وطبع الكتب، وغير ذلك مما يقرب إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؛ لأن ما يوصل إلى الله من أعمال البر لا حصر له.

ولكن هذا القول ضعيف؛ لأننا لو فسرنا الآية بهذا المعنى لم يكن للحصر فائدة إطلاقاً، والحصر هو (۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ ..) [التوبة: ٦٠] الآية.

فالصواب: أنها خاصة بالجهاد في سبيل الله.

وقد تقدم قول ابن عبد البر: وأجمعوا على أنه لايؤدي من الزكاة دين ميت، ولا يُكفن منها، ولا يُبنى منها مسجد، ولا يُشترى منها مصحب، ولا يُعطى لذمي ولا مسلم غني.

وقال مالك[(٣)]: لا تجزئه أن يعطي من زكاته في كفن ميت لأن الصدقة إنما هي للفقراء والمساكين ومن سمى الله، فليست للأموات ولا لبنيان المساجد.

---

(١) التفسير (١٦/ ٩٩).
(٢) الشرح الممتع (٦/ ٢٤٢).
(٣) المدونة (٢٥٨).

(٦٥١) أحمر
أسود

هل الحج يدخل في مصارف الزكاة؟

س- هل الحج يدخل في قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ومن ثم يعطي الحاج من أحوال الزكاة لحجته؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الحج لا يدخل في قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقد بينت قبل ذلك قول الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن الحج يدخل في ذلك لحديث ورد في الباب، واختلف في تصحيحه وتضعيفه في أسانيد و.... اختلافًا شديدًا وهو:

حديث أُمِّ مَعْقِلٍ قَالَتْ: لَمَّا حَجَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَكَانَ لَنَا جَمَلٌ فَجَعَلَهُ أَبُو مَعْقِلٍ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأَصَابَنَا مَرَضٌ وَهَلَكَ أَبُو مَعْقِلٍ وَخَرَجَ النَّبِىُّ -ﷺ- فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حَجِّهِ جِئْتُهُ فَقَالَ: « **يَا أُمَّ مَعْقِلٍ مَا مَنَعَكِ أَنْ تَخْرُجِى مَعَنَا** ». قَالَتْ: لَقَدْ تَهَيَّأْنَا فَهَلَكَ أَبُو مَعْقِلٍ وَكَانَ لَنَا جَمَلٌ هُوَ الَّذِى نَحُجُّ عَلَيْهِ فَأَوْصَى بِهِ أَبُو مَعْقِلٍ فِى سَبِيلِ اللهِ. قَالَ: « **فَهَلاَّ خَرَجْتِ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْحَجَّ فِى سَبِيلِ اللهِ فَأَمَّا إِذْ فَاتَتْكِ هَذِهِ الْحَجَّةُ مَعَنَا فَاعْتَمِرِى فِى رَمَضَانَ فَإِنَّهَا كَحَجَّةٍ** ». فَكَانَتْ تَقُولُ الْحَجُّ حَجَّةٌ وَالْعُمْرَةُ عُمْرَةٌ وَقَدْ قَالَ: هَذَا لِى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَا أَدْرِى أَلِىَ خَاصَّةً (١).

وحديث أبي طليق، ومنهم من يرده إلى الحديث السابق:

قال أبو طليق: « طلبت مني أم طليق جملا تحج عليه، فقلت: قد جعلته في سبيل الله، سألت رسول الله ﷺ، فقال: «**صدقت، لو أعطيتها لكان في سبيل الله**» (٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢٨٦)، وأبو داود (١٩٨٩) وغيرهما، وفيه وجوه كثيرة من الخلاف.

(٢) الطبراني في الكبير (٢٢/ ٨١٦)، وبه أيضًا بعض العلل.

(٦٥٢) أحمر
أسود

وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال:

أَرَادَ الْحَجَّ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ لِزَوْجِهَا حُجَّ بِى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: مَا عِنْدِى مَا أُحِجُّكِ عَلَيْهِ قَالَتْ: أَحِجَّنِى عَلَى جَمَلِكَ فُلاَنٍ قَالَ: ذَاكَ حَبِيسٌ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَتْ: فَحُجَّ بِى عَلَى نَاضِحِكَ قَالَ: ذَاكَ نَعْتَقِبُهُ أَنَا وَابْنُكِ قَالَتْ: فَبِعْ ثَمَرَتَكَ قَالَ: ذَاكَ قُوتِى وَقُوتُكِ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْسَلَتْ زَوْجَهَا إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَتِ: أَقْرِئْهُ السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَسَلْهُ مَا يَعْدِلُ حَجَّةً مَعَكَ فَأَتَى زَوْجُهَا النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ امْرَأَتِى تُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَإِنَّهَا سَأَلَتْنِى أُحِجُّهَا فَقُلْتُ: مَا عِنْدِى مَا أُحِجُّكِ عَلَيْهِ فَقَالَتِ: أَحِجَّنِى عَلَى جَمَلِكَ فُلاَنٍ قُلْتُ: ذَلِكَ حَبِيسٌ فِى سَبِيلِ اللهِ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتَ أَحْجَجْتَهَا عَلَيْهِ كَانَ فِى سَبِيلِ اللهِ**». قَالَتْ: فَأَحِجَّنِى عَلَى نَاضِحِكَ فَقُلْتُ: ذَاكَ نَعْتَقِبُهُ أَنَا وَابْنُكِ قَالَتْ: فَبِعْ ثَمَرَتَكَ فَضَحِكَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ حِرْصِهَا عَلَى الْحَجِّ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فِى حَدِيثِهِ فَضَحِكَ النَّبِىُّ ﷺ عَجَبًا مِنْ حِرْصِهَا عَلَى الْحَجِّ قَالَ: فَإِنَّهَا أَمَرَتْنِى أَنْ أَسْأَلَكَ مَا يَعْدِلُ حَجَّةً مَعَكَ قَالَ: « **أَقْرِئْهَا السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَأَخْبِرْهَا أَنَّهَا تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِىَ** – يعني: عُمْرَةٌ فِى رَمَضَانَ – »[(١)].

وحديث أبي لاس الخزاعي رضي الله عنه قال: «حَمَلَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ على إبل الصَدَقَةِ لِلْحَجِّ»[(٢)].

على أن الحج في سبيل الله.

ورد الجمهور على ذلك بأقوال أحدها أن الحديث لا يثبت الثاني لو ثبت لما كان فيه حجه لأن غاية ما فيه حمل بعض الحجيج عن إبل الصدقة، وأما

---

(١) أبو داود (١٩٩٠) وفي سنده فقال أيضًا: ففيه عامر الحوال، فيه كلام، وأصل الحديث في الصحيحين البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس ليس فيه ذكر (سبيل الله).

(٢) أحمد (١٧٩٣٩) وفيه كلام يسير أيضًا.

(٦٥٣) أحمر
أسود

أن يكون الحج كله من أموال الزكاة فليس بصريح في ذلك، ولم يتفشى أمر تجهيز الناس للحج من أموال الزكاة في زمن رسول الله ﷺ الله أعلم. هذا، وقد ورد في الباب أثران:

أحدهما: أثر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وسئل عن امرأة أوصت بثلاثين درهمًا في سبيل الله، فقيل له: أتجعل في الحج؟ فقال: أما إنه من سُبل الله[١].

والثاني: أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

انه كان لا يرى بأسًا أن يُعطي الرجل من زكاة ماله في الحج، وأن يعتق منها الرقبة[٢].

وقال المرداوي في «الإنصاف»[٣]:

يعطى الفقير ما يحج به الفرض أو يستعين به فيه وهي المذهب نص عليه في رواية عبد الله والمروذي والميموني قال في الفروع والحج من السبيل نص عليه وهو المذهب عند الأصحاب.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله «الفتح»[٤]:

أَمَّا سَبِيلُ اللهِ فَالْأَكْثَرِ عَلَى أَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالْغَازِي غَنِيًّا كَانَ أَوْ فَقِيرًا إِلَّا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ: يَخْتَصُّ بِالْغَازِي الْمُحْتَاجِ. وَعَنْ أَحْمَد وَإِسْحَاق الْحَجُّ مِنْ سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَثَرُ اِبْن عَبَّاس. وَقَالَ اِبْن عُمَر «أَمَا إِنَّ الْحَجَّ مِنْ سَبِيلِ اللهِ» أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْد بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ.

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام (الأموال ١٩٧٧)..
(٢) أبو عبيد (١٩٦٦).
(٣) الإنصاف (٣/ ٢٣٥).
(٤) الفتح (٣/ ٤٠٥).

(٦٥٤) أحمر
أسود

وَقَالَ ابْن الْمُنْذِر: إِنْ ثَبَتَ حَدِيث أَبِي لَاسٍ - يَعْنِي الْآتِي فِي هَذَا الْبَابِ - قُلْت بِذَلِكَ.

قال ابن العربي (١):

قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: قَالَ مَالِكٌ: سُبُلُ اللهِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِسَبِيلِ اللهِ هَاهُنَا الْغَزْوُ مِنْ جُمْلَةِ سَبِيلِ اللهِ، إلَّا مَا يُؤْثَرُ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ فَإِنَّهُمَا قَالَا: إنَّهُ الْحَجُّ.

وَالَّذِي يَصِحُّ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمَا أَنَّ الْحَجَّ مِنْ جُمْلَةِ السُّبُلِ مَعَ الْغَزْوِ ؛ لِأَنَّهُ طَرِيقُ بِرٍّ، فَأُعْطِيَ مِنْهُ بِاسْمِ السَّبِيلِ، وَهَذَا يُحِلُّ عَقْدَ الْبَابِ، وَيَخْرُمُ قَانُونَ الشَّرِيعَةِ، وَيَنْثُرُ سِلْكَ النَّظَرِ، وَمَا جَاءَ قَطُّ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ فِي الْحَجِّ أَثَرٌ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ (ابن السبيل)؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، المسافر الذي انقطعت به النفقة، وليس معه ما يوصله إلى أهله، فيعطى من مال الزكاة، قال البعض: وإن كان غنيًّا في بلده.

قال الشافعي (٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَيُعْطَى بن السَّبِيلِ منهم قَدْرَ ما يُبَلِّغُهُ الْبَلَدَ الذي يُرِيدُ في نَفَقَتِهِ وَحَمُولَتِهِ إنْ كان الْبَلَدُ بَعِيدًا وكان ضَعِيفًا وَإِنْ كان الْبَلَدُ قَرِيبًا وكان جَلْدًا الْأَغْلَبُ من مِثْلِهِ وكان غَنِيًّا بِالْمَشْيِ إلَيْهَا أعطى مُؤْنَتَهُ في نَفَقَتِهِ بِلَا حَمُولَةٍ.

وهذا مزيدٌ من أقوال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد.

---

(١) أحكام القرآن (٢/ ٩٦٩).
(٢) الأم (١٢٩).

(٦٥٥) أحمر
أسود

و«السبيل»: الطريق، وقيل للضارب فيه: «ابن السبيل»، للزومه إياه، كما قال الشاعر:

أَنَا ابنُ الحَرْبِ رَبَّتْنِي وَلِيدًا إِلَى أَنْ شِبْتُ واكْتَهَلَتْ لِدَاتِي

وكذلك تفعل العرب، تسمي اللازم للشيء يعرف به: «ابنه».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال. وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء، فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه. قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافر المنقطع به وإن كان له مال في بلده قاله مجاهد وقتادة وأبو حنيفة وأحمد، فأما إذا أراد أن ينشئ سفرا فهل يجوز أن يعطى قال الشافعي: يجوز وعن أحمد مثله وقد ذكرنا في سورة البقرة فيه أقوالا عن المفسرين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله، فإنه

(٦٥٦) أحمر
أسود

يعطى منها وإن كان غنيا في بلده، ولا يلزمه أن يشغل ذمته بالسلف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)؟

ج: المعنى، والله أعلم أن هذه المصارف التي بيناها لكم، وفرض الزكاة الذي فرضناه عليكم كل ذلك فرض افترضه الله عليكم فلا تعترضوا فالله عليم بخلقه وبكل شئ حكيم فيما يشرع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾، يقول جل ثناؤه: قَسْمٌ قسمه الله لهم، فأوجبه في أموال أهل الأموال لهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بمصالح خلقه فيما فرض لهم، وفي غير ذلك، لا يخفى عليه شيء. فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره خلقه، لا يدخل في تدبيره خلل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي حكما مقدرا بتقدير الله وفَرْضِه وقَسْمه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله ويقوله ويشرعه ويحكم به، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ يعني: أن الله افترض هذا.

❁ ❁ ❁

(٦٥٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ
يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى
قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ
تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ
مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا

(٦٥٨) أحمر
أسود

فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩ ﴾

[التوبة: ٦١-٦٩].

(٦٥٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أُذُنٌ - أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ - يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ - يُحَادِدِ - الْخِزْيُ - نُنَبِّئُهُم - تَحْذَرُونَ - نَخُوضُ - تَسْتَهْزِءُونَ - بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ - وَيَقْبِضُونَ - أَيْدِيَهُمْ - نَسُوا اللَّهَ - فَنَسِيَهُمْ - الْفَاسِقُونَ - هِيَ حَسْبُهُمْ - وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ - عَذَابٌ مُّقِيمٌ - فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ - وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا - حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أُذُنٌ﴾	قابلٌ للكلام سمَّاع لأي أعذار قابلٌ لها (دون تحقق)
﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾	يستمع الخير ويصدق أهله ويستمع كلام الله ويبلغه لكم
﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾	يصدق بالله وبوحدانيته ويصدق وعده ووعيده وكل ما أخبر به
﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	يصدق أهل الإيمان ويعرفهم
﴿يُحَادِدِ﴾	يخالف – يعاند – يشاقق، يكون في حدٍ، وأوامر الله ورسوله في خبر آخر
﴿الْخِزْيُ﴾	الذل والهوان
﴿نُنَبِّئُهُم﴾	تخبرهم
﴿تَحْذَرُونَ﴾	تخشون ظهوره
﴿نَخُوضُ﴾	نتكلم مع المتكلمين لا نقصد حقيقة
﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾	الذل والهوان

(٦٦٠) أحمر
أسود

٦٦٠ التسهيل لتأويل التنزيل

(بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ)	تخبرهم
(وَيَقۡبِضُونَ)	تخشون ظهوره
(أَيۡدِيَهُمۡۚ)	نتكلم مع المتكلمين لا نقصد حقيقة ما نقول
(نَسُواْ ٱللَّهَ)	تخسرون
(فَنَسِيَهُمۡۗ)	بعضهم على شاكلة بعضم (يظمرون الكفر ويظهرون الإسلام)
(ٱلۡفَٰسِقُونَ)	يبخلون بالخير عمومًا
(هِيَ حَسۡبُهُمۡ)	تركوا أوامر الله
(وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ)	تركهم الله في العذاب
(عَذَابٞ مُّقِيمٞ)	الخارجون عن الطاعة
(فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ)	هي كفايتهم من العذاب
(وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي)	طردهم الله من رحمته
(حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ)	عذاب دائم لا يزول

❁ ❁ ❁

(٦٦١) أحمر
أسود

ومن صور أذى المنافقين لرسول الله ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾).

ج: المعنى – والله أعلم – ومن أهل النفاق فريقٌ يؤذون رسول الله ﷺ ويطعنون فيه في غيابه ويعيبونه وينتقصونه، فإذا قال لهم قاتل إن ذلك سيبلغ رسول الله ﷺ فيقولون – منقصين رسول الله ﷺ – هو أذُن، أي رجل سماع لا يدرك ولا يميز قابل للأعذار فإننا إذا عتذرنا بأي عذرٍ سمعه وقبله وصدقه، فقال تعالى: قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين الطاعنين فيك العائبين لك القاتلين هو أذن، قل لهم إنه سمّاع للخير صلوات الله وسلامه عليه يعرف الصادق منكم من الكاذب بإذن الله، وإن كان يعرض عن فضحته الكاذب ولا يفضحه، فإذا سمع خيرصا عرفه وشكره وإذا سمع كذبًا ستره ولم يفضح قائله ثم إنه أرسل رحمةً لأهل الإيمان الذي اتبعوه وصدقوه وعزروه ونصروه أما الذي يؤذون رسول الله ويطعنون فيه فلهم يوم اقيامة عذاب مؤلمٌ موجع، وليسوا بأمنين كذلك في الدنيا من مكر الله وعذابه، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، سامعةٌ، يسمع من كل أحدٍ ما يقول فيقبله ويصدِّقه.

وهو من قولهم: «رجل أذنة»، مثل «فعلة» إذا كان يسرع الاستماع والقبول، كما يقال: «هو يَقَن، ويَقِن» إذا كان ذا يقين بكل ما حُدِّث. وأصله

(٦٦٢) أحمر
أسود

من «أذِن له يأذَن»، إذا استمع له. ومنه الخبر عن النبي ﷺ: «**ما أذِن الله لشيء كأذَنِه لنبيّ يتغنى بالقرآن**»، ومنه قول عدي بن زيد:

أَيُّهـا القَلْـبُ تَعَلَّـلْ بِـدَدَنْ إنَّ هَمِّـي فِـي سَـمَاعٍ وَأَذَنْ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾، فإنه يقول: يصدِّق بالله وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: ويصدق المؤمنين، لا الكافرين ولا المنافقين.

وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا: «محمد أذن!»، يقول جل ثناؤه: إنما محمد ﷺ مستمعُ خيرٍ، يصدِّق بالله وبما جاءه من عنده، ويصدق المؤمنين، لا أهل النفاق والكفر بالله.

وقيل: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، معناه: ويؤمن المؤمنين، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها: «آمنتُ له وآمنتُه»، بمعنى: صدّقته، كما قيل: ﴿رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾، [سورة النمل: ٧٢]، ومعناه: ردفكم، وكما قال: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٥٤]، ومعناه: للذين هم ربّهم يرهبون.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو رحمة للذين آمنوا منكم. وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه، وصدَّق بما جاء به من عند ربه، لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتِّباعه جنّاته.

ويقول تعالى ذكره: لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله ﷺ، ويقولون: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، وأمثالِهم من مكذِّبيه، والقائلين فيه الهُجْرَ والباطل، عذابٌ من الله موجع لهم في نار جهنم.

(٦٦٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن المنافقين قوم يُؤذون رسولَ الله ﷺ بالكلام فيه ويقولون: ﴿ هُوَ أُذُنٌۚ ﴾ أي: من قال له شيئا صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا. روي معناه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ ﴾ أي: هو أذن خير، يعرف الصادق من الكاذب، ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: ويصدق المؤمنين، ﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ ﴾ أي: وهو حجة على الكافرين؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ومن هؤلاء المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ ﴾ أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم اللّه- فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل.

فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي ﷺ، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا وأتمهم إدراكا، وأثقبهم رأيا وبصيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ ﴾ أي: يقبل من قال له خيرا وصدقا.

وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار

(٦٦٤) أحمر
أسود

الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتثاله لأمر اللّه في قوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ بالقول أو الفعل ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.

❁ ❁ ❁

اتقاء المنافقين بإيمانهم الكاذبة

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – يحلفه لكم هؤلاء المنافقون أيمانًا مغلظةً وهم فيها كاذبون، يحلفون لإرضاءكم، كي ترضوا عنهم ولا تؤاخذوهم وتستمروا في تعاملكم معهم، وكان من الولى لهم وكان من الأليق بهم أن يجتهدوا لإرضاء الله ﷻ ولإرضاء رسوله ﷺ كان من الولى لهم أن يُقبلوا على الله بالتوبة إليه والإنابة، وكذا يتركون الطعن في رسول الله ﷺ، ويتركون همزه ولمزه وعيبه ويقبلون على توقيره وإعزاره ومناصرته إن كان حقًّا أهل الإيمان.

(٦٦٥) أحمر
أسود

ألم يعلم هؤلاء المنافقون الطاعنون في رسول الله ﷺ الكذبةُ في إيمانهم من يخالف الله ورسوله ويكون في حدٍ وشقٍ وأوامر لله ورسوله في حدٍّ.....، ويحاربون رسول الله ويطعنون فيه، ألم يعلموا أن فاعل ذلك له يوم القيامة نار جهنم خالدًا فيها ذلك الذل والهوان العظيم؟!!

وينحوا هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ﷺ: يحلف لكم، أيها المؤمنون، هؤلاء المنافقون بالله، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسولَ الله ﷺ، وذكرِهم إياه بالطعن عليه والعيب له، ومطابقتهم سرًّا أهلَ الكفر عليكم، بالله والأيمان الفاجرة: أنهم ما فعلوا ذلك، وإنهم لعلى دينكم، ومعكم على من خالفكم، يبتغون بذلك رضاكم. يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾، بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا، ﴿إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، يقول: إن كانوا مصدِّقين بتوحيد الله، مقرِّين بوعده ووعيده.

وأورد بإسناده حسن عن قتادة قوله[1]: قوله: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾، الآية، ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقًّا، لهم شَرٌّ من الحمير! قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد حق، ولأنت شر من الحمار! فسعى بها الرجل إلى نبي الله ﷺ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتَعنُ، ويحلف بالله ما قال ذلك. قال: وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدِّق الصادق، وكذِّب الكاذب! فأنزل الله في ذلك: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

(١) وإن كان حسنًا إلى قتادة لكن مرسل وسبب النزول هذا لا يصح.

(٦٦٦) أحمر
أسود

ويقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبًا للمؤمنين ليرضوهم، وهم مقيمون على النفاق، أنه من يحارب الله ورسوله، ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما، ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، في الآخرة، ﴿خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾، يقول: لابثًا فيها، مقيمًا إلى غير نهاية؟، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، يقول: فلُبْثُه في نار جهنم وخلوده فيها، هو الهوان والذلُّ العظيم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ أي: ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله، أي: شاقه وحاربه وخالفه، وكان في حَدٍّ والله ورسوله في حدٍّ ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ أي: مهانًا معذبا، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: وهذا هو الذل العظيم، والشقاء الكبير.

وقال السعدي في تفسيره:

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ لأن المؤمن لا يقدم شيئا على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير اللّه ورسوله.

وهذا محادة للّه ومشاقة له، وقد توعد من حاده بقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي : يكون في حد وشق مبعد عن اللّه ورسوله بأن تهاون بأوامر اللّه، وتجرأ على محارمه.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذا باللّه من حالهم.

❁ ❁ ❁

(٦٦٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم يخشى المنافقون أن تنزل عليك يا رسول الله سورةٌ أو آيةٌ من عند الله ﷻ تبين لك أحوالهم وتكشف لك أسرارهم وتفضح أمورهم وتُظهر ما في قلوبهم، فيستهزئون بك، ويقولون لعله لا تنزل عليه سورة تخبره باستهزائنا به، فقل لهؤلاء يا رسول الله استهزئوا فإن الله ﷻ مظهر لرسوله ﷺ استهزاءكم وسينبؤه الله بما كان من أمركم.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم، ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾، يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم.

وقيل: إن الله أنزل هذه الآية[1] على رسول الله ﷺ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ، وذكروا شيئًا من أمره وأمر المسلمين، قالوا: «لعل الله لا يفشي سِرَّنا!»، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾، متهددًا لهم متوعدًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾، فإنه يعني به: إن الله مظهر عليكم، أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم، فكانت هذه السورة تدعَى: (الفَاضِحَةَ).

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: كانت تسمَّى هذه السورة: (الفَاضِحَةَ)، فاضحة المنافقين.

---

(١) سبب النزول لا يصح له إسنادٌ.

(٦٦٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا هذا.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة: ٨] وقال في هذه الآية: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ أي: إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به، ويبين له أمركم كما قال: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد: ٢٩، ٣٠]؛ ولهذا قال قتادة: كانت تسمى هذه السورة «الفاضحة»، فاضحة المنافقين.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾إلى قوله: ﴿مَّا تَحْذَرُونَ ﴾.

صرح في هذه الآية الكريمة بأن المنافقين يحذرون أن ينزل الله سورة تفضحهم وتبين ما تنطوي عليه ضمائرهم من الخبث. ثم بين أنه مخرج ما كانوا يحذرونه، وذكر في موضع آخر أنه فاعل ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [محمد: ٢٩] إلى قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ ﴾ [محمد: ٣٠]، وبين في موضع آخر شدة خوفهم، وهو قوله: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [المنافقون: ٤].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانت هذه السورة الكريمة تسمى «الفاضحة» لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال اللّه يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه

(٦٦٩) أحمر
أسود

لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن اللّه سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال اللّه تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

وقال هنا ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي تخبرهم وتفضحهم وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين

﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ ﴾ أي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ وقد وفَّى تعالى بوعده فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم.

❁ ❁ ❁

سبب نزول قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)

س: هل صح لقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾).

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وذلك فيما أخرجه الطبري وغيره بسندٍ صحيح[1] عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما

(١) وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم وغيره، وله شواهد وقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، الآية، قال: بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: «يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشأم

(٦٧٠) أحمر
أسود

رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول: «يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب!»، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المنافقين من يطعن فيك ويُعيبك في غيابك، وإن وصلك ذلك وبلغك فسألتهم ليقولن لك، وقد اكتشفت أمرهم ووقفت على صنعيهم، إنما كنا نخوض في الكلام خوضًا، وليس ما صدر من قلوبنا إنما كلام نتكلمه بألسلتنا على سبيل المزاح ليس على سبيل السخرية والاستهزاء، فقل لهؤلاء أتستهزئون بآيات الله وحدوده وأحكامه، أتستهزئون ما

وحصونها! هيهات هيهات»! فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: «احبسوا عليَّ الرَّكْب! فأتاهم فقال: قلتم كذا، قلتم كذا. قالوا: «يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب»، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون.

وهذا، وإن كان حسنًا إلا أنه مرسلٌ، وعند الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرَّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء! فرُفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله ﷺ، إنما كنا نخوض ونلعب! فقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ﴾، وإن رجليه لتنسفان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنِسْعَةِ رسول الله ﷺ.

(٦٧١) أحمر
أسود

لله ﷻ ورسوله ﷺ أتظنون انكم تسخرون من ربك ﷻ ولا يخفى عليه أمركم لا تعتذروا عما صنعتموه، فإن اعتذاركم ليس بناتج عن ندمكم، ولا عن توبة منكم ولا عن ندم فمن ثمَّ فلن يقبل اعتذاركم فلا تضيعوا أوقاتكم في الاعتذار، فقد كذبتم بعد إيمانكم، كفرتم باستهزائكم بآيات الله والسخرية من رسوله ﷺ، فإن نعف عن طائفة منكم، وهم الذين علمنا صدق توبتهم وحسن رجوعهم إلى الله وصدقهم في ندمهم، نعذب الطائفة الأخرى التي لم تظهر توبتها ولا حسن نيتها، بل وظهر إجرامها وكفرها.

وهذه أقوال بعض العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت، يا محمد، هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، ليقولن لك: إنما قلنا ذلك لعبًا، وكنا نخوض في حديثٍ لعبًا وهزؤًا! يقول الله لمحمد ﷺ: قل، يا محمد، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون؟

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن عكرمة في قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، إلى قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾، قال: فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: «اللهم إني أسمع آية أنا أعْنَى بها، تقشعرُّ منها الجلود، وتَجِبُ منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك، لا يقول أحدٌ: أنا غسَّلت، أنا كفَّنت، أنا دفنت»، قال: فأصيب يوم اليمامة، فما من أحدٌ من المسلمين إلا وُجد غيره.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾، بالباطل، فتقولوا: ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾، يقول: قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ﴿بَعْدَ

(٦٧٢) أحمر
أسود

إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾، يقول: بعد تصديقكم به وإقراركم به، ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾، بإنكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر، ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾، بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك. إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة.

وأما قوله: ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾، فإن معناه: نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم، وهو الكفر بالله، وطعنهم في رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾ أي: لا يُعْفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء -يعنون النبي ﷺ وأصحابه- أرغب بطونا وأكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء» ونحو ذلك

ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه ويقولون ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب.

قال اللّه تعالى -مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ فإن

(٦٧٣) أحمر
أسود

الاستهزاء باللّه وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم اللّه وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة والرسول لا يزيدهم على قوله ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾.

وقوله: ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ منكم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ مقيمين على كفرهم ونفاقهم.

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصا السريرة التي يمكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله فإن اللّه تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة

وأن من استهزأ بشيء من كتاب اللّه أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول أو تنقصه فإنه كافر باللّه العظيم وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيما.

❁ ❁ ❁

ومن سيما المنافقين وأعمالهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – المنافقون والمنافقات صنف واحد

(٦٧٤) أحمر
أسود

يظهرون الإيمان ويبطون الكفر ويُسرُّون به ويأمرون الناس بالمنكر وينهون الناس عن المعروف هذا شأنهم وذاك ديدتهم رجالاً كانوا أو نساءًا، وكذا فهم بخلاء، بخلاء بكل صنوف الخير ليس بالمال فحسب، (نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ) تركوا العمل بكتاب الله ﷻ فتركهم الله في العذاب، وترك توفيقهم وهدايتهم (إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) الخارجون عن الطاعة، وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ ﴾، وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمانَ بألسنتهم، ويُسِرُّون الكفرَ بالله ورسوله، ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾، يقول: هم صنف واحد، وأمرهم واحد، في إعلانهم الإيمان، واستبطانهم الكفر، ﴿يَأۡمُرُونَ ﴾ مَنْ قبل منهم، ﴿بِٱلۡمُنكَرِ ﴾، وهو الكفر بالله وبمحمد ﷺ، وبما جاء به وتكذيبه، ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾، يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله، وبما جاءهم به من عند الله

وقوله: ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ﴾، يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، ويكفُّونها عن الصدقة، فيمنعون الذين فرضَ الله لهم في أموالهم ما فرَض من الزكاة حقوقَهم.

وأما قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ ﴾، فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ ﴾، نُسُوا من الخير، ولم ينسوا من الشرّ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾، يقول: إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمانَ بالله، وهم للكفر مستبطنون، هم المفارقون طاعةَ الله، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله.

(٦٧٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: عن الإنفاق في سبيل الله، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الضلالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ ابتداء. ﴿بَعْضُهُم﴾ ابتداء ثان. ويجوز أن يكون بدلا، ويكون الخبر ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾. ومعنى ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين. وقال الزجاج، هذا متصل بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] أي ليسوا من المؤمنين، ولكن بعضهم من بعض، أي متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. وقبض أيديهم عبارة عن ترك الجهاد، وفيما يجب عليهم من حق. والنسيان: الترك هنا، أي تركوا ما أمرهم الله به فتركهم في الشك. وقيل: إنهم تركوا أمره حتى صار كالمنسي قصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه. وقال قتادة: ﴿نَسِيَهُمْ﴾ أي من الخير، فأما من الشر فلم ينسهم. والفسق: الخروج عن الطاعة والدين. وقد تقدم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

(٦٧٦) أحمر
أسود

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو الكفر والفسوق والعصيان.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلا ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وعد الله ﷻ أهل النفاق رجالاً ونساءًان وكذا الكفار، هؤلاء على كفرهم، وأولئك على نفاقهم وسوء نيتهم وخبث طواياهم، وعدهم الله جميعًا نار جهنم ما كثين فيها لا يخرجون منها، هي كافيتهم، وطردهم الله من رحمته، ولهم في النار عذاب مقيم لا يزول عنهم ولا يتحولون عنه وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ ﴾ بالله، ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾، أن يصليهموها جميعًا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾، يقول: ماكثين فيها أبدًا، لا

(٦٧٧) أحمر
أسود

يحيون فيها ولا يموتون، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، يقول: هي كافيتهم عقابًا وثوابًا على كفرهم بالله، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، يقول: وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، يقول: وللفريقين جميعًا: يعني من أهل النفاق والكفر، عند الله، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم، لا يزول ولا يبيد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أي: على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين فيها مخلدين، هم والكفار، ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ أي: كفايتهم في العذاب، ﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: طردهم وأبعدهم، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ ﴾ يقال: وعد الله بالخير وعدا. ووعد بالشر وعيدا ﴿خَالِدِينَ﴾ نصب على الحال والعامل محذوف، أي يصلونها خالدين. ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ ابتداء وخبر، أي هي كفاية ووفاء لجزاء أعمالهم. واللعن: البعد، أي من رحمة الله، وقد تقدم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي واصب دائم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ جمع المنافقين والكفار في النار، واللعنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة للّه ورسوله، والكفر بآياته.

❁ ❁ ❁

(٦٧٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين والمنافقات والكفار الساخرين منك المستهزئين بدينك الذي جئتهم به، المكذبين للقرآن الجاحدين لوحدانية الله ﷻ، قل لهم شأنكم في هذا كله شأن الذي سبقوكم من أهل الكفر كانوا أقوى منكم وأعز نفرًا، وأكثر أموالاً وأولادًا فاستمتعوا بدنياهم وحظوظهم فيه ورضوا بها بديلاً عن النصيب الأخروي، فالخلاق هذا النصيب، أي أنهم استمتعوا بنصيبهم الذي كان لهم في الآخرة إن هم آمنوا، استمتعوا به في الدنيا ولم يُلقوا للآخرة بالاً، فسلكتم سلكهم وسرتم سيرهم، واستمتعتم بنصيبكم في الدنيا وبحظوظكم فيها تاركين أمر الله وراء ظهوركم كما استمتع الذي من قبلكم بحظوظهم، و... في التكذيب والسخرية والاستهزاء والكفر والعناد خوضًا كالذي خاضه أولئك فقد كانوا مكذبين معاندين ساخرين مستهزين، فأولئك الذين هذه سبيلهم حبطت أعمالهم، ذهب ثوابها ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ فلن يحمدوا عليها واستوفوا باستمتاعهم حظوظهم فيها، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي مر في الأخرة أعمالهم تكون هباء منثورًا، ذهب ثوابها وأولئك هم الخاسرون، خسروا أنفسهم، وخسروا أعمالهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين

(٦٧٩) أحمر
أسود

قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟، ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، من الأمم الذين فعلوا فعلكم، فأهلكهم الله، وعجل لهم في الدنيا الخزي، مع ما أعدَّ لهم من العقوبة والنكال في الآخرة. يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حلّ بهم، فإنهم كانوا أشد منكم قوةً وبطشًا، وأكثر منكم أموالا وأولادًا، ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يقول: فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضًا من نصيبهم في الآخرة، وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم. يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم، الذين أهلكتهم بخِلافهم أمري، ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يقول: كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم، ﴿وَخُضْتُمْ﴾، في الكذب والباطل على الله، ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾، يقول: وخضتم أنتم أيضًا، أيها المنافقون، كخوض تلك الأمم قبلكم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، فإن معناه: هؤلاء الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يقول: ذهبت أعمالهم باطلا. فلا ثوابَ لها إلا النار، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، يقول: وأولئك هم المغبونون صفقتهم، ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسيرِ الزهيدِ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: أصاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالا وأولادا، ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾

(٦٨٠) أحمر
أسود

قال الحسن البصري: بدينهم، ﴿ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ أي: في الكذب والباطل، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي: بطلت مساعيهم، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وموضع الكاف في قوله: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ نصب أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم وقال غيره رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا وقال الزجاج بحظهم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ أي في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ لأنها لم تقبل منهم وفي الآخرة لأنهم لا يثابون عليها ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى واصفًا حال المنافقين: إن حالكم – أيها المنافقون – كحال أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاق والكفر، وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالًا وأولادًا، استمتعوا بما قدر لهم، من حظوظ الدنيا، وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسم. وقد استمتعتم بما قدر لكم، من ملاذ الدنيا كما استمتعوا، وخضتم فيما خاضوا فيه، من المنكر والباطل. إنهم قد بطلت أعمالهم، فلم تنفعهم في الدنيا، ولا في الآخرة، وكانوا هم الخاسرين. وأنتم مثلهم في سوء الحال

(٦٨١) أحمر
أسود

والمآل، والعاقبة الوخيمة.

﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ﴾، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي اللّه، ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتاع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة اللّه، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل.

❁ ❁ ❁

(٦٨٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

[التوبة: ٧٠-٧٤].

(٦٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿نَبَأُ - وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ - وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ - أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ - عَزِيزٌ - وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ - وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ - وَمَأْوَىٰهُمْ - وَمَا نَقَمُوٓاْ - وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَبَأُ﴾	خبر
﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾	أهل بلاد مدين، وهم قوم شعيب عليه السلام
﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾	مدائن قوم لوط، قيل هي سدوم وما حولها ببلاد الأردن وقيل عنها مؤتفكات أي منقلبات لأن الملك قلبها رأسا على عقب كما قال تعالى: (فجعلنا عاليها سافلها).
﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	أنصار بعضٍ، أعوان بعض على الخير
﴿عَزِيزٌ﴾	لا يغلب، بل هو غالبٌ، وأمره في خلقه نافذ
﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾	رضي الله عليهم أكبر مما هم فيه من النعيم، فالقلوب مطمئنة به لا تخشى زوال النعم ولا تخاف
﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	اشتد عليهم بالقول والنظرات وبالعمل
﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾	الكلمة التي كفروا بها، وهي سب رسول الله ﷺ وسب الدين
﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾	أرادوا أن يفتكوا برسول الله وما استطاعوا

(٦٨٤) أحمر
أسود

٦٨٤ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ)	ما أخذوا على الدين شيئًا ولا عابوه ولا وجدوا سبيلاً للطعن فيه إلا أن الله أغناهم وكذا كان رسول الله ﷺ سببًا في إغنائهم.

❁ ❁ ❁

(٦٨٥) أحمر
أسود

التذكير بأخبار من قد سبق

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾).

ج: يقول تعالى ذكره ما حاصله: ألم يأت هؤلاء الكفار المكذبين والمنافقين الساخرين المستهزئين، ألم يبلغهم ويصل إليهم خبر الأمم التي تقدمتهم وما هلَّ بهم من العذاب والنكال والدمار والهلاك ألم يصل إليه خبرٌ قوم نوح إذ كذبوا أو عاندوا وسخروا واستهزؤا فحل بهم ما حل من الطوفان الذي أبادهم وأفناهم.

ألم يصل إليهم خبر قوم عاد الذين مُكنوا في الأرض وبلغوا مبلغًا عظيمًا من القوة والجبروت واستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة، ألم يأتهم خبرهم، وقد قال ربهم ﷻ في شأنهم وشأنهم قبيلتهم (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾) [الفجر: ٧، ٨].

ألم يأت هؤلاء المكذبين نبأ هؤلاء وما حلَّ بهم من الريح العقيم التي لم تذر شيئًا حتى جعلته كالرميم؟!! ألم يأتهم خبر تلك الريح التي أرسلت على هذه القبيلة سبع ليالٍ وثمانية أيام حرقًا فجعلت القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.

ألم يأت هؤلاء المكذبين أخبار قبيلة ثمود العاتية الظالمة القوية المعاندة، ألم يأت هؤلاء المكذبين من قوم إبراهيم، وما حل بهم وبملكهم وأخبار قوم شعيب الذين هم أهل مدين، وكذا ألم يأتهم خبر المدائن التي ائتفكت فانقلبت رأسًا على عقب وهم قوم لوط، إذ الله قال فجعلنا عاليها سافلها

(٦٨٦) أحمر
أسود

وأنصرنا عليها حجارة من سجيل منضود لقد تركت لهؤلاء الظالمين المكذبين آثارٌ تدل عليهم وعلى ما حلَّ بهم، كما قال تعالى في شأن سفينة نوح التي أنجى الله عليها أهل الإيمان ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ [القمر: ١٥].

وكما قال في شأن مدائن قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وكما قال في شأن ديار ثمود ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ [الحجر: ٧٦] بطريق يمر عليها المارة فيرون ما حل بها من الدمار والهلاك، وغير هؤلاء كثير. لقد جاءت هذه الأمم رسلُ الله تخدرها وتذكرها فما آمنوا ولا اتعظوا لا اعتبروا فحل بهم من ثم العقاب والنكال والدمار وما كان الله ليظاعهم إذ أنزل بهم ما أنزل، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم، بخسو حقها بتكذيبهم فأنزلوا أنفسهم أسوأ المنازل، وكان من حق أنفسهم عليهم أن يؤمنوها من العذاب ولكنهم ظلموها بكفرهم وتكذيبهم ومن ثم بإحلال العقاب بهم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يُسِرُّون الكفرَ بالله، وينهون عن الإيمان به وبرسوله، ﴿نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يقول: خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم، حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا، ماذا حلّ بهم من عقوبتنا؟

ثم بين جل ثناؤه مَنْ أولئك الأمم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نَبأهُم، فقال: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، ولذلك خفض «القوم»، لأنه ترجم بهن عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض.

ومعنى الكلام: ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم، إذ

(٦٨٧) أحمر
أسود

كذبوا رسولي نوحًا، وخالفوا أمري؟ ألم أغرقهم بالطوفان؟

﴿وَعَادٍ﴾، يقول: وخبر عاد، إذ عصوا رسولي هودًا، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية ؟، وخبر ثمود، إذ عصوا رسولي صالحًا، ألم أهلكهم بالرجفة، فأتركهم بأفنيتهم خمودًا؟، وخبر قوم إبراهيم، إذ عصوه وردُّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق، ألم أسلبهم النعمة، وأهلك ملكهم نمرود؟، وخبر أصحابِ مَدْين بن إبراهيم، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة إذ كذبوا رسولي شعيبًا؟، وخبر المنقلبة بهم أرضُهم، فصار أعلاها أسفلها، إذ عصوا رسولي لوطًا، وكذبوا ما جاءهم به من عندي من الحق؟ يقول تعالى ذكره: أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزءون بالله وبآياته ورسوله، أن يُسْلك بهم في الانتقام منهم، وتعجيل الخزي والنكال لهم في الدنيا، سبيلُ أسلافهم من الأمم، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولي محمدًا ﷺ ما حلّ بهم في تكذيبهم رُسلنا، إذ أتتهم بالبينات.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾، قال: قوم لوط، انقلبت بهم أرضهم، فجعل عاليها سافلها.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: فإن كان عني بـ «المؤتفكات» قوم لوط، فكيف قيل: «المؤتفكات»، فجمعت ولم توحّد؟

قيل: إنها كانت قريات ثلاثًا، فجمعت لذلك، ولذلك جمعت بالتاء، على قول الله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النجم: ٥٣].

فإن قال: وكيف قيل: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، وإنما كان المرسل إليهم واحدًا؟

قيل: معنى ذلك: أتى كل قرية من المؤتفكات رسولٌ يدعوهم إلى الله،

(٦٨٨) أحمر
أسود

فتكون رُسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته، رسلا إليهم، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي: «الفُدَيْكات»، و«أبو فديك»، واحدٌ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم، دعوا بذلك، ونسبوا إلى رئيسهم. فكذلك قوله: ﴿أَنَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك: أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية، رسلهم من الله بالبينات.

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، يقول جل ثناؤه: فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها، واستحقاقها من الله عظيم العقاب، لا ظلمًا من الله لهم، ولا وضعًا منه جل ثناؤه عقوبةً في غير من هو لها أهلٌ، لأن الله حكيم لا خلل في تدبيره، ولا خطأ في تقديره، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله، حتى أسخطوا عليهم ربهم، فحقت عليهم كلمة العذاب فعذِّبوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ وَعَادٍ ﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم، لما كذبوا هودا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ وَثَمُودَ ﴾ كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعقروا الناقة، ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم، وأهلك ملكهم النمروذ بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله، ﴿ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ ﴾ وهم قوم شعيب، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكيف أصابتهم الرجفة

(٦٨٩) أحمر
أسود

والصيحة وعذاب يوم الظلة، ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ ﴾ قوم لوط، وقد كانوا يسكنون في مدائن، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ ﴾ [النجم: ٥٣] أي: الأمة المؤتفكة، وقيل: أم قراهم، وهي «سدوم». والغرض: أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا، عليه السلام، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ ﴾ أي: بالحجج والدلائل القاطعات، ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي: بإهلاكه إياهم؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق، فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار.

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ ﴾ أي: قرى قوم لوط.

فكلهم ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ ﴾ أي: بالحق الواضح الجلي، المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص اللّه علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم

قوله ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد.

❁ ❁ ❁

(٦٩٠) أحمر
أسود

موالاة أهل الإيمان لبعضهم وطاعتهم لله ورسوله

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾).

ج: المعنى – والله أعلم – والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصارُ لبعض وأعوان لبعض يتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى ويناصر بعضهم بعضًا في الخير وكذا فإنهم يأمرون بالمعروف ويتهون عن المنكرون ويحافظون على إقامة الصلاة في أوقاتها، وكذا يؤدون الزكوات التي أفترضها الله عليهم كما أمرهم الله، ويطيعون الله ورسوله فيما أمرهم به، وكذا ينتهون عما نهى عنه الله ورسوله، أولئك الموصوفون بتلك الصفات سيرحمهم الله إن الله عزيز لا يُغلب ولا يحتاج إلى أن ينصره ناصر حكيم فيما يشرع وحكم في كل شيء يقول ويفعل وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأما ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم: أن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾، يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله، [﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾...]، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، يقول: ويؤدُّون الصلاة المفروضة، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، يقول: ويعطون الزكاة المفروضةَ أهلَها، ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴾، فيأتمرون لأمر الله ورسوله، وينتهون عما نهياهم عنه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، الذين سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه، ويدخلهم جنته، لا أهل

(٦٩١) أحمر
أسود

النفاق والتكذيب بالله ورسوله، الناهون عن المعروف، الآمرون بالمنكر، القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾، يقول: إن الله ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به، لا يمنعه من الانتقام منه مانع، ولا ينصره منه ناصر، ﴿حَكِيمٌ﴾، في انتقامه منهم، وفي جميع أفعاله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر [الله] تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح (١): «**المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا**» وشبك بين أصابعه وفي الصحيح أيضا (٢): «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ﴿حَكِيمٌ﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالى.

---

(١) البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٢) البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٦٩٢) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف. وقال في المنافقين ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ لأن قلوبهم مختلفة ولكن يقسم بعضهم إلى بعض في الحكم.

وقوله تعالى: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي بعبادة الله تعالى وتوحيده، وكل ما أتبع ذلك. ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك. وذكر الطبري عن أبي العالية أنه قال: كل ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأوثان والشياطين. وقد مضى القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة «المائدة» و«آل عمران» والحمد لله.

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تقدم في أول «البقرة» القول فيه. وقال ابن عباس: هي الصلوات الخمس، وبحسب هذا تكون الزكاة هنا المفروضة. ابن عطية: والمدح عندي بالنوافل أبلغ ؛ إذ من يقيم النوافل أحرى بإقامة الفرائض.

وقوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ فيما سن لهم. والسين في قوله: ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه ؛ وفضله تعالى زعيم بالإنجاز.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر أن المنافقين بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ﴾ أي: ذكورهم وإناثهم ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة.

(٦٩٣) أحمر
أسود

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة اللّه ورسوله على الدوام.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ(جَنَّٰتٍ تَجْرِى).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن عدن إقامة وجنات عدن أي جنات إقامة لا تحول عنها كما قال تعالى: (لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾) [الكهف: ١٠٨].

الثاني: أن (عدن) اسم لجنة معينة وقيل قصر في الجنة وقيل مدينة في الجنة.

❁ ❁ ❁

جزاء أهل الإيمان

س: وضح معنى الآية الكريمة (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وعد الله أهل الإيمان رجالاً ونساء أن

(٦٩٤) أحمر
أسود

يدخلهم جنات إقامة يقيمون فيها ولا يخرجون منها بل يستمتعون فيها بكل ما تشتهين الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، وهذه الجنات، تجرء من تحتها الأنهار، (أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى)، وفوق ذلك، وأجل من ذلك، وأعظم من ذلك كله رضوان الله عليهم ونفوسهم مطمئنة بذلك، وذلك الرضوان، وهذا النعيم هو الفوز الذي لا أكبر فوزٌ ولا يعلوه فوز فذلك هو الفوز العظيم رضوان الله ودخول الجنان جعلنا الله من أهل ذلك كله آمين وبنحو هذا التأوي قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله، وأقرُّوا به وبما جاء به من عند الله، من الرجال والنساء، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يقول: بساتين تجري تحت أشجارها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، يقول: لابثين فيها أبدًا، مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾، يقول: ومنازل يسكنونها طيبةً.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، فإنه يعني: وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جل ثناؤه، ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

و«في» من صلة ﴿وَمَسَٰكِنَ﴾.

وقيل: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، لأنها بساتين خلد وإقامة، لا يظعَنُ منها أحدٌ.

وقيل: إنما قيل لها ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، لأنها دارُ الله التي استخلصها لنفسه، ولمن شاء من خلقه، من قول العرب: «عَدَن فلان بأرض كذا»، إذا أقام بها وخلد بها، ومنه «المَعْدِن»، ويقال: «هو في معدِن صدق»، يعني به: أنه في أصلٍ ثابت.

(٦٩٥) أحمر
أسود

وأورد الطبري آثارًا فيها مقالٌ ثم قال: وقال آخرون: معنى (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ) جنات أعناب وكروم وقال آخرون: هي اسمٌ لبُطنان الجنة ووسطها وأورد بسندٍ صحيح عن ابن مسعود ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ بطنان الجنة، وفسَّرة الأعمشي بقوله: وسطها وقال آخرون: ﴿عَدۡنٖ﴾ اسمٌ لقصر. وقيل: مدينة في الجنة، وقيل: اسم نهر.

وقال الطبري أيضًا:

وأما قوله: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾، فإن معناه: ورضَى الله عنهم أكبر من ذلك كله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

وأورد حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ! فيقولون: لبّيك ربَّنَا وسعْدَيك ! فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك. قالوا: يا ربّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك! قال: أحِلّ عليكم رضوَاني، فلا اسخط عليكم بعده أبدًا**»(١).

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات، ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، يقول: هو الظفر العظيم، والنجاء الجسيم، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد، ونَجوْا من الهوان في سَقَر، فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبدا، ﴿وَمَسَٰكِنَ

(١) سنده عن الطبري فيه مقال، لكن الخبر ثابت صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٦٩٦) أحمر
أسود

طَيِّبَةً ﴾ أي: حسنة البناء، طيبة القرار، كما جاء في الصحيحين[١] من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وبه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لَخَيْمَة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفة، طولها ستون ميلا في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضا**» أخرجاه[٢].

وفي الصحيحين أيضا، عن أبي هريرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها**». قالوا: يا رسول الله، أفلا نخبر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغُرفة في الجنة، كما تراؤون الكوكب في السماء**». أخرجاه في الصحيحين[٤].

وقال:

ثم ليعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكانٌ يقال له: «الوسيلة» لقربه من

(١) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).
(٢) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٣) البخاري (٢٧٩٠)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٤) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).

(٦٩٧) أحمر
أسود

العرش، وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة.

وأورد بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، كما قال الإمام مالك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخُدْري، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله، عَزَّ وَجَلَّ، يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك يا ربنا وسعديك، والخير في يدك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا**» أخرجاه من حديث مالك (١).

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

فإن قيل: لم يكن الرضوان أكبر من النعيم؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

والثاني: أن الموجب للنعيم الرضوان والموجب ثمرة الموجب فهو الأصل.

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٦٩٨) أحمر
أسود

الخيرات والبركات إلا اللّه تعالى.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يبغون عنها حِوَلا ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ﴾ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد اللّه المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن اللّه تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يحله على أهل الجنة ﴿ أَكْبَرُۚ ﴾ مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات.

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل اللّه أن يجعلنا معهم بجوده.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾).

ج: هذا أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ بمجاهدة الكفار أهل الجحود الذي يجحدون وحدانية الله ﷻ ويكذبون رسله ويحاربون أولياءه، وكذا بمجاهدة أهل النفاق الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، يأمر الله ﷻ بمجاهدة

(٦٩٩) أحمر
أسود

هؤلاء وأولئك، وكذا يأمر بالشدة عليهم في القول والفعل والنظر وغير ذلك، وكل منهم بحسبه في ذلك، وكلٌّ يُردع بالطريقة التي تُجدي فيه وتنجح، ويخبر الله ﷻ بأن مأوى هؤلاء جهنم فهي مصيرهم الذي يصيرون إليه، وبئس ذلك المصير وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾، بالسيف والسلاح، ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

واختلف أهل التأويل في صفة «الجهاد» الذي أمر الله نبيه به في المنافقين.

فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادَهم به.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان.

وقال آخرون: بل أمره بإقامة الحدود عليهم واختار الطبري ما نقله عن ابن مسعود (١) من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، يقول تعالى ذكره: واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرْهاب.

وقوله: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾، يقول: ومساكنهم جهنم، وهي مثواهم ومأواهم، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾، يقول: وبئس المكان الذي يُصَار إليه جهنَّمُ.

هذا، وقد أورد الطبري على نفسه سؤالاً وأجاب عليه فقال:

---

(١) وفي سنده عن ابن مسعود مقال عند الطبري.

(٧٠٠) أحمر
أسود

فإن قال قائل: فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظْهُرِ أصحابه، مع علمه بهم؟

قيل: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهرَ منهم كلمةَ الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأمّا مَنْ إذا اطُّلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأُخِذ بها، أنكرها ورجع عنها وقال: «إني مسلم»، فإن حكم الله في كلّ من أظهر الإسلام بلسانه، أن يحقِنَ بذلك له دمه وماله، وإن كان معتقدًا غير ذلك، وتوكَّل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم، ولم يجعل للخلق البحثَ عن السرائر. فلذلك كان النبيّ ﷺ، مع علمه بهم وإطْلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صُدورهم، كان يُقِرّهم بين أظهر الصحابة، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبَه الحرب على الشرك بالله، لأن أحدهم كان إذا اطُّلِع عليه أنه قد قال قولا كفر فيه بالله، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه. فلم يكن ﷺ يأخذه إلا بما أظهر له من قوله، عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه، دون ما سلف من قولٍ كان نطقَ به قبل ذلك، ودون اعتقاد ضميرِه الذي لم يبح الله لأحَدٍ الأخذ به في الحكم، وتولَّى الأخذَ به هو دون خلقه.

أما الحافظ ابن كثير فقد أورد أقوالاً: في كيفية جهاد المنافقين، وإن كان في سند الآثار التي أتى بها فقال فلذا أضربت عن إيرادها، فمن الأقوال جهادهم بالسيف ومنها جهادهم باللسان، ومنها جهادهم بإقامة الحدود عليهم، قال ابن كثير:

وقد يقال: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال، لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا بحسب الأحوال، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ ...) الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيها أمته من بعده ثم نقل عن ابن العربي: أما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة وأما

(٧٠١) أحمر
أسود

بالحدود لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم فدعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامنا لا بما تتلبس به الجوارح ظاهرا وأخبار المحدودين يشهد سياقها أنهم لم يكونوا منافقين.

قال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ الغلظ: نقيض الرأفة، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه. وليس ذلك في اللسان ؛ فإن النبي ﷺ قال: «**إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها**». ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ومنه قول النسوة لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ومعنى الغلظ خشونة الجانب. فهي ضد قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح.

وقال السعدي في تفسيره:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم.

وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان.

ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا.

﴿وَ﴾ أما في الآخرة، فـ ﴿مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

❁ ❁ ❁

(٧٠٢) أحمر
أسود

س: هل ورد لقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ...﴾ الآية. سبب نزول صحيح؟

ج: أورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسبابًا لنزولها لا تخلوا من مقال فمنها ما أورد بسندٍ ضعيف عن هشام بن عروة عن أبيه(١) (يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ) قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: «**إن كان ما جاء به محمد حقًّا، لنحن أشرُّ من الحُمُر!**»، فقال له ابن امرأته: والله، يا عدو الله، لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعةٌ، وأؤاخذ بخطيئتك! فدعا النبي ﷺ الجلاس، فقال: «**يا جُلاس، أقلت كذا وكذا؟**» فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾.

ومن وجهٍ آخر ضعيف أيضًا عن هشام بن عروة، عن أبيه(٢) قال: نزلت هذه الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾، في الجلاس بن سويد بن الصامت، أقبل هو وابن امرأته مُصْعَب من قُباء، فقال الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن أشرُّ من حُمُرنا هذه التي نحن عليها! فقال مصعب: أما والله، يا عدو الله، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ بما قلتَ! فأتيتُ النبيَّ ﷺ، وخشيت أن ينزل فيَّ القرآن، أو تصيبني قارعة، أو أن أُخْلَط [بخطيئته]، قلت: يا رسول الله، أقبلت أنا والجلاس من قباء، فقال كذا وكذا، ولولا مخافة أن أُخْلَط بخطيئته، أو تصيبني قارعة، ما أخبرتك. قال: فدعا الجلاس فقال له: يا جلاس، أقلت الذي قال مصعب؟ قال: فحلف،

(١) وفضلاً عن الضعف فهذا وذاك مرسلان.
(٢) وفضلاً عن الضعف فهذا وذاك مرسلان.

(٧٠٣) أحمر
أسود

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾، الآية.

وبسندٍ فيه مقال عن مجاهد: ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾، قال أحدهم: «لئن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شر من الحمير»! فقال له رجل من المؤمنين: أن ما قال لحقٌّ، ولأنت شر من حمار! قال: فهمَّ المنافقون بقتله، فذلك قوله: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم قال، حدثنا عبد الله بن رجاء قال، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظلّ شجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه. فلم يلبث أن طلَع رجل أزرقُ، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا، حتى تجاوَز عنهم، فأنزل الله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾، ثم نعتهم جميعًا، إلى آخر الآية.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، ولكن مرسل فقتادة تابعي، قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾، إلى قوله: ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، قال: ذكر لنا أنّ رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة، والآخر من غِفار، وكانت جهينة حلفاء، الأنصار، وظهر الغفاريّ على الجهنيّ، فقال عبد الله بن أبيّ للأوس: انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل: «سمِّن كلبك يأكلك»، وقال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾.

(٧٠٤) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

تكذيب الله ﷻ لأهل النفاق

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل النفاق هؤلاء، ولما بلغت رسول الله ﷺ المقالات الشنيعة التي قالوها من السخرية والاستهزاء بالدين وبالرسول الأمين جاءوا إلى رسول الله ﷺ يقسمون ويحلفون أيمانا كاذبة أنهم ما قالوا هذا الذي نقل عنهم من السخرية والاستهزاء والطعن في الدين وكلمات الكفر التي قالوها فكذبهم الله ﷻ بقوله: (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) أي: الكلمة التي كفروا بها وخروجوا بها من الإسلام، وهموا بفعل أشياء لم يُنوِّلهم الله إياها كقتل رسول الله ﷺ، أو قتل بعض المسلمين، أو محاولة إرجاع أقوام إلى الكفر إلى غير ذلك من سئ الأفعال التي يريدونها ويطعمون فيها، ولكن ذهب سعيهم وخاب، وضل عملهم وبطل وسلَّم إليه رسوله ﷺ والمؤمنين فلم يظفر أهل الكفر بمرادهم ولم يدركوا ما أضمروه من الشر في نفوسهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فحاصل معناه أن أهل النفاق هؤلاء ما نالهم من الإسلام ومن الرسول عليه الصلاة والسلام، بل ومن ربهم إلا الخير، فما وجدوا شيئًا يعيبون به هذا الدين، إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله، فهل هذا عيبٌ يا أولي الألباب، ويا أصحاب العقول؟!! لقد كان من الواجب أن يشكر هذا المعروف لله ويقابل بتوحيد الله والإيمان

(٧٠٥) أحمر
أسود

به والإقرار بكتابه وبرسوله، ولكن فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ثم إن الله ﷻ يذكرهم بالتوبة والرجوع إلى الله كما هو الشأن والحال حتى لا يبقى لأحدٍ عذرٌ فيقول تعالى: (فَإِن يَتُوبُواْ) فإن يرجع هؤلاء إلى الإيمان والإسلام وطيب الكلام ويطلبوا من الله مغفرة ذنوبهم لكن هذا خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، (وَإِن يَتَوَلَّوْاْ) يعرضوا عن الإيمان والإسلام وطيب الكلام يعذبهم الله عذابًا مؤلمًا موجعًا (فِي ٱلدُّنْيَا) بقتلهم وأسرهم وسبيهم وفي الآخرة بالنار، والعياذ بالله، وما لهم في الأرض من وليٍّ يتولاهم، ولا نصير ينصرهم وبنحو هذا قال العلماء.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ أي: إذا قالوا قولا كقول من قال منهم ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول.

فإذا بلغهم أن النبي ﷺ قد بلغه شيء من ذلك، جاءوا إليه يحلفون باللّه ما قالوا.

قال تعالى مكذبا لهم: ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ فإسلامهم السابق -وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر -فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ وذلك حين هموا بالفتك برسول اللّه ﷺ في غزوة تبوك، فقص اللّه عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم.

﴿ وَ ﴾ الحال أنهم ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ ﴾ وعابوا من رسول اللّه ﷺ ﴿ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب

(٧٠٦) أحمر
أسود

الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟» فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية.

ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ ﴾ عن التوبة والإنابة ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة اللّه لدينه، وإعزار نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير.

﴿ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية اللّه تعالى، فَثَمَّ أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أسباب النزول التي ذكرتها:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنّهم يحلفون بالله كذبًا على كلمة كُفْر تكلموا بها أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة: أن الجلاس قاله، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال. ولا علم لنا بأيّ ذلك من أيٍّ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة، ويُتوصَّل به إلى يقين العلم به، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾.

وأما قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في الذي كان همَّ بذلك، وما الشيء الذي كان هم به.

(٧٠٧) أحمر
أسود

[فقال بعضهم: هو رجل من المنافقين، وكان الذي همَّ به]، قتلَ ابن امرأته الذي سمع منه ما قال، وخشي أن يفشيه عليه.

وقال آخرون: كان الذي همَّ، رجلا من قريش، والذي همّ به، قتلَ رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: الذي همّ، عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان همُّه الذي لم ينله، قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، من قول قتادة وقد ذكرناه.

وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾، ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر، كان فقيرًا فأغناه الله بأن قُتِل له مولًى، فأعطاه رسول الله ديتَه. فلما قال ما قال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾، يقول: ما أنكروا على رسول الله ﷺ شيئًا،، ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قِيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك، خيرًا لهم من النفاق، ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾، يقول: وإن يدبروا عن التوبة، فيأتوها ويصرُّوا على كفرهم،، ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يقول: يعذبهم عذابًا موجعًا في الدنيا، إما بالقتل، وإما بعاجل خزي لهم فيها، ويعذبهم في الآخرة بالنار.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، يقول: وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله عاجل الدنيا، ﴿مِن وَلِيٍّ﴾، يواليه على منعه من عقاب الله، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصره من الله فينقذه من عقابه. وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم، يمتنعون بهم من أرادهم بسوء، فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا

(٧٠٨) أحمر
أسود

يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم، لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه، إن احتاجوا إلى نصرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ قال النقاش: تكذيبهم بما وعد الله من الفتح. وقيل: ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ قول الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير. وقول عبدالله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال القشيري: كلمة الكفر سب النبي ﷺ والطعن في الإسلام. ﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أي بعد الحكم بإسلامهم. فدل هذا على أن المنافقين كفار، وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [المنافقون: ٣] دليل قاطع.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة (١) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ**» لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ (٢).

قلت: هذا، وقد أخرج البخاري في صحيحه (٣) من طريق زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ - فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: إِنَّكُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ تُخْبِرُونَا فَلَا نَدْرِي، فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْرُونَ بُيُوتَنَا وَيَسْرِقُونَ أَعْلَاقَنَا؟ قَالَ: أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ أَجَلْ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَا وَجَدَ بَرْدَهُ.

---

(١) مسلم (٢٧٧٩).

(٢) قائل ذلك الراوي عن شعبة، وهو أسود بن عامر.

(٣) البخاري (٤٦٥٨).

(٧٠٩) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾ أي: وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويمن سفارته، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به، كما قال، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للأنصار: «**ألم أجدكم ضُلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟**» كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن.

وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج: ٨] وكما قال، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأغناه الله**».

ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال: ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ أي: وإن يستمروا على طريقهم ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: بالقتل والهم والغم، ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ أي: بالعذاب والنكال والهوان والصغار، ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ أي: وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم، ولا يحصل لهم خيرا، ولا يدفع عنهم شرا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾.

صرح في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين ما وجدوا شيئًا ينقمونه أي يعيبونه وينتقدونه إلا أن الله تفضل عليهم فأغناهم بما فتح على نبيه ﷺ من الخير والبركة.

والمعنى أنه لا يوجد شيء يحتمل أن يعاب أو ينقم بوجه من الوجوه، والآية كقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج: ٨]

(٧١٠) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿ وَمَا نَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وقولـه: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠].

ونظير ذلك من كلام العرب: قول نابغة ذبيان:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقول الآخر:

ما نقموا من أمية إلا أنهم يضربون إن غضبوا

وقول الآخر:

فما بك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

❁ ❁ ❁

(٧١١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟
يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن
يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا
لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا
وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾
وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟
وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ۞

[التوبة: ٧٥-٨٤].

(٧١٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَٰهَدَ ٱللَّهَ - ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ - وَتَوَلَّواْ - مُّعۡرِضُونَ - فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ - سِرَّهُمۡ - وَنَجۡوَىٰهُمۡ - يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ - لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ - بِمَقۡعَدِهِمۡ - خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ - يَفۡقَهُونَ - ٱلۡخَٰلِفِينَ - وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾	أعطى عهدًا وميثاقًا
﴿ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾	رزقنا الله مالًا
﴿وَتَوَلَّواْ﴾	انصرفوا ناقضين العهد
﴿مُّعۡرِضُونَ﴾	معرضون عن الوفاء وعن الدين
﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾	أسكن الله قلوبهم نفاقًا أورثهم البخل نفاقًا في قلوبهم
﴿سِرَّهُمۡ﴾	ما أضمروه في نفوسهم ولم يبيحوا به لأحدٍ
﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾	ما يتناجون به فيما بينهم
﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾	يعلم كل غائبة في السماء والأرض، يعلم ما فات وما هو آت، وما كان وما سيكون، وما هو كائن.
﴿يَلۡمِزُونَ﴾	يعيبون ويطعنون ويذُمُّون
﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾	المتطوعين بالصدقات
﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾	الذين لا يجدون إلا القليل يتصدقون به لا يجدون إلى ما في وسعهم يتصدقون به

(٧١٣) أحمر
أسود

﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾	بمقامهم في المدينة وعدم سفرهم
﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾	مخالفة لرسول الله وعنادًا له، متخلفين عن مصاحبة رسول الله ﷺ
﴿يَفۡقَهُونَ﴾	يفهمون
﴿ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾	المتخلفين عن الغزو مع رسول الله من الرجال من أهل النفاق
﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾	ولا تدعو له ولا تستغفر له عند القبر

❁ ❁ ❁

(٧١٤) أحمر
أسود

س: هل صح أن الآية الكريمة ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ...﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري وأنه قال لرسول الله ﷺ: الله أن يرزقني مالا! فقال رسول الله ﷺ: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدِّي شكره، خير من كثير لا تطيقه! قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبيِّ الله، فوالذي نفسي بيده، لو شئتُ أن تسيرَ معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت! قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقني مالا لأعطينّ كلّ ذي حق حقه ! فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبه مالا! قال: فاتَّخذ غنمًا، فنمت كما ينمو الدُّود، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، فنزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت، فتنحّى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقَّى الركبان يوم الجمعة، يسألهم عن الأخبار، فقال رسول الله ﷺ: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره، فقال: يا ويْحَ ثعلبة ! يا ويح ثعلبه ! يا ويح ثعلبة! قال: وأنزل الله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣] الآية، ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، رجلا من جهينة، ورجلا من سليم، وكتب لهما كيفَ يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرَّا بثعلبة، وبفلان، رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما ! فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! ما أدري ما هذا ! الحديث إلى آخره[(١)].

ج: هذا لم يصح، وقد أخرجه الطبري وغيره بسندٍ ضعيف جدًّا، وقد تكلم عددٌ كبير جدًّا في هذ الحديث وتضعيفه، وأُلفت رسائل وكتب في

(١) الطبري (١٧٠٠٢)، وفي سنده معان بن رفاعة، وهو ضعيف جدًّا.

(٧١٥) أحمر
أسود

شأنه منها كتاب ثعلبة ابن حاطب الصحابي المفترى عليه، ومنها كتاب الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلبة بن حاطب.

وغير ذلك من الكتب(١).

وقد ضعف القصة شيخنا الشيخ مقبل بن هادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم جم غفير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان ؛ حسب ما يأتي بيانه في أول الممتحنة فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم. وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير.

❁ ❁ ❁

العهد هل يُعدُّ يمينًا

س: هل العهد يُعدُّ يمينًا تُكّفر أم ماذا؟

ج: في هذه المسألة بعض الاختلاف بين أهل العلم، والظاهر والله تعالى أعلم أنها تُكَّفر إذا حنث فيها الشخص وكان منعقدًا لنية، والله تعالى أعلم.

أما عن الأدلة المستدل بها في هذا الصدد على كونها يمينًا فمنها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١].

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ.. ﴾ الآية، وسبب نزولها ما أخرجه البخاري وغيره من حديث عبد الله بن

(١) أما الأول فلمؤلفه عداب الحمش، والثاني (الشهاب الثاقب) لسليم الهلالي.

(٧١٦) أحمر
أسود

مسعود رضي الله عنه[(١)] عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ - أَوْ قَالَ: أَخِيهِ- لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قَالَ سُلَيْمَانُ فِي حَدِيثِهِ: فَمَرَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ عَبْدُ اللهِ؟ قَالُوا لَهُ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ: نَزَلَتْ فِيَّ وَفِي صَاحِبٍ لِي فِي بِئْرٍ كَانَتْ بَيْنَنَا».

وأدلة أُخر على هذا المنوال.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال سحنون في المدونة[(٢)]:

«قلت: أرأيت قوله: «على عهد الله» أو «ميثاق الله» وقوله: «وميثاق الله وعهد الله» أيكون هذا في الوجهين جميعًا في قول مالك أيمانًا؟ قال: نعم...» اهـ.

قال الإمام الشافعي[(٣)] رحمه الله:

« وإذا قال على عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ وَكَفَالَتُهُ ثُمَّ حَنِثَ فَلَيْسَ بِيَمِينٍ إلَّا أَنْ ينوى بها يَمِينًا وَكَذَلِكَ لَيْسَتْ بِيَمِينٍ لو تَكَلَّمَ بها لَا يَنْوِي يَمِينًا فَلَيْسَ بِيَمِينٍ بِشَيْءٍ من قِبَلِ أَنَّ لِلَّهِ عليه عَهْدًا أَنْ يؤدى فَرَائِضَهُ...». اهـ.

قال السرخسي في المبسوط[(٤)]:

لو قال: عهد الله علي، فالعهد يمين، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ معناه: إذا حلفتم بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ

---

(١) البخاري (٦٦٥٩).
(٢) المدونة (٢/ ٣٠).
(٣) الأم (٧/ ٨٨).
(٤) المبسوط (٧/ ٢٣).

(٧١٧) أحمر
أسود

تَوْكِيدِهَا ﴾.

قال الخرقي المغني مع الشرح (١):

مسألة. قال: (أو بالعهد﴾. قال ابن قدامة:

«وجملته أنه إذا حلف بالعهد أو قال: وعهد الله وكفالته. فذلك يمين يجب تكفيرها إذا حنث فيها، وبهذا قال الحسن وطاووس والشعبي والحارث العكلي وقتادة والحكم والأوزاعي ومالك...». اهـ.

قال ابن قدامة في شرح الكلام المتقدم:

«ولنا أن عهد الله يحتمل كلامه الذي أمرنا به ونهانا كقوله تعالى: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ وكلامه قديم صفة له ويحتمل أنه استحقاقه لما تعبدنا به وقد ثبت له عرف الإستعمال فيجب أن يكون يمينا بإطلاقه كما لو قال: وكلام الله إذا ثبت هذا فإنه إن قال علي عهد الله وميثاقه لأفعلن أو قال وعهد الله وميثاقه لأفعلن فهو يمين وإن قال والعهد والميثاق لأفعلن ونوى عهد الله كان يمينا لأنه نوى الحلف بصفة من صفات الله تعالى وإن أطلق فقال القاضي فيه روايتان إحداهما: يكون يمينا لأن لام التعريف إن كانت للعهد يجب أن تنصرف إلى عهد الله لأنه الذي عهدت اليمين به وإن كانت للاستغراق دخل فيه ذلك والثانية: لا يكون يمينا لأنه يحتمل غير ما وجبت به الكفارة ولم يصرفه إلى ذلك بنيته فلا تجب الكفارة لأن الأصل عدمها ». اهـ.

وقال ابن حجر (٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فتح الباري) معلقًا على الاستدلال بالآيتين اللتين قدمنا ذكرهما:

وَيُسْتَفَاد مِنْ الْآيَة أَنَّ الْعَهْد غَيْر الْيَمِين لِعَطْفِ الْيَمِين عَلَيْهِ ، فَفِيهِ حُجَّة

(١) الخرقي (المغنى مع الشرح الكبير) (١١/ ١٩٦).
(٢) الفتح (١١/ ٥٥٨).

(٧١٨) أحمر
أسود

عَلَى مَنْ اِحْتَجَّ بِهَا بِأَنَّ الْعَهْد يَمِين. اهـ، وأما الآية الثانية وهو قوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل: ٩١] لَا يَلْزَم مِنْ عَطْف الْأَيْمَان عَلَى الْعَهْد أَنْ يَكُون الْعَهْد يَمِينًا بَلْ هُوَ كَالْآيَةِ السَّابِقَة.

وفي مسائل أحمد لابن هانئ (١):

سألت أبا عبد الله قلت: رجل عاهد الله ﷻ أن لا يأكل من قرابه شيئًا وهو يحتاج إليهم. قال: أحب أن يتقرب بأكثر من كفارة يمين.

❁ ❁ ❁

أهل النفاق ينقضون العهود مع الله

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم، ومن أهل النفاق فريقٌ عاهد الله، أعطى ربَّه عهودًا ومواثيقًا أمام الخلق، قائلًا لئن آتاني الله من فضله من رزقه لئن رزقني الله أموالًا لأتصدقن منها ولأبذلن منها في طاعة الله ورسوله، ولأدخلن بذلك في عداد الصالحين المنفقين، فلما رزقهم الله ووسع عليهم وأعطاهم من المال ما أرادوا وفوق ما أرادوا بخلوا بالمال وأمسكوه ولم ينفقوا كما وعدوا، ولم يعطوا فقيرًا ولا مسكينًا، وانصرفوا عن أوامر الله ورسوله وأعرضوا عن إيتاء الفقراء والمساكين أي تولوا عن الدين وهم لا يلتفتون إلى عهد ولا إلى ميثاق فهذا الصنيع الذي صنعوه من الإعراض ونقض الميثاق تسبب لهم في نفاقٍ سكن قلوبهم لا يفارقهم هذا النفاق إلى يوم يلقون نفاقهم وجزاء نفاقهم يوم القيامة بسبب إخلاف الوعود ونقض المواثيق وبسبب كذبهم الذي كذبوا.

(١) ابن هانئ.

(٧١٩) أحمر
أسود

هذا، وقد قال بعض أهل العلم إن قوله تعالى: (فَأَعْقَبَهُمْ) أي أقعبهم الله نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقون ربهم ﷻ يوم القيامة. وهذا قول قوي أيضًا. وهذه بعض أقوال العلماء في عموم ما ذُكر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم، ﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾، يقول: أعطى الله عهدًا، ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾، يقول: لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسَّع علينا من عنده، ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربُّنا، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، يقول: ولنعملنّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله. يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾، بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله، ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾، يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾، عنه، ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ﴾ الله، ﴿نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾، ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه في قلوبهم، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾، من الصدقة والنفقة في سبيله، ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، في قيلهم، وحَرَمهم التوبة منه، لأنه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم أنَّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية، الإبانةُ من الله جل ثناؤه عن علامةِ أهل النفاق، أعني في قوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

(٧٢٠) أحمر
أسود

وأورد بسندٍ صحيح عن عبد الله[(١)]: اعتبروا المنافق بثلاثٍ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدَر، وأنزل الله تصديقَ ذلك في كتابه: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾، إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله، عَزَّ وَجَلَّ، يوم القيامة، عياذا بالله من ذلك.

ثم قال:

وقوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ أي: أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما جاء في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(٢)] وله شواهد كثيرة، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ أي أعطاهم. ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ أي بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وبالوفاء بما ضمنوا والتزموا. وقد مضى البخل في «آل عمران». ﴿وَتَوَلَّواْ ﴾ أي عن طاعة الله. ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي عن الإسلام، أي مظهرون للإعراض عنه.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا ﴾ مفعولان أي أعقبهم الله تعالى نفاقا في قلوبهم. وقيل: أي أعقبهم البخل نفاقا ؛ ولهذا قال: ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ

(١) هو ابن عمرو.
(٢) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٧٢١) أحمر
أسود

يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ في موضع خفض ؛ أي يلقون بخلهم، أي جزاء بخلهم ؛ كما يقال: أنت تلقي غدا عملك. وقيل: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ أي يلقون الله. وفي هذا دليل على أنه مات منافقا. وهو يبعد أن يكون المنزل فيه ثعلبة أو حاطب ؛ لأن النبي ﷺ قال لعمر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» وثعلبة وحاطب ممن حضر بدرا وشهدها. ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ كذبهم نقضهم العهد وتركهم الوفاء بما التزموه من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿نِفَاقًا ﴾ النفاق إذا كان في القلب فهو الكفر. فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية. قال النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**» خرجه البخاري.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى اللّه عهده وميثاقه ﴿ نِفَاقًا ﴾ من الدنيا فبسطها لنا ووسعها ﴿ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ لم يفوا بما قالوا، بل ﴿ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ ﴾ عن الطاعة والانقياد ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي: غير ملتفتين إلى الخير.

فلما لم يفوا بما عاهدوا اللّه عليه، عاقبهم ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ مستمرا ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه اللّه بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

(٧٢٢) أحمر
أسود

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف**».

فهذا المنافق الذي وعد اللّه وعاهده، لئن أعطاه اللّه من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف.

فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن، وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف. ولهذا توعد من صدر منهم هذا الصنيع، بقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها اللّه تعالى.

❁ ❁ ❁

س: نقض العهود والمواثيق بسبب قسوة في القلب ونفاقًا في القلب، وانصرافًا في القلب، وانصرافًا عن الحق، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم).

وقوله تعالى: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ).

وقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً).

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾).

ج: هذا، والله تعالى أعلم توبيخ لأهل النفاق يقول تعالى لهؤلاء الذين أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق وبعد أن أغناهم الله من فضله بخلوا به وقولوا

(٧٢٣) أحمر
أسود

وهم معرضون، يقول تعالى: ألم يعلم هؤلاء أن الله ﷻ يعلم ما يسرونه في أنفسهم، وما يتناجون به فيما بينهم، وألم يعلموا أن الله ﷻ يعلم كل غائبة في السموات والأرض، ويعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرًّا، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرًا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾، الذي يسرُّونه في أنفسهم، من الكفر به وبرسوله، ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾، يقول: ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾، إذا تناجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله، وذكرِهم بغير ما ينبغي أن يُذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلَّها بهم، وسطوته أن يوقعها بهم، على كفرهم بالله وبرسوله، وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسّهم، مما أكنّته نفوسهم، فلم يظهرْ على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه، وإظهار خلاف ما يعتقدونه؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ يخبرهم تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، فإنه أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علام الغيوب، أي: يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن.

❁ ❁ ❁

(٧٢٤) أحمر
أسود

س: هل صح لهذه الآية الكريمة ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم (١)، من حديث أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ الْآيَةَ.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ معطوف على من؟

ج: معطوف على قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ والمعنى أن أهل النفاق يسخرون من الصنفين يسخرون من المتطوعين، ويسخرون من المتصدقين بالقليل الذي في وسعهم، وهم المعنيون بقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾.

ج: هذا، والله تعالى أعلم، مزيدُ بيان لأحوال أهل النفاق وأوصافهم، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ) أي يطعنون ويعيبون في (ٱلۡمُطَّوِّعِينَ) المتطوعين بالصدقات من المؤمنين، أي أن من صفات أهل النفاق أنهم لا

(١) البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٧٢٥) أحمر
أسود

يسلم منهم ولا من ألسنتهم ولا من طعنهم أحدٌ من المسلمين فإذا تصدق مؤمن بمبلغ كبير قالوا: ما تصدق إلا مراءاةً وسمعة، وإذا كان أحد المؤمنين فقيرًا، قالوا: إن الله غني عن صدقته.

فقوله: (وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ) أي ويطعنون في الذين لا يجدون إلا القليل فيتصدقوا به أي أن أهل النفاق يطعنون فيمن تصدَّق باقليل، فيسخرون من المتصدقين بمالٍ قليل ويقولون: ليته ما تصدق، إن الله غني عن درهمه ودينارِه، ما يجدي الدرهم والدينار الذي تصدق به فيسخرون من المتصدق بالقليل لفقره، فكان جزاءًا لهم أن يسخر الله منهم كما سخروا من عباده، وأن يُعدَّ لهم أليم العذاب يوم القيامة، وهو العذاب بالنار، ذلكم العذاب المؤلم الموجع والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوّعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: «إنما تصدقوا به رياءً وسُمْعة، ولم يريدوا وجه الله» ، ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدَّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصونهم ويقولون: «لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًّا!» سخريةً منهم بهم، ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يقول: ولهم من عند الله يوم القيامة عذابٌ موجع مؤلم.

وذكر أن المعنيّ بقوله: ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي الأنصاري ، وأن المعنيّ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾، أبو عقيل الأراشيّ، أخو بني أنيف.

(٧٢٦) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾، فإن معناه: المتطوعين، أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاء مشددة، كما قيل: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة: ١٥٨]، يعني: يتطوّع.

وأما «الجهد»، فإن للعرب فيه لغتين. يقال: «أعطاني من جُهْده»، بضم الجيم، وذلك فيما ذكر، لغة أهل الحجاز ، ومن «جَهْدِه» بفتح الجيم، وذلك لغة نجد.

وعلى الضم قراءة الأمصار، وذلك هو الاختيار عندنا، لإجماع الحجة من القرأة عليه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه أيضا من صفات المنافقين: لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا.

وأورد أثر ابن مسعود المتقدم في سبب النزول:

وكذا أورد من وجوه متعددة أن عبد الرحمن بن عوف أتى إلى رسول الله ﷺ بمبلغ كبير من ذهب إلى رسول الله ﷺ فلمزه أهل النفاق، وكأنها تثبت بمجموعها إلى عبد الرحمن بن عوف (أي أنه المتصدق بالكثير)

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر بهم، انتصارا للمؤمنين في الدنيا، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابا أليما [لأن الجزاء من جنس العمل].

(٧٢٧) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والجهد: شيء قليل يعيش به المقل. والجُهد والجَهد بمعنى واحد. وقد تقدم. و ﴿يَلۡمِزُونَ﴾ يعيبون. وقد تقدم. و ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ أصله المتطوعين أدغمت التاء في الطاء؛ وهم الذين يفعلون الشيء تبرعا من غير أن يجب عليهم. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض عطف على ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ولا يجوز أن يكون عطفا على الاسم قبل تمامه. ﴿فَيَسۡخَرُونَ﴾ عطف على ﴿يَلۡمِزُونَ﴾. ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ خبر الابتداء، وهو دعاء عليهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا -قبحهم اللّه- لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حثَّ اللّه ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن اللّه غني عن صدقة هذا، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ﴾ أي: يعيبون ويطعنون ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فيقولون: مراءون، قصدهم الفخر والرياء.

﴿ و ﴾ يلمزون ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: اللّه غني عن صدقاتهم ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾.

فقابلهم الله على صنيعهم بأن ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، واللّه يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(٧٢٨) أحمر
أسود

[النور: ١٩].

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر باللّه تعالى وبغض للدين.

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع اللّه وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي[هو] إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: «اللّه غني عن صدقة هذا» كلام مقصوده باطل، فإن اللّه غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فاللّه -وإن كان غنيا عنهم- فهم فقراء إليه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ [الزلزلة: ٧] وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر اللّه منهم، ولهم عذاب أليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٨٠﴾.

ج: هذا، والله تعالى أعلم، بيان لأمرٍ من الأمور، وهو أن الاستغفار لأهل النفاق لن يجدي ولن ينفع بشيء ما داموا مصرين على نفاقهم ما دامت قلوبهم منعقدة على الكفر بالله ورسوله والسخرية من أولياء الله ومن المتصدقين

(٧٢٩) أحمر
أسود

المحسنين، فيقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ أي فإن ذلك لن يجدي ولن ينفع، و﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ للدلالة على أن المبالغة أيضًا في الاستغفار لن تجدي ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي عدم الغفران لهم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ﴾ لأنهم جحدوا وحدانية الله ﷻ وكذبوا رسوله ولم يؤمنوا به، والله لا يوفق لطاعته ولا للإيمان به أهل الفسق أهل الخروج عن الطاعة والخروج عن الاستقامة والإيمان.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد ما أخرجه البخاري (١) في صحيحه من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ**». فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادع الله لهؤلاء المنافقين، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها.

وهذا كلام خرج مخرج الأمر، وتأويله الخبر، ومعناه: إن استغفرت لهم، يا محمد، أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم.

---

(١) البخاري (٤٦٧١).

(٧٣٠) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، يقول: إن تسأل لهم أن تُسْتر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم، ولن يعفو لهم عنها، ولكنه يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، يقول جل ثناؤه: هذا الفعل من الله بهم، وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، يقول: والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله، من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به وبرسوله.

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه حين نزلت هذه الآية قال: «**لأزيدنّ في الاستغفار لهم على سبعين مرة**»، رجاءً منه أن يغفر الله لهم، فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٦].

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من الأحاديث والآثار في هذا العدد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم.

وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين لعل الله يغفر لهم فنزل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المانفقون: ٦] قاله أبو صالح عن ابن عباس

(٧٣١) أحمر
أسود

وظاهر قوله: استغفر لهم الأمر وليس كذلك إنما المعنى إن استغفرت وإن لم تستغفر لا يغفر لهم فهو كقوله: ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ وقد سبق شرح هذا المعنى هناك هذا قول المحققين وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على السبعين رجي لهم الغفران ثم نسخت بقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر بأنهم كفروا.

فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام ولا يجوز أن يقال علم كفرهم ثم استغفر.

فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟

فالجواب: أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة وفي العشرات من سبعين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها.

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ثم ذكر السبب المانع لمغفرة اللّه لهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: الذين صار الفسق لهم وصفا، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلا يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم اللّه تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

(٧٣٢) أحمر
أسود

أحدهما: أن المراد مخالفةً لأمر رسول الله ﷺ وهذا رأي كثيرين في هذا المقام.

الثاني: خلف رسول الله أي بعد خروج رسول الله ﷺ.

قال ابن الجوزي في زاد المسير.

وفي قوله ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه بعد رسول الله ﷺ قاله أبو عبيدة.

والثاني: أن معناه مخالفة رسول الله ﷺ وهو منصوب لأنه مفعول له فالمعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ قاله الزجاج وقرأ ابن مسعود وابن يعمر والأعمش وابن أبي عبلة خلف رسول الله ومعناها أنهم تأخروا عن الجهاد.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿خِلَٰفَ ﴾، مصدر من قول القائل: «خالف فلان فلانًا فهو يخالفه خِلافًا»، فلذلك جاء مصدره على تقدير «فِعال»، كما يقال: «قاتله فهو يقاتله قتالا»، ولو كان مصدرًا من «خَلَفه» لكانت القراءة: «بمقعدهم خَلْفَ رسول الله»، لأن مصدر: «خلفه»، «خلفٌ» لا «خِلاف»، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر: «خالف»، فقرئ: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾، وهي القراءة التي عليها قرأة الأمصار، وهي الصواب عندنا.

وقد تأول بعضهم ذلك بمعنى: «بعد رسول الله ﷺ»، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلافَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا

قلت (مصطفى): وانظر كلام الطبري الآتي في تفسير الآية إجمالًا إن

(٧٣٣) أحمر
أسود

شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فرح المخلفون عن الغزو مع رسول الله ﷺ بجلوسهم في المدينة بعد سفر رسول الله ﷺ، وفرحوا بمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ وتخلفهم عنه، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم فينفقونها لنصرة دين الله، وكذا كرهوا أن يجاهدوا بأنفسهم لنصرة دين الله ولإعلاء كلمته، بل وسعوا في صد الناس عن الخير وعن الجهاد والخروج مع رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ أي لا تخرجوا مع رسول الله ﷺ فالجو حار، والحرارة شديدة فقل لهؤلاء يا رسول الله وأبلغهم أن نار جهنم أشدُّ حرًا مما يذكرونه من حر الدنيا.

قل لهم: إن نار جهنم التي ستدخلونها بخلافكم أمر رسول الله ﷺ أشد حرًّا من نار الدنيا لو كنتم تفقهون وتعقلون.

ثم توبيخ لهم وتهديد بعد التوبيخ فليضحكوا مستهزئين كما هو شأنهم، فليضحكوا في الدنيا ساخرين مستهزئين فسيبكون بكاء لا ينقطع في النار، والعياذ بالله، وذلك جزاء صنيعهم السيء الذي صنعوه في الحياة الدنيا من الكفر والإجرام والسخرية والاستهزاء والصد عن سبيل الله.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فرح الذين خلَّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به

(٧٣٤) أحمر
أسود

وجهاد أعدائه، ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، يقول: بجلوسهم في منازلهم ﴿خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده. وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالنَّفْر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمْرَه وجلسوا في منازلهم.

وقوله: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول تعالى ذكره: وكره هؤلاء المخلفون أن يغزُوا الكفار بأموالهم وأنفسهم، ﴿في سبيل الله﴾، يعني: في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه، ميلا إلى الدعة والخفض، وإيثارًا للراحة على التعب والمشقة، وشحًّا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾، وذلك أن النبي ﷺ استنفرهم إلى هذه الغزوة، وهي غزوة تبوك، في حرّ شديدٍ، فقال المنافقون بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمد، ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾، التي أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله، ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾، من هذا الحرّ الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه. يقول: الذي هو أشد حرًا، أحرى أن يُحذر ويُتَّقى من الذي هو أقلهما أذًى، ﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾، يقول: لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظَه، ويتدبَّرون آي كتابه، ولكنهم لا يفقهون عن الله، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروهًا وأخفَّه أذًى، ويواقعون أشدَّه مكروهًا وأعظمه على من يصلاه بلاءً.

وقال الطبري:

يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولَهْوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلا في جهنم مكانَ ضحكهم القليل في الدنيا، ﴿جَزَآءَۢ﴾، يقول: ثوابًا منا لهم على معصيتهم، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم، وقعودهم في منازلهم خلافَ رسول الله، ﴿بِمَا كَانُواْ

(٧٣٥) أحمر
أسود

يَكْسِبُونَ ﴾، يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي رزين: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾، قال يقول الله تبارك وتعالى: الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع. فذلك الكثير.

وبإسناد صحيح عن الربيع بن خثيم: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾، قال: في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾، قال: في الآخرة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذَامّا للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بمقعدهم بعد خروجه، ﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ ﴾ معه ﴿ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ ؛ وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، فلهذا قالوا: ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ قال الله تعالى لرسوله: ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرا من النار، كما قال الإمام مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**نار بني آدم التي يوقدون بها جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم**» فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: «**إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا** أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك، به (١).

وقال الإمام أحمد (٢): حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد**» وهذا أيضا

(١) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، ومالك (٢/ ٩٩٤ الموطأ).
(٢) أحمد (٢/ ٢٤٤).

(٧٣٦) أحمر
أسود

إسناده صحيح

وأورد بعض الأحاديث والآثار في هذا الصدد ومنها حديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حرارة نعليه**»(١).

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ أي: لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر، ليتقوا به حَرَّ جهنم، الذي هو أضعاف أضعاف هذا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم. قعد قعودا ومقعدا؛ أي جلس. وأقعده غيره؛ عن الجوهري. والمخلف المتروك؛ أي خلفهم الله وثبطهم، أو خلفهم رسول الله والمؤمنون لما علموا تثاقلهم عن الجهاد؛ قولان، وكان هذا في غزوة تبوك. ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مفعول من أجله، وإن شئت كان مصدرا. والخلاف المخالفة. ومن قرأ ﴿خَلْفَ رَسُولِ اللهِ﴾ أراد التأخر عن الجهاد. ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ أي قال بعضهم لبعض ذلك. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ قل لهم يا محمد نار جهنم. ﴿أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ ابتداء

---

(١) مسلم (٢١٣).

(٧٣٧) أحمر
أسود

وخبر. ﴿حَرًّا﴾نصب على البيان ؛ أي من ترك أمر الله تعرض لتلك النار.

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾ أمر، معناه معنى التهديد وليس أمرا والأصل أن تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها. قال الحسن: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ في جهنم. وقيل: هو أمر بمعنى الخبر. أي إنهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا.﴿جَزَآءًۢ﴾مفعول من أجله ؛ أي للجزاء.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض قاله ابن اسحاق ومقاتل.

والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين ذكره الماوردي وإنما قالوا هذا لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ لمن خالف أمر الله.

وقوله: ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ معناه يعلمون. قال ابن فارس: الفقه العلم بالشيء. تقول فقهت الحديث أفقهه؛ وكل علم بشيء: فقه. ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفقه: فهم الشيء. وبعضهم يختار أن يقال علم الشيء.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه: التهديد.

وفي قلة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل وضحكهم فيه أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

(٧٣٨) أحمر
أسود

والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا وبقاؤها قليل ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ في الآخرة.

قال السعدي في تفسيره:

يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل اللّه وإحسانه وبره وامتنانه.

﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: المنافقون ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.

قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيرا في عذاب أليم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم.

❁ ❁ ❁

(٧٣٩) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة هذا الحديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»؟

ج: هذا الحديث ثابت صحيح أخرجه البخاري ومسلم[(١)] في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن ردَّك الله سالمًا يا رسول الله من غزوتك هذه، ومن سفرك هذا فاستئذنوك للجهاد معك حيث يغنمون غنيمة سهلةً قريبةً، فقل لهؤلاء الذين تخلفوا عنك في المدينة وتركوا الخروج معك في الغزوة البعيدة وأرادوا الخروج للغنائم القريبة وليس لوجه الله، فقل لهم: لن تخرجوا معي أبدًا في أي غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدوًا إنكم رضيتم بالقعود والتخلف عني أول مرة حينما دعوتكم للخروج معي إلى تبوك فقلتم إن الجو حار شديد الحرارة، فالآن اقعدوا مع الخالفين من أهل النفاق.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فإن ردّك الله، يا محمد، إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه، ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾، معك في أخرى غيرها، ﴿فَقُل﴾ لهم، ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ

(١) البخاري (٦٦٣١)، ومسلم (٩٠١).

(٧٤٠) أحمر
أسود

مَرَّةٍ﴾، وذلك عند خروج النبي ﷺ إلى تبوك، ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾، يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله ﷺ، لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله، فإن الله قد سخط عليكم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: ردك الله من غَزْوَتك هذه ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ أي: معك إلى غزوة أخرى، ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ أي: تعزيرا لهم وعقوبة. ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] فإن من جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، كما قال في عُمرة الحديبية: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ قال ابن عباس: أي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة. وقال قتادة: ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أي: مع النساء.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي ردك من غزوة تبوك إلى المدينة ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾ من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر وإنما قال ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾ لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقا ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى الغزو ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ إلى غزاة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك وذكر الماوردي في قوله ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قولين:

(٧٤١) أحمر
أسود

أحدهما: أول مرة دعيتم. والثاني: قبل استئذانكم.

فأما الخالفون فقال أبو عبيدة: الخالف الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله وهو الذي يتخلف عن القوم.

وفي المراد بالخالفين قولان:

أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعذار قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم النساء والصبيان قاله الحسن وقتادة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾.

عاقب الله في هذه الآية الكريمة: المتخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يؤذن لهم في الخروج مع نبيه، ولا القتال معه ﷺ لأن شؤم المخالفة يؤدي إلى فوات الخير الكثير.

وقد جاء مثل هذا في آيات أخر كقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ [الفتح: ١٥] إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥].

وقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] الآية إلى غير ذلك من الآيات. والخالف هو الذي يتخلف عن الرجال في الغزو فيبقى مع النساء والصبيان

وقال السعدي في تفسيره:

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم ﴿ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ لغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة. ﴿ فَقُل ﴾ لهم عقوبة ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ فسيغني

(٧٤٢) أحمر
أسود

اللّه عنكم.

﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ وهذا كما قال تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] فإن المتثاقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضا تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾).

ج: أما سبب نزولها فهو ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث (١) ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**» قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل آية: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾.

وأخرج البخاري من حديث حَدَّثَنِي ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ،

(١) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٧٧٤).

(٧٤٣) أحمر
أسود

وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

ج: هذا نهي من الله ﷻ لرسوله ﷺ والمؤمنون لرسولهم تبع، نهيٌ ألا يصلي على أحد من أهل النفاق ولا يقم على قبره داعيًا له مستغفرًا له، فلا استغفار ولا دعاء لهؤلاء المنافقين، ذلك لأنهم كفروا بالله، جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسول الله ﷺ وأنكروا أن يكون رسولًا من عند الله واستمر بهم هذا الحال حتى ماتوا على كفرهم وضلالهم وفسقهم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصلِّ، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدًا، ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، يقول: ولا تتولَّ دفنه وتقبيره.

من قول القائل: «قام فلان بأمر فلان»، إذا كفاه أمرَه.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يقول: إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله، وماتوا

(١) البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٧٤٤) أحمر
أسود

وهم خارجون من الإسلام، مفارقون أمرَ الله ونهيه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ من المنافقين ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم لا تنفع فيهم الشفاعة.

﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى عليه.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز للمسلم أن يشيع جنازة مشرك؟

ج: لا أعلم مانعًا من ذلك، لكن لا يصلي عليه، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ أما تشييع جنازته فلا مانع منه، وقد ذهب إلى جواز ذلك كثيرٌ من أهل العلم، فقد ورد من طرق عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (تحسن بمجموعها) أنه قال لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عمك الضال قد مات فقال لي: «**اذهب فواره**»[(١)].

آخر من طريق الأجلح عن الشعبي بنحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة أيضًا بسندٍ صحيح إلى ضرار بن مرة عن سعيد بن جبير قال: مات رجل نصراني وله ابنٌ مسلم فلم يتبعه، فقال ابن عباس: كان ينبغي له أن يتبعه ويدفنه ويستغفر له في حياته[(٢)].

(١) ابن أبي شيبة في المصنف (١١٩٦٢)، وله شاهد.
(٢) المصنف (١١٩٦٩).

(٧٤٥) أحمر
أسود

وأخرج ابن أبي شيبة أيضًا من وجهين عن الشعبي فيهما مقال، لكن يُحسنان بالمجموع قال: ماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية فشهدها أصحاب محمد ﷺ[(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة بسندٍ فيه مقال يسير عن ابن عمر، وقد سئل عن الرجل المسلم يتبع أمه النصرانية تموت، قال: يتبعها ويمشي أمامها[(٢)].

وقال ابن المنذر في الأوسط[(٣)]: واختلفوا في غسل الكافر ودفنه فكان مالك يقول: لا يغسل المسلم والده إذا مات كافرًا، ولا يتبعه ولا يدخل في قبره إلا أن يخشى أن يضيع فيواريه، وكان الشافعي يقول: لا بأس أن يغسل المسلم ذا قرابته من المشركين ويتبعه ويدفنه، وبه قال أبو ثور وأصحاب الرأي..

قلت (مصطفى): أما الغسل فلا أعلم له دليلًا، ومن ثم فقد تُعقب هذا القول، قال ابن المنذر: قال أبو بكر: ليس في غسل من خالف الإسلام سنة يجب اتباعها، والحديث الذي احتج به الشافعي منقطع لا تقوم به حجة.

قلت (مصطفى): وقد ورد في السير في جنازة النصراني حديث لكن ضعيف الإسناد، فيه جاء ثابت بن قيس ابن شماس إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي توفيت وهي نصرانية وهو يحب أن يحضرها فقال النبي ﷺ: «**اركب دابتك وسر أمامها فإنك كنت أمامها لم تكن معها**».

أبو معشر ضعيف[(٤)] (وهو أحد رجال الإسناد).

---

(١) المصنف (١١٩٦٤).

(٢) المصنف (١١٩٦٨).

(٣) ابن المنذر في الأوسط (٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٤) سنن الدارقطني (٢/ ٧٥).

(٧٤٦) أحمر
أسود

هذا وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

(٧٤٧) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ
أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ
رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾
لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ
مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾)

[التوبة: ٨٥-٩٠]

(٧٤٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ - أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ - ذَرۡنَا - ٱلۡخَوَالِفِ - وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ - ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ - ٱلۡمُعَذِّرُونَ - كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ﴾	تخرج أرواحهم من أجسادهم
﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾	الأغنياء أصحاب الأموال
﴿ذَرۡنَا﴾	اتركنا
﴿ٱلۡخَوَالِفِ﴾	النساء – خساس (جمع خسيس) الناس وأدنياؤهم
﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾	ختم على قلوبهم
﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾	النساء الحسان – نعيم الآخرة عمومًا، وقيل: كل خير في الدنيا والآخرة
﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾	المعتذرون المبالغون في الاعتذارات (سواء كانت مقبولة أو غير مقبولة) وقيل: المعذرون الذين لهم أعذار مقبولة
﴿كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾	جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأنكروا رسالته

❁ ❁ ❁

(٧٤٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولا تغتر يا رسول الله بأموال هؤلاء المنافقين، ولا تعجب بأولادهم وحسنهم وجمالهم، فكل ذلك وبالٌ عليهم فكم من شخصٍ رُزق مالًا، وماله عذابٌ عليهم وكم من شخصٍ رُزق أولادًا، وأولاده نكال عليه، فربنا يريد أن يعذبهم بهذه الأموال في الحياة الدنيا، ففي جمعها عذاب وفي إنفاقهم لها عذاب، وفي حفظهم لها عذاب، وأولادهم لهم فتنة وسبب لعذابهم ويريد الله أن يعذبهم بالأموال والأولاد ويتمادى بهم ذلك إلى الموت عل الكفر فتخرج أرواحهم من أجسادهم وهم كفار.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجبك، يا محمد، أموالُ هؤلاء المنافقين وأولادهم، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره، من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات،، ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾، يقول: وليموت فتخرج نفسه من جسده، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالا عليه حينئذٍ، ووبالا عليه في الآخرة، بموته جاحدًا توحيدَ الله، ونبوةَ نبيه محمد ﷺ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا تغتر بما أعطاهم اللّه في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾

(٧٥٠) أحمر
أسود

فيتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهنئون بها.

بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن اللّه والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفئدتهم عليها متحرقة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أنه إذا أُنزلت عليك يا رسول الله سورة من كتاب الله فيها أمرٌ بمزيد من الإيمان، وفيها أمر بالجهاد مع رسول الله ﷺ استأذنك من لا عذر لهم في التخلف من هؤلاء المنافقين الأغنياء، وقالوا: اتركنا نكن مع القاعدين في المدينة، رضوا على أنفسهم بأن يكونوا مع النساء، وكذا مع خساس الناس وأدنيائهم وخُتم على قلوبهم فلا يصل إليها إيمان، ولا يفهمون عن الله المراد، ولا يفهمون ما ينفعهم ولا يضرهم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك، يا محمد، سورة من القرآن، بأن يقال لهؤلاء المنافقين: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾، يقول: صدِّقوا بالله، ﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾، يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله ﷺ، ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، يقول: استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك، والقعود في أهله، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا﴾، يقول: وقالوا لك: دعنا، نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم، ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر.

(٧٥١) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون ، الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ، أن يكونوا في منازلهم، كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهنّ وبيوتهنّ، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾، يقول: وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، عن الله مواعظه، فيتعظون بها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا وذامًا للمتخلفين عن الجهاد، الناكلين عنه مع القدرة عليه، ووجود السعة والطَّوْل، واستأذنوا الرسول في القعود، وقالوا: ﴿ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء، وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أَمْنٌ كانوا أكثر الناس كلامًا، كما قال [الله] تعالى، عنهم في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء، وكما قال الشاعر:

أفي السّلم أعيارًا جفاءً وَغلْظَةً وَفي الحَرْب أشباهُ النّسَاءِ العَوارِكِ

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

[محمد: ٢٠-٢١]

(٧٥٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله، ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرةٌ لهم فيجتنبوه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ يؤمرون فيها بالإيمان باللّه والجهاد في سبيل اللّه.

﴿ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم اللّه بأموال وبنين، أفلا يشكرون اللّه ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود

﴿ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾.

قال تعالى ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال. يقول تعالى: إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فاللّه سيغني عنهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾).

(٧٥٣) أحمر
أسود

ج: بعد أن بين الله ﷻ أحوال أهل النفاق وأعمالهم وبعض ما حل بهم بيَّن ﷻ صفات أهل الفضل والإيمان وأعمالهم فقال تعالى: لكن الرسول ﷺ والذين آمنوا معه، ليسوا كأهل النفاق المتخلفين عن اغلجهاد، بل إنهم جاهدوا بأموالهم، بذلوها مرضاة لله ولإعلاء كلمته، وكذا جاهدوا بأنفسهم فرضوا بالقتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فهؤلاء لهم الخيرات في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالمغانم وطمأنينة النفس والقلب والإيمان والرضا، وفي الآخرة بصنوف النعيم فيها من النساء الحسان وما تشتهيه الأنفس من الطعام والشراب، وما به تلذ الأعين، وأولئك هم المفلحون الذين فازوا بمطلوبهم، وهو الجنة ورضوان الله عليهم ونجوا من مرهوبهم، وهو النار وسخط الله عليهم، هؤلاء أعدَّ الله لهم حدائق وبساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار خالدين فيها لا يتحولون عنها، وذلك هو الفوز، الظفر العظيم أعظم الظفر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين، لكن الرسول محمد ﷺ والذين صدقوا الله ورسوله معه، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم واتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، يقول: وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، ﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾، وهي خيرات الآخرة، وذلك: نساؤها، وجناتها، ونعيمها.

واحدتها «خَيْرَة»، كما قال الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ ... رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلِكاتِ

(٧٥٤) أحمر
أسود

و«الخيرة»، من كل شيء، الفاضلة.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، يقول: وأولئك هم المخلدون في الجنات، الباقون فيها، الفائزون بها.

وقال في تأويل قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أعد الله لرسوله محمد ﷺ وللذين آمنوا معه، ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وهي البساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، يقول: لابثين فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، يقول: ذلك النجاء العظيم، والحظّ الجزيل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ذم المنافقين، بيَّن ثناء المؤمنين، وما لهم في آخرتهم، فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟﴾ إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم.

وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ أي: في الدار الآخرة، في جنات الفردوس والدرجات العلى.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء. قاله أبو عبيدة. والثاني: الجواري الفاضلات. قاله المبرد. والثالث: غنائم الدنيا ومنافع الجهاد ذكره الماوردي.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وللّه عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ غير

(٧٥٥) أحمر
أسود

متثاقلين ولا كسلين، بل هم فرحون مستبشرون، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ ﴾ الكثيرة في الدنيا والآخرة، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب.

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ فتبا لمن لم يرغب بما رغبوا فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا نظير قوله تعالى ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٧] وقوله: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ [الأنعام: ٨٩].

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: (ٱلۡمُعَذِّرُونَ) قراءتان ذكرهما العلماء، وضحهما، مع إيضاح معانيهما.

ج: القراءة الأولى هي: ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ بفتح العين وتشديد الذال مع كسرها.

والقراءة الثانية: (المُعْذَرون) بتسكين العين وفتح الذال بلا تشديد.

والقراءة الأولى: وهي التي في المصحف عليها أكثر أهل العلم، وهي تحتمل معنيين.

أحدهما: الذين لهم عذر صحيح مقبول.

الثاني: الكاذب في اعتذاره.

أما القراءة الثانية بالتخفيف فالمراد بها أهل العذر، الذين أتوا بأعذارٍ صحيحه.

قال ابن كثير: وهذا القول (يعني بالتخفيف) هو الأظهر في معنى الآية لأن الله قال بعد هذا (وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ).

(٧٥٦) أحمر
أسود

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

والمعذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح؛ فبان من هذا الكلام أن لهم عذرا على قراءة من خفف وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد فيه قولان:

قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذن لهم في التخلف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ﷺ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جرأة على الله تعالى.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن أورد أقوالًا: وبعدُ، فإن الذي عليه من القراءة قرأة الأمصار، التشديد في «الذال»، أعني من قوله: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾، ففي ذلك دليلٌ على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار، لأن القوم الذين وُصفوا بذلك لم يكلفوا أمرًا عَذَّرُوا فيه، وانما كانوا فرقتين: إما مجتهد طائع، وإما منافق فاسقٌ، لأمر الله مخالف. فليس في الفريقين موصوفٌ بالتعذير في الشخوص مع رسول الله ﷺ، وإنما هو معذّر مبالغٌ، أو معتَذِر.

فإذا كان ذلك كذلك، وكانت الحجة من القرأة مجمعة على تشديد «الذال» من « المعذرين »، عُلم أن معناه ما وصفناه من التأويل.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وجاء المعتذرون من الأعراب يقدمون اعتذاراتهم عن التخلف ويبينوا سبب ذلك سواء كان اعتذارهم بحقٍ أو بباطل، أما الذين كذبوا الله ورسوله فجحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ﷺ فقعدوا في بيوتهم لم يأتوا لاعتذارٍ ولم يُبالوا به، ثم توعدهم الله بأليم العذاب فقال سيصيب الذين كفروا منهم (من هؤلاء القاعدين) عذاب أليم.

(٧٥٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَآءَ﴾، رسولَ الله ﷺ، ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾، في التخلف، ﴿وَقَعَدَ﴾، عن المجيء إلى رسول الله ﷺ والجهاد معه، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وقالوا الكذب، واعتذرُوا بالباطل منهم.

يقول تعالى ذكره: سيُصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد ﷺ منهم، عذابٌ أليم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بَيَّن تعالى حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد، الذين جاءوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، ويبينون له ما هم فيه من الضعف، وعدم القدرة على الخروج، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ أي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف.

وأما الذين كذبوا اللّه ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله ﷺ ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة.

لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله:

(٧٥٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا
يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾
يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ
نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ
عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ
لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ
﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ

(٧٥٩) أحمر
أسود

ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ [التوبة: ٩١-٩٩].

(٧٦٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حَرَجٌ - لِتَحْمِلَهُمْ - لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ - تَوَلَّوا - ٱلْخَوَالِفِ - لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ - عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ - رِجْسٌ - وَمَأْوَىٰهُمْ - مَغْرَمًا - وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ - دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ - قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حَرَجٌ﴾	إثم
﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾	لتعطيهم شيئًا يركبونه كي يخرجوا معك للغزو في سبيل الله
﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾	لا أجد رواحل (إبل – خيل) تركبونها للخروج للغزو
﴿تَوَلَّوا﴾	انصروا عنك
﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾	النساء
﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾	لن نصدقكم في دعواكم الإيمان وفي اعتذاراتكم
﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	عالم ما غاب من الأمور وما ظهر عالم بالظواهر والبواطن
﴿رِجْسٌ﴾	نجس في اعتقادهم ونواياهم، فمعتقدهم خبيث ونواياهم خبيثة، وكذا في أعمالهم فأعمالهم سيئة مُشينة

(٧٦١) أحمر
أسود

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾	مصيرهم الذي يصيرون إليه ومستقرهم الذي يستقرون فيه
﴿مَغْرَمًا﴾	غرامات تؤدي (لا يرجوا ثوابها)
﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ﴾	ينتظر حلول المصائب بكم
﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾	عليهم دائرة الشر والهزيمة والعذاب والبلاء، وهذا دعاء عليهم وإخبار بمآلهم
﴿قُرُبَٰتٍ لَّهُمْ﴾	شيئًا يتقربون به إلى الله وعملًا صالحًا يقربهم فيه ﷻ

❁ ❁ ❁

(٧٦٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ...).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وليس هناك إثمٌ على أصحابك الفقراء الذين جاءوك طالبين منك أن تعطيهم دابةً تحملهم يركبونها للخروج إلى الجهاد، كفرسٍ أو جمل أو غير ذلك، فلم تجد لهم دابة تحملهم، فحزنوا لذلك حزنًا شديدًا من قلوبهم، وانذرف الدمع من عيونهم، فانصرفوا عنك وهم يبكون حزنًا لفقرهم الذي كان سببًا في صدهم عن الغزو معك وقد ورد في هذا الباب حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الإيمان.

❁ ❁ ❁

س: فيمن نزل قوله تعالى: (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ..)؟

ج: أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا، دخلنا على عرباض بن سارية، وهو الذي أُنزل فيه (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ).

❁ ❁ ❁

بعض أصحاب الأعذار

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾).

ج: هذه، والله أعلم، تبين أصحاب الأعذار الذين تُقبل أعذارهم في التخلف عن الجهاد والخروج مع رسول الله ﷺ وترفع عنهم الحرج، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ الذين ليست لهم قدرة على السفر والجهاد

(٧٦٣) أحمر
أسود

لضعف أبدانهم، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الذين حل بهم مرضٌ يحول بينهم وبين خروجهم للغزو، وكذا ليس على الفقراء الذين ليست عندهم نفقة للتجهز للغزو ولا للأسفار، ليس على هؤلاء إثم إذا تخلفوا، وذلك إذا قدموا النصح لله ورسوله، ولم يغشوا ولم يكتموا نصيحة تنفع، فهؤلاء المحسنون الذين قدموا النصح ليس هناك طريق لعقوبتهم ولا سبب لإنزال عقوبة بهم فالطرق إلى ذلك مسدودة.

وكذا ليس هاك إثم على الذين جاءوك يسألونك دابة تحملهم للغزو والجهاد والسفر فلم يجدوا عندك، وقلت لهم ليس عندي من الدواب ما أحملكم عليه لسفركم للغزو والجهاد فانصرفوا من عندك، باكين أعينهم تذرف دموعًا حزنًا منهم على فقرهم، لكونهم لم يجدوا ما يتجهزون به للغزو في سبيل الله وصحبة رسول الله ﷺ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو، ولا على المرضى، ولا على من لا يجد نفقة يتبلَّغ بها إلى مغزاه، ﴿حَرَجٌ﴾، وهو الإثم، يقول: ليس عليهم إثم، إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾، يقول: ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلّفه عن رسول الله ﷺ عن الجهاد معه، لعذر يعذر به، طريقٌ يتطرَّق عليه فيعاقب من قبله، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يقول: والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمدها بعفوه لهم عنها، ﴿رَّحِيمٌ﴾، بهم، أن يعاقبهم عليها.

وقال في تأويل قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ

(٧٦٤) أحمر
أسود

أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: ولا سبيل أيضًا على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداءِ الله معك، يا محمد، قلت لهم: لا أجد حَمُولةً أحملكم عليها، ﴿تَوَلَّوا۟﴾، يقول: أدبروا عنك،، ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾، وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون، ويتحمَّلون به للجهادِ في سبيل الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى الأعذار التي لا حَرَج على من قعد فيها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمى والعَرَج ونحوهما، ولهذا بدأ به. ما هو عارض بسبب مرض عَنَّ له في بدنه، شغله عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهز للحرب، فليس على هؤلاء حَرَج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يُثَبِّطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا؛ ولهذا قال: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية. أصل في سقوط التكليف عن العاجز ؛ فكل من عجز عن شيء سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال ؛ ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. وروى أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه**». قالوا: يا

(٧٦٥) أحمر
أسود

رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال: «حبسهم العذر». فبينت هذه الآية مع ما ذكرنا من نظائرها أنه لا حرج على المعذورين، وهم قوم عرف عذرهم كأرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون ؛ فقال: ليس على هؤلاء حرج. ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إذا عرفوا الحق وأحبوا أولياءه وأبغضوا أعداءه قال العلماء: فعذر الحق سبحانه أصحاب الأعذار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُواْ﴾ النصح إخلاص العمل من الغش. ومنه التوبة النصوح. قال نفطويه: نصح الشيء إذا خلص. ونصح له القول أي أخلصه له. وفي صحيح مسلم عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» ثلاثا. قلنا لمن ؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». قال العلماء: النصيحة لله إخلاص الاعتقاد في الوحدانية، ووصفه بصفات الألوهية، وتنزيهه عن النقائص والرغبة في محابّه والبعد من مساخطه. والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، والتزام طاعته في أمره ونهيه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وتوقيره، ومحبته ومحبة آل بيته، وتعظيمه وتعظيم سنته، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ. وكذا النصح لكتاب الله: قراءته والتفقه فيه، والذب عنه وتعليمه وإكرامه والتخلق به. والنصح لأئمة المسلمين: ترك الخروج عليهم، إرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوه من أمور المسلمين، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم. والنصح للعامة: ترك معاداتهم، وإرشادهم وحب الصالحين منهم، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم. وفي الحديث الصحيح «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم**

(٧٦٦) أحمر
أسود

مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾.

وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ ﴾ أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا للّه ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم -بإحسانهم فيما عليهم من حقوق اللّه وحقوق العباد- أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن -وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ فلم يصادفوا عندك شيئا ﴿قُلْتَ ﴾ لهم معتذرا: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

(٧٦٧) أحمر
أسود

يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره اللّه عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.

❁ ❁ ❁

س: هل من حديث يُواس به من أراد خيرًا وحيل بينه وبين فعل الخير هذا؟

ج: نعم هناك أحاديث، وليست حديثًا واحدًا، من ذلك قول النبي ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمْ الْمَرَضُ**»(١).

وكذا قول النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إنما الطريق للعقوبة، إنما هو على الذين يستأذنونك في التخلف ولا عذر لهم في التخلف فهم أغنياء يستطيعون تجهيز أنفسهم للغزو، وهم أيضًا أقوياء وليسوا بالمرضى ولا بالضعفاء، ولكنهم فقط رضوا بأن يبقوا بالمدينة مع النساء، وختم الله على قلوبهم لخبث نواياهم وسوء معتقدهم، فهم لا يعلمون ما الذي ينفعهم، وما الذي يضرهم.

---

(١) البخاري (٢٨٣٩)، ومسلم (١٩١١).
(٢) مسلم (١٩٠٩).

(٧٦٨) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر، يا محمد، ولكنها على الذين يستأذنونك في التخلف خِلافَك، وترك الجهاد معك، وهم أهل غنى وقوّةٍ وطاقةٍ للجهاد والغزو، نفاقًا وشكًّا في وعد الله ووعيده، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾، يقول: رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء، وهن ﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾، خلف الرجال في البيوت، ويتركوا الغزو معك،، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، يقول: وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب، ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، سوء عاقبتهم، بتخلفهم عنك، وتركهم الجهاد معك، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا، وعظيم البلاء في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء، وأنَّبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال، ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي العقوبة والمأثم. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ والمراد المنافقون. كرر ذكرهم للتأكيد في التحذير من سوء أفعالهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء ﴿ رَضُواْ ﴾ لأنفسهم ومن دينهم ﴿بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ كالنساء والأطفال ونحوهم.

(٧٦٩) أحمر
أسود

﴿ و ﴾ إنما رضوا بهذه الحال لأن اللّه طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ عقوبة لهم، على ما اقترفوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، يعتذر إليك يا رسول الله وإلى المؤمنين، يعتذر أهل النفاق إليكم بالاعتذارات الباطلة وبالأكاذيب إذا رجعتم من غزوتكم إلى مدينتكم، فقل لهم لا تعتذروا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ لن نصدقكم فقد تبين لنا من قبل كذبكم وافتراؤكم وتقوُّلكم، وقد أخبرنا الله ﷻ بما أنزله على رسولنا أخباركم على حقيقتها وسيرى الله عملكم ورسوله، وذلك فيما هو آت من الدنيا، وسيرى صدقكم من كذبكم، وصالح عملكم من سيئه، كما قال في سورة الفتح للمخلفين من الأعراب ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾، وكأن قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ فيه فتح لباب التوبة أمامهم، وكأن المعنى وسيرى الله ﷻ أعمالكم وتوبتكم من عدمها فأحسنوا العمل، وأخلصوا لله في توبتكم فإن عملكم سيظهر في الدنيا ويظهر استجابتكم من عدمه ثم ترجعون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون، ويعلم ما تكن صدوركم وما تعلنون وسيخبركم بأعمالكم التي عملتموها وتصرفاتكم التي تصرفتموها.

(٧٧٠) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعتذر إليكم، أيها المؤمنون بالله، هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله ﷺ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين، بالأباطيل والكذب، إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم ، ﴿قُل﴾، لهم، يا محمد،، ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾، يقول: لن نصدِّقكم على ما تقولون، ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾، يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾، يقول: وسيرى الله ورسوله فيما بعدُ عملكم، أتتوبون من نفاقكم، أم تقيمون عليه؟، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، يقول: ثم ترجعون بعد مماتكم، ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، يعني: الذي يعلم السرَّ والعلانية، الذي لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، فيخبركم بأعمالكم كلها سيِّئها وحسنها، فيجازيكم بها: الحسنَ منها بالحسن، والسيئَ منها بالسيئ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم، ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ أي: لن نصدقكم، ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي: سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويجزيكم عليها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تخلف المنافقين الأغنياء، وأنهم لا عذر لهم، أخبر أنهم سـ ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ من غزاتكم.

(٧٧١) أحمر
أسود

﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ وهو الصادق في قيله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر اللّه عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر اللّه الذي هو أعلى مراتب الصدق.

﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك.

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من خير وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة.

وأعلم أن المسيء المذنب له ثلاث حالات: إما [أن] يقبل قوله وعذره، ظاهرا وباطنا، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه لم يذنب. فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حق المنافقين، أن عذرهم غير مقبول، وأنه قد تقررت أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابلوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر اللّه بها في حق المنافقين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، سيحلف لكم أهلُ النفاق يا أهل الإيمان، سيحلفون لكم إيمانًا مغلظة بالله ﷻ كي ينالوا رضاكم كي تتركونهم ولا

(٧٧٢) أحمر
أسود

تؤنبونهم ولا توبخونهم، سيحلفون لكم عند رجوعكم من أجل ذلك، كي لا تلومونهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أهملوهم، لا تنشغلوا بهم اتركوهم محتقرين لهم مزدرين لهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ خبثاء المعتقد، سيئوا العمل، فلا معتقد صحيح، ولا عمل صحيح، ومصيرهم الذي يصيرون إليه جهنم جزاء أعمالهم السيئة، وكسبهم السيء، إنهم سيستمرون في الأيمان وسيكثرون منها لإرضائكم، فلا ترضوا عنهم، وإن رضتم عنهم يا أهل الإيمان فلن ينفعهم رضاكم عنهم لأن الله علم منهم ما لم تعلموان والله لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة المقيمين عليها.

وكأن قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فيه فتح لباب التوبة، فلم يقل فإن الله لا يرضى عنهم، وذلك حتى لا ييأس يائس من رحمة الله، ولا يقنط منها قانط.

وبنحو الذي ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سيحلف، أيها المؤمنون بالله، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، ﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، يعني: إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، فلا تؤنبوهم، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، يقول جل ثناؤه للمؤمنين: فدعوا تأنيبهم، وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾، يقول: إنهم نجس، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾، يقول: ومصيرهم إلى جهنم، وهي مسكنهم الذي يأوُونه في الآخرة، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، يقول: ثوابًا بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله.

(٧٧٣) أحمر
أسود

وأورد من حديث كعب بن مالك، وهو في الصحيح وسيأتي، أنه (أي كعب ابن مالك) قال لما قال:

لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك، جلس للناس. فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيَتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وصَدَقته حديثي. فقال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطُّ، بعد أن هداني للإسلام، أعظمَ في نفسي من صدْق رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي، شرَّ ما قال لأحد: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾).

يقول تعالى ذكره: يحلف لكم، أيها المؤمنون بالله، هؤلاء المنافقون، اعتذارًا بالباطل والكذب، ﴿لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، يقول: فإن أنتم، أيها المؤمنون، رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم، إذ كنتم لا تعلمون صِدْقهم من كذبهم، فإن رضاكم عنهم غيرُ نافعهم عند الله، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون، ومن خفيّ اعتقادهم ما تجهلون، وأنهم على الكفر بالله..... يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله، ومن الطاعة إلى المعصية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تُؤَنِّبُوهم،

(٧٧٤) أحمر
أسود

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ احتقارا لهم، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: خُبثاء نجس بواطنهم واعتقاداتهم، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ في آخرتهم ﴿جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الآثام والخطايا.

وأخبر أنهم وإن رضوا عنهم بحلفهم لهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله، فإن الفسق هو الخروج، ومنه سميت الفأرة «فُوَيسقة» لخروجها من جُحرها للإفساد، ويقال: «فسقت الرطبة»: إذا خرجت من أكمامها

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم، ﴿ وَ ﴾ تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

وقوله: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ أي: ولهم أيضا هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئا.

﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: فلا ينبغي لكم - أيها المؤمنون- أن ترضوا عن من لم يرض اللّه عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضبه.

وتأمل كيف قال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ولم يقل: «فإن اللّه لا يرضى عنهم» ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن اللّه يتوب عليهم، ويرضى عنهم.

وأما ما داموا فاسقين، فإن اللّه لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه،

(٧٧٥) أحمر
أسود

وهو خروجهم عن ما رضيه اللّه لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي.

وحاصل ما ذكره اللّه أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبا ولا كرامة لهم.

وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية والرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام للّه تعالى في قوله: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ وإثبات الأفعال الاختيارية للّه، الواقعة بمشيئته [تعالى] وقدرته في هذا، وفي قوله: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا للّه عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

❁ ❁ ❁

خصال الأعراب وشدة كفرهم ونفاقهم

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، الأعراب وهم سكان البادية ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ من كفار أهل المدينة ومنافقي أهل المدينة، أو بصفة أعم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل القرى المستقرة، وذلك لأنهم جمعوا بين الكفر والجهل، وكذا جمعوا بين النفاق والجهل، أما كفار أهل المدينة فلقربهم في المسكن من رسول الله ﷺ ومن الصحابة رضوان الله عليهم، فاستفادوا من هديهم الظاهر، وإن لم يؤمنوا، لكنهم حاولوا التخلق بأخلاق المؤمنين ظاهرًا، فالمرء يتأثر بجليسه، وكما قال القائل: إن النصراني الذي يعيش في بلاد المسلمين يختلف عن

(٧٧٦) أحمر
أسود

النصراني الذي يعيش في روسيا مثلًا، فالذي يعيش في بلاد المسلمين يستحي إذا قيل له ابنتك ارتكبت الفاحشة، ويغضب لذلك، أما الذي يعيش في روسيا مثلًا فلا يلتفت ولا يبالي.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ أي وهم جديرون بأن يكونوا جهلة لكونهم بعيدين عن العلم الشرعي والهدي النبوي، فهم جديرون بأن يكونوا جهلة بحدود الله وبأوامر الله وبسنن الله ﷻ وفرائضه التي أنزل على رسوله ﷺ، والله عليم بالعباد وبأحوالهم، وعليم بكل شيء، حكيم فيما يشرع وحكيم فيما يُنزل، وحكيم في كل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الأعراب أشدُّ جحودًا لتوحيد الله، وأشدّ نفاقًا، من أهل الحضر في القرى والأمصار. وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبًا، وأقلُّ علمًا بحقوق الله.

وقوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ وله، يقول: وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، وذلك فيما قال قتادة: السُّنن.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، قال: هم أقل علمًا بالسُّنن.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، يقول: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بمن يعلم حدودَ ما أنزل على رسوله، والمنافق من خلقه، والكافرِ منهم، لا يخفى عليه منهم أحد، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره إياهم، وفي حلمه عن عقابهم، مع علمه بسرائرهم وخِداعهم أولياءَه.

(٧٧٧) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد، وأجدر، أي: أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، كما قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوَند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني فقال زيد: ما يُريبك من يدي؟ إنها الشمال. فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أو الشمالَ؟ فقال زيد بن صوحان صدق الله: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾.

وأورد حديث ابن عباس: عن النبي ﷺ قال: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غَفَل، ومن أتى السلطان افتتن**»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وإنما كانت البعثة من أهل القرى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩] ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله ﷺ فردَّ عليه أضعافها حتى رضي، قال: «**لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قُرشي، أو ثَقَفي أو أنصاري، أو دَوْسِيّ**»(٢)؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن: مكة، والطائف، والمدينة، واليمن، فهم ألطف أخلاقًا من الأعراب: لما في طباع الأعراب من الجفاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي (٤٣٢٠)، وأحمد (١/ ٣٥٧) وغيرهم، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، وفي رواية على الشك، وسنده فيه مقالٌ.

(٢) له شواهد يصحح بها، أخرجه الترمذي (٣٩٤٥)، وأحمد (٧٩١٨)، وابن حبان (٦٣٨٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٧٧٨) أحمر
أسود

وأورد الحافظ ابن كثير أيضًا حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبِّلون صبيانكم؟ قالوا: نعم. قالوا: ولكنا والله ما نقبِّل. فقال رسول الله ﷺ: «**وَأَمْلِكُ أن كان الله نزع منكم الرحمة؟**»(١). وقال ابن نمير: «**من قلبك الرحمة**».

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق، لا يسأل عما يفعل، لعلمه وحكمته.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ﴾ أصله أشدد؛ وقد تقدم. ﴿كُفْرًا﴾ نصب على البيان. ﴿وَنِفَاقًا﴾ عطف عليه. ﴿وَأَجْدَرُ﴾ عطف على أشد، ومعناه أخلق؛ يقال: فلان جدير بكذا أي خليق به، وأنت جدير أن تفعل كذا، والجمع جدراء وجديرون. وأصله من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء. فقوله: هو أجدر بكذا أي أقرب إليه وأحق به. ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ أي بألا يعلموا. والعرب: جيل من الناس، والنسبة إليهم عربي بين العروبة، وهم أهل الأمصار. والأعراب منهم سكان البادية خاصة. وجاء في الشعر الفصيح أعاريب. والنسبة إلى الأعراب أعرابي لأنه لا واحد له، وليس الأعراب جمعا للعرب كما كان الأنباط جمعا لنبط؛ وإنما العرب اسم جنس. والعرب العاربة هم الخلص منهم، وأخذ من لفظه وأكد به؛ كقولك: ليل لائل. وربما قالوا: العرب العرباء. وتعرب أي تشبه بالعرب. وتعرب بعد هجرته أي صار أعرابيا. والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص، وكذلك المتعربة، والعربية هي هذه اللغة. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية، وهو أبو اليمن كلهم. والعُرب والعَرب واحد؛

(١) مسلم (٢٣١٧).

(٧٧٩) أحمر
أسود

مثل العجم والعجم. والعريب تصغير العرب ؛ قال الشاعر:

ومكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم

إنما صغرهم تعظيما ؛ كما قال: أنا جذيلها المحك، وعذيقها المرجب كله عن الجوهري. وحكى القشيري وجمع العربي العرب، وجمع الأعرابي أعراب وأعاريب. والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب. والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب. وسميت العرب عربا لأن ولد إسماعيل نشؤوا من عربة وهي من تهامة فنسبوا إليها. وأقامت قريش بعربة وهي مكة، وانتشر سائر العرب في جزيرتها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ وهم سكان البادية والبراري ﴿ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة: منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله، فيحدث لهم -بسبب هذا العلم- تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية.

وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة. ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال، وأشح فيها.

❁ ❁ ❁

خصال الأعراب وشدة كفرهم ونفاقهم

(٧٨٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: هذا، والله أعلم، بيان لحال بعض الأعراب، فهم في جملتهم كما بيَّن الله سبحانه وتعالى أشد كفرًا ونفاقًا من كفار أهل المدينة ومنافقيها، ومنهم من يعتبر الصدقات التي يخرجها والنفقات التي يُلزم بها، يعتبر كل ذلك غرامات عليه مُلزم بدفعها، ولو أنه خُيِّر وكان بمحض إرادته ما أنفق شيئًا ولا أخرج شيئًا، كما قال تعالى في أمثالهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾، فهو إن أنفق، لا يحتسب أجرًا ولا يرجو ثوابًا من الله ﷻ، بل ينفق ما يتقى به اللوم، ويتقي به العقاب، وفي ذلك الوقت فإنه يتمنى أن لو جاء يوم لا ينفق فيه هذه النفقات، يتمنى أن لو جاء يوم تحلُّ بكم فيه المصائب والبلايا ينتظر حلول المصائب بكم وأن يُدال عليكم عدوكم، فعلى هؤلاء المتربصين بكم ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ أي أن عذاب الله محيط بهم وهذا دعاء عليهم وإخبار بمآلهم أي ودائرة السوء منعكسة عليهم.

وما يتمنونه لكم حالٌ بهم، والله سميع لأقوال عباده ودعائهم، عليم بنوايهم، وما انطوت عليه صدورهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك، أو في معونة مسلم، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده، ﴿مَغْرَمًا ﴾، يعني: غرمًا لزمه، لا يرجو له ثوابًا، ولا يدفع به عن نفسه عقابًا، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾، يقول: وينتظرون بكم الدوائر، أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروهٍ ومجيء محبوب، وغلبة عدوٍّ لكم. يقول الله تعالى ذكره: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾، يقول: جعل الله دائرة السوء عليهم، ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون، ولا

(٧٨١) أحمر
أسود

بكم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾، لدعاء الداعين، ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبيرهم، وما هو بهم نازلٌ من عقاب الله، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾، قال: هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياءً اتِّقاءَ أن يُغْزَوْا أو يُحارَبوا أو يقاتلوا، ويرون نفقتهم مغرمًا. ألا تراه يقول: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأخبر تعالى أن منهم ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي: في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ أي: غرامة وخسارة، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: ينتظر بكم الحوادث والآفات، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لدعاء عباده، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ ﴿مَن﴾ في موضع رفع بالابتداء. ﴿مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ مفعولان ؛ والتقدير ينفقه، فحذفت الهاء لطول الاسم. ﴿مَغْرَمًا﴾ معناه غرما وخسرانا ؛ وأصله لزوم الشيء ؛ ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥] أي لازما، أي يرون ما ينفقونه في جهاد وصدقة غرما ولا يرجون عليه ثوابا. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ التربص الانتظار ؛ وقد تقدم. والدوائر جمع دائرة، وهي الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية، أي يجمعون إلى الجهل بالإنفاق سوء الدخلة وخبث القلب. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ قرأه ابن كثير وأبو عمرو بضم السين هنا وفي الفتح، وفتحها الباقون. وأجمعوا على فتح السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨]. والفرق بينهما أن السُوء

(٧٨٢) أحمر
أسود

بالضم المكروه. قال الأخفش: أي عليهم دائرة الهزيمة والشر. وقال الفراء: أي عليهم دائرة العذاب والبلاء. قالا: ولا يجوز امرأ سُوء بالضم؛ كما لا يقال: هو امرؤ عذاب ولا شر. وحكي عن محمد بن يزيد قال: السَوء بالفتح الرداءة. قال سيبويه: مررت برجل صدق، ومعناه برجل صلاح. وليس من صدق اللسان، ولو كان من صدق اللسان لما قلت: مررت بثوب صدق. ومررت برجل سوء ليس هو من سُؤته، وإنما معناه مررت برجل فساد. وقال الفراء: السوء بالفتح مصدر سؤته سوءا ومساءة وسوائية. قال غيره: والفعل منه ساء يسوء. والسوء بالضم اسم لا مصدر؛ وهو كقولك: عليهم دائرة البلاء والمكروه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمنهم ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ من الزكاة والنفقة في سبيل اللّه وغير ذلك، ﴿مَغْرَمًا﴾ أي: يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه اللّه، ولا يكاد يؤديها إلا كرها.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فعليهم دائرة السوء.

وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال، من إخلاص وغيره.

وليس الأعراب كلهم مذمومين.

❁ ❁ ❁

(٧٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾).

ج: هذا والله أعلم، بيان لحال فريق آخر من الأعراب، فالأعراب، وإن كان في جملتهم أشد كفرًا ونفاقًا من كفار القرى ومنافقي القرى إلا أن منهم أيضصا من هو مؤمن بالله، مصدق بوحدانية الله ﷻ، وأنه لا شريك له، وكذا مصدقٌ بالثواب والعقاب يوم القيامة على الوجه الذي أخبر الله ﷻ، وهو مع إيمانه هذا يعتبر النفقة التي ينفقها قربةً يتقرب بها إلى الله ﷻ فيحتسبها عند الله ويرجو ثوابها، وكذا يعتبر دعوات الرسول ﷺ له من أقرب القربات التي يبتغي أجرها وثوابها، وذلك أنه إذا أنفق ودعا له رسول الله ﷺ، كما قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ﴾.

وكان صلوات الله وسلامه عليه إذا أتاه قوم بصدقتهم صلى عليهم، كما في الحديث «**اللهم صل على آل أبي أوفى**».

فالأعراب المؤمنون يتخذون صلوات رسول الله عليهم قربة من القربات التي تقربهم من الله ﷻ فيسعدون بدعاء رسول الله ﷺ لهم وبصلاته عليهمن فيبشرهم الله ﷻ ويخبرهم بأن الأمر كما احتسبتم من الأجر، وكما رجوتم من الثواب، فيقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي صلوات الرسول ونفقاتهم التي ينفقون طاعة لله واحتسابًا ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ﴾ من الله ﷻ.

ويبشرهم الله ﷻ بأنه ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قيل في عداد عباده الذين رحمهم، وقيل في الجنة ويستغفر الله لهم ذنوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ ذو ستر على عباده العصاة ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين، إذ أكرمهم بجنته وسلمهم من النار ولم يؤاخذهم بذنوبهم ورحيم بهم في عموم أحوالهم.

(٧٨٤) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يصدِّق الله ويقرّ بوحدانيته، وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين، وفي سفره مع رسول الله ﷺ ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾، و(القربات) جمع «قربة»، وهو ما قرَّبه من رضى الله ومحبته، ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾، يعني بذلك: ويبتغي بنفقة ما ينفق، مع طلب قربته من الله، دعاءَ الرسول واستغفارَه له.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾، يقول تعالى ذكره: ألا إنّ صلوات الرسول قربة لهم من الله.

وقد يحتمل أن يكون معناه: ألا إنّ نفقته التي ينفقها كذلك، قربةٌ لهم عند الله، ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾، يقول: سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾، لما اجترموا، ﴿رَّحِيمٞ﴾، بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ هذا هو القسم الممدوح من الأعراب، وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله، ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم، ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ أي: ألا إن ذلك حاصل لهم، ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ استغفاره ودعاؤه. والصلاة تقع على ضروب ؛

(٧٨٥) أحمر
أسود

فالصلاة من الله جل وعز الرحمة والخير والبركة ؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] والصلاة من الملائكة الدعاء، وكذلك هي من النبي ﷺ ؛ كما قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي دعاؤك تثبيت لهم وطمأنينة. ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ أي تقربهم من رحمة الله، يعني نفقاتهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بل منهم ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان.

﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه اللّه تعالى والقرب منه ﴿ و ﴾ يجعلها وسيلة لـ ﴿ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول: ﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ تقربهم إلى اللّه، وتنمي أموالهم وتحل فيها البركة.

﴿ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ في جملة عباده الصالحين إنه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات.

وفي هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم اللّه على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر اللّه، وأنهم في مظنة ذلك.

ومنها: أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.

ومنها: فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن اللّه ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم

(٧٨٦) أحمر
أسود

أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله.

ومنها: أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل اللّه على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها -إن كانت مأمور بها، أو تركها إن كانت محظورة- ومن الأمر بها أو النهي عنها.

ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما.

❁ ❁ ❁

(٧٨٧) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ
رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ
مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ
بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٌ ١٠٢ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ
سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ
وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ
عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦)

[التوبة: ١٠٠-١٠٦].

(٧٨٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ - ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ - مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ -تُطَهِّرُهُمۡ - وَتُزَكِّيهِم بِهَا - وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ- سَكَنٞ لَّهُمۡۗ - يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ - مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾	المسارعون إلى الدخول في الإسلام في أوائل البعثة من الصحابة، وقيل غير ذلك، وسيأتي
﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾	ساروا على نهجهم في الإيمان والعمل الصالح
﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾	ثبتوا عليه ولم يتوبوا منه
﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾	تزيل عنهم الوسخ وشح النفس وأثر المعاصي
﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	تسمو بهم إلى معالى الأمور، وإلى الدرجات العُلا، وترفعهم عن أهل الخسَّة والنفاق
﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾	ادع لهم
﴿سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾	وقارٌ لهم وسكينة لهم رحمة لهم – هدوء لهم
﴿يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ﴾	يفتح باب التوبة لمن أراد الرجوع يقبل رجوع وتابوا وأنابوا
﴿مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾	مؤخرون لقضاء الله فيهم ولأمره في شأنهم بما يشاء

❁ ❁ ❁

(٧٨٩) أحمر
أسود

س: من أول الصحابة إسلامًا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه أبو بكر رضي الله عنه.

الثاني: أنه عليٌّ رضي الله عنه.

الثالث: أنه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

الرابع: أنها خديجة رضي الله عنها.

وفصَّل بعض أهل العلم فقال: أول الرجال أبو بكر، وأول الصبيان علي، وأول الموالي زيدٌ، وأول النساء، خديجة رضي الله عنهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

السابقون الأولون

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم الذين أسلموا في أوائل بعثة النبي ﷺ، فيدخل فيهم أبو بكر وعلي وزيد بن حارثة وخديجة وغيرهم.

الثاني: أنهم الذين أسلموا قبل هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

الثالث: انهم الذين صلوا مع رسول الله ﷺ إلى القبلتين (إلى بيت المقدس وإلى الكعبة) أي أسلموا قبل تحويل القبلة.

الرابع: الذين أسلموا قبل بدر.

الخامس: الذين أسلموا قبل بيعة الرضوان.

السادس: الذين أسلموا قبل فتح مكة، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

السابع: أنهم الصحابة عمومًا.

(٧٩٠) أحمر
أسود

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والسابقون الأولون إلى الإسلام من المهاجرين من مكة إلى المدينة، ومن غيرها من البلاد إلى المدينة، وكذا السابقون الأولون من الأنصار الذين بادروا إلى الإسلام وسبقوا إليه، ويدخل فيهم المبايعون عند العقبة، وكذا الذين ساروا على درب هؤلاء في الإيمان والعمل الصالح ممن جاءوا بعدهم، هؤلاء جميعًا يخبر الله ﷻ بأنه رضي عنهم لإيمانهم، وجميل فعالهم وصلاحهم واستقامتهم وحسن استجابتهم، ورضوا عن الله ﷻ، رضوا به ربًّا وبدينه الإسلام دينًا وبنبيه رسولًا، ورضوا أيضصا بجزائه الذي جازاهم به وأعده لهم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ حدائق وبساتين ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها أبدًا، وذلك، أي رضا الله ﷻ عنهم وإدخالهم الجنة الفوز العظيم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله، ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم، ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾، الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، يقول: والذين سَلَكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلبَ رضا الله،

(٧٩١) أحمر
أسود

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾.

فقال بعضهم: هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، أو أدْركوا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الشعبي قال – في شأن السابقين الأولين – المهاجرون الأولون الذين شهدوا بيعة الرضوان.

وفي رواية عنه عن الشعبي قال: (المهاجرون الأولون)، من كان قبل البيعة إلى البيعة، فهم المهاجرون الأوّلون، ومن كان بعد البيعة، فليس من المهاجرين الأولين.

وفي بعض الروايات، وهي بيعة الحديبية.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله ﷺ.

وأورد الطبري ذلك عن غير واحد من أهل العلم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما الذين اتبعوا المهاجرون الأولين والأنصار بإحسان، فهم الذين أسلموا لله إسلامَهم، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه ، ورضي عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به وبنبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، يدخلونها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، لابثين فيها، ﴿أَبَدٗاۚ﴾، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

(٧٩٢) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيدُ الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السابقون هم الذين سبقوا هذة الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين اللّه.

﴿ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: ٨].

﴿وَ﴾ من ﴿ الأَنْصَارِ ﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر: ٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من اللّه.

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، ﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ

(٧٩٣) أحمر
أسود

لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الجارية التي تساق إلى سَقْيِ الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ لا يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ فيهم ستة أقوال:

أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قاله أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة.

والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وهي الحديبية قاله الشعبي.

والثالث: أنهم أهل بدر قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم السبق بصحبته.

قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾.

والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة سبقوا إلى ثواب الله تعالى وذكره الماوردي.

والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة ذكره القاضي أبو يعلى.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ.

(٧٩٤) أحمر
أسود

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتبعوهم باحسان إلى أن تقوم الساعة. ومن قال: هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدوا بهم في أفعالهم، ففضل أولئك بالسبق وإن كانت الصحبة حاصلة للكل. وقال عطاء: اتباعهم إياهم باحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ يعم الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

❁ ❁ ❁

الوعيد الشديد لأهل النفاق

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾، ما المراد بالمرتين، ومتى العذاب العظيم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المرة الأولى في الدنيا بما يُصيبهم فيها من قتل وأسر وسبي، وجوع وخوف ومرض وغير ذلك.

والمرة الثانية في القبر والعذاب العظيم يوم القيامة.

الثاني: أن المرتين كلتاهما في الدنيا، عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، والثاني بالجوع والمرض والخوف.

والعذاب العظيم في الآخرة بالنار.

وهنالك أقوال أخر اجتزأت منها بالذي ذكرت، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٧٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وممن حولكم يا أهل الإسلام حول مدينة رسول الله ﷺ التي أنتم فيها ساكنون، منافقون من الأعراب، وكذا في أوساطكم في المدينة أقوام من أهل النفاق وهؤلاء وأولئك مردوا على النفاق ثبتوا عليه ولم يتوبوا منه، والتزموه دينًا، فقوله مردوا على النفاق عائدة على منافقي الأعراب ومنافقي أهل المدينة على السواء، فيكون المعنى وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة أيضًا، وهؤلاء وأولئك مردوا على النفاق.

وإن قال قائل إن قوله ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ عائدٌ على منافقي المدينة فله وجهٌ وهؤلاء، وأولئك لا تعلمهم يا رسول الله بل الله ﷻ يعلمهم، وسيعذبهم مرتين مرة في الدنيا ومرة في القبر، وقيل المرتين في الدنيا، وقد تقدم ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ يوم القيامة إلى عذاب عظيم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون، ومن أهل مدينتكم أيضًا أمثالهم أقوامٌ منافقون.

وقوله: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، يقول: مرَنُوا عليه ودَرِبوا به.

ومنه: «شيطانٌ مارد، ومَرِيد»، وهو الخبيث العاتي. ومنه قيل: «تمرَّد فلان على ربه»، أي: عتَا، ومرنَ على معصيته واعتادها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى

(٧٩٦) أحمر
أسود

ٱلنِّفَاقِ﴾، قال: أقاموا عليه، لم يتوبوا كما تابَ الآخرون.

قال الطبري في قوله تعالى:

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾، يقول لنبيه محمد ﷺ: لا تعلم، يا محمد، أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة، ولكنا نحن نعلمهم.

وقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، يقول: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين، إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر.

ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا، ما هي؟

فقال بعضهم: هي فضيحتهم، فضحهم الله بكشف أمورهم، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: ما يصيبهم من السبي والقتل والجوع والخوف في الدنيا.

وقال آخرون: معنى ذلك: سنعذبهم عذابًا في الدنيا، وعذابًا في الآخرة.

وقال آخرون: كان عذابهم إحدى المرتين، مصائبَهم في أموالهم وأولادهم، والمرة الأخرى في جهنم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، قال: أما عذابٌ في الدنيا، فالأموال والأولاد، وقرأ قول الله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، [سورة التوبة: ٥٥]، بالمصائب فيهم، هي لهم عذاب، وهي للمؤمنين أجر. قال: وعذاب في الآخرة، في النار، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، قال: النار.

وقال آخرون: بل إحدى المرتين، الحدود، والأخرى: عذابُ القبر.

وأورد الطبري أقوالًا أُخر ثم قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذِّب

(٧٩٧) أحمر
أسود

هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلا يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأيٍّ ذلك من أيٍّ. غير أن في قوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، دلالة على أن العذاب في المرَّتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين، وفي أهل المدينة أيضا منافقون ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: مرنوا واستمروا عليه: ومنه يقال: شيطان مريد ومارد، ويقال: تمرد فلان على الله، أي: عتا وتجبر.

وقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ الآية[محمد:٣٠]؛ لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين. وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا، وإن كان يراه صباحا ومساء.

وقال السعدي في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ﴾ أيضا منافقون ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: تمرنوا عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغيانا.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ﴾ بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما للّه في ذلك من الحكمة الباهرة.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

(٧٩٨) أحمر
أسود

ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن، والكراهة لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرره.

قال الشنقيطي (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾.

صرح في هذه الآية الكريمة أن من الأعراب، ومن أهل الميدنة، منافقين لا يعلمهم رسول اله ﷺ، وذكر تعالى نظير ذلك عن نوح في قوله عنه. ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢] الآية.

وذكر نظيره عن شعيب - عليهم كلهم صلوات الله وسلامه - في قوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: ٨٦] اهـ.

وقد أطلع الله نبيه على بعض المنافقين كما تقدم في الآيات الماضية، وقد أخبر صاحبه حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، بشيء من ذلك، كما هو معلوم.

❁ ❁ ❁

الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وآخرون غير الذين ذكرناهم من منافقي الأعراب ومن أهل المدينة، الذين مردوا على النفاق، آخرون غير هؤلاء اعترفوا بذنوبهم وأقروا بها وطلبوا من الله أن يغفرها لهم، وهؤلاء لهم أعمالٌ صالحة، ولكن لهم أعمال سيئة أيضًا، فصدر منهم عمل صالح ومن هذا العمل الصالح توبتهم ورجوعهم إلى الله، وصدر منهم عمل سيء من المعاصي، والتي منها التخلف عن الخروج مع رسول الله ﷺ فهؤلاء عسى الله أن يتوب

(٧٩٩) أحمر
أسود

عليهم، أي سيتوب الله عليهم، فإن عسى من الله واجب، أي أوجبه الله على نفسه، كما قال بعض العلماء: إن الله ﴿غَفُورٌ﴾ ذو مغفرة للذنوب وستر عليها ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين التائبين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق، ومنهم ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾، يقول: أقرُّوا بذنوبهم، ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، يعني جل ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ: اعترافهم بذنوبهم، وتوبتهم منها، والآخر السيئ: هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ، حين خرج غازيًا، وتركهم الجهادَ مع المسلمين.

ثم قال في قوله تعالى:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، يقول:لعل الله أن يتوب عليهم، ﴿عَسَى﴾ من الله واجب، وإنما معناه:سيتوب الله عليهم، ولكنه في كلام العرب على ما وصفت، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يقول: إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه، وساترٌ له عليها ، ﴿رَّحِيمٌ﴾، به أن يعذبه بها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما بَيَّن تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغَزاة رغبة عنها وتكذيبًا وشكا، شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، فقال: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين رَبِّهم، ولهم أعمال أخرَ صالحة، خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه.

وهذه الآية -وإن كانت نزلت في أناس معينين -إلا أنها عامة في كل

(٨٠٠) أحمر
أسود

المذنبين الخاطئين المخلصين المتلوثين.

وأورد ما أخرجه البخاري (١) من حديث سَمُرَة بن جُنْدَب قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «**أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولَبِن فضة، فتلقانا رجال شَطْر من خلقهم كأحسن ما أنت رَاء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فَقَعُوا في ذلك النهر. فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن، وهذا منزلك. قالا أما القوم الذين كانوا شَطر منهم حَسَن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا، فتجاوز الله عنهم**».

وقال ابن الجوزي في (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ قال ابن جرير: وضع الواو مكان الباء والمعنى بآخر سيء كما تقول: خلطت الماء واللبن.

وفي ذلك العمل قولان:

أحدهما: أن العمل الصالح ما سبق من جهادهم والسيء التأخر عن الجهاد قاله السدي.

والثاني: أن العمل الصالح توبتهم والسيء تخلفهم ذكره الفراء وفي قوله عسى قولان:

أحدهما: أنه واجب من الله تعالى قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق وذلك يصد عن اللهو والإهمال.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ ممن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد

(١) البخاري (٤٦٧٤).

الإسلامية، ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ ولا يكون العمل صالحا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر اللّه لهم، فهؤلاء ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وتوبته على عبده نوعان:

الأول: التوفيق للتوبة. **والثاني**: قبولها بعد وقوعها منهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ اللّه الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب.

وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف.

❁ ❁ ❁

(٨٠٢) أحمر
أسود

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ..﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول بسندٍ صحيح، وإن كان كثير من المفسرين ذكروا أنها نزلت في أبي لبابة ووردت بذلك عدة آثار لا يخلو سند كل واحدٍ منها من ضعف، منها ما أخرجه الطبري بسنده إلى الزهري (١) قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، فقال: والله لا أحلّ نفسي منها، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا، حتى أموت أو يتوب الله عليّ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا، حتى خرّ مغشيا عليه، قال: ثم تاب الله عليه، ثم قيل له: قد تيب عليك يا أبا لبابة! فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو يحلني! قال: فجاء النبي ﷺ فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله، إنّ من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله! قال: يجزيك يا أبا لبابة الثلث.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد عن رسول الله شيء فيمن خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؟

ج: أخرج البخاري (٢) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى من أحد منكم من رؤيا، فذكر الحديث وفيه أنه ﷺ قال: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا..**» فذكر الحديث وفيه:

«**فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ. قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ،**

(١) وهذا مرسل، ومراسيل الزهري ضعيفة.
(٢) البخاري (٧٠٤٧).

(٨٠٣) أحمر
أسود

فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ».

.. فذكر الحديث وفيه: «وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ».

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول بسندٍ صحيح، وإنما كل ما وقفت عليه من أسانيد بأسباب نزول ضعيفةٌ ولا تصح، فمن ذلك ما أخرجه الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال: جاءوا بأموالهم، يعني أبا لبابة وأصحابه، حين أطلقوا، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدّق بها عنا، واستغفر لنا! قال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا! فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: استغفر لهم.

وبسندٍ ضعيف عن سعيد بن جبير (١) قال: الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا عنهم: يا نبيّ الله؛ طهِّر أموالنا! فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله، وكان عَمي منهم اثنان، فلم يزل الآخر يدعو حتى عَمِي.

(١) ومع ذلك فهو مرسل.

(٨٠٤) أحمر
أسود

وبسندٍ حسن عن قتادة[(١)] قال: الأربعة: جدُّ بن قيس، وأبو لبابة، وحرام، وأوس، هم الذين قيل فيهم: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾، أي وقارٌ لهم، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدَّقوا.

وبسندٍ صحيح[(٢)] عن ابن زيد في قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾، قال: هؤلاء ناسٌ من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، اعترفوا بالنفاق، وقالوا: يا رسول الله، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا، ولكن توبةٌ جديدة، وصدقةٌ نخرجها من أموالنا! فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، بعد ما قال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾، [سورة التوبة: ٨٤].

❁ ❁ ❁

س: هل الصدقة المذكورة في قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ صدقة فرض أم نفل؟

ج: ليس في الآية الكريمة ما يدل على شيء بعينه، والأولى إطلاقها، أي أنها تشمل الفرض والنفل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

من فوائد الصدقة

س: وضح معنى قوله تعالى: (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، خذ يا رسول الله من أصحابك من المؤمنين بك صدقة (قيل: صدقة الفرض وقيل صدقة تجود بها نفوسهم غير صدقة

(١) لكنه مرسل.
(٢) ولكنه مرسل.

(٨٠٥) أحمر
أسود

الفرض) والأولى التعميم، تطهرهم، تطهر بها أموالهم لأنها إذا بقيت في الأموال تلوثت الأموال، وكذا بأخذك الصدقة تطهر أصحابك من الذنوب والمعاصي، فإنهم إذا لم يدفعوها تلوثت قلوبهم وتدنسوا بسبب الذنب الناشئ عن منع الصدقة وكذا بأخذك الصدقة منهم ترفعهم عن أهل الخسة وأهل النفاق، وتسمو بأنفسهم إلى المعالي في الإيمان والفضائل ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع الله لهم إذا أتوك بالصدقة، وذلك كما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا أتاه قوم بصدقتهم، كان يقبلها منهم، ويُصل عليهم كما في الحديث اللهم صل على آل أبي أوفى (١)، وذلك لما أتاه أبو أوفى بصدقته، ومن هنا أخذ بعض العلماء أن من يقبض الصدقة من قوم يستحب له أن يدعوا لهم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي إن دعاءك يا رسول الله طمأنينة لقلوبهم ووقار وسكينة تحل بهم فإنهم يسعدوا بدعائك لهم، وكذلك فإن الله ﷻ يكرمهم بدعائك لهم وينزل عليهم مزيدًا من السكينة والوقار والإيمان، والله سميع بالأقوال، وبكل شيء (عليم) بما انطوت عليه النفوس، وكذا عليم بكل شيء.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها، ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، من دنس ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، يقول: وتنمِّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفر لهم منها، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم،

(١) وسيأتي إن شاء الله.

(٨٠٦) أحمر
أسود

بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يقول: والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم، ولغير ذلك من كلام خلقه، ﴿عَلِيمٌ﴾، بما تطلب بهم بدعائك ربّك لهم، وبغير ذلك من أمور عباده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخُذَ من أموالهم صدقَة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في ﴿أَمْوَٰلِهِمْ﴾ إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحًا وآخر سيئا؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصًا برسول الله ﷺ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ وقد رَدَّ عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة، وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يُؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق: والله لو منعوني عِقالا -وفي رواية: عَناقًا -يُؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه (١).

وقوله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بصدقة قوم صَلَّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللهم صَل على آل أبي أوفى**» (٢).

ثم قال:

وقوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾: قرأ بعضهم: «صلواتك» على الجمع، وآخرون قرءوا: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ على الإفراد.

﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: رحمة لهم. وقال قتادة: وقار.

---

(١) البخاري (١٤٠٠، ١٤٥٧).

(٢) البخاري(١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

(٨٠٧) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ أي: لدعائك ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أي: بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له.

قال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، آمرا له بما يطهر المؤمنين، ويتمم إيمانهم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ وهي الزكاة المفروضة، ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموما وخصوصا عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعائك، سمع إجابة وقبول.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي ﷺ يمتثل لأمر اللّه، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبرَّك.

ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمى ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب اللّه فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمى، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية

(٨٠٨) أحمر
أسود

بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ألم يعلم هؤلاء المذنبون وغيرهم من الذين تخلفوا عن الغزو معك، وغيرهم كذلك ألم يعلموا أن الله ﷻ يقبل رجوع من رجعوا إليه واستقاموا على طريقته، وندموا على ما فرطوا في جنبه، وعلى ما قصروا في امتثال أمره، فالله ﷻ يقبل توبتهم، ويقبل توبة التائبين عمومًا كما قد وردت بذلك الآيات والأحاديث، وكذا فإنه سبحانه يتقبل الصدقات التي طابت بها نفوس فاعليها ومؤديها وقد جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ، وفيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»(١).

أما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فمعناه، وأن الله كثير التوبة على

(١) البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٨٠٩) أحمر
أسود

التائبين، يفتح لهم دومًا أبوابها. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره، أخبر به المؤمنين به: أن قبول توبة من تاب من المنافقين، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها، ليسا إلى نبيّ الله ﷺ، وأن نبيَّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه ﷺ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد، وأن محمدًا إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلاقٍ وأخذِ صدقةٍ وغير ذلك من أفعاله بأمر الله. فقال جل ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين، الموثقو أنفسهم بالسواري، القائلون: «لا نُطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا»، السَّائلو رسولِ الله ﷺ أخذَ صدقة أموالهم، أنَّ ذلك ليس إلى محمد، وأن ذلك إلى الله، وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردُّها، ويأخذ صدقة من تصدَّق منهم أو يردُّها عليه دون محمد، فيوجِّهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصدَ وجهه دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقتهم، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم؟ ، يقول: المراجع لعبيده إلى العفو عنه إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يحطُّ الذنوب ويمحصها ويمحقها.

وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها، حتى تصير التمرة مثل

(٨١٠) أحمر
أسود

أحد. كما جاء بذلك الحديث، عن رسول الله ﷺ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: أما علموا سعة رحمة اللّه وعموم كرمه وأنه ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر.

﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ منهم أي: يقبلها، ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه المعصية مرارا. ولا يمل اللّه من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.

❁ ❁ ❁

الحث على صالح العمل

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وقل يا رسول الله لهؤلاء جميعًا اعملوا على طريقتكم التي أنتم عليها مقيمون فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وهذا في الدنيا وسترجعوا إلى الله ﷻ الذي يعلم السر وأخفى، والذي يعلم ما غاب وما ظهر، والذي يعلم ما تبدون وما تكتمون سترجعون إليه يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا.

هذا، وفي قوله تعالى: (وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟) ولمن توجَّه الخطاب أقوال:

(٨١١) أحمر
أسود

أحدها: أن هذا الخطاب موجه لأهل النفاق وأهل الكفر، وذلك على سبيل التهديد، كما قال تعالى: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ).

وكما في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

الثاني: أنه موجهٌ إلى من أظهر التوبة والإنابة، فقل لهؤلاء اعملوا وسيظهر لنا أمركم إن وجدنا خيرًا حمدناه لكم، وإن وجدنا شرًّا عاملناكم بمقتضاه، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

الثالث: أنه موجه للمؤمنين، وحث لهم على الاجتهاد في العبادة والعمل.

الرابع: أنه عام للجميع. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾، يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك، ﴿اعْمَلُوا﴾، لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا، ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ﴾ لهؤلاء المنافقين: ﴿اعْمَلُوا﴾ ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى.

(٨١٢) أحمر
أسود

﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن اللّه مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وآخرون من الذين تخلفوا عن الخروج للغزو معك غير الذين ذُكر حالهم ممن تقدموا، مؤخرون ومؤجلون لقضاء الله فيهم ولأمر الله فيهم، إما يعذبهم، وهذا والله إن لم يتوبوا، وإما يتوب عليهم إن تفضل عليهم بالعفو، أو تابوا إلى الله، والله عليهم بنفوس العباد وبأحوالهم يعلم من يستحق التوبة ممن يستحق العذاب، وعليم بكل شيء حكيم فيما يشرع، وحكيم فيما يفعل، وحكيم في كل شيء.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم، أيها المؤمنون، آخرون.

ورفع قوله: ﴿آخرون﴾، عطفًا على قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾.

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾، يعني: مُرْجئون لأمر الله وَقضائه.

يقال منه: «أرجأته أرجئه إرجاء وهو مرجَأ»، بالهمز وترك الهمز، وهما

(٨١٣) أحمر
أسود

لغتان معناهما واحد. وقد قرأت القرأة بهما جميعا.

وقيل: عُني بهؤلاء الآخرين، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فندموا على ما فعلوا، ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ عند مقدمه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحَّت توبتهم، فتاب عليهم وعفا عنهم.

وأما قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾، فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس ومجاهدُ وعِكْرِمة، والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلفوا، أي: عن التوبة، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد، كسلا وميلا إلى الدَّعَة والحفظ وطيب الثمار والظلال، لا شكا ونفاقا، فكانت منهم طائفة رَبَطوا أنفسهم بالسواري، كما فعل أبو لُبابة وأصحابه، وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون، فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء، وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية، وهي قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الآية [التوبة: ١١٨]، كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك.

وقوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هم تحت عفو الله، إن شاء فعل

(٨١٤) أحمر
أسود

بهم هذا، وإن شاء فعل بهم ذاك، ولكن رحمته تغلب غضبه، وهو ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو، حكيم في أفعاله وأقواله، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المخلفين مؤخرون ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ونياتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذلك.

كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين للّه ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم

❁ ❁ ❁

(٨١٥) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ
يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ
أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ
خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَواْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ
أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠)

[التوبة: ١٠٧-١١٠].

(٨١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ضِرَارًا - وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ - ٱلْحُسْنَىٰ - أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ - تَقُومَ فِيهِ - يَتَطَهَّرُوا۟ - ٱلْمُطَّهِّرِينَ - شَفَا جُرُفٍ هَارٍ - رِيبَةً - تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ضِرَارًا﴾	مضاراةً لأهل الإسلام – كيدًا وتآمرًا
﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	انتظارًا – استقبالًا لعدو الله
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة والثواب
﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾	وبناه المتقون – أسسه من يبتغي به وجه الله
﴿تَقُومَ فِيهِ﴾	تصلي فيه
﴿يَتَطَهَّرُوا۟﴾	يزيلوا أثر النجاسة بالماء – يستنجون بالماء
﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾	المطهرين من الأحداث
﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾	حافة بئرٍ تجرفه السيول فتنهار به في نار جهنم
﴿رِيبَةً﴾	شكًا – نفاقًا – ارتيابًا
﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾	يموتوا – أو يتقطعوا ندمًا

❁ ❁ ❁

(٨١٧) أحمر
أسود

قصة مسجد الضرار

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧).

ج: هذا، والله تعالى أعلم بيانٌ لصنيع سيء للإضلال عن سبيل الله، ولحرب الإسلام وأهله ولتفريق جماعة المسلمين، صنيعٌ صنعه فريق من أهل النفاق، قاموا ببناء مسجدٍ، وهذا في ظاهره عملٌ صالح، وأظهروا لرسول الله ﷺ أنهم بنوه للصلاة فيه وخاصة في الليالي الباردة ولاشاتية، وللضعفة منهم ولأصحاب الأعذار وغيرهم، وأيضًا لكون مسجد النبي ﷺ بعيدٌ عنهم، هكذا أظهروا لرسول الله ﷺ، والله عليم بنواياهم فهم في حقيقة الأمر ما بنوه لذلك إنما بنوه للإضرار بالإسلام وأهله، بنوه للإضرار برسول الله ﷺ وأهل الإيمان، لتفريق جماعة المسلمين، بنوه في أطراف المدنية ناحية الشام انتظار للكافر المنافق أبي عامر، والذي يقال له أبو عامر الراهب الذي تنصر وخرج هاربًا إلى بلاد الروم وبدأ يعد العدة هنالك للانقضاض على المسلمين، ويجهز ما استطاع للفتك برسولهم الأمين ﷺ فأشار على فريق من أهل النفاق من أمثاله أن يبنوا مسجدًا في أطراف المدينة لانتظاره هنالك كي يُتمم مساعيه الشيطانية التي يكيد بها للإسلام وأهله فهذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي أن الذين بنوا هذا المسجد مسجد الضرار بنوه انتظارًا لأبي عامر الراهب الذي حارب الله ورسوله أثناء وجوده بالمدينة قبل سفره وخروجه منها ثم إن أهل النفاق هؤلاء، وكما هو شأنهم وكما هي عادتهم أقسموا الأيمان الكاذبة لتبرير عملهم وموقفهم وبنائهم المسجد، فقالوا بعد قسمهم ما أردنا إلا الحسنى، أي ما أردنا بعملنا هذا إلا الجنة ووجه

(٨١٨) أحمر
أسود

الله ﷻ والمحافظة على الصلوات، فكذبهم الله في قولهم وادعائهم إذ قال: والله يشهد إنهم لكاذبون في أيمانهم وفي دعواهم.

هذا مجمل ما ورد في هذه الآيات، وقد وردت بعض الآثار في هذا الصدد، وإن كان في كل من مفاريدها ضعف، ولكنها ولها طرق كثيرة، تشير إلى هذا المعنى الذي ذكرته، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

أورد الطبري بسندٍ فيه ضعف عن الزهري، ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا: أقبل رسول الله ﷺ، يعني: من تبوك، حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة والحاجة والليلة المطِيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه! فقال: إني على جناح سفر وحال شُغْلٍ - أو كما قال رسول الله ﷺ - ولو قَدْ قَدمنا أتيناكم إن شاء الله، فصلَّينا لكمٍ فيه. فلما نزل بذي أوان، أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم، أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي - أو أخاه: عاصم بن عدي - أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه! فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنْظِرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي! فدخل [إلى] أهله، فأخذ سَعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا﴾، إلى آخر القصة. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خِذَام بن خالد، من بني عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، من بني عبيد، وهو إلى بني أمية بن

(٨١٩) أحمر
أسود

زيد ، ومعتب بن قشير، من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر، من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر، وابناه: مجمع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبتل بن الحارث، وهم من بني ضبيعة ، وبَحْزَج، وهو إلى بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان، وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابت، وهو إلى بني أمية، رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

وكما أسلفنا فسنده ضعيف.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجدًا ضرارًا لمسجد رسول الله ﷺ، وكفرًا بالله لمحادّتهم بذلك رسولَ الله ﷺ، ويفرِّقوا به المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ، وبعضهم في مسجد رسول الله ﷺ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا، ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾، يقول: وإعدادًا له، لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله، وكفر بهما، وقاتل رسول الله، ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾، يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد. وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزَّب الأحزاب - يعني: حزّب الأحزاب لقتال رسول الله ﷺ - فلما خذله الله، لحق بالروم يطلب النَّصْر من ملكهم على نبي الله، وكتب إلى أهل مسجد الضِّرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه، فيما ذكر عنه، ليصلي فيه، فيما يزعم، إذا رجع إليهم. ففعلوا ذلك. وهذا معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾.

﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، يقول جل ثناؤه: وليحلفن بانوه: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، ببنائناه، إلا الرفق بالمسلمين، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المصير إلى مسجد رسول الله ﷺ للصلاة فيه،

(٨٢٠) أحمر
أسود

وتلك هي الفعلة الحسنة، ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾، في حلفهم ذلك، وقيلهم: «ما بنيناه إلا ونحن نريد الحسنى!»، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السُّوآى، ضرارًا لمسجد رسول الله ﷺ، وكفرًا بالله، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لأبي عامر الفاسق.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾، الآية، عمد ناسٌ من أهل النفاق، فابتنوا مسجدًا بقباء، ليضاهوا به مسجد رسول الله ﷺ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلِّي فيه. ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم، حتى أطلعه الله على ذلك ، وأما قوله: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فإنه كان رجلا يقال له: «أبو عامر»، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين، فقتلوه بإسلامه. قال: إذا جاء صلى فيه، فأنزل الله: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، الآية.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾، قال: مسجد قباء، كانوا يصلون فيه كلهم. وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له: «أبو عامر»، أبو: «حنظلة غسيل الملائكة»، و«صيفي»، [واحق]. وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين، فخرج أبو عامر هاربًا هو وابن عبد ياليل، من ثقيف، وعلقمة بن علاثة، من قيس، من رسول الله ﷺ حتى لحقوا بصاحب الروم. فأما علقمة وابن عبد ياليل، فرجعا فبايعا النبي ﷺ وأسلما. وأما أبو عامر، فتنصر وأقام. قال: وبنى ناسٌ من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر، قالوا: «حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه»، وتفريقًا بين المؤمنين، يفرقون به جماعتهم، لأنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء. وجاءوا يخدعون النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ربما جاء السيلُ، فيقطع بيننا وبين الوادي، ويحول بيننا وبين القوم، ونصلي في

(٨٢١) أحمر
أسود

مسجدنا، فإذا ذهب السيل صلينا معهم ! قال: وبنوه على النفاق. قال: وانهار مسجدهم على عهد رسول الله ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له: «أبو عامر الراهبُ»، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قَدم رسولُ الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألَّبهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه وكُسِرت رباعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله

(٨٢٢) أحمر
أسود

وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «**إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»(١).

فلما قفل، عليه السلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة.

وقوله: ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ ﴾ أي: الذين بنوه ﴿ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ أي: ما أردناه ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي: فيما قصدوا وفيما نوَوا، وإنما بنوه ضِرارا لمسجد قُباء، وكفرا بالله، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: «الراهب» لعنه الله.

---

(١) في سنده مقال.

(٨٢٣) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا ﴾ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿ وَكُفۡرٗا ﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿ وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، ﴿ وَإِرۡصَادٗا ﴾ أي: إعدادا ﴿ لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ أي: إعانة للمحاربين للّه ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبدا في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول اللّه ﷺ.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالأة، هو والمنافقون. فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾ في بنائنا إياه ﴿ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.

﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فشهادة اللّه عليهم أصدق من حلفهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكُفۡرٗا ﴾ لما كان اعتقادهم أنه لا حرمة لمسجد قباء ولا لمسجد النبي ﷺ كفروا بهذا الاعتقاد ؛ قاله ابن العربي. وقيل: ﴿وَكُفۡرٗا ﴾ أي بالنبي ﷺ وبما جاء به ؛ قاله القشيري وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ. وهذا يدلك على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقد الذمام والحرمة

(٨٢٤) أحمر
أسود

بفعل الديانة حتى يقع الأنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وضر الأحقاد.

وتفطن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية فقال: لا تصلي جماعتان في مسجد واحد بإمامين ؛ خلافا لسائر العلماء. وقد روي عن الشافعي المنع ؛ حيث كان تشتيتا للكلمة وإبطالا لهذه الحكمة وذريعة إلى أن نقول: من يريد الانفراد عن الجماعة كان له عذر فيقيم جماعته ويقدم إمامته فيقع الخلاف ويبطل النظام، وخفي ذلك عليهم. قال ابن العربي: وهذا كان شأنه معهم، وهو أثبت قدما منهم في الحكمة وأعلم بمقاطع الشريعة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعني أبا عامر الراهب؛ وسمي بذلك لأنه كان يتعبد ويلتمس العلم فمات كافرا بقنسرين بدعوة النبي ﷺ ؛ فإنه كان قال للنبي ﷺ: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ؛ فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين. فلما انهزمت هوازن خرج إلى الورم يستنصر، وأرسل إلى المنافقين وقال: استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر فآت بجند من الروم لأخرج محمدا من المدينة ؛ فبنوا مسجد الضرار. وأبو عامر هذا هو والد حنظلة غسيل الملائكة. والإرصاد: الانتظار ؛ تقول: أرصدت كذا إذا أعددته مرتقبا له به. قال أبو زيد: يقال رصدته وأرصدته في الخير، وأرصدت له في الشر. وقال ابن الأعرابي: لا يقال إلا أرصدت، ومعناه ارتقبت. وقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ أي من قبل بناء مسجد الضرار. ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ أي: ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنى، وهي الرفق بالمسلمين كما ذكروا لذي العلة والحاجة. وهذا يدل على أن الأفعال تختلف بالمقصود والإرادات، ولذلك قال: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾. ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: يعلم خُبث ضمائرهم وكذبهم فيما يحلفون عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وإذا كان المسجد الذي يتخذ للعبادة وحض

(٨٢٥) أحمر
أسود

الشرع على بنائه فقال: «**من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة**» يهدم وينزع إذا كان فيه ضرر بغيره، فما ظنك بسواه بل هو أحرى أن يزال ويهدم حتى لا يدخل ضرر على الأقدم. وذلك كمن بنى فرنا أو رحى أو حفر بئرا أو غير ذلك مما يدخل به الضرر على الغير. وضابط هذا الباب: أن من أدخل على أخيه ضررا منع. فإن أدخل على أخيه ضررا بفعل ما كان له فعله في ماله فأضر ذلك بجاره أو غير جاره نظر إلى ذلك الفعل ؛ فإن كان تركه أكبر ضررا من الضرر الداخل على الفاعل قطع أكبر الضررين وأعظمهما حرمة في الأصول. مثال ذلك: رجل فتح كوة في منزله يطلع منها على دار أخيه وفيها العيال والأهل، ومن شأن النساء في بيوتهن إلقاء بعض ثيابهن والانتشار في حوائجهن، ومعلوم أن الإطلاع على العورات محرم وقد ورد النهي فيه فلحرمه الاطلاع على العورات رأى العلماء أن يغلقوا على فاتح الباب والكوة ما فتح مما له فيه منفعة وراحة وفي غلقه عليه ضرر لأنهم قصدوا إلى قطع أعظم الضررين، إذ لم يكن بد من قطع أحدهما وهكذا الحكم في هذا الباب، خلافا للشافعي ومن قال بقوله. قال أصحاب الشافعي: لو حفر رجل في ملكه بئرا وحفر آخر في ملكه بئرا يسرق منها ماء البئر الأولة جاز ؛ لأن كل واحد منهما حفر في ملكه فلا يمنع من ذلك. ومثله عندهم: لو حفر إلى جنب بئر جاره كنيفا يفسده عليه لم يكن له منعه ؛ لأنه تصرف في ملكه. والقرآن والسنة يردان هذا القول. وبالله التوفيق.

ومن هذا الباب وجه آخر من الضرر منع العلماء منه، كدخان الفرن والحمام وغبار الأندر والدود المتولد من الزبل المبسوط في الرحاب، وما كان مثل هذا فإنه يقطع منه ما بان ضرره وخشي تماديه. وأما ما كان ساعة خفيفة مثل نفض الثياب والحصر عند الأبواب ؛ فإن هذا مما لا غنى بالناس عنه، وليس مما يستحق به شيء ؛ فنفي الضرر في منع مثل هذا أعظم وأكبر من الصبر على ذلك ساعة خفيفة. وللجار على جاره في أدب السنة أن يصبر على

(٨٢٦) أحمر
أسود

أذاه على ما يقدر كما عليه ألا يؤذيه وأن يحسن إليه.

ومما يدخل في هذا الباب مسألة ذكرها إسماعيل بن أبي أويس عن مالك أنه سئل عن امرأة عرض لها، يعني مسا من الجن، فكانت إذا أصابها زوجها وأجنبت أودنا منها يشتد ذلك بها. فقال مالك: لا أرى أن يقربها، وأرى للسلطان أن يحول بينه وبينها.

❁ ❁ ❁

فساقٌ وأبناؤهم صالحون

س: كم من شخصٍ فاسق وكافر وأبناؤه من أهل الفضل والصلاح، اذكر شيئًا في هذا الصدد؟

ج: من هذا ما يلي:

عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين ولكن ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبي من أهل الإيمان والفضل والصلاح.

عتبة بن ربيعة رأس من رؤوس الكفر، وهو من المبارزين يوم بدر من أهل الكفر، ولكن ولده أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من أهل الإيمان والفضل، وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

أبو عامر الراهب، فاسق، كافر، ولكن ابنه حنظلة غسيل الملائكة.

وقبل هؤلاء آزر، وهو كافر معاند، ولكن ابنه إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن.

وغير هؤلاء كثير كثير كثير.

فهذا حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله ولا يُعيَّر شخص بأبيه الكافر أو المنافق، ما دام هو على الإيمان والصلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٨٢٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾).

ج: هذا، والله تعالى أعلم، نهيٌ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي ابتناه أهل النفاق للصد عن سبيل الله وللكيد للإسلام وأهله لما ابتناه أهله أتوا رسول الله ﷺ كي يصلي فيه، فيتخذوا من صلاة رسول الله ﷺ إقرارًا منه لهم على صنيعهم، فيلبسون بذلك على المسلمين، فأطلع الله ﷻ، ولله الحمد، أطلع نبيه ﷺ على صنيعهم السيء الذي صنعوه، وعلى نواياهم، ما انطوت عليه قلوبهم، ونهاه أن يصلي في هذا المسجد فقوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي: لا تقم فيه مصليًا ولا تدخله من الأصل، إنما الذي تدخله وتصلي فيه، وهو أحق بذلك مسجدٌ أسس على التقوى، أسسه بانيه أول ما أسسه متقيًا الله في تأسيسه مبتغيًا به وبتأسيسه وجه الله مُريدًا بتأسيسه توحيد الله، واتقاء الشرك به، هذا الذي يُصلي فيه فهو الأحق بأن تصلي فيه، ففيه رجال من أهل الفضل (أهل الصلاح يحبون أن يتطهروا من القاذورات وكذا من الشركيات، وكذا من النفاق، والله يحب من هذا شأنه، يحب المتطهرين من القاذورات، وقد ورد أن أهل هذا المسجد، أهل قباء كانوا يستنجون بالماء، فجاء هذا الثناء في شأنهم، وكذا فإن ربنا يحب المتطهرين من الشرك والنفاق.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تقم، يا محمد، في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون، ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله. ثم أقسم جل ثناؤه فقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ﴾، أنت، ﴿فِيهِ ﴾.

(٨٢٨) أحمر
أسود

يعني بقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، ابتدئ في بنائه، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾، يقول: أولى أن تقوم فيه مصلِّيًا.

وقيل: معنى قوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، مبدأ أول يوم كما تقول العرب: «لم أره من يوم كذا»، بمعنى: مبدؤه ، و«من أول يوم»، يراد به: من أول الأيام، كقول القائل: «لقيت كلَّ رجل»، بمعنى كل الرجال.

وقال آخرون: بل عنى بذلك مسجد قباء.

قال الطبري:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله ﷺ.

وأورد الطبري الآثار بذلك، وقال:

في تأويل قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبُّون أن ينظفوا مقاعدَهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحبّ المتطهّرين بالماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ نهي من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، والأمة تَبَع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي: يصلي فيه أبدا.

ثم حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعا لكلمة المؤمنين ومَعقلا وموئلا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء.

(٨٢٩) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو في جوف المدينة، هو المسجد الذي أسس على التقوى. وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأحرى؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده:

حدثنا أبو نُعيم، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي، عن عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد، عن أبيّ بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «**المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا**». تفرد به أحمد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضرارا أبدا. فاللّه يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه.

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ظهر فيه الإسلام في «قباء» وهو مسجد «قباء» أسس على إخلاص الدين للّه، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديما في هذا عريقا فيه، فهذا المسجد الفاضل ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ وتتعبد، وتذكر اللّه تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم اللّه بقوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئا لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول اللّه ﷺ، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة اللّه ورسوله.

(٨٣٠) أحمر
أسود

وسألهم النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث.

❁ ❁ ❁

المسجد المؤسس على التقوى

س: ما المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه مسجد رسول الله ﷺ وذلك لوجود النص بذلك، فقد أخرج مسلم من طريق أبي سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ. ثُمَّ قَالَ: «**هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**» (لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ) قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ[(١)].

والثاني: أنه مسجد قباء، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾.

وقد ورد في ذلك ما سيأتي قريبًا من استنجاء أهل قباء بالماء.

ولا يمنع أن يكون المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد رسول الله ﷺ لوجود النص بذلك، ولكن هذا لا يعني أن غيره لم يؤسس على التقوى فكلا المسجدين أُسس على التقوى، وبالله التوفيق،

(١) مسلم (١٣٩٨).

(٨٣١) أحمر
أسود

والعلم عند الله.

❁ ❁ ❁

فضل مسجد قباء

س: اذكر بعض الوارد في فضل مسجد قباء.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري (١) ومسلم من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء، راكبًا وما شيًا.

وفي رواية عند مسلم فيصلي فيه ركعتين وفي بعض الروايات. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يأتي قباء كل سبتٍ ماشيًا وراكبًا وكان عبد الله رضي الله عنه يفعله (٢).

وقد ورد في الباب حديث في أسانيده مقال، ألا وهو صلاة في مسجد قباء تعدل عمرة، وفي كل أسانيده ضعف (٣).

❁ ❁ ❁

وجه الثناء على أهل المسجد المؤسس على التقوى

س: ما الصنيع الذي صنعه أهل المسجد الذي أسس على التقوى حتى أثنى عليهم هذا الثناء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾؟

ج: ورد في ذلك أنهم كانوا يستنجون بالماء، أخرج الإمام أحمد (٤) بسندٍ

(١) البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩).

(٢) البخاري (١١٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٨١)، والنسائي (٦٦٩)، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة (٧٦١٠)، (١٦٤١)، وغيرهم.

(٤) أحمد (٦/ ٦) بسندٍ فيه شهر بن حوشب وفيه ضعف، لكن للحديث شواهد يُحسن بها، وإن كانت= = لا تخلو نم مقال هي الأخرى، انظر ابن خزيمة (١/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠٠٧٩)، والطبري (١٧٢٢٧)، والجزء الذي يحسن هو المتعلق بالاستنجاء.

(٨٣٢) أحمر
أسود

حسن لشواهده من حديث محمد بن عبد الله بن سلام، قال: قدم رسول الله ﷺ يعني قباءً، فقال: «إن الله ﷻ قد أثنى عليكم في الطهور خيرًا أفلا تخبروني؟»، يعني قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾. فقالوا: يا رسول الله، إنا نجد مكتوبًا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء.

❁ ❁ ❁

حبُّ الله ﷻ للمتطهرين ظاهرًا وباطنًا

س: ربنا ﷻ يحب المتطهرين من الذنوب والمتطهرين من النجاسات، دلِّ على ذلك.

ج: نعم الله يحب المتطهرين من الذنوب، وهم التوابون المستغفرون، فباستغفارهم تتطهر قلوبهم، وبردهم المظالم تتطهر قلوبهم، وكذا يحب المتطهرين من النجاسات، فهكذا يحب الله طهارة الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾).

ج: هذه تحتمل معنيين، ومردهما إلى بعضهما، والله أعلم.

المعنى الأول: آلمسجد الذي أسسه المتقون الذين يبتغون بتأسيسه رضا الله ﷻ عنهم بأعمالهم وتأسيسهم المسجد، خير أم المسجد الذي أسسه أهل كفر وأهل نفاق يبتغون به الشقاق والعناد، أسسوه وليس له أساس، أسسوه على حافة بئر ليست مبطنة بالأحجار وليست قوية يأتيه السيل فيجرف

(٨٣٣) أحمر
أسود

المسجد فينهار بمن فيه في البئر، ولكن أي بئر؟! إنها نهار جهنم والعياذ بالله.

أما قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ فمعنا والله لا يوفق لطاعته أهل الظلم ما داموا قائمين على ظلمهم وقائمين على ظفرهم، لا يوفقهم وقد كتبت عليهم الشقاوة.

والوجه الثاني: آلمتقون الذين أسسوا المسجد يبتغون بذلك مرضاة الله أولى أن تُصلي معهم وأن تواليهم أم أهل النفاق الذين يؤسسون المساجد مضارةً لأهل الإسلام وكيدًا لأهله؟!

فهؤلاء أهل النفاق يؤسسون مسجدهم على غير أساس من التقى والصلاح، يؤسسون مسجدهم على حافة بئر غير مبطنة ولا مبنية، تأتيهم السيول فتجرفهم بمسجدهم في البئر تجرفهم ومسجدهم في نار جهنم، والله لا يوفق لطاعته ومرضاته والإيمان به أهل الظلم القائمين على ظلمهم الذين كُتبت عليهم الشقاوة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان، ومن بنى مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنما بنى هؤلاء بنيانهم ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ أي: طرف حَفِيرة مثاله ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يصلح عمل المفسدين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذًا: أيُّ هؤلاء الذين بنوا المساجد خير، أيها الناس، عندكم: الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء الله، بطاعتهم في بنائه، وأداء فرائضه ورضًى من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك، وفعلهم ما فعلوه ، خيرٌ، أم الذين

(٨٣٤) أحمر
أسود

ابتدأوا بناءَ مسجدهم على شفا جُرفٍ هارٍ؟

يعني بقوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾، على حرف جُرُف.

و«الجرف»، من الركايا، ما لم يُبْنَ له جُولٌ (١).

(هار﴾، يعني متهوِّر. وإنما هو «هائر»، ولكنه قلب، فأخرت ياؤها فقيل: «هارٍ»، كما قيل: «هو شاكي السلاح»، و«شائك»، وأصله من «هار يهور فهو هائر»، وقيل: «هو من هارَ يهار»، إذا انهدم. ومن جعله من هذه اللغة قال: «هِرْت يا جرف»، ومن جعله «من هار يهور»، قال: «هُرْت يا جرف».

قال أبو جعفر: وإنما هذا مَثَلٌ. يقول تعالى ذكره: أيّ هذين الفريقين خير؟ وأيّ هذين البناءين أثبت؟ أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله، وعلمٍ منه بأن بناءه لله طاعة، والله به راضٍ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال، وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه، فهو لا يدري متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه، فيهدمه، كما يأتي البناءُ على جرف ركيَّةٍ لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه، ثَرِيّةِ التراب متناثرة، لا تُلْبِثه السيول أن تهدمه وتنثره؟

يقول الله جل ثناؤه: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، يعني فانتثر الجرف الهاري ببنائه في نار جهنم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: والله لا يوفق للرشاد في أفعاله، من كان بانيًا بناءه في غير حقه وموضعه، ومن كان منافقًا مخالفًا بفعله أمرَ الله وأمرَ رسوله.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟

(١) يعني البطانة المحيطة بجوانبه من الأحجار.

(٨٣٥) أحمر
أسود

رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾، لا يزال ريبة في قلوبهم راضين بما صنعوا، كما حُبِّب العجل في قلوب أصحاب موسى. وقرأ: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ٩٣] قال: حبَّه، ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾، قال: لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا ، يعني المنافقين.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ فاعل انهار الجرف ؛ كأنه قال: فانهار الجرف بالبنيان في النار ؛ لأن الجرف مذكر. ويجوز أن يكون الضمير في به يعود على «من» وهو الباني ؛ والتقدير: فانهار من أسس بنيانه على غير تقوى. وهذه الآية ضرب مثل لهم، أي من أسس بنيانه على الإسلام خير أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق. وبين أن بناء الكافر كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها. والشفا: الشفير. وأشفى على كذا أي دنا منه.

وفي هذه الآية دليل على أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد إلى الله ويرفع إليه، ويخبر عنه بقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] على أحد الوجهين. ويخبر عنه أيضا بقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: على نية صالحة وإخلاص ﴿وَرِضْوَانٍ ﴾ بأن كان موافقا لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾ أي: على طرف ﴿ جُرُفٍ هَارٍ ﴾ أي: بال، قد تداعى للانهدام، ﴿ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ لما فيه مصالح دينهم ودنياهم.

(٨٣٦) أحمر
أسود

أورد ابن الجوزي قراءتين في قوله: ﴿أَسَّسَ﴾ إحداهما بضم الألف (أُسس) والأخرى بفتحها (أَسس).

وكذا أورد قراءتين في قوله: ﴿جُرُفٍ﴾.

إحداهما: (جُرُف) بضم الراء.

والثانية: (جُرْف) بتسكين الراء.

وقال: والتأسيس إحكام أس البناء، وهو أصله، والمعنى المؤسس بنيانه متقيًا يخاف الله ويرجو رضوانه خير أو المؤسس بنيانه غير متق.

وقال: وقال ابن قتيبة: المعنى على حرف جرف هائر، والجرف: ما يتجرف بالسيول من الأودية والهائر: الساقط منه، ومنه تهوَّر البناء وانهار إذا سقط.

وقال:

قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي بالباني ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قال الزجاج: وهذا مثل والمعنى أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها وقال قتادة ذكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة فرؤي فيها الدخان قال جابر رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان.

❁ ❁ ❁

النفاق يلازم أهل مسجد الضرار

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن هذا البنيان – مسجد الضرار – الذي بناه هؤلاء المنافقون – وشكًا وارتيابًا ونفاقًا أكثر مما كانوا فيه، ذلك لأنهم بنوه يبتغون به الكيد للإسلام وأهله فزادهم الله زيغًا إلى زيغهم وانصرافًا إلى انصرافهم

(٨٣٧) أحمر
أسود

وكفرًا إلى كفرهم ونفاقًا إلى نفاقهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ وكما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ إلى غير ذلك.

فهذا النفاق وهذا الشك وذاك الارتياب دخل قلوبهم وازداد وتمكن منها بعد بنائهم المسجد، عقوبة من الله لهم، وانتقامًا منهم، ولا يزال هذا النفاق يصاحبهم إلى أن تقطع قلوبهم بالموت، كقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ ..﴾.

وقيل: إلا أن تقطع قلوبهم تحسرًا وندامةً على ما صنعوا، وتوبةً وإنابةً إلى الله ﷻ حتى يزيحه الله عنهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَواْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع، أورثهم نفاقا في قلوبهم، كما أشرب عابدو العجل حبه.

وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ أي: بموتهم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم، والسدي، وحبيب بن أبي ثابت، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد من علماء السلف.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بأعمال خلقه، ﴿ حَكِيمٞ ﴾ في مجازاتهم عنها، من خير وشر.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا، ﴿رِيبَةٗ﴾، يقول: لا يزال مسجدهم الذي بنوه، ﴿رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾، يعني: شكًّا ونفاقًا في قلوبهم، يحسبون أنهم كانوا في بنائه مُحْسنين، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾، يعني: إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بما عليه هؤلاء المنافقون

(٨٣٨) أحمر
أسود

الذين بنوا مسجد الضرار، من شكهم في دينهم، وما قصدوا في بنائهموه وأرادوه، وما إليه صائرٌ أمرهم في الآخرة، وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، في تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: شكا، وريبا ماكثا في قلوبهم، ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو اللّه عنهم، وإلا فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريبا إلى ريبهم، ونفاقا إلى نفاقهم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بجميع الأشياء، ظاهرها، وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فللّه الحمد.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ﴾ يعني: مسجد الضرار ﴿ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: شكا ونفاقا لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني: حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه قاله ابن السائب ومقاتل.

والثالث: أن المعنى لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم قاله السدي والمبرد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ قرأ الأكثرون إلا وهو حرف استثناء وقرأ يعقوب إلى أن فجعله حرف جر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو

(٨٣٩) أحمر
أسود

والكسائي وأبو بكر عن عاصم تقطع بضم التاء وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم تقطع بفتح التاء ثم في المعنى قولان:

أحدهما: إلا أن يموتوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة في آخرين.

والثاني: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ذكره الزجاج.

❁ ❁ ❁

بعض المستفاد من قصة مسجد الضرار

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة مسجد الضرار.

أورد السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره طائفة من ذلك فقال:

وفي هذه الآيات فوائد عدة:

منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه.

ومنها: أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منهيا عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

ومنها: أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها.

كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن اللّه علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة للّه ورسوله.

ومنها: النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

ومنها: أن المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في

(٨٤٠) أحمر
أسود

مسجد « قباء» حتى قال اللّه فيه:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾.

ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان ﷺ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

ومنها: أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي:

كل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية للّه، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى اللّه ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه.

ومنها: أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي ﷺ الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره اللّه له من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم.

والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، واللّه لا يهدي القوم الظالمين.

❁ ❁ ❁

(٨٤١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ
ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ
فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾
ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ
ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا
عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ
لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ
لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ ﴾
[التوبة: ١١٢-١١٦].

(٨٤٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ - وَٱلۡإِنجِيلِ - فَٱسۡتَبۡشِرُواْ - ٱلتَّٰٓئِبُونَ - ٱلۡعَٰبِدُونَ - ٱلۡحَٰمِدُونَ - ٱلسَّٰٓئِحُونَ - ٱلرَّٰكِعُونَ - ٱلسَّٰجِدُونَ - ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ - وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ - وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ - أُوْلِي قُرۡبَىٰ - تَبَيَّنَ لَهُمۡ - مَّوۡعِدَةٖ - لَأَوَّٰهٌ - حَلِيمٞ - لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا - مَّا يَتَّقُونَۚ - وَلِيّٖ - نَصِيرٖ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾	الكتاب الذي أُنزل على نبي الله موسى عليه السلام
﴿وَٱلۡإِنجِيلِ﴾	الكتاب الذي أُنزل على نبي الله عيسى عليه السلام
﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾	فيبشر بعضكم بعضًا – فافحروا واسعدوا
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾	الرجّاعون عن الشرك، والبراء من النفاق، التائبون من الذنوب كلها، الراجعون إلى الله وإلى طاعته وإلى الاستقامة عن أمره تابوا من الشر وبرءوا من النفاق
﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾	الذين ذلَّت نفوسهم وخضعت لله عز وجل فرقًا منه وطاعة له وحجته له فاجتهدوا في طاعته – الخاضعون
﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾	الذين يحمدون الله على الخير والشر، في كل أحيانهم
﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾	الصائمون
﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾	الراكعون في صلاتهم
﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾	الساجدون في صلاتهم

(٨٤٣) أحمر
أسود

﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	المؤدون لفرائض الله ولما أوجبه عليهم، المنتهون عما نهاهم الله عنه
﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	انصرف مُعرضًا مُتعاليًا
﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾	صممًا – ثقلًا
﴿أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾	جبالًا لإرسائها
﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾	لئلا تميل
﴿مَّوْعِدَةٍ﴾	فرَّق ونشر
﴿لَأَوَّٰهٌ﴾	حسن
﴿حَلِيمٌ﴾	ذهاب عن الحق ظاهر – ذهاب عن الحق في طريق مظهر لمن تأمله أن ساكهه ضآل
﴿لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾	المصدقين بوحدانية الله – المصدقين بوعد الله ووعيده، وبكل ما أخبر الله به والمصدقين لرسله كذلك

❁ ❁ ❁

(٨٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – أن الله ﷻ يُخبر عباده بأنه اشترى منهم أموالهم وأنفسهم، إن هم بذلوا من أموالهم لنصرة دين الله ولإعلاء كلمة الله وإن هم بذلوا أنفسهم لذلك، فقاتلوا أعداء الله فقتلوا أهل الكفر وقلتهم أهل الكفر، إن هم فعلوا ذلك فثمن ذلك الجنة، التي لهم فيها ما تشتهيه الأ،فس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، وقد وعد الله ﷻ هذا الوعدة في كتبه التي انزلها على رسله وعد الله بذلك في التوراة والأنجيل والقرآن، التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام فيها هذا الوعد، وكذا الإنجيل الذي آتاه الله عيسى عليه السلام وكذا القرآن، فكل من آمن بالله وصدق المرسلين وجاهد بنفسه وبماله فله الجنة، وعدًا حقًّا من الله ﷻ، وليس هناك من هو أولى بالعهد من الله ﷻ فافرحوا بذلك يا أهل الإيمان وليبشر بعضكم بعضًا بذلك استبشروا بالجنة ثمنًا عظيمًا لأموالكم وأنفسكم التي بذلتموها لنصرة دين الله ﷻ، وذلك هو أعظم فوز على الإطلاق، ذلك هو الفوز العظيم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله ابتاعَ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة ، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾، يقول: وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفِّي لهم به، في كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وَفَوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه، فقَتَلوا وقُتِلوا ، ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ

(٨٤٥) أحمر
أسود

ٱللَّهِۚ﴾، يقول جل ثناؤه: ومن أحسن وفاءً بما ضمن وشرط من الله، ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾، يقول ذلك للمؤمنين: فاستبشروا، أيها المؤمنون، الذين صَدَقوا الله فيما عاهدوا، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذي بعتموها من ربكم به، فإن ذلك هو الفوز العظيم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ أي: سواء قتلوا أو قُتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة؛ ولهذا جاء في الصحيحين: «**وتكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وتصديق برسلي، بأن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة**»[1].

وقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار، وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [أي: ولا واحد أعظم وفاءً بما

(١) البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٨٤٦) أحمر
أسود

عاهد عليه من الله] فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]؛ ولهذا قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ إخبار من الله تعالى أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام. و«وعدا» و«حقا» مصدران موكدان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي لا أحد أو في بعهده من الله. وهو يتضمن الوفاء بالوعد والوعيد، ولا يتضمن وفاء البارئ بالكل ؛ فأما وعده فللجميع، وأما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين وببعض الذنوب وفي بعض الأحوال. وقد تقدم هذا المعنى مستوفى.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ﴾ أي أظهروا السرور بذلك. والبشارة إظهار السرور في البشرة. وقد تقدم. وقال الحسن: والله ما على الأرض مؤمن إلا يدخل في هذه البيعة. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي الظفر بالجنة والخلود فيها.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وقوله: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يدل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال وَوُعدوا عليه الجنة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾ بنفسه الكريمة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾

(٨٤٧) أحمر
أسود

فهي المثمن والسلعة المبيعة.

﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا للّه نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من اللّه مؤكدة بأنواع التأكيدات.

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم اللّه، ﴿ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا.

﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من اللّه الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو اللّه جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب اللّه الكبار المنزلة على أفضل الخلق.

❁ ❁ ❁

(٨٤٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾.

ج: من العلماء من قال إن هذه الآية متصلة بما قبلها في العنى فإن سألت من هؤلاء الذين اشترى الله منهم أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة، وما صفاتهم وما أتاهم لهم فجواب سؤالك هم التائبون العابدون.

ومن العلماء من قال هذه الآية مستقلة في معناها عما قبلهان والمعنى بشر المؤمنين الذين من صفاتهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱللَّهِ..﴾.

أما عن معنى الآية:

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: الرجَّاعون إلى الله ﷻ بعد ذنوبهم، وبعد ابتعادهم عن طريقه، المستغفرون من ذنوبهم.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: الخاضعون لله المطيعون له الذين ذلَّت له نفوسهم مع محبةٍ منهم لربهم، وامتثال لأوامره واجتنابه لنواهيه.

﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾: لله على كل أحوالهم في سرائرهم وضرائهم.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: فهم الصائمون.

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: في صلواتهم.

﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: بالحكمة والموعظة الحسنة، ووفق كتاب ربهم ﷻ وسنة نبيهم ﷺ.

﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾: المقيمون لأوامره والذين لا يرتكبون ما نهى عنه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: بجنات النعيم وبرضوانه من رب العالمين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٤٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ، ولكنه رفع، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها. والعرب تفعل ذلك.

وقال في معنى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾، الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبُّه ويرضاه.

وأما قوله: ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، فهم الذين ذلُّوا خشيةً لله وتواضعًا له، فجدُّوا في خدمته.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم.

وقال: وقوله: ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾، فإنهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر.

وقال: وأما قوله: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾، فإنهم الصائمون.

وقال: قوله: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾، يعني المصلين، الراكعين في صلاتهم، الساجدين فيها.

وأما قوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، فإنه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم، واتباع الرشد والهدى، والعمل، وينهونهم عن المنكر، وذلك نهيهم الناسَ عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه.

وأما قوله: ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾، فإنه يعني: المؤدّون فرائض الله، المنتهون إلى أمره ونهيه، الذين لا يضيعون شيئًا ألزمهم العملَ به، ولا يرتكبون شيئًا نهاهم عن ارتكابه.

وأما قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فإنه يعني: وبشّر المصدِّقين بما وعدهم الله إذا هم وفَّوا الله بعهده، أنه مُوفٍّ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة.

(٨٥٠) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا نعتُ المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من الذنوب كلها، التاركون للفواحش، ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي: القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها، وهي الأقوال والأفعال فمن أَخَصّ الأقوال الحمد ؛ فلهذا قال: ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ ومن أفضل الأعمال الصيامُ، وهو ترك الملاذِّ من الطعام والشراب والجماع، وهو المراد بالسياحة هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ [التحريم: ٥] أي: صائمات، وكذا الركوع والسجود، وهما عبارة عن الصلاة، ولهذا قال: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ وهم مع ذلك ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركُه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه، علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق؛ ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من اللّه بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فقال: هم ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي: المتصفون بالعبودية للّه، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.

﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ للّه في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما

(٨٥١) أحمر
أسود

للّه عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على اللّه بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة اللّه ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك.

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي: المكثرون من الصلاة، المشتملة على الركوع والسجود.

﴿ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهي جميع ما نهى اللّه ورسوله عنه.

﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل اللّه على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركا.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن.

وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ حديث صحيح في تفسير السائحين بالصائمين؟

ج: ورد في ذلك أخبار لا تخلو من مقال، منها ما أخرجه الطبري بسندٍ

(٨٥٢) أحمر
أسود

صحيح عن عبيد بن عمير قال: سئل النبي ﷺ عن «السائحين» فقال: هم الصائمون.

وهذا مرسل.

وأخرج الطبري أيضًا من حديث أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ هم الصائمون.

لكن أعل هذا بالوقف.

فقد أخرجه الطبري من وجهٍ أصح موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد حديث آخر بلفظ: «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله**».

وقد صح عن عددٍ من أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم أن ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ هم الصائمون.

روي ذلك بإسنادٍ حسن عن ابن مسعود وغيره عند الطبري وغيره.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾.

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] في صحيحيهما من طريق سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ. جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٨٥٣) أحمر
أسود

يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللهُ** ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**».

❁ ❁ ❁

النهي عن الاستغفار للمشركين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ما كان ينبغي، وما كان يحلُّ وما كان يجوز للنبي ﷺ ولا لذين آمنوا أن يطلبوا من الله ﷻ المغفرة لأهل الشرك، ولو كان هؤلاء المشركون من أقربائهم، وذلك من بعد ما ظهر لأهل الإيمان أن أهل الشرك هم أصحاب الجحيم إن هم ماتوا على شركهم ولم يتوبوا منه قبل الممات.

هذان وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ للعلماء فيه أقوال: أحدها: أ، هذا التبين يكون إذا مات المشرك على شركه، فحينئذ لا يُصلى عليه ولا يستغفر له، ولا يقبر في مقابر المسلمين،...إلى غير ذلك من متبوعات الموت على الكفر، والعياذ بالله.

(٨٥٤) أحمر
أسود

والثاني: أن هذا التبين يكون يوم القيامة إذا عُلم آنذاك أن هذا المشرك من أهل النار فلا يستغفر له، والظاهر، والله أعلم، ما قدمته من أن قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: من بعد ما تبين للمسلمين أن أهل الشرك هم أهل النار، وهذا العلم يتأتى بمعرفة أحوالهم في الدنيا وبالظاهر الذي ماتوا عليه، فما داموا على شركهم في الدنيا فلا يستغفر لهم، وكذا إذا ماتوا على الشرك لا يستغفر لهم ولا يُصلى عليهم كذلك.

أما الدعاء للمشركين الأحياء بالهداية فجائز وستأتي أدلته إن شاء الله.

هذا، وإن احتج محتج بأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه وكان أبوه مشركًا، فجواب ذلك أن إبراهيم عليه السلام كان قد وعد أباه وعدًا بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ [مريم: ٤٧] وذلك قبل أن يعلم من حاله أن أباه سيموت على الكفر، فلما ظهر له بموت أبيه على الكفر، ولا يمنع أيضًا أن يكون إضافة إلى ما ذكر، إخبار الله عز وجل إبرهيم عليه السلام أن أبا إبراهيم عدو لله، فحينئذٍ تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه ولم يعد للاستغفار له، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ أي: كثير الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل والتخشع لله عز وجل وقيل: معناه رحيم.

وقوله: ﴿حَلِيمٞ﴾أي: لا يُعاجل بالعقوبة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به، ﴿أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ﴾، يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين

(٨٥٥) أحمر
أسود

يستغفرون لهم، ﴿أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾، ذوي قرابة لهم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله. فإن قالوا: فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك؟ فلم يكن استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه. فلما تبين له وعلم أنه لله عدوٌّ، خلاه وتركه، وترك الاستغفار له، وآثر الله وأمرَه عليه، فتبرأ منه حين تبين له أمره.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾، فإن أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه.

فقال بعضهم: أنزل من أجل أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين، ظنًّا منهم أنّ إبراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك، حين أنزل الله قوله خبرًا عن إبراهيم: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٧].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ﴾، ومعناه: إلا من بعد موعدة، كما يقال: «ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا»، بمعنى: من بعد ذلك السبب، أو من أجله. فكذلك قوله: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾، من أجل موعدة وبعدها.

وقد تأوّل قوم قولَ الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾، الآية، أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾. وقالوا: ذلك لا

(٨٥٦) أحمر
أسود

يتبينه أحدٌ إلا بأن يموت على كفره، وأما وهو حيٌّ فلا سبيل إلى علم ذلك، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم.

وقال آخرون: الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة[1].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد دللنا على أن معنى «الاستغفار»: مسألة العبد ربَّه غفرَ الذنوب. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت مسألة العبد ربَّه ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة، لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدًا، لأن الله عمَّ بالنهي عن الاستغفار للمشرك، بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم، ولم يخصص عن ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له.

وأما قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾، فإن معناه: ما قد بيَّنتُ، من أنه: من بعد ما يعلمون بموته كافرًا أنه من أهل النار.

وقيل: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها، كما يقال لسكان الدار: «هؤلاء أصحاب هذه الدار»، بمعنى: سكانها.

وقال الطبري:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾.

قال بعضهم: معناه: فلما تبين له بموته مشركًا بالله، تبرأ منه، وترك الاستغفار له.

وقال آخرون: معناه: فلما تبين له في الآخرة. وذلك أن أباه يتعلَّق به إذا أرادَ أن يجوز الصراط فيمرّ به عليه، حتى إذا كاد أن يجاوزه، حانت من إبراهيم التفاتةٌ، فإذا هو بأبيه في صورة قِرْد أو ضَبُع، فيخلِّي عنه ويتبرأ منه حينئذ.

---

(١) يعنون الصلاة على الميت.

(٨٥٧) أحمر
أسود

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ الله، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوٌّ، يبرأ منه، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوٌّ، وهو به مشرك، وهو حالُ موته على شركه.

وقال في تأويل قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في «الأوّاه».

فقال بعضهم: هو الدعَّاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن عبد الله (ابن مسعود) : «الأوّاه»، الدعّاء.

وقال آخرون: بل هو الرحيم.

وقال آخرون: بل هو الموقن.

وقال آخرون: هي كلمة بالحبشة، معناها: المؤمن.

وقال آخرون: هو المسبِّح، الكثير الذكر لله.

وقال آخرون: هو الذي يكثر تلاوة القرآن.

وقال آخرون: هو من التأوُّه.

وقال آخرون: معناه أنه فقيهٌ.

وقال آخرون: هو المتضرع الخاشع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القولُ الذي قاله عبد الله بن مسعود، الذي رواه عنه زرٌّ: أنه الدعَّاء.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله ذكر ذلك، ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ

(٨٥٨) أحمر
أسود

تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، وترك الدعاء والاستغفار له. ثم قال: إن إبراهيم لدعَّاء لربه، شاكٍ له، حليمٌ عمن سبَّه وناله بالمكروه. وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له، ودعاءَ الله له بالمغفرة، عند وعيد أبيه إياه، وتهدُّده له بالشتم، بعد ما ردَّ عليه نصيحته في الله وقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾، فقال له صلوات الله عليه، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾، [مريم: ٤٦-٤٨]. فوفى لأبيه بالاستغفار له، حتى تبيَّن له أنه عدو لله، فوصفه الله بأنه دَعّاء لربه، حليم عمن سَفِه عليه.

وأصله من «التأوّه»، وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق.

ولأن معنى ذلك: «توجَّع، وتحزّن، وتضرع»، اختلف أهل التأويل فيه الاختلافَ الذي ذكرتُ. فقال من قال: معناه «الرحمة»: أن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرِّقة على أبيه، والرحمة له، ولغيره من الناس.

وقال آخرون: إنما كان ذلك منه لصحة يقينه، وحسن معرفته بعظمة الله، وتواضعه له.

وقال آخرون: كان لصحة إيمانه بربِّه.

وقال آخرون: كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله أحد الذي أنزله عليه.

وقال آخرون: كان ذلك منه عند ذكر رَبِّه.

وكلُّ ذلك عائد إلى ما قلتُ، وتَقَارَبَ معنى بعض ذلك من بعض، لأن الحزين المتضرِّع إلى ربه، الخاشع له بقلبه، ينوبه ذلك عند مسألته ربَّه، ودعائه إياه في حاجاته، وتعتوره هذه الخلال التي وجَّه المفسرون إليها تأويل قول الله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

(٨٥٩) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ الآية.

لم يبين هنا هذه الموعدة التي وعدها إياه، ولكنه بينها في سورة « مريم » بقوله: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم: ٤٧].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه اللّه، ويعادوا من عاداه اللّه، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ في قوله ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه.

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو للّه، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ موافقة لربه وتأدبا معه.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ ﴾ أي: رجّاع إلى اللّه في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه.

﴿ حَلِيمٌ ﴾ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من

(٨٦٠) أحمر
أسود

الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وهو يقول له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾.

فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] كما نبهكم اللّه عليها وعلى غيرها.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز الاستغفار للمشركين؟

ج: لا يجوز ذلك، وذلك لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ...﴾.

ولقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».

❁ ❁ ❁

الدعاء للمشركين بالهداية

س: هل يجوز الدعاء للمشركين بالهداية وهم أحياء؟

ج: نعم يجوز الدعاء لهم بالهداية.

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**».

وأخرج مسلم[2] أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٦)، ومسلم (١٦/ ٧٧).
(٢) مسلم (مع النووي ١٦/ ٥١)، وأحمد (٢/ ٣٢٠).

(٨٦١) أحمر
أسود

الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز الدعاء للمشرك الحي بالمغفرة؟

ج: لم أقف على شيء صريح يجوِّز ذلك، والظاهر لي، والله أعلم، عدم جواز الدعاء له بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

أما إذا تاب من شركه فيجوز الدعاء له آنذاك قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾. [الأنفال: ٣٨]

أما الوارد عن رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**».

فالصحيح أن قائله ليس رسول الله ﷺ إنما يحكي نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام.

وكذا فإنه محتمل أن يغفر له ما صدر منه من ضربهم له، ويحتمل أن يكون منسوخًا كذلك، وذلك لكوني لم أقف على شيء صريح يفيد أن النبي ﷺ

(٨٦٢) أحمر
أسود

استغفر للمشركين الأحياء.

بل لقد قال تعالى في شأن التأسي بإبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة: ٤].

أي: لا تتأسوا بإبراهيم عليه السلام في قوله لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

من أدلة العذر بالجهل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ ؟

ج: المعنى – والله أعلم – وما كان الله عز وجل يعاقب قومًا بإضلالهم عن طريق الحق والصواب حتى يبين لهم الأمور التي يجب أن يحذرونها ويوضحها لهم، فإن هم اقترفوا المحرمات ووقعوا في المحذور عن عمد وقصد عاقبهم ربنا بالإضلال عن الطريق المستقيم.

كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ولقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]

وكما قال في شأن أقوام آخرين: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ... ﴾ [الصف: ٥]

إلى غير ذلك.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما كان الله ليقضي عليكم، في استغفاركم لموتاكم

(٨٦٣) أحمر
أسود

المشركين، بالضلال، بعد إذ رزقكم الهداية، ووفقكم للإيمان به وبرسوله، حتى يتقدَّم إليكم بالنهي عنه، فتتركوا الانتهاء عنه. فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهيّ، فأما من لم يؤمر ولم ينه، فغير كائنٍ مطيعًا أو عاصيًا فيما لم يؤمَرْ به ولم ينه عنه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهي الله إياكم من الاستغفار لموتاكم المشركين، من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهي عنه، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها، فبيَّن لكم حلمه في ذلك عليكم، ليضع عنكم ثِقَل الوَجْد بذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل: إنه لا يضل قوما بعد بلاغ الرسالة إليهم، حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ الآية [فصلت: ١٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا﴾ إلى ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾.

يعني أن اللّه تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه.

ويحتمل أن المراد بذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ

(٨٦٤) أحمر
أسود

يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المبين، والأول أولى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تنتفعون.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يتخذ ماذا؟

ج: قيل يتخذ طريق الله هزوًا، أي: ويتخذ سبيل الله هزوا، أي: استهزاء وسخرية فإذا دعاه أحد إلى طريق الله سخر منه ومنها، وقيل: ويتخذ آيات الله هزوًا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قال: بِحَسْب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع، ويتخذها هزوا يستهزئ بها ويكذّب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب، واتخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – إن الله ﷻ مالك السموات والأرض، وله الملك بينهما وله الأمر بينهما، فله الخلق وله الأمر يفعل فيهما ما يشاء يوقضي فيهما بما يريد لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، فامتثلوا أمر ربكم وانتهوا عما نهاكم عنه فليس لكم غير الله

(٨٦٥) أحمر
أسود

وليٌّ يتولاكم ولا نصير ينصركم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله، أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما، وكل من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه، بيده حياتهم وموتهم، يحيي من يشاء منهم، ويميت من يشاء منهم، فلا تجزعوا، أيها المؤمنون، من قتال من كفر بي من الملوك، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة، أو غيرهم، واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي، فإني المعزُّ من أشاء منهم ومنكم، والمذلُّ من أشاء.

وهذا حضٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كلّ من كفر به من المماليك، وإغراءٌ منه لهم بحربهم.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، يقول: وما لكم من أحد هو لكم حليفٌ من دون الله يظاهركم عليه، إن أنتم خالفتم أمرَ الله فعاقبكم على خلافكم أمرَه، يستنقذكم من عقابه، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾، ينصركم منه إن أراد بكم سوءًا. يقول: فبالله فثقوا، وإياه فارهبوا، وجاهدوا في سبيله من كفر به، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة، تقاتلون في سبيله فتَقْتُلُون وتُقْتَلُون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ قال ابن جرير: هذا تحريض من الله لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر، وأن يثقوا بنصر الله مالك السماوات والأرض، ولم يرهبوا من أعدائه فإنه لا ولي لهم من دون الله، ولا نصير لهم سواه.

(٨٦٦) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ ﴾ أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بإلهيته، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو أعظم توليه لعباده؟!!

فلهذا قال: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو ﴿ نَصِيرٍ ﴾ يدفع عنكم المضار.

❁ ❁ ❁

(٨٦٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ
فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ
عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا
ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ
لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا
مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا
يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾
۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ
طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

[التوبة: ١١٧-١٢٢].

(٨٦٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ - يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ - رَءُوفٌ - خُلِّفُوا - ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ - وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ - ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ - لِيَتُوبُوا - ٱلْأَعْرَابِ - وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ - ظَمَأٌ - نَصَبٌ - مَخْمَصَةٌ - فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ - وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا - وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا - وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا - لِيَنفِرُوا كَآفَّةً - لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ - يَحْذَرُونَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾	وقت الشدة، وهو زمن الغزوة كله، ووقتها كله منذ أن خرجوا إلى رجوعهم
﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾	يميل قلوب فريق منهم عن الإيمان والهدى إلى الضلال والشقاء
﴿رَءُوفٌ﴾	ذو رأفةٍ
﴿خُلِّفُوا﴾	تأخرت توبة الله عليهم وأرجأ أمرهم، وقيل: تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ
﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾	ضاقت عليهم طرائق التصرف، لا يدرون كيف يتصرفون ولا إلى أين يذهبون بما فيها من اتساع أصابها كرب شديد وهمٌ وغمٌ
﴿ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾	لا مفر من الله إلا إلى الله
﴿لِيَتُوبُوا﴾	ليرجعوا عما صنعوه من التخلف، وليستغفروا الله عما بدر منهم

(٨٦٩) أحمر
أسود

﴿ ٱلْأَعْرَابِ ﴾	سكان البوادي
﴿ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾	لا يبخلوا بأنفسهم وتقديمها للقتل في سبيل الله ونصرة رسول الله ﷺ لا يبخلوا بأنفسهم ولا يضنوا بها عن تقديمها للقتل في سبيل الله
﴿ ظَمَأٌ ﴾	عطش
﴿نَصَبٌ ﴾	تعب
﴿مَخْمَصَةٌ ﴾	مجاعة
﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	لإعلاء كلمة الله
﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾	لا ينزلون منزلًا – ولا يخطو من خطوات
﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾	لا يصيبون العدو بهزيمة من قتل وسبي ونحو ذلك
﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾	لا يمرون بوادي من الأودية ولا يجتازونه
﴿لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾	ليخرجوا كلهم جميعًا (للغزو أو للعلم الشرعي)
﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	ليستبصروا في دينهم وليعلموا أحكامه
﴿يَحْذَرُونَ ﴾	يتقون الحرام، ويخافون النيران

❁ ❁ ❁

(٨٧٠) أحمر
أسود

توبة الله ﷻ على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار

س: ما الذي صنعه النبي ﷺ حتى قال الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ وما الذي صنعه أهل المهاجرون والأنصار؟

ج: من العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ على إذنه للمنافقين في التخلف كما قال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ أما الذي صنعه المهاجرون والأنصار، فقد همَّ بعضهم بالرجو والتخلف عن رسول الله ﷺ، وقلَّ صبر بعضهم على الشدة التي كانت في هذه الغزوة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بساعة العسرة؟

ج: المراد – والله أعلم- زمن الغزوة كله، فقد كانت في حرٍّ شديد، وقلةٍ من الزاد، وقلةٍ من الظهر (أي: الإبل والخيل والبغال التي تحمل المسافرين) وكان السفر بعيدًا، والماء قليلًا، فكانت حقًّا ساعة عسرة كما قال الله تبارك وتعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – لقد منَّ الله برحمته وعفوه وتفضل على نبيه ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار بمغفرته ورزقهم حسن الإنابة إليه وعاد عليهم بالتخفيف بعد أن كان الأمر عليهم شديدًا وعاد عليهم برحمته بعد أن فعل البعض ما يوجب العذاب، فرجع الله عليهم جميعًا برحمته وعفوه وتخفيفه

(٨٧١) أحمر
أسود

عليهم.

أما رسول الله ﷺ فوجه التوبة عليه لأنه كان قد أذن لأهل النفاق في التخلف وقبل منهم الأعذار، وليست هي في حقيقة الأمربأعذار قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أما المهاجرون والأنصار فقد كاد بعضهم أن يرجع إلى المدينة من شدة السفر ومشقته.

أما ساعة العسرة فهي زمن الغزوة الشديدة، غزوة تبوك، وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من بعد ما كادت قلوب بعضهم تميل عن الحق إلى الباطل، وعن الإيمان إلى الغي والشر والفساد، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ رجع عليهم بالتخفيف بعد الأمر الشديد، ورجع عليهم بنمةٍ عظيمة، وهي تثبيت قلوبهم حتى يرجعوا عما همت به نفوسهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، بل رفق بهم حتى رجعوا إلى رشدهم وصوابهم، إنه بهم ذو رأفة ورحمة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته، نبيّه محمدًا ﷺ، والمهاجرين ديارَهم وعشيرتَهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله في الله، الذين اتبعوا رَسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾، يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، ويشك في دينه ويرتاب، بالذي ناله من المشقة والشدّة في سفره وغزوه ، ﴿ثم تاب عليهم)، يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم ، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، يقول: إن ربكم بالذين خالط قلوبَهم ذلك لما نالهم في

(٨٧٢) أحمر
أسود

سفرهم من الشدة والمشقة رءوف بهم ، ﴿رَّحِيمٌ﴾، أن يهلكهم، فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلَوْا في الله ما أبلوا مع رسوله، وصبروا عليه من البأساء والضراء.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾، الآية، الذين اتبعوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قِبَل الشأم في لهَبَانِ الحرّ على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهدٌ شديد، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم، يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم.

وبإسناد صحيح عن عبد الله بن عباس: أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة، فقال عمر: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمسُ الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فَرْثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عوّدك في الدعاء خيرًا، فادع لنا! قال: تحب ذلك؟ قال: نعم! فرفع يديه، فلم يَرْجِعهما حتى قالت السماء، فأظلّت، ثم سكبت، فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها، جاوزت العسكر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبي والمهاجرين والأنصار على أقوال فقال ابن عباس: كانت التوبة على النبي لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه. وقيل: توبة الله

(٨٧٣) أحمر
أسود

عليهم استنقاذهم من شدة العسرة. وقيل: خلاصهم من نكاية العدو، وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحال الأولى. وقال أهل المعاني: إنما ذكر النبي ﷺ في التوبة لأنه لما كان سبب توبتهم ذكر معهم كقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي في وقت العسرة، والمراد جميع أوقات تلك الغزاة ولم يرد ساعة بعينها. وقيل: ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة. والعسرة صعوبة الأمر. قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء. قال الحسن: كانت العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة وكان النفر يخرجون ما معهم - إلا التمرات - بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم.

وقال القرطبي أيضًا:

واختلف في معنى تزيغ، فقيل: تتلف بالجهد والمشقة والشدة. وقال ابن عباس: تعدل - أي تميل - عن الحق في الممانعة والنصرة. وقيل: من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لحقوا به وقيل: هموا بالقفول فتاب الله عليهم وأمرهم به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: توبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تزغ، وكذلك سنة الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب، ووطنوا أنفسهم على الهلاك أمطر عليهم سحائب الجود فأحيا قلوبهم.

(٨٧٤) أحمر
أسود

وقال كذلك:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ فقيل: معنى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي وفقهم للتوبة ليتوبوا. وقيل: المعنى تاب عليهم؛ أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم ليتوبوا. وقيل: تاب عليهم ليثبتوا على التوبة. وقيل: المعنى تاب عليهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم. وبالجملة فلولا ما سبق لهم في علمه أنه قضى لهم بالتوبة ما تابوا؛ دليله قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذُكر معهم كقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرٌّ شديدٌ، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعتقبون عليه، وكانوا في فقر، فربما اقتسم التمرة اثنان، وربما مص التمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ قرأ حمزة وحفص عن عاصم كاد يزيغ بالياء وقرأ الباقون بالتاء وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين هموا بذلك، ثم لحقوه. قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها ولم تزغ عن الإيمان. قاله الزجاج.

(٨٧٥) أحمر
أسود

والثالث: أن القلوب كادت تزيغ تلفا بالجهد والشدة ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ذكر التوبة لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم فقدم ذكر التوبة فضلا منه ثم ذكر ذنبه ثم أعاد ذكر التوبة.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تَابَ عَلَى النَّبِيِّ محمد ﷺ ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فغفر لهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة «تبوك» وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا اللّه تعالى، وقاموا بذلك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن اللّه ثبتهم وأيدهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي.

وقوله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: قبل توبتهم ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها.

❁ ❁ ❁

الثلاثة الذين خُلِّفوا وقصتهم

س: من هم الثلاثة الذين خلفوا؟

ج: هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة.

❁ ❁ ❁

(٨٧٦) أحمر
أسود

س: اذكر قصة الثلاثة الذين خُلفوا كما جاءت في الصحيحين مع بيان سبب نزول الآية: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوٓاْ أَنفُسُهُمۡ ..﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[(١)] في صحيحيهما من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ. إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ. وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ. إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ. حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ[(٢)]، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ[(٣)]، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ[(٤)] فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا[(٥)]، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ[(٦)]، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ[(٧)] فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمْ[(٨)]

---

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) (ليلة العقبة) هي الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار فيها على الإسلام. وأن يؤوه وينصروه. وهي العقبة التي في طرف منى، التي يضاف إليها جمرة العقبة. وكانت بيعة العقبة مرتين، في سنتين. في السنة الأولى كانوا اثنى عشر، وفي الثانية سبعين. كلهم من الأنصار رضي الله عنهم.

(٣) (تواثقنا على الإسلام) أي: تبايعنا عليه وتعاهدنا.

(٤) (وإن كانت بدرأذكر) أي: أشهر عند الناس بالفضيلة.

(٥) (ومفازا) أي: بربة طويلة قليلة الماء، يخاف فيها الهلاك.

(٦) (فجلا للمسلمين أمرهم) أي: كشفه وبينه وأوضحه. وعرّفهم ذلك على وجهه من غير تورية. يقال: جلوت الشيء كشفته.

(٧) (ليتأهبوا أهبة غزوهم) أي: ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم ذلك.

(٨) (فأخبرهم بوجههم) أي: بمقصدهم.

(٨٧٧) أحمر
أسود

الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ (يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ). قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ[١]، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ ﷻ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ[٢]، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي، حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِيًا، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا، وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ[٣]، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ[٤]، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا[٥] فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ**»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ[٦] فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) (فقل رجل يريد أن يتغيب...إلخ) قال القاضي: هكذا هو جميع نسخ مسلم. وصوابه: إلا يظن أن ذلك سيخفى له. بزيادة إلا. وكذا رواه البخاري.

(٢) (فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ) أي: أميل.

(٣) (وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ) أي: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٤) (مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ) أي: مُتهمًا به.

(٥) (حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا) هو في أكثر النسخ: تبوكًا، بالنصب. وكذا هو في نسخ البخاري. وكأنه صرفها لإرادة الموقع، دون البقعة.

(٦) (وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ) أي: جانبيه. وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(٨٧٨) أحمر
أسود

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا[١] يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ[٢] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»[٣] فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ[٤].

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا[٥] مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي[٦] فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ لِي إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا[٧] زَاحَ[٨] عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ[٩]، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ حَتَّى جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى

(١) (مُبَيِّضًا) هو لابس البياض. ويقال: هم المبيِّضة والمسوِّدة، أي: لابسو البياض والسواد.
(٢) (يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ) أي: يتحرك وينهض والسراب هو ما يظهر للإنسا نفي الهواجر، وفي البراري كأنه ماء.
(٣) (كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ) قيل: معناه أنت أبو خيثمة. قال ثعلب: العرب تقول: كن زيدًا، أي: أنت زيد. قال القاضي عياض: والأشبه عندي أن كن هنا للتحقق والوجود. أي: لتوجد، يا هذا الشخص، أبا خيثمة حقيقة. وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب. وهو معنى قول صاحب التحرير: تقديره اللهم اجعله أبا خيثمة.
(٤) (لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ) أي: عابوه واحتقروه.
(٥) (تَوَجَّهَ قَافِلًا) أي: راجعًا.
(٦) (حَضَرَنِي بَثِّي) هو أشد الحزن.
(٧) (أَظَلَّ قَادِمًا) أي: اقبل ودنا قدومه كأنه ألقي علي ظله.
(٨) (زَاحَ) أي: زال.
(٩) (فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ) أي: عزمت عليه. يقال: أجمع أمره وعلى أمره، وعزم عليه، بمعنى.

(٨٧٩) أحمر
أسود

جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا[١]. وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ[٢] اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ[٣] إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ[٤]. وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ عُذْرٌ وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ» فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي[٥] حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَأُكَذِّبَ نَفْسِي قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ[٦]، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي

(١) (أُعْطِيتُ جَدَلًا) أي: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلي، إذا أردت.

(٢) (لَيُوشِكَنَّ) أي: ليسرعن.

(٣) (تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ) أي: تغضب.

(٤) (إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ) أي: أن يعقبني الله خيرًا، وأن يثنيني عليه.

(٥) (يُؤَنِّبُونَنِي) أي: يلومونني أشد اللوم.

(٦) (الْعَامِرِيُّ) هكذا هو في جميع نسخ مسلم: العامريّ. وأنكره العلماء وقالوا: هو غلط إنما صوابه العَمْري. من بني عمرو بن عوف. وكذا ذكره البخاري. وكذا نسبه محمد بن إسحاق وابن عبد البر، وغيرهما من الأئمة. قال القاضي: هو الصواب.

(٨٨٠) أحمر
أسود

قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ[١]، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ.

قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ[٢]، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا[٣] وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ[٤] فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ[٥] جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ! أَنْشُدُكَ بِاللهِ[٦] هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ[٧]، مِمَّنْ قَدِمَ

(١) (أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ) قال القاضي: هو بالرفع، وموضعه نصب على الاختصاص. قال سيبويه، نقلًا عن العرب: اللهم اغفر لنا، أيتها العصابة، وهذا مثله.

(٢) (فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ) معناه: تغيّر عليّ كل شيء. حتى الأرض، فإنها توحشت عليّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها، بتوحشها عليّ.

(٣) (فَاسْتَكَانَا) أي: خضعا.

(٤) (أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ) أي: أصغرهم سنًّا وأقواهم.

(٥) (حَتَّى تَسَوَّرْتُ) معنى: تسوّرته علوته وصعدت سوره، وهو أعلاه.

(٦) (أَنْشُدُكَ بِاللهِ) أي: أسألك بالله، وأصله من النشيد، وهو الصوت.

(٧) (نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ) أي: النبط والأنباط والنبيط، وهم فلاحو العجم.

(٨٨١) أحمر
أسود

بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ[١]، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ[٢]. قَالَ: فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ[٣] بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا[٤] بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[٥] إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ قَالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ: فَقُلْتُ: لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ: لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَ وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا قَالَ: فَقَالَ لِي: بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا

---

(١) (مَضْيَعَةٍ) فيها لغتان: إحداهما مضيعة، والثانية مضيعة. أي مضع حال يضيع فيه حقك.

(٢) (نُوَاسِكَ) وفي بعض النسخ: نواسيك، بزيادة ياء. وهو صحيح، أي: ونحن نواسيك، وقطعه عن جواب الأمر، ومعناه تشاركك فيما عندنا.

(٣) (فَتَيَامَمْتُ) هكذا هو في جميع النسخ ببلادنا، وهي لغة في تيممت. ومعناها قصدت.

(٤) (فَسَجَرْتُهَا) أي: أحرقتها. وأنث الضمير؛ لأنه أراد معنى الكتاب، وهو الصيحفة.

(٥) (وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ) أي: أبطأ.

(٨٨٢) أحمر
أسود

جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ(١) سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ(٢) يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

قَالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ(٣) بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ(٤) رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا(٥) يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: «**لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ

---

(١) (وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) أي: بما اتسعت. ومعناه: ضاقت علي الأرض مع أنها متسعة. والرحب السعة.

(٢) (أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ) أي: سعده وارتفع عليه. وسلع جبل بالمدينة معرفو.

(٣) (فَآذَنَ... النَّاسَ) أي: أعلمهم.

(٤) (أَتَأَمَّمُ) أي: أقصد.

(٥) (فَوْجًا فَوْجًا) الفوج الجماعة.

(٨٨٣) أحمر
أسود

مَالِي[١] صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ[٢] فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللهُ بِهِ وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

قَالَ كَعْبٌ: وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ[٣] فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنَّ اللهَ قَالَ: لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللهُ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

(١) (أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي) أي: أخرج منه وأتصدق به.

(٢) (أَبْلَاهُ اللهُ) أي: أنعم عليه. والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشر. لكن إذا اطلق، كان للشر غالبًا. فإذا أريد الخير، قيد كما قيده هنا، فقال: أحسن مما أبلاني.

(٣) (أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ) هكذا هو في جميع نسخ مسلم، وكثير من روايات البخاري. قال العلماء: لفظ لا في قوله: أن لا أكون، زائدة. ومعناه: أن أكون كذبته. كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

(٨٨٤) أحمر
أسود

قَالَ كَعْبٌ كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا[1] حَتَّى قَضَى فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ ﷻ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنْ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ولقد رجع الله برحمته وعفوه على الثلاثة الذين تأخرت توبة الله عنهم ولم يغدروا عند أول اعتذروه، أي لم يُقبل منهم اعتذارهم وأُرجأ أمرهم إلى الله، فهذه الآية فيها بيان فضل الله على هؤلاء الثلاثة، وإعلام من الله ﷻ أنه قبل رجوعهم إليه ورجع عليهم برحمته بعد أن كانوا يستحقون العذاب بتخلفهم عن رسول الله ﷺ، أما هؤلاء الثلاثة فهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومعنى قوله: ﴿خُلِّفُواْ﴾ أي: تأخرت التوبة عليهم، وأرجأ أمرهم، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ لم يدروا إلى أي مكانٍ من الأرض، يذهبوا إليه مع أن الأرض متسعة، للنعم الذي أصابهم وللهم الذي نالهم والندم الشديد الذي اعتراهم وضاقت عليهم نفوسهم بسببه، فليست قلوبهم براضية بالكفر وليست نفوسهم بمتحملة لهجران المسلمين لهم، وليسوا بمحتملين ابتعادهم عن

(١) (وإرجاؤه أَمْرَنَا) أي: تأخيره.

(٨٨٥) أحمر
أسود

رسول الله ﷺ وعن المسلمين، ولكن ماذا مع هذه الهموم والأحزان، وأي شيء يستحق الأحزان أعظم من هجران رسول الله والمؤمنين لهم، وتخلف توبة الله عليهم أنه حقًّا النكد والهم والبلاء!!

فكل متاع الدنيا زائل، وكل حزنٍ فيها منتهى إلا أن يعلم الشخص أن الله ﷻ ليس براضٍ عنه، وكذا رسول الله ﷺ يهجره، وكذا المسلمون، فهذا البلاء حقيقة وهذا الذي لا تطيب معه احياة، ولا يحلو معه العيش، ولا تسعد نفسه في وجوده فخفًّا إنهم ضاقت عليهم أنفسهم، ولكن ما السبيل؟! وما طريق النجاة؟! وما المخرج؟!! إنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فحينئذٍ يحسن العبد الالتجاء إلى الله ويسأله كشف الضر وإزالة ابلاء معترفًا بذنبه ومُقرًّا بتقصيره ونادمًا أشد الندم على ما فرط في جنب الله وقصَّر، وقد أيقن هؤلاء الثلاثة بذلك، أيقنوا أن الفرج من عند الله، وأنه سبحانه الذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر، ويأتي باليسر بعد العسر وبالفرج بعد الكرب، أيقنوا بكل ذلك فأحسنوا اللجوء إلى الله واجتهدوا في دعائه ورجائه وسؤاله فقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ لا أحد يلجؤون إليه لكشف ما بهم إلا الله لن يكشف عنهم ما أ،زل الله بهم إلا الله.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ ثم رجع عليهم برحمته وفضله وفتنة وكرمه كي وهداهم إلى طريقه وإلى الندم على ما فرطوا، وأخبر بتوبته عليهم في آيات أنزلها من السماء على رسوله ﷺ حتى يرجعوا إلى الله وحتى يخالطوا المسلمين، وحتى يقبلهم رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كثير الرجوع بالفضل على العباد بعد أن فعلوا ما هو سبب لحرمانهم من هذا الفضل.

الرحيم بعباده المؤمنين لا يحملهم فوق طاقتهم ولا يغتر بهم مع إنابتهم،

(٨٨٦) أحمر
أسود

وكذا رحيم بتجاوزه عنهم وعدم مؤاخذتهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٦]، فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم.

فتأويل الكلام إذًا: ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة، فأرجأهم عمَّن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله ﷺ

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: أما قوله: ﴿خُلِّفُواْ ﴾، فخلِّفوا عن التوبة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾، يقول: بسعتها، غمًّا وندمًا على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾، بما نالهم من الوَجْد والكرْب بذلك ، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ ﴾، يقول: وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء، بتخلفهم خِلافَ رسول الله ﷺ، ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم، لينيبوا إليه، ويرجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، يقول: إن الله هو الوهّاب لعباده الإنابة إلى طاعته، الموفقُ من أحبَّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه ، ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾، بهم، أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبةَ والإنابةَ ولا يتوب عليه.

(٨٨٧) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي بما اتسعت يقال: منزل رجب ورحيب ورحاب. و﴿مَا﴾ مصدرية ؛ أي ضاقت عليهم الأرض برحبها، لأنهم كانوا مهجورين لا يعاملون ولا يكلمون. وفي هذا دليل على هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا. ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي ضاقت صدورهم بالهم والوحشة، وبما لقوه من الصحابة من الجفوة. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه. قال أبو بكر الوراق. التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه ؛ كتوبة كعب وصاحبيه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فبدأ بالتوبة منه. قال أبو زيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني ؛ قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. وظننت أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي عني ؛ قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]. وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٥٤]. وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي ؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾. وقيل: المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة ؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [النساء: ١٣٦] وقيل: أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغيرهم ؛ قال جل وعز: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠].

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: ضاقت مع سعتها وذلك أن المسلمين منعوا من معاملتهم وكلامهم وأمروا باعتزال أزواجهم وكان النبي

(٨٨٨) أحمر
أسود

ﷺ معرضا عنهم ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ بالهم والغم ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ أي: أيقنوا ﴿ أَن لَّا مَلْجَأَ ﴾ أي: لا معتصم من الله ومن عذابه إلا هو ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أعاد التوبة تأكيدا ﴿ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ قال ابن عباس: ليستقيموا وقال غيره وفقهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يبطلها وسئل بعضهم عن التوبة النصوح فقال: أن تضيق على التائب الارض وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ و ﴾ كذلك لقد تاب الله ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: «كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ﴾ حزنوا حزنا عظيما، و ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي: على سعتها ورحبها ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا اللّه ورضا رسوله على كل شيء.

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا اللّه وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا باللّه ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها ﴿ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ أي: لتقع منهم، فيتوب اللّه عليهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ﴾ أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل

(٨٨٩) أحمر
أسود

على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من حديث الثلاثة الذين خلفوا؟

ج: قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (شرح مسلم):

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي حَدِيث كَعْب هَذَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَوَائِد كَثِيرَة:

إِحْدَاهَا: إِبَاحَة الْغَنِيمَة لِهَذِهِ الْأُمَّة ؛ لِقَوْلِهِ: خَرَجُوا يُرِيدُونَ عِير قُرَيْش.

الثَّانِيَة: فَضِيلَة أَهْل بَدْر وَأَهْل الْعَقَبَة.

الثَّالِثَة: جَوَاز الْحَلِف مِنْ غَيْر اِسْتِحْلَاف فِي غَيْر الدَّعْوَى عِنْد الْقَاضِي.

الرَّابِعَة: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِأَمِيرِ الْجَيْش إِذَا أَرَادَ غَزْوَة أَنْ يُوَرِّي بِغَيْرِهَا ، لِئَلَّا يَسْبِقهُ الْجَوَاسِيس وَنَحْوهمْ بِالتَّحْذِيرِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ سُفْرَة بَعِيدَة ، فَيُسْتَحَبّ أَنْ يُعَرِّفهُمْ الْبُعْد لِيَتَأَهَّبُوا.

الْخَامِسَة: التَّأَسُّف عَلَى مَا فَاتَ مِنْ الْخَيْر ، وَتَمَنِّي الْمُتَأَسِّف أَنَّهُ كَانَ فَعَلَهُ ، لِقَوْلِهِ: فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْت.

السَّادِسَة: رَدُّ غِيبَة الْمُسْلِم لِقَوْلِ مُعَاذ: بِئْسَ مَا قُلْت.

السَّابِعَة: فَضِيلَة الصِّدْق وَمُلَازَمَته ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَشَقَّة ، فَإِنَّ عَاقِبَته خَيْر ، وَإِنَّ الصِّدْق يَهْدِي إِلَى الْبِرّ ، وَالْبِرّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح.

الثَّامِنَة: اِسْتِحْبَاب صَلَاة الْقَادِم مِنْ سَفَر رَكْعَتَيْنِ فِي مَسْجِد مَحَلَّته أَوَّل قُدُومه قَبْل كُلّ شَيْء.

التَّاسِعَة: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلْقَادِمِ مِنْ سَفَر إِذَا كَانَ مَشْهُورًا يَقْصِدهُ النَّاس لِسَلَامٍ عَلَيْهِ ، أَنْ يَقْعُد لَهُمْ فِي مَجْلِس بَارِز ، هَيِّن الْوُصُول إِلَيْهِ.

الْعَاشِرَة: الْحُكْم بِالظَّاهِرِ ، وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر ، وَقَبُول مَعَاذِير الْمُنَافِقِينَ

(٨٩٠) أحمر
أسود

وَنَحْوهمْ ، مَا لَمْ يَتَرَتَّب عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَة.

الْحَادِيَة عَشَرَ: اِسْتِحْبَاب هِجْرَان أَهْل الْبِدَع وَالْمَعَاصِي الظَّاهِرَة ، وَتَرْك السَّلَام عَلَيْهِمْ ، وَمُقَاطَعَتهمْ تَحْقِيرًا لَهُمْ وَزَجْرًا.

الثَّانِيَة عَشَرَ: اِسْتِحْبَاب بُكَائِهِ عَلَى نَفْسه إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ مَعْصِيَة. الثَّالِثَة عَشَرَ: أَنَّ مُسَارَقَة النَّظَر فِي الصَّلَاة وَالِالْتِفَات لَا يُبْطِلهَا.

الرَّابِعَة عَشَرَ: أَنَّ السَّلَام يُسَمَّى كَلَامًا ، وَكَذَلِكَ رَدُّ السَّلَام ، وَأَنَّ مَنْ حَلَفَ لَا يُكَلِّم إِنْسَانًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَام ، يَحْنَث.

الْخَامِسَة عَشَرَ: وُجُوب إِيثَار طَاعَة الله وَرَسُوله ﷺ عَلَى مَوَدَّة الصَّدِيق وَالْقَرِيب وَغَيْرهمَا ، كَمَا فَعَلَ أَبُو قَتَادَةَ حِين سَلَّمَ عَلَيْهِ كَعْب ، فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ حِين نَهَى عَنْ كَلَامه.

السَّادِسَة عَشَرَ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ لَا يُكَلِّم إِنْسَانًا فَتَكَلَّمَ ، وَلَمْ يَقْصِد كَلَامه بَلْ قَصَدَ غَيْره ، فَسَمِعَ الْمَحْلُوف عَلَيْهِ لَمْ يَحْنَث الْحَالِف ؛ لِقَوْلِهِ: الله أَعْلَم: فَإِنَّهُ مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْصِد كَلَامه كَمَا سَبَقَ.

السَّابِعَة عَشَرَ: جَوَاز إِحْرَاق وَرَقَة فِيهَا ذِكْر الله تَعَالَى لِمَصْلَحَةٍ ، كَمَا فَعَلَ عُثْمَان وَالصَّحَابَة رضي الله عنهم بِالْمَصَاحِفِ الَّتِي هِيَ غَيْر مُصْحَفِهِ الَّذِي أَجْمَعَتْ الصَّحَابَة عَلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ صِيَانَة ، فَهِيَ حَاجَة وَمَوْضِع الدَّلَالَة مِنْ حَدِيث كَعْب ، أَنَّهُ أَحْرَقَ الْوَرَقَة ، وَفِيهَا: لَمْ يَجْعَلك الله بِدَارِ هَوَان.

الثَّامِنَة عَشَرَ: إِخْفَاء مَا يُخَاف مِنْ إِظْهَاره مَفْسَدَة وَإِتْلَاف.

التَّاسِعَة عَشَرَ: أَنَّ قَوْله لِامْرَأَتِهِ: اِلْحَقِي بِأَهْلِك لَيْسَ بِصَرِيحِ طَلَاق ، وَلَا يَقَع بِهِ شَيْء إِذَا لَمْ يَنْوِ.

الْعِشْرُونَ: جَوَاز خِدْمَة الْمَرْأَة زَوْجهَا بِرِضَاهَا ، وَذَلِكَ جَائِز لَهُ بِالْإِجْمَاعِ ، فَأَمَّا إِلْزَامهَا بِذَلِكَ فَلَا.

(٨٩١) أحمر
أسود

الْحَادِيَة وَالْعِشْرُونَ: اِسْتِحْبَاب الْكِنَايَات فِي أَلْفَاظ الِاسْتِمْتَاع بِالنِّسَاءِ وَنَحْوهَا.

الثَّانِيَة وَالْعِشْرُونَ: الْوَرَع وَالِاحْتِيَاط بِمُجَانَبَةِ مَا يُخَاف مِنْهُ الْوُقُوع فِي مَنْهِيّ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْذِن فِي خِدْمَة اِمْرَأَته لَهُ ، وَعَلَّلَ بِأَنَّهُ شَابّ ، أَيْ لَا يَأْمَن مُوَاقَعَتهَا ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا.

الثَّالِثَة وَالْعِشْرُونَ: اِسْتِحْبَاب سُجُود الشُّكْر عِنْد تَجَدُّد نِعْمَة ظَاهِرَة ، أَوْ اِنْدِفَاع بَلِيَّة ظَاهِرَة ، وَهُوَ مَذْهَب الشَّافِعِيّ وَطَائِفَة ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَة وَطَائِفَة: لَا يُشْرَع.

الرَّابِعَة وَالْعِشْرُونَ: اِسْتِحْبَاب التَّبْشِير بِالْخَيْرِ.

الْخَامِسَة وَالْعِشْرُونَ: اِسْتِحْبَاب تَهْنِئَة مَنْ رَزَقَهُ الله خَيْرًا ظَاهِرًا ، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ شَرًّا ظَاهِرًا.

السَّادِسَة وَالْعِشْرُونَ: اِسْتِحْبَاب إِكْرَام الْمُبَشِّر بِخُلْعَةٍ أَوْ نَحْوهَا.

السَّابِعَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ يَجُوز تَخْصِيص الْيَمِين بِالنِّيَّةِ ، فَإِذَا حَلَفَ لَا مَال لَهُ وَنَوَى نَوْعًا لَمْ يَحْنَث بِنَوْعٍ مِنْ الْمَال غَيْره ، وَإِذَا حَلَفَ لَا يَأْكُل ، وَنَوَى خُبْزًا ، لَمْ يَحْنَث بِاللَّحْمِ وَالتَّمْر وَسَائِر الْمَأْكُول ، وَلَا يَحْنَث إِلَّا بِذَلِكَ النَّوْع ، وَكَذَلِكَ لَوْ حَلَفَ لَا يُكَلِّم زَيْدًا ، وَنَوَى كَلَامًا مَخْصُوصًا لَمْ يَحْنَث بِتَكْلِيمِهِ إِيَّاهُ غَيْر ذَلِكَ الْكَلَام الْمَخْصُوص ، وَهَذَا كُلّه مُتَّفَق عَلَيْهِ عِنْد أَصْحَابنَا ، وَدَلِيله مِنْ هَذَا الْحَدِيث قَوْله فِي الثَّوْبَيْنِ: وَالله مَا أَمْلِك غَيْرهمَا ، ثُمَّ قَالَ بَعْده فِي سَاعَة: إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِع مِنْ مَالِي صَدَقَة ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنِّي أَمْسِك سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَر.

الثَّامِنَة وَالْعِشْرُونَ: جَوَاز الْعَارِيَة.

التَّاسِعَة وَالْعِشْرُونَ: جَوَاز اِسْتِعَارَة الثِّيَاب لِلُّبْسِ.

الثَّلَاثُونَ: اِسْتِحْبَاب اِجْتِمَاع النَّاس عِنْد إِمَامهمْ وَكَبِيرهمْ فِي الْأُمُور الْمُهِمَّة

(٨٩٢) أحمر
أسود

مِنْ بِشَارَة وَمَشُورَة وَغَيْرهمَا.

الْحَادِيَة وَالثَّلَاثُونَ: اِسْتِحْبَاب الْقِيَام لِلْوَارِدِ إِكْرَامًا لَهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْل الْفَضْل بِأَيِّ نَوْع كَانَ ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ أَحَادِيث جَمَعْتهَا فِي جُزْء مُسْتَقِلّ بِالتَّرْخِيصِ فِيهِ ، وَالْجَوَاب عَمَّا يُظَنّ بِهِ مُخَالِفًا لِذَلِكَ.

الثَّانِيَة وَالثَّلَاثُونَ: اِسْتِحْبَاب الْمُصَافَحَة عِنْد التَّلَاقِي وَهِيَ سُنَّة بِلَا خِلَاف.

الثَّالِثَة وَالثَّلَاثُونَ: اِسْتِحْبَاب سُرُور الْإِمَام وَكَبِير الْقَوْم بِمَا يَسُرّ أَصْحَابه وَأَتْبَاعه.

الرَّابِعَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَة ظَاهِرَة ، أَوْ اِنْدَفَعَتْ عَنْهُ كُرْبَة ظَاهِرَة أَنْ يَتَصَدَّق بِشَيْءٍ صَالِح مِنْ مَاله شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْسَانه، وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لَهُ سُجُود الشُّكْر وَالصَّدَقَة جَمِيعًا ، وَقَدْ اِجْتَمَعَا فِي هَذَا الْحَدِيث.

الْخَامِسَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ خَافَ أَلَّا يَصْبِر عَلَى الْإِضَاقَة أَلَّا يَتَصَدَّق بِجَمِيعِ مَاله ، بَلْ ذَلِكَ مَكْرُوه لَهُ.

السَّادِسَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ رَأَى مَنْ يُرِيد أَنْ يَتَصَدَّق بِكُلِّ مَاله وَيَخَاف عَلَيْهِ أَلَّا يَصْبِر عَلَى الْإِضَاقَة أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَيُشِير عَلَيْهِ بِبَعْضِهِ.

السَّابِعَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ تَابَ بِسَبَبٍ مِنْ الْخَيْر أَنْ يُحَافِظ عَلَى ذَلِكَ السَّبَب ، فَهُوَ أَبْلَغ فِي تَعْظِيم حُرُمَات الله ، كَمَا فَعَلَ كَعْب فِي الصِّدْق ، وَاَلله أَعْلَم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة اللّه على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن اللّه جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

(٨٩٣) أحمر
أسود

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة اللّه على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف اللّه بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿ خُلِّفُواْ ﴾ إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، أو خلفوا عن من بُتّ في قبول عذرهم، أو في رده وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: «تخلفوا».

ومنها: أن اللّه تعالى من عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية.

❁ ❁ ❁

س: هل هنا رابط بين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ وبين قصة الثلاثة الذين خلفوا؟

ج: نعم الرابط ظاهرٌ وواضحٌ، والله تعالى أعلم فصدق الحديث كان سببًا في توبة الله ﷻ على كعب بن مالك وصاحبيه.

والكذب كان سببًا في أن قيل لأهله ما قيل إذ الله قال: ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ...﴾ فهذه عقوبة من كذب واعتذر بالباطل. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٨٩٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – يا أهل الإيمان اجعلوا بينكم وبين الله وقاية، ودومًا كونوا حذرين من غضب الله وعقابه واسلكوا سبيل أهل الصدق واليقين، اسلكوا سبيل الصادقين في نواياهم والصادقين في أقوالهم وأفعالهم اسكلوا الطرق التي يدخلكم الله بها في عداد الصالحين الصادقين فلا تكذبوا على رسول الله ولا تغشوه ولا تخادعوه بل اصدقوه الحديث إذا حدثتموه كما فعل الثلاثة الذين خلفوا، وصدقوا عندما سئلوا عن سبب التخلف فأكرمهم الله بصدقهم، وأنزل توبته عليهم في آيات تتلى في المحاريب وتحفظ في الصدور، وتدرس في الكتاتيب والمجامع.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين، معرِّفَهم سبيل النجاة من عقابه، والخلاصِ من أليم عذابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، بالله ورسوله، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وراقبوه بأداء فرائضه، وتجنب حدوده، ﴿وَكُونُواْ﴾، في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة، ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، في الجنة. يعني: مع من صَدَق اللهَ الإيمانَ به، فحقَّق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم.

وإنما معنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النساء: ٦٩].

وإنما قلنا ذلك معنى الكلام، لأن كون المنافق مع المؤمنين غيرُ نافعه بأيّ

(٨٩٥) أحمر
أسود

وجوه الكون كان معهم، إن لم يكن عاملا عملهم. وإذا عمل عملهم فهو منهم، وإذا كان منهم، كان وجْهُ الكلام أن يقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ولتوجيه الكلام إلى ما وجَّهنا من تأويله، فسَّر ذلك من فسَّره من أهل التأويل بأن قال: معناه: وكونوا مع أبي بكر وعمر، أو: مع النبي ﷺ، والمهاجرين رحمة الله عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما ذكر تعالى ما فرّج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب، من هجر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت، أي: مع سعتها، فسدّدت عليهم المسالك والمذاهب، فلا يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله، واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم، وأنه كان عن غير عذر، فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم؛ ولهذا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي: اصدُقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري ومسلم وأحمد[1] من حديث ابن مسعود، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا**».

(١) أحمد (١/ ٣٨٤)، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٨٩٦) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين. قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف.

واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال ؛ فقيل: هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب. وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين ؛ أي اتقوا مخالفة أمر الله ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي مع الذين خرجوا مع النبي ﷺ لا مع المنافقين. أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم. وقيل: هم الأنبياء ؛ أي كونوا معهم بالأعمال الصالحة في الجنة. وقيل: هم المراد بقوله: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ - الآية إلى قوله - أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقيل: هم الموفون بما عاهدوا ؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وقيل: هم المهاجرون ؛ لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين

فقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] الآية، ثم سماكم بالمفلحين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩] الآية. وقيل: هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم. قال ابن العربي: وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل، وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم. وأما من قال: إنهم المراد بآية البقرة فهو معظم الصدق ومتبعه الأقل وهو معنى آية الأحزاب. وأما تفسير أبي بكر الصديق فهو الذي يعم الأقوال كلها فإن جميع الصفات فيهم موجودة.

(٨٩٧) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ باللّه، وبما أمر اللّه بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى اللّه تعالى، باجتناب ما نهى اللّه عنه والبعد عنه.

﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١١٩] الآية.

❁ ❁ ❁

وفضل الجهاد في سبيل الله والغزو

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ما كان ينبغي، وما كان يجوز لأهل المدينة، مدينة رسول الله ﷺ وما كان يجوز ولا ينبغي لمن حولهم من الأعراب وهم سكان البوادي المجاورون للمدينة، ما كان لهؤلاء ولا لأولئك أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ لما دعاهم للخروج إلى غزوة تبوك وإلى غيرها، وما كان لهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أن يضنُّوا بأنفسهم عن نصرته ويضنوا بأموالهم عن نصرته وكذا لا يضنوا بأوقاتهم عن نصرته، أي: ما كان

(٨٩٨) أحمر
أسود

لهم أن يؤثروا راحة أنفسهم ويقدمون ذلك على الجهاد مع رسول الله ﷺ، وما كان لهم أن يُقدموا ملاذ أنفسهم على راحة، وكذا ما كان لهم أن يبخلوا بأموالهم عن نصرته وتجهيز الغزاة معه، وذلك لأن كل شيء يلقونه من العطش والتعب والجوع، إذا كان في سبيل الله فهو مكتوب مسطرٌ محفوظ.

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عدم التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ لكونهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ ولا تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ ولا مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء كلمة الله ولنصرة دينه ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ لا ينزلون منزلًا ولا تطأ أقدامهم مكانًا يغيظ الكفار نزول أهل الإسلام فيه، وكذا لا يغنمون من عددٍ غنيمة، ولا يسلبون من عددٍ مالًا ولا يقتلون من عددٍ نفسًا إلا كتب لهم بكل ذلك أجر وثواب، ثواب العمل الصالح أن الله لا يضيع أجر المحسنين، لا يذهب بثواب العمل الصالح الذي عمله أهل الإحسان والتوحيد وكذا فإنهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ لا يبذلون أي مالٍ لنصرة دين الله، وفي سبيل الله قلَّ هذا المال أو كثر، وكذا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: لا يسافرون سفرًا يمرون فيه بوادٍ من الأودية إلا كتب لهم ما مشوه من خطى، وما أنفقوه من نفقة ليجزيهم الله يوم القيامة أجرًا الأجر وأعظمه، أجرًا أحسن من عملهم وأفضل من عملهم، وقيل: أجرًا على أفضل أعمالهم التي عملوها ويكفر عنهم السيئات التي ارتكبوها. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لم يكن لأهل المدينة، مدينة رسول الله ﷺ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾، سُكّان البوادي، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهم من أهل الإيمان به، أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دارٍ لهم، ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه، ومعاونته على ما يعانيه في

(٨٩٩) أحمر
أسود

غزوه ذلك. يقول: إنه لم يكن لهم هذا ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾، من أجل أنهم، وبسبب أنهم ، ﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾، في سفرهم إذا كانوا معه ، ﴿ظَمَأٌ﴾، وهو العطش ، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، يقول: ولا تعب ، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعني: ولا مجاعة في إقامة دين الله ونصرته، وهدْم مَنَار الكفر ، ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾، يعني: أرضًا، يقول: ولا يطأون أرضًا ، ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾، وطؤهم إياها ، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾، يقول: ولا يصيبون من عدوّ الله وعَدُوّهم شيئًا في أموالهم وأنفسهم وأولادهم ، إلا كتب الله لهم بذلك كله، ثوابَ عمل صالح قد ارتضاه ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، يقول: إن الله لا يدع محسنًا من خلقه أحسن في عمله فأطاعه فيما أمره، وانتهى عما نهاه عنه، أن يجازيه على إحسانه، ويثيبه على صالح عمله. فلذلك كتبَ لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر في هذه الآية، الثوابَ على كلّ ما فعل، فلم يضيِّع له أجرَ فعله ذلك.

قال الطبري: وقد بينا معنى (المخمصة)، وأنها المجاعة.

(وأما النيل) فهو مصدر من قول القائل (نالني ينالني)، و(نلت الشيء فهو منيل).

ثم قال:

في تأويل قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾، وسائر ما ذكر ، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، في سبيل الله ، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ﴾، مع رسول الله في غزوه ، ﴿وَادِيًا﴾ إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، جزاءً لهم عليه، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم

(٩٠٠) أحمر
أسود

التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، الآية، قال: ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بُعْدًا إلا ازدادوا من الله قربًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعاتب تعالى المتخلّفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة، فإنهم نَقَصُوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو: العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو: التعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وهي: المجاعة ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: ينزلون منزلا يُرهبُ عدوهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرتهم، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم، أعمالا صالحة وثوابا جزيلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

يقول تعالى: ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: قليلا ولا كثيرا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في السير إلى الأعداء ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ولم يقل ها هنا «به» لأن هذه أفعال صادرة عنهم؛ ولهذا قال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من هذه الآية الكريمة حظ وافر، ونصيب عظيم، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة، والأموال الجزيلة.

(٩٠١) أحمر
أسود

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عبد الرحمن بن خَبَّاب السلمي قال: خطب رسول الله ﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم حث، فقال عثمان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم نزل مرْقاة من المنبر ثم حث، فقال عثمان بن عفان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا -يحركها. وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذا**»[(١)].

وأورد له شاهدًا فيه ضعف أيضًا من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جَهَّز النبي ﷺ جيش العسرة قال: فصبها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضَرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم". يرددها مرارا[(٢)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ظاهره خبر ومعناه أمر ؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقد تقدم. ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ ﴾ في موضع رفع اسم كان. وهذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها ؛ كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. والمعنى: ما كان لهؤلاء المذكورين أن يتخلفوا ؛ فإن النفير كان فيهم، بخلاف غيرهم فإنهم لن يستنفروا ؛ في قول بعضهم. ويحتمل أن يكون الاستنفار في كل

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد (زوائد المسند٤/ ٧٥)، والترمذي (٣٧٠١) بسندٍ ضعيف، فيه فرقد أبو طلحة وهو ضعيف.

(٢) زوائد المسند (٥/ ٦٣)، والترمذي (٣٧٠١)، وفي سنده مقال.

(٩٠٢) أحمر
أسود

مسلم، وخصى هؤلاء بالعتاب لقربهم وجوارهم، وأنهم أحق بذلك من غيرهم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله ﷺ في المشقة. يقال: رغبت عن كذا أي ترفعت عنه. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ أي عطش. وقرأ عبيد بن عمير ﴿ظَمَأٌ﴾ بالمد. وهما لغتان مثل خطأ وخطاء. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ عطف، أي تعب، ولا زائدة للتوكيد. وكذا ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي مجاعة. وأصله ضمور البطن؛ ومنه رجل خميص وامرأة خمصانة. وقد تقدم. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في طاعته. ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ أي أرضا. ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ أي بوطئهم إياها، وهو في موضع نصب لأنه نعت للموطئ، أي غائظا. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أي قتلا وهزيمة. وأصله من نلت الشيء أنال أي أصبت. قال الكسائي: هو من قولهم أمر منيل منه؛ وليس هو من التناول، إنما التناول من نلته العطية. قال غيره: نلت أنول من العطية، من الواو والنيل من الياء، تقول: نلته فأنا نائل، أي أدركته.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى -حاثا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم-: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ في بقائها وراحتها، وسكونه ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ الكريمة الزكية، بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي ﷺ، بنفسه ويقدمه عليها، فعلامة تعظيم الرسول ﷺ ومحبته

(٩٠٣) أحمر
أسود

والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: المجاهدين في سبيل اللّه ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ ﴾ أي: تعب ومشقة ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: مجاعة.

﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ من الخوض لديارهم، والاستيلاء على أوطانهم، ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.

ثم قال: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ في ذهابهم إلى عدوهم ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها للّه، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل اللّه، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث: « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا شاركوكم الأجر حبسهم المرض»، وما لفظه بالضبط؟

ج: نعم صحيح، أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمْ الْمَرَضُ**».

وفي رواية في البخاري: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**».

---

(١) البخاري (٤٤٢٣)، ومسلم (١٩١١).

(٩٠٤) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث بعد إيراده في تفسير الآيات المذكورة:

فأعطى ﷺ للمعذور من الأجر مثل ما أعطى للقوي العامل. وقد قال بعض الناس: إنما يكون الأجر للمعذور غير مضاعف، ويضاعف للعامل المباشر. قال ابن العربي: وهذا تحكم على الله تعالى وتضييق لسعة رحمته، وقد عاب بعض الناس فقال: إنهم يعطون الثواب مضاعفا قطعا، ونحن لا نقطع بالتضعيف في موضع فإنه مبني على مقدار النيات، وهذا أمر مغيب، والذي يقطع به أن هناك تضعيفا وربك أعلم بمن يستحقه.

قلت: الظاهر من الأحاديث والآي المساواة في الأجر ؛ منها قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» وقوله: «**من توضأ وخرج إلى الصلاة فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها**». وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] وبدليل أن النية الصادقة هي أصل الأعمال، فإذا صحت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع منها فلا بعد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل ويزيد عليه.

قلت (مصطفى): وأورد القرطبي حديثًا ضعيفًا وهو نية المؤمن خير من عمله.

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية الكريمة منسوخة بقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾. قالوا: فلما كان في المسلمين قلة لم

(٩٠٥) أحمر
أسود

يكن لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ، فلما كثر المسلمون نُسخ الحكم بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾.

وقال آخرون من أهل العلم: لا نسخ في الآية الكريمة، وإنما إذا استنفر الإمام قومًا وجب على القوم النفير، فيكون قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إذا دعاهم للجهاد واستنفرهم للخروج، والله أعلم.

وهذه بعض الأقوال في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية.

فقال بعضهم: هي محكمة، وإنما كان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة، لم يكن لأحدٍ أن يتخلف إذا غزا خِلافَه فيقعد عنه، إلا من كان ذا عُذْرٍ. فأما غيره من الأئمة والولاة، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلَّف خلافه، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾، هذا إذا غزا نبيُّ الله بنفسه، فليس لأحد أن يتخلف. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: لولا أن أشقَّ على أمتي ما تخلَّفت خلف سريّة تغزو في سبيل الله، لكني لا أجد سَعةً، فأنطلق بهم معي، ويشقّ علي - أو: أكره - أن أدعهم بعدي.

وقال آخرون هذه الآية: نزلت وفي أهل الإسلام قلة، فلما كثروا نسخها الله، وأباح التخلف لمن شاء، فقال: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [سورة التوبة: ١٢٢].

ابن زيد في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن

(٩٠٦) أحمر
أسود

رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، قال: هذا حين كان الإسلام قليلا فلما كثر الإسلام بعدُ قال: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾، إلى آخر الآية.

قال أبو جعفر[1]: والصواب من القول في ذلك عندي، أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾، [سورة التوبة: ٩٠]. ثم قال جل ثناؤه: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾، الذين تخلفوا عن رسول الله، ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه، أن يتخلفوا خِلافَه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه. وذلك أن رسول الله ﷺ كان ندب في غزوته تلك كلَّ من أطاق النهوض معه إلى الشخوص، إلا من أذن له، أو أمره بالمقام بعده. فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلُّف. فعدّد جل ثناؤه من تخلف منهم، فأظهر نفاقَ من كان تخلُّفه منهم نفاقًا، وعذر من كان تخلفه لعُذْرٍ، وتاب على من كان تخلُّفه تفريطًا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله، إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل. فأما التخلف عنه في حال استغنائه، فلم يكن محظورًا، إذا لم يكن عن كراهةٍ منه ﷺ ذلك. وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم. فليس بفرضٍ على جميعهم النهوضُ معه، إلا في حال حاجته إليهم، لما لا بُدَّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم، فيلزمهم حينئذ طاعته.

وإذا كان ذلك معنى الآية، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخةً للأخرى، إذ لم تكن إحداهما نافيةً حكم الأخرى من كل وجوهه، ولا جاء خبر يوجِّه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى.

---

(١) هو الطبري.

(٩٠٧) أحمر
أسود

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اختلف المفسرون في هذه الآية، فقالت طائفة: كان في أول الأمر لا يجوز التخلف عن رسول الله ﷺ حين كان الجهاد يلزم الكل؛ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾؛ وقالت طائفة: فرض الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النبي ﷺ ممن لا عذر له الخروج معه لشيئين:

أحدهما: أنه من الواجب عليهم أن يقوه بأنفسهم.

والثاني: أنه إذا خرج الرسول فقد خرج الدين كله فأمروا بالتظاهر لئلا يقل العدد وهذا الحكم باق إلى وقتنا فلو خرج أمير المؤمنين إلى الجهاد وجب على عامة المسلمين متابعته لما ذكرنا فعلى هذا الآية محكمة، قال أبو سليمان: لكل آية وجهها وليس للنسخ على إهدى الآيتين طريق.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ وأن حكمها كان حين كان المسلمون في قلة، فلما كثروا نسخت وأباح الله التخلف لمن شاء؛ قاله ابن زيد. وقال مجاهد: بعث ﷺ قوما إلى البوادي ليعلموا الناس فلما نزلت هذه الآية خافوا ورجعوا؛ فأنزل الله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾. وقال قتادة: كان هذا خاصا بالنبي ﷺ، إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر؛ فأما غيره من الأئمة الولاة فلمن شاء أن يتخلف خلفه من المسلمين إذا لم يكن بالناس حاجة إليه ولا ضرورة. وقول ثالث: أنها محكمة؛ قال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي وابن المبارك والفزاري والسبيعي وسعيد بن عبدالعزيز يقولون في هذه الآية إنها لأول هذه الأمة وآخرها.

قلت: قول قتادة حسن؛ بدليل غزاة تبوك، والله أعلم.

(٩٠٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾؟

ج: هذه الآية الكريمة فيها وجوه من التأويل أسوق بعضها، وبالله التوفيق، وهو جل ذكره أعلم بتأويل كتابه.

الوجه الأول: وما كان المؤمنون ليخرجوا إلى الغزو كلهم، ويتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة، إنما تخرج للغزو من كل فرقة منهم طائفة تغزو، وتبقى طائفة أخرى مع رسول الله ﷺ تتفقه في الدين، تستبصر في دينها وتتعلم أمورالشريعة، وهؤلاء وأولئك إذا رجعوا إلى أهاليهم وأقوامهم أنذروهم عذاب الله ونقمة الله لعل القوم يحذرون عذاب الله ونقمته.

فإن قال قائل: إن الذين بقوا مع رسول الله ﷺ في المدينة تفقوا في الدين مع رسول الله ﷺ أما الذين خرجوا للغزو فما وجه إنذارهم لقومهم؟

فجواب ذلك: أنهم ينذروا قومهم عقوبة الكفر والمخالفات، ويحذرونهم أن يُصيبهم مثل ما أصاب أهل الكفر الذي حلَّت بهم الهزائم، وأذلهم الله بعد عزةٍ كانوا فيها، وسُبيت نساؤهم وغُنمت أموالهم، ويخبرونهم بنصر الله ﷻ لأتباع نبيه ﷺ، ويخبرونهم بشاجعة أهل الإيمان في القتال، وحرصهم على الشهادة في سبيل الله، وهذا أمرٌ لم يعهده أهل الجاهلية من قبل.

الوجه الثاني: وما كان المؤمنون لينفروا إلى رسول الله ﷺ كلهم لتعلم دينهم ويتركوا أسرهم تضيع، بل ينفر إلى رسول الله ﷺ للتعلم منه فريقٌ ويبقى فريقٌ فيتفقه الذين نفروا إلى رسول الله ﷺ وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

الوجه الثالث: وما كان المسلمون كلهم ليخرجوا للغزو مع رسول الله ﷺ

(٩٠٩) أحمر
أسود

ويتركوا بلادهم – إلا إذا دعاهم رسول الله ﷺ للخروج – إنما تخرج طائفة من كل فرقة مع رسول الله ﷺ تتعلم من هديه في الغزوات وتستفيد من سمته وتتدبر وتتأمل سيرته، وكيف وأن الله ﷻ يؤيده وينصره ويكبت عدوه، وكذا تستفيد من فقهه في الأسفار، وتتعلم منه الأحكام، لتعلم كل ذلك قومها إذا رجعت إلى قومها لعل الأقوام يحذرون عذاب الله وعقابه في الدنيا وكذا يحذرون العذاب الأخروي.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رحمه الله تعالى بعد أن ذكر معنى (كافة) وأن معناها: جميعًا قال موردًا عدة أقوال:

فقال بعضهم: وهو نَفْرٌ كان من قوم كانوا بالبادية، بعثهم رسول الله ﷺ يعلمون الناس الإسلام، فلما نزل قوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾، انصرفوا عن البادية إلى النبي ﷺ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه، وممن عُنِي بالآية. فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾، وكره انصرافَ جميعهم من البادية إلى المدينة.

وأورد من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد[1]: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾، قال: ناسٌ من أصحاب محمد ﷺ، خرجوا في البوادي، فأصابوا من الناس معروفًا، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودَعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم: ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا! فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجًا، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي ﷺ، فقال الله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

(١) وهو مرسل، وفي سنده مقال.

(٩١٠) أحمر
أسود

طَآئِفَةٌ ﴾، يبتغون الخير ، ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ ﴾، وليسمعوا ما في الناس، وما أنزل الله بعدهم ، ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ﴾، الناس كلهم ، ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا إلى عدوّهم، ويتركوا نبيهم ﷺ وحده

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾، قال: ليذهبوا كلهم ، فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة، وتخلف طائفة ، ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾، ليتفقه المتخلفون مع النبي ﷺ في الدين ، ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عباس، قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾، يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا، ويتركوا النبي ﷺ وحده ، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾، يعني عصبة، يعني السرايا، ولا يتَسرَّوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن، تعلمه القاعدون من النبي ﷺ، قالوا: «**إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا، وقد تعلمناه**». فيمكث السرايا يتعلَّمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخر، فذلك قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾، يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه، ويعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾، إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾، قال: هذا إذا بعث نبيُّ الله الجيوشَ، أمرهم أن لا يُعَرُّوا نبيه، وتقيم طائفة مع رسول الله ﷺ تتفقه في الدين، وتنطلق طائفة تدعو قومها، وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم، ولكنهم منافقون. ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون،

(٩١١) أحمر
أسود

لنفر بعضٌ ليتفقه في الدين، ولينذر قومه إذا رجع إليهم.

وأورد بإسناد ضعيف أيضا عن ابن عباس قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾، فإنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله ﷺ على مُضَر بالسِّنين أجدبت بلادهم، وكانت القبيلة منهم تُقْبل بأسرها حتى يحلُّوا بالمدينة من الجهْد، ويعتلُّوا بالإسلام وهم كاذبون، فضيَّقوا على أصحاب النبي ﷺ وأجهدوهم، وأنزل الله يخبر رسول الله ﷺ أنهم ليسوا مؤمنين، فردّهم رسول الله عشائرهم، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وأورد الطبري أقوالًا أُخر، ثم قال: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويلُه: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم، ويدعوا رسول الله ﷺ وحيدًا. ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب ، وهي الفرقة ، ﴿طَآئِفَةٌ﴾، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾، يقول: فهلا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة؟

وعلل الطبري سبب هذا الاختيار ثم قال:

وأما قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾، فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك ، إذا هم رجعوا

(٩١٢) أحمر
أسود

إليهم من غزوهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبِروا خبرَهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نَفير الأحياء مع الرسول في غزوة تبوك، فإنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، وقال: ﴿كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، قالوا: فنسخ ذلك بهذه الآية.

وقد يقال: إن هذا بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها، وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم، ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو، فيجتمع لهم الأمران في هذا: النفير المعين وبعده، صلوات الله وسلامه عليه، تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد؛ فإنه فرض كفاية على الأحياء.

وأورد طائفة من الآثار التي أوردها الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وهي أن الجهاد ليس على الأعيان وأنه فرض كفاية كما تقدم ؛ إذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال، فليخرج فريق منهم للجهاد وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم، حتى إذا عاد النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع، وما تجدد نزول على النبي ﷺ. وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ [التوبة: ٣٩] وللآية التي قبلها ؛ على قول مجاهد وابن زيد.

(٩١٣) أحمر
أسود

وقال: هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ بعد ما علموا أن النفير لا يسع جميعهم. ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ وتبقى بقيتها مع النبي ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا؛ فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه. وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان. ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. فدخل في هذا من لا يعلم الكتاب والسنن.

وقال: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ قال الأخفش: أي فهلا نفر. ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الطائفة في اللغة الجماعة، وقد تقع على أقل من ذلك حتى تبلغ الرجلين، وللواحد على معنى نفس طائفة. وقد تقدم أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦] رجل واحد. ولا شك أن المراد هنا جماعة لوجهين؛ أحدهما عقلا، والآخر لغة. أما العقل فلأن العلم لا يتحصل بواحد في الغالب، وأما اللغة فقوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ فجاء بضمير الجماعة.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ الضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا، وَلِيُنذِرُوا﴾ للمقيمين مع النبي ﷺ؛ قاله قتادة ومجاهد. وقال الحسن: هما للفرقة النافرة؛ واختاره الطبري. ومعنى ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي يتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين. ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ من الكفار. ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الجهاد فيخبرونهم بنصرة الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين، وأنهم لا يدان لهم بقتالهم وقتال النبي ﷺ؛ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

(٩١٤) أحمر
أسود

قلت: قول مجاهد وقتادة أبين، أي لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله ﷺ عن النفور في السرايا. وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب إليه دون الوجوب والإلزام ؛ إذ ليس ذلك في قوة الكلام، وإنما لزم طلب العلم بأدلته ؛ قاله أبو بكر بن العربي.

قال البن الجوزي في زاد المسير:

واختلف المفسرون في المراد بهذا النفير على قولين:

أحدهما: أنه النفير إلى العدو، فالمعنى: ما كان لهم أن ينفروا بأجمعهم بل تنفر طائفة وتبقى مع النبي ﷺ طائفة ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني الفرقة القاعدين فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن أو تجدد أمر أعلموهم به وأنذروهم به إذا رجعوا إليهم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس.

والثاني: أنه النفير إلى رسول الله ﷺ، بل تنفر منهم طائفة ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون، ولينذروا قومهم المتخلفين، هذا قول الحسن وهو أشبه بظاهر الآية فعلى القول الأول يكون نفير هذه الطائفة مع رسول الله ﷺ إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه وعلى القول الثاني يكون نفير الطائفة إلى رسول الله لاقتباس العلم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: -منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم- ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طَآئِفَةٌ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا

(٩١٥) أحمر
أسود

لفاتتهم، فقال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: القاعدون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي. ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه اللّه علما ومنحه فهما.

وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾

[التوبة: ١٢٣-١٢٩]

(٩١٧) أحمر
أسود

س: اذكر معانى هذه:

﴿يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ - غِلۡظَةً - يَسۡتَبۡشِرُونَ - مَّرَضٌ - رِجۡسًا - يُفۡتَنُونَ - يَذَّكَّرُونَ - ٱنصَرَفُواْ - لَا يَفۡقَهُونَ - عَزِيزٌ عَلَيۡهِ - مَا عَنِتُّمۡ - رَءُوفٌ - تَوَلَّوۡاْ - حَسۡبِيَ ٱللَّهُ - عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ - وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾	القريبون منكم ومن دياركم والكفار الذين يسكنون بلادًا قريبين من بلادكم
﴿غِلۡظَةً﴾	شدة
﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾	يفرحون – يبشر بعضهم بعضا
﴿مَّرَضٌ﴾	شك – نفاق – ريب
﴿رِجۡسًا﴾	كفرًا – شكًّا – ارتيابًا – نفاقًا
﴿يُفۡتَنُونَ﴾	يختبرون
﴿يَذَّكَّرُونَ﴾	يتعظون – يعتبرون
﴿ٱنصَرَفُواْ﴾	أعرضوا عن الإيمان
﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾	لا يفهمون – لا يريدون فهمًا
﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ﴾	شاق عليه
﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾	عنتكم – ما يصيبكم من مشقة وعذاب
﴿رَءُوفٌ﴾	ذو رأفة

(٩١٨) أحمر
أسود

٩١٨ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	أعرضوا وانصرفوا
﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾	كافيني الله
﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾	عليه اعتمدت
﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	صاحب العرش العظيم، والعرش سرير الملك

❁ ❁ ❁

(٩١٩) أحمر
أسود

قتال الكفار الأقرب فالأقرب

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – يا أهل الإيمان قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله أهل الكفر والجحود الأقرب إليكم منهم فالأقرب، يعني: الأقرب من بلادكم فالأقرب، أي: ابدءوا بقتال الكفار المجاورين لبلادكم الأُرب منهم ثم الذي يليه، إلا إذا دعت الحاجة والمصلحة إلى غير ذلك، أو كانت بينكم وبين الأقرب منكم عهود ومواثيق. فحينئذٍ نتخطاهم إلى غيرهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ أي: شدة في القتال، وفي الألفاظ، وشجاعة وثباتًا، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يا أهل الإيمان، أن الله معكم ما دمتم متقين لله موحدين له قائمين بأمره ومنتهين عن نهيه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بَعُد منهم. يقول لهم: ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارًا، دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ، الروم، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية، قتالُ من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطروا إليهم، لزمهم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يدٌ على من سواهم.

ولصحة كون ذلك كذلك، تأوّل كلُّ من تأوّل هذه الآية، أنّ معناها إيجاب

(٩٢٠) أحمر
أسود

الفرض على أهل كل ناحية قتالَ من وليهم من الأعداء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، فإن معناه: وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم، ﴿فِيكُمْ﴾، أي: منكم شدةً عليهم، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، يقول: وأيقنوا، عند قتالكم إياهم، أن الله معكم، وهو ناصركم عليهم، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سبحانه عرفهم كيفية الجهاد وأن الابتداء بالأقرب فالأقرب من العدو ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بالعرب، فلما فرغ قصد الروم وكانوا بالشام.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي شدة وقوة وحمية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدأون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلظة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة والثبات.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وليكن لديكم علم أن المعونة من اللّه تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى اللّه، يعنكم وينصركم على عدوكم.

وهذا العموم في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جدا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الأقرب فالأقرب إلى

(٩٢١) أحمر
أسود

حوزة الإسلام؛ ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة، والطائف، واليمن واليمامة، وهجر، وخيبر، وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهْد الناس وجَدْب البلاد وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته، عليه السلام.

ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حَجَّة الوداع. ثم عاجلته المنية، صلوات الله وسلامه عليه، بعد الحجة بأحد وثمانين يوما، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر، رضي الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل، فثبته الله تعالى به فوطد القواعد، وثبت الدعائم. ورد شارد الدين وهو راغم. ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله. ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عَبَدَةِ الصلبان وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنفس كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد. وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الإله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيّه من بعده، وولي عهده الفاروق الأوّاب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقًا وغربًا. وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدًا وقُربا. ففرقها على الوجه

(٩٢٢) أحمر
أسود

الشرعي، والسبيل المرضي.

ثم لما مات شهيدًا وقد عاش حميدًا، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار. على خلافة أمير المؤمنين [أبي عمرو] عثمان بن عفان شهيد الدار. فكسى الإسلام [بجلاله] رياسة حلة سابغة. وأمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، فكلما عَلَوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [أي: وليجد الكفار منكم غلظة] عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن، غليظًا على عدوه الكافر، كما قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا الضَّحوك القَتَّال**»، يعني: أنه ضَحُوك في وجه وليه، قَتَّال لهامة عدوه[(١)].

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: قاتلوا الكفار، وتوكلوا على الله، واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه.

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة، في غاية الاستقامة، والقيام بطاعة الله تعالى، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل

(١) لا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ.

(٩٢٣) أحمر
أسود

الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سَفال وخسار. ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك، طمع الأعداء في أطراف البلاد، وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام، فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله، سبحانه، الأمر من قبل ومن بعد. فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه، وبقدر ما فيه من ولاية الله. والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم، إنه جواد كريم.

❁ ❁ ❁

زيادة إيمان المؤمنين
بنزول القرآن وزيادة أهل الضلال ضلالا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإذا ما أنزت عليك يا رسول الله سورة من عند الله ﴿فَمِنۡهُم﴾ قيل من أهل النفاق، وقيل: أُبهم القائل وقد يكون من أهل النفاق وقد يكون من غيرهم. ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ هذه الآية التي نزلت إيمانًا، فأهل النفاق يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية، وأهل الإيمان يقولون ذلك تيمنًا وتفاؤلًا واستبشارًا.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

أما زيادة إيمانهم فوجهها أنهم لما أنزلت السورة آمنوا بها وامتثلوا ما فيها

(٩٢٤) أحمر
أسود

فأكرمهم الله بزيادة إيمانهم وطمأنينة قلوبهم فكلما نزلة آيةٌ وسورةٌ ازدادوا إيمانًا وتصديقًا فزادهم الله إيمانًا إلى إيمانهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

وكذا فإنهم يعملون بالآيات فيزيدهم الله توفيقًا كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [الليل: ٥-٧].

ويزدادوا يقينًا إذا سمعوا الآيات تتلى وترق لها قلوبهم وتخضع لها جوارحهم وتنذرف لها دموعهم، فكل ذلك يزيدهم الله به هدى، فإذا نزلت الآية الكريمة والسورة المباركة، وكل آيات القرآن كريمة وكل سورة مباركة، فإذا نزلت السورة بشر بعضهم بعضًا وفرحوا بنزولها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ وهم أهل النفاق الذين في قلوبهم شك وارتياب وتردد ونفاق، بل وكفرٌ كذلك فزادتهم الآية الكريمة، والسورة لامباركة ﴿رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ شكًّا إلى شكهم ونفاقًا إلى نفاقهم، وذلك لأنهم لما عاندوا وخالفوا عاقبهم الله بأن زادهم ضلالًا إلى ضلالهم وغيًّا إلى غيهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٨-١٠].

وقوله: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ أي: استمر بهم الرجس والشك والنفاق حتى ماتوا على كفرهم وضلالهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد ﷺ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول: أيها الناس، أيكم زادته هذه السورة إيمانًا؟ يقول: تصديقًا بالله وبآياته. يقول الله: ﴿فَأَمَّا

(٩٢٥) أحمر
أسود

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، من الذين قيل لهم ذلك ، ﴿فَزَادَتۡهُمۡ ﴾، السورة التي أنزلت ، ﴿إِيمَٰنًا ﴾، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

فإن قال قائل: أو ليس «الإيمان»، في كلام العرب، التصديق والإقرارُ؟ قيل: بلى!

فإن قيل: فكيف زادتهم السورة تصديقًا وإقرارًا؟

قيل: زادتهم إيمانًا حين نزلت، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرضُ الإقرار بها والعمل بها بعينها، إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله فحقٌّ. فلما أنزل الله السورة، لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه، فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها.

و يقول تعالى ذكره: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾، نفاق وشك في دين الله، فإن السورة التي أنزلت ، ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا، فكان ذلك زيادة شكٍّ حادثةٍ في تنزيل الله، لزمهم الإيمان به عليهم، بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نَتْنٍ من أفعالهم، إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق. وذلك معنى قوله:(فزادتهم رجسا إلى رجسهم) ، ﴿وَمَاتُواْ ﴾، يعني: هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا ، ﴿وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾، يعني: وهم كافرون بالله وآياته.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ ﴾ فمن المنافقين ﴿ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ ﴾ ؟ أي: يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا؟ قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾.

(٩٢٦) أحمر
أسود

وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول «شرح البخاري» رحمه الله، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ أي: زادتهم شكا إلى شكهم، وريبا إلى ريبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالا ونقصا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها الأمر، والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ أي: حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى -مبينا الحال الواقعة-: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضا بما من اللّه عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات اللّه، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه.

(٩٢٧) أحمر
أسود

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك ونفاق ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ أي: مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك ﴿ وَ ﴾ الطبع على قلوبهم، حتى ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾.

وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات اللّه وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

❁ ❁ ❁

س: آيات القرآن الكريم تنزل فيزداد بها المؤمن إيمانًا والكافر ضلالًا اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾ [فصلت: ٤٤].

❁ ❁ ❁

الابتلاءات لإرجاع الناس لدينهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أولا يرى هؤلاء المنافقون أنهم يبتلون في كل

(٩٢٨) أحمر
أسود

عام مرة أو مرتين لإرجاعهم عن غيِّهم وشرهم وفسادهم، وكفرهم ونفاقهم، يبتليهم الله ﷻ بأمراض وأسقام، وبتسلط عدوهم عليهم، وبضرٍّ في أموالهم إلى غير ذلك من صور الابتلاءات، وكل ذلك لإرجاعهم إلى دينهم، ولكنهم لا يرجعون ولا يستغفرون ولا يتعظون ولا يعتبرون.

هذا، وقد تقدمت في مواطن عدة أدلة على أن الله ﷻ يبتلي العباد لإرجاعهم إلى طريق وصراطه المستقيم قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]

إلى غير ذلك من الآيات.

ثم هذه بعض أقوال العلم في الآية المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذلك بعد أن أورد قراءتين في قوله: (يرون) إحداهما بالتاء (أفلا ترون) والأخرى بالياء ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ وصوَّب قراءة من قرأ بالياء ثم قال:

قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءه قوله:(أولا يرون).

فقرأته عامة قرأة الأمصار: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾، بالياء، بمعنى: أو لا يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرضُ النفاق؟

وقرأ ذلك حمزة: (أَوَ لا تَرَوْنَ)، بالتاء، بمعنى: أو لا ترون أنتم، أيها المؤمنون، أنهم يفتنون؟

قال أبو جعفر: والصواب عندنا من القراءة في ذلك، الياءُ، على وجه

(٩٢٩) أحمر
أسود

التوبيخ من الله لهم، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه، وصحة معناه.

فتأويل الكلام إذًا: أو لا يرى هؤلاء المنافقون أنَّ الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة، وفي بعضها مرتين، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾، يقول: ثم هم مع البلاء الذي يحلّ بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينيبون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته، فيتعظوا بها، ولكنهم مصرُّون على نفاقهم؟

واختلف أهل التأويل في معنى «الفتنة» التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها.

فقال بعضهم: ذلك اختبارُ الله إياهم بالقحط والشدة.

وقال آخرون: بل معناه: أنهم يختبرون بالغزو والجهاد.

وقال آخرون: بل معناه: أنهم يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله ﷺ وأصحابه، فيفتتن بذلك الذين في قلوبهم مرض.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله عجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكرهم، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها. وجائزٌ أن تكون تلك المواعظُ الشدائدَ التي ينزلها بهم من الجوع والقحط، وجائزٌ أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم، وجائزٌ أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله ﷺ وأصحابه، ولا خبر يوجب صحةَ بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له. ولا قول في ذلك أولى بالصواب من

(٩٣٠) أحمر
أسود

التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين، بما يكون زاجرًا لهم، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون؟

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى -موبخا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق-: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم.

﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ عما هم عليه من الشر ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه.

فالله تعالى يبتليهم -كما هي سنته في سائر الأمم- بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾ يعني المنافقين وقرأ حمزة أولا ترون بالتاء على الخطاب للمؤمنين وفي معنى ﴿ يُفْتَنُونَ ﴾ ثمانية أقوال:

أحدها: يكذبون كذبة أو كذبتين يضلون بها، قاله حذيفة بن اليمان.

والثاني: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: يبتلون بالغزو في سبيل الله، قاله الحسن وقتادة.

والرابع: يفتنون بالسنة والجوع، قاله مجاهد.

والخامس: بالأوجاع والأمراض، قاله عطية.

والسادس: ينقضون عهدهم مرة أو مرتين، قاله يمان.

والسابع: يكفرون وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي ﷺ بما تكلموا به إذ خلوا علموا أنه نبي ثم يأتيهم الشيطان فيقول إنما بلغه هذا عنكم فيشركون، قاله مقاتل بن سليمان.

(٩٣١) أحمر
أسود

والثامن: يفضحون باظهار نفاقهم، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي: من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتعظون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – وإذا ما أنزلت سورة عليك يا رسول الله وسمعها المنافقون، وكانوا فيما بينهم فأرادوا أن يطعنوا في الآية أو يسخروا منها ومن نزولها، نظر بعضهم إلى بعض قبل أن يتكلموا فيها بطعنٍ وعيب خشية أن ينقل قولهم إلى رسول الله ﷺ ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحدٍ غيركم فقالوا ما قالوه في شأن السورة المباركة طعنًا وذمًّا وعيبًا وانتقاصًا ثم انصرفوا عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان واليقين إلى الكفر والشك والتكذيب ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء عليهم، وقيل: إخبار بما أحلَّه الله بهم من العقاب، وذلك لكونهم لم يتدبروا آيات الله ولم يتفهموها، ولم يقبلوا عليها ولم يعيروها اهتمامًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، من القرآن، فيها عيبُ هؤلاء المنافقين الذين وصفَ جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة، وهم عند رسول الله ﷺ، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، فتناظروا، ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله ﷺ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معايبهم. ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله:

(٩٣٢) أحمر
أسود

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، فقال: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، يقول: فعل الله بهم هذا الخذلان، وصرف قلوبهم عن الخيرات، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه، استكبارًا، ونفاقا.

واختلف أهل العربية في الجالب حرفَ الاستفهام.

فقال بعض نحويي البصرة، قال: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، كأنه قال: «قال بعضهم لبعض»، لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماءً وشبيهًا به، والله أعلم.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما هو: وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد؟

وقال آخر منهم: هذا «النظر» ليس معناه «القول»، ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام، كقول العرب: «تناظروا أيهم أعلم»، و«اجتمعوا أيهم أفقه»، أي: اجتمعوا لينظروا، فهذا الذي يجلب الاستفهام.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ هذا أيضا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: تَلَفَّتُوا، ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ أي: تولوا عن الحق وانصرفوا عنه، وهذا حالهم في الدين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يقيمونه كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١]، وقال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج:٣٦، ٣٧]، أي: ما لهؤلاء القوم يتقللون عنك يمينا وشمالا هروبا من

(٩٣٣) أحمر
أسود

الحق، وذهابا إلى الباطل.

وقوله: ﴿أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون عن الله خطابه، ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه، بل هم في شده عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ ﴿مَا﴾ صلة، والمراد المنافقون؛ أي إذا حضروا الرسول وهو يتلو قرآنا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير؛ يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد؛ وذلك جهل منهم بنبوته عليه السلام، وأن الله يطلعه على ما يشاء من غيبه. وقيل إن ﴿نَّظَرَ﴾ في هذه الآية بمعنى أنبأ. وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال: ﴿نَّظَرَ﴾ في هذه الآية موضع قال.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ أي انصرفوا عن طريق الاهتداء. وذلك أنهم حينما بين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لإيمانهم؛ فهم إذ يصممون على الكفر ويرتبكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء، ولم يسمعوا قراءة النبي ﷺ سماع من يتدبره وينظر في آياته؛ ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢]. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن،

(٩٣٤) أحمر
أسود

أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائما في صعود.

وقوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ ﴾ إلى ﴿ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾.

يعني: أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: ﴿ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ ﴾ متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم اللّه بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ أي: صدها عن الحق وخذلها.

﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها.

والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع الإيمان، كما قال تعالى عنهم: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾ [محمد: ٢٠].

❁ ❁ ❁

من تعمد الضلال زاده الله ضلالاً

س: من أعرض عن ذكر الله وانصرف عن توحيده وشرعه زاده الله ضلالًا وانصرافًا دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾.

و قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: ٥].

و قوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ

(٩٣٥) أحمر
أسود

كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ ردٌّ على القدرية، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه فميا ذكره القرطبي إذ قال:

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه صارف القلوب ومصرفها وقالبها ومقلبها ؛ ردا على القدرية في اعتقادهم أن قلوب الخلق بأيديهم وجوارحهم بحكمهم، يتصرفون بمشيئتهم ويحكمون بإراداتهم واختيارهم ؛ ولذلك قال مالك فيما رواه عنه أشهب: ما أبين هذا في الرد على القدرية ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠]. وقوله ﷻ لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فهذا لا يكون أبدا ولا يرجع ولا يزول.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من المعني به؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: منكم أيها العرب.

الثاني: منكم أيها البشر.

وثمَّ أقوال أُخر.

❁ ❁ ❁

(٩٣٦) أحمر
أسود

حرص رسول الله ﷺ على هداية أمته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – لقد جاءكم أيها البشر رسول من أنفسكم، ليس بملكٍ، بل بشرٌ مثلكم حتى تفهمون مراده وتعقلون ما يقول.

ثم هو من العرب أيضًا، من نكاحٍ صحيح ليس من سفاح تعرفون أيها العرب ولا تنكرونه.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شاق عليه ما يحل بكم من المشقة، فيما يحزنكم يؤلمه، وما أنتم فيه من الضلال الذي يجلب لكم العذاب يؤلمه ويحزنه، يعزُّ عليه عنتكم، يتألم لتألمكم يا أهل الإيمان، ويحزن لحزنكم وكذا يشق عليه إعراض قومه عن الإيمان فهذا الذي يسبب لهم العذاب، فيحزن لإعراض قومه عن الإيمان حريصٌ على هدايتكم يبذل ما استطاع لهدايتكم ذو رحمة ورقة ورأفة بأهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للعرب: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾، أيها القوم، رسول الله إليكم، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، تعرفونه، لا من غيركم، فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم ، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، يقول: حريص على هُدَى ضُلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾،: أي رفيق ، ﴿رَّحِيمٌ﴾.

(٩٣٧) أحمر
أسود

وأورد بسندٍ صحيح عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ....﴾.

قال: لم يصبه شيء من شركٍ في ولادته، وفي رواية: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية[1].

قال الطبري:

وأما قوله:(عزيز عليه ما عنتم)، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله.

فقال بعضهم: معناه: ما ضللتم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: عزيز عليه عَنت مؤمنكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ ابن عباس. وذلك أن الله عمَّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنتَ قومَه، ولم يخصص أهل الإيمان به. فكان ﷺ كما جاء الخبرُ من الله به، عزيزٌ عليه عَنَتُ جمعهم.

هذا، وقد طرح الطبري سؤالًا وأجاب عليه فقط:

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف ﷺ بأنه كان عزيزًا عليه عنت جميعهم، وهو يقتل كافرهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم، وأجاب بقوله:

قيل: إن إسلامهم، لو كانوا أسلموا، كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه، حتى يستحقوا ذلك من الله. وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتهم، لأنه كان عزيزًا عليه أن يأتوا ما يُعنتهم، وذلك أن يضلُّوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي.

وأما ﴿مَا﴾ التي في قوله: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾، فإنه رفع بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾،

(١) يعني بذلك أنه ﷺ أُخرج من نكاحٍ صحيح ليس من سفاح الجاهلية.

(٩٣٨) أحمر
أسود

لأن معنى الكلام ما ذكرت: عزيز عليه عنتكم.

وأورد بسندٍ يصح عن قتادة: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، حريص على ضالهم أن يهديه الله. وفي رواية: حريص على من لم يسلم أن يسلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم، عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم وبلغتكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.

وقال:

وقوله: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي: يعز عليه الشيء الذي يَعْنَتُ أمته ويشق عليها.

وقال:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

وقوله: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥-٢١٧] وهكذا أمره تعالى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله أعلم والخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد

(٩٣٩) أحمر
أسود

النعمة عليهم في ذلك ؛ إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشرفوا به غابر الأيام. وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر ؛ والأول أصوب. قال ابن عباس: ما من قبيلة من العرب إلا ولدت النبي ﷺ فكأنه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل. والقول الثاني أوكد للحجة أي هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتأتموا به.

قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يقتضي مدحا لنسب النبي ﷺ وأنه من صميم العرب وخالصها. وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم".

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره.

❁ ❁ ❁

(٩٤٠) أحمر
أسود

الحث على الاعتماد على الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – توجيه لرسول الله ﷺ من ربِّه ﷻ، والمعنى فإن أعرضوا عن الإيمان، ورضوا بالكفر عنه بديلًا، فقل يكفيني الله ﷻ ويحفظني، ويُسلمني، هو وحده الذي يكفيني ويعصمني ويحفظني لا إله إلا هو، لا معبود لي إلا الله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ عليه اعتمدت، وهو رب العرش العظيم، وكذا فهو رب كل شيء ومليكك كل شيء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن تولى، يا محمد، هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله، وما دعوتهم إليه من النور والهدى، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾، يكفيني ربي، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، لا معبود سواه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت، فإنه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده.

وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه، لأن ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه.

(٩٤١) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة، ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: الله كافيَّ، لا إله إلا هو عليه توكلت، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وَقَدَره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي إن اعرض الكفار يا محمد بعد هذه النعم التي من الله عليهم بها فقل حسبي الله أي كافي الله تعالى. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي اعتمدت وإليه فوضت جميع أموري. ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ خص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه إذا ما ذكره. وقراءة العامة بخفض ﴿ٱلْعَظِيمِ ﴾ نعتا للعرش.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَإِن ﴾ آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن ﴿ تَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تزل في دعوتك، وقل ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: الله كافيَّ في جميع ما أهمني، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحق سواه.

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى.

(٩٤٢) أحمر
أسود

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء، وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو بفتحها وفي المضمونة أربعة أقوال.

أحدها: من جميع العرب، قاله ابن عباس، وقال ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسوله الله ﷺ.

والثاني: ممن تعرفون، قاله قتادة.

والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قاله جعفر الصادق.

الرابع: بشر مثلكم فهو آكد للحجة لأنكم تفقهون عمن هو مثلكم، قاله الزجاج وفي المفتوحة ثلاثة أقوال:

أحدها: أفضلكم خلقا، والثاني: أشرفكم نسبا، والثالث: أكثركم طاعة لله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: شديد عليه ما شق عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، قال الزجاج: شديد عليه عنتكم، والعنت لقاء الشدة.

والثاني: شديد عليه ما آثمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال ابن عباس: سماه باسمين من أسمائه، وقال أبو عبيدة: رؤوف فعول من الرأفة وهي أرق من الرحمة ويقال: رؤف وأنشد:

ترى للمؤمنين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم

وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين.

(٩٤٣) أحمر
أسود

آخر آية نزلت من القرآن

س: هل ورد شيء في أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ أَنَّ .﴾؟

ج: نعم ورد ما يفيد ذلك بما يحسن بمجموع طرقه فقد أخرج عبد الله بن أحمد [1] في زوائد المسند من حديث أُبي بن كعب قال: آخر آية نزلت في القرآن، هذه الآية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة.

وفي سنده مقال لكن له طريق آخر عند عبد الله بن أحمد أيضًا [2] بسنده إلى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي مَصَاحِفَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَكَانَ رِجَالٌ يَكْتُبُونَ وَيُمْلِي عَلَيْهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾. فَظَنُّوا أَنَّ هَذَا آخِرُ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْرَأَنِي بَعْدَهَا آيَتَيْنِ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ إِلَى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ قَالَ: هَذَا آخِرُ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ فَخُتِمَ بِمَا فُتِحَ بِهِ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعند البخاري [3] من حديث زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ - قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ: مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي

---

(١) (٢/ ٣٣٨).
(٢) المسند (٥/ ١٣٤).
(٣) المسند (٥/ ١٣٤).

(٩٤٤) أحمر
أسود

أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَّهِمُكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الرِّقَاعِ، وَالْأَكْتَافِ، وَالْعُسُبِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا، مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ إِلَى آخِرِهِمَا. وَكَانَتْ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

❁ ❁ ❁

(٩٤٥) أحمر
أسود

تفسير سورة يونس

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾ [يونس: ١-٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تِلْكَ - ءَايَٰتُ - ٱلْكِتَٰبِ - ٱلْحَكِيمِ - عَجَبًا - أَوْحَيْنَآ - أَنذِرِ ٱلنَّاسَ - قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ - ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ - يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ - شَفِيعٍ - ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ - تَذَكَّرُونَ - يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ - ثُمَّ يُعِيدُهُۥ - بِٱلْقِسْطِ - حَمِيمٍ - أَلِيمٌۢ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تِلْكَ﴾	هذه – وأيضًا إشارة إلى مؤنث غائب.
﴿ءَايَٰتُ﴾	علامات ودلالات.
﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾	القرآن.
﴿ٱلْحَكِيمِ﴾	المحكَم المبين – الموضَّح.
﴿عَجَبًا﴾	مثارًا للتعجب.
﴿أَوْحَيْنَآ﴾	أرسلنًا ملكًا يوحي وحينا إلى بشرٍ.
﴿أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾	خوِّف الناس وحذرهم.
﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	ثواب عملهم الصالح ينتظرهم ويتقدمهم.
﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	علا وارتفع على العرش.
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾	يدبر أمر المخلوقات – يرزقهم ويعافيهم فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويحيي ويميت ويعز ويذل ويرفع ويخفض إلى غير ذلك.
﴿شَفِيعٍ﴾	شافع يشفع لكم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾	هذا هو الله ربكم.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون.
﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾	يخلق الخلق لأول مرةٍ – يبتدأ خلقهم.
﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾	ثم يعيدهم أحياء بعد موتهم (يوم القيامة).
﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾	بالعدل – بالحق
﴿حَمِيمٖ﴾	ماءٌ أُغلي حتى بلغ أعلى درجات حرارته.
﴿أَلِيمُۢ﴾	مؤلمٌ موجعٌ.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿الٓرۚ﴾ ؟

ج: معناها موكولٌ إلى الله سبحانه وتعالى.

وحاصل الأمر: أنها أَحرفٌ مقطعة بُدئت بها بعض السور وقد سيقت للتحدي، وكأن المعنى ألف ولام وراء أحرف تعرفونها تقرؤونها وتكتبونها ولكن لا تستطيعوا أن تأتوا منها بآية ولا بسورة. والله أعلم.

هذا، ومن العلماء من قال: إن معناها: أنا الله أرى.

وقال آخرون: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء القرآن.

والأظهر ما قدمته، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ﴾؟

ج: معناها: هذه، وقيل: إنها على بابها: إشارة إلى غائبٍ مؤنث.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: قيل: إشارة إلى (الٓرۚ) وأخواتها من الحروف (حروف الهجاء) أي: تلك الحروف المبتدئة بها بعض السور.

وقيل: إشارة إلى القصص التي تسمعونها في القرآن.

وقيل: إشارة إلى عموم الآيات التي جرى ذكرها من القرآن.

وقيل: المراد هذه الآيات التي في القرآن عمومًا سواء التي نزلت أو التي ستنزل.

* وهذا القول الأخير هو الذي أجنح إليه وأميل والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُ﴾؟

ج: المراد أعلام ودلالات، أي: أعلام ودلالات على وحدانية الله ﷻ وعلى صدق رسوله ﷺ فيما أخبر به.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ج: لأهل العلم قولان:

أظهرهما وأصحهما: أنه القرآن، وبهذا قال أكثر أهل العلم.

الثاني: أنه التوراة والإنجيل. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾.

ج: قال عددٌ من أهل العلم إن المراد بالحكيم المُحكَم، وكذا المبيَّن الموضَّح أحكمه الله ﷻ ووضَّحه لعباده وبيَّنه لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾، في هذا الموضع، «المحكم»، صرف «مُفْعَل» إلى «فعيل»، كما قيل: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بمعنى مؤلم، وكما قال الشاعر:

أمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ

وقد بينا ذلك في غير موضع من الكتاب.

فمعناه إذًا: تلك آيات الكتاب المحكم، الذي أحكمه الله وبينه لعباده، كما قال جل ثناؤه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحكيم: المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام؛ قاله أبو عبيدة وغيره. وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم؛ أي إنه حاكم بالحلال والحرام،

وحاكم بين الناس بالحق ؛ فعيل بمعنى فاعل. دليله قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقيل: الحكيم بمعنى المحكوم فيه ؛ أي حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه ؛ فهو فعيل بمعنى المفعول ؛ قاله الحسن وغيره. وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف ؛ فعيل بمعنى مفعل، كقول الأعشى يذكر قصيدته التي قالها:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة ... قد قلتها ليقال من ذا قالها

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: هذه الآيات التي تلوتها عليكم والتي ستتلى عليكم، هي آيات القرآن الكريم المحكَم المبيَّن الموضَّح الذي أوضح الله فيه العقائد الصحيحة، والحلال والحرام، والأخبار والقصص الصحيحة، وغير ذلك من أمور الجنة والنار والبعث والنشور وغير ذلك، هذه الآيات هي أعلام على وحدانية الله ﷻ وعلى صدق رسوله ﷺ فيما أخبر به، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١١) أحمر
أسود

المراد بقدم الصدق

س: ما المراد بـ (قَدَمَ صِدْقٍ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك أجر الأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا، فهذا الأجر ينتظرهم فالمعنى: أن لهم أجرًا حسنًا بما قدموه من صالح الأعمال.

وهذا القول هو أظهر الأقوال وعليه أكثر العلماء.

الثاني: أن المراد بقدم الصدق ما سبق لهم في علم الله ﷻ، وأُثبت في اللوح المحفوظ من السعادة التي كتبت لهم.

الثالث: أن محمدًا ﷺ شفيع لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثوابَ.

وذلك أنه محكيٌّ عن العرب: «هؤلاء أهْلُ القَدَم في الإسلام» أي هؤلاء الذين قدَّموا فيه خيرًا، فكان لهم فيه تقديم. ويقال: «له عندي قدم صِدْق، وقدم سوء»، وذلك ما قدَّم إليه من خير أو شر، ومنه قول حسان بن ثابت:

لَنَا القَدَمُ العُلْيَا إِلَيْكَ وَحَلْفَنَا ... لأَوّلِنَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ

وقول ذي الرمة:

لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا ... مَعَ الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذًا: وبشر الذين آمنوا أنّ لهم تقدِمة خير من الأعمال الصالحة عند ربِّهم.

قلت (مصطفى): وهناك أقوال أُخر ذكرها العلماء:

منها: مقام صدق لا يتحولون عنه (وهو الجنة).

ومنها: سلف صالح تقدمهم.

ومنها: المنزلة الرفيعة العالية.

ومنها: الولد الصالح الذي مات في حياتهم.

ومنها: دعوة الملائكة لهم.

❁ ❁ ❁

(١٣) أحمر
أسود

تعجب الكفار من إرسال رسولٍ بشرى إليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أكان شيئًا مثيرًا للعجب، لعجب الناس، أو أوحينا إلى رجل منهم، من البشر وأمرناه أن ينذر الناس، يخوفهم من عقاب الله إن هم أشركوا بالله وعصوه وكذبوا، وأن يبشر الموحدين المطيعين المؤمنين بأن لهم أجرًا حسنًا إن هم أطاعوا وعملوا صالحًا، أكان هذا أمرًا مثيرًا للعجب؟!!

* أيثير العجب أن يُبَشَّر الصالحُ بأجر عمله الصالح؟!!
* أيثير العجب أن يُحذر ويُنذر الظالم حتى يقلع عن ظلمه؟!!
* أيثير العجب أن يُقال إن الله واحدٌ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا؟!!
* أيثير العجب أن يُحذَّر الناس رجلٌ منهم؟!!

كلَّا، بل يعمل هذا على شكر الله ﷻ، ويحمل على تصديق رسله، ولكن أبى الظالمون إلا كفورًا، فوصفوا الرسول الذي بعثه الله ﷻ منذرًا ومبشرًا وصفوه، ووصفوا ما جاءهم به من الآيات بشر وصف، وصفوه بأنه ساحر، ووصفوا الآيات بأنها سحر، (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾) لساحرٌ مظهر بما جاء به أنه ساحر لا شك في ذلك. هكذا قالوا ولئس ما قالوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية الكريمة:

وقوله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية، يقول تعالى منكرا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر، كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم: ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦] وقال هود وصالح لقومهما: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٣: ٦٩] وقال تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم

قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم، رجلا من جنسهم، بشيرا ونذيرا، ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: ظاهر، وهم الكاذبون في ذلك.

❁ ❁ ❁

(١٥) أحمر
أسود

شيء من عظمة الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: إن ربّكم، مالككم ورازقكم وخالقكم ومربيكم بنعمه هو الله ﷻ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش علا وارتفع على العرش استقراء يليق بكماله وجلاله، يُدبر أمر الخلائق كلها، ويدبر الأمور جميعها من السماء إلى الأرض، ليس لكم من شافع يشفع لكم عنده إلا إذا أذن كما قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ) [الأنبياء: ٢٨] ذلكم الله ربكم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أفلا تتعظون وتعتبرون؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهيرٍ، ثم استوى على عرشه مدبرًا للأمور، وقاضيًا في خلقه ما أحبّ، لا يضادُّه في قضائه أحدٌ، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ، ولا يدخل أموره خلل. ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾، يقول: لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد، إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾، يقول جل جلاله: هذا الذي هذه صفته، سيِّدكم ومولاكم، لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبِّر ولا يقضي من الآلهة والأوثان ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾، يقول: فاعبدوا ربكم

الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية، بالذلة منكم له، دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، يقول: أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتنيبون إلى الإذعان بتوحيدِ ربكم وإفراده بالعبادة، وتخلعون الأنداد وتبرؤون منها؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خَلَق السموات والأرض في ستة أيام - قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يوم كألف سنة مما تعدون. كما سيأتي بيانه (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ)، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: يدبر أمر الخلائق، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلّطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار، ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦]. ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال:

وقوله: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكقوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦] وقوله: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أيها المشركون في أمركم، تعبدون

(١٧) أحمر
أسود

مع الله غيره، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق، كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٦ -٨٧]، وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مبينا لربوبيته وإلهيته وعظمته: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله.

ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة.

﴿ ثُمَّ ﴾ بعد خلق السماوات والأرض ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ استواء يليق بعظمته.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.

فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه.

﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضي إلا أهل الإخلاص والتوحيد له.

﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ الذي هذا شأنه ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي: هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال.

﴿ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ أي: أفردوه بجميع ما تقدرون عليه من أنواع العبودية، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام.

❁ ❁ ❁

(١٩) أحمر
أسود

ذكر بعض العلَّة من البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إلى الله ﷻ مصيركم جميعًا فإليه تعودون بعد مماتكم، وهذا وعدٌ لا يتخلف، بل وعدٌ حق وهو على ذلك قادر فهو الذي بدأ الخلق أول مرة، وأنشأهم وأوجدهم ثم هو يعيدهم وهذا أيسر عليه وأسهل، يُعيدهم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط، بالحق والعدل، وكذا ليخزي أهل الكفر بالحق والعدل، ومن الحق والعدل، أنهم يجازون على كفرهم بشراب من حميم، من ماءٍ قد غُلي وسخِّن حتى بلغ أقصى درجات حرارته ولهم عذابٌ مؤلمٌ موجعٌ بسبب كفرهم وجحودهم لآيات الله ﷻ وإنكارهم لها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إلى ربكم الذي صفته ما وصَفَ جل ثناؤه في الآية قبل هذه، معادُكم، أيها الناس، يوم القيامة جميعًا. ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ فأخرج ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدَّرًا من قوله: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾، لأنه فيه معنى «الوعد»، ومعناه: يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدًا حقًّا، فلذلك نصب ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، يقول: ثم يعيده فيوجده حيًّا كهيئته يوم ابتدأه، بعد فنائه وبَلائِه.

وقال:

وقوله: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾، يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليثيب من صدّق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال، واجتنبوا ما نهاهم عنه، على أعمالهم الحسنة ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسنَ من الثواب، والصالحَ من الجزاء في الآخرة وذلك هو «القسط»، و«القسط» العدلُ والإنصاف.

وقال:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾، فإنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدَّ الله للذين كفروا من العذاب، وفيه معنى العطف على الأول. لأنه تعالى ذكره عمَّ بالخبر عن معادِ جميعهم، كفارهم ومؤمنيهم، إليه. ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كلَّ فريق بما عمل المحسنَ منهم بالإحسان، والمسيءَ بالإساءة. ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنفُ عما أعدّ للذين كفروا من العذاب، ما يدلُّ سامعَ ذلك على المرادِ، ابتدأ الخبر، والمعنيُّ العطف فقال: والذين جحدوا الله ورسولَه وكذبوا بآيات الله ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ﴾ في جهنم ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ وذلك شراب قد أُغلي واشتدّ حره، حتى إنه فيما ذكر عن النبي ﷺ ليتساقطُ من أحدهم حين يدنيه منه فروةُ رأسه، وكما وصفه جل ثناؤه: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾، [الكهف: ٢٩].

وأصله: «مفعول» صرف إلى «فعيل»، وإنما هو «محموم»: أي مسخّن، وكل مسخَّن عند العرب فهو حميم، ومنه قول المرقش:

وَكُلُّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ ... فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمْ

يعني بـ«الحميم»، الماء المسخَّن.

وقوله: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾، يقول: ولهم مع ذلك عذاب موجع، سوى

(٢١) أحمر
أسود

الشراب من الحميم، بما كانوا يكفرون بالله ورسوله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة، لا يترك منهم أحدا حتى يعيده كما بدأه. ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل والجزاء الأوفى، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ أي: بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب، من ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤٢، ٤٣]. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧، ٥٨]. ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: سيجمعكم بعد موتكم، لميقات يوم معلوم.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل منكر لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد. وقد ذكر الدليل النقلي فقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعده صادق لا بد من إتمامه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهم، من واجبات، ومستحبات، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾

أي: بإيمانهم وأعمالهم، جزاء قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بآيات الله وكذبوا رسل الله.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار، يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من سائر أصناف العذاب ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وظلمهم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصَّ أهل الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يجزيهم بالقسط ولم يذكر ذلك في شأن أهل الكفر مع أن الله ﷻ حكم عدلٌ؟

ج: نعم الله ﷻ حكم عدل لا يظلم ربنا أحدًا ولكن ذكر بعض أهل العلم هنا إنه اقتصر على شأن القسط في حال المؤمنين، مع أنه يقضي بالقسط مع كل أحدٍ، لبيان ما سيحل بالكفار من العقاب، وإلى هذا أشار ابن الجوزي فيما أورده عن ابن الأنباري.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فإن قيل: كيف خص جزاء المؤمنين بالعدل وهو في جزاء الكافرين عادل أيضًا:

فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبيَّن في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل أيضًا، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل حار فهو حميم.

❁ ❁ ❁

(٢٣) أحمر
أسود

الاستدلال على البعث بالخلق الأول

س: كثيرًا ما يُستدل على البعث بالخلق الأول، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ٥ ـ ١١].

(٢٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(ضِيَآءً - وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ - يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ - ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ - يَتَّقُونَ - لَا يَرْجُونَ - وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا - يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ - جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ - دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ - وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ - وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ضِيَآءً ﴾	مضيئة – ذات ضياء ﴿والضياء جمع ضوء﴾ كالسياط جمع سوط، والحياض جمع حوضٍ.
(وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾	جعله ذا منازلٍ ينزلها كل ليلة.
(يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾	يبين بعضها عن بعض ويفصل بعضها عن بعض، ويوضح بعضها عن بعض.
(ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	تفاوت ما بينها – هذا يطول وهذا يقصر، والعكس، وما بينهما من تفاوت في النور والظلام والحر والبرد وظهور الشمس نهارًا، والقمر ليلًا وغير ذلك.
(يَتَّقُونَ ﴾	يبتعدون عن الشرك – يتقون عقاب الله.
(لَا يَرْجُونَ ﴾	لا يخافون لقاءنا يوم القيامة.
(وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا)	ركنوا إليها.
(يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ)	يوفقهم ربهم في دنياهم ويزيدهم إيمانًا وهدًى. يرشدهم ربهم إلى طريق الجنان وإلى المرور على الصراط بسلامٍ.

﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	جنات التنعم، يتنعمون فيها بكل صور النعيم الذي تشتهين أنفسهم وتكذبه أعينهم.
﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾	دعاؤهم إذا أرادوا شيئًا، وسؤالهم إذا أرادوا شيئًا تنزيهًا لك يا ربنا عنا لعجز، وعلى كل ما يصفك به الواصفون المشركون.
﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾	تحيتهم فيما بينهم بقول السلام عليكم، وكذا يحيهم ربهم بهذه التحية، وتحييهم الملائكة بها.
﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾	آخر دعائهم إذا أكلوا وشربوا وتمتعوا الحمد لله رب العالمين، وكذا يتعبدون لله بذلك دومًا.

❁ ❁ ❁

(٢٧) أحمر
أسود

تعلم الحساب

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم: الله ﷻ هو الذي جعل الشمس مضيئة مشرقة ذات ضياء وجعل القمر منيرًا وذا نورٍ، جعل للشمس سلطانًا، وذاك نهارًا، وجعل القمر سلطانًا وذاك يكون ليلًا، وقدَّر القمر منازل كما قال: (وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾) [يس: ٣٩]، أي: جعله ذا منازل فيبدو في أوله صغيرًا ثم يكبر شيئًا فشيئًا حتى يتكامل ويكون بدرًا ثم يبدأ في النقصان شيئًا بعد شيء على أن يختفي ويتلاشى وهذا لتعلموا عدد السنين، فبظهور القمر وبضياء الشمس وإهلال الهلال تُعلم الأيام والشهور والسنوات كما قال تعالى: (۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ) [البقرة: ١٨٩].

وكذا لتعلموا الحساب، حساب التواريخ والعِدد، عدد الحيض والطلاق، والصيام وغير ذلك (مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ) إلا للحق قيل: لم يخلق عبثًا ولم يخلقه سدًى بل لحكم عظيمة يعلمها سبحانه، منها لدلالة على قدرته والدلالة على وحدانيته، ومنها ليستدل بها على البعث، وقول يفصل الآيات والحجج ويوضحها ويُبينها لقوم يعلمون، أن الله واحد لا شريك له، وأنه على كل شيء قدير.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾، بالنهار ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ بالليل. ومعنى ذلك: هو الذي أضاء

الشمسَ وأنار القمر ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، يقول: قضاه فسوّاه منازلَ، لا يجاوزها ولا يقصر دُونها، على حالٍ واحدةٍ أبدًا.

وقال: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، فوحّده، وقد ذكر «الشمس» و«القمر»، فإن في ذلك وجهين:

أحدهما: أن تكون «الهاء» في قوله: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ للقمر خاصة، لأن بالأهلة يُعرف انقضاءُ الشهور والسنين، لا بالشمس.

والآخر: أن يكون اكتفي بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال في موضع آخر: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾، [سورة التوبة: ٦٢]، وكما قال الشاعر:

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيًّا، وَمِنْ جُولِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، يقول: وقدّر ذلك منازل ﴿لِتَعْلَمُوا﴾، أنتم أيها الناس ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾، دخول ما يدخل منها، أو انقضاءَ ما يستقبل منها، وحسابها، يقول: وحساب أوقات السنين، وعدد أيامها، وحساب ساعات أيامها ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، يقول جل ثناؤه: لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق. يقول الحق تعالى ذكره: خلقت ذلك كله بحقٍّ وحدي، بغير عون ولا شريك ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يقول: يبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾، إذا تدبروها، حقيقةَ وحدانية الله وصحةَ ما يدعوهم إليه محمد ﷺ، من خلع الأنداد، والبراءة من الأوثان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نُوره

وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٩، ٤٠]. وقال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَقَدَّرَهُۥ ﴾ أي: القمر ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾ فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ أي: لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقوله: ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ مفعولان، أي مضيئة، ولم يؤنث لأنه مصدر ؛ أو ذات ضياء ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ عطف، أي منيرا، أو ذا نور، فالضياء ما يضيء الأشياء، والنور ما يبين فيخفى، لأنه من النار من أصل واحد. والضياء جمع ضوء ؛.... **ثم قال:**

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ أي ذا منازل، أو قدر له منازل. ثم قيل: المعنى وقدرهما، فوحد إيجازا واختصارا ؛ كما قال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾. وكما قال:

نحـــن بمـــا عنـــدنا وأنـــت بمـــا عنـــدك راض والـــرأي مختلـــف

وقيل: إن الإخبار عن القمر وحده ؛ إذ به تحصى الشهور التي عليها العمل في المعاملات ونحوها، كما تقدم في «البقرة». وفي سورة يس: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] أي على عدد الشهر، وهو ثمانية وعشرون منزلا. ويومان للنقصان والمحاق، وهناك يأتي بيانه.

قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ قال ابن عباس: لو جعل شمسين، شمسا بالنهار وشمسا بالليل ليس فيهما ظلمة ولا ليل، لم يعلم عدد السنين وحساب الشهور..... وقال:

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي ما أراد الله ﷻ بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، وإظهارا لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتجزى كل نفس بما كسبت ؛ فهذا هو الحق.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ تفصيل الآيات تبيينها ليستدل بها على قدرته تعالى، لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما ولا إيجاب ؛ فيكون هذا لهم دليلا على أن ذلك بإرادة مريد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسماوات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ و﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين.

(٣١) أحمر
أسود

وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه. وما فيها من أنواع المنافع والمصالح -كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل- يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتنائه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

وذلك دال على أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شئونها.

وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة.

❁ ❁ ❁

بعض الدلالات على وحدانية الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: إن في تعاقب الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فأحيانًا يقصر هذا ويطول ذاك، وأحيانًا فيعكس الأمر، وكذا في اختلاف ما فيها من النور والظلام وظهور الشمس واختفاء القمر والنجوم، والعكس وما يصاحب ذلك من بردٍ وحرٍّ وغير ذلك، وكذا في عموم ما خلق الله في السموات والأرض من الدواب والنباتات والسحب والرياح والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر وسائر المخلوقات لدلالات على وحدانية الله ﷻ يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته القوم المتقون الذين يتقون الشرك، ويتقون عقاب الله ﷻ ويحذرونه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، منبِّهًا عبادَه على موضع الدّلالة على ربوبيته، وأنه خالق كلِّ ما دونه: إن في اعتقاب الليل النهارَ، واعتقاب النهار الليلَ،. إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، يقول: لأدلة وحججًا وأعلامًا واضحةً ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ الله، فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم.

فإن قال قائل: أوَ لا دلالة فيما خلق الله في السموات والأرض على صانعه، إلا لمن اتقى الله؟

(٣٣) أحمر
أسود

قيل: في ذلك الدلالة الواضحةُ على صانعه لكل من صحَّت فطرته، وبرئ من العاهات قلبه. ولم يقصد بذلك الخبرَ عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعرَ نفسه تقوى الله وإنما معناه: إن في ذلك لآيات لمن اتَّقى عقاب الله، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضحَ له من الحق، لأن ذلك يدلُّ كل ذي فطرة صحيحة على أن له مدبِّرًا يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودة، دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئا، كما قال تعالى: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: من الآيات الدالة على عظمته تعالى، كما قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [يوسف: ١٠٥].

وقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١]. وقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [سبأ: ٩]. وقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. أي: العقول، وقال هاهنا: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ أي: عقاب الله، وسخطه، وعذابه.

❁ ❁ ❁

تحذير الغافلين عن لقاء الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فلا يخشون بعثًا ولا حسابًا ولا يخافون لقاءنا وسؤالنا لهم عما عملوه في دنياهم وما اقترفوه من شركٍ وكفرٍ وتكذيب، ورضوا بحياتهم الدنيا وما فيها من الملاذ ولم يُلقوا للآخرة بالًا، بل ركنوا إلى الدنيا واطمأنوا إليها، وأعرضوا عن آياتنا وحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا وتركوها خلف ظهورهم ولم يتفكروا في آيات الكتاب المنزل ولم يصدقوها، ولم يعتبروا كذلك بما حولهم من الآيات، وأولئك مصيرهم الذي يصيرون إليه، ومأواهم الذي يأوون إليه هو النار، جزاء بما اكتسبوه في دنياهم من الشرك والجرائم والكفر والتكذيب والظلم والعناد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يخافون لقاءَنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذِّبون بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضُون بها عوضًا من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين - والذين هم عن آيات الله - وهي أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده، في إخلاص العبادة له ﴿غَٰفِلُونَ﴾، معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمُّل ناصح لنفسه، فيعلموا بها حقيقة ما دلَّتهم عليه، ويعرفوا بها بُطُول ما هم عليه مقيمون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾، يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم ﴿مَأۡوَىٰهُمُ﴾، مصيرها إلى النار نار

(٣٥) أحمر
أسود

جهنم في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾، في الدنيا من الآثام والأجْرام، ويجْترحون من السيئات.

والعرب تقول: «فلان لا يرجو فلانًا»: إذا كان لا يخافه.

ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾. [نوح: ١٣]، ومنه قول أبي ذؤيب:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يُرْجِ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاء الله شيئا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها أنفسهم.

قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها، حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتمرون بها، بأن مأواهم يوم معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ ﴿يَرْجُونَ﴾ يخافون ؛ ومنه قول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

وقيل يرجون يطمعون ؛ ومنه قول الآخر:

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

فالرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع ؛ أي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا. وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء لله تفخيما لهما. وقيل: يجري اللقاء

على ظاهره، وهو الرؤية ؛ أي لا يطمعون في رؤيتنا. وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد ؛ كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]. وقال بعضهم: بل يقع بمعناه في كل موضع دل عليه المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي رضوا بها عوضا من الآخرة فعملوا لها. ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ أي فرحوا بها وسكنوا إليها، وأصل اطمأن طأمن طمأنينة، فقدمت ميمه وزيدت نون وألف وصل، ذكره الغزنوي. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ أي عن أدلتنا ﴿غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ لا يعتبرون ولا يتفكرون. ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ﴾ أي مثواهم ومقامهم. ﴿النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ أي من الكفر والتكذيب.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤملون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلا عن الآخرة.

﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها.

فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود.

(٣٧) أحمر
أسود

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الـذين هـذا وصـفهم ﴿ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مقـرهم ومسـكنهم التي لا يرحلون عنها.

﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ ﴾ من الكفر والشرك وأنواع المعاصي.

❁ ❁ ❁

من سلك طريق الهداية يسر الله له أسبابها

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة وذلك يوم القيامة، فيكون له إيمانه وعمله الصالح نورًا ينير له الطريق إلى الجنة فيجتاز الصراط بسلامٍ وأمانٍ.

وأورد الطبري أثرًا بسندٍ حسنٍ عن قتادة لكنه مرسل فيه أن قتادة قال: قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾) بلغنا أن نبيَّ الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورة حَسَنة فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صِدْقٍ! فيقول: أنا عملك! فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورة سيئة وشارة سيئة فيقول: ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ سَوْء! فيقول: أنا عملك! فينطلق به حتى يدخله النار».

الثاني: أن ذلك في الدنيا، والمعنى أن الله ﷻ يزيدهم هدى بسبب إيمانهم، كما قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾) [محمد: ١٧].

الثالث: يثيبهم ربم بإيمانهم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: (تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ)؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنها تجري من بين أيديهم أي: أمامهم كما قال تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾) [مريم: ٢٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يقول: تجري من تحت هؤلاء

(٣٩) أحمر
أسود

المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، أنهار الجنة، ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، يقول في بساتين النعيم، الذي نعَّم الله به أهل طاعته والإيمان به.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجري تحت الجنات؟ وكيف يمكن الأنهار أن تجري من تحتهم، إلا أن يكونوا فوق أرضها والأنهار تجري من تحت أرضها؟ وليس ذلك من صفة أنهار الجنة، لأن صفتها أنها تجري على وجه الأرض في غير أخاديد؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ، وإنما معنى ذلك: تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم، وذلك نظير قول الله: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [سورة مريم: ٢٤]. ومعلوم أنه لم يجعل «السري» تحتها وهي عليه قاعدة - إذ كان «السري» هو الجدول- وإنما عني به: جعل دونها: بين يديها، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل فرعون، ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ﴾، [سورة الزخرف: ٥١]، بمعنى: من دوني، بين يديّ.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ ؟

ج: المعنى – والله أعلم – دعاؤهم في الجنة الذي يدعون به سبحانك اللهم.

وفي دعائهم قولان:

أحدهما: أنهم إذا اشتهوا شيئًا من الطعام والشراب، قالوا سبحانك اللهم، أي: نادوا بقولهم سبحانك اللهم.

والثاني: أنهم إذا رغبوا إلى الله وعبدوه، عبدوه بقولهم: سبحانك اللهم، كما في الحديث: «**يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس**».

أما معنى: (سُبْحَٰنَكَ) فتنزيهًا لك يا ربنا عما يصفك به الواصفون المشركون، وتنزيهًا لك يا ربنا عن أن تعجز عن فعل شيء، وتنزيهًا لك يا ربنا عن كل ما لا يليق بك.

أما قولهم: (ٱللَّهُمَّ) فمعناه يا الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التسبيح والحمد والتهليل قد يُسمَّى دعاء؛ روى مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ)؟

ج: في ذلك أقوالٌ لأهل العلم:

أحدها: أن الله عَزَّ وَجَلَّ يسلم عليهم ويُحييهم بالسلام كما في الآية الكريمة: (سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾) [يس: ٥٨].

الثاني: أن تحية بعضهم لبعض السلام عليكم.

الثالث: أن الملائكة تحييهم بقولها لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

الرابع: أن الولدان المخلدون يحيونهم بالسلام.

والآية تنتظم كل ذلك، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية فيها شبه من قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة:

(٤١) أحمر
أسود

٢٥، ٢٦]. وقوله: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨]. وقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن أهل الجنة إذا مرَّ بم الطيرُ يشتهونه فيقولون: سبحانك اللهم فيأتيهم مشويًّا مطهيًّا بالطريقة التي يحبونها، فإذا انتهوا من أكلهم كان شكرهم الحمد لله رب العالمين.

الثاني: أنهم دومًا يشكرون الله على نعمه فيبتدئون بقولهم: سبحانك اللهم، ويختمون بقولهم. (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾، يقول: وآخر دعائهم ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، يقول: وآخر دعائهم أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، ولذلك خففت «أن» ولم تشدّد لأنه أريد بها الحكاية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من السنة لمن بدأ بالأكل أن يسمي الله عند أكله وشربه ويحمده عند فراغه اقتداء بأهل الجنة ؛ وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**».

وقال القرطبي أيضًا:

يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة: وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين ؛ وحسن أن يقرأ آخر «والصافات» فإنها جمعت تنزيه البارئ تعالى عما نسب إليه، والتسليم على المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبدا، المعبود على طول المدى؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف: ١]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه المحمود في الأول والآخر، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن أهل الجنة يُلْهَمُونَ التسبيح والتحميد كما يُلْهَمُونَ النَّفَس**» وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم، فتكرّر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: أن الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وآمنوا بما أُلزموا الإيمان به وابتعوا ذلك بالعمل الصالح الموافق للكتاب العزيز والسنة المباركة يتفضل عليهم ربهم بمزيدٍ من الهداية في الدنيا والآخرة فيزيدهم إيمانًا وتوفيقًا وسدادًا في الدنيا، كما يوفقهم يوم القيامة للمرور على الصراط بأمانٍ وسلام إلى جنات النعيم تلك التي فيها أنهارٌ تجري من بين

(٤٣) أحمر
أسود

أيدهم يتنعمون بها ويتلذذون بالنظر إليها والشرب فيها، وإذا أرادوا شيئًا فإنهم يدعون ربهم أن يعطيهم إياه، وذلك بقولهم: سبحانك اللهم، وكذا فإنهم يتعبدون الله ﷻ بتسبيحهم له وتنزيههم له عن النقائص والعيوب، وعما يصفه به الواصفون المشركون، وينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، فقولهم: سبحانك اللهم.

معناها تنزيهًا لك يا ربنا عن كل نقصٍ وعيب، وعن كل ما يصفك به الواصفون الكاذبون، ثم إن تحيتهم في الجنة سلام، يسلم الله عليهم بها ويُسلم بعضهم على بعضٍ بها، وتسلم الملائكة عليهم بها، وآخر دعائهم بعد فراغهم من طعامهم وشرابهم الحمد لله رب العالمين.

فابتداؤا الطعام والشراب والتنعم بقوله سبحانك اللهم وختموه بالحمد لله رب العالمين.

وبنحو هذا قال أهل العلم، وإن كانت بعض أقوالهم قد تقدمت في ذلك، وها هي أقوالٌ أُخر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿تيسير الكريم الرحمن﴾:

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.

﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾ أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم،. ولهذا قال: ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ الجارية على الدوام ﴿ فِي جَنَّٰتِ

ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر المفرحات. ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ أي عبادتهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائض، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النَّفَس، من دون كلفة ومشقة.

﴿ و ﴾ أما ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ ﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ وقد قيل في تفسير قوله ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ﴾ إلى آخر الآية، أن أهل الجنة -إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما- قالوا سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ إذا فرغوا قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

❁ ❁ ❁

(٤٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ
أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ وَإِذَا
مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ
كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ
بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآئِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا
تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن
قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ
كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧ ﴾ [يونس: ١١-١٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

(يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ - ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ - لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ - فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا - طُغْيَٰنِهِمْ - يَعْمَهُونَ - مَسَّ - دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ - زُيِّنَ - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ - مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ)	يستجيب الله للناس إذا دعوا على أنفسهم بالشر.
(ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ)	كما يعمل إجابة دعوتهم إذا دعوا لأنفسهم بالخير.
(لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ)	لماتوا وفُرغ منهم.
(فَنَذَرُ)	فنترك.
(ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا)	لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، ومن ثَمَّ فلا يخشون العذاب.
(طُغْيَٰنِهِمْ)	كفرهم وشدة عتوهم وظلمهم.
(يَعْمَهُونَ)	يتحيرون - يترددون.
(مَسَّ)	أصاب.
(دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ)	سألنا وهو مضطجع على جنبه.
(زُيِّنَ)	حسَّن.
(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)	بالحجج الواضحات.
(خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ)	تخلفون من قبلكم – تأتون من بعدهم وتخلفونهم.
(مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ)	من عند نفسي.

(٤٧) أحمر
أسود

س: من المعنيون بالناس في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ﴾ وما معنى هذا القدر من الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بالناس عموم الناس، وأن معنى الآية الكريمة، ولو استجاب الله دعاء الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وبناتهم وذرياتهم وأموالهم إذ يدعون بالمكروه والشر لأهلكهم، ولكن رحمة من الله ﷻ بعباده أنه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة والشر.

أي: أن الله ﷻ لو استجاب لهم عندما يدعون على أنفسهم بالشر كما يستجيب لهم إذ دعوا لأنفسهم بالخير لماتوا وهلكوا ولكنه سبحانه يمهلهم.

الثاني: أن المعنيين بذلك أهل الكفر إذ كانوا يدعون على أنفسهم بالهلاك إن كان الرسول ﷺ صادقًا، إذ يقولون: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦) [ص: ١٦]، ويقولون: (ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢) [الأنفال: ٣٢].

والقول الأول أظهر، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو يعجل الله للناس إجابةَ دعائهم في الشرّ، وذلك فيما عليهم مضرّة في نفس أو مال ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ ﴾، يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ﴾، يقول: لهلكوا، وعُجِّل لهم الموت، وهو الأجل.

وعني بقوله: ﴿لَقُضِيَ ﴾، لفرغ إليهم من أجلهم، ونُبذ إليهم، كما قال أبو

ذؤيب:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ، أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يقول: فندع الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور، ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾، يقول: في تمرّدهم وعتوّهم، ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يعني: يترددون.

وإنما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم، من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم في الشرّ لو استجاب لهم، أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرُّب إلى الوثن الذي يشرك به أحدهم، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم -والحالة هذه- لطفا ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء؛ ولهذا قال: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ أي: لو استجاب لهم كل ما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبادرهم بالعقوبة على ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ أي: لمحقتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها

(٤٩) أحمر
أسود

من دابة.

ويدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حليم حكيم.

وقوله: ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعلمون ما ينجيهم من عذاب الله، ﴿ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ أي: باطلهم، الذي جاوزوا به الحق والحد.

﴿ يَعۡمَهُونَ ﴾ يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل، ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ قيل: معناه ولو عجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا، لأنهم خلقوا في الدنيا خلقا ضعيفا، وليس هم كذا يوم القيامة ؛ لأنهم يوم القيامة يخلقون للبقاء. وقيل: المعنى لو فعل الله مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم ؛ وهو معنى ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ﴾. وقيل: إنه خاص بالكافر ؛ أي ولو يجعل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: (فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: أننا نترك الناس في كثيرٍ من الأحيان في الدنيا إذا دعوا على أنفسهم بالشر فلا نجيب دعاءهم على أنفسهم لعلَّ منهم

من يهتدي أما الذين لا يهتدون، وكتبت عليهم الشقاوة فإنهم يزدادون بتركنا تعجيل العذاب عليهم، يزدادون ضلالًا إلى ضلالهم، وتحيَّرًا إلى تحيِّرهم فيبقون في ظلمهم وشركهم وعتوهم يتحيرون يترددون، فإنهم تصيبهم المصائب ويدعون بالهلاك والموت على أنفسهم، فلا يُجابوا فيزدادوا ضجرًا وكفرًا وحيرةً وعدم اهتداءٍ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن الدعاء على النفس؟

ج: من ذلك ما يلي:

قول رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»(٢).

ولا تدع بإثمٍ ولا بقطيعة رحم:

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل...**» الحديث، وقد تقدم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٢٢٢) من حديث أم سلمة ف قالت: دخل رسول الله □ على أبي سلمة وقد شُقَّ بصره فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»، فضج الناس من أهله، فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**».

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٢).

(٥١) أحمر
أسود

* ومن ذلك النقمة على أهل الكفر لدعائهم بتعجيل العذاب قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

فتمنى تعجيل العقوبة فعل الكفار كما سلف، ثم هو فعل من كلَّ علمهم، وأيضًا فهو خلاف هدي النبي ﷺ.

ففي «صحيح مسلم»(٣) من حديث أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَىْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ** ». قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِى بِهِ فِى الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِى فِى الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **سُبْحَانَ اللهِ لاَ تُطِيقُهُ - أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلاَ قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ». قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ فَشَفَاهُ.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم من طريق عبد العزيز - وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ - سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَىُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِىُّ ﷺ أَكْثَرَ قَالَ كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ « **اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ».

قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

---

(١) مسلم (مع النووي ١٧/ ١٣).

(٢) البخاري (حديث ٦٣٨٩)، ومسلم (حديث ٢٦٩٠).

ومن صور الجهل ذلك الدعاء بما يجلب على النفس المشقة والتعب كقول قوم سبأ: (رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا) [سبأ: ١٩].

وذلك أن الله سبحانه وتعالى كان قد جعل لهم أماكن إيواء ومنازل ينزلونها واستراحات يستريحون فيها إذا أرادوا السفر إلى الأرض المباركة، فكلما شعروا بتعب في سفرهم وجدوا مكانًا للراحة يستريحون فيه، ويستجمون كما قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً) [سبأ: ١٨]، وقد قدر الله هذه المسافات تقديرًا مناسبًا لمصالحهم ومصالح دوابهم حيث لا يجدون التعب إلى وجدوا مكانًا للراحة، كما قال: (وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾)، ولكنهم أرادوا تعبًا ومشقة، وإرهاقًا، أرادوا أن تطول مسافات سفرهم ويحملوا الزاد ويوقدوا النيران في الأسفار ويجمعوا الحطب حتى يشعروا بلذة السفر كما زعموا فدعوا ربهم بقولهم: (رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا) وظلموا أنفسهم بهذا الدعاء كما قال تعالى: (وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ) فشتت الله شملهم وفرق الله جمعهم، وجعلهم أحاديث يتحدث الناس بهم، ويعتبر بهم المعتبرون كما قال تعالى: (فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾) [سبأ: ١٩].

ومن صور الجهل في الدعاء سرعة تمني الموت لضرٍّ في البدن أو ابتلاء في المال، وذلك لما في «الصحيحين»(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: اللَّهُمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**».

وفي الصحيحين» كذلك من طريق قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبعًا

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٧).

(٥٣) أحمر
أسود

في بطنه فسمعته يقول: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[(١)].

وعند البخاري[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «..**ولا يتمنين أحدكم الموت، إمَّا محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب**».

وفي رواية لمسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**».

❁ ❁ ❁

س: من المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه الإنسان الكافر أو العاصي أو اللاهي والغافل.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وإذا أصاب الإنسان ضرٌّ أو جهدٌ في نفسه أو قلةٌ في حاله أو مصيبةٌ في دنياه دعا الله ﷻ على كل أحواله، دعاه مضطجعًا على جنبه، وكذا دعاه قاعدًا وقائمًا فلما استجاب الله دعاءه وكشف عنه الضر استمر على طريقته في الغيِّ والضلال والعصيان كأن لم يُصب بشيء، ولم يدع

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٨).
(٢) البخاري (حديث ٥٦٧٣).
(٣) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

الله بشيء ولم يستجب الله له شيئًا أي: أنه جحد نعم الله ﷻ التي أنعم بها عليه، فهكذا زيَّن الشيطان لأهل الكفر والإسراف عملهم فاستمروا على طريقتهم في الغيِّ والضلال.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾، يقول: استغاث بنا في كشف ذلك عنه ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾، يعني مضطجعًا لجنبه. ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾، يقول: فلما فرّجنا عنه الجهد الذي أصابه ﴿مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾، يقول: استمرَّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به، وعاد للشرك ودَعوى الآلهةِ والأوثانِ أربابًا معه. يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، يقول: كما زُيِّن لهذا الإنسان الذي وصفنا صفتَه، استمرارُه على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، كذلك زُيّن للذين أسرفوا في الكذِب على الله وعلى أنبيائه، فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك وبه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ قيل: المراد بالإنسان هنا الكافر، قيل: هو أبو حذيفة بن المغيرة المشرك، تصيبه البأساء والشدة والجهد. ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي على جنبه مضطجعا. ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ وإنما أراد جميع حالاته ؛ لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات الثلاثة. قال

(٥٥) أحمر
أسود

بعضهم: إنما بدأ بالمضطجع لأنه بالضر أشد في غالب الأمر، فهو يدعو أكثر، واجتهاده أشد، ثم القاعد ثم القائم. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ أي استمر على كفره ولم يشكر ولم يتعظ.

قلت: وهذه صفة كثير من المخلطين الموحدين، إذا أصابته. العافية مر على ما كان عليه من المعاصي ؛ فالآية تعم الكافر وغيره. ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ قال الأخفش: هي «كأن» الثقيلة خففت، والمعنى كأنه وأنشد:

وي كأنْ من يكن له نشب يُحْـ ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ أي كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عن الرخاء. ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي. وهذا التزيين يجوز أن يكون من الله، ويجوز أن يكون من الشيطان، وإضلاله دعاؤه إلى الكفر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١] أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء، ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾

ثم ذم تعالى مَنْ هذه صفته وطريقته فقال: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]، وكقول رسول الله ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن**

أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له»، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضر، من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائما وقاعدا ومضطجعا، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ أي: استمر في غفلته معرضا عن ربه، كأنه ما جاءه ضره، فكشفه الله عنه، فأي ظلم أعظم من هذا الظلم؟!! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق. وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجنا مستقبحا في العقول والفطر.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: المتجاوزين للحد ﴿ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبتلى، ولم يتَّعظ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مر طاغيًا على ترك الشكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولقد أهلكنا الأمم والقرون من قبلكم يا

(٥٧) أحمر
أسود

معشر قريش، ويا من أرسل إليهم محمد ﷺ، أهلكناهم بعد إرسال رسلنا إليهم فكذبوا رسلنا وما آمنوا وما صدقوا فحينئذٍ أحللنا بهم عقابنا وأنزلنا بهم نقمتنا، وكذلك نجزي أهل الإجرام، وأهل التكذيب، ثم جعلناكم يا أمة محمد ﷺ خلائف تخلفون من سبقوكم، تخلفونهم في الأرض لننظر، نظرًا ينبني عليه الثواب والعقاب ماذا ستصنعون هل ستعملون صالحًا أم أنكم ستكذبوا كما كذَّب الذين من قبلكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾، يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ من عند الله، ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، وهي الآيات والحجج التي تُبين عن صِدْق من جاء بها.

ومعنى الكلام: وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾ يقول: فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدِّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسَهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتَهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسَخَطي في الدنيا، وأوردُه النار في الآخرة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم جعلناكم، أيها الناس، خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾، يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم، تحتذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلَهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرّون بالبعث بعد الممات، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى عما أحلّ بالقرون الماضية، في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القومَ من بعدهم، وأرسل إليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ يعني الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكناهم. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ أي كفروا وأشركوا. ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات الواضحات والبراهين النيرات. ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ أي أهلكناهم لعلمنا أنهم لا يؤمنون. يخوف كفار مكة عذاب الأمم الماضية ؛ أي نحن قادرون على إهلاك هؤلاء بتكذيبهم محمدا ﷺ، ولكن نمهلهم لعلمنا بأن فيهم من يؤمن، أو يخرج من أصلابهم من يؤمن. وهذه الآية ترد على أهل الضلال القائلين بخلق الهدى والإيمان. وقيل: معنى ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ أي جازاهم على كفرهم بأن طبع على قلوبهم ؛ ويدل على هذا أنه

(٥٩) أحمر
أسود

قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ مفعولان. والخلائف جمع خليفة، وقد تقدم آخر «الأنعام» أي جعلناكم سكانا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي من بعد القرون المهلكة. ﴿لِنَنظُرَ﴾ نصب بلام كي، وقد تقدم نظائره وأمثاله؛ أي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب، ولم يزل يعلمه غيبا. وقيل: يعاملكم معاملة المختبر إظهارا للعدل. وقيل: النظر راجع إلى الرسل؛ أي لينظر رسلنا وأولياؤنا كيف أعمالكم. و﴿كَيۡفَ﴾ نصب بقوله: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بظلمهم وكفرهم، بعد ما جاءتهم البينات على أيدي الرسل وتبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ أيها المخاطبون ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة.

وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أعذر.

❁ ❁ ❁

س: وما الذي يريده الكفار بقولهم: (ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ائت بقرآن ليس فيه تحليلٌ لشيء حرمناه ولا تحريمٌ لشيء

أحللناه.

الثاني: ائت بقرآنٍ ليس فيه ذكر البعث ولا النشور ولا الثواب ولا العقاب، ولا التهديد، ولا الوعيد.

الثالث: ائت بقرآنٍ غير هذا لا تسفه به آلهتنا ولا تعيب به أصنامنا.

وثم أقوال أخر.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وإذا تُقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا التي أنزلناها عليك يا رسول الله، واضحات ظاهرات يعرفونها ويفقهون معانيها قال الذين لا يخافون لقاءنا ولا يرجون ثوابنا ولا يخشون عقابنا ائت بقرآن غير هذا فيه ما ليس في هذا القرآن، ليس فيه تهديد ووعيد، وليس فيه تسفيهٌ لآلهتنا ولا عيب لأصنامنا، وليس فيه تحليل ولا تحريم، أو بدِّل هذا القرآن بشيء آخر، أو بدِّل آياته غيِّر فيها وعدِّل لعلنا نتبعك ونؤمن بك ونصدقك فقل: يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين الحاصدين ليس لي أن أبدل هذا القرآن من عند نفسي، ولا أن أُغيِّر منه شيئًا فما أنا إلا متبعٌ لما يُوحي إلي، إني أخاف إن بدلت شيئًا وعصيت ربي عذاب يوم القيامة، وهو يوم عظيم، عظيمٌ عذابه كذلك لمن عصى ربه ولم يتقه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذي

(٦١) أحمر
أسود

أنزلنَاه إليك، يا محمد ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾، واضحات، على الحق دالاتٍ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يقول: قال الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالمعاد إلينا، ولا يصدّقون بالبعث، لك ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾، يقول: أو غيِّره ﴿قُلۡ﴾ لهم، يا محمد ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾، أي: من عندي.

والتبديل الذي سألوه، فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا والحرامَ حلالا والحلال حرامًا، فأمر الله نبيَّه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه، ولا يُتَعَقَّب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلّغ ومأمور مُتّبع.

وقوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾، يقول: قل لهم: ما أتبع في كل ما آمركم به أيها القوم، وأنهاكم عنه، إلا ما ينزله إليّ ربي، ويأمرني به ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾، يقول: إني أخشى من الله إن خالفت أمره، وغيَّرت أحكام كتابه، وبدّلت وَحيه، فعصيته بذلك، عذابَ يوم عظيمٍ هَوْلُه، وذلك: يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتَضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تعنّت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحقّ المعرضين عنه، أنهم إذا قَرَأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله وحُجَجه الواضحة قالوا له: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ أي: رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر، أو بَدّله إلى وضع آخر، قال الله لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ أي: ليس هذا إلي، إنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلغ عن الله، ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا﴾ ﴿تُتۡلَىٰ﴾ تقرأ، و ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ نصب على الحال؛ أي واضحات لا لبس فيها ولا إشكال. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني لا يخافون يوم البعث والحساب ولا يرجون الثواب. قال قتادة: يعني مشركي أهل مكة. ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه؛ وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيدا والوعيد وعدا، والحلال حراما والحرام حلالا؛ قاله ابن جرير الطبري.

الثاني: سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم؛ قاله ابن عيسى.

الثالث: أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور؛ قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ أي قل يا محمد ما كان لي ﴿أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ ومن عندي، كما ليس لي أن ألقاه بالرد والتكذيب. ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾ أي لا أتبع إلا ما أتلوه عليكم من وعد ووعيد، وتحريم وتحليل، وأمر ونهي. وقد يستدل بهذا من يمنع نسخ الكتاب بالسنة؛ لأنه تعالى قال: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ وهذا فيه بعد؛ فإن الآية وردت في طلب المشركين مثل القرآن نظما، ولم يكن الرسول ﷺ قادرا على ذلك، ولم يسألوه تبديل الحكم دون اللفظ؛ ولأن الذي يقوله الرسول ﷺ إذا كان وحيا لم يكن من تلقاء نفسه، بل كان من عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ أي إن خالفت في تبديله وتغييره أو في ترك العمل به. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ يعني يوم القيامة.

(٦٣) أحمر
أسود

س: ما وجه الاحتجاج على أهل الشرك بقوله: (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾)؟

ج: وجه الاحتجاج أنهم يوفون رسول الله ﷺ قبل مبعثه وأنه الصادق الأمين، وكانوا يستودعون أماناتهم عنده فيحفظها لهم خير حفظ، ويقوم عليه خير قيام، وما عهدوا منه خيانة ولا غدرًا ولا كذبًا ولا غشًّا، فكيف يدع الكذب على الناس، ويكذب على الله ﷻ، كما في سؤالات هرقل لأبي سفيان إذ سأله هل كنتم تتهمونه قبل أن يقول ما قال، قال: لا.

وثمَّ وجه آخر حاصله أنني لبثت فيكم زمانًا أربعون سنة لم أفتر على الله فهل أفترى على الله في كبر سني؟

والوجه الأول أظهر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ظرف، أي مقدارا من الزمان وهو أربعون سنة. ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لا أقرأ ولا أكتب، ثم جئتكم بالمعجزات. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن هذا لا يكون إلا من عند الله لا من قبلي. وقيل: معنى ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أي لبثت فيكم مدة شبابي لم أعص الله، أفتريدون مني الآن وقد بلغت أربعين سنة أن أخالف أمر الله، وأغير ما ينزله علي.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل: يا رسول الله لهؤلاء المكذبين

الجاحدين المنكرين الذين سالوك وقالوا: ائت بتوانٍ غير هذا أو بدله، قل لهؤلاء لو شاء الله ما أنزله عليَّ ولا تلوته عليكم، ولا أعلمكم به ولا أشعركم، فقد مكثت فيكم زمانًا تعرفون صدقي وعدم افترائي على الله، وعدم الكذب على الناس أفلا تعقلون، ومن ثمَّ تفهمون أن الذي لا يكذب على الناس لا يكذب على الله؟! وكذا تعقلون أن هذا القرآن من عند الله؟! فليس هناك ظالم وفقير أظلم ممن افترى على الله كذبًا، وكذا ليس هناك ظالم أظلم ممن كذَّب بآيات الله المنزلة من عنده على رسوله، إنه لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه أهل الإجرام.

فلن يظفر المجرم بمطلوبه، وأعظم مطلوب هو الجنة، ولن ينجو المجرم من مرهوبه، وأعظم مرهوب هو النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه، معرِّفَه الحجةَ على هؤلاء المشركين الذين قالوا له: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾، ﴿قُل﴾ لهم، يا محمد، ﴿لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾، أي: ما تلوت هذا القرآن عليكم، أيها الناس، بأن كان لا ينزله عليَّ فيأمرني بتلاوته عليكم، ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾، يقول: ولا أعلمكم به، ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾ يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوَه عليكم، ومن قبل أن يوحيه إليّ ربي، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾، أني لو كنت منتحلا ما ليس لي من القول، كنت قد انتحلته في أيّام شبابي وحَداثتي، وقبل الوقت الذي تلوته عليكم؟ فقد كان لي اليوم، لو لم يوح إليّ وأومر بتلاوته عليكم، مندوحةٌ عن معاداتكم، ومتّسَعٌ، في الحال التي كنت بها منكم قبل أن يوحى إلي وأومر بتلاوته عليكم.

(٦٥) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربّك إلى الكذب: أيُّ خلق أشدُّ تعدّيًا، وأوضع لقيله في غير موضعه، ممن اختلق على الله كذبًا، وافترى عليه باطلا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ يعني بحججه ورسله وآيات كتابه؟ يقول له جل ثناؤه: قل لهم: ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم، وافترائكم عليه، وتكذيبكم بآياته ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾، يقول: إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة، إذا لقوا ربّهم، ولا ينالون الفلاح.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا استفهام بمعنى الجحد ؛ أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبدل كلامه وأضاف شيئا إليه مما لم ينزله. وكذلك لا أحد أظلم منكم إذا أنكرتم القرآن وافتريتم على الله الكذب، وقلتم ليس هذا كلامه. وهذا مما أمر به الرسول ﷺ أن يقول لهم. وقيل: هو من قول الله ابتداء. وقيل: المفتري المشرك، والمكذب بالآيات أهل الكتاب. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال محتجا عليهم في صحة ما جاءهم به: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ أي: هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله ﷻ، لا تنتقدون علي شيئا تَغمصوني به؛ ولهذا قال: ﴿ فَقَدْ

لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه، فيما سأله من صفة النبي ﷺ، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا -وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين، ومع هذا اعترف بالحق:

وَالفَضْلُ ما شَهِدَتْ بِهِ الأعداءُ

فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدَعَ الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.!

وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: بعث الله فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجراما ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ وتَقَوّل على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، فليس أحد أكبر جرمًا ولا أعظم ظُلما من هذا، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء، فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء! فإن من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا، فلا بد أن الله يَنصب عليه من الأدلة على برِّه أو فُجُوره ما وأظهر من الشمس، فإن الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى ووقت نصف الليل في حنْدس الظلماء، فَمِنْ سيما كل منهما وكلامه وفعاله يَستدّل من له بصيرة على صدق محمد ﷺ وكذب مسيلمة الكذاب، وسَجَاح، والأسود العَنْسي.

---

(١) البخاري (حديث رقم ٧) بنحوه.

(٦٧) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا ﴾ طويلا ﴿ مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ ﴾ أي: قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني.

﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ أني حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمرا طويلا تعرفون حقيقة حالي، بأني أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحد؟!!

فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن -مع هذا- أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟

فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ ؟!!

فلو كنت متقولا لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم بآيات الله، فكذبتم بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك.

ودل قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [الفرقان: ٢١] الآية، أن الذي حملهم على هذا التعنت الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بلقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بلقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ
هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ
أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن
رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠
وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ
أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ
وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا
رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ
أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
٢٣ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ

(٦٩) أحمر
أسود

مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

[يونس: ١٨-٢٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ - سُبۡحَٰنَهُۥ - وَتَعَٰلَىٰ - أُمَّةً وَٰحِدَةً - كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ - لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ - ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ - ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ - رَحۡمَةً - مَّكۡرٌ - فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ - ٱلۡفُلۡكِ - بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ - رِيحٌ عَاصِفٞ - وَظَنُّوٓاْ - أُحِيطَ بِهِمۡ - مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ - زُخۡرُفَهَا - حَصِيدًا - لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ - نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾	أتخبرون.
﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾	تنزه.
﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾	ارتفع (عن كل ما لا يليق به).
﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾	جماعة واحدة على ملةٍ واحدة.
﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾	قضاءٌ قضاه الله وتكلم به قبل أن يخلق الخلق.
﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾	لحكم على كلٍّ بما يستحق، ولأهلك من يستحق الإهلاك.
﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾	معجزه من ربه.
﴿ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾	علم الغيب لله لا يعلمه أحدٌ سواه.
﴿رَحۡمَةً﴾	نعمة – عافية – سراء.
﴿مَّكۡرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾	تكذيب واستهزاء وسخرية بآيات الله.
﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾	السفن العظيمة.

(٧١) أحمر
أسود

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾	ريح ليّن هادئة.
﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾	ريح شديدة الهبوب عاتية.
﴿وَظَنُّوٓاْ﴾	أيقنوا – توهموا.
﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾	هلكوا – أحاطت بهم سبل الموت حيث لا مفر منها.
﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	مخلصين له الدعاء – لا يدعون حينئذٍ معه أحدًا سواه.
﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	يسعون في الأرض بالفساد وينشرون الشرور يرتكبون الشرك والكبائر والمعاصي والظلم.
﴿زُخۡرُفَهَا﴾	زينتها.
﴿حَصِيدًا﴾	محصودة من أصلها – مقطوعة مقلوعة من أصلها.
﴿لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾	كأن لم تكن موجودة بزينتها بالأمس.
﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾	بنينها ونفصل بعضها عن بعض.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ويعبد أهل الشرك هؤلاء مع الله ﷻ آلهة أُخرى، أصنامًا وأوثانًا وآلهة أُخرى كذلك، ويقولون إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله ﷻ، كما في قولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ) [الزمر: ٣]، فقل لهؤلاء المشركين أتخبرون الله ﷻ بما لا يكون في السموات ولا في الارض، فإذا كانت هذه الآلهة لا تنفعكم في دنياكم فكيف تنفعكم في أُخراكم، أتخبرون الله أن له شريكًا وهو يعلم أنه ليس له شريك، أتخبرون الله أن هناك من يشفع عنده وهو يعلم أن ليس هناك شفيعٌ يشفع من هذه الأوثان والأصنام.

أو بصياغة أخرى أتخبرون الله أن له شريكًا وهو لا يعلم لنفسه شريكًا.

أتخبرون الله أن عنده من يشفع وهو لا يعلم شفيعًا يشفع بغير إذنه.

أتخبرون الله بأمورٍ تظنون أنهما لا يعلمها في السموات ولا في الأرض.

أتظنون أن الله يجهل ما في السموات وما في الأرض؟!

أتظنون أن الله يخفى عليه شيءٌ في السموات والأرض (سُبْحَٰنَهُۥ) تنزه ربنا عن الشريك وعن المثيل وعن الندِّ وعن الجهل وتنزه عن كل ما لا يليق به.

(وَتَعَٰلَىٰ) عن أن يكون له شريك.

(وَتَعَٰلَىٰ) عن أن يكون له مثيلٌ وندٌّ.

(وَتَعَٰلَىٰ) ربنا عن الجهل وقلة العلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويعبُد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك، يا محمد

(٧٣) أحمر
أسود

صفتهم، من دون الله الذي لا يضرهم شيئًا ولا ينفعهم، في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض. وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله. فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهم: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؟ وذلك باطلٌ لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، يقول: تنزيهًا لله وعلوًّا عما يفعله هؤلاء المشركون، من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع، وافترائهم عليه الكذب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

وقال ابن جرير: معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام؛ قال ابن عباس: كان بين آدم

ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحُجَجه البالغة وبراهينه الدامغة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ يريد الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهذه غاية الجهالة منهم؛ حيث ينتظرون الشفاعة في المال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال. وقيل: ﴿شُفَعَاؤُنَا﴾ أي تشفع لنا عند الله في إصلاح معائشنا في الدنيا. ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قراءة العامة (تُنَبِّئُونَ) بالتشديد. وقرأ أبو السمال العدوي ﴿أتنبئون الله﴾ مخففا، من أنبأ ينبئ. وقراءة العامة من نبأ ينبئ تنبئة؛ وهما بمعنى واحد، جمعهما قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣] أي أتخبرون الله أن له شريكا في ملكه أو شفيعا بغير إذنه، والله لا يعلم لنفسه شريكا في السموات ولا في الأرض؛ لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه. نظيره قوله: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٣٣] ثم نزه نفسه وقدسها عن الشرك فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ أي هو أعظم من أن يكون له شريك وقيل: المعنى أي يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يميز ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيكذبون؛ وهل يتهيأ لكم أن تنبؤه بما لا يعلم، سبحانه وتعالى عما يشركون!

وقال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون الأصنام قال أبو عبيدة خرجت كنايتها على لفظ كناية الآدميين وقد ذكرنا هذا المعنى

(٧٥) أحمر
أسود

في [الأعراف: ١٩١] عند قوله ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وفي قوله ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قولان أحدهما شفعاؤنا في الآخرة قاله أبو صالح عن ابن عباس ومقاتل والثاني شفعاؤنا في إصلاح معايشنا في الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث قاله الحسن

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ قال الضحاك أتخبرون الله أن له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الأرض.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون المكذبون لرسول الله ﷺ.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئا.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ قولا خاليا من البرهان: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى -مبطلا لهذا القول-: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علما بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم-يا معشر المشركين- تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلا وشرعا وفطرة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ:

وما كان الناس إلا جماعة واحدة على ملة واحدة فاختلفوا، وهذه تحتمل احتمالات:

أولًا: كانوا جماعة واحدة على التوحيد فقد فطروا عليه وجبلوا عليه ثم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وغيَّرت كثيرًا ونقلته من الإسلام إلى الكفر، ومن الفطرة السليمة الصحيحة إلى دين الشرك والعياذ بالله.

كما في الحديث القدسي: «**إنِّي خلقت عِبَادِي حُنَفاء فجآءتهم الشياطين فاجْتَالتهم عن دينهم...**».

الثاني: أنهم كانوا قبل مجيء الرسل قد حادوا عن طريق الحق والصواب في جملتهم وأصبحوا ملة واحدةً على الكفر فلما جآءتهم الرسل بالبينات آمن من آمن، وكفر من كفر فحصل الاختلاف والافتراق، كما قال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾) [البينة: ٤].

وكما قال: (فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ) [الجاثية: ١٧].

وثمَّ أقوال أُخر أضربت عنها لوهائها أما قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ).

فهذه الكلمة هي الكلمة التي كتبها الله على نفسه وقضى أنها واقعة، وهي ما ذكره في كتابه من أن لكل أجل كتاب، ومن أن الأمم تهلك إذا جاء وقت

(٧٧) أحمر
أسود

إهلاكها.

وقوله تعالى: (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) لحكم بينهم فيما فيه يختلفون فقضى على الكافر بالهلاك في حينه. والله تعالى أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا في دينهم، فافترقت بهم السبل في ذلك ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾، يقول: ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يقول: لقضي بينهم بأن يُهلِك أهل الباطل منهم، وينجي أهل الحق.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الزجاج: هم العرب كانوا على الشرك. وقيل: كل مولود يولد على الفطرة، فاختلفوا عند البلوغ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ إشارة إلى القضاء والقدر ؛ أي لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضي بينهم في الدنيا، فأدخل المؤمنين الجنة بأعمالهم والكافرين النار بكفرهم، ولكنه سبق من الله الأجل مع علمه بصنيعهم فجعل موعدهم القيامة ؛ قال الحسن. وقال أبو ورق: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ لأقام عليهم الساعة. وقيل: لفرغ من هلاكهم. وقال الكلبي: «الكلمة» أن الله أخر هذه الأمة فلا يهلكهم بالعذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، فلولا. هذا التأخير لقضي بينهم بنزول العذاب أو بإقامة الساعة. والآية تسلية للنبي ﷺ في تأخير العذاب عمن كفر به. وقيل: الكلمة السابقة أنه لا يأخذ أحدا إلا بحجة وهو إرسال الرسل ؛ كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥] وقيل: الكلمة قوله: «**سبقت رحمتي غضبي**» ولولا ذلك لما أخر العصاة إلى التوبة. وقرأ عيسى «لقضى» بالفتح.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البقرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين فاختلفوا وعبدوا الأصنام فكان أول من بعث إليهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم لقضي بينهم بنزول العذاب فكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون من الدين.

والثاني: أن الكلمة أن لكل أمة أجلا وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته.

والثالث: أن الكلمة أنه لا يأخذ أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه.

وفي قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ قولان:

أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة.

والثاني: بنزول العذاب على المكذبين ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ متفقين على الدين الصحيح، ولكنهم اختلفوا، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم، ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بأن ننجي المؤمنين، ونهلك الكافرين المكذبين،

(٧٩) أحمر
أسود

وصار هذا فارقا بينهم ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ:

ويقول أهل الكفر هؤلاء لولا أُنزل على رسول الله ﷺ معجزةٌ من المعجزات كالتي جاء بها الأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه، هلا جاء معه بمعجزة فقد جاء صالح بناقة عظيمة، لما سأل ربه ذلك، وكان موسى عليه السلام معه العصا التي تحولت إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء وغير ذلك، وعيسى كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وداود ألان الله له الحديد وسبحت معه الجبال والطيور، وسليمان سخرت له الريح والجن والشياطين وغير ذلك، فهلا جاء محمد بآية كهذه الآيات، فقل لهم يا رسول الله إن الغيب يعلمه الله، والذي يأتي بهذه هو الله عز وجل وليس لي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به، فانتظروا قضاء الله بيني وبينكم وحكم الله بيني وبينكم، وأنا معكم من المنتظرين لقضاء الله وقدر الله وإظهار المحق من المبطل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون: هلا أنزل على محمد آيةٌ من ربه - يقول: عَلَمٌ ودليلٌ نعلم به أن محمدًا محق فيما يقول؟ قال الله له: ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يُعلم أحدٌ يفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه، لأنه لا يعلم الغيب -وهو السرُّ والخفيّ من الأمور - إلا الله، فانتظروا

أيها القوم، قضاءَ الله بيننا، بتعجيل عقوبته للمبطل منا، وإظهاره المحقَّ عليه، إني معكم ممن ينتظر ذلك. ففعل ذلك جل ثناؤه فقضى بينهم وبينه بأن قتلهم يوم بدرٍ بالسيف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ويقول هؤلاء الكفرة الملحدون المكذبون المعاندون: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾، يعنون كما أعطى الله ثمود الناقة، أو أن يحول لهم الصفا ذهبا، أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارا، ونحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١﴾ [الفرقان: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩]، يقول تعالى: إن سنتي في خلقي أني إذا آتيتهم ما سألوا، فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة. ولهذا لما خيَّر رسول الله، عليه الصلاة والسلام، بين أن يُعطى ما سألوا، فإن أجابوا وإلا عُوجلوا، وبين أن يتركهم ويُنْظرهم، اختار إنظارهم، كما حلم عنهم غير مرة، صلوات الله عليه؛ ولهذا قال تعالى إرشادا لنبيه إلى الجواب عما سألوا: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي: الأمر كله لله، وهو يعلم العواقب في الأمور، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾ أي: إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله فيَّ وفيكم. هذا مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره، فانشق باثنتين فرقة من وراء الجبل، وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية

(٨١) أحمر
أسود

مما سألوا وما لم يسألوا، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادا وتثبّتا لأجابهم، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادا وتعنتا، فتركهم فيما رابهم، وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١١]، ولما فيهم من المكابرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الطور: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٧]، فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ما سألوه؛ لأنه لا فائدة في جواب هؤلاء؛ لأنه دائر على تعنتهم وعنادهم، لكثرة فجورهم وفسادهم؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ لَوْلَآ ﴾ أي هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن سؤالكم لم لم تنزل الآية غيب ولا يعلم علة امتناعها إلا الله.

والثاني: أن نزول الآية متى يكون غيب ولا يعلمه إلى الله.

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ فيه قولان أحدهما انتظروا نزول الآية والثاني قضاء الله بيننا باظهار المحق على المبطل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-:

وإذا أنعمنا على الناس بنعمةٍ بعد ضرٍّ وشدَّةٍ كانوا فيها إذا بهم بعد أن أنعمنا عليهم يكذبون بآياتنا ويستهزئون بها، فقل لهؤلاء المكذبين المستهزئين إنكم تمكرون والله ﷻ يمكر بكم كما قال تعالى: (وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ) [الأنفال: ٣٠]، وكما قال: (إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾) [الطارق: ١٥-١٦].

(إِنَّ رُسُلَنَا) ملائكتنا الكتبة يكتبون ما يصدر منكم من استهزاء وتكذيب ومكر وخداع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا رزقنا المشركين بالله فرجًا بعد كرب، ورخاء بعد شدّة أصابتهم.

وقيل: عنى به المطر بعد القحط، و«الضراء»: وهي الشدة، و«الرحمة»: هي الفرج. يقول: ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ ﴾، استهزاء وتكذيبٌ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قُلِ ﴾ لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا، يا محمد ﴿ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾، أي: أسرع مِحَالا بكم، واستدراجًا لكم وعقوبةً، منكم، من المكر في آيات الله.

والعرب تكتفي ب «إذا» من «فعلت» و«فعلوا»، فلذلك حُذِف الفعل معها. وإنما معنى الكلام: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ ﴾، مكروا في آياتنا فاكتفى من ﴿مَّكۡرٞ ﴾، بـ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ ﴾.

(٨٣) أحمر
أسود

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾، يقول: إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم، أيها الناس، يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾.

قال مجاهد: استهزاء وتكذيب. كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس: ١٢]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء -مطر- أصابهم من الليل ثم قال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟**» قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ أي: أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرضون على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل والنقير والقِطْمير.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا الكفار وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرحمة العافية والسرور والضراء الفقر والبلاء قاله ابن عباس.

والثاني: الرحمة الإسلام والضراء الكفر وهذا في حق المنافقين قاله

الحسن.

والثالث: الرحمة الخصب والضراء الجدب قاله الضحاك.

وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب قاله مجاهد ومقاتل.

والثاني: أنه الجحود والرد قاله أبو عبيدة.

والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله فيقولون سقينا بنوء كذا قاله مقاتل بن حيان.

والرابع: أن المكر النفاق لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر ذكره الماوردي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: مفاده أن الله ﷻ يُذكِّر عباده بنعمه عليهم وبقدرته عليهم كذلك، فيقول تعالى مُذكِّرًا عباده، هو الذي يسيركم في البر والبحر فمسيركم في البر بنعمته فقد حملكم في البرِّ على ظهور الإبل التي خلقها لكم وعلى ظهور غيرها من الدواب كذلك وحملكم على ما ألهمكم صناعته كذلك، وكذا حملكم في البحر على السفن التي ذللها لكم وهداكم إلى صناعتها، وجعل المياه لحملها، حتى إذا ركبتموها في بعض أحيانكم، أعني ركبتم الفلك، وهي السفن العظيمة وجرت بكم في البحر برياح لينة طيبة سيَّرت السفينة بأمر الله

(٨٥) أحمر
أسود

فبينما أنتم على هذه الحال جاءت السفينة ريح عاصفةٌ شديدة الهبوب مخيفةٌ مزعجةٌ ترفع السفينة وتخفضها وجاء موجٌ شديد عاتيًا عاليًا يضرب السفينة ليقلبها بمن فيها في البحر، جاءهم هذا الموج من كل مكان، وأيقنوا بالهلاك، أيقنوا أن الموت سيأتيهم وأن الغرق مُدركهم دعوا الله وحده لا شريك له، وامتنعوا من دعاء الأوثان والأصنام لعلمهم أنها لن تنفعهم آنذاك، وأن الذي سينجيهم هو الله وحده لا شريك له، فأفردوه بالدعاء وأفردوه بالعبادة قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا من هذه الريح، ومن هذه البلية التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك المثنين عليك الموحدين لك (فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ) إذا هم يتمادون في الغيِّ الذي كانوا فيه قبل حلول البلية بهم، بل ويزدادوا كفرًا وضلالًا وغيًّا وفسادًا وإفسادًا، فقل لهؤلاء يا رسول الله: يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، وإثمه واقعٌ عليكم أنتم لستم بضارين الله شيئًا، وذلك كالوارد في الحديث القدسي: «**لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مَا نقصَ ذلكَ من ملكي شيئًا**».

وفيه: «**يَا عبادي إنَّكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**».

فبغيكم عائدٌ أثره ووباله عليكم، وما تحصلونه من وراءه إنما هو متاع الحياة الدنيا، وهو متاعٌ زائل ثم إلينا مرجعكم يوم القيامة فنخبركم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ونجازي المحسن بإحسانه، ونعاقب أهل الشرك والإجرام على شركهم وإجرامهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله الذي يسيركم، أيها الناس، في البر على الظهر وفي

البحر في الفلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾، وهي السفن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ يعني: وجرت الفلك بالناس ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾، في البحر ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾، يعني: وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها.

و«الهاء» في قوله: «بها» عائدة على «الريح الطيبة».

﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾، يقول: جاءت الفلك ريحٌ عاصف، وهي الشديدة.

والعرب تقول: « ريح عاصف، وعاصفة»، و «وقد أعصفت الريح، وعَصَفت » و«أعصفت»، في بني أسد، فيما ذكر، قال بعض بني دُبَيْر:

حَتَّى إِذَا أَعْصَفَتْ رِيحٌ مُزَعْزِعَةٌ فِيهَا قِطَارٌ وَرَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِلُ

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاء ركبانَ السفينة الموجُ من كل مكان ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾، يقول: وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، يقول: أخلصوا الدعاء لله هنالك، دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها.

وأورد آثارًا منها أثر بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ إلى آخر الآية، قال: هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون، فإذا كان الضر لم يدعوا إلا الله، فإذا نجاهم إذا هم يشركون.

﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا﴾ من هذه الشدة التي نحن فيها ، ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾، لك على نعمك، وتخليصك إيانا مما نحن فيه، بإخلاصنا العبادة لك، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنُّوا في البحر أنهم أحيط

(٨٧) أحمر
أسود

بهم، من الجهد الذي كانوا فيه، أخلفوا الله ما وعدُوه، وبغوا في الأرض، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه، من الكفر به، والعمل بمعاصيه على ظهرها.

يقول الله: يا أيها الناس، إنما اعتداؤكم الذي تعتدونه على أنفسكم، وإياها تظلمون. وهذا الذي أنتم فيه ، ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، يقول: ذلك بلاغ تبلغون به في عاجل دنياكم.

وعلى هذا التأويل، «البغي» يكون مرفوعًا بالعائد من ذكره في قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ ويكون قوله: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، مرفوعًا على معنى: ذلك متاع الحياة الدنيا، كما قال: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٌۚ﴾، [سورة الأحقاف: ٣٥]، بمعنى: هذا بلاغ.

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: إنما بغيكم في الحياة الدنيا على أنفسكم، لأنكم بكفركم تكسبونها غضبَ الله، متاع الحياة الدنيا، كأنه قال: إنما بغيكم متاعُ الحياة الدنيا، فيكون «البغي» مرفوعًا ب «المتاع»، و «على أنفسكم» من صلة «البغي».

وبرفع «المتاع» قرأت القراء سوى عبد الله بن أبي إسحاق، فإنه نصبه، بمعنى: إنما بغيكم على أنفسكم متاعًا في الحياة الدنيا، فجعل «البغي» مرفوعًا بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾، و «المتاع» منصوبًا على الحال.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ يقول: ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم، وذلك بعد الممات يقول: فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ أي: يحفظكم ويكلؤكم

بحراسته ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ أي: بسرعة سيرهم رافقين، فبينما هم كذلك إذ ﴿ جَآءَتۡهَا ﴾ أي: تلك السفن ﴿ رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ أي: شديدة ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ أي: اغتلم البحر عليهم ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾ أي: هلكوا ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: لا يدعون معه صنما ولا وثنا، بل يفردونه بالدعاء والابتهال، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ ﴾ أي: هذه الحال ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: لا نشرك بك أحدا، ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء هاهنا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ ﴾ أي: من تلك الورطة ﴿ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ أي: كأن لم يكن من ذاك شيء ﴿ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم، كما جاء في الحديث: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يَدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم**»(١).

وقوله: ﴿ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ أي: إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ أي: مصيركم ومآلكم ﴿ فَنُنَبِّئُكُم ﴾ أي: فنخبركم بجميع أعمالكم، ونوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ الضمير في ﴿ جَآءَتۡهَا ﴾ للسفينة. وقيل للريح الطيبة.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١).

(٨٩) أحمر
أسود

والعاصف الشديدة ؛ يقال: عصفت الريح وأعصفت، فهي عاصف ومعصف ومعصفة أي شديدة، قال الشاعر:

حتى إذا أعصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل

وقال: ﴿عَاصِفٌ﴾ بالتذكير لأن لفظ الريح مذكر، وهي القاصف أيضا. والطيبة غير عاصف ولا بطيئة. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ والموج ما ارتفع من الماء ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أحاط بهم البلاء ؛ يقال لمن وقع في بلية: قد أحيط به، كأن البلاء قد أحاط به ؛ وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله. ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون. وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه، وإن كان كافرا ؛ لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب ؛ على ما يأتي بيانه في «النمل» إن شاء الله تعالى. وقال بعض المفسرين: إنهم قالوا في دعائهم أهيا شراهيا ؛ أي يا حي يا قيوم. وهي لغة العجم.

وقال في قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. والبغي: الفساد والشرك ؛ من بغى الجرح إذا فسد ؛ وأصله الطلب، أي يطلبون الاستعلاء بالفساد. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي بالتكذيب ؛ ومنه بغت المرأة طلبت غير زوجها.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي وباله عائد عليكم ؛ وتم الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي هو متاع الحياة الدنيا ؛ ولا بقاء له.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد

الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة، تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ بما يسر لكم من الأسباب المسيرة لكم فيها، وهداكم إليها.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ أي: السفن البحرية ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة.

﴿ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ شديدة الهبوب ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدَعَوُه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة؟!!

ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: غاية ما تؤملون ببغيكم، وشرودكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئًا من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعًا، ويمضي جميعًا، ثم تنتقلون عنه بالرغم.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ في يوم القيامة ﴿ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ فيه تحولٌ في الخطاب وضِّحه؟

(٩١) أحمر
أسود

ج: إيضاحه أن الخطاب انتقل من المخاطب إلى الغائب فقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ) مخاطب وقوله: (وَجَرَيۡنَ بِهِم) غائب، والسياق يقتضي في اللغة- وجرين بكم، ولكن قيل: (وَجَرَيۡنَ بِهِم) للفت الأنظار، وهذا من الأساليب البلاغية المعروفة عند العرب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو في القرآن وأشعار العرب كثير ؛ قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

قال ابن الأنباري: وجائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب ؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ ﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢] فأبدل الكاف من الهاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم -: إنما مثل الحياة الدنيا الذي تتكالبون عليه وتتنافسون فيه، وتتكاثرون فيه في ذهابه وزواله كماءٍ فرحتم بنزوله إذا نزل ونبات بذرتم بذرته في الأرض، وانتظرتم الماء فجاءكم الماء فاختلط به ما بذرتموه في الأرض، وهنا قولان للعلماء:

أحدهما: أن الماء تسبب في إخراج النبات فاختلط النبات ببعضه، فتكون الباء في قوله: (بِهِۦ) سببية، أي: اختلط بسبب الماء نبات الأرض فهذا أحمر،

وهذا أخضر، وهذا أبيض، وهذا حلو، وهذا حامض، وهذا تأكله الدواب، وهذا يأكله بنو آدم.

والثاني: أن قوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي: اختلط الماء ببذور الأرض أو بنباتها الضعيف حتى إذا بلغ هذا النبات أشدَّه وكان أحسن ما يكون واستعدَّ أهله لحصاده وظنوا أنهم تمكنوا منه ومن حصاده أصابه الدمار والهلاك من عند الله، ليلًا كان ذلك، وهم نائمون كما قال تعالى في شأن أصحاب الجنة (الحديقة والبستان) ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [القلم: ١٩]، وها هنا قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصودة مقتلعةً من أصلها ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كأن لم تكن شيئًا بالأمس، كأنها لم تكن موجودة بالأمس وهكذا الحياة في زوالها وانقضائها وذهاب ما عليها من متاع، وفناء ما عليها من خلقٍ تذهب وتزول ولا تبقي لأحدٍ كائنًا ما كان، ولا يبقى منها ولا يُخرج منها إلا بصالح العمل الذي ينتفع به أهله في الآخرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها، مع ما قد وُكِّلَ بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت، كمثل ماءٍ أنزلناه من السماء، يقول: كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض، ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: فنبت بذلك المطر أنواعٌ من النبات، مختلطٌ بعضها ببعض.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعني: ظهر حسنها وبهاؤها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ يقول: وتزينت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾، يعني: أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾، يعني: على ما أنبتت. وخرج الخبر عن ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ والمعنى للنبات، إذا كان مفهوما بالخطاب ما عُنِي به.

(٩٣) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾، يقـول: جـاء الأرض «أمرنـا»، يعنـي: قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات - إما ليلا وإما نهارًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾، يقول: فجعلنا ما عليها ﴿حَصِيدٗا﴾ يعني: مقطوعة مقلوعة من أصولها.

وإنما هي «محصودة» صرفت إلى «حصيد».

﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾، يقول: كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتةً قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس.

وأصله: من «غَنِيَ فلان بمكان كذا، يَغْنَى به»، إذا أقام به، كما قال النابغة الذبياني:

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ ... مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

يقول: فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها، فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرُنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها، حتى صارت كأن لم تغن بالأمس، كأن لم تكن قبل ذلك نباتًا على ظهرها.

يقول الله جل ثناؤها: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾، يقول: كما بينَّا لكم أيها الناس، مثل الدنيا وعرّفناكم حكمها وأمرها، كذلك نُبين حججنا وأدلَّتنا لمن تفكَّر واعتبر ونظر.

وخصَّ به أهل الفكر، لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبَه في الصدور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معنى الآية التشبيه والتمثيل، أي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها كماء ؛ أي مثل ماء، فالكاف في موضع رفع. وسيأتي لهذا التشبيه مزيد بيان في «الكهف» إن شاء الله تعالى. ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ نعت لـ ﴿مَاءٍ﴾. ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾

روي عن نافع أنه وقف على ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ أي فاختلط الماء بالأرض، ﴿بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي بالماء نبات الأرض ؛ فأخرجت ألوانا من النبات، فنبات على هذا ابتداء، وعلى مذهب من لم يقف على ﴿فَاخْتَلَطَ﴾ مرفوع باختلط ؛ أي اختلط النبات بالمطر، أي شرب منه فتندى وحسن وأخضر. والاختلاط تداخل الشيء بعضه في بعض.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من الحبوب والثمار والبقول. ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من الكلأ والتبن والشعير. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ أي حسنها وزينتها. والزخرف كمال حسن الشيء ؛ ومنه قيل للذهب: زخرف. ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ أي بالحبوب والثمار والأزهار ؛ والأصل تزينت أدغمت التاء في الزاي وجيء بألف الوصل ؛ لأن الحرف المدغم مقام حرفين الأول منهما ساكن والساكن لا يمكن الابتداء به. وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿وتزينت﴾ على الأصل. وقرأ الحسن والأعرج وأبو العالية ﴿وأَزْيَنَت﴾ أي أتت بالزينة عليها، أي الغلة والزرع، وجاء بالفعل على أصله ولو أعله لقال وازانت. وقال عوف بن أبي جميلة الأعرابي: قرأ أشياخنا ﴿وازْيانّت﴾ وزنه اسوادت. وفي رواية المقدمي ﴿وازّاينت﴾ والأصل فيه تزاينت، وزنه تقاعست ثم أدغم. وقرأ الشعبي وقتادة ﴿وأزْيانت﴾ مثل أفعلت. وقرأ عثمان النهدي ﴿وازْيَنَت﴾ مثل أفعلت، وعنه أيضا ﴿وازيانت﴾ مثل أفعالت، وروى عنه ﴿ازيأنت﴾ بالهمزة ؛ ثلاث قراءات.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ﴾ أي أيقن. ﴿أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ أي على حصادها والانتفاع بها ؛ أخبر عن الأرض والمعنى النبات إذ كان مفهوما وهو منها. وقيل: رد إلى الغلة، وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ أي عذابنا، أو أمرنا بهلاكها. ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ ظرفان. ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾ مفعولان، أي محصودة

(٩٥) أحمر
أسود

مقطوعة لا شيء فيها. وقال: ﴿حَصِيدًا﴾ ولم يؤنث لأنه فعيل بمعنى مفعول. قال أبو عبيد: الحصيد المستأصل. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي لم تكن عامرة؛ من غني إذا أقام فيه وعمره. والمغاني في اللغة: المنازل التي يعمرها الناس. وقال قتادة: كأن لم تنعم. قال لبيد:

وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

وقراءة العامة ﴿تَغْنَ﴾ بالتاء لتأنيث الأرض. وقرأ قتادة ﴿يغن﴾ بالياء، يذهب به إلى الزخرف؛ يعني فكما يهلك هذا الزرع هكذا كذلك الدنيا. ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في آيات الله.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

تأويل الآية أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه وظن أنه ممتع بذلك سلب عنه بموته أو بحادثة تهلكه كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته فإذا تزينت به الأرض وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكه الله فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ضرب تعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقَضْب وغير ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية، ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: حَسُنت بما خرج من رُباها من زهور نَضِرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على جَذاذها وحصادها فبيناهم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة،

فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: يبسا بعد الخضرة والنضارة، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.

وقال قتادة: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تنعم.

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث[1]: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيُغْمَس في النار غَمْسَة ثم يقال له: هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا. ويؤتى بأشد الناس عذابًا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول: لا**».

وقال تعالى إخبارًا عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: نبين الحُجج والأدلة، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتَفَلّتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كماء.

---

(١) مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِى النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِى الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِى بُؤْسٌ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ ».

(٩٧) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها.

فذلك ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كالحبوب والثمار ﴿وَ﴾ مما تأكل ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ كأنواع العشب، والكلأ المختلف الأصناف.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظرًا عجيبًا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه.

فبينما هم في تلك الحالة ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يعملون أفكارهم فيما ينفعهم.

وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ۞ لِّلَّذِينَ
أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا
لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ
مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨
فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ هُنَالِكَ
تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ٣٠ ﴾.

[يونس: ٢٥-٣٠].

(٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ - وَيَهۡدِي - صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ - أَحۡسَنُواْ - ٱلۡحُسۡنَىٰ - وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ - وَزِيَادَةٞ - قَتَرٞ - ذِلَّةٞ - كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ - وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ - عَاصِمٖ - أُغۡشِيَتۡ - وُجُوهُهُمۡ - قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ - نَحۡشُرُهُمۡ - مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ - فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ - لَغَٰفِلِينَ - تَبۡلُواْ - مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ - مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ - وَضَلَّ عَنۡهُم - يَفۡتَرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾	دار الأمان والسلامة من الآفات والمنغصات والعيوب والعذاب، وهي الجنة.
﴿وَيَهۡدِي﴾	يوفق لسلوك طريق الحق الذي هو الإسلام.
﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	طريق الحق الذي لا اعوجاج فيه.
﴿أَحۡسَنُواْ﴾	أسلموا وآمنوا وعملوا الصالحات – الجنة.
﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	وزيادة على الجنة وهي النظر إلى وجه الله الكريم.
﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾	لا يعلو وجوههم – لا يغشى وجوههم – لا يُغطى وجوههم – لا يلحق.
﴿وَزِيَادَةٞ﴾	غبارٌ وسواد.
﴿قَتَرٞ﴾	مذلةٌ وهوان وكآبة.
﴿ذِلَّةٞ﴾	غائرًا لا تناله الأيدي ولا الدلاء.
﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	عملوا السيئات – أشركوا وارتكبوا الكبائر.

﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾	تُغطي وجوههم الذلة، وهي الذل والعارُ والهوان.
﴿عَاصِمٖ﴾	مانع.
﴿أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾	أُلبست.
﴿قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا﴾	جمع قطعة من الليل المُظلم.
﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾	نجمعهم ﴿أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم، والأتباع مع المتبوعين والعباد مع المعبوين من دون الله...﴾.
﴿مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾	الزموا مكانكم وليلزم شركاؤكم مكانهم، أي: ولتزم الآلهة التي عبدتموها مع الله مكانها.
﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾	ففرقنا بينهم.
﴿لَغَٰفِلِينَ﴾	لا ندري عن عبادتكم لنا.
﴿تَبۡلُواْ﴾	تختبر – تعلم – تتفقد.
﴿مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ﴾	ما عملت في دنياها من خيرٍ أو شرٍّ أو غير ذلك.
﴿مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ﴾	المعبود الحق الذي لا معبود بحقٍّ سواه.
﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾	غاب عنهم وانصرف.
﴿يَفۡتَرُونَ﴾	يكذبون – يدَّعونها آلهة مع الله.

❁ ❁ ❁

(١٠١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم:

أن الله ﷻ، وبعد أن حذر من الدنيا والاغترار بها، وأن ما فيها من النعيم لا يدوم، بل يتحول ويزول، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، أي: دار الأمان التي لا زوال لها ولا تحول عنها ولا آفة فيها، وهي الجنة.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ أي: ويوفق من يشاء إلى الإسلام، وإلى طاعته ومرضاته.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتَها، فإن مصيرها إلى فناءٍ وزوالٍ، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلا إلى هلاكٍ وبَوَارٍ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدَّها لأوليائه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمنوا من فناء ما فيها من النَّعيم والكرامة التي أعدَّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سببًا للوصول إلى رضاه، وطريقًا لمن ركبه وسلك فيه إلى جِنانه وكرامته.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاءه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد

البيان والرسل، وسمى الله الجنة «دار السلام» لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ لما ذكر وصف هذه الدار وهي دار الدنيا وصف الآخرة فقال: إن الله لا يدعوكم إلى جمع الدنيا بل يدعوكم إلى الطاعة لتصيروا إلى دار السلام، أي إلى الجنة. قال قتادة والحسن: السلام هو الله، وداره الجنة ؛ وسميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات. ومن أسمائه سبحانه «السلام»، وقد بيناه في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى). ويأتي في سورة «الحشر» إن شاء الله. وقيل: المعنى والله يدعو إلى دار السلامة. والسلام والسلامة بمعنى كالرضاع والرضاعة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾؟

ج: المراد –والله أعلم–: الذين أسلموا وحسن إسلامهم.

وأيضًا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقيل: الذين شهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

❁ ❁ ❁

(١٠٣) أحمر
أسود

دليلٌ على رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة

س: ما المراد بالحسنى؟ وما المراد بالزيادة؟

ج: الحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله – تبارك وتعالى – يوم القيامة، هذا هو رأي جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم، والله تعالى أعلم.

وقد ورد بذلك حديث عن رسول الله ﷺ، وإن كان في سنده اختلاف، وهو حديث أخرجه مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** ﷻ». حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)[1].

وقد ورد للحديث طريق آخر ضعيف من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا، وفي سنده ضعف، وكذا عن أبي موسى مرفوعًا وعن كعب بن عجرة مرفوعًا.

إلا أن أكثر العلماء – كما أسلفت قالوا: إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وقد أورد الطبري آثارًا بذلك منها أثر أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران عن أبي بكر (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال: النظر إلى وجه الله.

وهذا ضعيف فسعيد بن عمران مجهول.

---

(١) مسلم (حديث ١٨١) وقد انتقد على مسلم فقد روي من قول عبد الرحمن بن أبي ليلى موقوفًا عليه (أي: مقطوعًا فعبد الرحمن تابعي). انظر التتبع للدارقطني.

وورد هذا الأثر من طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر ودون ذكر سعيد بن عمران، وهذا أراه منقطعًا فإن عامرًا لم يدرك أبا بكر وورد من طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله.

ومن طريق أبي إسحاق عن مسلم بن نذير[1] عن حذيفة (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال: النظر إلى وجه ربهم.

وصح هذا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى كذلك وعن الحسن البصري وعن عددٍ كبير من أهل العلم.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أقوالٍ أخر منها:

* **أن الزيادة:** هي التعضيف يعني تضعيف الحسنات فقال: الحسنى، واحدة من الحسنات بواحدة، والزيادة التضعيف إلى تمام العشر أو إلى سبعمائة ضعف.

* **وقال آخرون: الزيادة:** مغفرة من الله ورضوان.

* **وقال آخرون: الزيادة:** هي فضل الله الذي تفضل به عليهم في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وَعَد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إيّاه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها. ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غُرفا من لآلئ، وأن يزيدَهم غفرانا ورضوانًا، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، الزيادات على «الحسنى»، فلم يخصص منها شيئًا دون شيء، وغير مستنكرٍ من فضل

(١) مسلم لم يوثقه كبير مقبر.

(١٠٥) أحمر
أسود

الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يُعَمَّ، كما عمَّه عز ذكره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح أبدله الحسنى في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته.

والحافظ ابن كثير من قالوا ذلك من الصحابة والتابعين وذكر بعض الأحاديث بذلك، وفي سندها مقال كما أشرت:

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم «الحسنى» وهي الجنة الكاملة في حسنها و «زيادة» وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولا يلحق ولا يعلو ولا يغشى وجوههم (قَتَرٌ) غبارٌ وسواد ودخان وخزيٌ (وَلَا ذِلَّةٌ) ولا مذلة ولا هوان ولا كآبةٌ.

فهؤلاء الذين أحسنوا أصحاب الجنة يخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، لا يغشى وجوههم كآبة، ولا كسوف، حتى تصير من الحزن كأنما علاها قترٌ.

و«القتر» الغبار، وهو جمع «قَتَرَةٍ» ومنه قول الشاعر:

مُتَوَّجٌ بِرِداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ وَالْقَتَرَا

يعني بـ«القتر» الغبار.

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ولا هوان ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، يقول: هؤلاء الذين وصفت صفتهم، هم أهل الجنة وسكانها، ومن هو فيها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يقول: هم فيها ماكثون أبدًا، لا تبيد، فيخافوا زوال نعيمهم، ولا هم بمخرجين فتتنغَّص عليهم لذَّتُهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ أي: قتام وسواد في عَرَصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القُتْرة والغُبْرة، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي: هوان وصغار، أي: لا يحصل لهم إهانة في الباطن، ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ١١] أي: نضرة في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته، آمين.

(١٠٧) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ أي: لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء - فهم كما قال الله عنهم -: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الملازمون لها ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -:

والذين عملوا السيئات وهي الشرك والكبائر والمعاصي يجازون على السيئات سيئات مثلها كما قال تعالى: (وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾) [الأنعام: ١٦٠] (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي: وتغشى وُجوهَهم ويغطيها ذلٌّ وهوان (مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) من مانع يمنعهم من عذاب الله ولا من الذل والهوان والخزي والعار كأنما أُلبست وجوهُهُم قطعًا من الليل الأسود المظلم، فأصبحت وجوههم سوداء كما قال تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾) [آل عمران:١٠٦].

أما قوله: (أُوْلَٰٓئِكَ) أي: الذين كسبوا السيئات وماتوا على شركهم وكفرهم وضلالهم (أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾) لا يخرجون منها ولا يُخفف عنهم من عذابها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين عملوا السيئات في الدنيا، فعصوا الله فيها، وكفروا به وبرسوله ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ﴾، من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا ﴿بِمِثْلِهَا﴾، من عقاب الله في الآخرة ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، يقول: وتغشاهم ذلة وهوان، بعقاب الله إياهم ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، يقول: ما لهم من الله من مانع يمنعهم، إذا عاقبهم، يحول بينه وبينهم.

وقال بعد أن أورد وجوهًا في رفع (جَزَآءُ):

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يكون «الجزاء» مرفوعًا بإضمارٍ، بمعنى: فلهم جزاء سيئة بمثلها، لأن الله قال في الآية التي قبلها: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فوصف ما أعدَّ لأوليائه، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه، فأشبهُ بالكلام أن يقال: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، وإذا وُجِّه ذلك إلى هذا المعنى، كانت الباء صلة للجزاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات ﴿قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، وهي جمع « قطعة».

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، يقول: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهلُ النار الذين هم أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾، يقول: هم فيها ماكثون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يُضاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، عطف بذكر حال الأشقياء، فذكر عدله تعالى فيهم، وأنه

(١٠٩) أحمر
أسود

يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك، ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ﴾ أي: تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢ -٤٤]، وقوله ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي: من مانع ولا واق يقيهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [القيامة: ١٠ -١٢].

وقوله: ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ ﴾ إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ -٤٢]. الآية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي عملوا المعاصي. وقيل: الشرك. ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ ﴿جَزَآءُ ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا ﴾. قال ابن كيسان: الباء زائدة ؛ والمعنى جزاء سيئة مثلها. وقيل: الباء مع ما بعدها الخبر، وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه، والمعنى: جزاء سيئة كائن بمثلها ؛ كقولك: إنما أنابك ؛ أي وإنما أنا كائن بك. ويجوز أن تتعلق بجزاء، التقدير: جزاء السيئة بمثلها كائن ؛ فحذف خبر المبتدأ. ويجوز أن يكون ﴿جَزَآءُ ﴾ مرفوعا على تقدير فلهم جزاء سيئة ؛ فيكون مثل قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ﴾

[البقرة: ١٨٤] أي فعليه عدة، وشبهه ؛ والباء على هذا التقدير تتعلق بمحذوف، كأنه قال لهم جزاء سيئة ثابت بمثلها، أو تكون مؤكدة أو زائدة.

ومعنى هذه المثلية أن ذلك الجزاء مما يعد مماثلا لذنوبهم، أي هم غير مظلومين، وفعل الرب جلت قدرته وتعالى شأنه غير معلل بعلة. ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي يغشاهم هوان وخزي. ﴿مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذاب الله. ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي مانع يمنعهم منه.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ أي ألبست. ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ جمع قطعة، وعلى هذا يكون ﴿مُّظْلِمًا﴾ حال ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الدنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، فجزاؤهم سيئة مثلها أي: جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ أي: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ في قلوبهم وخوف من عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم، فتكون سوادًا في الوجوه.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

فكم بين الفريقين من الفرق، ويا بعد ما بينهما من التفاوت؟!

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٥] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ -٤٢].

❁ ❁ ❁

(١١١) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُوا) قراءتان وضحهما؟ مع بيان معنى كلٍّ من القراءتين في قوله تعالى: (تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ)؟

ج: القراءة الأولى: (تَبْلُوا) بالتاء المثناة الفوقانية ثم ﴿بالباء﴾ الموحدة التحتانية والقراءة الثانية (تتلوا) بالتاء ثم التاء أي: بتاءين.

وقد صوَّب الطبري رحمه الله تعالى القراءتين.

قلت (مصطفى): أما عن معنى قوله تعالى: (تَبْلُوا) بالباء: فمعناها تَخْتَبر أي: تتفقد أعمالها التي عملتها من خيرٍ أو شرٍّ وتنظر فيها وتعلمها وقيل: تُسلِّم ما عليها من الحقوق لأصحابها بغير اختيارها.

أما عن معنى: ﴿تتلوا) فمعناها، والله أعلم تتبع كل نفس عملها وترتهن به إن كان خيرًا فخيرٌ، وإن كان شرًّا فشرٌّ.

وقيل: معناها تقرأ أعمالها كما قال تعالى: (وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ) [الإسراء: ١٣-١٤] والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾).

ج: المعنى – والله أعلم –: واذكر يوم نحشرهم جميعًا، نجمع الخلائق جميعًا أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم عابدهم ومعبودهم الذي عبدوه من دون الله، وذلك الجمع يكون يوم القيامة ثم نقول إذا جمعناهم، نقول للذين أشركوا: الزموا مكانكم يا أهل الشرك وليلزم شركاؤكم الذين عبدتموهم من

دون الله مكانهم أيضًا، قفوا أنتم وما هم فإنكم ستسألون، ففرقنا بينهم فحينئذٍ يقول أهل الشرك، إذا سئلوا ماذا كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هذه الأصنام، هذه الجمادات[1] أموالهم كذلك، فمنهم من كان يُعبد عزيرًا، ومنهم من ظلم يعبد المسيح، ومنهم من كان يعبد الملائكة، وقد ذكرت أموال كل هؤلاء في مواطن أخر فتجيب الجمادات، تجيب هذه الأصنام إذ الله ﷻ يُنطقها فتُجيب قائلةً ما كنتم إيانا تعبدون، أي أنكم ما عبدتمونا ولا شعرنا بعبادتكم لنا فيصرُّ أهل الشرك على موقفهم فيقولون: بل كنا نعبدكم فتجيب الأصنام والأوثان (ينطقها الله تبكيتًا لعبّادها) ما كان لنا من سمعٍ نسمع به ولا بصر نُبصر به وعقل نعقل به وما شعرنا بعبادتكم لنا وربنا خير شاهدٍ وكفى به شهيدًا بيننا وبينكم أننا ما شعرنا بعبادتكم لنا وما أقررناكم على ذلك، بل ربنا شهيد على أننا كنا غافلين عن عبادتكم لنا وما أحسننا بكم ولا شعرنا بكم.

فحينئذٍ تختبر كلُّ نفس عملها وتنظر في عملها الذي عملته في الدنيا وتتفقده فتعلمه وتجازي به وتتبعه وتُسلم لعملها كما قال تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ) [الأنعام: ٧٠] أي: أُسلموا لكسبهم الذي اكتسبوه فجُوزوا به واتبعوه.

أما قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: ورجعوا يوم القيامة إلى الله متولي أمورهم يحكم فيهم بما يشاء ويقضي بينهم ما يريد فهو المولى الحق، والمعبود الذي ما سواه باطل، وهو المولى الذي يحكم بالعدل والقسط ولا يظلم أحدًا، وهو الذي يتولى أهل الصلاح وأهل عبادته فيتغمدهم برحمته، وهو الذي يتولى أمر العباد حقًّا.

---

(١) وهؤلاء طائفة من أهل الشرك الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وإلا فقد ذكر أهل الشرك كلٌّ في موطن وذكرت.

(١١٣) أحمر
أسود

أما أهل الشرك فقد غابت عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله وانصرفت عنهم تلك الآلهة التي افتروها وجعلوها بزعمهم شريكة لله ﷻ.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعًا، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهةَ والأندادَ: ، ﴿مَكَانَكُمْ﴾، أي: امكثوا مكانكم، وقفوا في موضعكم، أنتم، أيها المشركون، وشُركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان ، ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، يقول: ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به.

من قولهم: «زِلْت الشيء أزيلُه »، إذا فرّقت بينه وبين غيره وأبنته منه. وقال: «فزيّلنا» إرادة تكثير الفعل وتكريره، ولم يقل: «فزِلْنا بينهم».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾، وذلك حين تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطَّعت بهم الأسباب، لما قيل للمشركين: «اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله»، ونصبت لهم آلهتهم، قالوا: «كنا نعبد هؤلاء»!، فقالت الآلهة لهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ويقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة، إذ قال المشركون بالله لها: إياكم كنا نعبد ، ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾، أي إنها تقول: حسبُنا الله شاهدًا بيننا وبينكم، أيها المشركون، فإنه قد علم أنّا ما علمنا ما تقولون ، ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾، يقول:

ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين، لا نشعر به ولا نعلم

ثم قال في تأويل قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾، بالباء، بمعنى: عند ذلك تختبر كلّ نفس ما قدمت من خيرٍ أو شرٍّ.

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز: ﴿ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾، بالتاء.

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: معناه وتأويله: هنالك تتبع كل نفس ما قدَّمت في الدنيا لذلك اليوم.

وقال بعضهم: بل معناه: يتلو كتاب حسناته وسيئاته. يعني يقرأ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾، [سورة الإسراء: ١٣].

وقال آخرون: «تَتْلو» تعاين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى. وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلفَ من العمل في الدنيا، هجم به على مَوْرده، فيخبر هنالك ما أسلفَ من صالح أو سيئ في الدنيا، وإنّ مَنْ خَبَر من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة، فإنما يخبرُ بعد مصيره إلى حيث أحلَّه ما قدم في الدنيا من علمه، فهو في كلتا الحالتين مُتَّبع ما أسلف من عمله، مختبر له، فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا، فمصيبٌ الصوابَ في ذلك.

وأما قوله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾، فإنه يقول: ورجع هؤلاء

(١١٥) أحمر
أسود

المشركون يومئذٍ إلى الله الذي هو ربهم ومالكهم، الحقّ لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾، يقول: وبطل عنهم ما كانوا يتخرَّصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء، وأنها تقرِّبهم منه زُلْفَى.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾، قال: ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة، ما كانوا يفترون الآلهة، وذلك أنهم جعلوها أندادًا وآلهة مع الله افتراءً وكذبًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: أهل الأرض كلهم، من إنس وجن وبر وفاجر، كما قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي: الزموا أنتم وهم مكانًا معينًا، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩]، وقال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الروم: ٤٣] أي: يصيرون صِدعين.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخبارًا عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنكروا عبادتهم، وتبرءوا منهم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ الآية. [مريم: ٨٢]. وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال في هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: ما كنا نشعر بها ولا نعلم، وإنما أنتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم، والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك.

وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، آمرا بعبادته وحده لا شريك له، ناهيًا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبَيّن أحوالهم وأقوالهم، ورَد عليهم فيما هم فيه أتم رد.

وقوله: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ ﴾ أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ [الطارق: ٩]، وقال تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القيامة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقد قرأ بعضهم: ﴿ هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وفسَّرها بعضهم

(١١٧) أحمر
أسود

بالقراءة، وفسّرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته من خير وشر، وفسّرها بعضهم بحديث: «**تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت**» الحديث[1].

وقوله: ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم ﴾ أي: ذهب عن المشركين ﴿ مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠ ﴾ أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم ﴾ عنى بالشركاء الملائكة. وقيل: الشياطين، وقيل: الأصنام ؛ فينطقها الله تعالى فتكون بينهم هذه المحاورة. وذلك أنهم ادعوا على الشياطين الذين أطاعوهم والأصنام التي عبدوها أنهم أمروهم بعبادتهم ويقولون ما عبدناكم حتى أمرتمونا.

قال مجاهد: ينطق الله الأوثان فتقول ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون، وما أمرناكم بعبادتنا. وإن حمل الشركاء على الشياطين فالمعنى أنهم يقولون ذلك دهشا، أو يقولون كذبا واحتيالا للخلاص، وقد يجري مثل هذا غدا ؛ وإن صارت المعارف ضرورية.

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ ﴿شَهِيدًا ﴾ مفعول، أي كفى الله شهيدا، أو تمييز، أي اكتف به شهيدا بيننا وبينكم إن كنا أمرناكم بهذا أو رضيناه منكم. ﴿إِن كُنَّا ﴾أي ما كنا ﴿عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾ إلا غافلين لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ؛ لأنا كنا جمادا لا روح فينا.

---

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

وقال القرطبي أيضًا:

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ وقد أخبر بأن الكافرين لا مولى لهم. قيل ليس بمولاهم في النصرة والمعونة، وهو مولى لهم في الرزق وإدرار النعم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ أي: نجمع جميع الخلائق، لميعاد يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله.

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ ﴾ أي: الزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل بينكم وبينهم.

﴿ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ أي: فرقنا بينهم، بالبعد البدني والقلبي، وحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصفو الوداد، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضًا وعداوة.

وتبرأ شُرَكَاؤُهُمْ منهم وقالوا: ﴿ مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ ﴾ فإننا ننزه الله أن يكون له شريك، أو نديد.

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ ﴾ ما أمرناكم بها، ولا دعوناكم لذلك، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال تعالى: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ ﴾ [يس: ٦٠].

وقال: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدهم يوم

(١١٩) أحمر
أسود

القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، قد ضلت عبادتهم، واضمحلت معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل.

ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك اليوم ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ أي: تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازي بحسبه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ
ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾
فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ
أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ
ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن
يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن
رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ
بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي
عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

[يونس: ٣١-٤١].

(١٢١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تُصۡرَفُونَ - حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ - فَسَقُواْ - يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ - يُعِيدُهُۥ - فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ - لَا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ - إِلَّا ظَنّٗاۚ - يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ - تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ - لَا رَيۡبَ فِيهِ - وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ - ٱفۡتَرَىٰهُۖ - يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ - وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ - لِّي عَمَلِي - بَرِيٓءُونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تُصۡرَفُونَ﴾	تتحولون عن الحق إلى الباطل.
﴿حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	تحقق ما يريده الله – تحقق ما كتبه الله وقضاه وتكلم به.
﴿فَسَقُواْ﴾	خرجوا عن الطاعة واستمروا على الكفر.
﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾	يخلقه لأول مرة.
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يُعيده بعد فنائه كما كان لأول مرةٍ.
﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾	فمن أي وجهٍ تُصرفون عن الحق إلى الباطل.
﴿لَا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾	لا يهتدي إلا إذا هداه غيره ولا ينتقل إلا إذا نقله غيره.
﴿إِلَّا ظَنّٗاۚ﴾	توهمًا – تخرصًا – شكًّا.
﴿يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	يختلق من عند غير الله.
﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾	موافقة للتوراة والإنجيل.
﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾	بيان للكتاب، بيانٌ للحلال والحرام والفرائض والأحكام.

﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	لا شك فيه، ولا ارتياب في كونه نزل من عند الله.
﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾	تقوَّله من عند نفسه ونسبه إلى الله ﷻ.
﴿يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾	يطلعوا على حقيقته.
﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾	لما يأتهم الوقت الذي يشاهدون فيه حقيقة ما أُخبروا به.
﴿لِّي عَمَلِي﴾	لي ثواب عملي.
﴿بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ﴾	لا تتحملون من عملي شيئًا.

❁ ❁ ❁

(١٢٣) أحمر
أسود

إقرار أهل الشرك بوجود الله ﷻ

س: أهل الشرك كانوا يقرون بوجود الله ﷻ دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) إلى قوله تعالى: (فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ).

وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾) [ص: ١٦].

وقولهم: (ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾) [الأنفال: ٣٢].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) [الزخرف: ٨٧].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾) [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ) [الأعراف: ٢٨].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الجاحدين وحدانية الله ﷻ، الذين اتخذوا معه آلهة أخرى وأشركوا بالله ما لم

ينزل به سلطانًا، قل لهؤلاء من يرزقكم من السماء بالغيث الذي يُغيثكم به فتشربون وتسقون أنعامكم وينبت لكم به من الأرض النبات فتحيون به وتأكلون من حبوبه وثماره وترعون أنعامكم وتحلبونها وتذبحونها فتنعمون بذلك، وكذلك ييسر لكم أسباب الرزق في الأرض، وقل لهم كذلك يا رسول الله من عليكم سمعكم وسمع غيركم، ولو شاء الله لذهب به ولأصحكم، وكذلك من عليك الأبصار، ولو شاء لأضعفها وأعماها، وكذا من يخرج الحيّ، النبات من الميت البذور، ويخرج كذلك الأفرخ من البيض والأجنة من المني (الذي يُمنى) والكافر صلب المؤمن، والمؤمن من صلب الكافر، ومن يدبر أمر السموات والأرض ومن فيهن فيمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وكذا من يُدبر أمر الكواكب والنجوم والشمس والقمر، وكلٌّ في فلكٍ يسبحون، وكذا من يدبر أمر عموم الخلائق فيحيي ويميت ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويوسع الأرزاق ويقدر، ويذهب بهذا ويأتي بذلك ويشفي ويعافي، ويُمرض ويُسقم إلى غير ذلك من أمور الخلائق، سل يا رسول الله أهل الشرك من يفعل ذلك، فيسيقولون الله يفعل ذلك لا يفعله أحدٌ سواه، فقل لهم أفلا تتقون الله إذن أفلا تخشون عقابه وقد جعلتم له شريكًا في الملك؟!! أفلا تتقون الشرك بالله؟!!!

فذلكم الذي يفعل ذلك كله بإقراركم هو ربكم الحق المعبود بحق، فليس في الأرض ولا في السماء معبودٌ بحق سواه وليس في أي مكان معبودٌ سواه. فماذا بعد هذا البيان الحق إلا الضلال، وماذا بعد عبادة الله وتوحيده إلا الكفر والشرك والعياذ بالله فمن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، ولمن توحيده ﷻ إلى الشرك به.

ولكن هكذا، وكما ختمنا على قلوب من كانوا قبلهم فماتوا على الكفر،

(١٢٥) أحمر
أسود

وقد قضينا عليهم به، فكذا هؤلاء الفساق الخارجون عن الطاعة الخارجون عن توحيد الله إلى الشرك به، فهؤلاء الذين سبقت لهم الشقاوة ستتحقق فيهم كلمة الله التي تكلم بها وقضاها بأنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آيةٍ ولو جاءهم كل بيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثانَ والأصنامَ ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، الغيثَ والقطر، ويطلع لكم شمسها، ويُغْطِش ليلها، ويخرج ضحاها ومن الأرض أقواتكم وغذاءَكم الذي ينْبته لكم، وثمار أشجارها ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ يقول: أم من ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها: أن يزيدَ في قواها، أو يسلبكموها، فيجعلكم صمًّا، وأبصاركم التي تبصرون بها: أن يضيئها لكم وينيرها، أو يذهب بنورها، فيجعلكم عُمْيًا لا تبصرون ﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾، يقول: ومن يخرج الشيء الحي من الميت ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾، يقول: ويخرج الشيء الميت من الحيّ.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل، والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلّة الدالة على صحته، في «سورة آل عمران»، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾، وقل لهم: من يُدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمرَ الخلق؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾، يقول جل ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا: الذي يفعل ذلك كله الله ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، يقول: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربًّا غيرَ من هذه الصفة صفتُه، وعبادتكم

معه من لا يرزقكم شيئًا، ولا يملك لكم ضرًا ولا نفعا، ولا يفعل فعلا؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس، فهذا الذي يفعل هذه الأفعال، فيرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويدبر الأمر؛ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، لا شك فيه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، يقول: فأي شيء سوى الحق إلا الضلال، وهو الجور عن قصد السبيل؟

يقول: فإذا كان الحقُّ هو ذا، فادعاؤكم غيره إلهًا وربًّا، هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾، يقول: فأيّ وجه عن الهدى والحق تُصرفون، وسواهما تسلكون، وأنتم مقرُّون بأن الذي تُصْرَفون عنه هو الحق؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: كما قد صُرِف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يقول: وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾، فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾، يقول: لا يصدِّقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقًا بقدرته ومشيئته، فيخرج منها ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا

(١٢٧) أحمر
أسود

﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس: ٢٧ -٣١]، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله، ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ [الملك: ٢١]؟، وكذلك قوله: ﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾؟ أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك: ٢٣]، وقال ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ أي: بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامة في ذلك كله.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسْأَلُون، ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه، ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ أي: هم يعلمون ذلك

ويعترفون به، ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

وقوله: ﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: كما

كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده؛ فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار، كقوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المراد بمساق هذا الكلام الرد على المشركين وتقرير الحجة عليهم؛ فمن اعترف منهم فالحجة ظاهرة عليهم، ومن لم يعترف فيقرر عليه أن هذه السموات والأرض لا بد لهما من خالق؛ ولا يتمارى في هذا عاقل. وهذا قريب من مرتبة الضرورة. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي بالمطر. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات. ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي من جعلهما وخلقهما لكم. ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبلة من الحبة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر. ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي يقدره ويقضيه. ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ لأنهم كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله؛ أو فسيقولون هو الله إن فكروا وأنصفوا ﴿فَقُلْ﴾ لهم يا محمد. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي أفلا تخافون عقابه ونقمته في الدنيا والآخرة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق، لا ما أشركتم معه. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ ﴿ذَا﴾ صلة أي ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي حكمه وقضاؤه وعلمه السابق. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ أي خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذبوا. ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا يصدقون. وفي هذا أوفى دليل على القدرية.

(١٢٩) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطانًا - محتجًا عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية- ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟

﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضول بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما.

﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

﴿ فَقُلْ ﴾ لهم إلزامًا بالحجة ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾ أي: المألوه المعبود المحمود، المربي جميع الخلق بالنعم وهو: ﴿ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

﴿ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ عن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتبا لمن أشرك به، وويحًا لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم.

ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ بعد ما أراهم الله من الآيات البينات والبراهين النيرات، ما فيه عبرة لأولي الألباب، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين.

❁ ❁ ❁

س: من طرائق الإقناع أن تقرر الشخص أولًا بأمور فإذا أقرَّ بها ألزمته بما يقتضيه إقراره من إلزامات، دلِّل على ذلك.

ج: نعم؛ تقرير المخاطب بأصولٍ وقواعدَ، ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره، هي طريقة لها أصولها وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء:

قال الله سبحانه وتعالى: (قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾) [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذًا منهم الاعتراف والإقرار بصدقه: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ

(١٣١) أحمر
أسود

مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»(١).

وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار لما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا (أي: حزنوا) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ بِي؟» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ... «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ»... الحديث(٢).

وأخرج الإمام أحمد(٣) في «مسنده» من حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وقَالُوا: مَهْ مَهْ! فَقَالَ: «ادْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟« قَالَ: لَا وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٠)، ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٠١٦).

(٣) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٦) بإسناد صحيح.

وها هو عليه السلام يقرر اليهود[(١)] – قبل إخبارهم بإسلام عبد الله بن سلام – بسيادة عبد الله بن سلام وفضل عبد الله بن سلام:

قال عليه الصلاة والسلام لليهود: « **فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟**» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «**يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ**» فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ.

* وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه، وقد كان منهم آنذاك، يقول لهم: ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه...الحديث.

فانظر إلى استهلاله للحديث وإلى ذِكرِ مآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة أو الغش لهم... ثم حثه لهم على قبول خطة الصلح.

فحقًّا إنه فقه تعامل وفقه تخاطب مع الناس، يؤتيه الله من يشاء من عباده، فهي طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن.

❁ ❁ ❁

(١) لكن التوفيق من عند الله.

(١٣٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الجاحدين وحدانية الله، الذين عبدوا مع الله أوثانًا وأصنامًا وآلهة أخرى قل لهم من يخلق الخلق لأول مرة، من الذي خلق السموات والارض، من الذي خلق الخلق كلهم لأول مرة؟ ومن ذا الذي يعيدها مرة أخرى.

سلهم هذا السؤال فلن يستطيعوا أن يقولوا الأصنام والأوثان والآلهة، فهم بين أمرين إما أن يسكتوا مقرين أن خالقها لأول مرة هو الله ﷻ وإما أن يقولوا مصرحين بذلك الله خالقها، فعلى أية حال قل لهم الله الذي خلقها أول مرة، وهو ﷻ يعيدها، كما بدأ خلقها وإن أنكرتم البعث فإن الله فاعله فمن أي وجه تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن التوحيد إلى الشرك بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعني من الآلهة والأوثان ﴿مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: من ينشئ خَلْق شيء من غير أصل، فيحدث خلقَه ابتداءً ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها. وفي ذلك الحجة القاطعة والدِّلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أربابٌ، وهي لله في العبادة شركاء، كاذبون مفترون.

فقل لهم حينئذ، يا محمد: الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شيء، ويحدثه من غير أصل، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل الفناء ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، يقول: فأيّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرُّشد تُصْرَفون وتُقْلَبُون؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره، وعبدوا من الأصنام والأنداد، ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ ﴾ أي: من بدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق، ويفرق أجرام السموات والأرض ويبدلهما بفناء ما فيهما، ثم يعيد الخلق خلقًا جديدًا؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ ﴾ هو الذي يفعل هذا ويستقل به، وحده لا شريك له، ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ ﴾ أي: فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل؟!

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ أي آلهتكم ومعبوداتكم. ﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ ﴾ أي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ والتقرير ؛ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ ﴾ وليس غيره يفعل ذلك. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ ﴾ أي فكيف تنقلبون وتنصرفون عن الحق إلى الباطل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى - مبينًا عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله- ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ أي: يبتديه ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ ﴾ من غير مشارك ولا معاون له على ذلك.

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ ﴾ أي: تصرفون، وتنحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئًا وهم يخلقون.

❁ ❁ ❁

(١٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين هل من الآلهة التي عبدتموها مع الله من الأصنام والأوثان من يرشد إلى طريق الحق والصواب؟ هل ترشدكم أصناكم في طريقكم الدنيوي إذا أخطأتموه، وهل ترشدكم إلى طريق الإسلام وتدلكم عليه وتحذركم من طريق الكفر والعصيان؟؟! هل هذه الآلهة بيدها توفيقكم وسدادكم، أم أن الذي يهديكم هو الله ﷻ، فلن يستطيعوا القول بأن الأصنام تهديهم وترشدهم وتسددهم وتوفقهم.

لن يستطيعوا أن يقولوا ذلك ولا أن يدّعوه! فإذا كان الأمر كذلك فقل لهم: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن تتبعوه وتتبعوا قوله وتهتدوا بهديه وتوحدوه ولا تشركوا به شيئًا.

أم أن الذي يتبع من لا يهدِّي أي: من لا يهتدي ولا يُرشد إلا إذا هداه غيره وأرشده.

وعبَّر عن الأصنام والأوثان هنا كما يعبر عن العقلاء تنزلًا حتى يفهم المشركون، وإلا فالأصنام لا تهتدي وإن هداها أحد.

وقد قال بعض أهل العلم: إن المعنى أم من لا ينتقل إلى غير ما هو عليه إلا أن ينقله غيره.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية عامة لا تتعلق بالأصنام وحدها بل بعموم الآلهة الباطلة المعبودة مع الله ﷻ، فعموم الآلهة الباطلة المعبودة مع الله من إنس وجن وملك وغير ذلك لا تستطيع هداية أحد هداية توفيق، إنما الذي يوفق للحق هو الله سبحانه وتعالى.

هذا، فإذا كان الأمر كذلك، ألا وهو أن الأحق بالاتباع هو الله ﷻ الذي يهدي للحق، أحق أن يُعبد ويوحد وأن يُتبع ما أنزل على رسوله، وأن الأصنام لا تملك هداية لأحدٍ، ولا تنتقل عن حالها إلا إذا نقلت، ولا ترشد ضالًّا ولا تهدي غوِيًّا زائغًا، فقل لهؤلاء المشركين فما لكم، وقد علمتم من أولى بالاتباع، تحكمون بهذه الأحكام الجائرة وتشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا؟؟ وتقضوا بأن الله له شريك في الملك، أليس هذا من التضارب ولاتناقض والظلم والافتراء؟!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، الذين تدعون من دون الله، وذلك آلهتهم وأوثانُهم، ﴿مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يقول: من يرشد ضالا من ضلالته إلى قصد السبيل، ويسدِّد جائرًا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرون أن يدَّعوا أن آلهتهم وأوثانهم تُرشد ضالا أو تهدي جائرًا. وذلك أنهم إن ادَّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة، وأبان عجزَها عن ذلك الاختبارُ بالمعاينة. فإذا قالوا «لا» وأقرُّوا بذلك، فقل لهم. فالله يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ﴾ أيها القوم ضالا إلى الحقّ، وجائرًا عن الرشد إلى الرشد ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾، إلى ما يدعو إليه ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾؟

وأورد بعض وجوه القراءات في قوله: (أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ).

ثم قال:

وأولى القراءة في ذلك بالصواب، قراءةُ من قرأ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال، لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك، وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب، وفيهم المنكر غيره. وأحقُّ الكلام أن يقرأ

(١٣٧) أحمر
أسود

بأفصح اللغات التي نزل بها كلامُ الله.

فتأويل الكلام إذًا: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع، أم من لا يهتدي إلى شيء إلا أن يهدي؟

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك: أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن يُنْقل..

ثم قال:

وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾، ألا تعلمون أن من يهدي إلى الحق أحقُّ أن يتبع من الذي لا يهتدي إلى شيء، إلا أن يهديه إليه هادٍ غيره، فتتركوا اتّباع من لا يهتدي إلى شيء وعبادته، وتتبعوا من يهديكم في ظلمات البر والبحر، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ﴾ أي: أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال، وإنما يهدي الحيارى والضلال، ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد الله، الذي لا إله إلا هو.

﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ أي: أَفَيُتَّبَع العبد الذي يهدي إلى الحق ويُبَصّر بعد العمى، أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا] أن يهدى، لعماه وبكمه؟ كما قال تعالى إخبارًا عن إبراهيم أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]، وقال لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: فما بالكم يُذْهَبُ بعقولكم، كيف

سويتم بين الله وبين خَلقه، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يقال: هداه للطريق وإلى الطريق بمعنى واحد؛ وقد تقدم. أي هل من شركائكم من يرشد إلى دين الإسلام؛ فإذا قالوا لا ولا بد منه فـ ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ ثم قل لهم موبخا ومقررا. ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ﴾ أي يرشد. ﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله سبحانه وتعالى. ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يريد الأصنام التي لا تهدي أحدا، ولا تمشي إلا أن تحمل، ولا تنتقل عن مكانها إلا أن تنقل. قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

وقيل: المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدى إلا أن يرشدوا.

ثم قال:

وقال أبو إسحاق: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ كلام تام، والمعنى: فأي شيء لكم في عبادة الأوثان. ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي لأنفسكم وتقضون بهذا الباطل الصراح، تعبدون آلهة لا تغني عن أنفسها شيئا إلا أن يفعل بها، والله يفعل ما يشاء فتتركون عبادته؛ فموضع ﴿كَيْفَ﴾ نصب بـ ﴿تَحْكُمُونَ﴾.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير): والمراد بقوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: الصنم. ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت

(١٣٩) أحمر
أسود

وليست كذلك لأنها حجارة لا تهتدى إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك ولهذا المعنى قال في صفتها: ﴿أَمَّن﴾ لأنهم جعلوها كمن يعقل ولما أعطاها حقها في أصل وضعها قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ [مريم: ٤٢] وقال الفراء: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: أتعبدون مالا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾ قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجور؟

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾ ببيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق.

﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: لا يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ لعدم علمه، ولضلاله، وهي شركاؤهم، التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدى ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥﴾ أي: أيّ شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان، أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده.

فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافا معنوية، ولا أوصافا فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلأي شيء جعلت مع الله آلهة؟

فالجواب: أن هذا من تزيين الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه، وظنه حقًا، وهو لا شيء.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض وجوه القراءات في قوله: (أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ)؟

ج: استفاض الطبري في ذلك فقال:

واختلفت القراء في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قراء أهل المدينة: ﴿ أَمَّنْ لا يَهْدِّي ﴾ بتسكين الهاء، وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين وكأنّ الذي دعاهم إلى ذلك أنهم وجَّهوا أصل الكلمة إلى أنه: أم من لا يهتدي، ووجدوه في خطّ المصحف بغير ما قرءوا، وأن التاء حذفت لما أدغمت في الدال، فأقرُّوا الهاء ساكنة على أصلها الذي كانت عليه، وشدَّدوا الدال طلبًا لإدغام التاء فيها، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال. وكذلك فعلوا في قوله: ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾، [النساء: ١٥٤]، وفي قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ ﴾، [يس: ٤٩].

وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة ﴿يَهِدِّيٓ ﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال. وأمُّوا ما أمَّه المدنيون من الكلمة، غير أنهم نقلوا حركة التاء من «يهتدي»: إلى الهاء الساكنة،، فحرَّكوا بحركتها، وأدغموا التاء في الدال فشدّدوها.

وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة:﴿يَهِدِّيٓ ﴾، بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال، بنحو ما قصدَه قراء أهل المدينة، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من «يهتدي»، استثقالا للفتحة بعدها كسرةٌ في حرف واحدٍ.

وقرأ ذلك بعدُ، عامة قراء الكوفيين ﴿أَمْ مَنْ لا يَهْدِي﴾، بتسكين الهاء وتخفيف الدال. وقالوا: إن العرب تقول: «هديت» بمعنى «اهتديت»، قالوا:

(١٤١) أحمر
أسود

فمعنى قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: أم من لا يَهْتَدي إلا أن يهدى.

وصوَّب الطبري ما ذكرناه عنه آنفًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي ﴿يَهِدِّيٓ﴾ قراءات ست:

الأولى: قرأ أهل المدينة إلا ورشا «يَهْدِّي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال؛ فجمعوا في قراءتهم بين ساكنين كما فعلوا في قوله: «لا تعْدُّوا» وفي قوله: «يخْصِّمون». قال النحاس: والجمع بين الساكنين لا يقدر أحد أن ينطق به. قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر، وسيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة.

الثانية: قرأ أبو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والإسكان، على مذهبه في الإخفاء والاختلاس.

الثالثة: قرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن «يَهَدِّي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، قال النحاس: هذه القراءة بينة في العربية، والأصل فيها يهتدى أدغمت التاء في الدال وقلبت حركتها على الهاء.

الرابعة: قرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر مثل قراءة ابن كثير، إلا أنهم كسروا الهاء، قالوا: لأن الجزم إذا اضطر إلى حركته حرك إلى الكسر. قال أبو حاتم: هي لغة سفلى مضر.

الخامسة: قرأ أبو بكر عن عاصم يِهِدِّي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، كل ذلك لاتباع الكسر كما تقدم في البقرة في ﴿يَخْطَفُ﴾ [البقرة: ٢٠] وقيل: هي لغة من قرأ ﴿نَسْتَعِينُ﴾، و﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ ونحوه. وسيبويه لا يجيز «يهِدّي» ويجيز «تهدّي» و«نهدّي» و«إهدي» قال: لأن الكسرة في الياء تثقل.

السادسة: قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن وثاب والأعمش

﴿يَهْدِي﴾ بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ؛ من هدى يهدي. قال النحاس: وهذه القراءة لها وجهان في العربية وإن كانت بعيدة، وأحد الوجهين أن الكسائي والفراء قالا: ﴿يهدي﴾ بمعنى يهتدي. قال أبو العباس: لا يعرف هذا، ولكن التقدير أمن لا يهدي غيره، ثم الكلام، ثم قال: ﴿إِلاَّ أَنْ يُهْدَى﴾ استأنف من الأول، أي لكنه يحتاج أن يهدى ؛ فهو استثناء منقطع، كما تقول: فلان لا يسمع غيره إلا أن يسمع، أي لكنه يحتاج أن يسمع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-:

وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين عبادة هذه الأصنام والأوثان عن يقينٍ وبرهان ودليل إن يعبدونها بناءٍ على ظنونٍ وأوهامٍ، أنها تنفعهم وتكشف الضر عنهم، وهذا ظنٌّ باطلٌ، ظنٌّ لا يقوم على دليل ولا برهان، وهذا الظن لا يقاوم الحقيقة المبنية على الأدلة والبراهين، فقد قامت الأدلة والبراهين نقلًا وعقلًا ومن كل طريق على وحدانية الله ﷻ، وأنه الذي يهدي ويكشف الضر ويجيب المضطر.

أما هذا الظن الباطل الذي ظنوه بآلهتهم فليس بنافعهم وليس بنافع أمام اليقين، وليس بدافعٍ من عذاب الله شيئًا. والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنا، يقول: إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته، بل هم منه في شكٍّ وريبة ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾، يقول: إن الشك لا يغني من اليقين شيئًا، ولا يقوم في شيء مقامَه، ولا

(١٤٣) أحمر
أسود

ينتفع به حيث يُحتاج إلى اليقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون، من اتباعهم الظن، وتكذيبهم الحق اليقين، وهو لهم بالمرصاد، حيث لا يُغني عنهم ظنّهم من الله شيئًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانًا، وإنما هو ظن منهم، أي: توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ تهديد لهم، ووعيد شديد؛ لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ﴾ يريد الرؤساء منهم ؛ أي ما يتبعون إلا حدسا وتخريصا في أنها آلهة وأنها تشفع، ولا حجة معهم. وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليدا. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي من عذاب الله؛ فالحق هو الله. وقيل ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ هنا اليقين ؛ أي ليس الظن كاليقين. وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ من الكفر والتكذيب، خرجت مخرج التهديد.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: كلهم ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾ أي ما يستيقنون أنها آلهة بل يظنون شيئا فيتبعونه ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: ليس هو كاليقين ولا يقوم مقام الحق وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئًا، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾الذين يدعون من دون الله شركاء

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه ليس لله شريك أصلًا، عقلًا، ولا نقلًا، وإنما يتبعون الظن و ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

فسموها آلهة، وعبدوها مع الله، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وسيجازيهم على ذلك بالعقوبة البليغة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: وما كان لأحدٍ من الخلق أن يفتري هذا القرآن من تلقاء نفسه، فلن يستطيع ذلك أحدٌ من الخلق، كما قال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾).

فلن يستطيع أحدٌ أن يأتي بقرآن مثله ولا بسورة مثل سوره، ولا بعشر آيات، ولا بآية واحدة من تلقاء نفسه، ولكن الله ﷻ هو الذي أنزله على رسوله ﷺ، وما كان لرسول الله ﷺ أن يتقوله من عند نفسه، وقد قال تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾)

فالقرآن من عند الله ﷻ أنزله على رسوله محمد ﷺ تصديقًا للذي بين يديه، أي: للتوراة والإنجيل اللذين قد تقدماه وأخبرا به وبأنه سينزل فلما كانت التوراة فيها إخبارٌ بأن القرآن سينزل على رسول الله محمد ﷺ، ولما كان الإنجيل فيه البشارة بذلك أيضًا، فمن ثمَّ كان نزول القرآن على رسول الله ﷺ تصديق للتوراة والإنجيل، وإلا فإنه إذا لم ينزل سيكون ثمَّ تكذيب للتوراة والإنجيل لكون الأخبار التي فيها لم تتحقق (وذلك في حال عدم نزول

(١٤٥) أحمر
أسود

القرآن).

فهذا وجهٌ لقوله تعالى: ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: أن نزول القرآن نفسه تصديق لما أخبر بنزوله.

** وثمَّ وجه ثانٍ في كونه تصديق حاصله أن ما في القرآن الكريم من الأخبار والدلالة على وحدانية الله وذِكر الجنة والنار وغير ذلك موافق لما في التوراة والإنجيل غير مخالفٍ لهما، فأخباره وما فيه تصديقٌ لأخبار التوراة والإنجيل وسائر الكتب المتقدمة وما فيها فكلها تدل على وحدانية الله وتأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وتحث على مكارم الأخلاق وتذكر بالبعث والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك.

فالقرآن تصديقٌ أيضًا للكتب المتقدمة لكون الأخبار متوافقة.

*** ووجه ثالثٌ ذكره بعض أهل العلم، أن ما فيه من الأخبار موافق لما سيأتي أيضًا فقد أخبر بالجنة والنار والثواب والعقاب وكل ذلك كائن إن شاء الله.

**** أما قوله تعالى: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ففي الكتاب هنا أقوال: أحدها: أن المراد بالكتاب: الأحكام، وقد يأتي الكتاب بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤] أي: حكم الله عليكم، فعلى ذلك فقوله: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: تفضيل الأحكام والفرائض التي افترضها الله عليكم، وبيانها مفصلة موضحة مفصولٌ كل حكم عن الآخر لإتمام البيان والإيضاح.

ومن العلماء من قال: إن ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المراد به الكتب المتقدمة، والكتاب هنا اسم جنس كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ...﴾ [الحديد: ٢٥] فقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الكتب، فقوله: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: بيانٌ أيضًا لما في الكتب المتقدمة

وتوضيح لها.

والمراد: التوراة والإنجيل وسائر الكتب أي: أن القرآن ذكرها وذكر بعض ما فيها كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ...﴾ [المائدة: ٤٤-٤٥] إلى غير ذلك.

فقوله: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: بيان لأحكام الكتب المتقدمة التي غيَّرت وبُدلت من أهل الزيغ والضلال، والله أعلم.

* أما قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك في القرآن ولا ارتياب، في كونه أُنزل من عند الله ﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ رب السموات والأرض وما بينهما

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى من دون الله، يقول: ما ينبغي له أن يتخرَّصه أحد من عند غير الله. وذلك نظير قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، بمعنى: ما ينبغي لنبي أن يغلَّه أصحابُه.

وإنما هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه أن، هذا القرآن من عنده، أنزله إلى محمد عبده، وتكذيبٌ منه للمشركين الذين قالوا: «هو شعر وكهانة»، والذين قالوا: «إنما يتعلمه محمد من يحنّس الروميّ».

يقول لهم جل ثناؤه: ما كان هذا القرآن ليختلقه أحدٌ من عند غير الله، لأن ذلك لا يقدر عليه أحدٌ من الخلق ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾، أي: يقول تعالى ذكره: ولكنه من عند الله أنزله مصدِّقًا لما بين يديه، أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله، كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، يقول: وتبيان الكتاب الذي كتبه الله

(١٤٧) أحمر
أسود

على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه يقول: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه أنه تصديق الذي بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين، لا افتراءٌ من عند غيره ولا اختلاقٌ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله، لأنه بفصاحته وبلاغته ووَجازته وحَلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر، ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة، ومهيمنا عليها، ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل.

وقوله: ﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: وبيان الأحكام والحلال والحرام، بيانًا شافيًا كافيًا حقًا لا مرية فيه من الله رب العالمين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿أَن﴾ مع ﴿يُفْتَرَىٰ﴾ مصدر، والمعنى: وما كان هذا القرآن افتراء ؛ كما تقول: فلان يحب أن يركب، أي يحب الركوب، قاله الكسائي. وقال الفراء: المعنى وما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى ؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقيل: ﴿أَن﴾ بمعنى اللام، تقديره: وما كان هذا القرآن ليفترى. وقيل: بمعنى لا، أي لا يفترى. وقيل: المعنى ما كان

يتهيأ لأحد أن يأتي بمثل هذا القرآن من عند غير الله ثم ينسبه إلى الله تعالى لإعجازه ؛ لوصفه ومعانيه وتأليفه. ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قال الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان: التقدير ولكن كان تصديق ؛ ويجوز عندهم الرفع بمعنى: ولكن هو تصديق. ﴿ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي من التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب، فإنها قد بشرت به فجاء مصدقا لها في تلك البشارة، وفي الدعاء إلى التوحيد والإيمان بالقيامة. وقيل: المعنى ولكن تصديق النبي بين يدي القرآن وهو محمد ﷺ ؛ لأنهم شاهدوه قبل أن سمعوا منه القرآن. ﴿وَتَفۡصِيلَ﴾ بالنصب والرفع على الوجهين المذكورين في تصديق. والتفصيل التبيين، أي يبين ما في كتب الله المتقدمة. والكتاب اسم الجنس. وقيل: أراد بتفصيل الكتاب ما بين في القرآن من الأحكام. ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ الهاء عائدة للقرآن، أي لا شك فيه أي في نزول من قبل الله تعالى.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة قاله ابن عباس فعلى هذا إنما قال ﴿ٱلَّذِي﴾ لأنه يريد الوحي.

والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور ذكره الزجاج.

والثالث: تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل سماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ الفرائض التي فرضها عليهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير ممكن ولا

(١٤٩) أحمر
أسود

متصور، أن يفترى هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وهو كتاب الله الذي تكلم به رب العالمين، فكيف يقدر أحد من الخلق، أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه، والكلام تابع لعظمة المتكلم ووصفه؟!!.

فإن كان أحد يماثل الله في عظمته، وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فتقوله أحد على رب العالمين، لعاجله بالعقوبة، وبادره بالنكال.

﴿ وَلَٰكِن ﴾ الله أنزل هذا الكتاب، رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين.

أنزله ﴿ تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من كتب الله السماوية، بأن وافقها، وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت.

﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات الصادقة.

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي: لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين: تنزيل من رب العالمين الذي ربى جميع الخلق بنعمه.

ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أيقول هؤلاء المشركون عن رسول الله ﷺ أنه افترى هذا القرآن من عند نفسه أو أملاه عليه آخرون، وادعى أنه من عند الله ﷻ فقل لهم عند ذلك: أنا عربيٌّ وأنتم عرب، ثم إنني لا أقرأ ولا أكتب فام دمتم عربًا كما أنني عربي، فائتوا بسورةٍ مثل سور هذا القرآن، وادعوا من استطعتم من الآلهة التي عبدتموها من دون الله، وادعوا كذلك من استطعتم من الإنس والجن كي يعاونوكم للإتيان بسورةٍ مثل سور هذا القرآن إن كنتم صادقين في قولكم: إنني افتريت هذا القرآن، ولن تستطيعوا أن تفعلوا بحالٍ من الأحوال، وبمثل هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله؟ قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العَرب، ولساني مثل لسانكم، وكلامي مثل كلامكم، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن.

و«الهاء» في قوله ﴿مِّثْلِهِۦ﴾، كناية عن القرآن.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وادعوا، أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها مَنْ قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقول: من عند غير الله، فأجمِعُوا على ذلك واجتهدوا، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورةٍ مثله أبدًا.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، يقول: إن كنتم صادقين في أن محمدًا افتراه، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها. فإن لم تفعلوا ذلك، فلا شك أنكم كَذَبَةٌ في زعمكم أن محمدًا افتراه، لأن محمدًا لن يَعْدُوَ أن يكون

(١٥١) أحمر
أسود

بشرًا مثلكم، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورةٍ مثله، فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه أعجز.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي: إن ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند الله، وقلتم كذبًا ومَيْنا: «إن هذا من عند محمد»، فمحمد بشر مثلكم، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن، فأتوا أنتم بسورة مثله، أي: من جنس القرآن، واستعينوا على ذلك بكل من قَدرتم عليه من إنس وجان.

وهذا هو المقام الثالث في التحدي، فإنه تعالى تحداهم ودعاهم، إن كانوا صادقين في دعواهم، أنه من عند محمد، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده واستعينوا بمن شئتم وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك، ولا سبيل لهم إليه، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه، فقال في أول سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣]، ثم تنازل إلى سورة، فقال في هذه السورة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وكذا في سورة البقرة -وهي مدنية- تحداهم بسورة منه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا، فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾ الآية: [البقرة: ٢٤].

هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قِبَلَ لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالته وطلاوته، وإفادته

وبراعته، فكانوا أعلم الناس به، وأفهمهم له، وأتبعهم له وأشدهم له انقيادا، كما عرف السحرة، لعلمهم بفنون السحر، أن هذا الذي فعله موسى، عليه السلام، لا يصدر إلا عن مُؤيَّد مُسَدد مرسل من الله، وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا بإذن الله. وكذلك عيسى، عليه السلام، بُعِث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى، فكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله؛ ولهذا جاء في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**»(١).

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم ههنا في موضع ألف الاستفهام لأنها اتصلت بما قبلها. وقيل: هي أم المنقطعة التي تقدر بمعنى بل والهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١، ٢، ٣] أي بل أيقولون افتراه. وقال أبو عبيدة: أم بمعنى الواو، مجازة: ويقولون افتراه. وقيل: الميم صلة، والتقدير: أيقولون افتراه، أي اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، فهو استفهام معناه التقريع. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ومعنى الكلام الاحتجاج، فإن الآية الأولى دلت على كون القرآن من عند الله؛ لأنه مصدق الذي بين يديه من الكتب وموافق لها من غير أن يتعلم محمد عليه السلام عن أحد. وهذه الآية إلزام بأن يأتوا بسورة مثله إن كان مفترى.

وقال السعدي رحمه الله (تيسير الكريم الرحمن):

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: المكذبون به عنادًا وبغيًا: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد على الله،

(١) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢-٢٣٩).

(١٥٣) أحمر
أسود

واختلقه، ﴿قُلْ﴾ لهم -ملزما لهم بشيء- إن قدروا عليه، أمكن ما ادعوه، وإلا كان قولهم باطلا.

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكنًا لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا بمثله.

ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لا حظ له من الحجة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم -: أن هؤلاء الكفار في حقية أمرهم لا يكذبونك يا رسول الله. من دواخلهم لا يكذبونك، ولكنهم لم يحيطوا علمًا بما فيه من الجنة والنار، والثواب والعقاب، فالذي تخبرهم به من أمر البعث والمعاد والثواب والعقاب، والجنة والنار، والصراط والحساب والميزان وغير ذلك، لم يدركه هؤلاء الكفار ولم يحيطوا به علمًا.

فمن ثمَّ فهم يكذبون بذلك ويجحدون الآيات بذلك وكذلك جهلوا ما في هذا القرآن من الخير والفضل والنفع ولم يتذوقوا حلاوته لتكذيبهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ معناه: أنه لم يأتهم تحقق ما في هذا القرآن من الوعيد عند تلاوتك لهذا القرآن عليهم، ولم يعاينوا ذلك بأعينهم، لم يعاينوا ما فيه من الوعيد، إذ وقت الوعيد لم يكن جاءهم آنذاك، وسيأتيهم حتمًا فكلما كذَّب هؤلاء، فقد كذب الذين من قبلهم ممن كانوا على شاكلتهم من أهل الشرك، فانظر يا رسول الله، ولينظر هؤلاء وغيرهم عاقبة المكذبين المستهزئين الظالمين الذي سلفوا ومضوا حتى تحدث العبرة ويحدث لهم

الاتعاظ كذلك فالذين من قبلهم تحقق فيهم ما أخبرتهم به أنبياؤهم من الهلاك لما استمروا على كفرهم وطغيانهم فليحذر هؤلاء أيضًا إذا استمروا على الكفر أن يتحقق فيهم ما توعدهم الله ﷻ به في كتابه المنزل على رسوله ﷺ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين يا محمد، تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ممَّا أنزل الله عليك في هذا القرآن، من وعيدهم على كفرهم بربهم ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، يقول: ولما يأتهم بعدُ بَيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعّدهم الله في هذا القرآن ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: كما كذب هؤلاء المشركون، يا محمد، بوعيد الله، كذلك كذّب الأمم التي خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر، يا محمد، كيف كان عُقْبى كفر من كفر بالله، ألم نهلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسْف وبعضهم بالغرق؟ يقول: فإن عاقبة هؤلاء الذي يكذبونك ويجحدون بآياتي من كفار قومك، كالتي كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الأمم، إن لم ينيبوا من كفرهم، ويسارعوا إلى التوبة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ يقول: بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: ولم يُحصّلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهًا ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السالفة ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلمًا وعلوا، وكفرا وعنادًا وجهلا

فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره، وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال ؛ فهذا يدل على أنه يجب أن ينظر في التأويل. وقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم. أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار، ولم يأتهم تأويله أي حقيقة ما وعدوا في الكتاب ؛ قاله الضحاك. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن (من جهل شيئا عاداه) قال نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: ١١]. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يريد الأمم الخالية، أي كذا كانت سبيلهم. والكاف في موضع نصب. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي أخذهم بالهلاك والعذاب.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء.

والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به لأنهم شاكون فيه.

وفي قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتأويل ما يؤول إليه الأمر.

والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله قاله الزجاج.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والذي حملهم على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لا حق

فوقه، أنهم لم يحيطوا به علمًا.

فلو أحاطوا به علمًا وفهموه حق فهمه، لأذعنوا بالتصديق به، وكذلك إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم، من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ وهو الهلاك الذي لم يبق منهم أحدًا.

فليحذر هؤلاء، أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين والقرون المهلكين.

وفي هذا دليل على التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده، قبل أن يحيط به علمًا.

❁ ❁ ❁

(١٥٧) أحمر
أسود

من جهل شيئًا عاداه

س: من جهل شيئًا عاداه، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقوله تعالى في شأن موسى مع الخضر عليهما السلام وقول الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

وتقدم كلام القرطبي وما أورده عن الحسين بن الفضل، وأنه استدل أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: ١١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: في هذا أقوال:

أولها: ومن أهل الشرك من سيؤمن بهذا القرآن وإن طال تكذيبه، ومنهم من سيموت على الكفر.

وهذا القول قويٌّ، ووجه قوته أن الآيات التي تقدمته تتحدث عن أهل الشرك.

الثاني: ومن القوم الذين أرسلت إليهم من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك وهم أصحابك الذين آمنوا بك، ومنهم من لا يؤمن بهذا القرآن، وهم أهل الكفر القائمون على شركهم.

الثالث: ومن أهل الكتاب من يؤمن بهذا القرآن، ومنهم من لا يؤمن به.

* وأظهر الأقوال، والله أعلم، القول الأول.

أما قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ففيه تهديدٌ لأهل الشر والإفساد في الأرض وتوعدٌ لهم على إفسادهم، وكذا فإنه سبحانه أعلم، بمن يستحق الهداية فيهديه ويتفضل علي بها، وأعلم بمن يستحق الغواية فيغوي، والله تعالى أعلم، وهذه بعض أقوال العلماء في تأويل الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن قومك، يا محمد، من قريش، من سوف يؤمن به يقول: من سوف يصدِّق بالقرآن ويقرُّ أنه من عند الله ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أبدًا، يقول: ومنهم من لا يصدق به ولا يقرُّ أبدًا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: والله أعلم بالمكذّبين به منهم، الذين لا يصدقون به أبدًا، من كل أحدٍ، لا يخفى عليه، وهو من وراء عقابه. فأما من كتبتُ له أن يؤمن به منهم، فإني سأتوب عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: ومن هؤلاء الذين بُعثتَ إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن، ويتبعك وينتفع بما أرسلت به، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ بل يموت على ذلك ويبعث عليه، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذي لا يجور، بل يعطي كلا ما يستحقه، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ قيل: المراد أهل مكة، أي ومنهم من يؤمن به في المستقبل وإن طال تكذيبه ؛ لعلمه تعالى السابق فيهم أنهم من السعداء. و﴿مَنْ﴾ رفع بالابتداء والخبر في المجرور. وكذا. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا

(١٥٩) أحمر
أسود

يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ والمعنى ومنهم من يصر على كفره حتى يموت ؛ كأبي طالب وأبي لهب ونحوهما. وقيل: المراد أهل الكتاب. وقيل: هو عام في جميع الكفار ؛ وهو الصحيح. وقيل. إن الضمير في «به» يرجع إلى محمد ﷺ؛ فأعلم الله سبحانه أنه إنما أخر العقوبة لأن منهم من سيؤمن. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي من يصر على كفره ؛ وهذا تهديد لهم.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود. قاله أبو صالح (١) عن ابن عباس.

والثاني: قريش. قاله مقاتل بن سليمان.

وفي هاء به قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه قاله مقاتل.

والثاني: إلى القرآن قاله أبو سليمان الدمشقي.

وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم مَنْ سيؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: يشكُّ ولا يصدق.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن وما جاء به، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

❁ ❁ ❁

(١) وفي سندها مقال.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وإن كذبك يا رسول الله هؤلاء المشركون وأقاموا على ضلالهم وغيِّهم فقل لهم لي عملي وأنا مجزيٌّ به، ولكم عملكم وأنتم مجزيُّون به، لا أُواخذ بعملكم ولا تؤاخذون بعملي، والله تعالى أعلم.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كذبك، يا محمد، هؤلاء المشركون، وردُّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني عملكم، ولا يضركم عملي، وإنما يُجازَى كل عامل بعمله ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾، لا تُؤْاخذون بجريرته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، لا أوخذ بجريرة عملكم. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: وإن كذبك هؤلاء المشركون، فتبرأ منهم ومن عملهم، ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون]. وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين: ﴿إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ رفع بالابتداء، والمعنى: لي ثواب

(١٦١) أحمر
أسود

عملي في التبليغ والإنذار والطاعة لله تعالى. ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي جزاؤه من الشرك. ﴿أَنتُمْ بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ مثله ؛ أي لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فاستمر على دعوتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، لكل عمله. ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية الكريمة منسوخة: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ وما وجه القائلين بأنها منسوخة.

ج: الظاهر – والله تعالى أعلم –: أنها ليست بمنسوخة، والذين قالوا بالنسخ قال عددٌ منهم إنها منسوخة بآية السيف، وهذا فيه بُعد، وذلك لأنه لا تعارض بينها وبين آية السيف التي هي: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ...﴾ [التوبة: ٥]. والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: إن هذه الآية منسوخة، نسخها الجهاد والأمر بالقتال.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ الآية، قال: أمره بهذا، ثم نسخه وأمره بجهادهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية منسوخة بآية السيف؛ في قول مجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي ...﴾ الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين الآيتين.

❁ ❁ ❁

(١٦٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ
رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ
أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ
ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟
عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يونس: ٤٢-٥٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلصُّمَّ - تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ - يَحۡشُرُهُمۡ - يَلۡبَثُوٓاْ - قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ - أُمَّةٖ - وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ - بَيَٰتًا - أَثُمَّ - ءَامَنتُم بِهِۦٓ - عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلصُّمَّ﴾	الذين سُلبت أسماعهم فلا يسمعون.
﴿تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾	توفق من ذهب بصره وبصيرته.
﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾	يجمعهم.
﴿يَلۡبَثُوٓاْ﴾	يمكثوا.
﴿قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾	حُكم بينهم بالحق.
﴿أُمَّةٖ﴾	جماعة من الناس – قرنٌ من القرون.
﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾	لا يتقدمون – لا يموتون قبل آجالهم.
﴿بَيَٰتًا﴾	وهم نيام.
﴿أَثُمَّ﴾	أهنالك – (عند حلول العذاب).
﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾	صدقتم به وأقررتم بوقوعه.
﴿عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾	العذاب الدائم الذي لا ينقضي ولا ينتهي.

❁ ❁ ❁

(١٦٥) أحمر
أسود

المهتدي من هداه الله

س: وضح معنى هذه الآيات: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إليك، ولكن على ما يبدو والله أعلم، أنهم يستمعون سماع من لا يريد الاهتداء، بل يريد السخرية والاستهزاء، فيستمعون منك كلامك الطيب وما تتلوه عليهم من الذكر الحكيم، وأنت حريص على هدايتهم وتوفيقهم، وحريص كذلك على أن يستفيدوا منك ومن علمك، وحريص على إيمانهم، ولكن أمر الهداية موكولٌ إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي وهو الذي يضل أفأنت تسمع الأصم الذي سلبه الله السمع ولو كان لا يعقل؟! كلَّا فإنك لن تستطيع هداية من أغواه الله، ولن تستطيع إسماع من أذهب اللهُ سمعه.

وكذلك فمن هؤلاء المشركين من ينظر إليك، وأنت ولله الحمد فيك ما فيك من خصال الخير الطيبة والسمت الحسن والخلق الكريم، فيك وفي سمتك ما يدعو إلى الاهتداء، ولكنهم والله أعلم ينظرون إليك ليس بعين راغب الاهتداء، ولكن بعين السخرية والاستهزاء، ومع ذلك فأنت حريص على هدايتهم وتوفيقهم وإيمانهم ولكن أفأنت تهدي العمي الذين سلبهم الله الأبصار؟! كلا بل المبصر المهتدي من هداه الله ولن تستطيع أن تهدي من أعماه الله، هذا، وما فعل الله ﷻ بهم ما فعل من سلبهم السمع الذي يسمعون به ما ينفعهم ومن سلبهم الأبصار إلا وهم يستحقون ذلك فالله أعلم بعباده ويفعل في خلقه ما يشاء ولا يبخس الناس شيئًا من حقوقهم ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بتكذيبهم رسول الله وبجحودهم وإنكارهم آيات الله ﷻ هم الذين ينزلون أنفسهم أسوأ المنازل في النار والعياذ بالله، بسبب

إعراضهم عن طاعة الله، والإيمان به وبرسله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾، يقول: أفأنت تخلق لهم السمع، ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به، أم أنا؟

وإنما هذا إعلامٌ من الله عبادَه أن التوفيق للإيمان به بيده لا إلى أحد سواه. يقول لنبيه محمد ﷺ: كما أنك لا تقدر أن تسمع، يا محمد، من سلبته السمع، فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهيي قلبًا سلبته فهم ذلك، لأني ختمتُ عليه أنه لا يؤمن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المشركين، مشركي قومِك، من ينظر إليك، يا محمد، ويرى أعلامك وحُججَك على نبوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيقَ فلا يهتدي، ولا تقدر أن تهديه، كما لا تقدر أن تحدِث للأعمى بصرًا يهتدي به ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾، يقول: أفأنت يا محمد، تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك، فلا يوفَّقون للتصديق بك أبصارًا، لو كانوا عُمْيًا يهتدون بها ويبصرون؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك، ولا يقدر عليه أحدٌ سواي، فكذلك لا تقدر على أن تبصِّرهم سبيلَ الرشاد أنت ولا أحدٌ غيري، لأن ذلك بيدي وإليّ.

وهذا من الله تعالى ذكره تسليةٌ لنبيه ﷺ عن جماعةٍ ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب، وتعزية له عنهم، وأمرٌ برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله.

(١٦٧) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إيّاه، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾، يقول: ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، باجترامهم ما يورثها غضبَ الله وسخطه.

وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ والمؤمنين به، أنه لم يسلُبْ هؤلاء الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الإيمانَ ابتداءً منه بغير جرم سلف منهم وإخبارٌ أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاقٍ منهم سَلْبَه، لذنوبٍ اكتسبوها، فحق عليهم قول ربهم، وطبع على قلوبهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ ﴾ أي: يسمعون كلامك الحسن، والقرآن العظيم، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأبدان والأديان، وفي هذا كفاية عظيمة، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم، فإنك لا تقدر على إسماع الأصم -وهو الأطرش -فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء، إلا أن يشاء الله.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَ ﴾ أي: ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التؤدة، والسمت الحسن، والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة، على نبوءتك لأولي البصائر والنهى، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم، ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار، ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحدا شيئًا، وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبًا غلفا، وأضل به عن الإيمان آخرين، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء، الذي لا يُسْأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته وعدله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه ربه ﷻ: «**يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا -إلى أن قال في آخره: يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه**».

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك؛ لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ ﴾ يريد بظواهرهم، وقلوبهم لا تعي شيئا مما يقوله من الحق ويتلوه من القرآن ؛ ولهذا قال: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي لا تسمع ؛ فظاهره الاستفهام ومعناه النفي، وجعلهم كالصم للختم على قلوبهم والطبع عليها، أي لا تقدر على هداية من أصمه الله عن سماع الهدى. وكذا المعنى في: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أخبر تعالى أن أحدا لا يؤمن إلا بتوفيقه وهدايته. وهذا وما كان مثله يرد على القدرية قولهم ؛ كما تقدم في غير موضع. وقال:

(١٦٩) أحمر
أسود

﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى ﴿مَّن﴾ و﴿يَنظُرُ﴾على اللفظ ؛ والمراد تسلية النبي ﷺ، أي كما لا تقدر أن تسمع من سلب السمع ولا تقدر أن تخلق للأعمى بصرا يهتدي به، فكذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء للإيمان وقد حكم الله عليهم ألا يؤمنوا. ومعنى: ﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي يديم النظر إليك ؛ كما قال: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] قيل: إنها نزلت في المستهزئين، والله أعلم.

ولما ذكر أهل الشقاء ذكر أنه لم يظلمهم وأن تقدير الشقاء عليهم وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلما منه لأنه تصرف في ملكه بما شاء وهو في جميع أفعاله عادل ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ بالكفر والمعصية ومخالفة أمر خالقهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول، ولما جاء به، ﴿وَ﴾ أن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ إلى النبي ﷺ، وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مُجدٍ على أهله خيرًا، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المتقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصًا إذا كان عقلهم معدومًا.

فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم، إسماعًا ينتفعون به.

وأما سماع الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة.

فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات

المتعلقة بالخير.

ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو: طريق النظر فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ فلا يفيده نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئًا، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ فلا يفيده نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئًا، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء.

فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

ودل قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ الآية، أن النظر إلى حالة النبي ﷺ، وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يجيئهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ)، هل هذا اللبث كان في الدنيا أو كان في القبور، وما معنى الآية الكريمة؟

ج: قال بعض أهل العلم:

إن هذا اللبث المراد به مدة مكثهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣]، فحمها البعض أيضًا على مدة بعثهم في الدنيا.

(١٧١) أحمر
أسود

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بهذا اللبث مدة مكثهم في القبور. والله أعلم.

أما عن معنى الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

فحاصل معناها، والله أعلم، واذكر يوم يجمعهم الله ﷻ يوم القيامة وكأنهم لم يلبثوا في دنياهم أو في قبورهم إلا ساعة من النهار، كانوا يتعارفون على بعضهم فيها ثم ماتوا، أي: أنهم استقلوا الدنيا نسبة إلى الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

أما قوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ فقيل: إن هذا التعارف كان في الدنيا، وقيل: يتعارفون بينهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المعارج: ١١] ثمَّ بعد تعارفهم ينشغل كلٌّ بنفسه.

أما قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ فحاصل معناه: قد خسر الذين كذبوا بالآخرة وبلقائهم لله وأنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب، وما كانوا مهتدين في تكذيبهم هذا بل كانوا ضالين عن طريق الحق والصواب، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم في موقف الحساب، كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم، ثم انقطعت المعرفة، وانقضت تلك الساعة يقول الله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾، قد غُبن الذين جحدوا ثوابَ الله وعقابه وحظوظَهم من الخير وهلكوا ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ يقول: وما كانوا موفّقين

لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قِبَل لهم به من عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مُذكِّرًا للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عَرَصات القيامة: كأنهم يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طه: ١٠٢ -١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كما قال: ﴿ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٤].

وقوله: ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم لبعض، كما كانوا في الدنيا، ولكن كل مشغول بنفسه ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ ﴾ [المعارج: ١٠، ١٥].

وقوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المرسلات: ١٥]. لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة

(١٧٣) أحمر
أسود

أعظم من خَسارة من فُرّق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى، عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾؟

ج: هذه الآية الكريمة فيها مواساة لرسول الله ﷺ، وحاصل معناها والله أعلم: وقد نرينك يا رسول الله في دنياك قبل مماتك، قد نرينك في هؤلاء الكفار ما تقرُّ به عينك ويُشفي به صدرك، قد نرينك بعض الذي وعدناهم من العذاب الدنيوي فتراهم يقتلون ويؤسرون ويهلكون، وقد نؤخر ذلك إلى الآخرة، فسواء عذبناهم في الدنيا أو تركنا تعذيبهم فيها فإن مرجعهم ومردهم إلينا يوم القيامة، وهنالك تُجزى كل نفس بما تستحق وبما كانت تسعى، والله سبحانه وتعالى شهيدٌ عليهم في الدنيا وعلى أعمالهم وعلى نواياهم لا يخفى عليه من أمرهم شيءٌ وسيحاسبهم ويجازيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإما نرينّك، يا محمد، في حياتك بعضَ الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ذلك فيهم ﴿فَإِلَيْنَا

مَرۡجِعُهُمۡ ﴾، يقول: فمصيرهم بكل حال إلينا، ومنقلبهم ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾، يقول جل ثناؤه: ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم، جزاءهم الذي يستحقّونه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبا لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ أي: ننتقم منهم في حياتك لتقرّ عينُك منهم، ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ أي: مصيرهم ومتقلَبهم، والله شهيد على أفعالهم بعدك.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نريك ﴿ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ بعد الموت والمعنى إن لم ننتقم منهم عاجلا انتقمنا آجلا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب، قال الفراء: ثم هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزًا.

وقال غيره: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿**ثَمَّ الله شهيد**﴾ بفتح الثاء يراد به هنالك الله شهيد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب.

إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك.

وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم إلى الله، وسينبئهم بما كانوا يعملون، أحصاه ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم،

(١٧٥) أحمر
أسود

والتسلية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ هل هذا في الدنيا أم في الآخرة؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن ذلك في الآخرة، وسيأتي بيان معناه إن شاء الله.

الثاني: أن ذلك في الدنيا، وحاصل معناه أن الله ﷻ ارسل لكل أمةٍ رسولًا فإذا جاءها الرسول وكذبته حكم الله ﷻ بينه وبينهم في الدنيا بالحق، وهم لا يظلمون، فانتقم الله من الظالم وسلَّم الله وحفظ أهل التقى والإيمان.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن أورد نحوًا من الوجه الأول:

ويجوز أن يكون المعنى أنهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل إليهم ؛ فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]. والقسط: العدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى – والله أعلم – ولكل أمةٍ من الأمم الماضية رسولٌ أرسلناه إليهم يحذرهم ويذكرهم، وهذا الرسول يشهد عليهم يوم القيامة بما فعلوه، وهنالك ينتظرونه كما قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

وهنا قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: محكم بينهم بالعدل، وهم لا يبخسون شيئًا من حقوقهم وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولكل أمة خلت قبلكم، أيها الناس، رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمدًا إليكم، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾، يعني: في الآخرة.

وقوله: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، يقول قضي حينئذ بينهم بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، من جزاء أعمالهم شيئًا، ولكن يجازي المحسن بإحسانه. والمسيءُ من أهل الإيمان، إما أن يعاقبه الله، وأما أن يعفو عنه، والكافر يخلد في النارِ. فذلك قضاء الله بينهم بالعدل، وذلك لا شكّ عدلٌ لا ظلمٌ.

حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، قال: بالعدل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني يوم القيامة.

﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها، وكتابُ أعمالها من خير وشر موضوعٌ شاهد عليهم، وحفظتهم من الملائكة شهودٌ أيضا أمة بعد أمة. وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق، إلا أنها أول الأمم يوم

(١٧٧) أحمر
أسود

القيامة يفصل بينهم، ويقضى لهم، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق**» فأمته إنما حازت قَصَب السبق لشرف رسولها، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ويستعجل أهل الكفر يوم القيامة ويستنكرونه ويستبعدون وقوعه فيقولون: متى هذا الوعد الذي وعدتمونا أننا سنحاسب فيه ونجازى بأعمالنا ونبعث أحياءً بعد موتنا ائتنونا به الآن إن كنتم صادقين في دعواكم، فقل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين للبعث والحساب والثواب والعقاب، أنا لا أملك لنفسي كشف ضرٍّ أو جلب نفع لها ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، فأنا لا أعلم الغيب إلا ما علمني الله وأخبرني الله به وشاء الله لي أن أعلمه، ولكل أمة أجل أجَّلها الله ﷻ إليه، فإذا جاء الوقت الذي تنقضي فيه الآجال فلا تستأخر عنه أمة ساعة ولا تتقدمة أمةٌ كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ويقول هؤلاء المشركون من قومك، يا محمد ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله؟ وذلك قيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾، أنت ومن تبعك، فيما تعدوننا به من ذلك.

يقول تعالى ذكره: ﴿ قُل ﴾، يا محمد، لمستعجليك وعيدَ الله، القائلين لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين؟ ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي﴾، أيها القوم، أي: لا اقدرُ لها على ضرٍّ ولا نفع في دنيا ولا دين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾، أن أملكه، فأجلبه إليها بأذنه.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهم: فإذْ كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز واعجز، إلا بمشيئته وإذنه لي في ذلك ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ﴾، يقول: لكل قوم ميقاتٌ لانقضاء مدتهم وأجلهم، فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم ﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾، عنه ﴿سَاعَةٗۖ﴾، فيمهلون ويؤخرون، ﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾، قبل ذلك، لأن الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدَّره وقضاه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ ﴾.

يريد كفار مكة لفرط إنكارهم واستعجالهم العذاب ؛ أي متى العقاب أو متى القيامة التي يعدنا محمد. وقيل: هو عام في كل أمة كذبت رسولها.

و قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا ﴾ لما استعجلوا النبي ﷺ بالعذاب قال الله له: قل لهم يا محمد لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ؛ أي ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ أن أملكه وأقدر عليه، فكيف أقدر أن أملك ما استعجلتم فلا تستعجلوا. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ﴾ أي لهلاكهم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه. ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ أي وقت انقضاء أجلهم. ﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾ أي لا يمكنهم أن يستأخروا ساعة باقين في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون.

(١٧٩) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذَاب وسؤالهم عن وقته قبل التعين، مما لا فائدة فيه لهم كما قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى: ١٨] أي: كائنة لا محالة وواقعة، وإن لم يعلموا وقتها عينا، ولهذا أرشَدَ رسوله ﷺ إلى جوابهم فقال: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: لا أقول إلا ما علَّمني، ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يُطلعني عليه، فأنا عبده ورسوله إليكم، وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة، ولم يطلعني على وقتها، ولكن ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ أي: لكل قرن مدَّة من العمر مقدَّرة فإذا انقضى أجلهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يستبطئوا العقوبة ويقولوا: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي ﷺ، فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس.

وأما حسابهم وإنزال العذاب عليهم، فمن الله تعالى، ينزله عليهم إذا جاء الأجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية.

فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزل لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ إلى ﴿تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

❁ ❁ ❁

الإيمان لا ينفع عند حضور الموت

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾)؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يتعجلون نزولا لعذاب عليهم، يا هؤلاء أرأيتم إن أتاكم عذاب الله ﴿بَيَٰتًا﴾ وأنتم نائمون ليلًا، أو أتاكم هذا العذاب نهارًا فحل بكم من بلاء الله ما حلَّ ونزل بكم من عذاب الله ما نزل ما الذي تستعجلونه آنذاك كأنه استفهام للتوبيخ والمراد: ماذا يستعجلون أتستعجلون شيئًا نافعًا أتستعجلون عذابًا يأتيكم بياتًا أو نهارًا؟ فإذا جاءكم العذاب فستصلونه وتذوقونه وتقولون: ليتنا ما استعجلناه ﴿أَثُمَّ﴾ فهنالك إذا وقع العذاب ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ صدقتم ما أخبرناكم به وآمنتم بالله آنذاك، ولكن إيمان غيرٌ نافع آنذاك كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وكما قال تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فقوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي: الآية صدقتموه وطلبتم إبعاده عنكم وقد كنتم تستعجلون نزوله؟!!

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قيل: المعنى، هنالك قيل: للذين أشركوا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الذي لا يفارقكم بل أنتم فيه خالدون، وقيل:

(١٨١) أحمر
أسود

لهؤلاء المشركين أيضًا على سبيل التوبيخ، هل تجزون إلا على أعمالكم؟! وهل ظلمناكم شيئًا إنكم لا تجزون إلا بما عملتموه واجترمتموه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بياتًا، يقول: ليلا أو نهارا، وجاءت الساعة وقامت القيامة، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم؟ يقول الله تعالى ذكره: ماذا يستعجلُ من نزول العذاب، المجرمون الذين كفروا بالله، وهم الصالون بحرِّه دون غيرهم، ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: أهنالك إذا وقع عذابُ الله بكم أيها المشركون ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، يقول: صدّقتم به في حالٍ لا ينفعكم فيها التصديق، وقيل لكم حينئذ: آلآنَ تصدّقون به، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون، وأنتم بنزوله مكذبون؟ فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون.

ومعنى قوله: ﴿ أَثُمَّ ﴾، في هذا الموضع: أهنالك، وليست «ثُمَّ» هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾، أنفسهم، بكفرهم بالله ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾، تجرّعوا عذابَ الله الدائم لكم أبدًا، الذي لا فناء له ولا زوال ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾، يقول: يقال لهم: فانظروا هل تجزون، أي: هل تثابون ﴿إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾، يقول: إلا بما كنتم تعملون في

حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم أن عذاب الله سيأتيهم بغتة، فقال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ أي: ليلا أو نهارا، ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ يعني: أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: يوم القيامة يقال لهم هذا، تبكيتا وتقريعًا، كقوله: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الطور: ١٣ -١٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ ظرفان، وهو جواب لقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ وتسفيه لآرائهم في استعجالهم العذاب ؛ أي إن أتاكم العذاب فما نفعكم فيه، ولا ينفعكم الإيمان حينئذ. ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ استفهام معناه التهويل والتعظيم ؛ أي ما أعظم ما يستعجلون به ؛ كما يقال لمن يطلب أم أمرا يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك! والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ قيل: يعود على العذاب، وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا ﴾ وقت نومكم بالليل ﴿ أَوْ

(١٨٣) أحمر
أسود

نَهَارًا ﴾ في وقت غفلتكم ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: أي بشارة استعجلوا بها؟ وأي عقاب ابتدروه؟.

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ فإنه لا ينفع الإيمان حين حلول عذاب الله، ويقال لهم توبيخًا وعتابًا في تلك الحال التي زعموا أنهم يؤمنون، ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ تؤمنون في حال الشدة والمشقة؟ ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ فإن سنة الله في عباده أنه يعتبهم إذا استعتبوه قبل وقوع العذاب، فإذا وقع العذاب لا ينفع نفسًا إيمانها، كما قال تعالى عن فرعون، لما أدركه الغرق ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ وأنه يقال له: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [غافر: ٨٥] وقال هنا: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ تدعون الإيمان ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ فهذا ما عملت أيديكم، وهذا ما استعجلتم به.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ حين يوفون أعمالهم يوم القيامة: ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: العذاب الذي تخلدون فيه، ولا يفتر عنكم ساعة. ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ من الكفر والتكذيب والمعاصي.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٥٣-٦١].

(١٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ - لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ - وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ - مَّوْعِظَةٌ - تَفْتَرُونَ - وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ - تُفِيضُونَ فِيهِۚ - وَمَا يَعْزُبُ - مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾	ويستخبرونك – يسألونك أن تنبئهم.
﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾	لقدمته فديةً كي تسلم من العذاب.
﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾	أضمروا الندم في أنفسهم وأخفوه.
﴿مَّوْعِظَةٌ﴾	ذِكري.
﴿تَفْتَرُونَ﴾	تنسبون إليه ما لم يقله.
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾	وما تكون في حالٍ من أحوالك وشأن من شؤونك
﴿تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾	تخوضونه – تعملونه – تقولونه.
﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾	وما يذهب وما يخفى.
﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾	وزن نملةٍ صغيرة، وقيل: وزن ذرة من ذرات الغبار.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه عائدٌ على البعث وعلى ما يوعدون به من الثواب والعقاب.

وذهبت قلةٌ منهم إلى أنه عائدٌ على القرآن والأظهر الأول، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ أي: وما أنتم بفائدتين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١٨٧) أحمر
أسود

المواطن التي أمر النبي ﷺ أن يُقسم فيها بالله ﷻ

س: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقسم على أن البعث آتٍ، وذلك في ثلاث آيات من كتابه الكريم اذكرها؟

ج: أولًا: هذه الآية قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧].

وإلى هذا أشار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –:

ويستخبرونك – يطلبون منك إخبارهم – وهذا من أهل الكفر على سبيل التكذيب والتعنت والعناد والسخرية – يطلبون منك أن تنبأهم أهذا الذي تعدنا به من البعث والحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار أحقٌّ هذا؟؟؟ سيكون هذا؟؟؟ فقل لهم: إي وربي، نعم وربي، احلف لهم بالله ولا تتردد ولا ترتاب، قل: إي وربي إنه لحقٌّ إنه لكائن ولن تعجزوا ربكم إذا أرادكم أو اراد بعثكم وتعذيبكم، لن تعجزوه بهربكم منه، فلن تستطيعوا الهرب، ولن تفوتوه إذا أرادكم، وكذا أفلن يعجز ربي عن إعادتكم أحياء بعد موتكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك، يا محمد، فيقولون لك: أحق ما تقول، وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاءً على ما كنا نكسِب من معاصي الله في الدنيا؟ قل لهم يا محمد: ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، لا شك فيه، وما أنتم بمعجزي الله إذا أراد ذلك بكم، بهربٍ، أو امتناع، بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه، إذ أراد فعل ذلك بكم، فاتقوا الله في أنفسكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ويستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: المعاد والقيامة من الأجداث بعد صيرورة الأجسام ترابا. ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ أي: ليس صيرورتكم ترابا بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: أصحيح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؟

﴿قُلۡ﴾ لهم مقسمًا على صحته، مستدلا عليه بالدليل الواضح والبرهان: ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ لله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئًا، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم.

(١٨٩) أحمر
أسود

لن يقبل من الكافر فداءٌ يوم القيامة مهما افتدى

س: وردت عدة آيات تفيد أن الكافر لن تُقبل منه فديةٌ يفتدي بها نفسه يوم القيامة مهما افتدى اذكر بعض هذه الآيات؟

ج: من هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾ [المائدة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ..﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾.

ج: قيل – المعنى-: وأخفوا الندامة أي: التندم على ما صدر منهم وكان من كفرهم وضلالهم وتكذيبهم.

أخفوا هذا التندم يوم القيامة في بعض المواطن كما في قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن كلمة ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ من الأضداد أي: أنها تأتي أحيانًا بمعنى (أخفوا) وأحيانًا بمعنى (أظهروا).

وثمَّ أقوال أُخر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها ؛ يعني رؤساءهم، أي أخفوا ندامتهم عن اتباعهم. ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا في النار ألهتهم النار عن التصنع ؛ بدليل قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾

[المؤمنون: ١٠٦]. فبين أنهم لا يكتمون ما بهم. وقيل: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلد وتصبر. وقيل: وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يمكن إظهارها. قال كثير:

فأسررت الندامة يوم نادى بسرد جمال غاضرة المنادي

وذكر المبرد فيه وجها ثالثا: أنه بدت بالندامة أسرة وجوههم، وهي تكاسير الجبهة، واحدها سرار. والندامة: الحسرة لوقوع شيء أو فوت شيء، وأصلها اللزوم؛ ومنه النديم لأنه يلازم المجالس.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾؟

ج: هذا إخبارٌ عن حال الكافر يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ أشركت بالله ﷻ وجحدت آياته وكذبت رسله فظلمت نفسها بذلك وأفقدتها الأمان يوم الوعيد، لو أن لهذا النفس الظالمة كل ما في الأرض وهي تملكه فقدمته يوم القيامة كفديةٍ تفتدي بها نفسها من عذاب الله ما قُبل منها هذا.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ فحاصل معناه – وقد تقدم بتفصيل – أن أهل الكفر، وهم – والله أعلم – المستكبرون منهم – أخفوا التندم في موطن يظنون أن الإخفاء نافعهم وأنكروا أن يكونوا أشركوا بالله في الدنيا، وأخفوا التندم على ما كان منهم في دنياهم أمام أتباعهم، ولكن هذا ما استمر بهم كثيرًا، بل زاح عنهم، وقضى بينهم، بين الرؤساء: رؤساء الضلال، وأتباعهم المستضعفين بالحق وهم لا يبخسون شيئًا من حقوقهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أن لكل نفس كفرت بالله و«ظلمها»، في هذا

(١٩١) أحمر
أسود

الموضع، عبادتُها غيرَ من يستحق عبادته، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، من قليل أو كثير ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾، يقول: لافتدت بذلك كلِّه من عذاب الله إذا عاينته وقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾، يقول: وأخفتْ رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامةَ حين أبصرُوا عذاب الله قد أحاط بهم، وأيقنوا أنه واقع بهم ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾، يقول: وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٥٤﴾، وذلك أنه لا يعاقب أحدًا منهم إلا بجريرته، ولا يأخذه بذنب أحدٍ، ولا يعذِّب إلا من قد أعذر إليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يودّ الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الأرض ذهبا، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: بالحق، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٥٤﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿و﴾ إذا كانت القيامة فـ ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ بالكفر والمعاصي جميع ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي به من عذاب الله ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة.

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ [أي] الذين ظلموا ﴿ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ ندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾)؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ أَلَآ ﴾ فهي كلمة تنبيه. وقوله: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ أي: هو مالكها سبحانه وتعالى وليس لأحدٍ سواه، فيهما من شيء، وهو سبحانه وتعالى الذي يتصرف فيهما بما يشاء، ووعده سبحانه وتعالى بالبعث والحساب والثواب والعقاب كائن، وليس بمكذوب ولكن أكثر أهل الشرك هؤلاء جهلةٌ بذلك، جهلة بقدرة الله على البعث وهو سبحانه وتعالى الذي يحيي ويميت وإليه المرجع والمآب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ذكره: ألا إنّ كل ما في السموات وكل ما في الأرض من شيء، لله مِلْك، لا شيء فيه لأحدٍ سواه. يقول: فليس لهذا الكافر بالله يومئذٍ شيء يملكه فيفتدي به من عذاب ربّه، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه. ولو كانت له الأشياء التي هي في الأرض ثم افتدى بها، لم يقبل منه بدلا من عذابه، فيصرف بها عنه العذاب، فكيف وهو لا شيء له يفتدى به منه، وقد حقَّ عليه عذاب الله؟ يقول الله جل ثناؤه: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾، يعني أن عذابه الذي أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حقٌّ، فلا عليهم أن لا يستعجلوا به، فإنه بهم واقع لا شك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾، يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقةَ وقوع ذلك بهم، فهم من أجل جهلهم به مكذِّبون.

ويقول تعالى ذكره: إن الله هو المحيي المميت، لا يتعذّر عليه فعلُ ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم، فيعاينون ما كانوا به مكذبين من

(١٩٣) أحمر
أسود

وعيدِ الله وعقابه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنَّ وعده حقّ كائن لا محالة، وأنه يحيي ويميت وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ذلك، العليم بما تفرّق من الأجسام وتمزّق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أَلَآ ﴾ كلمة تنبيه للسامع تزاد في أول الكلام ؛ أي انتبهوا لما أقول لكم: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [الحديد: ٢] فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ذلك.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي. ولهذا قال: ﴿ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين النقلية والعقلية.

﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التدبير، لا شريك له في ذلك.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: يا ايها الناس قد جاءتكم ذِكري يُذِّكركم

بها ربكم ﷻ ويخوِّفكم بها عذابه وعقابه، جاءتكم من ربكم ﷻ لم يختلقها رسول الله ﷺ من عند نفسه، بل الله ﷻ أنزلها عليه وأمره بتبليغها لكم، وكذا جاءكم من الله ﷻ ما يشفي به صدوركم من الشك والريب والحيرة والضلال، ألا وهو القرآن، فهو شفاء كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ...﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾ أي: ودلالة لمن أراد الوصول إلى مرضاة الله ﷻ وإلى جنته ولمن أراد الاستبصار في حياته كذلك ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: وجاءكم من ربكم ﷻ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ آياتٌ من الكتاب العزيز إن اتبعتموها يرحمكم الله باتباعها كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا، وخصَّ المؤمنون بذلك؛ لأنهم هم الذين قبلوا هذا القرآن وعملوا به وصدقوه وأقروا بما فيه وأيقنوا.

أما قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ قل: يا رسول الله إن الذي ينبغي أن يُفرح به حق الفرح هو الإسلام الذي وفق الله إليه المسلمون وهو القرآن الذي أنزله الله ﷻ شفاءًا ورحمة، هذا الذي ينبغي أن يفرح به الشخص؛ لأن ذلك هو الذي يجلب للشخص السعادة في الدنيا والآخرة أما غير ذلك من متاعٍ ففانٍ وزائل وذاهب ومُنتهى.

فما منَّ الله به من القرآن والإيمان والإسلام بلا شك أفضل من المتاع الزائل المنتهي والحطام الفاني.

الذي يجمعه الجامعون في دنياكم من مالٍ وجاهٍ وسلفان ومنصب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لخلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، يعني:

(١٩٥) أحمر
أسود

ذكرى تذكركم عقابَ الله وتخوّفكم وعيده ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يقول: من عند ربكم، لم يختلقها محمد ﷺ، ولم يفتعلها أحد، فتقولوا: لا نأمن أن تكون لا صحةَ لها. وإنما يعني بذلك جلّ ثناؤه القرآن، وهو الموعظة من الله.

وقوله: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، يقول: ودواءٌ لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهلَ الجهال، فيبرئ به داءهم، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به ﴿وَهُدًى﴾، يقول: وهو بيان لحلال الله وحرامه، ودليلٌ على طاعته ومعصيته ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه به من الهلاك والردى. وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عمًى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلودُ في لظًى.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بك وبما أنزل إليك من عند ربك ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾، أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبيَّنه لكم، ودعاكم إليه ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾، التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن هلال بن يساف:

في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال: فضل الله إلى الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ القرآن.

ونحوه بإسنادٍ حسن عن قتادة:

وأورد عن آخرين القول بأن (فضل الله) هو القرآن ورحمته (الإسلام).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني قريشا. ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ أي وعظ. ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بعني القرآن، فيه مواعظ وحكم. ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي من الشك والنفاق والخلاف، والشقاق. ﴿وَهُدٗى﴾ أي ورشدا لمن اتبعه. ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ أي نعمة. ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان؛ والكل صفات القرآن، والعطف لتأكيد المدح. قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: من الشُبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى. وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى - مرغبًا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر

(١٩٧) أحمر
أسود

أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ أي: تعظكم، وتنذركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

﴿ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده. ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور.

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ الذي هو القرآن،

الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦].

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: (قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾)؟

ج: المعنى – والله أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين افتروا على الله الكذب فعمدوا إلى رزق الله الحلال الذي أحلَّه لهم من الأنعام التي أنزلها لهم كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وهي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي والعنز، فجعلوا شيئًا من ذلك حرامًا وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وهي – كما تقدم في سورة

(١٩٩) أحمر
أسود

الأنعام وغيرها- وهي أي: هذه الأنعام حلالٌ بتحليل الله لها، ولكن أهل الشرك قالوا – على سبيل المثال- إن الناقة إذا ولدت كذا وكذا فتحرم وتكون وقفًا على الآلهة وسدنتها وكذا البقر والضأن والمعز، فيعمدون إلى أذنها فيشقونها بالموسى ويقولون هذه محرمة، ولا يجوز أكلها ولا ركوبها ولا الشرب من لبنها.

وكذا يعمدون إلى الحرث الناتج من الأرض فيجعلون جزءًا منه للآلهة (الأصنام والأوثان وغير ذلك) وجزءًا لله، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا...﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآيات، فقل: يا رسول الله لهؤلاء الذي حرَّموا ما أحلَّه الله، وفي ذات الوقت أحلوا ما حرموا الله فأكلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمة، قل لهؤلاء آالله أذن لكم بهذا التحليل والتحريم أم أنه افتراء افتريتموه على الله ﷻ ونسبتم إليه ما لم تقله. ثم يقول تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أيظنون أن الله يغفر لهم، وقد كذبوا عليه وافتروا عليه، كلا فالكاذب على الله والمفتري على الله يُصليه الله سعيرًا، ويدخله جهنم خالدًا فيها.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، بل ينذرهم ويحذرهم ويفتح لهم أبواب التوبة ما داموا أحياء قبل الغرغرة، وكذا فهو يُنعم عليهم ويعافيهم ويرزقهم، ولكن أكثر الناس لا يقابلون ذلك بالشكر، بل بالجحود والنكران والكفر والتكذيب.

وبمثل الذي ذكرت في تفسير الآيات قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَءَيْتُم ﴾

أيها الناس ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ﴾، يقول: ما خلق الله لكم من الرزق فخوَّلكموه، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة ﴿فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا﴾، يقول: فحللتم بعضَ ذلك لأنفسكم، وحرمتم بعضه عليها، وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرِّمونه من حُروثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم، كما وصفهم الله به فقال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦].

ومن الأنعام ما كانوا يحرّمونه بالتبحير والتسيب ونحو ذلك، مما قدّمناه فيما مضى من كتابنا هذا.

يقول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾ بأن تحرِّموا ما حرَّمتم منه ﴿أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾: أي تقولون الباطل وتكذبون؟

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا﴾، الآية، يقول: كل رزق لم أحرِّم حرَّمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم، آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك، أم على الله تفترون؟

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾، وقرأ: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وقرأ: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ حتى بلغ: ﴿لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨] فقال: هذا قوله: جعل لهم رزقًا، فجعلوا منه حرامًا وحلالا وحرموا بعضه وأحلوا بعضه.

وقرأ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾، أيّ هذين حرم على هؤلاء الذين

(٢٠١) أحمر
أسود

يقولون وأحل لهؤلاء، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾، إلى آخر الآيات، [الأنعام: ١٤٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما ظن هؤلاء الذين يتخرَّصون على الله الكذبَ فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرّمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاءً، أنَّ الله فاعلٌ بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلا بل يصليهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، يقول: إن الله لذو تفضُّل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾، يقول: ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضُّله عليهم بذلك، وبغيره من سائر نعمه.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي الأحوص – عوف بن مالك – عن أبيه قال:

أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشْف الهيئة، فقال: «**هل لك مال؟**» قال: قلت: نعم. قال: «**من أي المال؟**» قال: قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال: «**إذا آتاك مالا فَلْيُرَ عليك**». وقال: «**هل تنتج إبل قومك صحاحا آذانُها، فتعمَد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر وتشقها، أو تشق جلودها وتقول: هذه صُرُم، وتحرمها عليك وعلى أهلك؟**» قال: نعم. قال: «**فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك**»[1] وذكر تمام الحديث.

---

(١) المسند (٣/ ٤٧٣)، وأبو داود (٤٠٦٣)، والترمذي (٣٠٠٧)، والنسائي (٨/ ١٨٠) وغيرهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أنكر الله تعالى على من حَرّم ما أحل الله، أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها. ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ أي: ما ظنهم أن يُصنَع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ قال ابن جرير: في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ ﴾ بل يحرمون ما أنعم الله به عليهم، ويضيقون على أنفسهم، فيجعلون بعضا حلالا وبعضا حراما. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ ﴿ يَوۡمَ ﴾ منصوب على الظرف، أو بالظن؛ نحو ما ظنك زيدا؛ والمعنى: أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي في التأخير والإمهال. وقيل: أراد أهل مكة حين جعلهم في حرم آمن. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعني الكفار. ﴿لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ الله على نعمه ولا في تأخير العذاب عنهم. وقيل: ﴿لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ لا يوحدون.

❁ ❁ ❁

(٢٠٣) أحمر
أسود

الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

س: وضح معنى هذه الآية الكريمة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وما تكون في شأن من شؤونك يا رسول الله، ويا عبد الله، وما تتلو من الوحي الذي أنزل عليك من تلاوة، ولا تعملون من عمل أيها العباد أي عمل كان إلا والله سبحانه وتعالى مطلعٌ عليكم عالمٌ بكم وبعملكم وبأحوالكم، عالمٌ بكم في كل وقتٍ وحينٍ. عالمٌ بكم أثناء عملكم الذي تعملونه أيضًا، فقوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ أي: عند خوضكم في العمل، عند عملكم العمل الذي تعملونه، وعند قولكم القول الذي تقولون ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ أي: وما يذهب عن ربك عليم شيء، وما يفوته علم شيء ولو كان وزن ذرة، قيل: المراد النملة الصغيرة، وقيل: ذرات الغبار، لا يعزب عن ربنا، لا يخفى عليه ولا يغيب عنه شيءٌ ومن عمل خلقه، ولا من قول خلقه ولا من حركات وسكنات ونيات ولو كان وزن ذرة، ولو عُمل هذا العمل في أي مكان في السماء، أو في أي مكان في الأرض، وحتى إن كان هذا العمل أصغر من الذرة أو أكبر منها فعلمه سبحانه وتعالى بالعمل محيط، وكل ذلك مسطرٌ ومكتوب في كتاب مبين للأشياء فطره لها، قيل: ذلك هو اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الأعمال التي عملها الشخص، والأكثر من على الأول والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَمَا تَكُونُ ﴾، يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ ﴾،

يعني: في عمل من الأعمال ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾، يقول: وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، يقول: ولا تعملون من عمل أيها الناس، من خير أو شر ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، يقول: إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم، إذ تعملونها وتأخذون فيها.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان في أرض أو سماء...

ثم قال: وقوله: ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ يعني: من زنة نملةٍ صغيرة.

وقال:

وذلك خبرٌ عن أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء، وإن خف في الوزن كلّ الخفة، ومقاديرُ ذلك ومبلغه، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه، وكم مبلغ ذلك. يقول تعالى ذكره لخلقه: فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربّكم عنكم، فإنّا شهود لأعمالكم، لا يخفى علينا شيء منها، ونحن محصُوها ومجازوكم بها.

وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾، يقول: وما ذاك كله إلا في كتاب عند الله ، ﴿مُّبِينٍ﴾، عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه. أنه لا شيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه، وأنه لا يعزُب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿مَا﴾ للجحد ؛ أي لست في شأن، يعني من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليك. والشأن الخطب، والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب ما شانت شأنه، أي ما عملت عمله. ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على الشأن، أي

(٢٠٥) أحمر
أسود

تحدث شأنا فيتلى من أجله القرآن فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى. وقال الطبري: ﴿مِنْهُ﴾ أي من كتاب الله تعالى. ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أعاد تفخيما ؛ كقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يخاطب النبي ﷺ والأمة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطاب له والمراد هو وأمته ؛ وقد يخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه. وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نعلمه ؛ ونظيره ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تأخذون فيه، والهاء عائدة على العمل ؛ يقال: أفاض فلان في الحديث والعمل إذا اندفع فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزُب عن علمه وبصره مثقالُ ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ -٢١٩]؛ ولهذا قال تعالى:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال، عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ أي: حال من أحوالك الدينية والدنيوية. ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ أي: وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ صغير أو كبير ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به.

فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم.

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ أي: ما يغيب عن علمه، وسمعه، وبصره ومشاهدته ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه.

وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيرًا ما يقرن الله بينهما، وهما: العلم المحيط بجميع الأشياء، وكتابته المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

❁ ❁ ❁

(٢٠٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي
ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا
يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ أَلَآ
إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ
٦٦ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم
مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا
مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾

[يونس: ٦٢-٧٠]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ - يَتَّقُونَ - ٱلْبُشْرَىٰ - لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ - ٱلْعِزَّةَ - يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ - يَخْرُصُونَ - سُبْحَٰنَهُۥۖ - سُلْطَٰنٍ - يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾	أنصار الله، وأنصار دينه، وهم المؤمنون المتقون المتحابون في الله الذين تذكرك رؤياهم بذكر الله.
﴿يَتَّقُونَ﴾	يتقون الشرك والعصيان والكبائر والبدع.
﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾	ما يبشرون به من الأخبار السارة التي يظهر أثرها على بشرتهم.
﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾	لا تغيير لما قضاه الله وكتبه على العباد، وعلى الخلق عمومًا.
﴿ٱلْعِزَّةَ﴾	الغلبة والقوة والقدرة.
﴿يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	يعبدون مع الله – يسألون مع الله.
﴿يَخْرُصُونَ﴾	يتكلمون بالظنون الباطلة والتخرصات الكاذبة.
﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ﴾	تنزه.
﴿سُلْطَٰنٍ﴾	حجة.
﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾	يكذبون على الله، وينسبون إليه ما لم يقله.

❁ ❁ ❁

(٢٠٩) أحمر
أسود

س: ما معنى أولياء الله؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: (أنصار الله).

❁ ❁ ❁

صفات أولياء الله ﷻ

س: ما صفات أولياء الله وما أعمالهم؟

ج: في الجملة هم الموصوفون بصفات المتقين في كتاب الله ﷻ وبصفات المؤمنين، العاملون بأعمالهم القائلون بأقوالهم المعتقدون اعتقادهم، وفي الجملة كل مؤمن تقي هو لله ولي.

ثم إن من العلماء من قال:

هم قوم إذا رآهم أحدًا ذكر الله ﷻ أي: أن رؤيتهم تُذكِّر بالله ﷻ لما عليهم من سيما الفضل والصلاح والإيمان والإخباب.

وبهذا قال عدد كبير من أهل العلم، وقد ورد بذلك حديث في سنده ضعف.

وقال آخرون: هم المتحابون في الله ﷻ.

هذا، وقد وردت في هذا الباب أحاديث عن رسول الله ﷺ لا يخلو حديث منها من مقال.

منها ما أخرجه الطبري[1] وغيره من طريق عمارة بن القعقاع الضبي، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء! قيل: من هم يا رسول الله؟ فلعلنا نحبُّهم! قال: هم قوم تحابُّوا في الله من غير أموالٍ ولا أنساب، وجوههم

(١) الطبري (١٧٧٢٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١١٢٣٦)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٨٩٩٧) وأعلَّه البيهقي وابن كثير بالإرسال كذلك.

من نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾.

إلا أن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره أورده من طريق آخر عن عمارة عن أبي زرعة، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله! قالوا: يا رسول الله، أخبرنا من هم وما أعمالهم؟ فإنا نحبهم لذلك! قال: هم قوم تحابُّوا في الله بروح الله، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوا الله إن وجوههم لنورٌ، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾.

كذا أورده الطبري وغيره، وهذا اختلاف على أبي زرعة مرةً عن أبي هريرة، ومرة عن عمر وصوَّب عدد من العلماء رواية من رواه عن أبي زرعة عن عمر، فإذا كان كذلك فأبو زرعة لم يسمع من عمر، وروايته عنه مرسلة.

وبهذا أعلَّه البيهقي وغيره. والله أعلم.

وأخرج الطبري[1] وأحمد وغيرهما من طريق عبد الحميد بن بهرام قال: حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي من أفْنَاء الناس ونوازع القبائل، قوم لم تَصل بينهم أرحام متقاربة، تحابُّوا في الله، وتصافَوْا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر**

(١) أحمد (٥/ ٣٤٣) (٢٣٠١٣)، والطبري في تفسير الآية المذكورة (١٧٧٣٠)، وغيرهما، وسنده فيه مقال من أجل شهر بن حوشب ففيه مقال. لكن من العلماء من يقوي رواته عبد الحميد بن بهرام عنه.

(٢١١) أحمر
أسود

من نور، فيجلسهم عليها، يفزع الناس فلا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وثمَّ حديث آخر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، من أولياء الله؟ قال: «**الذين إذا رءوا ذكر الله**» أخرجه البزار، وقال: وقد روي عن سعيد مرسلًا.

هكذا قال البزار، كما أورده عنه الحافظ ابن كثير، وأخرجه الطبري وغيره من وجوهٍ عن سعيد بن جبير مرسلًا وهو الصواب، فالخبر لا يثبت عن النبي ﷺ. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ألا فاعلموا – ألا فاسمعوا إن أولياء الله، أنصاره المؤمنون به المدافعون عن دينه والمستمسكون بشرعه، وهم أهل الإيمان والتقى فكل مؤمنٍ تقي هو لله وليٌّ، فهؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وآمنوا بالملائكة والكتاب والنبيين وبالقدر خيره وشره، الذين اتقوا الشرك واتقوا مساخط الله ومعاصيه لا خوف عليهم مما هو آت فهم آمنون ولا يحزنون على شيء قد فاتهم من أمر الدنيا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

و«الأولياء» جمع «ولي»، وهو النصير، وقد بينا ذلك بشواهده.

واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا للعلماء ذكرت حاصلها فيما تقدم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: «الولي» -أعني «ولي الله»- هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، من هم يا ربّ؟ قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، قال: أبى أن يُتَقَبَّل الإيمان إلا بالتقوى.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين صدقوا لله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يتَّقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ من نعت «الأولياء»، ومعنى الكلام: ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا: أنه ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: فيما يستقبلون من أهوال القيامة، ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ على ما وراءهم في الدنيا.

وأورد عن عددٍ من السلف: أولياء الله الذين إذا رءوا ذُكر الله.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم

(٢١٣) أحمر
أسود

فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال.

﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله تعالى وليًا، و﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾.

❁ ❁ ❁

تفسير البشرى في الحياة الدنيا

س: ما المراد بالبشرى في الحياة الدنيا؟ وما المراد بالبشرة في الآخرة؟

ج: أما البشرى في الحياة فمن أقوال العلماء فيها ما يلي:

القول الأول: أنها الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو تُرى له، وقد وردت بذلك جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ في تفسير الآية الكريمة تصح بمجموعها حاصلها أن النبي ﷺ فسَّر الآية الكريمة ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: «**أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له**»[(١)].

هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ أيضًا أنه قال: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[(٢)].

القول الثاني: أنها ثناءُ الناس الحسن على الرجل الصالح الذي يعمل عملًا صالحًا.

أخرج الإمام أحمد والإمام مسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله؛ الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه به؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ

---

(١) انظر الأحاديث بذلك عند الطبري في تفسير الآية الكريمة ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد أورد عدة أحاديث في ذلك، وانظر أيضًا مسند أحمد (٦/ ٤٥٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣١)، وأحمد (٢/ ٢١٩) وغيرهم كم غفير.

(٢) البخاري (٦٩٩٠).

(٣) أحمد (٥/ ١٥٦)، ومسلم (٢٦٤٢).

(٢١٥) أحمر
أسود

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وفي حديث البراء: «**أن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان، ورب غير غضبان. فتخرج من فمه، كما تسيل القطرة من فم السقاء**».

القول الرابع: أنها البشارات التي بُشِّر بها المؤمنون في كتاب رهم ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ.

القول الخامس: ما يراه العبد من تيسير الله ﷻ له ومن صرف السوء عنه.

وكل ذلك داخل في البشر في الدنيا.

* **أما البشرى في الآخرة**: فهي تبشيرهم بالجنة وخولدهم فيها ومنها تبشير الله ﷻ لهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد: ١٢].

* وتبشير الملائكة لهم قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

* ومنها تبشير ربهم لهم برحمة منه ورضوان كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة: ٢١].

هذا، وهناك بشارات أُخر في القبر لمجيء العمل الصالح في صورة رجل أبيض الوجه أبيض الثياب، طيب الريح، يقول: أنا عملك الصالح.

وغير ذلك من البشارات. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد جملة أقوال في البشرى:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا

الصالحة يراها المسلم أو ترى له -ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النبي ﷺ: «**أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه**».

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ الآية، [سورة البقرة: ٢٥].

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه: أن ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وأما في الآخرة فالجنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لهؤلاء المؤمنين المتقين أولياء الله ﷻ، البشرى، ما يبشرون به ويظهر أثره على وجوههم فرحة وسعادة وانشراحًا في الصدور في الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة والثناء الحسن وتيسير الأمور وتذليل الصعاب وغير ذلك من طيب الأمور المطمئنة، وكذلك لهم البشرى عند الاحتضار بتبشير الملائكة لهم، وكذلك لهم البشرى في الآخرة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدًا إن الله عنده أجرٌ عظيم، وتبشير الملائكة لهم كذلك بالجنات وبقولهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون. وثم تبشير في القبر كذلك.

أما قوله تعالى ذكره: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ فمعناها والله أعلم: لا إخلاف لوعد الله، ولا تغيير لما قضاه الله.

(٢١٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾، فإن معناه: إن الله لا خُلْفَ لوعده، ولا تغيير لقوله عما قال، ولكنه يُمْضي لخلقه مواعيدَه وينجزها لهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح من طريق أيوب، عن نافع قال: أطال الحجاج الخطبة، فوضع ابن عمر رأسَه في حِجْري، فقال الحجاج: إن ابن الزبير بدّل كتاب الله! فقعد ابن عمر فقال: لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير! لا تبديل لكلمات الله! فقال الحجاج: لقد أوتيت علمًا إن نفعك! قال أيوب: فلما أقبل عليه في خاصّة نفسه سكَتَ.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾، يقول تعالى ذكره: هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة «وهي الفوز العظيم»، يعني الظفر بالحاجة والطَّلبة والنجاة من النار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؟

ج: الجمع بأن يقال: إن عزة رسول الله ﷺ وعزة المؤمنين إنما هي من الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ والله تعالى أعلم.

هذا، وتعزز رسول الله ﷺ وتعزز المؤمنين إنما ذلك بالله سبحانه والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولا يحزنك قولهم الذي يقولونه ويكذبونك به ويسخرون منك به ويشركون بالله ﷻ، لا يحزنك تكذيبهم لك ولا سخريتهم منك، فإن ه لن ينفعهم شيئًا ولن يستطيعوا إطفاء نور الله ﷻ فالغلبة كلها لله ﷻ دائمًا وأبدًا، وله القدرة التامة وإن شاء أهلكهم أهلكهم فهو عليهم قادر، وهو سبحانه وتعالى سميع لأقوالهم عليم بنواياهم وسميع لكل شيء، وعليم بكل شيء، فلات حزن ولا تجزع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنكَ، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام، فإنّ العزة لله جميعًا، يقول تعالى ذكره: فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحدٌ، لأنه لا يُعَازُّه شيء ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه، مُحْصًى ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ﴾ قولُ هؤلاء المشركين، واستعن بالله عليهم، وتوكل عليه؛ فإن العزة لله جميعا، أي: جميعها له ولرسوله وللمؤمنين، ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ ﴾ أي: السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم.

(٢١٩) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾ أي لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾ أي القوة الكاملة والغلبة الشاملة والقدرة التامة لله وحده ؛ فهو ناصرك ومعينك ومانعك. ﴿جَمِيعًاۚ﴾ نصب على الحال، ولا يعارض هذا قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فإن كل عزة بالله فهي كلها لله ؛ قال الله سبحانه: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠]. ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ السميع لأقوالهم وأصواتهم، العليم بأعمالهم وأفعالهم وجميع حركاتهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئًا. ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠].

ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها.

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلا فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: اسمعوا وانتبهوا واعملوا أن الله ﷻ له من في السموات ومن في الارض يقضي فيهما بما يشاء، ويقضي في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا شريك له في إلاهيته ولا في ربوبيته ولا في ملكه أما هؤلاء الذين يدعون غير الله ويزعمون أن الآلهة التي يدعونها ويعبدونها شريكة لله فقد زعموا باطلًا وتقولوا كذبًا وزورًا، فهذه الآلهة ليست بشريكة لله ﷻ وإن زعم عابدوها أنها شريكة لله ﷻ، فهم ما يتبعون إلا ظنونًا وأوهامًا، وما يقولون قولًا له حقيقة إنما يتقولون بالظنون والأوهام والتخرصات الباطلة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألا إن لله يا محمد كلَّ من في السموات ومن في الأرض، ملكًا وعبيدًا، لا مالك لشيء من ذلك سواه. يقول: فكيف يكون إلهًا معبودًا من يعبُده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام، وهي لله ملك، وإنما العبادة للمالك دون المملوك، وللرب دون المربوب؟ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ﴾، يقول جل ثناؤه: وأيُّ شيء يتبع من يدعو من دون الله – يعني: غير الله وسواه– شركاء. ومعنى الكلام: أيُّ شيءٍ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبًا، والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض؟ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، يقول: ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظن، يقول: إلا الشك لا اليقين ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾، يقول: وإن

(٢٢١) أحمر
أسود

هم إلا يتقوّلون الباطل تظنِّيًا وتَخَرُّصا للإفك، عن غير علمٍ منهم بما يقولون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأن المشركين يعبدون الأصنام، وهي لا تملك شيئا، لا ضرًا ولا نفعا، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى: أن له ما في السماوات والأرض، خلقًا وملكًا وعبيدًا، يتصرف فيهم بما شاءمن أحكامه، فالجميع مماليك لله، مسخرون، مدبرون، لا يستحقون شيئًا من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه الوجوه، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي لا يغني من الحق شيئًا ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ في ذلك، خرص كذب وإفك وبهتان.

فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئًا أو يرزق، أو يملك شيئًا من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار، الذي جعله الله قياما للناس؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي يحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشاء سبحانه!.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ ﴿مَا﴾ للنفي، أي لا يتبعون شركاء على الحقيقة، بل يظنون أنها تشفع أو تنفع. وقيل: ﴿مَا﴾ استفهام، أي أي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحا

لفعلهم، ثم أجاب فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي يحدسون ويكذبون.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ قال الزجاج: ألا افتتاح كلام وتنبيه أي: فالذي هم له يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في ذلك ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ قال ابن عباس: يكذبون وقال ابن قتيبة: يحدسون ويحزرون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – بيان لقدرة الله ﷻ فيبين الله قدرته وانفراده بأنه سبحانه جعل الليل سكنًا يسكن فيه العباد ويهدؤن وينامون فيستريحون كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ: ٩] أي: راحة لكم، وكما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾[النبأ: ١٠].

وكذا فإنه سبحانه جعل النهار للعباد يبصرون فيه، يبصرون بضيائه، ومن ثمَّ يسعون للمعاش كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١١].

إن في ذلك، فيما صنعه الله ﷻ بالليل إذ جعله للسكن، وفي النهار إذا جعله مضيئًا مبصرًا لمعايش الناس وقضاء حوائجهم لدلالات على وحدانيته الله وقدرته، ولكنها لقوم يسمعون الآيات سماع اعتبار واتعاظ، وتفكر وتأمل،

(٢٢٣) أحمر
أسود

ومن ثم اتباع ذلك بالعمل.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنّ ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة، هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار، لتسكنوا فيه مما كنتم فيه في نهاركم من التَّعب والنَّصب، وتهدءوا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾، يقول:: وجَعَل النهار مبصرًا، فأضاف «الإبصار» إلى «النهار»، وإنما يُبْصَر فيه، وليس «النهار» مما يبصر، ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم.

وذلك كما قال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

فأضاف «النوم» إلى «الليل» ووصفه به، ومعناه نفسه، أنه لم يكن نائمًا فيه هو ولا بَعِيره.

يقول تعالى ذكره: فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون، لا ما لا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيئًا.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾، يقول تعالى ذكره: إن في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما، دلالةً وحججًا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك، هو الذي خلق الليل والنهار، وخالف بينهما، بأن جعل هذا للخلق سكنًا، وهذا لهم معاشًا، دون من لا يخلق ولا يفعل شيئًا، ولا يضر ولا ينفع.

وقال: ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾، لأن المراد منه: الذين يسمعون هذه

الحجج ويتفكرون فيها، فيعتبرون بها ويتعظون. ولم يرد به: الذين يسمعون بآذانهم، ثم يعرضون عن عبره وعظاته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه، أي: يستريحون فيه من نَصَبهم وكلالهم وحَرَكاتهم، ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ أي: مضيئا لمعاشهم وسعيهم، وأسفارهم ومصالحهم، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ ﴾ أي: يسمعون هذه الحجج والأدلة، فيعتبرون بها، ويستدلون على عظمة خالقها، ومقدرها ومسيرها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

و﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ في النوم والراحة بسبب الظلمة، التي تغشى وجه الأرض، فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا.

﴿ وَ ﴾ جعل الله ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ أي: مضيئًا، يبصر به الخلق، فيتصرفون في معايشهم، ومصالح دينهم ودنياهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ ﴾ عن الله، سمع فهم، وقبول، واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فإن في ذلك لآيات، لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرءوف الرحيم العليم الحكيم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ بين أن الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار لا عبادة من لا يقدر على شيء. ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ أي مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم. والسكون: الهدوء عن الاضطراب.

(٢٢٥) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ أي مضـيئا لتهتـدوا بـه في حـوائجكم. والمبصر: الذي يبصر، والنهار يبصر فيه. وقال: ﴿مُبۡصِرًا﴾ تجوزا وتوسعا على عادة العرب في قولهم: «ليل قائم، ونهار صائم». وقال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

وقال قطرب: قال أظلم الليل أي صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ أي علامـات ودلالات. ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ أي سماع اعتبار ؟

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ ﴾.

قولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ المعنى: إن ربكم الذي يجب أن تعتقدوا ربوبيته، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه فيزول تعب النهار وكلاله بالسكون في الليل، وجعل النهار مبصرًا، أي: مضيئًا تبصرون فيه وإنما أضاف الابصار إليه؛ لأنه قد فهم السامع المقصود إذ النهار لا يبصر وإنما هو ظرف يفعل فيه غيره كقوله: ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾ [الحاقة: ٢١]، إنما هي مرضية.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ سماع اعتبار فيعلمون أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-:

قال المشركون اتخذ الله ولدًا يعنون قاتلهم الله أن الملائكة بنات الله، وهذا قول بعض قبائل العرب، ومنسوب إلى قبيلة خزاعة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) ﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

وكذا فإن اليهود قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ والنصارى قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، فنزَّه الله ﷻ عن كل ذلك إذ قال سبحانه أي: تنزَّه هو الغني عن خلقه والغني عن الولد، والغني على كل أحد، فكل ما في السموات وكل ما في الأرض ملك له سبحانه يتصرف فيه كيف يشاء ويقضي به بالذي يريد، وما عندكم أيها الضالون المفترون الزاعمون أنا لله له ولد، ما عندكم من حجة على قولكم الذي قلتموه، وزعمكم الذي زعمتموه أتتقولون على الله بغير الحق، وتتقولون عليه بلا علم وبما ليس لكم به عليم، فقل لهم إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوبهم ولا ينجو به من مرهوبهم من ينالوا جنة الله ولن يردوا عليها، وكذا لن يسلموا من عذاب الله ومن نقمته وعقابه.

أما الذي هم فيه في الدنيا فمتاع زائل، متاعٌ يتمتعون به في الدنيا ثم إلى الله ﷻ مرجعهم يوم القيامة، ثم يذيقهم الله ﷻ العذاب الشديد بسبب كفرهم

(٢٢٧) أحمر
أسود

وجحودهم آيات الله، ذلكم الكفر والجحود الذي كان منهم في دنياهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، وذلك قولهم: «الملائكة بنات الله». يقول الله منزهًا نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك: «سبحان الله»، تنزيهًا لله عما قالوا وادَّعوا على ربهم ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ يقول: الله غنيٌّ عن خلقه جميعًا، فلا حاجة به إلى ولد، لأن الولد إنما يَطْلُبه من يطلبه، ليكون عونًا له في حياته وذكرًا له بعد وفاته، والله عن كل ذلك غنيٌّ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره، ولا يبيدُ فيكون به حاجة إلى خلف بعده ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض مِلْكًا، والملائكةُ عباده وملكه، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدًا؟ يقول: أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون؟ ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ﴾، يقول: ما عندكم أيها القوم، بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله، من حجة تحتجون بها - وهي السلطان - أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته، وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه، جهلا منكم بما تقولون، بغير حجة ولا برهان؟

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، فيقولون عليه الباطل، ويدّعون له ولدًا ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾، يقول: لا يَبْقَون في الدنيا، ولكن لهم ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يمتعون به، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذي كُتِب فناؤهم فيه ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، يقول: ثم إذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم، إلينا مصيرهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾، وذلك إصلاؤهم جهنم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بالله في الدنيا، فيكذبون رسله، ويجحدون آياته.

ورفع قوله: ﴿ مَتَٰعٌ ﴾ بمضمر قبله إما «ذلك»، و إما «هذا».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على من ادعى أن له ولدًا: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ ﴾ أي: تقدس عن ذلك، هو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه، ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: فكيف يكون له ولد مما خلق، وكل شيء مملوك له، عبد له؟! ﴿ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ ﴾ أي: ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان! ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ إنكار ووعيد أكيد، وتهديد شديد، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٨ -٩٥].

ثم توعد تعالى الكاذبين عليه المفترين، ممن زعم أنه له ولدا، بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم متعهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ، كما قال ها هنا: ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: مدة قريبة، ﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ ﴾ أي: الموجع المؤلم ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ أي: بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله، فيما ادعوه من الإفك والزور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ ﴾ أي: يختلقون. ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: لا يفوزون ولا يأمنون؛ وتم الكلام. ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾

(٢٢٩) أحمر
أسود

أي: ذلك متاع، أو هو متاع في الدنيا ؛ قاله الكسائي. وقال الأخفش: لهم متاع في الدنيا. قال أبو إسحاق: ويجوز النصب في غير القرآن على معنى يتمتعون متاعا. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: رجوعهم. ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الغليظ. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي: بكفرهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن بهت المشركين لرب العالمين ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ فنزه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علوًا كبيرًا، ثم برهن على ذلك، بعدة براهين:

أحدها: قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنيًا من كل وجه، فلأي شيء يتخذ الولد؟

ألحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولدًا إلا لنقص في غناه.

البرهان الثاني، قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد مماليك.

ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقًا ولا مملوكًا. فملكيته لما في السماوات والأرض عمومًا، تنافي الولادة.

البرهان الثالث، قوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولدًا، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا

قال: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فإن هذا من أعظم المحرمات.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ أي: لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وكذبهم، في الدنيا، قليلا ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة جعلوا الملائكة بنات الله.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عما قالوا ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن الزوجة والولد ﴿إِنْ عِندَكُم ﴾ أي: ما عندكم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍۭ ﴾ أي: حجة بما تقولون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يبقون في الدنيا. والثاني: لا يسعدون في العاقبة. والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف التمام. وقوله: ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ مرفوع على معنى ذلك متاع في الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٢٣١) أحمر
أسود

شيءٌ من ذكر نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي
وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا
يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا
سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ
رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ
كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[يونس: ٧١-٧٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ - نَبَأَ - مَّقَامِي - وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ - تَوَكَّلۡتُ - فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ - وَشُرَكَآءَكُمۡ - غُمَّةً - ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ - وَلَا تُنظِرُونِ - تَوَلَّيۡتُمۡ - ٱلۡفُلۡكِ - خَلَٰٓئِفَ - ٱلۡمُنذَرِينَ - بِٱلۡبَيِّنَٰتِ - نَطۡبَعُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾	أخبرهم – اقصص عليهم.
﴿نَبَأَ﴾	خبر.
﴿مَّقَامِي﴾	إقامتي فيكم ومكثي معكم لدعوتكم إلى الله.
﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	تخويفي لكم ووعظي لكم بحجج الله وآياته ودلالاته.
﴿تَوَكَّلۡتُ﴾	اعتمدت.
﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾	اعزموا رايكم – اجمعوا همتكم.
﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾	آلهتكم التي جعلتموها شريكةً لله وعبدتموها.
﴿غُمَّةً﴾	ملتبسًا – مشوشًا عليه – غير واضح.
﴿ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾	نفذوا فيَّ رايكم وقراركم.
﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾	لا تمهلون – لا تؤخرون.
﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾	أعرضتم عن الإيمان.
﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾	السفينة العظيمة.
﴿خَلَٰٓئِفَ﴾	ناس يأتون من بعد أناسٍ يخلفونهم في أماكنهم.

(٢٣٣) أحمر
أسود

(ٱلۡمُنذَرِينَ)	المخوَّفين الذين أنذرتهم رسلهم.
(بِٱلۡبَيِّنَٰتِ)	بالحجج الواضحات والدلالات الظاهرات.
(نَطۡبَعُ ۚ)	نختم.

❁ ❁ ❁

من الأدلة على نبوة النبي محمد ﷺ

س: استدل البعض بقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ...﴾ على نبوة نبينا محمد ﷺ فما وجه هذه الدلالة؟

ج: وجهها أن النبي ﷺ كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك أخبرهم بقصة هذا النبي ﷺ، نبي الله نوح مع أنه لم يتعلمها ولم يتعلموها من أحدٍ كذلك.

قال ابن الجوزي في (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ فيه دليل على نبوته حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب وتحريض على الصبر وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بالتكذيب.

❁ ❁ ❁

(٢٣٥) أحمر
أسود

استحباب التذكير بالقصص القرآني

س: في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ استحباب التذكير بالقصص القرآني، اذكر مزيدًا من الاستدلالات على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾.
* قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الشعراء: ٦٩].
* وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٦].
* وقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].
* وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١].
* وقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ...﴾ [المائدة: ٢٧].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –:

واذكر يا رسول الله لقومك ولمن أُرسلت إليهم خبر نبي الله نوح عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ذكِّرهم بخبره، وبقوله لقومه يا قوم إن كان ﴿كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ شقَّ عليكم وعظم عليكم ﴿مَّقَامِي﴾ فيكم إقامتي بينكم ومكثي زمنًا طويلًا أدعوكم إلى الله وأذكركم بيبات الله فأردتم قتلي أو أردتم إخراجي من بلادكم أو أردتم أن تفعلوا بي أي شيء تريدونه فإني معتمد على الله فهو حسبي وكافيني وحافظي فأجمعوا أمركم، فاعزموا على ما تريدون ولا

يتشتت عليكم أمركم ولا تترددوا في فعل ما تريدونه بي، وكذا ادعوا شركاءكم من الآلهة والأوثان التي عبدتموها مع الله ﷻ ثم لا يكن أمركم ملتبسًا عليكم بل ليكن أمركم واضحًا ظاهرًا ثم نفذوا فيَّ مرادكم إن استطعتم ولا تؤخروني ولا تمهلوني.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱتۡلُ﴾ على هؤلاء المشركين الذي قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾، من قومك ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾، يقول: خبر نوح ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾، يقول: إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشقّ عليكم، ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يقول، ووعظي إياكم بحجج الله، وتنبيهي إياكم على ذلك ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، يقول: إن كان شق عليكم مقامي بين أظهركم، وتذكيري بآيات الله، فعزمتم على قتلي أو طردي من بين أظهركم، فعلى الله اتكالي وبه ثقتي، وهو سَنَدي وظهري ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾، يقول: فأعدُّوا أمركم، واعزموا على ما تنوُون عليه في أمري.

يقال منه: «أجمعت على كذا»، بمعنى: عزمت عليه، ومنه قول النبي ﷺ: «**من لم يُجْمِع على الصوم من الليل فلا صَوْم له**»، بمعنى: من لم يعزم، ومنه قول الشاعر:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لا تَنْفَعُ ... هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعني بـ«الشركاء»، آلهتهم وأوثانهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾، يقول: ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسًا مشكلا مبهمًا.

(٢٣٧) أحمر
أسود

من قولهم: «غُمَّ على الناس الهلال»، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبيَّنوه، ومنه قول العجاج:

بَـلْ لَـوْ شَـهِدْتِ النَّـاسَ إِذْ تُكُمُّـوا بِغُمَّـةٍ لَـوْ لَـمْ تُفَـرَّجْ غُمُّـوا

وقيل: إن ذلك من «الغم»، لأن الصدر يضيق به، ولا يتبين صاحبه لأمره مَصدرًا يَصْدُرُه يتفرَّج عليه ما بقلبه، ومنه قول خنساء:

وَذِي كُرْبَةٍ رَاخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَه وَغُمَّتَـهُ عَـنْ وَجْهِـهِ فَتَجَلَّـتِ

وقال:

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾، فإن معناه: ثم امضوا إليّ ما في أنفسكم وافرغوا منه.

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾.

فقال بعضهم: معناه: امضوا إلي، كما يقال: «قد قضى فلان»، يراد: قد مات ومَضَى.

وقال آخرون منهم: بل معناه: ثم افرغوا إليّ، وقالوا: «القضاء»، الفراغ، والقضاء من ذلك. قالوا: وكأنّ «قضى دينه » من ذلك، إنما هو فَرَغ منه.

وقد حُكي عن بعض القراء أنه قرأ ذلك: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾، بمعنى: توجَّهوا إليّ حتى تصلوا إليّ، من قولهم: «قد أفْضَى إليّ الوَجَع وشبهه».

وقوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾، يقول: ولا تؤخرون.

من قول القائل: «أنظرت فلانًا بما لي عليه من الدين».

قال أبو جعفر: وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه: إنه بنُصرة الله له عليهم واثق، ومن كيدهم وبوائقهم غير خائف وإعلامٌ منه لهم أن آلهتهم لا تضرّ ولا تنفع، يقول لهم: أمضوا ما تحدّثون أنفسكم به

فيَّ، على عزم منكم صحيح، واستعينوا من شايعكم عليّ بآلهتكم التي تدْعون من دون الله، ولا تؤخروا ذلك، فإني قد توكلت على الله، وأنا به واثق أنكم لا تضروني إلا أن يشاء ربي.

وهذا وإن كان خبراً من الله تعالى عن نوح، فإنه حثٌّ من الله لنبيه محمد ﷺ على التأسّي به، وتعريفٌ منه سبيلَ الرشاد فيما قلَّده من الرسالة والبلاغ عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: أخبرهم واقصص عليهم، أي: على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: خبره مع قومه الذين كذبوه، كيف أهلكهم الله ودَمّرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك. ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ أي: عَظُم عليكم، ﴿مَّقَامِي﴾ أي فيكم بين أظهركم، ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بحججه وبراهينه، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: فإني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أو لا! ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صَنَم ووثن، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسا، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إلي ولا تنظرون، أي: ولا تؤخروني ساعة واحدة، أي: مهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم، لأنكم لستم على شيء، كما قال هود لقومه: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

(٢٣٩) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه: واتل على قومك ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله مدة طويلة، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يزدهم دعاؤه إياهم إلا طغيانًا، فتمللوا منه وسئموا، وهو عليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان في دعوتهم، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كان مقامي عندكم، وتذكيري إياكم ما ينفعكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الأدلة الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم لديكم، وأردتم أن تنالوني بسوء أو تردوا الحق. ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: اعتمدت على الله، في دفع كل شر يراد بي، وبما أدعو إليه، فهذا جندي، وعدتي. وأنتم، فأتوا بما قدرتم عليه، من أنواع العَدَدَ والعُدَدَ.

﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ كلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا من مجهودكم شيئًا.

﴿وَ﴾ أحضروا ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ أي: مشتبهًا خفيًا، بل ليكن ذلك ظاهرًا علانية.

﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ أي: اقضوا علي بالعقوبة والسوء، الذي في إمكانكم، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ أي: لا تمهلوني ساعة من نهار. فهذا برهان قاطع، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه.

وقد بادأ قومه بتسفيه آرائهم، وفساد دينهم، وعيب آلهتهم. وقد حملوا من بغضه، وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة،

وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم، وأبدوا كل ما تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدروا على شيء من ذلك.

فعلم أنه الصادق حقًّا، وهم الكاذبون فيما يدعون

❁ ❁ ❁

(٢٤١) أحمر
أسود

شجاعة نبي الله نوح عليه السلام وثباته

س: في الآية الكريمة شجاعة نبي الله نوح ﷺ وثباته، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قوله لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ فلم يُبال بآلهتهم ولم يُبال بصنيعهم، بل حسن توكله على الله ﷻ وازداد يقينه وثباته وطلب من قومه اجتماع الرأي وعدم تشتته وفعل ما يريدونه به وعدم إمهاله، ثقةً في الله ﷻ أنه ناصره وحافظه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

ج: **المعنى – والله تعالى أعلم-:** فإن أعرضتم عن الإيمان والتصديق وتوحيد الله ﷻ فلست أنا المتسبب في إعراضكم فأنا ما سألتكم أجرًا حتى تعرضوا وتقولوا هذا جاءنا يسألنا أموالنا ويسلبنا إياها، بل أطلب الأجر من الله ﷻ على تبليغي رسالاته إليكم وعلى نصحي لكم، وأدعوكم على أمرٍ أنه مأمور به أدعوكم إلى الإسلام، وأنا مأمور أن أكون من المسلمين فامتثلت ما أمرني الله ﷻ به، ولتمتثلوا ما أمركم الله ﷻ به.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، أيها القوم، عني بعد دعائي إياكم، وتبليغ رسالة ربي إليكم، مدبرين، فأعرضتم عمّا دعوتكم إليه من الحقّ، والإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، وترك إشراك الآلهة في عبادته، فتضيعٌ منكم وتفريطٌ في واجب حق الله عليكم، لا

بسبب من قبلي، فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرًا، ولا عوضًا أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى، ولا طلبت منكم عليه ثوابًا ولا جزاءً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم، أيها القوم، ولا على غيركم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾، وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة، المنقادين لأمره ونهيه، المذللين له، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي: كذبتم وأدبرتم عن الطاعة، ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ أي: لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئا، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ أي: وأنا ممتثل ما أمرت به من الإسلام لله عَزَّوَجَلَّ، والإسلام هو دين جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن ما دعوتكم إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنما تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على فساده.

ومع هذا ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ على دعوتي، وعلى إجابتكم، فتقولوا: هذا جاءنا ليأخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: لا أريد الثواب والجزاء إلا منه، ﴿وَ﴾ أيضا فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فأنا أول داخل، وأول فاعل لما أمرتكم به.

الإسلام دين الأنبياء جميعًا

س: الإسلام دين الأنبياء جميعا دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله تعالى في شأن نوح عليه السلام إذ قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله عدة استدلالات على ذلك فقال:....

وقال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٢]، وقال يوسف: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١]. وَقَالَ مُوسَى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس: ٨٤]. وقالت السحرة: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وقالت بلْقيس: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١١] وقال خاتم الرسل وسيد البشر: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] أي: من هذه الأمة؛ ولهذا قال في الحديث الثابت عنه[1]: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات،**

(١) البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥).

ديننا واحد» أي: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت شرائعنا، وذلك معنى قوله: «**أولاد علات**»، وهم: الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: فلما دعا نوحٌ عليه السلام قومه إلى توحيد الله عز وجل كذَّبوه وأرادوا قتله وأرادوا به السوء والمكروه فنجيناه ومن معه في السفينة العظيمة التي أمرناه بصناعتها، وأرسلنا الطوفان على قومه فأغرقناهم وأهلكناهم وسلمناه عليه السلام ومن معه من المؤمنين به، وجعلناهم خلائف يخلفون من سبقهم ويعمرون الأرض من بعد إهلاكهم، وأغرض الله المكذبين من قوم نوح الذين جحدوا الآيات، فانظر يا رسول الله إلى العاقبة التي عُوقب بها من أنذرهم نوحٌ عليه السلام فكذبوه. فليحذر قومك أن يحل بهم ما حلَّ بالمكذبين من قوم نوحٍ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فكذب نوحًا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحي –﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ ممن حمل معه– ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾، يعني في السفينة ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾، يقول: وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذبوه بعد أن ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ ﴾، يعني حججنا وأدلتنا على توحيدنا، ورسالة رسولنا نوح.

يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَٱنظُرْ ﴾، يا محمد ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ وهم الذين أنذرهم نوحٌ عقابَ الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام. يقول له

(٢٤٥) أحمر
أسود

جل ثناؤه: انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولَهم، فإن عاقبة من كذَّبك من قومك إن تمادوا في كفرهم وطغيانهم على ربهم، نحو الذي كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه.

يقول جل ثناؤه: فليحذروا أن يحلّ بهم مثل الذي حلّ، بهم إن لم يتوبوا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ أي: على دينه ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ وهي: السفينة، ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ أي: في الأرض، ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: يا محمد كيف أنجينا المؤمنين، وأهلكنا المكذبين.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ بعد ما دعاهم ليلا ونهارًا، سرًا وجهارًا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا، ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ الذي أمرناه أن يصنعه بأعيننا، وقلنا له إذا فار التنور: فـ ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ [هود: ٤٠] ففعل ذلك.

فأمر الله السماء أن تمطر بماء منهمر وفجر الأرض عيونًا، فالتقى الماء على أمر قد قدر: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر: ١٣] تجري بأعيننا، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ في الأرض بعد إهلاك المكذبين.

ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته، هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ ﴾ بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ وهو: الهلاك المخزي، واللعنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، لا تسمع فيهم إلا لوما، ولا ترى إلا قدحًا وذمًا.

فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك، والخزي، والنكال.

س: من هؤلاء الرسل الذين أرسلوا من بعد نوح عليه السلام؟

ج: منهم رسلٌ قصَّهم الله علينا وذكرهم الله لنا، ومنهم رسلٌ ما ذُكرت لنا قصصهم، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

أما الرسل الذي قصَّهم الله علينا فمنهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وغيرهم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: **المعنى – والله أعلم-:** ثم بعثنا من بوعد نوح عليه السلام رسلًا إلى قومهم، فجاؤوهم من عند الله بالدلالات الواضحات والمعجزات الظاهرات الباهرات الدالة على نبوتهم، كناقة صالح عليه السلام، فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أسلافهم، بل ساروا على درب أسلافهم المكذبين الجاحدين فكفروا كما كفر أسلافهم وعاندوا كما عاند أسلافهم وكذلك، ولما طبع الله على قولب أسلافهم ختم عليها فلم يؤمنوا، فكذلك ختم على قلوب هؤلاء المعتدين على حدود الله المتجاوزين لها المرتكبين للكفر والكبائر المتمردين العصاة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم، فأتوهم ببينات من الحجج والأدلّة على صدقهم، وأنهم لله رسل، وأن ما يدعونهم إليه حقّ ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾، يقول: فما كانوا ليصدّقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلَهم من الأمم الخالية من قبلهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾، يقول تعالى ذكره: كما طبعنا على قلوب أولئك

(٢٤٧) أحمر
أسود

فختمنا عليها، فلم يكونوا يقبَلون من أنبياء الله نصيحتَهم، ولا يستجيبون لدعائهم إيّاهم إلى ربهم، بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربّه فتجاوز ما أمره به من توحيده، وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته، عقوبة لهم على معصيتهم ربَّهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم، فجاءوهم بالبينات، أي: بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاءوهم به، ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم، بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: كما طبع الله على قلوب هؤلاء، فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم، هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم، ويختم على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

والمراد: أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة للرسل، وأنجى من آمن بهم، وذلك من بعد نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الإسلام، إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة: «**أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**»[(١)].

وقال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام.

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧]، وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا بسيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين، فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والنَّكَال، فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا ﴾ من بعد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ المكذبين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردى.

﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: كل نبي أيد دعوته، بالآيات الدالة على صحة ما جاء به.

﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠].

ولهذا قال هنا: ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ أي: نختم عليها، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم الله، ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول.

❁ ❁ ❁

(٢٤٩) أحمر
أسود

شيءٌ من قصة موسى عليه السلام

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟
وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ
﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا
ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ
تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ

ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ
رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ
﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ [يونس: ٧٥-٨٩].

(٢٥١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَمَلَإِيْهِۦ - بِـَٔايَٰتِنَا - مُّبِينٌ - وَلَا يُفْلِحُ - لِتَلْفِتَنَا - ٱلْكِبْرِيَآءُ - سَيُبْطِلُهُۥٓ - وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ - بِكَلِمَٰتِهِۦ - ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ - وَمَلَإِيْهِمْ - يَفْتِنَهُمْ - لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ - ٱلْمُسْرِفِينَ - تَوَكَّلْوٓا - فِتْنَةً - تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا - وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً - لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ - ٱطْمِسْ - وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ - سَبِيلَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾	أشراف قومه.
﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾	بحججنا وبراهيننا وأدلتنا.
﴿مُّبِينٌ﴾	مظهرٌ – موضحٌ – ظاهرٌ واضحٌ.
﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾	لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه.
﴿لِتَلْفِتَنَا﴾	لتصرفنا.
﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾	العظمة والسلطان والوجاهة والرئاسة.
﴿سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾	سيمحوه – سيزيله – سيبين فساده.
﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾	يظهر الله الحق ويقرره.
﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾	بأمره وقدرته وكلماته التي قضاها وتكلَّم بها من قبل.
﴿ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾	قليل من قومه – شبابٌ من قومه من بني إسرائيل.
﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾	أشراف قومهم.
﴿يَفْتِنَهُمْ﴾	يصرفهم عن دينهم.

(لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ)	لمستكبر في الأرض مفسدٌ فيها.
(ٱلْمُسْرِفِينَ)	المتجاوزين الحد في الذنوب.
(تَوَكَّلُوٓاْ)	اعتمدوا.
(فِتْنَةً)	سببًا لصرف الناس عن دينهم.
(تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا)	اتخذا لقومكما – أنزلا قومكما – ابنيا لقومكما.
(وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً)	اجعلوا بيوتكم مساجد – صلوا في بيوتكم.
(ٱطْمِسْ)	أهلكها – أتلفها – حوِّلها إلى حجارة.
(وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)	اجعلها قاسية لا تؤمن.
(سَبِيلَ)	طريق.

❁ ❁ ❁

(٢٥٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ثم بعثنا من بعد الرسل الذين أرسلناهم بعد نوحٍ عليه السلام، أرسلنا بعدهم موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام إلى فرعون، وهو الطاغية المعروف الذي كان يحكم مصر في ذاك الزمان، وأرسلناهما إلى ملئه أيضًا، وهم أشراف أهل مصر آنذاك، وأيَّدنا موسى وهارون عليهما السلام بآياتنا، بحججنا الدالة على قدرتنا والدالة على وحدانيتنا، والدالة على صدق موسى عليه السلام وصدق أخيها هارون عليه السلام، ومن هذه الآيات وتلك الحجج، الآيات التسع التي قال تعالى في شأنها: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ... ﴾ [الإسراء: ١٠١] والتي من أعظمها العصا التي تتحول إلى حية تسعى والتي انفلق بها البحر والتي انفجر بها الحجر، واليد التي يُدخلها جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، فاستكبر فرعون والملأ من قومه وبطروا الحق وجحدوه ووصفوا موسى عليه السلام بالحجر وتوعدوه وتهددوه بالقتل، وكانوا قبل مجيئه لهم وبعد مجيئه من أهل الأجرام والشر والفساد، الذي يحترمون الجرائم والكبائر والآثام، وازداد جُرمهم بتكذيبهم موسى عليه السلام، بل وبتعاليهم على الله، إذ قال فرعون أنا ربكم الأعلى، وقال: ما علمت لكم من إله غيري.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم، موسى وهارون ابني عمران، إلى فرعون مصر وملئه، يعني: وأشراف قومه وسادتهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يقول: بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعُبُودة، والإقرار لهما بالرسالة ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، يقول: فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾،

يعني: آثمين بربهم، بكفرهم بالله.

وقال الحافظ ابن كثير:

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا ﴾ من بعد تلك الرسل ﴿ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ أي: قومه. ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: حججنا وبراهيننا، ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: فلما جاء فرعون وملأه الحقُّ من عندنا، الحجج الواضحات والدلالات البينات الجليات الظاهرات الباهرات والمعجزات الواضحات الدالات على صدق موسى وهارون عليهما السلام، والتي منها العصا واليد، والتي منها البرهان الساطع الواضح من عند الله، ما كان جواب فرعون وقومه إلا أن قالوا إن هذا الذي جئت به يا موسى سحرٌ موضحٌ ومظهر أنك ساحر، وأيضًا إنه لسحرٌ ظاهر واضح، قال موسى عليه السلام رادًّا عليهم، أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا؟ والمعنى أتقولون للحق لما جاءكم سحرٌ. أسحرُ هذه المجزات الواضحات والآيات البينات الظاهرات ألا فاعلموا أنه لا يفلح الساحرون لا يفوزون بمطلوبٍ ولا ينجون من مرهوب، ولا يدركون أمنا ولا أمانًا.

فقالوا حينئذٍ متمادين في غيرهم أجئتنا يا موسى بالذي جئتنا به لتصرفنا عن عبادة ما وجدنا آباءنا يعبدونه، وتكون لك ولأخيك هارون العظمة والسلطة والرئاسة والوجاهة والريادة في الأرض، قيل: أرض مصر، وقيل

(٢٥٥) أحمر
أسود

عمومًا. وعلى كل حال فما نحن لكما بمصدقين ولا بمقربين لكما على صدق ما جئتما به.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾، يعني: فلما جاءهم بيانُ ما دعاهم إليه موسى وهارون، وذلك الحجج التي جاءهم بها، وهي الحق الذي جاءهم من عند الله ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾، يعنون أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ ﴾، لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ ﴾، من عند الله ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ ؟.

واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت فيه على الحكاية لقولهم، لأنهم قالوا: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾؟ فقال: أتقولون: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾؟

وقال بعض نحويي الكوفة: إنهم قالوا: ﴿هذا سحر﴾، ولم يقولوه بالألف، لأن أكثر ما جاء بغير ألف. قال: فيقال: فلم أدخلت الألف؟ فيقال: قد يجوز أن تكون من قِيلهم وهم يعلمون أنه سحر، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته: أحقٌّ هذا؟ وقد علم أنه حق. قال: وقد يجوز أن تكون على التعجّب منهم: أسحر هذا؟ ما أعظمه!

قال أبو جعفر: وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المفعولُ محذوفًا، ويكون قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾، من قيل موسى، منكرًا على فرعون وملئه قولَهم للحق لما جاءهم: ﴿ سحر﴾، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قال موسى لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ ﴾ وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحرٌ، أسحرٌ هذا الحقّ الذي ترونه؟ فيكون «السحر»

الأوّل محذوفًا، اكتفاءً بدلالة قول موسى ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾، على أنه مرادٌ في الكلام، كما قال ذو الرمة.

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ، أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِنْ خَدًّا آذَانِهَا وَهْوَ جَانِحُ

يريد: أو حين أقبل، ثم حذف اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، والمعنى: بعثناهم ليسوءوا وجوهكم، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه، في أشباه لما ذكرنا كثيرة، يُتْعب إحصاؤها.

وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾، يقول: ولا ينجح الساحرون ولا يَبْقون.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون وملأه لموسى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾، يقول: لتصرفنا وتلوينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، من قبل مجيئك، من الدين.

وقال: وقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعني العظمة، وهي «الفعلياء» من «الكبر».

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾، يقول: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا﴾ يا موسى وهارون ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾، يعني بمقرِّين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كأنهم -قبَّحهم الله- أقسموا على ذلك، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَىٰٓ﴾ منكرا عليهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ أي: تثنينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ أي: الدّين

(٢٥٧) أحمر
أسود

الذي كانوا عليه، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا﴾ أي: لك ولهارون ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: العظمة والرياسة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

وكثيرًا ما يذكر الله تعالى قصة موسى، عليه السلام، مع فرعون في كتابه العزيز؛ لأنها من أعجب القصص، فإن فرعون حَذر من موسى كل الحذر، فسخره القدر أن رَبَّى هذا الذي يُحذَّر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد، ثم ترعرع وعقد الله له سببا أخرجه من بين أظهرهم، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم، وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه، هذا ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان، فجاءه برسالة الله، وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام، فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية، والنفس الخبيثة الأبية، وقوى رأسه وتولّى بركنه، وادعى ما ليس له، وتجهرم على الله، وعتا وبغى وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل، والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هارون، ويحوطهما، بعنايته، ويحرسهما بعينه التي لا تنام، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئا بعد شيء، ومرة بعد مرة، مما يبهر العقول ويدهش الألباب، مما لا يقوم له شيء، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله، وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها، وصمم فرعون وَمَلَؤه - قبحهم الله -على التكذيب بذلك كله، والجحد والعناد والمكابرة، حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يُرَد، وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

ذكر تعالى قصة السحرة مع موسى، عليه السلام، في سورة الأعراف، وقد تقدم الكلام عليها هناك. وفي هذه السورة، وفي سورة طه، وفي الشعراء؛ وذلك أن فرعون -لعنه الله -أراد أن يَتَهَرَّج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى، عليه السلام، من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكَس عليه النظام،

ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، و ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٦ - ٤٨] فظن فرعون أن يستنصر بالسحَّار، على رسول عالم الأسرار، فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ يريد فرعون وقومه ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ حملوا المعجزات على السحر قال لهم موسى: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ قيل: في الكلام حذف المعنى: أتقولون للحق هذا سحر ف أتقولون إنكار وقولهم محذوف أي هذا سحر ثم استأنف إنكارا آخر من قبله فقال: أسحر هذا فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قولهم منكرا على فرعون وملئه وقال الأخفش: هو من قولهم ودخلت الألف حكاية لقولهم لأنهم قالوا أسحر هذا فقيل لهم: أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا وروي عن الحسن ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي لا يفلح من أتى به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم -: وقال فرعون للملإ من قومه ائتوني بكل ساحرٍ له علم وخبرة واسعة بالسحر فاستُدعي السحرةُ فحضروا، وهنالك ساوموا فرعون قائلين – كما في موطن آخر أئن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين قال: نعم وإنكم إذن لمن المقربين، فقالوا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، فقال لهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بل ألقوا أنتم أولًا، وهنا قال لهم ألقوا أي:

(٢٥٩) أحمر
أسود

العصى التي تريدون أن تلقونها والحبال التي تريدون إلقاءها وغير ذلك مما تريدون إلقاءه، فألقوا حبالهم وعصيهم فخيل لموسى عليه السلام أنه حيات تسعى، فثبته الله عليه السلام لما أوجس في نفسه خيفة موسى، وبشره الله بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]، فهاهنا قال لهم موسى عليه السلام: لما ثبته الله عز وجل، ما جئتم به، أي: ما صنعتموه من إلقاء الحبال والعصي وتحولها في أعين الناس إلى حيات تسعى، هو السحر بعينه وأنتم ما صنعتم إلا انكم سحرتم أعين الناس واسترهبتموهم، وإن الله عز وجل سيظهر بطلان هذا السحر الذي صنعتموه وسيبين حقيقة الأمر، ولما كنتم قد جئتم للإفساد في الأرض ولسحر أعين الناس ولتخويفهم وجئتم لإبطال حجج الله عز وجل الدالة على وحدانيته، جئتم لتعافي الأجر على باطلكم جئتم لمناصرة من يقول: أنا ربكم الأعلى، ويقول: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري! وأي فساد أعظم من هذا فمن كان هذا عمله وكان هكذا سعيه فإن الله عز وجل لا يوفقه ولا يبارك في سعيه بل يبطل سعيه ويحبط عمله، وهكذا كل مفسدٍ في الأرض كل عامل فيها بمعصية الله لا يبارك في عمله.

أما الحق وأهله وأهله فإن الله ناصره وناصر أهله، فقوله: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٢٤] يظهر الله الحق ويعليه بكلماته التي قضاها وبأوامره التي يأمره بها، وأمره إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، ولو كره ذلك أهل الإجرام فإن أمر الله عز وجل نافذٌ وواقع وإن رغمت أنوف أهل الإجرام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لقومه: ائتوني بكل من يسحر من السحرة، عليم بالسحر ، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾، فرعونَ قال موسى: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾،

من حبالكم وعصيِّكم.

وفي الكلام محذوف قد ترك، وهو: «فأتوه بالسحرة، فلما جاء السحرة»، ولكن اكتفى بدلالة قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾، على ذلك، فترك ذكره.

وكذلك بعد قوله: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۝٨٠﴾، محذوفٌ أيضًا قد ترك ذكرُه، وهو: ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء: ٤٤]، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ [يونس: ٨١]، ولكن اكتفى بدلالة ما ظَهَر من الكلام عليه، فتُرك ذكره.

ويقول تعالى ذكره: فلما ألقوا ما هم ملقوه، قال لهم موسى: ما جئتم به السحر. واختلفت القراء في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون، أنه سحرٌ. كأن معنى الكلام على تأويلهم: قال موسى: الذي جئتم به أيّها السحرة، هو السحر.

وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاؤوا به، أسحر هو أم غيره؟

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه، لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه، أي شيء هو؟

وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة، إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدِّقونه في الخبر عمّا جاءوه به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاؤوا به من ذلك بالحق الذي أتاه، ومبطلٌ كيدهم بحَدِّه.

(٢٦١) أحمر
أسود

وهذه أولى بصفة رسول الله ﷺ من الأخرى.

فإن قال قائل: فما وجه دخول الألف واللام في «السحر» إن كان الأمر على ما وصفت، وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا: «ما جاءني به عمرو درهمٌ، والذي أعطاني أخوك دينار»، ولا يكادون أن يقولوا: الذي أعطاني أخوك الدرهم، وما جاءني به عمرو الدينار؟

قيل له: بلى، كلام العرب إدخال «الألف واللام» في خبر «ما» و«الذي» إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطَب والمخاطِب، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام، لأنّ الخبر حينئذ خبرٌ عن شيء بعينه معروف عند الفريقين، وإنما يأتي ذلك بغير «الألف واللام»، إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصدَ شيء بعينه، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر. وخبرُ موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله عَلَمًا له على صدقه ونبوته، إلى أنه سحرٌ، فقال لهم موسى: السحرُ الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم، لا ما جئتكم به أنا. ثم أخبرهم أن الله سيبطله. فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ﴾، يقول: سيذهب به، فذهب به تعالى ذكره، بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعبانًا يتلقَّفه، حتى لم يبق منه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾، يعني: أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه، وعمل فيها بمعاصيه.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه قال للسحرة: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾، يقول: ويثبت الله الحق الذي جئتكم به من عنده، فيعليه على باطلكم، ويصححه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يعني: بأمره ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾، يعني الذين اكتسبوا الإثم بربِّهم، بمعصيتهم إياه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا -وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل- ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ [طه: ٦٥، ٦٦]، فأراد موسى أن تكون البَدَاءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ ولهذا لما ﴿أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧، ٦٩]، فعند ذلك قال موسى لما ألقوا: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ أي: هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟!!

وهكذا كل مفسد عمل عملا واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم.

❁ ❁ ❁

(٢٦٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-:

فما اتبع موسى عليه السلام وصدقه وأقرَّه على ما جاء به إلا ذرية من قومه، قيل: المراد قليل من قومه، وقيل: شبابٌ من قومه من بني إسرائيل، وثمَّ قولٌ آخر ضعيف، وهو أن المراد بقوله: ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: من قوم فرعون كمؤمن آل فرعون ويسية امرأة فرعون وخازن فرعون، وامرأة خازن فرعون، وهؤلاء وإن كانوا آمنوا إلا أنهم ليسوا المعنيين بقوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ بل المعنى بها، والله أعلم، قوم موسى عليه السلام أما قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: آمنوا وهم متخوِّفون من فرعون ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ أي: أشراف قومهم أن يفتنهم، أي: أن هؤلاء القلة الذين آمنوا بموسى عليه السلام آمنوا وهم متخوِّفون أن يعذبهم فرعون، ويُعذبهم أشراف قومهم كي يصرفوهم عن الإيمان بالله وحده لا شريك له.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مستكبر فيها بغير الحق ساع فيها بالفساد والشر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتجاوزين الحد في الطغيان والكفر والتمرد والعصيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلم يؤمن لموسى، مع ما أتاهم به من الحجج والأدلّة ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ خائفين من فرعون وملئهم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذرية في هذا الموضع.

فقال بعضهم: الذرية في هذا الموضع: القليل.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل لطول الزمان، لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء، فقيل لهم «ذرية»، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القولُ الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن «الذرية»، في هذا الموضع أريد بها ذُرّية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريّتهم، فآمن منهم من ذكر الله، بموسى.

وإنما قلت: «هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك»، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فَلأن تكون «الهاء»، في قوله: «من قومه»، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ، من خبر ولا نظرٍ.

وبعدُ، فإن في قوله: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾، الدليلُ الواضح على أن الهاء في قوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾، من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، «على خوف منه»، ولم يكن ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ﴾.

وأما قوله: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ﴾، فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى، فتأويل الكلام: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾، فإن «الملأ»: الأشراف. وتأويل الكلام: على

(٢٦٥) أحمر
أسود

خوف من فرعون ومن أشرافهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: «الهاء والميم» عائدتان على «الذرية». ووجَّه معنى الكلام إلى أنه: على خوف من فرعون، وملأ الذرية، لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطيًا وأمه إسرائيلية. فمن كان كذلك منهم، كان مع فرعون على موسى.

وقوله: ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾، يقول: كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾ بالعذاب، فيصدّهم عن دينهم، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله.

وقال: ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾، فوحَّد ولم يقل: «أن يفتنوهم»، لدليل الخبر عن فرعون بذلك: أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه، لما قد تقدم من قوله: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يقول تعالى ذكره: وإن فرعون لجبّارٌ مستكبر على الله في أرضه ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣﴾، وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل، وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به، وجحودُه وحدانية الله، وادّعاؤه لنفسه الألوهة، وسفكه الدماء بغير حِلِّها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية -وهم الشباب - على وجل وخوف منه ومن مَلَئه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعتوّ، وكانت له سَطْوة ومَهابة، تخاف رعيته منه خوفا شديدا.

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية: أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين.

وفي هذا نظر؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه؛ ولهذا لما بلغ هذا فرعون حَذَر كل الحذر فلم يُجْد عنه شيئا. ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، و﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل؟.

﴿ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ ﴾ أي: وأشراف قومهم أن يفتنهم، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يَفتِنَ عن الإيمان سوى قارون، فإنه كان من قوم موسى، فبغى عليهم؛ لكنه كان طاويا إلى فرعون، متصلا به، متعلقا بحباله ومن قال: إن الضمير في قوله: ﴿ وَمَلَإِيْهِمۡ ﴾ عائد إلى فرعون، وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف «آل» فرعون، وإقامة المضاف إليه مقامه -فقد أبعد، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة. ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان.

﴿ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ ﴾ عن دينهم ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته.

(٢٦٧) أحمر
أسود

﴿ وَ ﴾ خصوصًا ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ كان ﴿ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان.

والحكمة -والله أعلم- بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق، وأسرع له انقيادًا، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم -بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة- أبعد من الحق من غيرهم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ من المعنيون بقوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ ﴾.

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدهما: علية القوم من بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا.

الثاني: أن المراد بالملأ علية قوم مصى من حاشية فرعون وتقدمت أقوالٌ في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ ﴾ لأنه كان مسلطا عليهم عاتبا. ﴿وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ ولم يقل وملئه ؛ وعنه

ستة أجوبة:

أحدها: أن فرعون لما كان جبارا أخبر عنه بفعل الجميع.

الثاني: أن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم ؛ وهذا أحد قولي الفراء.

الثالث: أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود.

الرابع: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون ؛ فيكون من باب

حذف المضاف مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، [يوسف: ٨٢] وهو القول الثاني للفراء. وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ، لا يجوز عندهما قامت هند، وأنت تريد غلامها.

الخامس: مذهب الأخفش سعيد أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي ملأ الذرية ؛ وهو اختيار الطبري.

السادس: أن يكون الضمير يعود على قومه. قال النحاس: وهذا الجواب كأنه أبلغها.

❁ ❁ ❁

س: المؤمن لا يحب أن يفتن ولا أن يُفتن به غيره وضح ذلك.

ج: ذلك واضح من أقوال العلماء في الآية الكريمة في إيضاح قول أهل الإيمان إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ فلها معنيان:

أحدهما: لا تجعلنا سببًا في فتنة القوم الظالمين، فإنهم إذا انتصروا علينا ظنوا أنهم على الحق فبقوا على كفرهم وتمادوا فيه وانصرفوا عن الإيمان.

الثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ويصرفوننا عنه ويحملوننا على الكفر.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾)؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وقال موسى عليه السلام لقومه من بني إسرائيل يا قوم إن كنتم صدقتم بوحدانية الله وقدرته فاعتمدوا عليه وحده واطلبوا من العون

(٢٦٩) أحمر
أسود

والتجئوا إليه كي يكشف ما بكم من ضرٍّ إن كنتم أسلتم أقررتم بوحدانيته وخضعتم لأمره واستسلمتم ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ اعتمدنا على الله وسألوا ربهم قائلين يا ربنا سلمنا من الكفار والظالمين واحفظنا من فتنتهم لنا ولا تجعلنا سببًا أيضًا في فتنتهم، أي: لا تسلطهم علينا فينتصروا علينا فيفتنوا بذلك، وكذا لا تسلطهم أن الإسرائيلين كانوا مستعبدين لدى فرعون وقومه، وكان – كما هو معلوم – بذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستضعف رجالهم. فسألهم الله النجاة من هذا كله.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل موسى نبيِّه لقومه: يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله، وصدقتم بربوبيته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾، يقول: فبه فثقوا، ولأمره فسلموا، فإنه لن يخذل وليّه، ولن يسلم من توكل عليه ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾، يقول: إن كنتم مذعنين لله بالطاعة، فعليه توكلوا.

يقول تعالى ذكره: فقال قوم يا موسى لموسى: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾، أي به وثقنا، وإليه فوَّضنا أمرنا.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، يقول جل ثناؤه مخبراً عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا: يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين، ولا تمتحنهم بنا! يعنون قوم فرعون.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سألوه ربَّهم من إعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم.

فقال بعضهم: سألوه أن لا يظهرهم عليهم، فيظنُّوا أنهم خيرٌ منهم، وأنهم إنما سُلِّطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن القوم رغبوا إلى الله في أن يُجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاءً، وكلُّ ما كان من أمر كان لهم مصدَّة عن اتباع موسى والإقرار به، وبما جاءهم به، فإنه لا شك أنه كان لهم «فتنة»، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادًا من الإيمان بالله ورسوله. وكذلك من المصدَّة كان لهم عن الإيمان: أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنةٌ في أنفسهم، من بلية تنزل بهم، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادًّا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم.

ويقول تعالى ذكره(١): ونجِّنا يا ربنا برحمتك، فخلِّصنا من أيدي القوم الكافرين، قوم فرعون، لأنهم كان يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القَذِرة من خدمتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ أي: فإن الله كاف من توكل عليه، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وكثيرا ما يقرن الله بين العبادة والتوكل، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك: ٢٩]، ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٩]، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) يعني في ذكر قولهم.

(٢٧١) أحمر
أسود

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك، فقالوا: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا تظفرهم بنا، وتسلطهم علينا، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيفتنوا بذلك. هكذا روي عن أبي مِجْلَز، وأبي الضُّحى.

وقال ابن أبي نَجِيح وغيره واحد، عن مجاهد: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سُلِّطنا عليهم، فيفتنوا بنا.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عُيَيْنَةَ، عن ابن نَجِيح، عن مجاهد: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تسلطهم علينا، فيفتنونا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا برحمة منك وإحسان، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: الذين كفروا الحق وستروه، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا علي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وأوحينا إلى موسى عليه السلام وإلى أخيه هارون عليه السلام أن اتخذا، ابنيا واشتريا لقومكما من بني إسرائيل، بيوتنا مستقرة واجعلوا بيوتكم قبلة، قيل: أمروا أن يصلوا في البيوت لما كان فرعون يؤذيهم إذا ذهبوا إلى المساجد فلما خافون رخص لهم في الصلاة في البيت.

وقيل: اجعلوا بيوتكم قبل بعض.

وقيل: أُمروا بالإكثار من الصلاة دفعًا للمصائب.

قال ابن كثير رحمه الله:

وكأن هذا -والله أعلم- لما اشتد بهم البلاء من قبَل فرعون وقومه،

وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ١٥٦]. وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى. أخرجه أبو داود. ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ أي: بالثواب والنصر القريب.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ أي: حافظوا عليها في أوقاتها وبأركانها، وبشر المؤمنين بأن لهم الحسنى، لهم الجنة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتًا. يقال منه: «تبوَّأ فلان لنفسه بيتًا»، إذا اتخذه. وكذلك تبوَّأ مصْحفًا»، إذا اتخذه، «وبوأته أنا بيتًا»: إذا اتخذته له.

﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾، يقول: واجعلوا بيوتكم مساجدَ تصلُّون فيها.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾.

فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: معنى ذلك: واجعلوا مساجدكم قِبَل الكعبة.

وقال آخرون: معنى ذلك: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضًا.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾، يقول تعالى ذكره: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾، يقول جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام: وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله، يا محمد، المؤمنين بالثواب الجزيل منه.

(٢٧٣) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة؛ فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذوا لبني إسرائيل بيوتا بمصر، أي مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم. وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا. والقول الأول أصح؛ أي اجعلوا مساجدكم إلى القبلة؛ قيل: بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم؛ قال ابن بحر. وقيل الكعبة. عن ابن عباس قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه، وهذا يدل على أن القبلة في الصلاة كانت شرعا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولم تخل الصلاة عن شرط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة؛ فإن ذلك أبلغ في التكليف وأوفر للعبادة. وقيل: المراد صلوا في بيوتكم سرا لتأمنوا؛ وذلك حين أخافهم فرعون فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ [الأعراف: ١٢٨] الآية. وكان من دينهم أنهم لا يصلون إلا في البيع والكنائس ما داموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلوا في بيوتهم. قال ابن العربي: والأول أظهر القولين؛ لأن الثاني دعوى.

قلت: قوله: «دعوى» صحيح؛ فإن في الصحيح قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**» وهذا مما خص به دون الأنبياء؛ فنحن بحمد الله نصلي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة.

❁ ❁ ❁

س: يجوز الدعاء على الكفار إذا تمادوا في كفرهم وأصروا عليه وظلموا العباد، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾.

وقول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

وقول النبي ﷺ: «**اللهم عليك الملأ من قريش...**» والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾.

ج: هذا – والله أعلم-: دعاء نبي الله موسى عليه السلام بعد أن رأى من فرعون وآل فرعون ما رأى من الجحود والتكذيب والعناد، ندى موسى عليه السلام قائلًا: ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: وسعت عليهم في الدنيا توسعة كبيرة، فعندهم من الذهب وسائر الحلي ما قد رزقتهم إياه يتزينون به ويتحلون به وكذا آتيتهم أفخر المراكب وأحسن البيوت، وأجمل الثياب، وكذا آتيتهم من صنوف المال أصنافًا واسعة من ذهب وفضة وغير ذلك، ومن الحاشية والحرث وغير ذلك ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ أي: يا ربنا ما استفادوا من هذه النعم والأرزاق التي رزقتهم إياها هداية وتقًى وصلاحًا بل تمادوا في كفرهم وأضلوا الناس عن طريقك المستقيم، فصرفوا الناس عن سلوك طريقك الموصل إلى مرضاتك وجناتك.

(٢٧٥) أحمر
أسود

وقيل: المعنى يا ربنا إنك أعطيتهم ما أعطيتهم فتنة لهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فظنوا أنهم على حق بتوسعة الله عليهم، فيا رب ها هم قد فتنوا وصُرفوا عن الحق فانتقم منهم وثمَّ وجوه أُخر، والوجه الأول أراه أقوى، والله أعلم.

ثم إن نبي الله موسى عليه السلام لما رأى تماديهم على الكفر دعا عليهم قائلًا: ربنا اطمس على أموالهم، قيل امحها فطمست معالم الأموال والعُملات، وقيل: تحولت إلى حجارة وكذا تحول سكرَّهم إلى حجارة، وقيل المعنى: معنى ﴿ٱطْمِسْ﴾ أي: أهلكها ودمِّرها يا رب.

أما قوله: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اطبع عليها واجعلها قاسية لا تؤمن حتى يأتيها العذاب، وقيل: المراد به الغرق. والله أعلم.

فأجاب الله عز وجل دعاء موسى عليه السلام، ودعاء هارون عليه السلام، فيبدو أنه كان يدعو هو الآخر ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

وقال بعض أهل العلم: إن موسى عليه السلام كان يدعو وهارون عليه السلام كان يؤمن أي يقول آمين، ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

أما قوله: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي: على ما أمركما الله به.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ أي: ولا تسلكوا طريق أهل الجهل ومكة العلم بالله عز وجل وشرائعه وأحكامه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال موسى يا ربَّنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم -وهم «الملأ» - ﴿زِينَةً﴾، من متاع الدنيا وأثاثها ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ من أعيان الذهب والفضة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾، يقول موسى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلُّوا عن سبيلك.

واختلفت القراء في قراءة ذلك.

فقرأه بعضهم: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾، بمعنى: ليضلوا الناسَ، عن سبيلك، ويصدّوهم عن دينك.

وقرأ ذلك آخرون: ﴿لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، بمعنى: ليضلوا هم عن سبيلك، فيجورُوا عن طريق الهدى.

فإن قال قائل: أفكان الله جل ثناؤه، أعطَى فرعون وقومه، ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها، ليضلوا الناس عن دينه -أو ليضلُّوا هم عنه؟- فإن كان لذلك أعطاهم ذلك، فقد كان منهم ما أعطاهم لذلك، فلا عتب عليهم في ذلك؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت.

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه «اللام» التي في قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾.

فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ربنا فَضَلوا عن سبيلك، كما قال: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، [القصص: ٨]، أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا، وإنما التقطوه فكان لهم. قال: فهذه «اللام» تجيء في هذا المعنى.

وقال بعض نحويي الكوفة: هذه «اللام»، «لام كي» - ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم، كي يضلوا- ثم دعا عليهم.

وقال آخر: هذه اللامات في قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ و﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾، وما أشبهها بتأويل الخفض: آتيتهم ما أتيتهم لضَلالهم - والتقطوه لكونه - لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك. والعرب تجعل «لام كي»، في معنى «لام الخفض»، و«لام الخفض» في معنى «لام كي»، لتقارب المعنى، قال الله تعالى: ﴿

(٢٧٧) أحمر
أسود

سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٥] أي لإعراضكم، ولم يحلفوا لإعراضهم، وقال الشاعر:

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلا لِتَسْمُو وَلَكِنَّ المُضَيِّعَ قَدْ يُصَابُ

قال: وإنما يقال: «وما كنت أهلا للفعل»، ولا يقال «لتفعل» إلا قليلا. قال: وهذا منه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أنها «لام كي» - ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه، ويضلوا عن سبيلك عبادَك، عقوبة منك. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾، هذا دعاء من موسى، دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها، وذلك نحو قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾، [النساء: ٤٧]. يعني به: من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها.

وأورد الطبري آثارًا عن التابعين مفادها أن أموالهم تحوَّلت إلى حجارة، وكذا زروعهم.

وقال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك أهلكها.

وقال في تفسير قوله: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قال: واطبع عليها حتى لا تليق ولا تنشرح بالإيمان.

وقال في قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ معناه: فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع.

ثم قال: وأما قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ كان يقول معناه حتى يروا الغرق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾.

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى ﷺ وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم. يقول جل ثناؤه: ﴿قَالَ﴾ الله لهما: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾، في فرعون وملئه وأموالهم.

فإن قال قائل: وكيف نسبت «الإجابة» إلى اثنين و«الدعاء»، إنما كان من واحد؟

قيل: إن الداعي وإن كان واحدًا، فإن الثاني كان مؤمِّنًا، وهو هارون، فلذلك نسبت الإجابة إليهما، لأن المؤمِّن داعٍ. وكذلك قال أهل التأويل.

وأما قوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾، فإنه أمرٌ من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته، إلى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابَهما فيه.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾، يقول: ولا تسلكانّ طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي، فتستعجلان قضائي، فإن وعْدي لا خلف له، وإن وعيدي نازلٌ بفرعون وعذابي واقع به وبقومه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، على فرعون وَمَلَئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين، ظلما وعلوا وتكبرًا وعتوا، قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ أي: من أثاث الدنيا ومتاعها، ﴿وَأَمۡوَٰلًا﴾ أي: جزيلة كثيرة، ﴿فِي﴾ هذه ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ -بفتح الياء -أي: أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجا منك لهم، كما قال تعالى: ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [طه:

١٣١]، وقرأ آخرون: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء، أي: ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم واعتنائك بهم.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ مفادها أهلكها فأهلكها وحولها إلى حجارة وقال:

وقوله: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: أي اطبع عليها، ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

وهذه الدعوة كانت من موسى، عليه السلام، غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه، الذين تبين له أنه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح، عليه السلام، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]؛ ولهذا استجاب الله تعالى لموسى، عليه السلام، فيهم هذه الدعوة، التي أمَّنَ عليها أخوه هارون، فقال تعالى: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾.

قال أبو العالية، وأبو صالح، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس: دعا موسى وأمَّنَ هارون، أي: قد أجبناكما فيما سألتما من تدمير آل فرعون.

وقد يحتج بهذه الآية من يقول: «إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة يُنزل منزلة قراءتها؛ لأن موسى دعا وهارون أمن».

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ أي: كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمري.

قال ابن جُرَيْج، عن ابن عباس: ﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ فامضيا لأمري، وهي الاستقامة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

فلما رأى موسى، القسوة والإعراض من فرعون وملئه، دعا عليهم وأمن هارون على دعائه، فقال:

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾ يتزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدام، ﴿ وَأَمْوَٰلًا ﴾ عظيمة ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلون ويضلون.

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي: أتلفها عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة، غير منتفع بها.

﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: قسها ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

قال ذلك، غضبًا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر مزيدًا من الأقوال في قوله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾.

ج: من الأقوال في ذلك أن اللام لام العاقبة:

أن فكانت العاقبة أنهم أضلوا عن سبيلك.

الثاني: أن المعنى إنك يا رب ما أعطيتهم الذي أعطيتهم لإضلال الناس ولكنهم أضلوهم يا رب فانتقم منهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لام العاقبة والصيرورة ؛ وفي الخبر «إن

(٢٨١) أحمر
أسود

لله تعالى ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب». أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا. وقيل: هي لام كي أي أعطيتهم لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا. وقيل: هي لام أجل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم. وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا كما قال ﷻ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦]. والمعنى: لأن لا تضلوا. قال النحاس: ظاهر هذا الجواب حسن، إلا أن العرب لا تحذف «لا» إلا مع أن؛ فموه صاحب هذا الجواب بقوله ﷻ: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾. وقيل: اللام للدعاء، أي ابتلهم بالضلال عن سبيلك؛ لأن بعده: ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ﴾. وقيل: الفعل معنى المصدر أي إضلالهم كقوله ﷻ ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ [التوبة: ٩٥] قرأ الكوفيون: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء من الإضلال، وفتحها الباقون.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١
فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ
ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ
فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ
٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥ ﴾

[يونس: ٩٠-٩٥].

(٢٨٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ - فَأَتۡبَعَهُمۡ - بَغۡيٗا - وَعَدۡوًاۖ - أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ - ٱلۡمُسۡلِمِينَ - ءَايَةٗ - لَغَٰفِلُونَ - بَوَّأۡنَا - مُبَوَّأَ صِدۡقٖ - ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾	جعلناهم يجتازون البحر ويمرون آمنين مطمئنين.
﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾	فتبعهم.
﴿بَغۡيٗا﴾	ظُلمًا.
﴿وَعَدۡوًاۖ﴾	اعتداءً.
﴿أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾	أحاط به الماء وتيقن من الغرق.
﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	المستسلمين الخاضعين.
﴿ءَايَةٗ﴾	دلالة وعلامة (على وحدانية الله وقدرته).
﴿لَغَٰفِلُونَ﴾	لمعرضون.
﴿بَوَّأۡنَا﴾	أنزلنا.
﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾	منزلًا مباركًا محمودًا.
﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾	الشاكين المرتابين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم: ومكَّنا بني إسرائيل من تجاوز البحر والمرور به والانتهاء منه فتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وتعديًا، وقيل ظلمًا وجريًا وقتًا ومتابعةً لموسى عليه السلام حتى إذا توسط فرعون البحر، وكان يبسًا التئم البحر ثانيةً على فرعون ومن معه حتى إذا أيقن فرعون أنه هالك وأن الماء محيط به من كل جانب، وأيقن بالغرق قال: صدقت، بالذي صدقت به بنو إسرائيل من توحيد الله عز وجل ونبوة موسى وهارون عليهما السلام وأنا من المستسلمين الخاضعين لأمر الله عز وجل. فقيل له: الآن آمنت، وقد عصيت في هذا من قبل وكذبت وكنت من المفسدين في الأرض، وقد قيل إن قائل ذلك هو الله عز وجل، وقيل إنه جبريل عليه السلام، وثمَّ أقوالٌ أخر هذا، ولما كان هناك من تشكك من الإسرائيلين في هلاك فرعون وغرته، وكذا فقد كانت هنالك بقايا من آل فرعون بمصر لم يخر جوامعه، وهؤلاء وأولئك كلاهما لم يوقن بموت فرعون وإغراقه وإهلاكه طرحه الله عز وجل على البرَّ، كما قال: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ أي: فاليوم نلقيك على نجوة من الأرض كي يراك الناس وأنت ميت قد أهلكك الله فيتعظون بك ويعتبرون بهلاكك، وإن كان كثيرون من الناس عن آيات الله المعرضون غير ملتفتين لها، ولا منتفعين بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ

(٢٨٥) أحمر
أسود

﴿فِرْعَوْنُ﴾، يقول: فتَبعهم فرعون﴿وَجُنُودُهُۥ﴾.

﴿بَغْيًا﴾على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسرائيل ﴿وَعَدْوًا﴾، يقول: واعتداء عليهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ يقول: حتى إذا أحاط به الغرق، وفي الكلام متروك، قد ترك ذكره لدلالة ما ظهر من الكلام عليه، وذلك: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ فغرقناه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾.

وقوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾، يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل فرعون حين أشفى على الغرق، وأيقن بالهلكة: ﴿ءَامَنتُ﴾، يقول: أقررت، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

يقول تعالى ذكره، معرِّفًا فرعون قبح صَنيعه أيّام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه، ومعصيته ربه، حين فزع إليه في حال حلول سَخطه به ونزول عقابه، مستجيرًا به من عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علته أمواج البحر، وغشيته كرَبُ الموت:﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ له، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية الآن تقرُّ لله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادِّين عن سبيله؟ فهلا وأنت في مَهَلٍ، وباب التوبة لك منفتح، أقررت بما أنت به الآن مقرٌّ؟

ويقول تعالى ذكره لفرعون: اليوم نجعلك على نَجْوةٍ من الأرض ببدنك، ينظر إليك هالكًا من كذّب بهلاكك، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، يقول: لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك، فينزجرون عن معصية الله، والكفر به والسعي في أرضه بالفساد.

و«النجوة»، الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض.

وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾، يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعني: عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصةٌ ﴿لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾، يقول: لساهون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وما وجه قوله: ﴿بِبَدَنِكَ﴾؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه ﴿بِبَدَنِكَ﴾؟

قيل: كان جائزًا أن ينجيه بهيئته حيًّا كما دخل البحر. فلما كان جائزًا ذلك قيل: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح، ولكن ميّتًا.

وأخرجه الطبري بسندٍ صحيح عن أبي السليل، عن قيس بن عباد، قال: -وكان من أكثر الناس- أو: أحدث الناس - عن بني إسرائيل، قال: فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر، هابت الخيل اللهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وَدِيق، فوجد ريحها -أحسبها أنا قال: -فانسلَّ، فاتبعه. قال: فلما تتامّ آخر جنود فرعون في البحر، وخرج آخر بني إسرائيل، أمر البحر فانطبق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبدًا، فسمع الله تكذيبهم نبيه، قال: فرمى به على الساحل، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: أهذا الوقت تقول، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه؟ ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: في الأرض الذين أضلوا الناس، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

(٢٨٧) أحمر
أسود

وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذاك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ أي: نرفعك على نَشز من الأرض، ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد: سويا صحيحا، أي: لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر: بدرعك

وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها، كما تقدم، والله أعلم.

وقوله: ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ أي: لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء؛ ولهذا قرأ بعض السلف: (**لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**) أي: لا يتعظون بها، ولا يعتبرون بها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

الآية: ٩١ ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

قيل: هو من قول الله تعالى. وميل: هو من قول جبريل. وقيل: ميكائيل، صلوات الله عليهما، أو غيرهما من الملائكة له صلوات الله عليهم. وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ثم قول اللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال: حيث لم تنفعه الندامة ؛ ونظيره. ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]

أثنى عليهم الرب بما في ضميرهم لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلام القلب.

قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض. وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق، وقالوا: هو أعظم شأنا من ذلك، فألقاه الله على نجوة من الأرض، أي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه قال أوس بن حجر يصف مطرا:

فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾ أي لبني إسرائيل ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته إليه هذا الخبر. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي معرضون عن تأمل آياتنا والتفكر فيها.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي في المدائن من قوم فرعون: ما أُغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر، فأوحى الله إلى البحر أن الفظ فرعون عريانًا، فكانت نجاةَ عِبرةٍ، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن الفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقًا، فصار لا يقبل غريقًا إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى عليه السلام ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عُبَاد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفًا عليهم الحديد، فأخذته بنو

(٢٨٩) أحمر
أسود

إِسرائيل يمثِّلون به. وذكر غيره أنه إِنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كذَّب بعض بني إِسرائيل بغرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إِسرائيل قُصَيِّرًا أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إِسرائيل بدرع كانت له من لؤلؤ لم يكن لأحد مثلها. فأما وجهه فقد غيَّره سخط الله تعالى.

والثالث: أنه كان يدَّعي أنه ربٌّ، وكان يعبده قوم، فبيَّن الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجه من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذِكر البدن دليل على عدم الروح.

والثاني: بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرِف بدرعه.

والثالث: نلقيك عريانًا، قاله الزجاج.

والرابع: ننجِّيك وحدك، قاله ابن قتيبة.

وفي قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقالتك، فإنك لو كنت إِلهًا ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة.

والثاني: لتكون لبني إِسرائيل آية، قاله السدي.

والثالث: لمن تخلّف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان:

أحدهما: عبرة للناس.

والثاني: علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدَّعي أنه ربٌّ، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السميقع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بالقاف.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن جبريل عليه السلام كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة بقوله: لا إله إلا الله؟

ج: ورد هذا من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ تصح بمجموعها لكنها أُعلت بالوقف على ابن عباس[1]، وقد روى أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي سندها مقالٌ أيضًا.

وعلى كلٍّ فإن صححها بالمجموع مصحح فله وجه والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما اليوم الذي أهلك الله فيه فرعون؟

ج: كان هذا يوم عاشوراء.

أخرج البخاري[2] ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا**».

❁ ❁ ❁

(١) انظر الطبري (١٧٨٧٢) فما بعده، ومسند أحمد (١/ ٣٠٩، ٢٤٥)، وعبد بن حميد (٦٦٤)، والترمذي (٣١٠٦)، والطيالسي (٢٦١٨).

(٢) البخاري (٤٦٨٠)، ومسلم (١١٣٠).

(٢٩١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل محمودة مباركة كثيرة خيراتها، وكثيرةٌ زروعها، قيل: إنها مصر، وقيل: الشام، ومنها الأردن وفلسطين، وقيل: إن المراد بني إسرائيل الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ وهم بنو قريظة وبنو النضير.

والظاهر الأول، أي: أنها مصر، وذلك؛ لأن فرعون كان بمصر، وقد أغرقه الله ﷻ وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩].

ولا يمنع أيضًا أن يكون الله ﷻ أنزلناهم منازل مباركة طيبة أخرى كالشام وغيرها، والله أعلم.

ثم إن الله ﷻ رزقهم مع هذه المنازل الطيبة الثمرات الطيبة والمطاعم الطيبة فساروا على نهج واحد على ما هم عليه ولكن لما جاءهم المعلوم لديهم والموصوف عندهم، وهو النبي محمد ﷺ وما معه من القرآن الذي أنزله الله عليه حدث بينهم اختلاف فمنهم من آمن وصدق، ومنهم من تولى واستغنى ثم أخبر الله ﷻ أنه يقضي بينهم يوم القيامة، فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم ويجازي كلًّا بما يستحق.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازلَ صِدْق.

قيل: عني بذلك الشأم وبيت المقدس.

وقيل: عُنِي به الشأم ومصر. وقوله: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يقول: ورزقنا بني إسرائيل من حلال الرزق وهو ﴿الطيب﴾.

وقوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، يقول جل ثناؤه: فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين. وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبيّ ﷺ مجمعين على نبوّة محمدٍ والإقرار به وبمبعثه، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم، والمؤمنون به منهم كانوا عددًا قليلا. فذلك قوله: فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيًّا لله فوضع ﴿ٱلْعِلْمُ﴾ مكان ﴿المعلوم﴾.

وكان بعضهم يتأول ﴿ٱلْعِلْمُ﴾ ههنا، كتابَ الله ووحيَه.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، قال: ﴿ٱلْعِلْمُ﴾، كتاب الله الذي أنزله، وأمره الذي أمرهم به، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيًا بينهم ؟ أهل هذه الأهواء، هل اقتتلوا إلا على البغي قال: و«البغي» وجهان: وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها، وبغى في «العلم»، يرى هذا جاهلا مخطئًا، ويرى نفسه مصيبًا عالمًا، فيبغي بإصابته وعلمه عَلَى هذا المخطئ.

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربَّك، يا محمد، يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل فيك يوم القيامة، فيما كانوا فيه من أمري في الدنيا يختلفون، بأن يدخل المكذبين بك منهم النار، والمؤمنين بك منهم الجنة، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد ﷺ.

(٢٩٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية فـ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ قيل: هو بلاد مصر والشام، مما يلي بيت المقدس ونواحيه، فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال في الآية الأخرى: ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] ولكن استمروا مع موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، طالبين إلى بلاد بيت المقدس وهي بلاد الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فاستمر موسى بمن معه طالبا بيت المقدس وكان فيه قوم من العمالقة، فنكل بنو إسرائيل عن قتال العمالقة فشردهم الله تعالى في التيه أربعين سنة، ومات فيه هارون، ثم، موسى، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون، ففتح الله عليهم بيت المقدس، واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حينا من الدهر، ثم عادت إليهم، ثم أخذها ملوك اليونان، وكانت تحت أحكامهم مدة طويلة، وبعث الله عيسى ابن مريم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في تلك المدة، فاستعانت اليهود - قبحهم الله -على معاداة عيسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بملوك اليونان، وكانت تحت أحكامهم، ووشوا عندهم، وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه، فرفعه الله إليه، وشُبّه لهم بعض الحواريين بمشيئة الله وقدره فأخذوه فصلبوه، واعتقدوا أنه هو، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] ثم بعد المسيح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنحو من ثلثمائة سنة، دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان -في دين النصرانية، وكان فيلسوفا قبل

ذلك. فدخل في دين النصارى قيل: تقية، وقيل: حيلة ليفسده، فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة وبدعًا أحدثوها، فبنى لهم الكنائس والبيَع الكبار والصغار، والصوامع والهياكل، والمعابد، والقلايات. وانتشر دين النصرانيةفي ذلك الزمان، واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف، ووضع وكذب، ومخالفة لدين المسيح. ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان، فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامه والقفار، واستحوذت يدُ النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم، وبنى هذا الملك المذكور مدينة قسطنطينية، والقُمَامة، وبيت لحم، وكنائس بلاد بيت المقدس، ومدن حَوْران كبُصرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة، وعبدوا الصليب من حينئذ، وصلوا إلى الشرق، وصوروا الكنائس، وأحلوا لحم الخنزير، وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول، ووضعوا له الأمانة الحقيرة، التي يسمونها الكبيرة، وصنفوا له القوانين، وبسط هذا يطول.

والغرض أن يدهم لم تزل على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة، رضي الله عنهم، وكان فتح بيت المقدس على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ أي: الحلال، من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعا وشرعا.

وقوله: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ أي: ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم، أي: ولم يكن لهم أن يختلفوا، وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس. وقد ورد في الحديث: «**أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه**

(٢٩٥) أحمر
أسود

الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، منها واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار».
قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أي منزل صدق محمود مختار، يعني مصر. وقيل: الأردن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي من الثمار وغيرها. وقال ابن عباس: يعني قريظة والنضير وأهل عصر النبي ﷺ من بني إسرائيل؛ فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي في أمر محمد ﷺ. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي القرآن، ومحمد ﷺ. والعلم بمعنى المعلوم؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه؛ قال ابن جرير الطبري. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ أي يحكم بينهم ويفصل. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ في الدنيا، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

❁ ❁ ❁

س: هل كان رسول الله ﷺ شاكًّا حتى يُقال له: (فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ)؟

ج: لم يكن النبي ﷺ شاكًّا بحالٍ من الأحوال ولكن هذا مزيدٌ من التثبيت له وقذف الطمأنينة في قلبه، وكذا توجيه لأمته وإرشاد لهم.

وقد طرح الطبري نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال:

فإن قال قائل: أو كان رسول الله ﷺ في شكٍّ من خبَرِ الله أنه حقٌّ يقين، حتى قيل له: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾؟

قيل: لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم.

وأورد بأسانيد صحيحة عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾، فقال: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.

وأورد نحوه عن الحسن قال: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة مرسلًا قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام، إذنْ، إن كان الأمر على ما وصفت؟ قيل: قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه: «إن كنت مملوكي فانته إلى أمري» والعبد المأمور بذلك لا يشكُّ سيدُه القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: «إن كنت ابني فبرَّني»، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهده، وأنّ منه قول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، [المائدة: ١١٦]، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك. وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكًّا في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالمًا، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضًا، إذْ كان القرآن بلسانهم نزل.

وقال الطبري أيضًا:

ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبي ﷺ، والمراد بها بعضُ من لم يكن صحَّت، بصيرته بنبوته ﷺ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾، [الأحزاب: ١]، كان قولا غيرَ مدفوعةٍ صحته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره،

(٢٩٧) أحمر
أسود

أي لست في شك ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبدالواحد الزاهد: سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان: معنى ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ أي قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي يا عابد الوثن إن كنت في شك من القرآن فأسأل من أسلم من اليهود، يعني عبدالله بن سلام وأمثاله ؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب ؛ فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى. وقال القتبي: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه ﷺ، بل كان في شك. وقيل: المراد بالخطاب النبي ﷺ لا غيره، والمعنى: لو كنت يلحقك الشك فيه فيما أخبرناك به فسألت أهل الكتاب لأزالوا عنك الشك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: فإن كنت يا رسول الله في شكٍّ من القرآن، وأننا أنزلناه غليك من عندنا فاسأل أهل الكتابين اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل، فإن ما أنزلناه إليك موصوف عندهم وأنت كذلك موصوف عندهم، فتأكد أن الحق قد جاءك من ربك، لم يأتك به شيطان وليست الآيات بوساوس ولا هواجس، فلا تكونن من المتشككين المرتابين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك، من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوّتك قبل أن تبعث

رسولا إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبًا، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾، من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سلام ونحوه، من أهل الصدق والإيمان بك منهم، دون أهل الكذب والكفر بك منهم.

ثم قال:

وأما قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية، فهو خبرٌ من الله مبتدأ.

يقول تعالى ذكره: أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسولٌ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحّة ذلك، ويجدون نعتك عندهم في كتبهم ، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، يقول: فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. ثم مع هذا العلم يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم، يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه، ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم.

❁ ❁ ❁

س: كيف يؤمر رسول الله ﷺ بسؤال أهل الكتاب، وكثيرٌ منهم مكذبون، بل وأكثرهم الفاسقون؟

ج: المراد – والله أعلم –: سؤال العدول منهم الذين آمنوا وصدقوا كعبد الله بن سلام ونحوه.

(٢٩٩) أحمر
أسود

وقد استفاض السعدي في الإجابة على هذا السؤال فقال:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ هل هو صحيح أم غير صحيح؟

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ أي: اسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراسخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته.

والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:

منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم.

وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ «عبد الله بن سلام» وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي ﷺ، وخلفائه، ومن بعده و«كعب الأحبار» وغيرهما.

ومنها: أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه.

فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدقه، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم على إنكار ذلك، لم يقدح بما جاء به الرسول.

ومنها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رءوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد ﷺ، فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله، لأبدوه وأظهروه وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

ومنها: أنه ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب.

فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – نهيٌ بعد نهيٍّ، فقد نهى النبي ﷺ عن أن يكون من الممترين، نهيٌ عن التشكك والارتياب، وأمته له تبع، وكذا نهي عن التكيب بآيات الله، فإنه إن كان من المكذبين لآيات الله كان، والعياذ بالله من أهل الخسران يوم القيامة، خسران ليس بعده خسران، وليس فوقه خسران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تكونن يا محمدُ، من الذين كذَّبوا

(٣٠١) أحمر
أسود

بحجج الله وأدلته، فتكون ممن غُبن حظه، وباع رحمةَ الله ورضاه، بسَخَطه وعقابه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه.

وأشد من ذلك، التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلا وذلك بفوات الثواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمرًا بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب إليه، والإقبال عليه، علمًا وعملا.

فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ
كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ
إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ
أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلۡ
يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم
مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا
نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس: ٩٦-١٠٣].

(٣٠٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(حَقَّتْ - كَلِمَتُ رَبِّكَ - عَذَابَ ٱلْخِزْيِ - وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ - تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ - ٱلرِّجْسَ - وَٱلنُّذُرُ - أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ - حَقًّا عَلَيْنَا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(حَقَّتْ ﴾	وجبت عليهم – تحققت فيهم. قضى الله في شأنهم بأنهم سيموتون على الكفر
(كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾	ما تكلم الله به وقضاه وأمر به أن يكون، وقد قضى في حق الكفار أنهم سيموتون على الكفر.
(عَذَابَ ٱلْخِزْيِ ﴾	العذاب المخزي المهين المذل.
(وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	تركناهم يتمتعون في الدنيا بالعام والشراب والملاذ حتى تنقضي آجالهم..
(تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ ﴾	تُجبر الناس.
(ٱلرِّجْسَ ﴾	العذاب – العقاب – اللعن.
(وَٱلنُّذُرُ ﴾	الرسل – صور الإنذار عمومًا.
(أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	الأيام التي حلت فيها العقوبات – أيام العقوبات التي حلَّت بالذين مضوا من قبلهم (الأمم التي سلفت ومضت).
(عَلَيْنَا ﴾	واجبًا علينا (أوجبه الله على نفسه وجعله حقًّا لأهل الإيمان).

من كتبت عليه الشقاوة فلم يهتدي

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم: إن الذين وجبت عليهم كلمة الله بأنهم سيموتون على الكفر وسيعذبون ويستحقون اللعنة لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل الآيات والمعجزات حتى يروا العذاب أمام أعينهم فحينئذٍ قد يؤمنوا ولكن لا ينفعهم ذلك الإيمان كما حدث لفرعون لعنه الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين وجبت عليهم يا محمد ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، هي لعنته إياهم بقوله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾، [هود: ١٨]، فثبتت عليهم.

يقال منه: «حق على فلان كذا يحقُّ عليه»، إذا ثبت ذلك عليه ووجب.

وقوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، يقول: لا يصدقون بحجج الله، ولا يقرُّون بوحدانية ربهم، ولا بأنك لله رسول ﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، وموعظة وعبرة، فعاينوها، حتى يعاينوا العذاب الأليم، كما لم يؤمن فرعون وملؤه، إذ حقَّت عليهم كلمة ربّك حتى عاينوا العذاب الأليم، فحينئذ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، [يونس: ٩٠]، حين لم ينفعه قيلُه، فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الأوثان وغيرهم، لا يؤمنون بك فيتبعونك، إلا في الحين الذي لا ينفعهم إيمانهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ أي: لا يؤمنون إيمانا ينفعهم، بل حين لا ينفع نفسًا إيمانها؛ ولهذا لما دعا موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، على فرعون وملئه قال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

(٣٠٥) أحمر
أسود

[يونس: ٨٨]، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ أي: وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال:

أحدها: باللعنة.

والثاني: بنزول العذاب.

والثالث: بالسَّخط.

والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أنَّث فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت لا يجدي عليهم إيمانهم شيئًا، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

الآيات لا تنفع من كتبت عليهم الشقاوة

س: الآيات (المعجزات) لا تنفع من كتبت عليه الشقاوة دلِّل على ذلك:

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ...﴾ [الإسراء: ٥٩].

* وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا ﴾ ففيه وجهان للعلماء:

أحدهما: أن معناها (فلم) فيكون المعنى فلم تكن هناك قريةٌ كافرة آمنت لما رأت العذاب فانتفعت بإيمانهم وكشف عنهم ربهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: العذاب المخزي المُهين المُذل في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى حين، وهو انقضاء آجالهم.

وبمزيدٍ من الإيضاح لهذا الوجه أقول إن فرعون مثلًا لما آمن عند معاينة الموت وإحاطة أسبابه به ورأى الغرق لا محالة تلفظ بقوله: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فلم ينتفع بهذا الإيمان الذي كان

(٣٠٧) أحمر
أسود

منه عند إحاطة الموت به وعند غرقه.

وهكذا سائر الأمم المعذبة التي أهلكها الله لم تنتفع بإيمانها عند معاينتها العذاب لكن قوم يونس راوا العذاب وكان سيحلُّ بهم استغفروا وآمنوا فانتفعوا بذلك فكشف عنهم العذاب.

أي أن الأمم المعذبة التي رات العذاب لكن قوم يونس استثناهم الله ﷻ من ذلك فكشف عنهم العذاب لما آمنوا.

الوجه الثاني: أن المعنى فهلا كانت قرية آمنت لما جاءها المرسلون فكانت حينئذٍ تنتفع بالإيمان وكلن ما حدث هذا، وما هنالك قريةٌ آمنت فانتفعت بالإيمان، لكن قوم يونس آمنوا لما خرج نبيهم من عندهم مغاضبًا وأيقنوا أن العذاب واقع بهم آمنوا كلهم أجمعون فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا في الحياة الدنيا إلى الوقت الذي تنقضي فيه آجالهم التي كتبها الله لهم.

فتلخيص القول في الوجهين على النحو التالي:

الأول: فما كانت هنالك قرية رات العذاب مقبلًا عليها فآمنت وتابت فنفعها ذلك الإيمان وتلك التوبة، فالإيمان والتوبة في هذا الوقت لا ينفعان، إلا قوم يونس استثنوا من هذا فنفعهم الإيمان.

الثاني: فهلا كانت هناك قرية آمنت فانتفعت بإيمانها بتصديقها الرسل، ولكن قوم يونس آمنوا فانتفعوا.

هذا، والمراد والله أعلم القرية بكاملها.

والله تعالى أعلى وأعلم.

ثم هذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فهلا كانت قرية آمنت؟ وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبيّ.

ومعنى الكلام: فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب، ونزول سَخَط الله بها، بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيّه، واستحقاقه سَخَط الله بمعصيته - إلا قوم يونس، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم.

فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم أيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾، يقول: لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قريةً كفرت ثم آمنت حين حضرها العذابُ، فتُرِكت، إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيَّهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجُّوا إلى الله أربعين ليلةً. فلما عرف الله الصِّدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلَّى عليهم. قال: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرضِ الموصل.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول: لما صدّقوا رسولهم، وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلّهم العذاب وغشيهم أمْرُ الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عَذَاب الهوان والذلّ في حياتهم الدنيا ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾،

(٣٠٩) أحمر
أسود

يقول: وأخَّرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة، وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم، ووقت فناء أعمارهم التي قَضَيْتُ فَنَاءها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل، بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه، أو أكثرهم كما قال تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾ [يس: ٣٠]، ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ [الزخرف: ٢٣] وفي الحديث الصحيح: «**عرض علي الأنبياء، فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس، والنبي معه الرجل والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد**»[1] ثم ذكر كثرة أتباع موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم ذكر كثرة أمته، صلوات الله وسلامه عليه، كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي.

والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى، إلا قوم يونس، وهم أهل نِينَوى، وما كان إيمانهم إلا خوفا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، بعد ما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله واستغاثوا به، وتضرعوا لديه. واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم. فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب وأخروا، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ ﴾.

(١) انظر لفظه عند البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٣٧٤) (٢٢٠).

واختلف المفسرون: هل كُشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي؟ أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين، أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية. والقول الثاني فيهما لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨] فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر، والله أعلم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ من قرى المكذبين ﴿ ءَامَنَتْ ﴾ حين رأت العذاب ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ أي: لم يكن منهم أحد انتفع بإيمانه، حين رأى العذاب، كما قال تعالى عن فرعون ما تقدم قريبًا، لما قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فقيل له ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

والحكمة في هذا ظاهرة فإن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان لرجع إلى الكفران.

وقوله: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾ بعدما رأوا العذاب ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ فهم مستثنون من العموم السابق.

ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا ولم تدركها

(٣١١) أحمر
أسود

أفهامنا.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩] إلى قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨]، ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر بل قد استمر فعلا وثبتوا عليه والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل قوم يونس رأوا العذاب فعلًا أم رأوا علاماته ومن ثمَّ بادروا بالإيمان؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنهم رأوا العذاب أمامهم.

الثاني: رأوا علامات وأمارات تدل على أن العذاب سيحلّ بهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الطبري: خص قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب ؛ وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين. وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان.

قلت: قول الزجاج حسن ؛ فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون لأنه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقوم يونس تابوا قبل ذلك. ويعضد هذا قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**». والغرغرة

الحشرجة، وذلك هو حال التلبس بالموت، وأما قبل ذلك فلا. والله أعلم.

... ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويكون معنى ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي العذاب الذي وعدهم به يونس أنه ينزل بهم، لا أنهم رأوه عيانا ولا مخايلة؛ وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم. وبالجملة فكان أهل نينوى في سابق العلم من السعداء.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى: لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ أي: قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس.

والثاني: أنها بمعنى: فهلاّ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلاّ كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و«إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قومُ يونس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أنك يا رسول الله لا تستطيع إجبار أحدٍ على الإيمان، ولن تستطيع توفيق أحدٍ لذلك ولا إكراهه على ذلك بل هذا الأمر أمر إيمان القلوب موكول إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يملكه إلا هو، ولو شاء الله عَزَّ وَجَلَّ لأمن من في الأرض كلهم جميعًا، ولن تستطيع ولو حرصت هداية من أغواه الله، قال

(٣١٣) أحمر
أسود

تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ [ق: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ ﴾ [الغاشية: ٢٢].

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص: ٥٦].

وما كان لأي نفسٍ أن تؤمن إلا إذا وفقها الله ﷻ لذلك وأذن بذلك، ويجعل ربنا عذابه وغضبه وعقابه وسخطه ولعنته على الذين لا يعقلون عن الله أمره، ولا يتبعون رسله ولا يصدقون بوحدانيته، فهؤلاء يجعل الله الرجس عليهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكر لنبيه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ﴾، يا محمد، ﴿رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾، بك، فصدَّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له، حقٌّ، ولكن لا يشاء ذلك، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك، ولا يتّبعك فيصدقوك بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادةُ في الكتاب الأوّل قبل أن تخلق السموات والأرض وما فيهن، وهؤلاء الذين عجبوا من صِدْق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بإنذاره، ممَّن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾، فـ «الكل» يدل على «الجميع»، و«الجميع» على «الكل»، فما وجه تكرار ذلك، وكل واحدة منهما تغني عن الأخرى؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك:

فقال بعض نحويي أهل البصرة: جاء بقوله «جميعًا» في هذا الموضع توكيدًا، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾، [النحل: ٥١]، ففي قوله: «إلهين» دليل على «الاثنين».

وقال غيره: جاء بقوله «جميعًا» بعد «كلهم»، لأن «جميعًا» لا تقع إلا توكيدًا، و«كلهم» يقع توكيدًا واسمًا، فلذلك جاء ب «جميعًا» بعد «كلهم». قال: ولو قيل إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد، لجاز ههنا. قال: وكذلك: ﴿إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾، العدد كله يفسر به، فيقال: «رأيت قومًا أربعة». إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾، يقولُ جل ثناؤه لنبيّه محمد ﷺ: إنه لن يصدقك يا محمد، ولن يتبعك ويقرّ بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدّقك، لا بإكراهك إياه، ولا بحرصك على ذلك ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ لك، مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك؟ يقول له جل ثناؤه: فاصدَعْ بما تؤْمر، وأعرض عن المشركين الذين حقَّت عليهم كلمة ربّك أنَّهم لا يؤمنون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما كان لنفس خلقتُها من سبيل إلى تصديقك، يا محمد، إلا بأن آذن لها في ذلك، فلا تجهدنّ نفسك في طلب هداها، وبلِّغها وعيدَ الله، وعرِّفها ما أمرك ربك بتعريفها، ثم خلِّها، فإن هداها بيد خالقها.

وأما قوله: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾، فإنه يقول تعالى ذكره: إن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد، ويأذن له في

(٣١٥) أحمر
أسود

تصديقك فيصدقك ويتبعك، ويقرّ بما جئت به من عند ربك ، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾، وهو العذابُ، وغضب الله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دلّ بها جل ثناؤه على نبوّة محمد ﷺ، وحقيقة ما دعاهم إليه من توحيد الله، وخَلْع الأنداد والأوثان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ -يا محمد -لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به، فآمنوا كلّهم، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تلزمهم وتلجئهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: ليس ذلك عليك ولا إليك، بل [إلى] الله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد، الهادي من يشاء، المضل لمن يشاء، لعلمه وحكمته وعدله؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ وهو الخبال والضلال، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: حجج الله وأدلته، وهو العادل في كل ذلك، في هداية من هدى، وإضلال من ضل.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: بقضاء الله وقدره.

والثاني: بأمر الله، رُويا عن ابن عباس.

والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء.

والرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل.

والخامس: بعلم الله.

والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: لا تقدر على ذلك، وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته ومشيئته، وإذنه القدري الشرعي، فمن كان من الخلق قابلا لذلك، يزكو عنده الإيمان، وفقه وهداه.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: الشر والضلال ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ عن الله أوامره ونواهيه، ولا يلقوا بالا لنصائحه ومواعظه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا انتفع قوم يونس بالتوبة عند معاينة العذاب دون غيرهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الله عَزَّ وَجَلَّ اختصهم بذلك لعلمه بهم.

الثاني: أنهم آمنوا قبل حلول العذاب، وذلك أنهم آمنوا عندما رأوا أسباب

(٣١٧) أحمر
أسود

العذاب قادمة.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

فإن قيل: كيف كُشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَف عن فرعون حين آمن؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن ذلك كان خاصًّا لهم كما ذكرنا في أول الآية.

والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له ذكره الزجاج.

والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف مَن تقدَّمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: انظروا يا عباد الله ماذا في السموات والأرض من الآيات الدالة على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، انظروا إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت، انظروا كذلك في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، انظروا إلى الشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال وسائر المخلوقات تستدلوا بذلك على وحدانية الله ﷻ، ولكن الذي يستدل

من كان له قلب يعقل به، ومن كتبت له الهداية أما من كتبت عليه الشقاوة والغواية فمهما أتته من آيات وحجج وبينات فكل ذلك لن يؤثر فيه ولن يتسبب في هدايته لأن الله أغواه.

فقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ أي: وماذا تجدي المعجزات، وماذا يُجدي المرسلون المنذورن وماذا تجدي كافة النذر مع القوم الذين كتبت عليهم الغواية، إنهم لا ينتفعون بآية ولا يتذكرون بنذير فماذا عساهم أن يطلبوا كي يؤمنوا؟! ماذا ينتظرون كي يؤمنوا هل ينتظرون إلا مثل الأيام التي حلَّت فيها المصائب والنقم بالأمم التي مضت من قبلهم؟! فقل لهؤلاء المكذبين الذين يكذبون بالقرآن ويكذبون بالنقم انتظروا ونحن معكم ننتظر حتى يأتي ما وعد الله به فسيأتيكم نحو ما جاء الأمم من قبلكم وسيحل بكم من عذاب الله ونكاله مثل ما حلَّ بالأمم السابقة فإذا جاء هذا العذاب، وحلَّ هذا النكال نجينا رسلنا والذين آمنوا كما أنجينا رسلنا من قبل، وأنجينا أهل الإيمان، ننجي رسول الله ﷺ وأهل الإيمان، وهذا الحق الذي قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: لأهل الإيمان أن ننجيهم، هو سبحانه بفضله وكرمه أوجبه على نفسه، كذا قال فريق من أهل العلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك، السائليك الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها وفي الأرض من جبالها، وتصدُّعها بنباتها،

(٣١٩) أحمر
أسود

وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم موعظة ومعتبرًا، ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغْنيكم عما سواه من الآيات.

يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾، يقول جل ثناؤه: وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عبادة الله عقابه، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدِّقون به. ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾؟

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، محذِّرًا مشركي قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحوَ الذي حلَّ بنظرائهم من قبلهم من سائر الأمم الخالية من قبلهم، السالكة في تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربِّهم سبيلَهم: فهل ينتظر، يا محمد، هؤلاء المشركون من قومك المكذِّبون بما جئتهم به من عند الله، إلا يومًا يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذي كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب، الذين مضوا قبلهم فخَلَوْا من قوم نوح وعاد وثمود؟ قل لهم، يا محمد، إن كانوا ذلك ينتظرون: فانتظروا عقابَ الله إياكم، ونزول سخطه بكم، إني من المنتظرين هلاككم وبوارَكم بالعقوبة التي تحلُّ بكم من الله.

ويقول تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم ننجّي هناك رسولَنا محمدًا ﷺ ومن آمن به وصدّقه واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برُسلنا الذين أهلكنا أممهم، فأنجيناهم ومن آمن به

معهم من عذابنا حين حقّ على أممهم ، ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾، يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها، كذلك نفعل بك، يا محمد، وبالمؤمنين، فننجيك وننجي المؤمنين بك، حقًّا علينا غير شك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يرشدُ تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دوابّ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: وأي شيء تُجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ

(٣٢١) أحمر
أسود

ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: ونهلك المكذبين بالرسل، ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ أي حقًّا: أوجبه تعالى على نفسه الكريمة: كقوله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢] كما جاء في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**».

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ
بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

[يونس: ١٠٤-١٠٩]

(٣٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتَوَفَّىٰكُم - أَقِمْ وَجْهَكَ - حَنِيفًا - وَلَا تَدْعُ - ٱلظَّٰلِمِينَ - يَمْسَسْكَ - بِضُرٍّ - ٱلْحَقُّ - بِوَكِيلٍ - يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾	يميتكم عند استيفاءكم الأجل. يميتكم عند حلول آجالكم.
﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾	ابتغي بعملك وجه الله، وليكن عملك وفق شريعة الله.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.
﴿وَلَا تَدْعُ﴾	ولا تعبد – ولا تسال.
﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	المشركين.
﴿يَمْسَسْكَ﴾	يصبك.
﴿بِضُرٍّ﴾	مرض – قلة مال – ابتلاء بمكروه.
﴿ٱلْحَقُّ﴾	القرآن – الرسول عليه الصلاة والسلام.
﴿بِوَكِيلٍ﴾	بموكل بهدايتهكم وهداية التوفيق.
﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾	يقضي الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين يا أيها الناس، يا أهل الشرك، إن كنتم في شكٍّ من ديني الذي أنا عليه، وهو عبادتي ربي ﷻ وعدم الإشراك به فلا ينبغي أن تشكو فيه، ولا تطمعوا في رجوعي عنه فإنني لا أعبد أصنامكم وأوثانكم التي تدعونها من دون الله، والتي لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها شيئًا فضلًا عن كونها لا تملك شيئًا لغيرها، وسأستمر في عبادة ربي ﷻ موحدًا غير مشرك، سأستمر في عبادة الله الذي يحيي ويميت، ويتوفاكم عند انقضاء آجالكم، وأمرني ربي أن أكون من أهل الإيمان به وبأنه واحد لا شريك له وبالتصديق بكل ما قاله ربي.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك: إن كنتم في شك، أيها الناس، من ديني الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حقّ من عند الله: فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عني شيئًا، فتشكُّوا في صحته.

وهذا تعريض ولحنٌ من الكلام لطيفٌ.

وإنما معنى الكلام: إن كنتم في شك من ديني، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئًا ولا تضر ولا تنفع. فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكُّوا فيه، لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء، وينفعهم ويضرُّهم إن شاء. وذلك أن

(٣٢٥) أحمر
أسود

عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة. وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لبٍّ وعقل صحيح.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾، يقول: ولكن أعبد الله الذي يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤﴾، يقول: وهو الذي أمرني أن أكون من المصدّقين بما جاءني من عنده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: قل: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم من الدين الحنيف، الذي أوحاه الله إلي، فها أنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم؛ فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقا، فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني، فإنها لا تضر ولا تنفع، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المؤمنين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾.

ج: هذا ـ والله أعلم ـ: مفاده أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يقيم وجهه للدين حنيفًا، وأن يعمل ويخلص في عمله لله، ويعبد الله ويجتهد مخلصًا في ذلك لله موحدًا له مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، ونهى أن يكون من المشركين فقال الله له ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة أخرى.

وكذا نهى رسول الله ﷺ عن دعاء أحدٍ سوى الله والدعاء هنا يتضمن العبادة والسؤال فلا يعبد مع الله غيره، ولا يدعو من دون الله سواه، فإنه إن دعا

أحدًا مع الله فلن ينفعه هذا المدعو من دون الله ولن يضره كذلك بشيء، وفضلًا عن ذلك فإنه بدعاء غير الله وبعبادة غير الله سيدخل في عداد الظالمين المركين الكافرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، و﴿ وَأَنْ أَقِمْ ﴾ و«أن» الثانية عطفٌ على «أن» الأولى.

ويعني بقوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾، أقم نفسك على دين الإسلام، ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيمًا عليه، غير معوَجّ عنه إلى يهوديةٍ ولا نصرانيةٍ، ولا عبادة وثن ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾، يقول: ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهةَ والأندادَ، فتكون من الهالكين.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام. يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفًا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر، «فإن فعلت»، ذلك، فدعوتها من دون الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾، يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفُسِهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وقوله: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده حنيفا، أي: منحرفا عن الشرك؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وهو معطوف على قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٢٧) أحمر
أسود

الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

ج: هذا ـ والله أعلم ـ: إخبار وتذكير في نفس الوقت والمعنى، وإن يصبك الله ﷻ بضرٍّ، بأي نوعٍ من أنواع الضرِّ كان، فلن يستطيع أحد أن يكشفه عنك سواه سبحانه وتعالى هو الذي يكشفه عنك سواه سبحانه وتعالى هو الذي يكشفه عنك فلم تلجأ إلى عبادة غيره وإلى سؤال أحدٍ سواه لكشف الضرِّ عنك، وكذا إن يردك الله بخيرٍ فلن يستطيع أحدٌ أن يرد هذا الخير عنك، ولن يستطيع أن يمنع هذا الفضل منك، فربك ﷻ الذي يصيب بالخير وبالضر من يشاء من عباده، وهو الغفور لذنوب عباده فإنهم إذا استغفروه غفر الله، وإذا تابوا إليه تاب عليهم الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ورحمته في الآخرة خاصة بأهل الإيمان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يصبك الله، يا محمد، بشدة أو بلاء، فلا كاشف لذلك إلا ربّك الذي أصابك به، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، يقول: وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، يقول: فلا يقدر أحدٌ إن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردّك عنه ولا يحرمكه؛ لأنه الذي بيده السّرّاء والضرّاء، دون الآلهة والأوثان، ودون ما سواه ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، يقول: يصيب ربك، يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء، من يشاء ويريد ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾، لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ بمن آمن به منهم وأطاعه، أن يعذبه بعد التوبة والإنابة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ أي: لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أيّ ذنب كان، حتى من الشرك به، فإنه يتوب عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يرده الله، ولهذا قال: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾

﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها.

﴿ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحدًا من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

❁ ❁ ❁

(٣٢٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾).

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله: يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ، فهو الحق، وقد جاء من عند الله، لا من عند أحدٍ سواه، فمن اهتدى بما في هذا القرآن واتبع ما فيه فإنما يهتدي لنفسه، ثواب اهتدائه عائدٌ عليه كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني**»، وكذا من ضل فإثم ضلاله على نفسه، ولن يضل الله شيئًا، وفي الحديث القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**».

هذا، وقوله: (وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾) أي: ولست موكلًا بتوفيقكم إنما التوفيق من الله، وبالله، ولست بمجبركم على الهداية، ولا بمسلطٍ على قلوبكم كي تؤمنوا. ثم يأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالصبر واتباع ما يوحى إليه حتى يقضى الله نبيه وبين أعدائه، وذلك قد يكون في الدنيا، وقد يؤجل هذا القضاء للآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠] ويُذكِّر الله سبحانه بأنه جل وعلا خير الحاكمين خبرٌ من أعطى كل ذي حق حقه، وخير من انتصر للمظلوم من ظالمه، وخير من قضى بين العباد وحكم

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعني: كتاب الله، فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، يقول: فمن استقام فسلك سبيل الحق، وصدّق بما جاء من عند الله من البيان، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾، يقول: فإنما يستقيم على الهدى، ويسلك قصد السبيل لنفسه، فإياها يبغي الخيرَ بفعله ذلك لا غيرها، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾، يقول: ومن اعوج عن الحق الذي أتاه من عند الله، وخالف دينَه، وما بعث به محمدًا والكتابَ الذي أنزله عليه، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، يقول: فإن ضلاله ذلك إنما يجني به على نفسه لا على غيرها، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها، ولا يورد بضلاله ذلك المهالكَ سوى نفسه. ولا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾، يقول: وما أنا عليكم بمسلَّط على تقويمكم، إنما أمركم إلى الله، وهو الذي يقوّم من شاء منكم، وإنما أنا رسول مبلّغ أبلغكم ما أرسلتُ به إليكم.

ويقول تعالى ذكره: واتبع، يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره، وعلى ما نالك منهم، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾، يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين. فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بَدْرٍ، وقتلهم بالسيف، وأمر نبيه ﷺ فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم، أو يتوبوا ويُنيبوا إلى طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه فإنما يرجع

(٣٣١) أحمر
أسود

وبال ذلك عليه ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ ﴾ أي: وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين به، وإنما أنا نذير لكم، والهداية على الله تعالى.

وقوله: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ ﴾ أي: تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه واصبر على مخالفة من خالفك من الناس، ﴿ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: يفتح بينك وبينهم، ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾ أي: خير الفاتحين بعدله وحكمته.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ منسوخ؟

ج: قال ذلك بعض العلماء إنها منسوخة بآية السيف والظاهر عدم النسخ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك. قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضًا، وهي قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزيةِ على أهل الكتاب، والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ. أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في (الأنعام: ١٠٧). وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة (البقرة: ١٠٩) قوله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾.

ونقل الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد قال: نسختها آية السيف.

وكذا قال غير واحدٍ من العلماء.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة هود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾.

[هود: ١-٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(أُحْكِمَتْ - فُصِّلَتْ - لَّدُنْ - يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا - أَجَلٍ مُّسَمًّى - كُلَّ ذِى فَضْلٍ - يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ - لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ - يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أُحْكِمَتْ ﴾	بيَّنت الأوامر والنواهي والحلال والحرام. أُتقنت – حفظت من الباطل.
(فُصِّلَتْ ﴾	بيّنت الثواب والعقاب. بيَّنت الحلال والحرام كذلك – أُنزلت شيئًا بعد شيء.
(لَّدُنْ ﴾	عند.
(يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾	يرزقكم رزقًا حسنًا ويعافيكم ويحفظكم.
(أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	وقت محدد (انتهاء آجالكم).
(كُلَّ ذِى فَضْلٍ ﴾	كل محسن وكل عامل للصالحات.
(يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ)	يخفي أحدهم ليختفي عن رسول الله. ينحني ويستتر كيلا يراه الله (بظنه وزعمه) يضمرون ما في أنفسهم.
(لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾	كي لا يراهم.
(يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾	يتعظون بثيابهم.

❁ ❁ ❁

(٣٣٥) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي فيه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ ما شيبك؟ قال: شيبتني هود وأخواتها، وفي رواية: «شيبتني هود، والواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»؟

ج: هذا الحديث[1] رواه عددٌ من أهل العلم من طرق عن النبي ﷺ، وكل طرقه ضعيفة، ولا يخلو طريق منها من مقال.

وإن كان بعض أهل العلم قد صححها بمجموع طرقها إلا أنني لا أنشط لتصحيحها فأراها ضعيفة والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالإحكام والتفصيل في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن قوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ بالأوامر والنواهي، وقوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ ثم بُيِّنت بالثواب والعقاب.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ أُتقنت وأُصلحت فلا يتسرب إليها خلل ولا يعتريها نقص ولا يأتيها الباطل.

وقوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ ببيان الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وميِّز بعضها عن بعض.

الثالث: أن معنى قوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ جُمعت وأُجملت (معانيها) ثم فصِّلت بيِّنت ووضحت بعد إجمالٍ.

(١) وانظر بعض مصادره في الترمذي (٣٢٩٣)، وأبي يعلى (١٠٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٦)، ومعجم الطبراني (١٠٠٩٢) وغيرها.

الرابع: أن ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ لم ينسخها كتاب آخر، (إنما آيات القرآن ينسخ بعضها بعضًا).

وقوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ أي: نزلت شيئًا بعد شيء.

الخامس: أن قوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ المراد به أُتقنت وحُسِّنت ففيها إعجاز النظم والبلاغة ﴿فُصِّلَتۡ﴾ بينت. وهذا راجع إلى بعض ما تقدم.

وهنالك أقوالٌ أُخر في كونها فصِّلت:

منها: فصلت بجميع ما يُحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وتثبيت نبوة الأنبياء وإقامة الشرائع. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٣٧) أحمر
أسود

دفع إشكالٍ وجمعٌ بين آيات

س: قال تعالى في شأن آيات الكتاب العزيز: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فدلَّ ذلك على أنها كلها محكمة، وقال في آية أُخرى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧] فأفادت هذه الآية أن بعض الآيات محكمات فما وجه الجمع؟

ج: الجمع – والله تعالى أعلم – أن الإحكام في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ غير الإحكام في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٞ﴾.

فالإحكام الأول: المراد به – على قولٍ من الأقوال – حفظ القرآن من الخلل وحفظه من الشيطان وإتقانه وجزالة ألفاظه وحسن عباراته.

أما الإحكام الثاني، فالمراد به: وضوح معنى بعض الآيات حتى إن العالم وغير العالم يوف معناها، والمتشابهات يعلم معناها – بإذن الله – أهل العلم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾.

ج: أما قوله: ﴿الٓرۚ﴾ فأحرف مقطعة بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، الله أعلم بمعناها، والظاهر – كما أسلفت من قبل – أنها سيقت للتحدي والإعجاز، ووجه ذلك أنها أحرف تعرفونها ولا تستطيعوا أن تأتوا منها بسورة ولا بآية، والله أعلم.

أما قوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾ فالمراد به القرآن، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ فقد تقدم القول فيها بما حاصله أن العلماء لهم في ذلك أقوال:

منها: أن الحلال والحرام والأمر والنهي بُيِّن فيها، ثم بُيِّن ثواب ذلك وعقابه، أي: ثواب من امتثل الأمر، وعقاب من اقترف النهي، ومنها: أجملت آياته ثم وضحت وأظهرت، ومنها: أتقنت آياته وحفظت من الخلل، وحفظت من أي نقص ثم بينت الأحكام، والحلال والحرام، والأمر والنهي، وقد تقدمت سائر المعاني في هذا.

أما قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنۡ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ﴾ بتدبير الأمور والأشياء وتقديرها ﴿خَبِيرٍ ١﴾ بخلقه وبشؤونهم وبما يُصلحهم، وكان مما في هذا الكتاب العزيز الذي أحكمت آياته ثم فصلت، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، ولا تعبدوا مع إلهًا آخر ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ مخوِّف ومُذكِّر ﴿وَبَشِيرٞ ٢﴾ لمن أطاع بفسيح الجنان وإحلال رضوان الله عليه، وكان مما في هذا الكتاب العزيز كذلك الأمر بالاستغفار والتوبة ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ اطلبوا من الله أن يغفر لكم سالف ذنوبكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ ثم ارجعوا إليه بعد ابتعادكم عنه واسلكوا طريقه الموصل إلى جنته ومرضاته، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى (و)، ثم إن الله ﷻ بيَّن ثمرة التوبة والاستغفار فقال: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي: يمتعكم في دنياكم بالعافية في الأبدان والسعة في الأرزاق وهدوء البال والراحة إلى وقت انقضاء أعماركم فتعيشون آمنين مطمئنين وتحيون حياة طيبة إلى أجل مسمى إلى أن تموتوا على خير.

أما قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ أي: ويتفضل ربنا على أهل الطاعة والفضل، يتفضل عليهم يوم القيامة بجميل الثواب على صالح

(٣٣٩) أحمر
أسود

الأعمال التي عملوها في دنياهم ويُثيبهم عليها خير إثابة ويجازيهم عليها أحسن جزاء، هذا، وقد أعاد بعض العلماء الغير في قوله: ﴿فَضْلَهُۥ﴾ إلى الله ﷻ أي أن الله يجازي من فضله الذين أحسنوا في الدنيا وكان من أهل الفضل فيها.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ أي: إن تعرضوا عن طاعة الله وتصروا على الكفر الذي أنتم فيه وتنصرفوا عن الإيمان فإني أخشى عليكم من العذاب الذي يلحق بكم إن أقمتم على كفركم، وأي عذاب؟؟ إنه عذاب يوم كبير، وهو يوم القيامة، يوم طويل والعذاب فيه شديد.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ مردكم إليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ ومن قدرته إحياؤكم بعد إماتتكم وجمعكم ليوم القيامة.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، يعني: هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، وهو القرآن.

وأما قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثَّواب والعقاب.

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ من الباطل، ثم فصلت، فبين منها الحلال والحرام.

وأورد بما يصح عن قتادة قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، قال: أحكمها الله من الباطل، ثم فَصَّلها، بيَّنها.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معناه: أحكم الله آياته من

الدَّخَل والخَلَل والباطل، ثم فصَّلها بالأمر والنهي.

وذلك أن «إحكام الشيء» إصلاحه وإتقانه و«إحكام آيات القرآن»، إحكامها من خلل يكون فيها، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله. وأما «تفصيل آياته» فإنه تمييز بعضها من بعض، بالبيان عما فيها من حلال وحرام، وأمرٍ ونهي.

وكان بعض المفسرين يفسر قوله: ﴿فُصِّلَتۡ﴾، بمعنى: فُسِّرت، وذلك نحو الذي قلنا فيه من القول.

وأما قوله: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فإن معناه: ﴿حَكِيمٍ﴾ بتدبير الأشياء وتقديرها، خبير بما تؤول إليه عواقبُها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم فُصّلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وتخلعوا الآلهة والأنداد. ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، للناس ﴿إِنَّنِي لَكُم﴾، من عند الله ﴿نَذِيرٞ﴾ ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام ﴿وَبَشِيرٞ﴾، يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والأُلُوهَةِ له.

يقول تعالى ذكره: ثم فصلت آياته، بأن لا تعبدوا إلا الله، وبأن استغفروا ربكم. ويعني بقوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾، وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم، فيستر عليكم عظيمَ ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام، وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته.

وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، يقول: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد وبراءتكم من عبادتها.

ولـذلك قيـل: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، ولـم يقـل: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، لأن «التوبة» معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله، والاستغفار: استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين، والعملُ لله لا يكون عملا له إلا بعد ترك الشرك به، فأما الشرك فإنّ عمله لا يكون إلا للشيطان، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يُطِيعون الله بكثير من أفعالهم، وهم على شركهم مقيمون.

وقوله: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، فأنتم في ذلك المتاع، فخذوا بطاعة الله ومعرفة حقّه، فإن الله منعم يحبّ الشاكرين، وأهل الشكر في مزيدٍ من الله، وذلك قضاؤه الذي قضى.

وقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، يعني الموت.

وأما قوله: ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾، فإنه يعني: يثيب كل من تفضَّل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبًا بذلك، مريدًا به وجه الله، أجزلَ ثوابه وفضله في الآخرة.

وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾، يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتُهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مُوَلِّين عن ذلك، ﴿فَإِنِّيٓ﴾، أيها القوم، ﴿أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾، شأنُه عظيمٍ هَوْلُه، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

وقال جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾، ولكنه مما قد تقدّمه قولٌ، والعرب إذا قدَّمت قبل الكلام قولا خاطبت، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب، ثم رجعت بعدُ إلى الخطاب، وقد بينا ذلك في غير موضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِلَى ٱللَّهِ ﴾، أيها القوم، مآبكم ومصيركم، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام، فإنه مخلدكم نارَ جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه ، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾، يقول: وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادرٌ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ أي: هي محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى. هذا معنى ما روي عن مجاهد، وقتادة، واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ أي: من عند الله الحكيم في أقواله، وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور.

﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ ﴾ أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، قال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦].

وقوله: ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾ أي: إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه، كما جاء في الحديث الصحيح: أن

رسول الله ﷺ صعد الصفا، فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب، فاجتمعوا، فقال: «**يا معشر قريش، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم، ألستم مصدقي؟**» فقالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[(١)].

وقولـــه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ أي: وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله ﷻ فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك، ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ أي: في الدار الآخرة، قاله قتادة، كقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]، وقد جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لسعد: «**وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجِرْت بها، حتى ما تجعل في فِي امرأتك**»[(٢)].

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى، وكذب رسله، فإن العذاب يناله يوم معاده لا محالة، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ ﴾ أي: معادكم يوم القيامة، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ أي: وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه، وانتقامه من أعدائه، وإعادة الخلائق يوم القيامة، وهذا مقام الترهيب، كما أن الأول مقام ترغيب.

وأحسن ما قيل في معنى ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ قول قتادة؛ أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل. والإحكام منع القول من الفساد، أي نظمت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل. وقال ابن عباس: أي لم ينسخها كتاب،

(١) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) بنحوه.
(٢) البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

بخلاف التوراة والإنجيل. وعلى هذا فالمعنى ؛ أحكم بعض آياته بأن جعل ناسخا غير منسوخ. وقد تقدم القول فيه. وقد يقع اسم الجنس على النوع ؛ فيقال: أكلت طعام زيد ؛ أي بعض طعامه. وقال الحسن وأبو العالية: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأمر والنهي. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد والثواب والعقاب. وقال قتادة: أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها بالحلال والحرام. مجاهد: أحكمت جملة، ثم بينت بذكر آية آية بجميع ما يحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها. وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت في التنزيل. وقيل: «فصلت» أنزلت نجما نجما لتتدبر.

وقال:

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عطف على الأول. ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي ارجعوا إليه بالطاعة والعبادة. قال الفراء: «ثم» هنا بمعنى الواو ؛ أي وتوبوا إليه ؛ لأن الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار. وقيل: استغفروه من سالف ذنوبكم، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم.

ثم قال أيضًا:

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي يمتعكم بالمنافع ثم سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم. وقيل: يمتعكم يعمركم ؛ وأصل الإمتاع الإطالة، ومنه أمتع الله بك ومتع. وقال سهل بن عبدالله: المتاع الحسن ترك الخلق والإقبال على الحق. وقيل: هو القناعة بالموجود، وترك الحزن على المفقود. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: هو الموت. وقيل: القيامة. وقيل: دخول الجنة. والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه وأمر مخوف، مما يكون في القبر وغيره من أهوال القيامة وكربها ؛ والأول أظهر ؛ لقوله في هذه السورة: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟

(٣٤٥) أحمر
أسود

إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾ [هود: ٥٢] وهذا ينقطع بالموت وهو الأجل المسمى. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

الاستغفار سبب لسعة الأرزاق

س: الاستغفار والعمل الصالح من أسباب سعة الرزق دلّل على ذلك.

ج: أورد الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الأدلة على ذلك فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم ...﴾:

هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى. لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن. سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى الموت، ويد لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] وقوله تعالى عن نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢] وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الآية. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(٣٤٧) أحمر
أسود

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾؟

ج: أخرج البخاري من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ[1].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤٦٨١، ٤٦٨٢).

علم الله ﷻ بأحوال بني آدم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ﴾ فمن العلماء من قال إنها في المنافقين وضعفاء الإيمان، ومنهم من قال: إنها في شأن المؤمنين عمومًا.

أما قوله: ﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ فلأهل العلم فيها أقوال:

أحدها: يغطون وجوههم ويثنون ظهورهم.

الثاني: أنهم يضمرون ما في صدورهم ويخفونه.

الثالث: أنهم يعرضون وينصرفون وينحرفون عن الحق.

الرابع: أنهم كانوا يفعلون ذلك عند مناجاة بعضهم لبعض يثنون صدورهم ليحدث بعضهم بعضًا.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ ففيها وجهان للعلماء:

أحدهما: ليستخفوا من الله ﷻ بزعمهم.

الثاني: ليستخفوا من رسول الله ﷺ.

أما عن المعنى الإجمالي للآية الكريمة، ففيه من الوجوه ما يلي:

الأول: إذا نزّلنا الآية الكريمة على أهل النفاق، فالمعنى: ألا فاعلموا إن أهل النفاق كان بعضهم إذا مرَّ برسول الله ﷺ غطَّى وجهه وثنى ظهره حتى لا يرى النبي ﷺ ولا يراه النبي ﷺ، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن شداد في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ قال: كان أحدهم إذا مرّ برسول الله ﷺ قال بثوبه على وجهه، وثنى ظهره.

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يعلم أحوالهم وإن تغطوا بثيابهم، وكذا فإنه

(٣٤٩) أحمر
أسود

يعلم ما يسرون وما يعلنون.

الوجه الثاني: أن أهل النفاق كانوا يضمرون شرورًا في أنفسهم ويخفون حقدهم وكراهيتهم لرسول الله ﷺ، وكذا يخفون شكوكهم وارتيابهم في صدورهم ولا يفضحون بذلك، فقال تعالى: ﴿حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يخفون ما في أنفسهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

الوجه الثالث: قول من قال إن هذا في أهل الإيمان، وحاصله أن أهل الإيمان بلغ بهم الحياء من الله وشدة المراقبة له أنهم كانوا يستحيون أن يفضوا بفروجهم حياءًا من الله، فكان أحدهم يبالغ في الاستتار عند الجماع أو عند قضاء الحاجة مبالغةً قد تخرج عن حد الاعتياد، فخفف عنهم الأمر، وقال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٥﴾ بالأمور الملاصقة للصدور والمخفية في الصدور والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، فقرأته عامة الأمصار: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، على تقدير «يفعلون» من «ثنيت»، و«الصدور» منصوبة.

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: ذلك كان من فعل بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله ﷺ غطّى وجهه وثَنَى ظهره.

وقال آخرون: بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنًّا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك.

وقال آخرون: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كتاب الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ الآية، قال: كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ وذلك أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى صدره واستغشى بثوبه، وأضمر همَّه في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه.

وقال آخرون: إنما هذا إخبارٌ من الله نبيَّه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء، ويبدون له المحبة والمودة، أنهم معه وعلى دينه. يقول جل ثناؤه: ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم.

وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضًا.

فأولى التأويلات بتأويل ذلك، تأويلُ من قال: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم، أو تناجوه بينهم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن قوله: ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾، بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله، ﴿مِنۡهُ﴾، عائدة على اسم الله، ولم يجر لمحمّدٍ ذكر قبلُ، فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن الله. فإذا كان ذلك كذلك، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى. وإذا صحّ أن ذلك كذلك، كان معلومًا أنهم لم يحدِّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله، إلا بجهلهم به. فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرُّ أمورهم وعلانيتها على أيّ حالٍ كانوا، تغشَّوا بالثياب، أو أظهروا بالبَراز، فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾، يعني: يتغشَّون ثيابهم، يتغطونها ويلبسون.

يقال منه: «استغشى ثوبه وتغشّاه»، قال الله: ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ [نوح: ٧]، وقالت الخنساء:

أَرْعَى النّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا ... وَتَارَةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِي

﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، يقول جل ثناؤه: يعلم ما يسرُّ هؤلاء الجهلة بربهم، الظانُّون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها، وثنوها، وما تناجوه بينهم فأخفوه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، سواء عنده سرائرُ عباده وعلانيتهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٥﴾، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه، من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنُّه مما لم تُجنُّه بعدُ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صُدُوركم الشكّ في شيء من توحيده أو أمره أو نهيه، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق، فتهلكوا باعتقادكم ذلك.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الأضواء):

يبين تعالى في هذه الآية الكريمة. أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر وما يعلن وما يسرن والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦] وقوله جل وعلا: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] الآية. وزلا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ
فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن
قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا
يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ
ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا
يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ
مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[هود: ٦-١٢].

(٣٥٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ دَآبَّةٍ - مُسْتَقَرَّهَا - وَمُسْتَوْدَعَهَا - كِتَٰبٍ مُّبِينٍ - لِيَبْلُوَكُمْ - أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ - مَا يَحْبِسُهُۥٓ - مَصْرُوفًا - وَحَاقَ بِهِم - رَحْمَةً - نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ - لَيَـُٔوسٌ - كَفُورٌ - نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ - ٱلسَّيِّـَٔاتُ - فَخُورٌ - وَكِيلٌ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ دَآبَّةٍ ﴾	كل ما يدب على الأرض.
﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾	المكان الذي تستقر فيه (قيل: الأرحام، وقيل: المبيت ليلًا أو نهارًا، وقيل: القبر).
﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾	المكان الذي تصير إليه، قيل: القبر، وقيل: الموت، وقيل: الجنة والنار، وقيل غير ذلك.
﴿ كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	كتاب موضح مظهر (اللوح المحفوظ).
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾	ليختبركم.
﴿ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾	أجل مسمى، وزمن مُحدد، ووقت معلوم.
﴿ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾	ما يؤخره – ما يمنعه (ما يمنع العذاب).
﴿ مَصْرُوفًا ﴾	منصرفًا – مدفوعًا.
﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾	نزل بهم – حلَّ بهم.
﴿ رَحْمَةً ﴾	نعمة من نعم الدنيا.
﴿ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ ﴾	سلبناها منه.
﴿ لَيَـُٔوسٌ ﴾	يأس شديد اليأس من رحمة الله.

﴿كَفُورٌ﴾	جحود لنعم الله السابقة
﴿نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ﴾	نعمة من نعم الدنيا، غنًى بعد فقر، عافية بعد سقم، سراء بعد ضراء....
(ٱلسَّيِّـَٔاتُ)	السوء والمكروه، ما يسيء الشخص من فقر ومرض وذل وهزيمة وغير ذلك، فتفتخر على غيره
(فَخُورٌ)	مفتخر على غيره.
(وَكِيلٌ)	حفيظ – شاهد

❁ ❁ ❁

(٣٥٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –:

وما هنالك من دابة في الأرض إلا ومن الله ﷻ رزقها فكل رزق يُساق إليها إنما هو من الله سبحانه، وهو ﷻ يعلم مستقرها الذي تستقر منه، ومستودعها الذي تصير إليه، كل ذلك في اللوح المحفوظ، ثم إن من العلماء من قال إن قوله: ﴿وَمَا مِن﴾ أي: من زائدة، والمعنى، وما دابة...

وقيل في المستقر والمستودع جملة أقوال:

أحدها: أن المستقر الرحم والمستودع الأرض.

الثاني: أن المستقر الذي تستقر فيه عند نومها ليلًا أو نهارًا والمستودع هو القبر.

الثالث: أن المستقر ما تكون فيه في دنياها والمستودع القبر، وقيل: المستقر القبر والمستودع الجنة والنار.

والرابع: أن المستقر الدنيا والمستودع الجنة أو النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وما تدبّ دابّة في الأرض.

و«الدابّة» «الفاعلة»، من دبّ فهو يدبّ، وهو دابٌّ، وهي دابّة.

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، يقول: إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها، هو به متكفل، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عَيْشُها.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾، حيث تستقر فيه، وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلا أو نهارًا ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ الموضع الذي يودعها، إما بموتها، فيه، أو دفنها.

وقال آخرون: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾، في الرحم ، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، في الصلب.

وقال آخرون: «المستقر » في الرحم ، و«المستودع»، حيث تموت.

وقال آخرون: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾، أيام حياتها ، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، حيث تموت فيه.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فمنه، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام.

ويعني بقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ﴾، مبين، عدد كل دابة، ومبلغ أرزاقها، وقدر قرارها في مستقرها، ومدة لبثها في مستودعها. كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب ، ﴿مُّبِينٍ﴾، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها. وهذا إخبارٌ من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه، أنه قد علم الأشياء كلها، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها، يقول لهم تعالى ذكره: فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم، فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا ثنوا به صدورهم، واستغشوا عليه ثيابهم؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم أين مُنتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها.

ثم قال:

وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا

رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي من الأرض حيث تأوي إليه. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي الموضع الذي تموت فيه فتدفن ؛ قاله مقسم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الربيع بن أنس: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ أيام حياتها. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت وحيث تبعث. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الرحم «ومستودعها» في الصلب. وقيل: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الجنة أو النار. «ومستودعها» في القبر ؛ يدل عليه قوله تعالى في وصف أهل الجنة وأهل النار: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٦] ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٦]. ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي في اللوح المحفوظ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها على الله.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها.

﴿كُلٌّ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: والله هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكذا خلق ما فيهن في هذه الأيام الستة أيضًا، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ ﴾ أي: قبل خلق السموات والأرض ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، وقد قال ذلك النبي ﷺ أيضًا – كما سيأتي في الأحاديث بذلك.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ولم يخلقهن عبثًا ولا باطلًا، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ﴾ إنما خلقها الله ﷻ لحكمة يعلمها الله.

ومنها: ابتلاء العباد أيهم أحسنُ عملًا.

وحسن العمل يتأتى بالاتباع للكتاب والسنة وبإخلاص النية لله ﷻ، ولئن قلت يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء: إنكم مبعوثون من بعد الموت، وذلك يوم القيامة، للحساب والثواب والعقاب، ليقولن الذين كفروا ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أنه سحرٌ، وقيل: المعنى ما هذا إلا سحر واضحٌ وظاهر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعًا، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، يقول: أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء أن يعيدكم أحياءً بعد أن يميتكم؟

وقيل: إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهن في الأيام

(٣٥٩) أحمر
أسود

الستة، فاجتُزِئَ في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض، من ذكر خلق ما فيهنّ.

وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، يقول: وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن.

وأورد حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الصدد وسيأتي إن شاء الله.

ثم قال الطبري:

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، يقول: ليختبركم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، يقول: أيكم أحسن له طاعة.

وقوله: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم! فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول، إلا سحر لسامعه، مبينٌ لسامعه عن حقيقته أنه سحر.

وهذا على تأويل من قرأ ذلك: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن جامع بن شَدَّاد، عن صفوان بن مُحْرِزْ، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن**». قالوا: قد قبلنا، فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: «**كان الله قبل كل شيء، وكان**

عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء»[١]. قال: فأتاني آت فقال: يا عمران، انحلت ناقتك من عقالها. قال: فخرجت في إثرها، فلا أدري ما كان بعدي.

وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة؛ فمنها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» - وفي رواية: «**غيره**»[٢] -وفي رواية: «**معه**»[٣] -**وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، ثم خلق السموات والأرض**».

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

وقال البخاري في تفسير هذه الآية[٤]: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزِّنَادِ، عن الأعرج، عن أبي هريرة، رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله** ﷻ: **أنفِق أُنفقْ عليك**». وقال: «**يد الله ملأى لا يَغيضها نفقة، سحَّاءَ الليلَ والنهار**» وقال: «**أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع**».

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، ولم يخلق ذلك عبثا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، والبخاري بنحوه (٣١٩٠)، والبخاري (٧٤١٨).

(٢) البخاري (٣١٩١).

(٣) لم أقف عليها في البخاري.

(٤) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص:٢٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: ليختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ ولم يقل: أكثر عملا بل ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط.

وقوله: ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ يقول تعالى: ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [العنكبوت:٦١]، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ [لقمان:٢٨] وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ أي: يقولون كفرا وعنادا ما نصدقك على وقوع البعث، وما يذكر ذلك إلا من سحرته، فهو يتبعك على ما تقول.

❁ ❁ ❁

بعض معاني كلمة الأمة

س: اذكر بعض المعاني التي تطلق عليها كلمة الأمة.

ج: من هذه المعاني ما يلي:

الجماعة من الناس: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧].

البرهة من الزمن (المدة الزمنية): ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى أجلٍ محددٍ مُسمى.

الإمام المقتدى به: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

الدين والملة: ومنه قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

وأيضًا على قول لبعض المفسرين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

قيل في تفسيرها: إن هذه ملتكم ملةً واحدة.

هذا، وقد تطلق الأمة على جماعة الناس الذين أرسل إليهم رسولٌ مؤمنهم وكافرهم فيطلق عليها حينئذٍ أمة الدعوة كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]، كما قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(١)].

أما المستجيبون للرسول فيقال عنهم أمة الإجابة كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) مسلم (٢٤٠) (١٥٣).

(٣٦٣) أحمر
أسود

والمراد الذين اتبعوا رسول الله ﷺ مؤمنين.

هذا، وللأمة معان أخر أشار إليها القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم فراجعها إن شئت.

جُلُّها يرجع إلى ما قد تقدم والله أعلم.

❁ ❁ ❁

استعجال الكفار نزول العذاب عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين المكذبين المعاندين العذاب إلى وقت محددٍ حددناه وأجل مسمى سميناه ليقولن على سبيل التكذيب والاستنكار والاستهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ ۗ﴾، ما الذي يؤخر هذا العذاب ائت به إن كنت من الصادقين، فقال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لئن يستطيع أحدٌ أن يصرفه عنهم ولا أن يحوله عنهم ولا أن يمنعهم من حلوله بهم، كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ١-٢]، أما قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل بهم وحلَّ بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ جزاء استهزائهم وتكذيبهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذابَ فلم نعجله لهم، وأنسأنا في آجالهم ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، ووقت محدود وسنين معلومة.

وأصل «الأمة» ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا، أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين، ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت. وإنما قيل للسنين «المعدودة» والحين، في هذا الموضع ونحوه: أمة، لأن فيها تكون الأمة.

وإنما معنى الكلام: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها.

(٣٦٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾، يقول: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المشركون ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾؟ أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعَّدنا به؟ تكذيبًا منهم به، وظنًّا منهم أن ذلك إنَّما أخر عنهم لكذب المتوعّد.

وقوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، يقول تعالى ذكره تحقيقًا لوعيده وتصحيحًا لخبره: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذابُ الذي يكذبون به ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، يقول: ليس يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه عنهم دافع، ولكنه يحل بهم فيهلكهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾، يقول: ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله. وكان استهزاؤُهم به الذي ذكره الله، قيلهم قبل نزوله ﴿ما يحبسه﴾، و«هلا تأتينا» ؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ يقول تعالى: ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور، وأوعدناهم به إلى مدة مضروبة، ليقولن تكذيبا واستعجالا ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: يؤخر هذا العذاب عنا، فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك، فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت مقدر فتباطأوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ومضمون هذا تكذيبهم به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلا على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال!!

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ فيتمكنون من النظر في أمرهم.

﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: نزل ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ من العذاب، حيث تهاونوا به، حتى جزموا بكذب من جاء به.

❁ ❁ ❁

أحوال الإنسان أمام الابتلاءات

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم-:

بيانٌ لحال الإنسان – إلا من رحم الله – وما هو عليه يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ سعة في المال والرزق والأهل والولد والصحة والعافية والأمن والأمان والنصر والظفر وغير ذلك من النعم التي ينعم الله بها على عباده في الدنيا، ثم سلبناها منه فمرض أو خسر أو مات له ميت أو دارت عليه دائرة، أو قل رزقه لأي سبب كان ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ إذا به يائسٌ من رحمة الله يظن أن لا انكشاف لها ولا زوال، وأنها محيطةٌ به وملازمة له لن تزول، كما قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

ثم إن هذا الإنسان الذي سُلبت منه النعم، يجحد ما سبق من نعم الله عليه ولا يذكرها، فهذا قوله: ﴿كَفُورٌ﴾ أي: جحود للنعم السابقة، ولا يذكر أن الذي أنعم عليه هو الله، وأن الذي سلب منه تلك النعم هو الله.

وهذا الإنسان من حاله أيضًا ما بيَّنه الله إذ قال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ﴾ سعة في الرزق وعافية في النفس والمال والأهل والولد، والجاه والسلطان وغير ذلك من النعم بعد الضرِ الذي أصابه ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: انصرف السوء والمكروه عني ولن يعود إلى سوء ولا مكروه أبدًا، فيفرح ويسعد ويطغى على العباد ويفخر عليهم، هذا حال الإنسان في غالب الأحوال وحال أكثر الناس إلا من رحم الله.

لكن الذين صبروا على قضاء الله وقدره، إن كان خيرًا حمدوا الله وشركوه، وإن كان شرًّا صبروا على قضاء الله وبلائه، واتبعوا كل ذلك بصالح الأعمال الموافقة لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، هؤلاء لهم مغفرةٌ لذنوبهم بسبب صبرهم وإيمانهم، ولهم أجرٌ كبير مُدخر لهم عند الله ﷻ، وهذه الآيات كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾. والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن أذَقنا الإنسان منّا رخاء وسعةً في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا وهي «الرحمة» التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾، يقول: ثم سلبناه ذلك، فأصابته مصائب أجاحته فذهبت به ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾، يقول: يظل قَنِطًا من رحمة الله، آيسًا من الخير.

وقوله: «يئوس»، «فعول»، من قول القائل: «يئس فلان من كذا، فهو يئوس»، إذا كان ذلك صفة له.

وقوله: ﴿كَفُورٌ﴾، يقول: هو كفُور لمن أنعم عليه، قليل الشكر لربّه المتفضل عليه، بما كان وَهَب له من نعمته.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه، ورزقناه رخاءً في عيشه، ووسعنا عليه في رزقه، وذلك هي النّعم التي قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ وقوله: ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، يقول: بعد ضيق من العيش كان فيه، وعسرة كان يعالجها ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾، يقول تعالى ذكره: ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق والعسرة عني، وزالت الشدائد والمكاره ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ

فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾، يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لفرح بالنعم التي يعطاها مسرور بها ﴿فَخُورٌ﴾، يقول: ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا، وما بسط له فيها من العيش، وينسى صُرُوفها، ونكدَ العَوَائص فيها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وإنما جاز استثناؤهم منه لأن «الإنسان» بمعنى الجنس ومعنى الجمع. وهو كقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، [العصر: ١-٣].

فقال تعالى ذكره: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فإنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه. فإن نالوا فيها رخاء وسعةً، شكروه وأدَّوا حقوقه بما آتاهم منها. يقول الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ يغفرها لهم، ولا يفضحهم بها في معادهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، يقول: ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم، ثوابٌ على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا، جزيلٌ، وجزاءٌ عظيم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يَرْج بعد ذلك فرجا. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ أي: يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ أي: فرح بما في يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

صَبَرُواْ﴾ أي: في الشدائد والمكاره، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: في الرخاء والعافية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء، ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء، كما جاء في الحديث: «**والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هَمٌّ ولا غَمٌّ، ولا نَصَب ولا وَصَب، ولا حَزَن حتى الشوكة يشاكها، إلا كَفَّرَ اللهُ عنه بها من خطاياه**»، وفي الصحيحين: «**والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن**» وهكذا قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢﴾ [المعارج:١٩ -٢٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه.

وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾ أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟!!

وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا،

(٣٧١) أحمر
أسود

وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ وهو: الفوز بجنات النعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا البعض الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾؟

ج: ذكر بعض العلماء أنه سب آلهة المشركين وبيان بطلان عبادتها، وذكر آخرون إنه كل ما يضايق المشركين ذِكره، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تصبير النبي ﷺ وتثبيته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فلعلك يا رسول الله تفكر في ترك تبليغ المشركين بعض ما يوحيه إليك ربك ولعل صدرك أن يتضايق بذلك لما تلاقيه منهم من تكذيب وعنادٍ وسخرية واستهزاء وما تجده من قولهم لولا أنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملكٌ يؤيده ويخبر أنه رسول من عند الله. فلا ينبغي لك يا رسول الله ولا يليق بك أن تترك شيئًا مما أوحيناه إليك من أجل قولهم، وما عليك أن يؤمنوا أو يكفروا إنما أنت نذيرٌ تنذرهم وتخوفهم، والله ﷻ على كل شيء حفيظ، وشهيد هو الحفيظ لأعمالهم، والشهيد على أقوالهم، وإليه المرجع في هدايتهم وتوفيقهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائقٌ بما يوحى إليك صدرُك فلا تبلغه إياهم، مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾، له مصدّق بأنه لله رسول ! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تُنْذرهم عقابي، وتحذرهم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾، يقول: والله القيم بكل شيء وبيده تدبيره، فانفذ لما أمرتك به، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات، من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمري.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليًا لرسوله الله ﷺ، عما كان يتعنت به المشركون، فيما كانوا يقولونه عن الرسول -كما أخبر تعالى عنهم-: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان:٧، ٨]. فأمر الله تعالى رسوله، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وأرشده إلى ألا يضيق بذلك منهم صَدْرُه، ولا يهيدنه ذلك ولا يُثْنِينَّه عن دعائهم إلى الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩]، وقال هاهنا: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ ﴾ أي: لقولهم ذلك، فإنما أنت نذير، ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك، فإنهم كُذبُوا وأوذُوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله ﷻ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه. وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ هم أن يدع سب آلهتهم فنزلت هذه الآية؛ فالكلام معناه الاستفهام؛ أي هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألوك؟ وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ؛ كقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقيل: معنى الكلام النفي مع استبعاد؛ أي لا يكون منك ذلك، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك؛ وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبي ﷺ لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك، فهم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم؛ فنزلت.

قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ عطف على «تارك» و«صدرك» مرفوع به، والهاء في «به» تعود على «ما» أو على بعض، أو على التبليغ، أو التكذيب. وقال: «ضائق» ولم يقل ضيق ليشاكل «تارك» الذي قبله؛ ولأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه. ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في موضع نصب؛ أي كراهية أن يقولوا، أو لئلا يقولوا كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا. أو لأن يقولوا. ﴿لَوۡلَآ﴾ أي هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يصدقه؛ قاله عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي؛ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ فقال الله تعالى: يا محمد إنما عليك أن تنذرهم، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾ أي حافظ وشهيد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى - مسليا لنبيه محمد ﷺ، عن تكذيب المكذبين-: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ أي: لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ فإن هذا القول ناشئ من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه ولا يضق لذلك صدرك.

فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحا، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!

أم عليك حسابهم، ومطالب بهدايتهم جبرا؟ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ
ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن
قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ
ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ
عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ
يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ

ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ
كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ ۞

[هود: ١٣-٢٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ - مُفۡتَرَيَٰتٖ - مِّن دُونِ ٱللَّهِ - نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ - لَا يُبۡخَسُونَ - وَحَبِطَ - وَبَٰطِلٞ - بَيِّنَةٖ - شَاهِدٞ مِّنۡهُ - إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ - يَكۡفُرۡ بِهِۦ - ٱلۡأَحۡزَابِ - مِرۡيَةٖ - ٱلۡأَشۡهَٰدُ - لَعۡنَةُ ٱللَّهِ - يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا - مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ - أَوۡلِيَآءَ - وَضَلَّ عَنۡهُم - يَفۡتَرُونَ - لَا جَرَمَ - وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ - وَٱلۡأَصَمِّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾	قاله من عند نفسه ونسبه إلى الله (نسبه إلى الله كذبًا وزورًا).
﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾	مختلقات من عند أنفسكم.
﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	مع الله – سوى الله ﷻ.
﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	نعطيهم جزاء أعمالهم كاملًا مستوفًى.
﴿لَا يُبۡخَسُونَ﴾	لا ينقصون شيئًا من أجور أعمالهم.
﴿وَحَبِطَ﴾	ذهب ثوابها.
﴿وَبَٰطِلٞ﴾	ضائع مضمحل.
﴿بَيِّنَةٖ﴾	بصيرة – علم – قرآن – فطرة صحيحة.
﴿شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾	من يشهد له من نفسه، قيل: هو لسان النبي ﷺ، وقيل: رجل من أهل بيته وهو عليٌّ، وقيل: هو النبي ﷺ على نفسه، وقيل: هو جبريل عليه السلام.

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾	إمامًا يؤتم به، ورحمة سببٌ في رحمة العباد المتبعين لما فيه.
﴿يَكْفُرْ بِهِۦ﴾	يجحده وينكره.
﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾	المتحزبون على الكفر (من أهل الشرك أو اليهود والنصارى وغيرهم ممن تحزب على الكفر).
﴿مِرْيَةٍ﴾	شك.
﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾	الشهود (ملائكة وأنبياء ومؤمنون ومنهم أمة محمد ﷺ).
﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾	سخط الله وطرده وإبعاده عن الخير.
﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	يمنعون الناس من دخول الإسلام وسلوك طريق الإيمان.
﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾	يريدون الطرق طرقًا معوَّجة لا توصل إلى مرضاة الله ﷻ بل توصل إلى الجحيم والعياذ بالله.
﴿مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	فائتين هاربين من الله فيعجز عن إدراككم كلا فلن يعجز عن إدراتكم.
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصار.
﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾	غاب عنهم، وذهب عنهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يدعون أنها شريكة لله ﷻ.
﴿لَا جَرَمَ﴾	حقًّا – لا بد.
﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾	رجعوا إلى ربهم وأنابوا إليه وخشعوا وخضعوا.
﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾	الذي لا يسمع.

عجز الكفار عن الإتيان بمثل هذا القرآن

س: وضح معنى ما يلي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أيقولون أفترى رسول الله ﷺ هذا القرآن من عند نفسه؟؟ وهذا سؤال توبيخ لهؤلاء القائلين بأنه صلوات الله وسلامه عليه، افترى هذا القرآن من عند نفسه ولم ينزله عليه ربُّه ﷻ فقل يا رسول الله إن كنت قد افتريته فأنتم عربٌ ولسانكم عربيٌّ مثلث ومثل لساني فائتوا بعشر سور مفتريات من عند أنفسكم إن ائتوا بها تشابه هذا القرآن كما تظنون أني صنعت ذلك، وإن لم تستطيعوا الإتيان بعشر سور مثله فادعوا أيضًا من استطعتم كي يساعدونكم على الإتيان بعشر سور مثله، ادعوا آلهتكم، ادعوا أصنامكم وأوثانكم لمساعدتكم للإتيان بعشر سور مثله، ولن تستطيعوا، ولن يستطيعوا هم الآخرون فعل ذلك، ادعوا من عبدتموهم مع الله، وادعوا من جعلتموهم لله شركاء كي يأتوا بعشر سور مثله إن كنتم صادقين في قولكم أنني افتريت هذا القرآن، فإن لم يستجيبوا لكم يا أهل الإسلام، إن لم يستجيبوا لك يا رسول الله ويأتي بعشر سور مثله فاثبتوا على ما أنتم عليه فإن الذي أنزله هو الله، وأنزل بعلم الله واعلموا أنه لا إله إلا الله فهل أنتم مستسلمون خاضعون طائعون منقادون؟

وهل أنتم يا أهل الشرك تاركوا دينكم وداخلون في دين الإسلام.

وبنحو هذا ال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به،

ودلالةً على صحة نبوّتك، هذا القرآن، من سائر الآيات غيره، إذ كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها. وهذا القرآن، جميع الخلق عَجَزَةٌ عن أن يأتوا بمثله، فان هم قالوا: «افتريته»، أي: اختلقته وتكذَّبته.

ودلّ على أن معنى الكلام ما ذكرنا، قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إلى آخر الآية. ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، أي: أيقولون افتراه ؟

وقد دللنا على سبب إدخال العرب «أم» في مثل هذا الموضع.

فقل لهم: يأتوا بعشر سُور مثل هذا القرآن ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، يعني مفتعلات مختلقات، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفتريً، وليس بآية معجزةٍ كسائر ما سُئلته من الآيات، كالكنز الذي قلتم: هَلا أنزل عليه ؟ أو الملك الذي قلتم: هلا جاء معه نذيرًا له مصدقًا ! فإنكم قومي، وأنتم من أهل لساني، وأنا رجل منكم، ومحال أن أقدر أخلق وحدي مائة سورة وأربع عشرة سورة، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها، ولا سيما إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق.

يقول جل ثناؤه: قل لهم: وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله ، يعني سوى الله، لا فتراء ذلك واختلاقه من الآلهة، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله، فقد تبين لكم أنكم كذبةٌ في قولكم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وصحّت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله. ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله، مثل الذي تسألون من الحجة وترغبون أنكم تصدِّقون بمجيئها.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾، لقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾، وإنما هو: قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه

محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك، من الآلهة والأنداد.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكمْ من تدعون من دون الله إلى أنْ يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم الله وإذنه، وأن محمدًا لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾، يقول: وأيقنوا أيضًا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة.

وقد قيل: إن قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ خطاب من الله لنبيه، كأنه قال: فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار، يا محمد، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾، أيها المشركون، ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾، وذلك تأويل بعيد من المفهوم.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يقول: فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة، ومخلصون له العبادة، بعد ثبوت الحجة عليكم؟

وقيل: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾، والخطاب في أوّل الكلام قد جرى لواحدٍ، وذلك قوله: ﴿قُلْ فَأْتُواْ﴾، ولم يقل: «فإن لم يستجيبوا لك » على نحو ما قد بينا قبلُ في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع، إذا كانَ خطابه خطابًا لأتباعه وجنده، وأحيانًا مخرج خطاب الواحد، إذا كان في نفسه واحدًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ، وذاته لا يشبهها شيء، تعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

ثم قال تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ أي: فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم إليه، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله، متضمن علمه وأمره ونهيه، ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ «فإن لم يستجيبوا لكم» أي في المعارضة ولم تتهيأ لهم فقد قامت عليهم الحجة ؛ إذ هم اللسن البلغاء، وأصحاب الألسن الفصحاء. ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ واعلموا صدق محمد ﷺ، «و» اعلموا ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ ﴾ استفهام معناه الأمر. وقد تقدم القول في معنى هذه الآية، وأن القرآن معجز في مقدمة الكتاب. والحمد لله. وقال: ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ ﴾ وبعده. ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ ولم يقل لك ؛ فقيل: هو على تحويل المخاطبة من الإفراد، إلى الجمع تعظيما وتفخيما ؛ وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة. وقيل: الضمير في «لكم» وفي ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ للجميع، أي فليعلم للجميع ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾؛ قاله مجاهد. وقيل: الضمير في ﴿لَكُمۡ﴾ وفي ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ للمشركين ؛ والمعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المعاونة ؛ ولا تهيأت لكم المعارضة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾. وقيل: الضمير في ﴿لَكُمۡ﴾ للنبي ﷺ وللمؤمنين، وفي «فاعلموا» للمشركين.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: إن كان قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ على شيء من ذلكم ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ من عند الله لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض.

﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ أي: واعلموا أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ أي: منقادون لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعترضين، ولا قدح القادحين.

خصوصًا إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدح فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضيا على أمره، مقبلا على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ «أم» بمعنى «بل»، و«افتراه» أتى به من قِبَل نفسه. ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ﴾ أنتم في معارضتي ﴿بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في البلاغة ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم: «افتراه».

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة. فقد قامت الحجة عليهم لكم.

فإن قيل: كيف وحَّد القول في قوله: (قُلۡ فَأۡتُواْ) ثم جمع في قوله: (فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ)؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن الخطاب للنبي ﷺ وحده في الموضعين، فيكون الخطاب له بقوله «لكم» تعظيمًا، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم، هذا قول المفسرين.

والثاني: أنه وحَّد في الأول لخطاب النبي ﷺ. وجمع في الثاني لمخاطبة النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده.

والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلَّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: واعلموا ذلك. ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر. وفيمن خوطب به قولان:

أحدهما: أهل مكة، ومعنى إِسلامهم: إِخلاصهم لله العبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

❁ ❁ ❁

دفع إشكال

س: هل كل من يريد الحياة الدنيا وزينتها يعطاها، لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾؟

ج: ليس كلُّ مريدٍ للدنيا يعطاها، بل الآية هذه مطلقة، وقُيِّدت بمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة؛ وكذلك الآية التي في «الشورى» ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [الشورى: ٢٠] الآية. وكذلك ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٤٥] قيدها وفسرها التي في «سبحان» ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] إلى قوله: ﴿مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد، وروى الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أنها منسوخة بقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [الإسراء: ١٨]. والصحيح ما ذكرناه؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد؛ ومثله قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائما على كل حال، وليس كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ [الأنعام: ٤١] والنسخ في الأخبار لا يجوز؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، ولاستحالة الكذب على الله تعالى فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه، على ما هو مذكور في الأصول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: من كان يريد بأعماله الصالحة التي يعملها في الدنيا ثوابًا في الدنيا، ولا يرجو لها ثوابًا في الآخرة، إما لكونه يكفر بالآخرة، وإما لكونه ضعيف اليقين، وإما لكونه مرائيًا وإما لغير ذلك، فإذا كان يريد بعمله الثواب في الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة يُعطى أجره مقابل حسناته في دنياه – إذا شاء الله ذلك- فيُعطى الأجر في الدنيا كاملًا مستوفيًا، ولا ينقص من ثواب عمله في الدنيا شيئًا، فهؤلاء هم الذين لم يعد لهم نصيب من الحسنات في الآخرة لكونهم ما ابتغوا بذلك وجه الله، ولا أرادوا ثوابه الأخروي، فليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبطت أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلم يعد لها ثواب في الآخرة واضمحلت أعمالهم وضاعت.

وهذه الآيات قد تتنزل على أهل الرياء، كالثلاثة الذين تُسعر بهم النار أول من تسعر، من تكلم ليقال عالم، وقرئ ليقال قارئ، ومن جاهد ليقال جريء، ومن تصدق ليقال: محسن.

وقد تتنزل أيضًا على أهل الكفر الذين لا يرجون بعثًا ولا حياة ولا نشورًا.

وقد تتنزل على اليهود والنصارى كذلك.

وقد تتنزل على كل ما ذكروا وغير ما ذكروا فهي عامة وبالتعميم قال الأكثرون.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإيّاها وَزينتها يطلب

به، نوفّ إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ يقول: وهم في الدنيا، ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾، أي: لا يظلمون. يقول: من كانت الدنيا همَّه وسَدَمه[1] وطَلِبته ونيتّه، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يعطى بها جزاءً. وأما المؤمن، فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي: في الآخرة لا يظلمون.

وبإسناد صحيح عن الحسن قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾، قال: طيباتهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرت أنّا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾، يصلونها ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾، يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث. قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئا، فهذا لا يكون إلا كافرا، لأنه لو كان مؤمنا، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار

(١) أي: ولوعه بها.

إرادته الدار الآخرة.

ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ أي: لا ينقصون شيئا مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ خالدين فيها أبدا، لا يفتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب.

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: بصيرة، قد استبصر في دينه وبُيّن له دينه، بيَّن الله له، وبصَّره الله به.

الثاني: الفطرة الصحيحة التي فطره الله عليها كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠].

وكما قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...**»[(١)].

الثالث: أن البيِّنة هي القرآن.

الرابع: أن البينة هي الدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري.

(٣٨٩) أحمر
أسود

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؟

ج: من العلماء من قال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرؤه.

ومنهم من قال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالشاهد في قوله تعالى: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟

ج: لأهل العلم في الشاهد أقوال:

أحدها: أن الشاهد هو محمد ﷺ.

الثاني: أن الشاهد لسانه ﷺ.

الثالث: أن الشاهد جبريل عليه السلام.

الرابع: أن الشاهد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أن الشاهد هو القرآن والوحي.

السادس: أن الشاهد الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان نزل قبله؛ لأن النبي ﷺ بشرت به النبوة.

وثمَّ أقوال أُخر.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ من قبل ماذا؟

ج: أيضًا للعلماء فيها أقوال:

أحدها: ومن قبل القرآن.

الثاني: ومن قبل الإنجيل.

الثالث: ومن قبل النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بكتاب موسى عليه السلام؟

ج: هو التوراة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾؟

ج: ثـمَّ أقـوال أحـدها أنهـم المؤمنـون برسـول الله محمـد ﷺ، أصـحابه وغيرهم.

ومنها: أصحاب موسى عليه السلام.

ومنها: أهل الحق من أصحاب موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿بِهِۦۖ﴾ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾؟

ج: المراد بذلك فيه أقوال:

أحدها: القرآن.

الثاني: النبي عليه الصلاة والسلام.

الثالث: وفيه بُعد وهو التوراة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٩١) أحمر
أسود

المعنيون بالأحزاب

س: ما المراد بالأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال:

أحدها: المتحزبون على الكفر عمومًا.

الثاني: أحزاب اليهود والنصارى.

الثالث: كفار قريش.

❁ ❁ ❁

تحذير الخلق من الكفر بالله ﷻ

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: بناءً على ما تقدم من تفسير لبعض المفردات، أقول وبالله تعالى التوفيق هناك أكثر من وجه في تفسير الآية الكريمة:

الأول: أفمن كان على علمٍ وبصيرة يستبين بهما الحق من الباطل، والصواب من الخطأ ويميز ويفرِّق بين هذا وذاك فيتبع الحق والصواب ويترك الخطأ والباطل.

وإضافة إلى ما عنده من علمٍ بكتاب الله ﷻ الذي أنزله الله عليه وإضافة إلى الفهم الصحيح (البصيرة) فإنه يتلو بلسانه نفسه القرآن الذي أوحاه الله إليه وتلاه أيضًا عليه جبريل عليه السلام، ومن قبله التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام يُهتدى بها ويؤتم بها، (يأتم بها من كانوا أتباعًا لموسى ويهتدون بها) ويُرحم بها من اتبعها، ففي هذه التوراة مبشرات أيضًا بمخرج النبي ﷺ وبمعثه وفيها أيضًا وصفه ونعته، فتوالت القرائن الدالة على أن رسول الله ﷺ على الحق، تلك القرائن التي هي العلم والبصيرة وكتاب الله المنزل، وكونه صلوات الله وسلامه عليه يتلوه بنفسه، ليس بنقل أحدٍ له ولا بلغة غير لغته إنما نزل عليه وتلاه، وإضافة إلى ذلك بشّرت به التوراة أفمن كان هذا حاله علمٌ وبصيرةٌ ووحيٌ وتلاوة للوحي المنزل، وبشارة الكتب السابقة به وتصديقها أفمن كان هكذا كمن هو في الظالمات؟!! كمن هو متبع لهواه!! كمن هو مهتمٌّ بدنياه مقبلٌ عليها؟!! كلا فلا يستويان.

(٣٩٣) أحمر
أسود

هذا هو الوجه الأول في تفسير صدر الآية الكريمة:

* أما الوجه الثاني: في تأويلها – والله أعلم – فحاصله أفمن كان على الفطرة الصحيحة السليمة، (الإسلام) التي فطره الله عليها، ولم تتلوث فطرته ولم يُهوَّد ولم يُنصَّر ولم يُمجَّس، ففطرته بحمد الله سليمة على الإسلام، وجاءه من ربه ما يوافق هذه الفطرة السليمة الصحيحة (فطرة الإسلام) جاءه القرآن من عند الله، تلاه عليه جبريل عليه السلام، وتلاه رسول الله أيضًا بلسانه، وصدق به من أهل بيته من صدق كعليٍّ رضي الله عنه فتبعه على الإيمان، ومن قبل هذا كله كتابُ موسى (التوراة) الذي أنزل إمامًا ورحمةً بشر بخروجه ومبعثه وصدَّقه كذلك، فأولئك المؤمنون بموسى والمصدقون به يؤمنون أيضًا برسول الله ﷺ ويصدقونه أفمن كان هذا شأنه على فطرة صحيحة وأتاه ما يوافقها، وهو القرآن المتلو المنزل، وسبقته مبشرة به التوراة ومصدقةً له وأتباعها يؤمنون به ويصدقونه، أفمن كان هكذا كمن هو في الظلمات غارقٌ، وفي الحيرة والشك متردد، وكمن هو منكبٌّ على الدنيا غارق في شهواتها كلَّا ثم كلَّا فاثبت يا رسول الله فإنك على الحق، والقرآن الذي أنزل عليك إنما أنزله الله عليك، فمن يكفر بالقرآن ويجحد نبوتك من أحزاب المشركين ومن أحزاب اليهود والنصارى، ومن غيرهم من الأحزاب المتحزبة على الكفر فالنار موعده. فلا تكن في شك مما أنت عليه بتذكذيبهم لك، بل اثبت على ما أنت عليه فإنه الحق من ربك تبارك وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ ﴾ [الشعراء: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١ ﴾ [الصافات: ٧١]، وكما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ

عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠]، هذا، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**»(١).

فهذا الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ وفيهما الدلالة على عموم رسالة النبي محمد ﷺ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (بنحوه، وقد تقدم).

فضيحة الكفار يوم القيامة

س: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ في حديث اذكره؟

ج: هذا فيما أخرجه البخاري ومسلم من طريق صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَـ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾»[1].

❁ ❁ ❁

س: من المعنيّون بالأشهاد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم الأنبياء والمرسلون كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

الثاني: أنهم الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

الثالث: أنهم أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، وأحمد (٢/ ٧٤) واللفظ لأحمد.

الرابع: أنهم العلماء الذين شهدوا بوحدانية الله، إذ الله قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ [آل عمران: ٨].

الخامس: أنهم مؤمنوا الإنس والجن عمومًا وكل هؤلاء يشهدون فالملائكة يشهدون والأنبياء والمرسلون كذلك يشهدون وأمة محمد ﷺ تشهد وأهل العلم كذلك يشهدون، وكذا سائر أهل الإيمان والإنس والجن، بل وكذا أعضاء بني آدم تشهد عليهم وجلودهم كذلك. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تبرؤ الآلهة من معبوديهم

س: كل معبود غير الله يتولى عن أصحابه يوم القيامة ويكفر بعبادته ويضل عنه ويخذله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ...﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

وقد تقدمت أدلة كثيرة في هذا – والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا يضاعف لهم العذاب؟

ج: يضاعف لهم العذاب لكونهم كفروا، واضافوا إلى كفرهم أنهم صدوا الناس عن الإيمان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

وق قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

❁ ❁ ❁

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾؟

ج: ذكر العلماء في معناها أقوال:

أحدها: أن معناها حقًّا.

الثاني: أن معناها لا محالة – لا بد.

أحدها: أن معناها لا كسب (أي: لم يكتسبوا خيرًا).

وبشيءٍ من التفصيل، ولكونها تتكرر في كتاب الله، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا جَرَمَ﴾ للعلماء فيها أقوال؛ فقال الخليل وسيبويه: ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى حق، فـ «لا» و«جرم» عندهما كلمة واحدة، و«أن» عندهما في موضع رفع؛ وهذا قول الفراء ومحمد بن يزيد؛ حكاه النحاس. قال المهدوي: وعن الخليل أيضا أن معناها لابد ولا محالة، وهو قول الفراء أيضا؛ ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: «لا» ها هنا نفي وهو رد لقولهم: إن الأصنام تنفعهم؛ كأن المعنى لا ينفعهم ذلك، وجرم بمعنى كسب؛ أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وفاعل كسب مضمر، و«أن» منصوبة بجرم، كما تقول كسب جفاؤك زيدا غضبه عليك؛ وقال الشاعر:

نصبنا رأسه في جذع نخل ... بما جرمت يداه وما اعتدينا

أي بما كسبت. وقال الكسائي: معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا صد ولا منع عن أنهم. وقيل: المعنى لا قطع قاطع، فحذف الفاعل حين كثر استعماله؛ والجرم القطع؛ وقد جرم النخل واجترمه أي صرمه فهو جارم، وقوم وجرم وجرام وهذا زمن الجرام والجرام، وجرمت صوف الشاة أي جززته، وقد جرمت منه أي أخذت منه؛ مثل جلمت الشيء جلما أي قطعت، وجلمت الجزور أجلمها جلما إذا أخذت ما على عظامها من اللحم، وأخذت الشيء بجلمته – ساكنة اللام – إذا أخذته أجمع، وهذه جلمة الجزور – بالتحريك – أي لحمها

أجمع ؛ قاله الجوهري. قال النحاس: وزعم الكسائي أن فيها أربع لغات: لا جرم، ولا عن ذا جرم ؛ ولا أن ذا جرم، قال: وناس من فزارة يقولون: لا جرأنهم بغير ميم. وحكى الفراء فيه لغتين أخريين قال: بنو عامر يقولون لا ذا جرم، قال: وناس من العرب. يقولون: لا جرم بضم الجيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى في هذه الآيات: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ليس هناك أحدٌ اظلم لنفسه وأشد بخسًا لها وأشد إهانة لها من شخص افترى على الله كذبًا، فتقوَّل على الله ما لم يقله، وقال إن الله حرَّم كذا وأحلَّ كذا، ولم يكن حرَّمه ولا أحله، وكذا من كذب على الله وزعم أن له شريكًا في الملك فعبد مع الله غيره، وكذا من كذب على الله وادعى له الصاحبة والولد إلى غير ذلك من صور الافتراء والكذب على الله، فلا أحد أظلم من فاعل هذا، فأولئك الظلمة المفترون على الله الكذب يعرضون على ربهم يوم القيامة وتعرض أعمالهم على ربهم وكذا أقوالهم وافتراءتهم على الله فيراها ربهم ويحاسبهم عليهم وتشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين والمؤمنون من أمة محمد ﷺ بل والجوارح تشهد وغيرهم من الشهود، فلك هؤلاء يشهدون على أهل الافتراء على الله وعلى أهل الكذب على الله فيقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، فيفتضح أمر الكذبة

على الله ويفتضح أمر المفترين على الله على رؤوس الأشهاد، ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾، يدعون على المفترين باللعن والطرد والإبعاد من رحمة الله، ويدعون عليهم بإحلال سخط الله وعذابه عليهم.

هذا، ومن أهل العلم من قال إن قائل: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ إخبارٌ من الله ﷻ بما سيحلُّ بالظالمين من إحلال السخط عليهم، ومن طردهم وإبعادهم من رحمته، إبعاد هؤلاء لظالمين الذين ضحَّوا إلى ظلمهم وشركهم وكفرهم ضحوا عظائم أُخر، وهي صدُّ غيرهم عن الإيمان، ومنع غيرهم من الإيمان، فجمعوا بين كونهم كفرة ظلمةٌ مفترون على الله، جمعوا مع ذلك صدَّ الناس عن الخير وإضلال الناس عن الحق ومنع الناس من الإيمان، وأرادوها في الدنيا طرقًا منحرفةً معوَّجة تصرف الناس عن طريق الإسلام وطريق التوحيد الذي يوصل إلى جنة الله ومرضاته فحادوا بالناس عن طريق الحق والصواب وتسببوا في كفرهم وضلالهم، وكانوا بالآخرة جاحدين وكانوا للآخرة والبعث والثواب والعقاب منكرين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لن يعجزوا ربهم ﷻ ولن يهربوا منه ولن يفوتوه، وما كان لهم من أنصار ينصرونهم من دون الله، ولا يتولونهم ولا يدفعون عنهم العذاب، فهؤلاء يضاعف لهم العذاب لكفرهم ولصدهم غيرهم عن الإيمان، ما كانوا يستطيعون السمع الذي ينتفعون به للختم الذي ختم الله به على أسماعهم لرفضهم الحق ولإعراضهم عنه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، وكما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥]، وكما قال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وما كانوا يبصرون بصرًا ينفعهم لأن الله جعل على أبصارهم غشاوة.

أولئك الذين ضيعوا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل أنزلوها الجحيم والعياذ بالله، ولم يجدوا هنالك الآلهة التي عبدوها من دون الله، لقد هربت منهم تلك الآلهة الباطلة وتبرات منهم تلك الآلهة المفتراة، فحقًّا إنهم في الآخرة هم أخسر الناس وأشدهم ضياعًا.

فأية خسارة أعظم من خسارة النفس بإنزالها أسوأ المنازل في الجحيم، وبضياع جنات النعيم منهم وفقدانهم إياه وحرمانهم منها.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأي الناس أشد تعذيبًا ممن اختلق على الله كذبًا فكذب عليه؟ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ يعرضون يوم القيامة على ربهم، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع «شاهد» مثل «الأصحاب» الذي هو جمع «صاحب» ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾، يقول: شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم، يقول الله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾، يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربّهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾.

يقول تعالى ذكره: ألا لعنة الله على الظَّالمين الذين يصدّون الناسَ، عن الإيمان به، والإقرار له بالعبودة، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد، من

مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد، يقول: زيغًا وميلا عن الاستقامة. ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾، يقول: وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله وبغيهم إياها عوجًا ﴿كَٰفِرُونَ﴾ يقول: هم جاحدون ذلك منكرون.

ويعني جل ذكره بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدّون عن سبيل الله، يقول جل ثناؤه: إنهم لم يكونوا بالذي يُعْجِزون ربَّهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ولا يفوتونه هربًا إذا طلبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، يقول: ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصارٌ ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا مَنْعَة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء، وقوله: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، يقول تعالى ذكره: يزاد في عذابهم، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان.

وقوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾، فإنه اختلف في تأويله.

فقال بعضهم: ذلك وصَفَ الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم، وأنهم لا يسمعون الحق، ولا يبصرون حجج الله، سَمَاعَ منتفع، ولا إبصارَ مهتدٍ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾، صم عن الحقّ فما يسمعونه، بكم فما ينطقون به، عمي فلا يبصرونه، ولا ينتفعون به.

وقال آخرون: إنما عنى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، آلهة

الذين يصدون عن سبيل الله. وقالوا: معنى الكلام: أولئك وآلهتهم، لم يكونوا معجزين في الأرض ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ يعني الآلهة، أنها لم يكن لها سمعٌ ولا بصر. وهذا قولٌ روي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعْفِ سَنَده.

وقال آخرون: معنى ذلك: يُضَاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه، وبما كانوا يبصرون ولا يتأمَّلون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها. قالوا: و«الباء» كان ينبغي لها أن تدخل، لأنه قد قال: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾، [البقرة: ١٠]، بكذبهم، في غير موضع من التنزيل أدخلت فيه «الباء»، وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام: «لأجزينَّك ما علمت، وبما علمت»، وهذا قول قاله بعض أهل العربية.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحقّ سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماعٌ وأبصارٌ.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾، وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله، بادعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونه إلهًا من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقًا غير طريقهم، فضَلّ عنهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلتهم عدمًا لا شيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشبًا أو نحاسًا، أو كان لله وليًّا، فسلك به إلى الجنة، وذلك أيضًا

غير مسلكهم، وذلك أيضًا ضلالٌ عنهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: حقًّا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا وفي الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار ؛ وذلك هو الخسران المبين.

وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: «جَرمتُ»، كسبت الذنب و«جرمته»، وأن العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الأيمان، وفي مواضع «لا بد» كقولهم: «لا جرم أنك ذاهب»، بمعنى: «لا بد»، حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق، فقالوا: «لا جَرَم لتقومن»، بمعنى: حَقًّا لتقومن. فمعنى الكلام: لا منع عن أنهم، ولا صدّ عن أنهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يردُّون الناسَ عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله ﷻ ويجنبونهم الجنة، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: ويريدون أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة، ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: بل كانوا تحت قهره وغلبته، وفي قبضته وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة، ولكن ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وفي الصحيحين: «**إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفْلته**»[(١)]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ أي: يضاعف عليهم العذاب، وذلك لأن الله تعالى جعل لهم سمعا وأبصارا

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، بل كانوا صُمًّا عن سماع الحق، عُميا عن اتباعه، كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]؛ ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه، وعلى كل نهي ارتكبوه؛ ولهذا كان أصحَّ الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: خسروا أنفسهم لأنهم دخلوا نارا حامية، فهم معذبون فيها لا يُفَتَّر عنهم من عذابها طرفة عين، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

و﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: ذهب عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دون الله من الأنداد والأصنام، فلم تُجْد عنهم شيئًا، بل ضرتهم كل الضرر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقال الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسرهم ودمارهم؛ ولهذا قال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات،

واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم، بَسمُوم وحميم، وظِلٍّ من يحموم، وعن الحور العين بطعام من غِسْلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلما ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ أي: الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفا لهم ملازما، لا يقبل التخفيف.

ثم وصف ظلمهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فصدوا بأنفسهم عن سبيل الله، وهي سبيل الرسل، التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى النار.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ حيث فوتوها أعظم الثواب واستحقوا أشد العذاب ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك.

﴿لَا جَرَمَ ﴾ أي حقا وصدقا ﴿ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ حصر الخسار فيهم بل جعل لهم منه أشده لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب نستجير بالله من حالهم.

ولما ذكر حال الأشقياء ذكر أوصاف السعداء وما لهم عند الله من الثواب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ ﴾.

في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه، بعضها يشهد له القرآن:

الأول: وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره، ونقله عن ابن عباس وقتادة -: أن معنى ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ الآية - أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا لحق سماع منتفع، ولا أن يبصروه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله تعالى: وقد كانت لهم أسماع وأبصار.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية.

الثاني: وهو أظهرها عندي-: أن عدم الاستطاعة المذكورة في الآية إنما هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، والغشاوة التي جعل على أبصارهم.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ ﴾ [الكهف: ٥٧] ونحو ذلك من الآيات.

وذل الختم والأكنة على القلوب جزاء من الله تعالى لهم على مبادرتهم إلى الكر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: ﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ [النساء: ١٥٥] وقوله ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: ٥] وقوله ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾ [البقرة: ١٠] الآية. وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٥]

الآيـــة وقولـــه ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعـام: ١١٠] الآية- إلى غير ذلك من الآيات.

الثالث: أن المعنى ما كانوا يستطيعون السمع اي لشدة كراهيتهم لكلام الرسل على عادة الرسل على عادة العرب في قولهم: لا استطيع أن اسمع كذا إذا كان شديد الكراهية والبغض له ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ ﴾ [الحـج: ٧٢] وقولـه تعـالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [فصـلت: ٢٦] الآيـة وقولـه: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ [نوح: ٧] الآية.

الرابع: أن « ما » مصدرية ظرفية، اي يضاعف لهم العذاب مدة كونهم يستطيعون أن يسمعوا ويبصروا، أي يضاعف لهم العذاب دائماً

الخامس: « ما » مصدرية في محل نصب بنزع الخافض، أي يضاعف لهم العذاب بسبب كونهم يستطيعون السمع والإبصار في دار الدنيا، وتركوا الحق مع أنهم يستطيعون إدراكه باسماعهم وأبصارهم. وقد قدمنا في سورة النساء قول الأخفش الأصغر: بأن النصب بنزع الخافض مقيس مطلقاً عند أمن اللبس.

السادس: أن قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ من صفة الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله، فيكون متصلاً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [هـود: ٢٠] وتكون جملة ﴿ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ ﴾ اعتراضية. وتقرير المعنى على هذا القول: وما كان لهم من دون الله من أولياء ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، أي الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله. وما لا يسمع ولا يبصر لا يصح أن يكون ولياً لآخر.

ويشهد لمعنى هذا القول قوله تعالى في الأعراف ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٥] الآية، ونحوها من الآيات.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية الكريمة قد تكون فيها أقوال، وكلها يشهد به قرآن فنذكر الجميع، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾؟

ج: هذا – والله تعالى أعلم -: وبعد أن بُيِّن حال الأشقياء من أهل الظلم والمصير الذي هم إليه صائرون بُيِّن أيضًا مصير أهل الإيمان والعلم الصالح فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ صدقوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وخضعوا لربهم ﷻ وخشعوا له وامتثلوا أمره وأنابوا إليه أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون، ماكثون فيها لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

ثم إن الله ﷻ ضرب مثلًا لأهل الكفر من أهل الإيمان فقال تعالى مثل الفريقين (أهل الكفر مع أهل الإيمان) كالأعمى والصم فالكافر أعمى وأصم عن سماع الحق ورؤيته فهذا مثل الكافر أعم وأصم، والمؤمن بصير بالحق سامع له عاملٌ به، فهل يستوي من يسمع ويبصر مع من هو أعمى وأصم أفلا تتعظون وتعتبرون يا من ابتعدتم عن طريق الله ﷻ وكفرتم به وأعرضتم عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا في الدنيا بطاعة الله، ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى «الإخبات».

فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنابوا إلى ربهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وخافوا.

وقال آخرون: معناه: اطمأنوا.

وقال آخرون: معنى ذلك: خشعوا.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس «الإخبات»، عند العرب: الخشوع والتواضع.

وقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، ومعناه: وأخبتوا لربهم. وذلك أن العرب تضع «اللام» موضع «إلى» و«إلى» موضع «اللام» كثيرًا، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾، [الزلزلة: ٥] بمعنى: أوحى إليها. وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخباتهم إلى الله.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٣﴾، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها، ولكنهم فيها لابثُون إلى غير نهاية.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئًا، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، فكذلك فريق الكفر لا

يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلالته، يتردَّد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وسمعَ داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾، الآية، هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فأما الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره. وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به

يقول تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾، يقول: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس؟ فإنهما لا يستويان عندكم، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾، يقول جل ثناؤه: أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون،، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟

فالأعمى والأصم، والبصير والسميع، في اللفظ أربعة، وفي المعنى اثنان. ولذلك قيل:﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾.

وقيل: (كالأعمى والأصم)، والمعنى: كالأعمى الأصمّ، وكذلك قيل (والبصير والسميع)، والمعنى: البصير السميع، كقول القائل: «قام الظريف والعاقل»، وهو ينعت بذلك شخصًا واحدًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثَنَّى بذكر السُّعَداء، وهم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات، فآمنت قلوبهم وعَملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولا وفعلا من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات، المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات، والحسان الخيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسموات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، وينامون ولا يتغطَّون، ولا يبصقون ولا يتمخطون، إن هو إلا رَشْحُ مِسك يعرقون.

ثم ضرب الله تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ أي: الذين وصفهم أولا بالشقاء والمؤمنين السُّعَداء، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع. فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجَج، فلا يسمع ما ينتفع به، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وأما المؤمن ففَطِن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبعُ الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يَرُوج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا. ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠] وقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٩ -٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بقلوبهم، أي: صدقوا واعترفوا، لما أمر الله

بالإيمان به، من أصول الدين وقواعده.

﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ المشتملة على أعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان. ﴿ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: خضعوا له، واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأنابوا إليه بمحبته، وخوفه، ورجائه، والتضرع إليه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ الذين جمعوا تلك الصفات ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ لأنهم لم يتركوا من الخير مطلبا، إلا أدركوه، ولا خيرا، إلا سبقوا إليه.

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ أي: فريق الأشقياء، وفريق السعداء. ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ هؤلاء الأشقياء، ﴿ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ ﴾ مثل السعداء.

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ لا يستوون مثلا بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعمال، التي تنفعكم، فتفعلونها، والأعمال التي تضركم، فتتركونها.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ ﴾ الآية.

ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للكافر بالأعمى والأصم، وضرب المثل للمؤمن بالسميع والبصير، وبين أنهما لا يستويان، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا يستوي الأصم والسميع. وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة:

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر: ١٩-٢٣].

وقوله: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾ [الرعد: ١٩] الآية.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النمل: ٨٠] إلى

غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا
ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ
أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ
فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ
وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى
مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ
أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن
شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ
ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ

أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ
﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن
تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ
عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا
ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ
وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[هود: ٢٥-٤٠].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَرَاذِلُنَا - بَادِيَ ٱلرَّأْيِ - رَحْمَةً - فَعُمِّيَتْ - أَنُلْزِمُكُمُوهَا - يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ - تَذَكَّرُونَ - تَزْدَرِيٓ - بِمُعْجِزِينَ - يُغْوِيَكُمْ - ٱفْتَرَىٰهُ - إِجْرَامِي - تُجْرِمُونَ - تَبْتَئِسْ - بِأَعْيُنِنَا - وَوَحْيِنَا - ٱلْفُلْكَ - سَخِرُواْ مِنْهُ - يُخْزِيهِ - وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ - زَوْجَيْنِ - سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَرَاذِلُنَا﴾	ضعفاؤنا – فقراؤنا – سفاؤنا – أراذلنا – سفلتنا.
﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾	فيما يظهر لنا من أمرهم – وقيل: الذين لا يدققون ولا يتعقلون ولا يتثبتون ولا يتريثون وقيل: هم الذين أظهروا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.
﴿رَحْمَةً﴾	نبوةً – هداية.
﴿فَعُمِّيَتْ﴾	فأخفاها الله عليكم – فأخفيت عليكم.
﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾	أنكهكم على اختيارها – أنجبركم كي تؤمنوا وتقبلوا الرحمة.
﴿يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾	يمنعني من عذاب الله.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون – تعتبرون.
﴿تَزْدَرِيٓ﴾	تحتقر – تستثقل.
﴿بِمُعْجِزِينَ﴾	بنائتين – بهاربين – بمرهقين ربكم بهربكم.
﴿يُغْوِيَكُمْ﴾	يُضلكم – يُهلككم.
﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾	اختلقه من عند نفسه – تقوَّله.

(إِجْرَامِى)	اكتسابي للمحرمات – إثم ما اكتسبته من الافتراءات.
(تُجْرِمُونَ)	تكتسبون من السيئات.
(تَبْتَئِسْ)	تحزن – تغتم.
(بِأَعْيُنِنَا)	بمرأى منا.
(وَوَحْيِنَا)	أمرنا.
(ٱلْفُلْكَ)	السفينة العظيمة الهائلة.
(سَخِرُواْ مِنْهُ)	استهزؤا به.
(يُخْزِيهِ)	يُهينه – يذله – يفضحه.
(وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ)	امتلأ التنور بالماء (وهو التنور الذي يُخبز فيه). وقيل: وجه الأرض.
(زَوْجَيْنِ)	الذكر والأنثى.
(سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ)	حق عليه القول الذي كتبه اللهعليه من أنه سيموت كافرًا

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر نبي الله نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد أرسلنا نوحًا، وهو أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الارض أرسلناه إلى قوه قائلاً لهم إني لكم ﴿نَذِيرٌ﴾ من الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿مُّبِينٌ﴾ مظهر لكم ما أحله الله وما حرمه عليكم، ومبينٌ لكم عاقبة أمركم إذا عصيتم ربكم.

وأرسلناه أيضًا ناهيًا قومه عن عبادة غير الله وآمرًا بعبادة الله وحده لا شريك له قائلًا: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾ لا تعبدوا صنمًا ولا وثنًا ولا أي معبودٍ إلا الله إني أخاف عليكم إن عبدتم غير الله عذاب يوم عظيم الشأن العذاب فيه شديد لمن عبد غير الله.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، أن لا تعبدوا إلا الله، وقل لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾، ومن فتحها ردّ «أنْ» في قوله: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ ﴾ عليها. فيكون المعنى حينئذ: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأني لكم نذير مبين، بأن لا تعبدوا إلا الله.

ويعني بقوله: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾ أيها الناس، عبادة الآلهة والأوثان، وإشراكها في عبادته، وأفردوا الله بالتوحيد، وأخلصوا له العبادة، فإنه لا شريك له في خلقه.

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾، يقول: إني أيها القوم، إن لم

تخصُّوا الله بالعبادة، وتفردوه بالتوحيد، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان، أخاف عليكم من الله عذابَ يوم مؤلم عقابُه وعذابُه لمن عُذِّب فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عَبَدة الأصنام أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: ظاهر النّذَارَة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله؛ ولهذا قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وقوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ أي إن استمررتم على ما أنتم عليه عَذَّبكم الله عذابا أليما مُوجعًا شاقًا في الدار الآخرة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ولقد أرسلنا رسولنا نوحا أول المرسلين إلى قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني.

❁ ❁ ❁

تعجب للكفار من إرسال رسول بشرى

س: كثيرًا ما يظهر أهل الكفر سببًا من أسباب امتناعهم عن الإسلام والإيمان ألا وهو كون النبي النبي المرسل إليهم من البشر، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك:

قول قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].

وقول قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وقول أهل الكفر لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وكذا قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: قال أشراف القوم وعليتهم وكبراؤهم من قوم نوح، قالوا لنوح عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ إنسانًا مثلنا، لست بملكٍ ولا بمخلوق آخر غيرنا أفضل منا، وما نرى أتباعك الذين اتبعوك على ما تدعوا إليه إلا ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ سفهاؤنا وفقراؤنا وضعفاؤنا وسفلتنا وأصحاب المهن الخسيسة فينا، هذا ما يظهر من أمرهم وهذا رأينا الظاهر فيهم، ثم هم أيضًا ضعيفو العقل لا يفكرون ولا يتعقلون؛ لأنهم آمنوا لما دعوتهم لأول مرة بلا

رؤية ولا تأني ولا تؤدة، وما أنتم وهم بمفضلين علينا بشيء، بل نوقن أنكم كذبة فيما تدعوننا إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم، وهم ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿مَا نَرَىٰكَ﴾، يا نوح، ﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾، يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصُّورة والجنس، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه.

وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾، يقول: وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما نرَى ويظهر لنا.

وقوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾، اختلفت القراء في قراءته.

وأورد القراءتين وقال: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ بغير همز «البادي»، وبهمز «الرأي»، لأن معنى ذلك الكلام: إلا الذين هم أراذلنا، في ظاهر الرأي، وفيما يظهر لنا.

وقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، يقول: وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله وإخلاص العبودة له، فنتبعكم طلبَ ذلك الفضل، وابتغاءَ ما أصبتموه بخلافكم إيانا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

وهذا خطاب منهم لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحًا دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رُسلًا. وأخرج الخطابَ وهو واحد مخرج خطاب الجميع، كما قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، [الطلاق: ١].

(٤٢٣) أحمر
أسود

وتأويل الكلام: بل نظنك، يا نوح، في دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولا كاذبًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ والملأ هم: السادة والكبراء من الكافرين منهم: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ أي: لست بملك، ولكنك بشر، فكيف أوحي إليك من دوننا؟ ثم ما نراك اتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تَرَوّ منهم ولا فكرة ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ؛ ولهذا قال: وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أي: في أول بادئ الرأي، وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾ يقولون: ما رأينا لكم علينا فضيلة في خَلْق ولا خُلُق، ولا رزق ولا حال، لَمَّا دخلتم في دينكم هذا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ أي: فيما تَدَّعونه لكم من البر والصلاح والعبادة، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها.

هذا اعتراض الكافرين على نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأتباعه، وذلك دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رَذَالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء. ثم الواقع غالبا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ، قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

وقولهم: ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء ولا يفكر وينزوي هاهنا إلا عَيِيّ أو غبي . والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إنما جاءوا بأمر جلي واضح. وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له كَبْوَة، غير أبي بكر، فإنه لم يَتَلَعْثَم**» أي: ما تردد ولا تروَّى، لأنه رأى أمرا جليا عظيما واضحا، فبادر إليه وسارع.

وقولهم: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ ﴾ هم لا يرون ذلك؛ لأنهم عُمْي عن الحق، لا يسمعون ولا يبصرون: بل هم في ريبهم يترددون، في ظلمات الجهل يعمهون، وهم الأفاكون الكاذبون، الأقلون الأرذلون، وفي الآخرة هم الأخسرون.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

وللعلماء في معنى (بَادِيَ) إذا لم يُهمز ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأرذالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين.

والثاني: أن المعنى أن هؤلاء القوم اتَّبعوك في ظاهر ما يُرى منهم، وطويَّتُهم على خلافك.

والثالث: أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلتَ، ولو رجعوا إلى التفكر لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهمز، لأنه مِن بدا، يبدو: إذا ظهر. فأما من همز «بادئ» فمعناه: ابتداء الرأي، أي: اتَّبعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو

فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أي: الأشراف والرؤساء، راديـن لـدعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد دعوة المرسلين.

﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب، الذي لا ينبغي غيره، لأن البشر يتمكن البشر، أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة.

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي: ما نرى اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة، بزعمهم.

وهم في الحقيقة الأشراف، وأهل العقول، الذين انقادوا للحق ولم يكونوا كالأراذل، الذين يقال لهم الملأ الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟.

وقولهم: ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أي: إنما اتبعوك من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية، التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل.

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾ أي: لستم أفضل منا فننقاد لكم، ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه.

❁ ❁ ❁

أتباع الرسل أكثرهم الضعفاء والفقراء

س: أتباع الرسل هم الضعفاء في الالب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول هرقل لأبي سفيان: «أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، قال: بل ضعفاؤهم، فقال: وكذا أتباع الرسل».

* وقول قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

* وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] ما حاصله أن اهل الشرك قالوا لرسول الله ﷺ: «اطرد عند هؤلاء لا يجترؤون علينا..».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم: أن نوحًا عليه السلام حين تأبى عليه قومه ورفضوا الإيمان وأصروا على الشرك والكفر، وقالوا له ما نراك إلا بشرًا مثلنا... أجاب قومه بقوله: يا موسى أرأيتم إن كنت على بصيرة وعلم وبيان بالحق والصواب من عند الله عز وجل ثم إن الله تفضل علي برحمة من عنده، وهي النبوة والهداية، أفنجبركم ونغصبكم على قبولهم وأنتم كارهون لها وكارهون الدخول في الإسلام.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه، وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، على علمٍ ومعرفةٍ وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب عليّ من إخلاص العبادة له

وترك إشراك الأوثان معه فيها ، ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾، يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوّة والحكمة، فآمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراءتين في قوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ واختار قراءة من قرأ: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ بضم العين وتشديد الميم للذي ذكَروا من العلة لمن قرأ به، ولقربه من قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾، فأضاف «الرحمة» إلى الله، فكذلك «تعميته على الآخرين»، بالإضافة إليه أولى.

قال الطبري:

وقوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾، يقول: أنأخذكم بالدخول في الإسلام، وقد عماه الله عليكم ، ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾، يقول: وأنتم لإلزاماكُموها ، ﴿كَٰرِهُونَ﴾، يقول: لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله، حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾، الآية، أما والله لو استطاع نبيّ الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن نوح ما ردَّ على قومه في ذلك: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: نَغْصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ﴾ لهم نوح مجاوبا ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على يقين وجزم، يعني، وهو الرسول الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الألباب،

ويضمحل في جنب عقله، عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقا، فإذا قال: إني على بينة من ربي، فحسبك بهذا القول، شهادة له وتصديقا.

﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ أي: أوحى إلي وأرسلني، ومنَّ علي بالهداية، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: خفيت عليكم، وبها تثاقلتم.

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتم أنتم فيه؟ ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح من يقيننا فيه، ولا قولكم وافتراؤكم علينا، صادا لنا عما كنا عليه.

وإنما غايته أن يكون صادا لكم أنتم، وموجبا لعدم انقيادكم للحق الذي تزعمون أنه باطل، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إكراهكم، على ما أمر الله، ولا إلزامكم، ما نفرتم عنه، ولهذا قال: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾.

قال ابن الجوزي (زاد المسير)﴾:

قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنُلزمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لانقدر أن نُلزمكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك. وقيل: كان مراد نوح عليه السلام ردَّ قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ فبيَّن فضله وفضل مَن آمن به بأنه على بيِّنة من ربه، وقد آتاه رحمةً من عنده، وسُلب المكذِّبون ذلك.

❁ ❁ ❁

الرسل لا تسأل الناس أجرًا على الإيمان

س: الرسل لا تسأل أجورًا على دعوتها إلى الله، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول نوح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠﴾ [الطور: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سبأ: ٤٧].

إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدۡتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن نوحًا عليه السلام قال لقومه: ويا قوم لا أسالكم على الإيمان والتوحيد والإسلام مالًا، فلا أقول لكم أعطوني كذا وكذا إن أسلمتم إنما أطلب ثواب عملي من الله عز وجل، أما عن الذي طلبتموه مني، وهو طرد أهل الإيمان وعدم مجالستي لهم وابتعادي عنهم وإبعادهم عني فلن يتحقق لكم ذلك فما أنا بطارد الذين آمنوا، إنهم ملاقوا ربهم يوم القيامة.

وسيسألهم عن أعمالهم وعن طاعتهم له، ولكني أراكم قومًا تجهلون حقيقة ما أنتم فيه، وما أنتم عليه مقبلون وتجهلون حقيقة هؤلاء، وأنهم على خير ما داموا مؤمنين.

ويا قوم من يمنعني من عذاب الله إن طردت هؤلاء الفقراء الضعفاء من مجلس أفلا تتعظون وتعتبرون.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا خبرٌ من الله عن قيل نوح لقومه، أنه قال لهم: يا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، مالا أجرًا على ذلك، فتتهموني في نصيحتي، وتظنون أن فعلي ذلك طلبُ عرض من أعراض الدنيا ، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾، يقول: ما ثواب نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه، إلا على الله، فانه هو الذي يجازيني، ويثيبني عليه ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾، وما أنا بمقصٍ من آمن بالله، وأقرّ بوحدانيته، وخلع الأوثان وتبرأ منها، بأن لم يكونوا من عِلْيتكم وأشرافكم ، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، يقول: إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم، صائرون إلى الله، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون، لا عن شرفهم وحسبهم.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾، يقول: ولكني، أيها القوم، أراكم قومًا تجهلونَ الواجبَ عليكم من حقّ الله، واللازم لكم من فرائضه. ولذلك من جهلكم سألتموني أن أطرد الذين آمنوا بالله.

يقول: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾، فيمنعني من الله إن هو عاقبني على طردي المؤمنين الموحِّدين الله إن طردتهم ؟ ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تتفكرون فيما تقولون: فتعلمون خطأه، فتنتهوا عنه؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول لقومه: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ على نصحي لكم مالا؛ أجرة آخذها منكم، إنما أبتغي الأجر من الله ﷻ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه، احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم، كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]،

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ الآيات [الأنعام: ٥٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على دعوتي إياكم ﴿مَالٗاۖ﴾ فتستثقلون المغرم.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ فمثيبهم على إيمانهم وتقواهم بجنات النعيم.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ حيث تأمرونني، بطرد أولياء الله، وإبعادهم عني. وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدۡتُّهُمۡۚ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾.

ج: يقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ولا أقول لكم عندي خزائن الله أُعطي من أشاء وأمنع من أشاء، وأكرمكم بالمال إن آمنتم، وأمنعكم المال إن عصيتم، فهذا

ليس لي فلست بإله ولا رب، وكذا فإني لا أعلم الغيب، لا أدعي إلاهية ولا الربوبية وكذا لا أقول إني ملك من الملائكة اتفضل عليكم بذلك، وكذا لا أقول لهؤلاء الضعفاء الذين عبدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، لا أقول لهؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم لن يؤتيكم الله خيرًا على إيمانكم وتوحيدكم الله أعلم بما في أنفسهم، وهو الذي سيجازيهم ويحاسبهم، وإن قلت شيئًا مما ذكر، إن قلت إن عندي خزائن الله، أو أعلم الغيب، أو قلت إني ملك، أو قلت للفقراء المؤمنين لن يؤتيكم الله خيرًا، فقد ظلمت نفسي بهذا القول، وأنزلتها أسوأ المنازل.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، عطف على قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾.

ومعنى الكلام: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، التي لا يفنيها شيء، فأدعوكم إلى اتباعي عليها. ولا أعلم أيضًا الغيب - يعني: ما خفي من سرائر العباد، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله- فأدّعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي.ولا أقول أيضًا: إني ملك من الملائكة، أرسلت إليكم، فأكون كاذبًا في دعواي ذلك، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون، أمرت بدعائكم إلى الله، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ يقول: ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحَّدوه، الذين تستحقرهم أعينكم، وقلتم: إنهم أراذلكم، ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾، وذلك الإيمان بالله، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، يقول: الله أعلم بضمائر صدورهم، واعتقاد قلوبهم، وهو وليّ أمرهم في ذلك، وإنما لي منهم ما ظهر

وبدا، وقد أظهُروا الإيمان بالله واتبعوني، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك ، ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾، يقول: إنّي إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي على غير علم منّي بما في نفوسهم، وطردتهم بفعلي ذلك، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين ما أمرهم الله به، وذلك هو «الظلم».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبرهم أنه رسول من الله، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، بإذن الله له في ذلك، ولا يسألهم على ذلك أجرا، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع، فمن استجاب له فقد نجا. ويخبرهم أنه لا يَقدِر على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وليس هو بمَلك من الملائكة، بل بشر مرسل، مؤيد بالمعجزات. ولا أقولُ عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم : إنه ليس لهم عند الله ثواب على إيمانهم الله أعمل بما في أنفسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنًا، كما هو الظاهر من حالهم، فلهم جزاء الحسنى، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا، لكان ظالما قائلا ما لا علم له به.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ أي: غايتي أني رسول الله إليكم، أبشركم، وأنذركم، وأما ما عدا ذلك، فليس بيدي من الأمر شيء، فليست خزائن الله عندي، أدبرها أنا، وأعطي من أشاء، وأحرم من أشاء، ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ فأخبركم بسرائركم وبواطنكم ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ والمعنى: أني لا أدعي رتبة فوق رتبتي، ولا منزلة سوى المنزلة، التي أنزلني الله بها، ولا أحكم على الناس، بظني.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ أي: ضعفاء المؤمنين، الذين يحتقرهم الملأ الذين كفروا ﴿ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ فإن كانوا صادقين في إيمانهم، فلهم الخير الكثير، وإن كانوا غير ذلك، فحسابهم على الله.

﴿ إِنِّيٓ إِذٗا ﴾ أي: إن قلت لكم شيئا مما تقدم ﴿ لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذا تأييس منه، عليه الصلاة والسلام لقومه، أن ينبذ فقراء المؤمنين، أو يمقتهم، وتقنيع لقومه، بالطرق المقنعة للمنصف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ ﴾.

ج: بيان هذا – والله أعلم – أن قوم نوح عليه السلام ردوا عليه قائلين يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا، أي: حاججتنا فأكثرت من المحاججة، وكذا خاصمتنا فأطلت المخاصمة وتوعدتنا بالعذاب فائتنا بما عقدنا من العذاب إن كنت صادقًا في وعيدك، قال نوح عليه السلام لست أنا الذي يأتي بالعذاب إنما يأتيكم الله إن شاء، في الوقت الذي يشاء وعلى النحو الذي يشاء، وما أنتم بفائتين من عذاب الله عز وجل، وكوني أطلت في النصح والتذكير، فاعلم أن هذا لن ينفعكم، لن تنتفعوا بنصحي إن كان الله يريد أن يضلكم ويدمركم ويهللكم، هو ربكم مالك أمركم، ومحييكم ومميتكم والمتصرف فيكم كيف يشاء، وإليه مرجعكم يوم القيامة.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرت

خصومتنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إن كنت من الصادقين في عِداتك ودَعواك أنك لله رسول. يعني: بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك.

يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب: يا قوم، ليس الذي تستعجلون من العذاب إليّ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره، هو الذي يأتيكم به إن شاء، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾، يقول: ولستم إذا أراد تعذيبكم بمعجزيه، أي بفائتيه هربًا منه، لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه وقدرته، حكمهُ عليكم جارٍ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾، يقول: ولا ينفعكم تحذيري عقوبته، ونزولَ سطوته بكم على كفركم به ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾، في تحذيري إياكم ذلك، لأن نصحي لا ينفعكم، لأنكم لا تقبلونه. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾، يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾، يقول: وإليه تردُّون بعد الهلاك.

حكي عن طيئ أنها تقول: «أصبح فلان غاويًا»: أي مريضًا.

وحكي عن غيرهم سماعًا منهم: «أغويت فلانًا»، بمعنى أهلكتَه، و«غَوِيَ الفصيل»، إذا فقد اللبن فمات.

وذكر أن قول الله: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾، [مريم: ٥٩]، أي هلاكًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت، فليأتنا ما تدعو به، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ أي: إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لا يُعجِزُه شيء، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي:

أي شيء يُجدِي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي، إن كان الله يريد إغواءكم ودماركم، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: هو مالك أزمة الأمور، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وهو المبدئ المعيد، مالك الدنيا والآخرة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما رأوه، لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة، لنبيهم الناصح.

فهلا قالوا إن كانوا صادقين: يا نوح قد نصحتنا، وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر، لم يتبين لنا، فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم، كاذبون، وعلى نبيهم متجرئون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلا عن أن يردوه بحجة. ولهذا عدلوا - من جهلهم وظلمهم - إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته، أن ينزله بكم، فعل ذلك. ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إن إرادة الله غالبة، فإنه إذا أراد أن يغويكم، لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح - وهو قد فعل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فليس ذلك بنافع لكم شيئا، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يريد ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

❁ ❁ ❁

ومن الجدل المحمود

س: الإكثار من الجدال المحمود بالتي هي أحسن لتقرير الحق، ودفع الباطل والشبه يُطلب في بعض الأحيان دلِّل على ذلك؟

ج: نعم للجهاد فقهٌ، فإذا كان لتقرير الحق وإيضاح الحجة وبيان وجه الصواب فمستحبٌّ حينئذٍ قال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] أما إذا كان مراءً وبلا فائدة فيمنع الكلام آنذاك ويكون السكوت أولى، قال ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء ولو كان مُحقًّا**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم – في تأويله وجهان:

أحدهما: أيقول المشركون أن رسول الله محمدًا ﷺ قد افترى هذا القرآن واختلقه وتقوَّله من عند نفسه، فقل لهم إن افتريته، إن اختلقته من عند نفسي ونسبته إلى الله ﷻ فعليَّ إثم إجرامي، إثم اكتسابي لهذا الجرم، وأنا بريء من إجرامكم بتكذيبكم لي وجحودكم آيات الله المنزلة من عند الله.

وثمَّ وجه آخر: أن قولهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ المعني به نوح عليه السلام والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن؟ وهذا الخبر عن نوح ؟ ، قل لهم: إن افتريته فتخرصته واختلقته ﴿فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ يقول: فعلي إثمي في افترائي ما افتريت على ربّي

دونكم، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمي، ولا أؤاخذ بذنبكم. ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾، يقول: وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم، من افترائكم عليه.

ويقال منه: «أجرمت إجرامًا»، و«جرَمْت أجرم جَرْمًا»، كما قال الشاعر:

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ ذَنْبٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا كلام معترض في وسط هذه القصة، مؤكد لها ومقرر بشأنها. يقول تعالى لمحمد ﷺ: أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون: افترى هذا وافتعله من عنده ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ أي: فإثم ذلك علي، ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾ أي: ليس ذلك مفتعلا ولا مفترى، لأني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥﴾ أي: كل عليه وزره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾.

ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، فلما شرع الله في قصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل

الكتاب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله.

فإذا زعموا - مع هذا - أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي وكذبي، ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: فلم تستلجون في تكذيبي.

❁ ❁ ❁

قطع الأمل في إيمان قوم نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وأوحى الله عز وجل إلى نبيه نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك أحدٌ غير الذين آمنوا بك، فلا تحزن ولا تجزع ولا تغتم ولا تتضايق بما يصدر منهم من تكب لك وسخريةٍ منك واستهزاءٍ وتحدي.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأوحَى الله ﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾، لمّا حَقّ على قومه القولُ، وأظلَّهم أمرُ الله، ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾، يا نوح، بالله فيوحِّده، ويتبعك على ما تدعوه إليه، ﴿مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، فصدّق بذلك واتبعك. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، يقول: فلا تستكن ولا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، فإني مهلكهم، ومنقذك منهم ومن اتبعك. وأوحى الله ذلك إليه، بعد ما دعا عليهم نوحٌ بالهلاك فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾، [نوح: ٢٦].

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه أوحى إلى نُوح لما استعجل قومُه نقمة الله بهم وعذابه لهم، فدعا عليهم نوحُ دعوته التي قال الله تعالى مخبراً عنه أنه قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠]، فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يَهُمَّنك أمرهم.

❁ ❁ ❁

(٤٤١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: هذا أمر من الله ﷻ لنبيه نوح عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ السفينة العظيمة الهائلة، أُمر نوحٌ عليه السلام أن يصنعها بأعيننا ومرأى منا وأمرنا لك بذلك وتعليمنا لك صناعتها، ولا تجادلني في أهل الظلم فإنني سأغرقهم وأهلكهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وأن اصنع الفلك، وهو السفينة.

وقوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾، يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك.

وقوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾، يقول تعالى ذكره: ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك، فأكسبوها تعدّيًا منهم عليها بكفرهم بالله ، الهلاك بالغرق، إنهم مغرقون بالطوفان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ يعني: السفينة ﴿ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي: بمرأى منا، ﴿ وَوَحۡيِنَا ﴾ أي: وتعليمنا لك ماذا تصنعه، ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

❁ ❁ ❁

الجزاء من جنس العمل

س: الجزاء من جنس العمل، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٦٧].

❁ ❁ ❁

القرابات لا تنفع مع عدم الإيمان

س: مَن الذين سبق عليهم القول بأنهم سيعذبون من قوم نوح؟

ج: منهم امرأته، وكذا ابنه، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ويصنع نوح عليه السلام السفينة العظيمة كما أمره الله، وكلما مرَّ عليه ﴿مَلَأٌ﴾ جماعة من قومه، وهو يصنعها – قيل يصنعها على اليبس (الأرض اليابسة وليست في البحر) سخروا منه ووصفوه بالجنون، فيجيبهم قائلًا: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾ إن تستهزئوا بنا وتصفوننا بسيئ الأوصاف وبقلة العقول، فسيأتي اليوم الذي نسخر فيه منكم كما تسخرون منا، وسوف تعلمون عاقبة سخريتكم، سوف تعلمون مَنْ منا الذي سيأتيه عذاب يُهينه ويذله ويحلُّ عليه عذاب مقيم لا يتحول عنه ولا يزول، واستمرت السخرية بنوحٍ عليه السلام، واستمر به أذى قومه حتى إذا جاء أمر الله عز وجل بإنجائه وإهلاك المعاندين له، وجاء أمر الله بالطوفان الذي أغرق به من على الأرض وسلَّم نوحًا عليه السلام ومن معه، حتى إذا جاء أمر الله بذلك وامتلأ التنور ماءً، وفي التنور

أقوالٌ تقدمت، منها أنه التنور الذي يُخبز فيه، وهو أشبه بالبرميل (وهو من الفخار) يوضع الخبز في جوانبه من الداخل والنار بوسطة من أسفل، فإذا نزل المطر وامتلأ التنور ماء.

وقيل: التنور (وجه الأرض) وثمَّ أقوال تقدمت، حتى إذا كان هذا فاحمل في السفينة العظيمة من كل صنفٍ من المخلوقات ذكرًا وأنثى، وذلك للإبقاء على المخلوقات؛ ولأن السفينة لا تكاد تتحمل أكثر من ذلك، وكذا احمل في السفينة أهلك الذين آمنوا بك، لكن الذين كفروا منهم فلا تحملهم، وهم زوجته التي ضُربت مثلًا للذين كفروا، وكذا ولده الذي أصر على فكره، وكذا احمل في السفينة أهل الإيمان، وكانوا قلة قليلة، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويصنع نوح السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾، يقول: هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحوّلت نجارًا بعد النبوّة، وتعمل السفينة في البر ؟ ، فيقول لهم نوح: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾، إن تهزءوا منا اليوم، فإنا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزءون منا في الدنيا ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، إذا عاينتم عذابَ الله، مَن الذي كان إلى نفسه مُسِيئًا منَّا.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نوح لقومه: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، أيها القوم، إذا جاء أمر الله، من الهالك، ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾، يقول: الذي يأتيه عذابُ الله منا ومنكم يهينه ويذله ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾، يقول: وينزل به في الآخرة، مع ذلك، عذابٌ دائم لا انقطاع له، مقيم عليه أبدًا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يقول: «ويصنع نوح الفلك» ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ الذي وعدناه أن يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم.

(٤٤٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، وهو وجه الأرض.

وقال آخرون: هو تنويرُ الصبح، من قولهم: «نوَّرَ الصبح تنويرًا».

وقال آخرون: معنى ذلك: وفار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء. وقال: «التنور» أشرف الأرض.

وقال آخرون: هو التنور الذي يُخْتَبز فيه.

قال الطبري:

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾، قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجَّة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى مَا خاطبهم به.

﴿قُلْنَا﴾، لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحًا أن نعذبهم به، وفار التنور الذي جعلنا فورَانه بالماء آيةَ مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾، يعني في الفلك ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، يقول: من كل ذكر وأنثى.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، يقول: واحمل أهلك أيضًا في الفلك، يعني بـ«الأهل»، ولده ونساءه وأزواجه، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، يقول: إلا من قلت فيهم إني مهلكه مع مَنْ أُهْلِكُ من قومك.

ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله.

فقال بعضهم: هو بعض نساء نوح.

وقال آخرون: بل هو ابنه الذي غرق.

وقوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، يقول: واحمل معهم من صدقك واتبعك من قومك، يقول الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، يقول: وما أقرّ بوحدانية الله مع نوح من قومه إلا قليل.

واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه في الفلك.

فقال بعضهم في ذلك: كانوا ثمانية أنفس.

وقال آخرون: بل كانوا سبعة أنفس.

وقال آخرون: كانوا عشرة سوى نسائهم.

وقال آخرون: بل كانوا ثمانين نفسًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يحُدّ عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يُتَجاوز في ذلك حدُّ الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدٌّ من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: يَطْنزون به ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد شديد، وتهديد أكيد، ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يهنه في الدنيا، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي: دائم مستمر أبدا.

هذه مُواعدة من الله تعالى لنوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهَتَّان الذي لا يُقْلع ولا يَفتُر، بل هو كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١١-١٤].

(٤٤٧) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فعن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، أي: صارت الأرض عيونا تفور، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف.

فحينئذ أمر الله نوحا، عليه السلام، أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين -من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح، قيل: وغيرها من النباتات -اثنين. ذكرا وأنثى، فقيل: كان أول من أدخل من الطيور الدرة، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار، فدخل إبليس متعلقًا بذنبه، فدخل بيده ، وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه، فجعل يقول له نوح: مالك؟ ويحك. ادخل. فينهض ولا يقدر، فقال: ادخل وإن كان إبليس معك فدخلا في السفينة.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: «واحمل فيها أهلك، وهم أهل بيته وقرابته» إلا من سبق عليه القول منهم، ممن لم يؤمن بالله، فكان منهم ابنه «يام» الذي انعزل وحده، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله.

وقوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من قومك، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما.

❁ ❁ ❁

قصة إنجاز نبي الله نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ
ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي
مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ
فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ
ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ
ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ
لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ
أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾
قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ
سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ
مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

[هود: ٤١-٤٩].

(٤٤٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا - وَمُرْسَاهَا - مَعْزِلٍ - سَآوِي - يَعْصِمُنِي - لَا عَاصِمَ - أَمْرِ اللَّهِ - إِلَّا مَن رَّحِمَ - أَقْلِعِي - وَغِيضَ الْمَاءُ - وَقُضِيَ الْأَمْرُ - وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ - بُعْدًا - عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ - أَعِظُكَ - أَعُوذُ بِكَ - اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا - وَبَرَكَاتٍ - أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَجْرِيهَا﴾	جريانها – مسيرها – سيرها – إجراؤها.
﴿وَمُرْسَاهَا﴾	توقفها – رُسوها – إرساؤها.
﴿مَعْزِلٍ﴾	مكان منعزل عن نوح عليه السلام، وقيل: معزل عن اتباع دينه.
﴿سَآوِي﴾	سأذهب – سأصير – سيألجأ.
﴿يَعْصِمُنِي﴾	يمنعني.
﴿لَا عَاصِمَ﴾	لا مانع.
﴿أَمْرِ اللَّهِ﴾	قضاء الله الذي قضاه (بإهلاك الكاذبين).
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾	إلا من رحمة الله.
﴿أَقْلِعِي﴾	أمسكي عن الماء.
﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾	قلَّ الماء ونضب الماء وتشربته الأرض.
﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	انتهى الأمر ونفذ الأمر الذي أراده الله.
﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾	استقرت على جبل الجودي.

﴿بُعۡدٗا﴾	هلاكًا وخسارًا.
﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾	ذو عمل سيءٍ، وقيل: (ولد زنا) ولا يصح.
﴿أَعِظُكَ﴾	أذكرك.
﴿أَعُوذُ بِكَ﴾	ألجأ إليك وأستنجد بك.
﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾	اهبط من السفينة بأمانٍ.
﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾	نعم متكاثرة متزايدة.
﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾	أخبار كانت غائبة عنك.

❁ ❁ ❁

(٤٥١) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ قراءات وضح بعضها؟

ج: من هذه القراءات قراءة من قرأ بفتح الميم في قول: ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ وفي قوله: ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

* وأخرى بضم الميم فيهما: ﴿مُجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

* وثالثة بفتح الميم في ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ وضحهما في ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مُجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، بضم الميم في الحرفين كليهما. وإذا قرئ كذلك كان من «أجرى» و«أرسى»، وكان فيه وجهان من الإعراب:

أحدهما: الرفع بمعنى: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فيكون «المجرى» و«المرسى» مرفوعين حينئذ بالباء التي في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾.

والآخر: النصب، بمعنى: بسم الله عند إجرائها وإرسائها، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، كلامًا مكتفيًا بنفسه، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله: «بسم الله»، ثم يكون «المجرى» و«المرسى» منصوبين على ما نصبت العرب قولهم: «الحمد لله سِرارَك وإهلالك»، يعنون الهلال أوّله وآخره، كأنهم قالوا: «**الحمد لله أوّل الهلال وآخره**»، ومسموع منهم أيضا: «**الحمدُ لله ما إهلالك إلى سِرارِك**».

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، بفتح الميم من «مجراها»، وضمها من «مرساها»، فجعلوا «مجراها» مصدرًا من «جري يجري مَجْرَى»، و«مرساها» من «أرسَى يُرْسي إرساء».

وإذا قرئ ذلك كذلك، كانَ في إعرابهما من الوجهين، نحو الذي فيهما إذا

قرئا: ﴿مُجراها ومُرساها﴾، بضم الميم فيهما، على ما بيَّنتُ.

ثم قال أبو جعفر: والقراءة التي نختارها في ذلك قراءة من قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾، بفتح الميم ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾، بضم الميم، بمعنى: بسم الله حين تَجْري وحين تُرْسي.

قلت: وقال القرطبي... وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾ بفتح الميم ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بضم الميم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وقال نبي الله نوح ﷺ لقومه، وقال (بعض العلماء) إن هذا أمرٌ من الله ﷻ هو الذي قال اركبوا فيها.

أما قوله: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ أي: في السفينة التي صنعها نبي الله نوحٌ ﷺ، بسم الله يكون جريانها، وبسم الله يكون توقفها، وقيل: بسم الله تجري وبسم الله تقف.

وقيل: المعنى بأمر الله تجري وبأمر الله تقف.

وقال بعض العلماء: المعنى قولوا بسم الله عند جريانها وبسم الله عند توقفها.

أما قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾، لذنوب عباده المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم إذ أنجاهم، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى إخبارًا عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ أي: بسم الله يكون جَرْيُها على

وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رُسُوها.

وقرأ أبو رجاء العَطاردي: ﴿بسْمِ اللهِ مُجْرِيَها ومُرْسِيهَا﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩]؛ ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور: عند الركوب على السفينة وعلى الدابة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[الزخرف:١٢ -١٤].

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين ذكْرُ أنه غفور رحيم، كما قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد: ٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين انتقامه ورحمته.

وقال الشنقيطي (في أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

ذكر الله تعالى في هذا الآية الكريمة: أن نبيه نوحـًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أمر أصحابه الذين قيل لهم احملهم فيها أن يركبوا فيها قائلاً: وَقَالَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها.

وبين في سورة الفلاح: أنه أمره إذا استوى على السفينة هو ومن معه أن يحمدوا الله الذي نجاهم من الكفرة الظالمين، ويسألوه أن ينزلهم منزلاً

مباركًا. وذلك في قوله: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩].

وبين في سورة الزخرف ما ينبغي أن يقال عند ركوب السفن وغيرها بقوله ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف: ١٢ -١٤].

ومعنى قوله: ﴿ مُقْرِنِينَ ﴾ أي: مطيقين.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

والمعنى: أنه أمرهم أن يسمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجراؤها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في «مُجراها» أراد: أجراها اللهُ مجرىً، ومن فتحها، أراد: جرت مَجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسي، قال: بسم الله، فرست.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَالَ ﴾ نوح لمن أمره الله أن يحملهم: ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره.

﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين.

❁ ❁ ❁

(٤٥٥) أحمر
أسود

س: من قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ما يستدل به على أن أهل الإيمان تصدر منهم ذنوب وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن أهل السفينة قال لهم نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لذنوبكم رحيم بكم إذ أنجاكم وسلمكم والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: والفلك التي ركبها نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وما حمله من كلٍّ زوجين اثنين تجري بهم جميعًا في موج من شدته وعظمته كالجبال ونادى نوح ابنه كي يركب معهم، وكان ابنه في مكانٍ منعزل عنه، مبتعدٍ عن والده وعن المؤمنين، يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فإن مصيرهم إلى الهلاك فقال ولده: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ﴾ سأصير وأذهب إلى جبل مرتفع يمنعني من الغرق قال له أبوه حينئذٍ ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ لا مانع اليوم من قضاء الذي قضاه من إهلاك القوم الكافرين، وما هي إلا لحظات حتى صنع الموج نوحًا عليه السلام من رؤية ولده، ومنع الولد من رؤية أبيه فكان الولد من المغرقين الهلكى على الكفار والعياذ بالله.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾، والفلك تجري بنوح ومن معه فيها ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾، يام ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، عنه، لم يركب

معه الفلك: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، الفلك ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾.

ويقول تعالى ذكره: قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفًا عليه من الغرق: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ يقول: سأصير إلى جبل أتحصّن به من الماء، فيمنعني منه أن يغرقني.

ويعني بقوله: ﴿يَعۡصِمُنِي﴾ يمنعني، مثل «عصام القربة»، الذي يشدُّ به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل منها.

وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾، يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم. فـ﴿مَن﴾ في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يَعصم اليوم من أمر الله إلا الله.

وقوله: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾، يقول: وحال بين نوح وابنه موجُ الماء فغرق، فكان ممن أهلكه بالغرق من قوم نوح ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ أي: السفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طَبَّق جميع الأرض، حتى طفت على رءوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا، وقيل: بثمانين ميلا وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كَنَفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾[الحاقة: ١١، ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾ [القمر: ١٣ -١٥].

...ثم قال:

والذي نص عليه القرآن أنه قال: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾

اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجّاه ذلك من الغرق، فقال له أبوه نوح، عليه السلام: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ أي: ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله. وقيل: إن عاصما بمعنى معصوم، كما يقال: «طاعم وكاس»، بمعنى مطعوم ومكسُوّ، ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ الآية.

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن السفينة تجري بنوح ومن معه في ماء عظيم، أمواجه كالجبال.

وبين جريانها هذا ي ذلك الماء الهائل في مواضع آخر. كقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: ١١ - ١٢] وقوله: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١١ - ١٥].

وبين في موضع آخر: أن أمواج البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه كالجبال أيضاً بقوله: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣] والطود: الجبل العظيم.

وقال السعدي رحمه الله:

ثم وصف جريانها كأنا نشاهدها فقال: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ أي: بنوح، ومن ركب معه ﴿ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ والله حافظها وحافظ أهلها ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ لما ركب، ليركب معه ﴿ وَكَانَ ﴾ ابنه ﴿ فِي مَعْزِلٍ ﴾ عنهم، حين ركبوا، أي: مبتعدا وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فيصيبك ما يصيبهم.

فـ﴿ قَالَ ﴾ ابنه، مكذبا لأبيه أنه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ أي: سأرتقي جبلا أمتنع به من الماء، فـ ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾ فلا يعصم أحدا، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله.

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ﴾ الابن ﴿ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾.

❁ ❁ ❁

المهتدي من هداه الله
(الأنبياء عليهم السلام لا يملكون التوفيق لأحد)

س: في قصة نوحٍ عليه السلام مع ولده ما يدل على أن الهداية من عند الله، وضح ذلك مع مزيد من الاستدلالات؟

ج: إيضاحه أن نبي الله عليه السلام، وهو من أولى العزم من الرسل، وهو العبد الشكور، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، والأنبياء والرسل أعقل الناس وأذكى الناس، وأحسن الناس أسلوبًا، وأصفاهم قلوبًا، وأجملهم طريقة في الدعوة إلى الله، ومع ذلك كله لم يستطع نوح عليه السلام هداية ولده.

كما أن أبا طالب لم يستجب لرسول الله ﷺ حينما قال له: «**يا عم قل لا إله إلا الله**»، فأبى أن يقولها، وقال هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك.

وكما أن إبراهيم عليه السلام دعا أباه ودعاه ووعاه ولكن ما أجدى كل ذلك مع والد إبراهيم عليه السلام بشيءٍ، وكذلك امرأة نوح وامرأة لوط، قال الله في شأنهما: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وكذا قال تعالى في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١١٣-١١٤].

إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وبعد أن أغرض الله الأرض ومن عليها، وسلَّم نوحًا عليه السلام ومن معه أمر الله عز وجل الأرض أن تبلع ماءها تنشر به وتدخله ثابتة في

جوفها، وأمر السماء أن تمسك عن المطر، وغيض الماء كما أمر الله ﷻ أي: شرع في النقصان والاختفاء، وقضى الله ما أراده من إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين، واستقرت السفينة العظيمة على جبل الجودي، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: خسارًا وهلاكًا ولعنةً لهم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى ذكره: وقال الله للأرض بعد ما تناهَى أمرُه في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾، أي: تشرَّبي.

من قول القائل: «بَلِعَ فلان كذا يَبْلَعُه»، أو «بَلَعَه يَبْلَعُه»، إذا ازدَردَه.

﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾، يقول: أقلعي عن المطر، أمسكي، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾، ذهبت به الأرض ونَشِفته، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، يقول: قُضِي أمر الله، فمضى بهلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾، يعني الفلك، ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: أرست، ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾، وهو جبل، فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: قال الله: أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُقلعَ عن المطر، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: شرع في النقص، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرغَ من أهل الأرض قاطبة، ممن كفر بالله، لم يبق منهم دَيّار، ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ السفينة بمن فيها ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾.

... وذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثار لا مستند عليها ثم قال:

(٤٦١) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: هلاكًا وخسارًا لهم وبعدا من رحمة الله، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم، فلم يبق لهم بقية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما أغرقهم الله ونجى نوحا ومن معه ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.

﴿ وَٱسْتَوَتْ ﴾ السفينة ﴿ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل.

﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدا، وسحقا لا يزال معهم.

❁ ❁ ❁

السموات والأرض لهما إدراكٌ ويعقلان عن الله ﷻ أمره

س: السموات والأرض لهما إدراك وقفهم عن الله مراده دلِّل على ذلك؟

ج: نعم لها إدراك بطريقة يعلمها الله، دلت على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾... الآيات، وفيها: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗاۖ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾[فصلت: ٩-١١].

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ ...﴾ [الانشقاق: ١-٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا ...﴾ [الأحزاب: ٧٢].

إلى غير ذلك من الأدلة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٦٣) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ والقول في ولد نوح وهل هو من سفاح أو من نكاح؟

س: هل هذا الابن العاق الكافر ابن نوح عليه السلام لصلبه أم لا؟

ج: الظاهر والله أعلم انه ابنه لصلبه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾.

❁ ❁ ❁

س: إذن فما توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم، وليس على طريقتك ودينك وسنتك. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما توجيه قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: إنه ذو عمل غير صالح، أي: صاحب عمل غير صالح.

الثاني: أنه ولد زنا، وهذا قولٌ قد سبقت الإشارة إلى ردِّه وعدم قبوله.

الثالث: أن سؤالك نجاة ابنك عملٌ غير صالح. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ونادى نوحٌ ربَّه قيل: وسأل نوحٌ عليه السلام ربه عن

مصير ولده، وقيل: إن النداء تفيض معنى الدعاء.

﴿ فَقَالَ رَبِّ ﴾، يا رب ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ كأنه سأله ربَّه أن ينجي ولده لذلك، فكأنه قال من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ وعدك لا يتخلف ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ أعدل من حكم، وأفضل من حكم وأحكم الحاكمين بالحق فقال تعالى لنوح عليه السلام ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ﴾ ولدك ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ الذين وعدتك بإنجائهم، وإنما وعدت بإنجاء المتقين، وليس من أهلك الذين هم على دينك وشريعتك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ ذو عمل غير صالح ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ فلا تسألني عن أمور علمها عندي ولا تعلمها أنت، لا تسألني نجاته فأنا أعلم به منك.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ ﴾ أُذكرت ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الذين يجهلون حكمة الله في خلقه، ومن الجاهلين المعترضين على قضاء الله وقدره، فعندها دعا نوح عليه السلام متعوِّذًا ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ أي: يا رب ألجأ إليك مستجيرًا بك مستنجدًا كي تعصمني من سؤال ما ليس لي به علم ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي ﴾ ذنوبي وما صدر مني من سؤالي ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ ﴾ برحمتك أكن من الخاسرين في دنياي وآخرتي.

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾ من السفينة على الجودي ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا ﴾ بأمانٍ من الله عز وجل ﴿وَبَرَكَٰتٍ ﴾ ونعم متزايدة من الله عز وجل ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ وعلى جماعات ممن معك وأمم آخرون، وهم من ذرية من معك سيكونون مستقيمين على التوحيد ستمتعهم قليلًا في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا ﴾ يصيبنهم منا يوم القيامة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ عذاب مؤلم موجع.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي، وقد هلك ابني، وابني من أهلي، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾، الذي لا خلف له، ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾، بالحق، فاحكم لي بأن تفي بما وعدتني، من أنْ تنجّي لي أهلي، وترجع إليَّ ابني.

ويقول الله تعالى ذكره: قال الله يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

فقال بعضهم: معناه: ليس من ولدك، هو من غيرك. وقالوا: كان ذلك من حِنْثٍ.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن، في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، قال: لم يكن ابنه.

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه. ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، [التحريم: ١٠] قال سعيد: فذكرت ذلك لقتادة، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف!

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن أبي عامر[1]، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ قال: هو ابنه.

ومن وجه آخر: عن أبي عامر الهمدانيّ، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال، ما بغت امرأة نبي قط. قال: وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، الذين

(١) أبو عامر هو الهمداني، والضحاك هو ابن مزاحم.

وعدتك أن أنجيهم معك.

وله شواهد يصح بها عن ابن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأخرج الطبري بسندٍ حسن عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة قال: سمعت ابن عباس يُسْأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، [التحريم: ١٠]، قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل، على الأضياف. ثم قرأ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدُّهني: أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال: كانَ ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾، قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرَأة نبيٍّ قط.

وبسندٍ حسن عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال: ما بغت امرأةُ نبي قط.

وقد ورد من طرق عن سعيد بن جبير أنه: (ابنه).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أورد جملةً من الآثار:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفًا، وبي كافرًا، وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا ﷺ أنه ابنه فقال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، دلالةٌ على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، محتملا من المعنى ما ذكرنا، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف «الدين» فيقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، كما قيل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾، [يوسف: ٨٢].

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، فإن القراء اختلفت في قراءته.

فقرأته عامة قراء الأمصار: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ بتنوين «عمل» ورفع «غير».

(٤٦٧) أحمر
أسود

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: معناه: إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ أي: سوء ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾.

وقال آخرون: بل معناه: إن الذي ذكرت أنّه ابنك فسألتني أن أنجيه، عملٌ غير صالح، أي: أنه لغير رشدة. وقالوا: «الهاء»، في قوله: «إنه» عائدة على «الابن».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروي عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾، على وجه الخبر عن الفعل الماضي، وغير منصوبة. وممن روي عنه أنه قرأ ذلك كذلك، ابنُ عباس.

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عينة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾.

ووجَّهوا تأويل ذلك إلى ما:-

حدثنا به ابن وكيع قال، حدثنا غندر، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾، قال: كان مخالفًا في النية والعمل.

قال أبو جعفر: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار، إلا بعض المتأخرين، واعتلَّ في ذلك بخبر روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ذلك كذلك، غيرِ صحيح السند. وذلك حديث روي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول: «عن أم سلمة»، ومرة يقول: «عن أسماء بنت يزيد»، ولا نعلم أبنت يزيد يريد؟ ولا نعلم لشهر سماعًا يصح عن أمّ سلمة.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك رفع ﴿عَمَلٌ﴾ بالتنوين، ورفع ﴿غَيْرُ﴾، يعني: إن سؤالك إياي ما تسألنيه في أبنك ، المخالفِ دينَك، الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك:﴿لا تَذَر على الأرض مع الكافرين ديَّارًا﴾، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم ، عملٌ غير صالح، لأنَّه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح.

وقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، نهيٌ من الله تعالى ذكرهُ نبيه نوحًا أن يسأله أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكي ابنك الذي أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويتُ علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم، ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ في مسألتك إياي عن ذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا نبيَّه محمدًا ﷺ، عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلَّته، في مسألته التي سألَها ربَّه في ابنه:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾، أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك ، ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظَها وهلكوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

(٤٦٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: يا نوح، اهبط من الفلك إلى الأرض ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾، يقول: بأمن منا أنت ومن معك من إهلاكنا ، ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾، يقول: وببركات عليك ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾، يقول: وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك. فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم. ثم أخبر تعالى ذكره نوحًا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته، فقال له:﴿وَأُمَمٞ﴾، يقول: وقرون وجماعة ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في الحياة في الدنيا، يقول: نرزقهم فيها ما يتمتعون به إلى أن يبلغوا آجالهم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾، يقول: ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابًا مؤلمًا موجعًا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم﴾، قال: هبطوا والله عنهم راض، هبطوا بسلام من الله. كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أممًا، منهم من رحم، ومنهم من عذب. وقرأ:﴿وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم﴾، وذلك إنما افترقت الأمم من تلك العصابة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عن حال ولده الذي غرق، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدُك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: الذين وعدت إنجاءهم ؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [هود: ٤٠]، فكان هذا الولد ممن سَبَق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبيّ الله نوحا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زِنْية ، ويحكى القول بأنه ليس بابنه، وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد، والحسن، وعُبَيد بن عُمَير، وأبي جعفر الباقر، وابن جُرَيج، واحتج بعضهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ وبقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، فممن قاله الحسن البصري، احتج بهاتين الآيتين. وبعضهم يقول: كان ابن امرأته. وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازا، لكونه كان ربيبًا عنده، فالله أعلم.

وقال ابن عباس، وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط، قال: وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: الذين وعدتك نجاتهم .

وقولُ ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رمَوا أم المؤمنين عائشة بنتَ الصدّيق زوج النبي ﷺ ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١١-١٥].

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ إنما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق.

واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين:

أحدهما: أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير،

ومجاهد، والضحاك، والجمهور.

والثاني: أنه ولد على فراشه لغير رِشدة ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري باسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنَه، إن امرأته فجرت. وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته، وعن مجاهد نحو ذلك. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلد على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان:

أحدهما: ليس من أهل دينك.

والثاني: أنه ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولاجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: (إِنَّهُۥ عَمَلٌ) رفع منون (غَيْرُ صَٰلِحٍ) برفع الراء، وفيه قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح، قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، الآية لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: «رب إن ابني من أهلي» فرجعت الكناية إليه.

والثاني: أنه يرجع إلى المسؤول فيه.

وفي هذا المعنى قولان:

أحدهما: أنه لغير رِشدة، قاله الحسن.

والثاني: أن المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: من قال المعنى: هو لغير رِشدة، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عملٌ غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف

المضاف، وأقام العمل مقامه، كما تقول العرب: عبد الله إقبال وإدبار، أي: صاحب إقبال وإدبار. وقرأ الكسائي: «**عَمِلَ**» بكسر الميم وفتح اللام «**غيرَ صالح**» بفتح الراء، يشير إلى أنه مشرك.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نسبته إليه، وليس منه.

والثاني: في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم.

والثالث: سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك.

والثاني: من الجاهلين بوعدي، لأني وعدت بإنجاء المؤمنين.

والثالث: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلك.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ قال ابن عباس: يريد: من السفينة إلى الأرض. ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أبًا للبشر جميعًا، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك، والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأُمَمٞ﴾ أي: من الذرية أيضًا، والمعنى: وفيمن نَصِفُ لك أُمم، وفيمن نقصُّ عليك أمره أُمم. ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخرة. قال محمد بن كعب القرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء

يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات، ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ وَسَمِعَتْهُ يَقْرَأُ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وَلَا يُبَالِي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]؟

ج: هو حديث ضعيف الإسناد.

❁ ❁ ❁

(١) أحمد (٦/ ٤٥٤)، وغيره وفي سنده شهر بن حوشب متكلم فيه والخبر لا يصح.

أدبٌ رفيع من آداب الدعاء
ولفتة إلى تواضع الأنبياء عليهم السلام واعتراضهم بضعفهم لله عز وجل

س: في قول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ أدبٌ رفيع ينبغي أن نتأدب به، ولفتة إلى أمرٍ عظيم وضح ذلك؟

ج: هذا الأدب الرفيع مؤداه أن نوحًا عليه السلام يعترف بضعفه لربِّه عز وجل فالمعنى أما يا رب وقد نهيتني عن سؤال ما ليس لي به علم فيا رب لن أستطيع امتثال ذلك إلا إذا حفظتني وعصمتني من سؤال ما ليس لي به علم، أما إذا تركتني وأني فإني ضعيف فلا حول ولا قوة لي إلا بك.

وهذا كالمعنى في قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي: فلا تحوُّل لي عن سؤالي ما ليس به علم إلا إذا حوَّلتني ونحو ما ذُكر قول الصديق يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الأنعام: ٨٠].

أي: أنني لا أخشى أصنامكم ولا أوثانكم إلا إذا أراد الله لي أن أخاف منها. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾.

ج: **المعنى – والله أعلم-:** تلك القصة التي قصصناها عليك يا رسول الله في شأن نبي الله نوح عليه السلام من الأخبار الغيبية التي لم ترها ولم تشهدها أوحيناها إليك فتقصها عليهم أحسن اقتصاص وأجمل اقتصاص، وما كنت تعلم شيئًا من هذه الأخبار أنت ولا قومك من قبل نزول هذا القرآن عليك

فاصبر يا رسول الله على قضاء الله، واصبر على أذى قومك فإن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة لأهل التقى، الذين يتقون الشرك بالله، ويتقون معاصيه ومساخطه، والله أعلم.

وبنحو ذلك قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمّد ﷺ: هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، يقول: هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾، يقول: نوحيها إليك نحن، فنعرفكها ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾، الوحي الذي نوحيه إليك، ﴿فَٱصْبِرْ﴾، على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾، يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله، فأدَّى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤمِّلون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا بالطلبة، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله، أنْ نجَّاه من الهلكة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وغرَّق المكذبين به فأهلكهم جميعهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾، القرآن، وما كان عَلم محمدٌ ﷺ وقومه ما صنع نوحٌ وقومه، لولا ما بيَّن الله في كتابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: هذه القصة وأشباهها ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها، كأنك شاهدها، ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ أي: نعلمك بها وحيا منا إليك، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾

أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ في المشار إليه بـ﴿تِلْكَ﴾ قولان:

أحدهما: قصة نوح.

والثاني: آيات القرآن.

والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك.

فإن قيل: كيف قال هاهنا: «تلك» وفي مكان آخر «ذلك»؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري.

فقال: «تلك» إشارة إلى آيات القرآن، و«ذلك» إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصيحة، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامعٌ قولَه: قد فرحت به، وقد سررت به، فإذا ذكّر، عنى القدوم، وإذا أنَّث، ذهب إلى القَدْمَة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ هَٰذَا﴾ يعني: القرآن. ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

❁ ❁ ❁

الإشارة إلى نبوة رسول الله ﷺ بإخباره بأمور غيبية سبقت لم يكن له بها علم ولا لقريش بها علم

س: كثيرًا ما يستدل على نبوة النبي ﷺ بما أخبر به أمور سبقت ولم يكن له ولا لقوم بها من علم، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أنك يا رسول الله، أأنت أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك تقصي أخبار من قد سبق أحسن اقتصاص وتسردها أحسن سرد وتوردها بالحق كما حدثت بوحي من الله إليك فكان من الجدير بالقوم أن يؤمنوا وهم يعلمون صوتك وأمانك.

ونحو ما ذُكر في الاستدلال، قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى
ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ
﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا
نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ
أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا
تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ
إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ
وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [هود: ٥٠-٦٠].

(٤٧٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ مُفۡتَرُونَ - فَطَرَنِيٓۚ - تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ - مِّدۡرَارٗا - وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ - بِبَيِّنَةٖ - ٱعۡتَرَىٰكَ - فَكِيدُونِي - لَا تُنظِرُونِ - تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ - دَآبَّةٍ - ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ - إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ - وَيَسۡتَخۡلِفُ - حَفِيظٞ - عَذَابٍ غَلِيظٖ - جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ - جَبَّارٍ عَنِيدٖ - وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ - كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ - بُعۡدٗا لِّعَادٖ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مُفۡتَرُونَ﴾	كذبة – يختلقون الكذب.
﴿فَطَرَنِيٓۚ﴾	خلقني.
﴿تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾	ارجعوا إليه.
﴿مِّدۡرَارٗا﴾	متتابعًا – يتبع بعضه بعضًا.
﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾	ولا تنصرفوا وتعرضوا مجترمين الآثام متحملين الكفر ولا تنصرفا كما ينصرف أهل الإجرام والإعراض.
﴿بِبَيِّنَةٖ﴾	بحجةٍ – ببرهان على نبوتك وصدقك.
﴿ٱعۡتَرَىٰكَ﴾	أصابك – مسَّك.
﴿فَكِيدُونِي﴾	تآمروا علي – أنزلوا بي ما أردتم من العذاب والبطش فكروا في مكيدةٍ تصنعونها لي لإهلاكي.
﴿لَا تُنظِرُونِ﴾	لا تؤخرون – لا تمهلون.
﴿تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾	اعتمدت على الله.
﴿دَآبَّةٍ﴾	شيءٌ يدب على الأرض وشيء له روح.

﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾	ممسك بمقدمة رأسها وشعرها – ومالك أمرها وقادر عليها يفعل بها ما يشاء.
﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	إن ربي على طريق الحق المستقيم، وهو طريق الإسلام والإيمان فمن سلكه وفق لطاعة الله ومرضاته، وقيل: على صراط مستقيم يقضي بالحق بين العباد.
﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ﴾	يأتي بقوم من بعدكم يكونون خلفاءكم.
﴿حَفِيظٌ﴾	حفيظ للأعمال – حفيظ للعباد وعليم بهم.
﴿عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾	عذاب شديد (وهو عذاب يوم القيامة).
﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾	أنكروا آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته.
﴿جَبَّارٍ﴾	متعاظم على العباد – متكبر عليهم – قتالٌ مفسد في الأرض يجبر الناس على ما يريده بالقوة والقهر.
﴿عَنِيدٖ﴾	معاندٌ للحق لا يقبله.
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾	أُلحقوا لعنة، كل من جاء بعدهم يلعنهم ويدعوا عليهم بالطرد من رحمة الله
﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾	كفروا وحدانية ربهم – كفروا نعمة ربهم – كفروا بعذاب ربهم وأنكروه.
﴿بُعۡدٗا لِّعَادٖ﴾	سخطًا وهلاكًا لقوم عاد.

❁ ❁ ❁

(٤٨١) أحمر
أسود

شيءٌ من ذِكر نبي الله هود ﷺ

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولقد أرسلنا إلى قبيلة عادٍ، تلك القبيلة العاتية الظالمة الغشومة التي أمدَّها الله ﷻ بالقوة في الأبدان والطول في الأجسام فما شكروا نعمة الله وما عبدوه وما وحدوه بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وحادوا عن عبادته وحده لا شريك له وبغوا على العباد وطغوا، فأرسل الله ﷻ إليهم نبيًّا كريمًا منهم أخًا لهم في النسب، فقال: يا قوم اعبدوا الله ولا تشركوا معه في العبادة غيره فما لكم من معبوده سواه ﷻ، وما أنتم بصنيعكم الذي صنعتموه من عبادة غير الله ﷻ واتخاذكم شريكًا لله، ما أنتم بهذا الصنيع إلا كذبة أهل افتراء وكذب في دعواكم آلهة مع الله، ومفترون كونكم عبدتم مع الله إلهًا آخر.

ثم يواصل هود ﷺ نصحه وتذكيره ويبين لهم أنه لا يسألهم على إيمانهم بالله وتوحيدهم أجرًا يتقاضاه فليس هو بمتسبب في امتناعهم عن الإسلام والإيمان، فيقول يا قوم لا أسألكم عليه – أي على الإيمان والتوحيد – أجرًا مقابل دعوتي لكم إنما أطلب أجري من الله، وأطلب ثواب عملي من الله الذي خلقني على غير مثالٍ سابق أليست عندكم عقول تفهمون بها وتعقلون بها ثم يواصل التذكير والنصح قائلًا: ويا قوم استغفروا ربكم مما صدر منكم من الشرك والعصيان والتمرد على الله، ثم ارجعوا إليه فما هو آت وأطيعوه

ووحِّدوه واستقيموا على أمره يرسل عليكم الأمطار متتابعة بالقدر الذي تحتاجون إليه، ويزدكم قوة في أبدانكم إلى قوتكم وغنًى إلى غناكم، وخصبًا في أراضيكم إلى خصوبتها، ولا تعرضوا عن تذكيري، ولا تنصرفوا عن دعوتي فارين منها رافضين لها مجترمين بذلك الذنوب والآثام، مُقترفين السيئات والشرك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودًا، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان. ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، يقول: ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالألوهة ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾، يقول: ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه.

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه: يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاءً وثوابًا ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾، يقول: إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم، ودعائكم إلى الله، إلا على الذي خلقني ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾، يقول: أفلا تعقلون أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾، يقول: آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم.

(٤٨٣) أحمر
أسود

والاستغفار: هو الإيمان بالله في هذا الموضع، لأن هودًا ﷺ إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم، كما قال نوح لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [نوح: ٣، ٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، يقول: ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾، يقول: فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به، أرسل قَطْر السماء عليكم يدرَّ لكم الغيثَ في وقت حاجتكم إليه، وتحَيَا بلادكم من الجدب والقَحط.

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ قول مجاهد، من طريق ابن أبي نجيح[1]، عنه: شدة إلى شدتكم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾، قال: جعل لهم قوة، فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم. وذكر لنا أنه إنما قيل لهم: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾، قال: إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد، لأن ذلك من القوة. وقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾، يقول: ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿مُجۡرِمِينَ﴾، يعني: كافرين بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد أرسلنا، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ﴾ آمرا لهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ناهيا لهم عن الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله، إنما يبغي ثوابه من الله الذي فطره ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا

(١) وفي طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بعض الكلام.

والآخرة من غير أجرة .

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ شأنه؛ ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:١١].

❁ ❁ ❁

الاستغفار والإيمان من أسباب سعة الأرزاق

س: الاستغفار والتوبة والإيمان من أسباب سعة الرزق دلِّل على ذلك؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

وقول نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ...﴾ [المائدة: ٦٦].

وقول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: ٣٥-٣٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾.

ج: هذا، والعلم عند الله جواب قوم هودٍ لهودٍ عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقالوا: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، بحجة ولا برهان على صدقك فيما تقول، ولسنا بتاركي عبادة آلهتنا من الأوثان والأصنام وغير ذلك لمجرد قولك وما نحن لك في دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده لا شريك له

وإلى إقرارنا ببطلان عبادة الأصنام بمصدقين ولا بموقنين ولا بمتبعين، ولا نراك على صواب ولا على حق بل نقول في شأنك وما بك إلا أن بعض آلهتنا التي نعبدها أصابتك بمسٍّ وجنون وخللس في عقلك لما دعوت إلى ترك عبادتها ولما دعوت إلى عبادة الله وحده. هذا الذي نراه حلَّ بك.

فقال لهم نبيهم هود عليه السلام، وقد ثبته الله على الحق والصواب والإسلام والإيمان ورزقه حسن التوكل على الله، قال لقومه: إني أُشهد الله، وأطلق على أمري الذي في نفسي وفي قلبي وعلى لساني، وهو مطلعٌ على ذلك لا يخفى عليه من خافية لا في سري ولا في جهري، وأشهدكم، وأُظهر ديني وأوضحه لكم وأعلمكم به، أتشهد الله واشهدوا أنتم عليَّ أيضًا بما أقول أني بريء مما تشركون أني بريء من هذه الأصنام والأوثان لا أقربها ولا أُقرُّ بعبادتها وبريء من أي عذابٍ يُصيبكم بسبب عبادتكم لها، بريء من هذه الأصنام والأوثان والآهلة الباطلة التي جعلتموها شريكة لله وعبدتموها مع الله ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ فافعلوا بي كلكم أنتم جميعًا مع أصنامكم وآلهتكم – افعلوا بي ما تستطيعوا فعله، تآمروا عليَّ – فكِّروا في الحيل والمكائد التي تستطيعوا إيصال الضرر إليَّ بها فافعلوها ثم لا تؤخروني بل نفذوا فيَّ مرادكم إن استطعتم فلست بخائف منكم ولا من آلهتكم ولست بمبالٍ بها ولا مهتشٍّ لها فافعلوا بي ما بدا لكم فإني اعتمدت على الله ووكلت أموري كلها إليه هو خالقي وخالقكم، ومدبر أمري وأمركم، ومتوفاني ويتوفاكم، يفعل في الخلق ما يريد ويقضي في الخلق بما يشاء، وما من دابة تدب على الأرض، وما من دابة لها روحٌ إلا وربي عز وجل آخذ بناصيتها، بمقدم رأسها، وهذا المعنى عند العرب مفاده أن المأخوذ بناصيته في غايةٍ يكون من الذل والإهانة.

فالله سبحانه وتعالى قادر على كل الخلق نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء

ويقضي فيهم بما يريد.

وبهذا ذكَّر هود عليه السلام قومه وقال لهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ على طريق الإسلام يجازي من أسلم وعمل صالحًا، ومن يجازى بالحق وبالعدل، أما طرق الجور والكفر والظلم فليست بموصلة إلى الله ولا إلى مرضاته فإن تعرضوا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وتلذ يونس فقد أبلغتكم ما أرسلني الله إليه به إليكم، ويستخلف ربي قومًا غيركم، يأتي بأقوامٍ آخرين غيركم يخلفونكم بعد إهلالكم يعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا، ولن تضروا الله شيئًا بكفركم ولا بأي وجه من وجوه الضرر، فكفركم عائدٌ إثمه عليكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ عليم بكل شيء وحافظ لعمل المخلوقات وأقوالهم وحافظ لعباده المؤمنين من أن ينالهم نائل بمكروه وسوء.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال قوم هود لهود، يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول، فنسلم لك، ونقر بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله والإقرار بنبوتك ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾، يقول: وما نحن بتاركي آلهتنا، يعني: لقولك: أو من أجل قولك. ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾، يقول: قالوا: وما نحن لك بما تدعي من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدِّقين.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود: أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمِّها والنهي عن عبادتها، أنه

أصابك منها خبَلٌ من جنونٌ. فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه ، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾، يقول: فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم في ضري ومكروهي ، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، يقول: ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾.

يقول: إني على الله الذي هو مالكي ومالككم، والقيِّم على جميع خلقه، توكلت من أن تصيبوني، أنتم وغيركم من الخلق بسوء، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض، إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه. ذليلٌ له خاضعٌ.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، فخص بالأخذ «الناصية» دون سائر أماكن الجسد.

قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: «ما ناصية فلان إلا بيد فلان»، أي: أنه له مطيع يصرفه كيف شاء. وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه، جزُّوا ناصيته، ليعتدّوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة. فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم، والمعنى ما ذكرت.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾، يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدًا منهم شيئًا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به

قال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾، يقول: فإن أدبروا

معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ أيها القوم ﴿مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾، وما على الرسول إلا البلاغ ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، يهلككم ربي، ثم يستبدل ربي منكم قومًا غيركم، يوحِّدونه ويخلصون له العبادة ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾، يقول: ولا تقدرون له على ضرّ إذا أراد إهلاككم أو أهلككم.

وقد قيل: لا يضره هلاككُم إذا أهلككم، لا تنقصونه شيئًا، لأنه سواء عنده كُنتم أو لم تكونوا.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾، يقول: إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم. يقول: هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بحجة وبرهان على ما تدعيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بمجرد قولك: «اتركوهم» نتركهم، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ بمصدقين، ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ يقولون: ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾. يقول: إني بريء من جميع الأنداد والأصنام، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أي: أنتم وآلهتكم إن كانت حقا، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ أي: طرفة عين.

وقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: تحت قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراط مستقيم.

ثم قال:

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به،

وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جَمَاد لا تسمع ولا تبصر، ولا تُوالي ولا تُعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

ويقول لهم هود: فإن تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعبدونه وحده لا يشركون به، ولا يبالي بكم: فإنكم لا تضرونه بكفركم بل يعود وَبَال ذلك عليكم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي: شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيرا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أي أصابك. ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا﴾ أي أصنامنا. ﴿بِسُوٓءٍ﴾ أي بجنون لسبك إياها، عن ابن عباس وغيره. يقال: عراه الأمر واعتراه إذا ألم به. ومنه ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]. ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ أي على نفسي. ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟﴾ أي وأشهدكم؛ لا أنهم كانوا أهل شهادة، ولكنه نهاية للتقرير؛ أي لتعرفوا ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي من عبادة الأصنام التي تعبدونها. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أي أنتم وأوثانكم في عداوتي وضري. ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ أي لا تؤخرون. وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى. وهو من أعلام النبوة، أن يكون الرسول وحده يقول لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾. وكذلك قال النبي ﷺ لقريش. وقال نوح ﷺ: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ أي رضيت بحكمه، ووثقت

(٤٩١) أحمر
أسود

بنصره. ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي نفس تدب على الأرض ؛ وهو في موضع رفع بالابتداء. ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي يصرفها كيف يشاء، ويمنعها مما يشاء ؛ أي فلا تصلون إلى ضري. وكل ما فيه روح يقال له داب ودابه ؛ والهاء للمبالغة. وقال الفراء: مالكها، والقادر عليها. وقال القتبي: قاهرها ؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته. وقال الضحاك: يحييها ثم يميتها ؛ والمعنى متقارب. والناصية قصاص الشعر في مقدم الرأس. ونصوت الرجل أنصوه نصوا أي مددت ناصيته. قال ابن جريج: إنما خص الناصية ؛ لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانا بالذلة والخضوع ؛ فيقولون. ما ناصية فلان إلا بيد فلان ؛ أي إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء. وكانوا إذا أسروا أسيرا وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعرفوا بذلك فخرا عليه ؛ فخاطبهم بما يعرفونه في كلامهم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ قال النحاس: الصراط في اللغة المنهاج الواضح ؛ والمعنى أن الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيء فإنه لا يأخذهم إلا بالحق. وقيل: معناه لا خلل في تدبيره، ولا تفاوت في خلقه سبحانه.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ في موضع جزم ؛ فلذلك حذفت منه النون، والأصل تتولوا، فحذفت التاء لاجتماع تاءين. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ بمعنى قد بينت لكم. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يهلككم ويخلق من هو أطوع له منكم يوحدونه ويعبدونه. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ مقطوع مما قبله فلذلك ارتفع ؛ أو معطوف على ما يجب فيما بعد الفاء من قوله: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾. وروي عن حفص عن عاصم ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ بالجزم حملا على موضع الفاء وما بعدها ؛

مثل: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ أي بتوليكم وإعراضكم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي لكل شيء حافظ. «على» بمعنى اللام؛ فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر.

ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه.

بل أهل العقول، وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية، أكبر من مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط.

ومن آياته، وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان.

وهو يصرخ في قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾.

﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾

وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

وقولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك، الذي ما أقمت عليه بينة بزعمهم، ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ وهذا تأييس منهم لنبيهم، هود عليه السلام، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون.

﴿ إِن نَّقُولُ ﴾ فيك ﴿ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولا أن الله حكاها عنهم.

ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ أي اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي لا تمهلوني.

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي اعتمدت في أمري كله على الله ﴿ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ أي هو خالق الجميع ومدبرنا وإياكم وهو الذي ربانا

﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعا على الإيقاع بي والله لم يسلطكم علي لم تقدروا على ذلك فإن سلطكم فلحكمة أرادها

فـ ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره في شرعه وأمره وفي جزائه وثوابه وعقابه لا تخرج أفعاله عن الصراط

المستقيم التي يحمد ويثنى عليه بها

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ عما دعوتكم إليه ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ﴾ فلم يبق عليَّ تبعة من شأنكم

﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئا ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ فإن ضرركم إنما يعود عليكم فالله لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إِضمار، تقديره: إِن ربي يدل على صراط مستقيم.

فإن قيل: ما وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ وبين كونه على صراط مستقيم؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه لما أخبر أنه آخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفي عليه مستتر.

والثاني: أن المعنى: أنه وإِن كان قادرًا عليهم، فهو لايظلمهم، ولايريد إِلا العدل، ذكرهما ابن الأنباري.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم عادٍ المكذبين لرسولهم هود عليه السلام، وهذا الأمر كان بإهلاكهم بريح صرصرٍ عاتية سخرها

عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، ولما جاء أمر الله بذلك أنجى الله ﷻ هودًا عليه السلام والمؤمنين الذين آمنوا بالله واتبعوا هودًا عليه السلام مصدقين بأنه رسول من عند الله، أنجاهم الله بفضله ورحمهم من العذاب برحمته، وكذلك أنجاهم من عذاب الله الغليظ الشديد الكائن يوم القيامة لأهل الكفر والتكذيب، أي: أن الله ﷻ أنجاهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة.

أما عاد الذين جحدوا بآيات الله فأنكروها وكذبوا بها ولم يستدلوا بها على قدرته ووحدانيته وعصوا رسولهم هودًا عليه السلام فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة وطاعته، فكان عصيانهم له عصيانًا لكل الرسل؛ لأن الرسل كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته فمن خالف رسولًا فقد خالف الرسل كلهم، ومن عصاه فقد عصاهم جميعًا.

أما قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾ أي: أن عامة قبيلة عاد اتبعوا كبراءهم والفجار فيهم والظلمة والجبابرة والمعاندين على ما دعوهم إليه من الكفر بالله ﷻ والشرك به وتكذيب المرسلين.

وتبعتهم بعد موتهم في الدنيا لعنات فمن جاء بعدهم يلعنهم ويسبهم، وكذا يوم القيامة ينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. ألا فاعلموا أيها الناس أن عادًا كفروا ربهم، كفروا بنعم ربهم، وجحدوا وحدانيته ﷻ ألا فهلاكًا وخسارًا لقبيلة عاد الذين هم قوم النبي الكريم هود عليه السلام.

وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولما جاء قوم هود عذابُنا، نجينا منه هودًا والذين آمنوا

بالله معه ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، يعني: بفضل منه عليهم ونعمة، ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾، يقول: نجيناهم أيضًا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعادٍ.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا، عادٌ، جحدوا بأدلة الله وحججه، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيده واتباع أمره ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾، يعني: كلّ مستكبر على الله، حائد عن الحق، لا يُذعن له ولا يقبله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبًا من الله وسخطةً يوم القيامة، مثلها، لعنةً إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾، يقولُ: أبعدهم الله من الخير.

يقال: «كفر فلان ربه وكفر بربه»، «وشكرت لك، وشكرتك».

وقيل: إن معنى: ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، كفروا نعمةَ ربهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها، وعَصَوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل، ﴿

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد، ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي عذابنا بهلاك عاد. ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ لأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة. وفي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي ﷺ «**لن ينجي أحدا منكم عمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه**». وقيل: معنى ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ بأن بينا لهم الهدى الذي هو رحمة. وكانوا أربعة آلاف. وقيل: ثلاثة آلاف. ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ أي عذاب يوم القيامة. وقيل: هو الريح العقيم كما ذكر الله في «الذاريات» وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ﴾ ابتداء وخبر. وحكى الكسائي أن من العرب من لا يصرف ﴿عَادٞۖ﴾ فيجعله اسما للقبيلة. ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أي كذبوا بالمعجزات وأنكروها. ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾ يعني هودا وحده ؛ لأنه لم يرسل إليهم من الرسل سواه. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني النبي ﷺ وحده ؛ لأنه لم يكن في عصره رسول سواه ؛ وإنما جمع ههنا لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل. وقيل: عصوا هودا والرسل قبله، وكانوا بحيث لو أرسل إليهم ألف رسول لجحدوا الكل. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾ أي اتبع سقاطهم رؤساءهم. والجبار المتكبر. والعنيد الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له. قال أبو عبيد: العنيد والعنود والعاند والمعاند المعارض بالخلاف، ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند. وقال الراجز:

إنـــي كبيـــر لا أطيـــق العُقَّـــدا

قولــه تعــالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾ أي ألحقوهــا. ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي واتبعوا يوم القيامة مثل ذلك؛ فالتمام على قوله: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ قال الفراء: أي كفروا نعمة ربهم؛ قال: ويقال كفرته وكفرت به، مثل شكرته وشكرت له. ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾ أي لا زالوا مبعدين عن رحمة الله. والبعد الهلاك والبعد التباعد من الخير. يقال: بعد يبعد بعدا إذا تأخر وتباعد. وبعد يبعد بعدا إذا هلك.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿أضواء البيان﴾:

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ الآية.

لم يبين هنا أمره الذي جاء الذي نجى منه هوداً والذين آمنوا معه عند مجيئه. وكلنه بين في مواضع أخر: أنه الإهلاك المستأصل بالريح العقيمز التي أهلكهم الله بها فقطع دابرهم. كقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: ٤١ - ٤٢].

وقولــه: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ [الحاقة: ٦ -٧] الآية.

وقولــه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ [القمر: ١٩ - ٢٠].

وقولــه: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ [فصلت: ١٦] الآية.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾ أي: واتبع الأتباع أمر الرؤساء.

والجبار: الذي طال وفات اليد. وللعلماء في الجبار أربعة أقوال:

أحدها: أنه الذي يقتل على الغضب ويعاقب على الغضب، قاله الكلبي.

والثاني: أنه الذي يجبر الناس على ما يريد، قاله الزجاج.

والثالث: أنه المسلَّط.

والرابع: أنه العظيم في نفسه، المتكبّر على العباد، ذكرهما ابن الأنباري.

والذي ذكرناه يجمع هذه الأقوال، وقد زدنا هذا شرحًا في ﴿المائدة: ٢٢﴾.

وأما العنيد: فهو الذي لا يقبل الحق. قال ابن قتيبة: العَنود، والعنيد، والعاند: المعارض لك بالخلاف عليك.

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: أُلحقوا لعنة تنصرف معهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: وفي يوم القيامة لُعنوا أيضًا. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: بربهم، فحذف الباء، وأنشدوا:

أَمَرتُكَ الخيرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فقد تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

قال الزجاج: قوله: «ألا» ابتداء وتنبيه، و«بُعدا» منصوب على معنى: أبعدهم الله فبعدوا بعدًا، والمعنى: أبعدهم من رحمته.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا بإرسال الريح العقيم التي ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾.

﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي عظيم شديد أحله الله بعاد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ﴾ الذين أوقع الله بهم ما أوقع بظلم منهم لأنهم ﴿ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ ولهذا قالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ فتبين بهذا أنهم متيقنون لدعوته وإنما عاندوا وجحدوا ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأن من عصى رسولا فقد عصى جميع

المرسلين لأن دعوتهم واحدة.

﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ ﴾ أي متسلط على عباد الله بالجبروت ﴿ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي معاند لآيات الله فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم واتبعوا كل غاش لهم يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله.

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ ﴾ فكل وقت وجيل إلا ولأنبائهم القبيحة وأخبارهم الشنيعة ذكر يذكرون به وذم يلحقهم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ لهم أيضا لعنة ﴿ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ ﴾ أي جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر.

❁ ❁ ❁

(٥٠١) أحمر
أسود

من عصى رسولاً فقد عصى الأنبياء جميعًا

س: كيف قيل: ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ وهو رسول واحد عليه السلام؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن من كذب رسولًا فقد كذبهم جميعًا ذلك لكون أصل دعوتهم، وهو توحيد الله عز وجل واحدٌ بين جميع المرسلين فكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له فمن كذب واحدًا، فقد كذبهم جميعًا.

هذا، وقد قال ابن الجوزي في زاد المسير:

﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ لقائل أن يقول: إنما أُرسل إليهم هود وحده، فكيف ذُكر بلفظ الجمع؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قد يذكر لفظ الجمع ويراد به الواحد، كقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وحده.

والثاني: أن من كذَّب رسولًا واحدًا فقد كذَّب الكلَّ.

والثالث: أن كل مرة ينذرهم فيها هي رسالة مجدَّدة وهو بها رسول.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذِكر نبي الله صالح عليه السلام

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
(٦١) قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا
وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ
بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى
غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ
أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ
فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ
(٦٨) ﴾ [هود: ٦١-٦٨].

(٥٠٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ - وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا - مُّجِيبٌ - مَرْجُوًّا - شَكٍّ - مُرِيبٍ - بَيِّنَةٍ - رَحْمَةً - يَنصُرُنِي - مِنَ ٱللَّهِ - تَخْسِيرٍ - ءَايَةً - فَذَرُوهَا - فَعَقَرُوهَا - تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ - غَيْرُ مَكْذُوبٍ - خِزْيِ - يَوْمِئِذٍ - ٱلصَّيْحَةُ - جَٰثِمِينَ - لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ - كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	خلقكم من الأرض – ابتدأ خلقكم منها خلق منها أباكم آدم عليه السلام من ترابها.
﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	أسكنكم فيها – جعلكم عُمارًا لها.
﴿مُّجِيبٌ﴾	مجيب لدعاء من دعاه (إذا شاء).
﴿مَرْجُوًّا﴾	نرجو أن تكون لك السيادة علينا، وقيل: نستعد لك لتكون ملكًا علينا وقيل: كنت ذا وجاهة فينا يقبل قولك وتقبل شفاعتك.
﴿شَكٍّ﴾	عدم يقين.
﴿مُّرِيبٍ﴾	مقلق – مُحيِّر.
﴿بَيِّنَةٍ﴾	برهان – بصيرة – حجة.
﴿رَحْمَةً﴾	نبوة.
﴿يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾	يمنعني من عذاب الله
﴿تَخْسِيرٍ﴾	خسرانًا – خسارة.
﴿ءَايَةً﴾	معجزة – دليلًا (على نبوتي وصدقي).

(فَذَرُوهَا)	فاتركوها.
(فَعَقَرُوهَا)	قتلوها.
(تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ)	امكثوا أحياء في بلادكم.
(غَيْرُ مَكْذُوبٍ)	غير مُكذَّب.
(خِزْيِ)	ذلٌّ وهوان.
(يَوْمِئِذٍ)	يوم نزول العذاب على ثمود.
(ٱلصَّيْحَةُ)	الصوت الشديد القاتل المميت.
(جَٰثِمِينَ)	هلكى قد لصقت أجسادهم بالتراب.
(لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ)	لم يعيشوا في الدنيا ولم ينعموا فيها.
(كَفَرُواْ رَبَّهُمْ)	جحدوا وحدانية ربِّهم ﷻ، وكفروا بنعمه عليهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: ولقد أرسلنا إى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام، وهو أخوهم في النسب فقال لهم مُذكرًا يا قوم اعبدوا الله، أفردوه وحده بالعبادة والطاعة فليس لكم معبودٌ يستحق العبادة غيره، وليس لكم من خالق ولا رازق ولا رب سواه، هو الذي ابتدأ خلقكم من الأرض، إذا خلق أباكم آدم عليه السلام من ترابها ثم جعلكم عُمارًا للأرض تبنون فيها وتسكنون، وتزرعون وتحصدون، وتنعمون وتأمنون، فاستغفروه من ذنوبكم التي أذنبتموها، ثم اجرعوا إليه فيما هو آت واسألوه ما تريدون فهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة، ولا تجوز الألوهة إلا له ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: هو ابتدأ خلقكم من الأرض.

وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه.

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، يقول: وجعلكم عُمَّارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم.

من قولهم: «أعْمر فلانٌ فلانًا دارَه»، و«هي له عُمْرَى».

وقوله: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾، يقول: اعملوا عملا يكون سببًا لستر الله عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ما سواه، واتباعُ رسوله صالح ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾، يقول: ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم، إلى ما يرضاه ويحبه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾، يقول: إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيبٌ له إذا دعاه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم ﴿أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾ فأمرهم بعبادة الله وحده؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ابتدأ خلقكم منها، خلق منها أباكم آدم، ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عُمَّارا تعمرونها وتستغلونها، لسالف ذنوبكم، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ فيما تستقبلونه؛ ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خلقكم فيها ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته.

﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، واعلم أن قربه تعالى نوعان:

عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ٢١٦] وهذا النوع، قرب يقتضي إلطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن، باسمه «القريب» اسمه «المجيب».

فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: جواب قوم صالح لصالح عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قالوا: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ كانت لك عندنا منزلةً كبيرة، قيل كانوا يعدونه كي يكون ملكًا عليهم، وكانت له وجاهة فينا قبل أن تقول ما قلت، وقيل أن تدعو إلى ما دعوت إليه، أتنهانا عن عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا وعن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا، وإننا لفي شكٍّ وعدم يقين من قولك بأن الذي يُعبد هو الله وحده لا شريك له، إننا في شك من ذلك وعدم يقين، إننا في شك من ذلك مُحير ومُقلق في شكٍّ كبير من هذا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لصالح نبيِّهم: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾، أي

كنا نرجُو أن تكون فينا سيدًا قبل هذا القول الذي قلته لنا، من أنه مالنا من إله غير الله ﴿أَنَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، يقول: أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آباؤنا تعبدها ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، يعنون أنهم لا يعلمون صحَّة ما يدعوهم إليه من توحيد الله، وأن الألوهة لا تكون إلا لهُ خالصًا.

وقوله: ﴿مُرِيبٍ﴾، أي يوجب التهمة، من «أربته فأنا أريبه إرابة»، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة، ومنه قول الهذلي:

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُه مِنْ غَيْبِ ... يَشَمُّ عِطْفِي وَيبُزُّ ثَوْبِي

كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبين قومه، وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ أي: كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت! ﴿أَنَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وما كان عليه أسلافنا، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ أي: شك كثير.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم، لأنه كان ذا حسب وثروة، قاله كعب.

والثاني: أنه كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما أظهر إنذارهم، انقطع رجاؤهم منه وإلى نحو هذا ذهب مقاتل.

والثالث: أنهم كانوا يرجون خيره، فلما أنذرهم، زعموا أن رجاءهم لخيره

قد انقطع، ذكره الماوردي.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾ أي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه.

ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك قد كنت كاملا والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير.

وذنبه، ما قالوه عنه، وهو قولهم: ﴿ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة، من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئا من الأحجار، والأشجار ونحوها. وأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم، الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائما ينزل، الذي ما بهم من نعمة، إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو.

﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢ ﴾ أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكا مؤثرا في قلوبنا الريب، وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه، لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك، ولهذا بين كذبهم ﴿في الآية التي بعدها﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ ﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ: جواب نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه الذين آثروا

عبادة الأصنام وأظهروا شكَّهم وارتيابهم فيما يدعوهم إليه، قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بصيرة آتاني الله إياها وعلى علمٍ من الله ﷻ وبرهانٍ وآتاني نبوةً من عنده فمن ذا الذي يمنعني من عذاب الله إن عصيت ربي ﷻ، فما تزيدونني إن أطعتكم إلا خسارًا، وقيل: فما تزيدونني بردِّكم عليَّ وامتناعكم من الإيمان إلا تكذيبًا تنالون به سخطًا من الله ﷻ، وإن كنتم يا قوم سألتم دليلًا على نبوتي، وآية وعلامة على أنني رسول من عند الله ﷻ، وبرهانًا ومعجزةً فهذه ناقة الله العظيمة الهائلة التي أُخرجت لكم كما طلبتم والتي تشربون لبنها يومًا إذ لبنها يكفيكم، وتشرب هي ماء البئر يومًا كما قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥]، فاتركوا الناقة تأكل في أرض الله فلستم برازقيها ولا تقربوها بمكروه ولا سوء فيحل بكم إن أنتم عقرتموها أو آذيتموها عذاب قريب في الدنيا، ليس ببعيد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه من ثمود: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾، يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، يقول: وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾، يقول: فمن الذي يدفع عنِّي عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته، فيخلصني منه ، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾، بعذركم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبدُ آباؤكم، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾، لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله.

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل صالح لقومه من ثمود، إذ قالوا له: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾، وسألوه الآية على ما دعاهم إليه:

﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ ﴾، يقول: حجة وعلامة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ ﴾، فليس عليكم رزقها ولا مئونتها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾، يقول: لا تقتلوها ولا تنالوها بعَقْر ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ يقول: فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ فيما أرسلني به إليكم على يقين وبرهان، ﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ ﴾ وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣ ﴾ أي: خسارة.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴾ التخسير: النقصان.

وفي معني الكلام قولان:

أحدهما: فما تزيدونني غيرَ بَصَارَةٍ في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدونني غير تخسيرٍ لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعذر فهو يزيدكم تخسيرًا. وقال ابن الأعرابي: غير تخسير لكم، لا لي. وقال بعضهم: المعنى: فما تزيدونني بما قلتم إلا نسبتي لكم إلى الخسارة.

والقول الثاني: فما تزيدونني غير الخسران إن رجعتُ إلى دينكم، وهذا معنى قول مقاتل.

فإن قيل: فظاهر هذا أنه كان خاسرًا، فزادوه خسارًا، فقد أسلفنا الجواب في قوله: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: برهان ويقين

مني ﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾ أي: منَّ علي برسالته ووحيه، أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه، وما تدعونني إليه؟.

﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: غير خسار وتباب، وضرر. ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ ﴾ لها شرب من البئر يوما، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم شرب يوم معلوم.

﴿ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾ أي: بعقر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- فلم يعبأ قوم صالح بتذكير صالح ولا بتحذيره لهم من عقر الناقة بل أقبلوا عليها وقتلوها، فقال لهم نبيهم صالحٌ بعد أن رأوهم قتلوها ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ ﴾ أي: امكثوا في بلادكم ثلاثة أيام وبعدها يأتيكم عذاب الله ﷻ، وذلك وعدٌ غيرُ مكذب، وقد ذكر عدد من العلماء أن صالحًا عليه السلام أخبرهم أن علاقة ذلك أن وجوهكم ستصفر في اليوم الأول، وتحمر في اليوم الثاني، وتسود في اليوم الثالث ثم يأتيكم العذاب، فالله أعلم بصحة ذلك.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمود ناقة الله ، وفي الكلام محذوفٌ قد ترك ذكرُه، استغناءً بدلالة الظاهر عليه، وهو: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس: ١٤]، فقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ ﴾، يقول: استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ، ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾، يقول: هذا الأجل الذي

أَجَّلتكم، وَعْدٌ من الله، وعدكم بانقضائه الهلاكَ ونزولَ العذاب بكم، ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾، يقول: لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾، وذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسُوا الأنطاع والأكسية، وقيل لهم: إن آية ذلك أن تصفرَّ ألوانكم أوَّل يوم، ثم تحمرَّ في اليوم الثاني، ثم تسودَّ في اليوم الثالث. وذكر لنا أنهم لما عقرُوا الناقة ندموا، وقالوا: «عليكم الفَصيلَ»؟ فصعد الفصيل القارَة، و«القارة» الجبل، حتى إذا كان اليوم الثالث، استقبل القبلة، وقال: «يا رب أمي، يا رب أمي»، ثلاثا. قال: فأرسلت الصيحة عند ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إنما عقرها بعضهم؛ وأضيف إلى الكل لأنه كان برضا الباقين. وقد تقدم الكلام في عقرها «الأعراف». ويأتي أيضا. ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾ أي قال لهم صالح تمتعوا؛ أي بنعم الله عَزَّ وَجَلَّ قبل العذاب. ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلدكم، ولو أراد المنزل لقال في دوركم. وقيل: أي يتمتع كل واحد منكم في داره ومسكنه؛ كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أي كل واحد طفلا. وعبر عن التمتع بالحياة لأن الميت لا يتلذذ ولا يتمتع بشيء؛ فعقرت يوم الأربعاء، فأقاموا يوم الخميس والجمعة والسبت وأتاهم العذاب يوم الأحد. وإنما أقاموا ثلاثة أيام؛ لأن الفصيل رغا ثلاثا على ما تقدم في «الأعراف» فاصفرت ألوانهم في اليوم الأول، ثم احمرت في الثاني، ثم اسودت في الثالث، وهلكوا في الرابع.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ أي: استمتعوا بحياتكم، وعبَّر عن الحياة

بالتمتع، لأن الحيَّ يكون متمتِّعًا بالحواسِّ.

قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ﴾ قال المفسرون: لمَّا عُقرت الناقة صَعِدَ فصيلُها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهُكم مُصْفَرَّةً، واليوم الثاني مُحْمَرَّةً، واليوم الثالث مُسْوَدَّةً؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مصفرة، فصاحوا وضجوا، وبَكَوْا، وعَرَفوا أنَّه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، وبكَوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعًا: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفَّنوا وألقَوْا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلِّ صاعقة، فتقطَّعتْ قلوبُهم في صدورهم.

❁ ❁ ❁

س: العذاب قد يحلَّ بالأقوام فجأة، وقد يرونه مقبلًا عليهم ويعلمون مجيئه ويؤمنون به، وضح ذلك.

ج: نعم قد يحدث هذا فقد يحل البلاء بالقوم فجأة كالكوارث والمصائب والبلايا التي تحل بالعباد من غير ترقب وانتظار، بل مفاجئة مباغتة كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ..﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨].

وهنا قومٌ صالح وُعدوا بالعذاب بعد ثلاثة أيام وظهرت طلائعه فطفقوا ينتظرون حلوله بهم، ولقد قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: فلما جاء أمرنا بإنزال العذاب على قبيلة ثمود، لما جاء عذابنا نجينا صالحًا عليه السلام والذين آمنوا معه بنعمةٍ منا وفضل ونجيناهم من الذل والهوان، ذل وهوان ذلك اليوم الذي نزل فيه العذاب، فقد أذل الله أهل الكفر وأهانهم، إن ربك هو القوي العزيز الذي لا يغلب ولا يُرد قضائه ولا يُدفع مراده، أما عن أهل الظلم والكفر والجحود والنكران فقد أخذتهم الصيحة الشديدة الطاغية كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [الحاقة: ٥] الصيحة الشديدة فأصبحوا في ديارهم هلكى موتى ملصقين بالأرض لا حراك لهم، كأنهم لم يعيشوا في الدنيا يومًا ولم ينعموا فيها ولم يسعدوا ألا فهلاكًا وخسارًا لقبيلة ثمود التي كفرت بأنعم ربها وكفرتبوحدانية خالقها، وعبدوا مع الله إلهًا آخر، ألا فسحقًا لهم وبُعدًا عن الخير، وخسارًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما جاء ثمود عذابُنا ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، يقول: بنعمة وفضل من الله، ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، يقول: ونجيناهم من هوان ذلك اليوم، وذلِّه بذلك العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾، في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطَش بها ﴿ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾، فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من عقر ناقة الله وكفرهم به ، ﴿ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾، قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خمودًا بأفنيتهم.

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾، يقول: ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾، يقول: ألا أبعد الله ثمود ! لنزول العذاب بهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بوقوع العذاب ﴿ نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ ﴾ أي نجيناهم من العذاب والخزي والفضيحة.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ ﴾ ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية ونجى الرسل وأتباعهم.

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ العظيمة فقطعت قلوبهم ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ ﴾ أي خامدين لا حراك لهم.

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ﴾ أي كأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم ولا أنسوا بها ولا تنعموا بها يوما من الدهر قد فارقهم النعيم وتناولهم العذاب السرمدي الذي ينقطع الذي كأنه لم يزل.

﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ ﴾ أي جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨ ﴾ فما أشقاهم وأذلهم نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها.

هذا وقد أورد الطبري بسندٍ ضعيف عن عمرو بن خارجة قال: قلنا له: حدّثنا حديثَ ثمود. قال: أحدثكم عن رسول الله ﷺ عن ثمود: كانت ثمودُ قومَ صالح، أعمرهم الله في الدنيا فأطال أعْمَارهم، حتى جعل أحدهم يبني المسكنَ من المدر، فينهدم، والرَّجلُ منهم حيٌّ. فلما رأوا ذلك، اتخذوا من الجبال بيوتًا فَرِهين، فنحتوها وجَابُوها وجوَّفوها. وكانوا في سعةٍ من

معايشهم. فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله، فدعا صالح ربَّه، فأخرج لهم الناقة، فكان شِرْبُها يومًا، وشِرْبهم يومًا معلومًا. فإذا كان يوم شربها خَلَّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنًا، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئًا، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء. فأوحى الله إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناقتك! فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل! فقال: إلا تعقروها أنتم، يوشكُ أن يولد فيكم مولود يعقرها. قالوا: ما علامة ذلك المولود؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه! قال: فإنه غلام أشقَر أزرَق أصهَبُ، أحمر. قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤًا، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفؤًا. قال: فإن ابنتي كفؤ له، وأنا أزوجك.. فزوّجه، فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فلما قال لهم صالح: «إنما يعقرها مولود فيكم»، اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهن شُرَطًا كانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدُوا المرأة تمخَضُ، نظروا ما ولدُها إن كان غلامًا قلَّبنه فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها. فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن: «هذا الذي يريد رسول الله صالح»، فأراد الشرط أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه، وقالا لو أن صالحًا أراد هذا قتلناه! فكان شرَّ مولود، وكان يشبُّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة. فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا: «استعمل علينا هذا الغلام» لمنزلته وشرَف جديه، فكانوا تسعة. وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان

في مسجد يقال له: «مسجد صالح»، فيه يبيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه».

قال حجاج: وقال ابن جريج: لما قال لهم صالح: «إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه»، قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال: آمركم بقتلهم! فقتلوهم إلا واحدًا. قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادَنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عملُ صالح! فأتمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانيةً، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أنَّا مسافرون، كما نحن! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصُدُونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضَخَتهم، فأصبحوا رَضْخًا. فانطلق رجال ممَّن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رضْخٌ، فرجعوايصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادَهم حتى قتلهم؟! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر.

ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ﷺ، قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله، فبيَّتْناهُمْ! فأمر الله الأرض فاستوت عنهم. قال: فاجتمعوا ومشَوْا إلى الناقة وهي على حَوْضها قائمة، فقال الشقيُّ لأحدهم: ائتها فاعقرها! فأتاها، فتعاظَمَه ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك. فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاظمه أمرُها، حتى مشوا إليها، وتطاول فضرب عرقوبيها، فوقعت تركُضُ، وأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال: «أدرك الناقةَ فقد عمرت»! فأقبل، وخرجوا يتَلقَّونه ويعتذرون إليه: «يا نبيّ الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا»! قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟،

(٥١٩) أحمر
أسود

فإن أدركتموه، فعسَى الله أن يرفعَ عنكم العذابَ ! فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمَّه تضطرب، أتى جبلا يقال له «القارَة» قصيرًا، فصعد وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطالَ في السماء حتى ما تَناله الطير. قال: ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سألت دموعه، ثم استقبل صالحًا فرغًا رَغْوةً، ثم رغَا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوة أجلُ يوم، ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾، ألا إن أية العذاب أنّ اليوم الأوّل تصبح وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة ! فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق، صغيرُهم وكبيرُهم، ذكرهم وأنثَاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: «ألا قد مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب » ! فلما أصبحوا اليوم. الثاني إذا وجوههم محمرة، كأنها خُضِبت بالدماء، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلما أمسوا صاحُوا بأجمعهم: «ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب » ! فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودّة كأنها طُليت بالقار، فصاحوا جميعا: «ألا قد حضركم العذاب» ! فتكفَّنُوا وتحنَّطوا، وكان حنوطهم الصَّبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض، جَشَعًا وفَرَقًا. فلما أصبحوا اليومَ الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتُ كل صاعقة، وصوت كلّ شيء له صوتٌ في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدُورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

وقال الطبري:

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعي من أهل حمص قال، حدثنا محمد

بن كثير قال، حدثنا عبد الله بن واقد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال، حدثنا أبو الطفيل، قال: لما غزا رسول الله ﷺ غَزاة تبُوك، نزل الحجر فقال: يا أيها الناس لا تسألوا نبيَّكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم آية، فبعث الله لهم الناقة آيةً، فكانت تَلج عليهم يوم ورودها من هذا الفجّ، فتشربُ ماءهم، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزَوّدون من مائهم قبل ذلك لبنًا، ثم تخرج من ذلك الفجّ. فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعدًا من الله غير مكذوب، فأهلك الله من كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدًا، كان في حرم الله، فمنعه حَرَمُ الله من عذاب الله. قالوا: ومن ذلك الرجل يا رسول الله؟ قال: أبو رِغال.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الكرام

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن
جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ
وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ
مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ
غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: ٦٩-٧٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

(رُسُلُنَآ - بِٱلْبُشْرَىٰ - فَمَا لَبِثَ - بِعِجْلٍ حَنِيذٍ - نَكِرَهُمْ - وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - قَآئِمَةٌ - فَضَحِكَتْ - يَٰوَيْلَتَىٰٓ - عَجُوزٌ - بَعْلِي - وَبَرَكَٰتُهُۥ - حَمِيدٌ مَّجِيدٌ - ٱلرَّوْعُ - يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ - لَحَلِيمٌ - أَوَّٰهٌ - مُّنِيبٌ - غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(رُسُلُنَآ ﴾	ملائكتنا.
(بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾	البشرى بإسحاق عليه السلام (أي أنه سيرزق بإسحاق عليه السلام)
(فَمَا لَبِثَ ﴾	فما أبطأ – فما تأخر.
(بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾	بعجل مشويٍّ – وقيل: ناضج على الأحجار الساخنة دون أن تمسه الانار – وقيل: نضيج.
(نَكِرَهُمْ)	استنكر أمرهم واستفر به.
(وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً	خاف منهم ولكنه أضمر الخوف في نفسه.
(قَآئِمَةٌ ﴾	قائمة بخدمة الأضياف، وقيل: قائمة من وراء الستر تستمع.
(فَضَحِكَتْ ﴾	ضحكت تعجبا قيل: تتعجب من أن قوم لوط سيهلكون وهم في غفلة وقيل: ضحكت أي: حاضت، وقيل: ضحكت لكونها وزوجها يخدمان والملاكة لا تأكل.

(٥٢٣) أحمر
أسود

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾	كلمة أصلها الدعاء على النفس، لكن هاهنا هي كلمة تجري على الألسن دون إرادة معناها، وكأنها تريد التعجب.
﴿عَجُوزٞ﴾	كبيرة السن.
﴿بَعۡلِي﴾	زوجي.
﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾	البكرة النمو والازدياد، والمراد كثرة الخير فيهم، فالأ،بياء من ذرية إبراهيم عليه السلام.
﴿حَمِيدٞ﴾	محمود في أقواله وأفعاله وفي تفضله عليكم وإنعامه.
﴿مَّجِيدٞ﴾	ذو مجد وعزة وثناء كريم، يمجده خلقه بثناءهم عليه. وهو ممجد في نفسه كذلك فهو أهل الثناء والمجد.
﴿ٱلرَّوۡعُ﴾	الخوف – الفزع.
﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٖ﴾	يراجع ملائكتنا في شأن قوم لوط يطلب تأخيرهم، وقيل: يُذكرهم بأن فيها لوط عليه السلام وهو مؤمن.
﴿لَحَلِيمٌ﴾	بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة.
﴿أَوَّٰهٞ﴾	متضرع خاشع متذلل منكسرٌ لله عز وجل.
﴿مُّنِيبٞ﴾	رجَّاع – مكثر من التوبة والرجوع والاستغفار.
﴿غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾	غير مدفوع، بل لا بد من وقوعه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – شيءٌ من ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام، وما كان من أمرهما مع ملائكة الله الكرام الذين كانوا في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط بما فعله هؤلاء القوم من الرذيلة، فمرت الملائكة الكرام عليهم السلام بإبراهيم وزوجته عليهما السلام، وبشروه أثناء هذا المرور ببشارة عظيمة، وهي أنه سيرزق من سارة عليها السلام، بلغامٍ كانا قد تقدما في السِّن عليهما سلام من الله، ولم يرزق منها بذريةٍ أكثر حياتهما، كما قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] فالبشارة هنا البشارة بإسحاق عليه السلام فأمه هي سارة عليها السلام.

وقيل: إن البشارة، هي البشارة بإهلاك قوم لوطٍ، وإنجاء لوطٍ عليه السلام والمؤمنين به.

فالحاصل: أنهم (أي: الملائكة) أتوا إبراهيم عليه السلام فقالوا: سلامًا، أي سلموا عليه سلامًا وكذا قالوا قولًا طيبًا، فما أبطأ إبراهيم عليه السلام وما تأخر عن ضيافتهم، بل أسرع وجاء بأطيب ما عنده من الطعام وطهاه بأحسن طريقة من طرق الطهي، وجاء مُسرعًا بعجل نضيج – مشويٍّ كذلك على الحجارة الساخنة، قيل: دون أن تمسه النار، وكان عجلًا سمينًا مكا في الآية الأخرى فجمع بين سرعة إكرام الضيف وجودة الطعام المقدم وحسن الطهي، وكذا حسن التلطف في الخطاب إذ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الصافات: ٩١].

ولكن تسرَّب التعجب إلى إبراهيم عليه السلام، وكذا فقد اعتراه الخوف منهم لعدم أكلهم عنده، فكأن عدم أكل الأضياف في زمانهم كان مُقلقًا، وهكذا هو عند كثيرين من العرب إذا لم يأكل ضيفهم ظنوا أنه يريد بهم شرًّا، فإنه يُبعد عندهم أن يأكل الشخص من طعامهم ثم يؤذيهم أو يغدر بهم، فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام لما رآهم لا يأكلون خاف منهم ولكنه أضمر هذا الخوف في نفسه فطمأنوه، وهكذا ينبغي أن يطمئن المؤمن أخاه إذا رآه خائفًا[1]، إنا لا نريدك ولا نريد أهل بيتك بسوءٍ ولا مكروهٍ، ولكننا نريد قوم لوط المكذبين له المعاندين مرتكبي الرذائل والفواحش، فإننا ذاهبون إليهم لتدميرهم وإهلاكهم.

قالوا له ذلك، وامرأته سارة عليها السلام قائمة من وراء الستر، وقائمة على خدمتهم فضحكت، قيل: ضحكت تعجبًا مما يحدث، فقوم لوطٍ في غفلة والعذاب مقبلٌ عليهم، وقيل: ضحكت بمعنى حاضت، وقيل: ضحكت تعجبًا مما يحدث فهي وزوجها تكلفًا، وأتيا بأطيب الطعام، واجتهدا في إكرام الأضياف ومع ذلك فالأضياف لا يأكلون، فكأن الضحك هنا للتعجب، فبشروها حينئذٍ بأنها سترزق بإسحاق، وإسحاق سيرزق بيعقوب، وكلاهما نبيٌّ كريم كما قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢] فقالت، وازداد تعجبها ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ وهي كلمة أصل معناه الدعاء على النفس بالهلاك، كأن معناها يا ويلي تعال وأنزل وحلَّ فهذا مقامك وأوانك ولكنها لم تُرد هذا المعنى، إنما هي كلمة تجري على الألسن لا يُراد بها معناها، وأقرب ما تكون إلى التعجب والاستغراب، ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ كبيرة السن، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي ﴿شَيْخًا﴾ طاعنًا في السِّن هو الآخر إن هذا لشيء يثير

(١) قال الخصوم الذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام لما رأوه خائفًا: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾.

العجيب، فضلًا عن قوله عجيب في نفسه فقالوا لها: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ يعنون أن الله ﷻ قادر على كل شيء يفعل ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

ثم دَعوا لإبراهيم وزوجته قائلين رحمة الله وبركاته، أي: ونعمه المتكاثرة وفضائله المتعددة المتنوعة عليكم يا أهل هذا البيت.

وقيل: إنه إخبار، أي: أن الله ﷻ محكم يا أهل هذا البيت وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة، فالأنبياء أكثرهم من ذرتيكما ورزق الله يأتيكما ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الله ﷻ، ﴿حَمِيدٞ﴾ محمود على نعمه وآلائه وفضائله وإحسانه وامتنانه ﴿مَّجِيدٞ﴾ في نفسه وممجدٌ من خلقه يثني عليه خلقه وهو للثناء أهل.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾، من الملائكة وهم فيما ذكر، كانوا جبريل وملكين آخرين. وقيل: إن الملكين الآخرين كان ميكائيل وإسرافيل معه ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾، يعني: إبراهيم خليل الله ﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾، يعني: بالبشارة.

واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها.

فقال بعضهم: هي البشارة بإسحاق.

وقال بعضهم: هي البشارة بهلاك قوم لوط.

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾، يقول: فسلموا عليه سلامًا.

ونصب «سلامًا» بإعمال «قالوا» فيه، كأنه قيل: قالوا قولا وسلَّموا تسليمًا.

﴿قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾، يقول: قال إبراهيم لهم: سلام، فرفع «سلامٌ»، بمعنى: عليكم السلام، أو بمعنى: سلام منكم.

وقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٖ حَنِيذٖ ٦٩﴾.

(٥٢٧) أحمر
أسود

وأصله «محنوذ»، صرف من «مفعول» إلى «فعيل».

وقد اختلف أهل العربية في معناه:

فقال بعض أهل البصرة منهم: معنى «المحنوذ»: المشويّ، قال: ويقال منه: «حَنَذْتُ فرسي»، بمعنى سخَّنته وعرَّقته.

وقال آخر منهم: «حنذ فرسه»: أي أضمره، وقال: قالوا حَنَذه يحنِذُه حَنْذًا: أي: عرَّقه.

وقال بعض أهل الكوفة: كل ما انشوَى في الأرض، إذا خَدَدت له فيه، فدفنته وغممته، فهو «الحنيذ» و«المحنوذ». قال: والخيل تُحْنَذ، إذا القيت عليها الجِلال بعضُها على بعض لتعرق. قال: ويقال: «إذا سَقَيْتَ فَأَحْنِذْ»، يعني: أَخْفِسْ، يريد: أقلَّ الماء، وأكثر النبيذ.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديَهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدّم إليهم، نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه ﷺ إليهم، فيما ذكر، كفّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله، عند إبراهيم، وهم ضِيَفانه مستنكرًا. ولم تكن بينهم معرفةٌ، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدِّث نفسه بشرّ.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾، يقول: احسَّ في نَفسه منهم خيفة وأضمرها.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾، يقول: قالت الملائكة، لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم: لا تخف منا وكن آمنًا، فإنا ملائكة ربّك ، ﴿أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، سارَة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم ، ﴿قَآئِمَةٞ﴾، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام. وقيل: كانت قائمة تخدُم الرسل، وإبراهيم جالسٌ مع الرسل.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾، اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾، وفي السبب الذي من أجله ضحكت.

فقال بعضهم: ضحكت الضحك المعروف، تعجبًا من أنَّها وزوجها إبراهيم يخدمان ضِيفانهم بأنفسهما، تكرمةً لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.

وقال آخرون: بل ضحكت من أن قوم لوط في غَفْلة وقد جاءت رُسُل الله لهلاكهم.

وأورد من وجهين يصحان عن قتادة، قال: لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قومًا أتاهم العذاب، وهم في غفلة. فضحكت من ذلك وعجبت ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾.

وقال آخرون: بل ضحكت ظنًّا منها بهم أنهم يريدون عَمَل قوم لوط.

وقال آخرون: بل ضحكت لما رأت بزوجها إبراهيم من الرَّوع.

وقال آخرون: بل ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجبًا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها.

(٥٢٩) أحمر
أسود

وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل: إن هذا من المقدَّم الذي معناه التأخير، كأنّ معنى الكلام عنده: وامرأته قائمة، فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت وقالت: يا ويلتا أألد وأنا عجوز؟

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ في هذا الموضع: فحاضت.

وقال آخرون: بل ضحكت سرورًا بالأمن منهم، لما قالوا لإبراهيم: لا تخف، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضًا كما خافهم إبراهيم. فلما أمِنَت ضحكت، فأتبعوها البشارة بإسحاق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قولُ من قال: معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾. فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ﴾، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فبشَّرنا سارَة امرأة إبراهيم ثوابًا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط، ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، ولدًا لها، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، يقول: ومن خلف إسحاق يعقوب، من ابنها إسحاق.

و«الوراء» في كلام العرب، ولد الولد، وكذلك تأوَّله أهل التأويل.

وأورد بإسناد حسن[1] عن السدي قال: لما ضحكت سارَة. وقالت: «عجبًا

(١) ولكن بين السدي وبين القصة بونٌ شاسع.

لأضيافنا هؤلاء، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا » ! قال لها جبريل: أبشري بولد اسمُه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. فَضربتْ وَجْهَهَا عجبًا، فذلك قوله: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾، [الذاريات: ٢٩]. وقالت: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾، قالت سارة: ما آية ذلك؟ قال: فأخذ بيده عودًا يابسا فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هُو لله إذا ذبيحًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت سَارة لما بُشِّرت بإسحاق أنَّها تلد تعجبًا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: «ويلُ أمِّه رجلا ما أرْجَله» !

وقوله: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾، تقول: أنى يكون لي ولد ، ﴿وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ﴾، والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمي بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء «بعله»، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون «البعل»، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل، بماء السمَاء حياتُه.

وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾، يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب ، ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾،

يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمرٍ أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاه الله فيك وفي بعلك.

وقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم، وجعلت الألف واللام خلفًا من الإضافة، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾، يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه، ﴿مَّجِيدٌ﴾، يقول: ذو مجد ومَدْح وَثَناء كريم.

يقال في «فعل» منه: «مجد الرجل يمجد مجادة» إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: «مجّدته تمجيدًا».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ قال الزجاج: أصلها يا ويلتي؛ فأبدل من الياء ألف، لأنها أخف من الياء والكسرة؛ ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه؛ وعجبت من ولادتها ومن كون بعلها شيخا لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر. و ﴿ءَأَلِدُ﴾ استفهام معناه التعجب. ﴿وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ أي شيخة. ولقد عجزت تعجز عجزا وعجزت تعجيزا؛ أي طعنت في السن. وقد يقال: عجوزة أيضا. وعجزت المرأة بكسر الجيم؛ عظمت عجيزتها عجزا وعجزا بضم العين وفتحها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ وهم الملائكة، إبراهيم بالبشرى، قيل: تبشره بإسحاق، وقيل: بهلاك قوم لوط. ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: ٧٤]، ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي: عليكم.

قال علماء البيان: هذا أحسن مما حَيّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام .

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: ذهب سريعا، فأتاهم بالضيافة، وهو عجل: فتى البقر، حَنِيذ: وهو مَشْوي شيًا ناضجًا على الرّضْف، وهي الحجارة المُحْماة.

ثم قال:

وقد تضمَّنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ ﴾ تنكرهم، ﴿ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ ﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه؛ فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم، ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ ﴾.

ثم قال في

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ أي: بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل؛ فإن يعقوب ولد إسحاق، كما قال في آية البقرة: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده. ووعد الله حق لا خُلْفَ فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه، ولله الحمد.

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ حكى قولها في هذه الآية، كما حكى فعلها في الآية الأخرى، فإنها: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾ وفي الذاريات: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٩]، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب.

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أي: قالت الملائكة لها، لا تعجبي من أمر الله، فإنه إذا أراد شيئًا أن يقول له: «كن» فيكون، فلا تعجبي من هذا، وإن كنت عجوزا كبيرة عقيما، وبعلك وهو زوجها الخليل عليه السلام، وإن كان شيخا كبيرا، فإن الله على ما يشاء قدير.

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود، ممجد في صفاته وذاته.

قال السعدي رحمه الله:

أي: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ من الملائكة الكرام، رسولنا ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الخليل ﴿ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه ﴿ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ ﴾ أي: سلموا عليه، ورد عليه السلام.

ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿ فَمَا لَبِثَ ﴾ إبراهيم لما دخلوا عليه ﴿ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلا مشويا على الرضف سمينا، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟.

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى تلك الضيافة ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم.

فـ ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

وامرأة إبراهيم ﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ تخدم أضيافه ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبا.

﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ فتعجبت من ذلك. و ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ فهذان مانعان من وجود الولد ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك.

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد ﴿ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط.

مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه النصب في قوله: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ ووجه الرفع في قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ نُصب بوقوع الفعل عليه، كما تقول

(٥٣٥) أحمر
أسود

قالوا خيرًا....

وقال: وقيل: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ أي: فاتحوه بصوابٍ من القول كما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] أي: صوابًا، فسلامًا معنى قولهم لا لفظه

وذكر القرطبي أقوالًا أُخر وقال: ﴿قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ في رفعه وجهان: أحدهما: على إضمار مبتدأ أي هو سلام، وأمري سلام. والآخر بمعنى سلام عليكم إذا جعل بمعنى التحية ؛ فأضمر الخبر. وجاز سلام على التنكير لكثرة استعماله، فحذف الألف واللام كما حذفت من لا هم في قولك اللهم. وقرئ «سلم» قال الفراء: السلم والسلام بمعنى ؛ مثل الحل والحلال.

❁ ❁ ❁

س: هل يُزاد في السلام على ﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾؟

ج: الظاهر أنه (لا يزاد) والخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وفيه: «...ومغفرته» به علةٌ والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ودلَّت الآية أيضًا على أن منتهى السلام ﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ كما أخبر الله عن صالحي عباده ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾.

ج: المعنى –والله أعلم–: فلما ذهب عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الخوف والفزع اللذان قد اعترياه لما دخلت عليه الملائكة وامتنعت من الأكل، لما هب عنه

هذا الخوف واطمأن إلى أن العذاب ليس المقصود به إبراهيم عليه السلام وجاءته البشرى بإسحاق عليه السلام، إذا به يجادل الملائكة في شأن قوم لوط، أي: كيف تدمرون مدائنهم وفيهم من هو مؤمن كلوط عليه السلام، وذلك كما في الآية الأخرى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

ثم إن الله عز وجل يثني على نبيه إبراهيم عليه السلام بين يدي توجيهه وإخباره، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾. أي: بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة، ﴿أَوَّاهٌ﴾ خاشع لربه متذلل له متضرع خائف وجل ﴿مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ رجَّاع إلى الله مكثرٌ من الاستغفار.

ثم يوجه إبراهيم عليه السلام فيقول له الملائكة عليهم السلام ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ﴾ أي: عن هذا الجدل ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ قضاء الله عز وجل قد حان وقته، وقد أمر بإهلاك قوم لوطٍ في وقت لا يتأخر ولا يتغيَّر ولا يتبدل، وإن قومه أيتهم عذاب غير مدفوع، لن يصرفه عنهم صارف، ولن يدفعه عنهم دافع ولن يُرد هذا العذاب عنهم بل هو واقع بهم لا محالة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما ذهب عن إبراهيم الخوفُ الذي أوجسه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قُصِد في نفسه وأهله بسوء، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾، بإسحاق، ظلّ، ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾.

ثم قال: وقد قيل معنى ذلك: وجاءته البشرى أنهم ليسوا إياه يريدون.

وقال آخرون: بشّر بإسحاق.

وقال: وأما «الروع»: فهو الخوف.

وقال: وقوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾، يقول: يخاصمنا.

وأورد بإسنادٍ حسن[1] عن قتادة، قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٖ ٧٤﴾، ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم؟ قالوا: لا! حتى صار ذلك إلى عشرة قال، أرأيتم إن كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا! وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾، يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب، متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره ﴿مُّنِيبٞ﴾، رَجَّاع إلى طاعته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قول رسله لإبراهيم: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾، وذلك قيلهم له حين جَادلهم في قوم لوط، فقالوا: دع عنك الجدالَ في أمرهم والخصومة فيه، فإنه ﴿قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ يقول: قد جاء أمر ربك بعذابهم. وحقَّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء، ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾، يقول: وإن قوم لوط، نازلٌ بهم عذابٌ من الله غير مدفُوع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ أي: إنه قد نفذ فيهم القضاء، وحَقَّت عليهم الكلمة بالهلاك، وحلول البأس الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

لم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها الرسل الملائكة إبراهيم ولكنه أشار بعد هذا إلى أنها البشارة بإسحاق ويعقوب في قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ لأن البشارة بالذرية الطيبة

(١) ولكن بين قتادة وبين ذلك بون شاسع، ولا يدرى من الذي ذكر له ذلك.

شاملة للأم والأب، كما يدل لذلك قوله: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢].

وقوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٨] وقوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحجر: ٥٣] وقيلك البشرى هي إخبارهم له بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط، وعليه فالآيات المبينة لها كقوله هنا في هذه السورة: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود: ٧٠] الآية.

وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [الحجر: ٥٨ - ٥٩] الآية.

وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٢ - ٣٣] وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣١].

والظاهر القول الأول: وهذه الآية الأخيرة تدل عليه لأن فيها التصريح بأن إخبارهم بإهلاك قوم لوط بعد مجيئهم بالبشرى، لأنه مرتب عليه بأداة الشرط التي هي « لما » كما ترى.

وقال في تفسير قوله: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾:

لم يبين ما جادل له إبراهيم الملائكة في قوم لوط، ولكنه أشار إليه في العنكبوت بقوله ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣١ - ٣٢] الآية.

فحاصل جداله لهم أنهم يقول: إن أهلكتم القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكتم ذلك المؤمن بغير ذنب، فأجابوه عن هذا بقولهم ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ الآية.

وقال:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾.

هذا العذاب الذي صرح هنا بأنه آت قوم لوط، لا محالة وأنه لا مرد له بينه في مواضع متعددة، كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣].

وقوله في الحجر: ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٤ - ٧٥].

وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾ [الفرقان: ٤٠]، الآية.

وقوله: ﴿ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٢ - ١٧٣].

وقوله: ﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٣ - ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ ﴾ الذي أصابه من خيفة أضيافه ﴿ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ بالولد، التفت حينئذ، إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ ﴾.

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين.

﴿ أَوَّٰهٞ ﴾ أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: رجَّاع إلى الله بمعرفته ومحبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، فلذلك كان

يجادل عمن حتَّم الله بهلاكهم.

فقيل له: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾ الجدال ﴿ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ ﴾ بهلاكهم ﴿ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ ﴾ فلا فائدة في جدالك.

❁ ❁ ❁

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٧٧-٨٣].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿سِيٓءَ بِهِمۡ - وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا - عَصِيبٞ - يُهۡرَعُونَ - يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ - أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ - وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ - رَّشِيدٞ - ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ - لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ - فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ - مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ - مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ - جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا - سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ - مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ - وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾	ساءه مجيئهم وتضايق بمجيئهم – ساء ظنًّا بقومه.
﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾	ضاق صبره وقل واشتد المكر عليه وقع به مكروه عظيم لا يستطيع دفعه.
﴿عَصِيبٞ﴾	شديد شرُّه – الشر فيه شديد والبلاء فيه عظيم.
﴿يُهۡرَعُونَ﴾	يسرعون مع حرصٍ شديد ﴿على إتيان الفاحشة﴾.
﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	يعملون الأعمال المسيئة ﴿التي هي إتيان الذكران من العالمين﴾.
﴿أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾	أحلَّ لكم – الزواج بهن أطيب لكم.
﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾	لا تهينوني مع أضيافي ولا تذلوني – ولا تمتهوني.
﴿رَّشِيدٞ﴾	قوى الإيمان شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مرشد – عاقل مؤمن – صالح.
﴿ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾	الجأ إلى قبيلة قوية تمنعني منكم.

﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾	لن يستطيعوا إيذاءك ولا الاقتراب منك بسوء ولا مكروه.
﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾	فأخرج بأهلك ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ في وقت من الليل، وهو وقت السحر كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾.
﴿مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾	يحل بها من العذاب ما يحل بهم.
﴿مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾	موعد إهلاكهم في الصباح.
﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾	رفعناها ثم قلبناها رأسًا على عقب.
﴿سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾	الطين الشديد المتحجر المتصلب.
	متتابع يتبع بعضه بعضًا.
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾	معلمة من عند ربك بعلامات، وقيل: كان على كل حجر اسم من سيهلك به.
﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾	ليست ببعيدة عن أهل الظلم فكل ظالم فربنا قادر على أن يرسل عليهم مثلها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولما جاءت ملائكتنا لوطًا عليه السلام ساءه قدومهم لما يعلمه من قومه الشريرين المفسدين، فخشي على أضيافه خشيةً شديدة من أن ينالهم مكروه من قومه، وضايق وجود الأضياف لا كراهية منه للأضياف، بل خشية عليهم وحفاظًا عليهم، فحلَّ به ضيقٌ شديدٌ، وأصابه كرب وهمٌ وقال هذا يوم عصيب، أي: شديد شرُّه الشر فيه شديد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا، ساءَه مَجيئهم ، وهو «فعل» من «السوء» ، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾، يقول: وضاقت نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

وأورد بإسنادٍ فيه مقال عن حذيفة أنه قال: لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهدَ لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضيِّفوك الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعةً التفت فقال: أما تعلمون ما يعمَل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا أخبث منهم ! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم. فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته، انطلقَت فأنذرتهم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾، فإنه يقول: وقال لوط: هذا اليوم يوم شديد شره، عظيم بلاؤه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قُدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة. فانطلقوا من عنده، فأتوا لوطا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو -على ما قيل -في أرض له يعمرها وقيل: في منزله، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون، على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة، فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء، ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾.

قال ابن عباس وغير واحد: شديد بلاؤه وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم، ويشق عليه ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴾ أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه. وقيل: ضاق وسعه وطاقته. وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه؛ فإذا حمل على أكثر من طوقه ضاق عن ذلك، وضعف ومد عنقه ؛ فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع. وقيل: هو من ذرعه القيء أي غابه ؛ أي ضاق عن حبسه المكروه في نفسه، وإنما ضاق ذرعه بهم لما رأى من جمالهم، وما يعلم من فسق قومه. ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ ﴾ أي شديد في الشر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا ﴾ أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا

﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أي: شق عليه مجيئهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾ أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب، جرد، مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الزجاج: يقال: ضاق فلان بأمره ذرعًا: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصًا. وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن معناه: وقع به مكروه عظيم لايصل إلى دفعه عن نفسه، فالذرع كناية عن هذا المعنى.

والثاني: أن معناه: ضاق صبره وعظم المكروه عليه؛ وأصله من ذرع فلانًا القيءُ: إذا غلبه وسبقه.

والثالث: أن المعنى: ضاق بهم وُسْعُه، فناب الذرع والذراع عن الوسع، لأن الذراع من اليد، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون: ليس هذا في وُسْعِي؛ ويدل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع، فيقولون: ضقت بهذا الأمر ذراعًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾.

ج: المعنى إجمالًا – والله أعلم –: أن قوم لوط عليه السلام لما بلغهم خبر مجيء الأضياف حسان الوجوه على أعلى درجات من الجمال (وهم الملائكة) وقيل: إن التي أخبرتهم بذلك هي امرأته، قالوا، وقد كانت تلك خيانتها، جاءوا (أي: قوم لوط) مسرعين حريصين على فعل الفاحشة بهؤلاء الكرام، وكان من سجية قوم لوط هؤلاء قبل مجيء الرسل إليهم كانوا يعملون هذه الفاحشة، فلم تكن هذه المحاولة للاعتداء هي أولى المحاولات، بل كانت هذه سجيتهم، وكان هذا شانهم وتلك عادتهم ألا وهي فعل السيئات التي منها هذه الكبيرة إتيان الذكران من العالمين، فلما وصلوا إلى بيت لوط عليه السلام ذكَّرهم بالله وبتقواه عز وجل، وناشدهم وعرض عليهم بناته كي يتزوجونهن فهن أحلَّ وأطيب إذا تزوجوهن على شريعة الله، عرض عليهم لوط عليه السلام ذلك قائلًا : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ أي: أحلَّ لكم فتزوجوهن إن شئتم أزوجكم إياهن، ولا تُهينوني، ولا تُذلونني مع أضيافي ولا تحرجوني معهم، أليس منكم رجل رشيد عاطل شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي يدفع الله بي عن شركم؟!، أليس فيكم من يتعقل الأمور ويتفهم ويتقي الله؟!!

فيحنئذٍ أجابوه بقولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ قيل: المعنى لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة فإننا لا نحتاج النساء، ولكن تعلم مرادنا وهو أننا نريد الرجال ولا نريد النساء.

وقيل المعنى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ لكونهن لسن لنا بأزواج، ولا نريد الزواج إنما نريد الرجال (يعنون الأضياف).

وقيل: إنهم كانوا من قبل قد خطبوا بنات لوط فأبى عليه السلام أن يزوجهم، وكان من عادتهم أن من خطب امرأة فرفض أنه لا يرجع إليها ثانية، فلما حلَّ بنبي الله ما حل من الحرج وافق على تزويجهن بناته دفعًا للضرر عن الأضياف

فاعتلوا له بأنك تعلم ما لنا في بناتك من حق، فالله أعلم.

فحينئذٍ وقع لوط عليه السلام في كرب شديد وبلاء عظيم، ولم تكن له بتلك البلدة قبيلة، ولم يكن له منهم كبير ناصرٍ بعد الله عز وجل، فقالوا مقولةً يرحمه الله ويغفر له قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾.

أي: لو أن عندي منعة وأنصار أو كانت لي قبيلة قويةٌ لفعلت بكم الأفاعيل حفاظًا على أضيافي ودفعًا لشركم.

وفي مثل هذا المقام يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد**».

فلما قال عليه السلام مقولته قالت الملائكة حينئذٍ – يطمئنونه – وأفصحوا عن وجهتهم وعن أنفسهم، فقد كان عليه السلام يظنهم بشرًا، فقالوا: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ ملائكة من عند الله عز وجل فاطمئن فلن يصلوا إليك بمكروه ولا سوء، وكذا لن يستطيعوا الوصول غلينا بأذى ولا بمكروه، هذا، وقد ذكر بعض العلماء هاهنا أقوالًا تشهد لها في الجملة آيات من كتاب الله عز وجل، ذكروا أن قوم لوطٍ عليه السلام أتوه ووقفوا بباب بيته وهو يدفعهم حفاظًا على أضيافه فكادوا أن يكسروا الباب فخرج لهم جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فأعمى أبصارهم، وكا أسلفت فيشهد في الجملة لهذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾.

فالحاصل: أن الله عز وجل دفع عن لوط عليه السلام الشرَّ والمكروه وسلَّمه وسلَّم أضيافه من هؤلاء الأشرار، ثم أمرته الملائكة – بأمر الله لهم بتبليغه – قالت الملائكة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: فاخرج بأهلك ليلًا عند الحر، كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٤] ونهته الملائكة عن الالتفات إلى الخلف حتى لا يفكر في أحدٍ من القوم ولا يُفكر في ديار ولا مال ولا غير ذلك

إلا ذكر الله ودعاء الله كي ينجيه وينجي من معه، واستثنيت من الإنجاء ومن الخروج مع لوطٍ عليه السلام امرأته تلك الخائنة التي كانت تدل أهل الشر والكفر والفسوق على أضياف لوطٍ عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ أي: لا تخرجها معك إنه سيحل بها مثل الذي يحلُّ بهم من العذاب.

وكأن لوطًا عليه السلام استبطأ العذاب وأراد أن ينزل العذاب على قومه في الحال، فطمأنته الملائكة بقولهم له: إن موعد إهلاكهم الصبح، أليس الصبح بقريب؟!!

فلما جاء أمر الله عز وجل وقضاؤه بتعذيب هؤلاء الأشرار المفسدين جعل الله سبحانه وتعالى أعلى هذه القرى أسفلها وأسفلها أعلاها ذكر العلماء أن جبريل عليه السلام حمل هذه القرى بمن فيها ورفعها إلى السماء ثم قلبها رأسًا على عقب، وأتبع ذلك بأن أرسلت على القوم حجارة من طين شديد متحجر صلبة في غايته من الصلابة، بحجارة متتابعة معلمة بعلامات من عند الله فأهلكتهم وأبادتهم ثم حُذر أهل الظلم عمومًا وخوِّفوا يقول تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ أي: أن مثل هذه الحجارة قريب إحلالها بأهل الظلم، والله ليس بعاجز عن فعل ما فعله بقوم لوطٍ من إهلاكهم وتدميرهم، فليحذر كل ظالم أن يصيبه مثل الذي أصاب قوم لوط، نسأل الله العافية والسلامة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وجاء لوطًا قومه يستحثون إليه، يُرْعَدون مع سرعة المشي، مما بهم من طلب الفاحشة.

يقال: «أهْرِعَ الرجل»، من برد أو غضب أو حمَّى، إذا أرعد، «وهو مُهْرَع»، إذا كان مُعْجلا حريصًا.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾، يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي -يعني نساء أمته- فانكحوهن[1] فهنّ أطهر لكم.

وأورد بإسنادٍ صحيح ابن أبي نجيح يقول في قوله: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾، قال: ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا.

وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ قال: أمرهم أن يتزوجوا النساء، وأراد نبي الله ﷺ أن يَقي أضيافه ببناته.

قال الطبري:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾.

فقرأته عامة القراء برفع: ﴿أَطۡهَرُ﴾، على أن جعلوا ﴿هُنَّ﴾ اسمًا، ﴿أَطۡهَرُ﴾ خبره، كأنه قيل: بناتي أطهرُ لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال.

وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾، يقول: فاخشوا الله، أيها الناس، واحذروا عقابه، في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها، ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾، يقول: ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبُوه منهم.

و«الضيف»، في لفظ واحدٍ في هذا الموضع بمعنى جمع. والعرب تسمي الواحد والجمع «ضيفًا» بلفظ واحدٍ. كما قالوا: «رجل عَدْل، وقوم عَدْل».

وقوله: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾، يقول: أليس منكم رجل ذو رُشد، ينهى من أراد ركوبَ الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط للوط: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾، يا لوط ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

(١) أي: تزوجوهن.

مِنۡ حَقّٖ﴾، لأنهن لَسْنَ لنا أزواجًا.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾، يقول: قالوا: وإنك يا لوط لتعلم أنَّ حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي نُريد هو ما تنهانَا عنه.

ثم قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني، ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منِّي في أضيافي، وحذف جواب «لو» لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط، لما قال لوط لقومه: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾، ورأوا ما لقي من الكرب بسببهم منهم: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، أرسلنا لإهلاكهم، وإنهم لن يصلوا إليك وإلى ضيفك بمكروه، فهوّن عليك الأمر، ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾، يقول: فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل.

يقال منه: «أسرى» و«سرى»، وذلك إذا سار بليل.

وأما قوله: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾، فإن عامَّة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرأوا بالنصب ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾، بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، وعلى أن لوطًا أمر أن يسري بأهله سوى زوجته، فإنه نهي أن يسري بها، وأمر

بتخليفها مع قومها.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾، يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح. فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم: بلى عجِّلوا لهم الهلاك! فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ أي عند الصبح نزولُ العذاب بهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك، ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ يعني عالي قريتهم، ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، يقول: وأرسلنا عليها، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾ فأورد الطبري أقوالًا ثم قال:

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤].

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿مَّنضُودٍ﴾ منها: مصفوفة، ومنها: متتابعة.

واختار قول الربيع بن أنس: نضد بعضه على بعض.

قال الطبري:

والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس، وذلك أن قوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ من نعت ﴿سِجِّيلٍ﴾، لا من نعت «الحجارة»، وإنما أمطر القوم حجارة من طين، صفة ذلك الطين أنه نُضِد بعضه إلى بعض، فصُيِّر حجارة، ولم يُمْطَرُوا الطين، فيكونَ موصوفًا بأنه تتابع على القوم بمجيئه.

قال أبو جعفر: وإنما كان جائزًا أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل لو كان

التنزيل بالنصب «منضودةً»، فيكون من نعت «الحجارة» حينئذ.

وأما قوله: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾، فإنه يقول: معلمة عند الله، أعلمها الله، و«المسوّمة» من نعت «الحجارة»، ولذلك نصبت على النعت.

وأما قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾، فإنه يقول تعالى ذكره متهددًا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي: يسرعون ويهرولون في مشيتهم ويجمرون من فرحهم بذلك وروي في هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة وشمر بن عطية وسفيان بن عيينة .

وقوله: ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: لم يزل هذا من سجيتهم إلى وقت آخر حتى أخذوا وهم على ذلك الحال.

وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ يرشدهم إلى نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد للرجال والنساء، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، كما قال لهم في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر:٧٠] أي: ألم ننهك عن ضيافة الرجال ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر:٧١، ٧٢]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾.

ثم قال:

وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ أي: اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار

على نسائكم ، ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ أي: ليس منكم رجل فيه خير، يقبل ما آمره به، ويترك ما أنهاه عنه؟

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: إنك تعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي: ليس لنا غرض إلا في الذكور، وأنت تعلم ذلك، فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك؟

قال السدي: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ إنما نريد الرجال.

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط، عليه السلام: إن لوطا توعدهم بقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل من العذاب والنقمة وإحلال البأس بكم بنفسي وعشيرتي، ولهذا ورد في الحديث، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد** - يعني: الله عز وجل -**فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه**».

فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رُسل الله إليه، وبشروه أنهم لا وصول لهم إليه ولا خلوص ﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يتَّبع أدبارهم، أي: يكون ساقة لأهله، ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ أي: إذا سمعت ما نزل بهم، ولا تهولنَّكم تلك الأصوات المزعجة، ولكن استمروا ذاهبين كما أنتم .

﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ قال الأكثرون: هو استثناء من المثبت وهو قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ تقديره ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك؛ لأنه من مثبت ، فوجب نصبه عندهم.

قال ابن كثير رحمه الله:

ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له؛ لأنه قال لهم: «أهلكوهم الساعة»،

فقالوا: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ هذا وقومُ لُوطٍ وقُوف على الباب وعُكوف قد جاءوا يُهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه، بل يتوعدونه، فعند ذلك خرج عليهم جبريل، عليه السلام، فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القمر:٣٧-٣٩].

ثم قال:

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس، ﴿ جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا ﴾ وهي قريتهم العظيمة وهي سَدُوم ومعاملتها ﴿ سَافِلَهَا ﴾ كقوله ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم:٥٣، ٥٤] أي: أمطرنا عليها حجارة من «سجيل» وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره.

وقال بعضهم: أي من «سنك» وهو الحجر، و«كل» وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الذاريات:٣٣] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، وقال بعضهم: مطبوخة قوية صلبة، وقال البخاري. «سِجيل»: الشديد الكبير. سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان، وقال تميم بن مُقبل:

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ البَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تواصَت به الأبطال سِجّينا

وقوله: ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.

وقال آخرون: ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أي: يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.

وقوله: ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أي مُعْلَمَة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

وقال قتادة وعِكْرِمة: ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أي: مُطَوّقة، بها نَضْحٌ من حُمّرةٍ.

وذكروا أنها نزلت على أهل البلد، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدّث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس، فدّمره، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد.

ثم قال:

وقوله: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي: وما هذه النقمة ممن تَشَبَّه بهم في ظلمهم، ببعيد عنه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ ﴾ أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ﴿ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ من أضيافي، وهذا كما عرض لسليمان ﷺ، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه، لاستخراج الحق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ ﴾ أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم.

﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ ﴾ فينهاكم، ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة.

فـ ﴿ قَالُواْ ﴾ لـه: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء.

فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ كقبيلة مانعة، لمنعتكم.

وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب.

﴿ قَالُواْ ﴾ له: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، ﴿ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ بسوء.

ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطا، أن يسري بأهله ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاة ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا ﴾ من العذاب ﴿ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ لأنها تشارك قومها في الإثم، فتدلهم على أضياف لوط، إذا نزل به أضياف.

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾ فكأن لوطا، استعجل ذلك، فقيل له: ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بنزول العذاب، وإحلاله فيهم ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ديارهم ﴿ عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ أي: قلبناها عليهم ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أي. متتابعة، تتبع من شذ عن القرية.

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: معلمة، عليها علامة العذاب والغضب، ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين يشابهون لفعل قوم لوط ﴿ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعلهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾.

في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه من التفسير للعلماء: اثنان منها كلاهما يشهد له القرآن، وواحد يظهر أنه ضعيف.

أما الذي يظهر أنه ضعيف فهو أن المعنى: أن تلك الحجارة ليست بعيدة من قوم لوط. اي لم تكن تخطئهم.

قاله القرطبي وغيره. لأن هذا يكفي عنه قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ ونحوها من الآيات. أما الوجهان اللذان يشهد لكل واحد منهما قرآن فالأول منهما: أن ديار قوم لوط ليست ببعيدة من الكفار المكذبين لنبينا. فكان عليهم أن يعتبروا بما وقع لأهلها إذا مروا عليها في أسفارهم إلى الشام، ويخافوا أن يوقع الله بهم بسبب تكذيب نبينا محمد ﷺ مثل ما وقع من العذاب بأولئك، بسبب تكذيبهم لوطاً عليه الصلاة والسلام. والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً. كقوله: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨]، وقوله: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحجر: ٧٦ - ٧٧]، وقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٧] وقوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات وعلى هذا القول فالضمير في قوله: ﴿وَمَا هِيَ ﴾ راجع إلى ديار قوم لوط المفهومة من المقام.

الوجه الثاني - أن المعنى: وما تلك الحجارة التي أمطرت على قوم لوط ببعيد من الظالمين للفاعلين مثل فعلهم، فهو تهديد لمشركي العرب كالذي قبله.

ومن الآيات الدالة على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ

﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ١٠﴾ [محمد: ١٠] فإن قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ١٠﴾ [محمد: ١٠] ظاهر جداً في ذلك، والآيات بنحو ذلك كثيرة.

❁ ❁ ❁

س: ما مدة صحة المنقول عن رسول الله ﷺ: «...ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»؟ وما معناه؟

ج: صحيح، وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**نحن أحق بالشكِّ من إبراهيم إذ قال ربي أرني كيف تحيي الموتى**... الحديث»، وفي بعض طرقه: «**يَغْفِر الله لِلُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري)[2]:

قَوْلُهُ: «**يَغْفِر الله لِلُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**» أَيْ إِلَى الله سُبْحَانه وَتَعَالَى، وَيُشِير ﷺ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ٨٠﴾ وَيُقَال إِنَّ قَوْم لُوط لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَد يَجْتَمِع مَعَهُ فِي نَسَبه لِأَنَّهُمْ مِنْ سَدُوم وَهِيَ مِنْ الشَّام وَكَانَ أَصْل إِبْرَاهِيم وَلُوط مِنْ الْعِرَاق ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِبْرَاهِيم إِلَى الشَّام هَاجَرَ مَعَهُ لُوط ، فَبَعَثَ الله لُوطًا إِلَى أَهْل سَدُوم فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مَنَعَة وَأَقَارِب وَعَشِيرَة لَكُنْت أَسْتَنْصِر بِهِمْ عَلَيْكُمْ لِيَدْفَعُوا عَنْ ضِيفَانِي ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي بَعْض طُرُق هَذَا الْحَدِيث كَمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَد مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن عَمْرو عَنْ أَبِي سَلَمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ لُوط لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، قَالَ فَإِنْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْن شَدِيد وَلَكِنَّهُ عَنَى عِشْرَته فَمَا بَعَثَ**

(١) البخاري (٣٣٧٢ و ٣٣٧٥)، ومسلم (١٥١).
(٢) الفتح (٦/ ٤٧٨-٤٧٩).

الله نَبِيًّا إِلَّا فِي ذِرْوَة مِنْ قَوْمه» زَادَ اِبْن مَرْدُوَيْهِ مِنْ هَـذَا الْوَجْـه: «أَلَـمْ تَـرَ إِلَـى قَـوْل شُعَيْب: وَلَوْلَا رَهْطك لَرَجَمْنَاك» وَقِيلَ: مَعْنَـى قَوْلـه: «لَقَـدْ كَـانَ يَـأْوِي إِلَـى رُكْـن شَدِيد» أَيْ: إِلَى عَشِيرَته ، لَكِنَّهُ لَمْ يَأْوِ إِلَيْهِمْ وَأَوَى إِلَى الله اِنْتَهَـى. وَالْأَوَّل أَظْهَـر لِمَا بَيَّنَّاهُ. وَقَالَ النَّوَوِيّ: يَجُوز أَنَّهُ لَمَّا اِنْدَهَشَ بِحَالِ الْأَضْيَاف قَالَ ذَلِكَ ، أَوْ أَنَّـهُ اِلْتَجَأَ إِلَى الله فِي بَاطِنه وَأَظْهَرَ هَذَا الْقَـوْل لِلْأَضْـيَافِ اِعْتِـذَارًا ، وَسَـمَّى الْعَشِـيرَة رُكْنًـا لِأَنَّ الـرُّكْن يُسْـتَنَد إِلَيْـهِ وَيُمْتَنَـع بِـهِ فَشَـبَّهَهُمْ بِـالرُّكْنِ مِـنْ الْجَبَـل لِشِـدَّتِهِمْ وَمَنْعَتهِمْ ، وَسَيَأْتِي فِي الْبَاب الَّذِي بَعْده تَفْسِير الرُّكْن بِلَفْظٍ آخَر.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة ختام الآيات بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾؟

ج: فائدة ذلك – والله أعلم – الخروج بالقصة من خير الخصوص إلى العموم، فليست هذه الحجارة بقاصرة على قوم لوط، بل يتوقع كل ظالم أن ينزل الله عليه عذابًا على ظلمه في أي وقت كان، وفي أي مكان كان.

وكثيرًا ما يحدث مثل هذا سواء في أبواب العقوبات أو في أبواب النعم والمنن، كما قال تعالى في شأن نوح عليه السلام بعد أن أنجاه وأغرق أعداءه ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر: ٣٥] ثم عقب بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ فكل شاكر يُجازيه الله عز وجل وينجيه الله عز وجل (في الدنيا أو في الآخرة) وكما قال في عدة آيات سواء في قصة موسى أو يوسف عليهما السلام وفي قصص غيرهما بعد أن ذكر ما منَّ به عليهم يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤] وكما في بعد ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: ليتذكر العباد ما حدث لأيوب عليه السلام، وكيف وأن الله عز وجل شفاه وعافاه وأكرمه بعد طول سنين، وبعد أن يأس الأطباء من علاجه، وذلك حتى ييأس شخص من رحمة الله عز وجل. والأمثلة في هذا كثيرة جدًّا. والله أعلم.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ
وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠
عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا
يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ
٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا
ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ
شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ
لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا
ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ
أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ
﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

[هود: ٨٤-٩٥].

(٥٦٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ - عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ - وَلَا تَبْخَسُوا - أَشْيَاءَهُمْ - وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ - مُفْسِدِينَ - بَقِيَّتُ اللَّهِ - بِحَفِيظٍ - الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ - رِزْقًا حَسَنًا - تَوْفِيقِي - تَوَكَّلْتُ - أُنِيبُ - لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي - وَدُودٌ - مَا نَفْقَهُ - رَهْطُكَ - لَرَجَمْنَاكَ - بِعَزِيزٍ - وَاتَّخَذْتُمُوهُ - وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا - عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ - يُخْزِيهِ - رَقِيبٌ - الصَّيْحَةُ - جَاثِمِينَ - كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا - بُعْدًا - بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾	أراكم في عافيةٍ وسلامة وسعة رزق.
﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾	عذاب يوم يحيط بكم لا تفرون منه.
﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾	لا تنقصوا.
﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾	حقوقهم.
﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	لا تمشوا مسرعين في الأرض بالفساد والشر.
﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾	رزق الله الحلال الطيب – جنة الله – ما تبقى من الحلال الطيب.
﴿بِحَفِيظٍ﴾	بحافظ لأعمالكم.
﴿الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾	المتأني العاقل صائب الرأي القوي في الحق، وأرادوا الاستهزاء به عليه السلام، وقيل: عنوا بذلك السفية الضال.
﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾	رزقًا حلالًا.

﴿تَوْفِيقِيٓ﴾	هدايتي وسدادي.
﴿تَوَكَّلْتُ﴾	اعتمدت.
﴿أُنِيبُ﴾	أرجع وأرجو.
﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾	لا يحملنكم بفضلكم لي، ولا عداوتكم.
﴿وَدُودٌ﴾	محبٌّ (لأهل الإيمان) ومتودد لهم ويوادونه.
﴿مَا نَفْقَهُ﴾	ما نعلم وما ندري.
﴿رَهْطُكَ﴾	عشيرتك.
﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾	لسببناك – لرجمناك بالحجارة.
﴿بِعَزِيزٍ﴾	بممتنع، ولا بمستعصٍ علينا، بل نحن قادرين عليك.
﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾	رفضموه ورقيتم بأوامره ونواهيه وجعلتموها خلف ظهوركم لا تعبؤون بها.
﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾	على طريقتكم – على ما أنتم عليه من العمل.
﴿يُخْزِيهِ﴾	بتؤدة.
﴿رَقِيبٌ﴾	منتظر.
﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾	صيحة عظيمة (صوت عظم) أهلكهم.
﴿جَٰثِمِينَ﴾	هلكى باركين على الركب، وكذا ملتصقين بالأرض.
﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾	كأنهم لم يعيشوا في بلادهم من قبل.
﴿بُعْدًا﴾	هلاكًا وخسارًا.
﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾	هلكت وخسرت.

س: من المعنيون بمدين؟

ج: قيل: إنهم قوم أرسل إليهم نبي الله شعيب عليه السلام.

وقيل: إنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل: مدين والمراد: بنو مدين.

وقيل: إنه اسم للمدينة التي كانوا يسكنونها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: ولقد أرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبًا عليه السلام فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ ما لكم من معبود يستحق العبادة سواه، وهكذا دعا الرسل كلهم إلى عبادة الله عز وجل.

ثم إن القوم كان يظلمون الناس فقد كانوا يطففون الكيل والميزان، أي: أنهم إذا باعوا للناس فكالوا لهم أو وزنوا لهم أنقصوا الناس حقوقهم، فحذرهم نبي الله شعيب عليه السلام من هذا الصنيع قائلًا: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ في دنياكم عن سعة الأرزاق وسلامة الأبدان ورخص الأسعار وغير ذلك من نعم الدنيا وإني اخاف أن تسلب منكم هذه النعم ويحل بكم عذاب من الله عز وجل يُحيط بكم لا تستطيعون الفرار منه إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ويؤكد عليهم نبيهم عليه الصلاة والسلام الأمر بإيفاء الكيل والميزان قائلًا: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

أما القسط فهو العدل والحق، ولا تنقصوا الناس أشياءهم إذا قلتم لهم أو وزنتم لها ولا تستمروا في إفسادكم في الأرض مجتهدين في نشر هذا الفساد.

ثم يذكرهم قائلًا: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي: الحلال الطيب في الدنيا خيرٌ لكم من المال المحرم، وكذا رزق الله لكم في الآخرة خير لكم من الحرام الزائل الفاني، إن كنتم مصدقين بالآخرة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ لست أحفظ أعمالكم بل الله يحفظها ويكتبها، ولست بموكلٍّ بهدايتكم فالله يهديكم ما شاء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى وَلَد مدين أخاهم شعيبًا، فلما أتاهم قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾، يقول: أطيعوه، وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه، ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾، يقول: ما لكم من معبود سواه يستحقّ عليكم العبادة غيره، ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾.

واختلف أهل التأويل في «الخير» الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به.

فقال بعضهم: كان ذلك رُخْص السعر وَحذرهم غلاءه.

وقال آخرون: عنى بذلك: إنّي أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر، ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها.

وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وَسَّع الله عليكم رزقكم، ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾، بمخالفتكم أمر الله، وبَخْسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم ، ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه. فجعل «المحيط» نعتًا لليوم، وهو من نعت «العذاب»، إذ كان مفهومًا معناه، وكان العذاب في اليوم، فصار كقولهم: «بعْض جُبَّتك محترقة».

يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: أوفوا الناس الكيل والميزان ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم، على ما وجب لهم من التمام، بغير بَخس ولا نقص.

وقوله: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنًا أو غير ذلك.

وقوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾، يقول: ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله.

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾، ما أبقاه الله لكم، بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحلّه لكم، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾، يقول: إن كنتم مصدّقين بوعد الله ووعيده، وحلاله وحرامه.

وهذا قولٌ روي عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك.

فقال بعضهم معناه: طاعة الله خيرٌ لكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: حظكم من ربكم خير لكم.

وقال آخرون: معناه: رزق الله خير لكم.

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح قال: «الهلاك »، في العذاب، و«البقية» في الرحمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترت في تأويل ذلك القولَ الذي اخترته، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بَخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظّ في الوفاء في الدنيا والآخرة، أولى ، مع أن قوله: ﴿بَقِيَّتُ﴾، إنما هي مصدر من قول القائل «بقيت بقية من كذا»، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسهم إياهم في الكيل والوزن.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾، يقول: وما أنا عليكم، أيها الناس، برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم، هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم؟ وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربّي، فقد أبلغتكموها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين -وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريبًا من بلاد معان، في بلد يعرف بهم، يقال لها «مدين» فأرسل الله إليهم شعيبا، وكان من أشرفهم نسبًا. ولهذا قال: ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾ أي: في معيشتكم

ورزقكم فأخاف أن تُسلَبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله، ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ أي: في الدار الآخرة.

ينهاهم أولا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق.

وقوله: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ قال ابن عباس: رزق الله خَيْر لكم.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال:

قلت: ويشبه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ﴾ [المائدة:١٠٠].

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: برقيب ولا حفيظ، أي: افعلوا ذلك لله ﷻ. لا تفعلوه ليراكم الناس، بل لله ﷻ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ تقدم. ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ ﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف؛ كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا؛ وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشحوا له بغاية ما يقدرون؛ فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك، وبالوفاء نهيا عن التطفيف. ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ أي في سعة من الرزق، وكثرة من النعم. وقال الحسن: كان سعرهم رخيصا. ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ وصف اليوم بالإحاطة، وأراد وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم؛ فإن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم، وهو كقولك: يوم شديد؛ أي شديد حره. واختلف في ذلك العذاب؛ فقيل: هو عذاب النار في الآخرة.

وقيل: عذاب الاستئصال في الدنيا. وقيل: غلاء السعر.

قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيدا. والإيفاء الإتمام. ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي بالعدل والحق، والمقصود أن يصل كل ذي كل نصيب إلى نصيبه ؛ وليس يريد إيفاء المكيال والموزون لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال وبالميزان ؛ بل أراد ألا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنجات. ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ أي لا تنقصوهم مما استحقوه شيئا. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال:

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ شرط هذا لأنهم إنما يعرفون صحة هذا إن كانوا مؤمنين. وقيل: يحتمل أنهم كانوا يعترفون بأن الله خالقهم فخاطبهم بهذا. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ أي رقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم ؛ أي لا يمكنني شهود كل معاملة تصدر منكم حتى أؤاخذكم بإيفاء الحق. وقيل: أي لا يتهيأ لي أن أحفظكم من إزالة نعم الله عليكم بمعاصيكم.

❁ ❁ ❁

بخس الناس حقوقهم
لا يقتصر على تطفيف الكيل والميزان

س: هل بخس الناس أشياءهم يقتصر على تطفيف الكيل والميزان؟

ج: لا يقتصر على تطفيف الكيل والميزان، بل يشمل كل إنقاص للحقوق، فمثلًا استشرت في شأن شخص فذكرت مساوئه ولم تذكر محاسنه فقد بخسته حقه، وكذلك إذا كنت تختبر أقوامًا فأعطيت من الدرجات والتقارير أقلَّ مما يستحقون فقد بخستهم حقوقهم.

بل إذا استشرت في شأن طالبٍ جيد فقلت إنه ليس بجيد فقد بخسته.

إن استشرت في شأن فتاة فقلت: إنها دميمة وليست هي بدميمة بل وضيئة فقد بخستها حقها وصور ذلك متعددة كثيرة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾؟

ج: هذا – والله أعلم-: جواب قوم شعيب لشعيب عليه السلام حينما دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون من دون الله، وكذا عندما نهاهم عن تطفيف الكيل والميزان، قالوا له: يا شعيب أدينك الذي تكثر فيه من الصلاة يأمرك أن نترك عبادة الأوثان التي كان آباؤنا يعبدونها، وكذا أدينك ينهاك عن أن نتصرف في أموالنا بالطريقة التي يريدونها؟!!

وكأنهم قالوا ما للدين وما للصلاة بشؤوننا.

قالوا: ما للدين وما للصلاة بعبادتنا وما للصلاة بأموالنا؟!!

كأنهم قالوا: صل واقتصر على صلاتك ولا تتدخل في شؤون الحياة كأنهم قالوا فما للدين والاقتصاد.

ثم قالوا: إنك لأنت الحليم الرشيد.

أي: أأنت الحليم الرشيد، ونحن وآباؤنا السفهاء الجهلاء.

ووجه آخر: إنك لأنت الذي كنا ندعوه بالحليم الرشيد تقول لنا هذا؟

ووجه ثالث: إنك لأنت في نظر نفسك الحليم الرشدي، أهذا هو رشدك وهذا هو حلمك.

ووجه رابع: إنك لأنت السفيه الضال، وإنما قال: ﴿ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ سخرية واستهزاء كما يُقال للكافر في النار: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

وكما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦].

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب: يا شعيب، أصَلواتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾، من كسر الدراهم وقطعها، وبخس الناس في الكيل والوزن، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾، وهو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرّضى، ﴿ٱلرَّشِيدُ﴾، يعني: رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان.

ثم قال:

وأما قوله لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ فإنهم أعداء الله، قالوا ذلك له استهزاءً به، وإنما سفَّهوه وجهَّلوه بهذا الكلام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروي أن شعيبا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان كثير الصلاة، مواظبا على العبادة فرضها ونقلها

ويقول: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة، واستهزؤوا به فقالوا ما أخبر الله عنهم. وقيل: إن الصلاة هنا بمعنى القراءة ؛ قاله سفيان عن الأعمش، أي قراءتك تأمرك ؛ ودل بهذا على أنهم كانوا كفارا. وقال الحسن: لم يبعث الله نبيا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة. ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ زعم الفراء أن التقدير: أو تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: معنى. ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس فلم تمنعنا منه ؟ !. ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ يعنون عند نفسك بزعمك. ومثله في صفة أبي جهل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان: ٤٩]. أي عند نفسك بزعمك. وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، قاله قتادة. ومنه قولهم للحبشي: أبو البيضاء، وللأبيض أبو الجون ؛ ومنه قول خزنة جهنم لأبي جهل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان: ٤٩]. وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل ؛ كما قيل للديغ سليم، وللفلاة مفازة. وقيل: هو تعريض أرادوا به السب ؛ وأحسن من هذا كله، ويدل ما قبله على صحته ؛ أي إنك أنت الحليم الرشيد حقا، فكيف تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا! ويدل عليه. ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ أنكروا لما رأوا من كثرة صلاته وعبادته، وأنه حليم رشيد بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم، وبعده أيضا ما يدل عليه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنهم قالوه استهزاءً به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

قتادة، والفراء.

والثاني: أنهم قالوا له: إِنك لأنت السفيه الجاهل، فكنى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج.

والثالث: أنهم سبّوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله ﷻ عليه فقال: بل إِنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي.

والرابع: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فَلِمَ تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إِلى نحوه ابن كيسان.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قالوا في تهكمهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ أي: أئنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.

وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه والغواية، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!!

وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقتها بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.

❁ ❁ ❁

(٥٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: جواب نبي الله الكريم شعيب عليه السلام لقومه يقول لهم: يا قوم أرأيتم إن كنت على علمٍ وبصيرة وحجة وبرهان من الله عز وجل الذي هو ربي، وقد تفضل عليَّ بالرزق الحلال الطيب، قيل: إنه كان ثريًّا عليه السلام، وكان من ذوي التجارات والأموال، وقيل: إن أراد بالرزق الحسن: الحلال الطيب من العلم والهداية والتوفيق.

وهنا مضمرٌ مفهوم من السياق حاصله والله أعلم: أفأخالف أمر ربي وأكفر نعم ربي، وقد أنعم عليَّ، كلَّا فما أريد أن آمركم بشيء وأفعل خلافه بل الذي أريده إصلاح أموري وأموركم قدر جهدي واستطاعتي، وما سدادي وهدايتي وتوفيقي إلا بالله عز وجل هو الذي يوفقني فيما أريد، وهو الذي يهديني، وهو القادر على هدايتكم إن شاء، عليه أعتمد في أموري كلها، وإليه أرجع وألجأ في كل ما أريد، وأرجع إليه راجيًا عفوه، راجيًا رحمته عز وجل.

ثم يواصل عليه السلام قائلًا، ويا قوم لا يحملنكم بغضكم لي ولا تحملنكم كراهيتكم لي على أن تتمادوا في الكفر والمعاصي فيحل بكم مثل الذي حلّ بقوم نوح من الطوفان والعذاب، أو بقوم هود من الريح العقيم، أو بقوم صالح من الرجفة، ثم هؤلاء قريبون منكم، ألا وهم قوم لوط، وقد رأيتم ما حلَّ بهم من قلب بلادهم رأسًا على عقب، ومن إرسال الحجارة عليهم، فها هم قريبون منكم، قيل: بلادهم كانت قريبة من بلادهم، وقيل: كانوا قريبين في

الزمن منهم، ثم يواصل تذكيره ونصحه قائلًا: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ من سالف ذنوبكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ ﴾ ثم ارجعوا إليه وأقبلوا على طاعته ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ ﴾ لمن استغفر من ذنبه ورجع إلى ربه ﴿وَدُودٞ ٩٠ ﴾ محبٌّ لأهل الإيمان، ويحبونه كذلك من قلوبهم، وذو ودٍّ وإحسان لعباده المؤمنين المستغفرين التائبين. والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ، ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ﴾، يعني حلالا طيّبًا. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾، يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعلُ خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾، يقول: ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم ، ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾، يقول: ما قدرت على إصلاحه، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكِّلة، بخلافكم أمره، ومعصيتكم رسوله ، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ يقول: وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعنّي عليه لم أصب الحق فيه.

وقوله: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾، يقول: إلى الله أفوض أمري، فإنه ثقتي، وعليه اعتمادي في أموري.

وقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾، وإليه أقبل بالطاعة،وأرجع بالتوبة.

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ ﴾،

يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم ، ﴿مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق ، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾، من العذاب ، ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾، من الرّجفة ، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ الذين ائتفكت بهم الأرض ، ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾، هلاكهم، أفلا تتعظون به، وتعتبرون؟ يقول: فاعتبروا بهؤلاء، واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثلُ الذي أصابهم.

وقال أيضًا: وقد يحتمل أن يقال: معناه: وما دارُ قوم لوط منكم ببعيد.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾، أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبَخْس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين ، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾، يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة. ﴿وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودُّه ويحبُّه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول لهم أرأيتم يا قوم ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي: على بصيرة فيما أدعو إليه، ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل: أراد النبوة. وقيل: أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين.

وقال الثوري: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يقول: لم أكن لأنهاكم عن أمر وأركبه ﴿إِنْ

أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ أي: فيما آمركم وأنهاكم، إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ ﴾ أي: في إصابة الحق فيما أريده ﴿ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ في جميع أموري، ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ أي: أرجع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول لهم: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النقمة والعذاب.

قال قتادة: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ يقول: لا يحملنكم فراقي.

وقال السدي: عداوتي، على أن تتمادوا في الضلال والكفر، فيصيبكم من العذاب ما أصابهم.

وقوله: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ قيل: المراد في الزمان، كما قال قتادة في قوله: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ يعني إنما أهلكوا بين أيديكم بالأمس، وقيل: في المكان، ويحتمل الأمران، ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ أي: استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، ﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ أي: لمن تاب وأناب.

❁ ❁ ❁

النهي عن مخالفة الفعل للقول

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن مخالفة الفعل للقول.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢-٣].

وقوله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾.

وما أخرجه البخاري ومسلم:

من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ. أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وما أخرجه أحمد وغيره بسندٍ صحيح من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ رَجعَت. فَقُلْتُ لِجِبْرِيل مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

وقد تقدم في سورة البقرة كمٌّ كبير من الأقوال في هذا الصدد وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن قوم شعيب عليه السلام لما ذكَّرهم بنبيهم عليه السلام بعبادة الله وحده وترك التطفيف في الكيل والميزان، قالوا له: يا شعيب ما نفقه

كثيرًا مما تقول، ما نفهم قولك ولا نعي مرادك فإنك تكلمنا وتُخبرنا من البعث والثواب والعقاب والجنة والنار، لا نفهم شيئًا عن ذلك إلا القليل، وإنا لنراك ضعيفًا فينا لست بقوي، ولا من ذوي الوجاهات، وقيل: إنه كان ضريرًا ضعيف البصر، وقيل: كان أعمى ولولا عشيرتك لرجمناك، قيل: رجمناك بالحجارة، وقيل: رجمناك بالقول أي: سببناك وشتمناك، أما أنت فلست بممتنع منا، بل أنت في متناولنا ولسنا بعاجزين منك.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾، أي: ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به ، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾.

ذُكِر أنه كان ضريرًا، فلذلك قالوا له: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾.

وأورد الطبري بعض أقوال العلماء في أنه ﷺ كان أعمى، وقول آخرين: إنه كان ضعيف البصر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾، يقول: يقولون: ولولا أنك في عشيرتك وقومك ، ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾، يعنون: لسببناك.

وقال بعضهم: معناه لقتلناك.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾، يعنون: ما أنت ممن يكرَّم علينا، فيعظمُ علينا إذلاله وهوانه، بل ذلك علينا هيّن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقولون: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي: ما نفهم ولا نعقل كثيرًا من قولك، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب. ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾.

(٥٨١) أحمر
أسود

قال سعيد بن جبير، والثوري: كان ضرير البصر. قال الثوري: وكان يقال له: خطيب الأنبياء.

وقال السدي: ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال: أنت واحد.

وقال أبو روق: ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ يعنون: ذليلا؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك.

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ أي: قومك وعشيرتك؛ لولا معزة قومك علينا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ قيل بالحجارة، وقيل: لسببْنَاك، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: ليس لك عندنا معزة.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يقول: أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاما لجناب الله أن تنالوا نبيه بمساءة. وقد اتخذتم جانب الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها.

❁ ❁ ❁

إن الله يؤيد الدِّين بالرجل الفاجر أو الكافر

س: كثيرًا ما يؤيد الله ﷻ الدين بالرجل الفاجر، ويدفع الله الشرور عن المسلمين بأقوامٍ فجارٍ بل كفار دلِّل على ذلك:

ج: من ذلك ما يلي:

قول قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾.

وما أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**». قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**».

وكذا دفاع أبي طالب عم رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ.

وكذا دفاع المطعم بن عدي عن رسول الله ﷺ لما نزل رسول الله ﷺ في جواره.

وكذا ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

(٢) البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢).

(٥٨٣) أحمر
أسود

إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وفي الباب قصة إسلام عمر رضي الله عنه كذلك.

وأخرج ابن حبان في موارد الظمآن بسندٍ حسنٍ[1]:

عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث ؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره أعقل ما أرى وأسمع فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدا إلى المسجد فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ فقال عمر: كذب ولكني أسلمت وآمنت بالله وصدقت رسوله فثاوروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس فقاموا على رأسه فقال عمر: افعلوا ما بدا

(١) موارد الظمآن (٢١٨١).

لكم فوالله لو كنا ثلاث مئة رجل لقد تركتموهما لنا أو تركناها لكم فبينما هم كذلك قيام عليه إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقمبص قومسي فقال: ما بالكم ؟ فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ قال: فمه امرؤ اختار دينا لنفسه أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم ؟ قال: فكأنما كانوا ثوبا انكشف عنه فقلت له بعد بالمدينة: يا أبت من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ ؟ فقال: يا بني ذاك العاص بن وائل.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن نبيه شعيبًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار.

وهو دليل على المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر، كما بينه تعالى في مواضع أخر. كقوله في صالح وقومه: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ ﴾ [النمل: ٤٩] الآية.

ففي الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاء وسرقة لكانوا يحلفون لأوليائه الذين هم عصبته أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفًا من عصبته. فهو عزيز الجانب بسبب عصبته الكفار. وقد قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الضحى: ٦] أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

وذلك بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية، ولا صلة له بالدين

ألبتة. فكون جل وعلا يمتن على رسوله ﷺ بإيواء ابي طالب له دليل على أن الله قد ينعم على المتمسك بدينه بنصرة قريبه الكافر.

ومن ثمرات تلك العصبية النسبية قول أبي طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر بذاك وقر منه عيونا

وقوله أيضاً:

ونمنعه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ولهذا لما كان نبي الله لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس له عصبة في قومه الذين أرسل إليهم، ظهر فيه أثر عدم العصبة. بدليل قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود:٨٠].

وهذه الآيات القرآنية تدل على أن المسلمين قد تنفعهم عصبية إخوانهم الكافرين.

ولما ناصر بن المطلب بن عبد مناف بني هاشم ولم يناصرهم بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف عرف النَّبي ﷺ لبني المطلب تلك المناصرة التي هي عصبية نسبية لا صلة لها بالدين. فأعطاهم من خمس الغنيمة مع بني هاشم، وقال: « إنا وبني المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام » ومنع بني عبد شمس وني نوفل من خمس الغنيمة، مع أن الجميع أولاد عبد مناف بن قصي.

وقال أبو طالب في بني عبد شمس وبني نوفل:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجل غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني خلف قيضا بنا والغياطل

والغياطل « بالغين المعجمة » ومراد أبي طالب بهم: بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي « القبيلة المشهورة من قبائل قريش » وإنما سموا الغياطل، لأن قيس بن عدي بن سعد بن سهم الذي هو من سادات قريش العظام، وهو الذي يعنيه عبد المطلب بقوله يرقص ابنه عبد الله وهو صغير:

كأنه في العز قيس بن عدي في دار سعد ينتدي أهل الندى

تزوج امرأة من كنانة تسمى « الغيطلة » وهي أم بعض أولاده. فسمي بنو سهم الغياطل. لأن قيس بن عدي المذكور سيدهم.

فهذه الآيات القرآنية تدل على أن الله قد يعين المؤمن بالكافر لتعصبه له، وربما كان لذلك اثر حسن على الإسلام والمسلمين. وقد يكون من منن الله على بعض أنبيائه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** » **وفي المثل**: « **اجتن الثمار وألق الخشبة في النار** ».

فإذا عرفت دلالة القرآن على ان المسلم قد ينتفع برابطة نسب وعصبية من كافر، فاعلم أن النداء بالروابط العصبية لا يجوز. لإجماع المسلمين على ان المسلم لا يجوز له الدعاء بيا لبني فلان ونحوها.

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر رضي الله عنه أن النَّبي قال في تلك الدعوة: « **دعوها فإنها منتنة** » وقوله ﷺ: « **دعوها** » يدل على وجوب تركها. لأن صيغة أفعل للوجوب - إلا لدليل صارف عنه، وليس هنا دليل صارف عنه. ويؤكد ذلك تعليله الأمر بتركها بأنها منتنة، وما صرح النَّبي ﷺ بالأمر بتركه وأنه منتن لا يجوز لأحد تعاطيه، وإنما الواجب على المسلمين النداء

برابطة الإسلام التي هي من شدة قوتها تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد إنسان واحد. فهي تربطك بأخيك المسلم كربك أعضائك بعضها ببعض، قال ﷺ: « **إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ».

وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] تحققت أن الروابط النسبية تتلاشى مع الروابط الإسلامية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ولا يخفى أن أسلافنا معاشر المسلمين إنما فتحوا البلاد ومصروا الأمصار بالرابطة الإسلامية، لا بروابط عصبية، ولا بأواصر نسبية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: هذا – والعلم عند الله ﷻ –: خطاب نبي الله شعيب عليه السلام لقومه، وبيانٌ لما أحلَّه الله ﷻ بهم من العقوبة، فقال عليه السلام لهم: يا قوم أقبيلتي وعيرتي أعزَّ عليكم من الله، هي التي تمنعكم من إلحاق الأذى والضرر بي، ولا يمنعكم خوف الله من ذلك، بل اتخذتم ربمك ﷻ وأوامره ورائكم ظهريًّا، لم تبالوا بربكم ولم تخشوه ولم تراقبوه، وكذا لم تلقوا بالًا بأوامره ﷻ ونواهيه بل

جعلتم كل ذلك وراء ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم ولا من تدبيركم ولا من مكركم.

ويا قوم اعملوا على مكانتكم، استمروا في العمل الذي تعملونه في منازلكم متئدين في ذلك متمكنين من عملكم فإني عامل على طريقتي متمكن فيها سوف تعلمون من يأتيه عذاب يُهينه، يُذلّه ويخزيه وستعلمون من هو كاذبٌ في دعواه، وانتظروا ما سيحل بكم من العقاب وسأنتظر – بإذن الله – ثواب الله لي.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا الذي قضيناه وحُكمنا الذي حكمنا به نجينا شعيبًا عليه السلام من العذاب وكذا أنجينا أهل الإيمان الذين اتبعوه وصدقوه بفضل منا وبرحمة منا، أما أهل الظلم والتكذيب فأخذتهم الصيحة، قيل: صاح جبريل عليه السلام صيحة شديدة أهلكتهم جميعًا وأبادتهم، وقيل: إنها صيحة أمر الله بها، والله أعلم بمن صاحبها وكيف كانت فأهلكتهم جميعًا فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم هلكى وصرعى بدورهم وأفنيتهم، كأنهم لم يعيشوا في هذه الديار من قبل، ألا هلاكًا وخسارًا لهذه الأمة الظالمة، هلاكًا وخسارًا وبُعدًا عن الخير كما أُهلكت وخسرت قبيلة ثمود.

سلمنا الله وأهل الإيمان من الشرور والآثام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم، أعزّزتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظِّمونه حق عظَمته؟

يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل: «نَبَذ حاجته وراء ظهره»، أي: تركها لا يلتفت إليها. و إذا قضاها قيل: «جعلها أمامه، ونُصْب عينيه »، ويقال:

«ظَهَرتَ بحاجتي » و«جعلتها ظِهْرِيَّة»، أي: خلف ظهرك، كما قال الشاعر:

وَجَدْنَا بَنِي البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ

بمعنى: أنهم يَظْهَرون بحوائجِ النّاس فلا يلتفتون إليها.

وقال آخرون: معنى ذلك: واتخذتم ما جاء به شعيبٌ وراءكم ظهريًّا، فالهاء في قوله: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾، على هذا من ذكر ما جاء به شعيب.

قال الطبري: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لقرب قوله: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾، من قوله: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، فكانت الهاء في قوله: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾، بأن تكون من ذكر الله، لقرب جوارها منه، أشبهَ وأولى.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾، يقول: إن ربي محيط علمه بعملكم، فلا يخفى عليه منه شيء، وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا.

ويقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، يقول: على تمكنكم.

يقال منه: «الرجل يعمل على مَكينته، ومَكِنته»، أي: على اتئاده، ، «ومَكُن الرجل يمكُنُ مَكْنًا ومَكانةً ومَكانًا».

وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، على منازلكم.

قال أبو جعفر: فمعنى الكلام إذًا: ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذي تعملونه، ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على تؤدةٍ من العمل الذي أعمله، ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، أينا الجاني على نفسه، والمخطئ عليها، والمصيب في فعله المحسنُ إلى نفسه.

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل نبيّه شعيب لقومه: الذي يأتيه منّا

ومنكم، أيها القوم ، ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يقول: يذله ويهينه ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، يقول: ويُخزي أيضًا الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم ، ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾، أي: انتظروا وتفقدوا من الرقبة.

يقال منه: «رقبت فلانًا أرْقُبه رِقْبَةً».

وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، يقول: إني أيضًا ذو رقبة لذلك العذاب معكم، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم؟

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما جاء قضاؤنا في قوم شعيب، بعذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ رسولنا، والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب، من عذابنا الذي بعثنا على قومه ، ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، له ولمن آمن به وأتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخمدتهم، فأهلكتهم بكفرهم بربهم. وقيل: إن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، صاح بهم صَيحةً أخرجت أرواحهم من أجسامهم ، ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾، على ركبهم، وصرعى بأفنيتهم.

وقال:

يقول تعالى ذكره: كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه، حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك. ولم يغنوا.

من قولهم: «غنيت بمكان كذا»، إذا أقمت به، ومنه قول النابغة:

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لِي جِيرَةٌ ... مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وتَوَدُّدِ

وقوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾، يقول تعالى ذكره: ألا أبعد الله

مدين من رحمته، بإحلال نقمته بهم ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾، يقول: «كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته، بإنزال سخطه بهم».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما يئس نبيّ الله شعيب من استجابة قومه له، قال: يا قوم، ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعيد شديد، ﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ﴾ على طريقتي ومنهجي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: في الدار الآخرة، ﴿وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ﴾ أي: مني ومنكم، ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ أي: انتظروا ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم قومه، ﴿ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ وقوله: ﴿جَـٰثِمِينَ﴾ أي: هامدين لا حِرَاك بهم. وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقَمُ كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ [الأعراف:٨٨]، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧]، قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء:١٨٩]، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، ولله الحمد والمنة كثيرًا دائمًا.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ أي: يعيشوا في دارهم قبل ذلك، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ وكانوا جيرانهم قريبًا منهم في الدار، وشبيهًا بهم في الكفر

وقَطْع الطريق، وكانوا عرَبا شبههم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عُذّب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم، حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حرٌّ شديد، فبعث الله الظُّلَّةَ، فتنادَوا: هلم إلى الظل؛ فدخلوا جميعًا في الظُّلَّة، فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذَّب أمتان قط بعذاب واحد، إلا قوم شعيب وصالح، فأما قوم صالح، فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب، فأخذتهم من فوقهم، نشأت لهم سحابة كهيئة الظُّلَّة فيها ريح بعد أن امتنعت الريح عنهم، فَأَتَوْها يستظلُّون تحتها فأحرقتهم.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ مَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي: كما هلكت ثمود.

وقال السعدي في تفسيره:

﴿ قَالَ ﴾ لهم مترققا لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم من الله.

﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ أي: نبذتم أمر الله، وراء ظهوركم، ولم تبالوا به، ولا خفتم منه.

﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسيجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء.

﴿ و ﴾ لما أعيوه وعجز عنهم قال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: على حالتكم ودينكم.

﴿ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب.

(٥٩٣) أحمر
أسود

﴿ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ ﴾ ما يحل بي ﴿ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴾ ما يحل بكم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بإهلاك قوم شعيب ﴿ نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ لا تسمع لهم صوتا، ولا ترى منهم حركة.

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ ﴾ أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها حين أتاهم العذاب.

﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ ﴾ إذ أهلكها الله وأخزاها ﴿ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴾ أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك.

وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه.

❁ ❁ ❁

بعض الفوائد المأخوذة من قصة شعيب عليه السلام

س: اذكر بعض الفوائد المأخوذة من قصة شعيب عليه السلام مع قومه؟

ج: من ذلك ما يلي:

أولًا: ديننا ينظم لنا كل شؤوننا، فليس ديننا بمقتصر على الصلاة والصيام فحسب بل ينظم لنا المعاملات كذلك، كما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ﴾.

وكذا سائر شؤون الحياة نأتمر فيها بأمر الله عز وجل وننتهي عما نهانا عنه، في الاقتصاد عمومًا، وفي السياسة، وفي الحدود، والمعاملات، والآداب، والمعتقدات، والأخلاق وغير ذلك.

ثانيًا: أن المعاصي سبب لزوال النعم فإن العقوبة حلت بأهل مدين لما كذَّبوا رسولهم وعاندوه.

ثالثًا: أن الله عز وجل قد يحفظ بعض أوليائه بسبب بعض الكفار قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام ولوا رهطك لرجمناك....

رابعًا: أن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبدء بنفسه وأن المرء لا يخالف قوله فعله، ولا فعله قوله.

خامسًا: أننا ومع إرادتنا الإصلاح لابد من سؤال الله التوفيق، فكم من مريدٍ للإصلاح وساعٍ فيه لكن يغفل عن سؤال الله التوفيق فلا يوفق.

وثمَّ فوائد أُخر أوردها عددٌ من العلماء.

قال السعدي رحمه الله:

وفي قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير:

منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، فكذلك

بشرائعه وفروعه، لأن شعيبا دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد، مرتبا على مجموع ذلك.

ومنها: أن نقص المكاييل والموازين، من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة، على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكاييل والموازين، موجبة للوعيد، فسرقتهم - على وجه القهر والغلبة - من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سببا لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

ومنها: أن ذلك، من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به، على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم.

ومنها: أن الصلاة، لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها، تختل أحواله الدينية.

ومنها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان - وإن كان الله قد خوله إياه - فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما

يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون، سواء وافق حكم الله، أو خالفه.

ومنها: أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢-٣].

ومنها: أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة

وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية

ومنها: أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه.

ومنها: أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين بل لا يزال مستعينا بربه متوكلا عليه سائلا له التوفيق وإذا حصل له شيء من التوفيق فلينسبه لموليه ومسديه ولا يعجب بنفسه لقوله ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨ ﴾ [هود: ٨٨].

ومنها: الترهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر.

كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

(٥٩٧) أحمر
أسود

ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويوده ولا عبرة بقول من يقول «إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو وأما عود الود والحب فإنه لا يعود» فإن الله قال ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾.

ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئا منها وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم أو أهل وطنهم الكفار كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها بل ربما تعين ذلك لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية وتحرص على إبادتها وجعلهم عمَلَةً وخَدَمًا لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام فهو المتعين ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ
أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ
ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ
عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ
إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ
﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ
مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن
قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [هود: ٩٦-١٠٩].

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِـَٔايَٰتِنَا - وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ - وَمَلَإِيْهِۦ - بِرَشِيدٖ - يَقۡدُمُ - ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ - وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ - لَعۡنَةٗ - ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ - أَنۢبَآءِ - قَآئِمٞ - وَحَصِيدٞ - أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ - تَتۡبِيبٖ - أَخۡذُ رَبِّكَ - أَخۡذَهُۥٓ - مَّشۡهُودٞ - لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ - لَا تَكَلَّمُ - شَقِيّٞ - وَسَعِيدٞ - زَفِيرٞ - وَشَهِيقٌ - عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ - مِرۡيَةٖ - مَنقُوصٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَا)	بحججنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا على صدقه في أنه رسول من عند الله (قيل: إنه التوراة، وقيل: سائر المعجزات كالعصا واليد وغير ذلك).
(وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ)	حجةٌ مظهرةٌ أنه رسول من عند الله.
(وَمَلَإِيْهِۦ)	سادات قومه وأشرافهم.
(بِرَشِيدٖ)	بموفقٍ ولا سديد.
(يَقۡدُمُ)	يتقدم..
(ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ)	المدخل المدخول – المكان المدخول.
(وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ)	ألحقوا في الدنيا بعد مماتهم.
(لَعۡنَةٗ)	دعاءً عليهم بالطرد من رحمة الله.
(بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ)	بئست العطية المُعطاة وبئس الإكرام الذي يُكرمون به.
(أَنۢبَآءِ)	أخبار.

(قَآئِمٌ)	بنيانه موجود وقائم لكنه غير مسكون، أو موجود وقائم لكن يسكنه غير أهله.
(وَحَصِيدٌ)	محصود مُدمر متهدم.
(أَغْنَتْ عَنْهُمْ)	دفعت عنهم.
(تَتْبِيبٍ)	تخسير – هلاك.
(أَخْذُ رَبِّكَ)	عقاب ربك – انتقام ربك – إهلاك ربك للقرى.
(أَخَذَهُۥٓ)	عقابه – انتقامه.
(مَّشْهُودٌ)	محضور مرئيٌّ.
﴿لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ)	لوقت حدده الله.
﴿لَا تَكَلَّمُ ﴾	لا تتكلم
﴿شَقِيٌّ ﴾	كافر – مسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي.
﴿وَسَعِيدٌ ﴾	مؤمن – عامل بالطاعات وعامل للصالحات.
﴿زَفِيرٌ ﴾	الهواء الخارج من الأنف والفم بشدة.
﴿وَشَهِيقٌ ﴾	الهواء الداخل إلى الجوف عن طريق الأنف أو الفم.
﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾	عطاء غير مقطوع.
﴿مِرْيَةٍ ﴾	شك.
﴿مَنقُوصٍ ﴾	منجوس – ناقص.

❁ ❁ ❁

(٦٠١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد أرسلنا نبينا وكليمنا موسى عليه السلام بما أيدناه به من التوراة وسائر المعجزات كالعصا واليد وبحجج مبينة أنه رسول من عندنا، أرسلناه بذلك إلى فرعون وسادات قومه وكبراءهم فما استجابوا لموسى عليه السلام بل اتبعوا خطوات فرعون ذلك المتكبر المتجبر، وانساقوا خلفه فيما يدعوهم إليه من الضلال والكفر، وما أمر فرعون بموفق ولا سديدٍ ولا مرشدٍ إلى خير، فكان عاقبة تكذيبه وعاقبة اتباع قومه له أنه (أي: فرعون لعنه الله) يتقدم قومه يوم القيامة، ويقودهم، ولكن يقودهم إلى ماذا؟ يقودهم إلى الجحيم والعياذ بالله، وهو يتعبونه على ذلك فأدخلهم النار وبئس المدخل المدخول، ولم يقف أمرهم على ذلك بل من جاء من بعدهم في الدنيا يلعنهم ويدعي عليهم بالطرد من رحمة الله، فبئست العطية التي يُعطونها بعد موتهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا، وحجةً تُبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيحٍ. أنها تدل على توحيد الله، وكذب كل من ادّعى الربوبية دونه، وبُطُول قول من أشرك معه في الألوهية غيره، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾، يعني إلى أشراف جنده وتُبَّاعه، ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، يقول: فكذب فرعون وملأه موسى، وجحدوا وحدانية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملأ فرعون أمرَ فرعون دون أمر الله، وأطاعوه في تكذيب موسى، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه، يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ يعني: أنه لا يُرشد أمر فرعون من قَبِله منه، في تكذيب

موسى، إلى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل يورده نار جهنم.

ويقول تعالى ذكره: ﴿يَقْدُمُ﴾، فرعون، ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يقودهم، فيمضي بهم إلى النار، حتى يوردهموها، ويصليهم سعيرها، ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾، يقول: وبئس الورد الذي يردونه.

ويقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه -يعني في هذه الدنيا - مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنتَه، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يقول: وفي يوم القيامة أيضًا يلعنون لعنةً أخرى.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ بين أنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجة، وإزاحة كل علة ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أي بالتوراة. وقيل: بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ أي حجة بينة؛ يعني العصا. وقد مضى في «آل عمران» معنى السلطان واشتقاقه فلا معنى للإعادة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي شأنه وحاله، حتى اتخذوه إلها، وخالفوا أمر الله تعالى. ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ أي بسديد يؤدي إلى صواب: وقيل: ﴿بِرَشِيدٍ﴾ أي بمرشد إلى خير.

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني أنه يتقدمهم إلى النار إذ هو رئيسهم. يقال: قدمهم يقدمهم قدما وقدوما إذا تقدمهم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي أدخلهم فيها. ذكر بلفظ الماضي؛ والمعنى فيوردهم النار؛ وما تحقق وجوده فكأنه كائن؛ فلهذا يعبر عن المستقبل بالماضي. ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي بئس المدخل المدخول؛ ولم يقل بئست لأن الكلام يرجع إلى المورود، وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك. والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد؛ وهو بمعنى المفعول.

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي ولعنة

يوم القيامة ؛ وقد تقدم هذا المعنى. ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ حكى الكسائي وأبو عبيدة: رفدته أرفده رفدا ؛ أي أعنته وأعطيته. واسم العطية الرفد ؛ أي بئس العطاء والإعانة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن إرسال موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بآياته وبيناته، وحججه ودلائله الباهرة القاطعة إلى فرعون لعنه الله، وهو ملك ديار مصر على أمة القبط، ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ﴾ أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي والضلال، ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد، وكما أنهم اتبعوه في الدنيا، وكان مُقَدمهم ورئيسهم، كذلك هو يُقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم، فأوردهم إياها، وشربوا من حياض رَدَاها، وله في ذلك الحظ الأوفر، من العذاب الأكبر، كما قال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ [المزمل:١٦]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾ [النازعات:٢١ -٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ وكذلك شأن المتبوعين يكونون مُوفرين في العذاب يوم المعاد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالى إخبارًا عن الكَفَرة أنهم يقولون في النار: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

ثم قال:

وقوله: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ أي: أتبعناهم زيادة على ما جازيناهم من عذاب النار لعنة في هذه الحياة الدنيا،

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

ثم قال: وهذه كقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص:٤١، ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ بن عمران ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على صدق ما جاء به، كالعصا، واليد ونحوهما، من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة بينة، ظهرت ظهور الشمس.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: أشراف قومه لأنهم المتبوعون، وغيرهم تبع لهم، فلم ينقادوا لما مع موسى من الآيات، التي أراهم إياها، كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، ولكنهم ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بل هو ضال غاو، لا يأمر إلا بما هو ضرر محض، لا جرم - لما اتبعه قومه - أرداهم وأهلكهم.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي في الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ أي يلعنهم الله وملائكته والناس أجمعون في الدنيا والآخرة

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ أي بئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله ولعنة الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: هذا الذي أخبرناك به يا رسول الله من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها وأبدناهم ودمرناهم وأخذناهم بالعذاب، منها قرى منازلها ما زالت قائمة وأُبيد أهلها وأهلكهم الله وسكنها آخرون، أو هي أيضًا قائمة ولكنها خربة لم يسكنها أحدٌ، ومنها قرى أخرى حصدناها ودمرناها فهي متهدمةٌ ساقطةٌ أو ممحوٌ أثرها، وما ظلمناهم بما صنعناه فيهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ، وعبادتهم آلهةً أخرى مع الله فما دفعت عنهم تلك الآلهة شيئًا أراده الله بهم، وما نصرتهم من الله ولا خففت عنهم من عذابه، ولم ينتفعوا بها أي: انتفاع حينما نزل عليهم من الله العذاب، كما أنها لم تنفعهم قط في دنياهم بشيءٍ ولم تغن عنهم شيئًا فكذا لم تغن عنهم عند حلول عذاب الله بهم في الدنيا من شيء، ولن تغني عنهم يوم القيامة شيئًا بل تتبرأ منهم وتلعنهم، وما زادتهم عبادتهم لها إلا تتبيبًا إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا وضياعًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لكَ في هذه السورة،، والنبأ الذي أنبأناكه فيها، من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله ، ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾ فنخبرك به ، ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾، يقول: منها قائم بنيانه، بائدٌ أهله هالك، ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيدٌ بنيانه، خرابٌ متداعٍ، قد تعفى أثرُه دارسٌ.

من قولهم: «زرع حصيد»، إذا كان قد استؤصل قطعه، وإنما هو محصود،

ولكنه صرف إلى «فعيل»، كما قد بينا في نظائره.

ويقول تعالى ذكره: وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصَصنا نبأها عليك، يا محمد، بغير استحقاق منهم عقوبتنا، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا هُمْ في غير موضعها، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾، يقول: ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به، عقوبتَه وعذابه، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾، يقول: فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله، ويدعونها أربابًا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربُّهم من شيء، ولا ردَّت عنهم شيئًا منه، ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾، يا محمد، يقول: لما جاء قضاء ربك بعذابهم، فحقّ عليهم عقابه، ونزل بهم سَخَطه، ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾، يقول: وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسيرٍ وتدميرٍ وإهلاك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى خبر هؤلاء الأنبياء، وما جرى لهم مع أممهم، وكيف أهلك الكافرين ونَجّى المؤمنين قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: من أخبارها ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾ أي: عامر، ﴿وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾ أي: هالك دائر، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ أي: إذ أهلكناهم، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ أي: بتكذيبهم رَسلنا وكفرهم بهم، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي: أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ أي: ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم، ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾.

قال مجاهد، وقتادة، وغيرهما: أي غير تخسير، وذلك أن سبب هلاكهم ودَمَارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها فبهذا أصابهم ما

أصابهم، وخسروا بهم، في الدنيا والآخرة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ ﴾ لتنذر به ويكون آية على رسالتك وموعظة وذكرى للمؤمنين.

﴿ مِنۡهَا قَآئِمٞ ﴾ لم يتلف بل بقي من آثار ديارهم ما يدل عليهم ﴿ وَ ﴾ منها ﴿ وَحَصِيدٞ ١٠٠ ﴾ قد تهدمت مساكنهم واضمحلت منازلهم فلم يبق لها أثر.

﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ﴾ بأخذهم بأنواع العقوبات ﴿ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ ﴾ بالشرك والكفر والعناد.

﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ ﴾ وهكذا كل من التجأ إلى غير الله لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد.

﴿ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ أي خسار ودمار بالضد مما خطر ببالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وكذلك الانتقام الذي انتقمنا من الأمم المتقدمة الذين قدمنا ذكرهم وما أحللناه بهم من العقوبة، بمثل هذا الانتقام ننتقم من القرى الظالمة عمومًا، إن انتقام الله عَزَّ وَجَلَّ وأخذه للقرى الظالمة أليمٌ، مؤلمٌ

شديد الألم وشديد الأخذ والانتقام، إن في ذلك الانتقام من المكذبين لدلالة على قدرتنا ودلالة على وحدانيتنا، ودلالة على انتقامنا من المكذبين بنا لكن لا يعقل هذه الدلالات إلا من خاف عذاب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس من الأولين والآخرين للمجازاة ولإعطاء كل ذي حق حقَّه، وذلك يوم مشهود يشهده الله ﷻ وتشهده الملائكة الكرام، ويشهده المؤمن والكافر وجميع المخلوقين، وهو آتٍ لا محالة وواقع لا مرد له، ولكن يؤخر لأجل حدَّده الله ﷻ ووقَّته، وحدَّد له موعدًا ويوم يأت هذا اليوم لا تتكلم نفسٌ إلا إذا أذن الله لها بالكلام، وعنده وفيه هنالك من العباد من هو شقي، وهنالك منهم من هو سعيد ثم بيَّن الله ﷻ مصائر هؤلاء وأولئك فقال: فاما الذين شقوا في دنياهم بإسرافهم على أنفسهم وارتكاب ما نهى الله عنه وترك أوامره ﷻ ففي النار لهم فيها زفير، وهو الصوات صوت الهواء الخارج من أنف الإنسان وفمه، وكذا لهم فيها شهيق، وهو الهواء الذي يُتنفس ويدخل الفم والأنف ومن ثمَّ الصدر، وهم في هذا خالدون ما دامت السموات والأرض قائمتين، ولقد قيل إن المراد بالسموات السموات يوم القيامة، وكذا الأرض، فإن الله قال: ﴿﴾، أما قوله: ﴿﴾ فإذا نزلناه على أهل الكفر فقد بيَّن الله ﷻ في مواطن أُخر أنهم لا يخرجون من النار ولا يموتون فيها ولا يحيون.

أما أهل الإيمان والتوحيد الذي أسرفوا على أنفسهم فإن يدخلون النار زمنًا ثم يخرجون منها.

وقوله تعالى: ﴿﴾ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

أما الذين سُعدوا في الدنيا وعملوا بأعمال أهل السعادة فيها فإنهم يوم القيامة في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض قائمتان، والمراد بالسموات والأرض، تلك التي عناها الله بقوله: ﴿﴾ فإنها السموات الجديدة

والأرض الجديدة.

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ وقد أخبر الله أنه شاء أن يخلَّدوا فيها ولا يخرجون منها، وعطاؤه لهم فيها غير منقطع بل متواصل كما قال: ﴿ ﴾.

ثم ينهى الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ عن التشكك في بطلان ما عليه هؤلاء الكفار من عبادة الأصنام والأوثان فيقول تعالى: ﴿ ﴾ المشركون الوثنيون فإنهم لايعبدون إلهًا كما كان آباؤهم يعبدون من قبل وإنا لموفوهم جزاءهم غير منقوص، قيل: المراد أرزاقهم في الدنيا، وقيل: جزاؤهم الأخروي. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهلَ هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتُهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرَى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله ، ﴿إنَّ أخذه أليم﴾، يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه ، ﴿أليم﴾، يقول: موجع ، ﴿شديد﴾ الإيجاع.

وهذا من الله تحذيرٌ لهذه الأمة، أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حلَّ بهم من المثُلات.

وأورد حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يُمْلي - ورُبَّما، قال: يمهل - الظالمَ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتُه**». ثم قرأ:﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ

ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرَها عليكم أيها الناس لآية، يقول: لعبرة وعظة، لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجةً عليه لربه، وزاجرًا يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه.

وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، بأن الله سيفي له بوَعْده.

وأورد بإسناد صحيح ابن زيد في قوله:﴿إن في ذلك لآيه لمن خاف عذاب الآخرة﴾، إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة، كما وفينا للأنبياء: أنا ننصرهم.

قال الطبري:

وقوله:﴿ذلك يوم مجموع له الناس ﴾، يقول تعالى ذكره: هذا اليوم ، يعني يوم القيامة ، ﴿يوم مجموع له الناس﴾، يقول: يحشر الله له الناس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، ﴿وذلك يوم مشهود﴾، يقول: وهو يوم تَشهده الخلائق، لا يتخلَّف منهم أحدٌ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذَّب رُسُلَه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وما نؤخّر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلا لأن يُقْضَى، فقضى له أجلا فعدّه وأحصَاه، فلا يأتي إلا لأجله ذلك، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر.

ويقول تعالى ذكره: يوم يأتي يوم القيامة، أيها الناس، وتقوم الساعة، لا تكلم نفس إلا بإذن رَبّها.

وقيل:﴿لا تكلم﴾، وإنما هي «لا تتكلم»، فحذف إحدى التاءين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها.

وقوله:﴿فمنهم شقيّ وسعيد﴾، يقول: فمن هذه النفوس التي لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها، شقيٌّ وسعيد ، وعاد على «النفس»، وهي في اللفظ واحدة، بذكر الجميع في قوله:﴿فمنهم شقي وسعيد﴾.

يقول تعالى ذكره:﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير﴾ ، وهو أوّل نُهاق الحمار وشبهه ، ﴿وشهيق﴾، وهو آخر نهيقه إذا ردده في الجوف عند فراغه من نُهاقه.

وقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾، يعني تعالى ذكره بقوله:﴿خالدين فيها﴾، لابثين فيها ، ويعني بقوله:﴿ما دامت السموات والأرض﴾، أبدًا.

وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، بمعنى أنه دائم أبدًا، وكذلك يقولون: «هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار». و«ما سمر ابنا سَمِير»، و«ما لألأت العُفْرُ بأذنابها » يعنون بذلك كله «أبدا». فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال:﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾، والمعنى في ذلك: خالدين فيها أبدًا.

ثم قال:﴿إلا ما شاء ربك﴾، واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: هذا استثناءٌ استثناه الله في بأهل التوحيد، أنه يخرجهم من النار إذا شاء، بعد أن أدخلهم النار.

وأورد بإسنادٍ يصحح عن قتادة: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، والله أعلم بثَنيَّته. ذكر لنا أن ناسًا يصيبهم سَفْعٌ من

النار بذنوب أصابتهم، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: «الجهنَّميُّون».

وقال آخرون: الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله:﴿إلا ما شاء ربك﴾، إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار. ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله:﴿فأما الذين شقوا ففي النار﴾ ، ﴿إلا ما شاء ربك﴾، لا من «الخلود».

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار وكلَّ من دخلها.

وقال آخرون: أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرَّفنا معنى ثُنْياه بقوله:﴿عطاء غير مجذوذ﴾، أنها في الزيادة على مقدار مدَّة السموات والأرض.قال: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار. وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، فقرأ حتى بلغ:﴿عطاء غير مجذوذ﴾، قال: وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال:﴿عطاء غير مجذوذ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القولُ الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبدًا إلا ما شاءَ من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة، كما قد بينا في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ،

فغير جائز أن يكون استثناءً في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوبٍ أصابوها النارَ، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دُخُولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا ، وأنّا إن جعلناه استثناء في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: «**لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن**»، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القُدْوة من أهل العلم إلا الثالث.

وقوله: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك، يا محمد، لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره، من الانتقام منه، ولكنه يفعل ما يشاء فعلَه، فيمضي فيهم وفيمن شاء من خلقه فعلُه وقضاؤهُ.

...ثم قال:

وأما الذين سعدوا برحمة الله، فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، يقول: أبدًا ، ﴿إلا ما شاء ربك﴾.

فاختلف أهل التاويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: ﴿إلا ما شاء ربك ﴾، من قدر ما مكثوا في النار قبل دخُولهم الجنة. قالوا: وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة.

وقال آخرون: معنى ذلك:﴿إلا ما شاء ربك ﴾، من الزيادة على قدر مُدّة دوام السموات والأرض، قالوا: وذلك هو الخلود فيها أبدًا.

واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع.

فقال بعضهم في ذلك معنيان:

أحدهما: أن تجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعله، كقولك: «والله لأضربنَّك إلا

أن أرى غير ذلك»، وعزمُك على ضربه. قال: فكذلك قال:﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، ولا يشاؤه، وهو أعلم.

قال: والقول الآخر: أنّ العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى «إلا » ومعنى «الواو» سواء. فمن كان قوله:﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ ، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود، فيجعل «إلا» مكان «سوى» فيصلح، وكأنه قال: «خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد». ومثله في الكلام أن تقول: لي عليك ألف إلا ألفين اللذين مِنْ قِبَل فلان»، أفلا ترى أنه في المعنى: لي عليك ألفٌ سِوَى الألفين] ؟ قال: وهذا أحبُّ الوجهين إليّ، لأنّ الله لا خُلْفَ لوعده. وقد وصل الاستثناء بقوله:﴿عطاء غير مجذوذ﴾، فدلَّ على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود غير منقطعٍ عنهم.

وقال آخر منهم بنحو هذا القول. وقالوا: جائز فيه وجه ثالثٌ: وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ، إلى أن يصيُروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد. يقول: فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرْزَخ.

وقال آخر منهم: جائز أن يكون دوام السموات والأرض، بمعنى: الأبد، على ما تعرف العرب وتستعمل، وتستثنى المشيئة من داومها، لأنَّ أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقاتِ دوام السموات والأرض في الدنيا، لا في الجنة، فكأنه قال: خالدين في الجنة، وخالدين في النار، دوامَ السماء، والأرض، إلا ما شاء ربُّك من تعميرهم في الدنيا قبلَ ذلك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القولُ الذي ذكرته عن الضحاك، وهو﴿وأما الذين سعدوا ففي ا لجنة خالدين فيها ما دامت

السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، من قدر مُكْثِهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالةٌ تدلُّ على خلاف ذلك. ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله:﴿إلا ما شاء ربك﴾، تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيُوَجَّه إليه.

وأما قوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، فإنه يعني: عطاءً من الله غيرَ مقطوع عنهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تَك في شك، يا محمد، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام، أنه ضلالٌ وباطلٌ، وأنه بالله شركٌ، ﴿ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾، يقول: إلا كعبادة آبائهم، من قبل عبادتهم لها. يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدُوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعًا منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبيَّنوها توجب عليهم عبادتها.

ثم أخبر جل ثناؤه نبيَّه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك، فقال جل ثناؤه:﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾، يعني: حظهم مما وعدتهم أن أوفّيهموه من خير أو شر، ﴿غير منقوص﴾، يقول: لا أنقصهم مما وعدتهم، بل أتمّم ذلك لهم على التمام والكمال.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

يقول تعالى: إن في إهلاكنا الكافرين، ونصرة الأنبياء، وإنجائنا المؤمنين ﴿لآية﴾ أي: عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الدار الآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٣، ١٤]. الآية. وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ أي أولهم وآخرهم كقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٧].

﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها.

وقوله ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي ما نؤخر إقامة القيامة إلا لأنه قد سبقت كلمة الله في وجود أناسٍ معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة ولهذا قال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ أي لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينتقص منها ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله كقوله: ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ الآية. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة

«ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»[(١)] وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد كما قال ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

وقال ابن كثير أيضًا:

ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض: الجنس؛ لأنه لا بدّ في عالم الآخرة من سموات وأرض، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨]؛ ولهذا قال الحسن البصري في قوله: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ قال: تبدل سماء غير هذه السماء، وأرض غير هذه الأرض، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قوله: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ قال: لكل جنة سماء وأرض.

وأورد ابن كثير اختيار الطبري في الاستثناء أن الاستثناء عائد على العُصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله.

ثم قال ابن كثير:

وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة.

ويقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ وهم أتباع الرسل، ﴿ فَفِي الْجَنَّةِ ﴾

(١) صحيح: وقد تقدم في البقرة.

أي: فمأواهم الجنة، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين مقيمين فيها أبدا، ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ معنى الاستثناء هاهنا: أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمرا واجبا بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائمًا، ولهذا «**يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفس**».

وقال الضحاك، والحسن البصري: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار، ثم أخرجوا منها. وعقب ذلك بقوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير مقطوع -قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية وغير واحد، لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعًا، أو لبسا، أو شيئًا بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع. كما بين هنا أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئته، وأنه بعَدْله وحكمته عذبهم؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧] كَمَا قَالَ ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وهنا طيب القلوب وثَبَّت المقصود بقوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾.

وقد جاء في الصحيحين[١]: «**يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة، خُلُود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت**».

وفي الصحيحين[٢] أيضا: «**فيقال يا أهل الجنة، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهْرَموا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبَأسوا أبدا**».

وقال ابن كثير:

---

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢).

يقول تعالى: ﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾ المشركون، إنه باطل وجَهل وضلال، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل، أي: ليس لهم مُستَنَد فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات، وسيجزيهم الله على ذلك أتم الجزاء فيعذب كافرهم عذابًا لا يعذبه أحدا من العالمين، وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح وجه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿﴾ فيما يخص أهل الكفر وأهل الإيمان؟

ج: أولًا: وبين يدي بيان وجه الاستثناء أقول، وبالله التوفيق:

هنالك أمور يجب تذكرها، وفي ضوئها تفسر الآية والله المستعان.

أولًا: تواردت النصوص التي تُفيد أن أهل الكفر لن يخرجوا من النار بحالٍ من الأحوال.

ثانيًا: تواردت النصوص التي تفيد أن أهل التوحيد الذين دخلوا النار لكونهم أسرفوا على أنفسهم في الدنيا سيخرجون من النار، وإن تفاوتت مدة إقامتهم فيها.

ثالثًا: ليُعلم، وبل شك ولا تردد، وإنما هي للتذكرة أن القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

فعلى إثر ذلك أقول، وبالله التوفيق.

للعلماء عدة أقوال في تفسير الاستثناء في قوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿﴾ والذي عليه الجمهور في هذا الاستثناء أن هؤلاء المعنيين بقوله: ﴿﴾ إنما هم أهل التوحيد الذي أسرفوا على أنفسهم ودخلوا النار يبقون فيها إلى الوقت الذي يحدده الله ﷻ لهم.

وهناك أقوال أُخر:

منها: أن الاستثناء هنا، قد وضح الله ﷻ إذ الله أخبر في آيات أخر أن أهل الكفر لن يخرجوا من النار كقوله تعالى: ﴿﴾ قال تعالى في آية أخرى: ﴿﴾، وهنالك أقوال أُخر ذكر الطبري بعضها فيما تقدم، وسيأتي لها مزيد بيان إن شاء الله.

أما الاستثناء في شأن أهل الإيمان فقد بُيِّن أن الله ﷻ شاء ألا يخرج أهل الجنة من الجنة، مكا قال: ﴿﴾ ثم هذه بعض الأقوال التي جمعها ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب زاد المسير، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال:

أحدها: أن الاستثناء في حق الموحِّدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك.

والثاني: أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنَّك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: «إلا ما شاء ربك» قال: فقد شاء أن يخلَّدوا فيها. قال الزجاج: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبدًا.

والثالث: أن المعنى: خالدين فيها أبدًا، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود.

والرابع: أن «إلا» بمعنى «سوى» تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في

الكلام أن تقول: لأُسْكِنَنَّك في هذه الدار حولًا إلا ما شئتَ؛ تريد: سوى ما شئتَ أن أزيدك.

والخامس: أنهم إذا حُشروا وبُعثوا، فهم في شروط القيامة؛ فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيَّران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار.

والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيرًا وشهيقًا، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذُكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضًا.

والسابع: أن «إلا» بمعنى «كما» ومنه قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي.

فأما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنه استثناء لا يفعله.

والثاني: أن «إلا» بمعنى «سوى».

والثالث: أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبثهم في القبور.

والرابع: أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدَهم من النعيم الذي لم يُذكر.

والخامس: أن «إلا» كـ«ما»، وهذه الأقوال قد سبق شرحها.

والسادس: أن الاستثناء يرجع إِلى لبث من لبث في النار من الموحِّدين، ثم أُدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة: فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إِلا ما شاء ربك من إِخراج المذنبين إِلى الجنة، وخالدين في الجنة إِلا ما شاء ربك من إِدخال المذنبين النارَ مدَّةً.

❁ ❁ ❁

(٦٢٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا
يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ
ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي
ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ
مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ
١١٧ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ
رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ
١١٩ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ
وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ
١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ
كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾.

[الجن: ١٨-٢٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

(ٱلْكِتَٰبَ - كَلِمَةٌ - سَبَقَتْ - لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ - مُرِيبٍ - وَلَا تَطْغَوْا - وَلَا تَرْكَنُوٓا - أَوْلِيَآءَ - طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ - وَزُلَفًا - ٱلْحَسَنَٰتِ - ٱلسَّيِّـَٔاتِ - ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ - فَلَوْلَا - أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ - مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ - بِظُلْمٍ - وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ - أَنۢبَآءِ - فُؤَادَكَ - وَمَوْعِظَةٌ - ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْكِتَٰبَ)	التوراة.
(كَلِمَةٌ سَبَقَتْ)	كلمة تكلَّم الله بها وقضاها وكتبها قبل الخلق.
(لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ)	لحكم بينهم ﴿لحكم على الكافر بالهلاك وأهلكه وللصالح بالفلاح وأكرمه).
(مُرِيبٍ)	مُحيِّر – مُشكك.
(وَلَا تَطْغَوْا)	لا تتجاوزا الحد، لا تتعدوا فتحرموا ما أحلَّه الله لكم، ولا تنتهكوا حرمات الله – ولا تظلموا العباد.
(وَلَا تَرْكَنُوٓا)	ولا تميلوا – ولا تداهنوا – ولا ترضوا بأعالهم.
(طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ)	الطرف الأول: هو الصبح، والطرف الثاني اختلف في تعينه، فقيل: العصر، وقيل: المغرب.
(وَزُلَفًا)	ساعات من الليل، وقيل: ساعات الليل الأولى القريبة من النهار، وقيل: صلاة العشاء.
(ٱلْحَسَنَٰتِ)	الصلوات الخمس، وصلاة النافلة أيضًا، وقيل: عموم الأعمال الصالحة.

(٦٢٥) أحمر
أسود

(ٱلسَّيِّـَٔاتِ)	الأعمال السيئة المحرمة.
(ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ)	عِظةٌ للمتعظين.
(فَلَوۡلَا)	فهلَّا.
(أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ)	أهل فهم وعقل وعلم ﴿يعقلون عن الله﴾.
(مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ)	الترف والمال والمعيشة الرغدة التي هم فيها.
(بِظُلۡمٖ)	بشرك، وقيل: بظلم منه لعباده.
(وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ)	مضت كلمة الله وتحققت فيهم مقادير الله.
(أَنۢبَآءِ)	أخبار.
(فُؤَادَكَ)	قلبك.
(وَمَوۡعِظَةٞ)	تذكرة.
(ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ)	اعملوا على طريقتكم ومنهجكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: ولقد أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام فاختلف قومه في شأنها فمنهم من آمن بها وصدَّق، وصدَّق أيضًا بنبوة موسى عليه السلام، ومنهم من كفر بها وكذب وجحدها وجحد نبوة موسى عليه السلام، ولولا أن الله عز وجل جعل لكل أجل كتاب، وقدَّر ذلك في اللوح المحفوظ وتكلَّم به لقضيبين هؤلاء فيما هم فيه يختلفون، ولحُكم على المكذبين بالهلاك والدمار والعقاب عاجلًا ولكن لكون الله عز وجل قضى أنه سيهلكوا في زمن معين، فلذلك أُخروا وأُجِّلوا، وإن هؤلاء المكذبين لفي شكٍّ من كون التوراة من عند الله شكٍّ مُحير، فلا يزالون من أمرها مرتابين فكما كذبك قومك يا رسول الله، فقد كذَّب قومُ موسى موسى عليه السلام، فاصبر يا رسول الله كما صبر نبي الله موسى عليه السلام، فكل هؤلاء المكذبين سيوفيهم ربهم عز وجل جزاء أعمالهم، وهو سبحانه وتعالى خبير بها لا يخفى عليه شيء منها.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره، مسليًا نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله، بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله. يقول له تعالى ذكره: ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربُّك من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من ردِّ ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضُربائهم من الأمم قبلهم وسنَّةٌ من سُنتهم.

ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: ﴿ولقد آتينا موسى

الكتاب﴾، يعني: التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قومُ موسى، فكذّب به بعضُهم وصدّق به بعضهم، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به، وتكذيب بعض ، ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾، يقول تعالى ذكره: ولولا كلمة سبقت، يا محمد، من ربك بأنه لا يعجل على خلقه العذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ، ﴿لقضي بينهم﴾، يقول: لقضي بين المكذب منهم به والمصدِّق، بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجائه المصدق به ، ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾، يقول: وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله ، ﴿مريب﴾، يقول: يريبهم، فلا يدرون أحقٌّ هو أم باطلٌ؟ ولكنهم فيه ممترون.

وقال بعد أن أورد بعض القراءات في الآية الكريمة: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا ﴾:

وأصح هذه القراءات مخرجًا على كلام العرب المستفيض فيهم، قراءة من قرأ: «وَإِنَّ» بتشديد نونها، «كُلا لَمَا» بتخفيف «ما»﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ ﴾، بمعنى: وإن كل هؤلاء الذين قصَصنا عليك، يا محمد، قصصهم في هذه السورة، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم، بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب ، فتكون «ما» بمعنى «مَن» واللام التي فيها جوابًا لـ«إنّ»، واللام في قوله:﴿ليوفيننم﴾، لام قسم.

وقوله: ﴿إنه بما يعملون خبير﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد، «خبير»، لا يخفى عليه شيء من عملهم، بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب، فاختلف الناس فيه، فمن مؤمن به،

ومن كافر به، فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة، فلا يغيظنك تكذيبهم لك، ولا يهيدنَّك ذلك.

﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ قال ابن جرير: لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم، لقضى الله بينهم.

ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة، أنه لا يعذب أحدا إلا بعدم قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ [الإسراء:١٥] ؛ فإنه قد قال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [طه:١٢٩، ١٣٠]. ثم أخبر أن الكافرين في شك -مما جاءهم به الرسول -قوي، فقال ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾.

ثم أخبرنا تعالى أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم، ويجزيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فقال: ﴿ وَإِنَّ كُلا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها.

وفي هذه الآية قراءات كثيرة، ويرجع معناها إلى هذا الذي ذكرناه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس:٣٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ الكلمة: أن الله ﷻ حكم أن يؤخرهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح ؛ ولولا ذلك لقضى بينهم أجلهم بأن يثيب المؤمن ويعاقب الكافر. قيل: المراد بين المختلفين في كتاب موسى ؛ فإنهم كانوا بين مصدق به ومكذب. وقيل: بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد بتعجيل العقاب، ولكن سبق الحكم بتأخير العقاب

عن هذه الأمة إلى يوم القيامة. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ إن حملت على قوم موسى ؛ أي لفي شك من كتاب موسى فهم في شك من القرآن.

❁ ❁ ❁

س: الآية الكريمة فيها أن الأمور مقدرةٌ وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى: ﴿﴾ فمفاده أن الله قدر المقادير من قبل وكتب الآجال، ولولا ذلك لحلَّ العذاب.

❁ ❁ ❁

أوامر لرسول الله ﷺ والمؤمنين لسلامتهم وحفظهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فالزم يا رسول الله أمر الله ﷻ الذي أمرك به وامتثل هذا الأمر، واجتنب ما نهاك الله عنه، استقم ولا تبالي بانحراف المنحرفين ولا بميل المائلين الزائفين عن الحق، استقم أنت واستقم من آمنوا بك وصدقوك على طريق الحق والصواب ولا تحديوا عنه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾.

أحدها: لا تتجاوزوا حد الاستقامة فلا تسلكوا سبيل الغلاة الذين يحرمون ما أحلَّ الله.

الثاني: لا ترتكبوا ما نهاكم الله عنه.

الثالث: لا تتجبروا على العباد وتظلموهم.

﴿﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿﴾ بصيرٌ بأعمالكم ﷻ.

ولا تميلوا إلى الظلمة والمشركين وتطمئنوا إليهم وتعتدوا عليهم طلبًا لنصرتهم، وطلبًا منهم قضاء حوائجكم، فإنكم إن فعلتم مستكم النار وأصابتكم بلفحها وما لكم من دون الله من أولياء يدفعون عنكم العذاب ولا يمنعونكم من العذاب، وحينئذٍ فلن تسلموا ولن تغنموا في آخرتكم ولا في دنياكم ﴿﴾ أي: وصل لله ﷻ طرفي النهار وزلفًا من الليل.

أما قوله: ﴿﴾ فالطرف الأول الفجر، والطرف الثاني فيه خلاف، فمن العلماء من قال إنه المغرب، ومنهمن من قال: إنه العصر، ومنهم من قال إنه ﴿الطرف الثاني﴾ الظهر والعصر، والطرف الأول الفجر، وقيل – وسيأتي-: بطرفي النهار ما كان في أول الإسلام من صلابته فقط صلاة الصبح، وصلاة العصر.

أما قوله: ﴿﴾ أي: وساعات من الليل، وقيل: الزلف مأخوذة من الزلفى، وهو القربى، والمراد: هنا القريبة، أي: القريبة من النهار وهي صلاة العشاء، وقيل: صلاة المغرب والعشاء.

وقال بعض أهل العلم: المراد: ساعات الليل عمومًا.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فالحسنات يدخل فيها بالدرجة الأولى الصلاة فهي أعظم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، وسبب نزول الآية فيه ذكر الصلاة، وقيل: المراد الصلوات الخمس خاصة، والصواب: الفرض والنفل، والله أعلم.

وقيل أيضًا: إن المراد بالحسنات، قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وبلا شك فهذه داخلة في الحسنات وهي مكفرات أيضًا.

وقيل: إن الحسنات المراد بها عموم الحسنات من صلاة وذكر وصيام وحج وعمل برٍّ وإصلاح بين الناس ونحو ذلك فهذه الحسنات تُذهب أثر السيئات، فجديرٌ بمن ألمَّ بسيئة أن يتبعها بحسنة، بل الحسنات فإن الحسنات يُذهبن أثر السيئات.

أما قوله: ﴿﴾ فمعناه ذلك المذكور من الحث على الاستقامة كما أمر الله ﷻ والنهي عن الطغيان والنهي عن الكرون إلى الظالمين، وكذا الحث على إقامة الصلوات طرفي النهار وزلفًا من الليل كل ذلك تذكير ووعظ لمن انتفع بالوعظ والتذكير من المؤمنين.

ثم يحث ربنا ﷻ نبينا ﷺ على الصبر بقوله: ﴿﴾ لا يذهب بثواب عملهم ولا يضيع أجورهم بل يكرمهم ويثيبهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك ، ﴿ومن تاب معك﴾، يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ، ﴿ولا تطغوا﴾، يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ﴿إنه بما تعملون بصير﴾، يقول: إن ربكم، أيها الناس، بما تعملون من الأعمال كلِّها، طاعتها ومعصيتها «بصير»، ذو علم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصرٌ. يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله، أيها الناس، أن يطَّلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعلمون، وهو لكم بالمرصاد.

ويقول تعالى ذكره: ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ، ﴿فتمسكم النار﴾، بفعلكم ذلك ، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم ووليّ يليكم ، ﴿ثم لا تنصرون﴾، يقول:

فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخلِّيكم من نصرته ويسلط عليكم عدوّكم.

و يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وأقم الصلاة﴾، يا محمد، يعني: صَلِّ ، ﴿طرفي النهار﴾، يعني الغداةَ والعشيَّ.

واختلف أهل التأويل في التي عُنِيت بهذه الآية من صَلوات العشيّ، بعد إجماع جميعهم على أن التي عُنيت من صَلاة الغداة، الفجرُ.

فقال بعضهم: عُنيت بذلك صلاة الظهر والعصر. قالوا: وهما من صلاة العشيّ.

وقال آخرون: بل عنى بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: عني بها: صلاة العصر.

واختار الطبري أنها صلاة المغرب.

وقال:

وأما قوله: ﴿وزلفًا من الليل﴾، فإنه يعني: ساعاتٍ من الليل.

وهي جمع «زُلْفة»، و«الزلفة»، الساعة، والمنزلة، والقربة، وقيل: إنما سميت «المزدلفة » و«جمع » من ذلك، لأنها منزلٌ بعد عرفة ، وقيل سميت بذلك، لازدلاف آدم من عَرَفة إلى حواء وهي بها.

وأورد أقوالًا مفادها أن من العلماء من قال: إنها صلاة العشاء، ومنهم من قال: صلاتي المغرب والعشاء.

قال الطبري:

وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، يقول تعالى ذكره: إنّ الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه، يذهب آثام معصية الله، ويكفّر الذنوب.

ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عنى الله في هذا الموضع، اللاتي

يذهبن السيئات، فقال بعضهم: هنّ الصلوات الخمس المكتوبات.

وقال آخرون: هو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، قولُ من قال في ذلك: «**هن الصلوات الخمس**»، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال: «**مَثَلُ الصلوات الخمس مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَى بابِ أحَدِكم، ينغمس فيه كل يومٍ خمس مرات، فماذا يُبقينَ من دَرَنه؟**»، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعدُ على إقامتها الجزيلَ من الثواب عَقيبها، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال، إذا خُصّ بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض.

وقوله: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظلم، وتهددت فيه، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يُذهبن السيئات، تذكرة ذكّرت بها قومًا يذكُرون وعد الله، فيرجُون ثوابه ووعيده، فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه، فلا يجيب داعيًا، ولا يسمع زاجرًا.

وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نالَ من غير زوجته ولا ملك يمينه بعضَ ما يحرم عليه، فتاب من ذنبه ذلك.

وأورد الروايات في هذا الباب، وكذا أسباب نزول الآية الكريمة، وسأوردها إن شاء الله.

ثم قال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من

الأذى في الله والمكروه، رجاءَ جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوَفّره أحوجَ ما يكون إليه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مَصرَعة حتى ولو كان على مشرك. وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾.

منها: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم، ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ أي: ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه.

وقال بعد أن أورد أقوالًا في تفسير: ﴿﴾:

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء؛ فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها. وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة، ثم نسخ في حق الأمة، وثبت وجوبه عليه، ثم نسخ عنه أيضًا، في قول، والله أعلم.

وقوله: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يقول: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لما أخبر بعدم استقامتهم، التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه محمدا ﷺ، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة.

وقوله: ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها، ولهذا حذرهم عن الميل إلى من تعدى الاستقامة فقال: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا ﴾ أي: لا تميلوا ﴿ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فإنكم، إذا ملتم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم ما هم عليه من الظلم ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ يمنعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا، من ثواب الله.

﴿ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم.

وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟!! نسأل الله العافية من الظلم.

يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ﴿ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾ أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا، صلاة الفجر، وصلاتا الظهر والعصر، ﴿ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ﴾ ويدخل في ذلك، صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد، وتقربه إلى الله تعالى.

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: فهذه الصلوات الخمس، وما

ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله، وتوجب الثواب، فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك: الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، مثل قوله: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»، بل كما قيدتها الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا ﴾.

ذلك لعل الإشارة، لكل ما تقدم، من لزوم الاستقامة على الصراط المستقيم، وعدم مجاوزته وتعديه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا.

والأمر بإقامة الصلاة، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، الجميع ﴿ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ يفهمون بها ما أمرهم الله به، ونهاهم عنه، ويمتثلون لتلك الأوامر الحسنة المثمرة للخيرات، الدافعة للشرور والسيئات، ولكن تلك الأمور، تحتاج إلى مجاهدة النفس، والصبر عليها، ولهذا قال:

﴿ وَاصْبِرْ ﴾ أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر.

﴿ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن مسعود؛ أن رجلا أصاب من امرأة قُبْلَة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ

(١) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فقال الرجل: إلى هذا يا رسول الله؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**».

وعند مسلم وأحمد[1] من حديث ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان، ففعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، قَبَّلتها ولزمتها، ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت. فلم يقل رسول الله ﷺ شيئا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه، لو ستر على نفسه. فأتبعه رسول الله ﷺ بصرَه ثم قال: «**ردوه عليّ**». فردّوه عليه، فقرأ عليه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ فقال معاذ -وفي رواية عمر -: يا رسول الله، ألـه وحده، أم للناس كافة؟ فقال: «**بل للناس كافة**».

❁ ❁ ❁

الصلوات كفارات للذنوب

س: اذكر بعض ما يدل على أن الصلوات تكفر الذنوب؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿﴾، وقد تقدم سبب نزولها.

وفي الصحيحين[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرًا غَمْرًا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يُبقي من درنه شيئا؟**» قالوا: لا يا رسول الله: قال: «**وكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الذنوب والخطايا**».

---

(١) مسلم (٢٧٦٣)، وأحمد (١/ ٤٤٥، ٤٤٩).

(٢) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٨٣).

وقال مسلم في صحيحه[١]: حدثنا أبو الطاهر وهارون بن سعيد قالا حدثنا ابن وَهْب، عن أبي صخر: أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حَدَثه عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكَفِّرَات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**».

وقوله تعالى: ﴿﴾.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا.

وفي الصحيحين[٢] عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وُضُوء النبي ﷺ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ تَوضَّأَ نَحْوَ وُضُوئي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيْهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

❁ ❁ ❁

الحث على النهي عن الفساد في الأرض

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: فهلَّا كان من الأمم التي تقدمتكم والقرون التي سبقتكم أهل فضل وأهل خير وأصحاب عقلٍ وفهم ينهون عن الفساد في الأرض، لكان الله ﷻ أنقذ بهم أممهم وسلمها بسببهم، ولم يكن هذا موجودًا إلا قليلًا نادرًا، وهؤلاء القليلون هم الذين أنجاهم الله وسلمهم كما قال تعالى: ﴿﴾.

ولكن أهل الظلم من كل أمة مضوا فيما هم عليه من الترف والفساد في

---

(١) مسلم (٢٣٣).

(٢) انظر البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

الأرض والتعالي على الخلق وكانوا مجترمين للذنوب والجرائم والشرك والفساد.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ بظلم منه للعباد، بل أهلكهم وهم لأنفسهم ظالمين، وهم في الأرض مفسدون مستحقون للعقوبات.

هذا، ومن أهل العلم من قال المعنى، وما كان ربك مهلك القرى بسبب شركها فقط في الدنيا إذا كانوا قائمين بالعدل فيما بينهم مصلحين في الأرض، ولكن يهلكهم إذا انضم إلى الشرك ظلم آخر كما صنع قوم لوط، وكما صنع قوم فرعون، وكما صنع قوم شعيب من تطفيف المكيال والميزان إلى غير ذلك فإذا ارتكبوا جرمًا إضافة إلى الشرك حلَّ بهم العقاب والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة، الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم.﴿أولو بقية﴾، يقول: ذو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظَ الله ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله، وعليهم في الكفر به ، ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾، يقول: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، في أرضه ، ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾، يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض، إلا يسيرًا، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من كان مقيمًا على الكفر بالله عذابُه ، وهم اتباع الأنبياء والرسل.

ونصب «قليلا» لأن قوله:﴿إلا قليلا﴾ استثناء منقطع مما قبله، كما قال:﴿ إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ﴾، [سورة يونس: ٩٨].

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية

ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾، أي: لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الأرض ، ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾.

وقوله: ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾، يقول تعالى ذكره: واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه.

وقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر تعالى ذكره: أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله.

وذلك أن المترف في كلام العرب: هو المنعم الذي قد غُذِّي باللذات، ومنه قول الراجز:

نُهْدِي رُءُوسَ المُتْرَفِينَ الصُّدَّادْ إلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ

وقوله: ﴿وكانوا مجرمين﴾، يقول: وكانوا مكتسبي الكفر بالله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وما كان ربك، يا محمد، ليهلك القرى، التي أهلكها، التي قَصَّ عليك نبأها، ظُلمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مسيئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربّهم، ظلمًا، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيِّهم، وتكذيبهم رُسُلهم، وركوبهم السيئات.

وقد قيل: معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله. وذلك قوله «بظلم» يعني: بشرك ، ﴿وأهلها مصلحون﴾، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم

يتعاطَون الحقّ بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض.

وقوله: ﴿ إِلا قَلِيلا ﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل، لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غِيَره، وفجأة نِقَمه؛ ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وفي الحديث: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه، أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقاب**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾.

وقوله: ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ أي: استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك، حتى فَجَأهم العذابُ، ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾.

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [هود: ١٠١]، وقال ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسل، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب

والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا.

وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة

﴿ وَ ﴾ لكن ﴿ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلا.

﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب. وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى.

وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماما في الدين، إذا جعل عمله خالصا لرب العالمين.

أي: وما كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه، فما كان الله ليهلكهم، إلا إذا ظلموا، وقامت عليهم حجة الله.

ويحتمل، أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ﴾ أي فهلا كان. ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي من الأمم التي قبلكم. ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أي أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر.

﴿يَنْهَوْنَ﴾ قومهم. ﴿عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ لما أعطاهم الله تعالى من العقول وأراهم من الآيات ؛ وهذا توبيخ للكفار. وقيل: ولولا ههنا للنفي ؛ أي ما كان من قبلكم ؛ كقوله: ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] أي ما كانت. ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾استثناء منقطع ؛ أي لكن قليلا. ﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا عن الفساد في الأرض. قيل: هم قوم يونس ؛ لقوله: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾. وقيل: هم أتباع الأنبياء وأهل الحق. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا وعصوا. ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي من الاشتغال بالمال واللذات، وإيثار ذلك على الآخرة.﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي أهل القرى. ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك وكفر. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق ؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط ؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**». وقد تقدم.

وقيل: المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مسلمون، فإنه يكون ذلك ظلما لهم ونقصا من حقهم، أي ما أهلك قوما إلا بعد إعذار وإنذار. وقال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى ما كان ربك ليهلك أحدا وهو يظلمه وإن كان على نهاية الصلاح ؛ لأنه تصرف في ملكه ؛ دليله قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. وقيل: المعنى وما كان الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مصلحون ؛ أي مخلصون في الإيمان. فالظلم المعاصي على

هذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولو شاء الله يا رسول الله لجعل الناس كلهم على ملةٍ واحدةٍ، على الإسلام أو على الكفر، ولكن قدَّر الله وشاء أن يكونوا مختلفين، كما قال: ﴿﴾ وكما قال: ﴿﴾ وهكذا فإنهم لا يزالون مختلفين، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم كذلك الطائع المنقاد لشرع الله، ومنهم المنحرف المعوَّج عن الشريعة الغراء المتبع لهواه لكن من رحمهم الله من أهل الإسلام فإنهم مستقيمون على أمر الله ليس بينهم تباغض ولا اختلاف.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ خلقهم ومنهم شقيٌّ وسعيد وقيل: خلقهم للرحمة كي يرحمهم ولكنهم حادوا عن الطريق إلا من رحم الله.

وقيل: خلقهم ليعبدوه ولكنهم اختلفوا.

أما قوله: ﴿﴾ أي: وتحققت كلمة الله ﷻ إذ الله قضى أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك، يا محمد، لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد.

وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، يقول تعالى ذكره: ولا يزال النَّاس مختلفين ، ﴿إلا من رحم ربك﴾.

ثم اختلف أهل التأويل في «الاختلاف» الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به.

فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان ، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهوديّ ونصرانيّ، ومجوسي، ونحو ذلك.

وقال قائلو هذه المقالة: استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا يزالون مختلفين في الرزق، فهذا فقير وهذا غنى.

وقال بعضهم: مختلفين في المغفرة والرحمة، أو كما قال.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك: «ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله».

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله:﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم.

وأما قوله:﴿ولذلك خلقهم﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله:

فقال بعضهم: معناه: وللاختلاف خلقهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وللرحمة خلقهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقَّب ذلك بقوله:﴿ولذلك خلقهم﴾، فعمّ بقوله:﴿ولذلك خلقهم﴾، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميَسَّر لما خلق له.

فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربُّهم، وأن يكون المتمتِّعون هم الملومين؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم،﴿إلا من رحم ربك﴾، فهداه للحقّ ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم ، فمعنى اللام في قوله:﴿ولذلك خلقهم﴾ بمعنى «على» كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي.

وأما قوله:﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره.

وقوله:﴿وتمت كلمة ربك﴾، قسم كقول القائل: حلفي لأزورنك، وبدًا لي لآتينك، ولذلك تُلُقِّيَت بلام اليمين.

وقوله:﴿من الجنة﴾، وهي ما اجتَنَّ عن أبصار بني آدم ، ﴿والناس﴾، يعني: وبنى آدم.

وقيل: إنهم سموا «الجنة»، لأنهم كانوا على الجنان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كُلِّهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩].

وقوله: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ أي: ولا يزال الخُلْفُ بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم.

قال عكرمة: ﴿مُخْتَلِفِينَ ﴾ في الهدى. وقال الحسن البصري: ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ في الرزق، يُسخّر بعضهم بعضا، والمشهورُ الصحيح الأول.

وقوله: ﴿ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين. أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه ووازروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن، من طرق يشد بعضها بعضا: «**إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة**». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)].

وقال عطاء: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ يعني: اليهود والنصارى والمجوس ﴿ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ يعني: الحنَيفيَّة.

وقال قتادة: أهلُ رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

وقوله: ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قال الحسن البصري -في رواية عنه -:

---

(١) الذي أراه في القدر الثابت الصحيح من هذا الحديث إلى قوله: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»، أما قوله: «**كلها في النار...**» فضعيفةٌ، والله أعلم.

وللاختلاف خَلَقهم.

وأورد أقوالًا أُخر منها لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة ولم يخلقهم للعذاب.

قال: وقيل: بل المراد وللرحمة والاختلاف خلقهم.

... وذكر أقوالًا وقال:

وقال ابن وَهْب: سألت مالكا عن قوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قال: فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقد اختار هذا القول ابن جرير، وأبو عبيدة والفراء.

وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة، أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة. وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضَعَفَةُ الناس وسَقطُهم؟ وقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. فقال الله عز وجل للجنة، أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار: أنت عذابي، أنتقم بك ممن أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فلا يزال فيها فضل، حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة، وأما النار فلا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع عليه ربّ العزة قَدمه، فتقول: قَطْ قط، وعزتك**».

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين

(١) البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره.

﴿ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي.

وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم.

وقوله: ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء.

﴿ وَ ﴾ لأنه ﴿ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ فلا بد أن ييسر للنار أهلا يعملون بأعمالها الموصلة إليها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ونقص عليك من أنباء الرسل كل ما يثبت الله به قلبك ويُعينك به على الرسالة وتحمل أعبائها، وجاءك في هذه السورة الخبر الحق من ربك والقول الحق والقصص الحق من ربك ﷻ، وجاءتك فيها

أيضًا موعظة يتعظ بها أهل الإيمان، وتذكير يتذكرون به فاقبله وليقبله المؤمنون.

وقل للذين لا يؤمنون بالله ولا يقرون له بالوحدانية ولا يقرون لك بالرسالة اعملوا على طريقتكم ومنهجكم متمكنين في ذلك بزعمكم، فإننا عاملون على مكانتنا ومنهجنا، وانتظروا ماذا سيحلُّ بكم وماذا سيحلُّ بنا وسننتظر نحن كذلك ولله غيب السموات والأرض، قيل: المراد ولله علم الغيب في السموات والأرض، وقيل: لله ما يكون من أمرٍ يحدث في السماء أو في الأرض من مطر وقذف وخسف ونبات وكل ما من شأنه أن يكون مستقبليًّا من أمر السموات والأرض وغائبًا منهما فضلًا عن كونه يعلم ما مضى وما هو كائن.

وقيل: المعنى، ولله خزائن السموات والأرض.

أما قوله: ﴿﴾ فكل شيء مرده ومرجعه إلى الله يقضي بالذي يشاء ويفعل الذي يريد، فاستقم على عبادته وطاعته والخضوع له، واعمد عليه في شؤونك كلها، وما ربك بغافلٍ عما تعملون، بل هو بصير عالم بكل عملٍ يُعمل، وبكل قول، وبكل تفكير، وسيجازي كلًّا بما عمل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره:﴿وكلا نقصّ عليك﴾، يا محمد ، ﴿من أنباء الرسل﴾، الذين كانوا قبلك ، ﴿ما نثبت به فؤادك﴾، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، وردَّ عليك ما جئتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا:﴿لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾؟ إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها.

وأما قوله:﴿وجاءك في هذه الحق﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله:

فقال بعضهم: معناه: وجاءك في هذه السورة الحق.

وقال آخرون: معنى ذلك: وجاءك في هذه الدنيا الحق.

وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق، لإجماع الحجة من أهل التأويل، على أن ذلك تأويله.

فإن قال قائل: أو لم يجيء النبي ﷺ الحق من سور القرآن إلا في هذه السورة، فيقال: وجاءك في هذه السورة الحق؟

قيل له: بلى، قد جاءه فيها كلِّها.

فإن قال: فما وجه خصُوصه إذًا في هذه السورة بقوله:﴿وجاءك في هذه الحق﴾ ؟ قيل: إن معنى الكلام: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر سور القرآن، لا أن معناه: وجاءك في هذه السورة الحق دون سائر سور القرآن.

وقوله:﴿وموعظة﴾ يقول: وجاءك موعظةٌ تعظ الجاهلين بالله، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله ، ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يقول: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل، يا محمد، للذين لا يصدّقونك ولا يقرُّون بوحدانية الله ، ﴿اعملوا على مكانتكم﴾، يقول: على هِينَتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه فإنا عاملون ما نحن عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان، فإنا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولله، يا محمد، ملك كل ما غاب عنك في السموات والأرض فلم تطلع ولم تعلمه، ولم تعلمه، كل ذلك بيده وبعلمه،

لا يخفى عليه منه شيء، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك، وما إليه مصير أمرهم، من إقامة على الشرك، أو إقلاعٍ عنه وتوبة ، ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾، يقول: وإلى الله مَعَادُ كل عامل وعمله، وهو مجازٍ جميعَهم بأعمالهم.

﴿فاعبده﴾، يقول: فاعبد ربك يا محمد ، ﴿وتوكل عليه﴾، يقول: وفوِّض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه.

وقوله:﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾، يقول تعالى ذكره: وما ربك، يا محمد، بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، بل هو محيط به، لا يعزب عنه شيء منه، وهو لهم بالمرصاد، فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحقّ، وامض لأمر ربّك، فإنك بأعيننا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين -كل هذا مما نثبت به فؤادك -يا محمد -أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسْوةً.

وقوله: ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ أي: في هذه السورة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وجماعة من السلف. وعن الحسن -في رواية عنه -وقتادة: في هذه الدنيا.

والصحيح: في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف نَجّاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين، جاءك فيها قَصَصُ حق، ونبأ صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتوقر بها المؤمنون.

يقول تعالى آمرا رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على

وجه التهديد: ﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: على طريقتكم ومنهجكم، ﴿ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ أي: على طريقتنا ومنهجنا، ﴿ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي: فستعلمون من تكون له عاقبة الدار، إنه لا يفلح الظالمون.

وقد أنجز الله لرسوله وعده، ونصره وأيده، وجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم.

ويخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وَسيُوَفِّى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر. فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه؛ فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه.

وقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ «كلا» نصب بـ «نقص» معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. وقال الأخفش: «كلا» حال مقدمة، كقولك: كلا ضربت القوم. ﴿ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ﴾ أي من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم. ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى. وقيل: نزيدك به تثبيتا ويقينا. وقال ابن عباس: ما نشد به قلبك. وقال ابن جريج: نصبر به قلبك حتى لا تجزع. وقال أهل المعاني: نطيب، والمعنى متقارب. و«ما» بدل من «كلا» المعنى: نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك. ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أي في هذه السورة ؛ عن ابن عباس وأبي موسى وغيرهما ؛ وخص هذه السورة لأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار. وقيل: خصها بالذكر تأكيدا وإن كان الحق في كل

القرآن. وقال قتادة والحسن: المعنى في هذه الدنيا، يريد النبوة. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الموعظة ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة ؛ وهذا تشريف لهذه السورة ؛ لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص. ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون ؛ وخص المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ووعيد. ﴿إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ تهديد آخر، وقد تقدم معناه.

قوله تعالى: - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي غيبهما وشهادتهما ؛ فحذف لدلالة المعنى. وقال ابن عباس: خزائن السماوات والأرض. وقال الضحاك: جميع ما غاب عن العباد فيهما. وقال الباقون: غيب السماوات والأرض نزول العذاب من السماء وطلوعه من الأرض. وقال أبو علي الفارسي: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ؛ أضاف الغيب وهو مضاف إلى المفعول توسعا ؛ لأنه حذف حرف الجر ؛ تقول: غبت في الأرض وغبت ببلد كذا.. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي يوم القيامة، إذ ليس لمخلوق أمر إلا بإذنه. وقرأ نافع وحفص «يرجع» بضم الياء وبفتح الجيم ؛ أي يرد. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي الجأ إليه وثق به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي يجازي كلا بعمله. وقرأ أهل المدينة والشام وحفص بالتاء على المخاطبة. الباقون بياء على الخبر. قال الأخفش سعيد: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ إذا لم يخاطب النبي ﷺ معهم ؛ قال: بعضهم وقال: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء لأنه خاطب النبي ﷺ وقال: قل لهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقال كعب الأحبار: خاتمة التوراة خاتمة «هود» من قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إلى آخر السورة.

قال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ في المشار إليه بـ«هذه» أربعة أقوال:

أحدها: أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، ورواه شيبان عن قتادة.

والثاني: أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنها الأقاصيص المذكورة.

والرابع: أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري.

وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها البيان.

والثاني: صدق القصص والأنباء.

والثالث: النبوة.

فإن قيل: أليس قد جاءه الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟

فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة ب «هذه» إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا: إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أن المراد بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبيين إهلاك الأمم، وشرح مآلهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين.

والثاني: أن بعض الحق أوكد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، ولهذا يقول الناس: فلان في الحق: إذا كان في الموت، وإن لم يكن قبله في

باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكأن الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج.

والثالث: أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضًا، فهو كقوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وهذا مذهب ابن الأنباري.

والرابع: أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿تيسير الكريم الرحمن﴾:

لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿ وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به.

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ﴾ السورة ﴿ الْحَقُّ ﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس.

﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها.

(٦٥٧) أحمر
أسود

وأما من ليس من أهل الإيمان، فلا تنفعهم المواعظ، وأنواع التذكير، ولهذا قال: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بعد ما قامت عليهم الآيات، ﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: حالتكم التي أنتم عليها ﴿ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ على ما كنا عليه.

﴿ وَانْتَظِرُوا ﴾ ما يحل بنا ﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ ما يحل بكم.

وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده، نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه.

التَّسهيل لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير

سُورَةِ يُوسُف

فِي سُؤَال وَجَواب

تأليف
أَبِي عَبْدِ اللهِ مُصْطَفَى بْنُ العَدَوِيِّ

الناشر
مَكْتَبَةُ مَكَّة
طنطا - جمهورية مصر العربية
ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

تفسير سورة يوسف عليه السلام

في سؤال وجواب

تأليف
أَبِي عَبْدِ اللهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف

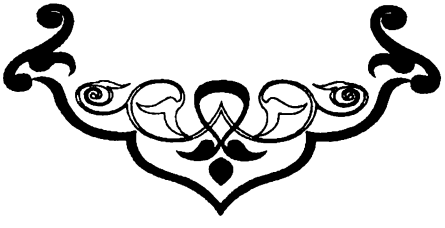

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٠٣٦ / ٢٠٠٢

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد، أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت و لا إله غيرك»[1].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وبعد:

فبين أيدينا قصة قصها الله علينا في كتابه الكريم هي أحسن القصص على الإطلاق، ألا وهي قصة نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

---

(١) هذا لفظ حديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣) ومسلم (٦/ ٥٤ ـ مع النووي) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال. . .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلىٰ نبينا محمد صلوات الله وسلامه أجمعين، ويوسف عليه السلام ممن أمرنا الله بالاقتداء بهم.

إذ قال تعالىٰ في ذرية إبراهيم: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ...**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾.

* قصة من أعظم القصص التي يثبت الله بها الفؤاد كما قال تعالىٰ: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ فلا يمل الشخص ولا يضجر ولا يستوحش الطريق.

* قصة من أعظم القصص التي بها يتسلىٰ الشخص المصاب ويتعزىٰ بأهل الفضل والصلاح الذين كان مصابهم أعظم من مصابه وآلامهم أعظم من آلامه.

* قصة تحمل عبراً ومواعظ وفوائد وأحكاماً.

* قصة تدل علىٰ نبوة نبينا محمدٍ عليه الصلاة والسلام وتؤكدها فهو نبي أُمي لم يرها ولم يشاهدها، ومع ذلك يقصها بأحداثها علىٰ أفضل نحو، ويسردها أجمل سرد كما أوحاها إليه ربه، فهذا دليل علىٰ نبوة نبينا محمد ﷺ، وتدفع الشك عن المتشكك في نبوته، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾.

ونحوه في قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾.

ونحوه: ﴿ **وما كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** ﴾.

فسبحان من علم نبيه ما لم يكن يعلم، بل وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم.

والقارئ الكريم المتأمل في هذه السورة المباركة: يرىٰ وعوداً تُخلف من البشر، ولكن الله لا يخلف الميعاد!!

يرىٰ مؤامرات تُحاك ولكن الله غالب علىٰ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يرىٰ مكائد تُدبر وتُهمًا تلقىٰ الأبرياء يتهمون، ولكن ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.

فكم من بريءٍ يُتهم، وكم من عفيفٍ يُقذف، وكم من كريم يُفترىٰ عليه، فليتعزىٰ هؤلاء بأنبياء الله و أوليائه ولينتظروا فرج الله، فالفرج برأ يوسف عليه السلام وحمل المرأة علىٰ قولها: ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾.

والذي حمل النسوة علىٰ قولهن: ﴿ **قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾.

والذي برأ موسىٰ عليه السلام من الذين آذوه.

والذي برأ مريم عليها السلام من البهتان العظيم الذي قالوه عنها.

والذي برأ عائشة رضي الله عنها من الإفك المبين.

إنه الله عز وجل لا يغفل ولا ينام ولا ينسىٰ ولا يموت

إنه سبحانه يُبَرِّئ البرآء وينجي الأتقياء.

فليصبر كل مُتهم وليحتسب كل مقذوف بريء وليتأس أولئك بأنبياء الله ولينتظروا فرج الله في الحياة الدنيا أو يوم يقوم الأشهاد.

يرىٰ القارئ أن بصر الأتقياء نافذٌ بإذن الله وبعون الله وتوفيق الله.

فها هو يوسف عليه السلام دخل عليه إخوته ﴿**فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾.

ويعقوب عليه السلام يأتيه بنوه بدمٍ كذب فيقول: ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا** ﴾.

أما بصرُ الغواة فضعيفٌ قاصر، فانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **... وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾!

وانظر إليهم وقد أتوا بقميص يوسف ملطخًا بالدماء غير مشقوق ولا ممزق ولا مقطوع، وهم يقولون: ﴿**وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾؟؟

حملت هذه السورة مفاجآت، مفاجأة تلو الأخرىٰ وأهل الصلاح ثابتون محتسبون أمام البلايا والأحداث.

إنها مشاهد تقشعر لها الجلود وتتحرك لها المشاعر ويُثار لها الوجدان.

*يعقوب عليه السلام يفجأه أبناؤه بقولهم: ﴿**يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾.

أكل الذئب يوسف عليه السلام؟! أكل حبيب القلب وفلذة الكبد؟!!

فبم يجيب يعقوب عليه السلام؟ وكيف يواجه الحدث؟

﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾.

نعم فخير معين هو الله، ونعم بالله.

* ثم يبتلىٰ ابتلاء آخر عليه الصلاة والسلام، فيأتيه أبناؤه بعد سفرٍ طويل قائلين: ﴿ **يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ** ﴾.

مفاجأة تلو المفاجأة، ابني سرق؟!

ابني الذي ربيته ونشأته علىٰ طاعة الله والمرسلين سرق؟!

ثم القرية علمت بذلك؟! والقوافل علمت بذلك؟!!

علمت القرية والقوافل أن ابن يعقوب سرق وأنه أُخذ بجريرته كعبدٍ مسترق، وهو حرٌ برئٍ فالله المستعان، والله وحده المستعان!!

* ثم مفاجأة أُخرىٰ لغير يعقوب عليه السلام، مفاجأة لأبنائه وهم يشكون ما بهم من الضر والفقر والفاقة ويطلبون الصدقة ويلتمسون الزاد من عزيز مصر.

﴿ **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾.

فتأتيهم المفاجأة، وأي مفاجأة يقول لهم الصديق يوسف عليه السلام: ﴿ **هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ** ﴾ فيقولون: ﴿ **أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي** ﴾!!

هكذا يرفع الله المتقين والمظلومين درجات.

* ثم مشهد مهيب ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا** ﴾ .

بيَّن الله عزَّ وجل في هذه السورة الكريمة أنه سبحانه يرفع أقوامًا درجات فضلاً منه ونعمة ثم لتقواهم وبرهم وطاعتهم، ثم كيف يُخفض آخرين وكيف تتبدل الأحوال .

* فها هم الذين كانوا بالأمس يقولون: ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا** ﴾ ها هم يقولون: ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ .

* ها هم الذين كانوا يقولون: ﴿ **إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ . ها هم يقولون: ﴿ **يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** ﴾ . ها هي المرأة التي كانت تقول: ﴿ **مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ .

* ها هي تقول: ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ .

وهكذا يرفع الله الدرجات ويُعز من يشاء ويذل من يشاء .

يوسف عليه السلام يُساق إلى السجن، ثم تمر الأيام والسنون ويقول الملك: ﴿ **ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي** ﴾ !! ففي هذا كله مُدكر، وفي هذا كله معتبر ولَلآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

فتنٌ عظمى مرَّ بها نبي الله يوسف عليه السلام، وهكذا الحياة الدنيا دار ابتلاء، وفيها النصب والتعب، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ .

وقد خلقنا الله أطوارًا .

يخرج نبي الله من ابتلاء إلىٰ ابتلاء، ومن محنة إلىٰ محنة، ثم إلىٰ منحٍ ومنحٍ والعاقبة للتقوىٰ.

يُبتلىٰ يوسف عليه السلام بحسد الحاسدين وكيد الكائدين ومكر الماكرين، ومَنْ هؤلاء الحُساد الذين يحسدونه بلا ذنب اقترف، ولا جُرم ارتكب؟ إنهم إخوته، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

إخوته يحسدونه، فبماذا يرد؟ وبماذا يجيب؟ وهو طفل صغير ثم كما قال القائل:

قومي هُمُ قَتَلوا أُميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

يؤول أمر حسدهم إلىٰ إلقائه في غيابة الجب وبيعه بثمن بخس دراهم معدودة، فيباع بيع الرقيق في الأسواق وهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله !!!.

* يمكث عليه السلام في قصور الملوك والوزراء فيبلغ أشده ويؤتيه الله العلم والحكمة، ثم يبتلىٰ بأشد فتنة وأضر فتنة علىٰ الرجال، وهي: فتنة النساء، تلك الفتنة التي تعصف بالعقول وتذهب بالألباب، فتراوده امرأة العزيز عن نفسها، وتلاحقه وتطارده وتهدده وتتوعده ثم تلصق التهمة به وهو البار الراشد الكريم.

ثم يدخل السجن وهو البريء العفيف. يسجن مع الأشرار والعربيدين والمفسدين.

ولكن لا يضيعه الله في سجنه، بل هو محسن محبوب إلىٰ السجناء!

يمكث في السجن بضع سنين ولا يغفل عن الدعوة إلىٰ الله مع ما هو فيه من ابتلاء!

ثم يُقدر الله المقادير ويخرج عليه السلام من السجن بسبب علمه، لا بسبب جماله، يخرج بريئًا تقيًا و قد ارتفع درجات فتأتيه فتنة السراء، فتنة الملك وهي فتنة عظمىٰ أيضًا لا يصبر عليها ولا يُعطي حقها ولا يقدم شكرها إلا الصابرون الشاكرون، فيقضيها محسنًا عاملاً بطاعة الله، مشهودًا له بالإحسان: ﴿**إِنَّا نراك مِن الْمُحْسِنِينَ**﴾.

*ثم لما اجتمع عليه شمله وأقر الله عينه بأبويه وإخوته يشتاق إلىٰ لقاء الصالحين فيسأل الوفاة علىٰ الإسلام ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

وفي ثنايا هذا كله، في خضم هذه الابتلاءات لا يغفل عن ذكر الله، ولا ينساه، بل هو دائم الذكر والتذكير بالله ودائم الاعتراف بالفضل لله، لا يمل، ولا يغتر ولا يفتر فتراه يقول: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾.

وتراه يقول: ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾.

وتراه يقول: ﴿**ذلك من فضْلِ اللَّه علَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ**﴾.

وتراه يقول: ﴿**رب قَدْ آتَيْتَنِي مِن الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾.

فصلوات الله وسلامه علىٰ هذا النبي الكريم، وعلىٰ نبينا محمد أفضل صلاة وأتم تسليم.

وفي ثنايا هذه السورة المباركة طائفة من الأحكام الفقهية منها ما يتعلق

بالرؤيا وتعبيرها، ومنها ما يتعلق بالحيل المشروعة المباحة والحيل التي لا تشرع ولا تجوز.

وما يتعلق بأحكام تزكية النفس وسؤال الإمارة، والمصالح والمفاسد والأخلاق التي ينبغي أن يتحلىٰ بها ذوو الرئاسات وأصحاب السلطات.

* من هذه السورة الكريمة نرىٰ أنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وذلك من قوله: ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وجدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ** ﴾.

نرىٰ أن الشهادة يجب أن تكون بعلم، وذلك من قولهم: ﴿ **وما شهدْنا إلا بِمَا عَلِمْنَا** ﴾.

نرىٰ كيف أن علامات الإحسان تبدو علىٰ وجوه المحسنين، وذلك من قولهم: ﴿ **إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

نرىٰ كيف نتعلم كظم الغيظ والعفو عن الناس لما رأىٰ إخوته ولأول مرة، ضبط نفسه حتىٰ يتوصل إلىٰ ما يريده الله بإذن الله.

نرىٰ من هذه السورة المباركة أن شأن الدعوة إلىٰ الله عظيم فبدئت السورة بالإشارة إليه وتوسطها أمر دعوة يوسف عليه السلام للسجينين واهتمامه الزائد ببيان أمر التوحيد الذي هو أجل الأمور وأعظمها علىٰ الإطلاق فلا ينفع مع الشرك بالله عمل، فأكد يوسف عليه السلام علىٰ ذلك تأكيداً شديداً، وبيَّن فضل الله عليه وعلىٰ آبائه في كونهم من أهل التوحيد وأئمته.

ثم أيضاً فالسورة الكريمة ذكرت في ختامها بالدعوة إلىٰ الله وأنها سبيل النبي ﷺ هو ومن تبعه، وأن هذه الدعوة يجب أن تكون علىٰ علم، فقال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ**

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

برز وظهر في هذه السورة الكريمة كمٌ هائل من مكارم الأخلاق .

*فها هي العفة تتألق بكل معانيها حينما تدعو المرأة يوسف إلىٰ نفسها فيقول : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ وها هو العفو يتجلىٰ في أسمىٰ معانيه ، بعد أن ظلمه أخوته وفرَّقوا بينه وبين أبيه ، وذهب بصر أبيهم من البكاء .

*ها هو يقول : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

فنعم ما صنع من إقالة العثرات والمغفرة للمذنبين في حقه ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

*ها هو حسن الخلق في الحديث عن النساء مع ما فيه الشخص من تهمة ، وما قُذف به من الشر ، وهو يقول : ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب .

*وها هو إكرام العشيرة يتجلىٰ ويظهر : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ .

*ثم صبرٌ جميل مستفادٌ من القصة بعمومها .

*يظهر من يوسف عليه السلام علم متدفق في تعبير الرؤيا ، فحسن تعبير مع حسن تدبير في نبل أخلاقه عليه الصلاة والسلام .

*ثم دفع تهمة وبراءة ساحة وسلامة عِرض .

نرىٰ من يوسف عليه السلام لطف تدبير مع جميل احتيال مع حسن

تعريض في قوله: ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾... وقوله: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾... وقوله: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾.

* تبين من هذه السورة الكريمة أن أمر الله نافذٌ في خلقه، لا يحول بينه وبين مراده شيءٌ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فكيف وإخوة يوسف أرادوا به ما أرادوا، ولكن كيف اجتباه الله واصطفاه وأنعم عليه وأنجاه.

إخوته يقولون: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾.

وعزيز مصر يقول لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾.

فسبحان الله، فالعباد يكيدون كيداً والله يكيد كيداً.

العباد يمكرون والله خير الماكرين.

وكما قال الله تعالى في شأن خليله إبراهيم عليه السلام: (جد يوسف عليه السلام): ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾.

* تعلمنا من هذه السورة الكريمة أن الشخص لا ييأس أبداً من روح الله ولا يقنط من رحمته ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾، ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾

* ترى في هذه السورة الكريمة كيف تجبر الخواطر المنكسرة.

فيوسف عليه السلام، وهو في غيابة الجب، وفي وسط الكرب وخضم البلاء يُوحي الله إليه ما يؤنسه ويزيل الوحشة عنه، يوحي إليه ﴿لتنبئنهم﴾ أي: لتخبرن أخوانك ﴿بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾

فسبحان الله؛ ما أجملها من مواساة ! وما أحسنها من مؤانسة ! وما أطيبه من جبران خاطر !

وكذلك جبران الخواطر في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ .

فكل معروف يثيب الله أصحابه ، وكل بر يجازي الله أهله خيراً ، وكل فتنة وبلاءٍ ، وكل همٍ وحَزَن وكل دمعة للعين وحزن من القلب يثيب الله أهله إذا هم صبروا واحتسبوا ، ثم ﴿ **وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ .

* نرىٰ من هذه السورة الكريمة أن الصلاح لا يتوصل إليه بقتل الأنفس البريئة ، ولا تلتمس الرفعة في الدنيا والآخرة بالحسد والغل والأحقاد .

* نرىٰ من هذه السورة الكريمة أن المهتدي من هداه الله ، والمحفوظ من حفظ الله ، فنرىٰ أن هذه القصص رغم حسنها وجمالها وروعتها لا تؤثر في الأشقياء ولا في الفجرة الأشرار ، ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ .

وتختم هذه السورة الكريمة ببيان ما يفيد أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً .

وبيان هداية هذا الكتاب العزيز لأهل الإيمان جعلنا الله منهم وألحقنا الله بالنبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

وأخيراً؛ فأقدم هذه السورة المباركة علىٰ طريقة : السؤال والجواب .

كجزء في عملنا في التفسير، وهو تفسير القرآن في سؤال وجواب ذلكم العمل الذي وسمناه بـ :

«التسهيل لتأويل التنزيل»

وقد صدر منه ما يقارب عشرة مجلدات، أسأل الله أن ينفعني به والمسلمين، وأن يتقبل منا هذا العمل بقبول حسن وأن يتجاوز عن زلاتنا وأخطائنا و أن يجعله في موازيننا يوم نلقاه.

هذا، وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده هو صاحب الفضل، له النعمة والفضل والثناء الحسن.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

منية سمنود ـ أجا ـ دقهلية

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي: الر ـ المبين ـ لعلكم تعقلون ـ نقص ـ بما أوحينا ـ فيكيدوا لك كيدًا ـ عدو مبين ـ يجتبيك ـ تأويل الأحاديث.

ج:

الكلمة	معناها
الر	(ألف لام راء): من الأحرف المقطعة التي بُدئت بها عدة سور من كتاب الله، وقد قال بعض العلماء إن معناها يعلمه الله وقد سيقت للتحدي، فكأن المعنى: ألف، ولام، وراء: أحرف تعرفونها ـ تقرؤنها وتكتبونها ولكن لا تستطيعون أن تؤلفوا منها قرآنًا. وثمَّ معان أُخر(١).
المبين	الموضِّح، المظهر للحق في جميع الأمور كالاعتقاد والعبادات والشرائع والحلال والحرام والهدى والرشاد والقصص والمواعظ، وغير ذلك. وأيضًا فمن معناه: الظاهر الواضح أمره وإعجازه، والواضحة معانيه بحيث لا يلتبس على القارئ أو السامع.

(١) انظر ما قدمناه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿الم﴾.

لعلكم تعقلون	لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه.
نقصُّ	نتتبع أثر الحديث(١) فنذكره لك.
بما أوحينا	بوحينا الذي أوحيناه إليك.
فيكيدوا لك كيداً	يحتالوا لإهلاكك.
عدوٌ مبين	عدوٌ ظاهر العداوة.
يجتبيك	يختارك ـ يصطفيك للنبوة.
تأويل الأحاديث	ما تؤول إليه (ما تصير إليه) الأحاديث ـ تعبير الرؤيا.

* * *

س: سورة يوسف عليه السلام هل هي مكية أو مدنية؟

ج: مكيةٌ على رأي الأكثرين.

* * *

(١) منه قوله تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾.

بعض الوارد في
فضل نبي الله يوسف عليه السلام

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل نبي الله يوسف ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ الناس أكرمُ؟ قال: «**أكرمُهم عند الله أتقاهم**». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرمُ الناس يوسفُ نبي الله، ابن نبيِّ الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «**فعن مَعادِنِ العرب تسألوني؟**» قالوا: نعم. قال: «**فخيارُكم في الجاهلية خِيارُكم في الإسلام إذا فقهوا**».

* ومنها: ما أخرجه البخاري[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام**».

* ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... **ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٩) ومسلم (حديث ٢٣٧٨).
(٢) البخاري (حديث ٣٣٨٢).
(٣) البخاري (حديث ٣٣٧٢) ومسلم (حديث ١٥١).

توقير لغة العرب

س: لغة العرب ينبغي أن توقَّر وأن تعظم وأن تغلَّب على سائر اللغات دلِّل على ذلك مع مزيد بيان لفضلها.

ج: نعم ينبغي أن توقر لغة العرب، وينبغي أن تسود وأن تعلو، إذ هي لغة القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أفضل رسول، لقول الله سبحانه: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

* وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف: ٢].
* وقوله سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الرعد: ٣٧].
* وقال سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [طه: ١١٣].
* وقال سبحانه: ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الزمر: ٢٨].
* وقال عز وجل: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الشورى: ٧].
* وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣].
* وقال سبحانه: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الأحقاف: ١٢].

* فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلِّب لغةً على لغة الكتاب العزيز؟! هل يليق بمسلم غيور على كتاب ربه أن يستعمل كلمة (ماما)، و(بابا) مكان أبي، وأمي، وأباه، وأماه؟!

* وهل قال الخليل: يا بابا إني قد جاءني من العلم؟!! أم أنه قال: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** ﴾ [مريم: ٤٣].

فكيف نغلب لغة الكفار على لغة الإسلام والمسلمين؟! إن النبي ﷺ لم يرض أن تُغلَّب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة فقال النبي ﷺ: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم**».

*إنها كلمة قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا. إنها كلمة تنم عن معانٍ أصيلة في التربية.

*أما مناسبتها، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان، أحدهما و أشهرهما: (العشاء) كما قال سبحانه: ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ**﴾ [النور: ٥٨].

والآخر: هو (العتمة) كما قال رسول الله ﷺ: «**ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً**»(١).

فلصلاة العشاء إذن اسمان «العشاء»، و«العتمة».

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحب إلى رسول الله ﷺ هو (العشاء)، وهو الذي جاء في كتاب الله:

أما «العتمة»: فهي لغة الأعراب، وإن كان النبي ﷺ تكلَّم بها أحيانًا، بل وذكرها في حديث، لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة، فحينئذ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل**»(٢).

---

(١) البخاري (حديث ومسلم (حديث ٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا. وقوله: «وهم يعتمون بالإبل» أي: يدخلون في العتمة، وهي ظلمة الليل. بالإبل أي: بسبب الإبل وحلبها.

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب الله، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ.

*أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير؛ فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب وهم عرب على لغة قريش وأهل المدينة، فهل يحب رسول الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والإنجليز على لغة المسلمين؟!

*هل يحب أن تُغلَّب (بابا)، و(ماما) على (أبي) و(أمي) و(أبت) و(أماه) و(أمتاه)؟!!

*هل يحب أن تغلَّب (أُنكل) على (عمي) و(خالي)؟!

أو تغلب (تانت) على (عمتي) و(خالتي)؟!

*هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

*إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**﴾ [مريم: ٤٣].

﴿**يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾ [مريم: ٤٤].

ويقول: ﴿**وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ [الشعراء: ٨٦].

ويوسف يقول: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: ٤].

ويقول: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ**﴾ [يوسف: ١٠٠].

ويقول الرسول ﷺ: «**استأذنت ربي أن أزور قبر أمي**».

فهل يليق أن تقول: واغفر (لبابا)؟! أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)؟! والرسول ﷺ يقول لأبي طالب «**يا عم قل: لا إله إلا الله**» فهل يليق أن يقال: (يا أُنكل) قل لا إله إلا الله؟!

أظن، بل أوقن أن هذا لا يليق.

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتاه وأمتاه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبًا، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي و أمي و . . .) بألفاظ جديدة (بابا ـ ماما)!

فلينتبه الآباء لمثل هذه الألفاظ، وليُحيي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ.

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول الله ﷺ يكثر من استعمالها ككلمة: أبشر، ومرحبًا، وأبي وأمي، ونحو ذلك من الألفاظ.

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي)، وتانت، أُنكل . . . و(أفندم) و(أبلة) ونحو هذه الكلمات.

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأخ الفاضل الكريم فتحي جمعة[1] قال حفظه الله:

* * *

(١) وفي اصطلاح المعاصرين فهو الأستاذ الدكتور فتحي جمعة هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية، ومن ذوي الخلق الحسن، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة بمدينة بلقاس وهو صاحب كتاب «اللغة الباسلة» ذلك الكتاب القيِّم النافع.

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة، يدركها كل ذي بَصرَ بوقائع التاريخ، منذ ظهر الإسلام ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين.

لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحلية» وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية - فارقت هذا وصارت لسانًا عامًا للمسلمين أينما يكونوا ومتىٰ يكونوا، فكان الإسلام سبيلها إلىٰ الناس، كما كانت - بحق - سبيل الناس إليه به عرفوها، وبها عرفوه.

ومن أجل ذلك كان حقًا علىٰ المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم - أن يُبوِّئوا لغة القرآن «مبوأ صدق»، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام، فلا يقدّموا عليها لغة أخرىٰ في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها.

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة، لأن تقريره ليس اجتهادًا منا، أو دعوىٰ يدعيها أمثالنا حبًا للعربية أو حماسة لها واعتزازًا بها، مع أن الحب والحماسة و الاعتزاز لبعض حقّ هذه اللغة علينا وعلىٰ الأمة جميعًا.

وإنما يرجع الأمر هنا إلىٰ آيات تتلىٰ في كتاب الله تعالىٰ ما دامت السموات والأرض، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق، بيانًا لأن العربية - لغة القرآن - هي اللغة التي اجتباها ربنا تبارك وتعالىٰ، واصطفاها علىٰ لغات العالمين.

قال تعالىٰ في مفتتح سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٣]- ثم ذكر الآيات التي قدمناها وقال-:

هذه الآيات البينات العظيمات، تدل-في رأينا-علىٰ أمرين ظاهرين:

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن.

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند الله تعالىٰ، إنه وحي يوحىٰ، قرآنًا يتلىٰ إلىٰ آخر الزمان.

ومعنى ذلك: أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عامًا لجميع المسلمين.

فإن تقررت هذه الحقيقة-وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلاً-فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلىٰ تعصب النبي ﷺ-حاشا لله-للغة قومه ولسان عشيرته، أو يدَّعُوه علىٰ خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين.

فها هي آيات القرآن تقول: إن أمر الله تعالىٰ ومشيئته جلت حكمته أن يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذًا لسان الإسلام.

ضرورة العربية لوجود الأمة:

من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهمّ عوامل التوحد والتلاقي بين الأمم والشعوب.

ذلك، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجةً إلىٰ جمع كلمتها وتوحيد صفوفها في مواجهة قوىٰ عاتية باغية، خبيثة ماكرة، تتربص بها،

وتتظاهر عليها، وتسعىٰ إلىٰ محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أمة واحدة متماسكة، ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة، فعلىٰ أيها تجتمع؟!

إن الجواب بيّن لا يحتاج إلىٰ بيان، فأحقُّ اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يُعرفُ الإسلام حق المعرفة بغير معرفتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي شاءت إرادة رب العالمين أن يكون عربيًا يُتلىٰ بالعربية في كل مكان إلىٰ آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأمة هذه الحقيقة، فأقبل جميعهم علىٰ لغة القرآن حبًا ورغبًا، دراسة وبحثًا وتأملاً.

وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين.

وحسبنا أن نتذكر أسماء سيبويه، وأبي علي الفارسي، والمبرد والفراء، والكسائي، وابن جني، وعبد القادر الجرجاني، هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية، وكلهم من أصول أعجمية لا عربية، ولكنهم نظروا إلىٰ لغة الضاد لا علىٰ أنها لغة العرب، بل علىٰ أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين، لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين.

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمّةً عزيزة منيعة وأسسوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

* * *

س: كمل الشرف لهذا القرآن الكريم من عدة وجوه، اذكر بعضها.

ج: من هذه الوجوه ما يلي:

١ -إنه مهيمنٌ علىٰ سائر الكتب التي قبله كما قال تعالىٰ: ﴿ **مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾.

٢ -كونه نزل علىٰ أشرف رسل الله ﷺ.

٣ -كونه نزل بواسطة وسفارة أشرف ملك، وهو جبريل عليه السلام.

٤ -ونزل أيضًا في أشرف شهر، وهو رمضان.

٥ -كونه نزل في أشرف البقاع وهي مكة.

٦ -كونه نزل بأشرف اللغات، وهي لغة العرب.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ **نحنُ نقصُّ عليك أحسن القصص** ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح للآية الكريمة سبب نزول، وهو ما أخرجه الحاكم[1] وغيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...** ﴾ الآية قال: نزل القرآن علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾

---

(١) الحاكم (٢/ ٣٤٥) وابن حبان (موارد الظمآن ـ ٤٣٢).

تلا إلىٰ قوله: ﴿ نحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية، فتلا عليهم زمانًا. فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ الآية كل ذلك يؤمر بالقرآن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: صحيح.

* * *

س: وضح المراد بـ ﴿الْقَصَصِ﴾.

ج: أصل القصص تتبع الشيء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ أي تتبعي أثره ومنه: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ يقصان الآثار.

ومن العلماء من قال: والحُسن في قوله تعالىٰ: ﴿ أَحْسَنَ ﴾ يعود إلىٰ القصص لا إلىٰ القصة.

قلت: وعَودُ الحُسنِ إليهما معًا أولىٰ.

وقولهم فلان حسن الاقتصاص أي: جيد السياقة له.

وقيل: إن «القصص» في معنىٰ الاسم، فالمعنىٰ: نحن نخبرك بأحسن الأخبار.

* * *

س: بمَ تمتاز قصة يوسف على غيرها من قصص النبيين عليهم الصلاة والسلام؟

ج: امتيازها لكونها سيقت كلها بتمامها وكمالها في سورة واحدةٍ من

كتاب الله عز وجل ولم تتفرَّق في جملة مواطن وسور.

وبكونها تضمنت عبراً وحكمًا و مواعظ أكثر من غيرها ولذلك بدئت بقوله تعالىٰ: ﴿نحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وختمت بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

وانظر إلىٰ جواب السؤال الآتي.

* * *

س: لماذا أطلق على هذه السورة الكريمة (أحسن القصص)؟

ج: ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

منها ما يلي:

قال بعض العلماء: إن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والإنس والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وذكر الحبيب والمحبوب، وحسن المحاورة والأدب في الخطاب.

وقال آخرون: إن فيها بيان العاقبة الحسنة للصبر والصابرين، ورفعة درجات المتقين، وتبرئة الله للمتهمين المظلومين.

وقال آخرون: إن السورة الكريمة حوت عبراً ومواعظ وحِكمًا لم تحوها سورة غيرها.

وفيها أيضًا: كيفية التعامل مع الناس جاهلهم وعالمهم وملكهم ومملوكهم ورجالهم ونسائهم.

وفيها أيضًا: معجزات باهرات ودلالات للنبوة واضحات، ودعوة للتوحيد ونبذ الشرك والخرافات، والتذكير باليوم الآخر.

وبالجملة؛ فقد اجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها، وإن كان في غيرها بعض ما فيها هذا، ومن أهل العلم من قال: إن ﴿أَحْسَنَ﴾ هنا بمعنى: أعجب.

فالمعنى: أعجب القصص.

* * *

مراعاة نفوس الناس عند الخطاب

س: نفوس الناس ينبغي أن تُراعى، وقدراتهم ينبغي أن تلاحظ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الصحابة طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحدثهم، وطلبوا منه أن يقص عليهم، كما سلف في سبب نزول الآية الكريمة، فأنزل الله ﴿نحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

وأخرج البخاري[1] من حديث علي رضي الله عنه قال: «**حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟!**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[2].

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين؛ ففي «الصحيحين»[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ، ـ ومعاذٌ رديفه علىٰ الرَّحل ـ قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال فذكره. (ترتيب محمد فؤاد ص ١١).

قلت: وإسناده منقطع، ومقدمة مسلم ليست علىٰ شرط الصحيح.

(٣) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث٣٢).

الله وسعديك (ثلاثًا) قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يتكلوا**». وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثمًا[١].

فانظر إلىٰ قوله: «**إذًا يتكلوا**» وفي الرواية الأخرىٰ[٢] «ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**»؟.

ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة. ودخل علىٰ إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس فخلِّهم يعملون فقال: «**فخلِّهم**»[٣].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قصص ماذا؟

ج: قصص الأنبياء السابقين، وأخبار من مضىٰ من الأمم، وأنباء ما قد سلف والكتب التي نزلت، إلىٰ غير ذلك مما ذكره الله في كتابه.

وقصة يوسف عليه السلام داخلة في المقام الأول في هذه القصص.

* * *

(١) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.
(٢) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث٣٢).
(٣) مسلم (حديث٣١/ ٦١).

س: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنت من قَبْلِه لَمن الْغَافِلِين﴾ غافلين عن ماذا؟

ج: من الغافلين عما أخبر الله به في كتابه الكريم، من الغافلين عن قصص السابقين، وأحوال المتقدمين، ومن الغافلين أيضًا عن أحكام الدين كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾.

* * *

س: ما تأويل قوله تعالى: ﴿أحد عشر كوكبًا والشَّمْس والْقمر﴾؟

ج: أما الكواكب فقد آلت إلىٰ إخوة يوسف (الأحد عشر)، والشمس والقمر فقد آلت إلىٰ (أبيه وأمه).

وهذا هو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

* * *

س: لماذا أُعيد ذكر الرؤيا في قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وقد قال في أول الآية ﴿إِنِّي رأيتُ أحد عشر كوكبًا﴾؟

ج: كُرر قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ للتأكيد.

ومن العلماء من قال مستأنفة لبيان الحالة التي رآهم عليها، فكأن سائلاً سأل فقال: كيف رأيتهم؟ فأجاب بقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: لماذ قال: ﴿رأيتهم﴾ مُجريًا لهم مجرى العقلاء، ولم يقل: رأيتها؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: القول عند الخليل وسيبويه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة والسجود، وهما من أفعال من يعقل أخبر عنها كما يخبر عمن يعقل، ثم قال: والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجًا عن الأصل.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»: وإنما أُجريت مجرىٰ العقلاء في ضميرهم وجمع صفتهم جمعًا سالمًا لوصفها بوصفهم وهو السجود.

* * *

س: ما وجه السجود في قوله: ﴿والشَّمْس والْقمر رأيْتهمْ لي ساجدين﴾؟

ج: هذا سجود تحية، وقد كان سائغًا في شرع من قبلنا، ولكنه نسخ في شريعتنا.

أما كونه كان سائغًا في شرع من قبلنا، فقد قال تعالىٰ للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ فسَجَدُوا إلاَّ إبْليسَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ورَفَعَ أبَوَيْهِ علَى الْعَرْشِ وخرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾.

* أما نسخُهُ في شريعتنا: فلقول رسول الله ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**[1] **من عظم حقه عليها**»[2].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الترمذي (١١٥٩) وابن حبان (موارد الظمآن ـ ١٢٩١)، والبيهقي (٧/ ٢٩١).

(٢) هذه الزيادة عند ابن حبان والبيهقي، وهي صحيحة أيضًا.

بحث مختصر في الرؤيا وأحكامها

س: اذكر أقسام الرؤيا.

ج: الرؤيا ثلاثة أقسام:

فمنها: رؤيا من الله عز وجل.

ومنها: حُلم من الشيطان.

ومنها: حديث للنفس، ينشغل الشخص بأمرٍ فينام فيراه في نومه.

وقد ورد في هذا الباب حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ[1]: «**إذا اقتربَ الزَّمان لم تكد رؤيا المُسلمِ تَكذِبُ. وأصدقكُم رُؤيا أصدقُكُم حديثًا. ورؤيا المسلم جُزءٌ من خمسٍ وأربعين جُزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصَّالحة بُشرى من الله. ورُؤيا تحزينٌ من الشَّيطان. ورُؤيا ممَّا يُحدث المرءُ نفسهُ، فإن رأى أحدُكُم ما يكرَهُ فليَقُم فليُصَلِّ، ولا يُحدث بِها النَّاس**».

* * *

س: اذكر ما يفعله من رأى رؤيا حسنة، وما يفعله من رأى رؤيا مزعجة.

ج: الذي يرىٰ رؤيا حسنة يحمدُ الله عليها ويُحدث بها من يُحب.

أما الذي يرىٰ غير ذلك مما يكره فعليه خمسة أمور:

١ ـ أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

٢ ـ أن يتفل عن يساره ثلاثًا .

٣ ـ أن لا يحدث بها أحدًا .

٤ ـ أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه .

٥ ـ أن يفزع إلىٰ الصلاة .

وهذا للآتي ذكره:

* **أولاً**: ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يُحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكرَهَ فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرِّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضرُّه**».

* **ومنها**: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من طريق أبي سلمة قال: لقد كنت أرىٰ الرؤيا فتمرضني حتىٰ سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرىٰ الرؤيا تمرضني حتىٰ سمعت النبي ﷺ يقول: «**الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لا تضره**».

* **وأيضًا**، فقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك .

* **وعند مسلم** :من حديث جابر رضي الله عنه[٣] عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) البخاري (حديث ٦٩٨٥).

(٢) البخاري (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (١٧٧٢).

(٣) مسلم (١٧٧٦).

قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قُطعَ فأنا أتبعه، فزجره النبي ﷺ وقال: «**لا تُخبر بتلعُّبِ الشَّيطان بك في المنام**».

* **وعند مسلم**: في رواية أخرىٰ عن جابر أيضًا قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن رأسي ضُرب فتدحرجَ فاشتددت علىٰ أثرِه؟ فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «**لا تُحدِّث النَّاس بتلعُّبِ الشَّيطان بكَ في مَنَامكَ**»، وقال: سمعت النبي ﷺ بَعدُ يخطُبُ فقال: «**لا يُحدثنَّ أحدُكم بِتَلَعُّبِ الشيطانِ بِهِ في مَنَامِهِ**».

* * *

س: اذكر حديثًا يُحذِّر من الكذب في ادعاء الرؤيا.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة. ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ**».

وعند البخاري[2] أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفرى الفرى أن يري عينه ما لم تر**».

* * *

(١) البخاري (حديث٧٠٤٢) وقد ورد في سند هذا الحديث خلاف لا أرىٰ له كبير تأثير علىٰ المتن، والله أعلم.

(٢) البخاري (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وقوله: (من أفْرَىٰ الفِرْىٰ) أي: من أعظم الكذب.

س: ما مدى صحة حديث: «الرؤيا على رِجل طائر ما لم تعبر فإذا عُبِّرت وقعت»؟

ج: لم أقف لهذا الحديث على طريق صحيح، وكل الطرق التي وقفت عليها لهذا الحديث لم يصح منها طريق.

من هذا: ما أخرجه أحمد[1] وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وغيرهم من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبرَّ فإذا عُبِّرت وقعت**» قال وأحسبه قال: «**ولا تقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي**».

وفي هذا السند وكيع بن عدس وهو مجهول.

وللحديث طرق لا تخلو من مقال، منها: ما أخرجه الحاكم في «المستدرك»[2] من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس مرفوعًا بنحوه. ورواية معمر عن أيوب فيها كلام.

وأخرج ابن ماجه الحديث مختصراً أيضًا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا.

ويزيد الرقاشي ضعيف.

وثمَّ طرق أُخر لهذا الحديث أوردها الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح

---

(١) الحديث أخرجه أحمد «المسند» (٤/ ١٠) وأبو داود (٥٠٢٠) واللفظ له والترمذي (٢٢٧٨، و٢٢٧٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٩١٤)، والدارمي (٢/ ١٢٦).

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩١) وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

البـــاري»[١] وفي كل منها مقال، إلا أن الحافظ حسن بعضها، ولا أراها ترتقي للحسن. والله تعالىٰ أعلم.

ومن ثمَّ فقد بوَّب البخاري علىٰ عادته في مثل هذه الأحوال (معلقًا الترجمة) فقال: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يُصب، وأورد حديثًا في هذا الباب:

وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٢] أنه كان يحدث: أن رجلاً أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرىٰ الناس يتكففون منها: فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلىٰ السماء، فأراك أخذت به فعلوت. ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله - بأبي أنت - والله لتدعني فأعبرها، فقال ﷺ له: «**اعبرها**». قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطفُ، فالمستكثر من القرآن والمستقل. وأما السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض الحقُّ الذي أنت عليه تأخذُ به فيُعليكَ الله. ثم يأخذ به رجلٌ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ فينقطع به، ثم يوَصل له فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبتُ أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «**أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا**»، قال: فوالله يا رسولَ الله لتحدّثني بالذي أخطأت. قال: «**لا تقسم**».

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» (١٢/ ٤٣٢) شرح حديث (٧٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٦)، ومسلم (حديث ٢٢٦٩).

س: الرؤيا لا ينبغي أن تقص إلا على عالمٍ مشفق عليك أو ناصح لك، دلل على ذلك.

ج: ورد في هذا الباب بأسانيد تصح بمجموعها ما أخرجه الترمذي والدارمي[1] وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «**لا تقصوا الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصح**».

وقد ورد هذا الحديث أيضًا في ثنايا الحديث السابق أيضًا.

ويشهد لمعناه قول يعقوب عليه السلام: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾.

* * *

س: وردت عدة أحاديث في الرؤيا الصالحة وأنها جزء من سبعين جزءً من النبوة، وأحاديث في أنها جزء من ستة وأربعين جزء، إلى غير ذلك. فكيف تجمع بين ذلك كله؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

الصحيح منها حديث الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديث السبعين؛ ولم يخرج مسلم في «صحيحه» غير هذين الحديثين، أما سائرها فمن أحاديث الشيوخ؛ قاله ابن بطال. قال أبو عبد الله المازري: والأكثر والأصح عند أهل الحديث (من ستة وأربعين).

(١) الترمذي (حديث ٢٢٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والدارمي (٢/ ١٢٦).

قلت: وأخشى أن يكون هذا الحديث أدرج على متن حديث آخر؛ فقد أخرج الترمذي هذا اللفظ عقب حديث الرؤيا ثلاث وقال عقبه: (وكان يقول: «لا تقص الرؤيا إلا على عالمٍ أو =

قال الطبري: والصواب أن يقال: إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح، و لكل حديث منها مخرج معقول؛ فأما قوله: «**إنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة**» فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة، ولكل مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان؛ وأما قوله: «**إنها من أربعين** ـ أو: **ستة وأربعين**» فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكرت عن الصديق رضي الله عنه أنه كان بها؛ فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السَّبَرات، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فرؤياه الصالحة ـ إن شاء الله ـ جزء من أربعين جزءاً من النبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤيا ه الصادقة بين جزءين؛ ما بين الأربعين إلى الستين، لا تنقص عن سبعين، وتزيد على الأربعين؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر ابن عبد البر فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف متضاد متدافع ـ والله أعلم ـ لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدِّين المتين، وحسن اليقين؛ فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد؛ فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب: كما أن الأنبياء يتفاضلون؛ قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا**

= ناصح». لكن أخرج الدارمي الحديث مستقلاً مقتصراً على: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح» مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ. فهذا قد يطمئن إلى حدٍ ما لكن الذي يُعكر أن مُسلمًا رحمه الله أخرج أصل الحديث بدون زيادة «لا تقصوا الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصحٍ» فيبدو مما أورده مسلم أن هذه اللفظة مدرجة أما الذي عوَّلنا عليه في تصحيحنا لمعنى الحديث كثرة طرقه وشواهده مع ما أشارت إليه الآية الكريمة، والله أعلم.

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] اهـ.

* * *

س: هل رؤيا الكفار التي تتحقق تُعدُّ من النبوة؟

ج: ليس كل ما يتحقق من رؤيا الكفار يُعد من النبوة، إذ ليس كل من صدق في خبرٍ يكون خبره هذا من النبوة.

* * *

س: قد يتأخر تحقق الرؤيا عدة سنوات، وضح ما يدل على ذلك؟

ج: إيضاحه أن يوسف عليه السلام رأىٰ رؤياه وهو صغير وتحققت بعد سنوات طويلة مكثها في بيت العزيز وهو عبد مسترق، وسنوات مكثها في السجن، ثم سبع سنوات سمان مكثها وهو عزيز لمصر، ثم دخلت عليه السنون العجاف فأتاه أبوه وإخوته فيها.

ورؤيا رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في كتابه الكريم بقوله: **﴿لَقَدْ صدَقَ اللَّهُ رسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تخَافُونَ﴾** قد تحققت بعد زمنٍ من رؤية النبي ﷺ لها[1]

* * *

(١) فعند البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبي ﷺ فقلتُ: ألست نبي الله حقًا؟ قال: «بلىٰ» قلت: ألسنا علىٰ الحق، وعدونا علىٰ الباطل؟ قال: «بلىٰ».. فذكر الحديث وفيه: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوِّف به».

س: اذكر بعض ما يتعلق بإظهار النعم وإخفائها من الفقه.

ج: إذا كان الشخص لا يخشىٰ حسد الحاسدين وكيد الكائدين فينبغي حينئذٍ أن يحدث بنعم الله عليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وأما إذا خشي حسد الحادسين وكيد الكائدين فلا يحدثهم بنعم الله عليه، لقوله تعالىٰ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وينبغي ـ و الحالة هذه ـ أن يحدث فقط من يحبهم ويحبونه، لقول النبي ﷺ: «**إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب**»[١].

* * *

س: هل يجوز التحذير من شخصٍ بعينه؟ دلل على ذلك.

ج: نعم يجوز التحذير من شخص بعينه، فـ: «**الدين النصيحة**»[٢] كما قال النبي ﷺ، وأيضًا قد حذر يعقوبُ ولده يوسف عليهما السلام فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

وكذلك قال النبي ﷺ لعائشة في شأن رجلٍ مقبلٍ عليه: «**بئس أخو العشير**»[٣]. وكذلك ففي صلح الحديبية قال النبي ﷺ ـ لما أشرف عليهم رجل يُقال له: مِكْرَزٌ بن حفص ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا مكرزٌ وهو رجل فاجر...**»[٤] الحديث.

---

(١) البخاري (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (١٧٧٢). (٢) أخرجه مسلم (حديث ٥٥).

(٣) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

س: المختار والمصطفى من اختاره الله واصطفاه، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ **وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلِّمُك من تأْويلِ الأحاديث** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يصطفي من الْملائكة رُسُلاً ومن النَّاس** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **وربُّك يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كان لهُمُ الْخيرةُ** ﴾.

* * *

س: المعلَّم من علَّمه الله، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ **وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلِّمُك من تأْويلِ الأحاديث** ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ **وأنزلَ اللَّهُ عليْكَ الْكتابَ والْحكْمةَ وعلَّمكَ ما لمْ تكُن تعْلمُ** ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ **وقُل ربِّ زِدْني علْماً** ﴾.

* ودعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما فقال له: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1].

* وقال موسى للخضر: ﴿ **هلْ أتَّبعُكَ علَىٰ أن تُعلِّمنِ ممَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾.

* وقال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿ **وعلَّمهُ ممَّا يشاءُ** ﴾ وقال أيضًا: ﴿ **وعلَّمْناهُ صنْعة لبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنكُم مِّنْ بأْسِكُمْ** ﴾.

---

(١) الحديث بهذا اللفظ عند الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٨) وفي «فضائل الصحابة» له (١٨٥٨) ولمزيد من التخريج، ومراجعة الألفاظ، انظر كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

س: ما المراد بـ ﴿تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا، ويدل على هذا الوجه ما يلي:

قوله: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾.

وقوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا..﴾.

الثاني: معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها، وسميت «أحاديث» لأنها يُحدَّث بها عن الله ورسله فيقال: قال الله كذا وقال رسول الله كذا.

* * *

س: ما المراد بإتمام النعمة في قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، وما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق؟

ج: المراد بإتمام النعمة إتمامها بجعله رسولاً وبالإيحاء إليه وبإنجائه من المكروه. أما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق فنعمة النبوة والرسالة.

* * *

س: لماذا عبَّر عن إبراهيم وإسحاق بقوله: ﴿أَبَوَيْكَ﴾؟

ج: **أولاً:** يجوز إطلاق الأب على الجد، وحتى الجد البعيد قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**»(١).

ثانيًا: عُبر عن إبراهيم وإسحاق بالأبوين للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج: وجه ذلك: طمأنة قلوب المؤمنين والإجابة على سؤال السائلين فإن سألت لماذا اختار الله يوسف واجتباه؟

فالجواب: إن ربك عليم أي بمن يستحق الاجتباء والاختيار. وكما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾.

أما قوله ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيفعل كل شيء بحكمه، وهو حكيم أيضًا سبحانه وتعالى في تدبيره، فيضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للإكرام ويحرم من هو أهل للحرمان، وكثير من الآيات المتعلقة بالرزق تختم بنحو هذا الختام، فقد قال تعالى: ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾.

فإن سألت لماذا رزق هذا بالبنين، ورزق هذا بالبنات؟

فجوابك: ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ**﴾ أي: بمن خلقه؛ إذ رزقهم وأعطاهم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٥) ومسلم (حديث ١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

س: وضح معنى ما يلي:

آياتٌ - عصبةٌ - ضلال مبين - اطرحوه أرضًا - يخل لكم وجه أبيكم - غيابة الجُبِّ - السيارة - إن كنتم فاعلين - ناصحون - يرتع - حافظون - ليحزنني - أجمعوا - لتنبئنهم - عشاءًا - متاعنا - بمؤمنٍ لنا - دم كذب - سوَّلت - صبرٌ جميل - المستعان:

ج :

الكلمة	معناها
آيات	عبرٌ وعظاتٌ ودلالات.
عصبةٌ	جماعة (قيل من الواحد إلى العشرة، وقيل غير ذلك)، الجماعة الذين أمرهم واحد، يتابع بعضهم بعضًا، ويتعصب بعضهم لبعض.
ضلال مبين	خطأ بيِّنٍ واضحٍ (لإيثاره يوسف علينا).
اطرحوهً أرضًا	ألقوه في أرض من الأراضي (البعيدة).
يخل لكم وجه أبيكم	يتفرغ لكم أبوكم، ويقبل عليكم بوجهه فيحبكم وتحبونه (فإن حب يوسف قد شغله عنكم)، يخلص ويصفو لكم وجه أبيكم.
غيابة الجب	الغيابة كلُّ شيءٍ غيَّب عنك شيئًا، ولذا

	قيل للقبر غيابة، فالغيابة موضع يغيِّب الشخص عن الأبصار. وغيابة الجب: أسفل البئر، وما غاب من الجبِّ. وقيل أيضًا: إن الجب هي البئر التي لم تطو، أي التي لم تُبطن حافتها بالأحجار.
السيارة	الرفقة من الناس الذي يسيرون مع بعضهم (مسافرين).
إن كنتم فاعلين	إن كنتم عاملين بما أشرت عليكم به.
ناصحون	نحب الخير له وندله عليه، ونكره له الشر ونحذره منه
يرتع	يرتعْ (بالتسكين): يتحرك كيف يشاء، و يتسع في الخصب، ويسعىٰ ويأكل ويشرب. ويرتعِ (بالكسر): من الرعي، أن يتدرب علىٰ رعي الغنم.
حافظون	نحفظه ونرعاه ونحوطه ونمنعه من السوء.
ليحزنني	ليوقعني في الحزن، الذي هو ألم النفس.
أجمعوا	اتفقت كلمتهم.
لتنبئنهم	لتخبرنهم.
عشاءًا	بعد غروب الشمس.
متاعنا	ثيابنا وأمتعتنا.

بمؤمن لنا	بمصدقٍ لنا .
دم كذب	دم مكذوب مفترىٰ (قال البعض : إنهم عمدو إلىٰ شاةٍ فذبحوها ولطخوا بدمها قميص يوسف عليه السلام) .
سوَّلت	حسّنتْ ـ زيَّنت .
صبرٌ جميل	صبرٌ لا شكوىٰ معه ـ صبرٌ سالم من التسخط والشكوىٰ للخلق .
المستعان	الذي يُطلب منه العون .

* * *

س: هل إخوة يوسف كانوا أنبياء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنهم أنبياء مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**﴾.

فقالوا إن أبناء يعقوب هم الأسباط، فلما ذكر الله أنه أوحىٰ إليهم دلَّ ذلك علىٰ نبوتهم.

بينما ذهب آخرون من العلماء إلىٰ أنهم ليسوا بأنبياء.

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**﴾. وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب قبائل، وللعجم شعوب، يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالاً؛ لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

وفي هذا ما يدلّ علىٰ أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أوّلاً ولا آخراً؛ لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية

ثم تابوا. وقيل: كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلّة نبي، فكانت هذه زلّة منهم؛ وهذا يرده أن الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدّمناه. وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبّأهم الله؛ وهذا أشبه، والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ سائلون عن ماذا؟

ج: سائلون عن خبر يوسف ﷺ، وسائلون عن القصص بصفةٍ عامةٍ.

* * *

س: ما موقع اللام في قولهم: (ليوسف)؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

إن اللام هنا للتأكيد، وهي التي يتلقى بها القسم، فالمعنى: و الله ليوسف.

* * *

س: من أخو يوسف؟

ج: لم يرد اسمه في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه ولكن ذهب جمهور المفسرين إلى أنه «بنيامين».

* * *

س: هل يَحسد المؤمن؟

ج: نعم قد يحسد المؤمن، فها هم إخوة يوسف ﴿**قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[1] فحسدوا يوسف وأخاه على محبة أبيهما

(١) ولمزيدٍ انظر: «تفسير سورة الفلق» من كتابنا «التسهيل» جزء عم.

لهما. وألفت النظر هنا إلىٰ هذا الكلام الطيب النافع الذي ذكره القاسمي في «محاسن التأويل» لعل متعظًا أن يتعظ ومعتبرًا أن يعتبر وحاسدًا أن يقلع عن حسده، ونفسًا أمارة بالسوء تتحول إلىٰ نفسٍ لوامة، بل إلىٰ نفس مطمئنة راضية بقضاء الله وقانعةٍ بعطاء الله.

قال القاسمي رحمه الله:

ثم تأمل في قصة الإخوة وحديث القميص والجبّ والذئب والدم، لتعلم ما نشاهده كل يومٍ من معاداة الأقران لمن ظهرت مبادئ الجمال النفسي، والخلق المرضي، والجلال الظاهر علىٰ ملامحه، فيعيبونه بما يشينه في نفسه أو عرضه أو خلقه، دلالة علىٰ أن هذه سنّة في الكون لا تغادر نبيًا ولا حكيمًا ولا عالمًا مهما حسنت أخلاقه، وجمل ظاهره وباطنه...!

كل العداوات قد تُرجى إزالتها إلاّ عداوة من عاداك من حسد

جرت تلك السنة في الأناسي: فإذا صبر الصالح فاز بالولاية عليهم، وأحبوه بعد العداوة ولو بعد حين، وعادوا من آذاه ثم انظر في حديث قصة امرأة العزيز، وكيف عفّ مع الشباب؟! وكيف ساس نفسه و صدق ظن مولاه في الأمانة؛ وأرضىٰ إلهه، واتسم بالفضيلة، فَتَوَازَىٰ جماله الباطنيّ والظاهريّ..!

* * *

س: هل يُلام الشخص على محبته لبعض أبنائه دون بعض أو بعض الناس دون بعض؟

ج: لا يُلام الشخص علىٰ ذلك، إذ المحبة من الله سبحانه وتعالىٰ فهو

الذي يلقيها في قلوب العباد.

أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبَّه. فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضعُ له القبول في الأرض**».

وفي لفظ لمسلم[٢]: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبه**» قال: «**فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء**» قال: «**ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه**» قال: «**فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه**» قال: «**فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

ولفظ الترمذي[٣]: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أني قد أحببت فلانًا فأحبه**» قال: «**فينادي في السماء ،ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني أبغضت فلانًا. فينادي في السماء، ثم تُنزل له البغضاء في الأرض**».

هذا وقد أخرج مسلم ـ عقب هذا الحديث ـ بإسناده إلى سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمرَّ عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠).

(٢) مسلم (٢٦٣٧).

(٣) الترمذي (حديث ٣١٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ينظرون إليه فقلت لأبي: يا أبت إني أرىٰ الله يحب عمر بن عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، فقال: بأبيك! أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم... ثم ذكر بمثل حديث جرير عن سهيل.

هذا، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ لنبيه موسىٰ ﷺ: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**﴾.

وقال نبينا محمد ﷺ في شأن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «**إني قد رزقت حبَّها**»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه علىٰ جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: مِن الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثمَّ من؟ قال: «**عمر بن الخطاب**» فعدَّ رجالاً.

وقد أخرج[3] أبو داود ـ بإسناد فيه علةٌ ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» قال أبو داود: يعني القلب.

* * *

(١) مسلم ص (١٨٨٨).

(٢) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) أبو داود (٢١٣٤) وقد أشرت إلىٰ إعلاله وبيان سبب الإعلال في كتابي «جامع أحكام النساء» (٣/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

س: ما مرادهم بالضلال إذ قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؟

ج: مرادهم بالضلال هنا هو الذهاب عن العلم بحقيقة الأمر، وليس المراد الضلال في الدين إذ لو أرادوا أن أباهم في ضلال في دينه لكفروا بذلك.

وبنحو هذا قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»؛ فقال رحمه الله:

الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة ـ إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي.

ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب، فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ أي لست عالمًا بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم. ومنه بهذا المعنى قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تهيم

يعني: أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغي بها بدلاً وهو لا يبغي بها بدلاً.

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين، إذ لو أراد ذلك لكانوا كفاراً، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة وإنزال الأمر منزلته اللائقة به، حيث آثر اثنين على عشرة، مع أن العشرة أكثر نفعًا

له وأقدر على القيام بشئونه وتدبير أموره.

س: اذكر بعض المعاني الأُخر التي يطلق عليها الضلال.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»[١] بعد ذكره ما تقدم من الكلام الذي نقلناه عنه:

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين:

أحدهما: الضلال في الدين، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، وهذا أشهر معانيه في القرآن؛ ومنه بهذا المعنى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

الثاني: إطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة، من قول العرب: ضل السمن في الطعام، إذ غاب فيه وهلك فيه، ولذلك تسمي العرب الدفن إضلالاً، لأنه تغييب في الأرض يؤول إلى استهلاك عظام الميت فيها، لأنها تصير رميمًا وتمتزج بالأرض، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ الآية.

ومن إطلاق الضلال على الغيبة: قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب واضمحل.

ومن إطلاق الضلال على الدفن: قول نابغة ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

---

(١) «أضواء» (٣/ ٤٦).

فقوله: مضلوه، يعني دافنيه، وقوله: بعين جلية، أي: بخبر يقين. والجولان: جبل دفن عنده المذكور.

ومن الضلال بمعنى الغيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنت القذي في موج أكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالا

وقول الآخر:

ألم تسأل فتخبرك الديارُ عن الحي المضلل أين ساروا

* * *

س: تفضيل بعض الأبناء على بعض يجلب التحاسد والعداوات بينهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك: قول إخوة يوسف: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ فوصفوا أباهم بالضلال لذلك، ثم اتجهوا إلى التفكير في قتله وإلى إلقائه في غيابة الجب.

ولذلك حث النبي ﷺ على العدل بين الأولاد في الهبات، فعند البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عهنما قال: أعطاني أبي عطيةً فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسولَ الله ﷺ: فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرةَ بنت رواحة عطية فأمرتني أن أُشهدك يا رسول الله. قال: «**أعطيت سَائرَ وَلَدكَ مثل هذا**»؟ قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[1] قال: فرجع فردَّ عطيته.

* * *

(١) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (٤/ ١٤٨-١٤٩).

س: من المعلوم أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد فيما بينهم، وقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام يعلم ذلك بدليل قوله: ﴿لا تقصص رءياك على إخوتك﴾ فلماذا إذن أقدم على هذا التفضيل؟

ج: التفضيل الذي أقدم عليه يعقوب عليه السلام إنما هو تفضيل في المحبة فقط، والمحبة لا يستطيع الشخص أن يتحكم فيها فأصلها من الله، وقد قدمنا الأدلة على ذلك، ثم إن المحبة في القلب، والله يحول بين المرء وقلبه، فمن ثمَّ فيعقوب عليه السلام معذورٌ فيما أقدم عليه من التفضيل.

* * *

س: لقد اجتمع إخوة يوسف على أمرٍ ذي خطرٍ عظيم، بيِّن ما في هذا الأمر من خطر.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر اللَّه لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً.

رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه.

* * *

س: الحسد سبب لكثير من البلايا والحوادث والكوارث، دلِّل على ذلك.

ج: نعم، الحسد سببٌ لكل ذلك بل لأشد من ذلك، فالحسد سبب في الكفر، وما امتنع إبليس من السجود لآدم إذ أمره الله بذلك إلا حسداً منه له.

وكان من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان والتصديق برسول الله ﷺ ما ذكره الله في كتابه إذ قال: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾.

وقال الله تبارك وتعالىٰ عن اليهود والنصارىٰ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾.

وصدر من عبد الله بن أُبي ابن سلول الذي صدر بسبب حسده رسول الله ﷺ. والحسد سبب للقتل كذلك، فالذي حمل ابن آدم الأول علىٰ قتل أخيه حسدُه له، إذا قربا قربانًا فتقبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: لأقتلنك.

وها هم إخوة يوسف عليه السلام، حملهم حسدهم له علىٰ تقطيع الأرحام وعقوق الوالدين والكذب والافتراء، بل وحملهم علىٰ التفكير الجاد في قتله والتخلص منه.

فجدير بكل شخص مسلم تسرب إليه هذا الداء العضال أن يبادر بالتخلص منه و لا يترك نفسه يحسد من يشاء وكيف يشاء.

* * *

س: ما المراد بقولهم: ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي من بعد هذا الصنيع ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ أي تتوبوا إلى الله وتستغفرونه من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله وإزالة لشناعته، وتنشيطًا من بعضهم لبعض. اهـ.

هذا وثمَّ وجه آخر غير الذي ذكره السعدي رحمه الله، حاصله ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي من بعد زوال يوسف وذهابه وابتعاده عنكم ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ لتفرغكم للعبادة والتوبة وإقبال أبيكم عليكم بوجهه، والله أعلم.

* * *

س: هل الغاية تُبرر الوسيلة؟ دلِّل على ما تقول.

ج: الغاية لا تُبرر الوسيلة في كل الأحوال، بل الأصل أن الغايات لا تبرر الوسائل فإخوة يوسف عليه السلام أرادوا الصلاح؛ إذ قالوا: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ ولكنهم سلكوا سبيلاً مذمومًا وأرادوا أمرًا كبيرًا محرمًا، إذ قالوا: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ فأرادوا إقبال أبيهم عليهم وأرادوا الصلاح فهذه غايتهم، ولكن وسيلتهم إلى ذلك قتل أخيهم أو طرحه أرضًا، وقد اعترفوا بخطئهم إذ قالوا فيما بعد: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾.

فالغاية هنا لم تبرر الوسيلة، بل لزامًا أن تكون الغاية صالحة والوسيلة صحيحة كذلك.

فلا تسرق وتتصدق بمالٍ مسروق، ولا تُرابِ وتتصدق بمال الربا.

ولا تأكل أموال اليتامى ظُلمًا وتتصدق بهذه الأموال، وأيضًا فكما قال الشاعر:

أَمُنفقة اليتامى من كَدِّ فرجها لكِ الويلُ لا تزني ولا تتصدقي

وهناك بعض المواطن التي قد تُبرر فيها بعض الغايات بعض الوسائل.

كالكذب للإصلاح، وإباحة الميتة والدم والخنزير عند الاضطرار، وكالتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، واختيار أخف الأضرار عند تزاحم المفاسد، ونحو ذلك، والله أعلم.

* * *

س: دلِّل على أن يوسف كان صغيراً عند قذفه في غيابة الجب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿**وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**﴾ فالذئب يأكل الصغير في الغالب.

* قول الوارد: ﴿**يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ**﴾.

* قول إخوة يوسف: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾.

* قولهم: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾ والملتقط يكون صغيراً.

* * *

مبحثٌ مختصر في أحكام اللقطة

س: إذا وجد شخص لقطةً هل الأولى أن يأخذها أم يتركها؟

ج: للشخص أن يلتقط اللقطة إذا وجدها ثم يُعرفها إذا كانت تحتاج إلى تعريف «أي إذا كانت لقطة لها شأن فيسير اللقطة معفوٌ عنه».

ولكن هل الأولى أن يلتقط اللقطة أم أن يتركها أفضل؟

فهذا يختلف باختلاف نوع اللقطة ومكان العثور عليها وكذلك الشخص المُلتقط، فإذا كانت اللقطة ستتلف إذا تركت في مكانها، أو ستقع في يد شخصٍ غير أمين، فالتقاطها ـ حينئذ ـ ثم تعريفها أولى، ومن ثم قال النبي ﷺ في ضالة الغنم: «**هي لك أو لأخيك أو للذئب**»[1].

أما إذا كانت اللقطة لن تتلف، وهي أيضًا في مكان أمين ويغلب على الظن أن صاحبها سيأتي لأخذها فتركها في هذه الحال أفضل.

وقد قال النبي ﷺ في ضالة الإبل: «**ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها**

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٢٧) ومسلم (١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي النبي ﷺ فسأله عما يلتقطه فقال: عرِّفْها سنة، ثم اعرف عفاصها ووكاءها، فإن جاء أحد يخبرك بها وإلا فاستنفقها. قال: يا رسول الله فضالّة الغنم؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب». قال: ضالة الإبل؟ فتمعَّر وجْه النبيِّ ﷺ فقال: «ما لكَ ولَهَا؟ معها حِذَاؤها وسِقَاؤها، تَرِدُ الماءَ وتأكل الشَّجَرَ».

والعفاص: هو الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلدًا كان أو غيره.

والعفاص أيضًا الجلد الذي يكون على رأس القارورة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٩٨).

والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة وغيرها، قاله الحافظ.

حتى يأتيها ربُّها».

هذا، ومما يدل على جواز الالتقاط في الجملة ما يلي:

* ما ذكره أخو يوسف لإخوته إذ قال في شأن يوسف عليه السلام: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾.

* حديث زيد بن خالد[1] رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله عن اللقطة فقال: «**اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرِّفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها**» قال فضالة الغنم؟قال: «**هي لك أو لأخيك أو للذئب...**» الحديث، وتقدم تخريجه.

* ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من طريق سويد بن غفلة قال لقيت أُبي بن كعب رضي الله عنه فقال: «أصبتُ صُرَّةً فيها مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ فقال: «**عرفها حولاً**» فعرفتها حولاً، فلم أجد من يعرفها، ثم أتيته فقال:« **عرِّفها حولاً**» فعرفتها فلم أجد، ثم أتيته ثلاثًا فقال: «**احفظ وعاءَها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلاَّ فاستمتع بها**»، فاستمتعت. فلقيتهُ بعدُ بِمكَّة فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحداً.

* وأيضًا في الباب نصوصٌ عامة منها قوله تعالىٰ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾.

أما في باب التحذير من التقاطها وعدم تعريفها فقد ورد فيه ما أخرجه مسلم في «صحيحه»: «**من آوى ضالة فهو ضال ما لم يُعرفها**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٢٤٣٦)، ومسلم (١٧٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٧٢٥).

ونصوص عامة أيضًا ؛ منها : قوله عليه الصلاة والسلام : «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام**»(١) .

* * *

س: هل يسير اللقطة كعظيمها في التعريف؟

ج: يسير اللقطة ليس كعظيمها في التعريف ، بل يسير اللقطة يُعفىٰ عنه فمن وجد شيئًا تافهًا فعرَّفه سخر الناس منه وقد قال النبي ﷺ في شأن تمرةٍ وجدها : «**لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها**»(٢) ، فالشاهد أن الرسول لم يُعرف هذه التمرة ويقول : حق من هذه التمرة ؟ والله أعلم .

واستدل لذلك أيضًا بقصة(٣) الرجل الذي وجد خشبة في البحر فأخذها لأهله حطبًا .

* * *

س: كيف يعرف الشخص أن هذه اللقطة يسيرة أو عظيمة؟

ج: اللقطة يختلف الحكم عليها من ناحية يسرها أو قدرها بحسب المكان والزمان فمن وجد عشرة جنيها ت في مدينة كبيرة وسوق كبير فالغالب أن صاحب هذا المبلغ لن يبحث عنه في مثل هذا الجمع الكبير ومن ثم فلا معنىٰ للتعريف ، أما من وجد ذلك في قرية صغيرة ومكان محصور وقومٍ فقراء ،

(١) البخاري (حديث ٦٧) ، ومسلم (حديث ١٢١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣١) ومسلم (حديث ١٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ بتمرة في الطريق قال : «لولا أني أخاف . . » الحديث .
وأخرج البخاري (٢٤٣٢) ومسلم (١٠٧٠) نحوه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجها البخاري معلقًا (٢٤٣٠) .

فالغالب أن صاحب هذا المبلغ سيبحث عنه، والله أعلم.

* * *

س: ما وجه الخلاف بين لقطة مكة ولقطة غيرها من البلاد؟

ج: وجه ذلك أن لقطة مكة تحرم عمومًا، لا تلتقط إلا للتعريف فقط، ولا تتملك بعد عام، أما سائر أنواع اللقطة فتُعرف لمدة عام، فإذا جاء صاحبها وإلا تملكها الشخص.

هذا ومن العلماء من سوَّىٰ بين لقطة الحرم وغيرها وقال هي سواء، والأول أولىٰ لتشديد النبي ﷺ في لقطة الحرم.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»[1]:

«لما فتح الله علىٰ رسوله ﷺ مكة، قام في الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلَّطَ عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لا تحِلُّ لأحد كان قبلي، وإنها أُحلَّت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد من بعدي، فلا ينفرُ صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحِلُّ ساقطتها إلا لمنشد..**».

* * *

س: ورد في بعض الطرق أن اللقطة تُعرف ثلاثة أعوام، وفي أحاديث أُخر ثابتة أنها تعرف عامًا واحدًا، فكيف الجمع بين هذه الروايات؟

ج: أكثر أهل العلم علىٰ أن اللقطة إنما تعرَّف عامًا واحدًا، وحملوا الحديث الذي ورد فيه التعريف ثلاثًا علىٰ أمورٍ:

منها: أن التعريف لم يكن وقع علىٰ الوجه الكافي، كما قال الرسول عليه

---

(١) البخاري (٢٤٣٤) ومسلم (١٣٥٥).

الصلاة والسلام لرجل: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**».

ووجه ثانٍ: أن رواية التعريف ثلاثًا كانت على سبيل الاحتياط الزائد.

ووجه ثالث: أن الراوي الذي روى حديث التعريف ثلاثًا شك في ذلك، وقد تقدم الحديث من طريق سويد بن غفلة وقد أخرجه أيضًا البخاري ومسلم[1]، و فيه أن بعض الرواة قال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحدًا.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[2]:

وجمع بعضهم بين حديث أُبي هذا وحديث زيد بن خالد الآتي في الباب الذي يليه فإنه لم يختلف عليه في الاقتصار على سنة واحدة فقال: يحمل حديث أبي بن كعب على مزيد الورع عن التصرف في اللقطة والمبالغة في التعفف عنها، وحديث زيد على ما لا بد منه، أو لاحتياج الأعرابي واستغناء أبي.

قال المنذري: لم يقل أحد من أئمة الفتوى أن اللقطة تعرف ثلاثة أعوام إلا شيء جاء عن عمر. انتهى.

وقد حكاه الماوردي عن شواذ من الفقهاء. وحكى ابن المنذر عن عمر أربعة أقوال: يعرفها ثلاثة أحوال، عامًا واحدًا، ثلاثة أشهر، ثلاثة أيام، ويحمل ذلك على عظم اللقطة وحقارتها. وزاد ابن حزم عن عمر قولاً خامسًا وهو أربعة أشهر. وجزم ابن حزم وابن الجوزي بأن هذه الزيادة غلط. قال: والذي يظهر أن سلمة أخطأ فيها ثم تثبت واستذكر واستمر على

(١) البخاري (حديث ٢٤٣٧) ومسلم (١٧٢٣).

(٢) «فتح» (٥/ ٩٥-٩٦).

عام واحد، ولا يؤخذ إلا بما لم يشك فيه راويه.

وقال ابن الجوزي: يحتمل أن يكون ﷺ عرف أن تعريفها لم يقع على الوجه الذي ينبغي، فأمر أبيًا بإعادة التعريف كما قال للمسيء صلاته: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» انتهى.

ولا يخفى بعد هذا على مثل أُبيّ مع كونه من فقهاء الصحابة وفضلائهم. وقد حكى صاحب «الهداية» من الحنفية رواية عندهم أن الأمر في التعريف مفوض لأمر الملتقط، فعليه أن يعرفها إلى أن يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك. والله أعلم.

* * *

س: إذا لم يوجد صاحب اللقطة أو الضالة بعد سنة هل للملتقط أن يأخذها لنفسه؟

ج: نعم لمن التقطها أن يأخذها إذ عرفها لمدة سنة ولم يأت صاحبها؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد، وقد تقدم وفيه: «... **ثم عرِّفها سنةً فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها**»[1] الحديث.

وإلى هذا ذهب البخاري حيث بوَّب بباب: إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنةٍ فهي لمن وجدها.

* * *

س: إذا جاء صاحبها بعد سنة هل يُعطاها أم لا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أنها تُرد إلى صاحبها إذا جاء ولو بعد عام،

---

(١) اللفظة عند البخاري أيضًا في حديث (٢٤٢٩).

وأن ذلك واجبٌ إذا كانت العين موجودة.

أما إذا كانت استهلكت فيدفع بدلها لصاحبها أيضًا. نقل ذلك الحافظ ابن حجر عنهم.

وخالف البعض فيما إذا استهلكت وقالوا لا يضمن شيئًا، والله أعلم[1].

* * *

س: لماذا لم يقولوا (إن شاء الله) عقب قولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؟

ج: ذلك لأنهم أضمروا الشر، ومريد الشر يعمى عن كلمات الخير. والله أعلم.

* * *

(١) ولمزيد بحث انظر «فتح الباري» (٥/ ١٠٢، ١٠٩).

لعب الصبيان

س: اذكر بعض ما يدل على جواز لعب الصبيان.

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قالت: كان الحبش يلعبون فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتىٰ كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علىٰ اللهو.

* وفي رواية بإسناد صحيح عند النسائي في «السنن الكبرىٰ»[٢] عن عائشة قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: «**يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت: نعم، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني علىٰ عاتقه فأسندت وجهي إلىٰ خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّبًا[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك؟!**»[٤] فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام ثم قال: «**حسبك؟!!**» فقلت: لا تعجل يا رسول الله ـ قالت: وما لي حبٌ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩٠) ومسلم (حديث ٨٩٢).

(٢) النسائي في «السنن الكبرىٰ» (حديث ٨٩٥١/ ١) وقد صحح الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناد هذه الرواية في «فتح الباري» (٢/ ٤٤٤).

(٣) أي: من الأغاني التي يغنون بها.

(٤) حسبك أي: هل يكفيك؟

(٥) أي: يعرف النساء (تعني أزواجه) منزلتي عند رسول الله ﷺ.

*وفي رواية بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها عند النسائي في «السنن الكبرىٰ»: قالت: لعبت الحبشة فجئت من ورائه ﷺ فجعل يطأطيء ظهره حتىٰ أنظر[١].

*وأخرج الإمام أحمد في «المسند»[٢]، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» وغيرهما بسند صحيح، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن، فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا ثم قال لي: «**تعالي حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتىٰ إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا ثم قال: «**تعالِي حتى أسابقك**» فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**».

*وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات[٤] عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان

---

(١) النسائي «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٨).

(٢) أحمد في «المسند» (٦/ ٢٦٤) والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٤).

(٣) البخاري «مع الفتح» (١٠/ ٥٢٦) ومسلم (مع النووي٥/ ٢٩٥).

(٤) البنات هي اللعب التي يلعب بها الفتيات الصغيرات، وتكون هذه البنات علىٰ شكل عرائس ونحوها قال النووي: قال القاضي: فيه جواز اللعب بهن، قال: وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن.. ثم قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن.

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٧): واستدل بهذا الحديث علىٰ جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخصَّ ذلك من عموم النهي عن اتخاذ =

رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن[١] منه فيُسرّبهن[٢] إليَّ فيلعبن معي.

* وقد استدل جمهور العلماء بهذا الحديث على جواز لعب البنات الصغيرات بالبنات (أي باللعب بالصغيرة التي على شكل العرائس ونحوها).

وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في ذلك.

* وقد قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]، فما أنكر أبوهم لعب يوسف ﷺ، وإنما أبدى مخاوفه بقوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

* وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟**»[٤].

* وفي رواية لأحمد[٥] من طريق حميد بن أنس قال: كان لأبي طلحة ابنٌ يقال له أبو عمير وكان النبي ﷺ يضاحكه قال فرآه حزينًا فقال: يا أبا

= الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور.

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة أقوال في ذلك.

(١) ينقمعن: أي: يختفين.

(٢) يُسربهن أي: يرسلهن.

وفي رواية للنسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت ألعب بالبنات فربما دخل عليّ رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأين رسولَ الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ: «كما أنتِ، وكما أنتن».

(٣) البخاري (حديث٦١٢٩)، ومسلم (حديث٢١٥٠).

(٤) النُّغير: طائر صغير.

(٥) أحمد «المسند» (٣/ ١١٥) وسنده صحيح.

عمير ما فعل النغير؟!.

* وفي رواية ثالثة عند أحمد أيضًا[١] . . . وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزينًا فقال ما لي أرىٰ أبا عمير حزينًا ؟ فقالوا : مات نغره الذي كان يلعب به . قال : فجعل يقول : أبا عمير ما فعل النغير .

* * *

س: اعتذر يعقوب لأبنائه بعذرين لمنع يوسف من الخروج من إخوته، وضحهما.

ج: **أما العذر الأول**: فهو قوله : ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ**﴾ أي : يشق عليَّ فراقه ، ويحزنني ابتعاده عني .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخُلق صلوات الله وسلامه عليه .

أما العذر الثاني: فهو خوفه من أن يأكله الذئب .

* * *

س: هل يتسرب الحزن إلى الصالحين؟

ج: نعم فالصالحون بشرٌ يحزنون كما يحزن البشر قال يعقوب عليه السلام : ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ**﴾ .

وقال النبي ﷺ : «**وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**»[٢] .

---

(١) أحمد (٣/ ١٨٨ ، ٢٠١) وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣) في وفاة ولده إبراهيم عليه السلام وقد دخل عليه النبي ﷺ وهو =

ولما قتل زيد و جعفر وابن رواحة رضي الله عنهم جلس النبي ﷺ يُعرف في وجهه الحزن[١] .

* * *

س: ما موقع اللام في قولهم: ﴿ لئن أكله الذئب ﴾ ؟

ج: اللام هي الموطئة للقسم، فالمعنى: والله لئن أكله الذئب . . .

* * *

س: ما جواب (لـمَّا) في قوله تعالى: ﴿ فلمَّا ذهبُوا به . . . ﴾ ؟

ج:

* من العلماء من قال: جواب ذلك محذوف. فالمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم. وقيل: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها.

* ومن ا لعلماء من قال: بل الجواب مذكور، وهو قولهم إنا ذهبنا نستبق فالمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، أتوا فقالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق.

* ومن العلماء من قال: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب أوحينا إليه، فالجواب أوحينا إليه والواو مقحمة كما في قوله تعالى: ﴿ فلما أسلما وتله للجبين وناديناه ﴾ فالمعنى: فلما أسلما وتله للجبين

= يجود بنفسه فجعلت عينا رسولِ الله ﷺ تذرفان. . ثم قال: «إن العين تدمع والقلبُ يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنا بِفراقك يا إبراهيم لمحزونون».
وانظر أيضًا مسلم (حديث ٢٣١٥).

(١) البخاري (حديث ١٢٩٩).

ناديناه.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ فالمعنىٰ فلما جاء أمرنا فار التنور.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فالمعنىٰ: حتىٰ إذا جآءوها فتحت أبوابها. والله أعلم.

* * *

س: هل أُعطي يوسف النبوة وهو في البئر؟

ج: قال ذلك بعض أهل العلم، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قالوا: فأوحىٰ إليه وهو في البئر، فدلَّ ذلك علىٰ نبوته.

وقال آخرون: إن هذا الوحي كان إلهامًا كالوحي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وكقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وكقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

فقال هذا الفريق من أهل العلم: إنه أوحىٰ إليه لما بلغ أشده فعند ذلك ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وفسر بعضهم ذلك بالنبوة.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وفي هذا دليل علىٰ أنه يجوز أن يوحي الله إلىٰ من كان صغيراً ويعطيه النبوة حينئذ كما وقع في عيسىٰ ويحيىٰ بن زكريا وقيل: معنىٰ الوحي هنا الإلهام كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ والأول أولىٰ، وقد قيل: إنه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال وهو بعيد جداً، فإن من كان قد بلغ مبلغهم لا يخاف عليه أن يأكله الذئب.

وقال الرازي في «التفسير الكبير»:

في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغًا أو كان صبيًا؟ قال بعضهم: إنه كان في ذلك الوقت بالغًا وكان سنه سبع عشرة سنة، وقال آخرون: إنه كان صغيرًا إلا أن الله تعالىٰ أكمل عقله وجعله صالحًا لقبول الوحي والنبوة كما في عيسىٰ عليه السلام.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ والأول: أولىٰ، لأن الظاهر من الوحي ذلك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ متى كان هذا الإنباء؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أن هذا الإنباء هو قول يوسف عليه السلام: إذ قال لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ..﴾.

الثاني: ما ذكره الطبري[1] بإسناده إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصُّوَاع،

---

(١) الطبري (١٨٨٤٠) وابن أبي حاتم (١١٧٢٩). وفي إسناده من لم يُذكر فيه جرح ولا تعديل.

فوضعه علىٰ يده، ثم نقره فطنَّ، فقال: إنه ليخبرني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له يوسف، يدنيه دونكم، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب.

قال: ثم نقره فطنَّ فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم علىٰ قميصه بدمٍ كذب! قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم. قال ابن عباس: فلا نرىٰ هذه الآيات نزلت إلا فيهم: «لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لا يشعرون بأنك يوسف، قاله بعض أهل العلم.

وقال آخرون: لا يشعرون بوحينا إليك.

* * *

س: يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِم هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ خلق كريم في التعامل مع المؤمنين، وضح هذا الخلق.

ج: هذا هو جبران الخواطر المنكسرة، فيوسف ﷺ كُسر خاطره بعد أن أبعد عن عين أبيه فأهانه إخوته.

وكما نقل ابن كثير عن السدي[1] وغيره.

إنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذىٰ له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه، والفعل من ضرب

(١) ولعله مُتلقىٰ من الإسرائيليات.

ونحوه، ثم جاءوا به إلىٰ ذلك الجب الذي اتفقوا علىٰ رميه فيه، فربطوه بحبل ودلوه فيه، فجعل إذا لجأ إلىٰ واحد منهم لطمه وشتمه، وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا علىٰ يديه، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة، فسقط في البئر فغمره، فصعد إلىٰ صخرة تكون في وسطه يقال لها: «الراغوفة» فقام فوقها.

قلت: فلما أهانوه عليه السلام، وألقوه في غيابة الجب جبر الله خاطره، بأن أوحىٰ إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له ومؤانسة لوحشته.

وهكذا فلتجبر الخواطر المنكسرة، فالمطلقة التي كُسر خاطرها بالطلاق قال الله في شأنها: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ فجُبر خاطرها بالمتاع، وكذلك أولو القربىٰ واليتامىٰ والمساكين الذين يحضرون قسمة الميراث جُبر خاطرهم بأن قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾.

وهكذا ينبغي أن يُفعل مع أصحاب المصائب الذين حلت بهم أو بأموالهم وأولادهم مصائب، ينبغي أن يؤازروا وأن يُعاونوا حتىٰ تقال عثراتهم.

* * *

س: لماذا جاءوا أباهم عشاءً؟

ج: ذلك حتىٰ يدلسوا بالدم المكذوب علىٰ أبيهم.

وحتىٰ يدلسوا بالدمع المكذوب كذلك.

وقالوا أيضًا: لأن العين تستحيي من العين كذلك.

وحتىٰ يُظهروا لأبيهم أنهم أمضوا نهارهم في البحث عن يوسف عليه السلام.

* * *

س: البكاء لا يقاوم القرائن والبينات دلِّل على ذلك.

ج: نعم البكاء لا يكون دليلا يقاوم القرائن والبينات لاحتمال أن يكون تصنعًا كما صنع أخوة يوسف، فقد جآءوا أباهم عشاءً يبكون، وكانوا آنذاك كاذبين.

* * *

س: استدل بعض الفقهاء بهذه الآية الكريمة لإعمال القرائن والأمارات في بعض مسائل الفقه، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الاستدلال علىٰ كذب إخوة يوسف فيما ادعوا من أن الذئب قد أكله، كان (أي الاستدلال علىٰ الكذب) من سلامة القميص، فكيف يأكل الذئب غلامًا ولا يقرب القميص بشق أو بخرق؟!

* * *

بعض الوارد في أحكام السباق

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية السباق.

ج: من ذلك قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

ومسابقة النبي ﷺ لعائشة مرتين[١].

ومسابقة النبي ﷺ بين الخيول[٢].

ومسابقة الأعرابي على قَعُودٍ له ناقة رسول الله[٣].

---

(١) أخرج الإمام أحمد «المسند» (٦/ ٢٦٤) بسندٍ صحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: (خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالِي حتى أسابقك»، فسابقتُه فسبقتُه، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالِي حتى أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك».

(٢) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٨٦٨) ومسلم (حديث ١٨٧٠) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنيّة الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق بها.

أما بالنسبة لمعاني بعض ألفاظ هذا الحديث، فقد قال النووي رحمه الله:

(أضمرت) يقال: أضمرت وضمرت وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتًا كنينًا وتجلل فيه لتعرق ويجف عرقها، فيجف لحمها وتقوى على الجري.

(من الحفياء) قال سفيان بن عيينة: بين ثنية الوداع والحفياء خمسة أميال أو ستة. وقال موسى بن عقبة: ستة أو سبعة.

(ثنية الوداع هي عند المدينة: سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها، والمعنى أن مبدأ السباق كان من الحفياء ومنتهاه ثنية الوداع.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كان للنبي ﷺ ناقةٌ =

س: اذكر بعض شروط المسابقات.

ج: ذكر القرطبي رحمه الله بعض ذلك فقال:

وروىٰ مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أُضمرت من الحَفيَاء وكان أمدها ثَنيَّة الوداع، وسابق بين الخيل لم التي تُضمَّر من الثَّنِيَّة إلىٰ مسجد بني زُريق، وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها؛ وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمن:

ثلاثة شروط ـ فلا تجوز المسابقة بدونها ـ وهي:

أن المسافة لا بد أن تكون معلومة.

الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال.

الثالث: ألا يسابق المضمَّر مع غير المضمَّر في أمد واحد وغاية واحدة. والخيل التي يجب أن تضمَّر ويسابق عليها، و تقام هذه السنّة فيها هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتن.

وقال أيضًا:

وأما المسابقة بالنصال والإبل؛ فروىٰ مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزِلاً فمِنَّا من يصلح خباءه، ومنا من ينتصل، وذكر الحديث. وخرّج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا سبَقَ إلا في نَصل أو خُفّ أو حافر**». وثبت ذكر النصل من حديث ابن أبي ذئب عن نافع بن أبي نافع عن أبي هريرة، ذكره النسائي، وبه يقول

= تسمىٰ العضباء، لا تُسبق قال حميد ـ أو لا تكاد تُسبق ـ فجاء أعرابي علىٰ قعود فسبقها فشق ذلك علىٰ المسلمين حتىٰ عرَفَهُ فقال «حق علىٰ الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه».

فقهاء الحجاز والعراق. وروىٰ البخاري عن أنس قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمىٰ العضباء لا تُسبق ـ قال حُميد: أو لا تكاد تُسبق ـ فجاء أعرابي علىٰ قعود فسبقها، فشق علىٰ المسلمين حتىٰ عرفه؛ فقال: «**حق على الله ألاّ يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

وقال كذلك: أجمع المسلمون علىٰ أن السَّبَق لا يجوز علىٰ وجه الرهان إلا في الخفّ والحافر والنّصل؛ قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثة فالسَّبَق فيها قِمار. وقد زاد أبو البختري القاضي في حديث الخفّ والحافر والنّصل «أو جَنَاح» وهي لفظة وضعها للرشيد، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته؛ فلا يكتب العلماء حديثه بحال. وقد رُوي عن مالك أنه قال: لا سبق إلا في الخيل والرمي، لأنه قوة علىٰ أهل الحرب؛ قال: وسبق الخيل أحب إلينا من سبق الرمي. وظاهر الحديث يسوّي بين السبق علىٰ النُّجُب والسَّبق علىٰ الخيل. وقد منع بعض العلماء الرّهان في كل شيء إلا في الخيل؛ لأنها التي كانت عادة العرب المراهنة عليها. ورُوي عن عطاء: أن المراهنة في كل شيء جائزة؛ وقد تُؤُوِّل قوله؛ لأن حمله علىٰ العموم في كل شيء يؤدّي إلىٰ إجازة القمار، وهو محرم باتفاق.

ثم قال أيضًا:

لا يجوز السَّبَق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوز السبق فيه إلا بغاية معلومة ورشق معلوم، ونوع من الإصابة؛ مشترطًا خسفًا أو إصابة بغير شرط.

والأسباق ثلاثة:

سبق يعطيه الوالي أو الرجل غير الوالي من ماله متطوعًا: فيجعل للسابق

شيئًا معلومًا؛ فمن سبق أخذه.

وسَبَق يخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه: فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه، وحسن أن يمضيه في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلىٰ ماله؛ وهذا مما لا خلاف فيه.

والسبق الثالث: اختلف فيه: وهو أن يخرج كل واحد منهما شيئًا مثل ما يخرجه صاحبه، فأيهما سَبَق أحرز سبقه وسبق صاحبه؛ وهذا الوجه لا يجوز حتىٰ يُدخِلا بينهما محلِّلاً لا يأمنا أن يسبقهما؛ فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعًا وأخذهما وحده.

* * *

س: ذكر بعض أهل العلم في القميص علامة تدل على رد قول إخوة يوسف إذ قالوا: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ما هذه العلامة؟

ج: هي التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال ـ فيما أخرجه الطبري عنه بسندٍ صحيح ـ: لو أكله الذئب لخرَّق القميص[1]. فسلامة القميص دليل علىٰ كذب إخوة يوسف إذ ادعو أن الذئب قد أكله.

* * *

س: ذُكر القميص في ثلاثة مواطن من هذه السورة وفيه آيات وضح ذلك.

ج: هذه المواطن هي:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ فكانت سلامة

(١) الطبري (١٨٨٥١، ١٨٨٥٢، ١٨٨٥٣).

القميص دلالة على كذبهم.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ وقول الشاهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ فكان قطع القميص من الخلف دليلاً على براءة يوسف عليه السلام وصدقه.

ثالثًا: قوله: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

* * *

س: ما هي القرائن التي اعتمد عليها يعقوب عليه السلام إذ قال لبنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

ج: من هذه القرائن ما يلي:

* رؤيا يوسف التي رآها (فلم تكن قد تحققت) ويعقوب عليه السلام يدرك أنها ستتحقق.

* سلامة قميص يوسف، فكيف يأكله الذئب دون إصابة القميص بشيء؟!

* قولهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

* * *

س: في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مقدرٌ، وضح هذا المقدر.

ج: المقدر هو «صبري» فالمعنى: فصبري صبرٌ جميل أو فشأني صبرٌ

جميل.

ويصلح أيضًا أن يُقال فصبرٌ جميلٌ أولىٰ لي وأليق بي.

* * *

س: قول (الله المستعان) قول طيب قالته بعض أزواج النبي ﷺ في موطن من المواطن، من القائلة؟ وما مناسبة ذلك؟

ج: القائلة هي أم المؤمنين عائشة[1] رضي الله عنها، قالته في حديث الإفك حين أتاها النبي ﷺ فقال لها:

«أما بعدُ يا عائشة؛ إنه بلغَني عنكِ كذا وكذا، فإن كنت بريئة فيسبُرِّؤك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنَّ العبد إذا اعترفَ ثم تابَ تابَ الله عليه». قالت: فلما قضىٰ رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي حتىٰ ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجِب رسول الله ﷺ عني فيما قال: فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسولِ الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت ـ وأنا جارية حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيراً ـ: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتىٰ استقرَّ في أنفُسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ لا تُصدّقونني، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتُصدِّقني، فوالله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلاّ أبا يوسفَ حين قال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾.

* * *

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٤٥٢)، ومسلم (٢١٢٩).

يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾
فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ
وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ
وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ

دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

سيارةٌ ـ واردهم ـ فأدلى دلوه ـ يا بشرى ـ أسروه بضاعة ـ شروه بثمن بخس ـ معدودة ـ الزاهدين ـ أكرمي مثواه ـ مكَّنا ـ تأويل الأحاديث ـ غالبٌ على أمره ـ بلغ أشدَّه ـ حُكمًا.

ج:

الكلمة	معناها
سيارةٌ	رفقة من الناس يسيرون مع بعضهم.
واردهم	رسولهم الذي يبحث لهم عن الماء ويرد الماء فيأتيهم به.
أدلى دلوه	دلَّىٰ دلوه في البئر.
يا بشرى	كلمة يبشر بها نفسه ويبشر بها أصحابه أيضًا. وثمَّ قول ضعيف و هو: أن« بشرىٰ» اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلقًا بالحبل.
أسروه بضاعة	أخفوه عن غيرهم وأظهروا لهم أنه بضاعة اشتروها (عبد اشتروه) حتىٰ لا يشاركوهم فيه. (أي: أخفاه الوارد المستقي ومن معه من أصحابه عن سائر القافلة وقالوا: هو بضاعة استبضعناها). وقول آخر: « أسره إخوته» أي: كتموا شأنه وقالوا هو عبدٌ لنا قد أبق منا (أي هرب منا).

شروه	باعوه
بخس	قليل ـ ظلم ـ حرام ـ مبخوس
معدودة	يعدها العاد، ويحصرها الحاصر، وهذا يعني أنها قليلة
الزاهدين	الزاهد في الشيء هو قليل الرغبة فيه.
أكرمي مثواه	أما «المثوىٰ» فهو: موضع الإقامة، فالمعنىٰ: أكرمي منزله وموضع إقامته والمراد: أكرميه وأحسني إليه.
مكنـــا	جعلنا له مكانًا، أعطيناه مكانةً ورتبةً عاليةً، ثبتناه.
تأويل الأحاديث	تعبير الرؤيا.
غالب على أمره	يغلب غيره ويفعل ما أراده.
بلغ أشدَّه	اكتملت قوته البدنية والعقلية، وقبل أن يأخذ في النقصان.
حُكمًا	نبوة ـ إصابةً في القول والعمل.

* * *

س: ما المراد بالنداء في قوله: ﴿ يا بشرىٰ هذا غلامٌ ﴾؟

ج: قال القاسمي رحمه الله في «محاسن التأويل»:

نزلت (أي هذه الكلمة) منزلة من ينادي، ويقال: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلىٰ النداء.

قال الزجاج: معنىٰ النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب هو تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، فإذا قلت: يا عجباه. فكأنك قلت: اعجبوا.

* * *

س: من الذين أسروه بضاعة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الذين أسروه بضاعة هم إخوته، أخبروا الوارد أن هذا عبدٌ لهم قد اشتروه وأبق (هرب) منهم.

الآخر: أن الذين أسروه بضاعة هو الوارد ومن معه، أخفوا أمره عن سائر القافلة وقالوا إنهم اشتروه، والله أعلم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ واللهُ عليمٌ بما يعملون ﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ، وضح ذلك.

ج: المعنى المستفاد أولاً: أن الله لا يخفىٰ عليه أمر يوسف ﷺ وما يُصنع به، وهو سبحانه قادرٌ علىٰ دفعه ولكنه يُملي للظالمين ويرفع درجات المتقين.

ووجه التسلية لرسول ﷺ: أن الله يعلم ما يُفعل بنبيه محمد ﷺ، وهو قادر علىٰ دفعه، ولكنه يبتلي رسله وأولياءه ثم تكون العاقبة للتقوىٰ، كما

قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون** ﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر** ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾، يقول تعالىٰ ذكره: والله ذو علم بما يعمله باعةُ يوسف ومشتروه في أمره، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه، وليري إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه.

وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالىٰ ذكره عن يوسف نبيه ﷺ، فإنه تذكير من الله نبيه محمد ﷺ، وتسليةٌ منه له عما كان يلقىٰ من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذىٰ فيه. يقول: فاصبر، يا محمد، علىٰ ما نالك في الله، فإني قادرٌ علىٰ تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادراً علىٰ تغيير ما لقىٰ يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، و لكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوانٍ بك عليَّ، ولكن لسابق علمي فيك و فيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلىٰ عُلوك عليهم وإذعانهم لك، كما صار أمرُ إخوة يوسف إلىٰ الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلوِّ يوسف عليهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ أي: عليم بما يفعله إخوة يوسف

ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ، وإعلام له بأني عالم بأذى قومك لك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكني سأملي لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته.

* * *

س: من الذين شروه؟

ج: تقدم أن «شروه» بمعنى «باعوه».

أما الذين شروه فلأهل العلم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف عليه السلام باعوه للسيارة.

الآخر: أن الذين شروه (أي باعوه) هم السيارة. والقول الأول عليه الأكثرون، والقول الثاني: يشهد له قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ**﴾ فالذي اشتراه إنما اشتراه من السيارة، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

وقال الطبري رحمه الله:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: «وشرى إخوةُ يوسف يوسف بثمن بخس»، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم، بادّعائهم أنَّه بضاعة، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلُص

لهم دونهم. واسترخاصًا لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾

ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم: «هو بضاعة» معنى ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين، وجهٌ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم، لأنه محال أن يشتري صحيحُ العقل ما هو فيه زاهدٌ من غير إكراهِ مكرِهٍ له عليه، ثم يكذب في أمرِه الناس بأن يقول: «هو بضاعة لم أشتره»، مع زهده فيه. بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنينٌ لنفاستها عنده، ولما يرجُو من نفيس الثَّمن لها وفضل الربح.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته؛ وشريته، بمعنى اشتريته.

فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن وقتادة.

وإن كان بمعنى اشتروه: فإنهم السيارة.

وقال الرازي رحمه الله في «التفسير الكبير»:

أما قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ ففيه قولان:

القول الأول:

المراد من الشراء هو البيع، وعلى هذا التقدير ففي ذلك البائع قولان:

القـــول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا عادوا بعد ثلاث يتعرفون خبره، فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا: هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم: فبيعوه منا فباعوه منهم، والمراد من قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، يقال: «شريت الشيء» إذا بعته وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ وفي قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ عائدٌ إلى الأخوة فكذا في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يجب أن يكون عائداً إلى الأخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع.

والقـول الثـاني: أن بائع يوسف هم الذين استخرجوه من البئر، وقال محمد بن إسحاق: ربك أعلم أإخوته باعوه أم السيارة؟

وههنا قول آخر:

وهو أنه يحتمل أن يقال: المراد من الشراء نفس الشراء، والمعنى: أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين، لأنهم علموا بقرائن الحال أن إخوة يوسف كذابون في قولهم «إنه عبدنا» وربما عرفوا أيضًا أنه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفًا من الله تعالى ومن ظهور تلك الواقعة، إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة لأنهم اشتروه بثمن قليل. مع أنهم أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين، وغرضهم أن يتوصلوا بذلك إلى تقليل الثمن.

ويحتمل أيضًا أن يقال إن الإخوة لما قالوا: إنه عبدنا أبق صار المشتري عديم الرغبة فيه.

قال مجاهد: وكانوا يقولون استوثقوا منه لئلا يأبق.

وقال الجزائري حفظه الله في «أيسر التفاسير»:

وكان إخوة يوسف يترددون على البئر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم: «هذا عبد لنا أبق، وإن رأيتم شراءه بعناه لكم» فقالوا: ذاك الذي نريد فباعوه لهم بثمن ناقص وأسره الذين اشتروا أي: أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾. وكونها معدودة غير موزونة دال على قلتها ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه.

* * *

س: ما وجه زهدهم فيه؟ ومن الذين كانوا فيه من الزاهدين؟

ج: وجه زهدهم فيه: أنهم لم يعلموا كرامته على الله، ولم يعرفوا منزلته عنده، ثم باعوه بثمن بخس دراهم معدودة، والله أعلم.

أما الذين كانوا فيه من الزاهدين ففيه قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف.

والثاني: أنهم الذين التقطوه.

وذكر الرازي رحمه الله وجوهًا فقال:

أحدها: أن إخوة يوسف باعوه، لأنهم كانوا فيه من الزاهدين.

والثاني: أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه. أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان.

والثالث: أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين، وقد سبق توجيه هذه الأقوال فيما تقدم، والضمير في قوله: ﴿فيه﴾ يحتمل أن يكون عائداً إلى يوسف عليه السلام، ويحتمل أن يكون عائداً إلى الثمن البخس والله أعلم.

* * *

س: (الواو) في قوله تعالى: ﴿وكذلك مكّنّا ليوسف﴾ عاطفة على ماذا؟

ج: عاطفة على معنى ما قبلها، فالمعنى: وكما نجيناه من القتل ومن الجب، وعطّفنا عليه العزيز مكنا له أيضًا.

* * *

س: الضمير في قوله: ﴿عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ عائد على ماذا؟ وضح معنى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾.

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: عائد على الله سبحانه وتعالى فالمعنى والله غالب على ما يريد، أي أن الله لا يُغلب بل يفعل ما يريد فهو سبحانه غالبٌ على كلِّ أمرٍ أراده، فلا يحول بينه وبين مراده أحد.

وقيل: عائد على يوسف عليه السلام، أي أن الله سبحانه غالبٌ على أمر

يوسف يدبر له أمره و يحوطه ويحفظه، ولا يكله إلىٰ أحدٍ، فلم يقدر إخوته علىٰ بلوغ مرادهم منه. وكلا المعنيين صحيح، فالله يفعل ما يريد ويحفظ العباد ويدبر أمرهم كذلك، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ حث الناس علىٰ تفويض أمورهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فلو علموا أن الله غالب علىٰ أمره لفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته.

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ، فكما أن يوسف آذاه إخوته وأرادوا به المكروه والسوء فكذلك قومك يا محمد أرادوا أذيتك وإهانتك فاصبر فالله غالب علىٰ أمره وسينصرك عليهم، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيَّاي الحكم و العلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهىٰ عما نهيته عنه من معاصيَّ.

وهذا، و إن كان مخرج ظاهره علىٰ كل محسن، فإن المراد به محمدٌ نبي الله ﷺ، يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعدما لقي من

إخوته ما لقي، وقاسي من البلاء ما قاسىٰ، فمكنته في الأرض، ووطَّأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكِّن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: هذا فيه حث علىٰ الإحسان، وتعميم الجزاء والثواب لعموم المحسنين.

فكأن المعنى: وكما أننا أكرمنا يوسف عليه السلام بما ذكرناه فدائمًا نجازي أهل الإحسان، وهذا كقوله تعالىٰ في شأن ما أنعم به علىٰ نوح عليه السلام من النجاة، وإغراق عدوه قال تعالىٰ: ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾.

أي: وكما جازينا الشكور نوح عليه السلام، فكذلك نجزي كل شكور.

وكما قال تعالىٰ في شأن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أي: حتىٰ يتذكر العباد ما حدث لأيوب عليه السلام فيفعلوا فعله من الصبر والاحتساب، فنجازيهم ونعافيهم كما جازيناه وعافيناه.

ونحو هذا التعميم واردٌ أيضًا فيما يتعلق بعقاب الظالمين كما قال تعالىٰ في شأن الحجارة التي أرسلها علىٰ قوم لوط، قال تعالىٰ: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ والله أعلم.

* * *

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

راودته ـ هيت لك ـ معاذ الله ـ إنه ربي أحسن مثواي ـ لا يُفلح ـ همَّت به ـ همَّ بها ـ برهان ربه ـ السوء والفحشاء ـ المخلصين ـ استبقا الباب ـ قدَّت ـ من دُبر ـ ألفيا ـ سيدها ـ لدى الباب ـ عذاب أليم ـ قُدّ ـ من قُبل ـ من دُبر ـ كيدكن ـ أعرض عن هذا ـ استغفري لذنبك ـ الخاطئين.

ج:

الكلمة	معناها
راودته	طلبت منه برفقٍ ولينٍ أن ينزل عن إرادته لإرادتها كي يواقعها (يجامعها).
هيت لك	هلمَّ ـ أقبل ـ تعال ـ اقترب.
معاذ الله	أعوذ بالله ـ أعتصم بالله
إنه ربي	إنه (يعني زوجها) سيدي.
أحسن مثواي	أحسن إليَّ وأكرمني ـ أحسن منزلي.
لا يُفلح	لا يظفر بالمطلوب ـ لا ينجح ـ لا ينجو من المرهوب.
همت به	حدثت نفسها بفعل الفاحشة وسعت إلى ذلك وجذبته إليها.
همَّ بها	حدّث نفسه بشأنها، (ولكنه ترك ذلك لله).
برهان ربه	آية ودليلٌ من ربه منعه عن الفاحشة.

السوء	مقدمات الزنا (من الأقوال والأفعال كالقبلة واللمس ونحو ذلك).
الفحشاء	الزنا.
المخلصين	المخلَصين (بالفتح): الذين أخلصناهم واخترناهم واصطفيناهم للنبوة والرسالة. وأيضًا الذين اصطفيناهم وخلصناهم من السوء ويحتمل أيضًا أن يكون المراد: إنه من ذرية عبادنا المخلصين الذين قال تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ فهو منهم عليهم السلام جميعًا. والمخلِصين (بالكسر): الذي أخلصوا دينهم لله.
استبقا الباب	تسابقا إليه ـ تسارعا إليه ـ واستبقا إلىٰ الباب كقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي واختار موسىٰ من قومه.
قدَّت	قطعت.
من دبر	من الخلف.
ألفيا	وجدا ـ صادفا.
سيدها	زوجها.
لدا الباب	عند الباب.
عذاب أليم	عذاب مؤلم موجع (ضرب شديد موجع).
قُدَّ	قُطع.
من قُبل	من الأمام.

من دُبر	من الخلف .
كيدكن	مكركن ـ حيلكن .
أعرض عن هذا	أعرض عن هذا الحديث وما صدر منها معك فلا تتكلم به ولا تخبر به أحداً .
استغفري لذنبك	اطلبي العفو والمغفرة لذنبك .
الخاطئين	المذنبين ـ الآثمين ـ المرتكبين للخطايا والآثام . ويحتمل أيضًا من نسل الخاطئين ، أي : فسرىٰ هذا العرق فيك .

* * *

س: لماذا لم يُذكر اسم امرأة العزيز، وقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: للستر عليها، ولأنه لم يُعهد في الكتاب العزيز ذكر أسماء النساء إلا مريم عليها السلام وذلك لعلة من العلل تأتي في موطنها إن شاء الله.

وأيضًا: قال تعالىٰ: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ للتنبيه علىٰ مكانة يوسف عليه السلام، فكونه في بيتها مما يدعوه إلىٰ فعل المحرم، وكونه امتنع دليل علىٰ نزاهته ومكانته عليه السلام.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وإنما قال: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ ولم يقل: امرأة العزيز أو زليخا قصداً إلىٰ زيادة التقرير، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلىٰ ذلك، قيل: لواحدة ما حملك علىٰ ما أنت عليه مما لا خير فيه؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد.

ولإظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكها ينادي بكونه في أعلىٰ معارج العفة والنزاهة، والعدول عن اسمها للمحافظة علىٰ الستر أو للاستهجان بذكرها قال قتادة: هي امرأة العزيز.

* * *

س: هل وردت قراءة بلفظ (هِئتُ لك)؟ وما مدى صحتها؟

ج: نعم قد وردت هذه القراءة بكسر الهاء وضم التاء، بمعنىٰ: تهيأت

لك، وتحسنت لك. وقد أنكر هذه القراءة بعض أهل العلم، انظر «تفسيري: الطبري والقرطبي».

* * *

س: بمَ علَّل يوسف عليه السلام الامتناع من فعل الفاحشة؟

ج: علل ذلك بعللٍ ثلاث:

أولاها: قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ (أي: إنه سيدي) فكيف أخون سيدي في أهله؟!

ثانيها: قوله: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فكيف أقابل الإحسان بالإساءة، فقد أوصىٰ بي خيراً وأكرم منزلي ومطعمي ومشربي ومسكني، فكيف أقابل ذلك بخيانته في أهله.

ثالثها: قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وفعل الفاحشة من الظلم، فلا يُفلح الزناة ولا يسعد الخاطئون الظالمون.

قال الرازي رحمه الله:

ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامه ثلاثة أشياء:

أحدها: قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

والثاني: قوله تعالىٰ عنه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فما وجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض؟

والجواب: هذا الترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد لأمر الله

تعالىٰ وتكليفه أهم الأشياء لكثرة إنعامه وألطافه في حق العبد فقوله: ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ** ﴾ إشارة إلىٰ أن حق الله تعالىٰ يمنع عن هذا العمل، وأيضًا حقوق الخلق واجبة الرعاية، فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حقي يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة، وأيضًا صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها فقوله: ﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ إشارة إليه.

فثبت أن هذه الجوابات الثلاثة مرتبة علىٰ أحسن وجوه الترتيب.

* * *

س: ارتكاب الفاحشة مع المرأة المتزوجة يُمنع لأمرين كل منهما مستقلٌ بالتحريم، وقد راعى يوسف هذين الأمرين، وضح ذلك.

ج: أما المانع الأول الذي بسببه يحظر الزنا فهو: نهي الله تبارك وتعالىٰ عنه أشد النهي.

أما المانع الثاني: فهو حق الزوج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله في «مجموع الفتاوى»:

فالفاحشة حرام لحق الله ولو رضي الزوج، وظلم الزوج في امرأته حرام لحقه، بحيث لو سقط حق الله بالتوبة منه فحق هذا في امرأته لا يسقط، كما لو ظلمه وأخذ ماله وتاب من حق الله لم يسقط حق المظلوم بذلك، ولهذا جاز للرجل إذا زنت امرأته أن يقذفها ويلاعنها، ويسعىٰ في عقوبتها

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٢١).

بالرجم، بخلاف الأجنبي فإنه لا يجوز له قذفها، ولا يلاعن بل يحد إذا لم يأت بأربعة شهداء، فإفساد المرأة على زوجها من أعظم الظلم لزوجها، وهو عنده أعظم من أخذ ماله، ولهذا يجوز له قتله دفعًا عنها باتفاق العلماء إذا لم يندفع إلا بالقتل بالاتفاق، ويجوز في أظهر القولين قتله وإن اندفع بدونه، كما في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما أتاه رجل بيده سيف فيه دم.

وذكر أنه وجد رجلاً تفخذ امرأته فضربه بالسيف فأقره عمر على ذلك وشكره، وقبل قوله أنه قتله لذلك إذ ظهرت دلائل ذلك.

وهذا كما لو اطلع رجل في بيته فإنه يجوز له أن يفقأ عينه ابتداء، وليس عليه أن ينذره، هذا أصح القولين، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو اطلع رجل في بيتك ففقأت عينه ما كان عليك شيء**» وكذلك قال في الذي عض يد غيره فنزع يده فانقلعت أسنان العاض.

وهذا مذهب فقهاء الحديث وأكثر السلف، وفي المسألتين نزاع ليس هذا موضعه، إذ المقصود أن الزاني بامرأة غيره ظالم للزوج وللزوج حق عنده، ولهذا ذكر [illegible] زنى بامرأة المجاهد فإنه يمكَّن يوم القيامة من حسناته يأخذ [illegible]

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني بحليلة جارك**» فذكر الزنا بحليلة الجار، فعلم أن للزوج حقًا في ذلك، وكان ظلم الجار أعظم؛ للحاجة إلى المجاورة.

وإن قيل: هذا قد لا يمكن زوج المرأة أن يحترز منه، والجار عليه حق زائد على حق الأجنبي، فكيف إذا ظلم في أهله والجيران يأمن بعضهم بعضًا، ففي هذا من الظلم أكثر مما في غيره، وجاره يجب عليه أن يحفظ امرأته من غيره، فكيف يفسدها هو.

فلما كان الزنا بالمرأة المزوجة له علتان كل منهما تستقل بالتحريم، مثل لحم الخنزير الميت: علل يوسف ذلك بحق الزوج، وإن كان كل من الأمرين مانعًا له، وكان في تعليله بحق الزوج فوائد:

«منها»: أن هذا مانع تعرفه المرأة وتعذره به، بخلاف حق الله تعالى فإنها لا تعرف عقوبة الله في ذلك.

و«منها»: أن المرأة قد ترتدع بذلك، فترعى حق زوجها، إما خوفًا وإما رعاية لحقه، فإنه إذا كان المملوك يمتنع عن هذا رعاية لحق سيده فالمرأة أولى بذلك، لأنها خائنة في نفس المقصود منها، بخلاف المملوك فإن المطلوب منه الخدمة، وفاحشته بمنزلة سرقة المرأة من ماله.

و«منها»: أن هذا مانع مُؤَيِّسٌ لها، فلا تطمع فيه لا بنكاح ولا بسفاح، بخلاف الخلية من الزوج، فإنها تطمع فيه بنكاح حلال.

و«منها»: أنه لو علل بالزنا فقد تسعى هي في فراق الزوج، والتزوج به، فإن هذا إنما يحرم لحق الزوج خاصة، ولهذا إذا طلقت امرأته باختياره جاز لغيره أن يتزوجها. ولو طلقها ليتزوج بها ـ كما قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف: إن لي امرأتين فاختر أيتهما شئت حتى أطلقها وتتزوجها ـ لكنه بدون رضاه لا يحل، كما في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس

منا من خبب امرأة على زوجها، ولا عبدًا على مواليه» وقد حرم النبي ﷺ أن يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه، ويستام علىٰ سوم أخيه، فإذا كان بعد الخطبة وقبل العقد لا يحل له أن يطلب التزوج بامرأته فكيف بعد العقد، والدخول والصحبة؟!

فلو علل بأن هذا زنًا محرم ربما طمعت في أن تفارق الزوج وتتزوجه، فإن كيدهن عظيم؛ وقد جرىٰ مثل هذا، فلما علل بحق سيده وقال: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يئست من ذلك، وعلمت أنه يراعي حق الزوج، فلا يزاحمه في امرأته البتة، ثم لو قدر مع هذا أن الزوج رضي بالفاحشة وأباح امرأته لم يكن هذا مما يبيحها لحق الله ولحقه أيضًا، فإنه ليس كل حق للإنسان له أن يسقطه، ولا يسقط بإسقاطه، وإنما ذاك فيما يباح له بذله، وهو ما لا ضرر عليه في بذله، مثل ما يعطيه من فضل مال ونفع.

وأما ما ليس له بذله فلا يباح بإباحته، كما لو قال له: علمني السحر والكفر والكهانة: وأنت في حل من إضلالي، أو قال له: بعني رقيقًا وخذ ثمني، وأنت في حل من ذلك.

* * *

س: بيَّن الله براءة نبيه يوسف عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، وذلك في جملة من المواطن، اذكر بعض هذه المواطن.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

فصرف الله عنه السوء (الذي منه مقدمات الزنا) والفحشاء (التي هي

الزنا).

ووصفه الله بأنه من ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وهؤلاء ينجيهم الله من الشيطان، فقد قال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

* وقول يوسف عليه السلام إذا دعته المرأة إلىٰ نفسها: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

* وكذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

* وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

* اعتراف امرأة العزيز للنسوة بأنها هي المراودة له بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.

ففي ذلك أيضًا بيان إبائه وامتناعه.

* اعتراف امرأة العزيز أمام الملك بذلك أيضًا إذ قالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

* اعتراف العزيز (أو الشاهد علىٰ قول من أقوال المفسرين) بنزاهة يوسف عليه السلام وذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وبقوله لها: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

* شهادة الشاهد إذ قال: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

* اعتراف النسوة ببراءة يوسف ونزاهته إذ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى (الهم) وما المراد بقوله تعالى: ﴿ ولقدْ همّت به وهمَّ بها ﴾؟

ج: بين يديَّ الجواب، أذكر ـ وبالله التوفيق ـ بما يلي:

اعلم أولاً: أنه لم يأت نصٌّ من الكتاب أو السُّنة بتفسير (الهم) الذي صدر من يوسف عليه السلام.

ثانيًا: صحت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين مؤداها أن يوسف عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من امرأته (بدون جماع)، وغالب ظننا أن هذه الآثار متلقاة من الأخبار الإسرائيلية، ولا نتقلد ـ في هذا الموطن على وجه الخصوص ـ هذه الأخبار، ولا نقول بمقتضاها، وذلك لبراءة يوسف عليه السلام الناصعة ـ (وطرف) منها في السؤال الذي تقدم ذكره.

ثالثًا: إن كلمة الهمِّ تتعدد معانيها، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه بضميمة القواعد العامة للشريعة.

وعلى إثر ذلك أقول مستعينًا بالله عز وجل:

قد قال الطبري رحمه الله:

ومعنى (الهم بالشيء) في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يُواقع.

* أما هم المرأة بيوسف المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فمنه ـ والله أعلم ـ حديثها نفسها بمواقعته لها ورغبتها في ذلك وطلبها ذلك منه وبذلها نفسها له وسعيها في ذلك بمحاولة جذبه إليها ومطاردتها له كي توقعه في الفاحشة.

* أما هَمُّ يوسف بها، فالظاهر، والله أعلم، أنه حديث النفس الذي حدثته به نفسه، ولكنه ترك العمل به خوفًا من الله وابتغاء وجهه سبحانه، ومن المعلوم أن الشخص إذا هم بالسيئة ولم يعملها وتركها من أجل الله فإنه يثاب على ذلك وتكتب له حسنة، ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة**».

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على غارهم صخرة فقاموا يتوسلون بصالح أعمالهم، فيه... «**فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا. ففرَّج الله عنهم فخرجوا**»[٢].

فهذا هو الذي ترجح لي في أمر (الهم) الذي صدر من نبي الله الكريم يوسف عليه السلام، أنه حديث نفسٍ ترك لوجه الله فأثابه الله لهذا الترك ورفع درجته.

وهذا قول كثيرٍ من المحققين من المفسرين، وها هي بعض أقوالهم:

---

(١) البخاري (حديث ٧٥٠١)، ومسلم (حديث ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال البغوي رحمه الله تعالى:

وقال بعض أهل الحقائق: الهم همان:

همٌّ ثابت: وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به.

وهمٌّ عارض: وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل همِّ يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

فإن قيل: قد بينتم دلالة القرآن على براءته عليه السلام مما لا ينبغي في الآيات المتقدمة، ولكن ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾.

فالجواب من وجهين.

الأول أن المراد بهم يوسف بها خاطر قلبي صرفه عنه وازع التقوى. وقال بعضهم: هو الميل الطبيعي والشهوة الغريزية المزمومة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه؛ لأنه أمر جبلي لا يتعلق به التكليف، كما في الحديث عنه ﷺ: أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك**» يعني ميل القلب الطبيعي.

ومثال هذا: ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم، وقد قال ﷺ: «**ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة**» لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفًا من الله، وامتثالاً لأمره، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾.

وهم بني حارثة وبني سلمة بالفرار يوم أحد، كهم يوسف هذا، بدليل قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ لأن قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ يدل على أن ذلك الهم ليس بمعصية، لأن اتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية.

والعرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهيه: هذا ما يهمني، ويقول فيما يحبه ويشتهيه: هذا أهم الأشياء إليَّ، بخلاف هم امرأة العزيز، فإنه هم عزم وتصميم، بدليل أنها شقت قميصه من دبر وهو هارب عنها، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه.

ومثل هذا التصميم على المعصية: معصية يؤاخذ بها صاحبها، بدليل الحديث الثابت في «الصحيح» عنه ﷺ من حديث أبي بكرة: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**». يصرح ﷺ بأن تصميم عزمه على قتل صاحبه معصية أدخله الله بسببها النار.

وأما تأويلهم هم يوسف بأنه قارب الهم ولم يهم بالفعل، كقول العرب: قتلته لو لم أخف الله، أي قاربت أن أقتله، كما قاله الزمخشري.

وتأويل الهم بأنه هم بضربها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه.

والجواب الثاني: وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو

أحرىٰ الأقوال علىٰ قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ أي إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب «لولا» لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالآية المذكورة، وكقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم.

وعلى هذا القول فمعنى الآية: وهم بها لولا أن رأىٰ برهان ربه، أي لولا رآه هم بها، فما قبل «لولا» هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة.

ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فما قبل «لولا» دليل الجواب، أي لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لكادت تبدي به.

واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب «لولا» في قوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ هو ما قبله من قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وإلىٰ جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو العباس المبرد، وأبو زيد الأنصاري.

وقال الشيخ أبو حيان في «البحر المحيط» ما نصه:

والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها ألبتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان؛ كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله. ولا نقول: إن جواب «لولا» متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل علىٰ امتناع ذلك بل صريح أدوات الشروط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها. وقد ذهب إلىٰ ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو زيد

الأنصاري وأبو العباس المبرد.

بل نقـــول: إن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت؛ فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم. ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان وجود الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان فانتفى الهم، ولا التفات إلى قول الزجاج. ولو كان الكلام: ولهم بها كان بعيداً، فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: «هم بها»، هو جواب «لولا» ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب.

وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة، لجواز أن يأتي جواب «لولا» إذا كان بصيغة الماضي باللام. وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك. ولولا زيد أكرمتك.

فمن ذهب إلى أن قوله: «هم بها» نفس الجواب لم يبعد: ولا التفات لقول ابن عطية: إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ وإن جواب «لولا» في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وإن المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فلم يهم يوسف عليه السلام قال: وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف. اهـ.

أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب، قال الله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن

يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السلف: فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضًا، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة.

والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدروا جواب «لولا» محذوفًا ولا يدل عليه دليل؛ لأنهم لم يقدروا «لهمَّ بها» ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط؛ لأن ما قبل الشرط دليل عليه اهـ. محل الغرض من كلام أبي حيان بلفظه.

وقد قدمنا أن هذا القول هو أجرى الأقوال على لغة العرب، وإن زعم بعض العلماء خلاف ذلك.

فبهذين الجوابين تعلم أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بريء من الوقوع فيما لا ينبغي، وأنه إما أن يكون لم يقع منه هم أصلاً بناء على أن الهم معلق بأداة الامتناع التي هي «لولا» على انتفاء رؤية البرهان، وقد رأى البرهان فانتفى المعلق عليه، وبانتفائه ينتفي المعلق الذي هو همه بها كما تقدم إيضاحه في كلام أبي حيان.

وإما أن يكون همه خاطرًا قلبيًا صرف عنه وازع التقوى أو هو الشهوة والميل الغريزي المزموم بالتقوى كما أوضحناه، فبهذا يتضح لك أن قوله: ﴿وهمَّ بها﴾ لا يعارض ما قدمنا من الآيات على براءة يوسف من الوقوع فيما لا ينبغي.

أمـا الرازي[١] فقـد سلك مسلكًا آخر، فقـال بعد أن أورد الأدلة على براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه :

وإذا عرفت هذا فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين:

المقام الأول: أن نقول: لا نسلم أن يوسف عليه السلام هم بها، والدليل عليه: أنه تعالى قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وجـواب «لولا» ههنا مقدم، وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا أن فلانًا خلصك، وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين:

الأول: أن تقديم جواب «لولا» شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح.

الثـاني: أن «لولا» يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت ولهم بها لولا.

وذكر غير الزجاج سؤالاً ثالثًا وهو أنه: لو لم يوجد الهم لما كان لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد؛ لأنا نسلم أن تأخير جواب «لولا» حسن جائز، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال: إنهم يقدمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطًا بشدة الاهتمام، وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة، وأيضًا ذكر جواب «لولا» باللام جائز. أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز، ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على

---

(١) سبق وبيَّنا في جملة مواطن أن الرازي رحمه الله له آراء شاذة في عدة مسائل ولكننا ننتقي من تفسيره ما نراه قد أصاب فيه ووافق غيره، أو ما له وجه محتمل، وبالله التوفيق.

فساد قول الزجاج في هذين السؤال، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

وأما السؤال الثالث: وهو أنه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

فنقول: بل فيه أعظم الفوائد، وهو: بيان أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل علىٰ أن جواب «لولا» ما ذكرناه أن «لولا» تستدعي جوابًا، وهذا المذكور يصلح جوابًا له، فوجب الحكم بكونه جوابًا لا يقال: إنا نضمر له جوابًا، وترك الجواب كثير في القرآن، لأنا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفًا. وأيضًا فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل علىٰ تعينه، وههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفًا فليس في اللفظ ما يدل علىٰ تعين ذلك الجواب، فإن ههنا أنواعًا من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها، وليس إضمار بعضها أولىٰ من إضمار الباقي فظهر الفرق. والله أعلم.

المقام الثاني: في الكلام علىٰ هذه الآية أن نقول: سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله: ﴿وهمّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله علىٰ ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد، والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة بها، ونحن نضمر شيئًا آخر يغاير ما ذكروه، وبيانه من وجوه:

الأول: المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح، لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

قلنا: بل فيه أعظم الفوائد، وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صونًا للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن، ولو كان ثوبه ممزقًا من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربًا عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية.

الوجه الثاني في الجواب: أن يفسر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللغة الشائعة. يقول القائل فيما لا يشتهيه: ما يهمني هذا، وفيما يشتهيه:

هذا أهم الأشياء إلي، فسمي الله تعالىٰ شهوة يوسف عليه السلام همًا.

فمعنى الآية: ولقد اشتهته واشتهاها لولا أن رأىٰ برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود.

الثالث: أن يفسر الهم بحديث النفس، وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارة تقوىٰ داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوىٰ داعية العقل والحكمة. فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية.

ومثال ذلك: أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف، إذا رأىٰ الجلاب المبرد بالثلج فإن طبيعته تحمله علىٰ شربه، إلا أن دينه وهداه يمنعه منه، فهذا لا يدل علىٰ حصول الذنب، بل كلما كانت هذه الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل، فقد ظهر بحمد الله تعالىٰ صحة هذا القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لأجبنا عنها، إلا أنه ما زاد علىٰ الرواية عن بعض المفسرين.

وأنقل هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من «مجموع الفتاوى»، قال رحمه الله:

ويوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالىٰ عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، أو يستغفر منه أصلاً. وقد اتفق الناس علىٰ أنه لم تقع منه فاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما

يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟!

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصراً وإما تائبًا، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائبًا. والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء؛ فدل ذلك عن أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وإذا كان الأمر في يوسف كذلك؛ كان ما ذكر من قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فرية على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتياب لنبي كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته إلى ما نزهه الله منه، وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت، الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منه، فكيف بغيره من الأنبياء؟!

وقد تلقى نقلهم من أحسن به الظن، وجعل تفسير القرآن تابعًا لهذا الاعتقاد.

واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوبًا وعيوبًا نزههم الله عنها. وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتديًا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال النبي ﷺ: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون**» وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**» وفي الحديث الآخر الذي في «الصحيح»: «**لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**» قالوا: يا رسول الله! فارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا هؤلاء؟**».

ولا ريب أنه صار عند كثير من الناس من علم أهل الكتاب ومن فارس والروم ما أدخلوه في علم المسلمين ودينهم وهم لا يشعرون، كما دخل كثير من أقوال المشركين من أهل الهند واليونان وغيرهم، والمجوس والفرس والصابئين من اليونان وغيرهم في كثير من المتأخرين لا سيما في جنس المتفلسفة والمتكلمة.

ودخل كثير من أقوال أهل الكتاب اليهود والنصارى في طائفة هم أمثل

من هؤلاء، إذ أهل الكتاب كانوا خيراً من غيرهم.

ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوءة من أهل الكتاب، النصارىٰ واليهود، فكانوا يحدثونهم عن أهل الكتاب بما بعضه حق وبعضه باطل، فكان من أكثرهم حديثًا عن أهل الكتاب كعب الأحبار. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب، وإن كنا لنبلوا عليه الكذب أحيانًا.

أما الحبر الكريم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد ورد عنه من طرق عند الطبري[1] و غيره أنه سئل عن همِّ يوسف ما بلغ؟ قال: حلَّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، «أي جلس كما يجلس الرجل من امرأته قبل الجماع».

وهذا الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما غالب ظني أنه تلقاه من الإسرائيليات، والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد أورد الطبري سؤالاً حول هذا الأخير فقال: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا، و هو لله نبي؟

قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك:

فقال بعضهم: كان من ابتلي من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها، ليكون من الله عز وجل علىٰ وَجَلٍ إذا ذكرها، فيجد في طاعته إشفاقًا منها، ولا يَتكل علىٰ سعة عفو الله ورحمته.

وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك، ليعرّفهم موضع نعمته عليهم،

(١) الطبري (١٦/ ٢٥-٢٦-٢٧).

بصفحه عنهم، وتركه عقوبته عليه في الآخرة.

وقال آخرون: بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا.

وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف، وتأوَّلوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة.

فقال بعضهم: معناه: ولقد همت المرأة بيوسف، وهمَّ بها يوسف أن يضربها أو ينالها لهمِّها به مما أرادته من المكروه، لولا أن يوسف رأىٰ برهان ربه، وكفَّه ذلك عما همّ به من أذاها، لا أنها ارتدعت من قِبَل نفسها. قالوا: والشاهد علىٰ صحة ذلك قوله: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾. قالوا: فالسوء هُو ما كان همَّ به من أذاها، وهو غير «الفحشاء».

وقال آخرون منهم: معنىٰ الكلام: ولقد همت به، فتناهىٰ الخبرُ عنها. ثم ابتديء الخبر عن يوسف فقيل: «وهمَّ بها يوسف لولا أن رأىٰ برهان ربه»، كأنهم وجهوا معنىٰ الكلام إلىٰ أن يوسف لم يهمّ بها، وأن الله إنما أخبر أنَّ يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها، ولكنه رأىٰ برهان ربه فلم يهمَّ بها، كما قيل: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ٨٣].

قال أبو جعفر: ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب «لولا» قبلها، لا تقول: «لقد قمت لولا زيد»، وهي تريد: «لولا زيد لقد قمت»، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله.

وقال آخرون منهم: بل قد همَّت المرأة بيوسف، وهم يوسف بالمرأة، غير أن همَّهما كان تمييلاً منهما بين الفعل والترك، لا عزمًا ولا إرادة، قالوا: ولا حرج في حديث النفس، ولا في ذكر القلب، إذا لم يكن معهما عزمٌ ولا فعلٌ.

* * *

س: ما هذا البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام فانكف بسببه عن المعصية وترك من أجله مواقعة الخطيئة؟

ج: ابتداءً: لم يصح في تفسير هذا البرهان خبرٌ عن رسول الله ﷺ وإنما هي أقوال غير مرفوعة إليه صلوات الله وسلامه عليه، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إنه نداءٌ نودي به يوسف ﷺ.

فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري[1]، أنه قال: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال نودي يا يوسف، أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له؟!!

٢ ـ إن البرهان هو صورة يعقوب عليه السلام تراءت ليوسف عليه السلام:

فقد صح عن ابن عباس من طرق عند الطبري أنه تمثلت له صورة أبيه يعقوب عاضًا على أصابعه (وفي رواية: أنامله) فخرجت شهوته من أنامله.

٣ ـ إن البرهان هو آية من آيات ربه حجزه اللهُ بها عن معصيته.

ومن العلماء من قال: إن هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ

(١) الطبري (١٩٠٣٢).

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

روىٰ ذلك الطبري بإسناده إلىٰ محمد بن كعب.

ومنهم من قال: إنه رأىٰ ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، وهي: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

٤ ـ وذكر آخرون أن البرهان هو تمثال الملك، وقال آخرون: هو خياله.

وثمَّ أقوال أُخر.

وهذه الأقوال كما قدمت لا يصح فيها شيءٌ عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ قال أبو جعفر الطبري: وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبرهم عن همٍّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأىٰ يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة وجائزٌ أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائزٌ أن تكون صورة الملك، وجائزٌ أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن علىٰ الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأيٍّ ذلك كان من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالىٰ، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلىٰ عالمه.

* * *

س: ما جواب قوله: ﴿لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾؟

ج: جوابه والله أعلم: لأمضىٰ ما همَّ به وفَعَلَهُ، فالمعنىٰ: فلولا أن رأىٰ برهان ربه لأمضىٰ ما همَّ به ونفَّذهُ.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: كما أننا أرينا يوسف عليه السلام برهانًا فصُرف به عن الفاحشة، فكذلك نريه عند كل أمرٍ فيه سوء يعرض له نريه من البراهين والآيات ما يدفعه ويصرفه عن ارتكاب المحرمات.

* * *

س: لماذا استبقا الباب؟ واذكر معنى الآية بمزيد من الإيضاح.

ج: يوسف ﷺ يريد الخروج، والمرأة تريد منعه من ذلك وتتشبث به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت، أما يوسف ففرارًا من ركوب الفاحشة لما رأىٰ برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها، فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته إليها، مانعةً له من الخروج من الباب، فقدته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب، وكانت هي الطالبة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن حالهما حين خرجا يستبقان إلىٰ الباب، يوسف هارب، والمرأة تطلبه ليرجع إلىٰ البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه، فقدَّته قدًا فظيعًا، يُقال إنه سقط عنه، واستمر يوسف هاربًا ذاهبًا وهي في إثره فألفيا سيدها، وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفةً يوسف بدائها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا...﴾.

* * *

س: قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ فيه أدب من أداب التخاطب، وضح هذا الأدب.

ج: في هذا القول من الأدب: الإيجاز في الحديث مع النساء وعدم الاسترسال معهن .

وفيه أيضًا: الإيجاز في الحديث عن السوء والشر .

فيوسف ﷺ لم يفصل ولم يوضح كيفية المراودة، بل أوجز إيجازًا، وهكذا ينبغي أن يكون الحديث عن الشر، لا يفصل فيها، أما أمور الخير فيفصل فيها للترغيب فيها، وفي فعل الخير .

ولذلك فإن الوعاظ والخطباء لا ينبغي أن يُفصلوا في الجرائم أو أمور الشر وكيف حدثت، بل يُجملوا في ذلك إجمالاً حتىٰ لا تستقر الجرائم وطريقة ارتكابها في النفوس والأذهان .

هذ، و ثمَّ أدب آخر في قول يوسف عليه السلام ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾ مخاطبًا بضمير الغائب، ولم يقل لها: أنتِ راودتيني، وإنما قال ﴿هِيَ﴾ حتىٰ لا يتردىٰ إلىٰ مرحلة المهاترات إلىٰ النساء، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين .

* * *

س: ما صفة هذا الشاهد الذي شهد في قضية امرأة العزيز؟

ج: ابتداءً: لم يرد في صفته خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ فقد قال بعض العلماء كان رجلاً ذا لحيةٍ، آتاه الله بعض الحكمة .

وقال آخرون: كان صبيًا في المهد .

وثمَّ أقوال أُخر شاذةٌ في هذا الباب.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: أن القميص إذا قدَّ من دُبر فيستفاد من ذلك أنه كان هاربًا وهي تلاحقه وتجذبه من الخلف، فلذا تمزق من الخلف، و إن كان قدَّ من قُبل فمعناه أنه كان يهجم عليها ويطلبها وهي تدافع عن نفسها وترده.

* * *

س: لماذا قدَّم الشاهد قول: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ وهو يرى أن القميص قدَّ من دبر؟

ج: ذلك، والله أعلم: لنفي التهمة عن نفسه حتىٰ لا يُظن أنه متحاملٌ علىٰ امرأة العزيز، وهذا كقول مؤمن آل فرعون في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. وكذلك كما في آية أخرىٰ: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ووجه آخر في الجواب: أن يُقال: لعله أدلىٰ بهذه الشهادة قبل أن يرىٰ القميص، والله أعلم.

س: إلام أُشير بقوله: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾؟

ج: هذا، والله أعلم: إشارة إلىٰ الصنيع الذي صدر من المرأة من

مراودتها يوسف عليه السلام عن نفسه ثم إلصاقها التهمة به بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

س: من القائل ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن القائل هو الشاهد.

والثاني: إنه الزوج.

* * *

س: هل كانت امرأة العزيز مؤمنةً حتى يُقال لها ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾؟

ج: لا يظهر أنها كانت مسلمة، وذلك لقول يوسف عليه السلام وهو في السجن ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

وعليه: فقوله لها: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ أي اطلبي مغفرة زوجك وعدم مؤاخذته لك على ما بدر منك، والله أعلم.

* * *

س: لماذا قال ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات»؟

ج: **قال الطبري رحمه الله:**

و قيل: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات» لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمَّن يفعل ذلك فيخطئ.

وقال القرطبي رحمه الله:

ولم يقل من الخاطئات لأنه قصد الإخبار عن المذكر والمؤنث فغلَّب المذكر.

والمعنى من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: ﴿**إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾ [النمل: ٤٣]، و﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾.

* * *

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فتاها ـ شغفها حبا ـ ضلال مبين ـ مكرهن ـ أرسلت إليهن ـ أعتدت ـ متكئًا ـ آتت ـ أكبرنه ـ حاش لله ـ استعصم ـ الصاغرين ـ أصبُ إليهن ـ بدا لهم.

ج:

الكلمة	معناها
فتاها	عبدها.
شغفها حبًا	دخل حبه تحت شغاف قلبها ـ وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها، وهو غلافه المحيط به ـ أهلكها حبًا.
ضلال مبين	خطأٍ بين واضح، وبعد عن الصواب شديد.
مكرهن	حديثهن الذي يكدنها به ـ كيدهن.
أرسلت إليهن	دعتهن إلىٰ منزلها.
أعتدت	أعدت.
متكئًا	مجلسًا للطعام ـ ما يتكأ عليه من الوسائد والنمارق للطعام والشراب.
آتت	أعطت.
أكبرنه	أعظمنه (أعظمن قدره ومنزلته).
	أجللنه (أجللن شأنه).
	وثم قول ضعيف وهو: (حِضْن).
حاش لله	تنزيهًا لله (أي: نُنزه الله عن العجز أن يخلق

	بشرًا كهذا، (أي: فالله قادر على خلق بَشَرٍ كهذا الجميل المتعفف، بل وأفضل من هذا). معاذ الله ـ براءة لله ـ امتناع يوسف عن هذا لخوفه من الله .
استعصم	امتنع مستمسكًا بعصمته .
الصاغرين	الأذلاء الحقيرين .
أصبُ	أميل بقلبي إليهن حُبًا .
بدا لهم	ظهر لهم ـ ترجَّح عندهم ـ استبان لهم .

❊ ❊ ❊

س: من الذي أشاع الخبر حتى قال نسوة في المدينة ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾؟

ج: في الغالب أن بيوت الأمراء والوزراء والملوك والكبراء تكون مراقبةً، ثم إن الخدم الذين بها يتحدثون عما يدور فيها في كثير من الأحيان، فلعل أحد الخدم قد تحدث بذلك أو الشاهد قد تحدث بذلك، أو امرأة العزيز أو العزيز نفسه. فالله أعلم.

* * *

س: لماذا قيل: ﴿تُرَاوِدُ﴾ ولم يقل راودت؟

ج: ذلك، والله أعلم: كما قال بعض العلماء: للتنبيه على أن المراودة صارت مهنةً لها وديدنًا.

* * *

س: كيف قيل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ وإنما هو عبدٌ لزوجها؟

ج: قال بعض أهل العلم إنه وهبه لها.

وقال آخرون: بل نُسب إليها لكونه يخدمها، وإن كانت خدمته لها بأمر زوجها.

* * *

س: لماذا وُصف حديثهن بأنه مكر؟

ج: قال بعض العلماء: وإنما سمى حديثهن مكرًا لكونهن أردن من ورائه رؤية يوسف عليه السلام، فقلن الذي قلن كي تريهن امرأةُ العزيز يوسفَ عليه السلام.

وقال بعض العلماء: إنما قيل ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ لغيبتهن لها سميت الغيبة مكرًا لاشتراكهما في الإخفاء.

* * *

س: قول النسوة في المدينة: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ متضمنٌ للمكر من وجوه، اذكر بعض هذه الوجوه؟

ج: ذكر ذلك ابن القيم[1] رحمه الله فقال:

قول الله تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر.

أحدها: قولهن: «امرأة العزيز تراود فتاها» ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها، وكبيرها. وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حرٌ. وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت. بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

والخامس: أنها هي المراودة الطالبة.

---

(١) انظر: «التفسير القيِّم» (ص ٣١٤-٣١٥)، و«إغاثة اللهفان» (ص ٣٨٣).

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتىٰ وصل حبها له إلىٰ شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا: أنه أعفُّ منها وأبر، وأوفىٰ، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافًا وكرمًا وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة علىٰ الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها، وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفًا وفلان يقري الضيف ويطعم الطعام، ويحمل الكَلَّ فإن هذا يدل علىٰ أن هذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن: «إنا لنراها في ضلال مبين» أي إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح، فنسبن الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضًا علىٰ الهوىٰ ولا يكدن يرين ذلك قبيحًا، كما يساعد الرجال بعضهم بعضًا علىٰ ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً علىٰ أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها.

أما العشق فقولهن: (قد شغفها حبًا) أي وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها.

وأما الطلب المفرط فقولهن: (تراود فتاها) والمراودة: الطلب مرة بعد مرة فنسبوها إلىٰ شدة العشق، وشدة الحرص علىٰ الفاحشة.

فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكرًا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن، وخبأت يوسف عليه السلام عنهن،

وقيل: إنها جملته، وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة. فلم يَرُعْهُنَّ إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذلك المنظر البهي، وفي أيديهن مُدىٰ يقطعن بها ما يأكلن، فدهشن حتىٰ قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن».

* * *

س: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ فلماذا أكبرنه؟

ج: أكبرنه لجماله الفائق وحُسنه الباهر وأدبه الوفير وعفته ووقاره وفرط حيائه ﷺ.

* * *

س: كيف وصفنه بأنه ملك، وهن لم يرين الملائكة؟

ج: لأنه قد استقر في النفوس حسن صورة الملائكة وأنهم فوق البشر، وأن لا شيء أحسن من الملك.

كما أنه قد استقر في النفوس أن لا شيء أقبح من الشياطين، فلذا قال تعالىٰ في شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.

وقال بعض العلماء: ذلك لأن الملائكة مطهرون من المعاصي، فقد قال تعالىٰ: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ويوسف ﷺ لما لم يلتفت إلىٰ النسوة شبهنه بالمَلك لعفته وطهارته، والله أعلم.

* * *

س: إذا أكره رجل بالسجن أو بالضرب على الزنا هل يزني؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

ولو أكره رجل بالسجن علىٰ الزنا ما جاز له إجماعًا، فإن أكره بالضرب

فقد اختلف فيه العلماء، والصحيح: أنه إذا كان فادحًا فإنه يسقط عنه إثم الزنى وحدُّه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]:

لكن تنازع العلماء هل يمكن الإكراه على الفاحشة؟

على قولين:

قيل: لا يمكن، كقول أحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهما. قالوا: لأن الإكراه يمنع الانتشار.

والثاني: يمكن، وهو قول مالك والشافعي، وابن عقيل وغيره من أصحاب أحمد؛ لأن الإكراه لا ينافي الانتشار، فإن الإكراه لا ينافي كون الفعل اختياراً، بل المكره يختار دفع أعظم الشرين بالتزام أدناهما.

وأيضًا: فالانتشار بلا فعل منه؛ بل قد يقيد ويضجع فتباشره المرأة فتنتشر شهوته فتستدخل ذكرَه.

فعلى قول الأولين لم يكن يحل له ما طلبت منه بحال.

وعلى القول الثاني فقد يقال: الحبس ليس بإكراه يبيح الزنا؛ بخلاف ما لو غلب على ظنه أنهم يقتلونه أو يتلفون بعض أعضائه، فالنزاع إنما هو في هذا، وهم لم يبلغوا به إلى هذا الحد، وإن قيل: كان يجوز له ذلك لأجل الإكراه لكن يفوته الأفضل.

وأيضًا: فالإكراه إنما يحصل أول مرة ثم يباشر، وتبقى له شهوة وإرادة في الفاحشة.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١١٥-١١٦).

ومن قال: الزنا لا يتصور فيه الإكراه. يقول: فرق بين ما لا فعل له ـ كالمقيد ـ وبين من له فعل، كما أن المرأة إذا أضجعت وقيدت حتىٰ فعل بها الفاحشة لم تأثم بالاتفاق، وإن أكرهت حتىٰ زنت ففيه قولان؛ هما روايتان عن أحمد؛ لكن الجمهور يقولون: لا تأثم وقد دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهؤلاء يقولون: فعل المرأة لا يحتاج إلىٰ انتشار، فإنما هو كالإكراه علىٰ شرب الخمر؛ بخلاف فعل الرجل، وبسْط هذا له موضع آخر.

* * *

س: في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ مقدرٌ محذوف، وضح هذا المقدر.

ج: هذا المقدر هو قوله «دخول»، المعنىٰ: يا رب، دخول السجن أحب إليَّ.

* * *

س: ما الذي دعا به يوسف عليه السلام فأجيب بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾؟

ج: دعا عليه السلام بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ففي هذا معنىٰ الدعاء والمسألة، وفيه إظهار حاله وما به، وهذا نوع دعاء، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وكما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: في قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ فوائد وعبرٌ، وضح هذه الفوائد والعبر.

ج: أوضح بعض ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] فقال:

وفي قول يوسف: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب، وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

وهذا كقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢).

ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو نظير قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ وقوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

فلا بد من التقوىٰ بفعل المأمور والصبر علىٰ المقدور، كما فعل يوسف عليه السلام: اتقىٰ الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر علىٰ أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه، حتىٰ يثبته علىٰ العفة فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر علىٰ الحبس.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ فإنه لا بد من أذىٰ لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر علىٰ الأذىٰ في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

ومن احتمل الهوان والأذىٰ في طاعة الله علىٰ الكرامة والعز في معصية الله ـ كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين ـ كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذىٰ قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا

وثبوراً.

فيوسف ﷺ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذىٰ الخلق وحبسهم إذ أطاع الله، بل آثر الحبس والأذىٰ مع الطاعة علىٰ الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمته المرأة بالمال والرياسة، وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل و الحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة، مع الطاعة علىٰ والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية.

بل قدم الخوف من الخالق علىٰ الخوف من المخلوق، وإن آذاه بالحبس والكذب فإنها كذبت عليه؛ فزعمت أنه راودها ثم حبسته بعد ذلك».

* * *

س: اذكر طرفًا من كيد امرأة العزيز.

ج: من ذلك قولها وقد راودت يوسف عن نفسه: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا.

وكونها أعتدت لهن متكئًا وقالت اخرج عليهن.

* * *

س: كيد امرأة العزيز قد عُرف، فما الكيد الذي كادته به النساء؟

ج: من ذلك: ترغيبهن ليوسف عليه السلام في المطاوعة (مطاوعة امرأة العزيز) والنزول عند الرغبة، والتخويف من مخالفة أمر امرأة العزيز، وذكر بعض العلماء أيضًا أن كل واحدةٍ منهم كانت تريده لنفسها وتقول له: يا يوسف اقضِ لي حاجتي فأنا خيرٌ لك من امرأة العزيز.

وقيل: إنه خاطب امرأة العزيز بما يصلح لخطاب جماعة النساء سترًا عليها. والله أعلم.

* * *

س: لماذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليلٌ لما قبلها من صرف الكيد، أي إنه هو السميع لدعوات الداعين له العليم بأحوال الملتجئين إليه.

قلت (مصطفى): وفي هذا تعميم أيضًا لإجابة الدعوات وحثٌ لجميع المبتلين على الدعاء والله أعلم.

* * *

س: هذه المحنة التي تعرض لها نبي الله يوسف عليه السلام محنةٌ عظيمةٌ، بيِّن بعض ما فيها من صعوبة.

ج: قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»[1]:

هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا، لأنه صبر اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها.

وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعًا أو كارهًا. وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام، بقي مكرَّمًا في بيت العزيز، وكان

(١) «تيسير الكريم الرحمن».

له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن «راودته التي هو في بيتها عن نفسه» أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد يتيسر فيه إيقاع الأمر المكروه، من غير شعور أحد، ولا إحساس بشر.

وزاد المصيبة، بأن غلقت الأبواب، وصار المحل خاليًا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب.

وقد دعته إلىٰ نفسها: وقالت: هيت لك، أي: افعل الأمر المكروه وَأقبِل إِليَّ.

ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلىٰ ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد همَّ فيها همًّا تركه لله، وقدم مراد الله علىٰ مراد النفس الأمارة بالسوء. ورأىٰ من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان الموجب لترك كل ما حرم الله ما[1] أوجب له البعد والانكفاف عن هذه المعصية الكبيرة.

أما ابن القيم رحمه الله تعالى فقال «الجواب الكافي»:

«... والله سبحانه وتعالىٰ... أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلىٰ المرأة، كما يميل العطشان إلىٰ الماء والجائع إلىٰ الطعام، حتىٰ إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يذم إذا صادف حلالاً، بل يحمد كما في كتاب «الزهد» للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت البناني عن أنس عن النبي ﷺ: «**حُبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء، أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن**».

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شابًا، و شهوة الشاب وحدته أقوىٰ.

الثالث: أنه كان عزبًا، لا زوجة له ولا سرية، تكسر حدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة لا يتأتىٰ للغريب فيها من قضاء الوطر ما يتأتىٰ لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلىٰ موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع حبًا ورغبة، كما قال الشاعر:

وزادني كلفًا في الحب أن منعت ... أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

فطباع الناس مختلفة في ذلك:

فمنهم: من يتضاعف حبه عند بذل المرأة نفسها ورغبتها وتضمحل عند إبائها وامتناعها، وأخبرني بعض القضاة أن ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته أو سريته وإبائها، بحيث لا يعاودها.

ومنهم: من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع، ويشتد شوقه بكل ما منع، ويحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يحصل من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره، واللذة بإدراك المسألة بعد استصعابها وشدة الحرص على إدراكها.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تنم عليه هي: ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكًا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا يُنكَر عليه، وكان الأمن سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب: ما حملك على الزنا؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد. تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن فقال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

الثاني عشر: أنها توعدته بالسجن والصَّغَار، وهذا نوع إكراه، إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي

حب السلامة من ضيق السجن والصغار.

الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلاً منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما خاطبهما به إذ قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وللمرأة: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وشدة الغيرة للرجل من أقوىٰ الموانع، وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها: فقد آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله علىٰ أن يختار السجن علىٰ الزنىٰ فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالىٰ إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه. وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد علىٰ ألف فائدة، لعلنا إنْ وفقنا الله أن نفردها في مصنف مستقل» اهـ.

* * *

س: هناك حديث ثابت صحيح عن نبينا محمد ﷺ لنبي الله يوسف فيه أكمل حظ وأوفر نصيب، اذكر هذا الحديث.

ج: هذا الحديث هو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌ نشأ في عِبَادة ربِّه، ورجلٌ قلبُهُ مُعلقٌ في المساجدِ، ورجلانِ تحابَّا في الله اجتمعَا عليهِ وتفرَّقا عليهِ، ورجلٌ طلبتهُ امرأةٌ ذات منصِب وجمال فقال: إني أخاف الله، و رجلٌ تصدق؛ أخفى حتَّى لا تعلم شماله ما تنفقُ يمينهُ، و رجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناهُ».

(١) البخاري (حديث٦٦٠)، ومسلم (حديث١٠٣١).

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟ ومن الذين بدا لهم؟

ج: بدا للعزيز ومن معه.

أمَّا الآيات:

فمنها: قدُّ القميص من دُبر.

ومنها: تقطيع النسوة أيديهن.

ومنها: شهادة الشاهد.

وفي الجملة؛ فهي الآيات الدالة على صدقه وبراءته.

* * *

س: ما المراد بـ: «الحين» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم: أجل غير مسمى ومدة غير معلومة إلى أن ينقطع الحديث الذي قد شاع بالمدينة، الذي هو امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًّا. فعموم الأخبار تأخذ أوقاتًا، ثم ينقطع الحديث فيها أو يقل ويندر، وذلك لمجيء خبر آخر هو أعظم منه، فيُنسى الناس الخبر الأول، فلكل نبأ مستقر.

وقيل أيضًا: «الحين» هو الوقت الذي فيه يرون رأيهم في يوسف عليه السلام.

* * *

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ
ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ
مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

نبئنا بتأويله ـ نبأتكما بتأويله ـ ملة ـ لا يؤمنون بالله ـ يا صاحبي السجن ـ أأربابٌ متفرقون ـ الواحد ـ القهار ـ سلطان ـ الحكم ـ الدين القيم ـ يسقي ربه ـ بضع سنين.

ج:

الكلمة	معناها
نبئنا بتأويله	أخبرنا بما يؤول إليه (بما يصير إليه).
نبأتكما بتأويله	أخبرتكما بتفسيره، وبما تصير إليه هذه الرؤيا.
ملة	دين.
لا يؤمنون بالله	لا يصدقون بالله، ولا يقرون بوحدانيته.
يا صاحبي السجن	يا من هما في السجن ـ يا صاحبيَّ في السجن، وقيل: «يا صاحبي السجن» لطول بقائهما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿أولئك أصحاب النار﴾ لطول بقائهم فيها.
أأرباب متفرقون	أعبادة أرباب شتىٰ، متفرقون في الصغر والكبر والتوسط، ومتفرقون في العدد والصفات.
الواحد	الذي لا ثاني له ولا شريك له.
القهار	الذي قهر كلَّ شيءٍ فزلَّله وسخَّره.
سلطان	حجةٌ وبرهان، وقوله: ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي: ما أمر بعبادتها ولا أذن في ذلك.

الحكم	الأمر والنهي والتشريع والقضاء.
الدين القيم	المستقيم الموصل إلى كل خير بخلاف غيره من الأديان.
يسقي ربه	يسقي سيده (وهو الملك) أي سيكون صاحب شرابه ويكون ساقيه.
بضع	«البِضْع»: من ثلاث إلى تسع.

* * *

س: ما شأن الفتيين الذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام؟

ج: صح عن قتادة[١] أنه قال: كان أحدهما خبازًا للملك على طعامه، وكان الآخر ساقيه على شرابه.

قلت (مصطفى): والله أعلم بصحة ذلك؛ فلم يرد عن رسول الله ﷺ خبرٌ بذلك.

هذا ومما ذكره المفسرون أيضًا: أنهما اتهما بوضع السُّم للملك، هذا اتُّهم بوضع السم للملك في طعامه، وهذا اتهم بوضع السم للملك في شرابه، والله أعلم بصحة ذلك.

* * *

س: في الآية الكريمة إطلاق الاسم على الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه أُطلق على العنب الخمر باعتبار ما سيؤول إليه.

فالمعنى: إني أراني أعصر عنبًا فيؤول العنب إلى الخمر.

وذلك لأن الخمر لا يعصر، وإنما الذي يُعصر هو العنب[٢].

* * *

س: ما الحامل للفتيين على قولهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: للصلاح الذي يبدُر منه من إيثار الإحسان.

---

(١) أخرج ذلك الطبري.

(٢) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن أهل عمان يطلقون العنب على الخمر، وقد ورد ذلك عند الطبري (١٩٢٨٢) عن الضحاك.

قال الرازي في «تفسيره»:

إنه كان يعود مرضاهم، ويؤنس حزينهم، فقالوا: إنك من المحسنين. أي: في حق الشركاء والأصحاب.

وقيل: إنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا: إنك من المحسنين في أمر الدين.

ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا، وفي سائر الأمور.

وقيل: المراد ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في علم التعبير، وذلك لأنه متى عبر لم يخطئ كما قال: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

* * *

س: قولهم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه أدب من أدب السؤال، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنهما توسلا إلى يوسف بإحسانه، وأثنيا عليه بذلك أيضًا.

فعليه يستحب للشخص أن يثني على المسؤول أثناء المسألة بما يعلمه فيه من خيرٍ وبرٍ وإحسان، وذلك قيد أمن الفتنة، كأن تقول: يا بن المحسنين تصدق، ويا بن الشجعان بارزِ الأبطال، ونحو ذلك.

* * *

س: هل رأى الفتيان رؤيا أم أنهما ادعيا ذلك؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما لم يريا شيئًا.

أورد الطبري من طريق إبراهيم النخعي[1] عن ابن مسعود قال: ما رأى

(١) وفي رواية إبراهيم عن ابن مسعود نزاع، فإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود، والأثر عند =

صاحبا يوسف شيئًا إنما كانا تحالما ليجربا علمه .

وأورد الطبري نحو هذا عن مجاهد[١] .

وقال آخرون : بل قد رأيا رؤيا .

* * *

س: لماذا لم يجبهما يوسف عليه السلام مباشرةً إلى ما سألاه عنه من تأويل الرؤيا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه بدأهما بالجواب الأنفع لهما في دينهما، فالأنفع لهما أن يُسلما، وأن يوحدا ربهما، ثم يأتي بعد ذلك تأويل الرؤيا .

وثمَّ قول آخر: وهو أن يوسف عليه السلام أشار إليهما بتأويلها، ولكنها إشارةٌ فيها إلماح وتعريض؛ وذلك لأن فيها ما ينزعج به أحدهما .

وها هي بعض الأقوال في ذلك:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» أربعة أجوبة على هذا؛ فقال:

أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة . قاله قتادة .

والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما . قاله ابن جريج .

= الطبري (١٩٢٧٠)، وقد أورده الطبري من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، لكنه من طريق ابن وكيع (١٩٢٩٧) .

(١) أثر مجاهد عند الطبري (٢٩٣٠١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام .

والثـــالث: أنه ابتدأ بدعائهما إلىٰ الإيمان قبل جواب السؤال. قاله الزجاج.

والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليُعرضا عن مطالبته بالجواب، فلما ألحّا أجابهما.

وقال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف؟ وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام؟

قـيـل له: إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما، لما علم من مكروه ذلك علىٰ أحدهما، فأعرض عن ذكره، وأخذ في غيره، ليعرضا عن مسألته الجواب عما سألاه من ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ من جهة الله أو الملك، والجملة صفة لـ«طعام» ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ومعنىٰ ذلك: أنه يعلم شيئًا من الغيب بإلهام الله تعالىٰ، وأنه لا يأتيهما إلىٰ السجن طعام في اليقظة إلا أخبرهما بماهيته قبل أن يأتيهما.

وقـيـل: أراد به في النوم، والأول هو الأظهر، وهذا ليس من جواب سؤالهما تعبير ما قصاه عليه بل جعل عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بيانًا لعلو مرتبته في العلم، وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين، فهو كقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

وإنما قال يوسف لهما هذا؛ ليحصل الانقياد له منهما فيما يدعوهما إليه بعد ذلك من الإيمان بالله و الخروج من الكفر، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا يأتيكما في حال من الأحوال، إلا حال ما نبأتكما، أي: بينت لكما ماهيته وكيفيته، وسماه «تأويلاً» بطريق المشاكلة؛ لأن الكلام في الرؤيا. أو المعنى: إلا نبأتكما بما يؤول إليه الكلام من مطابقة ما أخبركما به للواقع.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:

لا يخفى أن قوله تعالى: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ إلى هنا، مقدمة لجواب سؤالهما عن تعبير رؤياهما، مهد ـ عليه السلام ـ بها لهما ليدعوهما إلى التوحيد، ليزدادا علمًا بعظم شأنه وثقة بأمره، توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه من هدايتهما، لا سيما وأن أحدهما ستعاجله منيته بالصَّلْب، فرجا أن يُختم له بخير.

قال الزمخشري: لَمَّا استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترص ذلك، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام، وجعل ذلك تخلصًا إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان، ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله.

وهذه طريقة على كل ذي مسلم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم، أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة الحسنة والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه، ثم يفتيه بعد ذلك.

وفيه: أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده ـ

وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين ـ لم يكن من باب التزكية. انتهىٰ.

وبعد تحقيق الحق، ودعوتهما إليه، وبيانه لهما مرتبة علمه، شرع في تفسير ما استفسراه، ولكونه بحثًا مغايراً لما سبق، فصله عنه بتكرير الخطاب.

* * *

س: ما المراد بتأويل الطعام في قوله تعالى: ﴿لا يأْتِيكُمَا طَعامٌ تُرْزَقَانه إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأْويله قَبْل أن يأْتِيكُما﴾؟

ج: تأويله هو الإخبارية، أي أنه يقول لهما: سيأتيكما طعام كيت وكيت، والمراد بالطعام: الطعام الذي يُرسل إلىٰ المسجونين.

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿لا يأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأْويله قَبْل أن يأْتِيكُما﴾ مع ما فيه من تزكيةٍ للنفس؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: تمهيداً لدعوتهما إلىٰ الله عز وجل، وإظهاراً لكونه من بيت نبوة، وجلبًا لاستماعهما وإصغائهما لما يُلقىٰ عليهما.

* * *

س: أيد الله عز وجل يوسف ﷺ في السجن بمعجزةٍ، اذكر هذه المعجزة.

ج: هذه المعجزة هي الإخبار ببعض أمور الغيب كما في قوله: ﴿لا يأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ من هؤلاء القوم؟

ج: قال بعض أهل العلم: هم الكنعانيون والمصريون آنذاك.

* * *

س: لماذا كُررت كلمة (هُم) في قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وكررت «هم» مرتين، فقيل: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، لما دخل بينهما قوله: ﴿بِالآخِرَةِ﴾، فصارت «هم» الأولىٰ كالملغاة، وصار الاعتماد علىٰ الثانية، كما قيل: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٢، لقمان: ٤]، وكما قيل: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

* * *

س: اذكر دليلاً على إطلاق الأب على الجد.

ج: الدليل هو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فإسحاق جده، وإبراهيم جد أبيه ومع ذلك قال: واتبعت ملة آبائي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: عائدٌ علىٰ الإيمان والتوحيد وعدم الشرك، وعائدٌ أيضًا علىٰ العلم.

* * *

س: ما وجه الإفضال على الناس في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾؟

ج: وجه ذلك: أن الله أرسل إليهم دعاةً يهدونهم إلى الخير والإيمان والجنة، ويصرفونهم عن النار ويحذرونهم منها.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة من كتاب الله عز وجل على وحدانية الله.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

والآيات في هذا الصدد كثيرة جداً.

* * *

س: ما نوع الاستفهام في قوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ . . .﴾؟

ج: الاستفهام للإنكار.

* * *

س: اذكر آية نظير هذه الآية: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟

ج: في معناها قول الله تبارك و تعالىٰ: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.

* * *

س: لماذا قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ ولم يقل: (ما تعبدان)؟

ج: ذلك، والله أعلم: لأنه قصدهما ومن هم علىٰ شاكلتهما في عبادة غير الله تعالىٰ، وقال بعض أهل العلم: ذلك لأنه أراد من في السجن عمومًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: أنهم أطلقوا علىٰ أوثانهم وأصنامهم أسماء، ولا تُمتُّ هذه الأسماء لما تسمىٰ بها بصلة.

فسموا أوثانهم وأصنامهم آلهةً وأربابًا شركًا منهم وتشبيهًا لها بأسماء الله تعالىٰ، وليس لها في الحقيقة أي شيء من خصائص الألوهية ولا الربوبية، فهي أصنام ليس لها من الألوهية شيء إلا الاسم الذي أطلقوه عليها.

قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»:

قول الله تعالىٰ ذكره: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾:

. إنما عبدوا المسميات، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة، كاللات والعزىٰ، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمىٰ لها في الحقيقة، فإنهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم الإلهية لها، وليس لها من الإلهية إلا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمىٰ، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها، وهذا كمن سمىٰ قشور البصل لحمًا وأكلها، فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه، وكمن سمىٰ التراب خبزًا وأكله، يقال له: ما أكلت إلا اسم الخبز، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم، فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه، وما الحكمة ثمَّ إلا مجرد الاسم.

فتأمل هذه الفائدة الشريفة في كلامه تعالىٰ.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها، ولا وضع لهم علىٰ أن تلك الأسماء أسماؤها دلالة ولا حجة، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ﴾ كلمة «ذلك» عائدة على ماذا؟

ج: عائدة علىٰ التوحيد، وإفراد الله عز وجل بالعبادة.

* * *

س: هل استجاب الفتيان لدعوة يوسف عليه السلام إذ دعاهما إلى التوحيد؟

ج: لا يظهر من السياق أنهما استجابا أو لم يستجيبا، فيحتمل أنهما استجابا له وانقادا، ويحتمل أنهما بقيا على شركهما، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن يوسف عليه السلام قال للساقي ما حاصله: إنك ستُردُّ إلى عملك الذي كنت عليه قبل دخولك السجن وستسقي الملك خمرًا.

* * *

س: لماذا أبهم يوسف عليه السلام اسم من يسقي ربه خمرًا؟

ج: ذلك لأمرين ذكرهما العلماء:

أحدهما: لكون ذلك كان مفهومًا.

الثاني: لكراهة التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن هذا الأمر الذي أخبرتكما به كتأويلٍ لرؤياكما واقع ومتحقق لا محالة.

* * *

س: من الآيات ما يدل على أن تأويل يوسف عليه السلام للرؤيا كان بوحي، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

* * *

س: هل «الظن» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ بمعنى اليقين أم بخلاف اليقين؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أنه بخلاف اليقين، وهو قول قتادة كما عند الطبري، فقد قال[1]: وعبارة الرؤيا بالظن فيحق الله ما يشاء ويُبطل ما يشاء.

أما الطبري رحمه الله فقال:

وهذا الذي قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمرٍ أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها علىٰ حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن؛ لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يُؤمن مثل ذلك في كل أخبارها، وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حُجتها علىٰ من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق.

فمعلومٌ إذا كان الأمر علىٰ ما وصفت، أن يوسف لم يقطع الشهادة علىٰ ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي

(١) الطبري (١٩٣١٠).

رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، عند قولهما: «لم نر شيئًا»، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما: ﴿اذكرني عند ربك﴾ فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما﴾.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِند رَبِّك﴾.

ج: المعنى المراد، والله أعلم: اذكرني عند سيدك، (الذي هو الملك) وأخبره بمظلمتي وأني محبوس بغير جُرمٍ.

* * *

س: استدل البعض بالآية الكريمة على جواز الاستعانة بالمشرك في بعض الأمور وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن يوسف ﷺ قال للسجين ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ والسجين مشركٌ وربه (الذي هو سيده، أي الملك) مشركٌ أيضًا.

* * *

س: هل في قول يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ما يناقض التوكل؟

ج: قال شيخ الإسلام[1]:

ليس في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِند رَبِّكَ﴾ ما يناقض التوكل؛ بل قد قال

(١) «المجموع» (١٥/ ١١٣).

يوسف: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ كما أن قول أبيه: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لم يناقض توكله؛ بل قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وأيضًا فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلَص لا يكون مخلَصًا مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركًا لا في عبادته ولا توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده؟!

وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مثل قوله لربه: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضًا للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مناقضًا للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به؛ ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

ج: في ذلك قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنسى الشيطان يوسف ذكر اللَّه تعالى فلجأ في طلب الخلاص إلى إنسان.

قال الطبري رحمه الله:

«وقوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن

غفلةٍ عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته»، وأورد جملة آثار مرسلة يؤيد بها ما ذهب إليه، منها ما أورده عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أنه ـ يعني يوسف ـ قال الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث**».

ومنها ما أورده عن الحسن، قال: قال نبي الله ﷺ: «**رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث**» يعني بقوله: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾، قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس.

وثمَّ آثار أُخر أوردها الطبري رحمه الله، وذهب إلى هذا القول فريق من المفسرين كذلك[1].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الضمير في «أنساه» فيه قولان: أحدهما: أنه عائد إلى يوسف عليه السلام، أي: أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل، وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك ـ حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك ـ: ﴿اذكرني عند ربك﴾ نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فعوقب باللُّبث.

وأورد بعض الآثار ثم قال:

وقيل: إن الهاء تعود على الناجي، فهو الناسي، أي أنسى الشيطانُ الساقي ـ أن يذكر يوسف لربه، أي لسيده وفيه حذف، أي: أنساه الشيطان ذكره لربه؛ وقد رجح بعض العلماء هذا القول فقال: لولا أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن؛ إذ الناسي غير مؤاخذ.

وأجاب أهل القول الأوّل بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك، فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب. ردّ عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿وقال الذي نجا =

. . . . . .

منهما وادّكر بعد أُمَّة﴾ فدل على أن الناسي هو الساقي لا يوسف، مع قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟

قيل: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء منه إلا في وجه واحد، وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلّغونه، فإنهم معصومون فيه؛ وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقًا، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال ﷺ: «نسي آدم فنسيت ذريتُه» وقال: «إنما أنا بشرٌ أنسى كما تَنسون».

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ وكانت هذه المقالة منه صادرة عن ذهول ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان، فيكون ضمير المفعول في ﴿أنساه﴾ عائدًا إلى يوسف عليه السلام، هكذا قال أكثر المفسرين، ويكون المراد بربه في قوله ﴿ذكر ربه﴾ هو الله سبحانه، أي: أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى في تلك الحال. فقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما يذكره عند سيده ليكون ذلك سببًا لانتباهه على ما أوقعه من الظلم البيِّن عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته، وذلك غفلة عرضت له عليه السلام، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات، ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جَرَمَ صار مؤاخذًا بهذا القدر، فإن حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين وهو الشرابي، والمعنى: أنسى الشرابيَّ الشيطانُ ذكر سيده، أي: ذكره لسيده فلم يبلّغ إليه ما أوصاه به يوسفُ عليه السلام من ذكره عند سيده، ويكون المعنى: فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف عليه السلام مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك.

وذكر نحوًا مما قاله القرطبي ثم قال:

ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف عليه السلام ما بعده من قوله: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ ويؤيد رجوعه إلى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي ﴿الذي نجا منهما وادكر بعد أُمَّة﴾.

. . . . . .

= أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيرجح أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربِّه هو الذي نجا منهما، قال شيخ الإسلام(*) رحمه الله:

وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ قال تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه؛ بل كان ذاكرًا لربه.

وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه، وقال لهما: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقال لهما قبل ذلك: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ أي: في الرؤيا ﴿إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ يعني التأويل ﴿ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ فبذا يذكر ربه عز وجل، فإن هذا مما علمه ربه؛ لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله، وإن كانوا مقرين بالصانع ولا يؤمنون بالآخرة واتبع ملة آبائه أئمة المؤمنين - الذين جعلهم الله أئمةً يدعون بأمره - إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فذكر ربه ثم دعاهما إلى الإيمان بربه.

ثم بعد هذا عبر الرؤيا فقال: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا﴾ الآية، ثم لما قضى تأويل الرؤيا: ﴿قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك﴾ فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه، أي: الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه، وهو أن يذكر عنده يوسف، والذين قالوا ذاك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله، ولا يقول: ﴿اذكرني عند ربك﴾. فلما نسي أن يتوكل على ربه، جوزي بلبثه في السجن بضع سنين.

(*) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١١٢).

الثاني: أنسىٰ الشيطانُ الساقيَ الناجي ذكر أمر يوسف لملكهم، و يترجح هذا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾.

ومما يرجحه أيضًا: أن الناسي لا يُعاقب، فقول من قال: إن يوسف عوقب بالسجن لنسيانه ذكرربه» قولٌ مدفوع.

ومما يرجح أن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه: قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾.

وقوله: ﴿ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ وقوله: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ وما سوىٰ ذلك من تذكيره لهما بالله عز وجل.

* * *

س: الأمور المهمة قد تنسى أيضًا وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن بشارة يوسف عليه السلام لأحد الفتيين أمرٌ مهم جدًا، ومجالسة يوسف عليه السلام في السجن أمرٌ لا يُنسىٰ ووصيته لا تنسىٰ، ومع ذلك كله نسي الفتىٰ أن يذكر أمر يوسف للملك.

* * *

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾
قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ
فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى
بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓۖ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

عِجاف ـ الملأ ـ تعبرون ـ أضعاث ـ ادّكر ـ بعد أمة ـ الصدِّيقِ ـ دأبًا ـ ذروه ـ شدادٌ ـ تحصنون ـ يُغاث الناس ـ ما بال ـ ماً خطبكن ـ سوء ـ حصحص ـ بالغيب ـ لا يهدي كيد الخائنين ـ أستخلصه لنفسي ـ لدينا مكينٌ ـ أمينٌ ـ خزائن الأرض ـ حفيظ ـ عليم ـ مكنا ـ يتبوأ منها حيث يشاء ـ نصيب برحمتنا.

ج:

الكلمة	معناها
عجاف	هزالٌ ـ ضِعافٌ.
الملأ	الأشراف ـ الأعيان من رجال الدولة.
تعبرون	تُفسِّرون ـ تؤولون.
أضغاث	أخلاط (يريدون أنها رؤية كاذبة لا حقيقة لها).
ادّكر	تذكَّر ـ ذُكِّر.
بعد أمة	بعد زمنٍ من النسيان.
الصديقً	كثير الصدق.
دأبًا	متتابعة متتالية ـ والدأب العادة، والمعنى: تزرعون سبع سنين كعادتكم فتنبت الأرض.
ذروه	اتركوه ـ لا تدرسوه (لا تفصلوا الحَبَّ عن التبن).
شداد	قاسيةٌ لما فيها من الجدب.

تحصنون	تدخرون ـ تضعون في الحصون ـ تُخزِّنون ـ تحفظون . والإحصان : الوضع في الحصن .
يغاث الناس	يصيبهم ربهم بالغيث .
ما بال	ما شأن .
ما خطبكن	ما شأنكن ـ ما أمركن ـ ماذا كان منكن . والخطب : الشأن العظيم .
سوء	السوء ما يُسيئ إلىٰ صاحبه .
حصحص	تبين وانكشف وظهر بعد خفائه .
بالغيب	في حال غيابي عنه .
لا يهدي كيد	لا يسدده ولا يوفقه ولا ينفذه ولا يمضيه .
الخائنين	لا يهديهم بسبب كيدهم ـ لا يهديهم في كيدهم .
أستخلصه لنفسي	أجعله من خلصائي وأهل مشورتي .
لدينا	عندنا .
مكينٌ	ذو مكانةٍ ـ متمكنٌ مما أردت تفعل ما تشاء .
أمين	أمين علىٰ أسرارنا ، أمين علىٰ ما استؤمنت عليه
خزائن الأرض	خزائن الدولة .
حفيظ	حافظ لما استودعتني ـ حافظ للحساب .
عليم	ذو علم وبصيرة بتدبير الأمور . عليم أيضًا بسنوات المجاعة ، وعليم بالألسن .
مكنا	وطَّأنا .

يتبوأ منها حيث يشاء	ينزل ويحل حيث أراد . يتخذ منها منزلاً في أي مكان أراد .
نصيب برحمتنا	نتفضل بإحساننا ونعمتنا ـ نحسن إليهم برحمتنا ، وإحسانُنا من رحمتنا .

* * *

س: من هذا ا لملك الذي رأى الرؤيا؟

ج: هو ملك مصر آنذاك، وقد كان العزيز يعمل وزيراً عنده، وقد سماه كثير من المفسرين: الريانّ بن الوليد، فالله أعلم.

* * *

س: قال الملك: ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾ ولم يذكر أنه رأى ذلك في رؤيا منامية، فمن أين استفيد أنه رأى ذلك في منامه؟

ج: استفيد ذلك من رد السامعين إذ قالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ واستفيد أيضًا من نفس السياق، والمخاطب إذا كان يفهم مضمون الكلام استُغني عن ذكر التفاصيل له.

أما الإمام الطبري رحمه الله فقال:

يعني جل ذكره بقوله: وقال ملك مصر: إني أرىٰ في المنام سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ من البقر عجاف، وقال: «إني أرىٰ»، ولم يذكر أنه رأىٰ في منامه ولا في غيره، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم: «أرىٰ أني أفعل كذا وكذا» أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه، وإن لم يذكر النوم، وأخرج الخبر جل ثناؤه علىٰ ما قد جرىٰ به استعمال العرب ذلك بينهم.

* * *

س: في رؤيا الملك أمرٌ غريب يلفت النظر، وضح هذا الأمر.

ج: إيضاحه: أن السبع بقرات العجاف (النحيفة الهزيلة الضعيفة) تأكل السبع السمان القوية الشديدة.

* * *

س: جمع الملأُ في جوابهم على الملك ثلاث خصالٍ مذمومة، بيِّن هذه الخصال.

ج: من هذه الخصال ما يلي:

أولاً: الجهل إذ لم يعلموا تفسير الرؤيا.

ثانيًا: الجزم - بغير علم - بأنها أضغاث أحلام.

ثالثًا: الزهو والإعجاب بالنفس، فلم يقولوا: لا نعلم تأويلها، بل اغتروا اغترارًا بأنفسهم إذ قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي لو كانت رؤيا لأولناها، ولكن لكونها أضغاث أحلام من الشياطين فإنا لا نعبرها.

* * *

س: من فضل الله على نبيه يوسف ﷺ أن الرؤيا عُرضت على الملأ أولاً فلم يستطيعوا تأويلها، وضح وجه هذا الفضل.

ج: **قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم المنان»:**

ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا. وأما الأحلام - التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس - فإنا لا نعبرها، فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا.

وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف عليه السلام، فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها - لم يكن لها ذلك الموضع.

ولكن لما عرضها عليهم، فعجزوا عن الجواب ـ وكان الملك مهتمًا لها، غاية الاهتمام، فعبرها يوسف ـ وقعت عندهم موقعًا عظيمًا، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم، فلم يعلموا، ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله.

وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمداً ﷺ فيقول: «**أنا لها أنا لها**» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان إلى خواص أصفيائه وأوليائه.

* * *

س: اذكر بعض معاني كلمة (أمة).

ج: من معاني كلمة أمة ما يلي:

جماعة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

الإمام: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

مِلة: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

مدة ـ زمن: لقوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

* * *

س: هناك آداب تُستفاد من تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وضح بعض هذه الآداب.

ج: من هذه الآداب ما يلي:

أولاً: عدم تعنيف يوسف عليه السلام للناجي من السجينين لكونه لم يذكر شأن يوسف للملك، إذ قال له: «اذكرني عند ربك»، ولم يفعل.

ثانيًا: عدم اشتراط يوسف أجرًا على تأويل الرؤيا.

ثالثًا: عدم اشتراط يوسف الخروج قبل تفسير الرؤيا.

* * *

س: ما تأويل السبع بقرات السمان والسبع العجاف؟

ج: أما السبع السمان: فهي سبع سنين مخصبة تخرج الأرض فيها ثمرها.

أما السبع العجاف: فهي سنون الجدب التي لا تنبت الأرض فيها شيئًا.

* * *

س: قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون ماذا؟

ج: يعلمون مكانك من الفضل والعلم، ويعلمون تعبير الرؤيا.

* * *

س: هل يمكن أن تتحقق رؤيا الكافر؟

ج: نعم يمكن ذلك، فقد تحققت رؤيا صاحبي السجن، وتحققت رؤيا الملك.

قال القرطبي رحمه الله:

هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تُخرَّج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن؛ فكيف إذا كانت آية لنبيّ، و معجزة لرسول، وتصديقًا لمصطفى للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله ـ جل جلاله ـ وبين عباده.

* * *

س: في تعبير يوسف عليه السلام للرؤيا إجابةٌ للسائل بأكثر مما سأل وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه أرشدهم إلى العلاج ولم يسألوه ذلك، فقال لهم: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ...﴾.

فهي مشورة أشار بها عليهم نبي الله يوسف ﷺ، ونصيحة نصحهم بها.

وكذلك قوله لهم: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ولم يسألوه عن ذلك، فهذه زيادة على ما في هذه الرؤيا التي رآها الملك.

وقد صح عن قتادة[1] عند الطبري أنه قال: (وفيه يعصرون) قال: يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب، هذا علم آتاه الله يوسف لم يُسأل عنه.

* * *

(١) الطبري (١٩٣٨٩) وسنده حسن.

س: لماذا قال يوسف عليه السلام ﴿فَمَا حصدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك لئلا يُسوَّس (يدخله السوس)، وكذلك: فالتبن علفٌ لدوابهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ ما قدَّمْتُمْ لهُنَّ﴾؟ وهل توصف السنون بأنها تأكل؟

ج: المعنى: يؤكل فيهن ما ادخرتم في السبع سنوات الخصيبة.

قال الطبري رحمه الله:

وقال جل ثناؤه: ﴿يَأْكُلْنَ﴾، فوصف السنين بأنهن «يأكلن»، وإنما المعنى: أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن، كما قيل:

نَهَارك يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازِمُ

فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسهى في هذا، ويغفل فيه، وينام في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه.

* * *

س: ما مناسبة قول النبي ﷺ: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»؟ وما وجه هذا الدعاء؟

ج: مناسبة ذلك تتضح مما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ قريشًا لما أبطأوا عن رسول الله ﷺ بالإسلام قال: «اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف»، فأصابتهم سنةٌ حصَّت كل شيء، حتى

(١) البخاري (حديث ٤٦٩٣).

أكلوا العظام، حتىٰ جعل الرجل ينظر إلىٰ السماء فيرىٰ بينه وبينها مثل الدخان، قال الله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الدخان: ١٠]، قال الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، أفيشكف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضىٰ الدخان ومضت البطشة».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يغاثون بماذا؟ ويعصرون ماذا؟

ج: يُغاثون بالمطر، ويعصرون كل ما يعصر، فيعصرون العنب، ويعصرون الزيتون، ويعصرون السمسم. ومن العلماء من قال: «يعصرون» معناها: يحلبون.

* * *

س: كيف استدل يوسف عليه السلام على العام الخصيب مع أنه لا ذكر له في الرؤيا؟

ج: لأنه، والله أعلم: علم أن الشِّداد إنما هي سبع فقط، فمن ثم سيتلوها عام خصيب.

ووجه آخر من أوجه الإجابة: أن الله سبحانه أعلمه بذلك.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، يقول: فلما جاءه رسول الملك يدعوه

إلىٰ الملك، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ، يقول: قال يوسف للرسول: ارجع إلىٰ سيدك، ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وأبىٰ أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك، حتىٰ يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قرفوه به من شأن النساء، فقال للرسول: سل الملك: ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ والمرأة التي سُجنتُ بسببها؟

* * *

س: وضح معنى ما ورد عن النبي ﷺ إذ قال: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

ج: ابتداءً فالحديث أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾».

والحديث فيما يبدو لي، يحمل ثناءً علىٰ نبي الله يوسف عليه السلام لصبره وكرمه وتأنيه في الخروج من السجن حتىٰ تثبت براءته. والله أعلم.

* * *

س: لماذا تأخر يوسف ﷺ عن الخروج من السجن؟

ج: ذلك؛ والله أعلم: لأنه لو خرج قبل أن يعلم الملك أمره لم يزل في نفس العزيز منه شيءٌ يقول في نفسه: هذا الذي خانني في أهلي وراود

(١) أخرجه البخاري في مواطن من «صحيحه» (٤٦٩٤).

امرأتي الآن خرج من السجن.

وأيضًا؛ كي يدفع يوسف عليه السلام الشبهة عن نفسه.

* * *

س: لماذا امتنع يوسف ﷺ من الخروج لأولِ داع دعاه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، كي يدفع الشبهة عن نفسه، وكي يظهر براءته أمام الملك وأما الناس، وكي يطمئن خاطر العزيز أيضًا تجاهه، ثم قد يتقلد منصبًا وصاحب المنصب ينبغي أن يكون عفيفًا نزيهًا، فقد يوشي به الحاسدون عند الملك ويتخذون ما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها سُلمًا للطعن فيه، والحط من منزلته ومرتبته ومكانته.

* * *

س: قول امرأة العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ من الصادقين في ماذا؟

ج: من الصادقين في أقوالهم، وفي قوله أيضًا: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

* * *

س: من سياق الآيات يُستفاد أن الملوك لا تعرف كل الأشياء عن الرعية وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن الملك لم يكن يعلم تفاصيل الأمور التي تحدث بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، ولم يعلم بحديث النسوة في المدينة وحقيقة هذا الأمر ووجه الصواب فيه حتىٰ سألهن عن ذلك.

* * *

س: من القائل: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو يوسف عليه السلام، فكأن الخطاب قد تحول فبعد أن كانت المرأة تتحدث بلغ حديثها يوسف عليه السلام، فقال ذلك (أي الذي طلبته من استبيان الأمر والوقوف على حقيقته)، ليس لمجرد الطعن في امرأةٍ وفضيحتها، فليس هذا من شأني، ليس من شأني أن أفضح امرأةً أكرمت مثواي هي وزوجها، ليس من شأني الخوض في القيل والقال، و إنما ليعلم زوجها أني لم أخنه في امرأته وهو غائب عني.

فهذا تحولٌ في الخطاب فكانت المرأة تتكلم، ثم تحول الحديث إلى يوسف عليه السلام وهذا كقوله تعالى (على تفسير بعض المفسرين): ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس:٥٢] فتقول الملائكة: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

والثاني: أن قائل ذلك هي المرأة، إذ هو استطراد لقولها، وهي بقولها هذا تظهر الاحترام والإجلال والتقدير لشخصٍ بريءٍ متعفف عن الحرام، مع أنه لم يطاوعها على ما أرادت من ارتكاب الفاحشة.

فسبحان الله؛ كيف قيض الله سبحانه وتعالى ليوسف من يدافع عنه في غيابه؟! ومن هذا المدافع؟ إنها المرأة التي كانت يومًا ما تقول: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وسبحان من قيض له نسوة كن يراودنه عن نفسه فيقلن بعد ذلك: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في بيان قائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يعني بقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، هذا الفعل الذي فعلتُه، من ردي رسول الملك إليه، وتركي إجابته والخروج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾»، يقول: لم أركب منها فاحشةً في حال غيبته عني. وإذا لم يركب ذلك بمغيبه فهو في حال مشهده إياه أحرىٰ أن يكون بعيداً عن ركوبه.

وذكر جملة من الآثار ثم قال رحمه الله:

واتصل قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، بقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، لمعرفة السامعين لمعناه، كاتصال قول الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، بقول المرأة: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، وذلك أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ خبر مبتدأ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، وهو متصل بقول الملأ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي أقررت بالصدق ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي: بالكذب عليه،

ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدت عن الخيانة، ثم قالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ بل أنا راودته، وعلىٰ هذا هي كانت مقرة بالصانع، ولهذا قالت: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقيل: هو من قول يوسف؛ أي: قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلته، من رد الرسول ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾. قاله الحسن وقتادة وغيرهما. ومعنىٰ «بالغيب»: وهو غائب.

وإنما قال يوسف ذلك بحضرة الملك، وقال: «ليعلم» علىٰ الغائب توقيراً للملك. و قيل: قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعدُ.

قال ابن عباس: جاء الرسول إلىٰ يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه؛ فقال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لم أخُن سيدي بالغيب؛ فقال له جبريل عليه السلام: يا يوسف! ولا حين حللتَ الإزار، وجلستَ مجلس الرجل مع المرأة؟! فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ الآية.

وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حلَلت سراويلك يا يوسف؟! فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾. وقيل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من قول العزيز؛ أي: ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، وأني لم أغفل عن مجازاته علىٰ أمانته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾. معناه: أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم. ا. هـ.

وذهب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أن قائلة ذلك هي امرأة العزيز. وانتصر لذلك بأمرين:

أحدهما: أن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن موجوداً عندهم بل أحضره الملك بعد ذلك.

قال رحمه الله:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ تقول: إنما اعترفتُ بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي؛ فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته؛ لأنها أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، أي: إلا من عصمه الله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في «تفسيره» وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة.

ثم ذكر رحمه الله فحوى الذي قدمناه عنه.

* * *

س: إذا سلمنا أن قائلة: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ هي امرأة العزيز، فإلى ماذا يعود الضمير في قولها ﴿أَخُنْهُ﴾؟

ج: في ذلك أيضًا قولان:

أشهرهما: أن الضمير يعود إلى يوسف ﷺ، أي أنها تقول ذلك ليعلم يوسف أني لم أشهد عليه شهادة باطل في غيابه.

والثاني: ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في غيابه، وهذا الأخير ضعيف، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن الله لا يُسدد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم التي خانوا فيها.

فخيانة الخائن تعود على نفسه، ومكره يحيق به، وأمره لا بد وأن يتبين.

* * *

س: هل كانت المرأة تعرف الله، وتعرف أن الزنا ذنبٌ حتى قالت: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؟

ج: نعم، كان عند هذه المرأة بعض العلم بالله سبحانه، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول النسوة لما رأين يوسف عليه السلام: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾.

* قول العزيز لزوجتهك: ﴿ واستغفري لذنبك ﴾.

* قول المرأة ـ على أحد التفاسير ـ: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾.

* قول المرأة (على تفسير من فسر أن ذلك قولها) ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم ذكرت ما يقتضي طلب المغفرة والرحمة، فقالت: إن ربي غفور رحيم.

فإن قيل: فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبه.

قلت: نعم، والقرآن قد دل على ذلك، حيث قال زوجها: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ فأمره لها بالاستغفار لذنبها دليل أنهم كانوا يرون ذلك ذنبًا ويستغفرون منه، وإن كانوا مع ذلك مشركين، فقد كانت العرب مشركين وهم يحرمون الفواحش، ويستغفرون الله منها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من قائله؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن قائل هذا هو يوسف ﷺ، وهو الذي اختاره الطبري رحمه اللَّه، وحكاه ولم يورد شيئًا سواه وأورد هناك أيضًا جملة من الآثار مؤداها أن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قال له الملكُ ـ وفي بعض الروايات جبريل ـ ولا حين هممت بما هممت به؟ فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي..﴾.

* أما الحافظ ابن كثير فذهب إلى أن قائلة ذلك هي امرأة العزيز، وقد قدمنا قوله قريبًا.

أما ابن القيم رحمه اللَّه فقد قال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: فإن قيل: فكيف قال وقت ظهور براءته: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾؟

قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين، وخالفهم في ذلك آخرون أجلُّ منهم، وقالوا: إن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف عليه السلام.

* والصواب معهم من وجوه:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة، وهو قوله: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ...﴾ ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلىٰ إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما. والقول في مثل هذا لا يحذف لئلا يوقع في اللبس، فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول أولىٰ به قطعًا.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضرًا وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ والسياق صحيح صريح في ذلك. فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾؟ فأرسل إليهن الملك وأحضرهن، وسألهن، وفيهن امرأته، فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته، ولم يمكنهن إلا قول الحق، فقال النسوة: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، وقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

فإن قيل: لكن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام، أي: إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أني لم أخنه في امرأته في حال غيبته، وأن اللَّه لا يهدي كيد الخائنين. ثم إنه ﷺ قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا من تمام معرفته ﷺ بربه ونفسه. فإنه لما أظهر نزاهته وبراءته مما قذف به أخبر عن

حال نفسه، وأنه لا يزكيها ولا يبرئها، فإنها أمارة بالسوء، لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه. فرد الأمر إلىٰ اللَّه بعد أن أظهر براءته.

قيل: هذا وإن كان قد قاله طائفة. الصواب أنه من تمام كلامها، ولكن كون الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه. وهو قوله النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، وقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، ثم اتصل بها قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فهذا هو المذكور أولاً بعينه، فلا شيء يفصل الكلام من نظمه، ويُضمَر فيه قول لا دليل عليه.

فإن قيل: فما معنىٰ قولها: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾؟

قيل: هذا من تمام الاعتذار، قرنت الاعتذار بالاعتراف، فقالت ذلك، أي: قولي هذا وإقراري ببراءته؛ ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ ثم ذكرت السبب الذي لأجله لم تبرئ نفسها وهو أن النفس أمارة بالسوء.

فتأمل ما أعجب أمر هذه المرأة، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها علىٰ ما فعلت، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة اللَّه ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر.

فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظًا ومعنىٰ، وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي علىٰ دين الشرك؛ فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالىٰ وبحقه، وإن أشركوا معه غيره. ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال:

﴿ واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رحِم ربِّي ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه[1] :

يقول يوسف صلوات اللَّه عليه : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها ؛ ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يقول : إن النفوس نفوسَ العبادِ، تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها في غير ما فيه رضىٰ اللَّه .

﴿ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ : يقول : إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواه وطاعتها فيما تأمرُه به من السوء ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

* * *

س: هل كل الأنفس أمارةٌ بالسوء؟

ج: ليست كل النفوس أمارة بالسوء ، فما رحم اللَّه من النفوس ليست بأمارة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه[2] :

إن في الكلام المحكي الذي أقره اللَّه تعالىٰ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ وهذا يدل علىٰ أنه ليس كل نفس أمارة بالسوء ؛ بل ما رحم ربي ليس فيه النفس الأمارة بالسوء .

---

(١) وهذا اختياره أن قائل ذلك هو يوسف ﷺ .

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٤٣) .

وقد ذكر طائفة من الناس أن النفس لها ثلاثة أحوال: تكون أمارة بالسوء، ثم تكون لوَّامة، أي: تفعل الذنب ثم تلوم عليه، أو تتلوم فتتردد بين الذنب والتوبة، ثم تصير مطمئنة.

والمقصود هنا: أن ما رحم ربي من النفوس ليست بأمَّارة[1].

* * *

س: تبينت للملك جملة أمور في شأن يوسف عليه السلام، ومن ثمَّ قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾. وضح بعض هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور التي تبينت للملك في شأن يوسف ما يلي:

*علم يوسف ﷺ بتأويل الرؤيا، وتدبير الأمور.

*براءة يوسف ﷺ ونزاهته وحرصه على إظهار براءته حتى يخرج نزيهًا مما هو فيه.

*تثبت يوسف ﷺ وتأنيه في الأمور؛ فلم يبادر بالخروج من السجن بل قال متأنيًا متريثًا: ﴿**ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾.

*ثقة يوسف ﷺ في اللَّه ثم في نفسه، وذلك في قوله: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ وتذكيره باللَّه الحين بعد الحين، بل وكلما وجد إلى ذلك سبيلاً.

*علامات الوقار وحسن الحديث، إذ اللَّه قال: ﴿**فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾.

* * *

(١) ذكر ذلك في بيان أن قائل ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ هي امرأة العزيز.

س: ما المراد بخزائن الأرض؟

ج: **المـــراد**: خزائن الطعام وعموم الخزائن، وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد أنه قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فأسلم سلطانه كلَّه إليه، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ.

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يسأل الإمارة؟

ج: ابتداءً؛ فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ النهي عن سؤال الإمارة فقال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن سمرة: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**».

وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: «**إنا لا نولي هذا الأمر أحدًا سأله**».

لكن إن كانت هناك مصلحة راجحة تستلزم سؤال الإمارة كأن يكون هناك أميرٌ ظالم غشوم يظلم العباد ويسلبهم أموالهم، وطلب شخص الإمارة للقيام بالعدل ورد المظالم إلىٰ أهلها؛ فلا بأس بسؤال الإمارة في هذه الحال.

وكذلك إذا كان ثمَّ شخص يريدُ إقامة الدين والحق وسأل الإمارة لذلك فلا بأس، وقد قال يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾.

أما إذا سأل شخص الإمارة تكثرًا وتعاليًا وكبرًا ورياءً؛ فهذا السؤال يحرم عليه ولا يجوز له، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رحمه اللَّه في تفسير قول يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾:

ودلت الآية أيضًا على جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون له أهلاً؛ فإن قيل: فقد روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلْت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**».

وعن أبي بُردة قال: قال أبو موسى: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «**ما تقول يا أبا موسى ـ أو: يا عبد اللَّه بن؟**». قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل.

قال: وكأني أنظر إلى سِواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «**لن ـ أو ـ لا نستعمل على عملنا من أراده**» وذكر الحديث؛ خرجه مسلم أيضًا وغيره.

فالجواب:

أولاً: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره.

وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعيّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية

وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام.

فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولىٰ ألا يطلب؛ لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: «**لا تسأل الإمارة**».

وأيضًا فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليلاً علىٰ أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك؛ وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: «**وكِل إليها**» ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها فرَّ منها، ثم إن ابتُلِي بها فيرجىٰ له التخلص منها، وهو معنىٰ قوله: «**أعِينَ عليها**».

الثاني: أنه لم يقل: إني حسيب كريم، وإن كان كما قال النبي ﷺ: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**». ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**﴾.

الرابع: أنه رأىٰ ذلك فرضًا متعينًا عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره، وهو الأظهر، والله أعلم.

ودلت الآية أيضًا علىٰ أنه يجوز لإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل؛ قال الماوردي: وليس هذا علىٰ الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله؛ فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظَّفر بأهله.

وقال صديق حسن خان في تفسير قوله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلىٰ نشر العدل، ورفع الظلم، ويتوصل به إلىٰ دعاء أهل مصر إلىٰ الإيمان باللَّه وترك عبادة الأوثان.

وفيه دليل علىٰ أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل أن يطلب ذلك لنفسه، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها؛ ترغيبًا فيما يرومه وتنشيطًا لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به.

ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها أو حرص عليها، وكان يوسف عليه السلام طلبها ابتغاء لوجه اللَّه لا لحب الملك والدنيا؛ وبهذا يجمع بينهما.

* * *

س: هل يجوز لشخصٍ أن يُزكي نفسه[1]؟

ج: نعم، يجوز ذلك في بعض الأحيان[2]، إذا كان يُرغِّب الناس في الخير ويوجههم إليه، وإذا كان يريد التوصل إلىٰ أمر محمود ومشروع ومقربٍ من اللَّه، وقد قال يوسف ﷺ لعزيز مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١) وقد قدمنا مزيدًا لهذا الباب في تفسير سورة النساء عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾.

(٢) وإلا فالأصل عدم تزكية النفس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾.

س: هل يجوز لمسلم أن يعمل عند كافرٍ؟

ج: إذا كان العمل عند الكافر ليس فيه امتهان لدين المسلم ولا إخلال بالشرع جاز ذلك العمل، بدليل طلب يوسف العمل عند ملك مصر إذ قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أما إذا كان في العمل امتهانٌ لدين المسلم وإزراء به فلا يجوز، وقد قال تعالىٰ: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**، وقال تعالىٰ: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.**

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال بعض أهل العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوّض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غيرُ جائز.

والأول أولىٰ إذا كان علىٰ الشرط الذي ذكرناه. واللَّه أعلم.

وبوَّب البخاري في كتاب الإجارة من «صحيحه» بباب (هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟).

أي: أن البخاري علَّق الترجمة ولم يجزم فيها برأي، وذلك لكون المسألة

تحتمل الوجهين. والله أعلم.

ثم إن البخاريّ[١] أورد في الباب حديث خباب رضي الله عنه، وفيه أن خبابًا قال: كنتُ رجلاً قينًا، فَعَملتُ للعاصِ بن وائلٍ، فاجتمَعَ لي عندَهُ فأتيتُهُ أتقاضاهُ فقالَ: لا، واللَّهِ حتَّى تكفرَ بمحمدٍ. فقلت: أما واللَّه حتَّى تموتَ ثم تُبعث فلا. قال: وإني لميِّتٌ ثم مبعوثٌ؟ قلت: نعم. قال: فإنه سيكونُ لي مالٌ وولدٌ، فأَقضيكَ. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحًا لترجمة البخاري:

قوله: (باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟): أورد فيه حديث خباب ـ وهو إذ ذاك مسلم ـ في عمله للعاص بن وائل وهو مشرك، وكان ذلك بمكة وهي إذ ذاك دار حرب، واطلع النبي ﷺ على ذلك وأقره، ولم يجزم المصنف بالحكم لاحتمال أن يكون الجواز مقيدًا بالضرورة، أو أن جواز ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومنابذتهم وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه، وقال المهلب: كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين:

أحدهما: أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله.

والآخر: أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين.

وقال ابن المنير: استقرت المذاهب على أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة ولا يعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمه في منزله

(١) البخاري (حديث ٢٢٧٥).

وبطريق التبعية له واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ حفيظ على ماذا؟ وعليم بماذا؟

ج: حفيظ على ما استودعتني، حفيظ على الخزائن، عليم بتصريف الأمور وتدبيرها، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي: ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن مكنا له في الأرض؛ أي: أقدرناه على ما يريد.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ج: المراد واللَّه أعلم: لا نبطل جزاء من عمل عملاً صالحًا مطيعًا فيه للَّه سبحانه وتعالى، مستقيمًا فيه على أوامره مجتنبًا نواهيه، مخلصًا في ذلك من قلبه عافيًا عن الخلق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أن المدخر ليوسف ﷺ وللمؤمنين المتقين عمومًا

خيرٌ مما عُجِّل لهم في دنياهم من مُلك وثراء ومنصب وجاه وأولاد ونساء . . إلىٰ غير ذلك من متاع الحياة الدنيا ، كما قال تعالىٰ بعد أن ذكر ما أنعم به علىٰ سليمان عليه السلام : ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ .

قال السعدي رحمه اللَّه:

﴿ **وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ أي : لمن جمع بين الإيمان والتقوىٰ .

* * *

يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾
قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

س: اذكر معنى كلٍ مما يلي:

وهم له منكرون ـ خير المنزلين ـ سنراود ـ وإنا لفاعلون ـ فتيانه ـ رحالهم ـ انقلبوا ـ نكتل ـ ما نبغي ـ نمير أهلنا ـ كيل بعير ـ يسير ـ موثقًا ـ يُحاط بكم ـ وكيل.

ج:

الكلمة	معناها
وهم له منكرون	وهم لا يعرفونه.
خير المنزلين	خير المُضيفين (خير من أكرم الأضياف، وأحسن منازلهم).
سنراود عنه أباه	سنطلبه من أبيه (والمراودة: الطلب برفق ولين). ونراود معناها أيضًا: نطلب منه النزول عن إرادته ـ وهي إبقاء أخينا ـ إلىٰ إرادتنا وهي المجيء به معنا.
لفاعلون	لمجتهدون في مراودة أبينا (حتىٰ يسمح لنا بالإتيان بأخينا).
فتيانه	غلمانه.
رحالهم	الرحل: كل شيءٍ يعدُّ للرحيل، من وعاءٍ للمتاع ومركب للبعير، ومجلس ونحو ذلك.
انقلبوا	رجعوا.
نكتل	نأتي بالكيل ـ نأخذ الكيل.
ما نبغي	ماذا نريد.

نمير أهلنا	نجلب لهم الميرة وهي الطعام .
كيل بعير	حِملَ جَمَلٍ .
يسير	قليل (قليل بالنسبة لنا فلن يكفينا)، و(قليل بالنسبة للعزيز فلن يشق عليه إعطاؤنا) .
موثقًا	ما أَثق به في قولكم، ما تحدث لي به الثقة، والمراد هنا العهد المؤكد باليمين .
يحاط بكم	يُحال بينكم وبينه ـ تُغلبوا ـ تهلكوا جميعًا، ومنه ﴿ وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ . والإحاطة مأخوذة من إحاطة العدو، فمن أحاط به العدو فقد هلك .
وكيل	شهيد (شهيدٌ علينا أن نفي بما نقول) ـ كفيل ـ رقيب .

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ متى كان هذا المجيء؟ ولماذا أتوا؟

ج: كان هذا المجيء بعد سنوات الرخاء التي هي السبع السمان، فتلتها سنون الشدة والجدب، ففيها أتى إخوة يوسف يلتمسون الطعام والزاد لأهليهم بعد أن ضربتهم المجاعة.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليمتاروا، وهذا من اختصار القرآن المعجز. قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده لِلميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته؛ وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رءوسهم، لكل رأس وسقًا.

* * *

س: كيف لم يعرفه إخوته وقد أوتي شطر الحسن؟

ج: قال بعض العلماء: إنهم لم يعرفوه لأسباب منها ما يلي:

أولاً: إنهم تركوه صغيرًا، ورأوه كبيرًا، وقد تغيرت ملامحه وظهرت له لحية.

ثانيًا: إنهم لم يتوقعوا أن يصل إلى هذه المنزلة التي هو فيها.

ثالثًا: الزيُّ الذي يلبسه يوسف غيَّر بعض ملامحه.

رابعًا: صرفهم اللَّه عن معرفته لأمرٍ يريده سبحانه وتعالىٰ.

* * *

س: مَن هذا الأخ الذي هو لهم من أبيهم؟

ج: علىٰ رأي جمهور المفسرين هو بنيامين[1]، وهو أخو يوسف لأمه وأبيه، وبهذا قال قتادة[2] رحمه اللَّه.

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن ذلك كان بأمر اللَّه عز وجل زيادة لبلاء يعقوب عليه السلام؛ حتىٰ يعظم له الأجر ويكثر له الثواب.

* * *

س: ما المراد بالبضاعة في قوله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾؟

ج: المراد بالبضاعة: مقابل الطعام الذي يشترونه.

ومن العلماء من قال: كانت عملة من فضة.

* * *

س: لماذا ردَّ إليهم يوسف البضاعة؟

ج: قال يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

---

(١) ولم يرد له اسم صريح في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولعل اسم بنيامين هذا متلقىٰ من الإسرائيليات.

(٢) أخرج ذلك الطبري عنه بإسناد حسن (١٩٤٧٥).

قال صديق حسن خان في تفسير ذلك:

فعل يوسف عليه السلام ذلك تفضلاً عليهم.

وقيل: ليستعينوا بها على الرجوع إليه سريعًا لشراء الطعام، وقيل: ليرجعوا إليه مرة أخرى لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمن. قاله الفراء، وجرى عليه الجلال.

وقيل: إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة.

وقيل: أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب.

وقيل: أراد أن يريهم بره وكرمه وإحسانه إليهم.

وقيل: أراد أن يكون ذلك عونًا لأبيه ولإخوته على شدة الزمان. وقيل غير ذلك.

وقيل: إنه استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

فإن قال قائل: ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته في رحالهم؟

قيل: يحتمل ذلك أوجهًا:

أحدها: أن يكون خشي ألا يكون عند أبيه دراهم، إذ كانت السَّنة سنة جدب وقحط، فيضرُّ أخذ ذلك منهم به، وأحبَّ أن يرجع إليه.

أو: أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته، مع قلة حاجتهم إليه، فردَّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده، تكرمًا وتفضلاً.

والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك ألا يخلفوه الوعد في الرجوع، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكَهُ عليهم غيرهم، عوضًا من طعامه، ويتحرجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتىٰ يؤدُّوه علىٰ صاحبه، فيكون ذلك أدعىٰ لهم إلىٰ العود إليه.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

ج: قال صديق حسن خان رحمه اللَّه في تفسيره «فتح البيان»:

والمعنى: أنه لا يأمنهم علىٰ بنيامين إلا كما أمنهم علىٰ أخيه يوسف عليه السلام وقد قالوا له في يوسف عليه السلام: وإنا له لحافظون كما قالوا هنا، ثم خانوه في يوسف عليه السلام، فهو إن آمنهم في بنيامين خاف أن يخونوه كما خانوه في يوسف عليه السلام.

* * *

س: كيف قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾، ويوسف قد أوفى لهم الكيل إذ قال: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾؟

ج: مرادهم، واللَّه أعلم: سيمنع منَّا الكيل إذا لم ترسل معنا أخانا، فهو إطلاق باعتبار ما هو آت. أو منع منا كيل أخينا، إذ قد تقرر أنه لكل منهم حمل بعير.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: فلما رجع إخوة يوسف إلىٰ أبيهم قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ يقول: منع منا الكيل، فوق الكيل الذي

كِيل لنا، ولم يكل لكل رجلٍ منَّا إلا كيل بعير، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين يكتل لنفسه كيلَ بعير آخر زيادة على كيل أباعِرنا، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، من أن يناله مكروه في سفره.

وقال ابن الجوزي رحمه اللَّه «زاد المسير»:

أحدهما: حُكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت واللَّه النار بما فعلت.

والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «مُنع» عن «يُمنع» كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يخلده، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

* * *

س: وضح المراد بقولهم ﴿مَا﴾ في قولهم: ﴿مَا نَبْغِي﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إنها استفهامية.

فقولهم: ﴿مَا نَبْغِي﴾ أي: ماذا نطلب، وماذا نريد بعد هذا الإكرام الذي قابلنا به العزيز؟! إن بضاعتنا ـ وهي الثمن الذي نشتري به الطعام ـ قد رجعت إلينا مع الطعام، وقد أوفى لنا الكيل أيضًا، فماذا نريد بعد ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿مَا نَبْغِي﴾ ما للاستفهام الإنكاري، والمعنى: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان بردِّ البضاعة والإكرام عند القدوم إليه، وتوفير ما أردناه من الميرة، وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم.

وقال قتادة: ما نبغي وراء هذا؟

وقيل: إن ما نافية أي: ما نبغي في القول، وما نزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وإكرامه لنا.

وقرئ بالفوقية خطابًا ليعقوب، أي: أيُّ شيء تطلب وراء هذا الإحسان؟ أو أي شيء تطلب من الدليل على صدقنا؟!

* * *

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ
مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا
لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ
إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

س: وضح معنى ما يلي:

عليه توكلت ـ آوي ـ تبتئس.

ج:

الكلمة	معناها
عليه توكلت	عليه اعتمدت، وفيه وثقت.
آوى	ضَمَّ.
تبتئس	تحزن ـ تأسف.

* * *

س: لماذا طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الدخول من أبواب متفرقة؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: لأنهم كانوا ذوي هيئة وصورة وحسن وجمال وبهاء فخشي عليهم العين.

ومما يدل على كونهم من ذوي الحُسن والجمال أن آباءهم كانوا كذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ أي: الأقوياء العلماء.

وقال آخرون: إنما خشي عليهم يعقوب عليه السلام أذى المؤذين واعتداء المعتدين. والله أعلم.

وهنا فقه ينبغي أن يتفطن له إخواننا عند دخولهم بعض المدن لتفادي كمائن الشرط ونقاط التفتيش، فلا يدخلون بعدد كبير من مكان واحد، بل يتفرقون عند دخولهم دفعًا للسوء الذي قد يصابون به، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء، صغيرٍ ولا كبير؛ لأن قضاءه نافذٌ في خلقه. قاله الطبري رحمه الله.

* * *

س: ما المراد بقوله في هذا الموطن: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾؟

ج: المراد بالحكم هنا، والله أعلم القضاء والأمر.

* * *

س: ما الحاجة التي في نفس يعقوب؟

ج: قال بعض العلماء: هي حرصه وشفقته على أبنائه، وإرادة دفع العين والسوء والمكروه عنهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وإنه لذو علمٍ لتعليمنا له، أي: بسبب تعليمنا له[1]، وقيل: وإنه لعامل بما عُلِّم، وقيل أيضًا: لحافظ لما علمناه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يعلمون أن يعقوب على علمٍ، ولا يعلمون كثيراً من العلم عمومًا، والله أعلم.

* * *

س: في الآية الكريمة ما يدل على أن الله عز وجل يدافع عن أنبيائه عليهم السلام. وضح ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: إيضاحه: أن الله سبحانه وتعالى بعد أن قال: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ قد يتوهم متوهم أن يعقوب عليه السلام ليس على علمٍ، فنفى الله ذلك عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن هذا الدفاع: قول الله سبحانه وتعالى في معرض الدفاع عن نبيه

---

(١) أي: أن العلم الذي يحمله ليس بحوله ولا بقوته، إنما بفضل تعليمنا.

ﷺ: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فقد يتسرب إلىٰ شخص أن داود عليه السلام ليس علىٰ علم؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ...﴾.

فذكر اللَّه فضله علىٰ نبيه داود عليه السلام وبين منزلته ﷺ. ونحو ذلك قول اللَّه سبحانه وتعالىٰ في شأن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام إذ جاءته البشرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: أنه يطلب إمهال قوم لوط وتأخير إنزال العذاب عليهم، فقد يتوهم شخص أن إبراهيم عليه السلام أخطأ خطأ شديدًا في طلبه هذا، لكن اللَّه تعالىٰ قال مثنيًا عليه بين يدي عتابه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ ثم قال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

فعلىٰ ذلك إذا انتقدنا شخصًا من الأشخاص لعمل قام به لم يوفق فيه، أو لكلمة تكلم بها جانبه الصواب فيها لا ينبغي أن ننسىٰ له سابق فضله ومعروفه وإحسانه. واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

س: وضح معنى ما يلي:

جهزهم بجهازهم ـ السقاية ـ رحل ـ أذن مؤذن ـ أيتها العير ـ حمل بعير ـ زعيم ـ تاللَّه ـ كدنا ـ دين الملك ـ فأسرها ـ لم يُبدها ـ شرٌّ مكانًا ـ تصفون.

ج:

الكلمة	معناها
جهزهم بجهازهم	قضىٰ لهم حاجتهم ووفّاهم كيلهم وأَتَمّهَ لهم.
السقاية	هي الإناء الذي يُكال به الطعام، وهي أيضًا الإناء الذي يشرب فيه الملك؛ فالسقاية والصواع شيءٌ واحد.
رحل	متاع.
أذن مؤذن	نادىٰ منادٍ.
أيتها العير	يا أصحاب العير ـ يا أصحاب الإبل.
حمل بعير	قدر ما يحمله البعير، والبعير: الجمل.
زعيم	كفيل (أي: كفيل بأن أوفيه حمل البعير من الطعام إذا جاء بصواع الملك).
تاللَّه	واللَّه.
كدنا	دبرنا ـ أردنا ـ يسرنا له هذا التدبير.
دين الملك	سلطان الملك ـ حكم الملك ـ عادة الملك.
أسرها	أضمرها ـ أخفاها.

لم يبدها	لم يظهرها .
شرٌّ مكانًا	شرٌّ منزلة (ممن رميتموه) .
تصفون	تكذبون ـ تفترون .

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يُسرِّق قومًا أبرياء من السرقة فيقول: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه لأهل العلم، منها ما يلي:

أولاً: أن يوسف عليه السلام لم يقل: إنكم لسارقون، إنما أذن مؤذن بذلك.

ثانيًا: إنهم نسبوا إلى السرقة لا في ذلك الحين، إنما لكونهم سرقوا من قبل، فأخذوا يوسف فأخفوه عن أبيه، وقالوا: إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب.

قال الطبري رحمه اللَّه:

إن قال لنا قائل: وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه، ثم يُسرِّق قومًا أبرياء من السَّرَق، ويقول: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾؟

قيل: إن قوله: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾ إنما هو خبرٌ من اللَّه عن مؤذِّنٍ أذَّن به، لا خبر عن يوسف. وجائز أن يكون المؤذن أذَّن بذلك إذ فقد الصُّواع ولا يعلم بصنيع يوسف، واستجاز الأمر بالنداء بذلك، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرق، ويوسف يعني ذلك السَّرق لا سَرَقهم الصواع.

وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف، فعاقبه اللَّه بإجابة القوم إياه: ﴿**إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ**﴾، وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك. اهـ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرِّق من لم يسرق؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الجب. قاله الزجاج.

والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله. قاله ابن جرير.

والثالث: أن المنادي نادى بالتسْرِيق لهم بغير أمر يوسف.

والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: عند نفسك لا عندنا، وقول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات» أي: قال قولاً يشبه الكذب، وليس به.

* * *

س: ذكر البعض أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلاث مسائل، وهي:

﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فنسب إخوته إلى السرقة وهم منها براء.

والثاني في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

والثالث في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾.

قالوا: وقد عوقب في الثلاث، أما الهم فقد دخل بسببه السجن. وأما ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فجوزي بقولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾،

الثالث: ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾.

فما مدى صحة هذا؟

ج: في كل المذكور نظر.

أما قوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب، وأما قوله: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾، و﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ فقد قدمنا الكلام عليهما بما فيه كفاية.

* * *

س: المتهم البريء تظهر براءته من تصرفاته. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن إخوة يوسف لما ناداهم المنادي: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ قالوا: وأقبلوا إليهم ماذا تفقدون.

فلم يتلعثموا في الجواب، ولم يقفوا في مكانهم بل أتوا إلى الداعي مطمئنين ولم يهربوا.

والقطة ـ كما ذكر بعض العلماء ـ إذا أعطيتها سمكةً أكلتْها بجوارك، أما إذا سرقت هي سمكة خطفتها وذهبت بها مسرعة بعيداً عنك.

* * *

س: قال إخوة يوسف: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾ فكيف أقسموا على علم غيرهم؟

ج: أجاب على نحو ذلك الطبري بقوله:

لأنهم ـ فيما ذُكر ـ ردُّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، فقالوا: لو كنا سرَّاقًا لم نردَّ عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا.

وقيل: إنهم كانوا قد عُرِفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدًا، ولا يتناولون ما ليس لهم، فقالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

أما ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

فإن قيل: كيف حلفوا على عِلم قومٍ لا يعرفونهم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردوا الدراهم ولم يستحلُّوها، فالمعنى: لقد علمتم أنا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كمموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئًا، وكان غيرهم لا يفعل ذلك. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحدًا.

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾؟

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أن جزاء السارق ـ الذي يوجد الصواع في متاعه ـ أن يؤخذ كعبدٍ مُسترَقٍ لصاحب الصواع، كذلك نجزي السارقين في شريعتنا ـ شريعة يعقوب عليه السلام.

فالمعنى ـ بصورة أخرى: أن السارق يؤخذ مقابل سرقته ويكون عبدًا عند من سرق منهم، فهذا هو جزاء السارقين في شريعة يعقوب عليه السلام.

فقوله: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ معناه: الذي وجد في رحله، ففيه تقدير

وهو: جزاؤه أن يؤخذ الذي وجد في رحله.

قال الطبري رحمه اللَّه:

ثواب السرق من وجد في متاعه السرق (فهو جزاؤه) يقول: فالذي وجد ذلك في رحله ثوابه بأن يسلم بسرقته إلىٰ من سرق منه حتىٰ يسترقه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يقول: كذلك نفعل بمن ظلم، ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقًا.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ المعنىٰ: فما جزاء الفاعل إن بان كذبكم؟ فأجاب إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يُستعبَد ويُسترَقّ. فـ ﴿جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، و﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ خبره؛ والتقدير: جزاؤه استعباد من وُجِد في رحله؛ فهو كناية عن الاستعباد؛ وفي الجملة معنىٰ التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يُسترَقُّوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه.

* * *

س: لماذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم: لدفع الشبهة، حتىٰ لا يُقال ـ إذا فتش أول متاع فوجد الصواع فيه ـ: إن فتيان العزيز هم الذين أخفوا الصواع في رحل أخيهم، فبدأ بأوعيتهم حتىٰ تظهر براءتهم أولاً.

ونحو هذا الوجه من دفع التهم قول الشاهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن

قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فبدأ بما يظهر براءة المرأة حتىٰ لا يتهم هو بالتجني عليها.

ونحوه أيضًا: قول مؤمن آل فرعون الذي يخفي إيمانه في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فقدَّم الكذب دفعًا لما قد يتوهم من نصرته له.

ونحو ذلك أيضًا: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

س: لماذا استُعمل ضمير المؤنث في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا من وعاء﴾؟

ج: لأنه أراد السقاية، وقد قدمنا أن السقاية والصُّواع اسمان لشيء واحد، كالثوب والملحفة اسمان لشيءٍ واحد، والخوان والمائدة اسمان لشيء واحد، علىٰ ما ذكره بعض العلماء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: هكذا دبرنا ورتبنا ليوسف عليه السلام، دبرنا له تدبيرًا حسنًا لأخذ أخيه الشقيق ـ من أمه وأبيه ـ وضمه إليه بهذا الحكم الذي حكم به إخوته أنفسهم، فهم الذين حكموا أن السارق يؤخذ كعبدٍ مُسترَقٍ عند من سرق منه، ولم يكن في حكم الملك، ولا في قضاء الملك أن السارق يؤخذ كعبدٍ مسترقٍ، ولكنه حكمٌ حكم به إخوة يوسف أنفسهم، حكموا به علىٰ من يكتشف أنه سرق، وقد كان هذا الحكم حكمهم في شريعتهم كما

قالوا: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يقول: هكذا صنعنا ليوسف، حتىٰ يخلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرارٍ منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه في يديه، ويحول بينه وبينهم؛ وذلك أنهم قالوا ـ إذ قيل لهم: ما جزاؤه إن كنتم كاذبين؟ ـ: جزاء من سرق الصواع، أن من وجد ذلك في رحله في مسترَقٌّ به.

وذلك كان حكمهم في دينهم. فكاد اللَّه ليوسف، كما وصف لنا، حتىٰ أخذ أخاه منهم، فصار عنده بحكمهم وصُنْعِ اللَّه له.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يقول: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحد بالسَّرَق، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء اللَّه بكيده الذي كاده له، حتىٰ أسلم من وجد في وعائه الصُّواع إخوتُهُ ورفقاؤه بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وحاصله: أن يوسف ما كان يتمكن من إجراء حكم يعقوب علىٰ أخيه مع كونه مخالفًا لدين الملك وشريعته لولا ما كاد اللَّه له ودبره وأراده حتىٰ وجد السبيل إليه، وهو ما أجراه علىٰ ألسن إخوته من قولهم: إن جزاء السارق

الاسترقاق، فكان قولهم هذا هو بمشيئة اللّه وتدبيره.

وهذه الجملة تعليل لما صنعه اللَّه من الكيد ليوسف عليه السلام أو تفسير له يعني: أن ذلك الأمر كله كان إلهامًا من أمر اللَّه ليوسف عليه السلام وإخوته حتىٰ جرىٰ الأمر علىٰ وفق المراد وهو معنىٰ قوله: ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا حال مشيئته وإذنه بذلك وإرادته له والاستثناء منقطع؛ إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد به.

فالمعنى: ولكن أخذه بشريعة يعقوب.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: نرفع من نشاء منازل ومراتب ودرجات كما رفعنا يوسف ﷺ، فقد آتيناه حُكمًا وعلمًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وفوق كل عالمٍ من هو أعلم منه حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ اللَّه، وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف، حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ اللَّه تعالىٰ.

* * *

س: ماذا يعنون بالأخ في قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾؟

ج: يعنون به يوسف عليه السلام.

أما السرقة التي نسبوه إليها وعابوه بها فمن العلماء من قال: إنه سرق في صغره صنمًا كان لجده[1]، وذكروا أمورًا أُخر، منها أن عمة يوسف كانت تُحبه فسرَّقته شيئًا وهو لم يسرقه - وهو مِنطقة إسحاق - فبحثوا عنها فوجدوها مع يوسف، فأخذته عمته مقابل سرقته. وكل ذلك لم يصح فيه خبرٌ عن النبي ﷺ.

وظننا بأنبياء اللَّه عليهم السلام كل ما هو جميل وحسن، ولا يمتنع أن يكونوا قد كذبوا في قولهم إذ قالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

* * *

س: ما الذي أسره يوسف في نفسه؟

ج: أسرَّ في نفسه مقولة: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، أي: أنه قال في نفسه سرًا: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

قال ابن الجوزي رحمه اللَّه تعالى في «زاد المسير»:

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلىٰ الكلمة التي ذُكرت بعد هذا، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، روىٰ هذا المعنىٰ العوفي عن ابن عباس.

---

(١) أورد الطبري بذلك آثارًا عن سعيد بن جبير وقتادة.

والثاني: أنها ترجع إلىٰ الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، وهذا معنىٰ قول أبي صالح عن ابن عباس.

فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: أسرَّ جواب الكلمة فلم يجبهم عليها.

والثالث: أنها ترجع إلىٰ الحجة، المعنىٰ: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الإنباري.

* * *

س: هل في يوسف وأخيه شرٌّ حتى يُقال لإخوته: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؟

ج: حاشا للَّه، ما في يوسف ولا أخيه شرٌّ، فليست أفعل التفضيل في قوله: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ علىٰ بابها، وإنما هي كقوله تعالىٰ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾، مع أن أصحاب النار ليسوا في شيء من الخير بحال.

* * *

قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ
إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ
ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى
وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

س: اذكر معنى ما يلي:

معاذ اللَّه ـ ظالمون ـ استيأسوا ـ خلصوا نجيًا ـ فرطتم ـ أبرح ـ العير ـ سوَّلت ـ صبرٌ جميلٌ ـ تولَّى عنهم ـ يا أسفا ـ كظيم ـ تفتؤ ـ حرضًا ـ الهالكين ـ بثي ـ تحسسوا ـ لا تيأسوا ـ روح اللَّه.

ج:

الكلمة	معناها
معاذ اللَّه	أعوذ باللَّه.
ظالمون	جائرون على الناس (بفعل ما ليس لنا فعله وأخذ ما ليس لنا أخذه).
استيأسوا	يئسوا.
خلصوا نجيًا	انفردوا وابتعدوا عن الناس يتحدثون فيما بينهم سرًا.
فرطتم	ضيعتم.
أبرح	أفارق.
العير	المراد بالعير هنا: القافلة وأصحابها.
سوَّلت	زيَّنت ـ حسَّنت.
صبرٌ جميل	أي: صبري على ولدي صبر جميل (لا جزع فيه ولا شكوى).
تولى	أعرض.
يا أسفا	يا حزناه ـ يا جزعاه، والأسف: أشد الحزن

	والندم - يا طول حزني - قال بعض أهل العلم: ومعنى المناداة للأسف طلب حضوره، كأنه قال: تعالَ يا أسفى وأقبل عليَّ.
كظيم	مغمومٌ مكروبٌ، لا يظهر كربه لأحدٍ، مملوء غمًا وهمًا، وممسك به لا يبثه ولا يظهره.
تفتأ	المراد هنا: لا تفتأ، وحُذف حرف النفي لعدم الالتباس. والمعنى: لا تزال تذكر.
حرضًا	باليًا فانيًا - تالفًا - فاسدًا مختلطًا - هَرِمًا - مشرفًا على الوفاة.
الهالكين	الميتين.
بثي	حاجتي - همِّي - ضُرِّي - الذي في قلبي - ما أبثه من الكلام.
تحسسوا	اطلبوا الخبر برفق حتى تصلوا إلى حقيقته.
لا تيأسوا من روح اللَّه	لا تقنطوا من فرج اللَّه وتنفيسه ورحمته. فرج اللَّه - رحمة اللَّه.

* * *

س: ما وجه قولهم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾؟

ج: وجـــه ذلك: أن يُقال: إنهم يعنون أن هذا الشيخ الكبير يُحبه حبًا شديدًا، فيتسلَّى به عن ولده المفقود، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ فيه نوع من الاحتراز، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه لم يقل: معاذ اللَّه أن نأخذ إلا من سرق، بل قال: ﴿إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ وذلك احترازًا من وصف أخيه بالسرقة، فالاحتراز هنا عن الكذب وعن قذف البريء بالتهمة؛ فأخوه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من الآيات ما يؤدي معنى قوله: ﴿معاذ اللَّهِ أن نَّأْخُذ إلاَّ من وجدْنَا متاعنا عندهُ﴾.

ج: مما يؤدِّي معناها قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ استيأسوا من ماذا؟

ج: استيأسوا من رد أخيهم إليهم، وقيل: يئسوا من يوسف عليه السلام أن يرد أخاهم إليهم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: ومن قبل إضاعتكم لبنيامين[1] فقد أضعتم أيضًا يوسف عليه السلام، فألقيتموه في غيابة الجب، ثم بعتموه بثمن بخس، وزعمتم أن الذئب قد أكله.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

ج: المراد، واللَّه أعلم: فلن أغادر أرض مصر ما دام أخي قد أُخذ مني، ولن أرجع إلىٰ أبي حتىٰ يأذن لي أبي في الرجوع إليه، ويقبل عذري ويرضىٰ عني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بأن ينصرني ويرد أخي إليَّ.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

ج: أما قولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ فمعناه، واللَّه أعلم: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما رأيناه أمام أعيننا من استخراج الصواع من وعائه.

وأما قولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ فمعناه، واللَّه أعلم: وما كنَّا ندري ماذا سيحدث لنا وله، وما كنا نرىٰ أنه سيسرق وسيؤول أمره إلىٰ أن يُؤخذ ويسترق مقابل سرقته.

---

(١) نبهنا مرارًا علىٰ أنه لم يرد في السنة المطهرة ما يثبت أن هذا الأخ اسمه بنيامين، وإنما هذا رأي جمهور المفسرين ولعلهم تلقوه من الإسرائيليات.

وهناك وجه آخر في تفسير قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ مؤداه: وما درينا وما علمنا هل قد سرق على الحقيقة، أم أن الصُّواع قد دُسَّ في رحله ونحن لا نعلم؟ وكذلك فنحن لم نره في جميع أوقاته وأوقاتنا؛ فكنا ننام وهو ينام كذلك، ولا ندري إذا جنَّ الليل ماذا يحدث، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾.

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: واسأل أهل القرية، ويريدون بالقرية: مصر.

الثاني: واسأل القرية نفسها، فهي وإن كانت جماداً إلا أن اللَّه ينطقها لك؛ فأنت نبي.

هذا، وقد قال النبي ﷺ: «إني أعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم عليَّ».

* * *

س: في قولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ما يدل على عِظم البلاء الذي ابتلي به يعقوب عليه السلام. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن أهل القرية علموا خبر استخراج الصواع من رحل أحد أبناء يعقوب، وتحدث أهل القرية بذلك وشاع الخبر، وكذلك تحدث أصحاب القافلة بذلك وعلموا به، فازدادت الفضيحة، وفي هذا مشقة شديدة على النفس وابتلاء عظيم، ابتلاء أن ترجع القوافل كلها سالمة آمنة مطمئنة ويرجع إخوة يوسف بدون أخيهم، بل وينتشر في الناس أن هذا الأخ قد سرق، فبلا شك هذا ابتلاء عظيم لأب شيخ كبير يُقال له: إن ولدك

أخذ كعبدٍ مُستَرقٍّ من أجل سرقته التي سرق.

* * *

س: الظن لا يصيب في كلِّ الأحيان، فينبغي أن يبني أهل الفضل أقوالهم وآراءهم على اليقين. دلِّل على ذلك.

ج: ما يدل على ذلك: أن يعقوب عليه السلام ظنَّ في موطنين أصاب في أحدهما ولم يصب في الآخر.

فلما جاءوا على قميص يوسف بدم كذب قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فأصاب في ذلك.

ولما قالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فلم يصب في ذلك، والله أعلم.

* * *

س: من الذين عناهم يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿عَسى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾؟

ج: عنى، والله أعلم: يوسف وأخاه بنيامين والابن الأكبر ليعقوب.

* * *

س: ما مراد يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ في هذا المقام؟

ج: مراده والله أعلم: أن الله هو العليم بحزني على أولادي، والعليم بأماكنهم، والعليم بصدقكم من كذبكم.

أما قوله «الحكيم»: فهو الحكيم فيما يدبر، والحكيم فيما يقضي ويقدِّر.

* * *

س: قوله: ﴿يا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ ظاهره الشكوى، فأين الصبر؟

ج: أجاب عن ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

﴿يَا أَسفىٰ علىٰ يُوسُفَ﴾ فإن قيل: هذا لفظ الشكوىٰ، فأين الصبر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه شكا إلىٰ اللَّه تعالىٰ، لا منه.

والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنىٰ: يا رب ارحم أسفي علىٰ يوسف.

وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنىٰ به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو: أنت راءٍ أسفي، أو هذا أسفي، فنادىٰ الأسف في اللفظ، والمنادىٰ في المعنىٰ سواه، كما قال: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ والمعنىٰ: يا هؤلاء تنبهوا علىٰ حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثَّم ولم يشكُ إلا إلىٰ ربه، فلما كان قوله: ﴿يَا أَسَفَىٰ﴾ شكوىٰ إلىٰ ربه كان غير ملوم.

* * *

س: لماذا حزن يعقوب عليه السلام هذا الحزن الشديد حتى ذهب هذا الحزن ببصره أو ببعض بصره؟

ج: ذكر بعض أهل العلم: أن هذا الحزن الشديد سببه أنه لا يعلم هل يوسف عليه السلام حيٌّ أو قد مات؟ وإذا كان علىٰ قيد الحياة كيف حاله مع اللَّه؟ وما حال دينه في الوسط الذي هو فيه من الكفار؟هل هو مستقيم علىٰ أمر اللَّه أم أن هناك أمرًا آخر والعياذ باللَّه؟

فكل هذه الأسئلة تدور بخلد يعقوب عليه السلام، ثم ما معه من العلم برؤيا يوسف، وأنها ستتحقق بإذن اللَّه.

هذا، ومن أهل العلم من قال: إن مجرد الحزن ليس بمحرَّم، وإنما المحرم ما يُفضي إلىٰ لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوىٰ الجاهلية.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

* * *

س: وضح المراد بقول يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ من اللَّه ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

ج: في ذلك وجوه منها:

أولاً: أعلم من لطف اللَّه وإحسانه وأنه يجازي الصابرين علىٰ صبرهم، والمحسنين علىٰ إحسانهم ما لا تعلمون.

ثانيًا: أعلم أن مع العسر يسرًا، وأن الفرج مع الكرب، وأن اللَّه يجيب المضطر إذا دعاه.

ثالثًا: قد يُقال: أعلم أن رؤيا يوسف عليه السلام ستتحقق، وأن يوسف عليه السلام حيٌّ، ولكني لا أعلم أين هو.

* * *

س: وضح بعض صور البلاء التي حلَّت بيعقوب عليه السلام.

ج: من ذلك: فقدان ولده يوسف عليه السلام، وقد كان يحبه محبة عظيمة، وبكاؤه علىٰ ذلك حتىٰ ذهب بصره.

ومن ذلك: فقدان بنيامين.

ومن ذلك: ما شاع في الناس من أن ابنه سرق.

ومن ذلك: اتهام أبنائه له بأنه في ضلاله القديم.

* * *

س: ما الفرق بين «التحسس» و«التجسس»؟

ج: التحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر.

* * *

س: القنوط من رحمة اللَّه كبيرةٌ من الكبائر، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾.

* * *

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

مسنا ـ الضُّر ـ مُزجاة ـ أوف لنا الكيل ـ لا يُضيع ـ آثرك ـ لا تثريب.

ج:

الكلمة	معناها
مسَّنا	أصابنا ـ لحق بنا ـ حلَّ بنا.
الضُّر	الجوع ـ المرض.
بضاعة مزجاة	قليلة ـ كاسدة ـ غير نافقة ـ بضاعة رديئة لا يقبلها إلا من تغاضى عن عيوبها ـ بضاعة قليلة لا تكاد تُقبل إلا بأن يزجها صاحبها ويدفعها دفعًا، وأصل الإزجاء: السَّوقُ بالدفع ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾.
أوف لنا الكيل	أعطنا بهذه البضاعة الرديئة ما كنت تعطينا بالدراهم الجياد.
لا يُضيع	لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته.
آثرك	فضَّلك.
لا تثريب	لا لوم ولا تعيير ـ لا عتب ولا توبيخ ـ لا إفساد لما بيني وبينكم من المودة.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز بث الشكوى.

ج: ذلك مأخوذ من قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿مَسَّنَا﴾ أي: أصابنا ﴿وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي: الجوع والحاجة؛ وفي هذا دليل علىٰ جواز الشكوىٰ عند الضُّر، أي: الجوع، بل واجب عليه إذا خاف علىٰ نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلىٰ من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلىٰ الطبيب ليعالجه؛ ولا يكون ذلك قدحًا في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكِّي علىٰ سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوىٰ سؤال المولىٰ زوال البلوىٰ؛ وذلك قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته علىٰ عباده، فأما الشكوىٰ علىٰ غير مُشكٍ فهو السَّفه، إلا أن يكون علىٰ وجه البثّ والتسلِّي.

* * *

س: على فرض أن إخوة يوسف كانوا أنبياء، فكيف سألوا الصدقة بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾؟

ج: ابتداءً؛ فكما قد تقدَّم أن في نبوتهم خلافًا، ثم علىٰ فرض أنهم أنبياء فلقولهم توجيهات:

أحدها: أنهم أرادوا بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ أي: لا تنقصنا من العطاء شيئًا بسبب عدم جودة دراهمنا.

الثـاني: من العلماء من يرىٰ أن الصدقة حلالٌ للأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ.

الثالث: أن المراد: تصدَّق علينا برد أخينا إلينا.

إلا أن الطبري رحمه اللَّه ردَّ هذا الوجه الأخير بقوله:

هذا القول وإن كان قولاً له وجه فليس بالمختار في تأويل قوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾؛ لأن الصدقة في متعارف العرب إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجةٍ بعض أملاكه ابتغاء ثواب اللَّه عليه، وإن كان كل معروف صدقة فتوجيه تأويل كلام اللَّه إلىٰ الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولىٰ وأحرىٰ. هذا، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما الذي صنعوه بأخي يوسف؟

ج: ظاهر الكتاب العزيز يفيد أنهم حسدوه كما حسدوا يوسف عليه السلام، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

ثم يبدو أيضًا أنهم آذوه وأهانوه، وقد قال له يوسف: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد يدخل في هذا أيضًا قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

* * *

س: قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ جاهلون بماذا؟

ج: جاهلون بعاقبة ما تفعلونه بيوسف وأخيه، وجاهلون بجزاء قطع الأرحام، وأذىٰ الوالد الشيخ الكبير، إلىٰ غير ذلك مما فعلوه.

قال السعدي رحمه اللَّه:

وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم؛ إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه ينبغي ولا يليق منهم.

* * *

س: لماذا قال لهم يوسف: ﴿وهذا أخي﴾ مع كونهم يعرفونه؟

ج: قال الشوكاني رحمه اللَّه في «فتح القدير»:

لأن قصده: وهذا أخي المظلوم كظلمي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ منَّ عليهم بماذا؟

ج: منَّ عليهم بأن جمع بينهم بعد طول فراق، ومنَّ عليه بالنبوة والملك.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لا تَثْرِيب عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ خَصلة حميدة. وضح هذه الخصلة.

ج: هذه الخصلة هي: العفو عند المقدرة.

قال السعدي رحمه اللَّه:

فسمح لهم سماحًا تامًا من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وهُو أرْحمُ الرَّاحمين﴾؟

ج: وجه ذلك: أنه سأل اللَّه المغفرة لهم، فكأنه قال: أما أنا وقد

ظلمتموني وآذيتموني فعفوت لكم عمَّا بدر منكم في حقي، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أرحم منِّي بكم، وأرحم منكم بي؛ فأرجو اللَّه أن يرحمنا جميعًا.

* * *

س: صدر من نبينا محمد ﷺ عفوٌ كهذا الذي صدر من يوسف عن إخوته، وذلك في موقف هو قادر فيه على الانتصار أيضًا. وضح هذا الموقف.

ج: هذا الموقف يوم فتح مكة، فبعد أن مكَّنه اللَّه من فتحها قال لأهل الشرك الذين آذوه وحاربوه وأخرجوه وأصحابه من مكة.

* * *

وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فصلت ـ لأجد ـ تفندون ـ تاللَّه ـ ضلالك القديم ـ آوى إليه ـ العرش ـ تأويل رؤياي ـ نزغ ـ لطيف لما يشاء ـ فاطر.

ج:

الكلمة	معناها
فصلت	انفصلت عن البلاد ـ خرجت منطلقة (من مصر إلى الشام).
لأجد	المراد هنا: لأَشَمَّ.
تُفَنِّدُون	تُجَهِّلون ـ تُسَفِّهون ـ تلوموني ـ تقولون: ذهب عقله.
تاللَّه	واللَّه.
ضلالك القديم	خطئك القديم ـ زللك القديم.
آوى إليه	ضم إليه.
العرش	السرير (سرير الملك).
تأويل رؤياي	تفسير رؤياي ـ ما آلت إليه رؤياي ـ ما صارت إليه رؤياي.
نزغ	أفسد ـ أوقع.
لطيف	رفيق ـ برٌّ ـ عالم بدقائق الأمور ـ واللطيف: البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، وهو الرفيق في تدبير الأمور

فاطر	وتهيئتها . خالق على غير مثال سابق ـ منشئ ـ مخترع .

* * *

س: من القائلون: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾؟

ج: هم الحفدة أو من كانوا موجودين عنده من جلسائه.

* * *

س: من البشير الذي ذكره اللَّه فقال: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾؟

ج: اللَّه أعلم بالبشير من هو، وهل هو من إخوة يوسف أم من غيرهم، إلا أن كثيراً من أهل العلم ـ كما نقل عنهم الطبري ـ قالوا: هو يهوذا، وهو أخو يوسف لأبيه، قالوا: وهو الذي كان قد لطخ القميص بالدم، فأراد أن يُسعد أباه كما أحزنه[1].

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

ج: المراد، واللَّه أعلم: يا أبانا سل لنا ربك يعف عنَّا ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف؛ فلا يعاقبنا بها يوم القيامة.

* * *

س: لماذا أخَّر يعقوب عليه السلام الاستغفار لأولاده ولم يستغفر لهم في الحال؟

ج: قال بعض العلماء: إنه أراد أن يؤخر الاستغفار إلىٰ وقتٍ الإجابة فيه أرجىٰ.

ثم إن من العلماء من قال: أخَّر ذلك إلىٰ الثلث الأخير من الليل.

ومنهم من قال: أخره إلىٰ يوم الجمعة، واللَّه أعلم.

---

(١) ولعل ذلك متلقىٰ من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

س: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دخلُوا علَىٰ يوسُف آوىٰ إليْه أبويه وقَالَ ادْخُلُوا مصر إن شاء اللَّهُ آمنين﴾ كيف قال لهم: ادخلوا مصر وهم قد دخلوا عليه؟

ج: لعلهم دخلوا عليه أولاً في سرادق صنعه خارج مصر ـ علىٰ مشارفها ـ لاستقبالهم فيه، ثم قال لهم بعد ذلك: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾.

وأورد الطبري نحو هذا السؤال والجواب عليه فقال:

فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ بعدما دخلوها، وقد أخبر اللَّه عز وجل عنهم أنهم لما دخلوا علىٰ يوسف وضمَّ إليه أبويه، قال لهم هذا القول؟

قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك.

فقال بعضهم: إن يعقوب إنما دخل علىٰ يوسف هو وولده، وآوىٰ يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا: وذلك أن يوسف تلقَّىٰ أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ بها قبل الدخول.

ثم أورد الآثار بذلك، وأورد أقوالاً أُخر لكنه رجح ما قدمناه بقوله:

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السُّدي، وهو: أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقَّاهم؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل علىٰ صحة ما قاله ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب اللَّه عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجَّةٍ واضحةٍ.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾؟

ج: قال يوسف ﷺ ذلك تبركًا، والله تعالى أعلم.

* * *

س: قوله: ﴿آمِنِينَ﴾ آمنين من ماذا؟

ج: آمنين من ملك مصر الذي كان يحكم مصر آنذاك، قال بعض العلماء: كان لا يسمح لهم بدخول مصر إلا بإذنه.

وقال بعض العلماء: آمنين من الجوع والقحط.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على إكرام الأهل والعشيرة.

ج: ذلك واضح وجلي من استقبال يوسف لأبويه وإخوته وأهله أجمعين، والاحتفاء بهم إذ استقبلهم خارج مصر مع الترحيب بهم؛ إذ قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، ثم أيضًا رفع أبويه على العرش، فكل هذا يدل على إكرامه لعشيرته صلوات الله وسلامه عليه.

لا كما يفعل البغاة الذين إذا وسَّع الله عليهم أو تقلدوا بعض المناصب تنصلوا من أهاليهم وعشيرتهم وذويهم، بل وبغوا عليهم وتطاولوا، وإمامهم في ذلك قارون الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم؛ لكونه أوتي من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة.

* * *

س: تحقق الرؤيا قد يكون بعد سنوات. وضح ذلك.

ج: وجه ذلك: أن رؤيا يوسف التي قال فيها: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قد رآها يوسف وهو صغير، ولكنها ما تحققت إلا بعد سنوات طويلة قضاها يوسف في بيت العزيز ثم سنوات قضاها في السجن، ثم سنوات الخصب، ثم جاء تحققها في سنوات الجدب تلك السبع الشداد.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن سلمان رضي اللَّه عنه قال: كان بين رؤيا يوسف إلىٰ أن رأىٰ تأويلها أربعون سنة.

وثمَّ آثار أُخر عند الطبري في هذا الباب.

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجب. أي: فلم يقل: وقد أحسن بي إذ أخرجني من غيابات الجب؟

ج: ذلك واللَّه أعلم: حتىٰ لا يُذكر إخوته بسيئ صنيعهم الذي صنعوه معه، فقد وعدهم بقوله: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فلم يكن ليثرب عليهم ولا ليوبخهم ولا ليعيرهم بعد وعده لهم بقوله: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لأن في ذكره نوع من تثريب وتخجيل

(١) الطبري (أثر ١٩٩٠٧).

للإخوة، وقد قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وقد تقدَّم سبب سجنه ومدة بقائه فيه.

وقد قيل: إن وجه عدم ذكر إخراجه من الجب أن المنة كانت في إخراجه من السجن أكبر من المنة في إخراجه من الجب؛ لأن دخوله الجب كان بحسد إخوته ودخوله السجن بسبب تهمة المرأة فإخراجه من السجن كان لزوال التهمة عنه، وكان ذلك من أعظم نعمه سبحانه عليه، وفيه بعد وضعف.

وقيل: لأن إخراجه من السجن كان سببًا لوصوله إلى الملك، أو لأن مصيبة السجن عنده كانت أعظم لطول مدتها ولمصاحبة الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب لقصر مدتها ولكون المؤنس له فيها جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة.

* * *

س: لماذا نسب يوسف الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان؟

ج: ذلك والله أعلم لأمور، منها ما يلي:

أولاً: أن الشيطان هو الذي نزغ.

ثانيًا: لأن يوسف قد وعد إخوته أنه لا يُثرب عليهم ولا يُعيرهم، ولا يُوبخهم.

ثالثًا: إن يوسف قال ذلك تلطيفًا للأمر ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته.

* * *

س: وضح معنى قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ يقول: إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجني من السجن، وجاء بأهلي من البدو، بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار، وبعدما كنت فيه من العُبودية والرِّق والإسار.

وأورد أثرًا بإسناد حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته.

* * *

س: ما موقع (مِن) في قوله تعالى: ﴿من الْمُلْك﴾؟

ج: (مِن) هنا للتبعيض؛ لأن مُلك مصر ما كان كل المُلك. قاله القرطبي رحمه اللَّه. وقال: وكذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾، ثم قال أيضًا: وعلم التعبير ما كان كلَّ العلوم.

وقيل: (مِن) للجنس، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.

وقيل: للتأكيد، أي: آتيتني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿أنت وليِّي في الدُّنيا والآخرة﴾؟

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: أنت تتولاني في دنياي؛ فتنصرني على من عاداني وتتفضل عليَّ بنعمك، وبقضاء حاجاتي، وتحفظني من كل من أرادني بسوء، وتتولاني في الآخرة برحمتك، وإدخالي جنتك، وتصرف عني عذابك وتطمئنني من الفزع، وتنجيني من الكربات، وتسلمني إذا مررت على الصراط.

قال ابن القيم رحمه اللَّه[1]:

قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجلّ غايات العبد، وأن ذلك بيد اللَّه لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء.

* * *

س: هل تمنى يوسف عليه السلام الموت إذ قال: ﴿توفني مسلما﴾؟

ج: لذلك وجهٌ من وجوه التأويل، وقد أشار إليه الطبري بقوله:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: اقبضني إليك مسلمًا. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك، وقيل: إنه لم يتمنَّ أحدٌ من الأنبياء الموت قبل يوسف.

ثم أورد آثارًا عن ابن عباس فيها مقال، منها: من طريق ابن جريج[2] قال:

---

(١) «التفسير القيم».

(٢) ابن جريج لم يدرك ابن عباس، وقد أورد الطبري أثرين آخرين عن ابن عباس رضي الله =

قال ابن عباس: قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ الآية، قال: اشتاق إلىٰ لقاء ربه، وأحبَّ أن يلحق به وبآبائه، فدعا اللَّه أن يتوفَّاهُ ويُلحقه بهم. ولم يسأل نبيٌّ قط الموتَ غير يوسف، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الآية.

قال ابن جريج: في بعض القرآن من قال من الأنبياء: «توفني».

لكنه أورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ لما جمع شمله وأقرَّ عينه، وهو يومئذٍ مغموس في نَبْت الدنيا وملكها وغضارتها فاشتاق إلىٰ لقاء الصالحين قبله.

لكن ثمَّ وجه آخر من وجوه التأويل وهو: إذا توفيتني، فتوفَّني علىٰ الإسلام.

* * *

س: متى دعا يوسف بهذا الدعاء: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾؟

ج: قال ذلك لما جمع اللَّه عليه شمله، وأقر عينه برؤية والديه وإخوته، وأقر عينه بالملكِ في الحياة الدنيا أيضًا، فاشتاق حينئذٍ إلىٰ لقاء الصالحين، فقال ما قال عليه السلام.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: قال يوسف بعد ما جمع اللَّه له أبويه وإخوته، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكنه في الأرض متشوِّقًا إلىٰ لقاء آبائه

= عنهما، تفيد هذا المعنىٰ، أحدهما من طريق السدي عن ابن عباس، والآخر من طريق قتادة عن ابن عباس وفي كلها ضعف إلىٰ ابن عباس كما قدمنا.

الصالحين: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: من ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ يعني: من عبارة الرؤيا، تعديداً لنعم اللَّه عليه، وشكراً له عليها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منَّ اللَّه به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه، قاله الضحاك. وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوته من النبيين والمرسلين، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره، كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي اللَّه عنها، أن رسول اللَّه ﷺ جعل يرفع أُصبعه عند الموت ويقول: «**اللَّهم في الرفيق الأعلى، اللَّهم في الرفيق الأعلى، اللَّهمَّ في الرفيق الأعلى**».

ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره، لا أنه سأله ذلك منجزاً، كما يقول الداعي لغيره: أماتك اللَّه على الإسلام! ويقول الداعي: اللَّهمَّ أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً، وكان ذلك سائغًا في مِلتهم.

وقال السعدي رحمه اللَّه تعالى في «تفسيره»:

لما أتم اللَّه ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والمُلْك، وأقرَّ عينه بأبويه

وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه اللَّه إياه فقال مقرًا بنعمة اللَّه شاكرًا لها داعيًا بالثبات على الإسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ ذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها ووزيرًا كبيرًا للملك ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ أي: أَدِم عليَّ الإسلام وثبتني عليه حتى تتوفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

* * *

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

ذكرٌ ـ غاشيةٌ ـ بغتة ـ سبيلي ـ بصيرة ـ سبحان اللَّه ـ استيأس الرسل ـ فنُجِّي ـ بأسنا ـ عبرةٌ ـ لأولي الألباب ـ يُفترى.

ج:

الكلمة	معناها
ذكرٌ	عِظةٌ ـ تذكيرٌ (ليتعظوا بذلك ويتذكروا).
غاشيةٌ	شيءٌ يغشى ويحل ـ عقوبة شديدة ـ نقمةٌ شديدة.
سبيلي	طريقتي ودعوتي ـ سنتي ومنهجي وأمري.
بصيرة	علم ويقين.
سبحان اللَّه	تنزيهًا للَّه عن الشريك والولد والمعبود، وعن كل عيب ونقص.
استيأس	يئس.
نُجِّيَ	ننجِّي.
بأسنا	عذابنا الشديد.
عبرة	فكرة ـ عظة ـ تذكرة.
لأولي الألباب	لأصحاب العقول.
يفترى	يُختلق ـ يُكذب.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك، واللَّه تعالى أعلم: إشارة إلىٰ ما قصَّ اللَّه تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ من قصة يوسف عليه السلام وإخوته.

* * *

س: لماذا أوحى اللَّه إلى نبيه محمدٍ ﷺ سورة يوسف؟

ج: لذلك أسباب، منها:

أولاً: إجابة علي سؤال السائلين عن هذه القصة، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾.

ثانيًا: لتثبيت النبي ﷺ، وتصبيره وتسليته كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

ثالثًا: ليعتبر بها أولو الألباب كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾، يقول: من أخبار الغيب، الذي لم تشاهده ولم تعاينه، ولكنا نوحيه إليك ونعرِّفكه لنثبِّت به فؤادك، ونشجع به قلبك، وتصبر علىٰ ما نالك من الأذىٰ من قومك في ذات اللَّه، وتعلم أن من قبلك من رسل اللَّه ـ إذ صبروا علىٰ ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعُرف، وأعرضوا عن الجاهلين ـ فازوا بالظفر، وأيِّدوا بالنصر، ومُكِّنوا في البلاد، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم

وأعداء دين اللَّه.

يقول اللَّه تبارك وتعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: فبهم يا محمد فتأسَّ، وآثارَهم فقُصَّ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، يقول: وما كنت حاضرًا عند إخوة يوسف، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم علىٰ أن يلقوا يوسف في غيابة الجب، وذلك كان مكرهم الذي قال اللَّه عز وجل: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ﴾ له صلة بآية في أول السورة لبيان معنًى مُعين، ولإثبات أمر معين. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن هذه الآية: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ...﴾ متصلةٌ بقوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ وهذا وذاك لبيان معنىٰ وهو أن النبي ﷺ لم يكن يعلم شيئًا من هذا الذي حدث كلَّه، إذ هو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وقومه لا يعلمون شيئًا عن هذه القصة.

ومن ثمَّ فهذا وذاك يثبتان نبوة النبي ﷺ.

قال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره»:

لمَّا قص اللَّه هذه القصة علىٰ محمد ﷺ قال اللَّه له: ﴿ذَلِكَ﴾ النبأ الذي أخبرناك به ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ ولولا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل.

﴿و﴾ أنك ﴿مَا كُنتَ﴾ حاضرًا ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: إخوة

يوسف ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه في حالة لا يطلع عليها إلا اللَّه تعالى، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم اللَّه له إياها. كما قال تعالى لما قصَّ قصة موسى، وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمه إلا بوحيه فقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول اللَّه حق وصدق. اهـ.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ متى كان هذا المكر؟

ج: ذلك وهم يمكرون بيوسف ﷺ لإلقائه في غيابة الجب. قاله الطبري رحمه اللَّه، وقدمناه.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يعني محمداً ﷺ، يقول: ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: بيوسف.

* * *

س: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ما المراد بهذا المكر وعلى ماذا أجمعوا؟

ج: هذا المكر هو: مكرهم بيعقوب ويوسف عليهما السلام، مكرهم بيعقوب إذ أوهموه أنهم يريدون ليوسف أن يرتع ويلعب، ومكرهم بيوسف لإلقائه في غيابة الجب، وهذا الذي أجمعوا عليه، أجمعوا على أن يجعلوا يوسف في غيابة الجب، واللَّه أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ دليل من دلائل النبوة. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره الشنقيطي[1] رحمه اللَّه إذ قال:

وقد أشار تعالىٰ في هذه الآية الكريمة إلىٰ صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه ﷺ لم يكن حاضراً لدىٰ أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم علىٰ المكر به، وجعله في غيابة الجب. فلولا أن اللَّه أوحىٰ إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

والآيات المشيرة لإثبات رسالته بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه علم حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة:

* كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الآية.

* وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

* وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٦٤).

قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ الآية.

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فهذه الآيات من أوضح الأدلة علىٰ أنه ﷺ رسول كريم، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة علىٰ ذلك أكثر من الحصر.

* * *

س: ما فائدة الإخبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: ذلك والله تعالى أعلم: لمواساة رسول الله ﷺ، ولمواساة الدعاة إلىٰ الله من بعده، فإذا شعر الشخص أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين تعزىٰ وتسلىٰ بهذه الآية الكريمة فما عليه إلا البلاغ، أما الهداية والتوفيق فمن الله سبحانه.

فمن ثمَّ لا يتشكك المسلم والداعي إلىٰ الله فيما هو عليه، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: ما وجه تعلق قوله تعالى: ﴿وما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حرصت بمؤْمنين﴾ بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؟

ج: وجه هذا التعلق: لبيان أن الهداية من عند الله عزَّ وجل، وإيضاح ذلك: أن الآيات والدلالات علىٰ نبوتك يا محمدُ، ومنها إخبارك لهم بأمور لم تكن تعلمها ـ كثيرة جداً ولكنها مهما كثرت، ومهما أتيت بآيات فلن تنفع مَن خَتَم الله علىٰ قلبه، فأنت يا محمد قد قصصت عليهم هذه القصة بما فيها من العبر والعظات، وبما فيها من أمور الغيب، ومع ذلك كله فلن يؤمنوا بك، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾،

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

* * *

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾؟

ج: المراد بها: الدلالات علىٰ قدرة اللَّه عز وجل ووحدانيته، ومنها: الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والمطر، والرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار، والألسنة والألوان، والموت والحياة، والصحة والمرض، والفقر والغنىٰ، والطفولة والهرم، والكهولة والشيخوخة، وغير ذلك من الآيات.

ويدخل في هذه الآيات أيضًا آثار العقوبات التي حلَّت بالأمم السالفة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

ج: المراد واللَّه أعلم: يمرون عليها لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها، ولا يستدلون بها علىٰ قدرة اللَّه ووحدانيته وألوهيته.

* * *

س: كيف يؤمن أكثرهم باللَّه وهم مشركون؟

ج: ذلك واللَّه أعلم، له صور، منها:

أنهم يقرون بأن اللَّه خالقهم ورازقهم، وأنه سبحانه رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، وأنه سبحانه يُجير ولا يجار عليه، ومع ذلك كله فهم يشركون به، ويعبدون معه غيره من صنم ووثن وشجر وحجر وغير

ذلك، ويزعمون أن للَّه الولد سبحانه.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾.

وقد أورد الطبري[1] رحمه اللَّه تعالى آثارًا عدة تحمل هذا المعنى، منها:

أثر قتادة بإسناد حسن قال: قوله تعالىٰ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في إيمانهم هذا، إنك لست تلقىٰ أحدًا منهم إلا أنبأك أن اللَّه ربَّه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته.

وأخرج أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ الآية، قال: ليس أحدٌ يعبد مع اللَّه غيره إلا وهو مؤمن باللَّه، ويعرف أن اللَّه ربه، وأن اللَّه خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترىٰ كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترىٰ كيف كانت العرب تلبِّي تقول: «لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»؟ المشركون كانوا يقولون هذا!!

(١) وثمَّ آثارٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي السند إليه بها مقالٌ.

س: الإيمان والشرك بينهما منافاة، فكيف يؤمن شخص وهو مشرك؟

ج: أورد الشنقيطي رحمه اللَّه نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله:

لم أرَ من شفىٰ الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي؛ لأن من يعبد مع اللَّه غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان ألبتة شرعًا، أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن اللَّه هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره باللَّه، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعًا.

وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجامع الشرك، فلا إشكال في تقييده به، وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالىٰ: ﴿**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ فهو الإسلام اللغوي؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه، والعلم عند اللَّه تعالىٰ.

وقال بعض العلماء: نزلت آية: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ في قول الكفار في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك» وهو راجع إلىٰ ما ذكرنا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

ج: المعنى واللَّه أعلم: أفأمن هؤلاء الغافلون عن ذكر اللَّه المعرضون عن توحيده وشرعه وعبادته أن تأتيهم غاشية من عذاب اللَّه تحل بهم وتغشاهم

فجأة وهم لا يتوقعونها، أو يأتيهم يوم القيامة وهم لا يشعرون فيخلدهم اللَّه في الجحيم؟!

وبنحو هذا قال الطبري رحمه اللَّه فقد قال:

يقول جل ثناؤه: أفأمن هؤلاء الذين لا يقرُّون بأن اللَّه ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ تغشاهم من عقوبة اللَّه وعذابه على شركهم باللَّه، أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربِّهم، فيخلدهم اللَّه عز وجل في ناره، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

ج: قال ابن القيم رحمه اللَّه[1]:

قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال الفراء وجماعة: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف على الضمير في ﴿أَدْعُو﴾ يعني: أنا ومن اتبعني يدعو إلى اللَّه كما أدعو، وهذا قول الكلبي، قال: حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة.

ويقوِّي هذا القول من وجوه كثيرة:

قال ابن الأنباري:

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿عَلَىٰ

(١) نقلاً عن «التفسير القيِّم».

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولاهما أنه يدعو إلى اللَّه، وفي الثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان، فلا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وإذا كانت الدعوة إلى اللَّه أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يحوز به هذا المقام، واللَّه يؤتي فضله من يشاء.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد اللَّه، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِي﴾، وطريقتي ودعوتي، أدعو إلى اللَّه وحده لا شريك له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين عليم مني به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل: تنزيهًا للَّه وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منِّي.

* * *

س: هل من النساء رسل؟

ج: ليس من النساء رسل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.

هذا، وقد زعم البعض أن سارة، وأم موسىٰ ومريم نبيات؛ أما سارة فلكون الملائكة بشرتها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

وأما أم موسىٰ فلقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وأما مريم فلقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ...﴾.

وهذا الذي ذُكر من القول بأنهن نبيات مدفوع بما قدمناه من الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم﴾.

* * *

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ وبين قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ يروىٰ: أن مسكن يعقوب كان بأرض كنعان، وكانوا أهل مواشٍ وبرية؛ وقيل: كان يعقوب تحول إلىٰ البادية وسكنها، وأن اللَّه لم يبعث نبيًا من أهل البادية. وقيل: إنه كان خرج إلىٰ بدًا، وهو

موضع؛ وإياه عنىٰ جَميل بقوله:

وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْبًا إلى بَدَا إليَّ وأوطـانِي بلادٌ سِـواهُـمَـا

وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل.

يقال: بدا القوم بَدْوًا إذا أتَوا بَدَا، كما يقال: غاروا غَورًا إذا أتوا الغور.

والمعنى: وجاء بكم من مكان بَدَا. ذكره القشيريّ، وحكاه الماورديُّ عن الضحاك عن ابن عباس.

* * *

س: هل يشرع المسير في الأرض للنظر والاعتبار بأحوال الظالمين؟

ج: نعم، يشرع ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾.

ولقوله تعالىٰ: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾.

ج: أولاً: في الآية قراءتان مشهورتان:

إحداهما: في المصحف الذي بين أيدينا ﴿**كُذِبُوا**﴾ مخففةً، وهذا الوجه هو الذي كان يذهب إليه ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

الثاني: قراءة من قرأ من أهل العلم: ﴿**كذبوا**﴾ مشدَّدة، وهي القراءة التي اختارتها أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، وأنكرت ما سواها إنكارًا شديدًا.

ثانيًا: نورد هاهنا ما ورد عن ابن عباس وعائشة رضي اللَّه عنهما في ذلك، وما ورد عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه كذلك:

أخرج البخاري[١] من طريق ابن أبي مليكة قال: قال ابن عباس[٢] رضي اللَّه عنهما: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فلقيتُ عروة بن الزُّبير فذكرت له ذلك.

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٢٤، ٤٥٢٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٨/ ٢١٩) قال الخطابي:

لا شك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي، ولا يشك في صدق المخبر، فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النصر وشدة استنجاز من وعدوه به توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حسبانًا من أنفسهم وظنوا عليها الغلط في تلقي ما ورد عليهم من ذلك، فيكون الذي بنى له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي، والمراد بالكذب: الغلط لا حقيقة الكذب كما يقول القائل: كذبتك نفسك.

قلت: ويؤيده قراءة مجاهد: ﴿وظنوا أنهم قد كَذبوا﴾ بفتح أوله مع التخفيف أي: غلطوا، ويكون فاعل ﴿وظنوا﴾ الرسل، ويحتمل أن يكون أتباعهم، ويؤيده ما رواه الطبري بأسانيد متنوعة من طريق عمران بن الحارث وسعيد بن جبير وأبي الضحى وعلي بن أبي طلحة والعوفي كلهم عن ابن عباس في هذه الآية قال: أيس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل كذبوا.

وقال الزمخشري: إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في النفس من الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلاً عن الرسول.

وقال أبو نصر القشيري: ولا يبعد أن المراد: خطر بقلب الرسل فصرفوه عن أنفسهم، أو المعنى: قربوا من الظن كما يقال: بلغت المنزل إذا قربت منه.

وقال الترمذي الحكيم: وجهه أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النصر أن يتخلف النصر، لا من تهمة بوعد الله بل لتهمة النفوس أن تكون قد أحدثت حدثًا ينقض ذلك =

. . . . . .

= الشرط، فكان الأمر إذا طال واشتد البلاء عليهم دخلهم الظن من هذه الجهة.

قلت: ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله: «كانوا بشرًا» إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل، وقول الراوي عنه: «ذهب بها هناك» أي: إلى السماء معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع.

وعجب لابن الأنباريّ في جزمه بأنه لا يصح. ثم الزمخشري في توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس، فإنه صح عنه، لكن لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف، بل الضمير في ﴿وظنوا﴾ عائد على المرسل إليهم، وفي ﴿وكذبوا﴾ عائد على الرسل أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا، أو الضمائر للرسل والمعنى: يئس الرسل من النصر وتوهموا أن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر، أو كذبهم رجاؤهم. أو الضمائر كلها للمرسل إليهم أي: يئس الرسل من إيمان من أرسلوا إليه، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم في جميع ما ادعوه من النبوة والوعد بالنصر لمن أطاعهم والوعيد بالعذاب لمن لم يجبهم، وإذا كان ذلك محتملاً وجب تنزيه ابن عباس عن تجويزه ذلك على الرسل، ويحمل إنكار عائشة على ظاهر مساقهم من إطلاق المنقول عنه.

وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال: يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلاً. فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته.

وعن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبير، فقال له: آية بلغت مني كل مبلغ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف، قال: في هذا ألوت أن تظن الرسل ذلك، فأجابه بنحو ذلك، فقال: فرَّجْتَ عنِّي فرَّجَ اللهُ عنك، وقام إليه فاعتنقه. وجاء ذلك من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس نفسه، فعند النسائي من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿قد كذبوا﴾ قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم. وإسناده حسن.

فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه من غيره.

فقال: قالت عائشة: معاذَ اللَّه، واللَّه ما وعدَ اللَّه رسوله من شيء قطُّ إلا علمَ أنهُ كائنٌ قبلَ أن يموت، ولكن لم يزَلِ البلاءُ بالرُّسُلِ حتىٰ خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم. فكانت تقرؤها: ﴿وظنوا أنهم كُذِّبوا﴾ مُثقَّلة.

وأخرج البخاري[1] أيضًا من طريق ابن شهاب قال:

أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت له وهو يسألها عن قول اللَّه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أكذِبوا أم كذَّبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا. قلتُ: فقد استيقنوا أنَّ قومهم كذَّبوهم، فما هو بالظنّ؟ قالت: أجل لعَمري، لقد استيقنوا بذلك. فقلتُ لها: وظنوا أنهم قد كُذبوا؟ قالت: معاذ اللَّه، لم تكن الرسلُ تظنُّ ذلك بربِّها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدَّقوهم، فطال عليهم البلاءُ واستأخَرَ عنهُم النصرُ، حتىٰ إذا استيأس الرسُل ممن كذَّبهم من قومِهم، وظنَّت الرُّسل أنَّ أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر اللَّه عند ذلك.

وأخرج الطبري[2] من طريق مسروق:

أن رجلاً سأل عبد اللَّه بن مسعود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾؟ قال: هو الذي تكره؛ مخففةً.

ثالثًا: بالنسبة لوجوه التأويل:

فمن قرأها (كُذِبوا) مخففةً فوجه التأويل عندهم حاصله: أن الرسل

---

(١) البخاري (٤٦٩٥).

(٢) الطبري (٢٠٠٢٦) وإسناده صحيح، إن كان أبو عامر (وهو أحد رجال الإسناد) هو العَقَدي.

صلوات اللَّه وسلامه عليهم أيسوا من إيمان قومهم ومن استجابتهم، وظنوا ـ أي ظن المرسلون ـ أنهم قد أُخلفوا ما وُعدوا به من النصر ومن هزيمة الكافرين، فالرسل عليهم الصلاة والسلام بشرٌ يجري فيهم ما يجري في البشر، فبلغ بهم عليهم الصلاة والسلام الكرب مبلغًا شديدًا كما قال تعالىٰ ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

وهذا هو اختيار ابن عباس وابن مسعود وحاصل كلامهما رضي اللَّه عنهما ومعناه.

وقد كانت عائشة رضي اللَّه عنها تنكره أشد الإنكار.

ووجه آخر:

أن الأمم التي أرسل إليها المرسلون ظنوا أن المرسلين قد أُخلفوا ما وُعدوا به من النصر والتمكين.

وثم وجه ثالث لمن قرأها مخففة، لكن قرأها (كَذَبوا) بفتح الكاف: بفتح الكاف، وهذا الوجه حاصله أن الرسل أيست من إيمان قومها ومن استجابتهم وظنوا ـ أي ظن القوم الذين أرسلت إليهم الرسل ـ أن الرسل قد كَذبوا عليهم فيما أخبروهم به من نصر أهل الإيمان علىٰ أهل الكفر، ومن إنزال العذاب علىٰ الكافرين.

فعلىٰ ذلك قراءة (كَذَبوا) عند هؤلاء بفتح الكاف والذال.

أما قراءة من قرأها مشددة (كُذِّبوا) فوجه التأويل عندهم: حاصله أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ظنوا أن أقوامهم قد كذَّبوهم.

وثم وجه آخر، وهو أن الظن هنا بمعنى اليقين:

والمعنى: وظنوا: أي: (علموا وأيقنوا، والذين علموا وأيقنوا هم الرسل) أن أممهم قد كذبتهم.

هذا حاصل الاختلاف في هذا الباب، وقد انتصر لكل قولٍ فريق من أهل العلم، واللَّه أعلم بوجه الصواب من تأويل كتابه، والأنبياء بشر عليهم الصلاة والسلام، وهم أفضل البشر على الإطلاق، وأعلمهم باللَّه، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وشرعه وأخباره صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

س: ما وجه الاعتبار بالقصص؟

ج: وجه ذلك: في النظر إلى إنجاء اللَّه عز وجل للمؤمنين وبيان أن العاقبة للتقوى.

ووجه أيضًا: ببيان ما حلَّ بالكافرين من أليم العذاب وشديد العقاب، وكما قال تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

* * *

س: ما المراد بالحديث في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾؟

ج: المراد بالحديث هنا: القرآن، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: لقد كان في قصص المرسلين عبرة وعظة للمعتبرين والمتعظين من أصحاب العقول يعتبرون بها ويتعظون ويعلمون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن العاقبة للتقوىٰ، وأن الله ينصر أهل التوحيد ويؤيدهم وينصر المظلومين، ويُنقذهم ويبرؤهم، وإن طالت الأيام ومرت السنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحِجىٰ والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها؛ وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن أُلقي يوسف في الجب ليهلك، ثم بِيع بَيع العبيد بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملّكه مصر، ومكّن له في الأرض، وأعلاه علىٰ من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشُّقَّة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيِّه محمد ﷺ: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرةٌ لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته لا يتعذَّر عليه فعل مثله بمحمدٍ ﷺ فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرَّت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: لم يكن هذا القرآن الكريم حديثًا يُختلق ويُفترىٰ مثله بحالٍ من الأحوالِ.

* * *

س: ما المراد بـ﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم: الكتب التي سبقته كالتوراة والإنجيل.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: أن القرآن يصدق الحق[1] في الكتب التي قبله، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن القرآن الكريم يُخبر بأخبار أخبرت بها الكتب التي قبله فمن ثمَّ فهو يصدقها.

الثاني: أن نزول القرآن الكريم تصديق للكتب التي قبله فالكتب التي قبله أخبرت به، وأنه سينزل فإذا لم ينزل فستكذب الكتب التي أخبرت بنزوله، فلما نزل كان نزوله دليلاً علىٰ صدقها، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل القرآن هدًى للمؤمنين فقط؟

ج: لما كان المؤمنون هم المنتفعون بالقرآن، كان القرآن هاديًا لهم وموفقًا

(١) وإلا فقد حرفوا في كتبهم وزادوا ونقصوا، فأبان الله بهذا القرآن أوجه الصواب من أوجه الخلل والعبث التي زادتها أيدي المبدلين.

لهم.

أما كونه هدًى: (من باب هداية الدلالة) فهو هدىٰ للجميع بمعنىٰ أنه يدل الجميع علىٰ طريق ربهم وطريق جنته، لكن بعد ذلك منهم من ينتفع بهداه ومنهم من لا ينتفع، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن هذا القرآن يبين لأهل الإيمان المصدقين بالقرآن طريقهم إلىٰ جنة ربهم وإلىٰ رضوانه، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه الله به من أليم عقابه وعظيم سخطه، ويورثه به جنة الخلد والنعيم المقيم.

* * *

أسئلة عامة حول هذه السورة المباركة

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على البدء بالأهم.

ج: مما يدل على ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام لما فقد ولديه الآخرين: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، فأنساه يوسف ولديه الآخرين.

* تعليم يوسف السجينين الذين معه في السجن التوحيد قبل تفسير الرؤيا لهما.

* * *

س: اذكر بعض الآداب المستفادة من سيرة نبي اللَّه يوسف ﷺ، والتي ينبغي أن يتحلى بها القائد والقائم على العمل عمومًا.

ج: من ذلك ما يلي:

* الصدق: فقد اتسمت سيرة نبي اللَّه يوسف عليه السلام بالصدق، ومن ثمَّ وصفه الفتىٰ بالصدِّيق، إذ قال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

* إكرام العشيرة: وهذا واضح من قوله ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ومن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

* ومن ذلك العفو عند المقدرة، وذلك من قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* العفة عن الحرام: وذلك من إبائه وإصراره علىٰ الامتناع عن المعصية والكبيرة وذلك مأخوذ من قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ﴾، وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

* الثقة في النفس: وذلك من قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

* القوة والقدرة على العمل مع الأمانة فيه: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

* ومن ذلك: الرفق واللين عند الاحتياج إليهما، والحزم والشدة إذا احتاج الأمر إليهما أيضًا: وذلك من قوله: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ثم قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾.

* الحلم وضبط النفس وكظم الغيظ: وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ مع ما اتهم به هو وأخوه.

* الصبر والتواضع والتذكير بفضل اللَّه: وهذا مأخوذ من قوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

والصبر مأخوذ من عموم سيرته ومن قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

* المعرفة بالحيل وتدبير الأمور: وذلك مأخوذ من تدبيره لأخذ أخيه من جعل السقاية في رحل أخيه، والبدء برحل أخيه قبل رحال إخوته، وغير ذلك مما صدر عنه في هذا الباب.

* العلم بأمور الدين وأمور الدنيا.

* النزاهة والبراءة من التهم والرِّيب ودفع الشُّبه والشكوك عن النفس: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

* قوة البصيرة ونفاذها: وذلك من قوله: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.

* التماس المعاذير للناس وعدم إعانة الشيطان عليهم: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

* انتفاء الظلم وعدم أخذ شخص بجريرة غيره: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾.

* الدعوة إلى اللَّه وإلى توحيده وعبادته والتحذير من الشرك وخطره: وذلك مأخوذ من دعوته للسجينين من قوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

* مواساة من يحتاج إلى مواساة: وذلك مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

** الاعتراف بالضعف والقصور للَّه سبحانه وتعالى، وسؤاله العون: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

*** الاعتراف والإقرار الدائم بالفضل، والشكر والثناء على اللَّه: ذلك مأخوذ من قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ

الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

* المداومة على الصلاح حتى الممات: وذلك مأخوذ من قوله: **﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾**.

وقد أورد القاسمي رحمه الله نحو هذا في «محاسن التأويل» فقال:

قال علماء الأخلاق والحكماء: لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين، ورجال أعمال قائمين، فضلاء مرشدين هادين لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فإن كان القائم بالأعمال نبيًا فله أربعون خصلة ذكروها. كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته. وإن كان رئيسًا فاضلاً لمدينة فاضلة، اكتفوا من الشروط الأربعين ببعضها. وسيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين. ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدًى لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال؛ إذ قد حاز الملك والنبوة، ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها ثلاث عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة لتكون ذكرىٰ لمن يتفكر في القرآن، وتنبيهًا للمتعلمين العاشقين للفضائل علىٰ نفائس الكتاب العظيم، وحبًا في نظرهم في القرآن، وليعلموا أن تلك القصص وقد أودعت ما لم يكن ليخطر علىٰ بال من سمعه للتغني به ومجرد اللَّهو اللعب.

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة:

١ ـ العفة عن الشهوات: ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية: **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**.

٢ ـ الحلم عند الغضب؛ ليضبط نفسه: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

٣ ـ وضع اللين في موضعه، والشدة في موضعها: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ والصدر للين والعجز للشدة.

٤ ـ ثقته بنفسه: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

٥ ـ قوة الذاكرة: ليمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون، ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.

٦ ـ جودة المصوِّرة والقوة المخيِّلة: حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

٧ ـ استعداده للعلم وحبه له وتمكنه منه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

٨ ـ شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه: فخاطب الفتيين المسجونيين بالتواضع فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ...﴾ الآية، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما، فالأول بقوله: ﴿لا يَأْتِيكُمَا

طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾، والثاني بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية، وشهدا له بقولهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٩ ـ العفو مع القدرة: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

١٠ ـ إكرام العشيرة: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١١ ـ قوة البيان والفصاحة: بتعبيره عن رؤيا الملك، واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية والسوقة، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على العلم والحكمة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

١٢ ـ حسن التدبير: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ...﴾ الآية.

ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام على سياسة الملك، وكيف اجتذب إليه القلوب بالإحسان ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ...﴾ الآية، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والاتهام بالسرقة ليضم أخاه إليه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ...﴾ الآية، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملّتهم وعادتهم، كما عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم، فيسوسونهم بدينهم وعادتهم وشرعهم وأخلاقهم وأموالهم اتباعًا لمن رسمته الشريعة الغرّاء مما يناسب حكم سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك أنه أمر أتباعه أن يسألوهم ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ الآية، فكانت شريعة بني يعقوب أن يستعبدوا السارق سنة عند صاحب المتاع، فعاملهم بما هم عليه، ولذلك يقول اللّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، امتداح على

حسن خطته في السياسة، ومراعاته عادة أولئك القوم وهذه ـ وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر ـ فهي أم السياسة ورأس علوم العمران، وأول ما يوصىٰ به السواس والعقلاء.

تاللَّه ما أجمل القرآن، وما أبهج العلم! وليت شعري كيف يقول اللَّه بعدها: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، ولولا ما فيها من مبدأ شريف وحكم عالية مع وضوحها وبساطتها لذوي النظر السطحيّ والبُلْه الغُفَّل، ما أعطاها هذا الجلال والإعظام ومدح العلم! فحيا اللَّه العلم وأدام دولته.

* * *

س: اذكر من هذه السورة الكريمة ما يدل على فضل العلم على الجمال.

ج: إيضاح ذلك: أن جمال يوسف عليه السلام مع إصراره علىٰ البعد عن الفاحشة كان سبباً في دخوله السجن.

والعلم الذي أيد اللَّه به يوسف عليه السلام كان سببًا في خروجه من السجن.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل.

ج: مما يدل على ذلك: قول يوسف عليه السلام للسجينين، وقد سألاه تفسير الرؤيا: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا...﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله لرسول الملك: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

وقوله أيضًا: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، فلم يسألوه عن هذا.

* * *

س: فريق من الناس حظُّه من سورة يوسف سماع الصوت الحسن وجودة القراءة بغض النظر عما تحمله هذه السورة الكريمة من معانٍ. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره القاسمي رحمه اللَّه حيث قال:

فتأمل، كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون، ويسمعها الجاهلون وهم عن آياتها معرضون! فإذا سمعوا صوتًا حسنًا ظنوا أن هذا هو جمال القرآن، فقالوا للقارئ: سبحان من أعطاك! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورونق القراءة أو مجرد التفسير ومعرفة القصة، ولم ينظروا إلىٰ الحكم المودعة فيها، فقُبح الجهل! يترك الرجل أعمىٰ وإن لبس الحلل وارتدىٰ ثياب الفخار الكاذب والسراب الخداع.. كم للإنسان من آيات وعبر في السموات والأرض فيعرض عنها! خلقت لنا الأبصار والأسماع والعقول لننظر ماذا في السموات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون، وتلا القرآن ـ وهو كلام مبدع الكون ـ وتلطف في تصوير المعاني، وألبسها أجمل الثياب، فأعرض العقلاء فضلاً عن العامة، فما للعامة لا يتعلمون؟! وما لذوي البصائر لا ينصحون ولا يبينون؟! وما للناس لا يكادون يفقهون؟!

وذكرنا نموذجًا عن هذه السورة استنشاطًا لهمم العقلاء ، وحثًا لمن لهم ذكاء وفطن وعقول راجحة على الرجوع إلى كتابهم ونظرهم فيه ، وإزالة لشبه من ارتاب في هذه القصص فأعرض ، وجليّ أن قصص القرآن جميعها مملوءة بالحكم كهذه القصة ، وفي كل واحدة منها ما ليس في الأخرى كأنها ثمرات مختلف لونها ، أين من يفقه هذا ممن يقف مع ألفاظها وهم عن أياتها معرضون؟ ولا عجب فإن نفوس الأسافل تأخذ الحكمة فترجعها من أفق سمائها إلى أرض ضعتها ، كما يصير الماء في شجرة الحنظل مرًا . فيقصدها هذا للنغمات ، وذلك لقصة بسيطة ، وآخر تسلية وتضييعًا للزمن ، وآخر يقف عند الألفاظ وإعرابها وصرفها وبلاغتها ، ولكن هذا أرقى مما قبله ؛ فقد سار في الطريق وهي الألفاظ ، ولكن هيهات أن يصل للمقصود والثمرات إلا إذا أعدَّ تلك القواعد مقدمة للمقصود وبحث فيه ، وآخرون يسمعون الآيات فيعرضونها على التاريخ ، والمؤرخون مختلفون كما قدمنا ، وما مثل هؤلاء في سيرهم إلا كمثل رجل أوتي آلة بخارية ليسقي بها الحرث من النهر ، فجلس بجانبها وترك استعمالها وأخذ يتفكر : من أين هذا الحديد؟ ولم يجلب الماء؟ وإلى أي مسافة يرتفع ، وما العلة فيه ، ومن أين يأتي الفحم الحجري ، وفي أي الطرق يسير إلى أن يصل إلينا؟ فيمر عليه شهر وشهران فيذبل زرعه وتبور أرضه ، ذلك مثل من يقرأ القرآن ويجعل جل عنايته تطبيقه على كلام المؤرخين أو قواعد النحويين أو الصرفيين وعلماء البلاغة فحسب ، اللَّهم إلا قدرًا يسيرًا للفهم ، وهذا ـ لعمر اللَّه ـ انتكاس على الرأس ، واتخاذ الوسيلة مقصدًا كمثل من أراد الحج فجعل همته إعداد الذخائر سنين فاختطفته المنون وفارق الحياة ولم يحج ، ذلك مثلهم . انتهى .

* * *

س: في سورة يوسف طائفة من المعجزات والكرامات. اذكر بعضها.

ج: من ذلك: أن يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف من مسافات شاسعة.

ومن ذلك: ارتداد بصر يعقوب إليه بعد العمىٰ لمَّا ألقي القميص علىٰ وجهه.

ومن ذلك: تحقق الرؤىٰ كما أخبر يوسف عليه السلام.

ومن ذلك: الإخبار ببعض الأمور الغيبية بإذن اللَّه، وذلك في قوله: ﴿**لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا**﴾.

* * *

س: كما أن نبي اللَّه يوسف عليه السلام أوذي وابتلي فإن نبينا محمداً ﷺ قد أوذي إيذاءً أشد وابتلي ابتلاءً أشد. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه حيث قال:

واختيار النبي ﷺ له ولأهله الاحتباس في شعب بني هاشم بضع سنين، لا يُبايَعون، ولا يُشارَون، وصبيانهم يتضاغون من الجوع، قد هجرهم وقلاهم قومُهم، وغيرُ قومهم. هذا أكمل من حال يوسف عليه السلام.

فإن هؤلاء كانوا يدعون الرسول إلىٰ الشرك، وأن يقول علىٰ اللَّه غير الحق يقول: ما أرسلني ولا نهىٰ عن الشرك. وقد قال تعالىٰ: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**﴾.

وكان كذب هؤلاء علىٰ النبي ﷺ أعظم من الكذب علىٰ يوسف؛ فإنهم قالوا: إنه ساحر، وإنه كاهن، وإنه مجنون، وإنه مفتر، وكل واحدة من

هؤلاء أعظم من الزنا والقذف، لا سيما الزنا المستور الذي لا يدري به أحد. فإن يوسف كذب عليه في أنه زنى، وأنه قذفها وأشاع عنها الفاحشة، فكان الكذب على النبي ﷺ أعظم من الكذب على يوسف.

وكذلك الكذب على أولي العزم، مثل نوح وموسى حيث يقال عن الواحد منهم: إنه مجنون، وإنه كذاب، يكذب على اللَّه، وما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين أعظم من مجرد الحبس، فإن يوسف حبس وسكت عنه، والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يُؤذَون بالأقوال والأفعال مع منعهم من تصرفاتهم المعتادة.

وهذا معنى الحبس، فإنه ليس المقصود بالحبس سُكْناه في السجن، بل المراد منعه من التصرف المعتاد والنبي ﷺ لم يكن له حبس، ولا لأبي بكر، بل أول من اتخذ السجن عمر، وكان النبي ﷺ يسلم الغريم إلى غريمه، ويقول: «ما فعل أسيرك» فيجعله أسيراً معه، حتى يقضيه حقه، وهذا هو المطلوب من الحبس.

والصحابة رضي اللَّه عنهم منعوهم من التصرف بمكة أذًى لهم، حتى خرج كثير منهم إلى أرض الحبشة، فاختاروا السكنى بين أولئك النصارى عند ملك عادل على السكنى بين قومهم، والباقون أخرجوا من ديارهم وأموالهم أيضًا مع ما آذوهم به، حتى قتلوا بعضهم، وكانوا يضربون بعضهم ويمنعون بعضهم ما يحتاج إليه، ويضعون الصخرة على بطن أحدهم في رمضاء مكة، إلى غير ذلك من أنواع الأذى.

وكذلك المؤمن من أمة محمد ﷺ يختار الأذى في طاعة اللَّه على الإكرام مع معصيته، كأحمد بن حنبل اختار القيد والحبس والضرب على موافقة

السلطان وجنده على أن يقول على اللَّه غير الحق في كلامه، وعلى أن يقول ما لا يعلم أيضًا، فإنهم كانوا يأتون بكلام يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، فهو باطل، وبكلام مجمل يحتاج إلى تفسير، فيقول لهم الإمام أحمد: ما أدري ما هذا؟ فلم يوافقهم على أن يقول على اللَّه غير الحق، ولا على أن يقول على اللَّه ما لا يعلم.

* * *

س: هذه السورة توضح أحوال هذه الحياة الدنيا، وأن أحوالها لا تثبت على حال، وكذلك فأيامها دولٌ يداولها اللَّه بين الناس، وأن مع العسر يسرًا، والمحنة تعقبها منحة، والإمامة تُنال بالصبر. وضح ذلك.

ج: إيضاح ذلك من وجوه:

منها: أن يوسف عليه السلام كان مستضعفًا في أيدي إخوته، فقدروا عليه وألقوه في غيابة الجب، فرفعه اللَّه درجات، ومرت الأيام والسنون، إلى أن جاءوه يطلبون الصدقة، ويشكون ما بهم من الضر، فقالوا: ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾، ثم بعد ذلك يقولون له: ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ ثم بعد ذلك يخر الجميع سجدًا ليوسف ﷺ.

وأيضًا؛ فقد وقع يوسف في محنة السجن ثم خرج منه مكرمًا معززًا بريئًا.

وكذلك: يعقوب عليه السلام صاحَبَه الحزن حتى ابيضت عيناه فهو كظيم، ثم فرَّج اللَّه همه وجمع عليه شمله، وانقلب حزنه إلى سرورٍ، وقال لأهله: ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾، ثم طلبوا منه

الاستغفار بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

وامرأة العزيز كادت ليوسف عليه السلام بالذي كادت به وقذفته بالذي قذفته به ثم ها هي تقول: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ويوسف عليه السلام ينتقل من حرٍ محبوب إلىٰ والده إلىٰ الرق والعبودية في بيت العزيز، ثم يودع في السجن، ثم يخرج ويصبح عزيزًا قائمًا علىٰ خزائن الأرض عليه الصلاة والسلام.

فهكذا الحياة الدنيا يداولها اللَّه بين الناس ولا تثبت علىٰ حال، كما قال تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. وهكذا فالعاقبة للتقوىٰ.

وهكذا فالإمامة تُنال بالصبر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على أن المعلَّم من علمه اللَّه.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

* وقول يوسف عليه السلام للفتيين في السجن: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

* وقوله تعالىٰ في شأن يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على أن المحفوظ من حفظه اللَّه.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

* وقول يعقوب عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

* * *

س: اذكر من هذه السورة ما يدل على نبوة نبينا محمد ﷺ.

ج: من ذلك:

* إخبار النبي ﷺ بأمور لم يرها ولم يشاهدها مع كونه كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾.

* وقوله ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

* فكل هذه أمور لم يكن للرسول ﷺ بها علم حتىٰ أعلمه اللّه تعالىٰ .

* * *

س: بيِّن من هذه السورة الكريمة ما يدل على أن المعصية تجر إلى معصية أخرى، إذا لم يتب الشخص منها.

ج: مما يدل على ذلك: أن إخوة يوسف كذبوا علىٰ أبيهم فقالوا: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾، وجاءوا بدم كذب علىٰ القميص، وزوروا بكاءً، وزيَّفوه.

وأيضًا؛ امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه ثم ألصقت به التهمة قائلة: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

* * *

س: بيِّن من هذه السورة الكريمة ما يدل على اختيار أخف الضررين إذا تواردت المفاسد والمضار.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة المباركة:

* قول أحد إخوة يوسف: ﴿ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ .

* قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

* * *

س: ما مدى صحة المتناقل بين بعض المفسرين من أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلاث مواطن فعوقب بها، فمن ذلك همه بامرأة العزيز، ومن ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ومن ذلك قوله: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، فعوقب بقولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، ومن ذلك قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

ج: على كل ذلك تعقيب: فالهم بامرأة العزيز قد أوضحنا بما فيه كفاية براءة يوسف عليه السلام من السوء والفحشاء تمامًا. أما قول: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فليس بواضح في أن قائله هو يوسف، وإن كان قاله أو قيل بأمره فقد سرقوا أخاهم يوسف في صغره، وفرقوا بينه وبين والده، وأيضًا إن كان فعل ذلك فإنما فعله بأمر اللَّه، إذ اللَّه قال: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أما قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب مشروع في ديننا، واللَّه أعلم.

* * *

س: سوء الظن إذا دلت عليه قرائن غير ممنوع ولا محرم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دلَّ على ذلك قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره» في بيان بعض الفوائد المستنبطة من سورة يوسف:

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعدما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال لهم في الأخ الأخر: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

ثم لما احتبسه يوسف عنده وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة ـ وإن لم يكونوا مفرِّطين ـ فقد جرىٰ منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال من غير إثم عليه ولا حرج.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على مشروعية الأخذ بالأسباب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام للذي ظن أنه ناجٍ: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* وقوله عليه السلام: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾.

* وقوله عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز إخبار الإنسان بما فيه من صفات طيبة من الحسن والكمال إذا لم يكن في ذلك فتنة ولم يكن فيه رياء، وكان من وراء ذلك مصلحة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز السؤال والاستعانة بمن له قدرة على تخليص الشخص من الكروب.

ج: من الأدلة على ذلك:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾.

* قول إخوة يوسف: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على مشروعية الفرار من مواطن الفتن.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة: قوله تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ فيوسف عليه السلام كان يريد الفرار من الوقوع في الفاحشة، وهي تطارده.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف عليه السلام ما يدل على أن أعمال البر السابقة تكون سببًا في نجاة أصحابها من الوقوع في المعاصي.

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾؛ فصرف اللّٰه عنه السوء والفحشاء لكونه من المخلَصين.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب الضيافة.

ج: من الأدلة على ذلك: تمدح يوسف بقوله: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز استعمال المعاريض.

ج: من ذلك: قول يوسف عليه السلام: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ**﴾، فلم يقل: معاذ اللَّه أن نأخذ إلا من سرق؛ وذلك لأن أخاه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على خطورة الخلوة بالنساء.

ج: هذا واضح من كون امرأة العزيز لما خلت بيوسف عليه السلام وغلقت الأبواب بدأت في مراودته عن نفسه، وآل بها الأمر إلى أن قدَّت قميصه من دُبر.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب سؤال اللَّه حسن الختام.

ج: ذلك مأخوذ من قول نبي اللَّه يوسف عليه السلام، وهو ممن أُمرنا بالاقتداء به: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

* * *

الفهرست

الموضوع	الصفحة
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الر . . . إن ربك عليم حكيم﴾	١٩ ـ ٥٠
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته . . . والله المستعان علىٰ ما تصفون﴾	٥١ ـ ٩٠
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وجاءت سيارة . . . وكذلك نجزي المحسنين﴾	٩١ ـ ١٠٤
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وراودته . . . إنك كنت من الخاطئين﴾	١٠٥ ـ ١٣٨
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وقال نسوة . . . ليسجننه حتىٰ حين﴾	١٣٩ ـ ١٥٧
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ودخل معه السجن فتيان . . . فلبث في السجن بضع سنين﴾	١٥٩ ـ ١٨٠
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وقال الملك إني أرىٰ . . . وكانوا يتقون﴾	١٨١ ـ ٢١٢
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وجاء إخوة يوسف . . . قال الله علىٰ ما نقول وكيل﴾	٢١٣ ـ ٢٢٢
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد . . . فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾	٢٢٣ ـ ٢٢٨
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فلما جهزهم بجهازهم . . . والله أعلم بما تصفون﴾	٢٢٩ ـ ٢٤٢
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قالوا يا أيها العزيز . . إلا القوم الكافرون﴾	٢٤٣ ـ ٢٥٣
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز . . . وأتوني بأهلكم أجمعين﴾	٢٥٤ ـ ٢٥٩
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ولما فصلت العير . . . وألحقني بالصالحين﴾	٢٦١ ـ ٢٧٤
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذلك من أنباء الغيب . . وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون	٢٧٥ ـ ٢٩٧
أسئلة عامة حول هذه السورة المباركة	٢٩٨

مطابع
دار الصحوة
القاهرة ٤ ش الحرب من الاربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال السرجه
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣ / فاكس: ٢٩٢٨٤٧٤

تفسير سورة الرعد

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ
صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾

[الرعد: ١-٥]

(٦) أحمر أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَمَدٍ - ٱسْتَوَىٰ - وَسَخَّرَ - لِأَجَلٍ مُّسَمًّى - يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ - يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ - تُوقِنُونَ - مَدَّ ٱلْأَرْضَ - رَوَٰسِيَ - يُغْشِي - قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ - وَجَنَّٰتٌ - صِنْوَانٌ - وَغَيْرُ صِنْوَانٍ - ٱلْأُكُلِ - تَعْجَبْ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ - ٱلْأَغْلَٰلُ - أَعْنَاقِهِمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَمَدٍ﴾	أعمدة.
﴿ٱسْتَوَىٰ﴾	علا وارتفع.
﴿وَسَخَّرَ﴾	ذلَّل.
﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	لوقت معين مُحدد.
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾	يرتب أمور الخلائق ويُدبرها.
﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾	يوضح الآيات ويبينها ويفصل بعضها عن بعض لتفهم.
﴿تُوقِنُونَ﴾	تصدقون تصديقًا تامًّا.
﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾	بسط الأرض.
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا راسية.
﴿يُغْشِي﴾	يغطي.
﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾	قطع من الأرض مختلفة متنوعة يجاور بعضها بعضًا.
﴿وَجَنَّٰتٌ﴾	حدائق وبساتين.

(٧) أحمر أسود

﴿صِنۡوَانٞ﴾	نخلتان أصلهما واحد، تلتقيان في الجذع، والأصل، أو أكثر من نخلتين تشتركان في الأصل.
﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾	كل نخلة قائمة على انفراد.
﴿ٱلۡأُكُلِ﴾	الطُعوم.
﴿تَعۡجَبۡ﴾	تتعجب.
﴿خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾	بعث بعد الموت، حياة بعد الموت.
﴿كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾	جحدوا وحدانية ربهم وكفروا بنعمه.
﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾	الأطواق.
﴿أَعۡنَاقِهِمۡ﴾	رقابهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ﴾ فقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة مرارًا، أما سائر الآية الكريمة ففي تأويله وجوه:

أحدها: تلك التي نقصصها عليك من الأخبار هي آيات موجودة بنحوها في الكتاب الذي أُنزل من قبلك، والمراد بالكتاب التوراة، وقيل الإنجيل، وقيل: الكتاب اسم جنس يشملهما.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: القرآن الذي أُنزل إليك من عند الله الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك ولا ارتياب، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به ولا يصدقون أنه من عند الله.

الثاني: تلك التي نقصها عليك من القصص والأخبار والمواعظ وغيرها آيات القرآن، وهذه الأخبار وهذا القرآن الذي تضمنها هو الحق من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يصدقون.

الثالث: ﴿الٓمٓرۚ﴾ وهي أحرف مقطعة تقرؤونها وتكتبونها هي التي أُلفت منها آيات الكتاب الذي أنزل عليك والذي هو الحق، ومع كون الناس يعرفونها يقرؤونها ويكتبونها إلا أنهم لا يستطيعوا أن يأتوا منها بآية ولا بسورة، ومع ذلك فإنهم لا يصدقون بأنها من عند الله، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يقول تعالى ذكره: تلك التي قصصت عليك خبرَها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك.

وقيل: عنى بذلك: التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن، فاعمل بما فيه واعتصم به.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو قيل: معنى ذلك: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك الحق وإنما أدخلت الواو في ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾، وهو نعت للكتاب، كما أدخلها الشاعر في قوله:

إِلَـى المَلِـكِ القَـرْمِ وَابْـنِ الهُمَـامِ وَلَيْـثَ الكَتِيبَـةِ فِـي المُـزْدَحَمْ

فعطف بـ«الواو»، وذلك كله من صفة واحد، كان مذهبًا من التأويل.

ولكن ذلك إذا تُؤُوِّل كذلك فالصواب من القراءة في ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ الخفض، على أنه نعت لـ ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾ ولكن أكثر الناس من مشركي قومك لا يصدقون بالحقّ الذي أنزل إليك من ربك، ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣] أي: مع هذا البيان والجلاء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق.

❁ ❁ ❁

(١٠) أحمر
أسود

أكثر الناس ليسوا بمؤمنين

س: اذكر ما يدل على أن أكثر الناس بعيدين عن الإيمان والطاعة؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوس: ١٠٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

* وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

(١١) أحمر
أسود

شيءٌ من البيان عن عظمة الله ﷻ وقدرته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: الله الإله الحق هو الذي رفع لا سموات بغير أعمدة نراها ثم علا على العرش وسخر الشمس والقمر وذلك أنهما يجريان بحساب كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥] وكما قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٨-٣٩].

فالشمس والقمر، والقمران مسخران يجريان لوقت حدده الله وعنده يتوقفان لا يجريان، بل تكور الشمس كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: ١] يضم بعضها إلى بعض ويلف بعضها على بعض كما قال رسول الله ﷺ: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**»[(١)].

أما قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أمر السموات والارض وما بينهما من المخلوقات، وامر بني آدم من ثمَّ فيرفع هذا ويخفض ذاك، ويغني هذا ويبتلي ذاك ويصحح ويعافي ويسقم ويمرض ويعزُّ ويُذل ويُكرم ويُهين، ويُحيي ويُميت إلى غير ذلك من صور التدبير فيفعل ما يريد ويقضي في السموات والأرض وما بينهما بما يشاء.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يوضحها ويبينها لعلكم توقنون بلقاء الله يوم القيامة، وتعلمون أنه قادر على بعثكم بعد موتكم وتوقنوا بذلك وتتأكدوا منه.

---

(١) البخاري (٣٢٠٠).

(١٢) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله، يا محمد، هو الذي رفع السموات السبع بغير عَمَد ترونها، فجعلها للأرض سقْفًا مسموكًا.

و«العَمَد» جمع «عمود»، وهي السَّواري، وما يعمد به البناء، كما قال النابغة:

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُون تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالعَمَدِ

وجمع «العمود:» «عَمَد،» كما جمع الأديم: «أدَم»، ولو جمع بالضم فقيل: «عُمُد» جاز، كما يجمع «الرسول» «رسل»، و«الشَّكور» «شكر».

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾.

فقال بعضهم: تأويل ذلك: الله الذي رفع السموات بعَمَدٍ لا ترونها.

وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نَراها، كما قال ربنا جل ثناؤه. ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ فإنه يعني: علا عليه.

وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول فيما قالوا فيه، بشواهده فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ يقول: وأجرى الشمس والقمر في السماء، فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذلَّلَهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا به بين الليل والنهار.

وقوله: ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء

(١٣) أحمر
أسود

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكوَّر الشمس، ويُخْسف القمر، وتنكدر النجوم.

وحذف ذلك من الكلام، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأن ﴿كُلٌّ﴾ لا بدَّ لها من إضافة إلى ما تحيط به.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال أهل التأويل.

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمورَ الدنيا والآخرة كلها، ويدبِّر ذلك كله وحده، بغير شريك ولا ظهير ولا معين سُبْحانه.

وقوله: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ يقول: يفصل لكم ربُّكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجًا بها عليكم، أيها الناس ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ يقول: لتوقنوا بلقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، ﴿لَعَلَّكُم﴾ بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ

(١٤) أحمر
أسود

تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وأيضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثا، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم.

❁ ❁ ❁

هل السموات مرفوعة بأعمدة؟

س: هل السموات مرفوعة بغير عمدٍ أم بعمدٍ ولكننا لا نراها؟

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم فمنهم من قال: بعمدٍ لا تُرى، ومنهم من قال بغير عمدٍ من الأصل، والظاهر - والله أعلم- أننا نلزم قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ [لقمان: ١٠] وما وراء ذلك يعلمه الله.

❁ ❁ ❁

(١٥) أحمر
أسود

مزيدٌ من الدلالات على قدرة الله ووحدانيته وعظمته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: والله هو الذي بسط الأرض طولًا وعرضًا وجعل فيها جبالًا رواسي كي لا تميد الأرض بنا ولا تتحرك، وكذلك فإنه ﷻ شقَّ فيها أنهارًا تجري بالمياه، ومن كل اثمرات جعل في الارض صنفين ذكرًا وأُنثى، يجعل الليل يغطي النهار بظلامه، وجيعل النهار يغطي الليل بضيائه إن في ذلك لدلالات على وحادنية الله ﷻ وقدرته لقوم يتفكرون في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم ويتفكرون فيما يقربهم من الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي مَدَّ الأرض، فبسطها طولا وعرضًا.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يقول جل ثناؤه: وجعل في الأرض جبالا ثابتة.

و«الرواسي:»جمع«راسية»، وهي الثابتة، يقال منه:«أرسيت الوتد في الأرض»: إذا أثبته، كما قال الشاعر:

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَرِمْنَ وهَامِدٌ ... وَأَشْعَثُ أَرْسَتْهُ الوَلِيدَةُ بِالفِهْرِ

يعني: أثبتته.

وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ يقول: وجعل في الأرض أنهارًا من ماء.

وقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ فـ «من» في قوله ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من صلة ﴿جَعَلَ﴾ الثاني لا الأول.

ومعنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات. وعنى بـ ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: من كل ذكر اثنان، ومن كل أنثى اثنان، فذلك أربعة، من الذكور اثنان، ومن الإناث اثنتان في قول بعضهم.

(١٦) أحمر
أسود

وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمي الاثنين: ﴿زَوْجَيْنِ﴾، والواحد من الذكور«زوجًا» لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة«زوجًا» و«زوجة» لذكرها، بما أغمى عن إعادته في هذا الموضع.

ويزيد ذلك إيضاحًا قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥﴾ [النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأنثى ﴿زَوْجَيْنِ﴾.

وإنما عنى بقوله: ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، نوعين وضربين.

وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾، يقول: يجلِّل الليلُ النهارَ فيلبسه ظلمته، والنهارُ الليلَ بضيائه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾، يقول تعالى ذكره: إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء، لَدلالات وحججًا وعظات، لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبَّرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا لشيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى وأن القدرة التي أبدع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذَّر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعَه بها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى العالم العلوي، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل زوجين اثنين، أي: من كل

(١٧) أحمر
أسود

شكل صنفان.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضا في الزمان كما تصرف في المكان والسكان.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ أي: في آلاء الله وحكمته ودلائله.

❁ ❁ ❁

س: وضح منى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وفي الأرض قطع متدجاورات، قطع من الأرض يختلف بعضها عن بعض، فهذه أرض طيبة صالحة للزراعة حسنة الإنبات، وهذه أرض سبخة، وذات مُلوحة لا تنبت كلأً، وثمَّ أرض رملية لا تُمسك ماءًا ولا تنبت كلأً، وهذه صخور وأحجار، ثم هذه جبالات جُدد بيض وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود إلى غير ذلك من صور الاختلاف في الأرض، كل ذلك دال على قدرة الله ﷻ ووحدانيته وفي الأرض كذلك حدائق وبساتين من أعنابٍ وكذا الزروع بجميع أصنافها، والنخيل الذي منه صنوان، أي: نخلتان أو أكثر مشتركتان في الأصل وغير صنوان كل نخلة قائمة بذاتها، وكل ذلك يُسقى بماءٍ واحدٍ، ولكن الطعوم مختلفة فهذا حُلو مستساغ، وهذا مرٌّ حامضٌ ولا مستساغ هذا جميل ولذيذ ونافع ومفيد، وهذا دون ذلك إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته ولكنها دلالات وآيات لقوم يعقلون ويفهمون، أما الذين لا يتدبرون ولا يتفكرون فهؤلاء لا يستفيدون شيئًا من هذه الآيات، ولا من تلك الدلالات إن هم إلا

(١٨) أحمر
أسود

كالأنعام بل هم أضل سبيلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾، وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات، يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قِطْعة سَبَخَةٌ لا تنبت شيئًا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

وقوله: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها، بالملوحة والعذوبة، والخبث والطيب، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضًا، متقاربةٌ في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد. فمن طيّبٍ طعمُه منها حسنٍ منظره طيبةٍ رائحته، ومن حامضٍ طعمه ولا رائحة له.

وأما قوله: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾.

فإن «الصنوان»: جمع «صنو»، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن البراء قال: ﴿صِنْوَانٌ﴾ المجتمع، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: المتفرِّق.

وفي رواية عن البراء بسندٍ صحيح أيضًا: «الصنوان»: النخلتان أصلهما واحد، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ النخلة والنخلتان المتفرّقتان.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال يسير عن الحسن قال: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم. كانت الأرض في يد الرحمن طينةً واحدة، فسطحها وبَطَحها، فصارت الأرض قطعًا متجاورة، فينزل عليها الماء من السماء، فتخرج هذه

(١٩) أحمر
أسود

زهرتها وثمرها وشجرها. وتخرج نباتها وتحيي مواتها، وتخرج هذه سبَخَها وملحها وخَبَثَها، وكلتاهما تسقى بماء واحد.

فلو كان الماء مالحا، قيل: إنما استسبخت هذه من قبل الماء! كذلك الناس خلقوا من آدم، فتنزل عليهم من السماء تذكرة، فترقّ قلوب فتخشع وتخضع، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو.

قال الحسن: والله من جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢].

وأورد قراءتين في يُسقى، وتُسقى بالياء والتاء وقال في معنى قوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ أي: جميع ذلك يسقى بماءٍ واحدٍ عذبٍ دون المالح.

وقال في قوله: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ بعد أن أورد قراءتين في قوله: ﴿وَنُفَضِّلُ ﴾، وهي نُفضِّل ويُفضَّل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى الكلام: إن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان، تسقى بماء واحد عذب لا ملح، ويخالف الله بين طعوم ذلك، فيفضّل بعضها على بعض في الطعم، فهذا حلو وهذا حامضٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في مخالفة الله عَزَّ وَجَلَّ بين هذا القطع من الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينَّا، لدليلا واضحًا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان، فوفّق هذا وخذل هذا، وهدى ذا وأضل ذا، ولو شاء لسوَّى بين جميعهم، كما لو شاء سوَّى بين جميع

(٢٠) أحمر
أسود

أكل ثمار الجنة التي تشرب شربًا واحدًا، وتسقى سقيًا واحدًا، وهي متفاضلة في الأكل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ أي: أراض تجاور بعضها بعضا، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئا. هكذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.

وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات. فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ يحتمل أن تكون عاطفة على ﴿وَجَنَّٰتٌ ﴾ فيكون ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ مرفوعين. ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب، فيكون مجرورا؛ ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة.

وقوله: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ الصنوان: هي الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين وبعض النخيل، ونحو ذلك. وغير الصنوان: ما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه، كما جاء في الحديث الصحيح: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ: «**أَمَّا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟**»[1].

ثم قال بعد أن أورد حديثًا ضعيفًا لا يثبت عن رسول الله ﷺ:

أي: هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع، في أشكالها وألوانها،

(١) مسلم (٩٨٣).

(٢١) أحمر
أسود

وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها.

فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. وهذا أصفر وهذا أحمر، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق. وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضبط، ففي ذلك آيات لمن كان واعيا، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإن تعجب يا رسول الله من هؤلاء الذين يعبدون الأصنام والأوثان ويسجدون للأشجار والأحجار، فثمَّ أمر آخر عجبٌ يدعو إلى التعجب من عقولهم الفاسدة وأفهامهم القاصرة، ألا وهو قولهم: أئذا كنا ترابًا بعد مماتنا، وتفرقت أجسادنا وأصبحنا رميمًا أنُبعث خلقًا جديدًا ونحاسب ونثاب أو نعاقب؟!!

فأولئك يا رسول الله هم الذين جحدوا خالقهم وأنكروا وحدانيته وأنكروا قدرته على البعث وهو رب الخالق القادر المحيي المميت المعز المذل الذي له صفات الكمال.

وأولئك تجعل في أعناقهم، في رقابهم الأغلال، وقيل: تضم الأيدي إلى

(٢٢) أحمر
أسود

الرقاب وتوضع من الرقاب في طوقٍ واحد يحيط بالرقاب، فترتفع أعينهم ووجوههم إلى أعلى ثم سلاسل في هذه الأطواق يسحبون بها إلى النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ [يس: ٨]، وقال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر: ٧١].

وهؤلاء المشركون الجاحدون المنكرون للبعث هم أصحاب النار الذين يمكثون فيها أبد الآبدين فيخلدون فيها، ولا يخرجون منها، ولا يموتون فيها ولا يحيون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد، من هؤلاء المشركين المتَّخذين ما لا يضرُّ ولا ينفع آلهةً يعبدونها من دوني ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ وبَلِينا فعُدِمنا ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ إنا لمجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقًا جديدًا كما كنا قبل وفاتنا!! تكذيبًا منهم بقدرة الله، وجحودًا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات.

عن قتادة، قوله: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾ إن عجبت يا محمد، ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت.

ابن زيد في قوله: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ قال: إن تعجب من تكذيبهم، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الأمثال، فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة، إن تعجب من هذه فتعجَّب من قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾، أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة؟ فالخلق من نطفة أشدُّ أم الخلق من ترابٍ وعظام؟.

(٢٣) أحمر
أسود

قال الطبري:

واختَلَف في وَجْه تكرير الاستفهام في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، بعد الاستفهام الأول في قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾، أهلُ العربية.

فقال بعض نحويي البصرة: الأوّل ظرف، والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام، كما تقول: أيوم الجمعة زيدٌ منطلق؟ قال: ومن أوقع استفهامًا آخر على قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾، جعله ظرفًا لشيء مذكور قبله، كأنهم قيل لهم:«تبعثون»، فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾؟ ثم جعل هذا استفهامًا آخر. قال: وهذا بعيدٌ. قال: وإن شئت لم تجعل في قولك: ﴿أَءِذَا﴾ استفهامًا، وجعلت الاستفهام في اللفظ على ﴿أَءِنَّا﴾، كأنك قلت: أيوم الجمعة أعبد الله منطلق؟ وأضمرت نفيه. فهذا موضعُ ما ابتدأت فيه بـ﴿أَءِذَا﴾، وليس بكثير في الكلام لو قلت:«اليوم إنّ عبد الله منطلق»، لم يحسن، وهو جائز، وقد قالت العرب:«ما علمت إنَّه لصالح، تريد: إنه لصالح ما علمت.

...ثم قال:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنكروا البعث وجَحدُوا الثواب والعقاب، وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ﴾ هم الذين جحدوا قدرة ربِّهم وكذبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم، فأولئك ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾، يقول: هم سكان النار يوم القيامة ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يقول: هم فيها ماكثون أبدًا، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه

(٢٤) أحمر
أسود

ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء، فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقا جديدا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

ثم نعت المكذبين بهذا فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ﴾ أي: يسحبون بها في النار، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ أي: ماكثون فيها أبدا، لا يحولون عنها ولا يزولون.

❁ ❁ ❁

(٢٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ
﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ
وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا
مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ
وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم
بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ٦-١٥].

(٢٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ - خَلَتْ - ٱلْمَثُلَٰتُ - ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ - مُنذِرٌ - هَادٍ - تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ - وَمَا تَزْدَادُ - بِمِقْدَارٍ - عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ - ٱلْمُتَعَالِ - سَوَآءٌ مِّنكُم - أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ - مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ - وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ - مُعَقِّبَٰتٌ - مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ - وَمِنْ خَلْفِهِۦ - يَحْفَظُونَهُۥ - مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ - فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ - وَالٍ - ٱلْبَرْقَ - وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ - ٱلصَّوَٰعِقَ - يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ - شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ - دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ - كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ - لِيَبْلُغَ فَاهُ - فِى ضَلَٰلٍ - طَوْعًا - وَكَرْهًا - وَظِلَٰلُهُم - بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾	يطلبون منك تعجيل العقوبة، والنقمة عليهم ولا يطلبون عفو الله وعافية (على سبيل التحدي والتكذيب والتعنت).
﴿خَلَتْ﴾	مضت - تقدمت - ظهرت.
﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾	العقوبات المنكلات الرادعات التي حلَّت بالأمم المكذبة المتقدمة.
﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	معجزة من عند الله.
﴿مُنذِرٌ﴾	مخوِّف - مُحذِّر.
﴿هَادٍ﴾	من يهديهم ويرشدهم - مرشد - قائد.
﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾	تنقص (عن تسعة أشهر)- تلقى دمًا تُسقط الجنين.
﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾	تزيد في حملها على تسعة أشهر.

(٢٧) أحمر
أسود

﴿بِمِقۡدَارٍ﴾	بقدرٍ معين.
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	عالم الذي يغيب عن الأنظار والذي يظهر لها.
﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾	المتعال على خلقه – المستعلي على كل شيء بقدرته.
﴿سَوَآءٞ مِّنكُمۡ﴾	يستوي منكم.
﴿أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ﴾	أخفى القول.
﴿مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾	مختفي بالليل (يعمل أعمالًا لا يريد أن يطلع عليها أحد).
﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾	ظاهر وماشي ويعمل أعمالًا لا يراها الناس، وقيل: داخل في سرب.
﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾	ملائكة يتعاقبون يأتي ملك بعد ملك، وملائكة بعد ملائكة، وقيل: حرس يتبعاقبون الحراسة.
﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾	من أمامه.
﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾	من ورائه.
﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾	يحفظونه بأمر الله – يحفظونه وحفظهم له بإذن من الله – يحفظونه من كل شيء لم يقدره الله.
﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾	فلا مانع له ولا حاجز ولا دافع.
﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾	الضوء الشديد الساطع الذي يصاحب الأمطار، وقبيل الأمطار

(٢٨) أحمر
أسود

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾	يبتدأ إنشاء السحب المحملة بالمياه الغزيرة.
﴿ٱلصَّوَٰعِقَ﴾	جمع صاعقة وهو المصاحبة للأمطار.
﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾	يشككون في قدرة الله وفي وحدانيته.
﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾	شديد القوة – شديد الأخذ.
﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾	الدعوة الحق، دعوة التوحيد لا إله إلا الله.
﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾	كماد يديه إلى الماء.
﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾	ليصل إلى فمه.
﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾	في ضياع وبطلان.
﴿طَوْعًا﴾	عن طواعية.
﴿وَكَرْهًا﴾	مُكرهين.
﴿وَظِلَٰلُهُم﴾	جمع ظل (ظلال الأشياء).
﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾	صباحًا (في البكور) وبعد العصر إلى غروب الشمس.

❁ ❁ ❁

(٢٩) أحمر
أسود

من جهل أهل الكفر
أنهم يستعجلون العذاب
ويطلبون العقاب قبل الرحمة والعافية

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ويستعجلك أهل الكفر فيطلبون إنزال العذاب عليهم وإحلاله بهم بدلًا من أن يسألوا الله العافية والسلامة وحسن العاقبة، وهذا متكررٌ منهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢] فلو قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه لكان خيرًا لهم وأولى لهم.

وأيضًا من ذلك قولهم: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦] أي: نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ [الحج: ٤٧].

فهذا شأن أهل الكفر، بجهلهم بدلًا من أن يسألوا ربهم المغفرة والسلامة والعافية يسألونه العذاب والعقاب والبلاء، مع أنهم قد رأوا ما حلَّ بأهل الظلم من أمثالهم، وقد تقدمتهم العقوبات التي حلَّت بالأمم المكذبة تلك العقوبات المُنكلِّة التي تدعوا إلى الاعتبار والاتعاظ، فقد كانوا يمرون بمساكن قوم لوط، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، وقال: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحجر: ٧٦] أي: بطريق ظاره قائم لا يزال المارة يرونها ويشاهدونها وقال تعالى في شأن أصحاب الأيكة قوم شعيب بعد أن ذكر قوم لوط ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

(٣٠) أحمر
أسود

[الحجر: ٧٩] بطريق واضح يستبين به المارةُ أمر هؤلاء المكذبين وما حلَّ بهم من العقاب والنكال، ومع هذا الذي يصدر من الكفار فأيضًا تفتح لهم أبواب التوبة في دنياهم، وتفتح أبواب التوبة لكل مذنب فربنا ﷻ أهلٌ للمغفرة فيغفر للمستغفرين ويتوب على التائبين فمن تابم ن شركه قبل موته، أي: قبل حضور موته فإن الله يتوب عليه.

وكذا فإنه سبحانه في الدنيا يتفضل على الخلق بنعمه، ومنهم القائم على معصيته، فهو ذو مغفرة وذو فضل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وكذا فإنه ﷻ شديد العقاب لمن تمرد وتجبر وكفر وعصى، وهذا تذكيرٌ بعذاب الله وشدته كي يحذره الحذرون. ويتيقن المتقون، ويقلع عن الشرك المجرمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يا محمد، مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] وهم يعلمون ما حَلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير، ومن بين أمّة أهلكت بالرَّجْفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ التي قال الله جل ثناؤه. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾.

و﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾، العقوبات المنكِّلات، والواحدة منها: «مَثُلة» بفتح الميم وضم الثاء، ثم تجمع «مَثُلات»، كما واحدة «الصَّدُقَات» «صَدُقَة»، ثم تجمع

(٣١) أحمر
أسود

«صَدُقَات». وذكر أن تميمًا من بين العرب تضم الميم والثاء جميعًا من «المُثُلات»، فالواحدة على لغتهم منها: «مُثْلة»، ثم تجمع «مُثُلات»، مثل «غُرْفة» وغُرُفات، والفعل منه: «مَثَلْت به أَمْثُلُ مَثْلا» بفتح الميم وتسكين الثاء، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت: «أمثلته من صاحبه أُمْثِلُه إمْثالا وذلك إذا أقصصته منه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾، وقائع الله في الأمم فيمن خلا قبلكم وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾، وهم مشركو العرب استعجلوا بالشرّ قبل الخير، وقالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ قال: ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾، الذي مَثَل الله به الأممَ من العذاب الذي عذَّبهم، تولَّت المثلات من العذاب، قد خلت من قبلهم، وعرفوا ذلك، وانتهى إليهم ما مَثَلَ الله بهم حين عصَوه وعَصوا رُسُله.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتاركٌ فضيحته بها في موقف القيامة، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، يقول: على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذني لهم بفعله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه في القيامة، إن لم يعجِّل له ذلك في الدنيا، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة.

قال أبو جعفر: وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهرَ خبر، فإنه وعيدٌ من الله وتهديدٌ للمشركين من قوم رسول الله ﷺ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم

(٣٢) أحمر
أسود

قبل حُلول نقمة الله بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي: هؤلاء المكذبون ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعقوبة، كما أخبر عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر: ٦-٨] وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الآيتين [العنكبوت: ٥٣، ٥٤] وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعارج: ١] وقال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] أي: حسابنا وعقابنا، كما قال مخبرا عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] فكانوا يطلبون من الرسول أن يأتيهم بعذاب الله، وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: قد أوقعنا نقمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم مثلة وعبرة وعظة لمن اتعظ بهم.

ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعالجهم بالعقوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: إنه ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار. ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب، ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

[الأنعام: ١٤٧] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧] وقال: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠] إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله المشركين به، الذين وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهروا بالإنكار، واستدلوا بحلم الله الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم أنهم على حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾

﴿و﴾ الحال أنه ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلا إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعدًا.

يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعايب ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على من لم يزل مصرا على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٤) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ الآية، المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة، أي: قبل العافية، وقيل الإيمان، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الكفار يطلبون منه ﷺ أن يعجل لهم العذاب الذي يخوفهم به إن تمادوا على الكفر، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج:٤٧]، وكقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [العنكبوت:٥٣]، وكقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤]، وقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ١، ٢]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨]، وقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النَّبي ﷺ كاذب فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨]، وكقوله: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقوله: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢]، كما تقدمت الإشارة إلى هذا.

والمثلات: العقوبات واحدتها مثلة.

والمعنى: أنهم يطلبون تعجيل العذاب تمرداً وطغياناً، ولم يتعظوا بما أوقع الله بالأمم السالفة من المثلات، أي العقوبات، كما فعل بقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون وقومه وغيرهم.

(٣٥) أحمر
أسود

قولـــه تعـــالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب؛ فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٦/ ١٤٧]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] و [الأعراف: ١٦٧]، وقوله جلا وعلا: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الآية [غافر: ٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(٣٦) أحمر
أسود

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم-: ويطلب أهل الكفر يا رسول الله منك أن تأتيهم بمعجزة كي يؤمنوا بزعمهم، وذلك كما في قولهم: لولا أُنزل عليك كنزٌ أو جاء معه ملك، وكما قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١...﴾ [الإسراء: ٩٠-٩١].

فيقول تعالى لنبيه ﷺ: عن هذا الأمر ليس لك بل هو لله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الآيات إن شاء ويمنعها إن شاء، إنما أنت منذرٌ محذرٌ تحذرهم، ومذكرٌ تُذكِّرهم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وكما قال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: ٢١].

أما قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ أي: ولكل أمة من يهديها ويرشدها.

والتحرير في هذا المقام في تفسير الهاد على النحو التالي، والله أعلم.

إذا قلنا إن الهداية هنا هداية التوفيق، فالهادي هو الله ﷻ، لا يهدي أحدٌ سواه.

وإذا قلنا إن الهداية هداية الدلالة فالهادي هو الله أيضًا، وثمَّ بعض خلقه يهدون بأمره كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤].

فمن هؤلاء رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء والمرسلين فهؤلاء خير هداة يهدون إلى الله ﷻ، ويرشدون إلى طريقه.

وهنالك الدعاة إلى الله، وأهل العلم بالله يرشدون إلى طريق الله كذلك.

وإذا قلنا إن الهداية بمعنى الإرشاد فيدخل في هذا المعنى عموم المرشدين إلى الخير أو الشر فيكون الهاد القائد أو الإمام المتبع سواء كان هاديًا إلى الخير أو كان هاديًا إلى الشر، قال تعالى في شأن قوم فرعون، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١] هذا، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يا محمد، من قومك ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هلا أنزل على محمد آية من ربه؟ يعنون علامةً وحجةً له على نبوّته وذلك قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢] يقول الله له: يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ لهم، تنذرهم بأسَ الله أن يحلّ بهم على شركهم. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾. يقول ولكل قوم إمام يأتمُّون به وهادٍ يتقدمهم، فيهديهم إما إلى خيرٍ وإما إلى شرٍّ.

وأصله من «هادي الفرس»، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنيِّ بالهادي في هذا الموضع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هذا قول مشركي العرب قال الله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله.

وبإسناد صحيح عن أبي الضحى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ قالا محمد هو «المنذر» وهو «الهاد».

وقال آخرون: عنى بـ«الهادي» في هذا الموضع: الله.

(٣٨) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن عن سعيد بن جبير قال: محمد«المنذر»، والله «الهادي».

وقال آخرون: «الهادي» في هذا الموضع معناه نبيٌّ.

وقال آخرون: بل عني به: ولكل قوم قائد.

وقال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال آخرون: معناه: لكل قوم داع.

قال الطبري رحمه الله:

وقد بينت معنى«الهداية»، وأنه الإمام المتبع الذي يقدُم القوم. فإذ كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلَقه ويتَّبع خلقُه هداه ويأتمون بأمره ونهيه.

وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذي تأتمُّ به أمته.

وجائز أن يكون إمامًا من الأئمة يُؤْتَمْ به، ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه.

وجائزٌ أن يكون داعيًا من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم فيتّبعونه ويأتمُّون به.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعنادا: لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الأولون، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن يزيل عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجا وأنهارا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

(٣٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها، ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وأورد أقوالًا في تفسير: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ على نحوٍ مما ذكره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ﴾ أي هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾. لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ أي معلم. ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ أي نبي يدعوهم إلى الله. وقيل: الهادي الله، أي عليك الإنذار، والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ثناءٌ ومدح يثني الله عَزَّ وَجَلَّ على نفسه ويمتدح نفسه، وهو أهل للثناء والمجد، يقول تعالى: الله يعلم ما تحمل كل أنثى، يعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ أطويل أم قصير؟ أأبيض أم أسود؟ أمليحٌ أم دميمٌ؟ إلى غير ذلك مما يتعلق بالحمل، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم كل شيء عن حاله، وكذا يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد أما تغيض فأصل تغيض تنقص كما قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾

فعليه فمن العلماء من قال:

تغيض الأرحام تضع مولودها لأكل من تسعة أشهرٍ.

وقال آخرون: تغيض تقذف من دمٍ أثناء الحمل.

وقال آخرون: تُنزل المولود سقطا التمام.

وقال آخرون: تغيض المراد به ما ولدته المرأة من قبل.

(٤٠) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: وما تضع من حمل بعد تسعة أشهر.

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب وما ظهر كل ذلك عنده سواء كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، وكما قال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الملك: ١٣]، وليس علمه متعلق بالقول فقط، إنما علمه محيط بكل شيء ظاهر أو خفي، أما قوله: ﴿الْكَبِيرُ﴾ فليس شيء أكبر منه، بل كل شيء دونه و﴿الْمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل الأشياء بقدرته، وقيل: المتعال عن كل وصف رديء مما يصفه به أهل الشرك وغيرهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالا بعد حال فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداءً، والمعنى فيه ما وصفت، فقال جل ثناؤه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، يقول: وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ لا يجاوز شيء من قَدَره عن تقديره، ولا يقصر أمر أراده فَدَبَره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قُدِّرَ له من الحمل، ولا يُقصِّر عما حُدّ له من القدر.

و«المقدار»، مِفْعال من «القدر».

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مجاهد، أنه قال: «الغيض»، ما رأت الحامل من الدم في حملها فهو نقصان من الولد، و«الزيادة» ما زاد على التسعة أشهر، فهو

تمام للنقصان وهو زيادة.

وبسندٍ صحيح عن عكرمة في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾، قال: كلما غاضت بالدم، زاد ذلك في الحمل.

وبسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ قال: كان الحسن يقول:«الغيضوضة»، أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر، أو لما دون الحدّ قال قتادة: وأما الزيادة، فما زاد على تسعة أشهر.

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ إي والله، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم، وجعل لهم أجلا معلومًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾

يقول تعالى ذكره: والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه، فعاينتم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء، لأنهم خلقه وتدبيره«الكبير الذي كل شيء دونه»، «المتعال» المستعلي على كل شيء بقدرته.

وهو«المتفاعل» من«العلو» مثل«المتقارب» من القرب و«المتداني» من الدنوّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان: ٣٤] أي: ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ

(٤٢) أحمر
أسود

ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزمر:٦] أي: خلقكم طورا من بعد طور، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢: ١٤] وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتب رِزْقَهُ، وَعُمُرَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشِقِّيٌّ أَوْ سَعِيدٌ».

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «فَيَقُولُ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَقُولُ اللهُ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ».

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ ﴾ ما أخرجه البخاري[٢] من حديث ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تقوم الساعة إلا الله»[٣].

... ثم قال:

وقال قتادة: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ أي: بأجل، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلا معلوما.

---

(١) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) البخاري (٤٦٩٧).
(٣) البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

(٤٣) أحمر
أسود

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: أَنَّ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ بَعَثَتْ إِلَيْهِ: أَنَّ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، وَأَنَّهَا تُحِبُّ أَنْ يَحْضُرَهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا يَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرُوهَا فَلْتَصْبِرْ وَلِتَحْتَسِبْ**»[1] الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ.

وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء. ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي هو أكبر من كل شيء، ﴿ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ أي: على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علما، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعا وكرها.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٦٦٥٥)، ومسلم (٦٣٦).

(٤٤) أحمر
أسود

تعريف المعقبات والمراد بهم

س: الهاء في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ راجعة إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها راجعة إلى الله ﷻ، والمعنى لله معقبات.

الثاني: أنها راجعة إلى الإنسان.

الثالث: أنها راجعة إلى رسول الله ﷺ.

الرابع: أنها راجعة إلى رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالمعقبات؟

ج: المراد الذين يتعاقبون، يأتي بعضهم بعد بعض، وقيل: إنهم الملائكة كما قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...**».

وقيل: إنهم الحرس الذين يحرسون الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: يحفظونه بأمر الله ﷻ.

الثاني: يحفظونه من الأمور التي لم يقدرها الله ﷻ، فمثلًا إذا رماه أحد بحجر ولم يرد الله له أن يُصاب حفظته الملائكة بإذن ربها.

الثالث: يحفظونه، وحفظهم نفسه من أمر الله، كما في الآية: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

الرابع: يحفظون عليه أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيكتبونها عليه.

الخامس: يحفظونه حتى يسلمونه لأمر الله، أي: لقضاء الله.

(٤٥) أحمر
أسود

السادس - على قول من قال-: إن المعقبات هم الحراس الذين يتخذهم الملوك والأمراء، وهو: يحفظنه حتى لا يُصاب بشيء مما قدره الله بزعمهم، ولكنهم لا يستطيعون.

هذا، وثم وجوه أُخر. والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الله ﷻ لا يحوِّل نعمه إلى عبادة إلى نقمٍ ينتقم منهم إلا إذا حولوا ما بهم من طاعة إلى معصية، ومن إيمان وتصديق إلى كفر وتكذيب.

ويشهد لهذا القول عدة نصوص كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وكذا تشهد له النصوص المتكاثرة التي مفادها أن المعاصي سببٌ لزوال النعم.

ولا يعترض على هذا بالابتلاءات التي تصيب المؤمن فإنها لرفعة الدرجات وليست نقمًا من الله ﷻ.

الثاني: أن المراد أن الله ﷻ لا يغير أحوال قوم حتى يسعوا هم في تغييرها فإن سعوا في تغييرها أو سعى بعض البشر لتغييرها فإن الله سبحانه يساعده ويُعينهم.

❁ ❁ ❁

(٤٦) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: يستوي عند الله ﷻ إخفاء من أخفى القول وإظهار من أظهره فكل ذلك عند الله سواء، والله يعلمه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١٠].

وكذا يستوي عند الله ﷻ المختفي الذي يعمل أعمالًا بالليل ويحرص على أن لا يراه أحد، وكذا السارب بالنهار الذي يسعى نهارًا سعيًا ظاهرًا، وذهابًا وإيابًا أمام الخلق، فهؤلاء جميعًا - المستخفون بالليل والساربون بالنهار، يعلم الله ﷻ أحوالهم وأعمالهم وأقوالهم.

أما قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ فتقدم الكلام فيها بما حاصله: أن لله ﷻ ملائكة يتعاقبون على العبد يحفظونه بأمر الله لهم بحفظه، يحفظونه من أي شيء لم يُرد الله له أن يُصاب به ولإيضاح ذلك قد يكون الشخص راكبًا سيارة، ويريد الله له السلامة أثناء سيره فمهما حدث من حوله فإن ملائكة الله تحفظه من أي شيء لم يرد الله له أن يصاب به، فإذا أراد الله له أن يصاب بحادث تنحت الملائكة حتى ينفذ فيه قدر الله.

وكذا إذا أراده البشر بسوء، وإذا أرادته الجن والهوام والسباع بسوء لم يقدره الله عليه فإن الملائكة تحفظه من كل ذلك، حتى إذا أراد الله به مكروهًا أصيب بالذي أراده الله له.

وقال بعض أهل العلم، وقد تقدم، أن المراد بقوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أنه الملك من ملوك الدنيا والرئيس من رؤوسائها والأمير والعزيز، كل هؤلاء

يتخذون حرسًا يدفع عنهم السوء والمكروه بزعمهم فيجعلون الحرس من الأمام ومن الخلف حراسة لهم ودفاعًا عنهم ظآنين أن هذا يدفع عنهم قدر الله، ولكن إذا جاء قدر الله، وأراد الله بهم سوء فلا مانع لوقوعه ولا راد لقضائه ولا ينفع ذلك الحرس.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ أي: ليس لهذا السوء الذي يريده الله بالقوم من دافع يدفعه ولا راد يردُّه، وما لهم سوى الله من ناصر ينصرهم ولا من وليٍّ يتولاهم، ولا من حافظ يحفظهم. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: معتدلٌ عند الله منكم، أيها الناس، الذي أسر القول، والذي جهر به، والذي هو مستخفٍ بالليل في ظلمته بمعصية الله ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم، لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء، السر عنده علانية قوله: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، أي: في ظلمه الليل، و«سارب»: أي: ظاهر بالنهار.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ ...﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: لله تعالى ذكرهُ معقِّباتٌ قالوا: «الهاء» في قوله: «له» من ذكر اسم الله.

و«المعقبات» التي تعتقب على العبد. وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل. وقالوا: قيل «معقبات»، و«الملائكة»: جمع «ملك» مذكر

(٤٨) أحمر
أسود

غير مؤنث، وواحد«الملائكة»«معقِّب»، وجماعتها«مُعَقبة»، ثم جمع جمعه أعني جمع«معقّب» بعد ما جمع«مُعَقّبة» وقيل«معقِّبات»، كما قيل:«سادات سعد»، «ورجالات بني فلان»، جمع«رجال».

وقوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾، يعني بقوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾، من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾، من وراء ظهره.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: لله تعالى ذكرهُ معقِّباتٌ قالوا:«الهاء» في قوله:«له» من ذكر اسم الله.

و«المعقبات» التي تعتقب على العبد. وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل. وقالوا: قيل«معقبات»، و«الملائكة»: جمع«ملك» مذكر غير مؤنث، وواحد«الملائكة»«معقِّب»، وجماعتها«مُعَقبة»، ثم جمع جمعه أعني جمع«معقّب» بعد ما جمع«مُعَقّبة» وقيل«معقِّبات»، كما قيل:«سادات سعد»، «ورجالات بني فلان»، جمع«رجال».

وقوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾، يعني بقوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾، من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾، من وراء ظهره.

وأورد من وجوه تصح بمجموعها عن ابن عباس: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ قال: ذلك ملك من مُلوك الدنيا له حَرسٌ من دونه حرَس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولُ من قال:«الهاء»، في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾ من ذكر «مَنْ» التي في قوله: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ «وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه»، هي حرسه وجلاوزته، كما قال ذلك من ذكرنا قوله.

(٤٩) أحمر
أسود

وإنما قلنا: «ذلك أولى التأويلين بالصواب»، لأن قوله:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾ أقرب إلى قوله:﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ منه إلى عالم الغيب، فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره، وأن يكون المعنيَّ بذلك هذا، مع دلالة قول الله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ على أنهم المعنيُّون بذلك.

وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصيةٍ له وأهلَ ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَنْعَة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله. ثم أخبر أنّ الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءًا لم ينفعهم حَرَسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم.

وقوله:﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم في تأويل قوله:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾.

فمن قال:«المعقبات» هي الملائكة قال: الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضًا الملائكة.

ومن قال:«المعقبات» هي الحرس والجلاوزة من بني آدم قال: الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس.

واختلفوا أيضًا في معنى قوله:﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾.

فقال بعضهم: حفظهم إيّاه من أمره.

وقال بعضهم:﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ بأمر الله.

وأورد أقوالًا مؤداها الملائكة الحفظة، وحفظهم إياه من أمر الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، أي: بأمر الله.

وفي بعض القراءات: «بأمر الله».

وقال بعد أن أورد عدة أقوالٍ وفندها:

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: سواء منكم، أيها الناس من أسرّ

(٥٠) أحمر
أسود

القول ومن جهر به عند ربكم، ومن هو مستخف بفسقه وريبته في ظلمة الليل، وساربٌ يذهب ويجيء في ضوء النهار ممتنعًا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك، وأن يقيموا حدَّ الله عليه، وذلك قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من ذلك بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فتَحلَّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره.

وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ يقول: وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم، يحفظونهم من أمر الله هلاكًا وخزيًا في عاجل الدنيا، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ يقول: فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحدٌ غيرُ الله. يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ يقول: وما لهؤلاء القوم و«الهاء والميم» في «لهم» من ذكر القوم الذين في قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾. من دون الله ﴿مِن وَالٍ﴾ يعني: من والٍ يليهم ويلي أمرهم وعقوبتهم.

وأورد أقوالًا ثم قال:

وأما قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فإن أهل العربية اختلفوا في معناه.

فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: له معقبات من أمر الله يحفظونه، وليس من أمره يحفظونه، إنما هو تقديم وتأخير. قال: ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه، كما تقول للرجل: «أجبتك من دعائك إياي، وبدعائك إياي».

وقال بعض نحويي البصريين، معنى ذلك: يحفظونه عن أمر الله، كما

(٥١) أحمر
أسود

قالوا: «أطعمني من جوع، وعن جوع» و«كساني عن عري، ومن عُرْيٍ».

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، من صفة حرس هذا المستخفي بالليل، وهي تحرسه ظنًّا منها أنها تدفع عنه أمرَ الله، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيئًا إذا جاء أمره، فقال: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، سواء منهم من أسر قوله أو جهر به، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كما قال: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: ٧] وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥] وقالت عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وأنا في جنب البيت، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١].

وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي: مختف في قعر بيته في ظلام الليل، ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ أي: ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه، فإن كليهما في علم الله على السواء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ [هود: ٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وقوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر،

(٥٢) أحمر
أسود

ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح[1]: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون**».

وأورد قولين في تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

أحدهما: المراد حفظهم له من أمر الله.

والثاني: يحفظونه بأمر الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير إما منهم أو من الناظر لهم أو ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأتفسهم إلى غير هذا من أمثلة الشريعة فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير كما قال ﷺ وقد سئل أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ أي هلاكا وعذابا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ وقيل: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءا أعمى أبصارهم حتى يختاروا ما فيه البلاء ويعملوه فيمشون إلى هلاكهم بأقدامهم حتى يبحث أحدهم عن حتفة بكفه ويسعى بقدمه إلى إراقة

(١) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) وغيرهما.

(٥٣) أحمر
أسود

دمه ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ أي ملجأ وهو معنى قول السدي وقيل: من ناصر يمنعهم من عذابه وقال الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من وال

ووال وولي كقادر وقدير

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾﴾، بين تعالى في هذه الآية الكريمة، أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا.

والمعنى: أنه لا يسلب قوماً نعمة أنعمها عليهم، حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ الآية [الأنفال: ٥٣]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقد بين في هذه الآية أيضاً: أنه إذا أراد قوماً بسوء فلا مرد له، وبين ذلك أيضاً في مواضع أخر، كقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ونحوها من الآيات. وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، يصدق بأن يكون التغيير من بعضهم كما وقع يوم أحد بتغيير الرماة ما بأنفسهم فعمت البلية الجميع، وقد سئل ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»، والله تعالى أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿سَوَآءٞ مِّنكُم﴾ في علمه وسمعه وبصره.

﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ أي: مستقر بمكان خفي فيه، ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ أي: داخل سربه في النهار والسرب هو ما يختفي فيه

(٥٤) أحمر
أسود

الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك.

﴿لَهُۥ﴾ أي: للإنسان ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار.

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ أي: عذابا وشدة وأمرا يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.

﴿فَ﴾ إنه ﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ولا أحد يمنعهم منه.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ سبب نزول؟

ج: قد وردت لها عدة أسباب للنزول، وفي كل سندٍ منها مقال، والذي يبدو أنه حسن بمجموع طرقه ما أخرجه البزار وغيره[1] من طرق عن ثابت عَن أَنَسٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ

(١) البزار (٣/ ٥٤) كشف الاستار، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٤)، وأبو يعلى (٦/ ٨٧)، والنسائي في التفسير (١/ ٩٩)، والطبري وغيرهم.

(٥٥) أحمر
أسود

الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: أَيْش رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟ مِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ مِنْ حَدِيدٍ هُوَ؟ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَعَادَهُ النَّبِيّ ﷺ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الثَّالِثة فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد الشديد قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»؟

ج: ذاك حديث ضعيف الإسناد، بل شديد الضعف، أخرجه الطبري وغيره بإسنادٍ مُعضل.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده»؟

ج: أيضًا سنده ضعيف أخرجه الطبري وغيره وفي سنده مُبهم.

❁ ❁ ❁

س: هل الرعد ملك؟

ج: الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب لا يخلو حديث منها من مقال، وأراها غريبة.

(٥٦) أحمر
أسود

فقد أخرج الترمذي[(١)] من طريق بُكَيْرِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ**» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «**زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ**» قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: «**اشْتَكَى عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا**» قَالُوا: صَدَقْتَ.

قال الترمذي عقبه: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

قلت: وبكير بن شهاب لم يوثقه معتبر.

وقد روي موقوفًا على علي أيضًا عند الطبري وغيره بأسانيد فيها مقال، ولا أعلم حديثًا صحيحًا سالمًا من العلة يفيد أن الرعد ملكٌ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله ﷻ هو وحده الذي يُريكم البرق، وهو الضوء اللامع الساطع الذي يكاد يذهب بالأبصار، ذلكم الذي يصاحب الأمطار ويكون قبيل نزولها أيضًا، يريكم الله ﷻ إياه يخوِّفكم به فيكاد أن يذهب بالأبصار، وكذا فإن الأمطار المصاحبة له يخشى منها المسافر أن تفسد عليه الطريق وتتلف عليه البضائع وكذا أحيانًا يصاحب بالسيول المدمرة

---

(١) الترمذي (٣١١٧)، وله شواهد أُخر لا تخلو من مقال، وانظر الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٩).

(٥٧) أحمر
أسود

المفسدة للزروع المتلفة للثمار، فالناس في شأنه وعند رؤيته ما بين خائفٍ من توابعه، وما بين فرحٍ سعيد بما يصاحبه من الأمطار التي يسقي الله بها العباد، ويحيي الله بها البلاد.

فالذي يصنع ذلك كلَّه هو الله ﷻ القدير الواحد.

وكذا فإنه سبحانه يبتدئ إنشاء السحب ويسوق بعضها إلى بعض حتى تثقل بما فيها من المياه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ إِلَّا .﴾ [الأعراف: ٥٧].

فالذي يصنع ذلك كله هو الله ﷻ.

ذلكم الله ﷻ الذي يسبح الرعد بحمده، فالرعد يسبح بحمد ربِّه ﷻ، يمجِّده ويعظمه ويقول: سبحانك الله وبحمدك، وقد قيل: إن الرعد ملك، ومعلوم أن الرعد الصوت الشديد الذي يصاحب الأمطار قبيل نزولها أو أثناءها وكذا فإن الملائكة تسبح ربها ﷻ إجلالًا له وتعظيمًا وخوفًا ومهابةً، وكذا فإنه ﷻ يرسل الصواعق المحرقة المدمرة تحرق من شاء الله أن تحرقه فيصيب الله بها من يشاء.

ومع ذلك كله فإن أهل الشرك يجادلون في قدرة الله ﷻ وفي وحدانيته، وهو سبحانه شديد القوة شديد الأخذ والبطش والانتقام، وهو خير الماكرين ويكيد للكافرين كيدًا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾، يعني أن الرب هو الذي يري عباده البرق وقوله: ﴿هُوَ﴾ كناية اسمه جلّ ثناؤه.

(٥٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿خَوْفًا﴾ يقول: خوفًا للمسافر من أذاه. وذلك أن«البرق»، الماء، في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَطَمَعًا﴾ يقول: وطمعًا للمقيم أن يمطر فينتفع.

وأورد من وجوهٍ تصح: قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، يقول: خوفًا للمسافر في أسفاره، يخاف أذاه ومشقته ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم، يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله.

وقوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: ويثير السحاب الثقال بالمطر ويبدؤه.

يقال منه: أنشأ الله السحاب: إذا أبدأه، ونشأ السحاب: إذا بدأ ينشأ نَشْأً.

و«السحاب» في هذا الموضع، وإن كان في لفظ واحد، فإنها جمعٌ، واحدتها«سحابة»، ولذلك قال:«الثقال»، فنعتها بنعت الجمع، ولو كان جاء:«السحاب» الثقيل كان جائزًا، وكان توحيدًا للفظ السحاب، كما قيل: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠].

ومعنى قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾، ويعظم اللهَ الرعدُ ويمجِّده، فيثنى عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدّس.

وقوله: ﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ يقول: وتسبح الملائكة من خيفة الله ورَهْبته.

وأورد الطبري بعض أسباب النزول لقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ قدمت ما صح منها، ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾، يقول: وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق أصابهم في حال خُصومتهم في الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله ﷺ.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله شديدةٌ مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعَتَا وتمادى في كفره.

(٥٩) أحمر
أسود

و«المحال»: مصدر من قول القائل: ما حلت فلانًا فأنا أماحله مماحلةً ومِحَالا و«فعلت» منه: «مَحَلت أمحَلُ محْلا إذا عرّض رجلٌ رجلا لما يهلكه؛ ومنه قوله: «وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ».

وأورد أقوالًا في شديد المحال منها شديد القوة، ومنها: شديد الحيلة.

وأورد القرطبي عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

* منها: شديد المكر.
* شديد التدبير.
* شديد الكيد.
* شديد الأخذ.

قلت (مصطفى): ويشهد لبعض ما ذُكر قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد. ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ وهو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، ﴿و﴾ تسبح ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: خشعا لربهم خائفين من سطوته، ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ وهي هذه النار التي تخرج من السحاب، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ من عباده بحسب ما شاءه وأراده وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا

(٦٠) أحمر
أسود

يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة - فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

❁ ❁ ❁

(٦١) أحمر
أسود

مثل مضروبٌ
لبيان عدمانتفاع المشركين بدعاء أصنامهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: لله ﷻ الدعوة الحق وهي دعوة التوحيد لا إله إلا الله، فليدعوه الناس بها، أي: يدعونه مفردين إياه بالدعاء والعبادة دون من سواه.

فكل من دعا الله ﷻ وعبده وحده لا شريك له فقد دعاء دعوة الحق وعبد العبادة الحق، فإذا دعا الله وحده يستجاب له بإذن الله، فالذي يستجيب هو الله، والذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر هو الله.

وكذا من عبد الله وحده لا شريك له فتلك العبادة الحق المتقبلة، أما الأصنام والأوثان والآلهة الباطلة التي يدعونها من دون الله ﷻ فإنها لا تجيب عابديها إذا ادعوها ولا تعطيهم إذا سألوها، ولا تفقه ولا تفهم إذا عبدوها، وإنما شأنهم معها عند دعاءهم لها كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه، وهذا مثل ضُرب لمن يعبد غير الله ولمن يدعو غير الله ﷻ مثله كرجلٍ واقفٍ على شاطئ نهر يبسط كفيه إلى الماء ويقول: تعال يا ماء اصعد إليَّ يا ماء ويقف هكذا مناديًا دائمًا وأبدًا ينادي الماء كي يصعد إليه ولا يمد يده للماء، فأنى يستجاب له، أنى يستجيب الماء له، فدعاؤه في ذهاب وصياح فجهده ضائع وسعيه خائب، هكذا قال بعض أهل العلم في شرح هذا المثل.

وقال آخرون: إن المثل مضروب لرجل يضع يده في الماء ثم يقبض يده على الماء كي يرفعه فإذا قبضه الله تسرب الماء ولم يبق منه شيء في اليد، وكذا الذي يدعو غير الله لا يخلص من دعائه بشيء.

(٦٢) أحمر
أسود

وثم أقوال أُخر في شرح هذا المثل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله من خلقه الدعوة الحق، و«الدعوة» هي«الحق» كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقد بينا ذلك فيما مضى.

وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادةَ أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يَدْعونها المشركون أربابًا وآلهة.

وقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ يقول: من دون الله.

وإنما عنى بقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ الآلهة أنها مقصِّرة عنه، وأنَّها لا تكون إلهًا، ولا يجوز أن يكون إلهًا إلا الله الواحد القهار، ومنه قول الشاعر:

أَتُوعِدُنِي وَرَاء بَنِي رِيَاحٍ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنّ يَدَاكَ دُونِي

يعني: لتقصرنَّ يداك عني.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهةً بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرٍّ ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطُه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه.

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء، قال بعضهم:

فَإِنِّي وإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ ... كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُه

(٦٣) أحمر
أسود

يعني بذلك: أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في يد القابض على الماء، لأن القابض على الماء لا شيء في يده.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة:

قولـــه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ وليس ببالغه حتى يتمزَّع عنقه ويهلك عطشًا قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ هذا مثل ضربه الله؛ أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط ذارعيه إلى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشًا.

وقال آخرون: معنى ذلك: والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليتناول خياله فيه، وما هو ببالغ ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ يقول: وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾، يقول: إلا في غير استقامة ولا هدًى، لأنه يشرك بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن أورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾.

ومعنى الكلام: أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء، إما قابضا وإما متناولا له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، الذي جعله محلا للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلها غيره، لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾.

(٦٤) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَهُۥ﴾ أي: لله وحده ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾ أي: لمن يدعوها ويعبدها ﴿بِشَيۡءٍ﴾ قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿لِيَبۡلُغَ﴾ ببسط كفيه إلى الماء ﴿فَاهُ﴾ فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾.

ج: هذا، والعلم عند الله فيه وجوه:

أحدها: أن يُفسر السجود على حقيقته المعلومة ويكون سجود من في السموات والأرض صفة يعلمها الله ﷻ ويشكل على هذا أن الكافر لايسجد

(٦٥) أحمر
أسود

في الدنيا، ولدفع هذا الإشكال يُقال إن ما في الآية من العام المخصوص، ويكون المراد إلا الاشقياء من بني آدم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨]، ولهذا نظائر كثيرة في الكتاب العزيز، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥].

وقد قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

ونحوه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد قال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

الثاني: تأويل السجود بالانقياد والخضوع والاستسلام فمن العباد من ينقاد لله مستسلمًا طائعًا ومنهم من تنفذ فيه أقدار الله ﷻ رغمًا عنه فيموت ويمرض، ويُصاب ويبتلى وتمضي فيه المقادير ولا يستطيع منعها.

أما قوله تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ فالمعنى: أن ظلالهم تسجد في الصباح، وقبيل الغروب (بعد العصر إلى المغرب) وهذه طائفة من أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ومن في الأرض من المؤمنين به طوعًا، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كَرْهًا حين يُكْرَهون على السُّجود.

(٦٦) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾، فأما المؤمن فيسجد طائعًا، وأما الكافر فيسجد كارهًا.

وقوله: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ يقول: ويسجد أيضًا ظلالُ كل من سجد طوعًا وكرهًا بالغُدُوات والعَشَايا. وذلك أن ظلَّ كلِّ شخص فإنه يفيء بالعشيّ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النحل: ٤٨].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقًّا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك، ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: ويسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾.

فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا وإلهية غيره باطلة.

(٦٧) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يسجد له أهل السموات والأرض طوعاً وكرهاً وتسجد له ظلالهم بالغدو والآصال. وذكر أيضاً سجود الظلال، وسجود أهل السموات والأرض، في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ إلى قوله ﴿يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٨-٥٠]، واختلف العلماء في المراد بسجود الظل وسجود غير المؤمنين، فقال بعض العلماء: سجود من في السموات والأرض من العام المخصوص، فالمؤمنون والملائكة يسجدون لله سجوداً حقيقياً، وهو وضع الجبهة على الأرض يفعلون ذلك طوعاً والكفار يسجدون كرهاً، أعني المنافقين، لأنهم كفار في الباطن ولا يسجدون لله إلا كرهاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة: ٥٤]، والدليل على أن سجود أهل السموات والأرض من العام المخصوص، قوله تعالى في «سورة الحج»: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾ [الحج: ١٨]، فقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾، دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود المذكور وهذا قول الحسن وقتادة وغيرهما وذكره الفراء، وقيل: الآية عامة، والمراد بسجود المسلمين طوعاً انقيادهم لما يريد الله منهم طوعاً والمراد بسجود الكافرين كرهاً انقيادهم لما يريد الله منهم كرهاً، لأن إرادته نافذة

(٦٨) أحمر
أسود

فيهم وهم منقادون خاضعون لصنعه فيهم ونفوذ مشيئته فيهم، وأصل السجود في لغة العرب الذل والخضوع، ومنه قول زيد الخيل:

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

ومنه قول العرب أسجد إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور:

فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها

فضول أزمتها أسجدت سجود النصارى لأحبارها

وعلى هذا القول فالسجود لغوي لا شرعي، وهذا الخلاف المذكور جار أيضاً في سجود الظلال، فقيل سجودها حقيقي، والله تعالى قادر على أن يخلق لها إدراكاً تدرك به وتسجد لله سجوداً حقيقياً، وقيل سجودها ميلها بقدرة الله أول النهار إلى جهة المغرب وآخره إلى جهة المشرق، وادعى من قال هذا أن الظل لا حقيقة له لأنه خيال فلا يمكن منه الإدراك.

ونحن نقول: إن الله جل وعلا قادر على كل شيء فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكاً يسجد به لله تعالى سجوداً حقيقياً، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة ولا يخفى أن حاصل القولين أن:

أحدهما: أن السجود شرعي وعليه فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص.

والثاني: أن السجود لغوي بمعنى الانقياد والذل والخضوع، وعليه فهو باق على عمومه والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية وهو التحقيق خلافاً لأبي حنيفة في تقديم اللغوية ولمن قال يصير

(٦٩) أحمر
أسود

اللفظ مجملاً لاحتمال هذا وذاك، وعقد هذه المسألة صاحب «مراقي السعود» بقوله:

واللفظ محمول على الشرعي إن لم يكن فمطلق العرفي
فاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب

وقيل: المراد بسجود الكفار كرها سجود ظلالهم كرهاً، وقيل الآية في المؤمنين فبعضهم يسجد طوعاً لخفة امتثال أوامر الشرع عليه، وبعضهم يسجد كرهاً لثقل مشقة التكليف عليه، مع أن إيمانه يحمله على تكلف ذلك، والعلم عند الله تعالى:

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾، يحتمل أن يكون مصدراً أو يحتمل أن يكون جمع غداة والآصال جمع أصل بضمتين وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والغروب،

ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

❁ ❁ ❁

(٧٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ
جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ
ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ
وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ
ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ
﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾
سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الرعد: ١٦-٢٤]

(٧١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَوْلِيَآءَ - ٱلْقَهَّٰرُ - بِقَدَرِهَا - فَٱحْتَمَلَ - زَبَدًا رَّابِيًا - ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ - مَتَٰعٍ - زَبَدٌ - جُفَآءً - ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ - ٱلْحُسْنَىٰ - لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ - سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ - وَمَأْوَىٰهُمْ - وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ - يَتَذَكَّرُ - أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ - بِعَهْدِ ٱللَّهِ - ٱلْمِيثَٰقَ - وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ - عُقْبَى ٱلدَّارِ - جَنَّٰتُ عَدْنٍ - صَلَحَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصار.
﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾	الذي قهر كل شيء، قهر الجبابرة وقصمهم.
﴿بِقَدَرِهَا﴾	على قدر سعتها.
﴿فَٱحْتَمَلَ﴾	فحمل على وجهه ﴿حمل الماء على وجهه﴾.
﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾	رغاوي وفقاقيع عالية مرتفعة على سطح الماء.
﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾	طلبًا للحلية التي يتحلى بها من ذهب أو فضة أو غير ذلك.
﴿مَتَٰعٍ﴾	ما يتمتع به من القدور وغيرها.
﴿جُفَآءً﴾	متجافيًا عن ظهر الماء إلى جوانب البحر وشواطئه لا فائدة فيه ولا قيمة له ولا يبقى له كبير أثر.
﴿ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾	أجابوا ربهم وآمنوا به واتبعوا أمره.
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة - الحياة الحسنة في الدنيا والآخرة.
﴿لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾	لقدموه فدية كي ينقذوا أنفسهم من النار.

(٧٢) أحمر
أسود

﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾	الحساب السيئ المصاحب بالتوبيخ والإهانة حساب لا يُتعاطى فيه عن السيئات بل يحاسبونه عليها كلها.
﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾	مصيرهم.
﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾	بئس المكان الذي ينامون عليه والفراش الذي يفترشونه.
﴿يَتَذَكَّرُ﴾	يتعظ – يعتبر.
﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة.
﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾	بالعهود التي عاهدوا الله عليها والمواثيق التي واثقوه عبها.
﴿ٱلۡمِيثَٰقَ﴾	العهد المؤكد باليمين – ما تحدث به الثقة من العهود.
﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾	يقابلون الإساءة بإحسان ويتبعون السيئة بالحسنة.
﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	العاقبة الحسنة في الدار الآخرة وهي الجنة.
﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾	بساتين إقامة وحدائق، وقيل: عدن اسم لبعض الجنات.
﴿صَلَحَ﴾	آمن وعمل صالحًا.

❁ ❁ ❁

(٧٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر يعبدونه ويجعلونه شريكًا لله ﷻ، قل لهم: من رب السموات والأرض، يدبر أمرهما بعد إذ خلقهما فسيقولون: خالقهما هو الله ومدبر أمرهما هو الله، إذا الله قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، فسواء أقروا لك بذلك أم لم يقروا بذلك، فقل أنت أيضًا الله رب السموات والأرض، فقل من ثمَّ لهؤلاء المشركين أفتخذتم مع الله ﷻ أولياء ينصرونكم ويجلبون النفع لكم ويدفعون عنكم الضر ألا فاعلموا أن هؤلاء الأولياء الذين اتخذتموهم من دون الله لا يملكون لأنفسهم - فضلًا عن غيرهم - نفعًا ولا ضرًّا كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣].

ثم قل يا رسول الله لهؤلاء: هل يستوي الأعمى (والمراد الأعمى عن الحق) والبصير (الذي يبصر الحق ويتبعه) أم هل تستوي الظلمات والنور، فكما أن الأعمى فاقد البصر لا يستوي مع المُبصر، وكما أن من يمشي في الظلمات لا يستوي مع من يمشي في النور، فكذلك لا يستوي الكافر الأعمى عن الحق السائر في الظلمات مع المؤمن البصير الذي يمشي على بصيرة من ربِّه وهدًى من ربِّه ﷻ.

ثم يقول تعالى موبِّخًا هؤلاءا لمشركين، أزعموا أن هناك إهلًا يخلق مع الله ﷻ، فخلق هذا الإله خلقًا يشابه خلق الله فمن ثمَّ اشتبه عليهم الخلق، ولم

(٧٤) أحمر
أسود

يعلموا ما الذي خلقه الله، وما الذي خلقه معبودهم، فمن ثمَّ عبدوا إلهًا مع الله، فقل لهؤلاء الذين عميت عليهم الأمور واشتبهت عليهم المسائل الله خالق كل شيءٍ، وهو الواحد الذي ليس معه شريك، القهار الذي قهر بقوته كلَّ من دونه والذي قهر الجبابرة والظلمة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومدبِّرها، فإنهم سيقولون الله. وأمر الله نبيّه ﷺ أن يقول: «الله»، فقال له: ﴿قُلِ﴾، يا محمد: ربُّها، الذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو ﴿ٱللَّهُ﴾. ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أفاتخذتم من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعًا تجلبه إلى نفسها، ولا ضرًّا تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فمِنْ مِلْكه لغيرها أبعدُ فعبدتموها، وتركتم عبادة من بيده النفع والضر والحياة والموت وتدبير الأشياء كلها. ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عَبدُوا من دون الله الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضرُّ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الذي لا يُبصر شيئًا ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يُهدى «وَٱلْبَصِيرُ» الذي يهدي الأعمى لمحجة الطريق الذي لا يُبصر؟ إنهما لا شك لغير مستويين. يقول: فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يُبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رَشَدًا.

(٧٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلماتُ التي لا تُرَى فيها المحجة فتُسْلَك ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب والنور الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظّلام؟ يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفةٍ منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخَلَق أوثانُكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله خلقًا كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرُها فيما خَلقت وخَلَق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهابُ عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أنّ عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهلٌ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرْجَى نفعه وُيخْشَى ضَرَّه، كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهلُ فاعله، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويَمُونه، من لا يقدِرُ له على ضررّ ولا نفع.

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين إذا أقرُّوا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئًا، فاللهُ خالقكم وخالق أوثانكم وخالق كل شيء، فما وجه إشراككم ما لا يخلق ولا يضرّ؟

وقوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، يقول: وهو الفرد الذي لا ثاني له ﴿الْقَهَّارُ﴾، الذي يستحق الألوهة والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع.

(٧٦) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا تحصل منفعة، ولا تدفع مضرة. فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شريك له، وهو على نور من ربه؟ ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله، ولا ند له ولا عدل له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة له عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦] وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم: ٩٣ -٩٥] فإذا كان الجميع عبيدا، فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع؟ ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وخالفوهم، فحقت عليهم

(٧٧) أحمر
أسود

كلمة العذاب لا محالة، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثم أمره أن يقول لهم: هو الله إلزاما للحجة إن لم يقولوا ذلك، وجهلوا من هو. ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق وإلا لم يكن للاحتجاج بقوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ معنى، دليله قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] أي فإذا اعترفتم فلم تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر، وهو إلزام صحيح. ثم ضرب لهم مثلا فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق، والمشرك الذي لا يبصر الحق. وقيل: الأعمى مثل لما عبدوه من دون الله، والبصير مثل الله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ أي الشرك والإيمان. وقرأ ابن محيصن وأبو بكر والأعمش وحمزة والكسائي« يسوي» بالياء لتقدم الفعل، ولأن تأنيث« الظلمات» ليس بحقيقي. الباقون بالتاء، واختاره أبو عبيد، قال: لأنه لم يحل بين المؤنث والفعل حائل. و﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ مثل الإيمان والكفر، ونحن لا نقف على كيفية ذلك. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ هذا من تمام الاحتجاج، أي خلق غير الله مثل خلقه فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم. ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي قل لهم يا محمد: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، فلزم لذلك أن يعبده كل شي. والآية رد على المشركين والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله. ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ قبل كل شيء. ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالب لكل شي، الذي يغلب في مراده كل مريد.

(٧٨) أحمر
أسود

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحُجة بقوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف لغيرهم؟! ثم ضرب مثلًا للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾.

ثم قال:

ويعني بالظلمات والنور: الشركَ والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكَّروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئًا.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ قال الزجاج: قُل ذلك وبيِّنه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾. أي: قل لهؤلاء المشركين به أوثانا وأندادا يحبونها كما يحبون الله، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم من دونه أولياء تتولونهم بالعبادة وليسوا بأهل لذلك؟

(٧٩) أحمر
أسود

فإنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟

فما تستوي عبادة الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور.

فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزلْ عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه.

ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾، أشار تعالى: في هذه الآية الكريمة إلى أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، لأنه هو الخالق ولا يستحق من الخلق أن يعبدوه إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم إلى الوجود؛ لأن المقصود من قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾، إنكار ذلك وأنه هو الخالق وحده بدليل قوله بعده ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: وخالق كل شيء هو المستحق لأن يعبد وحده، ويبين

(٨٠) أحمر
أسود

هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ الآية [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، وقوله: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقوله: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [لقمان: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات؛ لأن المخلوق محتاج إلى خالقه فهو عبد مربوب مثلك يجب عليه أن يعبد من خلقه وحده، كما يجب عليك ذلك فأنتما سواء بالنسبة إلى وجوب عبادة الخالق وحده لا شريك له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾.

ج: أسوق أولًا، وبالله التوفيق المعنى الإجمالي للآية الكريمة، ثم أعقِّب ذلك بتنزيلات أهل العلم لهذا المثل، فأقول، وبالله التوفيق:

أنزل الله ﷻ من السماء ماءً وهو ماء المطر فامتلأت الأودية كل وادٍ امتلأ بقدر سعته فالوادي الواسع الفسيح امتلأ والوادي الضيق أخذ على قدر سعته وضيقه وامتلأ هو الآخر، ولما امتلأت الأودية ظهر على سطح مائها زبدٌ، وهو الرغاوي التي تكون على سطح الماء، زبدٌ مرتفع على وجه الماء.

وكذا الذهب الذي يُراد تصفيته والنحاس وسائر المعادن تصهر بالنار فيوقدون النيران عليها حتى تنصهر طلبًا لصناعة الحلي من الذهب الخالص، أو لصناعة القدور، أو لصناعة كل ما يتمتع به وينتفع به، فعند انصهار هذها لمعادن يظهر أيضًا على وجهها زبدٌ رغاوي، وهي عبارة عن الأشياء الدخيلة على المعدن تطرد وتكون على السطح، وتكون زبدًا كالزبد الذي على وجه

(٨١) أحمر
أسود

الماء، فهكذا يضرب الله الأمثال للحق، بأنه الشيء النافع المستقر، فهو الماء النافع، والمعدن النافع، وأما الباطل فهو الزبد الزائل المضمحل الذي يلقى به إلى الجوانب جانب الشاطئ أو جانب الأواني التي تصهر فيها المعادن، يذهب بلا فائدة منه، فهكذا يُضرب المثل للحق والباطل، فالحق في المثل الأول هو الماء المنتفع به، وفي المثل الثاني: هو المعدن الخالص الصافي المتبقي والباطل في المثلين هو الزبد الزائل الذي لا فائدة فيه.

هذا، وبشيء من التفصيل أقول مستعينًا بالله ﷻ.

من العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ مثالٌ مضروب للقرآن والهدى والنور الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ فكثيرًا ما يضرب المثل بالماء للقرآن والعلم النافع كما في حديث النبي ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا**...» الحديث.

أما الأدوية فهي قلوب العباد، منها قلوب متسعة منشرحة تقبل كل الهدى والنور والعلم، وهي منشرحة لذلك فسيحة رحيبة تستقبل كل أمرٍ من الله ﷻ وكل أمر من رسوله ﷺ آمنة مطمئنة سامعة مطيعة محبةً راغبةً، قلوب متسعة للعلم أيضًا تفهم عن الله المراد، وقلوب أُخر ضيقة تتحمل القليل من ذلك. قلوب أصحابها ذوو أفهام أقل من الأولين.

وعلى كلٍّ فهذه وتلك لما نزل عليها الغيث، وهو العلم الشرعي والهدى والنور أخذت على قدر سعتها، وكان فيها قبل نزول القرآن بعض الشكوك وبعض الشبهات فارتفعت هذه الشكوك وبعض الشبهات كالزبد المرتفع على وجه الماء ثم ذهبت واضمحلت واستقر العلم النافع في الأرض، وكما استقر المعدن الأصلي في قاع الإناء الذي يصهر فيه.

وهناك قلوبٌ ضيقةٌ جدًّا بل مغلقة لم تقبل شيئًا من الماء أصلًا، ولم تقبل

(٨٢) أحمر
أسود

شيئًا من العلم أصلًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فهذا الذي ذُكر وجه ذكره عددٌ من العلماء، وثم وجه آخر، وهو راجع إلى ما ذُكر أيضًا في الجملة ألا وهو أن الحق شبِّه بالماء الباقي الصافي، والباطل شبِّه بالزبد الذاهب المضمحل.

ووجه ثالث: أن الحق هو المؤمن مع إيمانه واعتقاده والباطل الكافر مع اعتقاده فالمؤمن ينتفع بإيمانه والكافر عمله واعتقاده كالزد الذي لا ينتفع به.

هذا وتضمنت الآية الكريمة مثلين مثلًا مائيًّا وهو قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾.

ومثلًا ناريًّا وهو: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾.

ونحو هذين المثلين في سورة البقرة، وقد تقدما قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ فِى﴾ [البقرة: ١٩].

وفي سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

وقبلها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...﴾ [النور: ٣٥] الآيات.

هذا، والله تعالى أعلم. ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك، والله المستعان، وهو أعلم بالصواب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر.

يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله

(٨٣) أحمر
أسود

الله من السماء إلى الأرض ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾، يقول: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحدُ مثلي الحقّ والباطل، فالحق هو الماءُ الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثل الآخر: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ومثلٌ آخر للحقّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلا.

ورفع «الزبد» بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثلُ زبد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾، يقول: كما مثَّل الله مثلَ الإيمان والكفر، في بُطُول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله الحق والباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادي ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمكثُ في الأرض فتشربه، والذهب

(٨٤) أحمر
أسود

والفضة تمكث للناس ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يقول: كما مثَّل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.

وعنى بقوله: ﴿رَّابِيًا﴾، عاليًا منتفخًا، من قولهم: رَبَا الشيء يَرْبُو رُبُوًا فهو رابٍ، ومنه قيل للنَّشْز من الأرض كهيئة الأكمة: «رابية»، ومنه قول الله تعالى: ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع «المتاع»، لأنه يستمتع به، وكل ما يتمتع به الناس فهو «متاع»،

كما قال الشاعر:

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئًا سَبَقْتَ بِهِ المَمَاتَ هُوَ المَتَاعُ

وأما الجفاء فإني: حدثت[1] عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال أبو عمرو بن العلاء: يقال: قد أجفأت القِدْرُ، وذلك إذا غلت فانصبَّ زَبدها، أو سَكنَت فلا يبقى منه شيءٌ.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ فهذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾، وهو الشك ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وهو اليقين، كما يُجْعل الحَلْيُ في النار فيؤخذ خالصُه ويترك خَبَثُه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

وبسندٍ ضعيف أيضًا عن ابن عباس قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، يقول: احتمل السيل ما في الوادي من عود ودِمْنة،

(١) لا يخفى أن مثل هذا من الناحية الحديثية يُضعف؛ لأنه لا يُدرى من حدثه، ولكن كأن الطبري ارتضى هذا المعنى لقوله: (جفاء).

(٨٥) أحمر
أسود

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد، وللنحاس والحديد خَبَث، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء. فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت. فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيءُ يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، وبقي كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض. وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النّار فتأكل خبَثَه، فيخرج جيّده فينتفع به. فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس، وعرضت الأعمال، فيزيغ الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق، ثم قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾.

وبسندٍ حسن عن الحسن في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ إلى: ﴿أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾، فقال: ابتغاء حلية الذهب والفضة، أو متاع الصُّفْر والحديد. قال: كما أوقد على الذهب والفضة والصُّفْر والحديد فخلص خالصه. قال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، كذلك بقاء الحق لأهله فانتفعوا به.

وبسند صحيح عن عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾، قال: ما أطاقت ملأها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ قال: انقضى الكلام، ثم استقبل فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ قال: المتاع: الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ قال: خَبَثُ ذلك مثل زَبَد السيل. قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وأما الزبد فيذهب جفاء، قال: فذلك مثل الحق والباطل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾،

(٨٦) أحمر
أسود

الصغير بصغره، والكبير بكبره ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ أي عاليًا ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ و«الجفاء»: ما يتعلق بالشجر ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾. هذه ثلاثة أمثال ضربَها الله في مثلٍ واحد. يقول: كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جُفاءً لا ينتفع به ولا تُرْجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت هذه الأرض وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآية، كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله قوله: ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، يقول: هذا الحديد والصُّفْر الذي ينتفع به فيه منافع. يقول: كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصُّفر حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي خالصهما.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل. فقرأ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ هذا الزبد لا ينفع ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، هذا لا ينفع أيضًا قال: وبقي الماءُ في الأرض فنفع الناس، وبقي الحَلْيُ الذي صلح من هذا، فانتفع الناس به ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾، وقال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ أي: مطرا، ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء،

(٨٧) أحمر
أسود

وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه، هذا مثل، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ أي: ليجعل حلية أو نحاسا أو حديدا، فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه. ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ أي: لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به؛ ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ضرب الله، سبحانه وتعالى، في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا، وهما قوله: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ الآية [البقرة: ١٧]، ثم قال: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ الآية [البقرة: ١٩]. وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين، أحدهما: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩] الآية، والسراب إنما يكون في شدة الحر؛ ولهذا جاء في الصحيحين[1]: «فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَمَا

(١) البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٨٨) أحمر
أسود

تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: أيْ رَبَّنا، عَطِشْنَا فَاسْقِنَا. فَيُقَالُ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيَرِدُونَ النَّارَ فَإِذَا هِيَ كَالسَّرَابِ يَحْطِم بَعْضُهَا بَعْضًا».

ثم قال في المثل الآخر: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ الآية [النور: ٤٠]. وفي الصحيحين[١] عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبَ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَرَعَوْا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأ فذلك مثل من فَقه فِي دِينِ اللهِ ونَفَعه اللهُ بِمَا بَعَثَنِي وَنَفَعَ بِهِ، فَعَلِم وَعَلَّم، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

فهذا مثل مائي، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد[٢]:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يحجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا». قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذُ بحُجزكم عَنِ النَّارِ، هَلُمّ عَنِ النَّارِ هَلُمّ عَنِ النَّارِ، هَلُمّ، فَتَغْلِبُونِي فَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا». وأخرجاه في الصحيحين أيضا فهذا مثل ناري.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرَج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي:

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) أحمد (٢/ ٣١٢)، والبخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (٢٢٨٣) وغيرهم.

(٨٩) أحمر
أسود

بمبلغ ما تحمل، فإن صَغُر الوادي، قلَّ الماء، وإن هو اتسع، كَثُر.

وقوله: «فسالت أودية» توسُّع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحُذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدَرِها» أي: بقدر مياهها. ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ أي: عاليًا فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله ۵. ثم ضرب مثلًا آخر، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

ويعني بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ﴾ ما يدخل إلى النار فيُذاب من الجواهر ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ يعني: الذهب والفضة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ يعني: الحديد والصُّفْر والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُنتفع بها، ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: له زَبَد إذا أُذيب مثل زَبَد السَّيل، فهذا مثل آخر.

وفيما ضُرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، شُبِّه نزوله من السماء بالماء، وشُبِّه قلوبُ العِباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكنّ فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شَكِّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبَد وكخبَث الحديد لا يُنتفع به.

والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شُبِّه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبَّه بالزَّبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فانه سيمَّحِق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيُبطله.

والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثَل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفَع به، ومثَل الكافر واعتقاده وعمله كالزبَد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذُكر هذا، يضرب الله مَثل الحق والباطل. وقال أبو عبيدة: كذلك يمثِّل الله الحق ويمثِّل الباطل.

(٩٠) أحمر
أسود

فأما الجُفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنَباته، يقال: أجفأتِ القِدرُ بزَبَدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجُفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجَفاء. وقال ابن الأنباري: «جُفاءً» أي: باليًا متفرقًا. قال ابن عباس: إذا مُسَّ الزَّبَد لم يكن شيئًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر التي زال زَبَدها ﴿فيمكث في الأرض﴾ فيُنتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبقى الحق لأهله.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شبّه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبّه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا كقلب صغير، يسع علما قليلا وهكذا.

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] وقال هنا: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال.

(٩١) أحمر
أسود

س: كثيرًا ما تتأتى مواطن يُقال فيها: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ اذكر بعض تلك المواطن التي هي محل لهذا القول؟.

ج: من ذلك إذا عمل شخص عملًا يبتغى به وجه الله، وعمل آخر عملًا يُرائي فيه.

ومن ذلك إذ قال شخص قولًا يبتغي به وجه الله، وقال آخر قولًا يُجامل فيه.

ومن ذلك من عبد مع الله إلهًا آخر فتذهب عبادته سدى، ومن عبد الله وحده فإن ذلك نافعه.

❁ ❁ ❁

(٩٢) أحمر
أسود

الجنة للمتقين والنار للغاوين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: للذين أجابوا داعي الله فآمنوا واستقاموا على أمر الله ﷻ، لهؤلاء الجنة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، أما لاذين جحدوا وكفروا وأعرضوا عن داعي الله، وعن أوامر الله ورفضوها، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، فهؤلاء لو أن لهم يوم القيامة كل ما في الأرض من مالٍ ومتاع وغير ذلك، ومثله معه أيضًا لقدّموه فدية يفتدوا به من عذاب الله، ولن يقبل ذلك منهم أيضًا إذا فعلوه فإن الله قال: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ﴾ [الأنعام: ٧٠]، فهؤلاء الذين أشركوا لهم يوم القيامة سوء الحساب، المتمثل في الشدة عند الحساب والتقريع والتوبيخ، والمتمثل في عدم التجاوز عن أي سيئة من سيئاتهم، وكذا المتمثل في إحباط حسناتهم بسبب شركهم بالله ثم إن مصيرهم الذي يصيرون إليه وفراشهم الذي تمتهدونه هو جهنم والنار والعياذ بالله.

فبئس المصير الذي يصيرون إليه وبئس المهاد الذي يمتهدونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدّقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنى، وهي الجنة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾، يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا لله حين دعاهم إلى توحيده

(٩٣) أحمر
أسود

والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم ما في الأرض جميعًا من شيء ومثله معه ملكًا لهم، ثم قُبِل مثل ذلك منهم، وقبل منهم بدلا من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم وعوضًا، لافتدوا به أنفسهم منه، يقول الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾، يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئا، ولكن يعذبهم على جميعها.

وقوله: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾، يقول: وبئس الفراش والوطاءُ جهنمُ التي هي مأواهم يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أي: أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره، وصدقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ وهو الجزاء الحسن كما قال تعالى مخبرا عن ذي القرنين أنه قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨] وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ أي لم: يطيعوا الله ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ أي: في الدار الآخرة، لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يتقبل منهم؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: في الدار الآخرة، أي: يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، «**وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ**

(٩٤) أحمر
أسود

عُذِّبَ»[1]؛ ولهذا قال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي الحُسنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد.

والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾ اي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسَب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء.

والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يُتجاوز لهم عن سيئة.

والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أي أجابوا، واستجاب بمعنى أجاب، قال:

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي أجاب إلى ما دعاه الله من التوحيد والنبوات. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها في نهاية الحسن. وقيل: من الحسنى النصر في الدنيا، والنعيم المقيم غدا. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ أي لم يجيبوا إلى الإيمان به. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي من الأموال. ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ ملك لهم. ﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾ من عذاب يوم القيامة، نظيره في «آل عمران» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ

(١) البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٩٥) أحمر
أسود

ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١] حسب ما تقدم بيانه هناك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي لا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. وقال فرقد السبخي قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد! أتدري ما سوء الحساب؟ قلت لا! قال أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يفقد منه شي. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ أي مسكنهم ومقامهم. ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ أي الفراش الذي مهدوا لأنفسهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما بيّن تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ بعد ما ضرب لهم الأمثال وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، فـ ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من ذهب وفضة وغيرها، ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وأنى لهم ذلك؟!!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم وقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ ﴿و﴾ بعد هذا الحساب السيئ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ أي: المقر والمسكن مسكنهم.

(٩٦) أحمر
أسود

مثلٌ مضروب للمؤمن والكافر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: بيان لكون المسلم لا يستوي مع الكافر، والصالح لا يستوي مع الطالح، فيقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ يا رسول الله أن القرآن الذي أُنزل عليك إنما الذي أنزله هو الله ﷻ، نزل من عند الله حقًّا وكل ما فيه حق، فآمن بذلك وأقر واتبع ذلك وامتثل، أهذا يستوي مع أعمى البصيرة الذي جحد القرآن وكذَّب به، وقال – لكونه أعمى البصيرة– إن هذا القرآن ليس من عند أهذا يستوي مع ذاك، كلا، إنما يتعظ بالقرآن ويتذكر به ويستفيد منه أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة، وللآية نظائر كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨]، وكقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القلم: ٣٥]، وكقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ [محمد: ١٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أنّ الذي أنزله الله عليك، يا محمد، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرَائصه؟

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ يقول: إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول، وهي ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ واحدها «لُبٌّ».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه، بل هو

(٩٧) أحمر
أسود

كله حق يصدق بعضه بعضا، لا يضاد شيء منه شيئا آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له، ولا صدقه ولا اتبعه، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ أي: أفهذا كهذا؟ لا استواء.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله منهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: مفرقا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ ففهم ذلك وعمل به. ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره.

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبّ العالم، وصفوة بني آدم.

❁ ❁ ❁

(٩٨) أحمر
أسود

صفات أولي الألباب

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: هذه بعض صفات أولي الألباب، أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة الذين أيقنوا أن هذا القرآن من عند الله ﷻ.

فإنهم يوفون بعهد الله، وهذا يشمل كل العهود التي أخذها الله عليهم على ألسنة رسله، والتي أخذها عليهم في كتبه المنزلة على رسله عليهم صلوات الله وسلامه، وكذا العهد الذي أخذه عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام ألا يشركوا بالله شيئًا، وكذا كل العهود التي عاهدوا عليها خلق الله ﷻ، وكذا الأيمان والنذور وغير ذلك، ولا ينقضون هذه العهود، وخاصة تلك العهود المؤكدة بالأيمان، فالميثاق كثيرًا ما يطلق على العهد المؤكد باليمين.

وكذا فإن من صفات أولي الألباب أنهم يصلون ما أمره الله به أن يوصل، ومن ذلك وصل الأرحام، ومن ذلك وصل الإيمان بالأنبياء كلهم، ومن ذلك وصل الأخوة الإسلامية، وعمومًا كل ما أمر الله به أن يُوصل فإنهم يصلونه، ومع وصلهم الأرحام، ومع وفائهم بالعهود والمواثيق، فإنهم يخشون عقاب الله ﷻ، شأنهم في ذلك شأن أهل الإيمان يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون.

أما سوء الحساب فقد تقدم ذكره قريبًا، ومنه المؤاخذة بكل الذنوب وعدم التجاوز عن شيء منها، ومنها: التقريع والتوبيخ عند الحساب، ومنها: عدم

قبول الحسنات وإحباطها بسبب أي عملٍ عملوه، أو أي قولٍ قالوه.

ومع ما ذكر فإنهم صبروا، صبروا على ما أصابهم من المصيبة، صبروا على أقدار الله ﷻ، وصبروا عن المحرمات فلم يفعلوها، وصبروا على الطاعات فامتثلوا وسمعوا وأطاعوا.

صبروا على حماقات الناس، وعلى جهالات الناس، فأعرضوا عن الجاهلين وعن المسيئين، صبروا لا يُقال عنهم صبروا، صبورا لكن ليس صبرهم خوفًا على صحتهم، إنما صبروا ابتغاء وجه الله، ورجاء ثواب الله، وخشية لقاء الله.

صبروا وحافظوا على الصلاة بأركانها وفرائضها ووجاباتها وأدوها في أوقاتها.

وأنفقوا كذلك فيما يرضي الله ﷻ سرًّا وجهرًا فأخرجوا زكاة الأموال، وأتبعوا ذلك بالنفل والصدقات، إذا تيسر لهم الإسرار بالصدقات وإخفائها فعلوا ذلك، وإلا تصدقوا جهرًا لترغيب غيرهم في الصدقة والإنفاق؛ ولأن مناسبة إخراج المال ستفوتهم، ففقهوا ذلك، فقهوا متى يتصدقون سرًّا ومتى يتصدقون جهرًا فتصدقوا جهرًا إذا رأوا المقامات تحتاج إلى ذلك، وتصدقوا سرًّا سترًا على الفقراء وأهل التعفف، وكذا فإنهم قابلوا إساءات العباد بإحسان فدفعوا بالحسنة السيئة، فإذا سبَّهم أحدٌ قابلوه بقولهم عفا الله عنك، رحمك الله - تجاوز الله عنك غفر الله لك- يُعطون من منعهم ويصلون من قطعهم ويعفون عمن ظلمهم.

ثم في أنفسهم إن اصابوا سيئة اتبعوها بفعل حسنة، إن أساءوا استغفروا وأنابوا، وإن أخطأوا في حق أحد تحللوا منه وطلبوا عفوه.

شأنهم الامتثال لله كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون:

(١٠٠) أحمر
أسود

٩٦]، وكما قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة في الدار الآخرة، وهي الجنة التي وصفها الله بقوله هاهنا: جنات عدن، بساتين وحدائق يقيمون فيها لا يخرجون منها فـ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة، وقيل: اسمف لجنة من الجنات يدخلونها، ومعهم من آمن وأصلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فينعمون في هذه الجنات ويتنعمون، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ مُهنئين لهم قائلين سلام عليكم بما صبرتم فنعم العاقبة الحسنة في هذه الدار الآخرة، ألا وهي الجنة. جعلنا الله من أهلها.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب، الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾، ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا إلى ما نهى عنه.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾، يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرَّحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، يقول: ويخافون الله في قطْعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمرَه فيها.

وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادُّون في طاعته، محافظون على حدوده.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على الوفاء بعهد الله، وترك نقض

(١٠١) أحمر
أسود

الميثاق وصلة الرحم ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾، ويعني بقوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾، طلب تعظيم الله، وتنزيهًا له أن يُخالَفَ في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يقول: وأدُّوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ يقول: وأدَّوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها ﴿سِرّٗا﴾ في خفاء ﴿وَعَلَانِيَةٗ﴾ في الظاهر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: «الصبر»، الإقامة. قال، وقال «الصبر» في هاتين، فصبرٌ لله على ما أحبَّ وإن ثقل على الأنفس والأبدان، وصبرٌ عمَّا يكره وإن نازعت إليه الأهواء. فمن كان هكذا فهو من الصابرين. وقرأ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾.

وقوله: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، يقول: ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم. كما:-

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، قال: يدفعون الشر بالخير، لا يكافئون الشرّ بالشر، ولكن يدفعونه بالخير.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، هم الذين ﴿لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾، يقول: هم الذين أعقبهم الله دارَ الجنان، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار، فأعقبهم الله من تلك هذه.

وقد قيل: معنى ذلك: أولئك الذين لهم عقِيبَ طاعتهم ربَّهم في الدنيا، دارُ الجنان.

يقول ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾، ترجمة عن ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ كما يقال:«نعم الرجل عبد الله»، فعبد الله هو الرجل المقول له:«نعم الرجل»، وتأويل الكلام: أولئك

(١٠٢) أحمر
أسود

لهم عَقِيبَ طاعتهم ربِّهم الدارُ التي هي جَنَّات عدْنٍ.

وقد بينا معنى قوله: ﴿عَدْنٍ﴾، وأنه بمعنى الإقامة التي لا ظَعْنَ معها.

وقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم وهم الذين يوفون بعهد الله، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة، وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾، وهي نساؤهم وأهلوهم و﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾.. و«صلاحهم» إيمانهم بالله واتباعهم أمره وأمر رسوله عليه السلام.

وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، يقول: تعالى ذكره: وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث في جنات عدن، من كل باب منها، يقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على طاعة ربكم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة، بأن لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ وليسوا كالمنافقين الذين «**إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان**»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من صلة الأرحام، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار

(١) البخاري (حديث ٣٤)، ومسلم (٥٨).

(١٠٣) أحمر
أسود

الآخرة. فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: عن المحارم والمآثم، ففطموا نفوسهم عن ذلك لله ﷻ؛ ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي، ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب، من فقراء ومحاويج ومساكين، ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ أي: في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، في آناء الليل وأطراف النهار، ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]؛ ولهذا قال مخبرا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ والعدن: الإقامة، أي: جنات إقامة يخلدون فيها.

وقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ أي: يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته، بل امتنانا من الله وإحسانا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

وقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ

(١٠٤) أحمر
أسود

﴿٢٤﴾ أي: وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ الذي عهده إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها ﴿و﴾ من تمام الوفاء بها أنهم ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله.

ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية والدنيوية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ أي: يخافونه، فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به خوفا من العقاب ورجاء للثواب.

(١٠٥) أحمر
أسود

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرا وباطنا، ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ دخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرا وعلانية، ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله، بل قابلوه بالإحسان إليه.

فيعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة ﴿لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ فسرها بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات.

ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم ﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ ﴾ من الذكور

(١٠٦) أحمر
أسود

والإناث ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، والجنان الغالية، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي رواه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم؟ فيقول: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ

(١٠٧) أحمر
أسود

لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً- قَالَ-: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»[1].

ج: هذا الحديث ورد من طريقين يصح سندهما عن ابي عشانة عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فسنده صحيح.

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٨)، وعبد بن حميد (٣٥٢)، وغيرهم.

(١٠٨) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ كَذَٰلِكَ
أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ
يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ
قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ
أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ
فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ
قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٣ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد: ٢٥-٣٤]

(١٠٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱللَّعۡنَةُ - سُوٓءُ ٱلدَّارِ - يَبۡسُطُ - وَيَقۡدِرُ - مَتَٰعٌ - ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ - يُضِلُّ - وَيَهۡدِيٓ - أَنَابَ - وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم - بِذِكۡرِ ٱللَّهِ - طُوبَىٰ لَهُمۡ - وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ - خَلَتۡ - لِتَتۡلُوَاْ - يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ - تَوَكَّلۡتُ - مَتَابِ - أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ - قَارِعَةٌ - وَعۡدُ ٱللَّهِ - فَأَمۡلَيۡتُ - أَخَذۡتُهُمۡ - قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ - سَمُّوهُمۡ - بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ - زُيِّنَ - مَكۡرُهُمۡ - وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ - وَاقٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾	الطرد من رحمة الله ﷻ والإبعاد عنها.
﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾	سوء المصير في الدار الآخرة، وهو النار.
﴿يَبۡسُطُ﴾	يوسع.
﴿وَيَقۡدِرُ﴾	يضيق.
﴿مَتَٰعٌ﴾	شيءٌ يُتمتع به ويزول.
﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	معجزة من الله ﷻ.
﴿يُضِلُّ﴾	يصرف عن الحق والإيمان.
﴿وَيَهۡدِيٓ﴾	يوفق للحق والإيمان.
﴿أَنَابَ﴾	رجع بقلبه إلى ربِّه وعمل بما أمر وانتهى عما نُهي.
﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾	تسكن قلوبهم - تخشع قلوبهم - تأنس قلوبهم.
﴿بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾	بالقرآن وبالتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح والاستغفار والصلاة والرضا بقضاء الله.....

(١١٠) أحمر
أسود

﴿لِّتَتْلُوَاْ﴾	لتقرأ.
﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾	يجحدون وحدانية الله ﷻ وينكرون اسم الرحمن.
﴿تَوَكَّلْتُ﴾	اعتمدت.
﴿مَتَابِ﴾	توبتي ورجوعي طلبًا للمغفرة وقضاء الحوائج وسمعًا وطاعة لله وإنابة.
﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾	أفلم يعلم - أفلم يتبين.
﴿قَارِعَةٌ﴾	مصيبة تقرع آذانهم - بلاء من عند الله - سريَّةٌ أو غزوة منك تغزوهم فيسمعون خبرها، فتقرعهم وتفزعهم وتنزل بديارهم.
﴿وَعْدُ ٱللَّهِ﴾	وعد الله بالبعث يوم القيامة - وعد الله بالفتح فتح مكة.
﴿فَأَمْلَيْتُ﴾	فأخرت.
﴿أَخَذْتُهُمْ﴾	انتقمت منهم وأهلكتهم ورددتهم إلى بعد إهلاكهم لحسابهم يوم لاقيامة.
﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾	حفيظ على كل نفس يحفظ اعمالها ويراقبها ويكتب كسها نوكذا يدبر أمرها..
﴿سَمُّوهُمْ﴾	اذكروا لنا من هم؟
﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾	بظاهر من القول يسمع ولا حقيقة له - بباطلٍ - بظنٍّ.
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّن.
﴿مَكْرُهُمْ﴾	كيدهم - شركهم - تآمرهم على الباطل.

(١١١) أحمر
أسود

﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾	صُرفوا عن طريق الحق والرشاد.
﴿وَاقٍ﴾	دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم العذاب.

❁ ❁ ❁

(١١٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وبعد أن بيَّن الله ﷻ جزاء الطائعين أولي الألباب، وصفاتهم وأعمالهم، ذكر الله ﷻ مُحذِّرًا أحوال العصاة الطغاة الكفرة الظالمين وصفاتهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ فينقضون العهود التي أخذها الله وهم في صلب أبيهم آدم ألا يشركوا بالله شيئًا، وينقضون العهود التي أخذها الله عليهم في كتبه وعلى ألسنة رسله وينقضون العهود التي أخذها عليهم الناس وأقسموا للناس على الوفاء بها، فالحاصل أنهم إن تسنى لهم نقضا لعهد نقضوه ولا يُبالون، وكذا فإنهم يقطعوهن الأرحام، ويؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض ويقطعون الأخوة الإيمانية، ويقطعون القول عن العمل فلا يصلونه بالعمل، وهذا يتبعه إفساد في الأرض فإنهم يسعون في الأرض بالفساد فيعملون بمعصية الله ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا ويدعون الناس إلى الحرام، فأولئك لهم اللعنة، والطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولهم العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي الجحيم والعياذ بالله.

وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأما الذين ينقضون عهد الله، ونقضهم ذلك، خلافهم أمر الله، وعملهم بمعصيته ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، يقول: من بعد ما وثّقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد إليهم ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، يقول: ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فسادهم فيها: عملهم بمعاصي الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾، يقول: فهؤلاء لهم اللعنة، وهي البعد من رحمته، والإقصاء من جِنانه ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ يقول: ولهم ما يسوءهم

(١١٣) أحمر
أسود

في الدار الآخرة.

وأورد بسندٍ صحيح عن مصعب بن سعد (ابن أبي وقاص) قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، أهم الحرورية؟ قال: لا ولكن الحرورية[1] ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾، فكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر مآلهم في الدار الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ كما ثبت في الحديث: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» وفي رواية: «**وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**».

ولهذا قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة، ﴿ولهم وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ وهي سوء العاقبة والمآل، ومأواهم جهنم وبئس القرار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ لما ذكر الموفين بعهده، والمواصلين لأمره، وذكر ما لهم ذكر عكسهم. نقض الميثاق: ترك أمره. وقيل: إهمال عقولهم، فلا يتدبرون بها ليعرفوا الله تعالى. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ أي من الأرحام. والإيمان بجميع الأنبياء. ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بالكفر وارتكاب المعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي الطرد والإبعاد من الرحمة.

(١) الحرورية هم الخوارج، قيل: عنهم الحرورية نسبة إلى بلدة كانوا يسكنونها يُقال لها: حروراء.

(١١٤) أحمر
أسود

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ أي سوء المنقلب، وهو جهنم. وقال سعد بن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو! إنهم الحرورية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر حال أهل الجنة ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أي: من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظ عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقص، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ فلم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: البعد والذم من الله وملائكته وعباده المؤمنين، ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ وهي: الجحيم بما فيها من العذاب الأليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يوسع الرزق على من يشاء من عباده فيعطي من يشاء من العطاء والواسع ويضيق على من يشاء، وقد علم أهل الإيمان ذلك، أما أهل الكفر والانكباب على الدنيا ففرحوا بمتاعها الزائل فرحًا أنساهم لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ والاستعداد ليوم المعاد، ألا فليعلموا أن الحياة الدنيا وما فيها ما هي إلا متاع زائل، ومتاعٌ للمغرورين بها، يوشك أن تول عنهم ويزولوا عنها كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

(١١٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله يوسّع على من يَشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه لأن منهم من لا يُصْلحه إلا ذلك ﴿وَيَقْدِرُ﴾، يقول: ويقتِّر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيّقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بُسِط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قِلّته، فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾، يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السَّعة وبُسِط لهم فيها من الرزق ورغد العيش، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ قليل، وشيء حقير ذاهب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ لما ذكر عاقبة المؤمن وعاقبة المشرك بين أنه تعالى الذي يبسط الرزق ويقدر في الدنيا، لأنها دار امتحان، فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته، والتقتير على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يضيق، ومنه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضيق. وقيل: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يعطي بقدر الكفاية. ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني مشركي مكة، فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها، وجهلوا ما عند الله، وهو معطوف على ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وفي الآية تقديم وتأخير، التقدير: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى

(١١٦) أحمر
أسود

ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي في جنبها. ﴿إلا متاع﴾ أي متاع من الأمتعة، كالقصعة والسكرجة. وقال مجاهد: شي قليل ذاهب، من متع النهار إذا ارتفع، فلا بد له من زوال. ابن عباس: زاد كزاد الراعي. وقيل: متاع الحياة الدنيا ما يستمتع بها منها. وقيل: ما يتزود منها إلى الآخرة، من التقوى والعمل الصالح،﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ ثم ابتدأ.﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع ويضيق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتره على من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة والعدل. وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجا لهم وإمهالا كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ كما قال: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧] وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[1]: حَدَّثَنَا وَكِيع وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فِهْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ[2]: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ أسكَّ ميتٍ -وَالْأَسَكُّ الصَّغِيرُ الْأُذُنَيْنِ- فَقَالَ: «**وَاللهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ حِينَ**

(١) مسلم (٢٨٥٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨).
(٢) مسلم (٢٩٥٧).

(١١٧) أحمر
أسود

أَلْقَوْهُ».

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء ويقدره ويضيقه على من يشاء، ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أي: الكفار ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فرحا أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: شيء حقير يتمتع به قليلا ويفارق أهله وأصحابه ويعقبهم ويلا طويلا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: ويقول أهل الكفر على سبيل التعنت والعناد، والسخرية والاستهزاء لولا أنزل على رسول الله ﷺ معجزة من عند الله، كتلك المعجزات التي أيد الله بها أنبيائه الأولين، كسليمان سخرت له الريح، وداود سخرت له الجبال تسبح معه، وألان الله له الحديد، وكموسى وما جاء به من الآيات كالعصا واليد ونحو ذلك، وكعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ كان يحيي الموتى بإذن الله، وكناقة صالح وغير ذلك، فقل لهؤلاء الذين طلبوا ذلك إن هذه الآيات لن تنشئ إيمانًا، وإنما الذي يوفق للإيمان ويشرح له الصدور هو الله عَزَّ وَجَلَّ، قل لهم إن الله يضل من يشاء أن يضله ويهدي إليه ويوفق ويرشد من سلك الطريق الموصلة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، أما أنتم وأنتم قياسه على شرككم وكفركم وعنادكم، فأنتم بعيدون عن أسباب الهداية بذلك، والتوفيق منكم بعيد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقول لك يا محمد، مشركو قومك: هلا أنزل عليك

(١١٨) أحمر
أسود

آية من ربك، إمّا ملك يكون معك نذيرًا، أو يُلْقَى إليك كنز؟ فقل: إن الله يضل منكم من يشاء أيها القوم، فيخذله عن تصديقي والإيمان بما جئته به من عند ربي ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ٢٧﴾، فرجع إلى التوبة من كفره والإيمان به، فيوفقه لاتباعي وتصديقي على ما جئته به من عند ربه، وليس ضلالُ من يضلّ منكم بأن لم ينزل علي آية من ربّي ولا هداية من يهتدي منكم بأنَّها أنزلت عليّ، وإنما ذلك بيَدِ الله، يوفّق من يشاء منكم للإيمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قيل المشركين: ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ٥﴾ [الأنبياء: ٥] وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة، وإن الله قادر على إجابة ما سألوا. وفي الحديث: أن الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهبا، وأن يجري لهم ينبوعا، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين: إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة، فقال: «بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة»؛ ولهذا قال لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ٢٧﴾ أي: هو المضل والهادي، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا، أو لم يجبهم إلى سؤالهم؛ فإن الهداية والإضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه، كما قال: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس: ١٠١] وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] وقال ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ١١١﴾

(١١٩) أحمر
أسود

[الأنعام: ١١١]؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ويهدي من أناب إلى الله، ورجع إليه، واستعان به، وتضرع لديه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار اقترحوا عليه ﷺ الإتيان بآية ينزلها عليه ربه، وبين هذ المعنى في مواضع متعددة، كقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات، وبين تعالى في موضع آخر أن في القرآن العظيم كفاية عن جميع الآيات، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، وبين في موضع آخر حكمة عدم إنزال آية كناقة صالح ونحوها، بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ الآية [الإسراء: ٥٩]، كما تقدمت الإشارة إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: الذين آمنوا ومن شأنهم أن قلوبهم تهدأ وتسكن بذكر الله ﷻ، وتأنس به كذلك ألا فاعلموا أ، ذكر الله تطمئن به القلوب وتهدأ وتسكن وتلين، فهؤلاء الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، واتبعوا الإيمان بصالح الأعمال طوبى لهم، وقيل: إن طوبى هي الجنة، وقيل: شجرة فيها، وقيل: فرحٌ وسرورٌ وقرة أعين لهم، وكذا لهم عند الله ﷻ حسن مرجع وحسن مصير.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(١٢٠) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله.

وقوله: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾، يقول: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين.

وقيل: إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، الصالحات من الأعمال، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾.

قال الطبري:

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾.

فقال بعضهم: معناه: نِعْم ما لهم.

وقال آخرون: معناه: غبطة لهم.

وقال آخرون: معناه: فرحٌ وقُرَّةُ عين.

وقال آخرون: معناه: حُسْنَى لهم.

وقال آخرون: معناه: خير لهم.

وقال آخرون: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾، اسم من أسماء الجنة، ومعنى الكلام، الجنة لهُم.

وقال آخرون: شجرة في الجنة، يُقال لها: طوبى.

وأورد بعض الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ.

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾، فإنه يقول: وحسن منقلب.

(١٢١) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.

﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما. ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها. ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن.

وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم

(١٢٢) أحمر
أسود

كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ في هذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: ذِكر الله على الإطلاق.

وفي معنى هذه الطمأنينة قولان:

أحدهما: أنها الحُب له والأُنس به.

والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

❁ ❁ ❁

(١٢٣) أحمر
أسود

مبحثٌ في المراد بذكر الله تطمئن به القلوب

س: ما المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في تأويل (الذكر) هاهنا، وكل هذه الأقوال حقٌّ، وكلها صدقٌ، فالذكر ينطبق عليها جميعًا وجميعها تنطبق عليه.

* **فمن أهل العلم من قال: إن المراد بالذِّكر هنا القرآن**

ولهذا القول أدلته وشواهده، فمن أدلته وشواهده:

* قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]. فالذكر هنا القرآن.

* وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ ﴾ [فصلت: ٤١].

فالذكر هاهنا القرآن كذلك.

* وكذا قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، فالذكر أيضًا هاهنا القرآن.

* **ومن أهل العلم من قال:** إن المراد بالذِّكر هنا، ذكر الله المتمثل في تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتهليله، وتمجيده، وذلك كقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذا نحو قوله: ما شاء الله، وتبارك الله.

* **ومنهم من قال: إن المراد بالذِّكر هاهنا الأذكار الموظفة:** المختصة بالأزمنة والأمكنة والأحوال التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ.

* كالذكر عند الغضب، وعند القلق، وعند الوضوء، وعند الجماع، وعند نزول المنازل، وسفر المسافر، ودخول الداخل، وخروج الخارج، ونحو ذلك، وهذا هو القول الثالث.

(١٢٤) أحمر
أسود

أما القول الرابع: فحاصله أن المراد بذكر الله، ذِكرُ قدرِ الله ﷻ، أي: تذكُّر أن الأمور مقدرة، قدرها الله ﷻ، ومناسبة هذا القول ووجهه أن الله قال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

قالوا: أي ومن يؤمن بقدر الله، ويوقن أن المصائب قدرها الله يهد قلبه.

* **وأما القول الخامس:** فالمراد بالذكر هو اليمين بالله أي الحلف بالله ﷻ.

* **أما القول السادس:** فالمراد بالذِّكر، ذكر الله داخل الصلاة، إذ الصلاة محلٌّ لذكر الله، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤]، أي: لتذكرني فيها، وذلك على أحد التفسيرات، وتفسيرٌ آخر، وأقم الصلاة كي تحظى بذكري لك، فإنك إذا ذكرت الله في الصلاة ذكرك الله ﷻ، وكذا إذا ذكرته في خارج الصلاة.

* وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [المنافقون: ٩]. قال بعض العلماء: أي عن الصلاة.

* **أما القول السابع:** فالمراد بالذكر هاهنا، هو ذكر الله ﷻ باستغفاره، والتوبة والإنابة والرجوع إليه.

فهذا مجمل الأقوال التي وردت في المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

أمَّا كيف تطمئن القلوب بالذكر على الوجوه المذكورة آنفًا؟

فها هي وجوه الطمأنينة بذلك:

أما على تأويل الذِّكر بالقرآن، فإن القرآن إذا تُلي وقرأه القارئ تنزلت السكينةُ، وغشيت القارئ الرحمةُ وحفته الملائكةُ، كما في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم[1] وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) مسلم (مع النووي: ١٧/ ٢١).

(١٢٥) أحمر
أسود

ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

فإذا تنزلت الملائكة هربت الشياطين، فالشيطان لا يكاد يتواجد مع ملكٍ في مكان واحد.

ألا ترى أن الشيطان غرَّ أصحابه من أهل الكفر يوم بدر، وزين لهم أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان (الفئة المؤمنة والفئة الكافرة) نكص على عقبيه وقال: إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون، فقد رأى الشيطان الملائكة، وعليهم أداة الحرب، إذ الملائكة قد شهدت بدرًا مع المؤمنين، فحينئذٍ فرَّ وهرب، وولى وأدبر، ونكص وانصرف.

وهكذا، فالقرآن إذا تُلي وتنزلت الملائكة هربت الشياطين، تلك الشياطين التي تسبب القلق، وتجلب الاضطراب وتدفع إلى المعاصي دفعًا، وتخوِّف الناس تخويفًا إذ الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]. أي: تزعجهم إزعاجًا وتدفعهم إلى المعاصي دفعًا، فإذا انصرفت الشياطين حدث الهدوء، وتنزلت السكينة فاطمأنت القلوب، وهدأ البال.

* فهذا وجهٌ لطمأنينة القلوب بالقرآن الذي هو ذكر الله، ملخصه أن القرآن يُتلى فتتنزل الملائكة، فتهرب الشياطين فيحدث الهدوء، وتحدث السكينة.

ووجه آخر لطمأنينة القلوب بالقرين، أنه ما من صاحب ابتلاء، وما من أحدٍ حلَّت به مصيبة يقرأ كتاب الله، إلا ويجد لنفسه مشابهًا قد أصيب بمثل مصيبته، ويجد متعزًّى يتعزَّى به ومتسلى يتسلى فيه، فينظر لمن شابهه في مصيبته وبلائه فيرى أن العاقبة للتقوى، وأن العسر يتبعه - بإذن الله - يسرٌ،

(١٢٦) أحمر
أسود

وأن الكرب يتبعه الفرج، فيهدأ بالُهُ ويستقر حاله، فإذا مرض المريض واشتد عليه المرض، واضطرب قلبُهُ لعجز الأطباء عن دوائه، ويأسهم من شفائه فقرا هذا المريض كتاب الله، وكذا نظر في سنة مصطفاه ﷺ، التي هي وحيٌ يُوحى، وجد له أمثالًا ونظراء عجز عن دوائهم الأطباء، ولكن ثم من لا يعجز، وثمَّ شافي لا شفاء إلا شفاؤه، فالله هو الذي يذهب البأس، لا يُذهبه أحدٌ سواه، والله هو الذي يكشف الضرَّ لا يكشفه أحد دونه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

فحينئذٍ تطمئن النفس، ويذهب اليأس، فإذا قرأ القارئ المريض من كتاب ربه قصة نبي الله أيوب عليه السلام وكيف وأن الله شفاه بعد عجز الأطباء عن البحث له عن دواء اطمأن القلب وهدأ البال، وواصل المريض الدعاء، وتصبر كما أمره الله، ولم ينقطع في الله رجاه.

فأيوب قد جعله الله وقصته ذكرى للعابدين، ذكرى يتذكرها العباد فيصبرون كما صبر، فيؤجرون كما أُجر.

قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٤١-٤٣].

وقال تعالى في شأن هذا النبي مثنيًا عليه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤]. فيا لها من ثلاث شهادات لو أُعطي الواحد منها شهادةً

(١٢٧) أحمر
أسود

منها ما وسعته الدنيا، وما فيها، إنها ثلاث شهادات لهذا النبي الكريم من الله رب العالمين.

إنا وجدناه صابرًا!!

نعم العبد!!

إنه أواب!!

فيا لها من فضيلة، ويا لها من مكرة.

وانظر إلى قصته بشيء من التفصيل في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه ابن حبان[1] بسندٍ صحيح لغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ [ص: ٤٢] فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهِبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارِكَ اللهُ، فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ

(١) ابن حبان (موارد الظمآن: ٢٠٩١).

(١٢٨) أحمر
أسود

الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَتْ».

فهكذا لا ييأس أحدٌ من روح الله، فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولا يقنط أحدٌ من رحمة الله، ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

فلتطمئن قلوب المرضى ومن ضاقت بهم السبل، وانقطعت عنهم الحيل، فلتطمئن قلوبهم على رحمة الله، وعلى فرج الله، فالله يراهم ويبصرهم ويطلع على أحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيءٌ.

وكذا الآلام والآهات كل ذلك يعلمه الله ويسمعه، ألا فلتطمئن القلوب بذكر الله.

وكذا أيضًا إذا تجاوزنا الابتلاء بالضرِّ في الأبدان إلى ابتلاء آخر قد يُبتلى به بعض العباد، ألا وهو الطعن في الأعراض، والتشكيك في الأمانات، إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي قد يُرمى بها أهل الفضل والصلاح فيرى المتهم البريء لنفسه شبهاء ونظراء، اتهموا وهم برآء فأظهر الله براءتهم في الدنيا قبل الآخرة فحينئذٍ تطمئن النفوس البريئة، وتطمئن قلوب أصحابها إلى فرج الله، وإلى نصر الله في الدنيا، وإلا ففي الآخرة - يقينًا- ينجي الله الذين اتقوا، ويُبرئ الله ساحات أهل الإيمان، والمظلومين من كل شائنةٍ وعيب وطعن.

هاهم أفاضل اتهموا وهم براء فأظهر الله براءتهم.

* اتهم يوسف ﷺ وقالت امرأة العزيز لزوجها في شأن يوسف: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف: ٢٥].

ثم برأه الله على لسانها بقولها بعد ذلك: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ

(١٢٩) أحمر
أسود

وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

* اتهمت مريم عليها السلام، وقالوا لها: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

فبرأها الله على لسان الطفل الرضيع، ونطق عيسى عليه السلام في المهد قائلًا: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

* اتهمت أم المؤمنين التقية الصالحة عائشة ق بما رماها به أهل الغفك فنزلت عليها آيات تتلى في الصلوات وخارج الصلوات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ...النور: ١١-١٨] الآيات.

* اتهم موسى ﷺ وآذاه قومه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وها هي القصة بذلك، أخرجها البخاري[1] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ**

(١) البخاري حديث (٣٤٠٤).

(١٣٠) أحمر
أسود

الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٩]».

فهذه بعض وجوه الطمأنينة بكتاب الله ﷻ:

* سكينةٌ تتنزل وملائكة تحفُّ، رحمةٌ تغشى، شياطين تفرُّ وتهرب.
* ثم تسلِّي وتاسي وتصبر.

فهذا هو القول الأول في المراد بالذكر، ألا وهو القرآن.

أما الوجه الثاني في تفسير الذكر: وقد أشرنا إليه آنفًا ألا وهو التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والتمجيد، ونحو ذلك، فكل ذلك يقوِّي الله به القلوب، ويطمئن الله به النفوس، ومن وجوه ذلك أن المسبِّح إذا سبَّح والحامد إذا حمد، وكذا المُكبر والمهلل إذا كبر وهلل وهربت الشياطين، وذلك لكونها تخنس عند ذكر الله ﷻ وتختفي، ويقلُّ عملها ويضعف، فحينئذٍ تتأتى للقلوب الطمأنينة وتتنزل عليها أيضًا السكينة وكيف لا؟! والذاكر يُذكره الله والذاكر يُثيبه الله، والذاكرُ يرفع الله درجته والذَّاكرُ في حصن حصين من الشيطان الرجيم!!

ثم أيضًافإن الذاكر يُثاب بسبب الذِّكر فترتفع درجته وتحطُّ عنه خطيئته، تلك الخطيئة التي سببت للقلب اضطرابًا وقلقًا، فبمحو أثرها يسكن القلب ويطمئن، وهكذا تطمئن القلوب بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

أما القول الثالث في تاويل الذكر: فهو - كما أسلفنا - الأذكار الموظفة التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ، فبها تطمئن القلوب ووجه ذلك على سبيل

(١٣١) أحمر
أسود

المثال أن الشخص إذا نزل منزلًا مُوحشًا فخاف، ثم إنه ذكر حديث رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١) فذكر الله بهذا الذكر وتعوَّذ بهذا التعوذ اطمأن قلبه وهدأ باله، على قدر إيمانه ويقينه وتصديقه بحديث رسول الله ﷺ.

وكذلك الشخص الذي خوَّفه قومٌ فذكر ما قاله أهل الإيمان لما خوفهم الناس بقولهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾، قال تعالى: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فماذا كان؟ قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ورد في «الصحيح»(٢) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكذا الذي قام من النوم عن إثر رؤيا مفزعة أرهقته وأرَّقته وخوَّفته، فقال وعمل بما علمه إياه رسول الله ﷺ وهي خمسة أمور تفعل عند الرؤيا المفزعة، أخذت من مجموعةٍ من الأحاديث وهذه هي الأمور:

* التعوذ بالله من شر هذا الحُلم.
* والتفل عن يسارك ثلاثًا.
* والتحول عن جنبك الذي كنت عليه.
* ثم صلاة ركعتين.

(١) مسلم (مع النووي: ١٧/ ٣١).
(٢) البخاري حديث (٤٥٦٣).

(١٣٢) أحمر
أسود

* وعدم التحديث بها.

فحينئذٍ لن يضره شيء بإذن الله تعالى.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١): وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللهِ....**»، فذكر الحديث وفيه: «**وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلاَثًا، وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**».

وكذا المسافر القلق على أولاده إذا خرج مسافرًا وخشي على أولاده من بعده فتوكل على الله وأخذ بالأسباب واستودعهم الله كما عُلم من سنة رسول الله ﷺ فليس بضاره شيئًا بإذن الله.

فهكذا تطمئن القلوب بالأذكار الموظفة التي نتعلمها من رسولنا محمد ﷺ.

أما القول الرابع في المراد بالذكر: فهو ذكرُ قدرِ الله ﷻ أي تذكُّر أن الأمور مقدرة فحينئذٍ تطمئن القلوب عند حلول المصائب، ونزول البلايا، بل وفي الرخاء أيضًا.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

أي: ومن يؤمن بأن المصائب قدرها الله، وإنما حلَّت بالشخص بإذن الله، يهد الله قلبه ويطمئن الله قلبه.

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

(١) البخاري (مع الفتح: ١٢/ ٤٣٠).

فمفاد الآية الكريمة أننا أخبرناكم، بأن الأمور مقدرة حتى لا تندموا على شيء فاتكم، ولا تبطروا ولا تغتروا بشيء آتاكم الله إياه.

فإذا خرج خارجٌ لتجارة وتأخر عن السوق ووجد الناس قد ربحوا وأخذوا أخذاتهم وربحوا أرباحهم، وعلم أن الأمر مقدرٌ وأن الرزق مكتوب قبل أن يخلق، بل قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ مكا قد جاء في الحديث، فحينئذٍ يطمئن قلبه ويهدأ باله ولا يندم على ما فاته.

وإذا خرج أخوه مسافرًا أو غازيًا فمات في سفره أو في غزوته وعلم أن أمر الوفاة ومكانها وزمانها مقدر مكتوب لم يندم على موت أخيه ولم يتحسر، بل يسترجع كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦]. وزاد ما ورد عن رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ أجرنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخلُفْ لِي خَيرًا مِنْهَا**»[(١)]، فحينئذٍ يهدأ باله ويستقر حاله وتتنزل عليه السكينة ويصلي عليه ربه ويرحمه ويهديه كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧]، وما أحسن وما أجمل ما ذكرته أم سلمة لما مات زوجها أبو سلمة.

أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** [البقرة: ١٥٦]، **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»[(٢)].

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» حديث (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

(٢) مسلم (ص: ٦٣١).

(١٣٤) أحمر
أسود

بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**».

أما الكافر -عياذًا بالله من الكفر- فييأس من الرحمة ويقنط من روح الله ولا يطمع في الفرج واليسر، بل في قلبه حسرات تتلوها حسرات ويضطرب قلبه اضطرابًا يتلوه اضطراب.

وكذا الذي قلَّ إيمانه وضعف يقينه فماذا عساه أن يفعل إذا حلَّت به المصيبة أو نزلت به البليةُ؟!!

فهذه امرأة كافرة، وأخرى قل إيمانها وضعف يقينها حلَّت بها مصيبة، ونزلت بها بلية فشقت الجيب ولطمت الخدَّ وحلقت الرأس واعترضت على الأقدار واضطرب قلبها فأصبحت تسب الأيام والشهور والليالي، وتصيح صياح المجانين، بل ويكون المجنون أفضل منها في حالتها تلك، فالمجنون مرفوع عنه التكليف، أما هي فتقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب كما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن النائحة[1]، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة[2].

وماذا عساها أن تجني بعد ذلك، إنها تجني ثمار اعتراضها على القدر: حسرات إلى حسرات، وخسارًا إلى خسارٍ، يتسرب إليها الندم الذي لا ينفع

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم حديث (١٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

(١٣٥) أحمر
أسود

بشيء فتقول: يا ليته ما خرج من بيته، فتقع فيما يقع فيه الكفار الذين نهانا الله عن التشبه بهم حيث قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

* فهؤلاء الكفار إذا خرج إخوانهم مسافرين، أو خرجوا في غزوة من الغزوات فماتوا في أسفارهم، أو قتلوا في مغازيهم تسرب الندم إلى إخوانهم الجالسين الذين لم يخرجوا وقالوا: يا ليتهم ما سافروا وما خرجوا؛ فلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، وهذا الندم الذي تسرب إليهم إنما قذفه الله في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم، وعلى اعتراضهم على أقداره.

ثم بيَّن الله لأهل الإيمان أنه سبحانه هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو عليم بما نقول، بصير بما نعمل.

والطالب يكون في دراسته مجتهدًا غاية الاجتهاد ذكيًّا في غاية من الذكاء، وكل عام ينجح وينجح بتفوق على أقرانه، ويأتي في امتحان الثانوية مثلًا - التي بعدها يتجه إلى جامعة من الجامعات- فيخرج من بيته صباحًا للامتحان؛ فيسقط من على الدَّرج فتكسر رجله، أو يهشم رأسه، أو تصدمه سيارة فيذهب إلى المستشفى والآلام تحيط به من كل جانب والدم ينزف منه من كل مكان، يعالج ويتألم وزملاؤه في الامتحان يؤدونه بهدوء أعصاب وراحة بال، فماذا عساه أن يفعل إذا لم يكن مؤمنًا بأقدار الله؟!!

لا شك أنه إذا كان مؤمنًا بالله وبأقداره رضي وحمد الله على كل حال، وعلم أن هذا ابتلاء من الله، وأن الله ﷻ يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فكان أمله ورجاؤه فيما عند الله، واحتسب كل ما أصابه في نفسه وبدنه ودنياه، فحينئذٍ يبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

(١٣٦) أحمر
أسود

* والمرأة أو الفتاة تكون جميلة حسناء يتحدث أهل البلدة عن حسنها وجمالها وبهائها؛ فما تلبث إلا قليلًا حتى تُبتلى، تذهب لطهي طعام يتناثر زيت حار على وجهها وجسمها فيشوهها ويفرُّ الناس منها عند رؤيتها، فكيف تصنع مثل هذه إذا لم تكن تؤمن بالله وبأقداره وترضى بقضائه؟!!

أما عن القول الخامس في المراد بذكر الله: فكما أسلفنا هو اليمين بالله!

فإذا شككت أنه قد حدث أمرٌ ما من أحد إخوانك أو أصدقائك أو غيرهم، وارتبت في الأمر، وذهبت بك الظنون هاهنا وهاهنا، واضطرب قلبك ولم يستقر على حال ولم يهدأ لك بالٌ، وليست عندك بينات قواطع، ولا شهود ثقات، فتقدم لك من شككت في أمره وأقسم لك يمينًا بالله أنه ما فعل الذي اتهمته به فحينئذٍ ينبغي أن يطمئن قلبك ويهدأ بالك فإن كان صادقًا في يمينه فلا تحمل نفسك إثم الظن السيئ به، وإنه كان كاذبًا في يمينه فسينتقم الله لك منه وسيكفيكهم الله.

فهكذا يطمئن القلب بذكر الله ﷻ إذا رضي صاحبه باليمين الذي شرعه الله، وأذكر هاهنا حديثًا ورد عن رسول الله ﷺ في واقعة من الوقائع.

أخرج البخاري ومسلم من حديث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»[1]، قَالَ: فَقَالَ الأَشْعَثُ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من «صحيحه»، منها (٢٦٦٦، ٢٦٦٧)، ومسلم حديث (١٣٨)، وغيرهم.
وثمَّ سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ فِيهَا، لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِهِ، لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ..﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. لكن في إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسكي

اليَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ»، قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «احْلِفْ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا يَحْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

أما الوجه السادس فذكر الله الذي تطمئن به القلوب هو ذكره تعالى في الصلاة:

وقد قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

أي: لتذكرني فيها، ووجه آخر: وأقم الصلاة حتى تحظى بذكرى لك، فإن من ذكر الله ذكره الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وكما قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[(١)].

وبالصلاة تطمئن القلوب، ولذا فقد كان النبي ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمرٌ صَلَّى[(٢)]، وكان أيضًا صلوات الله وسلامه عليه يقول لبلال: «قُمْ يَا بِلَال فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»[(٣)]، فصاحب القلب المضطرب إذا وقف بين يدي الله في صلاته، وذكره ودعاه ولجأ إليه ورجاه، وعظم ربه وركع، وخشع له وسجد اطمأن قلبه وهدأ باله بإذن الله.

أما الوجه السابع، فالذكر هو الاستغفار:

فاضطراب القلب من المصائب، وكذا قلقه وتقلبه، والمصائب إنما تتأتى

متكلم فيه، وقد انتقد الدارقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه.

(١) البخاري (١٣/ ٣٨٤).

(٢) صحيح لشواهده: أخرجه أبو داود (١١٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود حديث (٤٩٨٦).

(١٣٨) أحمر
أسود

وتحل في كثيرٍ من الأحيان بسبب الذنوب والمعاصي، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذه الصمائب وتلك العقوبات، تُدفع بالاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

فبالاستغفار، وكذا رد المظالم إلى أهلها كلُّ ذلك يطمئن القلب بإذن الله، ويُذهب روعه وخوفه وقلقه واضطرابه.

وأخيرًا...

فكل هذه الأقوال حق، وكلها صدقٌ، والاختلاف في تأويل الذكر هنا اختلاف تنوع، وليس باختلاف تضاد، فمن اضطرب قلبه وأراد له السكون والطمأنينة فعليه:

* بتلاوة القرآن وتدبره وتأمل آياته وتفهمها.
* وعليه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد.
* وعليه كذلك بالأذكار الموظفة الواردة في الكتاب العزيز وصحيح السنة.
* وكذا فليرض بقضاء الله الذي قضاه، وقدره الذي قدَّر.

وكذا فليرض بشرع الله، وليقبل اليمين بالله، ويكلُ ما وراء ذلك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

* وكذا فعليه بالصلاة.
* وليكلِّل ذلك بالاستغفار ورد المظالم إلى أهلها فبذلك تطمئن القلوب، ومن أصدق من الله قيلًا.

ومن أصدق من الله حديثًا، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟!!

(١٣٩) أحمر
أسود

طمأن الله قلوبنا بذكره، وأعننا ربنا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وهكذا يا رسول الله أرسلناك للناس رسولًا في جماعة من الناس قد مضت قبلها جماعات من الناس، أرسلناك لتتلوا عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، وتعلمهم إياه وتأمرهم بامتثال ما فيه من الأوامر واجتناب ما نهى الله عنه وتخبرهم بسائر ما فيه من الأخبار، وهم يكفرون بالرحمن، وهنا وجهان للعلماء في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ﴾.

أحدهما وأظهرهما: أنهم: يجحدون وحدانية الله ﷻ فيشركون به ما لم ينزل به سلطانًا.

والثاني: أنهم ينكرون اسم الرحمن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقد قال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ يوم الحديبية: «وَمَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنِ».

فقل يا رسول الله لهؤلاء وأولئك إن الله الرحمن هو ربي لا معبود بحق إلا هو عليه اعتمدت في شؤوني كلها وإليه توبتي ورجوعي إذا أنا أذنبت، وإليه رجوعي كذلك لقضاء حوائجي ولكشف الضر عني.

(١٤٠) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس يعني إلى جماعةً قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذي هم عليه، فمضت ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، يقول: لتبلغهم ما أرسَلْتك به إليهم من وحيي الذي أوحيته إليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، يقول: وهم يجحدون وحدانيّة الله، ويكذّبون بها ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾، يقول: إنْ كفر هؤلاء الذين أرسلتُك إليهم، يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربّي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾، يقول: وإليه مرجعي وأوبتي.

وهو مصدر من قول القائل:«تبت مَتَابًا وتوبةً».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة: ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كذب الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤] أي: كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛

(١٤١) أحمر
أسود

وَلِهَذَا أَنِفُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبُوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وَقَالُوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[1] وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»[2].

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: في جميع أموري، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ إلى قومك تدعوهم إلى الهدى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكي النفوس.

والحال أن قومك يكفرون بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه -التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا- بالقبول والشكر بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهذا متضمن للتوحيدين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٢) مسلم (٢١٣٢).

(١٤٢) أحمر
أسود

في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾.

ج: في صدر الآية الكريمة وجهان من وجوه التأويل:

أحدهما: أن أول الآية الكريمة متعلق بما قبله، فالمعنى، وهم يكفرون بالرحمن ولو أتاهم قرآن سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى، فلو أتاهم قرآن فيه مخاطبة للجبال: يا جبال سيري، فتسير الجبال في الحال في الدنيا أمام أعينهم، أو فيه يا أرض تقطعي فتتقطع الأرض في الحال، أو أنه قال للأموات قوموا واسمعوا، فقاموا وسمعوا، لو أتاهم قرآن هكذا ما آمنوا أيضًا ولاستمروا في كفرهم بالرحمن.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ...﴾ جملة ابتدائية خبرها محذوف لكن مفهوم من السياق، فالمعنى: ولو أن قرآنًا سيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كَلَّم به الموتى لكان هذا القرآن.

أما قوله تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ فإنه، والله أعلم متعلق بأمر الهداية في هذا الموطن فالهداية - هداية التوفيق موكولة على الله ﷻ كلها، لا يهتدي إلا من هداه الله، ولن يستطيع أحدٌ أن يوفق أحدًا فالتوفيق من الله.

أما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ﴾ فمعناه: أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لوفّق الناس كلهم، ولكن ربنا يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قائمين على كفرهم لا يتعظون

(١٤٣) أحمر
أسود

ولا يعتبرون فتصيبهم بذلك القوارع، المصائب سواء المصائب التي تحل بهم من غزوك لهم وسراياك التي تبعثها إليهم فتقتلهم أو تسبي نساءهم وذراريهم أو تغنم أحوالهم.

أو كانت تلك القوارع دون تدخل منك كالمصائب التي تحل بهم من عند الله كالطوفان والأمراض والأسقام والصواعق والرياح وسائر صور العذاب، تحل بهم هذه أو تحل بأقوام على شاكلتهم مجاورين لهم حتى يتعظوا بغيرهم وحتى يغيروا بغيرهم، تحل بهم تلك المصائب والقوارع حتى يأتي يوم القيامة ولن يخلف الله وعده بمجيء هذا اليوم وقيل: إن العباد فتح مكة، والأول أظهر، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك:

فقال بعضهم: معناه: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾، ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾، أي: يكفرون بالله ولو سَيَّر لهم الجبال بهذا القرآن. وقالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم. وجعلوا جواب «لو» مقدَّمًا قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم: ولو أنّ هذا القرآن سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض، لكفروا بالرحمن.

وقال آخرون: بل معناه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ كلامٌ مبتدأ منقطع عن قوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾. قال: وجوابُ «لو» محذوف اسْتغنيَ بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها. قالوا: والعرب تفعل ذلك كثيرًا، ومنه قول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً ... وَلكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسَا

وهو آخر بيت في القصيدة، فترك الجواب اكتفاءً بمعرفة سامعه مرادَه.

(١٤٤) أحمر
أسود

وأورد بما يصحح لغيره عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ذكر لنا أن قريشًا قالوا: إن سَرَّك يا محمد، اتباعك أو: أن نتبعك فسيّر لنا جبال تِهَامة، أو زد لنا في حَرَمنا حتى نتَّخذ قَطَائع نخترف فيها، أو أحِي لنا فلانًا وفلانًا! ناسًا ماتوا في الجاهلية. فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، يقول: لو فعل هذا بقرآنٍ قبل قرآنكم لفُعِل بقرآنكم.

وبإسنادٍ صحيح ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، الآية، قال: قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقًا فسيِّر عنا هذه الجبال واجعلها حروثًا كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان، أو ابعث موتانَا فأخبرهم فإنهم قد ماتوا على الذي نحن عليه! فقال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب، فيصنع ذلك بهذا القرآن.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله ﴿أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ﴾.

فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلمْ ويتبيَّن.

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك، ويزعم أنه لم يسمع أحدًا من العرب يقول:«يئست» بمعنى:«علمت». ويقول هو في المعنى وإن لم يكن مسموعًا:«يئست» بمعنى: علمت يتوجَّهُ إلى ذلك.

قال الطبري:

وأما أهل التأويل فإنهم تأولوا ذلك بمعنى: أفلم يعلَم ويتبيَّن.

وقال الطبري:

والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل: إن تأويل ذلك:«أفلم

(١٤٥) أحمر
أسود

يتبين ويعلم»، لإجماع أهل التأويل على ذلك، والأبيات التي أنشدناها فيه.

فتأويل الكلام إذاً: ولو أنّ قرآنًا سوى هذا القرآن كان سُيّرت به الجبال، لسُيّر بهذا القرآن، أو قُطِّعت به الأرض لُقطعت بهذا، أو كُلِّم به الموتى، لكُلِّم بهذا، ولكن لم يُفْعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفْعل بهذا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، يقول ذلك: كله إليه وبيده، يهدى من يشاءُ إلى الإيمان فيوفِّقه له، ويُضِل من يشاء فيخذله، أفلم يتبيَّن الذين آمنوا بالله ورسوله إذْ طمِعوا في إجابتي من سأل نبيَّهم ما سأله من تسيير الجبال عنهم، وتقريب أرض الشأم عليهم، وإحياء موتاهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه؟ يقول تعالى ذكره: فما معنى محبتهم ذلك، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليّ وبيدي، أنزلت آيةً أو لم أنزلها؛ أهدي من أشاءُ بغير إنزال آية، وأضلّ من أردتُ مع إنزالها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَا يَزَالُ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، من قومك ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك، وإخراجهم لك من بين أظهرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾، وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنِّقم، بالقتل أحيانًا، وبالحروب أحيانًا، والقحط أحيانًا ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾، أنت يا محمد، يقول: أو تنزل أنت ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ بجيشك وأصحابك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ الذي وعدك فيهم، وذلك ظهورُك عليهم وفتحُك أرضَهمْ، وقهرْك إياهم بالسيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾، يقول: إن الله منجزك، يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم، لأنه لا يخلف وعده.

وأورد الطبري أقوالًا في تفسير ﴿قَارِعَةٌ﴾ منها سرية أي: سرية ترسلها يا

(١٤٦) أحمر
أسود

رسولا لله فتقتلهم وتسبيهم وتغنم أموالهم.

وقولًا آخر أن القارعة قارعة من العذاب، وكذا أورد قولين في تفسير: ﴿حَتَّىٰٓ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ﴾ أحدهما فتح مكة، والآخر يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾ أي: مرجع الأمور كلها إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل فلا هادي له، ومن يهد الله فلا مضل له.

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة؛ لأنه مشتق من الجميع، قال الإمام أحمد[1]:

والمراد بالقرآن هنا الزبور.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُفِّفَت عَلَى دَاوُدَ الْقِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ أَنْ تُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسرج دَابَّتُهُ، وَكَانَ لا يَأْكُلُ إِلَّا مَنْ عَمَلِ يَدَيْهِ**». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ.

وقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو

(١) أحمد (٢/ ٣١٤)، والبخاري (٣٤١٧).

(١٤٧) أحمر
أسود

يتبينوا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله. وثبت في الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» معناه: أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيَـْٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أفلم يعلم الذين آمنوا. وقرأ آخرون: (**أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**).

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: بسبب تكذيبهم، لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف: ٢٧] وقال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤].

قال قتادة، عن الحسن: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: القارعة. وهذا هو الظاهر من السياق.

وأورد أقوالًا في المراد بـ﴿وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ منها: يوم القيامة، ومنها: فتح مكة.

قال ابن كثير:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو

(١٤٨) أحمر
أسود

ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ من الكتب الإلهية ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ جنانا وأنهارا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لكان هذا القرآن. ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعا ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون، والله تعالى يوالي عليهم القوارع التي تصيبهم في ديارهم أو تحل قريبا منها، وهم مصرون على كفرهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: هذه - والله أعلم-: مواساة لرسول الله ﷺ فإن كان القوم قد استهزءوا بك يا رسول الله فلا تجزع لذلك، فقد استهزئ بإخوانك المرسلين من قبلك، فاصبر كما صبروا فإنني أنتصر لك كما انتصرت لهم، وإن كنت قد أخَّرت العقوبة عن هؤلاء فإنني أخرتها شيئًا ما عن الذين كفروا من قبل ولم يكن تأخيري لهم عن ترك وعدم مؤاخذة بل أمهلتهم كي يزدادوا إثمًا مكا قال

(١٤٩) أحمر
أسود

تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ثم أخذتهم أخذة شديدة فانظر كي كان عقابي وأخذي لهم لقد كان أخذًا شديدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبًا منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم، فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خَلَت فمضتْ بُرسلِي، فأطلتُ لهم في المَهَل، ومددت لهم في الأجَل، ثم أحللتُ بهم عذابي ونقمتي حين تمادَوْا في غيِّهم وضَلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرةً لأولي الألباب؟

و«الإملاء» في كلام العرب، الإطالة، يقال منه: «أمْلَيتُ لفلان»، إذا أطلت له في المَهَل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا لرسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: فلك فيهم أسوة، ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: أنظرتهم وأجلتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟ كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨] وفي الصحيحين: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله -مثبتا له ومسليا- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فلست

(١٥٠) أحمر
أسود

أول رسول كذب وأوذي ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برسلهم أي: أمهلتهم مدة حتى ظنوا أنهم غير معذبين. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بأنواع العذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ كان عقابا شديدا وعذابا أليما، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بإمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أفرب العباد الله ﷻ الذي هو قائم على كل نفس يحفظ عليها أعمالها ويكتبه عليها ويدبر أمر الأنفس كلها ويتولاها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها أحق بالعبادة أم الشركاء الذين اتخذوهم مع الله ﷻ وعبدوهم معه.

فجواب قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ محذوف ولكنه مفهوم، والعلم عند الله، وهو أحق بالعبادة أم الأوثان والأصنام وسائر المعبودات؟!!

أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: هؤلاء المشركون عبدوا مع الله ﷻ آلهة أُخرى فارتجوا نفعها وأنها تكشف عن الضرَّ، فقل لهؤلاء المشركين سموا هؤلاء الذين زعمتم أنهم آلهة مع الله، أعلمونا بهم وأخبرونا بأسمائهم وحقيقتهم وأيضًا اذكروا لنا صفاتهم وسيماهم هل منهم الرازق هل منهم الشافي والذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر، وقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين أتخبرون الله ﷻ بأمور لا يعلمها في السموات ولا في الارض

(١٥١) أحمر
أسود

أتظنون أن هناك آلهة في السموات أو في الأرض والله لا يعلمها، كلا فالله يعلم كل شيء، وليست هنالك مع الله آلهة أخرى.

أو قوله تعالى: ﴿أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ فقيل في معناه: أم، وقيل: المراد، أم بباطل من القول، وقيل: أم بظنٍّ من القول، ألا فاعلم أنه ليس لله شريك، وإنما زين للذين كفروا شركهم وكيدهم ومكرهم، وصُرفوا عن طريق الحق، ومن يصرفه الله عن طريق الحق فلن تجد من يهديه ولا من يسدده.

فلهؤلاء الكفار الذين أضلهم الله وصرفهم عن الحق لهم عذاب في الحياة الدنيا، سواء بقتلك لهم أو إرسال السرايا عليهم، أو بتسليط الأمراض والأوبئة عليهم، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وذلك يوم القيامة اشق من عذاب الدنيا وأشد وما لهم من الله من واق يقيهم عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢﴾ [المعارج: ٢] والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفَالرَّبُ الذي هو دائمٌ لا يَبيدُ ولا يَهْلِك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخَلْق، متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبُونه من الأعمال، رقيبٌ عليهم، لا يَعْزُب عنه شيء أينما كانوا، كَمن هو هالك بائِدٌ لا يَسمَع ولا يُبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عَمَّن يعبده ضُرًّا، ولا يَجْلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سَواءٌ؟

وحذف الجواب في ذلك فلم يَقُل، وقد قيل ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾: ككذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَر عما ترك ذِكْره. وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، عُلِمَ أن معنى الكلام: كشركائهم التي اتخذوها آلهةً. كما قال الشاعر:

تَخَيَّرِي خُيِّرْتِ أُمَّ عَالِ ... بَيْنَ قَصِيرٍ شِبْرُهُ تِنْبَالِ

(١٥٢) أحمر
أسود

أَذَاكَ أَمْ مُنْخَـــــرِقُ السِّـــــرْبَالِ وَلا يَـــــزَالُ آخِـــــرَ اللَّيَـــــالِي
مُتْلِـــفَ مَـــالٍ وَمُفِيـــدَ مَـــالِ

ولم يقل وقد قال: «شَبْرُهُ تِنْبَال»، وبين كذا وكذا، اكتفاء منه بقوله: «أذاكَ أم منخرق السربال»، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال على مراده في ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾، ذلكم ربكم تبارك وتعالى، قائمٌ على بني آدمَ بأرزاقهم وآجالهم، وحَفظ عليهم والله أعمالهم.

وقولـــه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين، والمدبِّرُ أمورهم، والحافظُ عليهم أعمالَهُمْ، وجعلوا لي شركاء من خلقي يعبدُونها دوني، قل لهم يا محمد: سمّوا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله، فإنهم إن قالوا: آلهة فقد كذبوا، لأنه لا إله إلا الواحد القهار لا شريك له ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، يقول: أتخبرونه بأن في الأرض إلهًا، ولا إله غيرُه في الأرض ولا في السماء؟

وقوله: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، مسموع، وهو في الحقيقة باطلٌ لا صحة له.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم قالوا: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ﴾، معناه: أم بباطل، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة دون البيان عن حَقيقة تأويلها.

وقوله: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ ﴾، يقول تعالى ذكره: ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض، ولكن زُيِّن للمشركين الذي يدعون من دونه إلهًا، مَكْرُهم، وذلك افتراؤهُم وكذبهم على الله.

(١٥٣) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾، فإن القَرَأة اختلفت في قراءته.

فقرأته عامة قَرَأة الكوفيين: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾، بضم«الصاد»، بمعنى: وصدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم جُعلت«الصاد» مضمومة إذ لم يُسَمَّ فاعله.

وأما عامة قرأة الحجاز والبصرة، فقرأوه بفتح«الصاد»، على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناس عن سبيل الله.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمةٌ من القرأة، متقاربتا المعنى، وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يعبدون غيرهم، كما وصفهم الله به بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾.

[الأنفال: ٣٦]

وقوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٣﴾، يقول تعالى ذكره: ومن أضلَّه الله عن إصابة الحق والهدى بخذلانه إياه، فما له أحدٌ يهديه لإصابتهما، لأن ذلك لا يُنَال إلا بتوفيق الله ومعونته، وذلك بيد الله وإليه دُون كل أحد سواه.

ويقول تعالى ذكره، لهؤلاء الكفار الذين وَصَف صفَتَهم في هذه السورة، عذابٌ في الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفاتِ التي يُصيبهم الله بها ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾، يقول: ولتعذيبُ الله إياهم في الدار الآخرة أشدُّ من تعذيبه إيَّاهم في الدنيا.

«وأشقّ» إنما هو«أفعلُ» من المشقَّة.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ٣٤﴾، يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء الكفار من أحدٍ يقيهم من عذاب الله إذا عذَّبهم، لا حَمِيمٌ ولا وليٌّ ولا نصيرٌ، لأنه جل جلاله لا يعادُّه أحدٌ فيقهره، فيتخَلَّصَه من عذابه بالقهر، ولا يشفع عنده أحدٌ

(١٥٤) أحمر
أسود

إلا بإذنه، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التَّوبة منه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦] وقال: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠] وقال: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: ٧] وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى

(١٥٥) أحمر
أسود

ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ ﴾ قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت: ٢٥].

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: من قرأها بفتح الصاد، معناه: أنهم لما زين لهم ما فيه وأنه حق، دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل. ومن قرأها ﴿وَصُدُّوا۟ ﴾ أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدوا به عن سبيل الله؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ كما قال: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد، إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي: بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: المدخر لهم مع هذا الخزي في الدنيا، « أشق » أي: من هذا بكثير، كما قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**» وهو كما قال، صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] وقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

(١٥٦) أحمر
أسود

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: ١١ -١٥].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ بالجزاء العاجل والآجل، بالعدل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟

ولهذا قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له ولا ند ولا نظير، ﴿قُلْ﴾ لهم إن كانوا صادقين: ﴿سَمُّوهُمْ ۚ﴾ لتعلم حالهم ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة وهو لا يعلم له شريكا، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يُعَلِّمُ الله أن له شريكا وهو لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون؛ ولهذا قال: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ﴾ أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم.

وأما في الحقيقة، فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئا من العبادة، ولكن ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ﴾ من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ يقيهم من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ يعني: نفسه ٥. ومعنى القيام

(١٥٧) أحمر
أسود

هاهنا: التولي لأمور خَلقه، والتدبير لأرزاقهم وآجالهم، وإِحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أفمن هو مجازي كلّ نفس بما كسبت، يثيبها إِذا أحسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فتُرك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بيَّنه بعد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كأنه قيل: كشركائهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإِضافةِ الأفعال إِليهم إِن كانوا شركاء لله كما يُسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكذبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمَّوهم بصفات الله، فقل لهم: أتنبئونه، أي: أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكًا، ولو كان لَعَلِمَه.

قوله تعالى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد.

والثاني: بباطل، قاله قتادة.

والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَصَدُّوا» بفتح الصاد، ومثله في «حم المؤمن» [غافر: ٣٧]. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «وصُدُّوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صَدُّوا المسلمين، إِما عن الإِيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد: صدهم الله عن سبيل الهدى.

(١٥٨) أحمر
أسود

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفَّارة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ أي: مانع يقيهم عذابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ليس هذا القيام القيام الذي هو ضد القعود، بل هو بمعنى التولي لأمور الخلق، كما يقال: قام فلان بشغل كذا، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت أي يقدرها على الكسب، ويخلقها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها، فالمعنى: أنه حافظ لا يغفل، والجواب محذوف، والمعنى: أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل. وقيل: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾ أي عالم، قاله الأعمش. قال الشاعر:

فلولا رجال من قريش أعزة ... سرقتم ثياب البيت والله قائم

أي عالم، فالله عالم بكسب كل نفس. وقيل: المراد بذلك الملائكة الموكلون ببني آدم، عن الضحاك. ﴿وَجَعَلُوا﴾ حال، أي أوقد جعلوا، أو عطف على ﴿اسْتَهْزَءُوا﴾ أي استهزءوا وجعلوا، أي سموا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ يعني أصناما جعلوها آلهة. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي قل لهم يا محمد: ﴿سَمُّوهُمْ ﴾ أي بينوا أسماءهم، على جهة التهديد، أي إنما يسمون: اللات والعزى ومناة وهبل. ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿أَمْ ﴾ استفهام توبيخ، أي أتنبئونه، وهو على التحقيق عطف على استفهام متقدم في المعنى، لأن قوله: ﴿سَمُّوهُمْ ﴾ معناه: ألهم أسماء الخالقين. ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾؟. وقيل: المعنى قل لهم أتنبئون الله بباطن لا يعلمه. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ يعلمه؟ فإن قالوا: بباطن لا يعلمه أحالوا، وإن قالوا: بظاهر يعلمه فقل لهم: سموهم، فإذا سموهم اللات

(١٥٩) أحمر
أسود

والعزى فقل لهم: إن الله لا يعلم لنفسه شريكا. وقيل: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ﴾ عطف على قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ أي أفمن هو قائم، أم تنبئون الله بما لا يعلم، أي أنتم تدعون لله شريكا، والله لا يعلم لنفسه شريكا، أفتنبئونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه! وإنما خص الأرض بنفي الشريك عنها وإن لم يكن له شريك في غير الأرض لأنهم ادعوا له شركاء في الأرض. ومعنى. ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: الذي أنزل الله على أنبيائه. وقال قتادة: معناه بباطل من القول، ومنه قول الشاعر:

أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

أي باطل. وقال الضحاك: بكذب من القول. ويحتمل خامسا - أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم، ويكون معنى الكلام: أتجبرونه بذلك مشاهدين، أم تقولون محتجين. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ أي دع هذا! بل زين للذين كفروا مكرهم قيل: استدراك على هذا الوجه، أي ليس لله شريك، لكن زين للذين كفروا مكرهم. وقرأ ابن عباس ومجاهد-﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ مسمى الفاعل، وعلى قراءة الجماعة فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى، وقيل: الشيطان. ويجوز أن يسمى الكفر مكرا، لأن مكرهم بالرسول كان كفرا. ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي صدهم الله، وهي قراءة حمزة والكسائي. الباقون بالفتح، أي صدوا غيرهم، واختاره أبو حاتم، اعتبارا بقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧] وقوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥]. وقراءة الضم أيضا حسنة في ﴿زُيِّنَ﴾ و﴿وَصُدُّوا۟﴾ لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة، ففيه إثبات القدر، وهو اختيار أبي عبيد. وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة-﴿وصدوا﴾ بكسر الصاد، وكذلك. ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] بكسر الراء أيضا على

(١٦٠) أحمر
أسود

ما لم يسم فاعله، وأصلها صددوا ورددت، فلما أدغمت الدال الأولى في الثانية نقلت حركتها على ما قبلها فانكسر. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بخذلانه. ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ أي موفق، وفي هذا إثبات قراءة الكوفيين ومن تابعهم، لقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ فكذلك قوله: ﴿وَصُدُّواْ﴾. ومعظم القراء يقفون على الدال من غير الياء، وكذلك ﴿الأموال﴾ و﴿وَاقٍ﴾، لأنك تقول في الرجل: هذا قاض ووال وهاد، فتحذف الياء لسكونها والتقائها مع التنوين. وقرى ﴿فما له من هادي﴾، ﴿والي﴾ و﴿واقي﴾ بالياء، وهو على لغة من يقول: هذا داعي ووالى وواقي بالياء، لأن حذف الياء في حالة الوصل لالتقائها مع التنوين، وقد أمنا هذا في الوقف، فردت الياء فصار هادي ووالي وواقي. وقال الخليل في نداء قاض: يا قاضي بإثبات الياء، إذ لا تنوين مع النداء، كما لا تنوين في نحو الداعي والمتعالي. قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

أي للمشركين الصادين، بالقتل والسبي والإسار، وغير ذلك من الأسقام والمصائب. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾.

أي أشد، من قولك: شق علي كذا يشق. ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾.

أي مانع يمنعهم من عذابه ولا دافع. و﴿من﴾ زائدة.

❁ ❁ ❁

(١٦١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ
وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا
وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا
نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ
مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ
ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

[الرعد: ٣٥-٤٣]

(١٦٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ - ٱلْمُتَّقُونَ - أُكُلُهَا دَآئِمٌ - وَظِلُّهَا - عُقْبَى - وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ - ٱلْأَحْزَابِ - يُنكِرُ بَعْضَهُۥ - مَـَٔابِ - حُكْمًا عَرَبِيًّا - وَلِيٍّ - وَاقٍ - وَذُرِّيَّةً - بِـَٔايَةٍ - لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ - يَمْحُواْ ٱللَّهُ - وَيُثْبِتُ - أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ - نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا - لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ - مَكَرَ - ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا - تَكْسِبُ - عُقْبَى ٱلدَّارِ - عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾	صفة الجنة - شبه الجنة.
﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾	الذي اتقوا الشرك والكبائر.
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾	ثمرها وطعامها دائم لا يزول ولا ينتقص.
﴿وَظِلُّهَا﴾	ظل أشجارها (دائم أيضًا).
﴿عُقْبَى﴾	العاقبة (الحسنة لأهل التقوى).
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾	الذين أنزلنا عليى نبيهم الكتاب فتعلموه، وقيل: إنهم اليهود والنصارى الذين آمنوا، وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ.
﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾	الأحزاب الكافرة من كفار المشركين وكفار اليهود، والنصارى الذين لم يؤمنوا وغيرهم من أهل الكفر.
﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾	يكفر ببعضه ويقول: ليس هو من عند الله.
﴿مَـَٔابِ﴾	مرجع، والمراد مرجعي يوم القيامة - مصيري.

(١٦٣) أحمر
أسود

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾	أحكامًا وشرائع بلسان عربيٍّ، وقيل: دينًا عربيًّا، وقيل: محكمًا معربًا.
﴿وَلِيٍّ﴾	نصير - متولي أمرك.
﴿وَاقٍ﴾	من يقيك الشر والعذاب - دافع يدفع عنك الشر والعذاب.
﴿وَذُرِّيَّةً﴾	أبناء وأحفاد.
﴿بِـَٔايَةٍ﴾	بمعجزة.
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾	لكل مدة زمنية كتاب مكتوب فيه ما سيعمل منها، وقيل هنا تقديم وتأخير والمعنى لكل كتاب نزل زمن يعمل به فيه.
﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾	يُزيل - يُغيِّر - يُبدل.
﴿وَيُثْبِتُ﴾	يترك بلا تغيير ولا إزالة.
﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾	أصل الكتاب الذي يرجع إليه.
﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾	نفتحها لرسول الله ﷺ فيضيق الخناق على الكفار. وقيل: نقبض علمائها وفقهاءها، وقيل: نقلل بركتها وثمارها، وقيل: ندمر بعض البلاد كي يتعظ الآخرون.
﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾	لا راد لقضائه - لا يتعقبه أحد.
﴿مَكَرَ﴾	كاد - تآمر.
﴿ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾	الكيد والمكر والتدبير.
﴿تَكْسِبُ﴾	تعمل.

(١٦٤) أحمر
أسود

﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	العاقبة (الحسنة) في الدار الآخرة للمؤمنين، والعاقبة (السيئة) لأهل الكفر.
﴿عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	علم التوراة والإنجيل - وقيل: العلم بالقرآن.

❁ ❁ ❁

(١٦٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: صفة الجنة التي وعدها الله ﷻ من اتقوا الشرك بالله، وعبدوا الله ووحدوه واتقوا محارمه ومساخطه صفتها: أنها تجري من تحتها الأنهار، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

والطعام والثمار الذي في الجنة لا يزول بل هو دائم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، وكذلك ظلها دائم، فهذه هي العاقبة الحسنة للذين اتقوا، أما عاقبة الكافرين فيه النار والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ذكر (المثل) فقال: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والمراد: الجنة، ثم وصفت الجنة بصفتها وليست صفتها شيئًا غيرها...

ثم قال:

وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾، يعني: ما يؤكل فيها، يقول: هو دائم لأهلها، لا ينقطع عنهم، ولا يزول ولا يبيد، ولكنه ثابتٌ إلى غير نهاية ﴿وَظِلُّهَا ۚ﴾، يقول: وظلها أيضًا دائم، لأنه لا شمس فيها.

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ﴾، يقول: هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه، عاقبة الذين اتَّقَوا الله، فاجتنبوا مَعَاصيه وأدَّوْا فرائضه.

وقوله: ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾، يقول: وعاقبةُ الكافرين بالله النارُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قرن هذا بهذا؛ فقال: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ أي: صفتها

(١٦٦) أحمر
أسود

ونعتها، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ أي: فيها المطاعم والفواكه والمشارب، لا انقطاع لها ولا فناء.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)]، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، وَفِيهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعت فَقَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ -أَوْ: أُرِيتُ الْجَنَّةَ -فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**».

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤].

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: ٥٧].

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[(٢)] مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الْوَاقِعَةِ: ٣٠].

---

(١) البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).
(٢) البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٨٢٧).

(١٦٧) أحمر
أسود

وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذر من النار؛ ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر، قال بعده: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: والذين أنزلنا على نبيهم الكتاب فآمنوا به وصدقوه يفرحون بالقرآن الذي ينزل عليك يا رسول الله.

أما من هم الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب، أي: الذين آمنوا من اليهود والنصارى.

والقول الثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به واتبعوه وصدقوه.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ أي: ومن الأحزاب الكافرة من مشركي مكة واليهود والنصارى وغيرهم ممن تخربوا على الكفر من ينكر بعض هذا القرآن، ومن هذا البعض الذي ينكروه نبوة النبي ﷺ، وبعض أحكام الشريعة من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك، وكذا اسم الرحمن، وكذا البعث فإن كثيرين ينكرون ذلك.

فقل لهؤلاء الجاحدين المنكرين، إنما أُمرت أن أعبد الله وحده لا شريك له، ولا اشرك في عبادته أحدًا، وإلى عبادة الله ﷻ لا شريك له أدعو الخلق، وإلى الله مصيري ومرجعي يوم القيامة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(١٦٨) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممَّن آمن بك واتبعك، يا محمد، ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ منه ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾، يقول: ومن أهل الملل المتحزِّبين عليك، وهم أهل أدْيان شَتَّى، من ينكر بعضَ ما أنزل إليك. فقل لهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ﴾، أيها القوم ﴿أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ﴾ وحده دون ما سواه ﴿وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾، فأجعل له شريكًا في عبادتي، فأعبدَ معه الآلهةَ والأصنامَ، بل أخلِص له الدين حَنِيفًا مسلمًا ﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾، يقول: إلى طاعته وإخلاص العبادة له أدعو الناسَ ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾، يقول: وإليه مصيري.

وهو «مَفْعَل»، من قول القائل: «آبَ يَؤُوب أوْبًا ومَآبًا».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدَّقُوا به

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾، يعني اليهودَ والنصارى.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾، قال: هذا مَنْ آمنَ برسول الله ﷺ من أهل الكتاب فيفرحون بذلك. وقرأ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ [يونس: ٤٠]. وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾، قال: «الأحزاب»: الأممُ، اليهودُ والنصارى والمجوس منهم من آمنَ به، ومنهم من أنكره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهم قائمون بمقتضاه ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١] وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١٦٩) أحمر
أسود

أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي: إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد ﷺ لحقا وصدقا مفعولا لا محالة، وكائنا، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك.

وقال مجاهد: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ اليهود والنصارى، من ينكر بعضه ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾ أي: إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ ﴾ أي: إلى سبيله أدعو الناس، ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: مرجعي ومصيري.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ يعني مشركي مكة، ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى والمجوس. وقيل: هم العرب المتحزبون على النبي ﷺ. وقيل: ومن أعداء المسلمون من ينكر بعض ما في القرآن، لأن فيهم من كان يعترف ببعض الأنبياء، وفيهم من كان يعترف بأن الله خالق السماوات والأرض. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾ قراءة الجماعة بالنصب عطفا على« أعبد». وقرأ أبو خالد بالرفع على الاستئناف أي أفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وأتبرأ

(١٧٠) أحمر
أسود

عن المشركين، ومن قال: المسيح ابن الله وعزير ابن الله، ومن اعتقد التشبيه كاليهود. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ أي إلى عبادته أدعو الناس. ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ أي أرجع في أموري كلها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: منَّا عليهم به وبمعرفته، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض، وتصديق بعضها بعضا وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ أي: ومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض هذا القرآن ولا يصدقه.

﴿فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ إنما أنت يا محمد منذر تدعوا إلى الله، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ أي: بإخلاص الدين لله وحده، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ أي: مرجعي الذي أرجع به إليه فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه والقيام بما أمرت به.

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ﴾ وبيان الذين يفرحون أقوالًا:

أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ قاله قتادة.

والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أُنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدَّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدَّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قِلَّة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذِكره في التوراة، فلما

(١٧١) أحمر
أسود

نزل ذِكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية.

فأما الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزّى، قاله مقاتل.

والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي.

وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذِكر الرحمن والبعثِ ومحمدٍ ﷺ، قاله مقاتل.

والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوَّته.

والثالث: أنهم عرفوا صِدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وكذلك انزلنا هذا القرآن عليك يا رسول الله أحكامًا بلسان عربيٍّ، ودينًا بلسانٍ عربي، وقيل مُحكمًا بلسان عربي ولئن اتبعت آراء هؤلاء الكفار وما تهواه نفوسهم من الغيِّ والضلال والفكر بعد ما جاءك من العلم في هذا الكتاب العزيز ما لك من الله من وليٍّ يتولاك ولا واقٍ يقيك عذاب الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكما أنزلنا عليك الكتاب، يا محمد، فأنكرهُ بعض

(١٧٢) أحمر
أسود

الأحزاب، كذلك أيضًا أنزلنا الحكم والدين حُكْمًا عربيًا وجعل ذلك ﴿عَرَبِيًّا﴾، ووصفه به لأنه أنزل على محمدٍ ﷺ وهو عربيٌّ، فنسب الدين إليه، إذ كان عليه أنزل، فكذَّب به الأحزابُ. ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب، وتهدَّده على ذلك إنْ فعله فقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ﴾ يا محمد ﴿أَهْوَاءَهُم﴾، أهوَاء هؤُلاء الأحزاب ورضَاهم ومحبتَهم وانتقلت من دينك إلى دينهم، ما لك من يَقيك من عَذاب الله إنْ عذّبك على اتباعك أهواءَهم، وما لك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله إن هو عاقبك، يقول: فاحذر أن تتّبع أهَواءهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي: وكما أرسلنا قبلك المرسلين، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا، شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي: آراءهم، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: من الله تعالى ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي: من الله تعالى. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي وكما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب كذلك أنزلناه حكما عربيا، وإنما وصفه بذلك لأنه أنزله على محمد ﷺ، وهو عربي، فكذب الأحزاب بهذا الحكم أيضا. وقيل نظم الآية: وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا إليك القرآن حكما عربيا،

(١٧٣) أحمر
أسود

أي بلسان العرب، ويريد بالحكم ما فيه من الأحكام. وقيل: أراد بالحكم العربي القرآن كله، لأنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم. ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، وفي التوجيه إلى غير الكعبة. ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي ناصر ينصرك. ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد الأمة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا توعد رسوله -مع أنه معصوم- ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ يقيك من الأمر المكروه.

أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله، وكانوا بشرًا كما أنك بشرٌ فقد كانت لهم أزواج، وكان لهم أيضًا ذرية، وما كان لرسول منهم أن يأتي بمعجزة من تلقاء نفسه، إنما يسأل الله ذلك فتأتي المعجزة من عند الله على الوجه الذي يشاؤه الله، وفي التوقيت الذي يريده الله، وبإذنه عَزَّ وَجَلَّ.

(١٧٤) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: لكل مدة من الزمن كتاب مكتوب فيه ما سيحدث في هذه المدة الزمنية.

والثاني: أن هنا تقديم وتأخير، والمعنى لكل كتاب من الكتب التي أنزلها الله ﷻ أجل ينتهي عنده ويأتي كتاب آخر من عند الله ينسخ بعض ما في الكتاب المتقدم من الأحكام إلى أن نزل القرآن ولا ناسخ له بل هو المهيمن على الكتب كلها، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾، يا محمد ﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ إلى أمم قَدْ خَلَتْ من قبلِ أمتك، فجعلناهم بَشرًا مثلَك، لهم أزواج ينكحون، وذريةٌ أنْسَلوهم، ولم نجعلهم ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعلَ الرسولَ إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يقدِر رسولٌ أرسله الله إلى خلقه أنْ يأتي أمَّتَه بآية وعلامة، من تسيير الجبال، ونقل بَلْدةٍ من مكان إلى مكان آخر، وإحياء الموتى ونحوها من الآيات ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، يقول: إلا بأمر الله الجبالَ بالسير، والأرضَ بالانتقال، والميتَ بأن يحيَا ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾، يقول: لكلِّ أجلِ أمرٍ قضاه الله، كتابٌ قد كتبَه فهو عنده.

وقد قيل: معناه: لكل كتابٍ أنزله الله من السماء أجَلٌ.

وأورد بإسنادٍ ضعيف عن الضحاك في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾، يقول: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، فيمحُو الله من ذلك ما يشاءُ ويُثْبت، وعنده

(١٧٥) أحمر
أسود

أمُّ الكتاب.

قال أبو جعفر: وهذا على هذا القول نظيرُ قول الله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: ١٩]، وكان أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرؤه ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾، وذلك أن سَكْرة الموت تأتي بالحق والحق يأتي بها، فكذلك الأجل له كتاب وللكتاب أجَلٌ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وكما أرسلناك، يا محمد، رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجا وذرية، وقد قال الله تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)]: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَآكُلُ الدَّسَمَ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾ أي: لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

وكان الضحاك بن مزاحم[(٢)] يقول في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾ أي:

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) بنحوه.

(٢) وفي السند عند الطبري عن الضحاك ضعف، والله أعلم..

(١٧٦) أحمر
أسود

لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يمحو ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ عاد الكلام إلى ما اقترحوا من الآيات- ما تقدم ذكره في هذه السورة- فأنزل الله ذلك فيهم، وظاهر الكلام حظر ومعناه النفي، لأنه لا يحظر على أحد ما لا يقدر عليه. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨﴾ أي لكل أمر قضاه الله كتاب عند الله، قال الحسن. وقيل: فيه تقديم وتأخير، المعنى: لكل كتاب أجل، قال الفراء والضحاك، أي لكل أمر كتبه الله أجل مؤقت، ووقت معلوم، نظيره. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ﴾ [الأنعام: ٦٧]، بين أن المراد ليس على اقتراح الأمم في نزول العذاب، بل لكل أجل كتاب. وقيل: المعنى لكل مدة كتاب مكتوب، وأمر مقدر لا تقف عليه الملائكة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ ﴾ فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨﴾ لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد.

(١٧٧) أحمر
أسود

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لكل أجل من آجال الخَلق كتاب عند الله، قاله الحسن.

والثاني: أنه من المقدّم والمؤخّر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل. قاله الضحاك والفراء.

والثالث: لكل أجل قدَّره الله ﷻ، ولكل أمر قضاه، كتاب أُثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إِلا بأجل قد قضاه الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

❁ ❁ ❁

(١٧٨) أحمر
أسود

مبحثٌ في المحو والإثبات

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الآية متعلقة بما قبلها فقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، متعلق بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾، وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ من المقدم والمؤخر، بمعنى لكل كتاب أنزله الله على رسوله (للشرائع والأحكام التي فيه أجل) إلى أن يأتي كتاب آخر من عند اله فينسخ الله من الكتاب الأول ما يشاء بالكتاب الثاني، أو يتركه بلا نسخ،فمثلًا التوراة لها زمنٌ معين فإذا جاء الإنجيل نُسخ منها بعض الأحكام، وأثبتت أحكام كما هي عليه.

ويأتي القرآن بعد الإنجيل فينسخ بعض أحكام الإنجيل ويثبت أحكامًا أخر.

أما القرآن فلا كتاب من عند اله بعده.

فعلى هذا فقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ من الكتب التي أنزلها على الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

الوجه الثاني: أن قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ متعلق باللوح المحفوظ، يُغيِّر الله في الأقدار التي قدرها ما يشاء ويثبت ما يشاء، وقد ورد عن عددٍ من السلف أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا فامحه واكتبني سعيدًا.

الوجه الثالث: كالوجه الثاني، لكن هناك أشياء في اللوح المحفوظ لا تتغير، وهي الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، وما سواها يتغير أو يترك كما يشاء

(١٧٩) أحمر
أسود

الله ﷻ.

الوجه الرابع: أن الكتاب كتابان، أحدهما: اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل فيه شيء والآخر كتاب، قيل: بأيدي الملائكة يتغير فيه أمور، وتثبت فيه أمور كما يريد الله فكان البعض يقولون: إن حاصل ذلك أن الله يقول لملائكته إذا عمل عبدي حسنة كذا وكذا فزيدوه في الرزق كذا وكذا، أو في الأجل كذا وكذا، أو غير ذلك، وإلا فلا تزيدوه، ونحو ذلك، والله أعلم بما تنتهي إليه الأمور، وقد أثبت ما تنتهي إليه الأمور في اللوح المحفوظ.

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ متعلق بالناسخ والمنسوخ اللذين في القرآن، فيترك الله بعض الآيات بلا نسخ وينسخ آيات أُخر.

الوجه السادس: يمحو الله ﷻ من سيئات العبد ما يشاء بمغفرته وعفوه، ويترك سيئات آخرين يؤاخذهم بها.

الوجه السابع: يمحو الله من يشاء من الخلق بإماتته ويترك ما يشاء حيًّا.

الوجه الثامن: يمحو الله ما يشاء من آياته ويترك آيات أخر، أعني الآيات التي في الآفاق، كالليل، والنهار، والشمس، والقمر، قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

الوجه التاسع: أن ذلك متعلق بأحوال العباد فمنهم من يعلم بطاعة الله ﷻ زمانًا ثم يُمحى هذا ويعمل بالمعصية فيموت عليها.

ومنهم من يعمل بمعصية الله ﷻ زمانًا ثم يُمحى هذا ويعمل بطاعة الله ﷻ.

الوجه العاشر: أن هذا متعلق بالأشخاص أثناء نومهم فيقبض الله أرواح بعضهم أثناء نومهم ويترك آخرين يرد إليهم أرواحهم.

(١٨٠) أحمر
أسود

هذا وثمَّ أقوال أخر، والوجوه الأُول قوية، والله أعلم بالصواب من تاويل كتابه.

أما قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ فالمراد به والله أعلم أصل الكتاب وجملته. والله أعلم.

وإن كان لأم الكتاب معان أُخر قدمت ذكرها في مقدمة سورة الفاتحة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: يمحو الله ما يشاء من أمور عبادِه، فيغيّره، إلا الشقاء والسعادة، فإنهما لا يُغَيَّران.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾، قال: يدبّر الله أمرَ العباد فيمحو ما يشاءُ، إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت.

وبسندٍ صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾، قال: إلا الحياة والموت والسعادة والشقاوة فإنَّهما لا يتغيَّران.

وأورد الطبري من وجه آخر عن منصور قال: سألت مجاهدًا فقلت: أرأيت دعاءَ أحدنا يقول:«اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه واجعله في السعداء»، فقال: حَسنٌ. ثم أتيته بعد ذلك بحَوْلٍ أو أكثر من ذلك، فسألته عن ذلك، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ [الدخان: ٣، ٤] قال: يُقْضى في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدِّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغَيَّر.

(١٨١) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتابٍ سوى أمّ الكتاب الذي لا يُغَيَّرُ منه شيء.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾، قال: كتابان: كتابٌ يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب.

وبسندٍ صحيح عن عكرمة قال: الكتابُ كتابان، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء، ويثبت كل ما أراد.

وأورد بسندٍ صحيح عن شقيق (وهو أبو وائل شقيق بن سلمة) أنه كان يقول: «اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء، فامحنَا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاءُ وتثبت وعندَك أمّ الكتاب».

ومن وجه آخر صحيح عن أبي وائل أيضًا قال: كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات:«اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب».

وأورد الطبري بسنده إلى أبي عثمان النَّهْديّ (والإسناد قابل للتحسين ويتمم السقط الذي فيه ابن كثير)[1]، أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكي: اللهم إن كنت كتبت علي شِقْوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت. وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادةً ومغفرةً.

ونبحوه بإسناد فيه مقال عن ابن مسعود.

---

(١) ففي السند سقط شيخ الطبري، وأوضحه ابن كثير إذ ساق الإسناد، وهو عمرو بن علي شيخ الطبري.

(١٨٢) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنّ الله ينسخ ما يشاء من أحكام كِتَابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسَخُه.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، قال: من القرآن. يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ ما يشاء فلا يبدله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾، يقول: وجملة ذلك عنده في أمّ الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كلُّ ذلك في كتاب.

وبسندٍ صحيح عن قتادة قوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾، هي مثل قوله: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [سورة البقرة:١٠٦]، وقوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾: أي جُملة الكتاب وأصله.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، بما ينزل على الأنبياء، ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ ما يشاء مما ينزل على الأنبياء، قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾، لا يغيَّر ولا يبدَّل.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن (البصري) قال: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾، يقول: يمحو من جاء أجله فذهب، والمثبت الذي هو حيٌّ يجري إلى أجله.

وأورد بسندٍ ضعيف عن مجاهد قول الله: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾، قالت قريش حين أنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: ما نراك، يا محمد تملك من شيء، ولقد فُرِغ من الأمر! فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدَثْنا له من أمرنا ما شئنا، ونُحْدِث في كل رمضان، فنمحو ونثبتُ

(١٨٣) أحمر
أسود

ما نشاء من أرزاق الناس وَمصَائبهم، وما نعطيهم، وما نقسم لهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهُها بالصّواب، القولُ الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره توعَّد المشركين الذين سألوا رسولَ الله ﷺ الآياتِ بالعقوبة، وتهدَّدهم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾، يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مُثْبَتًا في كتاب، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل. ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شَاء ممن قد دَنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مالٍ، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك مَحْوُه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

وأورد أحاديث فيها مقال في هذا الصدد.

أما قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ فأورد الطبري أيضًا أقوالًا منها معناه: وعنده الحلال والحرام.

ومنها معناه: وعنده جملة الكتاب وأصله، وأورد هذا بسندٍ صحيح عن قتادة.

ومنها: بسندٍ فيه مقالٌ عن ابن عباس أنه سأل كعبًا عن«أم الكتاب» قال: علم الله ما هو خَالقٌ وما خَلْقُه عاملون، فقال لعلمه: كُنْ كتابًا، فكان كتابًا.

قال الطبري: وقال آخرون: هو الذكر.

(١٨٤) أحمر
أسود

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال:«وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحُو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾، فكان بيِّنًا أن معناه. وعنده أصل المثبّت منه والمَمحوّ، وجملتُه في كتاب لديه.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراءتين في قوله تعالى: ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ أحدهما: يُثبِّت، والأخرى يثبت مخففة فالأولى بالتشديد (تشديد الباء) بمعنى ويتركه ويقرِّه على حاله فلا يمحوه.

وأورد القرطبي إضافة إلى ما ذُكر أقوالًا منها: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾. وقال مالك بن دينار في المرأة التي دعا لها: اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاما فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول:« **من سره أن يبسط له رزقه وينسأ له أثره فليصل رحمه**». ومثله عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:« **من أحب**» فذكره بلفظه سواء، وفيه تأويلان: أحدهما- معنوي، وهو ما يبقى بعده من الثناء الجميل والذكر الحسن، والأجر المتكرر، فكأنه لم يمت. والآخر- يؤخر أجله المكتوب في اللوح المحفوظ، والذي في علم الله ثابت لا تبدل له، كما قال:﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾. وقيل لابن عباس لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من أحب أن يمد الله في عمره وأجله ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه**» كيف يزاد في العمر والأجل؟! فقال: قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٢]. فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني-

(١٨٥) أحمر
أسود

يعني المسمى عنده- من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ، ما شاء، وإذا عصى وقطع رحمه نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده في أجل البرزخ فإذا تحتم الأجل في علمه السابق امتنع الزيادة والنقصان، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤] فتوافق الخبر والآية، وهذه زيادة في نفس العمر وذات الأجل على ظاهر اللفظ، في اختيار حبر الأمة[1].

وذكر القرطبي أقوالًا في المحو والإثبات منها:

وقال الحسن: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من جاء أجله، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ من لم يأت أجله. وقال الحسن: يمحو الآباء، ويثبت الأبناء. وعنه أيضا. ينسي الحفظة من الذنوب ولا ينسى. وقال السدي: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ يعني: القمر، ﴿ويثبت﴾ يعني: الشمس، بيانه قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] وقال الربيع بن أنس: هذا في الأرواح حالة النوم، يقبضها عند النوم، ثم إذا أراد موته فجأة أمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية [الزمر: ٤٢]. وقال علي بن أبي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون، كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [يس: ٣١] ويثبت ما يشاء منها، كقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون: ٣١] فيمحو قرنا، ويثبت قرنا. وقيل: هو الرجل يعمل الزمن الطويل بطاعة الله، ثم يعمل بمعصية الله فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بمعصية الله الزمان الطويل ثم يتوب، فيمحوه الله من ديوان السيئات، ويثبته في ديوان الحسنات.

(١) ولم أقف على سندٍ صحيح لهذا الأثر.

(١٨٦) أحمر
أسود

وقال القرطبي أيضًا:

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ أصل ما كتب من الآجال وغيرها. وقيل: أم الكتاب اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقد قيل: إنه يجري فيه التبديل. وقيل: إنما يجري في الجرائد الأخر. وسيل ابن عباس عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق، وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا، ولا تبديل في علم الله، وعنه أنه الذكر، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهذا يرجع معناه إلى الأول، وهو معنى قول كعب. قال كعب الأحبار: أم الكتاب علم الله تعالى بما خلق وبما هو خالق[١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأقدار ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب

---

(١) قلت (مصطفى): والإشكالية في هذه الآثار عدم التيقن من ثبوتها فالذي وقفت عليه من أسانيدها ضعيف، والله أعلم.

(١٨٧) أحمر
أسود

قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة الثاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ويثبِّت» مشددة الباء مفتوحة الثاء. قال أبو علي: المعنى: ويثبِّته، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني.

واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبِت على ثمانية أقوال:

أحدها: أنه عامّ، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج.

والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يدعه ثابتًا لا ينسخه، وهو المُحكَم.

والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه»[1] من حديث حذيفة بن أَسِيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملَك الموكَّل: أذَكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملَك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملَك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملَك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزاد فيها ولا يُنقص منها**».

(١) مسلم ٤/ ٢٠٣٧ ورواية المصنف هنا بالمعنى.

(١٨٨) أحمر
أسود

والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيَّران، قاله مجاهد.

والخامس: يمحو من جاء أجله، ويُثبت من لم يجيء أجله، قاله الحسن.

والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روي عن سعيد بن جبير.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة.

والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كلُّه يُكتَب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويُثبت ما فيه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أُثبت فيه ما يكون ويحدث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وقد نرينك يا رسول الله ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب، فيحل بهم العذاب وأنت حيٌّ وتقر عينك ويشفى صدرك بالانتقام منهم فنحن قادرون على ذلك، فإذا فعلنا بهم ذلك أو توفيناك قبل أن ترى ذلك فيهم فإن الذي عليك هو البلاغ، وقد أديته، أما حسابهم فعلى الله ﷻ، هو جامعهم ليوم القيامة يحاسب كلًّا على ما صنع.

والآية كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي

وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١، ٤٢]، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما نرينك، يا محمد في حياتك بعضَ الذي نعدُ هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم أو نتوفيَنَّكَ قبل أن نُريَك ذلك، فإنما عليك أن تنتهِيَ إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالتَه، لا طلبَ صلاحِهم ولا فسادهِم، وعلينا محاسبتهم، فمجازاتهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ أي: نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ أي قبل ذلك، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ أي: إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد بلغت ما أمرت به، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: حسابهم وجزاؤهم، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ٢١ -٢٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ ﴿مَّا ﴾ زائدة، والتقدير: وإن نرينك بعض الذي نعدهم، أي من العذاب لقوله: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الرعد: ٣٤] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ ﴾ [الرعد: ٣١] أي إن أريناك بعض ما وعدناهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ فليس عليك إلا البلاغ، أي التبليغ، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي الجزاء والعقوبة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل

(١٩٠) أحمر
أسود

إصابتهم فليس ذلك شغلا لك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ والتبيين للخلق.

﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونثيبهم أو نعاقبهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أولم يرهؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحدانية الله ﷻ، الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وفي نقصانها من أطرافها.

أقوال للعلماء:

أحدها: أن الناس يسلمون قومًا بعد قومٍ فيضيق الخناق على أهل الشرك بمكة، وذلك بالفتوحات التي يفتحها الله على رسوله ﷺ والبلاد التي تفتح ويدخل أهلها الإسلام، فيومًا بعد يومٍ يضيق الخناق على كفار مكة ويتحول صديقهم الكافر إلى وليٍّ حميم لرسول الله ﷺ بعد إسلامه.

الوجه الثاني: أن خرابًا يحلُّ ببعض البلاد يوم بعد يوم فالمعنى، أولم يروا متعقلين ما يحدث حولهم من تخريب بعض البلاد وتدميرها فيأخذونه من ذلك عبرة ويخشون أن يحلَّ بهم ما يحل بهؤلاء.

الوجه الثالث: أن المراد بإنقاص الأرض من أطرافها نقصان البركة والثمار.

الوجه الرابع: أن إنقاص الأرض من أطرافها موت العلماء والفقهاء.

وثمَّ وجوهٌ أُخر في هذا المعنى.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

(١٩١) أحمر
أسود

فمعناه: والله يقضي ما يشاء من أقضيته ويفعل بالعباد والخلق ما يشاء وما يريد، لا راد لقضائه ولا دافع لمراده وهو سريع الحساب، يحاسب هؤلاء الأقوام ويحص عليهم أقوالهم وأعمالهم ويجازيهم عليها.

فلا يستعجل هؤلاء الكفار العذاب فإنه آت وأعمالهم مُحصاة عليهم وكذا أقوالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهلُ التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: أولم ير هؤلاء المشركون مِنْ أهل مكة الذين يسألون محمدًا الآيات، أنا نأتي الأرض فنفتَحُها له أرضًا بعد أرض حَوَالَيْ أرضهم؟ أفلا يخافون أن نفتح لَهُ أرضَهم كما فتحنا له غيرها؟

وأورد بإسنادٍ صحيح بمجموع طرقه عن ابن عباس في قوله: ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، قال: أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال آخرون: بل معناه: أولم يروا أنا نأتي الأرض فنخرِّبها، أو لا يَخَافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرِّب أرضهم؟

وأخرج بسندٍ صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، قال: أولم يروا إلى القرية تخربُ حتى يكون العُمْران في ناحية؟

وقال آخرون: بل معناه: ننقص من بَرَكتها وثَمرتها وأهلِها بالموت.

وقال آخرون: معناه: أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها، فنتطرَّفهم بأخذهم بالموت.

وقال آخرون: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بذهاب فُقَهائها وخِيارها.

وأورد بسنده إلى ابن عباس قال: ذهابُ علمائها وفقهائِها وخيار أهلِها.

(١٩٢) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قولُ من قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها وقَهْرِهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظُهورَهم على أرْضِهم وقَهْرَهم إياهم؟ وذلك أن الله توعَّد الذين سألوا رسولَه الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾، ثم وبَّخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم ما يعاينون من فعل الله بضُرَبائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بقهر أهلها، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يَرَوْن من ذلك.

وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾، يقول: والله هو الذي يحكم فيَنْفُذُ حكمُه، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حُكْم الله وقضاؤُه لم يستطيعوا رَدَّهَ. ويعني بقوله: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا راد لحكمه،

«والمعقب»، في كلام العرب، هو الذي يكرُّ على الشيء.

وقوله: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾، يقول: والله سريع الحساب يُحْصي أعمال هؤلاء المشركين، لا يخفى عليه شيء، وهو من وراءِ جزائهم عليها.

واختار ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أن المراد ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال متوعدا للمكذبين ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل بإهلاك المكذبين واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين،

(١٩٣) أحمر
أسود

ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال.

والظاهر -والله أعلم- أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيها لهم قبل أن يجتاحهم النقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري والجزائي.

فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾ أي: فلا يستعجلوا بالعذاب فإن كل ما هو آت، فهو قريب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وقد كاد الكفار الذين كانوا قبل كفار قريش لرسلهم، ومكروا برسلهم لقتلهم أو لإخراجهم من بلادهم، أو لسجنهم وحبسهم قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

مكر الكفار برسلهم وحاولهم قتلهم، ولكن هم يكيدون ويمكرون، واليه يكيد لهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، وبلا شك فمن كاد الله له قصمه الله، ومن أراد الله إذلاله فلا مُعزَّ له ولا ناصر، ولا عاصم له من أمر الله فالتدبير كله لله، والله يعلم ما تكسب الأنفس من أعمال من حسنات وسيئات، وسيعلم أهل الكفر عن قريبٍ لمن ستكون

(١٩٤) أحمر
أسود

العاقبة الحسنة في الآخرة. ولمن ستكون العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة إن العاقبة الحسنة في الآخرة لأهل الإيمان وهي الجنة.

والعاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي النار والعياذ بالله لأهل الكفر والشقاوة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قَبْل هؤلاء المشركين من قُرَيشٍ من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورُسله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، يقول: فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه: يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك، يا محمد، والله منَجّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، يقول: يعلم ربك، يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، وما يسعون فيه من المكر بك، ويعلم جميعَ أعمال الخلق كلهم، لا يخفى عليه شيء منها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾، يقول: وسيعلمون إذا قَدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخلُ المؤمنون بالله ورسوله الجَنَّة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ

(١٩٥) أحمر
أسود

كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ الآية [النمل: ٥٠ -٥٢].

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾ أي: إنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر، وسيجزي كل عامل بعمله.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ وقرئ: ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾ ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لمن تكون الدائرة والعاقبة، لهم أو لأتباع الرسل؟ كلا بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، ولله الحمد والمنة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي من قبل مشركي مكة، مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾ أي هو مخلوق له مكر الماكرين، فلا يضر إلا بإذنه. وقيل: فلله خير المكر، أي يجازيهم به. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾ من خير وشر، فيجازي عليه. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ كذا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. الباقون« الكفار» على الجمع. وقيل: عني به أبو جهل. ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ أي عاقبة دار الدنيا ثوابا وعقابا، أو لمن الثواب والعقاب في الدار الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم ولم يصنعوا شيئا فإنهم يحاربون الله ويبارزونه، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكرا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره،

فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾ أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة.

(١٩٦) أحمر
أسود

والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكرا يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئا، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأهله.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ عِندَهُۥ..﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقفلها على سبب نزول بسندٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- ويقول أهل الكفر من مشركي مكة وغيرهم من أهل الشرك، يقولون لك: يا رسول الله لست مرسلًا من عند الله، فقل لهؤلاء لمكذبين برسالتك كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم يشهد عليَّ ويشهد عليكم، يشهد لي باني رسول من عنده ﷻ، ويشهد عليكم بشرككم وبتكذيبكم.

وكذا يشهد لي بأني رسولٌ من عند الله، مَن عنده علم الكتاب، قيل: المراد بهم المؤمنون من أهل الكتاب شهدوا للرسول بالرسالة إذ كتبهم أخبرت بذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧] إلى غير ذلك.

(١٩٧) أحمر
أسود

فالقول الأول في تفسير: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ أي: والذين آمنوا من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وعدي بن حاتم الطائي وغيرهم.

والقول الثاني: أن الذي عنده علم الكتاب هو الله ﷻ.

القول الثالث: أن الذي عنده علمٌ من الكتاب جبريل عليه السلام.

القول الرابع: أن الذي عنده علمٌ من الكتاب عليٌّ رضي الله عنه.

وأظهر الأقوال أن المراد: علماء أهل الكتاب الذين آمنوا، ولا يمنع أن يدخل معهم غيرهم.

أما القول بأن الذي عنده علم الكتاب هو الله، فلا شك أن الله يعلم، وعنده علم الكتاب، ولكن المراد بالآية بشرٌ، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ ثم العطف بقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ فهذا يدل - في الغالب على التغاير، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا! تكذيبا منهم لك، وجحودًا لنبوّتك، فقل لهم إذا قالوا ذلك: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾، يقول: قل حَسْبي الله ﴿شَهِيدًۢا﴾، يعني شاهدًا ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، عليّ وعليكم، بصدقي وكذبكم ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

فـ«مَنْ» إذا قرئ كذلك في موضع خفضٍ عطفًا به على اسم الله، وكذلك قرأته قرَأَة الأمصار بمعنى: والذين عندهم علم الكتاب أي الكتب التي نزلت قبلَ القرآن كالتوراة والإنجيل. وعلى هذه القراءة فسَّر ذلك المفسِّرون.

واورد الطبري بعض الأقوال في تعيين الذي عنده علم الكتاب.

فقال بعضهم: هو عبد الله بن سلام.

(١٩٨) أحمر
أسود

وقال آخرون: هو رجل من الإنس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾، قال: قول مشركي قريش: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾، أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحقّ ويقرُّون به، ويعلمون أن محمدًا رسول الله، كما يُحدَّث أن منهم عبد الله بن سَلام.

وفي رواية عن قتادة: كان منهم عبدُ الله بن سَلام، وسَلْمَان الفارسي، وتميمٌ الدَّاريّ.

وأورد الطبري أقوالًا بنيت على قراءة (**مِن عنده علم الكتاب**) بكسر الميم في مِن، والمعنى ومن عند الله يتأتى العلم بالكتاب، وأورد حديثًا بذلك عن رسول الله ﷺ وضعَّفه الطبري بقوله ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذْ كان ذلك كذلك وكانت قرأء الأمصار من أهل الحجاز والشأم والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾، كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرأة الأمصار أولى بالصواب ممّا خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقَّ بالصواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ويكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ أي: ما أرسلك الله، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: حسبي الله، وهو الشاهد علي وعليكم، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان.

(١٩٩) أحمر
أسود

وقال في ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾:

والصحيح في هذا: أن ﴿ومن عنده﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة، من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ الآية: [الشعراء: ١٩٧]. وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة. وقد ورد في حديث الأحبار، عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾ أي: يكذبونك ويكذبون ما أرسلت به، ﴿قُلْ﴾ لهم -إن طلبوا على ذلك شهيدا: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فبما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته.

وأما فعله فلأن الله تعالى أيد رسوله ونصره نصرا خارجا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد.

وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط وحل له ماله ودمه والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله بالعقوبة.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فإخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده

(٢٠٠) أحمر
أسود

شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم والله أعلم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعِكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومُقاتل.

والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداريّ، قاله قتادة.

والرابع: أنه جبريل ﷺ، قاله سعيد بن جُبير.

والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية.

والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر.

والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الرعد.

❁ ❁ ❁

(٢٠١) أحمر
أسود

تفسير سورة إبراهيم

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ
فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ وَإِذۡ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ
لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ
إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾

[إبراهيم: ١-٨]

(٢٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ - ٱلنُّورِ - بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ - صِرَٰطِ - ٱلۡحَمِيدِ - يَسۡتَحِبُّونَ - وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ - ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ - بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ - فَيُضِلُّ - بِـَٔايَٰتِنَآ - بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ - صَبَّارٖ - شَكُورٖ - يَسُومُونَكُمۡ - سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ - وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ - بَلَآءٞ - تَأَذَّنَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	الكفر والضلالة والشك والارتياب.
﴿ٱلنُّورِ﴾	الإيمان والهدى واليقين والحق.
﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾	بأمر ربهم - بتوفيق ربهم.
﴿صِرَٰطِ﴾	طريق.
﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾	المحمود على نعمه وإحسانه.
﴿يَسۡتَحِبُّونَ﴾	يؤثرون - يفضلون.
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	يصرفون الناس عن الطريق الموصل إلى جنة الله ورضوانه.
﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾	يريدونها طرقًا معوجة لا توصل إلى مرضاة الله، ويحرفون ويبدلون كذبًا وزورًا وغشًّا وتضليلًا.
﴿ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾	ذهاب بعيد عن طريق الحق.
﴿بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾	بلغة قومه.
﴿فَيُضِلُّ﴾	فيصرف عن الحق.

(٢٠٣) أحمر
أسود

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾	بحججنا وأدلتنا على قدرتنا ووحدانيتنا.
﴿بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾	بنعم الله، وقيل: بأيام العقوبات التي مرَّت بهم.
﴿صَبَّارٍ﴾	كثير الصبر على أقدار الله وعلى أوامره واجتناب نواهيه.
﴿شَكُورٍ﴾	كثير الشكر لله ﷻ.
﴿يَسُومُونَكُمْ﴾	يذيقونكم.
﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	أسوأ صور العذاب.
﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾	يتركون نساءكم أحياء (للامتهان والاستخدام والإذلال).
﴿بَلَآءٌ﴾	اختبار.
﴿تَأَذَّنَ﴾	أَعْلَم وأخبر.

❁ ❁ ❁

(٢٠٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أن ألف ولام وراء أحرفٌ منها كتاب أنزلناه إليك يا رسول الله، لا يستطيعون الإتيان بمثله، أنزلناه إليك لتخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال والشك والارتياب إلى نور الإيمان والهدى واليقين بتوفيق الله لهم إذا أراد الله لهم التوفيق فها أنت قد بينت لهم وأوضحت لهم الطريقين طريق النور والهدى وطريق الغي والضلال، والموفق منهم من وفقه الله، أنزلناه إليك لتخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى طريق الله ﷻ العزيز الذي لا يُغلب ولا يعجز عن شيء يريده المحمود على خصاله وآلائه ونعمه وإحسانه لتهديهم إلى طريق الله الذي له مُلك ما في السموات وما في الأرض يفعل فيها ما يشاء ويقضي ويأمر فيهما بما يريد وويل للجاحدين وحدانية الله، الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، المنكرين لنعمه، ويلٌ له، عذاب شديد لهم، وادٍ في جهنم لهم يوم القيامة.

ويلٌ لهؤلاء الذين يؤثرون الحياة الدنيا ويقدمونها على الآخرة، فيختارون الكفر والمعاصي والشهوات ويقدمونها على طاعة الله ﷻ وعلى مرضاته ويصرفون الناس عن طاعة الله وعن الطريق الموصل لجنته ومرضاته ويريدون للناس الطرق المعوجة التي لا توصل إلى جنة الله ومرضاته، فهؤلاء الذين هذا شأنهم في ذهاب بعيد عن الحق والصواب، هم في واد وطريق، والحق والصواب في وادٍ وطريق آخر.

(٢٠٥) أحمر
أسود

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ فإن معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك، يا محمد، يعني القرآن ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يقول: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفرِ، إلى نور الإيمان وضيائه، وتُبصِّر به أهلَ الجهل والعمَى سُبُل الرَّشاد والهُدَى.

وقوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ يعني: بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ يعني: إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشَرَعُه لخلقه.

و ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾، «فعيل»، صُرِف من «مفعول» إلى «فَعيل»، ومعناه: المحمود بآلائه.

وأضاف تعالى ذكره إخراجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم لهم بذلك، إلى نبيه ﷺ، وهو الهادي خَلْقَه، والموفقُ من أحبَّ منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهُم ما لهم فيه وعليهم. فبيّنٌ بذلك صِحة قولِ أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كَسبًا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيرًا، وفسادُ قول أهل القَدر الذين أنكرُوا أن يكون لله في ذلك صُنْعٌ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، أي من الضلالة إلى الهدى.

وقال في تأويل قوله عز ذكره: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢﴾.

قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قَرأة المدينة والشأم: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ برفع اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ على الابتداء، وتصيير قوله: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، خبرَه.

(٢٠٦) أحمر
أسود

وقرأته عامة قرأة أهل العراق والكوفة والبصرة: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى﴾ بخفض اسم الله على إتباع ذلك ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، وهما خفضٌ.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القُرّاء، معناهما واحدٌ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

ومعنى قوله: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اللهِ الذي يملك جميع ما في السماوات ومَا في الأرض.

يقول لنبيه محمد ﷺ: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعُوَ عِبادي إلى عِبَادة مَنْ هذه صفته، وَيَدعُوا عبادَةَ من لا يملك لهم ولا لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا من الآلهة والأوثان. ثم توعّد جل ثناؤه من كفر به، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ يقول: الوادِي الذي يسيلُ من صديد أهل جهنم، لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره، مِن عَذَاب الله الشَّدِيد.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصي الله فيها، على طاعة الله وما يقرِّبهم إلى رضاه من الأعمال النافعة في الآخرة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: ويمنعون من أراد الإيمان بالله واتّباعَ رسوله على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يقول: ويلتمسون سَبِيل الله وهي دينه الذي ابتعث به رسوله ﴿عِوَجًا﴾: تحريفًا وتبديلا بالكذب والزّور.

«والعِوَج» بكسر العين وفتح الواو، في الدين والأرض وكل ما لم يكن قائمًا، فأما في كلِّ ما كان قائمًا، كالحائط والرمح والسنّ، فإنه يقال بفتح العين والواو جميعًا «عَوَج».

(٢٠٧) أحمر
أسود

ويقول الله عز ذكره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾ يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبُّون الحياة الدنيا على الآخرة. يقول: هم في ذهابٍ عن الحق بعيد، وأخذ على غير هُدًى، وجَوْر عن قَصْد السبيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن العظيم، الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم.

﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب؛ لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد، كما قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ الآية [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الحديد: ٩].

وقوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ أي: العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، بل هو القاهر لكل ما سواه، ﴿ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وأمره ونهيه، الصادق في خبره.

وقوله: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ قرأه بعضهم مستأنفا مرفوعا، وقرأه آخرون على الإتباع صفة للجلالة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢﴾ أي: ويل لهم يوم القيامة

(٢٠٨) أحمر
أسود

إذ خالفوك يا محمد وكذبوك.

ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، أي: يقدمونها ويؤثرونها عليها، ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة، وتركوها وراء ظهورهم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهي اتباع الرسل ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ أي: ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لا يرجى لهم -والحالة هذه- صلاح.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ تقدم معناه. ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ أي بالكتاب، وهو القرآن، أي بدعائك إليه. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي من ظلمات الكفر الضلالة والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا على التمثيل، لأن الكفر بمنزلة الظلمة، والإسلام بمنزلة النور. وقيل: من البدعة إلى السنة، ومن الشك إلى اليقين، والمعنى متقارب. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ أي بتوفيقه إياهم ولطفه بهم، والباء في ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ متعلقة بـ﴿لِتُخۡرِجَ﴾ وأضيف الفعل إلى النبي ﷺ لأنه الداعي والمنذر الهادي. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ هو كقولك: خرجت إلى زيد العاقل الفاضل من غير واو، لأنهما شي واحد، والله هو العزيز الذي لا مثل له ولا شبيه. وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا يغلبه غالب. وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ المنيع في ملكه وسلطانه. ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي المحمود بكل لسان، والممجد في كل مكان على كل حال.

❁ ❁ ❁

(٢٠٩) أحمر
أسود

إرسال الرسل
بلسان قومها ومخاطبة الناس بما يفهمون

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وما أرسلنا من رسولٍ إلى قوم إلا وهو يتكلم بلغتهم حتى يفهموا عنه مقاله ويعقلون عنه مراده ليدلهم ويرشدهم ويوضح لهم، ولكن الهداية من عند الله فيضل الله من يشاء أن يضله ويهدي من يشاء أن يهديه، وهم أعلم بخلقه إذ أضلهم وإذ هداهم وهو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم فيما يشرع وفي كل شيء يصنعه.

هذا ولا حجة للعجم في الآية الكريمة؛ لأن القرآن تُرجم لهم ووضح لهم، ثم إن هناك من الأدلة ما يفيد عموم بعثته ﷺ، وقدمت ذكرها، منها قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا إلى أمة من الأمم، يا محمد، من قبلك ومن قبلِ قومك، رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ يقول: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونَهيه، ليُثْبت حجة الله عليهم، ثم التوفيقُ والخذلانُ بيد الله، فيخذُل عن قبول ما أتاه به رسُوله من عنده من شاء منهم، ويوفّق لقبوله من شاء ولذلك رفع ﴿فَيُضِلُّ﴾، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله، كما قيل: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥] ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أرادَ ذلك

(٢١٠) أحمر
أسود

به ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾، في توفيقه للإيمان من وفَّقه له، وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضلّ عنه، وفي غير ذلك من تدبيره.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾، أي بلغة قومه ما كانت. قال الله ﷻ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ الذي أرسل إليهم، ليتخذ بذلك الحجة. قال الله ﷻ: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم.

ثم قال:

وقوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ في أفعاله، فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك.

وقد كانت هذه سنة الله في خلقه: أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس، كما ثبت في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعطَهُن أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأحلَّت لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[(١)].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

(٢١١) أحمر
أسود

وله شواهد من وجوه كثيرة، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ ﴾ أي قبلك يا محمد ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وَقَالَ ﷺ: «أُرْسِلَ كُلُّ نَبِيٍّ إِلَى أُمَّتِهِ بِلِسَانِهَا وَأَرْسَلَنِي اللهُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِهِ». وَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولا ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ ممن لم ينقد للهدى، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ممن اختصه برحمته.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ الذي -من عزته- أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقليب القلوب إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا

(١) مسلم (١٥٣).

(٢١٢) أحمر
أسود

إضلاله إلا بالمحل اللائق به.

ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم.

وقال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لم يرسل رسولاً إلا بلغة قومه؛ لأنه لم يرسل رسولاً إلا إلى قومه دون غيرهم، ولكنه بين في مواضع أخر أن نبينا ﷺ أرسل إلى جميع الخلائق دون اختصاص بقومه ولا بغيرهم، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان: ١]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ الآية [سبأ: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم رسالته لأهل كل لسان.

❁ ❁ ❁

(٢١٣) أحمر
أسود

شيءٌ من ذِكر موسى عليه السلام مع قومه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾.

ج: هذا - والله أعلم-: تذكيرٌ لرسول الله ﷺ بنبي الله وكليمه موسى عليه السلام، يقول تعالى ما حاصله وكما أنا أنزلنا إليك الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فقد أرسلنا موسى أيضًا عليه السلام بحججنا وأدلتنا على وحدانيتنا وقدرتنا كالعصا واليد وسائر الآيات التسع، وكذلك أنزلنا عليه التوراة والألواح وأمرناه أن يدل قومه على طريق الهداية والتوفيق لإخراجهم من ظلمات الكفر والشك والضلال إلى طريق الهداية والنور والإيمان، وأمرناه أن يُذكرهم بأيام الله، أي: بنعم الله ﷻ وفضائله التي أنعم بها عليهم، كما في الحديث...وأيام الله نعماؤه وبلاؤه، وكان من نعم الله عليهم أن الله ﷻ انجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب - على ما سيأتي بيانه عن إن شاء الله-، وكان من نعم الله عليهم تظليل الغمام عليهم، وإنزال التوراة والألواح لهدايتهم وإنزال المن والسلوى عليهم، وكذا تفجير الحجر لهم إلى غير ذلك من نعم الله ﷻ.

هذا، وقد قال بعض العلماء إن أيام الله، أيام العذاب التي كانوا يعذبون فيها من فرعون وقومه.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في ذلك الإنجاء من العذاب، وفي تلك النعم، وفي إرسال موسى عليه السلام لدلالات على قدرة الله ﷻ ووحدانيته لكل صبار على أقدار الله ﷻ وعلى أوامره، ولكل شكور لله ﷻ على نعمائه،

(٢١٤) أحمر
أسود

وهذا حال المؤمن دائمًا صبار على المصائب والبلايا، شكور للنعم والآلاء. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحُجَجنا من قبلك،،، يا محمد،، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج.

وقوله: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾،كما أنزلنا إليك، يا محمد، هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم. ويعني بقوله: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، أن ادعهم، من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ يقول عَزَّ وَجَلَّ: وعِظْهُم بما سلف من نُعْمَى عليهم في الأيام التي خلت فاجتُزِئ بذكر «الأيام» من ذكر النعم التي عناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعدَ ما كانوا فيما كانوا فيه من العذاب المُهِين، وغرَّق عدوَّهم فرعونَ وقومَه، وأوْرَثهم أرضهم وديارَهم وأموالَهم.

وكان بعض أهل العربية يقول: معناه: خوِّفهم بما نزل بعادٍ وثمودَ وأشباههم من العذاب، وبالعفو عن الآخرين: قال: وهو في المعنى كقولك: «خُذْهم بالشدة واللين».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: بنعم الله.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: أيامُه التي انتقم فيها من أهل مَعاصيه من الأمم خَوَّفهم بها، وحذَّرهم إياها، وذكَّرهم أن يصيبهم ما أصابَ الذين من قبلهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾، يقول: إن في الأيام التي

(٢١٥) أحمر
أسود

سلفت بنِعَمِي عليهم يعني على قوم موسى ﴿لَآيَٰتٍ﴾، يعني: لعِبرًا ومواعظ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾: يقول: لكل ذي صبر على طاعة الله، وشكرٍ له على ما أنعم عليه من نِعَمه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب، لتخرج الناس كلهم، تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور، كذلك أرسلنا موسى في بني إسرائيل بآياتنا.

قال مجاهد: وهي التسع الآيات.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: أمرناه قائلين له: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: ادعهم إلى الخير، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأياديه ونعمه عليهم، في إخراجه إياهم من أسر فرعون.

وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر، وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى، إلى غير ذلك من النعم. قال ذلك مجاهد، وقتادة، وغير واحد.

قلت: وأخرج مسلم[1] من حديث أُبي بن كعب مرفوعًا.. أيام الله نعماؤه وبلاؤه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ أي: إن فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين، لعبرة لكل صبار، أي: في الضراء، شكور، أي: في السراء،

(١) مسلم (٢٣٨٠).

(٢١٦) أحمر
أسود

كما قال قتادة: نعم العبد، عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

وَكَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ[1] عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّه عَجَب، لَا يَقْضِي اللهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكر فَكَانَ خيرا له».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يا رسول الله قول موسى عليه السلام لقومه من بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم، التي منها أنه عز وجل انجاكم من آل فرعون الذين كانوا يذيقونم أسوأ صور العذاب، بتسخيركم وإذلالكم واستعبادكم، وكانوا يذبحون أبناءكم ويتركون نساءكم لإذلاكم ولاستخدامهن، وفي ذلك الإنجاء من هذا العذاب اختبار من الله عظيم، هل تقدموا له شكرًا أم تكفرونه، فقد يكون الابتلاء بالخير وقد يكون بالشر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقال بعض العلماء، وفي ذلك الذي كان يفعله فرعون بكم بلاء من ربكم عظيم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ: واذكر، يا محمد، إذ قال موسى بن عمْران لقومه من بني إسرائيل: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، التي أنعم بها

(١) مسلم (٢٩٩٩).

(٢١٧) أحمر
أسود

عليكم ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، يقول: حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، أي يذيقونكم شديدَ العذاب ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، مع إذاقتهم إياكم شديد العذاب يذبحون أبناءكم.

وأدْخلت الواو في هذا الموضع، لأنه أريد بقوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، الخبرُ عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضعٍ آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، في موضع، وفي موضع ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وبقوله: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾، تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم. وكذلك العملُ في كل جملة أريد تفصيلُها،فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو.

وقوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يقول: ويُبقون نساءكم فيتركون قتلهن، وذلك استحياؤهم كَان إياهُنَّ.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾، يقول تعالى: وفيما يصنعُ بكم آلُ فرعون من أنواع العذاب، بلاءٌ لكم من ربكم عظيمٌ، أي ابتلاء واختبارٌ لكم، من ربكم عظيم. وقد يكون «البلاء»، في هذا الموضع نَعْماء، ويكون: من البلاء الذي يصيب النَّاس من الشدائد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن موسى، حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم، إذ أنجاهم من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فأنقذ الله بني إسرائيل من ذلك، وهذه نعمة عظيمة؛ ولهذا قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن

(٢١٨) أحمر
أسود

رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ أي: نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها.

وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿بَلَآءٌ﴾ أي: اختبار عظيم. ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا، والله أعلم، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

❁ ❁ ❁

(٢١٩) أحمر
أسود

الشكر
سبب لزيادة النعم والكفر سبب لزوالها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: إيضاحه - والله أعلم -: واذكر إذا أَعلم الله ﷻ وأخبر عباده لئن شكرتم نعمى عليكم لأزيدنكم، ولئن جحدتموها وكفرتم بها فاعلموا أن عذابي شديد لمن كفر نعمائي وجحدها هذا، وللعلماء أقوال في النعم وأقوال في الزيادة فمنها لئن شكرتم نعمي عليكم بإرسالي رسول إليكم فآمنتم به ومنها: لئن شكرتم نعمي بصفة عامة كنعمة الإسلام والصحة والعافية، وسعة الرزق والمال والبنين وغير ذلك، وهذا الأخير أعمَّ وأشمل.

أما قوله تعالى: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، قيل: من نعمي عليكم بتوفيقكم إلى مزيد من الطاعة والإيمان، وقيل: لأزيدنكم من عموم نعمي من الإيمان وسعة الأرزاق وسلامة الأبدان وكثرة الأولاد وغير ذلك من صور النعم، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه: واذكروا أيضًا حين آذنكم رَبُّكم.

و«تأذن»، «تفعَّل» من «آذن». والعرب ربما وضعت «تفعَّل» موضع «أفعل»، كما قالوا: « أوعدتُه » «وتَوعَّدته»، بمعنى واحد. و«آذن»، أعلم، كما قال الحارث بن حِلِّزة:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

يعني بقوله: «آذنتنا»، أعلمتنا.

وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، يقول: لئن شكرتم ربَّكم، بطاعتكم

(٢٢٠) أحمر
أسود

إياه فيما أمركم ونهاكم، لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمهِ عليكم، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص مِنْ عذابهم.

وأورد قولًا في تفسير قوله: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: من طاعتي.

وقوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾، يقول: ولئن كفرتم، أيها القوم، نعمةَ الله، فجحدتموها بتركِ شكره عليها وخلافِه في أمره ونهيه، وركوبكم معاصيه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾، أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: آذنكم وأعلمكم بوعده لكم. ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كما قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم على كفرها.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لئن شكرتم نِعَمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن.

والثاني: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع.

والثالث: لئن وحَّدتموني لأزيدنكم خيرًا في الدنيا، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ قولان.

أحدهما: أنه كفر بالتوحيد.

والثاني: كفران النِّعَم.

(٢٢١) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غني عن خَلْقه، محمود في أفعاله، لأنه إِمّا متفضِّل بفعله، أو عادل.

❁ ❁ ❁

(٢٢٢) أحمر
أسود

دفع إشكال

س: كيف الجواب عما قد يستشكل على البعض بأن هناك من يشكر النعم ومع ذلك فيبتلى ويقل رزقه، وهناك من يكفر ويجحد ويعصي ويُزاد رزقه؟

ج: لأهل العلم أقوال في قوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وفي تفسير الزيادة هنا منها ما يلي:

أولا: أن الزيادة في طاعة الله والإيمان به.

ثانيًا: أن الزيادة كائنة ولا بد إما في الدنيا وإلا في الآخرة، وكم من شخص يُدخر له ثوابه على الآخرة.

ثالثًا: أن الزيادة قد تتمثل في صرف السوء والمكروه عن الشخص، فمثلًا قد يكون الشخص سيُبتلى في أهله وماله بخسارة أو بهلاك فبشكره للنعم يُصرف عنه السوء والمكروه فيكون قد ازداد من حيث لا يشعر.

رابعًا: أن الزيادة قد تتمثل في رضا العبد بما أعطاه الله ومن ثم في انشراح في الصدر.

أما كون الكافر يعصى ويُزاد من النعم أحيانًا فلذلك وجوهٌ:

أحدها: أن هذا استدراج كالذي يصعد السلم درجة درجة ثم يبلغ أعلاه فإذا به يسقط متهشمًا مُدمرًا، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [القلم: ٤٤].

الثاني: أن هذا العذاب قد يتأتى للكافر في الدنيا بزوال النعم عنه، وإحلال الأمراض والبلاءات به.

الثالث: أنه قد يُدخر له العذاب الشديد للآخرة.

الرابع: أنه قد ينعم عليه بالمال ومع ذلك يكون المال سببًا في نكده وتعاسته وبلائه.

(٢٢٣) أحمر
أسود

الخامس: أنه يُنعم عليه ومع ذلك فهو ساخط والنعم في عينه قليلة، وعلى كلٍّ فالله أصدق القائلين ووعده لا يتخلف عزَّ ذِكره وجل جلاله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٢٤) أحمر
أسود

صور شكر النعم

س: ما صور شكر النعم؟

ج: شكر النعم يتمثل في حمد الله ﷻ عليها باللسان، وفي شكرها بالقلب، وفي العمل بمقتضى هذا الشكر، عمل بالجوارح والأبدان في طاعة الله وإيصال الخير للعباد كما قال القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضمير المُحجبا

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

غنى الله ﷻ عن خلقه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيّٞ حَمِيدٌ ٨ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال موسى عليه السلام لقومه إن تكفروا بالله وتجحدوا نعمه ووحدانيته أنتم كلكم ومن الأرض كلهم جميعًا فإنكم لن تضروا الله شيئًا بكفركم فالله ﷻ غنيٌّ عن عباده، وهو المنعم عليهم المحمود على نعمائه.

وقد ورد الحديث القدسي بذلك: «**لَو أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقص ذَلِكَ مِن مُلْكِي شَيئًا**»(١).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال موسى لقومه: إن تكفروا، أيها القوم، فتجحدوا نعمةَ الله التي أنعمها عليكم، أنتم ويفعل في ذلك مثل فعلكم مَنْ في الأرض جميعًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيّٞ﴾ عنكم وعنهم من جميع خلقه، لا حاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم ﴿حَمِيدٌ ٨﴾، ذُو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيّٞ حَمِيدٌ ﴾ أي: هو غني عن شكر عباده، وهو الحميد المحمود، وإن كفره من كفره، كما قال: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾ [الزمر: ٧] وقال تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦ ﴾ [التغابن: ٦].

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢٢٦) أحمر
أسود

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١]، عَنْ أَبِي ذَرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، ﷻ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، إلا كما ينقُص المخْيَط إذا أدخل في الْبَحْرِ». فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢٢٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ
مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن
نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ
لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ
ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ
مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن
وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ

(٢٢٨) أحمر
أسود

وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ
غَلِيظٞ ١٧ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ
فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ
١٨ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ
وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠ [إبراهيم: ٩-٢٠].

(٢٢٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَبَؤُا - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ - كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ - مُرِيبٍ - فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ - أَجَلٍ مُّسَمًّى - تَصُدُّونَا - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - يَمُنُّ - بِإِذْنِ ٱللَّهِ - فَلْيَتَوَكَّلِ - هَدَىٰنَا سُبُلَنَا - مِلَّتِنَا - خَافَ مَقَامِى - وَخَافَ وَعِيدِ - وَٱسْتَفْتَحُوا۟ - وَخَابَ - جَبَّارٍ - عَنِيدٍ - مِّن وَرَآئِهِۦ - مَّآءٍ صَدِيدٍ - يَتَجَرَّعُهُۥ - يُسِيغُهُۥ - وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ - وَمِن وَرَآئِهِۦ - غَلِيظٌ - لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ - يَوْمٍ عَاصِفٍ - ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ - بِٱلْحَقِّ - بِعَزِيزٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَبَؤُا﴾	خبر.
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات الباهرات والدلائل النيرات.
﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾	قيل: المراد أن أهل الكفر وضعوا أيديهم في أفواهم تغيظًا على الرسل كما قال تعالى: ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقيل: وضعوها على الأفواه سخرية واستهزاء، وقيل: ردوا على الرسل أقوالها.
﴿كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾	جحدنا ما أرسلتم به وأنكرناه، أنكرنا التوحيد الذي جئتمونا به، وأنكرنا التب التي تقولون إنها نزلت من عند الله.
﴿مُرِيبٍ﴾	مُحيِّر - يستدعي الريبة ويثير الشكوك.

(٢٣٠) أحمر
أسود

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	خالقهما على غير مثال سابق.
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	وقت محدد.
﴿تَصُدُّونَا﴾	تصرفونا.
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	بحجة واضحة ظاهرة.
﴿يَمُنُّ﴾	يتفضل.
﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	بأمر الله.
﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾	فليعتمد.
﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾	وفقنا لسلوك السبل المقربة إليه.
﴿مِلَّتِنَآ﴾	عقيدتنا – ديننا.
﴿خَافَ مَقَامِى﴾	خاف يومًا يقوم فيه بين يدي – راقبني وخشيتي، وعلم أنني عليه قائم بأموره وشؤونه.
﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾	خاف وعيدي وزجري (بالآيات التي أنزلتها في كتابي).
﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾	طلبوا الفتح وهو القضاء والحكم، وقيل: إنهم الرسل، وقيل: الكفار، ولا يمنع أن يكون الجميع قد اسفتح.
﴿وَخَابَ﴾	لم ينل مطلوبه ولم ينج من مرهوبه.
﴿جَبَّارٍ﴾	متكبر على العباد ظالم لهم معتد عليهم.
﴿عَنِيدٍ﴾	معاند للحق.
﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾	من أمامه – في انتظاره.

(٢٣١) أحمر
أسود

﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾	ماء حار طعمه طعم القيح والدم ورائحته رائحته.
﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾	يشربه جرعة جرعة.
﴿يُسِيغُهُۥ﴾	يستطعمه ويبتلعه ويستسيغه.
﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾	تأتيه أسباب الموت وصنوف العذاب تحلّ ولكنه لا يموت.
﴿غَلِيظٌ﴾	شديد.
﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾	لا يمكنهم استرجاع شيء مما عملوه، لا يمكنهم الاستفادة من عمل صالح عملوه.
﴿يَوۡمٍ عَاصِفٖ﴾	يوم ذي رياح عاصفة شديدة الهبوب.
﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾	الانصراف الشديد عن الحق والصواب.
﴿بِٱلۡحَقِّ﴾	للحق، كي يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته وعلى الثواب والعقاب وعلى البعث بعد الموت.
﴿بِعَزِيزٖ﴾	بممتنع ولا شاق.

❁ ❁ ❁

(٢٣٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ألم يأتكم يا معشر قريش، يا أهل الشرك ويا أيها الناس عمومًا خبر الأمم المكذبة من قبلكم التي حلَّ بها من أمر الله ما حلَّ ونزل بها من بلائه ما نزل، وهم قوم نوح إذ أتاهم الطوفان فأغرقهم (إلا من آمن) وقوم عادٍ إذ أخذوا بريح صرصرٍ عاتية، وقوم ثمود إذ أخذتهم الصيحة الطاغية الشديدة التي أهلكتهم، وكذا أمم من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أفناهم الله وأهلكهم وأبادهم، فهؤلاء جميعًا أرسل الله ﷻ إليهم رسلًا منهم وأيد هؤلاء الرسل بالحجج الواضحات والدلالات الظاهرات على وحدانيته ﷻ، ولكن ما قبلوا من الرسل ذلك بل كذبوهم وعاندوهم وردوا أيديهم في أفواههم عندما أخبرتهم الرسل بوحدانية الله وبأوامره ونواهيه.

ولأهل العلم أقوال في قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾:

أحدها: أن أهل الكفر وضعوا أيديهم في أفواههم تغيظًا على الرسل كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

الثاني: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم ساخرين مستهزئين كالذي يضحك ساخرًا ويضع يده على فمه.

الثالث: أن المراد أنهم ردوا على الرسل قولهم ورفضوا ما جاءتهم به رسلهم.

الرابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل يمنعونهم من الكلام.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ...﴾ فهذا قول الكفار لرسلهم يقولون لهم: إنا جحدنا ما أرسلتم به، وأنكرنا ما أرسلتم به ومن ثمَّ فلن نتبعه،

(٢٣٣) أحمر
أسود

فإذا كنتم تدعوننا إلى عبادة الله وحده لا شريك له فإنا جحدنا ذلك وكفرنا بذلك وأنكرنا ذلك، ثم إننا في شكٍّ محيِّر مما تدعوننا إليه، شك يجلب الرِّيبة والتردد. فلن نؤمن لكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل موسى لقومه: يا قوم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يقول: خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾، وقوم نوح مُبيَّنٌ بهم عن «الذين»، و«عاد» معطوف بها على «قوم نوح»، ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، يعني من بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، يقول: لا يحصي عَدَدهم ولا يعلَمُ مبلغهم إلا الله.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، قال: كذَب النسَّابون.

وورد هذا أيضًا عند الطبري بإسنادٍ صحيح عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود.

قلت (مصطفى): والمعنى كذب الذين يدعون علم الأنساب فإن هناك انقطاع بين القرون المذكورة لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وقوله: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يقول: جاءت هؤلاء الأمم رسلُهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له «بالبينات»، يعني بحججٍ ودلالاتٍ على حقيقة ما دعوهم إليه من مُعْجِزاتٍ.

وقوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: فعضُّوا على أصابعهم، تغيُّظًا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دَعَوهم إليه.

(٢٣٤) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، قال: عضوا عليها تغيُّظًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، فقرأ: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ [آل عمران: ١١٩]، قال: هذا، «ردُّوا أيديهم في أفواههم». قال: أدخلوا أصابعهم في أفواههم. وقال: إذا اغتاظ الإنسان عضَّ يده.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم لما سمعوا كتابَ الله عجبوا منه، ووضعوا أيديهم على أفواههم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم كذبوهم بأفواههم.

وأورد بإسنادٍ صحيح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، يقول: قومُهم كذّبوا رسلهم وردُّوا عليهم ما جاءوا به من البينات، وردُّوا عليهم بأفواههم، وقالوا: إنا لفي شك مما تَدعوننا إليه مُرِيب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم كانوا يَضَعُون أيديهم على أفواه الرّسل ردًّا عليهم قولَهم، وتكذيبًا لهم.

وقال آخرون: هذا مَثَلٌ، وإنما أُرِيد أنهم كفُّوا عَمَّا أُمروا بقَوْله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا. وقال: يقال لِلرَّجل إذا أمسَك عن الجواب فلم يجبْ: « ردّ يده في فمه ». وذكر بعضهم أن العرب تقول: « كلمت فلانًا في حاجة فرَدّ يدَه في فيه»، إذا سكت عنه فلم يجب.

قال أبو جعفر: وهذا أيضًا قول لا وَجْه له، لأن الله عزَّ ذكره، قد أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾، فقد أجابوا بالتكذيب.

قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية،

(٢٣٥) أحمر
أسود

القولُ الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظًا على الرسل، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين، فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾. فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من «ردِّ اليدِ إلى الفم».

وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾، يقول ﷻ: وقالوا لرسلهم: إنا كفرنا بما أرسلكم به مَنْ أرسلكم، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله ﴿مُرِيبٍ ۝٩﴾، يقول: يريبنا ذلك الشك، أي يوجب لنا الريبَة والتُّهمَةَ فيه.

يقال منه:« أرابَ الرجل»، إذا أتى بريبة، «يُريبُ إرابةً».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن جرير: هذا من تمام قيل موسى لقومه.

يعني: وتذكاره إياهم بأيام الله، بانتقامه من الأمم المكذبة للرسل.

وفيما قال ابن جرير نظر؛ والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة، فإنه قد قيل: إن قصة عاد وثمود ليست في التوراة، فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصه عليهم ذلك فلا شك أن تكون هاتان القصتان في «التوراة»، والله أعلم. وبالجملة فالله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل، مما لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ أتتهم رسلهم بالبينات، أي: بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ نحوًا مما ذكره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال في ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾

(٢٣٦) أحمر
أسود

يقولون: لا نصدقكم فيما جئتم به؛ فإن عندنا فيه شكا قويا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم-: جواب رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه، جوابه لأممهم المكذبة الجاحدة، قالوا لأقوامهم أفي الله شك! أفي وحدانية الله شك؟؟ أفي قدرة الله شك؟!!

أفي عبادة الله وحده لا شريك له شك؟!!

وهو فاطر السموات والأرض، خالقهما على غير مثالٍ سابقٍ، يدعوكم إلى توحيده وعبادته وحده لا شريك له ليغفر لكم ذنوبكم التي أسلفتموها وجرائمكم التي ارتكبتموها إن آمنتم وأطعتم، كذا يؤخركم بلا عذاب إلى أن تموتوا بآجالكم التي كتبها الله لكم وحدَّدها لكم؟!!

فقال الأقوام حينئذٍ لأنبيائهم ورسلهم: إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا، ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، صوركم كصورنا، تأكلون الطعام وتمشون في الأسواق كما نأكل ومشي، أنتم بشر منا شأنكم شأننا فكيف تدعون أن الله ﷻ أرسلكم إلينا، كلا بل أنتم تريدون فقط أن تصرفوننا عن عبادة الأوثان والأصنام التي كان يعبدها آباؤنا وأسلافنا ولستم برسلٍ من رسل الله، فأتونا بحجة بيِّنة على كونكم رسل، ائتونا بمعجزة تدل على أن الله أرسلكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت رُسل الأمم التي أتتها رسُلها: ﴿أَفِي اللَّهِ﴾، أنه المستحق عليكم، أيها الناس، الألوهة والعبادةَ دون جميع خلقه ﴿شَكٌّ﴾

(٢٣٧) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقول: خالق السماوات والأرض ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، يقول: يدعوكم إلى توحيده وطاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، يقول: فيستر عليكم بعضَ ذنوبكم بالعفو عنها، فلا يعاقبكم عليها، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾، يقول: وينسئ في آجالكم، فلا يعاقبكم في العاجل فيهلككم، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذي كتبَ في أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيهِ، وهو الأجل الذي سمَّى لكم. فقالت الأمم لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾، أيها القوم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، في الصورة والهيئة، ولستم ملائكة، وإنما ﴿تُرِيدُونَ﴾ بقولكم هذا الذي تقولون لنا ﴿أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، يقول: إنما تريدون أن تصرِفونا بقولكم عن عبادة ما كان يعبدُه من الأوثان آباؤنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، يقول: فأتونا بحجة على ما تقولون تُبين لنا حقيقتَه وصحتَه، فنعلم أنكم فيما تقولون محقُّون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾

وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

(٢٣٨) أحمر
أسود

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى.

وقالت لهم الرسل: ندعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم، أي: في الدار الآخرة، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ الآية [هود: ٣]، فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة، بعد تقدير تسليمهم للمقام الأول، وحاصل ما قالوه: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: كيف نتبعكم بمجرد قولكم، ولما نر منكم معجزة؟ ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ أي: خارق نقترحه عليكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام معناه الإنكار، أي لا شك في الله، أي في توحيده، قال قتادة. وقيل: في طاعته. ويحتمل وجها ثالثا: أفي قدرة الله شك؟! لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها، يدل عليه قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقها ومخترعها ومنشئها وموجدها بعد العدم، لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له. ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ أي إلى طاعته بالرسل والكتب. ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قال أبو عبيد: «من» زائدة. وقال سيبويه: هي للتبعيض، ويجوز أن يذكر البعض والمراد منه الجميع.

وقيل: «من» للبدل وليست بزائدة ولا مبعضة، أي لتكون المغفرة بدلا من الذنوب. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني الموت، فلا يعذبكم في الدنيا. ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ﴾ أي ما أنتم. ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ في الهيئة والصورة، تأكلون مما

(٢٣٩) أحمر
أسود

نأكل، وتشربون مما نشرب، ولستم ملائكة. ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ أي بحجة ظاهرة، وكان محالا منهم، فإن الرسل ما دعوا إلا ومعهم المعجزات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

ج: هذا جواب رسل اله لأقوامهم لما رفضوا الإيمان متعللين بأن رسل الله بشرٌ طالبين معجزةً دالة على نبوتهم، فحينئذٍ أجابتهم الرسل بقولهم ما نحن إلا بشر مثلكم، صدقتكم في كونكم قلتم ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، فنحن بشر مثلكم، ولكن الله ﷻ يمنُّ ويتفضل على من يشاء من عباده فيرسله رسولًا لخلقه ويوحي إليه.

أما كونكم تطالبوننا بمعجزة، بحجة دالة على أننا رسلٌ من عند الله، فالمعجزات أمرها ليس إلينا، إنما أمرها موكول إلى الله ﷻ فلن نستطيع أن نأتيكم بمعجزة إلا من عند الله، وبإذن من الله بذلك وعلى الله فليعتمد المؤمنون في كل شيء، يعتمدون عليه في قضاء حوائجهم ومطالبهم، يعتمدون عليه في كشف الضر عنهم، يعتمدون عليه لتثبيتهم على الإيمان، يعتمدون عليه في كل وقتٍ وحين، وفي كل زمان ومكان وفي كل شأن وحالٍ.

فلذا فإننا سنعتمد على ربنا فنحن به مؤمنون.

وبنح ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت الأمم التي أتتهم الرّسلُ رُسُلهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ

(٢٤٠) أحمر
أسود

مِّثْلُكُمْ ﴾، صدقتم في قولكم، إن أنتم إلا بشر مثلنا، فما نحنُ إلا بَشَر من بني آدم، إنسٌ مثلكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، يقُول: ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه، فيهديه ويوفقه للحقّ، ويفضّله على كثير من خلقه ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾، يقول: وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يقول: إلا بأمر الله لنا بذلك ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾، يقول: وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه، فإنا به نثق، وعليه نتوكل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: بالرسالة والنبوة ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ على وفق ما سألتم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد سؤالنا إياه، وإذنه لنا في ذلك، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: في جميع أمورهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي في الصورة والهيئة كما قلتم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي يتفضل عليه بالنبوة. وقيل، بالتوفيق والحكمة والمعرفة والهداية. وقال سهل بن عبد الله: بتلاوة القرآن وفهم ما فيه.

وقال القرطبي أيضًا:

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي بحجة وآية. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بمشيئته، وليس ذلك في قدرتنا، أي لا نستطيع أن نأتي بحجة كما تطلبون إلا بأمره وقدرته، فلفظه لفظ الخبر، ومعناه النفي، لأنه لا يحظر على أحد ما لا يقدر عليه.

(٢٤١) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ مجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: صحيح وحقيقة أنا بشر مثلكم، ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق فإن ﴿ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فإذا من الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله.

فانظروا ما جئناكم به فإن كان حقا فاقبلوه وإن كان غير ذلك فردوه ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما جئناكم به، وقولكم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ فإن هذا ليس بأيدينا وليس لنا من الأمر شيء.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فهو الذي إن شاء جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم ودفع مضارهم لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أن الرسل قالوا لأقوامهم وما الذي يمنعنا أن نتوكل على الله، وبأي وجه نمتنع من الاعتماد عليه والالتجاء غليه وقد وفقنا للإيمان وهدانا للطرق الموصلة إليه وإلى مرضاته، فليس لنا أي عذرٍ في ترك

(٢٤٢) أحمر
أسود

التوكل عليه، بل نحن على الله متوكلون، ولنصبرن على الأذى الذي تلحقونه بنا من ضرب وسجن وتهديد بالقتل وشتم وغير ذلك من صور الأذى، وعلى الله فليعتمد المعتمدون لقضاء حوائجهم ولكشف الضرِّ عنهم ولحفظهم وفي شؤونهم كلها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قِيل الرسل لأممها: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، فنثق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنَّا ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ ﴾، يقول: وقد بَصَّرنا طريقَ النجاة من عذابه، فبين لنا ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾، في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دُعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه، من البراءة من الأوثان والأصنام، وإخلاص العبادة له ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، يقول: وعلى الله فليتوكل من كان به واثقًا من خلقه، فأما من كان به كافرًا فإنّ وليَّه الشيطان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قالت الرسل: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾ أي: من الكلام السيئ، والأفعال السخيفة، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ « ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء، و« لنا» الخبر، وما بعدها في موضع الحال، التقدير: أي شي لنا في ترك التوكل على الله. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ ﴾ أي الطريق الذي يوصل إلى رحمته، وينجي من سخطه ونقمته. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ ﴾ لام قسم، مجازه: والله لنصبرن ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾ به، أي من الإهانة والضرب، والتكذيب والقتل، ثقة

(٢٤٣) أحمر
أسود

بالله أنه يكفينا ويثيبنا. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامنا على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل.

وفي هذا كالإشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بآية عظيمة، وهو أن قومهم -في الغالب- لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ الآيات.

وقول هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى احتسابا للأجر ونصحا لكم لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير.

(٢٤٤) أحمر
أسود

واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم وهذا أكمل ما يكون من التوكل.

لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك وعدم مللهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم.

❁ ❁ ❁

(٢٤٥) أحمر
أسود

دومًا الكفار يتهددون
أهل الإيمان بالطرد والإبعاد من البلاد

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم-: إخبارٌ من الله ﷻ يُخبر نبيه ﷺ، ويُخبر من آمنوا به أن من سنة الكفار في كل زمانٍ ومكان توعد الرسل عليهم الصلاة والسلام، بالطرد والإبعاد عن البلاد، فلم يكن الذي يحدث لرسول الله ﷺ ببدع من الفعل، وببدع من القول بل هي سنة مضطردة لأهل الكفر في توعد الأنبياء وأهل الفضل والصلاح فالآية تحمل تثبيتًا وتصبيرًا لرسول الله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾، أي: من بلادنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ملة الكفر والشرك والعياذ بالله، وهذا كما قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

وكما قال قوم لوط عليه السلام: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: ٥٦]، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وكما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «ليتني أكون حيًّا، ليتني أكون فيها جذعًا، إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: «**أومُخرجي هم**» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي».

فأمام هذه التهديدات بالإخراج من البلاد يثبت الله ﷻ المرسلين، فيقول تعالى ذكره: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى رسلنا، ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾

(٢٤٦) أحمر
أسود

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد إهلاكهم، كما قال في شأن بني إسرائيل مع فرعون ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: خاف يومًا يقوم فيه بين يدي الله ﷻ يسأله ربُّه ﷻ عما صنع، ويحاسبه عما قدم، وقال بعض العلماء: معنى قوله: خاف مقامي راقبني وعلم أنني قائم بأمره أفعل فيه ما أشاء وأقضي فيه بما أريد، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ أي: خاف تحذيري إذ حذرته في كتابي الذي أنزلته على رسولي، حذرته بالنار إذ هو عصاني وخالف أمري.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول عزّ ذكره: وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم، حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، وفراق عبادة الآلهة والأوثان ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾، يعنون: من بلادنا فنطردكم عنها ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، يعنون: إلا أن تَعُودوا في دِيننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام.

وأدخلت في قوله: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ «لام»، وهو في معنى شرطٍ، كأنه جواب لليَمين، وإنما معنى الكلام: لنخرجَنكم من أرضنا، أو تعودون في ملتنا.

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾، الذين ظلموا أنفسهم، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم. وقد يجوز أن يكون قيل لهم: «الظالمون» لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة، فيكون بوضعهم العبادةَ في غير موضعها، إذ كان ظلمًا، سُمُّوا بذلك.

وقوله: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، هذا وعدٌ من الله مَنْ وَعد من

(٢٤٧) أحمر
أسود

أنبيائه النصرَ على الكَفَرة به من قومه. يقول: لما تمادتْ أمم الرسل في الكفر، وتوعَّدوا رسُلهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كَفَر بهم من أممهم ووعدهم النصر. وكلُّ ذلك كان من الله وعيدًا وتهدُّدا لمشركي قوم نبيِّنا محمد ﷺ على كفرهم به، وجُرْأتهم على نبيه، وتثبيتًا لمحمد ﷺ، وأمرًا له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه، كما صبر من كان قبله من أولي العزم من رسله ومُعرِّفَة أن عاقبة أمرِ من كفر به الهلاكُ، وعاقبتَه النصرُ عليهم، سُنَّةُ الله في الذين خَلَوْا من قبل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾، قال: وعدهم النصرَ في الدنيا، والجنَّةَ في الآخرة.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾، يقول جل ثناؤه: هكذا فِعْلي لمن خاف مَقامَه بين يديّ، وخاف وعيدي فاتَّقاني بطاعته، وتجنَّب سُخطي، أنصُرْه على ما أراد به سُوءًا وبَغَاه مكروهًا من أعدائي، أهلك عدوّه وأخْزيه، وأورثه أرضَه وديارَه.

وقال: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾، ومعناه ما قلت من أنه لمن خاف مَقَامه بين يديَّ بحيث أقيمه هُنالك للحساب، كما قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢] ، معناه: وتجعلون رِزقي إياكم أنّكُم تكذبون. وذلك أن العرب تُضيف أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعت عليه، فتقول: «قد سُرِرتُ برؤيتك، وبرؤيتي إياك»، فكذلك ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقال

(٢٤٨) أحمر
أسود

قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ [النمل: ٥٦]، وقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

وكان من صنعه تعالى: أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا، يقاتلون في سبيل الله، ولم يزل يرقيه الله تعالى من شيء إلى شيء، حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكن له فيها، وأرغم آناف أعدائه منهم، و من سائر أهل الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ أي: وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة، وخشي من وعيدي، وهو تخويفي وعذابي، كما

(٢٤٩) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ أي مقامه بين يدي يوم القيامة، فأضيف المصدر إلى الفاعل. والمقام مصدر كالقيام، يقال: قام قياما ومقاما، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به. والمقام بفتح الميم مكان الإمامة، وبالضم فعل الإقامة، و﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي قيامي عليه، ومراقبتي له، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾. وقال الأخفش: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي عذابي، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ أي القرآن وزواجره. وقيل: إنه العذاب. والوعيد الاسم من الوعد.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿أضواء البيان﴾:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار توعدوا الرسل بالإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم إن لم يتركوا ما جاءوا به من الوحي، وقد نص في آيات أخر أيضاً على بعض ذلك مفصلاً كقوله من قوم شعيب: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ الآية [الأعراف: ٨٨، ٨٩]، وقوله عن قوم لوط: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: ٥٦]، وقوله عن مشركي قريش: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

(٢٥٠) أحمر
أسود

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى رسله أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [غافر: ٥١].

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: وطلبوا الفتح والحكم والقضاء، أما الذين استفتحوا فمن هم؟ فللعلماء فيهم قولان: اشهرهما أن الذين استفتحوا هم رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه طلبوا من الله ﷻ أن يقضي بينهم وبين قومهم، وأن ينصرهم على قومهم، قال تعالى في شأن شعيب عليه السلام إذ قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقبله قال

(٢٥١) أحمر
أسود

نـــــوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

هذا، والقول الآخر أن الذين استفتحوا هم الكفار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

ولا مانع أن يكون الذين استفتحوا هؤلاء وأولئك فكلٌّ طلب من الله ﷻ أن يقضي بينه وبين الآخر.

أما قوله تعالى: ﴿وَخَابَ﴾ أي: لم ينل مطلوبه ولم يَنْجُ من مرهوبه ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن الحق رافض لقبوله حائد عن توحيد الله ﷻ متطاول على العباد ﴿عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ معاندٌ للحق رافض له.

أما قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ فقال بعض العلماء: إن معناها من أمامه جهنم تنتظره.

وقال آخرون: هي له بالمرصاد تلاحقه أينما كان والأكثرون على القول الأول.

أما قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: أن هذا الكافر شرابه ﴿مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ قيل: هو القيح والدم الذي يخرج من الجروح، وقيل: هو ماءٌ حارٌ في غاية الحرارة يشبه الصديد في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة.

أما قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي: يشربه جرعة جرعة مضطرًا لشربه ولكن لحرارته ولقذارته ولخبث رائحته لا يكاد يستساغ فإذا قرَّب إلى وجهه شواه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

(٢٥٢) أحمر
أسود

وإذا وصل الماء إلى الأمعاء قطعها، قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

أما قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فمعناه - والله أعلم - وتأتيه أسباب الموت وصور العذاب، وأنواع العذاب التي هي كفيلة بإماتته لو كان هناك موتٌ، تأتيه أنواع العذاب من كل اتجاه، فمن أمامه عذاب، ومن خلفه عذاب، يضرب من الأمام ومن الخلف ومن أسفل ومن أعلى، ومن داخل جسمه فإذا أكل مكانًا وقف في حلقه قال تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٣]، وهذا كفيل، بإماتته لكن ربنا ما قضى عليه بالموت، قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣].

يأتيه ضرب بالمطارق من فوق رأسه، وهذا كفيل بإماتته ولكنه لا يموت.

تأتيه النار من أعلاه ومن أسفله، فهي مهاده وفراشه، وسرادقها يُحيط به، وكل هذا كفيل بإماتته لو كان هناك، جلده يُشوى، أمعاؤه تتقطع، وكل هذا كفيل بإماتته لكن يضرب ولا يموت، نعوذ بالله من العذاب فلا أحد يشفق عليه، ولا أحد يهتم به، ولا أحد يدفع عنه العذاب، وإذ وجد وجد اللعنات تصاحبه وتحلُّ به حيث كان.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ فالمراد: والله أعلم، أن بعد هذا العذاب الذي يُعذب به وبعض أسباب الموت التي يعاينها عذاب أخر شديد في النار، فلا تخفيف، بل زيادة في اعذاب، كما قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠].

وبنحو ما ذكر قال العلماء في تفسير الآيات المذكورة.

(٢٥٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: واستفتحت الرُّسل على قومها: أي استنصرت الله عليها ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾، يقول: هلك كل متكبر جائر حائدٍ عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

و«العنيد» و«العاند» و«العَنُود»، بمعنى واحد.

وأورد الطبري أقوالًا كثيرة في أن الذين استفتحوا هم الرسل.

وكذا أورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، ما مفاده أن الذين استفتحوا هم الكفار فأورد بإسناد صحيح في قوله: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾، قال: استفتاحهم بالبلاء، قالوا: اللهم إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، كما أمطرتها على قوم لوط، أو ائتنا بعذاب أليم. قال: كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم هود: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف: ٧٠] قال: فالاستفتاح العذاب، قال: قيل لهم: إنّ لهذا أجلا! حين سألوا الله أن ينزل عليهم، فقال: «بَلْ نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار». فقالوا: لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ عَذَابَنَا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦]. وقرأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٣-٥٥].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول عزّ ذكره: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾، من أمام كل جَبار ﴿جَهَنَّمُ﴾، يَرِدُونها.

و«وراء» في هذا الموضع، يعني أمام، كما يقال: «إن الموت مِنْ ورائك»، أي قُدّامك.

وقوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾، يقول: ويسقى من ماءٍ، ثم بيَّن ذلك

(٢٥٤) أحمر
أسود

الماء جل ثناؤه وما هو، فقال: هو «صديد»، ولذلك رد «الصَّديد» في إعرابه على «الماء»، لأنه بيَانٌ عنه.

و «الصديد»، هو القَيْحُ والدم.

وأورد بإسنادٍ صحيح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾، و«الصديد»، ما يسيل من لحمه وجلدِه.

وقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾، يتحسَّاه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾، يقول: ولا يكاد يزدرده من شدة كراهته، وهو مُسيغه من شدّة العطش.

والعرب تجعل «لا يكاد» فيما قد فُعِل، وفيما لم يُفْعَل. فأما ما قد فعل، فمنه هذا، لأن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك شرابًا. وأمَّا ما لم يفعل وقد دخلت فيه «كاد» فقوله: حتى ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، فهو لا يراها.

وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، فإنه يقول: ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن كل موضع من أعضاء جسده ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، لأنه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح، ولا يحيا لتعلُّق نفسه بالحناجر، فلا ترجع إلى مكانها.

وقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾، يقول: ومن وراء ما هو فيه من العذاب يعني أمامه وقدامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوجهين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾.

الأول: أن المراد الرسل.

والثاني: أن المراد الكفار.

وقال ابن كثير:

ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا، كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر، واستفتح رسول الله واستنصر، وقال الله تعالى للمشركين: ﴿إن

(٢٥٥) أحمر
أسود

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ١٩]، والله أعلم.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ أي: متجبر في نفسه معاند للحق، كما قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: ٢٤-٢٦].

وقوله: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ و«وراء» ها هنا بمعنى «أمام»، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩]، وكان ابن عباس يقرؤها ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾.

أي: من وراء الجبار العنيد جهنم، أي: هي له بالمرصاد، يسكنها مخلدا يوم المعاد، ويعرض عليها غدوا وعشيا إلى يوم التناد.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: في النار ليس له شراب إلا من حميم أو غساق، فهذا في غاية الحرارة، وهذا في غاية البرد والنتن، كما قال: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

وقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي: يتغصصه ويتكرهه، أي: يشربه قهرا وقسرا، لا يضعه في فيه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ٢١].

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: يزدرده لسوء لونه وطعمه وريحه، وحرارته أو برده الذي لا يستطاع.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه.

قال ميمون بن مهران: من كل عظم، وعرق، وعصب.

وقال عكرمة: حتى من أطراف شعره.

(٢٥٦) أحمر
أسود

وقال ابن جرير: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: من أمامه ووراءه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده.

وقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ، أي: مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر. وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٤ -٦٨]، فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى الجحيم عياذا بالله من ذلك، وهكذا قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣ -٥٠]، وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١ -٤٤]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٥ -٥٨]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله، مما لا يحصيه إلا الله، ﷻ، جزاء وفاقا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ...﴾.

ويظهر من هذا أنه يموت، وليس كذلك، لقول تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ [فاطر: ٣٦] وبذلك وردت السنة، فأحوال

(٢٥٧) أحمر
أسود

الكفار أحوال من استولى عليه سكرات الموت دائما، والله أعلم. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي من أمامه. ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ أي شديد متواصل الآلام من غير فتور، ومنه قوله: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] أي شدة وقوة. وقال فضيل بن عياض في قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ قال: حبس الأنفاس.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ...﴾

قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ الآية، وراء هنا بمعنى أمام كما هو ظاهر ويدل له إطلاق وراء بمعنى إمام في القرآن، وفي كلام العرب فمنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: أمامهم ملك، وكان ابن عباس يقرؤها (**وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً**)، ومن إطلاق وراء بمعنى أمام في كلام العرب قول لبيد:

ألـيس ورائـي إن تراخـت منيتـي لـزوم العصـا تحنـي عليهـا الأصـابع

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ من العطش الشديد ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى أن لا يموتوا كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

(٢٥٨) أحمر
أسود

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: الجبار العنيد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: قوي شديد لا يعلم وصفه وشدته إلا الله تعالى.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: همُّ الموت وكربه وألمه ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من كل شعرة في جسده، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال سفيان الثوري: من كل عِرْق. وقال ابن جريج: تتعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فتموت، ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة.

والثاني: من كل جهة، من فوقه وتحته، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقُدَّامه، قاله ابن عباس أيضًا.

والثالث: أنها البلايا التي تصيب الكافر في النار، سماها موتًا، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: موتًا تنقطع معه الحياة. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: من بعد هذا العذاب. قال ابن السائب: من بعد الصديد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾. وقال إبراهيم التيمي: بعد الخلود في النار. والغليظ: الشديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم-: مثلٌ ضُرب لأعمال الكفار التي عملوها، وخاصة أعمال البر التي قاموا بها في دنياهم كصلة الأرحام وإطعام المساكين وغير ذلك، مثل أعمال الذين جحدوا وحدانية الله وعبدوا معه غيره كرمادٍ طيَّرته الرياح الشديدة، شديدة الهبوب والعصوف في يوم شديدة الرياح فيه تعصف

(٢٥٩) أحمر
أسود

بكل شيء وتزيله عن مكانه، فأصبحوا غير قادرين على الانتفاع بشيء من أعمالهم التي عملوها في دنياهم فالأعمال شُبِّهت بالرماد (التراب) والشرك بالله ﷻ شبه بالرياح العاصفة فكما أن الرياح العاصفة تزيل ذرات التراب والغبار ولا يقدر الشخص بحالٍ من الأحوال على ردها والانتفاع بها، فكذلك أعمال أهل الشرك يُذهبا الشرك بالله ﷻ ويحبطها ويذهب بثوابها.

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ أي: سعيهم الذي سعوا وعملهم الذي عملوه وهم على الشرك هو الانحراف الشديد، والبُعد البعيد عن الحق والصواب والرشاد، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح؛ فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ أي: مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء، فلم يجدوا شيئا، ولا ألفوا حاصلا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ أي: ذي ريح عاصفة قوية، فلا يقدرون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ

(٢٦٠) أحمر
أسود

فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما هم إليه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (التفسير القيم):

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾.

شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف.

فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى غير أمره: برماد طيرته الريح العاصف. فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه. فلذلك قال: لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء. فلا يرون له أثرا من ثواب، ولا فائدة نافعة. فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه.

والأعمال أربعة: فواحد مقبول. وثلاثة مردودة.

فالمقبول: الخالص الصواب. فالخالص: أن يكون لله لا لغيره.

والصواب: أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله.

والثلاثة المردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سرّ بديع. وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد، في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا. فكانت الأعمال التي لغير الله، وعلى

(٢٦١) أحمر
أسود

غير مراده: طعمة للنار، وبها تسعّر النار على أصحابها.

وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا. فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار.

قال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ الآية، ضرب الله تعالى لأعمال الكفار مثلاً في هذه الآية الكريمة برماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف، أي: شديد الريح، فإن تلك الريح الشديدة العاصفة تطير ذلك الرماد، ولم تبق له أثراً فكذلك أعمال الكفار كصلات الأرحام وقري الضيف والتنفيس عن المكروب وبر الوالدين ونحو ذلك يبطلها الكفر ويذهبها كما تطير تلك الريح ذلك الرماد، وضرب أمثالاً أخر في آيات أخر لأعمال الكفار بهذا المعنى كقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله: ﴿مَّثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾ الآية [آل عمران: ١١٧]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقوله: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبين في موضع آخر أن الحكمة في ضربه للأمثال أن يتفكر الناس فيها فيفهموا الشيء بنظرة، وهو قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ

(٢٦٢) أحمر
أسود

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١٢١]، ونظيره قوله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وبين في موضع آخر أن الأمثال لا يعقلها إلا أهل العلم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وبين في موضع آخر أن المثل المضروب يجعله الله سبب هداية لقوم فهموه، وسبب ضلال لقوم لم يفهموا حكمته، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة٢٦]، وبين في موضع آخر أنه تعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً ما ولو كان المثل المضروب بعوضة فما فوقها قيل: فما هو أصغر منها؛ لأنه يفوقها في الصغر، وقيل: فما فوقها، أي فما هو أكبر منها، هو قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٦]، ولذلك ضرب المثل بالعنكبوت في قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وضربه بالحمار في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾ الآية [الجمعة:٥]، وضربه بالكلب في قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، إلى غير ذلك، والعلم عند الله تعالى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهلُ العربية في رافعِ «مَثَلُ».

فقال بعض نحويي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقصّ عليكم مَثَلُ الذين كفروا، ثم أقبل يفسّر، كما قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الرعد: ٣٥]، وهذا كثير.

وقال بعض نحويي الكوفيين: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدّم

(٢٦٣) أحمر
أسود

الأسماء، لأنها أعرفُ، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه. ومعنى الكلام: مَثَلُ أعمال الذين كفروا بربهم كرماد، كما قيل: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، ومعنى الكلام: ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة. قال: ولو خفض «الأعمال» جاز، كما قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧]، وقوله: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الرعد: ٣٥]. قال: فـ«تجري»، هو في موضع الخبر، كأنه قال: أن تجري، وأن يكون كذا وكذا، فلو أدخل «أن» جاز. قال: ومنه قول الشاعر:

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعَا ... وَمَا أَلْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا

قال: فالحلمُ منصوبٌ ب «ألفيتُ» على التكرير، قال: ولو رفعه كان صوابًا. قال: وهذا مثلٌ ضربه الله لأعمال الكفّار فقال: مَثَلُ أعمال الذين كفروا يوم القيامة، التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمُون أنهم يريدون الله بها، مَثَلُ رمادٍ عصفت الريح عليه في يومِ ريح عاصفٍ، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة، لا يجدون منها شيئًا ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصًا، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام.

يقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٨﴾، يعني أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، التي يشركون فيها مع الله شركاء، هي أعمالٌ عُملت على غير هُدًى واستقامة، بل على جَوْر عن الهُدَى بعيد، وأخذٍ على غير استقامة شديد.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، فوصف بالعُصوف اليومَ، وهو من صفة الريح، لأن الريح تكون فيه، كما يقال: «يوم بارد، ويوم حارّ»، لأن البردَ والحرارة

(٢٦٤) أحمر
أسود

يكونان فيه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾، أي الخطأ البينُ، البعيدُ عن طريق الحق.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال المفسرون: ومعنى الآية: أن كل ما يتقرَّب به المشركون يَحْبَط ولا ينتفعون به، كالرماد الذي سَفَتْه الريح فلا يُقدَر على شيء منه، فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لايجدون ثوابه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ من النجاة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئا، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ حيث بطل سعيهم واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئا.

❁ ❁ ❁

(٢٦٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ألم تر يا رسول الله بقلبك، ألم تعلم، والم تر أيضًا ببصرك وفكرك أن الله ﷻ خلق السموات والأرض بقدرته ولحكمة يعلمها، وليستدل العباد بخلقها على قدرته فيوحدونه ولا يشركون به شيئًا، وكذا ليستدلوا بها على البعث والثواب والعقاب.

فالذي خلقهما ﷻ قادر على أن يذهب بكم أيها الناس ويأت بأناس آخرين أطوع له منكم وأعبد له منكم كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٣٣]، وكما قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: وما إماتتكم والذهاب بكم والإتيان بخلق جديد بأمر ممتنع على الله أو شاق عليه بل هو على كل شيء قدير.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول عز ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ألم تر، يا محمد، بعين قلبك، فتعلم أن الله أنشأ السماوات والأرض بالحق منفردًا بإنشائها بغير ظهير ولا مُعين ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾، يقول: إن الذي تفرد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك، إن هو شاء أن يُذْهبكم فيفنيكم، أذهبكم وأفناكم، ويأتِ بخلق آخر سواكم مكانكم، فيجدِّد خلقهم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾، يقول: وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلقٍ آخر سواكم مكانَكُم، على الله بممتنع ولا متعذّر، لأنه القادر على ما يشاء.

(٢٦٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة، بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والحركات المختلفات، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وبراري وصحاري وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان، على اختلاف أصنافها ومنافعها، وأشكالها وألوانها؛ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٧ -٨٣].

وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: بعظيم ولا ممتنع، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره، أن يذهبكم ويأتي بآخرين على غير صفتكم.

كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥ -١٧].

وقال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

(٢٦٧) أحمر
أسود

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣].

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: ألم تُخْبَر، قاله ابن السائب.

والثاني: ألم تعلم، قاله مقاتل، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ قال المفسرون: أي: لم يخلقهن عبثًا، وإنما خلقهن لأمر عظيم. ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ قال ابن عباس: يريد: يميتكم يا معشر الكفار ويخلق قومًا غيركم خيرًا منكم وأطوع، وهذا خطاب لأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ أي: بممتنع متعذِّر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده بأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وينهاهم وليستدلوا بهما وما فيهما على ما له من صفات الكمال، وليعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض -على عظمهما وسعتهما- قادر على أن يعيدهم خلقا جديدا، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك ولهذا قال: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾.

يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يكونون أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفنيكم ثم يعيدهم بالبعث خلقا جديدا، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة.

(٢٦٨) أحمر
أسود

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: بممتنع بل هو سهل عليه جدا، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

❁ ❁ ❁

(٢٦٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

[إبراهيم: ٢١-٢٣]

(٢٧٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ وَبَرَزُوا۟ - ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ - تَبَعًا - مُّغْنُونَ عَنَّا - لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ - سَوَآءٌ عَلَيْنَآ - أَجَزِعْنَآ - صَبَرْنَا - مَّحِيصٍ - قُضِىَ ٱلْأَمْرُ - وَعْدَ ٱلْحَقِّ - سُلْطَٰنٍ - بِمُصْرِخِكُمْ - بِمُصْرِخِىَّ - كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ - بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾	ظهروا - خرجوا إلى البراز (الفضاء).
﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾	الأتباع الذين اتبعوا ساءتهم وكبراءهم على الكفر ورضوا بذلك.
﴿تَبَعًا ﴾	أتباعًا.
﴿مُّغْنُونَ عَنَّا ﴾	دافعون عنا.
﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾	لو بيَّن الله لنا سبيلًا للنجاة الآن لبيَّناه لكم. لو وفقنا الله للإيمان في الدنيا لأرشدناكم
﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ ﴾	يستوي شأننا عند جزعنا أو عند صبرنا لا تغير في أحوالنا بتخفيف العذاب.
﴿أَجَزِعْنَآ ﴾	أظهرنا الجزع والذي هو الخوف الشديد والألم الشديد.
﴿صَبَرْنَا ﴾	تصبرنا على العذاب ولم نظهر تألمًا.
﴿مَّحِيصٍ ﴾	مهرب - مفرّ.

(٢٧١) أحمر
أسود

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾	انتهى الأمر، وانتهى الحساب، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.
﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾	الوعد الحق، الوعد الذي تحقق.
﴿سُلۡطَٰنٍ﴾	حجة - برهان - بينة - قوة.
﴿بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾	بمغيثكم - بمنقذكم - بمخلِّصكم.
﴿بِمُصۡرِخِيَّ﴾	بمغشيِّ - بمنقذي- بمخلِّصي.
﴿كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾	أنكرت عبادتكم لي واتخاذكم لي شريكًا مع الله، وطاعتكم التي أطعتموني إذ دعوتكم للكفر بالله.
﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾	بأمر ربهم.

❁ ❁ ❁

(٢٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: أن الخلق جميعهم خرجوا من قبورهم يوم القيامة، فكانوا في فضاء من الأرض كانوا بالبراز ظاهرين، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٌۚ ﴾ [غافر: ١٦] فعندها، وقد أيقن الأتباع الضعفاء الذين رضوا بما صنعوه أئمة الضلال وتابعوهم عليه، قالوا للذين كانوا في الدنيا أهل كبر واستعلاء على الحق ورفضٍ له، قالوا لهم: إنا كنا لكم في الدنيا أتباعًا فهل أنتم اليوم دافعون عنا شيئًا من عذاب الله، فقال لهم سادتهم، وكبراؤهم الذين كانوا لهم سادة وكبراء في الدنيا، لو بيَّن الله ﷻ لنا طريقًا للخلاص من العذاب هاهنا لدللناكم عليه وأرشدناكم إليه، ولكن ليس هناك طريق للخلاص وليس هناك مفرٌّ من العذاب، فيستوي أمرنا إن أظهرنا الجزع والألم الشديد والخوف الشديد، الذي بنا وسواء علينا أخفيناه وتصبَّرنا على العذاب، فكل ذلك ليس بمجدٍ ولا بمُخفف للعذاب، وليس لنا من مفرٍّ نفرُّ إليه ولا من مهربٍ تهرب غليه.

هذا، وثمَّ قول آخر في تفسير قولهم: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ ﴾ حاصله لو كان الله ﷻ قد وفقنا في الدنيا للإيمان لارضشدناكم إلى ذلك. والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾، وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم، فصاروا بالبَراز من الأرض ﴿جَمِيعًا ﴾، يعني كلهم ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ ﴾، يقول: فقال التُّبَّاع منهم للمتبوعين، وهم

(٢٧٣) أحمر
أسود

الذين كانوا يستكبرون في الدنيا عن إخلاص العبادة لله واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، في الدنيا.

و«التبع» جمع «تابع»، كما الغَيَب جمع «غائب».

وإنما عنوا بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا يأتمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله، وينتهون عما نهوهم عنه من اتّباع رسل الله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، يعنون: فهل أنتم دافعون عنَّا اليوم من عذاب الله من شيء.

قوله: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾، يقول عز ذكره: قالت القادةُ على الكفر بالله لتُبَّاعها: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، يعنون: لو بَيَّن الله لنا شيئًا ندفع به عَذَابَه عنا اليوم ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾، لبيَّنا ذلك لكم حتى تدفعوا العذابَ عن أنفسكم، ولكنا قد جزعنا مِن العذاب، فلم ينفعنا جزعُنا منه وصَبْرُنا عليه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾، يعنون: ما لهم من مَراغٍ يرُوغون عنه.

يقال منه: «حاص عن كذا»، إذا راغ عنه، «يَحِيصُ حَيْصًا، وحُيُوصًا وحَيَصَانًا».

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾، قال: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإنما أدركَ أهل الجنة الجنَّةَ ببكائهم وتضرُّعهم إلى الله، فتعالوا نبكي ونتضرع إلى الله! قال: فبكوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإنَّما أدرك أهل الجنة الجنّةَ بالصبر، تعالوا نصبر! فصبروا صبراً لم يُرَ مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: برزت الخلائق كلها، برها وفاجرها لله وحده

(٢٧٤) أحمر
أسود

الواحد القهار، أي: اجتمعوا له في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحدا.

﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، فقالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا؟ فقالت القادة لهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ -٦٨].

وأما تخاصمهم في المحشر، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ

(٢٧٥) أحمر
أسود

عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ أي: الخلائق ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ حين ينفخ في الصور فيخرجون من الأجداث إلى ربهم فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ويبرزون له لا يخفى عليه منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يتحاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أنى لهم ذلك؟

فيقول ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾ أي: التابعون والمقلدون ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتمونا، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ أي: ولو مثقال ذرة، ﴿قَالُوا۟ ﴾ أي: المتبوعون والرؤساء ﴿أغويناكم كما غوينا﴾ و ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ فلا يغني أحد أحدا، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ ﴾ من العذاب ﴿أَمْ صَبَرْنَا ﴾ عليه، ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: من ملجأ نلجأ إليه، ولا مهرب لنا من عذاب الله.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لفظه لفظ الماضي، ومعناه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ وهم المتبوعون. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ قال الزجاج: هو جمع تابع، يقال: تابع وتَبَع، مِثْل: غائب وغَيَب، والمعنى:

(٢٧٦) أحمر
أسود

تبعناكم فيما دعوتمونا إليه.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ أي: دافعون عنا ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. قال القادة: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم، يريدون: أن الله أضلَّنا فدَعوناكم إلى الضلال، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالَوْا نبكي ونضرع، فإنما أدرك أهلُ الجنة الجنةَ ببكائهم وتضرُّعهم، فَبَكَوْا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: تعالَوْا نصبر، فانما أدرك أهل الجنة الجنةَ بالصبر، فصبروا صبراً لم يُرَ مثلُه قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندها قالوا: «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم-: بيان لبعض أحوال أهل النار فلما قضي الحساب، ودخل أهل الجنة الجنة ودخل أهل النار النار، قام الشيطان خطيبًا في أهل النار قائلًا: إن الله وعدكم في الدنيا وعودًا فتحققت تلك الوعود، وعدكم على كفركم النار وهاأنتم قد دخلتموها، أما أنا فوعدتكم وغششتكم وأخبرتكم أنه لا جنة ولا نار فكنت كاذبًا في ذلك ومنَّيتكم أماني باطلة فلم تتحقق، وما كان لي في الدنيا عليكم من سلطان، أي: من حجة وبرهان فلم تكن عندي حجةٌ ولا بينة تدل على صدقي، وكذا لم يكن معي قوة أقهركم بها لاتباعي، إنما فقط دعوتكم إلى الكفر والشهوات والشبهات فأجبتموني وفكرتم واتبعتم

(٢٧٧) أحمر
أسود

أهواءكم وشهواتكم فلا تتوجهوا إليَّ باللوم، ولكن لوموا أنفسكم ووبِّخوها أما الآن فما أنا بمغيثكم ولا منقذكم مما أنتم فيه، وما أنتم بمنقذيَّ ولا بمغيثيَّ إني كفرت بما صنعتموه في شأني، كفرت بجعلكم إياي شريكًا مع الله فأطعتموني وعصيتم ربكم.

إني أنكرت وجحدت ما صنعتموه من اتخاذكم إياي شريكًا مع الله، ومن عبادتكم إلهًا آخر مع الله، إن الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله لهم عذابٌ مؤلمٌ موجع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، يعني لما أدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ، واستقرّ بكل فريق منهم قرارهم، أن ﴿ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾، أيها الأتباعُ، النارَ، ووعدتكم النُّصْرة، فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾، يقول: وما كان لي عليكم، فيما وعدتكم من النصرة، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾. وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، كما تقول: «ما ضربْتُه إلا أنه أحمق»، ومعناه: ولكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾. يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله، فاستجبتم لدعائي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾، على إجابتكم إياي ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾، عليها ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾، يقول: ما أنا بمُغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾، ولا أنتم بمُغيثيَّ من عذاب الله فمُنْجيَّ منه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، يقول: إني جَحدْت أن أكون شريكًا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، يقول: إن الكافرين بالله لهم عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾، من الله موجع.

يقال: «أصْرَختُ الرجلَ»، إذا أغثته «إصراخًا»، و «قد صَرَخ الصَّارخ،

(٢٧٨) أحمر
أسود

يصرُخ، ويَصْرَخ، قليلة، وهو الصَّرِيخ والصُّراخ».

وأورد بإسنادٍ صحيح عن داود، عن الشعبي قال: يقوم خطيبان يوم القيامة، أحدهما عيسى، والآخر إبليس. فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول: ﴿أَلِيمٌ﴾، فتلا داود حتى بلغ: ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، فلا أدري أتمَّ الآية أم لا؟ وأما عيسى عليه السلام فيقال له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فتلا حتى بلغ: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

وبإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾، ما أنا بمغيثكم، وما أنتم بمغيثي قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، يقول: عصيت الله قبلكم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: خطيبُ السَّوْء الصادق إبليس، أفرأيتم صادقًا لم ينفعه صِدقهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾، أقهركم به ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾، قال: أطعتموني ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾، حين أطعتموني ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾، ما أنا بناصركم ولا مغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾، وما أنتم بناصريّ ولا مغيثيّ لما بي ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما خطب به إبليس لعنه الله أتباعه، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس -لعنه الله- حينئذ خطيبا ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبنا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعدا حقا، وخبرا صدقا، وأما أنا فوعدتكم وأخلفتكم، كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١٢٠].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي: ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي ﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه، ﴿فَلَا تَلُومُونِي ﴾ اليوم، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ فإن الذنب لكم، لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ ﴾ أي: بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ أي: بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾.

قال قتادة: أي بسبب ما أشركتمون من قبل.

وقال ابن جرير: يقول: إني جحدت أن أكون شريكا لله، ﷻ.

وهذا الذي قال هو الراجح كما قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الذي هو سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطبا لأهل النار ومتبرئا منهم ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ على ألسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ ﴾ الخير ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ ﴾ أي:

(٢٨٠) أحمر
أسود

لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة على تأييد قولي، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبتم لي اتباعا لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب العقاب، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ كل له قسط من العذاب.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي: تبرأت من جعلكم لي شريكا مع الله فلست شريكا لله ولا تجب طاعتي، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ خالدين فيه أبدا.

وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠] فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلا على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي.

وأما السلطان الذي أثبته فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يؤُزّهم إلى المعاصي أزّا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

(٢٨١) أحمر
أسود

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ قال المفسرون: يعني به إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: فُرغ منه، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فحينئذ يجتمع أهل النار باللَّوم على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيبًا ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: وعدكم كَوْن هذا اليوم فَصَدَقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ أنه لا يكون ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ الوعد ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي: ما أظهرت لكم حُجَّةً على ما ادَّعيت. وقال بعضهم: ما كنت أملككم فأُكرهكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ حيث أجبتموني من غير برهان، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي: بمغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي: بمغيثيَّ. قرأ حمزة «بمُصرِخيِّ» فحرك الياء إلى الكسر، وحرَّكها الباقون إلى الفتح. قال قُطرب: هي لغة في بني يربوع، يعني: قراءة حمزة. قال اللغويون: يقال: استصرخني فلان فأصرخته، أي: استغاثني فأغثته. ﴿إِنِّي كَفَرْتُ ﴾ اليوم بإشراككم إياي في الدنيا مع الله في الطاعة، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني: المشركين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: هذا - والعلم عند الله -: بيانٌ لحال أهل الإيمان ومصيرهم بعد أن بُيِّن حال أهل الكفر والعصيان والمآل الذي صاروا إليه، يقول تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ حدائق وبساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أن دخولهم بإذن الله لهم بالدخول وإلا فأعمالهم لا تؤهلهم لدخولها.

(٢٨٢) أحمر
أسود

دخولها بفضل الله، وبإنعام من الله عليهم، فأذن الله لهم بالدخول.

أما قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾، أي: تحية بعضهم لبعض بالسلام وبالكلام الطيب، وكذا تُحَيِّهم الملائكة بالسلام كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وكذا فيأتيهم سلام من الله ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول عز ذكره: وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله، فأقرُّوا بوحدانية الله وبرسالة رُسله. وأنّ ما جاءت به من عند الله حق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، يقول: وعملوا بطاعة الله. فانتهوا إلى أمر الله ونهيه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، بساتين تجري من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، يقول ماكثين فيها أبدًا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: أُدخلوها بأمر الله لهم بالدخول ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾، وذلك إن شاء الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال. وأن خطيبهم إبليس، عطف بحال السعداء وأنهم يدخلون يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين أبدا لا يحولون ولا يزولون، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقال: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(٢٨٣) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: قاموا بالدين، قولا وعملا واعتقادا ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فيها من اللذات والشهوات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ أي: لا بحولهم وقوتهم بل بحول الله وقوته ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾ أي: يحيي بعضهم بعضا بالسلام والتحية والكلام الطيب.

❁ ❁ ❁

(٢٨٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ
وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ
دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ
فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِي ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

[إبراهيم: ٢٤-٣٤]

(٢٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً - أَصْلُهَا ثَابِتٌ - تُؤْتِي أُكُلَهَا - كُلَّ حِينٍ - بِإِذْنِ رَبِّهَا - يَتَذَكَّرُونَ - كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ - اجْتُثَّتْ - قَرَارٍ - بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ - وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ - بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا - وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ - دَارَ الْبَوَارِ - أَنْدَادًا - لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ - وَلَا خِلَالٌ - دَائِبَيْنِ - لَا تُحْصُوهَا - كَفَّارٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾	المراد بها لا إله إلا الله، ويلحق بها كل كلم يقرب من الله ﷻ ويرضيه.
﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾	مستقرها بجذعها في الأرض.
﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾	تعطي ثمرتها.
﴿كُلَّ حِينٍ﴾	كل وقت معين.
﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾	بأمر الله ﷻ.
﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾	يتعظون ويعتبرون.
﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾	المراد بها كلمة الشرك، وكل كلم يباعد من الله ﷻ ويُسخهطه.
﴿اجْتُثَّتْ﴾	استؤصلت - انتزعت.
﴿قَرَارٍ﴾	ثبات (في الأرض).
﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾	المراد به قول لا إله إلا الله، وتثبيت المؤمن عليه في الدنيا وفي القبر عند سؤال الملكين..

(٢٨٦) أحمر
أسود

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ	يصرف الله الظالمين عن طريق الحق.
﴿بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرًا﴾	غيروا شكر نعمة الله إلى جحود ونكران وكفران.
﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ﴾	أنزلوا قومهم.
﴿دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾	دار الهلاك.
﴿أَندَادًا﴾	أمثالًا – أشباهًا – نظراء.
﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾	ليصرفوا الناس عن طريق الله ﷻ. (وقيل: إن اللام لام العاقبة أي: أنهم صرفوا الناس بذلك عن طريق الله، هذه عاقبة اتخاذهم الأنداد).
﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾	ولا صداقة شديدة تنفع.
﴿دَآئِبَيۡنِۖ﴾	مستمرين في جريانهما.
﴿لَا تُحۡصُوهَآ﴾	لا تستطيعوا عدَّها.
﴿كَفَّارٌ﴾	جحود لنعم الله غير شاكر لها.

❁ ❁ ❁

(٢٨٧) أحمر
أسود

مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: الم تر بعين قلبك - ألم تر بفكرك وحسن نظرك وبصيرتك كيف ضرب الله مثلًا للكلمة الطيبة؟!!

لقد ضر لها مثلًا بشجرة طيبة!

أما الكلمة الطيبة فهي عند الأكثرين قول لا إله إلا الله، فهي أطيب كلمة على الإطلاق، بها ينجو العبد من النار ويَسْلَم من النار إذا علم بمقتضاها.

أما الشجرة الطيبة فهي النخلة كما أفاده حديث النبي ﷺ إذ قال: «**إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَة مثلَهَا مِثلَ المؤمِن**»[1] ثم قال: «**هِيَ النَّخْلَة**».

فالنخلة شجرة طيبة كثيرة المنافع يكاد يُنتفع بكل شيء فيها.

فالكلمة الطيبة لا إله إلا الله شبهت بالشجرة الطيبة التي هي النخلة وكما أن النخلة أصلها ثابت في الأرض وثمرتها عالية فكذلك قول لا إله إلا الله، ثابت في قلب المؤمن، وتصعد ثمرته، وثمرة العمل المبني عليه إلى السماء فتتقبل من قائلها الأقوال والأعمال.

فينتفع صاحب الكلمة الطيبة، كلمة لا إله إلا الله بقوله وبعمله وبصالح نواياه كما أن صاحب النخلة ينتفع بثمة نخلته.

وكما أن النخلة تؤتى ثمرتها كل مدةٍ زمنية بإذن ربها فكذلك كلمة لا غله إلا الله يؤتي قائلها ثوابها كل حين بإذن الله ﷻ، فكلما عمل قائلها بمقتضاها

(١) البخاري (٤٦٩٨)، ومسلم (٢٨١١).

(٢٨٨) أحمر
أسود

وكلما كررها صاحبها يأتيه ثوابها وثواب العمل بها وينتفع بذلك ويثبت ذلك في صحيفة عمله يلقاه يوم يلقى ربَّه ﷻ فلا يزال يرفع لقائل لا إله إلا الله عمل صالح وقول صالح كذلك بإذن الله ﷻ.

هذا، ولا يمنع أن يدخل مع كلمة لا إله إلا الله، كل كلمة ابتغي بها وجه الله ﷻ فيكون لها نفع في وقتٍ من الأوقات.

وقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: يتعظون ويعتبرون.

أما الكلمة الخبيثة، وهي كلمة الشرك والعياذ بالله فضرب لها مثلٌ بشجرة خبيثة، قال عدد من المفسرين: إنها الحنظل، وقد ورد بذل حديث عن رسول الله ﷺ في سنده ضعف.

وهذه الشجرة الخبيثة ليس لها قرار ولا ثبات بل تأتيها الرياح فتعصف بها.

فالكلمة الخبثة كلمة الشرك لا يصعد لصاحبها عمل صالح إلى السماءن فأعماله مردودة عليه، وأقواله مردودة عليه، عمله حابط، وسعيه باطل في ضلال، كشجرة استؤصلت من فوق الأرض وأُلقي بها ولم يُعبأ بها ولم يهتم، فالكافر لا أصل له ولا فرع لا إيمان في قلبه ولا ثمرة لعمله ولا لقوله.

فلا يقبل مع الشرك عمل، والشجرة الخبيثة التي ليس لها قرار لا تثمر ثمرةً ينتفع بها ولا يمتنع أن يدخل مع هذه الكلمة الخبثة كلمة الشرك كل باطلٍ لا يبتغى به وجه الله كذلك.

هذا، وبنحو الذي ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يقول تعالى

(٢٨٩) أحمر
أسود

ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ألم تر، يا محمد، بعين قلبك، فتعلم كيف مثَّل الله مثَلا وشبَّه شبَهًا ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، ويعني بالطيبة: الإيمانَ به جل ثناؤه، كشجرة طَيِّبة الثمرة، وترك ذكر «الثمرة» استغناء بمعرفة السَّامعين عن ذكرها بذكر «الشَّجرة». وقوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾، يقول عز ذكره: أصلُ هذه الشجرة ثابتٌ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾، وهو أعلاها في ﴿السَّمَاءِ﴾، يقول: مرتفع علُوًّا نحوَ السماء. وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يقول: تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كلّ حين بأمرِ ربها ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾، يقول: ويمثِّل الله الأمثال للناس، ويشبّه لهم الأشباهَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، يقول: ليتذكروا حُجَّة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة.

فقال بعضهم: عُني بها إيمانُ المؤمن.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس، قوله: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، شهادةُ أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، يقول: لا إله إلا الله، ثابتٌ في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾، يقول: يُرْفَع بها عملُ المؤمن إلى السماء.

وقال آخرون: بل عُنِي بها المؤمن نفسُه.

وأورد بسندٍ أشد ضعفًا عن ابن عباس قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يعني بالشجرة الطيبة المؤمنَ، ويعني بالأصل الثابت في الأرض، وبالفرع في السماء، يكون المؤمن يعمَلُ في الأرض، ويتكلَّم، فيبلغ عمله وقولُه السَّماءَ وهو في الأرض.

(٢٩٠) أحمر
أسود

قال الطبري: واختلفوا في هذه «الشجرة» التي جعلت للكلمة الطيبة مثلًا.

فقال بعضهم: هي النخلة.

وأورد بسندٍ صحيح عن أنس: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، قال: هي النخلة.

وكذا أورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: النخل.

قال الطبري: وقال آخرون: بل هي شجرة في الجنة.

واختار الطبري القول القائل أنها (النخلة) مستدلًّا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ من الشجر شجرةً، وهي مثل المؤمن؟ أخبروني ما هي**، فوقع الناس في شجر البَوادي، فقال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**».

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في معنى «الحين» الذي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع فقال: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾.

فقال بعضهم: معناه: تؤتي أكلَها كلّ غَداةٍ وعَشِيَّة.

وأورد بسندٍ صحيح ابن عباس قال: «الحين» قد يكون غُدْوَة وَعشيّة.

قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك: تؤتي أكلها كل ستة أشهر، من بين صِرَامها إلى حَمْلها.

وأورد بسندٍ صحيح عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «الحين»، ستة أشهر.

وبسند صحيح عن أيوب قال: قال عكرمة: سُئلت عن رجل حَلَف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين؟ فقلت: إن من الحين حينًا يُدْرَك، ومن الحين حينًا لا يُدْرَك، فالحين الذي لا يدرك قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨]، والحين الذي يدرك، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾، قال: وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِعُ، وذلك ستَّة أشهر.

(٢٩١) أحمر
أسود

وقال الطبري: وقال آخرون: بل «الحين» ههنا سنة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن شعبة قال: سألت حمادًا والحكم عن رجل حلف ألا يكلم رجلا إلى حين؟ قالا الحينُ: سنة.

وقال آخرون: بل «الحين» في هذا الموضع: شهرَان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال: عنى بالحين، في هذا الموضع، غدوةً وعشيةً، وكلَّ ساعة، لأن الله تعالى ذكره ضَرَب ما تؤتي هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلا ولا شك أن المؤمن يُرفع لهُ إلى الله في كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين. فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المَثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى. وإذا كان ذلك كذلك، كان بَيِّنًا صحةُ ما قلنا.

فإن قال قائل: فأيُّ نخلة تؤتي في كل وقت أكلا صيفًا وشتاء؟ قيل: أما في الشتاء، فإن الطَّلْع من أكُلها، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ، وذلك كله من أكلها.

وذهب الطبري إلى أن قوله: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ معناه: ثمرها، وأورد ذلك بإسنادٍ صحيح بطريقيه عن قتادة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومثل الشِّركَ بالله، وهي «الكلمة الخبيثة»، كشجرة خبيثة.

اختلف أهل التأويل فيها أيّ شجرة هي؟

فقال أكثرهم: هي الحنظل.

(٢٩٢) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ عن أنس قال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، قال: الحنظل.

وقال آخرون: هذه الشجرة لم تُخْلَق على الأرض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة، خبَرٌ. فإن صحَّ، فلا قولَ يجوز أن يقال غيرُه، وإلا فإنها شجرة بالصِّفة التي وصفها الله بها.

ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ:

حدثنا سَوَّار بن عبد الله قال، حدثنا أبي قال، حدثنا حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾، قال: هي الحنظلة قال شعيب: وأخبرت بذلك أبا العالية فقال: كذلك كانوا يقولون.

وقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾، يقول: استُؤْصِلت. يقال منه: اجتثَثْتُ الشيء، أجْتَثُّه اجتثاثًا: إذا استأصلتَه.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾، يقول: ما لهذه الشجرة من قَرار ولا أصل في الأرض تثْبُت عليه وتقوم. وإنما ضُرِبت هذه الشجرة التي وصَفها الله بهذه الصفة لكُفر الكافر وشركِه به مثلا. يقول: ليس لكُفر الكافر وعَمَله الذي هو معصيةُ الله في الأرض ثباتٌ، ولا له في السماء مَصْعَد، لأنه لا يَصْعَد إلى الله منه شيء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾، قال قتادة: إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال: ما تقول في« الكلمة الخبيثة»، فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقرًّا، ولا

(٢٩٣) أحمر
أسود

في السماء مَصْعَدًا، إلا أن تَلْزَم عُنُقَ صاحبها، حتى يوافي بها القِيامة.

وأورد بسندٍ يُحسَّن عن الربيع بن أنس: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، قال: هذا الكافر ليس له عمل في الأرض، ولا ذكرٌ في السماء ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾، قال: لا يصعد عمله إلى السماء، ولا يقوم على الأرض. فقيل: فأين تكون أعمالهم؟ قال: يَحْمِلون أوزارهم على ظُهورهم.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث[1]: ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ تُشْبِهُ -أَوْ: كَالرَّجُلِ -اَلْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا لَا صَيفًا وَلَا شِتَاءً وَتُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**». فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَا، وَاللهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَتَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي: كاملا حسنا كثيرا طيبا، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها: «الشريان». رواه شعبة، عن

(١) البخاري (٤٦٩٨)، ومسلم (٢٨١١).

(٢٩٤) أحمر
أسود

معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك: «**أنها شجرة الحنظل**»[(١)].

وقوله: ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ أي: استؤصلت ﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦﴾ أي: لا أصل لها ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

فأما الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، فمن أوجه:

أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبِّه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها.

والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشُبِّه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها.

والثالث: أن ثمرتها تأتي كل حين، فشُبِّه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إله إلا الله، صَعِدَتْ إلى السماءِ، ثم جاءه خيرها ومنفعتها.

والرابع: أنها أشبهُ الشجر بالإنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها تتشعب غصونها من جوانبها، إلا هي، إذا قُطع رأسها يبست، ولأنها لاتحمل حتى تلقَّح.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ قال ابن قتيبة: استُؤصلت وقُطعت. قال الزجاج: ومعنى اجتثت الشي في اللغة: أخذت جُثته بكمالها.

وفي قوله: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ قولان:

أحدهما: ما لها من أصل، لم تَضرِب في الأرض عِرقًا.

والثاني: ما لها من ثبات.

(١) ضعيف، وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٢٩٥) أحمر
أسود

ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ « وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا ﴾ منتشر ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ وهي كثيرة النفع دائما. ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا ﴾ أي: ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فلله أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها فقال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ المأكل والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿ٱجْتُثَّتْ ﴾ هذه الشجرة ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره.

(٢٩٦) أحمر
أسود

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة. لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع. وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله. فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة. فكل عمل صالح مرض لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال[1]: كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة: وهو المؤمن. أصلها ثابت قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن وَفَرْعُها فِي السَّماءِ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان. فإن الإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه. وفرعها في السماء: خشية الله. والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها. فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها. فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة

(١) سنده ضعيف.

(٢٩٧) أحمر
أسود

ولوازمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا. كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا. فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت. فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرا طيبا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فأخبر سبحانه، أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا، ومتصفا بموجبها، قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته.

فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه. وفروعها متصلة بالسماء. وهي مخرجة ثمرتها كل وقت.

ومن السلف من قال: إن الشجرة الطيبة هي النخلة. ويدل عليه حديث ابن عمر في الصحيح.

ومنهم من قال: هي المؤمن نفسه. كما قال محمد بن سعد: حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي[1] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يعني بالشجرة الطيبة: المؤمن، ويعني بالأصل الثابت في الأرض، والفرع في السماء: بكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم، فيبلغ عمله وقوله السماء. وهو في الأرض.

(١) سنده ضعيف جدًّا.

(٢٩٨) أحمر
أسود

وقال عطية العوفي[1] في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله.

وقال الربيع بن أنس: أصلها ثابت وفرعها في السماء، قال: ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، أصلها ثابت قال: أصل عمله ثابت في الأرض، وفرعها في السماء قال: ذكره في السماء.

ولا اختلاف بين القولين.

والمقصود بالمثل: المؤمن، والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها. وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك.

ومن قال من السلف: إنها شجرة في الجنة. فالنخلة من أشرف أشجار الجنة.

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الرب الذي تكلم به، وحكمته سبحانه.

فمن ذلك: أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر.

فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه له. فعروقها: العلم والمعرفة، واليقين وساقها: الإخلاص، وفروعها: الأعمال وثمرتها: ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة، والصفات الممدوحة، والأخلاق الزكية، والسّمت الصالح والهدى والدّلّ المرضي. فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور.

فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، والإخلاص قائم في

(١) سنده ضعيف جدًّا.

(٢٩٩) أحمر
أسود

القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدى والدّل والسّمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها: علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة، التي اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ومنها: أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها. فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس. فهكذا شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب، فجددوا إيمانكم**»[1].

وبالجملة: فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك.

ومن هاهنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، ومن عظيم رحمته، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده: أن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب، ليس من جنسه. فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغرس والزرع، واستوى وتم نباته، وكان أوفر لثمرته وأطيب، وأذكى. وإن تركه أوشك أن يغلب على الغراس والزرع، ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته.

ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به، فإنه يفوته ربح كبير.

وهو لا يشعر.

---

(١) ضعيف.

(٣٠٠) أحمر
أسود

فالمؤمن دائما سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها.

فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم. والله المستعان وعليه التكلان.

فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم.

ولعلها قطرة من بحر، بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة. وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وذكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل. والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله، ويختص من يشاء برحمته.

فصل

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة. فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار، فلا عرق ثابت، ولا فرع عال، ولا ثمرة زاكية. فلا أصل، ولا جنّى، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت. فلا أسفلها مغدق، ولا أعلاها مونق ولا جنى لها، ولا تعلو، بل تعلى.

وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم. وجده كذلك. فالخسران كل الخسران: الوقوف معه، والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه، الذي هو كتاب الرب سبحانه.

قال الضحاك: ضرب الله مثل الكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. يقول: ليس لها أصل ولا فرع. وليس لها ثمرة، ولا فيها منفعة.

(٣٠١) أحمر
أسود

كذلك الكافر لا يعمل خيرا، ولا يقوله، ولا يجعل له فيه بركة ولا منفعة.

وقال ابن عباس: ومثل كلمة خبيثة: وهي الشرك، كشجرة خبيثة:

يعني الكافر. اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان. ولا يقبل الله مع الشرك عملا، فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض، ولا فرع في السماء يقول: ليس له عمل صالح في السماء ولا في الأرض.

وقال الربيع بن أنس: مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء.

وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية: إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم، فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ قال: ما أعلم لها في الأرض مستقرا، ولا في السماء مصعدا، إلا أن تلزم عنق صاحبها، حتى يوافي بها القيامة.

وقوله «اجتثت» أي استؤصلت من فوق الأرض.

ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين: أصحاب الكلم الطيب، وأصحاب الكلم الخبيث. فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين، وهم المشركون عن القول الثابت. فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم.

❁ ❁ ❁

(٣٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: يثبت الله ﷻ أهل الإيمان على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الإسلام عمومًا يثبتهم على ذلك في دنياهم حتى الممات، وعند الممات وكذا يثبتهم عليها في الآخرة.

وأكثر أهل العلم على أن المراد بالتثبيت في الآخرة تثبيتهم بعد الممات في قبورهم، إذا سئلوا في قبورهم: ما ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيلقنهم الله حجتهم ويوفقهم لقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن ديننا هو الإسلام، وقد جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وسيأتي ذكرها إن شاء الله هذا، ومن العلماء من قال: إن تثبيتهم بها في الآخرة حين يلقون ربهم ﷻ، يلقونه وهم يشهدون له بالوحدانية كما كانوا يشهدون بذلك في الدنيا، ويشهدون لرسوله بالرسالة، كما كانوا يشهدون في الدنيا.

أما قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ﴾ أي: ويصرف الله أهل الشرك، عن قول لا إله إلا الله في دنياهم، وفي قبورهم فيعرضون في الدنيا عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكذا في قبورهم فإنهم إذا سألهم المكان عن دينها وعن ربها وعن نبيها، فإنهم لا يدرون الجواب بل ويصرفون عنه فيقول قائلهم: هاها لا أدري فيضربون حينئذٍ بمطارق من حديد على رؤوسهم. كما جاءت بذلك الأحاديث.

فإن سأل سائل لماذا صُرفوا عن الحق ولماذا أضلهم الله؟ فجواب ذلك: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ فهو أعلم بعباده ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٣٠٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، يحقق الله أعمالَهم وإيمانهم ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله.

وأما قوله: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، فإن أهل التأويل اختلفُوا فيه، فقال بعضهم: عنى بذلك أن اللهَ يثَبتهم في قبورهم قبلَ قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن البَراء بن عازب، في قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، قال: التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه المَلكان في القبر فقالا له: مَن ربك؟ فقال: ربّي الله. فقالا له: ما دينك؟ قال: دينيَ الإسلام. فقالا له: مَن نبيك؟ قال: نبيِّي محمدٌ ﷺ فذلك التثبيت في الحياة الدنيا.

وبسندٍ صحيح عن البراء بن عازب: أن رسول الله ﷺ قال: إن المسلم إذا سئل في القبر فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. قال: فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثني الحسين بن سَلَمة بن أبي كَبْشة، ومحمد بن معمر البَحْراني واللفظ لحديث ابن أبي كبشة قالا حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال، حدثنا عبَّاد بن راشد، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فقال: يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى في قُبورها، فإذا الإنسان دُفِن وتفرَّق عنه أصحابه، جاءه ملك بيده مِطْراقٌ فأقعده فقال: ما تقولُ في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله. فيقول له: صدقْتَ. فيفتح له بابٌ إلى

(٣٠٤) أحمر
أسود

النار فيقال: هذا منزلك لو كفرتَ بربّك، فأما إذْ آمنت به، فإن الله أبدَلك به هذا. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة، فيريد أن ينْهَض له، فيقال له: اسكُنْ. ثم يُفْسَح له في قبره. وأما الكافِر أو المنافق فيقال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما أدري! فيقال له: لا دَرَيْتَ ولا تَدَرّيتَ ولا اهتديتَ! ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: هذا كان منزلك لو آمنت بربك، فأما إذْ كفرت، فإن الله أبدَلك هذا. ثم يفتح له بابٌ إلى النار، ثم يَقْمَعُه المَلَكُ بالمطراق قَمْعَةً يسمعه خَلْقُ الله كُلهم إلا الثقلين. قال، بعضُ أصحابه، يا رسولَ الله، ما مِنَّا أحدٌ يقوم على رأسه مَلَكٌ بيده مِطْراق إلا هِيلَ عند ذلك! فقال رسول الله ﷺ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا، وهو «القول الثابت» «وفي الآخرة»، المسألةُ في القبر.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، أما « الحياة الدنيا» فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وقوله: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ ﴾، أي في القبر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما ثبتَ به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أنّ معناه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ ﴾ بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسْألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ.

وأما قوله: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ ﴾، فإنه يعني، أن الله لا يوفِّق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المُسَاءَلة في القبر، لما هدي له من

(٣٠٥) أحمر
أسود

الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾، يعني تعالى ذكره بذلك: وبيدِ الله الهداية والإضلال، فلا تنكروا، أيها الناس، قدرتَه، ولا اهتداءَ من كان منكم ضالا ولا ضلالَ من كان منكم مهتديًا، فإنّ بيده تصريفَ خلقه وتقليبَ قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اَلْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾**»[1].

وما أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[2] من حديث عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلَحَّدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكت بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وحَنُوط مِنْ حَنُوط الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**». قَالَ: «**فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاء فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الحنُوط، وَيَخْرُجَ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى**

(١) البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٧٨١).
(٢) أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٣٠٦) أحمر
أسود

وَجْهِ الْأَرْضِ. فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا -على ملأ من الملائكة إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ ابْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيين، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فتُعَاد رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ -قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِها وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ. رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ. ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وغَضَب». قَالَ: «فتفرق فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّود مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ. وَيَخْرُجَ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا

(٣٠٧) أحمر
أسود

الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ ابْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأَعْرَافِ: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحَ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الْحَجِّ: ٣١].

«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ، لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وأورد ابن كثير طائفة كثيرة جدًّا من الأحاديث في عذاب القبر ونعيمه.

وأورد كذلك ما أخرجه أبو داود وغيره بسندٍ حسن[1] من حديث عُثْمَانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الرَّجُلِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»، انْفَرَدَ بِهِ أبو دَاوُدَ.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يثبتهم على الحق بالقول

(١) أبو داود (٣٢٢١).

(٣٠٨) أحمر
أسود

الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحياة الدنيا: زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرةُ: زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وفيه أحاديث تعضده.

والثاني: أن الحياة الدنيا: زمن السؤال في القبر، والآخرةُ: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس، وقتادة قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملَكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتثبيته إياه على الحق. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: المشركين، يضلهم عن هذه الكلمة، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من هداية المؤمن وإضلال الكافر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (التفسير القيم):

قول الله تعالى ذكره:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفّق لمعرفته وحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين. فإن لم يثبته الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما. وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال تعالى لأكرم خلقه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ

(٣٠٩) أحمر
أسود

ءَامَنُوٓاْ﴾ [الأنفال: ١٢] وفي الصحيحين من حديث البجلي قال: «**وهو يسألهم ويثبتهم**» وقال تعالى لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].

والخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد.

فبهما يثبت الله عبده. فكل من كان أثبت قولا وأحسن فعلا كان أعظم تثبيتا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ [النساء: ٦٦].

فأثبت الناس قلبا: أثبتهم قولا.

والقول الثابت: هو القول الحق الصدق. وهو ضد القول الباطل الكذب.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها. فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة. ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبا، والكاذب من أبغض الناس وأخبثهم وأكثرهم تلونا، وأقلهم ثباتا. وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاخبار وشجاعته ومهابته.

ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك. ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة.

وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به؟.

فقال: والله ما فهمت منه شيئا إلا أني رأيت لكلامه صولة ليست صولة مبطل.

فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول

(٣١٠) أحمر
أسود

الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم، ويوم معادهم. كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ: «إن هذه الآية نزلت في عذاب القبر».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ألم تنظر بعينيك وبقلبك إلى مصير هؤلاء الذين بدلوا شكر نعمة الله ﷻ بالجحود والنكران والكفران.

ألم تر إلى هؤلاء القرشيين الذين كانوا آمنين مطمئنين في رغدٍ من العيش يأيت بلدتهم رزقها من كل مكان ثم منَّ الله عليهم بنعمة من أعظم النعم وأجلُّ النعم، وهي بعثة رسول الله ﷺ فيهم ومنهم وبلسانهم فكان من اللائق أن يقدموا لكل ذلك شكرًا، ولكنهم بدلوا هذا الشكر بكفر بالله ﷻ وتكذيب لرسول الله ﷺ وتعذيب من آمنوا به، وطرده وطردهم من البلاد فتسببوا لأنفسهم بذلك في عقاب الله ﷻ، وذلك أنهم لم يكتفوا بالذي صنعوه فخرجوا بقومهم من ديارهم بطرًا ورياء وسمعةً، خرجوا إلى بدر للقاء رسول الله ﷺ وقتاله ولتسمع بهم العرب، فأنزلوا قومهم الذين خرجوا معهم والذين تابعوهم على كفرهم أسوار المنازل أنزلوهم دار الهلاك، الذي ليس بعده هلاك فقتل من قتل منهم ببدر، فآل أمره إلى جهنم بعد قتله، آل أمره إلى جهنم يستقر فيها أبد الآبدين!!

آل أمره إلى جهنم يُشوى بحرها ولهيبها فبئس المستقر وبئس المنزل، فنزل هؤلاء الذي نزلوه بعد هلاكهم، لقد جعلوا في دنياهم لله ﷻ أمثالًا من

(٣١١) أحمر
أسود

حجارة تعبد من دونه وتُسال وتُرجى فيسجدون لها ويتضرعون حولها، فأضلوا الناس عن طريق الله ﷻ وصرفوهم عن عبادته إلى عبادة من سواه، فقل لهؤلاء تمتعوا بدنياكم تلك الدنيا الفانية الزائلة، تمتعوا بدنياكم تلك الدنيا الفانية الزائلة، تمتعوا فيها كيف شئتم؟ فإنها لكم مهما كان فيها من نكدٍ لكم ومهما كان فيها من متاع أيضًا، جنةٌ لكم بالنسبة إلى ما أُعد لكم من سوء العذاب في الآخرة.

قل لهم: تمتعوا فإن مصيركم الذي تصيرون إليه ومنتهى أمركم إلى النار.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرًا﴾ يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه، فجعلوها كُفرا به، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبيّ الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذّبوه، فبدّلوا نعمة الله عليهم به كفرا. وقوله: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾ يقول: وأنزلوا قومهم من مُشركي قريش دار البوار، وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بورا: إذا هلك وبطل؛ ومنه قول ابن الزِّبعرى، وقد قيل إنه لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

يا رَسُولَ المليكِ إنَّ لِساني ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

ثم ترجم عن دار البوار، وما هي؟ فقيل ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾ يقول: وبئس المستقرّ هي جهنم لمن صلاها. وقيل: إن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا: بنو أمية، وبنو مخزوم.

وأورد الطبري بأسانيد تصح عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هم كفار قريش، يعني في قوله:

(٣١٢) أحمر
أسود

﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ جهنم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: هم كفار قريش.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن جبير قال: قتلى يوم بدر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَوْلُهُ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ؟ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٤] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٤٣] الْبَوَارُ: الْهَلَاكُ، بَارَ يَبُورُ بَورًا، وَ ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الْفُرْقَانِ:١٨، الْفَتْحِ: ١٢] هَالِكِينَ.

وأورد البخاري بإسناده عن ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ قَالَ: هُمْ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ.

وقال العوفي[1]، عن ابن عباس في هذه الآية: هو جبلة بن الأيهم، والذين اتبعوه من العرب، فلحقوا بالروم. والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول، وإن كان المعنى يعم جميع الكفار؛ فإن الله تعالى بعث محمدا ﷺ رحمة للعالمين، ونعمة للناس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار.

وأورد ابن كثير[2] أيضًا بإسناد صحيح عن عليٍّ قال: هم كفار قريش يوم بدر.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: جعلوا له شركاء عبدوهم معه، ودعوا الناس إلى ذلك.

ثم قال تعالى مهددا لهم ومتوعدا لهم على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) العوفي عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣١٣) أحمر
أسود

أي: مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فمهما يكن من شيء ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾ أي: مرجعكم وموئلكم إليها، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾ [يونس: ٧٠].

وقال الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء الذين بدّلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا، وهي جماع نِدّ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ والأنداد: الشركاء.

قال الطبري:

وقوله: ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الكوفيين ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾ بمعنى: كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك. وقرأته عامَّة قرّاء أهل البصرة: «ليَضَلُّوا» بمعنى: كي يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله. وقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم، لا إباحَة لهم التمتع بها، ولا أمرا على وجه العبادة، ولكن توبيخا وتهددا ووعيدا، وقد بَيَّن ذلك بقوله ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾ يقول: استمتعوا في الحياة الدنيا، فإنها سريعة الزوال عنكم، وإلى النار تصيرون عن قريب، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله وكفركم فيها به.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيد لهم. قال ابن

(٣١٤) أحمر
أسود

عباس: لو كان الكافر مريضًا لا ينام، جائعًا لا يأكل ولا يشرب، لكان هذا نعيمًا يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من العذاب، ولو كان المؤمن في أنعم عيش، لكان بؤسًا عندما يصير إليه من نعيم الآخرة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى - مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش وما آل إليه أمرهم: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ ونعمة الله هي إرسال محمد ﷺ إليهم، يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة، فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصد عنها بأنفسهم.

﴿و﴾ صدهم غيرهم حتى ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ وهي النار حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم « بدر » ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة.

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ ﴾ أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: نظراء وشركاء ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ ﴾ أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله بسبب ما جعلوا لله من الأنداد ودعوهم إلى عبادتها، ﴿قُلْ ﴾ لهم متوعدا: ﴿تَمَتَّعُوا۟ ﴾ بكفركم وضلالكم قليلا فليس ذلك بنافعكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: مآلكم ومقركم ومأواكم فيها وبئس المصير.

❁ ❁ ❁

(٣١٥) أحمر
أسود

الحث على إقامة الصلاة والإنفاق في الطاعات سرًّا وعلانيةً

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: قل يا رسول الله لعبادي، قل لمن شرفهم الله ﷻ بنسبتهم إليه، قل لعبادي هؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوك فيما أخبرتهم به عن الله ﷻ، قل لهم يحافظوا على الصلوات المكتوبات فيؤدونها كما أمروا وفي الوقت الذي أمروا أن يصلوها فيه ويداوموا على ذلك، ويتبعوا الفرض بالنفل كذلك، وكذا قل لهم يؤدوا الزكاة التي افترضها عليهم في أموالهم وفي زروعهم وفي مواشيهم وغير ذلك على النحو الذي أمرتهم به في كتابي وعلى لسان رسولي، ويتبعوا الفرض بالنفل فيتطوعوا بالصدقات بعد أدائهم الفرائض، قل لهم ينفقوا مما رزقناهم فالرزق من الله، قل لهم ينفقوا سرًّا حيث يحتاج المقام إلى إسرارٍ بالإنفاق، وعلانية حيث يستدعي الأمر على الإعلان، قل لهم: يصلوا ويتصدقوا من قبل أن يأتي يوم القيامة ذلكم اليوم الذي لا بيع فيه، لا يقبل من أحدٍ أي فداء يفتدي به مهما افتدى، ولو كان له ملءُ الأرض ذهبًا فقدمه فديةً فلن يقبل منه، وكذلك لن تنفع في هذا اليوم صداقات، لن تنفع أهل الكفر علاقاتهم التي كانت بينهم في الدنيا ولن ينتفع أحدٌ منهم بصديقه الحميم الذي كان له في الدنيا صديقًا حميمًا.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بك، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندي ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول: قل لهم: فليقيموا

(٣١٦) أحمر
أسود

الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم، فخوّلناهم من فضلنا سرّا وعلانية، فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّا وإعلانا ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾ يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا، فيقبل منها الفدية، وتترك فلا تعاقب. فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضا، إذ كان أخذ عوض من معتاض منه. وقوله: ﴿وَلَا خِلَٰلٞ ٣١﴾ يقول: وليس، هناك مخالة خليل، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته، بل هنالك العدل والقسط.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا العباد بطاعته والقيام بحقه، والإحسان إلى خلقه، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات، والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب.

والمراد بإقامتها هو: المحافظة على وقتها وحدودها، وركوعها وخشوعها وسجودها.

وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر، أي: في الخفية، والعلانية وهي: الجهر، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ وهو يوم القيامة، وهو يوم ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٞ ٣١﴾ أي: لا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه، كما قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الحديد: ١٥].

وأورد ابن كثير قول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا خِلَٰلٞ ٣١﴾ ثم قال:

والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا لو وجده، ولا ينفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرا، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا

شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ آمرا لهم بما فيه غاية صلاحهم وأن ينتهزوا الفرصة، قبل أن لا يمكنهم ذلك: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ظاهرا وباطنا ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم قليلا أو كثيرا ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ وهذا يشمل النفقة الواجبة كالزكاة ونفقة من تجب عليه نفقته، والمستحبة كالصدقات ونحوها.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: لا ينفع فيه شيء ولا سبيل إلى استدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وشراء ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾، أمر تعالى في هذه الآية الكريمة بالمبادرة إلى الطاعات كالصلوات والصدقات من قبل إتيان يوم القيامة الذي هو اليوم الذي لا بيع فيه ولا مخالة بين خليلين فينتفع أحدهما بخلة الآخر، فلا يمكن أحداً أن تباع له نفسه فيفديها، ولا خليل ينفع خليله يومئذ، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ [الحديد: ١٥]، وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ

(٣١٨) أحمر
أسود

شَيْئًا ﴾ الآية [البقرة: ٤٨]، ونحو ذلك من الآيات، والخلال في هذه الآية، قيل: جمع خلة كقلة وقلال، والخلة: المصادقة، وقيل: هو مصدر خاله على وزن فاعل مخالة وخلالاً، ومعلوم أن فاعل ينقاس مصدرها على المفاعلة والفعال، وهذا هو الظاهر، ومنه قول امرىء القيس:

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قال

أي ليست بمكروه المخالة.

❁ ❁ ❁

(٣١٩) أحمر
أسود

التذكير
بنعم الله ﷻ وآلائه وقدرته

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ج: يُذكر الله سبحانه وتعالى خلقه بنعمه عليهم وبقدرته فهو الذي خلق السموات بغير عمدٍ، وزينها به من نجوم وكواكب، وجعل فيها ما جعل من شمس وقمر وغير ذلك، وجعلها سقفًا محفوظًا بما فيها من الآيات والدلالات على وحدانيته ﷻ، وكذا خلق الأرض وجعلها مهاد، وجعل فيها فجاجًا سبلًا لعلهم يهتدون، وأرساها بالجبال الرواسي الشامخات كي لا تميد بمن عليها من الخلق، وأجرى فيها الأنهار وجعل فيها البحار، وأنبت فيها الشجر والنبات والثمر، وبث فيها من كل دابة، وجعل فيها من الآيات ما جعل وأنزل من السماء ماءً (وهو المطر والغيث) فأخرج بسببه من الأرض نباتها وثمارها رزقًا لكم، وكذا سخر لكم السفن العظيمة الهائلة تجري في البحار ماخرة، وأودع الله في البحار ما أودع كي تحمل هذه السفن، وسخر لها الرياح لإجرائها في البحار، كل ذلك بأمر الله وإذنه، وإلا فلو شاء الله ما تحركت كما قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [الشورى: ٣٣].

وكذا فإنه جلَّ ذكره أجرى الأنهار وسخرها لكم بما فيه من عذب المياه سقيًا لزرعكم، وشرابًا لكم ولمواشيكم، وإحياءً لأرضكم.

وكذا فإنه عزَّ جاهه وجل ذِكره سخر لكم الشمس والقمر يتعاقبان ولا

(٣٢٠) أحمر
أسود

يفتران ولا يتوقفان إلا إذا شاء الله فهذا يعقب تلك، وتلك معقبة له في حركة مستمرة وتعاقب سخرها لكم الشمس لتنتفعوا بها في حياتكم وفي زروعكم وفي رؤيتكم وإبصاركم في النهار، وبكل صور الانتفاع المتأتية من وراء الشمس وكي تستدلوا بها أيضًا على قدرة خالقكم ﷻ وعلى وحدانيته فهو الذي يأتي بها من المشرق، ولا تُشرق إلا بإذنه، وكذا القمر سخره الله لكم فسلطانه في الليل لاستقرار الناس وسكنهم ليلًا، وللانتفاع بكل ما ينتفع به من القمر، وكذا للاستدلال به على قدرة الله ووحدانيته، وكذا فإنه ﷻ سخر لكم الليل لتسكنوا فيه، وجعل نومكم سباتًا أي: راحة، وسخر لكم النهار كي تبتغوا من فضله بسعيكم على معاشكم وتنقلكم في البلاد، وأعطاكم الله ﷻ ووفَّر لكم كل ما به تقوم حياتكم وما يقوم به معاشكم وكذا أعطاكم من جنس كل ما سألتموه، ومن الذي لم تسألوه أيضًا، فإذا دعوتموه أجابكم وإذا سألتموه أعطاكم يعطيكم ما ينفعكم ويصرف عنكم ما دمتم مؤمنين به ما يضركم، فيعطيكم الذي يشاء ويمنع عنكم الذي يُريد أن يمنع، وإن تعدوا نعم الله التي أنعم بها عليكم لا تحصوها، لا تستطيعوا عدَّها ولا إحصاءها ومهما قدمتم لها من شكر فلن تفوا بحقها، فشكركم لله عليها يحتاج إلى شكرٍ، ذلك لأن الذي وفقكم لشكره هو الله ﷻ، فكلما شركتم فشكركم نعمة من الله عليكم تحتاج إلى شكر آخر، فإذا قلتم الحمد لله، فالذي وفقكم لها هو الله، فقولكم لها يحتاج إلى شكر وهكذا، ولكن الإنسان لظلوم لنفسه كثير الظلم، ظلوم لنفسه إذ ينزلها منازل سيئة بعصيانه وبشركِهِ، ظلوم لنفسه ولغيره كذلك كفار جحود لنعم الله ﷻ عيه، لا يقدم شكرًا إلا القليل.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٢١) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ وهي السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لكم تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ ماؤُها شراب لكم، يقول تعالى ذكره: الذي يستحقّ عليكم العبادة وإخلاص الطاعة له، من هذه صفته، لا من لا يقدر على ضرّ ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم.

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وفعل الأفعال التي وصف ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصلاح أنفسكم ومعاشكم ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ يختلفان عليكم باعتقاب، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم، فهذا لكم لتصرّفكم فيه لمعاشكم، وهذا لكم للسكن تسكنون فيه، ورحمة منه بكم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغروسها من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئا، وحذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كلّ، وإنما جاز حذفه، لأن من تُبعِّض ما بعدها، فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] يعني به: وأوتيت من كل شيء في

(٣٢٢) أحمر
أسود

زمانها شيئا، وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي قد أتى بعضكم منه شيئا، وأتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويّي أهل البصرة.

وكان بعض نحويِّي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كلّ ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كلّ سؤلكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل، لم يسألك شيئا: والله لأعطينك سُؤْلك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كلّ ما رغبتم إليه فيه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه والذي لم تسألوه.

ويقول تعالى ذكره: وإن تعدّوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفرا لظلوم: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحق عليه إخلاص العبادة له، فعبد غيره وجعل له أندادا ليضلّ عن سبيله، وذلك هو ظلمه، وقوله: ﴿كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٢٣) أحمر
أسود

يعدد تعالى نعمه على خلقه، بأن خلق لهم السماوات سقفا محفوظا والأرض فراشا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ أي: يسيران لا يقران ليلا ولا نهارا، ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠]، ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار عارضان فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر، ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [لقمان: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ ﴾ يقول: هيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقالكم.

وقال بعض السلف: من كل ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ بعضهم: «وأتاكم من كل ما سألتموه».

وقوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن حق الله أثقل

(٣٢٤) أحمر
أسود

من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيّ وَلَا مودَع، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ ربَّنا**»[1].

وَقَدْ رُوِيَ فِي الْأَثَرِ[2]: أَنَّ داود، عليه السلام، قال: يارب، كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: الْآنَ شَكَرْتَنِي يَا دَاوُدُ، أَيْ: حِينَ اعْتَرَفْتَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ.

وقال الشافعي، رحمه الله: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه، إلا بنعمة توجب على مؤدى ماضي نعمه بأدائها، نعمة حادثة توجب عليه شكره بها.

وقال القائل في ذلك:

لَوْ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنِّي لهَا لُغَةٌ ... تُثْنِي عَلَيكَ بِمَا أولَيتَ مِنْ حَسنِ
لَكَانَ مَا زَادَ شُكري إِذْ شَكَرت بِهِ ... إليكَ أبلغَ فِي الإحسَان والمننِ

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتموه، قاله الحسن، وعكرمة.

والثاني: من كل ما سألتموه، لو سألتوه، قاله الفراء.

والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئًا، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٣] أي، من كل شيء في زمانها شيئًا، قاله الأخفش.

(١) البخاري (٥٤٥٨).
(٢) وهذا مما لا سند له تقوم به الحجة.

(٣٢٥) أحمر
أسود

والرابع: من كل ما سألتموه، وما لم تسألوه، لأنكم لم تسألوا شمسًا ولا قمرًا ولا كثيرًا من النِّعم التي ابتدأ كم بها، فاكتُفي بالأول من الثاني، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل ٨١]، قاله ابن الأنباري.

والخامس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: «من كلِّ ما» بالتنوين من غير إضافة، فالمعنى: آتاكم من كُلِّ ما لم تسألوه، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تُطيقوا الإتيان على جميعها بالعَدِّ لكثرتها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال الزجاج: الإنسان اسم للجنس يُقصَد به الكافر خاصة.

قوله تعالى: ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ الظَّلوم هاهنا: الشاكرُ غيرَ مَن أنعم عليه، والكَفَّار: الجحود لنِعم الله تعالى.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى: أنه وحده ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ على اتساعهما وعظمهما، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، ﴿فَأَخْرَجَ﴾ بذلك الماء ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ المختلفة الأنواع ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ ورزقا لأنعامكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي: السفن والمراكب.

﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ فهو الذي يسر لكم صنعتها وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجاراتكم، وأمتعتكم إلى بلد تقصدونه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ لتسقي حروثكم وأشجاركم وتشربوا منها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمصالحكم، من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم،

(٣٢٦) أحمر
أسود

وثماركم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ مبصرا لتبتغوا من فضله.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ فضلا عن قيامكم بشكرها ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

❁ ❁ ❁

(٣٢٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ
عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا
نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ
﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

[إبراهيم: ٣٥-٤١]

(٣٢٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ءَامِنًا - وَٱجۡنُبۡنِي - ٱلۡأَصۡنَامَ - أَضۡلَلۡنَ - فَإِنَّهُۥ مِنِّي - بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ - أَفۡـِٔدَةً - تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ - عَلَى ٱلۡكِبَرِ - وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ - يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَامِنًا﴾	سالمًا من السوء والمكروه ومحفوظًا من الشر - مؤمنا لا يُعتدى على أهله.
﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾	باعدني - اصرفني.
﴿ٱلۡأَصۡنَامَ﴾	الأوثان التي تعبد من دون الله (حجارة وأشجار يعبدونها) من دون الله.
﴿أَضۡلَلۡنَ﴾	تسببن في انصراف الناس عن الحق.
﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾	فإنه على سنتي وطريقتي.
﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾	بواد ليس فيه زرع ولا ثمر.
﴿أَفۡـِٔدَةً﴾	قلوبًا.
﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾	تميل إليهم وتذهب إليهم - تحبهم وتوقرهم.
﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾	وأنا كبير السن.
﴿وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾	تقبل عبادتي - استجب دعائي.
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾	يوم القيامة الذي فيه حساب العباد.

❁ ❁ ❁

(٣٢٩) أحمر
أسود

على الشخص مهما كان
أن يسأل الله الثبات فالقلوب بقلبها الرحمن ﷻ

س: في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ ما يدل على أن الشخص لا يأمن على نفسه وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن إبراهيم عليه السلام، وهو إمام في التوحيد سأل ربَّه أن يصرف عنه وعن بنيِّه عبادة الأصنامن فإنه عليه السلام علم أن الذي يصرف عنه عبادة الأصنام هو الله وأن الذي يثبته هو الله.

وقد أشار عليه السلام إلى هذا المعنى، إذ قال في محاججته لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ٨٠] أي: لو شاء الله لي أن أخشى أصنامكم لخشيتها، وهكذا قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي في ملتكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ولذا كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك**»، وكان من دعاء أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وكانت يمين النبي ﷺ: «**لا ومقلب القلوب**»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما توجيه قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ وقد عُلم أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.؟

ج: توجيه ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال ومن عصاني فإنك يا رب قادر على هدايته، ومن ثمَّ

(١) البخاري (٦٦٢٨)، وله ألفاظ أُخر عند البخاري (٧/ ٦٦) وغيره، منها كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: «**لا ومقلب القلوب**».

(٣٣٠) أحمر
أسود

مغفرته ورحمته تغفر له وترحمه.

الثاني: أنه قال ذلك قبل أن يعلم أن الشرك بالله لا يغفر. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ...﴾ [التوبة: ١١٤]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يا رسول الله قول إبراهيم عليه السلام إذ دعا ربَّه عز وجل قائلًا: رب اجعل هذا البلدن - ويريد: مكة والحرم - آمنًا من السوء والمكروه وآمنًا بما يقتضيه معنى الأمن، ومعنى كونها حرامًا فمن ذلك كونها لا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا تلتقط لقطتها..

ثم إن إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه قائلًا، وباعدني يا رب عن عبادة الأصنام أنا وأبنائي ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ ﴾ أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ بسببهن ضلَّ كثيرٌ من الناس عن طريق الحق، فمن تبعني يا رب، فآمن بك ووحدك وأخلص لك فإنه مني مستنٌّ بسنتي عامل بطريقتي، ومن عصاني فإنك قادر على هدايته ومن ثمَّ على المغفرة له ورحمته.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ

(٣٣١) أحمر
أسود

ءَامِنًا ﴾ يعني الحَرَم، بلدا آمنا أهله وسكانه ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ يقال منه: جَنَبْته الشرّ فأنا أَجْنُبُه جَنْبا وجَنَّبته الشر، فأنا أجَنِّبُه تجنيبا، وأجنبته ذلك فأنا أُجْنِبه إجنابا.

ثم قال:

ومعنى ذلك: أبعدْني وبنيّ من عبادة الأصنام، والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر.

وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يقول: يا ربّ إن الأصنام أضللن: يقول: أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهُدى وسبيل الحق حتى عبدوهنّ، وكفروا بك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني الأوثان.

وقوله ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ يقول: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستنّ بسنَّتِي، وعامل بمثل عملي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ يقول: ومن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنه غفور لذنوب المذنبين الخَطائين بفضلك، ورحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم لا والله ما كانوا طَعَّانين ولا لعَّانين، وكان يقال: إنّ من أشرّ عباد الله كلّ طعان لعان، قال نبيّ الله ابن مريم عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] .

وأورد الطبري بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

(٣٣٢) أحمر
أسود

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ ، وقال عيسى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾. فرفع يديه ثم قال: اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي، وبكى، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فاسأله ما يُبكيه؟ فأتاه جبرئيل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ ما قال، قال: فقال الله: يا جبرئيل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه، آهلة تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ وقد استجاب الله له، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] ، وقال في هذه القصة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ فعرفه كأنه دعا به بعد بنائها؛ ولهذا قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة، فإنه دعا أيضا فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا.

وقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته. ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه برئ ممن عبدها، ورد أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كما قال عيسى،

(١) وأخرجه مسلم بنحوه (٣٤٦).

(٣٣٣) أحمر
أسود

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾. [المائدة: ١١٨]، وليس في هذا أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى، لا تجويز وقوع ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ يعني مكة وقد مضى في «البقرة». ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ أي اجعلني جانبا عن عبادتها، وأراد بقوله: «اجنبني» بنيه من صلبه وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنما. وقيل: هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له. وقرأ الجحدري وعيسى «وأجنبني» بقطع الألف والمعنى واحد، يقال: جنبت ذلك الأمر، وأجنبته وجنبته إياه فتجانبه واجتنبه أي تركه. وكان إبراهيم التيمي يقول في قصصه: من يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ كما عبدها أبي وقومي. قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ لما كانت سببا للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازا، فإن الأصنام جمادات لا تفعل. ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ في التوحيد. ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي من أهل ديني. ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ أي أصر على الشرك. ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ قيل: قال هذا قبل أن يعرفه الله إن الله لا يغفر أن يشرك به. وقيل: غفور رحيم لمن تاب من معصيته قبل الموت. وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فيما دون الشرك.

وقال ابن الجوزي في (زاد المسير):

قوله تعالى: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ) أي: جنِّبني وإياهم، والمعنى: ثبِّتني على اجتناب عبادتها. (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) يعني: الأصنام، وهي لا توصَف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلّوا بسببها، كانت كأنها أضلَّتهم. (فَمَن تَبِعَنِي) أي: على ديني التوحيد (فَإِنَّهُ مِنِّي) أي: فهو على مِلَّتي، (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فيه ثلاثة أقوال:

(٣٣٤) أحمر
أسود

أحدها: ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم، قاله السدي.

والثاني: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله مقاتل بن حيان.

والثالث: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم أن تتوب عليه فتهديه إلى التوحيد، قاله مقاتل بن سليمان. وقال ابن الأنباري: يحتمل أن يكون دعا بهذا قبل أن يُعلِمه الله تعالى أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبيه.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ الآية،لم يبين هنا هل أجاب دعاء نبيه إبراهيم هذا، ولكنه بين في مواضع أُخر أنه أجابه في بعض ذريته دون بعض، كقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ [الصافات: ١١٣]، وقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ الآية [الزخرف: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم قال: إن من تبعه فإنه منه وأنه رد أمر من لم يتبعه إلى مشيئة الله تعالى إن شاء الله غفر له؛ لأنه هو الغفور الرحيم، وذكر نحو هذا عن عيسى ابن مريم في قوله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨]، وذكر عن نوح وموسى التشديد في الدعاء على قومهما، فقال عن نوح إنه قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ إلى قوله: ﴿فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، وقال عن موسى إنه قال: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس: ٨٨]، والظاهر أن نوحاً وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ما دعوا ذلك الدعاء على قومهما إلا بعد أن علما من الله أنهم أشقياء في علم الله لا يؤمنون أبداً، أما نوح فقد صرح الله تعالى له بذلك في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وأما موسى فقد

(٣٣٥) أحمر
أسود

فهم ذلك من قول قومه له: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف: ١٣٢]، فإنهم قالوا هذا القول بعد مشاهدة تلك الآيات العظيمة المذكورة في «الأعراف» وغيرها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه ويواصل الدعاء قائلًا: ربنا إني أسكنت ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ بعض ذريتي وهم إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ لا زرع فيه ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ بمكة ﴿رَّبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: ربنا اجعلهم يقيموا الصلاة، الثاني: ربنا قد أسكنتهم عند بيتك المحرم ليصلوا هنالك.

هذا، وقوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ﴾ أي: قلوبًا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ تذهب إليهم في هذا المكان وتحبهم وتحب سكنى هذا البلد الحرام ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ كي يقدموا شكرًا لك وحمدًا لك.

هذا، ولقد استجاب الله دعوة خليله إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥] أي: جعلنا الناس يثوبون إليه، يرجعون إليه بعد أن ينصرفوا عن محبة فيه، ولذلك نرى من اعتمر وحجَّ يُحب أن يرجع إليه ثانية للاعتمار والحج.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رحمه الله:

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجَرَ

(٣٣٦) أحمر
أسود

-فيما ذُكِر- مكة.

وأورد الطبري آثارًا في أسانيدها مقال، ومنها ما هو قابل للتحسين، وذلك ما أورده من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: جاء نبيّ الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر، فوضعهما بمكة في موضع زمزم، فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم إنما أسألك ثلاث مرات: من أمرك أن تضعني بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع، ولا أنيس، ولا زاد ولا ماء؟ قال: ربي أمرني، قالت: فإنه لن يضيِّعنا قال: فلما قفا إبراهيم قال ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ يعني من الحزن ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ . فلما ظمئ إسماعيل جعل يَدْحَض الأرض بعقبه، فذهبت هاجر حتى علت الصفا، والوادي يومئذ لاخ، يعني عميق، فصعدت الصفا، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا؟ فلم تر شيئا، فانحدرت فبلغت الوادي، فسعت فيه حتى خرجت منه، فأتت المروة، فصعدت فاستشرفت هل ترى شيئا، فلم تر شيئا. ففعلت ذلك سبع مرّات، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل، وهو يَدْحَض الأرض بعقبه،وقد نبعت العين وهي زمزم. فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، وأفرغته في سقائها. قال: فقال النبيّ ﷺ: «**يَرْحَمُها اللهُ لَوْ تَرَكَتْها لَكانَتْ عَيْنا سائِحَةً تَجْرِي إلى يَوْمِ القِيامَةِ**». قال: وكانت جُرهُمُ يومئذ بواد قريب من مكة، قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي، قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء، فجاءوا إلى هاجرَ، فقالوا: إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك، قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل، وماتت هاجر فتزوّج إسماعيل امرأة منهم، قال: فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي، هاجر، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت

إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ههنا ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع، فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة، هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي، وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه! وذهب إبراهيم، وجاء إسماعيل، فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: أقرئي زوجك السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه، فطلقها وتزوج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له، وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يصيد، وهو يجيء الآن إن شاء الله، فأنزل يرحمك الله قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال: هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير؟ قالت: لا. فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا، فقالت له: أنزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شقه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا، فقال لي كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، وغسلتُ رأسه، وهذا موضع قدمه على المقام. قال: وما قال لك؟ قالت: قال لي: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، قال: ذاك إبراهيم، فلبث ما شاء الله أن يلبث، وأمره الله ببناء البيت، فبناه هو

(٣٣٨) أحمر
أسود

وإسماعيل، فلما بنياه قيل: أذن في الناس بالحجّ، فجعل لا يمرّ بقوم إلا قال: أيها الناس إنه قد بني لكم بيت فحجوه، فجعل لا يسمعه أحد، صخرة ولا شجرة ولا شيء، إلا قال: لبيك اللهم لبيك. قال: وكان بين قوله ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ وبين قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ [إبراهيم: ٣٩] كذا وكذا عاما، لم يحفظ عطاء.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ وقد رويت في الأخبار التي ذكرتها أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة. قيل: قد قيل في ذلك أقوال قد ذكرتها في سورة البقرة، منها أن معناه: عند بيتك المحرّم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حين رفعته أيام الطوفان، ومنها عند بيتك المحرم من استحلال حرمات الله فيه، والاستخفاف بحقه. وقوله ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: فعلت ذلك يا ربنا كي تؤدّى فرائضك من الصلاة التي أوجبتها عليهم في بيتك المحرّم. وقوله ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرَّم. وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حج بيته الحرام.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مجاهد: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ قال: لو كانت أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم، ولكنه أفئدة من الناس.

وبإسنادٍ صحيح عن الحكم قال: سألت عكرمة عن هذه الآية ﴿فَٱجۡعَلۡ

(٣٣٩) أحمر
أسود

أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ فقال: قلوبهم تهوي إلى البيت.

وقال الطبري:

حدثنا الحسن، قال: ثنا يحيى بن عباد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ .

وقال آخرون: إنما دعا لهم أن يهووا السكنى بمكة.

وقوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار ما رزقت سكان الأرياف والقرى التي هي ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذي زرع ولا ماء. فرزقهم جلّ ثناؤه ذلك.

وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يقول: ليشكروك على ما رزقتهم وتنعم به عليهم.

قلت: وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا،

(١) البخاري (٣٣٦٥).

(٣٤٠) أحمر
أسود

فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «**لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا**» . قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ، فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ، فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلاَ تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «**بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ**» قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي

(٣٤١) أحمر
أسود

عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧] . قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ البِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ المَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه، تأكيدا ورغبة إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ؛ ولهذا قال: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابن جرير: هو متعلق بقوله: ﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾ أي: إنما جعلته محرما ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده.

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: لو قال: «أفئدة الناس» لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاختص به المسلمون.

وقوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما أنه ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ فاجعل لهم ثمارا يأكلونها. وقد استجاب الله ذلك، كما قال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧] وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته: أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة، وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها، استجابة لخليله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الآية،

(٣٤٢) أحمر
أسود

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام دعا لذريته الذين أسكنهم بمكة المكرمة أن يرزقهم الله من الثمرات، وبين في «سورة البقرة» أن إبراهيم خص بهذا الدعاء المؤمنين منهم، وأن الله أخبره أنه رازقهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم ثم يوم القيامة يعذب الكافر، وذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ الآية [البقرة: ١٢٦]، قال بعض العلماء: سبب تخصيص إبراهيم المؤمنين في هذا الدعاء بالرزق، أنه دعا لذريته أولاً أن يجعلهم الله أئمة ولم يخصص بالمؤمنين، فأخبره الله أن الظالمين من ذريته لا يستحقون ذلك، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فلما أراد أن يدعو لهم بالرزق، خص المؤمنين بسبب ذلك فقال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ فأخبره الله أن الرزق ليس كالإمامة، فالله يرزق الكافر من الدنيا ولا يجعله إماماً، ولذا قال له في طلب الإمامة: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾، ولما خص المؤمنين بطلب الرزق، قال له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ الآية [البقرة: ١٢٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ .

وذلك أنه أتى بـ«هاجر» أم إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي -إذ ذاك- ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء فقال -متضرعا متوكلا على ربه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام وباقي بنيه كذلك وإنما أسكن في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة.

(٣٤٣) أحمر
أسود

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيما لدينه، ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه.

فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدا ﷺ حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا له وصاروا مقيمي الصلاة.

وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ فأجاب الله دعاءه، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

فإن قيل: ما وجه قوله: (عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن هناك بيت حينئذ، إنما بناه إبراهيم بعد ذلك بمُدَّة؟ فالجواب من ثلاثة وجوه.

أحدها: أن الله تعالى حرَّم موضع البيت منذ خلق السموات والأرض، قاله ابن السائب.

والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرفَع أيام الطوفان.

والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث هاهنا

❁ ❁ ❁

(٣٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

ج: هذا قول إبراهيم عليه السلام يقول: يا ربنا إنك تعلم ما تخفيه في صدورنا ولم يبح به لأحد تعلم يا رب نيتي من إقامة أهلي عند بيتك المحرم، وتعلم يا رب ما نظهره من أعمالنا، لا يخفى يا رب عليك شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

فهذا توسل من إبراهيم عليه السلام بثنائه على الله وإقراره بعلم الله عز وجل، وكذا توسلٌ من إبراهيم بصالح نواياه عليه السلام، أي: يا رب أنت تعلم نيتي وقصدي وأنه خيرٌ فيا رب لا تخذلني، ويا رب استجب دعائي، ثم يُقدِّم حمدًا لله بعد الثناء على الله، قائلًا الحمد لله الذي ﴿وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ رزقني على كبر سني، فقد كان لا يولد له عليه السلام - إسماعيل وإسحاق ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ ففي هذا دليل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو الله عز وجل بالذرية الصالحة، ثم يسأل إبراهيم عليه السلام ربَّه عز وجل أن يعينه على المحافظة على إقامة الصلاة وعدم التخلي عنها، يسأل الله ذلك لنفسه ولذريته، قائلًا: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ محافظًا عليها مداومًا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ أي: واجعل من ذريتي من هو مقيم للصلاة مداومًا عليها محافظًا.

هذا وقوله: «من» في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ إما أن تكون زائدة لتقوية الكلام، أي: واجعل ذريتي مقيمة للصلاة، أو تكون بمعنى (في) ويكون المعنى، وفي ذريتي إقامة الصلاة، وهذا إحسانًا للظنِّ بإبراهيم عليه السلام إذ لا يتصور أنه يدعو ربَّه أن تكون بعض ذريته مقيمة للصلاة دون البعض. والله أعلم.

(٣٤٥) أحمر
أسود

هذا، وقد قال تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١١٣]، والله أعلم.

أما قوله: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ فمحتمل لأمرين: أحدهما:

وتقبل عبادتي وقرباتي التي أتقرب بها إليك.

والثاني: واستجب دعائي.

ثم يدعو إبراهيم عليه السلام بالمغفرة بادئًا بنفسه ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى﴾ ثم لوالديه بقوله: ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وهذا قبل أن يعلم أن اباه عدوٌّ لله. أمَّا أمه فلم يرد أنه نُهي عن الدعاء لها، فالظاهر أنها كانت مسلمة لذلك ثم عمَّ الدعاء للمؤمنين بقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ أي: يوم القيامة عندما تحاسب الناس.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ ... الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفي قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

(٣٤٦) أحمر
أسود

يقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر من السنّ ولدا إسماعيل وإسحاق ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به، وقولي ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ وغير ذلك من دعائي ودعاء غيري، وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول: ربّ اجعلني مؤدّيا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها عليّ من الصلاة. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ﴾ يقول: واجعل أيضا من ذريتي مقيمي الصلاة لك. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك. وهذا نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الدُّعاءَ هُوَ العبادَةُ**» ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما. وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن ﴿ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

وقد بيَّنا وقت تبرّئه منه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه، فأطاعك في أمرك ونهيك. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ يعني: يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهوما معناه.

(٣٤٧) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم خليله أنه قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ أي: أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ولا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم حمد ربه، ﷻ، على ما رزقه من الولد بعد الكبر، فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ أي: إنه ليستجيب لمن دعاه، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد.

ثم قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: محافظا عليها مقيما لحدودها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ أي: واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ أي: فيما سألتك فيه كله.

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وقرأ بعضهم: «ولوالدي»، على الإفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله، ﷻ، ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: كلهم ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ أي: يوم تحاسب عبادك فتجزيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم طلب المغفرة لوالديه، وبين في آيات أُخر أن طلبه الغفران لأبيه إنما كان قبل أن يعلم أنه عدو لله، فلما علم ذلك تبرأ منه كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٤٨) أحمر
أسود

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ أي على كبر سني وسن امرأتي، قال ابن عباس[1]: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة. وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. وقال سعيد بن جبير: بشر إبراهيم بإسحاق بعد عشر ومائة سنة. ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ . قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي من الثابتين على الإسلام والتزام أحكامه. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ ﴾ أي واجعل من ذريتي من يقيمها. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي عبادتي كما قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [غافر: ٦٠] . وقال عليه السلام: «**الدعاء مخ العبادة**» وقد تقدم في «البقرة». ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله. قال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه.

❁ ❁ ❁

(١) ولم أقف على سند صحيح عن ابن عباس بهذا.

(٣٤٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ
تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ
وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ
أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ
مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ
رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ
فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾
لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ
لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

[إبراهيم: ٤٢-٥٢]

(٣٥٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ - غَـٰفِلًا - تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ - مُهْطِعِينَ - مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ - لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ - وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ - أَجَلٍ قَرِيبٍ - نُّجِبْ دَعْوَتَكَ - زَوَالٍ - وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَـٰلَ - مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ - عَزِيزٌ - ذُو ٱنتِقَامٍ - وَبَرَزُوا۟ - ٱلْقَهَّارِ - مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَـٰدِ - سَرَابِيلُهُم - قَطِرَانٍ - وَتَغْشَىٰ - بَلَـٰغٌ - وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ - وَلِيَذَّكَّرَ - أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾	ولا تظنن.
﴿غَـٰفِلًا﴾	ساهيًا.
﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾	تُركز فيه الأبصار ولا تطرف، بل تديم النظر من شدة ما ترى.
﴿مُهْطِعِينَ﴾	مُسرعين، وقيل: مُديمي النظر.
﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾	رافعي رؤوسهم (قد ضمت الأيدي إلى الأعناق وربطت معها فارتفعت الرؤوس).
﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾	لا يرجع إليهم بصرهم، لا يُغمضون.
﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾	قلوبهم فارغة من الخير - وقيل: أماكن القلوب فارغة
﴿أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾	الدنيا.
﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾	نجب دعوة رسلك الذين دعونا إلى الإسلام والإيمان.
﴿زَوَالٍ﴾	انتقال إلى الآخرة، موت وبعث.

(٣٥١) أحمر
أسود

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾	سقنا لكم الأمثال في القرآن.
﴿مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾	أشركوا شركهم - دبروا تدبيرهم - كادوا كيدهم.
﴿عَزِيزٌ﴾	غالب لا يمتنع عليه شيء.
﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾	منتقم.
﴿وَبَرَزُواْ﴾	ظهروا - خرجوا من القبور إلى مكان فسيح وظهروا كلهم.
﴿ٱلْقَهَّارِ﴾	الذي قهر كل شيء.
﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾	مربوطين في القيود، قيل: مربوطة أيديهم مع أرجلهم في رقابهم، وقيل: مربوطة مع الشياطين، وقيل: مربوط كل شخص مع أمثاله.
﴿سَرَابِيلُهُم﴾	قمصانهم.
﴿قَطِرَانٍ﴾	ما يشبه الزفت الذي تُطلى به الإبل المصابة بالجرب.
﴿وَتَغْشَىٰ﴾	تغطى.
﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾	ليحذَّروا به من سوء العاقبة.
﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾	ليتعظ.
﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	أصحاب العقول النيرة الرشيدة.

❁ ❁ ❁

(٣٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ولا تظنن يا رسول الله، ولا تظنن أيها المسلم، ولا تظنن أيضًا يا ابن آدم أن الله ﷻ ساهيًا لا يدري عما يفعله الظالمون، بل هو عالم بهم ومحيط بأعمالهم لا يخفى عليه منهم ولا من أعمالهم شيء، وإنما يؤخر عذابهم وإنزال العقاب الشديد بهم إلى يوم القيامة، ذلكم اليوم الذي تشخص فيه الأبصار، تنظر أبصار الخلق إلى الأهوال فتركز البصر، ذلكم اليوم الذي يخرج فيه الخلق من القبور مهطعين مُسرعين، مجيبين الداعي كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ﴾ [القمر: ٨] يسرعون إلى الداعي ورؤوسهم مرفوعة، فقد ضُمت الأيدي إلى الرقاب وربطت بها فارتفعت الأبصار إلى أعلى وشخصت فلم ترتد الأبصار لهول ما تراه وتظنه واقعًا بها، وأيضًا فحينئذٍ القلوب قد انتقلت من أماكنها فأصبحت أماكنها فارغة كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ﴾ [غافر: ١٨] فانتقلت القلوب ونشبت بالحلوق والحناجر.

وقال بعض العلماء: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: لا تعي من الخير شيئًا، بل هي متخرقة خرج منها كل خير. والله أعلم.

وبنحو هذاقال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ يا محمد ﴿غَٰفِلًا ﴾ ساهيا ﴿عَمَّا يَعْمَلُ ﴾ هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيًا عليهم، ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أن يجزيهم فيه.

(٣٥٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذّبونك ويجحَدون نبوّتك، ليوم تشخص فيه الأبصار. يقول: إنما يؤخِّر عقابهم وإنزال العذاب بهم، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق، وذلك يوم القيامة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ شخصت فيه والله أبصارهم، فلا ترتدّ إليهم.

وأما قوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: معناه: مسرعين.

وقال آخرون: معنى ذلك: مديمي النظر.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يرفع رأسه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه: بمعنى إدامة النظر.

وقال:

وقوله: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ يعني رافعي رءوسهم. وإقناع الرأس: رفعه.

وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ يقول: لا ترجع إليهم لشدّة النظر أبصارهم.

وقوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: متخرقه لا تعي من الخير شيئا.

وأورد بإسناد صحيح عن مرّة، في قوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ قال: متخرقة لا تعي شيئا.

وفي رواية: لا تعي شيئا من الخير.

وأورد بإسنادٍ صحيح ابن زيد في قوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ قال: الأفئدة: القلوب هواء كما قال الله، ليس فيها عقل ولا منفعة.

(٣٥٤) أحمر
أسود

وقال آخرون: إنها لا تستقرّ في مكان تردّد في أجوافهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها خرجت من أماكنها فنشبت بالحلوق.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم.

وأورد من وجهين يصحان بمجموعها عن قتادة، في قوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ انتزعت حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى أمكنتها.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: أنها خالية ليس فيها شيء من الخير، ولا تعقل شيئا، وذلك أن العرب تسمي كلّ أجوف خاو: هواء، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

ألا أبْلِغْ أبا سُفْيانَ عَنّي فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد ﴿غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا تحسبه إذ أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم، لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عدا، أي: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ أي: من شدة الأهوال يوم القيامة.

ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم إلى قيام المحشر فقال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١٩٨ - ١١١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣].

وقوله: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد وغير واحد: رافعي

(٣٥٥) أحمر
أسود

رءوسهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: بل أبصارهم طائرة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، عياذًا بالله العظيم من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الفزع والوجل والخوف. ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف. وقال بعضهم: ﴿هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ خراب لا تعي شيئا.

ولشدة ما أخبر الله تعالى به عنهم، قال لرسوله: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ﴾ حيث أمهلهم وأدرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ والظلم -هاهنا- يشمل الظلم فيما بين العبد وربه وظلمه لعباد الله. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾

(٣٥٦) أحمر
أسود

أي: رافعيها قد غُلَّتْ أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رءوسهم، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يؤخر عقاب الكفار إلى يوم تشخص فيه الأبصار من شدة الخوف، وأوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [الأنبياء: ٩٧]، ومعنى شخوص الأبصار أنها تبقى منفتحة لا تغمض من الهول وشدة الخوف.

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، الإهطاع في اللغة: الإسراع، وقد بين تعالى في مواضع أُخر أنهم يوم القيامة يأتون مهطعين، أي: مسرعين، إذا دعوا للحساب، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ الآية [القمر: ٧، ٨]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن إطلاق الإهطاع في اللغة، بمعنى الإسراع، قول الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

أي: مسرعين إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ

(٣٥٧) أحمر
أسود

فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وأنذر الناس يا رسول الله، حذرهم وخوفهم في الدنيا، حذرهم وخوفهم من يأتيهم فيه العذاب، وذلك يوم القيامة فعنده يقول أهل الظلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ فبخسوا أنفسهم حقها وأنزلوها أسوأ المنازل بشركهم بالله، حذر الناس من قبل أن يأتيهم العذاب فعندها يقول أهل الشرك ربنا أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا نجب دعوة الداعي إليك فنسلم ونعبدك وحدك لا شريك له ونتبع رسلك الذين دعونا للإيمان بك، فيرفض طلبهم ويُقال لهم: أولم تكونوا أقسمتم في الدنيا أن لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، وذلك كما ذكرهم الله عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

أولم تكونوا أقسمتم في دنياكم ما لكم من انتقال إلى الدار الآخرة، ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: نمكم من سكن مساكن أهل الشرك الذين أبادهم الله وأفناهم، كقوم ثمود، وقوم لوط وغيرها، فأنتم يا أهل قريش منكم من سكنها، ومنكم من يمر بها ويرى ما حلَّ بها من البلاء والنكال والعقاب، فقد ظهر ذلك جليًّا واضحًا لكم، فيفترض أن فيهم وفيما حلَّ بهم عبرة لكم، ولكنكم لا تعتبرون.

أما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: في الدنيا ضربنا لكم في القرآن من كل مثل ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وتتعظون وتعتبرون. ولكن ما نفعكم كذلك.

هذا، وبنحو ما ذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتك إليهم داعيا إلى

(٣٥٨) أحمر
أسود

الإسلام ما هو نازل بهم، يوم يأتيهم عذاب الله في القيامة. ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يقول: فيقول الذين كفروا بربهم، فظلموا بذلك أنفسهم ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ أي أخِّر عنا عذابك، وأمهلنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ الحقّ، فنؤمن بك، ولا نشرك بك شيئا، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ يقولون: ونصدّق رسلك فنتبعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك واتباع أمرك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يقول: أنذرهم في الدنيا قبل أن يأتيهم العذاب.

وقوله: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ رفع عطفا على قوله: ﴿يَأْتِيهِمُ﴾ في قوله: ﴿يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وليس بجواب للأمر، ولو كان جوابا لقوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ جاز فيه الرفع والنصب. أما النصب فكما قال الشاعر:

يا نَاقَ سِيرِي عَنقَا فَسِيحا إلى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحا

والرفع على الاستئناف. وذُكر عن العلاء بن سيابة أنه كان ينكر النصب في جواب الأمر بالفاء، قال الفراء: وكان العلاء هو الذي علَّم معاذا وأصحابه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾.

و هذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم في الدنيا البعث بعد الموت، يقول لهم: إذ سألوه رفع العذاب عنهم، وتأخيرهم لينيبوا ويتوبوا ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾ في الدنيا ﴿أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، وإنكم إنما تموتون، ثم لا تبعثون.

يقول تعالى ذكره: وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين كفروا بالله، فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التي كانت قبلكم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾

(٣٥٩) أحمر
أسود

يقول: وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم وتمادوا في طغيانهم وكفرهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: ومثَّلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه، فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم، فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب، إن ذلك غير كائن.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود، وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأمم.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ قد والله بعث رسله، وأنزل كتبه، ضرب لكم الأمثال، فلا يصم فيها إلا أصمّ، ولا يخيب فيها إلا الخائب، فاعقلوا عن الله أمره.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ قال: سكنوا في قراهم مدين والحجر والقرى التي عذب الله أهلها، وتبين لكم كيف فعل الله بهم، وضرب لهم الأمثال.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم، عند معاينة العذاب: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ٩، ١٠]، وقال تعالى مخبرا

(٣٦٠) أحمر
أسود

عنهم في حال محشرهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

وقال تعالى رادا عليهم في قولهم هذا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: أو لم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحال: أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فذوقوا هذا بذاك.

قال مجاهد وغيره: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، كما أخبر عنهم تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨].

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم مزدجر لكم ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر: ٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: أراد أهل مكة. ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وهو يوم القيامة؛ أي خوفهم ذلك اليوم. وإنما خصهم بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب، لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي. ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي في ذلك اليوم ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ أي أمهلنا. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ سألوه الرجوع إلى الدنيا حين ظهر الحق في الآخرة. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أي

(٣٦١) أحمر
أسود

إلى الإسلام فيجابوا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يعني في دار الدنيا. ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ قال مجاهد: هو قسم قريش أنهم لا يبعثون. ابن جريج: هو ما حكاه عنهم في قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨]. ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ فيه تأويلان: أحدهما: ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة؛ أي لا تبعثون ولا تحشرون؛ وهذا قول مجاهد. الثاني: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي من العذاب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي في بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم بمساكنهم، بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم، وبعد أن ضربنا لكم الأمثال في القرآن.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: صف لهم صفة تلك الحال وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالكفر والتكذيب وأنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا سائلين للرجعة في غير وقتها، ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: ردَّنا إلى الدنيا فإنا قد أبصرنا، ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ والله يدعو إلى دار السلام ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ وهذا كله لأجل التخلص من العذاب وإلا فهم كذبة في هذا الوعد ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾

ولهذا يوبخون ويقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فها قد تبين حنثكم في إقسامكم، وكذبكم فيما تدعون، ﴿وَ﴾ ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من

(٣٦٢) أحمر
أسود

أنواع العقوبات؟ وكيف أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم ودمتم على باطلكم حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة. قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد. قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الأفئدة: مساكن القلوب. وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال قتادة: خرجت من صدورهم فنَشِبَت في حلوقهم، فأفئدتهم هواءٌ ليس فيها شيء.

والثاني: وأفئدتهم ليس فيها شيء من الخير، فهي كالخِرْبة، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: وأفئدتهم مُنخرِقة لا تعي شيئًا، قاله مُرَّة بن شراحيل. وقال الزجاج: متخرِّقة لا تعي شيئًا من الخوف.

والرابع: وأفئدتهم جُوْف لا عقول لها، قاله أبو عبيدة، وأنشد لحسَّان:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

فعلى هذا يكون المعنى: أن قلوبهم خلت عن العقول، لِما رأوا من الهول. والعرب تسمي كلَّ أجوَفَ خاوٍ: هواءً. قال ابن قتيبة: ويقال: أفئدتهم منخوبة من الخوف والجُبْن.

(٣٦٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقد كاد الكفار كيدهم وتآمروا تأمرهم، وأشركوا شركهم تآمروا على رسل الله لإخراجهم وقتلهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وأشركوا بالله ﷻ شكرهم وافتروا على الله كذبًا عظيمًا حيث زعموا أن الله ﷻ له شريك أو له صاحبة وعبدوا هؤلاء الشركاء مع الله ﷻ، وكل هذا مكتوب ولا يخفى على الله منه شيء، بل هو سبحانه به محيطٌ وعالم، وعقابه مكرهم هذا عند الله ﷻ أما قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

أي: أن الجبار - لو كانت تزول في الدنيا - لزالت وتحطمت غيظًا على هؤلاء، أو من مكر هؤلاء.

أي: أن مقولاتهم هذه عظيمة في الإيم والشر والفساد تكاد أن تكسر الجبال وتحطمها.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾، معناه: (وما كان مكرهم) على النفي أن مكرهم الله ويزيل الجبال. والأولى ما قدَّمته والله أعلم.

هذا، وقد ورد عن عليٍّ رضي الله عنه في ذلك أثرٌ غريب لا يصح سنده عن عليٍّ رضي الله عنه ولا يتناسب - فيما أرى - مع تفسير الآية الكريمة مع نكارة متنه وغرابة

(٣٦٤) أحمر
أسود

معناه، وسيأتي ذكره في النقل عن أهل العلم رحمهم الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ي**قول تعالى ذكره:** قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فسكنتم من بعدهم في مساكنهم، مكرهم. وكان مكرهم الذي مكروا ما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن أبان قال: سمعت عليا يقرأ: « وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ » قال: كان ملك فره[1] أخذ فروخ النسور، فعلفها اللحم حتى شبَّت واستعلجت واستغلظت. فقعد هو وصاحبه في التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور، وعلقوا اللحم فوق التابوت، فكانت كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت، فقال لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى الجبال مثل الدخان، قالا ما ترى؟ قال: ما أرى شيئا، قال: ويحك صوّب صوّب، قال: فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

وهذه صحيح إلى عبد الرحمن بن أبان..، وقد أورده الطبري من طريق شعبة عن أبي إسحاق قال: ثنا عبد الرحمن بن واصل أن عليا قال في هذه الآية: (**وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ**) قال: أخذ ذلك الذي حاجّ إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما، ثم استغلظا واستعلجا وشبَّا، قال: فأوثق رجل كلّ واحد منهما بوتد إلى تابوت، وجوّعهما، وقعد هو ورجل آخر في التابوت، قال: ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم، قال: فطارا، وجعل يقول لصاحبه: انظر ماذا ترى؟ قال: أرى كذا وكذا، حتى قال: أرى الدنيا كأنها ذباب، فقال: صوّب العصا، فصوّبها فهبطا، قال: فهو قول الله تعالى: (**وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ**) قال أبو إسحاق: وكذلك في قراءة عبد الله: (**وَإِنْ كانَ**

(١) الفَرِهُ: قيل الأشر البطر المتمادي في الغيّ، كذا قال المعلق على بعض طبعات الطبري..

(٣٦٥) أحمر
أسود

مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ).

قلت (مصطفى): وهذا لا يثبت عن عليٍّ رضي الله عنه فعبد الرحمن الراوي عنه مجهول ولم يُذكر من جرح ولا تعديل، وقد روى نحو هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير بأسانيد فيها مقال عنها.

قال الطبري:

وقال آخرون: كان مكرهم: شركهم بالله، وافتراؤهم عليه.

وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عباس ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ يقول: شركهم، كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، أن الحسن كان يقول: كان أهون على الله وأصغر من أن تزول منه الجبال، يصفهم بذلك. قال قتادة: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ)، وكان قتادة يقول عند ذلك ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ أي لكلامهم ذلك.

ومن وجه آخر (يصحح بما قبله) عن قتادة، في قوله: (وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبالُ) قال ذلك حين دعوا لله ولدا. وقال في آية أخرى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠-٩١].

وأورد الطبري من وجه آخر عن هارون، عن يونس وعمرو، عن الحسن ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ قالا وكان الحسن يقول: وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال.

قال: قال هارون: وأخبرني يونس، عن الحسن قال: أربع في القرآن ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ ما كان مكرهم لتزول منه الجبال،

(٣٦٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٧] ما كنا فاعلين، وقوله: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ ما كان للرحمن ولد، وقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ ما مكناكم فيه.

قال هارون: وحدثني بهنّ عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهنّ واحدة ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ ما كنت في شكّ ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾.

هذا، وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القراءة عندنا، قراءة من قرأه ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

وقال:

فالأولى من القول بالصواب في تأويل الآية، إذ كانت القراءة التي ذكرت هي الصواب لما بيَّنا من الدلالة في قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضرّوا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ أي بالشرك بالله وتكذيب الرسل والمعاندة؛ عن ابن عباس وغيره. ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ «إن» بمعنى «ما» أي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لضعفه ووهنه؛ «وإن» بمعنى «ما» في القرآن في مواضع خمسة: أحدها هذا.

(٣٦٧) أحمر
أسود

الثاني: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ٩٤]. الثالث: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: ١٧] أي ما كنا. الرابع: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ [الزخرف: ٨١]. الخامس: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الجبال التي عني زوالها بمكرهم وجهان: أحدهما: جبال الأرض. الثاني: الإسلام والقرآن، لأنه لثبوته ورسوخه كالجبال. وقال القشيري: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي هو عالم بذلك فيجازيهم أو عند الله جزاء مكرهم فحذف المضاف. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ بكسر اللام؛ أي ما كان مكرهم مكرا يكون له أثر وخطر عند الله تعالى، فالجبال مثل لأمر النبي ﷺ. وقيل: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾ في تقديرهم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ وتؤثر في إبطال الإسلام. وقرئ «لتزول منه الجبال» بفتح اللام الأولى وضم الثانية؛ أي كان مكرا عظيما تزول منه الجبال، ولكن الله حفظ رسول الله ﷺ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [نوح: ٢٢] والجبال لا تزول ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ ﴾ أي: المكذبون للرسل ﴿مَكْرَهُمْ ﴾ الذي وصلت إرادتهم وقدر لهم عليه، ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: هو محيط به علما وقدرة فإنه عاد مكرهم عليهم ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل بالحق وبمن جاء به -من عظمه- لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم.

(٣٦٨) أحمر
أسود

ويدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلا أو يبطل حقا، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله شيئا وإنما ضروا أنفسهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: فلا تظن يا رسول الله أن الله ﷻ سيخلف فيما وعده، لا تظنن أبدًا أن الله ﷻ سيخلف رسله ما وعدهم من نصرتهم وإنجاءهم وتعذيب أعدائهم والانتقام من أعدائهم في الدنيا أو في الآخرة.

لقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

لقد قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ ﴾ [المجادلة: ٢١].

لقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي: قوي غالب ومنتقم لا يمتنع عليه شيء ولا يستعصِ عليه شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ ﴾ الذي وعدهم من كذّبهم، وجحد ما أتَوْهم به من عنده، وإنما قاله تعالى ذكره لنبيه تثبيتا وتشديدا لعزيمته، ومعرّفه أنه منزل من سخطه بمن كذّبه وجحد نبوّته، وردّ عليه ما أتاه به من عند الله، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسلهم وجحود نبوّتهم وردّ

ما جاءوهم به من عند الله عليهم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ يعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمانع منه شيء أراد عقوبته، قادر على كلّ من طلبه، لا يفوتُه بالهَرَب منه. ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ ممن كفر برسله وكذّبهم، وجحد نبوتهم، وأشرك به واتخذ معه إلها غيره. وأضيف قوله: ﴿مُخْلِفَ﴾ إلى الوعد، وهو مصدر، لأنه وقع موقع الاسم، ونصب قوله: ﴿رُسُلَهُۥ﴾ بالمعنى، وذلك أن المعنى: فلا تحسبنّ الله مخلف رسله وعده، فالوعد وإن كان مخفوضا بإضافة «مخلف» إليه، ففي معنى النصب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا لوعده ومؤكدًا: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ أي: من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بنجاتهم ونجاة أتباعهم وسعادتهم وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه لأنه، وعد به الصادق قولا على ألسنة أصدق خلقه وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الأخبار، خصوصا وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعالى لا يعجزه شيء فإنه ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه، وذلك في يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

(٣٧٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: لأهل العلم من قال إن هذه الآية الكريمة مرتبطة بما قبلها، والمعنى: إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض... أي أن انتقامه ﷻ من أهل الظلم سيكون يوم تبدل الأرض غير الأرض.

وقال آخرون: إنه معنى مستقلٌّ، وحاصله واذكر يوم تبدل الأرض غير الأرض وما فيه من الأهوال.

ومعنى قوله تعالى: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يؤتى بأرض جديدة غير تلك الأرض، أما عن صفة الأرض الجديدة التي يتبدل إليها تلك الأرض.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ(١)، أنه قال: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كَقُرصَة النقيِّ ليس فيها معلم لأحدٍ**».

ومن العلماء من قال: يُجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك بها دم ولم تُعمل بها خطيئة، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه وعمرو بن ميمون ويمكن أن يحمل هذا على أنه تفسير لقول النبي ﷺ: «**على أرض بيضاء**».

أما الأرض التي نحن عليها الآن فما مصيرها وما ستكون؟؟

فقال بعض العلماء: إنها هي الأرض الجديدة إلا أن صفتها تغيَّرت، وحمل هذا القائل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] على أن التبديل تبديل صةٍ ليس بتبديل ذاتٍ، أي: أن صفتها هي التي تُبدل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ ﴾ [الانشقاق: ٣-٤]، وكما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

(١) صحيح وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٣٧١) أحمر
أسود

ومن العلماء من قال: إن هذه الأرض تتحول إلى نارٍ يوم القيامة.

ومنهم من قال: إنها تكون خبزةً كما في الحديث: تكون الأرض خبزةً يتكفؤها الجبار بيمينه.

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

أما السموات الجديدة فالله أعلم بصفتها، ومن العلماء من قال: إنها ستصير جنانًا.

ومنهم من قال: إنها السماء التي تظلنا الآن لكن تتغير صفتها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج: ٨]، وكما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وكما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.

وتكون شمسها وتنكون نجومها، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، فمن هذا القول السابق يستفاد بيان مصير السماء التي تظلنا الآن، فإنها - على هذا القول- هي السماء الجديدة مع تغيِّر الصفات.

والظاهر لي - والله أعلم - أن السموات التي تظلنا الآن ليست هي السموات الجديدة، وذلك أن الله ﷻ قال: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**يطوى الله ﷻ السموات بيمينه**».

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

هذا، والعلم عند الله تعالى وبه التوفيق، وهو أعلم بما يؤول إليه أمر خلقه وأمر سمواته وأراضيه، ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

أما أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقد ورد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: وقد سألته عائشة عن ذلك فقال: «**على**

(٣٧٢) أحمر
أسود

الصراط»، وورد عنه أيضًا أنه قال: «**هم في الظلمة دون الجسر**»، ويمكن أن يجمع بينهما بأن يقال: إن الجسر هو الصراط، فيُقال إن منهم من هو على الصراط، ومنهم من هو على الظلمة دون الجسر.

أو يُقال إن الجسر جزء من الصراط أو بعد الصراط وهم على الصراط في ظلمة قبيل الجسر، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ فمعناه - والله أعلم - أن الخلق خرجوا من قبورهم يوم للقيامة فظهروا جميعًا في صعيدٍ واحدٍ لا يخفى أمرهم على من يراهم، ولا يخفى أمرهم عن الله ﷻ حيث كانوا، وكذا لا يخفى أمرهم على الله ﷻ في هذا المقام فقد خرجوا جميعًا من القبور وظهروا في مكان واحد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ [غافر: ١٦] لقد ظهروا لله الواحد المتفرد بالربوبية والإلهية والملك ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ الذي قهر كل شيء وغلب كل شيء، وليس له غالبٌ، ولا يمتنع فيه شيء، وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله ذو انتقام ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ من مشركي قومك يا محمد من قريش، وسائر من كفر بالله وجحد نبوّتك ونبوّة رسله من قبلك. فيوم من صلة الانتقام.

واختلف في معنى قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم تبدّل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض، فتصير أرضا بيضاء كالفضة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن شعبة عن أبي إسحاق، قال: سمعت عمرو بن ميمون يحدّث، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ

(٣٧٣) أحمر
أسود

وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ قال: أرض كالفضة نقية لم يَسِل فيها دم، ولم يُعْمَل فيها خطيئة، يسمعهم الداعي، وينفُذهُم البصر، حُفاة عُراة قياما،أحسب قال: كما خُلِقوا، حتى يلجمهم العرق قياما وَحْدَه.

قال: شعبة: ثم سمعته يقول: سمعت عمرو بن ميمون، ولم يذكر عبد الله ثم عاودته فيه، قال: حدثنيه هبيرة، عن عبد الله.

وأورده الطبري أيضًا من طريق شعبة قال سمعت عمروبن ميمون - وربما قال: قال عبد الله، وربما لم يقل.

قلت (مصطفى): كأنه يثبت في السند أحيانًا عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه، ويعزو القول إليه، وأحيانًا يجعله من قول عمرو بن ميمون.

إلا أن الطبري أورد من وجه آخر بسندٍ حسن عن ابن مسعود ما يثبت صحة القول بالتضمين المذكور إلى ابن مسعود، فأورد من طريق حماد بن زيد، قال: أخبرنا عاصم بن بَهْدلة، عن زِرّ بن حُبيش، عن عبد الله بن مسعود، أنه تلا هذه الآية: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ قال: يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يُسْفك فيها دم، ولم يُعمل عليها خطيئة، قال: فأوّل ما يحكم بين الناس فيه في الدماء.

وأورد الطبري أيضًا أحاديث وآثار فيها مقال.

وأورد حديث سهل بن سهل الساعدي (وهو صحيح).

قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القيامَةِ على أرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصةِ النُّقِيّ** م. قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لغيره.

وقال آخرون: تبدّل نارا.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن

(٣٧٤) أحمر
أسود

قيس بن السَّكن، قال: قال عبد الله: الأرض كلها نار يوم القيامة، والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها، والذي نفس عبد الله بيده، إن الرجل ليفيض عرقا، حتى يرشح في الأرض قدمه، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب، فقالوا: مم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: مما يرى الناس ويلقون.

ومن وجه آخر صحيح عن الأعمش، عن خيثمة، قال: قال عبد الله: الأرض كلها يوم القيامة نار، والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها، ويلجم الناس العرق، أو يبلغ منهم العرق، ولم يبلغوا الحساب.

وقال آخرون: بل تبدّل الأرض أرضا من فضة.

وقال آخرون: يبدّلها خبزة.

وقال آخرون: تبدّل الأرض غير الأرض.

وأورد الطبري من طرق متعددة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ، عن قول الله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قلت: يا رسول الله، إذا بُدّلت الأرض غير الأرض، أين يكون الناس؟ قال: «**عَلى الصِّراطِ** ».

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ثوبان، قال: سأل حبر من اليهود رسول الله ﷺ، فقال: أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض؟ قال: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُون الجسْرِ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: يوم تبدّل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدّل غيرها، كما قال جلّ ثناؤه، وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارا وجائز أن تكون خبزا، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصحّ إلا ما دلّ عليه ظاهر التنزيل.

(٣٧٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وظهروا لله المنفرد بالربوبية، الذي يقهر كلّ شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء، فيحيي خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، لا يغلبه شيء، ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا يغالب، وذو انتقام ممن كفر به وجحده ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور: ١١]؛ ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أي: وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء في الصحيحين، من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها معلم لأحد**»[(١)].

وأورد حدث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المتقدم في سؤالها النبي ﷺ عن حال الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقول النبي ﷺ لها: «**على الصراط**»[(٢)].

وأورد ابن كثير كذلك ما أخرجه مسلم[(٣)] من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال:

كنت قائما عند رسول الله ﷺ، فجاءه حَبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يُصرَع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟! فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سَمّاه به أهله! فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**». فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» فقال: أسمع

---

(١) البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).
(٢) مسلم (٢٧٩١).
(٣) مسلم (٣١٥).

(٣٧٦) أحمر
أسود

بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «**سل**». فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**» قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقال: «**فقراء المهاجرين**». قال اليهودي: فما تُحْفَتهُم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**» قال: فما غذاؤهم في أثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلا**». قال: صدقت. الحديث.

وقال ابن كثير:

وقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ أي: خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ أي: الذي قهر كل شيء وغلبه، ودانت له الرقاب، وخضعت له الألباب.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

فأما تبديل السموات، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنها تُجعَل من ذهب، قاله علي عليه السلام.

والثاني: أنها تصير جِنانًا، قاله أُبيّ بن كعب.

والثالث: أن تبديلها: تكوير شمسها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس.

والرابع: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فَمرة كالمُهْل، ومَرَّة تكون كالدِّهان، قاله ابن الأنباري.

والخامس: أن تبديلها أن تُطوى كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتاب.

والسادس: أن تنشقَّ فلا تُظِلُّ، ذكرهما الماوردي.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ تبدل غير السماوات، وهذا التبديل

(٣٧٧) أحمر
أسود

تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومَعْلم، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله - تعالى - بيمينه.

﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء، ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ أي: المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ورى أهل الإجرام، أهل الشرك والكبائر والعصيان، تراهم يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، تراهم مُقرنين في الأصفاد، في القيود.

أما قوله تعالى: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ فللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أيديهم مقترنة مع أرجلهم مقترنة مع رقابهم وكل ذلك مقيدٌ، أي: أن الأصفاد القيود تحيط بأيديهم مع أرجلهم مع رقابهم.

الثاني: أن كل كافر مقترن مع مثيلة من الكفار، مقيدٌ معه أو معهم بقيود تجمعهم.

الثالث: أن كل كافر مقيدٌ مع قرينه الذي أغواه من الشياطين.

أما قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ فالسربال هو القميص الذي يُلبس،

(٣٧٨) أحمر
أسود

أي: أن قمصانهم التي يلبسونها من قطران، وهو أشبه بالزفت، وهو الذي تطلى به الإبل إذا أصابهم الجرب، قال بعض العلماء إن سرابيلهم من قطران كي تكون أسرع للاشتعال ثم إنها في نفسها تحمل ألمًا شديدًا لمن يلبسها هذا، ومن أصحاب الكبائر من يلبس ذلك أيضًا كما قال ﷺ: «**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطرانٍ ودرع من جرب**».

هذا، ومن العلماء من قرأ سربيلهم من قَطْرٍ آنٍ وحمل القطر على النحاس، وقال إن قوله: (آنٍ) أي: بلغ أعلى درجات حرارته كما قال تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٤] ففسر قوله سرابيلهم من قطران، أي: من نحاس مذاب منصهر قد بلغ أعلى درجات حرارته.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ أي: وتغطى وجوههم النارُ، كما قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ فمعناه والله أعلم، أن السموات تبدل والأرضين تبدل والساعة تقوم والحساب يكون، كل ذلك لتجازى الأنفس بعملها الذي عملته في دنياها من خيرٍ أو شرٍّ فجازى المحسنون بإحسانهم، ويجازى المسيئون بإساءتهم إلا أن يتجاوز الله ويغفر.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ ففيه وجهان للعلماء.

أحدهما: إن الله سريع حسابه يوم القيامة منجزٌ الحساب بسرعة لا تخفى عليه أمور ولا تغيب عنه أشياء بل هو عالم محيط بكل شيءٍ.

والمعنى الثاني: أن حساب الله سريع، وقد اقترب كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

هذا، والقول الأول أولى في هذا المقام، والله أعلم. وهذه أقوال بعض العلماء في الآيات المذكورة.

(٣٧٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وتعاين الذين كفروا بالله، فاجترموا في الدنيا الشرك يومئذ، يعني: يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات. ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي الوثاق من غلّ وسلسلة، واحدها: صَفَد، يقال منه: صفدته في الصَّفَد صَفْدا وصِفادا، والصفاد: القيد، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينا

وقوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ يقول: قمصهم التي يلبسونها، واحدها: سربال، كما قال امرؤ القيس:

لَعُوبٌ تُنَسِّيني إذَا قُمْتُ سِرْبالي

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: السرابيل: القُمُص. وقوله: ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ يقول: من القطران الذي يهنأ به الإبل.

قال الطبري:

وفيه لغات ثلاث: يقال: قِطران وقَطْران بفتح القاف وتسكين الطاء منه. وقيل: إن عيسى بن عمر كان يقرأ «مِنْ قِطْرَانٍ» بكسر القاف وتسكين الطاء، ومنه قول أبي النجم:

جَوْنٌ كأنَّ العَرَقَ المَنْتُوحا لَبَّسُه القِطْرَانَ والمُسُوحا

بكسر القاف، وقال أيضا:

كأنَّ قِطْرَانا إذَا تَلاهَا تَرْمي بِهِ الرِّيحُ إلى مَجْرَاها

بالكسر.

قال الطبري: وقال بعضهم: القطران: النحاس.

(٣٨٠) أحمر
أسود

وأورد من طريق ثابت بن يزيد، قال: ثنا هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في هذه الآية «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قال: من نحاس، قال: آن أنى لهم أن يعذّبوا به.

وأورده الطبري أيضًا من وجه آخر ضعيف عن ابن عباس ومن وجهين يصحان لطريقيهما عن قتادة ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ قال: من نحاس.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ ﴾ يقول: وتلفَحُ وجوههم النار فتحرقها ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ يقول: فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، كيما يثيب كلّ نفس بما كسبت من خير وشرّ، فيَجْزِي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١ ﴾ يقول: إن الله عالم بعمل كلّ عامل، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كفّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علما، لا يعزب عنه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ وتبرز الخلائق لديَّانها، ترى يا محمد يومئذ المجرمين، وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم، ﴿مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي: بعضهم إلى بعض، قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم، كل صنف إلى صنف، كما قال تعالى: ﴿ ۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ [التكوير: ٧]، وقال: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ ﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ ﴾ [ص: ٣٧، ٣٨].

والأصفاد: هي القيود.

(٣٨١) أحمر
أسود

ثم قال:

وقوله: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ أي: ثيابهم التي يلبسونها عليهم من قطران، وهو الذي تُهنأ به الإبل، أي: تطلى، قاله قتادة. وهو ألصق شيء بالنار.

ويقال فيه: «قَطِران»، بفتح القاف وكسر الطاء، وبفتح القاف وتسكين الطاء، وبكسر القاف وتسكين الطاء، ومنه قول أبي النجم.

كأنّ قِطْرانًا إذَا تَلاهَا ... تَرْمي به الرّيح إلى مَجْراها

وكان ابن عباس يقول: القَطران هو: النحاس المذاب، وربما قرأها: «سَرَابيلهم من قَطِران» أي: من نحاس حار قد انتهى حره. وكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، والحسن، وقتادة.

وقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ كقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

وأورد ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من أمر الجاهلية لا يُتْرَكن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرْع من جَرَب**».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾ يحتمل أن يكون كقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النَّجاز؛ لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وهذا معنى قول مجاهد: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾ إحصاء.

(١) مسلم (٩٣٤).

(٣٨٢) أحمر
أسود

ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية الكريمة أن المجرمين وهم الكفار يوم القيامة يقرنون في الأصفاد، وبين تعالى هذا المعنى في مواضع أُخر كقوله: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾ [الفرقان: ١٣]، ونحو ذلك من الآيات.

والأصفاد: هي الأغلال والقيود، واحدها: صفد بالسكون، وصفد بالتحريك، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ [ص: ٣٧، ٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾، بين في هذه الآية الكريمة أن النار يوم القيامة تغشى وجوه الكفار فتحرقها، وأوضح ذلك في مواضع أُخر، كقوله: ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، وقوله: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ﴾ الآية [الأنبياء: ٣٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي معنى «مُقرَّنين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم يُقرَّنون مع الشياطين، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أيديَهم وأرجلَهم قُرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد.

والثالث: يُقرَّن بعضهم إلى بعض، قاله ابن قتيبة.

وفي الأصفاد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الأغلال، قاله ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة،

(٣٨٣) أحمر
أسود

والزجاج، وابن الأنباري.

والثاني: القيود والأغلال، قاله قتادة.

والثالث: القيود، قاله أبو سليمان الدمشقي.

فأما السرابيل، فقال أبو عبيدة: هي القُمُص، واحدها سِربال. وقال الزجاج: السِّربال: كل ما لُبس. وفي القَطِرَانِ ثلاث لغات: فتح القاف وكسر الطاء، وفتح القاف مع تسكين الطاء، وكسر القاف مع تسكين الطاء. وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: أنه قَطِران الإبل.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: الذين وصفهم الإجرام وكثرة الذنوب، ﴿يَوْمَئِذٍ ﴾ في ذلك اليوم ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها وأبشعها.

﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ أي: ثيابهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ ﴾ وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها ونتن ريحها، ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ﴾ التي هي أشرف ما في أبدانهم ﴿ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: تحيط بها وتصلاها من كل جانب، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلما من الله لهم وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا، ولهذا قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ من خير وشر بالعدل والقسط الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١] ويحتمل أن معناه: سريع المحاسبة فيحاسب

(٣٨٤) أحمر
أسود

الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة لا يشغله شأن عن شأن وليس ذلك بعسير عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: هذا القرآن بما فيه من المواعظ والتذكير بلاغ من الله ﷻ، أبلغتهم رسلهم به عن الله ﷻ، وأيضًا كي يبلغوا به مرضاة ربهم ﷻ وجنته، وكذا أبلغتهم به رسلهم كي ينذروا به ويخوّفوا به من عذاب الله ويُحذِّروا من عذاب الله ﷻ.

وليعلموا بما ف هذا القرآن من الآيات، وبما فيه من الدلالات والعبر والأمثال التي ضربها الله ﷻ للناس فيه وليعلموا من تشريعات الله ﷻ ومن سننه في خلقه ومن أسمائه الحسنى، وصفاته العلى ومن آيات في السموات والأرض وفي أنفسهم وغير ذلك مما في هذا القرآن العظيم، ليعملوا بذلك أن الله ﷻ إله واحد، معبودٌ واحد هو الذي يستحق العبادة، وهو الله ﷻ ليس معه أحدٌ سواه.

ليستدلوا بالقرآن وما فيه على وحدانية الله وأنه ﷻ أحق أن يعبد.

ليستدلوا بالقرآن وما فيه من الآيات على بطلان ما سوى الله ﷻ من الآلهة الباطلة.

كذا فإن هذا البلاغ، هذا القرآن يتعظ ويتذكر به أولوا الألباب أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة والأفئدة والقلوب السليمة أهل التوحيد أهل الإيمان جعلنا الله من أولى الألباب المنتفعين بالذكرى وجعلنا الله من أهل الفردوس آمين.

(٣٨٥) أحمر
أسود

هذا، وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ يقول: ولينذروا عقاب الله، ويحذروا به نقماته، أنزله إلى نبيه ﷺ ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم، وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لهم الأنهار. ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلها غيره، ويُشْرِك في عبادته شيئا سواه أهلُ الحجى والعقول، فإنهم أهل الاعتبار والادّكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس، كقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان، كما قال في أول السورة: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١].

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ أي: ليتعظوا به، ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أي: يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ أي: ذوو العقول.

(٣٨٦) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ ﴾، بين في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن بلاغ لجميع الناس، وأوضح هذا المعنى في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وبين أن من بلغه ولم يؤمن به فهو في النار كائنًا من كان في قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ الآية [هود: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾، بين في هذه الآية الكريمة أن من حكم إنزال القرآن العظيم العلم بأنه تعالى إله واحد، وأن من حكمه أن يتعظ أصحاب العقول، وبين هذا في مواضع أُخر فذكر الحكمة الأولى في أول «سورة هود» في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: ١، ٢]، كما تقدم إيضاحه، وذكر الحكمة الثانية في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وهم أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، واحد الألباب، لب بالضم، والعلم عند الله تعالى.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ ﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: الإنذار. والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ أي: أُنزل ليُنذَروا به، وليعلموا بما فيه من الحُجج ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ أي: وليتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ ﴾ أي:

(٣٨٧) أحمر
أسود

يتبلغون به ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد.

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد الله لأهلها من العقاب، ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر.

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضًّا طريًّا فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها.

وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة.

والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة إبراهيم.

❁ ❁ ❁

(٣٨٨) أحمر
أسود

تفسير سورة الحجر

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحجر: ١-١٥].

(٣٨٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْكِتَٰبِ - رُّبَمَا - يَوَدُّ - ذَرْهُمْ - وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ - كِتَابٌ مَّعْلُومٌ - مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا - لَّوْ مَا تَأْتِينَا - مُنظَرِينَ - ٱلذِّكْرَ - لَحَٰفِظُونَ - شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ - نَسْلُكُهُۥ - سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ - يَعْرُجُونَ - سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا - مَّسْحُورُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾	قيل: المراد جنس الكتب التي أنزلت قبل رسولنا محمد ﷺ، ومنها التوراة والإنجيل.
﴿رُّبَمَا﴾	قد تأتي على الكفار أوقات كثيرة. (رُبَّ) كلمة تطلق أحيانًا للتكثير، وأحيانً للتقليل، والمراد هنا التكثير، والمعنى: رب أوقات كثيرة.
﴿يَوَدُّ﴾	يتمنى.
﴿ذَرْهُمْ﴾	اتركهم.
﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾	تشغلهم الأماني الباطلة.
﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾	المراد: أجلٌ معلوم مكتوب في كتاب.
﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾	ما ينزل العذاب والهلاك على أمة قبل ميعاده.
﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾	ولا يتأخر عن موعده كذلك
﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾	لولا آتيتنا (بالملائكة تشهد لك).
﴿مُّنظَرِينَ﴾	مُؤخرين – مؤجلين.

(٣٩٠) أحمر
أسود

﴿ٱلذِّكۡرَ﴾	القرآن.
﴿لَحَٰفِظُونَ﴾	حافظون له من التبديل والتغيير والتحريف، وحافظون له من الشياطين التي تحاول الزيادة فيه أو النقصان منه.
﴿شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	جماعات الأولين – الأمم المتقدمة.
﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾	ندخله (أي: ندخل التكذيب والكفرو الاستهزاء).
﴿يَعۡرُجُونَ﴾	يصعدون.
﴿سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾	أصابها ما يصيب عين السكران. عميت – سُدَّت – رأت الأمور على غير حقيقتها.
﴿مَّسۡحُورُونَ﴾	سحرنا ساحر.

❁ ❁ ❁

(٣٩١) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: إحدى القراءتين بالتشديد ﴿رُبَّما﴾.

والأخرى بالتخفيف ﴿ رُّبَمَا ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿رُبَمَا﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿رُبَمَا﴾ بتخفيف الباء، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة بتشديدها.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بالكتاب هو التوراة والإنجيل، فالكتاب اسم جنس، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٥]، أي: وأنزلنا معهم الكتب.

الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن، وكرر التذكير به لوصفه كما سيأتي. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الوقت الذي يتمنى فيه أهل الكفر أو لو كانوا مُسلمين؟

ج: يتمنون ذلك في مواطن:

أحدها: أنهم يقولون ذلك إذا حضر أحدهم الموت (أي: عند الاحتضار)

(٣٩٢) أحمر
أسود

كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

الثاني: أنهم يقولون ذلك إذا رأوا النار ووقفوا عليها كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

الثالث: أنهم يقولون ذلك وهم في النار، قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧].

الرابع: أنهم يتمنون إذا اجتمعوا مع عصاة الموحدين في النار فيقولون لعصاة الموحدين بماذا نفعكم إيمانكم فيتفضل الله على عصاة الموحين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة فعندنا يتمنى أهل الكفر لو كانوا في الدنيا مسلمين.

وقد أورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة آثار بذلك عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وأورد هو وغيره بعض الأحاديث في هذا المعنى عن رسول الله ﷺ، ولا يثبت من المرفوع شيءٌ عن النبي ﷺ.

أما الموقوفات على الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فقد صح هذا بمجموع طرقه.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر ذلك: من كان مسلمًا فليدخل الجنة، قال: فذلك قوله ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾. وهذا يصح لشواهده عن ابن عباس.

وأورد الطبري – كما أشرت – آثارًا بنحو المعنى المذكور عن أبي موسى، وابن مسعود، وأنس بن مالك وغيرهم، وفي أسانيدها بعض المقال عنهم.

هذا، وقد أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن حماد، قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ قال: حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون،

(٣٩٣) أحمر
أسود

قال: فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا، فيشفعون، فيخرجون من النار، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم، قال: فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأورد الطبري آثارًا أُخر في هذا الصدد:

قلت (مصطفى): وكلها مواطن يتمنى الكفار فيها لو كانوا مسلمين في الدنيا، ولا يمنع أن يكون هناك مواطن أُخر يتمنون فيها أن لو كانوا مسلمين في الدنيا. والله أعلم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال. أحدها: أنه إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القِبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القِبلة فأُخرجوا فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنُخرَج كما أُخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ[1]، وذهب إليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشفِّع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن الكفار إذا عاينوا القيامة، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالًا من أحوال القيامة يعذَّب فيها الكافر ويَسلم من مكروهها المؤمن، وَدُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري.

(١) وهذا لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

(٣٩٤) أحمر
أسود

والقول الثاني: أنه في الدنيا إذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلموا مصيرهم، وَدُّوا ذلك، قاله الضحاك.

فإن قيل: إذا قلتم: إن «رُبَّ» للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيدَ تكثيرُ ما يُتواعَد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري:

أحدهن: أن «ربما» تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريَّان، والجَوْن على الأسود والأبيض.

والثاني: أن أهوال القيامة وما يقع بهم من الأهوال تكثُر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، وَدُّوا ذلك.

والثالث: أن هذا الذي خُوِّفوا به، لو كان مما يُوَدُّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف الندم إذا حصل فيه ولا يتيقّنُه، لوجب عليه اجتنابه.

فإن قيل: كيف جاء بعد «ربما» مستقبَل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟

فالجواب: أن ما وَعَدَ اللهُ حَقٌّ، فمستقبَلُه بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١١٦] وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ ٥١]، على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبَّما تجزَعُ النفوس من الأم ... رِ له فُرجَة كَحَلِّ العِقالِ

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أي: ويشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا وردوا القيامة وبالَ ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد،

(٣٩٥) أحمر
أسود

وهذه الآية عند المفسرين منسوخه بآية السيف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾.

ج: أما ﴿الٓرۚ﴾ فهي حروف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله.

وقيل: إنها سيقت للتحدي، فكأن المعنى الف ولام وراء أحرف تعرفونها تقرؤنها وتكتبونها ولكن لا تستطيعوا أن تأتوا منها ولا بآية فضلًا عن سورة.

أما قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: تلك الآيات الدالة على أحسن المعاني وأجملها وأفضلها هي الآيات التي ذكرها الله ﷻ في كتبه المنزلة، وفي القرآن الذي أنزله، أيضًا موضحًا ومظهرًا لوحدانية الله وقدرته ﷻ.

فقوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ على التأويل السابق اسم جنس يطلق على سائر الكتب المنزلة من قبل، والتي من أشهرها وأهمها التوراة والإنجيل، وكونه اسم جنس كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٥] أي: الكتب، فهذا الوجه الأول في تأويل الكتاب.

أما الوجه الثاني في ذلك فالمراد بالكتاب: القرآن، ويكون جمع له بين اسمين، الكتاب، والقرآن، ويكون المعنى: تلك الآيات التي نتلوها آيات الكتاب المنزل عليك، وهو قرآن واضح المعاني والدلالات ومظهر أيضًا لقدرة الله ووحدانيته وأحكامه وشرائعه.

أما قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ أي: كثيرًا ما سيأتي على الكفار أوقات يتمنون فيها أن لو كانوا أسلموا، وآمنوا في الحياة الدنيا، فمن هذه الأوقات – كما تقدم، وقت الاحتضار، ووقت وقوفهم على

(٣٩٦) أحمر
أسود

النار، وكذا وهم موجودون في النار يعذبون فيها، ويصطرخون فيها وكذا إذا رأوا عصاة الموحدين خرجوا من النار، وإذا رأوا أصحاب الأعراف قد دخلوا الجنة.

فعند هذه الأوقات يتمنون أن لو كانوا مسلمين.

وفي الآية الكريمة تصبيرٌ لرسول الله ﷺ وتثبيتٌ له، أي: فاصبر يا رسول الله فستأتي أوقات يتمنى أهل الكفر لو أنهم كانوا أسلموا.

أما قوله تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾ فهذا تهديدٌ لأهل الكفر، أي: دعهم يا رسول الله فيما هم فيه من الضلال واللهو واللعب، ذرهم يأكلوا ما شاء من الطعام ويتمتعوا في دنياهم بما شاء وتشغلهم الآمال والطموحات حتى يأتيهم الموت، وعند ذلك سيعلمون من المحق من المبطل، ومن الجرم، ومن المؤمن.

ومن الذي كان على هدى ورشاد، ومن الذي كان على عمًى وضلال.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما قوله جلّ ثناؤه: وتقدّست أسماؤه ﴿الٓرۚ﴾، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل. وأما قوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فإنه يعني: هذه الآيات، آيات الكتب التي كانت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل ﴿وَقُرۡءَانٍ﴾ يقول: وآيات قرآن ﴿مُّبِينٍ ١﴾ يقول: يُبين من تأمله وتدبَّره رشدَه وهداه.

وأورد آحاديث ضعيفة وآثارًا ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام: ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في

(٣٩٧) أحمر
أسود

هذه الدنيا ما هم آكلوه، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها، وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه. وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يُعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذّات والشهوات كانوا في خسار وتباب.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ تهديد لهم شديد، ووعيد أكيد، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المرسلات: ٤٦] ولهذا قال: ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ أي: عن التوبة والإنابة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: عاقبة أمرهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين، وندموا على كفرهم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ٣١]، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات، وأقوال العلماء في هذه الآية راجعة إلى شيء واحد؛ لأن من يقول: إن الكافر إذا احتضر وعاين الحقيقة تمنى أنه كان مسلما، ومن يقول: إنه إذا عاين النار ووقف عليها تمنى أنه كان مسلما، ومن يقول: إنهم إذا عاينوا إخراج الموحدين من النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين، كل ذلك راجع إلى أن الكفار إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر وتمنوا أنهم كانوا مسلمين.

(٣٩٨) أحمر
أسود

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورب في هذا الموضع قال بعض العلماء للتكثير، أي: يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين. ونقل القرطبي هذا القول عن الكوفيين قال ومنه قول الشاعر:

ألا ربما أهدت لك العين

البيت.

وقال بعض العلماء: هي هنا للتقليل؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب. فإن قيل: ربما لا تدخل إلا على الماضي، فما وجه دخولها على المضارع في هذا الموضع؟ فالجواب: أن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه، كالواقع بالفعل، ونظيره قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ الآية، ونحوها من الآيات، فعبر بالماضي تنزيلا لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل.

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾.

هدد الله تعالى الكفار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيه - ﷺ - أن يتركهم يأكلون ويتمتعون، فسوف يعلمون حقيقة ما يئول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم. وهددهم هذا النوع من التهديد في مواضع أخر كقوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُمۡ مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾ [المرسلات: ٤٦]، وقوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر: ٨]، وقوله: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾ [الزخرف: ٨٣]، وقوله: ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾ [الطور: ٤٥] إلى غير ذلك من الآيات.

(٣٩٩) أحمر
أسود

وقد تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد، كما في الآية المذكورة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ يعني اتركهم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، جُمع له بين الاسمين.

والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والقرآن: كتابُنا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم المنان):

يقول تعالى معظما لكتابه مادحا له ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني وأفضل المطالب، ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه، والتسليم لحكمه وتلقيه بالقبول والفرح والسرور.

فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه وذلك حين ينكشف الغطاء وتظهر أوائل الآخرة ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإمكان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون.

فـ ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ بلذاتهم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ أي: يؤملون البقاء في الدنيا فيلهيهم عن الآخرة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ أن ما هم عليه باطل وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ولا يغتروا بإمهال الله تعالى فإن هذه سنته في الأمم.

❁ ❁ ❁

(٤٠٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما عذَّبنا قرية ولا أمتنا أهلها إلا عند انقضاء آجالها التي سُطِّرت لها في كتاب، فلكل أمة أجلٌ معلوم مثبت في كتاب عند الله ﷻ إذا بلغته أهلكها الله بإنزال عذابه عليها أو بإماتة أهلها.

أما قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾. أي: لا يتقدم العذاب الآية أمة من الأمم إلى عند الأجل الذي حددناه لها.

وكذلك إذا جاء هذا الأجل فلا تستأخر عنه هذه الأمة.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا ﴾ يا محمد ﴿مِن﴾ أهل ﴿قَرۡيَةٍ ﴾ من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ ﴾ يقول: إلا ولها أجل مؤقَّت ومدة معروفة، لا نهلكهم حتى يبلغوها، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك، فيقول لنبيه محمد ﷺ، فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة، لا نهلك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله، لأن مِنْ قضائي أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله.

ويقول تعالى ذكره: ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها، وإنه لا يؤخر أمة حان هلاكها عن ميقاتها ولا يتقدمون عن مدتهم. وهذا تنبيه لأهل مكة، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد،

(٤٠١) أحمر
أسود

الذي يستحقون به الهلاك.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ أي: ما عذَّبنا من أهل قرية ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ أي أجَل مؤقَّت لا يُتقدم ولا يُتأخر عنه. ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ «من» صِلة، والمعنى: ما تتقدم وقتها الذي قدِّر لها بلوغه، ولا تستأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: «أَجَلها» لأن الأمَّة لفظُها مؤنث، وإنما قال: «يستأخرون» إخراجًا له على معنى الرجال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن أهل الكفر قالوا لرسول الله ﷺ: ساخرين مستهزئين يا من يزعم أنه نُزِّل عليه القرآن من عند الله، إنك لمجنون فيما تقول وتزعم، قد أصابك خبلٌ فجعل تقول الذي قلت، وإن كنت صادقًا في قيلك فهلا أتيتنا بالملائكة تشهد لك أن الله ﷻ ارسلك فقال تعالى مجيبًا على إيرادهم هذا بقوله: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾، ما ننزل الملائكة إلا بالوحي، وكذا بالعذاب وقبض الأرواح، فلأنهم لا يوحي إليهم فالملائكة إذا تنزلت عليهم تتنزل عليهم بالعذاب، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨] أي: ثم لا يؤخرون ولا يمهلون.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

(٤٠٢) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ في دعائك إيانا إلى أن نتّبعك، ونذر آلهتنا ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ يعني: إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا، فإن الربّ الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوّتك، وصدق مقالتك: والعرب تضع موضع لوما: لولا وموضع لولا لوما، من ذلك قول ابن مقبل:

لَوْمـا الحَيـاءُ وَلَوْمَـا الـدِّينُ عِبْتُكمـا ... بـبَعْضِ مـا فيكُمـا إذْ عِبْتُمَـا عَـوَرِي

يريد: لولا الحياء.

وأورد الطبري وجوهًا من القراءات في قوله تعالى: ﴿نُنَزِّلُ﴾.

وقال:

ما ننزل ملائكتنا إلا بالحقّ، يعني بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم وعنادهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ أي: الذي يدعي ذلك ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ أي: في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا. ﴿لَّوۡ مَا﴾ أي: هلا ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي:

(٤٠٣) أحمر
أسود

يشهدون لك بصحة ما جئت به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾ كما قال فرعون: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [الزخرف: ٥٣] ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢﴾ [الفرقان: ٢١، ٢٢].

وكذا قال في هذه الآية: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾.

وقال مجاهد في قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بالرسالة والعذاب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قاله كفار قريش لمحمد ﷺ على وجهة الاستهزاء، ثم طلبوا منه إتيان الملائكة دلالة على صدقه. و﴿لَّوْ مَا﴾ تحضيض على الفعل كلولا وهلا. وقال الفراء: الميم في «لو ما» بدل من اللام في لولا. ومثله استولى على الشيء واستومى عليه.

...ثم قال:

« إلا بالحق» إلا بالقرآن. وقيل: بالرسالة، عن مجاهد. وقال الحسن: إلا بالعذاب إن لم يؤمنوا. ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ أي لو تنزلت الملائكة بإهلاكهم لما أمهلوا ولا قبلت لهم توبة. وقيل: المعنى لو تنزلت الملائكة تشهد لك فكفروا بعد ذلك لم ينظروا. وأصل« إذا» إذ أن- ومعناه حينئذ- فضم إليها أن، واستثقلوا الهمزة فحذفوها.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي المراد بالحق أربعة أقوال:

أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن.

والثاني: الرساله، قاله مجاهد.

(٤٠٤) أحمر
أسود

والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب.

والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ يعني: المشركين ﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ قد يقال في هذه الآية الكريمة: كيف يقرون بأنه أنزل إليه الذكر وينسبونه للجنون مع ذلك؟ والجواب أن قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ يعنون في زعمه تهكما منهم به، ويوضح هذا المعنى ورود مثله من الكفار متهكمين بالرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - في مواضع أخر، كقوله تعالى عن فرعون مع موسى قال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

وقوله عن قوم شعيب ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾.

قوله تعالى ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾. لو ما في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو طلب الفعل طلبا حثيثا. ومعنى الآية: أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ طلب تخصيص أن يأتيهم بالملائكة ليكون إتيان الملائكة معه دليلا على صدقه أنه رسول الله ﷺ وبين طلب الكفار هذا في آيات أخر كقوله عن فرعون مع موسى: ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٣] وقوله: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأنعام: ٨] الآية، وقوله: ﴿لَّوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧]، وقوله: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٢] إلى غير ذلك من الآيات.

(٤٠٥) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: وقال المكذبون لمحمد ﷺ استهزاء وسخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ على زعمك ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦﴾ إذ تظن أنا سنتبعك ونترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد قولك.

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يشهدون لك بصحة ما جئت به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ فلما لم تأت بالملائكة فلست بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل.

أما الظلم فظاهر فإن هذا تجرؤ على الله وتعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها وحصل المقصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة، خير لهم بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقد له.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا﴾ أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا بـ﴿مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ أي: بمهملين، فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم وإنما هو بيد الله، ﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ۝١١١﴾ [الأنعام: ١١١] ويكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح منى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

ج: يُخبر الله جل ذِكره أنه تباركوتعالى هو الذي نزل القرآن على رسوله ﷺ، وأخبر الله ﷻ أنه حافظ لهذا القرآن، حافظ له من التبديل والتغيير

(٤٠٦) أحمر
أسود

والتحريف، حافظ له من الزيادة والنقصان، وحافظ له من الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] أي: لا يأتيه الشيطان بزيادة ولا يستطيع إنقاص شيء منه لا عند نزوله ولا بعد نزوله، وكذا شياطين الإنس وعموم شياطين الجن.

ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٧-١٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٧] أي: ملائكة يحرسونه ويرصدونه عند نزوله حتى لا يُدخل الشيطان فيه شيئًا ولا ينقص منه شيئًا.

هذا، وثمَّ قول ضعيف في تفسير الآية، جعل قائله الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف: ١٢] عائدًا على رسول الله ﷺ، أي: وإنا لرسولنا حافظون، لكن هذا المعنى لا يتحمله السياق، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ وهو القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ من ذكر الذكر.

وأورد بسندٍ حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن قتادة، قوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، قال في آية أخرى ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ والباطل: إبليس ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص

(١) وله طريق آخر عن قتادة يصحح به، ولفظه: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلًا أو ينقص منه حقًّا.

(٤٠٧) أحمر
أسود

منه حقا، حفظه الله من ذلك.

وأورد الطبري وجًها أراه ضعيفًا في تفسير الآية حيث قال: وقيل: الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ من ذكر محمد ﷺ بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ على النبي ﷺ، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] والمعنى الأول أولى، وهو ظاهر السياق.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾.

(٤٠٨) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله إلى الأمم المتقدمة، والجماعات المتقدمة، كقوم عاد وثمود وكقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع وقوم فرعون وغيرهم، فالشيع هي الأمم والجماعات، وكل هذه الأمم كذبت رسلها فما يأتي أمةً من رسول إلا سخروا منه واستهزأوا به، فهكذا يصنعون وكالذي صنعاه بالكفار المتقدمين نصنعه بهؤلاء المشركين من القرشيين وغيرهم من الذي أُرسلت إليهم فكذبوك فكما أدخلنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل، كما أدخلنا ذلك قلوب الكفار الأولين فكفروا وكذبوا واستهزؤا كذلك ندخل التكب والاستهزاء والكفر في قلوب هؤلاء الذين دعوتهم إلى الله فخالفوك، ندخله في قلوب هؤلاء الذين اجترموا الشرك والكفر، فلا يؤمنون بما جئتهم به من عند الله ﷻ، وقد مضت سنة الأولين وطريقتهم في ذلك، فإنهم كذبوا الرسل وجحدوا وحدانية ربهم ﷻ، ومهما أتيناهم من معجزات وآيات ودلالات على قدرتنا ووحدانيتنا فإنهم لن يؤمنوا، وقد أدخلنا التكذيب في قلوبهم، حتى لو فتحنا عليهم بابًا من السماء فصعدت الملائكة الذين طلب أهل الشرك رؤيتهم عيانًا وطلبوا أن تأتيهم بالملائكة يشهدون لك بصدقك، فلو فتحنا أبواب السماء فصعدت الملائكة فيه على درجٍ درجة درجة، ورآهم الكفار ما صدَّق الكفار ذلك بل لقالوا إنما سكِّرت أبصارنا أصابها ما أصابها بسبب الخمر الذي شربناه فسكرنا فلم نعد نرى الأمور على حقيقتها، بل لقد سُحرنا فنحن قدم سحرنا ساحرٌ ولا نستطيع أن نحكم على الأشياء التي نراها بالصحة أثناء سحرنا وسكرنا، فقوم يقولون: إذا رأوا الملائكة تصعد أمامهم نحن شربنا خمرًا فسكرنا، وآخرون يقولون: بل سحرنا ساحرٌ فنحن مسحورون.

(٤٠٩) أحمر
أسود

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤﴾ عائدٌ على الكفار، فالمعنى: ولو فتحنا للكفار بابًا في السماء فصعدوا إلى السماء وارتفوا شيئًا فشيئًا لقال فريق منهم إنما سكرت أبصارنا، ولقال فريق آخر بل نحن قوم مسحورون.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأوّلين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ عليه، وعنى بشيع الأوّلين: أمم الأوّلين: واحدتها شيعة، ويقال أيضا لأولياء الرجل: شيعته.

وقوله: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ يقول: وما يأتي شيع الأوّلين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده، والإذعان بطاعته،إلا كانوا به يستهزءون: يقول: إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتُوّا منهم وتمرّدا على ربهم.

ويقول تعالى ذكره: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين بالاستهزاء بالرسل، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ يقول: لا يصدّقون بالذكر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله: ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم.

وقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١﴾ [الشعراء: ١٠٢] أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الأمم التي كذّبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى

(٤١٠) أحمر
أسود

حلّ بها سخط الله فهلكت.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ فقال بعضهم: معنى الكلام: ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وقال آخرون: إنما عُني بذلك: بنو آدم.

ومعنى الكلام عندهم: ولو فتحنا على هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾.

وأما قوله ﴿يَعْرُجُونَ﴾ فإن معناه: يرقَوْن فيه ويَصْعَدون، يقال منه: عرج يعرُج عُروجا إذا رَقَى وصَعَد، وواحدة المعارج: معرج ومعراج، ومنه قول كثير:

إلى حَسَبٍ عَوْدٍ بَنا الْمرءَ قبْلَهُ ... أبُوهُ لَهُ فِيه مَعارِجَ سُلَّمِ

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا في تفسير قولهم: ﴿سُكِّرَتْ﴾ منها: سُدَّت، ومنها أُخذت، ومنها: عميت، ومنها: أنه مأخوذٌ من السُّكر، ومعناه غُشي على أبصارنا فلا نبصر، كما يفعل السّكرُ بصاحبه فذلك إذا دير به وغُشي بصره كالسمادير فلا يبصر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدّ إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحارّ إذا ذهبت فورته، وسكن حدّ حرّه، قد

(٤١١) أحمر
أسود

سكر يسكر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي الضلال والكفر والاستهزاء والشرك. ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ من قومك، عن الحسن وقتادة وغيرهما. أي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم.

... ثم قال:

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ أي مضت سنة الله بإهلاك الكفار، فما أقرب هؤلاء من الهلاك. وقيل: ﴿خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ بمثل ما فعل هؤلاء من التكذيب والكفر، فهم يقتدون بأولئك.

وقال القرطبي أيضًا:

يقال: ظل يفعل كذا، أي يفعله بالنهار. والمصدر الظلول. أي لو أجيبوا إلى ما اقترحوا من الآيات لأصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات، كما قالوا للقرآن المعجز: إنه سحر. ﴿يَعۡرُجُونَ﴾ من عرج يعرج أي صعد. والمعارج المصاعد. أي لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر، عن الحسن وغيره. وقيل: الضمير في ﴿عَلَيۡهِم﴾ للمشركين. وفي ﴿فَظَلُّواْ﴾ للملائكة، تذهب وتجيء أي لو كشف لهؤلاء حتى يعاينوا أبوابا في السماء تصعد فيها الملائكة وتنزل لقالوا: رأينا بأبصارنا ما لا حقيقة له، عن ابن عباس وقتادة. ومعنى ﴿سُكِّرَتۡ﴾ سدت بالسحر، قاله ابن عباس والضحاك. وقال الحسن: سحرت. الكلبي: أغشيت أبصارنا، وعنه أيضا عميت. قتادة: أخذت. وقال المؤرج: دير بنا، من الدوران، أي صارت أبصارنا سكرى. جويبر: خدعت.

(٤١٢) أحمر
أسود

وأورد القرطبي أقوالًا في تفسير قولهم: ﴿سُكِّرَتْ﴾ ثم قال:

وهذه الأقوال متقاربة. والأصل فيها ما قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى، قال: هو من السكر في الشراب. وهذا قول حسن، أي غشيهم ما غطى أبصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله. وسكور الريح سكونها وفتورها، فهو يرجع إلى معنى التحيير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من كفار قريش: إنه أرسل من قبله في الأمم الماضية، وإنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به.

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى.

قال أنس، والحسن البصري: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ يعني: الشرك.

وقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ أي: قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار، وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة.

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق: أنه لو فتح لهم بابا من السماء، فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، بل قالوا: ﴿سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾.

قال مجاهد وابن كثير، والضحاك: سدت أبصارنا.

وقال قتادة، عن ابن عباس: أخذت أبصارنا.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ يعني: رسلًا، فحُذف المفعولُ، لدلالة

(٤١٣) أحمر
أسود

الإرسال عليه. والشِّيَع: الفِرَق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة. الأمَّة المتابعة بعضها بعضًا فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إنَّ كل نبيٍّ قبلك كان مبتلىً بقومه كما ابتُليتَ.

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الشِّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة.

والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء.

ومعنى الآية: كما سلكنا في قلوب شِيَع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيبَ فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الرسول.

والثاني: القرآن.

والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مضت سُنَّة الله في إهلاك المكذِّبين.

والثاني: مضت سُنَّتهم بتكذيب الأنبياء.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

(٤١٤) أحمر
أسود

وقال السعدي (تيسير الكريم الرحمن):

يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي: فرقهم وجماعتهم رسلا.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ يدعوهم إلى الحق والهدى ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: ندخل التكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ أي: الذين وصفهم لظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان ولهذا قال:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله. أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية:

﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أي: أصابها سكر وغشاوة حتى رأينا ما لم نر، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء

❁ ❁ ❁

(٤١٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ
شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ
مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا
نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ
ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ١٦-٢٥].

(٤١٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بُرُوجًا - وَزَيَّنَّٰهَا - رَّجِيمٍ - ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ - شِهَابٞ مُّبِينٞ - مَدَدۡنَٰهَا - رَوَٰسِيَ - مَّوۡزُونٖ - مَعَٰيِشَ - وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ - وَإِن مِّن شَيۡءٍ - بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ - لَوَٰقِحَ - فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ - بِخَٰزِنِينَ - ٱلۡوَٰرِثُونَ - ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ - ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ - يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بُرُوجًا﴾	كواكب عظيمة - قصورًا.
﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾	حسَّناها.
﴿رَّجِيمٍ﴾	مرجوم.
﴿ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾	تصنت على الملائكة فاستمع بعض حديثهم وسرقه كي يلقيه على من بعده من الجن لإلقائه على ألسنة الكهنة والسحرة.
﴿شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾	شعلة من نار، قبس من نار منفصل عن الكوكب والنجم.
﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾	بسطناها.
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا راسيات.
﴿مَّوۡزُونٖ﴾	مقدرٌ معلوم.
﴿مَعَٰيِشَ﴾	ما تقوم به معيشتكم من أكل وشرب ومركب ومسكن ونحو ذلك.

(٤١٧) أحمر
أسود

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾	من ليس رزقه عليكم (الوحوش والدواب والأنعام والعبيد).
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾	ما من شيء.
﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	بحجم معلوم وكمية معلومة على قدر الحاجة والنفع.
﴿لَوَٰقِحَ﴾	مُلقِّحة، وقيل: هي المُلحَقَّة. فالأول (بكسر القاف مع التشديد) أي: تلقح السحب والأشجار والثاني: محملة بالماء.
﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾	فجعلناه سقينا لكم ولدوابكم.
﴿بِخَٰزِنِينَ﴾	بما نعين (من إنزاله على من نشاء).
﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾	الذين نرث الأرض ومن عليها بعد موتكم.
﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾	الأمم المتقدمة الهالكة.
﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾	الأمم الموجودة والتي لم تأت بعد.

❁ ❁ ❁

(٤١٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد جعلنا في السماء كواكب عظيمةً ونجومًا كبارًا، وقصورًا كذلك، وحسّناها (أي: السماء) لمن ينظر إليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

أما قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ أي: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان رجيم، أي: منعناها من اقتراب الشياطين، منعنا الشياطين من الاقتراب منها، ومن التسمع والتصنت على ما فيها من أخبار.

لكن الشيطان الذي يحاول استراق السمع، أي: يحاول أن يتجسس ويتصنت ويتسمع لما تتحدث به الملائكة في السماء الدنيا، ويسرق كلمة من الكلمات التي لا تتحدث بها الملائكة، فيخطفها كي يلقيها على من بعده من مسترقي السمع من أمثاله.

فمسترقو السمع بعضهم فوق بعض – فهذا يتبعه شهاب، قبس من نار، وشعلة من نار منفصلة عن الكوكب فتحرقه، وقد ذكر هذا بتفصيل في سورتي سبأ والجن.

ثم هذه أقوال بعض العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ يقول: وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها.

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كلّ شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما

(٤١٩) أحمر
أسود

يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه، إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه.

وأورد الطبري من طريق عبد الواحد بن زياد[1]، قال: ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع، قال: فينفرد المارد منها فيعلو، فيرمى بالشهاب، فيصيب جبهته أو جنبه، أو حيث شاء الله منه، فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب، فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا، قال: فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب، فيخبرونهم به، فإذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدّقوهم بما جاءوهم به من الكذب.

وبسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ وهو نحو قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه جعل في السماء بروجا، وذكر هذا أيضا في مواضع أخر كقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [الفرقان: ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ الآية [البروج: ١]، والبروج: جمع برج.

واختلف العلماء في المراد بالبروج في الآيات المذكورة، فقال بعضهم: البروج: الكواكب، وممن روي عنه هذا القول مجاهد وقتادة. وعن أبي صالح: أنها الكواكب العظام، وقيل: هي قصور في السماء عليها الحرس. وممن قال به عطية، وقيل: هي منازل الشمس والقمر، قاله ابن عباس. وأسماء هذه البروج: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان

(١) ورواية عبد الواحد عن الأعمش فيها مقال، خاصة فيما يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

(٤٢٠) أحمر
أسود

والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

قال مقيده - عفا الله عنه -: أطلق تعالى في «سورة النساء» البروج على القصور الحصينة في قوله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] ومرجع الأقوال كلها إلى شيء واحد. لأن أصل البروج في اللغة الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها، فالكواكب ظاهرة، والقصور ظاهرة، ومنازل القمر والشمس كالقصور، بجامع أن الكل محل ينزل فيه، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾. صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه زين السماء للناظرين، وبين في مواضع أخر أنه زينها بالنجوم، وأنها السماء الدنيا كقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ الآية [الملك: ٥]، وقوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ [الصافات: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾. صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه حفظ السماء من كل شيطان رجيم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٧]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥]، وقوله: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن: ٩]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٢]، وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الطور: ٣٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والاستثناء في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾، قال بعض العلماء: هو استثناء منقطع، وجزم به الفخر الرازي، أي لكن من استرق السمع أي الخطفة اليسيرة، فإنه يتبعه شهاب فيحرقه كقوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ

(٤٢١) أحمر
أسود

شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات: ٨-١٠]، وقيل: الاستثناء متصل، أي حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئا من الوحي وغيره، إلا من استرق السمع، فإنا لم نحفظها من أن تسمع لخبر من أخبار السماء سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئا؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٢] قاله القرطبي، ونظيره ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ﴾ الآية فإنه استثناء من الواو في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الصافات: ٨] الآية.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر الآيات الدالات على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

يقول تعالى -مبينا كمال اقتداره ورحمته بخلقه-: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ أي: نجوما كالأبراج والأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها.

﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها مجملا بالنجوم النيرات وباطنها محروسا ممنوعا من الآفات.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي: في بعض الأوقات قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: بين منير يقتله أو يخبله. فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه فينقطع خبر السماء عن

(٤٢٢) أحمر
أسود

الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضمُّها ويكذب معها مائة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم: مزيدُ بيان لنعم الله ﷻ على عباده، فبعد أن بين لهم آياته الدالة على قدرته في السماء، والدالة على وحدانيته، بيَّن لهم آياته في الأرض كي يشكروه على نعمه، ويستدلوا على وحدانيته، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ أي: بسطناها، وألقينا فيها جبالًا راسيات لئلا تميل بنا الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وأنبتنا في الأرض من كل شيء مقدر معلوم، وجعلنا لكم في الأرض معايش، أي: ما تتعيشون به من المطاعم والمشارب والملابس وأسباب المعيشة عمومًا.

أما قوله: ومن لستم له برازقين ففيها وجوه:

أحدها: وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين، أي: وجعلنا لكم فيها الدواب والأنعام لخدمتكم وكذا جعلنا فيها العبيد لخدمتكم، وهذه الأشياء التي جعلناها في الأرض لخدمتكم في معيشتكم ليس عليكم رزقها، بل رزقها على الله ﷻ.

الثاني: وجعلنا لمن لستم له برازقين معايش أيضًا أي: وجعلنا للوحوش التي لا ترزقونها أنتم معايش فرزق الوحش على الله.

وقال بعض العلماء: وجعلنا للدواب والأنعام والعبيد معايش أيضًا، والله أعلم.

(٤٢٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ والأرض دحوناها فبسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يقول: وألقينا في ظهورها رَوَاسِي، يعني جبالا ثابتة.

وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ رواسيها: جبالها، وقد بيَّنا معنى الرسوّ فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته. وقوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ يقول: وأنبتنا في الأرض من كلّ شيء: يقول: من كلّ شيء مقدّر، وبحدّ معلوم.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك وأنبتنا في الجبال من كلّ شيء موزون: يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التي توزن.

وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأوّل لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ أيها الناس في الأرض ﴿مَعَٰيِشَ﴾، وهي جمع معيشة ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعني في قوله: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فقال بعضهم: عني به الدوابّ والأنعام.

وقال آخرون: عني بذلك: الوحش خاصة.

وأورد بإسناد صحيح عن منصور قال: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ الوحش.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل «مَنْ» في: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ على هذا التأويل بمعنى ما، وذلك قليل في كلام العرب.

وأولى ذلك بالصواب، وأحسن أن يقال: عني بقوله: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ

(٤٢٤) أحمر
أسود

﴿٢٠﴾ من العبيد والإماء والدوابّ والأنعام. فمعنى ذلك: وجعلنا لكم فيها معايش. والعبيدَ والإماء والدوابَّ والأنعام، وإذا كان ذلك كذلك، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدوابّ «من»، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم. وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا إليه معنى الكلام إذا كانت «من» في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى: جعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين. وقيل: إنّ «من» في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم في قوله ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ بمعنى: وجعلنا لكم فيها معايش ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وأحسب أن منصورا في قوله: هو الوحش قصد هذا المعنى وإياه أراد، وذلك وإن كان له وجه في كلام العرب، فبعيد قليل، لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض، وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة، كما قال بعضهم:

هَلا سألْتَ بذِي الجَماجِمِ عنهُمُ ... وأبي نَعِيمٍ ذي اللِّوَاءِ المُخْرَقِ

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم، وقد بيَّنت قبح ذلك في كلامهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر، تعالى، خلقه الأرض، ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

وأورد أقوال العلماء في قوله: ﴿مَّوْزُونٍ﴾:

منها: معلوم، ومنها مقدرٌ بقدر، ومنها: ما يزن أهل الأسواق.

وقال:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ يذكر، تعالى، أنه صرفهم في الأرض في صنوف من الأسباب والمعايش، وهي جمع معيشة.

(٤٢٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠﴾ قال مجاهد: وهي الدواب والأنعام.

وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام.

والقصد أنه، تعالى، يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزقهم على خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه الدواب والأنعام، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الوحوش، رواه منصور عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: الوحش، والطير، والسباع، وأشباه ذلك مما لا يرزقه ابن آدم.

والثالث: العبيد والإماء، قاله الفراء.

والرابع: العبيد، والأنعام، والدواب، قاله الزجاج. قال الفراء: و «مَنْ» في موضع نصب، فالمعنى: جعلنا لكم فيها المعايش، والعبيد، والإماء. ويقال: إنها في موضع خفض، فالمعنى: جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين.

وقال الزجاج: المعنى: جعلنا لكم الدواب، والعبيد، وكُفيتم مؤونة أرزاقها.

فإن قيل: كيف قلتم: إن «مَنْ» هاهنا للوحوش والدواب، وإنما تكون لمن يعقل؟ فالجواب: أنه لما وُصفت الوحوش وغيرها بالمعاش الذي الغالب عليه أن يوصَف به الناسُ، فيقال: للآدمي معاش، ولا يقال: للفرس معاش، جرت مجرى الناس، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل ١٨]،

(٤٢٦) أحمر
أسود

وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف ٤]، وقال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وإن قلنا: أُريدَ به العبيد، والوحوش، فإنه إذا اجتمع الناس وغيرهم، غُلِّب الناس على غيرهم، لفضيلة العقل والتمييز.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد وتثبتها أن تزول ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ من الحرث ومن الماشية ومن أنواع المكاسب والحرف. ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام لنفعكم ومصالحكم وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما من شيء من الأشياء إلا وعند الله خزائنه ولكن ما ينزله الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الأرض إلا بقدر معلوم، على قدر الحاجة وعلى قدر النفع، فيدخل في ذلك المطر كما يدخل في ذلك غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] فخزائن المطر عند الله، وخزائن الرزق عند الله، وخزائن العلم عند الله، وخزائن الذرية عند الله، وخزائن كل شيء عند الله.

(٤٢٧) أحمر
أسود

والآية كقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

أما قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ فمعنى لواقح قيل: مُلَقَّحة، وقيل: مُلَقِّحة.

فكونها مُلَقَّحة، أي: مُحملة بالسحاب كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

أما كونها مُلقِّحة، أي: تُلقِّح غيرها، قيل: تلقح السحاب بماءٍ تُدخله فيه فتُجريه فيكون منه المطر.

وقيل: تُلقح الأشجار والنباتات بما تحمله من حبوب لقاح من شجرة ذكر إلى أنثى.

أما قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ فجعلنا سقيا لكم وشرابًا لكم، ﴿ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: وما أنتم له بمانعين من النزول، وقيل: وما أنتم له بحافظين في العيون والآبار، فربنا إذا شاء جعل الماء غورًا، كما قال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الملك: ٣٠] وقيل: وما أنتم له بمانعين من أنز له على من شئت، من عبادي وعموم خلقي.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه.

وقال بعد أن أورد أقوالًا في تفسير ﴿ لَوَٰقِحَ ﴾: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد

(٤٢٨) أحمر
أسود

تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قيس بن سكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر.

وفي رواية من طريق عن قيس بن سكن أيضًا، عن عبد الله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: يبعث الله الريح فتلقح السحاب، ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة، ثم تمطر.

وفي ثالثة عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: يرسل الرياح، فتحمل الماء من السحاب، ثم تمري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة، فقد بين عبد الله بقوله: يرسل الرياح فتحمل الماء، أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر.

قال الطبري:

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل، فإنهم وجَّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح، إلى أنه بمعنى ملقحة، وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح.

وأورد بسندٍ صحيح عن إبراهيم في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: تلقح السحاب.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن، قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: لواقح للشجر، قلت: أو للسحاب، قال: وللسحاب، تمريه حتى يمطر.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ يقول: لواقح السحاب، وإن من الريح عذابا، وإن منها رحمة.

(٤٢٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه. فتمنعوه من أسقيه، لأن ذلك بيدي وإليّ، أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر، تعالى، أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لا على وجه الوجوب، بل هو كتب على نفسه الرحمة.

وقال:

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ أي: تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها.

هذه «الرياح» ذكرها بصيغة الجمع، ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعدا.

وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه، ولو نشاء لجعلناه أجاجا. كما ينبه الله على ذلك في الآية الأخرى في سورة «الواقعة»، وهو قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠] وفي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النحل: ١٠].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ قال سفيان الثوري: بمانعين.

(٤٣٠) أحمر
أسود

ويحتمل أن المراد: وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم، ونجعله معينا وينابيع في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك. ليبقى لهم في طول السنة، يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ أي وإن من شي من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه، يعني المطر المنزل من السماء، لأن به نبات كل شي. قال الحسن: المطر خزائن كل شي. وقيل: الخزائن المفاتيح، أي في السماء مفاتيح الأرزاق، قاله الكلبي. والمعنى واحد ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه، كما قال: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال القرطبي أيضًا:

والإنزال بمعنى الإنشاء والإيجاد، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقيل: الإنزال بمعنى الإعطاء، وسماه إنزالا لأن أحكام الله إنما تنزل من السماء.

وقال:

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي من السحاب. وكل ما علاك فأظلك يسمى سماء. وقيل: من جهة السماء. ﴿مَآءً ﴾ أي قطرا. ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ أي جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم. وقيل: سقى وأسقى بمعنى. وقيل بالفرق، وقد تقدم. ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي ليست خزائنه عندكم، أي نحن الخازنون لهذا الماء ننزله إذا شئنا ونمسكه إذا شئنا.

(٤٣١) أحمر
أسود

ومثله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨]. وقال سفيان: لستم بمانعين المطر.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وهذا الكلام عامّ في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حُكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لايزيد ولا ينقص، فما من عام أكثرُ مطرًا من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

فيه للعلماء وجهان من التفسير كلاهما يشهد له قرآن الأول: أن معنى ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾، أي ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له، ننزله متى شئنا، وهذا الوجه تدل عليه آيات كقوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] الآية، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن معنى ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ بعد أن أنزلناه عليكم، أي لا تقدرون على حفظه في الآبار والعيون والغدران، بل نحن الحافظون له فيها، ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠]، وقوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ

(٤٣٢) أحمر
أسود

مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف: ٤١]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١] الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه.

أي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه ينابيع في الأرض رحمة بكم وإحسانا إليكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: هذا - والله أعلم -: مفاده أن الله سبحانه وتعالى يُخبر بأنه هو الذي يحيي ويميت، يحيي من أراد له الحياة، وكذا يخرج الأجنة من بطون الأمهات أحياء، وكذلك فإنه عَزَّ وَجَلَّ يُميت من أراد إماتته، وهو سبحانه الذي يرث الأرض ومن عليها..

أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين ماتوا ومضوا وهلكوا، وكذا ولقد علمنا المستأخرين الذين لا زالوا أحياء، وكذا الذين يأتون من بعد.

(٤٣٣) أحمر
أسود

ولقد تعددت أقوال العلماء في تفسير المستقدمين والمستأخرين، وعلى أية حال، فرب العزة سبحانه وتعالى يعلم كلَّ مستقدم ومستأخر، ولكن القول الذي قدمته أولى بالقبول، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، يجمعهم ليوم القيامة، كما في الحديث: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد..**» أما قوله: ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ أي فيما يشرع وفيما يقضي ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ بكل شيء جليل أو حقير، صغيرٍ أو كبير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ من كان ميتا إذا أردنا ﴿وَنُمِيتُ﴾ من كان حيا إذا شئنا ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم، فلا يبقى حيّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل. وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولقد علمنا من مضى من الأمم، فتقدّم هلاكهم، ومن قد خلق وهو حيّ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق.

وأورد من طرق صحيحة عن عكرمة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: هم خلق الله كلهم، قد علم من خلق منهم إلى اليوم، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم.

وعن عكرمة، قال: إن الله خلق الخلق ففرغ منهم، فالمستقدمون: من خرج من الخلق، والمستأخرون: من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج.

وقال آخرون: عنى بالمستقدمين: الذين قد هلكوا، والمستأخرين: الأحياء الذين لم يهلكوا.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم.

(٤٣٤) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن الشعبيّ، في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾: ما استقدم في أول الخلق، وما استأخر في آخر الخلق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علمنا المستقدمين من الأمم، والمستأخرين من أمة محمد ﷺ.

وأورد بأسانيد تصح عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: المستقدمون: ما مضى من الأمم، والمستأخرون: أمة محمد ﷺ.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير، والمستأخرين عنه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة، والمستأخرين فيها بسبب النساء.

وأخرج الطبري من طريق نوح بن قيس، قال: ثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ امرأة، قال ابن عباس: لا والله ما إن رأيت مثلها قط، فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا، وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا، نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

وأخرج الطبري من طريق جعفر بن سليمان، قال: أخبرني عمرو بن مالك، قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين.

قلت: فمفاده أنه روى نحوه عن أبي الجوزاء من قوله، ومرة عن أبي الجوزاء عن ابن عباس بالقصة، وسبب النزول.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفه لهذا الحديث: وقد ورد في هذا حديث غريب

(٤٣٥) أحمر
أسود

جدًّا... -فذكره، وذكر عددًا ممن أخرجوه- وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، وقد رواه عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك وهو النكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ في الصفوف في الصلاة ﴿الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وما بعده وهو قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه، ولا جاء بعد. وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصفّ لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عَزَّ وَجَلَّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حيّ منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلا بأعماله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا. فيكون ذلك تهديدًا ووعيدًا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكلّ من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعدا لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن ربك يا محمد هو

(٤٣٦) أحمر
أسود

يجمع جميع الأوّلين والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكلّ أحد من خلقه، المستقدمين منهم والمستأخرين.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ قال: أي الأوّل والآخر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فيه ثمان تأويلات: الأول: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ في الخلق إلى اليوم، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ الذين لم يخلقوا بعد، قاله قتادة وعكرمة وغيرهما. الثاني: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الأموات، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ الأحياء، قاله ابن عباس والضحاك. الثالث: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ من تقدم أمة محمد، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد. الرابع: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ في الطاعة والخير، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ في المعصية والشر، قاله الحسن وقتادة أيضًا. الخامس: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ في صفوف الحرب و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ فيها، قاله سعيد بن المسيب. السادس: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ من قتل في الجهاد، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ من لم يقتل، قاله القرظي. السابع: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ أول الخلق، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ آخر الخلق، قاله الشعبي. الثامن: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ في صفوف الصلاة، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ فيها بسبب النساء. وكل هذا معلوم لله تعالى، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة. إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية، لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال:« كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا

(٤٣٧) أحمر
أسود

ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾. وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس. وهو أصح.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سبب نزول؟

ج: لم يصح لها سبب نزول، والله أعلم.

هذا، وقد تقدمت الإشارة فيما أورده الطبري من حديث ابن عباس أنه كانت هناك امرأة حسناء تصلي وكان رجالٌ يتعمدون التأخر في الصفوف لرؤيتها أثناء سجودهم من تحت الآباط، وآخرون يتقدمون الصفوف كي لا يرونها.

فنزلت الآية، ولا يصح هذا الخبر. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٣٨) أحمر
أسود

بداية خلق آدم عليه السلام وما كان من أمر إبليس اللعين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ
مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ
ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ
هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ
بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[الحجر: ٢٦-٤٨].

(٤٣٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿صَلْصَٰلٍ - حَمَإٍ - مَّسْنُونٍ - وَٱلْجَآنَّ - نَّارِ ٱلسَّمُومِ - سَوَّيْتُهُۥ - فَقَعُواْ لَهُۥ - أَبَىٰٓ - رَجِيمٌ - ٱللَّعْنَةَ - فَأَنظِرْنِىٓ - ٱلْمُنظَرِينَ - يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ - بِمَآ أَغْوَيْتَنِى - لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ - وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ - ٱلْمُخْلَصِينَ - صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ - سُلْطَٰنٌ - ٱلْغَاوِينَ - سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ - جُزْءٌ مَّقْسُومٌ - بِسَلَٰمٍ - ءَامِنِينَ - غِلٍّ - مُّتَقَٰبِلِينَ - لَا يَمَسُّهُمْ - نَصَبٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿صَلْصَٰلٍ﴾	طين يابس.
﴿حَمَإٍ﴾	طين أسود.
﴿مَّسْنُونٍ﴾	متغير - منتن.
﴿وَٱلْجَآنَّ﴾	قيل: إنه إبليس، وقيل: إنه أبو الجن.
﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	النار القاتلة - طرف اللهب وهو أشده، وقيل: الحرارة الشديدة تكون في الليل.
﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾	عدَّلته.
﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾	فخِروا له.
﴿أَبَىٰٓ﴾	امتنع - رفض.
﴿رَجِيمٌ﴾	مرجوم (بالنجوم) ومرجوم بالسباب والشتم وبغير
﴿ٱللَّعْنَةَ﴾	الطرد والإبعاد والإهانة.
﴿فَأَنظِرْنِىٓ﴾	فأخرني.
﴿ٱلْمُنظَرِينَ﴾	المؤجلين (الذين تأخر موتهم).

(٤٤٠) أحمر
أسود

﴿يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾	يوم القيامة.
﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾	بسبب إغوائك لي - قسمٌ بالذي أغواه.
﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ﴾	لأحسنن لهم وأجملن في أنظارهم.
﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾	لأصرفنهم عن طريق الحق والصواب.
﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	الذين اصطفيتهم وهديتهم ووفقتهم.
﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾	طريق علي إيضاحه وبيانه، أي: عليَّ بيان طريق الحق الموصل إليَّ، وإيضاحه وقيل: مردكم جميعًا إليَّ فأجازي المحسن بإحسانه، وقيل: طريق الحق يوصل إليّ!
﴿سُلۡطَٰنٌ﴾	حجة - برهان.
﴿ٱلۡغَاوِينَ﴾	المنصرفين عن الحق والرشاد.
﴿سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ﴾	قيل: سبعة أطباق.
﴿جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾	جزء مقدر معلوم، وقيل: بحسب أعمالهم.
﴿بِسَلَٰمٍ﴾	بسلامة من الآفات والعلل.
﴿ءَامِنِينَ﴾	آمنين من العذاب.
﴿غِلٍّ﴾	ضغينة وحقد.
﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾	يقابل بعضهم بعضًا.
﴿لَا يَمَسُّهُمۡ﴾	لا يصيبهم.
﴿نَصَبٞ﴾	تعب.

(٤٤١) أحمر
أسود

س: ما المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾؟

ج: المراد به آدم عليه السلام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصلصال؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها وأشهرها: والذي عليه أكثر العلماء أن الصلصال هو الطين اليابس الذي لم تصبه النار، فإذا نقرته بيدك أو بأصبعك سُمع له صوت.

الثاني: أنه الطين المخلوط بالرمل، فصار له صوت عند نقره.

الثالث: أن الصلصال الطين المُنتن.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحمأ؟

ج: المراد بالحمأ الطين الأسود، وهذا قول أكثر العلماء.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مَّسْنُونٍ﴾؟

ج: لأه العلم في ذلك أقوال:

أحدها: المُتَغير (المنتن الذي تغيَّرت رائحته)، أي: الطين الذي ترك فأنتن فتغيَّرت رائحته.

ثانيها: المصبوب، وفيه أقوال:

الأول: أنه كالذي صُبَّ في قالب حتى يخرج من القالب على الصورة المراد.

الثاني: الذي صُبَّ نتيجة الاحتكاك.

ثالثها: أن المسنون الطيب الرطب.

(٤٤٢) أحمر
أسود

وأشهر الأقوال القول الأول، والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: ولقد خلقنا الإنسان، وهو أبوكم آدم عليه السلام من صلصال وهو الطين اليابس الذي لم تُصبه النار، وهذا الصلصال المستخرج من حمإٍ مسنون، وهو الطين الأسود المتغير.

وقيل: الطين الأسود الذي تَأَتَّى عن طريق تراب تولد بالاحتكاك فبالاحتكاك يتولد تراب ويُصب.

وقيل: يصب في قالب حتى تخرج الصورة على هيئة القالب، وقيل: إن الطين الأسود نفسه صُبَّ في قالب على هيئة الصورة.

والقول الأول أولى، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذُكر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال. واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال، فقال بعضهم: هو الطين اليابس لم تصبه نار، فإذا نقرتَه صَلَّ فسمعت له صلصلة.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، قال: خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب، وأما اللازب: فالجيد، وأما الحَمَأ: فالحمأة، وأما الصَّلصال: فالتراب المرقَّق، وإنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي.

وبسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قال: والصلصال: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة.

(٤٤٣) أحمر
أسود

ومن وجه آخر عن ابن عباس في سنده مقال يسير: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قال: الصلصال: الماء يقع على الأرض الطيبة ثم يحسَرُ عنها، فتشقق، ثم تصير مثل الخَزَف الرقاق.

وعن ابن عباس أيضًا[1] قال: خُلق الإنسان من ثلاثة: من طين لازب، وصلصال، وحمأ مسنون. والطين اللازب: اللازق الجيد، والصلصال: المرقق الذي يصنع منه الفخار، والمسنون: الطين فيه الحَمْأة.

وقال آخرون: الصلصال: المُنْتِن. وكأنهم وجَّهوا ذلك إلى أنه من قولهم: صلّ اللحم وأصلّ، إذا أنتن، يقال ذلك باللغتين كلتيهما: يَفْعَل وأَفْعَل.

ثم قال الطبري:

والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن: ١٤] فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخَّار في يُبسه. ولو كان معناه في ذلك المُنتِن لم يشبهه بالفخارِّ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبَّه به في النتن غيره.

وأما قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ فإن الحمأ: جمع حَمْأة، وهو الطين المتَغيِّر إلى السواد. وقوله: ﴿مَّسْنُونٍ﴾ يعني: المتغير.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله: ﴿مَّسْنُونٍ﴾ فكان بعض نحويِّي البصريين يقول: عني به: حمأ مصورّ تامّ. وذُكر عن العرب أنهم قالوا: سُنّ على مثال سُنَّة الوجه: أي صورته. قال: وكأن سُنة الشيء من ذلك: أي مثالَه الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير، لأنه من سَنَن مضاعف.

وقال آخر منهم: هو الحَمَأ المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون، وهو

(١) في سنده فقط ابن وكيع فيه مقال، وبقية رجاله ثقات، وفي الغالب مشائخ أصحاب الكتب يتابعون.

(٤٤٤) أحمر
أسود

من قولهم: سَنَنْت الماء على الوجه وغيره إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير، قال: كأنه أخذ من سَنَنْت الحَجَر على الحجر، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر، يقال منه: سننته أسنُه سَنًّا فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سَنِين، ويكون ذلك مُنْتنا. وقال: منه سُمِّيَ المِسَنّ لأن الحديد يُسَنُّ عليه. وأما أهل التأويل، فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا.

وأورد الطبري من وجوهٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ قال: منتن.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة قال: والحمأ المسنون الذي قد تغيَّر وأنتن.

قال الطبري: وقال آخرون: هو الطين الرطب.

قال ابن كثير رحمه الله:

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: المراد بالصلصال هاهنا: التراب اليابس.

والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤-١٥].

وعن مجاهد أيضا: الصلصال: المنتن.

وتفسير الآية بالآية أولى.

وقوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ أي: الصلصال من حمأ، وهو: الطين. والمسنون: الأملس، كما قال الشاعر:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

أي: أملس صقيل.

ولهذا روي عن ابن عباس: أنه قال: هو التراب الرطب. وعن ابن عباس،

(٤٤٥) أحمر
أسود

ومجاهد، والضحاك أيضا: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون هاهنا: المصبوب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ أي من طين يابس؛ عن ابن عباس وغيره. والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار؛ عن أبي عبيدة. وهو قول أكثر المفسرين. وأنشد أهل اللغة:

كعـــدو المصلصـــل الجـــوال

وأورد أقوالًا أُخر وقال: أي يصوت إذا نقرته كما يصوت الحديد. فكان أول ترابا، أي متفرق الأجزاء ثم بل فصار طينا؛ ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنونا؛ أي متغيرا، ثم يبس فصار صلصالا؛ على قول الجمهور.

ثم قال: والمسنون المتغير... وأورد أقوالًا وقال:

وقال الفراء: هو المتغير، وأصله من قولهم: سننت الحجر على الحجر إذا حككته به. وما يخرج من الحجرين يقال له السنانة والسنين؛ ومنه المسن.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما جرى من عدوه إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا من شره وفتنته فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ أي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا عرفت هذا فاعلم أن الله جل وعلا أوضح في كتابه أطوار هذا الطين

(٤٤٦) أحمر
أسود

الذي خلق منه آدم فبين أنه أولاً تراب بقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج: ٥] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [غافر: ٦٧] الآية إلى غير ذلك من الآيات ثم اشار إلى ان ذلك التراب بل فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخر كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ ﴾ [الصافات: ١١] وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢] وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٧] إلى غير ذلك من الآيات وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ وبين أيضاً أنه يبس حتى صار صلصلاً اي تسمع له صلصلة من يبسه بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ الآية وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١٤] الآية والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وخلقنا الجان من قبل خلق آدم عليه السلام خلقناه من نار السموم. أما الجآن فمن المراد به؟

قال بعض أهل العلم: إن الجان هو إبليس، وقيل: إنه غير إبليس ففضل فريق، وقال إبليس: هو أبو الشياطين كلهم وكلهم كفار، أما الجان فهو أبو الجن، وذريته منهم المسلم ومنهم الكافر. أما نار السموم فمن العلماء من يقول إنها القاتلة، أي: وخلقنا الجآن من النار المُحرقة القاتلة.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالسموم طرف اللهب، أي: أعلاه، وهو أشد شيء فيه.

وقال آخرون: إن السموم هي الحرارة الشديدة ليلًا، والحرور هي الحرارة

(٤٤٧) أحمر
أسود

الشديدة نهارًا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾ وقد بيَّنا فيما مضى معنى الجانّ ولم قيل له جان. وعني بالجانّ هاهنا: إبليس أبا الجنّ. يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ وهو إبليس خُلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة، فقال: أنا ناريّ، وهذا طينيّ، فكانت السجدة لآدم، والطاعة لله تعالى ذكره، فقال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ فقال بعضهم: هي السموم الحارّة التي تقتل.

وقال آخرون: يعني بذلك من لهب النار.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي إسحاق، قال: دخلت على عمرو بن الأصم أعوده، فقال: ألا أحدّثك حديثًا سمعته من عبد الله؟ سمعت عبد الله يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خرج منها الجانّ. قال: وتلا: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾. وكان بعض أهل العربية يقول: السموم بالليل والنهار. وقال بعضهم: الحَرُور بالنهار، والسموم بالليل، يقال: سَمَّ يومُنا يَسَمُّ سَمُومًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل الإنسان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل.

(٤٤٨) أحمر
أسود

وقال بعضهم: السموم بالليل والنهار. ومنهم من يقول: السموم بالليل، والحرور بالنهار.

وأورد ما في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق بنو آدم مما وصِف لكم**»[1] ومقصود الآية: التنبيه على شرف آدم، عليه السلام، وطيب عنصره، وطهارة مَحْتده.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس[2]، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عنه الضحاك أنه قال: الجانُّ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر.

والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل.

فإن قيل: أليس أبو الجن هو إبليس؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله.

والثاني: أن الجانَّ أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذًا فرق على ما ذكرناه عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جانًّا، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني: قبل خَلْق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.

---

(١) مسلم (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥١، ٢٥٠٢)، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله ﷺ القردة، قال مسعر: وأراه قال: والخنازير من مسخ؟ فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

(٤٤٩) أحمر
أسود

أمر الله ﷻ إبليس بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يا رسول الله قول ربك ﷻ للملائكة قبل خلق آدم عليه السلام إني سأخلق بشرًا من صلصال، أي: من طين يابس، وهذا الطين اليابس كان طينًا أسودًا متغيرًا من طول مكثه، بل وتغيَّرت رائحته أيضًا ثم إن الله ﷻ ذكَّرهم، وأمرهم قائلًا فإذا سوَّيته، عدّلته وأحسنت قوامه وصورته ونفخت فيه من روحي فأصبح حيًّا فخرُّوا له ساجدين، أي: فاسجدوا له، فلما خلقه الله ﷻ ونفخ فيه من روحه سجد الملائكة كلهم بلا تخلف ولا تردد، كلهم سجدوا جيمعًا إلا إبليس، وقد تقدم الكلام في شأنه، وهل هو داخل في عداد الملائكة، أي: هل كان ملكًا أم لا؟ والظاهر، وكما قدمنا في سورة البقرة أنه لم يكن ملكًا، وذلك لقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [ص: ٧٦]، ولقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرحمن: ١٥].

فالحاصل: أن الأمر وجِّه إليه بالسجود مع من وجِّه لهم الأمر، فتخلف عن السجود، وامتنع أشد الامتناع مخالفًا أمر ربِّه ﷻ - فقال الله له - إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين؟ وما منك ألا تسجد إذ أمرتك؟

ما سبب امتناعك عن السجود، وما سبب مخالفتك لأمر الله ﷻ، قال معلِّلًا لم أكن لأسجد البشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون.

(٤٥٠) أحمر
أسود

وفي الآية الأخرى يقول: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

وفي الثالثة: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ فامتنع متكبرًا متعاليًا متعاظمًا في نفسه حاسدًا آدم عليه السلام، قائلًا في آية أُخرى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢] فحينئذٍ قال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، مرجوم، مرجوم بالسباب واللعن ومرجوم بالهب والنجوم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ أي: وإن عليك الطرد والإبعاد من الرحمة إلى يوم الدين، ثم يوم الدين لكن الجحيم والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾.

يقول: فإذا صوّرته فعدَّلت صورته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فصار بشرا حيا ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة.

يقول تعالى ذكره: فلما خلق الله ذلك البشر، ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه، سجد الملائكة كلهم جميعا، إلا إبليس، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا، فقال الله تعالى ذكره: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يقول: ما منعك من أن تكون مع الساجدين، فأن في قول بعض نحويي الكوفة خفض، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ يقول: وإن غضب الله عليك

(٤٥١) أحمر
أسود

بإخراجه إياك من السموات وطردك عنها إلى يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة، وقد بيَّنا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إياه بأمره الملائكة بالسجود له. ويذكر تخلف إبليس عدوّه عن السجود له من بين سائر الملائكة، حَسَدًا وكفرًا، وعنادًا واستكبارًا، وافتخارًا بالباطل، ولهذا قال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢] وقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

ويقول آمرًا لإبليس أمرًا كونيًّا لا يخالف ولا يمانع، بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلى، وإنه ﴿رَجِيمٌ﴾ أي: مرجوم. وإنه قد أتبعه لعنةً لا تزال متصلة به، لاحقةً له، متواترة عليه إلى يوم القيامة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما أراد الله خلق آدم قال للملائكة: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ جسدا تاما ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فامتثلوا أمر ربهم.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيما لأمر الله وإكراما لآدم حيث علم ما لم يعلموا.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ وهذه أول عداوته لآدم وذريته.

قال الله: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته

(٤٥٢) أحمر
أسود

وأعجب بعنصره وقال أنا خير من آدم.

﴿ قَالَ ﴾ الله معاقبا له على كفره واستكباره ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ ﴾ أي مطرود مبعد من كل خير ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ ﴾ أي الذم والعيب والبعد عن رحمة الله ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ ﴾ ففيها وما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ ﴾ أي: عدَّلتُ صورته، وأتممتُ خلقته ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا تُعْلَم ما هيَّتُها، وإنما أضافها إليه، تشريفًا لآدم، وهذه إضافة مِلْك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخًا، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه.

قوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلُّهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلًا» تدل على اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالًا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك اللعنة أبدًا.

❁ ❁ ❁

(٤٥٣) أحمر
أسود

طلب إبليس المهلة إلى يوم البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: مفاده أن إبليس لعنه الله لما طرده الله ﷻ وأبعده عن الجنة طلب من الله ﷻ الإمهال، أي: تأخير موته إلى يوم البعث، فقال: رب فأنظرني، أجِّلني وأخرني إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ما أراد من الإمهال والتأخير لمزيدٍ من الفتنة والابتلاء، ومن ثمَّ التعذيب، فقال الله له: فإنك من المُنظرين، المؤجلين المؤخرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم القيامة، وقيل: يوم إماتته يوم النفخ في الصور. فالله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ربّ فإذ أخرجتني من السموات ولعنتني، فأخِّرني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة، قال الله له: فإنك ممن أُخِّر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم دَيَّار.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ ﴾ أي أمهلني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك ولذلك حذرنا منه غاية التحذير وشرح لنا ما يريده منا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي

(٤٥٤) أحمر
أسود

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: قال الشيطان: لما أخذ من الله ﷻ وعدًا بالإنظار والتأخير إلى يوم القيامة، فعندها قال ربما بما أغويتني، وقيل: هذا قسمٌ منه بالله الذي أغواه، وقيل: المعنى بسبب إغوائك لي وصرفك لي عن طريق الهدى والرشاد ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لأزينن لهم المعاصي فيقعوا فيها، ولأزينن لهم الشرك فيقعوا فيه، وكذا لأزينن لهم الدنيا حتى ينشغلوا بها عن طاعتك ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ولأصرفنهم عن طريق الحق أجمعين إلا عبادك الذين أخلصتهم ووفقتهم وهديتهم فهؤلاء لا سبيل لي عليهم ولا أستطيع غوايتهم فقال تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ قيل: في معناه هذا طريق مردكم جميعًا فيه إليَّ فأجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقيل: المعنى: إن طريق الحق طريق يوصِّل إليَّ ويدلُّ عليَّ.

وقيل: المعنى: هذا طريقٌ مستقيم، طريق الحق عليَّ بيانُه وعليَّ إيضاحه للخلق.

ثم يقول تعالى لإبليس لعنه الله، إن عبادي الذين أخلصتهم واصطفيتهم ووفقتهم للإسلام ليس لك عليهم حجة ولا سلطان، فلن تستطيع أن تغويهم وتُضلَّهم وتصرفهم عن الحق، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ فالمعنى: فإنكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله لن تستطيعوا أن تصرفوا شخصًا عن الحق وتفتنوه إلا شخصًا كتب الله عليه الغواية والعياذ بالله، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فإنك تقوده للضلال وتوقعه في الكفر، وقد كتب الله عليه ذلك، وأن جهنم لموعدهم، موعد من اتبعوك معك كلكم جميعًا، فهنالك المُلتقى، وهنالك

(٤٥٥) أحمر
أسود

الاجتماع اجتماع إبليس مع جنده وأتباعه.

ثم يذكر الله ﷻ عدد أبواب جهنم فيقول تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾، معلوم ومحددٌ ومقدرٌ، وقد قال بعض أهل العلم، إن المراد بقوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ سبعة أطباق. فالله أعلم.

ثمَّ هذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ بإغوائك ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وكأن قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ خرّج مخرج القسم، كما يقال: بالله، أو بعزّة الله لأغوينهم. وعنى بقوله: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لأحسننّ لهم معاصيك، ولأحببنها إليهم في الأرض ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ يقول: ولأضلّنهم عن سبيل الرشاد ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به. وقد قرئ: (**إلا عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلِصِينَ**) فمن قرأ ذلك كذلك، فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك، فإنه لا سبيل لي عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ فقرأه عامَّة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ بمعنى: هذا طريق إليّ مستقيم.

فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إليّ فأجازي كلا بأعمالهم، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]،وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده: طريقك عليّ، وأنا على طريقك، فكذلك قوله:﴿هَٰذَا

(٤٥٦) أحمر
أسود

صِرَٰطٌ﴾ معناه: هذا طريق عليّ وهذا طريق إليّ. وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لإبليس: وإن جهنم لموعد من تبعك أجمعين ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ يقول: لجهنم سبعة أطباق، لكلِّ طَبَق منهم: يعني من أتباع إبليس جزء، يعني: قسما ونصيبا مقسوما.

وذُكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض.

وأورد بسندٍ صحيح عن شعبة، قال: سمعت أبا هارون الغنوي، قال: سمعت حِطان، قال: سمعت عليا وهو يخطب، قال: إن أبواب جهنم هكذا، ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى.

وأورد من طريق أبي إسحاق عن هبيرة، عن عليّ، قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ قال بعضهم: أقسم بإغواء الله له.

قلت: ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لذرية آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغّبهم فيها، وأؤزّهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي: كما أغويتني ونَدَّرت على ذلك،

(٤٥٧) أحمر
أسود

﴿أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ كَمَا قَالَ: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الله تعالى له متهددًا ومتوعدًا ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ أي: مرجعكم كلكم إلي، فأجازيكم بأعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر ١٤].

وقيل: طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى، وإليه تنتهي. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة كما قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

وقرأ قيس بن عُباد، ومحمد بن سيرين، وقتادة: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾، كقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤] أي: رفيع. والمشهور القراءة الأولى.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم، ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ استثناء منقطع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا:

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه -أجارنا الله منها- وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في دَرَك بقدر فعله.

وما أورد القرطبي في تفسيره، قوله في تفسير: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ ما ذكره إذ قال، بعد أن أورد أقوالًا: فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إلي فأجازي كلا بعمله يعني طريق العبودية وقيل: المعنى علي أن أدل على

(٤٥٨) أحمر
أسود

الصراط المستقيم بالبيان والبرهان وقيل: بالتوفيق والهداية.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاصَ، فالمعنى: إن الإخلاص طريق إليَّ مستقيم، و «عليَّ» بمعنى «إليَّ».

والثاني: هذا طريق عليَّ جَوازه، لأني بالمرصاد، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك عليَّ، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر ١٤].

والثالث: هذا صراط عليَّ استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى حتى يكونوا منقادين لكل معصية ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ أي أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ أي الذين أخلصتهم واجتبيتهم لإخلاصهم وإيمانهم وتوكلهم.

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ أي معتدل موصل إليَّ وإلى دار كرامتي.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات بسبب عبوديتهم لربهم وانقيادهم لأوامره أعانهم الله وعصمهم من الشيطان.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ فرضي بولايتك وطاعتك بدلا من طاعة الرحمن ﴿مِنَ

(٤٥٩) أحمر
أسود

ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ والغاوي ضد الراشد فهو الذي عرف الحق وتركه والضال الذي تركه من غير علم منه به.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي إبليس وجنوده ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ كل باب أسفل من الآخر ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ بحسب أعمالهم قال الله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والذي عليه الأكثر من العلماء أن جهنم أعلى الدركات وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم سعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، قال الضحاك: في الدرك الأعلى المحمديون، وفي الثاني النصارى، وفي الثالث اليهود، وفي الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أهل المائدة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] وقد تقدم في النساء وقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].

❁ ❁ ❁

بيانٌ لبعض ما أُعد للمتقين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: بيان لحال المتقين، الذين اتقوا الشرك واتقوا العصيان، وذلك بعد أن بُيِّن، حال الفجار الأشرار، فهذا بيان لحال الأبرار

(٤٦٠) أحمر
أسود

أهل التقوى ومصيرهم إنهم في جنات، حدائق وبساتين، وعيون جارية ن يقال لهم: ادخلوها، ادخلوا الجنة بسلام من الآفات والأمراض، وسلام من العذاب والعقاب آمنين من العذاب، آمنين نم الزوال والتحول والانتقال، ثم يذكر الله ﷻ مِنَّته وفضله على أهل الجنة فيقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ من حسدٍ وضغينة لبعضهم البعض، وجعلناهم إخوانًا على سررٍ متقابلين، يقابل بعضهم بعضًا ويواجه بعضهم بعضًا، لا يصيبهم فيها تعبٌ، وما هم من الجنة بمخرجين، لن يخرجوا منها ولا يتحولون عنها ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] جعلنا الله من أهلها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه، فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون، يقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ من عقاب الله، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم، وكرامة أكرمكم بها. قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ يقول: وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض.

واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم، فقال بعضهم: ينزل ذلك بعد دخولهم الجنة.

وأورد الطبري جملة آثارٍ، وفي أسانيدها مقال مؤداها وفحواها أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نزَّل هذه الآية علي وطلحة والزبير وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أعني نزَّل عليهم قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وهذا وإن كان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع عثمان وطلحة والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ممن يدخلون في

(٤٦١) أحمر
أسود

الآية، لكن بعمومها تشملهم وتشمل المتقين.

هذا، وأودر الطبري حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا**». وقال بعضهم: ما يشبَّه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يَمسّ هؤلاء المتقين الذين وصف صِفتهم في الجنات نَصَب، يعني تَعَب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يقول: وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين، بل ذلك دائم أبدا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال أهل النار، عطف على ذكر أهل الجنة، وأنهم في جنات وعيون.

وقوله: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ أي: سالمين من الآفات، مسلمًا عليكم، ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع، ولا فناء.

... وقال:

وقوله: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ يعني: المشقة والأذى، كما جاء في الصحيحين: «**إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصَب، لا صخب فيه ولا نصب**».

وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ كما جاء في الحديث: «**يقال يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا،**

(٤٦٢) أحمر
أسود

وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا»، وقال الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ أي الذين اتقوا الفواحش والشرك ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي بساتين ﴿وَعُيُونٍ ٤٥﴾ هي الأنهار الأربعة: ماء وخمر ولبن وعسل وأما العيون المذكورة في سورة الإنسان: الكافور والزنجبيل والسلسبيل وفي المطففين: التسنيم فيأتي ذكرها وأهلها إن شاء الله.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾.

بين في هذه الآية الكريمة أن المتقين الذين هم أهل الجنة يوم القيامة يكونون على سرر وأنهم متقابلون ينظر بعضهم إلى وجه بعض ووصف سررهم بصفات جميلة في غير هذا الموضع منها أنها منسوجة بقضبان الذهب وهي الموضونة قال في الواقعة: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: ١٣-١٦] وقيل الموضوعة المصفوفة كقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖ﴾ [الطور: ٢٠] الآية ومنها أنها مرفوعة كقوله في الغاشية: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣﴾ [الغاشية: ١٣] الآية وقوله في الواقعة: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤]، وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦] إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء وقوله نصب نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب فتدل الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والإعياء وقوله نصب نكرة في

(٤٦٣) أحمر
أسود

سياق النفي فتعم كل نصب فتدل الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أواع التعب والمشقة وأكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٥] لأن اللغوب هو التعب والإعياء أيضاً وقد صح عن النَّبي ﷺ أنه قال: « **إن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** ».

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يخرجون منها وأكد نفي إخراجهم منها بالباء في قوله ﴿بِمُخْرَجِينَ ﴾ فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع. وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الكهف: ٢-٣] وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨] وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم والنعيم المقيم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين اتقوا طاعة الشيطان وما يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ قد احتوت على جميع الأشجار وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات.

(٤٦٤) أحمر
أسود

ويقال لهم حال دخولها: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ من الموت والنوم والنصب، واللغوب وانقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه ومن المرض، والحزن والهم وسائر المكدرات، ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ ﴾ فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل وحسد متصافية متحابة ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ ﴾ لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة لا تقبل شيئا من الآفات، ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ على سائر الأوقات.

ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ
ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ
إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ
أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ
قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ
قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ
أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ
ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ
أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ

(٤٦٦) أحمر
أسود

إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ
﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ
أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

[الحجر: ٤٩-٧٩]

(٤٦٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَبِّئْ - وَجِلُونَ - لَا تَوْجَلْ - عَلِيمٍ - مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ - ٱلْقَٰنِطِينَ - فَمَا خَطْبُكُمْ - قَدَّرْنَآ - ٱلْغَٰبِرِينَ - مُّنكَرُونَ - يَمْتَرُونَ - بِٱلْحَقِّ - فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ - بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ - وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ - وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ - وَقَضَيْنَآ - دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ - يَسْتَبْشِرُونَ - تَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ - لَعَمْرُكَ - سَكْرَتِهِمْ - يَعْمَهُونَ - مُشْرِقِينَ - فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا - سِجِّيلٍ - لِّلْمُتَوَسِّمِينَ - لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ - أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ - لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَبِّئْ﴾	أخبر - بلِّغ.
﴿وَجِلُونَ﴾	خائفون.
﴿لَا تَوْجَلْ﴾	لا تخف.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم.
﴿مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾	تقدمت في العُمر، كبرت سني.
﴿ٱلْقَٰنِطِينَ﴾	اليائسين من رحمة الله.
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿قَدَّرْنَآ﴾	حكما وكتبنا (عليها).
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب.
﴿مُّنكَرُونَ﴾	لا نعرفهم - غير معروفين.
﴿يَمْتَرُونَ﴾	يشكون - يجادلون.
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	بالحكم الحق - مجيئنا إليك بالحق.

(٤٦٨) أحمر
أسود

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾	فأخرج ليلًا بأهلك (قيل في الثلث الأخير).
﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾	في ساعات متأخرة من الليل.
﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ ﴾	امشي خلفهم.
﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾	انطلقوا حيث يوجهكم الله ويأمركم.
﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾	أبلغنا – أفهمناه أن هذا القضاء قضى وحُكم على قومه به.
﴿دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾	هلكى عن آخرهم، سيقطع سيرتهم ولا تسمع عنهم إلا أخبا تحدث بشأنهم في الصباح.
﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	يُبشر بعضهم بعضًا.
﴿نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	ننهك عن استضافة الرجال.
﴿ لَعَمْرُكَ ﴾	لحياتك – لعيشك (قسم بحياة النبي ﷺ).
﴿سَكْرَتِهِمْ ﴾	ضلالتهم – لعبهم – السُّكر الذي أصابهم، وغطى على عقولهم بسبب شهوتهم.
﴿يَعْمَهُونَ ﴾	تحيرون – يترددون.
﴿مُشْرِقِينَ ﴾	عند شروق الشمس.
﴿ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾	فقلبنا البلاد فجعلنا أعلاها أسفلها.
﴿سِجِّيلٍ ﴾	طين متحجر.

(٤٦٩) أحمر
أسود

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	للمتفرسين - للمتأملين - للمتفكرين - للمعتبرين.
﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾	لبطريق قائم (يراه الناس).
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾	أصحاب الشجر الملتف (وهم قوم شعيب عليه السلام).
﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	لبطريق يؤتم به ويستدل به على غيره.

❁ ❁ ❁

(٤٧٠) أحمر
أسود

الجمع بين الخوف والرجاء

س: كثيرًا ما يقرن بين مقامي الخوف والرجاء، فيذكر الناس بمغفرة الله ثم بعقوبته أو العكس دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣].

* وقوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

والآيات في هذا الصدد كثيرة، وكذا الأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ سبب نزول؟

ج: لم يصح للآية الكريمة سبب نزول، وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ج: **المعنى - والله أعلم-:** أخبر يا رسول الله عبادي، الذين هم - في هذا المقام- عموم خلقي، أني أنا الغفور، كثير المغفرة لخلقي ولمن استغفرني وتاب إليَّ ورجع فإني أستر على ذنوبه وأتجاوزك عنها، وأخبرهم أيضًا أنني الرحيم بهم، فقد فتحت لهم أبواب التوبة كي يرهبوا عن ذنوبهم وجرائمهم، وكذلك فإني رحيم بهم إذ أرشدتهم وأرسلتك إليهم وأنزلت عليك كتابي إليهم

(٤٧١) أحمر
أسود

نورًا يستنيرون به وهدًى يهتدون به، وكذا فإني أرحم بهم من أنفسهم.

وكذا فأخبرهم أن عذابي لمن عصاني وتمرد على أوامري واجترأ على ما نهيته عنه، هو العذاب المؤلم الموجع حقًّا فليس فوقه عذاب، وليس ثمَّ عذاب أشد منه.

فعليهم من ثمَّ أن يستغفرون ويرجعوا إليَّ ولا ييأسوا من رحمتي ومغفرتي، وكذا لا يأمنوا مكري وعذابي ولا يستخفوا بأوامري.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أخبر عبادي يا محمد، أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعذّبهم بعد توبتهم منها عليها ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾ يقول: وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصرّ على معاصيّ وأقام عليها ولم يتب منها، هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب. هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه، وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ ﴾ أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سَعَوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبئهم ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾ أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] حذروا وأبعدوا عن كل

(٤٧٢) أحمر
أسود

سبب يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وأخبر عبادي يا رسول الله بضيوف نبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، أخبرهم بضيوف إبراهيم لما دخلوا عليه فسلموا عليه سلامًا، وحيّوه بتحية الإسلام السلام، فقرب إليهم طعامًا فرآهم لا يأكلون فخافهم كما في آيات أخر فقال لهم حينئذٍ: إنا منكم وجلون، أي: خائفون، قالوا: مطمئنين له لا توجل، لا تخف إنا جئناك ببشارة من عند الله ﷻ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ سيكون عالمًا مُعلِّمًا، وهو إسحاق عليه السلام، وذلك لقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

فعندها، أي: عند هذه البشارة، قال الخليل عليه السلام: أبشرتموني على أن مسني الكبر، أبشرتموني، وقد تقدم سني وبلغت من الكبر مبلغًا؟!!

يتعجب عليه السلام من هذه البشارة، وهو على هذه الحال من الكبر، وامرأته

(٤٧٣) أحمر
أسود

كانت عاقرًا كذلك فقد مكث إبراهيم زمانًا طويلًا من عمره لم يرزق بالذرية، كما تقدم في قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ففي هذا تصبير لمن تأخرت عنه الذرية، فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام تعجب هو وزوجته من سارة عليها السلام من هذه البشارة وأدى للملائكة الكرام الذين هم أضيافه تعجبه بقوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ قالوا مجيبين: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالبشارة الحق التي هي من عند الله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيسين من رحمة الله، ومن رزق الله عز وجل.

فعندها قال الخليل عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾، أي: ومن ييأس من رحمة الله ويستبعدها إلا من بعيد عن الحق والصواب والهدى والرشاد، الذي أخطأ الطريق طريق الإيمان ومادعته.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم: يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ يقول: فقال الضيف لإبراهيم: سلاما ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يقول: قال إبراهيم: إنا منكم خائفون. وأما قوله: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ وهو يعني به الضيف، فجمع الخبر عنهم، وهم في لفظ واحد، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل، فلذلك جمع خبره، وهو لفظ واحد. وقوله: ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾ يقول: قال الضيف لإبراهيم: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة الذين بشَّروه بغلام عليم

(٤٧٤) أحمر
أسود

﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يقول: فبأي شيء تبشرون.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحقّ يقين، وعلم منَّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البُشرى.

وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وخبرهم يا محمد عن قصة ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ والضيف: يطلق على الواحد والجمع، كالزور والسُّفْر -وكيف ﴿دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: خائفون.

وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم ضيافة، وهو العجل السمين الحنيذ.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٨] وهو إسحاق، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما تقدم في سورة هود.

ثم قال متعجبًا من كبره وكبر زوجته ومتحققًا للوعد: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا وبشارة بعد بشارة، ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ وقرأ بعضهم: «القنطين» -فأجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد

(٤٧٥) أحمر
أسود

كبر وأسنَّت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ ضيف إبراهيم: الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم ذكرهم وكان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد وسمي الضيف ضيفا لإضافته إليك ونزوله عليك وقد مضى من حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ جمع الخبر لأن الضيف اسم يصلح للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر ضافه وأضافه أماله ومنه الحديث «**حيث تضيف الشمس للغروب**» وضيفوفة السهم والإضافة النحوية ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: سلموا سلاما ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: فزعون خائفون وإنما قال هذا بعد أن قرب العجل ورآهم لا يأكلون على ما تقدم في هود وقيل: أنكر السلام ولم يكن في بلادهم رسم السلام ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾ أي قالت الملائكة لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي حليم قاله مقاتل وقال الجمهور: عالم وهو إسحاق ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾ أن مصدرية أي على مس الكبر إياي وزوجتي وقد تقدم في هود وإبراهيم حيث يقول: فبم تبشرون استفهام تعجب وقيل: استفهام حقيقي.

... ثم قال:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي بما لا خلف فيه وأن الولد لا بد منه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي من الآيسين من الولد وكان قد أيس من الولد لفرط الكبر.

وقال في قوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

أي المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب يعني أنه استبعد الولد لكبر

(٤٧٦) أحمر
أسود

سنه لا أنه قنط من رحمة الله تعالى.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾. ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أولئك الضيف الكرام الذين هم ملائكة بشروا إبراهيم بغلاف موصوف بالعلم ونظير ذلك قوله تعالى أيضاً في الذاريات: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ وهذا الغلام بين تعالى أنه هو إسحاق كما يوضح ذلك قوله في الذاريات ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٨-٣٠]؛ لأن كونها أقبلت في صرة أي صيحة وضجة وصكت وجهها أي لطمته قائلة إنها عجوز عقيم يدل على أن الولد المذكور هي أمه كما لا يخفى ويزيده إيضاحاً تصريحه تعالى ببشارتها هي بأنها تلده مصرحاً باسمه واسم ولده يعقوب وذلك في قوله تعالى في هود في القصة بعينها: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: ٧١، ٧٢] وأما الغلام الذي بشر به إبراهيم الموصوف بالحلم المذكور في الصافات في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ٩٩-١٠٢] فهو إسماعيل وسترى إن شاء الله تعالى في سورة الصافات دلالة الآيات القرآنية على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع، والغلام يطلق في لغة العرب على العبد وعلى الصغير الذي لم يبلغ وعلى الرجل البالغ ومن إطلاقه على البالغ قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم النهروان: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ فهو إسماعيل وسترى إن شاء الله تعالى في سورة الصافات دلالة

(٤٧٧) أحمر
أسود

الآيات القرآنية على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي: عن تلك القصة العجيبة فإن في قصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم ما يوجب لهم العبرة والاقتداء بهم، خصوصا إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيفه هم الملائكة الكرام أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: سلموا عليه فرد عليهم ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: خائفون، لأنه لما دخلوا عليه وحسبهم ضيوفا ذهب مسرعا إلى بيته فأحضر لهم ضيافتهم، عجلا حنيذا فقدمه إليهم، فلما رأى أيديهم لا تصل، إليه خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم.

فـ ﴿ قَالُوا۟ ﴾ لـه: ﴿لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ وهو إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة بأنه ذكر لا أنثى عليم أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

فقال لهم متعجبا من هذه البشارة: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ وصار نوع إياس منه ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: على أي وجه تبشرون وقد عدمت الأسباب؟

﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص -يا أهل هذا البيت- رحمة الله وبركاته عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجيا لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما

(٤٧٨) أحمر
أسود

من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئا كثيرا، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن إبراهيم عليه السلام سأل الملائكة عليهم السلام سؤالًا بعد أن اطمأن إليهم واستأنس معهم وبهم، وبعد أن بشروه بالبشارة التي بشروه بها، قال فما خطبكم، أي: فما شأنكم وما وجهتكم أيها المرسلون، يا ملائكة الله الكرام يا من أرسلكم الله؟!!

فأجابوه بقوله: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ أرسلنا الله عز وجل لتدمير بلادهم ولإهلاكهم وتعذيبهم واختبارهم وابتلائهم واستدراجهم، أرسلنا إلى قوم مجرمين اجترموا الكفر والكبائر واكتسبوها وتمادوا فيها ولم ينتفعوا بنصح ولا بتذكير، أرسلنا لتدمير وإهلاك قوم لوط الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا واجترموا الجرائم العظيمة بفعلة شنيعة لم تكن موجودة من قبل في أسلافهم، ألا وهي إتيان الذكران من العالمين.

أرسلنا إليهم لتدمير بلادهم ولتعذيبهم، فعندما قالوا ذلك لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ذكرهم بمن فيها من أهل الفضل والصلاح، كما في آية أُخرى إذ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] فأجابوه بقولهم نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته، وهنا قالوا لإبراهيم عليه السلام: إلا أل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا، قضينا عليها بالهلاك والبقاء في العذاب مع

(٤٧٩) أحمر
أسود

المعذبين، مع الهلكى الذي سيهلكون، وذلك بأمر الله لنا بذلك.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم: ما أمرُكم أيُّها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، إلا آل لوط: يقول: إلا اتباع لوط على ما هو عليه من الدِّين، فإنا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذّب به قوم لوط، سوى امرأة لوط قدّرنا إنها من الغابرين: يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي مهلكة بعد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى: إنه شرع يسألهم عما جاؤوا له، فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يعنون: قوم لوط. وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المهلكين؛ ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: الباقين المهلكين.

❁ ❁ ❁

قصة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع الملائكة

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الملائكة الكرام عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ انصرفوا من عند نبي

(٤٨٠) أحمر
أسود

الله إبراهيم ﷺ واتجهوا إلى بلاد قوم لوط، ومدائنهم، فذهبوا إلى لوطٍ عليه السلام يسلمون عليه ويخبرونه بأمر قومه وما سيحل بهم، ويخبرونه بالمطلوب منه فعله، فلما دخلوا على لوط عليه السلام، وكانوا على درجة عظيمة من الجمال والبهاء والحسن، استاء لوطٌ عليه السلام لمجيئهم كما تقدم في آيات أخر من سور أخر، إذ قال تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ [العنكبوت: ٣٣] وذلك لما يخشاه عليهم من قومه الأشرار، وهنا قال لهم: أنكر قوم منكرون، لا نعرفكم، وكان كذلك لا يعرفهم إلا بعد أن عرَّفوه بأنفسهم، فقالوا له: (كما في آيات أُخر) إنا رسل ربك، وهنا قالوا له بل جئناك لتعذيب هؤلاء القوم، لإنزال العذاب الذي كانوا يشكون فيه ويجادلون فيه لما أخبرتهم به، فها نحن قد جئناك لتعذيبهم ولإحلال العذاب بهم ولتدميرهم لقد جئناك، ومجيئنا إليك بالحق والصدق لم نأت عابثين، ولم نأت من قبل أنفسنا، بل أرسلنا ربنا عز وجل، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به، وصادقون في مجيئنا إليك.

ثم وجهوا إليه النصائح والأوامر قائلين له، فأسر بأهلك، اخرج مع أهلك ليلًا، في أواخر الليل، وكن من وراء أهلك إذا ساروا حتى تحملهم على الإسراع، وحتى لا يتخلف من أهلك المؤمنين أحدٌ، ولا تلفتوا إلى الوراء، لا تفكروا في شيء تركتموه ولا تنظروا إلى ما سيحل بالقوم، وجدُّوا في امسير، وأمعنوا في الخروج في هذه البلاد وسيروا حيث توجهون، سيروا حيث يرشدكم الله عز وجل ويهديكم، قيل: إن ذلك إلى الشام، وقيل غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي: وأخبرناه بذلك الأمر الذي قد قُضي وانتهى، أعلمناه بهذا الأمر الذي هو أن هؤلاء سيهلكون عن آخرهم في الصباح، لن يتخلف عن الإهلاك منهم أحدٌ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود: ٨١].

(٤٨١) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط، أنكرهم لوط فلم يعرفهم، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾: أي نُنْكركم لا نعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

ويقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: وجئناك بالحق اليقين من عند الله، وذلك الحقّ هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط. وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذّبهم به. وقولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ يقولون: إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط، فأسر بأهلك ببقية من الليل، واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم، وسر خلفهم وهم أمامك، ولا يلتفت منكم وراءه أحد، وامضوا حيث يأمركم الله.

ويقول تعالى ذكره: وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين: يقول: إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم، وأنّ من قوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ ﴾ في موضع نصب ردّا على الأمر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض، ويكون معناه: وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وعُنِي بقوله: ﴿مُّصْبِحِينَ ﴾: إذا أصبحوا، أو حين يصبحون.

(٤٨٢) أحمر
أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه داره، قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يعنون: بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم، وحلوله بساحتهم، ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨].

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به، من نجاته وإهلاك قومه، والله أعلم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يَسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، وأن يكون لوط، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يمشي وراءهم، ليكون أحفظ لهم.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغَزاة بما كان يكون ساقة، يُزجي الضعيف، ويحمل المنقطع

وقوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال، ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ كأنه كان معهم من يهديهم السبيل.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: تقدمنا إليه في هذا ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: وقت: الصباح كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

(٤٨٣) أحمر
أسود

أي لا أعرفكم وقيل: كانوا شبابا ورأى جمالا فخاف عليهم من فتنة قومه فهذا هو الإنكار ﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي يشكون أنه نازل بهم وهو العذاب ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي بالصدق وقيل: بالعذاب ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي في هلاكهم ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ تقدم في هود ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ أي كن من ورائهم لئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ نهوا عن الالتفات ليجدوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح وقيل: المعنى لا يتخلف.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿ قَالَ ﴾ الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للملائكة: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي: ما شأنكم ولأي شيء أرسلتم؟

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي: كثر فسادهم وعظم شرهم، لنعذبهم ونعاقبهم، ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ أي: إلا لوطا وأهله ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: الباقين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: ٧٦] فذهبوا منه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي لا أعرفكم ولا أدري من أنتم

﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي جئناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه ويكذبونك حين تعدهم به ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الذي ليس بالهزل ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فيما قلنا لك.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي في أثنائه حين تنام العيون ولا يدري أحد

(٤٨٤) أحمر
أسود

عن مسراك ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي بادروا وأسرعوا ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ كأن معهم دليلا يدلهم إلى أين يتوجهون ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ﴾ أي أخبرناه خبرا لا مثنوية فيه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ويستأصلهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولما بلغ خبر الأضياف الذين نزلوا بنبي الله لوط عليه السلام، ولما علم قومه بمجيئهم، قيل: أخبرتهم به زوجته الخائنة – جاءوا يبشر بعضهم بعضًا، يبشر بعضهم بعضًا، عياذًا بالله، بالأضياف كي يفعلوا معهم المحرم، فجاءوا مسرعين يطرقون على لوطٍ عليه السلام بأمه، فقال لهم مُذكرًا ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ ضيوفي، وحق للضيف أن يُكرم، حقٌّ للضيف أن يُحافظ عليه ويُنزل أحسن المانزل فلا تفضحوني مع أضيافي ولا تحرجوني معهم وراقبوا الله واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بترك أذاي، وترك إهانة أضيافي ولا تخزوني مع أضيافي، فلم يستجيبوا له ولم يعبأوا به ولا بتذكيره، بل تمادوا في غيِّهم وضلالهم فقالوا له: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ عن استضافة أحدٍ من البشر فعندها عرض عليهم نبي الله لوط عليه السلام بناته للزوج بهن، قيل إنهن بنات لصلبه، وقيل: إنهن بنات قومه، فكل نبي بمثابة الوالد لقومه.

(٤٨٥) أحمر
أسود

فقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ أي: تزوجوهن إن كنتم تريدون الزواج والتعفف بالحلال الطيب.

ثم يُقسم الله تعالى بحياة نبيه ﷺ.

قال أكثر أهل العلم: إنه قسمٌ بحياة النبي محمد ﷺ، وقيل: إنه قسمٌ بحياة نبي الله لوط عليه السلام، والأول أشهر وعليه الأكثر.

أما قوله تعالى: ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فمعناها لفي السُّكر الذي أصابهم بسبب الشهوة الجارفة يتحيرون ويترددون.

وقيل: لمعنى سكرتهم أي: لفي ضلالتهم يلعبون ويخوضونه.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: فأخذتهم الصيحة عند شروق الشمس، والمراد بها: الصيحة الشديدة الصاعقة التي صعقتهم، وذلك في الصباح عند شروق الشمس فقلبنا بلادهم، جعلنا العالي منها هو الأسفل، والأسفل هو العالي، قلبناها رأسًا على عقب، وبعد أن قلبناها أتبعنا أهلها بحجارة من سجيل، من طين متحجر شديد متصلب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي نزل بهم ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ لدلالات وعلامات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتفكرين المتأملين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: هذه البلاد التي دُمرت وأهلكت ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ بطريق، أي: موجودة بطريق مقيم، لا يزال قائمًا موجودًا يراه المارة، إن في ذلك الذي حدث لهم لدلالة على قدرتنا ووحدانيتنا وشدة انتقامنا ممن خالفونا وعاندونا وكذبوا رسلنا، فيما حدث دلالة لأهل الإيمان يستدلون بها على ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾، فتذكيرٌ أيضًا بأصحاب الأيكة، وهي الشجر العظيم الملتف، وهم قوم شعيب عليه السلام، كانوا أيضًا أهل ظلم وشرك وتطفيف للمكاييل والموازين، فانتقمنا منهم أيضًا كما انتقمنا من

(٤٨٦) أحمر
أسود

قوم لوط، ثم إن بلادهم وبلاد قوم لوط، تلك التي دُمرت وأُهلكت لموجودةٌ بطريق واضح يأتمون به في سفرهم ويهتدون به ويستدلون به على غيره.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يقول: وجاء أهل مدينة سَدُوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم في ركوب الفاحشة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ استبشروا بأضياف نبيّ الله ﷺ لوط، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في تركككم التعرّض لهم بالمكروه، وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ يقول: وخافوا الله فيّ وفي أنفسكم أن يحلّ بكم عقابه ﴿وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾ يقول: ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم، بالتعرّض لهم بالمكروه ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال للوط قومه: أو لم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ قال: ألم ننهك أن تضيف أحدا؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ

(٤٨٧) أحمر
أسود

يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: تزوّجوا النساء فأتوهنّ، ولا تفعلوا ما قد حرّم الله عليكم من إتيان الرجال، إن كنتم فاعلين ما آمركم به، ومنتهين إلى أمري.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾: أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته.

وقوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون.

وأورد من طريقين عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوْزاء، عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى ذكره: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وأورد نحوه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وهي كلمة من كلام العرب، لفي سكرتهم: أي في ضلالتهم يعمهون: أي يلعبون.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري، يرونه كقوله: وَحَيَاتِي.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب، وهي الصيحة مشرقين: يقول: إذ أشرقوا، ومعناه: إذ أشرقت الشمس، ونصب مشرقين و مصبحين على الحال بمعنى: إذا أصبحوا، وإذ أشرقوا، يقال منه: صيح بهم، إذا أهلكوا.

(٤٨٨) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فجعلنا عالي أرضهم سافلها، وأمطرنا عليهم حِجارة من سجيل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، عن عكرمة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ أي من طين.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبيّ الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك يا محمد في قوم لوط، وما حلّ بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم، وتمادوا في غيهم، وضلالهم، مَعْتَبَر.

وأورد الطبري بعض الطرق الضعيفة لحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله**».

وكذا أورد حديث: «**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**».

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سَدُوم، لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لبّ أمرها، وغبّ معصية الله، والكفر به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ يقول: بطريق واضح.

(٤٨٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم.

عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين، يقول: كانوا بالله كافرين، والأيكة: الشجر الملتف المجتمع.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامَّة شجرهم هذا الدَّوْم. وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب ﷺ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذّبتا بعذابين شتى. أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة، فكانوا أهل شجر متكاوس، ذُكر لنا أنه سلَّط عليهم الحرّ سبعة أيام، لا يظللهم منه ظلّ، ولا يمنعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة، فحَلُّوا تحتها يلتمسون الرَّوْح فيها، فجعلها الله عليهم عذابا، بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلَّة، إنه كان عذاب يوم عظيم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة. وقوله: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: وإن مدينة أصحاب الأيكة، ومدينة قوم لوط، والهاء والميم في قوله: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ من ذكر المدينتين. ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ يقول: لبطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به

(٤٩٠) أحمر
أسود

﴿مُّبِينٍ﴾ يقول: يبين لمن ائتمّ به استقامته، وإنما جعل الطريق إماما لأنه يُؤم ويُتَّبع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين، ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾﴾

وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله كما قال في سياق سورة هود، وأما هاهنا فتقدم ذِكرُ أنهم رسل الله، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم. ولكن الواو لا تقتضي الترتيب، ولا سيما إذا دل دليل على خلافه، فقالوا له مجيبين: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ أي: أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا؟ فأرشدهم إلى نسائهم، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. وقد تقدم أيضا القول في ذلك، بما أغنى عن إعادته.

هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم، وما قد أحاط بهم من البلاء، وماذا يُصبحهم من العذاب المستقر؛ ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض.

قال عمرو بن مالك النُّكْري عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ رواه ابن جرير[(١)].

(١) روى من طرق عن عمرو بن مالك عند الطبري وغيره.

(٤٩١) أحمر
أسود

وقال قتادة: ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم، ﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ أي: يلعبون.

يقول: تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عَنان السماء ثم قلْبها، وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم. وقد تقدم الكلام على السجيل في [1] هود بما فيه كفاية.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ أي: إن آثار هذه النقم ظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته، كما قال مجاهد في قوله: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: المتفرسين.

وأورد أقوالًا أُخر في تفسير المتوسمين منها: المتأملين، ومنها: المعتبرين.

وأورد طرقًا ضعيفة لحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله**».

وكذا أورد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**».

ثم قال:

وقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ أي: وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة لبطريق مَهْيَع مسالكه مستمرة إلى اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

وأورد أقوالًا في تفسير: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ منها معلم، ومنها بطريق واضح.

... ثم قال:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ أي: إن الذي صنعنا بقوم لوط من

(١) سورة

(٤٩٢) أحمر
أسود

الهلاك والدمار وإنجائنا لوطا وأهله، لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله.

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب.

قال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: الأيكة: الشجر الملتف.

وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان. فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بَعْدَهم في الزمان، ومسامتين لهم في المكان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي: طريق مبين.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: طريق ظاهر؛ ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [هود: ٨٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي أهل مدينة لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ مستبشرين بالأضياف طمعا منهم في ركوب الفاحشة ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى ﴾ أي أضيافي ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ أي تخجلون ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ يجوز أن يكون من الخزي وهو الذل والهوان ويجوز أن يكون من الخزاية وهو الحياء والخجل وقد تقدم في هود ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي عن أن تضيف أحدا لأنا نريد منهم الفاحشة وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء عن الحسن وقد تقدم في الأعراف وقيل: أو لم ننهك عن أن تكلمنا في أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ أي فتزوجوهن ولاتركنوا إلى الحرام وقد تقدم بيان هذا في هود.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال القاضي أبو بكر بن العربي: قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى

(٤٩٣) أحمر
أسود

ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفا له أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون قلت: وهكذا قال القاضي عياض: أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يامحمد وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده قال بن العربي: ما الذي يمنع أن يقسم الله سبحانه وتعالى بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء الله وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتى ضعفيه من شرف لمحمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه أو لا ترى أنه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة وموسى التكليم وأعطى ذلك لمحمد فإذا أقسم بحياة لوط فحياة محمد أرفع ولايخرج من كلام إلى كلام لم يجر له ذكر لغير ضرورة.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ نصب على الحال أي وقت شروق الشمس يقال أشرقت الشمس أي أضاءت وشرقت إذا طلعت وقيل: هما لغتان بمعنى وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمسوا وهو المراد في هذه الآية وقيل: أراد شروق الفجر وقيل: أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والله أعلم والصيحة العذاب وتقدم ذكر سجيل [هود: ٨٢].

وقال:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي على طريق قومك يامحمد إلى الشام ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي لعبرة للمصدقين ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ يريد قوم شعيب كانوا أصحاب

(٤٩٤) أحمر
أسود

غياض ورياض وشجر مثمر والأيكة: الغيضة وهي جماعة الشجر والجمع الأيك ويروى أن شجرهم كان دوما وهو المقل قال النابغة:

تجلو بقاد متى حمامة أيكة بردا أسف لثاته بالإثمد

وقيل: الأيكة اسم القرية وقيل اسم البلدة وقال أبو عبيدة: الأيكة وليكة مدينتهم بمنزلة بكة من مكة وتقدم خبر شعيب وقومه ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ أي بطريق واضح في نفسه ويعني مدينة قوم لوط وبقعة أصحاب الأيكة يعتبر بهما من يمر عليهما.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾. بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن فيما أوقع من النكال بقوم لوط آيات للمتأملين في ذلك تحصل لهم بها الموعظة والاعتبار والخوف من معصية الله أن ينزل بهم مثل ذلك العذاب الذي أنزل بقوم لوط لما عصوه وكذبوا رسوله. وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله في العنكبوت: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥] وقوله في الذاريات: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣٧] وقوله هنا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ وقوله في الشعراء بعد ذكر قصة قوم لوط: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، كما صرح بمثل ذلك في إهلاك قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب في الشعراء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾. بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن ديار قوم لوط وآثار تدمير الله لها بسبيل مقيم أي بطريق ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد، يمر بها أهل الحجاز في ذهابهم إلى الشام، والمراد أن آثار تدمير الله لهم التي تشاهدون في أسفاركم فيها لكم عبرة ومزدجر يوجب عليكم

(٤٩٥) أحمر
أسود

الحذر من أن تفعلوا كفعلهم لئلا ينزل الله بكم مثل ما أنزل بهم وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد: ١٠]. وقوله فيها وفي ديار أصحاب الأيكة: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴾ أي المدينة التي فيها قوم لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم وذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم فجاءوا حتى وصلوا إلى بيت لوط فجعلوا يعالجون لوطا على أضيافه ولوط يستعيذ منهم ويقول ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع.

فـ ﴿ قَالُوا ﴾ له جوابا عن قوله ولا تخزون فقط: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ أن تضيفهم فنحن قد أنذرناك، ومن أنذر فقد أعذر.

فـ ﴿قَالَ ﴾ لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ فلم يبالوا بقوله ولهذا قال الله لرسوله محمد ﷺ ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ وهذه السكرة هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يبالون معها بعذل ولا لوم.

فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق والكرب، فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلا فنجوا، وأما أهل القرية ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: وقت شروق الشمس حين كانت العقوبة عليهم أشد، ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ أي: قلبنا عليهم مدينتهم، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

(٤٩٦) أحمر
أسود

﴿٧٤﴾ ﴾ تتبع فيها من شذ من البلد منهم.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراسة، يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات.

﴿ وَإِنَّهَا ﴾ أي: مدينة قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليله إبراهيم، فإن لوطا عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

وكذلك لوط عليه السلام ، لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم قدَّر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١] ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها بل جاءهم نبيهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. ﴿وَإِنَّهُمَا ﴾ أي: ديار قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾

(٤٩٧) أحمر
أسود

لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ أي: لبطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله». وكذا حديث: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم»؟

ج: الحديثان كلاهما ضعيف، ولا يصحان عن رسول الله ﷺ أما الأول: فأخرجه الترمذي، والبخاري في التاريخ الكبير، والطبري وغيرهم[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

وله سند آخر عن أبي أمامة ضعيف أيضًا[٢]، أخرجه الطبراني وابن عدي وغيرهم، وفي سنده عبد الله بن صالح وهو ضعيف.

أما الحديث الآخر: «إن لله عبادًا...». وضعيف أيضًا، أخرجه الطبري والطبراني في الأوسط[٣] وغيرهما.

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي (٣١٢٧)، والبخاري في التاريخ (٧/ ٣٥٤) والطبري في تفسير الآية.
(٢) الطبراني (٨/ ١٠٢)، وابن عدي ترجمة عبد الله بن صالح (٤/ ٢٠٦).
(٣) الطبراني في تفسير الآية، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٠٧).

(٤٩٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ
﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى
وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ
﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ
﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ
ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الحجر: ٨٠-٩٩]

(٤٩٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْحِجْرِ - وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا - مُصْبِحِينَ - فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ - ٱلْخَلَّٰقُ - سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي - أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ - وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ - ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ - ٱلْمُقْتَسِمِينَ - عِضِينَ - فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ - ٱلْيَقِينُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْحِجْرِ﴾	سكان الحجر، وهو مكان بالحجاز (وهم قوم ثمود).
﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾	وآتيناهم بالمعجزات التي طلبوها من عندنا (كالناقة وغيرها).
﴿مُصْبِحِينَ﴾	في الصباح.
﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾	فأعرض عنهم الإعراض الجميل الذي ليست فيه، وليست معه مؤاخذات ولا عقاب.
﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾	الخلاق لكل المخلوقات - خالق كل الأشياء.
﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾	سبع آيات تتكرر، وهي فاتحة الكتاب، وقيل: السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وقيل: يونس، وقيل: الأنفال، وبراءة سورة واحدة.
﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾	أصنافًا منهم (فهذا الغنى، وهذا ذو المنصب وهذا الجميل وهذا المعاني الصحيح، وهذا ذو الأولاد والبنات، وهذا ذو الجاه والعشيرة...).

(٥٠٠) أحمر
أسود

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾	تواضع وكن لين الجانب، سهلًا سمحًا.
﴿ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾	المنذر الموضح للحقائق، والمحذر من العصيان، والنيران والعذاب الذي قد بيَّن لكم..
﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾	الذين أقسموا فيما بينهم على عداوة النبي ﷺ وأيضًا الذين تقاسموا القول في القرآن..
﴿عِضِينَ﴾	قطعًا، وفِرقًا، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقال فريق منهم: سحر، وقال آخرون: شعرٌ، وقال غيرهم: كذب وزور.
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾	متكلِّم بالحق الذي أمرت بإبلاغه وأظهر ذلك وشق به صفوف المشركين.
﴿ٱلۡيَقِينُ﴾	الحق الذي لا شك فيه، والمراد هنا الموت الذي به تتحقق من صحة ما أُخبرت به.

❁ ❁ ❁

(٥٠١) أحمر
أسود

شيءٌ من ذِكر قبيلة ثمود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولقد كذب أصحاب الحجر، وهم قوم ثمود، والحجر مكان معروف بالحجاز. قيل: إنه قريب من تبوك، أو في الطريق إليها، كذب هؤلاء القوم الذين كانوا يسكنون هذا المكان وتلك الديار، ديار ثمود كذبوا رسولهم صالحًا عليه السلام، ومن كذب رسولًا فقد كذب الرسل كلهم، ذلك لان أصل دعوة المرسلين واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فمن ثمَّ قيل: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، وآتيناهم آياتنا، أي: وجاءتهم آياتنا، والمعجزات التي طلبوها للاستدلال بها على نبوة نبي الله صالح عليه السلام، والتي من أعظمها الناقة التي أخرجها الله لهم بناء على طلبهم وكانت تشرب الماء، ماء البئر يومًا ويشربون لبنها يومًا، ناقةً عظيمة هائلة، وكما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا..﴾ [الإسراء: ٥٩]، وكذا آتيناهم غيرها من الآيات والنعم فكذبوا بذلك كله وأعرضوا عن الإيمان، وكان من نعم الله عليهم أن رزقهم قوةً في الأبدان فكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا، وهم في مأمنٍ، مأمنٍ من سقوطها عليهم، وكذا مأمنٍ من عدوهم، وكذا مأمن في بيوتهم، وكذا في مأمنٍ من عذاب الله عز وجل، فكذبوا – كما سلف– بذلك كله وعقروا الناقة وأظهروا التحدي، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأخذتهم الصيحة، الصوت الشديد القاتل الذي دمرهم في الصباح بعد ثلاثة أيام من عقرهم الناقة، فما نفعهم عملهم ولا كسبهم ولا دفعت عنهم قوتهم من عب الله من شيء، ولا نفعتهم تلك البيوت التي كانوا ينحتونها في الجبال.

(٥٠٢) أحمر
أسود

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد كذب سكان الحجر، وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤] فجعلهم أصحابها لسُكناهم فيها ومقامهم بها. والحجر: مدينة ثمود.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن عمر قال: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثم زجر فأسرع حتى خلفها**».

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١﴾ يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا، فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، ﴿يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾ من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. وقيل: آمنين من الموت. وقوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾ يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وُعدوا العذاب، وقيل لهم: تَمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام. وقوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾ يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أصحاب الحجر هم: ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين؛ ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

(٥٠٣) أحمر
أسود

وذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء فكانت تسرح في بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم. فلما عتوا وعقروها قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وذكر تعالى: أنهم ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرا وبطرا وعبثا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقنع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: «**لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم**».

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: وقت الصباح من اليوم الرابع، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة، حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي بآياتنا كقوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] أي بغذائنا. والمراد الناقة، وكان فيها آيات جمة: خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعا. ويحتمل أنه كان لصالح آيات أخر سوى الناقة، كالبئر وغيره. ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي لم يعتبروا.

وقال أيضًا:

النحت في كلام العرب: البري والنجر. نحته ينحته بالكسر نحتا أي براه.

(٥٠٤) أحمر
أسود

والنحاتة البراية. والمنحت ما ينحت به. وفي التنزيل ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥] أي تنجرون وتصنعون. فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لأنفسهم بشدة قوتهم. ﴿ءَامِنِينَ﴾ أي من أن تسقط عليهم أو تخرب. وقيل: آمنين من الموت. وقيل: من العذاب. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي في وقت الصبح، وهو نصب على الحال. ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ من الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من القوة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه آتى أصحاب الحجر ـ وهم ثمود ـ آياته فكانوا عنها معرضين. والإعراض: الصدود عن الشيء وعدم الالتفات إليه؛ كأنه مشتق من العرض ـ بالضم ـ وهو الجانب؛ لأن المعرض لا يولي وجهه بل يثني عطفه ملتفتاً صاداً.

ولم يبين جل وعلا هنا شيئاً من تلك الآيات التي آتاهم، ولا كيفية إعراضهم عنها، ولكنه بين ذلك في مواضع أُخر، فبين أن من أعظم الآيات التي آتاهم: تلك الناقة التي أخرجها الله لهم، بل قال بعض العلماء إن في الناقة المذكورة آيات جمة كخروجها عشراء وبراء جوفاء من صخرة صماء، وسرعة ولادتها عند خروجها، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً، وكثرة شربها؛ كما قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وقال: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: ٢٨].

فإذا علمت ذلك، فاعلم أن مما يبين قوله هنا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [١٥/ ٨١]، قوله: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٤-١٥٥]، وقوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن

رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ الآية [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ الآية [الإسراء: ٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القمر ٢٧]، وقوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبين إعراض قوم صالح عن تلك الآيات في مواضع كثيرة؛ كقوله: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقوله: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ الآية [هود: ٦٥]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ...﴾ الآية [الشمس: ١١-١٤]، وقوله: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القمر: ٢٩]، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ الآية [الشعراء: ١٨٥-١٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا، ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، التي من جملتها: تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة.

﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ كبرا وتجبرا على الله، ﴿ وَكَانُوا۟ ﴾ من كثرة إنعام الله عليهم ﴿يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ من المخاوف مطمئنين في ديارهم،

(٥٠٦) أحمر
أسود

فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدرَّ الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنهم -لما كذبوا وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: ﴿ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فتقطعت قلوبهم في أجوافهم وأصبحوا في دارهم جاثمين هلكى، مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ لأن أمر الله إذا جاء لا يرده كثرة جنود، ولا قوة أنصار ولا غزارة أموال.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: آمنين أن تقع عليهم.

والثاني: آمنين من خرابها.

والثالث: من عذاب الله ﷻ، وفي قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ قولان:

أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال.

والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدِّق وعقاب المكذِّب. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أي: وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جزع وفُحش. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف.

❁ ❁ ❁

(٥٠٧) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في قوم ثمود وفي الحجر؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، «لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا»، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، «فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ المَاءَ».

وأخرج البخاري[(٢)] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: «**لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**» ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ولإقامة العدل كذلك لنجازي المحسن بإحسانه، والمسيء يحاسب على إساءته، وكذلك خلقناهما وما بينهما للحق، لإقامة الحق، لعبادة الإله الحق وحده لا شريك له، وقيل: خلقناهما للزوال والفناء، وقيل: ما خلقناهما عبثًا ولا لعبًا ولا باطلًا، إنما خلقناهما لحكمة نعلمها، وخلقنا الباد كي يعبدوننا كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: القيامة، ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾ لكائنة في يوم معلوم عند الله ﷻ ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ تجاوز عنهم التجاوز الحسن، وأعرض عنهم واصبر على أذاهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لكل الأشياء،

(١) البخاري (٣٣٧٨).
(٢) البخاري (٣٣٨٠).

(٥٠٨) أحمر
أسود

وهذا دال على قدرته ﷻ، فالذي خلق الخلق كلهم قادر على بعثهم بعد موتهم، أما قوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾، أي: العليم بكل مخلوقاته، الذي أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء علمًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها، سماءها وأرضَها، ما فيهما وما بينهما، يعني بقوله ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ مما في أطباق ذلك ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: إلا بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك: أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصّ قَصَصَهَا في هذه السورة، وقصص إهلاكه إياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به، فيعذّبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحقّ والعدل. وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن الساعة، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائية، فارض بها لمشركي قومك الذين كذّبوك، وردّوا عليك ما جئتهم به من الحقّ، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ يقول: فأعرض عنهم إعراضا جميلا واعف عنهم عفوًا حسنا وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كلّ شيء، وهو عالم بهم وبتدبيرهم، وما يأتون من الأفعال، وكان جماعة من أهل التأويل تقول: هذه الآية منسوخة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ ثم نسخ ذلك بعد، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، لا يقبل منهم غيره.

(٥٠٩) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل؛ ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

ثم أخبر نبيه بقيام الساعة، وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين، في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٩].

وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال. وهو كما قالا فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ تقرير للمعاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق ما يشاء، وهو العليم بما تمزق من الأجساد، وتفرق في سائر أقطار الأرض، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨١-٨٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي للزوال والفناء. وقيل: أي لأجازي المحسن والمسيء، كما قال: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾. ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أي لكائنة فيجزى كل بعمله.

(٥١٠) أحمر
أسود

﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ مثل ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل: ١٠] أي تجاوز عنهم يا محمد، وأعفو عفوا حسنا، ثم نسخ بالسيف. قال قتادة: نسخه قوله: ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾. وأن النبي ﷺ قال لهم: « **لقد جئتكم بالذبح وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة**»، قاله عكرمة ومجاهد. وقيل: ليس بمنسوخ، وأنه أمر بالصفح في نفسه فيما بينه وبينهم. والصفح: الإعراض، عن الحسن وغيره. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ أي المقدر للخلق والأخلاق. ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ بأهل الوفاق والنفاق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق؛ أي ليدل بذلك على أنه المستحق لأن يعبد وحده، وأنه يكلف الخلق ويجازيهم على أعمالهم.

فدلت الآية على أنه لم يخلق عبثًا ولا لعبًا ولا باطلاً، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص: ٢٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية [الدخان: ٣٨-٣٩]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١]، وقوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧﴾ [٧٥/ ٣٦، ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

(٥١١) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ما خلقناهما عبثا وباطلا كما يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لا ريب فيها لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا. وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لكل مخلوق ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات.

❁ ❁ ❁

المراد بالسبع المثاني

س: وضح معنى قوله تعال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾؟

ج: هذا - والله أعلم-: امتنان من الله ﷻ على رسوله ﷺ وبيان لفضله تبارك وتعالى عليه فقال له: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ ومن ثمَّ، ولكوننا تفضلنا عليك بهذا الخير العظيم فلا تنظرن إلى ما في أيدي أصناف البشر من المتاع الذي مُتعوا به في دنياهم فما آتيناك خيرٌ وأفضل مما

(٥١٢) أحمر
أسود

آتيناهم، فلا تغتر بدنياهم ولا تحزن على تماديهم في الكفر، فالله عليم بهم، وتواضع لأهل الإيمان وأقبل عليهم وجالسهم وكن سهلًا لينًا معهم.

أما السبع المثاني فللعلماء فيها أقوال:

القول الأول: والذي تشهد له الأدلة المرفوعة عن رسول الله ﷺ أنها الفاتحة (فاتحة الكتاب)، فمن الأدلة على ذلك ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟**» فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

وما أخرجه[(٢)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**».

القول الثاني: أن المراد بالسبع المثاني السبع سور الطوال ثم اختلف في تعيينها، بعد الاتفاق على بيان أكثرها فمن العلماء من قال هي، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف فهذه ستة.

أما السابعة: فقيل هي الانفال وبراءة (كسورة واحدة) ومن العلماء من قال أنها سورة يونس هذا، ومن الذين قالوا إن السبع المثاني هي السبع الطوال، ابن عباس رضي الله عنهما فقد روى ذلك عنه من وجوه متعددة عند الطبري[(٣)] وغيره، وفي

---

(١) البخاري (٤٧٠٣)، و(٤٤٧٤).

(٢) البخاري (٤٧٠٤).

(٣) وأخرجه أيضًا أبو داود (١٤٥٩)، والنسائي (٢/ ١٣٩-١٤٠)، وغيرهما، وقد روي عن ابن عباس من طريق ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عنه أنها الفاتحة.

(٥١٣) أحمر
أسود

بعض الروايات عنه: هن السبع الطُّول، ولم يعطهن أحد إلا النبي ﷺ، وأعطى موسى منهن اثنتين، وفي بعض الروايات عنه، وأوتي موسى ستًّا، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع، وقد ورد القول بأنها السبع الطوال عن ابن مسعود كذلك، لكنه من طريق ابن سيرين عنه، ورواية عنه منقطعة، وصح القول عن سعيد بن جبير بأنها الطول...جعل السابعة سورة يونس، أخرجه الطبري وغيره عنه.

وكذا روى عن مجاهد من غير وجهٍ وعن غيرهم أيضًا.

والقول الثالث: أن المراد بالسبع المثاني معاني القرآن إجمالًا فتتلخص في سبع، وهي:

الأوامر، والنواهي، والبشارات، والإنذار، وضرب الأمثال، وتعديد النعم، وأخبار القرون والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ فمن العلماء من جعلا لقرآن العظيم المراد به هنا الفاتحة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ فيه إضمار تقديره: وهو أن الفاتحة القرآن العظيم لاشتمالها على ما يتعلق بأصول الإسلام. وقد تقدم في الفاتحة. وقيل: الواو مقحمة، التقدير: ولقد آتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم. ومنه قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقد تقدم عند قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال آخرون من أهل العلم: ما حاصله أن القرآن العظيم هو سائر القرآن مع الفاتحة.

(٥١٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

أما لماذا أطلق على الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، فقد قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان:

وقيل لها «مثاني» لأنها تثنى قراءتها في الصلاة.

وقيل لها «سبع» لأنها سبع آيات.

وقيل لها «القرآن العظيم» لأنها هي أعظم سورة؛ كما ثبت عن النَّبي ﷺ في الحديث الصحيح المذكور آنفاً.

وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني مع أن المراد بهما واحد، وهو الفاتحة، لما علم في اللغة العربية: من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الأعلى: ١-٤]، وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

هذا، والقرآن كله يطلق عليه مثاني باعتبار تكرير المعاني الهامة فيه فترى التحذير من النار يتكرر والتذكير بالجنة يتكرر، وكذا التذكير بعبادة الله وحده لا شريك له والأمر بعبادته، وكذا بر الوالدين، وكذا كثيرٌ من القصص، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ...﴾ [الزمر: ٢٣] الآية.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن أورد بعض أقوال العلماء في السبع المثاني، وكذا أورد الأحاديث عن رسول الله ﷺ في كونها الفاتحة.

فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، ولكن لا ينافي

(٥١٥) أحمر
أسود

وصف غيرها من السبع الطول بذلك، لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ [الزمر: ٢٣] فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم

أيضا، كما أنه، عليه السلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة، والله أعلم.

وقال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ.

وأورد حديث أبي هريرة المتقدم في كونها الفاتحة، وكذا حديث أبي سعيد بن المعلى، ثم قال فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما يَثْنِي بعض آيه بعضا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مَثْناة، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك، لأن بعضها يَثْنِي بعضا، وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها. فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها، كما وصفها به تعالى ذكره فقال ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك أن القرآن إنما قيل له مَثَانِي لأن القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصريّ أنها إنما سميت مَثاني لأنها تُثْنَي في كلّ قراءة، وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مثاني، لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد ﷺ دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

(٥١٦) أحمر
أسود

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سميت مَثَانِيَ لأن فيها الرحمن الرحيم مرّتين، وأنها تُثْنَى في كلّ سورة، يعني: بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا، وقد أورد ابن الجوزي في زاد المسير في سبب تسميته الفاتحة بالسبع المثاني أقوالًا فقال:

وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال:

أحدها: لأن الله استثناها لأمة محمد ﷺ، فلم يعطِها أمةً قبلهم، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: لأنها تُثنَّى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة، وإنما دخلت «مِنْ» للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد ١٥]. وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثانيَ، لأنها تُثنَّى في كل صلاة.

والثالث: لأنها ما أُثني به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذِكر مملكته، ذكره الزجاج.

والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها.

والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة: «**قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي**»[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٦) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

(٥١٧) أحمر
أسود

والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل.

والسابع: لأن كلماتها مثنّاة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير، ذكره بعض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في حيِّزٍ، والقرآن كله في حيِّزٍ، وامتنَّ عليه بها امتنَّ عليه بالقرآن كله.

أما عن سائر معنى الآيتين المباركتين.

فقد قال الطبري رحمه الله تعالى:

في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ولا تحزن على ما مُتعوا به فعجّل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلانٌ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن**»[1]: أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظَّم صغيرا وصغَّر عظيما.

(١) قلت (مصطفى): وهذا الخبر معلولٌ، ومنتقد على البخاري، انتقده عليه الدارقطني في التتبع، وصُوّب اللفظ: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**».

(٥١٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وألِن لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقرِّبهم منك، ولا تجف بهم، ولا تَغْلُظ عليهم، يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] قيل: معناه: إلى ناحيتك وجنبك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه، فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك، ومخالفتهم دينك. ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: ألن لهم جانبك كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال:

وقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية.

ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح[1]: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» إلى أنه يستغنى به عما عداه، وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾، لما بين تعالى أنه آتى النَّبي ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ

(١) البخاري (٧٥٢٧) وهو معلول كما تقدم.

(٥١٩) أحمر
أسود

عند الله تعالى، نهاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار؛ لأن من أعطاه ربه جل وعلا النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، ولاسيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار، وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع؛ كقوله في «طه»: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠-١٣٢]، والمراد بالأزواج هنا: الأصناف من الذين متعهم الله بالدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾، الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله نهى نبيه ﷺ عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام، ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣]، وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦]، وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة: ٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والمعنى: قد بلغت ولست مسؤولاً عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء.

قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾، أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين، وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا

(٥٢٠) أحمر
أسود

وبين هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله في «الشعراء»: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وكقوله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

فأما قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ ففي «مِن» قولان:

أحدهما: أنها للتبعيض، فيكون المعنى: آتيناك سبعًا من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن.

والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريبًا من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ يعني: العظيم القَدْر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحيُه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيكون عطف « القرآن العظيم » على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها.

وعلى القول بأن « الفاتحة » هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨] ولذلك قال بعده: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ أي: لا تعجب إعجابا يحملك

(٥٢١) أحمر
أسود

على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغترَّ بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، فلك في المؤمنين عنهم أحسن البدل وأفضل العوض، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: ألن لهم جانبك، وحسِّن لهم خلقك، محبة وإكراما وتودُّدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: وقل يا رسول الله لمن أرسلت إليهم، وكفروا بالله وكذبوك وجحدوا وحدانية الله ﷻ، إني أنا المنذر الذي يبين لكم ماذا سيحل بكم إن أنتم خالفتم أمر ربكم ﷻ وأقمتم على كفركم، أنذركم عذابًا كالعذاب الذي أُنزل على المقتسمين.

وأنذركم إنذارًا كالذي أُنذره المقتسمون، أما من المقتسمون؟ فللعلماء في ذكرهم أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، ومعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: الذين فرَّ قوة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

الثاني: أنهم مشركوا قريش والأحزاب الكافرة الذين تقاسموا فيما بينهم على عداوة النبي ﷺ وأقسموا كذلك على أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

وقوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: تكلموا فيه بكلام متفرق مختلف، فقال فريق منهم: إنه سحرٌ، وقال آخرون: إنه شعرٌ، وقال آخرون:

(٥٢٢) أحمر
أسود

إنها أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملي عليه بكرة وأصيلًا.

القول الثالث: أن المقتسمين هم قوم صالح الذين ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩﴾ [النمل: ٤٩].

وكونهم جعلوا القرآن عضين، أي: كذبوا رسولهم في أمور يتلوها عليهم مما أوحاه الله إليه، وصدقوا وكذبوه في أكثرها ووصفوها بأنه سحر، أو أنها مقولات مجنون.

القول الرابع: أنهم قوم من مشركي قريش اقتسموا طرفات قلة وفجاجها لاستقبال من جاء يريد الإسلام أو الحج وتواصوا بينهم أن كلًّا منهم يقول في رسول الله ﷺ قولًا، ففريق يقولون: مجنون، وفريق يقولون: ساحر، وفريق يقولون: شاعرٌ، وفريق يقولون: كذاب إلى غير ذلك من الأقوال، فهذا جعلهم القرآن عضين، أي: افترقت الآراء فيه، ففريق يقول شعر، وآخرون يقولون: سحر، وآخرون يقولون: كذب، وآخرون يقولون: كهانة، وآخرون يقولون أساطير الأولين.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يُقسم ربنا ﷻ بنفسه الكريمة ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ عما كانوا يقولون في القرآن، وفي الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن شركهم وفسقهم وفجورهم، ومما يسألون عنه قول لا إله إلا الله.

فإن قيل كيف، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص: ٧٨]، وقال: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩].

فحاصل الجواب على ذلك أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع ففي موقف يسألون، وفي آخر: لا يسألون، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: سؤال الاستعتاب، أو سؤال التلطف، إنما إذا سُئل يسأل للتأنيب ويُسأل للتوبيخ والإهانة، والله أعلم.

(٥٢٣) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر عمومًا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد للمشركين: إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم، ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾ يقول: مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن، فجعلوه عِضين.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله: ﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾، فقال بعضهم: عني به: اليهود والنصارى، وقال: كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وأورد بسندٍ صحيح[1] عن ابن عباس، في قوله الله: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ قال: هم اليهود والنصارى، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

وأورد نحوه بسندٍ صحيح عن سعد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال آخرون: ﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ أهل الكتاب، ولكنهم سموا المقتسمين، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن: هذه السورة لي، وقال بعضهم: هذه لي.

وقال آخرون: هم أهل الكتاب، ولكنهم قيل لهم: المقتسمون: لاقتسامهم كتبهم، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها، وكفره ببعض، وكفر آخرين بما آمن به غيرهم، وإيمانهم بما كفر به الآخرون.

وقال آخرون: عُنِي بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم.

وقال آخرون: عُنِي بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله.

(١) وهو عند البخاري أيضًا وسيأتي إن شاء الله.

(٥٢٤) أحمر
أسود

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ قال: الذين تقاسموا بصالح، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] قال: تقاسموا بالله حتى بلغ الآية.

قال الطبري:

وقال بعضهم: هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاجّ عليهم، كان أهلها بعثوهم في عقابها، وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأله عن نبيّ الله ﷺ من القادمين عليهم، أن يقول: هو مجنون، وإلى آخر: إنه شاعر، وإلى بعضهم: إنه ساحر.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يُعلم قومه الذين عضَّوا القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته، أن يَحُلّ بهم على كفرهم ربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم، وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، لأنهم اقتسموا كتاب الله، فأقرّت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عُنِي بذلك: المشركون من قريش، لأنهم اقتسموا القرآن، فسماه بعضهم شعرا، وبعض كهانة، وبعض أساطير الأوّلين. وجائز أن يكون عُنِيَ به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه، فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك

(٥٢٥) أحمر
أسود

لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله، كانوا عبرة، وللمتعظين بهم منهم عِظَة.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ فقال بعضهم: معناه: الذين جعلوا القرآن فِرَقا مفترقة.

وأورد أثر ابن عباس المتقدم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ عضهوا كتاب الله، زعم بعضهم أنه سِحْر، وزعم بعضهم أنه شِعْر، وزعم بعضهم أنه كاهن.

قال أبو جعفر: هكذا قال كاهن، وإنما هو كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين.

وأورد الطبري أقوالًا أُخر ثم قال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يُعْلِم قوما عَضَهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بِعضْهِهِمْ إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين، وكان عَضْهُهُم إياه: قذفهموه بالباطل، وقيلهم إنه شعر وسحر، وما أشبه ذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عِضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان.

وأورد آثارًا كثيرة أنهم يُسألون عن قول لا إله إلا الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقول للناس: إنه ﴿ٱلنَّذِيرُ

(٥٢٦) أحمر
أسود

ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ البين النذارة، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها، وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام.

وقوله: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾ أي: المتحالفين، أي: تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم، كما قال تعالى إخبارا عن قوم صالح أنهم: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل: ٤٩] أي: نقتلهم ليلا قال مجاهد: تقاسموا: تحالفوا.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤] ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩] فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه، فسموا مقتسمين.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقتسمون أصحاب صالح، الذين تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[1]، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، وَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فصبَّحهم الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وكَذب مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**».

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: جزؤوا كتبهم المنزلة عليهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

---

(١) البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٦٤٨٢).

(٥٢٧) أحمر
أسود

وأورد ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ قال: هم أهل الكتاب، جَزَّؤوه أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ هذا سؤال توبيخ، يُسأَلون عما عملوا في ما أُمروا به من التوحيد والإيمان، فيقال لهم: لم عصيتهم وتركتم الإيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعذّر الجواب. قال أبو العالية: يُسأَل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتين: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسَلين.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] **فعنه جوابان:**

أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟

والثاني: أنهم يُسأَلون في بعض مواطن القيامة، ولا يُسأَلون في بعضها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في الكلام حذف، أي إني أنا النذير المبين عذابا، فحذف المفعول، إذ كان الإنذار يدل عليه، كما قال في موضع آخر: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. قيل: الكاف زائدة، أي أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أنذرتكم مثل ما أنزلنا بالمقتسمين. وقيل: المعنى كما أنزلنا على المقتسمين، أي من العذاب وكفيناك المستهزئين، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن وقيل المشركين الذين بغوا، فإنا كفيناك أولئك الرؤساء الذين كنت تلقى منهم ما تلقى. واختلف في

(١) البخاري (٤٧٠٥).

(٥٢٨) أحمر
أسود

«المقتسمين» على أقوال سبعة: الأول- قال مقاتل والفراء: هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن. وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شر ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ قال: صدق أولئك. الثاني- قال قتادة: هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا، وبعضه سحرا، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين. الثالث- قال ابن عباس: هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وكذلك قال عكرمة: هم أهل الكتاب، وسموا مقتسمين لأنهم كانوا مستهزئين، فيقول بعضهم: هذه السورة لي وهذه السورة لك. وهو القول الرابع. الخامس- قال قتادة: قسموا كتابهم ففرقوه وبددوه وحرفوه. السادس- قال زيد بن أسلم: المراد قوم صالح، تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين، كما قال تعالى: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]. السابع- قال الأخفش: هم قوم اقتسموا أيمانا تحالفوا عليها. وقيل: إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ أي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا. وفي البخاري: وقال عدة من أهل العلم في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ عن لا إله إلا الله.

قلت: والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه في كتاب «التذكرة».

(٥٢٩) أحمر
أسود

فإن قيل: وهل يسأل الكافر ويحاسب؟ قلنا: فيه خلاف وذكرناه في التذكرة. والذي يظهر سؤال، للآية وقوله: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]. فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨] وقال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقال: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥]. قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، موطن لا يكون ذلك فيه. قال عكرمة: القيامة مواطن، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام هل عملتم كذا وكذا، لأن الله عالم بكل شي، ولكن يسألهم سؤال تقريع وتوبيخ فيقول لهم: لم عصيتم القرآن وما حجتكم فيه؟ واعتمد قطرب هذا القول. وقيل: ﴿ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يعني المؤمنين المكلفين، بيانه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: ٨]. والقول بالعموم أولى كما ذكر. والله أعلم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾، في المراد بالمقتسمين أقوال للعلماء معروفة، وكل واحد منها يشهد له قرآن؛ إلا أن في الآية الكريمة قرينة تضعف بعض تلك الأقوال:

الأول: أن المراد بالمقتسمين: الذين يحلفون على تكذيب الرسل ومخالفتهم، وعلى هذا القول فالاقتسام افتعال من القسم بمعنى اليمين، وهو بمعنى التقاسم.

ومن الآيات التي ترشد لهذا الوجه قوله تعالى عن قوم صالح: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ... ﴾ الآية [النمل: ٤٩]، أي: نقتلهم ليلاً، وقوله: ﴿ بِٱللَّهِ

(٥٣٠) أحمر
أسود

جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، وقوله: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ [الأعراف: ٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات، فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه؛ فسموا مقتسمين.

القول الثاني: أن المراد بالمقتسمين: اليهود والنصارى، وإنما وصفوا بأنهم مقتسمون؛ لأنهم اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها.

ويدل لهذا القول قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ الآية [البقرة: ٨٥]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ الآية [النساء: ١٥٠].

القول الثالث: أن المراد بالمقتسمين: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلفه محمد، ﷺ.

وهذا القول تدل له الآيات الدالة على أنهم قالوا في القرآن تلك الأقوال المفتراة الكاذبة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٤١، ٤٢]، وقوله: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: ٢٤]، وقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ص: ٧]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النحل: ٢٤]، وقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

والقرينة في الآية الكريمة تؤيد هذا القول الثالث، ولا تنافي الثاني بخلاف الأول؛ لأن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾، أظهر في القول الثالث، لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة، كقولهم: شعر،

(٥٣١) أحمر
أسود

سحر، كهانة، الخ.

وعلى أنهم أهل الكتاب: فالمراد بالقرآن كتبهم التي جزؤوها فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها، أو القرآن؛ لأنهم آمنوا بما وافق هواههم منه وكفروا بغيره.

وقوله: ﴿عِضِينَ﴾، جمع عضة، وهي العضو من الشيء، أي: جعلوه أعضاء متفرقة، واللام المحذوفة أصلها واو. قال بعض العلماء: اللام المحذوفة أصلها هاء، وعليه فأصل العضة عضهة. والعضه: السحر؛فعلى هذا القول فالمعنى:جعلوا القرآن سحراً؛كقوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والعرب تسمي الساحر عاضها، والساحرة عاضهة، والسحر عضها، ويقال: إن ذلك لغة قريش؛ ومنه قول الشاعر:

أعوذ بربي من النافثا ت في عقد العاضه المعضه

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ أي: قم بما عليك من النذارة وأداء الرسالة والتبليغ للقريب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء.

وقوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: أصنافا وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول: سحر ومنهم من يقول: كهانة ومنهم من يقول: مفترى إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قدحهم فيه ليصدوا الناس عن الهدى.

(٥٣٢) أحمر
أسود

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا يعملون.

❁ ❁ ❁

ما العمل عند استهزاء المستهزئين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: فبلِّغ ما أمرت بتبليغه، بلاغًا واضحًا، بلاغًا تفرق بين الحق والباطل تصدع به صفوف المشركين، وأعرض عن من استمر منهم على شركه، وأعرض عن أهل الشرك ولا تُبالي بهم ولا تلفت إليهم ولا تعبأ بهم، فقد كفيناك شرهم وحفظناك من هؤلاء الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، كفيناك شرور هؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعبدوا مع الله ﷻ آلهة أُخرى، فسوف يعلمون عاقبة شركهم وعاقبة كفرهم وبطلان ما هم عليه.

ثم يُواسي الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ بما يصفونك به إذ يقولون ساحر، ويقولون: شاعرٌ، ويقولون: كذاب، ويقولون: كاهنٌ ومجنون إلى غير ذلك من مقولاتهم الباطلة.

فهذا القول منهم يا رسول الله لا يخفى علينا، ولا يخفى علينا ضيق صدرك بسببه فأكثر من ذِكر الله ﷻ وتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره، فإن ذلك يُذهب ما بصدرك من ضيق وهم وغم، وكذا صل مع المصلين، فالأذكار

(٥٣٣) أحمر
أسود

والصلاة من أنفع العلاجات لضيق الصدر، ولإذهاب الهموم والغموم، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

أما قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ فمعناه: فاستمر في عبادة ربك ﷻ واثبت على ذلك حتى يأتيك الموت فعبادة الله وطاعته والخضوع له والسمع والطاعة، كل ذلك يلازمك حتى الموت، وك الصلاة له كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١] فاليقين هو الموت. كما سيرد في قول النبي ﷺ في شأن عثمان بن مظعون لما مات: «**أمَا هو فقد جاءه اليقين من ربه**». ويمكن أن يحمل قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، أي: حتى يأتيك ما تتيقن به أن ما أُخبرت به من ملائكة الموت وقبضهم حق وذلك عند حضور موتك. والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

ويعنى بقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فأمض وأفرُق.

وأورد عن ابن عباس بأسانيد فيها مقال ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فأمضه، وفي رواية: افعل ما تؤمر.

وعن ابن زيد بسندٍ صحيح: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال: بالقرآن الذي يوحى إليه أن يبلغهم إياه.

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ويقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: بلغ قومك ما أرسلتَ به، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم. وذلك قيل أن يفرض عليه جهادهم، ثم نَسَخَ ذلك بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

(٥٣٤) أحمر
أسود

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين. وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين.

وأورد بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال: كان المستهزئين: الوليدُ بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن عيطلة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه ﷺ أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره: إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك، الجاعلين مع الله شريكا في عبادته، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يَحُلّ بهم من البلاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يُحْرِجك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ يقول: فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمّك، وهذا نحو الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا حَزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو مُوقَن

(٥٣٥) أحمر
أسود

به. وقيل: يقين، وهو موقَن به، كما قيل: خمر عتيق، وهي معتَّقَة.

وأورد عدة آثار في معنى ﴿ٱلْيَقِينُ﴾ وأنه الموت.

وأورد حديث أم العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قُرْعة قالت: وطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوَجع وجعه الذي مات فيه، فلما تُوُفِّي وغسِّل وكُفِّن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ، وَوَاللهِ إِنّي لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ**»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله. ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩] ولا تخفهم؛ فإن الله كافيك إياهم، وحافظك منهم، كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن جعل مع الله معبودا آخر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر. فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة؛ ولهذا قال: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

(١) وأخرجه أيضًا البخاري (١٢٤٣) وغيره.

(٥٣٦) أحمر
أسود

وأورد ابن كثير أقوالًا أيضًا في أن المراد باليقين الموت ثم قال:

والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارا عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٣-٤٧].

وأورد حديث أم العلاء الأنصاري المتقدمة ثم قال: ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ -على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري[1]، عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**».

وقال ابن كثير أيضًا:

ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فإنه جواد كريم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي بالذي تؤمر به، أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك. والصدع: الشق. وتصدع

(١) البخاري (١١١٧).

(٥٣٧) أحمر
أسود

القوم أي تفرقوا، ومنه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي يتفرقون. وصدعته فانصدع أي انشق. أصل الصدع الفرق والشق. قال أبو ذؤيب يصف الحمار وأتنه:

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق ويشق. فقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك، ف« ما» مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر. وقال ابن الأعرابي: معنى اصدع بما تؤمر، أي اقصد. وقيل: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي فرق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون بأن يجيب البعض، فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، في هذه الآية الكريمة قولان معروفان للعلماء:

أحدهما: أن معنى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، أي: لا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا يصعب عليك ذلك، فالله حافظك منهم.

والآية على هذا التأويل معناها: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، أي: بلغ رسالة ربك، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، أي: لا تبال بهم ولا تخشهم، وهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

الوجه الثاني: وهو الظاهر في معنى الآية: أنه كان في أول الأمر مأموراً بالإعراض عن المشركين، ثم نسخ ذلك بآيات السيف، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ

(٥٣٨) أحمر
أسود

﴿١٠٦﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴾ [السجدة: ٣٠]، وقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم: ٢٩]، وقوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾، أمر جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية بأمرين، أحدهما قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، والثاني قوله: ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [١٥/ ٩٨].

وقد كرر تعالى في كتابه الأمر بالشيئين المذكورين في هذه الآية الكريمة، كقوله في الأول: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣]، وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وأصل التسبيح في اللغة: الإبعاد عن السوء، ومعناه في عرف الشرع: تنزيه الله جل وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، ومعنى ﴿سَبِّحْ﴾: نزه ربك جل وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، أي: في حال كونك متلبساً بحمد ربك، أي بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال؛ لأن لفظة ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أضيفت إلى معرفة فتعم جميع المحامد من كل وصف كمال وجلال ثابت لله جل وعلا، فتستغرق الآية الكريمة الثناء بكل كمال؛ لأن الكمال يكون بأمرين، أحدهما: التخلي عن الرذائل، والتنزه عما لا يليق، وهذا معنى التسبيح والثاني: التحلي بالفضائل والاتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد، فتم الثناء بكل كمال، ولأجل هذا المعنى ثبت في الصحيح عنه ﷺ، أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللِّسان،**

(٥٣٩) أحمر
أسود

ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرَّحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، وكقوله في الثاني وهو السجود: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق: ١٩]،وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقوله: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، ويكثر في القرآن العظيم إطلاق التسبيح على الصلاة.

وقالت جماعة من العلماء: المراد بقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، أي: صل له، وعليه فقوله: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، من عطف الخاص على العام، والصلاة تتضمن غاية التنزيه ومنتهى التقديس. وعلى كل حال فالمراد بقوله: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، أي: من المصلين، سواء قلنا إن المراد بالتسبيح الصلاة، أو أعم منها من تنزيه الله عما لا يليق به؛ ولأجل كون المراد بالسجود الصلاة لم يكن هذا الموضع محل سجدة عند جمهور العلماء، خلافاً لمن زعم أنه موضع سجود.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم.

فأنت يا محمد ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك.

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليما كثيرا.

(٥٤٠) أحمر
أسود

ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك لكل أحد ولا يعوقنه عن أمره عائق ولا تصده أقوال المتهوكين، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: لا تبال بهم واترك مشاتمتهم ومسابتهم مقبلا على شأنك، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضا يؤذون الله ويجعلون معه ﴿إِلَٰهًا آخَرَ﴾ وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غب أفعالهم إذا وردوا القيامة.

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الحجر.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة النحل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ
الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾
خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۖ
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ
حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ
السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾
يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(٦) أحمر أسود

لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ
ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ
وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا
لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ
كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾

[النحل: ١-١٨]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ - فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ - سُبْحَٰنَهُۥ - وَتَعَٰلَىٰ - بِٱلرُّوحِ - أَنذِرُوٓاْ - فَٱتَّقُونِ - نُّطْفَةٍ - خَصِيمٌ مُّبِينٌ - وَٱلْأَنْعَٰمَ - فِيهَا دِفْءٌ - وَمَنَٰفِعُ - تُرِيحُونَ - تَسْرَحُونَ - أَثْقَالَكُمْ - بَٰلِغِيهِ - بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ - وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ - وَمِنْهَا جَآئِرٌ - تُسِيمُونَ - وَمَا ذَرَأَ - يَذَّكَّرُونَ - حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا - ٱلْفُلْكَ - مَوَاخِرَ فِيهِ - وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ - رَوَٰسِيَ - أَن تَمِيدَ بِكُمْ - وَسُبُلًا - وَعَلَٰمَٰتٍ - لَا تُحْصُوهَآ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾	أمره للملك بالنفخ في الصور -يوم القيامة عذاب الله الكائن يوم القيامة.
﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	فلا تطلبوا وقوعه قبل أوانه.
﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾	تنزه.
﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾	ارتفع قدره وعلا قدره.
﴿بِٱلرُّوحِ﴾	بالوحي، وقيل: بالنبوة.
﴿أَنذِرُوٓاْ﴾	خوِّفوا - حذِّروا.
﴿فَٱتَّقُونِ﴾	فاجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية.
﴿نُّطْفَةٍ﴾	قطرة المني.
﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	مخاصمٌ لربه ومُعادي لربه قد أظهر خصومته وعداوته.

(٨) أحمر أسود

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾	قيل: المراد الأنعام الثمانية (جمل وناقة وثور وبقرة وكبش ونعجة وجدي وعنز). وقيل: عُني بها الإبل خاصة.
﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾	منها ما تستدفئون به (كالملابس المصنوعة من أصوافها وأوبارها وأشعارها).
﴿وَمَنَٰفِعُ﴾	ما تنتفعون به (من الألبان والشعور وغيرها).
﴿تُرِيحُونَ﴾	ترجعون من مراعيكم إلى بيوتكم وإلى مُراح الإبل فيها.
﴿تَسۡرَحُونَ﴾	تخرجون من بيوتكم إلى مراعيكم وأعمالكم.
﴿أَثۡقَالَكُمۡ﴾	أمتعتكم.
﴿بَٰلِغِيهِ﴾	واصلين إليه.
﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾	بجهد شديد على الأنفس.
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾	وعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى جنته ومرضاته.
﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾	من الطرق طرقٌ جائرة لا توصل إلى مرضاة الله ولا إلى جناته..
﴿تُسِيمُونَ﴾	ترعون.
﴿وَمَا ذَرَأَ﴾	وما خلق.
﴿يَذَّكَّرُونَ﴾	يتعظون – يعتبرون.
﴿حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾	ما تتزينون به وتلبسونه للزينة (كاللؤلؤ والمرجان).

(٩) أحمر أسود

﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة.
﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾	سائرةً بسرعة تشق المياه وتشق الرياح.
﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا أسباب الرزق الحلال الطيب.
﴿رَوَٰسِىَ﴾	جبالًا راسيات.
﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾	كي لا تضطرب الأرض بكم ولا تميل بكم.
﴿وَسُبُلًا﴾	طُرقًا.
﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾	معالم تستدلون بها في أسفاركم.
﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾	لا تستطيعوا حصرها.

❁ ❁ ❁

(١٠) أحمر
أسود

سورة النحل هي سورة النعم

س: هل لسورة النحل اسم آخر؟

ج: نعم من العلماء من أطلق عليها سورة النعم، وذلك لِذكر العديد من نعم الله تبارك وتعالى على خلقه في هذه السورة المباركة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على أن الكفار كانوا يستعجلون العذاب، وكانوا يستعجلون قيام الساعة، وكانوا يستعجلون ربهم بذلك؟

ج: من الأدلة على استعجالهم بالعذاب، قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤].

ومن الأدلة على استعجالهم يوم القيامة قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨].

أما استعجالهم ربهم فدليله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] فاستعجلوا ربهم بإنزال العذاب وقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

❁ ❁ ❁

س: لماذا عُبر بلفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾.

ج: ذلك لقرب مجيء هذا اليوم، كما تقول للشخص إذا سألك متى ستأتي تقول: أنا قد جئت، أي: اقتربت منك.

أما الأدلة على اقتراب الساعة فمنها:

* قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١].

(١١) أحمر
أسود

* وقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].
* وثمَّ أدلة أُخر أوردناها عند تفسير الآيات المذكورة، وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: اقترب أمر الله ﷻ الذي سيأمر فيه الملك بالنفخ في الصور، وذلك لقيام القيامة، لقيام الخلق من القبور للحساب والثواب والعقاب، فلا تستعجلوا نزول العذاب عليكم ولا تستعجلوا قيام الساعة فإنها آتية، ولا تستعجلوا ربكم بهذا وذاك، فقد تنزه ربنا عن العجز وتنزه ربنا عن الضعف وتنزه ربنا وتعالى عن أن يكون معه شريك في الملك، وتنزه ربنا عن أن يعبد معه إلهٌ غيره.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أتى أمر الله فقرُب منكم أيها الناس ودنا، فلا تستعجلوا وقوعه.

ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقُربه منهم ما هو، وأيّ شيء هو؟ فقال بعضهم: هو فرائضه وأحكامه[١].

وقال آخرون: بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به، أخبرهم أن الساعة قد قَرُبت وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو تهديد من الله

(١) أورد الطبري ذلك بسندٍ ضعيف عن الضحاك.

(١٢) أحمر
أسود

أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقَّب ذلك بقوله سبحانه وتعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ووعيده لهم. وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيرا.

وقوله سبحانه وتعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى تنزيها لله وعلوًّا له عن الشرك الذي كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يَدِين به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

وقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أي: قرب ما تباعد فلا تستعجلوه.

يحتمل أن يعود الضمير على الله، ويحتمل أن يعود على العذاب، وكلاهما متلازم، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٤﴾ [العنكبوت: ٥٣، ٥٤].

وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب، فقال في قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: فرائضه وحدوده.

وقد رده ابن جرير فقال: لا نعلم أحدًا استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه، استبعادًا وتكذيبًا.

قلت: كما قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١٣) أحمر
أسود

مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾. [الشورى: ١٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إنه تعالى نزه نفسه عن شركهم به غيره، وعبادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد، تعالى وتقدس علوًّا كبيرًا، وهؤلاء هم المكذبون بالساعة، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ أي: تنزيهًا له عما يصفونه به من أنه لا يقدر على قيام الساعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدر أحد على بعث الأموات، فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق، وذلك شرك. وقيل: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ أي: عن إشراكهم. وقيل: «ما» بمعنى الذي أي ارتفع عن الذين أشركوا به.

وقال الشنقيطي (أضواءالبيان):

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، أي: قرب وقت إتيان القيامة، وعبر بصيغة الماضي تنزيلًا لتحقق الوقوع منزلة الوقوع. واقتراب القيامة المشار إليه هنا بينه جل وعلا في مواضع أُخر، كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]، وقوله جل وعلا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]. وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله جل وعلا: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: ٥٧-٥٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه كثير في القرآن، كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ الآية [الزمر: ٦٨].

(١٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ...﴾ الآية [الأعراف: ٤٤]، وقوله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ...﴾ الآية [الزمر:٦٩-٧١].

فكل هذه الأفعال الماضية بمعنى الاستقبال، نزل تحقق وقوعها منزلة الوقوع.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، نهى الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن استعجال ما وعد به من الهول والعذاب يوم القيامة، والاستعجال هو طلبهم أن يعجل لهم ما يوعدون به من العذاب يوم القيامة.

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة، كقوله جل وعلا: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٣ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤﴾ [العنكبوت: ٥٣، ٥٤]، وقوله: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾ [الشورى: ١٨]، وقوله: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ الآية [هود: ٨]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص: ١٦]، وقوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٠﴾ [يونس:٥٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

والضمير في قوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، في تفسيره وجهان:

أحدهما: أنه العذاب الموعد به يوم القيامة، المفهوم من قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أنه يعود إلى الله؛ أي: لا تطلبوا من الله أن يعجل لكم العذاب؛ قال معناه ابن كثير.

❁ ❁ ❁

(١٥) أحمر
أسود

المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾

س: ما المراد بالروح، ولماذا أطلق عليه الروح؟

ج: المراد بالروح في هذا المقام الوحي، وأطلق على الوحي روح؛ لأن حياة القلوب تكون به ولا تتم إلا به، وذلك كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فيوحى الله إلى أنبيائه ورسله، فيبلغ أنبياؤه ورسله خلقه ما أوحاه الله إليهم فتحيا به قلوبهم بعد مواتها.

هذا، ومما يدل على أن الروح الوحي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، مع قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

هذا، ومن العلماء من أورد أقوالًا أُخر في المراد بالروح، منها النبوة - القرآن الرحمة - أوامر الله ﷻ ونواهيه - أرواح بني آدم... والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾.

ج: **المعنى - والله تعالى أعلم -:** يُنزل ربنا سبحانه وتعالى ملائكته الذين اختصهم بأن يكونوا رسلًا بينه وبين خلقه، وكبيرهم جبريل عليه السلام، ينزلهم ربنا بأمره بالوحي بالشيء الذي يريد أن يوحيه إلى رسله الذين اصطفاهم من خلقه، وإلى من يريد أن يوحى إليه من عباده، وأعظم ما في ذلك الوحي وأَجَلُّه أن أنذروا عبادي أن يشركوا بي شيئًا فإنه لا إله إلا أنا، لا إله معي ولا معبود سواي فاجعلوا بينكم وبين عذابي وقاية، وذلك بتوحيدكم لي وامتثالكم أمري

(١٦) أحمر
أسود

واجتنابكم ما نهيتكم عنه، وتصديقكم برسلي وبما أنزلته عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد قراءتين في قوله: ﴿يُنَزِّلُ﴾ واختار ما عليه الرسم الذي في المصحف:

فتأويل الكلام: ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحقّ ويضمحلّ به الباطل من أمره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعني على من يشاء من رسله ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ فإن الأولى في موضع خفض، ردًّا على الروح، والثانية في موضع نصب بأنذروا. ومعنى الكلام: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، بأن أنذروا عبادي سطوتي على كُفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان، فإنه لا إله إلا أنا، يقول: لا تنبغي الألوهة إلا لي، ولا يصلح أن يُعبد شيء سواي، فاتقون: يقول: فاحذروني بأداء فرائضي وإفراد العبادة وإخلاص الربوبية لي، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي: الوحي كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٥، ١٦].

وقوله: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ أي: لينذروا ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ أي: فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمري وعبد غيري.

(١٧) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والباء في قوله: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بمعنى مع، كقولك: خرج بثيابه، أي مع ثيابه. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: بأمره. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أي: على الذين اختارهم الله للنبوة. وهذا رد لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ تحذير من عبادة الأوثان، ولذلك جاء الإنذار؛ لأن أصله التحذير مما يخاف منه. ودل على ذلك قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾. و«أن» في موضع نصب بنزع الخافض، أي بأن أنذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا الله، «فأن» في محل نصب بسقوط الخافض أو بوقوع الإنذار عليه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾، أظهر الأقوال في معنى الروح في هذه الآية الكريمة أن المراد بها الوحي؛ لأن الوحي به حياة الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٥، ١٦].

ومما يدل على أن المراد بالروح الوحي إتيانه، بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾، بقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾؛ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ﴾ الآية [الأنبياء: ٤٥]، وكذلك إتيانه بعد قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]، بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ...﴾ الآية [غافر: ١٥]؛ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي أيضًا، وقرأ هذا الحرف ابن كثير وأبو عمرو ﴿يُنَزِّلُ﴾، بضم الياء وإسكان النون وتخفيف الزاي. والباقون بالضم

(١٨) أحمر
أسود

والتشديد، ﴿مِنۡ﴾ في الآية تبعيضية، أو لبيان الجنس.

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾، أي: ينزل الوحي على من اختاره وعلمه أهلًا لذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ ممن يعلمه صالحًا، لتحمل رسالته.

وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها، ثم ذكر الأدلة والبراهين على ذلك فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ - إلى - لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾.

❁ ❁ ❁

(١٩) أحمر
أسود

المراد بخلق السموات والأرض بالحق

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾.

ج: في تفسير الآية الكريمة، ومعناها وجوه للعلماء:

أحدها: خلق السموات والأرض لإقامة الحق كي يختبر الناس ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته إلا أن يعفو الله عنه، وكي يأخذ للمظلوم من ظالمه.

الثاني: خلق السموات والأرض بالحق، وليس بالباطل خلقهما لحكمٍ وغاياتٍ، لم يخلقهما عبثًا ولا باطلًا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

الثالث: خلقهما الله ﷻ للحق، للاستدلال بهما على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، وعلى البعث أيضًا.

الرابع: خلقهما الله ﷻ للزوال والفناء، كما يُقال الموت حق.

الخامس: خلقهما ﷻ وحده لم يشاركه في خلقهما أحدٌ.

أما قوله تعالى: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾ أي: تعالى عن أن يكون معه إلهٌ يعبد، وتعالى عن أن يكون معه إلهٌ شاركه في خلقه. والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في تأويل الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره معرّفًا خلقه حجته عليهم في توحيده، وأنه لا تصلح الألوهة إلا له: خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل وهو الحقّ

(٢٠) أحمر
أسود

منفردًا بخلقها لم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ولم يعنه عليه معين، فأنى يكون له شريك ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلهًا دونه، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير، لأنه لا يكون إلهًا إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والأرض ويبتدع الأجسام فيحدثها من غير شيء، وليس ذلك في قُدرة أحد سوى الله الواحد القَّهار الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا تصلح الألوهة لشيء سواه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السماوات، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث، بل ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١].

ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره، وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: للزوال والفناء. وقيل: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: للدلالة على قدرته، وأن له أن يتعبد العباد بالطاعة وأن يحيي الخلق بعد الموت. ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾ أي: من هذه الأصنام التي لا تقدر على خلق شيء.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت

(٢١) أحمر
أسود

الكمال ويعلموا أنه خلقهما سكنًا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم فإنه الإله حقًّا، الذي لا تنبغي العبادة والحب والذل إلا له تعالى، ولما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق مما فيهما.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: خلق الله ﷻ الإنسان فسواه وعدله وأحسن صورته خلقه في أحسن تقويم، خلقه من نطفة من منيٍّ يُمنى، وبعد أن خلقه وسواه وأحسن صورته وعدله إذا به بدلًا من أن يشكر الله، إذا به مخاصم لربِّه ﷻ إذا به ينكر فضل الله ﷻ وينكر وحدانيته ويعبد معه غيره، إذا به يجادل في الله بغير علم، إذا به جاحدٌ لنعم الله ﷻ قد أظهر جحوده، وبيَّن نكرانه وكفرانه إذا به مخاصم لربه قد أبان عن خصومته وأظهرها يُنكر ما أخبر الله به، ينكر البعث والحساب والثواب والعقاب، ينكر قدرة الله ﷻ على البعث، ويضرب الأمثال يستدل بها على عدم قدرة الله، وليس له فيها أدنى دليل.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٩، ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦﴾ [مريم: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [الفرقان: ٥٥] أي: معاونًا لغيره على محاربة الله والشرك به وهذا في الإنسان الكافر والعياذ بالله.

أما أهل الإيمان حشرنا الله معهم وثبتنا الله على الإيمان، فإنهم يقرون لله

(٢٢) أحمر
أسود

بما هو أهله، يقرون بكل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله ﷺ، وسائر رسله عليهم صلوات الله وسلامه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيضًا أيها الناس، أنه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقًا عجيبًا، قلَّبه تارات خلقًا بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تمّ خلقه ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضرّ ولا ينفع، وخاصم إلهه، فقال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: ٧٨] ونسِي الذي خلقه فسوّاه خلقًا سويًّا من ماء مهين، ويعني بالمبين: أنه يبين عن خصومته بمنطقه، ويجادل بلسانه، فذلك إبانته، وعنى بالإنسان: جميع الناس، أخرج بلفظ الواحد، وهو في معنى الجميع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم نبه على خلق جنس الإنسان ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ أي: مهينة ضعيفة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه، ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًّا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [الفرقان: ٥٤، ٥٥]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ قَالَ: بَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعجِزنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ فَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْكَ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ**

(٢٣) أحمر
أسود

وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: أتصدقُ. وَأَنى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟»[1].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ أي: مخاصم، كالنسيب بمعنى المناسب. أي يخاصم الله عَزَّ وَجَلَّ في قدرته. و﴿مُّبِينٌ ۝٤﴾ أي: ظاهر الخصومة. وقيل: يبين عن نفسه الخصومة بالباطل. والمبين: هو المفصح عما في ضميره بمنطقه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله جل وعلا: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾، أظهر القولين فيه: أنه ذم للإنسان المذكور، والمعنى: خلقناه ليعبدنا ويخضع لنا ويطيع؛ ففاجأ بالخصومة والتكذيب، كما تدل عليه (إِذَا) الفجائية، ويوضح هذا المعنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، مع قوله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٤، ٥٥]، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات، وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح لهذا المبحث في «سورة الطارق».

وقال:

وقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾، الظاهر أنه اسم فاعل أبان اللازمة، بمعنى بان وظهر؛ أي بين الخصومة.

(١) أحمد (٤/ ٢١٠)، وابن ماجه (٢٧٠٧).

(٢٤) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبدأ بأشرف ذلك وهو الإنسان فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ لم يزل يدبرها ويرقيها وينميها حتى صارت بشرًا تامًّا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. ونسي خلقه الأول وما أنعم الله عليه به، من النعم فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطفة، ثم لم يزل ينقله من طور، إلى طور حتى صار عاقلًا متكلمًا، ذا ذهن ورأي، يخاصم ويجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها.

❁ ❁ ❁

(٢٥) أحمر
أسود

فضل الله ﷻ على الخلق بخلق الأنعام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وخلق الله ﷻ الأنعام تستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته فتوحدوا الله ﷻ، ويعبدوه وحده لا شريك له فينفعكم ذلك في أُخراكم، وفي دنياكم كذلك، وأما عن الأنعام ففي الجملة هي الأنعام الثمانية الجمل – الناقة – الثور – البقرة – الكبش – النعجة – الجدي – العنز – قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ...﴾ [الأنعام: ١٤٣].

إلا أنه أحيانًا تطلق الأنعام على الإبل على وجه الخصوص، وعلى الإبل في هذا الموطن حملها بعض العلماء، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾، أيضًا لمصالحكم في دنياكم، فلكم فيها ما تستدفئون به، تستخرجون منها الأصواف والأوبار والأشعار ما تصنعون منه ثيابكم وملابسكم ولحفكم التي تتغطون بها وتستدفئون بها، وكذا لكم في الأنعام منافع منها شربكم من ألبانها واستنفاعكم بجلودها ونسلها، وكذلك أكلكم منها وكذا لكم فيها جمالٌ، ترون جمالها أثناء رجوعكم بها من المراعي إلى مُراحها بمنازلكم، فقوله: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: ترجعون بها بعد أن أكلت وشربت وعملت ترجعون بها إلى حظائرها ومراحها، وهي في أحسن أحوالها آنذاك، قد امتلأت ضروعها بالألبان، وارتفعت أسنمتها وامتدت خواصرها، وكذا لكم فيها، وعند

(٢٦) أحمر
أسود

ركوبكم عليها جمال حين تسرحون بها، أي: تخرجون بها من بيوتكم إلى حقولها وأماكن رعيها وعملها ولكم فيها جمال عند ركوبكم عليها.

وكذا فإن الله سخرها لكم تحمل أثقالكم، أمتعتكم وحوائجكم وبضائعكم من بلادكم إلا بلاد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليها إلا بجهد الأنفس وبمشقة على الأنفس، وقيل: إلا بفقدان نصف قوتكم، على تفسير الشق بالنصف، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾ ذو رأفةٍ بكم إذ خلقها لكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إذ ذللها لكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام، فسخَّرها لكم، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها، ومنافع من ألبانها، وظهورها تركبونها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ يقول: ومن الأنعام ما تأكلون لحمه كالإبل والبقر والغنم، وسائر ما يؤكل لحمه، وحذفت «ما» من الكلام لدلالة «من» عليها.

وأورد عدة آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: الثياب واللحف.

وأن المنافع ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة والنسل.

ثم قال الطبري:

ويقول تعالى ذكره: ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم ﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ يعني: تردّونها بالعشيّ من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوي إليها ولذلك سمي المكان المراح، لأنها تراح إليه عشيا فتأوي إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته فهو يريحها إراحة، وقوله: ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ يقول: وفي وقت إخراجكموها غدوة من مُراحها إلى مسارحها، يقال منه: سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحًا، إذا أخرجها للرعي غدوة، وسَرحت الماشية: إذا خرجت للمرعى تسرح سرحًا وسروحًا، فالسرح بالغداة،

(٢٧) أحمر
أسود

والإراحة بالعشيّ، ومنه قول الشاعر:

كـأنَّ بَقايـا الأَثْـنِ فَـوْقَ مُتُونِـهِ مـدَّبُّ الـدَّبىّ فَـوْقَ النَّقـا وَهْـوَ سـارِحُ

وأورد بسندٍ صحيح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظامًا ضروعها، طوالًا أسنمتها، وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها.

وأيضًا: عن قتادة، قوله: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ يقول: بجهد الأنفس.

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم، ورحمة، من رحمته بكم، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم، لتشكروه على نعمه عليكم، فيزيدكم من فضله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، كما فصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ وهو وقت رجوعها عشيًّا من المرعى فإنها تكون أمده خواصر، وأعظمه ضروعًا، وأعلاه أسنمة، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ أي: غدوة حين تبعثونها إلى المرعى.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ وهي الأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ وذلك في الحج والعمرة

(٢٨) أحمر
أسود

والغزو والتجارة، وما جرى مجرى ذلك، تستعملونها في أنواع الاستعمال، من ركوب وتحميل، كقوله:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: ٧٩، ٨١]؛ ولهذا قال هاهنا بعد تعداد هذه النعم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١، ٧٢]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٢ -١٤].

قال ابن عباس: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ثياب، والمنافع: ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وشق الأنفس مشقتها وغاية جهدها، وقال بعد أن أورد من معاني الشق النصف، وقد يكون المراد من الآية هذا المعنى، أي لم تكونوا بالغيه إلا بنقص من القوة وذهاب شق منها، أي لم تكونوا تبلغوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب النصف الآخر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمراد بالدفء على أظهر القولين: أنه اسم لما يدفأ به، كالملء اسم لما يملأ به، وهو الدفاء من اللباس المصنوع من أصواف الأنعام وأوبارها

(٢٩) أحمر
أسود

وأشعارها.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ [النحل: ٨٠]، وقيل: الدفء نسلها، والأول أظهر؛ والنسل داخل في قوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾، أي: من نسلها ودرها، ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ﴾ أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾ مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت.

﴿وَ﴾ لكم فيها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ غير ذلك ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾ أي: في وقت رواحها وسكونها ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك.

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ ولكن الله ذللها لكم.

فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاءون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة، ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ إذ سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه وسعة جوده وبره.

❁ ❁ ❁

(٣٠) أحمر
أسود

ومن نعمه عليهم خلق
الخيل والبغال والحمير والإشارة إلى سائر وسائل المواصلات

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وسخر الله ﷻ لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها لقضاء الحوائج والمصالح ولتركبوها أيضًا متزينين بركوبها، فأحيانًا تركب لقضاء الحوائج والمصالح، وأحيانًا تركبوها زينةً، أما قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ قيل: من سائر المخلوقات التي لا تعلمونها، كالذي أعدَّه الله ﷻ لأهل الإيمان في الجنة، إذ النبي ﷺ قال: «**فِيهَا مَا لَا عَين رَأَتْ وَلَا أُذنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلب بَشَر**»، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

* وقيل: يخلق من المخلوقات في الدنيا مخلوقات لا تعلمونها.

* وقيل: يخلق أيضًا من المواصلات التي تركبونها ومن الزينة التي تتزينون بها ما لا تعلمون في زمانكم وسيعلمه غيركم أو لا يعلمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضًا لتركبوها وزينة: يقول: وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم، للركوب وغير ذلك، ونصب الخيل والبغال عطفًا على الهاء والألف في قوله: ﴿خَلَقَهَا﴾، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيَّنت، ولو لم يكن معها واو وكان الكلام: لتركبوها زينة، كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة، ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل، وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها.

(٣١) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعدّ في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده، يمتن به عليهم، وهو: الخيل والبغال والحمير، التي جعلها للركوب والزينة بها، وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فضلها على الأنعام وأفردها بالذكر استدل من استدل من العلماء -ممن ذهب إلى تحريم لحوم الخيل -بذلك على ما ذهب إليه فيها، كالإمام أبي حنيفة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن وافقه من الفقهاء ؛ لأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير، وهي حرام، كما ثبتت به السنة النبوية، وذهب إليه[1] أكثر العلماء.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ ﴾ سخرناها لكم ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾ أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرم أكلها، والخيل لا تستعمل -في الغالب- للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفًا من انقطاعها وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي ﷺ أذن في لحوم الخيل.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها؛ لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلًا جامعًا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون،

(١) يعني إلى تحريم لحوم الحمر الأهلية.

(٣٢) أحمر
أسود

كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرمان، وأجمل ما لا نعرف له نظيرًا في قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ ٥٢﴾ [الرحمن: ٥٢] فكذلك هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٣) أحمر
أسود

حلُّ أكل لحم الخيل

س: هل لحوم الخيل حلال أكلها؟

ج: نعم لحوم الخيل حلال، وبهذا جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ وأصحابه ولم يرد نصٌّ صحيح بالمنع.

وهذه أقوال فريق من أهل العلم، وفي ثناياها الأحاديث المشار إليها، المجوِّزة لأكل لحوم الخيل.

وبداية فقد أورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه الإمام أحمد بسند ضعيف عن الْمِقْدَام بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الصَّائِفَةَ، فقَرِم أَصْحَابُنَا إِلَى اللَّحْمِ، فَسَأَلُونِي رَمَكة، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِمْ فَحبَلوها وَقُلْتُ: مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَ خَالِدًا فَأَسْأَلَهُ. فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ خَيْبَرَ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي حَظَائِرِ يَهُودَ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُنَادِيَ: «**الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُسْلِمٌ**» ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ قَدْ أَسْرَعْتُمْ فِي حَظَائِرِ يَهُودَ، أَلَا لَا تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهَدِينَ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ لُحُومُ الْأُتُنِ الْأَهْلِيَّةِ وَخَيْلِهَا وَبِغَالِهَا، وَكُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**»[(١)].

وَالرَّمَكَةُ: هِيَ الحِجْرَة. وَقَوْلُهُ: حَبَلوها، أَيْ: أَوْثَقُوهَا فِي الْحَبْلِ لِيَذْبَحُوهَا. وَالْحَظَائِرُ: الْبَسَاتِينُ الْقَرِيبَةُ مِنَ الْعُمْرَانِ.

وَكَأَنَّ هَذَا الصَّنِيعَ وَقَعَ بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ الْعَهْدَ وَمُعَامَلَتِهِمْ عَلَى الشَّطْرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَلَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَكَانَ نصًّا فِي تَحْرِيمِ لُحُومِ الْخَيْلِ، وَلَكِنْ لَا يقاوِمُ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[(٢)]، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ

---

(١) أحمد (٤/ ٨٩)، رقم (١٦٨٦٧).

(٢) البخاري (٤٢١٩) و(٥٥٢٠)، ومسلم (١٩٤١).

(٣٤) أحمر
أسود

لُحُوم الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَأَذِنَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ.

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[1] وَأَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادَيْنِ، كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: ذَبَحْنَا يَوْمَ خَيْبَرَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَلَمْ يَنْهَنَا عَنِ الْخَيْلِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2]، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ.

فَهَذِهِ أَدَلُّ وَأَقْوَى وَأَثْبَتُ، وَإِلَى ذَلِكَ صَارَ جمهورُ الْعُلَمَاءِ: مَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَأَصْحَابُهُمْ، وَأَكْثَرُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وأورد الطبري من وجوهٍ في أسانيدها ضعف عن ابن عباس أنه كان يكره لحم الخيل ويستدل بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ وأورد أقوالًا في المنع من أكل الخيل، وأقوالًا في إباحتها واختار القول بإباحتها إذ قال: وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره: ﴿لِتَرْكَبُوهَا ﴾ دلالة على أنها لا تصلح، إذ كانت للركوب للأكل - لكان في قوله: ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب. وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال ﴿لِتَرْكَبُوهَا ﴾ جائز حلال غير حرام، إلا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله ﷺ فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول الله ﷺ، وعلى البغال بما قد بيَّنا في كتابنا، كتاب الأطعمة بما أغنى عن

(١) أحمد (٣/ ٣٥٦)، وانظر مسلم (١٩٤١).
(٢) مسلم (١٩٤٢).

(٣٥) أحمر
أسود

إعادته في هذا الموضع، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدلّ على أنه لا وجه لقول من استدلّ بهذه الآية على تحريم لحم الفرس.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل، وأن الآية والحديث لا حجة فيهما لازمة. أما الآية فلا دليل فيها على تحريم الخيل. إذ لو دلت عليه لدلت على تحريم لحوم الحمر، والسورة مكية، وأي حاجة كانت إلى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الأخبار تحليل الخيل على ما يأتي. وأيضا لما ذكر تعالى الأنعام ذكر الأغلب من منافعها وأهم ما فيها، وهو حمل الأثقال والأكل، ولم يذكر الركوب ولا الحرث بها ولا غير ذلك مصرحًا به، وقد تركب ويحرث بها، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [غافر: ٧٩]. وقال في الخيل: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ فذكر أيضا أغلب منافعها والمقصود منها، ولم يذكر حمل الأثقال عليها، وقد تحمل كما هو مشاهد فلذلك لم يذكر الأكل. وقد بينه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي جعل إليه بيان ما أنزل عليه على ما يأتي، ولا يلزم من كونها خلقت للركوب والزينة ألا تؤكل، فهذه البقرة قد أنطقها خالقها الذي أنطق كل شي فقالت: إنما خلقت للحرث. فيلزم من علل أن الخيل لا تؤكل لأنها خلقت للركوب وألا تؤكل البقر لأنها خلقت للحرث. وقد أجمع المسلمون على جواز أكلها، فكذلك الخيل بالسنة الثابتة فيها. روى مسلم من حديث جابر قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل. وقال النسائي عن جابر: أطعمنا رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر. وفي رواية عن جابر قال: كنا نأكل لحوم الخيل على

(٣٦) أحمر
أسود

عهد رسول الله ﷺ فإن قيل: الرواية عن جابر بأنهم أكلوها في خيبر حكاية حال وقضية في عين، فيحتمل أن يكونوا ذبحوا لضرورة، ولا يحتج بقضايا الأحوال. قلنا: الرواية عن جابر وإخباره بأنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ يزيل ذلك الاحتمال، ولين سلمناه فمعنا حديث أسماء قالت: نحرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة فأكلناه، رواه مسلم. وكل تأويل من غير ترجيح في مقابلة النص فإنما هو دعوى، لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه.

❁ ❁ ❁

(٣٧) أحمر
أسود

تحريم لحوم الحُمر الأهلية

س: هل لحوم الحمر حلالٌ أكلها؟

ج: لحوم الحُمر الأهلية (التي يركبها الناس) حرام، وذلك لأن النبي ﷺ حرَّمها يوم خيبر.

❁ ❁ ❁

س: هل لحوم البغال حرام أكلها؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما البغال فإنها تلحق بالحمير، إن قلنا إن الخيل لا تؤكل، فإنها تكون متولدة من عينين لا يؤكلان. وإن قلنا إن الخيل تؤكل، فإنها عين متولدة من مأكول وغير مأكول فغلب التحريم على ما يلزم في الأصول. وكذلك ذبح المولود بين كافرين أحدهما من أهل الذكاة والآخر ليس من أهلها، لا تكون ذكاة ولا تحل به الذبيحة. وقد مضى في « الأنعام» الكلام في تحريم الحمر فلا معنى للإعادة. وقد علل تحريم أكل الحمار بأنه أبدى جوهره الخبيث حيث نزا على ذكر وتلوط، فسمي رجسًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وعلى الله بيان الطريق المستقيم الذي يوصل إليه وإلى مرضاته وجناته، الطريق الذي ينبغي أن يقصده القاصدون، الطريق السوي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، على الله بيانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فكما أنه سبحانه يسر لكم السبل في دنياكم وأنعم عليكم فيها وسخر لكم الدواب تركبونها لبلوغ مقاصدكم، فكذا فإنه بيَّن لكم سبل مرضاته

(٣٨) أحمر
أسود

وجناته وأوضحهما لكم، كما قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ أي: ومن السبل سبل جائرة مائلة معوّجة منحرفة لا توصل إلى جنات الله وإلى مرضاته فاحذروها ولا تسلكوها.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فمعناه - والله أعلم - ولو شاء الله لهداكم إلى الإيمان كلكم ولوفقكم سلوك الإيمان كلكم.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

[الأنعام: ١٤٩]

وكما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩]، وكما قال: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]، وكقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] إلى غير ذلك.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها، والسبيل: هي الطريق، والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، كما قال الراجز:

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ القاصِدِ

وقوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ يعني تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوجّ، فالقاصد من السبل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة، وقيل: ومنها جائر؛ لأن السبيل يؤنث ويذكر، فأنثت في هذا الموضع، وقد كان بعضهم يقول: وإنما قيل: ومنها؛ لأن السبيل وإن كان

(٣٩) أحمر
أسود

لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: على الله البيان، بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: السبيل: طريق الهدى.

ومن وجوهٍ فيها مقالٌ عن ابن عباس: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٌۚ﴾ الأهواء المختلفة.

وبسندٍ يصحح بطريقيه عن قتادة: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٌۚ﴾ أي: من السُّبل سبل الشيطان.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٌۚ﴾ قال: من السبل جائر عن الحق، قال: قال الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ يقول: ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه، فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل، ولا تجورون عنه، فتتفرّقون في سبل عن الحقّ جائرة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ قال: لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل، الذي هو الحقّ، وقرأ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ الآية، وقرأ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]... الآية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية، نبه على الطرق المعنوية الدينية، وكثيرًا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية، كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ

(٤٠) أحمر
أسود

ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ولما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها، التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه، فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ كما قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحجر: ٤١].

ثم أخبر تعالى أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته، فقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان. والسبيل: السلام، أي على الله بيانه بالرسل والحجج والبراهين. وقصد السبيل: استعانة الطريق، يقال: طريق قاصد أي يؤدي إلى المطلوب. ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ أي: ومن السبيل جائر، أي عادل عن الحق فلا يهتدى به، ومنه قول امرئ القيس:

ومن الطريقة جائر وهدى ... قصد السبيل ومنه ذو دخل

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولما ذكر تعالى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من

(٤١) أحمر
أسود

الإبل وغيرها ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله وإلى كرامته.

وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو: كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم، وضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩﴾ ولكنه هدى بعضًا كرمًا وفضلًا ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلًا.

❁ ❁ ❁

(٤٢) أحمر
أسود

مزيد بيان لنعم الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: الله ﷻ الذي لا إله سواه، والذي تجب عليكم عبادته وحده لا شريك له، هو الذي أنزل من السماء ماءً، وهو المطر تشربون منه وتشرب أشجاركم منه كذلك فتنبت وتنمو وتزدهر، فترعون فيه أنعامكم، وتأكل من هذا الشجر دوابكم، فمعنى تسيمون، ترعون وينبت الله لكم بهذا المطر، الغيث النازل من السماء، وبعد أن تتشربه التربة ينبت الله لكم به جميع أنواع الزروع والثمار وكذا ينبت لكم به أشجار الزيتون المثمرة والنخيل كذلك، وكذلك حدائق الأعناب، وينبت الله لكم به من كل الثمرات، إن في ذلك لدلالة لقوم يتفكرون، فيستدلون بها على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، ويتفكرون في ذلك، وفي مآلهم الذي سيؤولون إليه، فمن ثم يحملهم هذا على العمل الصالح. والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذي أنعم عليكم هذه النعم، وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم، هو الربّ الذي أنزل من السماء ماء، يعني: مطرًا لكم من ذلك الماء، شراب تشربونه، ومنه شراب أشجاركم، وحياة غروسكم ونباتها ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ يقول: في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون، ترعون، يقال منه: أسام فلان إبله يسيمها

(٤٣) أحمر
أسود

إسامة، إذا أرعاها، وسومها أيضًا يسومها، وسامت هي: إذ رعت، فهي تسوم، وهي إبل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي، سائمة. وقد وجَّه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا، وأنه ذهاب كلّ واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه، كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت من مراعيها، ومنه قول الأعشى:

وَمَشَى القَوْمُ بالعمادِ إلى المَرْ عَى وأعْيا المُسِيمَ أيْنَ المَساقُ

وأورد عدة آثار في معنى تسيمون، أي: ترعون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يُنبت لكم ربكم بالماء الذي أنزل لكم من السماء زرعَكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ يعني: من كلّ الفواكه غير ذلك أرزاقًا لكم وأقواتًا وإدامًا وفاكهة، نعمة منه عليكم بذلك وتفضّلًا وحُجة على من كفر به منكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن في إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم ﴿لَّأٓيَةٗ﴾ يقول: لدلالة واضحة، وعلامة بينة ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ يقول: لقوم يعتبرون مواعظ الله، ويتفكَّرون في حججه، فيتذكرون وينيبون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر سبحانه ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب، شرع في ذكر نعمته عليهم، في إنزال المطر من السماء -وهو العلو -مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم، فقال: ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ أي: جعله عذبًا زلالًا يسوغ لكم شرابه، ولم يجعله ملحًا أجاجًا.

﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ أي: وأخرج لكم به شجرًا ترعون فيه أنعامكم.

(٤٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ أي: يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل: ٦٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾.

ج: هذا - والله أعلم - مزيدُ بيان لنعم الله ﷻ التي أنعم بها على خلقه، فهو جل وعلا الذي سخر لكم أيها العباد الليل والنهار وأودع فيهما ما أودع لراحتكم، والليل والنهار يتعاقبان لما فيه مصالحكم فـ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: ٤٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧].

وكذا فإنه سخر النهار للمعاش والسعي.

وكذا فإن الشمس والقمر والنجوم، كل ذلك مسيرٌ بتسيير الله له، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس: ٣٨، ٣٩].

وكذا فإن النجوم سخرها الله فلا يسقط نجم على نجم إلا بإذن الله وبأمر الله، قال تعالى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥].

أما قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التسخير لليل والنهار والشمس والقمر والنجوم

(٤٥) أحمر
أسود

﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ لدلالات واضحات على وحدانية الله ﷻ وقدرته لكن الذي يستفيد منها العقلاء الألباء الذين يعقلون ويفهمون عنه مراده.

وكذا فإنه سبحانه وتعالى خلق لكم كل الصنوف التي في الأرض كل صنوف الزروع والمخلوقات المختلفة في ألوانها وطعومها وأشكالها وأحجامها، إن في ذلك التسخير لدلالات على وحدانيتنا وقدرتنا ولكن يستفيد أهل الاتعاظ والاعتبار والادكار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن نِعَمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم، هذا لتصرّفكم في معاشكم، وهذا لسكنكم فيه، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم، وصلاح معايشكم ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ لكم بأمر الله تجري في فلكها لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه إياهم.

ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾ وسخر لكم ما ذرأ: أي ما خلق لكم في الأرض مختلفا ألوانه من الدوابّ والثمار.

وأورد بإسنادٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: وما خلق لكم مختلفًا ألوانه من الدوابّ، ومن الشجر والثمار، نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده على آياته العظام، ومننه الجسام، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات، في أرجاء

(٤٦) أحمر
أسود

السموات نورًا وضياءً لمهتدين بها في الظلمات، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: لدلالات على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه.

وقوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ لما نبه تعالى على معالم السماوات، نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها، وما فيها من المنافع والخواص ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي: آلاء الله ونعمه فيشكرونها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله ﷻ هو الذي سخَّر البحر، ذلَّلهُ وهيأه لكم، ولو شاء ما جعله مُسخرًا مذلَلًا، بل ذلَّله وسخره لتأكلوا منه لحمًا طريًّا، وهو لحم الحيتان والأسماك وغير ذلك من اللحوم الطرية التي تصطادونها منها، وكذا وسخره لتستخرجوا منه حليةً تتزينون بها، وتلبسونها كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك، ومن تسخيره لنا أنك ترى السفينة العظيمة الهائلة تسير فيه مسرعةً

(٤٧) أحمر
أسود

تشق ماءه وتشق الرياح ويسمع لجريانها صوت وهي تسير وتمخر تشق الماء والرياح، وذلك التسخير منه ﷻ لتسافروا عليها لالتماس الأرزاق في التجارات والصيد وغير ذلك، ولتقدموا شكرًا على ذلك لربكم وخالقكم.

فيفترض أن النعم تُشكر فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

ولقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم، وأنعم عليكم، أيها الناس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كلّ نهر، ملحًا ماؤه أو عذبًا ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ وهو السمك الذي يصطاد منه. ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ وهو اللؤلؤ والمرجان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ يعني: حيتان البحر.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مَوَاخِرَ﴾ فقال بعضهم: المواخر: المواقر.

وأورد أقوالًا أُخر بأسانيد فيها مقالٌ في معنى مواخر: تجرى فيه متعرِّضة.

ومنها: هي السفينة تقول بالماء هكذا يعني تشقه.

ومنها: ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿مَوَاخِرَ﴾ قال: تمخر الريح.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قال: تجري مقبلة ومدبرة بريحٍ واحدة.

قال الطبري رحمه الله:

والمخْر في كلام العرب: صوت هبوب الريح، إذا اشتدّ هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذٍ

(٤٨) أحمر
أسود

بصدرها، يقال منه: مخرت السفينة تمخر مخرًا ومخورًا، وهي ماخرة، ويقال: امتخرت الريح وتمخرتها: إذا نظرتَ من أين هبوبها وتسمَّعت صوت هبوبها، ومنه قول واصل مولى ابن عيينة. كان يقال: إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح، يريد بذلك: لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وتردّه عليه.

وقوله: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ولتتصرّفوا في طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عدّدها في هذه الآيات.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج، ويمتن على عباده بتذليله لهم، وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه، وإحلاله لعباده لحمها حيها وميتها، في الحل والإحرام وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة، وتسهيله للعباد استخراجها من قرارها حلية يلبسونها، وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره، أي: تشقه.

وقيل: تمخر الرياح، وكلاهما صحيح وقيل: تمخره بجؤجئها وهو صدرها المسنم - الذي أرشد العباد إلى صنعتها، وهداهم إلى ذلك، إرثًا عن أبيهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنه أول من ركب السفن، وله كان تعليم صنعتها، ثم أخذها الناس عنه قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، يسيرون من قطر إلى قطر، وبلد إلى بلد، وإقليم إلى إقليم، لجلب ما هنا إلى هنالك، وما هنالك إلى هنا ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: نعمه وإحسانه.

(٤٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم-: وألقى الله ﷻ الجبال الرواسي على الأرض كي لا تميد الأرض ولا تضطرب بمن عليها، فجعلت الجبال أثقالًا لوزنها وضبطها، قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢].

وكذا أجرى الله ﷻ في الأرض أنهار، وجعل في الأرض طرقًا لعلكم تتوصلون بها إلى مرادكم في الأسفار والتجارات وغير ذلك، وجعل في الأرض أيضًا علامات تستدلون بها في أسفاركم، فتعلمون بها الأماكن وتستدلوا بها على الطرق والبلاد، وهذه العلامات جائز أن تكون جبالًا وجائز أن تكون هِضابًا وجائز أن تكون وديانًا، وقيل أيضًا: إنها نجومٌ يستدل بها.

أما قوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: والبشر يهتدون بالنجم كذلك في أسفارهم بل وفي حضرهم كذلك، وقد جعلت النجوم - كما تقدم مرارًا - لأمور ثلاثة:

أحدها: يهتدي بها في ظلمات البر والبحر.

الثاني: زينة للسماء الدنيا.

الثالث: رجومٌ للشياطين.

ثمَّ وبعد أن بيَّن الله ﷻ نعمه على خلقه يقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ الأشياء كلها، ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ كالوثن والصنم، وكأي معبود يُعبد من دون الله؟؟ أفلا تتعظون وتعتبرون كيف سويتم بين الله ﷻ خالق كل شيء، وبين من لا يخلق، كيف سويتم بين الخالق ﷻ وبين غيره؟ كيف أشركتم في عبادتكم الله ﷻ عبادة آلهة أخرى ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتعظون وتعتبرون.

(٥٠) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ فنعم الله لا تُحصى ولا تُعد فقدموا الشكر الذي تستطيعوا تقديمه لله ﷻ، ولن تطيقوا شكرها، فقدموا ما استطعتم من الشكر، واعلموا أن الله غفور رحيم، يغفر لكم تقصيركم في شكره، إذا شكرتموه، فلن تفوا بحقه ولن تفوا بشكره، وهو جل ذكره غفور لمن قصر من عباده في شكره، رحيم بهم كذلك لا يكلفهم فوق طاقتهم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا، أن ألقى في الأرض رواسي، وهي جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال. وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ يعني: أن لا تميد بكم، وذلك كقوله ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ والمعنى: أن لا تضلوا. وذلك أنه جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها، بل وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسَى بها.

وأورد بسنده، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عباد: أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور، قالت الملائكة. ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدًا، فأصبحت صبحًا وفيها رواسيها.

وقوله: ﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾ يقول: وجعل فيها أنهارًا، فعطف بالأنهار على الرواسي، وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي، إذ كان مفهومًا معنى الكلام والمراد منه، وذلك نظير قول الراجز:

تَسْمَعُ في أجْوَافِهِنَّ صَوْرَا وفي اليَدَيْنِ حَشَّةً وبَوْرا

والحشة: اليُبس، فعطف بالحشة على الصوت، والحشة لا تسمع، إذ كان مفهوما المراد منه وأن معناه وترى في اليدين حَشَّةً.

وقوله: ﴿وَسُبُلٗا﴾ وهي جمع سبيل، كما الطرق: جمع طريق، ومعنى

(٥١) أحمر
أسود

الكلام: وجعل لكم أيها الناس في الأرض سُبلا وفجاجًا تسلكونها، وتسيرون فيها في حوائجكم، وطلب معايشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالًا وحيرة.

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول: لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الأرض إلى الأماكن التي تقصدون والمواضع التي تريدون، فلا تضلوا وتتحيروا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات، فقال بعضهم: عني بها معالم الطرق بالنهار.

وقال آخرون: عني بها النجوم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: منها ما يكون علامات، ومنها ما يهتدون به.

وأورد بإسنادين يصحان بمجموعهما عن قتادة، قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلَّف ما لا علم له به.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكلّ علامة استدلّ بها الناس على طرقهم، وفجاج سبُلهم، فداخل في

(٥٢) أحمر
أسود

قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدى بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية[1] عنه، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهارًا، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلًا هو الجدي والفرقدان، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم.

فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارًا على طرقكم في أسفاركم. ونجومًا تهتدون بها ليلًا في سُبلكم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾.

يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرّفهم بذلك عظم جهلهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّدها عليهم، التي لا يحصيها أحد غيره، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم، وعظيم سُلطانه وقُدرته على ما شاء، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة؟

(١) وعطية وهو العوفي ضعيف.

(٥٣) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ والله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئا، ولا تملك لأهلها ضرًّا ولا نفعًا، قال الله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ ﴾ هو الوثن والصنم، و «من» لذوي التمييز خاصة، فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز، إذ وقع تفصيلًا بين من يخلق ومن لا يخلق، ومحكيّ عن العرب: اشتبه عليّ الراكب وجمله، فما أدرى من ذا ومن ذا، حيث جمعا، وأحدهما إنسان حسنت من فيهما جميعًا. ومنه قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ لا تطيقوا أداء شكرها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته، رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى الأرض، وما جعل فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات، لتقر الأرض ولا تميد، أي: تضطرب بما عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢].

وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾ أي: وجعل فيها أنهارًا تجري من مكان إلى مكان آخر، رزقًا للعباد، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله. وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة، وجنوبًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع، وقوي السير وبطيئه، بحسب ما أراد وقدر، وسخر ويسر فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

(٥٤) أحمر
أسود

وكذلك جعل فيها سبلًا أي: طرقًا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد، حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممرًا ومسلكًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ أي: دلائل من جبال كبار وآكام صغار، ونحو ذلك، يستدل بها المسافرون برًّا وبحرًا إذا ضلوا الطريق بالنهار.

وقوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾ أي: في ظلام الليل، قاله ابن عباس.

وعن مالك في قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ يقولون: النجوم، وهي الجبال.

ثم قال تعالى منبهًا على عظمته، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان، التي لا تخلق شيئا بل هم يخلقون؛ ولهذا قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾.

ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم، فقال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨﴾ أي: يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير.

وقال ابن جرير: يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨﴾ لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك، إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته، ﴿رَّحِيمٌ ١٨﴾ بكم أن يعذبكم، أي: بعد الإنابة والتوبة.

❁ ❁ ❁

(٥٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا
يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ
يُبۡعَثُونَ ٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ
وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا
يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ
وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ
أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ
ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ
أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾.

[النحل: ١٩-٢٩]

(٥٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿تُسِرُّونَ - تُعْلِنُونَ - يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ - أَيَّانَ - قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ - مُّسْتَكْبِرُونَ - لَا جَرَمَ - أَوْزَارَهُمْ - يَزِرُونَ - فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ - فَخَرَّ - تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ - وَٱلسُّوٓءَ - فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ - مَثْوَى﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تُسِرُّونَ﴾	تخفون (في صدوركم).
﴿تُعْلِنُونَ﴾	تظهرون (بألسنتكم أو بجوارحكم).
﴿يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	يعبدون مع الله- يعبدون غير الله.
﴿أَيَّانَ﴾	متى.
﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾	يجحدون وحدانية الله - يجحدون الحق والقرآن، ونبوة النبي عليه الصلاة والسلام.
﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾	متعالون على قبول الحق والإذعان له والإقرار بعبوديتهم لله.
﴿لَا جَرَمَ﴾	حقًّا.
﴿أَوْزَارَهُمْ﴾	آثامهم أحمالهم من الذنوب.
﴿يَزِرُونَ﴾	يحملون (من الذنوب).
﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾	فدمر الله أصل بنيانهم وقواعد بنيانهم.
﴿فَخَرَّ﴾	فسقط.

(٥٧) أحمر
أسود

﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ﴾	تعاندون أنبيائي ورسلي بسببهم.
﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾	العقاب السيئ – الجزاء السيئ.
﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾	فأظهروا الخضوع والاستسلام والانقياد.
﴿مَثۡوَى﴾	مقام – مسكن – مستقر.

❁ ❁ ❁

(٥٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله ﷻ الذي يجب أن يُفرد بالعبادة يعلم ما تخفونه في أنفسكم وما تظهرونه بجوارحكم أو بألسنتكم، كل ذلك يعلمه الله ﷻ، أما الأصنام والآلهة التي عبدتموها من دون الله فإنها لا تخلق شيئًا ولكنها تُخلق، ثم هي جمادات لا روح فيها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ فمعناه: أن الأصنام لا تشعر متى تبعث، لا تدري متى يوم القيامة، وعبَّر عن الأصنام بقوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ وكأنها تعقل قيل لأنها تُلهم النطق يوم القيامة لتتبرأ من عابديها وقيل: لأن قرناءها وسدنتها هم المعنيون بذلك.

وقال بعض العلماء: إن المراد بقوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ هم أهل الكفر والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي هو إلهكم أيها الناس، يعلم ما تسرّون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم، وهو محص ذلك كله عليكم، حتى يجازيكم به يوم القيامة، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته، ومُسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها التي أحصيتم، والتي لم تحصوا، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئا وهي تخلق، فكيف يكون إلها ما كان مصنوعًا مدبرًا، لا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضرًّا.

(٥٩) أحمر
أسود

ويقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: والذين تدعون من دون الله أيها الناس: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرًّا ولا نفعًا، وفي رفع الأموات وجهان: أحدهما أن يكون خبرًا للذين، والآخر على الاستئناف وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث، وقيل: إنما عنى بذلك الكفار، إنهم لا يدرون متى يبعثون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، كما قال الخليل: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] .

وقوله: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ أي: هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: لا يدرون متى تكون الساعة، فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء؟ إنما يرتجى ذلك من الذي يعلم كل شيء، وهو خالق كل شيء.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ «أَيَّانَ» بمعنى: «متى».

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنها الأصنام، عبّر عنها كما يُعبّر عن الآدميين. قال ابن عباس:

(٦٠) أحمر
أسود

وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فيتبرَّؤون من عبادتهم، ثم يُؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار.

والثاني: أنهم الكفار، لا يعلمون متى بعثهم، قاله مقاتل.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ بخلاف من عبد من دونه، فإنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ قليلًا ولا كثيرًا ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟

ومع هذا ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء لا علم، ولا غيره ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، أفتتخذ هذه آلهة من دون رب العالمين، فتبًّا لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه.

❁ ❁ ❁

التنبيه على وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: معبودكم الحق الذي يستحق العبادة إنما هو إلهٌ واحدٌ فأهل الإيمان يعظمونه ويوحدونه ويفردونه بالعبادة، أما أهل الكفر

(٦١) أحمر
أسود

والتكذيب الذين لا يقرون بالبعث ولا بالحساب قلوبهم منكرةٌ لوحدانية الله ﷻ ومنكرةٌ لقدرته على البعث ومنكرةٌ للقرآن الذي أُنزل عليك يا رسول الله ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادة ربهم ﷻ وعن الإقرار له بالوحدانية، فحقًّا أن الله يعلم ما تخفونه وما تظهرونه وسيجازيهم على ذلك، فإنه ﷻ لا يحب المستكبرين، المتعالين عن عبادته، والذين يبطرون الحق ويجحدونه، وكذا يحتقرون خلق الله، فالكبر هنا كبر عن توحيد الله وطاعته، والكبر من معانيه أيضًا بطر الحق وغمط الناس، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ[1]، وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: معبودكم الذي يستحقّ عليكم العبادة، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء: معبود واحد، لأنه لا تصلح العبادة إلا له، فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، ولا تجعلوا معه شريكا سواه ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذين لا يصدّقون بوعد الله ووعيده، ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قلوبهم منكرة، يقول تعالى ذكره: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته، وجميل نعمه عليهم، وأن العبادة لا تصلح إلا له، والألوهة ليست لشيء غيره يقول: وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة، والإقرار له بالوحدانية، اتباعًا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ لهذا الحديث الذي مضى، وهم مستكبرون عنه.

ويعني تعالى ذكره بقوله: لا جرم حقًّا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون من إنكارهم ما ذكرنا من الأنباء في هذه السورة، واعتقادهم نكير قولنا لهم:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٦٢) أحمر
أسود

إلهكم إله واحد، واستكبارهم على الله، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد، وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك، كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥].

وقوله: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ لَا جَرَمَ﴾ أي: حقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ أي: وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد. فأهل الإيمان والعقول أجلته قلوبهم وعظمته، وأحبته حبًّا عظيمًا، وصرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأثنوا عليه بأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله المقدسة، ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق جهلًا وعنادًا وهو: توحيد الله ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ عن عبادته.

﴿ لَا جَرَمَ﴾ أي: حقًّا لا بد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ من الأعمال القبيحة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

(٦٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وإذا قيل لأهل الكفر ماذا أنزل ربكم ﷻ على نبيه محمد ﷺ من الآيات قالوا: ما أنزل ربنا من شيء، كما في الآية الأخرى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ [الأنعام: ٩١] فيقال لهم: فما قولكم فيما يتلوه محمدٌ ﷺ، فجوابهم أن ما يتلوه محمد ﷺ، ليس من عند الله إنما هي قصص وخرافات الأولين يتعلمها صباحًا ومساءً ويأتي يلقيها علينا، كما في قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾ [النحل: ١٠٣].

فهذا هو قولهم في القرآن، يقولون عنه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فتكون العاقبة أنهم يتحملوا بذلك القول إثم كفرهم الذي كفروا، وإثم أعمالهم التي عملوها بناءً على كفرهم، وإثم شركهم بالله وجحودهم وإنكارهم، وكذا يتحملون إثم من أضلوه وصرفوه عن الحق، وأفتوه بالكذب والزور، فما أسوأ هذه الذنوب التي يتحملونها وما أسوأ عاقبتها، فاللام في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ لام العاقبة، أي: لتكون عاقبتهم أنهم يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة...

هذا، وسيأتي قول النبي ﷺ: «**فمن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١).

هذا، وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٧٤).

(٦٤) أحمر
أسود

المشركين، ماذا أنزل ربكم، أيّ شيء أنزل ربكم، قالوا: الذي أنزل ما سطَّره الأوّلون من قبلنا من الأباطيل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۖ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ يقول: أحاديث الأوّلين وباطلهم، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبيّ الله ﷺ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين، يريد نبيّ الله ﷺ، قالوا لهم: أساطير الأوّلين، يريد: أحاديث الأوّلين وباطلهم.

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم، ماذا أنزل ربكم الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه: أساطير الأوّلين، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله، وكفرهم بما أنزل على رسوله ﷺ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم، وقوله: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ يقول: ألا ساء الإثم الذي يأثمون، والثقل الذي يتحملون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ﴾ أي: ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وإذا قيل لهؤلاء المكذبين: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۖ﴾ معرضين عن الجواب: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ أي: لم ينزل شيئا، إنما هذا الذي يتلى علينا أساطير الأولين، أي: مأخوذ من كتب المتقدمين، كما قال تعالى: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: ٥] أي: يفترون على الرسول، ويقولون فيه أقوالًا مختلفة متضادة، كلها باطلة كما قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾ [الفرقان: ٩]، وذلك أن كل من خرج عن الحق فمهما قال أخطأ، وكانوا يقولون: ساحر، وشاعر،

(٦٥) أحمر
أسود

وكاهن، ومجنون. ثم استقر أمرهم إلى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة المخزومي، لما ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ١٨-٢٤] أي: ينقل ويحكى، فتفرقوا عن قوله ورأيه، قبحهم الله.

قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك فيتحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم، أي: يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم، وخطيئة إغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مثلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ من آثامهم شيئًا**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت: ١٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا سئلوا عما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ قالوا: لم ينزل عليه شيء، وإنما هذا الذي يتكلم به من أساطير الأولين، نقله من كتبهم. والأساطير: جمع أسطورة أو إسطارة، وهي الشيء المسطور في كتب الأقدمين من الأكاذيب والأباطيل. أصلها من سطر: إذا كتب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور: ٢]، وقال بعض العلماء الأساطير: الترهات والأباطيل، وأوضح هذا المعنى في آيات أخر؛ كقوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٧٤).

(٦٦) أحمر
أسود

ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿مَّاذَآ﴾، يحتمل أن تكون «ذا» موصولة و«ما» مبتدأ، وجملة ﴿أَنزَلَ﴾ صلة الموصول، والموصول وصلته خبر المبتدأ. ويحتمل أن يكون مجموعهما اسمًا واحدًا في محل نصب، على أنه مفعول ﴿أَنزَلَ﴾، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

ومثل ماذا بعد ما استفهام أو من إذا لم تلغ في الكلام

وبين جل وعلا كذب الكفار في دعواهم أن القرآن أساطير الأولين، بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ..﴾ الآية [الفرقان: ٦]، وبقوله هنا: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن أولئك الكفار الذين يصرفون الناس عن القرآن بدعواهم أنه أساطير الأولين، تحملوا أوزارهم ـ أي: ذنوبهم ـ كاملة، وبعض أوزار أتباعهم الذين اتبعوهم في الضلال؛ كما يدل عليه حرف التبعيض الذي هو «مِنْ»، في قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ...﴾ الآية.

وقال القرطبي: «مِنْ» لبيان الجنس؛ فهم يحملون مثل أوزار من أضلوهم كاملة.

وأوضح تعالى هذا المعنى في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣]، واللام في قوله:

(٦٧) أحمر
أسود

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾، تتعلق بمحذوف دل المقام عليه؛ أي: قدرنا عليهم أن يقولوا في القرآن: أساطير الأولين؛ ليحملوا أوزارهم.

تنبيه

فإن قيل: ما وجه تحملهم بعض أوزار غيرهم المنصوص عليه بقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٨]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ويقول ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالجواب ـ والله تعالى أعلم ـ: أن رؤساء الضلال وقادته تحملوا وزرين: أحدهما: وزر ضلالهم في أنفسهم.

والثاني: وزر إضلالهم غيرهم؛ لأنه من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا، وإنما أخذ بعمل غيره؛ لأنه هو الذي سنه وتسبب فيه، فعوقب عليه من هذه الجهة لأنه من فعله، فصار غير مناف لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ...﴾ الآية [فاطر: ١٨].

وأورد ما أخرجه مسلم[1] في صحيحه من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠١٧).

(٦٨) أحمر
أسود

أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». اهـ.

وأورد أيضًا ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مثلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ من آثامهم شيئًا».

قال مقيده عفا الله عنه: هذه النصوص الصحيحة تدل على رفع الإشكال بين الآيات، كما تدل على أن جميع حسنات هذه الأمة في صحيفة النبي ﷺ، فله مثل أجور جميعهم؛ لأنه صلوات الله عليه وسلامه هو الذي سنّ لهم السنن الحسنة جميعها في الإسلام، نرجو الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وأن يصلي ويسلم عليه أتم صلاة وأزكى سلام.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يدل على أن الكافر غير معذور بعد إبلاغ الرسل المؤيد بالمعجزات، الذي لا لبس معه في الحق، ولو كان يظن أن كفره هدى؛ لأنه ما منعه من معرفة الحق مع ظهوره إلا شدة التعصب للكفر، كما قدمنا الآيات الدالة على ذلك في «الأعراف»؛ كقوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٣٠]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]، وقوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧]، وحملهم أوزارهم هو اكتسابهم الإثم الذي هو سبب ترديهم في النار، أعاذنا الله والمسلمين منها.

وقال بعض العلماء: معنى حملهم أوزارهم: أن الواحد منهم عند خروجه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٦٩) أحمر
أسود

من قبره يوم القيامة يستقبله شيء كأقبح صورة، وأنتنها ريحًا؛ فيقول: من أنت؟ فيقول: أو ما تعرفني! فيقول: لا والله، إلا أن الله قبّح وجهك! وأنتن ريحك! فيقول: أنا عملك الخبيث، كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه فطالما ركبتني في الدنيا! هلم أركبك اليوم؛ فيركب على ظهره. اهـ.

وقوله: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾، ﴿سَآءَ﴾ فعل جامد؛ لإنشاء الذم بمعنى بئس، ﴿مَا﴾، فيها الوجهان المشار إليهما بقوله في الخلاصة:

وما مميز وقيل فاعل ... في نحو نعم ما يقول الفاضل

وقوله: ﴿يَزِرُونَ﴾، أي: يحملون، وقال قتادة: يعملون. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى -مخبرًا عن شدة تكذيب المشركين بآيات الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أي: إذا سألوا عن القرآن والوحي الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، فماذا قولكم به؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعترفون بها أم تكفرون وتعاندون؟

فيكون جوابهم أقبح جواب وأسمجه، فيقولون عنه: إنه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ أي: كذب اختلقه محمد على الله، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلًا بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه المقالة، ودعوا أتباعهم إليها، وحملوا وزرهم ووزر من انقاد لهم إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين يعلمون فكلٌّ مستقلٌّ بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئس ما حملوا من الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه.

❁ ❁ ❁

(٧٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: قد مكر أهل الكفر الذين كانوا قبل كفار قريش، مكروا بمن يريد الإيمان فحاولوا صرفه عن طريق الإيمان، ومكروا بمن آمن فحاولوا تضليله وقتله وإلحاق الأذى به.

أما عن كيفية مكرهم، والمكر الذي مكروا فلأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن هذا الذي عناه الله بقوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ ﴾ هو النمرود بن كنعان، والذي حاج إبراهيم في ربه بنى صرحًا عاليًا لمحاربة ربِّه ﷻ فأسقط الله سقف بيته عليه.

وقيل: إنه بختنصر البابلي.

قلت (مصطفى): والظاهر أن الذين مكروا ودمَّر الله عليهم قوم كثيرون، فقوم صالح، وهو التسعة رهط من قوم ثمود مكروا بصالح ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ... ﴾ [النمل: ٤٨-٥٢].

ومكر بنو إسرائيل بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ مكروا بعيسى عليه السلام لصلبه فسلمه الله ﷻ ورفع إليه.

ومكر فرعون أيضًا لإضلال الناس إذ قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ

(٧١) أحمر
أسود

لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

ومكر قوم نوحٍ بنوحٍ عليه السلام كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢].

وغير هؤلاء الكثير والكثير مكروا بخلق الله لإضلالهم وإغوائهم وصرفهم عن دينهم، مكروا فأظهروا الخير وأبطنوا الشر وأظهروا الطيب، وأبطنوا الخبيث.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ فمحتملٌ لمعانٍ:

أحدها: أن يكون بعض هؤلاء الذين مكروا بنوا بنيانًا لصرف الناس عن دينهم فدمّره الله من أساسه وأصله وأسقط سقفه عليهم ونزل عليهم العذاب من حيث لا يتوقعون ولا يدرون.

والثاني: أن يكون المراد أن الله عز وجل أبطل كيدهم ومكرهم وأنزل على الذين يريدون المكر بالعباد وإغوائهم عذابًا من حيث لا يتوقعون ولا يدرون، ويحتمل أن يكون المكر بالبنيان والعذاب بما سوى إسقاط السقف، والمراد أن العذاب فجأهم من وجهٍ لا يتوقعونه، والظاهر الموافق لسياق الآية الكريمة هو الوجه الأول، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: ولا يقتصر عذاب الله لهؤلاء الذين مكروا على عذاب الدنيا الذي عذبهم الله به، بل ويوم القيامة يفضحهم الله عز وجل، وأعظم الخزي إدخالهم النار والعياذ بالله، كما في الآية الكريمة ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ﴾ معناه: والله أعلم أن الله عز وجل يقول لأهل الكفر أين شركائي، أين من جعلتموهم لي شركاء، وعاديتم أنبيائي ورسلي وأوليائي بسببهم؟!! أين هذه الآلهة الباطلة التي

(٧٢) أحمر
أسود

عبدتموها من دوني، ادعوها إن استطعتم فلتنصركم إن استطعتم، فحينئذٍ لم يدروا جوابًا فتكلم أهل العلم وأهل الإيمان، قالوا: إن الخزي اليوم والسوء على أهل الكفر والجحود والنكران، الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وعبدوا معه آلهة أخرى.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدّون عن سبيل الله، من أراد اتباع دين الله، فراموا مغالبة الله ببناء بَنَوه، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها، وكان الذي رام ذلك فيما ذُكر لنا جبار من جبابرة النَّبَط، فقال بعضهم: هو نمرود بن كنعان، وقال بعضهم: هو بختنصر، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم. وقيل: إن الذي ذُكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم.

ثم قال أيضًا:

وقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فخرّ عليهم السقف من فوقهم: أعالي بيوتهم من فوقهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ إي والله، لأتاها أمر الله من أصلها ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ والسقف: أعالي البيوت، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ أن العذاب أتاهم من السماء.

وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت عليهم

(٧٣) أحمر
أسود

سقوف بيوتهم، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله، فائتفكت بهم منازلهم لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان، وخرّ السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وُجِد إليه سبيل ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأتى هؤلاء الذين مكروا من قَبْل مشركي قريش، عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره: فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جلّ ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا، من تعجيل العذاب لهم، والانتقام بكفرهم، وجحودهم وحدانيته، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم، فمذلهم بعذاب أليم، وقائل لهم عند ورودهم عليه ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أصله: من شاققت فلانًا فهو يشاقُّني، وذلك إذا فعل كلّ واحد منهما بصاحبه ما يشقّ عليه. يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعًا للمشركين بعبادتهم الأصنام: أين شركائي؟ يقول: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، ما لهم لا يحضرونكم، فيدفعوا عنكم ما أنا مُحلّ بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا، وتتولونهم، والوليّ ينصر وليه، وكانت مشاقتهم الله في أوثانهم مخالفتهم إياه في عبادتهم.

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: الذلة والهوان والسوء، يعني: عذاب الله على الكافرين.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قولين في الذين عناهم الله ﷻ بقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾.

أحدهما: أنه النمروذ الذي بنى الصرح.

والآخر: أنه بختنصر.

(٧٤) أحمر
أسود

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: هذا من باب المثل، لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره، كما قال نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢] أي: احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة، كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ الآية [سبأ: ٣٣].

وقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي: اجتثه من أصله، وأبطل عملهم، وأصلها كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

وقال هاهنا: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يظهر فضائحهم، وما كانت تجنه ضمائرهم، فيجعله علانية، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩] أي: تظهر وتشتهر، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ بِقَدْرِ غَدْرَته، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَة فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**».

وهكذا هؤلاء، يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر، ويخزيهم الله على رؤوس الخلائق، ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرعًا لهم وموبخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم، أي: أين هم عن نصركم وخلاصكم هاهنا؟ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٣]، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]. فإذا توجهت عليهم الحجة، وقامت عليهم

(١) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٧).

(٧٥) أحمر
أسود

الدلالة، وحقت عليهم الكلمة، وأسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ -وهم السادة في الدنيا والآخرة، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، فيقولون حينئذ: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الفضيحة والعذاب اليوم محيط بمن كفر بالله، وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار الذين كانوا قبل كفار مكة قد مكروا، وبين ذلك في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٤٢]، وقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

[إبراهيم: ٤٦]

وبين بعض مكر كفار مكة، بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وذكر بعض مكر اليهود بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

[آل عمران: ٥٤]

وبين بعض مكر قوم صالح، بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.

[النمل: ٥٠، ٥١]

وذكر بعض مكر قوم نوح، بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ..﴾ الآية [نوح: ٢٢-٢٣].

وبين مكر رؤساء الكفار، في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ ...﴾ الآية [سبأ: ٣٣]، والمكر: إظهار الطيب وإبطان الخبيث، وهو الخديعة. وقد بين جل وعلا أن المكر السيئ لا يرجع ضرره إلا على فاعله؛

(٧٦) أحمر
أسود

وذلك في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾، أي: اجتثه من أصله واقتلعه من أساسه؛ فأبطل عملهم وأسقط بنيانهم. وهذا الذي فعل بهؤلاء الكفار الذين هم نمروذ وقومه ـ كما قدمنا في «سورة الحجر» ـ فعل مثله أيضًا بغيرهم من الكفار؛ فأبطل ما كانوا يفعلون ويدبرون؛ كقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾، أي: يفضحهم على رؤوس الأشهاد ويهينهم بإظهار فضائحهم، وما كانت تجنه ضمائرهم، فيجعله علانية.

وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات: ٩-١٠]، أي: أظهر علانية ما كانت تكنه الصدور، وقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩].

وقد بين جل وعلا في موضع آخر: أن من أدخل النار فقد ناله هذا الخزي المذكور، وذلك في قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقد قدمنا في سورة «هود» إيضاح معنى الخزي.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ، فيقول لهم: أين المعبودات التي كنتم تخاصمون رسلي وأتباعهم بسببها، قائلين: إنكم لا بد لكم أن تشركوها معي في عبادتي!

وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخر، كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ

(٧٧) أحمر
أسود

ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص٦٢]، وقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٢، ٩٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا...﴾ الآية [غافر: ٧٣-٧٤]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا...﴾ الآية [الأعراف: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم واحتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاءوهم به وبنوا من مكرهم قصورًا هائلة، ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي: جاءها الأمر من أساسها وقاعدتها، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فصار ما بنوه عذابًا عذبوا به، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ويقيهم العذاب فصار عذابهم فيما بنوه وأصَّلوه.

وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه. فإنهم فكروا وقدروا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم وجعلوا لهم أصولًا وقواعد من الباطل يرجعون إليها، ويردون بها ما جاءت به الرسل، واحتالوا أيضًا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم، فصار مكرهم وبالًا عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم، وذلك لأن مكرهم سيئ ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ هذا في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يفضحهم على رءوس الخلائق ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: تحاربون وتعادون الله وحزبه لأجلهم وتزعمون أنهم شركاء لله، فإذا سألهم هذا السؤال لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم فيقولون: ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٣٧] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي:

(٧٨) أحمر
أسود

العلماء الربانيون ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ أي: سوء العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ وفي هذا فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: الذين تقبض الملائكة أرواحهم وهم على الشرك بالله ﷻ، هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل بسبب شركهم بالله، هؤلاء الذين يموتون على الكفر يوم القيامة يظهرون كمال الخضوع والانقياد والاستسلام ويكذبون مع ذلك في قيلهم، وينكروا أن يكونوا قد أشركوا في الدنيا، كما في آية أُخرى إذ يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فهاهنا ينكرون أيضًا فيقولون ما كنا نعمل في الدنيا سوءًا، فيجابون بقوله: ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: قد كنتم تعملون سوءًا في الدنيا، وأنتم كذبة في قولكم، فالله سبحانه وتعالى: لا يخفى عليه من خلقه شيء، فهو عليمٌ بما صنعتموه في دنياكم، فها هي جهنم المعدَّة لكم فادخلوا أبوابها ماكثين فيها لا تخرجون منها أبدًا فلبئس المقام مقام هؤلاء المتكبرين على ربهم المستكبرين عن عبادته وطاعته.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾ من قول أهل العلم المذكورين في الآية المتقدمة، ومنهم من قال إنه قول الله ﷻ.

هذا، ومن العلماء من نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ على آية النساء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ...﴾ [النساء: ٩٧] وأرى هذا التنزيل بعيدًا؛ لأن آية النساء في مسلمين ظلموا أنفسهم بمعاونة أهل

(٧٩) أحمر
أسود

الكفر، أما هذه التي نحن بصددها في الكفار الأصليين والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الذين أوتوا العلم: إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقول: الذين تقبض أرواحهم الملائكة، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله، وقيل: إنه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر، وقد أخرج إليها كرها.

وأورد نحوًا مما تقدم في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ...﴾ [النساء: ٩٧].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ يقول: فاستسلموا لأمره، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وفي الكلام محذوف استغني بفهم سامعيه ما دلّ عليه الكلام عن ذكره وهو: قالوا ما كنا نعمل من سوء، يخبر عنهم بذلك أنهم كذّبوا وقالوا: ما كنا نعصي الله اعتصامًا منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك، فكذّبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدّون عن سبيل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه، وتأتون فيها ما يسخطه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره، يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم: ما كنا نعمل من سوء: ادخلوا أبواب جهنم، يعني: طبقات جهنم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: ماكثين فيها ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقرّ بربوبيته، ويصدّق بوحدانيته جهنم.

(٨٠) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم الخبيثة: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ كما يقولون يوم المعاد: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨].

قال الله مكذبا لهم في قيلهم ذلك: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان، لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله.

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، ويأتي أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ [فاطر: ٣٦]، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾، أي: الاستسلام والخضوع. والمعنى: أظهروا كمال الطاعة والانقياد، وتركوا ما كانوا عليه من الشقاق. وذلك عندما يعاينون الموت، أو يوم القيامة. يعني: أنهم في الدنيا يشاقون الرسل، أي: يخالفونهم ويعادونهم، فإذا عاينوا الحقيقة ألقوا السلم، أي: خضعوا واستسلموا وانقادوا حيث لا ينفعهم ذلك.

ومما يدل من القرآن على أن المراد بإلقاء السلم: الخضوع والاستسلام، قوله: (**وَلا تَقُولُوا لمن أَلْقى إِلَيْكُم السّلم لست مُؤمنا**)، على قراءة نافع وابن

(٨١) أحمر
أسود

عامر وحمزة بلا ألف بعد اللام؛ بمعنى الانقياد والإذغان. وقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٠]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الآية [النساء: ٩١].

والقول بأن السلم في الآيتين الأخيرتين: الصلح والمهادنة لا ينافي ما ذكرنا؛ لأن المصالح منقاد مذعن لما وافق عليه من ترك السوء، وقوله: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل٨٧]، فكله بمعنى الاستسلام والخضوع والانقياد، والانقياد عند معاينة الموت لا ينفع، كما قدمنا، وكما دلت عليه آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ الآية [النساء: ١٨]، وقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ الآية [غافر: ٨٥]، وقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾، يعني أن الذين تتوفاهم الملائكة في حال كونهم ظالمي أنفسهم إذا عاينوا الحقيقة ألقوا السلم، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾، فقوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ﴾، معمول قول محذوف بلا خلاف.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنهم ينكرون ما كانوا يعملون من السوء، وهو الكفر وتكذيب الرسل والمعاصي، وقد بين الله كذبهم، بقوله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وبين في مواضع أخر: أنهم ينكرون ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي كما ذكر هنا، وبين كذبهم في ذلك أيضًا؛ كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣-٢٤]، وقوله: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤]،

(٨٢) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقولـه: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، أي: حرامًا محرمًا أن تمسونا بسوء؛ لأنا لم نفعل ما نستحق به ذلك، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله هنا: ﴿بَلَىٰٓ﴾، تكذيب لهم في قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ الآية، لم يبين هنا عدد أبوابها، ولكنه بين ذلك في «سورة الحجر»، في قولـه جل وعلا: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]، أرجو الله أن يعيذنا وإخواننا المسلمين منها ومن جميع أبوابها! إنه رحيم كريم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة وفي القيامة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيهم وقد علم ما يلقى الظلمة في ذلك المقام من أنواع العذاب والخزي والإهانة.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ فيقال لهم: ﴿بَلَىٰٓ﴾ كنتم تعملون السوء فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فلا يفيدكم الجحود شيئا، وهذا في بعض مواقف القيامة ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظنا أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا، ولهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم. ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ فكلُّ أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بحالهم، ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ نار جهنم فإنها مثوى الحسرة والندم، ومنزل الشقاء والألم ومحل الهموم والغموم، وموضع السخط من الحي القيوم، لا يفتَّر عنهم من عذابها، ولا يرفع عنهم يومًا من أليم عقابها، قد أعرض عنهم الرب الرحيم، وأذاقهم العذاب العظيم.

(٨٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤ ﴾

[النحل: ٣٠-٣٤]

(٨٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ - هَلۡ يَنظُرُونَ - أَمۡرُ رَبِّكَ - وَحَاقَ بِهِم - مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ﴾	تقبض الملائكة أرواحهم وهم على الإيمان والإسلام وصالح الأعمال.
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾	هل ينتظرون.
﴿أَمۡرُ رَبِّكَ﴾	المراد أمره بقيام الساعة.
﴿وَحَاقَ بِهِم﴾	نزل بهم وحلَّ بهم.
﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾	جزاء استهزائهم.

❁ ❁ ❁

(٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: وقيل لأهل الإيمان والتوحيد والإسلام، الذين اتقوا الشرك بالله ﷻ قيل لهم - لما نزل القرآن - ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أنزل ربنا خيرًا، ثم فصلوه بقولهم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، أي: للذين استقاموا على أمر الله ﷻ حسنةٌ في هذه الدنيا، وهي طمأنينة القلب بالإيمان ورضا القلب بذلك، والعيشة الهنيئة والحياة الطيبة، والتي منها الزوجة الصالحة وغير ذلك مما يرزقهم الله به، وأعظم ذلك كله في الدنيا رضا القلب بالإيمان والتوحيد ونطق اللسان بذلك، فضلًا عن سائر صور الحياة الطيبة.

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ﴾ هو قول الله ﷻ.

وقال آخرون كما سبق إنه قول المتقين لما سئلوا ماذا أنزل ربكم.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ﴾ فيها نفس الوجهين المتقدمين، ومعناه: الدار الآخرة، وما أُعد فيها من النعيم المقيم خيرٌ للذين أحسنوا في الدنيا ولنعم الدار دار المتقين ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣١، ٣٢].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: هكذا يجازي الله ﷻ أهل التقوى. أما قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ ...﴾ فمعناه، والله أعلم الذين تقبض الملائكة أرواحهم عند استيفاء آجالهم، وهم طيبون، سلموا من

(٨٦) أحمر
أسود

الشرك وسلموا من الكبائر، تقول لهم الملائكة عند الاحتضار سلام عليكم ادخلوا الجنة، يوم تقوم الساعة جزاء أعمالكم الصالحة التي عملتموها.

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ ذلك يُقال لهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وكل ذلك صحيح فالبشارات تتوالى في الدنيا وعند الاحتضار وفي القبر ويوم يقوم الأشهاد، وكذا بعد دخول الجنان، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقيل للفريق الآخر، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ يقول: قالوا: أنزل خيرًا. وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول: إنما اختلف الأعراب في قوله ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ وقوله ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ والمسألة قبل الجوابين كليهما واحدة، وهي قوله ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ﴾ لأن الكفار جحدوا التنزيل، فقالوا حين سمعوه: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي هذا الذي جئت به أساطير الأوّلين، ولم ينزل الله منه شيئا، وأما المؤمنون فصدَّقوا التنزيل، فقالوا: ﴿خَيۡرٗاۗ﴾، بمعنى أنه أنزل خيرا، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير، فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ وقد بيَّنا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ يقول تعالى ذكره: للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله، وأطاعوه فيها، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به،حسنة، يقول: كرامة من الله ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ يقول: ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يقول: ولنعم دار الذين

(٨٧) أحمر
أسود

خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ ﴾ وهؤلاء مؤمنون، فيقال لهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ﴾ فيقولون: ﴿خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ﴾: أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله، وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ بساتين للمقام، وقد بيَّنا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن إعادته ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يقول: يدخلون جنات عدن، وفي رفع جنات أوجه ثلاث: أحدها: أن يكون مرفوعًا على الابتداء، والآخر: بالعائد من الذكر في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ والثالث: على أن يكون خبر النعم، فيكون المعنى إذا جعلت خبر النعم: ولنعم دار المتقين جنات عدن، ويكون ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ في موضع حال، كما يقال: نعم الدار دار تسكنها أنت، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها، من صلة جنات عدن، وقوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ يقول: للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون مما تشتهي أنفسهم، وتلذّ أعينهم ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: كذلك يجزي الله المتقين الذين تَقْبِض أرواحَهم ملائكةُ

(٨٨) أحمر
أسود

الله، وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم. وقوله: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ يعني جلّ ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي صخر، أنه سمع محمد بن كعب القُرَظيّ يقول: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ ...﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ يقول: بما كنتم تصيبون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله، طلب مرضاته.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا خبر عن السعداء، بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء، فإن أولئك قيل لهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ﴾ فقالوا معرضين عن الجواب: لم ينزل شيئا، إنما هذا أساطير الأولين. وهؤلاء ﴿قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ أي: أنزل خيرًا، أي: رحمة وبركة وحسنًا لمن اتبعه وآمن به. ثم أخبروا عما وعد الله به عباده فيما أنزله على رسله فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، أي: من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة.

ثم أخبر بأن دار الآخرة خير، أي: من الحياة الدنيا، والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ [القصص: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وقال تعالى ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]. ثم وصفوا الدار الآخرة فقالوا: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

(٨٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ بدل من قوله: ﴿دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: لهم في الدار الآخرة ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ أي: إقامة يدخلونها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: بين أشجارها وقصورها، ﴿ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف: ٧١]، وفي الحديث: وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ السَّحَابَةَ لَتَمُرُّ بِالْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَرَابِهِمْ، فَلَا يَشْتَهِي أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَمْطَرَتْهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ لَمَنْ يَقُولُ: أَمْطِرِينَا كواعب أترابًا، فيكون ذلك**».

﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ أي: كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله. ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار، أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾ أي قالوا: أنزل خيرا، وتم الكلام. و﴿مَاذَآ﴾ على هذا اسم واحد. وكان يرد الرجل من العرب مكة في أيام الموسم فيسأل المشركين عن محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقولون: ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون. ويسأل المؤمنين فيقولون: أنزل الله عليه الخير

(٩٠) أحمر
أسود

والهدى، والمراد القرآن. وقيل: إن هذا يقال لأهل الإيمان يوم القيامة. قال الثعلبي: فإن قيل: لم ارتفع الجواب في قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وانتصب في قوله: ﴿خَيْرًا﴾؟ فالجواب أن المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل، فكأنهم قالوا: الذي يقوله محمد هو أساطير الأولين. والمؤمنين آمنوا بالنزول فقالوا: أنزل خيرا. وهذا مفهوم معناه من الإعراب، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قيل: هو من كلام الله ﷻ وقيل: هو من جملة كلام الذين اتقوا. والحسنة هنا: الجنة، أي: من أطاع الله فله الجنة غدا. وقيل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: ما ينالون في الآخرة من ثواب الجنة خير وأعظم من دار الدنيا، لفنائها وبقاء الآخرة. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ فيه وجهان: قال الحسن: المعنى ولنعم دار المتقين الدنيا، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة. وقيل: المعنى ولنعم دار المتقين الآخرة، وهذا قول الجمهور. وعلى هذا تكون ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من الدار فلذلك ارتفع. وقيل: ارتفع على تقدير هي جنات، فهي مبينة لقوله: ﴿دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. أو تكون مرفوعة بالابتداء، التقدير: جنات عدن نعم دار المتقين.

وقال:

﴿طَيِّبِينَ﴾ فيه ستة أقوال:

الأول: ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك.

الثاني: صالحين.

الثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم.

الرابع: طيبين الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى.

الخامس: طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله.

(٩١) أحمر
أسود

السادس: ﴿طَيِّبِينَ﴾ أن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمخلط. والله أعلم. ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون السلام إنذارا لهم بالوفاة.

الثاني: أن يكون تبشيرًا لهم بالجنة، لأن السلام أمان.

وقال:

وقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما- أن يكون معناه أبشروا بدخول الجنة. الثاني- أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة. ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ يعني في الدنيا من الصالحات.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن دار الآخرة خير من دار الدنيا. وكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة، كقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ...﴾ الآية [القصص: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وقوله: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقوله: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤﴾ [الضحى: ٤]، وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ...﴾ الآية [آل عمران: ١٤-١٥].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أسند هنا جل وعلا التوفي للملائكة في قوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وأسنده في «السجدة» لملك الموت في قوله: ﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [السجدة: ١١]،

(٩٢) أحمر
أسود

وأسنده في «الزمر» إلى نفسه جل وعلا في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..﴾ الآية [الزمر: ٤٢]، وقد بينا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة «السجدة»: أنه لا معارضة بين الآيات المذكورة؛ فإسناده التوفي لنفسه، لأنه لا يموت أحد إلا بمشيئته تعالى، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وأسنده لملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسنده إلى الملائكة؛ لأن لملك الموت أعوانًا من الملائكة ينزعون الروح من الجسد إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت، كما قاله بعض العلماء، والعلم عند الله تعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر الله قيل المكذبين بما أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعلموها وعملوا لها ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله فلهم ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ رزق واسع، وعيشة هنية، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور.

﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من هذه الدار وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات، فإن هذه نعيمها قليل محشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة ولهذا قال: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ أي: مهما تمنته أنفسهم وتعلقت به إرادتهم حصل لهم على أكمل الوجوه وأتمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعًا من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب وسرور الأرواح، إلا وهو حاضر لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يذكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.

فتبارك الذي لا نهاية لكرمه، ولا حد لجوده الذي ليس كمثله شيء في صفات

(٩٣) أحمر
أسود

ذاته، وصفات أفعاله وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ لسخط الله وعذابه بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات المتعلقة بالقلب والبدن واللسان من حقه وحق عباده، وترك ما نهاهم الله عنه. ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مستمرين على تقواهم ﴿طَيِّبِينَ﴾ أي: طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته وألسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة. وقد سلمتم من كل ما تكرهون ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ماذا ينتظر هؤلاء المشركون المعرضون عن طاعة الله ﷻ حتى يؤمنوا؟!! فقد جاءتهم الحجج الواضحات والدلالات البينات على وحدانية الله ﷻ وقدرته، وصدق رسله فماذا يريدون بعد ذلك إنهم بامتناعهم عن الإيمان لا ينبغي أن ينتظروا إلا مجيء الملائكة بالعذاب، أو مجيء الملائكة لقبض أرواحهم، أو أمر الله ﷻ بقيام الساعة فعند ذلك يؤمنوا، ولكن هيهات هيهات أن ينفعهم هذا الإيمان.

أما قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ أي: كالتكذيب والكفر الذي سلكه هؤلاء المشركون فكذلك فعلت الأمم المكذبة من قبلهم رفضوا الإيمان،

(٩٤) أحمر
أسود

وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا حتى أتاهم عذاب الله وأتتهم الملائكة لقبض أرواحهم، ولكن كما قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ كما قال: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٥].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما بخسهم الله حقهم ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بإنزالها أسوأ المنازل في الجحيم والعياذ بالله.

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: فحلَّ بهم جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها، وحاق بهم، حلَّ بهم ونزل جزاء استهزائهم وكفرهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله، لأن ذلك في كلّ مشرك بالله ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطه، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بمعصيتهم ربهم وكفرهم به، حتى استحقوا عقابه، فعجَّل لهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قال: بالموت، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وهو ملك الموت، وله رسل، قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ذاكم يوم القيامة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا، يعني عقوبات ذنوبهم، ونقم معاصيه التي اكتسبوها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: وحلّ بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسلُ الله، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متهددا للمشركين على تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا: هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم، قاله قتادة.

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: هكذا تمادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله، وحلوا فيما هم فيه من العذاب والنكال. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنه تعالى أعذر إليهم، وأقام حججه عليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به، فلهذا أصابتهم عقوبة الله على ذلك، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط بهم من العذاب الأليم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: يسخرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب الله؛ فلهذا يقال لهم يوم القيامة: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

هذا راجع إلى الكفار، أي: ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم. وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي

(٩٦) أحمر
أسود

وخلف «**يأتيهم الملائكة**» بالياء. والباقون بالتاء. و﴿يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: بالعذاب من القتل كيوم بدر، أو الزلزلة والخسف في الدنيا. وقيل: المراد يوم القيامة. والقوم لم ينتظروا هذه الأشياء لأنهم ما آمنوا بها، ولكن امتناعهم عن الإيمان أوجب عليهم العذاب، فأضيف ذلك إليهم، أي عاقبتهم العذاب. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

أي أصروا على الكفر فأتاهم أمر الله فهلكوا. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

أي بتعذيبهم وإهلاكهم، ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير، التقدير: كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم سيئات ما عملوا، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، فأصابهم عقوبات كفرهم جزاء الخبيث من أعمالهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط بهم ودار ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: عقاب استهزائهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا، وذكِّروا فلم يتذكروا، ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب الذي سيحل بهم فإنهم قد استحقوا وقوعه فيهم، ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كذبوا وكفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إذ عذبهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فإنها مخلوقة لعبادة الله ليكون مآلها إلى كرامة الله فظلموها وتركوا ما خلقت له، وعرضوها للإهانة الدائمة والشقاء الملازم. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: عقوبات أعمالهم وآثارها، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزأوا به، وسخروا ممن أخبر به فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه.

(٩٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ
ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى
ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ
ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾
إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ
﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ
وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ
أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ
أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ
لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ

(٩٨) أحمر
أسود

﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ
الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن
فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

[النحل: ٣٥-٥٠]

(٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلطَّٰغُوتَ - حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ - عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ - لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ - جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ - لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ - يَتَوَكَّلُونَ - أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ - بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ - مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ - يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ - بِمُعۡجِزِينَ - يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ - دَآبَّةٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾	الشيطان - كل ما عُبد من دون الله ورضى بذلك.
﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾	تحققت فيه كلمة الله بأنه سيموت على الكفر والضلال.
﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾	نهاية المكذبين بوحدانية الله والمكذبين للرسل.
﴿لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾	من أضله الله فلن يهتدي.
﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ﴾	مجتهدين في الإيمان - مغلِّظين للأيمان.
﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾	لنسكننهم سكنًا طيبًا في الدنيا - لنرزقنهم رزقًا حسنًا.
﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾	يعتمدون.
﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾	أهل الكتاب.
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾	بالحجج والكتب.
﴿مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	مكروا بالناس ليوقعوهم في السيئات التي أعظمها الشرك بالله.

(١٠٠) أحمر
أسود

﴿يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾	يأخذهم في أسفارهم وتنقلهم من بلدة إلى بلدة - يأخذهم أثناء نومهم وتقلبهم في الفراش.
﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾	بفائتين - بمغالبين الله - بمعجزي الله - يهلكهم وهم يرون الهلاك وأسبابه مقبلة عليهم
﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾	يتراجع الظل من اتجاه للاتجاه الآخر.
﴿دَآبَّةٖ﴾	كل ما يدب على الأرض.

❁ ❁ ❁

(١٠١) أحمر
أسود

حقٌّ يريد به المشركون الباطل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وقال الذين عبدوا مع الله آلهة أُخرى وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا. قالوا: لو لم يرضى الله بعبادتنا لهذه الآلهة لمنعنا منها ومن عبادتها، وكذا لمنع آباءنا من عبادتها وكذا لو شاء ما حرّمنا شيئًا أحلَّه هو، فلو شاء لمنعنا من تحريم هذه الأشياء التي حرمناها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، ولأنزل بنا العقوبة والعذاب على ذلك، فكونه لم يُنزل علينا عقوبة ولا عذابًا علمنا بذلك أنه راضٍ عن عبادتنا آلهة أُخر معه، وعلمنا بذلك رضاه بالأشياء التي حرمناها.

فهكذا جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكجدالهم هذا جادل من كان قبلهم من أهل الكفر الذين سبقوهم فقل لهؤلاء الذين احتجوا بعدم إنزال العذاب عليهم، ليس علينا معشر الرسل إلا تبليغكم بلاغًا مبينًا واضحًا وظاهرًا أما إنزال العذاب عليكم أو تأجيله وتركه فذاك أمرٌ موكول إلى الله ﷻ ليس إلى أحدٍ من خلقه أما قولكم يا أهل الكفر إن الله راض بذلك الكفر منكم، فقد كذبكم الله في ذلك، وقد أعذر إليكم وأرسل إليكم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وقد قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧]، ولقد بعث ربنا في كل أمة رسولًا يأمرهم بعبادة الله ﷻ وترك عبادة الطاغوت، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾.

فأقام الله الحجج وأرسل الله الرسل، وأنزل الله الكتب وضرب الله الأمثال

(١٠٢) أحمر
أسود

للناس، للدلالة على وحدانيته وأنه لا شريك له فقطع على الكافرين أعذارهم بذلك.

هذا، ومن العلماء من قال: إن هذا القول من أهل الكفر كان على سبيل الاستهزاء والسخرية.

هذا، وقد يحمل قول أهل الكفر: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ...﴾ على أن مرادهم بهذا المنع الكوني القدري، وليس المنع الشرعي الديني، بمعنى أنهم يقولون إن الله قدر علينا أن نعبد غيره فسنبقى على ما قدره الله علينا، ولو أراد منعنا لهدانا للإيمان:

وجواب ذلك من وجوه:

أحدها: من الذي أدراكم بالمقدر عليكم أو على غيركم!!

ثانيها: لماذا إذا تعاقبون من سرق أموالكم واعتدى على نسائكم وقتل منكم من قتل؟!! لماذا تعاقبون من يفعل ذلك بكم.

ولم لا تقولون إن السارق الذي سرق أموالنا قدَّر الله عليه أن يكون سارقًا، لماذا لم تتركوه إذن، ولماذا لم تتركوا القاتل الجاني وغير ذلك.

ثالثها: لماذا تتركون أوامر الله الشرعية الدينية الواضحة الظاهرة فتتركون أوامر الله وتقترفوا ما نهاكم عنه.

فسيكون قولهم حينئذٍ حقًّا يريدون به باطلًا، أو يكونوا قالوا ذلك ساخرين مستهزئين. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قول تعالى ذكره: وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله: ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضي عبادتنا هؤلاء، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب، إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه،

(١٠٣) أحمر
أسود

لولا ذلك لغير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال. يقول تعالى ذكره: كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استَن هؤلاء سنتهم، فقالوا مثل قولهم، وسلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله، واتباع أفعال آبائهم الضلال، وقوله: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ يقول جلّ ثناؤه: فهل أيها القائلون: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم عقوبتنا على كفركم، إلا البلاغ المبين: يقول: إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة. ويعني بقوله: ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: الذي يبين عن معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الشرك واعتذارهم محتجين بالقدر، في قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم، ما لم ينزل الله به سلطانًا.

ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارهًا لما فعلنا، لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكنا منه. قال الله رادًّا عليهم شبهتهم: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم يعيره عليكم ولم ينكره، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي، وبعث في كل أمة رسولًا أي: في كل قرن من الناس وطائفة رسولًا وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وانظر ما سيأتي في تفسير الآية التي تليها عن الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: احتج المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا،

(١٠٤) أحمر
أسود

ولا حرموا شيئًا من الأنعام التي أحلها كالبحيرة والوصيلة والحام ونحوها من دونه، وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقًّا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله.

فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس قدرة الإنسان على كل فعل يريده من غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين تكذيب الله وتكذيب رسله وتكذيب الأمور العقلية والحسية، ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب، ولا يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر ربهم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾.

ج: هذا - والله أعلم-: مفاده أن الله ﷻ أعذر إلى الخلق وبعث في كل قرنٍ من القرون، أو جيل من الأجيال رسولًا يحذرهم ويأمرهم وينهاهم، يأمرهم بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة الشياطين وعن عبادة أي شيء غير الله ﷻ، فالطاغوت الشيطان والطاغوت كل معبود سوى الله ﷻ فمن رضى بعبادة عابديه، فهكذا أرسلنا الرسل وأصل دعوتهم هو هذه: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الطواغيت، وهذا الذي

(١٠٥) أحمر
أسود

تضمنته كلمة لا إله إلا الله، وهو الذي تضمنته الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكذا قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إلى غير ذلك من الآيات.

أما قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: من الأمم السابقة فريق وفقه الله للإيمان وشرح صدره له فآمن وسلم، ومنهم من بقي على كفره وتحققت فيه كلمة الله التي قضاها عليه وهي أن الله حكم عليها بالشقاوة، بأن يكون شقيًّا من أهل النار كما قال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سير المتدبر المتأمل المستدل المعتبر ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ الذين كذبوا الرسل، انظروا ماذا حلَّ بهم لقد انتقم الله منهم وجعلهم عبرة ونكالًا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولًا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفَّقه لتصديق رسله، والقبول

(١٠٦) أحمر
أسود

منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقَّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذّبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: إن كنتم أيها الناس غير مصدّقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حلّ بهم ما حلّ من بأسنا بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها، والبلاد التي كانوا يعمرونها، فانظروا إلى آثار الله فيهم، وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك، وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

... وبعث في كل أمة رسولًا، أي: في كل قرن وطائفة من الناس رسولًا، وكلهم يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: ﴿لَوْ

(١٠٧) أحمر
أسود

شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله، وأما مشيئته الكونية، وهي تمكينهم من ذلك قدرًا، فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة.

ثم إنه تعالى قد أخبر أنه عير عليهم، وأنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل؛ فلهذا قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك: ١٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بأن اعبدوا الله ووحدوه. ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ أي: اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: أرشده إلى دينه وعبادته. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ أي: بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره، وهذا يرد على القدرية، لأنهم زعموا أن الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى، والله تعالى يقول: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ وقد تقدم هذا في غير موضع. ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: فسيروا معتبرين في الأرض. ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: كيف صار آخر أمرهم إلى الخراب والعذاب والهلاك.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولًا بعبادة الله وحده،

(١٠٨) أحمر
أسود

واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»، لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه.

وأوضح هذا المعنى كثيرًا في القرآن عن طريق العموم والخصوص، فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]، ونحو ذلك من الآيات.

ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف:٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف:٨٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

واعلم أن كل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت، ولا تنفع عبادة الله إلا بشرط اجتناب عبادة ما سواه؛ كما بينه تعالى بقوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الأمم التي بعث فيها الرسل بالتوحيد منهم

(١٠٩) أحمر
أسود

سعيد، ومنهم شقي؛ فالسعيد منهم يهديه الله إلى اتباع ما جاءت به الرسل، والشقي منهم يسبق عليه الكتاب فيكذب الرسل، ويكفر بما جاؤوا به، فالدعوة إلى دين الحق عامة، والتوفيق للهدى خاص؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]، فقوله: ﴿فَمِنۡهُم﴾، أي: من الأمم المذكورة في قوله: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾، وقوله: ﴿مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾، أي: وفقه لاتباع ما جاءت به الرسل.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ...﴾، أي: وجبت عليه ولزمته، لما سبق في علم الله من أنه يصير إلى الشقاوة. والمراد بالضلالة: الذهاب عن طريق الإسلام إلى الكفر.

وقد بين تعالى هذا المعنى في آيات أخر؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢]، وقوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [هود: ١٠٥]، وقوله: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية: أن حرص النَّبي ﷺ على إسلام قومه لا يهدي من سبق في علم الله أنه شقي.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

(١١٠) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها قسمين، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فاتبعوا المرسلين علما وعملا ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ فاتبع سبيل الغي. ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبًا إلا كان عاقبته الهلاك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: إن تحرص على هداية هؤلاء المشركين فلا ينبغي أن تذهب نفسك عليهم حسرات، واعلم أن من أضله الله ﷻ لن يهتدي وإن حرصت على هدايته، ﴿وَمَا لَهُم﴾، وما لهؤلاء المشركين من ناصرين ينصرونهم من دون الله.

والآية كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وكقوله تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وكقوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف: ١٧].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء

(١١١) أحمر
أسود

المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الكوفيين ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّ﴾ بفتح الياء من يهدي، وضمها من يضلّ، وقد اختلف في معنى ذلك قارِئوه كذلك، فكان بعض نحويي الكوفة يزعم أن معناه: فإن الله من أضله لا يهتدي، وقال: العرب تقول: قد هدى الرجل: يريدون قد اهتدى، وهدى واهتدى بمعنى واحد، وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه: فإن الله لا يهدي من أضله، بمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه. وقرأ ذلك عامَّة قرّاء المدينة والشام والبصرة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى﴾ بضم الياء من يُهدى ومن يضل، وفتح الدال من يُهدَى بمعنى: من أضله الله فلا هادي له.

وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب، لأن يهدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب غير مستفيض، وأنه لا فائدة في قول قائل: من أضله الله فلا يهديه، لأن ذلك مما لا يجهله أحد، وإذ كان ذلك كذلك، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى.

فتأويل الكلام لو كان الأمر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي له، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ يقول: وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]، وقال نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ

(١١٢) أحمر
أسود

ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] كما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

فقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلهذا قال: ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ أي: من أضله فمن الذي يهديه من بعد الله؟ أي: لا أحد ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: ينقذونهم من عذابه ووثاقه، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وأقسموا (أي: أهل الشرك) بالله مجتهدين في الأيمان مغلظين لها مكررين لها مؤكدين، أقسموا أن الله ﷻ لن يبعث من يموت، وهذا القسم غريب من أهل الكفر فكيف يقسمون معظمين الله ﷻ بقسمهم ومع ذلك ينفون قدرته على البعث؟؟!! فقل لهؤلاء بلى سيبعث الله الموتى، وعد الله بذلك، ووعده حق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن وعد الله ﷻ يتحقق.

أما قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: أن الساعة آتية وكائنة ليظهر الله ﷻ للناس وجه الحق في المسائل التي كانوا في دنياهم يختلفون فيها، فكانوا يختلفون في البعث ويظهر لهم وجه الحق فيه، وكانوا يتخلفون في الجنة والنار ويختلف في وعود الله التي وعد بها في الدنيا... كل ذلك كان بين الناس اختلاف فيه يظهره الله يوم القيامة، وكذا كل اختلاف كان في الدنيا يظهر

(١١٣) أحمر
أسود

الله وجه الصواب ووجه الحق فيه يوم القيامة.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إذا بعثهم الله وكانوا يكذبون بالبعث ليعلموا ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ في دعواهم أن لا بعث ولا ثواب ولا عقاب.

ثم يبين الله ﷻ قدرته على البعث بقوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: أن أمرنا يتحقق بكلمة كن، لا يُعجزنا شيء، فيكون الأمر كما أردنا وكما أمرنا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جَهْد أيمانِهِمْ حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل سيبعثه الله بعد مماته، وعدًا عليه أن يبعثهم وعد عباده، والله لا يخلف الميعاد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يقول: ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ تكذيبًا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذّب ومصدّق، ذُكر لنا أن رجلًا قال لابن عباس: إن ناسًا بهذا العراق يزعمون أن عليًّا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأوّلون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامَّة، ولعمري لو كان عليّ مبعوثًا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: بل ليبعثن الله من يموت وعدًا عليه حقًّا، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت، ولغيرهم الذين يختلفون فيه من

(١١٤) أحمر
أسود

إحياء الله خلقه بعد فنائهم، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم: لا يبعث الله من يموت.

ويقول تعالى ذكره: إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائنا لهم، ولا في غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث، لأنا إذا أردنا خلقه وإنشاءه، فإنما نقول له كن فيكون، لا معاناة فيه، ولا كُلفة علينا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا ﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ﴾ أي: اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه. فقال تعالى مكذبًا لهم وردًّا عليهم: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بلى سيكون ذلك، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا﴾ أي: لا بد منه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر.

ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد، فقال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: للناس ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: من كل شيء، و﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾[النجم: ٣١]، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ أي: في أيمانهم وأقسامهم: لا يبعث الله من يموت؛ ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا، وتقول لهم الزبانية: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْۖ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [الطور: ١٤ -١٦].

ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: «كن»، فيكون، والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء، كما قال: ﴿وَمَآ

(١١٥) أحمر
أسود

أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، أي: أن نأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن، كما قال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمرًا فإنما يقول له: «كن»، قولة فيكون

أي: أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به، فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف، لأنه هو الواحد القهار العظيم، الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ هذا تعجيب من صنعهم، إذ أقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت. ووجه التعجيب أنهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الأموات.

﴿بَلَىٰ﴾ هذا رد عليهم، أي بلى ليبعثنهم. ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد، لأن قوله: (يبعثهم) يدل على الوعد، أي: وعد البعث وعدًا حقًّا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مبعوثون. وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**». وقد تقدم، ويأتي.

وقال:

قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: ليظهر لهم. ﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: من أمر البعث. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالبعث وأقسموا عليه ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ وقيل: المعنى ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا ليبين لهم الذي يختلفون فيه، والذي

(١١٦) أحمر
أسود

اختلف فيه المشركون والمسلمون أمور: منها البعث، ومنها عبادة الأصنام، ومنها إقرار قوم بأن محمدًا حق ولكن منعهم من اتباعه التقليد، كأبي طالب.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

أعلمهم سهولة الخلق عليه، أي: إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائهم، ولا في غير ذلك مما نحدثه، لأنا إنما نقول له كن فيكون.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه لا يتعاصى على قدرته شيء، وإذ يقول للشيء: ﴿كُن﴾، فيكون بلا تأخير. وذلك أن الكفار لما ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ بين أنه قادر على كل شيء، وأنه كلما قال لشيء ﴿كُن﴾ كان.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله في الرد على من قال: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وبين أنه لا يحتاج أن يكرر قوله: ﴿كُن﴾، بل إذا قال للشيء ﴿كُن﴾ مرة واحدة، كان في أسرع من لمح البصر، في قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، ونظيره قوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾..﴾ الآية [آل عمران: ٥٩]، وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

وعبر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشيء؛ لأن تحقق وقوعه

(١١٧) أحمر
أسود

كالوقوع بالفعل؛ فلا تنافي الآية إطلاق الشيء على خصوص الموجود دون المعدوم؛ لأنه لما سبق في علم الله أنه يوجد ذلك الشيء، وأنه يقول له كن فيكون كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه، أو لأنه أطلق عليه اسم الشيء باعتبار وجوده المتوقع، كتسمية العصير خمرًا في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]ـ نظرًا إلى ما يؤول إليه في ثاني حال.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن المشركين المكذبين لرسوله أنهم ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ﴾ أي: حلفوا أيمانًا مؤكدة مغلظة على تكذيب الله، وأن الله لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا ترابًا، قال تعالى مكذبًا لهم: ﴿بَلَىٰ﴾ سيبعثهم ويجمعهم ليوم لا ريب فيه ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ لا يخلفه ولا يغيره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ ومن جهلهم العظيم إنكارهم للبعث والجزاء، ثم ذكر الحكمة في الجزاء والبعث فقال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من المسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها ويوضحها.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر ربك، وحين يرون ما يعبدون حطبًا لجهنم، وتكور الشمس والقمر وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع الحالات، وليس ذلك على الله بصعب، ولا شديد فإنه إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، من غير منازعة ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أراده وشاءه.

❁ ❁ ❁

(١١٨) أحمر
أسود

الوعد الحسن للمهاجرين في سبيل الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۘ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

ج: هذا - والله أعلم-: وعدٌ من الله ﷻ لعباده المؤمنين الذين فارقوا ديارهم وأوطانهم إيثارًا لمرضاة الله ﷻ وطلبًا لجناته، وكذا فارق كثيرٌ منهم أهله وترك أولاده ابتغاء مرضاة الله ولإقامة دين الله بعد أن وقع عليهم الظلم من أقوامهم، وبعد أن أوذوا في سبيل الله، هؤلاء لنسكننهم منازل طيبة حسنة في الدنيا ولنوسعن عليهم في الأرزاق ولنفتحن لهم البلاد وغير ذلك من نعيم الدنيا، وكذا فإن الله ﷻ أعدَّ لهم في الآخرة ما هو أعظم من ذلك وأكبر من ذلك، أعدَّ لهم جنات النعيم وجنات الفردوس وهي بلا شك أفضل وأحسن وأجمل وأدوم من نعيم الدنيا ففيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعد الله لهم ذلك لو كانوا يعلمون، قيل: لو كان أهل الإيمان يعلمون، وقيل: لو كان أهل الشرك يعلمون.

أما قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فهذا وصف للمهاجرين الذين أُعدت لهم جنات النعيم، أنهم صبروا على مفارقة الأهل والديار والأوطان والأصحاب، وصبروا على أذى قومهم لهم، وثبتوا على طاعة ربهم وأحسنوا الاعتماد عليه، وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ ﴾ يقول: لنسكننهم في الدنيا مسكنًا

يرضونه صالحًا.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ ﴾ قال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين.

قال الطبري:

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ لنرزقنهم في الدنيا رزقًا حسنًا.

وقوله: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ يقول: ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه، الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ يقول: وبالله يثقون في أمورهم، وإليه يستندون في نوائب الأمور التي تنوبهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه.

ويحتمل أن يكون سبب نزول هذه الآية الكريمة في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة، حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة، ليتمكنوا من عبادة ربهم، ومن أشرافهم: عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وجعفر بن أبي طالب، ابن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد

(١٢٠) أحمر
أسود

الأسد في جماعة قريب من ثمانين، ما بين رجل وامرأة، صديق وصديقة، رضي الله عنهم وأرضاهم. وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال ابن عباس والشعبي، وقتادة: المدينة. وقيل: الرزق الطيب، قاله مجاهد.

ولا منافاة بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرًا منها في الدنيا، فإن من ترك شيئا لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكامًا، وكل منهم للمتقين إمامًا، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا، فقال: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: مما أعطيناهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله؛ ولهذا قال هشيم، عن العوام، عمن حدثه؛ أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم قرأ هذه الآية: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. ثم وصفهم تعالى فقال: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: صبروا على أقل من آذاهم من قومهم، متوكلين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ في الحسنة ستة أقوال:

الأول: نزول المدينة، قاله ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة.

الثاني: الرزق الحسن، قاله مجاهد.

الثالث: النصر على عدوهم، قاله الضحاك.

الرابع: إنه لسان صدق، حكاه ابن جريج.

(١٢١) أحمر
أسود

الخامس: ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات.

السادس: ما بقي لهم في الدنيا من الثناء، وما صار فيها لأولادهم من الشرف. وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله، والحمد لله. ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: ولأجر دار الآخرة أكبر، أي أكبر من أن يعلمه أحد قبل أن يشاهده، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠]. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك. قيل: هو راجع إلى المؤمنين. أي: لو رأوا ثواب الآخرة وعاينوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ بالأذية والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثوابًا عاجلًا في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رأوه عيانا بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا وآتاهم الله في الدنيا حسنة.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾ الذي وعدهم الله على لسان رسوله ﴿أَكْبَرُ﴾ من أجر الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]، وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله لم يتخلف عن ذلك أحد.

ثم ذكر وصف أوليائه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

(١٢٢) أحمر
أسود

أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وما أرسلنا من قبلك ملائكة للناس يدعونهم إلى الله ﷻ، ما أرسلنا إلا رجالًا، أي: ما كانت الرسل إلا رجالًا، لم يكونوا ملائكة ولم يكونوا نساءً أرسلنا رسلًا رجالًا بالبينات، بالحجج الواضحات والدلالات الظاهرات، ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾ أي: والكتب التي أنزلناها عليهم وأوحينا إليهم ذلك الوحي، فاسألوا يا معشر قريش، واسألوا يا أهل الشرك، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، الرسل الذين أرسلهم الله فسيخبركم أهل الذكر أن الرسل كانوا بشرًا. أما أهل الذِّكر فمن هم؟ قيل: إنهم أهل الكتاب، وهذا قول أكثر العلماء، وقيل: إنهم العلماء المسلمون، وقيل: العلماء من آل بيت النبي ﷺ، والأظهر هنا، والله أعلم، ما عليه أكثر العلماء، وهو أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [يونس: ٩٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: وأنزلنا عليك القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: لتبلغ الناس ما أنزله الله إليهم وتوضحه لهم، ولعلهم يتفكروا فيما أُنزل إليك فيتعظون ويعتبرون.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

(١٢٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدنا، والانتهاء إلى أمرنا ونهينا، إلا رجالًا من بني آدم نوحي إليهم وحينا لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قَبلهم من الأمم من جنسهم وعلى منهاجهم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ وقلتم: هم ملائكة: أي ظننتم أن الله كلمهم قبلًا فاسألوا أهل الذكر، وهم الذين قد قرؤوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده.

وأورد بإسنادٍ ضعيف عن أبي جعفر: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قال: نحن أهل الذكر.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قال: الذكر: القرآن، وقرأ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [فصلت: ٤١]... الآية.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أرسلنا بالبينات والزُّبُر رجالا نوحي إليهم.

... ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر. والبينات: هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوّتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله. والزُّبُر: هي الكتب، وهي جمع زَبُور، من زَبَرْت الكتاب وذَبَرته: إذا

(١٢٤) أحمر
أسود

كتبته. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يقول: وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لتعرفهم ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ذلك ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول: وليتذكروا فيه ويعتبروا به أي: بما أنزلنا إليك.

وذهب ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلى أن أهل الذكر هم أهل الكتاب، إذ أورد قول ابن عباس بذلك، وتعقب قول ابن زيد وكذا قول أبي جعفر الباقر، وهو من آل بيت النبوة بقوله: وقول عبد الرحمن بن زيد: الذكر: القرآن واستشهد بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، صحيح، ولكن ليس هو المراد هاهنا؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه.

وكذا قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر - ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر - صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة، وعلماء أهل بيت رسول الله - عليهم السلام والرحمة - من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة، كعلي، وابن عباس، وبني علي: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس، وأبي جعفر الباقر -وهو محمد بن علي بن الحسين-وجعفر ابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم، ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، وعرف لكل ذي حق حقه، ونزل كل المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمع إليه قلوب عباده المؤمنين.

والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشرا كما هو بشر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣، ٩٤] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ

(١٢٥) أحمر
أسود

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٨، ٩]، وقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرا، إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا: هل كان أنبياؤهم بشرا أو ملائكة؟ ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدلالات والحجج، ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ وهي الكتب. قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

والزبر: جمع زبور، تقول العرب: زبرت الكتاب إذا كتبته، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٥٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم، أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ إلى الأمم الماضية يا محمد ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ آدميين. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قال سفيان: يعني مؤمني أهل الكتاب. ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا بشرا. وقيل: المعنى فاسألوا أهل الكتاب فإن لم يؤمنوا فهم معترفون بأن الرسل كانوا من البشر.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجالا كاملين لا نساء. ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾

(١٢٦) أحمر
أسود

من الشرائع والأحكام ما هو من فضله وإحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: الكتب السابقة ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ نبأ الأولين، وشككتم هل بعث الله رجالا؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبينات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا رجالا يوحي إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه.

❁ ❁ ❁

س: الكلمة من كتاب الله كثيرًا ما تتعدد معانيها وضح ذلك من الآيتين السابقتين، وكذا من غيرها من الآيات؟

ج: إيضاحه أن الذكر في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ المراد به التوراة والإنجيل. والذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ المراد به القرآن.

هذا، وكثيرًا ما تتعدد معاني الكلمة الواحدة. كالإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان: ١] فالمراد به آدم عليه السلام،

(١٢٧) أحمر
أسود

والإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢] المراد به بنو آدم. وككلمة الأمة، تتعدد معانيها كما بيناه من قبل. وكلمة الكتاب وغير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أفأمن الذين يمكرون بأهل الإيمان ويحتالون بهم لإيقاعهم في السيئات التي أعظمها الشرك بالله ﷻ، أفأمن هؤلاء الذين يسعون لإضلال العباد، كما قال أهل الشرك يوم القيامة لسادتهم وكبراءهم ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

أفأمن أهل الشرك المكرة الذين يكيدون كيدهم، أفأمنوا أن يخسف الله بهم الأرض من تحتهم أو يأتيهم العذاب من فوقهم أو من أي مكان من حيث لا يتوقعون ولا يترقبون، أفأمنوا أن يأتيهم العذاب ليلًا وهم نائمون أو نهارًا وهم يلعبون؟!!

أفأمنوا أن يأخذهم الله ﷻ وهم في أسفارهم يتقلبون من بلدة إلى بلدة أو على فرشهم يتقلبون من جانب إلى جانب، أو في أعمالهم وهم ينتقلون من عمل إلى عمل، فالله قادر على هذا، وما هم بفائتين من عذاب إن أرادهم بعذاب ولن يعجز ربي إذا أرادهم بسوء فهو عليهم قادر أفامنوا هذا الذي ذُكر.

أو أمنوا أن يأخذهم الله ﷻ على تخوفٍ، أي: وهم خائفون من نزول العذاب عليهم وحلوله بهم لرؤيتهم أسبابه، وذلك كأن يكون العذاب حلَّ على قرى مجاورة لقراهم، بأماكن قريبةً منهم، أو بأشخاص قريبين منهم

(١٢٨) أحمر
أسود

والعذاب في طريقه إليهم، فالله قادر على هذا أيضًا، قادر على أن يهلكهم بعذاب يتوقعونه ويترقبونه.

ولكن ربي رؤوف بالعباد رحيم بهم إذ أمهلهم وأرسل إليهم رسلًا وأخَّر عنهم العذاب كي يتوبوا ويرجعوا إلى الله ﷻ.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ، فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركي قريش الذين قالوا: إذ قيل لهم: ماذا أنزل ربكم: أساطير الأوّلين، صدّا منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل، أن يخسف الله بهم الأرض على كفرهم وشركهم، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به، ولا يدري من أين يأتيه، وكان مجاهد يقول: عنى بذلك نمرود بن كنعان.

قال الطبري:

وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به، وهو عقيب قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ فكان تهديد من لم يقرّ بحجة الله الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ أو يهلكهم في تصرّفهم في البلاد، وتردّدهم في أسفارهم ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦﴾ يقول جلّ ثناؤه: فإنهم لا يعجزون الله من ذلك إن أراد أخذهم كذلك.

وأما قوله: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ فإنه يعني: أو يهلكهم بتخوّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال

(١٢٩) أحمر
أسود

منه: تخوّف مال فلان الإنفاق: إذا انتقصه.

وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجَّل لهم، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض، لرءوف بخلقه، رحيم بهم، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض، ولم يعجِّل لهم العذاب، ولكن يخوّفهم وينقّصهم بموت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حلمه وإمهاله وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على: ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم، كما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وقوله ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي: في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية.

قال قتادة والسدي: ﴿تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي: أسفارهم.

وقال مجاهد، والضحاك: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨]. وقوله ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه. وقوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي: أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشد حالة الأخذ؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد؛ ولهذا قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ يقول: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك. وكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وقتادة وغيرهم.

(١٣٠) أحمر
أسود

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ أي: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، كما ثبت في الصحيحين: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلُّبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين الله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده.

ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستح المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العميم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه.

❁ ❁ ❁

(١٣١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أولم ير هؤلاء الذين يمكرون بالعباد لإيقاعهم في السيئات، في الشرك والكفر والكبائر، أولم يروا إلى الأشياء التي خلقها الله ﷻ ولها ظلٌّ يتراجع أحيانًا يكون عن اليمين وأحيانًا يكون عن الشمال، فهو في أول النهار، أعني الظل في أول النهار طويل، ويتقلص تدريجيًّا إلى أن يثبت وقت الزوال ثم يتراجع ويطول بعد أن كان في قصر، والظلال في هذا تسجد لله ﷻ، وقيل: الأشياء تسجد لله ومن ثمَّ فظلالها أيضًا تسجد. وقد قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٦]. قال البعض في تفسير النجم أنه الحشيش أو النباتات التي ليس لها ساق، أما الشجر فالذي له ساق.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: وهم أذلة صاغرون خاضعون.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ ﴾ أي: أن كل من في السموات، الملائكة وغيرهم، وكل دابة تدب على الأرض، كل ذلك يسجد لله ﷻ إما طوعًا أي: عن طواعية ورضا، وإما كرهًا فيجري فيهم قضاء الله الذي قضاه عليهم دون أدنى امتناع منهم، بل قدر الله فيهم نافذ.

أما قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: وتسجد الملائكة لله ﷻ كذلك، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ فقيل: عائد على الملائكة كما قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[الأنبياء: ١٩]

أما قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ أي: الدواب والملائكة كل يخاف

(١٣٢) أحمر
أسود

ربَّه ﷻ ويرهبه ويخشاه، وقوله: ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ تحمل عدة معاني أنه فوقيته المكان، وفوقية القهر والغلبة، وكل صحيح والله أعلم.

أما قوله جل ذكره: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ أي: ويمتثلون أمر الله ﷻ، وهم الملائكة عليهم السلام وبنحوه قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: أو لم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات، إلى ما خلق الله من جسم قائم، شجر أو جبل أو غير ذلك، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل، يقول: يرجع من موضع إلى موضع، فهو في أوّل النهار على حال، ثم يتقلَّص، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ أما اليمين: فأوّل النهار، وأما الشمال: فآخر النهار.

واختلف في معنى قوله: ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ فقال بعضهم: ظلّ كلّ شيء سجوده.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ كلا عن اليمين والشمائل في حال سجودها، قالوا: وسجود الأشياء غير ظلالها.

وقال آخرون: بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الأشياء، فإنما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: مَيَلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس يقال من ذلك: سجدت النخلة إذا مالت، وسجد البعير وأسجد: إذا أميل للركوب. وقد بيَّنا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ يعني: وهم صاغرون، يقال منه: دخر فلان لله يدخر

(١٣٣) أحمر
أسود

دخرًا ودخورًا: إذا ذلّ له وخضع ومنه قول ذي الرُّمَّة:

فَلَـمْ يَبْـقَ إلا داخِـرٌ فِـي مُخَـيَّسٍ ومُنْجَحِـرٌ فِـي غيـرِ أرْضِـكَ في جُحْـرِ

وأما توحيد اليمين في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ فجمعها، فإن ذلك إنما جاء كذلك، لأن معنى الكلام: أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلال ما خلق من شيء عن يمينه: أي ما خلق، وشمائله، فلفظ «ما» لفظ واحد، ومعناه معنى الجمع، فقال: عن اليمين بمعنى: عن يمين ما خلق، ثم رجع إلى معناه في الشمائل، وكان بعض أهل العربية يقول: إنما تفعل العرب ذلك، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد، فيقال للرجل: خذ عن يمينك، قال: فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم، وإذا جمع فهو الذي لا مساءلة فيه، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر:

بِفِـي الشَّـامِتِينَ الصَّـخْرُ إنْ كـان هَـدَّني رَزِيَّـةُ شِـبْلَيْ مُخْـدِرٍ في الضَّـراغِمِ

فقال: بِفي الشامتين، ولم يقل: بأفواه، وقول الآخر:

الـــوَارِدُونَ وتَـــيْمٌ في ذَرَا سَـــبِإٍ قـد عَـضَّ أعْنـاقَهُمْ جِلْـدُ الجَـوَامِيسِ

ولم يقل: جلود.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولله يخضع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابّة يدبّ عليها، والملائكة التي في السموات، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]، وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾.

(١٣٤) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات، وما في الأرض من دابة، ربهم من فوقهم، أن يعذّبهم إن عَصَوا أمره،ويفعلون ما يؤمرون، يقول: ويفعلون ما أمرهم الله به، فيؤدّون حقوقه، ويجتنبون سُخْطه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى.

قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عَزَّ وَجَلَّ وكذا قال قتادة، والضحاك، وغيرهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: صاغرون.

وقال مجاهد أيضا: سجود كل شيء فيه. وذكر الجبال قال: سجودها فيها.

وقال أبو غالب الشيباني: أمواج البحر صلاته.

ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم.

ثم قال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ كما قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥]، وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ أي: يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ أي: مثابرين على طاعته تعالى، وامتثال أوامره، وترك زواجره.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أي: الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله،

(١٣٥) أحمر
أسود

﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: إلى جميع مخلوقاته وكيف تتفيأ أظلتها، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ وعن ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ أي: كلها ساجدة لربها خاضعة لعظمته وجلاله، ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتدبيره عنده.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ من الحيوانات الناطقة والصامتة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم ولهذا قال: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن عبادته على كثرتهم وعظمة أخلاقهم وقوتهم كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ أي: مهما أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعًا واختيارًا، وسجود المخلوقات لله تعالى قسمان: سجود اضطرار ودلالة على ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل مخلوق من مؤمن وكافر وبر وفاجر وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم من المخلوقات. يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ..﴾ سجود؟

ج: نعم عندها سجدة، وقد نقل الإجماع على ذلك الطحاوي وغيره[1].

وفي الصحيح[2] أن عمر رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل،

(١) شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٩).

(٢) البخاري (١٠٧٧).

(١٣٦) أحمر
أسود

حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة، قال: يا أيها الناس إنا نمرُّ بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أفردت اليمين وجمعت الشمائل في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم:

إن اليمين أفرد تعظيمًا له والشمائل جمعت لنقصها.

كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وكما قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ...﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقال آخرون من أهل العلم: إن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين، أن عن اليمين عائدة على الشيء، أي عن يمين الشيء، أما قوله: ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ فعائد على قوله: ﴿مَا خَلَقَ﴾ أي: عن شمائل عموم الخلق. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ وهنالك كفار لا يسجدون لله عز وجل؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالسجود هنا سجود القهر والغلبة فينفذ في الخلائق كلهم قدر الله.

الثاني: أن الآية عامة، واستثنى منها كفرة بني آدم.

الثالث: أنهم وإن لم يسجدوا فظلالهم تسجد لله عز وجل والله أعلم.

(١٣٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ
فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا
فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ
تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا
بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا
يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوۡ
يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا
جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا
يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۙ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

[النحل: ٥١-٦٤]

(١٣٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿إِلَـٰهَيۡنِ - فَٱرۡهَبُونِ - ٱلدِّينُ - وَاصِبًا - تَجۡـَٔرُونَ - لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ - تَٱللَّهِ - تَفۡتَرُونَ - وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ - سُبۡحَٰنَهُۥ - كَظِيمٌ - يَتَوَٰرَىٰ - هُونٍ - يَدُسُّهُۥ - مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ - ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ - وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ - ٱلۡكَذِبَ - مُّفۡرَطُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿إِلَـٰهَيۡنِ﴾	معبودين.
﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾	فخافون واخشونِ.
﴿ٱلدِّينُ﴾	الطاعة والإخلاص.
﴿وَاصِبًا﴾	قائمًا واجبًا.
﴿تَجۡـَٔرُونَ﴾	تصرفون - ترفعون الصوت بالدعاء.
﴿لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾	للأصنام التي لا يعلمون منها نفعًا.
﴿تَٱللَّهِ﴾	والله، قسمٌ بالله.
﴿تَفۡتَرُونَ﴾	تختلقون الكذب.
﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ﴾	ينسبون لله.
﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾	تنزَّه.
﴿كَظِيمٌ﴾	ممتلئ غمًّا وهمًّا.
﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾	يختفي.
﴿هُونٍ﴾	إذلال - إهانة - هوان.

(١٣٩) أحمر
أسود

﴿يَدُسُّهُۥ﴾	يدفنه – يخفيه.
﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ﴾	المثل السيئ.
﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾	أفضل الأمثال وأعلاها، وهو أنه واحدٌ لا شريك له.
﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾	يفترون الكذب بألسنتهم.
﴿مُّفۡرَطُونَ﴾	منسيون متروكون في العذاب سابقون إلى العذاب.

❁ ❁ ❁

(١٤٠) أحمر
أسود

النهي عن اتخاذ إلهٍ مع الله ﷻ وبيان عظيم قدرته ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وقال الله ﷻ لا تتخذوا أيها الناس اثنين فتجعلوهما معبودين تعبدونهما، إنما المعبود إلهٌ واحد هو الذي يُعبد هو الذي يُدعى ويرجى ويخشى ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ يقول تعالى: فلا تخافوا إلا مني ولا تخشوا إلا بأسي وسطوتي وسلطاني.

والله ﷻ المعبود وحده هو الذي له ما في السموات والأرض، فكل ذلك ملك له ﷻ، وله الدين دائمًا أبدًا، فملكه لا يزول ولا ينتهي وسلطانه لا يضعف ولا يوهن، فليس كملك من ملوك الدنيا الذي ينتهي حكمهم وينتهي ملكهم ويعزل أو يضعف كلا بل العبادة الدائمة لله والخضوع المستمر الدائم لله والطاعة كلها لله، والرجاء كله في الله ﷻ والإخلاص له في الوجه والعمل، كل ذلك لله ﷻ، كل ذلك واجب على المسلم لربِّه ﷻ وبصفة دائمة، فمن ذا الذي تخشونه وتحذرونه غير الله؟ ومن ذا الذي يُرجى ويخشى غير الله.

ثم إن كل النعم التي بكم من الله ﷻ ثم إذا أصابكم الضر في أبدانكم أو في أموالكم أو في أهاليكم فإليه تصرخون وترفعون الصوت بالدعاء والالتجاء، ثم إنه سبحانه إذا كشف الضرَّ عنكم إذا فريق منكم يشركون بالله ﷻ كأنهم لم يصابوا بضرٍّ من قبل، فيجحدون نعمة الله ﷻ بكفرهم، يجحدون إنجاء الله لهم ورزقه لهم ومعافاته لهم، فقل لهؤلاء تمتعوا فسوف تعلمون عاقبة أمركم.

(١٤١) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد، وأنا ذلك، ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾ يقول: فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولله ملك ما في السموات والأرض من شيء، لا شريك له في شيء من ذلك، هو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم، وبيده حياتهم وموتهم. وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾.

وتأويل الكلام: ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة، وفي أموالكم من نماء، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره، لأن ذلك إليه وبيده ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ يقول: إذا أصابكم في أبدانكم سَقَم ومرض، وعلة عارضة، وشدّة من عيش ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ يقول: فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به، ليكشف ذلك عنكم، وأصله: من جؤار الثور، يقال منه: جأر الثور يجأر جؤارا، وذلك إذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره، ومنه قول الأعشى:

وَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

(١٤٢) أحمر
أسود

يُـــرَاوِحُ مِـــنْ صَـــلَوَاتِ المَلِيـــ ـــكِ طَـوْرًا سُـجُودًا وَطَـوْرًا جُـؤْارًا

يعني بالجؤار: الصياح، إما بالدعاء، وإما بالقراءة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم إذا وهب لكم ربكم العافية، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم، ومن الشدة في معاشكم، وفرّج البلاء عنكم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم، فيعبدون الأوثان، ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضرّ ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يقول: ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضرّ عنهم ﴿فَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، وتهديد لهم، يقول لهم جلّ ثناؤه: تمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم، فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم، وتعرفون سوء مغبة أمركم، وتندمون حين لا ينفعكم الندم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربه.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران، والسدي، وقتادة، وغير واحد: أي دائما.

وعن ابن عباس أيضا: واجبا. وقال مجاهد: خالصا. أي: له العبادة وحده ممن في السماوات والأرض، كقوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. هذا على قول ابن عباس

(١٤٣) أحمر
أسود

وعكرمة، فيكون من باب الخبر، وأما على قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب، أي: ارهبوا أن تشركوا به شيئا، وأخلصوا له الطلب، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

ثم أخبر أنه مالك النفع والضر، وأن ما بالعبد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليه وإحسانه إليه.

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: لعلمكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو، فإنكم عند الضرورات تلجئون إليه، وتسألونه وتلحون في الرغبة مستغيثين به كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

قيل: «اللام» هاهنا لام العاقبة. وقيل: لام التعليل، بمعنى: قيضنا لهم ذلك ليكفروا، أي: يستروا ويجحدوا نعم الله عليهم، وأنه المسدي إليهم النعم، الكاشف عنهم النقم. ثم توعدهم قائلًا ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أي: اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلًا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: عاقبة ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: ليجحدوا نعمة الله التي أنعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء. أي أشركوا ليجحدوا، فاللام لام كي. وقيل لام العاقبة. وقيل: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: ليجعلوا النعمة سببا للكفر، وكل هذا فعل خبيث، كما قال:

والكفر مخبثة لنفس المنعم

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أمر تهديد. وقرأ عبد الله: (**قل تمتعوا**). ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: عاقبة أمركم.

(١٤٤) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾، نهى الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة جميع البشر عن أن يعبدوا إلهًا آخر معه، وأخبرهم أن المعبود المستحق لأن يعبد وحده واحد، ثم أمرهم أن يرهبوه، أي: يخافوه وحده؛ لأنه هو الذي بيده الضر والنفع، لا نافع ولا ضار سواه.

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ﴾ [ق: ٢٦]، وقوله: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولٗا ۝٢٢ ﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ۝٣٩ ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وبين جل وعلا في مواضع أُخر: استحالة تعدد الآلهة عقلًا؛ كقوله: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٩٢ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]، وقوله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢ ﴾ [الإسراء: ٤٢]، والآيات بعبادته وحده كثيرة جدًّا، فلا نطيل بها الكلام.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ﴾، الدين هنا: الطاعة؛ ومنه سميت أوامر الله ونواهيه دينًا؛ كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [النساء: ٣]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والمراد بالدين في الآيات: طاعة الله بامتثال جميع الأوامر، واجتناب

(١٤٥) أحمر
أسود

جميع النواهي. ومن الدين بمعنى الطاعة: قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

وأيامًا لنا غرًّا كراما عصينا الملك فيها أن ندينا

أي: عصيناه وامتنعنا أن ندين له؛ أي: نطيعه. وقوله ﴿وَاصِبًا﴾، أي: دائمًا؛ أي له جلَّ وعلا: الطاعة والذل والخضوع دائمًا؛ لأنه لا يضعف سلطانه، ولا يعزل عن سلطانه، ولا يموت ولا يغلب، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك الدنيا؛ فإن الواحد منهم يكون مطاعًا له السلطنة والحكم، والناس يخافونه ويطمعون فيما عنده برهة من الزمن، ثم يعزل أو يموت، أو يذل بعد عز، ويتضع بعد رفعة؛ فيبقى لا طاعة له ولا يعبأ به أحد، فسبحان من لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيرًا.

وهذا المعنى الذي أشار إليه مفهوم الآية بينه جل وعلا في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ٣]؛ لأنها ترفع أقوامًا كانت منزلتهم منخفضة في الدنيا، وتخفض أقوامًا كانوا ملوكًا في الدنيا، لهم المكانة الرفيعة، وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦].

ونظير هذه الآية المذكورة قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصافات: ٨-٩]، أي: دائم. وقيل: عذاب موجع ومؤلم، والعرب تطلق الوصب على المرض، وتطلق الوصوب على الدوام.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: تجعلون له شريكا في إلهيته، وهو ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها. فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلتوحِّدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾

(١٤٦) أحمر
أسود

أي: خافوني وامتثلوا أمري، واجتنبوا نهيي من غير أن تشركوا بي شيئا من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة.

﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ﴾ أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات لله وحده على الخلق أن يخلصوه لله وينصبغوا بعبوديته. ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ من أهل الأرض أو أهل السماوات فإنهم لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعًا، والله المنفرد بالعطاء والإحسان ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ ظاهرة وباطنة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ لا أحد يشركه فيها، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ من فقر ومرض وشدة ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. ولكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة، ولهذا قال: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ أي: أعطيناهم حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة، ﴿فَتَمَتَّعُواْۖ﴾ في دنياكم قليلا ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة كفركم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ويجعل أهل الشرك هؤلاء للأصنام التي لا يعلمون منه نفعًا ولا ضرًّا، التي لم يُحصِّلوا من ورائها نفعًا، ولا يرون أنها دفعت عنهم ضرًّا نصيبًا مما رزقناهم من الحرث والأنعام، وذلك أن أهل الشرك كانوا إذا أثمرت حقولهم وأنتجت بهائمهم جعلوا من ذلك جزءًا لأنفسهم وجزءًا لأصنامهم، وجعلوا من البهائم كذلك أصنافًا مخصوصة لآلهتهم وأوثانهم، أطلقوا عليها أسماء كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام،

(١٤٧) أحمر
أسود

على ما تقدم بيانه في سورة الأنعام والمائدة، فيقسم الله ﷻ بنفسه بقوله: ﴿تَٱللَّهِ﴾ فالتاء تاء القسم ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾ عن الافتراءات التي افتريتموها في دينكم وعن التحليل والتحريم الذي كان منكم دون رجوعكم إلى الله ﷻ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عَبَدة الأوثان، لما لا يعلمون منه ضرًّا ولا نفعًا نصيبًا. يقول: حظًّا وجزاء مما رزقناهم من الأموال، إشراكا منهم له الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرّهم دون غيره.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ وهم مشركو العرب، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ قال: جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام، يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها.

قال الطبري:

وقوله: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون الآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون، يعني: تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكا، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام

(١٤٨) أحمر
أسود

والأوثان والأنداد، وجعلوا لها نصيبا مما رزقهم الله فقالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ﴾ [الأنعام: ١٣٦] أي: جعلوا لآلهتهم نصيبا مع الله وفضلوهم أيضا على جانبه، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه، وائتفكوه، وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم، فقال: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذلك أن الكفار كانوا إذا حرثوا حرثًا، أو كانت لهم ثمرة جعلوا الله منها جزءًا، وللوثن جزءًا؛ فما جعلوا من نصيب الأوثان حفظوه، وإن اختلط به شيء مما جعلوه لله ردوه إلى نصيب الأصنام، وإن وقع شيء مما جعلوه لله في نصيب الأصنام تركوه فيه، وقالوا: الله غني والصنم فقير. وقد أقسم جل وعلا على أنه يسألهم يوم القيامة عن هذا الافتراء والكذب! وهو زعمهم أن نصيبًا مما خلق الله للأوثان التي لا تنفع ولا تضر في قوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾، وهو سؤال توبيخ وتقريع.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر -نصيبا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ﴾ الآية، وقال: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقال: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩] فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

(١٤٩) أحمر
أسود

ومن جهالات المشركين

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: زعموا - كذبًا وزورًا - أن الملائكة إناثٌ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، ونسبوها لله ﷻ فقالوا الملائكة: بنات الله، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات: ١٥٣، ١٥٤]، فقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ تنزَّه ربنا ﷻ عن قولهم، ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: يختارون لأنفسهم ما يريدونه، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

ثم بيَّن الله ﷻ حال أهل الكفر هؤلاء عندما يُخبر أحدهم أن امرأته ولدت بنتًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ إذا أُخبر بذلك ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أصبح وجهه وقد علاه النكد والهم، أصبح كأنه أسود، والعرب يقولون هذا لمن أصيب بشيء أحرجه أو آذاه أو أحزنه حُزنًا شديدًا يقولون اسوَدَّ وجهه.

أما قوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي: ممتلئ همًّا وغمًّا وحُزنًا ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يختفي ويستتر ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ أي: من الخبر السيئ الذي أُخبر به، فيقف مُحتارًا أيترك هذا المولود، التي هي البنت، أيتركها حية ويربيها مع ما في ذلك من الذل والعار والهوان، وكذا مع ما في ذلك من ظلمها وأذاها، أم يدسه في التراب؟ أي: يئدها وهي حية، ألا فما أسوأ هذا الحكم الذي حكموا به وهذا القضاء الذي قضوا به.

(١٥٠) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: أن الذين يكفرون بالبعث لهم أسوأ الأمثال فهم الجهلة والأغبياء والحمقى بشركهم بالله ﷻ وبكفرهم بالله ﷻ.

أما رب العزة سبحانه وتعالى فله صفات الكمال كلها وله المثل الأعلى في كل شيء فهو الواحد لا شريك له ولا ندَّ له ولا صاحبة له ولا ولد له، وهو الذي انتهت إليه السيادة في كل شيء، فهو العالم ليس فوقه عالم، هو الأول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء، وهو الكبير ليس أحدٌ أكبر منه وهو العزيز ليس هناك من هو أعزُّ منه... ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب ولا يمتنع منه شيءٌ يريده ﴿الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ فيما يشرع ويقضي وفي كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم، وقبح فِرْيتهم على ربهم، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبَّرهم وأنعم عليهم، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر، واستحق عليهم الحمد: البنات، ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه، نزه جلّ جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه، ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم، وفي «ما» التي في قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وجهان من العربية: النصب عطفا لها على البنات، فيكون معنى الكلام إذا أريد ذلك: ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون، فتكون «ما» للبنين، والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فيكون معنى الكلام: ويجعلون لله البنات ولهم البنون.

(١٥١) أحمر
أسود

وقوله ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ يقول: وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له، ظلّ وجهه مسودًا من كراهته له ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ يقول قد كَظَم الحزنَ، وامتلأ غما بولادته له، فهو لا يظهر ذلك.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ وهذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما يدري أنه خير، لرُبّ جارية خير لأهلها من غلام. وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يتوارى هذا المبشر بولادة الأنثى من الولد له من القوم، فيغيب عن أبصارهم ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ يعني: من مساءته إياه مميلا بين أن يمسكه على هون: أي على هوان، وكذلك ذلك في لغة قريش فيما ذكر لي، يقولون للهوان: الهون؛ ومنه قول الحطيئة:

فلمَّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمْسِكٌ ... على رَغْمِهِ ما أثبتَ الحبلَ حافِرُه

وبعض بني تميم جعل الهون مصدرا للشيء الهين، ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون: إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم قال: وسمعت: الهوان في مثل هذا المعنى، سمعت منهم قائلا يقول لبعير له: ما به بأس غير هوانه، يعني خفيف الثمن، فإذا قالوا: هو يمشي على هونه، لم يقولوه إلا بفتح الهاء، كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ يقول: يدفنه حيا في التراب فيئده.

(١٥٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ يقول: ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون، وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شركا فيما رزقهم الله، وعبدوا غير من خلقهم وأنعم عليهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبين بقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ أنه مثل، وعنى بقوله جلّ ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ للذين لا يصدّقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ يقول: ولله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ الإخلاص والتوحيد.

وفي رواية عن قتادة: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو العزّة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه، ولا يتعذّر عليه شيء أراده وشاءه، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، الحكيم في تدبيره، فلا يدخل تدبيره خَلَل، ولا خطأ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا،

(١٥٣) أحمر
أسود

وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطؤوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدًا، ولا ولد له! ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]، وقال هاهنا: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: عن قولهم وإفكهم ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١ -١٥٤].

وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فإنه ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي: كئيبا من الهم، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن، ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: يكره أن يراه الناس ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: يئدها: وهو: أن يدفنها فيه حية، كما كانوا يصنعون في الجاهلية، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله؟ ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: بئس ما قالوا، وبئس ما قسموا، وبئس ما نسبوا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧]، وقال هاهنا: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: النقص إنما ينسب إليهم، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: لهؤلاء الواصفين لله البنات ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من الجهل والكفر. وقيل: هو وصفهم الله تعالى

(١٥٤) أحمر
أسود

بالصاحبة والولد. وقيل: أي: العذاب والنار. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة. وقيل: أي الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومجاز. وقال ابن عباس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ النار، و﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقيل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ كقوله: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ [النور: ٣٥]. فإن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فالجواب أن قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص، أي: لا تضربوا لله مثلًا يقتضي نقصًا وتشبيهًا بالخلق. والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾، أي: يعتقدون. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار يعتقدون أن لله بنات إناثًا، وذلك أن خزاعة وكنانة كانوا يقولون: الملائكة بنات الله؛ كما بينه تعالى بقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ الآية [الزخرف: ١٩]، فزعموا لله الأولاد! ومع ذلك زعموا له أخس الولدين وهو الأنثى، فالإناث التي جعلوها لله يكرهونها لأنفسهم ويأنفون منها. كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾، أي: لأن شدة الحزن والكآبة تسود لون الوجه. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾، أي: ممتلئ حزنًا وهو ساكت. وقيل: ممتلئ غيظًا على امرأته التي ولدت له الأنثى. ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ

(١٥٥) أحمر
أسود

مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾، أي: يختفي من أصحابه من أجل سوء ما بشر به لئلا يروا ما هو فيه من الحزن والكآبة، أو لئلا يشمتوا به ويعيروه. ويحدث نفسه وينظر: ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ﴾، أي: ما بشر به وهو الأنثى، ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾، أي: هوان وذل، ﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ﴾، في التراب: أي يدفن المذكور الذي هو الأنثى حيًّا في التراب، يعني ما كانوا يفعلون بالبنات من الوأد وهو دفن البنت حية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩﴾ [التكوير: ٨-٩]. وأوضح جل وعلا هذه المعاني المذكورة في هذه الآيات في مواضع أخر، فبين أن جعلهم الإناث لله، أو الذكور لأنفسهم قسمة غير عادلة، وأنها من أعظم الباطل.

وبين أنه لو كان متخذًا ولدًا سبحانه وتعالى عن ذلك! لاصطفى أحسن النصيبين، ووبخهم على أن جعلوا له أخس الولدين، وبين كذبهم في ذلك، وشدة عظم ما نسبوه إليه. كل هذا ذكره في مواضع متعددة؛ كقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ [النجم: ٢١]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٤]، وقوله: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [الإسراء: ٤٠]، وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ [الزخرف: ١٦]، وقوله: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤]، وقوله: ﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩﴾ [الطور: ٣٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ﴾، وقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ [الزخرف: ١٨]، وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ [الزخرف: ١٧].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين إنهم

(١٥٦) أحمر
أسود

بنات الله ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: لأنفسهم الذكور حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة فكان ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ من الغم الذي أصابه ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي: كاظم على الحزن والأسف إذا بشِّر بأنثى وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه ويتوارى منهم من سوء ما بشر به ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشّر بها ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: يدفنها وهي حية وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله من نسبة الولد إليه.

ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين وهو الإناث اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها فكيف ينسبونها لله تعالى؟ فبئس الحكم حكمهم.

ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: المثل الناقص والعيب التام ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو كل صفة كمال وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه من الوجوه وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي قهر جميع الأشياء وانقادت له المخلوقات بأسرها ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يأمر ولا يفعل إلا ما يحمد عليه ويثنى على كماله فيه.

❁ ❁ ❁

(١٥٧) أحمر
أسود

رحمة الله بالعباد

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولو يؤاخذ الله ﷻ الناس بما يصدر منهم من الشرك والكبائر والمعاصي والضلالات لأهلك كل الدواب التي على الأرض، ولكن جرت حكمته أن يؤخرهم إلى انقضاء آجالهم التي حدَّدها وسمَّاها ﷻ فإذا جاء وقت انقضاء آجالهم قبضهم إليه فلا يتأخرون عن وقتهم ولا يتقدمون عنه.

هذا، وقد يطرح هاهنا سؤال حاصله: أليس في العباد طيبون وفضلاء وأهل صلاح فضلًا عن الأنبياء والمرسلين؟!!

فجواب ذلك: بلى فيهم هؤلاء، ولكن ذنوب الأكثرين تغطي على أعمال الصالحين، بل وتؤثر أيضًا على الدواب، وقد سئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ﴾ عصاة بني آدم بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ يعني على الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يقول: ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: إلى وقتهم الذي وُقِّت لهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وُقِّت لهلاكهم ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عن الهلاك ﴿سَاعَةً﴾ فيمهلون ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ له حتى يستوفُوا آجالهم.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي الأحوص، قال: كاد الجُعْل أن يعذّب بذنب بني آدم، وقرأ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾. ونحوه من وجهين

(١٥٨) أحمر
أسود

عن ابن مسعود قال: كاد الجُعل أن يهلك في جُحره بخطيئة ابن آدم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي: لأهلك جميع دواب الأرض تبعا لإهلاك بني آدم، ولكن الرب، جل جلاله، يحلم ويستر، وينظر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾ أي: لا يعاجلهم بالعقوبة؛ إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحدا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم﴾ أي: بكفرهم وافترائهم، وعاجلهم. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الأرض، فهو كناية عن غير مذكور، لكن دل عليه قوله: ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ فإن الدابة لا تدب إلا على الأرض. والمعنى المراد من دابة كافرة فهو خاص. وقيل: المعنى أنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء. وقيل: المراد بالآية العموم، أي: لو أخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة من نبي ولا غيره، وهذا قول الحسن. وقال ابن مسعود وقرأ هذه الآية: لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان، في حجرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل، كما قال: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ أي: أجل موتهم ومنتهى أعمارهم. ﴿لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١﴾ وقد تقدم، فإن قيل: فكيف يعم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنا ليس بظالم؟ قيل: يجعل هلاك الظالم انتقامًا وجزاء، وهلاك المؤمن معوضًا بثواب الآخرة.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) مسلم (٢٨٧٩).

(١٥٩) أحمر
أسود

يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَسُئِلَتْ عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَعُوذُ بِالْبَيْتِ عَائِذٌ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»[(١)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واعلم: أن قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، فيه وجهان للعلماء:

أحدهما: أنه خاص بالكفار؛ لأن الذنب ذنبهم، والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٦٤]، ومن قال هذا القول قال: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾، أي: كافرة؛ ويروى هذا عن ابن عباس. وقيل: المعنى أنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء.

وجمهور العلماء، منهم ابن مسعود، وأبو الأحوص، وأبو هريرة، وغيرهم، كما نقله عنهم ابن كثير وغيره ـ على أن الآية عامة؛ حتّى إن ذنوب بني آدم لتهلك الجعل في حجره، والحبارى في وكرها، ونحو ذلك؛ لولا أن الله حليم لا يعجل بالعقوبة، ولا يؤاخذهم بظلمهم.

قال مقيده عفا الله عنه: وهذا القول هو الصحيح؛ لما تقرر في الأصول من: أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة ﴿مِن﴾ تكون نصًّا صريحًا في العموم. وعليه فقوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾، يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصًّا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما افتراه الظالمون عليه ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ من غير زيادة ولا نقص، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: لأهلك

(١) مسلم (٢٨٨١) وله شواهد في الصحيحين وغيرهما أيضًا من طرق أُخر.

(١٦٠) أحمر
أسود

المباشرين للمعصية وغيرهم، من أنواع الدواب والحيوانات فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ عن تعجيل العقوبة عليهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: أن أهل الشرك يجعلون البنات له سبحانه وتعالى، ويتقولون كذبًا أن الحسنى لهم، وقد اختلف العلماء في الحسنى فقال بعضهم: المراد الغلمان، أي: البنين الذكور.

وحجة أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]. وقال آخرون - وأرى قولهم صائبًا-: إن المراد بالحسنى الجنة، وشاهد ذلك قول قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ...﴾ [فصلت: ٥٠].

أما قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ فمعناه حقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ منسيون فيها مُهملون متروكون.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم. ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ يقول: وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه، أن لهم الحسنى، فأن في موضع نصب، لأنها ترجمة عن الكذب. وتأويل الكلام: ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم، ويزعمون أن لهم الحسنى، الذي يكرهونه لأنفسهم. البنات يجعلونهن لله تعالى، وزعموا أن الملائكة بنات الله. وأما الحُسنى التي جعلوها لأنفسهم: فالذكور من الأولاد، وذلك أنهم كانوا يئدون

(١٦١) أحمر
أسود

الإناث من أولادهم، ويستبقون الذكور منهم، ويقولون: لنا الذكور ولله البنات، وهو نحو قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وأورد من وجهين يصحان بمجموعهما عن قتادة، قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ أي: يتكلمون بأن لهم الحُسنى أي الغلمان.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: حقًّا واجبًا أن لهؤلاء القائلين لله البنات، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم، ولأنفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار. وقوله: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأنهم مُخَلَّفون متروكون في النار، منسيون فيها.

وأورد بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قال: منسيون مُضَيَّعون.

وفي رواية: متروكون في النار، منسيون فيها.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنهم مُعْجَلُونَ إلى النار مقدّمون إليها، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب: أفرطنا فلانا في طلب الماء، إذا قدّموه لإصلاح الدلاء والأرشية، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَط. فأما المتقدّم نفسه فهو فارط، يقال: قد فَرَط فلان أصحابَه يَفْرُطهم فُرْطا وفُروطا: إذا تقدمهم وجمع فارط: فُرَّاط.

وأورد بسندٍ صحيح بطريقيه عن قتادة: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قال: قد أفرطوا في النار أي مُعْجَلُون.

وقال آخرون: معنى ذلك: مُبْعَدون في النار.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، إنما يقال فيمن قدَم مقدَما لإصلاح ما يقدم إليه إلى

(١٦٢) أحمر
أسود

وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحًا، وإنما تَقَدّم مَن قُدِّم إليها لعذاب يُعجَّل له. فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صحّ المعنى الآخر، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك. وذلك أنه يُحكى عن العرب: ما أَفْرطت ورائي أحدًا: أي ما خَلَّفته؛ وما فرطته: أي لم أخلفه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي: من البنات ومن الشركاء الذين هم عبيده، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله.

وقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى، وإخبار عن قيل من قال منهم، كقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: ٩، ١٠]، وكقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٧، ٧٨] وقال إخبارا عن أحد الرجلين أنه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]-فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمني الباطل، بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل، كما ذكر ابن إسحاق: أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواعظ، فمن ذلك: تعملون

(١٦٣) أحمر
أسود

السيئات وتجزون الحسنات؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب. وقال مجاهد، وقتادة: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الغلمان. وقال ابن جرير: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: يوم القيامة، كما قدمنا بيانه، وهو الصواب، ولله الحمد ولهذا قال الله تعالى رادًّا عليهم في تمنيهم ذلك ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقا لا بد منه ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

وأورد نحوًا مما تقدم في تفسير ﴿مُّفْرَطُونَ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أن المشركين ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات، ومن الأوصاف القبيحة وهو الشرك بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله، فكما أنهم يكرهون، ولا يرضون أن يكون عبيدهم -وهم مخلوقون من جنسهم- شركاء لهم فيما رزقهم الله فكيف يجعلون له شركاء من عبيده؟!! ﴿وَ﴾ هم مع هذه الإساءة العظيمة ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة.

فرد عليهم بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ مقدمون إليها ماكثون فيها غير خارجين منها أبدًا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحق الذي لا شك فيه: أن المراد بالحسنى: هو زعمهم أنه إن كانت الآخرة حقًا فسيكون لهم فيها أحسن نصيب كما كان لهم في الدنيا. ويدل على صحة هذا القول الأخير دليلان:

أحدهما: كثرة الآيات القرآنية المبينة لهذا المعنى؛ كقوله تعالى عن الكافر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا

(١٦٤) أحمر
أسود

وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧]، وقوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ...﴾ الآية [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

والدليل الثاني: أن الله أتبع قوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾، بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ...﴾ الآية، فدل ذلك دلالة واضحة على ما ذكرنا، والعلم عند الله. والمصدر المنسبك من ﴿أَنَّ﴾ وصلتها في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾، في محل نصب، بدل من قوله: ﴿الْكَذِبَ﴾، ومعنى وصف ألسنتهم الكذب قولها للكذب صريحًا لا خفاء فيه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قسمٌ من الله ﷻ، يقسم جل جلاله بنفسه الكريمة أنه ﷻ أرسل رسلًا من قبلك يا رسول الله إلى أمم سبقت ومضت فحسَّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم يوم القيامة، أي: ناصرهم بزعمهم فبئس الولي وخاب الناصر، وهذا نوع استهزاء بأهل الكفر فإذا كان ناصركم لا يملك دفع الضر والعذاب عن نفسه فكيف يدفع عن غيره، بل أنتم وأولياؤكم لكم عذاب أليم. مؤلم موجعٌ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مقسِما بنفسه ﷻ لنبيه محمد ﷺ: والله يا محمد لقد أرسلنا رسلًا من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك من الدعاء إلى التوحيد لله، وإخلاص العبادة له، والإذعان له بالطاعة، وخلع الأنداد والآلهة ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: فحسَّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة

(١٦٥) أحمر
أسود

الأوثان مقيمين، حتى كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ يقول: فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة عند ورودهم على ربهم، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان، ولا هي نفعتهم في الدنيا، بل ضرّتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضرّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلًا فكذبت الرسل، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة، فلا يَهِيدَنَّكَ تكذيب قومك لك، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل، فإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: هم تحت العقوبة والنكال، والشيطان وليهم، ولا يملك لهم خلاصًا؛ ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بيَّن تعالى لرسوله ﷺ أنه ليس هو أول رسول كُذِّب فقال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ رسلًا يدعونهم إلى التوحيد، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه وأن ما دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم اليوم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه وتولوه. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان.

❁ ❁ ❁

(١٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۡۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وما أنزلنا عليك يا رسول الله الكتاب الذي أنزلناه عليك وهو القرآن إلا لتبين وتوضح للناس المسائل التي يختلفون فيها من أمر البعث والمعاد والثواب والعقاب وأخبار الأمم الماضية وأخبار ما هو آت، وكذا ما أحل الله لهم وما حرَّم الله عليهم، إلى غير ذلك، وكذا أنزلناه هداية ودلالة لمن يريد أن يهتدي ورحمةً لقوم يؤمنون، يصدقون بوحدانية الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولًا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرّفهم الصواب منه، والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها.

وقوله: ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ يقول: وهدى بيانا من الضلالة، يعني بذلك الكتاب، ورحمة لقوم يؤمنون به، فيصدّقون بما فيه، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه، ويعملون به، وعطف بالهدى على موضع ليبين، لأن موضعها نصب. وإنما معنى الكلام: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانًا للناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى لرسوله: أنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه ﴿وَهُدٗى﴾ أي: للقلوب، ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ أي: لمن تمسك به، ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

وكما جعل تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها، كذلك يحيي الله الأرض بعد موتها بما ينزله عليها من السماء من ماء، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ

(١٦٧) أحمر
أسود

﴿٦٥﴾ أي: يفهمون الكلام ومعناه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وما أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن، إلا لتبين للناس الحق، فيما كان موضع اختلافهم، من التوحيد، والقدر، وأحكام الأفعال، وأحوال المعاد، وليكون هداية تامة، ورحمة عامة، لقوم يؤمنون بالله، وبالكتاب الذي أنزله.

❁ ❁ ❁

(١٦٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَسۡمَعُونَ ٦٥ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ
لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ
سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ
ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ
لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن
يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ
بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ
أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا
تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾

[النحل: ٦٥-٧٤]

(١٦٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَعِبْرَةً - فَرْثٍ - خَالِصًا - سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ - سَكَرًا - وَرِزْقًا حَسَنًا - وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ - يَعْرِشُونَ - فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ - ذُلُلًا - أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ - بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ - فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ - يَجْحَدُونَ - وَحَفَدَةً - أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ - فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَعِبْرَةً﴾	لعظةً.
﴿فَرْثٍ﴾	زبلٍ وبول (وما تخرجه البهائم من دبرها وقُبلها).
﴿خَالِصًا﴾	صافيًا غير مشوبٍ (غير مختلط بالدم أو بالاحمرار أو بأي شيء آخر).
﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾	مستساغًا يستسيغه الشاربون ولا يقف في حلوقهم.
﴿سَكَرًا﴾	خَمرًا، وقيل: المشروبات ذات الطعم الحسن السكري، كالنبيذ (التمر المنقوع في الماء، أو الزبيب المنقوع في الماء).
﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾	رزقًا طيبًا (كالتمر والزبيب والعنب والرطب وغير ذلك).
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾	وألهم ربك النحل، وأرشدها وأمرها.
﴿يَعْرِشُونَ﴾	يسقفون البيوت، يعرشون للأعناب سقوفًا كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾

(١٧٠) أحمر
أسود

﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ﴾	فامشي في الطرق التي ذلَّلها الله لك ويسرها الله لك، مذلَّلة لك مطيعة.
﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾	آخر العمر وأسوأه وأَخَسُّهُ وأردؤه.
﴿بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾	بمُعطين أموالهم لعبيدهم حتى يساونهم.
﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾	فهم فيه متساوون.
﴿يَجۡحَدُونَ﴾	ينكرون - يكفرون.
﴿وَحَفَدَةٗ﴾	أولاد الأولاد - خدم.
﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾	الباطل الشيطان ومما يمليه من إملاءات وما يوحيه من إيحاءات.
﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾	فلا تشبهوا الله بخلقه - فلا تجعلوا له أمثالًا.

❁ ❁ ❁

(١٧١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: تذكير بنعم الله ﷻ على العباد، والمعنى والله ﷻ معبودكم الحق الذي ينبغي ويجب أن يُفرد بالعبادة هو الذي أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها فأخرجت ثمرتها وأنبتت غلتها، إن في ذلك لدلالة على وحدانية الله ﷻ ودلالة على قدرته على البعث لقوم يسمعون فيفقهون.

وكذا فلكم في الأنعام (والمراد هنا الناقة والبقرة والنعجة والعنز) لكم فيما يخرج من بطونها من اللبن الذي يسقيكم الله إياه لعظةً وعبرةً فهذا اللبن الذي يخرج صافيًا نقيًّا مستساغًا تشربونه لا يغصُّكم، أي: لا يقف في حلوقكم، بل هو مستساغ لشاربيه، هذا اللبن الذي يخرج من بين الدم والفرث، فلا يتأثر بدماء ولا تعلوه حمرة، وكذا لا يتأثر بالفرث الذي هو الزبل الذي يكون في الكرشى، فلا يتلوث به بل يخرج نقيًّا مستساغًا صافيًا لكم فيه دلالة على وحدانية الله ﷻ وعظةً تتعظون بها.

وكذا لكم عبرة في ثمرات النخيل (التي هي التمر والرطب والبلح وغير ذلك ولكم في الأعناب أيضًا عبرة).

ومن هذا وذاك تتخذون وتصنعون السكر والرزق الحسن، إن في ذلك لدلالة على وحدانية الله ﷻ وقدرته لقوم يعقلون عن الله آياته، لقوم يفهمون ويتعظون.

هذا، وقد اختلف العلماء وتعددت أقوالهم في تفسير السَّكر الذي امتن الله به على العباد، فقال الجمهور من العلماء إنه الخمر فهو الذي يُسكر قالوا،

(١٧٢) أحمر
أسود

وكان هذا قبل تحريم الخمر، قالوا: والرزق الحسن التمر والزبيب، وقالوا: إن هذا القدر من الآية الكريمة منسوخٌ بآيات تحريم الخمر.

وقال فريق آخر من أهل العلم: إن المراد بالسَّكر المشروبات الطيبة ذات الطعم الطيب كالعصائر ونحوها، وكالنبيذ الذي يُنتبذ ولا يصل إلى حد السكر، أعني كالتمر المنقوع في الماء والزبيب المنقوع في الماء، وعلى هذا فلا نسخ في الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره منبهَ خلقِه على حججه عليهم في توحيده، وأنه لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء سواه: أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كلّ شيء، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: مطرًا، يقول: فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عُشْبَ ولا نبت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بعد ما هي ميتة لا شيء فيها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحيائنا الأرض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلًا واضحًا، وحجة قاطعة، عذر من فكر فيه ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يقول: لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه، ويطيعون الله بما دلهم عليه.

يقول تعالى ذكره: وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نُسقيكم مما في بطونه.

وقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ يقول: نسقيكم لبنا، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا: يقول: خلص من مخالطة الدم والفرث، فلم يختلطا به ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: يسوغ لمن شربه فلا يَغَصّ به كما يَغَصّ الغاصّ ببعض ما يأكله من الأطعمة. وقيل: إنه لم يَغصّ أحد باللبن قَطُّ.

ويقول تعالى ذكره: ولكم أيضًا أيها الناس عِبرةٌ فيما نسقيكم من ثمرات

(١٧٣) أحمر
أسود

النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وحذف من قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ الاسم، والمعنى ما وصفت، وهو: ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه لدلالة «مِن» عليه، لأن «من» تدخل في الكلام مُبَعِّضة، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضي من ذكر الاسم معها. وكان بعض نحويِّي البصرة يقول في معنى الكلام: ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرًا، ويقول: إنما ذكرت الهاء في قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ لأنه أريد بها الشيء، وهو عندنا عائد على المتروك، وهو «ما». وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ من صفة «ما» المتروكة.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فقال بعضهم: عني بالسَّكَر: الخمر، وبالرزق الحسن: التمر والزبيب، وقال: إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، ثم حُرّمت بعد.

وأورد الطبري من طرق عن الأسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: الرزق الحسن ما أحل من ثمرتها، والسَّكر ما حُرِّم من ثمرتها.

وروى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه أيضًا.

وصح هذا عن سعيد بن جبير أيضًا، قال: السكر ما حُرِّم من ثمرتها، وفي رواية: السكر خَمرُ[1]، والرزق الحسن الحلال.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أما السَّكَر: فخمور هذه الأعاجم، وأما الرزق الحسن: فما

(١) والمراد: أنهم كانوا يصنعون الخمر من العنب والتمر، وقد ورد عن بعض أهل العلم أن الآية الكريمة نزلت وهم يشربون الخمر، فكان هذا قبل ان ينزل تحريم الخمر.

(١٧٤) أحمر
أسود

تنتبذون، وما تُخَلِّلون، وما تأكلون، ونزلت هذه الآية ولم تحرّم الخمر يومئذ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة.

وقال آخرون: السَّكَر بمنزلة الخمر في التحريم، وليس بخمر، وقالوا: هو نقيع التمر والزبيب إذا اشتدّ وصار يُسْكِر شاربه.

وقال آخرون: السَّكَر: هو كلّ ما كان حلالا شربه، كالنبيذ الحلال والخلّ والرطَب. والرزق الحسن: التمر والزبيب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية، وذلك أن السَّكَر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة: أحدها: ما أسكر من الشراب. والثاني: ما طُعِم من الطعام، كما قال الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْبَ الأَكْرَمِينَ سَكَرَا

أي طعمًا. والثالث: السُّكُون، من قول الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْنَ الحَرُورِ تَسْكُرُ

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى. والرابع: المصدر من قولهم: سَكَر فلان يَسْكَر سُكْرا وسَكْرا وسَكَرا، فإذا كان ذلك كذلك، وكان ما يُسْكِر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى: «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام» وكان غير جائز لنا أن نقول: هو منسوخ، إذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السَّكَر الذي هو غير الخمر، وغير ما يسكر من الشراب، حرام، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب، ومن نزل بلسانه القرآن هو كلّ ما طعم، ولم يكن مع ذلك، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ، أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول، ولا أجمعت عليه

(١٧٥) أحمر
أسود

الأمة، فوجب القول بما قلنا من أن معنى السَّكَر في هذا الموضع: هو كلّ ما حلّ شربه، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم، وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب، وخرج من أن يكون معناه السَّكَر نفسه، إذ كان السَّكَر ليس مما يتخذ من النَّخْل والكَرْم، ومن أن يكون بمعنى السكون.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول: فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الأنعام والنخل والكرم، لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه مواعظه، فيتعظون بها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي: الإبل والبقر والغنم، ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: لآية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه ورحمته، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ وأفرد هاهنا الضمير عودًا على معنى النعم، أو الضمير عائد على الحيوان؛ فإن الأنعام حيوانات، أيً نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان.

وفي الآية الأخرى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]، ويجوز هذا وهذا، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر: ٥٤، ٥٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٥، ٣٦] أي: المال.

وقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ أي: يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كل إلى موطنه، إذا نضج الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به. وقوله: ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: لا يغص به أحد.

ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شرابا للناس سائغا، ثنى بذكر ما يتخذه

(١٧٦) أحمر
أسود

الناس من الأشربة، من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعونه من النبيذ المسكر قبل تحريمه؛ ولهذا امتن به عليهم فقال: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ دل على إباحته شرعًا قبل تحريمه، ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من العنب، والمتخذ من النخل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك، وليس هذا موضع بسط ذلك، كما قال ابن عباس في قوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: السكر: ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما. وفي رواية: السكر حرامه، والرزق الحسن حلاله. يعني: ما يبس منهما من تمر وزبيب، وما عمل منهما من طلاء -وهو الدبس- وخل ونبيذ، حلال يشرب قبل أن يشتد، كما وردت السنة بذلك.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ناسب ذكر العقل هاهنا، فإنه أشرف ما في الإنسان؛ ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٤-٣٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب. ﴿مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ عاد الكلام إلى تعداد النعم وبيان كمال القدرة. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: دلالة على البعث وعلى وحدانيته، إذ علموا أن معبودهم لا يستطيع شيئا، فتكون هذه الدلالة ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ عن الله تعالى بالقلوب لا بالآذان، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

(١٧٧) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ قد تقدم القول في الأنعام، وهي هنا الأصناف الأربعة: الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته. والعبرة أصلها تمثيل الشيء بالشيء لتعرف حقيقته من طريق المشاكلة، ومنه ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ [الحشر: ٢]. وقال أبو بكر الوراق: العبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم، وتمردك على ربك وخلافك له في كل شي ومن أعظم العبر بريء يحمل مذنبًا.

وقال أيضًا بعد أن أورد قول ابن عباس في تفسير السَّكر، قال القرطبي:

وقيل: السكر العصير الحلو الحلال، وسمي سكرًا لأنه قد يصير مسكرًا إذا بقي، فإذا بلغ الإسكار حرم. قال ابن العربي: أسد، هذه الأقوال قول ابن عباس، ويخرج ذلك على أحد معنيين، إما أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر، وإما أن يكون المعنى: أنعم الله عليكم بثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم، وما أحل لكم اتفاقًا أو قصدًا إلى منفعة أنفسكم. والصحيح أن ذلك كان قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة، فإن هذه الآية مكية باتفاق من العلماء، وتحريم الخمر مدني.

قلت: فعلى أن السكر الخل أو العصير الحلو لا نسخ، وتكون الآية محكمة وهو حسن. قال ابن عباس: الحبشة يسمون الخل السكر، إلا أن الجمهور على أن السكر الخمر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر قول الجمهور في تفسير قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي: خمرًا، قال:

وإذا عرفت أن الصحيح هو مذهب الجمهور، وأن الله امتن على هذه الأمة بالخمر قبل تحريمها، فاعلم أن هذه الآية مكية، نزلت بعدها آيات مدنية بينت تحريم الخمر، وهي ثلاث آيات نزلت بعد هذه الآية الدالة على إباحة الخمر.

(١٧٨) أحمر
أسود

الأولى: آية البقرة التي ذكر فيها بعض معائبها ومفاسدها، ولم يجزم فيها بالتحريم، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وبعد نزولها تركها قوم للإثم الذي فيها، وشربها آخرون للمنافع التي فيها.

الثانية: آية النساء الدالة على تحريمها في أوقات الصلوات، دون الأوقات التي يصحو فيها الشارب قبل وقت الصلاة، كما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح، وما بين صلاة الصبح وصلاة الظهر، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ... ﴾ الآية [النساء: ٤٣].

الثالثة: آية المائدة الدالة على تحريمها تحريمًا باتًا، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ إلى قوله ـ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وهذه الآية الكريمة تدل على تحريم الخمر أتم دلالة وأوضحها؛ لأنه تعالى صرح بأنها رجس، وأنها من عمل الشيطان، وأمر باجتنابها أمرًا جازمًا في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، واجتناب الشيء: هو التباعد عنه، بأن تكون في غير الجانب الذي هو فيه. وعلق رجاء الفلاح على اجتنابها في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ويفهم منه: أنه من لم يجتنبها لم يفلح، وهو كذلك.

ثم بين بعض مفاسدها بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ ﴾ [المائدة: ٩١]، ثم أكد النهي عنها بأن أورده بصيغة الاستفهام في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]، فهو أبلغ في الزجر من صيغة الأمر التي هي «انتهوا»، وقد تقرر في فن المعاني: أن من معاني صيغة الاستفهام التي ترد لها الأمر؛ كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾، وقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ... ﴾ الآية [آل عمران: ٢٠]، أي: أسلموا.

(١٧٩) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر الله تعالى في هذه الآية نعمة من أعظم النعم ليعقلوا عن الله مواعظه وتذكيره فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لأنه المنعم بإنزال المطر وإنبات جميع أصناف النبات، وعلى أنه على كل شيء قدير، وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة وجود عظيم.

أي: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ التي سخرها الله لمنافعكم ﴿لَعِبْرَةً﴾ تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبنا خالصا من الكدر سائغا للشاربين للذته ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمور طبيعية.

فأي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح لبنا خالصا سائغا للشاربين؟

وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طريًّا ونضيجًا وحاضرًا ومدخرًا وطعاما وشرابًا يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالًا قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حلَّ المسكرات، وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة.

ولهذا قال من قال: «إن المراد بالسكر هنا: الطعام والشراب اللذيذ»، وهو أولى من القول الأول.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله كمال اقتداره حيث أخرجها من أشجار شبيهة بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة وعلى شمول رحمته حيث عم بها عباده ويسرها لهم وأنه الإله المعبود وحده حيث إنه المنفرد بذلك.

(١٨٠) أحمر
أسود

س: إلى ماذا يعود الضمير في قوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾؟

ج: أورد القرطبي أقوالًا في الإجابة على هذا السؤال إذ قال:

اختلف الناس في الضمير من قوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ على ماذا يعود. فقيل: هو عائد إلى ما قبله وهو جمع المؤنث. قال سيبويه: العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد. قال ابن العربي: وما أراه عول عليه إلا من هذه الآية، وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بإدراكه. وقيل: لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويؤنث فيقال: هو الأنعام وهي الأنعام، جاز عود الضمير بالتذكير، وقال الزجاج، وقال الكسائي: معناه مما في بطون ما ذكرناه، فهو عائد على المذكور، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [عبس: ١١، ١٢] وقال الشاعر:

مثل الفراخ نتفت حواصله

ومثله كثير. وقال الكسائي: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: مما في بطون بعضه، إذ الذكور لا ألبان لها، وهو الذي عول عليه أبو عبيدة. وقال الفراء: الأنعام والنعم واحد، والنعم يذكر، ولهذا تقول العرب: هذا نعم وارد، فرجع الضمير إلى لفظ النعم الذي هو بمعنى الأنعام. قال ابن العربي: إنما رجع التذكير إلى معنى الجمع، والتأنيث إلى معنى الجماعة، فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع، وأنثه في سورة المؤمنين باعتبار لفظ الجماعة فقال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]، وبهذا التأويل ينتظم المعنى انتظامًا. حسنًا. والتأنيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع أكثر من رمل يبرين وتيهاء فلسطين.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

وقد دلت الآيات المذكورة على أن الأنعام يصح تذكيرها وتأنيثها؛ لأنه ذكرها هنا في قوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، وأنثها في سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في قوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [المؤمنون: ٢١]، ومعلوم في العربية:

(١٨١) أحمر
أسود

أن أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير نظرًا إلى اللفظ، والتأنيث نظرًا إلى معنى الجماعة الداخلة تحت اسم الجنس. وقد جاء في القرآن تذكير الأنعام وتأنيثها كما ذكرناه آنفًا. وجاء فيه تذكير النخل وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]، والتأنيث في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ونحو ذلك. وجاء في القرآن تذكير السماء وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [القيامة: ١٨]، والتأنيث في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ...﴾ الآية [الذاريات:٤٧]، ونحو ذلك من الآيات. وهذا معروف في العربية، ومن شواهده قول قيس بن الحصين الحارثي الأسدي وهو صغير في تذكير النعم:

في كل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه

❁ ❁ ❁

(١٨٢) أحمر
أسود

ذِكر النحل ونعمة الله وقدرته فيه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: وألهم ربك ﷻ النحل وعلمها كيفية اتخاذ البيوت التي تسكنها وهي الخلايا، تتخذها في الجبال فتكون لنفسها خلايا في الجبال، وكذا على الأشجار، وكذا في سقوف البيوت، وسقوف حدائق العنب والحدائق التي لها عروش، أي: كالأعناب التي تكون لها عروش، ثم أوحى الله إليها أيضًا، علمها وأرشدها أن تأكل من الثمرات التي تحتاج إليها وتستسيغها، فاسلكي الطرق التي سخرها الله لك وذلَّلها الله لك وكذا مطيعةً لله ﷻ تبتغي رزق الله ﷻ فكلي من هذه الثمار ومُصِّي من رحيقها، يخرج الله بذلك من بطون هذه النحل شرابٌ، وهو العسل مختلفٌ ألوانه بحسب المطعومات التي تطعمها النحلة، وفي هذا العسل شفاء للناس، كما قد بينته أحاديث رسول الله ﷺ، إن في ذلك لدلالة على وحدانية الله وقدرته لقومٍ يتفكرون في مخلوقات الله ﷻ فيستدلون بها على وحدانيته وقدرته وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وألهم ربك يا محمد النحل إيحاء إليها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يعني: مما يبنون من السقوف، فرفعوها بالبناء.

ويقول تعالى ذكره: ثم كلي أيتها النحل من الثمرات، ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يقول: فاسلكي طرق ربك ﴿ذُلُلًا﴾ يقول: مُذَلَّلة لك، والذُّلُل: جمع ذَلُول.

والتأويل على قوله: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ الذُّلُل لكِ: لا يتوعر عليكِ سبيل سلكتيه، ثم أسقطت الألف واللام فنصب على الحال.

(١٨٣) أحمر
أسود

وأورد قول قتادة بسندٍ حسن: عنه أي مطيعة.

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرج من بطون النحل شراب، وهو العسل، مختلف ألوانه، لأن فيها أبيض وأحمر وأسحر، وغير ذلك من الألوان.

قال أبو جعفر: أسحر: ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب إلى الحمرة.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله ﴿فِيهِ﴾، فقال بعضهم: عادت على القرآن، وهو المراد بها.

وقال آخرون: بل أريد بها العسل.

وأورد بسندٍ يصحح من طريقين عن قتادة، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدواء، وقد كان ينهى عن تفريق النحل، وعن قتلها.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إخراج الله من بطون هذه النحل: الشراب المختلف، الذي هو شفاء للناس، لدلالة وحجة واضحة على من سخَّر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصحّ الألوهة إلا له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون. ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها، بحيث لا يكون بينها خلل.

ثم أذن لها تعالى إذنا قدريًّا تسخيريًّا أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك

(١٨٤) أحمر
أسود

الطرق التي جعلها الله تعالى لها مذللة، أي: سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنحتها، وتقيء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة، على اختلاف مراعيها ومأكلها منها.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ هُوَ الْعَسَلُ - الحديثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَلِيِّ بْنِ دَاوُدَ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي استَطْلَق بطنُه. فَقَالَ: «**اسْقِهِ عَسَلًا**». فَذَهَبَ فَسَقَاهُ عَسَلًا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَمَا زَادَهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! قَالَ: «**اذْهَبْ فَاسْقِهِ عَسَلًا**». فَذَهَبَ فَسَقَاهُ عَسَلًا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا زَادَهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا! فقال رسول اللهِ ﷺ: «**صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ! اذْهَبْ فَاسْقِهِ عَسَلًا**». فَذَهَبَ فَسَقَاهُ عَسَلًا فَبَرِئَ.

قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت، فأسرعت في الاندفاع، فزاد إسهاله، فاعتقد الأعرابي أن هذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: الدواء بالعسل، وقول الله ﷻ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾= = حديث (٥٦٨٤) (٩/ ١٣٩)، وطرفه في (٥٧١٦). ومسلم في كتاب السلام، باب: التداوي بسقي العسل، حديث (٩١/ ٢٢١٧) (١٤/ ٢٩٢-٢٩٣).

(١٨٥) أحمر
أسود

يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه، واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[١]، مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ الْحَلْوَاءُ وَالْعَسَلُ. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[٢]: مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ**».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[٣]: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الغَسِيلِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ، أَوْ يكونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ: فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**».

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في هذه المهامة والاجتناء من سائر الثمار، ثم جمعها للشمع والعسل، وهو من أطيب الأشياء، ﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها، فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر، الحكيم العليم، الكريم الرحيم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: شراب الحلواء والعسل، حديث (٥٦١٤)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) البخاري (٥٦٨٠).

(٣) البخاري (٢٢٠٥)، ومسلم (٢٧٧).

(١٨٦) أحمر
أسود

﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: طرق ربك. والسبل: الطرق، وأضافها إليه لأنه خالقها. أي ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر. ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ جمع ذلول وهو المنقاد، أي مطيعة مسخرة. فـ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ حال من النحل. أي تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها، لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، قاله ابن زيد. وقيل: المراد بقوله: ﴿ذُلُلٗاۚ﴾ السبل. يقول: مذلل طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره الطبري. واليعسوب سيد النحل، إذا وقف وقفت وإذا سار سارت.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ أي: يعتبرون، ومن العبرة في النحل بإنصاف النظر وإلطاف الفكر في عجيب أمرها. فيشهد اليقين بأن ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وحذقها باحتيالها في تفاوت أحوالها هو الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الآية. ثم إنها تأكل الحامض والمر والحلو والمالح والحشائش الضارة، فيجعله الله تعالى عسلًا حلوًا وشفاء، وفي هذا دليل على قدرته.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الآية، المراد بالإيحاء هنا: الإلهام. والعرب تطلق الإيحاء على الإعلام بالشيء في خفية؛ ولذا تطلقه على الإشارة، وعلى الكتابة، وعلى الإلهام. ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾، أي: ألهمها، وقال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ الآية [مريم: ١١]، أي: أشار إليهم، وسمى أمره للأرض إيحاء في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، ومن إطلاق الوحي على الكتابة قول لبيد في معلقته:

فمدافع الريان عرى رسمها ... خلقًا كما ضمن الوحي سلامها

(١٨٧) أحمر
أسود

فـ «الوحي» في البيت - بضم الواو وكسر الحاء وتشديد الياء - جمع وحي بمعنى الكتابة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعى سواه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله خلقكم ثم يقبض أرواحكم ومنكم من يؤخره الله ﷻ إلى أن يبلغ عُمرًا طويلًا، إلى أن يبلغ أرذل العمر، وهو أردأ العمر وأضعفه وأخسُّهُ فيضعف عقله شيئًا بعد شيء حتى ينسى ما كان يذكر، وينكر ما كان يعرف ويصيبه الخرف إن الله عليم بكل شيء قديرٌ على كل شيء.

والآية كقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤].

والفارق هنا بين حال الطفولة وحال الشيخوخة أن حال الطفولة تتبعه قوة، والكل يريد بقاءه وحياته، أما حال الشيخوخة فلا تتبعه قوة بل يتبعه ضعف بعد ضعف وهزال بعد هزال، وتخريف بعد تخريف، إن قُدر له البقاء، فالأكثرون يرجون موته، حتى من يحبونه فإنهم يرجون موته لما يجدونه معه من العناء والمشقة، ولما يرونه فيه من التعب والمصائب والشدائد.

(١٨٨) أحمر
أسود

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيئا، لا الآلهة التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يقول: ثم يقبضكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يقول: ومنكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر، وهو أردؤه، يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا. وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة.

وقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ يقول: إنما نردّه إلى أرذل العمر ليعود جاهلًا كما كان في حال طفولته وصباه، بعد علم شيئا: يقول: لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسى، فلا يعلم منه شيئا، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٧٠﴾ يقول: إن الله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكلّ ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئا، ولا يُعجزه شيء أراده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تصرفه في عباده، وأنه هو الذي أنشأهم من العدم، ثم بعد ذلك يتوفاهم، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم -وهو الضعف في الخلقة- كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: ٥٤].

وأورد ما أخرجه البخاري من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَدْعُو: «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»[1].

(١) البخاري (٤٧٠٧).

(١٨٩) أحمر
أسود

وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى فِي مُعَلَّقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ:

سَئمتُ تَكَاليفَ الحيَاة ومَنْ يعشْ ثمانينَ عاما -لا أبَالك-يَسْأم
رَأيتُ المَنَايا خَبط عَشْواء مَنْ تصِبْ تمتْه ومَنْ تُخْطئ يُعَمَّرْ فَيهْرَمِ

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من الناس من يموت قبل بلوغ أرذل العمر، ومنهم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر، وأرذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، وخص بالرذيلة؛ لأنه حال لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد، بخلاف حال الطفولة، فإنها حالة ينتقل منها إلى القوة وإدراك الأشياء. وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر؛ كقوله في سورة الحج: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: ٥]، وقوله في الروم: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ الآية [الروم: ٥٤]، وأشار إلى ذلك أيضًا بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله في سورة المؤمن: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [غافر: ٦٧].

وقال:

وقوله ﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ ، أي: يرد إلى أرذل العمر لأجل أن يزول ماكان يعلم من العلم أيام الشباب، ويبقى لايدري شيئا؛ لذهاب إدراكه بسبب الخرف. ولله في ذلك حكمة.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طورًا بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أي:

(١٩٠) أحمر
أسود

أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الطفل ولهذا قال: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي: قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقًا بعد خلق كما قال تعالى: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: والله ﷻ فضَّل بعضكم أيها البشر على بعض في الرزق، فهذا غنيٌّ وهذا فقيرٌ، وهذا سيدٌ وهذا عبدٌ مملوك، فالغني منكم لا يرضى أن يُعطى الفقير من ماله حتى يستوي معه، والسيد منكم لا يريد أن يعطي مملوكه حتى يصبح سيدًا مثله، بل أنتم تستنكفون أن يكون السيد منكم مستويًا مع العبد، والغني فيكم مستويًا مع الفقير، فكيف تسوون بين الخالق والمخلوق؟؟!!

كيف تسوون بين الله ﷻ وبين أصنامٍ وأحجارٍ صنعتموها بأيديكم.

أفبنعم الله ﷻ التي أنعم بها عليكم تجحدون؟!، أفتنكرون نعم الله ﷻ عليكم وتكفرون بها ولا تشكرونها؟!!

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله أيها الناس فضّل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضَّلهم الله على غيرهم بما رزقهم ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يقول: بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من

(١٩١) أحمر
أسود

الأموال والأزواج. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم، يقول تعالى ذكره: فهم لا يرضَون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله. وقيل: إنما عنى بذلك الذين قالوا: إن المسيح ابن الله من النصارى. وقوله ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه في سلطانه ومُلكه؟

وأورد بسندٍ صحيح بمجموع طريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ وهذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده، فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحقّ أن ينزه منه من نفسك، ولا تعدل بالله أحدًا من عباده وخلقه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يعترفون أنها عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم في حجهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك». فقال تعالى منكرا عليهم: إنكم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ الآية [الروم: ٢٨].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي: أنهم جعلوا لله مما ذرأ من

(١٩٢) أحمر
أسود

الحرث والأنعام نصيبا، فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ أي: جعل منكم غنيًّا وفقيرًا وحرًّا وعبدًا. ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ أي: في الرزق. ﴿بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أي: لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئا حتى يستوي المملوك والمالك في المال. وهذا مثل ضربه الله لعبدة الأصنام، أي إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء، فلما لم يكن يشركهم عبيدهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الأوثان والأنصاب وغيرهما مما عبد، كالملائكة والأنبياء وهم عبيده وخلقه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾.

أظهر التفسيرات في هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب فيها مثلًا للكفار، بأنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم أن يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده، أي: إذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم، فكيف تشركون عبيدي معي في سلطاني!

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ الآية [الروم: ٢٨]، ويؤيده أن «مَا» في قوله: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ

(١٩٣) أحمر
أسود

أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾، نافية، أي: ليسوا برادي رزقهم عليهم حتى يسووهم مع أنفسهم. اهـ.

فإذا كانوا يكرهون هذا لأنفسهم، فكيف يشركون الأوثان مع الله في عبادته! مع اعترافهم بأنها ملكه، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وهذه الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل: بأنه لا يكون أحد أفضل من أحد من الرزق، ولله في تفضيل بعضهم على بعض في الرزق حكمة؛ قال تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ الآية [الزخرف: ٣٢]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال: ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وفي معنى هذه الآية الكريمة، قولان آخران:

أحدهما: أن معناها أنه جعلكم متفاوتين في الرزق؛ فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم، وهم بشر مثلكم وإخوانكم؛ فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تساووا في الملبس والمطعم؛ كما ثبت عن النَّبي ﷺ: أنه أمر مالكي العبيد أن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، وعلى هذا القول فقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾، لوم لهم، وتقريع على ذلك.

القول الثاني: أن معنى الآية أنه جلَّ وعلا هو رازق المالكين والمملوكين جميعًا؛ فهم في رزقه سواء، فلا يحسبن المالكون أنهم يردون على مماليكهم شيئًا من الرزق، فإنما ذلك رزق الله يجريه لهم على أيديهم. والقول الأول هو الأظهر وعليه جمهور العلماء، ويدل له القرآن كما بينا. والعلم عند الله تعالى.

وقوله: ﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾، إنكار من الله عليهم جحودهم بنعمته؛ لأن الكافر يستعمل نعم الله في معصية الله، فيستعين بكل ما أنعم به

(١٩٤) أحمر
أسود

عليه على معصيته، فإنه يرزقهم ويعافيهم، وهم يعبدون غيره. وجحد: تتعدى بالباء في اللغة العربية؛ كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ الآية [النمل: ١٤]، وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف: ٥١]، والجحود بالنعمة هو كفرانها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من أدلة توحيده وقبح الشرك به، يقول تعالى: كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه تعالى: ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ فجعل منكم أحرارا لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئا من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبيد ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟!

هل هذا إلا من أعظم الظلم والجحود لنعم الله؟!! ولهذا قال: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من أولاها، لما أشركوا به أحدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله عَزَّ وَجَلَّ خالقكم ومعبودكم هو الذي تفضَّل عليكم بأن جعل لكم من أنفسكم أزواجًا فخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخلق منه زوجته حواء ثم بعد ذلك جعل منكم الذَّكر والأنثى، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، وهم أبناء الأبناء، فالبنين هم الأولاد، والحفدة أولاد الأولاد، وقيل: الحفدة هم الخدم، وقيل: الحفدة هم الذين يسعون في الخدمة عمومًا سواء كانوا بنين أو خدم أو أبناء بنين، والله أعلم.

(١٩٥) أحمر
أسود

أما قوله: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فمعناه: أفيصدقون الشيطان فيما أوحاه إليهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام، فيتبعون الشيطان فيما حرمه عليهم من نعم الله، فيحرمون نعم الله التي أباحها الله لهم، ويستحلون ما حرَّمه الله عليهم، فيكفرون بنعم الله ويجحدونها، ويقدمون على المحرم فيستبيحونه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الباطل هنا الشيطان كما أسلفت، وذهب آخرون إلى أن الباطل الآلهة المعبودة من دون الله من أوثانٍ وأصنام وغير ذلك.

فيصدق أهل الشرك أن الآلهة الباطلة تنفعهم أو تضرهم ويكذبون بوحدانية الله وإنعامه عليهم بما أنعم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ﴾ الذي ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يعني: أنه خلق من آدم زوجته حوّاء، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي: والله خلق آدم، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة، فقال بعضهم: هم الأختان، أختان الرجل على بناته.

وقال آخرون: هم أعوان الرجل وخدمه.

وقال آخرون: هم ولد الرجل وولد ولده.

وقال آخرون: هم بنو امرأة الرجل من غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر عباده

(١٩٦) أحمر
أسود

معرفهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفَدة، والحفَدة في كلام العرب: جمع حافد، كما الكذبة: جمع كاذب، والفسَقة: جمع فاسق. والحافد في كلامهم؛ هو المتخفِّف في الخدمة والعمل. والحَفْد: خفة العمل يقال: مرّ البعير يَحفِد حفَدَانًا: إذا مرّ يُسرع في سيره. ومنه قولهم: «إليك نسعى ونحفِد»: أي نسرع إلى العمل بطاعتك... إلى آخر ما قال.

وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ يقول: ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات، ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يحرّم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل، فيصدّق هؤلاء المشركون بالله ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾ يقول: وبما أحلّ الله لهم من ذلك، وأنعم عليهم بإحلاله، يكفرون، يقول: ينكرون تحليله، ويجحدون أن يكون الله أحله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا، وجعل الإناث أزواجًا للذكور. ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة، وهم أولاد البنين. قاله ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وابن زيد.

قال شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ هم الولد وولد الولد.

وأورد أقوالًا أُخر في تفسير الحفدة تقدم ذِكرها ثم قال:

(١٩٧) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من المطاعم والمشارب.

ثم قال تعالى منكرًا على من أشرك في عبادة المنعم غيره: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم: الأصنام والأنداد، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُمْتَنًّا عليه: ألم أزوجك؟ ألم أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أَسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ ترأس وتَرْبع؟»[1].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من جميع المآكل والمشارب، والنعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: أيؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئا مذكورا ثم أوجده الله وليس له من وجوده سوى العدم فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئا، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله فإنها باطلة فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟!!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: ويعبد هؤلاء المشركون أصنامًا وأوثانًا وآلهة باطلة أخرى لا تملك هذه الأصنام والأوثان والآلهة لعابديها رزقًا من السموات والأرض، ولا تقدر على ذلك، فلا تقدر على إنزال مطر، ولا على

(١) مسلم (٢٩٦٨).

(١٩٨) أحمر
أسود

إنبات ثمرٍ ولا على سوق رزق بأي حالٍ من الأحوال، ولا تستطيع ذلك فلا تضربوا يا أهل الشرك لله الأمثال، لا تشبهوا الله ﷻ بخلقه، ولا تجعلوا له أمثالًا وأندادًا، ولا تعبدون معه آلهة أخرى تجعلونها شريكة له في ملكه وتشبهونها به، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأما قوله: ﴿ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ يعلم حقيقة كل شيء ويعلم أنه ﷻ ليس له ندٌّ ولا مثيل ولا شريك، ويعلم ما ينفعكم وما يضركم، ويعلم خطأ ما تمثلونه به وما تشبهونه به وخطأ تلك الأمثال التي تضربونها له.

وكذا يعلم أنه لا إله إلا هو، وأنه لا معبود بحق سواه ولكنكم بجهلكم لا تعلمون ذلك وتشركون في عبادته معه غيره تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانًا لا تملك لهم رزقا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: يقول: ولا تملك لهم أيضًا رزقًا من الأرض لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم، ولا شيئًا مما عدّد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ يقول: ولا تملك أوثانهم شيئًا من السموات والأرض، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك، ولا يستطيعون يقول: ولا تقدر على شيء.

وقوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ يقول: فلا تمثلوا لِلهِ الأمثال، ولا تشبِّهوا له الأشباه، فإنه لا مِثْل له ولا شِبْه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ قال: هذه الأوثان التي تُعْبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقًا ولا ضرًّا ولا نفعًا، ولا حياة ولا نشورًا.

(١٩٩) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فإنه أحَد صَمَد لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ يقول: والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه، وغير ذلك من سائر الأشياء، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى إخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك لأنفسهم، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم بجهلكم تشركون به غيره.

❁ ❁ ❁

(٢٠٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًا هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ
أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا
يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ
يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا
تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا
وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡۙ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ
سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾

(٢٠١) أحمر
أسود

يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

[النحل: ٧٥-٨٣]

(٢٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَبۡكَمُ - كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ - وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ - مُسَخَّرَٰتٍ - ظَعۡنِكُمۡ - إِقَامَتِكُمۡ - أَثَٰثًا - أَكۡنَٰنًا - سَرَٰبِيلَ - تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ - بَأۡسَكُمۡ - تُسۡلِمُونَ - نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَبۡكَمُ﴾	أخرس لا يتكلم.
﴿كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾	عالةٌ على سيده.
﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾	وما أمر الله بقيام الساعة إذا أرد أن تقوم الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب.
﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾	مُذللات.
﴿ظَعۡنِكُمۡ﴾	سفركم.
﴿إِقَامَتِكُمۡ﴾	استقراركم في بلادكم.
﴿أَثَٰثًا﴾	أثاث البيوت من فراشٍ وقرب وقدور وغير ذلك.
﴿أَكۡنَٰنًا﴾	أماكن تسكنونها تستكنون فيها، كالمغارات والغيران (جمع غار) والكهوف وغير ذلك.
﴿سَرَٰبِيلَ﴾	ثياب.
﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾	تحفظكم من الحر.
﴿بَأۡسَكُمۡ﴾	بأس غيركم، سهام غيركم.
﴿تُسۡلِمُونَ﴾	تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

(٢٠٣) أحمر
أسود

﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾	نعمته بإرسال الرسول محمد ﷺ إليك وعموم نعمه عليكم.

❁ ❁ ❁

أمثلة مضروبة للكافر والمؤمن

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًا هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾.

ج: لأهل العلم قولان في المثل المضروب، ضُرب لمن؟

أحدهما: ضرب للكافر والمُؤمن فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء المراد به: الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا يأتي منه خيرٌ والمرزوق رزقًا حسنًا هو المؤمن موفق للطاعة موفقٌ للإحسان والبرِّ، مباركٌ أينما كان وأينما حلَّ ونزل.

فالكافر كالعبد المملوك الذي لا يقدر على فعل شيء نافع وأما المؤمن فهو كالذي آتاه الله مالًا حلالًا طيبًا ينفق منه سرًّا وجهرًا، فهو نفاعٌ أينما كان.

الثاني: أنه مثلٌ مضروبٌ للوثن الذي لا يملك ضرًّا ولا نفعًا ولا يعي ولا يعقل ولا يملك دفع ضرٍّ عن نفسه ولا لغيره ولا جلب خير لنفسه ولا لغيره.

الآخر لله ﷻ الذي يفعل ما يريد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويدفع الضر عمن يشاء ويجلب الخير لمن يشاء هل يستوي الخلاق العليم الرزاق الكريم العزيز الحكيم مع صنم مخلوق جماد لا يعي ولا ينطق ولا يتكلم ولا يمنع نفسه ممن يُريده بسوء أو مكروه.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ أي: قل يا رسول الله الحمد لله، بل أكثر هؤلاء لا يعلمون، أي: بل أكثرهم جهلة.

(٢٠٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وشَبَّه لكم شَبها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مثَل الكافر: فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق من شيء في سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، يقول: بعلم من الناس وغير علم ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق كما وَصَف، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر، رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله، قال الله تعالى ذكره ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فهذا المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حق الله، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة، قال الله تعالى ذكره ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ مَثَلًا﴾ والله ما يستويان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الحمد الكامل لله خالصًا دون ما تَدْعُون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها.

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يقول: ما الأمر كما تفعلون، ولا القول كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتُحْمد عليه، إنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك، فهم بجهلهم بما يأتون ويَذَرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد.

(٢٠٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ نبه تعالى على ضلالة المشركين، وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من آلهتهم. ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بين شبهًا، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا﴾ أي: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقًا حسنًا فكذلك أنا وهذه الأصنام. فالذي هو مثال في هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه، وإنما هو مسخر بإرادة سيده. ولا يلزم من الآية أن العبيد كلهم بهذه الصفة، فإن النكرة في الإثبات لا تقتضي الشمول عند أهل اللسان كما تقدم، وإنما تفيد واحدا، فإذا كانت بعد أمر أو نهي أو مضافة إلى مصدر كانت للعموم الشيوعي، كقوله: أعتق رجلا ولا تهن رجلًا، والمصدر كإعتاق رقبة، فأي رجل أعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب، ويصح منه الاستثناء. وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر، فذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر، لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى أن معنى ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا﴾ المؤمن. والأول عليه الجمهور من أهل العلم والتأويل. قال الأصم: المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون أشد من مولاه أسرًا وأنضر وجهًا، وهو لسيده ذليل لا يقدر إلا على ما أذن له فيه، فقال الله تعالى ضربًا للمثال. أي فإذا كان هذا شأنكم وشأن عبيدكم فكيف جعلتم أحجارًا مواتًا شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته، وهي لا تعقل ولا تسمع.

❁ ❁ ❁

(٢٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم هذا مثل أيضًا مضروب للوثن مع الله ﷻ فالوثن ضُرب له مثل برجل أبكم، أخرس لا يتكلم، وضعيف لا يستطيع أن يفعل أيَّ شيءٍ، وهو عالة على مولاه وثقل وبلاء على أهله كلما ذهب إلى مكان أتاهم بمشكلة وبليةٍ ومصيبة ولا يستطيع أن يفصح عن السبب ولا يبينه، فهل يستوي هذا مع شخصٍ عاقلٍ رشيد يأمر بالعدل والقسط وهو على طريق سويٍّ مستقيم، فبلا شك لا يستوي هذا مع ذاك بحالٍ من الأحوال، وكما أن هذا لا يستوي مع ذاك.

فلا يستوي الصنم الجماد الذي لا يملك شيئًا ولا يدفع ضرًّا، بل كل ما يتأتى من ورائه شرٌّ.

لا يستوي هذا الوثن مع الله ﷻ الفعال لما يريد الذي يأمر بالعدل ويرشد إليه ويدل على الصراط المستقيم ويهدي إليه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى ذكره ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئًا، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرّ عنه وهو كَلٌّ على مولاه، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذلك الصنم كَلّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا

(٢٠٧) أحمر
أسود

يقدر على شيء، فهو كَلّ على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ يقول: حيثما يوجهه لا يأت بخير، لأنه لا يفهم ما يُقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد، فهو لا يفهم، ولا يُفْهَم عنه، فكذلك الصنم،لا يعقل ما يقال له، فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق فيأمر وينهى، يقول الله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكلّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحقّ ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحقّ في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يَعْوَجّ عن الحقّ ولا يزول عنه.

وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: بل كلا المثلين للمؤمن والكافر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأوّل لأنه تعالى ذكره مثَّل مثَل الكافر بالعبد الذي وصف صفته، ومثَّل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقًاحسنًا، فهو ينفق مما رزقه سرًّا وجهرًا، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرًّا؛ ومثَّل المؤمن الذي وفَّقه الله لطاعته فهداه لرشده، فهو يعمل بما يرضاه الله، كالحرّ الذي بسط له في الرزق فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن، وأما المثل الثاني، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره مَنْ مثله الأبكم الذي لا يقدر على شيء والكفار

(٢٠٨) أحمر
أسود

لا شكّ أن منهم من له الأموال الكثيرة، ومن يضرّ أحيانا الضرّ العظيم بفساده، فغير كائن ما لا يقدر على شيء، كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة. فإذا كان ذلك كذلك كان أولى المعاني به تمثيل ما لا يقدر على شيء كما قال تعالى ذكره بمثله ما لا يقدر على شيء، وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء، بالأبكم الكَلّ على مولاه الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله ﷻ هو المتفرد بعلم الغيب، غيب ما في السموات والأرض، ولا يعلم الغيب أحدٌ سواه، وما أمر الساعة، أي: وما القيامة وقيامها إذا أرادها الله ﷻ إلا كلمح البصر بل أقرب من لمح البصر، فإن الله ﷻ إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر على كل شيء عزَّ جاهه وتقدست أسماؤه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولله أيها الناس مِلك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون آلهتكم التي تدعون من دونه، ودون كلّ ما سواه، لا يملك ذلك أحد سواه. ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ يقول: وما أمر قيام القيامة والساعة التي تنشر فيها الخلق للوقوف في موقف القيامة، إلا كنظرة من البصر، لأن ذلك إنما هو أن يقال له كن فيكون.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ يقول: إن الله على إقامة الساعة في أقرب من لمح البصر قادر، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه شيء أراده.

(٢٠٩) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء، في علمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بعلم الغيب، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله تعالى على ما يشاء، وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمانع، وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن، فيكون، كما قال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] أي: فيكون ما يريد كطرف العين. وهكذا قال هاهنا: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾ كما قال: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: ٢٨].

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو تعالى المنفرد بغيب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن والأسرار إلا هو، ومن ذلك علم الساعة فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله، فإذا جاءت وتجلت لم تكن ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ من ذلك فيقوم الناس من قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾ فلا يستغرب على قدرته الشاملة إحياؤه للموتى.

❁ ❁ ❁

(٢١٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله أخرجكم يا بني آدم من بطون أمهاتكم ضعفاء، ضعفاء في أبدانكم وأسماعكم وأبصاركم وعقولكم ثم قواكم شيئًا بعد شيء، وعلمكم شيئًا بعد شيء، فبعدما كنتم صغارًا لا تعلمون شيئًا علمكم وقوَّى أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم وأمهاتكم لعلكم تقدمون شكرًا لله ﷻ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئًا ولا تعلمون، فرزقكم عقولًا تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشرّ وبصَّركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضًا من بعض. ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ﴾ يقول: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ كلام متناه، ثم ابتدئ الخبر، فقيل: وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة. وإنما قلنا ذلك كذلك، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم.

(٢١١) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير:

ثم ذكر تعالى منته على عباده، في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات، والأفئدة -وهي العقول-التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها. وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده.

وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان، ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ ذكر أن من نعمه أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالًا لا علم لكم بشيء. وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها- لا تعلمون شيئًا مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم. الثاني- لا تعلمون شيئًا مما قضي عليكم من السعادة والشقاء. الثالث- لا تعلمون شيئًا من منافعكم، وتم الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ أي: التي تعلمون بها وتدركون، لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعد ما أخرجهم، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته. ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ جمع الفؤاد نحو غراب وأغربة. وقد قيل في ضمن قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ إثبات النطق؛ لأن من لم يسمع لم يتكلم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ فيه تأويلان:

(٢١٢) أحمر
أسود

أحدهما: تشكرون نعمه.

الثاني: يعني تبصرون آثار صنعته، لأن إبصارها يؤدي إلى الشكر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث ﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ ولا تقدرون على شيء ثم إنه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المعاملة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أو لم ير هؤلاء المعرضون عن طاعة الله ﷻ المنكرون لنعمه الجاحدون لوحدانيته، أولم يروا إلى الطير، وهي مذللةٌ مسخرةٌ في جو السماء لا يستطيع أحدٌ إمساكها إلا الله ﷻ، وما يستطيع أحدٌ صيدها إلا بإذن الله، إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ لقوم يصدقون بوحدانيته ويصدقون بكتابه ويصدقون رسله فهم المنتفعون بهذه الآيات.

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين: ألم تَرَوا أيُّها المشركون بالله إلى الطير مسخرات في جوّ السماء، يعني: في هواء السماء بينها وبين الأرض، كما قال

(٢١٣) أحمر
أسود

إبراهيم بن عمران الأنصاريّ:

وَيْـلُ أمِّهـا مِـنْ هَـوَاءِ الجَـوّ طَالِبَـةً وَلا كَهـذا الَّـذِي في الأرْضِ مَطْلُـوبُ

يعني: في هواء السماء. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يقول: ما طيرانها في الجوّ إلا بالله، وبتسخيره إياها بذلك، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعًا. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: إن في تسخير الله الطير، وتمكينه لها الطيران في جوّ السماء، لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه لا حظ للأصنام والأوثان في الألوهة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: لقوم يقرّون بوجدان ما تعاينه أبصارهم، وتحسه حواسهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض، كيف جعله يطير بجناحيه بين السماء والأرض، في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى، الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك، وسخر الهواء يحملها وسير الطير كذلك، كما قال تعالى في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩]. وقال هاهنا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(٢١٤) أحمر
أسود

مزيدٌ من نعم الله على العباد

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ومن نعم الله عليكم أن جعل لكم من بيوتكم مساكن تسكنونها فيحصل لكم السكون بسكناها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا، وهي الخيام تحملونها خفيفة في أسفاركم، وتصنعون منها خيامًا في بلادكم، ومن أصواف هذه الأنعام التي منها الغنم، وكذا الوبر من الإبل، وكذا الشعر من الماعز أثاثًا لبيوتكم كالآنية والأوعية والفُرش والملابس، ومتاعًا تستمتعون به إلى حين الوفاة إلى حين أن تبلى هذه الأشياء.

والله أعلم، وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾ أيها الناس، ﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ التي هي من الحجر والمدر، ﴿سَكَنٗا﴾ تسكنون أيام مقامكم في دوركم وبلادكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ وهي البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشَّعر والصوف والوبر. ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ يقول: تستخفون حملها ونقلها، ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم، ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ في بلادكم وأمصاركم. ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا﴾. وقوله: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ فإنه يعني: أنه جعل ذلك لهم بلاغا، يتبلَّغون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع،

(٢١٥) أحمر
أسود

وجعل لهم أيضًا ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ أي: من الأدم، يستخفون حملها في أسفارهم، ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر؛ ولهذا قال: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الغنم، ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي: الإبل، ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ أي: المعز -والضمير عائد على الأنعام- ﴿أَثَٰثًا﴾ أي: تتخذون منه أثاثًا، وهو المال. وقيل: المتاع. وقيل: الثياب والصحيح أعم من هذا كله، فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالًا وتجارة.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى أجل مسمى ووقت معلوم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ معناه صير. وكل ما علاك فأظلك فهو سقف وسماء، وكل ما أقلك فهو أرض، وكل ما سترك من جهاتك الأربع فهو جدار، فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت. وهذه الآية فيها تعديد نعم الله تعالى على الناس في البيوت، فذكر أولا بيوت المدن وهي التي للإقامة الطويلة. وقوله: ﴿سَكَنًا﴾ أي: تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة، وقد تتحرك فيه وتسكن في غيره، إلا أن القول خرج على الغالب. وعد هذا في جملة النعم فإنه لو شاء خلق العبد مضطربا أبدا كالأفلاك لكان ذلك كما خلق وأراد، لو خلقه ساكنا كالأرض لكان كما خلق وأراد، ولكنه أوجده خلقا يتصرف للوجهين، ويختلف حاله بين الحالتين، ورده كيف وأين. والسكن مصدر يوصف به الواحد والجمع. ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: من الأنطاع والأدم. ﴿بُيُوتًا﴾ يعني الخيام والقباب يخف عليكم حملها في الأسفار. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ الظعن: سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع إلى موضع، ومنه قول عنترة:

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الأبقع

(٢١٦) أحمر
أسود

والظعن الهودج أيضًا، قال:

ألا هــل هاجــك الأظعــان إذ بــانوا وإذ جــادت بوشــك البــين غربــان

وقرئ بإسكان العين وفتحها كالشعر والشعر. وقيل: يحتمل أن يعم بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف؛ لأن هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها، نحا إلى ذلك ابن سلام. وهو احتمال حسن، ويكون قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ ابتداء كلام، كأنه قال جعل أثاثا، يريد الملابس والوطاء، وغير ذلك، قال الشاعر:

أهاجتــك الظعــائن يــوم بــانوا بــذي الــزي الجميــل مــن الأثــاث

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بيوت الأدم فقط كما قدمناه أولًا. ويكون قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ عطفًا على قوله: ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: جعل بيوتًا أيضًا.

ثم قال:

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ أذن الله سبحانه بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الإبل وشعر المعز، كما أذن في الأعظم وهو ذبحها وأكل لحومها، ولم يذكر القطن والكتان؛ لأنه لم يكن في بلاد العرب المخاطبين به، وإنما عدد عليهم ما أنعم به عليهم، وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا. وما قام مقام هذه وناب منابها فيدخل في الاستعمال والنعمة مدخلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] فخاطبهم بالبرد لأنهم كانوا يعرفون نزوله كثيرًا عندهم، وسكت عن ذكر الثلج؛ لأنه لم يكن في بلادهم، وهو مثله في الصفة والمنفعة، وقد ذكرهما النبي ﷺ معًا في التطهير فقال: «**اللهم اغسلني بماء وثلج وبرد**».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى عباده نعمه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ في الدور والقصور ونحوها تكنُّكم من الحر والبرد

(٢١٧) أحمر
أسود

وتستركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه، من صوف وشعر ووبر. ﴿بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفة الحمل تكون لكم ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقي متاعكم من المطر، ﴿وَ﴾ جعل لكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الأنعام ﴿وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا﴾ وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة، وغير ذلك.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتنتفعون به، فهذا مما سخر الله العباد لصنعته وعمله.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي: موضعًا تسكنون فيه، وهي المساكن المتَّخَذة من الحجر والمدر تستر العورات والحُرَم، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأدم ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يخفُّ عليكم حملها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ ... قال: والمعنى: إذا سافرتم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: لا تثقل عليكم في الحالين. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعني: الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعني: المعز ﴿أَثَٰثًا﴾ قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعه، ولو جمعت الأثاث، لقلت: ثلاثة أإثَّةٍ، وأُثُث: مثل أعثة وعُثث لا غير. وقال ابن قتيبة: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثاثة. وقال الزجاج: يقال: قد أثَّ يَأَث أثًّا: إذا صار ذا

(٢١٨) أحمر
أسود

أثاث. وروي عن الخليل أنه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَعَر أثيث. فأما قوله: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ فقيل: إنما جمع بينة وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الموت، والمعنى: ينتفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يَبلى ذلك الشيء، قاله مقاتل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: والله جعل لكم مما خلق من الأشجار والجبال وغيرها ظلالًا تستظلون بها، وجعل لكم من الجبال مساكن تُكنُّكم كالغار الذي في الجبل والمغارة وغير ذلك، وجعل لكم سرابيل، أي: ملابس من القطن والصوف والكتان وغير ذلك تقيكم الحرَّ، وكذا تقيكم البرد، وسرابيل من الحديد، أي ودروع من الحديد وقمصان حديدية تقيكم بأسكم، أي: تقي بعضكم بأس بعض أي: تصد السهام عن أجسامكم فلا تصل السهام إلى قلوبكم، وكما أعطاكم ربكم هذه الأشياء فإنه ﷻ يعطيكم ما تحتاجون إليه لعلكم تسلمون، تدخلوا الإسلام.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق

(٢١٩) أحمر
أسود

من الأشجار وغيرها ظلالًا تستظلون بها من شدة الحرّ، وهي جمع ظلّ.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ يقول: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، وهي جمع كنّ.

وأورد بسندٍ صحيح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ يقول: غيرانا من الجبال يسكن فيها. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها.

وقوله: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يقول: ودروعًا تقيكم بأسكم، والبأس: هو الحرب، والمعنى: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل إليكم.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم، فكذا يُتِمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون. يقول: لتخضعوا لله بالطاعة، وتذِلّ منكم بتوحيده النفوس، وتخلصوا له العبادة. وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ (لعلكم تَسلمون) بفتح التاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ قال قتادة: يعني: الشجر.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ أي: حصونا ومعاقل، كما ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك، ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم، وما تحتاجون إليه، ليكون - عونًا لكم على طاعته وعبادته، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

هكذا فسره الجمهور، وقرءوه بكسر اللام من ﴿تُسْلِمُونَ﴾ أي: من الإسلام.

(٢٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: فإن أعرض هؤلاء يا رسول الله عن الإسلام والإيمان فما عليك من أمر هدايتهم من شيء إنما أمر هدايتهم موكولٌ إلى الله سبحانه وتعالى، وما عليك إلا إبلاغهم بلاغًا واضحًا مُظهرًا ما يريده الله منهم، وما الذي ينهاهم عنه ربُّهم ﷻ، أمّا هُم فإنهم يعرفون نعمة الله التي أنعم بها عليهم من النعم المذكورة وغيرها، وينسون أنها فضلٌ من الله عليهم فيجحدونها، وكذا يجحدون نعمة الله عليهم بإرسال النبي محمد ﷺ إليهم فينكرون نبوته مع علمهم به صلوات الله وسلامه عليه وعلمهم بصدقه، وأكثرهم الجاحدون لنبوة رسول الله ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به إليهم من الحقّ، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه، فما عليك من لوم ولا عذل؛ لأنك قد أديت ما عليك في ذلك، إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به. ويعني بقوله: ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه.

وأما قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها، فقال بعضهم: هو النبيّ ﷺ عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه.

وأورد بسندٍ صحيح عن السديّ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: محمد ﷺ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم

(٢٢١) أحمر
أسود

يُنْكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم يُنْكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم داعيًا إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ وما بعده ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو رسولها. فإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الآية: يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يقول: وأكثر قومك الجاحدون نبوّتك، لا المقرّون بها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: بعد هذا البيان وهذا الامتنان، فلا عليك منهم، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ وقد أديته إليهم.

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ أي: يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(٢٢٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[النحل: ٨٤-٨٩]

(٢٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يُسْتَعْتَبُونَ - يُنظَرُونَ - شُرَكَآءَهُمْ - نَدْعُواْ مِن دُونِكَ - فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ - ٱلسَّلَمَ - وَضَلَّ عَنْهُم - يَفْتَرُونَ - تِبْيَٰنًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾	يُطلب منهم الرجوع إلى الدنيا للاستقامة.
﴿يُنظَرُونَ﴾	يؤخرون - يمهلون - يؤجلون.
﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾	آلهتهم التي جعلوها شريكة لله ﷻ.
﴿نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾	نعبد معك - نعبد غيرك.
﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾	فردوا عليهم قولهم.
﴿ٱلسَّلَمَ﴾	الاستسلام والخضوع والانقياد.
﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾	غاب عنهم، ففقدوا نصرهم.
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون- يدَّعونها آلهة كذبًا وزورًا.
﴿تِبْيَٰنًا﴾	بيانًا.

❁ ❁ ❁

(٢٢٤) أحمر
أسود

من مشاهد القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يوم القيامة، يوم نبعث من كل أمةٍ شهيدًا يشهد عليها بما صنعته معه وبما أجابته به، وهؤلاء الشهداء هم خيرة خلق الله من البشر، وهم رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، وقد قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: ولا يُطلب منهم الرجوع إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوه وللتصديق بما كذبوا به، وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعرفون نعمة الله ثم يُنْكرونها اليوم ويستنكرون ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله، وهو رسولهم الذي أرسل إليهم ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فيتركوا الرجوع إلى الدنيا فينيبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وشاهدها نبيها، على أنه قد بلغ رسالات ربه، قال الله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة، وأنه يبعث

(٢٢٥) أحمر
أسود

من كل أمة شهيدا، وهو نبيها، يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في الاعتذار؛ لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه، كقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

ولهذا قال: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، وشاهد كلِّ أُمةٍ نبيُّها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لم يبين تعالى في هذه الآية الكريمة متعلق الإذن في قوله: ﴿لَا يُؤْذَنُ﴾، ولكنه بين في «المرسلات» أن متعلق الإذن الاعتذار؛ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار، لأنهم ليس لهم عذر يصح قبوله، وذلك في قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

فإن قيل: ما وجه الجمع بين نفي اعتذارهم المذكور هنا، وبين ما جاء في القرآن من اعتذارهم؛ كقوله تعالى عنهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، وقوله: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤]، ونحو ذلك من الآيات.

فالجواب: من أوجه:

منها: أنهم يعتذرون حتى إذا قيل لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، انقطع نطقهم ولم يبق إلا الزفير والشهيق؛ كما قال تعالى:

(٢٢٦) أحمر
أسود

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥].

ومنها: أن نفي اعتذارهم يراد به اعتذار فيه فائدة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، اعلم أولًا، أن استعتب تستعمل في اللغة بمعنى طلب العتبى؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي العاتب ويسره. وتستعمل أيضًا في اللغة بمعنى أعتب: إذا أعطى العتبى؛ أي: رجع إلى ما يحب العاتب ويرضى، فإذا علمت ذلك، فاعلم أن في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، وجهين من التفسير متقاربي المعنى.

قال بعض أهل العلم: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، أي: لا تطلب منهم العتبى، بمعنى لا يكلفون أن يرضوا ربهم؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، فلا يردون إلى الدنيا ليتوبوا.

وقال بعض العلماء: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، أي: يعتبون، بمعنى يزال عنهم العتب، ويعطون العتبى وهي الرضا؛ لأن الله لا يرضى عن القوم الكافرين. وهذا المعنى كقوله تعالى في قراءة الجمهور: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ٢٤]، أي: وإن يطلبوا العتبى ـ وهي الرضا عنهم لشدة جزعهم ـ فما هم من المعتبين؛ بصيغة اسم المفعول، أي: المعطين العتبى وهي الرضا عنهم؛ لأن العرب تقول: أعتبه إذا رجع إلى ما يرضيه ويسره.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ يشهد عليهم بأعمالهم وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى وذلك الشهيد الذي يبعثه الله أزكى الشهداء وأعدلهم وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علموا يقينًا بطلان ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا، وإن طلبوا أيضا الرجوع إلى

(٢٢٧) أحمر
أسود

الدنيا ليستدركوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم من غير إنظار ولا إمهال من حين يرونه لأنهم لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها ويقرون بها ويفتضحون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وإذا رأى أهل الشرك، الذين ظلموا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل بشركهم بالله ﷻ، وكان من حق أنفسهم عليهم أن يجلبوا لها الأمان، إذا رأى هؤلاء العذاب يوم القيامة، ودخلوا جهنم لا يُفتَّر عنهم، لا يتوقف عنهم ولا يخفف عنهم، ولا هم يمهلون، بل يَصْلَونه ويذوقونه ولا يؤخرون عنه ولا يمهلون.

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ أي: آلهتهم التي عبدوها من دون الله وجعلوها شريكة لله ﷻ، قال أهل الشرك: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ﴾ آلهتنا ﴿ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾ التي كنا نعبدها معك، فكذبتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله وردوا عليهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾، ما دعوناكم إلى عبادتنا ولا أقررناكم على ذلك، فحينئذٍ أظهر أهل الكفر الاستسلام والانقياد لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات: ٢٦] وكما قال: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١]. أما آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ويكذبون ويزعمون أنها شريكة لله ففقدوها وفقدوا نصرتها لهم وهم أحوج ما يكون إلى ناصرٍ ينصرهم فغابت عنهم تلك الآلهة الباطلة التي عبدوها مع

(٢٢٨) أحمر
أسود

الله ولم تدفع عنهم عذابًا ولم تجلب لهم خيرًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا عاين الذين كذّبوك يا محمد، وجَحَدُوا نُبوّتك والأمم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله، فلا ينجيهم من عذاب الله شيء، لأنهم لا يؤذن لهم، فيعتذرون، فيخفَّف عنهم العذاب بالعذر الذي يدعونه، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يقول: ولا يُرْجَئُون بالعقاب، لأن وقت التوبة والإنابة قد فات، فليس ذلك وقتا لهما، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك، قال الله تعالى ذكره ﴿فَأَلْقَوْا۟﴾ يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله تعالى يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم يقول: استسلموا يومئذ وذَلُّوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله، وتبرأت منهم، ولا قومهم، ولا عشائرهُم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم، والعرب تقول: ألقيت إليه كذا تعني بذلك قلت له. وقوله

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يقول: وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ يقول: ذلوا واستسلموا يومئذ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: الذين أشركوا ﴿الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي: لا يفتر عنهم ساعة واحدة، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: ولا يؤخر عنهم، بل يأخذهم سريعا من الموقف بلا حساب، فإنه إذا جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام[1]، مع كل زمام سبعون ألف ملك، فيشرف عنق منها على الخلائق، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، فتقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، الذي جعل مع الله إلها آخر[2]، وبكذا وكذا وتذكر أصنافا من الناس، كما جاء في الحديث. ثم تنطوي عليهم وتتلقطهم من الموقف كما يلتقط الطائر الحب قال الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

ثم أخبر تعالى عن تبرئ آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ أي: الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ﴿قَالُوا رَبَّنَا

---

(١) الحديث بذلك في صحيح مسلم وقد أعلَّه بعض أهل العلم.

(٢) سنده معلول والراجح ضعفه، والله أعلم.

(٢٣٠) أحمر
أسود

هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: قالت لهم الآلهة: كذبتم، ما نحن أمرناكم بعبادتنا. كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]. وقال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ الآية. [القصص: ٦٤] والآيات في هذا كثيرة.

وقوله: ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ قال قتادة، وعكرمة: ذلوا واستسلموا يومئذ، أي: استسلموا لله جميعهم، فلا أحد إلا سامع مطيع، وكقوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ [مريم: ٣٨] أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ! وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، وقال: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١] أي: خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت.

وقوله: ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجيز.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا رأوا العذاب لا يخفف عنهم، ولا ينظرون، أي: لا يمهلون، وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخر، وبين أنهم يرون النار، وأنها تراهم، وأنها تكاد تتقطع من شدة الغيظ عليهم؛

(٢٣١) أحمر
أسود

كقوله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٩-٤٠]، وقوله: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان: ١٢]، وقوله: ﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٧، ٨]، وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المشركين يوم القيامة إذا رأوا معبوداتهم التي كانوا يشركونها بالله في عبادته قالوا لربهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾، وأن معبوداتهم تكذبهم في ذلك، فيقولون لهم: كذبتم! ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يونس: ٢٨].

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقوله: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ [القصص: ٦٤]، وقوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يونس: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

فإن قيل: كيف كذبتهم آلهتهم ونفوا أنهم عبدوهم، مع أن الواقع خلاف ما

(٢٣٢) أحمر
أسود

قالوا، وأنهم كانوا يعبدونهم في دار الدنيا من دون الله!

فالجواب: أن تكذيبهم لهم منصب على زعمهم أنهم آلهة، وأن عبادتهم حق، وأنها تقربهم إلى الله زلفى، ولا شك أن كل ذلك من أعظم الكذب وأشنع الافتراء، ولذلك هم صادقون فيما ألقوا إليهم من القول، ونطقوا فيه بأنهم كاذبون، ومراد الكفار بقولهم لربهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾، قيل: ليحملوا شركاءهم تبعة ذنبهم، وقيل: ليكونوا شركاءهم في العذاب، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقد نص تعالى على أنهم وما يعبدونه من دون الله في النار جميعًا في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨]، وأخرج من ذلك الملائكة وعيسى وعزيرًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾...﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١]؛ لأنهم ما عبدوهم برضاهم، بل لو أطاعوهم لأخلصوا العبادة لله وحده جلَّ وعلا.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾، إلقاؤهم إلى الله السلم: هو انقيادهم له، وخضوعهم؛ حيث لا ينفعهم ذلك كما تقدم في قوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ [النحل: ٢٨]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة؛ كقوله: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٦]، وقوله: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، ونحو ذلك من الآيات، وقد قدمنا طرفًا من ذلك في الكلام على قوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ [النحل: ٢٨].

وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾، أي: غاب عنهم واضمحل ما كانوا يفترونه: من أن شركاءهم تشفع لهم وتقربهم إلى الله زلفى؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ....﴾ الآية [يونس: ١٨]، وكقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وضلال ذلك عنهم مذكور في آيات

(٢٣٣) أحمر
أسود

كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥﴾ [القصص: ٧٥]، وقد قدمنا معاني الضلال في القرآن وفي اللغة بشواهدها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ يوم القيامة وعلموا بطلانها ولم يمكنهم الإنكار.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ﴾ ليس عندها نفع ولا شفيع، فنوَّهوا بأنفسهم ببطلانها، وكفروا بها، وبدت البغضاء والعداوة بينهم وبينها، ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: ردت عليهم شركاؤهم قولهم، فقالت لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾ حيث جعلتمونا شركاء لله، عبدتمونا معه فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقا للألوهية فاللوم عليكم.

فحينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه وعلموا أنهم مستحقون للعذاب.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧﴾ فدخلوا النار وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم ومن حمد ربهم وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: أشركوا ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ يعني: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ لا يؤخَّرون، ولا يمهلون. ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ﴾ أي: نعبد من دونك. فإن قيل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم لما كتموا الشرك في قولهم: واللهِ ما كنا مشركين، عاقبهم الله

(٢٣٤) أحمر
أسود

تعالى بإصمات ألسنتهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدَّقنا بعد الكذب، التماسًا للرحمة، وفرارًا من الغضب، وكأنَّ هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنْب، لا على وجه إعلام من لا يعلم.

والثاني: أنهم لما عاينوا عِظَم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقديرَ أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذْ كانوا يدَّعون لها العقل والتمييز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أجابوهم وقالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ قال الفراء: ردت عليهم آلهتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: ﴿فَأَلْقَوْاْ﴾ أي: قالوا لهم. يقال: ألقيت إلى فلان كذا. أي: قلت له. قال العلماء: كذَّبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جمادًا لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذٍ إذْ عبدوا مَن لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٣]. قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ المعنى: أنهم استسلموا له. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم. قولان: أحدهما: أنهم استسلموا له بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه.

والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلُّهم. قال الكلبي: والمعنى: أنهم استسلموا لله منقادين لحُكمه.

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بَطَل قولهم أنها تشفع لهم.

والثاني: ذهب عنهم ما زيَّن لهم الشيطان أن لله شريكًا وولدًا.

❁ ❁ ❁

(٢٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وكفروا به وكذبوا رسله وأنكروا كتبه، وسعوا في صرف الناس عن طريق الحق وصدِّهم عنه زدناهم عذابًا لصرف الناس عن الحق، وصدهم الناس عن الطريق الموصل إلى الله فوق العذاب الذي استحقوه لكفرهم، وذلك بإفسادهم في الأرض، فعليه إفسادهم له وصورتان:

إحداهما: أنهم كفروا واستباحوا ما حرَّمه الله.

والثاني: أنهم صرفوا الناس عن الحق وصدوهم عنه، الآية كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وكقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مثلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ من آثامهم شيئًا» والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا يا محمد نبوّتك وكذّبوك فيما جئتهم به من عند ربك، وصَدُّوا عن الإيمان بالله وبرسوله، ومن أراده زدناهم عذابًا يوم القيامة في جهنم فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزادوه. وقيل: تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات.

وأورد بسندٍ صحيح عن عبد الله[1]: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: عقارب لها أنياب كالنخل.

(١) هو ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢٣٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ يقول: زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون، بما كانوا في الدنيا يعصُون الله، ويأمرون عباده بمعصيته، فذلك كان إفسادهم، اللهم إنا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: عذابًا على كفرهم، وعذابًا على صدهم الناس عن اتباع الحق، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] أي: ينهون الناس، عن اتباعه، ويبتعدون هم منه أيضًا ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾. [الأنعام: ٢٦]

وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

❁ ❁ ❁

(٢٣٧) أحمر
أسود

تفاوت أهل النار في العذاب، عياذًا بالله

س: أهل الكفر يتفاوتون في العذاب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾. [غافر: ٤٦]

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾. [المائدة: ١١٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

مع قوله ﷺ في شأن عمه أبي طالب: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَغلي مِنْهمَا دِمَاغه ولَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ». إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يا رسول الله يوم نبعث في كل أمةٍ شهيدًا عليهم من أنفسهم، وهو الرسول الذي أرسله الله إليهم، وجئنا بك يا رسول الله شهيدًا على قومك هؤلاء، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ أي: بيانًا لكل شيء مما أحلَّه الله ﷻ وحرَّمه،

(٢٣٨) أحمر
أسود

﴿وَهُدًى﴾ هداية ودلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ بجنات النعيم ورضوان رب العالمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ يقول: نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا، وقال: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها: ماذا أجابوكم، وما ردّوا عليكم ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهدًا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً ﴾ لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرّم حرامه ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته.

وأورد بسندٍ يصحح بطرقه عن مجاهد: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ مما أحلّ لهم وحرّم عليهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني أمته.

أي: اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك اللّه فيه من الشّرف العظيم والمقام الرّفيع. وهذه الآية شبيهةٌ بالآية الّتي انتهى إليها عبد اللّه بن مسعودٍ حين قرأ على رسول اللّه ﷺ صدر سورة «النّساء» فلمّا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ

(٢٣٩) أحمر
أسود

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ [النِّسَاءِ: ٤١]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَسْبُكَ». قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء.

وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام.

وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم.

﴿وَهُدًى﴾ أي: للقلوب، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وقال الأوزاعي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: بالسنة.

ووجه اقتران قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مع قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أن المراد -والله أعلم-: إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك، سائلك عن ذلك يوم القيامة، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي: إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه، ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك. هذا أحد الأقوال، وهو متجه حسن.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه يوم القيامة يبعث في كل أمة

(٢٤٠) أحمر
أسود

شهيدًا عليهم من أنفسهم يشهد عليهم بما أجابوا به رسولهم، وأنه يأتي بنبينا ﷺ شاهدًا علينا، وبين هذا في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ...﴾ الآية [النساء: ٤١، ٤٢]، وكقوله: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وكقوله: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**»، قال: فقلت: يا رسول الله! أأقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت «سورة النساء»، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١]، فقال: «**حسبك الآن**»، فإذا عيناه تذرفان اهـ.

وقال رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه نزل على رسوله هذا الكتاب العظيم تبيانًا لكل شيء، وبين ذلك في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، على القول بأن المراد بالكتاب فيها القرآن. أما على القول بأنه اللوح المحفوظ - فلا بيان بالآية. وعلى كل حال فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء. والسنة كلها تدخل في آية واحدة منه؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

❁ ❁ ❁

(٢٤١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠
وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ
جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ
كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
٩٣ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ
بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٩٦ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ
حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾

[النحل: ٩٠-٩٧]

(٢٤٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بِٱلۡعَدۡلِ - وَٱلۡإِحۡسَٰنِ - وَإِيتَآيِٕ - ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ - ٱلۡفَحۡشَآءِ - وَٱلۡمُنكَرِ - وَٱلۡبَغۡيِۚ - يَعِظُكُمۡ - بِعَهۡدِ ٱللَّهِ - وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ - تَوۡكِيدِهَا - كَفِيلًا - نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا - مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا - دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ - أُمَّةٌ وَٰحِدَةٌ - فَتَزِلَّ قَدَمُۢ - بَعۡدَ ثُبُوتِهَا - يَنفَدُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾	الإنصاف، إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه.
﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾	قيل: المراد العفو، وقيل: الفضل، وقيل: المراد إحسان عبادة الله بحسن مراقبته.
﴿وَإِيتَآيِٕ﴾	إعطاء.
﴿ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	الأرحام - القرابات.
﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾	ما فحش من الأقوال والأعمال، ويدخل فيه الزنا.
﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾	قيل: إنها المحرمات الظاهرة، وقيل: إنها الشرك وعموم المعاصي.
﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾	التعدي على الآخرين وظلمهم.
﴿يَعِظُكُمۡ﴾	يُذكِّركم بطيب القول وبلينٍ من الخطاب.
﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾	العهود التي تعاهدتم عليها مع الناس وأقسمتم لهم بالله على الوفاء بها وقيل: عموم العهود.
﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾	لا تخالفوا العهود التي عاهدتم الناس عليها.
﴿تَوۡكِيدِهَا﴾	تأكيدها.

(٢٤٣) أحمر
أسود

﴿كَفِيلًا﴾	المراد هنا: الشاهد والرقيب والمُحاسب.
﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾	بعد أن صنعت الخيوط والحبال ولفت بعضها على بعض متقنةً لذلك حلَّتها وأرجعتها كما كانت مرةً أخرى.
﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾	من بعد ما بذلت جهدًا في الغزل.
﴿أَنكَٰثًا﴾	أنقاضًا (أي: نقضتها نقضًا نقضًا).
﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾	غشًّا - خديعةً - مكرًا.
﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾	جماعة على رأي واحد - مؤمنين كلكم، أو كفار كلكم.
﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾	المراد فيرتد قومٌ بعد أن اقتربوا من الإيمان.
﴿يَنفَدُ﴾	ينتهي.

❁ ❁ ❁

(٢٤٤) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة الوارد في أن هذه الآية أجمع آية في كتاب الله ﷻ؟

ج: أما عن رسول الله ﷺ فلا يصح في هذا خبرٌ عن النبي ﷺ.

أما عن غير رسول الله ﷺ فقد أخرج الطبري من طريقيه[1] عن الشعبي عن شتَير بن شَكَل، قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر آية في سورة النحل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾ إلى آخر الآية.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢٤٥) أحمر
أسود

من محاسن الشريعة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: إن الله ﷻ يأمر عباده بالعدل الذي هو الإنصاف والحق، وهذا يكون في حق الله ﷻ، وفي حق العباد فالعدل في حق الله أن تقول ما هو حق في شأنه، وذلك بقولك: لا إله إلا الله، وأن تنفي عنه الشريك والولد والنِّد والصاحبة، وأن تقول فيه ما قاله عن نفسه وقاله عنه رسوله ﷺ.

ومن العدل القصاص كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وكما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٥]، وكما قال: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ ﴾ [الحج: ٦٠]. ومن العدل الإنصاف في الحكم بين الناس وهذا يشمل الحاكم والكافي والأمير وكل من يقضي بين الناس ومن العدل أن تؤدي ما عليك كاملًا مستوفًى غير ناقص إلا إذا رضي صاحبه بأقل من حقه.

... فهذه بعض صور العدل.

أما الإحسان فله صور:

منها: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ومنها: الصبر والعفو كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وكما قال بعد أن أمر بالعدل في قوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ أرشد بقوله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وكما قال بعد أن قال: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] أرشد إلى العفو قائلًا: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ ﴾ [المائدة: ٤٥]

(٢٤٦) أحمر
أسود

ولما حث على العدل في قوله: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ أرشد إلى العفو بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾.

[الحج: ٦٠]

فالحاصل أن الله أمر بالعدل وأرشد إلى الفضل، الذي هو الإحسان.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: وإعطاء القرابات والأرحام حقوقهم كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾، وهو كل ما فحش من الأقوال والأفعال، والتي منها الزنى وفحش القول والعمل ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ قيل: إنه عموم ما حرم الله، وقيل: إنه الشرك، وقيل: إنه المنكرات الظاهرة، أما ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ فهو التعدي على العباد وظلمهم، وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ أي: يُذكركم لعلكم تتذكرون، والوعظ التذكير بما يلين القلوب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله. وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحقّ الحمد عليها، كان جهلًا بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعِم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾، فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته: الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى، في الشدّة والرخاء، والمَكْرَه والمَنْشَط، وذلك هو أداء فرائضه.

وقوله: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ يقول: وإعطاء ذي القربى الحقّ الذي

(٢٤٧) أحمر
أسود

أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم.

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ قال: الفحشاء في هذا الموضع: الزنا.

وقوله: ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ قيل: عُنِيَ بالبغي في هذا الموضع: الكبر والظلم.

وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ يقول: يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحقّ لأهله.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾... الآية، إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خُلق سيِّئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومَذامِّها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا، من شرعية العدل والندب إلى الفضل.

وقوله: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: يأمر بصلة الأرحام، كما قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فالفواحش: المحرمات. والمنكرات: ما ظهر منها من فاعلها؛ ولهذا قيل في الموضع الآخر: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وأما البغي فهو: العدوان على الناس. وقد جاء في الحديث:

(٢٤٨) أحمر
أسود

« مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُدَّخَرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[1].

وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم بما يأمركم به من الخير، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما الإحسان فقد قال علماؤنا: الإحسان مصدر أحسن يحسن إحسانًا. ويقال على معنيين: أحدهما: متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أي حسنته وكلمته، وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء. وثانيهما: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى فلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به.

قلت: وهو في هذه الآية مراد بالمعنيين معًا، فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى أن الطائر في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي أن تقصر تعهده بإحسانك، وهو تعالى غني عن إحسانهم، ومنه الإحسان والنعم والفضل والمنن. وهو في حديث جبريل بالمعنى الأول لا بالثاني، فإن المعنى الأول راجع إلى إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة والمكملة، ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. وهو المراد بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين:

أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه. ولعل النبي ﷺ أشار إلى هذه الحالة بقوله: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

وثانيهما: لا تنتهي إلى هذا، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢٤٩) أحمر
أسود

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] وقوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾.

الثالثة: قوله تعالى: وإيتاء ذي القربى أي القرابة، يقول: يعطيهم المال كما قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ يعني صلته. وهذا من باب عطف المندوب على الواجب، وبه استدل الشافعي في إيجاب إيتاء المكاتب، على ما يأتي بيانه. وإنما خص ذا القربى لأن حقوقهم أوكد وصلتهم أوجب، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته، فقال في الصحيح: «**أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**». ولا سيما إذا كانوا فقراء.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ الفحشاء: الفحش، وهو كل قبيح من قول أو فعل. ابن عباس: هو الزنى. والمنكر: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها. وقيل هو الشرك. والبغي: هو الكبر والظلم والحقد والتعدي، وحقيقته تجاوز الحد، وهو داخل تحت المنكر، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضرره.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقًّا ولا تغشهم ولا

(٢٥٠) أحمر
أسود

تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره.

وخص الله إيتاء ذي القربى -وإن كان داخلا في العموم- لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك. ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبهم وبعيدهم لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر.

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى.

وبالبغي كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض.

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء.

ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ به أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكرتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسعدتم سعادة لا شقاوة معها.

(٢٥١) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه يأمر خلقه بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وأنه ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي؛ لأجل أن يتَّعظوا بأوامره ونواهيه، فيمتثلوا أمره، ويجتنبوا نهيه، وحذف مفعول ﴿يَأۡمُرُ﴾، ﴿وَيَنۡهَىٰ﴾، لقصد التعميم.

ومن الآيات التي أمر فيها بالعدل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]، وقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ [النساء: ٥٨].

ومن الآيات التي أمر فيها بالإحسان، قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩١].

ومن الآيات التي أمر فيها بإيتاء ذي القربى، قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ [الروم: ٣٨]، وقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾ [البلد: ١٤، ١٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الآيات التي نهى فيها عن الفحشاء والمنكر والبغي، قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا

(٢٥٢) أحمر
أسود

حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...﴾ الآية [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، والمنكر وإن لم يصرح باسمه في هذه الآيات، فهو داخل فيها.

ومن الآيات التي جمع فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان، قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ...﴾ الآية [الشورى: ٤١]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣]، وقوله: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ [النساء: ١٤٨]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن العدل في اللغة: القسط والإنصاف، وعدم الجور، وأصله التوسط بين المرتبتين؛ أي: الإفراط والتفريط، فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل، والإحسان مصدر أحسن، وهي تستعمل متعدية بالحرف نحو: أحسن إلى والديك؛ ومنه قوله تعالى عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ...﴾ الآية [يوسف: ١٠٠]، وتستعمل متعدية بنفسها؛ كقولك: أحسن العامل عمله، أي: أجاده وجاء به حسنًا. والله جل وعلا يأمر بالإحسان بمعنييه المذكورين، فهما داخلان في الآية الكريمة، لأن الإحسان

(٢٥٣) أحمر
أسود

إلى عباد الله لوجه الله عمل أحسن فيه صاحبه. وقد فسر النَّبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وقد قدمنا إيضاح ذلك «في سورة هود».فإذا عرفت هذا، فاعلم أن أقوال المفسرين في الآية الكريمة راجعة في الجملة إلى ما ذكرنا؛ كقول ابن عباس: العدل: لا إله إلا الله، والإحسان: أداء الفرائض؛ لأن عبادة الخالق دون المخلوق هي عين الإنصاف والقسط، وتجنب التفريط والإفراط. ومن أدى فرائض الله على الوجه الأكمل فقد أحسن؛ ولذا قال النَّبي ﷺ في الرجل الذي حلف لا يزيد على الواجبات: «**أفلح إن صدق**». وكقول سفيان: العدل: استواء العلانية والسريرة. والإحسان: أن تكون السريرة أفضل من العلانية، وكقول علي رضي الله عنه: العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل، إلى غير ذلك من أقوال السلف، والعلم عند الله تعالى.

وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾، الوعظ: الكلام الذي تلين له القلوب.

❁ ❁ ❁

(٢٥٤) أحمر
أسود

الوفاء بالعهود والتحذير من نقضها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وأوفوا يا أهل الإسلام بعهد الله ﷻ إذا عاهدتم، وهذا يشمل العهود التي بين العبد وبين ربِّه تبارك وتعالى - على ما قدمته في مطلع سورة المائدة وغيرها - فقد عاهدتم ربكم بقولكم سمعنا وأطعنا، ويشمل العهود التي بين العباد وبعضهم كالمعاهدات التي بين المسلمين وغيرهم والمعاهدات التي بين المسلمين وبعضهم، وكذلك العقود، ويشمل التحالفات التي كانت تجري بين بعض الناس وبعضهم فهو أمرٌ عامٌ بالوفاء بكل العهود.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فهي الأيمان المصاحبة للعقود، فكانوا يتعاقدون ويقسمون أيمانًا على الوفاء بالعهود، فنهاهم الله ﷻ عن نقض هذه العهود وتلك الأيمان.

أما قوله تعالى: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد تأكيدها سواء كان هذا التأكيد بتغليظ اليمين أو بتكريره، وهذا لا يشمل من أقسم يمينًا على شيء ثم بدا له أن يفعل خلافه، فإن هذا يكفر كفارة يمين ويفعل الخير، أما العهود التي بين الناس فلا تندرج تحت هذا، بل يلزم الوفاء بها أو التحلل منها.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: قلتم عند العهود - أي: أثناء كتابتها والاتفاق عليها- كفى بالله وكيلًا، وكفى بالله كفيلًا، أي: أشهدتم ربكم على الوفاء بها، وأقسمتم بالله على الوفاء بها.

(٢٥٥) أحمر
أسود

أما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١﴾ فحاصله: أنه يعلمه وسيجازيكم على ما صنعتم من نقض العهود إذا نقضتموها ويجازيكم كذلك خيرًا على وفائكم بها.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا ...﴾ فحاصل معناه: أن ناقض العهد شبِّه بامرأة خرقاء طائشة حمقاء تغزل الغزل وتُحكمه وتؤكد إحكامه ثم وبعد أن تتقن الغزل أشد الإتقان إذا بها تنقضه نقضًا، تنقضه أنقاضًا، فتعبت في أول أمرها عند إتقان غزلها، ثم تعبت تعبًا آخر أثناء نقض الغزل، وهكذا ناقض العهد يُشدد على الوفاء به ويؤكد أنه سيفي به ثم ينقض ما قاله.

أما قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: تتسترون بالأيمان وتتخذون الأيمان للغش والغدر والخيانة والخديعة، تخدعون بها بعضكم وتغشونه بها، تفعلون ذلك لكون جماعة من الناس أقوى من الجماعة التي تحالفتم معها، فكان القوم يتحالفون مع قوم فإذا جاء قوم أكثر منهم عددًا نقضوا التحالف الأول والعهد الأول، ودخلوا مع الأكثر عددًا في تحالف آخر غير التحالف الأول، فقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾ معناه: أنكم تنقضون العهد من أجل أمةٍ أكثر عددًا من أمةٍ أخرى.

ألا فاعلموا أن الله ﷻ يبلوكم بذلك، يختبركم بأن يسوق إليكم بعدما تعاقدتم التعاقد الأول، يسوق إليكم قبيلة أُخرى هي أقوى وأكثر اختبارًا هل تفون بالعهد الأول أم أنكم تنقضون العهد وتدخلون مع القوم الأكثر عَددًا وعُددًا.

وليظهرن الله لكم يوم القيامة حقيقة الأمور التي كنتم تتنازعون فيها في دنياكم.

(٢٥٦) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، يقال منه: وكَّد فلان يمينه يوكدها توكيدًا: إذا شددها وهي لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد، فإنهم يقولون: أكدتها أؤكدها تأكيدًا. وقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، محص ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قِبَل لكم به من أليم عقابه.

ويقول تعالى ذكره ناهيًا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وآمرًا بوفاء العهود، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوّة: ما غُزِل على طاقة واحدة ولم يثن. وقيل: إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة.

(٢٥٧) أحمر
أسود

وقال آخرون: إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل. وقالوا في معنى نقضت غزلها من بعد قوة، نحوًا مما قلنا.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه، ضرب الله هذا له مثلًا بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها، فقد أعطاهم ثم رجع، فنكث العهد الذي أعطاهم.

وقوله: ﴿أَنكَٰثًا﴾ يعني: أنقاضا، وكلّ شيء نُقِض بعد الفتل فهو أنكاث، واحدها: نكْث حبلا كان ذلك أو غزلا يقال منه: نكَث فلان هذا الحبل فهو ينكُثُه نكثا، والحبل منتكِث: إذا انتقضت قُواه. وإنما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد. وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه ﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ يقول: خديعة وغرورًا ليطمئنوا إليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنُّقلة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددًا منهم. والدَّخَل في كلام العرب: كلّ أمر لم يكن صحيحًا، يقال منه: أنا أعلم دَخَل فلان ودُخْلُلَه وداخلة أمره ودخلته ودخيلته.

وأما قوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ فإن قوله أربى: أفعل من الربا، يقال: هذا أربى من هذا وأربأ منه، إذا كان أكثر منه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ يغرّ بها، يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه، فتزلّ قدمه وهو في مأمن، ثم يعود

(٢٥٨) أحمر
أسود

يريد الغدر، قال: فأوّل بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا، وأعطى بعضهم بعضا العهد، فجاءهم قوم قالوا: نحن أكثر وأعزّ وأمنع، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا، ففعلوا، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي أربى: أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا، وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده فينزله من حِصْنه ثم ينكث عليه، الآية الأولى في هؤلاء القوم وهي مبدؤه، والأخرى في هذا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم، ليتبين المطيع منكم المنتهي إلى أمره ونهيه من العاصي المخالف أمره ونهيه ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وليبينن لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كلّ فريق منكم على عمله في الدنيا، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوّة نبيه، ويصدق بما ابتعث به أنبياءه، وكان يكذّب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود النهي عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة أموالهم. وقال الفراء: المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم أو لقلتكم وكثرتهم، وقد عززتموهم بالأيمان. ﴿أَرْبَىٰ﴾ أي: أكثر، من ربى الشيء يربو إذا كثر. والضمير في« به» يحتمل أن يعود على الوفاء الذي أمر الله به. ويحتمل أن يعود على الرباء، أي: أن الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على

بعض، واختبرهم بذلك من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها، وهو معنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ من البعث وغيره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وبين قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: لا تتركوها بلا تكفير، وبين قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما ثبت عنه في الصحيحين[1]: «**إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا**». وفي رواية: «**وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي**» لا تعارض بين هذا كله، ولا بين الآية المذكورة هاهنا وهي قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ﴾؛ لأن هذه الأيمان، المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع.

... ثم قال:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ قال عبد الله بن كثير، والسدي: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه.

---

(١) البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩).

(٢٦٠) أحمر
أسود

وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده.

وهذا القول أرجح وأظهر، وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا.

وقوله: ﴿أَنكَاثًا﴾ يحتمل أن يكون اسم مصدر: نقضت غزلها أنكاثا، أي: أنقاضا. ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان، أي: لا تكونوا أنكاثا، جمع نكث من ناكث؛ ولهذا قال بعده: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: خديعة ومكرًا، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم. فنهى الله عن ذلك، لينبه بالأدنى على الأعلى؛ إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه، فلأن ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾، أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة عباده أن يوفوا بعهد الله إذا عاهدوا، وظاهر الآية أنه شامل لجميع العهود فيما بين العبد وربه، وفيما بينه وبين الناس، وكرر هذا في مواضع أُخر؛ كقوله في «الأنعام»: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥٢]، وقوله في «الإسراء»: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقد قدمنا هذا «في الأنعام». وبين في مواضع أخر: أن من نقض العهد إنما يضر بذلك نفسه، وأن من أوفى به يؤتيه الله الأجر العظيم على ذلك؛ وذلك في قوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠]، وبين في مواضع آخر: أن نقض الميثاق يستوجب اللعن؛ وذلك في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ...﴾ الآية [المائدة: ١٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما أمر بما هو واجب في أصل الشرع أمر بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه

(٢٦١) أحمر
أسود

فقال: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان الوفاء بها برا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ بعقدها على اسم الله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المتعاقدون ﴿ كَفِيلًاۚ ﴾ فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا فيكون ذلك ترك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلا. فكما ائتمنك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته وأكدته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ يجازي كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك ﴿كَٱلَّتِي ﴾ تغزل غزلًا قويًّا فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أَنكَٰثًا ﴾ فتعبت على الغزل ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة. وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ ﴾ أي: لا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل لعجزه.

(٢٦٢) أحمر
أسود

س: في قولـه تعـالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ إشارة إلى نوعٍ من أنواع الابتلاءات، وهي الابتلاءات بتيسير أسباب المعاصي وضح ذلك.

ج: إيضاحه - كما تقدم- أن القوم كانوا يعاهدون قومًا فإذا جاء آخرون أقوى وأكثر نقضوا العهد الأول، فالذي ساق القوم الآخرين هو الله ﷻ، ساقهم الله ابتلاءً واختبارًا ينظر ماذا سيصنع هؤلاء الذين عاهدوا هل يفون بالعهد أم لا؟ ولذلك صور فمنها: أن يبيع الشخص بيتًا بمائة ألف ويتمم البيع لكنه لم يكتبه فيأتي مشتر آخر يعرض مائتي ألف فينقض البائع البيع الأول ظُلمًا وعدوانًا من أجل السعر الجديد المعروض له.وكذا فتاة مخطوبة معلومٌ أنها مخطوبة لفلان فيسوق الله شخصًا آخر يعرض نفسه فينقض أهل المخطوبة الخطبة الأولى طمعًا في ثراء الخاطب الجديد، وهكذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم-: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقين في كل شيء على قلب رجل واحد، فلا تختلفون، ولكن الله ﷻ شاء أن يجعل منكم الوفيَّ ويجعل منكم الخائن، وكذا يجعل منكم المؤمن ويجعل منكم الكافر فيضل من يشاء عن طريق الحق، ويوفق من يشاء لطريق الحق والصواب، ولتُسألن يوم القيامة عن أعمالكم التي عملتوها.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده،

(٢٦٣) أحمر
أسود

فصرتم جميعًا جماعة واحدة، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم، فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفَّق هؤلاء للإيمان به، والعمل بطاعته، فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحَرَمهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته، والعاصي له بمعصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] أي: لوفق بينكم. ولما جعل اختلافا ولا تباغض ولا شحناء ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم، فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على ملة واحدة. ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بخذلانه إياهم، عدلًا منه فيهم. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه إياهم، فضلا منه عليهم، ولا يسأل عما يفعل بل تسألون أنتم. والآية ترد على أهل القدر كما تقدم. واللام في «وليبينن ولتسئلن» مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر، أي والله ليبينن لكم ولتسئلن.

❁ ❁ ❁

(٢٦٤) أحمر
أسود

التحذير من أن تتسبب في إغواء شخص

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ولا تتخذوا أيمانكم التي أقسمتموها عند العهود، لا تتخذوها لغش الناس وخديعتهم والمكر بهم فتتسببوا في ردة قومٍ بعد أن اقتربوا من طريق الهداية وتذوقوا العذاب بما أحدثتموه للناس من ردةٍ عن طريق الخير وانحرافٍ عن طريق الصواب، ولكم عذاب عظيم يوم القيامة وبإيضاح آخر، فالشخص المسلم ذو السمت الطيب والمظهر الحسن الموافق للكتاب والسنة يقبل عليه الناس ويحبونه ويوشكوا - لما يرونه من كريم أخلاقه - أن يدخلوا في الإسلام، فإذا رأوه عاهد وغدر، أو وعد فأخلف أو غش ودلَّس انصرفوا عن الدين بسببه، فيعاقبه الله ﷻ لما تسبب في انصراف من انصرف عن الدين، يعاقبه ربه في الدنيا وفي الآخرة بما تسبب فيه للناس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دَخَلا وخديعة بينكم، تغرون بها الناس ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ يقول: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين. وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقطٍ في ورطة بعد سلامة، وما أشبه ذلك: (زلَّت قدمه)، كما قال الشاعر:

سيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إنْ كُنْتَ سابِقا ... وتُلْطَعُ إنْ زَلَّتْ بكَ النَّعْلانِ

وقوله: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يقول: وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء: هو عذاب الله الذي يعذّب به أهل معاصيه في الدنيا، وذلك بعض ما عذّب به أهل الكفر ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ يقول: بما فَتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ في الآخرة، وذلك نار جهنم،

(٢٦٥) أحمر
أسود

وهذه الآية تدلّ على أن تأويل بُرَيْدة الذي ذكرنا عنه، في قوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ والآيات التي بعدها، أنه عُنِيَ بذلك: الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، عن مفارقة الإسلام لقلة أهله، وكثرة أهل الشرك هو الصواب، دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به، لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم، صدّ عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى، وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعِلِي ذلك، أنهم باتخاذهم الأيمان دَخَلا بينهم، ونقضهم الأيمان بعد توكيدها، صادّون عن سبيل الله، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها، وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النُّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم حذر تعالى عباده من اتخاذ الأيمان دخلًا أي: خديعة ومكرًا، لئلا تزل قدم بعد ثبوتها: مثل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى، بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له وثوق بالدين، فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ ﴾ كرر ذلك تأكيدًا. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ مبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين وتردده في معاشرات الناس، أي: لا تعقدوا الأيمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها، أي: عن الأيمان بعد المعرفة بالله. وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه، لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى

(٢٦٦) أحمر
أسود

حال شر، ومن هذا المعنى قول كثير:

فلمـــا توافينـــا ثبـــت وزلـــت

والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة: زلت قدمه، كقول الشاعر:

سيمنع منك السبق إن كنت سابقا وتقتل إن زلت بك القدمان

ويقال لمن أخطأ في شيء: زل فيه ثم توعد تعالى بعد، بعذاب في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة. وهذا الوعيد إنما هو فيمن نقض عهد رسول الله ﷺ، فإن من عاهده ثم نقض عهده خرج من الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بصدكم. وذوق السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من المكروه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ وعهودكم ومواثيقكم تبعًا لأهوائكم متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حيث ضللتم وأضللتم غيركم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ مضاعف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ولا تعتاضوا عن الوفاء بالعهود والمواثيق

(٢٦٧) أحمر
أسود

والأيمان بأعراض دنيوية زائلة فانية فالوفاء بالعهود أولى من أعراض دنيوية زائلة، وما عند الله من النعيم الذي أعدَّه الله لمن أوفى بالعهد خير من هذا العرض الزائل المتأتي من وراء نقض العهود إن كنتم تعلمون ذلك.

ثم بيَّن الله ﷻ أنكم مهما جمعتم من حطام الدنيا فإنه سينفذ ويزول، وما عند الله باق، كما قال تعالى في النعيم المعدُّ لأهل الجنة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء بالعهود فلم ينقضوها وصبروا على أوامر الله ﷻ فامتثلوها، وصبروا عن المحارم فلم يقترفوها، لنجزينهم أجرهم أحسن الجزاء وأتمه وأوفره على صبرهم الذين صبروا وعملهم الصالح الذي عملوا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكِّديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضًا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يثبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، فضل ما بين العِوَضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به، ثم بين تعالى ذكره فرْق ما بين العِوَضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه في الدنيا، وإن كَثُر فنافدٌ فان، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فانٍ، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا. وقوله ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وليثيبنّ الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السّراء والضرّاء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في

(٢٦٨) أحمر
أسود

رضاه، بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرنّ الله لهم سيئها بفضله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: لا تعتاضوا عن الإيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها، فإنها قليلة، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له، أي: جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه، وحفظ عهده رجاء موعوده؛ ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾.

أي: يفرغ وينقضي، فإنه إلى أجل معدود محصور مقدر متناه، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ أي: وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قسم من الرب ﷻ مؤكد باللام، أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، أي: ويتجاوز عن سيئها.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ما عنده من نعيم الجنة باق لا يفنى، وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص:٥٤]، وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢-٣]،إلى غير ذلك من الآيات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ نهى عن الرشا وأخذ الأموال على نقض العهد، أي: لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. وإنما كان

(٢٦٩) أحمر
أسود

قليلا وإن كثر لأنه مما يزول، فهو على التحقيق قليل، وهو المراد بقوله: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد وثبت على العقد.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ أي: على الإسلام والطاعات وعن المعاصي. أي: من الطاعات، وجعلها أحسن لأن ما عداها من الحسن مباح، والجزاء إنما يكون على الطاعات من حيث الوعد من الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: مؤمنٍ رجلًا كان أو امرأة يعمل عملًا صالحًا موافقًا للكتاب وللسنة مُخلصًا في ذلك لله ﷻ فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة بأن نمن عليه بالسعادة والرزق الحلال الطيب الحسن، والقناعة بما آتيناه ورضى القلب والنفس بذلك وراحة البال، فكل هذا يدخل في الحياة الطيبة في الدنيا، ولنجزينهم يوم القيامة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، ففيها ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن: يقول: وهو مصدّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾.

واختلف أهل التأويل في الذي عَنى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيهموها، فقال بعضهم: عنى أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها

(٢٧٠) أحمر
أسود

بالرزق الحلال.

وأورد نحو ذلك من وجوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال آخرون: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ بأن نرزقه القناعة.

وقال آخرون: بل يعني بالحياة الطيبة الحياة مؤمنًا بالله عاملًا بطاعته.

وقال آخرون: الحياة الطيبة السعادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الحياة في الجنة.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن قال: لا تطيب الحياة لأحدٍ إلا في الجنة.

ونحوه بسندٍ حسن عن قتادة قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وهي الجنة.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال: الحياة الطيبة في الآخرة: هي الجنة، تلك الحياة الطيبة، قال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ وقال: ألا تراه يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٤]، قال: هذه آخرته. وقرأ أيضًا: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، قال: الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة، ليس فيها موت لأحد من الفريقين.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟

(٢٧١) أحمر
أسود

ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفد، وما عند الله باق، فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فَعَلَ تعالى ذكره.

وأما القول الذي رُوي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال، فهو مُحْتَمَل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قلّ فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله. لا أنه يرزقه الكثير من الحلال، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة.

وقوله: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ فذلك لا شك أنه في الآخرة. وكذلك قال أهل التأويل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا -وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله -بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: أقوال العلماء في تفسير الحياة الطيبة، على نحو مما ذكره الطبري، وقال: والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل

(٢٧٢) أحمر
أسود

هذا كله، وأورد ما أخرجه أحمد ومسلم[(١)]، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزق كَفَافًا، وقَنَّعه اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

وما أخرجه أحمد ومسلم[(٢)] أيضًا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إن اللهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُعْطِيهِ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا خَيْرًا**».

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها بل لا تسمى أعمالًا صالحة إلا بالإيمان والإيمان مقتض لها فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

❁ ❁ ❁

(١) أحمد (٢/ ١٦٨)، ومسلم (١٠٥٤).
(٢) أحمد (٣/ ١٢٣)، ومسلم (٢٨٠٨).

(٢٧٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً
مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا
يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ

(٢٧٤) أحمر
أسود

هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ
مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
١١٠

[النحل: ٩٨-١١٠]

(٢٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ - سُلْطَٰنٌ - يَتَوَكَّلُونَ - يَتَوَلَّوْنَهُۥ - هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ - مُفْتَرٍۚ - رُوحُ ٱلْقُدُسِ - يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ - أَعْجَمِيٌّ - لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ - شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا - ٱلْغَٰفِلُونَ - لَا جَرَمَ - فُتِنُوا۟﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾	اطلب من الله أن يعيذك ويحفظك.
﴿سُلْطَٰنٌ﴾	حجة - تسلّط.
﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾	يعتمدون.
﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾	يتخذونه وليًّا ويطيعونه ويتبعونه.
﴿هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾	هم بالله مشركون، وقيل: هم بالشيطان مشركون، ويجعلونه شريكًا لله فيطيعوه ويتبعوه.
﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾	جبريل عليه السلام.
﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾	يميلون إليه في نسبة القرآن إليه.
﴿أَعْجَمِيٌّ﴾	لا يتكلم العربية ولا يستطيع الإفصاح للعرب بما يريد
﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾	لا يوفقهم الله.
﴿شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾	وسع صدره للكفر وقَبِلَهُ.
﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾	الساهون (عن الحق وعما أُعدَّ لهم من العذاب).
﴿لَا جَرَمَ﴾	حقًّا.
﴿فُتِنُوا۟﴾	عُذِّبوا - صرفوا عن دينهم وأشركوا وهم مكرهون.

(٢٧٦) أحمر
أسود

التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند التلاوة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: فإذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله قبل القراءة من الشيطان الرجيم، أي: اطلب من الله ﷻ أن يعيذك من الشيطان المرجوم حتى لا يُلبس عليك قراءتك، وحتى لا يفقدك التدبر والتأمل والتفكر، وحتى لا يحول بينك وبين الاستفادة من القرآن الكريم، ثم بيَّن الله سبحانه وتعالى أن الشيطان ليس له تسلطٌ بالحجة على أهل الإيمان المخلصين الذين آمنوا وأحسنوا الاعتماد على ربهم ﷻ، فهؤلاء ليس للشيطان عليهم تسلط بالحجة، وليس عليهم تسلط بإيقاعهم في الشرك أو بإيقاعهم في ذنب لا يتوبون منه، إنما تسلُّطه على الذين يتخذونه وليًّا لهم فيسمعوا له ويطيعوا، وتسلطه أيضًا على الذين هم بالله مشركون، أي: على أهل الشرك بالله.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ قيل: أي بالله ﴿مُشْرِكُونَ﴾، وقال: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالشيطان، أي: جعلوا الشيطان شريكًا لله بطاعتهم له، وباتباعه فيما حلل وحرَّم، وبجعلهم نصيبًا من الحرث والأنعام للشيطان وللآلهة المعبودة من دون الله. فهؤلاء هم الذين يتسلط عليهم الشيطان ويوقعهم في الكفر والعصيان والفواحش والكبائر وغير ذلك من المحرمات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا كنت يا محمد قارئًا القرآن، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٢٧٧) أحمر
أسود

ثم قال:

وليس قوله: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب. وذلك أنه لا خلاف بين الجميع، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم. قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضيع فرضًا واجبًا.

ثم قال:

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون.

ثم قال:

وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم فيه بما قلنا إن معناه: والذين هم بالله مشركون.

وقال آخرون: معنى ذلك: والذين هم به مشركون، أشركوا الشيطان في أعمالهم.

واختار الطبري القول الأول: الذي حاصله أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ عائدة على الرب في قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه ﷺ: إذا أرادوا قراءة القرآن، أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم. وهو أمر ندب ليس بواجب، حكى الإجماع على ذلك الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة.

(٢٧٨) أحمر
أسود

ثم قال:

والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة، لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكر، ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة.

ثم قال:

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ أي: أشركوا في عبادة الله تعالى. ويحتمل أن تكون الباء سببية، أي: صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى.

وقال آخرون: معناه: أنه شركهم في الأموال والأولاد.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

وأظهر الأقوال في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾، أن الضمير عائد إلى الشيطان لا إلى الله. ومعنى كونهم مشركين به هو طاعتهم له في الكفر والمعاصي؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾ [يس: ٦٠]، وقوله عن إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما سلطانه على الذين يتولونه فهو ما جعلوه له على أنفسهم من الطاعة والاتباع والموالاة، بغير موجب يستوجب ذلك.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: فاذا أردتَ القراءة فاستعذ، ومثله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب ٥٣]، وقوله: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾.

[المجادلة: ١٢]

(٢٧٩) أحمر
أسود

ومثله في الكلام: إذا أكلت فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللغويين.

والثاني: أنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة. روي عن أبي هريرة، وداود.

والثالث: أنه من المقدَّم والمؤخَّر، فالمعنى: فإذا استعذت بالله فاقرأ، قاله أبو حاتم السجستاني، والأول أصح.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا أردت القراءة لكتاب الله الذي هو أشرف الكتب وأجلها وفيه صلاح القلوب والعلوم الكثيرة فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها ومعانيها.

فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » متدبرًا لمعناها، معتمدًا بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهدًا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة مجتهدًا، على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل.

فإن الشيطان ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وحده لا شريك له ﴿يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبق له عليهم سبيل.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ أي: تسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي: يجعلونه لهم وليًّا، وذلك بتخليهم عن ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان، وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزَّهم إلى المعاصي أزًّا وقادهم إلى النار قَوْدًا.

❁ ❁ ❁

(٢٨٠) أحمر
أسود

دفع إشكال

س: ذكر الله ﷻ ما يفهم منه أن الشيطان له تسلط على الغواة من العباد إذ قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾. ونفى الله في آية أُخرى سلطان الشيطان عليهم (كما يفهم من الآيات) إذ قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [سبأ: ٢١]، وقال الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فكيف الجمع بين الآيات التي أثبتت سلطانه على الغواة، والآيات التي نفت ذلك؟

ج: أجاب العلماء على ذلك بجوابين:

أحدهما: أن السلطان المثبت غير السلطان المنفي فالسلطان المثبت هو تزيينه المعاصي وتحسينه لها، أما السلطان المنفي فهو سلطان الحجة والغلبة، فليس له حجة، وليست له غلبة.

الثاني: أن الله لم يجعل للشيطان حجة على العباد ابتداء، بل هم الذين سلطوه على أنفسهم بطاعتهم له.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ مع أن أهل الإيمان قد تصدر منهم معاصي؟

ج: في هذا والله أعلم وجوهٌ:

أحدها: لا يستطيع الشيطان أن يحمل المتوكلين على الله المؤمنين بالله لا يستطيع أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه، بل إن أذنبوا تابوا وأقلعوا ورجعوا.

الثاني: لا يستطيع الشيطان أن يوقعهم في الشرك كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا

(٢٨١) أحمر
أسود

تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣].

الثالث: أنه لا حجة له عليهم، بل وإن عملوا ذنبًا فهم مقرون أنه ذنب.

❁ ❁ ❁

س: هل الاستعاذة قبل القراءة أم بعدها؟

ج: بل قبل القراءة قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا أخذت في قراءته فاستعذ بالله من أن يعرض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه، وليس يريد استعذ بعد القراءة، بل هو كقولك إذا أكلت فقل بسم الله، أي إذا أردت أن تأكل. وقد روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه**». وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة. قال الكيا الطبري: ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقًا، احتجاجًا بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [النساء: ١٠٣]. إلا أن غيره محتمل، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم. ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق، وإذا أحرمت فاغتسل، يعني قبل الإحرام. والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك، فكذلك الاستعاذة.

❁ ❁ ❁

(٢٨٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وإذا نسخنا آية وجئنا مكانها بآية أُخرى، أو رفعنا آية من الصدور وأتينا مكانها بآية أخرى، أو أبقينا آية ولكن نسخنا العمل بها بآية أُخرى، كما قال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فإذا نسخنا آية وبدلناها بآية أخرى، والله أعلم بالذي نسخ وبالذي نزل، وبالذي رُفع من الصدور، لو بدلنا آية مكان آية لقال أهل الكفر إنما أنت مفتر لهذا القول من عند نفسك، ولم يُنزل الله عليك كتابًا، قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ لا يعلمون أن الله الذي أنزل القرآن وبدل آية مكان آية، فقل لهؤلاء المنكرون الجاحدون، قل لهم نزَّل هذا القرآنَ روحُ القدس، وهو جبريل عليه السلام، نزل به من عند الله بالحق حاملًا الحق مشتملًا على الحق، ونزوله أيضًا بالحق، نزل به ليثبت الذين آمنوا على إيمانهم، ونزل به هداية، وتوفيقًا وإرشادًا لأهل الإيمان، نزل به بشارةً لأهل الإسلام بجنات النعيم، ورضوان رب العالمين.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعلم بما ينزل: يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدِّل ويغير من أحكامه، قالوا: إنما أنت مفتر يقول: قال المشركون بالله، المكذبو رسوله لرسوله: إنما أنت يا محمد مفتر: أي مكذب تخرص بتقوّل الباطل على الله، يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفتر جهال، بأنّ

(٢٨٣) أحمر
أسود

الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين لك إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا، أنزله روح القُدُس: يقول: قل جاء به جَبرئيل من عند ربي بالحقّ.

وقوله: ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يقول تعالى ذكره: قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه، روح القدس عليّ من ربي، تثبيتا للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانًا لإيمانهم، وهدى لهم من الضلالة، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في آي كتابه، فأقرّوا بكل ذلك،وصدقوا به قولًا وعملًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم، وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ أي: كذاب وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وقال مجاهد: ﴿بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ أي: رفعناها وأثبتنا غيرها.

وقال قتادة: هو كقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة:١٠٦].

فقال تعالى مجيبا لهم: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ أي: جبريل، ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق والعدل، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فيصدقوا بما أنزل أولًا وثانيًا وتخبت له قلوبهم، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي: وجعله هاديا مهديًا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله.

(٢٨٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

ج: هذه مواساة لرسول الله ﷺ وتصبيرٌ له فيقسم الله ﷻ أنه يعلم ما يقوله أهل الكفر في شأن رسول الله ﷺ والقرآن الذي يتلوه، إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ يعلمه هذا القرآن بشرٌ، وقصدوا بذلك رجلًا أعجميًّا، لا يتكلم اللغة العربية، على اختلاف بين العلماء في تسيمة هذا الأعجمي، فالحاصل أنهم نسبوا القرآن إلى رجل، وقالوا إن هذا الرجل اقتبسه من أساطير الأولين، وحكاياتهم وعلمه رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥]، فقل يا رسول الله لهؤلاء الذين قالوا إن بشرًا يعلمك، قل لهم هذا الذي تميلون إليه وتتركون قولة الحق، فتقولون إنه علمني وتعدلون عن القول بأن الله أوحى إليَّ هذا القرآن، هذا الرجل الذي تزعمون أنه علمني رجل أعجمي لا يجيد اللغة العربية ولا يتقنها، فكيف تزعمون أنه علمني والقرآن نزل بلسان عربيٍّ مبين.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يعلم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجميّ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدًا هذا القرآن عبد روميّ، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربيّ مبين.

(٢٨٥) أحمر
أسود

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلِّم محمدًا ﷺ هذا القرآن من البشر، فقال بعضهم: كان اسمه بَلْعام، وكان قَينا بمكة نصرانيًّا.

وقال آخرون: اسمه يعيش.

وقال آخرون: بل كان اسمه جَبْر.

وقال آخرون: بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جَبْر.

وقال آخرون: بل كان ذلك سَلْمان الفارسي.

... إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تستند إلى دليل صحيح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: أن محمدًا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعًا يبيع عند الصفا، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه؛ فلهذا قال الله تعالى رادًّا عليهم في افترائهم ذلك: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ يعني: القرآن أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي أرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾، أقسم جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه يعلم أن الكفار يقولون: إن هذا القرآن الذي جاء به

(٢٨٦) أحمر
أسود

النَّبي ﷺ ليس وحيًا من الله، وإنما تعلمه من بشر من الناس.

وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، وقوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤﴾ [المدثر: ٢٤]، أي: يرويه محمد ﷺ عن غيره، وقوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ...﴾ الآية [الأنعام: ١٠٥]، كما تقدم في «الأنعام».

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾، أي: يميلون عن الحق. والمعنى لسان البشر الذي يلحدون، أي: يميلون قولهم عن الصدق والاستقامة إليه؛ أعجمي غير بين، وهذا القرآن لسان عربي مبين، أي: ذو بيان وفصاحة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٠٥﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: إن الذين لا يصدقون بحجج الله ﷻ، بل يكذبونها ويصرفون الناس عليها، فهؤلاء لا يوفقهم الله ﷻ للإيمان، بل وأعد الله لهم أليم العذاب، وهو جهنم والعياذ بالله، والآية كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]. ثم بين الله ﷻ أن الكذبة والمفترين ليسوا هم الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والصلاح إنما الذين يفترون الكذب على الله هم المكذبون بآياته فأولئك هم أهل الكذب، وهم أولى به وهم أحق بأن يكونوا له أهلًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته، فيصدّقون بما دلَّت

(٢٨٧) أحمر
أسود

عليه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ يقول: لا يوفقهم الله لإصابة الحقّ، ولا يهديهم لسبيل الرشد في الدنيا، ولهم في الآخرة وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبيّ ﷺ: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفرية والكذب، لا نبيّ الله ﷺ، والمؤمنون به، وبرأ من ذلك نبيه ﷺ وأصحابه، فقال: إنما يتخرّص الكذب، ويتقوّل الباطل، الذين لا يصدّقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابًا، ولا يخافون على الكذب عقابًا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب، لا من كان راجيًا من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفًا على الكذب العقاب الأليم. وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ يقول: والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله ﷺ، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة.

ثم أخبر تعالى أن رسوله ﷺ ليس بمفتر ولا كذاب؛ لأنه ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾ على الله وعلى رسوله ﷺ شرار الخلق، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس. والرسول محمد ﷺ، كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد؛ ولهذا لما سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلَهَا مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ فِيمَا قال له: أو كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ

(٢٨٨) أحمر
أسود

مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ: هِرَقْلُ فَمَا كَانَ لِيَدع الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ ﷻ[1].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ سبب نزول؟

ج: أورد الطبري عدة آثار في سبب نزول الآية، وذلك أنها في عمار بن ياسر رضي الله عنهما حين أكره وتلفظ بكلمة الكفر وهو مكرهٌ.

وهذه الآثار التي أوردها الطبري لا يخلو إسناد أثرٍ منها من مقال، لكنها بمجموع طُرقها تُحسَّن، والله أعلم، هذا ومن هذه الآثار أثر أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فعذّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟** قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبيّ ﷺ: **فإنْ عادُوا فَعُدْ**».

وكما أسلفت فإنه ضعيف الإسناد ولكن له شواهد يُحسَّن بها، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: من كفر بالله ﷻ بعد أن آمن به، وهذه تشمل المرتد عن دينه، وقد يحمل الإيمان على بعض معانيه، أي: من جحد وحدانية

(١) بنحوه أخرجه البخاري (حديث ٦، وفي غير موطن من صحيحه)، ومسلم (١٧٧٣) وغيرهما.

(٢٨٩) أحمر
أسود

الله ﷻ، بعد أن أقرَّ بان الله خالقه ورزاقه، فهذا الذي شرح بالكفر صدره، وسع صدره لقبول الكفر وللجحود بوحدانية الله ﷻ وتكذيب رسله فهؤلاء عليهم غضب من الله ولهم يوم القيامة عذاب عظيم، لكن من أكره على كلمة الكفر وأُجبر عليها، وعذِّب وقلبه مطمئن بالإيمان فهؤلاء وإن تكلموا بالكفر وهم مكرهون عليه فالله ﷻ يعفو عنهم، فهو رحيم ولا يكلف نفسًا إلى وسعها، وقد قال كثيرون من أهل العلم إن الآية الكريمة نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنهما أُكره على أن يتكلم بكلمة الكفر فمثله معفو عنه للإكراه، أما الذين رضوا بالكفر وانشرحت له صدورهم فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك العذاب؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا ففضلوها على الآخرة، وأقبلوا على دنياهم ونسوا أُخراهم، فاستحقوا العذاب لذلك؛ ولأن الله ﷻ لا يوفق القوم الجاحدين لوحدانيته المنكرين لآياته المكذبين رسله، فأولئك أهل الكفر الذين لا يهديهم الله هم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فلا يعقلون شيئًا من الخير والإيمان ولا يسمعون سماعًا ينتفعون به، ولا يبصرون ما ينفعهم وأولئك هم الغافلون، الساهون عما أُعد لهم من العذاب الأليم، فحقًّا أنهم في الآخرة هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم، وخسروا أهليهم يوم القيامة.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

أورد الطبري رحمه الله آثارًا في كون الآية الكريمة نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنهما ثم قال:

فتأويل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئنّ بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرًا فاختاره وآثره على الإيمان، وباح به طائعًا، فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم.

(٢٩٠) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس، هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم، فختم عليها بطابعه، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وأصمّ أسماعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ يقول: وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ الهالكون، الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئا، فهم غافلون عما

(٢٩١) أحمر
أسود

يراد بهم.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن شناعة حال ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ فعمى بعد ما أبصر ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر راضيا به مطمئنا أن لهم الغضب الشديد من الرب الرحيم الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وغضب عليهم كل شيء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: في غاية الشدة مع أنه دائم أبدًا. و﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ حيث ارتدوا على أدبارهم طمعًا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهدًا في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة وفاتهم النعيم المقيم وحصلوا على العذاب الأليم.

وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ راغب فيه فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه

(٢٩٢) أحمر
أسود

عليها. ودل ذلك على أن كلام المكره على الطلاق أو العتاق أو البيع أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها فغيرها من باب أولى وأحرى.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ...﴾ سبب نزول؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧]... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت فيهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِل من قُتِل[1].

❁ ❁ ❁

(١) وله شاهد عند الطبري من مرسل قتادة.

(٢٩٣) أحمر
أسود

وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

ج: هؤلاء - والله أعلم-: قوم كانوا بمكة لم يهاجروا ففتنهم قومهم، وللفتنة صورتان:

إحداهما: أنهم عذبوهم وآذوهم حتى اضطروهم إلى الهجرة.

والثانية: أنهم صرفوهم عن إيمانهم إلى الشرك بالله، فقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أي: من بعد ما عذبوا أو من بعد ما صرفوا عن دينهم وأكرهوا على ذلك، ثم هاجروا من بلادهم وآثروا مرضاة ربهم ﷻ على ملذات الدنيا، ثم اتبعوا الهجرة بالجهاد في سبيل الله لنصرة دين الله ﷻ، وصبروا على أقدار الله وعلى ما أصابهم وصبروا على أوامر الله ﷻ، وامتنعوا عما نهاهم عنه إن ربك من بعد هذه الفتنة التي وقعوا فيها وتوبتهم منها لغفور رحيم على ما بدر منهم وصدر، وقيل: من بعدها، أي: من بعد الهجرة والتوبة والجهاد والصبر، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ يقول: إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان

(٢٩٤) أحمر
أسود

معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم قد واتوهم على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه، وانتظموا في سلك المؤمنين، وجاهدوا معهم الكافرين، وصبروا، فأخبر الله تعالى أنه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: تلك الفعلة، وهي الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم، رحيم بهم يوم معادهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ثم إن ربك الذي ربى عباده المخلصين بلطفه وإحسانه لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، وخلى دياره وأمواله طلبًا لمرضاة الله، وفتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء الله ليدخلهم في دين الله بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس.

فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم، فلهم الرحمة من الله في يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

(٢٩٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ
ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ
أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾

[النحل: ١١١-١١٩]

(٢٩٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿تُجَٰدِلُ - لَا يُظۡلَمُونَ - رَغَدًا - فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ - حَلَٰلًا - ٱضۡطُرَّ - غَيۡرَ بَاغٖ - وَلَا عَادٖ - يَفۡتَرُونَ - ٱلَّذِينَ هَادُواْ - ٱلسُّوٓءَ - بِجَهَٰلَةٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تُجَٰدِلُ﴾	تخاصم - تدافع - تحاجج.
﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴾	لا يبخسون شيئًا من حقوقهم.
﴿رَغَدًا﴾	واسعًا.
﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾	فجحدت نعم الله، ولم تقدم لها شكرًا.
﴿حَلَٰلًا﴾	في حال كونه حلالًا أحلَّه الله ولم يكن مُحرمًا أو مغصوبًا.
﴿ٱضۡطُرَّ﴾	ألجأته الضرورة.
﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾	غير راغب في أكل الحرام.
﴿وَلَا عَادٖ﴾	ليس بآكل أكثر من حاجته.
﴿يَفۡتَرُونَ﴾	ينسبون إلى الله ما لم يقله.
﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	اليهود.
﴿ٱلسُّوٓءَ﴾	السيئات - المحرمات.
﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾	جهلهم هو فعلهم المعاصي واستخفافهم بحق الله، فكل من عصى الله فهو جاهل.

(٢٩٧) أحمر
أسود

من مشاهد القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واذكر يوم تأتي كل نفس تدافع عن نفسها وتخاصم عن نفسها وتحاجج عن نفسها، فهي مشغولةٌ بنفسها، وعندها تأخذ كلُّ نفس حقها مستوفًى كاملًا من خير أو شرٍّ وهم لا يبخسون شيئًا من حقوقهم، لا ينقصون شيئًا من حقوقهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ تخاصم عن نفسها، وتحتجّ عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شرّ أو إيمان أو كفر، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا من طاعة ومعصية ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾: يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾ أي: تحاج ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: من خير وشر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ أي: لا ينقص من ثواب الخير ولا يزاد على ثواب الشر ولا يظلمون نقيرًا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ كلٌّ يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى

(٢٩٨) أحمر
أسود

نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ فلا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وضرب الله مثلًا لزوال النعم بالمعاصي، ضرب حال أهل مكة مثلًا لذلك، فمكة كانت آمنة مطمئنة، وأهلها آمنون مطمئنون تأتيهم الأرزاق والسعة طيبة من كل مكان، كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة قريش]، وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] فكفر أهل هذه القرية بنعم الله وجحدوها وأنكروا نبوة الرسول الأمين الذي أنعم الله عليهم ببعثته إليهم، فبدل الله أمنهم خوفًا، ورزقهم جوعًا بسبب صنيعهم الذي صنعوا، وكفرهم الذي كفروا وجحدهم الذي جحدوا. ولقد جاءهم رسول منهم يعرفونه ويعرفون نسبه وصدقه فكذبوه فأخذهم الله بالعذاب وهم على شركهم وضلالهم، فعذِّبوا يوم بدر بقتل سادتهم وكبراءهم، وعذبوا بجوع تسلط عليهم حتى رأوا الدخان في السماء من شدة الجوع، وأكلوا الميتة والجيف والجلود، عياذًا بالله فليحذر المؤمن من مقابلة نعم الله بالجحود والنكران.

(٢٩٩) أحمر
أسود

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى ذكره: ومثل الله مثلًا لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى، ويقتل بعضها بعضا، ويَسْبي بعضها بعضًا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحارَبون في بلدهم، فذلك كان أمنها. وقوله: ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ يعني: قارّة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى النَّجْع، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة. وقوله ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني: من كلّ فجّ من فِجاج هذه القرية، ومن كلّ ناحية فيها.

وقال آخرون: بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول ﷺ.

وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ، حتى أكلوا العلهز والجِيَف. قال أبو جعفر: والعلهز: الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تطيف بهم. وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون آياته، ويكذّبون رسوله، وقال: بما كانوا يصنعون، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية، استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها، فإن المراد أهلها فلذلك قيل ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ فردّ الخبر إلى أهل القرية، وذلك نظير قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف: ٤]،

(٣٠٠) أحمر
أسود

ولم يقل قائلة، وقد قال قبله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية، ونظائر ذلك في القرآن كثيرة.

يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يقول: رسول الله ﷺ منهم، يقول: من أنفسهم يعرفونه، ويعرفون نسبه وصدق لهجته، يدعوهم إلى الحقّ، وإلى طريق مستقيم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ولم يقبلوا ما جاءهم به من عند الله ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه، وقتل بالسيف ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ يقول: وهم مشركون، وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: والله، يعرفون نسبه وأمره، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها كان آمن لا يخاف، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، وهكذا قال هاهنا: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئًا سهلًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أي: جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد ﷺ إليهم، كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما، فقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ أي: ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدًا

(٣٠١) أحمر
أسود

من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا العلهز- وهو: وبر البعير، يخلط بدمه إذا نحروه.

وقوله: ﴿وَٱلۡخَوۡفِ﴾ وذلك بأنهم بدلوا بأمنهم خوفًا من رسول الله ﷺ وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة، من سطوة سراياه وجيوشه، وجعلوا كل ما لهم في سفال ودمار، حتى فتحها الله عليهم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول الذي بعثه الله فيهم ، وامتن به عليهم في قوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] الآية، وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم، فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، بدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا، ورزقهم بعد العيلة، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم، وسادتهم وقادتهم وأئمتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾ هذا متصل بذكر المشركين. وكان رسول الله ﷺ دعا على مشركي قريش وقال:« **اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**». فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام، ووجه إليهم رسول الله ﷺ طعامًا ففرق فيهم. ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ لا يهاج أهلها. ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من البر والبحر، نظيره ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧] الآية. ﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾ الأنعم: جمع النعمة، كالأشد جمع

(٣٠٢) أحمر
أسود

الشدة. وقيل: جمع نعمى، مثل بؤسى وأبؤس. وهذا الكفران تكذيب بمحمد ﷺ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: أذاق أهلها. ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ سماه لباسًا؛ لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: من الكفر والمعاصي.

ثم قال:

وأذاقها الخوف. وهو بعث النبي ﷺ سراياه التي كانت تطيف بهم. وأصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء. وضرب مكة مثلًا لغيرها من البلاد، أي أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى. وقد قيل: إنها المدينة، آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله لقتل عثمان ابن عفان، وما حدث بها بعد رسول الله ﷺ من الفتن. وهذا قول عائشة وحفصة زوجي النبي ﷺ قيل: إنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها في مكة من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع.

كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿وَمَا

(٣٠٣) أحمر
أسود

ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الصفات المذكورة التي اتصفت بها هذه القرية تتفق مع صفات أهل مكة المذكورة في القرآن، فقوله عن هذه القرية ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾، قال نظيره عن أهل مكة؛ كقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا ...﴾ الآية [القصص: ٥٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ..﴾ الآية [العنكبوت: ٦٧] وقوله: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٤]، وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ...﴾ الآية [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾، قال نظيره عن أهل مكة أيضًا؛ كقوله: ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧]، وقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١-٤]، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، وكانت تأتيهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق؛ ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم: بأن أطعمهم من جوعٍ؛ وقوله في دعوة إبراهيم: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ...﴾ الآية [البقرة: ١٢٦]، وقوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ...﴾ الآية [إبراهيم: ٣٧].

وقوله: ﴿فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾، ذكر نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

[إبراهيم: ٢٨]

وقد قدمنا طرفًا من ذلك في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ...﴾ الآية [النحل: ٨٣].

وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾، وقع

(٣٠٤) أحمر
أسود

نظيره قطعًا لأهل مكة؛ لما لجوا في الكفر والعناد، ودعا عليهم رسول الله ﷺ، وقال: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**»، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والعلهز، وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه، وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن؛ وذلك الخوف من جيوش رسول الله ﷺ، وغزواته وبعوثه وسراياه. وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات؛ فقد فسر ابن مسعود آية «الدخان»، بما يدل على ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله حلالًا، أي: مما أحلَّه الله ولا يكون مغصوبًا ولا مسروقًا وكذا في حال كونه مُستساغًا مستلذًّا واشكروا الله على هذه النعمة، إن كنتم مفردين له بالعبادة والطاعة مُقرين بأنه المنعم المتفضل ﷻ، واعلموا أن الذي حرَّمه عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير، وكذا حرَّم عليكم ما ذُبح على غير اسم الله، وما توجه الذابح به إلى الأصنام وتقرب بذبحه لها أو لأي معبود غير الله ﷻ، أما ما يتقوله أهل الجاهلية من أن الله حرَّم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فهذا كله قول بالكذب، فقد قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾.

[المائدة: ١٠٣]

ثم إن هذه المحرمات التي حرمها الله عليكم ﴿ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ﴾ تباح لكم، ويباح لكم أكلها عند الاضطرار، الذي هو خشية

(٣٠٥) أحمر
أسود

الموت أو التلف، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى الأكل ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾ غير مريد أكل الحرام، أي: أنه لا يريد أكل ما حرمه الله عليه إلا أن الضرورة ألجأته لذلك ﴿وَلَا عَادٖ﴾ ولا متعد في أكله بأكل أكثر مما يحتاج إليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ له إذا أكل، غير مؤاخذ له على أكله من المحرمات حال الضرورة، ﴿رَّحِيمٞ ١١٥﴾ به إذا أحلَّ له عند الاضطرار الأكل من المحرمات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ فَكُلُواْ﴾ أيها الناس ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من بهائم الأنعام التي أحلها لكم ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ مُذَكَّاة غير محرّمة عليكم ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحلّ لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عنى بقوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ طعامًا كان بعث به رسول الله ﷺ إلى المشركين من قومه في سِنِي الجدب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالًا طيبًا، وذلك تأويل بعيد مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾... الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ إعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل، وغير ذلك مما قد بيَّنا قبل فيما مضى لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كلّ ذلك حلال لم يحرم الله منه شيئًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥﴾.

(٣٠٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره مكذّبًا المشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك: ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأنصاب، فسمي عليه غير الله؛ لأن ذلك من ذبائح مَنْ لا يحلّ أكل ذبيحته، فمن اضطرّ إلى ذلك أو إلى شيء منه لمجاعة حلَّت فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾... الآية قال: وإن الإسلام دين يطهره الله من كلّ سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطرت إلى شيء من ذلك. قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالًا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب، وبشكره على ذلك، فإنه المنعم المتفضل به ابتداء، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.

ثم ذكر ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم، من الميتة والدم، ولحم الخنزير.

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على غير اسم الله، ومع هذا ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: احتاج من غير بغي ولا عدوان، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار وغيرها. ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أي: حالة كونها متصفة بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله أو أثرًا عن غصب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف ولا تَعَدٍّ. ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بالاعتراف بها بالقلب والثناء على

(٣٠٧) أحمر
أسود

الله بها وصرفها في طاعة الله. ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ أي: إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ الأشياء المضرة تنزيها لكم، وذلك: كـ ﴿الْمَيْتَةَ﴾ ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى منه ذلك ميتة الجراد والسمك.

﴿وَالدَّمَ﴾ المسفوح وأما ما يبقى في العروق واللحم فلا يضر.

﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ لقذارته وخبثه وذلك شامل للحمه وشحمه وجميع أجزائه. ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كالذي يذبح للأصنام والقبور ونحوها لأنه مقصود به الشرك.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى شيء من المحرمات -بأن حملته الضرورة وخاف إن لم يأكل أن يهلك- فلا جناح عليه إذا لم يكن باغيًا أو عاديًا، أي: إذا لم يرد أكل المحرم وهو غير مضطر، ولا متعد الحلال إلى الحرام، أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة، فهذا الذي حرمه الله من المباحات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ولا تقولوا كذبًا عن الأشياء هذا حلال وهذا حرام بمجرد وصف ألسنتكم لها بأنها حلال وحرام، إنما الحرام ما حرَّمه الله والحلال ما أحله الله، فإذا تقولتم على الأشياء وحللتم وحرَّمتم فقد افتريتم على الله الكذب، ونسبتم إليه ما لم يقله كذبًا عليه، وحينئذٍ فاحذروا فإن الذين يفترون على الله الكذب، ينسبون إليه ما لم يقله ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ لا يفوزون

(٣٠٨) أحمر
أسود

بمطلوبهم ولا ينجون من مرهوبهم، وأعظم مطلوب هو الجنة ورضوان الله، وأعظم مرهوب هو النار - عياذًا بالله -وسخط الله ﷻ.

فالحاصل أن المفترين على الله الكذب لا يفوزون بمطلوبٍ ولا ينجون من مرهوب، بل ما ينالونه متاعٌ قليل ولهم عذاب مؤلم موجع.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري بعد أن اختار بعض القراءات في الآية الكريمة:

ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبَ فيما رزق الله عباده من المطاعم: هذا حلال، وهذا حرام، كي تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذبَ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تُحرِّمون، ولا أحلّ كثيرًا مما تُحِلون، ثم تقدّم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ يقول: إن الذين يتخرّصون على الله الكذب ويختلقونه، لا يخلَّدون في الدنيا، ولا يبقون فيها، إنما يتمتعون فيها قليلًا. وقال: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ فرفع، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل، أو لهم متاع قليل في الدنيا. وقوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ يقول: ثم إلينا مرجعهم ومعادهم، ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم إليه أليم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين، الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله، أو حرم شيئًا مما أباح الله، بمجرد رأيه وتشهيه.

(٣٠٩) أحمر
أسود

و «ما» في قوله: ﴿لِمَا﴾ مصدرية، أي: ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم.

ثم توعد على ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ أي: في الدنيا ولا في الآخرة. أما في الدنيا فمتاع قليل، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم، كما قال: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ [لقمان: ٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾.

[يونس: ٦٩، ٧٠]

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبًا وافتراء على الله وتقولًا عليه.

﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ ومصيرهم إلى النار ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾.

فالله تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات تفضلًا منه، وصيانة عن كل مستقذر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وعلى اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل هذه السورة، وذلك في سورة الأنعام، إذ الله قال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَمَا

(٣١٠) أحمر
أسود

ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ لما حرمنا عليهم ذلك، بل هم الذين ظلموا فلما ظلموا حرمنا ذلك عليهم كما قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ [النساء: ١٦٠]، فهم الذين ظلموا أنفسهم، ومن ثم حرموا أنفسهم من طيبات كانت لهم حلال، فمن تعدى وأكل منها عذَّبه الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود، ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام، وذاك كلّ ذي ظفر، ومن البقر والغنم، حرمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظُهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بتحريمنا ذلك عليهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم، وظُلمِهم أنفسهم بمعصية الله، فأورثهم ذلك عقوبة الله.

وأورد عن عددٍ من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ قالوا: المراد ما قصَّه الله في سورة الأنعام، إذ قال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ... ﴾ الآية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى أنه إنما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وأنه أرخص فيه عند الضرورة -وفي ذلك توسعة لهذه الأمة، التي يريد الله بها اليسر ولا يريد بها العسر -ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها، وما كانوا فيه من الآصار والأغلال والحرج والتضييق، فقال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: في «سورة الأنعام» في قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَا

(٣١١) أحمر
أسود

ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: فيما ضيقنا عليهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ أي: فاستحقوا ذلك، كما قال: ﴿فَبِظُلْمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء: ١٦٠].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٩﴾﴾.

ج: هذا -والله أعلم-: فيه فتحٌ لباب التوبة أمام مريد التوبة فالذين عملوا السيئات، وكل من أساء فهو جاهل- ثم تابوا من بعد عملهم هذا، أي: رجعوا إلى الله بعد أن كانوا بعيدين عنه، وأصلحوا أي: عملوا أعمالًا صالحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة والإنابة والإصلاح ﴿لَغَفُورٞ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم إذ شرع له ما ييسر به عليهم وفتح باب التوبة لرجوعهم إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله، وسَفُهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها، والاستغفار والتوبة منها، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية، وأصلح فعمل بما يحبّ الله ويرضاه ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ يقول: إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٩﴾﴾.

(٣١٢) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى تكرما وامتنانا في حق العصاة المؤمنين: أن من تاب منهم إليه تاب عليه، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل.

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أي: أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي، وأقبلوا على فعل الطاعات، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: تلك الفعلة والذلة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا حض منه لعباده على التوبة، ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءًا بجهالة بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمدا للذنب، فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مقارفة الذنب. فإذا تاب وأصلح بأن ترك الذنب وندم عليه وأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرحمه ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى أو أعلى منها.

❁ ❁ ❁

(٣١٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى
ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ
وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟
وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

[النحل: ١٢٠-١٢٨]

(٣١٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أُمَّةً - قَانِتًا لِّلَّهِ - حَنِيفًا - لِّأَنْعُمِهِ - ٱجْتَبَىٰهُ - مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ - جُعِلَ ٱلسَّبْتُ - بِٱلْحِكْمَةِ - وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ - بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ - وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ - ضَيْقٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أُمَّةً﴾	إمامًا يقتدى به - مُعلما الناس الخير.
﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾	مُطيعًا لله - مُخبتًا له خاشعًا.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.
﴿لِّأَنْعُمِهِ﴾	لنعمه.
﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾	اختاره - اصطفاه.
﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾	دين إبراهيم.
﴿جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾	جُعل يوم السبت مُحرمًا فيه العمل.
﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾	قيل: بالكتاب والسنة، وقيل: المراد بالحكمة وضع الشيء في موضعه.
﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	الكلام الطيب اللين.
﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	بالطريقة التي هي أحسن الطرق.
﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾	لن تستطيع أن تصبر إلا إذا صبرك الله، وما صبرك إلا من الله.
﴿ضَيْقٍ﴾	حرج - غمٍّ - همٍّ.

❁ ❁ ❁

(٣١٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: إن خليل الله إبراهيم عليه السلام كان إمامًا يُقتدى به في الخير، وكان أيضًا مُعلمًا الناس الخير، مُطيعًا لله عز وجل خاشعًا مُخبتًا له تبارك وتعالى، مَائلًا عن الشرك حَائدًا عنه ولم يكن أبدًا مشركًا عليه الصلاة والسلام، ولم يكن مشركًا كما يدعي مشركو العرب، أي نوع من أنواع الشرك، بل كان حنيفًا مسلمًا شاكرًا لنعم الله عليه، فمن ثمَّ فلتوحيده وطاعته لله وإخباته وشركه اصطفيناه واخترناه من بين خلقنا في زمانه، بل واتخذناه خليلًا، وكذا وقضاه لسلوك الطريق المستقيم المقرب من الله عز وجل، الطريق الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وآتيناه في الدنيا حسنة، وهذه الحسنة تشمل الرزق الحسن والزوجة الصالحة الحسناء، والذرية الصالحة والثناء الحسن عليه بعد موته، ومن ذلك كوننا نصلي عليه وندعو له بالبركة في كل صلاة نصليها، ومن ذلك أخلاقه الكريمة المرضية المحمودة، ثم هو يوم القيامة له كذلك المنازل العلية في الجنان الفسيحة الرحيبة، له منازل المقربين من الصالحين الذين صلحت أحوالهم وشؤونهم مع ربهم عز وجل وصلحت قلوبهم ونواياهم فجوزوا بذلك أفضل الجزاء وأحسن الجزاء، ثم أمرناك يا محمد أن تتبع ملة إبراهيم التي كان عليها، وهي التوحيد الخالص لله عز وجل، تتبع دينه دين الإسلام مستقيمًا عليه، مائلًا مبتعدًا عن طريق المشركين فقد كان إبراهيم عليه السلام كذلك، كان حنيفًا مُسلمًا ولم يك من المشركين.

(٣١٦) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم خليل الله كان مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدى قانتا، يقول: مطيعًا لله حنيفًا: يقول: مستقيمًا على دين الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ يقول: ولم يك يُشرك بالله شيئًا، فيكون من أولياء أهل الشرك به، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ﴾ يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكًا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ يقول: اصطفاه واختاره لخُلته ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن مُعاذا كان أُمَّة قانتًا لله، قال: فقال رجل من أشجع يُقال له فروة بن نوفل: نسي إنما ذاك إبراهيم، قال: فقال عبد الله: من نسي إنما كنا نشبهه بإبراهيم، قال: وسُئِل عبد الله عن الأمَّة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله[1].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وآتينا إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرًا حسنا، وثناءً جميلًا باقيًا على الأيام ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ يقول: وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صلح أمره وشأنه عند الله، وحَسُنت فيها منزلته وكرامته.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك:

(١) وقد روي ذلك من وجوه متعددة عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣١٧) أحمر
أسود

اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مسلمًا على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئًا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمدح تبارك وتعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، ويبرئه من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ فأما «الأمة»، فهو الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

ثم قال:

وقوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: قائما بشكر نعم الله عليه، كما قال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمره الله تعالى به.

وقوله: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ أي: اختاره واصطفاه، كما قال: ﴿۞وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١].

ثم قال: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: لسان صدق.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ كما قال: في «الأنعام»: ﴿قُلْ

(٣١٨) أحمر
أسود

إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾.

[الأنعام: ١٦١]

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال:

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير هاديًا مهتديًا. ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ أي: مديمًا لطاعة ربه مخلصًا له الدين، ﴿حَنِيفٗا﴾ مقبلًا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضًا عمن سواه. ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ في قوله وعمله، وجميع أحواله؛ لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين.

﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾﴾ في علمه وعمله فعلم بالحق وآثره على غيره.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ رزقًا واسعًا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقًا مرضية ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى.

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدي به هو وأمته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أثنى الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين على نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصَّلاة والسلام: بأنه أمة؛ أي إمام مقتدى به،

(٣١٩) أحمر
أسود

يعلم الناس الخير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وأنه قانت لله، أي: مطيع له، وأنه لم يكن من المشركين، وأنه شاكر لأنعم الله، وأن الله اجتباه، أي: اختاره واصطفاه، وأنه هداه إلى صراط مستقيم.

وكرر هذا الثناء عليه في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]، وقوله: ﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقوله عنه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقوله: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في الثناء عليه.

وقد قدمنا معاني «الأمة» في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية، قال بعض العلماء: الحسنة التي آتاه الله في الدنيا: الذرية الطيبة، والثناء الحسن، ويستأنس لهذا بأن الله بين أنه أعطاه بسبب إخلاصه لله، واعتزاله أهل الشرك: الذرية الطيبة. وأشار أيضًا لأنه جعل له ثناءً حسنًا باقيًا في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٩-٥٠]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤].

وقال الشنقيطي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(٣٢٠) أحمر
أسود

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أوحى إلى نبيِّنا ﷺ الأمر باتباع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.

وبين هذا أيضًا في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ - إلى قوله- ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ ...﴾ الآية [الحج: ٧٧-٧٨]، وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ..﴾ الآية [الممتحنة: ٤]، إلى غير ذلك من الآيات. والملة: الشريعة. والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق.

❁ ❁ ❁

تحريم العمل يوم السبت على بني إسرائيل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: إنما جُعل تعظيم يوم السبت وعدم الاعتداء فيه وتحريم الصيد وعدم العمل فيه، وكما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤] على بني إسرائيل فقط، كلُّ هذا ليس له تعلقٌ بكم يا أمة محمد ﷺ، وكذا لم يكن له تعلق بمن هم قبل بني إسرائيل الذين كانوا في زمن نبي الله موسى عليه السلام، فلم يُحرم العمل في السبت في شرعة إبراهيم عليه السلام، إنما جعل تعظيمه وتحريم العمل فيه على بني إسرائيل الذين اختلفوا فيه أما صورة اختلافهم فيه، فمن العلماء من قال إنهم عُرض عليهم تعظيم يوم الجمعة فرفضوه وصرفهم الله عنه، فاختاروا السبت فَشُدِّد عليهم فيه، كما قال النبي ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانُوا قَبْلَنَا»، وقد قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾ [النساء: ١٥٤].

(٣٢١) أحمر
أسود

وثمَّ أقوال أُخر - تأتي في ثنايا أقوال العلماء، وما ذكرته عن بعضهم هو الظاهر لي، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ أي: في كل الأشياء التي اختلفوا فيها في دنياهم فيجازي الصادق المحسن المؤمن بإحسانه وصدقه وإيمانه، ويعاقب الكافر المسيئ الكاذب لكذبه وافترائه وإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو أعظم الأيام، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سَبَتَ يوم السبت.

وقال آخرون: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأنه اليوم الذي ابتدأ فيه خلق الأشياء، فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فَرَض الله عليهم تعظيمه واستحلوه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم إليه يوم القيامة، فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق، ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ أي: لم يكن في شرع إبراهيم ولا في دينه، بل كان سمحًا لا تغليظ فيه، وكان السبت تغليظًا على اليهود

(٣٢٢) أحمر
أسود

في رفض الأعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه، ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقال: تفرغوا للعبادة في كل سبعة أيام يوما واحدًا. فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا، فاختاروا الأحد. وقد اختلف العلماء في كيفية ما وقع لهم من الاختلاف، فقالت طائفة: إن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وعينه لهم، وأخبرهم بفضيلته على غيره، فناظروه أن السبت أفضل، فقال الله له: «**دعهم وما اختاروا لأنفسهم**». وقيل: إن الله تعالى لم يعينه لهم، وإنما أمرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلف اجتهادهم في تعيينه، فعينت اليهود السبت، لأن الله تعالى فرغ فيه من الخلق. وعينت النصارى يوم الأحد، لأن الله تعالى بدأ فيه بالخلق. فألزم كل منهم ما أداه إليه اجتهاده. وعين الله لهذه الأمة يوم الجمعة من غير أن يكلهم إلى اجتهادهم فضلا منه ونعمة، فكانت خير الأمم أمة. روى الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له- قال يوم الجمعة- فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى**» فقوله: «**فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه**» يقوي قول من قال: إنه لم يعين لهم، فإنه لو عين لهم وعاندوا لما قيل «**اختلفوا**». وإنما كان ينبغي أن يقال فخالفوا فيه وعاندوا. ومما يقويه أيضًا قوله عليه السلام: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا**». وهذا نص في المعنى. وقد جاء في بعض طرقه «**فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا فيه**». وهو حجة للقول الأول. وقد روي: «**إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع**». قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ يريد في يوم الجمعة كما بيناه، اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى. ووجه الاتصال بما قبله أن النبي ﷺ أمر باتباع الحق، وحذر الله الأمة من الاختلاف عليه فيشدد عليهم كما شدد على اليهود.

(٣٢٣) أحمر
أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا شك أن الله تعالى شرع في كل ملة يومًا من الأسبوع، يجتمع الناس فيه للعبادة، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة؛ لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة، واجتمعت الناس فيه وتمت النعمة على عباده. ويقال: إنه تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى، فعدلوا عنه واختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة، فألزمهم تعالى به في شريعة التوراة، ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه، مع أمره إياهم بمتابعة محمد ﷺ إذا بعثه. وأخذه مواثيقهم وعهودهم على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾

قال مجاهد: اتبعوه وتركوا الجمعة.

ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به، حتى بعث الله عيسى ابن مريم، فيقال: إنه حولهم إلى يوم الأحد. ويقال إنه: لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل محافظًا على السبت حتى رفع، وإن النصارى بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد، مخالفة لليهود، وتحولوا إلى الصلاة شرقًا عن الصخرة، والله أعلم.

وأورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ**». لَفْظُ الْبُخَارِيِّ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ**

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٣٢٤) أحمر
أسود

اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ ليوم الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي معنى اختلافهم فيه قولان:

أحدهما: أن موسى قال لهم: تفرَّغوا لله في كل سبعة أيام يومًا، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئًا من صنيعكم، فأبَوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبتغي إلاَّ اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدِّد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم موسى بيوم الجمعة، قالوا: نتفرغ يوم السبت، فإن الله لم يخلق فيه شيئًا، فقال: إنما أُمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انتهوا إلى أمر نبيِّكم، فأبَوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي.

والثاني: أنه بعضهم استحلَّه، وبعضهم حرَّمه، قاله قتادة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ أي: فرضًا ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ حين ضلوا عن يوم الجمعة وهم اليهود فصار اختلافهم سببا لأن يجب عليهم في السبت احترامه وتعظيمه، وإلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة الذي هدى الله هذه الأمة إليه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ فيبين لهم المحق من المبطل والمستحق للثواب ممن استحق العقاب.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٨٥٦).

(٣٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ادع إلى طريق الله سبحانه وتعالى وإلى اتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ بالحكمة المتمثلة في كتاب الله وسنة رسول الله، وبالطريقة الطيبة السهلة اللينة المحببة إلى القلوب، ليست المنفرة، ادع بالكلمة الطيبة كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لما أرسلهما لفرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ [طه: ٤٤]، وكما قال: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وكما قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما قال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة: ٨٣] إلى غير ذلك من الآيات.

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ الواردة في هذا الصدد فمنها:

قول النبي ﷺ: «أَطِب الكَلَامَ وأَفْشِ السَّلَامَ»[(١)].

وقوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَة»[(٢)].

وقال ﷺ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَة»[(٣)].

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ أي: والموعظة المؤثرة في القلوب، الموعظة التي هي الكلام الطيب اللين المؤثر الحسن.

أما قوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ أي: وناقشهم لإقامة الحجة عليهم بالطريقة التي هي أحسن الطرق وأسلم الطرق، وكل ذلك يُستقى من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ

---

(١) أحمد (٢/ ٤٩٣) بإسنادٍ حسن لشواهده.

(٢) البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (٧٠٤).

(٣) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٣٢٦) أحمر
أسود

بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ حاصل معناه: عليك يا رسول الله أن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تجادلهم بالتي هي أحسن، وربك سبحانه وتعالى هو أعلم بالذين سبقت لهم منه الحسنى، وأنهم سيُسلموا ويؤمنوا، وكذلك فهو أعلم بمن كتبت عليهم الشقاوة، الذين حادوا عن طريق الحق والصواب.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه، وحادّ الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومَحَجة الحقّ، وهو مُجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾

(٣٢٧) أحمر
أسود

أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى.

وقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٤].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ أي: قد علم الشقي منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده وفرغ منه، فادعهم إلى الله، ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات، فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير، عليك البلاغ، وعلينا الحساب، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]، و ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب

(٣٢٨) أحمر
أسود

إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أعلم بالسبب الذي أداه إلى الضلال، ويعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسيجازيه عليها.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم منَّ عليهم فاجتباهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة: من إيضاح الحق بالرفق واللين. وعن مجاهد ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، قال: أعرض عن أذاهم، وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ

(٣٢٩) أحمر
أسود

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجادلهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن قوله لموسى وهارون في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، ومن ذلك القول اللين، قول موسى له: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

[النازعات: ١٨-١٩]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أعلم بمن ضل عن سبيله؛ أي زاغ عن طريق الصواب والحق، إلى طريق الكفر والضلال.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر؛ كقوله في أول «القلم»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٧-٨]، وقوله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧]، وقوله في «النجم»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٣٠]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وإن أحدٌ ظلمكم وأردتم أن تعاقبوه على ظُلمه الذي ظلمكم، فعاقبوه بالقدر الذي ظلمكم لا تزيدوا على ذلك، فهذا قوله: ﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ

(٣٣٠) أحمر
أسود

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وقال ﷺ: «**المُسْتَبَّان مَا قَالَا مَا لَمْ يَعْتَد المَظْلُوم**»، أما قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ فحاصل معناه: أنكم إذا صبرتم ولم تعاقبوا من عاقبكم بل عفوتم عنه وصفحتم ابتغاء مرضاة الله فصبركم خيرٌ لكم، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه، حتى يكون هو المتولى عقوبته ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابًا، وابتغاء ثواب الله، لأن الله يعوّضه مِنَ الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الانتصار، وهو من قوله: ﴿لَهُوَ﴾ كناية عن الصبر، وحسن ذلك، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عليه.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية. وقيل: هي منسوخة أو محكمة، فقال بعضهم: نزلت من أجل أن رسول الله ﷺ وأصحابه أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المُثْلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يومًا، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل، وإيثار الصبر عنه بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن

(٣٣١) أحمر
أسود

لهم فيه من المُثلة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عامر[١]، قال: لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد، من تبقير البطون، وقطع المذاكير، والمُثلة السيئة، قالوا: لئن أظفرنا الله بهم، لنفعلنّ ولنفعلنّ، فأنزل الله فيهم ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: نسخ ذلك بقوله في براءة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قالوا: وإنما قال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ خبراً من الله للمؤمنين أن لا يبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوهم به، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال آخرون: بل عنى الله تعالى بقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، نبيّ الله خاصة دون سائر أصحابه، فكان الأمر بالصبر له عزيمة من الله دونهم.

وقال آخرون: لم يُعْنَ بهاتين الآيتين شيء مما ذكر هؤلاء، وإنما عُنِيَ بهما أن من ظُلِم بظُلامة، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه، وقالوا: الآية محكمة غير منسوخة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خير وعزم

(١) وهو الشعبي، وهو تابعي فالسند إليه صحيح، ولكنه مرسل، وأورد الطبري نحوه عن غير واحد من التابعين وفي أسانيدها مقال.

(٣٣٢) أحمر
أسود

على نبيه ﷺ أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات التي ذكرناها عمن ذكروها عنه، محتملها الآية كلها. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أيّ ذلك عنى بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها إلى ناطق لا دلالة عليه؛ وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَل غيرهم من حقّ من مال أو نفس، الحقّ الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجهًا صحيحًا مفهومًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن، فإنها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل، كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ثم قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾ [المائدة: ٤٥] ثم قال: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى - مبيحًا للعدل ونادبًا للفضل والإحسان-: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ من أساء إليكم بالقول والفعل ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم.

﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عن المعاقبة وعفوتم عن جرمهم ﴿لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ من الاستيفاء وما عند الله خير لكم وأحسن عاقبة كما قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

❁ ❁ ❁

(٣٣٣) أحمر
أسود

الحث على الصبر والاستعانة بالله في ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: واصبر يا رسول الله على ما لحقك من أذى قومك، واسأل الله أن يُصبِّرك فلن تستطيع أن تصبر إلا إذا صبَّرك الله ﷻ ولا تحزن على قومك إذا أعرضوا عن الإيمان، والمراد بالحزن الحزن الشديد المهلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦].

أما الحزن المعتاد فهذا لا ينفك عنه بشرٌ، ومعلوم أن الشخص يحزن إذا كفر شخصٌ عزيز عليه، فالمنهي عنه من الحزن، الحزن المُهلك.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ أي: ولا تكن في غمٍّ وهمٍّ وحرجٍ وضيق صدر من تكذيبهم لك ومكرهم بك ومحاولتهم إلحاق الأذى بك، فالله حافظك فإن الله معك، مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت بفضل الله إمامهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصّد عن سبيل الله، من

(٣٣٤) أحمر
أسود

أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: على من خالفك، لا تحزن عليهم؛ فإن الله قدر ذلك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ ﴾ أي: غم ﴿مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ أي: مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظهرك ومظفرك بهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولًا لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئًا. ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ ﴾ أي: شدة وحرج ﴿مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ فإن مكرهم عائد إليهم وأنت من المتقين المحسنين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾.

ج: هذه الآية - والله أعلم-: لها تعلقٌ بما قبلها فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ له تعلق بما بعده، أي: فلا تك في ضيق من مكرهم وكيدهم فالله معك، فأنت يا رسول الله تقيٌّ ومحسنٌ، بل أنت إمام المتقين، وإمام المحسنين من البشر، فمن ثمَّ فالله معك، معك بنصره وتأييده وحفظه معك أيضًا يراك ويسمعك ويعلم ما بك من همّ ومن غمٍّ ولن يُضيعك.

وعمومًا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ مع أهل التقوى وأهل الإحسان جعلنا الله منهم وحفظنا الله والمسلمين بحفظه ونصرنا بنصره وأيدنا بتأييده.

(٣٣٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ يا محمد ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ الله في محارمه فاجتنبوها، وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدّم عليها ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ يقول: وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة، كقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]. ومعنى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ أي: تركوا المحرمات، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم

(٣٣٦) أحمر
أسود

يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه مع عباده المتقين المحسنين، وقد تقدم إيضاح معنى التقوى والإحسان. وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين، وهي بالإعانة والنَّصر والتوفيق، وكرر هذا المعنى في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم، ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته جل وعلا؛ فالكائنات في يده جل وعلا أصغر من حبّة خردل، وهذه هي المذكورة أيضًا في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية [المجادلة: ٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الآية [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ..﴾ الآية [يونس: ٦١]، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو جل وعلا مستو على عرشه كما قال، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقه، كلهم في قبضة يده، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة النحل.

(٣٣٧) أحمر
أسود

تفسير سورة الإسراء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١
وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي
وَكِيلٗا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣
وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا
كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ
فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ
عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ
أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ
وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ
تَتۡبِيرًا ٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ
حَصِيرًا ٨﴾ [الإسراء: ١-٨].

(٣٣٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿سُبْحَٰنَ - أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ - بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ - ءَايَٰتِنَآۚ - وَكِيلًا - ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ - شَكُورًا - وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ - أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ - فَجَاسُواْ - ٱلْكَرَّةَ - أَكْثَرَ نَفِيرًا - لِيَسُـٔـُواْ - وُجُوهَكُمْ - وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا - حَصِيرًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سُبْحَٰنَ﴾	تنزَّه عن كل نقص وعيب – تنزه عن الشريك والمثيل والصاحبة والولد – وتنزه عن الضعف.
﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾	سيَّر عبده ليلًا.
﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾	أكثرنا حوله من الثمرات والزروع – أكثرنا من الأنبياء الذين أرسلناهم هنالك.
﴿ءَايَٰتِنَآۚ﴾	معجزاتنا – دلالاتنا على قدرتنا ووحدانيتنا.
﴿وَكِيلًا﴾	حفيظًا يحفظكم – كفيلًا يتكفل بأموركم مُعتمدًا تعتمدون عليه – كافيًا يكفيكم ما أهمكم وما أغمكم.
﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾	يا أبناء الصالحين المؤمنين الذين كانوا في الفلك مع نوح، فما حُمل مع نوح إلا مؤمن.
﴿شَكُورًا﴾	كثير الشكر لله ﷻ.
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	قدرنا على بني إسرائيل – أعلمنا بني إسرائيل.
﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	أقوياء أشداء في الحروب.

(٣٣٩) أحمر
أسود

﴿فَجَاسُواْ﴾	تخللوا ومشوا وسط الديار وخلالها.
﴿ٱلْكَرَّةَ﴾	الغلبة مرة ثانية.
﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾	أكثر عددًا.
﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾	ليقتلونكم ويأسرونكم ويسلبونكم أموالكم فيظهر الاستياء على وجوهكم.
﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ﴾	وليدمروا ما رفعوه من الأبنية.
﴿تَتْبِيرًا﴾	تدميرًا.
﴿حَصِيرًا﴾	سجنًا- فراشًا يفترشونها كالحصر.

❁ ❁ ❁

(٣٤٠) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة هذا الحديث: كان رسول الله □ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يُفطر، ويُفطرُ حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر، وأثر ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العِتَاق الأول، وهُنَّ من تِلادي.

ج: أما الحديث الأول فهو ضعيف معلول، وقد بيَّنت علته في تفسير سورة الزمر، أما أثر ابن مسعود فهو صحيح وهو في البخاري[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: تنزَّه عن الشريك والمثيل والنِّد والصاحبة والولد، تنزَّه عن كل عيب وكل نقص ربنا عز وجل الذي سيَّر عبده محمدًا صلى الله عليه وسلم ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وقيل: المعنى تعجبوا من قدرة الله الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وسمي الأقصى لكونه كان أبعد المساجد إليهم في زمانهم، كذا قيل، أسرى به إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله بكثرة الأنبياء الذين كانوا هنالك، فقد أُرسل عددٌ من الأنبياء وكان هذا موطنهم وموطن دعوتهم فالبركة على هذا، لكثرة الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: البركة لكثرة الزروع والثمار حوله.

أما قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: لنطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على معجزاتنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ولنسري عنه ولنثبته إنه (أي: رب العباد الله عز وجل) هو السميع لأقوال عباده، ولكل شيء البصير بكل شيء.

(١) البخاري (٤٧٠٨).

(٣٤١) أحمر
أسود

ولا يخفى عليه شيء، وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أنَّ له من خلقه شريكا: وأن له صاحبة وولدا، وعلوًّا له وتعظيما عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

وأما قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ فإنه اختُلف فيه وفي معناه، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد.

وقد ذُكر لنا أن النبيّ ﷺ كان ليلة أُسري به إلى المسجد الأقصى كان نائما في بيت أمّ هانئ ابنة أبي طالب.

وأورد الطبري الأثر بذلك وهو ضعيف جدًّا.

وقال آخرون: بل أُسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله ﷻ أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله: ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُبتغَى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيها لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجلّ عنه جلّ جلاله، الذي سار بعبده ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى.

قال الطبري:

وقوله: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم. وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾

(٣٤٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: كي نري عبدنا محمدا من آياتنا، يقول: من عبرنا وأدلتنا وحججنا، وذلك هو ما قد ذكرت في الأخبار التي رويتها آنفا، أن رسول الله ﷺ أريه في طريقه إلى بيت المقدس، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علما، ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يعني محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه ﴿لَيْلًا﴾ أي: في جنح الليل ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم، فَأمّهم في مَحِلّتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: في الزروع والثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي: محمدًا ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: العظام كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨]

(٣٤٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم فيعطي كلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ قال العلماء: لو كان للنبي □ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية وفي معناه أنشدوا:

يا قوم قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقد تقدم. قال القشيري: لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية وأرقاه فوق الكواكب العلوية ألزمه اسم العبودية تواضعا للأمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ سمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة ثم قال: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ قيل: بالثمار وبمجاري الأنهار وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين وبهذا جعله مقدسا وروي معاذ بن جبل عن النبي □ أنه قال: «**يقول الله تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي**» ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ هذا من باب تلوين الخطاب والآيات التي أراه الله من العجائب التي أخبر بها الناس وإسراؤه من مكة إلى المسجد الأقصى في ليلة وهو مسيرة شهر وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في صحيح مسلم وغيره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾. تقدم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم. ومن بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد

(٣٤٤) أحمر
أسود

المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه وأن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه وأصفيائه.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي معنى التسبيح هاهنا قولان:

أحدهما: أن العرب تسبِّح عند الأمر المعجب، فكأن الله تعالى عجَّب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة.

والثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لأنه لما حدَّثهم بالإسراء، كذبوه، فيكون المعنى: تنزه الله أن يتخذ رسولا كذابًا. ولا خلاف أن المراد بعبده هاهنا: محمد ﷺ.

وفي قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه أُسري به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقتادة، ويسنده حديث مالك بن صعصعة، وهو في «الصحيحين» «**بينا أنا في الحطيم**» وربما قال بعض الرواة: في «الحِجر».

والثاني: أنه أُسري به من بيت أم هانئ، وهو قول أكثر المفسرين، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كلُّه مسجد، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره.

فأما ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ فهو بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بين المسجدَين. ومعنى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار، وأنبت الثِّمار. وقيل: لأنه مَقَرُّ الأنبياء، ومَهْبِطُ الملائكة.

واختلف العلماء، هل دخل بيتَ المقدس، أم لا؟ فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس، وصلّى فيه بالأنبياء، ثم عُرِج به إلى السماء. وقال حُذيفة ابن اليمان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصلِّ فيه، ولا نزل عن البُراق حتى عُرج به.

(٣٤٥) أحمر
أسود

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صعِد إلى السماء؟

فالجواب: أن الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك.

وقيل: إن الحكمة في ذِكْر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بَدْءِ الحديث، لاشتد إنكارهم، فلما أخبر ببيت المقدس، وبان لهم صدقُه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجه.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعني: ما رأى، أي: تلك الليلة من العجائب التي أَخبر بها الناس. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالة قريش، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بها.

❁ ❁ ❁

معنى الإسراء والمعراج

س: وضح معنى الإسراء والمعراج.

ج: أما كلمة أسرى فمعناه: أنه سار ليلًا، فالإسراء المسير ليلًا.

وفصَّل البعض فقالوا: أسرى أي: سار من أول الليل، وسرى أي سار من آخر الليل.

أما الإسراء برسول الله ﷺ فالمراد به الرحلة برسول الله ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

أما المعراج: فالعروج الصعود، ويعرجون يصعدون، والمعراج: الآلة التي يُصعد فيها.

لكن المراد بالمعراج برسول الله ﷺ، هو الصعود به والارتفاع به من الأرض إلى السموات وتجاوزه سماءً بعد سماءٍ حتى جاوز السماء السابعة على ما ورد في الأحاديث التي تأتي إن شاء الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٤٦) أحمر
أسود

س: إذا كان المراد بالإسراء المسير ليلًا، فلماذا إذن قيل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ أي: فلماذا قيل ﴿لَيْلًا﴾؟

ج: ذلك – والله أعلم – للتأكيد، لتأكيد أن الإسراء كان ليلًا، ومن العلماء من أخذ من ذلك أن الإسراء كان في بعض الليل ليس في كله. والله أعلم.

هذا، وفي التنزيل قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدخان: ٢٣]. وفيه كذلك قوله تعالى للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١].

❁ ❁ ❁

ذِكر بعض المرويات الصحيحة في قصة الإسراء والمعراج

س: اذكر بعض المرويات الصحيحة الواردة في الإسراء والمعراج؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: هذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أَوَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هذَا قَالَ: هذَا آدَمُ، وَهذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ،

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٤).

(٣٤٧) أحمر
أسود

وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ؛ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ؛ فَفَتَحَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ؛ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ[1].

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِإِدْرِيسَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟! قَالَ: هذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ؛ قُلْتُ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: هذَا مُوسَى ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى[2]، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ؛ قُلْتُ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: هذَا عِيسَى بن مَريم - عند مسلم- ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ؛ قُلْتُ: مَنْ هذَا؟! قَالَ: هذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ

---

(١) الروايات الصحيحة تفيد أن إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة.

(٢) الروايات الصحيحة دالة على أن النبي ﷺ رأى عيسى قبل موسى عليهما السلام (فثم) ليست على بابها.

أعني أن (ثمَّ) لا تفيد الترتيب هنا، وقول أنس في الحديث: وقد تقدم قريبًا: (...ولم يثبت كيف منازلهم) يوهن القول بأنه عليه السلام رأى موسى قبل عيسى، والصواب أنه رأى عيسى قبل موسى عليهما السلام، وانظر فتح الباري (١/ ٥٥٠).

(٣٤٨) أحمر
أسود

أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعَنِي فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا؛ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

وما أخرجه مسلم[1] من حديث:

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ[2] فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا. فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ

(١) مسلم (١٦٢).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: قال البيهقي: «وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به - عليه الصلاة والسلام - من مكة إلى بيت المقدس». وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا مرية.

(٣٤٩) أحمر
أسود

أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قيل: مَنْ هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صلى الله عليه وسلم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام. قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صلى الله عليه وسلم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟! قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللهُ عز وجل إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قال: قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ

(٣٥٠) أحمر
أسود

صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً - قَالَ - فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَد اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

أخرج مسلم[١] من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ □ قَالَ: «أَتَيْتُ مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

وأخرج الإمام أحمد[٢] بسند صحيح: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي ﷻ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام». قال: فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ □: «فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ - مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ - قَالَ - وَلَقِيتُ عِيسَى». فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ □ فقال: «رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»- يَعْنِي: حَمَّامًا - قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ - قَالَ - فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ. فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

وفي رواية عند مسلم[٤] عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا.

(١) مسلم (٢٣٧٥).
(٢) أحمد (٣/ ٢٢٤).
(٣) البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).
(٤) مسلم (١٧٢).

(٣٥١) أحمر
أسود

فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ».

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلاَ اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

وأخرج مسلم[2] من حديث عَبْدِ اللهِ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦﴾ [النجم: ١٦] قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ».

وأخرج البخاري[3] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.

---

(١) البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).
(٢) مسلم (١٧٣).
(٣) البخاري (٣٨٨٨).

(٣٥٢) أحمر
أسود

وأخرج البخاري ومسلم[١] من طريق أَبِي الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]».

وأخرج أحمد[٢] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ»، فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «مَا هُوَ؟!» قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟! قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ». فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ - زَعَمَ - قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ» فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ - أَوْ

(١) البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).
(٢) أحمد (١/ ٣٠٩).

(٣٥٣) أحمر
أسود

عُقَيْل - فَنَعَتَّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» قَالَ: وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ».

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك عن مالِكِ بْنِ صَعْصَعَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ[2] بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، وَذَكَرَ يعني رجلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، الْبُرَاقُ، يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه[3]، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ؛ فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ؛ فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلصت فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الخَالَة، قَالاَ: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فَأَيتيت على عِيسَآ ويَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ، قَالَ: هَذَا يُوسُف فَسَلِّمَ عليه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَام، وقال: قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيس فَسَلِّمَ عليه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).
(٢) وفي رواية: «عند الكعبة»، وفي أخرى: «في الحطيم»، وربما قال قتادة: «في الحجر مضطجع».
(٣) وفي رواية: «ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا».

(٣٥٤) أحمر
أسود

السَّلَام، فَقَالَ: مَرْحَبًا مِن أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هذَا قَالَ: جِبْرِيلُ؟، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ، قَالَ: هَذَا هَارُون فَسَلِّمَ عليه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَام،، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمَ عليه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَام، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟! فَقَالَ: يَا رَبِّ هذَا الْغُلاَمُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخلُ مِنْ أُمَّتِي فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيم فَسَلِّمَ عليه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِن ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ[1]، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) أشار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم إلى أن قوله: «فرفع لي البيت المعمور»، أدرج على السند، وإنما هو من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة، وإلى هذا أشار البخاري بعد رواية هذا الحديث وانظر فتح الباري (٧/ ٢٥٥)، (٦/ ٣١٨).

(٣٥٥) أحمر
أسود

أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلاَثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، فَجَعَلَ عَشرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْت فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد أن أورد جملة من الروايات في الباب):
فصل

وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء، عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب.

وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء. وفرح بهذا المسلك، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات. وهذا بعيد جدًّا، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنقلته الناس على التعدد والتكرر.

قال موسى بن عقبة، عن الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة. وكذا قال عروة. وقال السدي: بستة عشر شهرًا.

والحق أنه، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسري به يقظة لا منامًا من مكة إلى بيت المقدس، راكبًا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب، ودخله فصلى في قبلته

(٣٥٦) أحمر
أسود

تحية المسجد ركعتين. ثم أتى المعراج -وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها- فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم عليه الأنبياء عليهم السلام الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مرّ بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتهما صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، أي: أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة، من فراش من ذهب، وألوان متعددة، وغشيتها الملائكة، ورأى هنالك جبريل على صورته، وله ستمائة جناح، ورأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق، ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسندًا ظهره إليه؛ لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ورأى الجنة والنار، وفرض الله عز وجل عليه هنالك الصلوات خمسين، ثم خففها إلى خمس؛ رحمة منه ولطفًا بعباده. وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها. ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ. ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء. والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه. والظاهر أنه بعد رجوعه إليه؛ لأنه لما مرّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق؛ لأنه كان أولا مطلوبًا إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى. ثم لما فرغ من الذي أريد به، اجتمع هو وإخوانه من النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك. ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٣٥٧) أحمر
أسود

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل، أو اللبن والخمر، أو اللبن والماء، أو الجميع -فقد ورد أنه في بيت المقدس، وجاء أنه في السماء. ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا؛ لأنه كالضيافة للقادم، والله أعلم.

تنبيهٌ على عدة أخطاء في حديث أخرجه البخاري في شأن الإسراء والمعراج.

هذا، ويجدر التنبيه على هذه الرواية التي رواها البخاري في صحيحه[1] من طريق شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت أنس ابْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ «أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهْوَ نَائِمٌ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ. فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ فَتَوَلاَّهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ - يَعْنِى عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَم فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمَ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِى، نِعْمَ الابْنُ أَنْتَ. فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا. ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ بِيَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَزْفَرُ قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ. ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا

(١) البخاري (٧٥١٧)، وأشار إليه مسلم ولم يورده بطوله بل قال... وقدَّم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص.

(٣٥٨) أحمر
أسود

قَالَتْ لَهُ الأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ وَلَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلاَمِ اللهِ، فَقَالَ مُوسَى رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ تَرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ. ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى اللهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاَةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ. فَعَلاَ بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا، فَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى وَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا وَتَرَكُوهُ فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ وَلاَ يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا فَقَالَ الْجَبَّارُ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ

(٣٥٩) أحمر
أسود

خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهْيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ. فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. فَقَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مُوسَى قَدْ وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ. وَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ».

قلت: وهذا الحديث به جملة من الأخطاء، وقد أشار إليها عددٌ من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فقد قال رَحِمَهُ اللهُ[1]:

ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أول « كتاب الصلاة».

والثاني: كون المعراج قبل البعثة وقد سبق الجواب عن ذلك، وأجاب بعضهم عن قوله: قبل أن يوحي، بأن القبلية هنا في أمر مخصوص ليست مطلقة واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحي إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلًا أي أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به، ويؤيده قوله في حديث الزهري: «فرج سقف بيتي».

الثالث: كونه منامًا وقد سبق الجواب عنه أيضًا بما فيه غنية.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم.

الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٨٥-٤٨٦) شرح حديث (٧٥١٧).

(٣٦٠) أحمر
أسود

السماء الدنيا والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره كما بينت ذلك في شرح رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة، وقد أشرت إليه أيضا هنا.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدم التنبيه عليه.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله ﷻ والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قوله: «فعلا به الجبار فقال وهو مكانه» وقد تقدم ما فيه.

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع كما سأبينه.

الثاني عشر: زيادة ذكر التور في الطست، وقد تقدم ما فيه فهذه أكثر من عشرة مواضع في هذا الحديث لم أرها مجموعة في كلام أحد ممن تقدم، وقد بينت في كل واحد إشكال من استشكله والجواب عنه إن أمكن وبالله التوفيق، وقد جزم ابن القيم في الهدى بأن في رواية شريك عشرة أوهام لكن عد مخالفته لمحال الأنبياء أربعة منها وأنا جعلتها واحدة فعلى طريقته تزيد العدة ثلاثة وبالله التوفيق.

هذا، وقد ورد في هذا الباب ما أخرجه الإمام أحمد[1] وغيره من طريق حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

(١) أحمد (١/ ٣٠٩).

(٣٦١) أحمر
أسود

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ □: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَّت بِي رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ: مَاشِطَةُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا. كَانَت تمشطها فسقطَ المِشْط مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ. فَقَالَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: بَلْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ. قَالَتْ: أَولَكِ رَبٌّ غَير أَبِي؟ قَالتْ: نَعَمْ، قَالتْ: فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: أَلَكِ رَبٌّ غَيري؟ قَالَت: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ الذي في السَّمَاء. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا لتُلْقَى فِيهَا وَأَوْلادُهَا، قَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فَتَدْفِنَهُ جَميعًا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ لِمَا لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ. فَأُلْقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا، حَتَى بَلَغَ رَضِيعًا فيهم، قَال: أسرعِي يَا أُمَّه وَلا تَقَاعَسِي فَإِنَّكِ عَلَى الحقِّ، فَأُلْقَيت هِي وولدها. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وتَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: هَذَا، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ».

والإشكال في هذا الحديث أنه من طريق حماد بن سلمة عن عطاء، وعطاء مختلط، ولكن هل حماد روى عنه قبل الاختلاط أم بعده، فالظاهر أنه روى عنه قبل الاختلاط، وهذا قول الجمهور فعليه فالحديث حسن الإسناد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

مكان بداية الإسراء

س: من أين أُسري برسول الله □؟

ج: أُسري به من المسجد الحرام كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وقد تقدم أنه ﷺ قال: بينما أنا في الحطيم، وربَّما قال: في الحجر مضطجعًا إذ أتاني آتٍ...فذكر الحديث، وقد تقدم من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه مرفوعًا. أما ما ورد من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي قال:...، **فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة**..، فالجمع بينه وبين ما سبق ممكنٌ بأن

(٣٦٢) أحمر
أسود

يقال أنه ﷺ انتقل من بيته إلى الحجر (الحطيم).. والله أعلم.

أما حديث أم هانئ الذي فيه أنها قالت: «ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة»، فهذا الخبر لا يصح سنده إلى أم هانئ ف ففي سنده أبو صالح باذام وهو ضعيف[1].

وكذا ما ذكره الواقدي من أنه ﷺ أُسري به من شعب أبي طالب، فالواقدي ضعيف أيضًا.

وكذا ما رواه أنس من طريق شريك عنه، وفيه أنه ﷺ جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه...، فهذا من المأخوذ على شريك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

هل يحتفل بليلة الإسراء والمعراج؟

س: هل يشرع الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج؟

ج: لم يرد هذا عن رسول الله ﷺ ولا علمته عن أحدٍ من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب رحمهم الله أجمعين.

ثم إنه قد اختلف أصلًا في تحديد ليلة الإسراء.

فهذا وذاك كافيان للجواب على السؤال والله أعلم.

هذا، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

ولم يشرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره. ثم قال: ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت. اهـ.

---

(١) وقد أخرج الطبري (٢٢٠١٣) أثر أم هانئ بسندٍ واهٍ.

(٢) انظر زاد المعاد (١/ ٢٠).

(٣٦٣) أحمر
أسود

بعض الفوائد والحكم من الإسراء والمعراج

س: ما الحكمة من الإسراء برسول الله ﷺ؟

ج: من ذلك ما يلي:

إطلاع رسول الله ﷺ على بعض آيات الله ﷻ وبعض المعجزات كما قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.

وهذا من ثمَّ يحمل تثبيتًا لرسول الله ﷺ في وقت اشتد فيه برسول الله ﷺ البلاء.

* **ومنها:** اختبار أهل الإيمان، فالمؤمن قوي الإيمان إذا أُخبر بأمر الإسراء صدَّق، فهو يعلم أن الله على كل شيء قدير، والمنافق المرتاب وكذا الكافر المكذب إذا أُخبر بذلك يزداد ارتيابًا وتكذيبًا وكذبًا وضلالًا، كالشأن في سائر الآيات ينتفع بها المؤمنون ويزدادوا إيمانًا، ويزداد الكافرون كفرًا إلى كفرهم ورجسًا إلى رجسهم، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

هذا، ومما يدل على أن الإسراء كان أيضًا فتنة، أي: اختبارًا وابتلاءً للناس، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ ..﴾ [الإسراء: ٦٠].

فرض الصلوات، فقد فرضت الصلوات في هذه الرحلة المباركة الميمونة.

شيءٌ من الأخبار عن الأنبياء والمرسلين وأخبار عن البيت المعمور وسدرة المنتهى وخازن النار وبعض العقوبات وغير ذلك.

❁ ❁ ❁

(٣٦٤) أحمر
أسود

الإسراء كان بالروح والجسد

س: هل كان الإسراء بالروح فقط أم بالروح والجسد؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الإسراء كان بالروح والجسد معًا، نقل ذلك عنهم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري[1] ونقله غيره أيضًا عن الجمهور، والأحاديث تشهد لذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلف الناس: هل كان الإسراء ببدنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وروحه؟ أو بروحه فقط؟ على قولين، فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا، ولا ينكر أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك منامًا، ثم رآه بعده يقظة؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم. وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الأسراء: ٦٠] قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ. رواه البخاري. وقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، والبصر من آلات الذات لا الروح. وأيضًا فإنه حمل على البراق، وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة،

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٧٥).

(٣٦٥) أحمر
أسود

وأنه ركب البراق بمكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه ثم أسري بجسده، وعلى هذا تدل الأخبار التي أشرنا إليها والآية وليس في الإسراء بجسده، وحال يقظته استحالة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ولو كان منامًا لقال بروح عبده ولم يقل بعبده. وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] يدل على ذلك.

إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

بعض الشبهات التي تمسك
بها القائلون بأن الإسراء والمعراج
كان منامًا أو بالروح فقط وتفنيدها

س: ما مدى صحة قول عائشة ڤ: ما فقد جسد رسول الله ﷺ جسدي ولكن الله أسرى بروحه؟

ج: هذا لا يصح سنده عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقد أورده ابن إسحاق فقال: حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة... فذكره.

وفيه جهالة الواسطة بين ابن إسحاق وعائشة ويضاف إليها أيضًا الانقطاع فالغالب على روايات ابن إسحاق أنه بينه وبين عائشة راويان، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة ما روي عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة؟

ج: هذا أيضًا لا يصح عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لانقطاعه فهو من طريق يعقوب بن عتبة عن معاوية ولم يدركه[1].

---

(١) والأثر عند ابن إسحاق أيضًا (انظر السيرة لابن هشام).

(٣٦٦) أحمر
أسود

س: كيف يُجاب على استدلال من استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ على أن الإسراء والمعراج كان منامًا أو كان بالروح؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بأجوبة:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ...﴾ ليس بصريح في أنها رؤيا منامية.

الثاني: أنها لو كانت رؤيا منامية لم يكن فيها وجه إعجاز.

الثالث: أنها إذا كانت رؤيا منامية فلا مانع أن تكون هناك رؤيا منامية حدثت قبل الإسراء بالروح والجسد ثم حدث الإسراء.

الرابع: ما ورد عن عدد من أهل العلم أنها كانت رؤيا عين والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف يُجاب على استدلال من استدل بما ورد في بعض الطرق عند البخاري من طريق شريك عن أنس قال ﷺ: «... ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر»[1] كيف يجاب على من استدل بذلك على أن الإسراء والمعراج كان منامًا؟

ج: الجواب أن هذه الرواية مأخوذة على شريك وقد وقعت له أخطاء كثيرة – كما سيأتي بيانه – خالف بها الجماهير من الرواة.

وثمَّ جواب آخر تقدم، وهو أنه لا مانع – إن ثبت الخبر – أن يكون النبي ﷺ رأى رؤيا ثم تحققت، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلًا

(١) البخاري (٧٥١٧).

(٣٦٧) أحمر
أسود

على البُراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سُلطانه، فجمعت له به الأنبياء، فصلى بهم هُنالك، وعَرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السماوات السبع، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحي ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته، فصلى به صلاة الصبح.

وقال آخرون ممن قال: أسري بالنبيّ ﷺ إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أسرى به عليه السلام، غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصلّ فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة.

وأورد من طريق عاصم بن بهدلة عن زرّ بن حبيش، عن حُذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ قال: لم يصلّ فيه رسول الله ﷺ، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

قلت (مصطفى): وعاصم وإن كان يُحسَّن حديثه إلا أنه لا يقاوم في هذه الحال من هو أقوى منه والروايات الثوابت أثبتت خلاف ما يقول.

قال الطبري: وقال آخرون: بل أسرى بروحه، ولم يسر بجسده.

* وأورد أثرًا ضعيف الإسناد عن معاوية أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

وكذا أثرًا عن عائشة بسندٍ ضعيف.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات؛ ولا معنى

(٣٦٨) أحمر
أسود

لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلًا على نبوّته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزًا لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره. فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، كما قال قائلهم:

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عنَاقًا ... ومَا هِيَ وَيْبَ غيرِكِ بالعُنَاقِ

يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهومًا مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلِّم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك؛ ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدوابّ لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى بروحه: رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ، أن جبرائيل حمله على البراق؛ لأن ذلك إذا كان منامًا على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدوابّ، ولم يحمل على البراق جسم النبيّ ﷺ، لم يكن النبيّ ﷺ على قوله حُمل على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع

(٣٦٩) أحمر
أسود

لظاهر التنزيل، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومذهب جمهور السلف والخلف أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل عليه ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما[1].

❁ ❁ ❁

س: هل تعدد الإسراء برسول الله ﷺ أم أنه كان مرة واحدة؟

ج: جماهير العلماء على أن الإسراء كان مرةً واحدةً ولم يتكرر[2].

❁ ❁ ❁

س: هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة؟

ج: نعم كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة وهذا ما أفادته الروايات الصحيحة كرواية ثابت عن أنس الذي تقدم ذِكره عند مسلم.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (٣/ ١١٩).

(٢) وانظر ما قاله ابن القيم (زاد المعاد ٢/ ٧٠).

(٣٧٠) أحمر
أسود

متى كان الإسراء والمعراج؟

س: هل صح للإسراء والمعراج تأريخ معين، أي: هل ثبت أن الإسراء والمعراج كان في تاريخ معين؟

ج: لم أقف على أي سندٍ ثابت دال على تأريخ الإسراء والمعراج بالضبط، إلا أنه يستفاد من قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن ذلك كان بمكة.

وكما قال ابن القيم[1] في زاد المعاد نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

«لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾.

ج: **المعنى – والله أعلم-:** وكما أسرينا بعبدنا ورسولنا محمد ﷺ، فقد مننا على موسى عليه السلام بأننا آتيناه الكتاب الذي هو التوراة، وجعلنا هذه التوراة هداية لبني إسرائيل وإرشادًا لهم يسترشدون بها، وعهدنا إليهم ألا يتخذوا من دون الله وكيلًا يعتمدون عليه ويفوضون أمرهم إليه ويطلبون منه حاجاتهم، ويسألونه كشف الضرِّ عنهم، وكذا عهدنا إليهم ألا يتخذوا ربًّا سوى الله عز وجل.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى

(١) وانظر ما قاله الحافظ في الفتح (٧/ ٢٤٢)، وانظر البداية (٣/ ١١٣).

(٣٧١) أحمر
أسود

من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتي موسى: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانًا للحقّ، ودليلًا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه.

وقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (**ألا يَتَّخِذُوا**) بالياء على الخبر عن بني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتَّخذ بنو إسرائيل من دوني وكيلًا وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أني أوثر القراءة بالتاء؛ لأنها أشهر في القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء. ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظًا لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد، صلوات الله وسلامه عليه، عطف بذكر موسى عبده وكليمه أيضًا، فإنه تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن؛ ولهذا قال بعد ذكر الإسراء: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى﴾ أي: هاديًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ أي: لئلا تتخذوا ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ أي: وليًا ولا نصيرًا ولا معبودًا دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له.

(٣٧٢) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

كثيرًا ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ وبين كتابيهما وشريعتيهما لأن كتابيهما أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين.

ولهذا قال هنا: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذي هو التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ أي: وقلنا لهم ذلك وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله وحده وينيبوا إليه ويتخذوه وحده وكيلًا ومدبرًا لهم في أمر دينهم ودنياهم ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئًا ولا ينفعونهم بشيء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: يا ذرية القوم الصالحين الذين حملناهم مع نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الفلك لما أنجيناه وأنجيناهم معه، يا ذرية هؤلاء الصالحين كونوا صالحين كآبائكم، واذكروا أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان عبدًا شكورًا، فقدموا شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ شكرًا متمثلًا في توحيده عَزَّ وَجَلَّ وإفراده بالعبودية، شكرًا متمثلًا في حمد الله عَزَّ وَجَلَّ على نعمه التي لا تحصى، والتي من أجلها وأعظمها إرسال الرسول محمدٍ ﷺ إليكم وإنزاله القرآن على هذا النبي الكريم، كذا شكرًا على عموم ما أنعم الله به عليكم من أمن وأمان وطعام وشراب ومسكنٍ وملبس وكساء، وغير ذلك من النعم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

(٣٧٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ذرية من حملنا مع نوح. وعنى بالذرية: جميع من احتجّ عليه جلّ ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بني إسرائيل وغيرهم، وذلك أنّ كلّ من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ يعني بقوله تعالى ذكره: «إنه» إن نوحًا، والهاء من ذكر نوح كان عبدًا شكورًا لله على نعمه.

وأورد الطبري عن عدد من العلماء: أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمى عبدًا شكورًا لكونه كان يحمد ربه على الأكل والشرب[1].

قلت (مصطفى): وهذا وإن كان غير مستبعد فهذا شأن الأنبياء عليهم السلام، لكن الحصر في ذلك أراه خطأ إنما - والله أعلم - لكثرة شكره لعموم نعم الله أطلق عليه عبدًا شكورًا، وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى ترم قدماه ويقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا، لما قالت له عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر يا رسول الله.

هذا، وحمد الله على الطعام والشراب أمرٌ يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ بلا شك.

فعند أحمد ومسلم[2] وغيرهما من حديث: أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرضَى عنِ العَبدِ أنْ يأكل الأكْلَة، أَوْ يَشرب الشّربَةَ، فَيحمد الله عليهَا**».

هذا، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن الناس يوم القيامة يقولون لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(١) وقد صح هذا عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال ذلك.
(٢) أحمد (٣/ ١١٧)، ومسلم (٢٧٣٤).

(٣٧٤) أحمر
أسود

- حينما يذهبون إليه لطلب الشفاعة-.. وسماك الله عبدًا شكورًا[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح. فيه تهييج وتنبيه على المنة، أي: يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة، تشبهوا بأبيكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمدًا ﷺ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة من حملهم مع نوح تنبيهًا على النعم والتي نجاهم بها من الغرق. ليكون في ذلك تهييج لذرياتهم على طاعة الله. أي من حملنا مع نوح، فنجيناهم من الغرق، تشبهوا بأبيكم، فاشكروا نعمنا. وأشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [مريم: ٥٨] الآية.

وبين في مواضع أخر الذين حملهم مع نوح من هم؟ وبين الشيء الذي حملهم فيه، وبين من بقي له نسل، وعقب منهم، ومن انقطع ولم يبق له نسل ولا عقب.

فبين أن الذين حملهم مع نوح: هم أهله ومن آمن معه من قومه في قوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾[هود: ٤٠].

وبين أن الذين آمنوا من قومه قليل بقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾.

وبين أن ممن سبق عليه القول من أهله بالشقاء امرأته وابنه. قال في امرأته: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠] إلى قوله: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ

(١) البخاري (٤٧١٢).

(٣٧٥) أحمر
أسود

مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠]، وقال في ابنه: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣]، وقال فيه أيضًا: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ [هود: ٤٦] الآية. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾ أي: الموعود بنجاتهم في قوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] الآية، ونحوها من الآيات.

وبين أن الذي حملهم فيه هو السفينة في قوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ﴾ [هود: ٤٠] الآية. أي السّفينة، وقوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ الآية. أي أدخل فيها - أي السفينة - ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾.

وبين أن ذرية من حمل مع نوح لم يبق منها إلا ذرية نوح في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧]، وكان نوح يحمد الله على طعامه وشرابه، ولباسه وشأنه كله. فسّماه الله عبدًا شكورًا.

وأظهر أوجه الإعراب في قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ أنه منادى بحرف محذوف.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ﴾ أي: يا ذرية من منا عليهم وحملناهم مع نوح، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ ففيه التنويه بالثناء على نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقيامه بشكر الله واتصافه بذلك والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم.

❁ ❁ ❁

(٣٧٦) أحمر
أسود

أدبٌ من آداب التخاطب

س: في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أدب من آداب التخاطب وضحه.

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ ذكَّر العباد بصلاح آبائهم، فالذين حُملوا مع نوح عليه السلام كانوا على الإيمان والصلاح كلهم، أعني الذين حملوا في الفلك لما أنجاهم الله ﷻ كانوا كلهم على الإيمان وأغرق الله كلَّ من على وجه الأرض، فكأن المعنى يا ذرية الصالحين المؤمنين البررة، كونوا صالحين كآبائكم وكونوا بررة أتقياء مؤمنين كذلك كما كان آباؤكم، وهذا كما تقول للشخص يا ابن المحسنين تصدق، يا ابن الشجعان بارز الأبطال، يا ابن العلماء تعلَّم، فكلُّ ذلك تهييج بذكر مناقب الآباء، ومن ثمَّ حملٌ على العمل الصالح. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وقدرنا في اللوح المحفوظ أن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وأخبرنا بني إسرائيل بذلك وأعلمناهم به تحذيرًا وتنبيهًا. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد بيَّنا فيما مضى قبل: أن معنى القضاء الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كلّ مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يقول: لتعصنّ الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفنّ أمره في بلاده مرّتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ يقول: ولتستكبرنّ على

(٣٧٧) أحمر
أسود

الله باجترائكم عليه استكبارًا شديدًا.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قول تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: أعلمناهم.

قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بني إسرائيل في أمّ الكتاب، وسابق علمه.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخبرنا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بإفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين، ومن الذين أرسلهم الله ﷻ عليهم؟

ج: أولًا: ليُعلم أنه ليس هناك خبرٌ ثابت عن رسول الله ﷺ في بيان ذلك.

والخبر الذي أورده الطبري في تفسيره من حديث حذيفة عن النبي ﷺ في ذلك خبرٌ ضعيف جدًّا، بل حكم عليه بعض العلماء بالوضع والكذب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثًا أسنده عن حذيفة مرفوعًا مطولًا، وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث! والعجب كل العجب كيف راج عليه مع إمامته وجلاله وقدره! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب.

ثانيًا: كذلك ليُعلم أنه ليس هناك اتفاق بين المفسرين على تعيين المرة الأولى للإفساد في الأرض الذي كان من بني إسرائيل، وكذا لا يوجد اتفاقٌ على تعيين الذين سُلِّطوا عليهم في المرتين.

(٣٧٨) أحمر
أسود

ثالثًا: عن الأقوال في ذلك فمنها ما يلي:

* القول الأول: أن إفسادهم في المرة الأولى كان منه قتلهم نبي الله زكريا عليه السلام وأن الذي سُلِّط عليهم، وبعثه الله عذابًا عليهم هو بختنصر البابلي، وقد أورد الطبري إسنادًا بذلك فيه مقال عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وفيه أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ فكان أوّل الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يُدعى صحابين فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيمًا مسكينًا، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدونا ما قُذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، واشتد القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ ثم إن بني إسرائيل تجهَّزوا، فغزوا النبط، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، فذلك قول الله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ يقول: عددًا.

أما الإفساد الثاني: فكان منه قتلهم نبي الله يحيى عليه السلام وأما الذين سُلِّطوا عليهم في هذا فمن العلماء من قال: إنهم قومٌ من الفرس، ومنهم من قال إنه جالوت، وثمَّ أقوالٌ أُخر.

** القول الثاني:

أن الإفساد الأول بقتل زكريا عليه السلام، والذين سلِّط عليهم هو سابور ذا الأكتاف ملكًا من ملوك الفرس.

وأن الإفساد الثاني هو قتل يحيى عليه السلام، وأن الذين سُلِّطوا على بني إسرائيل بسبب ذلك هو بختنصر البابلي.

(٣٧٩) أحمر
أسود

وقد أورد الطبري هذا بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال:

كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكًا من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلَّط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما إفسادهم في الأرض المرّة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا. وقد اختلفوا في الذي سلَّطه الله عليهم منتقمًا به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله.

قلت: هذا وهنالك أقوال أخر غير ما ذكر.

وقد أورد الطبري جملة من الآثار ضعيفة الأسانيد إلى قائليها، وأورد بعض الآثار صحيحة الأسانيد إلى قائليها لكن أيضًا ليس منها شيء مرفوع إلى رسول الله ﷺ ولم يتفق قائلوها على شيء واحد، والغالب أنها إسرائيليات منها ما ورد من وجهين يصحان عن قتادة قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله، ثم رجع القوم على دخن فيهم.

ومن طريق صحيح عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول في قوله: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ قال: بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرّة الأولى سنحاريب من أهل أشور ونينوى، فسألت سعيدًا عنها، فزعم أنها الموصل.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام، فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق، فوجد بها دمًا يغلي على كبا: أي

(٣٨٠) أحمر
أسود

كناسة، فسألهم ما هذا الدم؟ قالوا: أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفًا من المسلمين وغيرهم، فسكن.

وبإسنادٍ يصح بطريقين عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ آخر العقوبتين ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كما دخله عدوهم قبل ذلك ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب.

وقال الطبري:

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا، في اثني عشر من الحواريين يعلِّمون الناس، قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ، قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها؛ فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا؛ فلما دخلت عليه سألها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا! فقالت: ما أسألك إلا هذا، قال: فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلَّته على ذلك الدم، قال: فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفًا منهم من سنّ واحد فسكن.

قلت (مصطفى): وكما ترى فهذه موقوفات ومقطوعات ولا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ والغالب أنها إسرائيليات، فالله أعلم بوجوه الحق والصواب.

(٣٨١) أحمر
أسود

إفساد بني إسرائيل والعقوبة عليه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وقدرنا على بني إسرائيل في اللوح المحفوظ وأخبرناهم أيضًا بذلك على ألسنة أنبيائهم، تحذيرًا لهم فالكتاب احتمل أن يكون اللوح المحفوظ، واحتمل أن يكون التوراة، والظاهر أن هذا يشمل الاثنين فالمقدر في اللوح المحفوظ، والذي أخبروا به، أُخبروا به في التوراة، أخبرناهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وقد قيل: إن الأرض أرض الشام، وقيل: إنها مصر، وقد تقدم القول في الإفساد الذي ظهر منهم، وأن منه قتل الأنبياء زكريا ويحيى عليهما السلام.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ قيل: المراد به الجرأة على الله ﷻ والتعالي على أوامره والترفع عن طاعته وامتثال أمره، وكذا لتغلبن أعداءكم ولتظفرن بهم وتنتصرون عليهم انتصارًا كبيرًا.

فإذا جاء وعد أولاهما، أي: إذا حدث ذلك الإفساد منكم في المرة الأولى، والذي كان منه – على حد قول بعض أهل العلم، قتل زكريا عليه السلام- إذا جاء هذا سلطنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد، أشداء في الحروب سفَّاكي دماء بطشهم شديد فتخللوا دياركم يقتلون من شاءوا ويجرحون من شاءوا ويسبون من شاءوا.

(٣٨٢) أحمر
أسود

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ أي: لا بد من وقوعه ثم بعد ذلك أعناكم عليهم وقويناكم ونصرناكم وكانت لكم الغلبة عليهم، وأمددناكم بأموال كثيرة، رزقناكم رزقًا حسنًا واسعًا، ورزقناكم بالأولاد أيضًا وجعلناكم أكثر عددًا منهم، وأكثر عددًا مما كنتم عليه قبل هذا.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: إن الله غني عنكم وعن طاعتكم، وإن جزاء إحسانكم وطاعتكم عائدٌ عليكم فيثيبكم الله عليه، وإن أسأتم، عملتم أعمالًا سيئة فجزاء ذلك وعقابه عائدٌ عليكم أيضًا، ولستم بضارين الله ﷻ شيئًا.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: إذا جاء وقت الإفساد في المرة الثانية، وأفسدتم فإن الله ﷻ سيسلط عليكم ثانية أيضًا عبادًا له أولي بأسٍ شديد أيضًا يقتلونكم ويسبون نساءكم ويسلبونكم أموالكم، فيظهر ذلك على وجوهكم، يظهر عليها أثر الاستياء والحزن والهم والغم، وليدخل هؤلاء المسجد الأقصى فيخربونه كما خرَّبوه أول مرة وليدمروا ما شيدتموه من قصور ومبانٍ تدميرًا.

أما قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: بعد تعذيبكم في الدنيا يرحمكم فيها فيكشف عنكم ما أصابكم وما ألمَّ بكم، وإن عدتم لإفسادكم عدنا لإرسال العذاب عليكم وتسليط العباد عليكم في الدنيا، أما في الآخرة فقد أعددنا جهنم للكافرين وجعلناها لهم حصيدًا، قيل: مهادًا يفترشونها، وقيل: حصيرًا تحاصرهم، عياذًا بالله منها.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ فقد ذكرنا قول من قال: يعني به:

(٣٨٣) أحمر
أسود

استكبارهم على الله بالجراءة عليه، وخلافهم أمره.

وأما قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ يعني: فإذا جاء وعد أولى المرّتين اللتين يفسدون بهما في الأرض.

وقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ وجّهنا إليكم، وأرسلنا عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يقول: ذوي بطش في الحروب شديد. وقوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾.

يقول: فتردّدوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوسًا وجوسانا.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لاقى بسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجاسَ بِهِ الأعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ

وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين، فيصح التأويلان جميعًا، ويعني بقوله: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدًا من الله لهم مفعولًا ذلك، لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فيما كان من فعلهم في المرّة الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرّة الآخرة، وما كان من صنعهم بهم، فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم في المرّة الأولى جالوت، وهو من أهل الجزيرة.

وقال في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾.

(٣٨٤) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جلّ ثناؤه أنه يبعثهم عليهم، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم، فيما ذكر السديّ في خبره أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال، وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوّهم جالوت حتى قتلوه، وقد ذكرنا كلّ ذلك بأسانيده فيما مضى ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ يقول: وصيرناكم أكثر عددَ نافرٍ منهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأنّكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءًا، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوّتكم قوّة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذٍ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوّكم، ويمكّن منكم من بغاكم سوءًا، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين. وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ والمعنى: فإليها كما قال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]، والمعنى: أوحى إليها.

(٣٨٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يقول: فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من مرّتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبِّحها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾.

يقول تعالى ذكره: لعلّ ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذلّ الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها، فيعزّكم بعد ذلك، وعسى من الله: واجب، وفعل الله ذلك بهم، فكثر عددهم بعد ذلك، ورفع خَساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جلّ ثناؤه لهم: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسِّباء، وإحلال الذلّ والصِّغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم.

وأورد بإسنادٍ يصح بطريقين عن قتادة، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾ قال: عاد القوم بشرّ ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة؛ قال الله ﷻ في آية أخرى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] الآية، فبعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجنًا يسجنون فيها.

(٣٨٦) أحمر
أسود

وقال آخرون: معناه: وجعلنا جهنم للكافرين فراشًا ومهادًا.

ثم قال:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ فراشًا ومهادًا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعًا معنى الحبس والامتهان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي: تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوًّا كبيرًا، أي: يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦] أي: تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به.

وقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ أي: أولى الإفسادتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: سلطنا عليكم جندًا من خلقنا أولي بأس شديد، أي: قوة وعدة وسلطة شديدة ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ أي: تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم: من هم؟ فعن ابن عباس وقتادة: أنه جالوت الجَزَريّ وجنوده، سلط عليهم أولًا ثم أديلوا عليه بعد ذلك. وقتل داود جالوت؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده. وعنه أيضًا، وعن غيره: أنه بختنصر ملك بابل.

(٣٨٧) أحمر
أسود

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: فعليها، كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: المرة الآخرة أي: إذا أفسدتم المرة الثانية وجاء أعداؤكم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: يهينوكم ويقهروكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ أي: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: في التي جاسوا فيها خلال الديار ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي: يدمروا ويخربوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما ظهروا عليه ﴿تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: فيصرفهم عنكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي: متى عدتم إلى الإفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ أي: مستقرًّا ومحصرًا وسجنًا لا محيد لهم عنه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنًا.

وقال مجاهد: يحصرون فيها. وكذا قال غيره.

وقال الحسن: فراش ومهاد.

وقال قتادة: قد عاد بنو إسرائيل، فسلط الله عليهم هذا الحي، محمد ﷺ وأصحابه، يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

قال الشنقيطي رحمه الله أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ لما بين جلَّ وعلا أن بني إسرائيل قضى إليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرتين، وأنه إذا جاء وعد الأولى منهما: بعث عليهم عبادًا له أولي بأس شديد، فاحتلوا بلادهم وعذبوهم. وأنه إذا جاء وعد المرة الآخرة: بعث عليهم قومًا ليسوءوا وجوههم، وليدخوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علو تتبيرًا.

وبين أيضًا: أنهم إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جلَّ وعلا يعود

(٣٨٨) أحمر
أسود

للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم. وذلك في قوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ ولم يبين هنا: هل عادوا للإفساد المرة الثالثة أو لا؟ ولكنه أشار في آيات أخر إلى أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول ﷺ، وكتم صفاته ونقض عهوده، ومظاهرة عدوه عليه، إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة. فعاد الله جلَّ وعلا للانتقام منهم تصديقًا لقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ فسلط عليه نبيه ﷺ، والمسلمين. فجرى على بني قريظة والنضير، وبني قينقاع وخيبر، ما جرى من القتل، والسبي، والإجلاء، وضرب الجزية على من بقي منهم، وضَرْب الذلة والمسكنة.

فمن الآيات الدالة على أنهم عادوا للإفساد قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٨٩-٩٠]، وقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ﴾ [البقرة: ١٠٠] الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] الآية، ونحو ذلك من الآيات.

ومن الآيات الدالة على أنه تعالى عاد للانتقام منهم، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ

وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧] الآية، ونحو ذلك من الآيات.

وتركنا بسط قصة الذين سُلطوا عليهم في المرتين. لأنها أخبار إسرائيلية. وهي مشهورة في كتب التفسير والتاريخ والعلم عند الله تعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم الله والعلو في الأرض والتكبر فيها وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم وهذا تحذير لهم وإنذار لعلهم يرجعون فيتذكرون.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما. أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ بعثًا قدريًّا وسلطنا عليكم تسليطًا كونيًّا جزائيا ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم، فجاسوا خِلالَ دياركم فهتكوا الدور ودخلوا المسجد الحرام وأفسدوه. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم.

واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار.

إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرًا من شريعتهم وطغوا في الأرض.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء الذين سلطوا عليكم فأجليتموهم من دياركم. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ أي: أكثرنا أرزاقكم وكثرناكم وقويناكم عليهم، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ منهم وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

(٣٩٠) أحمر
أسود

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: فلأنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: المرة الأخرى التي تفسدون فيها في الأرض سلطنا عليكم الأعداء.

﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ بانتصارهم عليكم وسبيكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ الحرام ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، والمراد بالمسجد مسجد بيت المقدس.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي: يخربوا ويدمروا ﴿مَا عَلَوْا﴾ عليه ﴿تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ فيخربوا بيوتكم ومساجدكم وحروثكم.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ فيديل لكم الكرة عليهم، فرحمهم وجعل لهم الدولة. وتوعدهم على المعاصي فقال: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الإفساد في الأرض ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك فسلط الله عليهم رسوله محمدًا ﷺ فانتقم الله به منهم، فهذا جزاء الدنيا وما عند الله من النكال أعظم وأشنع، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ يصلونها ويلازمونها لا يخرجون منها أبدًا. وفي هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير.

ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم.

❁ ❁ ❁

(٣٩١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ
أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ
كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ
أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن
كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا
مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ
رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾

[الإسراء: ٩-٢٢]

(٣٩٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَهْدِي - لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ - أَعْتَدْنَا - وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ - دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ - عَجُولًا - آيَتَيْنِ - فَمَحَوْنَا - مُبْصِرَةً - لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ - وَالْحِسَابَ - فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا - أَلْزَمْنَاهُ - طَائِرَهُ - مَنشُورًا - حَسِيبًا - وَلَا تَزِرُ - وَازِرَةٌ - وِزْرَ - أَمَرْنَا - مُتْرَفِيهَا - فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ - فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا - وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا - الْعَاجِلَةَ - عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا - مَذْمُومًا - مَّدْحُورًا - وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا - سَعْيُهُم مَّشْكُورًا - عَطَاءُ رَبِّكَ - مَحْظُورًا - مَّخْذُولًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَهْدِي﴾	يرشد – يدل.
﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	للطريقة التي هي أحسن الطرق وأصوب الطرق وأصح الطرق.
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا.
﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾	يدعو على أهله ونفسه وماله وولده بالشر، كالانتقام أو الموت أو الفقر أو غير ذلك، وقيل: يدعو بتيسير المعصية والحرام.
﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾	كدعائه بالخير.
﴿عَجُولًا﴾	متعجلًا في أموره ومتطلباته.
﴿آيَتَيْنِ﴾	دلالتين على وحدانية الله وقدرته.
﴿فَمَحَوْنَا﴾	طمسنا.
﴿مُبْصِرَةً﴾	مضيئةً.

(٣٩٣) أحمر
أسود

﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾	لتلتمسوا الرزق الحلال من الله ﷻ بسعيكم في الأرض وتنقلكم فيها، وأسفاركم.
﴿وَٱلْحِسَابَ﴾	حساب الأشياء والأزمان وغير ذلك.
﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾	بيَّناه تبيينًا.
﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾	جعلناه ملازمًا له.
﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾	عمله الذي عمل وقيل: المقدر له الذي قدره الله عليه، يلازمه ويتحقق فيه.
﴿مَنشُورًا﴾	مفتوحًا.
﴿حَسِيبًا﴾	محاسبًا.
﴿وَلَا تَزِرُ﴾	ولا تحمل.
﴿وَازِرَةٌ﴾	نفس حامله.
﴿وِزْرَ﴾	حمل.
﴿أُخْرَىٰ﴾	نفس أخرى حاملة.
﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾	أمرنا الأثرياء فيها بالطاعة.
﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾	فوجب عليها العذاب وتحقق ما كتبه الله عليها من الشقاء والهلاك. وقيل: حق عليها القلو الذي أخبر الله به، ومفاده أن أهل الفسق يضربون.
﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾	خربناها تخريبًا.

(٣٩٤) أحمر
أسود

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	كفى بالله ﷻ مطلعًا على عباده خبيرًا بأعمالهم بصيرًا بهم، لا يحتاج إلى نقل ناقل ولا إخبار مخبر، فهو مطلع خبير بصير بذنوب العباد، فإذا عاقبهم عاقبهم وهو غير ظالم لهم.
﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾	الدنيا.
﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾	أعطيناه فيها عاجلًا غير آجل.
﴿مَذْمُومًا﴾	مذمومًا تذمه الخلائق، بل ويذمه الله ﷻ.
﴿مَّدْحُورًا﴾	مطرودًا مُبعدًا عن الرحمة والخير
﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾	عمل لها أعمالها الصالحة.
﴿سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾	عملهم يشكره الله ﷻ.
﴿عَطَآءُ رَبِّكَ﴾	ما يعطيهم الله للعباد من الأرزاق والأفهام وغير ذلك.
﴿مَحْظُورًا﴾	ممنوعًا – قاصرًا على أحدٍ بعينه.
﴿مَّخْذُولًا﴾	لا ناصر لك ينصرك، ولا وليًّا لك يتولاك.

❁ ❁ ❁

(٣٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: إن هذا القرآن يرشد ويدلُّ على الطريقة الحسنة التي هي أحسن الطرق وأصوب الطرق وأسلم الطرق وأفضلها في كل شيء، تلك الطرق التي تقرب إلى الله ﷻ وتوصل إلى مرضاته وجناته يهدي للتي هي أقوم في باب التوحيد بالإرشاد إلى أسلم طريق وهو طريق (لا إله إلا الله)، وإفراد الله ﷻ بالعبادة وبربوبيته وبتوحيده في أسمائه وصفاته، وللتي هي أقوم في الدلالة على البعث وبيان حقيقته وكذا فيما يتعلق بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر والإيمان بالقدر.

والتي هي أقوم في أبواب العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك.

وكذا التي هي أقوم في الأخلاق والمعاملات وكذا للتي هي أقوم في حفظ الدماء والأعراض والأموال والأبدان والأنفس.

وللتي هي أقوم في الأخبار والقصص.

والتي هي أقوم في المواريث والديات والفرائض والأنكحة والطلاق وغير ذلك.

يهدي للتي أقوم في كل شيء، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ غيرهم بما يسرهم من الأخبار، وبما أعده الله لهم في فسيح الجنان، يبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة، أن لهم أجرًا كبيرًا في الآخرة، وهو جنات النعيم، وكذا رضوان الله ﷻ ورؤية وجهه الكريم، وكذا فإنه يحذر أهل الكفر والجحود والنكران للبعث، ويخبر الله ﷻ أنه أعدَّ لهم عذابًا مؤلمًا موجعًا.

(٣٩٦) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ يرشد ويسدّد من اهتدى به ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام، يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ قال: التي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ؛ قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٣] قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢] يقول: قيما مستقيما.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويبشر أيضًا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن ﴿لَهُمْ أَجْرًا﴾ من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات ﴿كَبِيرًا ۝٩﴾ يعني ثوابًا عظيمًا، وجزاءً جزيلًا وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن الذين لا يصدّقون بالمعاد إلى الله، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ يقول: أعددنا لهم، لقدومهم على ربهم يوم القيامة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ يعني موجعًا، وذلك عذاب جهنم.

(٣٩٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمدٍ ﷺ وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على مقتضاه ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ قال ابن الأنباري: «التي» وصف للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال. قال المفسرون: وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجْرًا﴾ وهو الجنة، ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: ويبشرهم بالعذاب، لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذىً من المشركين، فعجَّل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين.

وقال السعدي في تفسيره:

يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع الأمور.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الواجبات والسنن، ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ فالقرآن مشتمل على البشارة والنذارة وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة وهو الإيمان والعمل الصالح والتي تستحق بها النذارة وهو ضد ذلك.

(٣٩٨) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة. ولكننا إن شاء الله تعالى سنذكر جملًا وافرةً في جهاتٍ مختلفةٍ كثيرةٍ من هدى القرآن للطريق التي هي أقوم بيانًا لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تنبيهًا ببعضه على كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام، لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة.

وأورد الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صورًا من هداية القرآن للتي هي أقوم، منها:

هدايته للتي هي أقوم في باب التوحيد، فقد هدى الله لتوحيده في هذا الكتاب العزيز، بأقسام التوحيد الثلاثة، وذكر الشنقيطي أيضًا من هداية القرآن للتي هي أقوم ما يلي.

* هدايته أن جعل الطلاق بيد الرجل وليس بيد المرأة.
* وهدايته في تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث.
* ومن هدايته للتي هي أقوم ملك الرقيق المبعد عنه بملك اليمين.
* ومن هدايته للتي هي أقوم القصاص وقطع يد السارق ومكارم الأخلاق، والرجم، والجلد، وذكر القرطبي صورًا كثيرةً من هداية القرآن للتي هي أقوم واستفاض في شرحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم: ويدع الإنسان على نفسه بالشر وعلى أمواله

(٣٩٩) أحمر
أسود

وعلى أولاده، إذا أصابه منهم مكروه أو إذا أصيب ببلاءٍ، فيتعجل ويدعو بأن يهلكه الله أو يهلك أولاده أو أمواله ولا يكاد يصبر على ما حل به، أو على أذى أولاده وأهله وغير ذلك، ويدعو بالشر كما يدعو بالخير، فكما أنه يقول يا رب ارزقني الولد فإنه إذا ضجر يقول لولده انتقم الله منك وفعل الله بك وفعل، وكان من شأن الإنسان أنه عجول غير صبور، إلا من رحم الله ﷻ.

* هذا، ومن العلماء من أورد وجهًا آخر حاصله، أن الإنسان يدعو أن ييسر الله ﷻ المعصية ويسهل له سبلها كما أنه يسأل الرزق، وكان الإنسان عجولًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مذكرًا عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ، فيقول: اللهمّ أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك.

وأورد بإسناد يصحح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ يدعو على ماله، فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه، ونحوه بإسنادٍ فيه مقال عن مجاهد.

قال الطبري:

واختلف في تأويل قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ فقال مجاهد ومن ذكرت قوله: معناه: وكان الإنسان عَجولًا بالدعاء على ما يكره، أن يُستجاب له فيه.

وقال آخرون: عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجري

(٤٠٠) أحمر
أسود

في جميع جسده، فرام النهوض، فوصف ولده بالاستعجال، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام، قبل أن يتمّ خلقه.

وأورد من طريق إبراهيم، أن سلمان الفارسيّ، قال: أوّل ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يُخلق، قال: وبقيت رجلاه؛ فلما كان بعد العصر قال: يا ربّ عَجِّل قبل الليل، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

وأورد بإسناد فيه ضعف عن ابن عباس، قال: لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبَل رأسه، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده، إلا صار لحمًا ودمًا؛ فلما انتهت النفخة إلى سرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ قال: ضَجِرًا لا صبر له على سرّاء، ولا ضرّاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ الآية [يونس: ١١]، وكذا فسره ابن عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادة، وقد تقدم في الحديث: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم، أن توافقوا من الله ساعة إجابةٍ يستجيب فيها**»[(١)]. وإنما يحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ قال ابن عباسٍ وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له: اللهم

(١) مسلم (١٨/ ٣٣) وأبو داود (٢/ ١٨٥).

(٤٠١) أحمر
أسود

أهلكه، ونحوه. ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾ أي: كدعائه ربه أن يهب له العافية، فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك.

نظيره: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ [يونس: ١١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من جهل الإنسان وعجلته حيث يدعو على نفسه وأولاده وماله بالشر عند الغضب ويبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير، ولكن الله -بلطفه - يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾.

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير للعلماء، وأحدهما يشهد له قرآنٌ.

وهو أن معنى الآية: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾، كأن يدعو على نفسه أو ولده بالهلاك عند الضجر من أمرٍ، فيقول اللهم أهلكني، أو أهلك ولدي، فيدعو بالشر دعاءً لا يحب أن يستجاب له، وقوله: ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾ أي: يدعو بالشر كما يدعو بالخير فيقول عند الضجر: اللهم أهلك ولدي، كما يقول في غير وقت الضجر: اللهم عافه، ونحو ذلك من الدعاء.

ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ [يونس: ١١] أي: لو عجل لهم الإجابة بالشر كما يعجل لهم الإجابة بالخير لقضي إليهم أجلهم ؛ أي لهلكوا وماتوا، فالاستعجال بمعنى التعجيل.

ويدخل في دعاء الإنسان بالشر قول النضر بن الحارث العبدري: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾. [الأنفال: ٣٢]

(٤٠٢) أحمر
أسود

وممن فسر الآية الكريمة بما ذكرنا: ابن عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادة، وهو أصح التفسيرين لدلالة آية يونس عليه.

الوجه الثاني في تفسير الآية: أن الإنسان كما يدعو بالخير فيسأل الله الجنة، والسلامة من النار، ومن عذاب القبر، كذلك قد يدعو بالشر فيسأل الله أن ييسر له الزنى بمعشوقته، أو قتل مسلمٍ هو عدو له ونحو ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وجعلنا الليل والنهار بما فيهما من شمسٍ وقمر وغير ذلك من نورٍ وظلامٍ، جعلنا ذلك دلالتين على وحدانيتنا وقدرتنا، إذ أننا محونا آية الليل، طمسنا الضوء فيها وجعلناها مظلمةً، ولم نجعل للقمر تلك القوة في الإضاءة كقوة الشمس، وذلك حتى يسكن الناس في الليل ويهدءون ويستريحون وينامون، أما النهار فجعلناه بما فيه الشمس، جعلناه مضيئًا واضحًا مبيِّنًا للأشياء، ذلك كي تسعوا فيه وتنتشروا في الأرض وتبحثوا فيها عن أرزاقكم، وكذا فإننا خالفنا بين الليل والنهار لتعلموا الأيام والليالي والشهور والسنين بذلك، فتعلموا بدايات الأمور ونهايتها وكذا لتعلموا حساب الأشياء كعدد المطلقات وأوقات الحمل والرضاع والزروع والثمار وغير ذلك من أنواع الحساب، وكل شيء بيَّناه لكم تبيينًا، ووضحناه لكم إيضاحًا وأظهرناه إظهارًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل

(٤٠٣) أحمر
أسود

وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرّفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ يقول: وكلّ شيء بيناه بيانًا شافيًا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان.

وأورد الطبري من طرق متعددة تصح بمجموعها: أن ابن الكوّاء سأل عليًّا ما هذا السواد في القمر؟ فقال عليّ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ هُوَ المَحْو.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ قال: بيَّناه تبيِّنًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيءٌ من ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

(٤٠٤) أحمر
أسود

تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٣]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦١، ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقال: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٧، ٣٨].

ثم إنه تعالى جعل لليل آيةً، أي: علامةً يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامةً، وهي النور وظهور الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾...﴾ الآية [يونس: ٥، ٦]، كما قال تعالى: ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ الآية [البقرة: ١٨٩].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ أي: دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحمته وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: جعلناه مظلمًا للسكون فيه والراحة، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مضيئة ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في معايشكم وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين

(٤٠٥) أحمر
أسود

الحق من الباطل كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه جعل الليل والنهار آيتين، أي علامتين دالتين على أنه الرب المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك معه غيره، وكرر تعالى هذا المعنى في مواضع كثيرةٍ؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾، وقوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ - إلى قوله - لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٥]، وقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: ١-٤] الآية، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل: ١-٢] الآية، وقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الضحى: ١-٢] الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً

(٤٠٦) أحمر
أسود

لِتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ يعني أنه جعل الليل مظلمًا مناسبًا للهدوء والراحة، والنهار مضيئًا مناسبًا للحركة والاشتغال بالمعاش في الدنيا، فيسعون في معاشهم في النهار، ويستريحون من تعب العمل بالليل، ولو كان الزمن كله ليلًا لصعب عليهم العمل في معاشهم، ولو كان كله نهارًا لأهلكهم التعب من دوام العمل.

فكما أن الليل والنهار آيتان من آياته جل وعلا، فهما أيضًا نعمتان من نعمه جل وعلا.

وبين هذا المعنى المشار إليه هنا في مواضع أخر، كقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

فقوله: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، أي في الليل، وقوله: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، أي في النهار، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ٩-١١]، الآية، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣] الآية، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾، بين فيه نعمةً أخرى على خلقه، وهي معرفتهم عدد السنين والحساب، لأنهم باختلاف الليل والنهار يعلمون عدد الأيام والشهور والأعوام، ويعرفون بذلك يوم الجمعة ليصلوا فيه صلاة الجمعة، ويعرفون شهر الصوم، وأشهر الحج، ويعلمون

(٤٠٧) أحمر
أسود

مضي أشهر العدة لمن تعتد بالأشهر المشار إليها في قوله: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ [الطلاق: ٤]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. ويعرفون مضي الآجال المضروبة للديون والإجارات ونحو ذلك.

وبين جل وعلا هذه الحكمة في مواضع أخر، كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ ﴾ [يونس: ٥]. وقوله جل وعلا: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾ فيه وجهان من التفسير للعلماء:

أحدهما: أن الكلام على حذف مضافٍ، والتقدير: وجعلنا نيري الليل والنهار، أي الشمس والقمر آيتين.

وعلى هذا القول، فآية الليل هي القمر، وآية النهار هي الشمس، والمحو: الطمس. وعلى هذا القول: فمحو آية الليل قيل معناه السواد الذي في القمر، وبهذا قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومجاهدٌ، وروي عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقيل: معنى ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾، أي: لم نجعل في القمر شعاعًا كشعاع الشمس ترى به الأشياء رؤيةً بينةً، فنقص نور القمر عن نور الشمس هو معنى الطمس على هذا القول.

وهذا أظهر عندي لمقابلته تعالى له بقوله: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾، والقول بأن معنى محو آية الليل: السواد الذي في القمر ليس بظاهرٍ عندي وإن قال به بعض الصحابة الكرام، وبعض أجلاء أهل العلم.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ ﴾ على التفسير المذكور ؛ أي الشمس ﴿مُبۡصِرَةٗ ﴾،

(٤٠٨) أحمر
أسود

أي: ذات شعاعٍ يبصر في ضوئها كل شيءٍ على حقيقته.

❁ ❁ ❁

طائرٌ كل إنسان في عنقه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: أما الطائر المراد هنا، فمن العلماء من قال إنَّ الأمر المقدر خيرًا كان أو شرًّا، فالذي قدر للإنسان لا بد وأن يراه ويقع فيه ويعمله، وكذا الشقاوة والسعادة. ومن العلماء من قال إن الطائر هنا العمل الذي عمله ابن آدم يلازمه يوم القيامة، ولا ينفك عنه بل سيراه واضحًا وجليًّا، وسنخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه مفتوحًا فيه أعماله التي عملها في دنياه، وأقواله التي قالها، بلى وتبلى السرائر وتظهر النوايا، وهذا كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، وكما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

أما قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ فيقرأ كل شخص كتابه، حتى من كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب في الدنيا فإنه يقرأ يوم القيامة ويحاسب نفسه ويعرف ما اجتناه وما ارتكبه فما ربك بظلام للعبيد.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ

(٤٠٩) أحمر
أسود

ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسًا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرًا، أو كان سعدًا يورده جنات عدن.

وأورد عدة آثار مفادها أن طائره المراد به عمله، وعن قتادة بسندٍ حسن قال: إي: والله بسعادته وشقائه بعمله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾.

قال الطبري:

فتأويل الكلام: وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعد، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابًا يصادفه منشورًا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا.

وقال الطبري أيضًا:

وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾:

(٤١٠) أحمر
أسود

أي حظه من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء، وذلك وإن كان قولًا له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره، على أن ما قاله هذا القائل، إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣﴾ فيقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ فترك ذكر قوله: فنقول له، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبان يكتبانه، ونحصيه عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسبًا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدًا غيرها، ولا نطلب عليك محصيًا سواها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا في الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى بعد ذكر الزّمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ وطائره: هو ما طار عنه من عمله، كما قال ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ وغير واحدٍ: من خيرٍ وشرٍّ، يلزم به ويجازى عليه ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزّلزلة: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار: ١٠ -١٤]، قال: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ

(٤١١) أحمر
أسود

﴿١٦﴾ [الطّور: ١٦] وقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النّساء: ١٢٣].

والمقصود أنّ عمل ابن آدم محفوظٌ عليه، قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءً.

وقال:

وقوله: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ أي: نجمع له عمله كلّه في كتابٍ يعطاه يوم القيامة، إمّا بيمينه إن كان سعيدًا، أو بشماله إن كان شقيًّا ﴿مَنشُورًا﴾ أي: مفتوحًا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أوّل عمره إلى آخره ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ [القيامة: ١٣ -١٥]، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ أي: إنّك تعلم أنّك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحدٌ شيئًا ممّا كان منه، وكلّ أحدٍ يقرأ كتابه من كاتبٍ وأمّيٍّ.

وقوله: ﴿أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ إنّما ذكر العنق؛ لأنّه عضوٌ لا نظير له في الجسد، ومن ألزم بشيءٍ فيه فلا محيد له عنه، كما قال الشّاعر:

اذْهَبْ بِهَا اذْهَبْ بِهَا طُوِّقْتَهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ

وأورد ما أخرجه أحمد من طريق عبد الله (وهو ابن المبارك) قال: حدثنا ابن لهيعة حَدَّثَنِي يَزِيدُ: أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَرِضَ الْمُؤْمِنُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، عَبْدُكَ فُلَانٌ، قَدْ حَبَسْتَهُ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: اخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ، حَتَّى يبرأ أو يموت**»(١).

(١) أحمد (٤/ ١٤٦)، وابن لهيعة متكلم فيه إلا أن من العلماء من قبل رواية العبادلة عنه، ومنهم عبد الله بن المبارك، ولعله من أجل ذلك قال ابن كثير: إسناده جيد قوي. والله أعلم.

(٤١٢) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازمًا له لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ فيه ما عمله من الخير والشر حاضرا صغيره وكبيره ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

في قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾، وجهان معروفان من التفسير:

الأول: أن المراد بالطائر: العمل، من قولهم: طار له سهمٌ إذا خرج له، أي: ألزمناه ما طار له من عمله.

الثاني: أن المراد بالطائر ما سبق له في علم الله من شقاوةٍ أو سعادةٍ، والقولان متلازمان ؛ لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة أو السعادة.

فإذا عرفت الوجهين المذكورين فاعلم: أنا قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون فيها للعلماء قولان أو أقوالٌ، وكلها حق، ويشهد له قرآن، فنذكر جميع الأقوال وأدلتها من القرآن، لأنها كلها حق، والوجهان المذكوران في تفسير هذه الآية الكريمة كلاهما يشهد له قرآنٌ.

(٤١٣) أحمر
أسود

أما على القول الأول بأن المراد بطائره عمله، فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازمٌ له كثيرةٌ جدا ؛ كقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣] الآية، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦]،وقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] والآيات بمثل هذا كثيرةٌ جدا.

وأما على القول بأن المراد بطائره نصيبه الذي طار له في الأزل من الشقاوة أو السعادة، فالآيات الدالة على ذلك أيضًا كثيرةٌ ؛ كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾ [التغابن: ٢].

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ أي: للاختلاف إلى شقي وسعيد خلقهم. وقوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وقوله: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: من اهتدى، سلك طريق الهداية واتبع أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ فإنما ثواب هدايته وعمله لنفسه، وإلا فالله ﷻ غني عن عباده، كما تقدم مرارًا في الحديث القدسي: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**».

وكذا فمن ضل وحاد عن طريق الحق وانصرف عنه فإنما إثم ضلاله عائدٌ عليه، ولا تحمل نفس حمل نفس أخرى من الآثام، بمعنى أنه لو كانت هناك

(٤١٤) أحمر
أسود

نفسٌ وافت ربها وهي تحمل آثامًا فلن تأتي نفس تأخذ منها آثامًا كي تخفف أحمالها.

نعم قد تعذب نفس لإضلالها نفسًا أخرى وقد تحمل آثامًا نتيجة ذلك الإضلال، ولكنها لا تخفف آثام نفس أخرى، كما في الحديث، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فحاصل معناه: أن الله ﷻ لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومجيء النذير ففي الآية: دليل على عذر من لم يأتهم نذير، وعلى عذر من فعل فعلًا بجهل، وتؤيده نصوص أخر كقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] إلى غير ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحق فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من الحق، فليس يضر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى بقوله ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها، وقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. وقال ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لأن معناها: ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه: وزرت كذا أزره وزرًا، والوزر: هو الإثم، يجمع أوزارًا، كما قال تعالى:

(٤١٥) أحمر
أسود

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧] وكأن معنى الكلام: ولا تأثم آثمة إثم أخرى، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدًا حتى يسبق إليه من الله خبرًا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبًا أحدًا إلا بذنبه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى آثار النبوة، فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: عن الحق، وزاغ عن سبيل الرشاد، فإنما يجني على نفسه، وإنما يعود وبال ذلك عليه.

ثم قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨].

ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، فإن الدعاة عليهم إثم ضلالهم في أنفسهم، وإثمٌ آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك، ولا يحملوا عنهم شيئًا. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده.

(٤١٦) أحمر
أسود

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إخبارٌ عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨، ٩]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر: ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه، ومن ثم طعن جماعةٌ من العلماء في اللفظة التي جاءت مقحمةً في صحيح البخاري عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هداية كل أحد وضلاله لنفسه ولا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع عنه مثقال ذرة من الشر، والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة.

وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه.

واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولًا لأنه منزه عن الظلم.

❁ ❁ ❁

(٤١٧) أحمر
أسود

من سنة الله في إهلاك الأمم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا أهلها والمترفين منهم والأثرياء منهم، أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وخرجوا من الطاعة فتحقق فيها قول الله ﷻ الذي كتبه عليها من العذاب فدمرها الله تدميرًا، وقيل: حق عليها العذاب الذي وعد الله به من عصى وفسق.

هذا، وهناك قراءة أخرى في قوله تعالى: (أمرنا) بالتشديد، أي: جعلناهم أمراء، فلما جعلناهم أمراء فسقوا في البلاد فدمرهم الله تدميرًا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ﴿أَمَرْنَا﴾ بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها. وإذا قرئ ذلك كذلك، فإن الأغلب من تأويله: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره، كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك.

وأورد بسنده إلى أبي عثمان النهدي: أنه قرأ «أمرنا» مشددة من الإمارة، وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل، جماعة من أهل التأويل.

قال الطبري:

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها. وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى

(٤١٨) أحمر
أسود

التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره.

ومعنى قوله ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ يقول: فخربناها عند ذلك تخريبًا، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكًا.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان:

أحدهما: ما سبق لهم في قضائه من الشقاء.

والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأكثرون: «**أمرنا**» مخففة، على وزن «فعلنا»، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها، هذا مذهب سعيد بن جبير. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أمرتك فعصيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر.

والثاني: «كثرنا» يقال: أمرت الشيء وآمرته، أي: كثرته، ومنه قولهم: مهرةٌ مأمورةٌ، أي: كثيرة النتاج، يقال: أمر بنو فلان يأمرون أمرًا: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

والثالث: أن معنى «أمرنا»: أمرنا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمرته،

(٤١٩) أحمر
أسود

والمعنى: سلطنا مترفيها بالإمارة، ذكره ابن الأنباري.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة ويستأصلها بالعذاب أمر مترفيها أمرا قدريا ففسقوا فيها واشتد طغيانهم، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

❁ ❁ ❁

كثرة القرون التي أهلكها الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: تذكيرٌ بالقرون المكذبة للرسل المعاندة لأمر ربها ﷻ، وكيف وأن الله ﷻ انتقم منهم وأبادهم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ﴾، وهي للتكثير ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ المكذبة لرسلها الجاحدة وحدانية ربها ﷻ ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ أي: أن الله ﷻ لم يكن غافلًا عن ذنوبهم، وأنه سبحانه لم يعذبهم إلا بذنوبهم فإنه ﷻ ليس بظلام للعبيد، بل هو خبير بما صنعوه بصير به فآخذهم بذنوبهم وعاقبهم بها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا وعيد من الله تعالى ذكَّره مكذبي رسوله محمد ﷺ من مشركي قريش، وتهديد لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله ﷺ أنه محل بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله، وتكذيب رسله سبيلهم، يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى

(٤٢٠) أحمر
أسود

زمانكم قرونًا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قومًا بما لا يعذب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين؛ يقول جل ثناؤه: فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولًا ينبهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذب قومًا حتى نبعث إليهم رسولًا منبهًا لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرًا: يقول: وحسبك يا محمد بالله خابرًا بذنوب خلقه عالمًا، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ أدخلت الباء في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ وهو في محل رفع، لأن معنى الكلام: وكفاك ربك، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرًا، دلالة على المدح، وكذلك تفعل العرب في كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم: أكرم به رجلًا وناهيك به رجلًا وجاد بثوبك ثوبًا، وطاب بطعامكم طعامًا، وما أشبه ذلك من الكلام، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت؛ لأنها في محل رفع، كما قال الشاعر:

ويخبرني عن غائب المرء هديه ... كفى الهدي عما غيب المرء مخبرًا

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذم فلا يدخلون في الاسم الباء؛ لا يجوز أن يقال: قام بأخيك، وأنت تريد: قام أخوك، إلا أن تريد: قام رجل آخر به، وذلك معنى غير المعنى الأول.

(٤٢١) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهؤلاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب من بعد قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن عاقبهم الله لما كثر بغيهم واشتد كفرهم أنزل الله بهم عقابه العظيم.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ١٧﴾ فلا يخافوا منه ظلمًا وأنه يعاقبهم على ما عملوه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منذرًا كفار قريشٍ في تكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ بأنه قد أهلك أممًا من المكذبين للرسل من بعد نوحٍ، ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوحٍ على الإسلام، كما قاله ابن عباسٍ: كان بين آدم ونوحٍ عشرة قرونٍ كلهم على الإسلام.

ومعناه: أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم، وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق، فعقوبتكم أولى وأحرى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ١٧﴾ أي: هو عالمٌ بجميع أعمالهم، خيرها وشرها، لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

تعريف القرن وبيان مقداره

س: كم مدة القرن؟

ج: قد اختلف العلماء في تحديد القرن على أقوال، نذكر أشهرها:

القول الأول: هو أن القرن مائة عام. واستدل القائلون بهذا القول بأدلة منها ما أخرجه أحمد (٤/ ١٨٩) بإسناد صحيح وفيه قال أبو عبد الله الحسن بن أيوب الحضرمي: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت أصبعي عليها

(٤٢٢) أحمر
أسود

فقال: وضع رسول الله ﷺ أصبعه عليها ثم قال: «**لتبلغن قرنًا**» وإسناده صحيح كما بينا.

قالوا: وقد عاش عبد الله بن بسر رضي الله عنه مائة سنة فدل ذلك على أن القرن مائة سنة، وممن ذكر أن عبد الله بن بسر عاش مائة سنة ابن سعد كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٧٣ ترجمة عبد الله بن بسر) وقال الحافظ هناك أيضًا: وكذا ذكره أبو نعيم وساق في ترجمته ما رواه البخاري في التاريخ الصغير أيضًا عن عبد الله بن بسر أن النبي ﷺ قال له: «**يعيش هذا الغلام قرنًا**»، فعاش مائة سنة، وذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب والتقريب أن عبد الله بن بسر عاش مائة سنة.

ويترجح هذا القول إذا ثبت بالسند الصحيح أن عبد الله بن بسر رضي الله عنه عاش مائة سنة فقد ورد في عمره بعض الخلاف فيحرر القول في وفاته على الوجه الصحيح.

القول الثاني: أن المراد بالقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل. ذكره الحافظ ابن حجر.

القول الثالث: وصححه النووي (في شرح مسلم٥/ ٣٩٣) أن قرن النبي ﷺ هم الصحابة، والثاني التابعون، والثالث: تابعوهم، ولمزيد انظر لسان العرب (ص٣٦٠٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري٧/ ٥): والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وقد سبق في صفة النبي ﷺ قوله: «**وَبُعِثْتُ فِي خَيرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ**» (قلت: الحديث عند البخاري ٣٥٥٧) وفي رواية بريدة عند أحمد «**خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ القَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ**» (قلت: هذه الرواية عند أحمد

(٤٢٣) أحمر
أسود

٥/ ٣٥٧ وفي إسنادها عبد الله بن موله وهو مجهول لكن له شوهد تصح بها بعضها في الباب وبعضها عند أحمد ٤/ ٢٦٧، ٤٢٦). وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنةٍ وعشرون سنةً أو دونها أو فوقها بقليلٍ على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مائة سنةٍ أو تسعين أو سبعًا وتسعين وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائةٍ كان نحو سبعين أو ثمانين وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمانٍ والله أعلم واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رءوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا ولم يزل الأمر في نقصٍ إلى الآن وظهر قوله ﷺ: «**ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ**» ظهورًا بينًا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان.

❁ ❁ ❁

(٤٢٤) أحمر
أسود

لكل جزاء بنواياه وعمله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: من كان يريد بعمله وسعيه ونواياه الدنيا وما فيها من المتاع العاجل لم نعطه منها إلا ما كتبناه له وقدرناه له، فقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ أي: أعطيناه في الدنيا عاجلًا، ولكن لم تعط أيضًا إلا لمن أردنا وبالقدر الذي أردنا فليس كل مريدٍ للدنيا يعطى فيها مراده، فكم من مريد للدنيا وهو فقير، وكم من مريدٍ لها وهو مريض سقيم، وكم من مريدٍ لها وهو وضيع ذليل سجين.

فحتى مريد الدنيا لا يعطى منها إلا ما قدره الله له وقسمه له ولكن لما كان مريد الدنيا محرومًا في الآخرة، وليس له فيها من نصيب أشير بقوله: ﴿عَجَّلْنَا﴾ ذلك؛ لأنه ليس له أي شيء في الآخرة، إلا النار، فمن ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ أي: في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها مصليًّا بحرها ﴿مَذْمُومًا﴾ على ما كان منه من إرادته الدنيا وعدم عمله للآخرة يذم على ما كان منه، يذمه الله ﷻ ويذمه عباد الله كذلك، أما قوله: ﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ أي: مبعدًا مطرودًا عن رحمة الله وعن جنة الله ﷻ وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: ومن كان يبتغي بعمله وجه الله ﷻ وثواب الله يوم القيامة وعمل لذلك الأعمال الصالحة الموافقة لكتاب الله ﷻ مصدقًا بالله ﷻ وبوعده ووعيده مؤمنًا على الوجه الذي أمر به من الإيمان ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ العاملون كان عملهم مشكورًا، يشكر الله لهم صنيعهم ويثيبهم عليه.

(٤٢٥) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثوابًا ولا عقابًا من ربه على عمله ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، ﴿مَذْمُومًا﴾ على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا ﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ يقول: مبعدًا: مقصى في النار.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته، عجل الله له فيها ما يشاء، ثم اضطره إلى جهنم، قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ مذمومًا في نعمة الله مدحورًا في نقمة الله.

ويقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه، وأضاف السعي إلى الهاء والألف، وهي كناية عن الآخرة، فقال: وسعى للآخرة سعي الآخرة، ومعناه:

وعمل لها عملها لمعرفة السامعين بمعنى ذلك، وأن معناه: وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن، يقول: هو مؤمن مصدق بثواب الله، وعظم جزائه على سعيه لها، غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة، يقول الله جل ثناؤه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: فمن فعل ذلك ﴿كَانَ سَعْيُهُم﴾ يعني عملهم بطاعة الله ﴿مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته.

(٤٢٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله ما يشاء.

وهذه مقيدةٌ لإطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ أي: يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿مَذْمُومًا﴾ أي: في حال كونه مذمومًا على سوء تصرفه وصنيعه إذ اختار الفاني على الباقي ﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾: مبعدًا مقصيا حقيرًا ذليلًا مهانًا.

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي: أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي: طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: وقلبه مؤمنٌ، أي: مصدقٌ بالثواب والجزاء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا، والمراد الدار العاجلة، فعبر بالنعت عن المنعوت. ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ أي: لم نعطه منها إلا ما نشاء ثم نؤاخذه بعمله، وعاقبته دخول النار. ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ أي: مطردًا مبعدًا من رحمة الله. وهذه صفة المنافقين الفاسقين، والمرائين المداجين، يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون في الدنيا إلا ما قسم لهم. وقد تقدم في«هودٍ» أن هذه الآية تقيد الآيات المطلقة، فتأمله. ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي: الدار الآخرة. ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي: عمل لها عملها من الطاعات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمنٍ. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

(٤٢٧) أحمر
أسود

أي: مقبولا غير مردودٍ. وقيل: مضاعفًا، أي: تضاعف لهم الحسنات إلى عشرٍ، وإلى سبعين وإلى سبعمائة ضعفٍ، وإلى أضعافٍ كثيرةٍ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا المنقضية الزائلة فعمل لها وسعى، ونسي المبتدأ أو المنتهى أن الله يعجل له من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له.

ثم يجعل له في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ أي: يباشر عذابها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله فيجمع له بين العذاب والفضيحة.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فرضيها وآثرها على الدنيا ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ الذي دعت إليه الكتب السماوية والآثار النبوية فعمل بذلك على قدر إمكانه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ أي: مقبولًا منمى مدخرا لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم.

ومع هذا فلا يفوتهم نصيبهم من الدنيا فكلا يمده الله منها لأنه عطاؤه وإحسانه.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: ممنوعًا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضله وإحسانه.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، فعبر بالنعت عن الاسم، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ من عرض الدنيا، وقيل: من البسط

(٤٢٨) أحمر
أسود

والتقتير، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لمن نريد هلكته، قاله أبو إسحاق الفزاري.

والثاني: لمن نريد أن نعجل له شيئًا، وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا، وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قدر له، ثم يدخل النار في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يعني: الجنة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها العمل الذي يصلح لها، وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مقبولًا. وشكر الله ﷻ لهم: ثوابه إياهم، وثناؤه عليهم.

❁ ❁ ❁

س: هل كان مريد للدنيا يعطاها، وهل كل داع وسائل بها يجاب؟

ج: لي كل مريد للدنيا يعطاها، وليس كل داع بها يجاب، إنما يعطى منها الذي قدره الله له ويجاب دعاء من أراد الله؟! إجابته كما قال تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾، ولذلك كما سلف نرى في الدنيا كفارًا فقراء وأشقياء وتعساء ومرضى وأذلاء. مع أن منهم من يسأل الله ويرجوه ويدعوه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

عطاء الله في الدنيا ليس بقاصر على المسلمين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: كلا نعطي، من عطاءنا في الدنيا ومن رزقنا، نعطي الكفار ونعطي المؤمنين فالرزق في الدنيا ليس بقاصرٍ على المؤمنين بل يعم المؤمن والكافر، ولهذا لما سأل الخليل إبراهيم ربَّه ﷻ قائلًا: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: ومن كفر

(٤٢٩) أحمر
أسود

سأرزقه أيضًا في الدنيا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعًا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعًا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه.

وأورد بإسناد يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾: أي منقوصًا، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ قسم الدنيا بين البر والفاجر، والآخرة خصوصًا عند ربك للمتقين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل الدنيا وأهل الآخرة ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ من بر ولا فاجر، قال: والمحظور: الممنوع، وقرأ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ﴾ أعلم أنه يرزق المؤمنين والكافرين. ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: محبوسًا ممنوعًا، من حظر يحظر حظرًا وحظارًا.

(٤٣٠) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿كُلًّا﴾ أي: كل واحدٍ من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة، نمدهم فيما هم فيه ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ أي: هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور، فيعطي كلا ما يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى، ولا مغير لما أراد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: ممنوعًا، أي: لا يمنعه أحدٌ ولا يرده راد.

قال قتادة: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: منقوصًا.

وقال الحسن وغيره: ممنوعًا.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال الزجاج: ﴿كُلًّا﴾ منصوب بـ﴿نُّمِدُّ﴾، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من «كل»، والمعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك. قال المفسرون: كلا نعطي من الدنيا، البر والفاجر، والعطاء هاهنا: الرزق، والمحظور: الممنوع، والمعنى: أن الرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمتقين خاصة.

❁ ❁ ❁

س: يستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ على ما هو أعم من الرزق كالطعام والشراب وضح ذلك؟

ج: نعم فيستدل بذلك على أمورٍ كثيرة كالفهم مثلًا فقد يرزق الله ﷻ شخصًا فهمًا لا يرزقه آخر، فمن ثم فباب الاجتهاد مفتوح فالأفهام ليست بقاصرة على أحدٍ بعينه والآراء السديدة ليست بقاصرة على واحدٍ بعينه[1].

والأرزاق بالبنين ليست بقاصرة على أحد بعينه إلى غير ذلك، والله

(١) أعني غير الرسل.

(٤٣١) أحمر
أسود

أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ ﴾.

ج: انظر يا رسول الله، وانظر يا عبد الله إلى هؤلاء البشر في دنياهم، كيف وأننا فضلنا بعضهم على بعض بصورٍ من التفضيل، فهذا فضل بما رزقه الله من الإيمان والبصيرة والهدى، فهو مؤمن مستبصر مهتدي وهذا حرم ذلك فكان كافرًا أعمى البصيرة سالكًا سبيل الغواية.

وآخر فضل بالمال والجمال والوضاءة والحسن، وهذا حرم من كل ذلك أو بعض ذلك.

وهذا فضل بالمنصب والجاه، وهذا حرم المنصب والجاه.

هذا فضل بالبنين والذرية، وهذا محرم، وهذا فضل بذكائه، وهذا قليل الفهم، إلى غير ذلك من صور التفضيل.

فإذا رأيتهم كذلك في الدنيا، فاعلم أن التفاوت في الدرجات في الآخرة أعظم من ذلك بكثير وأكبر من ذلك بكثير فهنالك من هم في أعالي الدرجات في الجنان، وهناك من هم دون ذلك، فإذا كان قارئ القرآن يقال له اقرأ وارتق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، ففي هذا بيانٌ للتفاضل في الدرجات من هذا الوجه، وكذا الشهداء وكذا عموم أهل الإيمان، وقد قال تعالى: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقال في شأن أقوام ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ ﴾ [طه: ٧٥].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين

(٤٣٢) أحمر
أسود

الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة، وإياها يطلب، ولها يعمل؛ والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولها يسعى موقنا بثواب الله على سعيه، كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر، بأن بصرنا هذا رشده، وهديناه للسبيل التي هي أقوم، ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الحق، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ يقول: وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾: أي: في الدنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ وإن للمؤمنين في الجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمالهم، وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «**إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجةً كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في الرزق والعمل، فمن مقل ومكثرٍ. ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ أي: للمؤمنين، فالكافر وإن وسع عليه في الدنيا مرةً، وقتر على المؤمن مرةً فالآخرة لا تقسم إلا مرةً واحدةً بأعمالهم، فمن فاته شي منها لم يستدركه فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في الدنيا، فمنهم الغني والفقير وبين ذلك، والحسن والقبيح وبين ذلك، ومن يموت صغيرًا، ومن يعمر حتى يبقى شيخًا كبيرًا، وبين ذلك ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ أي: ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا؛ فإن منهم من يكون في

(٤٣٣) أحمر
أسود

الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن الجنة مائة درجةٍ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. وفي الصحيحين[1]: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ، كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ**»؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿ ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وفيما فضِّلوا فيه قولان:

أحدهما: الرزق، منهم مقلٌّ، ومنهم مُكثر.

والثاني: الرزق والعمل، فمنهم موفَّق لعمل صالح، ومنهم ممنوع من ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه.

فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده.

---

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٤٣٤) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: لا تعبد مع الله ﷻ إلهًا آخر ولا تعتقد ذلك فإنك إن فعلت كنت مذمومًا من خالقك ﷻ غاية الذم، ومذمومًا من ملائكته الكرام، ومن عباده وكذا من الدواب وسائر الخلائق، أما ﴿مَّخْذُولًا﴾ فمعناه: لا ناصر لك ينصرك، ولا وليًّا يتولاك.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموما: يقول: تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه وليّ ينصرك ويدفع عنك.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ يقول: مذموما في نعمة الله، وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب لنبيّ الله ﷺ، فهو معنيّ به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلّ وعزّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: والمراد المكلفون من الأمة، لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكًا ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ على إشراكك ﴿مَّخْذُولًا﴾ لأن الرب

(٤٣٥) أحمر
أسود

تعالى لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعًا؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ. وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِلْإِنْسَانِ. ﴿فَتَقْعُدَ﴾ أي: تَبْقَى. ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ لَا ناصر لك ولا وليًّا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحدا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته ورسله قد نهوا عن الشرك وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفا وأقبحهم نعتا.

وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به ولا أحد من الخلق ينفع أحدا إلا بإذن الله، كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده وأخلص دينه لله وتعلق به دون غيره فإنه محمود معان في جميع أحواله.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والمخذول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون. قال مقاتل: نزلت حين دعَوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه.

❁ ❁ ❁

(٤٣٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ
ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا
كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا
رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ
لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا
تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ
كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا
﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا
مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا
بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ
كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا
﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا
لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ
ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ
مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ

(٤٣٧) أحمر
أسود

تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ
أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ
وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ
مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا
مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[الإسراء: ٢٣-٣٩].

(٤٣٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ - وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا - يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ - أُفٍّ - وَلَا تَنْهَرْهُمَا - قَوْلًا كَرِيمًا - وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ - لِلْأَوَّٰبِينَ - غَفُورًا - ذَا ٱلْقُرْبَىٰ - وَلَا تُبَذِّرْ - تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ - ٱبْتِغَآءَ - رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ - قَوْلًا مَّيْسُورًا - مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ - وَلَا تَبْسُطْهَا - مَلُومًا - مَّحْسُورًا - يَبْسُطُ - وَيَقْدِرُ - خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ - خِطْـًٔا - فَٰحِشَةً - وَسَآءَ سَبِيلًا - لِوَلِيِّهِۦ - سُلْطَٰنًا - فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ - بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ - يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ - وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ - وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ - وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ - وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا - وَلَا تَقْفُ - وَٱلْفُؤَادَ - مَرَحًا - سَيِّئُهُۥ - مَكْرُوهًا - ٱلْحِكْمَةِ - مَلُومًا - مَّدْحُورًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾	أَمَرَ ربك ﷻ.
﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	وأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا تكرموهما إكرامًا وتلينوا الخطاب معهما تليينًا.
﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾	يكبران في السن ويتقدم بهما العمر.
﴿أُفٍّ﴾	كلمة تأفف وإظهار للأذى والضيق.
﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾	ولا تزجرهما.
﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾	قولًا لينًا حسنًا سهلًا جميلًا.
﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾	تواضع لهما وأطعهما في غير معصية الله رحمة بهما واحتسابًا للأجر والثواب من الله.

(٤٣٩) أحمر
أسود

﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾	للرجَّاعين إلى الله – للتائبين – للمستغفرين.
﴿غَفُورًا﴾	كثير المغفرة.
﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾	أولوا الأرحام، الأقرباء من ناحية الأم والأب.
﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾	ولا تنفق مالًا في غير حله وفي غير منفعة لا تنفق أكثر من المطلوب.
﴿تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾	تنصرف عنهم ولا تعطيهم.
﴿ٱبْتِغَآءَ﴾	طلب – انتظار.
﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾	رزق من ربك.
﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾	قولًا سهلًا لينًا.
﴿مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾	مربوطة إلى رقبتك، والمراد: لا تكن بخيلًا.
﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾	لا تمدها، أي: لا تنفق شيئًا في غير بابه، ولا تنفق ما هو فوق طاقتك.
﴿مَلُومًا﴾	يلومك العباد، بل ويلومك ربك وتلوم نفسك.
﴿مَّحْسُورًا﴾	متحسرًا على ضياع مالك، منقطعًا لعدم وجود شيء معك تنفقه.
﴿يَبْسُطُ﴾	يوسع في الرزق.
﴿وَيَقْدِرُ﴾	يضيق.
﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾	خوف فقر وإقتارٍ.
﴿خِطْـًٔا﴾	ذنبًا – إثمًا.

(٤٤٠) أحمر
أسود

﴿فَٰحِشَةً﴾	كبيرة مستفحشة لا يقرها الشرع ولا تقرها العقول السليمة.
﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾	ساء طريقًا (لكونه يوصل إلى النار).
﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾	لأولياء المقتول، وهم عصبته الأقرب فالأقرب.
﴿سُلۡطَٰنٗا﴾	تسلطًا.
﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾	فلا يتجاوز في القتل، لا يقتل غير القاتل، ولا يقتل اثنين بواحد ولا يُمثل بالمقتولين.
﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	بالطريقة التي هي أحسن الطرق.
﴿يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾	يبلغ الحُلم ويدرك ويفهم كيف يُدير ماله.
﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾	نفِّذوا الأشياء التي اتفقتم عليها وعاهدتم عليها.
﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾	وأتموا الكيل.
﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾	زينوا بالميزان المستقيم الحق الذي لا اعوجاج فيه.
﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾	أحسن عاقبة ومردًا (في الدنيا والآخرة).
﴿وَلَا تَقۡفُ﴾	ولا تقل – لا تقل رأيت وأنت لم تر وسمعت وأنت لم تسمع، ولا تقل على الله بغير علم، ولا ترم بالفاحشة وأنت لم تر.
﴿وَٱلۡفُؤَادَ﴾	القلب.
﴿مَرَحًاۖ﴾	مختالًا متكبرًا.
﴿سَيِّئُهُۥ﴾	السيئ منه.

(٤٤١) أحمر
أسود

﴿مَكْرُوهًا﴾	المراد محرمًا – يكرهه الله ﷻ.
﴿ٱلْحِكْمَةِ﴾	القرآن – السداد في القول والعمل.
﴿مَلُومًا﴾	يلومك العباد.
﴿مَّدْحُورًا﴾	مُبعدًا مطرودًا.

❁ ❁ ❁

(٤٤٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وأمر ربك ﷻ عباده ألا يعبدوا معه إلهًا آخر، إنما يعبدوه وحده لا شريك له، وأمرهم كذلك أن يُحسنوا إلى الوالدين إحسانًا، وهذا الإحسان يتضمن برهما وإكرامهما وحسن معاملتهما وطاعتهما في المعروف.

ثم إن الله ﷻ أمر بالإحسان إليهما أكثر وأكثر في حال بلوغهما الكبر أو بلوغ أحدهما الكبر، أي: عند تقدمهما في السن ومشارفتهما للموت، فقال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ لا تؤذيهما بأية كلمة حتى ولا بأقل الكلمات التي هي أف، وقيل: لا تتأفف أمامهما لرائحة كريهة صدرت منهما، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ولا تزجرهما بأي لفظٍ أو فعلٍ، بل ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ طيبًا حسنًا ليِّنًا سهلًا بتوقيرٍ وتعظيمٍ واحترامٍ وأدبٍ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ تواضع لهما وانكسر، وتذلل لهما واستكن أمامهما وألن جانبك لهما، ولا تخالفهما، ما لم تكن معصية لله، افعل ذلك بهما رحمة منك بهما واحتسابًا للأجر من الله ﷻ.

وادعو لهما بقولك: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ فقد ربياني صغيرًا وأحسنا إليَّ في صغري.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره.

(٤٤٣) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه، فهذا قضاء الله العاجل، وكان يُقال في بعض الحكمة: من أرضى والديه: أرض خالقه، ومن أسخط والديه، فقد أسخط ربه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين، فلما حذفت «أن» تعلق القضاء بالإحسان، كما يقال في الكلام: آمرك به خيرًا، وأوصيك به خيرًا، بمعنى: آمرك أن تفعل به خيرًا، ثم تحذف «أن» فيتعلق الأمر والوصية بالخبر، كما قال الشاعر:

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إِذْ تَشْكُونا ... ومِنْ أبي دَهْماءَ إِذْ يُوصِينا
خَيْرًا بها كأننا جافُونا

وعمل يوصينا في الخير.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذّى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك.

وأورد بسندين فيهما مقالٌ عن مجاهد ما حاصله أنه قال في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل

(٤٤٤) أحمر
أسود

لهما أف تقذّرهما.

ومن وجهٍ آخر: عن مجاهد إما يَبْلُغانَّ عِندك الكبر فلا تَقُل لهما أف حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيرا، ولا تؤذهما.

قال الطبري:

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أفّ»، فقال بعضهم: معناه:

كلّ ما غلظ من الكلام وقبُح. وقال آخرون: الأفّ: وسخ الأظفار والتف كلّ ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ يقول جلَّ ثناؤه ولا تزجرهما.

وأما قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ فإنه يقول جل ثناؤه، وقل لهما قولًا جميلًا حسنًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا.

وقال أيضًا:

وأما قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ فإنه يقول: ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل ربّ ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيرا، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما.

(٤٤٥) أحمر
أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له؛ فإن القضاء هاهنا بمعنى الأمر.

ثم قال:

ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحسانًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تسمعهما قولًا سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيحٌ، كما قال عطاء بن أبي رباحٍ في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تنفض يدك على والديك.

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: لينًا طيبًا حسنًا بتأدبٍ وتوقيرٍ وتعظيمٍ.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أي: في كبرهما وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

فأما معنى «أف» ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه وسخ الظفر، قاله الخليل.

والثاني: وسخ الأذن، قاله الأصمعي.

والثالث: قلامة الظفر، قاله ثعلب.

والرابع: أن «الأف» الاحتقار والاستصغار، من «الأَفف»، والأَفف عند

(٤٤٦) أحمر
أسود

العرب: القِلَّة، ذكره ابن الأنباري.

والخامس: أن «الأُفَّ» ما رفعته من الأرض من عود أو قصبة، حكاه ابن فارس اللغوي. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: معنى «الأف»: النَّتَن، والتضجر، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد، وللمكان تريد إماطة الأذى عنه، فقيلت لكل مستثقَل.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى الآية: لا تقل لهما كلامًا تتبرَّم فيه بهما إذا كَبِرَا وأَسَنَّا، فينبغي أن تتولَّى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تكلمهما ضَجِرًا صائحًا في وجوههما. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما، يقال: نَهَرْتُهُ أَنْهَرُهُ نَهْرًا، وانتهَرْتُه انتهارًا، بمعنى واحد. وقال ابن فارس: نهرتُ الرجُل وانتهرتُه، مثل: زجرتُه. قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكِبَر، وإن كان منهيًّا عنه على كلِّ حالة، لأن حالة الكِبَر يظهر فيها منهما ما يُضجِر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليِّنًا لطيفًا أحسن ما تجد. وقال سعيد بن المسيّب: قولَ العبد المذنِب للسَّيد الفظّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: ألِنْ لهما جانبك متذللًا لهما من رحمتك إياهما.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما نهى تعالى عن الشرك به أمر بالتوحيد فقال: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينيًّا وأمرًا شرعيًّا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أحدا من أهل الأرض والسماوات الأحياء والأموات.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال، وله

(٤٤٧) أحمر
أسود

من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة الدافع لجميع النقم الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور فهو المتفرد بذلك كله وغيره ليس له من ذلك شيء.

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف. ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف معهما بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما ذلا لهما ورحمة واحتسابا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتا، جزاء على تربيتهما إياك صغيرا.

وفهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية.

(٤٤٨) أحمر
أسود

الإحسان إلى الوالدين عند الكبر

س: اذكر شيئًا من الوارد في بر الوالدين خاصة عند كبرهما؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

وأخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

وها هم إخوة يوسف يتوسلون إليه بشيخوخة أبيهم وتقدمه في السن فيقولون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على فم غارهم صخرة فتوسلوا بصالح الأعمال حتى كشف الله عنهم وفرَّج الله عنهم ففيه أن أحدهم توسل إلى الله ﷻ بإحسانه إلى والديه الكبيرين، فقال: «اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ[2]، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي[3] ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ[4]، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ

---

(١) مسلم (٢٥٥١).

(٢) أرحت عليهم أي: رددت الماشية من المرعى إليهم، وإلى موضع مبيتهم.

(٣) نأى بي أي: ابتعد بي.

(٤) الحلاب هو: الإناء الذي يُحلب فيه.

(٤٤٩) أحمر
أسود

أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[1] عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ».

فائدة مأخوذة من قوله: «وَأَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا»:

ألا وهو أن هذا الرجل الصالح كره أن يسبب لوالديه أدنى إزعاج فمع أن إيقاظه لهما كي يشربا إلا أنه نظر في أنفع الأمرين لهما هل النوم آنذاك أنفع لهما أم الاستيقاظ والشرب؟ فرأى أن النوم أنفع لهما فتركهما نائمين.

فمن ثمَّ لا ينبغي لأحدٍ أن يقلق والديه ولا أن يُدخل عليهما من الأحزان ما لا يطيقان ولا يحتملان.

فماذا عساه أن يُفيد إخبار الوالدين بأمر محزن مُقلق وهما كبيران لا يستطيعان دفعًا لسوءٍ أو جلبًا لخير إلا بدعوة صالحة!!

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الدعاء للوالدين والحث على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾.

وقوله تعالى في شأن نوح عليه السلام ودعائه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا...﴾ [نوح: ٢٨].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

إلا أنه عليه السلام قال ذلك قبل أن يعلم أن أباه عدو لله وأنه سيموت على الكفر.

(١) يتضاغون أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٤٥٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ مع بيان وجه التذكير بها بعد الأمر بالإحسان إلى الوالدين؟

ج: المعنى – والله أعلم –: ربكم يا بني آدم أعلم بما أضمرتموه من نفوسكم من خيرٍ أو شرٍّ فإن تكونوا صالحين وصدرت منكم أخطاء فاستغفروا الله فإنه كان للمستغفرين وللرجَّاعين إليه غفورًا.

أما وجه التذكير بها عقب الأمر بالإحسان إلى الوالدين فمؤداه أن العبد الصالح لا ينفك عن بشريته، ولا يكاد ينفك أيضًا عن كثير مما يقع فيه بنو آدم، فقد يخطئ والده على الكبر أو تخطئ والدته على الكبر لضعف عقولهما عند ذلك، أو قد يصدر من والديه أو أحدهما تصرف لا يرضيه فيخطئ ويسيء إليهما بقولٍ أو بفعلٍ، فإذا كان ذلك، وربّه يعلم أنه صالح ولكن زلت قدمه، ففتح له باب التوبة كي يرجع، وباب الإنابة كي ينيب، فقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ أي: للرجاعين عن ذنوبهم وللمستغفرين من خطاياهم وللرجاعين إلى الحق والصواب، كان لهم ربنا ﷻ ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ غفورًا لذنوبهم ولأخطائهم وزلاتهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿رَّبُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبرّ بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضمائر صدوركم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على حَسَن ذلك وسيِّئه، فاحذروا أن تُضمروا لهم سوءا، وتعقِدوا لهم عقوقا. وقوله: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ يقول:

(٤٥١) أحمر
أسود

إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه، فإنه كان للأوّابين بعد الزَّلة، والتائبين بعد الهَفْوة غفورًا لهم.

قال الطبري:

واختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ۝٢٥﴾ فقال بعضهم: هم المسبِّحون.

وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون.

وأورد بسندٍ يصح عن قتادة قال: هم المطيعون، وأهل الصلاة.

وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء.

وقال آخرون: هم الذين يصلُّون الضُّحَى.

وقال آخرون: بل هو الراجع من ذنبه، التائب منه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب قال: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يُذنب ثم يتوب.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن جبير قال: الراجعين إلى الخير.

وبإسنادٍ صحيح عن مجاهد قال: الأواب: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

ونحوه بإسنادٍ صحيح عن عبيد بن عمير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال : الأوّاب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأوّاب إنما هو فعَّال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى

(٤٥٢) أحمر
أسود

منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عَبيد بن الأبرص:

وكُـــــلُّ ذِي غَيْبَـــــةٍ يَئُـــــوبُ وغائِـــــبُ المَـــــوْتِ لا يَئُـــــوبُ

فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأوّاب من ذنوبه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ أي: من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما، أو من غير ذلك من العقوق، أو من جعل ظاهر برهما رياءً. وقال ابن جبيرٍ: يريد البادرة التي تبدر، كالفلتة والزلة، تكون من الرجل إلى أبويه أو أحدهما، لا يريد بذلك بأسًا، قال الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: صادقين في نية البر بالوالدين فإن الله يغفر البادرة. وقوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ وعد بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

وقال:

وحقيقة اللفظ من آب يؤوب إذا رجع.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وما فيها من الخير والشر.

﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ بأن تكون إرادتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله ورغبتكم فيما يقربكم إليه وليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله.

﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ فمن اطلع الله على قلبه وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه ومحبته ومحبة ما يقرب إليه فإنه وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبائع البشرية

(٤٥٣) أحمر
أسود

فإن الله يعفو عنه ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة.

وقال ابن عطية في تفسيره:

وفسر الجمهور (الأوابين) بالرجاعين إلى الخير.

❁ ❁ ❁

المراد بـ(ذي القربى)

س: في قوله تعالى: ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قولان: بيّنهما مع توضيح الراجع منهما.

ج: أما القول الأول، والذي عليه الجمهور أنهم أقرباء الشخص من ناحية الأب والأم.

أما القول الثاني فالمراد بهم قرابة رسول الله ﷺ إذ النبي ﷺ أوصى بهم قائلًا: «أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» والأظهر - والله أعلم- أن المراد بذوي القربى في الآية الكريمة أقرباء الشخص من ناحية أبيه وأمه فبعد أن أوصى الله ﷻ بالوالدين أوصى جلَّ ذكره بالأرحام. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٥٤) أحمر
أسود

الاقتصاد في العطاء والإنفاق

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأعط أيها المسلم، يا عبد الله أرحامك حقوقهم من البر والإكرام والصلة وغير ذلك من الحقوق التي تعارف الناس عليها، وكذلك فأعط المسكين أيضًا حقه، والمسكين هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يتفطن له فيتصدق عليه.

وكذا فالمسكين هو الذي دخله لا يكفيه، أعطه حقه، فله حق في الزكاة، وإن كان بإمكانك إكرامه فأكرمه، وكذا أعط ابن السبيل، وهو المسافر الذي انقطعت به النفقة فلا يستطيع الوصول إلى أهله أعطه حقه، كي يصل إلى بلده، ثم هو من مصارف الزكاة، ولا تبذر في العطاء تبذيرًا، بل كن متوسطًا فيه لست بالبخيل الممسك، ولست بالمنفق المبذر، لا تبذر تبذيرًا شديدًا، والمبذر هو من ينفق المال في غير حقه، وإن كان قليلًا، أما إذا كان في محله، ولو كان كثيرًا، فليس بتبذير، فالعبرة بوضع الشيء في محله وعلى قدر الحاجة إليه.

لا تبذر فإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين في التبذير والسفه، فالشيطان أمرهم بذلك السَّفه والتبذير فأطاعوه واتبعوا سبيله وأنفقوا المال في غير موضعه، وكان الشيطان لربه كفورًا جحودًا لنعم الله غير شاكر لها، فاحذروا خطواته، وكونوا أنتم شاكرين لنعم الله مُثنين بها على الله ﷻ.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي: عن هؤلاء المذكورين فلم تُعطهم لعلةٍ من العلل، التي منها قلة ما في اليد وانتظارًا لرزق الله ﷻ فبدل العطاء

(٤٥٥) أحمر
أسود

المالي بقولٍ طيب سهلٍ ميسور حسن، قل لهم إذا وسَّع الله عليَّ سأعطيكم، إذا وسع الله علي سآتيكم إلى بيوتكم إن شاء الله، اعذروني إن شاء الله يرزقنا الله وإياكم عن قريب.

وبمثل هذه المقولات الطيبة.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال بعضهم: عَنى به: قرابة الميت من قِبَل أبيه وأمه. أمر الله جلّ ثناؤه عباده بصلتها.

وقال آخرون: بل عنى به قرابة رسول الله ﷺ.

وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ عَقَّب ذلك عقيب حَضّه عباده على برّ الآباء والأمَّهات، فالواجب أن يكون ذلك حَضًّا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر، وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرّك به، والعطف عليه، وخرج ذلك مَخْرج الخطاب لنبيّ الله ﷺ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدلّ على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جلّ ثناؤه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فوجَّه الخطاب بقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلى نبيّ الله ﷺ، ثم قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ إلى إفراده به. والمعنيّ بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ، أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده، أو عمّ به هو وجميع أمته.

(٤٥٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾ وهو الذلَّة من أهل الحاجة. وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: المسافر المنقطع به، يقول تعالى: وصِل قرابتك، فأعطه حقه من صلتك إياه، والمسكين ذا الحاجة، والمجتاز بك المنقطع به، فأعنه، وقوّه على قطع سفره. وقد قيل: إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام.

والقول الأوّل عندي أولى بالصواب، لأن الله تعالى لم يُخصصْ من حقوقه شيئًا دون شيء في كتابه، ولا على لسان رسوله، فذلك عامّ في كلّ حق له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو مَعُونة على سفره.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ يقول: ولا تفرّق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقا. وأصل التبذير: التفريق في السّرَف؛ ومنه قول الشاعر:

أُنـاسٌ أجارُونـا فكـانَ جِـوَارُهُمْ أعاصِـيرَ مِـنْ فِسْـقِ العِـرَاقِ المُبَـذَّرِ

وأورد من وجوهٍ متعددة بأسانيد صحيحة عن أبي العبيدين، قال: قال عبد الله[1] في قوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ قال: التبذير في غير الحقّ، وهو الإسراف.

وفي رواية سئل عبد الله عن المبذر فقال: الإنفاق في غير حقٍّ.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير حق، وفي الفساد.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: بدأ بالوالدين قبل هذا، فلما فرغ من الوالدين وحقهما، ذكر هؤلاء وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾: لا تعطِ في معاصي الله.

(١) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤٥٧) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين، وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودًا لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذّرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصُونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خوّلهموها ﷻ سنته من ترك الشكر عليها، وتلقِّيها بالكُفران.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولًا ميسورًا: يقول: ولكن عدهم وعدًا جميلًا بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾.

[الضحى: ١٠]

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ قال: انتظار الرزق ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ قال: لينا تَعِدُهم.

وأورد عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ انتظار الرزق.

(٤٥٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى بِرَّ الْوَالِدَيْنِ، عَطَفَ بِذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْقَرَابَةِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: «أُمَّكَ وَأَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» وَفِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ»(١).

وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ لما أمر بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه، بل يكون وسطا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

ثم قال: منفرا عن التبذير والسرف: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: أشباههم في ذلك.

وقال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق. وكذا قال ابن عباس.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جحودًا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: وإذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء، وأعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: عدهم وعدا بسهولة، ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله، هكذا فسر قوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ بالوعد: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة وغير واحد.

---

(١) مسلم (٢٥٤٨).

(٢) البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤٥٩) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أي: كما راعيت حق الوالدين فصل الرحم، ثم تصدق على المسكين وابن السبيل. وقال علي بن الحسين في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: هم قرابة النبي ﷺ، أمر ﷺ بإعطائهم حقوقهم من بيت المال، أي: من سهم ذوي القربى من الغزو والغنيمة، ويكون خطابًا للولاة أو من قام مقامهم. والحق في هذه الآية ما يتعين من صلة الرحم، وسد الخلة، والمواساة عند الحاجة بالمال، والمعونة بكل وجه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ أي: لا تسرف في الإنفاق في غير حق. قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والتبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير. وهذا قول الجمهور. وقال أشهب عن مالك: التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف، وهو حرام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وقوله: ﴿إِخْوَٰنَ﴾ يعني: أنهم في حكمهم، إذ المبذر ساع في إفساد كالشياطين، أو أنهم يفعلون ما تسول لهم أنفسهم، أو أنهم يقرنون بهم غدًا في النار، ثلاثة أقوال. والإخوان هنا جمع أخ من غير النسب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: احذروا متابعته والتشبه به في الفساد. والشيطان اسم الجنس. وقرأ الضحاك «إخوان الشيطان» على الانفراد، وكذلك ثبت في مصحف أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال القرطبي:

من أنفق ماله في الشهوات زائدة على قدر الحاجات وعرضه بذلك للنفاد فهو مبذر. ومن أنفق ربح ماله في شهواته وحفظ الأصل أو الرقبة فليس بمبذر.

(٤٦٠) أحمر
أسود

ومن أنفق درهما في حرام فهو مبذر، ويحجر عليه في نفقته الدرهم في الحرام، ولا يحجر عليه إن بذله في الشهوات إلا إذا خيف عليه النفاد.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من البر والإكرام الواجب والمسنون وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال والأقارب والحاجة وعدمها والأزمنة.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ آته حقه من الزكاة ومن غيرها لتزول مسكنته ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهو الغريب المنقطع به عن بلده، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ فيعطي الجميع من المال على وجه لا يضر المعطي ولا يكون زائدًا على المقدار اللائق فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه وأخبر:

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال هنا: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ كناية عن شدة الإمساك والبخل.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي.

﴿فَتَقْعُدَ﴾ إن فعلت ذلك ﴿مَلُومًا﴾ أي: تلام على ما فعلت ﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء.

وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردًّا جميلًا فقال:

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر.

(٤٦١) أحمر
أسود

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: لطيفًا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وهذا أيضًا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولا تجعل يدك مربوطة إلى رقبتك، والمراد ولا تمنع يدك من العطاء بُخلًا وإمساكًا كالمقيد الذي قُيِّدت يده برقبته، وكذا لا تمد يدك بالعطاء مدًّا واسعًا، فتقعد إذا أنفقت ما عندك ملومًا يلومك العباد على أنك لا شيء معك وتلوم نفسك على فقرك ويعوزك، ويلومك أقوامٌ لم تعطهم، ولم يعد بإمكانك إعطاؤهم وكذا محسورًا، لا تجد ما تعطي ولا ما تنفق.

ثم أخبر الله ﷻ أن الله ﷻ لو شاء أن يوسع على العباد لوسع عليهم فإنه ﷻ يوسع على من يشاء في العطاء، ويضّيق على من يشاء، فالزم أنت الاقتصاد والتوسط فيما أعطاك الله، فربنا بالعبادة خبيرٌ بأموالهم بصيرٌ بها ولو شاء لأعطى الخلق ما يريد.

(٤٦٢) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلًا عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئًا إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطية كلّ البسط، فتَبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئًا تعطيه سائلك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسورًا: يقول: مَعِيبًا، قد انقُطِع بك، لا شيء عندك تنفقه.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن، في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ قال: لا تجعلها مغلولة عن النفقة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: تبذر بسرف.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي: لا تمسكها عن طاعة الله، ولا عن حقه ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ يقول: لا تنفقها في معصية الله، ولا فيما يصلح لك، ولا ينبغي لك، وهو الإسراف، قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ قال: ملوما في عباد الله، محسورًا على ما سلف من دهره وفرّط.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ قال: مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطية ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ في الحق والباطل، فينفَذ ما معك، وما في يديك، فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك، فيلومك

(٤٦٣) أحمر
أسود

حين أعطيت هؤلاء، ولم تعطهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء، يقول: ويُقَتِّر على من يشاء منهم، فيضيِّق عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه ﴿بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم، يقول: فانته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه، وفيمن تبسطها له، ومن كفها عمن تكفها عنه، وتكفها فيه، فنحن أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع، فقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ ﴾ قال: يقدر: يقلّ، وكل شيء في القرآن يَقْدِر كذلك؛ ثم أخبر عباده أنه لا يرزَؤُه ولا يئُوده أن لو بسط عليهم، ولكن نظرا لهم منه، فقال: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]، قال: والعرب إذا كان الخصب وبُسِط عليهم أُشِروا، وقتل بعضهم بعضًا، وجاء الفساد، فإذا كان السنة شُغِلوا عن ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامًّا للبخل ناهيًا عن السرف: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي: لا تكن بخيلًا منوعًا، لا تعطي أحدًا شيئًا، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ ﴾ [المائدة: ٦٤] أي نسبوه إلى البخل، تعالى وتقدس الكريم الوهاب.

(٤٦٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملومًا محسورًا.

وهذا من باب اللف والنشر أي: فتقعد إن بخلت ملومًا، يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

ومن كان ذا مال ويبخل بماله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهو: الدابة التي قد عجزت عن السير، فوقفت ضعفًا وعجزًا فإنها تسمى الحسير، وهو مأخوذ من الكلال، كما قال تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٣، ٤] أي: كليل عن أن يرى عيبًا. هكذا فسر هذه الآية -بأن المراد هنا البخل والسرف -ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1]؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثَدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا. فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَت -أَوْ: وَفَرَتْ -عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخفي بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ. وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ».

وكذا أورد حديث[2] أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْفِقِي هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوكِي فَيُوكِيَ اللهُ عَلَيْكِ» وَفِي لَفْظٍ: «وَلَا تُحصي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ».

---

(١) البخاري (١٤٤٣)، ومسلم (١٠٢١).
(٢) البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (١٠٢٩).

(٤٦٥) أحمر
أسود

قال ابن كثير:

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] مِنْ طَرِيقِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[٢] مِنْ طَرِيقِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

وَرَوَى مُسْلِمٌ[٣]، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ».

ثم قال ابن كثير:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ٣٠﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر.

وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عياذا بالله من هذا وهذا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩﴾ قال ابن عرفة: يقول لا تسرف ولا

(١) مسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٣) مسلم (٢٥٨٨).

(٤٦٦) أحمر
أسود

تتلف مالك فتبقى محسورًا منقطعًا عن النفقة والتصرف، كما يكون البعير الحسير، وهو الذي ذهبت قوته فلا انبعاث به، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٤] أي كليل منقطع. وقال قتادة: أي نادما على ما سلف منك، فجعله من الحسرة، وفيه بعد، لأن الفاعل من الحسرة حسر وحسران ولا يقال محسور. والملوم: الذي يلام على إتلاف ماله، أو يلومه من لا يعطيه.

❁ ❁ ❁

(٤٦٧) أحمر
أسود

التحذير من قتل الأبناء

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولا تقتلوا أولادكم خوف الفقر، فإن الرزاق الذي يرزقهم ويرزقكم هو الله ﷻ، لا تقتلوهم كما كان أهل الجاهلية يفعلون فقد كان يقتلون الأبناء والبنات خشية الفقر وعدم القدرة على الإنفاق عليهم، ومن ثمَّ جاء النهي عن قتلهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي: ذنبًا عظيمًا وإثمًا كبيرًا، وقد قال النبي ﷺ، وقد سئل أي الذنب أعظم، قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»، قال: ثم أي، قال: «**أن تقتل ولدكَ خشية أن يطعم معك**»، وسيأتي إن شاء الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فموضع تقتلوا نصب عطفًا على ألا تعبدوا.

ويعني بقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ خوف إقتار وفقر، وإنما قال جلّ ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: أي خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

(٤٦٨) أحمر
أسود

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته؛ فقرأته عامَّة قراء أهل المدينة والعراق ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ بكسر الخاء من الخطإ وسكون الطاء، وإذا قرئ ذلك كذلك، كان له وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون اسما من قول القائل: خَطِئت فأنا أَخْطَأ، بمعنى: أذنبت وأثمت. ويُحكى عن العرب: خَطِئتُ: إذا أذنبتَ عمدا، وأخطأت: إذا وقع منك الذنب خَطَأً على غير عمد منك له. والثاني: أن يكون بمعنى خَطَأ بفتح الخاء والطاء، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء، كما قيل: قِتْب وقتب وحِذَر، ونجِس ونَجَس. والخطء بالكسر اسم، والخطأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم: خَطِئ الرجل؛ وقد يكون اسما من قولهم: أخطأ. فأما المصدر منه فالإخطاء.... وأورد أقوالًا.

ثم قال:

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب، القراءة التي عليها قراء أهل العراق، وعامة أهل الحجاز، لإجماع الحجة من القراء عليها، وشذوذ ما عداها. وإن معنى ذلك كان إثما وخطيئة، لا خَطَأً من الفعل، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدًا لا خطأ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم، وتقدم إليهم بالنهي عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه ينهى تعالى عن قتل الأولاد، كما أوصى بالأولاد في الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته، فنهى الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: خوف أن

(٤٦٩) أحمر
أسود

تفتقروا في ثاني الحال؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وفي الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] أي: من فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي: ذنبًا عظيمًا.

وقرأ بعضهم: «كان خطأ كبيرا» وهو بمعناه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**».

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمته بعباده حيث كان أرحم بهم من والديهم، فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع.

وأخبر أن قتلهم كان خطأ كبيرًا أي: من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب والعقوق العظيم والتجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يجر منهم ذنبًا ولا معصية.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) (١٤١).

(٤٧٠) أحمر
أسود

مبحث في التحذير من الاقتراب من الزنا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولا تقتربوا من الزنا، وهذا النهي عن الاقتراب منه يقتضي عدم فعل أي شيء يقرب منه، وسيأتي بيانه إن شاء الله، لا تقربوا الزنا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أمرًا مستفحشًا ترفضه الشرائع والعقول وتأباه الفطر الصحيحة لما تضمنه من التعدي على حرمات الله ﷻ، ولما تضمنه من انتهاك لحرمات البشر واختلاط للأنساب وغير ذلك.

أما قوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: وبئس هذا الطريق طريق الزنا الذي هو اتباع لخطوات الشياطين، بئس هذا الطريق الموصل إلى سخط الله ﷻ وعذابه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضًا أن ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾ أيها الناس ﴿ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ يقول: إن الزّنا كان فاحشة ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ يقول: وساء طريق الزنا طريقًا، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوئ به طريقًا يورد صاحبه نار جهنم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: ذنبًا عظيمًا ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: وبئس طريقا ومسلكا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال العلماء: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ﴾ أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنى.

(٤٧١) أحمر
أسود

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والنهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: «**من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**» خصوصًا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: إثمًا يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد.

وقوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

❁ ❁ ❁

(٤٧٢) أحمر
أسود

مبحث في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾

س: لخطورة هذه الفاحشة، فاحشة الزنا فقد سُدَّت كل السبل الموصلة إليها، وضح ذلك.

ج: نعم قد سُدَّت كل السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، وأُغلقت كل الأبواب المؤدية إليها، فمن هذه السبر الموصلة إليها والتي مُنعنا منها: النظر إلى ما حرمه الله علينا، وكذلك الاستماع للغناء الفاحش والمعازف والخلوة المحرمة والخضوع بالقول، والتبرج والسفور والاختلاط والسفر بلا محرم، والتزين لغير المحارم، والضرب بالأرجل لإظهار ما خفى من الزينة، ومصافحة من ليست بمحرمٍ من النساء، والتطيب عند الخروج، إلى غير ذلك مما يُودي إلى هذه الفاحشة المنكرة.

وجاءت أوامر أخرى للصد عن هذه الفاحشة الكبرى، فجاءت الأوامر بتقوى الله ﷻ، ومراقبته في السر والعلن، وجاء في غير موطن من كتاب الله التذكير بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وجاء التذكير كذلك بأن الله يسمع ويرى، وبأنه سبحانه معنا أينما كنا، وكذلك فقد جاء التذكير مرارًا وتكرارًا بأن علينا حافظين كرامًا كاتبين، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾. [الطارق: ٤]

وقد قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ

(٤٧٣) أحمر
أسود

هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦].

إلى غير ذلك من النصوص الحاثة على مراقبة الله ﷻ والمذكِّرة بتقواه، والمحذرة من اليوم الآخر وما فيه.

وجاءت أوامر أُخر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ للصرف عن هذه الفاحشة.

فقال الله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾.

[الأحزاب: ٣٣]

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾.

[النور: ٣٣]

وأمر الله تعالى بالاستئذان داخل البيوت وخارجها.

وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١).

وأمر النبي ﷺ بالتفريق بين الأبناء في المضاجع(٢).

وجاءت نصوص من الكتاب والسنة تحذر من مجالسة أصدقاء السوء الذين يجرون الناس إلى الفواحش ويزينونها لهم، وكذلك نصوص تحذر من الجلوس في أماكن اللهو والباطل والسفر إلى بلاد الكفر، حيث لا داعي

---

(١) حديث: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ» صحيح أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (حديث ١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) حسن بمجموع طرقه، أخرجه أبو داود (حديث ٤٩٥) ولفظه: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِين وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

(٤٧٤) أحمر
أسود

للسفر، ولا حاجة إليه إلى غير ذلك من السبل الواقية من هذه الجريمة النكراء.

وها نحن نبين ذلك بشيء من التفصيل، والله المستعان، والمحفوظ من حفظه الله تعالى، والمعصوم من عصمه الله.

غض البصر

لما كان النظر من أعظم السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، وكانت النظرة سهمًا مسمومًا يفتك بالقلوب[1]، ويجر إلى المعاصي والآثام، جاءت الأوامر بغض البصر ومنعه من الاسترسال وها هو بعض الوارد في ذلك:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وبيَّن الله سبحانه وتعالى أن الإنسان مسئول عن نظره وبصره، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومنع النبي ﷺ من الجلوس في الطرقات، وذلك الجلوس المفضي إلى النظر المحرم، فقال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَى المَجَالِسِ**[2]، **فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ**

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣-٣١٤) بإسناد فيه ضعف، عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ النَّظرة سَهم من سِهامِ إبليس مَسموم، مَن تَركَها مَخافتِي أبدلته إيمانًا يَجِدُ حَلاوته في قلبه**».
وله طرق أخرى ضعيفة أيضًا عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢١٤) برقم (١٠٣٦٢) من حديث ابن مسعود، وفيها وفي التي قبلها – أعني في حديث ابن مسعود وحديث حذيفة- عبد الرحمن بن إسحاق، وهو ضعيف، وقد اختلف عليه أيضًا.

(٢) في رواية: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ**».

(٤٧٥) أحمر
أسود

السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»[١].

وفي صحيح مسلم من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»[٢].

وقد شرع الاستئذان فمن أجل ألا ينظر أحد إلى عورة أحد، ولا إلى ما يسيء إلى أحد، ورخص النبي ﷺ في فقء عين من ينظر إلى عورات الناس في بيوتهم بغير إذن، وهذه بعض النصوص في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ».

وفي رواية لمسلم: «مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ»[٤].

وفي الصحيحين من حديث سَهْل بْن سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ فِي جُحْرٍ فِي بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنَيْكَ». وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ»[٥].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد بإسنادٍ حسن من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «إذَا دَخَلَ البصر فَلَا إذن»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).
(٢) مسلم (حديث ٢١٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٠٢)، ومسلم (صـ ١٦٩٩).
(٤) مسلم (حديث ٢١٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.
(٥) البخاري (حديث ٦٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٥٧).
(٦) البخاري في الأدب المفرد (١٠٨٩) (٢/ ٥٢٣).

(٤٧٦) أحمر
أسود

ولعلمائنا الأوائل
– رحمهم الله تعالى – كلام طويل في هذا الباب

نجتزئ منه بشيء من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى:

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –[1]:

فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به.

فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضّ بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه**»[2]. أو كما قال ﷺ.

فالحوادث العظام إنما هي كلها من فضول النظر. فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة؟ كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر؟

وقال آخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كلّه أنت قادر ... عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي:

وأنا الذي جلب المنية طرفه ... فمن المطالب، والقتيل القاتل؟

---

(١) التفسير القيم.

(٢) إسناده ضعيف، وقد تقدم.

(٤٧٧) أحمر
أسود

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ولي من أبيات[1]:

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدا ... أنت القتيل بما ترمي، فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقّه، إنه يرتد بالعطف
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب؟

والنظر الممنوع، ليس إلى النساء فحسب، بل إلى كل ما يجر إلى منكر وشر وفساد، فيدخل في ذلك النظر إلى المردان من الصبيان، إذا كان هذا يجر إلى شر وفساد، فلا يليق بشخص فاضل أن يديم النظر إلى صبي أمرد، ويصطحبه هنا وهناك، ويعبث به، فهذا حرامٌ، ويؤدي إلى الحرام كذلك.

ويدخل في ذلك النظر إلى صور النساء، سواء في الكتب أو المجلات والجرائد، وكذلك النظر إلى صور النساء في أجهزة الإعلام كالتليفزيون ونحوه، وكذلك الفيديوهات وشبكات الإنترنيت وما بها من مواقع فاسدة ومفسدة، وناشرة للرذيلة ومروجة للدعارة والبغاء.

وكذلك فلتُتقى متابعة مسلسلات الحب والعشق التي تجر إلى الشر والفساد.

---

(١) سبحان الله ما أجمل هذه الأبيات وما أروعها جزى الله قائلها خير الجزاء.

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدًا ... أنت القتيل بما ترمى فلا تصب

سبحان الله، فيا من وجهت سهام بصرك إلى المحرم، يا من رأيت فتاة أو امرأة حسناء فركزت البصر وحددت النظر وصوبته إليه، انتبه، اتق الله، اصرف بصرك، غض طرفك، اعلم أن الله يراك، واعلم تمام العلم وأيقن تمام اليقين أنك إذا سددت النظرة إليها فإنك إنما تسدد سهمًا على قلبك، فإذا أصابت نظرتك هدفها فقد أصاب سهم في قلبك، فاتق الله ولا تهلك نفسك، لا تدمر قلبك لا تركز البصر، اصرفه، استغفر لذنبك، وإلا أُصبت، أصبت في أعز ما تملك، وفي أغلى ما تملك، أُصبت في قلبك، عافاك الله من كل مكروه وقبيح.

(٤٧٨) أحمر
أسود

وكذلك الأفلام المنحطة الهابطة، تلك التي تدور على الحب والعشق والبغاء، وتنشر الشر والفساد، فالله لا يحب الفساد.

ويا أسفًا على شاب متسكع في الطرقات ينظر على الرائحات والغاديات.

يا اسفًا عليه، وهو يتسكع عند محل تصوير ينظر إلى صور النساء كاشفات الشعور والسيقان والأعناق، تلك الصور التي وضعها صاحب المحل الذي لا يكاد يؤمن بالله واليوم الآخر.

يا أسفًا على شاب آخر يمشي إلى محلات تبيع ثياب النساء فيتغزل في ملابس النساء.

فحقًّا إنها أفكار هابطة، وتصرفات ساقطة.

وليتق الله أصحاب مثل هذه المحلات الذين يبالغون في الإغراء والإغواء، من أجل متاع قليل زائل وفانٍ، وإني لأعجب من أبٍ ورب أسرةٍ يطيب خاطره أن يجلس هو وزوجته وأبناؤه وبناته أمام التليفزيون؛ حيث فيلم قد حوى منكرات، حيث فيلم فيه رجل يقبل امرأة، حيث فيلم فيه رجل يحتضن امرأة، أعجب غاية العجب؛ لانعدام غيرته، وقلة شهامته، وانحراف مروءته حيث يسمح لابنه ولابنته أمام عينيه أن ينظروا إلى هذه المناظر القبيحة، ويزداد العجب، كيف يسمح لامرأته أن تنظر إلى رجل يعبث بامرأة؟

إن من أهل العلم من قال: إن المرأة تُثار وتهيج شهوتها إذا رأت فرسًا ينزو على أنثى الخيل، فكيف بها إذا رأت شابًّا يعلو فتاةً؟ وكيف بالفتاة المشاهدة لهذه المناظر القبيحة هي الأخرى، وكيف بأخيها الذي يشاهد هذه المناظر معها؟ وكيف بهما معًا إذا اجتمعا ورأيا هذه المناظر، وتلك القبائح في غياب والديهما مع قلة الإيمان والورع، ومع التبرج والتعري والتكشُّف، ومع الفحولة والأنوثة كذلك؟!!

(٤٧٩) أحمر
أسود

منع الخلوة المحرمة

فالخلوة من أكبر المساعدات على الفاحشة، والشيطان يجتهد أثناء الخلوة المحرمة غاية الاجتهاد، لإيقاع الناس في الفاحشة، ويُزين ذلك أيما تزيين.

ولذلك جاءت النصوص عن نبينا محمد الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، والمبعوث رحمة للعالمين، جاءت النصوص عنه تحذر، بل وتمنع الخلوة بغير الزوجة والمحارم من النساء.

وها هي بعض هذه النصوص الواردة في ذلك:

من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»[(٢)] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم (٥/ ١٦).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (٥/ ١٦): «في هذا الحديث والأحاديث التي بعده تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها، وهذان الأمران مجمع عليهما».

(٣) أخرج مسلم (٥/ ١٧) بسنده الصحيح إلى الليث بن سعد أنه قال: الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن الْعَمِّ وَنَحْوُهُ.

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وبن أخيه وابن عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ وَالْأُخْتَانِ أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ وَالْأَصْهَارُ يَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ.

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**» (فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الأجنبى، والمراد بالحمو هنا أَقَارِبُ الزَّوْجِ غَيْرُ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ، فَأَمَّا الْآبَاءُ والأبناء فمحارم لزوجته، تجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الْأَخِ وَالْعَمُّ وَابْنُهُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنَ الأجنبي، لما ذكرناه، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ صَوَابُ مَعْنَى الْحَدِيثِ. والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أقوالًا أخر في الحمو، انظر: «الفتح» (٩/ ٣٣١). =

(٤٨٠) أحمر
أسود

ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[٢] فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**».

ومنها ما أخرجه الإمام أحمد[٣] في «مسنده» من حديث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «..**لا يَخْلُوَنَّ رَجُل بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**».

= وذكر في معنى قَوْلُهُ عليه السلام: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**» عدة أقوال فقال: «قِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ الْخَلْوَةَ بِالْحَمْوِ قَدْ تُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِ الدِّينِ إِنْ وَقَعَتِ الْمَعْصِيَةُ أَوْ إِلَى الْمَوْتِ إِنْ وَقَعَتِ الْمَعْصِيَةُ وَوَجَبَ الرَّجْمُ أَوْ إِلَى هَلَاكِ الْمَرْأَةِ بِفِرَاقِ زَوْجِهَا إِذَا حَمَلَتْهُ الْغَيْرَةُ عَلَى تَطْلِيقِهَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ الْقُرْطُبِيُّ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: الْمَعْنَى أَنَّ خَلْوَةَ الرجل بِامْرَأَة أَخِيه أَو بن أَخِيهِ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْمَوْتِ وَالْعَرَبُ تَصِفُ الشَّيْءَ الْمَكْرُوه بِالْمَوْتِ، قَالَ ابن الْأَعْرَابِيِّ: هِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ مَثَلًا كَمَا تَقُولُ: الْأَسَدُ الْمَوْتُ، أَيْ لِقَاؤُهُ فِيهِ الْمَوْتُ، وَالْمَعْنَى: احْذَرُوهُ كَمَا تَحْذَرُونَ الْمَوْتَ.

وذكر الحافظ أقوالًا ثم قال: وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْمُفْهِمِ»: الْمَعْنَى أَنَّ دُخُولَ قَرِيبِ الزَّوْجِ عَلَى امْرَأَةِ الزَّوْجِ يُشْبِهُ الْمَوْتَ فِي الِاسْتِقْبَاحِ وَالْمَفْسَدَةِ أَيْ فَهُوَ مُحَرَّمٌ مَعْلُومُ التَّحْرِيمِ وَإِنَّمَا بَالَغَ فِي الزَّجْرِ عَنْهُ وَشَبَّهَهُ بِالْمَوْتِ لِتَسَامُحِ النَّاسِ بِهِ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ لِإِلْفِهِمْ بِذَلِكَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمَرْأَةِ فَخَرَّجَ هَذَا مَخْرَجَ قَوْلِ الْعَرَبِ: الْأَسَدُ الْمَوْتُ وَالْحَرْبُ الْمَوْتُ أَيْ لِقَاؤُهُ يُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ وَكَذَلِكَ دُخُولُهُ عَلَى الْمَرْأَةِ قَدْ يُفْضِي إِلَى مَوْتِ الدِّينِ أَوْ إِلَى مَوْتِهَا بِطَلَاقِهَا عِنْدَ غَيْرَةِ الزَّوْجِ أَوْ إِلَى الرَّجْمِ إِنْ وَقَعَتِ الْفَاحِشَةُ..» إلخ.

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٠)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) قال النووي رحمه الله (٥/ ١٦): «وَالْمَحْرَمَ هُوَ كُلُّ مَنْ حَرُمَ عَلَيْهِ نِكَاحُهَا عَلَى التَّأْبِيدِ لِسَبَبٍ مُبَاحٍ لِحُرْمَتِهَا، فَقَوْلُنَا: (عَلَى التَّأْبِيدِ) احْتِرَازٌ مِنْ أُخْتِ امْرَأَتِهِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا وَنَحْوِهِنَّ وَمِنْ بِنْتِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ بِالْأُمِّ وَقَوْلنَا: (لِسَبَبٍ مُبَاحٍ) احْتِرَازٌ مِنْ أُمِّ الْمَوْطُوءَةِ بِشُبْهَةٍ وَبِنْتِهَا فإنه حرام على التأبيد لكن لا لسبب مباح فإن وطء الشبهة لايوصف بِأَنَّهُ مُبَاحٌ وَلَا مُحَرَّمٌ وَلَا بِغَيْرِهِمَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الْخَمْسَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِعْلَ مُكَلَّفٍ وَقَوْلنَا: (لِحُرْمَتِهَا) احْتِرَازٌ مِنَ الْمُلَاعَنَةِ فَهِيَ حَرَامٌ على التأبيد لالحرمتها بَلْ تَغْلِيظًا عَلَيْهِمَا وَاللهُ أَعْلَمُ».

(٣) أحمد (١/ ١٨).

(٤٨١) أحمر
أسود

ومنها ما أخرجه مسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ**».

* فلا يحل لشخص بعد هذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له.

* فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتي إلى البيت في غياب الزوج ويخلو بالزوجة ولا يحل لصديق الزوج أن يأتي إلى المنزل في غياب الزوج ويخلو بالزوجة ولا يحل له أن يخلو بها في حضور الزوج في البيت ويغلق على الأجنبي مع الزوجة بابٌ.

* لا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يغلق عليهما باب، فهذا باب عظيم من أبواب البلاء.

* وكذلك لا يحل لمحفظ قرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن.

* وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها.

* ولا يحل لطبيب أن يخلو بمريضة ولا بممرضة، ونعوذ بالله من المهازل التي تحدث في المستشفيات والعيادات في هذا الصدد، ويا ليتهم يفرقون في نوبات العمل بين الرجال والنساء، ويفصلون بين الرجال والنساء.

* وقبيح أيما قبح أمر صيدلي يستأجر فتاة للعمل معه حيث هناك مكان يخلو بها فيه، ونحوه بقالٌ يصنع نفس الصنيع.

* وكذلك لا يحل ثم لا يحل لمدير أن يخلو بسكرتيرة، ولا أن يغلق عليهما باب، فالشيطان ثالث هؤلاء، كما قد تقدم عن رسول الله ﷺ.

إن النبي ﷺ كان واقفًا مع زوجته أم المؤمنين صفية بنت حيي يوصلها إلى بيتها فلما رآه رجلان من الأنصار أسرعا، فقال ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا**

(١) مسلم (٥/ ١٦).

(٤٨٢) أحمر
أسود

صَفِيَّةُ» ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلغ مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»[(١)].

* ولا يحل كذلك لخاطب أن يخلو بمخطوبته، فهو لا يزال رجلًا أجنبيًّا عنها.

* وغريبٌ أمر رجل ديوث قلَّت مروءته، وانعدمت غيرته حيث يترك خاطب ابنته بالغرفة معها، ويغلق عليهما الأبواب، فهل هذا من الغيرة بمكان، أم إنه من الدياثة بمكان كبير؟!

* كذلك لا يحل لرجل أن يخلو بالخادمة التي تخدم في بيته، فليست هي من محارمه.

* ولا يحل لسائق أن يخلو بامرأة من يعمل عنده فهو رجل أجنبي كذلك.

فهل يا ترى نجد قلوبًا تعي هذه الكلمات؟ وآذانًا تصغى لتلك النداءات؟

أهيب بقومي إلى المكرمات ... ألا هل ملبي ألا هل مجيب

* * *

(١) أخرجه البخاري حديث (٢٠٣٥)، ومسلم مع النووي (١٤/ ١٥٦).

(٤٨٣) أحمر
أسود

النهي عن التبرج

أما التبرج – والعياذ بالله – فمن أعظم الدواعي إلى هذه الفاحشة ومن أعظم الدوافع إليها، وقد نهى عنه ربنا سبحانه، ونهانا عنه نبينا محمد ﷺ، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

[الأحزاب: ٣٣]

وقال النبي ﷺ[(١)]: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢١٢٨).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ: فَأَمَّا أَصْحَابُ السِّيَاطِ فَهُمْ غِلْمَانُ وَالِي الشُّرْطَةِ، أَمَّا الْكَاسِيَاتُ فَفِيهِ أَوْجُهٌ:

أَحَدُهَا: كَاسِيَاتٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَارِيَاتٌ مِنْ شُكْرِهَا.

وَالثَّانِي: كَاسِيَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ عَارِيَاتٌ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالِاهْتِمَامِ لِآخِرَتِهِنَّ وَالِاعْتِنَاءِ بِالطَّاعَاتِ.

وَالثَّالِثُ: تَكْشِفُ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهَا إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ.

وَالرَّابِعُ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِفُ مَا تَحْتَهَا كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ فِي الْمَعْنَى.

قلت – القائل مصطفى –: والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن الوجه الثالث والرابع أقرب على المعنى لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الحديث: «مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ».

ثم قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَمَّا مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ: فَقِيلَ: زَائِغَاتٌ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَمَا يَلْزَمُهُنَّ مِنْ حِفْظِ الْفُرُوجِ وَغَيْرِهَا، وَمُمِيلَاتٌ يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ مِثْلَ فِعْلِهِنَّ.

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ مُتَبَخْتِرَاتٌ فِي مِشْيَتِهِنَّ، مُمِيلَاتٌ أَكْتَافُهُنَّ.

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَتَمَشَّطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَيْلَاءِ، وَهِيَ مِشْطَةُ الْبَغَايَا مَعْرُوفَةٌ لَهُنَّ، مُمِيلَاتٌ يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ الْمِشْطَةِ.

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ إِلَى الرِّجَالِ مُمِيلَاتٌ لَهُمْ بِمَا يُبْدِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وغيرها. =

(٤٨٤) أحمر
أسود

فهذه الفتاة التي تخرج حاسرةً عن شعرها كاشفة عن ساقيها، نازعة لجلباب الحياء عن نفسها قد أخذت أكمل زينتها وأتمها، وضربت الأرض برجلها ليُعلم ما خفي من زينتها، وتطيبت مع ذلك وتعطرت، ومشيت في الطريق كأنها راقصة، ألا تدعو بصنيعها هذا – صنيع السوء – إلى الفاحشة؟!! ألا توقع شبابًا في حبائلها وشراكها؟!!

ثم إنها بعد ذلك هي التي تجني عاقبة سوء صنيعها، وتذوق وبال أمرها.

* فكم من فتاة سارت في هذا الطريق المزري والصنيع المخزي، ثم وافاها المنون!

* وكم من فتاة سارت في هذه الرذائل ثم حملت من الفاحشة، واضطرت إلى قتل جنينها، فباءت بغضب على غضب!

* وكم من فتاة كانت حسناء يتهافت عليها الشباب، ثم هي عجوز شمطاء قد جلبت لأهلها العار، ولنفسها النار والشنار، ولأولادها الذل والصغار، بجريمتها النكراء التي ارتكبتها!

فيا الله، نسألك الطهر والعفاف، نسألك يا ربنا الهدى والتقى.

* * *

= وأما رؤوسهن كأسنمة البخت فمعناه: يعظمن رؤوسهن بِالْخُمُرِ وَالْعَمَائِمِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُلَفُّ عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى تُشْبِهُ أَسْنِمَةَ الْإِبِلِ الْبُخْتِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي تَفْسِيرِهِ، قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَالِ، وَلَا يَغْضُضْنَ عنهم ولا ينكسن رؤوسهن، وَاخْتَارَ الْقَاضِي أَنَّ الْمَائِلَاتِ تُمَشِّطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَيْلَاءِ، قَالَ: وَهِيَ ضَفْرُ الْغَدَائِرِ وَشَدُّهَا إِلَى فَوْقُ وَجَمْعُهَا فِي وَسَطِ الرَّأْسِ فَتَصِيرُ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ.

قَالَ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ إِنَّمَا هُوَ لِارْتِفَاعِ الْغَدَائِرِ فَوْقَ رؤوسهن، وَجَمْعُ عَقَائِصِهَا هُنَاكَ وَتُكْثِرُهَا بِمَا يُضَفِّرْنَهُ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الرَّأْسِ كَمَا يميل السنام، قال ابن دُرَيْدٍ: يُقَالُ: نَاقَةٌ مَيْلَاءُ إِذَا كَانَ سَنَامُهَا يَمِيلُ إِلَى أَحَدِ شِقَّيْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٤٨٥) أحمر
أسود

وثم رجال يتبرجون وشباب يتخنثون

فترى أحدهم قد وضع السلسلة في عنقه والأسورة في يده، وارتدى ضيق الثياب، ارتدى ما يقال (شارلستون) حيث الضيق الزائد من أعلى والاتساع الزائد من أسفل!

عجيب أمر هذا الشخص، يضيق حيث يحتاج الأمر إلى توسعة، ويوسع حيث يحتاج الأمر إلى تضييق، فما أقل عقله!! وما أشد غباءه!!

وكذلك فما أقل حياءه، إذ يجسد العورة – التي يُفترض فيها أن تستر – أيما تجسيد! وقد صدق من قال:

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجاب!!

عجيبٌ أمر هذا الشاب الذي ارتدى (شورتًا) إلى أنصاف فخذيه، وسار مرتديًا له في الطرقات، أما تستحي من الله؟! أما تستحي من الخلق؟ أليس عندك شيء من الورع؟ فاستر على نفسك بارك الله فيك، وسترك الله بجميل ستره في الدنيا والآخرة.

* * *

(٤٨٦) أحمر
أسود

والتحجب الكامل عن الرجال أبعد عن الوقوع في هذه الفاحشة بلا شك

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وهذا الخطاب – وإن قال بعض العلماء – إنه خاص بنساء النبي ﷺ، إلا أن العلة منه تعم حكمه[١]، ألا وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾، وكذلك الاقتران في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩][٢]، فاقترنت نساء المؤمنين مع نساء النبي ﷺ، وبنات النبي ﷺ في الأمر بالحجاب، هذا مع قول رسول الله ﷺ: «**وَالمَرْأَةُ عَوْرَة**»[٣]. فعمَّ هذا القول النساء كما هو واضح[٤].

* * *

(١) قال الشنقيطي – رحمه الله تعالى – في أضواء البيان (٦/ ٥٩٢):
وَإِذَا عَلِمْتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ حُكْمَ آيَةِ الْحِجَابِ عَامٌّ، وَأَنَّ مَا ذَكَرْنَا مَعَهَا مِنَ الْآيَاتِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى احْتِجَابِ جَمِيعِ بَدَنِ الْمَرْأَةِ عَنِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، عَلِمْتَ أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ عَلَى الْحِجَابِ، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ آيَةَ الْحِجَابِ خَاصَّةٌ بِأَزْوَاجِهِ ﷺ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُنَّ خَيْرُ أُسْوَةٍ لِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْآدَابِ الْكَرِيمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلطَّهَارَةِ التَّامَّةِ وَعَدَمِ التَّدَنُّسِ بِأَنْجَاسِ الرِّيبَةِ، فَمَنْ يُحَاوِلُ مَنْعَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ كَالدُّعَاةِ لِلسُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ وَالِاخْتِلَاطِ الْيَوْمَ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِهِنَّ فِي هَذَا الْأَدَبِ السَّمَاوِيِّ الْكَرِيمِ الْمُتَضَمِّنِ سَلَامَةَ الْعَرْضِ وَالطَّهَارَةِ مِنْ دَنَسِ الرِّيبَةِ غَاشٌّ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَرِيضُ الْقَلْبِ كَمَا تَرَى!

(٢) وقد صح عن عبيدة السلماني في تفسيرها أنه غطى رأسه ووجه بثوبه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٧٣) بإسناد صحيح.

(٤) هذا وثمَّ أدلة أخر، وأبحاث أوسع في هذه المسألة راجعها إن شئت في كتابي: «جامع أحكام النساء».

(٤٨٧) أحمر
أسود

القرار في البيوت

فلما كان احتكاك النساء بالرجال واختلاط النساء بالرجال من أكبر أسباب هذه الفاحشة وأعظمها جاء الحث على قرار النساء في البيوت.

قال الله تعالى لأزواج نبيه ﷺ اللواتي هن خير أسوة لنسائنا وبناتنا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبَ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**»(١).

وانظر إلى جميل الاعتذار الذي اعتذرت به هاتان المرأتان لما سألهما موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾. [القصص: ٢٣]

فذكرتا عذرهما في خروجهما، وأوضحتا السبب الذي من أجله كان الخروج ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ شيخ كبير لا يطيق سقي الأنعام، ولا يطيق العمل ولا الخروج، ولولا ذلك ما خرجتا.

ولكنهما مع هذا الخروج ﴿تَذُودَانِ﴾ تصرفان الأنعام والمواشي والأغنام عن الاحتكاك بالناس!!

فحقًّا إنه أدب جم، وخلق رفيع قويم.

إن النبي ﷺ ذكر في عدد من النصوص أن صلاة المرأة في بيتها خيرٌ من صلاتها في المسجد، فقال ﷺ: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣/ ٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠١١٥)، والترمذي (مختصرًا ١١٧٣) وغيرهم، وسنده صحيح.

(٢) حديث: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ**» صحيح لغيره، وأخرجه أبو داود (حديث ٥٦٧)، وأحمد (٢/ ٧٦-٧٧)، وابن خزيمة (٣/ ٩٢-٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤٨٨) أحمر
أسود

وأخرج أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا**»(١).

وأخرج الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – من حديث أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنّ**»(٢).

* فينبغي أن تقلل المرأة الخروج من بيتها قدر الاستطاعة، وإن خرجت فتخرج لمواطن الخير تشهد الخير، وتقوى به إيمانها.

* أما إن تخرج لمواطن الفسق والفساد والعشق والمجون، فهذا مما لا يجوز لها بلا خلاف علمته.

* فكم من بليةٍ قد حدثت بسبب خروج المرأة من بيتها واحتكاكها بالرجال في الطرقات، وفي المواصلات، وفي العمل، وفي الدراسة، وفي الحفلات، والنوادي.

* تصحب زوجتك وابنتك فيفترسها ذئب من الذئاب، ويربط معها الروابط، ويعقد معها العقود، وأنت غافل لاه!

* كم من زوجة نشزت على زوجها بسبب زميلها الخادع المخادع في العمل الذي طعن لها في زوجها بمكر ودهاء، وتلطف معها في الحديث، كالحمل الوديع، وهو يحمل بين أضلعه قلبًا كقلوب الذئاب!!

* كم من رجل هو الآخر قد وقع في حبائل امرأة ومصائدها، ونكدت عليه حياته، وأظلمت عليه معايشه، بزينتها وفتنتها، وزهدته في زوجته أيما تزهيد، فأهمل بيته وأولاده، وقاطع أصدقاءه وأقاربه وخلَّانه بسببها، فجعلته عرضة

(١) أخرجه أبو داود (حديث ٥٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) أحمد في المسند (٦/ ٢٩٧).

(٤٨٩) أحمر
أسود

لحديث الصغير والكبير، وأذهبت وقاره، وأفقدته كرامته.

* كم من رذيلة حدثت بين مشرف على رسالة وفتاة تُعد هذه الرسالة، فمن بينهم مشرفٌ وقور أشرف على رسالة فتاة غاوية، فأغوته وأوقعته في الغاوين.

* وكم من فتاة وقورة هي الأخرى ابتليت بمشرف على رسالتها، رجل سوء فنال منها مآربه وقضى معها وطره، من أجل شهادة ودرجة يمن عليها بها.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإذا اضطرت المرأة للخروج فلتلتزم بآدابه:

تخرج وقد تجلببت بجلباب الحياء، واكتست بثوب العفة والوقار.

كهذه الكريمة التي ذكرها الله في كتابه، إذ قال: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: ٢٥].

ثم إن الحياء شعبة من الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ[(١)].

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩)، ومسلم (حديث ٣٥).

(٤٩٠) أحمر
أسود

هذه بعض الآداب التي ينبغي أن تتحلى بها المرأة عند خروجها من بيتها

* **ترك التطيب إذا أرادت الخروج**، وذلك لما أخرجه مسلم[١] رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث زَيْنَب الثَّقَفِيَّة، أَنَّهَا كَانَتْ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ**».

وفي رواية لمسلم[٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ**».

وفي رواية للإمام أحمد[٣] بإسناد حسن من حديث الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**».

المشي في جانب الطريق: وذلك لما أخرجه ابن حبان[٤] وغيره بإسناد يُحسَّن بمجموع طرقه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ**».

الاحتياط في التستر إذا دخلت بيت قوم فيه رجال: وذلك لما أخرجه ابن ماجه وغيره بإسناد صحيح[٥] من حديث عائشة ف أنها قالت: لنسوة مِنْ أَهْلِ حِمْصَ: لَعَلَّكُنَّ مِنَ اللَّوَاتِي يَدْخُلْنَ الْحَمَّامَاتِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٤).
(٢) مسلم (٢/ ٨٥).
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤١٤).
(٤) «موارد الظمآن» (١٩٦٩).
(٥) ابن ماجه (حديث ٣٧٥٠).
(٦) هذا محمول على المرأة التي تنزع ثيابها استشرافًا للمعصية وطلبًا للمحرم، وهو أيضًا من الأحاديث التي تسد الذريعة إلى الفساد كما تنهى المرأة مثلًا عن الخضوع بالقول وعن التبرج وعن التكسر =

(٤٩١) أحمر
أسود

يجب أن تخرج متسترة: مرتدية للثياب التي لا تصف جسمها ولا تحدد عوراتها بل تسترها جميعًا، فإن المرأة عورة كما قال النبي ﷺ[(١)].

وقد أخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٢٠٥) بإسناد حسن لغيره من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً[(٢)] كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً**[(٣)]، **إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا**».

يجب أن تتحلى بالأدب المذكور في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

يجب عليها أن تتحلى بالحياء كما قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

ينبغي أن لا تختلط بالرجال ويجب عليها أن لا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

= والتغنج حتى لا تقع في الفاحشة فكذلك تنهى عن نزع ثيابها في غير بيت زوجها، أما إذا ذهبت إلى بيت ليس فيه رجال، وكانت الفتنة مأمونة فلا مانع من خلعها لثيابها، والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣) ورجاله ثقات.

(٢) القُبطية: بضم القاف شقة أو ثوب من القباطي، وهي ثياب تعمل بمصر وفي «اللسان» هي القباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض.

(٣) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب، وقيل: بطائن تلبس تحت الدروع.

(٤٩٢) أحمر
أسود

إذا قُدِّر وتكلمت مع أحد لضرورة ما أو لطلب شيء مثلًا فيجب عليها أن لا تخضع بالقول لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢].

لا تلبس ثوب شهرة يلفت الأنظار إليها:

ومع ذلك تقلل من الخروج إلا لضرورة، لقول الله تبارك وتعالى لنساء النبي ﷺ، وهن خير أسوة لنسائنا: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولقول النبي ﷺ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(١).

* * *

النهي عن مصافحة النساء الأجنبيات

فمصافحة النساء الأجنبيات حرام كذلك، قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ**»(٢).

وأخرج البخاري(٣) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ بِقَوْلِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢]، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ بَايَعْتُكِ**» كَلَامًا، وَلَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ: «**قَدْ بَايَعْتُكُن عَلَى ذَلِكِ**».

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أيضًا ابن خزيمة (٣/ ٩٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠١١٥) ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد حسن «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١١).

(٣) البخاري مع «الفتح» (٨/ ٦٣٦).

(٤٩٣) أحمر
أسود

وأخرج الإمام مالك[١] في الموطأ عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها؛ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ بَايَعْنَهُ عَلَى الْإِسْلاَمِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِيَ، وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا، وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلاَ نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ، وَأَطَقْتُنَّ**».

قَالَتْ: فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا.

هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ**».

ثم إن بعض الغاوين والغاويات يصاحبن المصافحة بابتسامات وضحكات وتمايلات تُهيِّج الكامن، وتُقرِّب من الفواحش وترغب فيها، فعياذًا بالله من الانحراف عن سواء السبيل.

* * *

(١) أخرجه مالك في الموطأ (صـ ٩٨٢).

(٤٩٤) أحمر
أسود

النهي عن سفر النساء بلا محرم

وذلك لما يجره سفر المرأة بلا محرم من فواحش ومحرمات، فالمرأة بجبلتها التي جبلها الله عليها ضعيفة لا تستطيع في كثير من الأحيان الدفاع عن نفسها، ثم هي كذلك ناقصة العقل والدين، وسرعان ما تُخدع، وسرعان ما تضعف، وسرعان ما يُغرَّر بها، فمن ثَمَّ نُهيت عن السفر بلا محرم، وقد تواترت النصوص عن رسول الله ﷺ في ذلك ومن ذلك ما يلي:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ**».

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ**».

وثَمَّ نصوص أخر.

* * *

منع السفر إلى بلاد الكفر إلا للضرورة والمصلحة

وذلك لأن السفر إلى هذه البلاد من أكبر المساعدات على الفاحشة، فأهلها قوم لا يتحرجون من الزنا ولا يرون حرمته، وليس عندهم مسحة من الدين والورع تمنعهم من هذه الفاحشة، وتلك الرذيلة، فترى رجلًا في الطريق يعانق امرأة ولا يبالي! وترى شابًّا فوق فتاة في الطريق ولا يهتش! بل وتراهم ينكرون على المتحفظ المحتاط!

تراهم يطالبون بشواطئ للعراة تمامًا، كما ولدتهم أمهاتهم، ويستنكرون

(١) البخاري مع «الفتح» (٤/ ١٧٢)، ومسلم (صـ٩٧٨).
(٢) البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٦٦)، ومسلم (صـ٤٨٧).

(٤٩٥) أحمر
أسود

حتى على من ارتدت في هذه الشواطئ السروال القصير «المايوه»، تراهم يتناولون الخمر ويحتسون كؤوسها.

ترى في الإعلام هنالك، والشاشات كذلك مناظر يندى لها جبين المسلم، وترى التبرج كل التبرج، والتعري كل التعري، والدياثة كل الدياثة.

فكيف يليق بشخص كريم أن يرى هذه المناظر؟!!

وأن يلج هذه الديار لغير مصلحة وضرورة؟!!

شاب يمشي فتأتيه فتاة تعانقه! وأخرى تغازله! وثالثة تجتهد لمضاجعته! فكيف يصنع أمام هذه المناظر، وهو ممتلئ فحولة وقوةً ورجولة؟!

كيف ينجو من هذه البلايا؟!!

إن الابتعاد عن مواطن الفتن من أعظم أسباب النجاة منها، ومن ثَمَّ شرع الابتعاد عن مواطن الفتن للنجاة من تلك الفتن.

قال النبي ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»[1].

* فمن كان مفتونًا بشيء في مكان ما فليترك هذا المكان!

* من كان مفتونًا بامرأة أو بفتاةٍ فليترك المكان الذي هي فيه.

* فليترك موطن العمل الذي هي به، ولينتقل إلى عمل آخر، وإلى مكان آخر.

* فليترك الطريق التي تسير منه، ويسير هو في الطريق الآخر.

بل فليترك لها بلدتها إذا استفحل الأمر، وسيطرت على قلبه، ولم يجد لقلبه بعد الله مناصًا ولا مهربًا، هذا وفي معرض الحث على ترك مواطن السوء، وأهل السوء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

(١) البخاري (حديث ١٩).

(٤٩٦) أحمر
أسود

يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال النبي ﷺ[(١)]: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».

وذكر النبي ﷺ قاتل المائة نفس الذي أمره العالم أن يترك أرضه أرض السوء، ويذهب إلى أرض أهلها أهل فضل وصلاح[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (حديث ٢٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، واللفظ له من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ(*)، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». صحيح

(*) في رواية البخاري: «**فأدركه الموت فناء بصدره**» نحوها، أي: نحو القرية الطيبة، كما هو واضح في رواية البخاري.

(٤٩٧) أحمر
أسود

تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها

لا تمتنعي أيتها الزوجة من فراش الزوج، فحرام عليك ذلك، وهو من الكبائر.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(١).

وفي رواية لمسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا**»(٢).

فإذا كان الزوج ممتلئًا شهوة وحرارةً وامتنعت منه زوجته وأبت عليه، فماذا عساه أن يصنع؟!!

إن الشيطان يحمله على التفكير في الحرام، بل وإتيان الحرام كذلك.

ثم إنه من أجلّ مقاصد الزواج الإعفاف، إعفاف الزوج وإعفاف الزوجة معًا.

وقد أخرج مسلم في صحيحه(٣) من حديث جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً(٤) لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»(٥).

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩٣)، ومسلم (صـ ١٠٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (٣/ ٦١١).

(٣) مسلم (٣/ ٥٥٠).

(٤) تمعس منيئة: أي تدلك الجلد تمهيدًا لدباغته.

(٥) في بعض رويات مسلم (٣/ ٥٥١): «إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ».

(٤٩٨) أحمر
أسود

وكذلك فلتُعف الزوجة هي الأخرى، فإن الله سبحانه وتعالى نهانا أن نذر الزوجة كالمعلقة، وجعل أقصى حد للإيلاء أربعة أشهر، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]، فرجل أقسم ألا يقرب امرأته سنة مثلًا، أو خمسة أشهر مثلًا، فإن هذا الرجل ليس له هذا الذي صنع بل أقصى مدة يتربصها أربعة أشهر، ويُلزم بعد ذلك إما باللقاء والإجماع أو بالطلاق والفراق.

وأيضًا... فقد قال النبي ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»(١).

فكم من حالة من حالات الزنا كان سببها إهمال الزوج لزوجته، وعدم إعفافها، فحملها ذلك على الوقوع في الفاحشة والعياذ بالله.

وأيضًا فينبغي أن تتجمل المرأة لزوجها وتتزين له وتتصنع حتى يأتي حاجته منها وتقرّ بها عينه ولا ينظر إلى أخريات.

ولتتجمل بكل ما أباحه الله لها، وتتقي ما حرمه الله ورسوله، وقد قال تعالى في شأن النساء: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨]، فالمرأة منذ طفولتها وهي تُحلى وتُزين.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أي: هي للمؤمنين في الدنيا يشاركون فيها غيرهم، لكنها يوم القيامة خالصة لأهل الإيمان فقط، وقد قال النبي ﷺ في شأن أسامة بن زيد: «**لَوْ كَانَ**

(١) مسلم (٢/ ٤٣).

(٤٩٩) أحمر
أسود

أُسَامَةُ جَارِيَةً لَكَسَوْتِهِ وَحَلَّيْتِهِ حَتَّى أُنَفِّقَهُ»[١].

فقد كان أسامة رضي الله عنه أسود شديد السواد، فمن ثمَّ قال النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً...» الحديث.

* * *

ولا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها[٢]

فقد قال ذلك رسول الله ﷺ، وذلك خشية أن يفضي هذا الوصف إلى افتتان الزوج بهذه الموصوفة، وربما يقع في الفاحشة معها بسبب ذلك.

* * *

ترك الخضوع بالقول

فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الخضوع بالقول، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فثمَّ أقوامٌ في قلوبهم مرض كما أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى، وهؤلاء الذين في قلوبهم مرض إذا خضعت لهم المرأة بالقول ظنوا بها سيئ الظن، ظنوا أنها تريد منهم المواعدة، ظنوا أنها تريد منهم الفاحشة.

فجدير إذن بالمرأة ألا تخضع بالقول.

وليس معنى عدم خضوعها بالقول أن تكون فظة وغليظة، ولكنها تتكلم بكلمات تنم عن أدب وحسن خلق ولا تطمع فيها الرجال.

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣٥٦) بإسناد صحيح.

(٢) أخره البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٨).

(٥٠٠) أحمر
أسود

ولتدرك تمامًا أثناء حديثها أن الله معها يسمع ويرى!!

لتدرك تمامًا أن ربها يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور!!

عجيب أمر امرأة فظة وغليظة مع زوجها ومحارمها، ثم هي تخضع بالقول مع الرجال الأجانب والشباب، وكذلك فلا يخضع الرجال بالقول.

وقد يعجب شخص من هذا؟ فيتساءل:

هل يخضع رجل بالقول؟

نعم: هناك من يخضع بالقول من الرجال. هناك رجل يتصل بصديق له، فإذا وجده كلَّمه كلام رجلٍ لرجل، أما إذا وجد امرأة، أخذت بسماعة الهاتف إذا به يتأنث معها ويتخنث، ويخضع لها بالقول غاية الخضوع، كي يوقعها في شركه وحباله، وخفي عليه أن الله تعالى محيط بما يعمل عليم بما يصنع.

❋ ❋ ❋

(٥٠١) أحمر
أسود

نداءات
أيها الأب الكريم، أيها الزوج العفيف

* اعلم أنك راع مسئول أمام الله عن رعيتك، كما قال النبي ﷺ[1]: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

* اعلم أيها الأب الكريم أنك مخاطب بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

فبالله عليك أيها الأب الكريم، لا تفرط في جنب الله، فإن نفسًا سيأتي عليها يوم تقول فيه: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾.

[الزمر: ٥٦]

* احفظ بيتك أيها الأب الكريم، وابتعد عن الدياثة ولا تسمح لابنتك أن تصطحب زميلها إلى بيتك، ولا تسمح، ثم لا تسمح بأن يُغلق على ابنتك وخطيبها بابٌ، فعارٌ عليك أيها الأب الكريم، أن تزني ابنتك، وخرم لمروءتك وقلةٌ لحيائك، وإذهاب لوقارك، فضلًا عن الإثم اللاحق بك أن تمشي ابنتك مع شاب، وأن تخلوا امرأتك برجال، فكن غيورًا أيها الأب الكريم، كن شهمًا، لا تكن ديوثًا، فعياذًا بالله من الدياثة التي تتسبب في حرمان أقوام من دخول الجنة، عياذًا بالله من الدياثة التي هي شأن الخنازير التي لا تغار على إناثها.

* ما معنى أن امرأة ما من النساء أو فتاة من الفتيات خرجت ترتدي ثوبًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٥٠٢) أحمر
أسود

ضيقًا، ولم تقنع بضيقه، بل تشقه من أسفل، من الأمام، أو من الخلف؟!!

* ما معنى أن ترتدي امرأة ما من النساء ثوبًا، ثم إذا هي تربطه بحزام فتجسد جسمها وتظهر مفاتنها؟!

إن هذا بلا شك من عمل الشيطان الذي يأمر بالفحشاء.

إن هذا من عمل الشيطان، ذاك العدو المضل المبين.

أيها الأب الكريم، لا تسمح لولدك كذلك باصطحاب الفتيات في الطرقات، ولا بالإتيان بهن إلى البيت.

* لا تسمح لابنك بمصادقة الفساق والأراذل، فجليس السوء إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة نتنة.

تفَقَّد أيها الاب الكريم أحوال أبناءك وبناتك، وانظر إلى تصرفات هؤلاء، وأولئك، وانظر إلى ماذا يشاهدون؟ وفي ماذا يقرأون؟ وعلى ماذا يطلعون؟

انظر إلى حركاتهم في البيت، كيف يتحركون، وإلى اهتماماتهم بم يهتمون؟ وقوِّم الاعوجاج، وسدد، وسل الله التوفيق.

* لا تصحب أيها الأب الكريم أبناءك وبناتك إلى أماكن الشر والفساد، والتبرج والسفور والاختلاط.

* لا تضع أيها الأب العراقيل أمام ابنتك عند زواجها، بل إذا أتاها كفءٌ لها في دينه ودنياه فزوِّجها، ويسر عليه، فإن في تيسيرك عليه تيسيرًا على نفسك في الدنيا والآخرة، فمن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة[1]، وكذلك ففي تيسيرك عليه تيسير على ابنتك.

* وتيسيرك عليه سبب في يُمن ابنتك بالبركة فيها، فإن أقل النساء مهورًا

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

(٥٠٣) أحمر
أسود

أكثرهن بركة.

* لا معنى لتأخير ابنتك عامًا كاملًا عن الزواج من أجل غرفة سفرة، فلتأكل ابنتك على مفرشٍ بدلًا من أن تتأخر حولًا كاملًا عن الزواج.

* ولا معنى لتأخير ابنتك حولين آخرين من أجل غرفة صالون، فجائز – ومن أجل الإعفاف– أن يجلس الأضياف على بُساط يبسط على الأرض مع بعض المتكآت يسيرة الأثمان، فكن أيها الأب الكريم ميسرًا، ولا تكن مُعسرًا.

* ولا ترهق نفسك أنت الآخر في تجهيز ابنتك، فلست مطالبًا شرعًا بشيء من أمر الجهاز، فما تفعله فضل منك وجزاك الله خيرًا.

* لا تعضل ابنتك أيها الأب الكريم، لا تمنعها من الزواج، ففي هذا شيوع للفواحش وانتشار للزنى!

* وحتى ابنتك التي مات عنها زوجها ورغبت في الزواج لشبابها، ولإعفاف نفسها، فلا تمنعها من هذا الزواج، فالنساء يختلفن، فمنهن من تحنو على أولادها بعد وفاة زوجها، وليس لها كبير حاجة في الرجال، ورزقها الله صبرًا وعقلًا لإحسان تربية أولادها، وليس لها رغبة في الزواج فهذه تترك ولا تجبر على الزواج، وقد أثنى الرسول ﷺ على أم هانئ لهذا الصنيع لما عرض عليها الزواج بها فتعللت بأولادها وبكبر سنها[1].

---

(١) في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ،–وفي رواية: أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ – وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» أخرجه البخاري (٥٠٨٢)، ومسلم (حديث ٢٥٢٧)، وسبب ورود هذا الحديث عند مسلم (صـ١٩٥٩) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله! إني قد كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ: «صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ...» الحديث.
وهناك قال النووي في شرح مسلم: والحانية على ولدها التي تقوم عليهم بعد يتمهم، فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية.
قلت: وليس الأمر على إطلاقه، لما ذكرناه أعلى.

(٥٠٤) أحمر
أسود

بينما تزوجت نسوة أخريات، إذ كن محتاجات للزواج ولتربية الأولاد، كاسماء بنت عميس رضي الله عنها تزوجت بعد مقتل زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي بكر، ثم تزوجت بعد موت أبي بكر بعلي رضي الله عنهم أجمعين[١].

* فلا تؤخر ابنتك عن الزواج أيها الأب العفيف الكريم.

* بل وقم باختيار الرجل الصالح لابنتك وأخبره أنك تريد أن تزوجه ابنتك، وليس هذا بضائرٍ عليك في دينك ولا في دنياك.

* فها هي سير بعض سلفنا الصالح في ذلك، بل وشيء من كتاب الله كذلك.

* قال العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [القصص: ٢٧].

* وها هو عمر رضي الله عنه يعرض ابنته حفصة على أبي بكر وعلى عثمان للزواج بها.

* أخرج البخاري في صحيحه[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ-، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَتَيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٢٢) بإسناد صحيح عن عامر الشعبي، وصححه كذلك ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٦) وعزاه إلى ابن السكن، قال عامرٌ: تزوج علي بن أبي طالب أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل واحد منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك، فقال لها عليّ: اقضي بينهما يا أسماء، قالت: ما رأيت شابًّا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلًا خيرًا من أبي بكر، فقال علي: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلت غير الذي قلت لمقتُّك، فقالت أسماء: إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٢٢).

(٥٠٥) أحمر
أسود

لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا.

وها هو علي رضي الله عنه يعرض ابنة حمزة على رسول الله ﷺ، ففي صحيح مسلم[1] عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَكَ تَنَوَّقُ[2] فِي قُرَيْشٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ: «**وَعِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، بِنْتُ حَمْزَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

* وأم حبيبة[3] رضي الله عنها كذلك قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: «**وَتُحِبِّينَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي الخَيْرِ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ ذَلِكِ لاَ يَحِلُّ لِي**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَاللهِ إِنَّا لَنَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَقَالَ: «**بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَوَاللهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَبِنْتُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلاَ تَعْرِضْنَ[4] عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ**».

---

(١) مسلم (حديث ١٤٤٦).
(٢) تنوق: أي: تختار وتبالغ في الاختيار.
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥١٠٧).
(٤) النهي هنا عن عرض ما يحرم فقط.

(٥٠٦) أحمر
أسود

* ولا أقول لك: اختر لها شابًّا طائشًا يُعيِّرها بعَرْضِها عليه واختيارك له، بل اعرضها على من ترتضى خلقه وترتضى دينه، فهذا الذي يُقدِّر معروفك، ويحفظ جميلك، ويثيبك على إحسانك.

* وجزاك الله خيرًا أيها الأب الكريم إذا قمت بتزويج ولدك إذا كان ذلك بوسعك، فلك أجر في إعفاف ولدك، ولك أجر في إحصان ولدك، فإعفافه خيرٌ لك وله من أن يأتيك يومًا بعارٍ يحمله، إعفافه خير لك من أن تجده مع البغايا والمومسات، استقراره مع زوجته خيرٌ له وأعف وأطهر من تشرده مع الخبيثين والخبيثات.

* * *

وأنت أيتها الأم الكريمة أيتها الأم العفيفة

* أيتها الزوجة الوفية المخلصة، اعلمي أيتها الأم الكريمة أنك أنت الأخرى راعية ومسئولة عن رعيتك!

* فقومي بمسئوليتك التي أوجبها الله عليك، خُذي بأيدي أبنائك وبناتك إلى طريق الله سبحانه وتعالى، كوني دائمة التذكير لهم بحدود الله ومحارمه وحذريهم من انتهاكها.

* كوني أيتها الزوجة حافظة لغيب زوجك، ومحافظة على عرضك ودينك، وسلي الله التوفيق لذلك، فالمحفوظ من حفظه الله.

* لا تُدخلي رجلًا ليس هو لك بمحرم إلى بيتك، لا تكثري من حديث الرجال، لا تخضعي للرجال بالقول، لا تأذني لصديق الزوج بالاسترسال معك في الحديث حيث لا حاجة إلى الحديث.

* هل ترضين أيتها الزوجة الكريمة أن تلحقي بزوجك ولدًا غير ولده، يرثه مع من يرث من سائر الأولاد؟! ويطلع على ما لا يحل له من العورات؟!

(٥٠٧) أحمر
أسود

* كيف تورثينه وهو لا يحل له؟! كيف تلحقينه بزوجك وهو ليس له بولد؟!

إن النبي ﷺ أتى بِامْرَأَةٍ مُحَجٍّ[١] عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا؟**»[٢] فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ، كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟**»[٣].

* * *

أيها الشيخ الكبير المفتون

* يا من طال عمره وشاب رأسه وانحنى ظهره وسقط حاجبه على عينه، ومع ذلك ما زال مفتونًا، ومع ذلك ما زال مُراهقًا، ومع ذلك لا يزال يتبع سبيل الشيطان، ويلهث وراء الفواحش والشهوات.

* يا من هذه صفته، أما علمت أن أعمار أمة محمد ﷺ ما بين الستين إلى السبعين[٤]، أما علمت أن الشيخ الزاني لا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة،

---

(١) المُحج: هي الحامل التي قربت ولادتها.

(٢) يُلِمَّ: أي: يجامعها، وكانت حاملًا مسبيةً لا يحل جماعها حتى تضع.

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ نقلًا عن محمد فؤاد:
«**كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟**» مَعْنَاهُ: أَنَّهُ قَدْ تَتَأَخَّرُ وِلَادَتُهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَيْثُ يُحْتَمَلُ كَوْنُ الْوَلَدِ مِنْ هَذَا السَّابِي وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ قَبْلَهُ، فَعَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ مِنَ السَّابِي يَكُونُ وَلَدًا لَهُ وَيَتَوَارَثَانِ، وَعَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ مِنْ غَيْرِ السَّابِي لَا يَتَوَارَثَانِ هُوَ وَلَا السَّابِي لِعَدَمِ الْقَرَابَةِ بَلْ لَهُ اسْتِخْدَامُهُ لِأَنَّهُ مَمْلُوكُهُ، فَتَقْدِيرُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ قَدْ يَسْتَلْحِقُهُ وَيَجْعَلُهُ ابْنًا لَهُ وَيُوَرِّثُهُ مَعَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ تَوْرِيثُهُ لِكَوْنِهِ لَيْسَ مِنْهُ، وَلَا يَحِلُّ تَوَارُثُهُ وَمُزَاحَمَتُهُ لِبَاقِي الْوَرَثَةِ، وَقَدْ يَسْتَخْدِمُهُ اسْتِخْدَامَ الْعَبِيدِ وَيَجْعَلُهُ عَبْدًا يَتَمَلَّكُهُ مَعَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ ذَلِكَ؛ لِكَوْنِهِ مِنْهُ إِذَا وَضَعَتْهُ لِمُدَّةٍ مُحْتَمِلَةٍ كَوْنِهِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الِامْتِنَاعُ عَنْ وَطْئِهَا خَوْفًا مِنْ هَذَا الْمَحْظُورِ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠) بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**».

(٥٠٨) أحمر
أسود

ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

* أما علمت أن شمس عمرك قد حان وقت غروبها، وأنت ما زلت لاهيًا لاعبًا جريئًا على محارم الله.

* هلا عملت لأخراك، هل ظننت أنك ستلاقي ربك، وستوافيك المنية عما قريب؟؟

* إن الله قد أعذر إليك إذ بلغت الستين من عمرك، فهل من توبة وأوبة ورجعة إلى الله سبحانه؟ أم أنك كمن قال الشاعر فيه:

شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب ... وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ... والضيُّ في الأفق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت ... عن أفقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك في الطلب
ما في الديار وقد سارت ركائب من ... تهواه للصب من سكنى ولا أرب

* فكم من صديق لك أيها الشيخ قد ارتحل، وكم من رفيق لك أيها الشيخ قد مات.

* ها هي الديار أمامك أيها الشيخ، قد ورثها قوم آخرون غير الذين كنت تعهدهم وتألفهم، أما الصحب والأحباب، والخلان والأتراب، فبيوتهم هنالك في المقابر، إذا أردت الزيارة فزرهم هنالك واستعد للرحيل فقد أزف، وليس للآزفة من دون الله كاشفة.

* * *

(٥٠٩) أحمر
أسود

يا مُريد التعفف، ويا ناشد الإحصان،
ويا راغبًا في العصمة من الزلل

* عليك بتقوى الله، عليك بمراقبة الله في السرِّ والعلن، فلمن خاف مقام ربه جنتان.

* جاهد نفسك وزكِّها، فقد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، تعفف يعفَّك الله!

عليك يا مُريد التعفف بالزواج.

قال نبيك محمد ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(١)].

فبدلًا من أن تزني، وبدلًا من أن تنظر إلى الحرام، فانظر إلى زوجتك الحلال، وأت زوجتك الحلال، فلك في ذلك أجر، قال النبي ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ[(٢)] أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[(٣)].

فالزواج سنة المرسلين، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وها هو موسى الكليم ﷺ يؤاجر نفسه ثماني سنوات من أجل عفة فرجه، فقد قال له العبد الصالح: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (حديث ١٤٠٠) أما الوجاء فهو (رض الخصيتين)، والمراد: أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء.

(٢) المراد بالبضع: الفرج، ويطلق أيضًا على الجماع، والمعنى هنا: في جماع أحدكم زوجته صدقة.

(٣) مسلم (حديث ١٠٠٦).

(٥١٠) أحمر
أسود

حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ [القصص: ٢٧].

ووافق موسى عليه السلام على ذلك، إذ قال: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٨].

وها هو ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا لَيْلَةٌ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ امْرَأَةٌ»(١).

* وإن لم تستطع الزواج بالأبكار هنالك الثيبات، ومنهن الصالحات ومنهن الفضليات، ومنهن الودود، ومنهن الولود كذلك.

* فكم من امرأة تأيمت وترملت على أولادها، عندها بيتها وعندها فراشها وعندها مالها، والذي تحتاج إليه هو رجل يعفها، رجل صالح يساعدها على تربية أبنائها.

* فهل لك في مثل هذه تغنم أجرًا فيها وفي كفالة أيتامها ولو بالرعاية؟

* بل هل لك في إعفاف نفسك مع مثل هذه الصالحة الطيبة؟

إن نبيك محمدًا صلى الله عليه وسلم تزوج أول ما تزوج بأم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وهي تكبره بسنوات، على بعض الأقوال تكبره بخمسة عشر عامًا، وكان يحبها حبًّا عظيمًا ويقول: «**إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا**» ورزقه الله منها الولد رضي الله عنها.

ففي بعض الأحيان يكون في الزواج من الثيب خير، حتى خيرٌ من البكر في بعض الأحيان، وإن كان زواج البكر في الجملة أفضل، لكن قد يفضله في بعض الأحيان زواج الثيب، ثم إن الزواج بثيب – في أغلب الأحيان، بل وعلى العموم – أفضل من البقاء بلا زوج.

هذا ومما يدل على أفضلية زواج الثيب في بعض الأحيان، ما أخرجه

(١) سنده صحيح «المصنف لابن أبي شيبة» (٤/ ١٢٨).

(٥١١) أحمر
أسود

البخاري ومسلم[١] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟**» قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «**فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ**» قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ هَلَكَ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ، فَقَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ**» أَوْ: «**خَيْرًا**».

* فهذا وجه ترجح فيه زواج الثيب.

وإن كان الأفضل كما قدمنا في الجملة – زواج البكر لقول النبي ﷺ: «**فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟**».

ولقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فيما -أخرجه البخاري[٢]- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ!، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرَةً لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «**فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا**» تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.

* ولكن قد يكون هناك ما يجعل زواج الثيب أفضل كما تقدم من صنيع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولما أشرنا من كون الثيب قد تعول أيتامًا فيريد الرجل أن ينال أجر تربية هؤلاء الأيتام والقيام عليهم.

* وقد يكون العارض جبر خاطر امرأة مات زوجها كما ذكر بعض العلماء في تزوج النبي ﷺ بأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

* وقد يكون العارض هو دين الثيب القوي، ورجاء الانتفاع بها في الدين والدنيا.

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٦٧)، ومسلم (صـ ١٠٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٧٧).

(٥١٢) أحمر
أسود

* وقد يكون العارض طلب مصاهرة أقوام صالحين أو لهم جاه ينفع الله به في أمور الدنيا والدين، إلى غير ذلك من العوارض، والله تعالى أعلم.

* وسيأتي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ».

* وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ٥﴾ [التحريم: ٥].

* فإن لم تستطع الزواج فعليك بالتعفف، فبهذا أمرك ربك سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

* وعليك بالصوم كذلك؛ إذ هو إرشاد نبيك لك، ففيما تقدم قال ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

* * *

أيها الشاب

يا من تفكر في الزنا، يا من تراود الفتاة عن نفسها، يا خائنًا للزوج في زوجته، هل ترضى بهذه الفاحشة المنكرة لأمك؟!

هل ترضى بها لأختك؟!

هل تريدها لابنتك ولزوجتك؟!

هل ترضاها لعمتك ولخالتك؟!

قطعًا ستقول: لا، فإنك مسلم ولله الحمد.

فإذا كنت لا ترضاه لأمك، ولا لأختك، ولا لزوجتك، ولا لعمتك، ولا لخالتك، ولا لابنتك، فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لزوجاتهم، ولا لعماتهم، ولا لخالاتهم!

لا يرضونه لبناتهم كذلك.

ألم تعلم أيها الزاني بأن الله يراك.

ألم تدرك أن الآثار تكتب، والخطوات تُسجل، وأن السرائر سوف تُبلى.

اعلم أن هناك نارًا تلظى سيصلاها الأشقى.

اعلم أن هناك قبرًا موحشًا ومظلمًا، ستدخله يومًا ما، ولا بد، فكل نفس ذائقة الموت.

اعلم وأيقن أن المعاصي والكبائر والفواحش تسود القلب وتقسيه، ثم إن شبحها يطارد أصحابها.

احذر أيها الزاني أن يُفعل بامرأتك وبناتك وأخواتك كما تفعل بالناس، فكما تدين تُدان، والجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩].

(٥١٤) أحمر
أسود

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ [الكهف: ٨٢].

فانتبه وراقب الله تعالى، فأنت مراقب.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

❊ ❊ ❊

(٥١٥) أحمر
أسود

أيتها الفتاة

* اتقي الله ربك!

* أحصني فرجك!

* هل ترضين بمعصية الرب؟ ثم إلى أين المفر؟ فإلى ربك يومئذ المستقر.

* يومها سوف تنبئين بما قدمت وما أخرت!

* هل ترضين أيتها الأخت الكريمة لنفسك بالعذاب!

* هل ترضين أيتها الأخت بأن تجلبي العار لأبويك وإخوتك، بل ولأقاربك وعشيرتك؟!!

* هل ترضين بأن تحملي من سفاح؟!!، يكون ولدك ولد زنا، والعياذ بالله؟!!

* هل ترضين أن يُقال لابنتك إن أمك كانت بغيًّا؟!

* إن الزاني نفسه، ذاك المجرم الأثيم المخادع اللئيم، هو نفسه يزدريك، هو نفسه يمقتك.

* إنها لحظة استمتاع بسفاح يعقبها أذى ووبال.

* إنها لحظة تمرد وعصيان تعقبها الفضيحة والعار.

* فاتقي الله في نفسك، اتقي الله في عرضك، اتقي الله في ولدك، اتقي الله في أبويك وإخوتك، اتقي الله في أقاربك وعشيرتك.

* واحذري غضب الله، واتقي ناره.

* * *

(٥١٦) أحمر
أسود

ويا أولي الأمر ويا أيها العلماء

* يا من ولاهم الله أمر المسلمين، ويا من حملتم الأمانات في الأعناق، اذكروا قول ربكم سبحانه واعقلوه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

* اعلموا يا ولاة الأمور أن الله سائلكم عما استرعاكم، فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته.

خذوا بأيدي رعاياكم إلى الفقه والطهارة.

* دعوا النساء مع النساء، والرجال مع الرجال في الوظائف والأعمال والمدارس والجامعات.

* اعلموا أن الله سائلكم عن أجهزة إعلام بلادكم، فاتقوا الله، وراقبوه، واعلموا أنكم ملاقوه.

* بثوا الخير وانشروا المعروف بين الناس.

* خذوا على أيدي السفهاء والمفسدين في الأرض الذين يبغونها عوجًا.

* علِّموا الجاهل، وأرشدوا الضال.

* قربوا الناس من ربهم، وسلوا الله السداد والتوفيق.

* * *

(٥١٧) أحمر
أسود

أيها الأخ الغيور على دينه وعرضه

* حافظ على عرض أختك.

* لا تجلب أصدقاءك إلى البيت وتطلعهم على العورات.

* لا تعرض أختك للقاء أضيافك واستقبالهم، فكم من مفسدة حدثت بسبب ذلك.

* أيها الأخ الغيور، تفقد أحوال أختك الحين بعد الحين، وذكرها بالله، وحثها على الورع، وجنبها الشرور، ذكر أختك إذا هي خرجت متبرجة ومتعطرة ومتزينة، ذكرها بالله وبحدوده ومحارمه.

* كن أيها الأخ الكريم مثالًا حسنًا في بيتك، ولا تتصرف تصرفًا يشينك، ويتأسى بك فيه غيرك، فتحمل أوزارًا فوق أوزارك.

* اعلم أن المرأة ناقصة عقل ودين، فذكر أختك دائمًا بالله، ورشد لها قراءتها وصداقاتها ومطالعاتها.

* حذر من مسلسلات الفسق والعشق والغرام.

* حذر من أفلام الحب والشرور والآثام.

* كن لها ناصحًا، فعرضها عرضك، وعفافها لك عفاف، وسل الله التوفيق لها في كل وقت وحين.

* * *

(٥١٨) أحمر
أسود

وختامًا أيها المؤمنون

* توبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

* أوبة إلى الله معشر العباد، قبل أن يأتي يوم تقول فيه نفس: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

* وتوبةً إلى الله قبل أن يأتي وقت تحرق فيه فروج الزناة والزواني أولئك العصاة.

* أقيموا أمر ربكم سبحانه وتعالى في أنفسكم وإخوانكم، وأهاليكم، وجيرانكم، وذويكم.

* ذروا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

* حرموا ما حرم الله، وأحلوا ما أحله سبحانه.

* سلوا ربكم دائمًا العفاف.

* تعوذوا بالله من شر منيكم، فالرسول ﷺ كان يتعوذ من ذلك[(١)].

* تعوذوا بالله من فتنة النساء فإنها من أعظم الفتن[(٢)].

* اعلموا أن المحفوظ من حفظه الله، والمعصوم من عصم.

* فها هو الصديق يوسف يقول: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

---

(١) أخرج أبو داود (٢/ ١٩٣ في السنن) بإسناد حسن من حديث شكل بن حميد قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ، عَلِّمْنِي دُعَاءً، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي».

(٢) قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».
وقال ﷺ فيما أخرجه مسلم (٢٧٤٢): «وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».
وفي مسند الإمام أحمد بإسناد حسن: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَاتَّقُوهَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» (المسند ٣/ ٤٦).

(٥١٩) أحمر
أسود

وربنا سبحانه يقول: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

فانظر إلى قوله: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾.

أي: حافظات لغيب أزواجهن، وليس هذا الحفظ منهن بقدرتهن وقوتهن، ولكن بما أعانهن الله عليه من الحفظ.

وهذا المعنى كامنٌ في قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فمن معانيها: لا تَحوُّل عن معصية الله إلا إذا حولني الله ﷻ.

فإذا كان الأمر كذلك، فلزامًا أن نسأل الله العفاف، ولزامًا أن نسأل ربنا أن يحفظنا، وأن يعصمنا من الزلل، قائلين ما كان يقوله نبينا محمد ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَاف والغِنَى**»(١).

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

النفس بالنفس: أي: أن القاتل يُقتل.

الزاني المحصن: أي الزاني الذي زنى بعد زواجه فهذا يُرجم.

المرتد: وهو التارك لدينه المفارق للجماعة، وسيأتي الحديث بذلك قريبًا.

* **وكذا قطاع الطريق المفسدون في الأرض:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ...﴾ [المائدة: ٣٣] الآية.

* **وكذا الفئة الباغية:** لقوله تعالى: ﴿... فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ...﴾ [الحجرات: ٩].

* **وكذا من فعل فعل قوم لوط:** على قول من الأقوال.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥٢٠) أحمر
أسود

بعض صور الإسراف في القتل

س: ما المراد بالإسراف في القتل؟

ج: أورد ابن الجوزي في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أن يقتل غير القاتل.

الثاني: أن يقتل اثنين بواحد.

الثالث: أن يقتل أشرف من الذي قُتل.

الرابع: أن يمثِّل (أي يمثل بالقاتل إذا تمكن منه بأن يقطع أعضاءه ويشوهه ونحو ذلك).

الخامس: أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، وقال في هذا الأخير: ذكره الزجاج.

❁ ❁ ❁

التحذير من القتل

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ﷻ قتلها إلا بالحق، ومن هذا الحق ما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**».

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ أي: فقد جعلنا لولي المقتول تسلطًا على القاتل، أي: جعلنا له سبيلًا وحجة عليه ومكَّناه فيه فله أن يطالب بقتله، وله أن يعفو عنه وله أن يأخذ الدِّية منه.

أما قوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ فقد تقدم معناه وأنه لا يقتل اثنين بواحد

(٥٢١) أحمر
أسود

ولا يمثل بالمقتول ولا يقتل غير القاتل.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: أن الولي، ولي المقتول وعد الله بنصره إن هو لم يسرف في القتل، ومن نصره أيضًا أن الله جعل له تسلطًا على القالت، حكم الله بذلك حكمًا وجعله شرعًا، ومؤداه أن الولي سلَّطه الله على القائل يفعل به إحدى الثلاث إما أن يقتله وإما أن يعفو عنه وإما أن يقبل الدية، وهذا من صور نصره أيضًا.

ثم إن الله ﷻ ناصر أولياء المقتول يوم القيامة إن لم يأخذوا حقهم في الدنيا.

هذا، ومن الحق الذي به تقتل النفس إضافة إلى ما ذكر في حديث: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ:..**» فمن ذلك:

* قطاع الطرق والمحاربون لله ورسوله، ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣].

* ومنهم من عَمِل عَمل قوم لوط: (على قولٍ لفريق من العلماء).

* ومن ذلك قتال الفئة الباغية لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

* ومن هؤلاء الساحر (على قول لفريق من أهل العلم).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جلّ ثناؤه: وقضى أيضا أن ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ﴾ أيها الناس ﴿ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدّم كفرها إسلام، فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان.

(٥٢٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ يقول: ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلا بحقّ ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يقول: فقد جعلنا لوليّ المقتول ظلمًا سلطانًا على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جُعل لوليّ المقتول، فقال بعضهم في ذلك، نحو الذي قُلنا.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ قال: بيِّنة من الله ﷻ أنزلها يطلبها وليّ المقتول، العَقْل، أو القَوَد، وذلك السلطان.

وقال آخرون: بل ذلك السلطان: هو القتل.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ وهو القَوَد الذي جعله الله تعالى.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك: أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لوليّ القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «**ألا ومَنْ قُتِل لَهُ قَتِيلٌ فَهُو بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بين أنْ يَقْتُل أوْ يأْخُذ الدّيَة**».

وقوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الكوفة (**فَلا تُسْرِفْ**) بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول: فلا تقتل بالمقتول ظُلْمًا غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلًا عمد وليّ القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل، فقتله بوليه، وترك القاتل، فنهى الله ﷻ عن ذلك عباده، وقال

(٥٢٣) أحمر
أسود

لرسوله عليه الصلاة والسلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثِّل به. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ﴿فَلَا يُسۡرِف﴾ بالياء، بمعنى فلا يسرف وليّ المقتول، فيقتل غير قاتل وليه.

وصوَّب الطبري القراءتين: وأورد عدة آثار في تفسير الإسراف في القتل، منها:

أثر طلق بن حبيب بإسنادٍ صحيح عنه، قال: لا تقتل غير قاتله ولا تُمثل به.

ومنها أثرٌ من طريق خصيف عن سعيد بن جبير: قال لا تقتل اثنين بواحد.

ومنها أثرٌ بسندٍ صحيح عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ قال: كان الرجل يُقتل فيقول وليه: لا أرضى حتى أقتل به فلانًا وفلانًا من أشراف قبيلته.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ قال: لا يقتل غير قاتله؛ من قَتَل بحديدة قُتل بحديدة؛ ومن قَتَل بخشبة قُتِل بخشبة؛ ومن قَتل بحجر قُتل بحجر.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، يقول في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ قال: إن العرب كانت إذا قُتل منهم قتيل، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم، حتى يقتلوا أشرف من الذي قتله، فقال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ ينصره وينتصف من حقه ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ يقتل بريئا.

وقال الطبري:

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُني بالهاء التي في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ وعلى ما هي عائدة، فقال بعضهم: هي عائدة على وليّ

(٥٢٤) أحمر
أسود

المقتول، وهو المعنيّ بها، وهو المنصور على القاتل.

وقال آخرون: عُنِي بها دم المقتول، وقالوا: معنى الكلام: إن دم القتيل كان منصورًا على القاتل.

وأشبه ذلك بالصواب عندي، قول من قال: عُنِي بها الوليّ، وعليه عادت، لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضا، لأن الله جلّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أنه سلَّطه على قاتل وليه، وحكَّمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحبّ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نُصرة له من الله جلّ ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعنيّ بالهاء التي في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ناهيًا عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما ثبت في الصحيحين؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالزَّانِي الْمُحْصَنِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ»(١).

وفي السنن: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ»(٢).

وقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه.

وقوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ قالوا: معناه: فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل.

---

(١) البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) حسن لشواهده، أخرجه النسائي (٧/ ٨٣)، وله شواهد ذكرتها في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم.

(٥٢٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ٣٣﴾ أي: أن الولي منصور على القاتل شرعًا، وغالبًا قدرًا.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا شامل لكل نفس ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد ومسلم وكافر له عهد.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كالنفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة والباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ أي: بغير حق ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ وهو أقرب عصباته وورثته إليه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة ظاهرة على القصاص من القاتل، وجعلنا له أيضا تسلطا قدريًّا على ذلك، وذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص كالعمد العدوان والمكافأة.

﴿فَلَا يُسْرِف﴾ الولي ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ٣٣﴾ والإسراف مجاوزة الحد إما أن يمثل بالقاتل أو يقتله بغير ما قتل به أو يقتل غير القاتل.

وفي هذه الآية دليل إلى أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه وإن عفا سقط القصاص.

وأن ولي المقتول يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ٣٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولا تقتربوا من مال اليتيم فتعتدوا عليه وتأخذوا منه شيئًا بغير حق.

لا تقربوا منه إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق إما الحفظة لهم والإنفاق

(٥٢٦) أحمر
أسود

عليهم بالحسنى، وإما بتثميره لهم وتنميته لهم.

أما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ أي: حتى يبلغ اليتيم أشده ويبلغ الحلم ويستطيع أن يتصرف في ماله بالطريقة الحسنة كما قال تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ فالمراد بالعهد كما تقدم مرارًا جميع العهود التي أخذت عليك يا ابن آدم والتي قطعتها على نفسك، وهذا يشمل العهود التي بينك وبين ربك ﷻ، والعهود التي بينك وبين سائر البشر، ومنها عقود الأنكحة والمشاركات المالية والمعاهدات وغير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ أي: كان العبد مسؤولًا عن العهد يوم القيامة هل وفَّى به أم لا. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسرافا وبدارا أن يَكْبَروا، ولكن اقرَبوه بالفَعْلة التي هي أحسن، والخَلَّة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرّفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضا، والبيوع والأشربة والإجارات، وغير ذلك من العقود ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ يقول: إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبًا، يقال في

(٥٢٧) أحمر
أسود

الكلام: ليسألنّ فلان عهد فلان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: لا تتصرفوا له إلا بالغبطة ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ٦].

وقال:

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾ أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: عنه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أتموا للناس كيلهم إذا كِلتم لهم، أي: أعطوهم حقهم كاملًا مستوفًى دون تطفيف أو بخسٍ، وكذلك إذا وزنتم لها، أي بعتم لهم بطريق الوزن فزنوا لهم بالميزان المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا نقص ولا بخس، فذلك الإيفاء – إيفاء الكيل- والوزن بالقسطاس المستقيم خيرٌ من التطفيف والغش والبخس وأحسن عاقبة ومردًّا عند الله يوم القيامة، وكذلك فهو حسن العاقبة في الدنيا كذلك.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَ﴾ قضى أن ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ للناس ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لهم حقوقهم قِبَلَكم، ولا تبخَسُوهم ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ يقول:

(٥٢٨) أحمر
أسود

وقَضَى أن زنوا أيضًا إذا وزنتم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دَغَل، ولا خديعة.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس، فقال بعضهم: هو القبان[1].

وقال آخرون: هو العدل بالرومية.

وقال آخرون: هو الميزان صغر أو كبر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ يقول: إيفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل، ووزنكم بالعدل لمن توفون له ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ من بخسكم إياهم ذلك، وظلمكموهم فيه. وقوله: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ يقول: وأحسن مردودًا عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيُحسن لكم عليه الجزاء.

وأورد بإسناد يصح بطريقين عن قتادة: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ قال: عاقبةً وثوابًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾ أي: من غير تطفيف، ولا تبخسوا الناس أشياءهم. ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ قرئ بضم القاف وكسرها، كالقرطاس وهو الميزان. وقال مجاهد: هو العدل بالرومية.

وقوله: ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ أي: الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب.

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: لكم في معاشكم ومعادكم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ أي: مآلًا ومنقلبًا في آخرتكم.

❁ ❁ ❁

(١) والمراد بالقبان: نوعٌ من أنواع الموازين.

(٥٢٩) أحمر
أسود

النهي عن القول بلا علم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولا تقل أقوالًا ليس لك بها علم، ولا تقل رأيت وأنت لم تر ولا تقل سمعت وأنت لم تسمع، وكذا لا تقل هذا حلال وهذا حرام بلا علم. وكذلك لا ترمِ شخصًا بفاحشة أو بسرقةٍ أو بغير ذلك بلا علمٍ.

وكذلك لا تتكلم أو تعمل بناءً على الظنون والأوهام ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ الذي هو القلب، كل هذه الجوارح سيُسأل عنها العبد يوم القيامة، سيسأل عن سمعه ما الذي سمع، ما الذي تعمد سماعه، هل تعمد سماع خير أو تعمد الاستماع إلى شر؟! وكذلك سيسأل عن بصره وإلى أي شيء نظر ولماذا نظر؟! وكذلك سيسأل عن عزم قلبه، على أي شيء عزم، وعلى أي شيء نوى. فكل هذه الجوارح كان العبد عنها يوم القيامة مسؤولًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

هذا، وقد أورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فقال: قال بعضهم: ولا تقل ما ليس لك به علم.

وأورد بإسنادٍ صحيح بطريقين عن قتادة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله.

وقال آخرون: بل معناه: ولا ترم.

قال الطبري:

وهذان التأويلان متقاربا المعنى؛ لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادّعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم

(٥٣٠) أحمر
أسود

يره. وأصل القفو: العضة والبهت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحقّ، فذلك هو القفو.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ فإن معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سمع أو أبصر أو علم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحقّ، وقال أولئك، ولم يقل تلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومضمون ما ذكروه: أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، وفي الحديث: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**»[(١)].

وقوله: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ أي: يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأي من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، ونظيره قوله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» فالإنسان راعٍ على جوارحه، فكأنه قال: كل هذا كان

(١) البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٥٣١) أحمر
أسود

الإنسان عنه مسئولًا، فهو على حذف مضاف. والمعنى الأول أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي، كما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥]، وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]. وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسئولة، فهي حالة من يعقل، فلذلك عبر عنها بأولئك. وقال سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]: إنما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ في نجوم، لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل، وقد تقدم.

وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك، وأنشد هو والطبري:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وهذا أمر يوقف عنده. وأما البيت فالرواية فيه« الأقوام» والله أعلم.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يُسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يَحِلُّ، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت، ولم ير. وسمعت، ولم يسمع، وعلمت، ولم يعلم. ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم، وقد أشار جل وعلا إلى هذا المعنى في آيات أخر ؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ

(٥٣٢) أحمر
أسود

وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] الآية، وقوله: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، والآيات بمثل هذا في ذم اتباع غير العلم المنهي عنه في هذه الآية الكريمة - كثيرة جدا، وفي الحديث: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**».

وقال الشنقيطي أيضًا:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ فيه وجهان من التفسير:

الأول: أن معنى الآية أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن أفعال جوارحه، فيقال له: لم سمعت ما لا يحل لك سماعه؟ ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟

ويدل لهذا المعنى آيات من كتاب الله تعالى ؛ كقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، ونحو ذلك من الآيات.

والوجه الثاني: أن الجوارح هي التي تسأل عن أفعال صاحبها، فتشهد عليه جوارحه بما فعل.

قال القرطبي في تفسيره: وهذا المعنى أبلغ في الحجة ؛ فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي، كما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت: ٢٠].

قال مقيده عفا الله عنه: والقول الأول أظهر عندي، وهو قول الجمهور.

(٥٣٣) أحمر
أسود

النهي عن الكبر والاختيال

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا تمش في الأرض مفتخرًا بنفسك مستكبرًا مُتعاليًا على العباد، فإنك لن تثقب الأرض بمشيتك عليها وكذا مهما افتخرت وتعاليت فلن تبلغ الجبال طولًا أي: فلا أنت بثاقب الأرض بمشيتك عليها مفتخرًا بنفسك ضاربًا لها برجلك، ولا أنت بتعاليك وكبرك ببالغ الجبال طولًا.

وقيل في قوله: ﴿لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ لن تقطع الأرض مشيًا والتفسير الأول أشهر.

أما قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ فعائدٌ على ما ذكر ابتداء من قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...﴾.

أما قوله: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أي: كان السيئ من هذه المذكورات، فالمذكورات منها ما هو حسن كالأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين وإيتاء ذي القربى حقوقهم وغير ذلك كإيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم، ومن المذكورات أشياء حرمها الله كقتل النفس التي حرم الله بغير حق والزنا وأكل أموال اليتامى، والقول بلا علم.

قال فريق من العلماء: فقوله: ﴿سَيِّئُهُ﴾ أي: الأمور التي نهى الله عنها، كانت مكروهة عند ربك، أي: كانت محرمةً عند ربك ﷻ فلا تقربها.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالًا مستكبرًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك.

(٥٣٤) أحمر
أسود

﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخُيَلاء، وتقدم منه إليهم فيه معرِّفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئًا يقصر عنه غيرهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ يعني: بكبرك ومرحك.

وفي رواية أخرى من طريقه عن معمر، عن قتادة: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ قال: لا تمش في الأرض فخرًا وكبرًا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: لا تمش مرَحا، ولم يقل مرِحا، لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مرِحا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحا، ففسر المعنى المراد من قوله: ولا تمش.

وقوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ فإن القرّاء اختلفت فيه، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ على الإضافة بمعنى: كل هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.... إلى قولنا: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ يقول: سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروها.

وقال قارئو هذه القراءة: إنما قيل: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافة، لأن فيما عددنا من قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أمورًا، هي أمر بالجميل، كقوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾، وقوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ وما أشبه ذلك، قالوا: فليس كلّ ما فيه نهيًا عن سيئة، بل فيه نهى عن سيئة، وأمر بحسنات، فلذلك قرأنا ﴿سَيِّئُهُۥ﴾، وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (كل ذلك

(٥٣٥) أحمر
أسود

كان سيئة) وقالوا: إنما عنى بذلك: كلّ ما عددنا من قولنا: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ ولم يدخل فيه ما قبل ذلك. قالوا: وكل ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، فالصواب قراءته بالتنوين. ومن قرأ هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدمًا على السيئة، وأن يكون معنى الكلام عنده: كلّ ذلك كان مكروهًا سيئه؛ لأنه إن جعل قوله: مكروهًا نعدّ السيئة من نعت السيئة، لزمه أن تكون القراءة: كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ على إضافة السيئ إلى الهاء، بمعنى: كلّ ذلك الذي عددنا من ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ إلى ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ لأن في ذلك أمورًا منهيًّا عنها، وأمورًا مأمورًا بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ فإذا كان ذلك كذلك، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء أولى وأحقّ من قراءته سيئةً بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة.

فتأويل الكلام إذن: كلّ هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك كان سيئة مكروهًا عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ناهيًا عباده، عن التجبر والتبختر في المشية: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي: متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: لن تقطع الأرض بمشيتك قاله ابن جرير.

وقوله: ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك

(٥٣٦) أحمر
أسود

بنفسك، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده. كما ثبت في الصحيح: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَعَلَيْهِ بُرْدَان يَتَبَخْتَرُ فِيهِمَا، إِذْ خُسِف بِهِ الْأَرْض، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١). وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ أما من قرأ (سيئة) أي: فاحشة. فمعناه عنده: كل هذا الذي نهينا عنه، من قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ إلى هاهنا، فهو سيئة مؤاخذ عليها ﴿مَكْرُوهًا﴾ عند الله، لا يحبه ولا يرضاه. وأما من قرأ ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ على الإضافة فمعناه عنده: كل هذا الذي ذكرناه من قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى هاهنا فسيئه، أي: فقبيحه مكروه عند الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمراد بخرق الأرض نقبها لا قطعها بالمسافة.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها.

والثاني: لن تنفذها وتنقُبها.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: كبرًا وتيهًا وبطرًا متكبرًا على الحق ومتعاظمًا في تكبرك على الخلق.

﴿إِنَّكَ﴾ في فعلك ذلك: ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ بل تكون

(١) انظر البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٥٣٧) أحمر
أسود

حقيرًا عند الله ومحتقرًا عند الخلق مبغوضًا ممقوتًا قد اكتسبت شر الأخلاق واكتسبت بأرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور الذي نهى الله عنه فيما تقدم من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ والنهي عن عقوق الوالدين وما عطف على ذلك ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم والله تعالى يكرهه ويأباه.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان):

وأصل المرح في اللغة: شدة الفرح والنشاط، وإطلاقه على مشي الإنسان متبخترًا مشي المتكبرين ؛ لأن ذلك من لوازم شدة الفرح والنشاط عادة.

وأظهر القولين عندي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أن معناه لن تجعل فيها خرقًا بدوسك لها وشدة وطئك عليها، ويدل لهذا المعنى قوله بعده: ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: أنت أيها المتكبر المختال ضعيف حقير عاجز محصور بين جمادين، أنت عاجز عن التأثير فيهما، فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها فتخرقها بشدة وطئك عليها، والجبال الشامخة فوقك لا يبلغ طولك طولها ؛ فاعرف قدرك، ولا تتكبر، ولا تمش في الأرض مرحًا.

القول الثاني أن معنى ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تقطعها بمشيك.

❁ ❁ ❁

التحذير من الشرك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ذلك الذي ذكره الله، وذلك الذي قضاه ربك وأمر بالذي أمر به، ونهى عن الذي نهى عنه، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة، التي أوحيناها إليك في هذا القرآن، وقيل: الحكمة هي القرآن.

(٥٣٨) أحمر
أسود

وقيل: من الحكمة أي: من القول السديد والعمل الرشيد.

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: ولا تعبد مع الله ﷻ معبودًا غيره آخر ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ يلومك الخلق وتلام من الله ﷻ وتُلام من ملائكته الكرام، بل وتلوم نفسك أيضًا.

أما قوله: ﴿مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ أي: مُبعدًا مطرودًا عن الخير والفلاح.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ يقول: من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا.

وقال ابن زيد، في قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ قال: القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ يقول: ولا تجعل مع الله شريكًا في عبادتك، فتُلقى في جهنم ملومًا تلومك نفسك وعارفوك من الناس ﴿مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ يقول: مُبْعَدًا مقصيًّا في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهَّار، فتنجو من عذابه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة، مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ أي: تلومك نفسك والخلق. ﴿مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾. أي: مبعدًا من كل خير، قال ابن عباس وقتادة: مطرودًا. والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ؛ فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم.

(٥٣٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
(٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ كَانَ
مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥)
وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ
وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ
هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧) ٱنظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ
خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا
(٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) ﴾

[يونس: ٤٢-٥٢]

(٥٤٠) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ - بِٱلْبَنِينَ - وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا - صَرَّفْنَا - لِيَذَّكَّرُوا۟ - نُفُورًا - لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا - سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ - تُسَبِّحُ لَهُ - لَا تَفْقَهُونَ - حَلِيمًا - حِجَابًا مَّسْتُورًا - أَكِنَّةً - وَقْرًا - وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا - يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ - نَجْوَىٰٓ - فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا - وَرُفَٰتًا - يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ - فَطَرَكُمْ - فَسَيُنْغِضُونَ - فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ - لَّبِثْتُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾	أفميّزكم – أفاختصكم – أفضلكم.
﴿بِٱلْبَنِينَ﴾	بالأولاد الذكور.
﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾	جعل الملائكة إناثًا وجعلها بناتًا له.
﴿صَرَّفْنَا﴾	نوَّعنا – فصلنا – كررنا.
﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾	ليتعظوا – ليعتبروا.
﴿نُفُورًا﴾	بُعدًا – انصرافًا.
﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾	لبحثوا عن طريق يوصلهم إلى الله لمنازعته في ملكه ولطرده من ملكه. وقيل: لبحثوا عن طريق يتقربون به إلى الله ﷻ وعملٍ صالح يوصلهم إليه.
﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾	تنزه وتعاظم وارتفع.
﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾	تنزهه عن كل عيب ونقصٍ.

(٥٤١) أحمر
أسود

﴿لَّا تَفْقَهُونَ﴾	لا تفهمون – لا تعقلون.
﴿حَلِيمًا﴾	لا يعاجل بالعقوبة – يُمهل العباد.
﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾	ساترًا لا يُرى.
﴿أَكِنَّةً﴾	أغلفةً – أغشية تحيط بها.
﴿وَقْرًا﴾	صممًا – ثقلًا.
﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾	انصرفوا عنك نافرين منك رافضين ما جئتهم به.
﴿يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾	المراد الحال والطريقة التي يستمعون بها كيفية استماعهم.
﴿نَجْوَىٰ﴾	يناجي بعضهم بعضًا – يتحدثون سرًّا.
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	لا يستطيعون الوصول إلى الحق. لا يستطيعون منع الناس من سلوك طريق الحق.
﴿وَرُفَاتًا﴾	عظامًا متفتتة بالية – ترابًا.
﴿يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾	يعظم في صدوركم، وتستبعدون معه البعث فمثلًا قد يستبعدون أن يبعث الحديد، والله قادر على بعثهم ولو كانوا حديدًا.
﴿فَطَرَكُمْ﴾	خلقكم.
﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾	فسيحركون استهزاءً وسخريةً.
﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾	فتجيبون بفضل الله وبحمده الداعي الذي يدعوكم.
﴿لَّبِثْتُمْ﴾	مكثتم في دنياكم – أو في قبوركم.

(٥٤٢) أحمر
أسود

إبطال دعوى أهل الشرك أن الملائكة إناث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: أفاختصكم ربكم ﷻ بأن جعل لكم البنين وميَّزكم بهذا، واتخذ لنفسه الملائكة الذين هم إناث، إنكم لتقولون قولًا عظيمًا في فحشه وضلاله وزيغه وانحرافه.

وبإيضاح آخر أقول – وبالله التوفيق-: إن أهل الشرك كانوا يميزون ويفضلون الذكور على الإناث وكان منهم من يدعي أن الملائكة إناث ويدعي أيضًا أنها بنات الله.

فافترى من وجوه:

الوجه الأول: دعواه أن الله ﷻ وُلد له.

والوجه الثاني: دعواه أن الملائكة إناث.

الوجه الثالث: اختيارهم البنين لأنفسهم وترك البنات لله.

فإذا كنتم يا أهل الشرك تقولون إن البنين أفضل من البنات، وأن خالق البنين والبنات هو الله، فكيف يختار لنفسه الأدنى الأقل، وهو الخلَّاق سبحانه وتعالى، إنكم بما قلتموه وما اعتقدتموه وما افتريتموه قلتم قولًا عظيمًا في فحشه ونكارته.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أيها الناس ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تئدونهن،

(٥٤٣) أحمر
أسود

وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم: الملائكة بنات الله، قولًا عظيمًا، وتفترون على الله فرية منكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى رادًّا على المشركين الكاذبين الزاعمين -عليهم لعائن الله -أن الملائكة بنات الله، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، ثم ادعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم فأخطئوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيمًا، قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ أي: خصصكم بالذكور ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ أي: اختار لنفسه على زعمكم البنات؟ ثم شدد الإنكار عليهم فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ أي: في زعمكم لله ولدًا، ثم جعلكم ولده الإناث التي تأنفون أن يكن لكم، وربما قتلتموهن بالوأد، فتلك إذًا قسمة ضيزى. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ -٩٥].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ أي: اختار لكم الصفوة والنصيب الكامل واتخذ لنفسه من الملائكة إناثًا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ فيه أعظم الجرأة على الله حيث نسبتم له الولد المتضمن لحاجته واستغناء بعض المخلوقات عنه وحكمتم له بأردأ القسمين، وهن الإناث وهو الذي خلقكم واصطفاكم بالذكور فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

(٥٤٤) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

الهمزة في قوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ للإنكار، ومعنى الآية: أفخصكم ربكم على وجه الخصوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيبًا لنفسه، واتخذ لنفسه أدونهم وهي البنات! وهذا خلاف المعقول والعادة، فإن السادة لا يؤثرون عبيدهم بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب، ويتخذون لأنفسهم أردأها وأدونها، فلو كان جل وعلا متخذًا ولدًا - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا - لاتخذ أجود النصيبين ولم يتخذ أردأهما، ولم يصطفكم دون نفسه بأفضلهما.

وهذا الإنكار متوجه على الكفار في قولهم: الملائكة بنات الله، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا، فقد جعلوا له الأولاد! ومع ذلك جعلوا له أضعفها وأردأها وهو الإناث، وهم لا يرضونها لأنفسهم.

وقد بين الله تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]، وقوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، وقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾، والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا، وقد بينا ذلك بإيضاح في «سورة النحل»، وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بين فيه أن ادعاء الأولاد لله - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا - أمر عظيم جدًّا، وقد بين شدة عظمه بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، فالمشركون - قبحهم الله -

(٥٤٥) أحمر
أسود

جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، ثم ادعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم ؛ فاقترفوا الجريمة العظمى في المقامات الثلاث.

❁ ❁ ❁

تصريف الآيات ومعناه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد نوَّعنا في هذا القرآن من الآيات، فمنها آيات مخوِّفة تخوِّف من النار وتحذر منها وآيات مُبشرة تبشر المطيعين.

وآيات فيها قصص وعبر وأخبار تذكر بمصير العصاة والطغاة، وآيات ترق لها القلوب، وآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته إلى غير ذلك من صور التنويع والتكرير، كل هذا ليتعظوا ويعتبروا، ولكن كل هذا التصريف والتنويع لا يزيد أهل الكفر إلا طغيانًا وانصرافًا وإعراضًا عن الحق ونفورًا عنه وابتعادًا.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ لهؤلاء المشركين المفترين على الله ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ العِبَر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذّرناهم فيه وأنذرناهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينيبوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنُّذُر، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تذكيرنا إياهم ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ يقول: إلا ذهابًا عن الحقّ، وبُعدًا منه وهربًا. والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم: نفر فلان من هذا الأمر ينفِر منه نَفْرًا ونفورًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي: صرفنا فيه من الوعيد

(٥٤٦) أحمر
أسود

لعلهم يذكرون ما فيه من الحجج والبينات والمواعظ، فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: الظالمين منهم ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ أي: عن الحق، وبعدًا منه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي: بينا. وقيل كررنا. ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قيل: «في» زائدة، والتقدير: ولقد صرفنا في هذا القرآن، مثل: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] أي: أصلح ذريتي. والتصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة. والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير. وقيل: المغايرة، أي: غايرنا بين المواعظ ليذكروا ويعتبروا ويتعظوا. وقراءة العامة ﴿صَرَّفْنَا﴾.

بالتشديد على التكثير حيث وقع. وقرأ الحسن بالتخفيف. وقوله: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ يعني: الأمثال والعبر والحكم والمواعظ والأحكام والإعلام قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحسين يقول بحضرة الإمام الشيخ أبي الطيب: لقوله تعالى: ﴿صَرَّفْنَا﴾ معنيان، أحدهما لم يجعله نوعًا واحدًا بل وعدًا ووعيدًا ومحكمًا ومتشابهًا ونهيًا وأمرًا وناسخًا ومنسوخًا وأخبارًا وأمثالًا، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال، وصريف الأفعال من الماضي والمستقبل والأمر والنهي والفعل والفاعل والمفعول ونحوها. والثاني أنه لم ينزل مرة واحدة بل نجوما، نحو قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ومعناه: أكثرنا صرف جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليك.

ثم قال:

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: التصريف والتذكير. ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ أي: تباعدًا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار، وذلك لأنهم اعتقدوا في القرآن أنه حيلة وسحر وكهانة وشعر.

(٥٤٧) أحمر
أسود

إبطال دعوى من ادّعى أن الله له شريك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله محتجًّا على هؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، قل لو كان مع الله ﷻ آلهة أخرى خلقت كخلقه، وترزق كرزقه، وتستحق العبادة كما يستحقها، كما يفتري هؤلاء المشركون، قل لو كانت هناك آلهة أخرى لطلبت إلى ذي العرش الذي هو الله تبارك وتعالى طريقًا.

وفي قوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ قولان:

أحدهما: ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ طريقًا لمحاربته ولإقالته عن حكمه وملكه كما يصنع ملوك الدنيا مع بعضهم، فإنهم يتصارعون ويتقاتلون حتى تكون الكلمة العليا لواحدٍ منهم.

الثاني: أن قوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي: طريقًا يقربهم إليه، كما قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

أما قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ فمعناه: تنزَّه ربنا ﷻ وتعالى عما يقوله أهل الشرك وعما يدَّعونه من أن الله ﷻ له ولد.

وعما يدَّعونه من أن له شريك في الملك، وعما يدَّعونه من أن معه آلهة أُخرى، بل السموات السبع والأرض ومن فيهن كلٌّ يسبح بحمده وينزهه عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد، كل يقول سبحانك اللهم وبحمدك، ولكنكم لا تفهمون تسبيحهم لكونكم لا تدركون لغتهم.

(٥٤٨) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ فهو لا يعاجل خلقه بالعقوبة مع استحقاقهم لها ﴿غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ كثير المغفرة لهم، وكثيرًا ما يستر على ذنوبهم ولا يعاجلهم بعقوبتها.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لابتغت تلك الآلهة القُربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزُّلْفة إليه، والمرتبة منه.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقرّبهم إليه.

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيهًا لله وعلوًّا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة.

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ يقول:

تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظامًا له وإجلالًا، السماوات السبع والأرض، ومن فيهنّ من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجنّ، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تَفْتَرون.

وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ يقول جلّ ثناؤه:

وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده.

(٥٤٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ يقول: إن الله كان حليمًا لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة ﴿غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ يقول: ساترًا عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكًا من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه -لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه.

ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: تعاليًا كبيرًا، بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

ويقول تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته:

ففي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

كما قال: تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا

(٥٥٠) أحمر
أسود

﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠ -٩١].

وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وهذا أشهر القولين، كما ثبت في صحيح البخاري، عن ابن مسعود أنه قال: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤكل»(١).

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر، كما جاء في الصحيحين: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] الآية، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٨]. ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان، ورجع إلى الله وتاب إليه، تاب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وقال هاهنا: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ كما قال في آخر فاطر: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤١ -٤٥].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُل﴾ للمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا

(١) البخاري (٣٥٧٩).

(٥٥١) أحمر
أسود

يَقُولُونَ﴾ أي: على موجب زعمهم وافترائهم ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي: لاتخذوا سبيلًا إلى الله بعبادته والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلهًا مع الله؟! هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟.

فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨].

ويحتمل أن المعنى في قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي: لطلبوا السبيل وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما وقد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يدعون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلم اتخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: تقدس وتنزه وعلت أوصافه ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشرك به واتخاذ الأنداد معه ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ فعلا قدره وعظم وجلت كبرياؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضل من قال ذلك ضلالًا مبينًا وظلم ظلمًا كبيرًا.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة وصغرت لدى كبريائه السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧].

وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي فقرًا ذاتيًّا لا ينفك عن أحد منهم في

(٥٥٢) أحمر
أسود

وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم الذي إليه يتقربون وإليه في كل حال يفزعون، ولهذا قال:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾ من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ بلسان الحال ولسان المقال. ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولًا تكاد السماوات والأرض تتفطر منه وتخر له الجبال ولكنه أمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته لسقطت السماوات على الأرض ولما ترك على ظهرها من دابة.

وأورد ابن الجوزي في زاد المسير القولين في

قوله تعالى: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾.

أحدهما: لابتَغَوا سبيلًا إلى ممانعته وإزالة ملكه.

والثاني: لابتَغَوا سبيلًا إلى رضاه، لأنهم دونه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾.

قرأ جمهور القراء (**كما تقولون**) بتاء الخطاب. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ بياء الغيبة. وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير، كلاهما حق ويشهد له قرآن. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب

(٥٥٣) أحمر
أسود

المبارك: أن الآية قد يكون فيها وجهان كلاهما حق، وكلاهما يشهد له قرآن، فنذكر الجميع لأنه كله حق.

الأول من الوجهين المذكورين: أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا (أي: الآلهة المزعومة) أي لطلبوا إلى ذي العرش (أي: إلى الله) سبيلا ؛ أي: إلى مغالبته وإزالة ملكه، لأنهم إذا يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض. سبحان الله وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا!

وهذا القول في معنى الآية هو الظاهر عندي، وهو المتبادر من معنى الآية الكريمة، ومن الآيات الشاهدة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢]، وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وهذا المعنى في الآية مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبي علي الفارسي، والنقاش، وأبي منصور، وغيره من المتكلمين.

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة: أن المعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا أي: طريقًا ووسيلة تقربهم إليه لاعترافهم بفضله، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية، ويروى هذا القول عن قتادة، واقتصر عليه ابن كثير في تفسيره.

ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول ؛ لأن في الآية فرض المحال، والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مشاركة له، لا يظهر معه أنها تتقرب إليه، بل تنازعه لو كانت موجودة، ولكنها معدومة مستحيلة الوجود، والعلم عند الله تعالى.

(٥٥٤) أحمر
أسود

تسبيح الجمادات وسائر المخلوقات

س: هل الجمادات تسبح؟ وهل الدواب تسبح؟

ج: نعم كل ذلك يسبح:

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ [الحج: ١٨].

هذا وستأتي هذه المسألة باستفاضة بأدلتها إن شاء الله.

وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يسبح هو ما فيه الروح فقط.

لكن عموم الآية يشهد للقول بأن الجميع يسبح.

وكذا الأدلة الأخرى الدالة على أن الجبال تسبح.

وسيأتي إن شاء الله أن الطعام كان يسمع تسبيحه على عهد رسول الله ﷺ.

وصح عند الطبري عن إبراهيم النخعي أنه قال: الطعام يُسبح والله أعلم.

❁ ❁ ❁

المراد بالحجاب المستور

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين أهل الكفر

(٥٥٥) أحمر
أسود

المكذبين بالبعث ساترًا لا يُرى.

ولأهل العلم في تفسير هذا الساتر أقوال:

أحدها: أنه ساتر حاجز على الحقيقة ولكنه لا يُرى.

الثاني: أنه مانعٌ يمنعهم من الفهم.

الثالث: أنه الأكنة التي جعلها الله على القلوب حتى لا يصل إليها شيءٌ من الخير والفهم.

أما القول الثالث: فأراه ضعيفًا هاهنا؛ وذلك لأن الله تبارك وتعالى، ذكر الأكِنَّة بعد ذلك إذ قال: وجعلنا على قلوبهم أكنةً، وهي جمع كنانة وهي الذي يغشى القلب ويغطيه ويحيط به.

فقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: أغشية جمع غشاء، وأغطية: جمع غطاء كي لا يفهموا القرآن ولا يدركوا معانيه، وكذا جعلنا في آذانهم وقرًا، أي: ثقلًا وصممًا، كي لا يصل إلى أسماعهم شيءٌ ينتفعون به.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ أي: وإذا دعوت إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وأخبرت القوم بما أنزل الله عليك في القرآن من أنه ﷻ إلهٌ واحدٌ لا شريك له، إذا بأهل الكفر ينصرفون عنك وينفضون عنك نافرين معرضين مستكبرين على الحق، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، وكما قال: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرّون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجابًا،

(٥٥٦) أحمر
أسود

يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم. والحجاب ههنا: هو الساتر.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول: معنى قوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ حِجابا ساترا، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من شأمهم ويمنهم. قال: والحجاب ههنا: هو الساتر، وقال: مستورًا. وكان غيره من أهل العربية يقول: معنى ذلك: حجابًا مستورًا عن العباد فلا يرونه.

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن لله سترًا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأوّل وجه مفهوم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة، وهي جمع كِنان، وذلك ما يتغشَّاها من خِذلان الله إياهم عن فهم ما يُتلى عليهم ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يقول: وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه، وصممًا، والوَقر بالفتح في الأذن: الثقل. والوِقر بالكسر: الحِمْل. وقوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ يقول: انفضوا، فذهبوا عنك نفورًا من قولك استكبارًا له واستعظامًا من أن يوحِّد الله تعالى.

(٥٥٧) أحمر
أسود

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟﴾ وإن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فصافها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نُصِر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فِئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرّون بها.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ قال: بغضًا لما تكلم به لئلا يسمعوه، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة، ويَستغشُون ثيابهم، قال: يلتفون بثيابهم، ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ولا يُنظر إليهم.

وقال آخرون: إنما عُنِي بقوله: ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ الشياطين، وإنها تهرب من قراءة القرآن، وذكر الله.

والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ فأن يكون ذلك خبرًا عنهم أولى إذا كان بخبرهم متصلًا من أن يكون خبرًا عمن لم يجز له ذكر. وأما النفور، فإنها جمع نافر، كما القعود جمع قاعد، والجلوس جمع جالس؛ وجائز أن يكون مصدرًا أخرج من غير لفظه، إذ كان قوله: ﴿وَلَّوْا۟﴾ بمعنى: نفروا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ أي: بمعنى ساتر، كميمون ومشئوم، بمعنى: يامن وشائم؛ لأنه من يمنهم وشأمهم.

(٥٥٨) أحمر
أسود

وقيل: مستورا عن الأبصار فلا تراه، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى، ومال إلى ترجيحه ابن جرير، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: جمع «كنان»، الذي يغشى القلب ﴿أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفهموا القرآن ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به.

وقوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾ أي: إذا وحدت الله في تلاوتك، وقلت: «لا إله إلا الله» ﴿وَلَّوْا۟ ﴾ أي: أدبروا راجعين ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ ونفور: جمع نافر، كقعود جمع قاعد، ويجوز أن يكون مصدرًا من غير الفعل، والله أعلم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير:

الأول: أن المعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا ؛ أي حائلًا وساترًا يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به، وعلى هذا القول فالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه، والآيات الشاهدة لهذا المعنى كثيرة ؛ كقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥]، وقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وممن قال بهذا القول في معنى الآية: قتادة والزجاج وغيرهما.

(٥٥٩) أحمر
أسود

الوجه الثاني في الآية: أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه ﷺ إذا ذكر ربه وحده في القرآن بأن قال: «لا إله إلا الله» ولى الكافرون على أدبارهم نفورًا، بغضًا منهم لكلمة التوحيد، ومحبة للإشراك به جل وعلا.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر، مبينا أن نفورهم من ذكره وحده جل وعلا سبب خلودهم في النار، كقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣] الآية، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ﴾ [الحج: ٧٢]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

وقوله في هذه الآية: ﴿نُفُورًا﴾ جمع نافر ؛ فهو حال. أي: ولوا على أدبارهم في حال كونهم نافرين من ذكر الله وحده من دون إشراك، والفاعل يجمع على فعول كساجد وسجود، وراكع وركوع.

وقال بعض العلماء: ﴿نُفُورًا﴾ مصدر، وعليه فهو ما ناب عن المطلق من قوله: ولوا ؛ لأن التولية عن ذكره وحده بمعنى النفور منه.

❁ ❁ ❁

(٥٦٠) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ...﴾ ردٌّ على القدرية، وضحه؟

ج: إيضاحه أن الله ﷻ حجب عنهم الفهم ومنعهم الاستفادة من القرآن، ومن ثمَّ حرمهم الإيمان.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية الكريمة الرد الواضح على القدرية في قولهم: إن الشر لا يقع بمشيئة الله، بل بمشيئة العبد؛ سبحان الله وتعالى علوًّا كبيرًا عن أن يقع في ملكه شيء ليس بمشيئته؟ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] الآية، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: نحن أعلم بالطريقة التي يستمعون بها إليك، فإنهم يستمعون إليك وهم يسخرون منك، ومن كلامك ويستهزئون بك وبكلامك، ويكذبونك فيما جئتهم به فإنك تتكلم وتخبرهم بالوحي، وهم يتحدثون سرًّا فيما بينهم، فيما بين قائلٍ إنه ساحر وما بين قائل إنه كاهن، وما بين قائل إنه شاعر إلى غير ذلك من الأقوال، وإن كان قول أكثرهم أنه مسحور، فقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ حاصل معناه: نحن أعلم بهم إذا يقول أهل الكفر لأهل الإيمان إن الذي تتبعونه رجل مسحور، أي: رجل سُحر وصرف عن الحقيقة إلى الخيال، وأصبح يأتيه رئيٌّ من الجن فيغير له الحقائق ويقلب عليه الأمور والأحوال.

(٥٦١) أحمر
أسود

هذا، ومن أهل العلم من قال مسحورًا أي: له سحر أي رئةٌ قال: فالعرب يطلقون على الرئة سحر، كما قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ، ورأسه بين سحري ونحري[1]. أي: بين رئتي ورقبتي.

وقال بعضهم أيضًا: إن من معاني المسحور الذي يأكل ويشرب. والقول الأول أولى والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى، كما يقول: هم قوم رضا، وإنما رضا: فعلهم. وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ يقول: حين يقول المشركون بالله ما تتبعون إلا رجلًا مسحورًا. وعنى فيما ذُكِر بالنجوى: الذين تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ في دار النَّدوة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾...﴾ الآية، ونجواهم أن زعموا أنه مجنون، وأنه ساحر، وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ثم قال الطبري:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلًا له سَحْر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سَحْرا، والمسحَّر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سَحْره،

(١) البخاري (١٣٩٨)، ومسلم (٢١٩٢).

(٥٦٢) أحمر
أسود

وكذلك يقال لكل ما أكَلَ أو شرب من آدميّ وغيره: مَسحور ومُسَحَّر، كما قال لبيد:

فـإنْ تَسْـأَلِينَا فِـيم نَحْـنُ فإنَّنَـا عَصَـافِيرُ مِـنْ هَـذَا الأنـامِ المُسَـحَّر

وقال آخرون:

ونُسـحَر بالطعـام وبالشـراب

أي: نغذّى بهما، فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلًا له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا مَلَكا لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى نبيه -صلوات الله وسلامه عليه- بما تناجى به رؤساء كفار قريش، حين جاءوا يستمعون قراءة رسول الله ﷺ سرًّا من قومهم، بما قالوا من أنه رجل مسحور، من السحر على المشهور، أو من «السحر»، وهو الرئة، أي: إن تتبعون -إن اتبعتم محمَّدا- ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾ يأكل ويشرب، كما قال الشاعر:

فـإنْ تَسْـأَلِينَا فِـيم نَحْـنُ فإنَّنَـا عَصَـافِيرُ مِـنْ هَـذَا الأنـامِ المُسَـحَّر

وقال الراجز:

ونُسـحَر بالطعـام وبالشـراب

أي: نغذى: وقد صوب هذا القول ابن جرير، وفيه نظر؛ لأنهم إنما أرادوا هاهنا أنه مسحور له رئى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ومنهم من قال: «شاعر»، ومنهم من قال: «كاهن»، ومنهم من قال: «مجنون»، ومنهم من قال: «ساحر»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨] أي: فلا يهتدون إلى الحق، ولا يجدون إليه مخلصًا.

(٥٦٣) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقدحوا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق وإنما هم متعمدون على عدم اتباعه، ومن كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئًا ولهذا قال: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ أي: متناجين ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في مناجاتهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم وقد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي لا يدري ما يقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: انظر يا رسول الله كيف وصفوك وشبهوك، فتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: مسحور، وتارة يقولون: كاهن، وتارة يقولون: شاعر، إلى غير ذلك من الأقوال والتشبيهات، انظر كيف فعلوا ذلك فانصرفوا عن طريق الحق والصواب. وحادوا عن طريق الإيمان والإسلام والهداية فلم يعودوا مستطيعين سلوك سبيل الحق والهداية والاهتداء إليه، بل أخطؤوا هذا الطريق وضلوا عنه وحادوا.

وقال بعضهم: إن قوله: ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ معناه: فلا يستطيعون صرف الناس عن الحق الذي جئتهم به.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثَّلوا لك الأمثال،

(٥٦٤) أحمر
أسود

وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون ﴿فَضَلُّواْ﴾ يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ما قالوا: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ يقول: فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفُّقهم إلى الإيمان به.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ عجبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وتارة شاعر. ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: حيلة في صد الناس عنك. وقيل: ضلوا عن الحق فلا يجدون سبيلًا، أي إلى الهدى. وقيل: مخرجًا، لتناقض كلامهم في قولهم: مجنون، ساحر، شاعر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وقال أهل الكفر: أئذا متنا، وتحولنا إلى عظام بعد أن أُكلت لحومنا وبليت وأصبحنا عظامًا بلا لحم، ثم أصبحت العظام رُفاتًا أي: عظامًا متفتتة أو ترابًا، أنبعث أحياء بعد الممات، ونعود خلقًا جديدًا كما كنا أول مرةٍ في دنيانا، ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المتعجبين من كونهم سيعودون أحياء، قل لهم: كونوا حجارة أو حديدًا، أي: حتى لو لم تكونوا عظامًا بل كنتم من حجارةٍ أو من حديد، فسيعديكم الله أيضًا، أو كونوا على أي خلقٍ كنتم، فسيعيدكم الله أيضًا، كونوا خلقًا مما يعظم

(٥٦٥) أحمر
أسود

في صدوركم أمره فستبعثون أحياء على أية حال كنتم، كونوا موتى فسيبعثكم الله أيضًا بل كونوا الموت نفسه فسيبعثكم الله أيضًا، كونوا السموات والأرض فسيبعثكم الله أيضًا، كونوا على أي خلق عظيم في صدوركم، وبعيدٌ عليكم أن يبعث، فسيبعثكم الله أيضًا، ويعيدكم أحياءً فسيقولون من إذن الذي سيعيدنا أحياء قل الذي سيعديكم أحياء هو الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيقولون متى هو؟ متى هذا الخلق الجديد؟!!

متى البعث؟!! فسيحركون إليك رؤوسهم استهزاءً بك وسخريةً منك، ويقولون: متى هو؟ قل لهم عسى أن يكون قريبًا، فالعلم بذلك موكولٌ إلى الله ﷻ، وكونه قريب بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، فقد مضى من الدنيا أكثر ولم يبق منها بعد بعثة النبي ﷺ إلا القليل.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بعنتهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ لم نتحطم ولم نتكسَّر بعد مماتنا وبلانا ﴿وَرُفَٰتًا﴾ يعني: ترابا في قبورنا.

وقوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ قالوا، إنكارًا منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظامًا غير منحطمة، ورفاتًا منحطمة، وقد بَلِينا فصرنا فيها ترابًا، خلقًا مُنْشَأ كما كنا قبل الممات جديدا، نعاد كما بدئنا، فأجابهم جلّ جلاله يعرّفهم قُدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلاهم خلقًا جديدًا، على أيّ حال كانوا من الأحوال، عظامًا أو رُفاتًا، أو حجارة أو حديدًا، أو غير ذلك مما يعظُم عندهم أن يحدث مثله خَلْقًا أمثالَهم أحياء، قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدًا، أو خلقًا مما يكبر في صدوركم.

(٥٦٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقًا جديدًا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدًا، أو خلقًا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقًا جديدًا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فقال بعضهم: عُنِي به الموت، وأريد به: أو كونوا الموت، فإنكم إن كنتموه أمتُّكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث.

وأورد الطبري عدة آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ وأن المراد بذلك الموت، أي: لو كنتم موتى لأحييتكم.

وصح السند بهذا عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الطبري:

وقال آخرون: عنى بذلك السماء والأرض والجبال.

وقال آخرون: بل أُريد بذلك: كونوا ما شئتم.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال: من خلق الله، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقًا جديدًا.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض؛ وجائز أن يكون أراد به غير

(٥٦٧) أحمر
أسود

ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء.

وأما قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ فإنه يقول: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿مَن يُعِيدُنَا﴾ خلقًا جديدًا، إن كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدكم ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول: يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسًا أحياء، الذي خلقكم إنسًا من غير شيء أوّل مرّة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: خلقكم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض.

قال الطبري:

وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضا، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، كما قال الشاعر.

أسكّ نغْضًا لا يَنِي مُسْتَهْدِجا

ويقال: نَغَضَت سنه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها؛ ومنه قول الراجز:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها

وقول الآخر:

لمَّا رأتْنِي أنْغَضَتْ لِيَ الرأسا

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحرّكون رءوسهم تكذيبا واستهزاء.

(٥٦٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقولون متى البعث، وفي أيّ حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا، كما كنا أوّل مرّة، قال الله ﷻ لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو، متى هذا البعث الذي تعدنا، عسى أن يكون قريبا؟ وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبيّ ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْن، وأشار بالسَّبابة والوُسطَى**»، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ أي: ترابا. قاله مجاهد. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: غبارا. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: بعد ما بلينا وصرنا عدمًا لا يذكر. كما أخبر عنهم في الموضع الآخر: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٠ -١٢]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، وهكذا أمر رسوله ههنا أن يجيبهم فقال: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠﴾ وهما أشد امتناعًا من العظام والرفات ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ﴾.

وأورد ابن كثير نحوًا مما تقدم في الآية وقال:

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ﴾ أي: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا، ثم صرتم بشرًا تنتشرون؛ فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: قال ابن عباس وقتادة: يحركونها

(٥٦٩) أحمر
أسود

استهزاء.

وهذا الذي قالاه هو الذي تفهمه العرب من لغاتها؛ لأن الإنغاض هو: التحرك من أسفل إلى أعلى، أو من أعلى إلى أسفل، ومنه قيل للظليم -وهو ولد النعامة -: نغضًا؛ لأنه إذا مشى عجل في مشيته وحرك رأسه. ويقال: نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها؛ قال: الراجز.

ونغضت من هرم أسنانها

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ إخبار عنه بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الملك: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨].

وقوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ أي: احذروا ذلك، فإنه قريب إليكم، سيأتيكم لا محالة، فكل ما هو آت آت.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: الرب تعالى ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥] أي: إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع، بل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] أي: إنما هو أمر واحد بانتهار، فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] أي: تقومون كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ أي: قالوا وهم يتناجون لما سمعوا القرآن وسمعوا أمر البعث: لو لم يكن مسحورًا مخدوعًا، لما قال هذا. قال

(٥٧٠) أحمر
أسود

ابن عباس: الرفات الغبار. مجاهد: التراب. والرفات ما تكسر وبلي من كل شيء، كالفتات والحطام والرضاض، عن أبي عبيدة والكسائي والفراء والأخفش. تقول منه: رفت الشيء رفتًا، أي حطم، فهو مرفوت. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ﴿أَءِنَّا﴾ استفهام والمراد به الجحد والإنكار. و﴿خَلْقًا﴾ نصب لأنه مصدر، أي: بعثًا جديدًا. وكان هذا غاية الإنكار منهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾ أي: يعظم ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾ لتسلموا بذلك على زعمكم من أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزي الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وبعد الممات.

فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ حين تقيم عليهم الحجة في البعث: ﴿مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فكما فطركم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا فإنه سيعيدكم خلقًا جديدًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى عسى أن يكون بعثكم قريبًا، يوم يدعوكم للخروج من قبوركم،

(٥٧١) أحمر
أسود

وذلك بالنفخ في الصور النفخة الثانية فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: فتخرجون مجيبين مطيعين سامعين كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ فهو المحمود على كل حال، أي: فخروجكم من قبوركم بحمد الله، كما نقول: أنا بحمد الله صنعت كذا وكذا، وكذلك فخروج الناس من قبورهم لمجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بما قدم، كل ذلك يحمد عليه ربنا ﷻ، وقيل: إن معنى بحمده، أي: بأمره، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

أما قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ أي: وتحسبون يوم القيامة أنكم ما مكثتم في دنياكم إلا زمنًا قليلًا، أو تحسبون يوم القيامة أنكم ما مكثتم في قبوركم إلا قليلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبًا، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة، فتستجيبون بحمده.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ فقال بعضهم: فتستجيبون بأمره.

وقال آخرون: معنى ذلك: فتستجيبون بمعرفته وطاعته.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بمعرفته وطاعته.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه إياكم، ولله الحمد في كلّ حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني: لله الحمد على كلّ ما فعلته، وكما قال الشاعر:

(٥٧٢) أحمر
أسود

فـإنّي بِحَمْـد الله لا ثَـوْبَ فـاجِرٍ لَبِسْـتُ وَلا مِـنْ غَـدْرَةٍ أَتَقَنَّـعُ

بمعنى: فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست.

وقولـه: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ يقـول: وتحسـبون عنـد موافـاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلا كما قال جلّ ثناؤه ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣].

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾: أي في الدنيا، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلَّت، حين عاينوا يوم القيامة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: باستحقاقه الحمد على الإحياء.

وقال أبو سهل: أي: والحمد لله، كما قال:

فـإني بحمـد الله لا ثـوب فـاجر لبسـت، ولا مـن غـدرة أتقنـع

وقيل: حامدين تعالى بألسنتكم. قال سعيد بن جبير: تخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك، ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم. وقال ابن عباس: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ بأمره، أي: تقرون بأنه خالقكم. وقال قتادة: بمعرفته وطاعته. وقيل: المعنى بقدرته. وقيل: بدعائه إياكم. قال علماؤنا: وهو الصحيح، فإن النفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور، بالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ فيقومون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك. قال: فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ وقال في آخر: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

(٥٧٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ أي: يوم تقومون من قبوركم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدار الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وكما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ -١١٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ للبعث والنشور وينفخ في الصور ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: تنقادون لأمره ولا تستعصون عليه. وقوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: هو المحمود تعالى على فعله ويجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ من سرعة وقوعه وأن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان.

فهذا الذي يقول عنه المنكرون: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟ يندمون غاية الندم عند وروده ويقال لهم: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

(٥٧٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ
كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟
ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا
نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى
ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا
ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا
﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا
فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا
كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[الإسراء: ٥٣-٦٠]

(٥٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ - يَنزَغُ - وَكِيلًا - زَبُورًا - تَحۡوِيلًا - يَدۡعُونَ - يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ - مَحۡذُورًا - مَسۡطُورًا - نُرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ - مُبۡصِرَةً - فَظَلَمُواْ بِهَاۚ - أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ - ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ - وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ - طُغۡيَٰنًا كَبِيرًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	التي هي أفضل وأطيب، وأجمل العبارات، وألينها وأحبها إلى النفوس.
﴿يَنزَغُ﴾	يُفسد – يُوقع.
﴿وَكِيلًا﴾	رقيبًا – موكلًا بتوفيقهم.
﴿زَبُورًا﴾	هو الكتاب الذي أُنزل على داود عليه السلام.
﴿تَحۡوِيلًا﴾	تحويلًا للشر من شخص إلى آخر تحويلًا للمرض إلى الصحة والعكس.
﴿يَدۡعُونَ﴾	يعبدون – يسألون.
﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾	يطلبون التقرب إلى الله بصالح الأعمال.
﴿مَحۡذُورًا﴾	مُتجنبًا – ينبغي أن يُحذر ويبتعد عنه فإنه عذاب شديد.
﴿مَسۡطُورًا﴾	مكتوبًا.
﴿نُرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾	نأتي بالمعجزات نؤيد بها الرسل.
﴿مُبۡصِرَةً﴾	بينة – نيرة واضحة مضيئة.

(٥٧٦) أحمر
أسود

﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾	فظلموا أنفسهم بسبب عقرهم لها.
﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾	علم أمورهم – مقتدر عليهم – عصمك من الناس فلا يستطيعون إلحاق الأذى بك.
﴿ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾	رحلة الإسراء والمعراج.
﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ﴾	الشجرة المذمومة الملعونة آكلها وهي شجرة الزقوم.
﴿طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾	تماديًا في الكفر والتكذيب وازديادًا منه، ازديادًا كبيرًا.

❁ ❁ ❁

(٥٧٧) أحمر
أسود

الحث على الكلم الطيب والتعامل الحسن

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وقل يا رسول الله لعبادي المؤمنين يقولوا إذا تخاطب بعضهم مع بعض، أو إذا نقل بعضهم قولًا عن بعض، يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وأطيب الكلمات ويختاروا العبارة التي هي أجمل العبارات، ذلك لأن الشيطان يوقع بينهم ويفسد بينهم، إذا هم تكلموا بكلمة سيئة فإنه يهيجهم على فعل الشر وقول السوء ويزين لهم الانتقام والرد الفاحش، إن الشيطان كان ولا يزال للإنسان عدوًّا ظاهر العداوة مُضلًا ظاهر الإضلال.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة.

وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ يقول: إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوًّا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة

(٥٧٨) أحمر
أسود

والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي: فربما أصابه بها.

وأورد ما أخرجه[1] البخاري ومسلم وأحمد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُشِيرَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ أَنْ يَنْزَعَ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ نَارٍ**».

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة فقال:

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعوهم ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦].

وأما إخوانهم فإنهم وإن نزغ الشيطان فيما بينهم وسعى في العداوة فإن الحزم

(١) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧)، وأحمد (٢/ ٣١٧).

(٥٧٩) أحمر
أسود

كل الحزم والسعي في ضد عدوهم وأن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها فبذلك يطيعون ربهم ويستقيم أمرهم ويهدون لرشدهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ربكم يا بني آدم أعلم بكم، وأعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية إن يشأ يوفقكم للتوبة ويتوب عليكم ويوفقكم للهداية فتؤمنوا، فيرحمكم بذلك، أو إن يشأ يُتبعكم على الكفر والضلال والعصيان، فتبقوا على الكفر والضلال والعصيان فتستوجبوا لأنفسكم العذاب بذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ لست بموكَّلٍ بتوفيقهم ولا أنت رقيب عليهم.

وربك ﷻ أعلم بكل من في السموات والأرض، لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم، وأعلم بما هم عليه من الطاعة أو العصيان أو الفقر أو الغنى أو الإيمان أو الكفر أعلم بكل شيء عنهم، أعلم بهم من غيره، ولقد فضَّل ربنا تبارك وتعالى بعض النبيين على بعض فمنهم من اتخذه خليلًا كإبراهيم عليه السلام، ومنهم من سماه عبدًا شكورًا كنوحٍ عليه السلام، ومنهم من كلمه تكليمًا كموسى عليه السلام، ومنهم من خلقه من غير أبٍ وأحيا الموتى على يديه كعيسى عليه السلام، ومنهم من أتاه الوسيلة والفضيلة، وجعله سيدًا لولد آدم وهو محمد ﷺ.

ومنهم من رفعه الله مكانًا عليًّا كإدريس عليه السلام، ومنهم من ألان له الحديد وسخر الطير معه والجبال يُسبحن كداود عليه السلام، ومنهم من سخر له الريح

(٥٨٠) أحمر
أسود

والشياطين كسليمان عليه السلام، ومنهم من آتاه الزبور كداود عليه السلام، والزبور هو الكتاب المنزل عليه عليه السلام. إلى غير ذلك من صور التفضيل، وقد تقدم مزيدٌ من القول في ذلك في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾، ﴿ رَّبُّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيتوب عليكم برحمته، حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر ﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذّبكم يوم القيامة بكفركم به.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذّبناهم.

ويقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد أعلم بمن في السماوات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة، ومن هو أهل للعذاب، أهدى للحقّ من سبق له مني الرحمة والسعادة، وأُضلّ من سبق له مني الشقاء والخذلان، يقول: فلا يكبرنّ ذلك عليك، فإن ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق، وبعضهم إلى الجميع، ورفعي بعضهم على بعض درجات.

(٥٨١) أحمر
أسود

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ ﴾ أيها الناس، من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ أي: إنما أرسلناك نذيرا، فمن أطاعك دخل الجنة، ومن عصاك دخل النار.

وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ أي: بمراتبهم في الطاعة والمعصية ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، كما قال: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاء**»[(١)]؛ فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية، لا بمقتضى الدليل، فإنه إذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي الشورى في قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ

(١) البخاري (٢٤١٢، ٢٤١٣) وفي غير موطن بنحوه، ومسلم (٢٣٧٤، ١٦٧٢) وفي غير موطن.

(٥٨٢) أحمر
أسود

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣]. ولا خلاف أن محمدا ﷺ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى على المشهور، وقد بسطنا هذا بدلائله في غير هذا الموضع، والله الموفق.

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ تنبيه على فضله وشرفه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ ﴾ من أنفسكم فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير ولا يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم وقد تريدون شيئا والخير في عكسه.

﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ ﴾ فيوفق من شاء لأسباب الرحمة ويخذل من شاء فيضل عنها فيستحق العذاب.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ تدبر أمرهم وتقوم بمجازاتهم وإنما الله هو الوكيل وأنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم.

﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ من جميع أصناف الخلائق فيعطي كلا منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم من الأوصاف الممدوحة والأخلاق المرضية والأعمال الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبورا وهو الكتاب المعروف.

فإذا كان تعالى قد فضل بعضهم على بعض وآتى بعضهم كتبا فلم ينكر المكذبون لمحمد ﷺ ما أنزله الله عليه وما فضله به من النبوة والكتاب.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ لأنه خالِقُهم، فهدى من

(٥٨٣) أحمر
أسود

شاء، وأضلَّ من شاء، وكذلك فضَّل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعِلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرِّية لنوح، واتخذ ابراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى روحًا، وأعطى سليمان مُلْكًا جسيمًا، ورفع محمدًا ﷺ فوق السموات، وغفر له ما تقدم من ذَنْبه وما تأخر. ويجوز أن يكون المفضَّلون أصحابَ الكتب، لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

❁ ❁ ❁

دفع إشكال

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وقول الرسول ﷺ: «لا تُخَيروني مِن بَين الأَنْبِيَاءِ»؟

ج: الجمع من وجهين:

أحدهما: أن يكون النبي ﷺ قال ذلك تواضعًا.

الثاني: أن يكون النبي ﷺ قال ذلك قبل أن يُعلمه الله ﷻ أنه سيد ولد آدم.

وثمَّ وجه ثالث حاصله: أن الأنبياء يشتركون في الفضل في أصل النبوة، وبعد ذلك يتأتى التفضل بالأعمال، كالشهداء مثلًا فهناك شهيدٌ كان أكثر طاعة من شهيد فيفضل عنه مع اشتراكهم في كونهم شهداء لكن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ...﴾؟

ج: أخرجه مسلم[1] عن أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ[2]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) مسلم في شواهد حديث (٣٠٣٠).

(٢) هو ابن مسعود.

(٥٨٤) أحمر
أسود

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾.

وأخرج مسلم من طريق عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود نحوه، ولكن الإشكال في رواية أبي معمر أن البخاري ومسلم أخرجاها كتفسير لابن مسعود للآية، ليس فيها سبب النزول ففي الصحيحين[1] عن عبد الله بن مسعود فِي قَوْلِهِ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ قَالَ: «كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُعْبَدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: قل يا رسول الله لهؤلاء الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، قل لهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم أولياؤلكم من دون الله، ورجوتموهم كما يُرجى الله ﷻ قل لهؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ادعوا من عبدتموهم من دون الله من أصنام وغيرها لكشف المكروه عنكم أو تحويله إلى غيركم فلن يجيبوكم بشيء فإنهم لا يملكون إزالة المكروه عنكم، ولا تحويله منكم إلى غيركم، لا يملكون تغيير أموالكم من مرضٍ إلى صحة ولا من صحة إلى مرض، ولا غير ذلك، فالقادر على ذلك هو الله ﷻ وحده لا شريك له.

(١) البخاري (٤٧١٤)، و(٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠) واللفظ له.

(٥٨٥) أحمر
أسود

أما قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ فمعناه هذه المعبودات التي تدعونها من دون الله كالجن وغيرها قد آمنوا وأصبحوا مسلمين يبحثون على عمل يقربهم إلى الله ويتوصلون به إلى جنته ومرضاته فهلا كنتم مثلهم؟!!

فقوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ أي: يطلبون التقرب إلى الله بصالح العمل ويلتمسون الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى جنة الله ومرضاته.

فإذا كانت الجن التي تعبدونها قد أسلمت وتبحث عما يقرب من مرضاة الله فهلا كنتم مثلها.

فإنها ترجو رحمة الله وتخشى عذابه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ أي: كان ينبغي أن يُحذر ويخشى فإنه عذاب شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبيّ ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجنّ.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يقول: يبتغي المدعوّون أربابا إلى ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ﴿وَيَرۡجُونَ﴾ بأفعالهم تلك ﴿رَحۡمَتَهُۥ

(٥٨٦) أحمر
أسود

وَيَخَافُونَ ﴾ أمره ﴿عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ متقي.

وأورد سبب نزول الآية، وقد تقدم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والأنداد، فارغبوا إليهم، فإنهم ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ ﴾ أي: بالكلية، ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ أي: أن يحولوه إلى غيركم.

والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر.

وأورد سبب نزول الآية، وقال:

وقوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾: لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ أي: ينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذا بالله منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

و﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ يطلبون من الله الزلفة والقربة، ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة، وهي الوسيلة. أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم. والهاء والميم في ﴿رَبِّهِمُ﴾ تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعا. وأما ﴿يَدۡعُونَ ﴾ فعلى العابدين. و﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ على المعبودين. ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ ابتداء وخبر. ويجوز أن يكون ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ بدلا من الضمير في ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾، والمعنى يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله. ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ أي: مخوفا لا أمان لأحد منه، فينبغي أن يحذر منه ويخاف. وقال سهل بن عبد الله: الرجاء والخوف زمانان على

(٥٨٧) أحمر
أسود

الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ؛ أي إزالة المكروه عنهم، ولا تحويلا، أي تحويله من إنسان إلى آخر، أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى، والقحط إلى الجدب، ونحو ذلك. ثم بين فيها أيضا أن المعبودين الذين عبدهم الكفار من دون الله يتقربون إلى الله بطاعته، ويبتغون الوسيلة إليه، أي الطريق إلى رضاه ونيل ما عنده من الثواب بطاعته فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قدمنا «في سورة المائدة» أن المراد بالوسيلة في هذه الآية الكريمة «وفي آية المائدة»: هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح ؛ ومنه قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى كل ذي لب إلى الله واسل

وقد قدمنا «في المائدة» أن التحقيق أن قول عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

من هذا المعنى، كما قدمنا أنها تجمع على وسائل، كقوله:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائل

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب.

(٥٨٨) أحمر
أسود

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ أي: هو الذي ينبغي شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه.

وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير.

فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب.

❁ ❁ ❁

إهلاك القرى الظالمة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما من قرية إلا ونحن مهلكوا أهلها قبل يوم القيامة، فالقرية الصالح أهلها يهلكون بالموت، والقرية الظالم أهلها يهلكها الله ﷻ باستئصالها بعذابٍ شديد، هذا الذي ذكرناه مسطورٌ في اللوح المحفوظ ومكتوب. وقال بعض أهل العلم: وما من قرية ظالمة إلا والله ﷻ مهلكها بتدميرها في الدنيا أو بإنزال عذاب شديد على أهلها، كان ذلك في اللوح المحفوظ مكتوبًا.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء،

(٥٨٩) أحمر
أسود

فمبيدوهم استئصالا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

وأورد بإسنادٍ يصح بطريقيه عن مجاهد، في قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فمبيدوها ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ بالقتل والبلاء، قال: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذّبوا رسله.

قال الطبري:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ يعني: في الكتاب الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ قال: في أمّ الكتاب، وقرأ ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾.

قال الطبري:

ويعني بقوله: ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبا مبينا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إخبار من الله ﷻ بأنه قد حتم وقضى بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ: أنه ما من قرية إلا سيهلكها، بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم، كما قال عن الأمم الماضين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: ٧، ٨].

(٥٩٠) أحمر
أسود

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقرية الصالحة هلاكها بالموت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قال بعض أهل العلم: في هذه الآية الكريمة حذف الصفة، أي: وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها. وهذا النعت المحذوف دلت عليه آيات من كتاب الله تعالى ؛ كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣١]، أي بل لا بد أن تنذرهم الرسل فيكفروا بهم وبربهم، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: ٧، ٨] إلى غير ذلك من الآيات.

وغاية ما في هذا القول حذف النعت مع وجود أدلة تدل عليه، ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩]، أي كل سفينة صالحة ؛ بدليل أن خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها ؛ لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة، ومن حذف النعت قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١]؛ أي بالحق الواضح الذي لا لبس معه في صفات البقرة المطلوبة.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ما من قرية من القرى المكذبة للرسل إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة أو عذاب شديد كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه، لا بد من وقوعه،

(٥٩١) أحمر
أسود

فليبادر المكذبون بالإنابة إلى الله وتصديق رسله قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب، ويحق عليهم القول.

❁ ❁ ❁

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾.

ج: أخرج أحمد[1] وغيره من طريق جَرِير، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُون، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾.

❁ ❁ ❁

السبب في عدم إرسال بعض الآيات لمشركي قريش لما طلبوها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ أن نجيب المشركين إلى طلبهم لما طلبوا المعجزات وسألوها إلا أننا أتينا بالمعجزات لأمم تقدمت فكذبت هذه الأمم بتلك المعجزات وأنكرتها ووصفت الرسل بأنهم سحرة وكذبة ومجانين، وأن ما أتوا به سحرٌ وكهانةٌ ودجلٌ، ولقد آتينا قبيلة ثمود الناقة التي طلبوها من نبيهم صالح عليه السلام على الوجه الذي طلبوه واضحة بينة نيّرة فظلموا أنفسهم

(١) أحمد (١/ ٢٥٨).

(٥٩٢) أحمر
أسود

بعقرهم لها وقتلها والتكذيب بها، فلذلك ما أرسلنا إليكم معجزة رحمة بكم فإننا إذا أرسلناها وكذبتم بها أخذناكم بالعذاب ولم نؤجلكم لتوبةٍ وإنابةٍ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد لإرجاعهم إلى الله ﷻ.

وقيل: إن المراد بالآيات العبر والعظات.

وقيل: المراد تقلب الأحوال من صغرٍ إلى شباب إلى كبرٍ إلى شيخوخة...

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ يا محمد ﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ﴾ التي سألها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذّبة، سألوا ذلك مثل سؤالهم؛ فلما آتاهم ما سألوا منه كذّبوا رسلهم، فلم يصدّقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنَّا لو أرسلنا بها إليها، فكذّبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها.

وأورد سبب نزول الآية، وسيأتي إن شاء الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقد سأل الآيات يا محمد مِن قَبْل قومك ثمود، فآتيناها ما سألت، وحملنا تلك الآية ناقة مبصرة، جعل الإبصار للناقة. كما تقول للشجة: موضحة، وهذه حجة مبينة.

وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ [يونس: ٦٧].

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ يقول ﷻ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها، وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا

وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجها.

وأما قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفا للعباد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك، فإنه سهل علينا يسير لدينا، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعدما سألوها، وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إذا كذبوا بها بعد نزولها، كما قال الله تعالى في المائدة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المائدة: ١١٥] وقال تعالى عن ثمود، حين سألوا آية: ناقة تخرج من صخرة عينوها، فدعا صالح ربه، فأخرج له منها ناقة على ما سألوا ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: كفروا بمن خلقها، وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥﴾ [هود: ٦٥]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ أي: دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها، فأبادهم الله عن آخرهم، وانتقم منهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وأورد ابن كثير[1] ما أخرجه أحمد بسندٍ صحيح عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيهِم الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أهلكتُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ: قَالَ: «**لا بَلِ اسْتَأْنِ بِهِمْ**». وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

(١) أحمد (١/ ٢٥٨).

(٥٩٤) أحمر
أسود

وبسند صحيح عَنْ عِمْرَانَ[١] بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ. قَالَ: «وَتَفْعَلُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا لَهُمْ ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَذَّبته عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ». فَقَالَ: «بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ».

وأورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ، عز وجل، يُرْسِلُهُمَا يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ».

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: آية دالة مضيئة نيرة على صدق صالح، وعلى قدرة الله تعالى. وقد تقدم ذلك. ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: ظلموا بتكذيبها. وقيل: جحدوا بها وكفروا أنها من عند الله فاستأصلهم الله بالعذاب. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفا للمكذبين.

الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفا من المعاصي.

الثالث: أنها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهل ثم إلى مشيب، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

---

(١) أحمد (١/ ٢٤٢).

(٢) البخاري (١٠٢٤)، ومسلم (٩٠١).

(٥٩٥) أحمر
أسود

الرابع: القرآن.

الخامس: الموت الذريع، قاله الحسن.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها المكذبون، وأنه ما منعه أن يرسلها إلا خوفا من تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب وحل بهم من غير تأخير كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها.

ومن أعظم الآيات الآية التي أرسلها الله إلى ثمود وهي الناقة العظيمة الباهرة التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها ومع ذلك كذبوا بها فأصابهم ما قص الله علينا في كتابه، وهؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول واشتباهه هل هو حق أو باطل؟ فإنه قد جاء ومعه من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء به الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها فترك إنزالها والحالة هذه خير لهم وأنفع.

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه.

وأورد ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ عدة أقوال في تفسير الآيات:

أحدها: أنها الموت الذريع.

الثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفًا للمكذبين.

الثالث: آيات الانتقام تخويفًا من المعاصي.

الرابع: تقلب أحوال الإنسان من صغرٍ إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى

(٥٩٦) أحمر
أسود

مشيب ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره.

❁ ❁ ❁

البيان عن الشجرة الملعونة في القرآن

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وذكِّر قومك يا رسول الله بقولنا لك: إن ربك أحاط بالناس أحاط بهم علمًا لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم.

وأحاط بهم فهو عليهم قادر، وأحاط بهم عصمك منهم ومن شرهم فواصل دعوتك إلى الله، فربك يحفظك وربك يُعينك.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ فالمراد بالرؤيا والله أعلم، ما أراه الله ﷻ نبيه ﷺ في رحلتي الإسراء والمعراج من المعجزات فكانت هذه الرحلة فتنة واختبارًا للناس، فأقوياء الإيمان قالوا إن الله على كل شيء قدير، أما أهل الشرك وضعفاء الإيمان فتعجبوا كيف يحدث هذا، وجهلوا أن الله على كل شيء قدير، فكان في هذه الرؤيا فتنة لهم.

وكذلك كان في الشجرة الملعونة في القرآن فتنة لهم، وذلك أن هذه الشجرة، وهي شجرة الزقوم قال الله عنها: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤] فقال أهل الكفر: كيف تنبت شجرة في وسط النار، والنار تأكل الأشجار فضلوا بذلك وازدادوا تكذيبًا، فمن ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الصافات: ٦٣].

أما لماذا كانت هذه الشجرة ملعونة فللعلماء على ذلك أجوبة:

أحدها: أن آكلها ملعون، كما يُقال قرية ظالمة، أي: أن أهلها ظلمة.

الثاني: أنها ملعونة بمعنى مذمومة.

(٥٩٧) أحمر
أسود

الثالث: أن ملعونة، أي: مُبعدة عن أهل الإيمان، أما قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: ونخوِّف أهل الشرك بالعذاب وبالنقم، وبالآيات المحذرة من النار، وبالتذكير بما يحيط بهم، فما يزيدهم هذا كله إلا ازديادًا في الكفر وتماديًا في الشر والتكذيب.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه، من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا، يقول جلّ ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيَّب منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن قال: أحاط بالناس، عصمك من الناس.

وبسندٍ يُحسن بطريقيه، بل قد يصحح بطريقيه عن مجاهد قال: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ قال: فهم في قبضته.

وبإسنادٍ يصح عن قتادة بطريقين قال: منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هو رؤيا عين، وهي ما رأى النبيّ ﷺ لما أُسري به من مكة إلى بيت المقدس.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به.

(٥٩٨) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة.

وقال آخرون ممن قال: هي رؤيا منام: إنما كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قوما يعلون منبره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة.

وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله ﷻ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم.

وأما قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزَّقُّوم.

وأورد بسنده إلى ابن عباس قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: شجرة الزَّقُّوم.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ يقول: ونخوّف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال، فما يزيدهم تخويفنا إلا طغيانا كبيرا، يقول: إلا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار التي

(٥٩٩) أحمر
أسود

طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: تزقموا من هذا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضًا له على إبلاغ رسالته، ومخبرا له بأنه قد عصمه من الناس، فإنه القادر عليهم، وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته.

ونقل عن عدد من العلماء في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ أي: عصمتُك منهم.

وأورد في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ ما أخرجه الْبُخَارِيُّ[1]: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ أي: تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال. وذلك من خذلان الله لهم.

وأورد ابن الجوزي (زاد المسير) أقوالًا: في تفسير الرؤيا المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾:

أحدها: أنها رؤيا عين وهي ما رأى ليلة أُسري به من العجائب والآيات.

الثاني: أنها رؤيا منام، **ثم فيها قولان:**

أحدهما: أنه ﷺ كان قد أُري أنه يدخل مكة وهو وأصحابه يومئذ بالمدينة فعجَّل قبل الأجل فرده المشركون، فقال أُناس قد رُدَّ، وكان حدثنا أنه سيدخلها فكان رجوعهم فتنتهم.

(١) البخاري (٤٧١٦).

(٦٠٠) أحمر
أسود

الثاني: أنه أُري بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يُعطونا فسرِّي عنه فالفتنة هاهنا البلاء.

وأورد في تفسير الملعونة ثلاثة أقوال:

أحدها: المذمومة.

الثاني: الملعونة أكلها.

الثالث: المُبعدة عن منازل أهل الفضل.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾.

التحقيق في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله جل وعلا جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس ؛ لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقا، قالوا: كيف يصلي ببيت المقدس، ويخترق السبع الطباق، ويرى ما رأى في ليلة واحدة، ويصبح في محله بمكة؟ هذا محال، فكان هذا الأمر فتنة لهم لعدم تصديقهم به، واعتقادهم أنه لا يمكن، وأنه جل وعلا جعل الشجرة الملعونة في القرآن التي هي شجرة الزقوم فتنة للناس، لأنهم لما سمعوه ﷺ يقرأ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤] الآية، قالوا: ظهر كذبه ؛ لأن الشجر لا ينبت في الأرض اليابسة، فكيف ينبت في أصل النار؟ فصار ذلك فتنة. وبين أن هذا هو المراد من كون الشجرة المذكورة فتنة لهم بقوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٤] الآية وهو واضح كما ترى. وأشار في موضع آخر إلى الرؤيا التي جعلها فتنة لهم، وهو قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ

(٦٠١) أحمر
أسود

ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ [النجم: ١٢-١٨]، وقد قدمنا إيضاح هذا في أول هذه السورة الكريمة. وبهذا التحقيق الذي ذكرنا تعلم أن قول من قال: إن الرؤيا التي أراه الله إياها هي رؤياه في المنام بني أمية على منبره، وإن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية - لا يعول عليه؛ إذ لا أساس له من الصحة، والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حجة، وإنما وصف الشجرة باللعن لأنها في أصل النار، وأصل النار بعيد من رحمة الله، واللعن: الإبعاد عن رحمة الله، أو لخبث صفاتها التي وصفت بها في القرآن، أو للعن الذين يطعمونها. والعلم عند الله تعالى.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ علما وقدرة فليس لهم ملجأ يلجأون إليه ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ التي ذكرت ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم.

والمعنى: إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم وازداد شرهم وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة.

والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟!!

(٦٠٢) أحمر
أسود

أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولى وأحسن لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ومانعا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرا عنه.

بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالآيات ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ وهذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر ومحبته وبغض الخير وعدم الانقياد له.

❁ ❁ ❁

(٦٠٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ
خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ
عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا
يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ
ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ
ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

[الإسراء: ٦١-٦٩]

(٦٠٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا - أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا - كَرَّمْتَ عَلَيَّ - لَأَحْتَنِكَنَّ - مَّوْفُورًا - وَٱسْتَفْزِزْ - وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ - وَعِدْهُمْ - سُلْطَٰنٌ - وَكِيلًا - يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ - لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ - مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ - ضَلَّ مَن تَدْعُونَ - أَعْرَضْتُمْ - كَفُورًا - يَخْسِفَ بِكُمْ - حَاصِبًا - وَكِيلًا - قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ - تَبِيعًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾	لمن خلقته من طين، لمن كان طينًا فخلق منه.
﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا﴾	أرأيت (والكاف للمخاطبة) آدم هذا فضّلته عليَّ وشرفته عليَّ وأكرمته عني.
﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾	لأستأصلن – لأُضلن – لأجعل في حنكه لجامًا كالدابة أقوده إلى حيث شئت.
﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾	استخف –استجهل– احملهم على الجهل وقلة العقل.
﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	أقبل عليهم صائحًا منقضًّا عليهم بجنوده الركبان والمشاة.
﴿وَعِدْهُمْ﴾	أخبرهم بالأخبار (الكاذبة والأماني الباطلة).
﴿سُلْطَٰنٌ﴾	حجة – متسلط.
﴿وَكِيلًا﴾	حفيظًا مُدبرًا للأمر.
﴿يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾	يسوق لكم – يجري لكم السفن العظيمة الهائلة.

(٦٠٥) أحمر
أسود

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلمسوا من رزقه في التجارات والصيد وغير ذلك.
﴿مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾	أصابكم المكروه.
﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾	غابت عن أذهانكم الآلهة الباطلة.
﴿أَعْرَضْتُمْ﴾	انصرفتم عن الإيمان ونفرتم عنه جحودًا لنعم الله.
﴿يَخْسِفَ بِكُمْ﴾	يخفض بكم – يجعله ينهار بكم.
﴿حَاصِبًا﴾	ريحًا شديدة فيها الحصى (الحصباء).
﴿وَكِيلًا﴾	من يتوكل بأموركم وشؤونكم.
﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾	ريحًا عنيفةً تكسر وتقصم الأشياء.
﴿تَبِيعًا﴾	من يتبعنا – من يثأر لكم وينتصر لكم.

❁ ❁ ❁

(٦٠٦) أحمر
أسود

قصة إبليس مع آدم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: واذكر يا رسول الله ما به تتبين عداوة إبليس لك ولأمتك ولبني آدم اذكر قولنا للملائكة لما خلقنا آدم عليه السلام، اسجدوا لآدم، سجود تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس لم يسجد، وقال معرضًا مستنقصًا لآدم عليه السلام قال: أأسجد لمن خلقته من طين، أأسجد لمن خلقته وكان طينًا؟!! ثم تمادى في غيِّه قائلًا: أرأيتك هذا الذي فضلته عليَّ وكرمته عليَّ وشرفته لئن أخرتن ولم تقبضني ولم تتوفني، بل تركتني حيًّا إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته ولأضلنهم ولأجعلن في أفواههم مثل لجام الدابة، ولأقودنهم إلى حيث شئت إلا قليلًا منهم فلا سلطان لي على هؤلاء القليل، وهم عبادك المخلصون.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوًّا على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوّهم وعدوّ والدهم، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له، حسدا واستكبارًا ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وكيف صدّقوا ظنه فيهم، وخالفوا أمر ربهم وطاعته، واتبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم.

ويعني بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: واذكر إذ قلنا للملائكة ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنه استكبر وقال ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ يقول: لمن

(٦٠٧) أحمر
أسود

خلقته من طين؛ فلما حذفت «من» تعلَّق به قوله: ﴿خَلَقْتَ﴾ فنصب، يفتخر عليه الجاهل بأنه خُلِقَ من نار، وخلق آدم من طين.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ يقول تعالى ذكره: أرأيت هذا الذي كرّمته عليّ، فأمرتني بالسجود له، ويعني بذلك آدم ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ أقسم عدوّ الله، فقال لربه: لئن أخرت إهلاكي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ يقول: لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى عداوة إبليس -لعنه الله- لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم، فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له؛ افتخارًا عليه واحتقارًا له ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

ثم قال:

والمعنى: أنه يقول: أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي، لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلًا منهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: اذكر بتمادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة إبليس حين عصى ربه وأبى السجود، وقال ما قال، وهو ما أخبر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: من طين. وهذا استفهام إنكار.

ثم قال:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي: قال إبليس. والكاف توكيد للمخاطبة. ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أي: فضلته علي.

(٦٠٨) أحمر
أسود

ثم قال:

« هذا» نصب بأرأيت.« الذي» نعته. والإكرام: اسم جامع لكل ما يحمد. وفي الكلام حذف تقديره: أخبرني عن هذا الذي فضلته علي، لم فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟ فحذف لعلم السامع. وقيل: لا حاجة إلى تقدير الحذف، أي أترى هذا الذي كرمته علي لأفعلن به كذا وكذا. ومعنى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ في قول ابن عباس: لأستولين عليهم. وقاله الفراء. مجاهد: لأحتوينهم. ابن زيد: لأضلنهم. والمعنى متقارب، أي: لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنهم. وروي عن العرب: احتنك الجراد الزرع إذا ذهب به كله. وقيل: معناه لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت. ومن قولهم: حنكت الفرس أحنكه وأحنكه حنكًا إذا جعلت في فيه الرسن. وكذلك احتنكه. والقول الأول قريب من هذا، لأنه إنما يأتي على الزرع بالحنك. وقال الشاعر:

أشكو إليك سنة قد أجحفت ... جهدا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا واجتلفت

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني المعصومين، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وإنما قال إبليس ذلك ظنًّا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] أو علم من طبع البشر تركب الشهوة فيهم، أو بنى على قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد له عزمًا.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزجاج: «طينًا» منصوب على وجهين:

أحدهما: التمييز، المعنى: لمن خلقتَه من طين.

(٦٠٩) أحمر
أسود

والثاني: على الحال، المعنى: أنشأتَه في حال كونه من طين. ولفظ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ جاء هاهنا بغير حرف عطف؛ لأن المعنى: قال آسجد لمن خلقتَ طينًا، وأرأيتَكَ، وهي في معنى: أخبرني، والكاف ذُكرت في المخاطبة توكيدًا، والجواب محذوف، والمعنى: أَخبِرني عن هذا الذي كرَّمت عليَّ، لم كرَّمتَهُ عليَّ وقد خلقتَني من نار وخلقتَه من طين؟! فحذف هذا؛ لأن في الكلام دليلًا عليه.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

قوله تعالى في هذه الآية عن إبليس: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾، يدل فيه إنكار إبليس للسجود بهمزة الإنكار على إبائه واستكباره عن السجود لمخلوق من طين، وصرح بهذا الإباء والاستكبار في مواضع أخر، فصرح بهما معا «في البقرة» في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وصرح بإبائه «في الحجر» بقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: ٣١]، وباستكباره في «ص» بقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧٤]، وبين سبب استكباره بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٦]، كما تقدم إيضاحه «في البقرة»، وقوله: طينًا حال ؛ أي لمن خلقته في حال كونه طينًا. وتجويز الزمخشري كونه حالًا من نفس الموصول، غير ظاهر عندي. وقيل: منصوب بنزع الخافض ؛ أي من طين. وقيل: تمييز، وهو أضعفها. والعلم عند الله تعالى.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

(٦١٠) أحمر
أسود

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن إبليس اللعين قال له: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾، أي أخبرني: هذا الذي كرمته علي فأمرتني بالسجود له وهو آدم ؛ أي لم كرمته علي وأنا خير منه. والكاف في أرأيتك حرف خطاب، و «هذا» مفعول به لـ«أرأيت».

والمعنى: أخبرني. وقيل: إن الكاف مفعول به، و «هذا» مبتدأ، وهو قول ضعيف. وقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، قال ابن عباس: لأستولين عليهم، وقاله الفراء. وقال مجاهد: لأحتوينهم. وقال ابن زيد: لأضلنهم. قال القرطبي: والمعنى متقارب. أي لأستأصلنهم بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنهم.

قال مقيده عفا الله عنه: الذي يظهر لي في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، أي لأقودنهم إلى ما أشاء ؛ من قول العرب: احتنكت الفرس: إذا جعلت الرسن في حنكه لتقوده حيث شئت. تقول العرب: حنكت الفرس أحنكه (من باب ضرب ونصر) واحتنكته: إذا جعلت فيه الرسن ؛ لأن الرسن يكون على حنكه. وقول العرب: احتنك الجراد الأرض: أي أكل ما عليها. من هذا القبيل ؛ لأنه يأكل بأفواهه، والحنك حول الفم. هذا هو أصل الاستعمال في الظاهر، فالاشتقاق في المادة من الحنك، وإن كان يستعمل في الإهلاك مطلقًا والاستئصال ؛ كقول الراجز:

أشكو إليك سنة قد أجحفت ... جهدًا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا واجتلفت

وهذا الذي ذكر جل وعلا عن إبليس في هذه الآية من قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الآية، بينه أيضًا في مواضع أخر من كتابه ؛ كقوله ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، إلى غير

(٦١١) أحمر
أسود

ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه «في سورة النساء» وغيرها.

وقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بين المراد بهذا القليل في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، وقوله: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ كما تقدم إيضاحه. وقول إبليس في هذه الآية: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ الآية، قاله ظنا منه أنه سيقع وقد تحقق له هذا الظن، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۝٦٣ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الله ﷻ قال لإبليس اللعين لمن طلب الإمهال إلى يوم القيامة، قال الله له: اذهب، أي: فقد أمهلتك وأخرتك إلى يوم القيامة، كما في الآية الأخرى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٧]، أي: من المُمهلين المؤجلين إلى يوم القيامة، ثم إن الله ﷻ توعَّد إبليس ومن تبعه بأن جهنم جزاؤهم على كفرهم وكبرهم وعنادهم جزاءً موفورًا غير منقوص، بل هو تامٌّ كامل موفَّر.

أما قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ فمن الاستفزاز، وهو إخراج الشخص عن عقله السوي واعتداله إلى ما يفعله غير الرشدة وغير العقلاء، ومن معاني: ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استجهل، أي: اجعلهم يفعلون فعل الجهلاء، واستخف بهم، أي: اجعلهم يفعلون فعل خفاف العقول، ضعفاء العقول ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ﴾ أن تستفزه ﴿مِنْهُمْ﴾ بصوتك، قيل: هو الغناء والمزامير،

(٦١٢) أحمر
أسود

وقيل: بدعائك لهم لفعل المعصية.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ انقض عليهم مُسرعًا صائحًا عليهم واقذفهم بالشبهات ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بجنودك الركبان والمشاة، وبالدعاة إلى معصية الله، من الركبان والمشاة.

وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الشيطان يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ويشرب مع الشخص إذا لم يذكر اسم الله.

الثاني: أن المراد بالمشاركة في الأموال حملهم على الأكل من الحرام، كالربا والرشوة والسحت وغير ذلك.

الثالث: اجعلهم ينفقون ما رزقهم الله في معصية الله.

الرابع: اجعلهم يعمدون إلى الحلال الطيب الذي أحلَّه الله لهم فيحرمونه على أنفسهم كما فعلوا في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

الخامس: ما حثهم الشيطان عليه من منع الزكاة، ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم. وثمَّ أقوال أخر وصورٌ أُخر لذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: وشاركهم في الأولاد فلذلك أيضًا صور منها:

زناه[1] بالأمهات، وكذا زنا الرجال بنسوة لسن لهم بأزواج فتختلط الأنساب.

الثاني: أنهم يصبغون أبناءهم في الكفر، يهودونهم وينصرونهم

(١) قيل إنه يشارك في الجماع من لم يذكر اسم الله عند الجماع، ولذا ففي الحديث: «**اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**».

(٦١٣) أحمر
أسود

ويُمجسونهم.

الثالث: أنهم يسمونهم بأسماء ترضي الشياطين ويعبدونهم لغير الله، كعبد شمس وعبد الحارث وعبد الحسين وغير ذلك.

الرابع: أنهم يجعلون لله البنات، وقد تنزه سبحانه عن الصاحبة والولد إلى غير ذلك من الصور.

أما قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: وعدهم أيها الشيطان الوعود الكاذبة والأماني الباطلة.

يمدهم أنهم سيغفر لهم، وذكرهم بأن لهم الأجر والثواب فيما يصنعون.

ويمدهم كذلك بأنهم سينتصرون على غيرهم.

ويمدهم كذلك بأنه ليست هناك جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب.

ويمدهم أن الأصنام تشفع لهم وتدافع عنهم إلى غير ذلك من الوعود الكاذبة.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ أي: إلا كذبًا وخداعًا وباطلًا وزورًا وغشًّا وتضليلًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المخلصين، الذين سبقت لهم مني الحسنى، وقدرت أنهم من أهل السعادة والاستقامة فهؤلاء ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ لن تستطيع أن تغلبهم، ولا أن تفتنهم بحجة من الحجج وبباطل من الأباطيل، وكفى بربك لهؤلاء المخلصين وكيلًا عنهم يدفع عنهم السوء والمكروه، ويحفظهم ويسلمهم من كل شر وسوء ومكروه.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره قال الله لإبليس إذ قال له: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(٦١٤) أحمر
أسود

لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾ اذهب فقد أخرتك، فمن تبعك منهم، يعني من ذرّية آدم عليه السلام فأطاعك، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم، يقول: ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾﴾: يقول: ثوابًا مكثورًا مكملًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾﴾ عذاب جهنم جزاؤهم، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء.

وأورد من طرق تصح عن مجاهد في تفسير موفورًا: أي: وافرًا.

قال الطبري رحمه الله:

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾ واستخفف واستجهل، من قولهم: استفزّ فلانا كذا وكذا فهو يستفزّه ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جلّ ثناؤه بقوله ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ فقال بعضهم: عنى به: صوت الغناء واللعب.

وقال آخرون: عنى به ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم ﴾ بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتًا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافًا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾.

وقوله: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ يقول: وأجمع عليهم من ركبان

(٦١٥) أحمر
أسود

جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي، يقال منه: أجلب فلان على فلان إجلابًا: إذا صاح عليه. والجَلَبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجَلَب، كما يقال: الغَلَب، والشَّفَقَة والشَّفَق.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ في الأموال والأولاد فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾؛ فقال بعضهم: هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها.

وأورد بسندٍ يصح عن مجاهد بمجموع طرقه أنه قال: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ قال: ما أكل من مال بغير طاعة الله.

وأورد عن عطاء بن أبي رباح قال: الشرك في أموال الربا.

وبسند يصح بطريقيه عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ قال: قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطاهم الله أموالًا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه، وهو قول قتادة.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ قال: مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، ما زَيَّن لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك كلّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك.

وقال آخرون: بل عُنِي به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى

(٦١٦) أحمر
أسود

الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيًّا به أو فيه، وذلك أن الله قال: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض.

وقوله ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، فقال بعضهم: شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم.

وقال آخرون: عنى بذلك: وأْدُهم أولادَهم وقتلهموهم.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: صبغهم إياهم في الكفر.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة، عن الحسن: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءًا للشيطان.

وقال آخرون: بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصي الله بها بفعله أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه لأن الله لم يخصص بقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرّية آدم، النصرة على من أرادهم بسوء، يقول الله: ﴿وَمَا

(٦١٧) أحمر
أسود

يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئًا، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدو الله حين حصحص الحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس، ليس لك عليهم حجة.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمد ﷺ: وكفاك يا محمد ربك حفيظًا، وقيمًا بأمرك، فانقد لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدًا فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ وعباده المؤمنون، وقال الله في آية أخرى ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما سأل إبليس النظرة قال الله له: ﴿ٱذْهَبْ﴾ فقد أنظرتك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨] ثم أوعده ومن تبعه من ذرية آدم جهنم، فقال: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أي: على أعمالكم ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

وقوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قيل: هو الغناء. قال مجاهد: باللهو والغناء، أي: استخفهم بذلك.

(٦١٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ يقول: واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم؛ فإن «الرجل» جمع «راجل»، كما أن «الركب» جمع «راكب» و«صحب» جمع «صاحب».

ومعناه: تسلط عليهم بكل ما تقدرعليه. وهذا أمر قدري، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا، وتسوقهم إليها سوقًا. وقال ابن عباس، ومجاهد في قوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قال: كل راكب وماش في معصية الله.

وقال قتادة: إن له خيلًا ورجالًا من الجن والإنس، وهم الذين يطيعونه.

وتقول العرب: «أجلب فلان على فلان»: إذا صاح عليه.

ومنه اشتقاق «الجلبة»، وهي ارتفاع الأصوات.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ نحو ما ذكره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال:

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مُتَّجه، وَكُلٌّ مِنَ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَسَّرَ بَعْضَ الْمُشَارِكَةِ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنفاء، فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وحَرّمت عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**».

قال ابن كثير أيضًا:

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[1] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدّر بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا**».

وقوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ كما أخبر تعالى عن

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١١٦).

(٦١٩) أحمر
أسود

إبليس أنه يقول إذا حصحص الحق يوم يقضى بالحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: حافظًا ومؤيدًا وناصرًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: مَنِّهم الأماني الكاذبة، وأنه لا قيامة ولا حساب، وأنه إن كان حساب وجنة ونار فأنتم أولى بالجنة من غيركم. يقويه قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠] أي باطلا. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أي: عدهم النصر على من أرادهم بسوء. وهذا الأمر للشيطان تهدد ووعيد له. وقيل: استخفاف به وبمن اتبعه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

أما مشاركته لهم في الأموال فعلى أصناف:

(منها): ما حرموا على أنفسهم من أموالهم طاعة له؛ كالبحائر والسوائب ونحو ذلك، وما يأمرهم به من إنفاق الأموال في معصية الله تعالى، وما يأمرهم به من اكتساب الأموال بالطرق المحرمة شرعًا كالربا والغصب وأنواع الخيانات؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك طاعة له.

وأما مشاركته لهم في الأولاد فعلى أصناف أيضًا:

منها: قتلهم بعض أولادهم طاعة له.

ومنها: أنهم يمجسون أولادهم ويهودونهم وينصرونهم طاعة له وموالاة.

(٦٢٠) أحمر
أسود

ومنها: تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد العزى ونحو ذلك؛ لأنهم بذلك سموا أولادهم عبيدًا لغير الله؛ طاعة له، ومن ذلك أولاد الزنى؛ لأنهم إنما تسببوا في وجودهم بارتكاب الفاحشة؛ طاعة له، إلى غير ذلك.

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الله قد بين في آيات من كتابه بعض ما تضمنته هذه الآية من مشاركة الشيطان لهم في الأموال والأولاد، كقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠]، فقتلهم أولادهم المذكور في هذه الآية طاعة للشيطان مشاركة منه لهم في أولادهم حيث قتلوهم في طاعته. وكذلك تحريم بعض ما رزقهم الله المذكور في الآية طاعة له مشاركة منه لهم في أموالهم أيضا؛ وكقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية، وكقوله: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث المبينة بعض مشاركته لهم فيما ذكر، ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللهُ عز وجل: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ»(١)، وما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ

(١) مسلم، وتقدم مرارًا.

(٦٢١) أحمر
أسود

لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ»[1] انتهى.

فاجتيال الشياطين لهم عن دينهم، وتحريمها عليهم ما أحل الله لهم (في الحديث الأول) وضرها لهم لو تركوا التسمية (في الحديث الثاني) كل ذلك من أنواع مشاركتهم فيهم. وقوله: «**فاجتالتهم**» أصله افتعل من الجولان؛ أي استخفتهم الشياطين فجالوا معهم في الضلال. يقال: جال واجتال: إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، واجتال الشيء: إذا ذهب به وساقه. والعلم عند الله تعالى. والأمر في قوله: ﴿وَعِدْهُمْ﴾؛ كالأمر في قوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾، وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ﴾، وقد قدمنا أنه للتهديد.

وقوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ بين فيه أن مواعيد الشيطان كلها غرور وباطل؛ كوعده لهم بأن الأصنام تشفع لهم وتقربهم عند الله زلفى، وأن الله لما جعل لهم المال والولد في الدنيا سيجعل لهم مثل ذلك في الآخرة، إلى غير ذلك من المواعيد الكاذبة.

وقد بين تعالى هذا المعنى في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤]، وقوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الآية، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن عباده الصالحين لا سلطان للشيطان عليهم، فالظاهر أن في الآية الكريمة حذف الصفة كما قدرنا، ويدل على الصفة المحذوفة إضافته العباد إليه إضافة تشريف، وتدل لهذه الصفة المقدرة أيضًا آيات أخر؛ كقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٦٢٢) أحمر
أسود

مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، وقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢]، إلى غير ذلك من الآيات ؛ كما تقدم إيضاحه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ واختارك على ربه ووليه الحق، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: مدخرًا لكم موفرًا جزاء أعمالكم.

ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم فقال: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ ويدخل فيه كل راكب وماشٍ في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله.

والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر وأخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية.

بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث.

﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلًا مضمحلًا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة

(٦٢٣) أحمر
أسود

ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد وذكر ما يعتصم به من فتنته وهو عبودية الله والقيام بالإيمان والتوكل فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ أي: تسلط وإغواء بل الله يدفع عنهم -بقيامهم بعبوديته- كل شر ويحفظهم من الشيطان الرجيم ويقوم بكفايتهم. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾ لمن توكل عليه وأدى ما أمر به.

❁ ❁ ❁

ومن نعم الله على خلقه تسيير السفن في البحار

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦﴾.

ج: المعنى – والله أعلم -: ربكم الذي يستحق أن تعبدوه وحده لا شريك له هو الذي سوق لكم السفن العظيمة الهائلة ويسيرها في البحر ويجريها فيها لتركبوها وتحملوا عليها متاعكم وتجاراتكم وتنتقلون بها من بلدٍ إلى بلدٍ للبحث عن الرزق والتماس الفضل إنه كان بكم رحيما إذ يسرها لكم وسهّل عليكم أسفاركم، وكان رحيمًا بكم في كل شيء.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر، فيحملكم فيها ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ لتصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم، وتلتمسون من رزقه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦﴾ يقول: إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى لكم الفلك في البحر،

(٦٢٤) أحمر
أسود

تسهيلًا منه بذلك عليكم التصرّف في طلب فضله في البلاد النائية التي لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها.

وأورد آثارًا متعددة في معنى ﴿يُزْجِي﴾ وأنها يُجري.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر، وتسهيلها لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ أي: إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم، ورحمته بكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الإزجاء: السوق، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]. وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... سائل بني أسد ما هذه الصوت

وإزجاء الفلك: سوقه بالريح اللينة. والفلك هنا جمع، وقد تقدم. والبحر الماء الكثير عذبًا كان أو ملحًا، وقد غلب هذا الاسم على الملح، وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله عند عباده، أي ربكم الذي أنعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا به شيئًا. ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: في التجارات. وقد تقدم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعتها، وسخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره لينتفع العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفًا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم.

(٦٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وإذا أصابكم المكروه وأنتم في الفلك في البحر، إذا لعبت بكم الأمواج وهاجت الرياح وأشرفتم على الغرق، غابت عنكم تلك الآلهة التي تعبدونها من دون الله، غابت عنكم الأصنام والأوثان واتجهتم إلى دعاء الله وحده لا شريك له ليكشف عنكم الضر ويصرف عنكم الكرب وينجيكم مما أنتم فيها فلما تفضل عليكم وسلمكم ونجاكم وردَّكم إلى البر سالمين آمنين مطمئنين أعرضتم عن الإيمان، وأعرضتم عن التوحيد وكان الإنسان جحودًا لنعم الله عليه، مفكرًا لها ومنكرًا لوحدانيته سبحانه وتعالى.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون: يقول: فقدتّم من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفرًا منكم بنعمته ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ يقول: وكان الإنسان ذا جحد لنعم ربه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا مس الناس ضر، دعوه منيبين إليه، مخلصين له الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًّا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة، فذهب هاربًا، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم

(٦٢٦) أحمر
أسود

ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده. فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رءوفًا رحيمًا. فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، رضي الله عنه وأرضاه[1].

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ أي: سجيته هذا، ينسى النعم ويجحدها، إلا من عصم الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ ﴿ٱلضُّرُّ﴾ لفظ يعم خوف الغرق والإمساك عن الجري. وأهوال حالاته اضطرابه وتموجه. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ﴿ضَلَّ﴾ معناه تلف وفقد، وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلها من دون الله. المعنى في هذه الآية: أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة، وأن لها فضلا. وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علمًا لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: عن الإخلاص. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ الإنسان هنا الكافر. وقيل: وطبع الإنسان كفورًا للنعم إلا من عصمه الله، فالإنسان لفظ الجنس.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ

(١) البيهقي في الدلائل (٥/ ٥٩-٦٠).

(٦٢٧) أحمر
أسود

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

بين جل وعلا في هذه الآيات الكريمة: أن الكفار إذا مسهم الضر في البحر ؛ أي اشتدت عليهم الريح فغشيتهم أمواج البحر كأنها الجبال، وظنوا أنهم لا خلاص لهم من ذلك – ضل عنهم ؛ أي غاب عن أذهانهم وخواطرهم في ذلك الوقت كل ما كانوا يعبدون من دون الله جل وعلا، فلا يدعون في ذلك الوقت إلا الله جل وعلا وحده، لعلمهم أنه لا ينقذ من ذلك الكرب وغيره من الكروب إلا هو وحده جل وعلا، فأخلصوا العبادة والدعاء له وحده في ذلك الحين الذي أحاط بهم فيه هول البحر، فإذا نجاهم الله وفرج عنهم، ووصلوا البر رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

وهذا المعنى المذكور في هذه الآية الكريمة أوضحه الله جل وعلا في آيات كثيرة ؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: ٦٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢]، وقوله: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٨]، إلى غير ذلك من الآيات كما قدمنا إيضاحه «في سورة الأنعام» وغيرها.

(٦٢٨) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسماوات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال. فلما كشف الله عنهم الضر ونجاهم إلى البر ونسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل وأشركوا به من لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم، إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص له سائر الأعمال في الشدة والرخاء واليسر والعسر. وأما من خذل ووكل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة وإنجاءه في تلك الحال.

فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة ظن بجهله أنه قد أعجز الله ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلًا عن أمور الآخرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أفأمنتم يا هؤلاء، يا من أنجاكم الله ﷻ بعد أن أشرفتم على الغرق وردَّكم سالمين آمنين إلى البر، أفأمنتم يا هؤلاء وأفأمنتم يا من أنتم على البر أن يخسف الله بكم جانب البر، أي: البر الذي أنتم عليه تنهار

(٦٢٩) أحمر
أسود

أرضه وتنخفض وتغور إلى أسفل تنطبق الأرض عليكم.

أو أمنتم أن يرسل الله ﷻ عليكم حاصبًا، ريحًا شديدة تحمل الحصباء وهي الحصى فتقذفها في وجوهكم فلا تستطيعون معها أن تأمنوا وأن تسلموا ولا تجدوا لكم وكيلًا يتولى أمركم ولا يدفع عنكم السوء والمكروه، لا تجدوا لكم من يحفظكم ويسلمكم من السوء والمكروه من دون الله ﷻ.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البرّ كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ يعني ناحية البر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم، كما فعل بقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يقول: حجارة من السماء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ أي: منعة ولا ناصرًا.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ إلى: أو يرسل عليكم ريحًا عاصفًا تحصب، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحاصِبٍ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

وأصل الحاصب: الريح تحصب بالحصباء؛ الأرض فيها الرمل والحصى الصغار. يقال في الكلام: حصب فلان فلانا: إذا رماه بالحصباء، وإنما وُصفت

(٦٣٠) أحمر
أسود

الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: أفحسبتم أن نخرجكم إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه! ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، وهو: المطر الذي فيه حجارة. قاله مجاهد، وغير واحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: ناصرا يرد ذلك عنكم، وينقذكم منه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ بين أنه قادر على هلاكهم في البر وإن سلموا من البحر. والخسف: أن تنهار الأرض بالشيء، يقال: بئر خسيف إذا انهدم أصلها. وعين خاسف أي غارت حدقتها في الرأس. وعين من الماء خاسفة أي غار ماؤها. وخسفت الشمس أي غابت عن الأرض. وقال أبو عمرو: والخسيف البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة. والجمع خسف. وجانب البر: ناحية الأرض، وسماه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا. وأيضا فإن البحر جانب والبر جانب. وقيل: إنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر، فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر. ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يعني ريحا شديدة، وهي التي ترمي بالحصباء، وهي الحصى الصغار، قاله أبو عبيدة والقتبي. وقال قتادة: يعني حجارة من السماء تحصبهم، كما فعل بقوم لوط. ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد: حاصب، وللريح التي

(٦٣١) أحمر
أسود

تحمل التراب والحصباء حاصب وحصبة أيضًا. قال لبيد:

جرت عليها أن خوت من أهلها أذيالها كل عصوف حصبه

وقال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ أي: حافظًا ونصيرًا يمنعكم من بأس الله.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إن الله جل وعلا بين في هذا الموضع الذي نحن بصدده سخافة عقول الكفار، وأنهم إذا وصلوا إلى البر ونجوا من هول البحر رجعوا إلى كفرهم آمنين عذاب الله، مع أنه قادر على إهلاكهم بعد وصولهم إلى البر، بأن يخسف بهم جانب البر الذي يلي البحر فتبتلعهم الأرض، أو يرسل عليهم حجارة من السماء فتهلكهم، أو يعيدهم مرة أخرى في البحر فتغرقهم أمواجه المتلاطمة، كما قال هنا منكرًا عليهم أمنهم وكفرهم بعد وصول البر: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ وهو المطر أو الريح اللذين فيهما الحجارة.

وأورد ابن الجوزي في زاد المسير ثلاثة أقوال في الحاصب:

أحدها: أن الحاصب حجارة من السماء.

الثاني: أنه الريح العاصف تحصب.

الثالث: أنه الريح سميت بذلك؛ لأنها تحصب أي: ترمى بالحصباء وهي الحصى الصغار.

قال: وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الحاصب الريح التي فيها الحصى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ أي: فهو على كل

(٦٣٢) أحمر
أسود

شيء قدير إن شاء أنزل عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب وهو العذاب الذي يحصبهم فيصبحوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أم أمنتم يا هؤلاء يا من كنتم في البحر فمسكم الضر فدعوتم الله وحده لا شريك له، ثم سلمكم الله وردَّكم إلى البر فإذا بكم ترجعون إلى شرككم وضلالكم وكفركم وتنكرون فضل الله عليكم وتجحدون وحدانيته. أفأمنتم يا هؤلاء أن يعيدكم الله إلى البحر ثانية فيرسل عليكم في هذه المرة الثانية ريحًا عنيفة عظيمة تقصفكم تدمركم تقضي عليكم، فيفرقكم الله بما كفرتم بسبب كفركم وجحودكم وحدانية الله.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾ بعد أن نهلككم ﴿تَبِيعًا﴾، يعني شخص يتبعكم، يأتي من بعدكم يطلب بثأركم منا فلن يأتي أحدٌ بعقاب الله، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، وهذه كقوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٤، ١٥] أي: أن الله ﷻ لا يخشى أن يتعقبه أحد ولا أن يعاتبه أحد، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم أمنتم أيها القوم من ربكم، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى: يقول: مرّة أخرى، والهاء التي في قوله ﴿فِيهِ﴾ من ذكر البحر.

و﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ وهي التي تقصف ما مرّت به فتحطمه

(٦٣٣) أحمر
أسود

وتدقه، من قولهم: قصف فلان ظهر فلان: إذا كسره ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم، يقول: بكفركم به ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعًا يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائرًا يثأرنا بإهلاكنا إياكم، وقيل: تبيعًا في موضع التابع، كما قيل: عليم في موضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره: تبيع. ومنه قول الشاعر:

عَدَوْا وَعَدَتْ غزلانهم فكأنَّها ضَوَامنُ غُرمٍ لَزَّهُنَّ تَبِيعُ

وأورد بإسنادٍ يصح بطريقيه عن مجاهد في تفسير ﴿تَبِيعًا﴾ قال: ثائرًا.

وبإسنادٍ أيضًا يصح بطريقيه عن قتادة قال: أي لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أيها المعرضون عنا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر، وخرجوا إلى البر ﴿أَن يُعِيدَكُمْ﴾ في البحر مرة ثانية ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: يقصف الصواري ويغرق المراكب.

قال ابن عباس وغيره: القاصف: ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها.

وقوله: ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ قال ابن عباس: نصيرًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني في البحر. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ القاصف: الريح الشديدة التي تكسر بشدة، من قصف الشيء يقصفه، أي كسره بشدة. والقصف: الكسر، يقال: قصفت الريح السفينة. وريح قاصف: شديدة. ورعد قاصف: شديد الصوت. يقال: قصف الرعد وغيره قصيفًا. والقصيف: هشيم الشجر. والتقصف التكسر. والقصف أيضًا: اللهو واللعب، يقال: إنها مولدة. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكفركم.

(٦٣٤) أحمر
أسود

وقال:

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾ قال مجاهد: ثائرًا. النحاس: وهو من الثأر. وكذلك يقال لكل من طلب بثأر أو غيره: تبيع وتابع، ومنه ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: مطالبة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾؛ أي بسبب كفركم، فالباء سببية، و «ما» مصدرية. والقاصف: ريح البحار الشديدة التي تكسر المراكب وغيرها. ومنه قول أبي تمام:

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

يعني: إذا ما هبت بشدة كسرت عيدان شجر نجد؛ رتما كان أو غيره.

وهذا المعنى الذي بينه جل وعلا هنا من قدرته على إهلاكهم في غير البحر بخسف أو عذاب من السماء - أوضحه في مواضع أخر ؛ كقوله: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] الآية، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] الآية، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وقوله «في قوم لوط»: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ [القمر: ٣٤]، وقوله: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣﴾ [الذاريات: ٣٣] إلى غير ذلك من الآيات.

والحاصب في هذه الآية قد قدمنا أنه قيل: إنها السحابة أو الريح، وكلا القولين صحيح ؛ لأن كل ريح شديدة ترمي بالحصباء تسمى حاصبًا وحصبة، وكل سحابة ترمي بالبرد تسمى حاصبًا أيضًا ؛ ومنه قول الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

(٦٣٥) أحمر
أسود

وقول لبيد:

جرت عليها أن خوت من أهلها أذيالها كل عصوف حصبه

وقال الشنقيطي أيضًا:

وقوله في هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾، «فعيل» بمعنى «فاعل». أي تابعًا يتبعنا بالمطالبة بثأركم؛ كقوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٤، ١٥]، أي لا يخاف عاقبة تبعة تلحقه بذلك. وكل مطالب بدين أو ثأر أو غير ذلك تسميه العرب تبيعًا، ومنه قول الشماخ يصف عقابًا:

تلوذ ثعالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التبيع

أي: كعياذ المدين من صاحب الدين الذي يطالبه بغرمه منه.

ومنه قول الآخر:

غدوا وغدت غزلانهم وكأنها ضوامن غرم لهن تبيع

أي خصمهن مطالب بدين.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] الآية، وقوله ﷺ: «**إذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع**» وهذا هو معنى قول ابن عباس وغيره: ﴿تَبِيعًا﴾ أي نصيرًا، وقول مجاهد: نصيرًا ثائرًا.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإن ظننتم ذلك فلستم آمنين من ﴿أَن يُعِيدَكُمْ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحًا شديدة جدًّا تقصف ما أتت عليه.

﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ أي: تبعة ومطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة.

(٦٣٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ
سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا
غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ
إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا
تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ
لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ
ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ
سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(٦٣٧) أحمر
أسود

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

[الإسراء: ٧٠-٨٤]

(٦٣٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿كَرَّمْنَا - بِإِمَامِهِمْ - فَتِيلًا - لَيَفْتِنُونَكَ - لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ - خَلِيلًا - تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ - ضِعْفَ الْحَيَاةِ - وَضِعْفَ الْمَمَاتِ - لَيَسْتَفِزُّونَكَ - لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا - سُنَّةَ - تَحْوِيلًا - لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ - وَقُرْآنَ الْفَجْرِ - مَشْهُودًا - فَتَهَجَّدْ بِهِ - نَافِلَةً لَكَ - مَقَامًا مَحْمُودًا - مُدْخَلَ صِدْقٍ - مُخْرَجَ صِدْقٍ - سُلْطَانًا نَصِيرًا - وَزَهَقَ الْبَاطِلُ - زَهُوقًا - وَنَأَى بِجَانِبِهِ - يَئُوسًا - شَاكِلَتِهِ - أَهْدَى سَبِيلًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كَرَّمْنَا﴾	فضلنا – ميّزنا – أكرمنا.
﴿بِإِمَامِهِمْ﴾	بكتاب أعمالهم (كتاب أعمالهم الذي كتبت فيه أعمالهم التي عملوها في الدنيا) برسولهم (كي يشهد عليهم).
﴿فَتِيلًا﴾	الخيط الأبيض الرفيع الذي بين فلقتي النواة.
﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾	ليصرفونك ويبعدونك.
﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾	لتتقول علينا قولًا غير هذا القرآن.
﴿خَلِيلًا﴾	صديقًا حميمًا.
﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾	تميل إليهم وإلى ما يريدونه منك.
﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾	عذاب الحياة الدنيا، وقيل: العذاب مضاعفًا في الدنيا.
﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾	عذاب الآخرة، قيل: العذاب مضاعفًا في الآخرة.

(٦٣٩) أحمر
أسود

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾	ليستخفونك – ليفعلون أفعالًا ويقولون أقوالًا يجعلونك بها تخرج من بلادك.
﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	لا يمكثون بعد خروجك إلا زمنًا قليلًا ويأتيهم العذاب.
﴿سُنَّةَ﴾	طريقة.
﴿تَحْوِيلًا﴾	صرفًا وتغييرًا.
﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾	من دلوك الشمس أي عند زوالها عن منتصف السماء.
﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾	برد الليل وظلامه وهو وقت العشاء.
﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾	لدلوك الشمس إلى غسق الليل أي: من الظهر إلى العشاء فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.
﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾	القرآن الذي يُقرأ في صلاة الفجر
﴿مَشْهُودًا﴾	تشهده الملائكة وتستمع إليه.
﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾	صل فيه صلاة الليل، وقيل: صلاة بعد نوم.
﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾	زيادة لك، قيل: زيادة في الفرائض عليك، أي: أن قيام الليل كا ن فرضًا عليه. وقيل: نافلة لك ثوابًا زائدًا تتحصل عليه.
﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	مقامًا يحمدك فيه الخلائق، وقيل: إنه الشفاعة العظمى.

(٦٤٠) أحمر
أسود

﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾	مدخل فيه رضاك وطاعتك وحفظك، (قيل: المدينة- وقيل: الجنة، وقيل: كل مدخل).
﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾	مخرج فيه رضاك وطاعتك وحفظك، أي: أخرجني مطيعًا لك ملتمسًا رضاك وحفظك، وقيل: عند الخروج من مكة، وقيل عند الخروج من القبر، وقيل: كل خروج.
﴿سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾	حجة وقوة وعزًّا تنصري، بها على من ناوأني كي أقيم دينك وأدعو إلى سبيلك.
﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾	ذهب الباطل واضمحل.
﴿زَهُوقٗا﴾	مُضمحلًّا ذاهبًا.
﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾	ابتعد بنفسه.
﴿يَئُوسٗا﴾	يائسًا من الفرج – قنوطًا من الرحمة يظن أن لا فرج.
﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾	دينه – طريقته – ناحيته – ووجهته.
﴿أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا﴾	أوفق طريقًا – أسلم منهجًا – أسلك طريقًا. أي: من سلك الطريق الأمثل الموفق لطاعة الله ﷻ ومرضاته.

❁ ❁ ❁

(٦٤١) أحمر
أسود

تكريم بني آدم وتفضيلهم على غيرهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولقد شرفنا وفضلنا بني آدم ويسرنا لهم ما يركبونه وينتقلون عليه من مكان إلى مكان في البر، وذلك المركوب في البر منه الإبل والخيل والبغال والحمير وغير ذلك، وكذلك سخرنا لهم ما يركبونه في البحر وينتقلون عليه من قطر إلى قطر، وهي السفن ورزقناهم من لذيذ المطاعم والمشارب والثمار والملابس الجيدة والمناظر الحسنة والأثاث والمتاع وغير ذلك. أما صورة تفضيل بني آدم وتشريفهم فبالعقل الذي رزقهم الله إياه يميزون به، وكذا فضلناهم وميزناهم بحسن خلقهم وحسن قوامهم واعتدالهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

كذلك ميزناهم بأنواع البيان التي علمناهم إياها، كما قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، فمن ذلك البيان باللسان، ومن ذلك البيان بالقلم (بالكتابة) ومن ذلك البيان بالإشارة.

وكذا ميزناهم بتسليطهم على غيرهم من الدواب إلى غير ذلك مما فضَّل الله به بني آدم على غيرهم.

فكان من اللائق ببني آدم وقد كرمناهم وفضلناهم، ورزقناهم، كان من اللائق أن يقدموا شكرًا لله على ما أنعم به عليهم وتفضَّل، كان من اللائق أن يوحدوا الله ويفردوه بالعبادة، ويشكروه بالقلب واللسان والجوارح والله أعلم، وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بتسليطنا إياهم على غيرهم من

(٦٤٢) أحمر
أسود

الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على ظهور الدوابّ والمراكب ﴿و﴾ في ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ في الفلك التي سخرناها لهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] أي: يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه -وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه -وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي: على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، وفي «البحر» أيضًا على السفن الكبار والصغار.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ لما ذكر من الترهيب ما ذكر بين النعمة

(٦٤٣) أحمر
أسود

عليهم أيضًا. ﴿كَرَّمْنَا﴾ تضعيف كرم، أي جعلنا لهم كرمًا أي شرفًا وفضلًا. وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال. وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره. وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب ويأكلون المُركبات من الأطعمة. وغاية كل حيوان يأكل لحمًا نيئًا أو طعامًا غير مركب.

... وأورد أقوالًا أخر في تكريم بني آدم وقال:

والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف،. وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب. فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء. وما تقدم من الأقوال بعضه أقوى من بعض. وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالًا يفضل بها ابن آدم أيضًا، كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك. وإنما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعنى لذيذ المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء، والثواب والجزاء والحفظ والتمييز وإصابة الفراسة.

(٦٤٤) أحمر
أسود

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب البرية. ﴿وَ﴾ في ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ في السفن والمراكب ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المآكل والمشارب والملابس والمناكح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ بما خصهم به من المناقب وفضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات.

أفلا يقومون بشكر من أولى النعم ودفع النقم ولا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم بل ربما استعانوا بها على معاصيه.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟

فالجواب من وجهين.

أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرَم بالنعم الوافرة.

والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصِّفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

(٦٤٥) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله أعلم-: واذكر يوم ندعو كل أناس لإمامهم كي يتبعونه، ويكونون معه.

أما هذا الإمام فللعلماء فيه أقوال:

أولها وأشهرها: أنه كتاب الأعمال، فالمعنى: يوم ندعو كل أناس لتناول كتاب أعمالهم، ذلكم الكتاب الذي كتبت فيه أقوالهم وأعمالهم، يوم ندعوهم لتناوله.

الثاني: أنه الكتاب الذي أُنزل على نبيهم.

الثالث: أن المراد بالإمام الرسول، أي: كل أمة تأتي، ويأتي معها رسولها ليشهد عليها.

الرابع: أن المراد بالإمام ما كان يعبدونه في الدنيا، كما في الحديث: «**يُنَادِي مُنَادٍ يوم القِيَامَة لِتَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ**».

وثمَّ أقوال أُخر.

والأظهر كما أشرت هو القول الأول، لقوله تعالى عقبه: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ومعناه: فمن تناول كتاب أعماله بيده اليمنى فهؤلاء الذين أكرموا وسعدوا كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ...﴾ [الحاقة: ١٩-٢٢] الآيات، وكما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، فقوله تعالى هاهنا: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ أي: ينظرون في كتاب أعمالهم ويقرؤنه، ويرون الأعمال الصالحة والأقوال الصالحة التي فيه فيسعدوا بذلك، ولا يبخسون من أعمالهم الصالحة ولا من أقوالهم الصالحة شيئًا، ولو كان قدر الفتيل

(٦٤٦) أحمر
أسود

والفتيل هو الخيط الأبيض الرفيع الذي بين فلقتي نواة التمر.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: في هذه الدنيا ﴿أَعۡمَىٰ﴾ عن الحق وعن الصواب والرشد، وكان تاركًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ معرضًا عن الإيمان والإسلام ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿أَعۡمَىٰ﴾ أي: أعمى البصر على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٤]، وكما قال: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾ [الإسراء: ٩٧].

أما قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ أي: وأشد ابتعادًا عن سبيل الخير وسبيل الجنة، بل هو موجَّه إلى طريق النار وعياذًا بالله من ذلك.

وكذلك فهو ضال عن الصراط السوي، فينحرف على الصراط، وعن الصراط فيسقط في جهنم، والعياذ بالله، هذا والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جلّ ثناؤه أنه يدعو كلّ أناس به، فقال بعضهم: هو نبيّه، ومن كان يقتدى به في الدنيا ويأتمّ به.

وأورد بأسانيد تصح بمجموعها عن مجاهد في قوله: ﴿بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ قال: نبيهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن قال: بأعمالهم.

وفي رواية أخرى عنه: بكتابهم الذي فيه أعمالهم.

وقال آخرون: بل معناه: يوم ندعو كلّ أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهيي.

(٦٤٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمُّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها.

وقوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ يقول: فمن أعطي كتاب عمله بيمينه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلا وهو المنفتل الذي في شقّ بطن النواة.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ ...﴾:

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، فقال بعضهم: أشير بذلك إلى النعم التي عدّدها تعالى ذكره بقوله: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فقال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن محمد بن أبي موسى، قال: سئل عن هذه الآية ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ فقال: قال: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ قال: من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلًا.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قُدرة الله فيها وحججه، فهو في الآخرة أعمى.

وأورد بإسنادٍ فيه مقال عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ

(٦٤٨) أحمر
أسود

أَعْمَىٰ﴾ يقول: من عمي عن قُدرة الله في الدنيا ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾.

وبإسناد صحيح بطريقيه عن قتادة، قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى.

وبإسنادٍ صحيح ابن زيد، وسئل عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ فقرأ ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الجاثية: ٣]، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، وقرأ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠] وقرأ حتى بلغ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٦] قال: كلّ له مطيعون، إلا ابن آدم. قال: فمن كان في هذه الآيات - التي يعرف أنها منا، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا - أعمى، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضلّ سبيلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلًا يقول: وأضلّ طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البرّ والبحر، وما عدد في الآية التي ذكر فيها

(٦٤٩) أحمر
أسود

نعمه عليهم، بل عمّ بالخبر عن عماه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره.

وأورد الحافظ ابن كثير أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ واختار القول بأنه كتاب الأعمال ورجحه قائلًا:

وهذا القول هو الأرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم بمن يأتمون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص:٤١].

وفي الصحيحين[(١)]: «**لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع ما كان يعبد الطواغيت الطواغيت**» وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٨، ٢٩].

وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته، فإنه لا بد أن يكون شاهدا عليها بأعمالها، كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِاْيَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

ولكن المراد هاهنا بالإمام هو كتاب الأعمال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أي: من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح، يقرؤه ويحب قراءته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١١٨).

(٦٥٠) أحمر
أسود

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾.

[الحاقة: ١٩ -٢٦]

وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ قد تقدم أن «الفتيل» هو الخيط المستطيل في شق النواة.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿أَعْمَىٰ﴾ أي: عن حجج الله وآياته وبيناته ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: كذلك يكون ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ أي: وأضل منه كما كان في الدنيا، عياذًا بالله من ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، ومعهم إمامهم وهاديهم إلى الرشد، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ لكونه اتبع إمامه، الهادي إلى صراط مستقيم، واهتدى بكتابه، فكثرت حسناته، وقلت سيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ قراءة سرور وبهجة، على ما يرون فيها مما يفرحهم ويسرهم. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ مما عملوه من الحسنات.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق فلم يقبله، ولم ينقد له، بل اتبع الضلال. ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان.

وفي هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟

(٦٥١) أحمر
أسود

وأنهم لا يؤاخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه، وأن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك؛ لأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

❁ ❁ ❁

محاولات أهل الكفر
مع رسول ﷺ لصرفه عن دينه وإبعاده عن الحق

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وإن كاد أهل الكفر أن يصرفونك عن الوحي الذي أوحيناه إليك، اقتربوا أن يصرفوك عن القرآن المنزل من عند الله ﷻ، واجتهدوا في ذلك وحاولوا معك كي تفتري على الله ﷻ وتتقول عليه ما لم يقله، وعندها، إذا انصرفت عن الوحي وافتريت على الله الكذب سيتخذونك صديقًا عزيزًا حميمًا شديد الصداقة لهم، ولكن الله ﷻ ثبتك على الإيمان فلله الحمد، ولولا أن الله ﷻ ثبتك لانجرفت وانحرفت وطاوعتهم فيما يريدونه منك، وملت إليهم بعض الميل وأقبلت عليهم بعض الإقبال، فإذا كان ذلك صدر منك كنت ستلقى العذاب مضاعفًا، ستلقى العذاب في الدنيا مضاعفًا وستلقاه في الآخرة مضاعفًا، ولن تجد نصيرًا ينصرك من دون الله ولن تجد دافعًا يدفع عنك العذاب.

هذا، ومن العلماء من قال في تأويل قوله: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ عذاب الحياة،

(٦٥٢) أحمر
أسود

﴿وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ عذاب الممات.

ومنهم من قال، وهو الأظهر - والله أعلم-: ﴿ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ أي: العذاب مضاعفًا في الحياة، ﴿وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ أي: العذاب مضاعفًا بعد الممات. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله ﷺ بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره، فقال بعضهم: ذلك الإلمام بالآلهة؛ لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهم به رسول الله ﷺ.

وأورد حديثًا ضعيفًا بذلك، فيه: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندَعُه حتى يلم بآلهتنا، فحدّث نفسه، وقال: ما عَلَيَّ أنْ أُلِمَّ بِها بَعْدَ أنْ يَدَعُونِي أسْتَلِمُ الحَجَرَ، وَالله يَعْلَمُ أنّي لَهَا كارهٌ، فَأَبى الله، فَأَنزلَ الله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ﴾ الآية.

وهو ضعيف الإسناد كما أشرت.

وأورد بسندٍ ضعيف أيضًا، وهو مرسل من مراسيل قتادة قال: ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلِّمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾.

وبسندٍ ضعيف جدًّا عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾ وذلك أن ثقيفًا كانوا قالوا للنبيّ ﷺ: يا رسول الله أجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن

(٦٥٣) أحمر
أسود

يعطيهم، وأن يؤجِّلهم، فقال الله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيّه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسّ آلهتهم، ويلمّ بها، وجائز أن يكون ذلك ما ذُكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا، وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أيّ ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُني بذلك منه.

وقوله: ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دَعَوْك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذًا لأنفسهم خليلًا وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئًا قليلًا وذلك ما كان ﷺ همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله.

ويقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئًا قليلًا فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات.

وأورد بإسناد يصح بطريقيه عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ قال: عذابها، ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ قال: عذاب الآخرة.

(٦٥٤) أحمر
أسود

وبإسناد يصح بطريقيه عن قتادة قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال الطبري:

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ يقول: ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم، عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرًا ينصرك علينا، ويمنعك من عذابك، وينقذك مما نالك منا من عقوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تأييد رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه، في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

قال الشنقيطي (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة تثبيته لنبيه ﷺ، وعصمته له من الركون إلى الكفار، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه ضعف الحياة وضعف الممات ؛ أي: مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة، وبهذا جزم القرطبي في تفسيره. وقال بعضهم: المراد بضعف عذاب الممات: العذاب المضاعف في القبر. والمراد بضعف الحياة: العذاب المضاعف في الآخرة بعد حياة البعث، وبهذا جزم الزمخشري وغيره. والآية تشمل الجميع.

وهذا الذي ذكره هنا من شدة الجزاء لنبيه - لو خالف - بينه في غير هذا

(٦٥٥) أحمر
أسود

الموضع ؛ كقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] الآية.

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية من أنه إذا كانت الدرجة أعلى كان الجزاء عند المخالفة أعظم - بينه في موضع آخر ؛ كقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] الآية، ولقد أجاد من قال:

وكبائر الرجل الصغير صغائر ... وصغائر الرجل الكبير كبائر

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: لو ركنت لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وهذا غاية الوعيد. وكلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم. قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] وضعف الشيء مثله مرتين، وقد يكون الضعف النصيب، كقوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي نصيب. وقد تقدم في الأعراف.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا﴾ أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك.

﴿وَإِذًا﴾ لو فعلت ما يهوون ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: حبيبًا صفيًّا، أعز عليهم من أحبابهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن

(٦٥٦) أحمر
أسود

الآداب، المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو.

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة، إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾. ﴿وَ﴾ مع هذا فـ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم. ﴿إِذًا﴾ لو ركنت إليهم بما يهوون ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: لأصبناك بعذاب مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإن كاد أهل الكفر أن يستفزونك بأقوالهم وأفعالهم كي يضطروك للخروج من بلدك ويطردوك منها، فإذا فعلوا وأخرجوك منها لن يمكثوا بعدك إلا زمنًا قليلًا، وينتقم الله ﷻ منهم، وهذه سنةٌ لله جارية إذا أخرج القوم نبيهم من بين أظهرهم وطردوه من بلادهم لم يمكثوا بعده إلا زمنًا يسيرًا ويأتيهم عذاب الله ﷻ ولن تجد لطريقتنا من يحولها عن مسارها تحويلًا.

لن تجد من يصرف عن القوم السوء والمكروه.

(٦٥٧) أحمر
أسود

هذا، ولما أخرج المشركون رسولهم محمدًا ﷺ من مكة، ما لبثوا إلا قليلًا وأخذهم العذاب يوم بدر، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول ﷻ: وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض: يقول: ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتى أهلكهم بعذاب عاجل.

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله ﷺ ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها، فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله ﷺ من ذلك اليهود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة.

وأورد بإسنادٍ ضعيف جدًّا أن بعض اليهود قال للنبيّ ﷺ: إن أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَآ﴾.

وقال آخرون: بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشًا، والأرض مكة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَآ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما - مع ذلك - لبثوا بعد خروج نبيّ الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

ومن وجه آخر عن قتادة: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: قد فعلوا بعد ذلك، فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلًا حتى أهلكهم الله يوم بدر.

(٦٥٨) أحمر
أسود

وكذلك كانت سنَّة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

ومن وجهين يصحان بمجموعهما عن مجاهد: ﴿خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ قال: لو أخرجت قريش محمدا لعذّبوا بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سياق خبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبرًا عمن جرى له ذكر أولى من غيره. وأما القليل الذي استثناه الله جلّ ذكره في قوله: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ فإنه فيما قيل، ما بين خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر.

ويقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلا قليلًا ولأهلكناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله: ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦﴾ لأن معنى ذلك: لعذّبناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا تحويلًا عما جرت به.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧﴾: أي سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: هكذا عادتنا في الذين كفروا

(٦٥٩) أحمر
أسود

برسلنا وآذوهم: يخرج الرسول من بين أظهرهم: ويأتيهم العذاب. ولولا أنه عليه السلام رسول الرحمة، لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]

قال القرطبي رحمه الله:

وقيل: (خلفك) بمعنى بعدك و﴿خِلَٰفَكَ﴾ بمعنى مخالفتك، ذكره ابن الأنباري،﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، وهذا قول من ذكر أنهم قريش.

الثاني: ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود.

وقال:

قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾ أي: يعذبون كسنة من قد أرسلنا، فهو نصب بإضمار يعذبون، فلما سقط الخافض عمل الفعل، قاله الفراء، وقيل: انتصب على معنى سننًا سنة من قد أرسلنا، وقيل: هو منصوب على تقدير حذف الكاف، التقدير لا يلبثون خلفك إلا قليلًا كسنة من قد أرسلنا، فلا يوقف على هذا التقدير على قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويقف على الأول والثاني.﴿قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾ وقف حسن، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: لا خلف في وعدها.

قال السعدي رحمه الله:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ﴾ أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها.

ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلًا حتى تحل بهم العقوبة، كما

(٦٦٠) أحمر
أسود

هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة.

ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلًا حتى أوقع الله بهم بـ«بدر» وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد.

وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقًا لربه، أن يثبته على الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصل إلى ذلك؛ لأن النبي ﷺ وهو أكمل الخلق، قال الله له: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ فكيف بغيره؟ وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم -عند وجود أسباب الشر - بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه؛ لأن الله ذكر رسوله لو فعل - وحاشاه من ذلك - بقوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

❁ ❁ ❁

الحث على إقامة الصلوات والإشارة إلى الصلوات الخمس

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: أقم الصلاة من دلوك الشمس أي: من زوال الشمس عن منتصف السماء إلى غسق الليل ظلامه وبرده، وهذا يشمل

(٦٦١) أحمر
أسود

صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فدلوك الشمس زوالها من منتصف السماء، وهو وقت الظهر إذا زالت الشمس أي: مالت.

وقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: من وقت دلوك الشمس إلى وقت دخول الليل بظلامه وبردِهِ (أعني البرد الذي في الليل).

هذا، وإن كان من أهل العلم من ذهب إلى أن دلوك الشمس هو غروبها، والقول الذي استظهره هو القول الأول والله أعلم.

أما قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: وأقم الصلاة إلى الفجر الذي يُقرا فيه القرآن جهرًا (أعني صلاة الفجر) ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: القرآن الذي يُقرأ في صلاة الفجر ﴿كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ تشهده الملائكة وتستمع إليه فإن الملائكة تجتمع في صلاتي الفجر والعصر كما جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وقد صح الخبر أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ تشهده الملائكة[1].

والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يا محمد ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾.

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس، فقال بعضهم: هو وقت غروبها، والصلاة التي أمر بإقامتها حينئذ: صلاة المغرب.

وأورد من طرق تصح عن ابن مسعود أنه قال: يذهب على أن دلوك الشمس غروبها منها ما أورده بسندٍ صحيح[1].

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(١) وله طرق عن ابن مسعود.

(٦٦٢) أحمر
أسود

عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، أنه كان مع عبد الله بن مسعود، على سطح حين غربت الشمس، فقرأ ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾. حتى فرغ من الآية، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا لَحِينَ دَلَكَتِ الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة[1].

ومن وجه آخر بسندٍ صحيح: عن عقبة بن عبد الغافر، أن أبا عُبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلى المغرب. ويفطر عندها إن كان صائمًا، ويقسم عليها يمينًا ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلا هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾.

ومن وجه ثالث بسندٍ صحيح عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: هذا دلوك الشمس، وهذا غسق الليل، وأشار إلى المشرق والمغرب.

وبسندٍ صحيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دلوك الشمس غروبها، يقول دلكت براح.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ قال: كان أبي يقول: دلوكها: حين تريد الشمس أن تغرب إلى أن يغسق الليل، قال: هي المغرب حين يغسق الليل، وتَدلُك الشمس للغروب.

قال الطبري:

وقال آخرون: دلوك الشمس: ميلها للزوال، والصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عند دلوكها: الظهر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن ابن يزيد، عن عبد الله، قال: دلوكها: ميلها، يعني الشمس.

(١) ويشهد له ما قبله.

(٦٦٣) أحمر
أسود

قلت: (وما تقدم عن ابن مسعود في أن دلوكها غروبها أصح من هذا والطرق إلى ابن مسعود فيه أكثر).

وأورد بسندٍ فيه مقال عن ابن عباس قال في قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ قال: دلوكها زوالها.

وأورد بسنده[1] إلى ابن عمر قال: دلوكها ميلها.

وبسندٍ صحيح عن الحسن قال: دلوكها زوالها.

ومن طريق الزهري[2] عن ابن عباس دلوك الشمس زيغها بعد نصف النهار، يعني: الظل.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة قال: أي: إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر.

وبسندين يصحان بمجموعهما عن مجاهد: دلوك الشمس حين تزيغ.

واختار الطبري أن دلوك الشمس صلاة الظهر، قال: وذلك أن الدلوك في كلام العرب الميل.

واستشهد الطبري لرأيه ببعض الاستشهادات وببعض الأحاديث في أسانيدها ضعف، وقال:

فإذا كان صحيحًا ما قلنا بالذي به استشهدنا، فبين إذن أن معنى قوله جلّ ثناؤه ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيّه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل، وغسق الليل: هو إقباله

(١) وذلك من طريق موسى بن عبد الرحمن قال: ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن نافع عن ابن عمر به.

(٢) وهو صحيح عن الزهري لكن ينظر في سماعه من ابن عباس.

(٦٦٤) أحمر
أسود

ودنوه بظلامه، كما قال الشاعر:

آبَ هَـــــذَا اللَّيْـــــلُ إِذْ غَسَـــــقَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب.

وأورد بسندٍ صحيح عن عكرمة قال: وقد سئل عن هذه الآية ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ قال: بُدو الليل.

وبإسنادين يصحان بمجموعهما عن مجاهد قال: غسق الليل غروب الشمس.

وعن قتادة نحوه بسندين يصحان أيضًا بمجموعهما.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: (ظلمة الليل).

وقال آخرون: هي صلاة العصر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبيّ ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل.

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾.

(٦٦٥) أحمر
أسود

وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ يقول: أن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار.

وأورد بسنده إلى[1] أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في هذه الآية ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ قال: «**تَشْهَدُهُ مِلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ**».

وأورد بسندين يصحان بمجموعهما عن قتادة قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ قال: صلاة الفجر.

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ فإنه يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي عُبيدة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ قال: تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل.

وأورد عدة آثار في أن المراد بقرآن الفجر صلاة الفجر وقوله: ﴿مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده الملائكة.

وأورد بسندٍ إلى أبي هريرة[2] قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ**»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾.

---

(١) من طريق لبيد بن أسباط، قال: ثني أبي عن الأعمش عن ابن مسعود، وعن أبي صالح عن أبي هريرة.

(٢) وأخرجه البخاري (٤٧١٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٦٦٦) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ روى مالك عن ابن عباس قال: دلوك الشمس ميلها، وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته. وقال أبو عبيدة: الغسق سواد الليل. قال ابن قيس الرقيات:

إن هـــذا الليـــل قـــد غســـقا واشـــتكيت الهـــم والأرقـــا

وقد قيل: غسق الليل مغيب الشفق. وقيل: إقبال ظلمته. قال زهير:

ظلـت تجـود يـداها وهـي لاهيـة حتـى إذا جـنح الإظـلام والغسـق

يقال: غسق الليل غسوقًا. والغسق اسم بفتح السين. وأصل الكلمة من السيلان، يقال: غسقت العين إذا سالت، تغسق. وغسق الجرح غسقانًا، أي سال منه ماء أصفر. وأغسق المؤذن، أي أخر المغرب إلى غسق الليل. وحكى الفراء: غسق الليل وأغسق، وظلم وأظلم، ودجا وأدجى، وغبس وأغبس، وغبش وأغبش. وكان الربيع بن خثيم يقول لمؤذنه في يوم غيم: أغسق أغسق. يقول: أخر المغرب حتى يغسق الليل، وهو إظلامه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺ بإقامة الصلاة تامة، ظاهرًا وباطنًا، في أوقاتها. ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة العصر.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار.

(٦٦٧) أحمر
أسود

ففي هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمر.

وفيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة، وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات. وأن الظهر والعصر يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك للعذر؛ لأن الله جمع وقتهما جميعًا.

وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها، ركن؛ لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك.

❁ ❁ ❁

المراد بقوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وقم من الليل فصل لربك ﷻ صلاةً هي نافلة لك وللعلماء قولان مشهوران في قوله ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾:

أحدهما: فريضةً عليك زيادة على الفرائض التي هي الصلوات الخمس، فعليه يكون قيام الليل فرضًا على رسول الله ﷺ زيادة على الصلوات الخمس، ويكون هذا خاصًّا به صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: زيادة لك في الأجر ورفعةً لك في الدرجات، فأمتك إن صلَّت من الليل كانت صلاتها كفارات للسيئات ومغفرة للذنوب، أما أنت فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فصلاتك من الليل، تجعلك عبدًا شكورًا ترتفع درجاتك. والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ أي: ليبعثك الله يوم القيامة إذا

(٦٦٨) أحمر
أسود

أنت قمت من الليل تصلي نافلة لك؛ ليبعثك يوم القيامة ويوقفك موقفًا تحمدك فيه الخلائق أجمع، وأكثر أهل العلم على أن هذا المقام المحمود هو الشفاعة العظمى للفصل بين العباد يوم القيامة إذا دنت الشمس من رؤوس الخلائق وبلغ من الكرب والهم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيذهبون للأنبياء طالبين الشفاعة فيعتذر الأنبياء عنها، كلٌّ يقول نفسي نفسي فيذهبون إلى رسول الله ﷺ فيخر ساجدًا ثم يقال له: «**ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه**...» الحديث، وقد تقدم بطوله في تفسيره لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ...﴾.

هذا، وقد ذهب فريق من العلماء إلى أن ﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله واجبة وأيضًا وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن التهجد يكون بعد نوم، والظاهر، والله أعلم، أن هذا ليس بلازم لصلاة الليل، وذلك أنه إذا لم يكن الشخص قد نام، فله أيضًا أن يصلي من الليل قبل النوم، ومن كل الليل قد صلى النبي ﷺبل وقد أوصى بعد أصحابه بالوتر قبل النوم.

هذا، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم.

ثم أورد بأسانيد صحيحة عن علقمة والأسود وعبد الرحمن بن الأسود أنهم قالوا: التهجد: بعد نومةٍ.

(٦٦٩) أحمر
أسود

وقال الطبري:

وأما قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فإنه يقول: نفلًا لك عن فرائضك التي فرضتها عليك.

واختُلف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله ﷺ، مع كون صلاة كلّ مصلّ بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلًا إذ كانت غير واجبة عليه، فقال بعضهم: معنى خصوصه بذلك: هو أنها كانت فريضة عليه، وهي لغيره تطوّع، وقيل له: أقمها نافلة لك: أي فضلًا لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك.

وأورد بسندٍ ضعيف جدًّا عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ يعني بالنافلة أنها للنبيّ ﷺ خاصة، أُمر بقيام الليل وكُتب عليه.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل قيل ذلك له ﷺ لأنه لم يكن فعله ذلك يكفِّر عنه شيئًا من الذنوب؛ لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر، فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة، وليس هو له نافلة.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكره عن ابن عباس وإن كان السند إلى ابن عباس ضعيفًا.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شكّ أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب

(٦٧٠) أحمر
أسود

يحول بينه وبين نفعه إياه مع الإطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه، فإنه لصاحبه غارّ بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعلّ من الله واجبة.

وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضًا فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقامًا تقوم فيه محمودًا تحمده، وتغبط فيه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم.

وأورد بسندٍ صحيح عن حُذيفة، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حفاة عراة كما خُلقوا، قيامًا لا تكلَّم نفس إلا بإذنه، ينادى: يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هَدَيت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ هذا البيت؛ فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى.

وبسندٍ صحيح عن الحسن قال: المقام المحمود مقام الشفاعة يوم القيامة.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن مجاهد قال في المقام المحمود: شفاعة محمد يوم القيامة.

(٦٧١) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقال آخرون: بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيّه أن يبعثه إياه، هو أن يقاعده معه على عرشه.

وأورد بسندٍ ضعيف عن مجاهد قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ قال: يُجْلسه معه على عرشه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله.

وأورد عدة أحاديث في أن النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ ما حاصله أنها الشفاعة.

وستأتي إن شاء الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ أَمْرٌ لَهُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ قَالَ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ**».

ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجد: ما كان بعد نوم. قاله علقمة، والأسود وإبراهيم النخعي، وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب.

ثم قال:

واختلف في معنى قوله: ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ فقيل: معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة. رواه العوفي[1] عن

(١) مسلم (١١٦٣).

(١) وهو ضعيف.

(٦٧٢) أحمر
أسود

ابن عباس، وهو أحد قولي العلماء، وأحد قولي الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واختاره ابن جرير.

وقيل: إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه.

وقال:

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ أي: افعل هذا الذي أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقامًا يحسدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم، تبارك وتعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ أي: صلِّ به في سائر أوقاته. ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر، ورفع الدرجات، بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة لسيئاته.

ويحتمل أن يكون المعنى: أن الصلوات الخمس فرض عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة الليل، فإنها فرض عليك بالخصوص، ولكرامتك على الله، أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك، وليكثر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق.

❁ ❁ ❁

(٦٧٣) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأحاديث والآثار الواردة عن رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ».

وأخرج البخاري[2] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

قلت: وراجع أحاديث الشفاعة التي أوردتها في سورة البقرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وقل يا رسول الله: يا رب أدخلني مدخل صدق، أدخلني مُدخلًا أكون فيه في طاعتك وحفظك ومرضاتك، وأخرجني إلى مخرج أكون أيضًا فيه في طاعتك ورضوانك وحفظك، واجعل لي حجة وقوة وبيِّنة وعِزًّا أحفظ به دينك وأنافح عن دينك يكون نصيرًا لي من عندك.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى مدخل الصدق مكة ومخرج الصدق المدينة.

---

(١) البخاري (٤٧١٨).

(٢) البخاري (٦١٤).

(٦٧٤) أحمر
أسود

وقال آخرون: مدخل الصدق القبر ومخرج الصدق البعث.

وقال آخرون: مدخل الصدق الجنة ومخرج الصدق الدنيا.

وهنالك أقوال أُخر كثيرة في هذا الصدد.

والصواب: والله أعلم أن هذا عام فيدخل فيه كل مدخل وكل مخرج أي: اجعل مداخلي كلها مداخل صدق ومخارجي كلها مخارج صدق.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وقل يا محمد: يا ربّ أدخلني مدخل صدق.

واختلف أهل التأويل في معنى مُدْخل الصدق الذي أمر الله نبيّه ﷺ أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرجه إياه، فقال بعضهم: عَنَى بمُدْخل الصِّدق: مُدْخل رسول الله ﷺ المدينة، حين هاجر إليها، ومُخْرَج الصدق: مُخْرجه من مكة، حين خرج منها مهاجرًا إلى المدينة.

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن، في قول الله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ قال: كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثِقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة، فهو الذي قال الله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

وبسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ قال: المدينة حين هاجر إليها، ومخرج صدق: مكة حين خرج منها مخرج صدق، قال ذلك حين خرج مهاجرًا.

(٦٧٥) أحمر
أسود

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقل ربّ أمتني إماتة صِدْق، وأخرجني بعد الممات من قبري يوم القيامة مُخْرج صدق.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخل صدق، وأخرجني منه مُخْرَج صدق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مدخل صدق: الجنة، وأخرجني مخرج صدق: من مكة إلى المدينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني في الإسلام مُدْخل صدق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مكة آمنًا، وأخرجني منها آمنًا.

قال الطبري:

وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن ذلك عقيب قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾. وقد دللنا فيما مضى، على أنه عَنَى بذلك أهل مكة؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ، ليخرجوه عن مكة، كان بيِّنًا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هَمَّ المشركون بإخراجه منها مُخْرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مُدْخل صدق.

وقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكًا ناصرًا ينصرني على من ناوأني، وعِزًّا أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراده بسوء.

(٦٧٦) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن، في قول الله ﷻ ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ يُوعِده لَيَنزعَنَّ مُلك فارس، وعزّ فارس، وليجعلنه له، وعزّ الرّوم، ومُلك الروم، وليجعلنه له.

وبسندٍ حسن عن قتادة، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله ﷻ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك حجة بينة.

وبإسنادٍ يصح من وجهين عن مجاهد: ﴿سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ قال: حجة بينة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيّه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطانًا نصيرًا له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب؛ لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة، فأعلمه الله ﷻ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدة غيرها، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخولها إليها، وأن يجعل له سلطانًا نصيرًا على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها، وعلى كلّ من كان لهم شبيهًا، وإذا أوتي ذلك، فقد أوتي لا شكّ حجة بينة.

وأما قوله: ﴿نَصِيرٗا﴾ فإن ابن زيد كان يقول فيه، نحو قولنا الذي قلنا فيه.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾

(٦٧٧) أحمر
أسود

قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ هذا مقدّم ومؤخَّر، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قيل: المعنى أمتني إماتة صدق، وابعثني يوم القيامة مبعث صدق، ليتصل بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾. كأنه لما وعده ذلك أمره أن يدعو لينجز له الوعد. وقيل: أدخلني في المأمور وأخرجني من المنهي. وقيل: علمه ما يدعو به في صلاته وغيرها من إخراجه من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن، فأخرجه من مكة وصيره إلى المدينة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر.

﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا على جميع ما آتيه وما أذره.

وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيرًا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له -على كل حالة من أحواله- دليلًا ظاهرًا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل.

❁ ❁ ❁

(٦٧٨) أحمر
أسود

ظهور الحق وقمع الباطل
والبيان عن أن القرآن شفاء ورحمة لأهل الإيمان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وقل يا رسول الله جاء الحق الذي هو القرآن، والذي هو الإيمان والهدى، والذي هو القوة التي أيد الله بها المؤمنين فجاء الحق مؤيدًا بالقوة، وجاء الحق مؤيدًا بالحجة، وجاء الحق الذي هو التوحيد وأهله، وذهبت الأصنام وزمانها وعبادها وأولياؤها، وذهب الباطل وانصرف مضمحلًّا مهزومًا مخذولًا إن الباطل كان في ذهابٍ واضمحلال وزوال.

أما قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: وننزل من القرآن آيات فيها:

* شفاءٌ لأهل الإيمان والتصديق، شفاء من الشك والريب والنفاق.
* شفاءٌ من الأمراض البدنية كذلك.
* شفاء كذلك من الجهل والكفر والضلال والحيرة والانحراف.
* ورحمة لأهل الإيمان، ننزل من القرآن آيات تُحذر المؤمنين من العذاب فيرحمهم الله بها من عذابه في الدنيا والآخرة.
* آيات فيها إرشاد للخير فيعملون بها فيُرحمون في الدنيا والآخرة.
* آيات فيها هدى فيهتدون بها فيُرحمون في الدنيا والآخرة.
* أما أهل الكفر فلا يزدادون بهذا القرآن إلا زيغًا وضلالًا وخسارًا!!
* ذلك بأنهم كلما تُليت عليهم آيةٌ كذبوا بها وأنكروها فازدادوا بتكذيبهم خسارًا، وحملوا بتكذيبهم آثامًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٧٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الحقّ الذي أمر الله نبيّه ﷺ أن يُعْلم المشركين أنه قد جاء، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زَهَق، فقال بعضهم: الحقّ: هو القرآن في هذا الموضع، والباطل: هو الشيطان.

وأورد سند ذلك عن قتادة: وهو حسن.

وقال آخرون: بل عُنِي بالحقّ جهاد المشركين وبالباطل الشرك.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثُمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾[1].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء، وهو كلّ ما كان لله فيه رضًا وطاعة، وأن الباطل قد زهق: يقول: وذهب كلّ ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كلّ ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عمّ الخبر عن مجيء جميع الحقّ، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحقّ، وإبطال جميع الباطل.

وأما قوله ﷻ: ﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ فإن معناه: ذهب الباطل، من قولهم: زَهَقت نفسه: إذا خرجت وأزهقتها أنا؛ ومن قولهم: أزهق السهم: إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته، يقال منه: زهق الباطل، يزهَق زُهوقا، وأزهقه الله: أي

(١) صحيح، وأخرجه البخاري وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

(٦٨٠) أحمر
أسود

أذهبه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ تهديد ووعيد لكفار قريش؛ فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع. وزهق باطلهم، أي اضمحل وهلك، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وأورد ما أخرجه البخاري[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، **جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**».

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا: يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارًا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى

(١) البخاري (٤٧٢٠) (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

(٦٨١) أحمر
أسود

رجسهم قبلُ.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ به ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ -وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد - إنه: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله. وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة. وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا. والآفة من الكافر لا من القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]. والآيات في ذلك كثيرة.

قال قتادة في قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ إنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، فإن الله جعل هذا القرآن شفاء، ورحمة للمؤمنين.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٨٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ والحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ، فأمره الله أن يقول ويعلن، قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: اضمحل وتلاشى.

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة ورواج إذا لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك.

ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته.

وقوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

أي: فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل.

هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله.

❁ ❁ ❁

س: هل يُستشفى بالقرآن من الأمراض البدنية؟

(٦٨٣) أحمر
أسود

ج: نعم يستشفى به منها أيضًا، وقد كان النبي ﷺ إذا اشتكى نفث في يديه بالمعوذات ومسح بها رأسه وما استطاع من جسده[1].

وكذلك فمن أنواع الاستشفاء الاستشفاء بالرقية والأدلة على ذلك كثيرة.

❁ ❁ ❁

بيان حال كثير من الناس
مع نعم الله عليهم، وأن النعيم سبب في طغيانهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾.

ج: يبين الله ﷻ حال الإنسان والجبلة التي جُبل عليها أكثر الناس، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، قيل: المراد الإنسان الكافر أو الإنسان عمومًا إلا من رحم الله، إذا أنعمنا عليه ووسعنا عليه في المال والولد والصحة والعافية والمنصب والجاه إذا به يُعرض عن طريق الله سبحانه وتعالى وينحرف إلا القليل، فقليل من العباد شكور.

فقوله: ﴿أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، أعرض عن طاعتنا وابتعد بنفسه عنها.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أصابه الضر في ماله أو بدنه أو أهله، أو غير ذلك ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ قانطًا من رحمة الله يظن أن لا انفراج والأدلة على ذلك كثيرةٌ جدًّا، قدمت عددًا منها عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق: ٦، ٧].

أي: أنه إذا رأى نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان.

وعند قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨].

---

(١) صحيح، وسيأتي بتفصيل إن شاء الله في تفسير سورتي المعوذتين وكذا الإخلاص.

(٦٨٤) أحمر
أسود

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، فنجَّيناه من كرب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البرّ، وغير ذلك من نعمنا، ﴿أَعۡرَضَ﴾ عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثًا دون كلّ أحد سوانا في حال الشدّة التي كان فيها ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦٓ﴾ يقول: وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢] قبل ذلك.

وأورد بإسنادين يصحان بمجموعهما عن مجاهد، في قوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦٓ﴾ قال: تباعد منا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ يقول: وإذا مسه الشرّ والشدّة كان قنوطًا من الفرج والروْح.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: إذا مسه الشرّ أَيِس وقَنط.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو، إلا من عصم الله تعالى في حالتي سرائه وضرائه، بأنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية، وفتح ورزق ونصر، ونال ما يريد، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه.

قال مجاهد: بعد عنا.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وبأنه إذا مسه الشر -وهو المصائب والحوادث والنوائب- ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ أي: قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ

(٦٨٥) أحمر
أسود

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٩- ١١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن الإنسان- عند إنعام الله عليه - يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ كالمرض ونحوه ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبدًا.

وأما من هداه الله فإنه- عند النعم -يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾ يبين الله ﷻ حال الإنسان والجبلة التي جُبل عليها أكثر الناس، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، قيل: المراد الإنسان الكافر أو الإنسان عمومًا إلا من رحم الله، إذا أنعمنا عليه ووسعنا عليه في المال والولد والصحة والعافية والمنصب والجاه إذا به يُعرض عن طريق؛ بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته، ونأى بجانبه، أي تباعد عن طاعة ربه، فلم يمتثل أمره، ولم يجتنب نهيه.

وقال الزمخشري: أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه، مستبد بنفسه ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تأكيد للإعراض ؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. والنأي بالجانب: أن يلوي عنه عطفه، ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار ؛ لأن ذلك

(٦٨٦) أحمر
أسود

من عادة المستكبرين. واليؤس: شديد اليأس، أي القنوط من رحمة الله.

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله «في سورة هود»: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: ٩، ١٠] وقوله في «آخر فصلت»: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٤٩-٥١]، وقوله: «في سورة الروم»: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم: ٣٣]، وقوله فيها أيضا: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٦]، وقوله «في سورة يونس»: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ الآية، وقوله «في سورة الزمر»: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] الآية، وقوله فيها أيضا: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد استثنى الله من هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله «في سورة هود»: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١] كما تقدم إيضاحه. وقرأ ابن ذكوان «وناء» كجاء، وهو بمعنى نأى؛ كقولهم: راء، في: رأى.

(٦٨٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء كل يعمل وفق دينه الذي يتدين به وعلى طريقته التي هو عليها، فأهل التوفيق والطاعة والإيمان والنوايا الحسنة يعملون على طريقتهم التي يقتضيها إيمانهم ودينهم وامتثالهم لأمر الله ﷻ، وأهل الكفر والعصيان والجحود والنكران يعملون وفق ما هم عليه من الكفر والعصيان، والجحود والنكران ﴿فَرَبُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أعلم بمن سلك الطريق الأوفق والسبيل الأرشد الموصل إلى جنات الله ومرضاته. ولا شك أن أفضل السبل وأحسن الطرق هي الطريق التي أرشد الله العباد إليها، وذلك بالاستقامة على أمره واجتناب نهيه واتباع رسوله وكتابه.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول ﷻ لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ﴾ منكم ﴿أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقًا إلى الحقّ من غيره.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قال: على ناحيته وعلى ما ينوي.

وقال آخرون: الشاكلة: الدِّين.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قال: على دينه، الشاكلة: الدين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قال ابن عباس: على ناحيته. وقال

(٦٨٨) أحمر
أسود

مجاهد: على حدته وطبيعته. وقال قتادة: على نيته. وقال ابن زيد: دينه.

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى. وهذه الآية -والله أعلم- تهديد للمشركين ووعيد لهم، كقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: ١٢١، ١٢٢] ولهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ أي: منا ومنكم، وسيجزي كل عامل بعمله، فإنه لا تخفى عليه خافية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ من الناس ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ أي: على ما يليق به من الأحوال، إن كانوا من الصفوة الأبرار، لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. ومن كان من غيرهم من المخذولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين، ولم يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ فيعلم من يصلح للهداية، فيهديه ومن لا يصلح لها فيخذله ولا يهديه.

❁ ❁ ❁

(٦٨٩) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ
عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾
قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ
عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن
زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ
جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ
مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا
﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا

(٦٩٠) أحمر
أسود

بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ
كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ
ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا
لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ
رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ۞

[الإسراء: ٨٥-١٠٠]

(٦٩١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ - وَكِيلًا - ظَهِيرًا - صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ - فَأَبَىٰٓ - كُفُورًا - تَفْجُرَ لَنَا - يَنۢبُوعًا - فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ - كِسَفًا - قَبِيلًا - زُخْرُفٍ - تَرْقَىٰ - لِرُقِيِّكَ - سُبْحَانَ رَبِّى - أَوْلِيَآءَ - وَنَحْشُرُهُمْ - وَبُكْمًا - وَصُمًّا - خَبَتْ - سَعِيرًا - وَرُفَٰتًا - لَّا رَيْبَ فِيهِ - كُفُورًا - لَأَمْسَكْتُمْ - خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ - قَتُورًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	لنجعلن القرآن يذهب من صدرك فلا تدري عنه شيئًا.
﴿وَكِيلًا﴾	من يتوكل عنك لدينا لإرجاعه لك وناصرًا – مدافعًا عنك.
﴿ظَهِيرًا﴾	معاونًا – مُعينًا.
﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾	نوعنا للناس – ذكرنا للناس.
﴿فَأَبَىٰٓ﴾	فامتنع مُصرًّا – فأصرَّ.
﴿كُفُورًا﴾	جحودًا لوحدانية الله وإنكارًا لنعمه ﷻ.
﴿تَفْجُرَ لَنَا﴾	تفتح لنا فتحة في الأرض يخرج منها الماء بغزارة.
﴿يَنۢبُوعًا﴾	عينًا (فتحة من الأرض يخرج منها الماء).
﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾	تُجري الأنهار بين أشجارها.
﴿كِسَفًا﴾	قطعًا.

(٦٩٢) أحمر
أسود

﴿قَبِيلًا﴾	عيانًا – نراهم بأعيينا – كل قبيلة بمفردها ترى الله من الملائكة.
﴿زُخْرُفٍ﴾	ذهب.
﴿تَرْقَىٰ﴾	تصعد على درج.
﴿لِرُقِيِّكَ﴾	لصعودك.
﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾	تنزه ربي (عن العجز والضعف وعن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد وتنزه عن كل عيب ونقص وتنزه عن كل ما لا يليق به).
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصارًا.
﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾	نجمعهم.
﴿وَبُكْمًا﴾	لا يتكلمون.
﴿وَصُمًّا﴾	لا يسمعون.
﴿خَبَتْ﴾	سكنت – هدأت.
﴿سَعِيرًا﴾	اشتعالًا – نارًا تلهب.
﴿وَرُفَٰتًا﴾	تُرابًا.
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه وأنه آتٍ.
﴿كُفُورًا﴾	جحودًا.
﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾	لامتنعتم عن الإنفاق.
﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾	خوف الفقر والفاقة.
﴿قَتُورًا﴾	بخيلًا ممسكًا.

(٦٩٣) أحمر
أسود

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم وأحمد[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْث، وَهُوَ مُتَوَكِّئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلَنَّكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالُوا: سَلوهُ فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فلم يرد عليه شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ... ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... ﴾ الآية؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ويسألونك عن الروح التي تجري في البدن ويحيا بها الشخص، ما هي هذه الروح؟ وكيف شأنها؟ وما أمرها؟ وكان السائلون آنذاك هم اليهود، فقل لهؤلاء السائلين عن الروح إن أمرها وشأنها وأحوالها وما يتعلق بها أمرٌ موكولٌ إلى الله ﷻ، والعلم بها موكولٌ إلى الله لا يعلمه إلا هو ﷻ، فهو من الأمور التي استأثر الله ﷻ بالعلم بها، وليست هي وحدها التي تجهلونها، بل ثمَّ أمور كثيرة جدًّا تجهلونها أيضًا فالعلم الذي أوتيتموه قليل جدًّا بالنسبة لعلم الله ﷻ، فكما قال الخضر لموسى عليهما السلام لما رأيا عصفورًا ينقر بمنقاره في البحر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله ﷻ إلا كما نقص العصفور بمنقاره من البحر، وسيأتي الحديث بلفظه في سورة الكهف إن شاء الله.

* هذا، ومن العلماء من قال إن الروح التي سألوا رسول الله ﷺ عنها هو جبريل عليه السلام، إذ الله قال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

(١) البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤) بنحوه، وأحمد (١/ ٤٤٤).

(٦٩٤) أحمر
أسود

وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقال آخرون: إنه ملك من الملائكة، كما هو أحد الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤].

وقيل غير ذلك.

والظاهر – والله أعلم – أن الروح التي سألوا عنها هي التي تحيا بها الأبدان، وأن العلم بها موكول إلى الله ﷻ، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلًا.

قال الطبري:

واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِر في هذا الموضع ما هي؟ فقال بعضهم: هي جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال آخرون: هي مَلك من الملائكة.

قال الطبري:

وأما قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فإنه يعني: أنه من الأمر الذي يعلمه الله ﷻ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.

وأما قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب، خرج الكلام على المخاطبة؛ لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب، أخرجوا الكلام خطابًا للجمع.

(٦٩٥) أحمر
أسود

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح خاصة دون غيرهم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابًا لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق؛ لأن علم كلّ أحد سوى الله وإن كثر في علم الله قليل.

وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلًا من كثير مما يعلم الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: من شأنه، ومما استأثر بعلمه دونكم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ أي: وما أطلعكم من علمه إلا على القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى.

والمعنى: أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى، ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى. وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر: أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة، فنقر في البحر نقرة، أي: شرب منه بمنقاره، فقال: يا موسى، ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر. أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾.

❁ ❁ ❁

(٦٩٦) أحمر
أسود

التذكير بنعم الله وقدرته وفضله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾.

ج: يُذكِّر الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ بنعمته التي أنعم بها عليه من إيحاء هذا القرآن إليه ويُذكره أيضًا بقدرته على رفع هذا القرآن من صدره ومحو العلم به من قلبه وعقله، فيقول تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: لنرفعنه عنك ونجعلك كما كنت قبل نزوله عليك لا تدري ما الكتاب والإيمان، ثم إذا فعلنا ذلك بك، رفعناه عنك وحينئذٍ إذا فعلنا ذلك بك، لن تجد وكيلًا عنك يتوكل عنك عندنا ويشفع لك عندنا، ويدافع عنك عندنا، ولن تجد وكيلًا لك يرد إليك ما أخذناه منك ولا ينصرك إذا أردناك بسوءٍ أو مكروه، ولكن رحمة من ربك ﷻ بك ما فعلنا بك ذلك، ولكننا أكرمناك بحفظ ما أعطيناك إياه ولم نسلبه منك، بل ثبتناك وثبتناه في قلبك وهذا شيءٌ من فضل، وإلا ففضل الله عليك كبيرٌ وعظيم وواسعٌ في كل جانب والحمد لله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبنّ به، فلا تعلمه، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلًا، يعني: قيِّما يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصرًا ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك، قال: وكان عبد الله بن مسعود يتأوّل معنى ذهاب الله ﷻ به رفعه من صدور قارئيه.

ويقول ﷻ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ﴾ يا محمد ﴿بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلًا منه عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

(٦٩٧) أحمر
أسود

باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.

ج: يبين الله ﷻ شيئًا من فضل هذا القرآن العظيم وكريم منزلته وإعجازه لمن حاول أن يأتي بشيء من مثله، فيقول تعالى: ﴿ قُل ﴾ يا رسول الله لهؤلاء المشركين المكذبين، ولغيرهم من البشر، قل لئن اجتمعت الإنس والجن وتعاونوا فيما بينهم على أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن فلن يستطيعوا أن يأتوا بقرآن مثله، ولو كان بعضهم معينًا لبعض أي: ولو كانوا كلهم متحدين متعاونين فيما بينهم لا تخالف بينهم، فإنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثل آيات هذا الكتاب العزيز.

فقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ أي: معاونًا، والآية كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٤]، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ... ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جلّ ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: إنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبدًا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عونًا وظهيرًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ، فيما

(٦٩٨) أحمر
أسود

أوحاه إليه من القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم، فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له، ولا مثال له، ولا عديل له؟!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد نوعنا في هذا القرآن من الآيات، وأوردنا فيه من جميع الأمثال للناس، فأوردنا آيات رحمة لترغيبهم وآيات عذاب لتخويفهم، وبشارات وإنذارات، وقصص للأولين واستدلالات يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته، وسقنا فيه من الأمثال ما سقناه، فضُربت أمثال لأهل الكفر، وأمثالٌ لأهل الإيمان، وأمثالٌ للحياة الدنيا وغير ذلك من الأمثال كل ذلك لعلهم يتذكرون، أو يتفكرون، أو يوقنون، فرفض أكثر الناس الإيمان، واشتد امتناعهم عن الإيمان، وأصروا على البقاء على الكفر والجحود والنكران لنعم الله ﷻ وإنكار توحيده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد بيَّنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل، احتجاجًا بذلك كله عليهم، وتذكيرًا لهم، وتنبيها على الحقّ ليتبعوه ويعملوا به ﴿فَأَبَىٰ

(٦٩٩) أحمر
أسود

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ يقول: فأبى أكثر الناس إلا جحودًا للحقّ، وإنكارًا لحجج الله وأدلته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه، ومع هذا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ أي: جحودا وردا للصواب.

❁ ❁ ❁

(٧٠٠) أحمر
أسود

تعنت أهل الكفر وشدة تكذيبهم

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم-: بيانٌ لتعنت أهل الكفر وشدة تكذيبهم، بل وسخريتهم واستهزائهم إذ يقولون لرسول الله ﷺ لن نصدقك فيما تقول ولن نتبعك على ما جئت به حتى تفجر لنا من الأرض عيونًا فتفور المياه منها وتخرج جارية أو تكون لك حديقة عظيمة من نخيل وأعناب وتجعل الأنهار تتفجر فتجري وسطها جريانًا، أو تجعل السماء تتساقط علينا قطعًا، أو تأتي بالله ﷻ ومعه الملائكة فنراهم عيانًا، بأعيننا، ويأتون لكل قبيلة فتراهم كل قبيلة على حدة، تراهم كل قبيلة بمفردها، أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد على سلم فتدخل في السماء، ولن نصدقك في رؤيتنا لك وأنت تدخل في السماء وتصعد إليها حتى تأتينا من السماء بكتاب من عند الله نقرؤه ونؤمر فيه باتباعك، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ [المدثر: ٥٢].

فقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين المتعنتين المتشددين المُصرين على البقاء على الكفر، الذي طلبوا ما طلبوه ومن طلباتهم أن يروا ربهم عيانًا بأعينهم في الدنيا قل لهم تنزه ربي ﷻ عن أن يأتيكم كي ترونه بناءً على طلبكم وتنزه ربي عن العجز والضعف، فربي على كل شيء قدير وتنزه ربي عن الشريك والند والمثيل والصاحبة والولد تنزه ربي عن أن أتدخل في شؤونه أو أفرض عليه أمرًا فما أنا إلا بشر ولكني رسول من عند الله أبلغكم ما أرسلني

(٧٠١) أحمر
أسود

الله به إليكم ليس لي من الأمر شيء إنما عليَّ البلاغ وقد أديته لكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال يا محمد، المشركون بالله من قومك لك: لن نصدّقك، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء.

وقوله ﴿يَنۢبُوعًا﴾ يفعول من قول القائل: نبع الماء: إذا ظهر وفار، ينْبُع ويَنْبَع، وهو ما نبع.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾: أي حتى تفْجُر لنا من الأرض عيونا: أي ببلدنا هذا.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدّقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا، تَدفَّق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب، فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكروم، ويعني بقوله ﴿خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا﴾ بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿كِسَفًا﴾ قطعًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾.

يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبيّ الله ﷺ: أو تأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلا.

واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: حتى يأتي الله والملائكة كلَّ قبيلة منا قبيلة قبيلة، فيعاينونهم.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن مجاهد قال: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ قال: قبائل على حدتها كل قبيلة.

قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك: أو تأتي بالله والملائكة عيانا نقابلهم

(٧٠٢) أحمر
أسود

مقابلة، فنعاينهم معاينة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة نعاينهم معاينة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب، وهو الزخرف.

وقوله: ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: أو تصعد في درج إلى السماء، وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأن القوم قالوا: أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت «في» في الكلام ليدلّ على معنى الكلام، يقال: رَقِيت في السلم، فأنا أرقَى رَقيا ورِقيا ورُقيا، كما قال الشاعر:

أنتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقْيَ الدَّرْج عَلى الكلالِ والمَشِيبِ والعَرْجِ

وقوله: ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ يقول: ولن نصدّقك من أجل رُقِيك إلى السماء ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا﴾ منشورا نَقْرَؤُهُ فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن مجاهد، قوله: ﴿كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ قال: من ربّ العالمين إلى فلان، عند كلّ رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها.

وبسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾: أي كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك.

وقوله: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها

(٧٠٣) أحمر
أسود

خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ أي: أنهارًا جارية.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ فتستغني بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أي: قطعًا من العذاب، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ أي: جميعًا، أو مقابلة ومعاينة، يشهدون لك بما جئت به.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: مزخرف بالذهب وغيره ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ رقيًّا حسيًّا، ومع هذا فـ ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾

ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول ﷺ هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ عما تقولون علوًّا كبيرًا، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة.

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ ليس بيده شيء من الأمر.

وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرًا.

وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

بين الله جل وعلا في هذه الآيات الكريمة شدة عناد الكفار وتعنتهم، وكثرة

(٧٠٤) أحمر
أسود

اقتراحاتهم لأجل التعنت لا لطلب الحق ؛ فذكر أنهم قالوا له ﷺ: إنهم لن يؤمنوا له - أي: لن يصدقوه - حتى يفجر لهم من الأرض ينبوعا، وهو يفعول من: نبع، أي: ماء غزير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾، أي بستان من نخيل وعنب، فيفجر خلالها - أي وسطها - أنهارا من الماء، أو يسقط السماء عليهم كسفا: أي قطعا كما زعم، أي في قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [سبأ: ٩] الآية، أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلا: أي معاينة. قاله قتادة وابن جريج، كقوله: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: ٢١].

وقال بعض العلماء: قبيلا: أي كفيلا ؛ من تقبله بكذا: إذا كفله به. والقبيل والكفيل والزعيم بمعنى واحد.

❁ ❁ ❁

(٧٠٥) أحمر
أسود

تعليل الكفار لعدم إيمانهم بأن الرسول ﷺ بشر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.

ج: يبين الله ﷻ سبب امتناع كثيرين من الناس عن الإيمان ورفضهم له، فيقول تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾ أي: بالله وحده لا شريك له ويصدقوا رسله لما جاؤهم بالهدى من عند الله إلا تعللهم بأن الرسول من البشر، فقالوا: كيف يكون الرسول الذي أرسله الله ﷻ بشرًا من أمثالنا ويهدينا، وذلك كما في قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦].

وكما قال قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].. إلى غير ذلك من الآيات.

فقال تعالى: ﴿ قُل ﴾ يا رسول الله ﴿لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ ﴾ في طمأنينة، يمشون كما تمشون في الأرض ويسكنونها كما تسكنونها لنزلنا عليهم من السماء ملكًا من جنسهم يكون رسولًا إليهم، كما أننا أرسلنا إليكم رسولًا من أنفسكم فلا يصلح أن تكونوا بشرًا وينزل عليكم ملك لا ترونه أو ترونه فتستنكرون هيئته أو تخشونه ولا تطيقون تحمله فيزداد الأمر عليكم التباسًا كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾. [الأنعام: ٩]

ثم أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين وكفى بالله شهيدًا، على صدقي وعلى أنه أرسلني، وشهيدًا عليكم بتكذيبكم لي إنه ﷻ ﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا ﴾ بأموالهم ﴿بَصِيرًا ﴾ مطلقًا ناظرًا إليهم وإلى أعمالهم وأقوالهم.

(٧٠٦) أحمر
أسود

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحقّ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به، إلا قولهم جهلا منهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ فإن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

ويقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لَنزلْنَا عليهم من السماء ملكًا رسولًا لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد للقائلين لك ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ فإنه نعم الكافي والحاكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمحقّ منهم والمُبطل، والمُهديّ والضالّ ﴿بَصِيرًا﴾ بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحبّ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، وهو مجازٍ

(٧٠٧) أحمر
أسود

جميعَهم بما قدّم عند ورودهم عليه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: أكثرهم ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾ ويتابعوا الرسل، إلا استعجابهم من بعثته البشر رسلًا كما قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [يونس: ٢].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [التغابن: ٦]، وقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وكذلك قالت الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، والآيات في هذا كثيرة.

ثم قال تعالى منبهًا على لطفه ورحمته بعباده: إنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم، ليفقهوا عنه ويفهموا منه، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولًا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ أي: كما أنتم فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ أي: من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشرًا، بعثنا فيكم رسولًا منكم لطفًا ورحمة.

ويقول تعالى مرشدًا نبيه إلى الحجة على قومه، في صدق ما جاءهم به: أنه شاهد علي وعليكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنت كاذبا عليه انتقم مني أشد

(٧٠٨) أحمر
أسود

الانتقام، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ -٤٦].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ أي: عليم بهم بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية، ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة.

❁ ❁ ❁

المهتدي من هداه الله
وبيان صورة من صور الحشر يوم القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم -: ومن يوفقه الله ﷻ فهو المُوفِّق للخير، ولن يستطيع أحدٌ أن يضله ولا أن يصرفه عن طريق الحق والصواب والإيمان والهدى والرشاد.

والمعنى أيضًا ومن كتب الله له الهداية وسبق في علم الله أنه سيكون مؤمنًا فهذا الذي سيهتدي ويوفق إذا دعوته إلى الله ويستجيب لداعي الله عمومًا.

أما قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾، أي: ومن يصرفه الله ﷻ عن طريق الحق والصواب، فلن تجد له من يوفقه ولن تجد له ناصرًا ينصره.

وكذا من المعنى، ومن سبق له من الله أن يكون شقيًّا فلن تستطيع أن تهديه أبدًا.

مصير هذا الزائغ يوم أنه يحشر مع المحشورين المجموعين يوم القيامة على وجوههم، والذي أمشاهم في الدنيا على أرجلهم قادر على أن يحشرهم على وجوههم يوم القيامة، فيحشرون على وجوههم ﴿عُمْيًا﴾ لا يرون

(٧٠٩) أحمر
أسود

﴿وَبُكۡمًا﴾ لا يتكلمون ﴿وَصُمًّاۖ﴾ لا يسمعون، ومصيرهم الذي يصيرون إليه، ومأواهم الذي يأوون إليه هو جهنم كلما ﴿خَبَتۡ﴾ سكنت وكادت أن تنطفئ زدناهم سعيرًا، أي: ازدادت توهجًا وإحراقًا واشتعالًا.

هذا، وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة مريم وفي غيرها الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيًا ...﴾، وبين قوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ [مريم: ٣٨] وحاصله أن المواقف يوم القيامة تتعدد وتتنوع والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفَّقه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده. ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن﴾ يقول: ومن يضلله الله عن الحقّ، فيخذله عن إصابته، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيًا وَبُكۡمًا وَصُمًّاۖ﴾ وهو جمع أبكم، ويعني بالبكم: الخُرْس.

فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميًا وبكمًا وصمًّا، وقد قال: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] فأخبر أنهم يرون، وقال: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾ [الفرقان: ١٢، ١٣] فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟ قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماعًا وأبصارًا ومنطق في

(٧١٠) أحمر
أسود

أحوال أُخَر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك.

أما قوله: ﴿عُمْيًا﴾ فلا يرون شيئا يسرّهم. وقوله: ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون بحجة، وقوله: ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون شيئا يسرّهم، وقوله: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وَقُودها.

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ يعني بقوله خبت: لانت وسكنت.

وأورد عن قتادة بسندٍ يصح بطريقيه: كلما احترقت جلودهم بُدّلوا جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن تصرفه في خلقه، ونفوذ حكمه، وأنه لا معقب له، بأنه من يهده فلا مضل له ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: يهدونهم، كما قال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم[(١)] من حديث أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟!!**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿عُمْيًا﴾ أي: لا يبصرون ﴿وَبُكْمًا﴾ يعني: لا ينطقون ﴿وَصُمًّا﴾: لا يسمعون. وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميًا وصمًّا عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾ أي: منقلبهم ومصيرهم ﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابن عباس: سكنت. وقال مجاهد: طفئت ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: لهبًا ووهجًا وجمرًا،

(١) وقد آثرت إيراد رواية البخاري ولفظه، والحديث: أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٧١١) أحمر
أسود

كما قال: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠][1].

قال ابن الجوزي ﴿زاد المسير﴾:

قوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فيه قولان:

أحدهما: عميًا لا يرون شيئًا يَسرُّهم، وبكمًا لا ينطقون بحجَّة، وصمًّا لا يسمعون شيئًا يسرُّهم، قاله ابن عباس. وقال في رواية: عميًا عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكمًا عن مخاطبة الله، وصمًّا عما مدح به أولياءه، وهذا قول الأكثرين.

والثاني: أن هذا الحشر في بعض أحوال القيامة بعد الحشر الأول. قال مقاتل: هذا يكون حين يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيصيرون عميًا بكمًا صمًّا لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ذلك الذي أعددناه لأهل الكفر من العذاب، والذي ذكرنا بعضه، وهو أنهم يحشرون يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا، ذلك العذاب هو جزاؤهم الذي جازيناهم به لكونه جحدوا بآياتنا، وأنكروها وكذبوا بها وأنكروا البعث قائلين أئذا كنا عظامًا بالية متفتتة وصرنا ترابًا أنرجع أحياء مرة ثانية؟!!

---

(١) الظاهر – والله أعلم – أن المراد أنهم في بعض المواطن يكونون عميا، وفي بعضها يكون صُمًّا وبكمًا، وفي مواطن أخر يبصروا كي يروا ما يسؤوهم، ويسمعوا ما يسؤوهم ويتكلموا تعذيبًا لهم وازدراءً بهم.

(٧١٢) أحمر
أسود

ثم يبين الله ﷻ لهؤلاء شيئًا من قدرته على البعث ودليلًا من الأدلة على ذلك، فكما هو معلوم لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] فمن ثمَّ فالذي خلق السموات والأرض قادرٌ على إعادة البشر أحياءً بعد الممات.

فالمعنى، أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث المكذبون بالمعاد وبالثواب وبالعقاب، أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر بلا شك من خلق الناس، أولم يستدلوا بخلق السموات والأرض على قدرته إعادتهم أحياء، وقادر على خلق بشر مثلهم، وقادر كذلك على خلقه سموات أخر وأرضين أخر.

أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على إعادتهم أحياء؟ فقد جعل لهم أجلًا تقوم فيه ساعتهم، وأجلًا تنتهي عنده حياتهم في الدنيا، ولكن مع كل هذا فقد رفض أهل الكفر الإيمان واستمروا على كفرهم وضلالهم واختاروا الكفر على الإيمان.

وبنحو ما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميًا وبكمًا وصما، وإصلائنا إياهم النار على ما بيَّنا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد، وبثواب الله وعقابه في الآخرة ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ بالية ﴿وَرُفَٰتًا﴾ قد صرنا ترابًا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقًا جديدًا. كما

(٧١٣) أحمر
أسود

ابتدأناه أوّل مرّة في الدنيا استنكارًا منهم لذلك، واستعظامًا وتعجبًا من أن يكون ذلك.

ويقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقُدرته، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم، أشكالهم وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا، بعد أن يصيروا عظامًا ورُفاتًا، وقوله ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلًا لهلاكهم، ووقتًا لعذابهم لا ريب فيه. يقول: لا شكّ فيه أنه آتيهم ذلك الأجل ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول: فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبًا به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هذا الذي جازيناهم به، من البعث على العمى والبكم والصمم، جزاؤهم الذي يستحقونه؛ لأنهم كذبوا ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بأدلتنا وحججنا، واستبعدوا وقوع البعث ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ بالية نخرة ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك، والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية؟ فاحتج تعالى عليهم، ونبههم على قدرته على ذلك، بأنه خلق السماوات والأرض، فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣] وقال ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(٧١٤) أحمر
أسود

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨١، ٨٣].

وقال هاهنا: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ أي: يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى، ويعيدهم كما بدأهم. وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلًا مضروبًا ومدة مقدرة لا بد من انقضائها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [هود: ١٠٤].

وقوله: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: بعد قيام الحجة عليهم ﴿إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ إلا تماديًا في باطلهم وضلالهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: ذلك العذاب جزاء كفرهم. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾ أي: ترابًا. ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ فأنكروا البعث فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قيل: في الكلام تقديم وتأخير، أي أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض، وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه قادر على أن يخلق مثلهم. والأجل: مدة قيامهم في الدنيا ثم موتهم، وذلك ما لا شك فيه إذ هو مشاهد. وقيل: هو جواب قولهم:﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾. وقيل: وهو يوم القيامة. ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ أي: المشركون إلا جحودًا بذلك الأجل وبآيات الله. وقيل: ذلك الأجل هو وقت البعث، ولا ينبغي أن يشك فيه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾.

(٧١٥) أحمر
أسود

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من خلق السموات والأرض مع عظمهما قادر على بعث الإنسان بلا شك ؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر فهو على خلق الأصغر قادر بلا شك.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر ؛ كقوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧]، الآية، أي ومن قدر على خلق الأكبر فهو قادر على خلق الأصغر، وقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ ﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بالبعث المتعنتين الذي طلبوا منك – حتى يؤمنوا – أن تفجر لهم من الأرض ينبوعًا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب... الآيات.

قل لهؤلاء المشركين إن ربي كريم لا يعجزه شيء أما البخلاء فهم أنتم، ولو كانت خزائن الأرزاق وخزائن رحمة ربي بأيديكم فمن سعتها ومع عظمها الذي لا يعلمه إلا الله، لو كانت هذه بأيديكم مع أنها لن تنفد ولن تفنى، ولكن مع ذلك لو كانت بأيديكم لبخلتم ولم تعطوا الناس شيئًا خوفًا من أن تفنى ويحل بكم الفقر، وكان الإنسان بخيلًا ممسكًا إلا من رحم الله.

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ

(٧١٦) أحمر
أسود

نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ [النساء: ٥٣] والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال، وعنى بالرحمة في هذا الموضع: المال ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ يقول: إذًا لَبَخِلْتُمْ بِهِ فَلم تجودوا بها على غيركم، خشية من الإنفاق والإقتار.

وأورد بسندٍ يصح بطريقيه عن قتادة قال: ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ خشية الفاقة.

وقال الطبري: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ يقول: وكان الإنسان بخيلا ممسكا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله صلوات الله عليه وسلامه قل لهم يا محمد: لو أنكم - أيها الناس -تملكون التصرف في خزائن الله، لأمسكتم خشية الإنفاق.

قال ابن عباس، وقتادة: أي الفقر أي: خشية أن تذهبوها، مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدا؛ لأن هذا من طباعكم وسجاياكم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ قال ابن عباس، وقتادة: أي: بخيلًا منوعًا. وقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ٥٣] أي: لو أن لهم نصيبًا في ملك الله لما أعطوا أحدًا شيئًا، ولا مقدار نقير، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه؛ فإن البخل والجزع والهلع صفة له، كما قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ -٢٢]. ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه، وقد جاء في الصحيحين: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**».

(٧١٧) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ أي: خزائن الأرزاق. وقيل: خزائن النعم، وهذا أعم. ﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ من البخل، وهو جواب قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ حتى نتوسع في المعيشة. أي: لو توسعتم لبخلتم أيضا. وقيل: المعنى لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى، لأمرين:

أحدهما: أنه لا بد أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته.

الثاني: أنه يخاف الفقر ويخشى العدم. والله تعالى يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين. والإنفاق في هذه الآية بمعنى الفقر، قاله ابن عباس وقتادة. وحكى أهل اللغة أنفق وأصرم وأعدم وأقتر إذا قل ماله. ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورًا ١٠٠﴾ أي: بخيلا مضيقا. يقال: قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا إذا ضيق عليهم في النفقة، وكذلك التقتير والإقتار، ثلاث لغات.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي هذه الخزائن قولان:

أحدهما: خزائن الأرزاق.

والثاني: خزائن النِّعم، فيخرج في الرحمة قولان:

أحدهما: الرِّزق.

والثاني: النِّعمة. وتحرير الكلام: لو ملكتم ما يملكه الله ٥ لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفاقة. ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعني: الكافر ﴿قَتُورًا﴾ أي: بخيلًا مُمْسِكًا؛ يقال: قَتَر يَقْتُرُ، وقَتَر يَقْتِرُ: إذا قصَّر في الإنفاق. وقال الماوردي: لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى، لأمرين:

(٧١٨) أحمر
أسود

أحدهما: أنه لا بد أن يُمسِك منه لنفقته ومنفعته.

والثاني: أنه يخاف الفقر، والله تعالى منزَّه في جُوده عن الحالين.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

بين تعالى في هذه الآية: أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمته – أي: خزائن الأرزاق والنعم – لبخلوا بالرزق على غيرهم، ولأمسكوا عن الإعطاء، خوفا من الإنفاق لشدة بخلهم.

وبين أن الإنسان قتور، أي: بخيل مضيق ؛ من قولهم: قتر على عياله، أي: ضيق عليهم.

وبين هذا المعنى في مواضع أخر ؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ -٢٢]. الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ التي لا تنفد ولا تبيد. ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه، مع أنه من المحال أن تنفد خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشح والبخل.

❁ ❁ ❁

(٧١٩) أحمر
أسود

شيء من قصة موسى عليه السلام مع فرعون

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ
فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾
فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ
أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى
ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ
ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ
وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

[الإسراء: ١٠١-١١١]

(٧٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ - بَيِّنَٰتٖ - مَسۡحُورٗا - بَصَآئِرَ - مَثۡبُورٗا - يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ - لَفِيفٗا - وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ - وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ - فَرَقۡنَٰهُ - مُكۡثٖ - يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا - لَمَفۡعُولٗا - أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ - بِصَلَاتِكَ - تُخَافِتۡ بِهَا - وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا - وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ - وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ﴾	تسع معجزات – تسع مؤيدات تؤيده في دعوته.
﴿بَيِّنَٰتٖ﴾	واضحات ظاهرات – مظهرات أنه نبيٌّ من عند الله، ومظهرات لوحدانية الله وقدرته.
﴿مَسۡحُورٗا﴾	مخدوعًا – قد سحرك ساحرٌ فهُيئت لك الأمور على غير حقيقتها – ساحرًا.
﴿بَصَآئِرَ﴾	مُنيرات – يُستبصر بها ويستضاء بها.
﴿مَثۡبُورٗا﴾	هالكًا – ملعونًا – مطرودًا من الرحمة.
﴿يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	يخرجهم من الأرض.
﴿لَفِيفٗا﴾	جميعًا – مختلطين ملتفٌّ بعضكم ببعض.
﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾	بالأمور التي هي حق نزل القرآن، فنزل فيه الأمر بالعدل والإحسان وكل خير وكل صدق وينهى عن الفحشاء والمنكر وكل شر.

(٧٢١) أحمر
أسود

﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾	نزل محروسًا محفوظًا لم تمسه أيدي الشياطين ولم يناله أحدٌ بزيادة أو نقصان عند نزوله.
﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾	فصلناه من اللوح المحفوظ – بيّناه ووضحناه.
﴿مُكۡثٖ﴾	مَهَل (وذلك في ثلاث وعشرين سنة).
﴿يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾	يخرون لله ساجدين على جباههم، وليس المراد السجود على الذقن، إنما هي كلمةٌ تقال لمن خرَّ ساجدًا.
﴿لَمَفۡعُولٗا﴾	لمتحققًا واقعًا.
﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾	بأي أسماء تدعونه وتسألونه.
﴿بِصَلَاتِكَ﴾	المراد بصلاتك هنا بقراءتك.
﴿تُخَافِتۡ بِهَا﴾	تُسرُّ بها.
﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾	توسط بين الجهر والإسرار. التمس طريقًا وسطًا بين الجهر والإسرار.
﴿وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾	ناصرٌ ومتولٍّ لأمره بسبب ذل به أي: أن الله ﷻ ليس بذليل حتى يتخذ وليًّا يتعزر به، فسبحانه هو القوي العزيز الناصر، وقيل: من الذل، أي: من الخلق الذين هم جميعًا أذلاء لله أي: لم يكن له ناصرٌ ينصره لضعفه بل هو القوي العزيز. والله أعلم.
﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾	عظِّمه تعظيمًا – اعتقد وأيقن أنه أكبر من كل شيء.

❁ ❁ ❁

(٧٢٢) أحمر
أسود

س: ما هذه الآيات التسع التي آتاها الله ﷻ نبيه موسى ﷺ؟

ج: هناك آيتان لا أعلم مخالفًا من أهل العلم أنهما داخلتان في الآيات التسع وهما العصا واليد.

قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨].

وهناك خمس آيات أُخر في سورة الأعراف.

نقل ابن الجوزي في زاد المسير الاتفاق عليها من المفسرين (أي: أنها داخلة في التسع).

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣]

فهي خمسٌ أخر (الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم) فأصبح المجموع سبعًا.

قال ابن الجوزي: ثم اتفق جمهور المفسرين على سبع آيات منها، وهي: يده، والعصا، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم.

وأورد أقوالًا متعددة في الآيتين الأخيرتين.

قلت (مصطفى): فذهب فريق من العلماء إلى أن الآيتين الأخيرتين هما أخذ آل فرعون بالسنين (أي: سنوات الشدة والبلاء) ونقص الثمرات.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

فالسنين ونقص الثمرات آية واحدة وهي الثامنة.

أما التاسعة فقال البعض: إنها انفلاق البحر لموسى ﷺ.

(٧٢٣) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

قلت (مصطفى): وهذه الأخيرة، وإن كانت معجزة بلا شك لكني لا أراها داخلة في الآيات التسع؛ لأن موسى خاطبه فرعون بعدها (أي: بعد الآيات التسع) ولكن فلق البحر تبعه غرق فرعون.

ومن العلماء من قال: إن الآيتين هما أن الله ﷻ أحلَّ العقدة التي كانت بلسان موسى عليه السلام، والثانية أنها دعاء موسى بالطمس على أموالهم وأولادهم.

وهنالك أقوالٌ أُخر فتحصل أن هناك سبع متفق عليها وهي: (اليد – العصا – الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم).

وآيتان فيهما اختلاف:

أحدها: إحلال العقدة التي كانت بلسانه.

والثانية: أخذهم بالشدة والجوع ونقص الثمرات.

وهنالك أقوال أخر.

هذا، وقد ورد في هذا الباب حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ أخرجه غير واحد من أهل الحديث[1] من حديث صَفْوَانَ بْنِ عَسّال الْمُرَادِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ حَتَّى نَسْأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ فَقَالَ: لَا تَقُلْ لَهُ: نَبِيٌّ فَإِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ لَصَارَتْ لَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ. فَسَأَلَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا**

(١) أخرجه الطبري والترمذي في التفسير، والنسائي في تحريم الدم (٧/ ١١١-١١٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) وغيرهم.

(٧٢٤) أحمر
أسود

تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً -أَوْ قَالَ: لَا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ -شُعْبَةُ الشَّاكُّ -وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ، عَلَيْكُمْ خَاصَّةً أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ». فَقَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَقَالَا نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. وقَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعَانِي؟» قَالَا: لِأَنَّ دَاوُدَ عليه السلام دَعَا أَلَّا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخْشَى إِنْ أَسْلَمْنَا أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ.

وهو ضعيف الإسناد من أجل عبد الله بن سلمة وهو متكلم فيه.

قال ابن كثير رحمه الله:

وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها، وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم.

ثم قال ابن كثير رحمه الله:

فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا، واليد، والسنين، ونقص من الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله. وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة فإن له بعض ما ينكر. والله أعلم. ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات، فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات، فحصل وهم في ذلك. والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة، منها ضربه الحجر بالعصا،

(٧٢٥) أحمر
أسود

وخروج الأنهار منه، ومنها تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر هاهنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرًا وجحودًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ولقد أيدنا موسى عليه السلام، وهو النبي الكليم الذي اصطفاه الله بالرسالة والتكليم، وهو موسى بن عمران عليه السلام، أيدناه بتسع من المعجزات العظيمة في دعوته لفرعون، أيدناه بتسعٍ من الآيات الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا وعلى أنه رسولٌ من عند الله، فجعلناها آيات مُعينةً له في دعوته، مُعينة له على فرعون وقومه، وقد تقدم بيان الآيات التسع (العصا – اليد – الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم) وكذا سنوات الشدة ونقص الثمرات، وهي واحدة وهي الثامنة، وكذا حل العقدة التي كانت بلسانه، وقيل: انفلاق البحر، وثمَّ آيات أُخر، ولكن المذكورة من أعظم الآيات، وهذا فضلًا عن الآيات التي أيد الله عز وجل بها موسى عليه السلام، في دعوته لبني إسرائيل وفي سيرته معهم (كالتوراة – أو الألواح – تظليل الغمام – وانفجار الحجر إلى اثنتي عشرة عينًا والمن والسلوى وغير ذلك).

أما قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فمعناه فاسأل يا رسول الله بني إسرائيل من اليهود المحيطين بك في المدينة وغيرهم، اسألهم عن صدق ما ذكرته لك واسألهم عن هذه الآيات وهل هي حق أم لا.

(٧٢٦) أحمر
أسود

فماذا كان يا رسول الله بعد أن أرسلنا موسى عليه السلام بهذه الآيات إلى فرعون؟ هل آمن؟! هل صدَّق؟!!

كلا فما آمن ولا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى واتهم موسى عليه السلام باتهامات باطلة، لقد قال لموسى عليه السلام إني لأظنك يا موسى مسحورًا، قيل: مخدوعًا، وقيل: ساحرًا، فوصف موسى عليه السلام بأنه ساحر أو مسحور فأجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ أن هذه الآيات ما أنزلها إلا الله عز وجل، فأنت تعرف ذلك جيدًا يا فرعون، لكنك مكابرٌ ومكذب وجاحد، فأنت تعلم الحق ولكنك تجحده وتنكره، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

أما قوله تعالى: ﴿بَصَآئِرَ﴾ فمعناه أنها موضحات للناس صدق موسى عليه السلام في رسالته، وفي دعواه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فهي بصائر يستبصر بها من أراد الله له الهداية.

هذا، وقول موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ أي: وإني لأوقن تمام اليقين أنك يا فرعون هالكًا بتكذيبك مطرودًا من رحمة الله مُبعدًا عنها. والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات تُبَين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوّته.

وأورد أقوالًا نحوًا مما تقدم في بيان الآيات التسع ثم قال:

وأما قوله ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ فإن عامّة قرّاء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى: فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى.

(٧٢٧) أحمر
أسود

وقوله ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١﴾ يقول: فقال لموسى فرعون: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرًا، فوضع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، وقد تأوّل بعضهم حجابًا مستورًا، بمعنى: حجابًا ساترًا، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرًا.

وأورد الطبري وجهًا ضعيفًا من وجوه القراء في قوله: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ وصوَّب القراءة بفتح التاء وقال:

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التي أريتكها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي، إني لله رسول، ما بعثني إليك إلا ربّ السماوات والأرض؛ لأن ذلك لا يقدر عليه، ولا على أمثاله أحد سواه، بصائر: يعني بالبصائر: الآيات، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدى لمن اهتدى بهنّ، يعرف بهنّ من رآهنّ أن من جاء بهنّ فمحقّ، وأنهنّ من عند الله لا من عند غيره، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض، وهو جمع بصيرة.

وقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ١٠٢﴾ يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير، والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدّك عنه؟ وثبره الله فهو يَثْبُرُهُ وَيُثْبِرُهُ لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك، ومنه قول الشاعر:

إذْ أُجارِي الشَّيطانَ في سَننِ الغَيّ ... وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

وأورد الطبري: بسندٍ صحيح بطرقه عن ابن عباس قال: ﴿مَثۡبُورًا﴾ ملعونًا،

(٧٢٨) أحمر
أسود

وأورد أقوالًا أُخر منها أن معناها (مغلوبًا)، ومنها مُبدِّلًا مغيِّرًا، ومنها مخبولًا لا عقل له.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا سؤال استفهام ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد ﷺ ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١﴾ أي: ساحرًا بغرائب أفعالك، قاله الفراء وأبو عبيدة. فوضع المفعول موضع الفاعل، كما تقول: هذا مشئوم وميمون، أي شائم ويامن. وقيل مخدوعا. وقيل مغلوبا، قاله مقاتل. وقيل غير هذا.

وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني الآيات التسع. و﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى أوجد. ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ أي: دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته.

وقراءة العامة: ﴿عَلِمۡتَ﴾ بفتح التاء خطابًا لفرعون. وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي يعلم، فبلغت ابن عباس فقال: إنها ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤]. ونسب فرعون إلى العناد. وقال أبو عبيد: والمأخوذ به عندنا فتح التاء، وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس، ولأن موسى لا يحتج بقوله: علمت أنا، وهو الرسول الداعي، ولو كان مع هذا كله تصح به القراءة عن علي لكانت حجة، ولكن لا تثبت عنه، إنما هي عن كلثوم المرادي وهو مجهول لا يعرف، ولا نعلم أحدا قرأ بها غير الكسائي.

وقال أيضًا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ١٠٢﴾ الظن هنا بمعنى التحقيق. والثبور: الهلاك والخسران أيضًا.

(٧٢٩) أحمر
أسود

وأورد أقوالًا أخر.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ الآية، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن فرعون عالم بأن الآيات المذكورة ما أنزلها إلا رب السموات والأرض بصائر، أي حججا واضحة، وذلك يدل على أن قول فرعون ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: ٤٩]، وقوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣] كل ذلك منه تجاهل عارف.

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى مبينًا سبب جحوده لما علمه «في سورة النمل» بقوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ الآية [النمل: ١٢-١٤].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى العِلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوّى بينهما بعضهم، فجعل الأول بمعنى العِلم أيضًا.

وفي المثبور ستة أقوال:

أحدها: أنه الملعون فذكرها وعزاها إلى قائليها وذكر الثاني منها: أنه المغلوب، والثالث: الناقص العقل، والرابع: المهلك، والخامس: الهالك، والسادس: الممنوع من الخير.

وأورد قولين في قوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾:

أحدهما: يستأصلهم.

الثاني: يستخفهم حتى يخرجوا.

(٧٣٠) أحمر
أسود

وأورد أقوالًا كذلك في قوله: ﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾.

أحدها: فلسطين والأردن.

الثاني: أرض وراء الصين.

الثالث: أرض مصر والشام.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فأراد فرعون أن يخرج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الأرض ويطردهم منها فأغرقناه ومن معه كلهم، وقلنا من بعد إغراقه وإهلاكه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض، وهي أرض مصر، وقيل: مصر والشام، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ أي: فإذا جاء يوم القيامة أخرجناكم من قبوركم يا بني إسرائيل أنتم وغيركم وجئنا بكم للحساب مختلطين بعضكم ببعض ملتفٌّ بعضكم ببعض، وقيل: لفيفًا جميعًا، ولا تعارض بين هذا وبين ما جاء في أن كل قوم يحشرون مع أمثالهم، وذلك لأن مواقف القيامة تتنوع وتتعدد فأول الأمر يخرجون من القبور مختلطين كالفراش المبثوث الذي يركب بعضه بعضًا ثمَّ بعد ذلك يرتبون ويكونون جماعات وأسراب كالجراد في مسيره، ثم أيضًا تتبع كل أمة ما كانت تعبد.

وبنحو ما ذكر في الآية عمومًا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأراد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل من

(٧٣١) أحمر
أسود

الأرض، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ في البحر، ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من جنده ﴿جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾، ونجَّينا موسى وبني إسرائيل، ﴿ وَقُلْنَا ﴾ لهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ هلاك فرعون ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الشام ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفًا: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفًا: أي مختلطين قد التفّ بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيِّه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كلّ شيء خُلط بشيء فقد لُفّ به.

وأورد الطبري أيضًا عدة آثار في معنى لفيفًا منها: أثر أبي رزين بسندٍ صحيح عنه ﴿لَفِيفًا ﴾، قال: من كل قوم.

وأثر مجاهد بسندين يصحان بمجموعهما عنه ﴿لَفِيفًا ﴾ قال: جميعًا.

ونحوه عن قتادة قال: جميعًا، أي: أولكم وآخركم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يخليهم منها ويزيلهم عنها ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ وفي هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن هذه السورة مكية نزلت قبل الهجرة، وكذلك وقع؛ فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَآ ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧]؛ ولهذا أورث الله رسوله مكة، فدخلها عنوة على أشهر القولين، وقهر أهلها، ثم أطلقهم حلما وكرما، كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها، وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم، كما قال: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩]، وقال هاهنا

(٧٣٢) أحمر
أسود

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ أي: جميعكم أنتم وعدوكم.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: ﴿لَفِيفًا ﴾ أي: جميعًا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أراد فرعون أن يخرج موسى وبنى إسرائيل من أرض مصر بالقتل أو الإبعاد، فأهلكه الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: من بعد إغراقه. ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الشأم ومصر. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: القيامة. ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ أي: من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه. وقال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعًا من جهات شتى. والمعنى واحد. قال الجوهري: واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، يقال: جاء القوم بلفهم ولفيفهم، أي: وأخلاطهم. وقوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ أي: مجتمعين مختلطين. وطعام لفيف إذا كان مخلوطًا من جنسين فصاعدًا. وفلان لفيف فلان أي: صديقه. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له واحد، وهو مثل الجميع. والمعنى: أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر، مختلطين لا يتعارفون.

❁ ❁ ❁

(٧٣٣) أحمر
أسود

من فضائل القرآن الكريم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وبالحق أنزلنا هذا القرآن أنزلناه فيه الحق، فيه العدل، فيه الأمر بكل معروف وجميل، والنهي عن كل منكرٍ وقبيح، كل أخباره صدق، وكل أحكامه عدلٌ، وكل هدايته إنما هي للتي هي أقوم، تبشير لأهل الصلاح، تحذيرٌ وإنذار لأهل الشر والفساد، يرشد إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وينهى عن مساوئ الأخلاق وسفاسفها، يأمر بالعدل والإحسان ووصل الأرحام، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظ بجميل المواعظ، وتضرب فيه أحسن الأمثال، فحقًّا بالحق أنزله الله من عنده.

وكذا فإنه بالحق نزل، نزل محروسًا محفوظًا لا تمسه الشياطين ولا تناله أيدي العابثين، لم تمسه الأيدي بزيادة ولا نقصان، وكما قال تعالى في شأنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]. وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٧].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ أي: ليس عليك من أمر هدايتهم وتوفيقهم من شيء فأنت في هذا الباب مبشرٌ من أطاع بالجنة ومنذر من عصى بالنار.

مبشرٌ من أطاع برضوان الله ومنذر من عصى وكفر بسخطٍ من الله.

مبشرٌ من أطاع بحياة طيبة، ومنذر من عصى بالشقاوة والعذاب.

أما قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ بتخفيف الراء فمعناه فصلناه، قيل: فصلناه من اللوح المحفوظ، وقيل: جعلنا بين آياته فواصل حتى تفهم وتُستبان وتتجلى معانيها.

(٧٣٤) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: على مهل وتؤدة، وقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ مُنجمًا في ثلاثٍ وعشرين سنة.

فقوله: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ أي: أنزلناه شيئًا بعد شيءٍ، وذلك كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وبالحق أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ يقول: وبذلك نزل من عند الله على نبيّه محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشرا بالجنَّة من أطاعنا، فانتهى إلى أمرنا وَنهْينا، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينَا ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بتخفيف الراء من فرقناه، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك.

(٧٣٥) أحمر
أسود

قال:

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئًا بعد شيء.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي رجاء؛ قال: تلا الحسن: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يومًا على سخطة، فقلت: يا أبا سعيد (**وقرآنا فرّقناه**) فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس (**فرّقناه**)، ولكن ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾، فقرأ الحسن مخففة، قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد، قال: فمن يحدّثنيه، قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين.

وبسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك.

وأورد آثارًا في تفسير ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ منها: فصلناه، ومنها بيناه ومنها فرق الله بين الحق والباطل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز، وهو القرآن المجيد، أنه بالحق نزل، أي: متضمنًا للحق كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] أي: متضمنًا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه، من أحكامه وأمره ونهيه.

وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: ووصل إليك -يا محمد- محفوظًا محروسًا، لم

(٧٣٦) أحمر
أسود

يشب بغيره، ولا زيد فيه ولا نقص منه، بل وصل إليك بالحق، فإنه نزل به شديد القوى، الأمين المكين المطاع في الملإ الأعلى.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ أي: يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ لمن أطاعك من المؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾ لمن عصاك من الكافرين.

وقوله: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾ أما قراءة من قرأ بالتخفيف، فمعناه: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. قاله عكرمة عن ابن عباس[1].

وعن ابن عباس أيضا أنه قال: ﴿فَرَّقۡنَٰهُ﴾ بالتشديد، أي: أنزلناه آية آية، مبينًا مفسرًا؛ ولهذا قال: ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ أي: مهل ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ أي: شيئا بعد شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ هذا متصل بما سبق من ذكر المعجزات والقرآن. والكناية ترجع إلى القرآن. ووجه التكرير في قوله: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ يجوز أن يكون معنى الأول: أوجبنا إنزاله بالحق. ومعنى الثاني: ونزل وفيه الحق، كقوله خرج بثيابه، أي: وعليه ثيابه. وقيل الباء في ﴿وَبِٱلۡحَقِّ﴾ الأول بمعنى مع، أي: مع الحق، كقولك ركب الأمير بسيفه أي: مع سيفه. ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ أي: بمحمد ﷺ، أي: نزل عليه، كما تقول نزلت بزيد. وقيل: يجوز أن يكون المعنى وبالحق قدرنا أن ينزل، وكذلك نزل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم، أي:

(١) والنسائي في الكبرى (١١٣٧٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٨) والطبري.

أنزلناه نجمًا بعد نجم، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدِّين المستقيم، فهو حَقٌّ، ونزوله حق، وما تضمنه حق. وقال أبو سليمان الدمشقي: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: بالتوحيد، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ يعني: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾.

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أنزل هذا القرآن بالحق: أي: متلبسا به متضمنا له ؛ فكل ما فيه حق فأخباره صدق، وأحكامه عدل ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٥] وكيف لا وقد أنزله جل وعلا بعلمه، كما قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية. وقوله: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ يدل على أنه لم يقع فيه تغيير ولا تبديل في طريق إنزاله.

لأن الرسول المؤتمن على إنزاله قوي لا يغلب عليه حتى يغير فيه، أمين لا يغير ولا يبدل، كما أشار إلى هذا بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] الآية، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: ١٩-٢١] الآية، وقوله في هذه الآية: ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ ﴾، أي: لتبليغه عن ربه، بدلالة لفظ الرسول؛ لأنه يدل على أنه مرسل به.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد بين جل وعلا أنه بين هذا القرآن لنبيه ليقرأه على الناس على مكث، أي: مهل وتؤدة وتثبت، وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك،

(٧٣٨) أحمر
أسود

وقد أمر تعالى بما يدل على ذلك في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤]، ويدل لذلك أيضا قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده، على حد قوله في الخلاصة:

فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتما موافق لما قد أظهرا

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل ﴿وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقًا، فارقًا بين الهدى والضلال، والحق والباطل. ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه. ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ أي: شيئًا فشيئًا، مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

[الفرقان: ٣٣]

❁ ❁ ❁

(٧٣٩) أحمر
أسود

حال أهل العلم والإيمان مع القرآن

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك، قل لهم آمنوا بهذا القرآن أو لا تؤمنوا به فإن ثواب إيمانكم عائدٌ عليكم، وإثم تكذيبكم عائدٌ عليكم أيضًا، ولن تضروا الله شيئًا.

آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن هناك من هم أفضل منكم وأعلم منكم وأعقل منكم وهم الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، من قبل نزول القرآن، هؤلاء الذين كانوا أهل كتاب عاملين بكتابهم مطيعين لربهم، هؤلاء إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجدًا، أي: يخرون لله ﷻ ساجدين على جباههم، ويقولون: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزّه ربنا عن الشريك والنِّد والصاحبة والمثيل والولد، تنزه ربنا على كل عيب ونقص، تنزه ربنا عن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا عن الضعف والعجز، تنزه ربنا عن أن يخلف وعده، وقد وعد أن ينزل قرآن، وعد بذلك في التوراة والإنجيل، وغير ذلك من الكتب، وعد بأن يرسل رسولًا هو محمد ﷺ، وها هو قد جاء، ها هو قد نزل عليه القرآن، فحقًّا إن وعد ربنا كان مفعولًا متحققًا، فإن ربنا لا يخلف الميعاد، ولا يخلف ما وعد سبحان ربنا لقد كان وعد ربنا متحققًا.

إنهم – أعني أهل الكتاب – يخرون ساجدين بكائين معترفين بفضل الله معظمين ربهم يزيدهم هذا القرآن خشوعًا، وتواضعًا وإخباتًا لله ﷻ، وسمعًا وطاعة وامتثالًا لله ﷻ، وتعظيمًا لله ﷻ هذا، وليس معنى قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ التي هي جمع ذقن، ليس المعنى أن يسجدون على الأذقان، ليس

(٧٤٠) أحمر
أسود

المعنى أنهم يسجدون على اللحية إنما ذلك مثل يقال لمن بادر بامتثال الأمر وسمع وأطاع وسجد فيقولون خر لذقنه ساجدًا.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تركككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيمًا له وتكريمًا، وعلمًا منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجدًا بالأرض.

واختلف أهل التأويل في الذي عُني بقوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ فقال بعضهم: عُنِي به: الوجوه.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك اللِّحَى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خروا للأذقان سجودًا عند سماعهم القرآن يُتْلَى عليهم، تنزيها لربنا مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب إلا مفعولًا حقًّا يقينًا، إيمانًا بالقرآن وتصديق به، والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَن وهو مجمع اللَّحيين، وإذ كان ذلك كذلك، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل[1].

(١) والذي نقله عن الحسن حاصله ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ قال: اللحى.

(٧٤١) أحمر
أسود

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الذين عنوا بقوله ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وفي ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما قلنا: عُنِي بقوله: ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن؛ لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر، فيصرف الكلام إليه، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ من ذكر القرآن، لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ وما بعده في سياق الخبر عنه، فذلك وجبت صحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتْلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعًا، يعني: خضوعًا لأمر الله وطاعته، واستكانة له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي: سواء آمنتم به أم لا فهو حق في نفسه، أنزله الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: من صالح أهل الكتاب الذين يمسكون بكتابهم ويقيمونه، ولم يبدلوه ولا حرفوه ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ هذا القرآن، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن، وهو أسفل الوجه ﴿سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي: لله

(٧٤٢) أحمر
أسود

ﷻ، شكرًا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلًا إن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب؛ ولهذا يقولون: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ أي: تعظيمًا وتوقيرًا على قدرته التامة، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ؛ ولهذا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾.

وقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ أي: خضوعًا لله ﷻ وإيمانًا وتصديقًا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله خشوعًا، أي: إيمانًا وتسليمًا كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ ﴾ عطف صفة على صفة لا عطف سجود على سجود، كما قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم. وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل.

والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين.

وقال الحسن: الأذقان عبارة عن اللحى. أي يضعونها على الأرض في حال السجود، وهو غاية التواضع. واللام بمعنى على، تقول: سقط لفيه أي على فيه.

وقال القرطبي أيضًا:

وإنما خص الأذقان بالذكر؛ لأن الذقن أقرب شيء فمن وجه الإنسان. قال ابن خويز منداد: ولا يجوز السجود على الذقن؛ لأن الذقن هاهنا عبارة

(٧٤٣) أحمر
أسود

عن الوجه، وقد يعبر بالشيء عما جاوره وببعضه عن جميعه. فيقال: خر لوجهه ساجدًا وإن كان لم يسجد على خده ولا عينه. ألا ترى إلى قوله:

فخر صريعًا لليدين وللفم

فإنما أراد: خر صريعًا على وجهه ويديه.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهوا الله تعالى عن تكذيب المكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن وبعثِ محمّد ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ واللام دخلت للتوكيد. وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعثٌ نبيًّا من العرب، ومُنزِلٌ عليه كتابًا، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرَّر القول ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: يزيدهم القرآن تواضعًا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه فـ: ﴿قُلْ﴾ لمن كذب به وأعرض عنه: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئًا، وإنما ضرر ذلك عليكم، فإن لله عبادًا غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون. ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بالبعث والجزاء بالأعمال ﴿لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ لا خلف فيه ولا شك. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: على وجوههم ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا ۩﴾.

وهؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وغيره، ممن أسلم في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك.

(٧٤٤) أحمر
أسود

جواز البكاء في الصلاة

س: هل يجوز البكاء في الصلاة؟

ج: نعم يجوز البكاء في الصلاة، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ...﴾ [المائدة: ٨٣].

وقول عائشة لرسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبَا بَكر إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ»[(١)]. وما رواه الترمذي[(٢)] وغيره من طريق مُطَرِّف بْن عَبدِ اللهِ بنِ الشخير، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»، وفي بعض الروايات مِنَ الْبُكَاء.

ولفظة «مِنَ الْبُكَاء» فيها بعض الكلام، ولكن كلمة « أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ» يشعر بأنه من البكاء والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ...﴾ سجدة؟ وعند أي موطنٍ هذه السجدة؟

ج: نعم عندها سجدة، وقد نقل الإجماع على ذلك الطحاوي[(٣)] وغيره.

وموطنها عقب قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

---

(١) البخاري (٢/ ٢٠٦)، ومسلم (٤/ ١٤٠).

(٢) الترمذي في الشمائل (١٦٥) بسندٍ صحيح.

(٣) انظر شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٩).

(٧٤٥) أحمر
أسود

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

ج: صح لهذه الآية الكريمة أكثر من سبب نزول فأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعْهُمْ، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

وأخرج البخاري ومسلم[2] أيضًا من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ» تعني: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ كما في رواية مسلم.

وهناك أسباب نزول أُخر لا تكاد تخلو من مقال، وما قدمناه أصح ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الأثر الذي أخرجه الطبري من طريق محمد بن سيرين، قال: نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ قال: أناجي ربي عز وجل، وقد علم حاجتي، فقيل: أحسنت، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت، فلما نزلت ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ قيل لأبي بكر: ارفع شيئًا، وقيل لعمر: اخفض شيئًا.

ج: هذا الأثر ضعيف الإسناد للانقطاع بين محمد بن سيرين وأبي بكر رضي الله عنه

(١) البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).
(٢) البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧).

(٧٤٦) أحمر
أسود

فلم يسمعه ابن سيرين من أبي بكر ولا يُدرى من هذه الواسطة بينهما هل هو ثقة أم ضعيف. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا هؤلاء ادعوا الله ﷻ بأي اسم من أسمائه فقولوا يا الله، اللهم (ومعناه يالله) أو قولوا: يا رحمن، أو ادعوه بأي اسم كان من أسمائه الحسنى، فالأسماء الحسنى كلها لله، وهو يجيبكم إذا دعوتموه (وإن كان من الأنسب أن يختار الاسم الموافق للدعوة كما في قولهم: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨]).

فقوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأفضل الأسماء، وكل أسمائه حسنى.

هذا، ومعلوم أن أهل الشرك كان منهم من ينكر اسم الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠].

وكان منهم من يُثبته، قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ...﴾ [يس: ١٥].

وقد تقدم القول في ذلك في سورة الفاتحة عند تفسير البسملة.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ فمعناه: ولا تجهر بقراءتك في الصلاة، أي: لا ترفع صوتك رفعًا زائدًا بالقراءة في الصلاة ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي: ولا تخفيها وتسرُّ بها إسرارًا لا تسمع معه أصحابك، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: اسلك طريقًا وسطًا بين الجهر

(٧٤٧) أحمر
أسود

والإسرار، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا صلى فجهر بالقراءة سبَّ المشركون القرآن ومن جاء به، وإذا أسرَّ به لم يكد يُسمع أصحابه فأمر بالتوسط في القراءة بين الجهر والإسرار. والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾ أيها القوم ﴿أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدًا، وله الأسماء الحُسنى، وإنما قيل ذلك له ﷺ؛ لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبيّ ﷺ يدعو ربه: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيّه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجًا لنبيّه عليهم[1].

قال الطبري:

ولدخول «ما» في قوله: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ وجهان: أحدهما أن تكون صلة، كما قيل: ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾ [المؤمنون: ٤٠]، والآخر أن تكون في معنى إن: كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة.

وقوله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ اختلف أهل التأويل في الصلاة، فقال بعضهم: عنى بذلك: ولا تجهر بدعائك، ولا تخافت به، ولكن بين ذلك، وقالوا: عنى بالصلاة في هذا الموضع: الدعاء.

وأورد بسندٍ صحيح عن عائشة قالت: نزلت – تعني هذه الآية ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ ...﴾ – في الدعاء.

وكذا بأسانيد تصح بمجموعها عن مجاهد: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ

(١) والسند بذلك الذي أورده الطبري – فيه مقال.

(٧٤٨) أحمر
أسود

بِهَا﴾ ولا تخافت بها في الدعاء والمسألة.

وبسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير، قال: في الدعاء.

وقال آخرون: عَنَى بذلك الصلاة. واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عَنَى بالنهي عن الجهر به، فقال بعضهم: الذي نهى عن الجهر به منها القراءة.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله لنبيّه ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تُسْمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك.

وأورد بسندٍ صحيح أيضًا من وجه آخر عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو مختفٍ بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله لنبيّه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبُّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

وبسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: في القراءة.

وقال آخرون: إنما عُنِي بذلك: ولا تجهر بالتشهد في صلاتك، ولا تخافت بها.

وقال الطبري: حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد ﴿وَلَا تَجْهَرْ

(٧٤٩) أحمر
أسود

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بل كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة جِهارًا، فأمر بإخفائها.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة.

عن الحسن أنه كان يقول: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: أي: لا تراء بها عَلانيَة، ولا تخفها سرًّا ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

واختار الطبري قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في سبب النزول ثم قال:

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقًا إلى أن تسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لا نستجير خلافهم فيما جاء عنهم، لكان وجهًا يحتمله التأويل أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافتة بها، وهي صلاة النهار؛ لأنها عجماء لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها، وهي صلاة الليل، فإنها يجهر بها ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجهًا غير بعيد من الصحة، ولكنا لا نرى ذلك صحيحًا لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه. فإن قال قائل: فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة؟

(٧٥٠) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد، لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله، عَزَّ وَجَلَّ، المانعين من تسميته بالرحمن: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: لا فرق بين دعائكم له باسم «الله» أو باسم «الرحمن»، فإنه ذو الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ إلى أن قال: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وأورد بعض الآثار التي قدمت ذكر الصحيح منها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عبر تعالى بالصلاة هنا عن القراءة كما عبر بالقراءة عن الصلاة في قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾، لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر، لأن الصلاة تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة أجزائها، فعبر بالجزء عن الجملة وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير، ومنه الحديث الصحيح: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**» أي قراءة الفاتحة على ما تقدم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾.

أمر الله جل وعلا عباده في هذه الآية الكريمة: أن يدعوه بما شاءوا من أسمائه، إن شاءوا قالوا: يا ألله، وإن شاءوا قالوا: يا رحمن، إلى غير ذلك من أسمائه جل وعلا.

وبين هذا المعنى في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله:

(٧٥١) أحمر
أسود

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ -٢٤].

وقد بين جل وعلا في غير هذا الموضع: أنهم تجاهلوا اسم الرحمن في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ الآية، وبين لهم بعض أفعال الرحمن جل وعلا في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤]؛ ولذا قال بعض العلماء: إن قوله: الرحمن علم القرآن جواب لقولهم: ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الآية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لعباده: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ﴾ أي: أيهما شئتم. ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أي: ليس له اسم غير حسن، أي: حتى ينهى عن دعائه به، أي: اسم دعوتموه به، حصل به المقصود، والذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، مما يناسب ذلك الاسم.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: قراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فإن في كل من الأمرين محذورًا. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به.

وأما المخافتة فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الجهر والإخفات ﴿سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: تتوسط فيما بينهما.

❁ ❁ ❁

(٧٥٢) أحمر
أسود

الحث على حمد الله ﷻ على وحدانيته وعدم اتخاذه ولدًا وانفراده بالملك وتكبيره تكبيرًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وقل يا رسول الله، وأيضًا يا عبد الله، وقولي يا أمة الله: الحمد لله الذي لم يكن له ولد، فلو كان له ولد لكانت هناك محاباة ومجاملات وهذا الولد أيضًا سيكبر، وسينازع أباه الملك إلى غير ذلك من متبوعات الولد، فالحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، وتنزه الله عن ذلك، فالله قدره أعظم من ذلك، وقد قالت الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الجن: ٣]

أما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: أنه تعالى متفردٌ بالملك، وله في ملكه الخلق والأمر، ليس له منازع ينازعه ولا شريك يشاركه فلو كان معه شريك في الملك لحدث التنازع والشقاق وحدث الاختلاف في الأمر والنهي، فشريك يريد أمرًا، وشريكه يريد أمرًا آخر، فيحدث الخلاف، وكما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢]، وكما قال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ فمعناه – والله أعلم -: ولم يكن له ناصرٌ ينصره ولا حافظ يحفظه ولا أحد سيرعاه من الذل الذي به، أي: أنه تبارك وتعالى ليس بذليل حتى يحتاج إلى وليٍّ ينصره، بل هو العزيز الغالب، فقوله: من الذل، أي من ذلٍّ به، أي: فليس به ذل، وثمَّ قولٌ آخر في تفسير ﴿مِّنَ

(٧٥٣) أحمر
أسود

ٱلذُّلِّ﴾ أي: من العباد الذين هم أذلاء وفقراء، فكل العباد أذلاء وفقراء إليه.

أما قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: عظمه تعظيمًا، ولا تعتقد أبدًا أن أحدًا أكبر منه، ولا أقدر منه، ولا أقوى منه، بل الله أعظم، والله أكبر كبيرًا.

فالله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آهل وسلم اللهم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فيكون مربوبًا لا ربًّا، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيكون عاجزًا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفًا، ولا يكون إلهًا من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردًا بالمُلك والسلطان ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذّل الذي به؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلًا مهينًا يحتاج إلى ناصر إلهًا يطاع ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال أهل التأويل.

وأورد عن مجاهد بسندين يصحان بمجموعهما: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال: لم يحالف[1] أحدًا، ولا يبتغي نصر أحد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة

(١) كذا لم يحالف، والمثبت في بعض الطبعات (لم يخالف)، ولا وجه لها، والله أعلم.

(٧٥٤) أحمر
أسود

الأسماء الحسنى، نزه نفسه عن النقائص فقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له.

قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ لم يحالف أحدًا ولا يبتغي نصر أحد.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي: عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا: عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه، تعالى الله عن أقوالهم! ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾؛ لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحدًا ولا ابتغى نصر أحد، أي: لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعًا. وقال الكلبي: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى؛ لأنهم أذل الناس، ردا لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه. وقال الحسن بن الفضل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يعني: لم يذل فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي: عظمه عظمة تامة. ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال: الله أكبر، أي صفة بأنه أكبر من كل شي. قال الشاعر:

رأيت الله أكبر كل شيء محاولة وأكثرهم جنودا

(٧٥٥) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾.

أمر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة الناس على لسان نبيه ﷺ؛ (لأن أمر القدوة أمر لأتباعه كما قدمنا) أن يقولوا: «الحمد لله» أي: كل ثناء جميل لائق بكماله وجلاله، ثابت له، مبينًا أنه منزه عن الأولاد والشركاء والعزة بالأولياء، سبحانه وتعالى عن ذلك كله علوًّا كبيرًا.

فبين تنزهه عن الولد والصاحبة في مواضع كثيرة؛ كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣]، وقوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٢] الآية، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وبين في مواضع أخر: أنه لا شريك له في ملكه، أي: ولا في عبادته؛ كقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

ومعنى قوله في هذه الآية: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، يعني أنه لا يذل فيحتاج إلى ولي يعز به؛ لأنه هو العزيز القهار، الذي كل شيء تحت قهره وقدرته، كما بينه في مواضع كثيرة كقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١] الآية،

(٧٥٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والعزيز: الغالب، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقوله ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي: عظمه تعظيمًا شديدًا، ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلى كل ما يرضيه، كقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ ونحوها من الآيات، والعلم عند الله تعالى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي له الكمال والثناء والحمد والمجد من جميع الوجوه، المنزه عن كل آفة ونقص.

﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ بل الملك كله لله الواحد القهار، فالعالم العلوي والسفلي كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لا يتولى أحدًا من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانًا منه إليهم ورحمة بهم ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له. انتهى.

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الإسراء.

الفِهرِس

(٧٥٨) أحمر
أسود

(٧٥٩) أحمر
أسود

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تفسير سورة النحل

تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾.	٥

سورة النحل هي سورة النعم..... ١٠
المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ ١٥
المراد بخلق السموات والأرض بالحق..... ١٨
فضل الله ﷻ على الخلق بخلق الأنعام..... ٢٤
ومن نعمه عليهم خلق الخيل والبغال والحمير والإشارة إلى سائر وسائل المواصلات ٢٩
حلُّ أكل لحم الخيل..... ٣١
تحريم لحوم الحُمر الأهلية..... ٣٤
مزيد بيان لنعم الله ﷻ..... ٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾.	٥٢

(٧٦٠) أحمر
أسود

الموضوع الصفحة

التنبيه على وحدانية الله ﷻ ٥٧

تنبيه ٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.	٨٠
تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾.	٩٤

حقٌّ يريد به المشركون الباطل..... ٩٨

الوعد الحسن للمهاجرين في سبيل الله ١١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.	١٣٤

النهي عن اتخاذ إلهٍ مع الله ﷻ وبيان عظيم قدرته ﷻ..... ١٣٧

ومن جهالات المشركين..... ١٤٦

رحمة الله بالعباد..... ١٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.	١٦٤

ذِكر النحل ونعمة الله وقدرته فيه..... ١٧٧

(٧٦١) أحمر
أسود

الموضوع	الصفحة
تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾.	١٩٥
أمثلة مضروبة للكافر والمؤمن.....	١٩٨
مزيدٌ من نعم الله على العباد.....	٢٠٨
تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾.	٢١٧
من مشاهد القيامة.....	٢١٩
تفاوت أهل النار في العذاب، عياذًا بالله.....	٢٣١
تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾.	٢٣٦
من محاسن الشريعة.....	٢٣٩
الوفاء بالعهود والتحذير من نقضها	٢٤٨
التحذير من أن تتسبب في إغواء شخص.....	٢٥٨
تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾.	٢٦٨
التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند التلاوة	٢٧٠

الموضوع الصفحة

دفع إشكال ٢٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.	٢٨٩

من مشاهد القيامة ٢٩١

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.	٣٠٧

تحريم العمل يوم السبت على بني إسرائيل ٣١٤
الحث على الصبر والاستعانة بالله في ذلك ٣٢٧

تفسير سورة الإسراء

تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.	٣٣١

معنى الإسراء والمعراج ٣٣٩
ذِكر بعض المرويات الصحيحة في قصة الإسراء والمعراج ٣٤٠
فصل ٣٤٩
مكان بداية الإسراء ٣٥٥
هل يحتفل بليلة الإسراء والمعراج؟ ٣٥٦
بعض الفوائد والحكم من الإسراء والمعراج ٣٥٧

(٧٦٣) أحمر
أسود

الموضوع الصفحة

الإسراء كان بالروح والجسد ٣٥٨
بعض الشبهات التي تمسك بها القائلون بأن الإسراء والمعراج كان منامًا أو بالروح فقط وتفنيدها..... ٣٥٩
متى كان الإسراء والمعراج؟..... ٣٦٤
أدبٌ من آداب التخاطب..... ٣٧٠
إفساد بني إسرائيل والعقوبة عليه..... ٣٧٥

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾.	٣٨٥

طائرٌ كل إنسان في عنقه..... ٤٠٢
من سنة الله في إهلاك الأمم..... ٤١١
كثرة القرون التي أهلكها الله ﷻ..... ٤١٣
تعريف القرن وبيان مقداره..... ٤١٥
لكل جزاء بنواياه وعمله ٤١٨
عطاء الله في الدنيا ليس بقاصر على المسلمين..... ٤٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.	٤٣٠

الإحسان إلى الوالدين عند الكبر..... ٤٤٢
المراد بـ(ذي القربى) ٤٤٧

الموضوع الصفحة

(٧٦٤) أحمر
أسود

الاقتصاد في العطاء والإنفاق ٤٤٨
التحذير من قتل الأبناء..... ٤٦١
مبحث في التحذير من الاقتراب من الزنا ٤٦٤
مبحث في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ ٤٦٦
غض البصر..... ٤٦٨
ولعلمائنا الأوائل – رحمهم الله تعالى – كلام طويل في هذا الباب ٤٧٠
منع الخلوة المحرمة..... ٤٧٣
النهي عن التبرج..... ٤٧٧
وثم رجال يتبرجون وشباب يتخنثون ٤٧٩
والتحجب الكامل عن الرجال أبعد عن الوقوع في هذه الفاحشة بلا شك..... ٤٨٠
القرار في البيوت..... ٤٨١
هذه بعض الآداب التي ينبغي أن تتحلى بها المرأة عند خروجها من بيتها..... ٤٨٤
النهي عن مصافحة النساء الأجنبيات..... ٤٨٦
النهي عن سفر النساء بلا محرم..... ٤٨٨
منع السفر إلى بلاد الكفر إلا للضرورة والمصلحة ٤٨٨
تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها..... ٤٩١
ولا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها..... ٤٩٣
ترك الخضوع بالقول ٤٩٣
نداءات..... ٤٩٥

الموضوع الصفحة

(٧٦٥) أحمر
أسود

أيها الأب الكريم، أيها الزوج العفيف..... ٤٩٥
وأنت أيتها الأم الكريمة أيتها الأم العفيفة ٥٠٠
أيها الشيخ الكبير المفتون..... ٥٠١
يا مُريد التعفف، ويا ناشد الإحصان، ويا راغبًا في العصمة من الزلل ٥٠٣
أيها الشاب ٥٠٧
أيتها الفتاة ٥٠٩
ويا أولي الأمر ويا أيها العلماء ٥١٠
أيها الأخ الغيور على دينه وعرضه ٥١١
وختامًا أيها المؤمنون..... ٥١٢
بعض صور الإسراف في القتل ٥١٤
التحذير من القتل..... ٥١٤
النهي عن القول بلا علم..... ٥٢٣
النهي عن الكبر والاختيال..... ٥٢٧
التحذير من الشرك..... ٥٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾.	٥٣٣

إبطال دعوى أهل الشرك أن الملائكة إناث ٥٣٦
تصريف الآيات ومعناه ٥٣٩

(٧٦٦) أحمر
أسود

الموضوع الصفحة

إبطال دعوى من ادّعى أن الله له شريك ٥٤١

تسبيح الجمادات وسائر المخلوقات ٥٤٨

المراد بالحجاب المستور..... ٥٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.	٥٦٨

الحث على الكلم الطيب والتعامل الحسن..... ٥٧١

دفع إشكال..... ٥٧٧

إهلاك القرى الظالمة ٥٨٢

السبب في عدم إرسال بعض الآيات لمشركي قريش لما طلبوها ٥٨٥

البيان عن الشجرة الملعونة في القرآن..... ٥٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.	٥٩٧

قصة إبليس مع آدم عليه السلام ٦٠٠

ومن نعم الله على خلقه تسيير السفن في البحار ٦١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.	٦٣٠

تكريم بني آدم وتفضيلهم على غيرهم ٦٣٥

(٧٦٧) أحمر
أسود

الموضوع الصفحة

محاولات أهل الكفر مع رسول ﷺ لصرفه عن دينه وإبعاده عن الحق ٦٤٥

الحث على إقامة الصلوات والإشارة إلى الصلوات الخمس .. ٦٥٤

المراد بقوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ ٦٦١

ظهور الحق وقمع الباطل والبيان عن أن القرآن شفاء ورحمة لأهل الإيمان..... ٦٧٢

بيان حال كثير من الناس مع نعم الله عليهم، وأن النعيم سبب في طغيانهم ٦٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ١٠٠﴾.	٦٨٣

التذكير بنعم الله وقدرته وفضله ٦٩٠

تعنت أهل الكفر وشدة تكذيبهم..... ٦٩٤

تعليل الكفار لعدم إيمانهم بأن الرسول ﷺ بشر ٦٩٩

المهتدي من هداه الله وبيان صورة من صور الحشر يوم القيامة ٧٠٢

شيء من قصة موسى عليه السلام مع فرعون ٧١٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ ...﴾. إلى قوله تعالى: ﴿...وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ١١١﴾.	٧١٣

(٧٦٨) أحمر
أسود

الموضوع الصفحة

من فضائل القرآن الكريم ٧٢٧
حال أهل العلم والإيمان مع القرآن..... ٧٣٣
جواز البكاء في الصلاة..... ٧٣٨
الحث على حمد الله ﷻ على وحدانيته وعدم اتخاذه ولدًا وانفراده
بالملك وتكبيره تكبيرًا..... ٧٤٦

التَّسهيلُ لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير

سُورَةُ الكَهفِ

في سُؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مُصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير سورة الكهف

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الكَهْفِ

بسم الله الرحمن الرحيم
ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
(١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م)

رقم الإيداع
١٦٩٠١ ٢٠٠٤

الناشر

مكتبة مكة
طنطا: ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس
ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

طبعت بمطابع دار الصحيفة ت: ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

---

(١) زيادة: «كل ضلالة في النار» فيها نظر من ناحية الإسناد، فأكثر الروايات بدون ذكرها.

وبعد: فهذا تفسير سورة الكهف في سؤال وجواب ضمن سلسلة «التسهيل لتأويل التنزيل»، ذلكم العمل العلمي الذي بدأته من زمن وصدرت فيه بفضل الله وتوفيقه جملة أجزاء ومجلدات، فها هي سورة الكهف أسأل الله أن ينفعني والمسلمين بها، وبكتابه كله وبسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم.

هذا، وقد قدمت خطة عملي في هذا الكتاب في أجزاء سبقت من هذا المشروع العلمي، أما عن سورة الكهف فأقول مستعينًا بالله مقدمًا قولاً مجملاً عن هذه السورة الكريمة المباركة بين يدي طرح الأسئلة والأجوبة عليها، أقول، وبالله التوفيق:

لقد افتتحت هذه السورة الكريمة المباركة بحمد الله عزَّ وجل وحسن الثناء عليه؛ لنعمةٍ من أعظم نعمه علينا بعد الهداية للإسلام ألا وهي نعمته علينا بإنزال هذا القرآن علىٰ نبينا محمد ﷺ.

وحقًّا فهي أعظم نعمة علينا بعد إذ هدانا الله.

* فبه يهدينا الله سبل السلام، ويخرجنا به من الظلمات إلىٰ النور!!!

* إذ هو ربيعُ القلوب، ونورُ الأبصار، وجلاءُ الأحزان، وذهابُ الهموم والغموم!!!

* به تطمئنُ القلوب، وتُشفىٰ الأبدان، ويزول السقم!!!

* قوله الفصل، وحكمُه العدل، وقضاؤه الخير!!

* هدًىٰ ورحمةٌ، بشيرٌ ونذيرٌ!!

* نبصر به بعد العمىٰ، ونسمع به بعد الصمم!!

* به يجلو البصر، ويصفو الفؤاد، وتُرطب الألسن!!

* فحقًّا إنه نورٌ وكتابٌ مبينٌ، لم يجعل الله له عوجًا.

بل هو قيمٌ، ومهيمنٌ، قصصه أحسن القصص، وأخبارُه أصدقُ الأخبارِ

* لقد أثنى الله على كتابه الكريم في غيرِ موطنٍ من هذه السورة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤].

ثم إن الله تبارك وتعالى قد بين أن كلماته أكثر بكثير مما يظن الظان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

تضمنت آيات هذه السورة الكريمة المباركة تذكيرًا بأصلٍ عظيمٍ، بل وبأصل الأصول على الإطلاق، ألا وهو توحيد الله عزَّ وجل، ونفي الشريك والولد.

وذلك في موطن، يتلوه موطن، تتلوه مواطن!

* ففيها قول الفتية أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

وفيها قول قائلهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦].

وفيها قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* وكذا قول الفتية أصحاب الكهف منكرين على أقوامهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

* وقول الله تبارك وتعالىٰ في بيان الغايات التي من أجلها أُنزل القرآن: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤، ٥].

* وكذا قوله تعالىٰ: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

* وكذا قول المؤمن لصاحبِهِ وهو يحاوره: ﴿لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

* وكذا ندم هذا الذي كان متكبراً متعاليًا: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

* وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

فهكذا تذكيرٌ بالتوحيد الذي هو أصل الأصول، وتحذيرٌ من الشرك الذي هو أعظم الأخطار وأضر الأضرار، فنسأل الله أن يُميتنا علىٰ التوحيد والإيمان، وأن يجنبنا الشرك والكفران.

*** وسيقت في هذه السورة المباركة الدلائل على قدرة الله عزَّ وجل ووحدانيته سبحانه وتعالى:**

* فمن ذلك: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧].

* ومن ذلك: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

* ومن ذلك قوله تعالىٰ في شأن الحوت: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

* ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

كما أن هذه السورة الكريمة المباركة يظهر فيها، في عدة من المواطن أن الأمر كله لله:

* فمن ذلك قول الفتية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

فالذي يؤتي الرحمة هو الله والذي يهيئ الرشد من الأمور.

* وكذلك فيها: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

فالمهتدي من هداه الله: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

* وكذا: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

* وكذلك المُعلَّم من علمه الله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤] فالذي يربط علىٰ القلوب هو الله.

* وكذلك الممكَّن له في الأرض من مكَّن الله له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤].

* وأيضًا قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

والرزاق هو الله، قال تعالىٰ: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

* وكذا قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

وهكذا فالذي ينشر رحمته هو الله، والذي يهيئ الأمر هو الله.

* وكذلك: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وكذلك حملت السورةُ المباركة الكريمة تذكيراً بالبعث تلو تذكير:

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

كذلك فقد حَوَتْ هذه السورة الكريمة المباركة عدداً من القصص القرآني الكريم:

يثبِّت الله به الفؤاد، ويحصل به بإذن الله التذكرُّ والاعتبار، ويحمل علىٰ التأسي والاقتداء، من هذه القصص:

قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، والإشارة إلىٰ قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وقصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر، وكذا قصة ذي القرنين مع الإشارة إلىٰ يأجوج ومأجوج.

وظهرت في هذه السورة الكريمة حقارةُ الدُّنيا وتفاهتها، وسرعة انقضائها وزوالها، ومن ثمَّ التحذير من الاغترار بها والافتتان بها، والحث علىٰ العمل للآخرة، والحث علىٰ الباقيات الصالحات التي لا ينقطع أجرها ولا يزول ثوابها.

وأظهرت السورة الكريمة بعض أشراط الساعة العظمى كخروج يأجوج ومأجوج، وبعض مشاهد القيامة، والحساب:

وكذلك بيان ما أُعدَّ للطائعين المتقين، وكذلك ما أُعدَّ للغواة الكفرة الشاردين عن طاعة الله وطاعة رسله.

فثم مشاهد من مشاهد القيامة، وبيان ما فيها من فسيح الجنان، وما أُعدَّ فيها من صنوف النعيم، وكذا ما أُعدَّ للظالمين من نارٍ أحاط بهم سرادقها وماءٍ كالمهل يشوي الوجوه وغير ذات من صنوف العذاب، أعاذنا الله منها.

وفي خضم الآيات الكريمات البينات الداعية إلى التوحيد، والناهية عن الشرك، والمقررة للبعث والقضاء والقدر، والمحذرة من الجنة والنار يلفت النظر إلى حسن الخلق، وتطييب المطعم والمشرب وبيان سعة علم الله عزَّ وجل وبيان آداب العالم والمتعلم، وما ينبغي أن يتحلى به الساسة والحكام والأمراء.

وغير ذلك من جميل الآداب ومحاسن الأخلاق ألا ترىٰ إلىٰ الفتية أصحاب الكهف وهم في كهفهم وفيما هم فيه من كربٍ وبلاء، يقول قائلهم:

﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ**﴾ [الكهف: ١٩].

فسبحان الله، لم يحملهم ما هم فيه من الكرب والبلاء علىٰ تناسي طيب الطعام والحلال من الطعام.

* كذلك ألا ترىٰ إلىٰ هذا الأدب المبثوث في ثنايا السورة المباركة من

النهي عن الجدل بغير علم، إذ الله قال: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢].

وطلب الحجج والبينات: ﴿لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥].

وبيان سعة علم الله عزَّ وجل من قوله: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦].

واختيار أخف الأضرار عند تزاحمها، وذلك من خرق السفينة دفعًا لمصادرتها واغتصابها.

وكذلك الأدب في النقل عن الله عزَّ وجل، فانظر إلىٰ قول الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

إلىٰ غير ذلك من الأدب المبثوث في ثنايا السورة المباركة الكريمة.

فحقًّا إنها سورة مباركة.

وحقًّا إنه لكتابٌ عزيزٌ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

آمنا به، وأقررنا بأنه من عند الله، ونحمد الله علىٰ ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه دائمًا، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شاء الله من شيء بعد.

فإلىٰ موضوعنا مع آيات هذا الكتاب العزيز، وطرح الأسئلة، وبيان الأجوبة للاستفادة من هديه، والاستضاءة بنوره، والسير علىٰ نهجه،

وترسم خطاه.

نسأل الله أن يهدينا به سبل السلام، وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور، وأن يورثنا به أعالي الجنان.

فإلى الأسئلة، وأجوبتها، وما كان في ذلك من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، فله النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، وما كان من زلل ومن خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، ونتوب إلى الله ونستغفره من كل ما لا يرضيه.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود

سُورَةُ الكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿عوجًا - قيِّمًا - بأسًا - مِّن لَّدُنْهُ - أجرًا حسنًا - ماكثين فيه - أبدًا - كبُرت - إن يقولون - باخعٌ - على آثارهم - بهذا الحديث أسفًا - لنبلوهم - صعيدًا جرزًا - أم حسبت - الكهف - الرَّقيم - كانوا من آياتنا عجبًا - آتنا - هيِّئ لنا - رشدًا - فضربنا على آذانهم - بعثناهم - أحصى لما لبثوا أمدًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿عوجًا﴾	اعوجاجًا - زيغًا - ميلاً.
﴿قيِّمًا﴾	مستقيمًا - معتدلاً - لا اختلاف فيه ولا تعارض بين آياته - ولا تفاوت بينها لا التباس فيه ولا غموض، قيِّمًا على سائر الكتب يُصدقها ويحفظها.
﴿بأسًا﴾	عقوبةً عاجلة في الدنيا وآجلةً في الآخرة.
﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾	من عنده.
﴿أجرًا حسنًا﴾	ثوابًا جزيلاً.
﴿ماكثين فيه﴾	مقيمين فيه على الدوام لا ينتقلون عنه ولا يُنقلون.
﴿أبدًا﴾	دائمًا.
﴿كبُرت﴾	عَظُمت (في فُحشها ونكارتها وقبحها).
﴿إن يقولون﴾	ما يقولون.

الكلمة	معناها
﴿بَاخِعٌ﴾	مُهلك ـ قاتلٌ .
﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾	على إثر إعراضهم وتوليهم .
﴿بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾	بهذا القرآن .
﴿أَسَفًا﴾	حزنًا ـ جزعًا ـ غضبًا .
﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾	لنختبرهم .
﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾	أرضًا مستوية لا نبات فيها ولا شجر .
﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾	أفحسبت ـ أفظننت .
﴿الْكَهْفِ﴾	الغار في الجبل (الذي لجأ إليه الفتية المذكورون) .
﴿الرَّقِيمِ﴾	الكتاب (الذي كتبت فيه أسماؤهم ـ وأسماء آبائهم وقبائلهم وأحوالهم) . وقيل : الرقيم اسم الوادي ـ وقيل : اسم القرية ، وقيل : البنيان .
﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	كانوا أعجب آياتنا .
﴿آتِنَا﴾	أعطنا ـ مُنَّ علينا .
﴿هَيِّئْ لَنَا﴾	اجعل لنا .
﴿رَشَدًا﴾	اهتداءً ـ ما نسترشد به لدنيانا وأُخرانا .
﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾	ألقينا النوم عليهم فناموا ، غطينا على آذانهم حتى لا يصل السمع إليها ومن ثمَّ لا يستيقظوا .

الكلمة	معناها
﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾	أقمناهم من نومهم ـ أحييناهم .
﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾	أعلم بمدة لُبثهم ومكثهم في الغار .
﴿أَمَدًا﴾	عدداً .

س: سورة الكهف هل هي مكية أم مدنية؟

ج: سورة الكهف سورة مكية بالإجماع، وقد نقل غير واحدٍ من المفسرين الإجماع على ذلك، منهم ابن عطية، والقرطبي ـ رحمهما الله تعالى.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل سورة الكهف؟

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال**».

وفي رواية عند مسلم: «**من آخر سورة الكهف**».

وكان الرواية: «**من أول**» هي الأولى.

* ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: قرأ رجل الكهف، وفي الدار دابة فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابةٌ أو سحابةٌ قد غشيته، قال فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن**».

وقد أخرج الدارمي وغيره بسندٍ صحيح[٣] عن أبي سعيد الخدري قال: «**من قرأ سورة الكهف ليلة**[٤] **الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين**

---

(١) مسلم (حديث ٨٠٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٦١٤) وفي غير موطنٍ من «صحيحه»، ومسلم (ص٥٤٨) حديث (٧٩٥).

(٣) الدارمي (٢/ ٤٥٤).

(٤) وفي رواية أشار إليها الحافظ ابن كثير وعزاها السعيد بن منصور (يوم الجمعة)، وثمَّ رواية مُطلقة (بدون يوم ولا ليلة)، وانظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٤٧٤) وقد رجح الموقوف هناك.

البيت العتيق».

وقد روي مرفوعًا، لكن الموقوف أصح، ثم إن له حكم المرفوع.

* * *

س: هل صح لهذه السورة الكريمة المباركة سبب نزول؟

ج: لم يصح لها سبب نزول:

أما ما ذكره الطبري[1] من سبب نزول لها فهو ضعيف الإسناد، ألا وهو ما ذكره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيما يروي أبو جعفر الطبري قال:

بعثت قريش النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قَدِمَا المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره، وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل، فروْا فيه رأيكم!

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوَّل، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتَّبعوه، وإنه هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

---

(١) الطبري (٢٢٨٦١) وإسناده ضعيف، ففيه شيخ لم يُسم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أُخْبِرُكُمْ غداً بما سألْتُمْ عَنْهُ، ولم يستثن، فانصرفوا عنه.

فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحْدث اللهُ إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل - عليه السلام - حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوَّاف، وقول الله عزَّ وجل: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: ١] يعني: محمداً، إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا**﴾ [الكهف: ١، ٢] أي: معتدلاً لا اختلاف فيه.

* * *

س: ما الشيء الذي يحمد ربُّنا - سبحانه وتعالى - عليه نفسه في هذا المقام؟

ج: ابتداءً فربنا - سبحانه وتعالى - المحمود على كل حال، وفي كل وقت وحين، وإنما يحمد ربنا نفسه في هذا المقام على إنزاله هذا الكتاب على نبيه

ﷺ سويًا مستقيمًا لا اختلاف بين آياته، ولا تعارض بينها، مرشدًا إلىٰ كل خير، ناهيًا عن كل شرٍّ، قائمًا بأمر الناس، دالاً علىٰ كل ما يحتاجون إليه.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالىٰ يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها، فإنه المحمود علىٰ كل حال وله الحمد في الأولىٰ والآخرة؛ ولهذا حمد نفسه علىٰ إنزاله كتابه العزيز علىٰ رسوله الكريم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله علىٰ أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور، حيث جعله كتابًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلىٰ صراط مستقيم، واضحًا بيِّنًا جليًّا، نذيرًا للكافرين، وبشيرًا للمؤمنين، ولهذا قال: ﴿**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ [الكهف: ١] أي: لم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلاً، بل جعله معتدلاً مستقيمًا؛ ولهذا قال: ﴿**قَيِّمًا**﴾ [الكهف: ٢] أي: مستقيمًا.

هذا، وثمَّ معنىٰ آخر يورده العلماء في مثل هذا المقام، ألا وهو أن قوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ [الكهف: ١]، مسبوق بمقدرٍ محذوف، والمعنىٰ قولوا الحمد لله، أي: احمدوا ربكم علىٰ إنزاله الكتاب هاديًا لكم، قائمًا بأموركم، دالاً علىٰ كل ما تحتاجون إليه، لا اختلاف بين آياته ولا تعارض بينها.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي يمتن الله عزَّ وجل فيها على عباده بإنزال هذا القرآن منذرًا ومحذرًا من ترك العمل به ومبشرًا العاملين المؤمنين؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢].

* وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[التوبة: ١٢٤، ١٢٥]

* وكذا آيات سورة الكهف التي نحن بصددها:

*وكذا قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

* وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ﴾ [الأعراف: ٢] استدل بها بعض العلماء على مسألة من مسائل المعتقد، ما المسألة؟ وما وجه الاستدلال؟

ج: أما المسألة فهي مسألة علو الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ واستوائه علىٰ عرشه، أما وجه الاستدلال فمن ناحية أن الإنزال يكون من أعلىٰ.

* * *

س: من المراد بالعبد في هذا المقام؟

ج: المراد بالعبد في الآية الكريمة رسول الله محمد ﷺ .

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥].

أي صدقًا في الإخبار، وعدلاً في الأحكام، وفي كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، أي: لم يجعل فيه اختلافًا، قاله ابن الجوزي في «زاد المسير».

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢]؟

ج: قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى في تفسيرها: وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا، لا ميل فيه ولا زيغ، وما ذكره هنا من كونه «قيمًا» لا ميل فيه ولا زيغ ـ بيَّنه أيضًا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١، ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ الآية [الإسراء: ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقوله: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

وقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقوله: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وهذا الذي فسرنا به قوله تعالىٰ: ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] وهو قول الجمهور وهو الظاهر.

وعليه فهو تأكيد في المعنىٰ لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]؛ لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر.

ولذا جمع تعالىٰ بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ وجهان آخران من التفسير:

الوجه الأول: أن معنىٰ كونه: ﴿قَيِّمًا﴾ أنه قيم علىٰ ما قبله من الكتب السماوية أي مهيمن عليه، وعلىٰ هذا التفسير فالآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ الآية [المائدة: ٤٨].

ولأجل هيمنته علىٰ ما قبله من الكتب قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الآية [النمل: ٧٦]، قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

الوجه الثاني ـ أن معنى كونه ﴿قَيِّمًا﴾ أنه قيم بمصالح الخلق الدينية والدنيوية، وهذا الوجه في الحقيقة يستلزمه الوجه الأول.

* * *

س: يذكر بعض أهل العلم أن في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] تقديمًا وتأخيرًا، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن المراد ـ والله أعلم ـ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا، فقوله: قيمًا وصف ملاصق للكتاب.

* * *

س: اذكر بعض ما يدل على قيام هذا القرآن على الكتب قبله يصدق ما ورد فيها، ويبين الدخيل الذي أدخله أهل الكفر عليها، ويبين ما أخفاه أهل الكتاب مما ورد فيها؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

* * *

س: اذكر ما يدل على أن نعيم الجنة لا يفنى ولا يبيد ولا ينقطع؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢، ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٧].

أخرج مسلم [١] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «يُنادى مناد: إنَّ لكُم أنْ تصحُّوا فلاَ تسقَموا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تحْيوا فلاَ تمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لكُم أنْ تَشبُّوا فلا تَهرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تنعمُوا فلاَ تَبْأسُوا أَبَدًا» فذلك قولُهُ عزَّ وجل: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* * *

س: ما معنى الإنذار؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

والإنذار: الإعلام المقترن بتخويف وتهديد، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذار، والإنذار يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، كما في قوله تعالىٰ:

---

(١) مسلم (حديث ٢٨٣٧).

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

وقوله: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ الآية [النبأ: ٤٠].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ [الكهف: ٢] ينذر من؟

ج: ينذر من خالفه وكذَّبه ولم يؤمن به، بل وينذر العالمين جميعًا - إنسهم وجنهم - كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

* * *

س: من قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ [الكهف: ٢] يُستفاد منهج في الدعوة إلى الله، وضح هذا المنهج؟

ج: إيضاحه، والله تعالىٰ أعلم، أن الداعي إلىٰ الله عليه أن يسلك السبيلين في دعوته إلىٰ الله، ألاوهما سبيلا الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير.

فكما أنه يتحدث عن العذاب فينبغي أن يتحدث عن النعيم، وكما أنه يتحدث عن غضب الله فينبغي أن يتحدث عن سعة رحمته، وكما أنه يتحدث عن مؤاخذة الله العباد بذنوبهم، يتحدث أيضًا عن عفوه عنهم حتىٰ لا ييأس شخص من روح الله، ولا يقنط قانطٌ من رحمة الله، وأيضًا حتىٰ لا يستهتر مستهترٌ، ويستهزأ مستهزئٌ.

وينبغي أن ينزل الأمور منازلها، يُرغِّب إذا رأىٰ الأمر يحتاج إلىٰ ترغيب، ويذكِّر بآيات الترهيب إذا استدعىٰ المقام ذلك، قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

* * *

س: ما فائدة التقييد بقوله: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]؟

ج: ذلك لبيان عظيم قدر هذا العذاب.

ففي دنيانا ـ علىٰ سبيل الإيضاح ـ لو قلت جاءتني هدية من عند الملك لأشعرت بقولك هذا أنها هدية عظيمة.

فقوله: ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] أي: عذابًا عظيمًا من عنده.

* * *

س: من الطوائف الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا؟

ج: هم جملة طوائف؛ فمنهم مشركو العرب الذين قالوا إن الملائكة إناث، وإنهم بنات الله قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

ومن اليهود الذين قالوا عزيرٌ ابن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنهم النصارىٰ القائلون بأن المسيح ابن الله قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله:

وقد قدمنا أن القرآن بيَّن أن الذين نسبوا الولد لله ـ سبحانه وتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيراً ـ ثلاثة أصناف من الناس:

اليهود، والنصارىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ الآية [التوبة: ٣٠].

والصنف الثالث مشركو العرب، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] والآيات بنحوها كثيرة معلومة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: قوله ﴿بِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أولهما: (به)، أي بالله، أي ما لهم بالله من علم.

ثانيهما: (به): أي بهذا القول المفترىٰ، أي: أنهم قالوا ما قالوه عن جهلٍ، وقلة علم، وسوء أدب.

* * *

س: مَن المعنيون بالآباء في قوله تعالى: ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المعنيُّون هم الأسلاف عمومًا.

* * *

س: ما المراد بالكلمة في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المراد بالكلمة الكلام، وكثيراً ما تطلق الكلمة علىٰ الكلام جملةً كان، أو مجموعةً من الجُمل.

قال تعالىٰ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا...﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فأطلق علىٰ قوله: رب ارجعون كلمة.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، عظمت هذه الكلمة في شناعتها، وفحشت في نكارتها، واشتدت عقوبتها تلك الكلمة القبيحة، فأي شناعة أشنع من قول من قال اتخذ الله ولداً، وأي قبحٍ أعظم من هذا القبح.

إن السموات تكاد أن تتفطر لشناعتها وبشاعتها، إن الأرض تكاد أن تنشق منه، وكذلك فالجبال توشك أن تخر هدًّا من هذا القول البشع الذي يقتضي وصف الرب باتخاذ الولد، ذلكم الوصف الذي يقتضي النقص والعيب، ثم هو شرك بالله، وكذبٌ علىٰ الله.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، أي إنها قول بالفم لا صحة لها، ولا دليل عليها.

* * *

س: دعوى الولد لله عزَّ وجل دعوى قبيحة في غاية القبح، وفريةٌ في غاية من الافتراء، وكذبةٌ من أقبح الكذب دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤، ٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٩٠].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

* وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

والآيات كثيرة جدًّا، قدمناها في جملة من المواطن.

* * *

س: ما وجه هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] اذكر شيئًا من تفسيرها؟

ج: هذه الآية الكريمة تحمل عتابًا لرسول الله ﷺ على شدة حزنه على كفر هؤلاء الكافرين، وتحمل نهيًا عن ذلك.

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى: وهذه معاتبة من الله ـ عزَّ ذكره ـ على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيمًا.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

يعني ـ تعالى ذكره ـ بذلك: فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، تمرُّدًا منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك فيصدِّقوا بأنه من عند الله حزنًا وتلهفًا ووجدًا، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به، وتركهم الإيمان بك.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

* قوله تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧].

* وقوله تعالى: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

س: كيف لا يحزن الشخص على كفر الكافرين وردَّة المرتدين وقد جُبلتِ الأنفس المؤمنة على الفرح بإسلام الكفار، والحزن على المرتدين؟

ج: المراد ـ والله تعالىٰ أعلم ـ بالحزن في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، والآيات التي في معناها الحزن المُفرط الذي يتسبب في تلف الشخص وإهلاكه، وهو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، والمشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿بَاخِعٌ﴾ [الكهف: ٦] أي: مهلك.

هذا، وقد استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة علىٰ تحريم الانتحار وإهلاك النفس، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾؟

ج: قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في «زاد المسير»:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس، فعلىٰ هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري.

والثالث: أنَّه ما عليها من شيء. قاله مجاهد.

والرابع: النبات والشجر. قاله مقاتل، وقول مجاهد أعمُّ، يدخل فيه النبات، والماء والمعادن، وغير ذلك.

فإن قيل: قد نرىٰ بعض ما علىٰ الأرض سمجًا وليس بزينة.

فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد به شيء مخصوص، فالمعنىٰ: إنا جعلنا

بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص.

فإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم.

وإن قلنا: النبات والشجر؛ فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية.

وإن قلنا: إنه عام في كل ما عليها، فلكونه دالاً على خالقه، فكأنَّه زينة الأرض من هذه الجهة.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] فائدة نرجو إيضاحها؟

ج: هذه الفائدة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] أي: أصوب عملاً وأخلص عملاً، فقوله أحسن يستلزم أمرين:

أن يكون العمل في نفسه صحيحًا صوابًا، وذلك بموافقته للكتاب والسُّنة، وأن يكون عاملُه مُخلصًا فيه لله يبتغي به وجهه.

وهذا المعنى هو الموجود في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وأيضًا ثمَّ فائدة من الآية الكريمة، ألا وهي أن الله قال: ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] ولم يقل أكثر عملاً، فالعبرة بحسن العمل لا بكثرته، والله تعالى أعلم.

* * *

س: الدنيا دار ابتلاء، دلِّلْ على ذلك؟

ج: نعم، الدنيا دار ابتلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[الإنسان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ(١):

قال: «إن الدُّنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مستخلفُكم فيهَا فَينْظرُ كيفَ تَعمَلُونَ، فَاتَّقوا الدُّنيا واتَّقُوا النِّساءَ فإنَّ أولَ فتنةِ بَنِي إسْرَائِيل كانتْ فِي النِّساء».

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ [الكهف: ٧]؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

* وقوله: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٢).

بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] عقب قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية فيها مواساةُ رسول الله ﷺ، فإن لكل شيءٍ غايةً ونهايةً، فالمعنىٰ لا تغتر بما هم فيه من نعيم، ولا يهولنك ما هم فيه من دنيا، فكل ذلك إلىٰ زوال وفناء، فسيأتي يوم يزول ما علىٰ وجه الأرض، فلا تأسف ولا يحزنك ما هم فيه من عنادٍ وشقاق.

وهذا كالمعنىٰ الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦، ٥٧].

فالمعنىٰ: يا عبادي الذين آمنوا، إن ضاقت عليكم بلادكم ودياركم وشق عليكم عبادة ربكم فيها فأرض الله واسعة، فهاجروا فيها، واعبدوا الله في أي مكان كان، وإن شق عليكم فراق الديار والأهل والجيران والأقارب والأحباب، فاعلموا أن كل نفس ذائقة الموت، فسيأتي يوم لزامًا أن تفارقونهم فيه يوم أن تموتوا أو يموت من تحبون، ثم إلىٰ الله المرجع والمآب فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء علىٰ إساءته، والله تعالىٰ أعلم.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

والآية بسط في التسلية، أي: لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فإنا إنما

جعلنا ذلك امتحانًا واختبارًا لأهلها، فمنهم من يتدبر ويؤمن، ومنهم من يكفر، ثم يوم القيامة بين أيديهم، فلا يعظُمنَّ عليك كفرهم فإنا نجازيهم.

* * *

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: ٩] موجهٌ لمن؟

ج: الخطاب لرسول الله ﷺ، ونحن له تبع.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالي: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]؟

ج: المعنىٰ والمراد، والله تعالىٰ أعلم: أفظننت أن ما حدث لأصحاب الكهف والرقيم كان أعجب آياتنا، كلا بل هناك آيات هي أعجب، وآيات هي أجل وأعظم فهذا القرآن الذي أُنزل عليك أعجب من ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فهذا القرآن الذي يدل علىٰ كل خير، ويُحذِّر من كل شرٍّ ويدعو إلي كل فضيلة ويُحذِّر من كل رذيلة، ويخبر بأصدق الأخبار، ويصحح كل معتقد، ويقود العاملين به والمستمسكين به إلىٰ الجنة لهو أعجب مما حدث لأصحاب الكهف.

قال رسول الله ﷺ[1]: **«ما من نبيٍّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**.

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٨١)، ومسلم (حديث ١٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول ـ تعالىٰ ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا ، فإن ما خلقت من السموات والأرض ، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف ، وحجتي بكل ذلك ثابتة علىٰ هؤلاء المشركين من قومك ، وغيرهم من سائر عبادي .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني : يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩]، أي : ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا ، فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: ٩] أي : بل أحسبت ، أو بل حسبت ، ومعناها الانتقال من حديث إلىٰ حديث آخر ، لا لإبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنىٰ «بل» في الأصل .

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى الرقيم؟

ج: ابتداءً قد ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من طريق سماك عن عكرمة عنه أنه قال : «كل القرآن أعلمه إلا (حنانا) ، و(أواه) ، و(الرقيم)»

وقد أخرجه الطبري، لكن هذا سند ضعيف عن ابن عباس.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس ـ رضي االله عنهما ـ من وجه آخر أنه لا يدري ما الرقيم.

هذا، وإن وردت عن ابن عباس بعض الأسانيد بتفسير الرقيم، فيحمل ذلك على أنه توقف أولاً، ثم اجتهد وفسَّر أو العكس، والله أعلم.

أما عن مزيد من الأقوال في شأن الرقيم:

قال الطبري ـ رحمه الله:

وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيًّا به: لوح، أو حجر، أو شيء كُتب فيه كتاب.

وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف، ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك.

وقال بعضهم: بل جُعل على باب كهفهم.

وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظًا عند بعض أهل بلدهم، وإنما الرقيم: فعيل، أصله مرقوم، ثم صرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم؛ لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة، بمعنى: عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة، والضفتان: جانبا الوادي، وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي.

ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

والكهف: النقب المتسع في الجبل، فإن لم يك واسعًا فهو غار، وقيل: كل غار في جبل كهف، وما يروىٰ عن أنس من أن الكهف نفس الجبل غريب، غير معروف في اللغة.

واختلف العلماء في المراد بـ «الرقيم»: في هذه الآية علىٰ أقوال كثيرة، قيل: الرقيم اسم كلبهم، وهو اعتقاد أمية بن أبي الصلت، حيث يقول:

وليس بها إلا الرقيم مجاورًا وصيدهم والقوم في الكهف همد

وعن الضحاك ـ أن الرقيم: بلدة بالروم، وقيل: اسم الجبل الذي فيه الكهف، وقيل: اسم للوادي الذي فيه الكهف، والأقوال فيه كثيرة ـ وعن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما الرقيم؟ أكتاب أم بنيان؟

وأظهر الأقوال عندي: بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن أن الرقيم معناه: المرقوم، فهو فعيل بمعنىٰ مفعول، من رقمت الكتاب إذا كتبته، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ الآية [المطففين: ٩]، سواء قلنا: إن الرقيم كتاب كان عندهم، فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماؤهم، وأنسابهم، وقصتهم، وسبب خروجهم، أو صخرة نقشت فيها أسماؤهم، والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: وضح معنى قول الفتية: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [الكهف: ١٠]؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، يا ربنا هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها من القوم الذين يريدون أذانا، وتسترنا بها عنهم، وتنقذنا بها مما نحن فيه من

هموم وغموم وأحزان.

ويسر لنا من الأمور ما نسترشد به في دنيانا ولأُخرانا.

* * *

س: ما المراد بالرحمة في قول الفتية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]؟

ج: الرحمة هنا عامةٌ؛ فتشمل الهداية، وتشمل سعة الأرزاق، وتشمل الرعاية والحفظ والنجاة مما هربوا منه وخافوه، وتشمل المغفرة، والله أعلم.

* * *

س: ما الوجوه التي ذكرها العلماء في قول الفتية ﴿مِنْ﴾ إذ قالوا: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]؟

ج: قال الشنقيطي ـ رحمه الله:

ومعنىٰ قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠] أي: أعطنا رحمة من عندك، والرحمة هنا تشمل الرزق والهدىٰ والحفظ مما هربوا خائفين منه من أذىٰ قومهم والمغفرة.

والفتية: جمع فتىٰ، جمع تكسير، وهو من جموع القلة.

ويدل لفظ الفتية علىٰ قلتهم، وأنهم شباب لا شيب، خلافًا لما زعمه ابن السراج من أن الفتية اسم جمع، لا جمع تكسير، وإلىٰ كون مثل الفتية جمع تكسير من جموع القلة، أشار ابن مالك في «الخلاصة» بقوله:

أفعلة أفعل ثم فعلة ... كذاك أفعال جموع قلة

والتهيئة: التقريب والتيسير: أي يسر لنا، وقرب لنا من أمرنا رشداً.

والرشد: الاهتداء والديمومة عليه، و«من» في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الكهف: ١٠] فيها وجهان:

أحدهما ـ أنها هنا للتجريد، وعليه فالمعنى: اجعل لنا أمرنا رشداً كله، كما تقول: لقيت من زيد أسداً، ومن عمرو بحراً.

والثاني: أنها للتبعيض، وعليه فالمعنى: واجعل لنا بعض أمرنا أي: وهو البعض الذي نحن فيه من مفارقة الكفار رشداً حتى نكون بسببه راشدين مهتدين.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، وهذه من فصيحات القرآن التي أقرَّت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله.

قال الزجاج: أي: منعناهم عن أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه.

وقال ابن عباس: ضربنا على آذانهم بالنوم، أي سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها.

وقيل: المعنى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أي: فاستجبنا دعاءهم، وصرفنا عنهم شر قومهم، وأنمناهم، والمعنى كله متقارب.

وقال قُطْرُب: هذا كقول العرب: ضرب الأمير على يد الرعيَّة إذا منعهم الفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف، قال الأسود بن يَعْفُر وكان ضَرِيراً:

ومن الحوادث لا أبًا لك أنني ... ضُربتْ عليَّ الأرضُ بالأسدادِ

وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم،

وقلَّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يُستحكم نوم إلا من تَعَطُّل السمع، ومن ذِكْر الأذن في النوم قوله ﷺ: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» خرجه الصحيح أشار عليه السلام إلىٰ رجل طويل النوم لا يقوم الليل.

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في «أضواء البيان»:

وضربه ـ جل وعلا ـ علىٰ آذانهم في هذه الآية الكريمة كناية عن كونه أنامهم، ومفعول «ضربنا» محذوف، أي ضربنا علىٰ آذانهم حجابًا مانعًا من السماع، فلا يسمعون شيئًا يوقظهم، والمعنىٰ: أنمناهم إنامة ثقيلة، لا تنبههم فيها الأصوات.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] **كم هذه السنون؟**

ج: ذلك موضح بقوله تعالىٰ: **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾** [الكهف: ٢٥].

* * *

س: من المراد بالحزبين في قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١١]؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

والحزبان: الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد: هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني: أهل المدينة الذين بُعث الفِتْية علىٰ عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين، اختلفا في مدة أصحاب

الكهف، وقيل: هما حزبان من المؤمنين.

وقيل: غير ذلك مما لا يرتبط بألفاظ الآية.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى: وأكثر المفسرين على أن أحد الحزبين هم أصحاب الكهف.

والحزب الثاني: هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية.

وقيل: هما حزبان من أهل المدينة المذكورة، كان منهم مؤمنون وكافرون.

وقيل: هما حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف.

اختلفوا في مدة لبثهم، قال الفراء: وعن ابن عباس: الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب، وأصحاب الكهف حزب، إلى غير ذلك من الأقوال.

والذي يدل عليه القرآن: أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف.

وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩].

وكأن الذين قالوا: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩] هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول.

ولقائل أن يقول: قوله عنهم: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩] يدل على أنهم لم يحصوا مدة لبثهم، والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل بعث هؤلاء الفتية كان فقط: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] ؟

ج: لم يكن لذلك فقط، بل لعلل أُخرىٰ هي أهم وأعظم قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

* * *

س: ما وجه الاستفادة بمعرفة أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا، وكذا ما وجه الاستفادة من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩]؟

ج: فائدة هذا وذاك إثارة التساؤل الذي يتبعه ظهور أمر هؤلاء الفتية الذي يصاحبه بيان قدرة الله ـ عزَّ وجل ـ علىٰ الإحياء والإماتة، والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

فإن قيل: أي فائدة مهمة في معرفة الناس الحزب المحصي أمد اللبس من غيره، حتىٰ يكون علة غائبة؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ...﴾ [الكهف: ١٢] الآية؟ وأي فائدة مهمة في مساءلة بعضهم بعضًا، حتىٰ يكون علة غائبة؛ لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

فالجواب: أنا لم نر من تعرض لهذا، والذي يظهر لنا ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن ما ذكر من إعلام الناس بالحزب الذي هو أحصىٰ أمدًا لما لبثوا، ومساءلة بعضهم بعضًا عن ذلك، يلزمه أن يظهر للناس حقيقة أمر هؤلاء الفتية، وأن الله ضرب علىٰ آذانهم في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، ثم بعثهم أحياء، طرية أبدانهم، لم يتغير لهم حال، وهذا من غريب صنعه ـ جل وعلا ـ الدال علىٰ كمال قدرته، وعلىٰ البعث بعد الموت، ولاعتبار هذا اللازم

جعل ما ذكرنا علة غائبة، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ﴾ [الكهف: ١٢] يدل على أن الله لم يكن يعلم إلا بعد بعثهم؟

ج: كلا، بل الله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

واعلم أن قوله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ...﴾ [الكهف: ١٢] الآية.

لا يدل علىٰ أنه لم يكن عالمًا بذلك قبل بعثهم، وإنما علم بعد بعثهم، كما زعمه بعض الكفرة الملاحدة! بل هو ـ جل وعلا ـ عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، والآيات الدالة علىٰ ذلك لا تحصىٰ كثر.

وقد قدمنا ـ أن من أصرح الأدلة علىٰ أنه ـ جل وعلا ـ لا يستفيد بالاختبار والابتلاء علمًا جديدًا ـ سبحانه وتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ قوله تعالىٰ في آل عمران: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] دليل واضح في ذلك.

وإذا حققت ذلك فمعنىٰ: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢] أي: نعلم ذلك علمًا يظهر الحقيقة للناس، فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك دون خلقه.

* * *

أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ نَبَأَهُم - بِالْحَقِّ - فِتْيَةٌ - هُدًى - وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ - لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا - شَطَطًا - اتَّخَذُوا - بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ - افْتَرَى - إِلاَّ اللَّهَ - فَأْوُوا - يَنشُرْ لَكُمْ - يُهَيِّئْ - مِّرْفَقًا - تَّزَاوَرُ - ذَاتَ الْيَمِينِ - تَّقْرِضُهُمْ - فَجْوَةٍ - مِنْ آيَاتِ اللَّهِ - وَلِيًّا - مُّرْشِدًا - رُقُودٌ - ذَاتَ الْيَمِينِ - ذَاتَ الشِّمَالِ - بِالْوَصِيدِ - لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ - رُعْبًا - بَعَثْنَاهُمْ - بِوَرِقِكُمْ - أَزْكَى طَعَامًا - بِرِزْقٍ مِّنْهُ - وَلْيَتَلَطَّفْ - لا يُشْعِرَنَّ - يَرْجُمُوكُمْ - يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ - لَن تُفْلِحُوا - أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ - لا رَيْبَ فِيهَا - رَجْمًا بِالْغَيْبِ - تُمَارِ - مِرَاءً ظَاهِرًا - لا تَسْتَفْتِ - إِذَا نَسِيتَ - لَهُ غَيْبُ - أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ - مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ - وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا - وَاتْلُ - لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ - مُلْتَحَدًا ﴾.

الكلمة	معناها
﴿نَبَأَهُم﴾	خبرهم .
﴿بِالْحَقِّ﴾	بالصدق واليقين .
﴿فِتْيَةٌ﴾	شباب .
﴿هُدًى﴾	إيمانًا ـ بصيرة ـ يقينًا ـ ثباتًا .
﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾	قوينا قلوبهم ـ ألهمناها الصبر ـ قوَّينا عزائمهم .
﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا﴾	لن نعبد غيره .
﴿شَطَطًا﴾	باطلاً ـ بهتانًا ـ كذبًا .
﴿اتَّخَذُوا﴾	عبدوا .
﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾	دليل واضح ـ حجة ظاهرة .
﴿افْتَرَى﴾	اختلق .
﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾	سوىٰ الله ـ من دون الله .
﴿فَأْوُوا﴾	اذهبوا ـ انزلوا .
﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾	يبسط لكم .
﴿يُهَيِّئْ﴾	ييسر .
﴿مِّرْفَقًا﴾	منفعة ترتفقون بها ـ تنتفعون بها .
﴿تَّزَاوَرُ﴾	تميل .
﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾	يمينًا ـ ناحية اليمين .
﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾	تتركهم ـ تتجاوز عنهم لا تقترب منهم .
﴿فَجْوَةٍ﴾	متسع ـ مكان داخل ـ فتحة في الداخل .

الكلمة	معناها
﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾	من دلائل قدرة الله ـ من معجزات الله .
﴿وَلِيًّا﴾	ناصراً .
﴿مُّرْشِدًا﴾	مُوفقًا .
﴿رُقُودٌ﴾	نيام .
﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾	علىٰ الجانب الأيمن .
﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾	للجانب الأيسر .
﴿بِالْوَصِيدِ﴾	الفناء ـ الباب (ومنه إنها عليهم مؤصدة) .
﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾	لو نظرت إليهم ـ لو وقفت علىٰ أمرهم ـ لو رأيتهم .
﴿رُعْبًا﴾	فزعًا .
﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾	أقمناهم من نومهم .
﴿بِوَرِقِكُمْ﴾	بدراهم الفضة التي معكم .
﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾	أطيب طعامًا ـ أحلَّ (من الحلال) طعامًا .
﴿بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾	بشيء منه (مما يرزقنا الله) .
﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾	يذهب في لطفٍ وخفاء .
﴿لَا يُشْعِرَنَّ﴾	لا يعُلمن ـ لا يُخبرن .
﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾	يرجموكم بالأحجار ـ يقذفونكم بالسباب والشتم .
﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾	يردوكم إلىٰ الكفر .
﴿لَن تُفْلِحُوا﴾	لن تدركوا الفلاح ، وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من

الكلمة	معناها
	المرهوب .
﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾	أطلعنا عليهم ـ أظهرنا أمرهم للناس .
﴿لا رَيْبَ فِيهَا﴾	لاشك فيها .
﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾	قولاً بلا علم ـ تكلمًا بالظن .
﴿بِعِدَّتِهِم﴾	بعددهم .
﴿تُمَارِ﴾	تجادل .
﴿مِرَاءً ظَاهِرًا﴾	جدلاً ظاهراً عليه دليل .
﴿لا تَسْتَفْتِ﴾	لا تسأل ـ لا تستخبر ـ لا تستعلم .
﴿إِذَا نَسِيتَ﴾	إذا نسيت أن تذكره ـ إذا غضبت .
﴿لَهُ غَيْبُ﴾	له علم غيب .
﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾	لا أحد أبصر من الله ، ولا أحد أسمع من الله .
﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾	ما لهم سوىٰ الله من شخص يتولاهم وينصرهم .
﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾	لا يجعل في قضائه أحداً معه ، وكذلك لا يشرك في تشريعاته أحداً .
﴿وَاتْلُ﴾	واتبع ـ واقرأ .
﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾	لا مغير لقضائه ولا لقدره ، لا مُحرف لكتبه .
﴿مُلْتَحَدًا﴾	ملجأ تلجأ إليه .

س: هل لوصفهم بأنهم فتيةٌ مغزًى أو فائدة؟

ج: نعم، لذلك مغزًىٰ وفائدة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

من ها هنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالىٰ ـ أنهم فتية ـ وهم الشباب ـ وهم أقبلُ للحق، وأهدىٰ للسبيل من الشيوخ الذين قد عتَوا وعَسَوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ شبابًا، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا علىٰ دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالىٰ عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الكهف: ١٣] أي شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

وقال الجُنيد: الفتوة: بذل النَّدَىٰ، وكفُّ الأذىٰ، وترك الشكوىٰ.

وقيل: الفُتوَّة اجتناب المحارم، واستعجال المكارم، وقيل غير هذا، وهذا القول حسن جدًّا؛ لأنه يعمُّ بالمعنىٰ جميع ما قيل في الفتوة.

* * *

س: ما شأن هؤلاء الفتية أصحاب الكهف؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقد ذُكِرَ أنهم كانوا علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم ـ عليه السلام، والله أعلم، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية؛ فإنهم لو كانوا علىٰ دين النصرانية لما اعتنىٰ أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم، وقد

تقدم عن ابن عباس أن قريشًا بعثوا إلىٰ أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح، فدل هذا علىٰ أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم علىٰ دين النصرانية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]، يقول تعالىٰ: وصبَّرناهم علىٰ مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمعًا في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكان يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويدعوهم إليه.

فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلىٰ ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم، ويتبرز عنهم ناحية، وكان أول من جلس منهم أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر [وجاء الآخر]، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم علىٰ الإيمانِ.

كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقًا من حديث يحيىٰ بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**

أخرجه مسلم في «صحيحه» (١) من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

والناس يقولون: الجنسية علة الضم.

والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه خوفًا منهم، ولا يدري أنهم مثله، حتىٰ قال أحدهم: تعلمون والله، يا قوم أنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم ما بأمره، فقال آخر: أمَّا أنا فإني والله، رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء: السموات والأرض وما بينهما.

فقال الآخر: وأنا والله، وقع لي كذلك، وقال الآخر كذلك، حتىٰ توافقوا كلهم علىٰ كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة، وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلىٰ ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلىٰ الله عز وجل؛ ولهذا أخبر تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا**﴾ [الكهف: ١٤]، ولن لنفي التأبيد، أي: لا يقع منا هذا أبداً؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً، ولهذا قال عنهم: ﴿**لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ [الكهف: ١٤] أي: باطلاً وكذبًا وبهتانًا.

﴿**هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ أي: هلاَّ أقاموا علىٰ صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحًا صحيحًا؟! ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ [الكهف: ١٥].

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٨).

يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال: إن ملكهم لما دَعَوه إلىٰ الإيمان بالله أبىٰ عليهم، وتهددهم، وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وأجَّلهم لينظر في أمرهم لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلىٰ الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة.

وهذا هو المشروع[1] عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد منهم خوفًا علىٰ دينه، كما جاء في الحديث: «**يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنمًا يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**».

ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجُمع.

فلما وقع عزمهم علىٰ الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله تعالىٰ لهم ذلك، وأخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الكهف: ١٦] أي: وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضًا بأبدانكم ﴿**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ**﴾ [الكهف: ١٦] أي: يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ﴿**وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم**﴾ [الكهف: ١٦] الذي أنتم فيه ﴿**مِّرْفَقًا**﴾ [الكهف: ١٦] أي: أمرًا ترتفقون به.

فعند ذلك خرجوا هُرَّابًا إلىٰ الكهف فآووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبهم الملكُ، فيقال: إنه لم يظفر بهم، وعمَّىٰ الله عليهم خبرهم، كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلىٰ غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطَّلب، فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه، وعندها قال النبي ﷺ حين رأىٰ جزع الصديق في قوله: يا رسول الله، لو أن

(١) البخاري (حديث ١٩) وفي غير موضع من «صحيحه»، من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا.

أحدهم نظر إلىٰ موضع قدميه لأبصرنا!! فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[(١)] وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٤٠] فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف.

وقد قيل: إن قومهم ظفروا بهم، ووقفوا علىٰ باب الغار الذي دخلوه، فقالوا: ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم، فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم، ففُعِل ذلك، وفي هذا نظر، والله أعلم، فإن الله تعالىٰ قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيًّا.

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلىٰ المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير الجادة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدينة، وذكروا أن اسمها دقسوس، وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومَنْ عليها كما قال الشاعر:

أما الديار فإنها كديارهم ... وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرىٰ شيئًا من معالم البلد التي يعرفها، ولا يعرف أحدًا من أهلها، لا خواصها ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه ويقول: لعل بي جنونًا أو مسًّا أو أنا حالم، ويقول: والله، ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس علىٰ غير هذه الصفة، ثم قال: إن تعجيل الخروج من ها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣، ٤٦٦٣، ٣٩٢٢)، ومسلم (حديث ٢٣٨١).

هنا لأولىٰ لي، ثم عمد إلىٰ رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعامًا، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضَرْبها، فدفعها إلىٰ جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون: لعل هذا قد وجد كنزًا، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة؟ لعله وجدها من كنز، ومن أنت؟ فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة، وعهدي بها عشية أمس، وفيها دقيانوس، فنسبوه إلىٰ الجنون.

فحملوه إلىٰ وليِّ أمرهم، فسأله عن شأنه وعن أمره، حتىٰ أخبرهم بأمره ـ وهو متحير في حاله وما هو فيه ـ فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلىٰ الكهف ـ مُتَولِّي البلد وأهلها ـ حتىٰ انتهىٰ بهم إلىٰ الكهف، فقال: دعوني حتىٰ أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي، فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفىٰ الله عليهم خبره.

ويقال: بل دخلوا عليهم، ورأوهم، وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلمًا فيما قيل، واسمه تيدوسيس، ففرحوا به، وآنسوه الكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلىٰ مضاجعهم، وتوفاهم اللَّه عز وجل، فاللَّه أعلم.

* * *

س: الإيمان يزيد وينقص، ومن سلك طريق الهداية زاده الله هدًى، دلِّل على ذلك؟

ج: ومن الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] فلما آمنوا زادهم الله هدىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[مريم: ٧٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: ١٤] ؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: ١٤].

أي ثبتنا قلوبهم، وقويناها علىٰ الصبر، حتىٰ لا يجزعوا، ولا يخافوا من أن يصدعوا بالحق، ويصبروا علىٰ فراق الأهل والنعيم، والفرار بالدين في غار في جبل لا أنيس به، ولا ماء، ولا طعام.

ويفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه - جل وعلا - أنه تعالىٰ يقوي قلبه، ويثبته علىٰ تحمل الشدائد، والصبر الجميل.

وقد أشار تعالىٰ إلىٰ وقائع من هذا المعنىٰ في مواضع أخر، كقوله في أهل بدر مخاطبًا نبيه ﷺ وأصحابه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ الآية [الأنفال: ١١، ١٢]، وكقوله في أم موسىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ١٠].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [الكهف: ١٤] قاموا لمن؟

ج: قاموا في وجه من أمروهم بعبادة الأوثان.

قال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤] يقول حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لولا يأتون بدليل واضح وحجة ظاهرة.

قال القرطبي ـ رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الكهف: ١٥] أي: قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا، أي: أهل عصرنا وبلدنا، عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة، ﴿لَّوْلا﴾ [الكهف: ١٥] أي: هلاَّ ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] أي بحجة على عبادتهم الصنم، وقيل: ﴿عَلَيْهِم﴾ راجع إلى الآلهة، أي: هلاَّ أقاموا بينةً على الأصنام في كونها آلهة، فقولهم: ﴿لَّوْلا﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يُلتفت إلى دعواهم.

* * *

س: كثيراً ما يُطلب من أهل الشرك الإتيان ببرهان على مدعاهم وبحجج تشهد لهم لتعجيزهم وإبطال حججهم، اذكر بعض الوارد في ذلك؟

ج: أورد الشنقيطي طائفة من ذلك فقال عند تفسير قول الفتية أصحاب

الكهف: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بيِّن على جواز عبادة غير الله تعالى، والمراد بالسلطان البين: الحجة الواضحة.

وما ذكره - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: من تعجيزهم عن الإتيان بحجة على شركهم وكفرهم، وإبطال حجة المشركين على شركهم - جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقوله تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١]، وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[الروم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧]، والآيات الدالة على أن المشركين لا مستند لهم في شركهم إلا تقليد آبائهم الضالين كثيرة جدًّا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥] ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا.

هذا، وقد أورد الطبري ـ رحمه الله ـ بسند حسن عن قتادة قوله: ﴿لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾[الكهف: ١٥] يقول: بعذر بين، وعنىٰ بقوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[الكهف: ١٥] ومن أشد اعتداءً وإشراكًا بالله ممن اختلق فتخرص علىٰ الله كذبًا، وأشرك مع الله في سلطانه شريكًا يعبده دونه، ويتخذه إلهًا.

* * *

س: كيف الجمع بين هذه الآيات؟ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» إلى غير ذلك من الآيات؟

ج: لأهل العلم في ذلك مسلكان:

أحدهما: أن كل المذكورين في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم).

الثاني: أن هذا يُنزل منزلة الاختصاص، بمعنىٰ أن هناك كَذَبَةٌ كثيرون، أظلمهم الذين يكذبون علىٰ الله.

وهناك مانعون كثيرون، أظلمهم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

وهناك من يضاهون، أظلمهم من يضاهي بخلق الله، والله أعلم.

* * *

س: من القائل: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٦] ؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:
قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٦] قيل: هو من قول الله لهم، أي: وإذ اعتزلتموهم فأوُوا إلىٰ الكهف.

وقيل: هو من قول رئيسهم يمليخا، فيما ذكر ابن عطية.

وقال الغزنوي: رئيسهم مكسلمينا، قال لهم ذلك، أي: إذ اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون، ثم استثنىٰ وقال: ﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] أي: إنكم لم تتركوا عبادته، فهو استثناء منقطع.

قال ابن عطية: وهذا علىٰ تقدير: إن الذين فرَّ أهلُ الكهف منهم لا يعرفون الله، ولا علم لهم به، وإنما يعتقدون الأصنام في ألوهيتهم فقط، وإن فرضنا أنهم يعرفون الله كما كانت العرب تفعل لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة فالاستثناء متصل؛ لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار إلا في جهة الله، وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وما يعبدون من دون الله)، قال قتادة: هذا تفسيرها.

* * *

س: هل كان قوم أصحاب الكهف يعرفون الله؟

ج: من العلماء من قال: نعم، كانوا يعرفون الله، لكنهم كانوا يعبدون معه آلهة أُخرىٰ، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] علىٰ أحد الوجوه في التفسير.

وأورد القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:
ومُضَمَّن هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله

تعالىٰ فلنجعل الكهف مأوىٰ، ونتكل علىٰ الله؛ فإنه سيبسط لنا رحمته، وينشرها علينا، ويهيئ لنا من أمرنا مِرْفَقًا، وهذا كله دعاء بحسب الدنيا، وعلىٰ ثقة كانوا من الله في أمر آخرتهم.

* * *

س: لماذا أوى الفتية إلى الكهف؟

ج: أوىٰ الفتية إلىٰ الكهف هربًا وفرارًا بدينهم، وخوفًا من أن يفتنهم قومهم.

* * *

س: هل الاعتزال أولى أم الاختلاط بالناس؟

ج: ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٣٣):

(إن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما، فتحمل الأدلة الواردة في الحض علىٰ الاجتماع علىٰ ما يتعلق بطاعة الأئمة، وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولىٰ له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط: أن يحافظ علىٰ الجماعة، والسلام، والرد، وحقوق المسلمين؛ من العيادة، وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلىٰ الغذاء والعشاء، فيقتصر منه علىٰ ما لابد له منه، فهو أروح للبدن والقلب، والله أعلم).

وقال القشيري في «الرسالة»: (طريق من آثر العزلة: أن يعتقد سلامة

الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه، وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهذه صفة المتكبر).

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢):

(وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم؛ من إعانة وإغاثة وعيادة، وغير ذلك، قال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة، بشرط معرفة ما يتعين).

وقال النووي: (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى).

وقال غيره: تختلف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكن يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعمُّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال: ٢٥].

قلت: وقد ورد في الباب حديث: «**المسلم إذا كان مخالطًا للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» أخرجه الترمذي(٢٥٠٧) بسند صحيح.

هذا، وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٢٥): هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب:

هذه المسألة، وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًّا، وإما حاليًّا، فحقيقة الأمر: أن «الخلطة» تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فُجَّارًا، وإن كان في تلك الجماعات فُجَّارٌ، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا؛ إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك.

ولابُد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وفكره، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته كما قال طاوس: «نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه»، وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص كما تقدَّم.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى:

هذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، والقرابات

والأصدقاء، والأوطان، والأموال، خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة .

وقد خرج النبي ﷺ فارًّا بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار حسبما تقدم في سورة «النحل»، وقد نص الله تعالىٰ علىٰ ذلك في «براءة» وقد تقدم، وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم، وديارهم، وأهاليهم، وأولادهم، وقراباتهم، وإخوانهم، رجاء السلام بالدين والنجاة من فتنة الكافرين .

فسُكْنَىٰ الجبال، ودخول الغِيران، والعزلة عن الخلق، والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم والأولياء، وقد فضل رسول الله ﷺ العزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالىٰ عليها في كتابه فقال: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾[الكهف:١٦] .

وقال العلماء: الاعتزال عن الناس يكون مرَّةً في الجبال والشِّعاب، ومرة في السواحل والرِّباط، ومرة في البيوت، وقد جاء في الخبر: (إذا كانت الفتنة فأخفِ مكانك، وكُف لسانك) .

ولم يخص موضعًا من موضع، وقد جعلت طائفة من العلماء العزلَة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، إن كنت بين أظهرهم .

وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم، فإذا خاضوا في ذكر الله فخُض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت .

وروىٰ البَغَوِي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**» .

وروي عن النبي ﷺ قال: «**نعم صوامع المؤمنين بيوتهم**» من مراسيل الحسن وغيره.

وقال عقبة بن عامر لرسول الله ﷺ: «ما النجاة يا رسول الله؟»، فقال: «**يا عقبة، أمسك عليك لسانك، وليَسَعْك بَيتُك، وابْك على خطيئتك**»، وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**» خرَّجه البخاري.

وذكر علي بن سعد عن الحسن بن واقد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت سنة ثمانين ومائة فقد حلت لأمتي العُزْبة، والعزلة، والترهب في رءوس الجبال**».

وذكر أيضًا علي بن سعد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك ابن فضالة عن الحسن يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينُه إلا من فَرَّ بدينه من شاهق إلى شاهق، أو حِجْر إلى حِجْر، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان ذلك حلت العُزْبَة**»، قالوا: يا رسول الله، كيف تحل العزبة وأنت تأمرنا بالتزويج؟

قال: «**إذا كان ذلك كان فساد الرجل على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي زوجته، فإن لم تكن له زوجة كان هلاكه على يدي ولده، فإن لم يكن له ولد كان هلاكه على يد القرابات والجيران**»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يُعيِّرونه بضيق المعيشة، ويكلفونه ما لايُطيق، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها**».

قلت (القائل القرطبي): أحوال الناس في هذا الباب تختلف، فَرُبَّ رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغِيران في الجِبال، وهي أرفع الأحوال؛ لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره، ونص عليها في كتابه

مخبراً عن الفتية، فقال: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]، ورُبَّ رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل.

وقد اعتزل رجال من أهل بدر، فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلىٰ قبورهم، ورُبَّ رجل متوسط بينهما، فتكون له من القوة ما يصبر بها علىٰ مخالطة الناس وأذاهم، فهو معهم في الظاهر، ومخالف لهم في الباطن.

وذكر ابن المبارك: حدثنا وُهيب بن الوَرْد قال: جاء رجل إلىٰ وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما وقعوا! وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم، فقال: لا تفعل! إنه لابدَّ لك من الناس، ولابُدَّ لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصمَّ سميعًا، أعمىٰ بصيراً، سكوتًا نطوقًا.

وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنىٰ الجبال والشِّعاب؛ مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس، وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم ـ والله أعلم ـ لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يُعتزل فيها، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا، والله الموفق، وبه العصمة.

وروىٰ عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يعجب ربُّك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذِّن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله ـ عز وجل: انظروا إلى عبدي، يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**» خرَّجه النَّسائي.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧] ؟

ج: قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى:

هذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلت عند طلوعها تزْوَرّ عنه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧] أي: يتقلص الفيء يمنة، كما قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة ﴿تَّزَاوَرُ﴾ [الكهف: ١٧] أي: تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ولهذا قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف: ١٧] أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق، فدل على صحة ما قلناه، وهذا بيِّن لمن تأمله، وكان له علم بمعرفة الهيئة، وسير الشمس والقمر والكواكب.

وبيانه: أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة لما دخله منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب، ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالاً، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب، فتعين ما ذكرناه، ولله الحمد.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] وجه إعجاز، وضحه؟

ج: وجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته جعل الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، أي: تنحرف وتميل عن كهفهم فتطلع عليه من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية؛ لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم

وأحرقت ثيابهم، وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم، فوجه الإعجاز أن الله تعالىٰ صرف عنهم أذىٰ الشمس، وحفظهم في كهفهم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ١٧] ؟

ج: المراد، والله تعالىٰ أعلم، ذلك الوضع الذي جعلناهم فيه من تحول الشمس عنهم علىٰ الوجه المذكور، ذلك من الدلائل علىٰ قدرة الله ـ عزَّ وجل ـ علىٰ حفظ أوليائه، ومن دلائل قدرته علىٰ فعل ما يُريد.

* * *

س: المهتدي من هداه الله، اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

هؤلاء الفتية أصحاب الكهف ترىٰ من الذي هداهم ووفقهم إلىٰ طرق الخير وقذف في قلوبهم الإيمان، إن الذي هداهم هو الله، قال تعالىٰ: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾ [الكهف: ١٧].

وهذا نبينا محمد ﷺ ولد يتيمًا، ونشأ يتيمًا فمن الذي منَّ عليه بالخلق العظيم، إنه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وهذا الصدِّيق يوسف ـ عليه السلام ـ يمكث في بيت العزيز زمانًا، في بيت ترفٍ، وبيت كفرٍ، وتراوده المرأة ذات المنصب والجمال عن نفسها، فيعصمه الله ويحفظه، ثم يمكث في السجن مع السكِّير والعربيد واللصوص والقتلة كما هو شأن أغلب المساجين فيحفظه الله من ذلك كله.

بينما نرىٰ ولد نوح، علىٰ نوحٍ وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام، يناديه أبوه:

يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فيقول: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، ويصرُّ على الكفر حتى يموت كافراً عياذاً بالله، فحقًّا إن المهتدي من هداه الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[يونس: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

* * *

س: كيف ساغ لهم اصطحاب الكلب مع ما ورد في ذم اقتناء الكلاب؟

ج: نعم، قد ورد ذم اقتناء الكلاب، وأن من اقتنى كلبًا فإنه ينقص من أجره قيراط، لكن استثني كلب الصيد والماشية[1] كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: هل من فائدة في جلوس الكلب بالوصيد، إذ قد قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] ؟

ج: قال بعض العلماء: لم يدخل معهم الكهف، بل بقي بالفناء عند

---

(١) انظر كمًّا كبيراً من الأحاديث الواردة في ذلك في «الصحيحين» (البخاري حديث ٣٣٢٤، ٣٣٢٥)، وفي غير موضع من «الصحيح»، ومسلم (١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥) وله ألفاظ.

الباب لكون الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة، وأيضًا ذلك لحراستهم وقذف الرعب في قلوب من حاول الاقتراب منهم.

❊ ❊ ❊

س: من قصة أصحاب الكهف نأخذ فضل مجالسة الصالحين، وضح ذلك؟

ج: استنبط العلماء هذا المعنى من ذكر كلب أصحاب الكهف، فقالوا تشرف هذا الكلب بالذكر لكونه صحب أهل الصلاح.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وشملت كلبَهم بركتُهُم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكرٌ وخبرٌ وشأنٌ.

وقد قيل: إنه كان كلب صيد لأحدهم، وهو الأشبه، وقيل: كان كلب طباخ الملك، وكان قد وافقهم على الدين، فصحبه كلبه، فالله أعلم.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه ـ جل وعلا ـ فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل.

❊ ❊ ❊

س: من الأسلحة التي ينصر الله بها أولياءه: قذف الرعب في قلوب أعدائهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من ذلك قول النبي ﷺ: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**» وقوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران: ١٥١].

ومن ذلك قوله تعالى في شأن يهود بني النضير: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحشر: ٢].

ومن ذلك حفظ الله للفتية أصحاب الكهف، فقد قال سبحانه: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾ [الكهف: ١٨].

* * *

س: اذكر بعض المعجزات التي حدثت لهم وهم نيام؟

ج: من ذلك وضع الشمس بالنسبة لهم كما قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...**﴾ [الكهف: ١٧] على ما بيناه من قبل.

* ومن ذلك كون أعينهم مفتوحة ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف: ١٨]

ومن ذلك تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال.

ومن ذلك قذف الرعب في قلوب الناظر إليهم.

ومن ذلك الضرب على آذانهم، أي: تغطيتها حتى لا يصل الصوت إليها، قال تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[الكهف: ١١].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: المعنى، وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم، وأشعارهم وأبشارهم.

* * *

س: ما وضع اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: **من العلماء من قال:** إن اللام لام الصيرورة (أي: لام العاقبة)، وذلك كالوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨].

فهم إنما التقطوه كي يكون قرة عين، فكانت العاقبة أن كان لهم عدوًّا وحزنًا وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها وبيوتنا لخراب الدهر نبنيها

ومن العلماء من قال: إن اللام تعليلية، والمراد أنهم بعثوا للتساؤل، التساؤل الذي يفضي إلى الوقوف على حقيقة هامة، ألا وهي حقيقة البعث، والله أعلم.

* * *

س: في إماتة الله ـ عزَّ وجل ـ للفتية أصحاب الكهف لما أتاهم القوم للاستعلام عن أخبارهم وجه خير للناس، وضحه؟

ج: إيضاحه أن في إماتتهم درءاً لفتنة عظيمة، ألا وهي افتتان الناس بهم، فتنة قد تؤدي إلى عبادتهم، وقد يفتنوا أيضًا بما يرونه من حولهم من نظر الناس إليهم وتعلقهم بهم، واختلاف الناس في شأنهم، والله تعالى أعلم.

* * *

س: قصة أصحاب الكهف يؤخذ منها أدب من آداب التخاطب، وضحه؟

ج: هذا الأدب هو الإمساك عن الجدل الذي لا تُرىٰ منه فائدة، وكذا الجدل الذي لم يُبن علىٰ علم يقيني.

أما الأول: فلأن أصحاب الكهف ـ يرحمهم الله ـ لما تساءلوا بينهم قائلين: كم لبثتم؟ فقالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، أي: اتركوا الأمر لله، فهو أعلم بمدة لبثكم.

أما الثاني: فمن قوله تعالىٰ: ﴿**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً**﴾ [الكهف: ٢٢]

* * *

س: في قول أصحاب الكهف: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٩] **فائدة مهمة وضحها؟**

ج: هذه الفائدة تتمثل في تحري الحلال الطيب من الطعام، فالفتية فيما هم فيه من كرب، وشدة، وبلاء، وخوف من أيدي العدو أن تتخطفهم يتحرون الطعام الطيب الحلال، فيقول قائلهم: ﴿**فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا**﴾ [الكهف: ١٩] وهكذا أهل الإيمان، لا يريدون أن يدخل بطونهم طعامٌ مشتبه أو طعام مُحرم، وذلك حتىٰ إذا دعوا قَبِلَ اللهُ دعاءهم، وإذا رفعوا أكفَّ الضَّراعة إلىٰ الله ـ عز وجل ـ لم تُرد أيديهم صفراً خائبة.

بل يدعون ربهم بألسن قد أكلت من الحلال الطيب كما هو شأن المرسلين والمؤمنين، إذ الله قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقد ذكر النبي ﷺ: «الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(١).

* * *

س: أهل الإيمان والعقل لا يسترسلون في الجدل إذا لم تكن من ورائه فائدة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الفتية أصحاب الكهف - بعد أن اختلفوا في مدة لبثهم - ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾(٢) [الكهف: ١٩].

فقطعوا الجدل واتجهوا إلى النافع.

وكذلك قوله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[مريم: ٢٦] وذلك - والله أعلم - أن مريم عليها السلام مهما تكلمت، ومهما قدمت من اعتذار فلن يُقبل منها

---

(١) مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

(٢) قال السعدي - رحمه الله تعالى - في «تفسيره»: وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس؛ دينية، ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾[الكهف: ٢٢] وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم ﴿فلا تمار﴾ [الكهف: ٢٢] تجادل وتحاج فيهم ﴿إلا مراء ظاهرًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي: مبنيًا على العلم واليقين، ويكون أيضًا فيه فائدة، وأما المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معاندًا، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة تضييعًا للزمان، وتأثيرًا في مودة القلوب بغير فائدة.

اعتذارها، ولن يُصغىٰ لقولها، وقد جاءت بطفل تحمله بين يديها.

فهل تراهم يصدقونها إذا قالت: جاءني الملك فتمثل لي بشراً سويًّا، فحملتُ بعيسىٰ وولدته؟!! إن هذا علىٰ نفوس القوم شاق وعسير؛ فلذا أُمرت مريم عليها السلام بالصمت.

وها هي مريم تقول للملك: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فيجيبها الملك بقوله: ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

حقًّا إنه أمر قد قضي وقدره الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فلا معنىٰ حينئذٍ للإكثار من المراجعات!

* ونحوه قول الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلىٰ تدمير قرىٰ قوم لوط يجادل عليه ـ الصلاة والسلام ـ في شأن قوم لوط، فتجيبه الملائكة بقولهم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

فما دام قد جاء أمر اللَّه، وما دام قد قضىٰ اللَّه هذا الأمر فلمَ الجدل في شأن هؤلاء الأقوام؟!

وكذلك لما اختلف القوم في عدد الفتية أصحاب الكهف أمَرَ الله بالإعراض عن الخوض في أمرهم بغير علم، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

* وها هي أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ تقول لما قال لها رسولُ الله

ﷺ: «فإن كنت بريئة فسيبرؤك اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى اللَّه تاب اللَّه عليه».

فبماذا تجيب عائشة ـ رضي اللَّه تعالىٰ عنها؟! إنها إن أظهرت براءتها لم يصدقوها، وإن تقوَّلت علىٰ نفسها صدقوها، فماذا عساها أن تقول حينئذ؟! إنها قالت: «إني واللَّه لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلتُ لكم: إني بريئة، واللَّه يعلم أني بريئة، لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني، والله، ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1] [يوسف: ١٨]».

فعلىٰ ذلك لا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدة.

❊ ❊ ❊

س: من قصة أصحاب الكهف ما يدل على الوكالة في البيع والشراء، دلِّل على ذلك؟

ج: من الدليل علىٰ ذلك قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩]، فقد وكلوا أحدهم كي يشتري لهم طعامًا.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى:

في هذه البعثة بالورِق دليلٌ علىٰ الوكالة وصحتها، ولا خلاف فيها بالجملة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

س: ما الفائدة من قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: الفائدة هي التذكير بأخذ الحذر كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وأن هذا ليس بقادحٍ في التوكل علىٰ الله.

* * *

س: أئمة الكفر لا يرضون من المؤمنين إلا بالكفر، وإلا فيناصبونهم العداء ويقاتلونهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] ؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى:

يقول ـ تعالىٰ ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] يقول كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكٍّ من قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ، وفي مرية من إنشاء أجسام خلقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلىٰ، فيعلموا أن وعد الله حق، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذّب بهذا الحديث أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

* * *

س: الموت على الكفر مانعٌ من الفلاح، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

* * *

س: حملت هذه السورة المباركة الكريمة كمًّا هائلاً من المفاجآت والأمور الخارقة غير المعتادة، وضح هذه الأمور؟

ج: من هذه المفاجآت ما يلي:

١ ـ بعث الفتية بعد ثلثمائة عام وتسع، والتقاء صاحبهم بالقوم، وهو يتصور أنهم القوم الذين فارقوهم، ثم تبين له أنه في وسط قوم آخرين، وقد هلك قومه منذ مئات السنين!!!

ثم لما دخل علىٰ أصحابه وقد حدث له ما حدث، ورأىٰ الذي قد رأىٰ، فكيف كان حالهم عند سماعهم منه الخبر؟!!

* أيضًا مفاجأة لصاحب الجنتين المغرور بماله، وقد رأىٰ جنتيه وقد أحيط بهما، وأذهب الله ثمارهما، ثم أصبح يقلب كفيه علىٰ ما أنفق فيها وهي خاوية علىٰ عروشها.

* ومن ذلك إحياء الحوت، وانطلاقه في البحر، وقد كان ميتًا.

* ثم إمساك جرية الماء حتىٰ يُعلم مكان الحوت.

* كذلك المفاجآت التي رآها موسىٰ ـ عليه السلام ـ مع الخضر.

وذلك من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وإخبار الخضر له بالحِكَمِ من وراء ذلك.

* كذلك رؤية ذي القرنين للشمس وهي تغرب في عين حمئة.

* وأيضًا ثم قومٌ لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترًا يستترون به.

وثمَّ آخرون بين السدين لا يكادون يفقهون قولاً.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الكهف: ٢١]؟

ج: **قال بعض أهل العلم**: ليعلم المكذبون بالبعث أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة ومجيئها حق.

وقال آخرون: ليعلم الجميع أن وعد الله حق، أما أهل الإيمان فيزدادوا يقينًا بذلك، فهم يعلمون ذلك.

* * *

س: من الأدلة التي تساق في كتاب الله ـ عزَّ وجل ـ لتقرير البعث إحياء بعض الأنفس بعد موتها، اذكر بعض الأمثلة لذلك؟

ج: من الآيات الموضحة لذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

وقوله تعالىٰ في شأن قتيل بني إسرائيل: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[البقرة: ٢٥٩].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

* * *

س: من المتنازعون في أمر الفتية أصحاب الكهف؟

ج: المعنيون هم القوم الموجودون في زمن الفتية أصحاب الكهف، أهل البلاد التي ذهب الذاهب إليها للإتيان بالطعام.

* * *

س: في أي شيءٍ من أمر الفتية تنازع القوم؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ [الكهف: ٢١] يعني: أهل ذلك الزمان.

قال ابن الأنباري: المعنىٰ: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنىٰ: إذ تنازعوا.

وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً؛ لأنهم علىٰ ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً؛ لأنهم من أهل سُنَّتنا، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: تُبعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: تُبعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالىٰ بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة.

والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل.

والرابع: أنهم تنازعوا في قدْر مكثهم.

والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي.

❊ ❊ ❊

س: هل الذين غلبوا على أمرهم من أهل الصلاح أم من أهل الشر والفساد؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم من أهل الشر والفساد، وذلك لأن النبي ﷺ لما ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة كنيسةً رأينها بأرض الحبشة، فيها تصاوير قال عليه الصلاة والسلام: «**أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، أولئك إذا كان**

فيهم الرجل الصلاح فمات صوروا له تلك التصاوير، وبنوا على قبره مسجداً»[١] .

ثم إن لهجة الأولين الذين قالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] تدل على معرفتهم بالله ـ عزَّ وجل .

والثاني: أن الذين غلبوا على أمرهم كانوا مسلمين، وذلك لقولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم .

والثاني: أهل الشرك منهم، فاللَّه أعلم .

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**» يحذر ما فعلوا، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها .

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (٥٢٨) بلفظ قريب .

بعض الوارد في المنع من اتخاذ القبور مساجد

س: اذكر بعض الوارد في المنع من اتخاذ القبور مساجد؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[١]، واللفظ لمسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسُول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**».

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

قالت: فلولا ذاك أُبرِزَ قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً.

وعن أبي هريرة[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وعن عائشة[٤]، وعبد الله بن عباس قالا: لَمَّا نُزِلَ[٥] برسُول الله ﷺ، طفقَ يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»

---

(١) البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) مسلم (٥٣٠).

(٤) مسلم (٥٣١)، والبخاري (٤٣٦).

(٥) أي: لما نزل به مرض الموت.

يُحذر مثل ما صنعوا.

وعن جندب[1] رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت مُتَّخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

* * *

س: ما معنى: ﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ [الكهف: ٢١]؟

ج: المعنى، والله أعلم، الذين غلبوا على أمر أنفسهم، أي: الذين أرادوا أمرًا وفعلوه.

ووجه آخر: الذين غلبوا على أمر الفتية أصحاب الكهف.

* * *

س: من هؤلاء الذين أخبرهم الله عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: **قيل**: إن الذين قالوا ذلك هم أهل التوراة، ومن عاصروا النبي ﷺ.

وقيل: المراد النصارى، وفي الباب أقوال أُخر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: ما يعلمهم إلا قليل من الناس، وقد ورد من طرقٍ متعددةٍ، لا يخلو

---

(١) مسلم (٥٣٢).

واحدٌ منها من مقال أن ابن عباس كان يقول: أنا ممن استثنىٰ الله عزَّ وجل، أي: أنا من هؤلاء النفر القليل.

وقد تصحح هذه الآثار عن ابن عباس بمجموع طرقها[١].

* * *

س: ما المراد بالمراء الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن ذلك يتمثل في إخبارهم بما أنزل الله في كتابه الكريم من شأن هؤلاء الفتية، أي: إذا تكلمت في شأن أصحاب الكهف ففي هذا الذي أخبرناك به من شأنهم كفايةٌ وغنيةٌ عن غيره.

فالمعنى: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

* * *

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: **قال بعض أهل العلم:** هؤلاء هم اليهود، أي: لا تستفت أحداً من اليهود.

وقيل: المراد عموم أهل الكتاب: (من يهود ونصارىٰ) أي: لا تسأل أحداً من هؤلاء عن أصحاب الكهف.

وقيل: إن المراد اليهود والنصارىٰ وعموم أهل الشرك، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

(١) انظر بعض تلك الآثار في «تفسير الطبري».

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣]؟

ج: إيضاحه: ولا تقولن سأفعل شيئًا غدًا إلاَّ أن تقول معه إن شاء الله.

هذا إرشاد من الله لرسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله ـ عز وجل ـ علام الغيوب الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال الطبري ـ رحمه الله:

وهذا تأديب من الله ـ عزَّ ذكره ـ لنبيه ﷺ عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى، اللواتي إحداهن المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه ـ فيما قيل ـ من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنَّ، وعرَّف نبيَّه سبب احتباس الوحي عنه، وعلَّمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عدته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال: ﴿وَلا تَقُولَنَّ﴾[الكهف: ٢٣] يا محمد ﴿لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣] كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوك عنها، سأخبركم عنها غدًا ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٤] ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣] فيه مسألتان:

الأولى: قال العلماء: عاتب الله تعالىٰ نبيه ـ عليه السلام ـ علىٰ قوله للكفار حين سألوه عن الروح، والفتية، وذي القرنين: غدًا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك؛ فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا حتىٰ شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأُمِر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدًا كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله ـ عز وجل ـ حتىٰ لا يكون محقِّقًا لحكم الخبر؛ فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبًا، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققًا للمخبَر عنه، واللام في قوله ﴿لِشَيْءٍ﴾ [الكهف: ٢٣] بمنزلة في، أو كأنه قال لأجل شيء.

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] في ثنايا قصة أصحاب الكهف؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ علىٰ ما ذكره بعض أهل العلم من أن النبي ﷺ سئل عن شأن الفتية أصحاب الكهف، فقال: سأخبركم غدًا، ولم يستثن: (أي: ولم يقل إن شاء الله).

فتأخر نزول الوحي خمسة عشر يومًا، فجاء الأدب: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤][1].

---

(١) وقد بينا أن سبب النزول هذا لا يصح.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: إذا نسيت الاستثناء فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد زمن، يوم أو شهرٍ أو سنة، وهذا رأىٰ الجمهور[١].

الثاني: إذا نسيت أي إذا غضبت.

الثالث: إذا نسيت أن تذكر الله فاذكره.

الرابع: إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليُذكِّرك إياه، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

(١) ولكن هذا لا يسقط الكفارة.

الاستثناء في اليمين

س: ما معنى الاستثناء في اليمين؟ وما حكمه؟

ج: الاستثناء في اليمين هو قول الرجل: (إن شاء الله) عقب اليمين مباشرة، كأن يقول الرجل: والله، لأسافرن إن شاء الله، فقول: (إن شاء الله) يُعد استثناءً في اليمين، فإذا لم يسافر الشخص فلا كفارة عليه؛ لأنه قد استثنى، ويشترط في الاستثناء الذي يُسقط الكفارة أن يكون عقب اليمين مباشرةً.

أما إذا كان الشخص قد قال: إن شاء الله بعد ساعة، أو ساعتين، أو يومٍ، أو يومين من اليمين فلا تسقط الكفارة بذلك، ولو كان ذلك جائزًا لما قال الله لنبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]، ولَقَالَ له: قل إن شاء الله.

أما الوارد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أن الشخص يستثني ولو بعد عام، فهذا ليس معناه إسقاط الكفارة، إنما معناه أن الشخص يقول: إن شاء الله إذا ذكر ذلك، ولا تعلق له بإسقاط الكفارة.

قال الطبري ـ رحمه الله:

فإن قال: فما وجه قول من قال له: ثُنْياه ولو بعد سنة، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر، وقول من قال ما دام في مجلسه؟ قيل: إن معناهم في ذلك نحو معنانا في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه باستثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازمًا، فأما الكفارة فله لازمة بالحِنْث بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه كان

موصولاً بالحلف، وذلك أنا لا نعلم قائلاً قال ممن قال له الثُّنْيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حَنِث، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، وأن معنى القول فيه، كان نحو معنانا فيه.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى: «زاد المسير» (١):

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله تعالى في قصة موسى: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا**﴾ [الكهف: ٦٩] ولم يصبر، فسَلِم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه، ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنه إذا قال: أنتِ طالق إن شاء الله، وأنتَ حُرٌّ إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك، وقال أبوحنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك، وأما اليمين بالله تعالى، فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر؛ لأن الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علَّق به المشيئة علمنا وجودها؛ لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان؛ لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] ؟

ج: قال بعض أهل العلم: هذا دعاءٌ أمر به النبي ﷺ أن يقوله.

وقال آخرون: وقل عسى أن يرزقني الله من المعجزات والاستدلالات، ما هو أعظم من قصة أصحاب الكهف.

---

(١) «زاد المسير» (٥/ ٩٠).

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] أي: إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالىٰ فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك، وقيل غير ذلك في تفسيره، والله أعلم.

وقال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] يقول عزَّ ذكره لنبيه ﷺ: قل: ولعل الله أن يهديني فيسددني لأسدَّ مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء.

وقد قيل: إن ذلك مما أمر النبي ﷺ أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله: إن شاء الله، إذا ذكر.

* * *

س: من القائل: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]؟

ج: من العلماء من قال: إن الذين قالوا ذلك هم أهل الكتاب وأعلَّ أصحاب هذا الرأي بأمرين:

أحدهما: قراءة لابن مسعود فيها: «وقالوا ولبثوا في كهفهم ...» فزيدت كلمة (وقالوا).

لكن هذه القراءة حكم عليها عددٌ من العلماء بالشذوذ بالنسبة لقراءة الجمهور.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦].

فلو كان قوله: ﴿وَلَبِثُوا﴾ إخبارٌ من الله ما احتيج إلىٰ قول ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦] .

بينما ذهب كثيرون من العلماء إلى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي أخبر بمدة لبثهم: فقال سبحانه: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

هذا خبر من الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم اللَّه إلىٰ أن بعثهم، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلىٰ الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] .

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ [الكهف: ٢٦] ؟

ج: قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ «زاد المسير»:

قوله تعالىٰ: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه علىٰ مذهب التعجب، فالمعنىٰ: ما أسمع الله وأبصره، أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قول الزجاج، وذكر أنه إجماع العلماء.

والثاني: أنه في معنىٰ الأمر، فالمعنىٰ: أبصِر بدِين الله وأسمع، أي: أبصر بهدىٰ الله واسمع، فترجع الهاء إما علىٰ الهدىٰ، وإما علىٰ الله ـ عز وجل ـ ذكره ابن الأنباري.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله:

أي: إنه تعالىٰ هو الذي له الخلق والأمر، الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير، ولا نصير، ولا شريك، ولا مشير، تعالىٰ وتقدَّس.

قال السعدي رحمه الله:

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الكهف:٢٦] أي: هو الذي تولىٰ أصحاب الكهف بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلىٰ أحد من الخلق.

﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]: وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدراً، وخلقًا وتدبيراً، والحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه.

ولما أخبر أنه تعالىٰ له غيب السموات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا عن الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن قد اشتمل علىٰ كثير من الغيوب، أمر تعالىٰ بالإقبال عليه، فقال: ﴿وَاتْلُ- إلىٰ قوله- مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ [الكهف:٢٧]؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم: (واتبع يا نبي الله، ورتل يا رسول الله ما أوحاه الله إليك من هذا القرآن، وكذا بلغ ما أوحاه الله إليك للناس) ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] أي: لا مُحرِّف لها، ولا مُبدِّل لها، ولا مغيِّر

لها، فلن تجد ملجأ تلجأ إليه غير الله، ولن تجد حافظًا ومؤويًا، ومُجيرًا سواه.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك، أي فإنه لا ملجأ لك من اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي: سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحىٰ الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير، ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن، فوق كل غاية ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[الانعام: ١١٥]، فلكمالها استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك، أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب علىٰ الإقبال عليه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧] يقول: وإن أنت يا محمد لم تتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتم به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلاً تئل إليه،

ومعدلاً تعدل عنه إليه؛ لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به.

قال السعدي ـ رحمه الله:

﴿**وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ [الكهف: ٢٧] أي: لن تجد من دون ربك، ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به، فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسئول في جميع المطالب.

❊ ❊ ❊

بعض المستفاد من قصة أصحاب الكهف

س: اذكر بعض المستفاد من هذه القصة المباركة؟

ج: يستفاد من هذه القصة المباركة ما يلي:

* تقرير نبوة رسولنا محمد ﷺ، وذلك لكونه أخبر عن أحداثٍ لم يرها، ولم يشهدها أصدق إخبار، وبينها أحسن بيان مع كونه أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

ولهذا المعنى نظائر عديدة في كتاب الله ـ عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[القصص: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[القصص: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران: ٤٤].

وقال تعالى في شأن إخوة يوسف وتدبيرهم لأخيهم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[يوسف: ١٠٢].

فكلها أمور أخبر بها رسولنا أصدق إخبار مع كونه لم يشهدها، ولم يرها، مع كونه كان أُميًّا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: ٤٨].

وها هم أصحاب الكهف يخبر عنهم رسولنا أجمل إخبار، ويُحدث عنهم بأصدق الأحاديث، ولم يرهم، ولم يشهدهم، فهذا دليل على نبوته.

يُستفاد أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ألا وهو أن الإيمان يزيد وينقص، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وعلىٰ هذا الأصل جملة أدلة.

في القصة: تذكيرٌ لشبابنا وفتياننا الذين سلكوا سبيل الاستقامة بأسوة حسنة لهم، قد مضت وخَلَتْ، ولكن أجرها عند الله لا يضيع.

يُستفاد أيضًا: أن المؤمن لا يتكل علىٰ إيمانه، بل يسأل الله الثبات، وذلك لأن أصحاب الكهف مع أنهم سلكوا سبيل الهداية إلا أنهم لم يتخلوا عن سؤال ربهم ودعائه ورجائه، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ولتقرير هذا الأصل نقول: إن شعيبًا عليه السلام قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[هود: ٨٨].

وأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران: ٨]، والنسوة المؤمنات، الصالحات، الحافظات لغيب الأزواج حفظهن إنما هو بعون الله لهن، قال تعالىٰ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ولذا كان رسولنا ﷺ يسأل ربه، فيقول: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يُصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرِّف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك**»(١).

ومن المستفاد:

بيان قدرة الله علىٰ الإحياء بعد الموت، ومن ثَمَّ الإخبار بمجيء الساعة،

---

(١) مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

وأنها آتية لا ريب فيها.

يستفاد أيضًا: أن من سلك طريق الهداية يسرها الله له، وسهل عليه سلوكها.

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى:

وفي هذه القصة دليل على أن من فرَّ بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم، من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

ومن الفوائد:

ما ذكره السعدي حيث قال: ولما كان العبد بشرًا، لابد أن يسهو عن ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، إذا ذكر؛ ليحصل المطلوب، ويندفع المحذور.

ويوخذ من عموم قوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويُذَكِّر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربَّه ولا يكونن من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرًا إلى الله في توفيقه للإصابة وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله أمره الله أن يقول: ﴿عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] فأمره أن يدعو الله، ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد.

يستفاد أيضًا: الإشارة إلى فضيلة الشباب وإمكانية توجيههم للخير، والاستفادة منهم في وجوه الخير، وأنهم أقرب لقبول الحق من غيرهم.

يستفاد أيضًا: أن القصص القرآني أصدق القصص، وأولىٰ القصص بالقبول، وكيف لا؟! والذي يقص علينا هو الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ويستفاد أيضًا: الجرأة في الحق، وذلك من قيام الفتية بالحق وقولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

بيان وحدانية الله ـ عزَّ وجل ـ والظلم العظيم الذي يفتريه المشرك الذي يعبد مع الله آلهة أخرىٰ، وبُطلان عبادة غير الله ـ عز وجل ـ وذلك من قولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

ومن الفوائد: تأكيد مشروعية الهجرة فرارًا بالدين، وحفاظًا عليه، وأن من سلك هذا السبيل يسره الله عليه، وسهل الله له أمره.

ومن ذلك حفظ الله للمهاجرين إليه ابتغاء وجهه؛ فمن ذلك حفظ الله ـ عزَّ وجل ـ لفتية أصحاب الكهف في كهفهم، ولذلك شواهد أُخر في الكتاب العزيز، منها حفظ الله لنبيه محمد ﷺ إذ هو في الغار، وكذا حفظه له في سائر رحلته.

* وحفظ الله لمهاجرة الحبشة، ورأفة النجاشي بهم.

* وحفظ الله لخليله إبراهيم مع زوجته سارة عند الجبار، إذ دخلا بلاد الجبابرة.

* وإيواء الله ـ عزَّ وجل ـ لنبيه موسىٰ ـ عليه السلام ـ إذ أوىٰ إلىٰ مدين.

ومن الفوائد: بيان أمرٍ من الأهمية بمكانٍ، ألا وهو أن المهتدي من هداه الله، وذلك حتىٰ يلجأ الجميع إلىٰ الله ويسألونه.

ومن الفوائد بيان لطف الله بأوليائه: فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، و﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحج: ٣٨]، يُدبر لهم أمورهم، وييسر لهم شئونهم، ويهيئ لهم الخير.

ومن الفوائد: بيان قدرة الله ـ عزَّ وجل ـ على تدبير الأمور، فانظر إلى وضعهم في الكهف كيف كانوا، وإلى الشمس كيف كانت، وإلى أعينهم وآذانهم، ثم كلبهم، ثم الرعب المقذوف في قلب من يطلع عليهم، ثم بعثهم من طول لبثهم!!

ويؤخذ أيضًا من ذلك أدبٌ وهو المشيئة إلى الله بقول: إن شاء الله، وكذا ذكر الله ـ عزَّ وجل ـ إذا نسي العبد.

ويؤخذ من ذلك أيضًا تحري الحلال الطيب من الطعام.

وقال السعدي ـ رحمه الله تعالى: في بيان بعض الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف:١٩] وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه؛ لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه؛ لقوله: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩] وخصوصًا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك. ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك؛ لكونهم أمروه بأزكى

الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة في دينهم، وتركهم أوطانهم في الله.

ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين؛ لقولهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

ومن الفوائد أيضًا: تقرير مبدأ البعث، وهذا المبدأ تكرر التأكيد عليه مرارًا.

ومن ذلك أيضًا: مبحث حول المنع من اتخاذ القبور مساجد.

ويؤخذ من القصة مشروعية الأخذ بالأسباب، وذلك من قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، فصحيح أن الأمور مُقدرةٌ، ولكنَّا أُمرنا بالأخذ بالأسباب.

ومن الفوائد: الامتناع عن الجدل بلا علم، وعدم الخوض فيما لا علم لنا به.

وها هي طائفة من الأدلة على ذلك:

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ

أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

* وقال سبحانه: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنتم لا تعلم:

* فقد قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن الساعة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(١).

ومن الفوائد: المنع من استفتاء من لا يصلح للفُتيا.

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى:

﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ [الكهف: ٢٢] أي: في شأن أهل الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾ وذلك لأن مبنىٰ كلامهم فيهم علىٰ الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من الحق شيئًا.

ففيها دليل علىٰ المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوىٰ، إما لقصوره في الأمر المستفتىٰ فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه.

وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوىٰ من باب أولىٰ

---

(١) مسلم (٨) من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ.

وأحرىٰ، وفي الآية أيضًا دليل علىٰ أن الشخص قد يكون منهيًّا عن استفتائه في شيء، دون آخر، فيستفتىٰ فيما هو أهل له، بخلاف غيره؛ لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقًا، إنما نهىٰ عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

❊ ❊ ❊

ومن الفوائد: مشروعية طلب الدليل علىٰ سلامة الأعمال والمعتقدات: وذلك من قول الفتية: ﴿**لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ [الكهف: ١٥].

ومن الفوائد: التحذير من الكذب علىٰ الله، وبيان أنه أشد الظلم، وأفرىٰ الفِرىٰ.

❊ ❊ ❊

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ - يدْعُونَ رَبَّهُم - بِالْغَدَاةِ - الْعَشِيِّ - لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ - تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - اتَّبَعَ هَوَاهُ - كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا - وَقُلِ الْحَقُّ - أَعْتَدْنَا - لِلظَّالِمِينَ - أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا - يَسْتَغِيثُوا - الْمُهْلِ - مُرْتَفَقًا - عَدْنٍ - يُحَلَّوْنَ - أَسَاوِرَ - سُنْدُسٍ - إِسْتَبْرَقٍ - مُتَّكِئِينَ - الأَرَائِكِ - نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾	احبس نفسك، أو لازم مجالسة.
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	يسألون ربهم - يدعون ربهم - يذكرون ربهم.
﴿بِالْغَدَاةِ﴾	الصباح (قبل طلوع الشمس).
﴿الْعَشِيِّ﴾	عند الغروب
﴿لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾	لا تجاوزهم إلى غيرهم.
﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	تطلب مَنْ عندهم زينة الحياة الدنيا من أصحاب الشرف والثروة.
﴿اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾	اتبع ما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء، وتهواه؛ كالكفر والمعاصي.

الكلمة	معناها
﴿كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	كانت أفعاله سفهًا وتفريطًا وتضييعًا. وقيل: كانت ندمًا وهلاكًا وخلافًا للحق وضياعًا. وقيل: كانت تجاوزًا للحد.
﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾	وقل: هذا هو الحق.
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا ـ أرصدنا.
﴿لِلظَّالِمِينَ﴾	للكافرين ـ للمشركين.
﴿أَحَاطَ بِهِمْ﴾	أحدق بهم من كل جانب.
﴿سُرَادِقُهَا﴾	سورها، سور من نار.
﴿يَسْتَغِيثُوا﴾	يطلبوا الغوث مما هم فيه، ويطلبون السقيا.
﴿الْمُهْلِ﴾	رديء الزيت ـ الزيت العكر المترسب ـ ما أُذيب من جواهر الأرض.
﴿مُرْتَفَقًا﴾	الارتفاق هو الاتكاء على المرفق، وقيل: مجتمعًا، وقيل: متكئًا ـ منزلاً ومقامًا.
﴿عَدْنٍ﴾	إقامة، لا رحيل منها ولا تحول عنها كما قال تعالى: ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ [الكهف: ١٠٨].
﴿يُحَلَّوْنَ﴾	يتحلون ـ يلبسون الحلية.
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع سوار.
﴿سُنْدُسٍ﴾	ما رقَّ من الديباج، أي الحرير الرقيق.
﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾	ما غلظ من الديباج.

الكلمة	معناها
﴿مُتَّكِئِينَ﴾	مضطجعين ـ وقيل الاتكاء : الميل بأحد الشقين ، وقيل : التربع .
﴿الأَرَائِكِ﴾	الأسرة (جمع سرير) في الحجال .
﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾	نعمة الجزاء .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ [الكهف: ٢٨] ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: وألزم نفسك، واحبس نفسك على مجالسة الصالحين الذين يدعون ربهم، فيسألونه، ويرجونه، ويخشونه، ويعبدونه، ويذكرونه صباحًا ومساءً.

الحث على مجالسة أهل الصلاح

س: اذكر بعض الوارد في الحث على مجالسة الصالحين؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

وهذه الآيات نزلت لما طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء من حوله حتى لا يجترئوا على أهل الكبر بزعمهم، فأنزل الله الآيات.

ففي «الصحيح»[١] من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه: فيَّ

---

(١) مسلم (٢٤١٣).

نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: نزلت في ستة: أنا، وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء؟!.

وفي رواية أُخرىٰ لمسلم أيضًا عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستةُ نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجلٌ من هذيل، وبلالٌ، ورجلان لست أسميهما: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وكان هذا ـ أعني طلب أهل الشرك من الأنبياء طرد المؤمنين الضعفاء ـ كان أمرًا مضطردًا، فقد قال قوم نوح لنوح عليه السلام:

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١١ـ١١٥].

وقد عاتب الله ـ عزَّ وجل ـ نبيه محمدًا ﷺ لما عبس وتولى في وجه عبد الله بن أم مكتوم: لما أقبل علىٰ رسول الله ﷺ وكان عند النبي وجهاء قومه يقبل عليهم لدعوتهم، فعرض له ابن أم مكتوم الأعمىٰ، فأقبل عليهم الرسول ﷺ فعُوتب في شأنه بما ذكر الله في كتابه الكريم.

أخرج الترمذي[١] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

«أنزل (عبس وتولىٰ) في ابن أم مكتوم الأعمىٰ، أتىٰ رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل علىٰ الآخر، ويقول: «**أترى بما تَقُولُ بأسًا**»، فيقال: لا، ففي هذا أنزل.

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [لقمان: ١٥].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكيرِ، فحامل المسك إما أنْ يُحذيكَ[٢] وإما أن تبتاعَ منه وإما أنْ تجدَ منه ريحًا طيبًا، ونافخُ الكيرِ إما أن يحرقَ ثيابكَ وإما أن تجدَ ريحًا خبيثةً**»[٣].

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح هذا الحديث:

فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع، والعلم، والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجرهُ وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

---

(١) الترمذي (٣٣٣١) وقال: هذا حديث غريب، وأشار الترمذي إلىٰ رواية من رووه مرسلاً.

(٢) يُحذيك: أي يعطيك.

(٣) البخاري(٥٥٣٤)، ومسلم مع النووي (١٦/ ١٧٨).

فضل مجالسة الصالحين

س: اذكر بعض الوارد في فضل مجالسة الصالحين؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم [١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لله تباركَ وتعالى ملائكة سيَّارةً، فُضُلاً، يتبعونَ مجالسَ الذكرِ فإذَا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهمْ، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتَّى يملئوا ما بينهم وبينَ السماء الدنيَا. فإذَا تفرقُوا عَرجُوا وصعدُوا إلى السماء**»، قال: **فيسألهم اللهُ عزَّ وجلَّ ـ وهُو أعلمُ بهم ـ منْ أينَ جئتم؟ فيقولونَ: جئنا من عند عباد لكَ في الأرض، يسبحونكَ ويكبرونكَ ويهللونكَ ويحمدونكَ ويسألونكَ، قال: وماذَا يسألوني؟ قالُوا: يسألونكَ جنتكَ قال: وهلْ رأوا جنَّتي؟ قالُوا: لا، أي ربِّ! قالَ: فكيفَ لوْ رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونكَ قالَ: وممَّ يستجيرونني؟ قالُوا: من نارك، يا ربِّ! قالَ: وهلْ رأوا ناري؟ قالُوا: لا، قالَ: فكيفَ لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونَك، قال: فيقولُ: قدْ غفرْت لهم، فأعطيتهُم ما سألُوا، وأجرتهُم مما استجارُوا، قالَ فيقولونَ: ربِّ! فيهُم فلانٌ عبدٌ خطاءٌ، إنما مرَّ فَجَلَسَ معهُم، قالَ فيقولُ: ولهُ غفرتُ، همُ القوم لا يشقى بهم جليسهم**».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترىٰ في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «**المرءُ معَ منْ أحبَّ**».

---

(١) مسلم (٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠)، ونحوه عندهما من حديث أبي موسىٰ أيضًا مرفوعًا.

وعندهما[١] أيضًا من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلٌ عند سدة المسجد، فقال: يا رسول الله، متىٰ الساعة؟

قال رسول الله ﷺ: «**ما أعددتَ لهَا؟**».

قال: فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله.

قال: «**فأنتَ معَ منْ أحببتَ**».

وتستفيد من الجليس الصالح العالم علمًا وصلاحًا وفقهًا، ومن الجليس الذاكر العابد عبادة وذكرًا:

أخرج البخاري[٢] من حديث أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

آخىٰ النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء؛ فزار سلمان أبا الدرداء، فرأىٰ أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا.

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكل حتىٰ تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم.

فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فذكر ذلك لهُ.

فقال له النبي ﷺ: «**صدَقَ سلمانُ**».

---

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (ص٢٠٣٣).

(٢) البخاري (١٩٦٨).

فهذا أصل من أصول الاقتصاد يتعلمه أبو الدرداء من سلمان رضي الله عنه، ونتعلمه نحن كذلك.

ولذا فإن نبي الله موسىٰ ـ عليه السلام ـ حرص علىٰ لقاء الخضر للتعلم منه.

وجليسك الصالح يدعو لك، ويستغفر لك.

أخرج البخاري [١] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «**رحمهُ اللهُ، لقد أذكَرني كذَا وكذا آيةً أسقطتهنَّ من سورة كذَا وكذَا**» وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: «تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «**يا عائشة، أصوت عباد هذا؟**»، قلت: نعم، قال: «**اللهمَّ ارحمْ عبَّادًا**».

والجليس الصالح يُذكر صاحبه بالله عزَّ وجل:

ألا ترىٰ أن الخوف لما اعترىٰ الصديق أبا بكر وهو مع الرسول ﷺ وهما في الغار ذكره النبي ﷺ بقوله: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي «الصحيح» أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، قال: «**يا أبَا بكرٍ، ما ظنكَ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا؟**»[٢].

وقال موسىٰ ـ عليه السلام ـ لأصحابه لما قالوا له ـ بعد أن تراءىٰ الجمعان ـ ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

---

(١) البخاري (٢٦٥٥).

(٢) أخرج البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

ونبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد من مريم ـ عليها السلام ـ كما أنها استفادت منه أيضًا.

فقد كفلها زكريا ـ عليه السلام ـ فتربت في بيت نبوةٍ طاهر مبارك كريم، فاستفادت خُلقًا حسنًا وعبادةً وورعًا وعفةً وأمانة، فأحصنت فرجها ـ عليها السلام ـ ثم إن زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد منها هو الآخر، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا، فيسألها: أنىٰ لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فحملته وشجعته علىٰ الدعاء بالولد الصالح والذرية الطيبة، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩].

فرُزق ـ عليه السلام ـ بيحيىٰ ـ عليه السلام ـ من توفيق الله له، إذ رزقه الدعاء ووفقه إليه.

فيا من رزقت مريم بغير حساب، ويا من مننت علىٰ زكريا ـ عليه السلام ـ ارزقنا بغير حساب، وهب لنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والجليس الصالح يمنعك من القيل والقال والخوض في الأعراض واغتياب المؤمنين والمؤمنات: وذلك لأنه لا يرضىٰ لنفسه أن يستمع إلىٰ غيبة مسلم، ولا يرضىٰ لنفسه أن تؤكل لحوم إخوانه الميتين أما عينيه، لا يرضىٰ ذلك لمن يُغتاب أو يغتاب، بل يحفظ هذا وذاك.

أما جليس السوء فلا يلوي علىٰ أحدٍ ولا يحفظ حرمة أحد، فيرىٰ لحوم إخوانه تؤكل فيتركها تؤكل، بل ويشارك في أكلها وبشراهة، فتجده يطعن في هذا وذاك، ويغتاب هذا وذاك، ويُغتَاب إخوانه أمامه ولا يدافع، فيبيت

وقد انتفخت بطنه من لحوم الميتة، ونهشه أعراض المسلمين.

والجليس الصالح يحنُّ لفراقك ويسأل عنك ويتفقد أحوالك، حتى إن الجذع قد حنَّ لفراق جليسه الصالح رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري[١] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ:

أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه ـ فإن لي غلامًا نجَّارًا؟ قال: «**إن شئت**»، فعملت له المنبر.

فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال: «**بكت على ما كانتْ تسمَع مِنَ الذكر**».

أما أهل الظلم فما بكت عليهم السماء والأرض، بل ومستراحٌ منهم بعد موتهم.

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنازة فقال: «**مستريحٌ ومستراحٌ منهُ**».

قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟

قال: «**العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصب الدنيَا وأذاها إلى رحمة اللهِ عزَّ وجلَّ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ**».

---

(١) البخاري (٢٠٩٥).

(٢) البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠).

والجليس الصالح يُعين صاحبه على ذكر الله ـ عزَّ وجل ـ وعلى طاعته.

ومن ثمَّ طلب موسىٰ عليه السلام من ربه ـ عز وجل ـ أن يُمدَّه بأخيه هارون، فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ـ٣٥].

ومجالسة الصالحين تجعلك تستقل أعمال البر التي تعملها:

ومن ثمَّ تكثر وتزيد من أعمال البر والمعروف والعبادة والإحسان.

فإذا كنت تصلي ركعتين نافلة لك من الليل، ورأيت جليسك يُصلي أربعًا ويداوم علىٰ ذلك، فإنك تنشط لفعل ما يفعل.

وإذا تصدقت بدرهم أو درهمين، ووجدت من هو في مثل حالك يتصدق بخمسة دراهم أو بعشرة حملك صنيعه بلا شك علىٰ زيادة الصدقة إن شاء الله.

فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما حثَّ رسولُ الله ﷺ علىٰ الصدقة خرج بنصف ماله فوجد أبا بكر قد جاء بماله كله.

أخرج أبو داود بإسناد صحيح[1] عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتهُ يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلكَ؟**» فقلتُ: مثله، قال: وأتىٰ أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلكَ؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا».

---

(١) أبو داود (١٦٧٨).

وجلساء الخير والصلاح يعرّفونك بالصالحين ويجمعونك بهم ويدلونك عليهم:

أخرج مسلم[١] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيكِ؟! ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما علىٰ البكاء، فجعلا يبكيان معها.

والجليس الصالح يُعطي الأمل ويبين ثواب الله ـ عزَّ وجلَّ:

أخرج البخاري[٢] من طريق ابن أبي مليكة قال: «استأذن ابن عباس قبل موتها ـ علىٰ عائشة ـ وهي مغلوبة، قالت: أخشىٰ أن يُثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنتِ بخير إن شاء الله تعالىٰ، زوجةُ رسول الله ﷺ؛ ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافَه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنىٰ عليَّ، وددت أني كنت نسيًا منسيًّا».

ومصاحبة الأخيار تحمل على التنافس في الخير:

وقد سبق في هذا الباب تنافس أبي بكر مع عمر ـ رضي الله عنهما ـ في إخراج الصدقة لما حثَّ عليها رسول الله ﷺ، وهذا أيضًا نوع آخر من تنافسهما في زفِّ البشارات للمسلمين.

---

(١) مسلم (٢٤٥٤).

(٢) البخاري (٤٧٥٣).

أخرج الإمام أحمد [١] بإسنادٍ صحيح لشواهده من حديث ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ «النساء» فانتهىٰ إلىٰ رأس المائة، فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي ﷺ: «**اسأل تعطَه، اسألْ تعطَه**»، ثم قال: «**من سَرَّه أنْ يقرأَ القرآنَ غضًّا كمَا أُنْزلَ فليقرأْهُ بقراءة ابن أمِّ عبد**».

فلما أصبح غدا إليه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ليبشره وقال له: ما سألت الله البارحة؟

قال قلت: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة محمد في أعلىٰ جنة الخلد.

ثم جاء عمر ـ رضي الله عنه ـ فقيل له: إن أبا بكر قد سَبَقَك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقتُه إلىٰ خير قط إلا سبقني إليه.

وكذا فإن مصاحبة الأخيار تحمل علىٰ التأسي بهم والاقتداء حتىٰ في سمتهم وهديهم وطريقة مشيهم، فهذا عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لكثرة ملازمته لرسول الله ﷺ يقتبس من هديه ويتخلق بأخلاقه.

أخرج البخاري [٢] من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: «سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتىٰ نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أمِّ عبد».

❊ ❊ ❊

(١) أحمد (المسند ١/ ٤٥٤).

(٢) البخاري (٣٧٦٢).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: هذه تحتمل معنيين.

أحدهما: يسألون ربهم ويذكرونه.

الثاني: يعبدون ربهم.

* * *

س: اذكر بعض الوارد من السُّنة في ذكر وجه الله عزَّ وجل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»(١).

وقوله ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**»(٢).

وقوله ﷺ: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»(٣).

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف: ٢٨] أي: تتزين بمجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء من مجلسك، ولم يُرِد النبي ﷺ أن يفعل ذلك،

---

(١) البخاري في «التفسير» (٤٦٢٨).

(٢) «صحيح النسائي» (٣/ ٥٥).

(٣) البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

ولكن الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإن كان الله أعاذه من الشرك، و«تريد» فعل مضارع في موضع الحال؛ أي: لا تعد عيناك مريدًا، كقول امرئ القيس:

فقلتُ له لا تبْكِ عَيْنُك إنما نحاول مُلْكًا أو نموتَ فنُعْذَرَا

وزعم بعضهم أن حق الكلام: لا تعد عينيك عنهم؛ لأن «تَعْدُ» متعدٍّ بنفسه، قيل له: والذي وردت به التلاوة من رفع العينين يؤول إلى معنى النصب فيها إذا كان لا تعد عيناك عنهم بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم، ومعنى لا تنصرف عيناك عنهم: لا تصرف عينيك عنهم؛ فالفعل مسند إلى العينين، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥] فأسند الإعجاب إلى الأموال، والمعنى: لا تعجبك يا محمد أموالهم.

ويزيدك وضوحًا قول الزجاج: إن المعنى: لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا له، ولا محبًّا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[طه: ١٣١].

وقال الطبري ـ رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول تعالىٰ ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه ـ من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك ـ عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوىٰ نفسه علىٰ طاعة ربه.

وهم فيما ذُكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم.

* * *

س: نهى الله نبيه ﷺ في عدة آيات من الكتاب العزيز ـ عن أن يصرف بصره عن أهل الضعف والفقر من المؤمنين طموحًا إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا، اذكر من الأدلة ما يؤكد هذا النهي؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

* * *

س: هل يُطاع الوالد المسرف على نفسه؟

ج: إذا دعا هذا الوالد المسرف على نفسه إلى معصية الله ـ عزَّ وجل ـ فلا يطاع، فإنما الطاعة في المعروف، أما إذا طلب من ولده أمراً لا يخالف أمر الله ورسوله، ثم هو في وسع الولد فإنه حينئذ يُطاع.

أمَّا الأدلة على أن الطاعة في المعروف، فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، وقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «**لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة**» وقال للآخرين: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»[٢].

وما أخرجه أحمد [٣]: بإسناد صحيح عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**» قال معاوية: فما بالك معنا، قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه**»، فأنا معكم ولست أقاتل.

فعبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ وإن أطاع أباه لكون النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) وصح عن النبي ﷺ ـ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال الله عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

أوصاه بذلك، فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه**» إلا أنه لم يقاتل المسلمين، ولم يرفع سيفه عليهم رضي الله عنه وأرضاه.

فليس من البر أبدًا الطاعة في الشرك والمعاصي، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: ١٥].

وها هو سبب نزول هذه الآية الكريمة:

أخرج مسلم [١] في «صحيحه» من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتىٰ يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك ـ وأنا أمك ـ وأنا آمرك بهذا.

قال: مكثت ثلاثًا حتىٰ غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو علىٰ سعد، فأنزل الله ـ عزَّ وجل ـ في القرآن هذه الآية: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]... فذكر الحديث.

* * *

(١) مسلم (١٧٤٨).

س: في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] ردٌّ على القدرية، وضح ذلك مع الاستدلال بمزيد من الاستدلالات؟

ج: إيضاحه أن القدرية يقولون: لا قدر، وأن الشخص يختار لنفسه ما يشاء، ولكن الآية الكريمة فيها ردٌّ على هذا، فالقلب الغافل تُرَى من جعله غافلاً؟ إنه الله الذي قدر كل شيءٍ.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

* * *

س: نهى الله نبيه ﷺ عن طاعة الغافلين عن ذكر الله، البعيدين عن طريق الله سبحانه وتعالى، دلِّل على ذلك بطائفة من الأدلة؟

ج: من الأدلة على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

* وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

* وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قيل: هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان، وعلى هذا فمعنى ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]: أي: كانت أعماله سفهًا وضياعًا وتفريطًا.

وقيل: من الإفراط الذي هو مجاوزة الحد، كقول الكفار المحتقرين لفقراء المؤمنين: نحن أشراف مضر وساداتها، إن اتبعناك اتبعك جميع الناس، وهذا من التكبر والإفراط في القول.

وقيل: ﴿فُرُطًا﴾ أي: قدمًا في الشر، من قولهم: فرط منه أمر، أي سبق.

وأظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة عندي بحسب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن معنى قوله: ﴿فُرُطًا﴾ أي: متقدمًا للحق والصواب، نابذًا له وراء ظهره، من قولهم: فرس فرط، أي متقدم للخيل، ومنه قول لبيد في «معلقته»:

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي ... فرط وشاحي إذ غدوت لجامها

وإلى ما ذكرنا في معنى الآية ترجع أقوال المفسرين كلها، كقول قتادة ومجاهد: ﴿فُرُطًا﴾ أي: ضياعًا، وكقول مقاتل بن حيان ﴿فُرُطًا﴾ أي: سرفًا، كقول الفراء: ﴿فُرُطًا﴾ أي متروكًا، وكقول الأخفش: ﴿فُرُطًا﴾

أي: مجاوزاً للحد، إلىٰ غير ذلك من الأقوال.

* * *

س: كان من أسباب امتناع أهل الكفر عن الدخول في الإسلام الكبرُ والاستنكاف عن مجالسة الصالحين، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

* قول أهل الكفر لنبي الله نوح عليه السلام: ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ**﴾ [الشعراء: ١١١].

كذا قولهم: ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ**﴾ [هود: ٢٧].

* وقول أهل الكفر أيضاً: ﴿**هَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا**﴾ [الأنعام: ٥٣].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩]؟

ج: المراد ـ والله تعالىٰ أعلم ـ وقل هذا القرآن هو الحق الذي جاءكم من عند الله عزَّ وجل.

وأيضاً معناه: وقل قد جاءكم الحق من ربكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدىٰ والضلال، يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدىٰ، فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء،

ولست بطارد ـ لِهَوَاكُم ـ من كان للحق متبعًا، وبالله وبما أنزل عليَّ مؤمنًا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارًا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿الْحَقُّ﴾ رفع على خبر الابتداء المضمر؛ أي: قل هو الحق.

وقيل: هو رفع على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] ومعنى الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس! من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهُدى والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر؛ ليس إليَّ من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفًا، ويحرمه من يشاء وإن كان قويًّا غنيًّا، ولست بطارد المؤمنين لهواكم؛ فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر؛ وإنما هو وعيد وتهديد، أي: إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] للتخيير؟

ج: قطعًا فإن هذا ليس للتخيير، بل هو تهديدٌ ووعيد.

قال الشنقيطي رحمه الله:

ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللغوي ـ التخيير بين الكفر والإيمان ـ ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها: التهديد

والتخويف، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية.

والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف ـ أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم، وهذا واضح كما ترى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ [الكهف: ٢٩] أي: أرصدنا.

* * *

س: مَن المراد بالظالمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩]؟

ج: المراد بالظالمين هنا الكفار.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أصله من الاعتاد، والتاء فيه أصلية وليست مبدلة من دال على الأصح، ومنه العتاد بمعنى العدة للشيء.

ومعنى ﴿أَعْتَدْنَا﴾: أرصدنا وأعددنا، والمراد بالظالمين هنا الكفار، بدليل قوله قبله: ﴿وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وقد قدمنا كثرة إطلاق الظلم على الكفر في القرآن؛ كقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ

اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:١٠٦]، ونحو ذلك من الآيات، وقد قدمنا أن الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق.

وقد جاء في القرآن إطلاق الظلم على النقص في قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف:٣٣]، وأصل معنى مادة الظلم هو ما ذكرنا من وضع الشيء في غير موضعه.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى السرادق؟

ج: السرادق: مفرد السرادقات، وهي التي قوله: صحن الدار، وهي أشبه بالخيام.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وأما المراد بالسرادق في الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال، مرجعها إلى شيء واحد، وهو إحداق النار بهم من كل جانب.

فمن العلماء من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾ أي: سورها، قاله ابن الأعرابي وغيره.

ومنهم من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾: سور من نار، وهو مروي عن ابن عباس.

ومنهم من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾: عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة، قاله الكلبي.

ومنهم من يقول: هو دخان يحيط بهم، وهو المذكور في «المرسلات» في قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ

اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]، «الواقعة» في قوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

وأورد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أقوالاً أُخر في تفسير السرادق.

س: كيف قيل: يغاثوا بماء كالمهل، هل في المهل إغاثة؟

ج: أجاب الشنقيطي في «أضواء البيان» علىٰ هذا بقوله:

فإن قيل: أي: إغاثة في ماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال الله تعالىٰ: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]؟

فالجواب: أن هذا من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

ونظيره من كلام العرب قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامر ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

فمعنىٰ قوله: «أعتبوا بالصيلم»: أي أرضوا بالسيف، يعني: ليس لهم منا إرضاء إلا بالسيف.

وقول عمرو بن معد يكرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

يعني: لا تحية لهم إلا الضرب الوجيع، وإذا كانوا لا يغاثون إلا بماء كالمهل ـ علم من ذلك أنهم لا إغاثة لهم ألبتة.

* * *

س: هل من فائدة في وصف الماء بأنه يشوي الوجوه؟

ج: نعم هناك فائدة، فإذا كان البخار يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلىٰ الشفاه، فكيف بالماء نفسه؟!! ففي هذا دليل علىٰ شدة حرارته.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

* وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

* وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

* **قال ابن الجوزي في «زاد المسير»**: قال المفسرون: ومعنى ﴿لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعًا، بل نجازيه عليها بالثواب.

* * *

س: أين خبر (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ٣٠]؟

ج: أخرج الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان» نحو هذا السؤال، وأجاب عليه، فقال:

الأول: أن يقال: أين خبر «إنَّ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الكهف: ٣٠] الآية؟ فإذا قيل: خبرها جملة: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] توجه السؤال.

الثاني: وهو أن يقال: أين رابط الجملة الخبرية بالمبتدأ الذي هو اسم «إن»؟

اعلم أن خبر «إنَّ» في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الكهف: ٣٠] قيل: هو جملة ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣١] وعليه فقوله: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] جملة اعتراضية، وعلىٰ هذا فالرابط موجود، ولا إشكال فيه.

وقيل: «إن» الثانية، واسمها وخبرها، كل ذلك خبر «إن» الأولىٰ، ونظير الآية من القرآن في الإخبار عن «إن» بـ «إن» وخبرها واسمها قوله تعالىٰ في «سورة الحج»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية [الحج: ١٧].

وقول الشاعر:

إن الخليفة إن الله ألبسه ... سربال ملك به ترجى الخواتيم

علىٰ أظهر الوجهين في خبر «إنَّ» الأولىٰ في البيت.

وعلى هذا فالجواب على السؤال الثاني من وجهين:

الأول: أن الضمير الرابط محذوف، تقديره: لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً، كقولهم: السمن منوان بدرهم، أي: منوان منه بدرهم، كما تقدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ...﴾ الآية [البقرة: ٢٣٤]، أي: يتربصن بعدهم.

الوجه الثاني: أن ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإذا كان «الذين آمنوا، ومن أحسن عملاً» ينظمها معنىٰ واحد قام ذلك مقام الربط بالضمير، وهذا هو مذهب الأخفش، وهو الصواب؛ لأن الربط حاصل بالاتحاد في المعنىٰ.

* * *

﴿ وَٱضۡرِبۡ

لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ
دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ ﴾

س: اذكر معنى كلٍّ مما يلي:

﴿ جَنَّتَيْنِ - حَفَفْنَاهُمَا - آتَتْ أُكُلَهَا - لَمْ تَظْلِم - فَجَّرْنَا خِلالَهُمَا - ثَمَرٌ - يُحَاوِرُهُ - وَأَعَزُّ نَفَرًا - ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ - تَبِيدَ - السَّاعَةَ قَائِمَةً - رُدِدتُ إِلَى رَبِّي - مُنقَلَبًا - سَوَّاكَ - لَكِنَّا - وَلَوْلا - مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ - يُؤْتِيَنِي - حُسْبَانًا - صَعِيدًا زَلَقًا - غَوْرًا - فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا - وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ - يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ - عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا - خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا - فِئَةٌ - دون الله - مُنتَصِرًا - الْوَلايَةُ - خَيْرٌ ثَوَابًا - وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿جَنَّتَيْنِ﴾	بُستانَين.
﴿حَفَفْنَاهُمَا﴾	أطفناهما من جوانبهما بنخل.
﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾	أخرجت ثمارها - أثمرت ثمرها كاملاً.
﴿لَمْ تَظْلِم﴾	لم تنقص.
﴿فَجَّرْنَا﴾	شققنا وسطها (نهرًا).
﴿ثَمَرٌ﴾	قيل: جمع ثمار - وقيل: المراد بالثمر هنا الأموال المثمرة من الذهب والفضة.
﴿يُحَاوِرُهُ﴾	يجادله - يراجعه الكلام، ومنه: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ [المجادلة: ١] - يخاصمه - يفخر عليه.
﴿أَعَزُّ نَفَرًا﴾	أكثر عشيرة وأقوىٰ أنصارًا.

الكلمة	معناها
	أكثر أولادًا وخدمًا[١] .
﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾	باخسٌ حق نفسه، منقصُ نفسه حقها (وذلك بكفره، وتمرده، وتجبره، وإنكاره البعث والحساب، واغتراره بدنياه).
﴿تَبِيدَ﴾	تهلك وتفنى.
﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾	الساعة آتية.
﴿رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾	رجعت إلى ربي.
﴿مُنقَلَبًا﴾	مرجعًا ـ عاقبة ـ مآلاً.
﴿سَوَّاكَ﴾	عدلك فجعلك بشرًا سويًا، جعلك رجلاً سليم الأعضاء، مستوي الأجزاء.
﴿لَكِنَّا هُوَ﴾	لكن أنا.
﴿لَوْلا﴾	هلا.
﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾	ما أنا فيه بمشيئة الله، ولا قوة لي بالإتيان به إنما هو رزق الله لي.
﴿يُؤْتِيَنِي﴾	يرزقني ـ يعطيني.
﴿حُسْبَانًا﴾	عذابًا (من السماء تُرمى به رميًا).
﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾	ترابًا أملسًا ـ بلقعا ـ قد اقتلعت أشجارها، ومُحي وأزيل ما فيها.

(١) صح عن قتادة أنه قال: تلك واللَّه أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر (طب ٢٣٠٦٤).

الكلمة	معناها
﴿غَوْرًا﴾	غائرًا في الأرض ـ ذاهبًا في الأرض (على العكس من الماء المعين[1] الظاهر الجار).
﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾	فلن تُطيق استخراجه ولن تطيق إدراكه .
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾	أحاطت الجوائح ، وحلت المصائب بثمره ـ أُهلك ماله .
﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾	يُصفِّق بكفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أنفقها على بستانه .
﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	خالية من نباتها وبيوتها ـ تساقطت الأشجار ، ومالت السيقان ، وذهبت الثمار .
﴿فِئَةٌ﴾	عشيرة ـ أو ولد ـ منعةٌ وقومٌ .
﴿دون الله﴾	سوى الله .
﴿مُنتَصِرًا﴾	ممتنعًا ـ مانعًا لنفسه من العذاب ـ مُستردًا لماله
﴿الْوَلَايَةُ﴾	الخضوع ، وهنالك الولاية هنالك الموالاة .
﴿خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾	خيرٌ جزاءً ـ خير إثابة .
﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾	خير عاقبة ومآلاً ، فعاقبته حميدة ورشيدة .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا فمن يأتيكم بماء معين﴾ [الملك : ٣٠] .

س: قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم ﴾ [الكهف: ٣٢] واضرب لمن؟

ج: المعنى، واضرب لهؤلاء المستكبرين المغترين بدنياهم وأيضًا، واضرب لكل عاقلٍ، بل واضرب لكل الناس.

* * *

س: ما صلة هذه الآيات ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢] بما قبلها؟

ج: بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بأن يصبر نفسه مع أهل الإيمان الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا يصرف بصره عنهم ذكَّر سبحانه وتعالى بمصير رجلٍ مستكبرٍ معاند وما حلَّ به حتى لا يغتر أحدٌ بدينه، ولا يركن شخص إلى غناه، فضرب مثلاً بصاحب الجنتين.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء، والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلاً برجلين؛ جعل الله: ﴿لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]، أي: بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل، المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ﴿مَّثَلاً﴾ مثل ﴿رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]!!

* * *

س: من شأن أهل الجهل الاغترار بالمال والعشيرة دلّل علي ذلك ؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

*قول صاحب الجنتين ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] .

*وقول الكفار : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] .

*وقولهم : ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] .

* * *

س: ما وجه قوله : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ [الكهف: ٣٥] مع أنهما جنتان؟

ج: قال الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ مجيبًا على ذلك:

أنه قال ما ذكره الله عنه حين دخل إحداهما ، إذ لا يُمكن دخوله فيهما معًا في وقت واحدٍ، والله أعلم .

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٣٦]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٥] ، أي : بكفره، وتمرده، وتكبره، وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٦] وذلك اغترار منه، لما رأىٰ فيها من الزروع والثمار والأشجار، والأنهارالمطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنىٰ ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [الكهف: ٣٦] أي : كائنة .

* * *

س: وردت جملة آيات تدل على أن الشك في البعث يُعدُّ كفرًا، اذكر بعض ذلك؟

ج: من ذلك قوله تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧] بعد قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦] يدل علىٰ أن الشك في البعث كفر بالله تعالىٰ. وقد صرح بذلك في أول سورة «الرعد» في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

* * *

س: الكافر يظن أن الساعة ليست بقائمة، وأن لا بعث ولا حساب، ثم يتجرأ ويزعم أن لو كان بعث لكان في أُخراه كما كان عليه في دنياه من الوجاهة والمال والشرف، اذكر من الآيات ما يوضح هذا؟

ج: إيضاحه من قول صاحب الجنتين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] أي: وما اعتقد أن الساعة قائمة، ولئن قامت الساعة فالذي أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة.

* وهذا أيضًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠].

* وكقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ معنىٰ خلقه إياه من تراب: أي: خلق آدم الذي هو أصله من التراب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ..﴾ الآية [آل عمران: ٥٩]، ونظير الآية التي نحن بصددها قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآية [الحج: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧] أي: بعد أن خلق آدم من التراب، وخلق حواء من ضلعه، وجعلها زوجًا له كانت طريق إيجاد الإنسان بالتناسل، فبعد طور التراب، طور النطفة، ثم طور العلقة إلىٰ آخر أطواره المذكورة في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقد أوضحها تعالىٰ إيضاحًا تامًّا في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ومما يبين خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة - قوله تعالىٰ في «السجدة»: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ

شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٦-٩].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: المراد، والله أعلم، خلق أباك من تراب.

* * *

س: ما وجه همزة الإنكار في قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

والظاهر أن الإنكار المدلول عليه بهمزة الإنكار في قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧] مضمن معنى الاستبعاد؛ لأنه يستبعد جدًّا كفر المخلوق بخالقه، الذي أبرزه من العدم إلى الوجود، ويستبعد إنكار البعث ممن علم أن الله خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم سواه رجلاً؛ كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

وقال مثل ذلك في تفسير الآية الكريمة:

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك الرجل المؤمن المضروب مثلاً للمؤمنين، الذين تكبر عليهم أولو المال والجاه من الكفار، قال لصاحبه الآخر الكافر المضروب مثلاً لذوي المال والجاه من الكفار منكراً عليه كفره أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً، ؛ لأن خلقه إياه من تراب ثم من نطفة، ثم تسويته إياه رجلاً، كل ذلك يقتضي إيمانه

بخالقه الذي أبرزه من العدم إلىٰ الوجود، وجعله بشراً سويًّا ويجعله يستبعد منه كل البعد الكفر بخالقه الذي أبرزه من العدم إلىٰ الوجود.

وهذا المعنىٰ المبين هنا بينه في مواضع أخر، كقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٢].

وقوله تعالي: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء:٧٥-٨١] الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

* * *

س: ووضح معنى قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقوله في هذه الآية: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف:٣٧] كقوله: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل:٤]، وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧] أي: بعد أن كان نطفة سار إنسانًا خصيمًا شديد الخصومة في توحيد ربه.

وقوله: ﴿سَوَّاكَ﴾ أي: خلقك مستوي الأجزاء، معتدل القامة والخلق، صحيح الأعضاء في أكمل صورة، وأحسن تقويم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُورَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقوله ﴿رَجُلاً﴾ أي: ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال.

قلت (مصطفى): وقد قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا»، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ففي كل ما ذُكر ردٌ على الملاحدة الذين يزعمون أن الإنسان أصله قرد.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] مع مزيد إيضاح للآية الكريمة؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالاً وولدًا، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧] يعني خلق أباك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة، ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: ثم عدلك بشرًا سويًا رجلاً، ذكرًا لا أنثى، يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقًا جديدًا بعد ما تصير رفاتًا!

قال القرطبي رحمه الله:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] وعظه وبين له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها أحد أبدع من

الإعادة ، و﴿سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] أي: جعلك معتدل القامة والخَلْق ، صحيحَ الأعضاء ذكراً.

قال السعدي رحمه الله:

أي: قال له صاحبه المؤمن ناصحًا له، ومذكراً له حاله الأولىٰ ، التي أوجده الله فيها في الدنيا (من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً) فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلىٰ طور، حتىٰ سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة، والمعقولة.

وبذلك يسرَّ لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ، من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالىٰ عليك، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجهل نعمته؟ وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك، هذا مما لا ينبغي ولا يليق، ولهذا لما رأىٰ صاحبه المؤمن، حاله واستمراره علىٰ كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، علىٰ وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، وعند ورود المجادلات والشبه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن ، واعظًا له، وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف:٣٧] ، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين، وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ

أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد، وليس وجوده من نفسه، ولا مستندًا إلىٰ شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته، فعلم إسناد إيجاده إلىٰ خالقه، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال: ﴿لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:٣٨] أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٨]، أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ بين فيه أن هذا الرجل المؤمن قال لصاحبه الكافر: أنت كافر! لكن أنا لست بكافر! بل مخلص عبادتي لربي الذي خلقني أي: لأنه هو الذي يستحق مني أن أعبده؛ لأن المخلوق محتاج مثلي إلىٰ خالق يخلقه، تلزمه عبادة خالقه كما تلزمني.

ونظير قول هذا المؤمن ما قدمنا عن الرجل المؤمن المذكور في «يس» في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس:٢٢]، أي: أبدعني وخلقني وإليه ترجعون. وما قدمنا عن إبراهيم في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٧٧، ٧٨]، الآية، وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧] الآية.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ولولا أنك عند دخول جنتك ورؤية ما فيها من الفضل والخير وسعة الرزق، قلت: عند رؤيتك لها ودخولها ما شاء الله، أي: أن هذا الرزق الذي أنا فيه، لولا أن الله شاءه وأراد أن يكون لي ما حصل لي، فلا قوة لي على تحصيل الرزق إلا بتوفيق الله وعون الله وتيسير الله، فكم من شخص يخرج من بيته طالبًا الرزق راجيًا المكسب فيصاب بخسارةٍ وذهابٍ لأمواله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]: [هذا تحضيض] وحث على ذلك، ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩] أي: هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها، فحمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله، أو ماله، أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ [الكهف: ٣٩] لولا للتحضيض أي: هَلاَّ قلت عندما دخلتها: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩] قال الفراء والزجاج: هلا قلت حين دخلتها الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان، وقيل كائن أي: أيُّ شيء شاء الله كان فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه ولا تفتخر به؛ لأنه ليس من صنعك.

وقوله: ﴿لا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] من جملة مقول، أي: هلا قلت هاتين الجملتين تحضيضًا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها وحسنها ونضارتها إنما هو بمعونة الله، لا بقوته وقدرته.

وهذا نصح من المؤمن للكافر وتوبيخ له على قوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥].

قال الزجاج: لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل: لا حول ولا قوة إلا بالله؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [١] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، أو قال ـ على كنزٍ من كنوز الجنة**»، فقلت: بلى، فقال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**».

وأخرج الإمام أحمد [٢] في «مسنده» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا هريرة أدلك علي كلمة كنز من كنز الجنة تحت العرش**» قال: قلت: نعم، فداك أبي وأمي قال: «**أن تقول لا قوة إلا بالله**» قال أبو بلج (أحد رجال الإسناد) وأحسب أنه قال: فإن الله عزَّ وجل يقول: «أسلم عبدي واستسلم».

* * *

(١) البخاري (حديث٦٤٠٩) وفي غير موضع من «صحيحه» ومسلم (مع النووي١٧/ ٢٧).
(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٥) وله شاهد في «المسند» (٢/ ٥٢٠).

س: وضح معني قوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]؟

ج: إيضاحه، والله تعالىٰ أعلم: لكونك تراني أقل منك مالاً وولداً تفتخر عليَّ وتتكبر وتتعظَّم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩]؟

ج: قال صديق حسن خان رحمه الله تعالى« فتح البيان»:

قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي﴾ [الكهف: ٤٠] أي: إن ترني أفقر منك فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة: ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠] في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما، وفي الأول يكون الكافر أشد غيظًا وحسرة، وهذا رجاء من المؤمن وقرع علىٰ مقالة الكافر الأولىٰ: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي: علىٰ جنتك ﴿حُسْبَانًا﴾ [الكهف: ٤٠] هو مصدر بمعني الحساب كالغفران، أي: مقداراً قدره الله عليها ووقع في حسابه سبحانه، وهو الحَكَم بتخريبها.

قال الزجاج: الحسبان من الحساب، أي: يرسل عليها عذاب الحساب، وهو حساب ما كسبت يداك وهو حسن.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

فاستجاب الله دعاءه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]أي: أصابه عذاب، وأحاط به. واستهلكه، فلم يبق منه شيء، والإحاطة بالثمر، يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٥]؟

ج: أصبح ـ بعد دمارِ جنته ـ يضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ويُصفِّق بكفٍ علىٰ كفٍ، وهذا كناية عن الندم والتحسر أي: فأصبح يتندم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: وأحاط الهلاك والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٦] فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين يقلب كفَّيه ظهرًا لبطن، وتلهفًا وأسفًا علىٰ ذهاب نفقته التي أنفق في جنته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] يقول: وهي خالية علىٰ نباتها وبيوتها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: يصفق ﴿كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢] متلهفًا علىٰ ما فاته، ﴿و﴾ هو ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] ويقول: يا ليتني: يتمنىٰ هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحداً، يعني بذلك: هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئًا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣]؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣] أي: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله

لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤] فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئًا، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفسه منتصراً، وكيف ينتصر، أو يكون له انتصار، على قضاء الله وقدره، الذي إذا أمضاه وقدره، لواجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه لم يقدروا؟!!.

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول.

* * *

س: اذكر بعض الآيات الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقوله تعالى في شأن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] بمزيد من الإيضاح؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الولاية في ذاك الوقت والمقام، يوم القيامة إنما هي لله وحده، أن كل من كان له وليٌ يتولاه يتنصل من وليه ويتبرأ منه ويتجه لله وحده كي ينقذه مما هو فيه.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] قرأه السبعة ما عدا حمزة والكسائي أيضًا ﴿الولاية﴾ بفتح الواو وقرأه حمزة والكسائي بكسر الواو. وقوله: ﴿الْحَقِّ﴾ قرأه السبعة ما عدا أبا عمرو والكسائي بالخفض نعتًا ﴿لِلَّهِ﴾ وقرأه أبو عمرو والكسائي بالرفع، نعتًا للولاية. فعلى قراءة من قرأ ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ بفتح الواو - فإن معناها: الموالاة والصلة، وعلى هذه القراءة ففي معني الآية وجهان:

الوجه الأول: أن معنى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله؛ لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله وعلى هذا المعنى فالآية كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

وقوله في فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ

الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وله على الكافرين ولاية الملك القهر، كما في قوله: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس: ٣٠]. وعلى قراءة حمزة والكسائي فالولاية بالكسر بمعني الملك والسلطان، والآية على هذه القراءة كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ...﴾ [الفرقان: ٢٦]الآية، وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[الحج: ٥٦] وعلى قراءة «الحق» بالجر نعتًا لله، فالآية كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ...﴾[الأنعام: ٦٢] الآية. وقوله: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ...﴾ [يونس: ٣٢]، الآية، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات. وعلى قراءة «الحق» بالرفع نعتًا للولاية، على أن الولاية بمعنى الملك، فهو كقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] الآية.

وقال الرازي في «تفسيره»:

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف: ٤٤] فيه وجوه:

الأول: أنه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ما ذكر علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر، وعرفنا أن الأمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله يوالي أولياءه فيغلبهم على أعدائه، ويفوض أمر الكفار إليهم فقوله: هنالك إشارة إلى الموضع والوقت الذي يريد الله إظهار كرامة أوليائه وإذلال أعادئه [فيهما].

والوجه الثاني: في التأويل أن يكون المعنى في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجئ إليه كل محتاج مضطر يعني: أن قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ

أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] كلمة ألجئ إليها ذلك الكافر فقالها جزعًا مما ساقه إليه شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها.

والوجه الثالث: المعنى: هنالك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني: أنه تعالى نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله في قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤١] ويعضده قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: لأوليائه.

والوجه الرابع: أن قوله ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى الدار الآخرة أي: في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله: (لمن الملك اليوم لله) ثم قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في الآخرة لمن آمن به والتجأ إليه ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقد ذكرنا أنه قرئ (عقبى) بضم القاف وسكونها و(عقبى) على فعلى وكلها بمعني العاقبة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٣، ٤٤] اختلف القراء ها هنا؛ فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]، أي: في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، فلا منقذ له منه، ويبتدئ بقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] ومنهم من يقف على: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤].

ثم اختلفوا في قراءة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ [الكهف: ٤٤] فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنى: هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى الله، وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤] وكقوله

إخباراً عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] ومنهم من كسر الواو من ﴿الْوِلايَةُ﴾ أي: هنالك الحكم لله الحق، ثم منهم من رفع ﴿الْحَقِّ﴾ على أنه نعت للولاية، كقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾ [الفرقان: ٢٦] ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل، كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً﴾ [الكهف: ٤٤] أي: جزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: الأعمال التي تكون لله ـ عز وجل ـ ثوابها خير، وعاقبتها حميدة رشيدة، كلها خير.

* * *

س: بين الله سبحانه وتعالى أن أصحاب الأموال لا تنفعهم ـ عند الله ـ أموالهم إلا من أمن وعمل صالحًا دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ـ٥٦]، وقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ـ٤٥].

وقوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ [سبأ: ٣٧] الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله ﷺ: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[١] أي: لا ينفع صاحب المال والجاه والشرف والمنصب، جاهُه ومالَه وشرفُه ومنصبه.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا: حديث «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله ومالُه ويبقى عمله**»[٢].

* * *

س: الكل يتبرأ من الكفار يوم القيامة، ويفر منهم إذا حلَّ بهم البلاء والعذاب والنكال دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: في شأن الكافر: ﴿**فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ**﴾ [الطارق: ١٠].

وقوله تعالى في شأن قارون: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ**﴾ [القصص: ٨١].

وقوله تعالى في شأن صاحب الجنتين: ﴿**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً**﴾ [الكهف: ٤٣].

وقول الشيطان: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ**﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا وله طرق أخر عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، أي: الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا.

* * *

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة أصحاب الجنتين؟

ج: من الفوائد ما يلي:

مشروعية التذكير بالظالمين، وما حلَّ بهم من البلاء والعقاب لعلَّ مُتذكراً أن يتذكر ومعتبراً أن يعتبر.

* التذكير بأن الذي يهب ويمنح هو الله سبحانه وتعالىٰ وأن الذي يبتلي ويعاقب هو الله.

وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢].

وكذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢].

مشروعية تذكير الظالمين ووعظهم.

بيان عادة مفردة لأهل الكفر وهي اغترارهم بالمال والبنين والعشيرة والأقربين وذلك من قوله: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤].

التذكير بخلق الإنسان، وبنعم الله علىٰ الإنسان.

بيان فضيلة التوحيد، والتحذير من الشرك الخبيث.

انصراف أهل الكفر عن بعضهم عند حلول المصائب.

مشروعية قول الرجل - إذا رأىٰ شيئًا في نفسه أعجبه أو رآه في آخرين فأعجبه، ألا وهو: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

أي: أن هذا الذي أنا فيه من النعيم إنما هو بمشيئة الله، ولولا أن الله أراد ذلك ما حدث ولا كان.

فإذا نظر صاحب المال إلى ماله قال: ما شاء الله، أي: لولا أن الله شاء ذلك ما حدث لي ذلك، لا قوة إلا بالله، أي: لا قدرة لي على جمع ذلك إلا بالله، وإذا نظر صاحب المنصب إلى منصبه قال: ما شاء الله، أي: لولا مشيئة الله ما وصلت إلى هذا المنصب، فلا قوة لي على بلاغه إلا بالله، وكذلك إذا نظرت الفتاة الحسناء إلى المرآة فأعجبها حسنها قالت: ما شاء الله، أي: لولا أن الله شاء لي أن أكون على هذه الدرجة من الجمال ما كنت عليها، فكم من امرأةٍ خلقت دميمةً! وكم من فتاة جاءت حولاء!

وكم من سيدة أصيبت بعاهة لا تزول في دنياها.

وهكذا ينبغي أن يقول كل مُنْعَم عليه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وكذا إذا رأيت شخصًا أنعم الله عليه قل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أي: أن ما فيه هذا الشخص إنما حدث له بمشيئة الله، وليست له قوة على تحصيله.

التحذير من فتنة المال، وقد قال النبي ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنة وفتنة أمتي المال**»(١).

وقال ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم،ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(٢).

بل وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: ١٥].

فكم من شخص ابتلي بهذه الفتنة فأخفق وفشل، وما نجح، فها هو قارون الطاغي الباغي يُعطى من الكنوز ما إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه بسندٍ حسن.

(٢) البخاري (حديث ٣١٥٨) ومسلم (حديث ٢٩٦١).

ولكن ماذا قال وماذا قدم، لقد : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] .

فماذا كان من العقوبة﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[القصص: ٨١] .

قال السعدي رحمه الله في «بيان الفوائد المستنبطة» من هذه القصة:

ففي هذه القصة العظيمة ، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية ، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها ، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلاً، فإنه يحرمها طويلاً، وأن العبد، ينبغي له ـ إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده ـ أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] . ليكون شاكرًا ، متسببًا لبقاء نعمته عليه، لقوله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] .

وفيها، الإرشاد إلي التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير لقوله: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩] .

وفيها أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧] .

وفيه الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه . خصوصًا إن فضَّل نفسه بسببه، على المؤمنين، وفخر عليهم. وفيها، أن ولاية الله وعدمها، إنما تتضح نتيجتها، إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم فـ ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

[الكهف: ٤٤] أي: عاقبة ومآلاً.

وهؤلاء أصحاب الجنة: ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠]، نعم لقد أصبحت كالصريم، لما أضمروا الشر وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين.

وهذا صاحب الجنتين ها هنا يقول: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

فحقٌ ما قاله ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

❊ ❊ ❊

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ
بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدۡتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا

﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

ج: ﴿ هَشِيمًا - تَذْرُوهُ - مُّقْتَدِرًا - الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ - ثَوَابًا - خَيْرٌ أَمَلاً - نُسَيِّرُ الْجِبَالَ - بَارِزَةً - حَشَرْنَاهُمْ - فَلَمْ نُغَادِرْ - صَفًّا - مَّوْعِدًا - وَوُضِعَ الْكِتَابُ - الْمُجْرِمِينَ - مُشْفِقِينَ - يَا وَيْلَتَنَا - لا يُغَادِرُ - إِلاَّ أَحْصَاهَا - حَاضِرًا - وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا - فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ - أَوْلِيَاءَ - الْمُضِلِّينَ - عَضُدًا - نَادُوا - شُرَكَائِيَ - فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ - مَّوْبِقًا - الْمُجْرِمُونَ - فَظَنُّوا - مُّوَاقِعُوهَا - مَصْرِفًا - صَرَّفْنَا - مِن كُلِّ مَثَلٍ - جَدَلاً - الْهُدَى - سُنَّةُ الأَوَّلِينَ - قُبُلاً - مُبَشِّرِينَ - مُنذِرِينَ - لِيُدْحِضُوا - هُزُوًا - نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ - أَكِنَّةً - أَن يَفْقَهُوهُ - وَقْرًا - مَوْئِلاً - وَتِلْكَ الْقُرَى - لِمَهْلِكِهِمْ - مَّوْعِدًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَشِيمًا﴾	يابسًا متفتتًا.
﴿تَذْرُوهُ﴾	تُطَيِّره - تُفرِّقه.
﴿مُّقْتَدِرًا﴾	قادرًا.
﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾	الباقيات من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا (تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض).
﴿ثَوَابًا﴾	جزاءً.
﴿خَيْرٌ أَمَلاً﴾	خير ما يُؤمَّل ويُرجى.
﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾	نزيلها عن أماكنها - نذهب بها عن وجه الأرض - نجعلها

الكلمة	معناها
	هباءً منثوراً .
﴿بَارِزَةً﴾	ظاهرة ـ ليس هناك شيء يسترها من جبل ولا شجر ـ بارزٌ ما عليها من البشر .
﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾	جمعناهم إلىٰ موقف الحساب .
﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾	فلم نترك .
﴿صَفًّا﴾	قيل : صفًّا واحداً ، وقيل : صفوفًا .
﴿مَّوْعِدًا﴾	موعداً تُبعثون فيه وتُجمعون إلىٰ ربكم .
﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾	حضرت كتب الأعمال التي سُجلت فيها أعمال بني آدم . تسلم كل شخص صحيفته بيده ، وضعت الكتب في الموازين ـ ظهر لكل شخص عمله .
﴿الْمُجْرِمِينَ﴾	الكافرين ـ المشركين .
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين .
﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾	يا حسرتنا ـ يا هلاكنا .
﴿لا يُغَادِرُ﴾	لا يترك .
﴿إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾	إلا ضبطها وحفظها وسجلها ، مكتوبًا ظاهراً أمام أعينهم .
﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	لا يبخس ربك أحداً من عمله شيئًا ، ولايزيد في عقابه ـ ولا يأخذ أحداً بجريرة أحد .
﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	فخرج عن طاعة ربه .

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أنصاراً ـ أصدقاء .
﴿الْمُضِلِّينَ﴾	الذين يضلون العباد ، ومنهم الشياطين .
﴿عَضُدًا﴾	أعوانًا .
﴿نَادُوا﴾	ادعوا .
﴿شُرَكَائِيَ﴾	الذين جعلتموهم لي شركاء وعبدتموهم .
﴿فَدَعَوْهُمْ﴾	دعوهم فلم يجيبوهم .
﴿مَّوْبِقًا﴾	مَهْلكًا ومنه : ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ [الشورى : ٣٤] وقيل : عداوةً .
	وقيل : وادٍ في جهنم عميق سحيق يسيل إليه صديد أهل النار .
﴿الْمُجْرِمُونَ﴾	المشركون ـ الكفار .
﴿ظَنُّوا﴾	أيقنوا .
﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾	داخلوها ـ واقعون فيها .
﴿مَصْرِفًا﴾	معدلاً ـ (مكانًا يعدلون إليه عنها) ـ مهربًا ـ طريقًا يصرفهم عنها .
﴿صَرَّفْنَا﴾	نوَّعنا ـ مثَّلنا (بكل مثل) ـ وعظنا (بكل موعظة) احتججنا (بكل حجة) .
﴿جَدَلاً﴾	خصومةً ـ مراءً ـ (لا يرجع للحق ولا ينزجر بالوعظ) .
﴿الْهُدَى﴾	القرآن ـ الإسلام ـ محمد ﷺ .
﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾	سنتنا في إهلاك الأولين ـ طريقتنا في استئصالهم .
﴿قُبُلاً﴾	ظاهراً عيانًا ـ فجأة .

الكلمة	معناها
﴿مُبَشِّرِينَ﴾	مبشرين من أطاع بالجنة .
﴿وَمُنذِرِينَ﴾	مخوفين من عصى بالنار .
﴿لِيُدْحِضُوا﴾	ليبطلوا ـ ليضعفوا ـ ليُذهبوا ـ ليزيلوا .
﴿هُزُوًا﴾	سخريةً ـ استهزاءً ـ تكذيبًا .
﴿نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾	نسي ما ارتكب من الذنوب ولم يقدم لها توبةً ولا استغفاراً .
﴿أَكِنَّةً﴾	أغطية .
﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾	كي لا يفهموه ـ لئلا يفقهوه .
﴿وَقْرًا﴾	صممًا ـ ثقلاً .
﴿مَوْئِلاً﴾	ملجأً ـ محيصًا .
﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾	تلك الأمم السابقة .
﴿لِمَهْلِكِهِم﴾	لإهلاكهم .
﴿مَّوْعِدًا﴾	ميقاتًا ـ أجلاً .

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥] ؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ واضرب للناس يا محمد، واضرب للمغترين بالدنيا وزخرفها وبهجتها وزينتها مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كحبٍّ وضع في الأرض فآتاه الله بالغيث من السماء، فنما وترعرع، وشب، وحَسُنَ وازدهر، وأَنار ونَضَر، وأصبح يسرُّ الناظرين ويُدخل البهجة صُدورهم، فما لبث إلا وأصبح هشيمًا يابسًا متكسرًا، تُفرقه الرياح وتطير به، وأصبح يُداس ويمتهن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ﴾ [الكهف: ٤٥] يا محمد للناس ﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥] في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ أي: ما فيها من الحب فشبَّ وحَسُن، وعلاه الزهو والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ [الكهف: ٤٥] يابسًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] أي: هو قادر على هذه الحال وهذه الحال.

وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ الآية، [يونس: ٢٤]، وقال في سورة الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

وقال في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ

يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول ـ عزَّ ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً، يقول: شبهًا.

﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابسًا متفتتًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ يقول: تطيره الرياح وتفرقه.

وقال السعدي رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ لنبيه ﷺ، أصلاً، ولمن قام بوراثته بعده تبعًا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولىٰ بالإيثار.

وإن مثل هذه الحياة الدنيا كمثل المطر، ينزل علىٰ الأرض، فيختلط نباتها، أو تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا، تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابًا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب.

كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها علىٰ أقرانه وأترابه، وحصَّل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في

الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته، وماله، وانفرد بصالح، أو سيئ أعماله.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] ؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، وكان الله على كل شيء يريده ـ من الإنشاء، والإفناء، والإحياء، والإغناء، والإفقار، ونحو ذلك ـ قادراً.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦] وإهلاك أموال ذي الأموال الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعيبه أمر أراده.

يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترنَّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابسًا تذروه الرياح، فاسداً، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف:٤٦] ؟

ج: قال الطبري في معنى ذلك:

يقول تعالىٰ ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها علىٰ سلمان وخباب وصهيب، مما يُتزين به في الحياة الدنيا، وليسا من عداد الآخرة.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابًا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنىٰ، فلا تبقىٰ لأهلها.

﴿وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف:٤٦] يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما، وهذه الآيات من لدن قوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٤٦] إلىٰ هذا الموضع.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] ؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

* * *

س: لماذا كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وما فائدة الإخبار بذلك؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] ويجوز «زينتا» وهو خبر الابتداء في التثنية والإفراد، وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنىٰ: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة، فلا تُتبعوها نفوسكم.

وهو رَدٌّ علىٰ عُيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنىٰ والشرف، فأخبر تعالىٰ أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقىٰ، كالهشيم حين ذرته الريح.

إنما يبقىٰ ما كان من زاد القبر وعُدد الآخرة، وكان يقال: لا تعقد قلبك مع المال؛ لأنه فَيء ذاهب، ولا مع النساء؛ لأنها اليوم معك وغدًا مع غيرك، ولا مع السلطان؛ لأنه اليوم لك وغدًا لغيرك.

ويكفي في هذا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

* * *

الباقيات الصالحات

س: ما المراد بالباقيات الصالحات؟

ج: لأهل العلم في بيانها عدة أقوال:

أحدها: أنها الصلوات الخمس.

الثاني: هي ذِكْرُ الله بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، ونحو ذلك، فالمراد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتبارك الله، ونحو ذلك.

الثالث: أنها العمل بطاعة الله ـ عز وجل ـ عموماً.

الرابع: أنها الكَلِم الطيب عموماً.

الخامس: أنها الاستغفار.

السادس: أنها الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والشهادتان قبل ذلك، وكذا الصلاة على رسول الله ﷺ.

السابع: جميع أعمال البر.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هن جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس؛ لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويُثاب، وإن الله ـ عزَّ ذكره ـ لم يخصص من قوله: ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا**﴾ [الكهف: ٤٦] بعضاً دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: لماذا وصفت الصالحات بالباقيات؟

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك لأنها تبقى لأهلها يوم القيامة، وتبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض، فيأتيهم ثوابها دارًّا عليهم غدوة وعشيًّا، فسبحان الله! أذلك خيرٌ أم الاغتياب، والقيل والقال، واللغو، واللغط.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] خيرٌ من ماذا؟

ج: خيرٌ جزاءً من المال الذي يفتخر به المشركون، وخيرٌ من البنين، وخيرٌ من المنصب والجاه.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

* * *

س: اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] البروز: الظهور؛ أي: ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب والآكام، والشجر والعمارات التي كانت عليها، وهذا المعنى الذي ذكره هنا بينه أيضًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وأقوال العلماء في معنى ذلك راجعة إلى شيء واحد، وهو أنها أرض مستوية، لا نبات فيها، ولا بناء، ولا ارتفاع، ولا انحدار، وقول من قال: إن معنى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] : أي: بارزًا ما كان في بطنها من الأموات والكنوز - بعيد جدًّا كما ترى.

وبروز ما في بطنها من الأموات والكنوز دلت عليه آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: هؤلاء هم الأولون والآخرون، الصغار والكبار، الرجال والنساء، الأصدقاء والأعداء، . . . وجميع الخلائق من إنسٍ وجنٍّ، وطير ودواب، وكل المخلوقات.

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَحشرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغادر مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

* وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

*وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

* وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] ؟

ج: هذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون المراد بقوله: ﴿صَفًّا﴾ أي: صفًّا واحدًا، كما هو في ظاهر السياق، فيكون المعنى: إن الأولين والآخرين يُجمعون في صعيدٍ واحد، فيقومون صفًّا واحدًا لله رب العالمين.

الثاني: أن يكون صفًّا بمعنى صفوفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي: صفوفًا صفوفًا، والله تعالى أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لقد جئتمونا فرادى كهيئتكم يوم خلقناكم أول مرة، لا مال لكم، ولا ولد، ولا كساء ولا غطاء، كما في الحديث: «**إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة، غُرلاً**»، وهذا توبيخ لمنكري البعث كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ وقوله: ﴿**لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الكهف: ٤٨] هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رءوس الأشهاد، ولهذا قال مخاطبًا لهم: ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا**﴾ [الكهف: ٤٨] أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨] عام أريد به الخصوص، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أنه بعمومه يشمل الكفار والمسلمين، لكن يقينًا أريد به الكفار، وذلك لأن أهل الإيمان يقرُّون بالبعث، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا**﴾ وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع، والمراد منه الخصوص، وذلك أنه قد يَرِدُ القيامةَ خلقٌ من الأنبياء، والرسل، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث، ومعلوم أنه لا يُقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة: بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات، والحشر إلى القيامة موعدًا، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذِّبًا بالبعث وقيام الساعة.

س: ما المراد بالكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: ٤٩] ؟

ج: المراد ـ والله تعالىٰ أعلم ـ كتاب الأعمال الذي كُتِبت فيه أعمال بني آدم.

والكتاب هنا اسم جنس، والمراد عموم الكتب، أي: كتب أعمال بني آدم، أو وضع لكل شخصٍ كتابه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] ؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩].

يقول عزَّ ذكره: فترىٰ المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني: أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجُّوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] اشتكىٰ القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلمًا، فإياكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنها تجتمع علىٰ صاحبها حتىٰ تهلكه.

* * *

س: ما وجه خوف الكافرين مما في الكتاب؟

ج: وجه ذلك أنهم خائفون من جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها وجرائمهم القبيحة التي ارتكبوها.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]؟

ج: في معنى ذلك ما يلي: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

وقول المؤمن: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، أي: تظهر الخفايا والأسرار التي كان ابن آدم يُسرّها.

* * *

س: اذكر بعض الوارد الذي يفيد أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ينفي الظلم عن نفسه؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»(١).

* * *

هل إبليس كان من الجن؟

س: هل كان إبليس من الجن أم من الملائكة؟

ج: ظاهر الآية الكريمة أن إبليس كان من الجن، قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقد ذهب إلىٰ هذا بعض العلماء، ومن أدلتهم أيضًا ما يلي:

ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن إبليس كان من الملائكة، وهم جمهور العلماء، ومن أدلتهم قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ومن العلماء من قال: إنه من الجن، ومن أدلتهم ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠]، وليس للملائكة ذرية.

قول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله تبارك وتعالىٰ.

وخلق آدم مما وصف لكم»[١] وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [ص: ٧٦] يظهر أن إبليس من الجن، وأجاب هذا الفريق من أهل العلم علىٰ دليل الجمهور: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]، بأن قالوا: إن هذا الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع، كقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة.

وكقول الشاعر:

ليس عليك عطش ولا جوع ... إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع.

والراجح لدينا في هذا الباب ـ والله تعالى أعلم ـ هو القول بأن إبليس كان من الجن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]؟

ج: هذا، والله تعالىٰ أعلم، استفهام استنكاري، يحمل معنىٰ التعجب والإنكار، فالمراد الإنكار علىٰ بني آدم والتعجب من أمرهم إذ اتخذوا إبليس وذريته أولياء من دون الله وهم ـ أعني إبليس وذريته ـ لكم يا بني آدم أعداء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]

---

(١) مسلم (٢٩٩٦).

يقول تعالىٰ ذكره: أفتوالون يا بني آدم مَنِ استكبر علىٰ أبيكم وحسده، وكفر نعمتي عليكم، وغرَّه حتىٰ أخرجه من الجنة، ونعيم عيشه فيها إلىٰ الأرض وضيق العيش فيها؟!

وتطيعونه وذريته من دون الله مع عداوته لكم قديمًا وحديثًا، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم، بأن أسجد لوالدكم ملائكته، وأسكنه جناته، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصىٰ عدده؟!

وذرية إبليس: الشياطين الذين يغرون بني آدم.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من تولي الشيطان وجنده واتباع خطواته؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

والآيات هنا كثيرة جدًّا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠] ؟

ج: المراد، والله أعلم، بئس البدل الذي صنع الظالمون، إذ حرصوا على ولاية الشيطان وذريته، وتركوا ولاية الله ـ عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠]، يقول عزَّ ذكره: بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، وهم لكم عدو من تركهم اتخاذ الله وليًّا باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلاً.

* * *

س: إلى ماذا يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥٠] ؟

ج: أكثر العلماء على أن الضمير عائدٌ على إبليس وذريته، الذين اتخذهم الكفارُ، وقيل: الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف: ٥١] ؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئًا، ولا أشهدتهم (خلقي للسموات) والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها

وَحْدِي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ الآية [سبأ: ٢٢، ٢٣]، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] قال مالك: أعوانًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ما أشهدت إبليس وذريته ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ﴿وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضًا خلق بعض منهم، فأستعين به على خلقه، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني، منفردًا بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] يقول: وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق، ولكنه يضل، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانًا وأنصارًا، وهو من قولهم: فلان يعضد فلانًا إذا كان يقويه ويعينه.

* * *

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ [الكهف: ٥٢]؟

ج: العامل فيه واذكروا، فيكون المعنى: واذكروا يوم يقول الله لأهل الكفر: نادوا شركائي.

* * *

س: لماذا قيل لهم: ﴿نَادُوْا شُرَكَائِيَ﴾ [الكهف: ٥٢] ؟

ج: قيل لهم ذلك حتى يظهر لهم بطلان ما ادَّعوه، وضعف، ووهاء ما تعلقوا به، فليس ثمَّ ناصر غير الله.

وقوله: ﴿نَادُوْا شُرَكَائِيَ﴾ [الكهف: ٥٢] أي: ادعوهم لينصروكم ويمنعوكم من عذاب الله عزَّ وجلَّ.

* * *

تبرؤ المعبودين من عابديهم

س: المعبودون يتبرءون ممن عبدهم يوم القيامة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وقول الشيطان: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ بين من [الكهف: ٥٢] ؟

ج: أكثر العلماء علىٰ أن الموبق بين الكافرين والشركاء الذين عبدوهم من دون الله.

ومن العلماء من قال: الموبق بين أهل الإيمان وأهل الضلال.

ولكن الأول عليه الأكثر، وهو الأصح والأصوب في هذا الموطن.

وإن كان هناك أيضًا فاصل بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وكذا بين أهل الإيمان وأهل النفاق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

والظاهر من السياق ها هنا: أنه المهلك، ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره، إلا أن الله تعالىٰ أخبر أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين، ولا وصول لهم إلىٰ آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لواحد من الفريقين إلىٰ الآخر، بل بينهما مهلك، وهول عظيم، وأمر كبير.

وأمَّا إن جعل الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ [الكهف: ٥٢] عائدًا علىٰ المؤمنين

والكافرين، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه يفرق بين أهل الهدىٰ والضلالة به، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[الروم: ١٤] وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

والتحقيق: أن الموبق المهلك، من قولهم: وبق يبق، كوعد يعد: إذا هلك، وفيه لغة أخرىٰ وهي وبق يوبق كوجل يوجل، ولغة ثالثة أيضًا: وهي وبق يبق كورث يرث، ومعنىٰ كل ذلك: الهلاك، والمصدر من وبق ـ بالفتح ـ الوبوق علىٰ القياس، والوبق، ومن وبق ـ بالكسر ـ الوبق بفتحتين علىٰ القياس، وأوبقته ذنوبه: أهلكته، ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الشورىٰ: ٣٤]، أي: يهلكهن، ومنه الحديث: «**فموبق نفسه أو بائعها فمعتقها**»، وحديث: «**السبع الموبقات**» أي: المهلكات، ومن هذا المعنىٰ قول زهير:

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضه عن كل شنعاء موبق

* * *

س: لماذا صرف الله في هذا القرآن من كل مثل؟

ج: ذلك لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، فصرفت الأمثال،

ونوعت الحجج، وتكررت المواعظ لعلهم يتذكرون، أو ينيبون، أو يتقون، ويتعظون، ويعتبرون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

* * *

س: اذكر بعض الوارد في إطلاق الظن وإرادة اليقين به؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] يقول: وكان الإنسان أكثر

شيء مراءً وخصومة، لا ينيب لحقٍّ، ولا ينزجر لموعظة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها كي لا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدىٰ، ومع هذا البيان، وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة، والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدىٰ الله، وبصره لطريق النجاة.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «أضواء البيان»:

قوله: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا**﴾ [الكهف: ٥٤] أي: رددنا وأكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلىٰ الحق، ويتعظوا، فعارضوا بالجدل والخصومة!!

والمثل: هو القول الغريب السائر في الآفاق، وضرب الأمثال كثير في القرآن جدًّا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾ [البقرة: ٢٦] ومن أمثلة ضرب المثل فيه:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**﴾ الآية [الحج: ٧٣].

وقوله: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقوله: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ الآية [الأعراف: ١٧٦، ١٧٧].

وكقوله: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ**

أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآية [الجمعة: ٥]، وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية[الكهف: ٤٥].

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

وقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٢٨].

والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا، وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جدًّا، لا لبس في الحق معها، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومن حكم ضرب المثل: أن يتذكر الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقد بين تعالىٰ في مواضع أخر: أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قومًا، ويضل بها قومًا آخرين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن

رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وأشار إلى هذا المعنى في سورة الرعد؛ لأنه لما ضرب المثل بقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، أتبع ذلك بقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال، وانتفعوا بما تضمنت من بيان الحق، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها، ولم يعرفوا ما أوضحته من الحقائق.

فالفريق الأول ـ هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦].

والفريق الثاني ـ هم الذين قال فيهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال فيهم: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الكهف: ٥٤].

قال بعض العلماء: مفعول «صرفنا» محذوف، تقديره: البينات والعبر، وعلى هذا فـ «من» لابتداء الغاية؛ أي: ولقد صرفنا الآيات والعبر من أنواع ضرب المثل للناس في هذا القرآن ليذكروا، فقابلوا ذلك بالجدال والخصام؛ ولذا قال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] وهذا هو الذي استظهره أبو حيان في «البحر»، ثم قال: وقال ابن عطية: يجوز أن تكون «من» زائدة للتوكيد، فالتقدير: ولقد صرفنا كل مثل؛ فيكون مفعول

«صرفنا»: «كل مثل» وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش، لا على مذهب جمهور البصريين، انتهى الغرض من كلام صاحب «البحر المحيط».

وقال الزمخشري: «من كل مثل» من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه. اهـ.

وضابط ضرب المثل الذي يرجع إليه كل معانيه التي يفسر بها: هو إيضاح معنى النظير بذكر نظيره؛ لأن النظير يعرف بنظيره، وهذا المعنى الذي ذكره في هذه الآية الكريمة جاء مذكوراً في آيات أخر؛ كقوله في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ [الإسراء: ٤١].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨].

والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا.

وقوله في هذه الآية: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] أي: أكثر الأشياء التي من شأنها الخصومة إن فصلتها واحداً بعد واحد. «جدلاً» أي: خصومة ومماراة بالباطل لقصد إدحاض الحق.

ومن الآيات الدالة على خصومة الإنسان بالباطل لإدحاض الحق ـ قوله

هنا: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الشورىٰ: ١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وما فسرنا به قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] من أن معناه كثرة خصومة الكفار، ومماراتهم بالباطل ليدحضوا به الحق، هو السياق الذي نزلت فيه الآية الكريمة؛ لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]، أي: ليذكروا ويتعظوا وينيبوا إلىٰ ربهم، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١].

هذا، وقد تلا رسول الله ﷺ هذه الآية في موطنٍ، ألا وهو عند ذهابه لإيقاظ عليٍّ وفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ للصلاة، ففي البخاري[1] من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ النبي ـ عليه السلامُ ـ ليلةً، فقال: «ألاَ تُصلِّيان؟» فقلتُ: يا رسولَ الله، أنفُسنا بيد الله، فإذا شاءَ أن يَبْعثَنا بَعثَنا، فانصرفَ حينَ قلتُ ذلك، ولم يَرجعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعتهُ وهوَ مُولٍّ يضرِبُ فخذَهُ، وهوَ يقول: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

* * *

(١) البخاري (١١٢٧).

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [الكهف: ٥٥] ؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن المعنى: أن أهل الكفر لا يقنعوا أبدًا بالآيات والدلالات على وحدانية الله عزَّ وجل، وعلى صدق ما جاء به المرسلون ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ مهما جَاءتهم من الدلالات والآيات، ويستمر بهم رفضهم الإيمان وإصرارهم على كفرهم حتى يأتيهم العذاب وينزل بهم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر، مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات، وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا، كما قال أولئك لنبيهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

وآخرون قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقالت قريش: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: ٦، ٧].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الكهف: ٥٥]، من غشيانهم بالعذاب، وأخذهم عن آخرهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [الكهف: ٥٥] أي:

يرونه عيانًا؛ مواجهة ومقابلة، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] أي: قبل العذاب مبشرين مَنْ صدَّقهم، وآمن بهم، ومنذرين مَنْ كذَّبهم وخالفهم.

* * *

س: ما المراد بسنة الأولين؟

ج: المراد، والله أعلم، سنة الله في الذين ضلوا من قبلهم، أي: سنة الله في إنزال العذاب علىٰ المكذبين الأولين.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] فائدة دعوية، وضح هذه الفائدة؟

ج: إيضاحها أن الداعي إلىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يلزمه أن يبشر وينذر، وأن يُرغِّب ويُرهِّب، أما سلوكه مسلك الترهيب فقط في كل الأوقات والأحوال ففي ذلك بلا شك قصور.

صحيحٌ أن هناك من الأوقات أوقات تحتاج إلىٰ ترهيب وتخويف، فمثل هذه تقدر بقدرها، وإلا فالذي ينبغي أن يُسلك هو ما بيناه من الترغيب والترهيب.

قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر٤٩، ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] ؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم: لا أحد أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها.

* * *

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤٤] **ونحوها من الآيات.**

ج: لأهل العلم علىٰ ذلك جوابان:

أحدهما: أن المذكورين كلهم في الظلم سواء، وهم في الدرجة العليا من الظلم.

الثاني: أن ينزل هذا منزلة الاختصاص، فيقال: لا يوجد أحدٌ من المعرضين أظلم ممن ذُكِّر بآيات الله فأعرض عنها.

ولا يوجد من المفترين أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا، ولا أحدٌ من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

* * *

بعض الأدلة على سعة رحمة الله عزَّ وجل

س: اذكر بعض الأدلة على سعة رحمة الله عزَّ وجل؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ عن نفسه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وقول موسىٰ ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] [١] والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

وفي الحديث[٢] عن رسول الله ﷺ: قال: «**لَمَّا خلقَ اللَّه الخلقَ، كتبَ فِي كتابِه، فهُو عندهُ فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتِي تغلبُ غضبِي**».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه**»[٣].

وعن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق ـ يوم خلق**

---

(١) وعند مسلم في حديث الشفاعة الطويل من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «فيقول الله عزَّ وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين..» مسلم (ص١٧٠) حديث (١٨٣).

(٢) انظر البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

السموات والأرض ـ مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمةً، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»(١).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»(٢).

* * *

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] ؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن كل ظالم كافر غابر كانت له نهاية مؤلمة، وإن لم تظهر عيانًا في الدنيا فستظهر لزامًا في الآخرة.

فكذلك أنتم يا أهل الشرك من قريش إن مِتُّم على شرككم فسيحل بكم نحوٌ مما حلَّ بالأمم من قبلكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩] أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] أي: جعلناه إلى مدة معلومة، ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول، وأعظم نبي، ولستم بأعزَّ علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٥).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ

لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾
۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ۞

س: اذكر معنى كلٍّ مما يلي:

﴿لفتاهُ - لا أبرحُ - أبْلُغَ - مجمعَ البحرَيْن - أمْضي حُقُبًا - حُوتَهُما - فاتَّخذَ سبيلَهُ - سَرَبًا - جاوزا - آتنا - غداءَنا - لَقينا - نصبًا - أرأيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَة - عَجَبًا - نَبْغِ - فارْتَدَّا على آثارِهما قَصَصًا - آتَيْناهُ - رَحْمَةً - لَدُنَّا - أتَّبعُكَ - رُشْدًا - لَن تَسْتَطيعَ معي صَبْرًا - تُحطْ به خُبْرًا - ستَجدُني إن شاءَ اللَّهُ صابرًا - أُحْدثَ لكَ منهُ ذكْرًا - لَقَدْ جئْتَ - شَيْئًا إمْرًا - لا تُرْهقْني من أمْري عُسْرًا - زَكيَّةً - بغَيْرِ نَفْسٍ - شَيْئًا نُّكْرًا - بَلَغْتَ من لَّدُنِّي عُذْرًا - استَطْعَما أهْلَها - فأبَوْا - يُضَيِّفُوهُما - ينقضَّ - فأقامَهُ - هذا فراقُ بَيْني وبَيْنكَ - سأُنَبِّئُكَ - بتأْويلِ - يَعْمَلُونَ في الْبَحْرِ - أعيبَها غَصْبًا - يُرْهقَهُما طُغْيانًا وكُفْرًا - زكاةً - أقْرَبَ رُحْمًا - يبْلُغا أشُدَّهُما - عَنْ أمْري - تأْويلُ - تستطع؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿لفتاهُ﴾	لخادمه.
﴿لا أبْرَحُ﴾	لا أزال أسير وأمشي - سأستمر في المشي - لا أنتهي.
﴿أبْلُغَ﴾	أصل.
﴿مجمعَ البحرَيْن﴾	مكان التقاء البحرين (قيل: هما بحر فارس والروم، وقيل غير ذلك).
﴿حُقُبًا﴾	الحقب مدةٌ زمنية طويلة (قيل: إنها ثمانون سنة وقيل: غير ذلك)، ومنه قوله تعالى: ﴿**لابثين فيها أحقابا**..﴾.

الكلمة	معناها
﴿حُوتَهُمَا﴾	الحوت هنا السمكة الكبيرة .
﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾	شق طريقه .
﴿سَرَبًا﴾	يعني : متسربًا إلى البحر ـ مسلكًا ومذهبًا يسرب إليه ويمضي فيه ، ومنه قولهم : انسرب فلان . السرب : المسلك والمذهب .
﴿جَاوَزَا﴾	تجاوزا المكان .
﴿آتِنَا﴾	أحضر إلينا ـ قرِّب إلينا .
﴿غَدَاءَنَا﴾	طعام الغداء .
﴿نَصَبًا﴾	تعبًا ومشقة ـ عناءً .
﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾	أتذكر الوقت الذي كنا قد استرحنا فيه عند الصخرة .
﴿عَجَبًا﴾	كان أمره عجيبًا ـ بطريقة أحدثت عجبًا .
﴿نَبْغِ﴾	نطلب ونلتمس (لأن الله أخبره أنه سيجد الخضر في المكان الذي يُفقد عنده الحوت) .
﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾	رجعا يتتبعان آثار الأقدام ـ يقصان الآثار .
﴿آتَيْنَاهُ﴾	رزقناه وأعطيناه .
﴿رَحْمَةً﴾	قيل : هي النبوة ، وقيل : النعمة ، وقيل : إنها رقةٌ على من يستحقها .

الكلمة	معناها
﴿لَّدُنَّا﴾	عندنا .
﴿أَتَّبِعُكَ﴾	أصحبك وأُرافقك .
﴿رُشْدًا﴾	علمًا ذا رشد ـ أسترشد به في دنياي وأُخراي .
﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	لن تستطيع الصبر على ما تراه مني .
﴿ مالم تُحطْ بِهِ خُبْرًا﴾	ما لم تطلع على بواطنه ـ ما لم تعلم أسراره وحقائقه .
﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾	سأصبر إن شاء الله ، وستراني صابرًا .
﴿ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	حتى أكلمك أنا فيه وأُبينه لك ـ حتى أُخبرك بأخباره .
﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾	لقد فعلت .
﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾	شيئًا عظيمًا (من المنكر) .
﴿لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾	لا تُعسِّر عليَّ أمر صحبتك ومتابعتك وتجعلها شاقةً عليَّ .
﴿زَكِيَّةً﴾	طاهرة لا ذنب لها ، لم تفعل ذنبًا تستوجب قتلها .
﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾	بغير قصاص بنفس قُتلت .
﴿ نُّكْرًا﴾	عظيمًا ـ منكرًا .
﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾	قد أعذرت إليَّ ـ فلك عذر في مفارقتي يعني : قد أخبرتني أنني لن أستطيع معك صبرًا ، وتأكد لديَّ ولديك هذا .

الكلمة	معناها
﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾	طلبا الطعام من أهلها .
﴿فَأَبَوْا﴾	فرفضوا ـ فامتنعوا .
﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾	يقدموا لهما حق الضيف ـ يستضيفوهما إلىٰ بيوتهما .
﴿يَنقَضَّ﴾	يوشك أن يسقط وينهدم .
﴿فَأَقَامَهُ﴾	فردّه إلىٰ حال الاستقامة ـ فأصلحه .
﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	هذا الوقت فيه فراق بيني وبينك .
﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾	سأُخبرك .
﴿بِتَأْوِيلِ﴾	بتفسير ـ بيان مآل ما صنعته وعاقبته .
﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾	ينقلون الركاب من شاطئ إلىٰ شاطئ وكذا البضائع وأيضًا يصطادون ، وكل ما من شأنه أن يكون في البحر من الأعمال .
﴿أَعِيبَهَا﴾	أجعل فيها عيبًا ـ أخرقها .
﴿غَصْبًا﴾	اغتصابًا بغير حق وبغير ثمن
﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	يُنزل بهما طغيانه وكفره ـ يحملهما حبُّه علىٰ فعل ما يريده من الكفر والظلم والدخول في دينه ـ يُدافعان عنه بالباطل .
﴿زَكَاةً﴾	طُهرًا من الكفر والمعاصي ـ صلاحًا ودينًا .
﴿أَقْرَبَ رُحْمًا﴾	أكثر رحمةً وبرًّا بوالديه ـ أقرب خيرًا .

الكلمة	معناها
﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾	يُدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما .
﴿عَنْ أَمْرِي﴾	عن اجتهادي واختياري (بل أنا عبد مأمور) .
﴿ ذلك تَأْوِيلُ﴾	ذلك مآل وعاقبة (تلك الأمور التي ظهرت مني) .
﴿تَسْطِعِ﴾	تستطيع ، قال بعض العلماء : (تستطيع أشد من تسطع فكانت الأمور أولاً غامضة أشد الغموض ثم أُظهرت بعد) .

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]؟

ج: العامل في ذلك: واذكر، فالمعنى: واذكر قول موسى لفتاه.

* * *

س: مَنْ موسى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]؟

ج: هو نبي الله الكليم الكريم موسى بن عمران عليه السلام، الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، ذلكم النبي الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل، وإلى فرعون وملئه، وأنجى الله بني إسرائيل على يديه، وأغرق الله فرعون وجنده.

وقد ورد قولٌ ضعيفٌ تالف يفيد أنه موسى آخر.

وقد كذَّبهُ ابن عباس رضي الله عنهما ففي «الصحيحين»[1] من طريق سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني فقلت أي: أبا عباس: جعلني الله فداك ـ بالكوفة رجلٌ قاص يُقال له: نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**موسى بني إسرائيل ذكَّر الناس يومًا حتى إذا فاضت العيون، ورقَّت القلوب، ولَّى فأدركه رجلٌ فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى: قال: أي رب: وأين؟ قال: بمجمع البحرين ...**» فذكر الحديث.

وفي الصحيحين[2] أيضًا عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرُّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب مُوسى، عليه السلام. فقال ابن عباس: هو الخضر. فمرَّ بهما أبيُّ بن كعب الأنصاريُّ، فدعاه ابن عباس فقال: يا أبا الطفيل! هلم

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٦)، ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (١٨٥٣).

إلينا. فإني قد تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسىٰ الذي سأل السبيل إلىٰ لُقيِّه. فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ فقال أُبي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما موسى في ملإٍ من بني إسرائيل. إذ جاءه رجل فقال له: هل تعلمُ أحدًا أعلم منكَ؟ قالَ موسىٰ: لاَ. فأوحى الله إلى موسى: بل عبدُنا الخضرُ. قالَ: فسأل مُوسى السبيل إلى لُقيِّه. فجعل الله لهُ الحُوت آيةً وقيلَ لهُ: إذا افتقدت الحُوت فارجع فإنكَ ستلقاهُ. فسارَ مُوسَى مَا شَاء اللهُ أن يسيرَ ثُم قال لفتَاهُ: آتنَا غداءنَا. فقال فَتَى موسَى، حين سألَهُ الغداء: أرأيْتَ إذْ أوينَا إلى الصخرَة، فَإنِّي نسيتُ الحوتَ ومَا أنسَانيهُ إلا الشيطَان أنْ أذْكُرَهُ. فقالَ مُوسى لفتاهُ: ذلكَ ما كُنَّا نبغي فارتدَّا علَىَ آثَارِهمَا قصَصًا، فوجَدَا خضرًا فكانَ مَن شأنِهمَا ما قصَّ اللهُ في كِتَابِه**».

* * *

س: ما اسم فتى موسى عليه السلام؟

ج: اسمه يوشع بن نون عليه السلام، وقد منَّ الله عليه بالنبوة، وقد تقدم ذكره في حديث البخاري المطول: ففيه: . . فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسىٰ عليه السلام حُوتًا في مكتل. . . . فذكر الحديث[1].

ومما ورد في شأن يوشع عليه السلام أن الشمس قد حبست له فقد أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح إلىٰ النبي ﷺ أنه قال[2]: «**إن الشمس لم تُحبس على بشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**».

قلت (مصطفى): وقصة ذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[1] مـ

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠)، ومسلم (٢٣٨٠).
(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبيٌّ من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ قد ملكَ بضعَ[٢] امرأة، وهو يريدُ أن يبني بهَا، ولمَّا يبن، ولاَ آخرُ قدْ بنَى بُنْيانًا، ولمَّا يرفعْ سقفَهَا، ولاَ آخرُ قَد اشترَى غنمًا أو خلفَات[٣] وهُو مُنْتَظر ولادَهَا[٤] قال: فغزَا فأدْنَى للقَرية[٥]، حينَ صلاة العصر. أوً قريبًا من ذلكَ. فقالَ للشمس: أنْت مَأمُورَة وأنَا مأمُورٌ. اللهُمَّ! احبسْهَا عليَّ شيئًا [٦]. فحبستْ عليه حتَّى فتَحَ اللهُ عليه. قالَ: فَجَمَعُوا ما غَنمُوا فأقبَلَت النَّارُ[٧] لتأكُلَهُ فَأَبَتْ أن تَطْعَمَهُ فقالَ: فيكُمْ غُلُولٌ[٨] فَلْيُبايعني منْ كلِّ قبيلَة رجلٌ، فبَايَعُوهُ فلصَقتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدَه. فقال: فيكُمُ الغُلُولُ فَلتبايعني قبيلَتك فبايعته. قال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة. فقال: فيكم الغلول أنْتُمُ غلَلْتُمْ. قالَ: فَأخْرَجُوا لَهُ مثْلَ رأس بقرة[٩] من ذهب. قالَ: فوضعوهُ في المال وهُو الصعيد[١٠] فأقبلَت النارُ فَأكلتهُ. فلم تحلَّ الغنائمُ لأحد من قبلنَا ذلكَ بأنَّ اللهَ تباركَ وتعَالى رأى ضَعفنَا وَعجزنَا، فطيَّبهَا[١١] لَنَا».

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

(٢) ملك بضع امرأة أي عقد عليها وملك فرجها بذلك العقد.

(٣) الخلفات هي الإبل الحوامل.

(٤) ولادها: أي نتاجها.

(٥) أدنى للقرية: أي اقترب من فتحها أو اقترب منها.

(٦) المراد، والله أعلم أخَّر غروبها.

(٧) أي نزلت نار من جانب السماء لتأكل الغنيمة، فقد كان هذا في الأمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربنا تأكله النار، قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾.

(٨) فيكم غُلول: أي فيكم من غلَّ، أي من سرق من الغنيمة قبل قسمتها.

(٩) أي مثل رأس بقرة من ذهب كان بعضهم قد سرقها من الغنيمة ولم يعطها الإمام لتقسم كما تقسم سائر الغنيمة.

(١٠) الصعيد: وجه الأرض.

(١١) أي أحلَّها لنا.

س: في قصة موسى مع الخضر ما يدل على فضل العلم وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قول نبي الله الكريم موسىٰ عليه السلام لفتاه: ﴿**لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ [الكهف: ٦٠] أي: لا أزال أسير حتىٰ أبلغ مجمع البحرين أو أستمر في المسير سنوات طويلة، وكان هذا ـ كما بينا ـ لحرصه الزائد علىٰ لقاء الخضر عليه السلام للتعلم منه والاستفادة من علمه.

قال القرطبي رحمه الله:

في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة علىٰ ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء، وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان في ذأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلىٰ الحظ الراجح، وحصلوا علىٰ السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام.

قال البخاري: ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلىٰ عبد الله بن أنيس في حديث.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على جواز اتخاذ الخدم؟

ج: من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**﴾ [الكهف: ٦٠] قال كثير من المفسرين: أي (لخادمه).

وأيضًا قد قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالىٰ في شأن بني إسرائيل ﴿**وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا**﴾ [المائدة: ٢٠].

أن من خُدم يُعد ملكًا وقد كان أنس[1] وابن مسعود[2] يخدمان رسول الله

---

(١) أما كون أنس رضي الله عنه كان خادمًا لرسول الله ﷺ فانظر البخاري (١٩٨٢).

(٢) وابن مسعود رضي الله عنه كان صاحب نعلي رسول الله ﷺ (انظر البخاري حديث ٣٧٦١).

ﷺ وأزواج النبي ﷺ كان لهن خدم وكذا عددٌ من الصحابة والصحابيات.

وها هي بعض الأدلة على ذلك: أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزَوجَني الزُّبَير ومَا لَهُ في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ [٢] وغير فرسه فكنت أعلفُ فرَسَه وأستقي الماء وأخرزُ غربَهُ [٣] وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبزُ وكان يخبزُ جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوةَ صِدقٍ، وكنتُ أنقل النَّوىٰ من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثُلثي فرسخ فجئت يومًا والنوىٰ على رأسي فلقيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخْ إخ» ليحملَني خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزُّبير وغيْرتَه وكان أغَيَرَ الناسِ، فعرف رسولُ الله ﷺ أني قد استحييتُ فمضىٰ فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسولُ الله ﷺ وعلىٰ رَأسي النوىٰ ومعه نفَرُ من أصحابه فأناخ لأركَب فاستحييتُ منه وَعَرفْتُ غيرتَك، فقال: والله لحَمْلُكِ النوىٰ كان أشَدَّ عليَّ من ركوبكِ معه، قالت: حتىٰ أرْسَل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادم تكفيني سِياسة الفَرَسِ فكأنما أعتقني.

وأخرج البخاري [٤] من حديث أنس رضي الله عنه قال:

كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدىٰ أُمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يَدَ الخادمِ فسقطت الصحفةُ فانْفَلَقَتْ، فجمعَ النبي ﷺ فلَقِ الصحفةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفةِ ويقول: «غَارَتْ أُمُّكُم» ثم حَبَسَ الخادم حتىٰ أتىٰ بصحفةٍ

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢).

(٢) الناضح: الجمل الذي يستسقىٰ عليه.

(٣) غربه: تعني دلوه الكبير.

(٤) البخاري (حديث ٥٢٢٥).

من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلىٰ التي كُسِرَت صحفَتُها وأمسك المكسورةفي بيت التي كُسِرَت فيه.

* ولكن إذا لم يكن بالوسع اتخاذ الخادم فهناك ما هو خيرٌ منه أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث علي رضي الله عنه.

أن فاطمة عليها السلام أتت النبيَّ ﷺ تَشكو إليه ما تلقىٰ في يدها من الرحىٰ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تُصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخْبَرَتْه عائشة، قال: فجاءنا وقد أخَذْنَا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: «**على مَكَانكُما**» فجاء فقعد بيني وبينها حتىٰ وجدتُ بَرْدَ قدميه علىٰ بطني، فقال: «**ألا أَدُلُّكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتُما مضاجعَكُما أو أويتما إلى فراشكما ـ فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم**».

* * *

س: لماذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا؟

ج: قال ذلك عليه الصلاة والسلام، حرصًا منه علىٰ التزود من العلم، ولقاء أهل العلم والفضل والصلاح.

وقد تقدم بيان سبب ذلك فيما سبق من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ[2] وفيه «**فأوحى الله إليه** (أي إلىٰ موسىٰ عليه

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٦١) ومسلم (ص٢٠٩١).

* تنبيه: ويلزم أن تؤخذ الاحتياطات الشرعية بشأن الخادم رجلاً كان أو امرأة، فإذا كان الخادم امرأة، فلا تُستقدم من دولة بدون محرم كما يُفعل في كثير من البلدان، ولا تُسافر بدون محرم داخل الدولة الواحدة أيضًا، ولا يُمكَّن رجل من الخلوة بها، إلىٰ غير ذلك من المحظورات التي يجب أن تُجتنب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥) ومسلم (٢٣٨٠).

السلام) إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. فقال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حُوتًا تجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ» الحديث.

قال الطبري رحمه الله:

وكان سبب سفر موسى ﷺ وفتاه، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر، أن موسى سئل، هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، أو حدثته نفسه بذلك، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه.

وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه.

* * *

س: هل الأولى للمسافر أن يُخبر من معه بوجهته التي يُريد السفر إليها أم أن التورية والتعريض أفضل؟

ج: المقامات في ذلك تختلف، فإذا كان في الإخبار ضررٌ على المسافر استحب له أن يُورِّي ولا يُصرِّح، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤١٨) ومسلم (حديث ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك... قال ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدُوًّا كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرَهم بوجهه الذي يريد.

أما إذا كان السفر يحتاج إلى أهبةٍ واستعدادٍ فالأولى أن يخبر من يصحبونه بوجهته التي يُريد، ولذا فالنبي ﷺ أخبر أصحابه في غزوة تبوك بوجهته التي يُريد وذلك حتى يأخذوا لهذا السفر عدته.

* * *

س: لماذا أُسند النسيان إليهما معًا مع أن الذي نسى إنما هو الفتى؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه أُطلق ها هنا الكل وأُريد البعض وإطلاق الكل وإرادة البعض له أدلة كثيرة فمن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالقائلون ناسٌ وهم المنافقون، والمقول لهم ناس وهم المؤمنون والناقلون ناس وهم أهل النفاق.

قال الشنقيطي رحمه الله: «في تفسيره أضواء البيان».

قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾ [الكهف: ٦١].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن موسى وفتاه نسيا حوتهما لما بلغا مجمع البحرين، ولكنه تعالى أوضح أن النسيان واقع من فتى موسى، لأنه هو الذي كان تحت يده الحوت، وهو الذي نسيه. وإنما أسند النسيان إليهما؛ لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه ـ أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب. وقد أوضحنا أن من أظهر أدلته قراءة حمزة والكسائي ﴿**فإن قتلوكم فاقتلوهم**﴾ [البقرة: ١٩١]، من القتل في الفعلين لا من القتال، أي: فإن قتلوا بعضكم فليقتلهم بعضكم الآخر.

والدليل على أن النسيان إنما وقع من فتى موسى دون موسى قوله تعالى عنهما: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ**

أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٢، ٦٣] الآية، لأن قول موسىٰ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] يعني به الحوت ـ فهو يظن أن فتاه لم ينسه، كما قاله غير واحد. وقد صرح فتاه: بأنه نسيه بقوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣] الآية.

* * *

س: ما شأن هذا الحوت؟

ج: هو حوتٌ حملاه معهما، قد تزودا به كي يأكلا منه في سفرهما، وفي هذا الحوت معجزة ظاهرة وهي أن الله أحياه ثم جعله يتخذ سبيله في البحر سربًا، وقد جُعل هذا الحوت لهما كعلامة علىٰ وجود الخضر في المكان الذي يُفقد فيه الحوت، فقد تقدم في الحديث أن موسىٰ عليه السلام لما سأل أي ربِّ كيف لي به (أي كيف ألتقي بالخضر)؟ فقيل له: احمل حُوتًا في مكْتل فحيث تفقد الحوت فهو ثمَّ (أي: فهو هناك).

وفي رواية تقدمت أيضًا: تزوَّد حوتًا مالحًا فإنه حيث تفقد الحوت، فيستفاد من الرواية أن الحوت كان ميتًا لأنه لا يُملح وهو حي.

أخرج الطبري[1] بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] قال: عجبٌ والله حوت كان يؤكل منه أدهرًا، أي شيءٍ أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه، ثم صار حيًّا حتىٰ حُشر في البحر.

* * *

س: النسيان وارد حتى على أهل الصلاح دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

---

(١) الطبري (٢٣١٩٤).

* قوله تعالىٰ في شأن موسىٰ وفتاه: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١].
* قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
* قول موسىٰ عليه السلام للخضر: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].
* قول النبي ﷺ: «**من أكل ناسيًا وهو صائم فليُتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»(١).

قول الصحابة لرسول الله ﷺ: أقصرت الصلاة أم نسيت؟(٢).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم، اتخذ مسلكًا في البحر فشق طريقه وسلك ذلك المسلك.

* * *

س: هل كان هذا الحوت حيًّا؟

ج: قد كان هذا الحوت ميتًا فأحياه الله عزَّ وجل ففي رواية للبخاري أي: رب اجعل لي علمًا أعلم ذلك منه قال: حيث يُفارقك الحوت، وفي رواية أخرىٰ: خذ نونًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح وقد تقدمت روايةٌ فيها... فأخذ حوتًا مُملحًا.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٦٦٩).
(٢) البخاري (٦٦٧١).

س: هل يستحب التزود باللازم من الطعام والشراب والنفقة للسفر؟ دلِّل على ما تقول؟

ج: نعم يستحب ذلك فيؤخذ من قصة موسىٰ مع الفتىٰ مشروعية التزود للأسفار.

وذلك من تزود موسىٰ وفتاه بالحوت وقد دلَّت أدلة أُخر علىٰ مشروعية التزود في الأسفار بما تحتاج إليه تلك الأسفار من الأزواد من الطعام والشراب ونحو ذلك.

وقد نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] في أهل اليمن إذ كانوا يحجون ولا يتزودون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فنزلت الآية الكريمة(١).

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌّ علىٰ الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والقِفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل علىٰ الله الواحد القهار؛ هذا موسىٰ نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله علىٰ رب العباد.

وفي «صحيح البخاري»: إن ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالىٰ «وتزودوا».

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٢٣) وقد روي هذا الحديث مرسلاً ورجح عدد من أهل العلم إرساله، والله أعلم.

س: اذكر ما يدل على وجود وجبة الغداء والعشاء وكذا الإفطار صباحًا؟

ج: أما الغداء فمن الدليل عليه قول موسى عليه السلام: ﴿ **آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾ [الكهف: ٦٢].

وقول سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة»(١).

أما العشاء ففي الحديث «**إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء**»(٢).

وأيضًا قد أرسل أبو بكر أضيافه إلى بيته مع ابنه عبد الرحمن كي يُعشيهم (٣).

أما الإفطار صباحًا فإن النبي ﷺ قد قال: «**من تصبح سبع تمرات عجوه لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحرٌ**»(٤).

وقد قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

* * *

س: هل يجوز لشخصٍ أن يُخبر بالتعب الذي قد حلَّ به؟

ج: نعم، وذلك مأخوذ من قول موسى لفتاه ﴿ **آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾ [الكهف: ٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (واللفظ له) حديث (٥٥٧).

(٣) انظر البخاري (حديث ٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٢٣٨) ومسلم (١٤/ ٣).

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (وا رأساه) فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه»[١].

ومحل هذا الجواز إذا لم يكن هذا الإخبار مصحوبًا بالتسخط على أقدار الله عزَّ وجل؛ والله تعالى أعلم.

هذا، وقد أورد الذهبي[٢] رحمه الله تعالى من طريق يعقوب الدَّوْرَقي حدّثنا عامر بن صالح، عن هشام بن عُرْوَة، أنَ أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القُرَى، وجد في رجله شيئًا فظهرت به قرْحة، ثم ترقَّى به الوجع. وقدِم على الوليد وهوفي مَحْمِل.

فقال: يا أبا عبد الله أقْطعها، قال: دونَك. فدَعا له الطبيب، وقال: اشرب المُرْقِد[٣]، فلَمْ يفعلْ، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسٍّ، حسٍّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا قط أصبرَ من هذا.

وأصيبَ عُرْوة بابنه محمد في ذلك السَّفَر، ركضَتْهُ بغلة في إصطَبْل، فلم يُسمَعْ منه في ذلك كلمة. فلمَّا كان بوادي القُرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، اللّهُمَّ كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستَّة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طَرَفًا، وأبقيتَ ثلاثة؛ ولئن ابتليتَ، لقد عافَيْت، ولئن أخذت لقد أبقَيْت[٤].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت . . . وارأساه فقال رسول الله ﷺ ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرسًا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ بل أنا وا رأساه. . . . الحديث.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠) ترجمة عروة بن الشربير.

(٣) هو شيء يشربه الشخص فيرقد.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٣٠).

وأورد أيضًا من طريق عامر بن صالح، عن هشام بن عُروة، قال: سقط أخي محمد - وأمُّه بنتُ الحكم بن أبي العاص - منْ أعلىٰ سطحٍ في إصطبل الوليد، فضربَتْهُ الدوابُّ بقوائمها فقتلَتْه. فأتىٰ عُروة رجلٌ يُعزِّيه، فقال: إن كنتَ تُعزِّيني برجلي فقد احْتَسبتُها. قال: بل أُعَزِّيكَ بمحمد ابنك؛ قال: وما له؟ فأخبره، قال اللّهُمَّ أخذت عُضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنًا، وتركت أبناء، فلما قدمَ المدينةَ، أتاهُ ابنُ المنكدر، فقال: كيف كنتَ؟ قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان.

* * *

س: من الذي أنساهما الحوت؟

ج: كل شيءٍ يجري بقضاء الله وقدره وإذنه وقد قال الفتىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] فقدَّر الله أن الشيطان ينسيهما، أن الشيطان أنساهما ولكن أراد الله ذلك فالشيطان ليس إلا سبب وقد قال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «تفسيره أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣] دليل علىٰ أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أُخر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] الآية.

قلت: وكما بينا فكل شيءٍ يجري بإذن الله وقضائه .

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] ؟

ج: الظاهر، والله تعالىٰ أعلم، أن المعنىٰ، وشق الحوت طريقه في البحر بطريقةٍ أحدثت عجبًا لمن يطلع عليها، فمسيره كان عجبًا.

هذا، وقد قال ابن الجوزي رحمه الله تعالي في تفسيره «زاد المسير».

قوله تعالي: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] الهاء في السبيل ترجع إلىٰ الحوت وفي المُتَّخِذ قولان:

أحدهما: أنه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان:

أحدهما: أنه الله عز وجل، ثم في معني الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يُرىٰ عجبًا، ويُحدث عجبًا.

والثاني: أنه لما قال الله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٦٣]، قال: اعجبوا لذلك عجبًا وتنبهوا لهذه الآية.

والثالث: أن إخبار الله تعالىٰ انقطع عند قوله: ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٦٣] فقال موسىٰ: عجبًا، لما شوهد من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

والثاني: أن المُخبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسىٰ ما فعل الحوت.

والقول الثاني: أن المتخِذ موسىٰ، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجبا، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأىٰ الخَضِر، وروىٰ عطية عن ابن عباس قال: رجع موسىٰ إلىٰ الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسىٰ، حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

س: ما وجه هذا التعجب؟

ج: وجه ذلك عند بعض العلماء أن الحوت كان ميتًا فأحياه الله ثم هرب الحوت إلىٰ البحر.

والثاني: أن الله أمسك جرية الماء فلم ينضم الماء إلىٰ بعض بعد سريان الحوت فيه بل كان مسيره خطًا في الماء.

والثالث: أن الحوت كلما مرَّ علىٰ شيء تجمد تحته ويبس والله أعلم بوجه الصواب من ذلك.

* * *

س: ما اسم هذا العبد الذي وجده موسى وفتاه؟

ج: هذا العبد هو الخضر عليه السلام، فقد تقدم في الحديث.. فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: بلىٰ عبدنا خضرٌ، ويُقال أيضًا الخضر وقد تقدم ذكره في الأحاديث السابقة.

وفي رواية في «الصحيح»[1]: بينا موسىٰ في ملإٍ من بني إسرائيل إذ جاءه رجلٌ فقال هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال موسىٰ: لا فأُوحي إلىٰ موسىٰ بلىٰ عبدنا خضر فسأل موسىٰ السبيل إلىٰ لقيه.. فذكر الحديث.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾[الكهف: ٦٥] العبد هو الخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء، وبمقتضىٰ الأحاديث الثابتة، وخالف من لا يعتد بقوله... إلىٰ أن قال: والصحيح أنه كان الخضر.

* * *

(١) البخاري حديث (٧٤٧٨).

س: لماذا لم يسمع للفتى ذكر بعد التقاء موسى عليه السلام بالخضر؟

ج: الله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم بما آل إليه أمر الفتىٰ، وإلىٰ أين ذهب، ولم أقف علىٰ خبرٍ ثابت عن رسول الله ﷺ يُفيد أين ذهب.

أما الوارد عند الطبري من طريق عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتىٰ موسىٰ بذكر من حديث وقد كان معه؟ فقال ابن عباس: فيما يذكر من حديث الفتىٰ، قال: شرب الفتىٰ من الماء فخلد، فأخذه العالم فطابق به سفينة، ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلىٰ يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.

إسناده ضعيف جدًّا.

وقد ضعفه الحافظ ابن كثير رحمه الله.

* * *

س: لماذا سُمي الخضر خضرًا؟

ج: أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إنما سُمي الخضر لأنه جلس علىٰ فروةٍ بيضاء[2]، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء.

* * *

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]؟

ج: من العلماء من قال: إن الرحمة هنا النبوة، ومنهم من قال إنها رِقةٌ

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٢).

(٢) الفروة قيل: إنها الأرض اليابسة، وقيل: إنها الحشيشة اليابسة وقيل: إنها قطعةٌ من أرض بيضاء ليس فيها نبات.

جعلها الله في قلبه لمن يستحقها والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال وأهل الجنة ثلاثة... ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم[1].

* * *

س: العلم الذي يهبه الله لعباده على أقسام، وضح بعض ذلك؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره «تيسير الكريم المنان».

في الفوائد من هذه القصة

ومنها: أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده.

ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

* * *

س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥]؟

ج: المراد، والله تعالىٰ أعلم، بعض ما يتعلق بعلم الغيب فهناك من أمور الغيب أمور يطلع الله عليها بعض رسله وأنبيائه قال تعالىٰ: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ [الروم: ٢، ٣].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي مرفوعًا... وفيه (وأهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم عفيف متعفف ذو عيال.

س: ما فائدة التقييد بقوله: ﴿رُشْدًا﴾ في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦] ؟

ج: فائدة ذلك بيان احتياجه إلىٰ العلم، فهو يحتاج إلىٰ علم يسترشد به في دنياه وأخراه، لا يطلب شيئًا لا فائدة فيه.

قال الشيخ السعدي في «تفسيره»، في فوائد القصة:

ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلىٰ الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع وما سوىٰ ذلك، فإما أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

* * *

س: في قصة موسى مع الخضر جملة من الآداب المتعلقة بالعالم والمتعلم وضحها مع مزيدٍ؟

ج: من ذلك ما يلي

* ابتداءً علىٰ كلٍّ من العالم والمتعلم أن يُخلصا النوايا لله عزَّ وجل ويبتغيا وجهه سبحانه وتعالىٰ بعلمهما، فإن رسول الله ﷺ قد قال إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه (١).

---

(١) البخاري حديث (١).

* وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن من أول من تُسعر بهم النار ثلاثة منهم من قرأ ليُقال قارئ، أو تعلم ليقال عالم[١] .

والأحاديث الواردة في هذا كثيرة جداً .

** ثم يؤخذ من قصة موسىٰ عليه السلام وذهابه إلىٰ الخضر ، استحباب الرحلة لطلب العلم والالتقاء بالعلماء والتزود لذلك فإن موسىٰ عليه السلام رحل لذلك وتزوَّد بالحوت ، واصطحب خادمه معه من أجل ذلك ، كل ذلك مع إصراره علىٰ اللقاء .

إذ قال : ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف : ٦٠] .

ومما ورد عن سلفنا الصالح يرحمهم الله في باب الحرص علىٰ العلم ما كان ابن عباس رضي الله عنهما يصنعه ، فقد صح عنه أنه[٢] قال لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يا ابن عباس أتري الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترىٰ؟ فترك ذلك وأقبلت علىٰ المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[٣] فأتوسد ردائي علىٰ بابه فتسفي الريح علىٰ وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول : أنا أحق أن آتيك؟ فأسأله عن الحديث قال : فبقىٰ الرجل حتىٰ رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتىٰ أعقل مني .

---

(١) عند مسلم (٣/ ١٥١٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إن أول الناس يُقضىٰ عليه يوم القيامة رجل استشهد . . . فذكر الحديث وفيه ورجل تعلم العلم وعلَّمه ، وقرأ القرآن فأتىٰ به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلَّمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ أُلقي في النار . . .

(٢) الدارمي (١/ ١٤١ ـ ١٤٢) .

(٣) يعني في القيلولة .

ولهذا أثنى عليه صحابة رسول الله ﷺ ووقَّروه وفي «الصحيح»[١] أن ابن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، فقد كان عمر رضي الله عنه يُدخله مع أشياخ بدر[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٣].

وقال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجلٌ[٤].

ومن الدليل على مشروعية الرحلة لطلب العلم واستحباب الخروج لتحصيله والاستزادة منه قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فعلى طالب العلم أن يُوطن نفسه على الصبر، وأن يسأل الله ذلك فالصبر إنما صبره بالله، ومن ثم قال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

ومما يدل على أن طالب العلم يستحب له الصبر والتأني قول رسول الله ﷺ في الحديث: «**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما وليُعلم أن الإمامة لا تنال إلا بالصبر واليقين**».

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ويؤخذ من ذلك أيضًا أن الشخص إذا سُئل عن شيء لا يعلمه عليه أن

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩١).

(٢) البخاري حديث (٤٩٧٠).

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٩).

(٤) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٨).

يكل العلمَ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وذلك لأن موسىٰ عليه السلام لما سئل أي الناس أعلم فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه. . . الحديث [١].

وأيضًا فالملائكة لما سألهم ربهم: ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

ورسولنا محمد ﷺ قال الله له: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

* ويؤخذ من ذلك أيضًا تلطف طالب العلم وتواضعه مع العالم، وذلك من قول موسىٰ عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فالمعني: هل تأذن لي في اتباعك.

* وفيه أيضًا استئذان طالب العلم من العالم لمصاحبته والاستفادة منه.

* ومما يشهد لتواضع طالب العلم للعالم ما ورد عن الحبر الكريم الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج ابن سعد [٢] في «الطبقات» بسندٍ صحيح عن الشعبي قال: أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالرِّكاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] هذا سؤال الملاطِف، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنىٰ: هل يتفق

---

(١) البخاري (٤٧٢٥) ومسلم، وقد تقدم.

(٢) «الطبقات» (٢/ ٢/ ١١٦).

لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، حسب ما تقدم بيانه في «المائدة».

ويؤخذ من القصة التواضع والأكل مع الخدم، وإطعامهم مما يطعم الشخص فقد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا.

وفي الحديث إذا أتى أحدَكم خادمهُ بطعام فليناوله منه اللقمة واللقمتين فإنه ولي مره.

وما أجمل ما صنع أبوذر رضي الله عنه مع خادمه إذ كساه حلة تشبه حُلَّته.

ويؤخذ من خبر موسى مع الخضر أيضًا مشروعية **تعلم الفاضل من المفضول والأخذ عنه**، فموسى من أولي العزم من الرسل، وهو كليم الله عزَّ وجل ومع ذلك يتواضع ويأخذ العلم من الخضر عليهما السلام قال القرطبي رحمه الله تعالى:

في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله؛ فالخضر إن كان وليًّا فموسى أفضل منه؛ لأنه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيًّا فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم.

قلت: وقد قال بعض أهل العلم: (لا ينبل العالم حتى يأخذ ممن فوقه وممن دونه).

* ويؤخذ من ذلك أيضًا أن طالب العلم له أن يُذكر العالم بفضل الله عليه

وذلك من قول نبي الله موسىٰ عليه السلام للخضر، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فقوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: ٦٦] فيه رد الفضل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فالذي علم الخضر هو الله ويؤخذ من القصة **التخصص في العلم أيضًا**: وذلك من قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام يا موسىٰ إنك علىٰ علمٍ من الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا علىٰ علمٍ علمنيه الله لا تعلمه.

وقد كان من أصحاب النبي ﷺ العالم بالقراءات (كأبي)[1] رضي الله عنه والعالم بالقضاء (كعلي) رضي الله عنه، والعالم بالسياسة (كعمر) رضي الله عنه، والعالم بالأنساب (كأبي بكر) رضي الله عنه والعالم بالفرائض (كزيد بن ثابت) رضي الله عنه والعالم بالحلال والحرام (كمعاذ بن جبل) رضي الله عنه، والعالم بفنون القتال (كخالد) رضي الله عنه إلىٰ غير ذلك.

وقد تنوعت مناقبهم وتعددت فضائلهم فمنهم الصديق الذي صحب النبي ﷺ، ومنهم الفاروق الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل ومنهم الحيي الكريم الذي تستحي منه ملائكة الرحمن كعثمان رضي الله عنه ومنهم الشجاع المغوار كحمزة أسد الله، وعلي رضي الله عنهما ومنهم أمين الأمة كأبي عبيدة رضي الله عنه، وحواريَّ الرسول ﷺ كالزبير رضي الله عنه.

والمنفق المحسن المتصدق كعثمان وابن عوف رضي الله عنهما.

وأول من رمىٰ بسهم في سبيل الله سعد رضي الله عنه.

ومنهم من أبوه أُمة ثم هو من أوائل من أسلموا كسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل رضي الله عنهما إلىٰ غير هؤلاء من أصحاب الفضائل والمناقب.

والكل يثني علىٰ الآخر، ويُجلُّه وينزله منزلته ويعطيه قدره رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) راجع فضائل المذكورين إن شئت في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

وفيه أيضًا تلطف العالم مع طالب العلم والتماس المعاذير له:

وذلك من قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام: ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٧] ثم يلتمس له العذر في ذلك فيقول له: ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٨].

وقد تقدم في الحديث أن الخضر قال لموسىٰ عليه السلام: «يا موسىٰ إني علىٰ علمٍ من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت علىٰ علم من علم الله علمك الله لا أعلمه».

ففيه أيضًا أن العالم يُنزل طالب العلم منزلته ويقرُّ له بفضله.

ويؤخذ من القصة أيضًا جواز اشتراط العالم على من يريد مصاحبته:

وذلك من قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠].

ومحل ذلك إذا لم تخالف هذه الشروط شيئًا من كتاب الله عزَّ وجل أو من سنة رسول الله ﷺ.

ويؤخذ من ذلك تقديم المشيئة بين يدي الأعمال، وذلك لقول موسىٰ عليه السلام: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩]، وقد قال تعالىٰ في سورة الكهف أيضًا: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وقد يقول الشخص إن شاء الله، ولا يتحقق له ما يريد إذ الله يُريد شيئًا آخر، وذلك لأن موسىٰ عليه السلام لم يصبر، فقد قال النبي ﷺ: «**وددنا أن موسى عليه السلام قد صبر..**».

ويؤخذ من القصة حرص نبي الله موسى عليه السلام على الازدياد من

الخير: وهذا شيء معروف عن نبي الله الكريم الكليم موسىٰ عليه السلام، فمع أن الله عز وجل آتاه التوراة، وكلمه تكليمًا وكان الوحي يأتيه وجعله من أولي العزم من الرسل إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستزادة من العلم والحرص علىٰ لقاء أهله وقد قال له الخضر عليه السلام أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك؟!! ولكنه مع ذلك يُصرُّ علىٰ الصحبة للاستزادة والاستفادة عليه صلوات الله وسلامه.

* ومن حرص هذا النبي الكريم علىٰ الخير مع أن الله كلمه تكليمًا قوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولكن لما كانت رؤية الله في الدنيا لا تتم لبشرٍ قال تعالىٰ: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال أيضًا: ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فليحرص المؤمن علىٰ الخير وليسأل ربه فريد الفضل، والله واسع عليم جواد كريم.

وفيه أيضًا تذكير العالم للمتعلم بسعة علم الله عزَّ وجل:

فقد تقدم في الحديث.. وجاء عصفور فوقع علىٰ حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً فقال له الخضر، ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

فمع كل الذي صنعه الخضر، وأطلعنا الله عليه، فكل هذا لا يقارب في علم الله إلا كما نقر العصفور في البحر وقد قال تعالىٰ أيضًا: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفيه أن العالم عليه أن يذكر الدليل لمن يتعلم منه وأن يبين له أن ما يصنعه إنما هو بدليل حتى يطمئن قلبه ويهدأ باله، فدائمًا طلاب العلم والحق وأهل الإيمان يقنعون بالدليل من الكتاب والسنة، فعنده تقف عقولهم

ويُسلِّموا لربهم، وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ١٣٢]. أي: أن الذي صنعته كان بأمر الله ووحيه ليس بأمري واختياري.

ويؤخذ منه أن العالم عليه أن يلتزم الأدب في النقل عن الله عزَّ وجل فها هو الخضر عليه السلام يقول في شأن السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب عيب السفينة إلى نفسه، مع أنه صنع ما صنع بالسفينة بأمر الله عزَّ وجل.

وعند ذكر الخير والرحمة يقول: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

ونحو هذا المذكور في قول الجن ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

فنسبوا الشر إلى من لم يسم فاعله والرشد إلى الله عز وجل مع أن الكل من عند الله ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] مع أن كل شيء من عند الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، . . . نحوه قول رسول الله ﷺ «**الشر ليس إليك**»(١) وفي الباب أيضًا قول الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] مع أن المرض قدره الله أيضًا. وفي الباب أيضًا قوله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣].

قال الحافظ ابن حجر(٢) رحمه الله في «الفوائد المستنبطة من هذا الحديث: وفيه حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يُستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعن الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] ومثل هذا قوله ﷺ: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**»(٣).

---

(١) مسلم حديث (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) فتح (٨/ ٤٢٢). (٣) مسلم (حديث ٧٧١).

قال القرطبي رحمه الله:

إن قال قائل كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالىٰ، وقال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] فأضاف العيب إلىٰ نفسه؟ قيل له: إنما أسند الإرادة في الجدار إلىٰ الله تعالىٰ لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالىٰ، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالىٰ أن يريده. وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلىٰ الله تعالىٰ أن يريده. وأضاف عيب السفينة إلىٰ نفسه رعاية للأدب، لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلىٰ نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] فأسند الفعل قبلُ وبعدُ إلىٰ الله تعالىٰ، وأسند إلىٰ نفسه المرض، إذ هو معنىٰ نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالىٰ من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع، إذ هو علىٰ كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير. ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عزوجل أنه يقول يوم القيامة: «**يا ابن آدم مرضت فلم تعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني واستسقيتك فلم تَسقني**» فإن ذلك تَنزُّل في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. وقد تقدّم هذا المعنىٰ. والله تعالىٰ أعلم. ولله تعالىٰ أن يطلق علىٰ نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة والأفعال الشريفة جل وتعالىٰ عن النقائض والآفات علوًّا كبيراً وقال في الغلام: «فأردنا» فكأنه أضاف القتل إلىٰ نفسه، والتبديل إلىٰ الله تعالىٰ، والأشد كمال الخَلْق والعقل. وقد مضىٰ الكلام فيه في «الأنعام» والحمد لله.

س: قول موسى عليه السلام: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] هل التقييد بالمشيئة مختص بالصبر وحده أم بالصبر وعدم عصيان الأمر؟

ج: من العلماء من قال: إنه مختصٌ بالصبر وحده، قالوا وقد تحقق فقد صبر موسىٰ عليه السلام.

أما قوله: ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] فلم يتحقق، فقد نهاه الخضر عن السؤال بقوله: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠] ولكن موسىٰ عليه السلام خالف في ذلك: فقال: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٠] وقال: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [الكهف: ٧٤] وقال: ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧].

قلت: (مصطفى): ويرد أيضًا علىٰ قول من قال إن الصبر قد تحقق أن النبي ﷺ قال: «**وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**».

* وهذه بعض أقوال العلماء في هذه المسألة:

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أي: سأصبر بمشيئة الله. ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أي: قد الزمت نفسي طاعتك. وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أم لا؟ فقيل: يشمله كقوله: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقيل: استثنىٰ في الصبر فصَبَر، وما استثنىٰ في قوله: ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه؛ لأن الصبر أمر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم

عليه. ويمكن أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسبًا لنا بخلاف فعل المعصية وتركه، فإن ذلك كله مكتسب لنا؛ والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]:

وقوله: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩].

قيل: استثنى في الصبر فصبر، ولم يستثن في العصيان فعصاه وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

* * *

س: هل وافق موسى عليه السلام على شرط الخضر الذي اشترطه عليه إذ قال: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠] ؟

ج: نعم قد وافق موسى عليه السلام على ذلك، وقد فهم هذا من سياق القصة المباركة، إذ قد قال الله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا... ﴾ [الكهف: ٧١] وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أن الخضر لما قال لموسى عليه السلام: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠] قال: «نعم».

أي أن موسى عليه السلام أقرَّ بقوله للخضر: «نعم».

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٠] قراءتان وضحهما؟

ج: قد أوضحهما الطبري رحمه الله إذ قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧١] فقرأ ذلك

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤١٨).

عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] بالتاء في لتغرق، ونصب الأهل، بمعني: لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق إذا خرقت فيها. وقرأه عامة قراء الكوفة «لَيَغْرَقَ» بالياء «أهلُها» بالرفع، على أن الأهل هم الذين يغرقون.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وإنما قلنا: هما متفقتا المعني، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالتاء ونصب الأهل، أو بالياء ورفع الأهل.

* * *

س: لماذا خرق الخضر السفينة؟

ج: خرقها عليه السلام كي يصرف عنها مصادرة هذا الملك الغشوم لها، أي أنه خرقها لحفظها من اغتصاب الملك لها فالملك لم يكن يتعرض للسفينة المعيبة.

* * *

س: كيف خرق الخضر السفينة؟

ج: ورد عن رسول الله ﷺ[1]: أنه قال: «فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم وفي رواية أُخرى[2] عند البخاري أيضًا فخرقها ووتد فيها وتدًا.

(١) البخاري (٤٧٢٥).

(٢) البخاري (٤٧٢٦).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[١] : والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدًا .

وفي رواية عند البخاري [٢] : **(إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا ، وقال ولم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم)** .

وقال الحافظ أيضًا: وفي رواية أبي العالية (فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسىٰ ، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك) .

قلت (مصطفى): وقد أورد الطبري بسندٍ فيه ضعف إلىٰ أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ . . فذكر الحديث وفيه فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتمسان من يحملهما ، حتىٰ مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمرّ بهما في السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها ، ولجت بهما مع أهلها ، أخرج منقارًا له ومطرقة ، ثم عمد إلىٰ ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتىٰ خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها .

* * *

س: من جهل شيئًا استنكره أو عاداه دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

*قوله تعالىٰ : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** ﴾ [يونس: ٣٩] .

* قول الخضر لموسىٰ عليه السلام : ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾ [الكهف: ٦٧ ، ٦٨] .

---

(١) فتح (٨/ ٢٧٢) .

(٢) البخاري (حديث ٣٤٠١) .

* وفي الأثر عن عليٍّ رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

وقد استنكر موسىٰ عليه السلام علىٰ الخضر عليه السلام خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، لكونه لم يعلم ما وراء ذلك من الحِكَم.

قال السعدي رحمه الله في «الفوائد المستنبطة»:

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علمًا وخبرة، بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٨] فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر.

* * *

س: ما المراد بالنسيان في قوله: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]؟

ج: المراد نسيان العهد الذي أخذه عليه الخضر إذ قال: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠]. فنسىٰ موسىٰ ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «**وكانت الأولى من موسى نسيانًا**».

* * *

س: ما المراد بالنسيان في قول موسى عليه السلام: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]؟

ج: المراد والله تعالىٰ أعلم، بالنسيان النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر، ويشهد لذلك الكتاب العزيز والسنة المباركة. قال موسىٰ عليه السلام: ﴿**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**﴾ [الكهف: ٧٣] وقال النبي ﷺ: «**كانت الأولى من موسى نسيانًا**».

س: ما شأن الغلام الذي قتله الخضر؟

ج: صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا**».

* * *

س: كيف قتل الخضر الغلام؟

ج: ورد في «الصحيحين»[١] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله**» وفي رواية أخرىٰ عند البخاري[٢] قال سعيد: وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين.

قال الحافظ في «الفتح»: ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قلت (مصطفى): ورواية سعيد الظاهر أنه ليست متصلة الإسناد فقد أخرج الطبري[٣] نحوها عن سعيد من قوله لم يرفعه إلىٰ ابن عباس ولا إلىٰ رسول الله ﷺ وعند الطبري [٤] أيضًا بسند فيه ضعف فإذا غلمان يلعبون، خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرىٰ ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجرًا، قال: فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله، قال: فرأىٰ موسىٰ أمرًا فظيعًا لا صبر عليه.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٥)، ومسلم أيضًا (٢٣٨٠).
(٢) البخاري (حديث ٤٧٢٦).
(٣) الطبري (٢٣٢٢٧).
(٤) الطبري (٢٣٢٠٩).

س: هل كان هذا الغلام المقتول بالغًا أم غير بالغ؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلىٰ أن هذا الغلام كان دون البلوغ (أي لم يبلغ) ومن حججهم أن اسم الغلام يطلق في الغالب علىٰ من دون البلوغ.

ومن حججهم أيضًا قوله: ﴿**أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**﴾ [الكهف: ٧٤] أي: طاهرة لم ترتكب ذنبًا ولم يجر عليها القلم بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن هذا الغلام كان بالغًا ومن أدلتهم علىٰ ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» قالوا: والصغير لا يوصف بالكفر مع الأبوين المؤمنين.

وقوله: ﴿**بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾ [الكهف: ٧٤] ومن المعلوم أن الطفل الذي دون البلوغ إذا قتل شخصًا لا يقتل به وأجاب هؤلاء علىٰ ما ورد من كون الغلام يطلق علىٰ الصغير بأن كلمة الغلام تأتي أحيانًا يُراد بها الكبير أيضًا أما الأولون فأجابوا علىٰ الاستدلال بقوله عليه السلام: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» أن هذا ليس بصريح أبدًا في كونه كان بالغًا.

وعلىٰ الاستدلال بقوله: ﴿**بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾ [الكهف: ٧٤] بأن مثل هذا القصاص من الصغير كان سائغًا في الأمم من قبلنا، والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿**غُلَامًا**﴾ [الكهف: ٧٤] اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغًا أم لا؟ فقال الكلبي: كان بالغًا يقطع الطريق بين قريتين، وأبوه من عظماء أهل إحدىٰ القريتين[1]، وأمه من عظماء القرية الأخرىٰ، وقال الجمهور: لم يكن بالغًا؛ ولذلك قال موسىٰ زاكية لم تذنب، وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام؛ فإن الغلام في الرجال يقال علىٰ من لم يبلغ، وتقابله

(١) كل هذا لا يصح له إسناد.

الجارية في النساء، وكان الخضر قتله لِما علم من سره، وأنه طُبع كافراً كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهق أبويه كفراً. وقتلُ الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك؛ فإن الله تعالىٰ الفعال لما يريد، القادر علىٰ ما يشاء، وفي كتاب «العرائس» إن موسىٰ لما قال للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] الآية ـ غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً[1]. وقد احتج أهل القول الأول بأن العرب تبقي علىٰ الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلىٰ الأخيلية:

شَفَاها من الدَّاءِ العُضالِ الذِي بها ... غُلام إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاها

وقال صفوان لحسان:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيفِ عَنِّي فإنَّني ... غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بشاعِرِ

وفي الخبر[1]: إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويقسم لأبويه أنه ما فعل، فيقسمان علىٰ قسمه ويحميانه ممن يطلبه، وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل علىٰ كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغًا عاصيًا. قال ابن عباس: كان شابًّا يقطع الطريق. وذهب ابن جبير إلىٰ أنه بلغ سن التكليف لقراءة أبي وابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين» والكفر والإيمان من صفات المكلَّفين، ولا يطلق علىٰ غير مكلَّف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه. والغلام من الاغتلام وهو شدة الشَّبَق.

* * *

(١) كل هذا لا يصح له إسناد.

س: ما وجه زيادة كلمة (لك) في قول الخضر لموسى في المرة الثانية لما قتل الغلام﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٥]؟

ج: ذلك، والله أعلم لكون السؤال قد تكرر من موسى عليه السلام فكانت كلمة (لك) تحمل مزيداً من شدة على موسى عليه السلام لتكرر سؤاله، وقد قال النبي ﷺ: «**وهي أشد من الأولى**».

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي ﴾ [الكهف: ٧٦]؟

ج: المعنى، والله أعلم إن سألتك عن شيء بعد مسألتي هذه فلا تصاحبني أي: إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية. قال ابن عطية يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام وفي التلوم، ونحو ذلك.

* * *

س: وجه الاعتذار بعد ثلاث يكون ضعيفًا وضح ذلك؟

ج: نعم إذا تكرر الخطأ ثلاثًا ضعف الاعتذار ومن ثم قال موسى عليه السلام في الثالثة **﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾**.

وقال تعالى: **﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾** [البقرة: ٢٢٩]. إلى قوله تعالى: **﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾** [البقرة: ٢٣٠]. أي: فإن طلقها الثالثة.

وفي الاستئذان: يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»[١].

س: ما اسم هذه القرية التي ذكرها الله بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧]؟

ج: قال بعض أهل العلم إنها أبله، وقيل غير ذلك.

(**قلت**): ولم يرد نص بتسميتها، والجهل باسمها غير ضائرٍ.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في حق الضيف؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**[٣]، **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

* وفيهما[٤] أيضًا من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٢٦) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًا، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٤) البخاري (٦٠١٩) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨) (ص١٣٥٢).

ضيفه جائزته»قيل: وما جائزته يا رسول الله ؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليك**[١]، **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

* وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «... **وإن لزورك**[٢] **عليك حقًّا**. .»[٣].

* ويقرُّ النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «**وإن لضيفك عليك حق**»[٤].

وأخرج أحمد [٥] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: « **ما من الناس مثل رجلٍ آخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ في غنمه يقري ضيفه، ويؤدي حقه**».

وأخرج مسلم [٦] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم،**

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩)، عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلة، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) الزور: هو الضيف، يُقال: هؤلاء زور.

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي الله عنهما: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان».

وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) حديث(١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١١).

(٦) مسلم (حديث ٢٥٦٩).

مرضت فلم تَعُدْنِي ، قال: يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يابن آدم، استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه. أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلىٰ بعض نسائه؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلىٰ أخرىٰ فقالت مثل ذلك، حتىٰ قلن كلهن مثل ذلك : لا ، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماءٌ، فقال : «من يُضيفُ هذا الليلة، رحمه الله» فقام رجلٌ من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلىٰ رحله، فقال لامرأته : هل عندك شيءٌ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني؟ قال : فعلليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوىٰ ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال : «قد عجب اللَّهُ من صنيعكما بضيفكما الليلة».

س: كيف أقام الخضر عليه السلام الجدار؟

ج: ورد في «الصحيح» فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ـ قال مائل ـ فقام الخضر فأقامه بيده.

* وقد ورد عند الطبري [1] بسندٍ ضعيف عن ابن عباس موقوفًا أنه قال : هدمه ثم قعد يبنيه.

(١) الطبري (٢٣٢٣٥).

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزَّ ذكره أخبر أن صاحب موسىٰ وموسىٰ وجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسىٰ، بمعنىٰ: عَدَل ميَله حتىٰ عاد مستوياً. وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوىٰ بقدرة الله، وزال عنه ميله بلطفه ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]؟

ج: المعنىٰ الإجمالي، . والله تعالىٰ أعلم يوشك أن ينهدم ويسقط أي إنه قارب الوقوع والسقوط.

أما تفصيلاً: فها هي أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنىٰ قول الله عزّ وجل ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للمَوات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته، وهذا كقول العرب في غيره:

يريد الرُّمْحُ صَدْرَ أبي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِماءِ بَني عُقَيْلِ

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض قال: ومثله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ [مريم: ٩٠، الشورىٰ: ٥]، وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهتم به، ولكن لعظيم الأمر عندك وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط، قال:

ومثله من قول العرب قول الشاعر:

إن دهرًا يَلُفُّ شَمْلي بجُمْلٍ ... لزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحْسانِ

وقول الآخر:

يَشْكُو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرى ... صبْرًا جَميلاً فكلانا مُبْتَلى

قال: والجمل لم يشكُ، إنما تكلَّم به على أنه لو تكلم لقال ذلك، قال: وكذلك قول عنترة:

ازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِه ... وَشَكا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

قال: ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وإنما معناه: سكن. وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، إنما يعزم أهله وقال آخر منهم: هذا من أفصح كلام العرب. وقال: إنما إرادة الجدار: ميله، كما قال النبي ﷺ: «لا تراءى ناراهُما» وإنما هو أن تكون ناران كل واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القُرب، قال: وهو كقول الله عز وجل في الأصنام: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، قال: والعرب تقول: داري تنظر إلى دار فلان، تعني قرب ما بينهما، واستشهد بقول ذي الرُّمة في وصفه حوضًا أو منزلاً دارسًا:

قد كادَ أوْ قَدْ هَمَّ بالبُيُودِ

قال: فجعله يهمُّ، وإنما معناه: أنه قد تغير للبلى، والذي نقول به في ذلك أن الله عزَّ ذكره بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم، مما لا تحسُّه أبصارهم، وقد عقلت العرب معنى القائل:

في مَهْمَه قَلِقَتْ بِهِ هاماتُها ... قَلَقَ الفُئُوسِ إذا أرَدْنَ نُصُولا

وفهمت أن الفئوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياها بأنها تريد وعلمت ما يريد القائل بقوله:

كمثلِ هَيْلِ النَّقا طَافَ المُشاةُ بِهِ ... يَنْهَالُ حِينًا ويَنْهاهُ الثَّرى حِينا

وإنما لم يرد أن الثرىٰ نطق، ولكنه أراد به أنه تلبَّد بالندىٰ، فمنعه من الانهيال، فكان منعه إياه من ذلك كالنهي من ذوي المنطق فلا ينهال. وكذلك قوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] قد علمت أن معناه: قد قارب من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عنىٰ به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمىٰ، وضلّ بما فيه ذوو الجهالة والغبا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون بأن المجاز في القرآن؛ زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة وإنما هي مجاز وقد دلت آيات من كتاب الله علىٰ أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأن الله تعالىٰ يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق كما صرح تعالىٰ بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

فمن الآيات الدالة علىٰ ذلك ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٧٤]. فتصريحه تعالىٰ بأن بعض الحجارة يهبط من خشية

الله دليل واضح في ذلك ، لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ الآية [الاحزاب: ٧٢] . فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي : خافت دليل علىٰ أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه .

ومن الأحاديث الدالة علىٰ ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم» : أن النبي ﷺ قال : « **إني لأعرف حجراً كان يسلم علي بمكة**» وما ثبت في «صحيح البخاري» من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ جزعًا لفراقه ، فتسليم ذلك الحجر ، وحنين ذلك الجذع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه ، كما صرح بمثله في قوله : ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وزعم من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هي ضرب أمثال ، زعم باطل ، لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه . وأمثال هذا كثيرة جدًّا .

وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار علىٰ حقيقتها لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض ، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة ، وهذا واضح جدًّا كما ترىٰ . مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة ، علىٰ المقاربة والميل إلىٰ الشيء كما في قول الشاعر :

يريد الرُّمح صَدْرَ أبي بَرَاءٍ ... ويعدل عن دماء بني عقيل

أي يميل إلىٰ صدر أبي براء .

وكقول راعي نمير :

في مهمه قلقت به هامتها ... قلق الفئوس إذا أردن نضولا

فقوله « إذا أردن نضولا » أي : قاربنه وقول الآخر :

إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

فقوله: «لزمان يهم بالإحسان» أي: يقع الإحسان فيه. وقد بينا في رسالتنا المسماة «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» - أن جميع الآيات التي يزعمون أنها مجاز أن ذلك لا يتعين في شيء منها. وبينا أدلة ذلك. والعلم عند الله تعالى.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال:

إسناد الإرادة ها هنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل، .

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يُصلح مال غيره دون إذن من صاحب المال إذا كان هذا المال سيتعرض للتلف؟

ج: استدل بعض العلماء لجواز ذلك بفعل الخضر في السفينة وبفعله في الجدار، فقد أقام الجدار دون أن يستأذن أصحابه.

وأيضًا قد قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وذكر النبي ﷺ في حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم قال: اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أَرَز، فذهب وتركه، وأني عمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعتُه، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجرَه، فقلتُ له: اعمدْ إلى تلك البقرِ فسُقْها، فقال لي: إنما لي عندك فرَق من أرز، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرَق فساقها، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخَت عنهم الصخرة[1].

وقال السعدي رحمه الله تعالى: في الفوائد المستنبطة من هذه القصة

(١) البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).

ومنها : القاعدة الكبيرة أيضًا وهي أن : عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة ، أنه يجوز ، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال ، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظًا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال ، افتداء للباقي، جاز ولو من غير إذن.

* * *

س: هل من يمتلك سفينة قد يُعدُّ مسكينًا؟ وهل قد تجوز عليه الزكاة؟

ج: نعم يُعدُّ من يمتلك سفينةً مسكينًا، وذلك في حالة ما إذا كان يمتلك سفينة دخلها لا يكفيه ولا يكفي أولاده وأهله، فيعدُّ حينئذٍ مسكينًا ومن ثمَّ فهو من مصارف الزكاة، إذ الله قال : ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾ [التوبة: ٦٠] الآية.

* * *

س: ما المراد بقوله: ﴿ورائهم﴾ [الكهف: ٧٩] ؟

ج: ذهب فريقٌ من أهل العلم إلى أن المراد بالوراء هنا الأمام .

قال الطبري رحمه الله تعالى: ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ [الكهف: ٧٩] وكان أمامهم وقدَّامهم ملك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: قال: كان في القراءة «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا».

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] وكان أمامهم وقدامهم ملك .

وأورد بسند صحيح عن قتادة أنه قال كان في القراءة : (وكان أمامهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبا) .

ثم قال الطبري رحمه الله : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب «وراء» من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وطاعتِي وَقَوْمِي تميمٌ وللفَلاةُ وَرَائِيا

بمعنى أمامي ، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائي، لأنك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار : إذا كان ملاقيك، كأنه من ورائك وأنت أمامه وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائي، ولا إذا كان وراءك أن يقال : هو أمامي ، ويقول : إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل : وراءك برد شديد، وبين يديك حرٌّ شديد، لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

* * *

س: إذا كان الملك: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] فما فائدة الخرق إذن، وهو يأخذ كل السفن؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بما حاصله أن الملك كان يأخذ كل سفينةٍ صالحةٍ غصبًا، فالذي يأخذه الملك إنما هو الصالح من السفن، وأوردوا من القراءات ما يشهد لذلك فذكر البعض أن هناك قراءة (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) فالله أعلم بصحة ذلك .

س: قد نرى نحن البشر الخير في شيء وهو يحمل كل الشر، وقد نرى الشر في شيءٍ وهو يحمل لنا كل خير، فالله يعلم ونحن لا نعلم، دلِّل على ذلك؟

ج: نعم، وعلىٰ ذلك أدلة كثيرة:

قال تعالىٰ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالىٰ في شأن النساء: ﴿**فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

وها هو الخضر يخرق السفينة، والمشاهد يرىٰ أن هذا إتلاف ولكنه دفع لشر عظيم ألا وهو مصادرتها.

وكذا الأمر في قتل الغلام، وكذا في إقامة الجدار.

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم وصاحب جريج ....**» فذكر الحديث وبينا صبي يرضع من أمه فمرَّ رجل راكب علىٰ دابة فارهة[٢] وشارة[٣] حسنة: فقالت أمه: اللهمَّ! اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه. فقال: اللهم! لا تجعلني مثلهُ ثُمَّ أقبلَ علىٰ ثديه فجعل يرتضعُ.

قال: فكأني أنظرُ إلىٰ رسول اللهِ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٦٦ ومع الفتح ٦/ ٥١١)، ومسلم (ص١٩٧٧).

(١) فارهة: الفارهة النشيطة الحادة القوية وقد فرهت فراهة وفراهية.

(٢) وشارة: الشارة الهيئة واللباس.

فمه . فجعل يمصُّها ، قال : ومروا بجارية وهم يضربُونها ويقولونَ : زنيتِ . سرقت ، وهي تقولُ : حسبي الله ونعمَ الوكيل . فقالت أمهُ : اللهم ! لا تجعل ابني مثلَهَا . فترك الرَّضاعَ ونظرَ إليهَا ، فقال : اللهُمَّ! اجعلْنِي مثلها . فهنَاك تراَجعَا الحديث [١] فقالت : حلقىٰ[٢] ! مرَّ رجلٌ حسن الهيئة فقلتُ : اللهمَّ! اجعل ابني مثلهُ فقلت : اللهمَّ لا تجعلنِي مثله ، ومرُّوا بهذهِ الأمَة وهُمْ يضربونها ويقُولُونَ : زنيتِ . سرقْتِ فقلتُ : اللهم! لا تجعلِ ابني مثلَهَا . فقلت : اللهم ! اجعلني مثلها[٣]

قال : إن ذاك الرجل كان جباراً . فقلت : اللهم ! لا تجعلني مثله . وإن هذه يقولون لها : زنيت ولم تزن . وسرقت ولم تسرق . فقلت : اللهم ! اجعلني مثلها .

* ومن ذا الذي يتوقع أن فرعون وهو يحشر الناس لمشاهدة السحرة ومتابعتهم وهم يلاقون موسىٰ يوم الزينة! أن فرعون إنما يجمع الناس لفضيحته وإظهار نبوة موسىٰ عليه السلام!

ومن ذا الذي كان يتوقع أن فرعون وهو يُجيش الجيوش ويعد العدد إنما يعدهم لهلاكهم وهلاكه وإغراقهم وإغراقه!!

فالحمد لله رب العالمين .

* * *

س: هل تقتل الأنفس بناء على الخوف من شيء قد يصدر منها؟

ج: لا تقتل الأنفس بناء علىٰ ذلك .

---

(١) تراجعا الحديث : معناه أقبلت علىٰ الرضيع تحدثه وكانت أولاً ، لا تراه أهلاً للكلام فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته .

(٢) حلقىٰ : أي أصابه الله تعالىٰ بوجع في حلقه .

(٣) مثلها : أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة .

س: إذن فلماذا قتل الخضر الغلام؟

ج: قتله لأن الله أمره بذلك، فقد قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] ثم إن الله عزَّ وجل أعلم بالعباد، وربنا سبحانه وتعالىٰ عليهم حكيم رحيم.

وقد قال النبي ﷺ: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**».

هذا، وقد أخرج مسلم [١] رحمه الله تعالىٰ من طريق يزيد بن هرمز، أن نجدة كتب إلىٰ ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه [٢] كتب إليه نجدة: أما بعد. فأخبرني هل كان رسولُ الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضربُ لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتىٰ ينقضي يُتْمُ اليتيم؟ وعن الخمس لمن هوَ؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزُو بهن فيُداوين الجرحىٰ ويُحذَين [٣] من الغنيمة. وأما بسهمٍ، فلم يضرب لهن وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان. وكتبت تسألني: متىٰ ينقضي يُتم اليتيم [٤] فلعمري إن الرجل لتنبتُ لحيتهُ وإنه لضعيفُ الأخذ لنفسه، ضعيفُ العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ [٥] فقد ذهب عنه اليتمُ، وكتبت تسألني عن الخُمس لمن هُو؟ وإنَّا كنا نقولُ هو لنَا، فأبىٰ علينَا قومُنا ذاك.

---

(١) مسلم (حديث ١٨١٢).

(٢) لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه: يعني إلىٰ نجدة الحروري من الخوارج معناه أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته، وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ولكن لما سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلىٰ جوابه وقال: لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه أي: لولا أنني إذا تركت الكتابة أصير كاتمًا للعلم مستحقًا لوعيد كاتمه، لما كتبت إليه.

(٣) ويُحذين: أي يعطين الحُذوة وهي العطية وتسمىٰ الرضخ والرضخ العطية القليلة.

(٤) متىٰ ينقضي يتم اليتيم: أي متىٰ ينتهي حكم يتمه أما نفس اليتم فينقضي بالبلوغ.

(٥) فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ: أي: فإذا صار حافظًا لما له عارفًا بوجوه أخذه وعطائه.

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا أن ابن عباس كتب إلىٰ نجدة فقال له: وكتبت تسألني عن قتل الولدان؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتُلهم إلا أن تعلم منهُم ما علمَ صاحب موسىٰ من الغلام الذي قتلهُ.

* * *

س: ما المراد بالكنز في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن الكنز هنا كنزُ علمٍ، أي: أنها صحف فيها علم، وقد صح نحو ذلك عن سعيد بن جبير [١]، فقال: ﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا**﴾ [الكهف: ٨٢] قال: علم.

وقال آخرون من أهل العلم: ، بل كان مالاً مكنوزًا، وقد صح عن عكرمة [٢] أنه قال: كنز مالٍ.

قال الطبري رحمه الله: وأولىٰ التأويلين في ذلك بالصواب: القول الذي قال عِكْرمة؛ لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلىٰ الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلىٰ غير ذلك، لعلل قد بيَّناها في غير موضع.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧] **يُفيد أنها قرية وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾** [الكهف: ٨٢] **يفيد أنها مدينة فكيف الجمع؟**

ج: الجمع أن يُقال إن المراد بالقرية هنا مجموعة البيوت المستقرة فبهذا

---

(١) أخرج ذلك عنه الطبري (أثر ٢٣٢٥٩).

(٢) الطبري (أثر ٢٣٢٦٧).

التعريف يندفع الإشكال، فالمدينة أيضاً بيوتها مستقرة.

وقد قال الله تعالىٰ في شأن مكة: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال القاسمي رحمه الله:

في هذه الآية دليل علىٰ إطلاق القرية علىٰ المدينة؛ لأنه قال أولاً: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٨٢] وقال ها هنا: ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: مكة والطائف.

* * *

س: اذكر ما يدل على انتفاع الأبناء بصلاح الآباء.

ج: من الأدلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] ومن ذلك أيضاً قول الله تعالىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

* ثم إن العباد الصالحين يواصلون الدعاء لأبنائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] وكذلك يقول قائلهم: «وأصلح لي في ذريتي»، فلتقواهم يتقبل الله دعاهم إذ الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. [المائدة: ٢٧].

وكذا لطيب طعامهم وشرابهم يتقبل الله منهم، أما غيرهم فقد ذكر النبي ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟!**»(١).

وأيضًا فانتفاع الأبناء بصلاح الآباء مستمر إلى الآخرة ما دام الأولاد على الإسلام والآباء كذلك، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١].

* * *

س: اذكر من قصة موسى مع الخضر ما يدل على استحباب خدمة الصالحين؟

ج: ذلك مأخوذ من إقامة الخضر للجدار، وذلك خدمة لليتيمين أبناء الرجل الصالح، والله تعالى أعلم.

وفي هذا الباب قول أبي بكر لعليٍّ رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي(٢).

وقول أبي بكر رضي الله عنه أيضًا: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»(٣).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٤) في «صحيحه»:

من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) البخاري (رقم ٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩).

(٣) البخاري (٣٧١٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٤٣٥).

الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلىٰ خلائلها.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»(١) بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن هشام، عن محمد بن سيرين قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن شاب إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبا بالحناء والكتم، قال: وجاء أبو بكر بأبيه قحافة إلىٰ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتىٰ وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: **«لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر»**.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] **بمن؟**

ج: رحمة من ربك باليتيمين.

* * *

س: ما وجه التخفيف في قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]؟

ج: **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:** وقوله: **﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾** [الكهف: ٨٢]، أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا، ولم تصبر حتىٰ أخبرك به ابتداء، ولما أن فسره له وبينه، ووضحه وأزال المشكل، قال: **﴿تَسْطِع﴾** [الكهف: ٨٢] وقبل ذلك كان الإشكال قويًّا ثقيلاً فقال: **﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾** [الكهف: ٨٢] فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: **﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾** [الكهف: ٨٢] وهو الصعود إلىٰ أعلاه **﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾** [الكهف: ٩٧] وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظًا ومعنىٰ، والله أعلم.

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٠).

س:هل الخضر كان نبيًّا أم وليًّا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه نبي، وهو قول جمهور العلماء، نقله عنهم غير واحد فقد قال القرطبي العبد هو الخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء.

وقال الحافظ في«الفتح» : وحكىٰ ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟

وقالت طائفة منهم القشيري: هو ولي.

قلت (مصطفى): الوارد في كتاب الله عز وجل: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

فإذا فُسرت الرحمة بالنبوة، فقد تم الاستدلال لمن قال بنبوته وإلا فيستدل للقائلين بنبوته بل ورسالته أيضًا بقول الخضر ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: ٨٢] مع قول الله تعالىٰ: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وهذه طائفة من أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رحمه الله:

والخضر نبي عند الجمهور.

وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يَتَّبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي.

وقيل: كان مَلَكًا أمر الله موسىٰ أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن.

والأول الصحيح ؛ والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله تعالىٰ: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي: لكني أُمرت به، ووُفِّقت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ـ عليه السلام ـ مع ما تقدم من قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقال آخرون: كان رسولاً.

وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في «تفسيره».

وذهب كثيرون إلىٰ أنه لم يكن نبيًّا، بل كان وليًّا، فالله أعلم.

وقال السعدي في «تفسيره»: (في الفوائد المستنبطة من القصة المباركة).

ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبيًّا، بل عبدًا صالحًا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيًّا لذكر ذلك، كما ذكره غيره.

وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه لا يدل علىٰ أنه نبي وإنما يدل علىٰ الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]. ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨]

وقد تعقبه المعلق بقوله:

قوله: «فإنه لا يدل علىٰ أنه نبي . . . إلخ» سبق أن قلنا: إن التحقيق أنه

نبي، وتزيد هنا ما قاله أبو السعود في «تفسيره» ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ التنكير للتفخيم، والإضافة للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا ابن ملكان. وقيل اليسع، وقيل: إلياس عليهم الصلاة والسلام، ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] وهي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] خاصًّا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب. اهـ.

ونزيد ثانيًا أن الله قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فلما أظهر الخضر على علم الغيب دل على أنه رسول بنص الآية التي ذكرناها لأنه تعالى خصص إظهار علم الغيب وحصره في المرسلين وغيرهم لا يطلعه على شيء من علم الغيب وتنظير المؤلف ما أوحاه الله إلى الخضر بالوحي إلى النحل، وبالوحي إلى أم موسى بعيد كل البعد عن مسألة الخضر، فإن الوحي إلى النحل وإلى أم موسى ليس من الأمور الغيبية حتى يستقيم التنظير.

* * *

س: هل الخضر ما زال حيًّا؟

ج: لم أقف على خبر صريح في ذلك عن رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى أنه قد مات عدد من أهل العلم، بينما ذهب الأكثرون إلى أنه حيٌّ، وكما ذكرت فلم أقف لمن قال بأنه حيٌّ على خبرٍ صحيح عن رسول الله ﷺ

أما الذين قالوا بوفاته فاستدلوا بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبقول النبي ﷺ لما خطب أصحابه بعد العشاء: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»(١).

وبأنه لو كان حيًّا لتبع النبي ﷺ وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»(٢).

كانت هذه بعض أدلة القائلين بوفاته، أما الذين قالوا بأنه حيٌّ فأوردوا أخبارًا واهية وآثارًا لا تقوم بها حجة، ولا يخلو أغلبها من مقال وهذه بعض

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٠١) ومسلم (حديث ٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي ﷺ فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» فوهلَ الناس(*) في مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.
وعند مسلم(**) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمُها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسةٍ تأتي عليها مائة سنة».
وعنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(***) لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسةٌ اليوم».
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(*) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٢/ ٧٥) قوله: (عن مائة سنة) لأن بعضهم كان يقول: إن الساعة تقوم عندما تنقضي مائة سنة كما روى ذلك الطبراني وغيره من حديث أبي مسعود البدري ورد ذلك عليه علي بن أبي طالب وقد بين ابن عمر مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم.
(**) مسلم (حديث ٢٥٣٨).
(***) مسلم حديث (٢٥٣٩).

الأقوال في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ «فتح الباري»[١]

وقال ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين.

وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر، انتهىٰ.

والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلىٰ بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر ابن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»، قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه. وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ علىٰ وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق. ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤] وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلىٰ النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفي وقال ﷺ: «**رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما**» فلو كان الخضر موجودًا لما حسن التمني، ولأحضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعىٰ لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

---

(١) «فتح الباري (٦/ ٤٣٤) فما بعدها

وجاء في اجتماعه مع النبي ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده : « أن النبي ﷺ سمع وهو في المسجد كلاماً فقال : يا أنس اذهب إلىٰ هذا القائل فقل له يستغفر لي ، فذهب إليه فقال : قل له إن الله فضلك علىٰ الأنبياء بما فضل به رمضان علىٰ الشهور قال : فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» إسناده ضعيف . وروىٰ ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسناد أوهىٰ منه وروىٰ الدارقطني في « الأفراد» من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعًا : « يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله » الحديث ، في إسناده محمد بن أحمد بن زيد بمعجمة ثم موحدة ساكنة وهو ضعيف وروىٰ ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيىٰ عن ابن أبي رواد نحوه وزاد « ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلىٰ قابل» وهذا معضل ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن ابن أبي رواد وزاد أنهما « يصومان رمضان ببيت المقدس » .

وروىٰ الطبري من طريق عبد الله بن شوذب نحوه وروىٰ عن علي أنه« دخل الطواف فسمع رجلاً يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع» الحديث فإذا هو الخضر ، أخرجه ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف ، وهو في « المجالسة» من الوجه الثاني ، وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الإسناد منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أنس : « لما قبض النبي ﷺ دخل رجل فتخطاهم ـ فذكر الحديث في التعزية ـ فقال أبو بكر وعلي : هذا الخضر» في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واهٍ ، وروىٰ سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول ، وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحوه ، وروىٰ ابن وهب من طريق ابن المنكدر : « أن عمر صلىٰ علىٰ جنازة ، فسمع قائلاً يقول : لا

تسبقنا ـ فذكر القصة ـ وفيها : أنه دعا للميت فقال عمر : خذوا الرجل فتوارىٰ عنهم ، فإذا أثر قدمه ذراع ، فقال عمر : هذا والله الخضر» في إسناده مجهول مع انقطاعه .

وروىٰ أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال : بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن فقال : قل اللهم سلمني وسلم مني قال : فقالها فسلم قال مسعر : يرون أنه الخضر وروىٰ يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بالتحتانية ابن عبيدة قال : رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً علىٰ يديه فلما انصرف قلت له من الرجل ؟ قال : رأيته ؟ قلت : نعم قال أحسبك رجلا صالحًا ذاك أخي الخضر بشرني أني سأولىٰ وأعد ، لا بأس» برجاله ولم يقع لي إلىٰ الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة وروىٰ ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال : أتاني أخ لي من أهل الشام فقال اقبل مني هذه الهدية إن إبراهيم التيمي حدثني قال : كنت جالسًا بفناء الكعبة أذكر الله فجاءني رجل فسلم علي فلم أر أحسن وجها منه ولا أطيب ريحًا ، فقلت : من أنت ؟ فقال أنا أخوك الخضر قال فعلمه شيئًا إذا فعله رأىٰ النبي ﷺ في المنام ، وفي إسناده مجهول وضعيف .

وروىٰ ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأىٰ وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم رآه بعد أن صار شيخًا كبيراً علىٰ حالته الأولىٰ فنهاه عن ذلك أيضًا ، قال فالتفت لأكلمه فلم أره ، فوقع في نفسي أنه الخضر وروىٰ عمر الجمحي في «فرائده» والفاكهي في « كتاب مكة» بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأىٰ شيخًا كبيراً يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه رُدَّه علي ، قال فتطلبته فلم أقدر عليه ، فقال لي أبي :

ذاك الخضر . وروى البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر ، فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة ، فقال ابن عمر لأحدهما : اكتبها منه ، فاستعاده حتى حفظها ثم تطلبه فلم يره ، قال : وكانوا يرون أنه الخضر

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قالوا: وكان يكنى أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في «تهذيب الأسماء» ، وحكى هو وغيره في كونه باقيًا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة ـ قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم ، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف.

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وبقول النبي ﷺ يوم بدر : «**اللهم؛ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ (ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيًّا لكان من أتباع النبي ﷺ) وأصحابه؛ لأنه ـ عليه السلام ـ كان مبعوثًا إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وقد قال: «**لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي**» وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض ، إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل.

س: من قصة موسى مع الخضر يؤخذ أصلٌ وهو ارتكاب أخف الضررين ودرء أعظم المفسدتين، دلل على ذلك بأدلة من قصة الخضر ومن غيرها..؟

ج: أما قصة موسى مع الخضر فمنها ما يلي:

* خرق السفينة لحفظها من الاغتصاب.

فالخرق ضررٌ، واغتصابها ضررٌ أعظم،

فحتىٰ لا تغتصب السفينة خرقها الخضر.

وأيضًا قتل الغلام لدفع الفتنة فتنة الكفر عن والديه فالقتل فيه من إدخال الحزن علىٰ الوالدين ما فيه وتكفير الوالدين فتنة أعظم من حزنهما.

ومن غير قصة موسىٰ مع الخضر:

مسألة الخلع فرد المرأة للصداق فيه ضرر عليها، فإضاعة المال ضرر، ولكن عدم إقامتها لحدود الله مع زوجها ضرره أعظم.

فاختارت أخف الضررين، وهو افتداء نفسها برد الصداق الذي أخذته وكافتداء صهيب بماله وتركه لأهل الكفر حتىٰ لا يحولوا بينه وبين الهجرة ولذلك صور كثيرة جدًّا، فعلىٰ سبيل المثال رأيت رجلاً ظالمًا يطاود آخر مظلومًا يريد قتله، وأنت توقن تمام اليقين بذلك، فاختفىٰ عندك المظلوم وجاءك الظالم يسأل: أدخل فلان عندك؟ فإن قلت دخل عندي فسيدخل ويقتله وإن قلت لم يدخل فقد وقعت في الكذب!

فأي الضررين أخف، الظاهر والله أعلم أن الكذب أخف الضررين، فإن ارتكب لدفع القتل عن المقتول ولنصرة الظالم بمنعه من الظلم، فهذا أقرب للتقوىٰ، والله أعلم.

قال السعدي رحمه الله تعالى: في الفوائد المستنبطة من القصة.

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعىٰ أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما. فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتىٰ يفتن أبويه عن دينهما أعظم شرًّا منه. وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما

خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر ، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر ، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى [1] :

وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد (وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز ، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح ، ولكن فيما لا يعارض منصوص الشرع ، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسًا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئًا من ذلك ، وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه .

* * *

س: ما الحكم فيمن يرفضون أحكام الشريعة ويعملون بما تُمليه عليهم أهواؤهم؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية ، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة ، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يزاد منهم ما يقع في قلوبهم ، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم وقالوا : وذلك لصفاء قلوبهم عن

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢) .

الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفُهوم وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون.

قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما عُلم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه؛ اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك؛ كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك من الآيات وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يُعرَف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغني عن الرسل فهو كافر، يُقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول. وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع في حكمة لله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: «**إن روح القدس نفث في رَوْعي**» الحديث.

س: ما وجه تذكير الله عز وجل نبيه ﷺ بقصة موسى والخضر؟

ج: وجه ذلك، والله تعالىٰ أعلم، لتصبير النبي ﷺ وإخباره بأن مآل الأمور معه ستكون إلىٰ خير إن شاء الله وإن حدث في الظاهر ما من شأنه أن يضايقك، وما من شأنه أن يؤذيك بعض الأذىٰ، إلا أنه دومًا تكون العاقبة للتقوىٰ فأيقن، وإن طردوك، وإن أخرجوك، وإن آذوك أن العاقبة للتقوىٰ، فكم من أمور ظواهرها المكروه والشر، ولكنها تحمل للمسلم كل خير، ومن ثمَّ فلا تضجر أيها الرسول ولا تستعجل، فالله يعلم ونحن لا نعلم، ويقدر ونحن لا نقدر.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بها عن موسىٰ وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترىٰ الأعين، بما قد يجري مثله أحيانًا لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلىٰ أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسىٰ واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسىٰ، إذ لم يكن عالمًا بعواقبها وهي ماضية علىٰ الصحة في الحقيقة وآئلة إلىٰ الصواب في العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً**﴾ [الكهف:٥٨]، ثم عقب ذلك بقصة موسىٰ وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظراً منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلىٰ هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.

س: اذكر مجمل ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في شأن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام؟

ج: مجمل ذلك في حديثين أخرج البخاري ومسلم لفظ واحدٍ منهما، وانفرد مسلم بسياق الآخر وها هما الحديثان:

أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلتُ لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسىٰ عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسىٰ صاحب الخضر، عليه السلام فقال كذب عدو الله[٢] سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل فسئلَ: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين [٣] هو أعلم منك قال موسى: أي رب! كيف لي به؟ فقيل لهُ: احمل حوتًا [٤] في مكتل،[٥] فحيث تفقدُ[٦] الحوتَ فهو ثمَّ[٧] فانطلق وانطلق معه فتاهُ[٨] وهو يُوشع بن نون فحمل موسى، عليه السلام حوتًا في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا**

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) (كذب عدو الله) قال العلماء: هو علىٰ وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله. لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.

(٣) (بمجمع البحرين) قال القسطلاني: أي ملتقىٰ بحري فارس والروم من جهة الشرق أو بإفريقية أو طنجة.

(٤) حوتًا: الحوت السمكة. وكانت سمكة مالحة، كما صرح به في الرواية الثانية

(٥) مكتل: هو القفة والزنبيل.

(٦) تفقد: أي: يذهب منك، يقال فقده وافتقده

(٧) فهو ثم: أي هناك.

(٨) فتاه: أي صاحبه.

الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحُوت في المكتلِ، حتَّى خرَجَ من المكتل، فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق[١]، فكان للحوت سَرَبًا، وكان لموسى وفتاهُ عجبًا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما[٢] ونسِي صاحبُ موسىٰ أن يخبرهُ، فلما أصبح موسىٰ، عليه السلام، قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا[٣] قال: ولم ينصب حتَّىٰ جاوز المكان الذي أمرَ به قال: أرأيت إذ أوينَا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا[٤] قال مُوسىٰ: ذلك ما كنا نبغي[٥] فارتدا علىٰ آثارهما قصصًا.، قال: يقصان آثارهما حتىٰ أتيا الصخرة فرأىٰ رجلاً مُسجىٰ[٦] عليه بثوب فسلم عليه موسىٰ. فقال له الخضر: أنىٰ بأرضكَ السَّلامُ؟![٧] قال: أنا مُوسىٰ قال مُوسىٰ بني إسرائيلَ؟

قال: نعم قال: إنك علىٰ علم من علمِ الله علمكهُ الله لا أعلمهُ. وأنا علىٰ علم من علمِ الله علمَنيه لا تعلمهُ قال له مُوسىٰ، عليه السلام: هل أتبعكَ علىٰ أن تُعلمني ممَّا عُلمت رشدًا؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا،

---

(١) الطاق: عقد البناء: وجمعه طيقان وأطواق. وهو الأزج وما عقد أعلاه من البناء، وبقىٰ ما تحته خاليا.

(٢) وليلتَهما: ضبطوه بنصب ليلتهما، جرها.

(٣) نصبا: النصب التعب.

(٤) واتخذ سبيله في البحر عجبا: قيل إن لفظة عجبا يجوز أن تكون من تمام كلام يوشع وقيل: من كلام موسىٰ: أي قال موسىٰ: عجبت من هذا عجبا. وقيل: من كلام الله تعالىٰ. ومعناه اتخذ موسىٰ سبيل الحوت في البحر عجبًا.

(٥) نبغي: أي نطلب، معناه أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع الذي نفقد فيه الحوت.

(٦) مسجىٰ: أي: مغطىٰ.

(٧) أنَّىٰ بأرضك السلام: أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام قال العلماء: أنىٰ تأتي بمعني أين ومتىٰ وحيث وكيف.

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟! قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.

قال له الخضرُ: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.

قال: نعم.

فانطلق الخضر ومُوسى يمشيان على ساحل البحر. فمرت بهما سفينة فكلماهُم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نولٍ، (١) فعمد الخضر إلى لوح من ألواحِ السفينة فنزعه.

فقال له موسَى: قوم حملونَا بغير نوْلٍ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. لقد جئت شيئًا إمراً (٢).

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟!

قال: لا تؤاخذنِي بما نسيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسراً (٣).

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه، فاقتلعه بيده فقتله.

فقال مُوسى: أقتلت نفسًا زاكية (٤) بغيرِ نفسٍ (٥) لقد جئت شيئًا نكراً (٦)؟!

قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟

قال - وهذه أشد من الأولى - قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا

---

(١) بغير نول: أي بغير أجر، والنول والنوال العطاء

(٢) إمرا: أي عظيمًا.

(٣) ولا ترهقني من أمري عسراً: قال الإمام الزمخشري: يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري. وهو اتباعه إياه يعني ولا تُعسر عليّ متابعتك ويسِّرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة

(٤) زاكية: قرئ في السبع زاكية وزكية. قالوا: ومعناه طاهرة من الذنوب.

(٥) بغير نفس: أي بغير قصاص لك عليها.

(٦) نكرا: النكر هو المنكر.

تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً[١] .

فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض[٢] فأقامه يقول مائل قال الخضرُ بيده هكذا[٣] فأقامه .

قال له موسىٰ : قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا ، لو شئت لتخذت عليه أجراً ! !

قالَ : هذا فراقُ بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً . . .

قال رسول الله ﷺ : «**يرحم الله موسى لوددت أنه صبرَ حتى يقص علينا من أخبارهما**» .

قال : وقال رسول الله ﷺ : «**وكانت الأولى من موسَى نسيانًا**» قال : «**وجاء عُصفورٌ حتى وقع على حرف السفينة. ثمَّ نقر في البحر فقال له الخضر : ما نقصَ علمي وعلمُك[٤] من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر**» .

قال سعيد بن جبير : ـ وكان يقرأ ـ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافراً .

---

(١) قد بلغت من لدني عذراً : معناه قد بلغت إلىٰ الغاية التي تعذر بسببها في فراقي .

(٢) فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض : هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة ومعناه قرب من الانقضاض ، وهو السقوط .

(٣) قال الخضر بيده هكذا : أي أشار بيده فأقامه وهذا تعبير عن الفعل بالقول وهو شايع .

(٤) ما نقص علمي وعلمك : قال العلماء : لفظ النقص هنا ليس علىٰ ظاهره وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلىٰ علم الله تعالىٰ كنسبة ما نقره هذا العصفور إلىٰ ماء البحر وهذا علىٰ التقريب إلىٰ الأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر

هذه التعليقات من تعليقات الشيخ فؤاد علىٰ مسلم .

وفي رواية لمسلم [١] من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قيل لابن عباس: إن نوفًا يزعم أن موسىٰ الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسىٰ بني إسرائيل قال: أسمعته يا سعيد! قلت: نعم قال: كذب نوف

* * *

حدثنا أبيُّ بن كعب قالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**إنه بينما مُوسى عليه السلامُ في قومِه يُذكِّرُهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال: ما أعلمُ في الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم مني، قال فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه أو عند من هو إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك.**

قال: يا رب فدُلني عليه. قال: فقيل له: تزود حُوتًا مالحًا، فإنهُ حيثُ تفقد الحوت قال فانطلق هُو وفتاه حتى انتهيًا إلى الصخرة فعُمي عليه فانطلق وترك فتاهُ فاضطرب الحُوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوَّة [٢] قال: فقال فتاهُ: ألا ألحق نبيَّ الله فأخبرهُ قالَ: فنسِّيَ.

فلما تجاوزا قال لفتاهُ: آتنا غدائنَا لقد لقينا من سفرنَا هذا نصبًا. قال ولم يُصبُهم نصبٌ حتى تجاوزا، قال: فتذكر، قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحُوتَ ومَا أنسَانيهُ إلا الشيطان أن أذكُرهُ واتخذَ سبيلهُ في البحر عجبًا، قالَ: ذلك ما كُنَّا نبغي فارتدَّا على آثارهما قصصًا فأرَاهُ مكانَ الحُوتِ قال: هَهنا وُصف لي.

قال: فذهبَ يلتمسُ فإذا هو بالخضرِ مُسجى ثوبًا، مستلقيًا على القفا أو قال على حلاوة القفا [٣] قال: السلام عليكم.

---

(١) مسلم (ص ١٨٥٠).

(٢) الكوَّة هي الطاقة.

(٣) علىٰ حلاوة القفا: هي وسط القفا، ومعناه لم يمل إلىٰ أحد جانبيه وهي بضم الحاء وفتحها وكسرها أفصحها الضم.

فكشف الثوبَ عن وجهه قال: وعليكم السلامُ من أنتَ؟ قال: أنا مُوسى، قال: ومن مُوسى؟ قال: موسَى بني إسرائيل قال مجيء ما جاء بك[١]؟ قال: جئت لتعلمني مما علمتَ رشداً. قالَ إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبراً؟! شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال: انتحى عليها[٢] قال لهُ موسى عليه السلامُ: أخرقتها لتغرق أهلها لقدجئت شيئًا إمراً قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا ترهقني من أمري عسراً.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون قال: فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي[٣] فقتلهُ، فذعر عندها موسى عليه السلام ذعرة مُنكرة قال: «أقتلت نفسًا زاكية بغير نفسٍ لقد جئت شيئًا نكراً».

فقال رسولُ الله ﷺ، عند هذا المكان: «رحمةُ الله علينا وعلى مُوسى لولا أنه عجل لرأى العجبَ ولكنه أخذتُه من صاحبِه ذمامة[٤]».

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني. قد بلغت من لدُني عذراً. ولو صبر لرأى العجب ـ.

قال: وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه «رحمة الله علينا وعلى أخي كذا رحمة الله علينا ـ.

---

(١) مجيء ما جاء بك: قال القاضي: ضبطناه مجيء مرفوع غير منون عن بعضهم وعن بعضهم منونًا قال: وهو أظهر أي أمر عظيم جاء بك.

(٢) انتحى عليها: أي: اعتمد على السفينة وقصد خرقها.

(٣) بادي الرأي: بالهمز وتركه فمن همزه معناه أول الرأي وابتداؤه أي انطلق إليه مسارعًا إلى قتله من غير فكر ومن لم يهمز فمعناه ظهر له رأي في قتله من البداء وهو ظهور رأي لم يكن قال القاضي ويمد البداء ويقصر.

(٤) أخذته من صاحبه ذمامة: أي حياء وإشفاق من الذم واللوم.

«فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئامًا فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيهاجداراً يُريد أن ينقض فأقامه، قال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً.

قال : هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه. قال: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يُسخرُهاوجدَها مُنخرقة فتجاوزها فأصلحُوها بخشبة وأما الغُلامُ فطبعَ يوم طبعَ كافراً وكان أبوَاهُ قد عطفَا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفراً(١) فأردنا أن يبدلهُما ربهُما خيراً منه زكَاةً وأقرب رحُمًا(٢) وأمَّا الجدارُ فكان لغُلامين يتيمين في المدينة وكان تحته » إلىٰ آخر الآية .

* * *

(١) أرهقهما طغيانًا وكفراً : أي حملهما عليهما وألحقهما بهما والمراد بالطغيان ، هنا ، الزيادة في الضلال .

(٢) خيراً منه زكاة وأقرب رحما قيل : المراد بالزكاة الإسلام وقيل الصلاح وأما الرحم فقيل معناه الرحمة لوالديه وبرهما وقيل المراد يرحمانه .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ

عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ
أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُل

إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

سَأَتْلُو - ذِكْرًا - مَكَّنَّا لَهُ - آتَيْنَاهُ - سَبَبًا - فَأَتْبَعَ سَبَبًا - مَغْرِبَ الشَّمْسِ - عَيْنٍ حَمِئَةٍ - تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا - نُّكْرًا - جَزَاءً الْحُسْنَى - يُسْرًا - أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا - السَّدَّيْنِ - يَفْقَهُونَ قَوْلًا - يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - خَرْجًا - سَدًّا - مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ - فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ - زُبَرَ الْحَدِيدِ - الصَّدَفَيْنِ - انفُخُوا - أُفْرِغْ - قِطْرًا - اسْطَاعُوا - يَظْهَرُوهُ - نَقْبًا - وَعْدُ رَبِّي - دَكَّاءَ - يَوْمَئِذٍ - يَمُوجُ - الصُّورِ - فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا - عَرَضْنَا جَهَنَّمَ - غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي - لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا - أَوْلِيَاءَ - أَعْتَدْنَا - نُزُلًا - الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا - ضَلَّ سَعْيُهُمْ - يَحْسَبُونَ - يُحْسِنُونَ صُنْعًا - فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا - هُزُوًا - حِوَلًا - مِدَادًا - لَنَفِدَ الْبَحْرُ - مَدَدًا - لِقَاءَ رَبِّهِ؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَأَتْلُو﴾	سأقص.
﴿ذِكْرًا﴾	خبراً.
﴿مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾	وطَّأنا له في الأرض - جعلناه متمكنًا في الأرض.

الكلمة	معناها
﴿آتَيْنَاهُ﴾	أعطيناه.
﴿سَبَبًا﴾	عِلمًا يتوصل به إلى المراد[١].
﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾	سلك طريقًا - اتبع منزلاً - أخذ ببعض ما أمدَّه اللَّه به وانطلق سائرًا.
﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾	أقصى ما يمكن الوصول إليه من الأرض من ناحية غروب الشمس.
﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾	عين ذات طينة سوداء[٢] - عين حارَّة.
﴿تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾	تسلك معهم طريقة فيها عفو وصفح وتعليم وإرشاد.
﴿نُكْرًا﴾	شديدًا - عظيمًا - بليغًا.
﴿الْحُسْنَى﴾	الجنة - الأعمال الصالحة.
﴿يُسْرًا﴾	قولاً معروفًا.
﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾	اطلعنا على ما عنده - علمنا أحواله وأحوال من يواجههم وأحوال ما يلقاه.
﴿السَّدَّيْنِ﴾	الجبلين.
﴿يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾	يفهمون حديثًا.

(١) وقد صحَّ ذلك عن قتادة عند الطبري، وقد يطلق السبب على الطريق، ومنه: ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾[غافر: ٣٦، ٣٧]، وقد يطلق على الحبل ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾[الحج: ١٥].

(٢) والحمأ يُطلق على الطين، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ [الحجر: ٢٦].

الكلمة	معناها
﴿ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾	قبيلتان مشهورتان بالفساد.
﴿ خَرْجًا ﴾	أجرًا - شيئًا مما تخرجه الأرض - أجرة على بناء السد.
﴿ سَدًّا ﴾	حاجزًا.
﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾	ما أعطانيه اللَّه خيرٌ من الذي تجمعونه وتعطونه لي.
﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾	أمدوني بالرجال الأقوياء وبالآلات اللازمة للعمل.
﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾	قطع الحديد.
﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾	جانبا الجبل، وسميا بذلك لتصادفهما، أي: تلاقيهما.
﴿ انفُخُوا ﴾	انفخوا في الكير - أجِّجوا عليه النار.
﴿ أُفْرِغْ ﴾	أصبُّ.
﴿ قِطْرًا ﴾	نُحاسًا، وهذا على أرجح الأقوال، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢].
﴿ اسْطَاعُوا ﴾	استطاعوا.
﴿ يَظْهَرُوهُ ﴾	يصعدوا فوقه - يعلونه.
﴿ نَقْبًا ﴾	ثقبًا - خرقًا.
﴿ وَعْدُ رَبِّي ﴾	الوعد بخروج يأجوج ومأجوج - وقيل: قيام الساعة.
﴿ دَكَّاءَ ﴾	مستويًا مع الأرض - مدكوكًا.
﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾	يوم يدك السدُّ.

الكلمة	معناها
﴿يَمُوجُ﴾	يختلط .
﴿الصُّورِ﴾	قرن يُنفخ فيه .
﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾	جمعنا الأولين مع الآخرين ، وأحضرناهم للحساب .
﴿عَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾	أبرزنا جهنَّم وأظهرناها حتىٰ يرونها ويعاينوها .
﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾	تغافلوا وتعاموا عن قبول الحق ـ في عمًى عن الحق والقرآن ، أي بمنزلة من وضع علىٰ عينيه غطاء .
﴿لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	لا يعقلون عن اللَّه أمره ونهيه ـ لا يفهمون .
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أنصار .
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا ـ هيَّأنا .
﴿نُزُلاً﴾	منزلاً ـ ضيافةً .
﴿الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾	الذين خسروا أعمالهم ولم تتقبل منهم أعمالهم .
﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾	بطل عملهم .
﴿يَحْسَبُونَ﴾	يظنون .
﴿يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	يحسنون عملاً ـ يعملون أعمالاً تقربهم إلىٰ اللَّه .

الكلمة	معناها
﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾	ذهب ثوابها .
﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾	لا نثقل موازينهم بأعمال الخير ـ لا يَزِنونَ عند اللَّه جناح بعوضة .
﴿ هُزُوًا ﴾	سخرية واستهزاءً .
﴿ حِوَلاً ﴾	تحولاً ـ انتقالاً
﴿ مِدَادًا ﴾	حِبراً (المداد هو الحِبر) .
﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾	لانتهىٰ ماء البحر .
﴿ مَدَدًا ﴾	زيادة .
﴿ لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾	وجه ربه ـ ثواب ربه .

قصة ذي القرنين

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] سبب نزول؟

ج: تقدَّم في مطلع السورة الكريمة أنه قد ورد لذلك سبب نزول للسورة بما فيها هذه الآية، ولكنه لا يصحُّ.

* * *

س: هل ورد لذي القرنين خبرٌ في كتاب اللَّه عزَّ وجل في غير هذا الموطن؟

ج: لم يُذكر ذو القرنين في موطن آخر من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، إلا في هذه المواطن من سورة الكهف.

* * *

س: هل صحَّ في ذكر ذي القرنين خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ؟

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ - فيما علمت.

* * *

س: لماذا أطلق على ذي القرنين «ذو القرنين»؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

* **منها:** أثرٌ أخرجه الطبري[1] عن عليٍّ رضي اللَّه عنه، ولكنه غريبٌ، وفيه عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًّا وسألوه عن ذي القرنين أنبيًّا كان؟

---

(١) الطبري أثر (٢٣٢٧٨)، وقد روي من وجوه عن عليٍّ بنحوه.

قال: كان عبداً صالحًا، أحبَّ اللَّهَ فأحبَّه، وناصح اللَّهَ فنصحه، فبعثه اللَّه إلىٰ قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله.

* **ومنها**: ما ذكره بعض أهل العلم من أنه لُقِّب بذي القرنين؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب.

* **ومنها**: أنه أطلق عليه ذلك لكونه ملك فارس والروم.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

وبالجملة، فإن اللَّه تعالىٰ مكَّنه وملَّكه ودانت له الملوك، فرُوي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران.

فالمؤمنان: سليمان بن داود، وإسكندر.

والكافران: نمرود وبختنصَّر.

وسيملكها من هذه الأمة خامس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [التوبة: ٣٣] وهو المهدي.

وقد قيل: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه كان كريم الطرفين، من أهل بيت شريف من قِبَلِ أبيه وأمه.

وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيٌّ.

وقيل: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعًا.

وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن.

وقيل: لأنه دخل الظلمة والنور.

وقيل: لأنه ملك فارس والروم.

* * *

س: هل كان ذو القرنين نبيًّا؟

ج: لم أقف في ذلك على خبرٍ ثابت عن رسول اللَّه ﷺ، أما عن الصحابة رضي اللَّه عنهم، فقد تقدَّم قول عليٍّ في ذلك، قال: كان عبدًا صالحًا، أحبَّ اللَّهَ، فأحبَّه اللَّهُ.

وفي رواية عن عليٍّ: كان عبدًا، ناصح اللَّهَ فناصحه.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٦] فيمكن حمله على أنه إلهام من اللَّه تعالى، كما نقله القرطبي عن القشيري، فقد نقل عنه أنه قال: إن كان نبيًّا فهو وحيٌ، وإن لم يكن نبيًّا فهو إلهامٌ، واللَّه تعالى أعلم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

واختلفوا هل كان نبيًّا أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان نبيًّا، قاله عبد اللَّه بن عمرو، والضحاك بن مزاحم.

والثاني: أنه كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا ولا ملكًا، قاله عليٌّ رضي اللَّه تعالى عنه.

وقال وهب: كان ملكًا، ولم يوحَ إليه.

* * *

س: ما الدليل على عدلِ ذي القرنين وإيمانه؟

ج: على ذلك جملة أدلة؛ منها ما يلي:

* قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، ففي قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٨٧] إقرار بالبعث.

* قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

*قوله لمَّا بنى السدَّ: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

*وكذا قوله: ﴿فَإِذَا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

س: المُمَكَّن في الأرض إنما مُكِّن بتمكين اللَّه له، دلِّل على ذلك؟

ج: هناك أدلة كثيرة على ذلك، نورد منها ما يلي:

*قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

*وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [الحج: ٤١].

*وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]؟

ج: المعنى - واللَّه تعالى أعلم - وأعطيناه علمًا يتوصل به إلى كل ما يريد، وقوة على ذلك أيضًا.

قال السعدي - رحمه اللَّه تعالى - في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥] أي: أعطاه اللَّه من الأسباب الموصلة له، لما وصل إليه ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران.

وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها، أي: استعملها على وجهها.

فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود، وإن عدما، أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها، لم يخبرنا اللَّه ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النَّقَلَةُ للإسرائيليات ونحوها.

ولكننا نعلم ـ بالجملة ـ أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جندٌ عظيم، ذو عَدَدٍ وعُدَدٍ ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٥، ٨٦]؟

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم ـ أن ذا القرنين سلك طريقًا من الطرق التي يسرها اللَّه له، واتخذ من الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها ما يسلك به هذا الطريق، ويتوصل به إلى حيث يريد، فسلك الطريق حتى وصل إلى أقصى مكان من الأرض من ناحية الغرب، فوجد هنالك الشمس، وكأنها تغرب في عين من طينة سوداء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، فالحمأ هو الطين.

وقال بعض العلماء: وجدها تغرب في عين حامية حارَّة.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال السعدي رحمه اللَّه:

فأعطاه اللَّه ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين

كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء، وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قومًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ أن الله عزَّ وجلَّ خيَّره في شأن هؤلاء القوم، إما أن يعذبهم، وإما أن يسلك معهم طريقة أخرىٰ في دعوتهم إلىٰ الله، والصفح عنهم، وفتح الباب أمامهم كي يؤمن من أراد اللَّهُ له الهداية.

وقد قال بعض العلماء: الظاهر أن هؤلاء كانوا كفارًا، إذ لو كانوا مؤمنين ما خُيِّر فيهم ذو القرنين، فالله أعلم.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ [الكهف: ٨٦] يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] يقول: وإما أن تأسرهم، فتعلمهم الهدىٰ، وتبصرهم الرشاد.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾؟

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن ذا القرنين لَمَّا خُيِّر في شأن القوم إما أن يعذب، وإما أن يتخذ فيهم حسنًا، جنح إلىٰ العفو والصفح عمَّن آمن.

أما قوله تعالىٰ: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨] ففي قوله: ﴿جَزَاء﴾ وجهان:

أحدهما: بالتنوين مع الفتحْ، أي: فله جزاءً علىٰ عمله الحسنىٰ، وهي الجنة.

والوجه الآخر: جزاء الحسنىٰ علىٰ الإضافة، أي: فله جزاء الأعمال الحسنة الصالحة.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول: وأما من صدَّق اللَّهَ منهم ووحَّده، وعمل بطاعته، فله عند اللَّه الحسنىٰ - وهي الجنة - جزاءً، يعني: ثوابًا علىٰ إيمانه، وطاعته ربه.

وقد اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨] برفع الجزاء وإضافته إلىٰ الحسنىٰ.

وإذا قرئ ذلك كذلك، فله وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يجعل الحسنىٰ مرادًا بها إيمانه وأعماله الصالحة، فيكون معنىٰ الكلام إذا أريد بها ذلك، وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاؤها، يعنىٰ جزاء هذه الأفعال الحسنة.

والوجه الثاني: أن يكون معنيًّا بالحسنىٰ: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩، والنحل: ٣٠]، والدار: هي الآخرة، وكما قال: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، والدين: هو القيم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩].

ج: المعنىٰ: ثم سلك طريقًا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ: ثم سلك طريقًا، فسار من مغرب الشمس إلىٰ مطلعها، وكان كلَّما مرَّ بأمة قهرهم وغلبهم، ودعاهم إلىٰ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فإن أطاعوه وإلا أذلهم، وأرغم آنافهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه علىٰ أهل الأقاليم المتاخم لهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠].

ج: المعنىٰ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ حتىٰ إذا بلغ أقصىٰ مكان يمكن الوصول إليه من ناحية طلوع الشمس.

هذا، وقد قال الشوكاني ـ رحمه اللَّه ـ «فتح القدير»:

ولا يبعد أن يُقال: لا مانع من أن يُمكِّنه اللَّه من عبور البحر المحيط حتىٰ يصل إلىٰ تلك العين التي تغرب فيها الشمس، وما المانع من هذا؟ بعد أن حكىٰ اللَّه عنه أنه بلغ مغرب الشمس ومكَّن له في الأرض، والبحر من جملتها، ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن علىٰ خلاف ظاهره.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠].

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ ليس لهم بناء يُكنِّهم ويسترهم، ولا شيء يُظلهم ويمنعهم من حر الشمس.

هذا، وقد أورد الطبري [1] بإسناد حسن:

عن قتادة قال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩] منازل الأرض ومعالمها

---

(١) الطبري (٣٣١٣).

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، يقول ـ تعالىٰ ذكره ـ: ووجد ذو القرنين الشمسَ تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها، ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه أو يَسْربون في الأسراب.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

أي: لمَّا وصل إلىٰ مغرب الشمس كرَّ راجعًا، قاصدًا مطلعها، متبعًا للأسباب التي أعطاه اللَّهُ.

فوصل إلىٰ مطلع الشمس فـ ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] أي: وجدها تطلع علىٰ أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب غروبًا يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلىٰ موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم إليه بأبدانهم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١].

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وأما قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١] فإن معناه: ثم أتبع سببًا كذلك، حتىٰ إذا بلغ مطلع الشمس، وكذلك: من صلة أتبع، وإنما معنىٰ الكلام: ثم أتبع سببًا، حتىٰ بلغ مطلع الشمس، كما أتبع سببًا حتىٰ بلغ مغربها.

وقال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ «زاد المسير» :

قوله تعالىٰ : ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١] فيه أربعة أقوال :

أحدها: كما بلغ مَغرب الشمس بلغ مطلعها .

والثاني: أتبع سببًا كما أتبع سببًا .

والثالث: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم .

والرابع: أن المعنىٰ كذلك أمرُهم كما قصصنا عليك، ثم استأنف فقال : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١] .

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

ج: أي: أن أحوال ذي القرنين، وما يشاهده ويراه، وما يقابله في سفره ويعتريه، كل ذلك ليس بغائب عنَّا، بل عندنا علمه، ولدينا خبره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، وكما قال تعالىٰ: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٢].

قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وقوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١] يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علمًا، لا يخفىٰ علينا مما هنالك من الخلق، وأحوالهم، وأسبابهم، ولا من غيرهم شيء .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

أي: نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم، وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى: ﴿**لا يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران: ٥].

* * *

س: أين هذان السدان؟

ج: قيل: هما بين أرمينية وأذربيجان.

وقيل: هما بعد بلاد الصين.

وقيل غير ذلك، فاللَّه أعلم.

* * *

س: هل من مزيد لوصف هذا السد؟

ج: اللَّه أعلم بوصف هذا السد، فلم أقف في وصفه على شيء عن رسول اللَّه ﷺ، وأما على ما يفيده ظاهر الكتاب العزيز، فهو سدٌّ عظيمٌ، حال دون خروج يأجوج ومأجوج، وما استطاعوا ثقبه، ولا الصعود عليه.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»:

وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه، ووجَّه معه جيشًا سرية؛ لينظروا إلى السدِّ ويعاينوه، وينعتوه له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك، حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد، ومن النُّحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، وأن عنده حرسًا من الملوك المتاخمة له، وأنه عالٍ، منيف، شاهق، لا يُستطاع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى

بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب.

* * *

س: لماذا لا يكادون يفقهون قولاً؟

ج: قيل: سبب ذلك لاستعجام لسانهم، وبعدهم عن الناس.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ «تيسير الكريم المنان»:

وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً؛ لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى اللَّهُ ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم، وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم.

* * *

ذكر يأجوج ومأجوج

س: هل في يأجوج ومأجوج قراءات أُخر؟

ج: نعم، قرأها بعض العلماء بلا همز، فقرءوا: ياجوج وماجوج.

وقد صوَّب الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ القراءة بلا همز، فقال:

وقوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]، اختلفت القُرَّاءُ في قراءة قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الكهف: ٩٤] فقرأت القُرَّاءُ من أهل الحجاز والعراق وغيرهم: «إن ياجوج وماجوج» بغير همز على فاعول من: «يججت ومججت»، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين، غير عاصم بن أبي النجود، والأعرج، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعًا، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام، وكأنهما جعلا يأجوج: يفعول من أججت، ومأجوج: مفعول.

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا: «إنَّ ياجوج وماجوج» بألف بغير همز، لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لو أنَّ ياجوجَ ومَاجوج معا ... وعادَ عادُوا واسْتجاشُوا تُبَّعا

وهم أمَّتان من وراء السد.

* * *

س: اذكر بعض الصحيح الوارد في شأن يأجوج ومأجوج؟

ج: **أولاً**: ورد في شأنهم من كتاب اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه الآيات من سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ...﴾ [الكهف: ٩٤].

وكذا من سورة الأنبياء: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وأما عن سنة رسول اللَّه ﷺ:

فقد أوردت طائفة منها في كتابي: «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، وها هو الشيء الذي أوردته هنالك:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، الخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد**».

فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول اللَّه، أينا ذلك الرجل؟

قال: «**أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجلاً**».

ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مَثَلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ـ أو: كالرقمة في ذراع الحمار**».

وأخرج مسلم[2] من حديث النواس بن سمعان الكلابي عن رسول اللَّه ﷺ... فذكر الحديث وفيه: «**فبينما هو كذلك، إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عبادًا لي، لا يدان[3] لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.**

---

(١) البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) مسلم (٢١٣٧) (ص: ٢٢٥٠).

(٣) في رواية لمسلم: «فإني قد أنزلت عبادًا لي، لا يد لأحد بقتالهم».

ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء[١].

ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلفة» . . . الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أم المؤمنين زينب ابنة جحش، أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول اللَّه، أفنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخبث».

وأخرج الإمام أحمد[٣] بسند حسن، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم

---

(١) في رواية لمسلم: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا».

(٢) البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) أحمد (المسند ٣/ ٧٧).

مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبسًا، حتى إنَّ من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرةً.

حتَّى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصنٍ أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء.

قال: ثم يهزُّ أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مختضبة دمًا ـ للبلاء والفتنة ـ، فبينا هم على ذلك إذ بعث اللَّه دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حسًّا، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟

قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا لنفسه، قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن اللَّه قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها راعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط».

وأخرج الإمام أحمد[1] بسند صحيح[2] عن أبي هريرة، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد اللَّه ـ عزَّ وجل ـ أن يبعثهم إلى الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا ـ إن شاء اللَّه ـ ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين

---

(١) أحمد (٢/ ٥١٠).

(٢) وللحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كلام على هذا الحديث وسنده، انظر في «التفسير» (٣/ ١٠٥).

تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث اللَّه عليهم نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها» فقال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمنُ شُكرًا من لحومهم ودمائهم».

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «البداية والنهاية»[1]:

باب: ذكر أمتيٍّ يأجوج ومأجوج

فقال: فإن قيل: فما الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: استيقظ رسول اللَّه ﷺ من نوم محمرًّا وجهه وهو يقول: «لا إله إلا اللَّه، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلَّق تسعين، قلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وعقد تسعين.

فالجواب: إما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال، وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال؛ لأن قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾

(١) (٢/ ١٠٢) ط. دار الكتب العلمية.

[الكهف: ٩٧] أي في ذلك الزمان؛ لأن هذه صيغة خبر ماضٍ، فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل ـ بإذن اللَّه ـ لهم في ذلك قدراً، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً، حتىٰ يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور فيخرجون، كما قال تعالىٰ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا، وهو ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» قائلاً: حدثنا روح . . . (فذكر حديث الباب الذي قدمناه عند أحمد (٢/ ٥١٠)، ثم قال رحمه اللَّه: فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتىٰ يكادوا ينذرون شعاع الشمس من ورائه لرقته، فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظًا، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار، كما قاله بعضهم، فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظًا فيكون محمولاً علىٰ أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروي عن كعب الأحبار، أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي: نافذاً منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه، واللَّه أعلم.

وعلىٰ هذا، فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة: «**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**» وعقد تسعين، أي: فتح فتحًا نافذاً فيه، واللَّه أعلم.

قال ابن العربي رحمه اللَّه[1]:

في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن اللَّه منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي علىٰ السد بسلم أو آلة، فلم يلهمهم

(١) كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٩).

ذلك، ولا علمهم إياه.

ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك، وتعقَّب الحافظ هذه بقوله: وهو مردود، فإن في خبرهم عند وهب في المبتدأ أن لهم أشجاراً وزروعًا، وغير ذلك من الآيات، فالأول أولى.

وأخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق أبي عمرو بن أوس عن جده ـ رفعه ـ: «**إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون من شاءوا، أو شجر يلقحون ما شاءوا...**» الحديث.

الثالثة: أنه صدَّهم عن أن يقولوا: «إن شاء اللَّه»، حتى يجيء الوقت المحدود.

قال الحافظ: قلت: وفيه أنهم أهل صناعة، وأهل ولاية وسلاطة، ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف اللَّه ويقر بقدرته ومشيئته.

ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

وأخرج ابن ماجه[1] من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيوقد المسلمون من قصي**[2] **يأجوج ومأجوج ونشابهم**[3] **وأترستهم**[4] **سبع سنين**»(*).

---

(١) ابن ماجه (٤٠٧٦).

(٢) القسي: جمع قوس.

(٣) النشاب: هي السهام.

(٤) أترستهم: أي تروسهم.

(*) وقد ذكره الترمذي في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال (حديث رقم ٢٢٤٠) من طريق: عليّ بن حجر، أخبرنا الوليد بن مسلم، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النواس ابن سمعان الكلابي، فذكر الحديث مرفوعًا. وفيه نحو هذا القدر.

هذا، وقد قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٦):

ويأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح.

ثم قال رحمه اللَّه: وقد أشار النووي وغيره إلىٰ حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم، فاختلط منيه بالتراب، فتولَّد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله، وهو قول منكر جدًّا، لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب.

وذكر ابن هشام في «التيجان»: أن أمة منهم آمنوا باللَّه، فتركهم ذو القرنين لمَّا بنىٰ السد بأرمينية، فسموا الترك لذلك.

وقال ابن كثير رحمه اللَّه (٣/ ١٠٤):

وقد حكىٰ النووي في «شرح مسلم» عن بعض الناس: أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم، فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك، فعلىٰ هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء.

وهذا قول غريب جدًّا، لا دليل عليه؛ لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، واللَّه أعلم.

وفي قوله: «**أخرج بعث النار من ذريتك**» دليلٌ علىٰ أنهم من ذرية آدم، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل يأجوج ومأجوج من ذرية آدم؟

ج: نعم، هم من ذرية آدم عليه السلام، ومن الدليل علىٰ ذلك قول اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ لآدم عليه السلام: «**يا آدم، أخرج بعث النار من ذريتك...**» الحديث.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى:

ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم ـ عليه السلام ـ كما ثبت في «الصحيحين»: «**إن اللَّه تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد في الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها**».

فيقال: «**إن فيكم أمَّتين ما كانتا في شيء إلا كثَّرتاه: يأجوج ومأجوج**».

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم ـ: أن الذي أعطانيه اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأكرمني به من الأسباب الموصلة إلى المراد، ومن القوة والمنعة، والغنى والمال، كل ذلك خير من الأجر الذي تقترحونه عليَّ، فمن ثمَّ فشكراً لنعم اللَّه عليَّ، سأقوم بعمل السدِّ احتساباً وطلباً للثواب من اللَّه، وأداءً لشكر النعم، ولا حاجة بي إلى أجركم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه:

فقال ذو القرنين بعفةٍ، وديانةٍ، وصلاحٍ، وقصدٍ للخير: ﴿**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾ [الكهف: ٩٥] أي: إن الذي أعطاني اللَّهُ من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ [النمل: ٣٦]، وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني.

وقال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدِّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوَّاني عليه، خير من جُعْلِكُم، والأجرة التي تعرضونها عليَّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفَعَلَةٍ وصنَّاع يُحسنون البناء والعمل.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦].

ج: المعنىٰ: حاذىٰ بين الجبلين، أي أنه وضع زُبر الحديد وهي: قطع الحديد بين الجبلين من الأساس، حتىٰ بلغ رءوس الجبلين، فساوىٰ بينهما وبين السد المقام طولاً وعرضًا، واللَّه أعلم.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه:

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: الجبلين اللذين بنىٰ بينهما السد ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس.

فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: نُحاسًا مذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكامًا هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

* * *

س: بعد قوله: ﴿انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] **مقدَّر مفهوم من السياق، وضح هذا المقدَّر.**

ج: المقدر هو: «فنفخوا»، واللَّه تعالىٰ أعلم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] يقول عزَّ ذكره: قال للفَعَلَة: انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] وفي الكلام متروك، وهو: «فنفخوا»، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد ناراً.

* * *

س: ما وجه حذف التاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [الكهف: ٩٧]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [الكهف: ٩٧] فقال بعض نحويي البصرة: فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول: اسطاع يسطيع، يريدون بها استطاع يستطيع، ولكن حذفوا التاء إذا جُمعت مع الطاء ومخرجهما واحد.

قال: وقال بعضهم: استاع، فحذف الطاء لذلك.

وقال بعضهم: اسطاع يسطيع، فجعلها من القطع، كأنها أطاع يطيع، فجعل السين عوضًا من إسكان الواو.

وقال بعض نحويي الكوفة: هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

ج: المراد، واللَّه تعالى أعلم: هذا الردم الذي وفقني اللَّه إلى صنعه رحمة من ربي بعباده، إذ درأ عنهم شر هاتين القبيلتين المفسدتين (يأجوج ومأجوج).

فحجبُ الشر عن الناس رحمة من اللَّه بالعباد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي: لما بناه ذو القرنين ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي: بالناس، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] يقول: إذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتًا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء، يقول: سوَّاه بالأرض فألزمه بها من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها، وإنما معنىٰ الكلام: جعله مدكوكًا، فقيل: دكاء.

يقول عزَّ ذكره: فلما رأىٰ ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، ولا يقدرون علىٰ نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسوَّيته حاجزًا بين هذه الأمة ومن دون الردم رحمة من ربي، رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتىٰ بنيته وسوَّيته ليكفَّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]:

أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء والصالحين، إذا منَّ اللَّه عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم، وإقرارهم، واعترافهم بنعمة اللَّه كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] بخلاف أهل التجبر والتكبر، والعلو في الأرض، فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا،

كما قال قارون لَمَّا آتاه اللَّهُ من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

* * *

س: متى يموج بعضهم في بعض؟

ج: قيل في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] أي: يوم القيامة، يختلط الإنس بالجن.

وقيل: يوم يُهدم السد يموج الناس بعضهم في بعض، فتختلط قبيلتي يأجوج ومأجوج بالناس، ويسعون في الأرض بالفساد.

ومما يتأيد به القول الأول أن اللَّه قال بعدها: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، ومما يتأيد به القول الثاني أن ذا القرنين قال قبلها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

فاللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وقوله: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩] يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذٍ لموقف الحساب جميعًا، وقوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] يقول: وأبرزنا جهنَّم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين باللَّه، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب، ولو جعل الفعل لها قيل: أعرضت إذا استبانت، كما قال عمرو بن كلثوم:

وأعرضت اليمامة واشمخرَّت كأسيافٍ بأيدي مُصلتينا

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

يقول تعالىٰ مخبراً عمَّا يفعله بالكفار يوم القيامة: إنه يعرض عليهم جهنم، أي: يبرزها لهم ويظهرها؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها؛ ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُؤتى بجهنَّم تُقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».

* * *

س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾ [الكهف: ١٠١].

ج: قال السعدي رحمه اللَّه:

فإنهم في الدنيا ﴿**كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي**﴾ [الكهف: ١٠١] أي: معرضين عن الذكر الحكيم والقرآن الكريم، وقالوا: ﴿**قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾ [فصلت: ٥]، وفي أعينهم أغطية تمنعهم من رؤية آيات اللَّه النافعة كما قال تعالىٰ: ﴿**وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ [البقرة: ٧].

﴿**وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾ [الكهف: ١٠١] أي: لا يقدرون علىٰ سمع آيات اللَّه الموصلة إلىٰ الإيمان؛ لبغضهم القرآن والرسول، فإن المبغض لا يستطيع أن يلقي سمعه إلىٰ كلام من أبغضه.

فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير، فليس لهم سمع ولا بصر، ولا عقل نافع، فقد كفروا باللَّه وجحدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنَّم وساءت مصيراً.

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة ذي القرنين.

ج: من ذلك ما يلي:

* استخدام الرفق في مواطنه، والشدة في مواطنها، وذلك من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

* **يستفاد أيضًا:** أن المُمَكَّن مَن مكَّنه اللَّه، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤].

* **يستفاد من ذلك أيضًا:** مشروعية حبس وسجن أهل الشر والفساد، وعزلهم عن الناس، وذلك مأخوذ من إقامة السد بين يأجوج ومأجوج، وسائر الناس.

* **يستفاد أيضًا:** أن الذي يحجب قومًا عن قومٍ، ويمنع قومًا من قومٍ هو اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأن اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا شاء سلَّط قومًا علىٰ قوم.

وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢].

ج: المعنىٰ، واللَّه تعالىٰ أعلم: أفظن أهل الكفر الذين عبدوا عزيرًا والمسيح والملائكة أن عزيرًا والمسيح والملائكة ينصرونهم ويوالونهم يوم القيامة؟!

كلا، فلا يتصور هذا، فعزيرٌ والمسيح والملائكة عبادٌ للَّه مقربون

مكرمون، خائفون وَجِلُونَ من اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وما منهم من أحد يرضىٰ بأن يُعبد من دون اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يقول عزَّ ذكره: أفظنَّ الذين كفروا باللَّه من عَبَدَة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون اللَّه أولياء، يقول: كلا، بل هم لهم أعداء.

قلت: وثَمَّ وجهٌ آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] أي: ولا أعاقبهم.

* * *

بيان كون النار مخلوقة

س: من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٢] ما يدل على أن النار مخلوقة وموجودة الآن، وضح ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: ذلك من قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ [الكهف: ١٠٢] فمعناها: أعددنا وهيَّأنا، فدلَّ ذلك على كون النار مخلوقة، ومن الأدلة على ذلك أيضًا ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان: ٤].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

* وقوله صلى الله عليه وسلم: «اطلعْتُ على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»(١).

* ومنها: قول النبي ﷺ: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنَّم»(٢).

* ومنها: قول رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْنِ: نفس في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»(٣).

---

(١) البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا، وله طرق أخرى صحيحة في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

* ومنها: قول النبي ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتِّحت أبواب الجنة، وغلِّقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين**»(١).

* ومنها: حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كنَّا مع رسول اللَّه ﷺ إذ سمع وَجْبَةً(٢)، فقال النبي ﷺ: «**تَدرون ما هذا؟**».

قال: قلنا: اللَّه ورسوله أعلم.

قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»(٣).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول ـ تعالىٰ ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ [الكهف: ١٠٣] يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عَنَتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود والنصارىٰ ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ [الكهف: ١٠٣] أيها القوم ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] يعني: بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحًا وفضلاً، فنالوا به عَطَبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحًا، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٢) وجبة: أي سقطة.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤).

س: مَن الأخسرون أعمالاً؟

ج: قيل: إنهم اليهود والنصارىٰ.

وقيل: إنهم الخوارج.

وقيل: إنهم أهل الشرك عمومًا.

ومما يؤيد هذا الأخير قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥].

أما القول القائل بأنهم اليهود والنصارىٰ، فهو قول سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ فقد أخرج البخاري[1] والطبري وغيرهما من طريق مصعب ابن سعد أنه قال: سألت أَبِي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] هم الحَرُورية؟

قال: لا، هم اليهودُ والنصارىٰ، أما اليهود فكذبوا محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم، وأما النصارىٰ كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها، ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

أما القول القائل بأنهم الخوارج فهو قول عليٍّ رضي اللَّه عنه، فقد ورد عنه من وجوه أنه قال: أهل حروراء منهم، والمراد بأهل حروراء الخوارج، إذ هي بلدتهم.

وقد أخرج الطبري جملة من الآثار عن عليٍّ رضي اللَّه عنه بذلك.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ عنىٰ

---

(١) البخاري (٤٧٢٨).

بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] كل عامل عملاً يحسبه فيه مُصِيبًا، وأنه للَّه بفعله ذلك مطيع مُرْضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك ـ من فعلهم واجتهادهم باللَّه ـ كفرة، من أهل أي دين كانوا.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤] يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدىٰ واستقامة، بل كان علىٰ جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم اللَّه به، بل علىٰ كفر منهم به ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك للَّه مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدل الدلائل علىٰ خطأ قول من زعم أنه لا يكفر باللَّه أحد إلا من حيث يقصد إلىٰ الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن اللَّه ـ تعالىٰ ذكره ـ أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك.

وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر باللَّه أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر اللَّه عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر ـ جلَّ ثناؤه ـ عنهم أنهم باللَّه كفرة، وأن أعمالهم حابطة، وعنىٰ بقوله: ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] عملاً، والصُّنع والصَّنعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع بمعنىٰ مصنوع.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ؟

ج: المعنى، والله أعلم: أنهم يعتقدون أن أعمالهم صحيحة مقبولة، وأنهم على شيء، وفي الحقيقة أن عملهم باطل، وسعيهم في تباب.

* * *

س: اذكر بعض المعاني التي يُراد بها الضلال؟

ج: قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾[الكهف: ١٠٤] أي: بطل واضمحلّ، وقد قدمنا أن الضلال يُطلق في القرآن واللغة العربية ثلاث إطلاقات:

الأول: الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل، كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر، وهذا أكثر استعمالاته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

الثاني: الضلال بمعنى الهلاك، والغيبة والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام، إذا استهلك فيه وغاب فيه، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤] أي: غاب واضمحلّ، وقوله هنا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٤] أي: بطل واضمحلّ.

وقول الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار ... عن الحي المضلل أين ساروا

أي: عن الحي الذي غاب واضمحلّ، ومن هنا سمي الدفن إضلالاً؛ لأن مآل الميت المدفون إلىٰ أن تختلط عظامه بالأرض، فيضل فيها كما يضل السمن في الطعام، ومن إطلاق الضلال علىٰ الدفن:

قول نابغة ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

فقوله: «مضلوه» يعني: دافنيه في قبره، ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ [السجدة: ١٠]، فمعنىٰ: ﴿ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أنهم اختلطت عظامهم الرميم بها فغابت واستهلكت فيها.

الثالث: الضلال بمعنىٰ الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه بهذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ [الضحىٰ: ٧]، أي: ذاهبًا عما تعلمه الآن من العلوم والمعارف التي لا تُعرف إلا بالوحي، فهداك إلىٰ تلك العلوم والمعارف بالوحي.

وَحدد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ عن أولاد يعقوب: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف، ومن أجل ذلك تطمع في رجوعه إليك، وذلك لا طمع فيه علىٰ أظهر التفسيرات.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: تذهب عن حقيقة علم المشهود به بنسيان أو نحوه، بدليل قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]...» إلىٰ آخر ما قاله رحمه اللّٰه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] .

ج: من معانيها ما يلي:

الأول: لا نثقل موازينهم؛ لكونها خالية من الأعمال الصالحة.

الثاني: أنهم يوزنوا على الحقيقة، كما في الحديث: «**إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة**».

وقال: «**اقرءوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥] [(١)] .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٥] .

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: أن أهل الكفر اتخذوا آيات اللَّه ورسل اللَّه مجالاً للاستهزاء والسخرية، فكانوا يسخرون من الآيات، ويسخرون من المرسلين، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً**﴾ [الفرقان: ٤١]، وكذا كانوا يسخرون من أحكام الدين، وحلاله، وحرامه، وشرائعه.

* * *

(١) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

الفردوس

س: ما المراد بالفردوس؟

ج: الفردوس يطلق على البستان، ومن العلماء من قال: بستان فيه أعناب.

وقد ورد ذكر الفردوس، وأنه مكان في الجنة أفضل الأماكن فيها، ففي الحديث[1] عن رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** ـ قال الراوي: أراه قال: ـ **وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة**».

وعند البخاري[2] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن لم يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع. فقال: «**ويحك! أو هبلتِ! أو جنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**».

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على خلود أهل الإيمان في فسيح الجنان؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٥].

---

(١) البخاري مع «الفتح» (ج٦/ ص: ١١).

(٢) البخاري (٣٩٨٢).

* وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢، ٣].

* وقوله تعالىٰ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

* وقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥] علىٰ أحد الوجوه في تأويلها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: لا يريدون تحولاً عنها، بل يريدون دوام المكث فيها.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: مقيمين ساكنين فيها، لا يظعنون عنها أبداً، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: لا يختارون غيرها، ولا يحبون سواها.

وكما قال الشاعر:

فَحَلَّتْ سُوَيدَا القلب لا أنا باغيًا ... سواها ولا عن حبِّها أتحوَّل

وفي قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] تنبيه علىٰ رغبتهم فيها، وحبهم لها، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه، ويمله، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً، ولا انتقالاً، ولا ظعنًا، ولا رحلة، ولا بدلاً.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٥] .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: قل يا نبينا ويا رسولنا للخلق أجمعين: إن كلمات الله عزَّ وجلَّ كثيرة جدًّا، لا يحصيها إلا هو سبحانه وتعالى، ولو جعل ماء البحر كمداد (أي: كحبر) يوضع في الأقلام وتكتب بتلك الأقلام كلمات الله عزَّ وجلَّ لنفدت البحار وانتهت قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا ببحار كتلك البحر، وجُعلت كمداد هي الأخرى.

والآية في معناها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول ـ عزَّ ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّ﴾ [الكهف: ١٠٩] لقلم الذي يُكتب به ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ﴾ [الكهف: ١٠٩] ماء ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩] يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددًا، من قول القائل: جئتك مددًا لك، وذلك من معنى الزيادة، وقد ذُكر عن بعضهم: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] كأن قارئ ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادًا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] نفد الشيء إذا تمّ وفرغ؛ وقد تقدَّم ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: زيادة على البحر عددًا أو وزنًا.

وفي مصحف أُبي: «مِدادًا» وكذلك قرأها مجاهد وابن محيصن وحميد.

وانتصب «مددًا» على التمييز أو الحال.

وقال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبي ﷺ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية.

وقيل: قالت اليهود: إنك أوتيت الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم زعمت أنك لا علم لك بالروح. فقال اللّه تعالىٰ: قل: وإن أوتيت القرآن وأوتيتم التوراة فهي بالنسبة إلىٰ كلمات اللّه تعالىٰ قليلة، قال ابن عباس: ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: مواعظ ربي.

وقيل: عنىٰ بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهىٰ، وهو وإن كان واحداً فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فرائد الكلمات، ولأنه ينوب منابها، فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيماً.

وقال الأعشى:

ووجهٌ نَقِيُّ اللون صافٍ يزينُهُ ... مع الجيدِ لَبَّاتٌ لها ومَعَاصِمُ

فعبر باللَّبات عن اللبة.

وفي التنزيل: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]، و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [الحجر: ٢٣]، وكذلك: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ لأنه ناب مناب أمة.

وقيل: أي: ما نفدت العبارات والدلالات، التي تدل علىٰ مفهومات معاني كلامه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وقال السدي: أي: إن كان البحر مداداً لكلمات ربي؛ لنفد البحر قبل أن تنفد صفات الجنة، التي هي دار الثواب.

وقال عكرمة: لنفد البحر قبل أن ينفد ثواب من قال لا إله إلا اللَّه.

ونظير هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقرأ حمزة والكسائي: «قَبْلَ أَن يَنْفَدَ» بالياء لتقدم الفعل.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالَّة عليه، لنفد البحر قبل أن [يفرغ من] كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلمَّ جرًّا، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم اللَّه كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل اللَّه ذلك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

يقول: لو كان البحر مداداً، والشجر كله أقلامًا، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات اللَّه قائمة لا يفنيها شيء؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره، ولا يثني عليه كما ينبغي، حتىٰ يكون هو الذي يثني علىٰ نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.

إن مثل نعيم الدنيا، أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] في هذا الموطن؟

ج: وجهه، والله تعالى أعلم: أن النبي ﷺ بعد أن قصَّ على الناس خبر ما أوحاه الله إليه أُمر بتذكيرهم ببشريته، فهو لا يعلم إلا ما علَّمه الله، فهذا الذي أخبرهم به ليس من عند نفسه، فهو لا يعلم الغيب، ولكنه بشر يوحى إليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم، لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إليَّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، فمن زعم أني كاذب فليأتِ بمثل ما جئت به، فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عمَّا سألتم من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، مما هو مطابق في نفس [الأمر، لولا] ما أطلعني الله عليه.

وأنا أخبركم: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] الذي: أدعوكم إلى عبادته ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] لا شريك له ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] وهو ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له.

وهذان ركنا العمل المتقبَّل؛ لا بد أن يكون خالصًا للَّه، صوابًا على شريعة رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: تكرر إخبار الرسول ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ عن نفسه بأنه بشرٌ، لكنه يُوحَى إليه، اذكر من الآيات ما يدل على ذلك.

ج: من الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٣].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

* وكذلك قالت الرسل: ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١].

* * *

بعض الأدلة على وحدانية الله عز وجل

س: اذكر بعض الأدلة على وحدانية اللَّه عزَّ وجلَّ.

ج: على ذلك أدلة لا حصر لها، منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

* وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

* وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾ [الحشر: ٢٣]. والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى: وقوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: ولا يجعل له شريكًا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلاً له شريكًا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه للَّه وهو مريد به غيره.

قال القرطبي رحمه اللَّه: قال الماوردي: وقال جميع أهل التأويل: معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] أنه لا يرائي بعمله أحداً.

وقال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تأويل الآية الكريمة:

وقوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال جماعة من أهل العلم: أي: لا يرائي الناس في عمله؛ لأن العمل بعبادة اللَّه لأجل رياء الناس من نوع الشرك، كما هو معروف عند العلماء أن الرياء من أنواع الشرك. وقد جاءت في ذلك أحاديث مرفوعة، وقد ساق طرفها ابن كثير في تفسير هذه الآية.

والتحقيق أن قوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠] أعم من الرياء وغيره، أي: لا يعبد ربه رياء وسمعة، ولا يصرف شيئًا من حقوق خالقه لأحد من خلقه؛ لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] الآية في الموضعين، ويقول: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

ويفهم من مفهوم مخالفة الآية الكريمة: أن الذي يُشرك أحدًا بعبادة ربه، ولا يعمل صالحًا أنه لا يرجو لقاء ربه، والذي لا يرجو لقاء ربه لا خير له عند اللَّه يوم القيامة.

* * *

س: ما هما ركنا العمل المُتقبَّل؟

ج: الركنان أولهما: الإخلاص فيه للَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ الذي منه ابتغاء وجهه ـ سبحانه وتعالى ـ بالعمل.

والثاني: موافقة هذا العمل لكتاب اللَّه، ولسنة رسوله ﷺ، فقد قال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**».

وهذان الركنان مستندهما قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* * *

التحذير من الرياء

س: اذكر بعض النواهي عن الرياء، والوعيد للمرائين؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] والرياء داخل فيها.

* قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

* ومن ذلك قول رسول اللَّه ﷺ: «**مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ به، ومَن راءَى راءَى اللَّهُ به**»(١).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُهُ وشِرْكَه**»(٣).

---

(١) مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) مسلم (٢٩٨٥).

(٣) قال النووي رحمه اللَّه: هكذا وقع في بعض الأصول (وشركه)، وفي بعضها: (وشريكه)، وفي بعضها: (وشركته)، ومعناه: أنه غني عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه. ويأثم به.

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[١] بسند صحيح من حديث محمود بن لبيد، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه؟

قال: «**الرياء، يقول اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

* وفي «الصحيح» من حديث أبي موسىٰ الأشعري، أن رجلاً أعرابيًّا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، الرَّجُل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل ليُذكر، والرجل يُقاتل ليُرىٰ مكانه، فَمَنْ في سبيل اللَّه؟

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللَّهِ أعلى فهو فِي سبيلِ اللَّه**».

* ومن ذلك ما أخرجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استُشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلت؛ لأن يُقال: جريءٌ، فقد قِيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتَّى أُلقي في النار.**

ورجلٌ تَعَلَّمَ العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآنَ فأُتي به فعرَّفه نعمهُ فعرفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمت العلم ليُقال عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

---

(١) أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) مسلم (١٩٠٥).

ورجل وَسَّع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نعمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمرَ به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار[1] ».

* * *

(١) قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير اللَّه، وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال اللَّه تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد اللَّه تعالى بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء على العلماء، وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك للَّه تعالى مخلصًا. (من التعليق على مسلم).

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمت بحمد اللَّه سورة الكهف، وما يسره اللَّه فيها من سؤال وجواب، فاللَّه أسأل أن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، وأن يغفر لنا خطأنا، وعجزنا، وتقصيرنا.

وما كان فيها من صواب فمن اللَّه وحده، وما كان فيها من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، وأسأل اللَّه أن يغفره لي، كما أسأله سبحانه أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم، وأن يتوفانا مؤمنين، مسلمين، محسنين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد وسلم.

وسبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود

فهرست الأحاديث

الحديث	الصفحة
١ ـ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف .	٥٥
٢ ـ أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم .	٣١٦
٣ ـ آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء .	١١٦
٤ ـ أحب الكلام إلى الله أربع : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) .	٣٠١
٥ ـ إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة .	٣١٧
٦ ـ إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع .	٢٤٥
٧ ـ إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا بالعشاء .	٢١٩
٨ ـ ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته .	٢٦٠
٩ ـ استأذن ابن عباس على عائشة قبل موتها	١٢١
١٠ ـ اشتكت النار إلى ربها فقالت : ربي أكل بعضي بعضاً	٣١٦
١١ ـ أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام	٣٢٣
١٢ ـ أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه	١٢٦
١٣ ـ إطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء .	٣١٦
١٤ ـ أعوذ بوجهك	١٢٣
١٥ ـ الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا	٢٥٧
١٦ ـ أقصرت الصلاة أم نسيت	٢١٧
١٧ ـ اقرأ فلان فإنها السكينة تنزلت عند القرآن أو تنزلت للقرآن	١٩
١٨ ـ ألا أدلكما على خير مما سألتما	٢١٣
١٩ ـ ألا تُصلِّيان	١٩٥
٢٠ ـ ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة	١٥١
٢١ ـ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء .	٢٦٠ / ٧٨
٢٢ ـ اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض .	٢٦٥
٢٣ ـ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	١٠١
٢٤ ـ المرء مع من أحب .	١١٥
٢٥ ـ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٢٢٨
٢٦ ـ إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خلفه خضراء .	٢٢٤
٢٧ ـ إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل اشتهر .	٣٣٤
٢٨ ـ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	٣٣٤
٢٩ ـ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله .	٣٢٣
٣٠ ـ إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم .	٣٠٣
٣١ ـ إنه بينما موسى عليه السلام في قومه	٢٧٨
٣٢ ـ إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يابن آدم مرضت	٢٤٧
٣٣ ـ إن أول من تسعر به النار ثلاثة	٢٢٧
٣٤ ـ إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس	٢٠٩
٣٥ ـ إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة	٢٠٠

٣٦ ـ إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال . ١٦١
٣٧ ـ إن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه؟ . ١١٩
٣٨ ـ إن لله تبارك وتعالىٰ ملائكة سيارة . ١١٥
٣٩ ـ أُنزل (عبس وتولىٰ) في ابن أم مكتوم . ١١٤
٤٠ ـ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ ٢٢٦
٤١ ـ إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ١١٤
٤٢ ـ إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل ٨٨
٤٣ ـ إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علىٰ قبره مسجداً ٨٧
٤٤ ـ إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ٣٦
٤٥ ـ إنه ليأتي الرجل العظيم الثمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة ٣٢٢
٤٦ ـ إن موسىٰ قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم . ٢٣٨
٤٧ ـ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ٨٥
٤٨ ـ بل أنا وا رأساه ٢٢٠
٤٩ ـ بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر ٢٥٢
٥٠ ـ بينما موسىٰ في ملأ من بني إسرائيل إذ جاء رجل فقال له ٢٢٣/٢٠٩
٥١ ـ تزوجي الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ٢١٢
٥٢ ـ تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله ٢٦٥
٥٣ ـ جعل الله الرحمة مائة جزء ١٩٩
٥٤ ـ جنتان من فضة آنيتها وما فيها وجنتان من ذهب ١٢٣
٥٥ ـ خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ١٨٢
٥٦ ـ سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ ١٢٢
٥٧ ـ غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه ٢١٠
٥٨ ـ فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ٨٠
٥٩ ـ فوالله ما الفقر أخشىٰ عليكم ١٦١
٦٠ ـ قال الله تبارك وتعالىٰ : أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك ٣٣٣
٦١ ـ قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك ١٩٩
٦٢ ـ قال أبو بكر بعد وفاة الرسول لعمر انطلق بنا إلىٰ أم أيمن ١٢١
٦٣ ـ قام موسىٰ عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل ٢٧٤
٦٤ ـ كان النبي عند بعض نسائه فأرسلت إحدىٰ أمهات المؤمنين ٢١٢
٦٥ ـ كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ٢١٨
٦٦ ـ لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ٣٠٢
٦٧ ـ لا تأتي مائة سنة وعلىٰ الأرض نفس منفوسة اليوم ٢٦٥
٦٨ ـ لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف ١٢٦
٦٩ ـ لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٨٧/٨٦
٧٠ ـ لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي ٢٦٠
٧١ ـ لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم ٢٦٥
٧٢ ـ لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٨٧
٧٣ ـ لما نزلت : ﴿ولا تطرد الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ ١١٢
٧٤ـ لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ١٩٩
٧٥ـ لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ٢٥٥
٧٦ـ لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر ٢٦١
٧٧ـ لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة. ١٢٦
٧٨ـ لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ٢٠٠
٧٩ـ ما أبقيت لأهلك ١٢٠
٨٠ـ ما أعددت لها ١١٦
٨١ـ ما المسئول عنها بأعلم من السائل ١٠٦
٨٢ـ ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ٢٦٠
٨٣ـ ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة ٢١٩
٨٤ـ ما من الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه ٢٤٦
٨٥ـ ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ٣٨
٨٦ـ مستريح ومستراح منه ١١٩
٨٧ـ من اقتنى كلبًا فإنه ينقص من أجره قيراط ٧٣
٨٨ـ من أكل ناسيًا وهو صائم فليتم صومه ٢١٧
٨٩ـ من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ٢١٩
٩٠ـ من حفظ عشر آيات من أول سورة لكهف عُصم من الدجال ١٩
٩١ ـ من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل ١٢٢
٩٢ـ من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ٣٣٣
٩٣ـ من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق ١٩
٩٤ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ٢٤٥
٩٥ـ من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثلاثة ٢١٩
٩٦ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٢٤٥
٩٧ـ موسى بني إسرائيل ذكر الناس يومًا حتى إذا فاضت العيون ٢٠٨
٩٨ـ هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا ٣١٧
٩٩ـ وأسألك لذة النظر إلى وجهك ١٢٣
١٠٠ـ وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط ٢٢٥
١٠١ـ وإن لزورك عليك حق ٢٤٦
١٠٢ـ وإن لضيفك عليك حق ٢٤٦
١٠٣ـ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا ٢٣٤
١٠٤ـ ولا ينفع ذا الجد منك الجد ١٥٩
١٠٥ـ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ١١٧/٥٨
١٠٦ـ يا أبا هريرة أدلك على كلمة كنز من كنوز الجنة ١٥١
١٠٧ـ يا عائشة أصوت عباد هذا ١١٧
١٠٨ـ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ١٨٢
١٠٩ـ يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ١٥٩
١١٠ـ يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس ٣٠٢
١١١ـ يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك ٣٠١
١١٢ـ ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ٢٧

فهـرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
فضل سورة الكهف	١٩
الابتداء بحمد الله	٢١
ما يدل على قيام هذا القرآن على الكتب قبله	٢٦
الطوائف التي قالت اتخذ الله ولدًا	٢٩
بيان أن الدنيا دار ابتلاء	٣٥
قصة أصحاب الكهف	٣٨
معنى الرقيم	٣٩
بيان معنى الحزبين	٤٥
شأن هؤلاء الفتية أصحاب الكهف	٥٤
بيان أن الإيمان يزيد وينقص	٥٩
حكم اعتزال الناس	٦٥
وجه الإعجاز في حال الشمس مع الكهف	٧١
حكم اقتناء الكلب	٧٣
ذم الجدل	٧٨
حكم الوكالة في البيع والشراء	٨٠
بيان في أي شيء تنازع القوم	٨٤
حكم اتخاذ القبور مساجد	٨٧
الاستثناء في اليمين	٩٣
بعض المستفاد من قصة أصحاب الكهف	١٠٠
مشروعية الأخذ بالأسباب	١٠٥
الحث على مجالسة أهل الصلاح	١١٢
فضل مجالسة الصالحين	١١٥
ذكر الوارد من السنة في ذكر وجه الله عز وجل	١٢٣
بيان الأدلة على أن الطاعة في المعروف	١٢٦
ما أعد للظالمين وما أعد للمؤمنين	١٣٠
قصة صاحب الجنتين	١٤١
فضل لا حول ولا قوة إلا بالله	١٥١
الفوائد المستنبطة من قصة صاحب الجنتين	١٦٠
بيان أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا	١٧٠

بيان المراد بالباقيات الصالحات ١٧٥
هل إبليس من الجن ١٨٢
تبرؤ المعبودين من عابديهم ١٨٧
الوارد في إطلاق الظن ويراد به اليقين ١٩٠
بيان المراد بسنة الأولين ١٩٧
بعض الأدلة على سعة رحمة الله عز وجل ١٩٩
قصة موسى والخضر ٢٠١
الأدلة على جواز اتخاذ الخدم ٢١١
لماذا سمي الخضر خضراً ٢٢٤
الآداب المتعلقة بالعالم والمتعلم ٢٢٦
بيان أن العالم يلتزم الأدب في النقل عن الله ٢٣٤
كيف خرق الخضر السفينة ٢٣٨
كيف قتل الخضر الغلام ٢٤١
وجه الاعتذار بعد ثلاث يكون ضعيفًا ٢٤٤
بعض الوارد في حق الضيف ٢٤٥
كيف أقام الخضر الجدار ٢٤٧
بيان هل للجدار إرادة؟ ٢٤٨
حكم إصلاح مال الغير بغير إذنه ٢٥٢
حكم الزكاة على من يملك شيئًا ٢٥٣
هل الخضر ما زال حيًّا ٢٦٤
حكم الذين يرفضون أحكام الشريعة ٢٧١
مجمل ما ورد من الأحاديث في قصة موسى مع الخضر ٢٧٤
قصة ذي القرنين ٢٨١
هل صح في ذي القرنين خبر عن رسول الله ٢٨٨
هل كان ذو القرنين نبيًّا ٢٩٠
ذكر يأجوج ومأجوج ٣٠٠
هل يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ٣٠٧
بيان كون النار مخلوقة وموجودة الآن ٣١٦
الفردوس وما المراد بالفردوس ٣٢٣
بعض الأدلة على وحدانية الله عز وجل ٣٣٠
التحذير من الرياء ٣٣٣
الخاتمة ٣٣٥
الفهارس ٣٣٦

التَّسهِيلُ لِتأوِيلِ التَّنزِيلِ

تفسير

سُورَةُ مَرْيَمَ

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسهيل لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير سورة مريم عليها السلام

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة مريم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)

رقم الإيداع
(١٥٠٤٢ / ٢٠٠٥م)

مكتبة مكة

١٠ ش طه الحكيم أما استديو فينوس
ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ جوال: ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

وبعد:

فهذا تفسير سورة مريم في صورة السؤال والجواب، ضمن مشروع

التسهيل لتأويل التنزيل الذي هو تفسير القرآن في سؤال وجواب الذي قد أُنجز منه للآن ـ بحمد الله ـ ما يقارب ستة عشر مجلداً يسَّر الله إتمامه، وتقوم بنشره مكتبة مكة في طنطا جزىٰ الله صاحبها خيراً ونفع به.

أقدم هذا التفسير سائلاً الله تبارك وتعالىٰ أن يتقبله مني بقبول حسن، وأن يثيبنا عليه وأن يتجاوز عن هفواتي وزلاتي، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبدالله

مصطفى بن العدوي

س: اذكر كلمة مجملة عن هذه السورة الكريمة المباركة؟

ج: أقول، وبالله التوفيق:

لقد افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة ببعض الأحرف المقطعة التي بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز.

تلك الأحرف التي سيقت للتحدي ولا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

ثم بعد ذلك تذكير بجملةٍ من أنواع التذكير.

تذكيرٌ بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وبعض ما حدث لهم، كزكريا عليه السلام وولده يحيىٰ عليه السلام، ثم مريم عليها السلام وولدها عيسىٰ ﷺ.

ثم التذكير بالخليل إبراهيم عليه السلام.

وإسحاق ويعقوب، وكذا موسىٰ وهارون.

وإسماعيل وإدريس، وآدم ونوح عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

ودائمًا في التذكير بأنبياء الله عليهم السلام، فوائد، منها تثبيت الفؤاد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وحمل علىٰ التأسي والتصبر كما قال تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكذا الادِّكار والاعتبار، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وحملت السورة المباركة في ثناياها أيضًا تذكيرًا بأمور أُخر كالتذكير بالبعث في قوله تعالىٰ في شأن يحيىٰ عليه السلام: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥].

وكذا في قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [مريم: ٦٨].

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم: ٨٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وأيضًا تحمل السورة بين طياتها تذكيرًا بالصلاة في قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٢].

وكذا تحذيرًا من تركها إذ قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

وكذا بعض مشاهد القيامة والجنة والنار في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ

لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٩] وقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١].

وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وكذا في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦١، ٦٢].

وكذلك في هذه السورة المباركة تقرير وحدانية الله عزَّ وجل ونفي الشريك والولد وقد تكرر هذا كثيراً في هذه السورة المباركة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

وكذلك في ثناياها، وفي خاتمتها تذكيرٌ بالقرون التي أبادها الله عزَّ وجل وأفناها؛ لعلَّ متعظًا أن يتعظ ومُدكرًا أن يدكر.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾ [مريم: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

وفي ثنايا السورة فتحٌ لباب التوبة أمام التائبين حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ..﴾ [مريم: ٦٠].

وفي ثناياها أن من سلك طريق الهداية سهله الله له وزاده هداية: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وفي ثناياها أن الأعمال تكتب: ﴿كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٧٩].

وفي ثناياها الحث على الباقيات الصالحات: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

وفي ثناياها تحذير من الشيطان وخطواته: ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤].

وحث على التذكير بالقرآن في قوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

وفي ثناياها تذكير ببداية الخلق: ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

وفي ثناياها أن الكفر من أسباب خراب العالم.

وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وفي ثناياها الاهتمام بمصالح العباد وترتيب أحوالهم حتى ولو بعد الممات

وذلك في قول زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي..﴾ [مريم: ٥].

وفي السورة الكريمة شيء من التفصيل في قصة مريم عليها السلام وكيف حملته وكيف أتت به قومها تحمله، وبعض ما قاله لها قومها، وما أجابت به، وما أجاب به ولدها نبي الله عيسىٰ عليه السلام.

وإقراره ـ عليه السلام ـ بالعبودية لله عزَّ وجل فقد قال في أول كلمة نطق بها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ..﴾ [مريم: ٣٠].

وكذا تفصيلٌ في شأن زكريا عليه السلام ودعائه بالولد وبشارته بذلك.

وفي ثناياها بيان أن الأمور مقدرة، قال تعالىٰ: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

وفي ثناياها تبرؤ الآلهة من عابديها: ﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

إلىٰ غير ذلك من الفوائد التي لا تنتهي من هذه السورة المباركة.

وكذا في ثنايا السورة تثار جملة مسائل من الفقه فمن ذلك حكم تمني الموت يُثار عند قول مريم عليها السلام: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣] ومتىٰ يشرع هذا التمني، ومتىٰ لا يُشرع؟

وأيضًا حكم البكاء في الصلاة عند قوله تعالىٰ: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وكذلك ففي طيَّات هذه السورة المباركة، وبين ثناياها آداب عامة، وآداب خاصة، فتبين السورة بعض آداب الدعاء:

ومن ذلك كونه كان خفيًّا.

ومن ذلك تقديم الدعاء بشيء من التوسلات.

كالتوسل بإظهار الضعف والعجز بين يدي الله عزَّ وجل.

والتوسل بسابق إحسان الله للعبد.

وكذا بيان سبب الدعوة التي يدعو بها الشخص.

وكذا الثقة في الله عزَّ وجل وأنه قادرٌ على كل شيءٍ.

وكذا تذكير المعتدين بالله، من قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

وكذا تأدب جبريل عليه السلام والملائكة إذ قالوا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

واعترافهم بالضعف والعجز ووصفهم الله بالكمال: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وكذا حملت السورة بيان وجوه الحق في المسائل المختلف فيها وتقريرها بقوة وصراحة ووضوح.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

وكما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨].

وكذا القوة في الدعوة إلى المباهلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وكذا الرد الجميل الحسن على الإنسان الكافر القائل: أئذا ما مت لسوف أُخرج حيًّا، إذ قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

وكذلك تحث عدة أيات من هذه السورة المباركة على بر الوالدين والإحسان إليهما.

كما في قوله تعالى بشأن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

وقول عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [مريم: ٣٢].

وكذا قول الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧].

وكذلك في هذه السورة المباركة الكريمة طائفة من المعجزات والآيات الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى.

فمن ذلك أن زكريا عليه السلام رُزق بيحيى بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا وكانت امرأته عاقرًا.

وأيضًا في عدم استطاعة زكريا عليه السلام الكلام عندما حملت امرأته بيحيى عليه السلام.

وأيضًا في كون مريم عليها السلام حملت بعيسى من غير زوج.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

وكذا نطق عيسى عليه السلام في المهد ومخاطبته القوم.

وكذا رفع إدريس عليه السلام مكانًا عليًّا.

ثم تختم السورة الكريمة ببشارة وإنذار وتحذير، بشارة لأهل الإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي محبة في قلوب العباد.

وبشارة بالقرآن، وما فيه من البشارات ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٩٧].

وتحذير لأعداء الدين وأهل الجدل والخصومات ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

وكذا تذكير بمصارع الغابرين: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

نفعنا الله بكتابه ورزقنا الادِّكار والاتعاظ والاعتبار وأسكننا ربنا فسيح الجنان.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

ترتيبها ١٩ — سُورَةُ مَرْيَمَ — آياتها ٩٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

كهيعص ـ نادى ـ نداءً ـ خفيًّا ـ وَهن ـ اشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًّا ـ خفت الموالي ـ من ورائي ـ امرأتي ـ عاقرًا ـ فهب لي من لدنك ـ وليًّا ـ واجعله رب رضيًّا ـ سميًّا ـ أنى يكون ـ من الكبر عتيًّا ـ قال كذلك ـ هين ـ ولم تك شيئًا ـ اجعل لي آية ـ آيتك ـ ثلاث ليال سويًّا ـ المحراب ـ فأوحى إليهم ـ سبحوا ـ بكرةً ـ عشيًّا ـ خذ الكتاب بقوة ـ آتيناه ـ الحكم صبيًّا ـ حنانًا ـ من لدنا ـ زكاةً ـ تقيًّا ـ برًّا بوالديه ـ جبارًا ـ عصيًّا ـ سلام عليه.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	حروف مقطعةٌ بُدئت بها بعض السور، الله أعلم بمعناها، وقد قال بعض العلماء: إنها سيقت للتحدي والإعجاز[1].
﴿نَادَى﴾	دعا ـ سأل.

(١) وجه ذلك أنها أحرُفٌ تعرفونها، تقرءونها وتكتبونها، لكن لا تستطيعون أن تجعلوا منها قرآنًا ولا سورة ولا آية.

الكلمة	معناها
﴿ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	دعاءً في السرِّ والخفاء.
﴿ خَفِيًّا ﴾	سرًّا[1].
﴿ وَهَنَ ﴾	ضعف ـ رقَّ من الكِبر ـ نَحَلَ.
﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ ﴾	امتلأ الرأس ـ اضطرم المشيب في السواد، انتشر بياض الشيب فيه.
﴿ شَيْبًا ﴾	بياضًا.
﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾	لم يتسبب دعائي لك في شقائي ـ لم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردني قط فيما سألتك.
﴿ خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾	خفت من الموالي.
﴿ الْمَوَالِيَ ﴾	أبناء عمومتي وعصبتي.
﴿ مِن وَرَائِي ﴾	من بعدي.
﴿ امْرَأَتِي ﴾	زوجتي.
﴿ عَاقِرًا ﴾	لا تلد ـ لا تحبل.
﴿ فَهَبْ لِي ﴾	فارزقني.
﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾	من عندك.
﴿ وَلِيًّا ﴾	ولدًا ـ وارثًا ومعينًا.
﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	واجعله يا رب مرضيًّا ترضاه أنت ثم يرتضيه عبادُك دينًا وخُلقًا ـ راضيًا بقضائك وقدرك، أي: مرضيًّا عندك وعند

(١) انظر أثر قتادة عند الطبري (٢٣٤٧٧).

الكلمة	معناها
	خلقك في دينه وخُلُقه .
﴿ سَمِيًّا ﴾	شبيهًا ـ مسمًّى باسمه (أي : لم يكن أحدٌ من قبله اسمه يحيىٰ) .
	وقيل : لم تلد العواقر قبله مثله .
﴿ أَنَّى يَكُونُ ﴾	من أي وجهٍ يكون ـ من أي وجهٍ يأتي .
﴿ بلغت من الْكِبرِ عتيًّا ﴾	بلغت أشد الكبر[1] ـ تقدم بي العمر جدًّا ، ويبس عظمي ولم يعد فيه لقاحٌ ولا جماع .
﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾	الأمر كما ذكرت .
﴿ هَيِّنٌ ﴾	سهلٌ ـ يسيرٌ .
﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾	ولم تك شيئًا ذا قيمة ، ولم تك شيئًا يُذكر[2] .
﴿ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾	اجعل لي علامة ودلالة (استدل بها علىٰ أن امرأتي قد حملت) .
﴿ آيَتُكَ ﴾	دليلك وعلامتك (علىٰ أن امرأتك حملت) .
﴿ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾	ثلاث ليالٍ وأنت سويٌّ صحيح لست بمريض لا تمنعك من الكلام آفة ، إنما المنع بلا سبب ظاهر .

(١) وكل متناهٍ إلىٰ غايته في شيءٍ فهو عاتٍ فيه فالعاتي في الكبر هو الذي تقدم به السن جدًّا . والعاتي في الظلم هو شديد الظلم جدًّا ، وهو الذي بلغ في الظلم غاية .

(٢) كما قال تعالىٰ : ﴿هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ .

الكلمة	معناها
﴿الْمِحْرَابِ﴾	المصلىٰ[١] والمحراب أشرف المجالس وأرفعها.
﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾	فأشار إليهم ـ فأمرهم ـ فكتب إليهم.
﴿سَبِّحُوا﴾	صَلُّوا ـ قولوا: سبحان الله.
﴿بُكْرَةً﴾	عند البكور (أي: صباحًا) أول النهار.
﴿عَشِيًّا﴾	في وقت العشي ـ آخر النهار.
﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾	أقبل علىٰ الكتاب (قيل: هو التوراة) بجدٍّ واجتهادٍ وحرصٍ ـ تعلَّم الكتاب.
﴿آتَيْنَاهُ﴾	أعطيناه.
﴿الْحُكْمَ﴾	الفهم (لكتاب الله) والعلم والجد والعزم والإقبال علىٰ الخير.
﴿صَبِيًّا﴾	في حال صباه (قبل البلوغ) ـ صغيرٌ حدث.
﴿حَنَانًا﴾	رحمة ـ محبةً ـ تعطفًا ـ تعظيمًا ـ شفقةً.
﴿مِن لَّدُنَّا﴾	من عندنا[٢] (لا يملكها غيرنا).

(١) ودليله ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾.

(٢) قد رُوي عن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما الحنان؟ (الطبري أثر ٢٣٥٦٠).

وقد أورد له الحافظ ابن كثير إسنادًا صحيحًا من طريق ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال: لا والله لا أدري ما حنانًا؟

الكلمة	معناها
﴿ زَكَاةً ﴾	طهارةً من الذنوب والمعاصي واستعمالاً للبدن في طاعةِ ربِّه .
﴿ تَقِيًّا ﴾	مُتقيًا لله مجتنبًا محارمه ، خائفًا من عقابه مسارعًا إلى طاعته . وقيل : طهر فلم يعمل ذنبًا .
﴿ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾	مُطيعًا لوالديه مُحبًّا لهما ـ مسارعًا في الطاعة والمحبة مُحسنًا إليهما ـ لطيفًا بهما .
﴿ جَبَّارًا ﴾	مستكبرًا ـ عاتًا .
﴿ عَصِيًّا ﴾	ذو عصيانٍ ـ متمردًا ـ مخالفًا الأمر .
﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ ﴾	أمانٌ عليه .

بعض الكلام على الحروف المقطعة

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال:

أحدها: أن الكاف والهاء والياء والعين والصاد بدايات لأسماء من أسماء الله عزَّ وجل.

دلَّ كل حرف منها على اسم من أسمائه سبحانه وتعالى، فقالوا:

الكاف كبير (أي اسم الله الكبير)، وقيل كافٍ (أي اسم الله الكافي).

وقيل: إنها حرف من حروف اسمه الذي هو كريم.

والهاء: هاد.

والياء: يمين، وقيل حرف من حروف اسمه الذي هو (حكيم).

وقيل هي حرفٌ من قول القائل (يا من يجير ولا يجار عليه).

والعين من عالم، وقيل حرف من حروف اسمه الذي هو عزيزٌ، وقيل: عدلٌ.

وأما الصاد: فقالوا صادق.

وقال آخرون من أهل العلم: إن ﴿كَهيعَص﴾ كلها اسم الله عزَّ وجل، وأوردوا أثراً عن عليٍّ رضي الله عنه أنه كان يقول يا ﴿كَهيعَص﴾ اغفر لي.

وقال غيرهم من أهل العلم: إنها اسمٌ من أسماء القرآن.

وثمَّ وجه رابع حاصله: أن هذه أحرف مقطعة بدُئت بها بعض السور، ولا يعلم معناها إلا الله عزَّ وجل، فلم يرد تفسيرٌ صريح لها في الكتاب ولا في السنة (فيما علمنا) فترك العلم بتأويلها إلىٰ الله أسلم وأحكم.

ثم إن من العلماء من قال: إنها سيقت للتحدي، فكأن المعنىٰ (ك، هـ، ي، ع، ص): أحرف تعرفونها، تقرءونها وتكتبونها، ولكن لا تستطيعون أن تؤلفوا منها قرآنًا، ولا سورةً ولا آية.

والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: ورد أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة المباركة (سورة مريم) على النجاشي وأساقفته، اذكر الحديث بذلك، مع بيان صحته ومن أخرجه؟

ج: أما الحديث فهو حديث حسن الإسناد، وقد أخرجه الإمام أحمد[1] وغيره من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي)، أمنا علىٰ ديننا وعبدنا الله تعالىٰ لا نؤذىٰ ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلىٰ النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم فجمعوا له أدمًا كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم،

(١) أحمد في «المسند» (٥ / ٢٩٠) و (١ / ٢٠٢).

وقالوا لهما : ادفعا إلىٰ كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا فقدما علىٰ النجاشي ونحن عنده بخير دارٍ وخير جارٍ فلم يبق من بطرقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، ثم قالا لكل بطريق منهم إنه قد صبأ إلىٰ بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلىٰ الملك فيهم أشراف قومهم لنردهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلمهم ؛ فإن قومهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا : نعم . ثم إنهما قربا هداياهم إلىٰ النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له : أيها الملك إنه قد صبأ إلىٰ بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شيء أبغض إلىٰ عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقته حوله : صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلىٰ بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردانهم إلىٰ بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ثم قال : لا هايْمُ الله إذًا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قومًا جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني علىٰ من سواي حتىٰ أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلىٰ قومهم ، وإن كانوا علىٰ غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت

جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ليسألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسبي الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدم، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك ما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم.

فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ.

فقرأ عليه صدرًا من «كهيعص».

قالت: فبكىٰ والله النجاشي حتىٰ أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتىٰ أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسىٰ ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا ولا أكاد.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتِيَنَّهُ غدًا أعيبهم عنده ثم أستأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقىٰ الرجلين فينا ـ لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسىٰ ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسىٰ إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالىٰ وما جاء به نبينا ﷺ، كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسىٰ ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول قالت: فضرب

النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبَّكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دير ذهب وأني آذيت رجلاً منكم، والدير بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع فيَّ الناس فأطيعهم فيه قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به - يعني من ينازعه في ملكه - قالت: فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفًا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت: فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنًّا، قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة».

* * *

س: على أي أساس رفع ﴿ذكرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ وما معنى ذلك؟

ج: الذي اختاره الطبري في ذلك: أن ﴿ذِكرُ﴾ رفع بمضمر محذوف، فالمعنى (هذا ذِكرُ) كما في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] أي هذه براءة، وكما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١] أي هذه سورةٌ أنزلناها.

وقال آخرون من أهل العلم: إن ﴿ذكرُ﴾ مرفوعة على أنها خبرُ فالمعنى مما سنذكره عليك ذكر رحمة ربك.

وقال آخرون: المعنى: فيما يُقص عليكم ذكر رحمة ربك.

* * *

س: على أي أساس نصب العبد في قوله تعالى: ﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم في ذلك إن العبد نصب بالرحمة فهذا كقول القائل: ذِكر ضَربِ زيدٍ عَمراً، فـ«عمراً» منصوب بالضرب.

* * *

شيءٌ من قصة زكريا عليه السلام وكذا ولده يحيى عليه السلام

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا ذِكر رحمة ربك بعبده زكريا.

ويحتمل المعنى أيضًا: هذا ذِكر ربك عبده زكريا برحمته.

وأيضًا يحتمل: هذا ذِكرٌ لرحمة الله بعبده زكريا.

وأيضًا يحتمل: سنقص عليك، وسنذكر لك رحمة الله عزَّ وجل بعبده زكريا.

* * *

س: ماذا كان يعمل زكريا عليه السلام؟ وما المستفاد من ذلك؟

ج: كان زكريَّا عليه السلام يعمل نجاراً، أخرج ذلك مسلم[1] في «صحيحه» والمستفاد من ذلك الحرص على الأكل من عمل اليد فهو بلا شك أولى من التسوُّل وسؤال الناس، وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأكلون من عمل أيديهم، فيعملون بأيديهم ويتاجرون ويرعون الأغنام إلى غير ذلك من الأعمال الطيبة الحلال.

---

(١) مسلم (٢٣٧٩).

فقد أمر الله عزَّ وجل نوحًا عليه السلام فقال له: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال موسى عليه السلام، لما سئل عن التي في يمينه فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨].

وقال الله لداود عليه السلام: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وقال نبينا ﷺ: «ما بعث اللهُ نبيًّا إلا يرعى الغَنَمَ».

قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنتُ أرعاها على قراريطَ لأهلِ مكةَ»(١).

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وفي «الصحيح» عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكلَ من عملِ يدِه، وإن نبي الله داود عليه السلام كانَ يأكلُ من عمل يده»(٢).

وفي «الصحيحين» مرفوعًا: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطبَ على ظهره خيرٌ له من أن يأتيَ رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»(٣).

* * *

(١) البخاري (٢٢٦٢).

(٢) البخاري (٢٢٠٧).

(٣) البخاري (١٤٧٠) ومسلم (١٠٤٢).

سبب إخفاء الدعاء

س: لماذ نادى زكريا عليه السلام ربَّه تبارك وتعالى نداء خفيًّا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنما ناداه نداء خفيًّا كراهية للرياء وبُعداً عن الرياء.

وقال بعض العلماء: إنه نادىٰ ربَّه نداء خفيًّا لئلا يُنسب في طلب الولد إلىٰ الرعونة لكونه أصبح كبيراً.

أي: حتىٰ لا يقول قومه: انظروا إلىٰ هذا الشيخ الكبير الذي قد بلغ من الكبر عتيًّا، واشتعلت رأسه شيبًا، وكانت امرأته عاقراً، انظروا إليه يدعو بالذرية والولد!! فيتهمونه بما لا يليق به فيأثمون بذلك.

ويؤخذ من هذا أن الشخص لا يفعل أمام الأشخاص ما تنكره عقولهم وقلوبهم إلا بعد تمهيدٍ وتوطئةٍ وإعلام وإفهام، هذا في غالب الأحوال.

وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: حدِّثُوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله[1].

وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**لولا حداثةُ عهد قومك بالكفر لنقضتُ الكعبة ولجعلتُها على أساسِ إبراهيمَ**»[2].

وفي بعض الروايات في «الصحيح» كذلك: «**فأخاف أن تنكر قلوبهم أن**

---

(١) البخاري (١٢٧).

(٢) البخاري (١٥٨٥) ومسلم (١٣٣٣).

أُدخل الجَدْر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض»[١] .

قال القرطبي رحمه الله: واختلف في إخفائه هذا النداء؛ فقيل: أخفاه من قومه لئلا يلام على مسألة الولد عند كبر السن؛ ولأنه أمر دنيوي، فإن أجيب فيه نال بغيته، وإن لم يجب لم يعرف بذلك أحد.

وقيل: مخلصاً فيه لم يطلع عليه إلا الله تعالى.

وقيل: لما كانت الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء؛ أخفاه.

وقيل: ﴿خَفِيًّا﴾ سِرًّا من قومه في جوف الليل؛ والكل محتمل والأوّل أظهر؛ والله أعلم.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: وإنما كان الإخفاء أفضل من الإظهار؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء.

فقول من قال: إن سبب إخفائه دعاءه ـ أنه خوفه من قومه أن يلوموه على طلب الولد، في حالة لا يمكن فيها الولد عادة لكبر سنه وسن امرأته، وكونها عاقراً.

وقول من قال: إنه أخفاه لأنه طلب أمر دنيوي، فإن أجاب الله دعاءه فيه نال ما كان يريد.

وإن لم يجبه لم يعلم ذلك أحد، إلى غير ذلك من الأقوال، كل ذلك ليس بالأظهر.

والأظهر: أن السر في إخفائه هو ما ذكرنا من كون الإخفاء أفضل من الإعلان في الدعاء.

* * *

(١) البخاري (١٥٨٤).

استحباب إخفاء الدعاء

س: اذكر بعض الأدلة على استحباب[١] إخفاءَ الدعاء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقد ذكر الله في كتابه نبيًّا كريمًا رضي عن فعله وزكَّاه وهو زكريا عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم: ٣].

وكان النبي ﷺ يقوم من الليل إذا غلب على ظنه أن عائشة قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربه مستغفراً ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات.

أخرج الإمام مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فقَدْتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً من الفراشِ، فالتمستُه فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهُما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ**

---

(١) وهناك مواطن كان النبي ﷺ يُظهر فيها الدعاء.

وذلك ـ والله أعلم ـ كالقنوت في الصلوات والنوازل والاستسقاء وخطب الجمعة والأعياد، وقول (آمين) في الصلاة، والأدعية العامة وكل ما ورد نحوه عن رسول الله ﷺ. وعمومًا فالنفل في الغالب يُخفى، والفرض يُجهر به، فصلاة النفل في البيت أفضل وصلاة الفرض في المسجد أوجب.

(٢) مسلم (حديث ٤٨٦).

برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وأخرج مسلم في «صحيحه» أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رُوَيْدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويدًا، فجعلت دِرْعي في رأسي واختمرتُ، وتقنَّعْتُ إزاري ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت، فهرول فهرْوَلْتُ، فأحضر فأحضرت فسبقتُهُ فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: «**مالك يا عائش؟ حشيا رَابِيَةً!**» قالت: قلتُ: لا شيء، قال: «**لتخبريني أو لَيخبرنِّي اللطيف الخبير**» قالت: قلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمِّي، فأخبرتُهُ، قال: «**فأنتِ السَّوادُ الذي رأيتُ أمامي**» قُلْتُ: نعم، فلَهَدَنِي في صَدْري لهدةً أوْجعتني.

* * *

س: اذكر بعض فوائد النداء الخفي؟

ج: لإخفاء الدعاء جملة من الفوائد، ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فقال: وفي إخفاء الدعاء فوائد عظيمة:

أحدها: أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: إن الله يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخفض عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلىٰ، فإذا كان ربنا يسمع الدعاءَ الخفيَّ فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبُّه ومقصوده.

فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتىٰ إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته، وكسرته، وضراعته إلىٰ أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق، فقلبه سائل طالب مبتهل، ولسانه لشدة ذله وضراعته ومسكنته ساكت، وهذه الحالة لا يتأتىٰ معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعيّة القلب علىٰ الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكلما خفض صوته كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو، سبحانه وتعالىٰ.

وسادسها: وهو من النكت السريَّة البديعة جدًّا ـ أنه دالٌّ علىٰ قُرْبِ صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه.

فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ عبده زكريا بقوله: ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم: ٣]

فكلما استحضر القلب قرب الله تعالىٰ منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفىٰ دعاءه، ما أمكنه ولم يتأتَّ له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسًا له يسمع خفيَّ كلامه فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، ولله المثلُ الأعلىٰ سبحانه.

وقد أشار النبي ﷺ إلىٰ هذا المعنىٰ بعينه بقوله في الحديث الصحيح ـ لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر ـ فقال: «**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقربَ إلى أحدِكم من عنق راحلته**».

وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦] وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ وهذا يدل علىٰ إرشادهم للمناجاة في الدعاء، لا للنداء الذي هو رفع الصوت فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالىٰ قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلىٰ النداء، وإنما يسأل مسألة القريب المناجىٰ، لا مسألة البعيد المنادَىٰ.

وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص، ليس قربًا عامًّا من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابده، و «**أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد**» وهو أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة، الذي لم يُثبت أكثر المتكلمين سواه، بل هو قرب خاص من الداعي والعابد، كما قال النبي ﷺ راويًا عن ربِّه تبارك وتعالىٰ: «**من تقرَّب منِّي شِبْرًا تقربتُ منه ذراعًا ومن تقرَّب منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منه باعًا**» فهذا قربه من عابده.

وأما قربه من داعيه وسائله، فكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] فيه الإشارة والإعلام بهذا القرب.

وأما قربه تبارك وتعالىٰ من مُحِبِّه فنوع آخر وبناء آخر، وشأن آخر، كما قد ذكرناه في كتاب «التحفة المكيّة» علىٰ أن العبارة تنبو عنه ولا تحصل في القلب حقيقة معناه أبدًا، لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب.

وإيَّاك ثم إيَّاك أن تعبر عنه بغير العبارة النبويّة، أو يقع في قلبك غير معناها ومرادها فتزلَّ بك قَدَمٌ بعد ثبوتِها، وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم فوقعوا في أنواع من الطامَّات والشطح، وقابلهم من غلظ حجابه، فأنكر محبة العبد لربه جملة وقربه منه وأعاد ذلك إلىٰ مجرد الثواب المخلوق فهو عنده المحبوب القريب ليس إلا.

وقد ذكرنا من طرق الرد علىٰ هؤلاء وهؤلاء في كتاب «التحفة» أكثر من مائة طريق.

والمقصود ها هنا: الكلام علىٰ هذه الآية.

وسابعها: أنه أدعىٰ إلىٰ دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكِلُّ لسانه وتضعف بعض قواه.

وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعًا صوته، فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات، فإن الداعي إذا أخفىٰ دعاءه لم يَدرِ به أحدٌ فلا يحصل له هناك تشويش ولا غيره، وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة والباطولية الخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولابد، ومانعته وعارضته ولو لم يكن من ذلك إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته فيضعف أثر الدعاء لكفىٰ، ومن له تجربة يعرف هذا فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعم هو الإقبال علىٰ الله، والتعبد له، والانقطاع إليه والتبتل إليه ولكل نعمة حاسد علىٰ قدرها، دقت أو جلَّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وألا يقصد إظهارها له.

وقد قال يعقوب ليوسف: ﴿**لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥].

وكم من صاحب قلب وجمعيَّة وحال مع الله قد تحدَّث بها وأخبر بها فسلبه إيَّاها الأغيار، فأصبح يقلب كفيه.

ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وألا يُطلعوا عليه أحدًا ويتكتمون به غاية التكتُّم كما أنشد بعضهم في ذلك:

من ساروه فأبدى السر مجتهدًا ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يأمنون مذيعًا بعض سرهم ... حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

والقوم أعظم شيء كتمانًا لأحوالهم مع الله وما وهب الله لهم من محبته والأُنس به وجمعيّة القلب عليه، ولاسيما للمبتدئ والسالك.

فإذا تمكن أحدهم وقوي وثبتت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشىٰ من العواصف، فإنه إذا أبدىٰ حاله وشأنه مع الله ليقتدىٰ به ويؤتم به لم يبالِ، وهذا باب عظيم النفع وإنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال علىٰ الله فهو من أعظم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين، وهذه فائدة شريفة نافعة.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سُمِّي دعاء لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: «**أفضل الدعاء الحمدُ لله**» فسمىٰ «الحمد لله» دعاء، وهو ثناء محض؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء.

والحب أعلىٰ أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمىٰ داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة ما.

فتأمل هذا الموضع فإذا تأملته لا تحتاج إلىٰ ما قيل: إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال، فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض، كما قال أميَّة بن أبي الصلت في ممدوحه:

أأذكر حاجتي، أم قد كفاني ... حباؤك؟ إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا ... كفاه من تعرُّضه الثناءُ

وعلىٰ هذه الطريقة التي ذكرناها فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمىٰ دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.

والمقصود: أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فأمر تعالىٰ نبيَّه أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح.

وقد تقدم حديث أبي موسىٰ كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتُنا بالتكبير فقال: «**يا أيها الناس أَربعوا على أنفسكُم**(١)، **فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا أقربَ إلى أحدِكُم من عنق راحلته**».

وتأمل كيف قال في آية الذِّكر: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] فذكر التضرع فيهما معًا، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفية لما ذكرنا من الحِكم وغيرها.

وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر إلىٰ الخوف، فإن الذِّكر يستلزم المحبة ويثمرها ولابد.

فمن أكثر من ذكر الله أثمرَ له ذلك محبته، والمحبة، ما لم تقرن بالخوف، فإنها لا تنفع صاحبها بل قد تضره، لأنها توجب الإدلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الجُهَّال المغرورين إلىٰ أنهم استغنوا بها عن الواجبات وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله علىٰ الله ومحبته له وتألهه له، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل.

---

(١) أربعوا: أي: ترفقوا بأنفسكم.

ولقد حدثني رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء خلوة له ترك فيها حضور الجمعة، فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط عنه؟ فقال له: بلى.

فقال له: فقلب المريد أعز عليه من ضياع عشرة دراهم، أو كما قال.

وهو إذا خرج ضاع قلبه فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه.

فقال له: هذا غرور، بل الواجب عليه الخروج إلى أمر الله وحفظ قلبه مع الله.

فالشيخ المربي العارف يأمر المريد بأن يخرج إلى الأمر ويراعي حفظ قلبه، أو كما قال.

فتأمل هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء إلى الانسلاخ عن الإسلام، جملة فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه من خاصة الخاصة، وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته، ولهذا قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ. ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

وقد جمع تعالى هذه المقامات الثلاث بقوله: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه. ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه.

وربما آل الأمر بمن عبده بالحب المجرد إلى استحلال المحرمات، ويقول: المحب لا يضره ذنب. وقد صنف بعضهم في ذلك مصنفًا وذكر فيه أثرًا

مكذوبًا: «إذا أحب الله العبد لم تضره الذنوب»، وهذا كذب قطعًا منافٍ للإسلام.

فالذنوب تضر بالذات لكل أحد كضرر السم للبدن، ولو قدر أن هذا الكلام صح عن بعض الشيوخ.

وأما عن رسول الله ﷺ - فمعاذ الله من ذلك - فله محمل، وهو أنه إذا أحبه لم يدعه حبه إياه إلى أن يصر على ذنب؛ لأن الإصرار على الذنب مناف لكونه محبًّا لله، وإذا لم يصر على الذنب بل بادر إلى التوبة النصوح منه، فإنه يمحى أثره ولا يضره الذنب، وكلما أذنب وتاب وأناب إلى الله زال عنه أثر الذنب وضرره، فهذا المعنى صحيح.

والمقصود: أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق ورَدَّه إليها كلما شرد، فكأن الخوف سوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الدرب، والرجاء حادٍ يحدوها يطيب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يسوقها.

فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا تردها إذا حادت عن الطريق، وتركت تركب التعاسيف خرجت عن الطريق وضلت عنها، فما حفظت حدود الله ومحارمه.

وما وصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه.

فتأمل أسرار القرآن وحكمته في اقتران الخيفة بالذكر، والخفية بالدعاء، مع دلالته على اقتران الخيفة بالدعاء والخفية بالذكر أيضًا، فإنه قال:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ فلم يحتج بعدها أن يقول: «خفية» وقال في الدعاء: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فلم يحتج أن يقول في الأولىٰ: ادعوا ربكم تضرعًا وخفية، فانتظمت كل واحدة من الآيتين للخيفة والخفية والتضرع أحسن انتظام، ودلت علىٰ ذلك أكمل دلالة.

وذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه، إذ طلبُ ما لا طمع فيه ممتنعٌ.

وذكر الخوف في آية الذكر لشدة حاجة الخائف إليه كما تقدم، فذكر في كل آية ما هو اللائق بها والأولىٰ بها من الخوف والطمع.

فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور وهدىٰ ورحمة للمؤمنين.

* * *

س: متى وأين دعا زكريا عليه السلام بهذا الدعاء؟

ج: دعا بهذا الدعاء عندما دخل علىٰ مريم عليها السلام المحراب فوجد عندها رزقًا.

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٧، ٣٨].

فقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ تحتمل هنالك في ذاك المكان، وذاك الزمان.

وفي هذا فضل مجالسة الصالحين، فقد استفاد زكريا عليه السلام من مريم

عليها السلام من تذكيرها له بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب فشجعته على الدعاء وسؤال الله من واسع فضله.

* * *

س: لماذا ذُكر العظم دون غيره في قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾؟

ج: أجاب على ذلك الزمخشري[1] بقوله:

وإنما ذكر العَظْم لأنه عمود البدن. وبه قوامه، وهو أصل بنائه. فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته. ولأنه أشد ما فيه وأصلبه. فإذا وهن كان ما وراءَه أوهن. ووحَّده، لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، المنبئة عن شمول الوهن بكل فرد من أفراده.

* * *

(١) ولا يخفى ما عليه الزمخشري من اعتزال، والمذكور هنا نقلاً عن القاسمي عن الزمخشري.

أنواع من التوسلات بين يدي الدعاء

س: في قوله ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ نوعٌ من أنواع التوسل، وضح هذا النوع، مع بيان المراد من قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

ج: هذا توسلٌ بإظهار الضعف بين يدي الله عزَّ وجل وهو نوعٌ حسنٌ من أنواع التوسلات.

أما المراد من قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ فهو الإخبار عن الضعف والكِبرَ اللّذَين اعتريا، وكذا دلائلهما الظاهرة الباطنة.

* * *

س: وضح معنى قوله ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: ولم أكن شقيًّا يا رب لما دعوتك من قبل، فقد دعوتك فاستجبت لي ولم تجعلني شقيًّا بالرد والحرمان، فالذي تردُّ عليه دعوته ولا تستجاب ويُحرم يُعدُّ شقيًّا، أما زكريا عليه السلام فقد كان يُجب إذا سأل ربه ودعاه.

قال القرطبي رحمه الله:

قال العلماء: يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نِعَم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ إظهار للخضوع.

وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ إظهار لعادات تفضله في إجابته أدعيته؛ أي: لم أكن بدعائي إياك شقيًّا؛ أي: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك؛ أي: إنك عودتني الإجابة فيما مضىٰ.

يقال: شقي بكذا أي: تعب فيه ولم يحصل مقصوده.

وعن بعضهم أن محتاجًا سأله وقال: أنا الذي أحسنتَ إليه في وقت كذا، فقال: مرحبًا بمن توسل بنا إلينا؛ وقضىٰ حاجته.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، أي: لم أكن بدعائي إياك شقيًّا، أي: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، يعني: أنك عودتني الإجابة فيما مضىٰ.

والعرب تقول: شقي بذلك إذا تعب فيه ولم يحصل مقصوده.

وربما أطلقت الشقاء علىٰ التعب، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧]. وأكثر ما يستعمل في ضد السعادة.

ولا شك أن إجابة الدعاء من السعادة، فيكون عدم إجابته من الشقاء.

* * *

س: في قول نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ نوع توسل، وضح هذا النوع.

ج: هذا النوع من أنواع التوسل هو توسلٌ بسابق الإحسان. فزكريا عليه السلام يتوسل إلىٰ ربِّه سبحانه وتعالىٰ بسابق إحسان الله تعالىٰ إليه فكأنه

قال: يا من دعوتك فاستجبت لي وأكرمتني ومننت عليَّ وأعطيتني ولم تحرمني، يا رب يا من صفته الكرم والإحسان والجود والكرم والفضل، ها أنذا أدعوك فلا تردني، فقد تعودت منك المن والعطاء.

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يقول: ولم أشقَ يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبلُ إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قِبَلك.

قال القرطبي رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ إظهار لعادات تفضله في إجابته أدعيته؛ أي: لم أكن بدعائي إياك شقيًّا؛ أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك؛ أي: إنك عودتني الإجابة فيما مضى.

يقال: شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده.

وعن بعضهم أن محتاجًا سأله وقال: أنا الذي أحسنتَ إليه في وقت كذا؛ فقال: مرحبًا بمن توسل بنا إلينا؛ وقضى حاجته.

* * *

س: على أي شيء خاف زكريا عليه السلام من الموالي؟

ج: قال بعض العلماء: خاف زكريا الموالي أن يرثوه وقد استبعد الحافظ ابن كثير هذا الوجه وقال: إن النبي أعظم منزلة وأجلُّ قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حدُّه: أن يأنف من وراثة عصباته له ويسأل أن يكون له ولد فيحوز ميراثه دونهم.

وأورد أيضًا أن زكريا كان نجارًا والنجار لا يجمع مالاً كثيرًا. وأورد

حديث: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

وقال آخرون: خاف زكريا عليه السلام الموالي أن لا يقيموا الدين وأن يتصرفوا في الناس من بعده تصرفًا سيئًا وأن لا يسوسوا الناس سياسة حسنة.

فقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ آخر، فنظر نبي الله زكريا عليه السلام فيمن حوله من بني إسرائيل فلم يرَ كفؤًا يقيم الدين من بعده، ويسوس الناس سياسة حسنة من بعده فسأل ربه ولدًا صالحًا يقيم أمر الله في بني إسرائيل ويقودهم بشريعته.

وذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه عليه السلام خشي أذية عصبته له، وحمل قوله: ﴿مِن وَرَائِي﴾ أي من أمامي ومن حولي، وقد ورد في هذا المعنى خبر مرسلٌ[1] قال فيه قتادة: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية وأتى على ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال: رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته؟!!

وفي رواية: يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثته؟! ويرحم الله لوطًا إن كان ليأوي إلى ركن شديد.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

معنى قوله: ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي:

(١) أخرجه الطبري (٢٣٥٠٠، ٢٣٥٠١) ومراسيل قتادة من ضعاف المراسيل.

أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام.

* * *

س: يستحب للدعاة إلى الخير والقائمين على أعمال البر إذا أرادوا سفراً أو مغادرة للمكان أو استشعروا الموت أن يوكلوا بعدهم من يقوم بما كانوا يقومون به من أعمال البر والمعروف دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول زكريا عليه السلام: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾.

قال السعدي رحمه الله تعالى في «تفسيره»:

وذلك أن الله تعالى، اجتبى واصطفى، زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه.

فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين، ومن اتبعهم.

فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيًّا، ليكون أكمل، وأفضل، وأتم إخلاصًا.

وقول نبي الله موسى عليه السلام لأخيه هارون: ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**

وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أما ترضى أن تكونَ مني بمنزلة هارونَ من موسى»[١] وذلك لما تركه في المدينة لما ذهب النبي ﷺ لغزوة تبوك فقال له عليٌّ: تخلفني مع النساء والصبيان؟

وقوله عليه الصلاة والسلام: «فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومَحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالة..»[٢].

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾.

ج: وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ ظاهر في أنها كانت عاقرًا في زمن شبابها.

والعاقر: هي العقيم التي لا تلد وهو يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، فمن إطلاقه علىٰ الأنثىٰ هذه الآية، وقوله تعالىٰ عن زكريا أيضًا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠].

ومن إطلاقه علىٰ الذكر قول عامر بن الطفيل:

لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرًا ... جبانًا فما عذري لدى كل محضر

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٠٤).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود وغيره بنحوه (٤٦٠٧).

وقد أشار تعالىٰ إلىٰ أنه أزال عنها العقم، وأصلحها، فجعلها ولوداً بعد أن كانت عاقراً في قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الانبياء: ٩٠] فهذا الإصلاح هو كونها صارت تلد بعد أن كانت عقيماً.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم: أي لا تلد من حين شبابها.

قال القاسمي رحمه الله:

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي ولم أكن بدعائي إياك خائبًا في وقت لم أعوّد منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردّني قط.

وهذا توسل منه إلىٰ الله تعالىٰ بما سلف له معه من الاستجابة، إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة، من كبر السن وضعف الحال.

فإنه تعالىٰ بعد ما عوَّد عبده بالإجابة دهراً طويلاً، لا يكاد يخيبه أبداً. لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

ج: أما قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ فمن العلماء من قال: يرث أموالي إذا أنا مِتُّ.

وقال آخرون: بل يرث علمي ونبوتي، فإن الأنبياء لا يورثون، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا نُورَثُ ما تركْنَا فهو صدقةٌ»[1].

(١) البخاري (٦٧٢٧) وله عدة طرق عن النبي ﷺ ومسلم (١٧٥٨).

أما قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي ويرث نبوة آل يعقوب.

واختار ابن كثير رحمه الله تعالىٰ هذا الوجه الأخير، وكان مما ذكره أن قال: قد ثبت في «الصحيحين» من غير وجه، أن رسول الله، ﷺ، قال: «**لا نورَّث، ما تركْنا فهو صدقة**».

وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح: «**نحنُ معشرَ الأنبياءِ ـ لا نورَّث**».

وعلىٰ هذا فتعين حمل قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي﴾ علىٰ ميراث النبوة؛ ولهذا قال: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ كقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل ـ أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث: «**نحن معاشرَ الأنبياء ـ لا نورَّث، ما تَركنا فهو صدقة**».

وقال القرطبي رحمه الله:

قال النحاس: فأما معنىٰ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ فللعلماء فيه ثلاثة أجوبة:

قيل: هي وراثة نبوّة.

وقيل: هي وراثة حكمة.

وقيل: هي وراثة مال.

فأما قولهم: وراثة نبوّة فمحال؛ لأن النبوّة لا تورث، ولو كانت تورث لقال قائل: الناس ينتسبون إلىٰ نوح عليه السلام وهو نبيّ مرسل.

ووراثة العلم والحكمة مذهب حسن؛ وفي الحديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

وأما وراثة المال، فلا يمتنع، وإن كان قوم قد أنكروه لقول النبي ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» فهذا لا حجة فيه؛ لأن الواحد يخبر عن نفسه بإخبار الجمع.

وقد يُؤوَّل هذا بمعنى: لا نُورث، الذي تركناه صدقة؛ لأن النبيّ ﷺ لم يخلّف شيئًا يورث عنه؛ وإنما كان الذي أباحه الله عز وجل إياه في حياته بقوله تبارك اسمه: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**﴾ [الأنفال: ٤١] لأن معنى ﴿لله﴾ لسبيل الله، ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول ﷺ ما دام حيًّا؛ فإن قيل: ففي بعض الروايات: «**إنا معاشرَ الأنبياءِ لا نورَّث ما تَرَكْنا صدقة**» ففيه التأويلان جميعًا؛ أن يكون «ما» بمعنى «الذي».

والآخر لا يورث من كانت هذه حاله.

وقال أبو عمر: واختلف العلماء في تأويل قوله عليه السلام: «**لا نورَّث ما تركْنا صدقة**» على قولين:

أحدهما: وهو الأكثر وعليه الجمهور ـ أن النبي ﷺ لا يورث وما ترك صدقة.

والآخر: أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يُورَث؛ لأن الله تعالى خصه بأن جعل ماله كله صدقة زيادة في فضيلته، كما خُصَّ في النكاح بأشياء أباحها له وحرمها على غيره؛ وهذا القول قاله بعض أهل البصرة منهم ابن عُلَية، وسائر علماء المسلمين على القول الأوّل.

تنبيه: الوارد مرفوعًا عن رسول الله ﷺ، والذي قد يستدل به البعض على صحة القول الأول في تفسير: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بأنها وراثة المال، ألا وهو ما ورد عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «**يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثه...**» الحديث.

ونحوه عن الحسن البصري: «قال رسول الله ﷺ...» فهذا وذاك ضعيفان، فكلاهما مرسل، وفضلاً عن إرسالهما فالسند إليهما فيه ضعف، وكذلك فمراسيل قتادة والحسن البصري من أضعف المراسيل.

* * *

س: من هم آل يعقوب؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قيل: هو «يعقوب»، إسرائيل، وكان زكريا متزوجًا بأخت مريم بنت عمران، ويرجع نسبها إلى يعقوب؛ لأنها من ولد سليمان بن داود وهو من ولد يهوذا بن يعقوب، وزكريا من ولد هارون أخي موسى، وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب، وكانت النبوّة في سبط يعقوب بن إسحاق.

وقيل: المعنيُّ بـ«يعقوب» هاهنا: يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان أبي مريم، أخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام؛ لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان، وبنو ماثان رؤساء بني إسرائيل؛ قاله مقاتل وغيره.

وقال الكلبي: وكان آل يعقوب أخواله، وهو يعقوب بن ماثان، وكان فيهم الملك، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى.

* * *

بعض آداب الدعاء المستنبطة من دعاء زكريا عليه السلام

س: اذكر بعض آداب الدعاء المستفادة من دعاء زكريا عليه السلام.

ج: من هذه الآداب ما يلي:

أولاً: إخفاء الدعاء: وهذا أبعدُ عن الرياء، ثم إن فيه امتثالاً لأمر الله إذ قال: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ وقد قدمنا جملةً من الفوائد لإخفاء الدعاء.

هذا، ومن العلماء من لفت النظر إلى شيءٍ من فوائد إخفاء الدعاء هاهنا فقال: إن زكريا عليه السلام قد تقدم به السنُّ ووهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وكانت امرأته عاقرًا، فإذا دعا ـ وهو على تلك الحال وبالوصف المذكور ـ أمام قومه فسيسخرون منه ويتهمونه في عقله، فحتى لا يهلك قومه في شأنه، ولا يعذبوا بسببه أخفى عنهم هذا الدعاء، والله أعلم.

ثانيًا: من الآداب أيضًا: إظهار الضعف والعجز بين يدي الله عزَّ وجل عند الدعاء، وذلك من قوله: ﴿**إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ فهو نوع توسلٍ بإظهار الضعف والعجز.

ثالثًا: من الآداب أيضًا التوسل إلى الله بسابق إحسانه، وذِكر سابق نعمه وذلك من قوله: ﴿**وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾.

رابعًا: بيان قدرة الله عزَّ وجل والتوسل إليه بذلك، وهذا مأخوذ من

قوله: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ أي وأنت يا رب قادرٌ على إصلاحها وجعلها تنجب، وقد كان. فذلك أحد الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

خامسًا: بيان سبب الدعوة التي يدعو بها، وذلك من قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ ومن قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾.

سادسًا: أن الدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم، ولا يراد بها الكبر والتجبر على الناس، وذلك مأخوذٌ من قوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾، ومن قوله في آية أخرى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

سابعًا: استحباب الدعاء بالذرية الصالحة، وقد قال زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وفيه أيضًا: الثناء على الله والإقرار له بأنه حي لا يموت.

* * *

س: كيف قال زكريا عليه السلام حينما سأل ربه الولد ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقد قال النبي محمد ﷺ «لا نورث...»[1]؟

ج: وجه الجواب أن يُقال: إن قوله ﴿يَرِثُنِي ﴾ أي يرث علمي ونبوتي، ونحوه وورث سليمان داود، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) البخاري (٦٧٢٧) ومسلم (١٧٥٨).

س: هل يجوز تسمية المولود قبل ولادته؟

ج: نعم، تجوز تسمية المولود قبل ولادته وكذا بعد ولادته.

أما قبل ولادته: فدليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ فالذي سماه يحيىٰ هو الله سبحانه وتعالىٰ سماه قبل ولادته.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

أما بعد ولادته: ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: وُلد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ منقبةٌ عظيمةٌ لنبي الله يحيى عليه السلام. وضح هذه المنقبة.

ج: وجه هذه المنقبة أن الله عزَّ وجل هو الذي سماه، ولم يَكِلْ تسميته إلىٰ أبيه.

ونحو هذه منقبة لعيسىٰ عليه السلام أيضًا، فالذي سماه هو الله، إذ قد قال تعالىٰ: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

* * *

(١) البخاري (٦١٩٨) ومسلم (٢١٤٥).

س: لأهل العلم قولان في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ اذكرهما.

ج: **أما الوجه الأول**: فهو أن المعنى: لم نجعل من قبل من تسمى بيحيى، أي: لم يتسمَّ أحدٌ قبله بـ«يحيى».

أما الوجه الثاني: فالمراد: لم نجعل له شبيهًا ولا مثيلاً ولا نظيرًا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ اعلم أولاً: أن السميَّ يطلق في اللغة العربية إطلاقين: الأول قولهم: فلان سمي فلان أي مسمى باسمه.

فمن كان اسمهما واحداً فكلاهما سمي الآخر أي مسمًّى باسمه.

والثاني: إطلاق السمي يعني المسامي أي المماثل في السمو والرفعة والشرف، وهو «فعيل» بمعنى «مفاعل» من السمو بمعنى العلو والرفعة، ويكثر في اللغة إتيان الفعيل بمعنى المفاعل، كالقعيد والجليس بمعنى المقاعد والمجالس.

والأكيل والشريب بمعنى المؤاكل والمشارب، وكذلك السميُّ بمعنى المسامي أي المماثل في السمو.

فإذا علمت ذلك ـ فاعلم أن قوله هنا: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي لم نجعل من قبله أحدًا يتسمى باسمه؛ فهو أول من كان اسمه «يحيى».

وقول من قال: إن معناه لم نجعل له سميًّا أي نظيرًا في السمو والرفعة غير صواب لأنه ليس بأفضل من إبراهيم وموسى ونوح، فالقول الأول هو الصواب.

وممن قال به ابن عباس وقتادة والسدي وابن أسلم وغيرهم.

ويروىٰ القول الثاني عن مجاهد وابن عباس أيضًا.

وإذا علمت أن الصواب أن معنىٰ قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي لم نسمِّ أحدًا باسمه قبله ـ فاعلم أن قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] معناه: أنه تعالىٰ ليس له نظير ولا مماثل يساميه في العلو والعظمة والكمال علىٰ التحقيق.

وقال بعض العلماء: وهو مروي عن ابن عباس ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هل تعلم أحدًا يسمىٰ باسمه الرحمن جل وعلا. والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، أن زكريا عليه السلام لما ذكر لربه تبارك وتعالىٰ وربُّه أعلم، أنه قد بلغ من الكبر عتيًّا وأن امرأته كانت عاقرًا، قال الله له(١): ﴿كذلك﴾ أي الأمر كما ذكرت يا زكريا من أنك قد بلغت من الكبر عتيًّا وأن امرأتك كانت عاقرًا، ولكن هذا أمرٌ سهل عليَّ، أمرُ الغلام الذي بشرتك به وخلقه وإيجاده وولادته ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: سهلٌ ويسيرٌ عليَّ، فقوله: ﴿هُوَ﴾ أي: خلق الغلام.

---

(١) ومن العلماء من قال: إن قائلَ ﴿كذلك﴾ هو جبريل عليه السلام. قاله بأمر الله عزَّ وجل.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ ذكره: قال الله لزكريا مجيبًا له: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا الأمر كما تقول من أنّ امرأتك عاقر، وأنك قد بلغت من الكبر العتي، ولكن ربك يقول: خلْق ما بشَّرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه (يحيىٰ) عليَّ هين، فهو إذن من قوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ كناية عن الخلق.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ يقول تعالىٰ ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك، فإني قد خلقتك، فأنشأتك بشراً سويًّا من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهبه لك من الولد، ولم تك شيئًا، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عِتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك.

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾؟

ج: وجه ذلك، والله تعالىٰ أعلم، أن رزقي لك بولدٍ، مع كونك قد بلغت من الكبر عتيًّا، ومع أن زوجتك كانت عاقراً ليس بأشدَّ ولا أعظم من خلقي لك، فقد خلقتك ولم تك شيئًا.

* * *

س: كيف يسأل نبي الله زكريا عليه السلام ربَّه تبارك وتعالى أن يرزقه الولد ثم يقول: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا...﴾؟

ج: أما قول زكرياء عليه السلام ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ...﴾ فليس معناه استبعاد الولد، ولا شك في قدرة الله على أن يرزقه الولد وهو بهذه الصفة.

وكيف يكون ذلك، وكيف يظن ذلك، وهو المبتدئ بالسؤال إذ قال: **﴿فهب لي من لدنك وليًّا..﴾؟!!**

أما الجواب على السؤال فله وجوه:

أحدها: أنه سأل عن الصفة والكيفية التي سيأتيه الولد عليها، هل سأرجع شابًّا يا رب، وهل سترجع امرأتي فتاة وتكون محلاً للإنجاب؟ أم أنني سأرزق الولد وأنا على هذه الصفة وزوجتي على تلك الحال؟!!

الوجه الثاني: أنه إنما سأل ليُعاد ذِكر البشارة على مسمعه فالشخص إذا أتاه خبرٌ سارٌّ أحب أن يتكرر على سمعه هذا الخبر.

الوجه الثالث: وهو وجهٌ ضعيف، أنه كان بين دعائه وبشارته زمنٌ طويلٌ إلى حد أنه قد نسي، ووجه الضعف على هذا الوجه بيِّنٌ وذلك لأن زكرياء عليه السلام إنما دعا وهو كبير وذلك بدليل قوله: **﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾**.

وأظهر هذه الوجوه أولها، والله تعالى أعلم.

ثم إنه الوجه الذي اختاره ابن جرير الطبري رحمه الله حيث قال:

يقول تعالىٰ ذكره: قال زكريا لما بشره الله بيحيىٰ: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، ومن أي وجه يكون لي ذلك، وامرأتي عاقر لا تحبل، وقد ضعُفتُ من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقوّيني علىٰ ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجتي ولوداً، فإنك القادر علىٰ ذلك وعلىٰ ما تشاء، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر؟ يستثبت ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد، الذي بشره الله به، لا إنكاراً منه ﷺ حقيقة كون ما وعده الله من الولد، وكيف يكون ذلك منه إنكاراً لأن يرزقه الولد الذي بشَّره به، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك بقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بعد قوله: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذا تعجبٌ من زكريا عليه السلام حين أُجيب إلىٰ ما سأل وبُشِّر بالولد ففرح فرحًا شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أنه امرأته عاقر لا تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر وعتا.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

فإن قيل: ما وجه استفهام زكريا في قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ مع علمه بقدرة الله تعالىٰ علىٰ كل شيء؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه قد ذكرناها في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عند آيات الكتاب» في سورة «آل عمران» وواحد منها فيه بُعدٌ؛ وإن روي عن عكرمة والسدي وغيرهما.

الأول ـ أن استفهام زكريا استفهام استخبار واستعلام؛ لأنه لا يعلم هل

الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز على كبر سنهما على سبيل خرق العادة، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردهما شابين؟ فاستفهم عن الحقيقة ليعلمها.

ولا إشكال في هذا، وهو أظهرها.

الثاني: أن استفهامه استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى.

الثالث ـ وهو الذي ذكرنا أن فيه بعداً هو ما ذكره ابن جرير عن عكرمة والسدي: من أن زكريا لما نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى، قال له الشيطان: ليس هذا نداء الملائكة، وإنما هو نداء الشيطان، فداخل زكرياء الشك في أن النداء من الشيطان، فقال عند ذلك الشكّ الناشئ عن وسوسة الشيطان قبل أن يتيقن أنه من الله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ ولذا طلب الآية من الله على ذلك بقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ الآية.

وإنما قلنا: إن هذا القول فيه بعدٌ لأنه لا يلتبس على زكرياء نداء الملائكة بنداء الشيطان.

* * *

س: لماذا سأل زكريا عليه السلام ربَّه تبارك وتعالى آية؟

ج: الظاهر، والله أعلم أنه سأل ربه علامة ودليلاً يدله على أن امرأته قد حملت، أي: أن سؤال الآية كان لمعرفة وقت حمل امرأته، ليأخذ لذلك أهبته ويستعد له استعداده ويعمل بمقتضيات ذلك.

ووجه آخر: طلب آية تدله على أن البشرى منه بيحيى لا من الشيطان.

ووجه ثالث: أنه سأل ربه آية لمزيد من الطمأنينة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي: علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أما ما أورده الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ من غير بأس ولا خرس، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكته مشافهة، أُخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أومأ إيماء.

فهذا وجهٌ ضعيفُ المعنى، ولا أظن أبدًا أن هذا المنع من الكلام يُعدُّ عقابًا، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، دلالتك على ما سألت عنه بشأن بشارتنا لك بالولد أنك تُمنع من الكلام لمدة ثلاث ليال، من غير مرضٍ ألمَّ بك، ولا سقم حلَّ بك.

ووجه آخر قريب: العلامة التي تستدل بها على أن امرأتك قد حملت بيحيى أنك ستُمنع من الكلام ثلاث ليالٍ متصلة من غير مرض ولا خرس ولا سقم ولا آفة.

وقد قال الله تبارك وتعالى في سورة «آل عمران» ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿إِلاَّ رَمْزًا﴾ أي: إشارة؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: الذي بشِّر فيه بالولد: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار إشارة خفية سريعة: ﴿أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة، زيادة على أعماله وشكراً لله على ما أولاه.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي علامتك على وقوع ذلك ألا تكلم الناس، أي أن تمنع الكلام فلا تطيقه ثلاث ليالٍ بأيامهن في حال كونك سويًّا، أي: سوي الخلق، سليم الجوارح، ما بك خرس ولا بكم ولكنك ممنوع من الكلام على سبيل خرق العادة، كما قدمنا في «آل عمران».

أما ذكر الله فليس ممنوعًا منه بدليل قوله في «آل عمران»: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾.

وقول من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: ثلاث ليال متتابعات ـ غير صواب، بل معناه هو ما قدمنا من كون اعتقال لسانه عن كلام قومه ليس لعلة ولا مرض حدث به؛ ولكن بقدرة الله تعالى وقد قال تعالى هنا: ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ﴾ ولم يذكر معها أيامها، ولكنه ذكر الأيام في «آل عمران»، في قوله: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ الآية.

فدلت الآيتان على أنها ثلاث ليالٍ بأيامهن.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ يعني: إلا بالإشارة أو

الكتابة، كما دل عليه قوله هنا: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، وقوله في «آل عمران»: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ الآية؛ لأن الرمز: الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

والإيحاء في قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾ الآية، قال بعض العلماء: هو الإشارة وهو الأظهر بدليل قوله: ﴿إِلاَّ رَمْزًا﴾ كما تقدم آنفا.

وقال أيضًا:

والوحي: في لغة العرب يطلق على كل إلقاء في سرعة وخفاء. ولذلك أطلق على الإلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨] الآية.

وعلى الإشارة كما هو الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾ الآية.

ويطلق على الكتابة كما هو القول الآخر في هذه الآية الكريمة. وإطلاق الوحي على الكتابة مشهور في كلام العرب.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن المراد بالتسبيح ذكر الله عزَّ وجل المتضمن قول: «سبحان الله».

الثاني: أن المراد بالتسبيح بكرة وعشيًّا :الصلاة في هذين الوقتين.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى..﴾ تضمن محذوفًا وضح هذا المحذوف.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا الكلام يتضمن محذوفًا وهو: أنه أُجيب إلى ما سأل في دعائه.

* * *

س: لقد بُشِّر إبراهيم عليه السلام على الكبر بإسحاق، وكذا بُشِّرت زوجته سارة عليها السلام، فما الفارق بين هذه البشارة لزكريا وزوجته وبين البشارة لإبراهيم وسارة عليهما السلام؟

ج: الفارق يتمثل في أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرًا، أما إبراهيم عليه السلام فكان يُولد له، فقد رزق من قبل بإسماعيل عليه السلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذا دليل على أن زكريا ـ عليه السلام ـ كان لا يولد له، وكذلك امرأته كانت عاقرًا من أول عمرها، بخلاف إبراهيم وسارة ـ عليهما السلام ـ فإنهما إنما تعجبا من البشارة بإسحاق على كبرهما لا لعقرهما؛ ولهذا قال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤]. مع أنه قد كان ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة، وقالت امرأته: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ

أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣].

* * *

س: النعم تحتاج إلى مزيد من الشكر، وضح ذلك من قصة نبي الله زكريا عليه السلام؟ وكذا من غيرها.

ج: إيضاحه أن زكريا عليه السلام لما بُشر بيحيى عليه السلام أُمر أن يقدم لذلك شكرًا إذ الله قال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

فامتثل ذلك عليه السلام، وأمر قومه بذلك: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: شكرًا لله على ما امتن به وتفضل وأنعم.

أما من غير هذه القصة، فقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢].

وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨] ثم أمره فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

وكذلك قال تعالى: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤].

* * *

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾؟

ج: المراد بالكتاب، والله تعالى أعلم: التوراة.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ تضمن محذوفًا وضحه.

ج: إيضاحه فيما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال:

وهذا أيضًا تضمن محذوفًا تقديره: أنه وجد هذا الغلام المبشر به، وهو: يحيى عليه السلام، وأن الله علمه الكتاب، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار، وقد كان سِنُّه إذ ذاك صغيرًا، فلهذا نوه بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه، فقال: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾، أي: تعلم الكتاب، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجد، وحرص، واجتهاد، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الفهم والعلم، والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله تبارك وتعالى بعد أن رزق زكريا عليه السلام بيحيى، قال جل ذِكره ليحيى عليه السلام: يا يحيى أقبل على التوراة واعمل بما فيها بجدٍّ واجتهادٍ.

وقد صح عن ابن زيدٍ[١] أنه قال: القوة أن يعمل ما أمره الله به، ويُجانب فيه ما نهاه الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ..﴾ وهذا أيضًا تضمن محذوفًا تقديره: أنه وجد هذا الغلام المبشر به، وهو: يحيى عليه السلام، وأن الله علمه الكتاب، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً، فلهذا نوه بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه، فقال: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾، أي: تعلم الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجد، وحرص، واجتهاد ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الفهم والعلم، والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: ورحمةً منا به ومحبةً منا له آتيناه الحكم صبيًّا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

فالحنان: هو المحبة في شفقة وميل، كما تقول العرب: حنت الناقة على ولدها، وحنت المرأة على زوجها، ومنه سميت المرأة حَنّة من الحَنّة وحنَّ الرجلُ إلى وطنه، ومنه التعطُّف والرحمة. كما قال الشاعر:

تَحَنَّنْ عَلَيّ هَدَاكَ المَلِيكُ ... فإن لكُلّ مقام مقالاً

* * *

(١) الطبري (٢٣٥٤٧).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ورحمةً منَّا بيحيى عليه السلام، ومحبةً منا له، وتعطفًا منا عليه آتيناه الحكم صبيًّا، وكذا زكيناه فجعلناه زكيًّا طاهرًا من الذنوب والمعاصي، فقد كان عليه السلام من فضل الله عليه، تقيًّا.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَحَنَانًا﴾ معطوف على ﴿الْحُكْمَ﴾ أي: وآتيناه حنانًا من لدنا.

والحنان: هو ما جبل عليه من الرحمة، والعطف والشفقة.

وإطلاق الحنان على الرحمة والعطف مشهور في كلام العرب، ومنه قولهم: حنانك وحنانيك يا رب، بمعنى رحمتك. ومن هذا المعنى قول امرئ القيس:

أبنت الحارث الملك بن عمرو ... له ملك العراق إلى عمان
ويمنحها بنو شمجي بن جرم ... معيزهم حنانك ذا الحنان

يعني رحمتك يا رحمن.

وقول طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقول منذر بن درهم الكلبي:

وأحدث عهد من أمينة نظرة ... على جانب العلياء إذ أنا واقف
فقالت حنان ما أتى بك هاهنا ... أذو نسب أم أنت بالحي عارف

فقوله: ﴿وَحَنَانًا﴾ أي: أمري حنان؛ أي: رحمة لك، وعطف وشفقة عليك ـ وقول الحطيئة أو غيره:

تحنن عليَّ هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالا

وقوله تعالى: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا، وأصح التفسيرات في قوله ﴿وَزَكَاةً﴾ أنه معطوف على ما قبله أي: أو أعطيناه زكاة، أي: طهارة من أدران الذنوب والمعاصي بالطاعة، والتقرب إلى الله بما يرضيه.

* * *

س: الرحمة المقذوفة[1] في قلوب العباد لشيءٍ ما إنما هي من الله عزَّ وجل، دلِّل على ما نقول.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾.

وقوله تعالى في شأن موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩].

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾:

ج: **قال الطبري رحمه الله:** يقول تعالى ذكره: وكان برًّا بوالديه مسارعًا في طاعتهما ومحبتهما غير عاقٍّ بهما، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ يقول جلَّ ثناؤه: ولم يكن مستكبرًا عن طاعة ربه وطاعة والديه ولكنه كان لله ولوالديه متواضعًا متذللاً يأتمر لما أمر به وينتهي عما نُهي عنه، لا يعصي ربه ولا والديه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لما ذكر تعالى طاعته لربه،

---

(١) وسيأتي لذلك مزيد ـ إن شاء الله ـ في آخر هذه السورة المباركة الكريمة.

وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما، ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلاً أمراً ونهيًا؛ ولهذا قال: ﴿ **وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى: ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ** ﴾ البَرّ بالفتح هو فاعل البِرّ ـ بالكسر ـ كثيراً أي: وجعلناه كثير البر بوالديه، أي: محسناً إليهما، لطيفاً بهما، لين الجانب لهما.

وقوله: ﴿ **وَبَرًّا** ﴾ معطوف على قوله: ﴿ **تَقِيًّا** ﴾، وقوله: ﴿ **وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾ أي: لم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه ولكنه كان مطيعاً لله متواضعاً لوالديه.

* * *

س: اذكر بعض المؤهلات التي زود الله بها يحيى عليه السلام. وهي مؤهلات لمن سيقوم على قومٍ ويسوسهم.

ج: من هذه المؤهلات الذكاء والفهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ فكان فذًّا في فهمه عليه السلام.

وكذا ينبغي لمن يسوس الناس أن يكون فهمًا فذًّا، وكذلك قال يوسف عليه السلام لما رشَّح نفسه على خزائن الأرض، إذ قال: ﴿ **اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف:٥٥].

ومن هذه المؤهلات كونه ﴿ **حَنَانًا** ﴾ أي: ذا حنان وشفقةٍ ورحمة لمن هم تحت يديه.

وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ**

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن هذه المؤهلات زكاة النفس وطهارتها وعفتها وذلك من قوله: ﴿وَزَكَاةً﴾ فلا ينبغي للقائم على أمور الناس أن يكون ملوثًا بالذنوب والخطايا والآثام وكبائر الذنوب، بل ينبغي أن يكون زكي النفس مستغفرًا أوَّاهًا.

ومن هذه المؤهلات كونه﴿ تَقِيًّا ﴾ أي يتقي محارم الله عزَّ وجل فلا يقربها ويتقي ربه وبأسه وعقابه.

ومن هذه المؤهلات كونه كان بارًّا بوالديه فمن كان مؤذيًا لوالديه كيف يكون نفاعًا للناس وهو مسيء إلى المحسنين إليه وهما الأبوان.

كذلك على الذي يسوس الناس أن يكون رحيمًا لهم غير جبار ومفسد، ولا شرير عارم، ولا شديد البطش في غير موضعه.

وكذلك فليس في عداد الأشقياء وليس من جملتهم.

كذلك ينبغي أن يكون حسن الاسم حتى لا يتخذ مجالاً للسخرية، فقد قال تعالى في شأن يحيى عليه السلام ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

* * *

س: ما المراد بالسلام عليه يوم ولد؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم: أمانٌ عليه يوم وُلِد من أن يقربه الشيطان بسوءٍ أو مكروه، وذلك لأنه ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا.

ففي الحديث[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يُولَد إلا نَخَسَه الشيطانُ فيستهلُّ صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابنَ مريمَ وأمَّه**»، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقد ورد بسندٍ مرسل من طريقِ سعيد بن المسيب[٢]: أنه كان يذكر أن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِن أحدٍ يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنبٍ**[٣] **إلا يحيى ابنَ زكرياء**».

وقد ورد هذا الخبر مرفوعًا متصلاً لكن في سنده ضعف.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالسلام التحية المتعارف عليها بين الناس. والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بالسلام عليه يوم يموت؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم: الأمان عليه ـ يوم يموت ـ من فتنة الشيطان أن يتخبطه عند الموت، فالشيطان عياذًا بالله يتخبط أقوامًا عند الموت، وكذا أمانٌ عليه من فتنة القبر.

وأيضًا، فقد قال بعض العلماء إن المراد بالسلام هنا التحية، فالله أعلم.

* * *

(١) البخاري (٤٥٤٨) ومسلم (٢٣٦٦).

(٢) الطبري (٢٣٥٦٧) بسندٍ صحيح.

(٣) وذلك عند الطبري أيضًا (٢٣٥٦٦).

وانظر التسهيل سورة (آل عمران) عند قوله تعالى: ﴿وسيدًا وحصورًا﴾.

س: ما المراد بالسلام عليه يوم يبعث حيًّا؟

ج: المراد، والله أعلم وأمانٌ له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، من أن يروِّعه شيء أو أن يُفزِّعه ما يفزِّع الخلق.

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي: له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

وإنما خص هذه الأوقات الثلاثة بالسلام، التي هي وقت ولادته، ووقت موته، ووقت بعثه، في قوله: ﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴾ الآية، لأنها أوحش من غيرها.

قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم.

قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فيها.

❊ ❊ ❊

شيء من قصة مريم عليها السلام

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾
فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ
إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ۞

س: اذكر معنى ما يلي:

انتبذت ـ مكانًا شرقيًّا ـ حجابًا ـ روحنا ـ فتمثَّل لها بشرًا ـ سويًّا ـ أعوذ بالرحمن منك ـ إن كنت تقيًّا ـ زكيًّا ـ أنى ـ يمسسني بشر ـ ولم أكن بغيًّا ـ آية للناس ـ كان أمرًا مقضيًّا ـ فانتبذت به ـ قصيًّا ـ فأجآءها المخاض ـ نسيًا منسيًّا ـ سريًّا ـ هزِّي بجذع النخلة تساقط ـ رطبًا جنيًّا ـ قرِّي عينا ـ فإما ترين ـ البشر ـ صومًا ـ جئت شيئًا فريًّا ـ امرأ سوء ـ بغيًّا ـ المهد ـ مباركًا ـ ما دمت حيًّا ـ جبارًا ـ شقيًّا ـ ذلك ـ قول الحقِّ ـ يمترون ـ ما كان لله سبحانه ـ الأحزاب ـ فويل ـ مشهد يوم عظيم ـ أسمع بهم وأبصر ـ يوم يأتوننا ـ الظالمون ـ ضلالٍ ـ مبين ـ يوم الحسرة.

ج:

الكلمة	معناها
﴿انتَبَذَتْ﴾	انفردت[1] ـ ابتعدت ـ اعتزلت ـ تنحت.
﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾	مكانًا ناحية المشرق[2] ـ شاسعًا متنحيًا.
﴿حِجَابًا﴾	ساترًا.
﴿رُوحَنَا﴾	هو جبريل عليه السلام[3].

(١) صح عن قتادة أنه قال: انفردت من أهلها (الطبري ٢٣٥٧٠).

(٢) والشرق هو: المكان الذي تشرق فيه الشمس، وقد قيل: إنهم يعظمون جهة المشرق من حيث تطلع الشمس.

(٣) شاهده قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾.

الكلمة	معناها
﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾	تصوَّر لها .
﴿ بَشَرًا ﴾	رجلاً من بني آدم .
﴿ سَوِيًّا ﴾	معتدل الخلق ـ تام الخلق (أي : على صورة إنسانٍ تامٍّ كامل) .
﴿ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ ﴾	ألجأ وأستجير بالرحمن منك .
﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	إن كنت ذا تقوىٰ لله ، تتقي محارمه وتجتنب معاصيه ـ إن كنت تحذر غضب الله وتخشىٰ عقابه .
﴿ زَكِيًّا ﴾	طاهراً من الذنوب .
﴿ أَنَّى ﴾	من أي وجهٍ .
﴿ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾	لم يتزوجني بشر ولم يقربني بجماع .
﴿ لَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾	لم أكن زانية .
﴿ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾	دلالةً ـ علامة للناس علىٰ قدرتنا .
﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾	أمراً قضاه الله وقدره ولابد أن يقع فقد قضىٰ الله في حكمه أنه واقع وكائن .
﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِ ﴾	فاعتزلت به .
﴿ قَصِيًّا ﴾	قاصيًا ـ نائيًا ـ بعيداً .
﴿ فَأَجَاءَهَا ﴾	فألجأها ـ فاضطَّرها ـ فجاء بها .
﴿ الْمَخَاضُ ﴾	آلام الولادة ـ الطلْقُ . وقيل : سُمي مخاضًا من المخض ، وهو الحركة الشديدة

الكلمة	معناها
	لشدة تحرك الجنين في بطنها إذا أراد الخروج .
﴿ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾	شيئًا نُسي[1] فترك البحث عنه ولم يعودوا يطلبونه ، لا أثر له ولا خبر عنه ـ لم أخلق ولم أك شيئًا لا أُعرف ولا يدري من أنا .
﴿ سَرِيًّا ﴾	نهرًا صغيرًا ـ جدولاً[2] ، وقيل : إن السَّري هو العظيم من الرجال .
	وقيل : السري هو السيد ، وهو عيسىٰ عليه السلام .
﴿ وَهُزِّي ﴾	حرِّكي .
﴿ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾	جذع النخلة[3] .
﴿ تُسَاقِطْ ﴾	تُسقط ـ تتساقط .
﴿ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾	مجنيًّا[4] ـ لم يبعد عن أيدي مجتنيه ، وقيل : لم يجف ولم ييبس .
﴿ قَرِّي عَيْنًا ﴾	ولتستقر عينك ـ طِيبي نفسًا ، وقال آخرون : المعنىٰ فلتبرد دمعك ، لأن دمعة الفرح باردة ، ودمعة الحزن حارة .
﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ ﴾	مهما رأيت .
﴿ الْبَشَرِ ﴾	بنو آدم .

(١) قال البعض : كخرقة المحيض التي تُرمىٰ .

(٢) صح ذلك عن البراء رضي الله عنه .

(٣) والباء كالباء في قوله تعالىٰ : ﴿تنبت بالدهن﴾ وكما في قولنا : زوجتك بفلانة أي زوجتك فلانة .

(٤) قال الطبري رحمه الله : وكلُّ ما أخذ ثمره أو نُقل عن موضعه بطراوته فقد اجتني .

الكلمـــة	معنـاهـــا
﴿ صَوْمًا ﴾	صمتًا عن الكلام، قال بعض العلماء: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الطعام والشراب والكلام.
﴿ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾	أحدثتِ حدثًا عظيمًا ـ عملت عملاً منكرًا عظيمًا. وقيل: شيئًا عجيبًا فائقًا، وقيل: شيئًا مختلقًا.
﴿ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾	رجل سوءٍ يعمل الفواحش.
﴿ بَغِيًّا ﴾	زانية.
﴿ الْمَهْدِ ﴾	فراش الطفل الصغير ـ الحِجر.
﴿ مُبَارَكًا ﴾	نَفَّاعًا للخلق ـ مُعلمًا للخير ذا بركاتٍ.
﴿ الزكاة ﴾	قيل: المراد زكاة الأموال، وقيل: زكاة النفس وطهارتها.
﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾	طيلة حياتي ـ ما دمت حيًّا في الدنيا.
﴿ جَبَّارًا ﴾	الجبار هو العاتي المستكبر عن عبادة ربه وطاعته ـ وقيل: جبارًا متعظمًا.
﴿ شَقِيًّا ﴾[1]	تعسًا غير سعيد ـ ضالاً غير مهتدٍ.
﴿ ذَلِكَ ﴾	ذلك الذي بينت لكم.
﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾	قول الله (فالله هو الحق) ـ القول الحق. وقيل المعنى ـ أقول قول الحق.
﴿ يَمْتَرُونَ ﴾	يختصمون ـ يتجادلون ـ يختلفون ـ يشكُّون.
﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ ﴾	ما كان ينبغي لله ـ ما كان يصلح لله.

(١) قال بعض السلف: لا تجد أحدًا عاقًّا لوالديه إلا وجدته جبارًا شقيًّا ثم قرأ: ﴿وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا﴾.

الكلمة	معناها
﴿ سُبْحَانَهُ ﴾	تنزَّه .
﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾	ما أشد سمعهم وما أشد بصرهم[1] يوم يرجعون إلينا للحساب ، وذلك يوم القيامة .
﴿ الظَّالِمُونَ ﴾	المفترون الذين افتروا على عيسى الكذب . وافتروا على الله الكذب ، وبخسوا أنفسهم حقها .
﴿ ضَلالٍ ﴾	ذهاب عن الحق ـ سلوك غير سبيل الاستقامة .
﴿ مُّبِينٍ ﴾	مظهر لجهله ـ مُبين أنه جائر عن طريق الحق والرشد والهداية . وقيل : مبين بمعنى بيّن أي : ظاهر واضح .
﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾	يوم حسرتهم وندمهم ، وهو يوم القيامة .

(١) قال قتادة : سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم الإبصار (الطبري ٢٣٧٢٧).

س: ما وجه عطف قصة مريم وعيسى عليهما السلام على قصة زكريا ويحيى عليهما السلام؟

ج: ذلك العطف له وجهان:

أحدهما: تواجدهم في زمنٍ واحدٍ.

الثاني: تشابه ما بين القصتين، وذلك مما يتعلق بالولد، فزكريا وزوجته رُزقا بيحيى عليه السلام بعد أن بلغ زكريا عليه السلام من الكبر عتيًّا، وكانت امرأته عاقرًا، وكذلك مريم عليها السلام رزقت بعيسى عليه السلام بلا زوج، ففي هذا وذاك بيانٌ لقدرة الله عزَّ وجل وأنه على ما يشاء قدير.

* * *

س: من المُخاطب بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾؟ وما معنى ذلك والمراد به؟

ج: المُخاطب هو رسول الله ﷺ، والمعنى عرِّف قومك ومن آمن بك، بل وعرِّف الجميع قصة مريم ليعرفوا قدرتنا، وليعرفوا كيف كانت مريم عفيفةً، وكيف أن عيسى يقرُّ بعبوديته لله وحده لا شريك له.

هذا، ولا يمنع أن يكون المخاطب أيضًا عموم من يقرءون القرآن ويُبلغون عن الله عزَّ وجل رسالته.

* * *

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾؟

ج: قال عدد من العلماء: إن المراد بالكتاب: القرآن، والله تعالى أعلم.

* * *

س: من مريم عليها السلام؟

ج: هي مريم بنت عمران، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾ [التحريم: ١٢] وكما قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦].

ثم إن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قال: وهي من سلالة داود عليه السلام، وكانت من بيت طيب في بني إسرائيل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في (سورة آل عمران) وأنها نذرتها محررةً أي: تخدم مسجد بيت المقدس. وكانوا يتقربون بذلك ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا** ﴾ [آل عمران: ٣٧] ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات، المشهورات بالعبادة العظيمة، والتبتل الدءوب، وكانت في كفالة زوج أختها وقيل خالتها: زكريا، نبي بني إسرائيل إذ ذاك، وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم، ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره؛ ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٣٧] فذُكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف، وثمر الصيف في الشتاء، كما تقدم بيانه في (سورة آل عمران)، فلمّا أراد الله تعالى ـ وله الحكمة والحجة البالغة ـ أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى ـ عليه السلام ـ أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام.

﴿ **إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** ﴾ [مريم: ١٦] أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس.

* * *

س: ما السبب الذي من أجله اتخذت النصارى المشرقَ قبلة؟

ج: ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إني لأعلمُ خلقِ الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة، لقول الله: ﴿إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلةً[1].

* * *

س: لماذا انتبذت مريمُ عليها السلام من أهلها مكانًا شرقيًّا؟

ج: قال بعض العلماء إنها انتبذت لئلا يشغلوها عن العبادة.

* * *

س: ما المراد بالحجاب المذكور في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾؟

ج: الحجاب هو الساتر الذي يستر.

ثم إن من العلماء من قال: إن هذا الحجاب من الجدران.

ومنهم من قال: اتخذت سترًا، وقال آخرون: إن الشمس أظلَّتها فلم يرها منهم أحدٌ.

وأقرب هذه الأقوال أوسطها، وهو أنها اتخذت سترًا، والله تعالى أعلم.

* * *

س: لماذا اتخذت مريم عليها السلام حجابًا؟

ج: قال بعض العلماء: إنها اتخذت حجابًا لتطهر من الحيض وتمتشط

---

(١) أخرج ذلك عنه الطبري رحمه الله تعالى (٢٣٥٧٤) بسندٍ صحيح.

وقال آخرون: إنها انفردت لتفلي رأسها.

* * *

س: هل مريم عليها السلام كانت نبية؟

ج: الصحيح، والله أعلم، أنها لم تكن نبية، لأن الله تبارك وتعالى وصفها فقال: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ** ﴾ [المائدة: ٧٥].

ثم إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ** ﴾[١] [الأنبياء: ٧].

* * *

س: هل يمكن أن يأتي الملك في صورة إنسان يُكلِّم البشر؟

ج: نعم ذلك ممكنٌ، فقد كلمت الملائكة إبراهيم عليه السلام.

وكذا كلمت لوطًا عليه السلام، وتمثل جبريل لمريم عليها السلام بشرًا سويًّا، وقصة الثلاثة (الأبرص، والأقرع، والأعمى)[٢] تُفيد ذلك، وكذا قصة الذي زار أخًا له في الله فأرصد الله له ملكًا على مدرجته[٣].

وكذا في حديث قاتل المائة نفس[٤] وغير ذلك كثير، والله أعلم.

* * *

(١) وانظر ما قدمناه في (سورة المائدة) في نحو هذا، والله أعلم.

(٢) البخاري (حديث ٣٤٦٤) ومسلم (حديث ٢٩٦٤).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٤) انظره في البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

س: لماذا تعوذت مريم عليها السلام من جبريل؟

ج: ذلك لأنها ظنت أنه بشر يريد الاعتداء عليها.

* * *

س: استنبط بعض العلماء من قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ مشروعية تذكير المعتدي ـ بالله عزَّ وجل، ما وجه ذلك؟

ج: وجه ذلك أن مريم عليها السلام لما ظنَّت أن جبريل عليه السلام بشراً يريد الاعتداء عليها تعوّذت بالله منه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ أي: لما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب خافته، وظنت أنه يريدها على نفسها، فقالت: ﴿**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ أي: إن كنت تخاف الله، تذكيراً له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولاً بالله عز وجل.

* * *

أدلة على مشروعية تذكير المعتدي بالله ـ عز وجل

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية تذكير المعتدي ـ بالله؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول ابن آدم الأول لأخيه: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

وقول مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام لما حسبته بشراً يريد الاعتداء عليها: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي: ألجأ وأستجير إلى الرحمن معتصمةً به منك إن كنت تتقيه وتخشاه.

وقول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦٠].

وقول المرأة لابن عمها الذي أراد أن يزني بها: «**اتقِ اللهَ ولا تفضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦٥)، ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطرٌ فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدقُ فليدع كلُّ رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه». فذكر الحديث وفيه: «فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقِّه، فقمتُ وتركتُ المائة دينار فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنا ففرَّج الله عنهم فخرجوا».

ومن ذلك ما أخرجه النسائي[١] وأحمد من طريق قابوس بن مخارق عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟! قال: «**ذكِّره بالله**»، قال: فإن لم يذكر... الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركَتْهُ القائلة[٣] وهو في وادٍ كثير العضاة[٤] فنزل تحت شجرة واستظلَّ بها وعلَّق سيفه، فتفرَّق الناسُ في الشجر يستظلُّون. وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا، فإذا أعرابيٌّ قاعد بين يديه فقال: «**إن هذا أتاني وأنا نائم، فاخترط سيفي، فاستيقظتُ وهو قائمٌ على رأسي مخترط سيفي صلتًا**[٥] **قال: من يمنعك منِّي؟ قلتُ: الله، فشامه**[٦] **ثم قعد، هو هذا**». قال: ولم يعاقبه رسولُ الله ﷺ».

ومن ذلك ما أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي مسعود البدريِّ رضي الله عنه، قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منِّي إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**» قال: فألقيتُ السوط من يدي، فقال: «**اعلَمْ أبا مسعود؛ أنَّ الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

---

(١) النسائي (٧/ ١١٣-١١٤)، وأحمد (٥/ ٢٩٤-٢٩٥) وإسناده حسن.

(٢) البخاري (حديث ٤١٣٩)، ومسلم (حديث ٨٤٣).

(٣) القائلة أي: وقت القيلولة، وهو وسط النهار وشدة الحر.

(٤) واد كثير الشجر الذي به شوك كبير عظيم.

(٥) صلتًا أي: بدون غمد (مجردًا عن غمده).

(٦) شام السيف، أي: أدخله في غمده.

وفي روايةٍ لمسلمٍ أيضًا: كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: «**اعلَمْ أبا مسعود أنَّ الله أقدر عليك منك عليه**» فالتفتُّ فإذا هو رسولُ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل، للفحتك النارُ، أو لمستك النارُ**».

وفي روايةٍ ثالثة عند مسلم[١] أيضًا: عن أبي مسعود، أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله، فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**والله للهُ أقدرُ عليك منك عليه**» قال: فأعتقه.

وكذلك ذكّر الخصومَ بالله وبعذابه وبالتوبة والرجوع إليه:

فمن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من تذكير المتخاصمين، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تختصمون إليَّ ولعلَّ بعضَكم أن يكونَ ألحنَ[٣] بحجته من بعض فأقضيَ له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنَّما أقطعُ له به قطعةً من النار**».

ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ[٤] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن هلال بن أميّة قذف امرأته فجاء فشهد[٥] والنبيُّ ﷺ يقول: «**إن الله يعلم أن أحَدكما كاذبٌ فهل منكما تائب؟**» ثم قامت فشهدت.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٥٩).

(٢) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (حديث ١٧١٣).

(٣) ألحن: أي: أعلم بالحجة وأبلغ في الكلام.

(٤) البخاري (حديث ٥٣٠٧).

(٥) شهد: أي شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سمع رسولُ الله ﷺ صوتَ خصومٍ بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[٢] في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسولُ الله ﷺ عليهما فقال: «**أين المتألِّي[٣] على الله لا يفعل المعروف؟**» قال: أنا يا رسول الله، فله أيَّ ذلك أحبَّ.

* * *

س: يشرع في دفع العدو الصائل أحيانًا أن يستعمل الأسهل فالأسهل، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك أن مريم عليها السلام ذكرته بالله أولاً، ومن الأدلة على ذلك ما ورد في النهي عن المرور أمام المصلي فالمشروع أولاً دفعه بالرفق، فإن أبى فقتاله أي وإن أدى الأمُر إلى الاشتداد عليه ومنعه بالقوة.

والحديث بذلك في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صلى أحُدكم إلى شيءٍ يستره فأراد أحدٌ أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره، فإن أبى فليقاتلْه فإنما هو شيطان**»[٤].

* * *

(١) مسلم (حديث ١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).

(٢) يسترفقه أي: يطلب منه الرفق.

(٣) المتألي: أي: الحالف.

(٤) البخاري (حديث ٥٠٩) ومسلم (حديث ٥٠٥) واللفظ له.

س: يؤخذ من قول جبريل عليه السلام ﴿إِنَّما أَنَا رسُولُ رَبِّكِ..﴾ أدب من آداب التعامل مع الناس، وضح هذا الأدب.

ج: أولاً، وقبل إيضاح هذا الأدب فمعنى قوله: ﴿**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ..**﴾ كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فقال لها الملك مجيبًا لها ومُزيلاً ما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست مما تظنين، ولكني رسول ربك أي بعثني الله إليك.

فعلى هذا التفسير فالأدب المستفاد هو بث الطمأنينة في قلب المؤمن إذا حدث له نوعٌ من الخوف.

ونحو هذا المعنى موجود في قصة الخصم الذين تسوروا المحراب ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**﴾ [ص: ٢٢].

* * *

س: وضح معنى قول مريم عليها السلام: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غلام﴾

ج: إيضاحه أن مريم عليها السلام تعجبت، وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفةٍ يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوجٍ، ولا يتصور مني الفجور، ولهذا قالت: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾ قاله ابن كثير رحمه الله.

وقال القرطبي رحمه الله: وقيل ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئًا، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد؟ من قِبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء؟

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن مريم لما بشرها جبريل بالغلام الزكي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي كيف ألد غلامًا والحال أني لم يمسسني بشر.

تعني لم يجامعني زوج بنكاح، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، أي لم أك زانية.

وإذا انتفى عنها مسيس الرجال حلالاً وحرامًا فكيف تحمل؟

والظاهر أن استفهامها استخبار واستعلام عن الكيفية التي يكون بها حمل الغلام المذكور، لأنها مع عدم مسيس الرجال لم تتضح لها الكيفية.

ويحتمل أن يكون استفهامها استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، وهذا الذي ذكر الله جل وعلا عنها: أنها قالته هنا ذكره عنها أيضًا في سورة «آل عمران» في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٧] واقتصارها في آية «آل عمران» على قولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يدل على أن مسيس البشر المنفي عنها شامل للمسيس بنكاح والمسيس بزنى. كما هو الظاهر.

وعليه فقولها في سورة «مريم»: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ يظهر فيه أن قولها: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: تخصيص بعد تعميم؛ لأن مسيس البشر يشمل الحلال والحرام.

وقال الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى هنا: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه؛ كقوله تعالى: ﴿من قبل أن تمسوهن﴾، ﴿أو لمستم النساء﴾ والزنى ليس كذلك،إنما يقال فيه: فجر بها، وخبث بها وما أشبه ذلك.

وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب. اهـ.

والأظهر الأول. وآية آل عمران تدل عليه. ويؤيده أن لفظة «بشر» نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر: فينتفي مسيس كل بشر كائنًا من كان، والبغي: المجاهرة المشتهر بالزنى.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكِ﴾!

ج: معنى ذلك أن الأمر كما ذكرتِ من أنكِ لم يمسسك بشرٌ ولم تكوني زانية، ولكن الله قد قال إنه سيوجد منك غلامٌ، وإن لم تكوني متزوجة ولا توجد منك فاحشة فإن الله على كل شيء قدير، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

* * *

س: ما المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؟

ج: المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ أي خلق الغلام الزكيِّ من غير زواج ولا بغاء (أي من غير نكاحٍ حلالٍ ولا زنى).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولنجعله دلالة على قدرتنا على خلق وإيجاد غلامٍ بلا أب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية، الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا رب سواه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ رحمة بمن؟

ج: رحمةً بأمِّهِ،ورحمة بمن آمن به وصدقه.

* * *

س: قوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ من كلام من؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدرته ومشيئته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد، ﷺ، وأنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢] وقال: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا

مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١].

قال محمد بن إسحاق: **﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾** أي: إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد. واختار هذا ابن جرير في تفسيره، ولم يَحْكِ غيرَه، والله أعلم.

* * *

س: قبل قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ مقدر متروك، وضحه.

ج: إيضاحه أن الملك لما أخبرها أن الأمر كان مقضيًّا نفخ فيها، كما قال تعالى: **﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾** فحملته.

* * *

س: كيف حملت مريم بعيسى عليهما السلام؟

ج: الله أعلم كيف تم الحمل، والذي في كتاب الله عزَّ وجل **﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾** وفيه أيضًا **﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾**.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فذكر غير واحدٍ من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها[1] فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: في تفسيره «أضواء البيان»: والذي عليه الجمهور من العلماء أن المراد بذلك النفخ نفخ جبريل فيها بإذن الله

---

(١) الدرع هو: القميص، أي الثوب الذي كانت ترتديه.

فحملت، كما تدل لذلك قراءة الجمهور في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ كما تقدم.

ولا ينافي ذلك إسناد الله جل وعلا النفخ المذكور لنفسه في قوله ﴿فَنَفَخْنَا﴾ لأن جبريل إنما أوقعه بإذنه وأمره ومشيئته، وهو تعالى الذي خلق الحمل من ذلك للنفخ؛ فجبريل لا قدرة له على أن يخلق الحمل من ذلك النفخ ومن أجل كونه بإذنه ومشيئته وأمره تعالى، ولا يمكن أن يقع النفخ المذكور ولا وجود الحمل منه إلا منه إلا بمشيئته جل وعلا ـ أسنده إلى نفسه ـ والله تعالى أعلم.

وقول من قال: إن فرجها الذي نفخ فيه الملك هو جيب درعها ظاهر السقوط، بل النفخ الواقع في جيب الدرع وصل إلى الفرج المعروف فوقع الحمل.

* * *

س: هل من مزيد وصف لهذا المكان القصيّ؟

ج: ابتداء فالقصي هو البعيد.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ القصي، البعيد، ومنه قول الراجز:

لتقعدن مقعد القصي ... مني ذي القاذورة المقلي
أو تحلفي بربك العلي ... أني أبو ذيالك الصبي

وهذا المكان القصي قد وصفه الله تعالى في غير هذا الموضع بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

[المؤمنون: ٥٠]؛ وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ أي انتبذت وهو في بطنها. والإشارة في قوله هذا إلى الحمل والمخاض الذي أصابها للوضع.

* * *

س: في قول مريم عليها السلام ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ دليل على جواز تمني الموت إذا خشي الشخص على نفسه الفتنة في دينه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك إضافة إلى قول مريم عليها السلام، ما يلي:

قول سحرة فرعون لما آمنوا وتوعدهم فرعون وتهددهم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقول نبينا محمد ﷺ[١]: «.. **وإذا أردت فتنة في قومٍ فتوفني غير مفتون**».

وما رواه سعيد بن المسيب[٢] عن عمر رضي الله عنه أنه قال: اللهم كبرت سنِّي، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مُضيع ولا مُفرطٍ.

وفي الصحيحين[٣] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانتِ الحياةُ خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**».

---

(١) أحمد بسند صحيح (٥/ ٢٤٣).

(٢) مالك في الموطأ (ص ٨٢٤) وسنده صحيح إلى سعيد وفي سماع سعيد من عمر بعض الكلام.

(٣) البخاري (٥٦٧١) ومسلم (٢٦٨٠).

وقول يوسف عليه السلام ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠١].

وذلك على وجه من الوجوه في تفسيرها.

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى إخباراً عنها: ﴿ **قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية، فقالت: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا** ﴾ أي: قبل هذا الحال ﴿ **وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ أي: لم أخلق ولم أك شيئًا.

* * *

س: وضح معنى قولها: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك: شيئًا نُسي فتُرك طلبه كخرق الحيض التي إذا أُلقيت وطُرحت لم تُطلب ولم تذكر، وكذلك كل شيء نُسي وترك ولم يطلب فهو نسي.

وقال القرطبي رحمه الله: النِّسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن يُنسى ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه.

ونقل عن الفراء قوله: النسي ما تلقيه المرأة من خِرَق اعتلالها.

قال: فقول مريم ﴿ **نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ أي حيضة ملقاة.

* * *

س: من الذي ناداها من تحتها؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام.

الثاني: أن الذي ناداها هو عيسى عليه السلام.

* * *

س: لماذا حزنت مريم عليها السلام؟

ج: **قال بعض العلماء:** حزنت خشية الفضيحة، وتكذيب قومها له، واتهامهم لها.

وقال آخرون: حزنت أيضًا لجدب المكان الذي ولدت وعدم وجود طعام وشرابٍ فيه، والله تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر شيئًا مما ورد في فضل النخيل ومنتجاته عمومًا!

ج: مما يدل على فضله وفوائده كثرة الامتنان على عباد الله به، وذلك في كتاب الله عزَّ وجل، وفي سنة رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿**وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا**﴾ [النحل:٦٧].

وقال تعالى: ﴿**وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ**﴾ [الأنعام:١٤١].

وقال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ**﴾ [الكهف:٣٢].

قول رسول الله ﷺ: «**إن من الشجرِ شجرةً لا يسقط ورقها وإنها مثلُ المسلم فحدثوني ما هي..**» ثم ذكر رسول الله ﷺ أنها النخلة»[١].

وفي الحديث «**بيت لا تمر فيه جياعٌ أهله**»[٢].

وفي رواية «**لا يجوع أهل بيتٍ عندهم التمر**».

وفي الحديث الآخر «**من تصبح بسبع تمرات عجوة (من عجوة العاليه) لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ**»[٣]. وقد استحب للصائم الإفطار على رطبا.

وصح عن عمرو بن ميمون أنه تلا هذه الآية: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ فقال: ما من شيء خيرٌ للنفساء من التمر والرطب. وقد كان النبي ﷺ يحنك الصبية فور ولادتهم بالتمر»[٤].

* * *

س: ما موقع الباء في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾؟

ج: قال فريقٌ من أهل العلم إنها زائدة مؤكدة كالباء في قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ قالوا أي فليمدد سببًا إلى السماء وكالباء في قوله: ﴿ **تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ** ﴾ أي تنبت الدهن. وكالباء في قول القائل خُذ

---

(١) البخاري (حديث ٦١) ومسلم (حديث ٢٨١١).

(٢) مسلم (٢٠٤٦) وانظر «علل الحديث» للهروي.

(٣) البخاري (حديث ٥٧٦٩) ومسلم (٢٠٤٧).

(٤) انظر هذه المصادر، مسلم (حديث ٢١٤٥، ٢١٤٦، ٢١٤٧)، والبخاري (٣٩٠٩) و(٥٤٧٠).

بالزمام أو خُذ الزمام، وأعط بيدك .

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

والباء في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ مزيدة للتوكيد، لأن فعل الهز يتعدى بنفسه، وزيادة حرف الباء للتوكيد قبل مفعول الفعل المتعدي بنفسه كثيرة في القرآن وفي كلام العرب؛ فمنه في القرآن قوله هنا: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لأن المتبادر في اللغة أن الأصل: وهزي إليك جذع النخلة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله: ﴿مَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الحج:٢٥].

وقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ الآية [القلم:٥، ٦]، وقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:٢٥] على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بضم التاء وكسر الباء مضارع أنبت الرباعي، لأن الرباعي الذي هو أنبت ينبت بضم الياء المثناة وكسر الباء الموحدة يتعدى بنفسه دون الحرف، فالباء مزيدة للتوكيد كما رأيت في الآيات المذكورة.

ونظير ذلك من كلام العرب: قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

إذ يسقون بالدقيق وكانوا ... قبل لا يأكلون خبزا فطيرا

لأن الأصل يسقون الدقيق فزيدت الباء للتوكيد. وقول الراعي:

هن الحرائر لا ربات أخمرة ... سود المعاجر لا يقرأن بالسور

فالأصل: لا يقرأن السور، فزيدت الباء لما ذكر. وقول يعلى الأحول اليشكري أو غيره:

بواد يمان ينبت الشث صدره ... وأسفله بالمرخ والشبهان

فالأصل: وأسفله المرخ؛ أي وينبت أسفله المرخ؛ فزيدت الباء لما ذكر وقول

الأعشى:

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ملء المراجل والصريح الأجردا

فالأصل ضمنت رزق عيالنا. وقول الراجز:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

أي نرجو الفرج. وقول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

فالأصل: هصرت غصنا؛ لأن هصر تتعدى بنفسها. وأمثال هذا كثيرة في كلام العرب.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله أمرها بالأخذ بالأسباب وذلك بهز جذع النخلة والله قادر على أن يسقط عليها الرطب الجني بلا هزٍّ منها لجذع النخلة.

ونحوه: قوله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ والضرب بالرِّجل ماذا عساه أن يصنع، إلا أن الله أمر بذلك فليمتثل أمر الله عزَّ وجل.

قال القرطبي رحمه الله: استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق، وإن كان محتومًا فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز.

قال الشنقيطي رحمه الله:

أخذ بعض العلماء من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ .. ﴾ الآية ـ أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعًا ولأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا.

وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة، أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعًا لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه.

فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر.

ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف.

ومن أصرح الأدلة في ذلك ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية [الأنبياء:٦٩]. فطبيعة الإحراق في النار معنى واحد لا يتجزأ إلى معان مختلفة، ومع هذا أحرقت الحطب فصار رمادًا من حرها في الوقت الذي هي فيه كائنة بردًا وسلامًا على إبراهيم.

فدل ذلك دلالة قاطعة على أن التأثير حقيقة إنما هو بمشيئة خالق السموات والأرض، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب، وأنه لا تأثير لشيء من ذلك إلا بمشيئته جل وعلا.

ومن أوضح الأدلة في ذلك ـ أنه ربما جعل الشيء سببًا لشيء آخر مع أنه مناف له؛ كجعله ضرب ميت بني إسرائيل ببعض من بقرة مذبوحة سببًا لحياته، وضربه بقطعة ميتة من بقرة ميتة مناف لحياته. إذ لا تكتب الحياة من ضرب بميت؛ وذلك يوضح أنه جل وعلا يسبب ما شاء من المسببات على ما

شاء من الأسباب، ولا يقع تأثير البتة إلا بمشيئته جل وعلا.

ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله قوله تعالى عن يعقوب: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧] أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به، لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين لأنهم أحد عشر رجلاً أبناء رجل واحد، وهم أهل جمال وكمال وبسطة في الأجسام.

فدخولهم من باب واحد مظنة لأن تصيبهم العين فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة تعاطيًا للسبب في السلامة من إصابة العين؛ كما قال غير واحد من علماء السلف.

ومع هذا التسبب فقد قال الله عنه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧].

فانظر كيف جمع بين التسبب في قوله: ﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ وبين التوكل على الله في قوله: ﴿عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ وهذا أمر معلوم لا يخفى إلا على من طمس الله بصيرته. والله جل وعلا قادر على أن يسقط لها الرطب من غير هز الجزع، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجزع، وقد قال بعضهم في ذلك:

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجتنيه من غير هزِّه ... جنته ولكن كل شيء له سبب

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعًا ولا عطشًا ﴿**وَقَرِّي عَيْنًا**﴾ يقول: وطيبي نفسًا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني، ونصبت العين لأنها هي الموصوفة بالقرار.

وإنما معنى الكلام: ولتقرَّ عينك بولدك، ثم حول الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين، فنصبت العين إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير، نظير ما فعل بقوله: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا**﴾ [النساء: ٤] وإنما هو: فإن طابت أنفسهن لكم.

وقوله: ﴿**وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾ [هود:٧٧ ـ العنكبوت: ٣٣] ومنه قوله: ﴿**تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ إنما هو يتساقط عليك رطب الجذع، فحول الفعل إلى الجِذع، في قراءة من قرأه بالياء. وفي قراءة من قرأه ﴿**تُسَاقِطْ**﴾ بالتاء، معناه: يساقط عليك رطب النخلة، ثم حوّل الفعل إلى النخلة.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي..﴾ مقدر محذوف، وضِّح هذا المقدر المحذوف؟

ج: المقدر هو فسألك أو فكلمك.

فالمعنى فإذا رأيت أحدًا من بني آدم فسألك من أين أتيت بهذا الولد؟ أو كيف ولدتِ وأنت لم تتزوجي؟ أو سألك عن أي شيءٍ من أمرك أو أمر هذا الولد؟ فقولي....

* * *

س: لماذا أمرت مريم عليها السلام بالصمت عن كلام البشر؟

ج: **قال بعض أهل العلم:** إنها أُمرت بذلك لأنها مهما تكلمت من كلمات فإن القوم لن يصدقوها، وقد يكون من الأفضل للشخص في بعض الأحيان أن يسكت عن الكلام إذا لم يكن في الكلام فائدة.

وقال آخرون من أهل العلم: إنها كانت صائمة في هذا اليوم، قال: وكان الصائم في ذلك الزمان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس.

وقال آخرون من أهل العلم: إنما هذا شيءٌ خاص بمريم ولا يحل لأحد أن ينذر صومًا عن الكلام.

هذا، وقد ورد في الباب حديث ابن عباس[1] رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجلٍ قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: «**مُره فليتكلمْ وليستظلَّ وليقعُد وليتم صومَه**».

* * *

س: يستحب الإمساك عن الكلام إذا لم يكن في الكلام فائدة دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾.

---

(١) البخاري (٦٧٠٤) وقد أعلَّ بالإرسال.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف: ٢٢].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[١] في حديثِ الإفك من حديث عائشة رضي الله عنها بعد أن تشهَّد: «**أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه..**».

وفيه أيضًا قول عائشة رضي الله عنها: «إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ، والله يعلم أني فيه بريئة لتصدقنني والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

* * *

س: هل هارون هنا هو نبي الله هارون أخو موسى عليه السلام؟

ج: ليس هارون هنا بأخٍ لموسى عليه السلام، فقد كان بين مريم وموسى وهارون زمن طويل صح عن قتادة أنه قال[٢]:

قوله: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾

---

(١) البخاري (٤٥٧٠) ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) الطبري (أثر ٢٣٦٨٨).

قال: كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحًا محببًا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر.

قال وَذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفًا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل.

وصح عن ابن زيد[١] رحمه الله أنه قال في قوله: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ**﴾ قال اسم واطأ[٢] اسمًا، كم بين هارون وبينهما من الأمم؟!، أممٌ كثيرةٌ.

* * *

س: إذن كيف قيل لها يا أخت هارون، وقد كان بينها وبين هارون (أخي موسى عليه السلام) أمم كثيرة؟

ج: أقول، قد ورد عن رسول الله ﷺ أنه سئل نحواً من هذا السؤال فقد صح عن المغيرة بن شعبة أنه قال:

بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا لي: ألستم تقرءون ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ**﴾ قلت: بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**ألا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بأَنْبِيائِهِمْ والصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»[٣].

---

(١) الطبري (أثر ٢٣٦٩٠).

(٢) واطأ أي: وافق.

(٣) الطبري أثر (٢٣٦٩١)، وهذا لفظه وقد أخرجه مسلم أيضًا (٢١٣٥).

وهناك قولٌ نذكره فقط لكون العلماء ذكروه، وإلا فقولُ رسولنا ﷺ المتقدم قد قطع النزاع وأبان الصواب من وجه الخلاف ولله الحمد، فلا عدول عنه بحال.

أما عن هذا القول فهو أنهم قالوا لها يا شبيهة هارون في العبادة .

قلت: (مصطفى): وقد أجاد القرطبي رحمه الله حيث أورد أقوالاً ثم قال في شأن الحديث وهو نص صريح فلا كلام لأحدٍ معه، ولا غبار عليه والحمد لله.

* * *

س: ما وجه تذكيرهم لمريم عليها السلام بصلاح أخيها وأمها وأبيها؟

ج: وجه ذلك أنهم أرادوا لها مزيداً من التأنيب والتبكيت لصدور مثل هذا (الذي ظنوه) منها.

وكذا فأبدوا لها بذلك مزيداً من التعجب لما حدث.

أو أنه وجه من وجوه التعريض بالقذف، قال تعالى في شأن أقوام: ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:١٥٦] والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أنهم لما قالوا لها ما قالوه واستغربوا ما جاءت به وتعجبوا منه كلمتهم بالذي أُمرت به ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾ ثم أشارت إليه تريد بذلك أن يكلموه ويخاطبوه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ أي: إنهم لما استرابوا في أمرها، واستنكروا قضيتها، وقالوا لها ما قالوا، معرضين بقذفها، ورميها بالفرية، وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة، فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا متهكمين بها، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم: ﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾.

* * *

س: هل الإشارة تنزل منزلة الكلام؟

ج: الإشارة في هذا الموطن ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**﴾ تنزل منزلة الكلام، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أما هل الإشارة بصفة دائمة ومُطلقة تقوم مقام الكلام أم لا، فلأهل العلم في ذلك وجهان.

وقد استفاض العلامة الشنقيطي في ذلك جدًّا، في كتابه «أضواء البيان» فارجع إليه إن شئت.

* * *

س: ما وجه ذكر قوله: ﴿مَن كَانَ﴾ في قولهم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟

ج: أجاب على ذلك ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» إذ قال وفيها أربعة أقوال:

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، فالمعنى: كيف نكلِّم صبيًّا في المهد؟!

والثاني: أنها في معنى: وقع، وحدث.

والثالث: أنها في معنى: الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد صبيًّا، فكيف نكلِّمه؟! حكاها الزجاج واختار الأخير منها، قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكون لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء.

والرابع: أن «كان» بمعنى: صار، قاله قطرب.

* * *

تكلم عيسى عليه السلام في المهد

س: ما وجه تصدير الكلام بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾؟

ج: وجه ذلك، والله أعلم، التنبيه على عبوديته لله عزَّ وجل فليس هو بإلهٍ وليس بابنٍ للإله، تعالى الله عن الشريك والولد علوًّا كبيرًا. وفي هذا رد على الزاعمين بأنه ابن الله .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أول شيءٍ تكلَّم به أن نزَّه جناب ربِّه تعالى، وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربِّه .

وقال القرطبي رحمه الله: فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وربوبيته، ردًّا على من غلا من بعده في شأنه.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبدالله، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم: أنه الله، أو ابنه أو إله معه! وهذه الكلمة التي نطق بها عيسى في أول خطابه لهم ذكرها الله جل وعلا عنه في مواضع آخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:٧٢] وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:٥١]، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٦٣، ٦٤]، وقوله هنا في سورة «مريم»: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» إنما قدَّم ذِكر العبودية ليُبطل قول من ادعى فيه الربوبية.

* * *

س: هل أُوتي عيسى عليه السلام الكتاب والوحي وهو صغير السن هكذا؟

ج: قال عدد من العلماء إن المعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ: هو القضاء، فقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: قضى أن يؤتيني الكتاب.

أي إن ربي كتب في اللوح المحفوظ أنه سيؤتيني الكتاب، والكتاب هو: الإنجيل، وقيل: هو التوراة، علمه الله إياها أيضًا.

أما الشنقيطي رحمه الله فقد قال في «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ التحقيق. فيه إن شاء الله: أنه عبر بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع.

ونظائره في القرآن كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الزمر: ٦٨: ٧١]. وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٧٣].

فهذه الأفعال الماضية المذكورة في الآيات بمعنى المستقبل؛ تنزيلاً لتحقق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل، ونظائرها كثيرة في القرآن، وهذا الذي ذكرنا ـ من أن الأفعال الماضية في قوله تعالى: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ إلخ بمعنى المستقبل هو الصواب إن شاء الله. خلافًا لمن زعم أنه نبئ وأوتي الكتاب في حال صباه لظاهر اللفظ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إيَّاه مما سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبيًّا إذا بلغتُ؛ فحلَّ الماضي محلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦].

* * *

س: على المرء أن يعبد ربَّه حتى الموت، دلِّل على ذلك!

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر٩٩]. أي حتى يأتيك الموت.

وقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

* * *

س: في قوله ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ.. ﴾ رد على القدرية، وضح ذلك!

ج: إيضاحه أن عيسى عليه السلام أخبر بما قضى من أمره وبما هو كائن إلى أن يموت، فدلَّ ذلك على أن الأمور مقدرة.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى كما نقل عنه القرطبي.

* * *

س: في قوله عيسى عليه السلام: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ إشارة إلى شيء معين، وضح هذا الشيء!

ج: في هذا إشارة إلى أنه ولد من غير أبٍ.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل بر الوالدة!

ج: قدمت كثيراً من ذلك في تفسير سورة البقرة «التسهيل» عند قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [البقرة:٨٣]. وكان من ذلك أن النبي سئل: من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: «**أمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[١]. ومن ذلك حديث أويس القرني الذي عدَّه رسول الله ﷺ خير التابعين لبرِّه بأمه[٢].

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٤٠١) ومسلم (مع النووي ٥ / ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (مع النووي ٥ / ٤٠٣).

وكذلك ثناء ربنا سبحانه وتعالى على يحيى عليه السلام بقوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾.

وقول عيسى عليه السلام: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾.

وقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٣ - ١٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وأخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاةُ على وقتِها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠ / ٤٠٠)، ومسلم (٨٥)، والنسائي (١ / ٢٩٢)، والترمذي (١٧٣) وقال: حديث حسن صحيح.

يَبْلُغَنَّ عندكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

* * *

س: وضح معنى قول عيسى عليه السلام: ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾، يعني: أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم :قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشك، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله ـ تعالى ذكره ـ فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا: أنه لغير رِشْدَة، وأنه كان ساحرًا كذّابًا، ولا ما قالته النصارى: من أنه كان لله ولدًا، وإن الله لم يتخذ ولدًا، ولا ينبغي ذلك له.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله، يحيى ويموت، ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، صلوات الله وسلامه عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ **وَالسَّلامُ عَلَيَّ** ﴾ أي: السلامة عليَّ من الله تعالى.

قال الزجاج: ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام فحسن في الثانية ذكر الألف واللام.

وقوله: ﴿ **يَوْمَ وُلِدتُّ** ﴾ يعني: في الدنيا.

وقيل: من همز الشيطان كما تقدَّم في «آل عمران».

﴿ **وَيَوْمَ أَمُوتُ** ﴾ يعني: في القبر.

﴿ **وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ يعني: في الآخرة؛ لأن له أحوالاً ثلاثة: في الدنيا حيًّا، وفي القبر ميتًا، وفي الآخرة مبعوثًا؛ فسلم في أحواله كلها؛ وهو معنى قول الكلبي.

ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان.

وقال قتادة: ذكر لنا: أن عيسى عليه السلام رأته امرأة يحيي الموتى، ويُبرئ الأكمه والأبرص في سائر آياته فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعك؛ فقال لها عيسى عليه السلام: طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى واتبع ما فيه وعمل به.

❊ ❊ ❊

القول الحق في شأن عيسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾!

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم أن من العلماء من قال: (قَوْلُ الْحَقِّ)[1] أي: أن عيسى عليه السلام هو نفسه قول الحق، والحق هو الله سبحانه وتعالى أي: أن عيسى هو قول الله أي: خلقه الله بكلمة (كُن).

وقال آخرون: المعنى هذا الكلام الذي أخبرناك به في شأن عيسى عليه ـ هو قول الحق ليس بباطل، قالوا: وأضيف القول إلى الحق كما قال تعالى: ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ [الأحقاف:١٦] وكما قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل:٣٠] أي: الدار الآخرة.

وقيل أيضًا: قولَ الحق أي: أقول قولاً حقًّا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ يعني: أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا

(١) بضم اللام على هذا الوجه من وجوه التأويل، وإلا فالقراءة: ﴿قولَ الحق﴾.

في عيسى أيها الناس هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رِشْدَة، وأنه كان ساحراً كذّاباً، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولداً، وإن الله لم يتخذ ولداً، ولا ينبغي ذلك له.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم: ـ أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً تحقق هذا الأمر بكلمة (كن)، فيكون ما أراده الله سبحانه وتعالى فإذا أراد الله، خلق بشر من غير أب كان ما أراده الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء، من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجوداً حادثًا، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدّة.

ومما يزيد ما قاله الطبري إيضاحًا:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ

(١) البخاري (٣٤٨١).

قال: «كان رجلٌ يُسرفُ على نفسه، فلما حضرَهُ الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثم اطحَنوني، ثمَّ ذرُّوني في الريحِ، فوالله لئن قدَرَ الله عليَّ لَيُعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبَهُ أحدًا. فلما مات فُعلَ به ذلك، فأمرَ الله الأرضَ فقال: اجمَعي ما فيك منه، ففعلَتْ. فإذا هو قائم، فقال: ما حملَكَ على ما صَنعتَ؟ قال: يا رب خَشْيَتُكَ. فغفرَ له» وقال غيرهُ: «مخافَتُك يا رب».

وقال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أي: أراد قضاءه، بدليل قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وحذف فعل الإرادة لدلالة المقام عليه كثير في القرآن وفي كلام العرب، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية [المائدة:٦]، أي: إذا أردتم القيام إليها، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]، أي: إذا أردت قراءة القرآن.

* * *

س: لماذا زيدت لفظة (مِن) في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي في «أضواء البيان» إذ قال:

وقوله تعالى في الآية التي نحن بصددها: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ زيدت فيه لفظة: «من» قبل المفعول به لتأكيد العموم.

وقد تقرر في الأصول أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة

«من» لتوكيد العموم كانت نصًّا صريحًا في العموم، وتطَّرد زيادتها للتوكيد المذكور قبل النكرة في سياق النفي في ثلاثة مواضع: قبل الفاعل كقوله تعالى: ﴿مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ [السجدة:٣]، وقيل: المفعول كهذه الآية، وكقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ الآية [يوسف:١٠٩]: وقبل المبتدأ كقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: أن يتخذ ولداً.

و«مِنْ» مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة، لأن للقائل أن يقول: ما اتخذت فرسًا، يريد: اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذت فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرسًا واحداً؛ فإذا قال: ما اتخذت من فرس، فقد دلَّ على نفي الواحد والجميع.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً﴾.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً﴾ أي: أراد قضاءه، بدليل قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]،وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] وحذف فعل الإرادة لدلالة المقام عليه كثير في القرآن وفي كلام العرب، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ الآية [المائدة:٦] ، أي: إذا أردتم القيام إليها، وقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨] أي: إذا أردت قراءة القرآن، كما تقدم مستوفى.

* * *

س: وضح تعلق قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بما قبله.

ج: قبل إيضاح ذلك أُذَكِّر بأن من أهل العلم من قرأ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ ﴾ خفضًا لقول: ﴿ وَإِنَّ ﴾.

ومنهم من فتحها وقرأ (وأن الله..).

فعلى التأويل ـ التأويل الذي هو بالخفض (بالكسر) ـ يكون قوله ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي.. ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ ﴾، ﴿ وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾.

فيكون المعنى قال ـ أي: عيسى عليه السلام لما تكلّم في المهد ـ: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ.. ﴾ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

وعلى قراءة من قرأ بالفتح فالمعنى أن يقال: وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا.. ﴿ وَأَوْصَانِي ﴾ بأن الله ربي وربكم.

أو ذلك عيسى ابن مريم، وذلك أن الله ربي وربكم.

ويكون قائل هذا الأخير رسول الله محمد ﷺ.

أي إن المعنى: ذلك الذي ذكرته لكم هو القول الصحيح في عيسى ابن مريم وذلك أن الله ربي وربكم فاعبدوه..

والله تعالى أعلم.

* * *

س: من المعنيون بالأحزاب في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾؟

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم أنهم أحزاب اليهود والنصارى فاليهود قذفوا مريم عليها السلام ونسبوا ولدها عيسى عليه السلام إلى ما لا يليق به.

والنصارى بالغوا في إطرائه حتى اتخذوه إلهًا.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

ج: الظاهر، والله أعلم أن معناها فيما بينهم.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال أبو حيان في «البحر»: ومعنى قوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين ـ انتهى محل الغرض منه.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قال المفسرون: ﴿مِنْ﴾ زائدة، والمعنى اختلفوا بينهم.

قال الشنقيطي رحمه الله:

اعلم أن لفظة ﴿الْحَقِّ﴾ في قوله هنا ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ فيها للعلماء وجهان:

الأول: أن المراد بالحق ضد الباطل بمعنى الصدق والثبوت؛ كقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام:٦٦] وعلى هذا القول فإعراب قوله

﴿ **قَوْلَ الْحَقِّ** ﴾ على قراءة النصب أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كما تقدم. وعلى قراءة الرفع فهو خبر مبتدأ محذوف كما تقدم.

ويدل لهذا الوجه قوله تعالى في «آل عمران» في القصة بعينها: ﴿ **الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦٠].

الوجه الثاني: أن المراد بالحق في الآية: الله جل وعلا؛ لأن من أسمائه «الحق» كقوله: ﴿ **وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: ٢٥]، وقوله: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ** ﴾ [الحج: ٦] الآية.

وعلى هذا القول فإعراب قوله تعالى: ﴿ **قَوْلَ الْحَقِّ** ﴾ على قراءة النصب أنه منصوب على المدح.

وعلى قراءة الرفع فهو بدل من «عيسى» أو خبر بعد خبر، وعلى هذا الوجه فـ ﴿ **قَوْلَ الْحَقِّ** ﴾ هو «عيسى» كما سماه الله كلمة في قوله: ﴿ **وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ** ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ** ﴾[آل عمران: ٤٥] الآية.

وإنما سمى «عيسى» كلمة لأن الله أوجده بكلمته التي هي «كن» فكان، كما قال: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن** ﴾ [آل عمران: ٥٩] والقول والكلمة على هذا الوجه من التفسير بمعنى واحد.

وقوله: ﴿ **الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾ أي: يشكون؛ فالامتراء افتعال من المرية وهي الشك.

وهذا الشك الذي وقع للكفار نهى الله عنه المسلمين على لسان نبيهم في

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]

وهذا القول الحق الذي أوضح الله به حقيقة الأمر في شأن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بعد نزوله على نبينا ﷺ - أمره ربه أن يدعو من حاجَّه في شأن عيسى إلى المباهلة؛ ثم أخبره أنْ ما قص عليه من خبر عيسى هو القصص الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦١، ٦٢] الآية.

ولما نزلت ودعا النبي ﷺ وفد نجران إلى المباهلة خافوا الهلاك وأدوا كما هو مشهور.

* * *

س: ما وجه اختلافهم في عيسى عليه السلام؟

ج: اختلفوا في عيسى كيف كان، وما كان.

فقالت الفئة المؤمنة: هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

واختلف أهل الكفر فقالت اليهود: إنه ساحرٌ كذاب وأنه وُلد بغير رِشْدَةٍ.

وقالت النصارى: إنه ابن الله، وقالت طائفةٌ منهم: إنه الله، وقالت طائفة أخرى منهم أيضًا: إنه ثالث ثلاثة.

والقول الصحيح ما قالته الفئة المؤمنة.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩].

وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥].

وقال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩].

قال قتادة[١] رحمه الله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ امترت فيه اليهود والنصارى، فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذّاب، وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإله، وكذبوا كلهم، ولكنه عبدالله ورسوله، وكلمته وروحه.

وقد تقدم في «سورة النساء» أثر ابن عباس رضي الله عنهما[٢] في ذلك، وحاصله أنهم افترقوا فيه ثلاث فرقٍ.

فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه، فهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون.

---

(١) الطبري (أثر ٢٣٧١٩) وإسناده حسن.

(٢) هو عند ابن أبي حاتم (٤ / ١١١٠) والنسائي في التفسير (٦١١) وسنده حسن.

فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ.

* * *

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسىٰ، بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، فصممت طائفة وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله! علىٰ أنه ولد زنا، وقالوا: كلامه هذا سحر. وقالت طائفة أخرىٰ: إنما تكلم الله.

وقال آخرون: هو ابن الله.

وقال آخرون: ثالث ثلاثة.

وقال آخرون: بل هو عبدالله ورسوله.

وهذا هو قول الحق، الذي أرشد الله إليه المؤمنين.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في بيان ذلك:

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تهديد ووعيد

شديد لمن كذب على الله، وافترى، وزعم أن له ولدًا، ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة، وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم؛ فإنه الذي لا يعجل على من عصاه، بل كما جاء في «الصحيحين»[١]: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢].

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم**».

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾ [إبراهيم: ٤٢] ولهذا قال هاهنا: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ أي: يوم القيامة.

* * *

س: لا يلزم أن يعاجل الكافر بالعقوبة في الدنيا، بل قد يُدخر له العذاب كله إلى الآخرة دلِّل على ذلك.

ج: نعم قد يؤاخذ الكافر بالعذاب في الدنيا، وقد يدخر له العذاب إلى

---

(١) البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٦٠٩٩) ومسلم (حديث ٢٨٠٤).

الآخرة.

قال تعالىٰ لنبيه ﷺ ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١، ٤٢].

أي: إننا قد ننزل بالكفار عذابًا في الدنيا فتراهم يعذبون في حياتك، وقد تموت قبل أن ترىٰ عذابهم وقد يؤجل لهم العذاب إلىٰ الآخرة.

ومن الأدلة علىٰ جواز تأخير العذاب للآخرة قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وكذا فقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذين خدوا الأخاديد للمؤمنين وقذفوهم فيها لم يُذكر في شأنهم أنهم قد أصيبوا بعذابٍ عاجل في الدنيا، ولكن توعدهم ربنا بأليم العذاب. أنهم قد أصيبوا بعذابٍ عاجل في الدنيا، ولكن توعدهم ربنا بأليم العذاب.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

أظهر الأقوال في ﴿الْأَحْزَابُ﴾ المذكورة في هذه الآية ـ أنهم فرق اليهود والنصارىٰ الذين اختلفوا في شأن عيسىٰ.

فقالت طائفة: هو ابن زنا.

وقالت طائفة: هو ابن الله.

وقالت طائفة: هو الله.

وقالت طائفة: هو إله مع الله.

ثم إن الله توعد الذين كفروا منهم بالويل لهم من شهود يوم القيامة؛ وذلك يشمل من كفر بالتفريط في عيسىٰ كالذي قال: إنه ابن زنا.

ومن كفر بالإفراط فيه كالذين قالوا: إنه الله أو ابنه.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب؛ فهو مصدر لا فعل له من لفظه.

وسوغ الابتداء به وهو نكرة كونه في معنىٰ الدعاء.

والظاهر أن المشهد في الآية مصدر ميمي؛ أي: فويل لهم من شهود ذلك اليوم أي: حضوره لما سيلاقونه فيه من العذاب. خلافًا لمن زعم أن المشهد في الآية اسم مكان؛ أي: فويل لهم من ذلك المكان الذي يشهدون فيه تلك الأهوال والعذاب. والأول: هو الظاهر وهو الصواب إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا المعنىٰ الذي ذكره هنا ذكره أيضًا في سورة «الزخرف» في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٣-٦٥] وما أشار إليه في الآيتين: من أن الذين كفروا بالإفراط أو التفريط في عيسىٰ عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام، أنه لم يعاجلهم بالعذاب، وأنه يؤخر عذابهم إلىٰ الوقت المحدد لذلك - أشار له في مواضع أخر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤]، وقوله: ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وبالجملة فالله تعالى يمهل الظالم إلى وقت عذابه، ولكنه لا يهمله.

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

قال أبو حيان في «البحر»: ومعنى قوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين ـ انتهى محل الغرض منه.

* * *

س: اذكر ما يدل على أن الكفار يسمعون يوم القيامة ويبصرون في بعض الأحيان.

ج: مما يدل على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

* * *

س: اذكر بإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم أنهم يسمعون يوم القيامة سماعًا جيدًا متقنًا ويبصرون إبصارًا واضحًا ويعاينون معاينة جلية ما كانوا يوعدون به في دنياهم.

فقد كانوا في الدنيا يُخبرون بأشياء ويُذكَّرون بأخرىٰ ولم يكونوا مُصدِّقين لذلك، فيوم القيامة يبصرون كل ذلك ويعاينونه ويسمعونه، ولكن حين لا ينفع السمع ولا ينفع النظر، ولا ينفع العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره مخبرًا عن حال الكافرين به، الجاعلين له أندادًا، والزاعمين أن له ولدًا يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عميًا عن إبصار الحقّ، والنظر إلىٰ حجج الله التي تدلّ علىٰ وحدانيته صمًّا عن سماع آي كتابه، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم علىٰ ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ قال أبو العباس: العرب تقول هذا في موضع التعجب؛ فتقول: أسمع بزيد وأبصر بزيد أي: ما أسمعه وأبصره.

قال: فمعناه أنه عَجَّب نبيه منهم.

قال الكلبي: لا أحد أسمع منهم يوم القيامة ولا أبصر، حين يقول الله تبارك وتعالىٰ لعيسىٰ: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقيل: «أسمع» بمعنىٰ: الطاعة؛ أي: ما أطوعهم لله في ذلك اليوم.

* * *

س: ذكرتم أن معنى قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي: ما أشد سمعهم وما أشد بصرهم، فكيف يجمع بين هذا، وبين قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

ج: وجه الجمع أن يقال: إن مواقف القيامة ومشاهدها تتنوع وتتعدد فأحيانًا يسمعون أشد السمع ويُبصرون أشد الإبصار ليروا ما يسيئهم، وأحيانًا يكونون عميًا وصمًّا وبُكمًا كنوع من أنواع التعذيب لهم، الله أعلم.

هذا، ومن العلماء من قال: إن قوله تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغتا تعجب من قوة سمعهم وبصرهم يوم القيامة، أي أنهم يسمعون ويبصرون سمعًا وبصرًا عجيبين.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغتا تعجب.

ومعنى الآية الكريمة: أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعًا وإبصارًا عجيبين، وأنهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحق ولا يبصرونه؛ وهذا الذي بينه تعالى في هذه الآية الكريمة ـ بينه في مواضع أخر؛ كقوله في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وكقوله في غفلتهم في الدنيا وعدم إبصارهم وسمعهم: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

وقوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ الآية [هود: ٢٤].

والمراد بالأعمى والأصم: الكفار. والآيات بمثل هذا كثيرة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.

ج: قال ابن كثير رحمه الله:

﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون، فحيث يطلب منهم الهدىٰ لا يهتدون، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ ما معناه؟

ج: المعنىٰ، وخوِّفهم، أي: خوِّف كفار قريش وعموم الكفار.

* * *

يوم الحسرة

س: اذكر بإيضاح المراد بيوم الحسرة؟

ج: المراد به يوم القيامة يوم يتحسرون ويندمون على ما صدر منهم من التفريط في جنب الله.

في «الصحيح»[١] عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُؤْتى بالموتِ كهيئةِ كبش أملَحَ، فينُادي منادٍ يا أهل الجنة فيَشرئبُّون ويَنظُرون، فيقول: هل تَعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلُّهم قد رآه. ثم يُنادي: يا أهلَ النار، فيَشرئبون[٢] ويَنظُرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيُذبَح. ثم يقول: يا أهلَ الجنة، خُلودٌ فلا مَوت. ويا أهلَ النار، خلودٌ فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلةِ أهلِ الدنيا - ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**».

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرّطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم في الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من

---

(١) البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) يشرئبون أي: يرفعون رءوسهم إلى المنادي.

النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرةً وندامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أي: أنذر الخلائق يوم الحسرة: ﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ أي: فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودخل كلٌّ إلى ما صار إليه مخلداً فيه.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت، فلو مات أحد فرحًا مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا مات أهل النار.

وفي رواية عند مسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُدْخلُ الله أهلَ الجنَّة الجَنَّةَ، ويُدْخلُ أهْلَ النَّار النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمَ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! لاَ مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيه».

وله لفظ آخر عند مسلم أيضًا:

أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّة إِلَى الجَنَّة، وَصَارَ أَهْلُ النَّار إلى النَّار، أُتِي بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادي مُنَاد: يَا أَهْلَ الجَنَّة! لا مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّار! لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّة فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

* * *

(١) مسلم (٢٨٥٠).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحقّ، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كلّ عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ﴾ أي: نُميت سكّانها فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت.

فإن قيل: ما الفائدة في «نحن» وقد كفت عنها «إنّا»؟.

فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظّم: «إنّا نفعل» أن يتُوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة.

فإن قيل: فلم قال: «وَمَنْ عليها» وهو يرث الآدميين وغيرهم؟!

فالجواب: أن «مَنْ» تختص أهل التمييز، وغير المميِّزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابن الأنباري.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

معنىٰ قوله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية: أنه يرث الأرض ومن عليها: أنه يميت جميع الخلائق الساكنين بالأرض، ويبقىٰ هو جل وعلا لأنه الحي الذي لا يموت، ثم يرجعون إليه يوم القيامة. وقد أشار إلىٰ المعنىٰ في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦: ٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[الحجر: ٢٣] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

* * *

ذكر طائفة من أنبياء الله عز وجل

﴿ وَٱذۡكُرۡ
فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا
سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ
عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾
وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

صديقًا ـ نبيًّا ـ لا يغني عنك شيئًا ـ أهدك ـ صراطًا سويًّا ـ عصيًّا ـ يمسَّك ـ وليًّا ـ أراغبٌ أنت ـ لأرجمنك ـ مَليًّا ـ سلامٌ عليك ـ حفيًّا ـ أعتزلكم ـ أدعواْ ربي ـ عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا ـ من رحمتنا ـ لسان صدق عليًا.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ صِدِّيقًا ﴾	كثير الصدق ـ من أهل الصدق.
﴿ نَبِيًّا ﴾	نبّأه الله وأوحى إليه.
﴿ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾	لا يدفع عنك ضُرًّا.
﴿ أَهْدِكَ ﴾	أرُشدك ـ أُبصِّرك.
﴿ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾	طريقًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا ضلال.
﴿ عَصِيًّا ﴾	عاصيًا ـ ذو عصيان.
﴿ يَمَسَّكَ ﴾	يُصيبك ـ يحلُّ بك.
﴿ وَلِيًّا ﴾	المراد هنا ـ شريكًا في العذاب، متوليًا للشيطان ومن ثمَّ فمعذبٌ ـ قرينًا في النار.
﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ ﴾	أمعرضٌ أنت ـ أمنصرفٌ أنت.
﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾	لأسبَّنك ـ لأرجمنك بالحجارة.

الكلمة	معناها
﴿مَلِيًّا﴾	زمنًا طويلاً ـ حينًا طويلاً ـ دهرًا طويلاً سليم الجسم معافى[1].
﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾	أمانٌ مني لك ـ سَلِمْتَ من أن أصيبك بمكروه (لأنه لم يؤمر بقتاله).
﴿حَفِيًّا﴾	لطيفًا (يجيب دعائي ـ يحتفي بي) ومن لطفه بي أن هداني لعبادته والإخلاص له والحفي كثير البرِّ والإلطاف (يجيبني إذا دعوته).
﴿وَأَعْتَزِلُكُم﴾	أجتنبكم ـ أتنحى عنكم.
﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾	أعبد ربي مخلصًا العبادة له.
﴿عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾	عسى أن لا يرد دعائي فأشقى بذلك.
﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾	من فضلنا ـ من رزقنا.
﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	ثناءً حسنًا في الملأ الأعلى، وكذا في الدنيا لأن جميع الملل تثني عليهم.

(١) ومنه الملي: الغني.

ذِكر إبراهيم عليه السلام

س: أي كتاب هذا الذي قال الله عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١]؟

ج: أما الكتاب فهو القرآن الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: واذكر للناس ولمن أُرسلت فيهم وإليهم قصة إبراهيم عليه السلام وما حدث له مع والده.

قال القرطبي رحمه الله:

ومعنى الآية:

اقرأ عليهم يا محمد في القرآن أمر إبراهيم فقد عرفوا أنهم من ولده، فإنه كان حنيفًا مسلمًا وما كان يتخذ الأنداد، فهؤلاء لِمَ يتخذون الأنداد؟! وهو كما قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

* * *

س: قد شهد الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام بصدق معاملته مع ربه عزَّ وجل اذكر بعض ما يدل على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك صريح الوصف بذلك، إذ الله تبارك وتعالى قد قال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

وجملة: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ معترضة بين البدل والمبدل منه على

الإعراب المذكور.

والصديق صيغة مبالغة من الصدق؛ لشدة صدق إبراهيم في معاملته مع ربه وصدق لهجته، كما شهد الله له بصدق معاملته في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:٣٧]، وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].

ومن صدقه في معاملته مع ربه: رضاه بأن يذبح ولده، وشروعه بالفعل في ذلك طاعة لربه؛ مع أن الولد فلذة من الكبد.

لكنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا..﴾ الآية [الصافات:١٠٣-١٠٥].

ومن صدقه في معاملته مع ربه: صبره على الإلقاء في النار؛ كما قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ الآية [العنكبوت:٢٤].

وذكر علماء التفسير في قصته أنهم لما رموه إلى النار لقيه جبريل فسأله: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا! وأما إلى الله فنعم. فقال له: لِمَ لا تسأله؟ فقال: علمه بحالي كاف عن سؤالي![1].

ومن صدقه في معاملته ربه: صبره على مفارقة الأهل والوطن فراراً لدينه؛ كما قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]وقد هاجر من سواد العراق إلى دمشق: وقد بين جل وعلا في

(١) هذا لا يصح له سند.

مواضع أخر أنه لم يكتف بنهيهم عن عبادة الأوثان وبيان أنها لا تنفع ولا تضر، بل زاد على ذلك أنه كسرها وجعلها جذاذاً وترك الكبير من الأصنام، ولما سألوه، هل هو الذي كسرها؟ قال لهم: إن الذي فعل ذلك كبير الأصنام، وأمرهم بسؤال الأصنام إن كانت تنطق؛ كما قال تعالى عنه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٧-٦٦]، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩١-٩٦]. فقوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: مال إلى الأصنام يضربها ضربًا بيمينه حتى جعلها جذاذًا، أي: قطاعًا متكسرة من قولهم: جذه إذا قطعه وكسره.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي: كثير الصدق يعرف منه أن الكذبات الثلاث المذكورة في الحديث عن إبراهيم كلها في الله تعالى، وأنها في الحقيقة من الصدق لا من الكذب بمعناه الحقيقي، وسيأتي إن شاء الله زيادة إيضاح لهذا في سورة «الأنبياء».

* * *

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ﴾ يقول: اذكره حين قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي لا يسمع ﴿وَلا يُبْصِرُ﴾ شيئًا ﴿وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع.

يقول: ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك.

واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾ فكان بعض نحويِّي أهل البصرة يقول: إذا وقفت عليها قلت: يا أبه، وهي هاء زيدت نحو قولك: يا أمه، ثم يقال: يا أم إذا وصل، ولكنه لما كان الأب على حرفين، كان كأنه قد أُخِلّ به، فصارت الهاء لازمة، وصارت الياء كأنها بعدها، فلذلك قالوا: يا أبة أقبل، وجعل التاء للتأنيث، ويجوز الترخيم من يا أب أقبل، لأنه يجوز أن تدعو ما تضيفه إلى نفسك في المعنى مضمومًا، نحو قول العرب: يا ربّ اغفر لي، وتقف في القرآن: يا أبه في الكتاب.

وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء.

وقال بعض نحويِّي الكوفة: الهاء مع أبة وأمة هاء وقف، كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث، وأدخلوا عليها الإضافة، فمن طلب الإضافة، فهي بالتاء لا غير، لأنك تطلب بعدها الياء، ولا تكون الهاء

حينئذٍ إلا تاء، كقولك: يا أبت لا غير، ومن قال: يا أبه، فهو الذي يقف بالهاء، لأنه لا يطلب بعدها ياء؛ ومن قال: يا أبتا، فإنه يقف عليها بالتاء، ويجوز بالهاء فأما بالتاء، فلطلب ألف الندبة، فصارت الهاء تاء لذلك، والوقف بالهاء بعيد، إلا فيمن قال: «يا أميمة ناصِبِ» فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم، وكأن هذا طرف الاسم، قال: وهذا بعيد.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

فهذا الذي أمر به نبيه هنا من ذكره في الكتاب إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾ الآية ـ أوضحه في سورة الشعراء في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠] فقوله هنا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ هو معنى قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾، وزاد في «الشعراء» أن هذا الذي قاله لأبيه من النهي عن عبادة الأوثان قاله أيضًا لسائر قومه. وكرر تعالى الإخبار عنه بهذا النهي لأبيه وقومه عن عبادة الأوثان في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٠ ـ ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا

عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٧].

* * *

س: كثيراً ما يستدل على النهي عن عبادة الجمادات بأنها لا تسمع ولا تبصر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قول الخليل إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

وقوله أيضًا لقومه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ

يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

* * *

س: في قول الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ..﴾ نوع تلطف وترفق في الدعوة إلى الله وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن إبراهيم لم يتكبر ولم يتعالم علىٰ والده ولم يَسِم أباه بالجهل ولم يصف نفسه بالعلم الفائق بل تلطف في الحديث بما حاصله أنه أتاني من الله عِلمٌ لم يأتك.

* * *

س: ما المراد بالعلم الذي آتاه الله نبيه إبراهيم عليه السلام المذكور في قوله: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾؟

ج: الظاهر، والله تعالىٰ أعلم أنه الوحي الذي آتاه الله نبيه إبراهيم عليه السلام.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يعني ما علمه الله من الوحي وما ألهمه وهو صغير، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] ومحاجة إبراهيم لقومه كما ذكرنا بعض الآيات الدالة عليها أثنىٰ الله بها علىٰ إبراهيم، وبين أنها حجة الله آتاها نبيه إبراهيم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ..﴾ الآية [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ...﴾ الآية [الأنعام: ٨٠]، وكون الآيات المذكورة واردة في محاجته لهم المذكورة في سورة «الأنعام» لا ينافي ما ذكرنا؛ لأن أصل المحاجة في شيء واحد وهو توحيد الله جل وعلا، وإقامة الحجة القاطعة علىٰ أنه لا معبود إلا هو وحده جل وعلا في سورة «الأنعام» وفي غيرها. والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن الكفار المعذبين يوم القيامة يكونون أولياء للشياطين.

ج: علىٰ ذلك جملة أدلةٍ، منها:

قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* * *

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

يقول: يا أبت إني أعلم أنك إن متّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يقول: تكون له وليًّا دون الله، ويتبرأ الله منك، فتهلك. والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي: على شركك وعصيانك لما أمرك به: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يعني: فلا يكون لك مولًى ولا ناصرًا ولا مغيثًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك، كما قال تعالى: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

* * *

س: ما المراد بقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالرجم هنا السباب والقول القبيح أي: لأرمينك ولأقذفنك بالسباب والشتم والقول القبيح.

وقال آخرون من أهل العلم: المراد بالرجم هنا الرجم بالحجارة، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبِّها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك، وهو قوله: ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾.

* * *

س: هل يجوز ابتداء الكافر بالسلام؟

ج: لا يجوز ابتداء الكافر بالسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:٤٧]، وقال نبيه ﷺ: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام».

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ مع بيان ما فيه من الفوائد.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

بين الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين: أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، وإيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ومن عذاب الله تعالى وولاية الشيطان ـ خاطبه هذا الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل له: «يا بني» في مقابلة قوله له: «يا أبت».

وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان أي معرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا.

وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه (قيل: بالحجارة وقيل: باللسان شتمًا) والأول: أظهر.

ثم أمره بهجره مليًّا أي زمانًا طويلاً، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضًا جوابه العنيف بغاية الرفق واللين في قوله: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ الآية.

وخطاب إبراهيم لأبيه الجاهل بقوله: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ قد بين جل وعلا أنه خطاب عباده المؤمنين للجهال إذا خاطبوهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] وما ذكره تعالىٰ هنا من أن إبراهيم لما أقنع أباه بالحجة القاطعة، قابله أبوه بالعنف والشدة ـ بين في مواضع أخر أنه هو عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجئوا إلىٰ استعمال القوة، كقوله تعالىٰ عن إبراهيم لما قال له الكفار عن أصنامهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] قال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧] فلما أفحمهم بهذه الحجة لجئوا إلىٰ القوة، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]. ونظيره قوله تعالىٰ عن قوم إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤] الآية، وقوله عن قوم لوط لما أفحمهم بالحجة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ...﴾ [النمل: ٥٦] الآية إلىٰ غير ذلك من الآيات.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، كما قدمناه أمان مني لك فلن يلحقك مني أذى ولن ينالك مني مكروه، فأنت أبي.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ لم يعارضه إبراهيم عليه السلام بسوء الرد؛ لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

والجمهور: على أن المراد بـ «سلامه»: المسالمة التي هي المتاركة لا التحية؛

قال الطبري: معناه أمنة مني لك.

* * *

س: إذن فكيف قال إبراهيم لأبيه ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾؟

ج: جواب ذلك كما بيناه من قبل أن قوله ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ معناه أمانٌ مني لك والله أعلم.

* * *

س: كيف وعد إبراهيم أباه بالاستغفار له، وأبوه كان مشركًا والله يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى..﴾ [التوبة: ١١٣]؟

ج: وعد إبراهيم أباه بالاستغفار له قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقد قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] فليس لنا أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام في قوله لأبيه المشرك لأستغفرن لك . .

وقد قال النبي ﷺ: «استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي»(١) .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم؛ عسى أن لا يشقيني ربي بالرد والحرمان فإن المحروم الذي ردُّ دعاؤه يشقى بهذا الرد والحرمان .

قال الطبري رحمه الله تعالى: ﴿عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله .

* * *

س: قول الخليل عليه السلام ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي ﴾ ما معناه؟

ج: من العلماء من قال: إن الدعاء هنا بمعنى العبادة، فقوله: ﴿وَأَدْعُو

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

رَبِّي﴾ أي: أعبد ربي، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾.

ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ أي أسأل ربي أن يرزقني بالذرية الصالحة يعوضني بها ما فاتني من صحبة قومي، ويؤنسني بها من وحشتي وغربتي مع قومي، فاستجاب الله له ذلك إذ قال ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

قيل: أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالىٰ له أهلاً وولداً يتقوىٰ بهم حتىٰ لا يستوحش بالاعتزال عن قومه.

ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي آنسنا وحشته بولد؛ عن ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿عَسَى﴾ يدل علىٰ أن العبد لا يقطع بأنه يبقىٰ علىٰ المعرفة أم لا في المستقبل.

وقيل: دعا لأبيه بالهداية. فـ ﴿عسىٰ﴾ شك لأنه كان لا يدري هل يستجاب له فيه أم لا؟ والأول أظهر.

* * *

س: من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيراً منه وضح ذلك من قصة إبراهيم عليه السلام.

ج: إيضاحه أن إبراهيم عليه السلام لما اعتزل قومه واعتزل ما يعبدون من دون الله، منَّ الله عليه بنبي كريم وهو إسحاق عليه السلام ثم من هذا النبي

نبي آخر وهو يعقوب عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم علىٰ الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ﴿وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ يقول: وجعلناهم كلهم، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء، وقال تعالىٰ ذكره: ﴿وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فوحَّد، ولم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾ الخليل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خير منهم، وهب له إسحاق ويعقوب، يعني ابنه وابن إسحاق، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] وقال: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب، وهو نص القرآن في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب، أي جعلنا له نسلاً وعقبًا أنبياء، أقر الله بهم عينه في حياته، ولهذا قال: ﴿وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فلو لم يكن يعقوب قد نبئ في حياة إبراهيم، لما اقتصر عليه، ولذكر ولده يوسف؛ فإنه نبي أيضًا، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق علىٰ صحته[1]، حين سئل عن خير الناس، فقال: «**يوسفُ نبي الله، ابنُ يعقوبَ**

(١) البخاري (٤٦٨٩) ومسلم (٢٣٧٨).

نبي الله، ابنِ إسحاقَ نبي الله، ابنِ إبراهيمَ خليل الله» وفي اللفظ الآخر: «إن الكريم ابن الكريمَ ابنِ الكريم ابنِ الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»(١).

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾؟ إجابة لدعوة دعا بها إبراهيم عليه السلام، وضح هذه الدعوة.

ج: هذه الدعوة هي قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

* * *

س: اذكر بعض صور الثناء الحسن على إبراهيم عليه السلام وذريته.

ج: من ذلك ما يلي:

قولنا في التشهد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

وكذا: كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

وفي أذكار الصباح والمساء: أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.

---

(١) البخاري (٣٣٨٢).

وآيات كثيرة جدًّا ذكرتها مع الأحاديث في «التسهيل» (سورة البقرة) عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فارجع إليها إن شئت.

* * *

س: لماذا وصف لسان الصدق بأنه عَلِيٌّ؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم.

* * *

ذكر موسى عليه السلام وذكر أنبياء آخرين

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ

وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

مُخلصًا ـ قربناه نجيًّا ـ من رحمتنا ـ صادق الوعد ـ مرضيًّا ـ اجتبينا ـ خروا ـ بكيًّا ـ خلفٌ ـ الشهوات ـ غيًّا ـ عمل صالحًا ـ لا يظلمون شيئًا ـ جنات ـ عدن ـ بالغيب ـ وعده ـ مأتيًّا ـ لغوًا ـ سلامًا ـ بكرة ـ عشيًّا ـ تلك الجنة ـ تقيًّا ـ ما بين أيدينا ـ وما خلفنا ـ وما بين ذلك ـ واصطبر لعبادته ـ سميًّا.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ مُخْلَصًا ﴾	أخلصه الله واصطفاه.

الكلمة	معناها
﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾	قربناه وناجيناه[1] ـ كلمناه من غير وحي .
﴿ مِن رَّحْمَتِنَا ﴾	أي من رحمتنا به لما سألنا فقال : ﴿ **واجعل لي وزيراً من أهلي** ﴾ من نعمتنا عليه .
﴿ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾	لا يخلف وعده ولا يكذب فيه إذا وعد ربَّه وعداً وفى وإذا وعد العباد وفى .
﴿ وَاجْتَبَيْنَا ﴾	اخترنا ـ اصطفينا .
﴿ خَرُّوا ﴾	نزلوا بسرعة ـ هَوَوا للسجود .
﴿ وَبُكِيًّا ﴾	باكين (جمع باكٍ) .
﴿ فَخَلَفَ ﴾	خلف سوء ـ جيل ـ أولاد طالحون .
﴿ الشَّهَوَاتِ ﴾	الشهوات ما يوافق الإنسان ويشتهيه ويلائمه ولا يتقيه والمراد شهوات النفس المحرمة . (ما تشتهيه النفس من الحرام) .
﴿ غَيًّا ﴾	قيل وادٍ في جهنم ـ وقيل بئر من آبارها ـ وقيل خسراناً ـ وقيل شراً .
﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾	أقام ما أمره الله به وأدَّاه واجتنب ما حذره الله منه ونهاه .
﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾	لا يبخسون ـ لا يُنقصون من حقوقهم شيئاً أي : لا ينقص من أعمالهم الصالحة شيءٌ .
﴿ جَنَّاتِ ﴾	بساتين .
﴿ عَدْنٍ ﴾	إقامةٍ .

(١) وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما (عند الطبري) أنه قال ﴿وقربناه نجيًّا﴾ قال : أُدني حتى سمع صريف القلم .
قال بعض العلماء : أي صريف القلم بكتابة التوراة .

الكلمة	معناها
﴿ بالْغَيْب ﴾	أي وهي غائبة عن أعينهم لم يروها فهي غيب بالنسبة لهم .
﴿ وَعْدُهُ ﴾	موعوده .
﴿ مَأْتِيًّا ﴾	يأتيه أولياؤه وأهل طاعته .
﴿ لَغْوًا ﴾	باطلاً ـ كلامًا لا فائدة فيه ـ الهُذي من القول والكلام .
﴿ سَلامًا ﴾	قول سلام عليكم ـ (وهي تحية الملائكة لهم) ـ قولاً طيبًا .
﴿ بكرة وعشيًا ﴾	وقت البكور . ﴿ وعشيًّا ﴾ وقت العشي .
﴿ تلْكَ الْجَنَّةُ ﴾	هذه الجنة التي وصفتها لكم .
﴿ تَقِيًّا ﴾	متقيًا عذاب الله ، وذلك بأداء فرائضه واجتناب محارمه .
﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾[1]	علم ما بين أيدينا من أمر الدنيا ـ ما بقي من آجالنا ـ وقيل : ﴿ما بين أيدينا﴾ أي ما أمامنا من الأمور سواء من أمر الدنيا أم من أمر الآخرة .
﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾	قيل : أمور الآخرة ، وقيل : ما فعلناه في دنيانا .
﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾	وما بين النفختين .
﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾	اصبر نفسك على امتثال أمره واجتناب نهيه ، والعمل بطاعته .
﴿ سَمِيًّا ﴾	مثيلاً[2] في كرمه وجوده ـ شبيهًا .

(١) الطبري رحمه الله (٣٦٠ ـ ٣٦١) .

(٢) صح عن قتادة (طب ٢٣٨٢٤) .

س: في قوله تعالى: ﴿ مُخْلَصًا ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنى كلٍّ منها.

ج: القراءتان أولهما: (مخلِصًا) بكسر اللام من المُخْلِص، أي: أنه كان يُخلِص لله العبادة، ويوحده ويُفرده بالألوهية من غير أن يجعل له فيها شريكًا، أي: أنه مخلِصًا في عبادته غير مُراء.

والقراءه الثانية (مُخلَصًا) بفتح اللام، أي: أن الله عزَّ وجل أخلصه واصطفاه لرسالته، وجعله نبيًّا مُرسلاً.

(ذكر ذلك الطبري رحمه الله في تفسيره)، وقال رحمه الله: فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

اعلم أن في قوله: ﴿ **مُخْلَصًا** ﴾ قراءتين سبعيتين: قرأه عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول، والمعنى على هذه القراءة أن الله استخلصه واصطفاه: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي...**﴾ [الأعراف: ١٤٤] الآية.

ومما يماثل هذه القراءة في القرآن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ [ص: ٤٦] فالذين أخلصهم الله هم المخلصون بفتح اللام، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «مخلصًا» بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل؛ كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي..** ﴾ [الزمر: ١٤] الآية.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿وَكَانَ رَسُولاً﴾ يقول: وكان لله رسولاً إلىٰ قومه بني إسرائيل ومن أرسله إليهم نبيًّا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ جمع الله له بين الوصفين، فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة، وهم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلىٰ سائر الأنبياء أجمعين.

* * *

س: ما الفرق بين النداء والمناجاة؟

ج: قال السعدي في تفسيره:

والفرق بين النداء والنجاء أن النداء هو الصوت الرفيع[1]، والنجاء ما دون ذلك.

* * *

س: ما المراد بجانب الطور الأيمن؟

ج: المراد، والله أعلم، يمين موسىٰ، قاله القرطبي، وقال أيضًا: وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسىٰ حين أقبل من مدين إلىٰ مصر، قاله الطبري وغيره، فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال.

---

(١) ولعله يقصد بالرفيع المرتفع أي الذي ليس بإسرار، والله أعلم.

س: اذكر بعض الآيات التي أفادت أن قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ من رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ جاء إجابةً على سؤال موسى ربه أن يعينه بأخيه هارون.

ج: أورد جملة من هذه الآيات الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان» حيث قال: قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣]. معنى الآية الكريمة: أن الله وهب لموسى نبوة هارون. والمعنى أنه سأله ذلك فآتاه سؤله.

وهذا المعنى أوضحه تعالى في آيات أخر، كقوله في سورة «طه» عنه: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٢٩: ٣٠]، وقوله في «القصص»: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٣ـ ٣٥]، وقوله في سورة «الشعراء»: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠: ١٦] فهذه الآيات تبين أنه سأل ربه أن يرسل معه أخاه، فأجاب ربه جل وعلا سؤاله في ذلك.

وذلك يبين أن الهبة في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ هي في الحقيقة واقعة على رسالته لا على نفس هارون، لأن هارون أكبر من موسى، كما قاله أهل التاريخ.

شيء من الحديث عن إسماعيل عليه السلام

س: اذكر بعض التعريف بنبي الله إسماعيل عليه السلام.

ج: هو نبي الله ورسوله إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم عليهما السلام رُزق به الخليل إبراهيم عليه السلام على الكبر، كما قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وأما أمه فهي هاجر عليها السلام.

كان يرفع القواعد من البيت هو وأبوه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ثم إنه الذبيح الذي فداه الله بذبحٍ عظيم، ثم هو صادق الوعد ورسول نبي كريم كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربِّه مرضيًا.

وهذا بعض شأنه، وشأن أمِّه كما قد ورد في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما[1]:

«أوَّلُ ما اتخذَ النساءُ المنطقَ منْ قبل أمِّ إسماعيلَ اتخذتْ منطقًا لتعفِّيَ أثرها على سارةَ، ثمَّ جاءَ بها إبراهيم وبابنها إسماعيلَ - وهي ترضعُهُ - حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوْقَ زمزم في أعلى المسجد وليس بمكَّة يومئذٍ

(١) البخاري (٣٣٦٤).

أحدٌ، وليس بها ماءٌ فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمْرٌ وسقاءً فيه ماءٌ، ثمَّ قَفَّىٰ إبراهيم منطلقًا، فتبعته أمُّ إسماعيلَ فقالتْ: يا إبراهيم أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالتْ له ذلك مرارًا، وجعلَ لا يلتفتُ إليها. فقالت له: آلله أمركَ بهذا؟ قال: نعمْ. قالتْ: إذنْ لا يضيعنا. ثم رجعتْ. فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان عند الثنية حيثُ لا يرونه استقبل بوجهه البيتَ ثمَّ دعا بهؤلاء الكلمات ورفعَ يديه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ـ حتىٰ بلغ ـ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلتْ أمُّ إسماعيلَ ترْضعُ إسماعيلَ وتشربُ من ذلكَ الماءِ، حتىٰ إذا نفد ما في السِّقاءِ عطشَت وعطشَ ابنها، وجعلتْ تنظُرُ إليْه يتلَوَّىٰ ـ أوْ قالَ: يتلَبَّط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه؛ فوجد الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظُرُ هلْ ترىٰ أحدًا، فلمْ ترَ أحدًا، فهَبَطَتْ من الصَّفَا، حتىٰ إذا بلغَت الوادي رَفَعَتْ طرْفَ ذراعها، ثمَّ سعَتْ سعْيَ الإنسانِ المجهُود حتىٰ جاوَزَت الواديَ، ثمَّ أتت المروةَ فقامَتْ عليها فنظرتْ هلْ تَرَىٰ أحدًا؛ فلَمْ تَرَ أحدًا، ففعَلَتْ ذلك سبْعَ مرّاتٍ.

قال ابنُ عباسٍ قال النَّبيُّ ﷺ: «فذلك سعْي النَّاس بينهما». فلمَّا أشرفت علىٰ المرْوَة سمعتْ صوتًا فقالتْ: صهٍ ـ تُريدُ نفْسَهَا ـ ثمَّ تسمعتْ أيضًا فقالتْ: قدْ أسمعتَ إنْ كانَ عندَكَ غواثٌ، فإذا هيَ بالملكِ عندَ موضعِ زمزمَ، فبحثَ بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتىٰ ظهرَ الماءُ، فجعلتْ تحوضُهُ وتقولُ بيدهَا هكذا، وجعَلَت تغْرِفُ من الماءِ في سقائهَا وهو يفورُ بعدَ ما تغرف.

قال ابنُ عبَّاس قال النبيُّ ﷺ: «يرْحَمُ اللهُ أمَّ إسماعيلَ لوْ تركَتْ زَمْزَمَ ـ أوْ

قال: لَوْ لَمْ تغْرِفْ من الماءِ ـ لكانتْ زمزمُ عينًا معينًا».

قال فشربتْ وأرضعت ولدهَا، فقال لها الملكُ: لا تخافُوا الضيعةَ، فإنَّ ها هُنَا بيْتَ الله يبْني هذا الغلام وأبُوهُ، وإنَّ الله لا يضيِّعُ أهْلَهُ.

وكان البيتُ مرتفعًا من الأرض كالرَّابية، تأتيه السُّيُولُ فتأْخُذُ عنْ يمينه وشماله، فكانتْ كذلك حتَّىٰ مرَّتْ بهمْ رفْقَةٌ منْ جُرْهُمٍ ـ أوْ أهْلُ بيْتٍ من جُرْهُمٍ ـ مُقْبلين منْ طريقِ كداء، فنزلوا في أسفَل مكَّةَ، فرأوْا طائرًا عائفًا، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ ليَدُورُ علَىٰ مَاءٍ، لعهْدُنَا بهذاَ الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جريًا أوْ جريين فإذا هُمْ بالماءِ، فرجعوا فأخبروهم بالماءِ، فأقبلُوا ـ قال: وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ ـ فقالوا: أتأذنينَ لنا أنْ ننْزِلَ عندَك؟ فقالَتْ: نَعَمْ، ولكنْ لا حقَّ لكمْ في الماءِ.

قالوا: نعَمْ. قال ابنُ عباسٍ قال النبيُّ ﷺ: «**فألفَى ذلك أمَّ إسماعيلَ وهيَ تُحبُّ الإنس**»، فنزلوا، وأرسلوا إلىٰ أهليهمْ فنزلُوا معهُمْ، حتَّىٰ إذا كانَ بها أهْلُ أبيَاتٍ منْهُمْ، وشبَّ الغُلاَمُ وتعلَّمَ العربيةَ منْهُمْ، وأنفسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلمَّا أدركَ زوَّجُوهُ امرأةً منهمْ. وماتتْ أمُّ إسماعيلَ، فجاءَ إبراهيمُ بعْدَ ما تَزَوَّجَ إسماعيلُ يطالعُ تركتهُ، فلمْ يجدْ إسماعيلَ، فسَألَ امرأتَهُ عنْهُ فقالتْ: خَرجَ يبتغي لَنَا، ثمَّ سألهَا عنْ عيشهمْ وهيْئتهم فقالتْ: نحنُ بشرٍّ، نحنُ في ضيقٍ وشدَّة. فشكتْ إليه. قال: فإذا جاء زوجكِ فاقرئي عليه السلام وقولي له يغيرْ عتبة بابه.

فلمَّا جاء إسماعيلُ كأنَّهُ آنس شيئًا فقال: هل جاءكمْ من أحدٍ؟ قالتْ: نعمْ، جاءَنَا شيْخٌ كذا وكذا، فسألنَا عنكَ فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا في جهدٍ وشدَّة.

قال: فهلْ أوصاكِ بشيءٍ؟ قالتْ: نعمْ، أمرني أنْ أقرأ عليك السَّلامَ،

ويقولُ: غيِّرْ عتبَةَ بابكَ.

قال: ذاكَ أبي، وقدْ أمرني أنْ أفارقَكِ، الحَقي بأهْلِكِ. فطلَّقَها، وتزوَّجَ منهم أخرىٰ.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثمَّ أتاهمْ بعدُ فلمْ يجدهُ، فدخَلَ علىٰ امرأته فسألها عنهُ فقالتْ: خرَجَ يبتغي لنا. قال: كيفَ أنْتُم؟ وسألها عن عيشهمْ وهيئتهم. فقالت: نحنُ بخيرٍ وسعَة، وأثْنَتْ علىٰ اللهِ. فقال: ما طَعَامُكُمْ؟ قالت: اللحم، قال فما شرابكم؟ قالتْ: الماءُ. قال: اللهمَّ باركْ لهمْ في اللحْمِ والماءِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**ولمْ يكن لهمْ يومئذ حب، ولوْ كان لهمْ دعا لهمْ فيه**»، قال: فَهُمَا لا يخْلُوا عليهمَا أحدٌ بغير مكَّةَ إلا لمْ يوافقاهُ.

قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقْرَئِي عليهِ السلامَ، ومريهِ يُثْبتُ عتبَةَ بابه.

فلمَّا جاء إسماعيلُ قال: هلْ أتاكُمْ من أحدٍ؟ قالتْ: نعمْ، أتانا شيخٌ حسَنُ الهيْئة ـ وأثْنَتْ علَيْه ـ فسألني عنكَ فأخبرتُهُ، فسألَني كيفَ عيشُنَا فأخبرتهُ أنَّا بخيرٍ.

قال: فأوْصاك بشيءٍ؟ قالتْ: نعمْ، هو يقْرأُ عليك السَّلامَ، ويأمُرُكَ أنْ تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبةُ، أمرني أنْ أمْسكك. ثمَّ لبث عنْهُمْ ما شاء الله، ثمَّ جاءَ بعدَ ذلك وإسماعيلُ يبْري نبْلاً له تحتَ دوحةٍ قريبًا من زمزمَ، فلمَّا رآهُ قامَ إليْه، فصَنَعا كمَا يصْنعُ الوالدُ بالوَلَد والولَدُ بالوالد. ثمَّ قال: يا إسماعيلُ، إنَّ الله أمرني بأمر. قال: فاصنعْ ما أمرك ربُّكَ. قال وتُعينُني؟ قال: وأُعينكَ. قال: فإن الله أمرني أن أبْني ها هُنَا بَيْتًا ـ وأشارَ إلىٰ

أكَمَةٍ مرْتَفعَةٍ علىٰ ما حولها ـ قال: فعندَ ذلكَ رَفَعا القَوَاعدَ منَ البَيْت، فَجَعَلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتَّىٰ إذا ارتفعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجر فوضعهُ لهُ، فقامَ عليْه وهو يبني وإسماعيلُ يُناولهُ الحجارةَ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] قالَ فَجَعَلاَ يبْنيان حتَّىٰ يدُورَا حوْلَ البيْت وهُمَا يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾».

وفي رواية أخرىٰ أشد اختصاراً عند البخاري[1]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا كانَ بينَ إبراهيمَ وبيْنَ أهْله مَا كانَ خَرَجَ بإسماعيل، ومَعَهُمْ شَنَّةٌ فيها ماءٌ، فجعَلَتْ أمُّ إسماعيلَ تشرَبُ من الشَّنَّة فيدرُّ لبنُها علىٰ صبيِّهَا حتَّىٰ قدمَ مكَّةَ فوضعهَا تحتَ دوحةٍ، ثمَّ رجَعَ إبراهيمُ إلىٰ أهْله، فاتبعتْهُ أمُّ إسماعيلَ حتىٰ لَمَّا بلغوا كداء نادتْهُ من ورائه: يا إبراهيم إلىٰ منَ تترُكُنَا؟ قال: إلىٰ الله. قالتْ: رضيتُ بالله. قال فرجعتْ فجعَلَتْ تشْرَبُ منَ الشَّنَّة ويدرُّ لبنُها علَىٰ صبيِّها، حتىٰ لَمَّا فنىٰ الماءُ قالتْ: لو ذهبْتُ فنظرْتُ لعَلِّي أحسُّ أحداً.

---

(١) البخاري (٣٣٦٥)، وفيما يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن البخاري فصلها عن الرواية الأولىٰ لأن الرواية الأولىٰ (٣٣٦٤) كانت من طريق معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير ابن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما علىٰ الآخر عن سعيد بن جبير قال ابن عباس.. فذكره.

ورواية معمر عن أيوب فيها كلام.

لكن رواية البخاري (٣٣٦٥) من طريق إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به مختصراً فكان البخاري فصل رواية معمر عن رواية كثيرٍ لعلةٍ إسنادية كما هو واضح، والله أعلم.

قال فذهبتْ فصَعدَت الصفا فنظرت ونظرت هَلْ تحسُّ أحداً فلم تُحس أحداً.

فلمَّا بلَغَت الوادي سعتْ وأتت المرْوَةَ، ففَعَلَت ذلك أشْوَاطًا، ثمَّ قالتْ: لوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرتُ ما فَعَلَ - تَعْني الصبيَّ - فذهبتْ فنظرتْ فإذا هو على حاله كأنَّهُ ينشغُ للموْت، تقرُّها نفسها، فقالتْ لوْ ذهبتُ فنظرتُ لعلِّي أحسُّ أحداً، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرتْ فلمْ تحسُّ أحداً، حتى أتَمَّتْ سبْعًا، ثمَّ قالتْ: لوْ ذهبْتُ فنظرْتُ ما فعلَ، فإذا هي بصوْتٍ، فقالتْ أغِثْ إنْ كان عندكَ خيْرٌ، فإذا جبريلُ، قال فقال بعقبهِ هكذا، وغمزَ عقبهُ على الأرض، قال: فانبثق الماءُ، فدهشتْ أمُّ إسماعيلَ فجعلتْ تحفزُ، قال: فقال أبو القاسم: «**لوْ تركتْهُ كانَ الماءُ ظاهراً**»، قال: فجعَلَتْ تشْرَبُ من الماءِ ويدرُّ لبنُهَا على صبيِّهَا.

قال فمرّ ناسٌ منْ جرْهُمَ ببطْنِ الوادي فإذا همْ بطَيْرٍ، كأنَّهُمْ أنكروا ذاك، وقالوا: ما يكونُ الطيْرُ إلا على ماءٍ، فبعثوا رسولهمْ فنظرَ، فإذا هُمْ بالماء، فأتاهُمْ فأخبرهُم، فأتوا إليْهَا فقالوا: يا أمَّ إسماعيلَ أتأْذنينَ لنا أنْ نَكُونَ معَكِ، أو نَسكُنَ معكِ؟ فبلغَ ابْنُها فنكحَ فيهم امرأةً.

قال: ثمَّ إنَّهُ بدَا لإبراهيم فقالَ لأهْله: إنِّي مطَّلعٌ تركتي.

قال: فجاء فسلَّمَ فقال: أين إسماعيلُ؟ فقالت امرأتُهُ: ذهبَ يصيدُ. قال: قولي لهُ إذا جاءَ: غيرْ عتبةَ بابكَ. فلمَّا جاءَ أخبرتْهُ، قال أنْت ذاكِ، فاذْهَبي إلى أهْلِكِ.

قال: ثمَّ إنَّهُ بَدَا لإبراهيم فقالَ لأهْله: إني مطلعٌ تركتي. قال: فجاءَ

فقَالَ: أيْنَ إسماعيل؟ فقالت امْرَأتهُ: ذَهَبَ يصيدُ، فقالتْ: إلا تنْزلُ فتطعَمَ وتشربَ؟ فقال: وما طعامُكُمْ؟ وما شرابكُمْ؟ قالتْ: طعامُنَا اللحْمُ وشرابُنا الماءُ.

قال: اللهمَّ باركْ لهمْ في طعامهمْ وشرابهمْ.

قال: فقال أبُو القاسمِ ﷺ: «بَرَكةٌ بدَعْوة إبراهيمَ».

قال: ثمَّ إنَّهُ بدا لإبراهيم فقال لأهله: إنِّي مطلعٌ تركتي، فجاءَ فوافقَ إسماعيلَ منْ وراءِ زمزمَ يصْلحُ نبْلاً لهُ، فقالَ: يا إسْمَاعيلُ! إنَّ ربَّكَ أمَرَني أنْ أبْنيَ لهُ بَيْتًا. قال: أطع ربَّكَ. قال: إنَّهُ أمرَني أنْ تعينني عليه، قال: إذنْ أفْعَلُ أوْ كمَا قال. قال: فقامَا فجعَلَ إبراهيم يبْني وإسماعيلُ يناولُهُ الحجارَةَ، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

* * *

س: اذكر ما يوضح صدق إسماعيل عليه السلام في وعده.

ج: من ذلك صدقه في وعده إذ وعَدَ أباه لما قال له ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢] فقال مجيبًا: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ففصبر عليه السلام واستسلم كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا..﴾ [الصافات: ١٠٢].

* * *

بعض الوارد في الحث على الوفاء بالوعد

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الوفاء بالوعد والصدق في العهد وبيان فضيلة ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

الثناء الحسن على الموفين بالعهود الصادقين في الوعود، قال تعالى في شأن أولي الألباب ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾ [الرعد: ٢٠].

وقال سبحانه في شأن إسماعيل عليه السلام: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴾.

ومن ذلك ثناء النبي ﷺ على أبي العاص بن الربيع وقوله في شأنه «**حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي**»[١].

وفي الصحيحين[٢] أن أبا بكر رضي الله عنه قال لما توفي النبي ﷺ:

من كانَ لهُ عندَ النَّبيِّ ﷺ عِدَةٌ أوْ دينٌ فَليأتنَا، فأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لي: كذا وكذا، فحَثَى لي حثْيَةً، فعددْتُهَا، فإذَا هيَ خَمْسُمائَةٍ وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا.

ثم أيضًا قد ورد التحذير من نقض العهد وعدم الصدق في الوعد من عدة

---

(١) انظر البخاري (حديث ٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩).

(٢) البخاري (حديث ٢٢٩٦) ومسلم (حديث ٢٣١٤).

وجوه قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢].

وقال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان» (١).

وقد أوردنا طرفًا كبيرًا من هذا في تفسير «سورة المائدة» فارجع إليه إن شئت (٢).

* * *

س: هل يلزم الوفاء بالوعد مطلقًا؟

ج: فيما يبدو أن الوفاء بالوعد مطلقًا يلزم، إلا إذا كانت هناك مشقةٌ علىٰ من وعد وهو لا يتحمل تلك المشقة أو كان قد وعد وعدًا ثم تبين له أن المصلحة الشرعية في خلافه.

وقد بسط الشيخ العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ القول في ذلك في كتابه «أضواء البيان» حيث قال:

اختلف العلماء في لزوم الوفاء بالعهد؛ فقال بعضهم: يلزم الوفاء به مطلقًا.

---

(١) البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٢) عند قوله تعالىٰ ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.

وقال بعضهم: لا يلزم مطلقًا.

وقال بعضهم: إن أدخله بالوعد في ورطة لزم الوفاء به، وإلا فلا.

ومثاله ـ ما لو قال له: تزوج، فقال له: ليس عندي ما أصدق به الزوجة.

فقال: تزوج والتزم لها الصداق وأنا أدفعه عنك، فتزوج على هذا الأساس، فإنه قد أدخله بوعده في ورطة التزام الصداق.

واحتج من قال يلزمه: بأدلة منها آيات من كتاب الله دلت بظواهر عمومها على ذلك وبأحاديث.

فالآيات كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] لآية، وقوله هنا: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ الآية، ونحو ذلك من الآيات والأحاديث.

وأورد بعض الأحاديث المتكلم فيها، ثم قال:

واحتج من قال: بأن الوعد لا يلزم الوفاء به بالإجماع ـ على أن من وعد رجلاً بمال إذا فلس الواعد لا يضرب للموعود بالوعد مع الغرماء، ولا يكون مثل ديونهم اللازمة بغير الوعد، حكى الإجماع على هذا ابن عبدالبر؛ كما نقله عنه القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة، وفيه مناقشة. وحجة من فرق بين إدخاله إياه في ورطة بالوعد فيلزم، وبين عدم إدخاله إياه فيها فلا يلزم أنه إذا أدخله في ورطة بالوعد ثم رجع في الوعد وتركه في الورطة التي أدخله فيها؛ فقد أضر به.

وليس للمسلم أن يضر بأخيه، الحديث «**لا ضرر ولا ضرار**».

وقال أبو عبدالله القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: قال مالك: إذا سأل الرجل الرجل أن يهب له الهبة فيقول له: نعم، ثم يبدو له ألا يفعل فما أرىٰ يلزمه، قال مالك: ولو كان ذلك في قضاء دين فسأله أن يقضيه عنه فقال: نعم، وثمَّ رجال يشهدون عليه فما أحراه أن يلزمه إذا شهد عليه اثنان.

وقال أبو حنيفة وأصحابه، والأوزاعي، والشافعي وسائر الفقهاء: إن العدة لا يلزم منها شيء، لأنها منافع لم يقبضها في العارية لأنها طارئة، وفي غير العارية هي أشخاص وأعيان موهوبة لم تقبض فلصاحبها الرجوع فيها.

وفي البخاري: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ وقضىٰ ابن أشوع بالوعد، وذكر ذلك عن سمرة بن جندب، قال البخاري: ورأيت إسحاق بن إبراهيم يحتج بحديث ابن أشوع. اهـ. كلام القرطبي.

وكلام البخاري الذي ذكر القرطبي بعضه، هو قوله في آخر كتاب «الشهادات»: باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾، وقضىٰ ابن الأشوع بالوعد، وذكر ذلك عن سمرة.

وقال المسور بن مخرمة: سمعت النبي ﷺ، وذكر صهراً له، قال: «**وعدني فوفى لي**».

قال أبو عبدالله: ورأيت إسحاق بن إبراهيم يحتج بحديث ابن أشوع: حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا إبراهيم بن سعد. عن صالح عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله: أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أخبره قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟

فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي.

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع ابن مالك بن أبي عامر عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف»**.

حدثنا إبراهيم بن موسىٰ أخبرنا هشام عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو ابن دينار عن محمد بن علي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم قال: لما مات النبي ﷺ جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر: من كان له علىٰ النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله عدة فليأتنا.

قال جابر: فقلت وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرات.

قال جابر: فعد في يدي خمسمائة، ثم خمسمائة ثم خمسمائة، حدثنا محمد بن عبدالرحيم، أخبرنا سعيد بن سليمان، حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير: قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قلت: لا أدري حتىٰ أقدم علىٰ حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس، قال: قضىٰ أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل ـ انتهىٰ من صحيح البخاري.

وقوله في ترجمة الباب المذكور «وفعله الحسن» يعني الأمر بإنجاز الوعد.

ووجه احتجاجه بآية ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ أن الثناء عليه بصدق الوعد يفهم منه أن إخلافه مذموم فاعله، فلا يجوز.

وابن الأشوع المذكور هو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي، كان قاضي الكوفة في زمان إمارة خالد القسري على العراق، وقد وقع بيان روايته المذكورة عن سمرة بن جندب في تفسير إسحاق بن راهويه وهو إسحاق بن إبراهيم الذي ذكر البخاري أنه رآه يحتج بحديث ابن أشوع، كما قاله ابن حجر في «الفتح».

والمراد أنه كان يحتج به في القول بوجوب إنجاز الوعد.

وصهر النبي ﷺ الذي أثنى عليه بوفائه له بالوعد هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وقد أسره المسلمون يوم بدر كافراً، وقد وعده برد ابنته زينب إليه، وردها إليه.

خلافًا لمن زعم أن الصهر المذكور أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ذكر البخاري في الباب المذكور أربعة أحاديث في كل واحد منها دليل على الوفاء بإنجاز الوعد.

الأول: حديث أبي سفيان بن حرب في قصة هرقل وهو طرف من حديث صحيح مشهور.

ووجه الدلالة منه في قوله: فزعمتَ أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة؟ فإن جميع المذكورات في هذا الحديث مع الوفاء بالعهد كلها واجبة، وهي الصلاة والصدق والعفاف وأداء الأمانة. وقد ذكر بعد ذلك أن هذه الأمور صفة نبي والاقتداء بالأنبياء واجب.

الثاني: حديث أبي هريرة في آية المنافق. ومحل الدليل منه قوله: «**وإذا وعد أخلف**» فكون إخلاف الوعد من علامات المنافق يدل على أن المسلم لا

يجوز له أن يتسم بسمات المنافقين.

الثالث: حديث جابر في قصته مع أبي بكر، ووجه الدلالة منه أن أبا بكر قال: من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله عدة.. الحديث.

فجعل العدة كالدين، وأنجز لجابر ما وعده النبي ﷺ من المال: فدل ذلك على الوجوب.

الرابع: حديث ابن عباس في أي الأجلين قضى موسى؟ ووجه الدلالة منه أنه قضى أطيبهما وأكثرهما، وأن رسول الله ﷺ إذا قال فعل.

فعلى المؤمنين الاقتداء بالرسل، وأن يفعلوا إذا قالوا.

وفي الاستدلال بهذه الأحاديث مناقشات من المخالفين.

ومن أقوى الأدلة في الوفاء بالعهد قوله تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢] لأن المقت الكبير من الله على عدم الوفاء بالقول يدل على التحريم الشديد في عدم الوفاء به.

وقال ابن حجر في «الفتح»: في الكلام على ترجمة الباب المذكور وقال المهلب: إنجاز الوعد مأمور به مندوب إليه عند الجميع وليس بفرض: لاتفاقهم على أن الموعود لا يضارب بما وعد به مع الغرماء اهـ.

ونقل الإجماع في ذلك مردود، فإن الخلاف مشهور لكن القائل به قليل وقال ابن عبدالبر وابن العربي أجل من قال به عمر بن العزيز ـ انتهى محل الغرض من كلام الحافظ في «الفتح»، وقال أيضًا: وخرج بعضهم الخلاف في هذه المسألة على الخلاف في الهبة، هل تملك بالقبض أو قبله؟

فإذا علمت أقوال أهل العلم في هذه المسألة.

وما استدل به كل فريق منهم ـ فاعلم أن الذي يظهر لي في هذه المسألة

والله تعالىٰ أعلم: أن إخلاف الوعد لا يجوز، لكونه من علامات المنافقين، ولأن الله يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] وظاهر عمومه يشمل إخلاف الوعد.

ولكن الواعد إذا امتنع من إنجاز الوعد لا يحكم عليه به ولا يلزم به جبراً؛ بل يؤمر به ولا يجبر عليه؛ لأن أكثر علماء الأمة علىٰ أنه لا يجبر علىٰ الوفاء به لأنه وعد بمعروف محض. والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في حث الرجل على تذكير أهل بيته بالصلاة وأمرهن بها.

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم في المَضَاجِعِ».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

* * *

نبي الله إدريس عليه السلام

س: اذكر بعض التعريف بنبي الله إدريس عليه السلام!

ج: هو صديقٌ نبي رفعه الله مكانًا عليًّا وقد رآه النبي ﷺ في السماء الرابعة في رحلة المعراج كما في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا[1] .

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ إدريس عليه السلام أوّل من خط بالقلم، وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط، وأوّل من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالىٰ.

قلت: وذكر القرطبي أقوالاً أُخر، ولا نعلم علىٰ شيءٍ منها دليلاً من الكتاب والسنة.

* * *

س: ما المراد بالمكان العلي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: رُفع إلىٰ السماء الرابعة ومازال حيًّا لم يمت.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالمكان العليّ هو الجنَّة.

وقال آخرون من أهل العلم: بل رفع إلى السماء السادسة فمات فيها.

قلت: وفي حديث المعراج[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾**».

* * *

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريّة آدم، ومن ذرّية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرّية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذريّة إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا؛ يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عني به من ذرية آدم إدريس، والذي عني به من ذرية من حلمنا مع نوح إبراهيم، والذي عني به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عني به من ذرّية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه

(١) المصدر السابق.

مريم، ولذلك فرق تعالىٰ ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدّ نوح.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يريد إدريس وحده.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يريد إبراهيم وحده.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ موسىٰ وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ.

فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم، ولإبراهيم شرف القرب من نوح ولإسماعيل وإسحاق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي إلىٰ الإسلام: ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ بالإيمان.

* * *

س: هل يشرع السجود عند قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾؟

ج: نقل الحافظ ابن كثير الإجماع علىٰ شرعية السجود هاهنا اقتداء بهم واتباعًا لمنوالهم.

* * *

س: هل عند قول الله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ سجودٌ أم لا؟

ج: نقل ابن كثير رحمه الله الإجماع على مشروعية السجود عند هذه الآية الكريمة اقتداءً بهم، واتباعهم لمنوالهم.

* * *

س: من هؤلاء الخلف الذين عناهم الله بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾؟

ج: **قال بعض أهل العلم**: إنهم قومٌ يأتون في آخر الزمان من أمة محمد ﷺ بعد ذهاب الصالحين فينزو بعضهم على بعضٍ في الأزقة، وكما في الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا الطريقَ تسافدَ الحمير**»(١).

وفي الرواية الأخرى: «**فيكون خَيرهم يومئذ من يقول لو واريتها وراءَ هذا الجدارِ**»(٢).

ومن العلماء من قال: إنهم قوم أتوا بعد الأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام، وقبيل مبعث النبي ﷺ وكانوا متبعين للشهوات غارقين في الظلمات.

وثمَّ قول ثالث أن الآية الكريمة أُريد بها كلَّ من حاد عن الطريق بعد الأنبياء المذكورين وإلى قيام الساعة، واتبع شهواته وترك صلواته. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) ابن حبان (موارد ١٨٨٩) بسندٍ صحيح.

(٢) أبو يعلى الموصلي (١١ / ٤٣) إسناده حسن.

المراد بإضاعة الصلاة

س: ما المراد بإضاعة الصلاة؟

ج: لأهل العلم قولان في المراد بإضاعة الصلاة:

أحدهما: أن المراد تأخيرها حتى يخرج وقتها، وليس المراد تركها بالكلية.

الثاني: أن المراد تركها بالكلية، واختار الطبري هذا الأخير فقال: قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك، وذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون، ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلون لله ولا يؤدّون له فريضة، فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقد قيل: إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان.

قلت: ولا يمتنع أيضًا تصحيح الوجه الأول، وذلك لأن الله توعد أشد الوعيد أيضًا من تركها حتى خرج وقتها، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] والمراد بالسهو عنها تركها حتى يخرج وقتها.

قال القرطبيَ رحمه الله:

واختلفوا أيضًا في معنىٰ إضاعتها؛ فقال القرطبي: هي إضاعة كفر وجحد بها.

وقال القاسم بن مخيمرة، وعبدالله بن مسعود: هي إضاعة أوقاتها، وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح، وأنها إذا صليت مخلًّىٰ بها لا تصح ولا تجزئ؛ لقوله ﷺ للرجل الذي صلىٰ وجاء فسلم عليه: «ارجع فصل فإنك لم تصلِّ» ثلاث مرات خَرَّجه مسلم.

* * *

بحثٌ في تارك الصلاة عمداً هل يُلزم بإعادتها؟

س: من ترك الصلاة عمداً ثم تاب هل يُلزم بإعادتها؟

ج: نعم عليه أن يعيدها، وهذا رأي جمهور أهل العلم ومن حججهم ما يلي:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين[1]، وفيه أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم، فقال ﷺ: «**أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟**» قالت: نعم، قال: «**فدين الله أحق بالقضاء**».

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث يتمثل في أن الصلاة قد أُمر بها المرء فأصبحت ديناً عليه، والمدين يلزمه أن يقضي ما عليه من دين، فهو وإن كان آثماً بتركه الصلاة حتى انقضى وقتها لكن يسقط عنه الطلب بأدائها، وكمزيد إيضاح لذلك نقول:

إن تارك الصلاة حتى ينقضي وقتها يأثم لتركها، ويأثم لتأخيرها، فهو مطالب أصلاً بأدائها، ومطالب بأدائها في وقتها، فإذا قضاها بعد انتهاء وقتها سقط عنه إثم المطالبة بها، ويبقى عليه إثم التخلف عن قضائها في وقتها، إن شاء الله أن يعاقبه عليه عاقبه، وإن شاء أن يعفو عنه عفا.

وإلى نحو هذا أشار العلماء.

---

(١) البخاري (٧٣١٥) ومسلم (١١٤٨).

فقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى[١] ـ:

ووجوب القضاء على العامد بالخطاب الأول؛ لأنه قد خوطب بالصلاة وترتبت في ذمته فصارت دينًا عليه، والدَّين لا يسقط إلا بأدائه، فيأثم بإخراجه لها عن الوقت المحدود لها، ويسقط عنه الطلب بأدائها، فمن أفطر في رمضان عامدًا، فإنه يجب عليه أن يقضيه مع بقاء إثم الإفطار عليه، والله أعلم.

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله[٢] ـ:

والصلاة والصيام كلاهما فرض واجب، ودين ثابت يؤدىٰ أبدًا، وإن خرج الوقت المؤجل لهما، قال رسول الله ﷺ: «**دين الله أحق أن يقضى**».

ومما استدل به أيضًا:

ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال[٣]: «**إن أوَّلَ ما يحاسب به العبدُ يومَ القيامة من عَمَله صلاتُهُ، فإن صلحتْ فقد أفلح وأنجح، وإن فسَدتْ فقد خاب وخسر، فإن انتُقصَ من فريضته شيءٌ، قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوعٍ، فيكمل بها ما انتُقِصَ من الفريضة؟ ثم يكون سائرُ عمله على ذلك**»[٤] وهو حديث حسن بمجموع طريقيه.

---

(١) الفتح (٢ / ٧١).

(٢) الاستذكار (١ / ٣٠١).

(٣) الترمذي (حديث ٤١٣)، والنسائي (١ / ٢٣٢).

(٤) له طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد اختلف في رفعه ووقفه، وكذلك من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا أيضًا، وفي الجملة فالحديث يحسن بمجموع طريقيه، والله أعلم.

فإن كانت الفرائض تُجبر بالنوافل، فلأن تؤدىٰ الفرائض نفسها فمن باب أولىٰ.

ومن الاستدلالات كذلك أيضًا:

ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجدٍ ثائرُ الرأس يُسمع دوي صوته، ولا يُفقه ما يقول حتىٰ دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة**» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا.. إلا أن تطوع...**» الحديث.

فأفاد هذا الحديث أن علىٰ المسلم خمس صلوات في اليوم والليلة، وما دامت عليه فهي دينٌ سيُسأل عنه يوم القيامة، وما دام دينًا فلابد من سداده، وإن تأخر وقت السداد.

ومما استدل به كذلك في هذا الباب:

ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر**».

ووجه الدلالة من ناحية أن هذا المُصلي الذي قد أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس سيصلي ثلاث ركعات بعد غروبها، أي بعد انقضاء وقتها، وليس في الحديث تفريق بين متعمدٍ وغير متعمدٍ.

---

(١) البخاري (حديث ٤٦)، ومسلم (حديث١١).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٩)، ومسلم (حديث ٦٠٨).

وكذلك الذي أدرك ركعة من الصبح قبل طلوع الشمس فسيكون قد أدرك ركعة بعد طلوعها.

وهذا والذي قبله قد صليا بعض الركعات في غير وقت الصلاة المشروع لها، فهذا هو وجه الاستدلال لقضاء الفوائت لمن تركها متعمداً أو غير متعمدٍ، والله تعالىٰ أعلم.

ومما استدلوا به كذلك القياس على الصيام:

قالوا: فكما أن المفطر المتعمد في رمضان ثم تاب من ذنبه عليه القضاء بالإجماع فكذلك تارك صلاة الفرض المتعمد عليه القضاء كذلك إذا هو تاب.

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله تعالى [1] ـ في (الاستذكار):

وأجمعت الأمة، ونقلت الكافة فيمن لم يصم رمضان عامداً، وهو مؤمن بفرضه، وإنما تركه أشراً وبطراً تعمد ذلك، ثم تاب عنه ـ أن عليه قضاءه، فكذلك من ترك الصلاة عامداً فالعامد والناسي في القضاء للصلاة والصيام سواء، وإن اختلفا في الإثم.

وكما بينا أن هذا الرأي هو رأي الجمهور من العلماء.

رأيهم أن الصلاة التي تركها المرء عامداً حتىٰ خرج وقتها لزامًا أن تُصلىٰ وهذا مع التوبة والاستغفار.

وممن نقل ذلك فريق من العلماء منهم ابن عبدالبر في (الاستذكار)،

---

(١) الاستذكار (١ / ٣٠١).

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله في (مجموع الفتاوىٰ) [١]، فقد قال: «وأما من فوتها متعمداً فقد أتىٰ كبيرة من أعظم الكبائر، وعليه القضاء عند جمهور العلماء». ومنهم النووي ـ رحمه الله تعالىٰ [٢] ـ فقد قال: «أجمع العلماء الذين يعتد بهم علىٰ أن من ترك صلاةً عمداً لزمه قضاؤها، وخالفهم أبو محمد علي بن حزم، فقال: لا يقدر علىٰ قضائها أبداً، ولا يصح فعلها أبداً، قال: بل يكثر من فعل الخير وصلاة التطوع، ليثقل ميزانه يوم القيامة، ويستغفر الله تعالىٰ ويتوب، وهذا الذي قاله مع أنه مخالف للإجماع باطل من جهة الدليل»، وبسط [٣] هو الكلام في الاستدلال به، وليس له فيما ذكر دلالة أصلاً.

قلت: (مصطفى):

وهذا حديث قد فُهم علىٰ غير وجهه واستدل به البعض علىٰ منع من تعمد ترك الصلاة حتىٰ فات وقتها من إعادتها:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فيه أن النبي ﷺ قال: «**من نَسِيَ صلاةً أو نامَ عنها فكفارتُها أن يصليَها إذا ذكرها**» [٤].

وفي رواية: «**إذا رقَد أحدُكم عن الصلاة أو غَفَل عنها فليصلِّها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقمِ الصلاة لذكري**» [٥].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٢ / ٣٩).

(٢) المجموع (شرح المهذب ٣ / ٧١).

(٣) يعني النووي أن ابن حزم بسط في سرد الاستدلالات لمذهبه، وليس فيما أورده دلالات أصلاً.

(٤) مسلم (صـ ٤٧٧).

(٥) المصدر السابق.

وفي ثالثة: «**مَنْ نسِيَ صلاة فليصلِّها إذا ذكرها لا كفارةَ لها إلا ذلك**»[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من نَسِيَ الصلاة فليُصلِّها إذا ذكرَها، فإن الله قال: أقمِ الصلاة لذكري**»[٢].

فهذه الأحاديث قد فهمها البعض على غير وجهها اللائق بها.

ففهمها البعض على أن الصلوات التي تقضى فقط هي الصلوات التي نام عنها المرءُ أو نسيها، قالوا: وما سوى ذلك فلا يُقضى إذا تركه الشخص متعمداً.

قلت: وليس في الحديث ما يفيد ذلك، فليس في الحديث أن الفوائت لا تقضى بحالٍ من الأحوال، وإنما الذي في الحديث أن من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها.

ووجه ذلك عندي ـ والله تعالى أعلم ـ وهو قول عددٍ من أهل العلم أن النائم عن الصلاة حتى فاته وقتها، وكذلك الناسي لها حتى فات وقتها، قد يظن لنومه، أو لنسيانه أن الصلاة قد سقطت عنه، ولم يعد مطالبًا بها، فقيل لمن هذا ظنه: لا تظن ذلك أيها النائم، وأيها الناسي، بل الصلاة مازالت في ذمتكما، فمن نام عن صلاة، فلا يظن أن هذه الصلاة قد سقطت عنه. ومن نسى صلاة فلا يظن أن هذه الصلاة قد سقطت عنه[٣] بل لزامًا على هذا وذاك أن يأتيا بها إذا ذكراها.

---

(١) عند البخاري (حديث ٥٩٧)، ومسلم (٤٧٧).

(٢) مسلم (حديث ٦٨٠).

(٣) وعلى سبيل المثال: الصائم الناسي، قد يأكل ويشرب، ولكن لا يؤثر الطعام والشراب في صومه، فلهذا قد يظن ظان أن الناسي للصلاة قد سقط عنه فرضها.

هذا ومما يُعكر على القول القائل بأن الصلاة التي تقضى هي التي نام عنها المرء أو نسيها فقط أن النبي ﷺ صلى العصر بعد أن غربت الشمس يوم الأحزاب، وقال: «**ملأ الله بيُوتَهم وقبورَهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة حتى غربتِ الشمس**»، فلم يكن صلوات الله وسلامه عليه نائمًا ولا ناسيًا.

فعلى هذا الذي ذكرناه آنفًا، من أن النائم والناسي يقضيان الصلاة فغيرهما من باب أولى، أعني المتعمد للترك، ثم تاب من ذلك.

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار»[1]:

فإن قيل: لم خُصَّ النائم والناسي بالذكر في قوله في هذا الحديث: «**من نام عن صلاة أو نسيَها فليصلِّها إذا ذكرها**»؟.

قيل: خُصَّ النائم والناسي ليرتفع الظن فيهما برفع القلم في سقوط المأثم عنهما بالنوم والنسيان، فأبان رسول الله ﷺ أن سقوط الإثم عنهما غير مُسقطٍ لما لزمهما من فرض الصلاة، وأنها واجبة عليهما عند الذكر لها، يقضيها كل واحد منهما، بعد خروج وقتها إذا ذكرها.

ولم يحتج إلى ذكر العامد معهما؛ لأن العلة المتوهمة في الناسي والنائم ليست فيه ولا عذر له في ترك فرض قد وجب عليه من صلاته إذا كان ذاكرًا له.

قلت: وها هو موطن قضيت فيه الصلاة، وقد تركت عن غير نومٍ أو نسيان، ففي الصحيحين[2] أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما

---

(١) الاستذكار: (١ / ٣٠٠).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٦)، ومسلم (حديث ٦٣١).

غربت الشمس فجعل يسبُّ كفار قريش، قال: يا رسول الله! ما كدت أُصلي حتىٰ كادت الشمس تغرب، قال النبي ﷺ: «**والله ما صليتها**»، فقمنا إلىٰ بُطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلىٰ العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلىٰ بعدها المغرب».

وها هو حديث آخر أيضًا:

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «**لا يصلين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة**» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتىٰ نأتيها، وقال بعضهم: بل يُصلىٰ، لم يُرد منا ذلك، فذُكر للنبي ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم.

قلت: فعلىٰ هذا، فقد أصبح هذا الدليل «**من نام عن صلاة أو نسيها فصلاتُها حين يذكُرُها**» يستدل به علىٰ القضاء، أعني قضاء الصلاة التي تركها صاحبها متعمداً حتىٰ فات وقتها إذا هو تاب، ولا يستدل به علىٰ عدم القضاء كما فهمه البعض مخالفين بذلك الجمهور.

قلت: فبعد هذا العرض السريع لهذه الأدلة وبعض أقوال العلماء نرىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن الصواب مع من قال بالقضاء، غير مبدعين للرأي الآخر.

وقد يقول قائل: إن مثل هذا الأمر بالقضاء قد يشق علىٰ رجل ترك الصلاة سنوات طويلة، فنقول: إن الله قال: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فليتق

مثل هذا ربه قدر استطاعته، والله تعالىٰ أعلم، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

* * *

س: ما المراد باتباعهم الشهوات؟

ج: المراد أنهم آثروا شهوات أنفسهم، وقدموها علىٰ طاعة الله ورسله.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ﴾ تاب من ماذا؟

ج: الظاهر، والله أعلم أن المراد التوبة من تضيع الصلاة واتباع الشهوات، كما قاله القرطبي رحمه الله، وكما هو الظاهر من السياق.

* * *

فتح أبواب التوبة للتائبين

س: دائمًا يُفتح باب التوبة أمام المذنبين، وعقب كل كبيرة تُذكر وتُذكر عقوبتها، يعقّب بفتح أبواب التوبة النصوح أمام التائبين حتى يرجع كلُّ عاصٍ إلى ربِّه تبارك وتعالى ولا يقنط أحدٌ من رحمة الله!

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ.. ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿ .. وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨: ٦٩].

أو قطاع الطرق الذين سفكوا الدماء يقول تعالى في شأنهم: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا ﴾ [البقرة: ١٥٩: ١٦٠] والأدلة في هذا كثيرة جدًّا، وقد ذكرناها في غير موضع من هذا الكتاب المبارك.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾!

ج: قال السعدي في تفسيره:

فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها، وعدًا غائبًا، لم يشاهدوه

ولم يروه. فآمنوا بها، وصدقوا غيبها وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها. فكيف لو رأوها، لكانوا أشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعيًا.

ويكون في هذا، مدح لهم بإيمانهم بالغيب، الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياه.

فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حبًّا، وأجلُّ شوقًا.

ويحتمل أيضًا، أن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحمن عباده، من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله. ففيه من التشويق لها، والوصف المجمل، ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها.

فيكون هذا مثل قوله: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧] والمعاني كلها صحيحة ثابتة.

ولكن الاحتمال الأول، أولى بدليل قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾ [مريم: ٦١] لابد من وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾!

ج: المعنى، والله أعلم، إن وعد الله الذي وعد الله عباده للجزاء والحساب، ألا وهو الوعد بالبعث والحشر سيأتيه العباد ويحضرونه ويشهدونه ويُعطي فيه كل ذي حق حقه.

قال العلامة الشنقيطي في كتابه أضواء البيان:

قوله تعالىٰ: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

بين جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه وعد عباده المؤمنين المطيعين جنات عدن.

ثم بين أن وعده مأتيٌّ؛ بمعنىٰ أنهم يأتونه ينالون ما وعدوا به؛ لأنه جلَّ وعلا لا يخلف الميعاد.

وأشار لهذا المعنىٰ في مواضع أخر، كقوله: ﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ..﴾ الآية [الروم: ٦]؛ وقوله: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الرعد: ٣١].

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ..﴾ [آل عمران: ١٩٤، ١٩٥] الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً﴾ [الفرقان: ١٥، ١٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿مَأْتِيًّا﴾ اسم مفعول أتاه إذا جاءه. والمعنىٰ: أنهم لابد أن يأتوا ما وعدوا به.

خلافًا لمن زعم أن ﴿مَأْتِيًّا﴾ صيغة مفعول أريد بها الفاعل؛ أي: كان وعده آتيًا، إذ لا داعي لهذا مع وضوح ظاهر الآية.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا..﴾!

ج: قال الطبري رحمه الله: يقول تعالىٰ ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوًا، وهو الهَذْي والباطل من القول والكلام: ﴿إِلاَّ سَلامًا﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، ومعناه: ولكن يسمعون سلامًا، وهو تحية الملائكة إياهم.

وقال القرطبي رحمه الله: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي: في الجنة. واللغو: معناه: الباطل من الكلام والفحش منه والفضول وما لا ينتفع به. ومنه الحديث: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصِت والإمام يخطب فقد لغوت**» ويروىٰ (لغيت) وهي لغة أبي هريرة؛ كما قال الشاعر:

وربّ أسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظَّمِ عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ

قال ابن عباس: اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالىٰ؛ أي: كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه. ﴿إِلاَّ سَلامًا﴾ أي: لكن يسمعون سلامًا فهو من الاستثناء المنقطع، يعني سلام بعضهم علىٰ بعض، وسلام الملك عليهم، قاله مقاتل وغيره.

والسلام اسم جامع للخير؛ والمعنىٰ: أنهم لا يسمعون فيها إلا ما يحبون.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب بكرة وعشيًّا؛ أي: في قدر هذين الوقتين؛ إذ لا بكرة ثمَّ ولا عشيًّا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] أي: قدر شهر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ سَلامًا ﴾!

ج: المعنىٰ متعلق بما قبله، فالمعنىٰ لا يسمعون فيها لغواً أي كلامًا لاغيًا لا فائدة فيه، ولكن يسمعون سلامًا أي يسمعون تحية وهي السلام، كما قال تعالىٰ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وكما قال تعالىٰ: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

وأيضًا لا يسمعون فيها إلا أقوالاً سالمة من العيوب، إنهم يسمعون ذِكرًا لله عز وجل وتحية وكلام سرور، وبشارة، ومطارحة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات الشجية، من الحور، والملائكة، والولدان، والنغمات المطربة، والألفاظ الرخيمة، لأن الدار، دار السلام، فليس فيها إلا السلام التام في جميع الوجوه.

قال ذلك السعدي رحمه الله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾!

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البُكرة ووقت العشيّ من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] و﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الحديد: ٤] يعني به: من أيام الدنيا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيّات لا أن هناك ليلاً أو نهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب، يعرفون مضيها بأضواء وأنوار.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا﴾!

ج: المعنى والله أعلم: لا يسمع أهل الجنة في الجنة كلامًا تافهًا ساقطًا كما يسمع أهل الدنيا، ولكن يسمعون كلامًا طيبًا كتسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وغير ذلك.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المؤمنين إذا أدخلهم ربهم جنات عدن التي وعدم ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا**﴾ أي: في الجنات المذكورة ﴿ **لَغْوًا** ﴾ أي: كلامًا تافهًا ساقطًا كما يسمع في الدنيا.

واللغو: هو فضول الكلام، وما لا طائل تحته.

ويدخل فيه فحش الكلام وباطله، ومنه قول رؤبة وقيل العجاج:

ورَبِّ أسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ ... عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ

كما تقدم في سورة «المائدة».

والظاهر أن قوله ﴿ **إِلاَّ سَلامًا** ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن يسمعون فيها سلامًا، لأنهم يسلم بعضهم على بعض، وتسلم عليهم الملائكة، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ..**﴾ [الأحزاب: ٤٤] الآية، وقوله: ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ..**﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] الآية. كما تقدم مستوفى.

وهذا المعنى الذي أشار له هنا جاء في غير هذا الموضع أيضًا كقوله في «الواقعة»: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا**﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

* * *

س: اذكر بعض صور الاستثناء المنقطع؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقد جاء الاستثناء المنقطع في آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ.. ﴾ الآية [النجم:٢٨] وقوله: ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ [الليل:١٩-٢٠]، وقوله: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ [الدخان:٥٦]، وكقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ... ﴾ الآية [النساء:٢٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

فكل الاستثناءات المذكورة في هذه الآيات منقطعة. ونظير ذلك من كلام العرب في الاستثناء المنقطع قول نابغة ذبيان:

وقفتُ فيها أصيلالاً أسائلها ... عيَّت جوابًا وما بالربع من أحد
إلا الأواريَ لأيًا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلَد

«فالأواري» التي هي مرابط الخيل ليست من جنس «الأحد».

وقول الفرزدق:

وبنت كريم قد نكحنا ولم يكن ... لها خاطب إلا السنان وعامله

وقول جران العود:

وبلدةٍ ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس

«فالسنان» ليس من جنس «الخاطب» و «اليعافير والعيس» ليس واحد منهما من جنس «الأنيس». وقول ضرار بن الأزور:

أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة ... ولله بالعبد المجاهد أعلم
عشية لا تغني الرماح مكانها ... ولا النبل إلا المشرفيَّ المصمّم

وبهذا الذي ذكرنا تعلم صحة وقوع الاستثناء المنقطع كما عليه جماهير الأصوليين خلافًا للإمام أحمد بن حنبل وبعض الشافعية القائلين بأن

الاستثناء المنقطع لا يصح، لأن الاستثناء إخراج ما دخل في اللفظ، وغير جنس المستثنىٰ منه لم يدخل في اللفظ أصلاً حتىٰ يخرج بالاستثناء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾!

ج: هذا، والله تعالىٰ أعلم، إنما يراد به أنهم يرزقون دائمًا.

وذلك لأن العرب في زمانهم كان الذي يرزق غداء وعشاء فهو المنعم فخوطبوا علىٰ قدر أفهامهم وأعرافهم، وإلا فقد قال تعالىٰ: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق: ٣٥].

هذا، وقد طرح الشنقيطي في «أضواء البيان» سؤالاً حول هذه الآية الكريمة فقال:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ فيه سؤال معروف، وهو أن يقال: ما وجه ذكر البكرة والعشي، مع أن الجنة ضياء دائم ولا ليل فيها؟ وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة:

الأول: أن المراد بالبكرة والعشي قدر ذلك من الزمن، كقوله: ﴿**غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾ أي: قدر شهر.

وروي معنىٰ هذا عن ابن عباس، وابن جريج وغيرهما.

والجواب الثاني: أن العرب كانت في زمنها ترىٰ أن من وجد غداء وعشاء فذلك الناعم، فنزلت الآية مرغبة لهم وإن كان ما في الجنة أكثر من ذلك.

ويروىٰ هذا عن قتادة، والحسن، ويحيىٰ بن أبي كثير.

الجواب الثالث: أن العرب تعبر عن الدوام بالبكرة والعشي، والمساء والصباح، كما يقول الرجل: أنا عند فلان صباحًا ومساء، وبكرة وعشيًّا.

يريد الديمومة ولا يقصد الوقتين المعلومين.

الجواب الرابع: أن تكون البكرة هي الوقت الذي قبل اشتغالهم بلذاتهم.

والعشي: هو الوقت الذي بعد فراغهم من لذاتهم، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال وهذا يرجع معناه إلى الجواب الأول.

الجواب الخامس: هو ما رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة قالا[1]: قال رجل: يا رسول الله، هل في الجنة من ليل؟ قال: «**وما يهيجك على هذا؟**» قال: سمعت الله تعالى يذكر: ﴿ **وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ فقلت: الليل بين البكرة والعشي. فقال رسول الله ﷺ: «**ليس هناك ليل، إنما هو ضوء ونور، يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو، تأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة**» انتهى بواسطة نقل صاحب الدر المنثور والقرطبي في تفسيره.

وقال القرطبي بعد أن نقل هذا: وهذا في غاية البيان لمعنى الآية.

وقد ذكرناه في كتاب (التذكرة) ثم قال: وقال العلماء ليس في الجنة ليل ولا نهار، وإنما هم في نور أبدًا إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء

---

(١) الحديث ضعيف لإرساله كما هو واضح، ثم إن مراسيل الحسن وأبي قلابة أشد ضعفًا من غيرها.

الحجب، وإغلاق الأبواب. ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب؛ ذكره أبو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما اهـ منه. وهذا الجواب الأخير الذي ذكره الحكيم الترمذي عن الحسن وأبي قلابة عن النبي ﷺ راجع إلى الجواب الأول. والعلم عند الله تعالى.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

الإشارة في قوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى ما تقدم من قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ الآية.

وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يورث المتقين من عباده جنته.

وقد بين هذا المعنى أيضًا في مواضع أخر، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآيات [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] الآية، وقوله: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

ومعنىٰ إيراثهم الجنة: الإنعام عليهم بالخلود فيها في أكمل نعيم وسرور، قال الزمخشري في «الكشاف»: نورث أي نبقي عليه الجنة كما نبقي علىٰ الوارث مال الموروث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم، وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفىٰ.

وقال بعض أهل العلم: معنىٰ إيراثهم الجنة أن الله تعالىٰ خلق لكل نفس منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار: فإذا دخل أهل الجنة الجنة أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم؛ وعند ذلك يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ...﴾ الآية [الأعراف: ٤٣] وكذلك يرىٰ أهل النار منازلهم في الجنة لو آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم: ﴿لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧].

ثم إنه تعالىٰ يجعل منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة فيرثون منازل أهل النار في الجنة. وهذا هو معنىٰ الإيراث المذكور علىٰ هذا القول.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: قد جاء حديث يدل لما ذكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب؛ لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، كما قد قال تعالىٰ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

ونحوها من الآيات.

ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع بخلاف ذلك كما ترى.

والحديث المذكور هو ما رواه الإمام أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة «**كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني؛ فيكون له شكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لولا أن الله هداني؛ فيكون عليه حسرة**» اهـ. وعلم في «الجامع الصغير» على هذا الحديث علامة الصحة. وقال شارحه المناوي: قال الحاكم: صحيح على شرطهما وأقره الذهبي. وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. اهـ.

* * *

س: وضح المراد بالآية الكريمة ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ...﴾!

ج: قال القرطبي رحمه الله:

عن جملة: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ**﴾ أي: قال الله تعالى: قل يا جبريل: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾ وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: إنا إذا أُمِرنا نَزَلْنا عليك.

والثاني: إذا أمرنا ربك نزّلنا عليك، فيكون الأمر على الوجه الأول متوجهًا إلى النزول، وعلى الوجه الثاني متوجهًا إلى التنزيل.

* * *

س: وضح سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ...﴾.

ج: أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يَمنعُكَ أن تزورَنا أكثرَ مما تزورُنا؟» فنزلَت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من التفصيل معنى قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾!

ج: قال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿لَهُ﴾ أي: لله، ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: علم ما بين أيدينا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس وابن جريج: ما مضى أمامنا من أمر الدنيا، وما يكون بعدنا من أمرها وأمر الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ من البرزخ.

وقال قتادة ومقاتل: «له ما بين أيدينا» من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما مضى من الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

الأخفش؛ ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: ما كان قبل أن نُخلق؛ ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما يكون بعد أن نموت ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما يكون منذ خلقنا إلى أن نموت.

---

(١) البخاري (٤٧٣١).

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الثواب والعقاب وأمور الآخرة.

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما مضىٰ من أعمالنا في الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون من هذا الوقت إلىٰ يوم القيامة.

ويحتمل خامسًا: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ السماء: ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الأرض، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: ما بين السماء والأرض.

وقال ابن عباس في رواية: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: يريد الدنيا إلىٰ الأرض ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: يريد السموات ـ وهذا علىٰ عكس ما قبله ـ ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: يريد الهواء؛ ذكر الأوّل الماوردي والثاني القشيري.

الزمخشري: وقيل ما مضىٰ من أعمارنا وما غبر منها، والحال التي نحن فيها.

ولم يقل: ما بين ذينك لأن المراد ما بين ما ذكرنا؛ كما قال: ﴿لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي: بين ما ذكرنا. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: ناسيًا، إذا شاء أن يرسل إليك أرسل.

وقيل: المعنىٰ لم ينسك وإن تأخر عنك الوحي. وقيل: المعنىٰ أنه عالم بجميع الأشياء متقدمها ومتأخرها، ولا ينسىٰ شيئًا منها.

* * *

بعض الحديث عن منكري البعث

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

أُخرج حيًّا ـ ولم يك شيئا ـ لنحشرنهم والشياطين ـ جثيًّا ـ شيعة ـ عتيًّا ـ أولى بها صليًّا ـ واردها ـ حتمًا مقضيًّا ـ بينات ـ مقامًا ـ نديًّا ـ أثاثًا ـ رئيًا ـ في الضلالة ـ فليمدد له الرحمن مدًّا ـ شرٌّ مكانًا ـ أضعف جندًا ـ خير عند ربك ثوابًا ـ خيرٌ مردًّا.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾	أُبعث حيًّا ـ أخرج من القبور يوم القيامة حيًّا للحساب.
﴿ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾	لم يكن شيئًا يُذكر ويُلتفت إليه كان عدمًا ـ كان لا شيء.
﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾	لنجمعنهم يوم القيامة مع الشياطين. لنجمعنهم مقترنين بأوليائهم.
﴿ جِثِيًّا ﴾	بُروكًا على الرُّكب ـ قعودًا.
﴿ شِيعَةٍ ﴾	جماعةٍ ـ فرقةٍ، والشيعة: الجماعة المتعاونون على أمرٍ من الأمور.. تمردًا ـ عصيانًا.
﴿ عِتِيًّا ﴾	أحق بالعذاب الشديد ـ أحق بالنار أن يصلاها ويذوق أليم عذابها، وبمن يستحق تضعيف العذاب.
﴿ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴾	داخلها ـ مارٌّ عليها ـ مار على الصراط المضروب على جسر جهنم حاضرٌ عندها.
﴿ وَارِدُهَا ﴾	
﴿ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	قضاءً مقضيًّا (قد قضاه الله وقدَّره وأوجبه في أُم الكتاب). قسمًا واجبًا (لابد أن يتحقق).

الكلمة	معناها
﴿ بَيِّنَاتٍ ﴾	واضحات (لمن تأملها وفكَّر فيها) ـ ظاهرات الدلالة بينة الحجة .
﴿ مَّقَامًا ﴾	موضع الإقامة والمراد المنازل والبيوت .
﴿ خَيْرٌ مَقَامًا ﴾	أحسن منزلاً وداراً .
﴿ نَدِيًّا ﴾	مجلسًا ـ مجتمعًا يجتمعون فيه .
﴿ قرن ﴾	جماعة في زمنٍ مُعين .
﴿ أَثَاثًا ﴾	متاعًا (أي متاع البيوت كالمجالس والزينة ونحو ذلك) .
﴿ ورءْيًا ﴾	منظرًا ـ صورةً ـ شكلاً .
﴿ فِي الضَّلَالَةِ ﴾	في الكفر .
﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾	فليدعه الله في طغيانه ، وليزده الله من الطغيان والضلال .
﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾	أسوأ مسكنًا وإقامة .
﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾	أقل جُندًا وأضعفهم .
﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾	خيرٌ جزاء عند الله .
﴿ وخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾	خير ما يلقاه المرء يوم القيامة . وقوله خيرٌ أي أفضل مما افتخر به الكفار في الدنيا ، والمرد : المرجع على صاحبها بالثواب فكل واحد يرد عليه ثواب عمله الذي عمله في الدنيا ، وخير هؤلاء الذين جاءهم ثواب الباقيات الصالحات التي عملوها .

س: من الإنسان القائل أإذا ما مت لسوف أُخرج حيًّا؟

ج: هذا هو الإنسان الكافر المُنكر للبعث المُكذِّب بيوم الحساب.

* * *

س: يرد في مواطن كثيرة من كتاب الله عزَّ وجل إنكار الكافر للبعث وتعجبه من ذلك والرد عليه في ذلك وضح بعض هذه المواطن.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من آخره..» الحديث.

* * *

بعض الاستدلالات على البعث

س: كثيراً ما يستدل على البعث بابتداء الخلق، دلِّل على ذلك!

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أي أن الإعادة أهون من الابتداء.

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ... ﴾ [الحج: ٥].

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ الآية!

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أقسم بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلىٰ المعاد كما يحشر المؤمنين.

﴿ وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي: ولنحشرن الشياطين قرناء لهم.

قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة؛ كما قال: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

الزمخشري: والواو في ﴿ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطف وبمعنىٰ «مع»، وهي بمعنىٰ «مع» أوقع.

والمعنىٰ أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم؛ يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أريد بالإنسان: الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي علىٰ العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟

قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء.

قلت: لم يفرق بينهم في المحشر، وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم، فيزدادوا لذلك غبطة، وسروراً إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله تعالى وأعدائهم؛ فتزداد مساءتهم وحسرتهم، وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.

فإن قلت: ما معنى إحضارهم جثيًّا؟

قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص، فالمعنى: أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عَتلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم.

وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] على الحالة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب.

لما في ذلك من الاستيفاز والقلق، وإطلاق الحُبَا خلاف الطمأنينة؛ أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوًّا.

وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم.

على أن «جثيًّا» حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين؛ لأنه من توابع التواقف للحساب، قبل التواصل إلى الثواب والعقاب؛ ويقال: إن معنى ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي: جثيًّا على ركبهم.

عن مجاهد وقتادة؛ أي إنهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام.

﴿وَحَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ يجوز أن يكون داخلها؛ كما تقول: جلس القوم حول

البيت أي داخله مطيفين به؛ فقوله: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ على هذا يجوز أن يكون بعد الدخول. ويجوز أن يكون قبل الدخول. و﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاثٍ.

يقال: جثا على ركبتيه يَجْثوا ويَجْثِي جُثوًّا وجثيًّا على فعول فيهما.

وأجثاه غيره. وقوم جُثيٌّ أيضًا؛ مثل جلس جلوسًا وقوم جلوس، وجِثي أيضًا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر.

وقال ابن عباس: ﴿جِثِيًّا﴾ جماعات.

وقال مقاتل: جمعًا جمعًا؛ وهو على هذا التأويل جمع جُثْوة وجَثوَة وجِثوة وثلاث لغات، وهي الحجارة المجموعة والتراب المجموع؛ فأهل الخمر على حدة، وأهل الزنا على حدة، وهكذا؛ قال طرفة:

ترى جُثْوتين من تُرابٍ عليهما ... صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنَضَّدِ

وقال الحسن والضحاك: جاثية على الركب، وهو على هذا التأويل جمع جاثٍ على ما تقدَّم.

وذلك لضيق المكان؛ أي لا يمكنهم أن يجلسوا جلوسًا تامًّا.

وقيل: جثيًّا على ركبهم للتخاصم؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وقال الكميت:

هم تَركُوا سَرَاتَهُمُ جثيًّا ... وهم دون السراة مقرَّنينا

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

لما أقام الله جلَّ وعلا البرهان على البعث بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا

خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ أقسم جلَّ وعلا بنفسه الكريمة، أنه يحشرهم أي الكافرين المنكرين للبعث وغيرهم من الناس، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا، وأنه يحضرهم حول جهنم جثيًّا.

وهذان الأمران اللذان ذكرهما في هذه الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع.

أما حشره لهم ولشياطينهم فقد أشار إليه في قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] على أحد التفسيرات.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

وأما إحضارهم حول جهنم جثيًّا فقد أشار له في قوله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾!

ج: المراد، والله تعالى أعلم: ثم لنأخذن من كل جماعةٍ من كان في الدنيا أشدهم إجرامًا وتمردًا على الله، وعصيانًا لأمره ومخالفةً لرسله، لنأخذنه أخذًا شديدًا فلنبدأن به، أي: لنبدأن بأكابر الطغاة ثم الأكابر. أي: ننزع من أهل كلِّ دين قادتهم ورؤساءهم في الشر.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي لنستخرجن ولنميزن من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فيبدأ بتعذيبه وإدخاله النار علىٰ حسب مراتبهم في الكفر، والإضلال والضلال.

وهذا هو الظاهر في معنىٰ الآية الكريمة: أن الرؤساء القادة في الكفر يعذبون قبل غيرهم ويشدد عليهم العذاب لضلالهم وإضلالهم.

وقد جاءت آيات من كتاب الله تعالىٰ تدل علىٰ هذا، كقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] ولأجل هذا كان في أمم النار أولىٰ وأخرىٰ.

فالأولىٰ: التي يبدأ بعذابها وبدخولها النار.

والأخرىٰ: التي تدخل بعدها علىٰ حسب تفاوتهم في أنواع الكفر والضلال، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

* * *

مبحث حول قوله تعالى

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾

س: وضح معنى قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم كان على ربك يا محمد إيراد هموما قضاء مقضيا، قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب.

* * *

س: لأهل العلم جملة أقوال في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ اذكر بعض هذه الأقوال.

ج: بين يدي إيراد هذه الأقوال أُذكر أولاً بالآيات الكريمات التي ذكر فيها الورود، فمن ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقوله تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ [يوسف: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

وهذه أيضًا آيات لا يستغنى عنها عند تفسير هذه الآية الكريمة فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ونحوها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وهناك أدلة أيضًا تُشعر بأن أهل الإيمان ينالهم شيء من الهم والكرب، فمن ذلك حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن الناس يبلغ بهم من الهمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.

ومنه قول النبي ﷺ: «يقولُ الله تعالى لآدمَ يومَ القيامة: يا آدمُ فيقول: لبيك ربَّنا وسعديك فَيُنادى إن الله يأمُرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار قال: يا رب وما بعثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين،

فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»[١] الحديث.

ومنه قول النبي ﷺ: «**إنكم محشورون إلى الله عزَّ وجل حفاةً عراةً غرلاً، كما بدأنا أولَ خلقٍ نعيدُه...**» الحديث، وفيه أن عائشة قالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟ قال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**»[٢].

وعند مسلم أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوامًا أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أُذن لهم في الشفاعة**»[٣].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٧)، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٣) مسلم (حديث ١٨٥).

وهذه بعض الأحاديث
التي قد يستعان بها في تفسير الورود

أخرج الإمام مسلم[١] من طريق جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال أخبرتني أم مُبشر أنَّهَا سمِعْت النبي ﷺ يقُولُ عنْد حفْصَةَ: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ، إنْ شَاءَ الله، منْ أصْحَاب الشَّجَرَة، أَحَدٌ، الذينَ بايعُوا تحتهَا**» قالتْ: بَلَىٰ، يا رسولُ الله! فانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَة: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ قال الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾**»[٢] [مريم: ٧٢].

وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريْرَةَ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لاَ يَمُوتُ لأحَدٍ مِنَ المسْلِمِينَ ثلاثةٌ منَ الوَلَدِ فتَمَسَّهُ النَارُ، إلا تحلَّة القَسَمِ**».

وفي رواية أخرىٰ عند مسلمٍ:

أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لنسْوَة منَ الأنْصَارِ: «**لاَ يَمُوتُ لإحْدَاكُنَّ ثلاثةٌ منَ الولدِ فتحْتسبَهُ، إلا دخلَتِ الجَنَّةَ**» فقالتِ امرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أوِ اثنَيْنِ؟ يا رسول الله! قال: «**أوِ اثْنَيْنِ**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٩٦).

(٢) وأخرجه الطبري (٢٣٨٥٨): لا يدخل النار أحدٌ شهد بدراً والحديبية.. الحديث.

(٣) مسلم (٢٦٣٢).

وأخرج الإمام أحمد[١] رحمه الله تعالىٰ من طريق أبي سمية قال: اختلفنا ها هنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعًا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبدالله فقلت له: إنا اختلفنا في ذلك الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا: يدخلونها جميعًا فاهوىٰ بإصبعيه إلىٰ أذنيه وقال: صمتًا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الورود الدخول لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ـ أو قال لجهنم ـ ضجيجًا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها**».

وهذه أيضًا بعض الآثار:

أثر جابر بن عبدالله رضي الله عنهما:

أخرج الطبري[٢] بسندٍ صحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقد سُئل عن الورود، فقال: «نحن يوم القيامة علىٰ كوىٰ أو كرىٰ، فوق الناس، فتدعىٰ الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد الأوّلَ فالأوّلَ، فينطلق بهم ويتبعونه، قال: ويُعطىٰ كلُّ إنسانٍ منافق ومؤمن نورًا، ويغشىٰ ظلمة ثم يتبعونه، وعلىٰ جسر جهنمَ كلاليبُ تأخذ من شاء الله، فيطْفأ نور المنافق، وينجو المؤمنون، فتنجو أوّلُ زمرة كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفًا لا حساب عليهم، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجمٍ في السماء، ثم كذلك ثم، تحلّ الشفاعة فيشفعون، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير، ثم يلقون تلقاء الجنة، ويُهريقُ عليهم أهلُ الجنةِ الماءَ،

---

(١) أحمد في المسند (٣/ ٣٢٨ـ٣٢٩).

(٢) الطبري أثر (٢٣٨٥٥).

فينبتون نبات الشيء في السيل، ثم يسألون فيجُعل لهم الدنيا وعشرةُ أمثالها».

أثر أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرج الطبري[١] بسندٍ صحيح عن بكيرٍ أنه قال لبسر بن سعيد: إن فلانًا يقول: إن ورود النار: القيام عليها.

قال بسرٌ: أما أبو هريرةَ فسمعتُهُ يقول: إذا كان يومُ القيامة يجتمع الناس، نادىٰ مناد: ليلحق كلُّ أناسٍ بما كانوا يعبدون، فيقومُ هذا إلىٰ الحجر، وهذا إلىٰ الفرس، وهذا إلىٰ الخشبة حتىٰ يبقىٰ الذين يعبدون الله، فيأتيهم الله، فإذا رأوه قاموا إليه، فيذهب بهم فيسلك بهم علىٰ الصراط، وفيه عليق، فعند ذلك يؤْذن بالشفاعة، فيمر الناس، والنبيون يقولون: اللهمّ سلِّم سلِّم.

قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش، ثم ناج.

أثر ابن مسعود رضي الله عنه:

أخرج الطبري[٢] بسنده إلىٰ ابن مسعود:

في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قال: الصراط علىٰ جهنم مثل حدِّ السيف فتمرُّ الطبقة الأولىٰ كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرُّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم.

---

(١) الطبري أثر (٢٣٨٥٧).

(٢) الطبري أثر (٢٣٨٤٦).

أما عن أقوال العلماء فهذا حاصلها:

أولاً: قول القائل: إن المراد بالورود هنا الدخول واستدل قائلوه بأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وبقوله تعالى في شأن فرعون: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾ [هود: ٩٨].

ثانيًا: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الورود هو المرور على الصراط.

ثالثًا: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الورود هو الحضور والشهود والرؤية، فينجي الله أهل الإيمان وينتقم من أهل الجحود والكفر والعصيان.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالآية الكريمة الحمى التي يُصاب بها بنو آدم في الدنيا فقالوا وورود المؤمن: ما يصيبه في الدنيا من حمىً ومرض، واستدل لهذا القول بحديث: «**الحُمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**».

وقال بعض أهل العلم: الورود هو الدخول ولكن عنى ربنا سبحانه وتعالى الكفار دون المؤمنين.

أي: وإن منكم أيها الكفار إلا داخلها.

لكن قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ يُعكر على هذا التأويل.

وقال بعض أهل العلم: إن الورود عامٌّ لكل مؤمن وكافر غير أن ورود المؤمن: المرور، وورود الكافر: الدخول.

قال ابن زيد[١]: وورود المسلمين: المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين: أن يدخلوها.

وهذه بعض النقولات عنهم:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار.

وورودهموها: هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

بعد أن أورد طائفة كبيرة من الأقوال:

وقال الأكثر: المخاطب العالم كله، ولابد من ورود الجميع، وعليه نشأ الخلاف في الورود.

وقد بينا أقوال العلماء فيه.

وظاهر الورود الدخول؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**فتمسَّه النار**» لأن المسيس حقيقته في اللغة المماسة، إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين، وينجون منها سالمين.

قال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قالوا ألم يقل ربنا: إنا نرد النار؟ فيقال: لقد وردتموها فألفيتموها رماداً.

---

(١) الطبري أثر (٢٣٨٤٩) بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد.

قلت: وهذا القول يجمع شتات الأقوال؛ فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونُجِّي منها.

نجانا الله تعالىٰ منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها فدخلها سالمًا، وخرج منها غانمًا.

فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نطلق هذا، ولكن نقول: إن الخلق جميعًا يردونها كما دل عليه حديث جابر أوّل الباب؛ فالعصّاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء لشفاعتهم فبين الدخولين بَوْنٌ.

وقال ابن الأنباري محتجًّا لمصحف عثمان وقراءة العامة: جائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلىٰ لفظ المواجهة بالخطاب؛ كما قال: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢] فأبدل الكاف من الهاء.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم: ٧٠، ٧١].

اختلف العلماء في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة علىٰ أقوال:

الأول: أن المراد بالورود الدخول، ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول.

الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز علىٰ الصراط، لأنه جسر منصوب علىٰ متن جهنم.

الثالث: أن الورود المذكور هو الإشراف عليه والقرب منها.

الرابع: أن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحمَّى في دار الدنيا.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمنها الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن فغلبته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية.

وقد قدمنا أمثلة لذلك.

فإذا علمت ذلك ـ فاعلم أن ابن عباس رضي الله عنهما استدل على المراد بورود النار في الآية بمثل ذلك الدليل الذي ذكرنا أنه من أنواع البيان في هذا الكتاب المبارك.

وإيضاحه: أن ورود النار جاء في القرآن، في آيات متعددة، والمراد في كل واحدة منها الدخول.

فاستدل بذلك ابن عباس على أن الورود في الآية التي فيها النزاع هو الدخول، لدلالة الآيات الأخرى على ذلك، كقوله تعالى: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾ [هود: ٩٨] قال: فهذا ورود دخول، وكقوله: ﴿**لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٩] فهو ورود دخول أيضًا وكقوله: ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ [مريم: ٨٦] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٨] وبهذا استدل ابن عباس على نافع بن الأزرق في أن الورود الدخول.

واحتج من قال بأن الورود: الإشراف والمقاربة بقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ..**﴾ [القصص: ٢٣] الآية.

قال: فهذا ورود مقاربة وإشراف عليه.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ..﴾ [يوسف: ١٩] الآية. ونظيره من كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

فلما وردن الماء زرقًا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

قالوا: والعرب تقول: وردت القافلة البلد وإن لم تدخله، ولكن قربت منه.

واحتج من قال بأن الورود في الآية التي نحن بصددها ـ ليس نفس الدخول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

قالوا: إبعادهم عنها المذكور في هذه الآية يدل على عدم دخولهم فيها؛ فالورود غير الدخول.

واحتج من قال: بأن ورود النار في الآية بالنسبة للمؤمنين ـ حر الحمى في دار الدنيا ـ بحديث: «**الحمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**» وهو حديث متفق عليه من حديث عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وابن عمر ورافع بن خديج رضي الله عنهم. ورواه البخاري أيضًا مرفوعًا عن ابن عباس:

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: قد دلت على أن الورود في الآية معناه الدخول ـ أدلة:

الأول: هو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن جميع ما في القرآن من ورود النار معناه دخولها غير محل النزاع، فدل ذلك على أن محل النزاع كذلك، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

الدليل الثاني: هو أن في نفس الآية قرينة دالة على ذلك، وهي أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ [مريم: ٧٢] أي نترك الظالمين فيها ـ دليل على أن ورودهم لها دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾؛ بل يقول: وندخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

الدليل الثالث: ما روي من ذلك عن النبي ﷺ. قال صاحب «الدر المنثور» في الكلام على هذه الآية الكريمة: أخرج أحمد وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، عن أبي سميحة قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن.

وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما فذكرت له ذلك فقال وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه: صمتًا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها: فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًّا**».اهـ.

وقال ابن حجر في «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» في هذا الحديث: رواه أحمد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، قالوا: حدثنا

سليمان بن حرب، وأخرجه أبو يعلىٰ والنسائي في «الكنىٰ» والبيهقي في «الشعب» في باب النار، والحكيم في «النوادر»، كلهم من طريق سليمان قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فسألنا جابراً فذكر الحديث أتم من اللفظ الذي ذكره الزمخشري، وخالفهم كلهم الحاكم فرواه من طريق سليمان بهذا الإسناد، فقال: عن سمية الأزدية عن عبدالرحمن بن شيبة بدل أبي سمية عن جابر. اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن.

وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبدالله فقلت: إنا اختلفنا في الورود فقال: يدخلونها جميعًا. ثم ذكر الحديث المتقدم.

ثم قال ابن كثير رحمه الله: غريب ولم يخرجوه.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الظاهر أن الإسناد المذكور لا يقل عن درجة الحسن لأن طبقته الأولىٰ: سليمان بن حرب، وهو ثقة إمام حافظ مشهور.

وطبقته الثانية: أبو صالح أو أبو سلمة غالب بن سليمان العتكي الجهضمي الخراساني أصله من البصرة، وهو ثقة.

وطبقته الثالثة: كثير بن زياد أبو سهل البرساني. نصري نزل بلخ، وهو ثقة.

وطبقته الرابعة: أبو سمية وقد ذكره ابن حبان في الثقات، قاله ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: وبتوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث، لأن غيره من رجال هذا الإسناد معروفون، مع أن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الآخرىٰ التي استدل بها ابن عباس ـ وآثار جاءت عن علماء السلف رضي الله عنهم كما ذكره ابن كثير عن خالد بن معدان، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه، وذكره هو وابن جرير عن أبي ميسرة، وذكره ابن كثير عن عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري، كلهم يقولون: إنه ورود دخول.

وأجاب من قال: بأن الورود في الآية: الدخول من قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] بأنهم مبعدون عن عذابها وألمها.

فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها كما أوضحناه في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في الكلام علىٰ هذه الآية الكريمة.

وأجابوا عن الاستدلال بحديث «**الحمى من فيح جهنم**» بالقول بموجبه، قالوا: الحديث حق صحيح ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع، لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا، لأن أول الكلام قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فدل علىٰ أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترىٰ.

والقراءة في قوله تعالىٰ: ﴿جِثِيًّا﴾ كما قدمنا في قوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ قراءة الكسائي بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم، وقرأه الباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم.

وقد ذكرنا في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» أن جماعة رووا عن ابن مسعود: أن ورود النار المذكور في الآية هو المرور عليها، لأن الناس تمر على الصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم.

وأن الحسن وقتادة روي عنهما نحو ذلك أيضًا.

وروي عن ابن مسعود أيضًا مرفوعًا: أنهم يردونها جميعًا ويصدرون عنها بحسب أعمالهم. وعنه أيضًا تفسير الورود بالوقوف عليها. والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ يعني: أن ورودهم النار المذكور كان حتمًا على ربك مقضيًّا، أي: أمرًا واجبًا مفعولاً لا محالة، والحتم: الواجب الذي لا محيد عنه. ومنه قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

عبادك يخطئون وأنت رب ... يكفيك المنايا والحتوم

فقوله: «والحتوم» جمع حتم، يعني الأمور الواجبة التي لابد من وقوعها. وما ذكره جماعة من أهل العلم من أن المراد بقوله: ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: قسمًا واجبًا، كما روي عن عكرمة وابن مسعود ومجاهد وقتادة وغيرهم ـ لا يظهر كل الظهور.

واستدل من قال: إن في الآية قسمًا بحديث أبي هريرة الثابت في «الصحيحين».

قال البخاري في «صحيحه»: حدثنا علي، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» قال أبو

عبدالله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾. اهـ.

وقال مسلم في «صحيحه»: حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ قال: قرأت علىٰ مالك، عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم**».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة (ح)، وحدثنا عبد بن حميد، وابن رافع، عن عبدالرزاق، أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري بإسناد مالك، وبمعنىٰ حديثه إلا أن في حديث سفيان «**فيلج النار إلا تحلة القسم**». اهـ.

قالوا: المراد بالقسم المذكور في هذا الحديث الصحيح هو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ وهو معنىٰ ما ذكرنا عن البخاري في قوله: قال أبو عبدالله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾. والذين استدلوا بالحديث المذكور علىٰ أن الآية الكريمة قسم اختلفوا في موضع القسم من الآية، فقال بعضهم هو مقدر دل عليه الحديث المذكور، أي: والله وإن منكم إلا واردها. وقال بعضهم: هو معطوف علىٰ القسم قبله، والمعطوف علىٰ القسم قسم، والمعنىٰ: فوربك لنحشرنهم والشياطين وربك إن منكم واردها، وقال بعضهم: القسم المذكور مستفاد من قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: قسمًا واجبًا كما قدمناه عن ابن مسعود ومجاهد، وعكرمة، وقتادة.

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد بالقسم ما دل علىٰ القطع والبت من السياق؛ فإن قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ تذييل وتقرير لقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ وهذا بمنزلة القسم في تأكيد الإخبار.

بل هذا أبلغ للحصر في الآية بالنفي والإثبات.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالىٰ أعلم أن الآية ليس يتعين فيها قسم؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة علىٰ القسم، ولم يتعين عطفها علىٰ القسم.

والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة علىٰ معنىٰ كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه. وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه لا يتعين منه أن في الآية قسمًا؛ لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلاً.

يقولون: ما فعلت كذا إلا تحلة القسم، يعنون إلا فعلاً قليلاً جدًّا قدر ما يحلل به الحالف قسمه.

وهذا أسلوب معروف في كلام العرب، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تخدي على يسرات وهي لاصقة ذوابل مسهن الأرض تحليل

يعني: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا قدر تحليل القسم، ومعلوم أنه لا يمين من ناقته أنها تمس الأرض حتىٰ يكون ذلك المس تحليلاً لها كما ترىٰ.

وعلىٰ هذا المعنىٰ المعروف: فمعنىٰ قوله ﷺ: «**إلا تحلة**» أي: لا يلج النار إلا ولوجًا قليلاً جدًّا لا ألم فيه ولا حر، كما قدمنا في حديث جابر المرفوع.

وأقرب أقوال من قالوا: إن في الآية قسمًا قول من قال: إنه معطوف علىٰ قوله: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ**﴾ لأن الجمل المذكورة بعده معطوفة عليه،

كقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ لدلالة قرينة لام القسم في الجمل المذكورة على ذلك.

أما قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فهو محتمل للعطف أيضًا، ومحتمل للاستئناف.

والعلم عند الله تعالى.

* * *

س: وضح المراد بقول رسول الله ﷺ «إلا تحلة القسم» وذلك في حديثه صلوات الله وسلامه عليه «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد إلا لم تمسهما النار إلا تحلَّة القسم».

ج: قال القرطبي رحمه الله:

الاستثناء في قوله عليه السلام: «**إلا تَحِلَّة القَسَم**» يحتمل أن يكون استثناء منقطعًا: لكن تحلة القسم؛ وهذا معروف في كلام العرب؛ والمعنى ألا تمسه النار أصلاً؛ وتم الكلام هنا ثم ابتدأ «**إلا تحلة القسم**» أي: لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ وهو الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة، فلا يكون في ذلك شيء من مسيس؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنَّة من النار**» والجُنّة الوقاية والستر، ومن وقي النار وسُتر عنها فلن تمسّه أصلاً، ولو مسّته لما كان موقى.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في إيضاح ذلك:

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بَحَسَبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقًا كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يومًا من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

* * *

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا تتلى على أهل الكفر آيات هذا

الكتاب العزيز المبارك واضحات جليات ظاهرات المعاني، ما كان لهم من حجة يردون بها الآيات ولا يطفئون بها نورها إلا اغترارهم بدنياهم وقولهم لأهل الإيمان: أي الفريقين منا ومنكم خيرٌ منزلاً وأحسن مجلسًا فاغتروا بمنازلهم ومجالسهم.

قال الطبري رحمه الله:

وتأويل الكلام: وإذا تُتلىٰ عليهم آياتنا بيِّنات، قال الذين كفروا للذين آمنوا: أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشًا، وأنعم بالاً، وأفضل مسكنًا، وأحسن مجلسًا، وأجمع عددًا وغاشية في المجلس، نحن أم أنتم؟

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي علىٰ الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

وقال فيهم: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾. أي: هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعزَّزوا بالدنيا، وقالوا: فما بالنا - إن كنا علىٰ باطل - أكثر أموالاً وأعز نفرًا.

وغرضهم إدخال الشبهة علىٰ المستضعفين وإيهامهم أن من كثر ماله دل ذلك علىٰ أنه المحقّ في دينه، وكأنهم لم يروا في الكفار فقيرًا ولا في المسلمين غنيًّا، ولم يعلموا أن الله تعالىٰ نحَّىٰ أولياءه عن الاغترار بالدنيا، وفرط الميل إليها.

و «بيناتٍ»: معناه: مرتَّلات الألفاظ، ملخصة المعاني، مبينات المقاصد؛ إما محكمات، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو تبيين الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً.

أو ظاهرات الإعجاز تُحدي بها فلم يقدر على معارضتها.

أو حججًا وبراهين.

والوجه أن تكون حالاً مؤكدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١] لأن آيات الله تعالى لا تكون إلا واضحة وحججًا ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يريد مشركي قريش النضر بن الحارث وأصحابه. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة؛ وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رءوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قال الشنقيطي رحمه الله:

ومعنى الآية الكريمة: أن كفار قريش كانوا إذا يتلوا عليهم رسول الله ﷺ وأصحابه آيات هذا القرآن، في حال كونها بينات أي مرتلات الألفاظ، واضحات المعاني، بينات المقاصد، إما محكمات جاءت واضحة، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو تبيين الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها ـ أو حججًا وبراهين.

والظاهر أن قوله: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ حال مؤكدة؛ لأن آيات الله لا تكون إلا كذلك.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ أي: إذا تتلى عليهم آيات الله في حال كونها متصفة بما ذكرنا عارضوها واحتجوا على بطلانها، وأن الحق معهم لا مع من يتلوها بشبهة ساقطة لا يحتج بها إلا من لا عقل له.

ومضمون شبهتهم المذكورة: أنهم يقولون لهم: نحن أوفر منكم حظًّا في الدنيا، فنحن أحسن منكم منازل، وأحسن منكم متاعًا، وأحسن منكم منظرًا، فلولا أننا أفضل عند الله منكم لما آثرنا عليكم في الحياة الدنيا، وأعطانا من نعيمها وزينتها ما لم يعطكم.

* * *

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكم أهلكنا من أقوامٍ قبل هؤلاء المغترين ببيوتهم ومنازلهم ونواديهم، كانوا - أي: الذين أهلكناهم - أحسن من هؤلاء متاعًا، وأحسن منهم شكلاً ومنظرًا.

فقد أهلكنا قرونًا كثيرةً قبلهم متعناهم متاعًا أفضل مما متعنا به هؤلاء، وكانت صورهم وأشكالهم وأجسامهم أحسن من صور هؤلاء وأشكالهم وأجسامهم، فأفنيناهم وأهلكناهم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

وكما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦].

وكما قال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الصدد.

* * *

س: دائمًا أهل الكفر يُعيِّرون أهل الإيمان بفقرهم ويستبعدون ـ لفقر أهل الإيمان ـ أن يسبقهم المؤمنون إلى الجنان بل ويظنون أنه لن يعذبوا بل وسيكرمون دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقول صاحب الجنتين: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤] إلى قوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً﴾ [الكهف: ٣٦] وقول الآخر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

* * *

س: لقد أبطل الله دعوى الكفار التي ادعوها والتي حاصلها: أن أموالهم وأولادهم تنفعهم يوم القيامة وذلك في عدة آيات، وضح ذلك!

ج: من الآيات الدالة علىٰ ذلك ما يلي:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

* * *

س: أهل الكفر يغترون دائمًا بدنياهم، ويحتقرون لذلك أهل الإيمان دلّل على ذلك!

ج: من الأدلة على ذلك قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

وما ذكره الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾!

ج: قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

فقوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي نحن وأنتم أينا خير مقامًا.

والمقام على قراءة ابن كثير بضم الميم محل الإقامة، وهو المنازل والأمكنة التي يسكنونها.

وعلى قراءة الجمهور فالمقام بفتح الميم مكان القيام وهو موضع قيامهم وهو مساكنهم ومنازلهم.

وقيل: وهو موضع القيام بالأمور الجليلة. والأول هو الصواب.

وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي مجلسًا ومجتمعًا.

والاستفهام في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ الظاهر أنه استفهام تقرير؛

ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في تقشف ورثاثة هيئة على أن يقولوا: أنتم خير مقامًا وأحسن نديًّا منا.

وعلى كل حال فلا خلاف أن مقصودهم بالاستفهام المذكور أنهم - أي كفار قريش - خير مقامًا وأحسن نديًّا من أصحاب النبي ﷺ، وأن ذلك هو دليلهم على أنهم على الحق، وأنهم أكرم على الله من المسلمين.

وما في «التلخيص» وشروحه من أن السؤال بـ ﴿أَيُّ﴾ في الآية التي نحن بصددها سؤال بها عما يميز أحد المشتركين في أمر يعمهما كالعادة في أي غلط منهم؛ لأنهم فسروا الآية الكريمة بغير معناها الصحيح.

والصواب ما ذكرناه إن شاء الله تعالى.

واستدلالهم هذا بحظهم في الحياة الدنيا على حظهم يوم القيامة، وأن الله ما أعطاهم في الدنيا إلا لمكانتهم عنده، واستحقاقهم لذلك لسخافة عقولهم - ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه؛ كقوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥].

وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]،

وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦]، وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت:٥٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

فكل هذه الآيات دالة على أنهم لجهلهم يظنون أن الله لم يعطهم نصيبًا من الدنيا إلا لرضاه عنهم، ومكانتهم عنده، وأن الأمر في الآخرة سيكون كذلك.

وقال أيضًا: والآيات التي أبطل الله بها دعواهم هذه كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨]، وقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]؛ وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]؛ والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا، وقد قدمنا شيئًا من ذلك.

وقول الكفار الذي حكاه الله عنهم في هذه الآية الكريمة ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] الظاهر فيه أن وجه ذكرهم للمقام والندى: أن المقام هو محل السكنى الخاص لكل واحد منهم.

والندىٰ محل اجتماع بعضهم ببعض، فإذا كان كل منهما للكفار أحسن من نظيره عند المسلمين دل ذلك علىٰ أن نصيبهم في الدنيا أوفر من نصيب أصحاب النبي ﷺ في ذلك الوقت.

ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير إلى الأعداء تأويب

والمقامات: جمع مقامة بمعنىٰ المقام.

والأندية: جمع ناد بمعنىٰ الندىٰ وهو مجلس القوم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩] فالنادي والندىٰ يطلقان علىٰ المجلس، وعلىٰ القوم الجالسين فيه.

وكذلك المجلس يطلق علىٰ القوم الجالسين، ومن إطلاق الندىٰ علىٰ المكان قول الفرزدق:

وما قام منا قائم في ندينا ... فينطق إلا بالتي هي أعرف

* * *

س اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ۝﴾؟

ج المعنىٰ، ولقد أهلكنا قبل هؤلاء القرشيين المكذبين المعاندين أُممًا أكثر وأحسن بيوتًا ومتاعًا وأجمل شكلاً ومنظرًا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

المعنىٰ: أهلكنا قرونًا كثيرة، أي أُممًا كانت قبلهم وهم أكثر نصيبًا في الدنيا منهم، فما بلغهم ما كان عندهم من زينة الدنيا ومتاعها من إهلاك الله

إياهم لما عصوا وكذبوا رسله، فلو كان الحظ والنصيب في الدنيا يدل على رضا الله والمكانة عنده لما أهلك الذين من قبلكم، الذين هم أحسن أثاثًا ورئيًا منكم.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَمْ﴾ هي الخبرية، ومعناها الإخبار بعدد كثير، وهي في حمل نصب على المفعول به لأهلكنا، أي أهلكنا كثيراً.

و﴿من﴾ مبينة لـ ﴿كم﴾ وكل أهل عصر، قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم.

قيل: سموا قرنًا لاقترانهم في الوجود.

والأثاث: متاع البيت.

وقيل: هو الجديد من الفرش.

وغير الجديد منها يسمى «الخُرْثي» بضم الخاء وسكون الراء والثاء المثلثة بعدها ياء مشددة.

وأنشد لهذا التفصيل الحسن بن علي الطوسي قول الشاعر:

تقادم العهد من أم الوليد بنا ... دهرًا وصار أثاث البيت خرثيا

والإطلاق المشهور في العربية هو إطلاق الأثاث على متاع البيت مطلقًا.

قال الفراء: لا واحد له.

ويطلق الأثاث على المال أجمع: الإبل، والغنم، والعبيد، والمتاع. والواحد أثاثة. وتأثث فلان: إذا أصاب رياشًا، قاله الجوهري عن أبي زيد.

وقوله ﴿وَرِءْيًا﴾ على قراءة الجمهور مهموزًا، أي فأحسن منظرًا وهيئة، وهو فعل بمعنى مفعول من رأى البصرية.

والمراد به الذي تراه العين من هيئاتهم الحسنة ومتاعهم الحسن.

وقال أيضًا: والجملة في قوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾:

قال الزمخشري: هي في محل نصب صفة لقوله: ﴿كَمْ﴾ ألا ترىٰ أنك لو تركت لفظة ﴿هم﴾ لم يكن لك بد من نصب ﴿أحسن﴾ علىٰ الوصفية اهـ.

وتابع الزمخشري أبو البقاء علىٰ ذلك.

وتعقبه أبو حيان في البحر بأن بعض علماء النحو نصوا علىٰ أن «كم» سواء كانت استفهامية أ وخبرية لا توصف ولا يوصف بها.

قال: وعلىٰ هذا يكون ﴿هم أحسن﴾ في موضع الصفة لـ ﴿قرن﴾ وجمع نعت القرن اعتبارًا لمعنىٰ القرن، وهذا هو الصواب عندي لا ما ذكره الزمخشري وأبو البقاء.

وصيغة التفضيل في قوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ تلزمها «من» لتجردها من الإضافة والتعريف، إلا أنها محذوفة لدلالة المقام عليها. والتقدير: هم أحسن أثاثًا ورئيًا منهم، علىٰ حد قوله في الخلاصة:

وأفعل التفضيل صله أبدًا تقديرًا أو لفظًا بمن إن جردا

فإن قيل: أين مرجع الضمير في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ الآية؟ فالجواب ـ أنه راجع إلىٰ الكفار المذكورين في قوله: ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ..﴾ الآية، وقوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ قاله القرطبي. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين أنهم خيرٌ مقامًا وأحسن نديًّا، قل لهؤلاء الزاعمين أنهم على حقٍ وهم يعبدون الصنم والوثن قل لهم هلُمُّوا ندعو ربنا أن يزيد كلاًّ مما هو فيه فمن كان ضالاً زاده الله ضلالةً إلى ضلاله فكأن الآية الكريمة من آيات المباهلة والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم، القائلين، إذ تتلى عليهم آياتنا: أي الفريقين منا ومنكم خير مقامًا وأحسن نديًّا، من كان منا ومنكم في الضلالة جائراً عن طريق الحقِّ، سالكًا غير سبيل الهدى، فليمدد له الرحمن مدًّا.

يقول: فليطوِّل له الله في ضلالته، وليمله فيها إملاء.

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم، المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: منا ومنكم ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: فأمهله الرحمن فيما هو فيه، حتى يلقى ربه وينقضي أجله ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يصيبه ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ بغتة تأتيه ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن النَّدي.

قال مجاهد في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ فليدعه الله في طغيانه. وهكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير، رحمه الله.

وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدًى فيما هم فيه، كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الجمعة: ٦] أي: ادعوا على المبطل منا ومنكم بالموت، إن كنتم تدعون أنكم على الحق، فإنه لا يضركم الدعاء، فنكلوا عن ذلك.

وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة مبسوطًا، ولله الحمد. وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر، واستمروا على الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله، وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى، وأنه مخلوق كآدم، قال تعالى بعد ذلك: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦١] فنكلوا أيضًا عن ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ** ﴾ أي في الكفر ﴿ **فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا** ﴾ أي فليدعه في طغيان جهله وكفره؛ فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر؛ أي من كان في الضلالة مدّه الرحمن مدًّا حتى يطول اغتراره فيكون ذلك أشدّ لعقابه.

نظيره: ﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا** ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقوله: ﴿ **وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٠] ومثله كثير؛ أي فليعش ما شاء، وليوسع لنفسه في العمر؛ فمصيره إلى الموت والعقاب.

وهذا غاية في التهديد والوعيد.

وقيل: هذا دعاء أمر به النبي ﷺ؛ تقول: من سرق مالي فليقطع الله تعالىٰ يده؛ فهو دعاء علىٰ السارق. وهو جواب الشرط. وعلىٰ هذا فليس قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ خبراً.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

في معنىٰ هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، وكلاهما يشهد له قرآن:

الأول: أن الله جل وعلا أمر نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين.

وإيضاح معناه: قل يا نبي الله ـ ﷺ ـ لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم، وأن الدليل علىٰ ذلك أنهم خير منكم مقامًا وأحسن منكم نديًّا، من كان منا ومنكم في الضلالة أي الكفر والضلال عن طريق الحق فليمدد له الرحمن مدًّا، أي فأمهله الرحمن إمهالاً فيما هو فيه حتىٰ يستدرجه بالإمهال ويموت علىٰ ذلك ولا يرجع عنه، بل يستمر علىٰ ذلك حتىٰ يرىٰ ما يوعده الله، وهو: إما عذاب في الدنيا بأيدي المسلمين، كقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] أو بغير ذلك.

وإما عذاب الآخرة إن ماتوا وهم علىٰ ذلك الكفر.

وعلىٰ ذلك التفسير فصيغة الطلب المدلول عليها باللام في قوله ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ علىٰ بابها.

وعليه فهي لام الدعاء بالإمهال في الضلال علىٰ الضال من الفريقين، حتىٰ يرىٰ ما يوعده من الشر وهو علىٰ أقبح حال من الكفر والضلال.

واقتصر علىٰ هذا التفسير ابن كثير وابن جرير، وهو الظاهر من صيغة الطلب في قوله ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ ونظير هذا المعنىٰ في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] لأنه علىٰ ذلك التفسير يكون في كلتا الآيتين دعاء بالشر علىٰ الضال من الطائفتين.

وكذلك قوله تعالىٰ في اليهود: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في «البقرة والجمعة» عند من يقول: إن المراد بالتمني الدعاء بالموت علىٰ الكاذبين من الطائفتين، وهو اختيار ابن كثير، وظاهر الآية لا يساعد عليه.

الوجه الثاني: أن صيغة الطلب في قوله: ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ يراد بها الإخبار عن سنة الله في الضالين، وعليه فالمعنىٰ: أن الله أجرىٰ العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتىٰ يرىٰ ما يوعده وهو في غفلة وكفر وضلال.

وتشهد لهذا الوجه آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا..﴾ [آل عمران: ١٧٨] الآية، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً...﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية، كما قدمنا قريبًا بعض الآيات الدالة عليه.

ومما يؤيد هذا الوجه ما أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن حبيب بن أبي ثابت قال: في حرف أبي: «قل من كان في الضلالة فإنه يزيده الله ضلالة» اهـ. قاله صاحب الدر المنثور.

ومثل هذا من جنس التفسير لا من جنس القراءة؛ فإن قيل على هذا الوجه؛ ما النكتة في إطلاق صيغة الطلب في معنى الخبر؟

فالجواب: أن الزمخشري أجاب في «كشافه» عن ذلك، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾:

أي: مد له الرحمن يعني: أمهله وأملى له في العمر؛ فأخرج على لفظ الأمر إيذانًا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل لتنقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ اهـ.

محل الغرض منه. وأظهر الأقوال عندي في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ أنه متعلق بما قبله يليه، والمعنى: فليمدد له الرحمن مدًّا حتى إذا

رأىٰ ما يوعد علم أن الأمر علىٰ خلاف ما كان يظن.

وقال الزمخشري: إن «حتىٰ» في هذه الآية هي التي تحكي بعدها الجمل، واستدل علىٰ ذلك بمجيء الجملة الشرطية بعدها.

* * *

س: هل لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلق بما قبله؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وأظهر الأقوال عندي في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ أنه متعلق بما قبله يليه، والمعنىٰ: فليمدد له الرحمن مدًّا حتىٰ إذا رأىٰ ما يوعد علم أن الأمر علىٰ خلاف ما كان يظن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة، فليمدد له الرحمن في ضلالته إلىٰ أن يأتيهم أمر الله، إما عذاب عاجل، أو يلقوا ربهم عند

قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ ومسكنًا منكم ومنهم ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ أهم أم أنتم؟ ويتبينون حينئذٍ أي الفريقين خير مقامًا، وأحسن نديًّا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ قال ﴿رأوا﴾ لأن لفظ ﴿من﴾ يصلح للواحد والجمع.

و «إذا» مع الماضي بمعنىٰ المستقبل؛ أي حتىٰ يروا ما يوعدون.

والعذاب هنا إما أن يكون بنصر المؤمنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والأسر؛ وإما أن تقوم الساعة فيصيرون إلىٰ النار. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أي تنكشف حينئذ الحقائق. وهذا رد لقولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

* * *

س: هل يوصف المكان بأنه شرٌّ؟

ج: قال بعض العلماء: نعم يجوز ذلك، ويكون المراد بالمكان المنزلة.

وثمَّ قول آخر ألا وهو: أن المراد الشخص الذي ينزل المكان هو الموصوف بالشر.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقد دلت آية من كتاب الله علىٰ إطلاق ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾.

والمراد اتصاف الشخص بالشر لا المكان؛ وهو قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧] فتفضيل المكان في الشر ها هنا، الظاهر أن المراد به تفضيله إخوته في الشر علىٰ نفسه فيما نسبوا إليه من شر السرقة لا نفس المكان، اللهم إلا أن يراد بذلك المكان المعنوي: أي أنتم شر منزلة عند الله تعالىٰ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم أن الذين آمنوا وسلكوا طريق الهداية يزيدهم الله هدايةً إلىٰ ما هم فيه من الهداية وييسر لهم أمر طاعتهم وأمر استقامتهم، ويثبتهم علىٰ طريق الإيمان فلا يتزحزحون عنه وعلىٰ الهداية فلا يحيدون عنها، وقيل أيضًا يزيدهم نصراً وعزًّا وتمكينًا وينزل من الآيات ما يكون سببًا في زيادة اليقين مجازاةً لهم.

وفي الآية الكريمة: دلالة علىٰ زيادة الإيمان، كما هو واضح.

هذا، وقد قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾

دليل على رجحان القول الثاني في الآية المتقدمة.

وأن المعنى: أن من كان في الضلالة زاده الله ضلالة، ومن اهتدى زاده الله هدى. والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة، كقوله في الضلال ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ . . .﴾ [الأنعام: ١١] الآية، كما قدمنا كثيراً من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وقال في الهدى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . . .﴾ [العنكبوت: ٦٩] الآية.

وقد جمع بينهما في آيات أخر؛ كقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى . . .﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] كما تقدم إيضاحه.

س: اذكر بعض الأدلة على أن الذين يسلكون سبل الهداية يهديهم الله وييسر لهم سبلها والذين يسلكون سبيل الغواية يضلهم الله؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل: ٥-٧] أي: سنهيئه لعمل الخير. ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٨-١٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] إلى غير ذلك من الآيات.

* * *

الباقيات الصالحات

س: ما المراد بالباقيات الصالحات؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال ـ قدمنا ذكرها في «سورة الكهف» ـ ومنها أن المراد بالباقيات الصالحات قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ومنها الصلاة، ومنها أن الباقيات الصالحات عموم الأعمال الصالحة والأقوال الصالحة التي يبتغى بها وجه الله عزَّ وجل فهذه التي تبقى لأصحابها يوم القيامة والله أعلم.

* * *

س: من المعروف أن المفضل عليه يشترك مع المفضل في أصل المصدر فمثلاً إذا قلنا السيف أحدُّ من السكين فيفيد هذا أن كليهما مشترك في أصلٍ وهو القطع لكن السيفُ أشد قطعًا وكذلك قول القائل أنا أبرُّ أمي أكثر من بري بأبي يفيد أنه يبر أباه وأمه ولكن برُّه بأمه أشد.

فكيف ينسحب هذا على المذكور في قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

فهذا يفيد بظاهره أن غير الباقيات الصالحات لهم أجر وثواب، ولكنها دون الباقيات الصالحات.

وكذا قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؟

ج: الجواب على هذا أن هناك من صيغ أفعل التفضيل صيغًا تطلق وليس في الوجه المقابل شيءٌ كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤].

مع أن أهل النار ليس لهم من حسن المُستقر وحُسن المقيل شيءٌ.

وكقول الصحابيات لعمر (أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ).

هذا، وقد أورد الشنقيطي رحمه الله وجهًا آخر من وجوه الجواب فقال:

فإن قيل: ظاهر الآية أن لفظة «خير» في قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ صيغة تفضيل، والظاهر أن المفضل عليه هو جزاء الكافرين؛ ويدل لذلك ما قاله صاحب «الدر المنثور»، قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾. يعني: خيرٌ جزاءً من جزاء المشركين.

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ يعني: مرجعًا من مرجعهم إلى النار.

والمعروف في العربية أن صيغة التفضيل تقتضي مشاركة المفضل والمفضل عليه في أصل المصدر، مع أن المفضل يزيد فيه على المفضل عليه. والخيرية منفية بتاتًا عن جزاء المشركين وعن مردهم، فلم يشاركوا في ذلك المسلمين حتى يفضلوا عليهم.

فالجواب ـ أن الزمخشري في «كشافه» حاول الجواب عن هذا السؤال بما حاصله: أنه كأنه قيل ثوابهم النار، والجنة خير منها على طريقة قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامرًا ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

فقوله: «أعتبوا بالصيلم» يعني أرضوا بالسيف، أي: لا رضا لهم عندنا إلا السيف لقتلهم به. ونظيره قول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

أي: لا تحية بينهم إلا الضرب الوجيع. وقول الآخر:

شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلاً إذا راح المطي غراثا

يعني أن هذه الناقة لا جرة لها تخرجها من كرشها فتمضعها إلا السير.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
(٧٧) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
(٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا (٩٥)

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

كفر بآياتنا ـ لأوتين ـ أطلع الغيب ـ اتخذ عند الرحمن عهداً ـ كلاَّ ـ نمدُّ له من العذاب مدًّا ـ نرثه ما يقول ـ يأتينا فرداً ـ عزًّا ـ سيكفرون بعبادتهم ـ ضدًّا ـ ويكونون عليهم ضدًّا ـ تؤزهم أزًّا ـ نعدُّ لهم عدًّا ـ فلا تعجل عليهم ـ نحشر ـ وفداً ـ ورداً ـ إدًّا ـ لقد جئتم ـ يتفطرن ـ هدًّا ـ أن دعوا للرحمن ولداً ـ وما ينبغي ـ عبداً ـ عدهم عدًّا ـ ودًّا ـ لُدًّا ـ تحس ـ رِكزاً.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كفر بآياتنا﴾	كذَّب بحججنا فلم يصدِّق بها. كذَّب بالقرآن.
﴿لأُوتَيَنَّ﴾	لأعطين.
﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾	أنظر في اللوح المحفوظ الذي كُتبت فيه المقادير؟ أعلم عِلمَ الغيب؟ أعلم ماله في الآخرة حتى يحلف؟

الكلمة	معناها
﴿ اتَّخَذَ عند الرَّحْمنِ عَهْدًا ﴾	أأعطاه الله عهدًا أن يؤتيه المال والولد ؟ أعمل عملاً صالحًا فكان له بذلك العمل عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة ويؤتيه المال والولد؟
﴿ كَلاَّ ﴾	هي حرف ردعٍ لما قبلها، وتأكيد لما بعدها وكلا بمعنى حقًّا وأيضًا بمعنى لا، أي: ليس الأمر كما قدروا
﴿ وَنَمُدُّ لَهُ من الْعَذَابِ مدًّا ﴾	نزيده من العذاب زيادة، نعذبه عذابًا فوق عذاب، نوسع عليه من العذاب توسعةً.
﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾	نسلبه ماله وولده، ويصير ماله وولده إلينا.
﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾	يأتينا وحده يوم القيامة لا مال معه ولا ولد.
﴿ عِزًّا ﴾	مانعًا ـ مُقربًا ـ قويًّا ـ ناصرًا. (يتعززون بها كي تمنعهم من عذاب الله بزعمهم وكي يتقربوا بها إلى الله زلفى بزعمهم).
﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾	سيبرءون من عبادتهم.
﴿ ضِدًّا ﴾	عونًا ـ أعداءً ـ وقيل قرناء في النار معهم.
﴿ ويكون عليهم ضِدًّا ﴾	تكون الآلهة التي عبدوها من دون الله عونًا عليهم تخاصمهم وتكذبهم، أعوانًا، وأيضًا أوثانهم في النار معهم يحترقون بها، وقيل: ضدًّا أي: بلاءً وحسرة.
﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾	تغريهم إغراءً وتُغويهم إغواءً.

الكلمة	معناها
	تضلهم إضلالاً، تزعجهم إزعاجًا.
	تدفعهم إلىٰ المعاصي دفعًا.
﴿فلا تعجل عليهم﴾	لا تعجل بطلب عذابهم ـ لا تستعجل نزول العذاب عليهم.
﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾	نعد السنوات التي يعيشونها والتي بقيت من آجالهم، فلهم آجال لا يتجاوزونها.
	وقيل: نحسب أنفاسهم التي يتنفسونها فهي معدودة كأعمارهم.
	وقيل: نعد أعمالهم التي عملوها.
﴿نَحْشُرُ﴾	نجمع.
﴿وَفْدًا﴾	ركبانًا (قيل: علىٰ إبل لم يُر مثلها قط).
	والوفد [1] جمع وافد، كـ(صحب) جمع (صاحب) و(ركب) جمع (راكب).
﴿وِرْدًا﴾	عطاشًا.
﴿لقد جئتم﴾	لقد فعلتم ـ لقد قلتم.
﴿إِدًّا﴾	عظيمًا ـ منكرًا.
﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾	يتشققن.
﴿هَدًّا﴾	سقوطًا ـ هدمًا ـ انقضاضًا.
﴿أن دَعَوْا للرَّحْمنِ وَلَدًا﴾	لكونهم قالوا: إن الله له ابن.

الكلمـــة	معنـاهـــا
﴿وَمَا ينبغِي﴾	وما يصلح ولا يجوز، ولا يليق به وبعظمته (لأنه لا كفؤ له من خلقه فهو إله، والخلق عبيد).
﴿عَبْدًا﴾	خاضعًا ذليلاً مُقرًّا بالعبودية.
﴿وُدًّا﴾	محبةً في قلوب المؤمنين في الدنيا، يحببهم الله إلى قلوب العباد.
﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾	أحصاهم إحصاءً ـ عرف عددهم.
﴿لُدًّا﴾	ظَلَمة ـ شديدي الخصومة والجدل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ ـ فجاراً ـ عوجًا (غير مستقيمين).
﴿تُحِسُّ﴾	تشعر ـ ترى[1]
﴿رِكْزًا﴾	صوتًا ـ صوتًا خفيًّا.

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾.

ج: أخرج البخاري[١] في «صحيحه» من حديث خباب رضي الله عنه قال: كنت رجلاً قينًا[٢]، وكان لي على العاص بن وائل دين[٣]، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال قلتُ لن أكفرَ به حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوثٌ من بعد الموت؟ فسوف أقضيكَ إذا رجَعتُ إلى مالٍ وولد[٤] قال فنزلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

* * *

س: الكافر ينكر البعث، ويتوهم أيضًا أن لو كان بعث فالذي أكرمه في الدنيا وأعطاه من المال والولد ما أعطاه سيعطيه في الآخرة أيضًا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الكافر ها هنا: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ أي: يوم القيامة كما أوتيت

---

(١) البخاري (٤٧٣٥) وفي غير موطنٍ من «صحيحه».

(٢) قينًا: القين هو الحداد.

(٣) في رواية عند البخاري (٤٧٣٣): فعملت للعاص بن وائل سيفًا... وفي ثالثة (٤٧٣٤) كنت قينًا في الجاهلية...

(٤) في بعض الروايات: إن لي هناك مالاً وولدًا فأقضيك.

المال في الدنيا سيؤتيني الله يوم القيامة.

وقوله أيضًا في مواطن أُخر ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠].

وقول الكافر صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

هذا، ومن العلماء من أورد في الآية المذكورة ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ وجهًا آخر.

ألا وهو إن هذا الكافر قال مقالته سخريةً من الدين واستهزاءً به واستهزاءً بخباب رضي الله عنه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم: أن قائل هذه المقولة ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ لا يخلو قوله من احتمالات ثلاثة:

أولها: أنه اطلع على اللوح المحفوظ ونظر فيه فوجد أن الله سيؤتيه المال والولد.

الثاني: أن الله عهد إليه عهدًا أن يؤتيه المال والولد.

الثالث: أنه افترى على الله كذبًا فيما ادعاه.

فلما كان لم يطلع على اللوح المحفوظ ولم يعهد الله إليه عهدًا فما بقي إلا الثالث ألا وهو: أنه افترى على الله كذبًا فعليه فسنكتب كذبه على الله

وافتراءه عليه وسنعاقبه على ذلك بما يستحق.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أأعطى الله سبحانه وتعالى هذا المُدعي عهداً أنه سيؤتى مالاً وولداً، وأنه سيدخله الجنة ويرزقه هنالك بالمال والولد؟

وبمعنى آخر: أعمل هذا المُدعي أعمالاً صالحة وعد الله من عملها بدخول الجنة؟!

وبتنزيل آخر: أقال هذا الشخص لا إله إلا الله، فدخل بذلك ضمن من وُعدوا بدخول الجنة بقولهم لا إله إلا الله؟!

ثم هذا مزيد من أقوال العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ يقول عز ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالاً وولداً بإطلاعه على علم ما غاب عنه؟ ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهد أن يؤتيه ما يقول من المال والولد؟!

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وأظهر الأقوال عندي في معنى العهد في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أن المعنى: أم أعطاه الله عهداً أنه سيفعل له

ذلك، بدليل قوله تعالىٰ في نظيره في سورة «البقرة»: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾. وخير ما يفسره به القرآن القرآن. وقيل: العهد المذكور: العمل الصالح. وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على أن الأقوال والأعمال تُكتب؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الشرك اتخذوا آلهة أخرى سوى الله عزَّ وجل، ومع الله عزَّ وجل ليتعززوا بها وينتصروا بها ويتقووا بها، ويتقربوا إلى الله بها ويفتخروا بها، كما كان أبو سفيان يقول أثناء كفره يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم، وكان يقول أُعلُ هبل. إلى غير ذلك.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار المتقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ اتخذوا من دون الله آلهة أي معبودات من أصنام وغيرها يعبدونها من دون الله، وأنهم عبدوهم لأجل أن يكونوا لهم عزًّا أي أنصاراً وشفعاء ينقذونهم من عذاب الله؛ كما أوضح تعالى مرادهم بذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] فتقريبهم إياهم إلى الله زلفى في زعمهم هو عزهم الذي أملوه بهم؛ وكقوله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] الآية. فالشفاعة عند الله عز لهم بهم يزعمونه كذبًا وافتراء على الله؛ كما بينه بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

* * *

تبرؤ المعبودين من دون الله ممن عبدهم

س: المعبودون من دون الله يتبرءون ممن عبدهم يوم القيامة دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا﴾ [الفرقان: ١٧-١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم أن الآلهة التي عبدها المشركون من دون الله، تكون يوم القيامة بلاءً على من عبدها وتكون قرينة له تعاديه وتكذبه وتلعنه، بل ويعذب بها (إذا كانت مما يُعذَّب به كالحجارة ونحوها) وتقوده إلى النار، كما في الحديث: «**تتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...**» الحديث[1].

وهذا مزيد من أقوال العلماء في ذلك:

أخرج الطبري[2] بسندٍ حسن عن قتادة قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ قرناء في النار يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض وبسندٍ صحيح[3] عن ابن زيد في قوله ويكونون عليهم ضدًّا.

قال: يكونون عليهم بلاء. الضدّ: البلاء، والضدّ في كلام العرب: هو الخلاف، يقال: فلان يضادّ فلانًا في كذا، إذا كان يخالفه في صنيعه، فيفسد ما أصلحه، ويصلح ما أفسده، وإذ كان ذلك معناه، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم، وينتفون يومئذٍ صاروا لهم أضدادًا، فوصفوا بذلك.

* * *

(١) البخاري (٦٠٨) ومسلم (١ / ١٦٣ ـ ١٦٤) بنحوه.
(٢) الطبري (٢٣٩١٦).
(٣) أثر (٢٣٩١٩).

س: اذكر آيةً في معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مع إيضاح بعض معاني الآية الكريمة.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

أما عن معنى الآية الكريمة فقد قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي سلطناهم عليهم بالإغواء، وذلك حين قال لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقيل: «أرسلنا» أي خلينا؛ يقال: أرسلت البعير أي خليته، أي خلينا الشياطين وإياهم ولم نعصمهم من القبول منهم.

الزجاج: قَيَّضنا.

﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ قال ابن عباس: تزعجهم إزعاجًا من الطاعة إلى المعصية.

وعنه: تغريهم إغراء بالشر: امض امض في هذا الأمر، حتى توقعهم في النار.

حكى الأول الثعلبي، والثاني الماوردي، والمعنى واحد.

الضحاك: تغويهم إغواء.

مجاهد: تشليهم إشلاء، وأصله الحركة والغَلَيان، ومنه الخبر المرويّ عن النبي ﷺ (قام إلى الصلاة ولجوفه أزيز كأزيز المِرْجل من البكاء).

وائتزت القِدر اتئزازًا اشتد غليانها.

والأَزُّ التّهييج والإغراء، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي تغريهم على المعاصي. والأز الاختلاط. وقد أززت الشيء أؤزّه أزًّا أي ضممتُ بعضه إلى بعض. قاله الجوهري.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

قوله: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ الآية: أي سلطناهم عليهم وقيضناهم لهم؛ وهذا هو الصواب.

خلافًا لمن زعم أن معنى ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ الآية: أي خلينا بينهم وبينهم، ولم نعصمهم من شرهم؛ يقال: أرسلت البعير أي خليته.

وقوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: الأزُّ والهزُّ والاستفزاز بمعنى، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج، فقوله: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي: تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

وأقوال أهل العلم في الآية راجعة إلى ما ذكرنا: كقول ابن عباس ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أي تغويهم إغواء.

وكقول مجاهد ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أي تشليهم إشلاء.

وكقول قتادة ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي تزعجهم إزعاجًا.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة ـ من أنه سلط الشياطين على الكافرين، وقيضهم لهم يضلونهم عن الحق بينه في مواضع أخر من كتابه؛

كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧] الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية، وقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

* * *

س: هل كان رسولنا ﷺ يتعجل نزول العذاب عليهم؟ فإن كان ذلك كذلك فكيف يجمع بينه وبين تأني رسول الله ﷺ بالقوم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا كما في حديث الأخشبين المعروف؟

ج: جواب ذلك، وبالله التوفيق أن هناك أقوامًا دعا عليهم رسول الله ﷺ، وأحب تعجيل عقابهم فقد دعا رسول الله ﷺ علىٰ رعلٍ وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، وذلك لفسادهم وشدة طغيانهم وصدهم عن سبيل الله، وغدرهم.

وأقوام آخرون (وهم عموم أهل مكة). تأنىٰ رسول الله ﷺ بهم لعلَّ الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا.

فحاصل الأمر أن الأحوال تختلف، والأقوام كذلك يختلفون، ولهذا نظائر عدةٌ في كتاب الله عزَّ وجل.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لا تستعجل يا محمد، يا رسولنا ـ عذاب هؤلاء وهلاكهم فإن لهم أجلاً قدره الله وحفظه لن يتأخروا عنه ولن يتقدموا، وكلُّ ما مرَّ من أنفاسهم وما بقي من آجالهم فهو محسوب، ومقربهم من ذلك اليوم وكذا أعمالهم معدودة محفوظة.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يقول عزّ ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد إنما نعدّ لهم عدًّا، يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثمًا، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله، : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧] ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ

غليظٍ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

قال السدي: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: السنين والشهور والأيام والساعات.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال: نعد أنفاسهم في الدنيا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ السوق الحثّ على السير، و «وردًا» عِطاشًا؛ قاله ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما.

والحسن، والأخفش، والفراء، وابن الأعرابي: حفاة مشاة.

وقيل: أفواجًا. وقال الأزهري: أي مشاة عِطاشًا، كالإبل ترد الماء؛ فيقال: جاء ورد بني فلان.

القشيري: وقوله ﴿وِرْدًا﴾ يدل على العطش؛ لأن الماء إنما يورد في الغالب للعطش.

وفي «التفسير»: مشاة عِطاشًا تتقطع أعناقهم من العطش، وإذا كان سوق المجرمين إلى النار فحشر المتقين إلى الجنة.

وقيل: «وِردًا» أي الورود؛ كقولك: جئتك إكرامًا لك أي لإكرامك، أي نسوقهم لورود النار.

قلت: ولا تناقض بين هذه الأقوال، فيساقون عِطاشًا حفاة مشاة أفواجًا.

قال ابن عرفة: الورد القوم يردون الماء، فسمي العطاش وردًا لطلبهم ورود الماء؛ كما تقول: قوم صَوْم أي صيام، وقوم زَوْر أي زوّار، فهو اسم على لفظ المصدر، واحدهم وارد.

والورد أيضًا الجماعة التي ترد الماء من طير وإبل.

والورد الماء الذي يوردُ. وهذا من باب الإيماء بالشيء إلى الشيء.

الورد الجزء من القرآن يقال: قرأت وِرْدي. والوِرد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت. فظاهره لفظ مشترك. وقال الشاعر يصف قَلِيبًا.

يَطْمو إذا الوِرْدُ عليه التكّا

أي الورّاد الذين يريدون الماء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا، واتبعوا رسله، وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد: هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ

الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفدًا.

والوفد على التحقيق: جمع وافد كصاحب وصحب، وراكب وركب.

وقدمنا في سورة «النحل» أن التحقيق أن الفعل بفتح فسكون من صيغ جموع الكثرة للفاعل وصفًا، وبينا شواهد ذلك من العربية، وإن أغفله الصرفيون.

والوافد: من يأتي إلى الملك مثلاً في أمر له شأن. وجمهور المفسرين على أن معنى قوله: ﴿وَفْدًا﴾ أي ركبانًا.

وبعض العلماء يقول: هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة.

وبعضهم يقول: يحشرون ركبانًا على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لا يملك هؤلاء الكفار شفاعة، فلا يشفعون لأحدٍ ولا يشفع فيهم أحد، لكن من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وعمل صالحًا فله بإذن الله شفاعة، وفيه بإذن الله شفاعة.

فلهؤلاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات شفاعات يوم القيامة.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم ـ يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفداً ـ الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ﴾ منهم ﴿عِندَ الرَّحْمَنِ﴾ في الدنيا ﴿عَهْدًا﴾ بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان:

قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يكون في الآية وجهان أو أوجه من التفسير كلها حق، وكل واحد منها يشهد له قرآن فإنا نذكر الجميع وأدلته من كتاب الله تعالىٰ لأنه كله حق، فإذا علمت ذلك فاعلم ـ أن هذه الآية الكريمة من ذلك النوع.

قال بعض أهل العلم: الواو في قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾ راجعه إلىٰ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ المذكورين في قوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ أي لا يملك المجرمون الشفاعة، أي لا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب.

﴿لا يَمْلِكُونَ﴾ أي لا يملك من جميعهم أحد الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً وهم المؤمنون. والعهد: العمل الصالح.

والقول بأنه لا إله إلا الله وغيره من الأقوال يدخل في ذلك؛ أي إلا المؤمنون فإنهم يشفع بعضهم في بعض، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

وقد بين تعالىٰ في مواضع أخر: أن المعبودات التي يعبدونها من دون الله لا تملك الشفاعة، وأن من شهد بالحق يملكها بإذن الله له في ذلك، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦] الآية: أي لكن من شهد بالحق يشفع بإذن الله له في ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ [الروم: ١٢، ١٣] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] الآية.

والأحاديث في الشفاعة وأنواعها كثيرة معروفة. والعلم عند الله تعالىٰ.

وفي إعراب جملة «لا يملكون» وجهان:

الأول: أنها حالية؛ أي نسوق المجرمين إلىٰ جهنم في حال كونهم لا يملكون الشفاعة.

أو نحشر المتقين ونسوق المجرمين في حال كونهم لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ منهم عند الرحمن عهداً.

والثاني: أنها مستأنفة للإخبار، حكاه أبو حيان في البحر.

ومن أقوال العلماء في العهد المذكور في الآية: أنه المحافظة علىٰ الصلوات الخمس، واستدل من قال ذلك بحديث عبادة بن الصامت الذي قدمنا الكلام علىٰ قوله تعالىٰ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩].

وهذا الوجه من التفسير تشهد له آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ

الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] الآية؛ وقوله: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨] مع قوله: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وهذا الوجه يفهم منه بالأحرىٰ أن المجرمين لا يشفعون في غيرهم، لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولىٰ.

وعلىٰ كون الواو في ﴿لا يملكون﴾ راجعة إلىٰ ﴿المجرمين﴾ فالاستثناء منقطع و «من» في محل نصب.

والمعنىٰ: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكون الشفاعة، أي بتمليك الله إياهم وإذنه لهم فيها.

فيملكون الشافعون بما ذكرنا، ويستحقها به المشفوع لهم، قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦].

وقال بعض أهل العلم: الواو في قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ راجعة إلىٰ «المتقين والمجرمين» جميعًا المذكورين في قوله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ وعليه فالاستثناء في قوله ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: متصل. و ﴿من﴾ بدل من الواو في ﴿يملكون﴾.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿لا يملكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ من اتَّخَذَ عند الرَّحْمنِ عهْداً﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

* * *

س: من الذين قالوا اتخذ الله ولداً؟

ج: هؤلاء طوائف:

منهم اليهود، قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

والنصارى قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقبائل من العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

قال الله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الانبياء: ٢٦، ٢٧].

* *

الكفر سبب لخراب العالم

س: الكفر سبب عظيم من أسباب خراب العالم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦] وأعظمها الكفر.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ما من أحدٍ في السموات ولا في الأرض من إنس وجن وملك ودابة وشيءٍ يحشر، إلا وسيأتي يوم القيامة خاضعًا ذليلاً مقرًّا على نفسه بالعبودية لخالقه سبحانه وتعالى.

قال الطبري رحمه الله:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ يقول: ما جميع من في السموات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجنِّ ﴿إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدًا له، ذليلاً خاضعًا، مقرًّا له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه.

وقوله: ﴿آتِي الرَّحْمَنِ﴾ إنما هو فاعل من أتيته، فأنا آتيه.

* * *

س: هل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ تأويل آخر غير المذكور؟

ج: نعم، ذكر القاسمي في تفسيره وجهًا آخر فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، من غير تعرض للأسباب التي تكسب الود.

كذا قالوا في تأويله.

وقال أبو مسلم: معناه أنه يهب لهم ما يحبون.

قال: والود والمحبة سواء.

آتيت فلانًا محبته. وجعل لهم ما يحبون وجعلت له وده.

ومن كلامهم: وددت لو كان كذا. أي: أحببت.

فمعناه سيعطيهم الرحمن ودهم أي محبوبهم في الجنة.

ثم قال أبو مسلم: وهذا القول الثاني أولىٰ لوجوه:

أحدها: كيف يصح القول الأول مع علمنا بأن المسلم المتقي يبغضه الكفار، وقد يبغضه كثير من المسلمين؟

وثانيها: أن مثل هذه المحبة قد تحصل للكفار والفساق أكثر، فكيف يمكن جعله إنعامًا في حق المؤمنين؟

وثالثها: أن محبتهم في قلوبهم من فعلهم.

فكان حمل الآية علىٰ إعطاء المنافع الأخروية أولىٰ. انتهىٰ.

وقد حاول الرازي التمويه في اختيار الأول والجواب عن الثاني.

والحق أحق.

* * *

س: المحبةُ الموجودة في قلوب بعض العباد لبعض إنما هي من الله، دلِّل على ذلك.

ج: علىٰ ذلك جملة من الأدلة من الكتاب والسنة، وقد ذكرنا كمًّا كبيرًا منها في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾ [يوسف:٨].

ومن هذه الأدلة ما يلي:

١ ـ قوله تعالىٰ لنبيه موسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

٢ ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وقول النبي ﷺ في شأن خديجة عليها السلام «إني رزقت حبها»[١].

وحديث: «إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل.... ثم يوضع له القبول في الأرض»[٢].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، فإنما سهلنا هذا القرآن، ويسرناه باللسان العربي المبين الواضح الفصيح حتىٰ يفهموا عنك المراد، فتبشر أهل التقىٰ وأهل الإيمان والتصديق بفسيح الجنان ورضا الرحمن، وتحذر الفجار العتاة الظلمة المجادلين من عاقبة عتوهم وظلمهم وكفرهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره:

---

(١) مسلم (١٨٨٨).

(٢) البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٢٦٣٧).

فإنما يسَّرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه، لبتشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، بالجنة. ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومَك من قريش، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق، واللَّد: شدة الخصومة.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه إنما يسر هذا القرآن بلسان هذا النبي العربي الكريم، ليبشر به المتقين، وينذر به الخصوم الألداء وهم الكفرة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في مواضع أخر.

أما ما ذكر فيها من تيسير هذا القرآن العظيم فقد أوضحه في مواضع أخر، كقوله في سورة «القمر» مكررًا لذلك: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقوله آخر «الدخان»: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

وأما ما ذكر فيها من كونه بلسان هذا النبي العربي الكريم فقد ذكره في مواضع أخر، كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا

أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ـ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية ـ قد أوضحنا الآيات الدالة عليه في سورة «الكهف» وغيرها فأغنىٰ ذلك عن إعادته هنا.

وأظهر الأقوال في قوله: «لدا» أنه جمع الألد، وهو شديد الخصومة؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وقول الشاعر:

أبيت نجيًّا للهموم كأنني ... أخاصم أقوامًا ذوي جدل لدا

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ ذكره: وكثيراً أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش.

من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذ سلكوا في خلافي وركوب معاصيّ مسلكهم، هل تحسُّ منهم من أحد؟ يقول: فهل تحسُّ أنت منهم أحداً يا محمد، فتراه وتعاينه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ يقول: أو تسمع لهم صوتًا، بل بادوا وهلكوا، وخَلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلىٰ دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدَّموه، فكذلك قومك

هؤلاء، صائرون إلىٰ ما صار إليه أولئك، إن لم يُعاجِلوا التوبة قبل الهلاك.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ في هذه الآية الكريمة هي الخبرية، وهي في محل نصب لأنها مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾؛ و «من» هي المبينة «كم» كما تقدم إيضاحه.

وقوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل ترىٰ أحداً منهم، أو تشعر به، أو تجده ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي صوتًا.

وأصل الركز: الصوت الخفي؛ ومنه ركز الرمح: إذا غيب طرفه وأخفاه في الأرض.

ومنه الركاز: وهو دفن جاهلي مغيب بالدفن في الأرض.

ومن إطلاق الركز علىٰ الصوت قول لبيد في معلقته:

فتوجست ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها

وقول طرفة في معلقته:

وصادقتا سمع الترجس للسرى لركز خفي أو لصوت مندد

وقول ذي الرمة:

إذا توجس ركزًا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

والاستفهام في قوله ﴿هل﴾ يراد به النفي.

والمعنىٰ: أهلكنا كثيراً من الأمم الماضية فما ترىٰ منهم أحداً ولا تسمع لهم صوتًا.

وما ذكره في هذه الآية من عدم رؤية أشخاصهم، وعدم سماع أصواتهم -

ذكر بعضه في غير هذا الموضع؛ كقوله في عاد: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]، وقوله فيهم: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

* * *

وختـــامـًا

فقد تم بحمد الله تفسير هذه السورة المباركة الكريمة .

سورة مريم في (سؤال وجواب) أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن ينفعني بها والمسلمين ، كما أسأله سبحانه أن يغفر لنا خطايانا ، وأن يُقل عثراتنا ويغفر زلاتنا ، ثم ما كان في هذا التفسير من صواب فمن الله تبارك وتعالىٰ وحده فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن .

وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وأتوب إلىٰ الله وأستغفره من كل زلل وكل شطط .

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبدالله

مصطفى بن العدوي

فهرست أطراف الأحاديث

الحديث	الصفحة
ـ أ ـ	
إذا أحب الله عبداً نادىٰ جبريل : إن الله يحب فلانًا فأحبه	٢٩٣
إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها	١٩٤
إذا صلىٰ أحدكم إلىٰ شيء يستره	٩١
أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه	١٩٠
ارجع فصل فإنك لم تصل	١٨٩
استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي	١٥٧
اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك .	٩٠
اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!	٨٩
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم	١٠٩
أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون	٢٢٦
أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا	١٠٨
أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ	٤٩
أمك . قال : ثم من؟ قال : ثم أمك	١١٦
إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم	١٦٠
إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته	١٣٠
إن الله يعلم أن أحدكما كاذب	٩٠
إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة	١٩١
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها	١٠١
إن هذا أتاني وأنا نائم	٨٩
إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته	٩٠
إنكم محشورون إلىٰ الله عزّ وجلّ حفاة	٢٢٦
إني رزقت حبها	٢٩٣
آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب	١٧٧
أين المتألي علي الله لا يفعل المعروف	٩١

- ب -
بيت لا تمر فيه جياع أهله ١٠١
بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا إلىٰ غار ٨٨
- ت -
تتبع كل أمة ما كانت تعبد ٢٧٨
- ث -
ثم عرج بنا إلىٰ السماء الرابعة ١٨٥
- ح -
حدثني فصدقني ووعدني فوفَّىٰ لي ١٧٦
حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ٣٠
الحمَّىٰ من فيح جهنم فأبردوها بالماء ٢٣٠، ٢٣٤
- خ -
خمس صلوات في اليوم والليلة . ١٩٢
- د -
دين الله أحق أن يُقضىٰ ١٩١
- ذ -
ذكِّره بالله . ٨٩
- ص -
الصلاة علىٰ وقتها . ١١٧
- ف -
فأخاف أن تنكر قلوبهم ٣١
فألفىٰ ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس ١٧١
فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيراً . ٤٩
فذلك سعي الناس بينهما . ١٧٠
فقدت رسول الله ﷺ في الفراش . ٣٢
فيكون خيرهم يومئذ من يقول : لو واريتها . ١٨٧
- ك -
كان رجل يسرف علىٰ نفسه . ١٢٢

كان زكريا عليه السلام يعمل نجاراً ٢٨
كل أهل الجنة يرىٰ مقعده من النار فيقول ٢١١

- ل -

لا أحد أصبر علىٰ أذىٰ سمعه من الله ١٣٠
لا تقوم الساعة حتىٰ يتسافدوا الطريق ١٨٧
لا نورث ما تركنا فهو صدقة ٥٠، ٥٥
لا يبقىٰ بر ولا فاجر إلا دخلها. ٢٣٥
لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ٩٨
لا يجوع أهل بيت عندهم التمر ١٠١
لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ٢٢٧
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ١٩٧
لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم. ٢٣٩، ٢٢٧
لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة ٢٢٧
لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنة ٢٤١
لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم ٢٣٨
لولا حداثة عهد قومك بكفر لنقضت الكعبة ٣٠
لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار. ٢٢
ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور. ٢٠٨

- م -

ما بعث الله نبيًّا إلا يرعىٰ الغنم. ٢٩
ما من أحد يلقىٰ الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيىٰ بن زكريا ٧٤، ٨٦
ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد ٢٤١
ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسه ٧٤
ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا [illegible]
مره فليتكلم وليستظل وليقعد [illegible]
ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً [illegible]
من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس [illegible]
من تصبَّح بسبع تمرات عجوة [illegible]

من نام عن صلاة أو نسيها فصلاتها ١٩٧
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها ١٩٦
من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها ١٩٥
من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها ١٩٤
من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ١٩٥

- و -

وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ٩٨
والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره ٢٩
والله لله أقدر عليك منك عليه ٩٠
والله ما صليتها. ١٩٧
الورود: الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ٢٢٨
ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺ فسماه إبراهيم ٥٦
ولم يكن لهم يومئذ حب ١٧٢

- ي -

يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح. ١٣٨
يدخل الله أهل الجنة الجنة. ١٣٩
يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ١٧٠
يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة ٢٢٥
يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ١٥٩

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
كلمة مجملة عن سورة مريم	٧
الآيات من (١ ـ ١٥)	١٥
بعض الكلام على الحروف المقطعة	٢١
شيء من قصة زكريا عليه السلام، وكذا ولده يحيى عليه السلام	٢٨
سبب إخفاء الدعاء	٣٠
استحباب إخفاء الدعاء	٣٢
بعض فوائد النداء الخفي	٣٣
أنواع من التوسلات بين يدي الدعاء	٤٤
بعض آداب الدعاء المستنبطة من دعاء زكريا عليه السلام	٥٤
شيء من قصة مريم عليها السلام	٧٦
أدلة على مشروعية تذكير المعتدي بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ	٨٨
تكلم عيسى عليه السلام في المهد	١١٣
القول الحق في شأن عيسى عليه السلام	١٢٠
يوم الحسرة	١٣٨
ذكر طائفة من أنبياء الله عزَّ وجلَّ	١٤٢
ذكر إبراهيم عليه السلام	١٤٥
ذكر موسى عليه السلام وذكر أنبياء آخرين	١٦٢
شيء من الحديث عن إسماعيل عليه السلام	١٦٩
نبي الله إدريس عليه السلام	١٨٤
المراد بإضاعة الصلاة	١٨٨

بحث في تارك الصلاة عمداً هل يُلزم بإعادتها؟ ١٩٠
فتح أبواب التوبة للتائبين ١٩٩
بعض الحديث عن منكري البعث ٢١٤
بعض الاستدلالات على البعث ٢١٨
مبحث حول قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ٢٢٤
وهذه بعض الأحاديث التي قد يُستعان بها في تفسير الورود ٢٢٧
الباقيات الصالحات ٢٦٤
الآيات من (٧٧-٩٨) ٢٦٧
تبرُّؤ المعبودين من دون الله ممن عبدهم ٢٧٧
الكفر سبب لخراب العالم ٢٩٠
وختامًا ٢٩٨
فهرست الأحاديث ٢٩٩
فهرست الموضوعات ٣٠٣

تفسير سورة طه

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣
تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾

[طه: ١-٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿طه - لِتَشْقَىٰٓ - تَذْكِرَةً - يَخْشَىٰ - ٱسْتَوَىٰ - ٱلثَّرَىٰ - ٱلسِّرَّ - ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طه﴾	أحرف مقطعة بُدأت بها السورة لا يعلم معناها إلا الله- وقيل معنى: طه يا رجل، وقيل: طأ الأرض برجلك.
﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾	ليحصل لك الشقاء- لتتعب وتُجهد وترهق- ليُنكد عليكَ عيشك.
﴿تَذْكِرَةً﴾	تذكيرًا وتخويفًا.
﴿يَخْشَىٰ﴾	يخاف الله ويتقيه.
﴿ٱسْتَوَىٰ﴾	علا وارتفع.
﴿ٱلثَّرَىٰ﴾	التراب المبتل وقيل: المراد هنا الأرض عمومًا.
﴿ٱلسِّرَّ﴾	ما أسره الشخص في نفسه من الحديث ولم يظهره.
﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	أحسن الأسماء وأفضل الأسماء.

❁ ❁ ❁

معنى طه

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى طه.

ج: للعلماء في ذلك أقوال نقدم بعضًا منها أن طه معناها يا رجل، وهذا اختيار الطبري.

ومنها: أن معناها يا إنسان.

ومنها: أنها حروف مقطعة بُدئت بها بعض السور كـ (ص) و(ق) و(يس) و (كهيعص) و(آلمر) وغير ذلك ولا يعلم معناه إلا الله.

وقيل: إنها قسم أقسم الله به والظاهر، والله أعلم أن (طه) أحرف مقطعة بُدت بها السورة المباركة لا يعلم معناها إلا الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ما أنزلنا عليك القرآن ليكون سببًا في شقائك في الدنيا ولا في الآخرة وما أنزلناه عليك لنكلفك ما هو فوق طاقتك ولا ما ليس في وسعك وجهدك، ولا لتشدد على نفسك وأصحابك ولكن أنزلناه تذكرةً تذكيرًا لمن يخاف الله ﷻ ويخاف عذابه، يحذرهم الله من العذاب ومن كل ما يكون سببًا في العذاب فأنزلناه أمانًا وتحذيرًا وبيانًا فمن أراد السلامة فأسبابها في كتاب الله عز وجل ومن أراد معرفة مواطن الضرر كي يتقيها فها هي في كتاب الله ﷻ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل، وذُكِر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى

من النَّصب والعناء والسهر في قيام الليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ ﴾ لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله رحمة ونورا، ودليلا إلى الجنة.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ ﴾ وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال: ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾: إن الله أنزل كتابه، وبعث رسله رحمة، رحم بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ طه ١ ﴾ من جملة الحروف المقطعة، المفتتح بها كثير من السور، وليست اسما للنبي صلى الله عليه وسلم.

﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ ﴾ أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال:

﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من

الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنها مجملا فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ والتذكرة لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾.

ج: المعنى والله أعلم أنه الله عز وجل أخبر نبيه أنه ما أنزل عليه القرآن ليشقى، وإنما نزل تنزيلا من عنده سبحانه هو خالق الأرض والسموات العلى، هو مالك أمرهما يفعل فيهما ما يشاء ويقضي فيهما بما يريد، هو الرحمن على العرش استوى، استواءًا يليق بجلاله تبارك وتعالى له ملك السموات والأرض وما بينهما له الأمر فيهما يفعل فيهما ما يريد وله كذلك الملك والأمر والنهي فيما تحت الثرى وهو التراب المبتل والمعز له الملك في الارض كلها والسموات كلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق الأرض والسموات العلى ، والعُلَى: جمع عليا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿تَنزِيلٗا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزل الله تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله

(١٠) أحمر
أسود

هذا من كلامين، ولكن المعنى: هو تنزيل، ثم أسقط هو، واتصل بالكلام الذي قبله، فخرج منه، ولم يكن من لفظه.

قال أبو جعفر: والقولان جميعا عندي غير خطأ.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقد بيَّنا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلا فيكون معنى الكلام: نزله من خلق الأرض والسموات، نزله

(ٱلرَّحۡمَٰنُ) الذي على العرش استوى ، والآخر بقوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ لأن في قوله استوى، ذكرا من الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكا له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرّف جميعه. ويعني بالثرى: الندى.

يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض تثرى، ثرى منقوص، والثرى: مصدر.

وأورد الطبري عن قتادة قوله: والثرى كل شيء مُبتل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾ أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد تنزيل من رب كل شيء ومليكه، القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السموات العلى في ارتفاعها

(١١) أحمر
أسود

ولطافتها.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾: تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف، بما أغنى عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ أي: الجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره.

وقوله: ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ قال محمد بن كعب: أي ما تحت الأرض السابعة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾.

ج: المعنى والله أعلم وإن تظهر قولك وتتلفظ به فإن الله يعمله، وكذا يعلم ما أسررته ولم تعلنه ولم تتلفظ به، ويعلم ما هو أخفى من السِّر كذلكن ويعلم أيضًا ما أخفيته من العمل، وما سيكون في غدٍ، وما ستحدثك به نفسك أيضًا.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ لا معبود يُعبد بحق سواه، ولا خالق ولا رازق ولا رب سواه له أحسن شيئًا من ذلك سورتي الأعراف والحشر.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآيتين:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ يقول: فإنه

(١٢) أحمر
أسود

ل ا يخفى عليه ما استسررته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى.

ثم اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿وَأَخْفَى﴾ فقال بعضهم: معناه: وأخفى من السرّ، قال: والذي هو أحفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرّ ما لم تحدِّث به نفسك.

عن قتادة: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ كنا نحدّث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك.

وأما قوله تعالى ذكره: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوحَّد، وهو نعت للأسماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ أي: أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسموات العلى، الذي يعلم السر وأخفى، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ ﴾ [الفرقان: ٦].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ أي: الذي أنزل القرآن عليك هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى.

❁ ❁ ❁

(١٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ
إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ
ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ
ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا
يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾

[طه: ٩-١٦].

(١٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ - حَدِيثُ مُوسَىٰٓ - ٱمْكُثُوٓاْ - ءَانَسْتُ - بِقَبَسٍ - هُدًى - ٱلْمُقَدَّسِ - طُوًى - لِذِكْرِىٓ - ٱلسَّاعَةَ - أَكَادُ أُخْفِيهَا - تَسْعَىٰ - يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا - هَوَىٰهُ - فَتَرْدَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾	قد آتاك، هل بلغك
﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾	قصة موسى صلى الله عليه وسلم وخبره
﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾	انتظروا- اثبتوا في مكانكم
﴿ءَانَسْتُ﴾	أبصرت- رأيت – وجدت
﴿بِقَبَسٍ﴾	قطعة من النار – لتكون بطرف العصا أو تؤخذ بطرف السهم- شعلة
﴿هُدًى﴾	هاد يهديني – مرشد يُرشدني شرعٌ أهتدي به واسترشد
﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾	المبارك- المطهر
﴿طُوًى﴾	قيل إنه اسم للوادي، وقيل طوى يعني أن الواد طوى أي كانت جوانبه بالأحجار كما تطوى البئر تطوى حافتها بالحجارة حتى لا تنهار – وقيل بروك مرتين، وقيل نودي موسى عليه السلام مرتين
﴿لِذِكْرِىٓ﴾	لتذكرني فيها- عند ذِكرك لها
﴿ٱلسَّاعَةَ﴾	القيامة والبعث
﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾	أكاد أُخفي العلم بها حتى عن نفسي

(١٥) أحمر
أسود

﴿تَسْعَىٰ﴾	تعمل
﴿يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾	يشغلك عنها – يصرفك عنها يجعلك لا تكذب بها
﴿هَوَىٰهُ﴾	هوى نفسه
﴿فَتَرْدَىٰ﴾	فتهلك – رأيه

❁ ❁ ❁

(١٦) أحمر
أسود

شيء من قصة نبي الله موسى عليه السلام

س: ما فائدة الإخبار بقصة موسى عليه السلام؟

ج: ذلك والله أعلم لتصبير النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته وتسليته وإخباره أن الفرج آتٍ وأن النصر قريبٌ كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وكما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾.

ج: هذا استفهام للتنوير والإثبات ويستفاد منه التذكير والإخبار، والمعنى، والله أعلم.

أليس قد جاءك خبر موسى عليه السلام فيما قصصنا عليك، وقيل المعنى قد جاءك خبر موسى عليه السلام فها هو خبره، ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ وذلك كم قال جمهور المفسرين كان في ليلة شاتية باردة وهو راجع من بلاد مدين إلى مصر فأضل الطريق والبرد شديد فرأى نارًا ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ﴾ قال لزوجته وبنيه انتظروا مكانكم واثبتوا إلى ان أذهب إلى النار وأرجع فقد رأيت نارًا وأبصرتها لعيّ آتيكم منها بشعلةٍ تستدفئون بها أو أجد عند النار هاد يهديني ومرشدٌ يرشدني، أو أجد آية دلالة على الطريق الذي أضللناه وابتعدنا عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

(١٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركي قومه، ومعرفه ما إليه بصائر أمره وأمرهم، وأنه معليه عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجدّ في أمره، والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدّوه، ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا، ثم يافعا مترعرعا، ثم رجلا كاملا ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ ﴾ يا محمد﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾ ابن عمران﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضلّ الطريق؛ فلما رأى ضوء النار﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ﴾ ما قال.

وأورد بإسنادٍ حسن عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما قضى موسى الأجل، سار بأهله فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار، فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾.

قال الطبري:

وعني بقوله: ﴿ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وجدت، ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس، ويقال أيضا: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأنس.

وقوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة.

والقَبَس: هو النار في طَرَف العود أو القصبة ، يقول القائل لصاحبه: أقبسني نارا، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة ، وإنما أراد موسى بقوله لأهله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به.

وقوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾ دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه،

(١٨) أحمر
أسود

إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من هاهنا شَرَعَ، تبارك وتعالى، في ذكر قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه، وذلك بعد ما قضى موسى الأجَل الذي كان بينه وبين صهْره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل: قاصدًا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليُوريَ نارًا، كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئًا، ولا يخرج منه شرر ولا شيء. فبينا هو كذلك، إذ آنس من جانب الطور نارًا، أي: ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ أي: شهاب من نار. وفي الآية الأخرى: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٢٩] وهي الجمر: الذي معه لهب، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩] دلّ على وجود البرد، وقوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾ دلّ على وجود الظلام.

وقوله: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ أي: من يهديني الطريق، دلّ على أنه قد تاه عن الطريق، كما قال الثوري، عن أبي سعد الأعور، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ قال: من يهديني إلى الطريق. وكانوا شاتين وضلوا الطريق، فلما رأى النار قال: إن لم أجد أحدًا يهديني إلى الطريق آتكم بنار توقدون بها.

❁ ❁ ❁

(١٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم فلما وصل موسى صلى الله عليه وسلم إلى النار ودنا منها ناداه ربه عز وجل وتبارك وتعالى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ وقد اختلف العلماء في السبب الذي من أجله أُمر موسى صلى الله عليه وسلم بخلع نعليه فقال عددٌ من أهل العلم إنها كانت من جلد حمار ميت فأمر أن يخلعها من أجل ذلك، وقيل إنه عليه لاسلام أُمر بخلعهما حتى يمس الأرض بقدميه فينال من بركة هذه الأرض.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ أي المطهر المبارك، وقد قال بعض العلماء إن هذا هو التقليل لقوله ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي ذلك لكونك بالواد المقدس.

أما قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ فلأهل العلم فيه أقوال أحدها أنه قدس مرتين، فطوي أي كُرر تقديسه، أي بورك فيه مرتين وطُهِّر مرتين وقال بعض العلماء إن قوله: ﴿طُوًى﴾ أي أن الوادي مطويٌ كطي البئر (أي أن جوانبه مبطنة بالحجارة)، وقيل إن طوى اسم للوادي فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي من بين سائر الخلق في زمانك هذا، اخترتك لنبوتي ورسالتي ولتكليمي كما قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ إلى ما سيلقى عليك وأنصت وتَفَّهم ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ لما استوجب إليك من الكلام ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وهذا أحق الأصول أُمر موسى عليه السلام أن يعلمه وأن يُقربه ويعمل به ألا هو هو

(٢٠) أحمر
أسود

أن الله ﷻ واحد لا شريك له ولا معبود بحق سواه فاعبده وحده ولا تشرك به شيئًا.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ قال فريق من العلماء وأقم الصلاة لتذكرني فيها فالصلاة إنما شرعت لإقامة ذكر الله ﷻ.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المعنى وأقم الصلاة إذا ذكرتها وأوردوا في ذلك حديث أنس بن مالك ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها. لا كفارة لها إلا ذلك».

قال قتادة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

وفي رواية عند مسلم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها». فإن الله يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ فحاصل معناه إن يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه ولا شك في وقوعه وحدوثه، ولكن أُخفي وقت وقوعها عن الخلق، واشدد في إخفائها آكاد أخفيها حتى عن نفس كما قال تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ فحاصل معناه إنه الساعة آتية ليجازي الله ﷻ كل نفس بما عملت، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، أو أن الله يغفر له ويتجاوز عنه، إلا الشرك بالله فإنه لا يغفره.

فإذا علمت يا رسول الله أن الساعة آتية وأيقنت بذلك إذ الله ﷻ أخبرك به، فلا يشغلنك عنها شاغل ولا يصدنك عنها صارف، فإنك إن صُرفت عنها وعن العمل بها وانشغلت وكذبت بها واستكبرت ستهلك ولن ينصلح لك أمر، ولن يسلم لك حالٌ والله أعلم.

(٢١) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى، ناده ربه ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، فقال بعضهم: أمره بذلك، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فكره أن يطأ بهما الوادي المقدس، وأراد أن يمسه من بركة الوادي.

وأورد بسندٍ حسن:

عن كعب، أنه رآهم يخلعون نعالهم ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ فقال: كانت من جلد حمار ميت، فأراد الله أن يمسه القدس.

وبسندٍ صحيح (بطريقين):

عن قتادة قال: حدثنا، أن نعليه كانتا من جلد حمار، فخلعهما ثم أتاه.

وقال آخرون: كانتا من جلد بقر، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه، ليصل إليه بركتها.

ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ قال: يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ بعقبه دليلا واضحا، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا.

(٢٢) أحمر
أسود

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال: ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن نبيّ ﷺ، قال: «**يَوْمَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى، كانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وكساءُ صُوفٍ، و سَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَنَعْلانِ مِنْ جِلْدِ حِمارٍ غيرِ مُذَكّى**» صحيحا لم نعده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

قال الطبري: وأما قوله ﴿طُوًى﴾ فإنه يقول بالوادي المطهر المبارك

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿طُوًى﴾ فقال بعضهم: معناه: إنك بالوادي المقدس طويته، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه، كأنه قال: طويت الوادي المقدس طوى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مرّتين، وقال: ناداه ربه مرّتين؛ فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه، وذلك أن معناه عندهم: نودي يا موسى مرّتين نداءين ، وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى، أنه بمعنى مرّتين، قول عديّ بن زيد العبادي:

أعاذِل إنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَليَّ طَوَى مِنْ غَيِّكِ المُتَرَدِّدِ

وروى ذلك آخرون: «عليّ ثنى»: أي مرّة بعد أخرى، وقالوا: طوى وثنى بمعنى واحد.

وأورد بسندٍ حسن:

عن قتادة: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾ كنا نحدّث أنه واد قدّس مرّتين، وأن اسمه طُوًى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه قدّس طوى مرّتين.

وقال آخرون: بل طُوى: اسم الوادي.

وقال آخرون: بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه.

(٢٣) أحمر
أسود

واختار الطبري: أنه اسم للوادي.

ثم قال في تأويل:

قولـه تعـالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

وتأويل الكلام: نودي أنَّا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني ﴿وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني.

وقال آخرون بل حق ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها:

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد،

(٢٤) أحمر
أسود

وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم.

وقال آخرون: إنما هو ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ بفتح الألف من أخفيها بمعنى: أظهرها.

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير ومجاهد قالا: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ من نفسي.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا.

وقوله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كلّ نفس: يقول: لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية ، وقوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلا يردّنك يا موسى عن التأهُّب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه ﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ يقول: فتهلك إن أنت انصددت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها، وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهي كناية عن الإيمان كما قيل ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٥٣] يذهب إلى الفعلة، ولم يجر للإيمان ذكر في هذا الموضع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

(٢٥) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ أي: النار واقترب منها، ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠] وقال هاهنا ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ أي: الذي يكلمك ويخاطبك، ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ونقل عن غير واحد من السلف: كانتا من جلد حمار غير ذكيّ.

وأورد أقوالًا أخر أيضًا:

ثم قال:

وقوله: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾ كقوله ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي: على جميع الناس من الموجودين في زمانه.

وقد قيل: إن الله تعالى قال: يا موسى، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال: لا. قال: لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك.

وقوله: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿ فَٱعْبُدْنِي ﴾ أي: وحدّني وَقُم بعبادتي من غير شريك، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ قيل: معناه: صَلِّ لتذكرني. وقيل: معناه: وأقم الصلاة عند ذكرك لي.

ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا رَقَد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله تعالى قال:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾.

(٢٦) أحمر
أسود

وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك**».

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ أي: قائمة لا محالة، وكائنة لا بد منها.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ نحو التي تقدمت:

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ أي: أقيمها لا محالة، لأجزي كل عامل بعمله، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] و ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾ [الطور: ١٦].

وقوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ ﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين، أي: لا تتبعوا من كذب بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه، واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر ﴿فَتَرْدَىٰ ﴾ أي: تهلك وتعطب قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ [الليل: ١١].

قال السعدي في (تيسير الكريم الرحمن)

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ أي: لا بد من وقوعها ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان الساعة ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ ﴾ من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ﴾ [النجم: ٣١].

أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا بها، غير معتقد لوقوعها.

(٢٧) أحمر
أسود

يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها. وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة: ٦٩].

وقوله: ﴿ فَتَرْدَى ﴾ أي: تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد عنها، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ -إلى- مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾.

❁ ❁ ❁

أصل الأصول

س: أول الوحي الذي أوحاه الله إلى موسى تزكير بأصل عظيم وهو أصل الأصول، وضح ذلك.

ج: نعم هو أعظم أصل على الإطلاق، وهو التذكير بوحدانية الله ﷻ والأمر بعبادته وحده لا شريك له وبيان لكون العبادات شرعت لذلك ثم التذكير بأن من حاد عن هذا فيوم القيامة موعده فله هنالك ما يستحقه، وكذا فإن من أطاع له أفضل الجزاء، فهذا قوله ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ

(٢٨) أحمر
أسود

كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ جملة اعتراضية وضح ذلك:

ج: أيضًا من أن العزاء الساعة آتية لتجرى كل نفس بما تسعى، وقوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ ليس بمتعلق بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ فليس الأمر أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وإن كان له وجه، ولكن الأمم آتية لتجزى.....والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾

[طه: ١٧-٢٦].

(٣٠) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِيَمِينِكَ - أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا - وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي - مَـَٔارِبُ - حَيَّةٌ - تَسْعَىٰ - سَنُعِيدُهَا - سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ - جَنَاحِكَ - سُوٓءٍ - ءَايَةً أُخْرَىٰ - ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى - طَغَىٰ - ٱشْرَحْ - صَدْرِي - وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي - يَفْقَهُواْ - وَزِيرًا - ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي - وَأَشْرِكْهُ - نُسَبِّحَكَ - أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِيَمِينِكَ﴾	بيدك اليمنى
﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾	اعتمد عليها
﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾	اضرب الشجر كي يتساقط ورقه فتأكله غنمي
﴿مَـَٔارِبُ﴾	حاجات
﴿حَيَّةٌ﴾	ثعبان عظيم (وقيل أنثى)
﴿تَسْعَىٰ﴾	تجري وتشتد
﴿سَنُعِيدُهَا﴾	سنردها
﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾	حالتها الأولى
﴿جَنَاحِكَ﴾	إلى جانبك- تحت إبطك
﴿سُوٓءٍ﴾	برص- أذى
﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾	معجزة ثانية (بعد العصا)
﴿ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾	ومعجزاتنا العظمى
﴿طَغَىٰ﴾	تجاوز الحد (في الكفر العظيم)

(٣١) أحمر
أسود

﴿ٱشۡرَحۡ صَدۡرِي﴾	وسع لي صدري- ارفع عني الحرج في التبليغ
﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾	أذهب العقدة التي في لساني من أثر لدغة النار
﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾	يفهموا مرادي ويفهموا كلامي
﴿وَزِيرٗا﴾	معاونًا يحمل عني شيئًا من ثقل الرسالة له وتبعاتها فالوزر الثقل والوزير من يحمل الثقل والمراد يحمل عنه شيئًا من أعباء الرسالة والدعوة، والمراد هنا أن يكون نبيًّا.
﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾	قوِّي أمري- عززني به
﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾	اجعله نبيًا معي
﴿نُسَبِّحَكَ﴾	نصلي لك نعظمك – ننزهك عن كل ما لا يليق بك
﴿أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾	أعطيت ما سألته- أجبنا دعاءك

❁ ❁ ❁

(٣٢) أحمر
أسود

(العصا) من أعظم الآيات أيَّد الله ﷻ بها موسى عليه السلام

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله ﷻ سأل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم على سبيل الإيناس ولفت النظر، فقال له وما تلك بيمينك يا موسى، وربي أعلم بالذي في يمين موسى عليه السلام قال هي ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها في المشي، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أضرب بها ورق الشجر كي يتساقط فتأكله غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ حاجات ﴿أُخْرَىٰ﴾ غير الاتكاء غير الهش بها على الغنم، قال: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تحولت إل حية عظيمة تضطرب اضطراب شديدًا وتتحرك حركة سريعة فأمر الله ﷻ أن يأخذها فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أي خذها مرة ثانية ولا تخف منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ سنردها إلى حالتها التي كانت عليها قبل إلقاءها عصى مرةً ثانية.

قال الطبري رحمه الله:

ولعل قائلا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قُدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيَّة تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ

(٣٣) أحمر
أسود

غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى: قال موسى مجيبا لربه ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشا: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها.

وأورد عدة آثار في تفسير..... وأنه المراد اضرب بها الشجر كي يسقط تأكله غنمي.

وقال:

وقوله: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى، وهي جمع مأربة، وفيها للعرب لغات ثلاث: مأرُبة بضم الراء، ومأرَبة بفتحها، ومأرِبة بكسرها، وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه، وقيل أخرى وهن مآرب جمع، ولم يقل أخر، كما قيل: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ وقد بيَّنت العلة في توجيه ذلك هنالك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى، يقول الله ﷻ: فألقاها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله.

وأورد بإسناد حسن

عن السديّ، قال: قال له، يعني لموسى ربه ﴿ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴾ يعني ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [النمل: ١٠] فنودي ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

(٣٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، والهاء والألف من ذكر الحية ﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾ يقول: ولا تخف من هذه الحية يقول: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ يقول: فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت.

يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا برهان من الله تعالى لموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل.

فقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي: أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ استفهام تقرير.

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ أي: أعتمد عليها في حال المشي ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي: أهز بها الشجرة ليسقط ورقها، لترعاه غنمي.

قال عبد الرحمن بن القاسم: عن الإمام مالك: والهش: أن يضع الرجل المحْجَن في الغصن، ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثَمَره، ولا يكسر العود، فهذا الهش، ولا يخبط. وكذا قال ميمون بن مهران أيضًا.

وقوله: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك. وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله،

(٣٥) أحمر
أسود

وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة.

والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها ثعبانًا، فما كان يفر منها هاربًا، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم، عليه السلام. وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة. وروي عن ابن عباس أنه قال: كان اسمها ماشا. والله أعلم بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩﴾ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ٢٠﴾ أي: صارت في الحال حَيَّة عظيمة، ثعبانًا طويلا يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، ﴿تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي وتضطرب.

❁ ❁ ❁

(٣٦) أحمر
أسود

إجابة السائل بأكثر مما سأل

س: في قوله ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ إلى آخر الآية دليل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل وضح ذلك واذكر بعض الأدلة الأخرى في هذا ابا.

ج: إيضاحه أن موسى عليه السلام سأله ربُّه عز وجل، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ فجواب ذلك هي عصا لكنه قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أُخرى. فزاد زيادات على سئل.

ومن الأدلة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الوضوء بماء البحر فقال هو الطهو ماءه الحلُّ ميتته.

ومن الدليل أيضًا قول يوسف عليه السلام في تفسير الرؤيا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكون..... وقوله أيضًا: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون.

❁ ❁ ❁

(٣٧) أحمر
أسود

وفي (اليد) معجزة أخرى لنبي الله موسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم واضمم يدك فاجعل تحت عضدك أي في ما بين الجسم والعضد قريبًا من تحت الإبط، تخرج يدك بيضاء تتلألأ من غير مرض فتلك معجزةٌ أخرى، افعل ذلك ضع يدك على هذا الوصف لذلك من معجزاتنا الكبرى الدالة على صدقك، وأنك رسول من عند الله عز وجل.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك؛

والجناحان هما اليدان، كذلك رُوي الخبر عن أبي هُريرة وكعب الأحبار، وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان، وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز:

أَضُمُّهُ للصَّدْرِ والجَناحِ

وقوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردّها، فخرجت كما كانت على لونه.

وأورد الطبري عدة آثار تفيد أن قوله تعالى ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ معناه من غير برص.

وقال: وقوله: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه، ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من

(٣٨) أحمر
أسود

هذه أو هي ، وقوله: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدرتنا. وقال: الكبرى، فوحَّد، وقد قال: ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا) كَمَا قَالَ (لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨، الحشر: ٢٤] وقد بيَّنا ذلك هنالك. وكان بعض أهل البصرة يقول: إنما قيل الكبرى، لأنه أريد بها التقديم، كأن معناها عنده: لنريك الكبرى من آياتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا بُرهان ثان لموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه، كما صرح به في الآية الأخرى، وهاهنا عبر عن ذلك بقوله: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [القصص: ٣٢].

قال ابن كثير وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ من غير برصٍ ولا أذى.

❁ ❁ ❁

س: كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾. وقوله ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾.

ج: لا اختلاف ووجه الجمع أنه يدخل يده من فتحة الثوب ويضعها تحت الإبط.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

(٣٩) أحمر
أسود

﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله ﷻ كلَّف موسى ﷺ بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الله ﷻ ودعوته إلى التوحيد وكذا الدعوة إلى فك الحصار عن بني إسرائيل ودعوته لترك تعذيبهم، فقال الله ﷻ لموسى عليه السلام ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ تدعوه إلى التوحيد كف الأذى عن العباد ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر والظلم وتجاوز الحد فقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ وقال ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ وتجاوز الحد في تعذيب بني إسرائيل بذبح الأطفال وتسخير الرجال واستحياء النساء.

فعندها طلب موسى ﷺ من ربِّه ﷻ أن يوسع صدره لقبول ما كلفه به، وأن يوسع صدره لمناقشة فرعون ودعوته وأن يُذهب عنه الخوف والرهبة من لقاء هذا الجبار، فلقاء الجبابرة الظلمة شديد، ويلزم له أن يستعين الشخص بالله ﷻ، فقال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ كل أموري وأمر دعوته وأمر دعوتي لفرعون وملاقاته له ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ وأذهب هذه اللثة التي في لساني من أثر الجمرة ا لتي لُدغت بها في صغري أذهبها حتى يفقهوا قولي، ويفهموا عني مرادي، واجعل لي مُعينا من أهلي، وهو هارون أخي قوِّني به واجعله عونا لي، واجعله نبيا مثلي كي نتعاون معًا على الصلاة لك وعلى تسبيحك وتعظيمك وتنزيهك عن كل ما لا يليق بك وكذا كي نذكرك كثيرًا إنك كنت بنا عالمًا وعلينا مطلعًا وشاهدًا، وبنوايانا عالمًا فقال الله ﷻ قد ﴿أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قد أُعطيت ما سألت يا موسى، قد أجبتك إلى مرادك يا موسى.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٤٠) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه: ﴿ٱذْهَبْ﴾ يا موسى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾. يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرّد على ربه؛ وقد بيَّنا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته، في هذا الموضع.

وفي الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ يقول: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة.

وقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ يقول: وأطلق لساني بالمنطق، وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله.

وقوله: ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ يقول: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ يقول: واجعل لي عونا من أهل بيتي ﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾.

وفي نصب هارون وجهان: أحدهما: أن يكون هارون منصوبا على الترجمة عن الوزير.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون. وإنما يعني بقوله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ قوْ ظهري، وأعني به ، يقال

(٤١) أحمر
أسود

منه: قد أزر فلان فلانا: إذا أعانه وشدّ ظهره.

وقوله: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا، وأرسله معي إلى فرعون

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ فنحمدك ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحلّ عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيرا لك، وشدّ أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: اذهب إلى فرعون ملك مصر، الذي خَرَجت فارًا منه وهاربًا، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فَلْيُحْسِن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبَغَى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى.

وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ هذا سؤال من موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لربه عز وجل، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفرًا، وأكثرهم جنودًا، وأعمرهم ملكًا، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره.

هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليدًا عندهم، في حجر فرعون، على فراشه، ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها.

(٤٢) أحمر
أسود

ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيرًا يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ أي: إن لم تكن أنت عوني ونصيري، وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك.

وقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾: وهذا أيضًا سؤال من موسى في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له.

وقوله: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ قال مجاهد: ظهري.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾

أي: في مشاورتي.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا، حتى يذكر الله قائما وقاعدًا ومضطجعًا.

وقوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ أي: في اصطفائك لنا، وإعطائك إيانا النبوة، وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك.

❁ ❁ ❁

(٤٣) أحمر
أسود

مزيدُ بيان للعقدة التي كانت بلسان موسى عليه السلام

س: ما المراد بالعقدة التي في لسان موسى عليه السلام أو دعا ربه عز وجل قائلا ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾.

ج: **قال جمهور المفسرين:** كان في لسانه لدغة من أثر جمرة وضعها على لسانه وهو صغير فكانت سببًا في سلامته ونجاته من بطش فرعون وبقي أثر هذه اللدغة في لسانه فكان يعوقه عن كثير من الكلام وقد قال فرعون ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ وقيل إنها عقدة الحياء لكونه تربى في بيت فرعون والأول عليه أكثر العلماء، وسيأتي في حديث أثر ابن عباس قريبا إن شاء الله في حديث الفتون.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن السدي قال: لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾، فزالت عن موسى من أجل ذلك.

❁ ❁ ❁

(٤٤) أحمر
أسود

س: هل زالت العقدة التي في لسان موسى عليه السلام إذ قال ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ وإن كانت قد زالت فكيف قال فرعون ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾.

ج: نعم قد زالت العقدة التي في لسان موسى عليه السلام وذلك لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وموسى عليه السلام قد سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه.

ولكن أشار بعض العلماء إلى أنه القدر الذي زال عن موسى عليه السلام هو القدر الذي تيسر مع إزالته لموسى أن يبلغ قوته، فإن موسى عليه السلام ما سأل ربَّه إزالة العقدة بالكلية -كذا قالوا- وإنما سأل أن يُحلَّ العقدة بالقدر الذي يفقهوا به قوله ولو سأل ربَّه إزالتها بالكلية لأُزيلت.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ، حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه، كما سيأتي بيانه، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة. ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون أنه قال: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢] أي: يفصح بالكلام.

وقال الحسن البصري: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ قال: حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك أعطى.

قال السعدي رحمه الله:

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم فمن علينا بما سألناك وأجب لنا فيما

(٤٥) أحمر
أسود

دعوناك.

فقال الله: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي أعطيت جميع ما طلبت فسنشرح صدرك ونيسر أمرك ونحل عقدة من لسانك يفقهوا قولك ونشد عضدك بأخيك هارون ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٥].

وهذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على كمال معرفته بالله وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام على ما يصيبه من الأذى ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام من ألزم ما يكون لكثرة المراجعات والمراوضات ولحاجته لتحسين الحق وتزيينه بما يقدر عليه ليحببه إلى النفوس وإلى تقبيح الباطل وتهجينه لينفر عنه ويحتاج مع ذلك أيضا أن يتيسر له أمره فيأتي البيوت من أبوابها ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن يعامل الناس كلا بحسب حاله وتمام ذلك أن يكون لمن هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه لأن الأصوات إذا كثرت لا بد أن تؤثر فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق رأيتهم بهذه الحال بحسب أحوالهم خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال وله من شرح الصدر وتيسير الأمر وفصاحة اللسان وحسن التعبير والبيان والأعوان على الحق من الصحابة فمن بعدهم ما ليس لغيره.

(٤٦) أحمر
أسود

تفسير سورة طه

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ
عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ
مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ
٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢
ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا
رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ
أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾

[طه: ٣٧-٤٦].

(٤٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ - ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ - ٱلْيَمِّ - وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي - وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ - يَكْفُلُهُۥ - نَقَرَّ عَيْنُهَا - وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا - فَلَبِثْتَ - عَلَىٰ قَدَرٍ - وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي - وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي - طَغَىٰ - لَيِّنًا - يَتَذَكَّرُ - يَخْشَىٰ - يَفْرُطَ عَلَيْنَآ - يَطْغَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾	أنعمنا عليك – تفضلنا عليك ألهمناها
﴿ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾	ضعيه في التابوت، وهو الصندوق
﴿ٱلْيَمِّ﴾	النيل، وقيل إنه البحر،والأول أشهر
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾	قذفت محبتك في قلوب عبادي
﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾	لتُغذى وتُرى بمرأى مني
﴿يَكْفُلُهُۥ﴾	يطعمه ويسقيه ويرضعه ويأويه
﴿نَقَرَّ عَيْنُهَا﴾	تستقر عينها ولا تتشتت، تهدأ وتستقر
﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾	اختبرناك اختبارًا– أخلصناك إخلاصًا– نقيناك تنقيةً
﴿فَلَبِثْتَ﴾	فمكثت
﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾	على موعدٍ، على وقت وقَّتَه الله وحدَّده
﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	أخذتك لرسالتي
﴿وَلَا تَنِيَا﴾	لا تضعفا ولا تتباطأ عن ذكري
﴿طَغَىٰ﴾	تجاوز الحد في الطغيان والكفر العظيم
﴿لَّيِّنًا﴾	رفيقًا– فيه خفضه للجناح

(٤٨) أحمر
أسود

٤٨ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿يَتَذَكَّرُ﴾	يتقظ
﴿يَخْشَىٰ﴾	يخاف عقوبة كفره
﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾	يعالجنا بالعقوبة بلا تثبت ولا تريث
﴿يَطْغَىٰ﴾	يتجاوز الحد في ظلمنا وظلم أهالينا وأقوامنا

(٤٩) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد تفضلنا عليك يا موسى مرة أخرى فضلًا عن التي تفضلنا بها عليك من تكليمك وإرسالك وتأييدك بالعصا وباليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، تفضلنا عليك بان أوحينا إلى أمك، وألهمناها وأنت في بطنها الذي ألهمناها، كما قد ورد مفصلًا في سورة القصص إذ الله قال ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهنا قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾، وهو صندوق وضع فيه موسى عليه السلام ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ أي اقذفي التابوت وفيه موسى عليه السلام في النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي فليلقه الماء، وماء النيل إلى الساحل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ﴾ وهو فرعون عدو الله وعدو لبني إسرائيل ومنهم موسى عليه السلام، ومننت عليك يا موسى بان ألقيت محبتك في قلب من رآك من هؤلاء، فألقيت محبتك في قلب امرأة فرعون فاحبته حبًا عظيمًا وهو طفل في المهد كان هذا سببًا في سلامته ونجاته.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ فقد قال عددٌ من العلماء ولتُربى وتُغذى بمرأى من في بيت عدو الله فرعون واذكر شأنه أختك معك إذ تمشي تتبعك كما قالت لها أمها ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

(٥٠) أحمر
أسود

وهنا قالت: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ أرشدكم من يكفله، يأويه ويضمه ويُرضعه، فرجعناك إلى أمك لما حرمنا عليك المراضع كلها إلا ترى أمك رجعناك إليها كي تقرَّ عينها ولا تحزن كي تستقر عينها إذا رأت ولدها أمامها ولا تحزن على فراقه ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ وهو القبطي الذي قتلته، وقد ذكر شأنه في سورة النساء منجيناك من الفم الذي أصابك من جراء قتله والخوف الذي أصابك من توقع بطش القوم بلا ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ اختبرناك اختبارًا بعد اختبار وابتليناك ابتلاءً بعد ابتلاء وأخلصناك إخلاصًا بعد إخلاص

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرّة أخرى، وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها؛ ثم فسَّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفيه في التابوت، فأن في موضع نصب ردًّا على «ما» التي في قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ، وترجمة عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت ﴿ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ يعني باليم: النيل ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ يقول: فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [العنكبوت: ١٢] يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمَشرّعة آل فرعون.

(٥١) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك أنه حببه إلى عباده.

وقال آخرون، بل معنى ذلك: أي: حسنت خلقك

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جلّ ثناؤه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذّته وربَّته، و إلى فرعون، حتى كفّ عنه عاديته وشرّه ، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حببه إلى كل من رآه. ومعنى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ حببتك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقيت عليك رحمتي: أي محبتي.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بضم التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قَتادَة، وهو ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني ، وعني بقوله: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ بمرأى مني ومحبة وإرادة.

وقوله: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره:

(٥٢) أحمر
أسود

حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ استغناء بدلالة الكلام عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن السديّ، قال: لما ألقته أمه في اليم ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون.

وقوله: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ يقول تعالى ذكره: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك.

وقوله: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ يعني جلّ ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله: ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ النفس التي قتل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارًا.

وقال آخرون: معنى ذلك أخلصناك إخلاصًا.

(٥٣) أحمر
أسود

هذه إجابة من الله لرسوله موسى، عليه السلام، فيما سأل من ربه عز وجل، وتذكير له بنعمه السالفة عليه، فيما كان ألهم أمه حين كانت ترضعه، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان. فاتخذت له تابوتا، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه، وترسله في البحر - وهو النيل-وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربطه فانفلت منها وذهب به البحر، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص: ١٠] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] أي قدرًا مقدورًا من الله، حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل، حذرًا من وجود موسى، فحكم الله -وله السلطان العظيم، والقدرة التامة-ألا يربى إلا على فراش فرعون، ويغذى بطعامه وشرابه، مع محبته وزوجته له؛ ولهذا قال: ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ أي: عند عدوك، جعلته يحبك. قال سلمة بن كُهَيْل: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ قال: حببتك إلى عبادي.

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله.

وقال قتادة: تغذى على عيني.

وقال معمر بن المثنى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ بحيث أرى.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.

وقوله: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون، عرضوا عليه المراضع، فأباها، قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ فجات أخته وقالت ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص: ١٢]. تعني هل أدلكم

(٥٤) أحمر
أسود

على من ترضعه لكم بالأجرة؟ فذهبت به وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أغنم وأجزل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير، كمثل أم موسى، ترضع ولدها وتأخذ أجرها**» .

وقال تعالى هاهنا: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي: عليك، ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي، ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربًا، حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥].

وأورد حديث الفتون الطويل، وسيرد إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

(٥٥) أحمر
أسود

حديث الفتون الطويل

س: اذكر حديث الفتون الطويل وبيِّن مدى صحته؟

ج: قال الحافظ أبو يعلى في مسنده:

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصبغ بن زيد الجهني ، حدثنا القاسم بن أبي أيوب ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ سألته عن الفتون ما هو؟ قال: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا ، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه ، وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا: ليس كذلك ، إن الله عز وجل وعد إبراهيم ، قال فرعون: فكيف ترونه؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، فيقل نباتهم ، ودعوا عاما فلا يقتل منهم أحد ، فينشأ الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك ، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، فلما كان من قابل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن - وذلك من الفتون يا ابن جبير - ما دخل منه في قلب أمه مما يراد به ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾)

(٥٦) أحمر
أسود

[القصص: ٧] وأمرهم إذا ولدت أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم ، فلما ولدت فعلت ذلك به ، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها: ما صنعت بابن ، لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى زفرات البحر وحيتانه ، فانتهى الماء به حتى انتهى به فرضة مستقى جواري امرأة فرعون ، فلما رأينه أخذنه ، فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهن: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه بهيئته لم يحركن منها شيئا حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقي عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحد من البشر قط ، فأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت لهم: اتركوه ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم ، فأتت به فرعون ، فقالت: قرة عين لي ولك ، قال فرعون: يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي في ذلك .

قال رسول ﷺ: « **والذي أحلف به ، لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هدى امرأته ، ولكن حرمه ذلك** ».

فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك.

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل ، فأصبحت أم موسى والهة ، فقالت لأخته: قصيه قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا؟ أحي ابني أم قد أكلته الدواب ، ونسيت ما كان الله وعدها فيه ، فبصرت به

(٥٧) أحمر
أسود

أخته ، عن جنب وهم لا يشعرون - والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤار: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فأخذوها فقالوا: ما يدريك ما نصحهم له؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت: نصيحتهم له وشفقتهم عليه رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته ، فأرسلوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا.

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا ، فأرسلت إليها ، فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها ، قالت لها: امكثي عندي ترضعين ابني هذا ، فإني لم أحب حبه شيئا قط ، فقالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فنضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا ، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده ، فرجعت إلى بيتها بابنها ، فأصبح أهل القرية مجتمعين يمتنعون من السخرة والظلم ما كان فيهم.

قال: فلما ترعرع ، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريد أن تريني ابني ، فوعدتها يوما تريها إياه ، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظئورتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه ، وأنا باعثة أمينا يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن أدخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ، وبجلت أمه بحسن أثرها عليه ، ثم قالت: لآتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه ، فلما دخلت به عليه جعلته في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال الغواة أعداء الله لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد الله

(٥٨) أحمر
أسود

إبراهيم نبيه أنه يربك ويعلوك ويصرعك؟ فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير - بعد كل بلاء ابتلي ، وأربك به فتونا.

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني ، قالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف الحق فيه ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك ، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه ، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به ، كان الله عز وجل بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع.

فبينما موسى في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس أنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص: ١٥] ثم قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] وأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار ، فأتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا حقنا ولا ترخص لهم ، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ، فإن الملك وإن كان صفوه مع قوم لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت ، فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم.

(٥٩) أحمر
أسود

فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا إذا موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه ، فكره الذي رأى لغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي - لما فعل أمس واليوم - ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾[القصص: ١٨] فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس ، فخاف أن يكون إياه أراد وما أراد الفرعوني ، ولم يكن أراده إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني ، وقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾[القصص: ١٩] وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، وتنازعا وتطاوعا ، وانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾[القصص: ١٩] فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى ، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون لموسى وهم لا يخافون أن يفوتهم إذ جاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى يسبقهم إلى موسى فأخبره الخبر ، وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص: ٢٢-٢٣] يعني بذلك حابستين غنمهما ، فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضهم ، فسقى لهما ، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فراغا ، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما ، وانصرف موسى فاستظل

(٦٠) أحمر
أسود

بشجرة، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤] فاستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا ، فقال: إن لكما اليوم لشأنا ، فأخبرتاه بما صنع موسى ، فأمر إحداهما تدعوه له ، فأتت موسى فدعته ، فلما كلمه قال: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[القصص: ٢٥] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته.

قال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦] فاحتملته الغيرة على أن قال: وما يدريك ما قوته وما أمانته؟ قالت: أما قوته ، فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا ، لم أر رجلا أقوى في ذلك السقي منه ، وأما أمانته ، فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوب رأسه ولم يرفعه ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك ، ثم قال: امشي خلفي ، وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين ، فسري عن أبيها فصدقها وظن به الذي قالت ، فقال له: هل لك ﴿ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص: ٢٧] ففعل فكانت على نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين واجبة ، وكانت سنتان عدته منه ، فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا.

قال سعيد: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم ، فقال: هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا ، وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال: أما علمت أن ثمانيا كان على موسى واجبة ولم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله قاض عن موسى عدته التي وعد ، فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك ، فقال: الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قال: قلت أجل ، وأولى.

(٦١) أحمر
أسود

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى ربه تبارك وتعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقد لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه ، فأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون ، فانطلقا جميعا إلى فرعون ، فأقاما على بابه حينا لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن ، قال: فما تريد ، وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت ، وقال: إني أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه ذلك ، وقال: ائت بآية إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم ، عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء - يعني من غير برص - ثم ردها فعادت إلى لونها الأول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأى ، فقالوا له: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٦٣] يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش - فأبوا أن يعطوه شيئا مما طلب ، وقالوا له: اجمع لنا السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرهم سحرهما ، فأرسل في المدينة ، فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات ، قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل السحر بالحيات والعصي الذي نعمل ، فما أجرنا إن نحن غلبنا؟ فقال لهم: إنكم أقاربي وخاصتي ، فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم ، فتواعدوا يوم الزينة ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

(٦٢) أحمر
أسود

قال سعيد: حدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، وهو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيد، قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٤٠] يعنون موسى وهارون - استهزاء بهما، فقالوا: يا موسى - لقدرتهم بسحرهم - ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [طه: ٦٥] قال: بل ألقوا ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤] فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١٧٧] فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيما فاغرة فاها، فجعلت العصي بدعوة موسى تلبس بالحبال حتى صارت جرزا إلى الثعبان تدخل فيه، حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا هذا، ولكنه أمر من أمر الله تبارك وتعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا عليه، وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وأظهر الحق ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩] وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى.

فلما طال مكث موسى لمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاءه بآية وعده عندها أن يرسل بني إسرائيل، فإذا مضت أخلف مواعيده، وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا، فأرسل الله عليه وعلى قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه، ويوافقه أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه أخلف

(٦٣) أحمر
أسود

موعده ونكث عهده ، حتى أمر بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا ، أرسل في المدائن حاشرين ، يتبعهم بجنود عظيمة كثيرة ، فأوحى الله إلى البحر أن إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرق اثني عشر فرقا حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم التق على من بقي بعده من فرعون وأشياعه ، فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا فانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا.

فلما تراءى الجمعان وتقاربا ، قال قوم موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١] افعل ما أمرك ربك ، فإنك لن تكذب ولن تكذب ، فقال: وعدني إذا أتيت البحر أن يفرق لي اثني عشر فرقا حتى أجاوزه ، ثم ذكر بعد ذلك العصا ، فضرب البحر بعصاه فانفرق له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربه ، وكما وعد موسى ، فلما أن جاوز موسى وأصحابه كلهم ، ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم كما أمر الله.

فلما أن جاور موسى البحر قالوا: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فلا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه ، فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه.

ثم مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩] قد رأيتم من العبر ، وسمعتم ما يكفيكم ، ومضى فأنزلهم موسى منزلا ، ثم قال لهم: أطيعوا هارون ، فإني قد استخلفته عليكم وإني ذاهب إلى ربي ، وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم.

فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين وقد صامهن ليلتين ونهارهن ، كره أن يكلم ربه ويخرج من فمه ريح فم الصائم ، فتناول موسى شيئا من نبات الأرض فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه أفطرت؟ وهو أعلم بالذي كان ، قال:

(٦٤) أحمر
أسود

رب كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح ، قال: أوما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ، ارجع حتى تصوم عشرا ثم ائتني ففعل موسى ما أمر به.

فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم للأجل ، قال: ساءهم ذلك ، وكان هارون قد خطبهم ، فقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عوار وودائع ولكم فيها مثل ذلك ، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم ، ولا أحل لكم وديعة ولا عارية ، ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرا وأمر كل قوم عندهم شيء من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري رجلا من قوم يعبدون البقر جيران لهم ، ولم يكن من بني إسرائيل ، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضي له أن رأى أثرا ، فأخذ منه قبضة ، فمر بهارون ، فقال له هارون: يا سامري ، ألا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك ، قال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ، فلا ألقيها بشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيها أن يكون ما أريد فألقاه ، فدعا له هارون ، وقال أريد أن أكون عجلا ، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: ولا والله ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك ، فتفرق بنو إسرائيل فرقا ، فقالت فرقة: يا سامري ، ما هذا؟ فأنت أعلم به ، قال: هذا ربكم ، ولكن موسى أضل الطريق.

وقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن

ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا ، فإنا نتبع قول موسى.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم التصديق بما قال السامري في العجل ، وأعلنوا التكذيب به.

فقال لهم هارون: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ ليس هكذا.

قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا ، هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه.

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده ، ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه: ٨٦] فقال لهم ما سمعتم في القرآن ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وألقى الألواح ، ثم إنه عذر أخاه واستغفر له ، وانصرف إلى السامري ، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧ ﴾ [طه: ٩٦-٩٧] ولو كان إلها لم تخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، وقالوا جماعتهم لموسى: سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر ما عملنا ، فاختار قومه سبعين رجلا لذلك لإتيان الجبل ممن لم يشرك في العجل ، فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله من قومه ووفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفيهم من كان الله اطلع على ما أشرب من حب العجل إيمانا به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

(٦٦) أحمر
أسود

وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[الأعراف: ١٥٦-١٥٧] فقال: رب سألتك التوبة لقومي فقلت: إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومي ، فليتك أخرتني حتى تخرجني حيا في أمة ذلك الرجل المرحومة ، فقال الله عز وجل له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن ، ويأتي أولئك الذين خفي على موسى وهارون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم واعترفوا بها ، وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول ، ثم سار بهم موسى متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة ، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها.

فقالوا: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ ﴾[المائدة: ٢٢] لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ﴿ فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢، ٢٣] الجبارين آمنا بموسى ، فخرجا إليه ، فقالا: نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم ، فادخلوا عليهم الباب ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

ويقول ناس: إنهما من قوم موسى ، وزعم عن سعيد بن جبير أنهما من الجبابرة آمنا بموسى ، يقول: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ إنما عنى بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ

(٦٧) أحمر
أسود

فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ [المائدة: ٢٤] فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم، حتى كان يومئذ، فاستجاب الله له فسماهم كما سماهم موسى فاسقين، وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ، وجعل بين ظهورهم حجرا مربعا، وأمر موسى فضربه بعصاه ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [البقرة: ٦٠] في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس.

رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي، أن معاوية، سمع ابن عباس، حدث هذا الحديث فأنكره عليه أن يكون الفرعوني هذا الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل، قال: فكيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك وشهده، فغضب ابن عباس، وأخذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالك الزهري فقال: يا أبا إسحاق، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتله من آل فرعون الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني؟ فقال: إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره.

وأخرجه ابن جرير الطبري (١٦/ ١٢٥)، عزاه ابن كثير إلى النسائي في «السنن الكبرى» في «التفسير» وإلى ابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن كثير: وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات (١) عن كعب الأحبار أو غيره،

(١) قلت: والجزم بأنه أخذه من الإسرائيليات فيه نظر، ففي قوله في آخر الحديث: «رفع ابن عباس هذا

(٦٨) أحمر
أسود

والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا»

❁ ❁ ❁

س: المحبة.....في قلوب العباد إنما هي من الله وضح ذلك.

ج: نعم تلك المحبة التي في قلوب بعض العباد لبعض إنما هي من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

ولمزيد مع تفسير الآية المذكورة.

بداية تكليف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فخرجت من بلدك يا موسى متجها إلى معين فمكث سنين في بلاد مدين وتزوجت منهم ثم جئت يا موسى إلى هذا المكان في الوقت الذي قدَّرت لك فيه أن يُوحي إليك وأن كلمك، واخترتك يا موسى، وقد دبرت لكن أمولك وهيئتها لك، اخترتك رسولًا من بين الناس في زمامك فاذهب أنت وأخوك هارون الذي جلعتُه نبيًا معك لما سألت ذلك اذهب أنت وهو ولا تضعفا عن ذكري ولا تتكاسلا عن ذكرى بل أكثرا من ذكري. اذهبا إلى فرعون إنه تجاوز الحد في الكفر والظلم تجاوز الحد في الكفر إذ قال أنا ربكم الأعلى، وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وكذا تجاوز

الحديث إلى النبي □» ما يدفع هذا التردد، والله أعلم.

(٦٩) أحمر
أسود

الحد في الظلم إذ كان يذبح الأبناء ويستحي النساء ويستعبد الرجال اذهبا إليه فقولا له قولا لينا كلماه بالكلام الطيب اللين أول ما تكلماه لعله يتقظ فينتفع بالموعظة أو يخشى عقاب ربه ﷻ فحينئذٍ قال موسى وهارون عليهما السلام ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي يعاجلنا بالعقوبة ولا يستمع إلى كلامنا ومحبتنا أو أنه يزاداد ظلمًا إلى ظلمه ويبطش بنا وبأهالينا فعندها قال تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ لا يخفى على شيء من الأخر فإني أسمعكم وأراكم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتونا، فخرجت خائفا إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولمقداره.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ يقول: بأدلتي وحججي، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالاتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما منِّي عليكما نِعَما جمَّة، ومننا لا تحصى كثرة ، يقال منه: ونى فلان في هذا الأمر، وعن هذا الأمر: إذا ضعف، وهو يَنِي ونيا كما قال العجاج:

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غفر ... لَهُ الإلهُ ما مَضَى وَما غَبَرْ

وأورد آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ لا تضعفا في ذكري

(٧٠) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾.

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولا ليِّنا ، ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له، هو أن يكنياه.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ اختلف في معنى قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولا لينا، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه.

وقال آخرون: معنى لعلّ هاهنا كي. ووجَّهوا معنى الكلام إلى ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرغ من عملك لعلنا نتغدَّى، بمعنى: لنتغدى، أو حتى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح.

وقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز:

قَدْ فَرَط العِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجِلْ

وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي ، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى.

وأما التفريط: فإنه التواني ، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا

توانى فيه.

يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون ﴿لَا تَخَافَآ﴾ فرعون ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أعينكما عليه، وأبصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبًا لموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إنه لبث مقيمًا في أهل "مدين" فارًا من فرعون وملئه، يرعى على صهره، حتى انتهت المدة وانقضى الأجل، ثم جاء موافقًا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد، والأمر كله لله تبارك وتعالى، وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال مجاهد: أي على موعد.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال: على قدر الرسالة والنبوّة.

وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ أي: اصطفيتك واجتبيتك رَسُولا لنفسي، أي: كما أريد وأشاء.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري من حديث عن أبي هريرة، عن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**التقى آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم: وأنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم. قال: فوجدتَه قد كتب عَليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم. فحَجّ آدم موسى**» أخرجاه .

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾ أي: بحُجَجي وبراهيني ومعجزاتي، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تُبْطئا.

(٧٢) أحمر
أسود

وقال مجاهد، عن ابن عباس: لا تَضْعُفا.

والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكرُ الله عونًا لهما عليه، وقوّة لهما وسلطانًا كاسرًا له، كما جاء في الحديث: «**إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مُنَاجِز قِرْنه**».

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: تمرّد وعتا وتَجَهْرم على الله وعصاه، ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾: يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن مُنَبه: قولا له: إني إلى العفو والمغفرة أقربُ مني إلى الغضب والعقوبة.

وعن عكرمة في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ قال: لا إله إلا الله، وقال عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ أعْذرا إليه، قولا له: إن لك ربًا ولك معادًا، وإن بين يديك جنة ونارا.

وقال بقيَّة، عن علي بن هارون، عن رجل، عن الضحاك بن مُزَاحم، عن النزال بن سَبْرَة، عن علي في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ قال: كَنِّه.

وكذا روي عن سفيان الثوري: كَنّه بأبي مُرَّة.

والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الآية [النحل: ١٢٥].

قوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال

(٧٣) أحمر
أسود

والهلكة، ﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ أي: يُوجد طاعة من خشية ربه، كما قال تعالى: ﴿ لمن أراد أن يذكر أو يخشى ﴾ فالتذكر: الرجوع عن المحذور، والخشية: تحصيل الطاعة.

وقال الحسن البصري: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول: لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون: أهْلكْه قبل أن أعذر إليه.

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا:

يقول تعالى إخبارًا عن موسى وهارون، عليهما السلام، أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكيَيْن إليه: ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ يعنيان أن يَبْدُر إليهما بعقوبة، أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك.

قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿ أَن يَفْرُطَ ﴾ يعجل.

وقال مجاهد: يبسط علينا.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾: يعتدي.

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي.

❁ ❁ ❁

(٧٤) أحمر
أسود

(٧٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدٗا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

[طه: ٤٧-٥٥].

(٧٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ فَأْتِيَاهُ - ٱلْهُدَىٰٓ - كَذَّبَ - وَتَوَلَّىٰ - خَلَقَهُۥ - هَدَىٰ - فَمَا بَالُ - ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ - لَّا يَضِلُّ رَبِّى - مَهْدًا - سُبُلًا - أَزْوَٰجًا - شَتَّىٰ - لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ - تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾	فاذهبا إليه
﴿ٱلْهُدَىٰٓ ﴾	البيان الذي.....من عند الله، ومنه التوراة- والهداية وغير ذلك
﴿كَذَّبَ ﴾	كذب الأنبياء والرسل والكتب التي جاءوا بها من عند الله
﴿وَتَوَلَّىٰ ﴾	أعرض عن الطاعة
﴿مَهْدًا ﴾	ممهدة- مهيئة للمسير عليها والسعي عليها
﴿وَسَلَكَ ﴾	شقَّ- جعل
﴿سُبُلًا ﴾	طرقًا
﴿أَزْوَٰجًا ﴾	أصنافًا
﴿شَتَّىٰ ﴾	متعددة
﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾	لأصحاب العقول النيرة الرشيدة
﴿تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾	مرة أخرى

❁ ❁ ❁

(٧٧) أحمر
أسود

س: وضع معنى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم قول الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى ﷺ أمره ﷻ أن يذهب مع أخيه هارون عليهما السلام إلى فرعون فيقولا له إنا رسولان من عند الله ﷻ الذي هو ربك فأرسل معنا قبيلتنا من بني إسرائيل حتى نخرج بهم من ديارك، ولا تسومهم سوء العذاب بتسخيرك لهم وإذلالهم وامتهانهم وقد جئناك بما يدل على صدقنا وأننا من عند الله ﷻ والأمان والسلامة على من سلك طريق الهداية واتبع البيان الذي جبناه من عند الله ﷻ وقد أوحي الله ﷻ إلينا أيضًا فما أوحاه أن العذاب على من كذب والأنبياء، وكذب بالكتب المنزلة من عند الله وتولى عن الطاعة والامتثال لها.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكَ ﴾ على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه ، يقال: السلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع بمعنى واحد.

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ يقول: وأدبر مُعرضا عما جئناه به

(٧٨) أحمر
أسود

من الحقّ.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ في الكلام حذف، والمعنى: فأتياه فقالا له ذلك. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي خل عنهم. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي بالسخرة والتعب في العمل، وكانت بنو إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد؛ يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن مالا يطيقونه. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد العصا واليد. وقيل: إن فرعون قال له: وما هي؟ فأدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا إلا يوم الزينة. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ قال الزجاج: أي من اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه. قال: وليس بتحية، والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب.الفراء: السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ ﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة. ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أنبياء الله ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿٤٨﴾﴾ أعرض عن الإيمان. وقال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: بدلالة ومعجزة من ربك، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ أي: والسلام عليك إن اتبعت الهدى.

ولهذا لما كتب رسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابًا، كان أوله: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم] سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، [فإني أدعوك بدعاية الإسلام] فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك**

(٧٩) أحمر
أسود

مرتين».

وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ كتابًا صُورَتُه: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك. أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر مَعَكَ، فلك المدر ولي الوبر، ولكن قريش قوم يعتدون». فكتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

ولهذا قال موسى وهارون، عليهما السلام، لفرعون: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي: قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متحمض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ -٣٩] وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤ -١٦] وقال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]. أي: كذب بقلبه وتولى بفعله.

❁ ❁ ❁

(٨٠) أحمر
أسود

مجادلة فرعون لموسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أن موسى وهارون عليهما السلام امتثلا أمر الله عز وجل بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الله عز وجل وأن يخرج بني إسرائيل من بلاده ويترك تعذيبهم، امتثلًا وذهبا إلى فرعون بما كُلفا به، فقال لهما فرعون فمن ربكما الذي تعبدانه يا موسى؟ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وللعلماء في تأويل ذلك أقوال:

أحدها: أنه سبحانه أعطى كل مخلوق صورته التي خلقه عليها وجعل من كل مخلوق من أُنثى من جنسه، فالبشر منهم ذكور وإناث، وكل مخلوق منه ذكور وإناث كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ فالجمل معه ناقة، والبقرة معها ثور، والكبش من جنسه نعجة، والجدي من جنسه معزٌ، وكذا الكلاب والقطط وسائر المخلوقات ثم إنه سبحانه هدى الذكور إلى مآتي النساء ودلهن على الجماع وما يكون به التكاثر والتناسل وثمَّ قول آخر أنه جلا وعلا خلق الخلائق وكتب عليهم الآجال وقدر لهم المقادير ثم هدى الخلائق إلى فعل ما كتبه عليهم، وساقهم إلى المكتوب عليهم كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة الليل وهناك قولًا ثالث أنه عز وجل أعطى كل شيء خلقه ثم صورته التي خلقه عليها ثم يسر له من أسباب المعيشة ما يتناسب معه وهنالك أقوالًا أخر في هذا الصدد.

فعند ذلك ولما أجاب موسى عليه السلام بهذا الجواب قال فرعون يريد أن يُثير

(٨١) أحمر
أسود

الناس على موسى عليه السلام فإن موسى إذا ذكر آياتهم بسورٍ ثاروا عليه فسأله فرعون سؤالًا قائلًا فما بال القرون الأولى؟ فما شأنه من مضى مبلغًا من الأم؟ فأجاب موسى عليه السلام بقوله علمها إلى أين صارت وما الذي عملت في دنياها، وكل ما يتعلق بها مثبت عنه ربي عز وجل في كتاب، فكلٌّ قد كتبت أقواله وأعماله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي أن ربي عز وجل لا يخطئ ولا ينسى، ومع أنه سبحانه وتعالى لا يضل ولا ينسى إلا أن أعمالهم أيضًا مكتوبة في كتاب يحاجون به اليوم القيامة، وكذا في الآية الكريمة إشارة إلى كتابة ما يحتاج إلى كتابة من عقود وعهده ومدانيات وتحوذ ذلك ففي الآية تعليم للعباد ورشادٌ لهم كذلك.

وقال الطبري رحمه الله: في تفسير الآيات المذكورة:

وقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ في هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو قوله: ﴿فأتياه﴾ فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، وذلك نظير قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٩١] وكان الذي يحمل الحوت واحد، وهو فتى موسى، يدل على ذلك قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣].

وقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيبا: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا، وكالذكور من البهائم، أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا

(٨٢) أحمر
أسود

البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب، وغير ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كلّ شيء صورته، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كل شيء ما يصلحهن ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جلّ ثناؤه أخبر أنه أعطى كلّ شيء خلقه، ولا يعطي المعطي نفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المعطي المُعطَى والعطية، ولا تكون العطيه هي المعْطَى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت الصورة كلّ خلق بعض أجزائه، كان معلوما أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنسانا، فكأن قائله قال: أعطى كلّ خلق نفسه، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية، وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك، فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه لما بيَّنا، ثم ترك ذكر مثل، وقيل ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ كما يقال: عبد الله مثل الأسد، ثم يحذف مثل، فيقول: عبد الله الأسد.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

(٨٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه ﷻ بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والأفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه، وأنها في نِعمه تتقلَّب، وفي منَنه تتصرف، فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أمّ الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحقّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي ﴿وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب.

وأورد ابن كثير نحوًا مما ذُكر وقال بعض المفسرين: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٣] أي: قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، أي: كَتَب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك، لا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه. يقول: ربنا الذي خلق الخلق وقدر القَدَر، وجَبَل الخليقة على ما أراد.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

(٨٤) أحمر
أسود

أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك.

وقال القرطبي أن أورد بعض الأقوال:

وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورة؛ ويجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا. وقال الشاعر:

ولـــه في كـــل شـــيء خلقـــه وكـــذاك الله مـــا شـــاء فعـــل

يعني بالخلقة الصورة؛ وهو قول عطية ومقتل. وقال الضحاك أعطى كل شيء خلقه من المنفعة النوطة به المطابقة له. يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع. وقيل: أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة. وقال الفراء: خلق الرجل للمرأة ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث ثم هدى الذكر للأنثى. فالتقدير على هذا أعطى كل شيء مثل خلقه.

قلت: وهذا معنى قول ابن عباس. الآية بعمومها تتناول جميع الأقوال.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿قَالَفَمَابَالُ﴾ البال الحال؛ أي وما حالها وما شأنها، فأعلمه أن علمها عند الله تعالى، أي إن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ.

(٨٥) أحمر
أسود

وقيل: المعنى فما بال القرون الأولى لم يقروا بذلك. أي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك. وقيل: إنما سأل عن أعمال القرون الأولى فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب. أي هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها. وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ. وقيل: هو كتاب مع بعض الملائكة.

وقال القرطبي أيضًا:

هذه الآية ونظائرها مما تقدم ويأتي تدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى. فإن الحفظ قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان. وقد لا يحفظ الإنسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب عنه.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ اختلف في معناه على أقوال خمسة:

الأول: إنه ابتداء كلام، تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾. وكذا قال الزجاج، وأن معنى ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يهلك من قوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. ﴿وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ شيئا؛ نزهه عن الهلاك والنسيان.

القول الثاني: «لا يضل» لا يخطئ؛ قاله ابن عباس؛ أي لا يخطئ في التدبير، فمن أنظره فلحكمة أنظره، ومن عاجله فلحكمة عاجله.

القول الثالث: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يغيب. قال ابن الأعرابي: أصل الضلال الغيبوبة؛ يقال: ضل الناسي إذا غاب عنه حفظ الشيء. قال: ومعنى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ أي لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء.

القول الرابع: قاله الزجاج أيضا وقال النحاس أشبهها بالمعنى - أخبر الله

(٨٦) أحمر
أسود

عز وجل أنه لا يحتاج إلى كتاب؛ والمعنى لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علمه منها.

قلت: وهذا القول راجع إلى معنى قول ابن الأعرابي.

وقول خامس: إن ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ في موضع الصفة لـ "كتاب" أي الكتاب غير ضال عن الله عز وجل؛ أي غير ذاهب عنه.

﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي غير ناس له فهما نعتان لـ ﴿كِتَٰبٍ﴾. وعلى هذا يكون الكلام متصلا، ولا يوقف على ﴿كِتَٰبٍ﴾.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ فيه للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضاً، وكلها حق، ولا مانع من شمول الآية لجميعها. منها أن معنى ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أنه أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً. وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً. فلم يعط الإنسان خلاف خلقه فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هدى الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء، كيف يأتيه، وهدى الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك.

وهذا القول مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من طريق علي بن أبي طلحة، وعن السدي وسعيد بن جبير، وعن ابن عباس أيضاً: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أي هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ أي: أعطى كل شيء صلاحه ثم هداه إلى ما يصلحه، وهذا مروي عن الحسن وقتادة.

(٨٧) أحمر
أسود

وقال بعض أهل العلم: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾: أي أعطى كل شيء صورته المناسبة له. فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة، ولا البهيمة في صورة الإنسان، ولكنه خلق كل شيء على الشكل المناسب له فقدره تقديراً، كما قال الشاعر:

ولـه في كل شيء خلقة وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة: الصورة، وهذا القول مروي عن مجاهد ومقاتل وعطية وسعيد بن جبير ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ كل صنف إلى رزقه وإلى زوجه.

وقال بعض أهل العلم: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع. وكذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها، كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه. وهذا القول روي عن الضحاك. وعلى جميع هذه الأقوال المذكورة فقوله تعالى ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ هو المفعول الأول لـ«أَعْطَى»، و«خلقه» هو المفعول الثاني.

وقال بعض أهل العلم: إن « خلقه » هو المفعول الأول، و«كل شيء» هو المفعول الثاني. وعلى هذا القول فالمعنى: أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى طريق استعماله. ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب كسا ومنه « أَعْطضى » في الآية لا مانع من تأخيره وتقديم المفعول الأخير إن أمن اللبس، ولم يحصل ما يوجب الجري على الأصل كما هو معلوم في علم النحو. وأشار له في الخلاصة بقوله:

ويلزم الأصل لموجب عسرا وترك ذاك الأصل حتما قد يرى

قال مقيده عفا الله عنه: ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة. لأنه لا شكّ أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا،

(٨٨) أحمر
أسود

ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به. ولا شكّ أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع. وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به فسبحانه جل وعلا؟ ما أعظم شأنه وأكمل قدرته؟!

وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جلا وعلا رب كل شيء، وهو المعبود وحده جل وعلا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص: ٨٨].

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته في علوم القرآن: أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافًا متضاداً يكذب بعضه بعضًا، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضًا، والآيات تشمل جميعه، فينبغي حملها على شمول ذلك كله، وأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة ف، وعزاه لجماعة من خيار أهل المذاهب الأربعة. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم مزيدًا بيان من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون لما سأله قائلًا فمن ربكما يا موسى فأجابه، وكان مما جابه به في تعريفه بالله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ أي ممهدة سُهلة تمشون عليها بسهولة ويسر ﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ شقه لكم فيها طرقًا تسلكونها على حيث تريدون وأنزلن ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ وهو المطر ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا ﴿نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ ممتعدد الأشكال

(٨٩) أحمر
أسود

الألون والطعوم والروائح وغير ذلك كل هذا من فضل الله ﷻ فقد تفضل الله ﷻ بذلك على خلقه مبيحًا لهم ذلك ميسرًا لهذا ذلك ﴿ كُلُواْ ﴾ يا عبادي مما رزقكم ﴿وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ﴾ مواشيكم من إبل وبقر وغنم وماعز وغير ذلك كما قال تعالى ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ إنه في ذلك الذي.....الله لكم من النعم ويسره لكم من السبل، وينبت لكم من النبات وينزله لكم من السماء الدلالات واضحات وعلامات جليات يستدل بها أصحاب العقول النيرة الرشيدة علية واحدانية الله ﷻ وعلى قدرته ثم يذكر تعالى العباد بقوله ﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ إلى من الأرض من خلقناكم فقد خلقتم من تراب ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ تارة أخرى وذلك يوم القيامة.

وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا ﴾ يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿ وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا ﴾: أي طرقا.

وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ يقول: وأنزل من السماء مطرا ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله، يقول جلّ ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا، يعني ألوانا من نبات شتى، يعني مختلفة الطعوم، والأراييح والمنظر.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾.

(٩٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره ﴿لِأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ يعني: أهل الحجى والعقول ، والنهى: جمع نُهية، كما الكُشَى: جمع كُشْيَة.

قال أبو جعفر: والكشَى: شحمة تكون في جوف الضبِّ، شبيهة بالسرّة، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النُّهَى، لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أول مرة..

وقوله: ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ يقول: مرّة أخرى.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرّة أخرى، كما أخرجناكم منها أوّل مرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه، عز وجل، حين سأله فرعون

(٩١) أحمر
أسود

عنه، فقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، ثم اعترض الكلام بين ذلك، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا ﴾

وفي قراءة بعضهم «مهدا» أي: قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها، ﴿ وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: من ألوان النباتات من زروع وثمار، ومن حامض وحلو، وسائر الأنواع.

﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ ﴾ أي: شيء لطعامكم وفاكهتكم، وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرا ويابسًا.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ ﴾ أي: لدلالات وحججا وبراهين ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: لذوي العقول السليمة المستقيمة، على أنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه.

﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾.

أي: من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى. ﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾.

[الإسراء: ٥٢]

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[الأعراف: ٢٥]

(٩٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا
نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ
ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾
فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ
أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن
تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ
مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾

[طه: ٥٦-٧٠].

(٩٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ءَايَٰتِنَا - وَأَبَىٰ - مَكَانًا سُوًى - يَوْمُ ٱلزِّينَةِ - يُحْشَرَ - ضُحًى - فَتَوَلَّىٰ - كَيْدَهُۥ - لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا - فَيُسْحِتَكُم - ٱفْتَرَىٰ - فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم - وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ - بِطَرِيقَتِكُمُ - ٱلْمُثْلَىٰ - فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ - ٱئْتُوا۟ صَفًّا - أَفْلَحَ - ٱسْتَعْلَىٰ - تَسْعَىٰ - فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ - تَلْقَفْ - كَيْدُ سَٰحِرٍ - حَيْثُ أَتَىٰ - فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَايَٰتِنَا﴾	معجزاتنا- دلالاتنا على وحدانيتنا
﴿وَأَبَىٰ﴾	رفض (أن يؤمن)
﴿مَكَانًا سُوًى﴾	مكان وسطًا نصفًا عدلًا
﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾	يوم عيد لهم كانوا يتزينون فيه
﴿يُحْشَرَ﴾	يجمع
﴿ضُحًى﴾	وقت الضحى
﴿فَتَوَلَّىٰ﴾	فانصرف من عند موسى عليه السلام
﴿كَيْدَهُۥ﴾	ما يكيد به لموسى عليه السلام وهم سحرته وجنده
﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ	لا تكذبوا على الله – لا تقولوا على الله غير الحق
﴿فَيُسْحِتَكُم﴾	فيهلككم- فيستأصلكم
﴿ٱفْتَرَىٰ﴾	كذب
﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾	اختلفوا فيما بينهم تشاوروا فيما بينهم
﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾	تحدثوا فيما بينهم السادة وأصحاب روؤس

(٩٤) أحمر
أسود

﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾	...بطريقتكم في السحر
﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾	فأحضروا سحركم وأئتوا بما استطعتم فيه
﴿ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾	اجتمعوا ولا تتفرقوا
﴿أَفۡلَحَ﴾	فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب
﴿ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾	كانت له الغلبة والعلو
﴿تَسۡعَىٰ﴾	تجري- تتحرك- تضطرب
﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ﴾	أحسن في نفسه بالخوف
﴿تَلۡقَفُ﴾	تبتلع – تلتهم بسرعة وبشدة
﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾	مكر ساحرٍ، واحتيال الساحر
﴿حَيۡثُ أَتَىٰ﴾	في أي مكان كان، ومن أي مكان أتى
﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾	خروا لله ساجدين

(٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أطعنا فرعون على معجزاتنا التي أيدنا بها نبينا موسى صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من الآيات الدالة على قدرتنا وحدانيتنا فكذب بكل هذه الآيات ورفضه أن يؤمن واقتنع أشد الاقتناع، وقال لموسى عليه السلام أجئتنا يا موسى بالذي جئتنا به من دعوى الرسالة لتخرجنا من أرضنا وتكون لكما أنت وأخيك السيادة والقيادة في البلاد بسحرك الذي أتيتنا به من العصا التي تحولها إلى ثعبان ومن اليد التي تخرج بيضاء من جيبك، فعلى كلٍّ لنجيئك بمن هو ساحر من أمثالك يأتيك بسحر مثل سحرك وأقوى من سحرك فحِّدد موعدًا نلتقي فيه ومكانًا نلتقي فيه يكون مكانًا وسطًا بيننا وبينك أو عدلًا بيننا وبينك لا نتخلف عن، ديرانا الناس كلهم فيه، قال موسى عليه السلام مُحددًا موعدًا وكان موعدكم يوم الزينةن يوم العيد الذي يتزينون فيه وأن يجتمع الناس فيه وقت الضحى.

وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا، موسى وهارون إليه كلها ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ أن يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوّا.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ

(٩٦) أحمر
أسود

بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ لا نتعدّاه، لنجيء بسحر مثل الذي جئت به، فننظر أينا يغلب صاحبه، لا نخلف ذلك الموعد ﴿ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونَصَف.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: ﴿ مَوْعِدُكُمْ ﴾ للاجتماع ﴿ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ﴾ يقول: وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية ﴿ضُحًى ﴾ فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ يعني فرعون، أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات، وعاين ذلك وأبصره، فكذب بها وأباها كفرًا وعنادًا وبغيًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي: يومًا نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿ قَالَ ﴾ لَهُمْ مُوسَى ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ وهو يوم عيدهم ونَوروزُهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق

(٩٧) أحمر
أسود

العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أي: جميعهم ﴿ضُحًى ۝٥٩﴾ أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل «ليلا» ولكن نهارًا ضحى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ أي المعجزات الدالة على نبوة موسى وقيل حجج الله الدالة على توحيده ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ أي لم يؤمن وهذا يدل على أنه كفر عنادا لأنه رأى الآيات عيانا لا خبرا نظيره ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧﴾ لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنها سحر؛ والمعنى: جئت لتوهم الناس أنك جئت بآية توجب اتباعك والإيمان بك، حتى تغلب على أرضنا وعلينا. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي لنعارضنك بمثل ما جئت به ليتبين للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله. ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر؛ أي وعدا. وقيل: الموعد اسم لمكان الوعد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣﴾ [الحجر: ٤٣] فالموعد ها هنا مكان. وقيل: الموعد اسم لزمان الوعد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١] فالمعنى: اجعل لنا يوما معلوما، أو مكانا معروفا. قال القشيري: والأظهر أنه مصدر ولهذا قال: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ أي لا نخلف ذلك الوعد، والإخلاف أن يعد شيئا ولا ينجزه.

وأورد القرطبي أقوالا في معنى سوى منها مكانا مستويًا يتبين للناس ما بيَّنا فيه ومنها وسطًا- وعدلًا

وقال:

(٩٨) أحمر
أسود

و﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ واختلف في يوم الزينة، فقيل هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه؛ قاله قتادة والسدي وغيرهما. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم عاشوراء. وقال سعيد بن المسيب: يوم سوق كان لهم يتزينون فيها؛ وقاله قتادة أيضا. وقال الضحاك: يوم السبت. وقيل: يوم النيروز؛ ذكره الثعلبي. وقيل: يوم يكسر فيه الخليج؛ وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون؛ وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النيل.

وقال: وإنما واعدهم ذلك اليوم؛ ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه، وكبت الكافر، وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في الحق، ويكل حد المبطلين وأشياعهم، يكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جمع أهل الوبر والمدر.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

أظهر القولين أن الإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ مضمنة معنى العهد كالألف واللام. والمراد بآياتنا المعهودة لموسى كلها وهي التسع المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٢] الآية. وقال بعضهم: الآيات التسع المذكورة هي: العصا، واليد البيضاء، وفلق البحر، والحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل فوقهم كأنه ظلة. وقد قدمنا كلام أهل العلم في الآيات التسع في سورة «الإسراء». وقال بعض أهل العلم: العموم على ظاهره، وإن

(٩٩) أحمر
أسود

الله أرى فرعون جميع الآيات التي جاء بها موسى ، والتي جاء بها غيره من الأنبياء ، وذلك بأن عرفه موسى جميع معجزاته ومعجزات سائر الأنبياء. والأول هو الظاهر.

❁ ❁ ❁

سبب اختيار وقت الضحى للقاء

س: لماذا اختار موسى عليه السلام الضحى خاصة للالتقاء؟

ج: اختار عليه السلام وقت الضحى لأمور:

منها: دفع الالتباس والاشتباه الذي قد يكون في أوقات أُخر فالرؤيا واضحة فيه.

ومنها: أن عمل الشياطين التلبيس على الناس يكون أقلَّ في هذا الوقت فالشياطين تنتشر أوقات الظلمات، ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: في شأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم رؤيته لجبريل عليه السلام ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ﴾ وهو اتجاه السماء ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر الموضع للأشياء وهو اتجاه طلوع الشمس حيث تتدفع الأوهام.

وايضًا من الأسباب أن اجتماع الناس وقت الضحى يوم العيد أكبر من اجتماع في وقت أخر والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تذكرة موسى عليه السلام للسحرة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾.

(١٠٠) أحمر
أسود

ج: المعنى والله أعلم فانصرف فرعون من عند موسى عليه السلام بعد أن اتفق معه على الموعد والمكان الذي سيلتقي فيه موسى عليه السلام بالحرة فجمع فرعون ما استطاع أن يجمع من صنوف الكيد والمكر والاحتيال التي يكيد به لموسى عليه السلام فجمع السحرة ثم أتى بهم فذكرَّهم موسى عليه السلام وهكذا ينبغي أن يُذكرّ المعتدي المفتري قال لهم موسى عليه السلام ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ لا تقولوا كذبًا على الله ولا تختلقوا الكذب وتنسبوه إلى الله، ولا تعتقدوا أن لكم ربًا سوى الله عز وجل، فيهلككم الله بعذاب ويستأصلكم جميعًا، وقد خاب من كذب على الله وافترى عليه، فتشاوروا فيما بينهم وتجاذبوا الآراء والأقوال وتناجوا فيما بينهم سرًا قائلين لبعضهم ما هذان إلا ساحران يريديان أن يخرجاكم من بلادكم بما أتيا به من السحر فأراد أن يصرف وجوه الفضلاء إليها، وأراد أن يأخذا وجهاء القوم في صفوفهما، فقوله: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ على رأي الجمهور من المفسرين بوجهائكم وسادتكم وأصحاب رؤوس الأموال وقال كثير من العلماء إنهم بنوا إسرائيل فإنهم، وإن كان مُستذلين مستخدمني ممتهنين لكن كان عندهم أموال وكان لهم شرفٌ عظيم بنسبتهم إلى الأنبياء فيهم أحفاد الأنبياء، وكان الناس يعرفون لهم ذلك ويقرون لهم بذلك أما قوله المثلى فمعناه الذين هم أمثل القوم وأفضل القوم.

هذا ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ طريقتكم الحسنة في السحر فسيغلبكم موسى وهارون عليهما. وقد ورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول ولم يقل به.

أما قولهم: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ أي اعزموا أمركم وأحضروا ما استطعتم من السحر واتفقوا ولا تختلفوا بل كونوا متحدين وتعالوا في صفٍ واحدٍ لإرهاب خصمكم.

(١٠١) أحمر
أسود

أما قوله ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ فمعناه وقد فاز بمطلوبه من علا وغلب، والله تعالى أعلى وأعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحقّ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ يقول: فجمع مكره، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: لا تختلقوا على الله كذبا، ولا تتقوّلوه ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١﴾ يقول: لم يظفر من يخلق كذبا، ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣﴾.

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم.

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢﴾ قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون: بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر.

(١٠٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا.

وأورد آثار منها أثر السدي بسندٍ حسن عنه

عن السدي: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ من دون موسى وهارون، قالوا في نجواهم ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ قالوا: إن هذان لساحران، يَعْنُونَ بقولهم: إن هذان موسى وهارون، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما.

وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١] وهؤلاء نظائر قومهم.

وأما قوله: ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلى منهما.

وفي المذكر: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلى، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾

قال: يذهبا بالذي أنتم عليه، يغير ما أنتم عليه، وقرأ ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر: ٢٦] قال: هذا قوله: ﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة.

ولكن الطبري تعقب قول ابن زيد هذا فقال وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله: ﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ وإن كان قولا له وجه يحتمله الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القول به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ﴾ بهمز الألف من ﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾ ، ووجّهوا معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، من قولهم: أجمع فلان الخروج، وأجمع على الخروج.

قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: أجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرّقا مما هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرّقا عندهم فيجمعونه ، وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ فغير شبيه المعنى بقوله: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ﴾ وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا، فقيل: فتولى فرعون فجمع كيده.

(١٠٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ يقول: احضروا وجيئوا صفا، والصفّ هاهنا مصدر، ولذلك وحد، ومعناه: ثم ائتوا صفوفا، وللصفّ في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم، يعني به المصلى الذي يصلي فيه.

وقوله: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾ يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه لما تواعد هو بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إلى وقت ومكان معلومين، تولى، أي: شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته، كل من ينسب إلى سحر في ذلك الزمان. وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافقًا جدًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩﴾ [يونس: ٧٩].

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي: اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، فيقولون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ أي: لا تُخَيِّلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾ أي: يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية له، ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ قيل: معناه: أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول: بل هو ساحر.

(١٠٥) أحمر
أسود

وقيل غير ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ هذه لغة لبعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها، ومنهم من قرأ: «إِنْ هَذَينِ لَسَاحِرَانِ» وهذه اللغة المشهورة، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه.

والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون: موسى وهارون-ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

وقوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظَّمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وتفردا بذلك، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم.

وقد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش.

وقوله: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ ﴾ أي اجتمعوا كلكم صفًّا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار، وتغلبوا هذا وأخاه، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: منا ومنه، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ هذا من قول فرعون للسحرة؛ أي غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه؛ كما

(١٠٦) أحمر
أسود

قال فرعون ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: ٢٦]. ويقال فلان حسن الطريقة أي حسن المذهب. وقيل: طريقة القوم أفضل القول؛ وهذا الذي ينبغي أن يسلكوا طريقته ويقتدوا به؛ فالمعنى: ويذهبا بسادتكم ورؤسائكم؛ استمالة لهم. أو يذهبا ببني إسرائيل وهم الأماثل وإن كانوا خولا لكم لما يرجعون إليه من الانتساب إلى الأنبياء. أيذهبا بأهل طريقتكم فحذف المضاف. و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ تأنيث الأمثل؛ كما يقال الأفضل والفضلى. وأنث الطريقة على اللفظ، وإن كان يراد بها الرجال. ويجوز أن يكون التأنيث على الجماعة. وقال الكسائي: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بسنتكم وسمتكم. و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ نعت كقولك امرأة كبرى. تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم.

قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ الإجماع الإحكام والعزم على الشيء. تقول: أجمعت الخروج وعلى الخروج أي عزمت.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

وقوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ الظاهر: أن المراد بـ «كيده» ما جمعه من السحر ليغلب به موسى في زعمه وعليه فالمراد بقوله ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ هو جمعه في القرآن كيدًا؛ كقوله ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ الآية، وقوله تعالى عن السحرة: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ وكيدهم سحرهم. والثاني: أن الذي جمعه فرعون هو السحرة كما دلت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى في «الأعراف»: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾. وقوله: ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي جامعين يجمعون السحرة من أطراف مملكته، وقوله في «الشعراء» ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾، وقوله في «يونس»: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ

(١٠٧) أحمر
أسود

عَلِيمٍ﴾.

❁ ❁ ❁

(١٠٨) أحمر
أسود

مشروعية تذكير المعتدين

س: يشرع تذكير المعتدين بالله ﷻ دلل على ذلك.

ج: من ذلك قول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ وقول مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام لما تمثل لها بشرًا سويًا وما كانت تعرفه ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ وقول ابن آدم الأول المقتول لأخيه القاتل وذلك قبل قتله ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد قدمت شيئًا من ذلك في تقسيم الآيات المذكورة وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن السحرة قالوا لموسى عليه السلام لما حضروا للقاء مع موسى صلى الله عليه وسلم أمام الجموع الغفيرة من البشر الذين أتوا للمشاهدة والنظر، وفي حضور فرعون وملئه، وبعد أن تشاوروا فيما بنيهم، قالوا لموسى عليه السلام يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون نحن الملقين أولًا، خيَّروا موسى عليه السلام فقال لهم موسى عليه السلام بل ألقوا عصيَّكم وحبالكم وما معكم، فألقوها وجاءوا بسحرٍ عظيم سحروا به أعين الناس وأخافوهم واسترهبوهم، وخيِّل إلى موسى عليه السلام من شدة هذا السحر الذي أتى به هؤلاء السحرة أنها أي العصى والحبال التي ألقوها أنها تسعى تتحرك وتضطرب حقيقة، وماذالا إلى تخييل، فتسرب الخوف إلى موسى صلى الله عليه وسلم فوجد موسى في نفسه خوفًا وأحس به

(١٠٩) أحمر
أسود

وتسرب إليه ما تسرب إلى البشر من الأمور التي جُبل عليه البشر، وقيل خاف أن يتفرق الناس قبل أن يُلقي عصاه، فأوحى الله ﷻ إليه لا تخف إنك أنت الأعلى، إنك أنت الغالب لهم في الدنيا، والأعلى منزلة يوم القيامة وألق العصا التي في يمينك تلتهم وتبتلع وبسرعة ما أتى به هؤلاء السحرة إن الذي صنعوه إنما هو باطل وخداع وتمويه من أعمال السحرة ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ ولا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبة في أي مكان كان فعند ذلك ولم رأى السحرة ما رأوه من هذه المعجزة الهائلة والآية العظيمة، خروا لله ﷻ سجدًا لما علموه من الحق، ولما شاهده من عظيم الآيات، قالوا مُقرِّين مصرين متبعين آمنا برب هارون وموسى.

فكان عما قليل سحرة كفرة، فتحولوا في لحظات إلى كرامٍ أتقياء بررة. فسبحان من مقلب القلوب والأبصار.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وأورد الطبري اختلافًا في عدد السحرة بما لا طائلا تحته ولا دليل عليه ثم قال:

وذلك أن معنى الكلام: اختر يا موسى أحد هذين الأمرين: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نكون أوّل من ألقى، ولو قال قائل: هو رفع، كان مذهبا، كأنه وجَّهه إلى أنه خبر، كقول القائل:

فَسِيرَا فإمَّا حاجَةً تَقْضِيانها ... وإمَّا مَقِيل صَالِحٌ وصَدِيقُ

(١١٠) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي. وقوله: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ ، وفي هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الحبال والعصيّ، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه ، وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى.

يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده.

وقوله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾ برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَحِرٍ ﴾ برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب، وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ﴿ كَيْدَ سِحْرٍ ﴾ بنصب كيد ، ومن قرأ ذلك كذلك، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد.

(١١١) أحمر
أسود

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة، أن ذلك في حرف ابن مسعود ﴿ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أيْنَ أتَى﴾ وقال: العرب تقول: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وأما قول العرب: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، فإنما هو جواب لم يفهم، فاستفهم كما قالوا: أين الماء والعشب.

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو: فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعبانا، فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين توافقوا هم وموسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنهم قالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ أي: أنت أولا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾ أي: أنتم أولا ليُرى ماذا تصنعون من السحر، وليظهر للناس جلية أمرهم، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾. وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤] وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال هاهنا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾.

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد،

(١١٢) أحمر
أسود

بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمًّا غفيرًا وجمعًا كبيرًا فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي خاف على الناس أن يَفْتَتِنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ يعني: عصاه، فإذا هي ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ﴾ وذلك أنها صارت تِنِّينًا عظيما هائلا ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانًا جَهْرة، نهارًا ضحوة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سُجَّدًا لله وقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٧ ، ٤٨].

ولهذا قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَير: كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.

(١١٣) أحمر
أسود

إيمان السحرة وثباتهم

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

[طه: ٧١-٧٦].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ - مِّنْ خِلَٰفٍ - وَأَبْقَىٰ - نُّؤْثِرَكَ - ٱلْبَيِّنَٰتِ - فَطَرَنَا - فَٱقْضِ - خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ - يَأْتِ - رَبَّهُۥ مُجْرِمًا - جَنَّٰتُ عَدْنٍ - تَزَكَّىٰ ﴾.

(١١٤) أحمر
أسود

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَامَنتُم لَهُۥ﴾	صدقتموه واتبعتموه وأقررتموه على ما دعاكم إليه وجاءكم به
﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾	المراد قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو قطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى
﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾	أدوم عذابًا
﴿نُّؤْثِرَكَ﴾	نفضلك ونعبدك ونفضل عبادتك
﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	الحجج الواضحات والدلائل النيرات والمعجزات الباهرات
﴿فَطَرَنَا﴾	خلقنا لأول مرة
﴿فَٱقْضِ﴾	فافعل - فاصنع - فاحكم
﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	أدوم ثوابًا وأبقى ثوابًا (أو أدوم عذابًا لمن كفر) أي عذابه أبقى وأدوم، وكذلك ثوابه أدوم وأبقى إن أثاب وكافأ
﴿يَأْتِ﴾	يبعث يوم القيامة
﴿مُجْرِمًا﴾	اجترم الكفر فجاء كافرًا
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾	حدائق وبساتين للأقامة
﴿تَزَكَّىٰ﴾	تطهر من الذنوب والكفر والآثام وآمن

(١١٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(١١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أنه فرعون لعنه الله لما ظهر له من أمر الله ما ظهر وآمن سحرتُه وخروا لله سجدًا وقال مصدقين بنبوة موسى عليه السلام ورسالته وكذا رسالة أخيه هارون ونبوته وقالوا لفرعون وأمام الملأ جميعًا آمنا برب هارون وموسى، توعدهم فرعون أشد التوعد وهددهم أشد تهديد قائلًا ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ صدقتم به واتبعتموه قبل أن ﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قبل أن أُعطيكم الإذن بالإيمان وكأن عدو الله هو المتسلط على القلوب، وأنى له ذلك؟! وهؤلاء عليك أمر نفسه ولا أمر زوجته ثم بدأ يتهمهم اتهامات باطلة كقوله ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ لعظيمكم ورئيسكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، وما كان موسى عليه السلام قد التقى بهم قبل هذا المجلس وقبل تلك الواقعة، ثم استمر فرعون مُهددًا متوعدًا فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي لأقطعن اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى وليس هذا فقطن بل ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل، قيل أن حروف الجر تتناوب فتأتي (في) بمعنى (على) و(عن) بمعنى(بـ) وهكذا كما في قوله تعالى ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ على قول للمفسرين ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ وقيل فسأل خبيرا به وهو رسول الله ارجع فأقول، وقال بعض المفسرين من شدة الصلب كأنه أدخلهم في جذوع النخل ثم قال ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيضًا السحرة ﴿أَيُّنَآ﴾ أنا أم موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا﴾ في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أدوم عذابًا فيها فعندها

(١١٧) أحمر
أسود

قال السحرة مقالتهم التي سُطرت في صحائف أعمالهم، وسجلت بعد في التأريخ، وفي قرآن يتلى إلى يوم الدين ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ لن نفضلك ونفضل عبادتك واتباعك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ على الحجج الواضحات والدلالات النيرات والمعجزات الباهرات، وتلك التي أتانا بها موسى عليه السلام من عند ربه ﷻ أما قولهم ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ فيحتمل أن يكون معناه، ولن نؤثرك على الذي فطرنا وهو الله أي ولن نفضلك على الله ﷻ الذي خلقنا أول مرة ولن نفضل عبادتك على عبادته ﷻ.

ويحتمل معنى آخر، وهو أنهم أقسموا بالذل فطرهم.

أما قولهم ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي أحكم بالذي أنت به حاكم في هذه الحياة الدنيا.

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ صدقنا بالله ﷻ خالفنا وبنا وإلهنا ولن يفيد غيره ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ ليمحو عنا الجرائم والشرك والكفر الذي كنا فيه وكذا ليغفر لنا السحر الذي أمرتنا بتعلمه

والله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ الله خيرق منك وعبادته خيرٌ من عبادتك وطاعته خير من طاعتك وثوابه خيرٌ من ثوابك () فهو حي لا يموت وأنت تموت، وثوابه أبقى وأدوم من ثوابك وكذا إذا عاقب فعقوبته أدوم من عقوبة غيره.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ يقول: إن موسى لعظيمكم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾.

(١١٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعا من خلاف، وكان فيما ذُكر أوّل من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل، كما قال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطَسَتْ شَيْبان إلا بأجْدَعا

يعني على، جذع نخلة، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا، وآمنوا عند ذلك، قال عدو الله ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾... الآية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السديّ، قال فرعون: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ وقال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

وقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ يقول: ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم، وأدوم، أنا أو موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ﴿ لَن

(١١٩) أحمر
أسود

نُّؤْثِرَكَ ﴾ فنتبعك ونكذب من أجلك موسى ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ يقول: قالوا: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا، ويعني بقوله: ﴿فَطَرَنَا﴾ خلقنا، فالذي من قوله: ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ خفض على قوله: ﴿ مَا جَآءَنَا ﴾ وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ خفضا على القسم، فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله، وقوله: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ يقول: إنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعده ووعيده، وأن ما جاء به موسى حق ﴿ لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ يقول: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلُّمه والعمل به ، وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ قال: أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر.

﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ قال: أمرتنا أن نتعلمه.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل،

(١٢٠) أحمر
أسود

حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغُلِب كل الغلب -شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهددهم وأوعدهم وقال ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أي: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك، وافتتم عليّ في ذلك. وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بَهْت وكذب: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، واتفقتم أنتم وإياه عليّ وعلى رعيتي، لتظهروه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣].

ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أي: لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم.

قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه.

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل، و ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين. ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا على البينات.

يعنون: لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت.

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: فافعل ما شئت وما وَصَلَت إليه يدك، ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ أي: إنما لك تَسَلُّط في هذه الدار، وهي دار الزَّوال ونحن

(١٢١) أحمر
أسود

قد رغبنا في دار القرار.

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ أي: ما كان منا من الآثام، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ أي: خير لنا منك ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنيتنا. وهو رواية عن ابن إسحاق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال محمد بن كعب القُرَظِي: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ أي: لنا منك إن أطيع، ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: منك عذابًا إن عُصِيَ.

وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا:

والظاهر أن فرعون -لعنه الله- صمم على ذلك وفعله بهم، رحمهم الله؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسَوْا شهداء.

❁ ❁ ❁

(١٢٢) أحمر
أسود

لا تسلط لأحدٍ على القلوب إلا الله.

س: ليس لأحدٍ تسلطٌ على القلوب دلل على ذلك من قصة فرعون مع السحرة.

ج: دليل ذلك أن فرعون مع قوته وجبروته وتهديده الشديد لم يستطع أن يغير سحرته الذين آمنوا فمع توعده لهم وقول ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ لم يتغيروا لم يتأثروا بل ازدادوا ثباتا بقولهم ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

وأيضًا ففرعون مع ما هو فيه لم يستطع أن يحوِّل زوجته عن الإيمان إلى الكفر، بل ضرب إليه ﷻ مثلًا للمؤمنات.

❁ ❁ ❁

س: هل كان السحرة مكرهين على السحر؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن قال إن فرعون كان قد أرسل بعض الغلمان لتعلم السحر وأكرمهم على ذلك.

وقال بعض العلماء إن أكرهتنا المراد بها هنا أمرتنا أن نأتي من السحر، وألزمتنا به.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ «آية ٧٣»

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن فرعون لعنة الله لما قال للسحرة ما قال لما آمنوا، قالوا له: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ يعنون ذنوبهم السالفة كالكفر وغيره من المعاصي ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ ﴾ أي ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر. وهذا الذي ذكره عنهم هنا أشار له في غير هذا الموضع.

(١٢٣) أحمر
أسود

كقوله تعالى في « الشعراء » عنهم: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١] ، وقوله عنهم في «الأعراف»: ﴿ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وفي آية «طه» هذه سؤال معروف ، وهو أن يقال: قولهم ﴿ وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ ﴾ يدل على أنه أكرههم عليه ، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين ، كقوله في « طه »: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ [طه: ٦٢-٦٤]. فقولهم: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ ﴾ صريح في أنهم غير مكرهين.

وكذلك قوله عنهم في «الشعراء»: ﴿ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢] ، وقوله في « الأعراف »: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤] فتلك الآيات تدل على أنهم غير مكرهين.

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة:

(منها): أنه أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم ، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين ، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر ، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر ، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض ، ويدل لهذا قوله: ﴿ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٦] ، وقوله: ﴿ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأعراف: ١١١].

(ومنها): أنه كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم ، وأن ذلك هو مرادهم بإكراههم على السحر. ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين.

(١٢٤) أحمر
أسود

(ومنها): أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً: ففعل فوجدوه تحرسه عصاه ، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر! لأن الساحر إذا نام بطل سحره. فأبى إلا أن يعارض ، وألزمهم بذلك. فلما لم يجدوا بداً من ذلك فعلوه طائعين. وأظهرها عندي الأول ، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: في هذه الآيات السابقة ما يدل على أن الإيمان لابد معه من العلم الصالح دلل على ذلك.

ج: إيضاحه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل نفذ فرعون ما توعد به السحرة.

ج: الله أعلم بذلكن فهل سلموا مع موسى عليه السلام بعد أن أعرف الله عز وجل فرعون وآله أم أنهم أمسوا شهداء كما قال بعض أهل العلم كانوا أول النهار سحرة، فأصبحوا آخره شهداء بررة.

❁ ❁ ❁

س: هل قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ قول السحرة أم أنه قول الله عز وجل.

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان.

أحدهما: أنه قول الله عز وجل، وقد انتهى كلام السحرة المؤمنون عند قولهم: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

الثاني: أنه استمرار لقول السحرة، والقول الأول أظهر، والله أعلم.

(١٢٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

ج: والمعنى والله أعلم أنه من يلقى ربَّه ﷻ يوم القيامة وقد اجترم الكفر والشرك فإنه له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، فلا هو مات واستراح، ولا هو يحيى الحياة الهادئة بل هو في عذاب مقيم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ ومن يأته مؤمنًا وصاحب الإيمان بالعمل الصالح فأولئك لهم الدرجات العلى في الجنان، التي هي ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بساتين وحدائق للإقامة الدائمة تجري من تحت أشجارها الأنهار أنهار اللبن أنها الخمر وأنهار العسل وأنهار الماء ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ ماكثين فيها لا يتحولون عنها، وذلك جزاء من تطهر من.....والكفر والجرائم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ من خلقه ﴿مُجْرِمًا﴾ يقول: مكتسبا الكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكنا، جزاء له على كفره ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فتخرج نفسه ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ موحدا لا يُشرك به ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: قد عمل ما أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

(١٢٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجات العلى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي، فقال: هن ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة؛ فالجنات من قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ مرفوعة بالردّ على الدرجات.

وقوله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾ يقول: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف ﷻ ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا ﴾ قيل هو من قول السحرة لما آمنوا. وقيل ابتداء كلام من الله عز وجل. والكناية في ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ ترجع إلى الأمر والشأن. ويجوز إن من يأت، ومنه قول الشاعر:

إن من يدخل الكنيسة يوما ... يلق فيها جآذرا وظباء

أراد إنه من يدخل؛ أي أن الأمر هذا؛ أن المجرم يدخل النار، والمؤمن يدخل الجنة. والمجرم الكافر. وقيل: الذي يقترف المعاصي ويكتسبها. والأول أشبه؛ لقوله: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ ﴾ وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد - على ما تقدم بيانه في سورة «النساء» وغيرها - فلا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته. قال الشاعر:

ألا من لنفس لا تموت فينقضي ... شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

وقيل: نفس الكافر معلقة في حنجرته أخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها، ولا يحيا باستقرارها. ومعنى ﴿ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا ﴾ من يأت موعد ربه.

(١٢٧) أحمر
أسود

ومعنى ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ أي يمت عليه ويوافيه مصدقا به. ﴿قَدْ عَمِلَ﴾ أي وقد عمل ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الطاعات وما أمر به ونهى عنه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ أي الرفيعة التي قصرت دونها الصفات. ودل قوله: (وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا) على أن المراد بالمجرم المشرك.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بيان للدرجات وبدل منها، والعدن الإقامة. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من تحت غرفها وسررها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من الخمر والعسل واللبن والماء. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين دائمين. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ أي من تطهر من الكفر والمعاصي. ومن قال هذا من قول السحرة قال: لعل السحرة سمعوه من موسى أو من بني إسرائيل إذ كان فيهم بمصر أقوام، وكان فيهم أيضا المؤمن من آل فرعون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد، فقالوا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ أي: يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ كقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١١-١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

وأورد ما أخرجه أحمد ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس تصيبهم النار بذنوبهم، فتميتهم إماتة، حتى إذا صاروا فحمًا، أذن في الشفاعة، جيء بهم ضبائر، ضبائر، فبُثُّوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة،**

(١٢٨) أحمر
أسود

أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل». فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية.

وقوله: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب، قد صدق ضميره بقوله وعمله، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: الجنة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمنات، والمساكن الطيبات.

وقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ أي: إقامة وهو بدل من الدرجات العلى، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين أبدا، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خَبَر وطلب.

❁ ❁ ❁

س: ذكر م يدل على أن الجنة درجات؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [طه: ٧٥، ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ فهنالك تفاوت بين المقربين وأصحاب اليمين.

وقوله ﷺ «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»

وفي الصحيحين: «**إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء؛ لتفاضل ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء. قال: وفي السنن: وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما.

(١٢٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(١٣٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾

[طه: ٧٧-٨٢].

(١٣١) أحمر
أسود

وضح معنى ما يلي:

﴿أَسْرِ بِعِبَادِي - فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا - دَرَكًا - وَلَا تَخْشَىٰ - فَغَشِيَهُم - الْيَمِّ - وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ - الْمَنَّ - وَالسَّلْوَىٰ - وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ - يَحْلِلْ - هَوَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾	اخرج بعبادي دليلًا من البلاد وسافر بهم
﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾	فاضرب البحر بعصاك تشق بهم فيه طريقًا يابسًا لا بل فيه ولا طين
﴿دَرَكًا﴾	إدراكًا- أن يدركك عدوك
﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾	لا تخاف
﴿فَغَشِيَهُم﴾	فغطاهم وحلَّ بهم وأصابهم
﴿الْيَمِّ﴾	البحر
﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ﴾	ابتعد بهم عن طريق الحق والصواب
﴿الْمَنَّ﴾	شيء يشبه العسل كان ينزل على ورق الشجر شهيٌّ في طعمه وجميل
﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾	طائر يشبه السمان
﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾	لا تتجاوز الحد في الأكل، ولا تجاوز الحد في الظلم
﴿يَحْلِلْ﴾	ينزل
﴿هَوَىٰ﴾	سقط في الهاوية وهي النار

(١٣٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أوحينا إلى موسى عليه السلام أن أخرج بعبادي الذين هم بنو اسرائيل، اخرج بهم من مصر فإن فرعون وقومه سيتبعوكم فاخرج بعبادي وإذا وصلت إلى البحر، ولم لكن أمامك إلا أن تدرك من فرعون أو تقتحم أنت ومن معك البحر، فاضرب البحر يعصاك ينشق لك البحر وينفلق ويكون فيه طريقٌ يابسٌ بإذن الله فاقتحم الطريق الذي يسره الله لك بضرب البحر بعصاك اقتحم الطريق أنت ومن معك لا تخشى الفرق ولا تخف من ادراك فرعون لك ففعل موسى عليه السلام ما أمره الله عز وجل به وسلك الطريق الذي يسره الله له وأوجده الله له في البحر، فاقتحم فرعون أيضًا هذا الطريق، وسلَّم الله موسى عليه السلام ومن معه والتئم البحر على فرعون ومن معه فحل بهم من عذاب الله في البحر ما حلَّ، ونزل بهم ما نزل وصرف فرعون قومه عن طريق الحق وأغواهم وما هداهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ﴾ نبينا ﴿مُوسَىٰٓ﴾ إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ ليلا ﴿بِعِبَادِى﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل،

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا، واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض، واليَبْس المخفف: يجمع يبوس.

(١٣٣) أحمر
أسود

وأما قوله: ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووَحَلا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده في اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعا ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا أنه أمر موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، أن يسري بهم في الليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون. وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة. وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب، فغضب فرعون غضبًا شديدًا وأرسل في المدائن حاشرين، أي من يجمعون له الجند من بلدانه ورَساتيقه، يقول: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٤، ٥٥] ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه، ساق في طلبهم ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ

(١٣٤) أحمر
أسود

﴿٦٠﴾ [الشعراء: ٦٠] أي: عند طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: نظر كل من الفريقين إلى الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، ووقف موسى ببني إسرائيل، البحر أمامهم، وفرعون وراءهم، فعند ذلك أوحى الله إليه أن ﴿فَٱضْرِب لَّهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ فضرب البحر بعصاه، وقال: «انفلق بإذن الله» ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: الجبل العظيم. فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض؛ فلهذا قال: ﴿فَٱضْرِب لَّهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ يعني: من البحر أن يغرق قومك.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ أي: الذي هو معروف ومشهور. وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٣، ٥٤]، وكما قال الشاعر:

أَنَا أَبُو النَّجْم وشِعْري شِعْري

أي: الذي يعرف، وهو مشهور.

وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

❁ ❁ ❁

(١٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم امتنان من الله ﷻ على بني إسرائيل بما أنعم عليهم، وتكليف لهم وحث على الطاعة والإنابة والرجوع إلى الله فيقول تعالى ذكره يا بني إسرائيل وهم نسلُ يعقوب عليه السلام، ومنهم موسى عليه السلام، وبنو اسرائيل الذين معه، فيذكرهم الله بنعمه قائلًا ﴿قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ قد سلمناكم وحفظناكم ﴿مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ الذي هو فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ أعطينا موسى عليه السلام ومعه بعض بني إسرائيل موعدًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ ﴾ وقال بعض العلماء إن المواعدة كانت لموسى عليه السلام وحده لإنزال التوراة عليه، ولما كان إنزال التوراة إنما هو لأهل بني اسرائيل أطلقت المواعدة وكانت عامةً بقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾

أما قوله جانب الطور الآية فالمراد الجانب الأيمن من الطور، طور سيناء.

وقوله ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ﴾ وهو شيء يشبه العسل في الطعم كان ينزل على ورق الشجرن وقيل المن هو طعام أخرجه الله لبني اسرائيل وهم في التيه بدون تعبٍ منهم ولا مشقة، أما السلوى بأنها طائر يشبه السمان وقد تقدم الكلام على كل ذلك في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ ﴾ كلو من الحلال الطيب الذي رزقكم الله إياه، ولا تتجاوز الحد فيه، وقيل المراد لا تسرفوا كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾ وقيل لا يبغي بعضكم على بعض فيه ولا يظلم بعضكم بعضًا، ولا تعصوا ربكم ولا تكفروا النعم فإنكم أن منعتم فقد حلَّ عليكم غضب وترك بكم ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك

(١٣٦) أحمر
أسود

وسقط فإن النار هاويًا فيها ووصل إلى قومها ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾من الشرك وغيره ﴿وَءَامَنَ ﴾ وعبد الله وحده لا شريك له واستقام على العمل الصالح وسلك سبيل الهداية وأقام على ذلك حتى مات.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ ﴾ لما أنجاهم من فرعون قال لهم هذا ليشكروا. ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ ﴾ ﴿جَانِبَ ﴾ نصب على المفعول الثاني لـ«واعدنا» ولا يحسن أن ينتصب على الظرف؛ لأنه ظرف مكان غير مبهم. وإنما تتعدى الأفعال والمصادر إلى ظروف المكان بغير حرف جر إذا كانت مبهمة. قال مكي هذا أصل لا خلاف فيه؛ وتقدير الآية. وواعدناكم إتيان جانب الطور؛ ثم حذف المضاف. قال النحاس: أي أمرنا موسى أن يأمركم بالخروج معه ليكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام. وقيل: وعد موسى بعد إغراق فرعون أن يأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة، فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لأن الوعد كان لأجلهم. وقرأ أبو عمرو «ووعدناكم» بغير ألف واختاره أبو عبيد؛ لأن الوعد إنما هو من الله تعالى لموسى خاصة، والمواعدة لا تكون إلا من اثنين. و«الأيمن» نصب؛ لأنه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال، فإذا قيل: خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ علي يمينك من الجبل. وكان الجبل على يمين موسى إذ أتاه. ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي في التيه وقد تقدم القول فيه. ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ أي من لذيذ الرزق. وقيل: إذ لا صنع فيه لآدمي فتدخله شبهة. ﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾ أي لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا؛ لأن الطغيان التجاوز إلى ما لا يجوز. وقيل: المعنى؛ أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم. وقيل: أي ولا تستبدلوا بها شيئا أخر كما قال: ﴿قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ

(١٣٧) أحمر
أسود

ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١] وقيل: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليله؛ قال ابن عباس: فيتدود عليه ما ادخروه؛ ولولا ذلك ما تدود طعام أبدا.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِىٌ﴾ أي يجب وينزل.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغشي فرعون قومه من اليم ما غشيهم، قلنا لقوم موسى ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن.

وقوله: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني إسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم، وحلاله الذي طيبناه لكم ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ يقول: ولا تعتدوا فيه، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا.

وقوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِىٌ﴾ يقول: فينزل عليكم عقوبتي.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة قوله ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِىٌ﴾ يقول: فينزل عليكم غضبي.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تردّى فشقي.

وقوله: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ يقول: وإني لذو غفر لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان لي ﴿ وَءَامَنَ ﴾ يقول: وأخلص لي الألوهة، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصي ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع

(١٣٨) أحمر
أسود

شيئا منه.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ فقال بعضهم: معناه لم يشكُك في إيمانه وقال آخرين: ثم استقام.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم لزم الإيمان والعمل الصالح.

وقال آخرون: بل معناه أصحاب العمل.

وقاله آخرون: بل معناه عرف أمر مُثيبه

قال أبو جعفر: إنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شكّ في اهتدائه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام، ومننه الجسام، حيث نَجَّاهم من عدوهم فرعون، وأقر أعينهم منه، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة، لم ينج منهم أحد، كما قال: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ [البقرة: ٥٠].

ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن، وهو الذي كلمه تعالى عليه، وسأل فيه الرؤية، وأعطاه التوراة هناك. وفي غُضُون ذلك عَبَدَ بنو إسرائيل العجل، كما يقصه تعالى قريبا.

وأما المن والسلوى، فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة «البقرة» وغيرها. فالمن: حلوى كانت تنزل عليه من السماء. والسّلوى: طائر يسقط عليهم، فيأخذون من كل، قدر الحاجة إلى الغد، لطفًا من الله ورحمة بهم، وإحسانًا إليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، ولا

(١٣٩) أحمر
أسود

تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالفوا ما آمركم به، ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: أغضب عليكم ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: فقد شقي.

وقال شُفَيّ بن ماتع: إن في جهنم قصرًا يُرمى الكافر من أعلاه، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: كل من تاب إليّ تبتُ عليه من أي ذنب كان، حتى إنه تعالى تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل.

وقوله: ﴿ تَابَ ﴾ أي: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو نفاق أو معصية.

وقوله: ﴿ وَآمَنَ ﴾ أي: بقلبه ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: بجوارحه.

وقوله: ﴿ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي ثم لم يشكك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(١٤٠) أحمر
أسود

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ
إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا
حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن
زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ
خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ
قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ ﴾

[طه: ٨٣-٨٩].

(١٤١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ - أُوْلَآءِ - عَلَىٰٓ أَثَرِي - لِتَرۡضَىٰ - فَتَنَّا - وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ - أَسِفًا - أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ - بِمَلۡكِنَا - أَوۡزَارًا - فَقَذَفۡنَٰهَا - أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ - جَسَدًا - خُوَارٌ - أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾	وما حملك على أن تأتي مستعجلًا سابقًا قومك
﴿أُوْلَآءِ ﴾	هؤلاء
﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾	من خلفي – يأتون بعدي
﴿لِتَرۡضَىٰ ﴾	لترضى عني – لأرضيك عني
﴿فَتَنَّا ﴾	ابتلينا – اختبرنا
﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾	صرفهم عن عبادة الله إلى عبادة العجل أوقعهم في الضلال
﴿أَسِفًا ﴾	حزينا
﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾	أفتأخر وعد الله الذي وعدكم إياه....زمن طويل على نعم الله عليكم حتى نسيتموها
﴿بِمَلۡكِنَا ﴾	بقدرتنا – بطاقتنا – بأمرنابهوانا
﴿جَسَدًا ﴾	مُجسدًا في صورة عجل
﴿خُوَارٌ ﴾	صوت البقر
﴿أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلًا ﴾	لا يجيبهم

(١٤٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن الله جلَّ ذِكره يقول لموسى عليه السلام وكان قدرا عدة أن يأتيه مع قومه بعد أربعين ليلة إذ الله قال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربِّه أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في كومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

فالحاصل أن موسى صلى الله عليه وسلم تقدم قومه فسأله ربُّه عز وجل وما أعجلك عن قومك يا موسى ما الذي جعل تسبقهم ولا تأتي بهم فقال عليه السلام هم أولاء على أثري إنهم هؤلاء يسيرون خلفي، وأنا قد تقدمتهم يا رب لترضي عني فجئت قبلهم طلبًا لمرضاتك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾ وأي شيء أعجلك ﴿ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ فتقدمتهم وخلفتهم وراءك، ولم تكن معهم

﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ يقول: قومي على أثري يلحقون بي ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ يقول وعجلت أنا فسبقتهم ربّ كيما ترضى عني.

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك، لأنه جلّ ثناؤه، فيما بلغنا، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وقطع بهم البحر، وعدهم جانب الطور الأيمن، فتعجل موسى إلى ربه، وأقام هارون في بني إسرائيل يسير بهم على أثر موسى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون، وافوا ﴿عَلَىٰ قَوۡمٍ

(١٤٣) أحمر
أسود

يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩] وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها له عشرًا، فتمت له أربعين ليلة، أي: يصومها ليلا ونهارًا. وقد تقدم في حديث «الفتون» بيان ذلك. فسارع موسى عليه السلام مبادرًا إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ أي: قادمون ينزلون قريبًا من الطور، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أي: لتزداد عني رضا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ أي ما حملك على أن تسبقهم. قيل: عنى بالقوم جميع بني إسرائيل؛ فعلى هذا قيل: استخلف هارون على بني إسرائيل، وخرج معه بسبعين رجلا للميقات فقوله: ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ ليس يريد أنهم يسيرون خلفه متوجهين إليه، بل أراد أنهم بالقرب مني ينتظرون عودي إليهم. وقيل: لا بل كان أمر هارون بأن يتبع في بني إسرائيل أثره ويلتحقوا به. وقال قوم: أراد بالقوم السبعين الذين اختارهم، وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا إلى سماع كلام الله.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أ عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني. يقال: رجل عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة؛ والعجلة خلاف البطء.

❁ ❁ ❁

(١٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾.

ج: يقول الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿قَوْمَكَ﴾ بني اسرائيل ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك عنهم وحجتك إلينا ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وأوقعهم السامري في الضلال والكفر وصرفهم عن عبادة الله عز وجل إلى عبادة العجل، فعندها رجع موسى عليه السلام إلى قومه من بني اسرائيل غضبان حزكينا قائلًا لهم ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وذلك منه قوله تعالى ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ وكذا وعده لهم تبصرة وتأييده وسائر الوعود التي وعدهم الله بها ومنها ما تحقق أما أعينهم.

أما قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي أتأخر عليكم إنجاز الله عز وجل للوعد الذي وعدكم إياه، كلا بل إن الله عز وجل أكرمكم وأغرق عدوكم، وأنجز لكم ما وعدكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلًا إجراميًا بسببه يحيل عليكم غضب من الله عز وجل وينزل بكم عذاب بسببه

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإنا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى.

ويعني بقوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِكَ ﴾ من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾.

وكان إضلال السامريّ إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل.

(١٤٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ﴿ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ متغيظا على قومه، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله.

وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى، ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل عليكم المنّ والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم ، وقوله: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦ ﴾ يقول: أفطال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي. وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى ﴿ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري. وفي الكتب الإسرائيلية: أنه كان اسمه هارون أيضًا، وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة، كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي: عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري.

وقوله: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ أي: بعد ما أخبره تعالى بذلك،

(١٤٦) أحمر
أسود

في غاية الغضب والحَنَق عليهم، هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم، وتَسَلّم التوراة التي فيها شريعتهم، وفيها شرف لهم. وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يَعْلَمُ كل عاقل له لب [وحزم] بطلان [ما هم فيه] وسخافة عقولهم وأذهانهم؛ ولهذا رجع إليهم غضبان أسفًا، والأسف: شدة الغضب.

وقال مجاهد: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ أي: جزعًا. وقال قتادة، والسدي: ﴿أَسِفًا﴾ أي: حزينًا على ما صنع قومه من بعده.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة، وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم، وإظهاركم عليه، وغير ذلك من أياديه عندكم؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: في انتظار ما وعدكم الله. ونسيان ما سلف من نعمه، وما بالعهد من قدم. ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «أم» هاهنا بمعنى «بل» وهي للإضراب عن الكلام الأول، وعدول إلى الثاني، كأنه يقول: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ حال وقد مضى في «الأعراف». ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وعدهم عز وجل الجنة إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أنه يسمعهم كلامه، في التوراة على لسان موسى؛ ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم. وقيل: وعدهم النصر والظفر. وقيل: وعده قوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ الآية. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي أفنسيتم؛ كما قيل؛ والشيء قد ينسى لطول العهد. ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿يَحِلَّ﴾ أي يجب وينزل. والغضب العقوبة والنقمة. والمعنى أم أردتم أن تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم؛ لأن أحدا لا يطلب

(١٤٧) أحمر
أسود

غضب الله، بل قد يرتكب ما يكون سببا للغضب. ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور. وقيل: وعدهم على أثره للميقات فتوقفوا.

❁ ❁ ❁

س: من السامري هذا:

ج: السامري- رجلٌ في زمان نبي الله موسى عليه السلام ضل ضلالًا بعيدًا وأضل غيره من بني اسرائيل بما استحدث لهم لإضلالهم وإغوائهم وصرفهم عن عبادة الله عز وجل إلى عبادة عجل قد صنعه لهم وعلى ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان السامري من قوم يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر فدخل في دين بني إسرائيل بظاهره، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر. وقيل: كان رجلا من القبط، وكان جارا لموسى أمن به وخرج معه. وقيل: كان عظيما من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام. قال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان.

قلت: فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن موسى عليه السلام لما عاتب بني اسرائيل على ما صنعوه وعلى عبادتهم العجل ووبخهم ولامهم أجابوه بقولهم ﴿مَآ أَخْلَفْنَا

(١٤٨) أحمر
أسود

مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ما تخلفنا عن متابعتك والسير من بعدك والثبات على أمرك باختيارنا وقدرتنا وطاقتنا، ولكنا غُلبنا على أمرنا فقد كانت معنا أمانات لآل فرعون من ذهب وحليٍّ ولم نرها حلالاً لنا فقذفناها أي في حفرة وقيل كان ذلك الإلقاء بأمرٍ من هارون عليه السلام حتى تجمع الحليُّ في مكان واحدٍ إلى أن يرجع موسى عليه السلام ويرى فيه أمره الذي يأمره الله به.

وقيل أن الذي أمرهم بإلقائه السامري كي يصل إلى مراده من الاحتيال فالله أعلم.

أما قولهم ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي وبنحو الذي وضعنا صنع السامري، فكذلك ألقى السامري الحلي الذي معه أيضًا، فصنع لهم السامري من هذا الحلي بعد أن أوقد عليه النار فانصهر، صنع عجلًا من هذا الذهب ثم قبض قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام كذا ورد في الموقوفات فطرحها السامري على العجل فسمع له صوت البقر، وهو الخوار، فقال السامري لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا ربكم، ونسي أن يعهد إليكم بعبادته وقيل فضَلَ موسى الطريق وجاء ربُّه من طريق آخر فها هو وقال بعض العلماء إن السامري صنع من الذهب عجلًا بطريقة تحدث صوتا إذا دخله الهواء ولم يكن عجلًا من لحم ودم وصوت فالله أعلم.

وقال بعضهم أيضًا إن قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ عائدٌ على السامري أي فنسي العهود والمواثيق وترك ما أمره موسى به من الإيمان.

ثم وبخهم الله عز وجل بقوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يرد عليهم إذا كلموه ولا يجبهم إذا دعونة ولا عليك لهم كشف ضرٍّ عنهم ولا جلب نفع لهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل:

(١٤٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك، يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم.

وقوله: ﴿بِمَلْكِنَا﴾ يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.

وأورد الطبري أقوالًا في تفسيره قولهم ﴿بِمَلْكِنَا﴾ منها بأمرنا، ومنها بطاقتنا، ومنها بهوانا

وقال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه.

ثم قال:

وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ يقول: ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم، يعنون من حلي آل فرعون، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حليّ نسائهم وأمتعتهم، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾.

(١٥٠) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ قال: الحليّ الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل.

وأورد قولًا آخر في قوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ أي فكذلك صنع السامري.

وقال: وقوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يقول: فأخرج لهم السامريّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعني بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر.

ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار.

وأورد بما يصح عن عن قتادة: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ قال: كان الله وقَّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ قال: كان الله

(١٥١) أحمر
أسود

وقَّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: أخذ السامريّ من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حليّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جسدا له خوار، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رأوه قال لهم السامريّ ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحليّ حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامريّ تربته، وقوله: ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى، وقوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: فضلّ وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامريّ، والسامريّ هو

(١٥٢) أحمر
أسود

الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله عن السامريّ، أنه قال لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه، فأضلّ موضعه، وهو هذا العجل.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره.

يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل، والقائلين له ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وعابهم بذلك، وسفه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه: أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم، وإن كلَّموه لم يرد عليهم جوابا، ولا يقدر على ضرّ ولا نفع، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قَالُواْ ﴾ أي: بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم: ﴿ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾ أي: عن قدرتنا واختيارنا.

ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد، يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حُلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم، حين خرجوا من مصر، ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي: ألقيناها عنا. وقد تقدم في حديث «الفتون» أن هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي كان أمرهم بإلقاء الحلي في حفرة فيها نار.

ثم قال ابن كثير بعد إيرادة أقوالًا:

(١٥٣) أحمر
أسود

يقول الله: ﴿ فَنَسِيَ ﴾ أي: ترك ما كان عليه من الإسلام يعني: السامري.

قال الله تعالى ردًّا عليهم، وتقريعًا لهم، وبيانًا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ أي: العجل ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ أنه لا يجيبهم إذا سألوه، ولا إذا خاطبوه، ﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ أي: في دنياهم ولا في أخراهم.

ثم قال: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر: أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب -يعني: هل يصلي فيه أم لا؟ -فقال ابن عمر، ﷺ: انظروا إلى أهل العراق، قتلوا ابن بنت رسول ﷺ -يعني: الحسين -وهم يسألون عن دم البعوض؟

❁ ❁ ❁

(١٥٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾

[طه: ٩٠-٩٨].

(١٥٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فُتِنتُم بِهِۦۖ -لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ- أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ - لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي -وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي - فَمَا خَطۡبُكَ - بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ - قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ - فَنَبَذۡتُهَا - سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي -لَا مِسَاسَۖ - ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ - ٱلۡيَمِّ -وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾	اختبرتم به – ابتليتم به
﴿لَن نَّبۡرَحَ﴾	لن نزال – سنستمر
﴿عَاكِفًا﴾	مقيمين (على عبادته)
﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾	ألا تسير خلفي وتأتي من ورائي وتتبعني بعد سفري – أن تتبع وصيتي لك
﴿لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾	لا تجذبني من لحيتي
﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ﴾	ولم تمتثل قولي – ولم تلحظ قولي
﴿فَمَا خَطۡبُكَ﴾	فما شأنك – فما بالك – يا.....رأيت ما لم يروه وعلمت ما لم يعلموه
﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾	أخذت كفًا من ترابٍ من المكان الذي سار عليه فرس جبريل عليه السلام
﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾	فطرحتها (على العجل المصنوع من الحلي)
﴿سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾	زينت لي نفسي – حسنت لي نفسي

(١٥٦) أحمر
أسود

١٥٦ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿لَا مِسَاسَ﴾	لن تمس أحدًا ولن عليك أحدٌ وقيل لن يتعامل أحدٌ ولا تعامل مع أحدٍ.
﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾	مكثت حوله وعنده تعبده لما كنًا على عبادته مستمرًا عليها
﴿ٱلْيَمِّ﴾	البحر
﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	أحاط بكل شيء علما

(١٥٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم دفاع عن نبي الله هارون عليه السلام وأنه لم يقصر في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فإنه عليه السلام لما رأى السامري صنع ما صنع واتبعه على باطله أقوام من بني اسرائيل قام هارون عليه السلام بتحذيرهم وقال يا قوم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ﴾ اختبرتم به وابتليتم به، تبعبدوه أم تعبدوا الله عز وجل فإن ربكم الرحمن فاتبعوني فيما أدعوكم إليه سر عبادة الله وحدة لا شريك له وسائر ما حدثتكم به من وجوه الخير وسيروا معي حق فذهب موسى عليه السلام وأطيعوا أمري- قالوا حينذ لن تزال مستمرين على عبادته حتى يرجع إلينا موسى فيبين لنا هو أصبنا أم أخطأنا.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ ﴾ يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاكّ في دينه.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه، فاتَّبعوني على ما آمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له، وقوله: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ يقول: قال عبدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبده، حتى يرجع إلينا موسى.

(١٥٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما كان من نَهْي هارون، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لهم عن عبادة العجل، وإخباره إياهم: إنما هذا فتنة لكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ أي: فيما آمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ أي: لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي ابتليتم وأضللتم به؛ أي بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجل. ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ في عبادته. ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾﴾ لا أمر السامري. أو فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل. فعصوه و ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل. ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ فينظر هل يعبد ه كما عبد ناه؛ فتوهموا أن موسى يعبد العجل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم معناه أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد أوصى أخاه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يخلفه في قوم ويُصلح، فلما كان من أمر القوم ما كان من عبادة العجل، ورجع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليهم اتجه إلى معاتبته أخيه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واشتد عليه في العتاب، وما قصر هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا تهاون ولكن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن

(١٥٩) أحمر
أسود

على علم بالذي كن من أمر هارون عليه السلام مع القوم، فرجع موسى عليه السلام وعاتب هارون عتابًا شديدًا، ولم يقتصر في عتابه لأخيه عليه السلام على الكلام بل أخذ بلحيته وبرأسه يجره إليه، واشتد ذلك هارون عليه السلام، وقد ذكر هارون عليه السلام أعذاره فيما حدث إذ قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

فالحاصل أن موسى عليه السلام وقدم أخذ برأس أخيه يجره إليه ويقول له ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ ما منعك أن تأتيني أنت والقوم، وقد قلت لربي عز وجل هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى، فما الذي خلقك يا هارون وأخرك عن اللحاق بي بمن آمن معك لماذا لم تأتي أنت ومن آمن ولم يعبد العجل!!

فاعتذر هارون عليه السلام بقوله إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تعمل بقولي ولم تمتثل له، فخشيت أن خرجت بقوم وتركت قومًا يعبدون العجل أن يكون.....فلا تجرني من لحيتي ولا من رأسي فالقوم سيشمتون بي فعند هاد لما موسى عليه السلام ربَّه عز وجل أن يغفر له ولأخيه فقال ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان

(١٦٠) أحمر
أسود

عهد إليه.

وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم.

وقوله: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه، فقال هارون ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾.

وقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد ﴿ قَالُواْ ﴾ له ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ فيقول له موسى ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قول الله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾) قال: (خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس (١) من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، وذلك بين في قول هارون للقوم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ وفي جواب القوم له وقيلهم ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

---

(١) والأثر الذي أورده عن ابن عباس سنده ضعيف، بغض النظر عن سلامة المعنى.

(١٦١) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه.

تنبيه متعلق باللحية

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان)

تنبيه

هذه الآية الكريمة بضميمة آية « الأنعام » إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٤] الآية. ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك أمر لنا. لأن أمر القدوة أمر لأتباعه! كما بينا إيضاحه بالأدلة القرآنية في هذا الكتاب المبارك في سورة « المائدة » وقد قدمنا هناك: أنه ثبت في صحيح البخاري: أن مجاهدًا سأل ابن عباس: من أين أخذت السجدة في « ص » قال: أو ما تقرأ ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا علمت بذلك أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في سورة « الأنعام »، وعلمت أن أمره أمر لنا. لأن لنا فيه الأسوة الحسنة، وعلمت أن هارون كان موفراً شعر لحيته بدليل قلوه لأخيه: ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴾ لأنه لو كان حالقًا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته تبين لك من ذلك بإيضاح: أن إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم. والعجب من الذين مضخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفرون من صفات الذكورية، وشرف الرجولة، إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم

(١٦٢) أحمر
أسود

بحلق أذقانهم ، ويتشبهون بالنساء حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى وهو اللحية. وقد كان ﷺ كث اللحية ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة. والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر ، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها: ليس فيهم حالق. نرجو الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقًا ، ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أما الأحاديث النبوة الدالة على إعفاء اللحية ، فلسنا بحاجة إلى ذكرها لشهرتها بين الناس ، وكثرة الرسائل المؤلفة في ذلك، وقصدنا هنا أن نبين دليل ذلك من القرآن.

❁ ❁ ❁

س: الغضب قد يحمل على أمور لا يفعلها الرجل الصالح في وقت هدوئه وراحته وضح ذلك:

ج: إيضاحه أن موسى عليه السلام لما اشتد غضبه إذ رأى قومه يعبدون العجل ألق الألواح التي فيها هدى ورحمة فتكسرت تلك الألواح، وأخذ برأس أخيه النبي الكريم هارون عليه السلام وكذا أخذه من لحيته يجره إليه، كل ذلك بسبب الغضب ولكن غفر ذلك لموسى عليه السلام فإنه كان غضبًا لله عز وجل وكان غيرةً من موسى عليه السلام على دينه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

عن موسى، عليه السلام، حين رجع إلى قومه، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم، فامتلأ عند ذلك غيظًا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وقد قدمنا في «الأعراف» بسط ذلك، وذكرنا هناك حديث «**ليس الخبر كالمعاينة**».

وشرع يلوم أخاه هارون فقال: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أي:

(١٦٣) أحمر
أسود

فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ أي: فيما كنت تقدمت إليك، وهو قوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢]. قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ، أي: في الحنو والعطف؛ ولهذا قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾.

هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أن أتبعك فأخبرك بهذا، فتقول لي: لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ أي: وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم.

قال ابن عباس: وكان هارون هائبًا له مطيعًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ ابن عباس: أخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره؛ لأن الغيرة في الله ملكته؛ أي لا تفعل هذا فيتوهموا أنه منك استخفاف أو عقوبة. وقد وقيل: إن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما فعل هذا على غيرا ولا عقوبة كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه. وقد مضى هذا في "الأعراف" مستوفى. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ أي خشيت أن أخرج وأتركهم وقد أمرتني أن أخرج معهم فلو خرجت لا تبعني قوم ويتخلف مع العجل قوم؛ وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء؛ وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال فتلومني على ذلك. وهذا جواب هارون لموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عن قوله ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وفي الأعراف ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] لأنك أمرتني أن أكون معهم. وقد تقدم. ومعنى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ لم تعمل بوصيتي في حفظه؛ قاله مقاتل. وقال أبو عبيدة: لم تنظر عهدي

(١٦٤) أحمر
أسود

وقدومي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم بيان لما حدث بين موسى عليه السلام وبين السامري فبعد أن تحدث موسى عليه السلام مع قومه من بني اسرائيل ومع أخيه هارون عليه السلام اتجه إلى موسى عليه السلام إلى رأس الفتنة السامري فقال له ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ فما شأنك وما أمرك ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ رأيت شيئًا لم يره القوم وعلمت علمًا لم يعلمه القوم، فرأيت جبريل على فرسه فأخذت كفًا من التراب من أثر الفرس فطرحتها على العجل فكان من أمر العجل ما كان، من كونه سمع له خوار وأصبح جسدًا فيه رمح، وهكذا حسنت لي نفسي وزينت لي نفسي وهيأت لي نفسي فأمرت القوم بعبادته قال موسى حينئذٍ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس لن يتوبك أحدٌ ولن يقترب منك أحد، ولاتقرب أحدًا ولا تعامل لك مع أحدٍ وإن لك موعدًا لن تخلفه فإن آتيك هذا الموعد الذي وعدناك به، وهو يوم القيامة أما عن إلهك الذي عبدته وأقامت حوله فانظر إليه لنحرقنه لنحرقه قطعة قطعة شيئًا فشيئًا ثم لنذرينه بعد حرقه في لابحر تزريةً ولنطيرنه تطييرًا ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ معبودكم الذي يستحق العبادة الذي هو خالقكم ورازقكم ومحيكم وممتيكم الله الذي لا إله إلا هو ألا معبود معه ولا معبود غيره ولا معبود سواه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط

علما بكل شيء فما من شيء إلا علمه عند الله ﷻ يعلم عند كل شيء.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسامريّ: فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول: لا مساس: أي لا أمس، ولا أُمسُّ.. وذُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يخلفكه الله، ولكن يذيقكه، وقرأ ذلك الحسن وقَتادة وأبو نهيك ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدا لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإن لك موعدا لن تخلفه أنت يا سامريّ، وتأوّلوه بمعنى: لن تغيب عنه.

وقوله: وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقيما تعبده.

وقوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الحجاز والعراق ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة، ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك ﴿ لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ يقول: ثم لنذرّينه في البحر تذرية، يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح.

(١٦٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول: أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك ، يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته.

وأورد بإسناد صحيح: عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال: ما لك يا ساميّ؟

وقوله: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما.

وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه، وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته، كما يقال: أسرعت وسرعت ما شئت.

ذكر من قال: هو بمعنى أبصرت.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ يعني فرس جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقوله: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل.

وقوله: ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ يقول: فألقيتها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾

يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار ، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ يقول: زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول لهم موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ليس هذا إلهكم، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو] أي: لا يستحق ذلك على العباد إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه، عبد لربه.

وقوله: ﴿ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ نصب على التمييز، أي: هو عالم بكل شيء، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] ، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٨] ، فلا ﴿يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [سبأ: ٣] ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ ﴾ أي قال له موسى فاذهب أي من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أي لا أمس ولا أمس طول الحياة. فنفاه موسى عن قومه وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له. قال الشاعر:

تميم كرهط السامري وقوله ... ألا لا يريد السامري مساسا

قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ألا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة؛ وكأن الله عز وجل شدد عليه المحنة، بأن

(١٦٨) أحمر
أسود

جعله لا يماس أحدا ولا يمكن من أن يمسه أحد، وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا. ويقال: ابتلى بالوسواس وأصل الوسواس من ذلك الوقت. وقال قتادة: بقاياهم إلى اليوم يقولون ذلك - لا مساس - وإن مس واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما في الوقت. ويقال: إن موسى هم بقتل السامري، فقال الله تعالى له: لا تقتله فإنه سخي. ويقال لما قال له موسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحشي، لا يجد أحدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس؛ لبعده عن الناس وبعد الناس عنه؛ كما قال الشاعر:

حمال رايات بها قناعسا حتى تقول الأزد لا مسابسا

مسألة: هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خلفوا.

❁ ❁ ❁

(١٦٩) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ
أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا
تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ
خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ
بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾
[طه: ٩٩-١١٤].

س: اذكر معنى ما يلي:

(١٧٠) أحمر
أسود

﴿أَنۢبَآءِ - مَا قَدۡ سَبَقَۚ - ءَاتَيۡنَٰكَ - لَّدُنَّا - ذِكۡرٗا - وِزۡرٗا - وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا - ٱلصُّورِ - زُرۡقٗا - يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ - إِن لَّبِثۡتُمۡ - أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً - يَنسِفُهَا - فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا - عِوَجٗا - أَمۡتٗا - ٱلدَّاعِيَ - لَا عِوَجَ لَهُۥۖ - وَخَشَعَتِ - هَمۡسٗا - وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا - ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ - هَضۡمٗا - وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ - يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا - فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ - وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ - يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنۢبَآءِ﴾	أخبار
﴿مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾	من مضوا من الأمم
﴿ءَاتَيۡنَٰكَ﴾	أعطيناك
﴿مِن لَّدُنَّا﴾	من عندنا
﴿ذِكۡرٗا﴾	شرفًا- قرآنا
﴿وِزۡرٗا﴾	حملًا من الذنوب
﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾	ساء الحمل الذي يحملونه من الذنوب وأسوأ الحمل الذي يحملونه
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرنٌ يُنفخ فيه
﴿زُرۡقٗا﴾	زرق العيون
﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾	يتساررون فيما بينهم- يتحدثون سرًا فيما بينهم
﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾	ما مكثتم في الدنيا أو في القبور
﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾	أعدلهم طريقة- أوفرفهم عقلًا وأسدهم رأيًا

(١٧١) أحمر
أسود

﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾	يزيلها من أماكنها وإزالتها وذلك بعد تدميرها وتفتيتها- يُطيرها ربي تطييرًا- يُذرِّيها ربي تذرية
﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾	أرضًا ملساء مستوية
﴿عِوَجًا﴾	ميلًا، انخفاضًا
﴿أَمْتًا﴾	انثناء- ارتفاعًا
﴿ٱلدَّاعِيَ﴾	من يدعوهم، داع يدعوهم يوم القيامة
﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾	لا معدل لهم عن إجابته ولا انحراف لهم عن الذهاب إليه
﴿وَخَشَعَتِ﴾	سكنت- خفتت- انخفضت
﴿هَمْسًا﴾	قولًا في السر، وقولًا في الأذان وقيل وطأ الأقدام
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	لا يحيطون علما بالله، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾	خضعت – ذلَّت – سكنت
﴿لِلْحَيِّ﴾	الحي الذي لا يموت
﴿ٱلْقَيُّومِ﴾	القائم بتدبير أحوال خلقه
﴿خَابَ﴾	لم يظفر بمطلوب ولم ينج من مرهوب
﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾	حمل شركًا أشرك ومات على الشرك
﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾	نوعنا فيه من صور الوعيد والتحذير والتخويف والإنذار

(١٧٢) أحمر
أسود

﴿يَتَّقُونَ﴾	يحذرون غضب الله وعقابه يحذرون الشرك المؤدي إلى غضب الله وعقابه ويحذرون المحرمات
﴿يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾	يجعلهم يتذكرون، يتعظون ويعتبرون يُحدث لهم شرفًا إن هم اتبعوه
﴿فَتَعَالَى﴾	فارتفع وتعاظم وتنزه عن كل ما لا يعلمون وكذا فهو المتعالي على خلقه في سمواته
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾	ولا تسرع بأخذ القرآن حتى ينتهي جبريل من إلقائه عليك وإفهامك إياه
﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾	من قبل أن يبينه لك ويتلوه عليك

❁ ❁ ❁

(١٧٣) أحمر
أسود

س: وصح معنى هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وكما قصصنا عليك نبأ موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام وبني اسرائيل مع فرعون وقومه، فكذلك نخبرك بأخبار من قد سبقوك وتقدموك عمومًا من الأنبياء وغيرهم ومن الأحداث والوقائع كذلك، وقد أ نزلنا إليك كتابا من عندنا، وهو القرآن يتذكر به من يخشى ويهتدي به من ينيب، من أعرض عنه ورفضه فإنه يحمل يوم القيامة إثمًا عظيمًا خالدًا مع هذا الإثم العظيم ويسبب هذا الإثم العظيم في جهنم، وبئس هذا الحمل الذي يحمله يوم القيامة بسبب إعراضه عن هذا القرآنن بئس هذا الحمل الذي يحمله يوم القيامة، يوم يُنفخ في الصور، والصور قرنٌ يُنفخ فيه، والنافخ عند جماهير العلماء- هو إسرافيل عليه السلام وعند النفخ في الصور يحشر المجرمون يومها زرق العيون قيل من شرة العطش، وقيل هي علامة على أهل الإجرام يحشرون زرق العيون ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي تسارر أهل الإجرام، أهل الشرك، فيما بينهم، يتحدثون سرًا فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم في الدنيا، وقيل في الحياة البرزخية، إلا عشرة أيام فيقول تعالى ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ بما يتساررون به فيما بينهم، ونحن أعلم بحقيقة ما يقولون ويتكلمون فيه، وأعلم بما لبثوا، ونحن أعلم بهم أيضًا إذ يقولهم أعد لهم طريقة وأوفرهم عقلًا وأسدهم رأيًا، يقول من وجهة نظرة، وفي ظنة وتفكره إن لبثتم إلا يومًا أي ما مكثتم في دنياكم أو في قبوركم إلا يومًا.

(١٧٤) أحمر
أسود

والآية كقوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾.

وكقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾ يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعاينها، وقوله: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين، وقوله: ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ﴾ يقول تعالى ذكره: من ولى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠﴾ يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾.

يقول تعالى ذكره: خالدين في وزرهم، فأخرج الخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم، والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر.

وقوله: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾ يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردهم

(١٧٥) أحمر
أسود

مهلكة لا منجى منها.

وقوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور، فقوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ ردًّا على يوم القيامة، وقد بيَّنا معنى النفخ في الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين.

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقوله: ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: يتهامسون بينهم، ويسرّ بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوما.

وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم أنهم

(١٧٦) أحمر
أسود

لم يعيشوا فيها إلا يوما.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف. أي كما قصصنا عليك خبر موسى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ قصصا كذلك من أخبار ما قد سبق؛ ليكون تسلية لك، وليدل على صدقك. ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ يعني القرآن. وسمي القرآن ذكرا؛ لما فيه من الذكر كما سمي الرسول ذكرا؛ الذكر كان ينزل عليه. وقيل: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ أي شرفا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف وتنويه باسمك.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي القرآن فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ أي إثما عظيما وحملا ثقيلا. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ يريد مقيمين فيه؛ أي في جزائه وجزاؤه جهنم. ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة. وقرأ داود بن رفيع ﴿فَإِنَّهُۥ يَحِمِلُ﴾.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ قراءة العامة ﴿يُنْفَخُ﴾ بضم الياء على الفعل المجهول. وقرأ أبو عمرو وابن إسحاق بنون مسمى الفاعل. واستدل أبو عمرو بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بنون.

وعن ابن هرمز: ﴿يُنفَخُ﴾ بفتح الياء أي ينفخ إسرافيل. أبو عياض: ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾. الباقون ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ وقد تقدم. وقرأ طلحة بن مصرف ﴿وَيُحْشَرُ﴾ بضم الياء المجرمون رفعا بخلاف المصحف. والباقون ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين. ﴿زُرْقًا﴾ حال من المجرمين، والزرق خلاف الكحل. والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه؛ أي تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم. وقال الكلبي والفراء: ﴿زُرْقًا﴾ أي عميا. وقال الأزهري: عطاشا قد ازرقت أعينهم من شدة العطش؛ وقاله الزجاج؛ قال: لأن سواد العين يتغير ويزرق من

العطش.

وقال في قوله: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أصل الخفت في اللغة السكون، ثم قيل لمن خفض صوته خفته. يتسارون؛ قاله مجاهد؛ أي يقولون بعضهم لبعض في الموقف سرا. ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ أي ما لبثتم يعني في الدنيا، وقيل في القبور ﴿إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ يريد عشر ليال. وقيل: أراد ما بين النفختين وهو أربعون سنة؛ يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار - في قول ابن عباس - فيستقصرون تلك المدة. أو مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من أهوال يوم القيامة؛ ويخيل إلى أمثلهم أي أعدلهم قولا وأعقلهم وأعلمهم عند نفسه أنهم ما لبثوا إلا يوما واحدا يعني لبثهم في الدنيا؛ عن قتادة؛ فالتقدير: إلا مثل يوم. وقيل: إنهم من شدة هول المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا رأوه كيوم. وقيل: أراد بيوم لبثهم ما بين النفختين، أو لبثهم في القبور على ما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كما قَصَصْنَا عليك خبر موسى، وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص، هذا ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: عندنا ﴿ ذِكۡرٗا ٩٩﴾ وهو القرآن العظيم، الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي لم يعط نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما، كتابًا مثله ولا أكمل منه، ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن، وحكم الفصل بين الناس منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ ﴾ أي: كذب به وأعرض عن اتباعه أمرًا وطلبًا، وابتغى الهدى في غيره، فإن الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم؛ ولهذا قال: ﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠﴾ أي: إثمًا، كما قال [الله] تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ

(١٧٨) أحمر
أسود

مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧].

وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي، ومن خالفه وأعرض عنه ضَلَّ وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ أي: لا مَحِيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ أي: بئس الحمل حملهم.

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الصُّور، فقال: «**قَرنٌ يُنفَخ فيه**».

وقد جاء في حديث «الصور» من رواية أبي هريرة: أنه قرن عظيم، الدَّارة منه بقدر السماوات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، عليه السلام. وجاء في الحديث: «**كيف أنعَمُ وصاحب القَرْن قد التقم القَرْن، وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له**» فقالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**».

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ قيل: معناه زُرْق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال.

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: يتسارّون بينهم، أي: يقول بعضهم لبعض: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾.

أي: في الدار الدنيا، لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها.

قال الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: في حال تناجيهم بينهم ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أي: العاقل الكامل فيهم، ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد؛ لأن الدنيا كُلَّها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد؛ ولهذا تستقصر مدة الحياة الدنيا يوم

(١٧٩) أحمر
أسود

القيامة: وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم، لقصر المدة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤] أي: إنما كان لُبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف، قَدَّمتُم الحاضر الفاني على الدائم الباقي.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا﴾.

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حاصله أن مواقف القيامة وأحوالها تتعدد ففي بعض الأوقات يحشرون عميانا، وفي بعضها يكونون زرق العيون. وبالله التوفيق وهو أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ويسألونك عن مصير الجبال يوم القيامة كيف ستكون فقل لهم يفتتها ربي ﷻ تفتيتًا ويُطيِّرها تطيرًا ويُذرِّيها تذرية فتصبح أماكنها ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أرضًا مستوية ملساء لا شيء عليها لا ترى فيها

(١٨٠) أحمر
أسود

ارتفاعًا ولا انخفاضًا، ولا ترى فيها وادًا ولا جبلًا ولا رابية، فعند ذلك يتبع البشر الخارجون من قبورهم للبعث والنشور الداعي الذي يدعوهم كما قال تعالى ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وكما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ فيجيبون الداعي وليس لهم معدلس عن إجابته، وعندئذ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ سكنت الأصوات ولم يتكلم أصحابها فلا تسمع ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ إلا تسارًا فمي بينهم وقول بعضهم لبعض في السر، وهمسًا في الآذان ووطأ الأقدام فقط فعندئذ ويومها لا تقبل من أحدٍ شفاعة إلا الذي أذن له الرحمن أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وكذا لا تقبل في أحدٍ شفاعة إلا الذي أذن الله لشفيعه أن يشفع فيه.

أما قوله: ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ فتحتمل احتمالات أحدها ورضي قوله في الشفاعة.

الثاني ورضي قوله الذي كان يقوله في الدنيا وهو قول لا إله إلا الله فلا تنفع الشفاعة إلا من قال لا إله إلا الله أما قوله تبارك وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فقيل معناه يعلم ما سيأتيهم من أمور الغيب وما سيكون من أوهم يوم القيامة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما صدر منهم في دنياهم من قبل والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودكّ بعضها على بعض، وتصييره إياها هباء منبثا

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا، قاعا: يعني: أرضا ملساء، صفصفا: يعني مستويا لا نبات فيه،

(١٨١) أحمر
أسود

ولا نشز، ولا ارتفاع.

وقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ يقول: لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا.

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت، فقال بعضهم عنى بالعوج في هذا الموضع: الأودية، وبالأمت: الروابي والنشوز.

وقال آخرون: بل عني بالعوج في هذا الموضع الصدوع، وبالأمت الارتفاع من الآكام وأشباهها.

وقال آخرون: عني بالعوج الميل، والأمت الأثر.

وقال آخرون: الأمت المحاني والأحداب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.

فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج، فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجا، قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة، كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا، وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم، مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا: أي انثناء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا، ومنه قول الراجز:

مَا فِي انْجِذَابِ سَيْرِهِ مِنْ أَمْتِ

يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع ، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلا

(١٨٢) أحمر
أسود

عن الاستواء، ولا ارتفاعا، ولا انخفاضا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ يقول: لا عوج لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعا إليه ينحشرون، وقيل: لا عوج له، والمعنى: لا عوج لهم عنه، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه، ولكنهم يؤمونه ويأتونه، كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها ، وقوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع ، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن.

وقوله: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ يقول:

إنه وطء الأقدام إلى المحشر، وأصله: الصوت الخفيّ، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا﴾ شفاعة ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ وأدخل في الكلام له دليلا على إضافة

القول إلى كناية «مَنْ» وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، ورضيته منك، وموضع مَن من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ نصب لأنه خلاف الشفاعة.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون

(١٨٣) أحمر
أسود

إليه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وأورد بإسنادس حسن:

عن قتادة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط عباده به علما، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها، موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ أي: هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ أي: يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرًا.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ أي: بساطًا واحدًا.

والقاع: هو المستوي من الأرض. والصفصف تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه. والأول أولى، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم؛ ولهذا قال: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي: لا ترى في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: يوم يرون هذه الأحوال والأهوال، يستجيبون مسارعين إلى الداعي، حيثما أمروا بادروا إليه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم، كما

(١٨٤) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وقال: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٨].

قال محمد بن كعب القُرَظِي: يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة، وتطوي السماء، وتتناثر النجوم، وتذهب الشمس والقمر، وينادي مناد، فيتبع الناس الصوت فيأتونه فذلك قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾.

وقال قتادة: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يميلون عنه.

وقال أبو صالح: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا عوج عنه.

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ أقوالًا مفادها وسكنت وأورد في قوله ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قولين أحدهما أن الهمس الصوت الخفي، والآخر أنه وطء الأقدام وقولًا ثالث يشمل المعنيين

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما وطء الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع. وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥].

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أي: عنده ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ كقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨].

وفي الصحيحين، من غير وجه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال: «**آتي تحت العرش، وأخر لله ساجدًا،**

(١٨٥) أحمر
أسود

ويَفْتَح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع واشفع تشفع». قال: «فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود»، فذكر أربع مرات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.

وفي الحديث أيضًا: «يقول تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، فَيُخْرِجُون خلقا كثيرا، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرّة، من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرّة من إيمان» الحديث.

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: يحيط علما بالخلائق كلهم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ كقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ أي عن حال الجبال يوم القيامة. ﴿فَقُلْ﴾ جاء هذا بفاء وكل سؤال في القرآن ﴿قُلْ﴾ بغير فاء إلا هذا، لأن المعنى إن سألوك عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال، وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجواب عقب السؤال؛ فلذلك كان بغير فاء، وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد؛ فتفهمه. ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ يطيرها. ﴿نَسْفًا ﴾ قال ابن الأعرابي وغيره: يقلعها قلعا من أصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا، ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا قال: ولا يكون العهن من الصوف إلا المصبوغ، ثم كالهباء المنثور. ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي يذر مواضعها ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ القاع الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء.

(١٨٦) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ ﴾ يريد إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نفخ في الصور ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لا معدل لهم عنه؛ أي عن دعائه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون إليه ولا يحيدون عنه. وعلى هذا أكثر العلماء. وقيل: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لدعائه. وقيل: يتبعون الداعي اتباعا لا عوج له؛ فالمصدر مضمر؛ والمعنى: يتبعون صوت الداعي للمحشر؛ نظيره: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١] الآية. وسيأتي. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي ذلت.

وأورد أقوالًا في قوله إلا همسًا منها: الصوت الخفي، ومنها الحس الخفي، ومنها تحريك الشفة واللسان ومنها صوت الأقدام.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى متقارب أي لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام وقال في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الأول؛ أي لا تنفع الشفاعة أحدا إلا شفاعة من أذن له الرحمن. ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ أي رضي قوله في الشفاعة. وقيل: المعنى، أي إنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمن في أن يشفع له، وكان له قول يرضي. قال ابن عباس: هو قول لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي من أمر الساعة. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا قاله قتادة. وقيل: يعلم ما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما خلفوه وراءهم في الدنيا. ثم قيل: الآية عامة في جميع الخلق. وقيل: المراد الذين يتبعون الداعي. والحمد لله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾.

(١٨٧) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، خضعت الوجوه وذلَّت واستسلمت وأصبحت أسيرة (فالأسير يطلق عليه العاني) وقيل أيضًا من صور ذلك، وضع الجبهة والكيفية والركبتين واطراف القدمين في السجود أما قوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ فمعناه ولم يظفر بمطلوبه ولم ينجو من مرهوبه من حمل شركًا أي جاء يوم القيامة وكان قد مات في دنياه على الشرك وقيل من ظلم العباد كذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: استرّت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، كما قال الشاعر:

هَلْ أَنْتَ مُطِيعي أَيُّها القلب عنوة ... ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

وقال آخر:

هَلْ أَخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلَكِنْ بِحَدِّ المَشْرَفِي اسْتَقالَهَا

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيادة شركا بالله، وكفرا به، وعملا بمعصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ قال ابن عباس، وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم: الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء، يدبره ويحفظه، فهو الكامل في نفسه، الذي كل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به.

(١٨٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ أي: يوم القيامة، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ومن يعمل أعمالًا صالحة موافقة للكتاب العزيز والسنة المباركة مع إيمانه بالله ﷻ وإخلاص له فلا يخاف نقصًا لحسناته لا قليل ولا كثير منها.

فالظلم النقص، والهضم كذلك النقص ولكن قال بعض العلماء إن الظلم الذهاب بالحق كله أو بأكثر الحق والهضم الذهاب يجزي ولو يسير من الحق.

وقال بعض العلماء إن قوله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ أي أن تحمل عليه سيئات غيره ﴿وَلَا هَضْمًا ﴾ولأنقص من ثواب حسناته، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ يقول: وهو مصدّق بالله، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ لأن العمل لا يقبل من غير إيمان.

(١٨٩) أحمر
أسود

و ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للتبعيض؛ أي شيئا من الصالحات. وقيل للجنس. ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير ومجاهد وابن محيص ﴿يَخَفْ﴾ بالجزم جوابا لقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾. الباقون ﴿يَخَافُ﴾ رفعا على الخبر؛ أي فهو لا يخاف؛ أو فإنه لا يخاف. ﴿ظُلْمًا﴾ أي نقصا لثواب طاعته، ولا زيادة عليه في سيئاته. ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ بالانتقاص من حقه. والهضم النقص والكسر؛ يقال: هضمت ذلك من حقي أي حططته وتركته. وهذ يهضم الطعام أي ينقص ثقله. وامرأة هضيم الكشح ضامرة البطن. الماوردي: والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله، والهضم المنع من بعضه، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه؛ قال المتوكل الليثي:

إن الأذلة واللئام لمعشر ... مولاهم المتهضم المظلوم

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم أي مظلوم. وتهضمه أي ظلمه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وكما بيَّنا لكن يا رسول الله في هذه السورة الكريمة من كريم البيان وصادق البيان وحسن البيان وكما أخبرناك وقصصنا عليك وكما أنزلنا عليك من التذكير في هذه السورة وبينا لكن عن الأحكام فهكذا أنزلنا هذا القرآن كله عربيًا بسان عربي مبين أنزلناه عربيا لعلهم يعقلون ويفهمون عن الله ﷻ مراده وكذا نوعنا فيه من صور الوعيد فأحيانا تخويف بالنار وأحيانا تذكير بالقبة وأحيانا بالتذكير بصور العذاب التي عُذِّب بها أقوام

(١٩٠) أحمر
أسود

وأحيانا بذكر ريح الغابرين، كل ذلك لعلَّ القوم يتقون الشرك ويخافون عذاب الله ويحذرونه ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ أو يحدث هذا التصريف تصريف الوعيد، يحدث لهم ذكرًا خوفًا وحذرًا وتذكيرصا، وكذا يحدث لهم شرفًا إن هم اتبعوه وأقبلوا على ما فيه من الخير أما قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾.... فترفع وتعالى وعلا منزلةً وقدرًا وجلَّ الله الملك الحمد الذي لا ملك سواه القائم كذلك بالحق والقائل بالحق، وذو الوعد الحق والقول الحق.

والذي أرسل رسلة بالحق وخلق الجنة والنار بالحق وأقام الساعة لإحقاق الحق.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ أي انتظر واستمع للقرآن عندما يوحي إليك ولا تتعجل في حفظه وأخذه عن جبريل حتى ينقضي من تلاوته عليك ومن إيمان لك فاستمع جبريل عليه السلام حتى ينتهي ويفرغ من تلاوته عليك ثم حدث به كما تقدم في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾.

أما قوله ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ فحث على دعاء الله عز وجل سؤاله فريدًا من العلم الشرعي.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا، إذ كانوا عَرَبا ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾ فبيناه:

(١٩١) أحمر
أسود

يقول: وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يقول: كي يتقونا، بتصريفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ما حذروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ﴿ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾: أي جدّا وورعا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال بعضهم في ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ أن معناه: أو يحدثُ لهم شرفا، بإيمانهم به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا تمله عليه حتى نبينه لك.

وأورد أقوالًا مفادها حتى نبينه لك.

وقال:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: ربّ

(١٩٢) أحمر
أسود

زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة، أنزلنا القرآن بشيرًا ونذيرًا، بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عيّ، ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتركون المآثم والمحارم والفواحش، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تنزه وتقدس الملك الحق، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق، والجنة حق، والنار حق، وكل شيء منه حق. وعدله تعالى ألا يعذب أحدًا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ كقوله تعالى في سورة «لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ» ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وثبت في الصحيح عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدّة، فكان مما يحرّك لسانه، فأنزل الله هذه الآية يعني: أنه، عليه السلام، كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدّة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه. فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ أي: زدني منك علمًا.

(١٩٣) أحمر
أسود

قال ابن عُيَيْنَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما بينا لك في هذه السورة من البيان فكذلك جعلناه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي بلغة العرب. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي يخافون الله فيجتنبون معاصيه، ويحذرون عقابه. ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ أي موعظة. وقال قتادة: حذرا وورعا. وقيل: شرفا؛ فالذكر ها هنا بمعنى الشرف؛ كقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقيل: أي ليتذكروا العذاب الذي توعدوا به. وقرأ الحسن «أو نحدث» بالنون؛ وروي عنه رفع الثاء وجزمها.

قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ لما عرف العباد عظيم نعمه، وإنزال القرآن نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي جل الله الملك الحق؛ أي ذو الحق. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ علم نبيه كيف يتلقى القرآن. قال ابن عباس كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ، وشفقة على القرآن مخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك وأنزل ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ وهذا كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦].

❁ ❁ ❁

(١٩٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ
إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ
إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ
وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ
ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ
مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ
وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾
[طه: ١١٥-١٢٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

(١٩٥) أحمر
أسود

﴿عَهِدْنَآ - فَنَسِىَ - عَزْمًا - أَبَىٰٓ - فَتَشْقَىٰٓ - لَا تَظْمَؤُا۟ - وَلَا تَضْحَىٰ - لَا يَبْلَىٰ - فَبَدَتْ - سَوْءَٰتُهُمَا - وَطَفِقَا - يَخْصِفَانِ - فَغَوَىٰ - ٱجْتَبَٰهُ - وَهَدَىٰ - هُدًى - فَلَا يَضِلُّ - وَلَا يَشْقَىٰ - ذِكْرِى - مَعِيشَةً ضَنكًا - وَنَحْشُرُهُۥ - فَنَسِيتَهَا - أَسْرَفَ - وَأَبْقَىٰٓ﴾.

الكلمة	معناها
﴿عَهِدْنَآ﴾	أمرنا- حذرنا- أوصينا
﴿فَنَسِىَ﴾	فترك (العهد)
﴿عَزْمًا﴾	عزيمة قوية- صبرًا- حفظًا لما عهدنا به إليه
﴿أَبَىٰٓ﴾	امتنع
﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾	فتتعب في العمل فيكون طعامك من كد يدك- فتتعب وترهق – فتعذب وتطرد من النعم
﴿لَا تَظْمَؤُا۟﴾	لا تعطش
﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾	لا تصاب بالحر
﴿لَا يَبْلَىٰ﴾	لا يفنى – لا يبيد- لا يزول ولا ينتهي
﴿فَبَدَتْ﴾	فظهرت- فانكشفت
﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾	عورتهما
﴿وَطَفِقَا﴾	بدأ
﴿يَخْصِفَانِ﴾	يجمعان ويضمان ويشدان
﴿فَغَوَىٰ﴾	ترك طريق الرشاد- وقع في الغي وهو البعد عن الحق والصواب

(١٩٦) أحمر
أسود

١٩٦ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾	اختاره
﴿وَهَدَىٰ﴾	وفقه للإيمان والاستغفار
(هُدَى)	حقٌّ- إرشادٌ
﴿فَلَا يَضِلُّ﴾	فلا يخطئ طريق الجنة
﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾	ولا يعيش في كبدس ولا في مشقة
﴿ذِكۡرِي﴾	كتبه التي أنزلتها على رسلي- ذكرى بلسانه
﴿مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾	معيشة ضيقة شديدة الضيق والنكد والتعب، قيل في الدنيا- وقيل في القبر وقيل يوم القيامة
﴿وَنَحۡشُرُهُۥ﴾	نجمعه مع سائر الخلق
﴿فَنَسِيتَهَا﴾	فتركت العمل بها
﴿أَسۡرَفَ﴾	تجاوز الحد في الكفر والظلم والفسق والعصيان
﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾	أدوم وأكثر استمرارًا

❁ ❁ ❁

(١٩٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد وصينا آدم عليه السلام بوصية ونهيناه عن شيء فلم يُمضه وصيتنا ولم ينته عما نهيناه عنه ولم يحفظ وصيتنا ولم نجد عنده صبراً على ما نهيناه عنه ولا عزيمة شدسدة على ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

أما قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هؤلاء المشركين وقيل من قبل أن يأكل من الشجرة

وقوله: ﴿فَنَسِىَ﴾ أي فترك الذي عهدناه إليه:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدّوهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقديما ما فعل ذلك أبوهم آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ﴾ يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ ووسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلّ به من عقوبتي ما حلّ.

وعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء الذين أخبر أنه صرَّف لهم الوعيد في هذا القرآن، وقوله: ﴿فَنَسِىَ﴾ يقول: فترك عهدي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ قال: قال له: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ وقرأ حتى بلغ ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه،

(١٩٨) أحمر
أسود

قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع من سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرّمه وشرّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي.

وقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ اختلف أهل التأويل في معنى العزم ها هنا، فقال: بعضهم: معناه الصبر.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة قال: ﴿عَزْمًا﴾ صبراً.

قال:

وقال آخرون: معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظًا لما عهدنا إليه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به.

قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه ، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله قولنا للملائكة وقبل أن نخلق

(١٩٩) أحمر
أسود

آدم عليه السلام ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ فأخبرهم بما سيكون وأمرهم بالسجود إذا نفخ الروح فيه، وكذا أمرهم بالسجود لما نفخ فيه الروح فقال ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود تحية ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ أي كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ الشيطان الأكبر ﴿أَبَىٰ﴾ رفض وامتنع من السجود ورفض مستكبراً متعاليًا عن الأمر كما في قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ وعلل ذلك بقوله ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ وبقوله ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

فالحاصل أن الله عز وجل حذر آدم عليه السلام من إبليس وخطواته فقال له ﴿يَٰٓءَادَمُ إِنَّ هَٰذَا﴾ الشيطان ﴿عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ وهي حواء عليها السلام ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ فلا يتسبب في إخراجكما من الجنة فتشقى فتتعب وتكد كي تأكل لقمة العيش وتتعب أما أنت الآن يا آدم ففي الجنة ﴿لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ بل أنت في عيش رغيد هنيء وكذلك ﴿وَلَا تَعۡرَىٰ﴾ لا تنوي بل أنت مكسوٌ مستورٌ والحمد لله ومن فضل الله بلباس من الجنة وبطعام وشراب من طعامها وشرابها ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ لا تعطش بل أنت تُروى كيف شئت ومن أي مكان فيها شئت ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ لا تصاب بحر فيها، فاحفظ يا آدم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك، وذلك بشكرك لله وامتثالك لأمره.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره معلمًا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦﴾ أن يسجد له ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓءَادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ ولذلك من شنآنه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني، فلا تطيعاه

(٢٠٠) أحمر
أسود

فيما يأمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له ﴿ مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه.

وقال تعالى ذكره: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ ولم يقل: فتشقيا، وقد قال: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾ لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه. كما قال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ق: ١٧] اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه.

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾ يا آدم ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ و«أن» في قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ في موضع نصب بإنَّ التي في قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ اختلفت القرّاء في قراءتها، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك، على العطف على قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾، وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة والبصرة وأنك، بفتح ألفها عطفا بها على «أن» التي في قوله: ﴿ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾، ووجّهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا، فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدأ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب، وعني بقوله: ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ لا تعطش في الجنة ما دمت فيها ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾، يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرّها، كما قال ابن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلا أمّا إذا الشَّمْسُ فَيَضْحَى وأمّا بالعشِيّ فَيَخْصَرُ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ أي: امتنع واستكبر. ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ

(٢٠١) أحمر
أسود

لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾ يعني: حواء، عليهما السلام ﴿ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي: إياك أن يسعى في إخراجك منها، فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء، لا كلفة ولا مشقة.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ إنما قرن بين الجوع والعُرْي؛ لأن الجوع ذُلّ الباطن، والعري ذُلّ الظاهر.

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ وهذان أيضًا متقابلان، فالظمأ: حر الباطن، وهو العطش. والضحى: حر الظاهر.

قوال القرطبي رحمه الله:

﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا ﴾ نهي؛ ومجازه لا تقبلا منه فيكون ذلك سببا لخروجكما ﴿مِنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ﴿فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد؛ وليقل: فتشقيا لأن المعنى معروف، وآدم عليه السلام هو المخاطب، وهو المقصود. وأيضا لما كان الكاد عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص. وقيل: الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده، وهو شقاوة البدن؛ ألا ترى أنه عقبه بقوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ أي في الجنة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ فأعلمه أن له في الجنة هذا كله: الكسوة والطعام والشراب والمسكن؛ وأنك إن ضيعت الوصية، وأطعت العدو أخرجكما من الجنة فشقيت تعبا ونصبا، أي جعت وعريت وظمئت وأصابتك الشمس؛ لأنك ترد إلى الأرض إذا أخرجت من الجنة. وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان: يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج؛ فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج، فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية. وأعلمنا في هذه الآية أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن؛ فإذا

(٢٠٢) أحمر
أسود

أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها؛ فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور، فأما هذه الأربعة فلا بد لها منها؛ لأن بها إقامة المهجة. قال الحسن المراد بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ شقاء الدنيا، لا يرى ابن آدم إلا ناصبا. وقال الفراء هو أن يأكل من كد يديه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ أي لا تعطش. والظمأ العطش. ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ أي تبرز للشمس فتجد حرها. إذ ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

ج: المعنى والله وأعلم فحدث الشيطان آدم عليه السلام حديثًا في نفسه وألقى إليه بوساوسه في صدره وقال له يا آدم هل أدلك على ﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ شجرة إن أكلت منها ستخلد ولن تموت، وبالأكل منها تصبح ملكًا مثل الله عز وجل ولك ملكٌ مثل ملكه لا يفنى ولا يبيد ولا يزولن وقيل كي تكون ملكًا من الملائكة الآية الكريمة كقوله ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ وأقسم لهما الشيطان على صدقه فيم يقوله قال تعالى ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

فحملهما اللعين على الأكل من الشجرةن فأكلا منها فلما أكلا منها نزع عنهما لباس الجنَّة، ذلكم اللباس الذي كساهما الله تعالى به في الجنة إذ قال ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ نزع عنهما اللباس وانكشف العورات وظهرت فرأى آدم وحواء سوءتهما فبدأ يجمعان ورقًا من أوراق أشجار الجنة ويضمان

(٢٠٣) أحمر
أسود

بعضه إلى بعض كي يسترا العوارات، كي يستر السوءات وعصى آدم ربَّه ﷻ بأكله من الشجرة هو وزجته فغوى فوقع في المخالفة والغواية، وفسدت عليه معيشته ووقع في الشر لما أكل من الشجرة ثم إن الله ﷻ اجتباه واختاره واصطفاه بعد معصيته فرزقه التوبة والإنابة والاستقصاء والعمل بطاعة الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ يقول: فألقى إلى آدم الشيطان وحدّثه ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكا لا ينقضي فيبلى.

وأورد بإسناد حسن عن عن السديّ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ إن أكلت منها كنت مَلكا مثل الله ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠] فلا تموتان أبدا.

يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحوّاء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ يقول: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي، قال: إنما أراد، يعني إبليس بقوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حوّاء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإني قد أكلت، فلم يضرّني، فلما أكل آدم بدت سوآتهما.

(٢٠٤) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يقول: أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة.

عن السدي: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يقول: أقبلا يغطيان عليهما بورق التين.

وبإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يقول: يوصلان عليهما من ورق الجنة.

وقوله: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ يقول: وخالف أمر ربه، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها ، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه ، وقوله: ﴿وَهَدَىٰ ﴾ يقول: وهداه للتوبة، فوفَّقه لها.

❁ ❁ ❁

هل تصدر من الأنبياء معاصي

س: هل الأنبياء تصدر منهم معاصي؟

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

الأكثر على أنه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء مَعْصية. وخالف الروافض ، وخالف المعتزلة إلا في الصغائر. ومعتمدهم التقبيح العقلي. والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام؛ لدلالة المعجزة على الصدق. وجوَّزه القاضي غلطًا وقال: دلت على الصدق اعتقاداً. وأما غيره مِن المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة. والأكثر على جواز غيرهما ا ه منه بلفظه.

وحاصل كلامه: عصمتهم من الكبائر ، ومن صغائر الخِسّة دون غيرها من الصغائر.

(٢٠٥) أحمر
أسود

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحاصل كلام الأصوليِّين في هذه المسألة: عِصْمَتهم مِن الكُفر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ ، ومن الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة ، وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير الصغائر الخسة منهم. ولكن جماعة كثيرة مِن متأخِّري الأصوليِّين اختاروا أن ذلك وإن جاز عقلاً لم يَقع فعلاً ، وقالوا: إنما جاء في الكتاب والسنَّة مِن ذلك أن ما فعلوه بتأويل أو نسيانًا أو سهواً ، أو نحو ذلك.

قال مقيده عفا الله وغفر له: الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يَقع منهم ما يزري بمراتبهم العَلِّية ، ومناصبهم السامِيَة. ولا يستودجب خطأ منهم ولا نقصًا فيهم صَلوات الله وسلامه عليهم ، ولو فَرَضْنا أنه وقع منهم بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة ، والإخلاص ، وصِدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئًا من ذلك. ومِما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]. فانظر أي أثر يبقى لِلعِصْيان والغي بعد توبة الله عليه ، واجتبائه أي اصطفائه إياه ، وهِدايته له ، ولا شكّ أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(٢٠٦) أحمر
أسود

المعاصي سبب زوال النعم

س: المعاصي سبب لزوال النعم دلل على ذلك:

ج: الأدلة على ذلك كثيرة جدًّا نذكر بعضها فقد ذكرت في مواطن وقوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٢، ١١٣].

وقال سبحانه في شأن سبأ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

وكذا ما حلَّ بقوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وأصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين وقارون الطاغي.....

وها هو أبونا آدم صلى الله عليه وسلم وزوجه حواء عليها السلام كانا في نعيم وكانا في الجنان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وكما قال سبحانه: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩].

فماذا كان من آدم وزوه بعد هذا النعيم وبعد هذا الستر الجميل؟!!.

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]

(٢٠٧) أحمر
أسود

فماذا كان؟؟أُخرج عليه السلام من الجنة هو وزوجه، نُزع عنهما لباسهما! كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾ [طه: ١٢١].

فانظر إلى آثر المعاصي والذنوب، انظر إلى أثر المعصية، والعياذ بالله وكيف تبدل الستر عُريًا؟!! وأصبح المستور عريانًا؟!

وها هو يونس صلى الله عليه وسلم: ذهب مغاضبًا فكان بطن الحوت له سجنًا. وأي سجن؟!!إنه سجن في قاع البحار!!!

﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن الله عز وجل، ولما أكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة قال الله عز وجل لهما ﴿ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ﴾ اهبطا من الجنة جميعًا يا آدم ويا حواء وفي الآية الأخرى ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ أي ومعهما الشيطان ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ يا آدم وحواء وذريتكما وكذ إبليس وذريته، فإبليس وذريته أعداء لآدم وحواء وذريتها ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ يا بني آدم من ﴿هُدٗى﴾ إرشادًا وهداية وقولًا حق

(٢٠٨) أحمر
أسود

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ الحق الذي أرسلت به رسلي وأنزلته في كتب ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ عن طريق الجنة ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ تذكير في كتب التي أنزلتها على رسلي، وأعرض عن توحيدي وذكري ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيقةً، وشقيل أن هذه المعيشة الضيقة في الدنيا وقيل إنها في القبر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وقيل إنها في جهنم والعياذ بالله وأكثر الأقوال على أنها في القبر ولا ينفي هذا القول ما سواه.

وكذلك مفضلًا عن المعيشة الضنك التي يعيشها العرض عن ذكر الله فإنه أيضًا ﴿يُحشر﴾ يجمع من يجمعوا يوم القيامة ﴿أَعْمَىٰ﴾ قيل أعمى البصيرة عن الحجة فلا حجة له ولا يدري يجيب وقيل أعمى البصر لا يرى كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾

فيتساءل ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ﴾ في الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ فيجاب بقوله ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا﴾ حججنا الدالة على واحدنيتنا ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فتركت العمل بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكما تركت العمل بآياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ اليوم تنزل في النار وتترك بلا نصير ولا يقين وتُهمل كما أهملت الآيات ولم تعمل بها.

وكما جازينا هذا الموص من الذكر، فكذلك نجزي ﴿مَنْ أَسْرَفَ﴾ تجاوز الحد ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ ولم يصدق بالقرآن ولا بالكتب والحجج والآيات ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ وأدوم وأكثر استمرارًا من عذاب الدنيا.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحوّاء ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ

(٢٠٩) أحمر
أسود

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يقول: أنتما عدوّ إبليس وذرّيته، وإبليس عدوّكما وعدوّ ذرّيتكما.

وقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ يقول: فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي، وما أختاره لخلقي من دين ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ منه ﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ يقول: فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجيه من عذابه.

وأورد بما يصح لشواهده عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ يقول: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد؛ ومنه قول عنترة:

وإنْ نزلُوا بضَنْكٍ أنزل

وأورد الطبري عددًا من الأقوال في تفسير المعيشة الضنك بأنها الضيق.

ثم قال الطبري:

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها، فقال بعضهم: جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن في قوله: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال في جهنم.

(٢١٠) أحمر
أسود

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦٓ ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، قال: ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤] قال: لمعيشتي ، قال: والغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فإن له معيشة في الدنيا حراما قال: ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالضنك، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك.

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضل الله، وسوء ظنّ منهم بربهم، فتشتدّ لذلك عليهم معيشتهم وتضيق.

وقال آخرون: بل عني بذلك: أن ذلك لهم في البرزخ، وهو عذاب القبر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري، قال: إن المعيشة الضنك، التي قال الله عذاب القبر.

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

وعن أبي هريرة قال: يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

واختار الطبري أن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر معللًا ذلك بما أورده بإسنادٍ ضعيف.

(٢١١) أحمر
أسود

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنزلتْ هَذِهِ الآيَة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أَتَدْرُونَ مَا المعيشَةُ الضَّنْكُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الكافرِ فِي قَبْرِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّه لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينا، أَتَدْرُونَ ما التِّنِينُ: تسْعَةٌ وَتسْعُونَ حَيَّه، لكلّ حَيَّه سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

قال الطبري:

وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه، بطل معنى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾، فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بيَّنا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو

(٢١٢) أحمر
أسود

أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جلّ ثناؤه، فعمّ ولم يخصص.

وقوله: ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيرا بحجتي.

وقال آخرون بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عزّ شأنه وجلّ ثناؤه، عمّ بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: ربّ لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله.

فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ مع معاينته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرّفه الجرم الذي استحق به ذلك، إذ كان قد جهله، وظنّ أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: ربّ لأيّ ذنب ولأيّ جرم حشرتني أعمى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب.

وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ يقول تعالى ذكره، قال الله حينئذ للقائل له: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بيَّنه في كتابه، فنسيتها: يقول: فتركتها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل. وعنى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ﴾ هكذا أتتك. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركتها وأعرضت عنها، فكذلك اليوم ننساك، فنتركك في النار.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ فقال

بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك.

وأورد عن أبي صالح: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ نُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ في النار.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ. وهذا القول الذي قاله قَتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم.

يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بيَّنا قبل ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل أن يكون المراد: أنه يُحشَر أو يبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧]. ولهذا يقول: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ أي: لما أعرضت عن آيات

(٢١٤) أحمر
أسود

الله، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٥١] فإن الجزاء من جنس العمل، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه، فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص، وإن كان مُتَوَعدًا عليه من جهة أخرى.

وقال في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

يقول تعالى: وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة، ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] ولهذا قال: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ أي: أشد ألمًا من عذاب الدنيا، وأدوم عليهم، فهم مخلدون فيه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ ﴾ خطاب آدم وإبليس. ﴿مِنْهَا﴾ أي من الجنة. وقد قال لإبليس: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ ﴾ [الأعراف ١٨] فلعله أخرج من الجنة إلى موضع من السماء، ثم أهبط إلى الأرض. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ أي أنت عدو للحية ولإبليس وهما عدوان لك. وهذا يدل على أن قول ﴿ٱهْبِطَا﴾ ليس خطابا لآدم وحواء؛ لأنهما ما كانا متعاديين؛ وتضمن هبوط آدم هبوط حواء. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ أي رشدا وقولا حقا. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ يعني الرسل والكتب. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية. من قرأ واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة

(٢١٥) أحمر
أسود

سوء الحساب، ثم تلا الآية. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه. وقيل: عما أنزلت من الدلائل. ويحتمل أن يحمل الذكر على الرسول؛ لأنه كان منه الذكر. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي عيشا ضيقا.

وقال في تفسير قوله: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ قيل أعمى في حال وبصيرًا في حال وقيل: أعمى عن الحجة؛ قاله مجاهد. وقيل: أعمى عن جهات الخير، لا يهتدي لشيء منها. وقيل: عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ أي بأي ذنب عاقبتني بالعمى. ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ أي في الدنيا، وكأنه يظن أنه لا ذنب له. وقال ابن عباس ومجاهد: أي ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ عن حجتي ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ أي عالما بحجتي؛ القشيري: وهو بعيد إذ ما كان للكافر حجة في الدنيا. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي قال الله تعالى له ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا. ﴿فَنَسِيتَهَا ﴾ أي تركتها ولم تنظر فيها، وأعرضت عنها. ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ أي تترك في العذاب؛ يريد جهنم. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن، وعن النظر في المصنوعات، والتفكير فيها، وجاوز الحد في المعصية. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ أي لم يصدق بها. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ أي أفظع من المعيشة الضنك، وعذاب القبر. ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ أي أدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة هذا الحديث: «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم القيامة وهو أجذم»؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًا، ولم أقف له على درجة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢١٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٢١٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ
ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا
بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ
أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[طه: ١٢٨-١٣٥].

س: وضح معنى ما يلي:

(٢١٨) أحمر
أسود

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ - كَلِمَةٌ سَبَقَتْ - لِزَامًا - ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ - وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ - أَزْوَٰجًا - زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا - وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا - وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ - بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ - نَذِلَّ - وَنَخْزَىٰ - مُّتَرَبِّصٌ - ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾	أفلم يظهر لهم- أفلم يتبين لهم
﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة لأهل التقوى- لأهل الورع
﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾	ما قضاه الله وكتبه قبل الخلق ما قدرة الله على الخلائق وأثبت في اللوح المحفوظ- ما تكلَّم الله به.....
﴿لِزَامًا﴾	العذاب ملازمًا لهم من الأمة القتل ملازمًا لهم
﴿ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾	ساعات الليل
﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾	قيل المراد الظهر والمغرب، وقيل أول النهار وآخره
﴿أَزْوَٰجًا﴾	أصنافًا
﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	زينة الحياة الدنيا
﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	صابر على الصلاة وحافظ عليها بشدة
﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	العاقبة الحسنة، وهي الجنة لأهل التقوى، للأتقياء

(٢١٩) أحمر
أسود

﴿بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾	ما في الكتب الأولى (كالتوراة والإنجيل) مُبينًا وقيل البينة الآية الدلالة على صدق رسولنا مما في الصحف الأولى.
﴿نَّخْزَىٰ﴾	نذل في العذاب (قيل الدنيوي).....
﴿وَنَخْزَىٰ﴾	ونخزى في جهنم ونخزى بدخول النار – يحل بنا العار.
﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾	منتظرٌ نتيجة عمله
﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾	الطريق المستقيم الموصل للجنة

❁ ❁ ❁

(٢٢٠) أحمر
أسود

ومن الدليل على أن الأمور مقدرة

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفلم يتبين لهؤلاء المشركين المكذبين، وتظهر لهم العبر من القرون التي كانت من قبلهم، فلقد أهلكنا قبلهم قرونًا كثيرة وأممًا كثيرة، وهاهم هؤلاء يمشون في مساكن لقوم الذي أهلكناهم وأمنيناهم، ويرون مساكنهم التي دمرناها في صباحهم ومساءهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ لدلالات على قدرتنا وحدانيتنا ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ لأصحاب العقول النيّرة الرشيدة.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾

أي: ولولا أن الله ﷻ كتب عنده في اللوح المحفوظ وقضى وقدر أنه لا يعذب هؤلاء إلا بعد قيام الحجة عليهم، ولولا أنه كتب أن لهم أجلٌ مسمى يعيشون عُمرًا محددًا يعيشون ولولا أنه كتب أن العذاب سينزل في وقت محدد لنزل عليهم العذاب الآية لتكذيبهم وعنادهم، وملازمهم العذاب ففي الآية تقديم وتأخير فالمعنى ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى حدَّده لنزول العذاب عليهم للازمهم العذاب من الآية ولحلَّ بهم العذاب.

ما قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يرشد الله ﷻ نبيه محمد ﷺ ويحثه على الصبر على جهات هؤلاء وتكذيبهم وأنها مهم له بالباطل وضعهم له بأنه شاعر وكاهن وكذاب وغير ذلك من الأوصاف فاصبر على كل هذا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾.

(٢٢١) أحمر
أسود

صل لربك ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ أي صلاة العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعات الليل، وقيل المراد صلاة العشاء ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قيل الظهر والمغرب فعلى ذلك تكون الآية الكريمة انتظمت الصلوات الخمس فالله أعلم.

وقال بعض العلماء: إن المراد بقوله ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ المراد صلاة الصبح وصلاة العصر وما سوى ذلك فالمراد به صلوات النفل في الليل والنهار أما قوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ أي لعلَّك تثاب على هذه الصلوات ثوابًا يرضيك الله به، ومن هذا الثواب الذي يرضيك الله به الوسيلة التي هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ومن هذا الذي يرضيه الله به قبول.

شفاعته في أمته، وقد قدمت مزيدًا لذلك في سورة الضحى عن قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

بنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ﴾ لأن قريشا كانت تتجر إلى الشأم، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما

(٢٢٢) أحمر
أسود

يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذّبة رسلها قبلهم، وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله ﴿لَآيَٰتٍ﴾ يقول: لدلالات وعبرا وعظات ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ يعني: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ يا محمد أن كلّ من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أمّ الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ﴿ لَكَانَ لِزَامًا﴾ يقول: للازمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله: ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ قبل قوله: ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما، والأجل المسمى، الساعة، لأن الله تعالى يقول ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦].

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ قال: هذا مقدّم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف أهل التأويل في قوله ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ فقال بعضهم لكان موتا وقال آخرون لكان قتلًا

(٢٢٣) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ يقول: وصل بثنائك على ربك، وقال: بحمد ربك، والمعنى: بحمدك ربك، كما تقول: أعجبني ضرب زيد، والمعنى: ضربي زيدا، وقوله: ﴿ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ وهي العصر ﴿ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ وهي ساعات الليل، واحدها: إنى، على تقدير حمل، ومنه قول المنخل السعدي:

حُلْوٌ وَمُرّ كَعطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... فِي كُلّ إني قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

ويعني بقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ ﴾ صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل. وقوله: ﴿ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾: يعني صلاة الظهر والمغرب، وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرتا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أوّل طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول.

وأورد الطبري حديث: عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى القمر ليلة البدر فقال: «**إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُونَ فِي رُؤيته، فإن اسْتَطَعْتُم أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلى صَلاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها فافْعَلُوا**» ثم تلا ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾».

وقال الحفاظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٢٤) أحمر
أسود

يقول تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ ﴾ لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به: يا محمد، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم، فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها، يمشون فيها، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ أي: العقول الصحيحة والألباب المستقيمة، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال في سورة «الم السجدة»: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [السجدة: ٢٦].

قال تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة؛ ولهذا قال لنبيه مسليًا له: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من تكذيبهم لك، ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ يعني: صلاة الفجر، ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ يعني: صلاة العصر، كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البَجَليّ ﷺ قال: كنا جلوسًا عند رسول ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُّون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**» ثم قرأ هذه الآية.

وأورد حديث رسول ﷺ: «**لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ﴾ أي: من ساعاته فتهجد به. وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ في مقابلة آناء الليل، ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

(٢٢٥) أحمر
أسود

كما قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى: ٥].

وفي الصحيح: «يقول الله تعالى: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يريد أهل مكة؛ أي أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة طلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاويه؛ أي أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم. وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما ﴿نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون وهي أبين. و ﴿يَهْدِ﴾ بالياء مشكل لأجل الفاعل؛ فقال الكوفيون ﴿كَمْ﴾ الفاعل؛ النحاس: وهذا خطأ لأن "كم" استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج المعنى أو لم يهد لهم الأم بإهلاكنا من أهلكنا. وحقيقة "يهد" على الهدى؛ فالفاعل هو الهدى تقديره أفلم يهد الهدى لهم. قال الزجاج: "كم" في موضع نصب ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ فيه تقديم وتأخير؛ أي ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما؛ قاله قتادة. واللزام الملازمة؛ أي لكان العذاب لازما لهم. وأضمر اسم كان. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝١٢٩﴾ قال الزجاج: عطف على «كلمة». قتادة: والمراد القيامة؛ وقاله القتبي. وقيل تأخيرهم إلى يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أمره تعالى بالصبر على أقوالهم: إنه ساحر؛ إنه كاهن؛ إنه كذاب؛ إلى غير ذلك. والمعنى لا تحفل بهم؛ فان

(٢٢٦) أحمر
أسود

لعذابهم وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتأخر. ثم قيل: هذا منسوخ بآية القتال. وقيل: ليس منسوخا؛ إذ لم يستأصل الكفار بعد آية القتال بل بقي المعظم منهم.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ العتمة ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المغرب والظهر؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر؛ فهي في طرفين منه؛ والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب. وقيل: النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال، ولكل قسم طرفان؛ فعند الزوال طرفان؛ الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر؛ فقال عن الطرفين أطرافا على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل. وقيل: النهار للجنس فلكل يوم طرف، وهو إلى جمع لأنه يعود في كل نهار. و ﴿ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته وواحد الآناء إني وإنى وأنى. وقالت فرقة: المراد بالآية صلاة التطوع؛ قاله الحسن. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ بفتح التاء؛ أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به. وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم «تُرْضَى» بضم التاء؛ أي لعلك تعطى ما يرضيك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

ج: المعنى لا تنظر ولا تنشغل ولا تكترث ولا تبالي ولا تشغل قلبك وعقلك بما متعنا به هؤلاء القوم القوم في دنياهم وهم معرضون عن طاعة الله

(٢٢٧) أحمر
أسود

لا تنشغل بدنياهم كثيرًا، لا تنشغل بهذا المتاع الذي متعنا به أصنافًا منهم، فإنما هو زينة في الحياة لنختبرهم بذلك وما عند الله ﷻ من رزق حلال طيب اعده لك في الآخرة خيرٌ من هذا المتاع الدنيوي الزائل لأن زرق الآخرة لا يزول ولا يتحول، بل هو دائم وهم فيه خالدون فاحرص على صلاتك واصطبر على صلاتك، حافظ عليها وأمر أهلك بها كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ وكما قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

أما قوله تعالى: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ﴾ أي لا نطلب منك مالًا بل نطلب منك أن تصلي ونحن نتكفل لك بالرزق وكذا لا نطلب منك أن تنشغل عن الصلاة بالبحث عن الرزق، بل صل وأيضًا ابحث عن الرزق فنرزقك ونحن المتكلفون بالرزق

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ أي العاقبة الحسنة وهي الجنة، والعاقبة الحسنة في كل الأمور ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾ لأهل التقى والإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ زائل، وغُرور وخدع تضمحلّ ﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ﴿خَيۡرٞ﴾ لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا ﴿وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، من أجل أن رسول الله

(٢٢٨) أحمر
أسود

ﷺ بعث إلى يهوديّ يستسلف منه طعاما، فأبى أن يسلفه إلا برهن.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ يقول: لا نسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا يقول ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه ، وقوله: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا، ولا يرجو له ثوابا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن هشام بن عروة، قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

وبإسنادٍ صحيح عن عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ويرفأ، وكانت له من الليل ساعة يصليها، فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما .

وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.... الآية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور.

وقال مجاهد: ﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: الأغنياء فقد آتاك [الله] خيرًا مما

(٢٢٩) أحمر
أسود

آتاهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحَدّ ولا يوصف، كما قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى: ٥] ولهذا قال: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾.

وفي الصحيح: أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه، حين آلى منهم فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرَة من قَرَظ، وأهَب معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال رسول الله: «**ما يبكيك ؟**».

فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟ فقال: «**أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**».

فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا، في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد.

وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصطبر أنت على فعلها كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] ولهذا قال: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ وقال الثوري: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾

(٢٣٠) أحمر
أسود

أي: لا نكلفك الطلب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في حث الرجل أهل بيته على الصلاة

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقال لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة ﷺ قالت: كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت.

وفي صحيح البخاري أيضًا من حديث أم سلمة ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله ماذا أنزل الله من الفتن؟ وماذا فتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول ﷺ «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**».

وطرق النبي ﷺ عليًّا وفاطمة ليلة فقال لهما: «**ألا تصليان؟**».

❁ ❁ ❁

(٢٣١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم وقال أهل الكفر والتكذيب والشرك والجحود والنكلان لولا يأتينا محمد ﷺ بمعجزة من ربِّه تدل على صدقه ونبوته كما جاء من كان قبله، فقد جاء صالح بناقة عظيمة، وجاء موسى بعدة آياتس كالعصا واليمد وغير ذلك وسخرت لسليمان الريح وكذا الجن والشياطين وكذا ألان الله لداود الحديد وعيسى كان يُبرء الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله وغير هؤلاء كثير وكثير فهلا جاء محمد بشيءٍ مثل ذلك يدل على نبوته فأجابهم ربنا ﷻ بقوله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وللعلماء في ذلك أقوال:

أحدها: أولم تأتهم البينة من الصحف.

الأولى: كالتوراة والإنجيل، البينَّة الدالة على صدق رسول ﷺ وأنه خارج وأنه خاتم النبيين وقد أُخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به وكذا بشرت به تلك الكتب؟

الثاني: أولم تأت لهؤلاء المكذبين البينات من الصحف الأولى تلك البينات والدلائل على أن المعجزات لا تنشأ الإيمان عند من كتب الله له الكفر، فقد جاءت الناقة قوم صالح مفعودها وكذبوا نبيهم عليه السلام وكذا جاء موسى بالبينات فكُذِّب ووصف بأنه ساحر، وكذا وصف عيسى عليه السلام، وأيضًا فقد كفروا سليمان عليه السلام فماذا عساها أن تنفع الآيات.

الثالث: أولم يُخبر النبي ﷺ بما أُنزل عليه القرآن بالأخبار التي أخبرت بها

(٢٣٢) أحمر
أسود

الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل هذا، وثم أقوال أخر في هذا الصدد.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ فمعناه ولو أنا عذبناهم وأهلكناهم بعذاب قبل بعثت النبي صلى الله عليه وسلم إليهم وقبل إنزال القرآن عليه لتحذيرهم ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ في الدنيا، ونُهان فيها ﴿وَنَخْزَىٰ ﴾ بدخولنا النار.

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين كلٌّ منا يتربص وينتظر ماذا سيحل بالآخر، وينتظر يوم الفصل وينتظر من المحق ومن المصيب ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ الطريق المستقيم المؤدي إلى جنات الله ومرضاته ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ومن الذي وفقه الله السلوك طريق الهداية.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جلّ ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجَّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك:

(٢٣٣) أحمر
أسود

يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يئول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان، فتربصوا يقول: فترقبوا وانتظروا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار في قولهم: ﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ يَأْتِينَا ﴾ محمد ﴿ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ ﴾ أي: بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله؟ قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ يعني: القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو أمي، لا يحسن الكتابة، ولم يدارس أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين، بما كان منهم في سالف الدهور، بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها؛ فإن القرآن مهيمن عليها، يصدق الصحيح، ويُبَيّن خطأ المكذوب فيها وعليها. وهذه الآية كقوله تعالى في سورة «العنكبوت»: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١] وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته**

(٢٣٤) أحمر
أسود

وحيًا أوحاه الله إليّ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» .

وإنما ذكر هاهنا أعظم الآيات التي أعطيها، عليه السلام، وهو القرآن، وله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر، كما هو مودع في كتبه، ومقرر في مواضعه.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ أي: لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ قبل أن تهلكنا، حتى نؤمن به ونتبعه؟ كما قال: ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ، يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٧] ، كما قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧] وقال: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢] وقال: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] الآيتين.

ثم قال تعالى ﴿ قُلْ ﴾ أي: يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده ﴿ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي: منا ومنكم ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ ﴾ أي: فانتظروا، ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾ أي: الطريق المستقيم، ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ إلى الحق وسبيل الرشاد، وهذا كقوله: تعالى ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٢] ، ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القمر: ٢٦].

(٢٣٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

تفسير سورة الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ
مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣
قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ
أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥
مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا
رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ
جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ
وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا
تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ
إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤
فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾

[الأنبياء: ١-١٥].

(٢٣٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حِسَابُهُمْ - غَفْلَةٍ - مُّعْرِضُونَ - ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم - مُّحْدَثٍ - لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ - وَأَسَرُّوا النَّجْوَى - أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ - وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ - الْقَوْلَ - أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ - افْتَرَاهُ - بِآيَةٍ - يُؤْمِنُونَ - ذِكْرُكُمْ - قَصَمْنَا - بَأْسَنَا - يَرْكُضُونَ - مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ - دَعْوَاهُمْ - حَصِيدًا - خَامِدِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حِسَابُهُمْ﴾	وقت حسابهم على أعمالهم ومجازاتهم عليها
﴿غَفْلَةٍ﴾	سهوٍ
﴿مُّعْرِضُونَ﴾	منصرفون (عن القرآن- وعن العمل لليوم الآخر) منشغلون
﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾	تذكير من ربهم (بالقرآن- أو برسول الله صلى الله عليه وسلم) القرآن- وقيل رسول الله
﴿مُّحْدَثٍ﴾	جديدٌ إنزاله- نزوله حديث
﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾	منشغلة قلوبهم- ساهيةً قلوبهم
﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾	تناجوا فيما بينهم سرًا- ظهروا لبعض (في السر ما تحدثهم نفوسهم به)
﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾	أفتقبلون السحر
﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	وأنتم تعلمون أنه سحر
﴿الْقَوْلَ﴾	كل ما يُقال
﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾	أحلاط تُرى في المنام- رؤيا كاذبة

(٢٣٨) أحمر
أسود

﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	تقَّوله من عند نفسه
﴿بِـَٔايَةٖ﴾	بمعجزة- بدلالة على نبوته
﴿يُؤۡمِنُونَ﴾	يصدقون
﴿ذِكۡرُكُمۡ﴾	شرفكم- عزكم- مجدكم- حدثكم
﴿قَصَمۡنَا﴾	أهلكنا- قصم الظهر كسرة
﴿بَأۡسَنَآ﴾	عذابنا
﴿يَرۡكُضُونَ﴾	يسرعون، يفرون مسرعين
﴿مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾	ما مُتعتم فيه- ما نقمتم فيه الفيم الذي كنت فيه
﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾	دعوتهم – دعاوهم
﴿حَصِيدًا﴾	كالشيء المحصود المقطوع من أصله
﴿خَٰمِدِينَ﴾	هلكى- موتى – لا صوت لهم وا حراك

❁ ❁ ❁

(٢٣٩) أحمر
أسود

س: ما معنى الوارد عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأولى، وهن من تلادي. وما مدى صحته؟

ج: هذا صحيح وقد أخرجه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومعنى قوله من العتاق الأُولى أي من السور التي نزلت أولًا (يعني نزلت قديمًا بمكة في أوائل البعثة)، وقوله: (وهن من تلادي) أي من حفظي القديم يعني من أوئل ما حفظت من السور.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾.

ج: المعنى والله أعلم، اقترب الوقت الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويحاسبون فيه على النعم التي أنعم الله بها عليهم فيها وذلك الحساب يوم القيامة، فالمعنى اقترب يوم الحساب وهو يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ وكما قال ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾.

اقترب ذلك اليوم وقع ذلك فالناس في غفلة عنه معرضون عن العمل به وعن المُذكر به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة،

(٢٤٠) أحمر
أسود

وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال في الدنيا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

هذا تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها.

وأورد الحديث السابق لكن من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ الآية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نُوَاس الشاعر أنه قال: أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول:

النَّاس في غَفَلاتِهِمْ وَرَحا المنيَّة تَطْحَنُ

فقيل له: من أين أخذ هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾

وقال القرطبي رحمه الله:

(ٱقْتَرَبَ) أي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم. ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾.

وقيل: الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ يدل على ذلك ما بعد من الآيات؛ ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه

(٢٤١) أحمر
أسود

بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت؛ وموت كل إنسان قيام ساعته؛ والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ما يأتي هؤلاء المكذبين من قرانٍ يُذكرهم به رسول الله ﷺ حديثٌ إنزاله من عند الله ﷻ إلا استمعوه بلا اكتراث وبلا مبالاة وهم يلعبون لاهية قلوبهم قلبوهم منشغلةً عنه ملتهيةً بغيره أما قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ في معناه أن أهل الظلم أهل الشرك والكفر تناجوا فيما بينهم سرًا وأظهر بعضهم لبعض في السر ما يحيك في صدورهم، وما يضمرونه لهذا القرآن قائلين لبعضهم ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي فكيف يكون رسولًا من عند الله، أتقبلون السحر وتصدقون وأنتم تعلمون أنه سحرٌ كذا قال بعضهم لبعض في شأن هذا القرآن المنزل من عند الله وهكذا اتناجوا فيما بينهم وتأمروا على رسول الله وتناصحوا للتكذيب بهذا القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾... الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٤٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ غافلة: يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يقول: وأسرّ هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله وللذين من قوله: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ والرفع على الردّ على الأسماء الذين في قوله: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٧١] وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسرّوا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا.

وقوله: ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسرّوها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ قال: قال أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

(٢٤٣) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أنهم لا يُصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي: جديد إنزاله ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ كما قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حَرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب. ورواه البخاري بنحوه.

وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: قائلين فيما بينهم خفْيَةً ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعنونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستبعدون كونه نبيًا؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم؛ ولهذا قال: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾؟ أي: أفتتبعونه فتكونون كمن أتى السحر وهو يعلم أنه سحر.

وأورد القرطبي أقوالًا منها:

يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزل الله تعالى عليه في وقت بعد وقت؛ لا أن القرآن مخلوق. وقيل: الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ويعظهم به. وقال: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالوحي، فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره ذكر، وهو محدث؛ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: ٢١]. ويقال: فلان في مجلس الذكر. وقيل: الذكر الرسول نفسه؛ قال الحسين بن الفضل بدليل ما في سياق الآية ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] ولو أراد بالذكر القرآن لقال: هل هذا إلا أساطير الأولين؛ ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥١ - ٥٢] يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]. ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ يعني

(٢٤٤) أحمر
أسود

محمد ﷺ، أو القرآن من النبي ﷺ أو من أمته. ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الواو واو الحال يدل عليه ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ ومعنى ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي يلهون. وقيل: يشتغلون؛ فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين:

أحدهما: بلذاتهم.

الثاني: بسماع ما يتلى عليهم.

وإن حمل تأويله حلى الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين:

أحدهما: بالدنيا لأنها لعب؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦].

الثاني: يتشاغلون بالقدح فيه، والاعتراض عليه. قال الحسن: كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي ساهية قلوبهم، معرضة عن ذكر الله، متشاغلة عن التأمل والتفهم؛ من قول العرب: لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ألهى لهيا ولهيانا.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي تناجوا بينهم وقالوا: هل هذا الذكر الذي هو الرسول، أو هل هذا الذي يدعوكم إلا بشر مثلكم، لا يتميز عنكم بشيء، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق كما تفعلون. وما علموا أن الله عز وجل أنه لا يجوز أن يرسل إليهم إلا بشرا ليتفهموا ويعلمهم. ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي إن الذي جاء به محمد ﷺ سحر، فكيف تجيؤون إليه وتتبعونه؟ فأطلع الله نبيه عليه السلام على ما تناجوا به. و«السحر» في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة. ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنه إنسان مثلكم مثل: «وأنتم تعقلون» لأن العقل البصر بالأشياء. وقيل: المعنى؛ أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه

(٢٤٥) أحمر
أسود

سحر. وقيل: المعني؛ أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق؛ ومعنى الكلام التوبيخ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن رسول ﷺ لما وصفه أهل الكفر بالذي وصفوه به من الباطل وصفوا القرآن بأنه سحرٌ، وليس من عند الله ﷻ قال مجيبًا ربي يعلمه كل ما يُقال في السماء والأرض، ويعلم صدق الصادق وكذب الكاذب، ويعلم أن ما جئتكم به هو الحق من عنده ليس بسحر ولا كذب ولا شعر ولا كهانة فهو السميع للأقوال كلها السميع لكل شيء العليم بالنوايا وبكل شيء هذا وقد أورد الطبري قراءتين لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ﴾ أحدهما ﴿ قَالَ ﴾ والأخرى ﴿ قَالَ ﴾ ثم قال وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ربي يعلم قول كلّ قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله، ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي، وحقيقة ما أدعوكم إليه، وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكأن الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا، قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَاءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى، وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

(٢٤٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعالى مجيبًا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب.

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الذي يعلم ذلك، لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض.

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: السميع لأقوالكم، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

أما قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ فحاصل معناه أنهم (أهل الكفر) وصفوا القرآن بسيء الأوصاف، فمنهم من قال إنه أضغاث أحلام أي أخلاط تُرى في النوم وهلاوس لا معنى لها ومنهم من قال إنه قولٌ مفترى مكذوب!! ومنهم من قال إنه قول شاعرٍ

أما قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

فحاصل معناه أن أهل الكفر طلبوا معجزة كالتي أوتاها الأنبياء قبل رسولنا محمد ﷺ كناقة صالح عليه السلام أو كعصى موسى عليه السلام أو كإلانة الحديد لداود عليه السلام أو تسخير الرياح والجن لسليمان عليه السلام، أو إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى كما أيَّد الله عيسى عليه السلام أو غير ذلك من الآيات التي أيمد بها المرسلون فاقل تعالى مجيبًا عليه في طلبهم الذي طلبوه ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أننا قد أرسلنا الآيان إلى امم قل هؤلاء فما آمنوا بل ازدادوا كفرًا وعنادًا كما قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ فإذا كان الذين من قبلهم من أهل الكفر قد كذبوا بالآيات

(٢٤٧) أحمر
أسود

أفيؤمن هؤلاء المشركون من قريش وغيرهم، وهم إنما يسيرون على طريقة أسلافهم؟؟ فهذا استبعاد لإيمانهم وإسلامهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقرّوا بأنه وحي أوْحَى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ به يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إلينا، ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ يقول: كما جاءت به الرسل الأوّلون من قَبْله من إحياء المَوتى، وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي فعل حالم، إنما هي رؤيا رآها ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ كل هذا قد كان منهم. وقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾) يقول: كما جاء عيسى بالبيِّنات وموسى بالبينات، والرسل.

قال الطبري:

(٢٤٨) أحمر
أسود

وقال تعالى ذكره: بل قالوا: ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ببل، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب، فاجْتُزِي بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذّبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة ﴿ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يقول: أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهمْ أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سحرًا، وتارة يجعلونه شعرًا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفتري، كما قال: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨ ﴾ [الإسراء: ٤٨ ، والفرقان: ٩].

وقوله: ﴿ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ ﴾: يعنون ناقة صالح، وآيات موسى وعيسى. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴾ [الآية] [الإسراء: ٥٩]؛ ولهذا قال

(٢٤٩) أحمر
أسود

تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ أي: ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يَدَيْ نبيها فآمنوا بها، بل كذبوا، فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رَأَوْها دون أولئك؟ كلا بل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

هذا كله، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والحجج القاطعات، والدلائل البينات، على يدي رسول ﷺ ما هو أظهر وأجلى، وأبهر وأقطع وأقهر، مما شُوهِدَ مع غيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ ﴾ قال الزجاج: أي قالوا الذي يأتي به أضغاث أحلام. وقال غيره: أي قالوا هو أخلاط كالأحلام المختلطة؛ أي أهاويل رآها في المنام.

وقال القرطبي أيضًا:

فلما رأوا أن الأمر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ أي هم متحيرون لا يستقرون على شيء قالوا ومرة سحر، ومرة أضغاث أحلام، ومرة افتراه، ومرة شاعر. وقيل: أي قال فريق إنه ساحر، وفريق إنه أضغاث أحلام؛ وفريق إنه افتراه، وفريق إنه شاعر. والافتراء الاختلاق؛ وقد تقدم.

﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ ﴾ أي كما أرسل موسى بالعصا وغيرها من الآيات ومثل ناقة صالح. وكانوا عالمين بأن القرآن ليس بسحر ولا رؤيا ولكن قالوا: ينبغي أن يأتي بآية نقترحها؛ ولم يكن لهم الاقتراح بعدما رأوا آية واحدة. وأيضا إذا لم يؤمنوا بآية هي من جنس ما هم أعلم الناس به،

(٢٥٠) أحمر
أسود

ولا مجال للشبهة فيها فكيف يؤمنون بآية غيرها، ولو أبرأ الأكمه والأبرص لقالوا: هذا من باب الطب، وليس ذلك من صناعتنا، وإنما كان سؤالهم تعنتا إذ كان الله أعطاهم من الآيات ما فيه كفاية. وبين الله عز وجل أنهم لو كانوا يؤمنون لأعطاهم ما سألوه لقوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ قال ابن عباس: يريد قوم صالح وقوم فرعون. ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ يريد كان في علمنا هلاكها. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يريد يصدقون؛ أي فما آمنوا بالآيات فاستؤصلوا فلو رأى هؤلاء ما اقترحوا لما آمنوا؛ لما سبق من القضاء بأنهم لا يؤمنون أيضا؛ وإنما تأخر عقابهم لعلمنا بأن في أصلابهم من يؤمن. و﴿مِّن﴾ زائدة في قوله: ﴿مِّن قَرْيَةٍ ﴾ كقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم اعلم يا رسول الله أننا ما أرسلنا قبلك من رسول إلا وهو من البشر ليس من الملائكة فإذا استنكر هؤلاء إرسال رسولٍ من البشر فمرهم فليأتوا أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم عن صفة الرسل الذين أرسلناهم هل كانوا ملائكة؟ هل كانوا غير البشر!؟ كلا بل هم بشر كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم، فكلهم كانوا بشرًا، وكانوا أجسادًا يأكلون الطعام، لم يكونوا أجسادًا ممتنعين عن الطعام، بل كانوا يأكلون

(٢٥١) أحمر
أسود

ويشربون، وأيضًا فلم يكن هؤلاء الرسل بمخلدين في الأرض بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ أي صدقنا في وعدنا به رسلنا من أن سننجيهم وننتقم ممن خالفهم وعاندهم، صدقنا في كل الوعود التي وعدنا بها المرسلين، فأنجيا رسلنا من نشاء من عبادنا وأهلكما المسرفين المتجاوزين للحدود في المعاصي والكفر والطغيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحي إليهم، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول للقائلين لمحمد ﷺ في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول فاسألوا أهل التوراة والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ

(٢٥٢) أحمر
أسود

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، ﴿ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

قال أبو جعفر: وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا ﴾ فوحَّد الجسد وجعله موحدا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خَلْقا لا يأكلون.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ يقول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد أخبر الله عنهم ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ .. ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢] قال الله تبارك وتعالى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحي إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحي إليه أمرنا ونهينا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾: أي لابد لهم من الموت أن يموتوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبّهم أممهم وسألتهم الآيات،

(٢٥٣) أحمر
أسود

فأتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصرّوا على جحودهم نبوّتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التي سألوا ، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١١٥] وكقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤] ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات ، وقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمُ ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات، ﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها ، وقوله: ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ قال المسرفون هم المشركون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى رادًّا على من أنكر بعثة الرسل من البشر: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام نِعمَ الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون

(٢٥٤) أحمر
أسود

من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: قد كانوا بشرا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئًا، كما توهمه المشركون في قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

وقوله: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل، تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكم في خلقه مما يأمر به وينهى عنه.

وقوله: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ أي: الذي وعدهم ربهم: «ليهلكن الظالمين»، صدقهم الله وعده ففعل ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ أي: أتباعهم من المؤمنين، ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ أي: المكذبين بما جاءت الرسل به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ هذا رد عليهم في قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣] وتأنيس لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ أي لم يرسل قبلك إلا رجالا. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يريد أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قاله سفيان. وسماهم أهل الذكر؛ لأنهم كانوا

(٢٥٥) أحمر
أسود

يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب. وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في آمر محمد ﷺ. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن؛ أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الضمير في ﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾ للأنبياء؛ أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣] وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]. و﴿جَسَدًا﴾ اسم جنس؛ ولهذا لم يقل أجسادا، وقيل: لم يقل أجسادا؛ لأنه أراد وما جعلنا كل واحد منهم جسدا. والجسد البدن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ يعني الأنبياء؛ أي بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم. ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ أي الذين صدقوا الأنبياء. ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ أي المشركين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا من عند الله عَزَّ وَجَلَّ ولقد أنزلنا عليكم أيها الناس كتابًا فيه عزكم ومجدكم وشرفكم وذكركم بخير إن أنت اتبعتموه فالقرآن شرفٌ وعزٌّ ومجدٌ لمن اتبعه أفلا تفهمون.

وقال بعض العلماء: لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا فيه شرفكم، نكون القرآن نزل على رجل منكم ففي هزائمٌ لكم وشرفٌ لكم إن أنتم شكرتم هذه النعمة وأقبلتم عليها أفلا تفهمون وتُقبلون على هذا الشرف؟!! وقال

(٢٥٦) أحمر
أسود

بعض العلماء إن معنى قوله تعالى: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ حديثكم ولكن الأكثرون من أهل العلم على القول الأول والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم، فيه حديثكم.

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، و هو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ يعني القرآن. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لأنها نعت لكتاب؛ والمراد بالذكر هنا الشرف؛ أي فيه شرفكم، مثل ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠﴾ وقيل: فيه ذكركم أي ذكر أم دينكم؛ وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟ ! وقال مجاهد: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي حديثكم. وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقال سهل بن عبد الله: العمل بما فيه حياتكم.

قلت: وهذه الأقوال بمعنى والأول يعمها؛ إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**القرآن حجة لك أو عليك**».

(٢٥٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المراد والله أعلم أن الله ﷻ يخبر عباده ويذكرهم بالأمم السابقة التي مضت، تلك التي كذبت رسلها وعتت عن أمر ربها فيقول تعالى: ﴿وَكَمْ﴾ وهي للتكثير، لبيان كثرة من أهلكهم الله ﴿قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ودمرنا وأصل القصم كسر الظهور والمراد هنا الإهلاك والتدمير ﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ظالمة لنفسها بشركها بالله ﷻ لأن أهلها ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ وبظلمهم لعباد الله كذلكن فأبدناهم وأفنيناهم ودمرنا بلادهم، كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وأوجدنا وخلقنا ﴿بَعْدَهَا﴾ بعد القرى التي أهلكناها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ سكنوا تلك القرى أو سكنوا غيرها من القرى مما حولها، فكذبوا أيضًا فقضينا عليهم بالعذاب كما قضينا على غيرهم، فلما أحسوا بنزول العذاب عليهم، وأو أنه واقع بهم لا محالة وحلَّت بهم بوادره ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إذا بهم يسرعون في الهرب ويحاولون الهرب مسرعين، ولكن إلى أين الهرب ولات حين مناص، ولات حين مفر فيقال لهم على سبيل التهكم ﴿قيل إن الملائكة تقول ذلك﴾ ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾، لا تهربوا مسرعينن لا تسرعوا في الفرار والهرب، فلا مفرَّ ولا مهرب ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ﴾ يُقال لهم هذا على سبيل التهكم والاستهزاء بهم يقال لهم إلى أن تذهبوا ارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعيم وارجعوا إلى بيوتكم لعلكم تُسألون عما حدث لكم فتجيبوا،

(٢٥٨) أحمر
أسود

فحينئذٍ يقولون، وقد علموا أن لا رجوع يا ويلينا إنا كنا ظالمين لأنفسنا فمازالت تلك دعواهم، ما زالوا يقولون ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فاستمروا في هذا القول حتى أهلكناهم عن آخرهم حتى حصدناهم حصدًا وأبدناهم إبادةً فأصبحوا لا حركة ولا صوت لهم قد خمدوا كما خمدت النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت ، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوّله أهل التأويل.

وقوله: ﴿مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه، وكأن ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله، وقوله: ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾ يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى، يَعْدُون منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كَدَّه سياقته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه: يقول: إلى ما أُنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم.

(٢٥٩) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح لغيره عن قتادة: ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة.

وقال آخرون: بل معناه لعلكم تسئلون من دينكم شيئًا على وجه السخرية والاستهزاء.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئًا استهزاءًا بهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾.

وقال: يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا ، فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾ حتى قتلهم الله ، فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل ، وقوله: ﴿خَٰمِدِينَ﴾ يقول: هالكين قد انطفأت شرارتهم ، وسكنت حركتهم ، فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾...الآية، فلما رأو العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾ حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ هذه صيغة تكثير، كما قال ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖ﴾ [الإسراء: ١٧].

(٢٦٠) أحمر
أسود

وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج: ٤٥]. وقوله: ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ أي: أمة أخرى بعدهم.

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ أي: تيقنوا أن العذاب واقع بهم، كما وعدهم نبيهم، ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: يفرون هاربين.

﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ هذا تهكم بهم قدرًا أي: قيل لهم قدرًا: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة.

قال قتادة: استهزاء بهم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعمة.

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: ما زالت تلك المقالة، وهي الاعتراف بالظلم، هجيراهم حتى حصدناهم حصدًا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا ﴾ أي رأوا عذابنا؛ يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش: ﴿ أَحَسُّوا ﴾ خافوا وتوقعوا. ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي يهربون ويفرون. والركض العدو بشدة الوطء. والركض تحريك الرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ [ص: ٤٢] وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهوم مركوض.

قوله تعالى: ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ أي لا تفروا. وقيل: إن الملائكة نادتهم لما

(٢٦١) أحمر
أسود

انهزموا استهزاء بهم وقالت: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ ﴾ أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والمترف المتنعم؛ يقال: أترف على فلان أي وسع عليه في معاشه. وإنما أترفهم الله عز وجل كما قال: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي لعلكم تسألون شيئا من دنياكم؛ استهزاء بهم؛ قاله قتادة. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول البأس بكم؛ قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا. ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ ﴾ لما قالت لهم الملائكة: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ ﴾ ونادت بالثارات الأنبياء! ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا أن الله عز وجل هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم، فعند ذلك قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فاعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ أي لم يزالوا يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا ﴾ أي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل؛ قال مجاهد. وقال الحسن: أي بالعذاب. ﴿خَٰمِدِينَ ﴾ أي ميتين. والخمود الهمود كخمود النار إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ تشبيها بانطفاء النار.

❁ ❁ ❁

(٢٦٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ
إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ
فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

[الأنبياء:١٦-٢٩].

(٢٦٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي: (لَهْوًا - لَّدُنَّآ - إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ - نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ - ٱلْبَٰطِلِ - فَيَدْمَغُهُۥ - زَاهِقٌ - ٱلْوَيْلُ - تَصِفُونَ - وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ - لَا يَفْتُرُونَ - ءَالِهَةً - يُنشِرُونَ - فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ - بُرْهَٰنَكُمْ - ذِكْرُ مَن مَّعِىَ - وَذِكْرُ مَن قَبْلِى - مُّكْرَمُونَ - لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ - ٱرْتَضَىٰ - خَشْيَتِهِۦ - مُشْفِقُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَهْوًا)	ولدًا- زوجةً
(لَّدُنَّآ)	عندنا
(إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ)	ما كنا فاعلين ذلك
(نَقْذِفُ)	نُلقي
(بِٱلْحَقِّ)	بالقرآن
(ٱلْبَٰطِلِ)	الكفر- الشيطان- الأكاذيب
(فَيَدْمَغُهُۥ)	فيهلكه- يكسر دماغه
(زَاهِقٌ)	باطل- ذاهب
(ٱلْوَيْلُ)	العذاب الشديد- واد في جهنم
(تَصِفُونَ)	تكذبون – تصفون ربكم بشيء الأوصاف
(وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ)	لا يتراجعون عن التسبيح والعبادة- لا يكلون ولا يملون
(لَا يَفْتُرُونَ)	لا يتعبون
(ءَالِهَةً)	معبودين

(٢٦٤) أحمر
أسود

(يُنشِرُونَ)	يحيون الموتى
(فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)	تنزه الله
(بُرۡهَٰنَكُمۡ)	حجتكم
(ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ)	الذِّكر الذي معي، وهو القرآن
(وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ)	(كالتوراة والزبور والإنجيل)
(مُّكۡرَمُونَ)	أكرمهم الله (بأن وفقهم للطاعة)
(لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ)	لا يتكلمون في شيء إلا بإذن من الله
(ٱرۡتَضَىٰ)	ڤ
(خَشۡيَتِهِۦ)	خوفه، خوف عقابه
(مُّشۡفِقُونَ)	خائنون- حذرون

❁ ❁ ❁

(٢٦٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا ولا باطلًا وعلى سبيل اللعب لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذناه من عندنا، ولكن ما كنا لنفعل ذلك، ولكننا نقذف بالحق الذي هو القرآن على الباطل، وهو الكفر والشيطان فيدمغه أي يهلكه ويدمره والله الدفع كما قال بعض العلماء خدش الرأس خدشًا يفضي إلى الموت وكذلك القرآن.....الله به الباطلن فإذا هو ذاهبٌ ولكم يا أهل الكفر الويل بسبب الوصف السيء الذي وصفته به ربكم ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يَخْلق ذلك عبثا ولعبا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ يقول: ما خلقناهما عَبَثا ولا باطلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله

(٢٦٦) أحمر
أسود

ولد ولا صاحبة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾... الآية، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكن ننزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

وقوله: ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ يقول: فإذا هو هالك مضمحلٌ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ والحقّ كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه فإذا هو زاهق: أي ذاهب.

وقوله: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفِريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون.

وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعَبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا

تَصِفُونَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١]، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا نارًا، ولا موتًا، ولا بعثًا، ولا حسابًا.

وقال الحسن، وقتادة، وغيرهما: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن.

وقال إبراهيم النَّخعِي: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾ من الحور العين.

وقال عكرمة والسدي: المراد باللهو هاهنا: الولد.

وهذا والذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الزمر:٤]، فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو العزير أو الملائكة، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣].

وقوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال قتادة، والسدي، وإبراهيم النخعي، ومغيرة بن مِقْسَم، أي: ما كنا فاعلين.

وقال مجاهد: كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار.

وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: نبين الحق فيدحض الباطل؛ ولهذا قال: ﴿فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ أي: ذاهب مضمحل، ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾

(٢٦٨) أحمر
أسود

أي: أيها القاتلون: لله ولد، ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: تقولون وتفترون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي عبثا وباطلا؛ بل للتنبيه على أن لها خالقا قادرا يجب امتثال أموه، وأنه يجازي المسيء والمحسن أي ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم، ويخالف بعضهم ما أمر به ثم يموتوا ولا يجازوا، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح. وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ لما اعتقد قوم أن له ولدا قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ واللهو المرأة بلغة اليمن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ القذف الرمي؛ أي نرمي بالحق على الباطل. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي يقهره ويهلكه. وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ومنه الدامغة. والحق هنا القرآن، والباطل الشيطان في قول مجاهد؛ قال: وكل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان. وقيل: الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره. وقيل: أراد بالحق الحجة، وبالباطل شبههم. وقيل: الحق المواعظ، والباطل المعاصي؛ والمعنى متقارب. والقرآن يتضمن الحجة والموعظة. (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) أي هالك وتالف؛ قاله قتادة. ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ أي العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما لا يجوز وصفه. وقال ابن عباس: الويل واد في جهنم؛ وقد تقدم. ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي مما تكذبون؛ عن قتادة ومجاهد؛ نظيره ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩] أي بكذبهم. وقيل: مما تصفون الله به من المحال وهو اتخاذه سبحانه الولد.

❁ ❁ ❁

(٢٦٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: ولله ﷻ من في السموات والأرض كلهم له عبيد يقضي فيهم بما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، فكيف يتخذ زوجةً؟؟ وكيف يتخذ ولدًا؟؟ وكل الخلق له مملوكون هو ربهم وإلههم وخالقهم ومالكهم، والملائكة الذي عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستنكفون عنها ولا يتراجعون عنها ولا يتعبون ولا يعيون (من العيّ) ويستحسرون منها قوله: (حسد) أي كليل مُتعب ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل أما قوله ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ أي أنه أُلهموا التسبيح فيسبحون ربهم ليلًا ونهار لا يتعبون ولا يملون.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيَون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم.

ويقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ و ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس.

(٢٧٠) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلا ونهارًا، فقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ يعني: الملائكة، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ أي: لا يستنكفون عنها، كما قال: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ ﴾ [النساء:١٧٢].

وقوله: ﴿ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ أي: لا يتعبون ولا يَملُّون.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ فهم دائبون في العمل ليلا ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملا قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أعبد هؤلاء المشركون ألهة مع الله عَزَّ وَجَلَّ، تقدر هذه الألهة على إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم أحياء؟؟ كلا فليس في السموات والأرض آلهة تُعبد بحق مع الله عَزَّ وَجَلَّ بل الكل له عبيد والكل له خضوع ولو كان في السموات والأرض آلهة مع الله لفسدت السموات والأرض فهذا إلهٌ يريد لها البقاء، وهذا إلهٌ يريد لهما الأول، وهذا إله يريد طلوع شمس ذاك لا يريده، فتفسد السموات وتفسد الأرض وكذا سيفسد كل من فيهما فكلُّ إله- إذا كانتا هناك آلهة، نبرأ إليى الله من ذلك إلهٍ سيريد أن ينفذ قوله في المخلوقات وبتضارب الأقوال يحدث الفساد ويحدث الشر فننزه الله

(٢٧١) أحمر
أسود

عن ذلك كله، فهو الله إلهٌ واحد لا شريك له ولا معبود سواه تنزه ربنا رب العرش عما يصفه به الواصفون المشركون، فهو لا يُسأل عن أي شيء يفعله، وسائر العباد يُسألون عن أعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾... إلى قوله: ﴿ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٥].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ يقول: لفسد أهل السماوات والأرض ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه

(٢٧٢) أحمر
أسود

فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولمَ لم تفعل؟ ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول: لا يسئل عما يفعل بعبادة، وهم يُسئلون عن أعمالهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة، فقال: بل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض؟ أي: لا يقدرون على شيء من ذلك. فكيف جعلوها لله ندًا وعبدوها معه.

ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات الأرض، فقال ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ﴾ أي: في السماء والأرض، ﴿ لَفَسَدَتَاۚ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقال هاهنا: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: عما يقولون إن له ولدًا أو شريكًا، سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًا كبيرًا.

وقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ أي: وهو سائل خلقه عما يعملون، كقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

(٢٧٣) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ قال المفضل: مقصود هذا الاستفهام الجحد، أي لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء. وقيل: «أم» بمعنى «هل» أي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى. ولا تكون «أم» هنا بمعنى بل؛ لأن ذلك يوجب لهم إنشاء الموتى إلا أن تقدر «أم» مع الاستفهام فتكون «أم» المنقطعة فيصح المعنى؛ قاله المبرد. وقيل: «أم» عطف على المعنى أي أفخلقنا السماء والأرض لعبا، أو هذا الذي أضافوه إلينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة؟ أو هل ما اتخذوه من الآلهة في الأرض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة؟. وقيل: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠] ثم عطف عليه بالمعاتبة، وعلى هذين التأويلين تكون «أم» متصلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أفتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ظانين أنها معبودة بحق، وظآنين أنه يصبون فيما يعملون فقل لهؤلاء الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى قل هلم هاتوا حجتكم ودليلكم على صحة ما تصنعون فهذا القرآن الذي معي، وهذه الكتب التي تقدمت ونزلت من قبلي على رسل الله عليهم الصلاة والسلام ليس فيها شيء من ذلك ليس فيها أي دليل ولا أية حجة على أن هناك من يُعبد مع الله عَزَّوَجَلَّ فليس عند هؤلاء برهان فيما يصنعون ليس عندهم حجةٌ ولا دليل على عبادة غير الله ولكنه أكثرهم

(٢٧٤) أحمر
أسود

جهلة لا يعلمون وجه الحق ولا وجه الصواب ولا يعلمون الكتب ولا يعلمون قدر ربهم فمن ثمَّ أعرضوا عن الإيمان وأعرضوا عن التوحيد، ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الله ﷻ ما أرسل رسولًا قبل النبي محمد ﷺ إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا الله فأطيعون واخضعوا لي واركعوا لي واسجدوا ولا تعبدوا معي إلهًا آخر بهذا الأصل العظيم جاءت الرسل من عند ربها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] فكل رسول أرسله الله يأمر قومه بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له وترك عبادة الطواغيت.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: بل ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي: دليلكم على ما تقولون، ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ ﴾ يعني: القرآن، ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ يعني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾، كما قال: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

(٢٧٥) أحمر
أسود

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضرّ، وتخلق وتحيي وتميت ، قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله: ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يقول: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ قال: حديث من معي، وحديث من قبلي.

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلّة فهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن كتاب الله.

(٢٧٦) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم «قال أبو جعفر: أظنه أنا قال»: عمل حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ أعاد التعجب في اتخاذ الآلهة من دون الله مبالغة في التوبيخ، أي صفتهم كما تقدم في الإنشاء والإحياء، فتكون «أم» بمعنى هل على ما تقدم، فليأتوا بالبرهان على ذلك. وقيل: الأول احتجاج. من حيث المعقول؛ لأنه قال: «هم ينشرون» ويحيون الموتى؛ هيهات! والثاني احتجاج بالمنقول، أي هاتوا برهانكم من هذه الجهة، ففي أي كتاب نزل هذا؟ في القران، أم في الكتب المنزلة سائر الأنبياء؟ ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بإخلاص التوحيد في القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ في التوراة والإنجيل، وما أنزل الله من الكتب؛ فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب أن الله أمر باتخاذ آلهة سواه؟ فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في الأوامر والنواهي. وقال قتادة: الإشارة إلى القرآن؛ المعنى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما يلزمهم من الحلال والحرام ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ من الأمم ممن نجا بالإيمان

(٢٧٧) أحمر
أسود

وهلك بالشرك. وقيل: ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما لهم من الثواب على الإيمان والعقاب على الكفر ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة. وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد، أي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء. وحكى أبو حاتم: أن يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرأ ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ بالتنوين وكسر الميم، وزعم أنه لا وجه لهذا. وقال أبو إسحاق الزجاج في هذه القراءة: المعنى؛ هذا ذكر مما أنزل إلي ومما هو معي وذكر من قبلي. وقيل: ذكر كائن من قبلي، أي جئت بما جاءت به الأنبياء من قبلي.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يصدر من الناس عداءٌ للحق، وإنكارٌ لبعض الأمور بسبب قلة العلم، دلَّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وقول الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

وقول عليٍّ ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكفر بالله ورسوله».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

(٢٧٨) أحمر
أسود

ج: المعنى والله أعلم وقالت طوائف من أهل الشرك والكفر وهم اليهود قالوا عزيرٌ ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقالت بعض قبائل العرب الملائكة بنات الله فنزَّه ربنا ﷻ نفسه عما يصفه هؤلاء الواصفون بقوله سبحانه قال بل هؤلاء الذين زعمتم انهم أبناء لله، وهم الملائكة.

عبادٌ أكرمهم الله ﷻ بطاعته، وبالاستقامة على أمره لا يتكلمون إلا بما أوهم الله، وهم ممتثلون أمره عاملون به لا يخالفونه ولا يعصونه، ثم إنه سبحانه وتعالى يعلم ما قدموه من أعمالٍ وأقوال، وما سيعلمون فيما بعد، رحاهم عاملون الآن وكذا يعلم أمر أخرتهم أو دنياهم وماذا سيكونون عليه في آخرتهم وماذا كانوا عليه في دنياهم.

ولا يشفعون لأحدٍ إلا لأحد ارتضاه الله وأذن لهم أن يشفعوا فيه كما قال تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فمناها والله أعلم، وهم حذرون خوفًا من الله وخشيته من عذابه.

من يقل منهم إن إلهٌ من دونه كما قال إبليس اللعين خذلك نجزيه جهنم، كعاقبه بجهنم، يجعلها له جزاءً كذلك نجزي تعاقب الظالمين، الذي افتروا على الله الكذب وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من

(٢٧٩) أحمر
أسود

ملائكته، فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وما خلفهم:يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ ولا تشفع الملائكة إلا لمن ڤ.

وقال الطبري أيضًا: وقوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون، يقول: حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم

(٢٨٠) أحمر
أسود

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره، وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال، لعنه الله وجعله رجيما، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ردًا على من زعم أن له -تعالى وتقدس- ولدًا من الملائكة، كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله، فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا.

﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى عِلْمه محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية، ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾

وقوله: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ كقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ:٢٣]، في آيات كثيرة في معنى ذلك.

﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ ﴾ أي: من خوفه ورهبته ﴿مُّشۡفِقُونَ ٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي: من ادعى منهم أنه إله من دون الله، أي: مع الله، ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ أي: كل من قال ذلك، وهذا

(٢٨١) أحمر
أسود

شـرط، والشـرط لا يلـزم وقوعـه، كقولـه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخـرف: ٨١]، وقولـه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥].

❁ ❁ ❁

(٢٨٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ
وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن
تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا
ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم
بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن
يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ
ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا
تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨
لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن
ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ ﴾

[الأنبياء: ٣٠-٤١].

(٢٨٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(رَتْقًا - فَفَتَقْنَٰهُمَا - رَوَٰسِيَ - تَمِيدَ بِهِمْ - فِجَاجًا - سُبُلًا - يَهْتَدُونَ - مَّحْفُوظًا - عَنْ ءَايَٰتِهَا - مُعْرِضُونَ - فَلَكٍ - يَسْبَحُونَ - ٱلْخُلْدَ - وَنَبْلُوكُم - هُزُوًا - بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ - عَجَلٍ - سَأُوْرِيكُمْ - لَا يَكُفُّونَ - بَغْتَةً - فَتَبْهَتُهُمْ - يُنظَرُونَ - فَحَاقَ).

ج:

الكلمة	معناها
(رَتْقًا)	ملتصقتين
(فَفَتَقْنَٰهُمَا)	ففرقنا بينهما (قيل فرقنا بينهم بالهواء) وقيل جُعلت السموات سبعًا بعد أن كانت واحدة، وكذا الأرض جعلت سبع أرضين، وقيل فتقناهما فتحناهما فتقت السماء بالمطر، والأرض بالنبات
(رَوَٰسِيَ)	جبالًا راسيات
(تَمِيدَ بِهِمْ)	تميل بهم – تضطرب
(فِجَاجًا)	مسالك– ممرات
(سُبُلًا)	طرقًا
(يَهْتَدُونَ)	يسيرون فيها فيذهبون على أماكنهم وأماكن احتياجتهم

(٢٨٤) أحمر
أسود

(مَّحۡفُوظٗا)	ممنوعًا من أن يسقط، وممنوعًا من الشياطين أن يقربوا منه على ما فيها من المعجزات والدلالات على قدرة الله ووحدانيته كالشمس والقمر والنجوم والرياح وغير ذلك.
(عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ)	منصرفون منشغلون
(فَلَكٖ)	مدار
(يَسۡبَحُونَ)	يدورون
(ٱلۡخُلۡدَ)	المعيشة الدائمة بلا موت- الخلود في الدنيا
(وَنَبۡلُوكُم)	نختبركم
(هُزُوًا)	استهزاءًا وسخرية
(بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ)	بذكر اسم الرحمن- بالقرآن
(عَجَلٖۚ)	أمره أنه عجول
(سَأُوْرِيكُمۡ)	سأطلعكم- سأجعلكم ترون
(لَا يَكُفُّونَ)	لا يمنعون
(بَغۡتَةٗ)	فجأة
(فَتَبۡهَتُهُمۡ)	فتحيرهم
(يُنظَرُونَ)	يؤخرون- يمهلون
(فَحَاقَ)	فنزل- فحلَّ

❁ ❁ ❁

(٢٨٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كانتا ملتصقين ففصلهما الله ﷻ عن بعضها وجعل بينهما الهواء.

الثاني: أن السموات كانتا سماء واحد ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذا جعل الأرض سبع أرضين بعد أن كانت أرضًا واحدة.

الثالث: أن السموات كانت رتقا مسددوة متلاصقة ففتقها الله بالمط وأن الأرض كذلك كانت ملتصقة لا تنبت ففتقهما الله بالنبات

الرابع: ان الليل كان قبل النهار، وكان الجو كله ليل ففتق الله منه الصبح، كما قال تعالى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وهذا القول الأخير أبعد الأقوال، والأقوال التي قبله أقوى منه، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووحد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله: ﴿كَانَتَا﴾ لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر.

وقوله: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ يقول: فصدعناهما وفرجناهما.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق

(٢٨٦) أحمر
أسود

وكيف كان الرتق، وبأيْ معنى فتق؟ فقال بعضهم: عنى بذلك أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، ففصل الله بينهما بالهواء.

وأورد من طرقٍ تحسن بمجموعها عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتصقتين.

وبإسناد حسن عن قتادة والحسن: كانتا جميعًا ففصل الله بينهما بهذا الهواء، قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال: كانت السماوات رتقا لا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات، ففتقهما الله، فأنزل مطر السماء، وشقّ الأرض فأخرج نباتها، وقرأ ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقال آخرون: إنما قيل ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ لأن الليل كان قبل النهار، ففتق النهار.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء

(٢٨٧) أحمر
أسود

بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك، فكيف قيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة، وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه. فجعل السموات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء:

فَفِي كُلّ شيء لَهُ آيَة تَدُلّ علَى أنّه وَاحد

قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرأيتم السموات والأرض حين كانتا رتقًا، هل كان بينهما

(٢٨٨) أحمر
أسود

إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن كل شيء حيٍّ خلقه الله من الماء.

الثاني: أن كل شيء حيٍّ حياته محفوظة بإذن الله ثم بالماء.

الثالث: أن المراد بالماء ما الصلب (المني) والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء.

فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يقول: أفلا يصدّقون بذلك، ويقرّون بألوهية من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: أصل كل الأحياء منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ثلاث تأويلات:

(٢٨٩) أحمر
أسود

أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء؛ قال قتادة.

الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء.

الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي؛ قاله قطرب. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى خلقنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا في الأرض جبالًا رواسي شامخات لتثبيت الأرض كي لا تضطرب بمن عليها وتميل بهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فمن العلماء.

قال: إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائدةٌ على الأرض أي وجعلنا في الأرض مسالك أعلامًا ممرات جعلنا طرقًا لعل البشر يسلكونها فيستدلون بها على ما يريدون الوصول إليه فالفجاج هي الطرق، وهي المسالك، وهي المعجزات وهي الأعلام التي يهتدى بها.

ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ أي في الجبال أي بين الجبال توجد ممرات يتخذها الناس طرقًا للسير فيها للوصول إلى وادهم وبلا اهتداء على مقاصدهم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة.

وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ يقول: أن لا تتكفأ بهم، يقول جلّ ثناؤه: فجعلنا

(٢٩٠) أحمر
أسود

في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض، وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك، واحدها فجّ.

وأورد بإسنادس حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أي أعلاما. وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ أي طرقا، وهي جمع السبيل.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالا أرسى الأرض بها وقرّرها وثقلها؛ لئلا تميد بالناس، أي: تضطرب وتتحرك، فلا يحصل لهم عليها قرار لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه باد للهواء والشمس، ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات، والحكم والدلالات؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: لئلا تميد بهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي: ثغرًا في الجبال، يسلكون فيها طرقًا من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة -ثغرة- ليسلك الناس فيها من هاهنا إلى هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالا ثوابت. ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي لئلا تميد بهم، ولا تتحرك ليتم القرار عليها؛ قاله الكوفيون. وقال البصريون:

(٢٩١) أحمر
أسود

المعنى كراهية أن تميد. والميد التحرك والدوران. يقال: ماد رأسه؛ أي دار. ومضى في «النحل» مستوفى. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ يعني في الرواسي؛ عن ابن عباس. والفجاج المسالك. والفج الطريق الواسع بين الجبلين. وقيل: وجعلنا في الأرض فجاجا أي مسالك؛ وهو اختيار الطبري؛ لقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي يهتدون إلى السير في الأرض. ﴿سُبُلًا﴾ تفسير الفجاج؛ لأن الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقد لا يكون. وقيل: ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا السماء سقف للأرض محنوطًا من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقيل: محفوظًا من السقوط على الأرض كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ﴾ [الحج: ٦٥] وكما قال ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ﴾ [فاطر: ٤١] أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي وأهل الكفر عن الآيات الدالة على وحدانية الله في السماء من شمس وقمر ونجوم وأفلاك، وجريان الشمس والقمر والنجوم وكذا ما يأتي من رياح وعواصف وغير ذلك أهل الكفر عن كل هذا معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستدلون به على وحدانية الله وقدرته.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض مسموكًا، قوله

(٢٩٢) أحمر
أسود

﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم.

وقوله: ﴿ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء. ويعني بآياتها: شمسها وقمرها ونجومها. ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ يقول: يعرضون عن التفكر فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسوّاها، ولا تصلح إلا له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا ﴾ أي: على الأرض وهي كالقبة عليها، كما قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ ﴾ [الشمس:٥]، ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ ﴾ [ق:٦]، والبناء هو نصب القبة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بُنِي الإسلام على خمس**» أي: خمس دعائم، وهذا لا يكون إلا في الخيام، على ما تعهده العرب.

﴿ مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ أي: عاليًا محروسًا أن يُنال. وقال مجاهد: مرفوعا.

وقوله: ﴿ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾، كقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ ﴾ [يوسف:١٠٥] أي: لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، والارتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ أي محفوظا من أن يقع

(٢٩٣) أحمر
أسود

ويسقط على الأرض؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: محفوظا بالنجوم من الشياطين؛ قاله الفراء. دليله قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٧]. وقيل: محفوظا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. وقيل: محفوظا فلا يحتاج إلى عماد. وقال مجاهد: مرفوعا. وقيل: محفوظا من الشرك والمعاصي. ﴿وَهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قال مجاهد يعني الشمس والقمر. وأضاف الآيات إلى السماء لأنها مجعولة فيها، وقد أضاف الآيات إلى نفسه في مواضع، لأنه الفاعل لها. بين أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالى، إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا فيستحيل أن يكون له شريك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي خلق الليل والنهار خلق الليل كي نسكن فيه ونستريح، وجعل النهار للمعاش، وهي يتعاقبان وكم قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكذا خلق الله الشمس والقمر يتعاقبان ويجريان بحساب، كما قال تعالى ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥] وهذه الأشياء تدور في مدارات أعدها الله لها فتسبح فيها وتدور فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول

(٢٩٤) أحمر
أسود

تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة، ودلالة عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كلّ ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول: كلّ ذلك في فلك يسبحون.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرحى.

وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز:

باتَتْ تُناجِي الفَلَكَ الدَّوَّارَا حتى الصَّباحِ تعمَل الأقْتارَا

وقال آخرون: في ذلك، ما حدثنا به بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾: أي في فلك السماء.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر، وقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.

وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى،

(٢٩٥) أحمر
أسود

وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

باتَّتْ تُناجِي الفُلْكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول ﷺ، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به.

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منبهًا على بعض آياته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ أي: هذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى، وعكسه الآخر. ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ هذه لها نور يخصها، وفلك بذاته، وزمان على حدة، وحركة وسير خاص، وهذا بنور خاص آخر، وفلك آخر، وسير آخر، وتقدير آخر، ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:٤٠]، أي: يدورون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ذكرهم نعمة أخرى: جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل؛ لتعلم الشهور والسنون والحساب، كما تقدم في «سبحان» بيانه. ﴿كُلٌّ﴾ يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار ﴿فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ

(٢٩٦) أحمر
أسود

سَبۡحٗا ﴿٣﴾ ﴾ [النازعات: ٣] ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما قدرنا لبشر جاءوا قبلك أن يخلدوا في هذه الحياة الدنيا بل كلهم يموتون، أفأن مت يا رسول الله سيخلد هؤلاء العائدون لك كلا فلن تخلَّد في الدنيا ولن يخلدوا بل كل نفس ذائقة الموت، ونختبركم بالشر اختبارًا ونبولكم به ابتلاء، وكذا نختبركم بالخير فتنة لكم، وإلينا جميعًا وجعلكم رقابكم فنجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكأنه قال: أفهم الخالدون إن متّ.

وقوله: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرّعة كأسها.

وقوله: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية

(٢٩٧) أحمر
أسود

فنفتنكم به.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول: نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: يا محمد، ﴿ٱلْخُلْدَ﴾ أي: في الدنيا بل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن:٢٦، ٢٧].

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مات وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولا وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾.

وقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ أي: يا محمد، ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾؟! أي: يؤملون أن يعيشوا بعدك، لا يكون هذا، بل كل إلى فناء؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقد روي عن الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فَتِلْكَ سَبِيل لَسْت فيهَا بأوْحد
فقُلْ للَّذي يَبْغي خلاف الذي مضى ... تَهَيَّأ لأخْرى مثْلها فكَأن قد

وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾، يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال..

وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ أي: فنجازيكم بأعمالكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٢٩٨) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ أي دوام البقاء في الدنيا نزلت حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون. وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون: شاعر نتربص به ريب المنون، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان؛ فقال الله تعالى: قد مات الأنبياء من قبلك، وتولى الله دينه بالنصر والحياطة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي أفهم؛ مثل قول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي أهم فهو استفهام إنكار. وقال الفراء: جاء بالفاء ليدل على الشرط؛ لأنه جواب قولهم سيموت. ويجوز أن يكون جيء بها؛ لأن التقدير فيها: أفهم الخالدون إن مت! قال الفراء: ويجوز حذف الفاء وإضمارها؛ لأن "هم" لا يتبين فيها الإعراب. أي إن مت فهم يموتون أيضا، فلا شماتة في الإماتة. وقرئ ﴿مِّتَّ﴾ و ﴿مُتَّ﴾ بكسر الميم وضمها لغتان.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ تقدم. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ ﴿فِتْنَةً ﴾ مصدر على غير اللفظ. أي نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام، فننظر كيف شكركم وصبركم. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي للجزاء بالأعمال.

❁ ❁ ❁

(٢٩٩) أحمر
أسود

بعض الأدلة على الابتلاء بالخير

س: اذكر بعض الأدلة على فتنة الناس واختبارهم بالخير؟

ج: من ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥].

وقوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام لما أُتي بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ: أَنَّ رَسُولَ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ ﷺ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

وحديث أبي هريرة (١) في الصحيحين: في شأن الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل، فيه أن الله ﷻ ابتلاهم، فيه أن رسول ﷺ قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى

(١) البخاري (٣٤٦٤).

(٣٠٠) أحمر
أسود

الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي (١) النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ (٢) فَذَهَبَ عَنْهُ (٣) فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ (٤)، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ (٥) هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٢): (قوله: «قذرني» - بفتح القاف، والذال المعجمة المكسورة - أي: اشمأزوا من رؤيتي. وفي رواية حكاها الكرماني «قذروني الناس». وهي على لُغة «أكلوني البراغيث»).

(٢) (مسحه): أي: مسح جسمه.

(٣) أي: ذهب عنه البرصُ.

(٤) قال النووي: (الناقة العشراء هي الحامل: القريبة الولادة)، وقال الحافظ في «الفتح»: (هي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرةُ أشهر من يوم طرقها الفحل، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعدما تضع، وهي من أنفس المال.

(٥) «أنتج هذان» أي: صاحب الإبل والبقر. قال النووي: («فأنتج» رباعي، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور: نتج» ثلاثي، وممَّن حكى اللغتين الأخفش، ومعناه: تولَّى الولادة، وهي: النتج والإنتاج، ومعنى «ولد هذا» بتشديد اللام: معنى «أنتج»، و«الناتج» للإبل، و«المولد» للغنم وغيرها، هو كـ«القابلة» للنساء).

وقال ابن حجر: («وأنتج» في مثل هذا شاذ، والمشهور في اللغة: «نتجت الناقة» بضم النون، و«نتج الرجل الناقة» أي: حمل عليها الفحل، وقد سُمع «انتجت الفرس» إذا ولدت، فهي «نتوج»).

(٣٠١) أحمر
أسود

مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ (١) فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ (٢) فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ، فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ (٣)، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ (٤) فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر (٥) ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ إِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ

---

(١) أي: الأسباب التي تُقطع في طلب الرزق.

(٢) أي: أتوصَّل به إلى مُرادي.

(٣) قال النووي: أي: ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه آبائهم كبيرًا عن كبيرٍ في العِزِّ والشَّرف والثَّروةِ.

(٤) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٨٢٠): (قوله: «فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ» هكذا هو في رواية الجمهور: «أجهدك» - بالجيم والهاء- وفي رواية ابن ماهان «أحمدك» - بالحاء والميم-، ووقع في البخاري بالوجهين، لكن الأشهر في مسلم بالجيم وفي البخاري بالحاء، ومعنى الجيم: لا أشق عليك بردِّ شيء تأخذه أو تطلبه من مالي، والجهد: المشقة.

(٥) مسلم (٢٢٩٦).

(٣٠٢) أحمر
أسود

تَنَافَسُوا فِيهَا».

وعند البخاري (١) من طريق سعد بن إبراهيم عن أبيه: إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ﷺ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

وعند مسلم (٢): من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ: كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وإذا رأك يا رسول الله أهل الكفر والتكذيب اتخذوك مجالًا للسخرية والاستهزاء لم يأخذوا منك خيرك ولم يستفيدوا منك علمك ولم يقبلوا ما جئت به من الهدى والنور بل نصبهم منك أن يسخرو منك ويستهزءوا بك قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها ويأوكم بمفارقة عبادتها؟؟!!

(١) البخاري (٤٠٤٥).
(٢) مسلم (٢٩٦٢).

(٣٠٣) أحمر
أسود

وليس أمرهم بقاصرٍ عليك وعلى الاستهزاء بك بل هم كافرون بالله ﷻ وكافرون بالذِّكر الذي جئتهم به من عند الله، وكافرون أيضًا باسم الرحمن وجاحدون لنعمه عليهم.

فغذا كانوا مجدوا نعم الله عليهم، أليس من اليسير عليهم أن يستهزءوا بك!!!

ففي هذا الأخير ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ بتكرير كلمة ﴿هُمْ﴾ للتأكيد على كفرهم وجحودهم والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله، ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخريا يقول بعضهم لبعض ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعني بقوله: يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها، تعجبا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، وبيده ضرّهم، وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم؛ أن يذكروه به ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ والعرب تضع الذكر موضع المدح والذمّ، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه؛ ومن ذلك قول عنترة:

لا تَذْكُرِي مُهْرِي ومَا أطْعَمْتُهُ ... فَيكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأجْرَبِ

يعني بذلك: لا تعيبي مهري. وسمعناه يُذكر بخير.

(٣٠٤) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزئون بك وينتقصونك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعنون: أهذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم، قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان:٤١، ٤٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي ما يتخذونك. والهزاء السخرية؛ وقد تقدم وهم المستهزئون المتقدمو الذكر في آخر سورة «الحجر» في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]. كانوا يعيبون من جاحد إلهية أصنامهم وهم جاحدون لإلهية الرحمن؛ وهذا غاية الجهل. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي يقولون: أهذا الذي؟ فأضمر القول وهو جواب «إذا» وقوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلام معترض بين «إذا» وجوابه. ﴿يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي بالسوء والعيب. ومنه قول عنترة:

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

أي لا تعيبي مهري. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي بالقرآن. ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثانية توكيد كفرهم، أي هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر.

❁ ❁ ❁

(٣٠٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم يتضمن ردًا على المستعجلين نزول العذاب عليهم المنكرين لذلك القائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، المكذبين بوعد الله ووعيده، فيقال لهم إذا كنتم تستعجلون نزول العذاب عليكم فهذا طبع الإنسان الذي طُبع عليه وجبلته التي جُبل عليها أنه محلوق من عجل، مخلوق وطبيعة التي طبعه الله عليها العجل كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١]، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم: ٥٤] أي: خلقكم أول ما خرجتم من بطون أمهاتكم ضعفاء وهنا خلقكم عجولين.

وقيل إن معنى (مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي في وقت قليل في أخر ساعة من يوم الجمعة كذا قيل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي لا تتعجلوا نزول العذاب عليكم يا أهل الكفر ولا تستعجلوا نقمي، ولا تنكروهافإنها آتية لا محالة ولا مرد لها منكم ما دمتم على كفركم وعلى تكذيبكم، كما قال تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المعارج: ١-٢].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ عَجَلٍ ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة.

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل: أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل، وقالوا: خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قال:

(٣٠٦) أحمر
أسود

على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين، يريد يوم الجمعة، وخلقه على عجل، وجعله عجولا.

قال الطبري:

والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أيْ على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ علي ذلك.

وأن أبا كريب، حدثنا قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبى هريرة قال: قال رسول ﷺ: «**إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةٌ يَقَلِّلُها ، قال لا يُوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسأَلُ اللهَ فِيها خَيْرًا إلا أتاهُ اللهُ إيَّاهُ**» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد ﷺ: بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون آياتي، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل، إذا أتتها الآيات فلا تستعجلون، يقول: فلا تستعجلوا ربكم، فإنا سنأتيكم بها ونريكموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا

(٣٠٧) أحمر
أسود

﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١]، أي: في الأمور.

وهي التي خلق الله فيها آدم، قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ أي: نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ويقول أهل الكفر والتكذيب وأهل الجحود والنكران، يقولون لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان ساخرين مستهزئين مكذبين مستبعدين متى هذا الوعد الذي تعدونا أننا سنعذب فيه وسنبعث فيه إن كنتم صادقين في قبلكم فأتونا به!!.

فأجابهم الله بقوله: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ حقيقة هذا اليومن وما يحدث فيه لتابوا وأنابوا وآمنوا وأسلموا لو يعلم الذين كفروا أن هذا اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب لا يستطيعوا دفع النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم وليس هناك ناصرٌ فيعدهم ولا مدافعٌ يدفع عنهم لو علموا هذا ما قالوا هذه المقولة التي يقولونها.

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ ﴾ فكقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن

(٣٠٨) أحمر
أسود

يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٢٤] فحاصل المعنى والتقريب المعنى؟! أقول بالله التوفيق إن الإنسان في الدنيا إذا قائله شخص وحاول ضربه فإن يدافع عن وجهه أولًا فيجتهد ألا يصاب وجهه بأي أذى، فكيف إذا كانت يداه موثوقتان ووجهه معرض للضرب لا يستطيع أن يدفع عن وجهه الضرب؟؟!! فعياذا بالله الكفار يكون هكذا يوم القيامة، النار فُسلَّطه على وجهه ولا يستطيع منعها فيستقبل النار بوجهه عياذًا بالله فنارٌ على وجهه ونار على ظهره، وعذاب على وجهه وعذاب على ظهره، كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] وكما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦].

أما قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي: تأتيهم الساعة فجأة فتحيرهم فلا يستطيعون لها ردًا ولا يستطيعون لها دفعًا ولا يستطيعون جدالًا آنذاك، ولا يؤخرون لحظة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم: متى هذا الوعد: يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك. وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به، و متى في موضع نصب، لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأيّ يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

(٣٠٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا

(٣١٠) أحمر
أسود

عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا، به ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦]، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١]، وقال في هذه الآية: ﴿ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: لا ناصر لهم كما قال: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد:٣٤].

وقوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي: «تأتيهم النار بغتة»، أي: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ أي: تذعرهم فيستسلمون لها حائرين، لا يدرون ما يصنعون، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ أي: ليس لهم حيلة في ذلك، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ أي الموعود، كما يقال: الله رجاؤنا أي مرجونا. وقيل: معنى «الوعد» هنا الوعيد، أي الذي يعدنا من العذاب. وقيل: القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يا معشر المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وجواب «لو» محذوف، أي لو علموا الوقت الذي ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وعرفوه لما استعجلوا الوعيد. وقال الزجاج: أي لعلموا صدق الوعد. وقيل: المعنى لو علموه لما أقاموا على الكفر ولآمنوا. وقال الكسائي: هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة، أي لو علموه علم يقين لعلموا أن الساعة آتية. ودل عليه ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي فجأة يعني

(٣١١) أحمر
أسود

القيامة. وقيل: العقوبة. وقيل: النار فلا يتمكنون حيلة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ قال الجوهري: بهته بهتا أخذه بغتة، قال الله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ وقال الفراء: ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي تحيرهم، يقال: بهته يبهته إذا واجهه بشيء يحيره. وقيل: فتفجأهم. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي صرفها عن ظهورهم. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي لا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم،وإن كان القوم الكافرون الجاحدون استهزءوا بك يا رسول الله فقد استهزأ أمثالهم بالرسل من قبلك فلك فيمن كانوا قبلك من المرسلين أسوة فتأسى بهم واقتدِ بهم واصبر كما صبروا، فإن الساخرين المستهزئين قد حلَّ بهم نكالٌ من الله ﷻ وعذابٌ منه ونزل بهم جزاء استهزائهم وجزاء تكذيبهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله، واجتراء عليه، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزئون: يقول جلّ ثناؤه: حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوّفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جلّ ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء

(٣١٢) أحمر
أسود

المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليًا لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ يعني: من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:٣٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له. يقول: إن استهزأ بك هؤلاء، فقد استهزئ برسل من قبلك، فاصبر كما صبروا. ثم وعده النصر فقال: ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط ودار ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ كفروا ﴿سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ وهزئوا بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي جزاء استهزائهم.

❁ ❁ ❁

(٣١٣) أحمر
أسود

الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

[الأنبياء: ٤٢-٥٠].

(٣١٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَكْلَؤُكُم - ذِكْرِ رَبِّهِم - ءَالِهَةٌ - يُصْحَبُونَ - طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ - نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ - أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ - يُنذَرُونَ - نَفْحَةٌ - ٱلْقِسْطَ - نُظْلَمُ - ٱلْفُرْقَانَ - وَضِيَآءً - وَذِكْرًا - يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ - مُشْفِقُونَ - مُّبَارَكٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَكْلَؤُكُم)	يحرسكم- يحفظكم
(ذِكْرِ رَبِّهِم)	تذكير ربهم لهم بما أنزله في كتاب ذكر الله بتوحيده- القرآن
(ءَالِهَةٌ)	معبودات
(يُصْحَبُونَ)	يُمنعون- يجارون- نصبحهم بخير
(طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ)	طالت أعمارهم في الغي والضلال والنعيم الدنيوي
(نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ)	نهلكها قرية بعد قرية، وهي القرى التي يرونها مُدمرة خاوية على عروشها- وقيل يُسلم أهل القرى قرية بعد قرية فيضيق الخناق على أهل الشرك فينقلون يومًا بعد يوم
(أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ)	أخوفكم
(يُنذَرُونَ)	بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ
(نَفْحَةٌ)	يخوفون- يُحذَّرون- شيء يسيرٌ
(ٱلْقِسْطَ)	الحق – العدل

(٣١٥) أحمر
أسود

(نُظۡلَمُ)	تُبخس شيئًا من حقها
(ٱلۡفُرۡقَانَ)	ما يوَّق به بين الحق والباطل (قيل العصا وقيل التوراة)
(وَضِيَآءً)	نورًا
(وَذِكۡرًا)	تذكيرًا
(يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم)	يخافون ربهم ﷻ
(بِٱلۡغَيۡبِ)	وهم لا يرون الله – وفي حال غيابهم عن الناس – في حال عدم رؤيتهم لله
(مُشۡفِقُونَ)	خائفون
(مُّبَارَكٌ)	كثيرٌ خبرة- متزايدُ خيره ثابتُ خيره

❁ ❁ ❁

(٣١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين للبعث المستعجلين وقوع العذابن قل لهم من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار إذا أراد بكم الرحمة سوءًا، وهذه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ ﴾ فإذا سألت هؤلاء المشركين هذا السؤال، فلا يجدون له جوابصا، فإنهم يقرون أن الله هو الذي يكلؤهم (يحرسهم ويحفظهم بالليل والنهار) لن يجدوا جوابًا، ومع ذلك فهو عن ذكر من الذي أنزل على رسوله وهو القرآن بما فيه من تذكير معرضون وكذا فإنهم عن ذكر الله بتوحيده وإفراده بالعبادة.

أما قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ ﴾ فمعناه ألهم آلهة تمنعهم منا إذا أردنا بهم سوءًا أو أردنا بهم رحمة كلا فليس لهم من يعصمهم منا ولا من يمنعهم مما أردناه بهم فهذه الألهة التي عبدوها مع الله ﷻ لا تستيطيع نصر أنفسها ولا منع أنفسها ممن أرادها بأي شيء، وقد كسرها الخليل إبراهيم عليه السلام، ولم تدفع عن نفسها شيئًا فكيف تنصر غيرها، وكيف تحفظ غيرها.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ فالمعنى أن أهل الشرك لا يمنعهم ماناع فما أردناهم به وكذا لا يجدون منا صحبة خير ولا يصحبون منا بخير

وكذا قال بعض العلماء:

وقال آخرون: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي ولا هم يُجارون منا ولا يمنعون منا.

(٣١٧) أحمر
أسود

ثم يقول تعالى ما حاصل معناه فإن سأل سائل فما بال العذاب تأخر عن هؤلاء فجوابه أننا متعنا هؤلاء وأمهلناهم كما متعنا آباءهم وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر في النعيم الدنيوي، ثم أننا نأخذهم كما أخذنا آباءهم وأسلافهم.

أفلا ينظر هؤلاء إلى سنن الله ف يالخق وأنه يوم المكذبين شيئًا فشيئًا، ويهلكم قومًا بعد قومٍ وقيل ننقصها من أطرافها أي يُسلم الناس- وكان هذا في زمن رسول الله ﷺ ويدخلون في دين الله أفواجًا فيضيق الخناق على أهل الشرك بمكة ويقل أتباعهم ومن على شاكلتهم من أهل الكفر كذا قال بعض أهل العلم وهناك أقوال أُخر والأول عليه أكثر العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فحاصل معناه إن كنا قد أهلكنا القرى التي يعلمها الله، وديارهم وآثارهم باقية تشهد لما أحللناه بهم، وكافر أأشد منهما أهل مكة قوة وأكثر جمعًا، أفيغلبنا هؤلاء المشركون من قريش؟!! كلا بل نحن الغالبون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد بهؤلاء المستعجليك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرّفتم من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن، يقال منه: كلأت القوم: إذا حرستهم،

(٣١٨) أحمر
أسود

أكلؤهم، كما قال ابن هَرْمة:

إنَّ سُـــــلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهـــــا ضَـنَّتْ بِشَـيْءٍ مـا كـانَ يَرْزَؤُهـا

قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وقوله بل: تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا.

ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الهؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ اختلف أهل التأويل في المعني بذلك، وفي معنى يُصْحبون، فقال بعضهم: عنى بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني الآلهة ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: لا يصحبون من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن ﴿هُم﴾ من قوله: ﴿وَلَا هُم﴾ من ذكر الكفار،

(٣١٩) أحمر
أسود

وأن قوله: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتناهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمدا بالعذاب الغالبونا، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالبون، وإنما هذا تقريع من

(٣٢٠) أحمر
أسود

الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم، يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه، وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام، فقال: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾؟ أي: بدل الرحمن بمعني غيره كما قال الشاعر

جَارِيَةٌ لَمْ تَلْبَسِ المُرَقَّقَا وَلَمْ تَذُق مِنَ البُقُولِ الفُسْتُقَا

أي: لم تذق بدل البقول الفستق.

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: لا يعترفون بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلائه، ثم قال ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا؛ ولهذا قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: هذه [الآلهة] التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم.

وقوله: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يمنعون.

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين: إنما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال، أنهم مُتّعوا في الحياة الدنيا، ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه، فاعتقدوا أنهم على شيء.

ثم قال واعظًا لهم: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ اختلف المفسرون في معناه، وقد أسلفناه في سورة «الرعد»، وأحسن ما فسر بقوله

(٣٢١) أحمر
أسود

تعـــــــالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٧].

وقال الحسن البصري: يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر.

والمعنى: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يعني: بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ أي يحرسكم ويحفظكم. والكلاءة الحراسة والحفظ؛ كلاه الله كلاء "بالكسر" أي حفظه وحرسه. يقال: اذهب في كلاءة الله؛ واكتلأت منهم أي احترست، قال الشاعر هو ابن هرمة:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقال آخر:

أنخت بعيري واكتلأت بعينه

ثم قال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. أي بسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ في النعمة. فظنوا أنها لا تزول عنهم، فاغتروا وأعرضوا عن تدبر حجج ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ أي بالظهور عليها لك يا محمد أرضا بعد أرض، وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة؛ قال معناه الحسن وغيره. وقيل: بالقتل والسبي؛ حكاه الكلبي. والمعنى واحد.

❁ ❁ ❁

(٣٢٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآيات: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين المستعجلين نزول العذاب عليهم، قل لهم إنم أحذركم وأخوفكم وأنذركم بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ، ولكن أهل الكفر الذي أصمهم الله عن الحق وأعمى أبصارهن لا يسمعون ما ندعوهم إليه ولا يفقهون ما نحذرهم منه ولا يسمعونه النذير سرعًا ينتفعون به، ولئن أصابهم شيءٌ ولو السير جدًا من عذاب الله ﷻ لضجُّوا ودعوا على أنفسهم بالويل والهلاك والموت قائلين معترفين ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ كنا ظالمين لأنفسنا لعبادة غير الله ﷻ.

ثم يبين الله ﷻ شيئًا مما هو كائن يوم القيامة فيقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ التي توزن فيها أي العباد، بل ويوزن فيها العبادة أيضًا نقيم هذه الموازين بالعدل وهو القسط وذلك يوم القيامة فلا تبخس نفسٌ أي شيء عملته بل وإن كان المعمول من خيرا أو شر صغيرًا ضئيلًا ولو حبة من خردل أتينا بها ووضعناه في الموازين كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. أما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي لا نحتاج في لأحدٍ يحسب لنا ويزيد على العباد أعمالهم، فالله يحب أي والعباد أدن حساب وأعدل حساب وأتم حساب.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية

(٣٢٣) أحمر
أسود

كما أرسل الأولون إنم أنذكرم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عند وأخبركم به بأسه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي بهذا القرآن.

وقوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بفتح الياء من ﴿يَسْمَعُ﴾ بمعنى أنه فعل للصمّ، والصمّ حينئذ مرفوعون، ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ ﴿ولا تُسْمعُ﴾ بالتاء وضمها، فالصمّ على هذه القراءة مرفوعة، لأن قوله: ﴿لا تُسْمِعُ﴾ لم يسمّ فاعله، ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصمّ الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه، ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تُلي عليه وأُريد به، ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه، فعل الأصمّ الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

(٣٢٤) أحمر
أسود

يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النصيب والحظّ، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾... الآية، يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله: ﴿ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم، ليعلمن حينئذ غبّ تكذيبهم بك، وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم وكفرانهم أياديه عندهم،وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ العدل وهو ﴿ٱلۡقِسۡطَ ﴾ وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى "في" كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله: ﴿ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته.

وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ يقول: وإن كان

(٣٢٥) أحمر
أسود

الذي له من عمل الحسنات، أو عليه منا لسيطات وزن حبة من خدل أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه.

وأيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ قال: يؤتى بها لك وعليك، ثم يعفوا إن شاء أو يأخذ، ويجزي بما عمل له من طاعة. وكان مجاهد يقول في ذلك ما.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء منا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ أي: إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذركم به من العذاب والنكال، ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إليّ، ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله بصيرته، وختم على سمعه وقلبه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله، ليعترفن بذنوبهم، وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا.

وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.

وقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا

(٣٢٦) أحمر
أسود

وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]، وقال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان:١٦].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وأورد ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول ﷺ: «**إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر، أو حسنة؟**» قال: فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فيخرج له بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله» فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: «**فتوضع السجلات في كفة**» ، قال: «**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**» قال: «**ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**» .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أتينا موسى وهارون عليهما السلام الفرقان، وهو ما

(٣٢٧) أحمر
أسود

يفرق به بين الحق والباطل، وقيل إن هذا الفرقان هو المعجزات التي أيد الله بها موسى وهارون عليهما السلام كالعصا واليد وغير ذلك، وقيل إن هذا الفرقان هو التوارة.

أما قوله تعالى: (وَضِيَآءً) فمن العلم ومن قال إن المراد به التوراة فهي ضياءٌ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ أي تذكيرًا للمتقين، وقيل للمتقين، مع أنه ذكرٌ للجميع، وذلك لكون المتقين هم المستفيدون به أما قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ ﴾ أي: وهذا القرين الذي أنزلناه عليك يا رسول ذِكر مبارك كثير نفعه بل وكله نفعٌ، نفع أثناء وتعلمه وتعليمه وأثناء العمل به، وأثناء تدبره، والدعوة إليه بل في كل زمانٍ، وفي كل مكان.

أنزلناه عليك يا رسول الله لتبليغه هؤلاء القوم أفتنكرونه، وهو في غاية الجلاء والظهور والوضوح.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل.

وأورد بإسناد صحيح: ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ قال: الفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق، وقرأ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: يوم بدر.

(٣٢٨) أحمر
أسود

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرّهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾ [الصافات: ٦-٧]؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكرّهم بما آتى موسى وهارون من التوراة.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان: الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته، يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرّطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قِبَل لهم به.

(٣٢٩) أحمر
أسود

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به ﴿ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هو ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهما، وبين كتابيهما؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾. قال مجاهد: يعني: الكتاب. وقال أبو صالح: التوراة، وقال قتادة: التوراة، حلالها وحرامها، وما فرق الله بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: يعني: النصر.

وجامع القول في ذلك: أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورًا في القلوب، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية؛ ولهذا قال: ﴿ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: تذكيرًا لهم وعظة.

ثم وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ كقوله: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢]، ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: خائفون وجلون.

ثم قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعني: القرآن العظيم، الذي لا

(٣٣٠) أحمر
أسود

يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ أي: أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد آتينا موسى وهرون النصر والتوراة التي هي الضياء والذكر. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي غائبين، لانهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا، يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس. ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي من قيامها قبل التوبة. ﴿مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾ أي خائفون وجلون.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ﴾ يا معشر العرب ﴿مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ وهو معجز لا تقدرون على الاتيان بمثله.

وأجاز الفراء ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ بمعنى أنزلناه مباركا.

❁ ❁ ❁

(٣٣١) أحمر
أسود

الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم
بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ
فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

(٣٣٢) أحمر
أسود

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ
ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ
﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾
وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

[الأنبياء: ٥١-٧٣].

(٣٣٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿رُشْدَهُۥ - ٱلتَّمَاثِيلُ - عَٰكِفُونَ - ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ - ٱللَّٰعِبِينَ - فَطَرَهُنَّ - وَتَٱللَّهِ - لَأَكِيدَنَّ - تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ - جُذَٰذًا - أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ - يَشْهَدُونَ - ٱلتَّمَاثِيلُ - فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ - نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ - أُفٍّ لَّكُمْ - إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ - كَيْدًا - بَٰرَكْنَا فِيهَا - نَافِلَةً - أَئِمَّةً - يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا).

ج:

الكلمة	معناها
﴿رُشْدَهُۥ﴾	عقله- فهمه- سدادًا وتوفيقًا
﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿عَٰكِفُونَ﴾	مقيمون حولها- ملازمون لها
﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	بعدُ عن الحق مظهرٌ لمن تأمله أنهم على باطل وضلال
﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾	المازحين
﴿فَطَرَهُنَّ﴾	خلقهن لأول مرة وعلى غير مثال سابقٍ
﴿وَتَٱللَّهِ﴾	ووالله
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	لأكرمن أصنامكم- لأفعلن بها مكيدة
﴿تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾	تنصرفوا بعيدين عنها
﴿جُذَٰذًا﴾	فُتاتًا- مقطعًا
﴿أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾	أمام الناس وعلى مرأى منهم
﴿يَشْهَدُونَ﴾	يشهدون عليه أنه توعد

(٣٣٤) أحمر
أسود

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	فرجع بعضهم على بعض بالملامة
﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾	ارتدوا ثانية باللوم على إبراهيم عليه السلام
﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾	تقذرًا لكم وتقززًا من فعلكم
﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾	إن كنتم منتصرين لها- إن كنتم تريدون الاستمرار على عبادتها
﴿كَيۡدٗا﴾	هلاكًا- موتًا
﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾	أكثرنا الخيرات فيها- أرسلنا فيها رسلًا وأنبياء كثيرين- أكثرنا فيها من الثمار والبركات والخيرات
﴿نَافِلَةٗ﴾	زيادة على ما سأل
﴿أَئِمَّةٗ﴾	قادة وسادة في الخير
﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾	يهدون الناس بإذننا وبما أمرناهم به

❁ ❁ ❁

(٣٣٥) أحمر
أسود

ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلى وأعلم ولقد أتينا إبراهيم عليه السلام هداه وعقله الرشيد وفهمه السديد، أي أتيناه فهمًا سديدًا وعقلًا رشيدًا، وهدى وتوفيقًا.

أما قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي وهو صغير ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ قيل عالمين أنه أهلًا لذلك وقيل كنا به عالمين أنه يتحرى الحق والصواب ويبحث عنه.

وكذا كنا به عالمين عند قوله لأبيه آزر ولقومه ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ ما هذه الأصنام والصور التي أنتم عندها مقيمون وحولها مقيمون تعبدونها لا تتركون عبادتها وأنتم لها ملازمون؟ قالوا وجدنا أباءنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كان أباؤنا ويعبدونها، فقال لهم الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي في بعدٍ عن الحق واضحٌ مظهرٌ لمن تأمله أنكم على غير صوابٍ وعلى غير الحق فتعجب قوم إبراهيم عليه السلام من مقولته تلك فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أأنت جادٌ فيما تقول أم أنك هازل تمزح، فأكد، فأكَّد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فأكد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الذي خلقهن لأول مرة، وأنا على ما قلت من الشاهدين المُقرين لله عز وجل بالربوبية دون ما سواه والمقرين له بالألوهية دون ما سواه فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

(٣٣٦) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ موسى وهارون، ووفَقناه للحقّ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى إبراهيم، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا له.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئا ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ ﴾ يعني في وقت قيله وحين قيله لهم ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يقول: قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، ﴿قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ ﴾ أيها القوم ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ ﴾ بعبادتكم إياها ﴿ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحقّ ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول ﴿ أَمْ أَنتَ ﴾ هازل لاعب ﴿ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

(٣٣٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحق لا اللعب، ربكم ربّ السماوات والأرض الذي خلقهنّ، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كلّ أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه آتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام:٨٣]، وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم -فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وفقًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة.

والمقصود هاهنا: أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده، من قبل، أي: من قبل ذلك، وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي: وكان أهلا لذلك.

(٣٣٨) أحمر
أسود

ثم قال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله، عز وجل، فقال: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: معتكفون على عبادتها.

﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾: لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال؛ ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم.

فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ يقولون : هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًا فيه؟ فإنا لم نسمع به قبلك.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: ربكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: وأنا أشهد أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ قال الفراء: أي أعطيناه هداه.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال، لما جن عليه الليل فرأى النجم والشمس والقمر.

وقيل:«من قبل» أي من قبل موسى وهرون.

والرشد على هذا النبوة.

وعلى الاول أكثر أهل التفسير، كما قال ليحيى: (وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾)

[مريم: ١٢].

وقال القرظي: رشده صلاحه.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أي إنه أهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ قيل: المعنى أي اذكر حين قال لابيه، فيكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وقيل: المعنى، (وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ) فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله: «عالمين».

«لابيه» وهو آزر (وَقَوْمِهِۦ) نمرود ومن اتبعه.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أي الاصنام.

والتمثال اسم موضوع للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى.

يقال: مثلت الشئ بالشئ أي شبهته به.

واسم ذلك الممثل تمثال.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي مقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي نعبدها تقليدا لاسلافنا.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي في خسران بعبادتها، إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي أجاء أنت بحق فيما تقول؟ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أي لاعب مازح.

(قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي لست بلاعب، بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والارض.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ أي خلقهن وأبدعهن.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أي على أنه رب السموات والأرض.

(٣٤٠) أحمر
أسود

والشاهد يبين الحكم، ومنه (شَهِدَ ٱللَّهُ) [آل عمران: ١٨] بين الله، فالمعنى: وأنا أبين بالدليل ما أقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم قسم أقسمه إبراهيم عليه السلام وعهدٌ أخذه على نفسه أن يكسر الأصنام بعد خروج القوم لعيدهم، وبعد انصرافهم عن آلهتهم، وقد قيل إن أقسم على ذلك أمام بعض قومه فسمعه بعضهم ولم يسمعه آخرون، ويحتمل أنه عقد عليه العزم في نفسه، والأول أظهر لقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام أقسم بالله عز وجل أن يكيد هذه الأصنام بتكسيرها وتدميرها بعد انصراف القوم عنها. فلما انصرفوا عنها قام إليها وكسرها بقوةٍ وشدة كما قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩٣] فكسرها وجعلها قطعًا متفتتة محطمةً، كسرها كلها إلا أكبر صنم فيها لعلَّ القوم يرجعون.

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فقيل إن المراد بذلك الصنم الأكبر تركه إبراهيم، وقيل إنه علَّق عليه الفأس الذي كسر به الأصنام لعلَّ القوم يرجعون إلى الصنم فيسألونه لماذا صنعت هذا بالأصنام الصغيرة التي دونك، فيكون ردَّه إني رفضت أن يعبد هؤلاء الصغار معي. وهذا كله على سبيل السخرية والتهكم من القوم أي فاسألوا هذا

(٣٤١) أحمر
أسود

الصنم الكبير لماذا كسرها، فقد يكون كسرها لكونها تُعبد معه، وهو لا يريد أن يُعبد أحدٌ معه من هذه الأصنام، هذا قولٌ، فحاصله أنه جعل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أن يرجعون إلى الصنم الأكبر.

وقوله آخر ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى إبراهيم عليه السلام ﴿يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أي يرجعون إلى دينه وما هو عليه من الحق، وقيل يرجعون إلى إبراهيم عليه السلام يسألونه ويناظرونه.

فقالوا لما رجعوا ووجدوا الأصنام مكسرة محطمةً مُدمرةً (إلا الصنم الأكبر) قالوا من فعل هذا بمعبوداتنا التي نعبدها إنه لشخص ظالم من الظالمين، فقال بعض الذين سمعوا إبراهيم عليه السلام يُقسم على الكيد لها وتدميرها سمعنا فتى -شابًا- يُقال له إبراهيم فقال كبراء القوم وأهل الرياسة فيهم فأتوا به أمام الناس وعلى رأي منهم وأمام الشهود لعلهم يشهدون عليه وعلى جريمته التي ارتكبها في حقنا بتكسيره أصنامنا وازدراءه بمعبوداتنا فأُتي بالخليل إبراهيم عليه السلام، فسألوه أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم؟ أأنت الذي كسرتها ودمرتها وأهنتها؟؟ فقال عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ هذا الصنم الأكبر هو الذي كسرها فسألوهم من الذي فعل ذلك بكم، واسألوا الصنم الأكبر من الذي فعل هذا بمن حولك؟؟.

فسيجيبوا إن كانوا ينطقون، فأقام عليهم إبراهيم عليه السلام الحجة، وأوضح لهم أن هذه الأصنام لا تملك دفاعًا عن نفسها، فلم تمنع نفسها ممن أرادها بسوءٍ ومن كسرها، ثم هي جمادات لا تنطق ولا تتكلم ولا تجيب، فكيف تعبدُ هذه من دون الله عز وجل!

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

(٣٤٢) أحمر
أسود

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سرّ من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا. من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولَّوا مدبرين.

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿جُذَٰذًا ﴾ منها حطاما ومنها قطعًا، ومنها كالصريم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السديّ أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى الناس ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ فلما لم تجبه، قال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩١-٩٣] فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

قلت: (مصطفى): ولعل هذا من الإسرائيليات. فالله أعلم.

ثم قال الطبري:

(٣٤٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يقول: إلا عظيما للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

وقال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذّت، إلا الذي ربط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ يقول: قال الذين سمعوه يقول ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم.

وقوله: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقيل: معنى ذلك: على

(٣٤٤) أحمر
أسود

رءوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلّ الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وأورد عن السدي بسندٍ حسن: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ عليه أنه فعل ذلك.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاينوه ويرونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم، أي: ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أي: إلى عيدهم. وكان لهم عيد يخرجون إليه.

(٣٤٥) أحمر
أسود

ثم أورد طرفًا من أثر السدي المتقدم وقال وقال أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم، إلى عيدهم مروا عليه فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم. وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ فسمعه ناس منهم.

وقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ أي: حطامًا كسرها كلها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ يعني: إلا الصنم الكبير عندهم كما قال: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات:٩٣].

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غَارَ لنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها.

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: في صنيعه هذا.

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى ﴾ أي: شابًا ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن قابوس [عن أبيه] ، عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًا إلا شابًا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي: على رءوس الأشهاد في الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبين

(٣٤٦) أحمر
أسود

في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرًا، ولا تملك لها نصرًا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ يعني: الذي تركه لم يكسره ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ أخبر أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر أصنامهم فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين. والتاء في ﴿تَٱللَّهِ﴾ تختص في القسم باسم الله وحده، والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر ومظهر. قال الشاعر:

تالله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس

وقال ابن عباس: أي وحرمة الله لأكيدن أصنامكم، أي لأمكرن بها. والكيد المكر. كاده يكيده كيدا ومكيدة، وكذلك المكايدة؛ وربما سمي الحرب كيدا؛ يقال: غزا فلان فلم يلق كيدا، وكل شيء تعالجه فأنت تكيده. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي منطلقين ذاهبين.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يجمع أهل الظلم الجموع فتكون هذه وبالًا عليهم وحجة عليهم بل وفضيحة لهم دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

أن فرعون لما اتفق مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا اتفق السحرة مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على وقت اللقاء يوم الزينه وأن يحشر الناس ضحى، تولى فرعون فجمع كيده

(٣٤٧) أحمر
أسود

ثم أتى. فكان في مجيئهم نصرةٌ لموسى عليه السلام.

وكذا لما أرسل فرعون في المدائن حاشرين وكان في هذا إهلاك لهم ودمارٌ وغرقٌ وكذا قوم إبراهيم عليه السلام قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، فاجتمعوا وخرج لهم إبراهيم عليه السلام، بعد أن كسر الأصنام، فأقام عليهم الحجة، وهم مجتمعون وكذا الغلام الوارد ذِكره في قصته أصحاب الأخدود وغير ذلك كثير.

❁ ❁ ❁

س: أحرف القسم ثلاثة، اذكرها بأدلتها.

ج: هي الواو والباء، والتاء

وأدلة ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٩].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر الكذبات الثلاث التي كذبها إبراهيم عليه السلام.

ج: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] لما دعوه للخروج معهم ليوم عيدهم.

وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله عن سارة لما دخل بلاد الجبابرة: هذه أختي.

وينحو ذلك جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا**».

حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي

(٣٤٨) أحمر
أسود

هريرة ﷺ قال «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين

منهن في ذات الله عز و جل. قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾. وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك»....الحديث.

❁ ❁ ❁

س: هل كل نبي يبعث عند الأربعين من عمره؟

ج: لم أقف على دليل بذلك، بل الأدلة تخالف ذلك، فليس بالضرورة أن يبعث كل نبي عند الأربعين، وإن كان هذا قد ورد في شأن رسولنا محمد ﷺ وأنه بعث عند الأربعين.

أما إبراهيم عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١] قيل في صغره.

ويوسف عليه السلام أوحي إليه وهو في غيابة الجب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

ويحيى عليه السلام أتاه الله الحكم صبيًا.

وقيل: إن عيسى عليه السلام رفع قبل الأربعين، قيل عند الثلاث والثلاثين، ولم أقف على خبر عن رسول ﷺ بذلك.

❁ ❁ ❁

(٣٤٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم تعالى أعلم فرجع أهل الكفر عبدة الأصنام والأوثان إلى أنفسهم إلى بعضهم البعض يُعاقب بعضهم بعضًا يقول بعضهم لبعض أنتم الذي ظلمتم آلهتكم بتركها دون حراسة وبدون رعاية حتى كسرها إبراهيم عليه السلام وقال آخرون من العلماء معنى ذلك: إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلًا عن غنايتها عنكم.

وقال آخرون: إنكم أنتم الظالمون، كيف تسألون إبراهيم، بل اسألوا الآلهة التي كُسرت من كسرها واسألوا الكبير الصنم الأكبر من فعل ذلك والأظهر من هذه الأقوال قول من قال إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، وذلك للآية التي بعدها، ولو قوله ثم نكسوا على رؤوسهم أي ارتدوا إلى جهلهم وغبائهم وشركهم وقلة أفهامهم، وكذا إلى كفرهم وضلالهم قائلين لإبراهيم عليه السلام لما قال لهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون قالوا له لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الألهة لا تستطيع النطق فكيف نسألها فبهذا أقاموا الحجة على أنفسهم، فإذا كانت الألهة لا تستطيع النطق ولا تدفع عن نفسها الضر، فكيف تعبدونها إذن؟؟ فحينئذٍ قال لهم الخليل إبراهيم عليه السلام مُحتجًا عليهم أفتعبدون من دون الله، أتعبدون مع الله آلهة أخرى لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم بشر ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ ﴾ تقذرًا لكم، وتقذرًا للآلهة التي تبعدونها مع الله عز وجل أفلا تعقلون ما ينفعكم ولا يضركم أليست عندكم عقول

(٣٥٠) أحمر
أسود

تعقلون بها؟

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم، وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم غُلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال الله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ادركت الناس حيرة سوء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نُكسوا في الفتنة.

وبإسناد حسن عن السدي: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قال: نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نَكَس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله؛ ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رءوس أنفسهم، وأنهم إنما نُكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن

(٣٥١) أحمر
أسود

حجتهم، وإذ كان ذلك كذلك، فنكْس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا.

وقوله: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ يقول: قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: في تركككم لها مهملة لا حافظ عندها، ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

وقال السدي: ﴿ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: في الفتنة.

وقال ابن زيد: أي في الرأي.

وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا؛ ولهذا قالوا له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، فكيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا

(٣٥٢) أحمر
أسود

بـــذلك: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: إذا كانت لا تنطق ، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله.

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجه خصمه ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي بعبادة من لا ينطق بلفظة، ولا يملك لنفسه لحظة، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس، من لا يرد عن رأسه الفأس. ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي عادوا إلى جهلهم وعبادتهم فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ فـ ﴿ قَالَ ﴾ قاطعا لما به يهذون، ومفحما لهم فيما يتقولون ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ أي النتن لكم ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾. وقيل: ﴿نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي طأطأوا رؤوسهم خجلا من إبراهيم، وفيه نظر؛ لأنه لم يقل نكسوا رؤوسهم، بفتح الكاف بل قال: ﴿نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي ردوا على ما كانوا عليه في أول الأمر وكذا قال ابن عباس، قال: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

(٣٥٣) أحمر
أسود

ج: المعنى والله أعلم قال قوم من أهل الكفر لساداتهم وكبراءهم أوقدوا لإبراهيم عليه السلام نارًا فألقوه فيها ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧] وقيل قائل ذلك رجل من أعراب أهل فارس، وهم الأكراد، وهذا لا يثبت بسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يضر عدم معرفة قائل ذلك، إنما هو قائل من الكفار أيًا كان، وقوله وانصروا آلهتكم معناه انتصروا لها إن كنتم ترونها آلهة حقًا وكنتم ستستمرون على عبادتها، فإن كنتم لها منتصرين فأوقدوا له نارًا فأوقدوا له نارًا فاقذفوه فيها فأوقدوا نارًا عظيمة فقذفوه فيها، وهو يقول حسبي الله ونعم والوكيل، فأمر الله عز وجل النار أن تكون بردًا، وليس بردًا شديدًا مُضرًّا مؤلما، بل تكون عليه بردًا وسلاما وأرادوا بإبراهيم عليه السلام الموت والهلاك فجعلناهم الأخسرين، المغلوبين.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ يقول: إن كنتم ناصريها، ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس.

وقوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ في الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧] قال: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطبا، حتى إن كانت المرأة

(٣٥٤) أحمر
أسود

لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقذفوه في النار، فناداها فقال: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها.

وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تعنى، فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ يعني الهالكين.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار قال حسبنا الله ونع الوكيل.

ج: أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا لهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ

(٣٥٥) أحمر
أسود

ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]».

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن جبريل أتى النبي ﷺ جاء إلى إبراهيم وسأله ألك حاجة، قال أما منك فلا، قال فمن الله قال علمه بحالي يغني عن سؤالي.

ج: لم أقف على سندٍ صحيح لهذا عن رسول ﷺ وأخرج الطبري شيئًا من ذلك بسندٍ ضعيف من طريق معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحاب قال جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام وهو موثق أو يُقمط في النار قال يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا.

❁ ❁ ❁

س: لماذا اتبع قوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا﴾ بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾.

ج: ذلك، والله أعلم لأن البرد نفسه مؤذي فاتباع ذلك بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لدفع ما قد يتأتى من البرد من ضررٍ، وإلا فقد قال الله في أهل النار ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧] والغساق البرد الشديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ونجينا إبراهيم عليه السلام من النار، ومن قومه الأشرار فهاجر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأكثر العلماء على أنها الشام، ومن العلماء من قال إنها القدس ومنهم من قال إنها مكة، ومنهم من قال إنها مصر إلا أن الأكثرين على أنها الشام، والمراد بالبركة فيها ما فيها من

(٣٥٦) أحمر
أسود

الثمار والمياهن فضلًا عن الأنبياء الكثيرين الذي كانوا بها عليهم صلوات الله وسلامه.

أما قوله: (لِلْعَٰلَمِينَ)، قيل للخلق، وذلك لأن الأنبياء مباركين على الخلق كلهم، وقيل للعالمين آنذاك وهم أهلها وسكانها آنذاك.

أما قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾ أي ورزقناه بإسحاق عليه السلام ابنًا بعد طول سنين وطول دعاء كما قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء وكما قال وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين.

أما قوله ﴿وَيَعْقُوبَ ﴾ أي ومن بعد إسحاق يعقوب كحينئذٍ لإبراهيم عليه السلام إبنًا لإسحاق عليه السلام.

أما قوله ﴿نَافِلَةً ﴾ فقيل في معناها عطية أعطيناها له.

وقيل ﴿نَافِلَةً ﴾ زيادةً على ما طلبن فقد طلب عليه السلام ولدًا فرزقه الله ولدًا وحفيدًا طلب إبراهيم ولدًا إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠] فبشر بإسحاق، وليس بإسحاق فقط بل ومن وراء إسحاق يعقوب، أي كحفيد وهذا من كرم الله عز وجل.

وجعلنا هذا، وذاك صالحين، أي أن الله عز وجل جعل إسحاق صالحًا وكذا يعقوب عليه السلام جعله الله صالحًا، بل جعلهما نبيين كريمين كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن يوسف عليه السلام وهو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال «عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

وفي رواية نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله ثم إن الله عز وجل تفضل على إبراهيم عليه السلام وعلى ذريته مع الصلاح بأن جعلهم أئمة قادةً وسادةً في الخير والدعوة إليه، فصلاحهم لم يقتصر على أنفسهم بل كانوا دعاه خير

(٣٥٧) أحمر
أسود

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يصدون الناس بأمر الله ﷻ وبالوحي الذي أوحى الله إليهم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ عن طريق رسلنا (وهو جبريل عليه السلام) فعل الخيرات أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وعلموا الناس ذلك ومروهم بذلك، ففعلوا إذ الله ألهمهم ذلك ووفقهم إليه وكانوا عليهم صلوات الله وسلامه لله مطيعين خاضعين مستسلمين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق (إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾) ﴾ وهي أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشأم.

وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم، مسلٍّ بذلك نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولوطا إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

وأورد بسندٍ قابل للتحسين عن أبيّ بن كعب: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾) ﴾ قال: الشأم، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك

(٣٥٨) أحمر
أسود

الصخرة التي ببيت المقدس.

وبسند حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشأم، وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال.

وأورد أسانيد كثيرة في بيان أن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي الشام وبيت المقدس.

وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

ويقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿نَافِلَةً﴾ فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ والنافلة ابن ابنه يعقوب.

(٣٥٩) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال: سأل واحدا فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠] فأعطاه واحدا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال عطية.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيّ شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: ﴿وَكُلًّا﴾ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب ، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدي بهم، ويُتَّبَعون عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا

(٣٦٠) أحمر
أسود

الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدي بهم، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام وكانا بالعراق. وكان "إبراهيم" عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عمه؛ قال ابن عباس. وقيل: لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها؛ ولأنها معادن الأنبياء. والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح. وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة. وقيل: بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضا كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء، ومنها يتفرق في الأرض. قال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق في الأرض. ونحوه عن كعب الأحبار. وقيل: الأرض المباركة مصر.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي زيادة؛ لأنه دعا في إسحاق وزيد في يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة؛ أي زيادة على ما سأل؛ إذ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]. ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي وكلا من إبراهيم

(٣٦١) أحمر
أسود

وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله. وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم، وبخلق القدرة على الطاعة، ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى ﴿بِأَمْرِنَا ﴾ أي بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي؛ فكأنه قال يهدون بكتابنا وقيل: المعنى يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق، ودعائهم إلى التوحيد. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي أن يفعلوا الطاعات. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي مطيعين.

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ كريم يعطي العبد أكثر مما سأل دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾. فإبراهيم عليه السلام طلب ولدًا صالحًا إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. فبشر بغلام حليم وبشر بيعقوب أيضًا فضلًا زيادةً عما طلب.

وقوله تعالى على أحد وجوه التفسير - ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [الشورى: ٢٦] أي يجيب الله أهل الإيمان ويزيدهم من فضله يعطيهم أكثر مما سألوه وطلبوا.

وأم موسى عليه السلام غاية ما كانت تتمناه أن يحفظ ولدها من شفار الذباحين والمواسي والسكاكين فأعطاها الله كل ذلك، ورد إليها ولدها، وجعله من المرسلين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧]

(٣٦٢) أحمر
أسود

فلم تكن تتوقع أن تُربي وليدها في بيت فرعون وان تأتيها الهدايا من أجل إرضاع وليدها وأن تشفع فيمن شاءت من بني إسرائيل وفضلًا عن ذلك كله يجعل الله وليدها نبيًا من المرسلين، بل يصطفيه الله من سائر الخلق في زمانه بالرسالة التكليم.

❁ ❁ ❁

(٣٦٣) أحمر
أسود

الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ٧٤-٨٢].

(٣٦٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حُكْمًا - ٱلْخَبَٰٓئِثَ - قَوْمَ سَوْءٍ - فَٰسِقِينَ - فِي رَحْمَتِنَآ - ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ - نَفَشَتْ فِيهِ - صَنْعَةَ لَبُوسٍ - لِتُحْصِنَكُم - مِّنۢ بَأْسِكُمْ - عَاصِفَةً - بَٰرَكْنَا فِيهَا - يَغُوصُونَ لَهُۥ - دُونَ ذَٰلِكَ - حَٰفِظِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(حُكْمًا)	نبوة – فهمًا – فصلًا – بين الخصوم
(ٱلْخَبَٰٓئِثَ)	المراد بها هنا (إتيان الذكران من العالمين)
(قَوْمَ سَوْءٍ)	أهل سوء وشر وفساد
(فَٰسِقِينَ)	خارجين عن الطاعة
(فِي رَحْمَتِنَآ)	في نبوتنا – ضمن المرحومين من عبادنا
(ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)	الطوفان الذي عمَّ الأرض وأغرق من عليها من أهل الكفر
(نَفَشَتْ فِيهِ)	رعت فيه ليلًا
(صَنْعَةَ لَبُوسٍ)	صنعة الدروع التي تقي سهام العدو وتقي ضربات السيوف
(لِتُحْصِنَكُم)	لتمنعكم
(مِّنۢ بَأْسِكُمْ)	من بطش غيركم بكم، من سهام عدوكم وسيوف عدوكم
(عَاصِفَةً)	شديدة الهبوب

(٣٦٥) أحمر
أسود

(بَٰرَكۡنَا فِيهَآۚ)	أكثرنا فيها من الخيرات- أكثرنا فيها من الأنبياء الذين أرسلناهم
(يَغُوصُونَ لَهُۥ)	يغوصون في البحار كي يأتونه باللؤلؤ ونحوه
(دُونَ ذَٰلِكَ)	غير ذلك، إضافة على ذلك
(حَٰفِظِينَ)	كاتب بين لأعمالهم محصين لها حافظين لسليمان عليه السلام فلا توبة أحد منهم بسوءٍ

❁ ❁ ❁

(٣٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبينا لو طا عليه السلام فقد أتيناه حكما، قيل نبوةً، وقيل فصلًا بين الخصوم وفهما ووصيًا من عند الله ونجيناه من أهل القرية الشرير بين المفسدين الذين كانوا يأتونه الذكران من العالمين، وهي قرية سدوم على رأي جماهير المفسرين أما الخبائث فمن إتيان الذكران من العالمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ ﴾ أي قومه كانوا قومًا فاسقين، خارجين عن طاعته لله عز وجل مرتكبين للعمل التي بها صاروا أهل فسق وشر وفساد.

وأدخلناه في رحمتنان قيل وأدخلناه في عداد الأنبياء الذين مننا عليهم بالنبوةن وقيل وأدخلناه في رحمتنا أي في الإسلام، وقيل أدخلناه فيمن رحمناهم وسلمناهم من العذاب الذي صلَّ بأقوالهم.

وبنحو الذي قلنا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلما: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه.

وفي نصب لوط وجهان: أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتينا لوطا، والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا.

وقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ ﴾ يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سَدُوم التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أدبارهم، وخَذْفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخرَ كانوا

(٣٦٧) أحمر
أسود

يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام.

وأخرج بسندٍ حسن عن السديّ، قال: أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذناه منه إنه من الصالحين: يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا ، وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم عطف بذكر لوط -وهو لوط بن هاران بن آزر-كان قد آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودَمَّر عليهم، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز؛ ولهذا قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني؛ أي وآتينا لوطا آتيناه. وقيل: أي واذكر لوطا. والحكم النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل: ﴿وَعِلْمًا﴾

(٣٦٨) أحمر
أسود

فهما؛ والمعنى واحد. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يريد سدوم. ابن عباس: كانت سبع قرى، قلب جبريل عليه السلام ستة وأبقي واحدة للوط وعياله، وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين إلى حد السراة؛ ولها قرى كثيرة إلى حد بحر الحجاز وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان: أحدهما: اللواط على ما تقدم. والثاني: الضراط؛ أي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم. وقيل: الضراط وحذف الحصي وسيأتي. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي خارجين عن طاعة الله، والفسوق الخروج وقد تقدم. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في النبوة. وقيل: في الإسلام. وقيل: الجنة. وقيل: عنى بالرحمة إنجاءه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٦٩) أحمر
أسود

ذكر نبي الله نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبي الله نوحًا عليه السلام إذ دعانا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطًا دعانا كي ننتصر له من قومه الذين كذبوه وآذوه وسخروا منه، دعانا بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠] وبقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ فأجبناه وسلمناه وحفظناه من الكرب العظيم، وهو الطوفان الهائل العظيم الذي عمَّ الأرض في زمانه، والذي ذُكر شأنه في سورة القمر إذ الله قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر: ١١].

أما قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي ونصرناه على القوم وانتصرنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا بأدلتنا على وحدانيتنا إنهم كانوا قوم سوء قومًا سيئوا المعتقد، يسيئون القول والعمل، فيعصون الله عز وجل ويشركون به ويسخرون من نبيهم صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كبارهم وصغارهم شيوخهم وشبابهم، رجالهم ونساءهم إلا من آمن بنوح صلى الله عليه وسلم وصدقه واتبعه.

وبنحو الذي ذُكر قال أحمل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذّبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذّبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) دعاءه، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ يعني بأهله: أهل الإيمان من

(٣٧٠) أحمر
أسود

ولـده وحلائلهـم ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ يعنـي بـالكرب العظـيم: العذاب الـذي أحل بالمكـذّبين من الطوفان والغرق ، والكرب: شدّة الغم، يقال منه: قد كربني هذا الأمر فهو يكربني كربا ، وقوله: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم، فأغرقناهم أجمعين ، إنهم كانوا قوم سوء، يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذّبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين دعا على قومه لما كذبوه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر:١٠]، ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، ولهذا قال هاهنا: ﴿ إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾ أي: الذين آمنوا به كما قال: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود:٤٠].

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون لأذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن، وجيلا بعد جيل على خلافه.

وقوله: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي: ونجيناه وخلصناه منتصرًا من القوم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: أهلكهم الله بعامة، ولم يُبْقِ على وجه الأرض منهم أحدًا؛ إذ دعا عليهم نبيهم.

ذكر داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

(٣٧١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله داود وسليمان عليهما السلام، وهما يحكمان في الحرث إذا دخلت عليه غنم القوم ليلًا ترعى فيه فأتلفته وأهلكته، وحكم داود عليه السلام بحكم وحكم سليمان عليه السلام في ذلك بحكم آخر أفهمه إياه الله عز وجل، فافهم الله عز وجل نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم الوجه الصحيح في الحكم وجه الحق والصواب، ثم إن الله عز وجل أثنى على هذين النبيين الكريمين حتى لا يظن ظآن بأحدهما سوءًا أو شرًا، فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، نبوة وعلمًا بالشرائع الأحكام، وسخرنا مع داود الجبال تُسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته وكذا سخرنا معه الطير تسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته ونحن الذين سخرنا له ذلك لا أحد سوانا، وكذا من فضلنا على هذا النبي الكريم أننا علمنه صنعة الدروع الواقيات التي تقي المحارب من سهام عدوه، كتلك القمصان الواقية التي يرتديها الملوك الرؤساء اتقاء للرصاص، علمنا داود صناعة الدروع السوابغ التي تغطي الجسم حتى تقي من سهام الأعداء، وقوله من بأسكم من بأس بعضكم أي عن السهام الشديدة التي يضربكم بها أعداءكم، وكذا من ضربات السيوف فهل قدمتم شكرًا لهذه النعم؟.

وأما عن هذه القضية قضية الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم، وفضى فيها هذان النبيان الكريمان فحاصلها أن قومًا كان لهم غنمٌ، وآخرون كان لهم حرثٌ، حرث أرض، ثمرٌ فدخلت غنم القوم ليلًا على حرث الآخرين ترعى فيها فأتلفت الغنم الحرث، فقضى داود عليه السلام بقضاءٍ حاصله أن أصحاب

(٣٧٢) أحمر
أسود

الحرث يأخذون الغنم مقابل ما أتلفته من الثمار والحرث فخرج الخصوم من عند دواود عليه السلام فمروا بسليمان عليه السلام فاستأذن أباه وقضى بقضاء آخر حاصله أن أصحاب الحرث الذي أُتلف يأخذوا الأغنام يستفيدوا من ألبانها وأصوافها ونتاجها (ما ولدته) حتى يصلح أصحاب الغنم الحرث والثمر ويعيدونه كما كان فإذا أعادوه كما كان، أخذوا أغنمهم وردوا للناس حرثهم. فهكذا أفهم الله سليمان عليه السلام كذا قال جمهور المفسرين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كَرْما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ والحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غَرْسا، وغير ضائر الجهل بأيّ ذلك كان.

وقوله: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ يقول: ففهَّمنا القضية في ذلك ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود، ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أوّل هذه السورة آتينا حكما وهو

(٣٧٣) أحمر
أسود

النبوة، وعلما: يعني وعلما بأحكام الله.

وأورد الطبري نحوه من طرق عن أبي إسحاق، عن مرّة، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ قال: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبيّ الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دَفعت الكرم إلى صاحبه، ودَفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾.

وأورد نحوه عن ابن عباس بأسانيد فيها مقال قال ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرُّعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا، فأُخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث، وردّوا الغنم إلى أصحابها.

وبإسناد حسن عن قَتادة، قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾... الآية، النفْش بالليل، والهَمَل بالنهار.

وذُكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا فُرفع ذلك إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورَسْلها وعوارضها وجُزازها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئه يوم أكل، دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾.

وإسنادس صحيح عن الزهري: والنفش لا يكون إلا ليلا فقضى داود أن

(٣٧٤) أحمر
أسود

يأخذ الغنم، ففهمها الله سليمان، قال: فلما أخبر بقضاء داود، قال: لا ولكن خذوا الغنم، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾... الآيتين، قال: انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت، وكأنه رأى أنه وجه ذلك، فمرّوا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبيّ الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، وأحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك، فأعطه حرثه، وخذ غنمك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ وقرأ حتى بلغ قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.

وقوله: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾: أي يصلين مع داود إذا صلى.

وقوله: ﴿ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أمّ الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب:

(٣٧٥) أحمر
أسود

السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا، يدلّ على ذلك قول الهُذليّ:

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلّبِيسِ كأنّهُ رَوقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علَّمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾: وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا تَرَنَّم به تقف الطير في الهواء، فتجاوبه، وتَرد عليه الجبال تأويبًا؛ ولهذا لمَّا مَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب جدًّا . فوقف واستمع لقراءته، وقال: «**لقد أوتي هذا مزامير آل داود**». قال يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا .

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنْج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى ﷺ، ومع هذا قال: لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود.

(٣٧٦) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ يعنـي صـنعة الدروع.

قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلَقًا. كما قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ:١٠، ١١] أي: لا توسع الحلقة فتقلق المسمار، ولا تغلظ المسمار فتَقَدّ الحَلْقة؛ ولهذا قال: ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ يعنـي: في القتـال، ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: نعـم الله عليكم، لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأولـى: قولـه تعـالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ أي واذكرهمـا إذ يحكمان، ولم يرد بقوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ الاجتماع في الحكم وإن جمعهما في القول؛ فإن حكمين على حكم واحد لا يجوز. وإنما حكم كل واحد منهما انفراده؛ وكان سليمان الفاهم لها بتفهيم الله تعالى إياه. ﴿فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ اختلف فيه على قولين: فقيل: كان زرعا؛ قال قتادة. وقيل: كرما نبت عنا قيده؛ قال ابن مسعود وشريح. و ﴿ٱلْحَرْثِ ﴾ يقال فيهما، وهو في الزرع أبعد من الاستعارة.

الثانيـة: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي رعـت فيـه لـيلا؛ والـنفش الرعـي بالليـل. يقـال: نفشـت بالليـل، وهملـت بالنهـار، إذا رعـت بـلا راع. وأنفشـها صاحبها. وإبل نفاش. وفي حديث عبد الله بن عمرو: الحبة في الجنة مثل كـرش البعير يبيت نافشا؛ أي راعيا؛ حكاه الهروي. وقال ابن سيده: لا يقـال الهمـل في الغنم وإنما هو في الإبل.

الثالثة: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ دليـل علـى أن أقـل الجمـع اثنـان. وقيل: المراد الحاكمان والمحكوم عليه؛ فلذلك قال ﴿لِحُكْمِهِمْ ﴾.

الرابعـة: قولـه تعـالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي فهمنـاه القضـية والحكومـة،

(٣٧٧) أحمر
أسود

فكنى عنها إذ سبق ما يدل عليها. وفضل حكم سليمان حكم أبيه في أنه أنه أحرز أن يبقي كل واحد منهما على متاعه، وتبقي نفسه طيبة بذلك؛ وذلك أن داود عليه السلام رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث. وقالت فرقة: بل دفع الغنم إلى صاحب الحرث.

❁ ❁ ❁

س: يفر الكثيرون من أهل العلم من العمل بالقضاء فهل لهم وجهة في ذلك؟ وما وجه الصواب في ذلك:

ج: الوجه في ذلك، والله أعلم، أن يُقال الشخص إذا كان قويَّ الإيمان ويطع في أن يقضي بين الناس بالحق وينتصر للمظلوم من ظالمه فليعمل، وله في ذلك أجر، وقد قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ [النساء: ١٣٥] وأيضًا قال صلى الله عليه وسلم: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**تعدل بين الاثنين صدقة**».

أما إذا كان الشخص جاهلًا ولا يدري حكم الله ولا يدري أين الحق، ولا يمكن التوصل إلى ذلك، وإنما واده المنصب فقط، فالأولى له البعد عن هذا كله درءًا للفتنة وإيثارًا للسلامة.

أم ما قد يرد على القاف القوال بالحق من الأخطاء فذلك مدفوع بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الحاكم المجتهد، وأن له أجرًا إذا أخطأ.

هذا، وقد أورد الحافظ ابن كثير بسندٍ صحيح:

(٣٧٨) أحمر
أسود

عن حميد؛ أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى، قال ما يبكيك؟ قال يا أبا سعيد، بلغني أن القضاة: رجل اجتهد فأخطأ، فهو في النار، ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري: إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان، عليهما السلام، والأنبياء حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم، قال الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود. ثم قال -يعني: الحسن-: إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا: لا يشترون به ثمنًا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى، ولا يخشون فيه أحدًا، ثم تلا ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ [المائدة:٤٤].

قلت: أما الأنبياء، عليهم السلام، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري، عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه «إياس» من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار، والله أعلم.

وفي السنن: «**القضاة ثلاثة: قاض في الجنة، وقاضيان في النار: رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه، فهو في النار**».

وقال القرطبي رحمه الله:

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على

(٣٧٩) أحمر
أسود

سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع إذا اختلفوا؛ فقالت فرقة: الحق في طرف واحد عند الله، قد نصب على ذلك أدلة، وحمل المجتهدين على البحث عنها، والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسألة فهو المصيب على الإطلاق، وله أجران في الاجتهاد وأجر في الإصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطئ في أنه لم يصب العين فله أجر وهو غير معذور. هذا سليمان قد صادف العين المطلوبة، وهي التي فهم. ورأت فرقة أن العالم المخطئ لا إثم في خطئه وإن كان غير معذور. وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دلائل [بل] وكل الأمر إلى نظر المجتهدين فمن أصابه أصاب ومن أخطأ فهو معذور مأجور متعبد بإصابته العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط. وقال جمهور أهل السنة وهو المحفوظ عن مالك وأصحابه ق: إن الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، والمطلوب إنما هو الأفضل في ظنه، وكل مجتهد قد أداه نظره إلى الأفضل في ظنه؛ والدليل على هذه المقالة أن الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض، ولم ير أحد منهم أن يقع الانحمال على قوله دون قول مخالفه. ومنه رد مالك رَحِمَهُ اللَّهُ للمنصور أبي جعفر عن حمل الناس «الموطأ»؛ فإذا قال عالم في أم حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله تعالى وبكل من أخذ بقوله، وكذا في العكس. قالوا: وإن كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم القضية المثلى والتي أرجح فالأولى ليست بخطأ، وعلى هذا يحملون قول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا اجتهد العالم فأخطأ**» أي فأخطأ الأفضل.

س: اذكر مثالًا آخر يدل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ آتاه الله فهمصا في القضاء.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول

(٣٨٠) أحمر
أسود

ﷺ: «بينما امرأتان معهما ابنان لهما، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا. فدعاهما سليمان فقال: هاتوا السكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها، لا تَشُقه، فقضى به للصغرى».

❁ ❁ ❁

دفاع الله ﷻ عن أوليائه

س: الله سبحانه وتعالى يدافع عن أنبيائه وأوليائه ويدفع التهم عنهم....منهم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

* دفاع الله ﷻ عن أهل الإيمان بقوله: (۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ) [الحج: ٣٨].

* دفاع الله عن نبيه يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨] وذلك بعد قوله: ﴿مَا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ [يوسف: ٦٨].

* وكذلك ثناء الله على داود عليه السلام عقب قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ﴾.

* ودفاع عن رسوله محمد ﷺ لما اتهمه أهل الضلال بالجنون.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾ [الطور: ٢٩].

* ودفاعه عن بقوله: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان: ٦] عقب قولهم.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

(٣٨١) أحمر
أسود

وكذا التأييد بالمعجزات التي أمدَّ بها الأنبياء عليهم السلام وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذكير بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: فائدة ذلك تنبيه القضاء على الحكم بالحق فإن الله عز وجل يشهد كل القضاء، ويعلم: أحوال كل الخصوم فإذا علم القضاة ذلك حملهم علمهم بأن الله يراهم على القضاء بالحق، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وسخرنا لسليمان عليه السلام الريح شديدة سريعة إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين بكثرة ما أرسل إلى أهلها من الأنبياء وكثرة البركات والخيرات والزروع والثمار فيها وهي أرض الشام على رأي الأكثرين سليمان عليه السلام يسافر وترجع به الريح عاصفة إلى زيادة بالشام، وكذا سخرنا له طائفة من الشياطين يغوصون في فتح لبحار لاستخراج جميع أنواع الحلي التي تستخرج من البحار كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك، وكذا تعمل له الشياطين أعمالًا أخرى كما قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] وأعمالًا آخرى ذلك أيضًا، أم قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي وكنا للشياطين حافظين لأي لهم ذاقوا لهم. مسطرين لها في كتبهم حتى يتوب ربهم عز وجل.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

(٣٨٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ بن داود ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وعصوفُها: شدة هبوبها؛ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: عاصفة شديدة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، قال: الشام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج ﴿ٱلرِّيحُ﴾ رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يئودنا حفظ

ذلك كله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ يعني أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه ، قال الله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ص:٣٦] ، وقال ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾ [سبأ:١٢].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ أي: في الماء يستخرجون اللآلئ [وغير ذلك. ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ أي: غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾. [ص: ٣٧، ٣٨].

وقوله: ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو مُحَكَّم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء؛ ولهذا قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة، أي شديدة الهبوب. يقال منه: عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف

(٣٨٤) أحمر
أسود

وعصوف. وفي لغة بني أسد: أعصفت الريح فهي معصفة ومعصفة. والعصف التبن فسمي به شدة الريح؛ لأنها تعصفه بشدة تطيرها. وقرأ عبد الرحمن الأعرج وأبو بكر ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ برفع الحاء على القطع مما قبله؛ والمعنى ولسليمان تسخير الريح؛ ابتداء وخبر. ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني الشام يروي أنها كانت تجري به وبأصحابه إلى حيث أراد، ثم ترده إلى الشام. وقال وهب: كان سليمان بن داود إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره. وكان امرأ غزاء لا يعقد عن الغزو؛ فإذا أراد أن يغزو أمر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب، أمر العاصف فأقلت ذلك، ثم أمر الرخاء فمرت به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: ٣٦]. والرخاء اللينة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي بكل شيء عملنا عالمين بتدبيره.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي وسخرنا له من يغوصون؛ يريد تحت الماء. أي يستخرجون له الجواهر من البحر. والغوص النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء، والهاجم على الشيء غائص. والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعله الغياصة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوي ذلك من الغوص؛ قاله الفراء. وقيل: يراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك يسخرهم فيه. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي لأعمالهم. وقال الفراء: حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم، أو يهيجوا أحدا من بني آدم في زمان سليمان. وقيل: ﴿حَٰفِظِينَ﴾ من أن يهربوا أو يمتنعوا. أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره. وقد قيل: إن الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من استخراج الشياطين.

(٣٨٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ هو الذي يعلم أصحاب الصنائع صنائعهم، وإلا فهما بذلوا من جهدٍ للتعلم فلن يحصلوا علمًا، دلَّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

[البقرة: ٢٥١]

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

[النساء: ١١٣]

وقال ﷺ: «إن الله خلق كل صانع وصنعته».

❁ ❁ ❁

س: على شخص أن يبحث عن عمل يقتات منه ولا يمد يده للناس دلَّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟! فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة وقال النبي ﷺ: «كان زكريا نجارًا».

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

(٣٨٦) أحمر
أسود

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتط على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو معه**».

وعن أبي مسعود البدري ﷺ: قال «أُمرنا بالصدقة قال كنا نُحامل».

«أي نحمل على ظهورنا من أجل أن نأتي بمالٍ نتصدق به»...الحديث.

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثا، ونوح نجارا، ولقمان خياطا، وطالوت دباغا. وقيل: سقاء؛ فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع. بها عن نفسه الضرر والباس. وفي الحديث: «**إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل الملحف**». وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الفرقان» وقد تقدم في غير ما آية، وفيه كفاية والحمد لله.

❁ ❁ ❁

(٣٨٧) أحمر
أسود

الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ
مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا
لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

(٣٨٨) أحمر
أسود

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ
كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[الأنبياء: ٨٣-٩٧]

(٣٨٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ - فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ - وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ - وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ - وَذَا ٱلْكِفْلِ - فِى رَحْمَتِنَآ - ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا - لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ - سُبْحَٰنَكَ - ٱلْغَمِّ - لَا تَذَرْنِى فَرْدًا - خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ - وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ - رَغَبًا - وَرَهَبًا - أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا - فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا - ءَايَةً - أُمَّتُكُمْ - أُمَّةً وَٰحِدَةً - وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ - فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ - وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ - فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ - حَدَبٍ - يَنسِلُونَ - شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ)	أصابني المرض وتضررت به
(فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ)	فأجبناه
(وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ)	ردد فاعلية أهله
(وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ)	تذكرة للعباد (حتى تقتدوا به وتيأسوا به)
(وَذَا ٱلْكِفْلِ)	الظاهر أنه بنيٌ من الأنبياء عليهم السلام
(فِى رَحْمَتِنَآ)	في عداد من رحمناهم- في ثبوتنا
(ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا)	خرج عن بلاده مغاضبًا قومه
(لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)	لن نضيق عليه- لن فعاقبه
(سُبْحَٰنَكَ)	تنزهت عن كل مالا يليق بك
(ٱلْغَمِّ)	ما يصيب الإنسان من بلاء يسبب له الهموم والأخران- الهموم والأخران

(٣٩٠) أحمر
أسود

(لَا تَذَرْنِي فَرْدًا)	لا تتركني وحيدًا- ارزقني ذرية
(خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ)	خير من بقي بعد كل من الموت – أنت ترث الأرض من عليها وخير من ورث
(وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ)	قيل كان في لسانها شيء فأصلحها الله وأحسن أخلاقها وقيل كانت عاقرًا فأصلحها الله وجعلها مهيئة للولادة والإنجاب
(رَغَبًا)	طمعًا فيما عندنا
(وَرَهَبًا)	خوفًا مما عندنا من العذاب
(أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا)	حفظت فرجها من الحرام
(فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا)	قيل (نفخ جبريل في جيب درعها أي فتح فتحة القميص من أعلى تلك الفتحة التي تدخل منها الرأس) فتسربت النفخة حتى دخلت فيه
(ءَايَةً)	دلالة (على قدرتنا ووحدانيتنا)
(أُمَّتُكُمْ)	ملتكم
(أُمَّةً وَٰحِدَةً)	ملةً واحدة
(وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ)	افترقوا على رسلهم فمنهم من آمن ومنهم من كذَّب، ثم إن المكذبين افترقوا أيضًا فرقًا وشيعًا وأحزابًا
(فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ)	فلا جحود لمعروفه وإحسانه ولا ضياع لعمله

(٣٩١) أحمر
أسود

(وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ)	ممنوع على قرية- ممنوع أن ترجع قريةٌ بعد إهلاكها، وممنوع أن بطريق من كتبنا عليه الكفر، وأهلكناه بأن جعلناه من الكافرين (فيما قدرناه عليه)
(فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ)	فتح السدد والردم الذي أقامه ذم القريتين عليهم، وهما قبيليتان عظيمتان مفسدتان في الأرض من ذرية آدم عليه السلام
(حَدَبٍ)	مكان مرتفع
(يَنسِلُونَ)	يخرجون مسرعين
(شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ)	مُركزين البصر لا تصرف أعينهم ولا ترتدا إليهم أبصارهم

❁ ❁ ❁

(٣٩٢) أحمر
أسود

ذكر نبي الله أيوب عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله أيوب عليه السلام إذ أصابه المرض وطال به واستمر زمانًا فدعا ربَّه عز وجل قائلًا أني مسني الضر (أي في بدني) وأنت أرحم الراحمين، فأجاب الله دعاءه فكشف ما به من ضرٍّ وأذهب ما به من مرض وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من عند الله عز وجل به وكي يتذكر العباد نبي الله أيوب فيصبروا كما صبروا ويكثروا من الدعاء كم أكثر من الدعاء وسأل ولا ييأسوا من رحمة الله عز وجل.

هذا ولأهل العلم أقوال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

من هذه الأقوال ما يلي:

القول الأول: أنهم قد ماتوا فأحياهم الله عز وجل له وزاده إليهم مثلهم بأن رُزق بأزواج وذرية أيضًا إضافة إلى الذين أحياهم الله.

القول الثاني: أنه ردَّ إليه أهله الذي كانوا قد ابتعدوا عنه وزاده أهلًا آخرين إما بزواج وإما بأية صلة من حملات القرابة.

القول الثالث: أنه عليه السلام وُعد بأن يجمعه الله بأهله الذين ماتوا، يجمعهم الله به في جنات النعيم، ورزق مثلهم في الدنيا، وها هي بعض الأقوال في عموم ما ذُكر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء رب ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾

(٣٩٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة آثار جلها إسرائيليات ولا يثبت منها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضربت عن ذكرها عمدًا ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فإنهم لم يُرَدّوا عليه في الدنيا، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة.

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي ردّه عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه.

وقوله: ﴿رَحْمَةً﴾ نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له.

وقوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يقول: وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٣٩٤) أحمر
أسود

يذكر تعالى عن أيوب، عليه السلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده ، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفردَ في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره ، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**» وفي الحديث الآخر: «**يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**».

وقد كان نبي الله أيوب، عليه السلام، غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وأورد ابن كثير أيضًا من الآثار منها ما عزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تَعَلَّم -والله- لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب، عليه السلام: ما أدري ما تقول، غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكرا الله إلا في حق. قال: وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى إلى أيوب في مكانه: أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب**».

رفع هذا الحديث غريب جدًّا.

(٣٩٥) أحمر
أسود

قلت: كذا استغرب ابن كثير رفع هذا الحديث لكن إسناده صحيح.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم. وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس أيضًا. وروي مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقال ابن كثير:

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا به ذلك رحمة من الله به، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا. وقيل: ابتليناه ليعظم ثوابه غدا. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي وتذكيرا للعباد؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له وهو أفضل أهل زمانه وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيها لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر. واختلف في مدة إقامته في البلاء؛ فقال ابن عباس: كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ليال. وهب: ثلاثين سنة. الحسن سبع سنين وستة أشهر. قلت: وأصح من هذا والله أعلم ثماني عشرة سنة؛ رواه ابن شهاب عن النبي صلى؛ ذكره ابن المبارك وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله صادق الوعد إسماعيل

(٣٩٦) أحمر
أسود

بن إبراهيم عليهما السلام، وكذا اذكر إدريس عليه السلام الذي رمقه الله مكانًا عليًا، واذكر ذا الكفل كذلك وليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المباركة شيء ثابت عن ذي الكفل إلا بمثل هذا الاختصار، واذكر هؤلاء يا رسول الله فقد كانوا من الصابرين على أوامر الله الممتثلين لها، الصابرين على قضاء الله وقدره كذلك، وأدخلناهم في رحمتنا ضمن من رحمناهم وسلمناهم وقيل في النبوة، وقد كانوا من أهل الصلاح والعمل بالطاعات والبعد عن المحرمات.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وبإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبيّ وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء.

وأورد عدة آثار مفادها أن ذا الكفل هذا لم يكن نبيًا، وإنما كان رجلًا صالحًا تكفلَّ بأن يعمل أعمالًا معنيةً من أعمال البر فوفَّى بذلك وقام بها خير قيام فسمى (ذا الكفل)

قلت (مصطفى): وليس في هذه الأثار شيء مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسياق يقتضي أنه نبي، وذلك لاقترانه بإسماعيل وإدريس عليهما السلام، فالله أعلم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل، عطفا على أيوب، ثم استؤنف بقوله: ﴿ كُلٌّ ﴾ فقال: ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ومعنى الكلام: كلهم

(٣٩٧) أحمر
أسود

من أهل الصبر فيما نابهم في الله.

وقوله: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، والهاء والميم عائدتان عليهم ﴿فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يقول: إنهم ممن صلح ، فأطاع الله ، وعمل بما أمره

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وقد تقدم ذكره في سورة مريم، وكذلك إدريس، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلا صالحًا، وكان ملكًا عادلا وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده على ابن عن ابن عمر قال: سمعت من رسول ﷺ حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين- حتى عدّ سبع مرات-ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: «كان الكفل من بني إسرائيل، لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا، على أن يَطَأها، فلما قعد منها مَقعدَ الرجل من امرأته، أرعِدَت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ أكْرَهْتُك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنما حَمَلني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ فَنزل فقال: اذهبي فالدنانير لك. ثم قال: «والله لا يَعصي الله الكفل أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفل».

وهل هو ذا الكفل المذكور في الآية.

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد وهذا المذكور في الحديث اسمه الكفل

(٣٩٨) أحمر
أسود

أم المذكور في الآية الكريمة فهو ذا الكفل.

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد هذا الحديث في تفسيره.

هكذا وقع في هذه الرواية «الكفل» ، من غير إضافة، فالله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وإسناده غريب، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان «الكفل» ، ولم يقل: «ذو الكفل» ، فلعله رجل آخر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: مما فائدة التذكير بقوله تعالى ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: فائدة ذلك والله أعلم، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يراهم فيقيموا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ يقضون بين الناس بالحق.

❁ ❁ ❁

(٣٩٩) أحمر
أسود

ذكر نبي الله يونس عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله صاحب الحوت، وهو يونس صلى الله عليه وسلم وقيل صاحب الحوت لأن الحوت التقمه والحوت هو النون، اذكره يا رسول الله اذكر هذا النبي الكريم واذكر شأنه إذ ذهب مغاضبًا غضب من قومه لما تأخروا عن الإيمان وكذبوه فغضب منهم وخرج عن بلادهم بغير إذنه ربِّه عز وجل وقيل ذهب مغاضبًا لربِّه عز وجل لما أخر عنهم العذاب وقيل ذهب مغاضبًا لربه عز وجل لما طلب منه أن يخرج لإنذار قوم وفي وقت معين والظاهر هو الأول، أنه عليه السلام ذهب مغاضبًا قومه لما تباطؤوا عن الإيمان والله أعلم أما قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي فطن يونس عليه السلام أننا لن نضيق عليه وأنه إذا خرج عن قومه بغير إذن من الله لن يضيق الله عز وجل عليه ومعنى ﴿نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ هنا نضيق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] فخرج يونس عليه السلام فابتلي بالذي ابتلي به على ما فصلناه في سورة القلم (سورة نون) فآل أمره إلى أن التقمه الحوت وهو مُليم وهنالك نزل الحوت به إلى قاع البحار فاجمعت عليه الظلمات ظلمة بطن الحوت وظله الليل البهيم وظلمه قاع البحار، فنادى في الظلمات أن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ تضمنت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تضمنت إثبات وحدانية الله عز وجل وإلهيته وحده لا شريك له ونفي ما سواه مما يُعبد من دون الله تضمنت الكلمة ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيه الله عز وجل عن كل ما يصفه الواصفون المشركون، وتنزيه الله

(٤٠٠) أحمر
أسود

ﷻ عن كل وصفٍ لا يليق به.

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ تضمنت إقرارًا بالذنب واعترافًا به.

فاستجاب الله له ونجاه مما هو فيه من الغم وليس أمرًا نجائه خاصًا به، بل كل من دعى الله ورجاه ولجأ إليه واستعان به التفريج كربه فإن الله يكشف عنه الضر ويجيب ويكشف عنه ما ألم به.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الحافظ ابن الكثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «ن» وذلك أن يونس بن مَتَّى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعثه الله إلى أهل قرية «نينوى» ، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس:٩٨].

وأما يونس، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فَلَجَّجت بهم، وخافوا أن يغرقوا . فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، قال الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الصافات:١٤١]، أي: وقعت عليه القرعة ، فقام يونس، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتجرد من ثيابه،

ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله، سبحانه وتعالى، من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود-حوتًا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظما؛ فإن يونس ليس لك رزقا، وإنما بطنك له يكون سجنًا.

وقوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعني: الحوت، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة.

وقوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾: قال الضحاك: لقومه،

وجنح ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيق عليه.

هذا، وقد أورد الطبري أقوالًا في تفسيره، وإن لم يرجحها إلا أنه لا يليق ذكرها في هذا المقام لمخالفتها أصولًا عامة، وكذا العدم ثبوت شيء منها إلى صحابي، فضلًا عن عدم ثبوتها عن رسول ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث «من دعا بدعاء يونس استجيب له».

ج: هذا ضعيف:

وقد أخرج الطبري من طريق على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول ﷺ يقول اسم الله الأعظم الذي إذا دعُي به أجاب وإذا سُئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال رجل يا رسول الله ليونس خاصة أم الجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فهو شرط من الله لمن دعا به مكث (وسنده ضعيف) فيه على بن زيد وهو ابن جدعان وهو ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم بسندٍ ضعيف عن كثير بن معبد قال سألت الحسن

(٤٠٢) أحمر
أسود

قلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى؟

قال ابن أخي أما تقرأ القرآن؟ قول الله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قلت: وسنده ضعيف فيه كثير بن معبد لا يعرف وضعفه الأزدي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله زكريا صلى الله عليه وسلم إذ دعا ربَّه عز وجل، وكان هذا الدعاء خفيا كما في سورة مريم قائلًا في دعائه رب لا تذرني فردًا، لا تتركن وحيدًا بلا وريث وأنت خير من ورث فأجاب الله دعاءه ونداءه ووهب له وريثًا وهو يحيى صلى الله عليه وسلم سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين وأصلح الله له زوجته، وللعلماء في إصلاحها وجهان:

أحدهما: أنه سبحانه جعلها محلًا للولادة صالحة للولادة معيأةً لها.

الثانية: أن لسانها كان فيه شيء من حدة، وأخلاقها كان فيها شيء من الشدة كذلك فأصلحها الله تبارك وتعالى لزوجها.

أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي أن زكريا عليه السلام، وزوجته، وولدهما يحيى كل هؤلاء كانوا يسابقون إلى فعل الخيرات ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ يعبدوننا ويسألوننا ﴿رَغَبًا﴾ طمعًا فيما عندنا من الأجر والثواب ﴿وَرَهَبًا﴾ خوفًا مما عندنا من العقاب ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ كانوا متذللين لنا خاضعين لنا مطيعين لنا.

(٤٠٣) أحمر
أسود

هـذا، وقـد أخـذ بعـض أهـل العلـم مـن قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا﴾ أمرًا، وهـو أن الـدعاء يستحب أن يصاحب بعمل صالح، كصلاة، وأو صيام أو صدقة أو ذكر لله ﷻ أو نحو ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا﴾.

وهذه طائفة من أقوال العلماء في تفسير الآيات المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى﴾ وحيدا ﴿فَرْدًا﴾ لا ولد لي ولا عقب ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني، ثم ردّ الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، يقول الله جلّ ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلحنا له زوجه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها وَلُودا.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ كانت عاقرا، فجعلها الله ولودا، ووهب له منها يحيى.

وقال آخرون: كانت سيئة الخلق، فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخُلُق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصُصِ الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

(٤٠٤) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يقـول الله: إن الـذين سميناهم ، يعني زكريا وزوجه ويحيى ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا ، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة ، كما قال: ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ ويعنى بقوله: ﴿ رَغَبًا ﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا ﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وقولـه: ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يقـول: وكـانوا لنـا متواضـعين متذللين ، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده زكريا، حين طلب أن يَهبَه الله ولدا، يكون من بعده نبيًا. وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة «مريم» وفي سورة «آل عمران» أيضا، وهاهنا أخصر منهما؛ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ أي: خفية عن قومه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا ﴾ أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ دعاء وثناء مناسب للمسألة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ أي: امرأته.

وأورد أقوالًا في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ بنحو مما ذكرنا واستظهر القول بأنها كانت عاقرًا لا تلد فولدت.

وأورد أقوالًا أيضًا في تفسير قوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ مفادها مصدقين، ومتواضعين ومتذللين وخائفين، وقال وكل هذه الأقوال متقاربة.

(٤٠٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي واذكر زكريا. وقد تقدم في «آل عمران» ذكره. ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي منفردا لا ولد لي وقد تقدم. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ أي خير من يبقي بعد كل من يموت؛ وإنما قال ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ لما تقدم من قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٦] أي أعلم أنك، لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بأمر الذين عن عقبي. كما تقدم في «مريم» بيانه.

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ أي أجبنا دعاءه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾. تقدم. ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ قال قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقرا فجعلت ولودا. وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله فجعلها حسنة الخلق.

قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا. ﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني الأنبياء المسلمين في هذه السورة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وقيل: الكناية راجعة إلى زكريا وامرأته ويحيى.

قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة. وقيل: المعنى يدعون وقت تعبد هم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان.

❁ ❁ ❁

(٤٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله مريم عليها السلام اليت حفظت فرجها ومنعته من الحرام فنفخنا فيها من روحنا كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورتي مريم والتحريم أما قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ أي وجعلنا مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام معجزةً للعالمين ودلالة على قدرتنا على خلق ولد من غير أب.

فكما رزقنا زكيا عليه السلام على الكبر، وكانت زوجته عاقرًا، كما رزقنا بالولد آنذاك، فأعظم من ذلك خلق عيسى عليه السلام من غير أب.

أما قوله تعالى ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ قيل لبشر، وقيل للإنس والجن.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها ، يعني مريم بنت عمران.

ويعني بقوله: ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾: حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه.

واختلف في الفرج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرائيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقبل أن تثبته معرفة، قالوا: والذي يدلّ على ذلك قوله:

(٤٠٧) أحمر
أسود

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ ويعقب ذلك قوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قالوا: وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في غير هذا الموضع، والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما عَلَما لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا قَرَن تعالى قصة مريم وابنها عيسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بقصة زكريا وابنه يحيى، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فيذكر أولا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك مُوَطّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. هكذا وقع في سورة «آل عمران»، وفي سورة «مريم»، وهاهنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني: مريم،

(٤٠٨) أحمر
أسود

عليها السلام، كما قال في سورة التحريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢].

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢]. وهذا كقوله: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً ﴾ [مريم:٢١].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَمْرو بن علي، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مُخَلَّد عن شَبِيب -يعني ابن بشر- عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: العالمين: الجن والإنس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هذه ملتكم ملةً واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم فأقروني بالعبادة وحدي لا شريك لي، ولا تبعدوا معي إلهًا آخر.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدوني دون الألهة والأوثان، وسائر ما تعبدون من دوني.

قوال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد؛ فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام؛ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما. فأما المشركون فقد خالفوا الكل. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ ﴾ أي إلهكم وحدي. ﴿فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ أي أفردوني بالعبادة.

(٤٠٩) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ إن واسمها و ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ نصب على الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾، كَمَا قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون:٥١، ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد**»، يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فتفرقت الأم، وما كان ينبغي لها أن تتفرق، بل كان من الواجب أن تجتمع على عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، ولكن تفرقوا فرقًا وصاروا شيعًا وأحزابًا، فتهودت اليهود، وتنصَّر النصارى، وتنجست المجوس، وأشرك المشركون، وعُبد غير الله ﷻ.

ولكن كل هؤلاء لن يتركوا هملًا بلا حساب وثواب ولا عقاب، بل سنحاسبهم جميعًا فكلهم إلينا راهبون يوم القيامة نحاسبهم ونجازيهم على أعمالهم الحسن على إحسانه والمسيء بإساءته إلا الشرك فإنه لا يغفر ونعذب من نشاء ونعفو عمن نشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه ،

(٤١٠) أحمر
أسود

فصاروا فيه أحزابا ، فَهَودت اليهود ، وتنصَّرت النصارى وعُبدت الأوثان ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قال: تقطعوا: اختلفوا، في الدين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: اختلفت الأمم على رسلهان فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾، أي: يوم القيامة، [فيجازي] كل بحسب علمه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾.

ج: المعنى والله أعلم فمن يعمل فيكم عملًا صالحًا موافقًا لكتاب ربِّه عَزَّ وَجَلَّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو مخلص في ذلك لله عَزَّ وَجَلَّ موحدٌ، مصدق بوعد الله ووعيده فلا جحود لعمله ولا نكران لعمله بل الله عَزَّ وَجَلَّ شاكرٌ له سعيه ومكافؤه عليه، وكاتب له عمله في صحيفته وسيلقاه يوم يلقى ربَّه عَزَّ وَجَلَّ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه في أمره ونهيه ، وهو مقرّ بوحدانية الله؛ مصدّق بوعده ووعيده متبرّئ من الأنداد والآلهة ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ يقول: فإن

(٤١١) أحمر
أسود

الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجحده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: قلبه مصدق، وعمل عملا صالحا، ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ ، كقوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف:٣٠] أي: لا يُكْفَر سعيُه، وهو عمله، بل يُشْكَر، فلا يظلم مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي: يُكتب جميعُ عمله، فلا يَضيع عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبعيض لا للجنس إذ لا قدرة للمكلف أن يأتي بجميع الطاعات فرضها ونفلها؛ فالمعنى: من يعمل شيئا من الطاعات فرضا أو نفلا وهو موحد مسلم. وقال ابن عباس: مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي لا جحود لعمله، أي لا يضيع جزاؤه ولا يغطي والكفر ضده الإيمان. والكفر أيضا جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقد كفره كفورا وكفرانا. وفي ابن مسعود ﴿فَلا كُفْرَ لِسَعْيِهِ﴾. (وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ لعمله حافظون. نظيره ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] أي كل ذلك محفوظ ليجازي به.

❁ ❁ ❁

(٤١٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: وممنوع على قرية أمتنا أهلها أن يرجع أهلها إلى الدنيا مرة ثانية بعد أن أماتهم الله، والمراد أمتنا أهلها بعذاب وإهلاك وانتقام.

الثاني: وممنوع أن يُسلم أهل قرية أهلكناهم بأن طبعنا على قلوبهم وختمنا عليهم، فهؤلاء لن تجدي فيهم المواعظ ولن تنفع معهم الذكرى، فممنوع أن يرجعوا ويتوبوا وقد انتقمنا منهم بالطبع على قلوبهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد بإسنادٍ صحيح عن عكرمة أنه قال: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال لم يكن يرجع منه راجعن حرام عليهم ذلك.

قال الطبري:

ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم ، وكذلك إذا كان معنى قوله: ﴿ وَحَرَامٌ). نوجبه ، وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة ، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا ، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.

أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جنح إلى القول بأنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل الممات أي أن قدرًا مقدرًا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: كيف توجه الآية الكريمة ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ مع ما ورد من إحياء الله عَزَّ وَجَلَّ لبعض الموتى كما قال ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(٤١٣) أحمر
أسود

ج: التوجيه، أن يُقال والله أعلم أن هؤلاء الذين أماتهم الله ثم أحياهم مستثنى من العموم وكان لعلةٍ.

قد يُقال إن قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي أهلكناهم بعذاب فأمتناهم معذبين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه (لا) في قوله ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: قال بعض أهل العلم إنها صلة لتقوية الكلام وإلا فالمعنى ممنوع أن ترجع قرية إلى الدنيا ثانيةً، قال بعض العلماء إنها كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وكقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]. ونحو ذلك.

وقيل هي كقوله: (لا والله) والشخص يقصد القسم، لا يقصد نفي القسم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في شأن يأجوج ومأجوج.

ج: تقدم مبحث واسع في ذلك في تفسير سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

ومما ورد هنالك أنهم من ذرية آدم عليه السلام وأنهم كثيرون جدًا وأن ما نُسج حولهم من كونه أذن أحدهم طويلة جدًا مثلًا أو أنف أحدهم طويلة جدًا أو غير ذلك من الأمور المستغربة غرابة شديدة لا يثبت منه شيء وارجع إلى سائر البحث هنالك وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

(٤١٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم تذكير بيوم القيامة وشيء من مقدماته وعلاماته، فبين يدي يوم القيامة، ومن الأشراط الكبرى للساعة خروج يأجوج ومأجوج، فخروجهمن ذلك زمن عيسى بن مريم عليه السلام، علامات الساعة الكبرى فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ أي فتح الردم الذي بينهم وبين الناس ذلكم الردم الذي بناه ذو القرنين كما في سورة الكهف إذ قال ذو القرنين ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٥-٩٩].

فالحاصل أن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ فتح الردم، والسد الذي يحول بينهم وبين الناس.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

أي وحينئذ نخرج يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع مسرعين متجهين نحو الناس لإهلاكهم وتدميرهم.

وإن كان بعض العلماء قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ قال إن ذلك المعنى به الموتى يخرجون من قبورهم من كل مكان مرتفع كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١].

لكن القول الأول أراه أصح في هذا المقام والله أعلم.

(٤١٥) أحمر
أسود

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي إذا خرجت يأجوج ومأجوج فقد اقترب يوم القيامة ذلك اليوم الذي وعد الله ﷻ به وأنه كائن لا محالة فإذا جاء يوم القيامة إذا بأبصار الذين كفروا شاخصين لا تطرف مركزة البصر من شدة الهدى، يتولون يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا الوقف، ثم ليستدركوا، إذ قد جاءتهم الرسل، فيعترفوا بذنوبهم قال قد جاءتنا النذر والرسل ولكن ظلمنا أنفسنا بما اجرمناه من شرك، وما ارتكبناه من كفر وبما تركنا العمل ليومنا هذا؟ الله أعلم.

وينحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحقّ ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب ، وهو لا شك حق كما قال جلّ ثناؤه.

وأما قوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به ، فقال بعضهم: عني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض ، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني بذلك يأجوج ومأجوج، وقوله وهم كناية أسمائهم.

وصوت بالطبري القول الأخير الذي هو وهم من كل حدب يتسلون مستظهر ببعض الأدلة، وقد قدمت ذكرها في سورة الكهف.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ قاله يعني من كل شرف ونشز وأكمه.

(٤١٦) أحمر
أسود

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها، كما قال الشاعر:

لَعَمْرو أَبِيهَا لا تَقُولُ ظَعِينَتِي ... ألا فَرّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ

فكنى عن الظعينة في: لعمرو أبيها، ثم أظهرها، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جلّ ثناؤه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الحج: ٤٦] وكقول الشاعر:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِما هَهُنا رأسْ

وقوله: ﴿ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحقّ بأهواله وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء، وفي الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذُكر عليه عنه، وذلك يقولون من قوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يقولون يا ويلنا، وقوله: ﴿ بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عزّ وجلّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة

(٤١٧) أحمر
أسود

منهم، تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف:٩٨، ٩٩]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي: يسرعون في المشي إلى الفساد.

والحَدَب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، كأن السامع مشاهد لذلك، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٤]: هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو.

وأورد ابن كثير ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عُبَيد الله بن أبي يزيد قال: رأى ابُن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

وما أخرجه أحمد والطبري وغيرهما بسندٍ حسن عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجُوجَ فَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ كمَا قال الله عز وجل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فَيَغْشَوْنَ الأرْضَ، ويَنْحازُ المُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهِمْ وحُصونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرض...** الحديث.

قال ابن كثير:

وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: يوم القيامة، إذا وُجدت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر:٨]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ

(٤١٨) أحمر
أسود

شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ أي: يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي: في الدنيا، ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾، يعترفون بظلمهم لأنفسهم، حيث لا ينفعهم ذلك.

❁ ❁ ❁

(٤١٩) أحمر
أسود

الأنبياء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا
ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا
ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى
ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ
إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾
قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ٩٨-١١٢].

(٤٢٠) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ - وَٱرِدُونَ - مَّا وَرَدُوهَا - زَفِيرٌ - سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ - حَسِيسَهَا - ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ - كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ - ٱلزَّبُورِ - ٱلذِّكْرِ - لَبَلَٰغًا - مُّسْلِمُونَ - تَوَلَّوْا - ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ - وَإِنْ أَدْرِىٓ - ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ - مَا تَكْتُمُونَ - فِتْنَةٌ لَّكُمْ - وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ - ٱلْمُسْتَعَانُ - عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(حَصَبُ)	حطب جهنم- وقود جهنم
(جَهَنَّمَ)	تحصبهم جهنم
(وَٱرِدُونَ)	داخلون
(مَّا وَرَدُوهَا)	ما دخلوها
(زَفِيرٌ)	صوت الهواء الخارج هواء عظيم خارج من الفم والأنف
(سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ)	كتبنا لهم السعادة قبل خلقهم، وكتبنا لهم الجنة
(حَسِيسَهَا)	صوت النار وصوت حركتها ولهيبها
(ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ)	الخوف العظيم لنفخ في الصور- البعث والقيامة
(كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ)	كما تطوى الصحيفة على ما فيها من المكتوب وقيل كما يطوى الغلاف على ما فيه من أوراق

(٤٢١) أحمر
أسود

(ٱلزَّبُورِ)	الكتب التي أنزلها الله ﷻ على عموم أنبياءه، وقيل الزبور الكتاب الذي أنزل الله على داود عليه السلام وقيل الزبور التوراة
(ٱلذِّكۡرِ)	اللوح المحفوظ، وقيل الذكر التوراة
(لَبَٰلَغٗا)	الكفاية وغُنية، لإنذارًا
(مُّسۡلِمُونَ)	مستسلمون لله خاضعون له موحدون تشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتفعلون ما يلزمكم به إسلامكم
(تَوَلَّوۡاْ)	أعرضوا
(ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ)	أخبرتكم حتى تكون نحن فأنتم على علم بأعلم بعضنا عدوٌ لبعض
(وَإِنۡ أَدۡرِيٓ)	ما أدري- ما أعلم
(ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ)	ما ظهر من القول
(مَا تَكۡتُمُونَ)	ما خفي من القول = ما تخفون من القول ما يتحدثون به في أنفسكم
(فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ)	اختبار لكم وابتلاء
(وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ)	ما تتمتعون به إلى زمن الموت
(ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)	على ما تصفونني به من قولكم عني كذاب ساحر وشاعر وكاهن وغير ذلك وكذا ما تصفون به ربكم من أن له شريك وله ولد وغير ذلك

(٤٢٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إنكم يا أهل الكفر وألهتكم التي تعبدونها من دون الله ﷻ وقود جهنم وحطبًا، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[التحريم: ٦] أنتم جميعًا لها داخلون، ولو كانت هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، لو كانت آلهة حقًا ما دخلتها، ولا تركتكم تدخلونها، بل لدافعت عن نفسها، ودافعت عن عابديها بل تكلم فيها خالدون.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أقوالًا أُخر إضافةً إلى ما ذُكر، منها أن جهنم تحصبهم أي تقذف بهم، تقذف بهم من مكان إلى مكان من شدتها، وقيل تقذفهم بشررها العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة.

وقال: وأما حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها.

وقال آخرون: بل معناه حطب جهنم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يُرمى بهم في جهنم وأورد قراءتين في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾.

أحدهما بالصاد، والآخر بالطاء، وأختار قراءة من قرأ بالصاد ثم قال فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب: الرمي ، من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته ، كما قال جلّ ثناؤه

(٤٢٣) أحمر
أسود

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا ﴾ [القمر: ٣٤] كان الأولى بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها ، وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمين: الحطب ، فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح ، وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله: ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون ، يقول: داخلون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون ، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها ، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين ، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها ، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة ، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء ، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها. وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية ، وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩﴾ قال: التي عبد القوم قال: العابد والمعبود.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، قال ابن عباس: أي وقودها، يعني كقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[التحريم: ٦].

(٤٢٤) أحمر
أسود

وقال ابن عباس أيضا: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يعني: حطب جهنم، بالزنجية.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال الضحاك: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: ما يرمى به فيها.

وكذا قال غيره. والجميع قريب.

وقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ يعني: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار، ولما دخلوها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: العابدون ومعبوداتهم، كلهم فيها خالدون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ كل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به. ويظهر من هذه الآية أن الناس من الكفار وما يعبدون من الأصنام حطب لجهنم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقيل: إن المراد بالحجارة حجارة الكبريت؛ على ما تقدم في «البقرة» وأن النار لا تكون على الأصنام عذابا ولا عقوبة؛ لأنها لم تذنب، ولكن تكون عذابا على من عبدها: أول شيء بالحسرة، ثم تجمع على النار فتكون نارها أشد من كل نار، ثم يعذبون بها. وقيل: تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل: إنما جعلت في النار تبكيتا لعبادتهم.

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ أي فيها داخلون. والخطاب للمشركين عبدوه الأصنام؛ أي أنتم واردوها مع الأصنام. ويجوز أن يقال: الخطاب للأصنام وعبدتها؛ لأن الأصنام وإن كانت جمادات فقد يخبر عنها

(٤٢٥) أحمر
أسود

بكنايات الآدميين. وقال العلماء: لا يدخل في هذا عيسى ولا عزير ولا الملائكة صلوات الله عليهم؛ لأن «ما» لغير الآدميين. فلو أراد ذلك لقال: «ومن». قال الزجاج: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ أي لو كانت الأصنام آلهة لما ورد عابدوها النار. وقيل: ما وردها العابدون والمعبودون؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: النصارى يعبدون المسيح، واليهود قبلهم يعبدون عزيرًا، وطوائف من أهل الشرك يعبدون الملائكة، ومعلوم أن المسيح عيسى عليه السلام نبي مرسلٌ مقربٌ من المقربين وجيهًا في الدنيا والآخرة، وكذا الملائكة المقربون، وكذا عزير فكيف يوجَّه هذا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

ج: ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله ﷻ استثنى من لم يرض بعبادته من أهل الصلاح إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

الثاني: أن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ما لغير العاقل فالمراد بها الأصنام والحجارة والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

(٤٢٦) أحمر
أسود

ج: المعنى والله أعلم: لأهل النار، وهم في النار زفيرٌ، وهو الهواء الخارج من أنوفهم وأقوامهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ فالشهيق الهواء الداخل الزفير الهواء الخارج.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدهما: أنعم لا يسمعون شيئًا لأنهم يحشرون على وجوههم عميًا وبُكما وصُمًا.

الثاني: أنهم لا يسمعون شيئًا يسرهم.

الثالث: أنهم لا يسمعون عذاب بعضهم فكل يعذب ولا يظن أن أحدًا يعذب غيره، فقد وضح في تابوت، والتابوت وضع في تابوت آخر حتى لا يسمع.

أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾. فمعناه إن الذين سبق، وأن قضينا لهم بأنهم سيكونون من أهل الجنة، وكتبنا لهم ذلك قبل أن يخلقوا، ويدخل فيهم عزيرٌ والمسيح والملائكة هؤلاء عن النار مبعدون لا يسمعون حسيس النار، صوت لهيبها، وحركتها وقيل إذا دخل أهل الجنة لا يسمعون حسيس أهل النار، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي وهم في النعيم الذي تشتهيه أنفسهم من مآكل ومشارب ومساكن ومناكح ومنازل باقون خالدون لا يتمولون ولا ترد لون عنه ولا يخرجون منه وكذا: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أي لا يخافون الفزع الأكبر، ولا يحزنون عند حلوله بالناس بل هم آمنون مطمئنون، وقد خلف العلماء في الفزع الأكبر حتى يكون؟ فقيل إنه الفزع الكائن عند النفخ في الصور، وقيل إنه حلول الموت وقيل إنه البعث من القبور، وقيل إنه الأمر ببعض الناس أن يُدفع بهم إلى النار فالحاصل أن أهل الإيمان مطمئنون، من فضل الله عليهم ورحمته بهم؟ اذهب

عنهم الحزن والفزع.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي وتلقاهم الملائكة يبشرونهم قائلين لهم هذا يومكم يا أهل الإيمان الذي كن لله ﷻ وعدكم به في دنياكم، فهذا هو يومكم الذي تكافؤن فيه وتكرمون فيه وتنزلون فيه أجمل المنازل أحسن المنازل.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات المذكورة:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُمْ﴾ المشركين وآلهتهم، والهاء، والميم في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ من ذكر كل التي في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾، يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وأورد الطبري من طريق المسعودي:

عن يونس بن خباب، قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى

فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره، ثم قرأ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

قلت (مصطفى): وأورد الحافظ ابن كثير من طريق عبد الرحمن المسعودي عن أبيه عن ابن مسعود بنحوه. عزاه لابن أبي حاتم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

(٤٢٨) أحمر
أسود

فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به ، فقال بعضهم: عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد.

وقال آخرون: بل عني: منْ عبد مِن دون الله ، وهو لله طائع ولعبادة من يَعبد كاره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفّار ، لأن قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس ، فكأن المشركين قالوا لنبيّ ﷺ إذ قال لهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾: ما الأمر كما تقول ، لأنا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعُزَيرا ، فقال عزّ وجلّ ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك ، وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون ، لأنهم غير معنيين بقولنا ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فقول لا معنى له ، لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه ، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جانٌ ، وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن ، لا بما ، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَب جهنم بما ، قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب ، لا من كان من الملائكة والإنس ، فإذا كان

(٤٢٩) أحمر
أسود

ذلك كذلك لما وصفنا ، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ ، وأما الحُسنى فإنها الفُعلى من الحسن ، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد ، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ قال: الحسنى: السعادة ، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله ، وسبق الشقاء لأهله من الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حَسيس النار ، ويعني بالحسيس: الصوت والحسّ.

وقوله: ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالًا عنها، وال انتقالًا عنها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

واختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر: أي: الفزع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه ، فهو مما بعدَه أحرى أن لا

(٤٣٠) أحمر
أسود

يفزَع ، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ فيه الكرامة من الله والحِباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصَبون في الدنيا لله في طاعته.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾: قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسُله ، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]: وقال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ أي: حريقها في الأجساد.

وقوله: ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾، فسلمهم من المحذور ولمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

هذا، وقد أورد ابن كثير أقوالًا نحوًا مما ذكرته في تفسير ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ ثم قال:

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾. أي: قابلوا ما يسركم.

(٤٣١) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ ، فقال ابن الزبعرى: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة، وعُزَير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾. رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه «الأحاديث المختارة».

ج: هذا يُحسن لشواهده، وانظر السؤال الآتي.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، يصح لشواهده أخرج الطحاوي في مشكل الآثار من طريق عبيد بن رجال ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن أبي يحيى ، عن ابن عباس ، قال: آية في كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوها فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبعرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: ادعوه لي ، فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون

(٤٣٢) أحمر
أسود

الله؟ قال: « بل لكل من عبد من دون الله عز وجل » قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية ، يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح وعزيرا عبد صالح ، والملائكة عباد صالحون ، قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة ، قال: فضج أهل مكة فنزلت: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير والملائكة أولئك عنها مبعدون قال: ونزلت: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وهو الصحيح.

وله شواهد كثيرة يُحسن بها.

❁ ❁ ❁

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: واذكر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

الثاني: لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت شيء في أن السجل هذا صمٌ لملك أو اسمق لرجل؟ وما المراد بالسجل.

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، وقد أورد الطبري بعض الأثار، وفيها مقال، في ذلك وتعقبها بقوله:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجلّ ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟

(٤٣٣) أحمر
أسود

قيل: ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل (كطي السجل للكتاب) واللام في قوله للكتاب بمعنى على.

قلت (مصطفى): والصحيح كما أشار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن السجسل هو الصحيفة والمراد بالكتب المكتوب فيها، فالمعنى كطي الصحيفة على المكتوب فيها، أو كطي الدفتر على الأوراق المكتوبة ولموضوعة فيه أو كطي الغلاف على ما فيه من أوراق مكتوب فيها الأول أظهر كطي الصحيفة على الكلام المكتوب فيها والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعلى هذا يكون معنى الكلام: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ أي: على الكتاب، بمعنى المكتوب؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل السموات تطوى يوم القيامة؟

ج: نعم تطوى السموات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ڤ: قال رسول ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة. ويطوي السماء بيمنه، ثم يقلو أنا الملك، أي ملوك الأرض؟**».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(٤٣٤) أحمر
أسود

عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ونعيدكم يا بني آدم كما بدأنا خلقكم أول مرة حفاة عراةً غرلًا.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام.....» الحديث.

أما قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ أي وعدًا وعدنا العباد به وأخذناه على أنفسنا وكان وعدنا مفعولًا ل يتخلف.

قال الطبري رحمه الله:

ومعنى الكلام: نعيد الخلق عُراة حفاة غُرْلا يوم القيامة ، كما بدأناهم أوّل مرّة في حال خلقناهم في بطون أمّهاتهم ، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا ، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية ، حتى لا يكون شيء سوانا.

(٤٣٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزبور، وما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالذِّكر اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه أعمال العباد التي سيعلمونها ومقادير العباد، والزبور الكتب التي أنزلها الله عَزَّ وَجَلَّ عمومًا.

الثاني: أن المراد بالزبور الكتب التي أنزلها الله عَزَّ وَجَلَّ على الأنبياء من بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بالذكر التوراة التي أُنزلت على موسى كما قال تعالى في شأن التوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

القول الثالث: أن المراد بالذِّكر التوراة، وبالزبور الكتاب الذي أنزله الله عيل داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالزَّبور والذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بالزَّبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعُني بالذكر: أمّ الكتاب التي عنده في السماء.

وقال آخرون: بل عنيب الزبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى

(٤٣٦) أحمر
أسود

من الأنبياء، وبالذكر: التوراة.

وقال آخرون: بل عني بالزبور: ربور داود، وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك ، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه: زبرت الكتاب وذَبرته : إذا كتبته ، وأن كلّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه ، فهو ذِكْر. فإذ كان ذلك كذلك ، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البينَة أنه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زَبور داود.

فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

(٤٣٧) أحمر
أسود

وقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ ،الآية [النور:٥٥]. وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

ج: قال كثيرون من أهل العلم إن المراد بالأرض أرض الجنة، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣].

وكقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وكقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ ولغير ذلك أيضًا.

فإن قال قائل وكيف ورثوا الجنة، عمن ورثوها؟ فجوابه أن لكل شخص مقعدين مقعدٌ في الجنة، ومقعدٌ في النار، فإذا دخل أهل الجنه الجنة؟ وأهل النار النار، ورث أهل الجنة مقاعد أهل النار التي كانت لهم في الجنة لو أنهم آمنوا وورث أهل النار مقاعد أهل الإيمان التي كانت لهم لو لم يؤمنوا.

هذا وقال آخرون من أهل العلم إن المراد بالأرض الأرض في الحياة الدنيا.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد أرض الدنيا وأرض الجنة معًا.

وهذه بعد الأقوال في ذلك.

أورد الطبري عدة آثار في أن الأرض أرض الجنة.

وقال:

(٤٣٨) أحمر
أسود

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال آخرون: عني بذلك بنو إسرائيل ، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به.

واستشهد لقوله ذلك بقول الله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ وقد ذكرنا قول من قال: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ أنها أرض الأمم الكافرة ، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه عليّ بن أبي طلحة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالعلماء الصالحون.

ج: قيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل هم الصالحون عمومًا من كل الأمم، وهذا أظهر؟ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن في هذا القرآن الذي أنزل عليك يا رسول الله لإنذارًا لقوم عابدين الله عز وجل مطيعة له.

وقول آخر قول إن في هذا القرآن الكفاية ومنفعة وغنيةص لقوم عبدوا الله عز وجل وأما عدة واختار الطريق الموصل إليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغًا لمن عبد الهل بما فيه من الفرائض التي فرضها الله، إلى رضوانه، وإدراك الطلبة عنده.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(٤٣٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبَلاغًا: لمَنْفعةَ وكفاية لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ هل العالمين عموم الإنس والجن، أم عموم عموم الإنس أم أهل الإيمان من هؤلاء وأولئك؟ وكيف يكون رحمة للعالمين، والكافر معذبٌ يوم القيامة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهو الذي اختاره أنه أرسل رحمة للعالمين كلهم إنسهم وجنِّهم مؤمنهم وكافرهم فمن اتبعه كان رحمة له ومن عصاه فهو الذي آخرَّ بنفسه واختار طريق الهلاك والعذاب.

وعلى سبيل المثال كما يكون القوم في حالة غرق وترسل إليهم فرق الإنقاذ؟ وتدلى لهم أطواق النجاة والحبال وبإمكانهم، ومن الله عليهم أن يأخذوها، فمن أخذها سلم، ومن تركها هلك.

القول الثاني: أنه رحمه للعالمين في الدنيا بإنقاذهم من الخسف والقذف ونحو ذلك، في الآخرة رحمة لمن اتبعه وسلك طريق والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجميع العالم الذي أرسل

(٤٤٠) أحمر
أسود

إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ قال: العالمون: من آمن به وصدّقه، قال: ﴿ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ ﴾ قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة، وقد جاء الأمر مجملا رحمة للعالمين، والعالمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب.القول الذي رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمد ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله.

وورد من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري وغيره.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفِي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله [تعالى]: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾: يخبر تعالى أن الله جَعَل محمد ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]،

(٤٤١) أحمر
أسود

وقال الله تعالى في صفة القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٤].

وأورد حديث أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**». انفرد بإخراجه مسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لمن أرسلت إليهم إنما يومي إليَّ كما يومي للأنبياء من قبلي، أن الله ﷻ المعبود الذي نعبده إلهٌ واحد لا شريك له فهل أنتم مستسلمون له خاضعون له مقرون له بأنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه.

فإن أعرضوا عن ذلك فقل أخبرتكم حتى استوى أنا وأنتم في العلم بأن بعضنا عدوٌ للآخر ما لم تفردوا بوحدانية الله ﷻ وما أدري أيعجل كلهم العذاب أم يؤخر وما أدري أتقوم الساعة قريبًا أم بعد حين، وربي سبحانه وتعالى يعلم ما تجهرون به من الأقوال والأعمال وما تكتمونه في صدوركم وتخفونه فيها، وما تكتمونه عن الخلائق فهو سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ما يوحي إلي ربي إلا أنَّه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد، لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي ذلك

(٤٤٢) أحمر
أسود

لغيره.

يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرّئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان، بأن لا إله لهم إلا إله واحد، فأعرضوا عنه، وأبوا الإجابة إليه، فقل لهم قد ﴿ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب، لا صلح بينكم ولا سلم.

وقوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحلّ بكم عقاب الله الذي وعدكم، فينتقم به منكم، أقريب نزوله بكم أم بعيد؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول، ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته، إنه لا يخفى عليه منه شيء، فإن أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقول للمشركين: ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: متبعون على ذلك، مستسلمون منقادون له.

(٤٤٣) أحمر
أسود

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: تركوا ما دعوتهم إليه، ﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم أني حَرْب لكم، كما أنكم حَرْبٌ لي، بريء منكم كما أنكم بُرآء مني، كقوله: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]. وقال ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الانفال: ٥٨]: ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء، وهكذا هاهنا، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم ببراءتي منكم، وبراءتكم مني؛ لعلمي بذلك.

وقوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: إن الله يعلم الغيب جميعَه، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون، يعلم الظواهر والضمائر، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم، وسيجزيهم على ذلك، على القليل والجليل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فلا يجوز الإشراك به. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي منقادون لتوحيد الله تعالى؛ أي فأسلموا؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي إن أعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي أعلمتكم على بيان أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي أعلمهم أنك نقضت العهد نقضا، أي استويت أنت وهم فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الآخر. وقال الزجاج: المعنى أعلمتكم بما يوحى إلي على استواء في العلم به، ولم أظهر لأحد شيئا كتمته عن غيره. ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ ﴾ ﴿إِنْ﴾ نافيه

(٤٤٤) أحمر
أسود

بمعنى ﴿مَا﴾ أي وما أدري. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ يعني أجل يوم القيامة لا يدريه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ قاله ابن عباس. وقيل: آذنتكم بالحرب ولكني لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ أي من الشرك وهو المجازي عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما أدري ما سبب تأخير نزول العذاب عليكم، وم أدري ما سبب نزول العذاب عليكم، وما أدري ما سبب إمهالكم وتركككم بلا عذاب، فهذا أمر موكولٌ إلى الله ﷻ، وما أنا إلا بشر ولكن لعلَّ هذا، لعلَّ تأخير نزول العذاب، ابتلاء لكم واختبار يريده الله ﷻ بكم، ولعله لمزيد من العذاب الذي يحل بكم لاستمراركم على الكفر وعدم انتفاعكم بالمواعظ، ولتزدادوا من الذنوب فيحل بكم أليم العقاب، ثم قال رسول ﷺ يا رب احكم بيني وبين هؤلاء وافصل بيني وبينهم بالحق الذي وعدتني به من نصر أوليائك والانتقام من أعدائك، وربنا الذي وسعت رحمته كل شيءن الذي هو بي رحيم هو الذي أستعين في كل شيء وأستعين به للانتصار منكم فيما وصفتموني به من أنني ساحرًا وشاعرًا وكذاب أو مجنون لكوني دعوتكم إلى توحيد الله ﷻ وعدم الشرك به.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٤٤٥) أحمر
أسود

فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعلّ تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريدها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جلّ ثناؤه ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جلّ ثناؤه وقيلكم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ [مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦] فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ﴾ أي لعل الإمهال ﴿فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ أي اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ قيل: إلى انقضاء المدة.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ختم السورة بأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده، أي احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم.

(٤٤٦) أحمر
أسود

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ أي تصفونه من الكفر والتكذيب.

(٤٤٧) أحمر
أسود

تفسير سورة الحج

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾

[الحج: ١-٧].

(٤٤٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ -زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ -سُكَٰرَىٰ -يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ -مَّرِيدٍ -كُتِبَ عَلَيۡهِ -تَوَلَّاهُ- يُضِلُّهُۥ -وَيَهۡدِيهِ -ٱلۡبَعۡثِ -رَيۡبٍ -نُّطۡفَةٖ -عَلَقَةٖ -لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ -مُّضۡغَةٖ -مُّخَلَّقَةٖ -وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ -وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ -أَجَلٖ مُّسَمّٗى -أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ -هَامِدَةٗ -ٱهۡتَزَّتۡ -وَرَبَتۡ -زَوۡجِۭ -بَهِيجٖ -لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
﴿زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾	الزلزلة التي تكون عند قيام الساعة
﴿سُكَٰرَىٰ﴾	(كأنهم) ذهبت عقولهم بسبب شرب الخمر
﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾	يشكك في قدرة الله على البعث. ويشكك في توحيد الله
﴿مَّرِيدٖ﴾	متمرد – رافض للأمر أشد الرفض
﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾	قُدِّر على الشيطان
﴿تَوَلَّاهُ﴾	من جعل الشيطان وليًّا له وارتضاه
﴿يُضِلُّهُۥ﴾	يصرفه عن طريق الحق
﴿وَيَهۡدِيهِ﴾	يدله ويقوده
﴿رَيۡبٖ﴾	شك
﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾	الإحياء بعد الموت
﴿نُّطۡفَةٖ﴾	المراد: قطرة المني
﴿عَلَقَةٖ﴾	المراد: الدم الذي تعلق بجدار الرحم

(٤٤٩) أحمر
أسود

﴿مُّضۡغَةٖ﴾	قطعة اللحم
﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾	مصورة (صور سمعها وبصرها) – مكتملة
﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾	غير مصورة – غير مكتملة
﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾	لنوضح لكم قدرتنا على البعث
﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾	نثبت في الأرحام ونجعله مستقرًّا فيها
﴿أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	وقد حدَّده الله
﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾	أردأ العمر – أحسنه – أدونه
﴿هَامِدَةٗ﴾	يابسةً لا تنبت – ميتة
﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾	تحركت بالنبات
﴿وَرَبَتۡ﴾	انتفخت بالماء
﴿زَوۡجِۭ﴾	صنف
﴿بَهِيجٖ﴾	حسن المنظر
﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾	لا شك في قيامها وإتيانها

❁ ❁ ❁

(٤٥٠) أحمر
أسود

س: ما المراد بهذه الزلزلة (متى تكون)؟

ج: ذهب عدد من العلماء، وهو الذي تشهد له الأدلة .. إلى أن هذه الزلزلة تكون يوم القيامة إذا خرج الناس من قبورهم، وهي إحدى الأهوال يوم القيامة.

واستشهدوا لذلك بما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يَقُولُ اللهُ عز وجل: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ؟ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالَ: فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الزلزلة كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة.

ووردت بذلك بعض الآثار منها:

أثر علقمة (بسند صحيح عنه) قال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ قال: قبل الساعة.

أخرجه الطبري رحمه الله، وأورد آثارًا أُخر وحديثًا فيه مقال في هذا الصدد.

ومن حجج أصحاب هذا القول أنه ليس ثَمَّ يوم القيامة حوامل ولا مُرضعات.

ولمزيد انظر السؤال الآتي وجوابه.

---

(١) البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (حديث ٢٢٢).

(٤٥١) أحمر
أسود

ورجَّح الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان) أن هذه الزلزلة تكون يوم القيامة بعد البعث من القبور مستدلًّا بحديث: **يا آدم إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار من ذريتك**... الحديث، وقد تقدم، وقال بعد أن أورده:

فحديث أبي سعيد هذا الذي اتفق عليه الشيخان كما رأيت، فيه التصريح من النَّبي ﷺ بأن الوقت الذي تضع فيه كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، بعد القيام من القبور كما ترى، وذلك نص صحيح صريح في محل النزاع.

فإن قيل: هذا النص فيه إشكال، لأنه بعد القيام من القبور لا تحمل الإناث، حتى تضع حملها من الفزع، ولا ترضع، حتى تذهل عما أرضعت.

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: هو ما ذكره بعض أهل العلم، من أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً، فتضع حملها من شدة الهول والفزع، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك، ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

الوجه الثاني: أن ذلك كناية عن شدة الهول كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تنبيه

اعلم أن هذا الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا بعضها يرد عليه سؤال، وهو أن يقال: إذا كانت الزلزلة المذكورة بعد القيام من القبور، فما معناها؟

والجواب: أن معناها: شدة الخوف، والهول، والفزع، لأن ذلك يسمى زلزالاً، بدليل قوله تعالى فيما وقع بالمسلمين يوم الأحزاب من الخوف ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ

(٤٥٢) أحمر
أسود

ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١] أي وهو زلزال فزع وخوف، لا زلزال حركة الأرض، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ يدل على أن عظم الهول يوم القيامة موجب واضح للاستعداد لذلك الهول. بالعمل الصالح، في دار الدنيا، قبل تعذر الإمكان لما قدمنا مراراً من أن إن المشددة المكسورة تدل على التعليل، كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه، ومسلك النص الظاهر: أي اتقوا الله، لأن أمامكم أهوالاً عظيمة، لا نجاة منها إلا بتقواه جل وعلا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- يا أيها الناس احذروا غضب ربكم ﷻ وعذابه فإن غضبه شديد وعذابه أليم، فاجعلوا بينكم وبين ذلك وقاية بطاعتكم له، وامتثالكم أمره، واجتنابكم ما نهاكم عنه، فإن الزلزلة التي تكون يوم القيامة شأنها عظيم، وهي إحدى الأهوال في ذلك اليوم، فيومها، يوم تأتيكم وترونها تذهل كل مرضعة عن وليدها الذي ترضعه، تغفل عنه وتنساه وتنشغل عنه بما هي فيه من عظيم الهول وشدة البلاء، والحوامل يضعن حملهن إذا كانت هناك حوامل، وترى الناس وكأنهم سكارى كأنهم – من شدة الهول- قد شربوا خمرًا فذهبت بعقولهم، وما شربوا خمرًا آنذاك وليست عقولهم بغائبة، ولكن عذاب الله آنذاك شديد تخدره جميع النفوس، ويحذره جميع العباد، وكل له شأن يُغنيه.

(٤٥٣) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد.

ثم وصف جلّ ثناؤه هول أشراط ذلك اليوم وبدوه، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾.

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جلّ ثناؤه بالشدة، فقال بعضهم: هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وأورد عددًا من الأخبار عن رسول الله ﷺ، منها حديث عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذين قدمت ذكرهما.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت، ويعني بقوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى وتترك من شدّة كربها، يقال: ذَهَلْت عن كذا أذْهَلُ عنه ذُهُولا وذَهِلْت أيضا، وهي قليلة، والفصيح: الفتح في الهاء، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين، لم يسمع غير ذلك.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت.

وأورد عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

(٤٥٤) أحمر
أسود

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراءتين لقول: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ وهما وتَرى، وتُرى وكذا وجهين في قوله: ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ وهما ﴿سُكَارى﴾ وسَكْرَى.

قال الطبري:

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مستفيضتان في قَرَأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، ومعنى الكلام: وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدّته سُكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر.

وأورد عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ قال: ما شربوا خمرًا ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله، مع علمهم بشدة عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرا عباده بتقواه، ومخبرا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها. وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة: هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرصَات القيامة؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم؟ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٤ -٦].

فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال الساعة.

(٤٥٥) أحمر
أسود

وقال بعض أن أورد جملة أخبار:

والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة، وأضيفت إلى الساعة لقربها منها، كما يقال: أشراط الساعة، ونحو ذلك، والله أعلم.

وقال آخرون: بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال، كائن يوم القيامة في العرصات، بعد القيامة من القبور. واختار ذلك ابن جرير.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جدا، لها موضع آخر، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ أي: أمر كبير، وخطب جليل، وطارق مفظع، وحادث هائل، وكائن عجيب.

والزلزال: هو ما يحصل للنفوس من الفزع، والرعب كما قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب: ١١].

ثم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ : هذا من باب ضمير الشأن؛ ولهذا قال مفسرًا له: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ أي: تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له؛ ولهذا قال: ﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ﴾ ، ولم يقل: «مرضع» وقال: ﴿ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ أي: عن رضيعها قبل فطامه.

وقوله: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ أي: قبل تمامه لشدة الهول، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ ﴾ وقرئ: «سَكْرَى» أي: من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سُكارى، ﴿ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ .

❁ ❁ ❁

(٤٥٦) أحمر
أسود

س: وصح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن الناس من يجادل في قدرة الله ﷻ، وفيما أخبر به من إحياء الأنفس بعد موتها فيقول إن الله ﷻ لن يحيي الموتى ولا يقدر على ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ ﴾ [يس: ٧٨] وهذا الذي يجادل في الله بغير حجة ولا بينة ولا علم صحيح ويتبع كل شيطان متمرد، كُتب على هذا الشيطان وقدر أن من اتبع هذا الشيطان وقلَّده فإن الشيطان يضله ويقوده إلى عذاب السعير والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: ﴿ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم ﴿ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ .

وقال في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قضي على الشيطان، فمعنى ﴿كُتِبَ﴾ ههنا قُضِي، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان.

وقوله: ﴿ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾ يقول: فإن الشيطان يضله، يعني: يضل من تولاه. والهاء التي في «يضله» عائدة على «من» التي في قوله: ﴿مَن تَوَلَّاهُ ﴾ وتأويل الكلام: قُضى على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحق.

وقوله: ﴿ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ يقول: ويَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية الرحمن، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم.

(٤٥٧) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذامًا لمن كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد، من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ ، أي: علم صحيح، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ ﴾ قال مجاهد: يعني الشيطان، يعني: كتب عليه كتابة قدرية ﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي: اتبعه وقلده، ﴿ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ أي: يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، وهو الحار المؤلم المزعج المقلق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: استدلال على البعث الذي أنكره المشركون ونفوه، فاستُدل عليهم للبعث بأمرين، وإن شئت قلت بثلاث أمور وهي خلقهم أول مرة (أي خلق أبيهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، فالذي خلق الخلق أول مرة قادرٌ

(٤٥٨) أحمر
أسود

على إخراجهم من قبورهم أحياءً، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

واستدلوا أيضًا بما ورد من طريق الحسن عن عمران(١) بن حصين قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ! ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ**» فَيَئِسَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا أَبْدَوْا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: «**اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ**» قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ. فَقَالَ: «**اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ**»(٢).

واستدلال أيضًا بتقلبهم في الخلق من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مُخلقةٍ وغير مخلقةٍ، فهو سبحانه قادرٌ على أن يجعلها مخلقةً وقادر أن يسقطها قبل أن يخلقها، ويثبت في الأرحام ما يشاء إلى وقت محددٍ سماه الله ﷻ كما قال فجعلناه في قرار مكين إلى قدرٍ معلوم.

---

(١) وهناك خلاف في سماع الحسن من عمران بن حصين رضي الله عنه.
(٢) أحمد (٤/ ٤٣٥)، والترمذي (٣١٦٨).

فاستقرار الجنين في بطن أمه بإذن الله ووقت استقراره هو الذي قدره الله.

أما قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: من المضغ مضغٌ خلقت فصورت شق الله سمعها وبصرها، وسائر أعضائها، ومنها مضغٌ لم تصور بل أُلقيت سقطًا ليبين الله ﷻ لخلقه قدرته على البعث، ويثبت في الأرحام أجنة إلى أن تكتمل أو إلى أجل يحدده هو سبحانه وتعالى ثم يخرج من أراد الله له الخروج من بطن أمه طفلًا ضعيفًا ، وقيل في معنى ﴿طِفْلًا﴾ أطفالًا ثم يقوي الطفل شيئًا بعد شيء حتى يبلغ أشده ويتمادى به تقدمه في العمر – إذ شاء الله ذلك – حتى تضعف قواه شيئًا بعد شيء كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤]، وهنا قال: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾ أي: منتهى قوتكم، ومن من يستوفي أجله فيموت قبل بلوغ أشده، ومنكم من يعمر حتى يرجع إلى العمر الذي يكون فيه أضعف ما يكون وأخس ما يكون وأردأ ما يكون فيفقد الذاكرة بعد اكتمالها ونموها فينسى بعد تذكرٍ، ويذهب عقله بعد اكتماله، وهذه حال الحياة الدنيا يرجع فيها الإنسان إذا قدَّر الله له أن يُعمِّر إلى حالٍ من الضعف شديدة فقدان ذاكرةٍ، وفقدان التحكم في نفسه فتراه يبول كما يبول الرضيع، ولا يكاد يضبط أمر نفسه ولا يستطيع وكذا يسيل لعابُه ويغيب عقله، ويأكل وهو صائم، ويتكلم وهو يصلي، ويجزم أنه صنع الشيء وما صنع، ويجزم أنه ما صنع الشيء وقد صنع فيُعذر بترك الصيام، ويُعذر (مع ذهاب العقل بترك الصلاة)، ويعذر وهو يصلي بلا وضوء بل بتيمم إن استطاع.

فهذا التقلب في الخلق والتطور فيه كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤] طورًا بد تطور وحالًا بعد حال.

(٤٦٠) أحمر
أسود

وكما قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩] أي: لتمرن بكم الأحوال حالًا بعد حال دال على قدرة الله ﷻ على البعث، وهو الدليل الثاني عليه في هذا المقام.

أما الدليل الثالث عليه في هذه المقام فهو الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها، إذ الله قال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة لا نبات فيها ولا ثمر فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت بالنباتات فتشققت وخرج منها النبات ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت لسقياها بالماء وخروج النبات وأنتت من كل صنفٍ جميل حسن المنظر، ذلك الذي حدث، والذي كان بتقدير الله فالله هو الإله الحق الذي يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، وأنه وكم أحياء هذه الأرض بالنبات قادرٌ على إحياء الموتى بإذنه، إنه على كل شيء قدير.

وذلك أيضًا المذكور أمر الخلق ذكرنا به لتعلموا أن الساعة آتية، أي: أن القيامة لا بد فيها وأن الله يبعث من في القبور أحياء بعد أن أماتهم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتباعا منه للشيطان المريد ، وتنبيه له على موضع خطأ قيله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شكّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم ، ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذّر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء.

(٤٦١) أحمر
أسود

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلّقة، فقال بعضهم: هي من صفة النطفة. قال: ومعنى ذلك: فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة مخلَّقة وغير مخلقة قالوا: فأما المخلقة فما كان خلقا سَوِيّا وأما غير مخلقة، فما دفعته الأرحام ، من النطف ، وألقته قبل أن يكون خلقا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملَكا فقال: يا ربّ مخلقة ، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلَّقة، مجّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة ، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقيّ أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أمّ الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها.

وقال آخرون: معنى ذلك: تامة وغير تامة.

وأورد بإسنادٍ يصحح عن قتادة مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك المضغة مصوّرة إنسانًا وغير مصوّرة، فإذا صورت فهي مخلقة وإذا لم تصوّر فهي غير مخلقة.

وأورد بإسناد صحيح عن عامر (الشعبي): أنه قال في النطفة والمضغة إذا نكست في الخلق الرابع، كانت نسمة مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

وبإسناد صحيح عن أبي العالية قال: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ السقط.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقا تاما، وغير مخلقة: السِّقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا

(٤٦٢) أحمر
أسود

التصوير، وذلك هو المراد بقوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ خلقا سويا، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح.

وقوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام، لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا خلقكم.

وقوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فإنا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها، فلا تسقطه ، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها، فيخرج.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحد الطفل ، وهو صفة للجميع، لأنه مصدر مثل عدل وزور.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشدّه فيموت، ومنكم من يُنْسَأ في أجله فيعمر حتى يهرم ، فيردّ من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده ، إلى أرذل عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئا.

ومعنى الكلام: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر بعد بلوغه أشده ﴿لِكَيْلَا

(٤٦٣) أحمر
أسود

يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾ كان يعلمه ﴿ شَيْـًٔا ﴾ .

وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، وأصل الهمود: الدروس والدثور، ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُمودا ؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسْمَك شاحِبا وأرَى ثِيابَكَ بالِياتٍ هُمَّدَا

والهُمَّد: جمع هامد، كما الركع جمع راكع.

وقوله: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها ، المطر من السماء اهتزّت يقول: تحركت بالنبات، ﴿وَرَبَتْ ﴾ يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.

وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج، يعني بالبهيج ، البهج، وهو الحسن.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث، لتؤمنوا وتصدّقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحقّ لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذّر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك على كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده، ولتوقنوا بذلك أن الساعة

(٤٦٤) أحمر
أسود

التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ يقول: لا شك في مجيئها وحدوثها، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ حينئذ من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك، ولا تمترُوا فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى المخالف للبعث، المنكر للمعاد، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد، بما يشاهد من بدئه للخلق ، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: أصل بَرْئه لكم من تراب، وهو الذي خلق منه آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ ذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة، مكثت أربعين يوما كذلك، يضاف إليه ما يجتمع إليها، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله، فتمكث كذلك أربعين يوما، ثم تستحيل فتصير مضغة -قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط-ثم يشرع في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان، وصدر وبطن، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء. فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ أي: كما تشاهدونها، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها، كما قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ قال: هو السقط مخلوق وغير مخلوق. فإذا مضى عليها أربعون يوما، وهي مضغة، أرسل الله تعالى إليها ملكا فنفخ فيها الروح، وسواها كما يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ ، من حسن وقبيح، وذكر وأنثى، وكتب رزقها

(٤٦٥) أحمر
أسود

وأجلها، وشقي أو سعيد، كما ثبت في الصحيحين، من حديث الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق-: «**إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: بكتب عمله وأجله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**» .

وأورد ابن كثير أيضًا ما أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي ﷺ-قال: «**يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله، ويكتبان، فيقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص**» .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة، ومن طرق أخر، عن أبي الطُّفَيل، بنحو معناه .

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أي: ضعيفا في بدنه، وسمعه وبصره وحواسه، وبطشه وعقله. ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا، ويلطف به، ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ أي: يتكامل القوى ويتزايد، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ ، أي: في حال شبابه وقواه، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ ، وهو الشيخوخة والهَرَم وضعف القوة والعقل والفهم، وتناقص الأحوال من الخَرَف وضعف الفكر؛ ولهذا قال: ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤].

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٤٦٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ : هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة، وهي القحلَة التي لا نبت فيها ولا شيء .

وقال قتادة: غبراء متهشمة. وقال السدي: ميتة.

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ أي: فإذا أنزل الله عليها المطر ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ أي: تحركت وحييت بعد موتها، ﴿ وَرَبَتْ ﴾ أي: ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون، من ثمار وزروع، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها ومنافعها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ أي: حسن المنظر طيب الريح.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: الخالق المدبر الفعال لما يشاء، ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩] فـ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: كائنة لا شك فيها ولا مرية، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ أي: يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما، ويوجدهم بعد العدم، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [يس: ٧٨ - ٨٠] والآيات في هذا كثيرة .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ هذا احتجاج على العالم بالبداءة الأولى. وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴾ متضمنة التوقيف. وقرأ الحسن بن أبي

(٤٦٧) أحمر
أسود

الحسن ﴿ٱلْبَعْثِ﴾ بفتح العين ؛ وهي لغة في ﴿ٱلْبَعْثِ﴾ عند البصريين. وهي عند الكوفيين بتخفيف ﴿بَعَث﴾. والمعنى : يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة. ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر ، يعني آدم عليه السلام ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ . ﴿ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو المني ؛ سمي نطفة لقلته ، وهو القليل من الماء ، وقد يقع على الكثير منه ؛ ومنه الحديث «**حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا**» . أراد بحر المشرق وبحر المغرب. والنطف : القطر. نطف ينطف وينطف. وليلة نطوفة دائمة القطر. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهو الدم الجامد. والعلق الدم العبيط ؛ أي الطري. وقيل : الشديد الحمرة. ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ؛ ومنه الحديث «**ألا وإن في الجسد مضغة**» . وهذه الأطوار أربعة أشهر. قال ابن عباس : «وفي العشر بعد الأشهر الأربعة ينفخ فيه الروح» ، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها ؛ أربعة أشهر وعشر.

وقال رحمه الله:

لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما ، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس ؛ كما بيناه بالأحاديث. وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام في الاستلحاق عند التنازع ، وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات ؛ وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف. وقد قيل : إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل.

وقال رحمه الله:

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال الفراء : ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ تامة الخلق ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ السقط. وقال ابن الأعرابي : ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ قد بدأ خلقها ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ لم

(٤٦٨) أحمر
أسود

تصور بعد. ابن زيد : المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ التي لم يخلق فيها شيء. قال ابن العربي : إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة ؛ لأن الكل خلق الله تعالى ، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون : ١٤] فذلك ما قال ابن زيد. قلت : التخليق من الخلق ، وفيه معنى الكثرة ، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقا بعد خلق ، وإذا كان نطفة فهو مخلوق ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون : ١٤] والله أعلم. وقد قيل : إن قوله : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط ؛ أي منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع ، ومنهم من يكون خديجا ناقصا غير تمام. وقيل : «المخلقة أن تلد المرأة لتمام الوقت». ابن عباس : المخلقة ما كان حيا ، وغير المخلقة السقط. قال :

أفي غير المخلقة البكاء فأين الحزم ويحك والحياء

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي نقر في أرحام الأمهات ما نشاء إقراره فيها ، من الأحمال ، والأجنة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي معلوم معين في علمنا ، وهو الوقت الذي قدره الله لوضع الجنين ، والأجنة تختلف في ذلك حسبما يشاؤه الله جل وعلا ، فتارة تضعه أمه لستة أشهر ، وتارة لتسعة ، وتارة لأكثر من ذلك . وما لم يشأ الله إقراره من الحمل مجته الأرحام وأسقطته ، ووجه رفع : ﴿وَنُقِرُّ﴾ أن المعنى : ونحن نقر في الأرحام ، ولم يعطف على قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ لأنه ليس علة لما قبله ، فليس المراد : خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، لنقر في الأرحام ما نشاء ، وبذلك يظهر لك رفعه ، وعدم نصبه ، وقراءة من قرأ : ﴿وَنُقِرُّ﴾

(٤٦٩) أحمر
أسود

بالنصب عطفاً على : ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ ، على المعنى الذي نفيناه على قراءة الرفع ، ويؤيد معنى قراءة النصب قوله بعده ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ ﴾ وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أي وذلك بعد أن يخلق الله المضغة عظاماً ، ثم يكسو العظام لحماً ، ثم ينشىء ذلك الجنين خلقاً آخر ، فيخرجه من بطن أمه في الوقت المعين لوضعه في حال كونه طفلاً : أي ولداً بشراً سوياً .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ ﴾ أي لتبلغوا كمال قوتكم ، وعقلكم ، وتمييزكم بعد إخراجكم من بطون أمهاتكم في غاية الضعف وعدم علم شيء .

❁ ❁ ❁

(٤٧٠) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ
عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ
وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾
يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ
فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ
وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾

[العنكبوت: ٨-١٣]

(٤٧١) أحمر
أسود

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿بِغَيْرِ - عِلْمٍ - وَلَا هُدًى - وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ - ثَانِيَ عِطْفِهِۦ - خِزْيٌ - عَلَىٰ حَرْفٍ - فِتْنَةٌ - ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ - ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ - ٱلْمَوْلَىٰ - ٱلْعَشِيرُ - فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ - ثُمَّ لْيَقْطَعْ - كَيْدُهُۥ - بَيِّنَٰتٍ - وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ - وَٱلصَّٰبِـِٔينَ - وَٱلْمَجُوسَ - يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ - وَٱلدَّوَآبُّ - يُهِنِ - مُّكْرِمٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	بجهل
﴿وَلَا هُدًى﴾	بدون بينة ولا برهان
﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾	بدون حجة من كتاب منير ينير للناس أنزله الله
﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾	لاوي عنقه – مسكتبرًا – معرضًا
﴿خِزْيٌ﴾	ذلٌّ وإهانة – إذلال
﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	على شك – على تردد – على شرط
﴿فِتْنَةٌ﴾	ابتلاء واختبار
﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾	ارتد عن دينه
﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾	الانحراف الشديد عن طريق الحق والبُعد الشديد عن الصواب
﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾	الذي يتولى الشخص وينصره كابن العم ونحوه، وقيل الوثن الذي اتخذه عابدُه وليًّا يتولاه
﴿ٱلْعَشِيرُ﴾	المعاشر – الزوج

(٤٧٢) أحمر
أسود

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾	فليمدد بحبل، أي: فليتعلق بحبل نازل من السماء أو السقف
﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾	يقطع الحبل كي ينتحر
﴿كَيْدُهُۥ﴾	تدبيره
﴿بَيِّنَٰتٍ﴾	واضحات
﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	اليهود
﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	قومٌ لا دين لهم، وقيل: قوم يعبدون الملائكة
﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾	قوم يعبدون النار ويعظمونها
﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾	يقضي بينهم – يفرق بينهم
﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾	ما يدب على الأرض عمومًا- الحيوانات
﴿يُهِنِ﴾	يُذل – يخزي
﴿مُّكْرِمٍ﴾	مُعز – شخص يكرم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ومن الناس من هو كافر، يجادل في وحدانية الله وقدرته، فيزعم أن الله تبارك وتعالى له شريك ويزعم أن الله ﷻ لن يقدر على إحياء الأنفس بعد إماتتها، وكل ذلك منه، كل ذلك الجدل، جدلٌ بجهل، وبلا برهان، وبلا حجة، وبلا دليل نزل من عند الله، بلا كتاب مشرق موضح للحق من الباطل، إنما جداله كما بينت بجهل وغباء، وبلا

(٤٧٣) أحمر
أسود

برهان ولا حجة، وبلا دليل نزل في كتاب من عند الله ينير الطريق ويظهر الحق، يجادل بجهل مع كبر واستعلاءٍ وإعراض عن المتحدث معه، والإعراض عمن دعاه إلى الله ﷻ، لاوي عنقه تكبرًا وإعراضًا ليصرف الناس عن طريق الله، فيُظهر رفضه للحق والقرآن بكبر وتعالٍ وغبرور وإعراض حتى يصرف غيره أيضًا عن هذا الطريق، فهذا ولصنيعه السيء الذي يصنعه يجازى من جنس العمل فيُخزى ويذل ويهان يوم القيامة، ويُذيقه الله عذاب الحريق، ذلك الذي نالك أيها المتكبر المجادل المعاند المغرور، ذلك الذي نالك من العذاب بسبب ما اكتسبته يداك وما اجترمته من الآثام وأن الله ليس بظلام للعبيد، لا يبخص العبيد حقوقهم، بل جوزيته أيها الظالم المتكبر المتعالي المغرور بما كسبته يداك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ﴿وَلَا هُدًى﴾ يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان.

﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول.

﴿مُّنِيرٖ﴾ يقول ينير عن حجته. وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا، وذكر أن عني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد الدار.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾

يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ .

(٤٧٤) أحمر
أسود

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه ، وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبختره، وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخترا من الكبر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاوٍ رقبته.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ قال: لاويا رأسه، معرضا موليا، لا يريد أن يسمع ما قيل له، وقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥) [المنافقون: ٥] (وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا ﴾ [لقمان: ٧].

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولّي عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله ، أعرض عن داعيه ، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا.

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا، ليصدّ المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه، ﴿ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي ، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر.

وقوله: ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ﴾ يقول تعالى ذكره: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقال له إذا أذيق

(٤٧٥) أحمر
أسود

عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام، واكتسبته فيها من الإجرام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد، فيعاقب بعض عبيده على جُرْم، وهو يغفر مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب، فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلّدين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾، ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ أي: بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل بمجرد الرأي والهوى.

وقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ قال ابن عباس وغيره: مستكبرًا عن الحق إذا دعي إليه. وقال مجاهد، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ أي: لاوي عنقه، وهي رقبته، يعني: يعرض عما يدعى إليه من الحق رقبته استكبارًا، كقوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩﴾ [الذاريات: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ [النساء: ٦١]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥]: وقال لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] أي: تميله عنهم استكبارًا عليهم، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان: ٧].

(٤٧٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : قال بعضهم: هذه لام العاقبة؛ لأنه قد لا يقصد ذلك، ويحتمل أن تكون لام التعليل. ثم إما أن يكون المراد بها المعاندين ، أو يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الذي يجعله ممن يضل عن سبيل الله.

ثم قال تعالى: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو الإهانة والذل، كما أنه لما استكبر عن آيات الله لَقَّاه الله المذلة في الدنيا، وعاقبه فيها قبل الآخرة؛ لأنها أكبر هَمّه ومبلغ علمه، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له هذا تقريعًا وتوبيخا، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٧ – ٥٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – ومن الناس يُعبد الله ﷻ على شكٍّ وتردد، فهو مترددٌ بين الإيمان والكفر، وبين الإسلام والشرك، فإن أصابه خير كأن رُزق مالًا أو أنجبت زوجته ذكورًا أو عُوفي البدن بعد سقمٍ أو أنتجت إبلهم ومواشيهم أو غير ذلك من صور الخير اطمأن لهذا الدين، اطمأن للإسلام، وقال هذا دين خيرٍ، ودينٌ طيبٌ، وإن أصابه ابتلاء واختبار من الله ﷻ بقلةٍ في المال أو الولد أو رزقت امرأته إناثًا ولم تنتج إبله ومواشيه ولم ينزل عليه الغيث أو أصيب بالضر في بدنه، أو الضر في أهله، قال: هذا ليس بدين طيب

(٤٧٧) أحمر
أسود

ويرتد عن الإسلام إلى الكفر قد خسر بهذا الصنيع، وذلك الارتداد الدنيا والآخرة، خسر مودة أهل الإيمان في الدنيا، وخسر جنات النعيم في الآخرة، وورث في الدنيا الذل والصغار وفي الآخرة الشقاء والهوان، ذلك هو الخسران الموضح أنه صاحبه قد خسر يقينًا بلا شكٍّ ولا افتراءٍ.

وهذا الذي انقلب على وجهه اتجه بعد أن كان يدعو الله ﷻ إلى دعاء صنم أو وثن لا يملك له نفعًا ولا يكشف عنه ضرًّا، ذلك هو الضلال البعيد، الانصراف الشديد عن الحق، يدعو وثنًا أو صنمًا أو أي شيء كان، وكل هذه ضرها أقرب إليه من نفعها، بل لا نفع لها على الإطلاق فلبئس ابن العم الذي عبد غير الله، ولبئس الصاحب والمُعاشر الذي عبد غير الله، ولبئس الوثن الذي عُبد من دون الله.

أما أهل الإيمان في المقابل، وهم الذين ثبتوا على دينهم وعبدوا الله على كل حال في السراء والضراء، وكانوا له شاكرين وبقضائه وقدره راضين فهو الذين صدقت قلوبهم وانقادت جوارحهم ونطقت ألسنتهم بالتوحيد والقول الصالح وترتيل الكتاب العزيز هؤلاء يدخلهم الله ﷻ جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ فيعطي أهل كرامته من واسع فضله ويثيبهم ويعذب أهل معصيته والشرك به لا يمنعه مما يريد مانعٌ ولا يحول بينه وبين ما يريد حائلٌ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جلّ ذكره بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدّوا على أعقابهم،

(٤٧٨) أحمر
أسود

فقال الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ ﴾ على شك، ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأنّ به يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ﴾ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح، في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ قال: هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صَلَح من دنياه. وإذا أصابته شدّة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقوله: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ يقوله: غَبِن هذا الذي وصف جلّ ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة : يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذّب فيها بنار الله الموقدة. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ يقول : وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران : يعني الهلاك المبين : يقول : يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة .

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتدّ عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله

(٤٧٩) أحمر
أسود

ذهابا بعيدا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرّها في الآخرة له، أقرب وأسرع إليه من نفعها. وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرّه أقرب من نفعه.

وقوله: ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ ، يقول: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف. ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ يقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب: هو.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ قال: العشير: هو المعاشر الصاحب.

وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الولي الناصر.

وكان مجاهد يقول: عني بقوله: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ الوثن.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا، وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعني بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ﴾ يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته، وما شاء من الهوان أهل معصيته.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ قال: كان الرجل يَقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما، ونُتِجَت خيلُه، قال: هذا دين صالح. وإن لم تلد امرأته، ولم تُنتَج خيله

(٤٨٠) أحمر
أسود

قال: هذا دين سوء[١].

عن ابن عباس قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيُسْلِمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم، فإن وجدوا عام غَيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: «**إن ديننا هذا لصالح، فتمَسَّكُوا به**». وإن وجدوا عام جُدوبة وعام ولاد سَوء وعام قحط، قالوا: «**ما في ديننا هذا خير**». فأنزل الله على نبيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ أي: فلا هو حَصَل من الدنيا على شيء، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ أي: هذه هي الخسارة العظيمة، والصفقة الخاسرة.

وقوله: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها، وهي لا تنفعه ولا تضره، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ أي: ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن.

وقوله: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾: قال مجاهد: يعني الوثن، يعني: بئس هذا الذي دعا به من دون الله مولى، يعني: وليًا وناصرًا، ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ وهو المخالط والمعاشر.

واختار ابن جرير أن المراد: لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾.

وقول مجاهد: إن المراد به الوثن، أولى وأقرب إلى سياق الكلام، والله أعلم.

---

(١) البخاري (٤٧٤٢).

(٤٨١) أحمر
أسود

ولما ذكر أهل الضلالة الأشقياء، عطف بذكر الأبرار السعداء، من الذين آمنوا بقلوبهم، وصدّقوا إيمانهم بأفعالهم، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات، وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات، في روضات الجنات.

ولما ذكر أنه أضل أولئك، وهدى هؤلاء، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح. فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – من كان يظن أن الله ﷻ لن ينصر نبيه محمدًا ﷺ، ويغتاظ إذا نصر الله نبيه محمدًا ﷺ، ويغتاظ إذا نصر الله نبيه محمدًا ﷺ، ويريد أن يفعل أي شيء لمنع النصر عن هذا النبي الكريم ﷺ وذلك حتى يُذهب عن نفسه الغيظ الذي يحصل له إذا انتصر هذا النبي الكريم، فليفعل ما استطاع فمهما فعل لمنع النصر عن هذا النبي ﷺ، ومن ثمَّ لإذهاب الغيظ عن نفسه، فلن يستطيع بحالٍ من الأحوال أن يُذهب الغيظ عن نفسه، ولن يستطيع بحالٍ من الأحوال أن يمنع نصرة هذا النبي، فليذهب ولينتحر وليشنق نفسه حتى يذهب عنه هذا الغيظ، ولو فعل أيضًا وشنق نفسه وذلك بحبل نزل من السماء أو من سقف البيت، فلن يتوقف نصر هذا النبي الكريم ﷺ، وكذا لن يمنعه الله من رزق كتبه له، فكما أنه لن يمتنع النصر ولن

(٤٨٢) أحمر
أسود

يمتنع الرزق فكذلك فلن يذهب هذا الغيظ ولو انتحر هذا المغتاظ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ حاصل معناه: وكما بينت لكم حججي من قبلي، وقدرت على إحياء الأرض بعد موتها أنزلت هذا القرآن فيه آيات واضحات الدلالة ظاهرات المعاني، ولكن الله ﷻ هو الذي يوفق من أراد له الهداية والتوفيق.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالهاء التي في قوله: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾.

فقال بعضهم: عُنِي بها نبيّ الله ﷺ، فتأويله على قول بعض قائلي ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل، وهو السبب إلى السماء: يعني سماء البيت، وهو سقفه، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ، يقول: هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ.

وأورد عن قَتادة قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ يقول: بحبل إلى سماء البيت ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ يقول: ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ[1].

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ، ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه: فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع عن النبيّ ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله

(١) وهو صحيح بمجموع طريقيه عن قتادة.

(٤٨٣) أحمر
أسود

عنه، فكايد ذلك حتى قطع أصله عنه. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ ما دخلهم من ذلك، وغاظهم الله به من نصرة النبي ﷺ، وما ينزل عليه.

قال الطبري: وقال آخرون ممن قال «الهاء» التي في قوله: ﴿يَنصُرَهُ﴾ من ذكر محمد ﷺ؛ معنى النصر هاهنا الرزق، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام: من كان يظنّ أن لن يرزق الله محمدا في الدنيا، ولن يعطيه. وذكروا سماعا من العرب: من ينصرني نصره الله، بمعنى: من يعطيني أعطاه الله، وحكوا أيضا سماعا منهم: نصر المطر أرض كذا: إذا جادها وأحياها.

واستشهد لذلك ببيت الفقعسيّ:

وإنَّكَ لا تُعْطِي امْرأً فَوْقَ حَظِّهِ ... ولا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الغَيْثُ ناصِرُهُ

وقال آخرون: الهاء في ينصره من ذكر «مَنْ». وقالوا: معنى الكلام: من كان يظنّ أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ثم ليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ، أنه لا يرزق!

وأورد الطبري بسندٍ صحيح قال: سئل عكرمة عن قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: سماء البيت، (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) قال: يختنق.

قال الطبري:

وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبيّ الله ﷺ ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره، ذكر قومًا يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدّون عن دينهم لشدّة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن، إذ كان كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله

(٤٨٤) أحمر
أسود

محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سَني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبنّ كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يُؤَخِّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجَّل قبل حينه، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد ﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يُرَوُّوننا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مُذْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما بيَّنت لكم حُججي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه، فأوضحتها أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن آيات بيِّنات، يعني دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحقّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحقّ من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بيِّنات، فأن في موضع نصب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ﷺ في الدنيا والآخرة، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ أي: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سماء بيته، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾

(٤٨٥) أحمر
أسود

يقول: ثم ليختنق به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وأبو الجوزاء، وقتادة، وغيرهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: ليتوصل إلى بلوغ السماء، فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ذلك عنه، إن قدر على ذلك.

وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم؛ فإن المعنى: من ظن أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]؛ ولهذا قال: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات في لفظها ومعناها، حجةً من الله على الناس ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أي: يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أما هو فلحكمته ورحمته وعدله، وعلمه وقهره وعظمته، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال أبو جعفر النحاس: من أحسن ما قيل فيها أن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء. ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ثم

(٤٨٦) أحمر
أسود

ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ وحيلته ما يغيظه من نصر النبي ﷺ. والفائدة في الكلام أنه إذا لم يتهيأ له الكيد والحيلة بأن يفعل مثل هذا لم يصل إلى قطع النصر. وكذا قال ابن عباس: «إن الكناية في ﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ ترجع إلى محمد ﷺ، وهو وإن لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه؛ لأن الإيمان هو الإيمان بالله وبمحمد ﷺ، والانقلاب عن الدين انقلاب عن الدين الذي أتى به محمد ﷺ؛ أي من كان يظن ممن يعادي محمدا ﷺ ومن يعبد الله على حرف أنا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا». وعن ابن عباس أيضا «أن الهاء تعود على ﴿مَن﴾ والمعنى: من كان يظن أن الله لا يرزقه فليختنق، فليقتل نفسه؛ إذ لا خير في حياة تخلو من عون الله». والنصر على هذا القول الرزق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

في هذه الآية الكريمة أوجه من التفسير معروفة عند العلماء، وبعضها يشهد لمعناه قرآن.

الأول: أن المعنى: من كان من الكفرة الحسدة له ﷺ، ﴿يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾، أي أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي بحبل إلى السماء: أي سماء بيته، والمراد به السقف: لأن العرب تسمى كل ما علاك سماء كما قال:

وقد يسمى سماء كل مرتفع ... وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

كما أوضحناه في سورة الحجر.

والمعنى: فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ليختنق بالحبل، فيشده في عنقه، ويتدلى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت، وإنما أطلق القطع على الاختناق، لأن الاختناق يقطع النفس بسبب حبس

(٤٨٧) أحمر
أسود

مجاريه ، ولذا قيل للبهر وهو تتابع النفس : قطع ، (فَلْيَنظُرْ) إذا اختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ أي هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله نبيه ﷺ ، في الدنيا والآخرة .

والمعنى : لا يذهب ذلك الذي فعله ذلك الكافر الحاسد ما يغيظه ويغضبه من نصر الله لنبيه محمد ﷺ .

قال الزمخشري : وسمي فعله كيداً ، لأنه وضعه موضع الكيد ، حيث لم يقدر على غيره ، أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده ، إنما كاد به نفسه ، والمراد : ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه ا ه منه .

وحاصل هذا القول : أن الله يقول لحاسديه ﷺ ، الذين يتربصون به الدوائر، ويظنون أن ربه لن ينصره : موتوا بغيظكم ، فهو ناصره لا محالة على رغم أنوفكم ، وممن قال بهذا القول : مجاهد ، وقتادة ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو الجوزاء ، وغيرهم . كما نقله عنهم ابن كثير ، وهو أظهرها عندي .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ﴾ .

الوجه الثاني: أن المعنى : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة ، والحال أن النصر يأتيه ﷺ من السماء ، فليمدد بسبب إلى السماء فيرتقي بذلك السبب ، حتى يصعد إلى السماء ، فيقطع نزول الوحي من السماء ، فيمنع النصر عنه ﷺ .

والمعنى : أنه وإن غاظه نصر الله لنبيه . فليس له حيلة ، ولا قدرة على منع النصر، لأنه لا يستطيع الارتقاء إلى السماء ومنع نزول النصر منها عليه ﷺ: وعلى هذا القول : فصيغة الأمر في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ للتعجيز ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه ﷺ : هل يذهب

(٤٨٨) أحمر
أسود

كيده إذا بلغ غاية جهده في كيد النَّبي ﷺ ، ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ .

والمعنى : أنه إن أعمل كل ما في وسعه ، من كيد النَّبي ﷺ ليمنع عنه نصر الله ، فإنه لا يقدر على ذلك ، ولا يذهب كيده ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ .

ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [ص: ١٠-١١]

وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة الحجر .

وأورد قولًا ثالثًا وحكم عليه بالسقوط.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: إن الذين آمنوا والذين هادوا وهم اليهود، والصابئين، وهم قوم لا دين لهم، وقيل: هم قوم يعبدون الملائكة، والنصارى، والمجوس وهم قوم يعبدون النار ويخدمونها والذين أشكروا عن الله يفصل بينهم، يقضي بينهم يوم القيامة فيجازي كلًّا بعمله إن الله على كل شيء شهيد، شهيدٌ على الأقوال، وشهيدٌ على الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها ولا يغيب، بل ويعلم خائنات الأعين وما تخفيه الصدور، وسيجازي كلًّا بعمله.

هذا، ومن أهل العلم من كان يحمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ في هذا المقام على أهل النفاق، كالذي يفهم من صنيع الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما الأكثرون فحملوها على أهل الإيمان الذين هم أهل التصديق والعمل والشهادتين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٤٨٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم.

وأورد من طريق معمر عن قتادة قال: الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران. والذين أشركوا: يعبدون الأوثان. والأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ يقول: إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جلّ ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين -وقد قدمنا في سورة «البقرة» التعريف بهم، واختلافَ الناس فيهم-والنصارى والمجوس، والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه؛ فإنه تعالى ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ ، ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تُكِن ضمائرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٤٩٠) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي بـالله وبمحمـد ﷺ. ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ اليهود، وهم المنتسبون إلى ملة موسى عليه السلام. ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ هم قوم يعبدون النجوم. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى. ﴿وَٱلْمَجُوسَ ﴾ هم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلين : نور وظلمة. قال قتادة : الأديان خمسة ، أربعة للشيطان وواحد للرحمن. وقيل : المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات ؛ والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين ، والأيم والأين. وقد مضى في البقرة هذا كله مستوفى. ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾ هم العرب عبدة الأوثان . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي يقضي ويحكم ؛ فللكافرين النار ، وللمؤمنين الجنة.

وقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ أي من أعمال خلقه وحركاتهم وأقوالهم ، فلا يعزب عنه شيء منها ، سبحانه!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: ألم تعلم أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض عمومًا، فكل من في السموات والارض يسجد لله ﷻ، وإن كان الكافر يمتنع من السجود فظلُهُ يسجد، وكذا فهو يخضع لأمر الله وأقدار الله تجري فيه وهو يريد أو لا يريد.

وكذا تسجد لله ﷻ الشمس والقمر مكافيا لحديث عن أبي ذر رضي الله عنه في شأن الشمس أنها تذهب فتسجد تحت العرش، وكذا تسجد لله ﷻ النجوم كما

(٤٩١) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ [الرحمن: ٦].

والجبال كذلك تسجد لله ﷻ، والشجر كذلك يسجد لله وكل ما يدب على وجه الأرض، وكثيرٌ من الناس يسجد لله طوعًا واختيارًا، وكثير منهم أبى أن يسجد لله ﷻ مختارًا، وإن كان ظله يسجد لله، فمن ثمَّ ولكونه أبى أن يسجد، فحق عليه ما كتبه الله عليه من الشقاوة والعذاب، ومن يُهنه الله ﷻ ويذله فلن تجد له من يكرمه ويعزه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨ ﴾ فيهين من يشاء ويذله، ويكرم من يشاء ويعزه وعمومًا يفعل ما يريد ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجنّ وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدوابّ في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحولّ ظلّ كل شيء فهو سجوده.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعه.

وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يهنه الله من خلقه فَيُشْقِه، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفِّق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُشقي من أراد، ويسعد من أحبّ.

(٤٩٢) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بمعنى: فما له من إكرام، وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨]. وقال هاهنا: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدواب والطير، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ : إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عُبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وفي الصحيحين عن أبي ذر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت**» .

ثم قال ابن كير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: الحيوانات كلها.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ أي: يسجد لله طوعا مختارًا متعبدًا بذلك،

(٤٩٣) أحمر
أسود

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: ممن امتنع وأبى واستكبر، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل هنا سجود في هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾؟

ج: الأحاديث الواردة في السجود عند هذه الآية بخصوصها كلها ضعيفة الأسانيد لكن نقل بعض العلماء الإجماع على مشروعية السجود فيها.

قال ابن عبد البر[1]: وأجمعوا على أن الأُولى من الحج يُسجد فيها.

❁ ❁ ❁

(١) الاستذكار (٨/ ١٠٢)، ولمزيد انظر الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٩).

(٤٩٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾

[الحج: ١٩-٢٤].

(٤٩٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿خَصْمَانِ - ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ - قُطِّعَتْ لَهُمْ - ٱلْحَمِيمُ - يُصْهَرُ بِهِۦ - مَّقَٰمِعُ - مِنْ غَمٍّ - يُحَلَّوْنَ فِيهَا - أَسَاوِرَ - صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَصْمَانِ﴾	فريقان بينهما خصومة
﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾	تجادلوا في شأن الله ﷻ وتحاربوا من أجل ذلك فمن قائل إنه إله واحد وهم أهل الإيمان، ومنهم من جعل له شريك أو صاحبة أو ولد
﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾	فصِّلت لهم – خيِّطت
﴿ٱلْحَمِيمُ﴾	الماء المغلي الذي بلغ أعلى درجات غليانه
﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾	يُذاب به
﴿مَّقَٰمِعُ﴾	مطارق من حديد
﴿مِنْ غَمٍّ﴾	من شدة الغم والألم والعذاب
﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾	يلبسون فيها متحلين بها
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع أسورة، تُلبس في اليد
﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾	طريق الله ﷻ المحمود من أوليائه

❁ ❁ ❁

(٤٩٦) أحمر
أسود

س: ما المراد بالخصمين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم المتبارزون يوم بدر من أهل الإيمان حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ومن أهل الكفر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

أخرج البخاري من طريق قيس بن عباد قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ(١).

وعند البخاري أيضًا من طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ قَيْسٌ (وَهُوَ أَحَدُ الرّوَاة): وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، قَالَ: هُمْ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ(٢).

الثاني: أن المراد أهل الإيمان، وأهل الكتاب اليهود والنصارى.

الثالث: أن المراد أهل الإيمان، وأهل الكفر عمومًا.

الرابع: أن المراد الجنة والنار.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ. فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطْ قَطْ

(١) البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٣٠٣).
(٢) البخاري (٤٧٤٤).

(٤٩٧) أحمر
أسود

فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[١].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر.

وأورد بعض الآثار بذلك ثم قال:

وقال آخرون: ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان، بل الفريق الآخر أهل الكتاب.

وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا.

وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية: الجنة والنار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حقّ عليه العذاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ وقال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ فكان بيّنا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

---

(١) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٤٩٨) أحمر
أسود

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذرّ إنَّ ذَلكَ نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: هذان فريقان يختصمون في الله ﷻ منهم من يقول إنه إلهٌ واحدٌ ومنهم من يقول معه شريك، منهم من يقول سنبعث بعد الموت، ومنهم من يقول الله غير قادر على هذا.

منهم من يقول إن الله ﷻ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ومنهم من يدعي لله ﷻ الولد، فاختصموا في الله ﷻ، وهذان الفريقان قدمنا ذكرهما منهم المتبارزون يوم بدر، أهل الإيمان: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وأهل الكفر: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، تبارزوا بين يدي غزوة بدر، أي: قبيل المعركة خرجوا للمبارزة فكان النصر حليفًا لأهل الإيمان، ولا

(٤٩٩) أحمر
أسود

يقتصر الاختصام على هؤلاء، بل يمتد فيشمل كل كافر وكل مشرك.

ثم توعد الله ﷻ أهل الكفر فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ فصِّلت وخُيِّطت وحيكت لهم ثياب من نار على قدر أجسامهم ومع ذلك فالحميم، الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه يصب فوق رؤوسهم فيذاب به ما في بطونهم من أمعاء كما قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ فالذي في البطن من طعام وخلافه يُذاب وينصهر بسبب هذا الماء المغلي الذي يصب فوق رؤوسهم، وكذا تُصهر به الجلود وتذاب، ولهم أيضًا مقامع من حديد يضربون بها على رؤوسهم، فإذا رفعتهم النار على وجهها ضربوا بمطارق الحديد فردوا إلى أسفلها، فهذا قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ﴾ أرجعته مطارق الحديد التي يضرب بها على رأسه إلى النار مرةً ثانية، ويُقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرقة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن أورد الأقوال في الخصمين المختصمين في ربهم:

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ يقول: يذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رءوسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه فتتساقط، والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهرا؛ ومنه قول الشاعر.

تَرْوِي لَقًى أُلْقِي في صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ وَلا يَنْصَهِر

ومنه قول الراجز:

(٥٠٠) أحمر
أسود

شَـكَّ السَّـفافِيدِ الشَّـوَاءَ المُصْـطَهَرْ

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ تضرب رءوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم إليها.

وقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ يقول: كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب، ردّوا إليها.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي ظبيان، قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع، ويقولون لهم إذا ضربوهم بالمقامع: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وقال:

وعني بقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ ويقال لهم ذوقوا عذاب النار، وقيل عذاب الحريق والمعنى: المحرق، كما قيل: العذاب الأليم، بمعنى: المؤلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ كقوله: ﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٠] ومعنى الكلام: أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني من الفرق الذين تقدم ذكرهم. ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ أي خيطت وسويت ؛ وشبهت النار بالثياب لأنها

(٥٠١) أحمر
أسود

لباس لهم كالثياب. وقوله ﴿قُطِّعَتْ﴾ أي تقطع لهم في الآخرة ثياب من نار ؛ وذكر بلفظ الماضي لأن ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] أي يقول الله تعالى. ويحتمل أن يقال قد أعدت الآن تلك الثياب لهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار. وقال سعيد بن جبير: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ من نحاس؛ فتلك الثياب من نحاس قد أذيبت وهي السرابيل المذكورة في ﴿قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وليس في الآنية شيء إذا حمي يكون أشد حرا منه. وقيل: المعنى أن النار قد أحاطت بهم كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم ؛ فصارت من هذا الوجه ثيابا لأنها بالإحاطة كالثياب ؛ مثل ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]. ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ أي الماء الحار المغلى بنار جهنم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب. ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ والصهر إذابة الشحم. والصهارة ما ذاب منه ؛ يقال: صهرت الشيء فانصهر ، أي أذبته فذاب ، فهو صهير. قال ابن أحمر يصف فرخ قطاة:

تروي لقى ألقي في صفصف تصهره الشمس فما ينصهر

أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك. ﴿وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ أي وتحرق الجلود ، أو تشوى الجلود ؛ فإن الجلود لا تذاب ؛ ولكن يضم في كل شيء ما يليق به ، فهو كما تقول: أتيته فأطعمني ثريدا ، إي والله ولبنا قارصا ؛ أي وسقاني لبنا. وقال الشاعر:

علفتها تبنا وماء باردا

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ أي يضربون بها ويدفعون ؛ الواحدة مقمعة ، ومقمع أيضا كالمحجن ، يضرب به على رأس الفيل. وقد قمعته إذا ضربته

(٥٠٢) أحمر
أسود

بها. وقمعته وأقمعته بمعنى ؛ أي قهرته وأذللته فانقمع. قال ابن السكيت : أقمعت الرجل عني إقماعا إذا طلع عليك فرددته عنك. وقيل : المقامع المطارق ، وهي المرازب أيضا.

وقال القرطبي أيضًا:

وقيل : المقامع سياط من نار ، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب ، أي تذلله.

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ ﴾ أي من النار. ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالضرب بالمقامع. وقال أبو ظبيان : ذكر لنا أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش بهم وتفور فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان إليها بالمقامع. وقيل : إذا اشتد غمهم فيها فروا ؛ فمن خلص منهم إلى شفيرها أعادتهم الملائكة فيها بالمقامع ، ويقولون لهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ أي المحرق ؛ مثل الأليم والوجيع. وقيل : الحريق الاسم من الاحتراق. تحرق الشيء بالنار واحترق ، والاسم الحرقة والحريق. والذوق : مماسة يحصل معها إدراك الطعم ؛ وهو هنا توسع ، والمراد به إدراكهم الألم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾؟

ج: هذا – والله تعالى أعلم –: بيانٌ لما أعده الله ﷻ لأهل طاعته والإيمان به والعمل بما أمر واجتناب ما نهى عنه وجز فيقول تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾ حدائق وبساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا ﴾ يلبسون فيها حلية هي أساور من ذهب تلبس في أيديهم،

(٥٠٣) أحمر
أسود

ويحلون باللؤلؤ كذلك في الأيدي مع الأساور، وباللؤلؤ عمومًا في المواضع التي يُتزين فيها، أما عن الثياب المباشرة للأجسام فهي من حرير، ولكن شتان ما بين حرير الدنيا وحرير الآخرة، وهذا الحرير الذي كان محرمًا عليهم – على ذكورهم- في الدنيا أبيح لهم يوم القيامة. أما قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: وهداهم الله ﷻ إلى القول الطيب، وأطيب القول شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهدوا إلى طريق الله ﷻ المحمود من أوليائه الصالحين وعباده المطيعين، وهذا الطريق هو طريق الإسلام.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال، فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا.

وقوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم فيها ثياب حرير. قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: هدوا إلى الكلام الطيب: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله ؛ قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الربّ الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه

(٥٠٤) أحمر
أسود

وأمرهم أن يسلكوه؛ والحميد: فعيل، صرّف من مفعول إليه، ومعناه: أنه محمود عند أوليائه من خلقه، ثم صرّف من محمود إلى حميد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار، عياذًا بالله من حالهم، وما هم فيه من العذاب والنَّكال والحريق والأغلال، وما أعد لهم من الثياب من النار، ذكر حال أهل الجنة -نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة- فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أي: تتخرّق في أكنافها وأرجائها وجوانبها، وتحت أشجارها وقصورها، يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا، ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا ﴾ من الحلية، ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾ أي: في أيديهم، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه[1]: «**تبلغ الحِلْيَة من المؤمن حيث يبلغ الوُضُوء**».

وقوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾: في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم، لباس هؤلاء من الحرير، إستبرقه وسُنْدُسه، كما قال: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢ ﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢]، وفي الصحيح[2]: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**».

قال عبد الله بن الزبير: ومن لم يلبس الحرير في الآخرة، لم يدخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾

وقوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ كقوله ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣ ﴾

(١) مسلم (٤٠/ ٢٥٠).
(٢) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣)، وانظر كذلك البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).

(٥٠٥) أحمر
أسود

[إبراهيم: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب، ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٥]، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به، يقال لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم، على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم، كما جاء في الصحيح: «**إنهم يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النَّفَسَ**».

وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: الطريق المستقيم في الدنيا. وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي أرشدوا إلى ذلك. قال ابن عباس: «يريد لا إله إلا الله والحمد لله». وقيل: القرآن، ثم قيل: هذا في الدنيا، هدوا إلى الشهادة، وقراءة القرآن. ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي إلى صراط الله. وصراط الله: دينه وهو الإسلام. وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول، وهو الحمد لله؛ لأنهم يقولون غدا الحمد لله الذي هدانا لهذا، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن؛ فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول. وقد هدوا في الجنة إلى صراط الله، إذ ليس في الجنة شيء من مخالفة أمر الله. وقيل: الطيب من القول ما يأتيهم من الله من البشارات

(٥٠٦) أحمر
أسود

الحسنة. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ أي إلى طريق الجنة.

❁ ❁ ❁

(٥٠٧) أحمر
أسود

الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن
فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ
﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾
ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ
﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ
ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن
يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى
مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾

[الحج: ٢٥-٣١]

(٥٠٨) أحمر
أسود

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - سَوَآءً -ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ -يُرِدْ فِيهِ - بِإِلْحَادٍ - بَوَّأْنَا - وَٱلْقَآئِمِينَ - وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ - رِجَالًا - ضَامِرٍ - فَجٍّ عَمِيقٍ - أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ - بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ -ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ - لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ - وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ - وَلْيَطَّوَّفُوا -بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ - يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ - فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ - قَوْلَ ٱلزُّورِ -حُنَفَآءَ لِلَّهِ - خَرَّ -سَحِيقٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	ويصرفون الناس عن طريق الله ﷻ وعن دينه (عن الإسلام).
﴿سَوَآءً﴾	يستوي
﴿ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾	المقيم فيه والوافد إليه
﴿يُرِدْ فِيهِ﴾	ينوي فيه (شرًّا)
﴿بِإِلْحَادٍ﴾	إلحادًا، يعني ميلًا عن الحق إلى الباطل وعن الطاعة إلى المعصية
﴿بَوَّأْنَا﴾	أنزلنا – هيئنا – وضحنا – أظهرنا
﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾	القائمين في صلاتهم
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾	نادِ في الناس أن الله كتب عليكم الحج
﴿رِجَالًا﴾	على أرجلهم

(٥٠٩) أحمر
أسود

﴿ضَامِرٍ﴾	الإبل المضمرة هي التي أُعدت للسفر فأُطعمت طعامًا معينًا وحبست لتقوى على السير، وقيل: المراد الإبل الهزيلة من طول السفر
﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	طريق بعيد
﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾	المراد أيام العشر الأول من ذي الحجة، وقيل: هي يوم النحر وثلاثة أيام التشريق
﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	الأنعام الثمانية (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز) (الأنعام التي لا تتكلم)
﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾	الفقير شديد النقر، والمريض مرضًا مزمنًا
﴿لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾	ليتموا أعمال حجهم من حلق شعر وقص أظفار
﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾	ليفعلوا النذور التي أنذروها.
﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾	يطوفوا
﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	الكعبة قديمة البناء إذ هي أول بيت وضع للناس
﴿يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾	لا يتركب المحرمات التي حرمها الله ولا ينتهك حرمًا الأماكن التي حرمها الله
﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾	فابتعدوا عن الأصنام النجسة والنجسة عبادتها كذلك
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾	القول الذي فيه ميل عن الحق، ومنه الشرك، وشهادات الزور على العباد مائلين عن الشرك إلى
﴿خَرَّ﴾	سقط
﴿سَحِيقٍ﴾	عميق

(٥١٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – إن الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وأنكروها وجعلوا له شريكًا في الملك، هؤلاء من شأنهم أنهم يصرفون الناس عن طريق الله ﷻ وطريق جنته ومرضاته ويمنعونهم من الدخول في دينه الذي شرعه لعباده، وكذا يصدون أهل الإيمان، يمنعونهم من دخول المسجد الحرام وإقامة دينهم فيه، ويمنعونهم من الحج والاعتمار كالذي صدر عام الحديبية، إذ منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من الدخول للاعتمار.

فقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) خبرٌ وجوابه أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، كما في الآية الأخرى في شأن أهل الإيمان الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله فمن الأقوال فيها.

الذين آمنوا شأنهم وخبرهم أن قلوبهم تطمئن بذكر الله ﷻ.

فهذا وجهٌ من الوجه.

ووجهٌ آخر أن يقال: إن الذين كفروا وصدوا الناس عن الإيمان ومنعوهم من الدخول في الإسلام، وكذا منعوا الناس من بيت الله الحرام والحج والاعتمار والصلاة فيه، عليهم أن يعلموا أن من يُرد فيه إلحادًا (ميلًا عن الحق إلى الباطل وعن الطاعة إلى المعصية، وعن العدل والاتصاف إلى الظلم والعدوان وميلًا عن الإيمان إلى الشرك وغير ذلك من صور الإلحاد) من يرد هذه الإلحاد، وهو ظالم نذقه من عذاب أليم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ أخبر بأنه جعل المسجد الحرام للناس كلهم سواء أهل مكة والحرم

(٥١١) أحمر
أسود

وهم العاكفون فيها وسواء الوافدون على مكة.

فهؤلاء وأولئك سواء في المسجد الحرام يستوون فيه.

أما قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾ فمن العلماء من قال إن الناس (المسلمين) كلهم سواء في مكة، ينزلون فيها حيث شاءوا ويتنقلون فيها حيث أرادوا ويعبدون ربهم ﷻ موحدين وكلهم سواء في المنازل، ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ أي: أن أهله والوافدين عليه سواء في العبادة لا يُمنعون ولا يُصدون عنه، أما البيوت فيجوز تأجيرها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ فمن العلماء من قال: إن الباد في قوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ كالباء في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والمعنى تنبت الدهن فبنحو هذا قالوا في قوله تعالى: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي: إلحادًا بظلم.

ثم إن من العلماء من قال: إن إرادة السوء والعزم على فعله في الحرم يعذب صاحبه أشد من عزمه في أي مكان كان، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ ثم تعددت أقوال العلماء في بيان صورة الإلحاد الذي عناه الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ مع العلم بأن معنى الإلحاد الميل، فمن قائل من العلماء أن الإلحاد هو الشرك، ومنه الميل عن التوحيد.

فالمعنى ومن يرد فيه شركًا فعبد غير الله ﷻ، وهو لنفسه ظالم، قد بخسها حقها إذ أنزلها بشركه أسوأ المنازل.

ومن العلماء من قال: إن الإلحاد استحلال فعل المحرمات في الحرم.

ومنهم من قال: إنه يدخل فيه احتكار الطعام وظلم العباد.

ومنهم من قال: إن الإلحاد فعل المنهي عنه عمومًا.

(٥١٢) أحمر
أسود

من الشرك والكفر والمعاصي وظلم العباد والبدع وغير ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض؛ ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به؛ والباد: وهو المنتاب إليه من غيره.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه؛ والباد، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي حصين، قال: قلت لسعيد بن جُبير: أعتكف بمكة، قال: أنت عاكف. وقرأ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ .

وبإسناد صحيح قال ابن زيد، في قوله: ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ قال: العاكف فيه: المقيم بمكة؛ والباد: الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت.

وأورد بإسناد فيه مقال عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يرد فيه إلحادا بظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم، وأدخلت الباء في قوله بإلحاد، والمعنى فيه ما قلت، كما أدخلت

(٥١٣) أحمر
أسود

في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والمعنى: تنبت الدهن.

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به: أي بالبيت.

وأورد بإسناد فيه مقالٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ يقول: بشرك.

وبإسناد صحيح عن سليمان بن طرفان: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ قال: هو الشرك، ومن أشرك في بيت الله عذبه الله.

قال الطبري: وقال آخرون: هو استحلال الحرم فيه أو ركوبه[١].

وأورد بإسناد حسن عن مُرة عن عبد الله (وهو ابن مسعود) قال: ما من رجل يهم بسيئةٍ فتكتب عليه ولو أن رجلًا بعدن أَبين هم أن يقتل رجلًا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم[٢].

ثم قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرم متعمدا.

وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة.

وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو، قال: كان له فسطاطان: أحدهما في الحلّ، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحلّ، فسئل عن ذلك، فقال: كنا نحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

---

(١) معنى ركوبه أي: ركوب المعاصي والمحرمات، يعني: فعلها.

(٢) (عدن أبين) بلدة معروفة.

(٥١٤) أحمر
أسود

ثم قال أبو جعفر[١]: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معنيّ بالظلم في هذا الموضع كلّ معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على الكفار في صَدّهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام، وقضاء مناسكهم فيه، ودعواهم أنهم أولياؤه: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية، كما قال في سورة «البقرة»: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: هاهنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، أي: ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر، وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] أي: ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ أي: يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام، وقد جعله الله شرعا سواء، لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه، ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ ومن ذلك

(١) وهو الطبري.

(٥١٥) أحمر
أسود

استواء الناس في رباع مكة وسكناها، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ قال: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

وقال مجاهد: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ : أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض وجوه الاختلاف في ذلك فقال:

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهَويه بمسجد الخِيف، وأحمد بن حنبل حاضر أيضًا، فذهب الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر، واحتج بحديث الزهري، عن علي بن الحُسَين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، أتنزل غدًا في دارك بمكة؟ فقال: «**وهل ترك لنا عَقيل من رباع**» . ثم قال: «**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر**»(١) . وهذا الحديث مُخَرّج في الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية دارا بمكة، فجعلها سجنا بأربعة آلاف درهم. وبه قال طاوس، وعمرو بن دينار.

وذهب إسحاق بن راهَويه إلا أنها تورث ولا تؤجر. وهو مذهب طائفة من السلف، ونص عليه مجاهد وعطاء.

وأورد بعض الآثار والأحاديث فيها بعض المقال ثم قال:

«وتوسط الإمام أحمد فقال: تملك وتورث ولا تؤجر، جمعا بين الأدلة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ قال بعض المفسرين من أهل العربية: الباء هاهنا زائدة، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون:

(١) البخاري (٤٢٨٢، ٤٢٨٣).

(٥١٦) أحمر
أسود

٢٠] أي: تُنْبِتُ الدهن، وكذا قوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ تقديره إلحادًا، وكما قال الأعشى:

ضَمنَتْ برزق عيالنا أرْماحُنا بين المَرَاجِل، والصّريحَ الأجرد

وقال الآخر:

بوَاد يَمانٍ يُنْبِتُ الشَّثّ صَدْرُهُ وَأسْفَله بالمَرْخ والشَّبَهَان

والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى «يَهُمّ»، ولهذا عداه بالباء، فقال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي: يَهُمّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

وقوله: ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ أي: عامدا قاصدا أنه ظلم ليس بمتأول

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقَب البادي فيه الشر، إذا كان عازما عليه، وإن لم يوقعه.

ثم قال ابن كثير بعد إيراد جملة من الآثار:

وهذه الآثار، وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد، ولكنْ هُو أعم من ذلك، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ٤ ، ٥]، أي: دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراده بسوء؛ ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**يغزو هذا البيت جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بأولهم وآخرهم**» الحديث[1].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ قيل: إنه المسجد نفسه، وهو ظاهر

(١) انظر البخاري حديث (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨١).

(٥١٧) أحمر
أسود

القرآن ؛ لأنه لم يذكر غيره. وقيل : الحرم كله ؛ لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية ، فنزل خارجا عنه ؛ قال الله تعالى : ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح : ٢٥] وقال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء : ١]. وهذا صحيح ، لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ أي للصلاة والطواف والعبادة ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ٩٦]. ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ العاكف : المقيم الملازم. والبادي : أهل البادية ومن يقدم عليهم. يقول : سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه الحاضر والذي يأتيه من البلاد ؛ فليس أهل مكة أحق من النازح إليه. وقيل : إن المساواة إنما هي في دوره ومنازله ، ليس المقيم فيها أولى من الطارئ عليها. وهذا على أن المسجد الحرام الحرم كله ؛ وهذا قول مجاهد ومالك ؛ رواه عنه ابن القاسم. وروي عن عمر (١) وابن عباس وجماعة «إلى أن القادم له النزول حيث وجد ، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى». وقال ذلك سفيان الثوري وغيره ، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول ، كانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة ؛ فاتخذ رجل بابا فأنكر عليه عمر وقال : أتغلق بابا في وجه حاج بيت الله ؟ فقال : إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة ، فتركه فاتخذ الناس الأبواب. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا أنه كان يأمر في الموسم بقلع أبواب دور مكة ، حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شاء ، وكانت الفساطيط تضرب في الدور. وروي عن مالك أن الدور ليست كالمسجد ولأهلها الامتناع منها والاستبداد ؛ وهذا هو العمل اليوم. وقال بهذا جمهور من الأمة.

(١) والسند إلى عمر فيه كلام.

(٥١٨) أحمر
أسود

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ شرط، وجوابه ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾.

والإلحاد في اللغة: الميل؛ إلا أن الله تعالى بين أن الميل بالظلم هو المراد.

ثم قال: وهذا الإلحاد والظلم يجمع المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه. ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة. هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم. وقد ذكرناه آنفا.

❁ ❁ ❁

س: هل السيئات تضاعف بمكة؟

ج: أما كخبرٍ صريحٍ عن رسول الله ﷺ فلا أعلم شيئًا ثابتًا، إما مستنبطًا فهنالك أدلة على أن جزاء السيئات بمكة أعظم من جزائها بغيرها.

ومن ذلك قوله تعالى في شأن الحرم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فمعناه أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم، ومن مفهومه أن من ظلم انتهك حرمة النهي أيضًا.

وكذلك قوله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذه...**»(١).

إلى غير ذلك من العمومات الواردة في هذا الصدد، وقد تقدمت بعض الآثار في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات، فتكون المعصية معصيتين، إحداهما: بنفس المخالفة، والثانية: بإسقاط حُرمة البلد الحرام؛ وهكذا الأشهر الحُرُم سواء.

---

(١) انظر البخاري حديث (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(٥١٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله إذ أنزلنا إبراهيم عليه السلام بمكة عند المكان الذي فيه البيت الحرام، وأرشدناه إلى مكان البيت وبيَّناه له وأذنّ له في بنائه، وعهدنا إليه عهدًا أن يبني البيت على اسم الله وحده، وكي يُعبد الله عز وجل وحده، وحذرنا إبراهيم عليه السلام، وغيره له تبع من الشرك وأمرناه أن يطهر هذا البيت، يطهره من الشرك والبدع والخرافات والمحدثات والقاذورات إن اعتراه شيء من ذلك.

طهراه ونظفاه للطائفين الذين يريدون الطواف بالكعبة إذ هي البيت كما قال تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وكذا طهراه لمن يريد الصلاة فيه بما فيها من ركوع وسجود وقيام

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعْلِمَه عظيم ما ركب من قومه قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والرِّيَب والشرك: واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم، يعني بقوله: بوأنا: وطأنا له مكان البيت.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل، وأخذا المعاول، لا يدريان أين البيت، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخَجُوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكنست لها ما حول الكعبة عن أساس

(٥٢٠) أحمر
أسود

البيت الأوّل، واتبعاها بالمعاول يحفران، حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني بالبيت: الكعبة ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ في عبادتك إياي ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ الذي بنيته من عبادة الأوثان.

قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ ﴾ يعني اللطائفين به والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ قال: القائم والراكع واساجد هو المصلي والطائف هو الذين يطوف به. وقوله: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾. يقول: والركع السجود في صلاتهم حول البيت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسسّتْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بَوأ إبراهيم مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه.

واستدل به كثير ممن قال: «إن إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله»، كما ثبت في الصحيح (١) عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، أي مسجد وُضعَ أول؟ قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أي؟ قال: «**بيت المقدس**». قلت كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**».

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ

(١) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠/٢٢١).

(٥٢١) أحمر
أسود

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقال تعالى هاهنا: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا ﴾ أي: ابْنه على اسمي وحدي، ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ قال مجاهد وقتادة: من الشرك، ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له.

فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها، ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ أي: في الصلاة؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ فقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه في غالب الأحوال، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب، وفي النافلة في السفر، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي واذكر إذ بوأنا لابراهيم، يقال: بوأته منزلا وبوأت له.

كما يقال: مكنتك ومكنت لك، فاللام في قوله: ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ صلة للتأكيد، كقوله: ﴿ردف لكم﴾ [النمل: ٧٢]، وهذا قول الفراء.

وقيل: ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي أريناه أصله ليبنيه، وكان قد درس بالطوفان وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمره الله ببنيانه، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثرا، فبعث الله ريحا فكشفت عن أساس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فرتب قواعده عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٥٢٢) أحمر
أسود

وقالت فرقة: الخطاب من قوله: ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ ﴾ لمحمد ﷺ، وأمر بتطهير البيت والاذان بالحج.

والجمهور على أن ذلك لابراهيم، وهو الاصح.

وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء.

وقيل: عنى به التطهير عن الاوثان، كما قال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠]، وذلك أن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت وحوله قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام.

وقيل: المعنى نزه بيتي عن أن يعبد فيه صنم.

وهذا أمر بإظهار التوحيد فيه.

س: الذي ييسر للناس أمر عبادتهم له في ذلك أسوة وهو مثاب في ذلك وضح ذلك.

ج: نعم الذي ييسر للناس أمر عبادتهم كأن ينشأ مسجدًا للصلاة فيه أو الاعتكاف أو يأتيهم بمصحف أو بكتاب علم يدارسونه أو ييسر لهم سبيل الحج والعمرة أو غير ذلك من صور تيسير العبادات له في ذلك سلف صالح وهو إبراهيم عليه السلام إذ الله أمره أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع والسجود.

وقد ثبتت عن النبي عليه السلام عدة أحاديث في فضل بناء المساجد وتطهرها وتظيفها فكل ذلك دالُ على ذُكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ

(٥٢٣) أحمر
أسود

مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم أمرٌ من الله ﷻ الخليل إبراهيم عليه السلام أن يُنادى في الناس أن الله ﷻ قد فرض عليكم الحج فحجوا، وقد قال بعض العلماء إن المراد بالناس هنا أهل الإسلام، فنادى إبراهيم عليه السلام في الناس كما أمره ربُّه ﷻ فبلغ الله نداءه إلى الخلق فإن قيل، وكيف كان ذلك فالجواب الطريقة التي يريدها الله ﷻ والتي حصل بها البلاغ على ألسنة الرسل، وقد وصل بها إلينا عن طريق سيدنا محمد ﷺ وبالقرآن الذي أنزل الله ﷻ عليه هذا، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يصح بمجموع طرقه، وحاصله أن إبراهيم عليه السلام أُمر بالبلاغ فقال يا رب وإلى أي مدى يبلغ صوتي؟ فأجيب بما حاصله أن عليك الأذان وعلى الله البلاغ فنادى في الناس بالحج فسمعه ما بين السماء والأرض..

قلت (مصطفى): والحاصل أن من على كل شيء قدير، وقد أمتثل الخليل عليه السلام الأمر وبلغ الله ﷻ نداءه واستجاب لذلك أهل الإيمان.

أن قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي يأتون بيت الله الحرام مشاة على أرجلهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ فحاصل معناه أنهم وكما أن منهم من يأت ماشيًا، فمنهم أيضًا من يأتون ركبانا على الإبل التي ضمرت أُعلفت علقًا معينًا وحبست بطريقة معينة حتى تقوى على المسير موصلة إلى البيت العتيق ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ من كل طريق بيعد، ومن كل مكان بعيد، وصلت وهي مهزولة مرهقة من طول السفر ووعثاءه إلى بيت الله الحرام.

وهنا قد أثار العلماء سؤالًا حاصله هل الحج ماشيًا أفضل أم الحج راكبًا

(٥٢٤) أحمر
أسود

فرجح بعضهم المشي لكون الماشي ذكرًا أولًا في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ وحج آخرون الركوب لأن النبي ﷺ حج راكبًا والظاهر، والله أعلم أن هذا يختلف من شخصٍ على شخصٍ، ومن حال إلى حال.

أما قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي ليشهد هؤلاء الحجيج منافع لهم من وراء اجماعهم ومن قدومهم إلى الحج، ومن تلك المنافع اجتماعاتهم التي يجتمعون فيها ويتباحثون في أمورهم وما ينفعهم. ومن تلك المنافع تبادل السلع والتجارات والأرباح من وراء تلك التجارات، فهذه الآية دليل لمن قال بجواز التجارة في موسم الحج، وكذا من الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] فهي دالة أيضًا على جواز الإتجار في الحج، وقد فصلت فيه في سورة البقرة.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فقد اختلف العلماء في المراد بالأيام المعلومات فقال كثيرٌ من أهل العلم إنها العشر الأول من ذي الحجة، وقالوا وهي التي أقسم الله بها إذ قال (وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢) [الفجر: ١-٢].

وقال بعضهم إنها الأيام التي عناها الله بقوله: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] العشر وقد ورد في فصل العشر الأول من ذي الحجة بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ منها ما أخرجه البخاري (١) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « **مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ** ». يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ**».

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

(٥٢٥) أحمر
أسود

وفي رواية لأبي داود (١) «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ». يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ «وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ».

وقد قدمت الحديث في ذلك في سورتي الفجر والبقرة.

* أن القول الثاني: في المراد بالأيام المعلومات أنها يوم النحر وثلاث أيام من ذي الحجة، أي أيام التشريق الثلاثة، والله أعلم.

هذا ولهذه الآية الكريمة، وعند من ذهبوا إلى أن الأيام المعلومات هي أيام العشر الأول من ذي الحجة لهذا ذهب كثير من العلماء إلى استحباب بالإكثار من ذِكر الله ﷻ فيها للآية ولما ذكرت من الحديث عن رسول الله ﷺ.

أم قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي يذكرُ اسم الله عليها عند إرادة ذبحها أو نحرها.

فإن قال قائل، وما بصحبة الأنعا؟ فجوابه أن الأنعام كثيرًا ما تطلق ويراد بها الأنعام الثمانية التي عناها الله بطوله ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٨] وقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. فهي الجل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي من العز.

وأحيانًا تطلق الأنعام، ويراد بها الإبل خاصة (الجمل والناقة)

فإن قال قائل والذبائح التي تذبح في هذه الأيام العشر،؟ وهي الأضاحي لا تكون إلا بعد صلاة العيد.

أما الذبائح التي تذبح فيمكن أن تحل على ذبائح تطوع يتطوع بها المحسنون في تلك الأيام من باب إطعام الطعام.

---

(١) أبو داود (٢٤٣٨).

(٥٢٦) أحمر
أسود

أما قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾.

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ أي الفقير شديد الفقر والمسكين وقيل الفقير الزمي على الفقير المريض مرضًا مُزمنان فل مال عنده للإنفاقن ولا قدره له على العمل والكسب أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ أي ثم ليتموا أعمال نسكم فيحلفوا رؤوسهم ولا يقصوا أظافرهم ويرزقوا وينتفوا آباطهم ويخلعوا ملابس أجسامهم ويتموا ما بقي من أعمال نسكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ تلك النذور التي قطعوها على أنفسهم وأخذوها على أنفسهم، فمنهم من كان نذر أن ينحر عند الحرم أو بذبح عنده أو في منى أو في غيرها من الحرم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

أي ليطوفوا حول الكعبة، قال بعض أهل العلم أن المراد بالطواف طواف الإفاضة وقال آخرون إنه طواف الوداع بعد قضاء الحج وعد إرادة الانصراف، وقيل إنه طواف تطوع فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ فقيل إن معناه القديم، إذ الله قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وكما في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد سأله أبو ذر يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال المسجد الحرام قال ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى (١).

وقيل العتيق المعتق من الجبابرة لم يستلطوا عليه، والأول أظهر والله أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

(١) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٥٢٧) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: عهدنا إليه أيضا أن أذّن في الناس بالحجّ: يعني بقوله: ﴿وَأَذِّن﴾ أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يقول: وركبانًا على كلّ ضامر، وهي الإبل المهازيل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فجّ عميق: يقول: من كلّ طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: يأتين. فجمع لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكلّ: الجمع، فلذلك قيل: يأتين. وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كلّ رجل قائمين. قال: وهو صواب، وقول الله ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ ينبىء على صحة جوازه. وذُكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحجّ، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس أن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق.

وقد اختُلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادى بذلك.

وأورد من وجوه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تصح بمجموع طرقها أنه قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال: ربّ ومَا يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون.

وفي لفظٍ آخر عن ابن عباس قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذّن في الناس بالحجّ، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبَّيك اللهم لبَّيك.

(٥٢٨) أحمر
أسود

وفي لفظ ثالث: قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبَّيك اللهمّ لبَّيك.

وبالجملة فهذه تصح بمجموعها عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن سعيد بن جُبير: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ قال: وقرت في قلب كل ذكر وأنثى.

وبإسنادٍ يصحح قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: فأرجو من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام.

ثم قال: وقال آخرون في ذلك.

ثم أورد أثر مجاهد قال: قيل لإبراهيم، أذن في الناس بالحجّ، قال: يا ربّ كيف أقول؟ قال: قل لبيك اللهمّ. قالك فكانت أول التلبية.

وسنده صحيح إلى مجاهد وأورد آثار في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يعني مشاة وعلى كل ضامر (الإبل).

و﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ من كل مكان بعيد.

ثم قال: قوله: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هي التجارة ومنافع الدنيا.

وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا.

وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من

(٥٢٩) أحمر
أسود

العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت.

وقوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وكي يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدْن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم، في أيام معلومات، وهنّ أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العَشْر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق.

وقوله: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جلّ ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحُجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب.

وأورد بإسناد صحيح: عن مجاهد، أنه قال: هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل، وهي كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ﴾ [المائدة: ٢] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] يعني قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ﴾ [الحج: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول:

وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُدنكم البائس، وهو الذي به ضرّ الجوع والزمانة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له.

وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ يقول: تعالى ذكره: ثم ليقضوا ما عليهم من

(٥٣٠) أحمر
أسود

مناسك حجهم: من حلق شعر، وأخذ شارب، ورمي جمرة، وطواف بالبيت.

وقوله: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ يقول: وليوفوا الله بما نذروا من هَدي وبدنة وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: وليطوّفوا ببيت الله الحرام.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: قيل ذلك لبيت الله الحرام، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه.

وقال آخرون: قيل له عتيق، لأنه لم يملكه أحد من الناس.

وقال آخرون: سُمِّي بذلك لقدمه.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ قال العتيق: القديم، لأنه قديم، كما يقال: السيف العتيق، لأنه أوّل بيت وُضع للناس بناه آدم، وهو أوّل من بناه، ثم بوّأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق، فبناه إبراهيم وإسماعيل.

وعني بالطواف الذي أمر جلّ ثناؤه حاجُّ بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطاف به بعد التعريف، إما يوم النحر وإما بعده، لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه. فَذُكر أنه قال: يا رب، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقيل: ناد وعلينا البلاغ.

فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي

(٥٣١) أحمر
أسود

قُبَيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمَعَ مَن في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حَجَر ومَدَر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: «لبيك اللهم لبيك».

هذا مضمون ما روي عن ابن عباس وقوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ قد يَستدلّ بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا، لمن قدر عليه، أفضلُ من الحج راكبا؛ لأنه قدمهم في الذكر، فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم، والذي عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته، عليه السلام.

وقوله: ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ يعني: طريق، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقوله: ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي: بعيد.

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم، حيث قال في دعائه: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار.

قال ابن عباس: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات. وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة، كقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقوله: ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ قال شعبة وهُشَيْم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس: الأيام المعلومات:

(٥٣٢) أحمر
أسود

أيام العشر، وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به . ويروى مثله عن أبي موسى الأشعري، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وإبراهيم النَّخعي. وهو مذهب الشافعي، والمشهور عن أحمد بن حنبل.

وقال البخاري (١): حدثنا محمد بن عَرْعَرَة، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل، يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**».

وأورد آثارًا في هذا الباب.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال: سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة، فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية**»(٢) ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله .

وبالجملة، فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، ففضله كثير على عشر رمضان الأخير؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك، من صيام وصلاة وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.

وقوله: ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم، كما فصلها تعالى في سورة الأنعام وأنها ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٣].

وقوله ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ استدل بهذه الآية من ذهب

(١) البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (١٤٣٨)، وأحمد (٢٢٤/١) بنحو ذلك.
(٢) مسلم (١١٦٢).

(٥٣٣) أحمر
أسود

إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو قول غريب، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب، كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ، فأكل من لحمها، وحسا من مرقها (١).

وقوله: ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾، قال عكرمة: هو المضطر الذي عليه البؤس، الضعيف.

وقال مجاهد: هو الذي لا يبسط يده. وقال قتادة: هو الزّمِن. وقال مقاتل بن حيان: هو الضرير.

وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار، ونحو ذلك.

وأورد آثارًا في قوله: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ إنها الذبائح ونذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج.

وأورد في تفسير البيت العتيق نحوًا مما قدمته.

وأورد حديثًا ضعيفًا عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار**» (٢).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ذلك الذي أمرتكم به من الحج ومن نداء إبراهيم

(١) انظر مسلم (٨/ ١٢).
(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣١٧٠) وهو ضعيف من وجوه.

(٥٣٤) أحمر
أسود

عليه السلام لكم به ومن قضاء التفث والوفاء بالنذر، هو الفرض الذي أوجبه الله عليكم في حجكم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي ومن يعظم ما حرمه الله فلا يقترب من المحرمات التي حرمها الله، ويعظم مكة والحرم والناسك فلا ينتهك الحرمات ولا يرتكب المحرمات بل يعظم حدود الله وال يتعداها ولا يتخطاها فهذا التعظيم خير له عند الله عز وجل وله بذلك جميل الأجر وحسن الثواب.

ثم يبين الله عز وجل ما أحله لعباده المؤمنين.

فيقول تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي وقد أحللنا لكم الأنعام كي تأكلوها، وهي الأنعام الثمانية (الجمل والناقة، والثور والبقرة، والكبش والنعجة والجدي والمعز) إلا ما يُتلى عليكم من المحرمات ألا وهو المذكوره في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ...﴾.

أما قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان فإن عبادتها نجاسة للمعتقد وكذا فالأوثان (الأصنام) هي نجسة نجاسة عينية. واجتنبوا قول الزور على الله عز وجل وعلى الخلق، فلا تقولوا على الله زورًا فالله عز وجل لا شريك له فلا تدعوا له الشريك، والله عز وجل لا ولد له فلا تدعو له الولد والله عز وجل لا صاحبة له ولا ندَّ له ولا مثيل فلا تدعوا له شيئا من ذلك، ولا تقول على الله غير الحق.

وكذا لا تشهدوا على العباد زورًا وباطلًا فإن الشرك بالله وشهادة الزور أكبر الكبائر كما بيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثين:

ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَكْبَرُ

(٥٣٥) أحمر
أسود

الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلاَثًا - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (١) .

أما قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي مائلين عن الشرك والكفر إلى التوحيد مخلصين في ذلك لله ﷻ ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ في عبادته أحدًا سواه غير متخذين إلهًا معه ثم ضرب مثل للمشرك بالله وعقابهن فقال ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ يعبد معه غيره ويزعم أنه الله معه إله آخر ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ سقط من السماء وقبل وصوله إلى الأرض تخطفه النسور والصقور فأكلته في الجو قبل أن يصل إلى الأرض، وإن قدر وسلم من الصقور والنسور والجوارح هوت به الريح إلى مكان عميق جدًا في الأرض وفي هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام أحمد (٢) وغيره ...ففيه وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِى انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِىءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِى إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ - قَالَ - فَتُفَرَّقُ فِى جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِى يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِى تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِى كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِى الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] « فَيَقُولُ اللهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِى سِجِّينٍ فِى الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).
(٢) أحمد (٢٨٧/٤) بسندٍ صحيح.

(٥٣٦) أحمر
أسود

رُوحُهُ طَرْحًا ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ».

وبنحو م ذكرت قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم (وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ يقول:ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرمَه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ ﴾ قال: الحرمات: المَشْعَر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، هؤلاء الحرمات.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ يقول جل ثناؤه:وأحلّ الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكَّيتموها، فلم يحرّم عليكم منها بحيرة، ولا سائبة، ولا وَصِيلة، ولا حاما، ولا ما جعلتموه منها لآلهتكم (إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يقول: إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله، وذلك: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردّية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذُبح على النُّصب، فإن ذلك كله رجس.

وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ يقول: فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس.

وقوله: ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾

(٥٣٧) أحمر
أسود

[الزمر: ٣] وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله.

وأورد بإسناد حسن موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال: تعدل شهادة الزور بالشرك، وقرأ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾.

وقد ورد في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ وفيه مقال.

ألا وهو عدلت شهادة الزور والشرك بالله ثم قرأ ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾.

يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعده الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ ومنه قول الشاعر:

كانَتْ لنَا جارَةٌ فأزْعَجَها ... قاذُورَةٌ تَسْحَقُ النّوَى قَدُمَا

ويُروى: تسحق: يقول: فهكذا مثَل المشرك بالله في بُعده من ربه ومن إصابه الحقّ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

وقيل: ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ وقد قيل قبله: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وخرّ

(٥٣٨) أحمر
أسود

فعل ماض، وتخطفه مستقبل، فعطف بالمستقبل على الماضي، كما فعل ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وقد بيَّنت ذلك هناك.

يقول تعالى: هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك، وما لفاعلها من الثواب الجزيل.

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه، ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات و[اجتناب] المحظورات.

قال ابن جريج: قال مجاهد في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ قال: الحرمة: مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. وكذا قال ابن زيد.

وقوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أحللنا لكم جميع الأنعام، وما جعل الله من بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حام.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: من تحريم ﴿ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ الآية [المائدة: ٣]، قال ذلك ابن جرير، وحكاه عن قتادة.

وقوله: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾: «من» هاهنا لبيان الجنس، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وقرن الشرك بالله بقول الزور، كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ومنه شهادة الزور. وفي الصحيحين عن أبي بَكْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى، يا رسول الله. قال:

(٥٣٩) أحمر
أسود

«**الإشراك بالله وعقوق الوالدين** -وكان متكئا فجلس، فقال:-**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت (١).

وقوله: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾ أي: مخلصين له الدين، منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق؛ ولهذا قال ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾

ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: سقط منها، ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ ، أي: تقطعه الطيور في الهواء، ﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: بعيد مهلك لمن هوى فيه؛ ولهذا جاء في حديث البراء: (٢) «**إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت، وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحا من هناك**». ثم قرأ هذه الآية، وقد تقدم الحديث في سورة «إبراهيم» بحروفه وألفاظه وطرقه.

وقد ضرب تعالى للمشرك مثلا آخر في سورة «الأنعام» ، وهو قوله: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٧١] الآية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه ضرا ولا عذابا، فهو بمنزلة من خر من السماء، فهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه.

ومعنى، (فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ أي تقطعه بمخالبها.

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٥٤٠) أحمر
أسود

وقيل: هذا عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى سماء الدنيا، فلا يفتح لها فيرمى بها إلى الارض، كما في حديث البراء، وقد ذكرناه في التذكرة.

والسحيق: البعيد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فسحقا فسحقا».

❁ ❁ ❁

(٥٤١) أحمر
أسود

مبحث في الحج
فرض الحج

س: اذكر ما يدل على فرضية الحج:

ج: الحج ركنٌ عظيم من أركان الإسلام، ثم هو حقٌّ مؤكدٌ لله تبارك وتعالى علينا، إن استطعنا إليه سبيلًا، ولقد قال تعالى لخليله إبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[الحج: ٢٧].

ولقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.....**» فذكر الحديث، وقال فيه: «**وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلا**»(١).

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه فيما أخرجه البخاري(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

❁ ❁ ❁

الحج مرة واحدة

س: كم حجة افترضت على المسلم؟

ج: ليُعلم أن فرض الحج إنما هو مرة واحدة في العمر، وذلك لم أخرجه مسلم(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**».

فضل الحج

---

(١) مسلم.
(٢) البخاري (حديث ٨)، ومسلم بنحوه (حديث ١٦).
(٣) مسلم (١٣٣٧).

(٥٤٢) أحمر
أسود

س: اذكر شيئًا من فضل الحج.

ج: إن هذا الركن له فضلٌ عظيم:

فلقد قال النبي ﷺ: « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ » (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٢).

وقال صلوات الله وسلامه عليه وقد سُئل: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ « إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ». قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ولقد حث النبي ﷺ (٤) على الحج ورغب فيه إذ قال: « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ».

ولقد قالت عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ قَالَ « لاَ ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ » (٥).

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثةٌ في ضمان الله عز وجل: رجُلٌ خَرَج إلى مَسْجد من مساجد الله عز وجل، ورجَلٌ خَرَجَ غَازيًا في سبيل الله، ورجل خرج حاجًّا» (٦).

❁ ❁ ❁

فضل العمرة

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) البخاري (١٥٢١).
(٣) البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٤) البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٥) النسائي (١١٥/٥) بسندٍ حسن.
(٦) سنده صحيح، وأخرجه الحميدي في مسنده (١٠٩٠)، وأخشى من وجود علة به.

(٥٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر شيئًا عن فضل العمرة.

ج: من ذلك قول رسول الله ﷺ: «فإنَّ عُمْرَةٌ في رمضان تعدلُ حجَّة»(١).

قول رسول الله ﷺ: « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ».

❁ ❁ ❁

س: هل الحج على الفور أم يجوز فيه التراخي:

ج: الحج فرضُهُ على المستطيع كما سمعتم، ولكن هل ذلك على الفور أم على التراخي؟ فلأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن ذلك على الفور لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

والثاني: أن ذلك على التراخي، بمعنى أنه قد يسوغ للرجل المستطيع أن يؤجِّل حجَّه عامًا أو عامين، وذلك لأن النبي ﷺ وطائفة من أصحابه أخَّرُوا الحجَّ عامًا أو عامين بعد فرضِه.

إلا أنه يلتمس لرسول الله ﷺ عذرٌ في ذلك، وهو حيلولة الكفار بينه وبين البيت العتيق، أو أي عذرٍ آخر.

فعلى ذلك: فمن وَجَدَ سَعَةٌ وتيسَّرت له أسبابُ الحج فلْيُبَادِرُ بذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٥٤٤) أحمر
أسود

أمور يراعيها الحاج

س: اذكر بعض الأمور التي يلزم الحج مراعاتها.

ج: الإخلاص لله:

فعلى مُريد الحج أن يُخْلِصَ في حَجِّه لله، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وتعلمون أن الرياء يُحبطُ الأعمال.

وعليه فلا ينبغي أن تكون همة المرء أن يُقال عنه: حاجٌّ؛ بل عليه أن ينوي بذلك: امتثال أمر الله، والانقياد لشرعه، والترقي في أعالي الجنة، ومغفرة الذنوب والخطايا والأوزار.

وفي الحديث القدسي: قال تعالى: « **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »(١).

وفي الحديث النبوي: «**إنما الأعمال بالنيات**»(٢).

التحلل من المظالم:

فعلى من أراد الحجَّ أن يتحلَّلَ منا لمظالمن فإن الحجَّ وإن كان من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، إلا أن ذنوب العباد لها مُطالبٌ يُطالب بها، ولا يخفى عليكم في ذلك حديثُ المفلس، وقد أخرجه مسلم(٣) في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ « **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ** ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ « **إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ** ».

---

(١) مسلم (٢٩٨٥).
(٢) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٣) مسلم (٢٥٨١).

(٥٤٥) أحمر
أسود

وكذا قول رسول الله ﷺ (١): « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

وكذا قوله: (٢): « إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِى الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِى الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِى الدُّنْيَا » .

وأخرج البخاري (٣) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

وفي الحديث: «أن الشهيد يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنب إلا الدين» (٤) .

وقال رسول الله ﷺ: « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » (٥) .

التزود للسفر:

وعلى الحاج أن يتزود بالقدر الكافي من الطعام والشراب والملبس، والزاد الحلال، وقد أخرج البخاري (٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان أَهْلُ اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:

(١) البخاري (٢٤٤٩).
(٢) البخاري (٢٤٤٩).
(٣) البخاري (٢٤٤٠).
(٤) مسلم (١٨٨٦).
(٥) مسلم (٢٥٨٢).
(٦) البخاري (١٥٢٣).

[١٩٧] (١).

تحري الحلال الطيب:

فعليه أن يحج من نفقة اكتسبها من الحلال الطيب، وذلك حتى يُتقبل حجُّه،وتُتَقبل منه دعواته، وتُستَجابُ له.

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم (٢) في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢]». **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**».

الرفقة الصالحة:

فيستحب للحاج أن يصطحب رفقةً صالحةً في سفره ومن هم على علم يذكرونه بالله، ويعلمونه ما جهل من أمر دينه وأمر حجته التي يحجها؛ فالجليسُ الصالحُ: إمَّا أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة.

الوصية:

ويستحب للحاج أن يوصي، ولذلك لقول رسول الله ﷺ: « **مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ، يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ** » (٣).

المحرم للمرأة في السفر:

(١) وقد رُوي هذا الخبر مرسلًا.
(٢) مسلم (١٠١٥).
(٣) البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٥٤٧) أحمر
أسود

على المرأة أن تصطحب في حجِّها محرمًا إن استطاعت (١) إلى ذلك سبيلًا، فإن لم تجد محرمًا فلأهل العلم قولان في المسألة: أحدهما: جواز السفر، والآخر: المنع، ولكل قولٍ أدلته، وقد لخَّص الترمذي هذا الاختلاف فقال:

واختلف أهل العلم في المرأة إذا كانت موسرة ولم يكن لها محرم هل تحج؟

فقال بعض أهل العلم: لا يجب عليها الحجُّ لأن المحرم من السبيل لقول الله ﷻ: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] فقالوا: إذا لم يكن لها محرم فلم تستطع إليه سبيلا، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة.

وقال بعض أهل العلم: إذا كان الطريق آمنًا فإنها تخرجُ مع الناس في الحج، وهو قول مالك بن أنس والشافعي. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأجر على قدر التعب والنفقة:

فليعلم الحجاج والمعتمرون أن الله ﷻ لن يَترهم أعمالهم، ولن يُنقصهم أجورهم، ولن يُضيع عليهم- إن شاء الله – ثواب نفقتهم وجهدهم.

وفي الأحاديث عن رسول الله ﷺ ما يفيد أن الأجر على قدر النفقة أو التعب، فقد أخرج البخاري (٢) ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: يَا رَسُولَ اللهِ يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ فَقِيلَ لَهَا: «

(١) فقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله □ تنهى المرأة عن السفر بلا محرم، منها حديث ابن عباس المتفق عليه (البخاري ١٧٢/٤)، ومسلم (ص ٩٧٨) عن رسول الله □: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**». وحديث ابن عمر المتفق عليه أيضًا مرفوعًا: «**لا تُسافر المرأة ثلاثًا إلا مع ذي محرم**» أخرجه البخاري (مع الفتح٥٦٦/٢)، ومسلم (ص ٤٨٧) عن النبي □ قال: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة**». وأحاديث كثيرة جدًّا في هذا الصدد.

(٢) البخاري (١٧٨٧)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).

(٥٤٨) أحمر
أسود

انْتَظِرِى ، فَإِذَا طَهُرْتِ فَاخْرُجِى إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهِلِّى ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا ، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ ، أَوْ نَصَبِكِ ».

لزوم السنة واتباعها:

هذا، وينبغي على الحاج أن يتأسى في حجته برسول الله محمد ﷺ في أعماله وحجته ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: « لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ »(١).

تعلُّم الحج وأحكامه:

فعلى الحاج أن يتعلم أحكام الحج، وأعماله، شأنه في ذلك الشأن في سائر العبادات، فالذي يريد الصلاة عليه أن يتعلم أحكامها، وكذا مُريد الصوم والصدقة والأضحية والاعتكاف وسائر العبادات، وذلك حتى يحظى بأجمل الثواب وأعظم الأجور، وحتى يتقي البدعة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهْوَ رَدٌّ »(٢). وقال: « مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ »(٣).

❁ ❁ ❁

س: اذكر أعمال الحج بشيء من التفصيل:

ج: أستعين بالله وأُبين أعمال الحج بشيء من التفصيل مُدلِّلا بالأدلة من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسول الله ﷺ قد استطاعتي مُراعيًا – بإذن الله – ترتيبَ أعمال الحج(٤).

وأورد ابتداءً حديثًا شاملًا جامعًا في بيان حجة النبي ﷺ إجمالًا، ألا وهو

(١) مسلم (١٢٩٧).
(٢) مسلم (١٧١٨).
(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٤) إلا ما لزم تأخيره أو تقديمه بعض الشيء.

(٥٤٩) أحمر
أسود

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في هذا الصدد.

فهذا حديثه في بيان حجة النبي ﷺ على وجه الإجمال، وهو أطول حديثٍ وأوضحه في ذلك، وعليه عوَّل كثيرون من أهل العلم.

أخرج مسلم (١) في صحيحه من طريق محمد بن علي بن حسين أنه سأل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن حجة رسول الله ﷺ فقال له: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ (٢) فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ « **اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي** (٣) ». فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ (٤) حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي (٥) بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ (٦) «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ**». وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي

(١) مسلم (حديث ١٢١٨).

(٢) (ثم أذن في الناس): معناه: أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا بينهم ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب وتشيع دعوة الإسلام.

(٣) (واستثفري): الاستثفار، هو: أن تشد في وسطها شيئًا، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها، من قدامها ومن ورائها، في ذلك المشدود في وسطها. وهو شبيه بثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها.

(٤) (ثم ركب القصواء): هي ناقته □: قال أبو عبيدة: القصواء المقطوعة الأذن عرضًا.

(٥) (ثم نظرت إلى مد بصري): معناه منتهى بصري.

(٦) (فأهل التوحيد): يعني قوله: لبيك لا شريك لك.

(٥٥٠) أحمر
أسود

يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه لَسْنَا نَنْوِي إِلاَّ الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ (١) فَرَمَلَ ثَلاَثًا (٢) وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ (٣) عليه السلام فَقَرَأَ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَكَانَ أَبِي يَقُولُ وَلاَ أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ (٤) إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ « **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ** ». فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** ». ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ (٥) فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا (٦) صَعِدَتَا (٦) مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ «**لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ**

---

(١) (استلم الركن): يعني الحجر الأسود. فإليه ينصرف الركن عند الإطلاق، واستلامه مسحه وتقبيله بالتكبير والتهليل، إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد. وإلا يستلم بالإشارة من بعيد. والاستلام افتعال من السلام، بمعنى التحية.

(٢) (فرمل ثلاثًا): قال العلماء: الرمل هو إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهو الخبب.

(٣) (ثم نفذ إلى مقام إبراهيم) أي: بلغه ماضيًا في زحام.

(٤) (ثم خرج من الباب): أي: من باب بني مخزوم، وهو الذي يسمى باب الصفا. وخروجه منه، لأنه أقرب الأبواب إلى الصفا.

(٥) (حتى إذا انصبت قدماه): أي: انحدرت. فهو مجاز من انصباب الماء.

(٦) (حتى إذا صعدنا): أي: ارتفعت قدماه من بطن الوادي.

(٥٥١) أحمر
أسود

وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً ». فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لأَبَدٍ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِى الأُخْرَى وَقَالَ « دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِى الْحَجِّ - مَرَّتَيْنِ - لاَ بَلْ لأَبَدِ أَبَدٍ ». وَقَدِمَ عَلِىٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ (١) النَّبِىِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رضى الله عنها - مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِى أَمَرَنِى بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلِىٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا (٢) عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِى صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّى أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ « صَدَقَتْ صَدَقَتْ مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّى أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ. قَالَ « فَإِنَّ مَعِىَ الْهَدْىَ فَلاَ تَحِلُّ ».

قَالَ فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْىِ الَّذِى قَدِمَ بِهِ عَلِىٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِى أَتَى بِهِ النَّبِىُّ ﷺ مِائَةً - قَالَ - فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا إِلاَّ النَّبِىَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْىٌ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ (٣) فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلاَ تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلاَّ أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ (٤) كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ

---

(١) (ببدْن): هو جمع بَدَنة، وأصله الضم. كخشْب في جميع خشبة.

(٢) (محرشًا): التحريش: الإغراء، والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

(٣) (بنمرة)- بفتح النون وكسر الميم. هذا أصلها. ويجوز فيها ما يجوز في نظيرها. وهو إسكان الميم مع فتح النون وكسرها. وهي موضع بجنب عرفات. وليست من عرفات.

(٤) (ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام): معنى هذا: أن قريشًا كانت في الجاهلية. الجاهلية. تقف بالمشعر الحرام. وهو جبل في المزدلفة يقال له: قزح. وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة. وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي ﷺ يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه. فتجاوزه النبي ﷺ إلى عرفات. لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ) [البقرة: ١٩٩]. أي:

(٥٥٢) أحمر
أسود

تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَجَازَ (١) رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ (٢) لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي (٣) فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا (٤) فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ (٥) وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ (٦) . فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ (٧) وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ

سائر العرب غير قريش. وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم. وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه.

(١) (فأجاز): أي: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، بل توجه إلى عرفات.

(٢) (فرحلت): أي: وضع عليها الرحل.

(٣) (بطن الوادي): هو وادي عُرَنة. وليست عرنة من أرض عرفات عند الشافعي والعلماء كافة، إلا مالكًا فقال: هي من عرفات.

(٤) (كحرمة يومكم هذا): معناه: متأكدة التحريم، شديدته.

(٥) (بكلمة الله): قيل: معناه قوله تعالى: (فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ) [البقرة: ٢٢٩]. وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا إلا إلا الله محمد رسول الله □ إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم. وقيل: قوله تعالى: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) [النساء: ٣]. وهذا الثالث هو الصحيح.

(٦) (ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه): قال الإمام النووي: المختار أن معناه: أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم. سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًّا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة. فالنهي يتناول جميع ذلك. وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محرم ولا غيره، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنَّت أن الزوج لا يكرهه.

(٧) (فاضربوهن ضربًا غير مبرح): الضرب المبرح: هو الضرب الشديد الشاق. ومعناه: اضربوهن ضربًا ليس بشديد ولا شاق. والبرح: الشقة.

(٥٥٣) أحمر
أسود

تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ (١) « اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ (٢) وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ (٣) وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ (٤) وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ (٥) لِلْقَصْوَاءِ (٥) الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ (٦) وَيَقُولُ بِيَدِهِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى (٧) « أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ » (٨). كُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنَ

---

(١) (وينكتها إلى الناس): معناه: يقلبها ويردها إلى الناس مشيرًا إليهم. ومنه نكت كنانته إذا قلبها.

(٢) (الصخرات): هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة. وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات. فهذا هو الموقف المستحب.

(٣) (وجعل جبل المشاة بين يديه): رُوي جَبْل، ورُوي جَبَل. قال القاضي عياض رحمه الله: الأول الأول أشبه بالحديث. وجبل المشاة أي: مجتمعهم. وجبل الرمل: ما طال منه وضخم. وأما بالجيم؛ فمعناه طريقهم، وحيث تسلك الرجالة.

(٤) (حتى غاب القرص): قيل: صوابه: حين غاب القرص. هذا كلام القاضي. ويحتمل أن الكلام الكلام على ظاهره. ويكون قوله: حتى غاب القرص. ويحتمل أن الكلام على ظاهره. ويكون قوله: حتى غاب القرص بيانًا لقوله: غربت الشمس وذهبت الصفرة. فإن هذه تطلق مجازًا على مغيب معظم القرص فأزال ذلك الاحتمال بقوله: حتى غاب القرص. والله أعلم.

(٥) (وقد شنق للقصواء): شنق: ضمَّ وضيَّق.

(٦) (مورك رحله): قال الجوهري: قال أبو عبيدة: المورك والموركة هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا ملّ الركوب. وضبطه القاضي بفتح الراء قال: وهو قطعة أدم بتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة.

(٧) (ويقول بيده): أي: مشيرًا بها.

(٨) (السكينة السكينة): أي: الزموا السكينة. وهي الرفق والطمأنينة.

(٥٥٤) أحمر
أسود

الْحِبَالِ (١) أَرْخَى لَهَا (٢) قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ (٣) فَصَلَّى فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (٤) شَيْئًا (٤) ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ - حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ - بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا (٥) جِدًّا (٥) فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا (٦) فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ (٧) فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ (٨) فَحَرَّكَ قَلِيلاً ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى

---

(١) (كلما أتى حبلًا من الحبال): الحبال: جمع حبل. وهو التل اللطيف من الرمل الضخم.وفي النهاي: قيل: الحبال في الرمل كالجبال في غير الرمل.

(٢) (أرخى لها): أي: أرخى للقصواء الزمام وأرساه قليلًا.

(٣) (المزدلفة) معروفة. سميت بذلك من التزلف والازدلاف، وهو التقرب. لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها، أي: مضوا إليها وتقربوا منها. وقيل: سميت بذلك لمجيء الناس إليها في زلف من الليل، أي: ساعات.

(٤) (ولم يسبح بينهما شيئًا): أي: لم يصلّ بينهما نافلة.

(٥) (حتى أسفر جدًّا): الضمير في أسفر يعود إلى الفجر المذكور أولًا. وقوله: جدًّا، بكسر الجيم، الجيم، أي: إسفارًا بليغًا.

(٦) (وسيمًا): أي: حسنًا.

(٧) (مرت به ظعن يجرين): الظُّعُن، بضم الظاء والعين، ويجوز إسكان العين، جمع ظعينة. كسفينة وسفن. وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة. ثم تسمى به المرأة مجازًا لملابستها البعير.

(٨) (حتى أتى بطن محسِّر) سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي: أعيا وكلَّ، ومنه قوله تعالى: (يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾) [الملك: ٤].

(٥٥٥) أحمر
أسود

عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى (١) حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِى عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ (٢) رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِى ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاَثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ (٣) وَأَشْرَكَهُ فِى هَدْيِهِ ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِى قِدْرٍ فَطُبِخَتْ فَطُبِخَتْ فَأَكَلاَ مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ (٤) فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ فَأَتَى بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ « فَقَالَ « **انْزِعُوا** (٥) **بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ** (٦) **عَلَى سِقَايَتِكُمْ سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ** ». فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ.

مواقيت الحج

قد وقت رسول الله ﷺ للحج مواقيت.

فكما أن الصلاة لها ميقات؛ فالحجُّ له ميقات.

(١) (الجمرة الكبرى): هي جمرة العقبة، وهي التي عند الشجرة.

(٢) (حصى الخذف): أي: حصى صغار بحيث يمكن أن يُرمى بأصبعين، والحذف، في الأصل، مصدر سمي به. يقال: حذفت الحصاة ونحوها خذفًا من باب ضرب. أي: رميتها بطرفي الإبهام والسبابة. قال النوويّ: وأما قوله: فرماها بسبع حصيات مثل حصى الخذف. قال: وكذلك رواه غير مسلم، وكذا رواه بعض رواة مسلم. هذا كلام القاضي.

قلت: والذي في النسخ من غير لفظه: «مثل» هو الصواب. بل لا يتجه غيره ولا يتم الكلام إلا كذلك. ويكون قوله: حصى الخذف متعلقًا بقوله: حصيات. أي: رماها بسبع حصيات حصى الخذف، ويكبر مع كل حصاة. فحصى الخذف متصل بحصيات واعترض بينها يكبر مع كل حصاة. وهذا هو الصواب.

(٣) (ما غبر): أي: ما بقي.

(٤) (فأفاض إل البيت): فيه محذوف تقديره: فأفاض فطاف بالبيت طواف الإفاضة ثم صلى الظهر، فحذف ذكر الطواف لدلالة الكلام عليه.

(٥) (انزعوا): معناه: استقوا بالدلاء وانزعوها بالوشاء.

(٦) (لولا أن يغلبكم الناس): أي: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، ويزدحمون عليه، بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء. (هذه التعليقات من حاشية مسلم- ترتيب محمد فؤاد- وكثير منها مأخوذ من النووي رحمه الله).

(٥٥٦) أحمر
أسود

فهذه المواقيت هي:

ذو الحليفة[(١)]: لأهل المدينة. وقرن المنازل[(٢)]: لأهل نجد.

ولأهل الشام: الجحفة[(٣)]. ولأهل اليمن: يلملم[(٤)].

أخرج البخاري[(٥)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُهِلُّ يُهِلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِى الْحُلَيْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الْجُحْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ». وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ».

هذا وقد ورد أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق[(٦)]: ذات عرق، لكن أعلَّ ذلك بعض العلماء، وبيَّنوا أن الذي وقت ذات عرق لأهل العراق هو عمر رضي الله عنه.

أخرج البخاري[(٧)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمَّا فُتِحَ هَذَانِ الْمِصْرَانِ أَتَوْا عُمَرَ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّ لأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، وَهُوَ جَوْرٌ عَنْ طَرِيقِنَا، وَإِنَّا إِنْ أَرَدْنَا قَرْنًا شَقَّ عَلَيْنَا. قَالَ فَانْظُرُوا حَذْوَهَا مِنْ طَرِيقِكُمْ. فَحَدَّ لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ.

فهذه المواطن لا يجوز لمريد الحج أو العمرة أن يتجاوزها بلا إهلال، وكذا لا يتقدمها بالإهلال.

صحيح أنه يجوز له أن يرتدي الملابس قبلها، ولكن لا يهلُّ (قائلًا: لبيك

(١) وهي المسماة الآن بأبيار علي، ولا أدري سبب هذه التسمية.
(٢) وهي في طريق السيل، ويحاذيها ميقات الهدي.
(٣) وهي قريبة جدًّا من بلدة رابغ.
(٤) وهو ميقات معروف لأهل اليمن.
(٥) البخاري (١٥٢٥)، ومسلم (١١٨٢).
(٦) انظر: سنن أبي داود (١٧٣٩).
(٧) البخاري (حديث ١٥٣١).

(٥٥٧) أحمر
أسود

اللهم لبيك...) إلا عندها.

فإن تجاوزها بلا إهلال لزمه- عند الجمهور- أن يُقدم دمًا (١).

ما يفعل عند الميقات

هذا، وعند الميقات يفعل مريد الحج ما يأتي:

* **الاغتسال:** وهذا أمر مستحب، فيستحب لمريد الحج أن يغتسل عند الميقات، وهذا الاغتسال عند الجمهور مستحب، وليس بواجب (٢).

وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: من السنة أن يغتسل الرجل إذا أراد أن يُحرم (٣).

* **التطيب:** وذلك بعد الغسل، وقبل الإهلال (٤)، أي: قبل قوله: لبيك اللهم لبيك وذلك لحديث (٥) أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أُطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يُحرم، ولحلِه قبل أن يطوف بالبيت.

---

(١) ولم أقف على دليل مرفوع إلى النبي ﷺ في ذلك، ولكن ثَمَّ أمرٌ ألا وهو أن الذي يتخطى الميقات عامدًا عالمًا بلا إحرام يأثم لمخالفته أمرَ النبي ﷺ بالإهلال من المواقيت، ثم كيف يرتفع هذا الإثم عنه، فالجمهور ذهبوا إلى أن هذا الإثم لا تكفيه كلمة «أستغفر الله» فقط، بل يُلزم معها بدم، فليست كلمة «أستغفر الله» بكافية ككفارة لكل الأعمال الخاطئة التي تُعمل، إلا إذا شاء الله فهناك مثلًا كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة قتل الخطأ...إلى غير ذلك، ولا تكفيها فقط أستغفر الله ثم إن من أهل العلم من يلحظ في فتياه قدر الذنب، وعلى إثر ذلك يُقَدِّر الكفارة، وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، فيبحث المفتي حينئذٍ عن حسنات تكفي لتغطية السيئات، فتراه حينئذٍ يفتي بقدرٍ من الصدقة أو الصيام أو الذكر إلى غير ذلك، وذلك- إذا لم يكن في المسألة نصٌّ خاص- من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، ومن باب إتباع السيئة بالحسنة إذا ارتكب السيئة، والله أعلم.

(٢) وقد نقل ذلك عنهم: ابن عبد البر في الاستذكار (١١/١١).

(٣) البزار (كشف الأستار ١٠٨٤) بسندٍ صحيح.

(٤) والمراد بالإهلال: رفع الصوت بالتلبية، لكن المراد هنا قبل التلبية عمومًا سواء رفع بها الصوت أم خفضه.

(٥) البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٨٩).

(٥٥٨) أحمر
أسود

وفي رواية عنها (١) قالت: كأنِّي أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى منع استدامة الطيب بع الإحرام، بل يزال ويُمحى أثره، وذلك لحديث يعلى بن أمية رضي الله عنه (٢) وفيه: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ، وَهْوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى يَعْلَى ، فَجَاءَ يَعْلَى ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ ، وَهُوَ يَغِطُّ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: «**أَيْنَ الَّذِى سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ** » فَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ: « **اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِى بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ ، وَاصْنَعْ فِى عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِى حَجَّتِكَ** ».

إلا أنه وكما هو معلوم يلزمنا أن نجمع بين حديث يعلى وحديث عائشة رضي الله عنها، ومن أمثل ما جُمع به بين الحديثين: أن النهي في حديث يعلى يُحمل على طيبٍ مخصوصس ألا وهو الزعفران (٣).

أما عن الثياب التي يرتديها: فقد سئل (٤) النبي ﷺ: مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لاَ يَلْبَسُ الْقُمُصَ وَلاَ الْعَمَائِمَ وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ وَلاَ الْبَرَانِسَ وَلاَ الْخِفَافَ ، إِلاَّ أَحَدٌ لاَ يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ** » .

والنهي عن لبس القمص (جمع قميص- وهو الثوب في زماننا الذي يطلق

(١) البخاري (١٥٣٧).
(٢) البخاري (١٥٣٦)، ومسلم (١١٨٠).
(٣) وانظر الحديث الآتي.
(٤) البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧٧).

(٥٥٩) أحمر
أسود

عليه أهل مصر الجلبية) هذا النهي خاص بالرجال كما هو معلوم وواضح.

فالمُحرم إذن يلبس إزارًا ورداءً ونعلين لا يغطيان الكعبين، والمراد بالكعبين هنا: الغظمتان الناتئتان اللتان هما منتهى الغسل عند الوضوء، وقد قال الله فيهما: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فإذا لم يجد الشخص نعلين ووجد خفين فليقطع الخفين حتى يكونا أسفل الكعبين.

هذا، وإذا قُدِّر ولم يجد الشخص إزارًا يأتزر به جاز له أن يلبس السراويل.

ففي الحديث (١) عن رسول الله ﷺ: « **مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ** » (٢).

أما عن تلبيد الشعر: أي: ضم الشعر بعضه إل بعض بما يشبه الصمغ، فقد فعله النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يهل ملبدًا (٣).

وكما في حديث (٤) حفصة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ قَالَ: « **إِنِّى لَبَّدْتُ رَأْسِى ، وَقَلَّدْتُ هَدْيِى فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ** » .

ولكن فيما يبدو لي أن النبي ﷺ إنما فعل ذلك لعلةٍ، وهي عدم تساقط

---

(١) البخاري (١٨٤٢)، ومسلم (١١٧٨).

(٢) فمثلًا: إذا كان الشخص في الطائرة ونسي ملابس الإحرام فله أن ينزع ثيابه عنه ويبُقي البنطلون إلى أن يتيسر له الحصول على إزار عند نزوله والله أعلم. هذا، وقد اشترط بعض العلماء أن يفتق السراويل (أي: حتى لا تكون مخيطة بالجسم) قياسًا على قطع الخفين إلى أسفل الكعبين، لكن لم أقف على دليل يُلزم بفتق السراويل، والأولى عدمه؛ لعدم ورود النص فما علمت عن رسول الله ﷺ.

(٣) البخاري (١٥٤٠)، ومسلم في طرق حديث (١١٨٤).

(٤) البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

(٥٦٠) أحمر
أسود

الشعر أو تسرُّب القمل إليه أو تشعثه؛ وذلك لطول الزمان من الميقات إلى أن يرمي الجمرة مع ما كان يعتري ذلك من الغبار، فقد خرج النبي ﷺ في الخامس والعشرين من ذي القعدة، ووصل إلى مكة الرابع من ذي الحجة، ثم استمر على إحرامه إلى أن رمى الجمرة يوم العاشر من ذي الحجة، مع ما يعتريه في السفر من الغبار، فقد كان النبي ﷺ يحج على ناقته فلهذا كله كان يخشى على الحجيج من تسرب القمل إليهم.

وقد ورد ان كعب بن عجرة رضي الله عنه أُصيب بشيء من ذلك حتى إن القمل تساقط على وجهه من كثرته، فلذا كان يُلبِّد من يُلبِّد.

أما الآن فالزمن بين الإهلال والتحلل قصيرٌ، فلا يكاد يُحتاج إلى التلبيد، فعليه من احتاج إلى التلبيد فهو مسنون كما رأيتم، ومن لم يَحْتَجْ إلى التلبيد فلا شيء عليه، والله أعلم.

ركعتي الإحرام

أما عن الركعتين اللتين يُصليهما المرء قبل إحرامه فلا أحفظ فيهما شيئًا خاصًّا عن رسول الله ﷺ. أما ما أخرجه البخاري (١) من طريق فليح عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ ادَّهَنَ بِدُهْنٍ لَيْسَ لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، ثُمَّ يَأْتِي مَسْجِدَ الْحُلَيْفَةِ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْكَبُ ، وَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً أَحْرَمَ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُ .

فلا أرى إلا أن فليحًا وهم فيه، وقد أخرجه البخاري (٢) من وجه آخر أثبت، وذلك من طريق أيوب عن نافع قال: كان ابنُ عمر رضي الله عنهما إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرُحِلَتْ ثُمَّ رَكِبَ ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا ، ثُمَّ يُلَبِّي حَتَّى يَبْلُغَ الْمَحْرَمَ ، ثُمَّ يُمْسِكُ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَا طُوًى بَاتَ

(١) البخاري (١٥٥٤).
(٢) البخاري (١٥٥٣).

(٥٦١) أحمر
أسود

بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَإِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ اغْتَسَلَ ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ.

فعلى كل حال إن صلى الشخص هاتين الركعتين كسنةٍ للوضوء فسنة الوضوء مستحبة، أما تخصيص ركعتين للإحرام، فكما سلف لا أحفظ فيهما شيئًا عن رسول الله ﷺ.

* **وهذا ويسن له أن يُهلَّ بالحج بعد ركوب دابته:** وذلك لأن رسول الله ﷺ أهل حين استوت به راحلته (١).

* **هذا ويستحب للحاج قبل الإهلال، إذا ركب دابته:** أن يحمد الله ويسبح ويكبر: وذلك لما أخرجه البخاري (٢) من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: صلى رسول الله ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بِذِى الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، حَمِدَ اللهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ ، ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهِمَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَ النَّاسَ فَحَلُّوا ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ قَالَ وَنَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَدَنَاتٍ بِيَدِهِ قِيَامًا ، وَذَبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ .

* **ويستحب له عند الإهلال أن يستقبل القبلة:** وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم، وفيه: ثُمَّ ركبَن فإذا استوت به استقبل القبلة قائمًا، ثُمَّ يُلبِّي حتى يبلغ الحرم (٣).

* **ويستحب له أن يرفع صوته بالتلبية:** وذلك لقول النبي ﷺ: «**أتاني جبريل ﷺ فأمرني أن أمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية**» (٤).

---

(١) أخرج ذلك البخاري (١٥١٥).
(٢) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟
(٣) تقدم قريبًا (عند البخاري ١٥٥٣) معلقًا.
(٤) أخرجه أبو داود (١٨١٤) بسندٍ حسن.

(٥٦٢) أحمر
أسود

ولما ورد من أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصرخون بالحج صراخًا (١).

* أما عن صفة التلبية:

فتلبية رسول الله ﷺ التي كان يداوم عليها هي: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ» (٢).

أما الصحابة رضي الله عنهم فمنهم من كان يلزم تلبية رسول الله ﷺ ومنهم من كان يلبي مع زيادات أُخر؛ كقول القائل: لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًا (٣).

وورد عن رسول الله ﷺ بسندٍ مختلفٍ في تحسينه: «لبيك إله الحق» (٤).

* أما عن فضل التلبية: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا » (٥).

أما عن معنى (لبيك اللهم لبيك): فالمعنى: استجابة لك يا رب بعد استجابة.

ويهلُّ جميع من أراد الحج من الميقات بهذا الإهلال المذكور مع تحديد النسك الذي يريد ويختار، فإن كان سيعتمر فليقولن مع الإهلال المذكور عند الميقات: «لبيك عمرة»، وإن شاء زاد: «لا رياء فيها ولا سُمعه».

وإن شاء اشترط فقال: «اللهم محلى حيث حبستني».

وفائدة هذا الاشتراط: أنه إذا مُنع من الحج أو العمرة لأي عُذر من

(١) مسلم (١٢٤٧)، وانظر البخاري (١٥٤٨).

(٢) البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤). وكان ابن عمر يزيد: « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣): رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ولم يُسم شيخه في المرفوع.

(٤) أخرجه النسائي (١٦١/٥)، وابن ماجه (٢٩٢٠)،وقد أُعلَّ بالإرسال، وكأن الإرسال أصوب، و الله أعلم.

(٥) الترمذي (٨٢٨).

(٥٦٣) أحمر
أسود

الاعذار بعد أن أهلَّ جاز له التحلل ولا يلزم بدماء أما إذا لم يكن اشترط، وحال بينه وبين إتمام حجة وعمرته حائل فلم يتمها لزمه أن يذبح قبل أن يتحلل، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهل يلزم أن يرسل الهدي إلى الحرم ولا يتحلل حتى يصل إلى هنالك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٣]. أم أنه يجوز له أن يذبح في المكان الذي أُحصر عنده، ثم يتحلل لأن النبي ﷺ لما أُحصر بالحديبية نَحَرَ هُنالك عند الحديبية؟!

ففي ذلك وجهان لأهل العلم، أرجحهما: الثاني.

وعلى كلٍّ؛ فهذا الاشتراط الذي قدمنا ذِكرَه: «**اللهم محلي حيثُ حبستني**» يستحب لمن خشي أن لايُتمَّ حجَّه أو عمرته.

وقد ورد في هذا الصدد الحديث المتفق عليه (١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا « **لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ** » . قَالَتْ وَاللهِ لاَ أَجِدُنِى إِلاَّ وَجِعَةً . فَقَالَ لَهَا « **حُجِّى وَاشْتَرِطِى ، قُولِى اللَّهُمَّ مَحِلِّى حَيْثُ حَبَسْتَنِى** » . وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ .

الأنساك الثلاثة (الإفراد- القران- التمتع)

أما إذا كان يريد الحج، فيختار أحد الأنساك الآتية:

* **الإفراد:** وهو أن يحج فقط بلا عمرة؛ فيقول: «**لبيك اللهم لبيك...لبيك حَجًّا**».

* **القِرَان:** وهو أن يحج ويعتمر بلا تحلل بينهما؛ فيقول: «**لبيك اللهم لبيك...لبيك عمرةً في حجةٍ**».

(١) البخاري (٥٠٨٩)، ومسلم (١٢٠٧).

(٥٦٤) أحمر
أسود

ويستحب لمن يقرن أن يكون قد ساق الهدي معه.

* التَّمَتُّع: وهو أن يعتمر عمرةً متمتعًا بها إلى الحج؛ فيقول: «**لبيك عمرة**»، وإن شاء زاد: «**متمتعًا بها إلى الحج**».

وفي كل هذا يجوز له الاشتراط المذكور، وهو أن يقول: «**اللهم محلي حيث حبستني**» أي: يا رب سأتحلل في المكان الذي أُمنع فيه (لأي عارضٍ) من مواصلة الحج أو العمرة.

* أما عن أيِّ هذه الأنساك الثلاثة أفضل: فبكلّ قد قال فريقٌ من أهل العلم.

فالذين قالوا: إن الإفراد أفضل، قالوا: لأنه لا يحتاج الحج معه إلى دمٍ، وأشار بعضهم إلى أن الدم يكون لإتمام ما حدث من جراء التمتع من استمتاع بالتحلل بين الحج والعمرة.

* وقال آخرون: إن القران أفضل؛ لأن النبي ﷺ حجَّ قارنًا.

* وقال آخرون: إن التمتع أفضل؛ لأن النبي ﷺ أمرَ به وقال: « **لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْىَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً**».

والذي يبدو لي، والله أعلم، أن التمتع أفضل.

ما يتقيه المُحرم

هذا، وبعد أن يُحرم الشخص ويهل بالتلبية عليه أن يتقي أمورًا:

* فمن ذلك: لبس المخيط المُفَصَّل على قدر الجسم من الثياب؛ كالقميص ونحوه، وكذلك لا يغطي رأسه بشيء يباشرها كالعمامة ونحوها، ولا يلبس السراويلات (غلا مضطرًّا إليها) ولا البرانس ولا الخفاف (وهي التي تغطي الكعبين- وهما العظمتان الناتئتان عن يمين الرِّجْل وشمالها) إلا إذا اضطر إليها فليقطعها حتى تكون أسفل الكعبين.

* وكذلك لا يمس طيبًا بعد إحرامه:

(٥٦٥) أحمر
أسود

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما (١): أن رجلًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **لاَ تَلْبَسُوا الْقُمُصَ، وَلاَ الْعَمَائِمَ، وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ، وَلاَ الْبَرَانِسَ ، وَلاَ الْخِفَافَ ، إِلاَّ أَحَدٌ لاَ يَجِدُ النَّعْلَيْنِ ، فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ وَلاَ الْوَرْسُ** » .

وعليه أن يعتزل النساء: فلا يخطب ولا ينكح ولا يجامع؛ فالجماع يفسد الحج، ولا يُباشر، ولا يتكلم في حضرتهن برفثٍ.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والرَّفَثُ هنا عام يشمل الجماع ومقدماته.

وكذا كما هو واضح في الآية الكريمة: أن لا جدال في الحج- اللهم لا جدالًا بالتي هي أحسن لإيصال ملعومةٍ، أو لإقرار حقٍّ، ونحو ذلك مما هو بالحسنى، والله أعلم.

وكذا فعليه أن يتقي السباب والشتم، ونحو ذلك مما يتسبب له في الوصف بالفسوق.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطِبُ**» (٢).

ومما يُلفت النظر إليه في هذا المقام: أنه قد ورد من حديث ابن عباس (٣) عند البخاري أن النبي ﷺ تزوَّج ميمونة وهو مُحرمٌ.

ولا يحلق شعرًا، ولا يُقلِّم ظُفُرًا.

(١) البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧).
(٢) مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) البخاري (١٨٣٧).

(٥٦٦) أحمر
أسود

ولا يجوز للمحرم أن يصطاد، ولا أن يُعاونَ من يصطاد: وذلك لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥].

وأخرج البخاري ومسلم (١) في صحيحيهما من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ حَاجًّا ، فَخَرَجُوا مَعَهُ فَصَرَفَ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ فَقَالَ «**خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ**». فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمُرَ وَحْشٍ ، فَحَمَلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى الْحُمُرِ ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا ، فَنَزَلُوا فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهَا ، وَقَالُوا أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الأَتَانِ ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا وَقَدْ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ ، فَرَأَيْنَا حُمُرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ ، فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا ، فَنَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا ثُمَّ قُلْنَا أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا».

وعند البخاري ومسلم (٢) أيضًا من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا ، وَهْوَ بِالأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ « **إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ** » .

وعند مسلم (٣) كذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَذْكِرُهُ كَيْفَ أَخْبَرْتَنِي عَنْ لَحْمِ صَيْدٍ أُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ حَرَامٌ قَالَ قَالَ أُهْدِيَ لَهُ عُضْوٌ مِنْ لَحْمِ صَيْدٍ فَرَدَّهُ. فَقَالَ «**إِنَّا**

(١) البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).
(٢) البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).
(٣) مسلم (١١٩٥).

(٥٦٧) أحمر
أسود

لاَ نَأْكُلُهُ إِنَّا حُرُمٌ ».

وعنده (١) أيضًا من طريق مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَنَحْنُ حُرُمٌ فَأُهْدِىَ لَهُ طَيْرٌ وَطَلْحَةُ رَاقِدٌ فَمِنَّا مَنْ أَكَلَ وَمِنَّا مَنْ تَوَرَّعَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلْحَةُ وَفَّقَ مَنْ أَكَلَهُ وَقَالَ أَكَلْنَاهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا ويستحب لمن ساق الهدي أن يُقلّده، وأن يُشعره: كما ورد في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسول الله ﷺ.

أما في كتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٢].

وقد قلد النبي ﷺ هديه وأشعر البدن.

* أما عن تقليد الهدي: فهو أن تُجعل في رقبته قلادة حتى يُعرف أن هدي (٢)، وأما عن إشعاره فهو أن يطعن في ظهر الناقة أو في فخذها طعنًا خفيفًا فيسيل بعض الدم فيمسح بها المكان المحيط بالطعنة، فيُعلم بذلك أنها مهداة إلى البيت العتيق.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري (٣) من حديث عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قَالاَ خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِى بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِى الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ النَّبِىُّ ﷺ الْهَدْىَ وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ.

---

(١) مسلم (١١٩٧).

(٢) أخرج البخاري (١٧٠٢)، ومسلم (٩٥٩/٢) في طرق حديث (١٣٢١) من حديث عائشة ف قالت: كُنْتُ أَفْتِلُ الْقَلاَئِدَ لِلنَّبِىِّ □ فَيُقَلِّدُ الْغَنَمَ ، وَيُقِيمُ فِى أَهْلِهِ حَلاَلاً .

وقولها: يقيم في أهله حلالًا: أي: بالمدينة في السنوات التي لم يحج فيها كان يرسل هديًا إلى مكة أما الإشعار ففي صحيح مسلم (١٢٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ □ الظُّهْرَ بِذِى الْحُلَيْفَةِ ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِى صَفْحَةِ سَنَامِهَا الأَيْمَنِ وَسَلَتَ الدَّمَ وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ....

(٣) البخاري (١٦٩٥).

(٥٦٨) أحمر
أسود

وهذا الإشعار، وذاك التقليد (أي: القلائد التي في عنق الهدي) مستحبان، وليسا على الوجوب، والله تعالى أعلم.

ماذا تفعل الحائض والنفساء عند الميقات؟

والحائض والنفساء إذا وصلتا الميقات، وكانتا تريدان الحج والعمرة؛ فإنهما تهلان من الميقات شأنهما شأن سائر الحجيج في كل شيء إلا أنهما لا تطوفان بالبيت حتى تطهرا من الحيض أو النفاس، ويستحب لهما بين يدي هذا الإهلال أن تغتسلا تنظفًا وإن كانت الحيضة ما زالت باقية.

وذلك لم أخرجه مسلم (١) من حديث عائشة رضي الله عنها: قَالَتْ نُفِسَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالشَّجَرَةِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ يَأْمُرُهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُهِلَّ.

وعند مسلم (٢) من حديث جابر أيضًا..... فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ « **اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي** ».

هذا ويستمر الحاج مُلبيًا إلى أن يصل إلى الحرم؛ فإذا بلغ الحرم، فللحرم آدابٌ وأحكامٌ فمكة بلدٌ حرام لها حرمتها التي يجب أن تُراعى، ففي الصحيحين (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ « **لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا،**

(١) مسلم (١٢٠٩).
(٢) مسلم (١٢/٨).
(٣) البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

(٥٦٩) أحمر
أسود

وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا » . قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ . إِلاَّ الإِذْخِرَ ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ . قَالَ قَالَ « إِلاَّ الإِذْخِرَ » .

ويجوز للمُحرم: أن يستعمل الشمسية، وأن يلبس الساعة، وأن يستظل بحائطٍ أو بخيمة أو بأي شيء لا يلامس رأسه، وإن استظل جاهلًا بما يلامس الرأس أو تطيب بجهل ونسيان فلا شيء عليه، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث يعلى بن أمية (١): أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِىَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلُوقِ أَوْ قَالَ صُفْرَةٍ فَقَالَ كَيْفَ تَأْمُرُنِى أَنْ أَصْنَعَ فِى عُمْرَتِى فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ، فَسُتِرَ بِثَوْبٍ وَوَدِدْتُ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ . فَقَالَ عُمَرُ تَعَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْوَحْىَ قُلْتُ نَعَمْ . فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ كَغَطِيطِ الْبَكْرِ . فَلَمَّا سُرِّىَ عَنْهُ قَالَ « **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ اخْلَعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ وَاغْسِلْ أَثَرَ الْخَلُوقِ عَنْكَ ، وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ ، وَاصْنَعْ فِى عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِى حَجِّكَ** » .

ويجوز للمحرم (٢) أن يغتسل وأن يدلك رأسه:

أخرج البخاري (٣) من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ اخْتَلَفَا بِالأَبْوَاءِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ . وَقَالَ الْمِسْوَرُ لاَ يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ . فَأَرْسَلَنِى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ ، وَهُوَ يُسْتَرُ بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ حُنَيْنٍ ، أَرْسَلَنِى إِلَيْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، أَسْأَلُكَ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ ، وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ ، فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِى

(١) البخاري (١٧٨٩).
(٢) وليتق الصابون المطيب؛ احترازًا من الطيب الممنوع.
(٣) البخاري (١٨٤٠).

(٥٧٠) أحمر
أسود

رَأْسُهُ ثُمَّ قَالَ لإِنْسَانٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ اصْبُبْ . فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ ﷺ يَفْعَلُ .

ما يُقتل من الدواب في الحرم

وهناك دوابٌّ تقتل في الحرم، وليس على المحرم جناح في قتلهن: ففي الصحيحين (١) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَتْ حَفْصَةُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ** » .

بل ويُشرع الاغتسال عند دخول مكة لمن استطاعه، ومن لم يفعل فلا شيء عليه.

أخرج البخاري ومسلم (٢) من طريق نافع قال: كَانَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحَرَمِ أَمْسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِى طُوًى ، ثُمَّ يُصَلِّى بِهِ الصُّبْحَ وَيَغْتَسِلُ ، وَيُحَدِّثُ أَنَّ نَبِىَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ .

أبواب في الطواف

*** ويتوضأ لطواف:**

وذلك لأن النبي ﷺ توضأ لطوافه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّهُ أَوَّلُ شَىْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عُمْرَةً ، ثُمَّ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَكَانَ أَوَّلَ شَىْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ.....الحديث.

وقد رأى بعض أهل العلم أن الوضوء للطواف شرطٌ لصحةِ الطواف، واستدل بعضهم بحديث: «**الطواف بالبيت صلاةٌ إلا أنكم تتكلَّمون فيه، فمن تكلَّم فيه فلا يتكلَّمَنَّ إلا بخيرٍ**».

(١) البخاري (١٨٢٨)، ومسلم (١١٩٩).
(٢) البخاري (١٥٧٣)، ومسلم (١٢٥٩).
(٣) البخاري (١٦٤١)، ومسلم (١٢٥٨).

(٥٧١) أحمر
أسود

لكن الصواب فيه: الوقف على ابن عباس.

وعلى كلٍّ؛ فأدنى الأحوال استحباب الوضوء.

ثم يدخل الحرم من أيِّ باب شاء؛ ذاركرًا الله ﷻ بالأذكار الواردة عند دخول المسجد، كقول: «**اللهم افتح لي أبوابَ رحمتك**»(١).

وكالوارد أيضًا عن رسول الله ﷺ عند دخول المسجد أيضًا: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٢).

ويشرع لطائف أن يضطبع، والاضطباع هو تغطية الكتف الأيسر، وكشف الكتف الأيمن، وذلك لأن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم قد قذفوها على عواتقهم اليسرى(٣).

وفيما يظهر لي: أن هذا الاضطباع أثناء الطواف فقط.

وذلك لما أخرجه أحمد في مسنده بسندٍ حسنٍ(٤) أيضًا وبإيضاح للحديث السابق ففيه: ثُمَّ أَقبلَ رسولُ الله ﷺ حتى دخلَ المسجد وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطبع بردائه...الحديث.

هذا، ويبتدئ الطائف طوافه باستلام الحجر الأسود وتقبيله إن استطاع، فإن لم يستطع أشار إليه وكبَّر.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ ، إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الأَسْوَدَ أَوَّلَ مَا يَطُوفُ

(١) مسلم (٧١٣).
(٢) إسناده حسن، وقد أخرجه أبو داود (٤٦٦) بسندٍ حسنٍ.
(٣) أخرجه أبو داود بسند حسن (١٨٨٤) ففي سنده: عبد الله بن عثمان بن خيثمة، وحديثه لا يرتقي للصحة، بل ينزل للحسن.
(٤) أحمد (٣٠٥/١).
(٥) البخاري (١٦٠٣)، ومسلم (١٢٦١).

(٥٧٢) أحمر
أسود

يَخُبُّ (١) ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ السَّبْعِ .

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ (٢) أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ (٣) .

ولحديث جابر (٤) رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه، ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا.

* أما عن تقبيل الحجر: ففي الصحيحين (٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر وقال: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك.

ولا ينبغي أن يزاحم ويؤذي الناس كي يقبل الحجر؛ فإن أذى المسلمين لا يجوز، والله يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* أما عن الحجر الأسود نفسه: فقد ورد بإسنادٍ يُحسَّن: أن رسول الله ﷺ قال: « الْحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ الشِّرْكِ» (٦) .

وكذلك بإسنادٍ حسنٍ عند الترمذي في فضل استلام الحجر: «وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ» (٧) .

وإذا كان مع الطائف عصًا واستطاع- بلا إلحاق ضرر بأحد- أن يستلم

(١) ومعنى (يخب): أي: يرمل، والرمل هو المشي السريع المتابع.
(٢) والمراد بالركن: الركن الذي فيه الحجر الأسود.
(٣) البخاري (١٦١٣).
(٤) مسلم (١٢١٨).
(٥) البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٧/١).
(٧) الترمذي (٩٦١).

(٥٧٣) أحمر
أسود

الحجر بالعصا استلمه بالعصا، وقبَّل العصار.

وقد أخرج مسلم (١) في صحيحه من طريق أبي الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوفُ بالبيتِ، ويستلمُ الرُّكن بمحجن معه، ويُقبلُ المحجن.

وعند مسلم أيضًا (٢) من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ مَا تَرَكْتُ اسْتِلاَمَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ - الْيَمَانِىَ وَالْحَجَرَ مُذْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا فِى شِدَّةٍ وَلاَ رَخَاءٍ.

الرَّمَل في الحج

ثم يبدأ الطائف في طوافه، الذي هو طواف القدوم- بطريقة الرمل (٣) - الرمل (٣) - إن استطاع-، والرَّمَلُ: هو المشي السريع المتتابع، وذلك في

(١) مسلم (١٢٧٥).
(٢) مسلم (١٢٦٨)، والبخاري (١٦٠٦).
(٣) وليس على النساء رَمَلٌ.

وهذا وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال لِلرُّكْنِ أَمَا وَاللهِ إِنِّى لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ ، وَلَوْلاَ أَنِّى رَأَيْتُ النَّبِىَّ □ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ . فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ قَالَ فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ . ثُمَّ قَالَ شَىْءٌ صَنَعَهُ النَّبِىُّ □ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ .

وأخرج مسلم في صحيحه (١٢٦٤) من طريق أَبِى الطُّفَيْلِ قَالَ قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّمَلَ بِالْبَيْتِ ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشْىَ أَرْبَعَةِ أَطْوَافٍ أَسُنَّةٌ هُوَ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ. قَالَ فَقَالَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا. قَالَ قُلْتُ مَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ □ قَدِمَ مَكَّةَ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ مِنَ الْهُزَالِ وَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ. قَالَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ □ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاَثًا وَيَمْشُوا أَرْبَعًا. قَالَ قُلْتُ لَهُ أَخْبِرْنِى عَنِ الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رَاكِبًا أَسُنَّةٌ هُوَ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ.
قَالَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا. قَالَ قُلْتُ وَمَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ □ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا مُحَمَّدٌ. حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْبُيُوتِ. قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ □ لاَ يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ وَالْمَشْىُ وَالسَّعْىُ أَفْضَلُ.

(٥٧٤) أحمر
أسود

طواف القدوم فقط (١)، وفي الثلاثة أشواط الأُوَل فقط، ويكون مضطبعًا كما بينا، والاضطباع: أن يكشف الكتف الأيمن، ويغطى الكتف الأيسر.

هذا، ويستحب للطائف أن يدعو عند الملتزم (وهي المسافة بين الركن الذي به الحجر الأسود، وباب الكعبة).

أما ما ورد من لصق الخدود والصدور بالملتزم؛ فذاك ضعيف الإسناد.

هذا، ويجدر التنبيه على أمرٍ هو في غاية الأهمية: ألا وهو أن الطائف يجب عليه وجوبًا أن يطوف من خلف الحجر (الذي يسميه الناس حِجْر إسماعيل (٢)) فالحجر من الكعبة، فالذي يختصر الطواف ويطوف من داخل الحِجْر فطوافه لهذا الشوط غير صحيح، وذلك لأنه لم يطف بالكعبة (التي منها الحِجْر).

* وقصة ذلك الحِجْر: أن قريشًا لما أرادوا الكعبة قصرت بهم النفقة (أي: لم يجدوا نفقة) عن بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، فبنوها من ثلاثة أركان على قواعد إبراهيم، الباقي صنعوا له ما يحيط به ليُعلم أنه من الكعبة، فعليه فصورة الكعبة التي يُطاف حولها كالتالي:

ومما يدل على ماذكر من عدم إتمام بناء الكعبة على قواعد إبراهيم: ما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ «**نَعَمْ**». قُلْتُ فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ قَالَ «**إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ**». قُلْتُ فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ «**فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ**

(١) ومما يدل على أن الرمل في طواف القدوم فقط: ما أخرجه أبو داود (٢٠٠١) بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لم يَرْمُلْ في السَّبْعِ الَّذي أَفَاضَ فِيهِ.

(٢) ولا أعلم دليلًا صحيحًا على تسميته بحجر إسماعيل.

(٣) البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

(٥٧٥) أحمر
أسود

فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ».

وقد أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَمَلَ رسولُ الله ﷺ من الحجر إلى الحَجَرِ ثلاثًا، ومَشَى أَرْبعًا.

هذا، وأما عن الأذكار في الطواف: فلم يصح ذكرٌ بعينه أثناء الطواف، اللهم إلا أن من العلماء من يُحسِّن حديثًا وفيه أيضًا- فيما أرى ضعف، وهو قول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» بين الركن اليماني والحجر الأسود.

أما ما سوى ذلك فلم يصح أي دعاء عن رسول الله ﷺ أثناء الأشواط؛ وعليه فالكتب التي تباع حول الحرم فيها: ذكر الشوط الأول، وذكر الشوط الثاني، .....إلى غير ذلك؛ كل ذلك لا يصح عن النبي ﷺ.

ويجوز للطائف أن يطوف على بعير أو راكبًا عمومًا: قالت أم سلمة رضي الله عنها: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّى أَشْتَكِى . قَالَ « **طُوفِى مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ** » (٢) .

وأخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ طَافَ النَّبِىُّ ﷺ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ .

وأخرج مسلم (٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: طَافَ النَّبِىُّ ﷺ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيَرَاهُ النَّاسُ وَلِيُشْرِفَ وَلِيَسْأَلُوهُ فَإِنَّ النَّاسَ غَشُوهُ.

* **أما عن الركن اليماني:** فيستحب استلامه أيضًا عند كل مرورٍ عليه، ولكن

---

(١) مسلم (١٢٦٢).
(٢) البخاري (١٦١٩)، ومسلم (١٢٧٦).
(٣) البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢).
(٤) مسلم (١٢٧٣).

(٥٧٦) أحمر
أسود

إذا لم يستطع الطائفُ استلامه لم يُشر إليه، فالإشارة إلى الركن اليماني لم ترد عن رسول الله ﷺ.

أما عن استلام الركن اليماني أيضًا: فقد أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ مَا تَرَكْتُ اسْتِلاَمَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ فِى شِدَّةٍ وَلاَ رَخَاءٍ ، مُنْذُ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا . قُلْتُ لِنَافِعٍ أَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَمْشِى بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ قَالَ إِنَّمَا كَانَ يَمْشِى لِيَكُونَ أَيْسَرَ لاِسْتِلاَمِهِ .

ولا استلام للأركان غير الركنين اليمانيين (الركن اليمانن والركن الذي به الحَجَر الأسود).

وعند البخاري (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله قال لها: « **أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ**». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ «**لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ**».

فقال عبد الله (٣) رضي الله عنه لئن كانت عائشة رضي الله عنها سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أُرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

أما عن الأجر في مسح الحجر الأسود والركن اليماني: فقد أخرج النسائي (٤) وغيره من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير: أن رجلًا قال: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَاكَ تَسْتَلِمُ إِلاَّ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ قَالَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -

(١) البخاري (١٦٠٦)، ومسلم (١٢٦٨).
(٢) البخاري (١٥٨٣).
(٣) عبد الله هو ابن عمر، كما هو واضح في سياق الأحاديث.
(٤) أخرجه النسائي (٢٢١/٥)، و الترمذي (٣٨٢/٣)، و عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٨٣٠) وفي سنده بعض الكلام.

(٥٧٧) أحمر
أسود

ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطَّانِ الْخَطِيئَةَ ». وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ « مَنْ طَافَ سَبْعًا فَهُوَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ ».

ويجوز للطائف أن يتكلم؛ فلا مانع للطائف من الكلام، ولكن إذا تكلَّم يتكلَّم بخير، ولا يشوش على داعٍ وسائلٍ وتالٍ، والله أعلم.

وقد ورد أن النبي ﷺ تكلم أثناء الطواف فعند البخاري (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ، أَوْ بِخَيْطٍ، أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ « قُدْهُ بِيَدِهِ».

ولا يمنع الطائف من الطواف في أي وقتٍ شاء: ولك لقول النبي ﷺ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ تَمْنَعُنَّ أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ» (٢).

فإذا انتهى الطائف من طوافه اتجه إلى مقام إبراهيم (٣) تاليًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. فيصلي خلف المقام ركعتين (٤) يقرأ في الأولى- بعد الفاتحة- سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية- بعد الفاتحة- سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فإذا لم يستطع الصلاة خلف المقام مباشرة ويجعل المقام بينه وبين الكعبة؛ صلى في أي مكان خلف المقام، وإلا ففي أي مكان في المسجد.

ويستحب للمرء (٥) بعد صلاة الركعتين خلف المقام أن يتجه إلى

(١) البخاري (١٦٢٠).
(٢) النسائي (٥/٢٢٣)، وأبو داود (١٨٩٤).
(٣) وهل يشير إلى الحَجر أم لا في الشوط الأخير، ففي ذلك وجهان للعلماء والأمر واسعٌ، والله أعلم.
(٤) مسلم (١٢١٨).
(٥) انظر: صحيح مسلم (١٢١٨)، وأحمد (٣/٣٩٤).

(٥٧٨) أحمر
أسود

زمزم (١) فيشرب منها ويصب على رأسه، ثم يرجع فيستلم الحجر ثانيةً، ثم يتجه إلى الصفا.

الصفا والمروة

ثم يتجه المُحْرِمُ إلى الصفا تاليًا -إذا دنا منها- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ثم يقول: أبدأ بما بدأ الله به، أي: أبدأ عملي في السعي بالوقوف على الصفا.

ثم إذا صعد الصفا- ولا يلزم أن يكون على الأحجار التي هنالك في أعلاها، إنما يكفي الصعود- شُرع له إذا صعد أن يتجه إلى القبلة ويذكر الله بهذا الذِّكْرِ الذي سنورده قريبًا جدًّا إن شاء الله، ويرفع يديه، ويدعو بما شاء، ويكثر جدًّا من الدعاء والذِّكر إن استطاع؛ فقد جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروةن رمي الجمار،؛ لإقامة ذكر الله ﷻ، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاثًا.

أما عن هذا الذِّكر المستحب فعله على الصفا: فهو ما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في بيان حجة النبي ﷺ ففيه: «ثُمَّ خَرَجَ -أي: رسول الله ﷺ- مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ (۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) « **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ** ». فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** ». ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى

(١) وقد ورد في فضل ماء زمزم قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّها مُبَارَكَةٌ، إِنَّها طَعَامُ طُعْمٍ**» (مسلم ٢٤٧٣).

(٥٧٩) أحمر
أسود

حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا».

أما عن استحباب رفع اليدين والدعاء مستقبل القبلة: فلما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلاَ عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ (١).

* **أما عن السعي بين الصفا والمروة:** فإن الساعي يسعى داعيًا الله بما شاء من دعاءٍ، ذاكرًا أو تاليًا ما شاء من ذِكْرٍ أو تلاوةٍ، ما دام الشرع يقرها.

أما عن تخصيص كل شوط بدعاء معين؛ فهذا غير وأرد ولا مأثور عن النبي ﷺ.

هذا، ويُسرع الساعي (٢) في مسيرة، بل يجري جريًا خفيفًا بين العلامتين الخضراوين المشار بهما إلى الوادي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ في هذا المكان.

وفي سنن النسائي (٣) من طريق صفية بنت شيبة عن امرأة قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ يسعى في بطن المسيل ويقولُ: «**لا يُقطعُ الوادي إلا شدًّا**».

ويجوز للساعي بين الصفا والمروة أن يسعى راكبًا: وقد تقدم ذلك في أبواب الطواف.

هذا، وليُعلم أن الشوط الأول يكون من الصفا إلى المروة، والشوط الثاني يكون من المروة إلى الصفا، والثالث من الصفا إلى المروة، وهكذا حتى ينتهي على المروة بعد الشوط السابع.

وكثيرًا ما يُخطئ الناس في ذلك فيجعلون الذهاب والإياب شوطًا واحدًا، والصحيح أن الذهاب (أي: من الصفا إلى المروة) شوط، والإياب (الذي هو

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).
(٢) لكن النساء ليس عليهن إسراع في الوادي.
(٣) سنن النسائي (٥/٢٤٢).

(٥٨٠) أحمر
أسود

من المروة إلى الصفا) شوط ثانٍ من الأشواط السبعة.

وكما هو واضح فإنه كلما أتى إلى بداية العلامتين الخضراوين أسرع في السعي، وذلك للحديث المتقدم: «**لا يُقطعُ الوادي إلا شَدًّا**».

أما النساء فليس عليهن هذا الشَّد.

فإذا انتهى من أشواطه السبعة، وسيكون حينئذ على المروة فحينئذ يكون قد قضى عمرته، وله حينئذ أحوال:

إما أن يكون معتمرًا فقط، وليس هنالك حجٌّ؛ فحينئذس تكون عمرته قد انقضت تمامًا، فليتحلل بحلق شعر رأسه، وإن قصَّره فقط جاز له؛ لكن الحلق في حقه أفضل. أما النساء فتأخذ من الشعر قدر أنملة (عقلة إصبع).

وإما أن يكون معتمرًا عمرةً متمتعًا بها إلى الحج، وهذه العمرة- يلزم أن تكون بدايتها في أشهر الحج التي هي شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة- فأيضًا سيكون قد أنهى عمرته تمامًا، ولكن يستحب في حقه التقصير؛ لأنه سيحلق يوم النحر.

وهذا المتمتع الذي قد تحلل بعد عمرته يحل له كل شيء كلبس الثياب، وجماع النساء، وتقليم الأظافر، وفعل كل شيء يفعله الحلال، وذلك حتى يُهل بالحج ثانيةً فيما بعد، إما يوم التروية، وإما يوم عرفة.

وإما أن يكون قارنًا (أي: قد قال عند إهلاله: لبيك عمرةً في حجة) ويكون قد ساق الهدي: فهذا لا يتحلل بل يبقى على إحرامه على ما سيأتي بيانه.وهذا القارن كان له أن يؤخر السعي بين الصفا والمروة مع طواف الحج (الذي هو طواف الإفاضة) وله أن يقدمه كالذي أشرنا إليه، والحاصل: أن عليه سعيًا واحدًا بين الصفا والمروة، إن سعاه مع طواف القدوم أجزأ عنه ولم يسع ثانية، وإن لم يَسْعَ مع طواف القدوم سعى مع طواف الإفاضة.

(٥٨١) أحمر
أسود

أما عن الحال الأخيرة للحاج: فهي أن يكون مُفردًا بالحج (أي: نوى الحج فقط، وأهلَّ به) دون عمرة فهذا يبقى على إحرامه أيضًا إلى يوم النحر على ما سيأتي بيانه إن شاء الله. وليس عليه سعيٌ للحج فيما بعد ما دام قد سعى لعمرته التي قدمنا ذكرها، أما إذا لم يكن سعى السعي الذي قدمناه فيُلزم بسعي مع طواف الإفاضة على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وهذا الطواف الذي فعله فيما سبق يُعَدُّ سُنَّة في حقه، بمعنى أنه- أي: المفرد- إذا أهل من الميقات وجاء مباشرةً إلى متى أو عرفات فليس عليه شيء إلا أن أجره بنقص عن الذي طاف طواف القدوم بلا شك.

فهذا بالنسبة للأنساك المذكورة (أعني: صور الحج التي اختار الحاج إحداها)، وقد قدمنا أيها أفضل مع تعليل ذلك، وهذا مزيد بيان لبعض ما ذُكر.

نسك النبي ﷺ في حجته (القِرَان)

ولنسأل أولًا عن الذي صنعه النبي ﷺ ثم لنقف على ما أمر به أصحابه رضي الله عنهما.

لقد بقي النبي ﷺ على إحرامه لكونه قد ساق الهدي معه، ولقد أمر أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي أن يجعلوها عمرة، ولكن فيما يبدو لي أن هذا الأمر لم يكن أمر إلزام شديد، ولا إيجاب أكيد، إنما هو دائر بين الإباحة والاستحباب، والذي حملني على ذلك قولُ جابر رضي الله عنه....ولم يعزم عليهم، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم (١) من طريق عطاء عن جابر وفيه: أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ - قَالَ عَطَاءٌ قَالَ جَابِرٌ - فَقَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِىُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ وَقَالَ « **أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ** » . قَالَ عَطَاءٌ قَالَ جَابِرٌ وَلَمْ يَعْزِمْ

(١) البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢٤٠).

(٥٨٢) أحمر
أسود

عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلاَّ خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْيَ قَالَ وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَحَرَّكَهَا فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ « **قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ وَلَوْلاَ هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحِلُّوا فَلَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ** » . فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

هل التمتع واجب؟

* **وهنا وقفة، عند أمر مُعين، ألا وهو:** هل يجب على كل من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يكن ساق الهدي أن يجعل ما سبق من الطواف والسعي عمرةً، ومن ثَمَّ يجب عليه التحلل من عمرته ويصبح متمتعًا أم أن الأمر على غير هذا؟

فلأهل العلم وجوه في ذلك، منها طرفان ووسط، ولا شك أن الوسط أفضلها، والله تعالى أعلم.

أما الطرفان: فأولهما: قول من قال بعدم جواز التحلل من هذه العمرة، وحملوا أمر النبي ﷺ بالتحلل على أن هذا كان لعامه الذي حج فيه فقط، ومن ثَمَّ منع هذا الفريق من أهل العلم الناس من التحلل من العمرة ومنعوهم من التمتع عمومًا.

وهذا القول قد قال به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وفريق آخر من الصحابة رضي الله عنهم.

أما إنكار عمر رضي الله عنه على من تمتع بالعمرة إلى الحج.

فقد أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(١) مسلم (١٢١٧).

(٥٨٣) أحمر
أسود

فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ قَالَ إِنَّ اللهَ كَانَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مَنَازِلَهُ فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ.

وفي صحيح مسلم (١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ. فَقَالَ «أَحَجَجْتَ». قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ «بِمَا أَهْلَلْتَ». قُلْتُ لَبَّيْكَ بِإِهْلاَلٍ كَإِهْلاَلِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ «أَحْسَنْتَ، انْطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ». ثُمَّ أَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ بَنِي قَيْسٍ، فَفَلَتْ رَأْسِي، ثُمَّ أَهْلَلْتُ بِالْحَجِّ، فَكُنْتُ أُفْتِي بِهِ النَّاسَ، حَتَّى خِلاَفَةِ عُمَرَ رضي الله عنه فَذَكَرْتُهُ لَهُ. فَقَالَ إِنْ نَأْخُذْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِالتَّمَامِ، وَإِنْ نَأْخُذْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَحِلَّ حَتَّى بَلَغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ.

وقد أخرج البخاري (٢) أيضًا من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآنُ، قال رجلٌ برأيه ما شاء.

وكذا إنكار عثمان رضي الله عنه ومعارضة عليٍّ رضي الله عنه له في ذلك: ففي الصحيحين (٣) من طريق عبد الله بن شقيقٍ قال: كَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَأْمُرُ بِهَا فَقَالَ عُثْمَانُ لِعَلِيٍّ كَلِمَةً ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّا قَدْ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَجَلْ وَلَكِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ.

وفيهما أيضًا (٤) من طريق سعيد بن المسيب قال: اجْتَمَعَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ رضي الله عنهما بِعُسْفَانَ فَكَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ أَوِ الْعُمْرَةِ فَقَالَ عَلِيٌّ مَا تُرِيدُ إِلَى أَمْرٍ فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَنْهَى عَنْهُ فَقَالَ عُثْمَانُ دَعْنَا مِنْكَ. فَقَالَ إِنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدَعَكَ فَلَمَّا أَنْ رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا.

---

(١) مسلم (١٢٢١)، وانظر البخاري أيضًا (١٧٢٤).
(٢) البخاري (١٥٧١).
(٣) مسلم (١٢٢٣)، والبخاري (١٥٦٣).
(٤) مسلم (١٢٢٣)، والبخاري (١٥٦٩).

(٥٨٤) أحمر
أسود

وكان هذا الرأي- أعني أن المتعة خاصة بأصحاب النبي ﷺ رأيٌ لأبي ذر كذلك؛ ففي صحيح مسلم (١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد ﷺ خاصة (٢).

وقد حدث أيضًا بين أنس وابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يرى منع التمتع في الحج، وعارضه أنسٌ بشدةٍ في هذا؛ ففي صحيح مسلم (٣) من طريق بكرٍ عن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُلَبِّي بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا. قَالَ بَكْرٌ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ لَبَّى بِالْحَجِّ وَحْدَهُ. فَلَقِيتُ أَنَسًا فَحَدَّثْتُهُ بِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ أَنَسٌ مَا تَعُدُّونَنَا إِلاَّ صِبْيَانًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا** ».

وهذا القول بلا شك أراه مُجانبًا للصواب، وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فدل هذا على أن هناك من يتمتع، وقد أباح الله له ذلك.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يسوقوا الهدي بالتمتع، ولما سئل رسول الله ﷺ عن هذا الأمر بالتحلل، فقال له سراقة بن مالك بن جُعْشُم: يا رسول الله ألعامِنَا هذا أم لأبدٍ؟ قال: «**بل لأبدٍ أبد**».

فدل ذلك على أن التمتع لم يكن خاصًّا بزمن رسول الله ﷺ فحسب.

أما الطرف الثاني، ألا وهو الطرف القائل بوجوب هذا التمتع لمن لم يسق الهدي، ووجهه هذا القول: أن النبي ﷺ أمرَ من لم يَسُقش الْهَدْيَ بأن يتحلل وبجعل ما سبق من أمره عُمرةً، قالوا: فما دام النبي قد أمر، فأمره واجب ولزامًا أن يتبع.

---

(١) مسلم (١٢٢٤).
(٢) وهو مجموع بحديث رسول الله □: «».بَلْ لأَبَدٍ. بَلْ لأَبَدٍ أَبَدٍ».
(٣) مسلم (١٢٣٢)، وانظر البخاري أيضًا (٤٣٥٣).

(٥٨٥) أحمر
أسود

أما الجواب على هذا فمن وجوه:

أولًا: لا شك أن اتباع أمر رسول الله ﷺ واجب؛ لكن إذا علمنا من سائر أقواله ﷺ أو أُخبرنا عن بعض صحابته عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه لا يريد تشديدًا في الأمر علمنا أن أمرَه أمرُ استحباب ونَدْبٍ وإرشاد، وقد يكون حسب القرائن- أمرَ إباحة.

فبالنظر إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]. علمنا أن هناك من لا يتمتع، فمن ثَمَّ فالتمتع على الجواز.

ثم بالنظر إلى قول جابر رضي الله عنه لما قال: فَقَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ فَأَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ. قَالَ عَطَاءٌ قَالَ « **حِلُّوا وَأَصِيبُوا النِّسَاءَ** ». قَالَ عَطَاءٌ وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ...

نرى من قوله: ولم يعزم عليهم: أن الأمر ليسَ أمرَ إيجاب وإلزام.

ثم بالنظر إلى ما رواه مسلم (١) من طريق مُسْلِمٍ الْقُرِّىِّ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ فَرَخَّصَ فِيهَا وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا فَقَالَ هَذِهِ أُمُّ ابْنِ الزُّبَيْرِ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَخَّصَ فِيهَا فَادْخُلُوا عَلَيْهَا فَاسْأَلُوهَا قَالَ فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَإِذَا امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمْيَاءُ فَقَالَتْ قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا.

فنرى من هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ رخَّص فيها، وفرقٌ بين الترخيص في الشيء وإيجاب هذا الشي.

فكلُّ هذا الذي ذُكر دالٌّ على أن الأمر ليس أمرَ إيجاب، وإنما أمر إباحةس أو استحباب، وذلك، والله أعلم، لكون الصحابة رضي الله عنهم لم يعهدوا من قبل هذه الصورة من صور الحج التي هي التمتع في الحج، ولذلك فقد أنكر منهم من أنكر على الآخر، فأنكر عليٌّ رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها إلى أن استثبت من رسول

(١) مسلم (١٢٣٨).

(٥٨٦) أحمر
أسود

الله ﷺ كما في حديث جابر الطويل (١) ففيه: وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ « صَدَقَتْ صَدَقَتْ».

وقال بعضهم كما في حديث جابر في الصحيحين (٢): فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلاَّ خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْيَ.

وفي صحيح مسلم (٣): أن رجُلًا مِنْ بَنِي الْهُجَيْمِ لابْنِ عَبَّاسٍ مَا هَذِهِ الَّتِي قَدْ تَشَغَّفَتْ أَوْ تَشَغَّبَتْ بِالنَّاسِ أَنَّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ فَقَالَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَإِنْ رَغِمْتُمْ.

فهذا، وغيره، دالٌّ على أنهم كانوا يستنكرون التحلل من العمل فأكد لهم رسول الله ﷺ جوازها؛ بل، وأمرهم بها أمرَ ندبٍ وإرشادٍ كما أشرنا.

أما قوله ﷺ: «**دَخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**»؛ فهذا دالٌّ على جواز هذا الصنيع إلى الأبد، ليس لعامِ رسول الله ﷺ فحسب، وليس بدالٍّ على وجوب العمرة مع الحج إلى الأبد، ولذا فقد حج بعض الصحابة مفردين، وكان من هؤلاء عروة بن مضرسٍ رضي الله عنه.

فالحاصل: أن الأفضل في حق مَن لم يَسُقِ الْهَدْيَ: أن يتمتع (أي: يحج مُتمتعًا)، ومن ساقه فالأفضل في حقه القِرَان، وإن حجَّ شخصٌ مُفردًا فحجه صحيح، وليس بآثم، وقد حج عدد كبير من الصحابة مُفردين (أي: بلا عمرة).

---

(١) مسلم (١٢١٨).
(٢) البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦).
(٣) مسلم (١٢٤٤).

(٥٨٧) أحمر
أسود

وهذا رأي الجمهور، أعني: جواز الإفراد، والقِرَان، والتمتع، والله تعالى أعلم.

هذا، وحاصل الأمر فيما ذُكر:

أن من طاف وسعى، وبقي على إحرامه كقارِنس أو مفردٍ فله ذلك، ومن طاف وسعى وتحلَّل كمتمتع فله ذلك.

ماذا يصنع يوم التروية؟

ثم يبقى المُحرم على إحرامه، ومن تمتع فيبقى حلالًا إلى أن يأتي يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، فإذا جاء اليوم الثامن من ذي الحجة عاد المتمتع إلى الإهلال بالحج، فيهل بالحج من مكانه الذي هو فيه (١) قائلًا: « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ. لبيك حجًّا**»، وإن شاء قال: «**لبيك حجةً لا رياءَ فيها ولا سمعة**».

ثم يتجه الجميع (المفرد، والقارن، والمتمتع) وهم محرمون إلى منى يلبون ويكثرون من التلبية، ويرفعون أصواتهم بها إذ هي من شعار الحج كما بَيَّنا.

ويشرع للحاج أن يصلي بمنًى الظهر في وقته ركعتين (أعني: قصرًا) والعصر في وقته ركعتين (٢) (قصرًا) (٣) والمغرب في وقته (ثلاث ركعات) والعشاء في وقتها ركعتين (قصرًا) ثم يبيت.

(١) وذلك لما أخرجه مسلم (١٢١٤) من حديث جابر ﷺ قال: «أمرنا النبي ﷺ لما أحللنا أن نُحْرِمَ إذا توجّهنَا إل منًى، قال: فأهللنا من الأبْطَحِ». وقد كانوا نازلين فيه.

(٢) سئل أنس رضي الله عنه: اين صلى رسول الله ﷺ الظهرَ والعصر يوم التروية؟ قال: بمنًى. (البخاري: ١٦٥٣)، ومسلم (١٣٠٩).

(٣) أخرج البخاري (٢٦٢) ومسلم (٦٩٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ بمنًى ركعتين.

(٥٨٨) أحمر
أسود

ماذا يصنع يوم التاسع (يوم عرفة)؟

ويصبح فيصلي الصبح ركعتين، ويمكث بعد صلاة الصبح- يوم التاسع من ذي الحجة- قليلًا حتى تطلع الشمس، كما فعل رسول الله ﷺ (١) فقد مكث النبي ﷺ قليلًا حتى طلعت الشمس.

ثم يتجه الحاج إلى عرفات، وإن تمكَّن أن ينزل بنَمِرَةَ وهي على حدود عرفات (قبيل عرفات) وفيها المسجد المسمى بمسجد نَمِرَةَ، ونصفه المُقدم في نمرة (خارج عرفات) ونصفه المؤخَّر (تقريبًا) في عرفات، فإذا تمكن الحاج أن يبقى بنمرة إلى أن تزول الشمس، ومعنى زوالها: زوالها عن منتصف السماء، أي: قبيل الظهر بما يقارب نصف ساعة، استحب له ذلك، وذلك لأن النبي ﷺ لما توجَّه إلى عرفة (٢) وجد القبة قد ضُربت له بنمرةَ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء (ناقته) فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس...ثم أذَّن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا (٣) ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات...

فالحاصل: أن الشخص إذا أمكنه أن ينزل بنمرة إلى أن تزول الشمس، (وذلك قبيل الظهر بنصف ساعة تقريبًا) نزل بنمرة ثم يتجه إلى عرفات بعد زوال الشمس. وإذا لم يمكنه النزول بنمرة، ونزل مباشرة من منًى إلى عرفات فلا جناح عليه.

وفي طريقه من مِنًى إلى عرفات يُكبر إن شاء، ويلبِّي إن شاء، ويُهَلِّل إن

---

(١) انظر حديث جابر الطويل.
(٢) لحديث جابر الطويل.
(٣) أي: ليست هناك نافلة بين الظهر والعصر.

(٥٨٩) أحمر
أسود

شاء[(١)].

وليتقِّ الشخص النزول بعُرنةَ (بالنون): وهي موضع بين عرفة (بالفاء) ومزدلفة، وذلك لقول ابن عباس رضي الله عنهما: كان يُقالُ: ارْتَفِعُوا عَنْ مُحَسِّرٍ، وارْتَفِعُوا عَنْ عُرَنَاتٍ.

ومعنى قوله: ارتفعوا، أي: لا تنزلوا، ففي هذا نهي للحجيج عن الإقامة في عُرنة، أو الإقامة في وادي مُحسِّر؛ إنما إذا مروا بهما يمرون مرورًا سريعًا، والله أعلم.

ثم إنه يصلي في عرفات في وقت الظهر الظهرَ والعصرَ جمعًا وقصرًا، وإن كان هناك من يخطب خطب قبل الصلاة[(٢)]، وإن كان الحاج في خيمته وليس هناك من يخطب له في خيمته وليس هناك من يخطب له في خيمته فحضور الخطبة ليس بواجب.

ولكن يستحب له كما أسلفنا أن يجمع بين الظهر والعصر ويصلي كلًّا منهما ركعتين اقتداءً بالنبي ﷺ، وذلك حتى يتفرغ للعبادة بعرفات.

ويبقى في عرفات إلى أن تغرب الشمس وتذهب الصفرة قليلًا.

أما عن أعماله في عرفات، بعد صلاتي الظهر والعصر اللتين قد صلاهما جمعًا وقصرًا؛ فإنه يقف في أي مكان من عرفات، ولا يُلزم بالوقوف عند

(١) وذلك لحديث أنس رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (١٦٥٩)، ومسلم (١٢٨٥)، وقد سئل وهو في طريقه من منًى إلى عرفة: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ كَانَ يُلَبِّى الْمُلَبِّى لاَ يُنْكَرُ عَلَيْهِ ، وَيُكَبِّرُ الْمُكَبِّرُ فَلاَ يُنْكَرُ عَلَيْهِ.

(٢) وليُعلم أنه يُسَنُّ تقصير الخطبة، والسنة أيضًا تعجيل الصلاة، وذلك حين تزول الشمس، ويسنُّ أيضًا التعجيل بالوقوف، أي: أنه ينبغي ويُسَنُّ ويستحب للإمام ولغيره أن يصلي الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في أول وقت الظهر، وذلك بعد خطبةٍ قصيرةٍ، ثم يتوجه للدعاء والذكر. ففي الأثر عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأقره أبوه عبد الله بن عمر على ذلك كما في البخاري (١٦٦٠) أنه: للحَجَّاج: إن كنتَ تريدُ السُّنَّة فاقْصُرِ الخُطْبَةَ وعَجِّلِ الوُقُوفَ.

(٥٩٠) أحمر
أسود

الصخرات التي وقف عندها النبي ﷺ، ولا يُلزم بصعود جبل الرحمة هنالك، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»، فلا يتوهم أن صعود الجبل أو الوقوف عند الصخرات واجب من الواجبات، بل الوقوف في أيِّ مكانٍ من عرفات مجزئ ولله الحمد، لما تقدم من الحديث..

وليُعلم أن الوقوف بعرفات أعظم ركن من أركان الحج على الإطلاق لقول النبي ﷺ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»، فإذا لم يقف الحاج بعرفات؛ فلا حجَّ له.

وليُكثر من هذا اليوم من التهليل والتكبير والتلبية، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مِنًى إلى عرفات، منَّا المُلبِّي، ومَنَّا المُكَبِّرُ. أخرجه مسلم في صحيحه (١)، وتقدم حديث أنس في الصحيحين: كان يُهلُّ مِنَّا المُهِلُّ (٢) فلا يُنكرَ عليه، ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه.

وليكثر من قول: لا إله إلا الله، فمن أعظم ما يُقال في هذا اليوم: لا إله إلا الله، بل هي أعظم قولٍ على الإطلاق.

وليُكثر كذلك من الدعاء، وليجتهد فيه ملتزمًا بآدابه (٣).

ويستحب لمن وقف بعرفات أن يُفطر، ولا يصومه: وذلك اقتداء بالنبي ﷺ، ففي الصحيحين (٤) من حديث ميمونة رضي الله عنها: أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة؛ فأرسلت إليه بحلاب وهو واقفٌ في الموقف؛ فشرب منه، والناس ينظرون.

وفيهما من حديث أم الفضل (٥) أيضًا: شك الناس يوم عرفة في صوم

---

(١) مسلم (١٢٨٤).
(٢) والإهلال: رفع الصوت بالتلبية.
(٣) وسنورد في آخر الكتاب-إن شاء الله- طائفة من الأدعية من الكتاب والسنة.
(٤) البخاري (١٩٨٩)، ومسلم (١١٢٤).
(٥) البخاري (١٦٥٨)، ومسلم (١١٢٣).

(٥٩١) أحمر
أسود

النبي ﷺ؛ فبعثت إلى النبي ﷺ بشراب فشربه.

وأيضًا ففي الفطر عونٌ على كثرة الذكر وكثرة الدعاء، وهذا اليوم العظيم محلٌّ لهما.

فعلى ذلك، فالحثُّ الوارد على صوم يوم عرفة لغير الحجيج، والحاجُّ إن شاء الله مأجورٌ أيضًا إذا أفطر، وذلك لاتباعه لسنة رسول الله ﷺ.

وقد سُئل أبن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة بعرفة فقال (كما عند الترمذي ٧٥١) بسندٍ صحيح فقال: «حججت مع النبي ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه ومع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه، ولا أمر به ولا أنهى عنه.

أما عن فضل يوم عرفة، وفضل الحجيج الواقفين فيه، فقد صحَّ فيه من الأحاديث ما يلي:

ما أخرجه مسلم (١) في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ** ».

وعند أحمد (٢) بإسناد صحيح لشواهده- عن النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل ليباهي الملائكة بأهل عرفات يقول: انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبْرًا**».

وأخرج البخاري ومسلم (٣) من طريق طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِى كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا . قَالَ أَىُّ آيَةٍ قَالَ: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) [المائدة: ٣]. قَالَ عُمَرُ

(١) مسلم (١٣٤٨).
(٢) أحمد (٣٠٥/٢).
(٣) البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٥٩٢) أحمر
أسود

قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِى نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ .

هذا وكما سلف يستمر الحاج واقفًا في عرفة داعيًا سائلًا راجيًا خاشعًا مستغفرًا مهللًا مُكبرًا مُكبرًا من قول: لا إله إلا الله، ومُكثرًا من ذكر الله عمومًا، ويستحب له أن يتأدب عند الدعاء بآداب الدعاء الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وعليه أن يَغُضَّ البصر، ويتقي الجَدَل، ويحفظ السَّمْع واللِّسَان، بل ويجتهد في حفظ الفؤاد، وإن عاون حاجًّا وأرشد ضالًّا، وباع شيئًا أو اشتراه (١) بلا جدلٍ ولا رَفَثٍ ولا فسوقٍ فجائز له ما يصنع، وكذا إذا رأى منكرًا فغيَّره بلا مفسدة جاز له ذلك.

ويستمر الحاجُّ في وقوفه بعرفات حتى تغرب الشمس (٢)، وتذهب الصفرةُ قليلًا، ويؤخر المغرب كي يصليها مع العشاء في مزدلفة.

ثم يتجه من عرفات إلى مزدلفة راكبًا (وقد ركب رسول الله ﷺ) أو ماشيًا؛ فقد مشى قومٌ كثيرون في زمن رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج: ٢٧].

وعليه أن يدفع من عرفة إلى مزدلفة بسكينة ووقار فقد كان النبي ﷺ يحث الناس على السكينة- كما تقدم في حديث جابر رضي الله عنه، وأيضًا فقد قال النبي

(١) قال تعالى: (لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ) [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) [البقرة: ١٩٨].

(٢) أما عن القدر المجزئ الذي إذا وقفه الشخص بعرفات أجزأ عنه، وأصبح حاجًّا (مع سائر الأركان) فيوضحه حديث عروة بن مضرس الطائي رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود (١٩٥٠) وفيه: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ □ بِالْمَوْقِفِ - يَعْنِى بِجَمْعٍ قُلْتُ جِئْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ مَطِيَّتِى وَأَتْعَبْتُ نَفْسِى وَاللهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ جَبَلٍ إِلاَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِى مِنْ حَجٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ □ « مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلاَةَ وَأَتَى عَرَفَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ ».

(٥٩٣) أحمر
أسود

ﷺ: «**أيها الناسُ! عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع**»(١).

أي: ليس البر في إسراع المسير، ذلكم التزاحم المفضي إلى الإضرار بالنفس والآخرين.

وإذا وجد الحاج أمامه فرصة للإسراع بلا إضرار أسرع وذلك لأن النبي ﷺ كان كلما أتى حبلًا من الحبال أرخى لناقته قليلًا، كما تقدم في حديث مسلم، وكذلك فقد كان النبي ﷺ يَسيرُ العنق، فإذا وجد فجوة نص(٢)، أي: أنه كان يسير سيرًا متوسطًا بين الإبطاء والإسراع، فإذا وجد مكانًا متسعًا فارغًا أسرع فيه.

ثم إذا وصل مزدلفة صلى بها المغرب والعشاء جمعًا بإذان واحدٍ وإقامتين(٣) ولا سنة بينهما ولا قبلهما ولا بعدهما.

فقد أخرج بالبخاري ومسلم(٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَلاَ عَلَى إِثْرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

وكما هو معلوم: فإنه يصلي المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين(٥) بمزدلفة.

ولم أقف على خبر يفيد أن النبي ﷺ أوتر تلك الليلة، ومن ثم قال بعض أهل العلم: هذه الليلة الواحيدة التي لم يرد أن النبي ﷺ أوتر فيها. فالله أعلم.

---

(١) أخرج البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبِلِ فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ « **أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**».

(٢) البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦).

(٣) كما تقدم في حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) البخاري (١٦٧٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(٥) كما في صحيح مسلم (١٢٨٨) ففيه: وصَلَّى المَغْرِبَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ، وَصَلَّى العِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ.

(٥٩٤) أحمر
أسود

فإن ترك شخص الوتر لعدم ورود النص به في تلك الليلة فله ذلك. وإن أوتر شخص للعمومات الواردة في فضل الوتر والحث عليه فله ذلك، والله أعلم.

هذا، وإن وقف في أيِّ مكانس في مزدلفة، جاز له ذلك، وأجزأ عنه، (ومزدلفة يطلق عليها مزدلفة، ويطلق عليها جمعٌ، ويطلق عليها: الْمَشْعَر الحرام)، ولقد قال النبي ﷺ لما وقف في مزدلفة (التي هي جَمْعٌ): «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وجَمْعٌ كُلُّها موقف**»(١)، ولقد قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: ١٩٨].

ويستحب للحجيج أن يُعجِّلوا بالنوم بعد الصلاة.

هذا، وليحرص الحاج على المبيت بمزدلفة فهو واجب من الواجبات(٢) وليتنبه إلى حملات الحجيج وشركات السياحة التي لا يتقي كثيرون من القائمين عليها ربهم في أعمال الحج، فلا يقفون بمزدلفة إلا لالتقاط الجمرات والصلاة، وإن فعلوا، ولا يبتون؛ فإن فعلهم هذا لا يجوز، إنما المسنون والمشروع المبيت وصلاة الفجر بمزدلفة.

وليتأكد الحاجُّ أنه يبيت في مزدلفة، فكثيرون من الحجيج يبتون خارج مزدلفة وهم لا يشعرون.

هذا، ويستثنى الضعفة والنساء والصبية الصغار من المبيت بمزدلفة، فلهم أن يمضوا شطرًا من الليل بمزدلفة يصلون بها المغرب والعشاء ثم ينصرفون منها متجهين إلى مِنًى قبل صلاة الفجر، ويرمون الجمرة إذا قدموا مِنًى.

---

(١) تقدم، وهو في بعض طرق حديث جابر عند مسلم.
(٢) إلا ما سيأتي فيه الاستثناء.

(٥٩٥) أحمر
أسود

وهذه بعض الأحاديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أَنَّهَا نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ عِنْدَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَقَامَتْ تُصَلِّى، فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ يَا بُنَىَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ قُلْتُ لاَ. فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَارْتَحِلُوا. فَارْتَحَلْنَا، وَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتِ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَصَلَّتِ الصُّبْحَ فِى مَنْزِلِهَا. فَقُلْتُ لَهَا يَا هَنْتَاهْ مَا أُرَانَا إِلاَّ قَدْ غَلَّسْنَا. قَالَتْ يَا بُنَىَّ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِلظُّعُنِ.

وأخرج البخاري ومسلم (٢) أيضًا من طريق سالم قال: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ، فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ، فَيَذْكُرُونَ اللهَ مَا بَدَا لَهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الإِمَامُ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلاَةِ الْفَجْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوُا الْجَمْرَةَ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ أَرْخَصَ فِى أُولَئِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وفي الصحيحين (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله.

وأخرج البخاري ومسلم (٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِىَّ ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَطِيئَةً، فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ، فَلأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ.

---

(١) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).
(٢) البخاري (١٦٧٦)، ومسلم (١٢٩٥).
(٣) البخاري (١٦٧٨)،ومسلم (١٢٩٣).
(٤)البخاري (١٦٨١)، ومسلم (١٢٩٠).

(٥٩٦) أحمر
أسود

وعند مسلم (١) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث بها من جَمْعٍ بليلٍ.

هذا، ومتى يدفع الضعفة من مزدلفة إلى منًى؟

ورد في حديث أسماء السابق أنها سألت: هل غاب القمر فقال لها مولاها: نعم، قالت: فارتحلوا.

وتقدم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي بعث بها من جَمْعٍ بليل، ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وانظر حديث ابن عمر السابق أيضًا.

فالظاهر، والله أعلم، أن الترخيص بعد مضي وقت من الليل، أما أسماء فكانت تنتظر حتى يغيب القمر، فإن فعل شخص فعلها وانتظر حتى يغيب القمر فهذا أفضل، وإن اختار شخصٌ رأيًا آخر وهو مُضيُّ قَدْرٍ من الليل، فله ذلك أيضًا.

أما متى يرمي هؤلاء الذين قد تقدموا جمرة العقبة: فالظاهر، والله أعلم أن له أن يرميها بمجرد وصوله، فلما وصلت أسماء رمت الجمرة ثم رجعت فصلَّت الصبح في منزلها (٢).

وفي رواية لابن خزيمة: أنه قيل لها: لقد رمينا الجمرة بليلٍ، قالت: كُنَّا نصنعُ هذا مع رسُول الله ﷺ.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم: فمنهم من يقدم منًى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قدموا رموا الجمرة.

---

(١) مسلم (١٢٩٢).

(٢) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

(٥٩٧) أحمر
أسود

أما ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١) ويصحح بمجموع طرقه من أن النبي ﷺ قدمه مع الضعفة من أهله وأمرهم ألا يرموا الجمرة إلا مصبحين. وفي بعض الطرق: حتى تطلع الشمس، فهذا- إن علم من العلل- محمولٌ على أن النبي ﷺ اختار لأهله الأفضل، وليس بمانع من الرمي عند الوصول، وذلك لما تقدم من الأدلة، أو يحمل عمومًا على الندب والإرشاد، فيكون الرمي بمجرد الوصول جائزًا، ولكن الأفضل (لمَنْ لم يَشُقَّ عليه) عدم الرمي إلا بعد طلوع الشمس، وذلك جمعًا بين الأدلة، والله أعلم.

الذين يصحبون أصحاب الأعذار فيفيضون من مزدلفة إلى منى قبل الفجر، لهم أن يأخذوا بالرُّخَص التي أخذها أصحاب الاعذار، والله تعالى أعلم.

ويبيت- كما أسلفنا- مَن ليس لهم عذرٌ من الحجيج بمزدلفة حتى الفجر ويستحب لهم المبادرة إلى صلاة الفجر في أول وقتها، وذلك إذا تبين له الصبح (٢).

أما الوارد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين: جمع بين المغرب والعشاء، وصلى الفجر قبل ميقاتها (٣).

فقوله: قبل ميقاتها: أي: قبل ميقاتها الذي كان يصليها فيه كل يوم، وليس المعنى: قبل دخول وقتها.

وقد أوضح ذلك قول عبد الله بن مسعود: هُمَا صلاتان تحولان عن

(١) أبو داود (١٩٤١)، والنسائي (٢٧٢/٥)، وأحمد (٢٧٧/١)، والترمذي (٢٣١/٣)، والطحاوي (٢١٦/٢) وغيرهم.
(٢) كما في حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) البخاري (١٦٨٢)، ومسلم (١٢٨٩).

(٥٩٨) أحمر
أسود

وقتهما: صلاة المغرب بعد ما يأتي الناسُ المزدلفة، والفجر حين يبزغ الفجرُ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يفعله (١).

وكذا الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه ثُم صلى الفجر، حين طلع الفجر، قائل يقول: طلع الفجر، وقائل يقول: لم يطلع الفجر (٢). فهذا محمولٌ على التبكير أيضًا.

هذا، وبعد أن يصلي الفجر يقف داعيًا مكبرًا مُهلِّلًا مجتهدًا في دعائه وذكره، وإن اتجه إلى المشعر الحرام بعد صلاة الفجر، ودعا هنالك فله ذلك، وقد فعل ذلك النبي ﷺ، وذلك كما في حديث جابر الطويل ففيه: وَصَلَّى الْفَجْرَ - حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ - بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

وإن دعا في مكانه الذي صلى فيه الفجر، أو في أيِّ موطن من مزدلفة جاز له ذلك، لقول النبي ﷺ: «**وقفت هاهنا وجمعٌ كلها موقفٌ**».

ويستمر داعيًا- كما بيَّنا- حتى يُسفر الصبحُ جدًّا، أي: يظهر بياض الصبح جدًّا وينتشر جدًّا، ثم يبدأ في التحرك (الدفع) من مزدلفة إلى مِنًى قبل أن تطلع الشمس مُخالفًا في ذلك المشركين فقد كان المشركون ينتظرون حتى تطلع الشمس فلا يتحركون من مزدلفة حتى تطلع الشمس، ففي الصحيح (٣) من طريق عمرو بن ميمون رحمة الله قال: شهدت عمر رضي الله عنه صلَّى بجمع الصبح، ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير. وأن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس.

(١) البخاري (١٦٧٥).
(٢) البخاري (١٦٨٣).
(٣) البخاري (١٦٨٤).

(٥٩٩) أحمر
أسود

التقاط الحصيات التي تُرمى بها جمرة العقبة

هذا، وللحاج أن يلتقط الحصيات التي سيرمي بها جمرة العقبة يوم النحر من مزدلفة، أو من طريقه من مزدلفة إلى مِنًى أو مِنًى ، فكلُّ ذلك مجزئ إن شاء الله، وإن كان الوارد عن رسول الله ﷺ يُشعر بأنه أمر أن يُلتقط له الحصى إما من مزدلفة، وإما من الطريق من مزدلفة إلى مِنًى، وذلك لما أخرجه النسائي (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «**هات اللقُط لي**»، فلقطت له حصيات، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ».

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ فِى عَشِيَّةِ عَرَفَةَ وَغَدَاةِ جَمْعٍ لِلنَّاسِ حِينَ دَفَعُوا « عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ». وَهْوَ كَافٌّ نَاقَتَهُ حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّرًا - وَهُوَ مِنْ مِنًى - قَالَ « عَلَيْكُمْ بِحَصَى الْخَذْفِ الَّذِى يُرْمَى بِهِ الْجَمْرَةُ ». وَقَالَ لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُلَبِّى حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ (٢).

هذا، وإذا مرَّ الحاجُّ في طريقه من مزدلفة إلى منًى بوادي مُحسِّر استُحِبَّ له أن يُسرع قليلًا حتى يتجاوز ذلك الوادي، وقد تقدَّم في حديث جابر رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ أتى بطن مُحَسِّرٍ فَحَرَّك قليلًا (٣).

وقد تقدم أن الحاج يلتقط الحصيات التي يرمي بها الجمرة في طريقة من مزدلفة إلى منًى، والحصيات تكون مثل حصى الخَذْف (٤)، وهي أكبر من حَبَّة الحُمُّص قليلًا، أو نحو هذا الحجم.

(١) النسائي (٥/٢٦٨).
(٢) مسلم (١٢٨٢)، وهذا أقرب إلى الصواب، أنه قال ذلك في الطريق، وليس من مزدلفة، والله أعلم.
(٣) أي حرَّك دابته قليلًا.
(٤) تقدم ذلك في حديث جابر رضي الله عنه.

(٦٠٠) أحمر
أسود

ومن أطيب التوجيه هنا: أن النبي ﷺ لما أمر بالتقاط الحصى له حذَّر من الغلو في الدِّين، هذا الغلو الذي قد يحمل على الوسوسة أحيانًا، وعلى الخروج عن الشريعة أحيانًا، فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس (١) غداة العقبة وهو على راحلته: «**هات القُطْ لي**» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: «**بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**».

أعمال يوم النحر

تقدم أن الحاج يصلي الفجر في مزدلفة (باستثناء الضعفة) ويدعو كثيرًا إلى أن يسفر الصبح جدًّا ثم يتجه إلى مِنًى، ويستمر في طريقه مُلبِّيًا مُهلِّلًا مكبرًا حتى يصل إلى مِنًى ويرمي جمرة العقبة. ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد والفضل بن عباس رضي الله عنهم قالا: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة (٢).

وعند أحمد في المسند بسندٍ حسن (٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد خرجتُ مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل.

فإذا وصل مِنًى اتجه إلى الجمرة (جمرة العقبة) ليرميها، ويُسنُّ له عند رمي الجمرة- إن استطاع- أن يجعل البيت (الكعبة، أي: مكة) عن يساره، ومِنًى عن يمينه، ثم يرميها بسبع حصيات، حصاةٍ بعد حصاةٍ بعد حصاة، حتى ينتهي من السبع، ويُكبر مع كل حصاةٍ، كما في الصحيحين وغيرهما (٤).

---

(١) النسائي (٥/٢٦٨) بسندٍ حسن.
(٢) البخاري (١٦٨٦، ١٦٨٧)، ومسلم (١٢٨٠، ١٢٨١).
(٣) أحمد في المسند (١/٤١٧).
(٤) انظر البخاري (١٧٥٠)، ومسلم (١٢٩٦).

(٦٠١) أحمر
أسود

ومما يجدر بنا التنبيه عليه: أن هذه الجمرة هي التي بايع الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندها الأنصار، البيعة المشهورة ببيعة العقبة.

هذا، ويجوز للحاج أن يرمي الجمرة راكبًا أو واقفًا، وقد ثبت أن النبي ﷺ رماها راكبًا، وذلك في صحيح مسلم (١) من حديث جابر رضي الله عنه، ففيه: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَرْمِى عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ**».

وأخرج عبد بن حميد في المنتخب من حديث عن قدامة بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء، لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك» (٢).

ثم إن التلبية تنقطع بعد رمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر -كما أسلفنا-، وهذا اليوم يوم النحر له فضيلة عظمى، وقد قيل: إنه يوم الحج الأكبر.

وفي هذا اليوم يوم النحر أعمال للحاج تنبني هذه الأعمال على نوع النسك (نوع الحج) الذي أهلَّ به، فإن كان متمتعًا أو قارنًا فعليه أن يذبح (٣) أو ينحر، وإن كان مفردًا فليس عليه دم.

وفي هذا اليوم أيضًا: الحلق أو التقصير.

وفيه أيضًا: طواف الإفاضة (٤)، والسعي لمن عليه سعيٌ.

ونورد تفصيلًا لهذا كله إن شاء الله.

وبين يدي هذا التفصيل: فأُذكِّر بفعل النبي ﷺ أي: الترتيب الذي سلكه

(١) مسلم (١٢٩٧).

(٢) أي: أن الناس لا يُضربون ولا يُطردون من أجل التوسعة لرسول الله □ كي يمرَّ ويرمي الجمرة.

(٣) ويجوز له تأجيل الذبح أو النحر ليوم أو ليومين على ما سيأتي إن شاء الله.

(٤) ويجوز أيضًا تأجيل طواف الإفاضة ليوم آخر أو لجَمْعه مع طواف الوداع، وذلك لأصحاب الأعذار.

(٦٠٢) أحمر
أسود

رسول الله ﷺ في هذا اليوم-: فهو أن النبي ﷺ رمي الجمرة ثم نَحَرَ، ثم حَلَق، ثم ذهب إلى مكة فطاف طواف الإفاضة.

ففي حديث جابر رضي الله عنه: رمى من بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنحر. فنحر ثلاثًا وستين بيده...ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت. فصلى بمكة الظهر.

وفي حديث أنس عند مسلم (١) قال: لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق، ناول الحالق شِقهُ الأيمن فحلقَهُ....الحديث.

ولكنه صلوات الله وسلامه عليه رخَّص لأصحابه وأمته في تقديم أي شيء أو تأخيره من أعمال يوم النحر.

ففي الصحيحين (٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ . قَالَ « **اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ** » . فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِىَ . قَالَ « **ارْمِ وَلاَ حَرَجَ** » . فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَىْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ .

وفي الصحيحين (٣) أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قيل له في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير، فقال: «**لا حرج**».

وعند البخاري (٤) أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي ﷺ فقال: رميت بعد ما أمسيتُ؟، فقال: «**لا حرج**»، قال: حلقتُ قبل أن أنحر؟ قال: «**لا حرج**».

---

(١) مسلم (١٣٠٥).
(٢) البخاري (١٧٣٦)، ومسلم (١٣٠٦).
(٣) البخاري (١٧٣٤) ومسلم (١٣٠٧).
(٤) البخاري (١٧٢٣).

(٦٠٣) أحمر
أسود

والروايات في هذا الباب كثيرة جدًّا تفيد هذا المعنى، فعليه يجوز للحاج يوم النحر أن يؤخر الرمي فيرمي بعد الحلق، ويجوز له أن يحلق قبل النحر، وينحر قبل الرمي، ويطوف قبل الحلق، ويطوف قبل النحر، وقبل الرمي، إلى غير ذلك فكل ذلك لا حرج فيه.

هذا، وليُعلم أن الحاج إذا رمى جمرة العقبة يوم النحر، فقد حلَّ له كل شيء كان قد حرم عليه إلا النساء، وذلك لم أخرجه ابن خزيمة (١) في صحيحه من حديث ابن الزبير قال: من سُنَّة الحَجِّ أن يصلي الإمام الظهر والعصر....فإذا رمى الجمرة الكبرى حلَّ له كلُّ شيءٍ حُرِّم عليه إلا النساءض والطيبَ حتى يزور البيت.

وفي بعض الروايات...فقد حلَّ له ما حرم عليه إلا النساءَ حتى يطوف بالبيت.

والرواية الأولى تبين أن النساء والطيبَ ممنوعان إلا بعد الطواف بالبيت، لكن هناك من الأدلة ما هو أقوى يفيد أن الطيب مباح قبل طواف الإفاضة، ومن ذلك ما في الصحيحين (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: طيبتُ النبي ﷺ بيدي لِحُرمه (٣) وطيبتهُ بمنًى قبلَ أن يُفيض (٤) وفي رواية: قبل أن يطوف بالبيت.

بشيء من التفصيل

أما عن سائر الأعمال: فبالنسبة للنحر، فكما بيَّنا أن القارن والمتمتع عليهما دمٌ، وأما المفرد فلا.

---

(١) ابن خزيمة (٢٤٧/٤).
(٢) البخاري (٥٩٢٢)، ومسلم (١١٨٩).
(٣) أيك لإحرامه.
(٤) أي: قبل أن يطوف طواف الإفاضة.

(٦٠٤) أحمر
أسود

أما المتمتع فقد قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

أما القارن؛ فأن النبي ﷺ كان قارنًا وقد ساقَ الهدي.

أما بالنسبة لدم التمتعُ، فعلى ما تيسر (١)، لكن أقله شاة (والشاة تطلق على الكبش (الخروف) وعلى النعجة، وعلى الجدي، وعلى المعز).

وليس لهذه المذكورات شروط، إنما على المستيسر (أي: أنه لا يلزم في دماء التمتع ما يلزم في الأضاحي من الشروط) ويجوز للمتمتع أن يشترك مع ستة آخرين في بقرة، أو في ناقةٍ، أي: أنه يجوز للسبعة الاشتراك في بقرة، أو في جَمَلٍ أو ناقةٍ، وذلك لحديث جابر رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحجِ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر: كل سبعة منَّا في بدنة، وفي رواية عند مسلم أيضًا: فنحرنا البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة (٢).

والهدي وإن كان بما استيسر، وليست هناك شروط له، إلا ما ذُكر من اشتراط سبعة في بقرة أو في بدنة أو أن كل واحد يذبح شاة، إلا أنه يستحب تعظيمه واستسمانه، وفكلما عظمت الهدي، وبحثت عن شاة سمينة، وعظيمة، أو بقرة سمينة وعظيمة، أو بدنة كذلك؛ فأجرك أعظم، وهذا دليل على تقواك، إذ الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]. فالمراد بشعائر الله هنا، والله أعلم، البُدن التي تقدم كأضاحي أو دماء للتمتع والقِران، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا

(١) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يُمنع في دم التمتع ما يُمنع في الأضاحي من ذوات العيوب فلا يصلح عندهم الهدي بالعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والكسيرة التي لا تُنْقي، لكن ظاهر الآية يفيد الجواز والعيوب المذكورة تقتصر على الأضاحي كما وردت، و الله أعلم.

(٢) مسلم (١٣١٨).

(٦٠٥) أحمر
أسود

لَكُمْ مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ [الحج: ٣٦] (١). فكلما استعظمت البدن كلما عظم أجرك.

أما عن صنع رسول الله ﷺ فقد انصرف بعد رمي الجمرة إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غَيَر (٢)، وأشركه في هديه، ثم أمر من كُلِّ بدنةٍ ببضعةٍ فجُعلت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربًا من مَرَقِها (٣)....الحديث.

فيستفاد منه تعظيم الهدي لمن استطاع ذلك وأطاقه، ويستحب الأكل منه أيضًا، وقد قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] (٤).

وقال النبي ﷺ: «كُلُوا وتزودوا» (٥).

ويستحب أيضًا أن ينحر بيده إن استطاع، وله أن يُوكل أيضًا، فقد أمر النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه أن ينحر ما تبقى.

وعليه ولكون النبي ﷺ أعطى عليًّا فنحر ما بقي: يجوز توكيل الشركات المختصة بالذبح واستنابتها في ذلك، والله أعلم. لكن على كل حال يستحب الأكل منها من غير إيجاب، والله أعلم.

هذا، ومما يُلفت النظر إليه في أمر الهدي أن الجازر لا يأخذ من الهدي شيئًا؛ إنما يأخذ أُجرتَه مالًا أو نحوه، أما من الهَدْي فلا ، وذلك لأن النبي ﷺ: «أمرَ عليًّا رضي الله عنه أن يقوم على بدنة (٦) وأن يقسم بدنة كلها» (١)، لحومها

(١) وقوله: صواف، أي: قائمة على ثلاثة أرجل معقولة (مربوطة) الرجل الرابعة اليسرى.
(٢) وكان المجموع مائة كما ورد في طرق الحديث.
(٣) وذلك كما تقدم في حديث جابر ﷺ مرفوعًا.
(٤) القانع: الذي لا يَسأل. والمعتر: هو المعترض بالسؤال.
(٥) أخرجه البخاري (١٧١٩)،ومسلم (١٩٧٢).
(٦) البُدن: أي: الإبل.

(٦٠٦) أحمر
أسود

وجلودها وجلالها، ولا يعطي في جزراتها شيئًا[(٢)] »[(٣)].

هذا، وليعلم أنه يستحب النحر أو الذبح بمنى، وإن ذبح في أي مكان في الحرم أجزأ ذلك عنه (وأعنى بالحرم: عموم ما أطلق عليه حرم)[(٤)].

أما الذبح والنحر بمنى؛ فلقوله ﷺ: «نحرتُ هاهنا ومنًى كلها منحر، فانحروا في رحالكم»[(٥)].

أما عن سائر الحَرَم فلقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٣].

والمراد بالبيت العتيق عموم الحَرَم هنا، وذلك لأنه لا يتصور أن يذبح شخص في المسجد الحرام نفسه؛ لأن ذلك سيؤدي حتمًا إلى تلوث المسجد، والله أعلم.

أما عن صيام المتمتع الذي لم يجد هديًا، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ولكن ما هي هذه الأيام بالتحديد؟

لم يرد في ذلك نص عن النبي ﷺ، ولذلك تكاثرت أقوال العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إن جوازها يبدأ من حين الإحرام بالعمرة[(٦)] وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر.

ومن العلماء من قال: إنها يوم السادس والسابع والثامن من منًى، ومنهم من قال: إنها السابع والثامن التاسع، ومنهم من قال: تبدأ من الإهلال بالحج

(١) أي: يقسمها على الفقراء والمساكين وغيرهم.
(٢) أي: لا يعطي الجزَّار شيئًا منها.
(٣) أخرجه البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧).
(٤) وهذا يشمل مكة بكاملها، وحدودها معروفة مُعلَّمة ويشمل منًى بكاملها، وجزءًا من مزدلفة.
(٥) مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل المتقدم.
(٦) أي: العمرة التي في أشهر الحج (التي تمتع بها المتمتع إلى الحج).

(٦٠٧) أحمر
أسود

وتنتهي إلى يوم عرفة إلى غير ذلك من الأقوال.

وأولاها بالصواب عندي –والله أعلم-: أنها تبدأ من وقت الإحرام بالحج إلى نهاية أيام التشريق، فإن قال قائل: إن النبي ﷺ قد نهى عن صيام أيام التشريق (١)، فيجاب على هذا بأن صومها مستثنى للمتمتع الذي لا يجد الهدْي، وذلك لما أخرجه البخاري (٢) من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يُصمن إلا لمن لم يجد الهدي.

وأخرج البخاري (٣) أيضًا عن ابن عمر قال: الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة، فإن لم يجد هديًا صام أيام منًى.

وأخرج البخاري أيضًا بإسناده إلى عروة قال: كانت عائشة رضي الله عنها تصوم أيام منًى، وكان أبوه يصومها (٤). والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. رجعتم إلى أهاليكم وبلادكم، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم (٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفيه: ... فمن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

هذا، ويُشرع للإمام أن يخطب الناس يوم النحر، وأن يذُكرهم ويعلمهم،ومن ثَمَّ فبعض الخطب التي تلقى في المخيمات والتَّجَمُّعات لا

---

(١) أخرج مسلم (١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ».

ونحوه عند مسلم أيضًا (١١٤٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحَدَثان أيام التشريق فنادى: «أنه لا يدخل الجنة إلا مُؤمن وأيام منًى أيامُ أكلٍ وشربٍ».

(٢) أخرجهما البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧).

(٦٠٨) أحمر
أسود

بأس بها؛ بل هي مشروعة، وذلك لما أخرجه البخاري (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ . أَيُّ يَوْمٍ هَذَا** » . قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا** » . قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا** » . قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا** » . فَأَعَادَهَا مِرَارًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ** » . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ - « **فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** ».

ولهذا الحديث عدة طرق عن النبي ﷺ في الصحيحين وفي غيرهما:

فمن ذلك: حديث بكرة المتفق عليه (٢): وفيه: خَطَبَنَا النَّبِىُّ - ﷺ - يَوْمَ النَّحْرِ ، قَالَ « **أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ هَذَا** » . قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « **أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ** » . قُلْنَا بَلَى. قَالَ «**أَىُّ شَهْرٍ هَذَا**». قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . فَقَالَ « **أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ** » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « **أَىُّ بَلَدٍ هَذَا** » . قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « **أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ** » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ . أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ** » . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ « **اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** » .

ومن ذلك: حديث ابن عمر (٣) رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ بِمِنًى: « **أَتَدْرُونَ**

(١) البخاري (١٧٣٩).
(٢) البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).
(٣) البخاري (١٧٤٢).

(٦٠٩) أحمر
أسود

أَيُّ يَوْمٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَقَالَ « فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « بَلَدٌ حَرَامٌ ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا » . قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « شَهْرٌ حَرَامٌ – قَالَ – فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ». وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ أَخْبَرَنِى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَقَفَ النَّبِىُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِى الْحَجَّةِ الَّتِى حَجَّ بِهَذَا ، وَقَالَ « هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ »، فَطَفِقَ النَّبِىُّ ﷺ يَقُولُ « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . وَوَدَّعَ النَّاسَ . فَقَالُوا هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ .

أما عن الحلق والتقصير، فقد حلق النبي ﷺ، والمراد بالحلق إزالة شعر الرأس تمامًا بالموسى.

أما عن الأفضل، فبلا شك أن الحلق أفضل في هذا المقام، لأمرين:

أولهما: أن النبي ﷺ حلق ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: حَلَقَ رسول الله ﷺ في حَجَّته (١).

والثاني: لكون النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثًا ودعا للمقصرين مرةً واحدةً، ففي الصحيحين (٢) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ » . قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ » . قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « وَالْمُقَصِّرِينَ » . وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِى نَافِعٌ «رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ » مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ . قَالَ وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ حَدَّثَنِى نَافِعٌ وَقَالَ فِى الرَّابِعَةِ « وَالْمُقَصِّرِينَ » .

وقد يضاف وجه ثالثٌ؛ ألا وهو: أن الله ﷻ ذَكَر المحلقين أولًا في قوله تعالى: ﴿ الفتح: ٢٧ ﴾ [الفتح: ٢٧]، لكن على كلِّ حال فالتقصير (وهو تعميم

(١) البخاري (١٧٢٦).
(٢) البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

(٦١٠) أحمر
أسود

الرأس بأخذ بعض الشعر منها سواء بالآلة (الماكينة) أو بالمقص) جائز بلا خلاف، والله أعلم.

هذا، ومما يُلفت النظر إليه أن النساء ليس عليهن حَلْقٌ، ولا يجوز لهن الحلق، بل يلزمهن التقصير فقط، وهو أخذ شيء يسير من شعورهن، قَدْر الأنملة (أنملة الإصبع) فحسب.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ على النساء الحلق، إنما على النساء التقصير**».

ثم يتجه الحاج إلى مكة لطواف الإفاضة، بعد أن تحلل التحلل الأصغر، برمي الجمرة، عند فريق من العلماء، وبالرمي مع شيء آخر (إما الحلق وإما النحر) عند آخرين، وكما سلف فقد حلَّ له كلُّ شيء إلا النساء، وذلك إلى أن يطوف بالبيت فيذهب للطواف بالبيت، وهذا الطواف هو طواف الإفاضة، وهو ركنٌ من أركان الحج، ويستحب فعله يوم النحر لمن أطاق ذلك، وذلك لأن النبي ﷺ طاف طواف الإفاضة يوم النحر، ولكن من لم يستطع أن يطوف طواف الإفاضة يوم النحر جاز له أن يؤخره إلى وقتٍ آخر، وله أن يجمعه مع طواف الوداع إن اضطر إلى ذلك (١).

وطواف الإفاضة هذا، ليس في رَمَلٌ ولا اضطباع؛ بل يجوز للحاج أن يطوف بثيابه ما دام قد تحلل التحلل الأصغر، وما سوى ذلك من أعمال الطواف، فكما أوردنا في طواف القدوم، وبعد أن يطوف طواف الإفاضة يُصلي ركعتين خلف المقام على ما سلف بيانه في شأن الطواف، ويستحب له – على ما رود في حديث جابر الطويل – أن يشرب من زمزم بعد طواف

(١) أما تعمد تأخيره مع طواف الوداع بلا عذر، فإنه وإن كان جائزًا إلا أنه أقلَّ أجرًا ممن طاف يوم النحر. ثم طاف الوداع عند مغادرة مكة.

(٦١١) أحمر
أسود

الإفاضة.

ثم بعد الشرب من زمزم: ينظر هل للحاج متمتعٌ أو قارنٌ أو مفردٌ؟ وهل سبق له أن سعى مع طواف القدوم؟ أم لم يسبق له السعي؟

فإذا كان الحاج متمتعًا؛ فعليه في الجملة سعيان بين الصفا والمروة، أما السعي الأول فقد سعاه مع طواف القدوم، وأما الثاني فيسعى بعد طواف الإفاضة (١).

أما إذا كان الحاج قد أهلَّ قارنًا أو مُفردًا وكان قد سعى مع طواف القدوم بين الصفا والمروة، فلا سعي عليه مرة ثانية، وأما إذا لم يكن سعى مع طواف القدوم فعليه سعيٌ يفعله بعد طواف الإفاضة.

هذا، ولكون النبي ﷺ كان قارنًا، فلذلك لم يسعَ ثانيةً بين الصفا والمروة، إنما اجتزأ بسعيه الأول الذي سعاه مع طواف العمرة (الذي هو طواف القدوم).

أخرج مسلم (٢) في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لم يطف النبي ﷺ ولا أصحابه (٣) بين الصفا والمروة إلا طوافًا واحدًا.

ثم يرجع الحاج بعد ما ذُكر من الطواف، والسعي إن كان عليه سعيٌ (٤) إلى منى فيصلي بها ما أدركه من صلوات كل صلاة في وقتها مع قصر الظهر ركعتين، وصلاة العصر في وقتها أيضًا ركعتين، وصلاة المغرب ثلاث

---

(١) وإن تأخر عنه بعض الوقت يومين أو ثلاثة ونحو ذلك جاز، ويؤيد ما ذُكر من كون المتمتع عليه سعيان: ما أخرجه البخاري (١٦٣٨)، ومسلم (١٢١١)، من حديث عائشة رضي الله عنها: فَطَافَ الَّذِينَ أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ، ثُمَّ حَلُّوا، ثُمَّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ، بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى، وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا.

قلت: والمراد بالطواف هنا السعي بين الصفا والمروة.

(٢) مسلم (١٢٧٩).

(٣) يعني: أصحابه الذين أهلوا بحج مفرد، أو قارن.

(٤) وجائز أيضًا تأجيل السعي.

(٦١٢) أحمر
أسود

ركعات، والعشاء ركعتين، والصبح ركعتين، ويجوز له أن يجمع بين الظهر والعصر إن احتاج إلى ذلك، وكذا بين المغرب والعشاء.

ثم نشير هنا إلى رأي ليس عليه العمل، وهو رأي من قال: إن الحاج إذا لم يطف طواف الإفاضة يوم النحر حتى غربت عليه الشمس فإنه يرجع إلى إحرامه كما كان، فنقول: إن الخبر الوارد في ذلك لا يصح عندي سندُه، ثم العمل ليس على هذا الخبر، فالجماهير على خلافه والله تعالى أعلم.

ثم يبقى هنا تساؤل: ألا وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر، هل صلاه بمكة؟ أم بمنىً؟

فقد ورد خبران ظاهرهما التعارض، أولهما: حديث جابر المتقدم وفيه: فصلى بمكةَ الظهرَ، والثاني: حديث ابن عمر في صحيح مسلم وفيه: أنه كان يفيض يوم النحر ثم يرجع فيصلي الظهرَ بمنًى (١).

فإما أن نصير إلى ترجيح رواية على الأخرى، وإما أن نجمع بنيهما، فمن ناحية الصحة كلاهما صحيح فالترجيح أمرٌ شاق.

أما من ناحيةم الجمع، فيمكن الجمع بأن يُقال: إن الرسول ﷺ صلى الظهر مرتين، مرةً بمكةً، ومرةً بمنًى، والله أعلم.

العمل ليالي التشريق وأيامها

ثم يبيت الحاج في منًى ليلة الحادي عشر من ذي الحجة، وليلةم الثاني عشر، وهذه الليالي مع ليلة الثالث عشر هي التي يسميها العلماء: ليالي التشريق فيصبح في يوم الحادي عشر آكلًا شاربًا ذاكرًا لله ﷻ ولا يستحب له الصوم، بل قد ذهب بعض العلماء على تحريم الصيام في أيام التشريق، وهو رأي أكثر أهل العلم، أن الصوم يحرم في أيام التشريق (إلا إذا كان عليه هدي

(١) مسلم (١٣٠٨).

(٦١٣) أحمر
أسود

ولم يستطع تقديمه).

وذلك لقول النبي ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ﷻ**»(١).

وفي حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم: قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي(٢).

بل قد بعث رسول الله ﷺ كعب بن مالك وأوس بن الحدثان يناديان أيام التشريق: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمنٌ، وأيام منى أيام أكل وشرب(٣).

وعند أبي داود بسندٍ صحيح لشواهده: أن رسول الله ﷺ قال: «**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**»(٤).

وهذا الإفطار ليس خاصًّا بالحجيج، بل على المسلمين عمومًا أن يفطروا أيام التشريق، والله أعلم.

وكما سلف يستحب الإكثار من ذِكْر الله ﷻ أيام التشريق، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وأيام التشريق هي الأيام المعدودات.

هذا، وليُعلم أن الحاج يجب عليه المبيت بمنًى أيامَ التشريق ويُصلي كلَّ صلاة في وقتها(٥) قصرًا (باستثناء المغرب والصبح فليس فيهما قَصْرٌ)، والله أعلم.

ورمي الجمار أيام التشريق (وهي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة) يكون بعد الزوال:

(١) مسلم (١١٤١).
(٢) البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).
(٣) مسلم (١١٤٢).
(٤) أبو داود (٢٤١٩).
(٥) وإن جمع بين الظهر والعصر جاز له ذلك، وكذا المغرب والعشاء، ولكن الأولى صلاة كلِّ صلاةٍ في وقتها.

(٦١٤) أحمر
أسود

وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: رَمَى رسولُ الله ﷺ الجمرةَ يوم النحر ضُحى، وأما بعدُ فإذا زالت الشمس (١).

أما عن صفة الرمي أيام التشريق وكيفيته: فإن الجمار الثلاث (الصغرى، والوسطى، وجمرة العقبة) كلها ترمى أيام التشريق فيبدأ الرمي يرمي الجمرة الصغرى التي هي ناحية مسجد الخيف والقريبة منه، فيرميها من أي مكان كان بسبع حصيات، يُكبر مع كل حصاةٍ، ثم بعد رمي الحصيات السبع يتقدم قليلًا، ويجعل الجمرة الصغرى عن يمينه ويتجه إلى القبلة رافعًا يديه داعيًا سائلًا ويطيل الدعاء قدر استطاعته ثم يتجه إلى الجمرة الوسطى فيرميها كذلك من أي اتجاه كان بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة (٢)، ثم يتقدم قليلًا ويجعل الجمرة الوسطى عن يساره، ويتجه للقبلة ثم يرفع يديه داعيًا سائلًا راجيًا، ويطيل الدعاء (٣) أيضًا قدر استطاعته، ثم يتقدم فيرمي جمرة العقبة (التي رماها يوم النحر) بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة ثم ينصرف، أي: أنه لا يدعو بعد رمي جمرة العقبة الكبرى، ومن الدليل على ذلك: ما أخرجه البخاري (٤) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كَانَ يَرْمِى الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيُسْهِلُ ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلاً ، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَرْمِى الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيُسْهِلُ ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ

---

(١) مسلم (١٢٩٩)، وعند أبي داود (١٩٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .... ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِى الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَيَقِفُ عِنْدَ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ وَيَتَضَرَّعُ وَيَرْمِى الثَّالِثَةَ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا.

(٢) ولا يرميها دفعة واحدة، بل يرمي حصاة مكبرًا ثم حصاةٍ مكبرًا...وهكذا.

(٣) ما لم يكن هناك أذى لمسلم من المسلمين، ويدعو الله بما شاء ما لم يعتدِ في الدعاء، وما لم يدعُ بإثمٍ ولا بقطيعة رحم.

(٤) البخاري (١٧٥٢).

(٦١٥) أحمر
أسود

قِيَامًا طَوِيلاً ، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَرْمِى الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِى ، وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا ، وَيَقُولُ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَفْعَلُ .

هذا، وقد جوَّز عددٌ من أهل العلم، بل جمهورهم الرَّمي عمَّن لم يستطع الرَّمي من النساء الضعيفات، أو كبار السن والطاعنين فيه، أو المرضى وأصحاب الاعذار، أو الصبية الصغار.

هذا، وإن استطاع الحاج -ليالى التشريق- أن يذهب من منى إلى مكة لزيارة البيت والطواف حوله، فعل، فالطواف فعلٌ حسنٌ، على أن يبيت بمنًى، وقد قال بهذا بعض أهل العلم، وإن كانت الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك لا تخلو من مقال (١).

وللحاج أن يبيع ويشتري ما دام يؤدي ما افترضه الله عليه، وما دام يتقي الجدال والفسوق، ولقد قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

[البقرة: ١٩٨]

وقد أخرج البخاري في صحيحه (٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ ذُو الْمَجَازِ وَعُكَاظٌ مَتْجَرَ النَّاسِ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]. فِى مَوَاسِمِ الْحَجِّ .

---

(١) انظر لذلك إن شئت ما أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٤/٤) بسندٍ مرسل وكذا فانظر ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٦/٥).
فَثَمَّ أخبارُ مفادها أنه ﷺ كان يفيض كل ليلة يعني: ليالي منى.

(٢) البخاري (١٧٧٠).

(٦١٦) أحمر
أسود

ويجوز أيضًا: أن تتخلل أيام التشريق خطبٌ ومواعظ: فقد أخرج (١) أبو داود وغيره من حديث رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِى بَكْرٍ قَالاَ رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ بَيْنَ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَنَحْنُ عِنْدَ رَاحِلَتِهِ وَهِىَ خُطْبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِى خَطَبَ بِمِنًى.

هذا، وليُعلم أنه يجب على الحاج أن يرمي الجمرات في يومين من أيام التشريق الثلاثة على الأقل: أي: أنه يجب عليه الرمي في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، ثم إن أراد أن يتعجل وينصرف إلى مكة تعجل وانصرف وإن أراد أن يتأخر إلى اليوم الثالث عشر تأخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه**» (٢).

ولقد كان عمر رضي الله عنه يكبر في خيمته في منى فيكبر أهل خيمته بتكبيره، ويكبر أهل منى بتكبيرهم فيسمع لمنى رجة.

هذا ومن أراد التعجل فلينصرف من منًى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر، كذا قال بعض أهل العلم محتجين بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. قالوا: واليوم ينتهي بغروب الشمس، كذا قالوا.

هذا، ومن أراد التعجُّل وركب دابته، ولكنه حُبس عن الخروج بمنًى لازدحام الطرقات حتى غربت الشمس يوم الثاني عشر، فليخرج ولا شيء عليه، والله تعالى أعلم.

وإذا تأخر الحاج بمنًى إلى يوم الثالث عشر فليفعل في اليوم الثالث عشر

(١) صحيح: وله شواهد أخرج أبو داود (١٩٥٢) وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٤٩).

(٦١٧) أحمر
أسود

ما فعل في الحادي عشر والثاني عشر، ثم ينصرف إلى مكة فيبقى بها ما شاء الله أن يبقى.

طواف الوداع

فإذا أراد الانصراف طاف طواف الوداع، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «لا ينفرن أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت»(١).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال: أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفِّفَ عن الحائض(٢).

هذا، وبالنسبة للحائض التي طافت طواف الإفاضة أثناء طهرها ثم حاضت بعد ذلك؛ فقد سقط عنها طواف الوداع، فلها حينئذٍ أن تنصرف ولا تُلزم بالانتظار لطواف الوداع، لما تقدم قريبًا من الحديث.

ولما أخرجه البخاري ومسلم(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ نُرَى إِلاَّ الْحَجَّ فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَلَمْ يَحِلَّ وَكَانَ مَعَهُ الْهَدْىُ ، فَطَافَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَلَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ الْهَدْىُ ، فَحَاضَتْ هِىَ، فَنَسَكْنَا مَنَاسِكَنَا مِنْ حَجِّنَا ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ لَيْلَةُ النَّفْرِ ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّ أَصْحَابِكَ يَرْجِعُ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ غَيْرِى . قَالَ «**مَا كُنْتِ تَطُوفِى بِالْبَيْتِ لَيَالِىَ قَدِمْنَا**» . قُلْتُ لاَ . قَالَ «**فَاخْرُجِى مَعَ أَخِيكِ إِلَى التَّنْعِيمِ فَأَهِلِّى بِعُمْرَةٍ ، وَمَوْعِدُكِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا** » . فَخَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ ، وَحَاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ «**عَقْرَى حَلْقَى ، إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا ، أَمَا كُنْتِ طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ**». قَالَتْ بَلَى . قَالَ « **فَلاَ بَأْسَ . انْفِرِى** » . فَلَقِيتُهُ مُصْعِدًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنَا

(١) مسلم (١٣٢٧).
(٢) البخاري (١٧٥٥).
(٣) البخاري (١٧٦٢) ومسلم (٨٧٧/٢) في طرق حديث (١٢١١).

(٦١٨) أحمر
أسود

مُنْهَبِطَةٌ ، أَوْ أَنَا مُصْعِدَةٌ ، وَهُوَ مُنْهَبِطٌ .

هذا، وبالنسبة لطواف الوداع، فهو سبعة أشواط كسائر أنواع الطواف، وليس فيه رَمَلٌ ولا اضطباع، بل يجوز في ثيابه، وبعد الطواف يُصلي ركعتين كتلك الركعتين اللتين يصليهما مع أي طوافٍ، يقرأ في الأولى- بعد الفاتحة- (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ)، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)، ثم ينصرف راشدًا راجعًا إلى أهله، مغفورًا ذنبه إن شاء الله، مثبتًا أجره بإذن الله، وليسأل ربه القبول كما هو شأن أهل الفضل والصلاح يعملون صالحًا ويرجون من الله القبول.

هذا، ولا يجوز له أن يبيت بعد طواف الوداع، ولكن إن اشترى شيئًا على وجه السرعة فلا بأس بهذا الشراء اليسير، ولا بذاك الزمن اليسير.

دعاء الرجوع من السفر

ثم إذا اقترب الحاج من بلاده فليقل: تائبون آيبون عابدون لربنا حامدون، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ فقد كان إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ أَوِ السَّرَايَا أَوِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ إِذَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** » (١) .

وهذه مسائل متفرقة- فضلا عما سبق-تتعلق بالنساء وغيرهن في الحج:

ليُعلم أن الحج أفضل جهاد النساء، وذلك لما أخرجه البخاري (٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نُجاهد؟ قال: **لا ولكن أفضل الجهاد حج مبرور**».

هل تستأذن المرأة زوجها للحج؟

(١) مسلم (١٣٤٤)، والبخاري (٦٣٨٥).
(٢) البخاري (١٥٢٠).

(٦١٩) أحمر
أسود

الحج إما أن يكون حج تطوع أو فريضة أو نذر أو حج عن الغير.

أما حج التطوع والحج عن الآخرين فيجب فيه الاستذان؛ قال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما سيأتي عنه: أجمع كل من نحفظ قوله من أهل العلم على أن للرجل منع زوجته من الخروج إلى حج التطوع.

أما الحج المنذور فإن كانت نذرته بإذن زوجها فليس له منعها، وكذلك لو كانت نذرته قبل الزواج وأخبرته به فأقرَّه ووافقها عليه، فليس له منعها أيضًا.

أما إذا نذرته رغمًا عنه فله منعها، إذ هو صاحب حقٍّ في الاستمتاع بها.

أما حج الفريضة فليس له منعها منه، وهل تستأذنه أم لا؟

ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها لا تستأذنه أصلًا بينما ذهب آخرون إلى أنها تستأذن، وذلك لأن الحج على التراخي، والذي يظهر لي- والله تعالى أعلم-: أنه إذا توفَّر للمرأة ما تحج به من الزاد والراحلة والْمَحْرَم وأمن الطريق والصحة ونحو ذلك فتستأذن زوجها، فإن أذن فالحمد لله، وإن لم يأذن نظرت فإن علمت من حاله أنه لا يأن لها في الحج من غير مبرر مقبول خرجت بغير إذنه، وإن كان المبرر للمنع مقبولًا أجَّلت لعام قادم، ونرجو لها العذر في تأخير الحج من الله سبحانه وتعالى، وإن كان المبرر قد يوجد ويستمر في كل عام، حجَّت ولا تؤخِّر لعام قادم، والله تعالى أعلم، ومنه العون والتوفيق والسداد (١).

وهل يجوز للمعتدة أن تخرج للحج؟

وجوابه: أن المعتدة لها أحوال:

إما معتدة عدة طلاق رجعي (لزوجها فيه رجعة) فهذه لا تخرج للحج، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا

(١) ولمزيد راجع كتابي «جامع أحكام النساء».

(٦٢٠) أحمر
أسود

تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق: ١].

أما المطلقة المبتوتة؛ فلها أن تخرج، إذ لا دليل على منعها من الخروج، فالمطلقة المبتوبة لا نفقة لها ولا سكنى.

أما المعتدة عدة الوفاة؛ ففي شأنها نزاع مبني على القول في مكان اعتدادها، هل يجب عليها أن تعتد في بيت زوجها أو تعتد حيث شاءت؟، وقد رجحنا في كتابنا جامع أحكام النساء، أن لها أن تعتد حيث شاءت وأوردنا أقوال عددٍ من العلماء القائلين بذلك، وعليه فيجوز للمتوفَّى عنها زوجها أن تحج في عدتها، والله تعالى أعلم.

وهل يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة؟

وجواب ذلك: نعم يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة إذ لم يرد دليلٌ صحيح ينهى عن ذلك، وغاية ما ورد في هذا الباب من المرفوع إلى النبي ﷺ زيادة في حديث عائشة رضي الله عنها إذ قال لها النبي ﷺ: «**افعلي كل ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري**».

وهذه الزيادة هي: «**ولا بين الصفا والمروة**» وهي زيادة شاذة (١).

أما هل ترفع المرأة صوتها بالتلبية أم لا؟

ففي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، واستدلوا على ذلك بأن المرأة مأمورة بالستر؛ فكيره لها رفع الصوت مخافة الافتتان بها أ و افتتانها هي، واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» فدل ذلك على أنها لا ترفع صوتها بالتلبية إلحاقًا بحالها في الصلاة.

ويجوز للمحرمة أن تلبس الحُلي:

(١) وذلك كما حررناه في كتابنا جامع أحكام النساء أبواب الحج.

(٦٢١) أحمر
أسود

أخرج الإمام الشافعي بسندٍ صحيح (١) من طريق صفية بنت شيبة أنها قالت: كُنتُ عند عائشة رضي الله عنها إذ جاءتها امرأة من نساء بني عبد الدار يقال لها: تملك. قالت لها: يا أم المؤمنين فلانة حلفت ألا تلبس حليها في الموسم فقالت عائشة رضي الله عنها: قولي لها: إن أم المؤمنين تقسم عليك ألا لبست حليك كله.

والمرأة المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين:

وذلك للحديث: «**لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**» (٢).

ولكن لها أن تعطي وجهها عن الرجال بالسدل الخفيف على وجهها، وذلك لما صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام (٣).

ولأثر عائشة رضي الله عنها قالت: تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها (٤).

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أثر آخر في سنده بعض الضعف، لكنه يصحُّ لما قبله، ألا وهو قولها: كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بن سدلت إحدانا جلباتها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه (٥).

وأهل مكة: هل لهم أن يتمتعوا أم أنه لا يجوز لهم التمتع؟

---

(١) المسند (١١٩).

(٢) هذا الخبر اختلف في رفعه إلى رسول الله □ ووقفه على ابن عمر ڤ وانظر صحيح البخاري (١٥٤٢) وكتابي جامع أحكام النساء، ولكن عليه علم الأكثرين.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥٤/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح أخرجه سعيد بن منصور (نقلًا عن الحافظ في الفتح ٤٠٦/٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٣٠/٦) وأبو داود (١٨٣٣).

(٦٢٢) أحمر
أسود

فقد رأى بعض العلماء منعهم من التمتع، ورأى آخرون جوازه والسبب في ذلك راجع إلى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فمن العلماء من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على التمتع المذكور من قبل في الآية الكريمة.

ومنهم من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائدٌ على صيام السبعة أيام إذا رجع إلى بلده، فهذا فحوى الخلاف، والمسألة- كما أسلفنا- فيها الوجهان للعلماء، وإن كان الأولى لأهل مكة أن يتركوا التمتع، والله أعلم.

ويجوز أن يحج الرجل عن والده وأن يحج بولده. وكذا المرأة.

أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ النَّبِىُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِى الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِى شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ « **نَعَمْ** » . وَذَلِكَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

وعند البخاري أيضًا (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتَى رَجُلٌ النَّبِىَّ - ﷺ -فَقَالَ لَهُ إِنَّ أُخْتِى نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ . فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « **لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ** » . قَالَ نَعَمْ . قَالَ « **فَاقْضِ اللهَ ، فَهْوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ**».

وكذا تحج عن الصبي:

ففي صحيح مسلم (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لَقِىَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ « **مَنِ الْقَوْمُ** » . قَالُوا الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ « **رَسُولُ**

(١) البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).
(٢) البخاري (٦٦٩٩).
(٣) مسلم (١٣٣٦).

اللهِ». فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ ».

وكذا يجوز أن يحج عن آخرين:

أخرج أبو داود من حديث ابن عباس (١) رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ. قَالَ « مَنْ شُبْرُمَةَ ». قَالَ أَخٌ لِى أَوْ قَرِيبٌ لِى. قَالَ «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ». قَالَ لاَ. قَالَ « حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ ».

وليحرص الشخص على الإكثار من الصلاة في المسجد الحرام؛ فصلاةٌ فيه تعدل مائة ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجدِ (٢).

زيارة مسجد رسول الله ﷺ:

س: هل يجب على الحاج أن يزور مسجد رسول الله ﷺ؟

أما عن زيارة مسجد رسول الله ﷺ فليس لها تعلُّق ويستحب لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يفضل ويستحب للحاج أن يزوره وأن يكثر من الصلاة فيه، لقول رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد» (٣).

س: معلوم أن الحاج يستحب الإكثار ومن الدعاء اذكر شيئًا من آداب الدعاء وبعض آدابه.

ج: هذه بعض آداب الدعاء تعقبها طائفة من الأدعية:

أخلص في دعائك وأحسن لجوءك إلى الله وأحسن التضرع:

قال الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

---

(١) أبو داود (١٨١١).

(٢) وقد ورد هذا من طرق تصح بمجموعها بلا شك منها ما أخرجه أحمد (٥/٤) من حديث ابن الزبير قال: قال رسول الله □: «« صَلاَةٌ فِى مَسْجِدِى هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلاَةٌ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلاَةٍ فِى هَذَا ».

(٣) البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٠١٣).

(٦٢٤) أحمر
أسود

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه**»(١).

وفي رواية عند مسلم أيضًا: «**من سأل الله الشهادة بصدق؛ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(٢).

وأكثر من الدعاء وألح على ربك فيه وعظم الرغبة فيما عنده.

وذلك لقول النبي ﷺ: « **ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِى الآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا** ». قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ « **اللهُ أَكْثَرُ** »(٣).

وعليك بمواصلة الدعاء وعدم اليأس من رحمة الله:

فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

فواصل الدعاء، ولا تدع بإثم ولا بقطيعة رحم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي**»(٤).

وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: « **لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ** ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ قَالَ « **يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِى**

(١) مسلم مع النووي (١٣/٥٥).
(٢) مسلم مع النووي (١٣/٥٥).
(٣) أحمد بسندٍ حسن (٣/١٨).
(٤) البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي١٧/٥١).

(٦٢٥) أحمر
أسود

فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»(١).

إخفاء الدعاء قدر الاستطاعة(٢) مع التضرع والمبالغة فيه:

قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٢].

س: اذكر بعض الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ التي يمكن أن يدعو بها الحاج وغيره.

ج: هذه طائفة من الدعوات من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة لعلَّ داعيًا أن يدعو بها: فخير الدعاء ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولنسأل الله القبول.

كانت أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ: « **اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** »(٣).

طلب الهداية:

عن ابن مسعود(٤) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني**»(٥).

سؤال الله الثبات على الإيمان:

(١) مسلم مع النووي (٥٢/١٧).

(٢) إلا المواطن التي ثبت أن النبي ﷺ جهر فيها وما على شاكلتها.

(٣) البخاري (مع الفتح ١٩١/١١) ومسلم من حديث أنس، ولفظه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: « **اللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** »، وفي بعض الألفاظ: «**اللَّهُمَّ آتِنَا...**».

(٤) مسلم (مع النووي ٤٣/١٧).

(٥) مسلم (مع النووي ١٧٤٣).

(٦٢٦) أحمر
أسود

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾. [آل عمران: ١٤٧]

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠].

«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»(١).

«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»(٢).

طلب المغفرة من الله ﷻ:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧](٣).

«اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»(٤).

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى جِدِّى وَهَزْلِى وَخَطَئِى وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا

(١) أحمد في المسند (١٨٢/٤).
(٢) مسلم (٢٦٥٤).
(٣) وأخرج الحاكم (٥٠٥/١) بإسنادٍ صحيح لشواهده من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا و هو في بطن الحوت: (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾) [الأنبياء: ٨٧] إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.
(٤) مسلم (مع النووي ٢٠/١٧).

(٦٢٧) أحمر
أسود

قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (١) .

عن النبي ﷺ: « سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى ، اغْفِرْ لِى ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ » . قَالَ « وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِىَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » (٢) .

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ - أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - » (٣) .

« إِنَّ أَوْفَقَ الدُّعَاءِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِى وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِى يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِى ذَنْبِى إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّى إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ» (٤) .

---

(١) البخاري (١١/١٩٦)، ومسلم (٢٧١٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/٩٧).

(٣) البخاري (١١٢٠)، ومسلم (مع النووي ٦/٥٤) وعندهما أن النبي ﷺ كان يقوله إذا قام من الليل يتهجد.

(٤) أحمد في المسند (٢/٥١٥).

(٦٢٨) أحمر
أسود

طلب الذرية وسؤال الله صلاحها:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤]

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

«اللهم أكثر مالي وولدي وبارك لي فيما أعطيتني» (١).

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٣- ٨٥].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

سؤال العلم النافع:

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

التعوذ من علم لا ينفع:

« اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا» (٢).

طائفة أخرى من الدعوات

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

---

(١) عند البخاري (مع الفتح ١١/١٨٢)، و مسلم (١٦/٣٩) أن النبي ﷺ دعا لأنس رضي الله عنه فقال: « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ ».

(٢) مسلم (مع النووي ١٧/٤١).

(٦٢٩) أحمر
أسود

﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠﴾ [العنكبوت: ٣٠].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾.

[يونس: ٨٥، ٨٦]

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾.

[آل عمران: ٥٣]

﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾.

[الأعراف: ١٥١]

﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤﴾.

[المؤمنون: ٩٣، ٩٤]

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾.

[المؤمنون: ٩٧، ٩٨]

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِىَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى وَأَصْلِحْ لِى آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِى فِى كُلِّ خَيْرٍ

(٦٣٠) أحمر
أسود

وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »[(١)].

وختامًا: فليسأل الحاج ربَّه ﷻ أن يتقبل منه؛ فهذا شأن أهل الصلاح دائمًا يعملون الصالحات ويسألون ربَّهم القبول، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال تعالى في شأن خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ومع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

وها هو القانت آناء الليل يصلي ويدعو ويرجو، يسأل ربه أن يتقبل منه.

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢٧٢٠).

(٦٣١) أحمر
أسود

الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ
ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن
يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى
مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ
ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ
وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا
دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الحج: ٣٠-٣٧].

(٦٣٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ - أَجَلٍ مُّسَمًّى - مَحِلُّهَآ - ٱلْعَتِيقِ - مَنسَكًا - أَسْلِمُوا۟ - ٱلْمُخْبِتِينَ - وَجِلَتْ - وَٱلْبُدْنَ - شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ - صَوَآفَّ - وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - ٱلْقَانِعَ - وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ)	يوقِّر حرمات الله- لا يتعدى على حرمات الله ولا ينتهكها ومن ذلك تعظيم البلد الحرام وأيضًا من المعاني: يعظم الهدي الذي يتوب به إلى الله فيستحسن الهدي والأضاحي ويختار الجيد السمين
(أَجَلٍ مُّسَمًّى)	وقت محدود
(مَحِلُّهَآ)	مكان نحرها
(ٱلْعَتِيقِ)	القديم- الذي أعتق من الجبابرة
(مَنسَكًا)	ذبحًا- مكانًا للذبح ووقتًا للذبح
(أَسْلِمُوا۟)	اخضعوا – استمسكوا له مطيعين
(ٱلْمُخْبِتِينَ)	الخائفين المتواضعين لله الخاشعين له المتأثرين عن سماع ذِكره
(وَجِلَتْ)	خافت
(وَٱلْبُدْنَ)	الإبل العظيمة التي تهدى وأيضًا التي يُضحى بها، والبقر كذلك على قولٍ
(شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ)	أعلام الدين الظاهرة وأعماله الظاهرة

(٦٣٣) أحمر
أسود

(صَوَآفَّ)	قائمة على ثلاثة أرجل معقولة الرجل الرابعة
(وَجَبَتْ جُنُوبُهَا)	سقطت بعد نحرها وقد زهقت روحها
(ٱلْقَانِعَ)	الذي قنع بما أتاه الله فلم يسأل الناس
(وَٱلْمُعْتَرَّ)	المتعرض بالسؤال

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ في الآية الكريمة.

ج: المراد: والله تعالى أعلم بشعائر الله في هذه الآية الكريمة ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ البدن التي يتقرب بها إلى الله في الحج فتساق إلى البيت الحرام.

أي الإبل، وأدخل معها قوم البقر والمعز.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن المراد بشعائر الله كل أعمال الحج الظاهرة، وكذا أماكن الحج.

والقول الأول هو قول أكثر أهل العلم والقول الثاني هو قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ (تعظيم شعائر الله)

ج: المراد عند أكثر العلماء استحسان الإبل التي سيدفع بها إلى الحج كي تنحر هنالك واستسمانها واختيار الجيد منها.

أما الذين قالوا إن شعائر الله هي أماكن الحج وأعماله فحملوا ذلك على تعظيم البلد الحرام والتأدب بآدابه اللازمة له وتوقير حرماته، وكذا الاهتمام بأعمال الحج والحرص على أدلتها على الوجه الأكمل المسنون المشروع.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنافع في قوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾.

ج: المراد والله أعلم لكم في الإبل منافع تركبونها وتحلبونها وتستفيدون بها.

(٦٣٤) أحمر
أسود

والذين قالوا هي أماكن الحج وأي له حملوا المنافع على ما ينتفع به أثناء الحج من التجارات ففي الحج أسواق في مكة ومنى وعرفة، تنتهي أسواق عرفة بانتهاء الحج فلا ترى فيها أحدًا، وكذا منى.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأجل المسمى:

ج: المراد، والله أعلم فيه أقوال:

أحدها: إلى أن تطلقوا عليها بدنة فتدفعونها إلى البيت الحرام، أي أنكم تستمتعون بالإبل إلى أن توجبوها على أنفسكم وتقلدونها وتدفعون بها إلى البيت الحرام (كشيء ينحر هنالك).

وتقليدها أن يوضع ي رقبتها ما يدل على أنها مهداة إلى البيت الحرام.

فإنها إذا فُعل بها ذلك أطلق عليها بدنة.

والثاني: أن المراد بالأجل المسمى إلى أن تُنحر أي تستفيدوا منها إلى أن تنحرها.

هذا، والذين قالوا إن المراد (بالشعائر الأماكن وأعمال الحج قالوا الأجل المسمى انقضاء الحج.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان أيضًا:

أحدهما: ثم محل البدن هذه مكة، وقال بعض أهل العلم الحرم كله.

والمراد بمحلها إلى البيت العتيق أنها تنحر هنالك في الحرم أي في مكة وعموم ما يطلق عليه حرم).

أما الذين قالوا: إن المراد بشعائر الله أعمال الحج وأماكنم، فقالوا ثم

(٦٣٥) أحمر
أسود

محلها إلى البيت العتيق أي انقضاء أعمال المناسك بالطواف بالبيت العتيق.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ذلك الذي بينه لكم وفرضيته عليكم وأوصيتكم به، أردت منكم الالتزام به وإضافة إليه أن من يعظم شعائر الله فإن ذلك دليلٌ على تقوى قلبه فالذي إذا جاء الهدي إلى بيت الله الحرام أو يذبح وينحر من الدماء للتمتع، إن عظَّم ما ينحره وما يذبحه، وما يسوقه من الهدي وتعظيمه استحسان واستحسانه.

فيأتي بناقة عظيمة كي ينحرها أو ببقرة عظيمة يذبحها، أو بكبش عظيم ونعجة عظيمة أو جدي عظيم جيد أو غير جيدة كذلك فإن هذا الاستحسان والاستعظام دليل على تقوى قلبه، ومن تقوى قلبه.

ثم إن الله ﷻ أباح الانتفاع بهذه البدن المساقة كهدي إلى أجل مسمى، فلنا أن ننتفع بها إلى أن تسمى هديًا، ويرى فريق من العلماء وجواز الانتفاع بها إلى تنحر، فيرى جواز ركوبها في السفر.

ويرى جواز الاستفادة من ألبانها وأشعارها إلى أن تنحر.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي مكان ذبحها عن الحرم (مكة وما يطلق عليه حرم من منًى وجزء من مزدلفة)

أي العتيق فمعناه القديم، إذ هو أول بيت وضع للناس، وقيل العتيق الذي أعتقه الله من الجبابرة.

وبنحو الذي قلت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

(٦٣٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور، حنفاء لله، وتعظيم شعائر الله، وهو استحسان البُدن واستسمانها وأداء مناسك الحجّ على ما أمر الله جلّ ثناؤه، من تقوى قلوبكم.

وأورد عدة آثار معناها أن تعظيم البدن استحسانها واستعظامها، واستسمانها:

وأورد عن ابن زيد بسندٍ صحيح في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قال: الشعائر: الجمار، والصفا والمروة من شعائر الله، والمَشْعَر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حمله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم؛ لم يخصص من ذلك شيئا، فتعظيم كلّ ذلك من تقوى القلوب، كما قال جلّ ثناؤه؛ وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ وأنّث ولم يقل: فإنه، لأنه أريد بذلك: فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٥٣]. وعنى بقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر

(٦٣٧) أحمر
أسود

عباده أنها إلى أجل مسمى، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن. معنى ذلك: لكم أيها الناس في البدن منافع. ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع، وفي الأجل الذي قال عزّ ذكره: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فقال بعضهم: الحال التي أخبر الله جلّ ثناؤه أن لهم فيها منافع، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها. قالوا: ومنافعها فى هذه الحال: شرب ألبانها، وركوب ظهورها، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها. قالوا: والأجل المسمى الذي أخبر جلّ ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه، هو إلى إيجابهم إياها، فإذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شيء.

وأورد عدة آثار أيضًا في الباب مفادها أنه يستمتع بها إلى أن تسمي بدنة، وصور الاستمتاع منها ركوبهم عليها واستفادتهم من ألبانها وأدبارها.

وقال الطبري:

وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ والهاء في قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ من ذكر الشعائر، ومعنى قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ لكم في الشعائر التي تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هدايا، بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى ذلك، وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها. قالوا: والأجل المسمى الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى أن تنحر.

وقال: وأما الذين قالوا: معنى الشعائر في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾. شعائر الحجّ، وهي الأماكن التي يُنْسك عندها لله، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: لكم في هذه

(٦٣٨) أحمر
أسود

الشعائر التي تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم. والأجل المسمى: الخروج من الشعائر إلى غيرها ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم.

وقال آخرون منهم: المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع: العمل لله بما أمر من مناسك الحجّ. قالوا: والأجل المسمَّى: هو انقضاء أيام الحجّ التي يُنْسَك لله فيهنّ.

وأورد بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ فقرأ قول الله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى، إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يبتغي الأجر، ولا المزدلفة، ولا رمي الجمار، وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع، وإنما منافعها إلى تلك الأيام، وهي الأجل المسمى، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق.

قال أبو جعفر: وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ معنّي به: كلّ ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه، إذ لم يخصص من ذلك جلّ ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل.وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا، فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا، وما كان منها أماكن ينسك لله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها، وما كان منها أوقاتا بأن يُطاع الله فيها بعمل أعمال الحجّ وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافي الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض.

(٦٣٩) أحمر
أسود

وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ فقال الذين قالوا عني بالشعائر في هذا الموضع: البُدْن معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن محمد بن أبي موسى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها:

قال الطبري:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محلّ الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ الشعائر جمع شعيرة، وهو كل شئ لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم، ومنه شعار القوم في الحرب، أي علامتهم التى يتعارفون بها.

ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الايمن حتى يسيل الدم فيكون علامة، فهى تسمى شعيرة بمعنى المشعورة.

(٦٤٠) أحمر
أسود

فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك.

وقال قوم: المراد هنا تسمين البدن والاهتمام بأمرها والمغالاة بها، قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة.

وفيه إشارة لطيفة، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الاخلاص فإذا عظمها مع حصول الاجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى القلوب. والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ يريد أنها تنتهى إلى البيت، وهو الطواف. فقوله: ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مأخوذ من إحلال المحرم. والمعنى أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى ينتهى إلى طواف الافاضة بالبيت العتيق. فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه، قاله مالك في الموطأ. وقال عطاء: ينتهى إلى مكة. وقال الشافعي: إلى الحرم. وهذا بناء على أن الشعائر هي البدن، ولا وجه لتخصيص الشعائر مع عمومها وإلغاء خصوصية ذكر البيت. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على استحباب تحسين الهدي واستعظامه، وكذا الأضاحي.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

وقول النبي ﷺ لما سُئل أي الرقاب أفضل قال «**أغلاها ثمنا وأنفسها عن أهلها**»(١).

وقول النبي ﷺ «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب**

(١) البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٨٤).

(٦٤١) أحمر
أسود

بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة....الحديث».

وقول النبي ﷺ «لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يُعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن»(١).

وقوله ﷺ: «أَرْبَعٌ لَا يَجُزْنَ الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي»(٢).

س: هل يجوز ركوب الناقة المهداة إلى بيت الله الحرام.

ج: الظاهر جواز ذلك لقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ على أحد الوجوه في تفسير الأية الكريمة.

وأيضًا لما في الصحيحين(٣) عن أنس: أن رسول الله ﷺ: رأى رجلًا يسوق بدنة قال: «اركبها». قال: إنها بدنة! قال: «اركبها ويحك!». في الثانية أو الثالثة.

وفي رواية لمسلم: عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ولكل أمة من الأمم جماعة من الناس من أهل الإيمان، جعلنا لهم ذبحًا يذبحون، وقيل عيدًا من الأعياد يذبحون فيه، وقيل مكانًا من الأماكن يذبحون عنده ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ

(١) مسلم (١٩٦٣).
(٢) صحيح أخرجه النسائي (٢١٥/٧) وغيره.
(٣) البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٣٢٣).

(٦٤٢) أحمر
أسود

ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند ذبح شيء من الأنعام وقيل عنها بها ثم لأنها .....والأنعام ثمانية، قدمنا ذكرها، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فمعبودكم الذي تعبدونه واحدٌ لا شريك له ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ فله اخضعوا بالطاعة واستسلموا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المطمئنين به كرامة المتواضعين لله الطائعين لله المذعنين له بالعبود به المنيبين له بالطاعة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خشعت قلوبهم وتأثرت عند ذكر الهل ﷻ وعند تذكيرهم بالله ﷻ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من أقدار الله ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الحافظون على الصلاة بأركانها في أوقاتها وكذا المؤدون للزكاة والمنفقون في الطاعات ووجوه الخير وأعمال البر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولكلّ جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، (جَعَلْنَا)ذبحا يُهَريقون دمه (مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة.وقوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية.وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة. وقد بيَّنا معنى الإخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

فهذا من نعت المخبتين؛ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وبشّر يا محمد

(٦٤٣) أحمر
أسود

المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قال: لا تقسو قلوبهم. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من شدّة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ المفروضة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاه ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة، والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا.

والمنسك الذبح وإراقة الدم، قاله مجاهد.

يقال: نسك إذا ذبح ينسك نسكا.

والذبيحة نسيكة، وجمعها نسك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

[البقرة: ١٩٦]

والنسك أيضا الطاعة.

وقال الازهري في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع، أراد مكان نسك.

ويقال: منسك ومنسك، لغتان، وقرئ بهما.

قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين، الباقون بفتحها.

وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر.

(٦٤٤) أحمر
أسود

وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى.

وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: أي مذهبا من طاعة الله تعالى، يقال: نسك نسك قومه إذا سلك مذهبهم.

وقيل: منسكا عيدا، قاله الفراء.

وقيل: حجا، قاله قتادة.

والقول الاول أظهر، لقوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي على ذبح ما رزقهم.

فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له، لانه رازق ذلك.

ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم، فكذلك الامر في الذبيحة إنما ينبغى أن تخلص له.

فوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ معناه لحقه ولوجهه وإنعامه آمنوا وأسلموا.

ويحتمل أن يريد الاستسلام، أي له أطيعوا وانقادوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين.

والخبت ما انخفض من الارض، أي بشرهم بالثواب الجزيل.

قال عمرو بن أوس: المخبتون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

وقال مجاهد فيما روى عنه سفيان عن ابن أبى نجيح: المخبتون المطمئنون بأمر الله عزوجل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه لم يَزَل ذبحُ المناسك وإراقةُ الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل.

(٦٤٥) أحمر
أسود

قال علي بن أبي طلحة (١)، عن ابن عباس: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ قال: عيدًا.

وقال عكرمة: ذبحا. وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾، إنها مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها.

وقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾، كما ثبت في الصحيحين (٢) عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، فسمَّى وكبر، ووضع رجله على صِفَاحهما .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سَلام بن مسكين، عن عائذ الله المجاشعي، عن أبي داود -وهو نُفَيْع بن الحارث- عن زيد بن أرقم قال: قلت -أو: قالوا-: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: ﴿سنة أبيكم إبراهيم﴾. قالوا: ما لنا منها؟ قال: «**بكل شعرة حسنة**» قالوا: فالصوف؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**».

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه، من حديث سلام بن مسكين، به .

وقوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تَنوّعَت شرائع الأنبياء ونَسخَ بعضها بعضًا، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ولهذا قال: ﴿ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحُكْمه وطاعته.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ : قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك، وقتادة:

(١) في رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلام.
(٢) البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).

(٦٤٦) أحمر
أسود

المتواضعين. وقال السدي: الوجلين. وقال عمرو بن أوس : المخبتون : الذين لا يَظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

وقال الثوري: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.

وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت منه قلوبُهم، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي: من المصائب.

قال الحسن البصري: والله لتصبرنّ أو لتهلكنّ.

﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ : قرأ الجمهور بالإضافة. السبعةَ، وبقيةَ العشرة أيضا. وقرأ ابن السَّمَيْقَع: «والمقيمينَ الصلاة» بالنصب.

وقال الحسن البصري: ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفا، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة، ولكن على سبيل التخفيف فنصبت.

أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأرقائهم وقراباتهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله. وهذه بخلاف صفات المنافقين، فإنهم بالعكس من هذا كله، كما تقدم تفسيره في سورة «براءة».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وهذه الإبل العظيمة البدنية السمينة وكذا البقر

(٦٤٧) أحمر
أسود

البدينة العظيمة جعلناها من أعمال دينكم الظاهرة وأعماله الظاهرة وذلك أنكم تقلدونها وتشعرونها، تجعلون في رقابها القلائد كعلاقات على أنها مُهداة إلى الله في بيته الحرام، وكذا فإنكم تشعرونها، والشعار البدن أن تجرح جرحًا خفيفًا في فخذها أو في بعض جسمها فيسيل منها الدم ويمسح به ما حوله حتى يُعلم أنها مُهداة إلى بلد الله الحرام، وكذا جعلناه لكم إذا ذبحتوها يوم العيد كأضاحي جعلناها من أعمال دينكم الظاهرة، ففي يوم العيد (النحر) أيام التشريق تذبح الذبائح ويُذكر اسم الله عليها، فهذه بهذه المثابة من شعائر الله من أعمال دينه وأعلام دينه الظاهرة.

أما قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ في الدنيا أكل وشرب وتصدق وإهداء وفي الآخرة أجرٌ وثوابٌ.

وفي الدنيا كذلك قيل ذبحها ونحرها لكم فيها خير في الانتفاع بها وركوبها كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

وكما قال في بعضها: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨].

وأما قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾.

فحاصل معناه فاذكروا اسم الله عند نحرها وعند ذبحها وهي قائمة على أرجل ثلاثة معقولة الرجل اليسرى الرابعة أن الرجل الرابعة مضموم ساقها إلى فخذها ومربوطة فهذا في الصواب قائمة على ثلاثة أرجل معقولة الرجل اليسرى الرابعة وقيل في معنى صواف أي صوافي أي اذبحوها خالصةً لوجه الله ﷻ لا لأجر سواه.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾. أي إذا نحرتموها أمر نحرها للأكل منها فكلوا منها استحبابًا وأطعموا القانع وهو الذي يقنع بما أعطيتموه، ولا يسأل ﷻ ولمعترَّ وهو المتعرض بالسؤال.

(٦٤٨) أحمر
أسود

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ هكذا سخرناها لكم فسبحان من سخرها فالناقة العظيمة الهائلة يقودها طفلٌ صغير بإذن الله ولا يستطيع الرجل الكبير ان يسخر فأرة من الفئران وال ذئبًا من الذئاب.

أما قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾ أي تشكروا والله ﷻ على تسخيرها لكم، وإلا فما كنتم لها مطيعين، وذلك كما في الدعاء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والبدُن، وهي جمع بدنة ثم قال: والبدن: هو الضخم من كلّ شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق، والسدير البَدَن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بَدَّن تبدينا. فمعنى الكلام. والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله: يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء: ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ قال: البقرة والبعير

وقوله: ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ يقول: لكم في البدن خير، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم: ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ قال اللبين والركوب إذا احتاج.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ قال:

(٦٤٩) أحمر
أسود

قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله، اللهم أكبر، اللهمّ منك ولك.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ قال: الله أكبر الله أكبر، اللهمّ منك ولك. صوافّ: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟ قال: تصدّقوا بها، واستمتعوا بها.

وأورد الطبري أيضًا جملة من الأثار في هذا الصدد وكذا أورد عدة آثار مفادها أن قراءة (صواف) (صَوافِيَ) ومعناه خالصة، أي مخلصين لله ﷻ ومنها أثر ابن زيد، في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ قال: خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون، يجعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله تعالى.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل وقوله: (صَوَافَّ) وهي المصطفة بين أيديها المعقولة إحدى قوائمها.

وقوله: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) يقول: فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر، (فَكُلُوا مِنْهَا) وهو من قولهم: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، ومنه قول أوس بن حجر:

أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ والبَدْرُ والْكَواكِبُ لِلْجَبَلِ الوَاجِبِ

يعني بالواجب: الواقع.

وقوله: (فَكُلُوا مِنْهَا) وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق؛ يقول الله: فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها، وليس بأمر إيجاب.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم، قال: المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.

وبإسنادٍ حسن عن مجاهد قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة:

(٦٥٠) أحمر
أسود

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢].

قال الطبري:

واختلف أهل التأويل في المعنّي بالقانع والمعترّ، فقال بعضهم: القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعترّ: الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل.

وقال آخرون: القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل.

والمعتر: الذي يعتر بك فيسألك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قتادة قال: القانع المتضعف الجالس في بيته.

والمعتر: الذي يعتريك فيسألك.

ونحوه بإسنادٍ صحيح عن مجاهد.

وقال آخرون: القانع الطواف.

والمعتر: الصديق الزائر.

وأورد أقوالًا أخر.

قال الطبري:

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل؛ لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع ، المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ. وفي إتباع ذلك قوله: والمعترّ، الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعا؛ ومنه قول لبيد:

وأعْطانِي المَوْلى عَلى حِينَ فَقْرِهِ إذَا قالَ أبْصِرْ خَلّتِي وَقَنُوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنِعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعترّ: فإنه الذي يأتيك معترّا بك لتعطيه وتطعمه.

(٦٥١) أحمر
أسود

قلت: كذا قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله غيره أولى والله أعلم

قال الطبري:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس. (لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما خلق لهم من البدن، وجعلها من شعائره، وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام، بل هي أفضل ما يهدى [إلى بيته الحرام] ، كما قال تعالى: (لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ) [المائدة: ٢] الآية.

قال ابن جريج: قال عطاء في قوله: (وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ)، قال: البقرة، والبعير. وكذا رُوي عن ابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل.

قلت: أما إطلاق البَدَنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة، على قولين، أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث.

ثم قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦): يقول تعالى: من أجل هذا (سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ) أي: ذللناها لكم، أي: جعلناها منقادة لكم خاضعة، إن شئتم ركبتم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتم، كما قال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٣) [سورة يس:٧١-٧٣].

(٦٥٢) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف العلماء في البدن هل تطلق على غير الابل من البقر أم لا، فقال ابن مسعود وعطاء والشافعي: لا. وقال مالك وأبو حنيفة: نعم. وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة، فهل تجزيه أم لا، فعلى مذهب الشافعي وعطاء لا تجزيه. وعلى مذهب مالك تجزيه. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء، لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: «**من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة**» الحديث. فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة، والله أعلم. وأيضا قوله تعالى: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) يدل على ذلك، فإن الوصف خاص بالإبل. والبقر يضجع ويذبح كالغنم، على ما يأتي. ودليلنا أن البدنة مأخوذة من البدانة وهو الضخامة، والضخامة توجد فيهما جميعا. وأيضا فإن البقرة في التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الابل، حتى تجوز البقرة في الضحايا على سبعة كالابل. وهذا حجة لابي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك، وليس ذلك في مذهبنا. وحكى ابن شجرة أنه يقال في الغنم بدنة، وهو قول شاذ. والبدن هي الابل التى تهدى إلى الكعبة. والهدى عام في الابل والبقر والغنم.

الثالثة: قوله تعالى: (مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ) نص في أنها بعض الشعائر.

وقوله: (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) يريد به المنافع التى تقدم ذكرها.

والصواب عمومه في خير الدنيا والاخرة.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ أمر معناه الندب. وكل العلماء يستحب أن يأكل الانسان من هدية، وفيه أجر وامتثال، إذا كان أهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم كما تقدم. وقال أبو العباس بن شريح: الاكل والاطعام مستحبان، وله

(٦٥٣) أحمر
أسود

الاقتصار على أيهما شاء. وقال الشافعي: الاكل مستحب والاطعام واجب، فإن أطعم جميعها أجزاه وإن أكل جميعها لم يجزه، وهذا فيما كان تطوعا، فأما واجبات الدماء فلا يجوز أن يأكل منها شيئا حسبما تقدم بيانه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم لن ينال الله لحوم هذه الأضاحي والهدي، ولا دماؤها، فهو الغني عن عباده، وهم الفقراء إليه ولكن يثيبكم إذا اتقيتموه ويتقبل تقواكم وخشيتكم له ويجازيكم عليه، فهكذا ذللها لكم لتكبروا الله عزَّ وجل عليها عند ذبحها ونحرها ولتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه، وكما وفقكم لسلوك طريقه المستقيم وأعانكم على ذلك ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا رسول الله ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ أهل الإحسان.

الذين يتقون الله ويراقبونه، ويعبدونه كأنهم يرونه الذين يحسنون كذلك إلى الذبيحة عند ذبحها وعند نحرها.

الذين يفعلون الفرض بعد النفل المحسنون في طاعتهم له عزَّ وجل:

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها، ولكن يناله اتقاؤكم إياه أن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه، وعملتم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم في قول الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قال: ما أريد به وجه الله.

(٦٥٤) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في وقوله: (لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ) قال: إن اتقيت الله في هذه البُدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله، فإنه قال: (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾) قال: (وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ) قال: وجعلته طيبا، فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟

قال الطبري:

وقوله: {كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟} يقول: هكذا سخر لكم البُدن.يقول: {وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ } يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنسك في حجكم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: {وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ } قال: على ذبحها في تلك الأيام{وبشر المحسنين}: يقول: وبشِّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا، لتذكروه عند ذبحها، فإنه الخالق الرازق لأنه لا يناله شيء من لحومها ولا دمائها فإنه تعالى هو الغني عما سواه.

وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابتنهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى: (لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا) ولكن يناله التقوى منكم.

أي: يتقبل ذلك ويجزي عليه. كما جاء في الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى**

(٦٥٥) أحمر
أسود

صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وقوله: {كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ } أي: من أجل ذلك سخر لكم البُدن، {وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ } أي: لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه، وما يرضاه، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه.

وقوله: (وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾) أي: وبشر يا محمد المحسنين، أي: في عملهم، القائمين بحدود الله، المتبعين ما شَرَع لهم، المصدقين الرسولَ فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ) من سبحانه علينا بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهى أعظم منا أبدانا وأقوى منا أعضاء، ذلك ليعلم العبد أن الامور ليست على ما يظهر إلى العبد من التدبير، وإنما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير، فيغلب الصغير الكبير ليعلم الخلق أن الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده.

❁ ❁ ❁

(٦٥٦) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ
أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ
إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ
وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾
[الحج: ٣٨-٤٤].

(٦٥٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿خَوَّانٍ - كَفُورٍ - دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ - صَوَٰمِعُ - وَبِيَعٌ - وَصَلَوَٰتٌ - عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ - فَأَمْلَيْتُ - نَكِيرِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(خَوَّانٍ)	خائن (كثير الخيانة)
(كَفُورٍ)	جحود للنعم
(دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ)	يصد الله بعض الناس عما يريدونه من الشر بتسليط قوام آخرين عليهم
(صَوَٰمِعُ)	أماكن يتخذها الأشخاص للعبادة كل شخص يكون في صومعة بعيدًا عن الناس يعبد الله فيها(وهي للنصارى)
(وَبِيَعٌ)	كنائس
(وَصَلَوَٰتٌ)	أماكن صلوات اليهود
(عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ)	الحكم في نهاية الأمر (فضلا عن كل وقت)
(فَأَمْلَيْتُ)	فأخرتهم وأخرت إنزال العذاب عليهم
(نَكِيرِ)	إنكار

❁ ❁ ❁

(٦٥٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن الله عزَّ وجل يرفع عن أهل الإيمان ما يُراد بهم من شرور ومن مكايد ويحفظهم ويسلمهم من أرادهم بسوء، وكذا يقيض لهم من عباده من يدافع عنهم، ويقيض لهم من الأمور ما بها تدُفع عنهم الشرور.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾ للعهود والمواثيق والأمانات ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ جحود للنعم منكرٌ للمعروف فهؤلاء المذكورة صفاتهم الخوان والكفور لا يحبهم الله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحبّ كل خوّان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان (كَفُورٍ) يقول: جَحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

قال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: { أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ } [الزمر: ٣٦] وقال: {وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٣].

وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر : الجحد للنعم، فلا يعترف بها.

(٦٥٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أَضن الله عزَّ وجل لأهل الإيمان الذين يُقاتلون من أهل الكفر، الذين يقاتلهم أهل الكفر، أذن لهم في القتال والدفاع عن أنفسهم والانتصار من ظلمهم وبغي عليهم وذلك لكونهم ظُلموا، والله عزَّ وجل قدير على نصرهم بدون تدخل منهم للدفاع عن أنفسهم قادرٌ ربي عزَّ وجل على الانتقام ممن ظلموهم، ولكن أيضًا أذن لأهل الإيمان في القتال والانتصار، وهذا، والله أعلم لكونه قد كان أهل الإيمان ممنوعين من قتال من قاتلهم، وكانوا مأمورين بكف الأيد كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾.

ثم بيَّن الله حال أهل الإيمان هؤلاء، وبعض ما حدث لهم، فقال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وهم أهل الإيمان من أهل مكة أخرجهم أقوامهم الكفار منها، فخرجوا بسبب إيذائهم لهم وعنتهم وشدتهم معهم ولم يكن لهم إذ أُخرجوا من ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له وأقروا بربوبيته وإلهيته بلا شريك له فقالوا ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ وحده لا شريك له، فهذا الذي أخرجوا بسببه خُرجوا من أجله كما قال تعالى في شأن ما حل بأهل الإيمان المذكورين في سورة البروج إذ خُدَّت لهم الأخاديد وأشعلت فيها النيران وألقاهم قومهم فيها ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

(٦٦٠) أحمر
أسود

[البروج: ٨].

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ فحاصل معناه، ولولا أن الله عزَّ وجل صدَّ شر بعض الناس بأقوام آخرين جعلهم سببا لدفع الشر لتسلط الشريرون فأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ولهدموا الصوامع وهي المباني الصغيرة التي كان يتخذونها عباد النصارى كلٌّ يتخذ صومعة ينفرد فيها للعبادة كما في حديث جريج ففيه أن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ابن مريم وصاحب جريج، وكان جريج رجلًا عابدًا فاتخذ صومعةً فكان فيها.....**» الحديث.

وكذلك لولا أن الله عزَّ وجل قيض أقوامًا لدفع الظالمين لسلط الظالمون فهدموا البيِّع وهي الكنائس كنائس النصارى ولهدموا الصلوات، وهي كما قال فريق من أهل الله- أماكن عبادة اليهود وكذا لهدم الظالمون المساجد التي هي أماكن الصلاة عند المسلمين، مع أن الأرض كلها للمسلمين مسجدٌ وطهور، أي أن الله عزَّ وجل دفع ببعض الناس شرور أقوامٍ مفسدين يريدون أن يهدموا الصوامع والبيع والصلوات والمساجد التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا إذن فمن مقاصد الجهاد المحافظة على الأماكن التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا، فمن مقاصده إذن إقامة ذكر الله عزَّ وجل ذلك دليلٌ على عظيم فضل الذِّكر.

هذا، وقد عمَّ بعض أهل العلم القول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ ...﴾.

فقالوا ما حاصله أن الله قيض أقوامًا لصدِّ أقوام عن مرادهم الشرير، فمن ذالك أن الله لما فرض الجهاد، أو أباحه لأهل الإيمان أباحه لهم الأمور منها صدِّ اعتداء المعتدين على المساجد...وكذا قيض الله نبيه محمد ﷺ

(٦٦١) أحمر
أسود

وأصحاب الحماية هذا الدين ولوصوله إلينا.

وكذا قيض الله الأئمة والسلاطين أهل الفضل والصلاح لدفع شرور الشريرين والأخذ على أيديهم وكما قيض ربنا ذا القرنين ليجعل بين يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، دين سائر الناس سرًا.

وكذا قيض الله العلماء لبيان خطورة الإفساد في الأرض فمن ثمَّ منع الله بهم أهل الجهل من إمضاء جهالاتهم وكذا قيض الله أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لدفع شرور الشريرين وكيد الكائدين.

وأحيانا يدفع الله شر زوجة بشدة زوجها عليها، وأحيانًا يدفع الله عن شخص الشر والفساد بسبب زوجة وهكذا فإن الله يدفع شر قومٍ بأقوام آخرين وإلا لتسلط الشريرون وغلبوا على الأرض وأفسدوا فيها ودمروا ما فيها من مساجد.

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ فوعد من الله عزَّ وجل أن ينصر من ينصر هذا الدين ونصره أما بالسيف (أي في المعارك) وإما بالحجة والبيان والغلبة بهما، وكذا نصره لهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

أما قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ قوي قادرٌ على إنفاذ ما يريد، لا يغلبه أحد فهو عزيز غالب لا يمنع من شيء أراده جل وعزَّ وتبارك وتقدس أما قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ فهذا بيان لحال أهل الإيمان وذكرٌ لبعض شأنهم أنهم إذا مكنهم الله في الأرض وجعل لهم المكانة والرئاسة والقدرة الكاملة فيها، وجمعوا ذلك لطاعة الله عزَّ وجل ولا يملأ كلمته فأقاموا الصلاة، هم أنفسهم يؤدون الصلاة ويحملون الناس على أدائها ويلزمونهم

(٦٦٢) أحمر
أسود

بذلك، فيكونون سببًا في نجاة أمهم من النار، وكذا أتوا الزكاة أدوا ما عليهم من زكاة ولم ينحلوا بذلك ويحلوا الناس على أدائها أيضًا وأمروا الناس بالمعروف ونهوا الناس عن المنكر، فهذا هو شأنهم ليسوا كالمترفين الذي إذا أقرهم الله فسقوا فهلكوا إذ الله قال: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ أي أن صيرورة الامول كلها إلى الله يوم القيامة ومرجع الناس إليه فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المجاهدين في سبيله ومقيمي الصلاة والمؤدين للزكاة والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أحسن الجزاء.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم.

وأورد رحمه الله بعض الوجوه:

وفي قراءة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾ ثم قال وقد اختلف في الذين عنوا بالإذن لهم بهذه الأية في القتال، فقال بعضهم عني به: نبيّ الله وأصحابه.

وأورد بسندٍ صحيح وقد روى مرسلًا عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن قال قال ابن عباس: فأنزل الله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وهي أول آية نزلت في (القتال) وهذه عند أحمد.

وبسند صحيح عن ابن زيد وقوله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ) قال:

(٦٦٣) أحمر
أسود

أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين. وقرأ: { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ } وقال: هؤلاء المؤمنون.

وقال آخرون: بل عني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة، فمنعوا من ذلك.

وقوله: {ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} يقول جل ثناؤه: وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزّهم ورفعهم وأهلك عدوّهم وأذلهم بأيديهم.

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ } فالذين الثانية ردّ على الذين الأولى. وعنى بالمخرجين من دورهم: المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة. وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله، وسبهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم إياهم، حتى اضطرّوهم إلى الخروج عنهم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ، لأنهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحقّ، فلذلك قال جل ثناؤه: { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ } . وقوله: {إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ } يقول تعالى ذكره: لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له! فأن في موضع خفض ردّا على الباء في وقوله: (بِغَيْرِ حَقٍّ)، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء.

وقوله: {وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمن بعدهم من التابعين.

(٦٦٤) أحمر
أسود

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عمن لا يجوز شهادته وغيره، فأحيا بذلك مال هذا ويوقي بسبب هذا إراقة دم هذا، وتركوا المظالم من أجله، لتظالم الناس فهدمت صوامع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهُدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيَعهم وما سمّى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيَّنته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

وقوله: (لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ) اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالصوامع، فقال بعضهم: عني بها صوامع الرهبان.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن رفيع في هذه الآية ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ ﴾ قال صوامع الرهبان.

وقال آخرون: بل صوامع الصابئين.

وقال: وأما قوله: ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ فإنه يعني بها بيع النصارى.

وقال آخرون: يعني بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود

(٦٦٥) أحمر
أسود

قوله: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: عني بالصلوات: الكنائس.

وقال آخرون: عني بالصلوات مساجد الصابئين.

وقال آخرون: هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في وقوله: (وَصَلَوَٰتٌ) قال: الصلوات صلوات أهل الإسلام، تنقطع إذا دخل العدو عليهم، انقطعت العبادة، والمساجد تهدم، كما صنع بختنصر.

وقوله: { وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ } اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول، فقال بعضهم: أريد بذلك مساجد المسلمين.

وقال آخرون: عني بقوله: ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ الصلوات والبيع والصوامع.

قال الطبري:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: الصلوات لا تهدم، ولكن حمله على فعل آخر، كأنه قال: وتركت صلوات. وقال بعضهم: إنما يعني: مواضع الصلوات. وقال بعضهم: إنما هي صلوات، وهي كنائس اليهود، تدعى بالعِبرانية: صلوتا.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدِّمت صوامع الرهبان وبِيَع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه.

وقوله: { وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ } يقول تعالى ذكره: وليعيننّ الله من

(٦٦٦) أحمر
أسود

يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا.

وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} يقول تعالى ذكره: إن الله لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في مُلكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب.

وقال في تأويل قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾).

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة. والذين ههنا رد على الذين يقاتلون.

ويعني بوقوله: (إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ) إن وطنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وآتوا الزكاة: يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له (وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ) يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله {وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ} يقول: ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحقّ والإيمان بالله {وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ} يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية، وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي: هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده

(٦٦٧) أحمر
أسود

أن يبلوا جهدهم في طاعته، كما قال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٤ -٦]، وقال تعالى: (قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾) [التوبة : ١٤ ، ١٥]، وقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾) [التوبة: ١٦]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

والآيات في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: (وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وقد فعل.

وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا، فلو أمرَ المسلمين، وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشَقَّ عليهم؛ ولهذا لما بايع أهلُ يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ، وكانوا نيفا وثمانين، قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادي -يعنون أهل مِنَى-ليالي مِنى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ «**إني لم أومر بهذا**». فلما بَغَى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شَذرَ مَذَر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة. فلما استقروا بالمدينة، ووافاهم رسولُ الله ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومَعْقلا يلجؤون إليه -شرع الله جهاد الأعداء، فكانت

(٦٦٨) أحمر
أسود

هذه الآية أول ما نزل في ذلك، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج:٣٩-٤٠]

قال العَوْفي، عن ابن عباس: أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق، يعني: محمدًا وأصحابه.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ أي: ما كان لهم إلى قومهم إساءة، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له. وهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما في نفس الأمر، وأما عند المشركين فهو أكبر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨]. ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق، ويقولون:

لا هُمّ لَولا أنتَ ما اهتَدَينا ... وَلا تَصَدّقْنا وَلا صَلّينَا

فَأنزلَنْ سَكينَةً عَلَينَا ... وَثَبّت الأقْدَامَ إنْ لاقَينَا

إنّ الألَى قد بَغَوا عَلَينَا ... إذَا أرَادوا فتْنَةً أبَيْنَا

فيوافقهم رسول الله ﷺ، ويقول معهم آخر كل قافية، فإذا قالوا: «**إذا أرادوا فتنة أبينا**» ، يقول: «أبينا» ، يمد بها صوته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشفُ شَرّ أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟

(٦٦٩) أحمر
أسود

ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾) [محمد: ٧، ٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ وَصَف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه. ومن كان القويّ العزيز ناصرَه فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال الله تعالى: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾) [الصافات: ١٧١ -١٧٣] وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ) قيل: هذا بيان قوله: (۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ) أي يدفع عنهم غوائل الكفار بأن يبيح لهم القتال وينصرهم، وفيه إضمار، أي أذن للذين يصلحون للقتال في القتال، فحذف لدلالة الكلام على المحذوف. وقال الضحاك: استأذن أصحاب رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذ آذوهم بمكة، فأنزل الله (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾) فلما هاجر نزلت: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ). وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك صفح . وهى أول آية نزلت في القتال .

قال ابن عباس وابن جبير: نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال. فقال: هذا حديث حسن. وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسلا، وليس فيه: عن ابن عباس.

(٦٧٠) أحمر
أسود

وقال:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للانبياء والمؤمنين من قتال الاعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الامم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات، فكأنه قال: أذن في القتال، فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الامر في القتال بقوله: (وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ) الاية، أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة. فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه، إذ لولا القتال لما بقى الدين الذى يذب عنه. وأيضا هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم، وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد عليه السلام المساجد. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ من هدمت البناء أي نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الاية. وروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: ولولا دفع الله بأصحاب محمد ﷺ الكفار عن التابعين فمن بعدهم. وهذا وإن كان فيه دفع قوم بقوم إلا أن معنى القتال أليق، كما تقدم. وقال مجاهد لولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول. وقالت فرقة: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة. وقال أبو الدرداء: لولا أن الله عزوجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد، وبمن يغزو عمن لا يغزو، لاتاهم العذاب. وقالت فرقة: ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار إلى غير ذلك من التفصيل المفسر لمعنى الاية، وذلك أن الاية ولا بد تقتضي مدفوعا ؟ من الناس ومدفوعا عنه، فتأمله.

ثم قال رحمه الله:

(٦٧١) أحمر
أسود

فإن قيل: لم قدمت مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين؟ قيل: لانها أقدم بناء. وقيل: لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر، كما أخر السابق في قوله: (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) [فاطر: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ أي من ينصر دينه ونبيه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾ أي قادر.

قال الخطابى: القوى يكون بمعنى القادر، ومن قوى على شئ فقد قدر عليه.

﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي جليل شريف، قاله الزجاج.

وقيل الممتنع الذى لا يرام، وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وإن يكذبك قومك يا رسول الله فلا تجزع ولا تحزن ولا تقلق فتلك سنةُ جارية أن أهل الكفر يكذبون أنبياءهم فقد كذبت قبل كفار قريش هؤلاء قوم نوح كذَّبوا رسولهم نوح ﷺ وقد دعاهم إلى عبادة الله وحده ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فما ازدادوا إلا تكذيبًا بعد تكذيب وكذا كذبت قبلهم قوم عادٍ، كذبوا نبيهم هودًا عليه السلام، وكذا ثمود كذبوا صالحًا عليه السلام، وكذا كذب قوم إبراهيم، ومنهم أبوه، كذبوا إبراهيم عليه السلام وقوم لوط كذبوا لوطًا أيضًا، وأصحاب مدين، وهم

(٦٧٢) أحمر
أسود

قوم شعيب عليه السلام كذبوا شعيبًا، وكذا فإن نبي الله موسى عليه السلام كذبه فرعون وقومه أما قوم موسى عليه السلام وهم بنوا إسرائيل فقد استجابوا له ومن ثمَّ قيل وكُذب موسى.

فماذا كان بعد هذا التكذيب، لقد أخرهم الله زمنًا كي يتوبوا وينيبوا إلى الله عزَّ وجل، فلم يتوبوا ولم ينيبوا إلى الله عزَّ وجل فأخر الله نزول العذاب عليهم ثم أخذهم بالعذاب فانظر متفكرًا بعين قلبك كيف كان إنكار الله عزَّ وجل عليهم لقد كان إنكارًا شديدًا وعذابًا أليمًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدًا ﷺ عما يناله من أذى المشركين بالله، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السبّ والتكذيب: وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما آتيتَهم به من الحق والبرهان، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذّبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم، فلا يصدنك ذلك، فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فقد كذبت قبلهم يعني مشركي قريش؛ قوم نوح، وقوم عاد وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب. يقول: كذب كلّ هؤلاء رسلهم. وكذب موسى، فقيل: وكذب موسى، ولم يقل: وقوم موسى، لأن قوم موسى بنو إسرائيل، وكانت قد استجابت له ولم تكذّبه، وإنما كذّبه فرعون وقومه من القبط.

وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

(٦٧٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ يقول: ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا؟ يقول: فكذلك فعلي بمكذّبيك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم، فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا نبيَّه محمدا ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) إلى أن قال : (وَكُذِّبَ مُوسَى) أي: مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أنظرتهم وأخرتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم؟!

ذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وبين إهلاك الله له أربعون سنة.

وفي الصحيحين (١) عن أبي موسى، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه، ثم قرأ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية، أي كان قبلك أنبياء كذبوا فصبروا إلى أن

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٦٧٤) أحمر
أسود

أهلك الله المكذبين، فاقتد بهم واصبر.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ أي كذبه فرعون وقومه.

فأما بنو إسرائيل فما كذبوه، فلهذا لم يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أخرت عنهم العقوبة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ فعاقبتهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ استفهام بمعنى التغيير، أي فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك، فكذلك أفعل بالمكذبين من قريش.

قال الجوهري: النكير والانكار تغيير المنكر، والمنكر واحد المناكير.

❁ ❁ ❁

(٦٧٥) أحمر
أسود

الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾

[الحج: ٤٥-٥١].

(٦٧٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ فَكَأَيِّن - ظَالِمَةٌ - خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا - وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ - وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ - أَمْلَيْتُ لَهَا - سَعَوْا فِي آيَاتِنَا - مُعَاجِزِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(فَكَأَيِّن)	كم (للتكثير)
(ظَالِمَةٌ)	ظالمة لنفسها بشركها بالله- مشركة
(خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)	فارغة على سقوفها، وقيل المعنى ليس فيها أحدٌ، وقد سقطت سقوفها على جدرانها وأعمدتها فلا يقيمها ولا يصلح
(وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ)	بئر قد دفنت من التراب ولم يأتي أحدٌ للسقيا منها
(وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ)	قصر فيع رفيع شيد بالجص، مُجصص مطليٌّ بالبياض
(أَمْلَيْتُ لَهَا)	أخرتها وأجَّلتُ تعذيبها
(سَعَوْا فِي آيَاتِنَا)	اجتهدوا لإبطال آياتنا وحججنا
(مُعَاجِزِينَ)	مغالبين- يظنون أنهم سيغلبوننا يظنون أنها سيعجزونا وهناك قراءة (معِّجزين) أي مجتهدون تعجيز الناس حتى لا يدخلوا في الإسلام

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

(٦٧٧) أحمر
أسود

ج: المعنى والله تعالى أعلم وكم من قرية أفنينا أهلها وأهلكناهم وأبدناهم، وهم مشركون بالله ظالمون لأنفسهم بذلك فها هي بلادهم خاوية فارغة منهم، ليس فيها أحد قد سقطت سقوفها على جدرانها، وها هي الأبار التي كانوا يستقون منها قد تعطلت وأهملت فدفنت بالتراب فلا أحد يرعاها ولا أحد يتعاهدها وكذا قصورهم المنيعة الرفيعة الحصينة التي شيدوها بالجص وبيضوها بالبياض، ها هي أيضًا قد أصبحت خربة لا معلم فيها لأحدٍ، فهل من مُدكرٍ يدَّكر، وهل من متعظ يتعظ.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون؛ يقول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يُعبد، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه.وقوله: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يقول: فباد أهلها وخلت، وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ يقول تعالى: فكأين من قرية أهلكناها، ومن بئر عطلناها، بإفناء أهلها وهلاك وارديها، فاندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا شاربة منها﴿وَ﴾ من﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ رفيع بالصخور والجصّ، قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم، فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم. والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية. كان بعض نحويي الكوفة يقول: هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا، وإن لم يحسن فيهما، على أن العروش أعالي البيوت، والبئر في الأرض، وكذلك القصر، لأن القرية لم تخو على القصر، ولكنه أتبع بعضه

(٦٧٨) أحمر
أسود

بعضا كما قال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣] فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة، فهي خاوية على عروشها، ولها بئر معطلة وقصر مشيد؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها، أتبعها في الإعراب العروش، والمعنى ما وصفت.

واختلف أهل التأويل في معنى وقوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فقال بعضهم: معناه: وقصر مجصص.

وقال آخرون: بل يعني ذلك وقصر رفيع طويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالمشيد المجصص، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجصّ بعينه؛ ومنه قول الراجز:

كَحَبَّةِ المَاءِ بينَ الطَّيِّ والشِّيدِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أي: كم من قرية أهلكتها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: مكذبة لرسولها، ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ قال الضحاك: سقوفها، أي: قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: لا يستقى منها، ولا يَرِدُها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ قال عكرمة: يعني المُبَيّض بالجص.

وروي عن علي بن أبي طالب، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأبي المَلِيح، والضحاك، نحو ذلك.

وقال آخرون: هو المُنيف المرتفع.

وقال آخرون: الشديد المنيع الحصين.

وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه ولا

(٦٧٩) أحمر
أسود

ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته، عن حلول بأس الله بهم، كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفلم يسر هؤلاء المكذبون لك يا رسول الله الجاحدون وحدانية الله وقدرته المنكرون للبعث، أفلم يسيروا في الأرض، يسافرون فيها فينظروا مصارع من مضوا قبلهم ممن أهلكناهم وأفنيناهم وأبدناهم ودمرناهم، فمن ثم يعقلون بقلوبهم ترى كانت قلوبهم تعقل فيعتبرون ويدكرون ويتعظون، وكذا إن كانت لهم أذانٌ صاغية للحق فليستمعوا إلى ما مكن لهم وذكرتهم به وكذا يبصرون بأعينهم الحق إن كانت لهم عيون تبصر، ولكن على كل حال فليست العبرة بعمى البصر، إنما عمى البصيرة أشد وأشد، وذاك عمى القلوب التي في الصدور عن الحق والعياذ بالله.

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ حجج الله على خلقه وقدرته

(٦٨٠) أحمر
أسود

على ما بيَّنا﴿أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ يقول: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل.وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يقول: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته.

والهاء في وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى﴾ هاء عماد، كقول القائل: إنه عبد الله قائم.

وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**فإنَّهُ لا تَعْمَى الأبْصَارُ**). وقيل:﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ والقلوب لا تكون إلا في الصدور، توكيدا للكلام، كما قيل:﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم.

﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ أضاف العقل إلى القلب لانه محله كما أن السمع محله الاذن.

وقد قيل: إن العقل محله الدماغ، وروى عن أبى حنيفة، وما أراها عنه صحيحة.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ قال الفراء: الهاء عماد، ويجوز أن يقال فإنه، وهى قراءة ؟ ؟ عبد الله بن مسعود، والمعنى واحد، التذكير على الخبر، والتأنيث على الابصار أو القصة، أي فإن الابصار لا تعمى، أو فإن القصة.

﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي أبصار العيون ثابتة لهم.

﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ أي عن درك الحق والاعتبار.

❁ ❁ ❁

س: هل القلوب التي تعقل في الصدر أم في الدماغ؟

(٦٨١) أحمر
أسود

ج: لا شك أنها في الصدر، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾.

ولقوله ﷺ: «التقوى هاهنا وأشار إلى صدره»(١).

ولقوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٢).

ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥].

ولقوله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

ولقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾ [الشرح: ١].

وكذا الأحاديث الواردة في شق صدر النبي ﷺ واستخراج حظ الشيطان منه(٣). وكذا الحديث للمشتكي شيئًا في صوره «ضع يدك على الذي تألم وقل بسم الله ثلاثة وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(٤).

إلى غير ذلك من الأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ٤٨﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ويطلب منك أهل الكفر والتكذيب تعجيل العذاب، إنزاله عاجلًا غير آجل فتأكد يا رسول الله أن الله عزَّ وجل لن يخلفك

(١) مسلم (٢٥٦٤).
(٢) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٣) انظر تفسير سورة الانشراح.
(٤) مسلم (٢٢٠٢).

(٦٨٢) أحمر
أسود

ما وعدك بل سيتحقق وعد الله، وسيعذب هؤلاء في الوقت الذي قدر الله عليهم فيه العذاب فلا تعلق، ولا يستعجلونك فالأيام عند ربك التي أنتم ترونها طويلة هي عند الله قصيرة، فاليوم عند ربك كألف سنة مما نعد وحسب.

ثم يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكم من قرية ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾. أخرتها وأمهلتها وأجلَّت نزول العذاب عليها وهي مشركة ثم إني أخذتها وهي تشعر أو لا تشعر وإليَّ مرجع الجميع وحاسبهم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر.

واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

وقال آخرون، بل هو من أيام الآخرة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سمير بن نهار، قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾.

وبسندٍ صحيح عن مجاهد ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: من أيام الآخرة.

(٦٨٣) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عكرمة، أنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: هذه أيام الآخرة. وفي وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦-٧].

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله، فقال بعضهم: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا، فأنزل الله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا. وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدّون في الدنيا.

وقال آخرون: قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل، ولكنه يمهل إلى أجل أجَّله، وأن البطيء عندهم قريب عنده، فقال لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدّون أنتم أيها القوم من أيامكم، وهو عندكم بطئ وهو عندي قريب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة.

والقول الثاني عندي أشبه بالحقّ في ذلك؛ وذلك إن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله ﷺ بالعذاب، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده، ثم أتبع ذلك وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة، تركه معاجلتهم بالعذاب، فبين بذلك أنه عنى بوقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ نفي العجلة عن نفسه، ووصفها بالأناة والانتظار، وإذ كان ذلك كذلك، كان تأويل الكلام: وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كألف سنة من عددكم، وليس ذلك عنده ببعيد، وهو عندكم بعيد، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد

(٦٨٤) أحمر
أسود

عقوبته حتى يبلغ غاية مدّته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ يقول: أمهلتهم وأخّرت عذابهم، وهم بالله مشركون، ولأمره مخالفون، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جلّ ثناؤه، فلم أعجل بعذابهم،﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ يقول: ثم أخذتها بالعذاب، فعذّبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم،﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وإليّ مصيرهم أيضا بعد هلاكهم، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له؛ يقول تعالى ذكره: فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركي قومك، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم، فإني آخذهم بالعذاب، فقاتلهم بالسيف، ثم إليّ مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدّموا من آثامهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) أي: هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر، كما قال [الله] تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦].

وقوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: الذي قد وَعَد، من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: هو تعالى لا يَعجَل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه،

(٦٨٥) أحمر
أسود

لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

وأورد حديث عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: خمسمائة عام**». وأورد شواهد لهذ الحديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يستعجلونك بالعذاب ولغيرهم ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾. هذا شأن ما أنا إلا نذير مظهر وموضح لكم عاقبة ما انتم فيه، وكذا مظهر وموضحٌ أمرًا لله عزَّ وجل لكم، ليس لي من أمر تعجيل عذابكم شيء إنما ذلك أمر موكول إلى الله عزَّ وجل.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدقوا وأيقنت قلوبهم بوحدانية الله وقدرته واليوم الذي يبعث الله فيه العباد، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وأقاموا الشريعة ولم يضيعوها فعجلوا بمقتضاها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم وآثامهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ وهو الجنة دار الخلود وما فيها من زرع والذين اجتهدوا الإبطال آياتنا وحجتنا وصرف الناس عنها يظنون بذلك أنهم يعجزوننا ويغالبوننا فجزائهم ما ذكره الله عزَّ وجل في كتابه إذ قال: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ وبه آخر وقراءة أخرى في قوله ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ وهي معجِّزين أي صادين الناس عن الدخول في الإسلام ومانعين لهم فأولئك أصحاب الجحيم.

وبنحو هذا قال العلماء.

(٦٨٦) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مريد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾ أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه في الآخرة أن تصلوه مبين: يقول: أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به، فإلى الله ليس ذلك إليّ، ولا أقدر عليه؛ ثم وصف نذارته وبشارته، ولم يجر للبشارة ذكر، ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه، فقال: والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾ يقول: ورزق حسن في الجنة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يقول: والذين عملوا في حججنا فصدّوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه، وقال في آياتنا فأدخلت فيه في كما يقال: سعى فلان في أمر فلان.

واختلف أهل التأويل في تأويل وقوله: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ فقال بعضهم: معناه: مشاقين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم.

قال الطبري:

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه: ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف، وهي قراءة عامة قرّاء المدينة والكوفة. وأما بعض قرّاء أهل مكة والبصرة، فإنه قرأه: (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم بغير ألف، بمعنى أنهم

(٦٨٧) أحمر
أسود

عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله ﷺ والإيمان بالقرآن.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، متقاربتا المعنى؛ وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطِّئون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله ﷺ، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله. فإذ كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز، ومعناه: مغالبة اثنين، أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره.

وأما التعجيز: فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز. وقوله: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها.

وقال ابن كثير:

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وُقُوعَ العذاب، واستعجلوه به: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد، وليس إلي من حسابكم من شيء، أمركم إلى الله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار، و﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] و﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ

(٦٨٨) أحمر
أسود

نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاة حَسَنةٌ على القليل من حسناتهم.

وقال محمد بن كعب القُرَظِيّ: إذا سمعتَ الله تعالى يقول: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ فهو الجنة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾ : قال مجاهد: يُثَبِّطون الناس عن متابعة النبي ﷺ. وكذا قال عبد الله بن الزبير: مثبطين.

وقال ابن عباس: ﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾ : مراغمين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ : وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها، أجارنا الله منها.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يعني أهل مكة. ﴿إِنَّمَآ أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي منذر مخوف. وقد تقدم في البقرة الانذار في أولها. ﴿مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي أبين لكم ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ يعني الجنة. ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي في إبطال آياتنا. ﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾ أي مغالبين مشاقين، قاله ابن عباس. الفراء: معاندين. وقال عبد الله بن الزبير: مثبطين عن الاسلام. وقال الاخفش: معاندين مسابقين. الزجاج: أي ظانين أنهم يعجزوننا لانهم ظنوا أن لا بعث، وظنوا أن الله لا يقدر عليهم، وقاله قتادة. وكذلك معنى قراءة ابن كثير وأبي عمرو (معجزين) بلا ألف مشددا. ويجوز أن يكون معناه أنهم يعجزون المؤمنين في الايمان بالنبي عليه السلام

(٦٨٩) أحمر
أسود

وبالايات، قاله السدى. وقيل: أي ينسبون من اتبع محمدا ﷺ إلى العجز، كقولهم: جهلته وفسقته. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾.

❁ ❁ ❁

(٦٩٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩ ﴾

[الحج: ٥٢-٥٩].

(٦٩١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(تَمَنَّىٰٓ - أُمْنِيَّتِهِۦ - فَيَنسَخُ - يُحْكِمُ - فَتُخْبِتَ - صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ - مِرْيَةٍ - بَغْتَةً - عَقِيمٍ - مُّدْخَلًا).

ج:

الكلمة	معناها
(تَمَنَّىٰٓ)	تلا - قرأ - حدثته نفسه
(أُمْنِيَّتِهِۦ)	تلاوته - حديثه لنفسه
(فَيَنسَخُ)	يمحو - يبطل - يزيل
(يُحْكِمُ)	يثبت
(فَتُخْبِتَ)	فتخضع
(صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	صراط واضح مستقيم
(مِرْيَةٍ)	شك
(بَغْتَةً)	فجأة
(عَقِيمٍ)	لا خير فيه ولا نفع
(مُّدْخَلًا)	مكانًا حسنا (وهو الجنة) يرضون به

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ

(٦٩٢) أحمر
أسود

ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: ابتدأ، فقد تقدم الحديث معنى كثير من هذه الآيات في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فليرجع إليه.

أما عن المعاني الإجمالية لهذه الآيات، فأقول وبالله التوفيق، مُوردًا حاصل الوجهين للعماء في ذلك.

الوجه الأول: يخبر الله عزَّ وجل نبيه محمد ﷺ مواسيًا له مُسليًا له، فقد حدث له بعض الضيق الذي يحدث للبشر من جراء ما ألقاه الشيطان في أمنيته.

فيقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ ﴾. كلفناه برسالة إلى قوله ﴿وَلَا نَبِيٍّ ﴾ مننا عليه بالنبوة والوحي (إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ) قيل حدثته نفسه بأمور ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ ألقى الشيطان في نفسه وفي أمنيته بعض ما يُكره، كأن يكون القى في نفسه ميلًا إلى رضاء قومه أوالاقتراب منهم أو غير ذلك فيحزن النبي لما كان منه عن تفكير في هذا الصدد فيبطل الله عزَّ وجل ما ألقاه الشيطان ويُذهبن ثم يبقى الله عزَّ وجل من الأمنيات ما هو خير، وما فيه نفع، والله عليم بما في النفوس حكيم فيا يشرع وحكيمٌ فيما يصنع.

وهذا الذي يحدث يحدث بقدر الله عزَّ وجل وإلا فالشيطان غير قادر على إنقاذ أي أمرٍ إلا أمرًا يريد الله أن يكون والإرادة هنا إرادة كونية قدرية، يُريد ابن أن يحدث ذلك لا يرد لعله من العلل، منها أن يختبر بذلك ويتعالى أهل النفاق الذي في قلوبهم شك وريب، ويظهر ما في نفوسهم من نفاق وشك ومن ثم يصرفهم عن هذا الدين الحق إذ هم ليسوا له بأهل وكذا يحدث بأهل الكفر الذي لا يتأثرون بوعظ ولا ينتفعون بقرآنٍ ولا بهدي.

(٦٩٣) أحمر
أسود

فإن قال قائل وكيف يحدث ذلك، والنبي ﷺ إنما حدثته نفسه، فجواب ذلك أن النبي قد يصدر منه من التصرفات، بناء على ما كان من حديث النفس أو تصدر منه كلمات لسانه لا يريدها أن يخرج تكون سببًا في متنه هؤلاء لأمر يريده الله عزَّ وجل.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ فحاصل معناه، وإن أهل الكفر لفي شققس أو بعيدٍ عن الإسلام تمام البُعد، وفي غمائر وشافقة لأهل الإيمان.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

فحاصل معناه وليعلم الذين آتاهم الله رسوخًا في العلم وهم أهل الإيمان وأهل العلم أن هذا القرآن هو الحق من ربك ليس من عند أحدس سواه فتخضع له قلوبهم وتستسلم له وترضى به، وإن الله عزَّ وجل ليزيدهم توفيقًا وسدادًا بما أنزل من كتاب ويزيدهم بذلك إيمانًا أيضًا.

هذا حاصل الوجه الأول.

أما الوجه الثاني: فحاصل معناه أن أصحاب فسروا التمني في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ بالتلاوة وبنوا على الوارد من الأخبار في ذلك تفسيرهم للآيات، فقالوا ما حاصله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا رسول الله (مِن رَّسُولٍ) أوحيناه إليه وكلفناه برسالة لقومه ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ أوحينا إليه ذاكرناه بالنبوة ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إلا إذا قرأ ما أوحيناه إليه وتلاه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أدخل الشيطان في تلاوته ما ليس بوحي، بأن أجرى ذلك على لسانه. في حال سموٍ من النبي أو في حالٍ آخر ويقدره الله فيدخل الشيطان في تلاوته أشياء يجريها على لسانه ثم إن النبي يتذكر أن هذا ليس مما نزل عليه من الوحي فيبين ذلك للناس، وأهل الإيمان يوفون ذلك كما إذا كان إمام مسجد يُصنع بالناس فتأتي على لسانه كله ليست

(٦٩٤) أحمر
أسود

من القرآن تدخل على تلاوته، وهو يعلم بعد قراءتها أنها ليست من القرآن، وكذا يعلم من يصلون خلفه أنها ليست من القرآنن فيعلن عن ذلك، ويزيل الله عزَّ وجل هذه الكلمة ويبطلها، تلك التي ألقاها الشيطان على اللسان ويبقى المحكم الثابت من كتاب الله عزَّ وجل، والله عليم بما يجري ويحدث وعليم بما في نفوس العباد حكيم في كل شيء وفيما يُصنع من ذلك.

وهذا الذي يجري ويحدث من التاء الشيطان بعض الكلمات أثناء القراءة يجري بقدر له، ويجعله الله ابتلاءًا وأختبارًا لإظهار نفاق المنافقين بل ولصرفهم عن طريق الإيمان وعدم تشريفهم بالإيمان لما صدر منهم، وكذلك يجعله فتنة لأهل الكفر قساة القلوب فيزدادون به انصرافًا عن الحق وتمسكًا بالكفر، لأمرٍ ربي يعلمه، وإن أهل الكفر وأهل الظلم لفي شقٍ آخر، بعيدٍ عن شق أهل الإيمان وفي طريق آخر بعيد عن طريق أهل الإيمان وكذا يحدث الذي يحدث ليزداد الذين آمنوا إيمان ويعلم الراسخون في العلم منهم أن هذا القرآن حق من عند الله، وأن ما أدخله الشيطان ماطل إيمانًا مع إيمانهم وهداية مع هدايتهم وتوفيقًا إلى توفيقهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لموفقهم إلى طريق الحق الصواب والرشاد طريق الجنة جنة النعيم .

وهذا الوجه الثاني- الذي هو تفسير التمني بالتلاوة هو الذي عليه أكثر أهل العلم ربه جاءت الآثار المتكاثرة عن السلف الصالح على ما بينته فس سورة النجم- فقال قاتلوه إن قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ تلا وقرأ ثم أدخل الشيطان في قراءة النبي ﷺ إذ كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] أدخل الشيطان في قراءته تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففتن المشركون بذلك، وقالوا يوشك أن يرجع إلى ديننا، فازداد بعضهم تسمكًا بكفره وضلاله، ثم إن الله أبطل ذلك الذي

(٦٩٥) أحمر
أسود

أدخله الشيطان، وأثبت المحكم من تنزيله، وهناك وجه ثالث وذكره بعض أهل العلم حاصله أن الشيطان هو الذي قلل صوت رسول الله صلى أكب ما دخل في أسماع الناس أنهم كلام رسول الله وكما أسلفت فقد تعددت أقوال الكثير من أهل العلم.

في هذا العدد في تفسير سورة النجم، واختصر هنا على إيراد بعضها إذ المقام يحتاج إلى شيء من التذكير بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، أن الشيطان كان ألقي على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.

وأورد الطبري عددًا من الآثار في ذلك منها.

ما أورده بسندٍ صحيح:

عن أبي العالية قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله ﷺ سورة النجم؛ فلما انتهى على هذه الآية ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهن ترتجى؛ فلما فرغ منها سجد رسول الله ﷺ و والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفا من تراب وسجد عليه؛ وقال: قد أن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من المسلمين أن قريشا قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه،

(٦٩٦) أحمر
أسود

فأنزل الله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾....إلى آخر الآية.

وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وكذا ما أورده الطبري بسندٍ صحيح عن سعيد بن جُبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم: ١٩] قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله ﷺ. فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾... إلى وقوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥﴾. وهذا مرسل أيضًا صحيح الإسناد.

وأورد الطبري آثارًا أُخر قدمنا ذكرها في سورة النجم.

ثم قال الطبري:

فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، ولا نبيّ محدث ليس بمرسل، إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبيّ ﷺ ما حدثته نفسه من محبته، مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدّث.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

(٦٩٧) أحمر
أسود

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقول:

ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه(وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) بما يحدث في خلقه من حدث، لا يخفى عليه منه شيء﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحَبّ.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾).

يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثُم يُحكم الله آياته، كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل، كقول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى فتنة يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشكّ في صدق رسول الله ﷺ وحقيقة ما يخبرهم به.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وإن مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره، بعيد من الحق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد. يقول: فيصدّقوا به.يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به

(٦٩٨) أحمر
أسود

والإقرار بما فيه.

وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحقّ القاصد والحقِّ الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله، فلا يضرّهم كيد الشيطان، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب إيراده القصة:

وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مرسلات ومنقطعات، فالله أعلم. وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس، ومحمد بن كعب القُرَظِيّ، وغيرهما بنحو من ذلك، ثم سأل هاهنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس، من ألطفها: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ، وليس كذلك في نفس الأمر، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن ﷺ، والله أعلم.

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته. وقد تعرض القاضي عياض، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتاب «الشفاء» لهذا، وأجاب بما حاصله.

وقوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ ، هذا فيه تسلية له، صلوات الله وسلامه عليه ، أي: لا يَهيدنّك ذلك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء.

قال البخاري: قال ابن عباس: ﴿فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾، يقول: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه.

(٦٩٩) أحمر
أسود

وقال مجاهد: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعني: إذا قال.

ويقال: ﴿أُمْنِيَّتِهِۦٓ﴾: قراءته، ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، يقولون ولا يكتبون.

قال البغوي: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تَمَنَّى كتَابَ الله أوّل لَيْلَة وآخرَها لاقَى حمَامَ المَقَادرِ

وقال الضحاك: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: إذا تلا.

قال ابن جرير: هذا القول أشبه بتأويل الكلام.

وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، حقيقة النسخ لغة: الإزالة والرفع.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فيبطل الله -سبحانه وتعالى- ما ألقى الشيطان.

وقال الضحاك: نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، أي: بما يكون من الأمور والحوادث، لا تخفى عليه خافية، ﴿حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ أي: في تقديره وخلقه وأمره، له الحكمة التامة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وشرك وكفر ونفاق، كالمشركين حين فرحوا بذلك، واعتقدوا أنه صحيح، وإنما كان من الشيطان.

قال ابن جريج: ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم: المنافقون ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون.

وقال مقاتل بن حيان: هم الكافرون اليهود.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي: في ضلال ومخالفة وعناد بعيد،

(٧٠٠) أحمر
أسود

أي: من الحق والصواب.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل، المؤمنون بالله ورسوله، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك، الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره، بل هو كتاب حكيم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: يصدقوه وينقادوا له، ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ أي: تخضع وتذل، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى درجات الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأملًا عن القاضي عياض كأخذين أولها تضعيف الأخبار والورادة في ذلك، والثاني قال فيه القاضي عياض- كما نقل عنه القرطبي.

وأما المأخذ الثاني فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح. وقد أعاذنا الله من صحته، ولكن على كل حال فقد أجاب أئمة المسلمين عنه بأجوبة، منها الغث والسمين. والذى يظهر ويترجح في تأويله على تسليمه أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الاى تفصيلا في قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبي ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها. ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه، فيكون ما روى من حزن النبي ﷺ لهذه الاشاعة والشبهة

(٧٠١) أحمر
أسود

وسبب هذه الفتنة، وقد قال الله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ) الاية.

قلت (القرطبي): وهذا التأويل أحسن ما قيل في هذا. وقد قال سليمان بن حرب: إن «في» بمعنى عنده، أي ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ، كقوله عزوجل: (وَلَبِثۡتَ فِينَا) [الشعراء: ١٨] أي عندنا. وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي، وقال قبله: إن هذه الاية نص في غرضنا، دليل على صحة مذهبنا أصل في براءة النبي ﷺ مما ينسب إليه أنه قاله، وذلك أن الله تعالى قال: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ) أي في تلاوته. فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي. تقول: ألقيت في الدار كذا، وألقيت في الكيس كذا، فهذا نص في الشيطان أنه زاد في الذى قاله النبي ﷺ، لا أن النبي ﷺ تكلم به.

ثم ذكر معنى كلام عياض إلى أن قال: وما هدى لهذا إلا الطبري لجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه في العلم، وشدة ساعده في النظر، وكأنه أشار إلى هذا الغرض، وصوب على هذا المرمى، وقرطس بعدما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها باطل لا أصل لها، ولو شاء ربك لما رواها أحد ولا سطرها، ولكنه فعال لما يريد.

❁ ❁ ❁

س: ما الفرق بني الرسول والنبي؟

ج: لأهل العلم أقوالٌ في ذلك:

أحدها: أن الرسول هو من كلف برسالة من ربه عزَّ وجل يبلغها قومه أما

(٧٠٢) أحمر
أسود

النبي فلم يكلف بإنباء قومه.

الثاني: أن الرسول ما أُوحي إليه بواسطة جبريل والنبي إنما أُلهم إلهامًا.

وقال بعض أهل العلم إن كل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولًا:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال العلماء: إن هذه الاية مشكلة من جهتين: إحداهما: أن قوما يرون أن الانبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين. وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبى حتى يكون مرسلا. والدليل على صحة هذا قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ) فأوجب للنبى ﷺ الرسالة. وأن معنى (نَبِيٍّ) أنبأ عن الله ﷻ، ومعنى أنبأ عن الله عزوجل الارسال بعينه. وقال الفراء: الرسول الذى أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليه عيانا، والنبى الذى تكون نبوته إلهاما أو مناما، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا. قال المهدوى: وهذا هو الصحيح، أن أ كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا. وكذا ذكر القاضى عياض في كتاب الشفا قال: والصحيح والذى عليه الجم الغفير أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا، واحتج بحديث أبى ذر، وأن الرسل من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ولا يزال الذين كفروا وجحدوا وحدانية الله عزَّ وجل في شك وارتياب من هذا القرآن، وفي كونه نزل من عند الله، ولن يزال

(٧٠٣) أحمر
أسود

هذا الشرا ملازمًا لهم حتى يأتيهم أجلهم فجأة ويموتون، أو حتى تأتيهم القيامة فجأة أو يأتيهم عذاب الله يوم لا خير فيه لهم بل كله شرٌ عليهم، وهو يوم بدر الذي قتلت فيه ساداتهم وقتل فيه كبراؤهم، وقيل إنه عقيم لأنه لا مثل له في شدته عليهم من أيام الدنيا.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يوم القيامة الملك لله وحده لا ينازعه فيه منازع كما كان ينازع في الدنيا، فالله يحكم بينهم يوم القيامة، بين المحق والمبطل، بين الشاك في القرآن، وأنه من عند الله عزَّ وجل والموقن بأن هذا القرآن من عند الله، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ ينعمون فيها بكل ما يريدون ويشهدون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ والذين جحودًا وحدانيتنا وكذبوا بأبائنا فزعموا أنها ليست من عند الله، وأنها قول بشر فأولئك لهم يوم القيامة عذاب مُذلٌ مُخزي.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ عائدٌ على ما ألقى على قراءة النبي ﷺ أي أنهم في شك من هذا الذي أدخله الشيطان على قراءة النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفرا بالله في شكّ.

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: منه من ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر قول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى.

وأورد بإسنادٍ صحيح إلى سعيد بن جير قال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من قوله تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتجى.

(٧٠٤) أحمر
أسود

وبإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد، في وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ قال: مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة.

وقال آخرون: بل هي من ذكر القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أقرب منه من ذكر وقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والهاء من قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في وقوله: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ بالهاء من وقوله: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أولى من إلحاقها بما التي في قوله ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مع بُعد ما بينهما.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، يقول: فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾.

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أيّ يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم، أنهم لم ينظروا إلى الليل، فكان لهم عقيما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب،

وهو ما ذكرنا. في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: السلطان والمُلك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع، وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين؛ فالذين آمنوا بهذا القرآن، وبمن أنزله، ومن جاء به، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ، والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله، وقالوا: ليس ذلك من عند الله، إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون،﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذلّ في جهنم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن الكفار: أنهم لا يزالون في مرية، أي: في شك وريب من هذا القرآن، قاله ابن جريج، واختاره ابن جرير.

وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: ﴿مِّنْهُ﴾ أي: مما ألقى الشيطان.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: قال مجاهد: فجأة. وقال قتادة: ﴿بَغْتَةً﴾، بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا

(٧٠٦) أحمر
أسود

تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ : قال مجاهد: قال أبي بن كعب: هو يوم بدر، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة وغير واحد. واختاره ابن جرير.

وقال عكرمة، ومجاهد في رواية عنهما: هو يوم القيامة لا ليلة له. وكذا قال الضحاك، والحسن البصري.

وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن هذا هو المراد؛ ولهذا قال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ، أي: آمنت قلوبهم، وصدقوا بالله ورسوله، وعملوا بمقتضى ما علموا، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ . أي: لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: كفرت قلوبهم بالحق، وجحدوا به وكذبوا به، وخالفوا الرسل، واستكبروا عن اتباعهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي: مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] أي: صاغرين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم القيامة هو لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع. والملك هو اتساع المقدرو لمن له تدبير

(٧٠٧) أحمر
أسود

الامور. ثم بين حكمه فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

قلت: وقد يحتمل أن تكون الاشارة بـ(يَوْمَئِذٍ) ليوم بدر، وقد حكم فيه بإهلاك الكافر وسعادة المؤمن، وقد قال عليه السلام لعمر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم، إخبارٌ من الله عزَّ وجل عما أعدَّه للمهاجرين في سبيله لإعلاء كلمته وابتغاء رضائه ونصرةً لرسوله ﷺ وفرارًا بدينهم ثم قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على توحيده والاستقامة على أمره، يخبر الله عزَّ وجل ويعدهم الله عزَّ وجل أن يرزقهم رزقًا حسنًا رزقًا كريم واسعًا، فالله عزَّ وجل هو خير الرازقين، ثم يبين ربنا سبحانه هذا الرزق الحسن فيقول ليدخلهم مدخلًا يرضونه، وهو الجنة والخلود ودار السلام، وإن الله العليم بما في قلوبهم وعليم بما بذلوه لنصرة دينهم لا يضيع عند شيء ﴿لَعَلِيمٌ﴾ إذ لم يعاجلهم بعقوبة على ما صدر منهم بل غفر لهم ولطف بهم وصفح عنهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك، ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا. يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: وإن الله لهو خير

(٧٠٨) أحمر
أسود

من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله، فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت.

وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ليدخلنّ الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وذلك المُدخل هو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا.

﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلبا لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخِلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ أي: في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ أي: حتف أنفهم ، أي: من غير قتال على فرشهم، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: ليُجْرِيَن عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ أي: الجنة. كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨ ، ٨٩] فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق

(٧٠٩) أحمر
أسود

وجنة نعيم، كما قال هاهنا: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ، ثم قال: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ أي: بمن يهاجر ويجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ أي: يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه. فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة، كما تقدم وأما من تُوُفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه، وعظيم إحسان الله إليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا المسيَّب بن واضح، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن شُرَيْح، عن ابن الحارث -يعني: عبد الكريم- عن ابن عقبة -يعني: أبا عبيدة بن عقبة- قال: حدثنا شُرَحْبِيل بن السِّمْط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم، فمر بي سلمان -يعني: الفارسي- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، فقال: إني سمعت رسول الله يقول: «**من مات مرابطًا، أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق، وأمن من الفتَّانين**»(١) واقرءوا إن شئتم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾.

(١) والحديث أخرجه مسلم (١٩١٢) دون قوله «واقرءوا إن شئتم...».

(٧١٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ
ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ
ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي
ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا

(٧١١) أحمر
أسود

الحج

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾

[الحج: ٦٠-٧٢].

(٧١٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بُغِيَ عَلَيۡهِ - لَعَفُوٌّ - يُولِجُ - ٱلۡبَٰطِلُ - لَطِيفٌ - ٱلۡحَمِيدُ - وَٱلۡفُلۡكَ - لَرَءُوفٌ - لَكَفُورٌ - مَنسَكًا - نَاسِكُوهُ - يَسِيرٌ - سُلۡطَٰنًا - ٱلۡمُنكَرَ - يَسۡطُونَ - ٱلۡمَصِيرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بُغِيَ عَلَيۡهِ)	اعتُدي عليه- ظلم
(لَعَفُوٌّ)	يعفو عن السيئات- يمحوها ويزيلها ولا يؤخذ بها
(يُولِجُ)	يدخل
(ٱلۡبَٰطِلُ)	المضمحل الذاهب الذي لا حقيقة له ولا قيمة له ولا تأثير
(لَطِيفٌ)	ذو لطف في الأمور
(ٱلۡحَمِيدُ)	المحمود
(وَٱلۡفُلۡكَ)	السفن العظيمة
(لَرَءُوفٌ)	ذو رأفة
(لَكَفُورٌ)	لجحود للنعم – منكر لها، غير شاكر
(مَنسَكًا)	مكانا أو زمانا يعتادونه للذبح فيه
(نَاسِكُوهُ)	والاجتماع فيه والتنسك فيه
(يَسِيرٌ)	سهل
(سُلۡطَٰنًا)	حجة - برهان
(ٱلۡمُنكَرَ)	الاستنكار- الغضب والعبوس والضيق

(٧١٣) أحمر
أسود

(يَسْطُونَ)	يبطشون
(ٱلْمَصِيرُ)	المرجع والمآب

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ) سبب نزول.

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ...).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠].

وقوله تعالى: (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾) [الإسراء: ٣٣].

وقوله تعالى: (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ..)[البقرة: ١٩٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم ذلك الذي ذكرته لكم من حجازاتي الذين هاجروا في سبيل ثم قدَّرت عليهم بأن يقتلوا أو يموتوا دون قتلٍ، وأيضًا فأخبركم أن من عاقب من ظلموه وبغوا عليه بمثل ما عاقبوه ثم اعتدوا عليه

(٧١٤) أحمر
أسود

بعد ذلك وأراد ظلمه فإني أَعِدُه بنصري إن الله لعفو له عما صدر منه من معاقبته لمن عاقبوه وغفور لذنوبه التي صدرت منه كذلك ومع ذلك الذي ذكرته لكم، أذكركم أيضًا بأن الله عزَّ وجل قادرٌ على كل شيء، ومن قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يدخل الليل في النهار فيطول الليل، ويدخل في بعضه أوقات السنة النهار في الليل فيطول بذلك النهار، فهو سبحانه يقلب الأمور والأحوال، وقادرٌ على نصر عباده المستضعفين، وهو الذي يداول الأيام بين الناس (وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ) لأقوال عباده وسميع لكل شيء وبصير أيضًا بهم.

ذلك أيضًا الذي ذكرته لكم، وأني أقلب الليل والنهار، وأدخل هذا في ذاك، وأنني الذي أنصر عبادي ذلك بأن الله عزَّ وجل هو الإله الحق المعبود المستحق للعبادة وحده لا شريك له، القادر على كل شيء، وأن كل ما سواه من الألهة باطلٌ وذاهب ومضمحلٌ وأن الله عزَّ وجل هو العلي فلا شيء أعلى منه (ٱلْكَبِيرُ) فلا شيء أكبر منه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، ثم قُتلوا أو ماتوا، ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم.

وأورد الطبري بإسناده إلى ابن جُرَيج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قال: هم المشركون بغَوْا على النبي ﷺ، فوعده الله أن ينصره، وقال في القصاص أيضا. وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم، وكان المسلمون يكرهون

(٧١٥) أحمر
أسود

القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقاتلوهم فبغَوْا عليهم، وثبت المسلمون لهم فنُصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بأن بدئ بالقتال وهو له كاره، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ (١).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحقّ، غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأني القادر على ما أشاء. فمن قُدرته أن الله يولج الليل في النهار يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا. ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقُدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا ﷺ وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول؛ لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك معه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن

(١) وهذا ضعيف لإعضاله.

(٧١٦) أحمر
أسود

دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار، وإيلاجي النهار في الليل، لأني أنا الحقّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ يعني بوقوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ﴾ ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه.﴿ٱلۡكَبِيرُ ﴾ يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أثر ابن جريج المذكور.

يقول تعالى منبها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء، كما قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ [آل عمران: ٢٦ ، ٢٧] ومعنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل: إدخاله من هذا في هذا، ومن هذا في هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل، كما في الصيف.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾ أي: سميع بأقوال عباده، بصير بهم، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم.

ولما بين أنه المتصرف في الوجود، الحاكم الذي لا معقب لحكمه، قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير

(٧١٧) أحمر
أسود

إليه، ذليل لديه، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل؛ لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٩] فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، وعما يقول الظالمون [المعتدون] علوا كبيرا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمعنى (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ) أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه، فسمى جزاء العقوبة عقوبة لاستواء الفعلين في الصورة، فهو مثل: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠].

ومثل: (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ..)[البقرة:١٩٤]. وقد تقدم. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي بالكلام والازعاج من وطنه، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوه وأخرجوهم من مكة، وظاهروا على إخراجهم. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ أي لينصرن الله محمدا ﷺ وأصحابه، فإن الكفار بغوا عليهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ أي عفا عن المؤمنين ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

(٧١٨) أحمر
أسود

ج: هـذا والله أعلـم لفـت نظـر العبـد إلـى التكفـر في مخلوقـات الله ﷻ والاستدلال بـذلك علـى قدرتـه ووحدانيتـه، والاسـتدلال بـذلك علـى البعـث فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بعينيك، وكذا ألم تتفكر بقلبك وعقلك فيما يحدث أمامك، فإن الله ﷻ أنزل من السماء ماء، وهو المطر فقبلته الأرض فخرج منها النبات الاخضر الذي يكسوها، فأصبحت خضراء بعد جدبها، إن الله لطيف إذ استخرج النبات من الأرض خبير بعباده إذ أنزل عليهم المطر، وخبيرٌ بكل شيء هذا والآية كما أسلفت يستدل بها على البعث، فالذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأنفس بعد موتها كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فبيان لكونه سبحانه مالك السموات والأرض وما فيهم يتصرف فيهن بما يشاء وكيف يشاء، وكل ما فيها ملك له، الملك ملكه، والخلق عبيده، وهو ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه وهم الفقراء إليه المحاويج إليه. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود من عباده تحمده الخلائق، فهو المستحق للحمد المنعم على العباد بما لا يحصيه إلا هو. فإذا كان الأمر كذلك، وهو بحمد الله كذلك، فالله هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني مطرا ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بما ينبت فيها من النبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بما يحدث عن ذلك النبت من الحبّ، وبه قال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ فرفع، وقد تقدمه وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وإنما قيل ذلك كذلك لأن معنى الكلام الخبر، كأنه قيل: اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض؛ ونظير ذلك قول الشاعر:

(٧١٩) أحمر
أسود

أَلَـمْ تَسْـأَلِ الرّبْـعَ القَـدِيمَ فَيَنْطِـقُ وهَلْ تُخْبِرَنْـكَ اليـوْمَ بَيْـداءُ سَمْلَقُ

لأن معناه: قد سألته فنطق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: له مُلك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقه، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه، وإن الله هو الغنيّ عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه، فإنه يرسل الرياح، فتثير سحابا، فيمطر على الأرض الجُرُز التي لا نبات فيها، وهي هامدة يابسة سوداء قحلة، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج: ٥].

وقوله: ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ ﴾ ، الفاء هاهنا للتعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه، كما قال: ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقد ثبت في الصحيحين: «**أن بين كل شيئين أربعين يوما**» ومع هذا هو معقب بالفاء، وهكذا هاهنا قال: ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ ﴾ أي: خضراء بعد يبسها ومُحُولها .

وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز: أنها تصبح عقب المطر خضراء، فالله أعلم.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر، لا يخفى عليه خافية، فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به، كما قال لقمان: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

(٧٢٠) أحمر
أسود

فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦]، وقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ الآية [يونس: ٦١]؛ ولهذا قال أمية بن أبي الصلت -أو: زيد بن عمرو بن نُفيل- في قصيدته:

وَقولا لَه: مَن يُنْبِتُ الحبَّ في الثَرَى فَيُصبحَ منْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابيَا
ويُخْرجُ منْهُ حَبَّه في رُؤُوسه ففي ذاك آيات لمَنْ كَانَ وَاعيا

وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: ملكه جميع الأشياء، وهو غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، عبد لديه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ خلقا وملكا، وكل محتاج إلى تدبيره وإتقانه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ فلا يحتاج إلى شيء، وهو المحمود في كل حال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ألم تبصر بعينيك وترى بقلبك كذلك وتقف متفكرًا متدبرًا متأملًا في قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ فترى أن الله عَزَّ وَجَلَّ ذلل لكم ما في الأرض، وخلقه لخدمتكم يا بني آدم وكذا سخر لكم السفن العظيمة تجري في البحر بأمره وبتيسيره لها، ولو شاء لأمسك الرياح فظلَّت رواكد على ظهره، وكذا

(٧٢١) أحمر
أسود

فإنه ﷻ يمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا إذا أذن بذلك وهذا قبيل القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥]، ﴿لَرَءُوفٌ ﴾ لذو رأفة بهم ﴿رَّحِيمٌ ﴾ إذ لم يفد بهم بإسقاط السماء عليهم بل أمهلهم حتى يتوب منهم من يتوب ويرجع إليه منهم من يرجع.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بإخراجكم من بطون أمهاتكم بعد أن كنتم نُطَفًا ثم علقة ثم مضغة فأخرجه طفلًا وعشتم على الحياة ما عشتم ثم يتوفاكم إذا انتهت آجالكم، ولكن الإنسان جحود لكل نعم الله ﷻ عليه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدّوابّ والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقُدرته، وتذليله إياها لكم كذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة وقوله: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَٱلْفُلْكَ ﴾ نصبا، بمعنى سخر لكم ما في الأرض، والفلك عطفا على "ما"، وعلى تكرير "أن" وأن الفلك تجري. ورُوي عن الأعرج أنه قرا ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لإجماع الحجة من القرّاء عليه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه. ومعنى وقوله: ﴿أَن تَقَعَ ﴾ أن لا تقع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك.

(٧٢٢) أحمر
أسود

ويقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرّ والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من حيوان، وجماد، وزروع، وثمار. كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: من إحسانه وفضله وامتنانه، ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بتسخيره وتسييره، أي: في البحر العَجَاج، وتلاطم الأمواج، تجري الفلك بأهلها بريح طيبة، ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع، من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك، مما يحتاجون إليه، ويطلبونه ويريدونه، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ أي: لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ أي: مع ظلمهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ٦].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾، كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ

(٧٢٣) أحمر
أسود

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الجاثية: ٢٦]، وقوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١]

ومعنى الكلام: كيف تجعلون مع الله أندادا وتعبدون معه غيره، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ أي: خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يذكر، فأوجدكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: جحود.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾).

ج: يُخبر الله تبارك وتعالى بأنه لكل أمة من الأمم التي أرسل إليها الأنبياء زمانا أو مكانا يعتادونه كعيدٍ لهم أو مكانًا وزمانًا للذبح يذبحون فيه نسكهم فكان من اللائق أن يعرف المشركون ذلك ولا يجادلونك فيه، وذلك لأن أهل الشرك كانوا يجادلونه في العبادات والنسك والذبائح فيقولون لأهل الإسلام لم تتركون أكل الميتة وقد أماتها الله وتأكلون ما ذبحتموه بايديكم، إلى غير ذلك من صور الجدل، وفينهى الله نبيه ﷺ عن جدالهم ويأمره بالدعوة إلى الله ويطمئنه ويؤكد له أنه على طريق مستقيم يوصله بإذن الله ويهديه إلى جنات النعيم ويؤكد له على معنى وهو عدم الخوض في الجدال معهم ورد الأمر لله فيقول: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ اعلم بافتراءتكم وجدالكم وسائر أعمالكم، ثم إنه ﷻ يحكم بين الجميع يوم القيامة فيم كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيعطي المحق نصيبه ويجازي المسيء بما شاء.

وبنحو ماذكر قال أهل العلم بالتأويل.

(٧٢٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شرّ؛ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر . وإنما سميت مناسك الحجّ بذلك، لتردّد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحجّ والعُمرة. وفيه لغتان: "مَنْسِك" بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و "مَنْسَك" بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة أسد. وقد قرئ باللغتين جميعا.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بوقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أيّ المناسك عنى به؟ فقال بعضهم: عنى به: عيدهم الذي يعتادونه.

وقال آخرون: عنى به: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمِنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا. ولذلك قلنا: عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا.

وقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتقولون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنك أولى بالحقّ منهم، لأنك محقّ وهم مبطلون.

(٧٢٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئْتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها، إنك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال على قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم وعبادتهم الآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك، فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ يقول تعالى ذكره: والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحقّ من المبطل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا.

قال ابن جرير: يعني: لكل أمة نبي منسكا. قال: وأصل المنسك في كلام العرب: هو الموضع الذي يعتاده الإنسان، ويتردد إليه، إما لخير أو شر. قال: ولهذا سميت مناسك الحج بذلك، لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها .

فإن كان كما قال من أن المراد: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ فيكون المراد بقوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ أي: هؤلاء المشركون. وإن كان المراد: لكل أمة جعلنا منسكا جعلا قدريا -كما قال: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ [البقرة: ١٤٨] ولهذا قال هاهنا: ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُ﴾ أي: فاعلوه-فالضمير هاهنا عائد على هؤلاء

(٧٢٦) أحمر
أسود

الذين لهم مناسك وطرائق، أي: هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته، فلا تتأثر بمنازعتهم لك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق؛ ولهذا قال: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ أي: طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود.

وهذه كقوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٧].

وقوله: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾، كقوله: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١﴾ [يونس: ٤١].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾ تهديد شديد، ووعيد أكيد، كقوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٨]؛ ولهذا قال: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾.

وهذه كقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: ١٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الاية أدب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتا ومراء ألا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذى علمه الله لنبيه ﷺ. وقد قيل: إن هذه الاية منسوخة بالسيف، يعنى السكوت عن مخالفه والاكتفاء بقوله: (ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾.

(٧٢٧) أحمر
أسود

ج: المعنى إجمالًا ألم تعلم يا رسول الله، ويا عبد الله أن الله ﷻ يعلم كل شيء يجري في السماء والأرض ويحدث فيها فكل ذلك مكتوب عند الله ﷻ قبل أن يخلق الخلق والعلم بذلك على الله شيء سهل يسير، وكتابه ذلك عند الله أمر سهل ويسير والعلم بما يختلف فيه الخلق على الله أمر سهلٌ ويسير.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾ اختلف في ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك أن وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾... إلى وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ أقرب وهو له مجاور، ومن وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متباعد مع دخول وقوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بينهما، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السموات وما في

(٧٢٨) أحمر
أسود

الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، كما ثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

وفي السنن(٢)، من حديث جماعة من الصحابة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضًا، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علما، وهو سهل عليه، يسير لديه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي وإذ قد علمت يا محمد هذا وأيقنت فاعلم أنه يعلم أيضا ما أنتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم.

وقد قيل: إنه استفهام تقرير للغير. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ أي ما يجرى في العالم فهو مكتوب عند الله في أم الكتاب. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ أي إن الفصل بين المختلفين على الله يسير. وقيل: المعنى إن كتاب القلم الذى أمره

(١) مسلم (٢٦٥٣).
(٢) صحيح: وتقدم تخريجه في سورة القلم، وانظر سنن أبي داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩).

(٧٢٩) أحمر
أسود

أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة على الله يسير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ويعبد هؤلاء المشركون الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر، يعبدون آلهة ما أنزل الله بها في كتبه من حجة ولا أمر باتباعها وعبادتها في كتاب أنزله، وليس عندهم علم بما يقولون ولا فيما يصفون وما لهؤلاء المشركين يوم القيامة من نصير ينصرهم.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جلّ ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله، بأنها آلهة تصلح عبادتها، فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها، وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة، فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، يعني: حجة وبرهانا، كقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ولهذا قال هاهنا: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا

(٧٣٠) أحمر
أسود

حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم؛ ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ أي: من ناصر ينصرهم من الله، فيما يحل بهم من العذاب والنكال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم وإذا تُقرأ على هؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله إلهًا آخر، آيات الله التي أنزلها في كتابه الكريم يأمرهم الله فيها بتوحيده وطاعته ويذكرهم فيها بمصيرهم الذي هم إليه صائرون إلى غير ذلك مما في آيات الكتاب العزيز، فعندها عن تلاوتها عليهم تعرف في وجوههم علامات الإنكار الشديد عليك والإنكار الشديد لما جئتهم به تعرف في وجوههم الغضب والعبوس والضيق والتبرم، وترى الشر وكأنه يخرج من عيونهم ووجوههم يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات الله الذين يقرأون عليهم كتاب الله، فقل لهؤلاء إن كنتم يا هؤلاء ترون القرآن شرًا، وترون تلاوته عليكم شرًا، فتعالوا أنبئكم بما هو أشر عليكم من ذلك أشرُّ عليكم من ذلك النار التي وعد الله الكفار بها وبئس المصير الذي تصيرون إليه. والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَإِذَا تُتْلَىٰ) على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿آيَاتُنَا﴾ يعني: آيات القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ يقول:

(٧٣١) أحمر
أسود

تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ، لشدّة تكرّههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم.

وقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ يقول: أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكرّهون قراءتهم القرآن عليكم، هي ﴿النَّارُ﴾ وعدها الله الذين كفروا. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن المشركين قالوا: والله إن محمدا وأصحابه لشرّ خلق الله! فقال الله لهم: قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت النار على الابتداء، ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة، كما يقال: مررت برجلين: أخوك وأبوك، ولو كانت مخفوضة كان جائزا؛ وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها، يقول تعالى ذكره: فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه.

وقوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ يقول: وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله، وأنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق وصدق، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن، ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء! ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء. ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: النار وعذابها ونكالها

(٧٣٢) أحمر
أسود

أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم.

وقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٢﴾ أي: وبئس النار منزلا ومقيلا ومرجعا وموئلا ومقاما، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن. (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي الغضب والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي يبطشون والسطوة شدة البطش، يقال: سطابه يسطو إذا بطش به، كان ذلك بضرب أو بشتم، وسطاعليه. ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وقال ابن عباس: يسطون يبسطون إليهم أيديهم. محمد بن كعب: أي يقعون بهم. الضحاك: أي يأخذونهم أخذا باليد، والمعنى واحد وأصل السطو القهر والله ذو سطوات، أخذات شديدة. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي أكره من هذا القرآن الذى تسمعون هو النار. فكأنهم قالوا: ما الذى هو شر، فقيل هو النار. وقيل: أي هل أنبكم بشر مما يلحق تالى القرآن منكم هو النار، فيكون هذا وعيدا لهم على سطواتهم بالذين يتلون القرآن. ويجوز في «النار» الرفع والنصب والخفض، فالرفع على هو النار، أو هي النار. والنصب بمعنى أعنى، أو على إضمار فعل مثل الثاني، أو يكون محمولا على المعنى، أي أعرفكم بشر من ذلكم النار. والخفض على البدل. ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في القيامة. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي الموضع الذى يصيرون إليه وهو النار.

(٧٣٣) أحمر
أسود

الحج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ
مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ
ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ
مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ
شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾

[الحج: ٧٣-٧٨].

(٧٣٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ - تَدْعُونَ - وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ - يَسْلُبْهُمُ - ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ - مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ - يَصْطَفِى - حَقَّ جِهَادِهِۦ - وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ - ٱجْتَبَىٰكُمْ - حَرَجٍ - مِّلَّةَ - وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ضُرِبَ مَثَلٌ)	جُعل لله مثلٌ- جعل الكفار لله ﷻ شبيها ومثيلًا وندًا
(تَدْعُونَ)	تعبدون
(وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ)	لو اجتمعوا وحاولوا أن يخلقوا
(يَسْلُبْهُمُ)	يأخذ منهم
(ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ)	الطالب الأصنام، والمطلوب فيه الذباب وقيل الطالب الكفار، والمطلوب منه الأوثان
(مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)	ما عظموا الله حق تعظيمه
(يَصْطَفِى)	يختار
(حَقَّ جِهَادِهِۦ)	جاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله
(وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ)	أعظم الجهاد وأصوبه وأرشده
(ٱجْتَبَىٰكُمْ)	اختاركم واصطفاكم
(حَرَجٍ)	ضيق
(مِّلَّةَ)	شريعة- دين
(وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ)	يثقوا بالله وأحسنوا التوكل عليه والالتجاء إليه

(٧٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم يا أيها الناس جعل لي أهل الشرك شبهًا، لقد جعلوا الأصنام ندًا لي وشبهًا لي تعبدوها معي وجعلوها شريكة لي فاستمعوا إلى حال ما جعلوها شريكة لي إنها أي تلك الأصنام التي عبدتموها معي ودعوتموها من دوني وكذا عموم الآلهة التي عبدتموها من دوني اجتمعت كلها على أن تخلق ذبابًا م استطاعت بل وإنها جميعًا لو سلبها الذباب شيئًا لو أخذ الذباب منها أي شيء ما استطاعت ردَّه ولا استعادته فالطلاب الذي تطلوبه به هذه الأصنام على سبيل المثال وكذا الدهن والطيب الذي تدهنونها بها لو وقف عليه الذباب فأخذ منه ما شاء ما استطاعت تلك الآلهة أن تدفع الذباب عن نفسها ولا أن تسترد ما أخذه الذباب منها ضعف الطالب قيل إنها الآلهة التي تعاود أن تسترد ما أخذه الذباب منها، والمطلوب هو المطلوب منه، وهو الذباب الذي أخذ حاجته وانصرف.

وقيل ضعف الطالب، وهو المشرك الذي يدعو الوثن والصنم، والمطلوب منه وهو الصنم.

وأما قوله تعالى: (مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾).

فحاصل معناه: وأعظموا الله حق تعظيمه لما جعلوا له شريكًا في الملك؟ ولما جعلوا له شبعًا وهو الأصنام، إن الله لقويٌّ عزيز لا يمنعن مانع من شيء يريده.

وبنحو هذا قا ل أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٧٣٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر. ومعنى ضرب في هذا الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمَثَل: الشَّبَه، يقول جلّ ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشَّبَه والمَثَل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبها وصفته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذِبَّان غُراب، يجمع في القلة أَغْربة، وفي الكثرة غِرْبان.

وقوله: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذبابُ شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء (لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ) يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

واختلف في معنى وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة، وبالمطلوب: الذباب.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ من بني آدم إلى الصنم حاجته، ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب.

(٧٣٧) أحمر
أسود

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريعا منه بذلك عَبَدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض ومالكٌ جميع ذلك والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

وقوله: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَّر بحقه، وهم يريدون تعظيمه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا ﴾... إلى آخر الآية، قال: هذا مثل ضربه الله لآلهتهم، وقرأ ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾ يقول: إن الله لقويّ على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز : يقول: منيع في مُلكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من مُلكه شيئا، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة.

(٧٣٨) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك. كما قال الإمام أحمد (١).

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شَرِيك، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعة، عن أبي هريرة -رفع الحديث- قال: «**ومن أظلم ممن خلقًا كخلقي؟ فليخلقوا مثل خلقي ذَرّة، أو ذبابة، أو حَبَّة**».

وأخرجه صاحبا الصحيح (٢)، من طريق عُمَارة، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة**».

ثم قال تعالى أيضا: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾.

ثم قال: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ أي: هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء، ﴿وَهُوَ

(١) أحمد (٣٩١/٢) وفي سنده شريك فيه كلام، وانظر ما بعده.
(٢) البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٧٣٩) أحمر
أسود

الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢ ، ١٣]، ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: قد عز كل شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ هذا متصل بقوله: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا). وإنما قال: (ضُرِبَ مَثَلٌ) لان حجج الله تعالى عليهم بضرب الامثال أقرب إلى أفهامهم. فإن قيل: فأين المثل المضروب، ففيه وجهان: الاول - قال الاخفش: ليس ثم مثل، وإنما المعنى ضربوا لله مثلا فاستمعوا قولهم، يعنى أن الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره، فكأنه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبيه. الثاني - قول القتبى: وأن المعنى يأيها الناس، مثل من عبد آلهة لم تستطع أن تخلق ذبابا وإن سلبها الذباب شيئا لم تستطع أن تستنقذه منه. وقال النحاس: المعنى ضرب الله ﷻ ما يعبد من دونه مثلا، قال: وهذا من أحسن ما قيل فيه، أي بين الله لكم شبها ولمعبودكم.

ثم قال:

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الاستنقاذ والانقاذ التخليص. قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فتجف فيأتى فيختلسه. وقال السدى: كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فيأكله. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ قيل: الطالب الالهة والمطلوب الذباب. وقيل بالعكس. وقيل: الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم، فالطالب يطلب إلى

(٧٤٠) أحمر
أسود

هذا الصنم بالتقرب إليه، والصنم المطلوب إليه. وقد قيل: (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا) راجع إلى ألمه في قرص أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لهم والوقار معها. وخص الذباب لاربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذى هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله ﷻ على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم: الله يختار من ملائكة ما يشاء فيرفع رقبهم ويزيدهم فضلًا ومنزلةً ويجعلهم رسُلًا بينه وبين رسله عليهم السلام، وكذا يصطفي من الناس رسلًا إلى خلقه إن الله سميع لأقوال الخلق وسميع لكل ما من شأنه أن يُسمع بصيرٌ بهم كذلك، يعلم ما قدمته الملائكة والرسل من أعمال، وكذا يعلم ما أخروه منها وما سيعملوه منها، وإلى الله مرجع الأمور جميعها فإن كان القرشيون اعترضوا على النبي ﷺ وقالوا (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ) [ص: ٩] فجواب ذلك أن الله ﷻ هو الذي يصطفي ويختار كما قال تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ) [القصص: ٦٨] وإن كانوا يقولون: (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾) [الزخرف: ٣١] فجواب قبلهم (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾) [الزخرف: ٣٢].

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٧٤١) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٧٥﴾ يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد ﷺ، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقَدَره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٧٥﴾ أي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم، كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾ أي: يعلم ما

(٧٤٢) أحمر
أسود

يفعل برسله فيما أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إلى قوله: (وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدٗا ٢٨) [الجن: ٢٦ -٢٨]، فهو سبحانه رقيب عليهم، شهيد على ما يقال لهم، حافظ لهم، ناصر لجنابهم؛ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ الآية [المائدة: ٦٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ ختم السورة بأن الله اصطفى محمدا ﷺ لتبليغ الرسالة، أي ليس بعثه محمدا أمرا بدعيا.

وقيل (١): إن الوليد بن المغيرة قال: أو أنزل عليه الذكر من بيننا، فنزلت الاية. وأخبر أن الاختيار إليه سبحانه وتعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لاقوال عباده ﴿بَصِيرٞ ٧٥﴾ بمن يختاره من خلقه لرسالته. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يريد ما قدموا. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ يريد ما خلفوا، مثل قوله في يس: (إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ) [يس: ١٢] يريد ما بين أيديهم (وآثارهم) يريد ما خلفوا. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ) سجدة؟

ج: هذه السجدة، وهي السجدة الثانية في سورة الحج فيها نزاع بين العلماء، ولم يثبت فيها خبرٌ عن النبي ﷺ وأما حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قلت لرسول الله ﷺ أفي سورة الحج سجدتان، قال نعم ومن لم يسجدها فلا يقرأها. فهو حديث ضعيف أخرجه أبو داود (٢) والترمذي وأحمد وغيرهم

(١) وكونه سببًا للنزول لا يصح، والله أعلم.
(٢) أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وأحمد (١٥١/٤).

(٧٤٣) أحمر
أسود

وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وفي السند كذلك شرح بن .....يروي عن عقبة أشياء مناكير. هذا، ولم يعقد الإجماع على السجود في هذه السجدة. إلا أن الجمهور قالوا باستحباب السجود فيها وصح السجود فيها عن عمر رضي الله عنه (١).

وصح أيضًا عن أبي الدرداء وابن عباس وعددٍ من أهل العلم (٢).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾).

ج: المعنى والله أعلم يا أهل الإيمان اركعوا لله وحده في صلاتكم واسجدوا له فيها ولا تسجدوا لغيره واخضعوا لربكم واسمعوا له وأطيعوه واسألوه وتذللوا له بطاعتكم، وأفعلوا الخير الذي أواكم الله بفضله لعلكم تفوزون بمطلوبكم وتنجون من مرهوبكم.

والمفلح هو من فاز بالمطلوب وهو رضا الله عز وجل وجنته وسلم من المرهوب وهو سخط الله عزَّ وجل وعذابه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ لله في صلاتكم ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾ له فيها ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يقول: وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، الذي أمركم ربكم بفعله ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ يقول: لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طَلباتكم عند ربكم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٩٤).
(٢) انظر ابن أبي شيبة (٢/٣٩٤) فما بعده.

(٧٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى والله تعالى أعلم، وجاهدوا يا أهل الإسلام في الله لإعلاء كلمة الله حق جهاده أقول الجهاد وأحسنه وأجمله وأسده وأرشده، قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أنفقوا من أموالكم لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله تكلموا بألسنتكم كلمة الحق ابتغاء مرضات الله ولإعلاء كلمة الله.

(هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ) أي أن الله عزَّ وجل اختاركم وشرفكم وفضلكم ومنَّ عليكم بواسع فضله إذ جعلكم جندا له تنصرون دينه، إذ اختاركم من بين الأمم فجعلكم خير أمةٍ أخرجت للناس. وأرسل إليكم أفضل رسول وأنزل عليه أفضل كتاب، فلذا جاهدوا في الله أحق جهاده قابلوا نعمة الله بشكرس يتمثل في الجهاد والنصرة أين والملائكة وكذا فمن نعمته عليكم أنه عزَّ وجل ما جعل عليكم في الدين الذي شرعه لكم من حرج، من ضيق وشدة وعنت يضيق عليكم ولم يشدد عليكم ولم يفرض عليكم ما فيه مشقة، بل دينه يُسر، ومن يسر هذا الدين، ومن عدم الحرج أنه.

ما من مُذنب يُذنب ويريد أن يتوب ويرجع إلا وباب التوبة مفتوحٌ له، والذنب مهما عظم كفارات، قال تعالى: (وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾) [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: (۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ) [الزمر: ٥٣].

فهنالك ذنوب تغفر بكلمة استغفر الله، وأُخر تغفر بصلاة ركعتين، وأُخر

(٧٤٥) أحمر
أسود

تغفر بعمل برٍّ (إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾) [هود: ١١٤].

وذنوب أُخر تغفر بالكفارات كالحنث في الأيمان، أو الظهار أو التحريم ونحو ذلك وذنوب تغفر بالقصاص.

وذنوب تغفر بالحدود.

وذنوب يغفرها الله لمن يشاء.

فهذا نوع من أنواع رفع الحرج ما من ذنب إلا وله سبيل كي يغفره الله بإذن الله.

وعن صور رفع الحرج رفع التضييق في العبادات فمن لم يستطع الصلاة قائمًا صلى جالسًا وإلا فعلى جنب، والمسافر له قصر الصلاة وله الجمع.

ومنها إفطار الصائم إذا كان مريضًا أو مسافرًا وحلق الحاج شعره قبل التحلل إذا اعتراه ما يضره ويؤذيه، وكذا تحلله من إخراجه إذا اضطر لذلك ما دام يفعل المأمور به في هذا الصدد.

ومن صور رفع الحرج: أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ولا يكلف نفسا إلا ما آتاها ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧]. ومن ذلك قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ) [النحل: ١٠٦] فإذا تلفظ العبد المكره بكلمة الكفر فلا حرج عليه.

ومن ذلك إباحة المطعومات المحرمة كذا خوف الضرر (كإباحة الميتة والدم ولحم الخنزير) قال تعالى: (فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ) [البقرة: ١٧٣].

وكما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ومن صور رفع الحرج رفعه الجهاد عن المريض والأعرج والأعمى، والذي لا يجد ما ينفق ومن صور رفع الحرج أننا نجتهد وإذا أخطأنا فلسنا بملومين بل نثاب مع الاجتهاد حتى إذا أخطأنا.

(٧٤٦) أحمر
أسود

فإذا أخطأنا في رؤية الهلال صمنا وحججنا وأجزأ عنا حجنا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٥].

ومن صور ذلك أننا نتحري العدل في الكيل والميزان وبعد التحري لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ومن ذلك إباحة تزوج الأربع.

ومن ذلك إباحة الطلاق والخلع رفع الحرج عند الزوجين إن خافا ألا يقيما حدود الله.

فالحاصل أن الحرج مرتفع عن هذه الأمة ولله الحمد فبما ذُكر وفي غيرما ذُكر فضلًا من الله ونعمة والله عليم حكيم.

فالذي رفع عنا الحرج هو الله عزَّ وجل فجدير بنا أن نجاهد لإعلاء كلمته ونصرة دينه فهو الذي اجتبانا وتفضل علينا.

أما قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي الشأن في رفع الحرج هو الشأن في ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام فالحرج مرفوع فيها كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.

فالمراد به أن الله عزَّ وجل سماكم مسلمين قبل نزول القرآن وقد قال بعض أهل العلم إن الذي سمانا مسلمين من قبل هو إبراهيم عليه السلام، مستدلًا بقول إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ولكن الذي عليه الجمهور أن الذي سمانا مسلمين من قبل هو الله عزَّ وجل بدليل قوله ﷺ: «**فتسموا بما سماكم الله به هو سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله**».

أما قوله تعالى: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ فالمراد به وسماكم المسلمين في هذا القرآن

(٧٤٧) أحمر
أسود

أيضًا أن الله ﷻ سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وسماكم المسلمين في هذا القرآن كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي اجتباكم يا أمة محمد وجعلناكم خير أمة أخرجت للناس ورفعنا عنكم الحرج لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لكونكم خير أمة أخرجت لهم وأعدل أمةٍ أخرجت لهم وكذلك ليكون رسول عليكم شهيدًا.

فلذا لهذا التفصيل وإلا كلام قابلوا الإحسان بإحسان، وقابلوا النعمة بالشكر والعرفان فأقيموا الصلاة كما أمركم الله به، وآتوا الزكاة التي أمركم الله بإخراجها ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ توكلوا عليه فأحسنوا التوكل ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ تولى نصركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الذي يتولاكم ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ الذي ينصركم فإن ينصركم الله فلا غالب لكم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ فقال بعضهم: معناه وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح: عن ثور بن زيد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ كما جاهدتم أوّل مرّة، فقال عمر من أمر بالجهاد، قال: قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس، فقال عمر، صدقت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تخافوا في الله لومة لائم، قالوا: وذلك هو حقّ الجهاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: اعملوا بالحقّ، حقّ عمله، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر.

(٧٤٨) أحمر
أسود

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: عُني به الجهاد في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحقّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه. قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله.

وقال ابن زيد في ذلك، ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ قال: هو هداكم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبَّدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفَّارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

وأورد بسندٍ صحيح: عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يسأل عن﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ قال: ما هاهنا من هذيل أحد فقال رجل: نعم قال: ما تعدّون الحرجة فيكم؟ قال: الشيء الضيق، قال ابن عباس، فهو كذلك.

وقال آخرون: معنى ذلك ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تَيَقَّنوا محلها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما جعل في الإسلام من ضيق، بل وسعه.

وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كملَّة أبيكم، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبت، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكأنه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم.

(٧٤٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ يقول تعالى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بمحمد ﷺ المسلمين من قبل.

وقال آخرون: بل معنا: إبراهيم سماكم المسلمين؛ وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم ﷺ:

وأورد الطبري قولًا عن ابن زيد وتعقبه في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال: ألا ترى قول إبراهيم ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]. قال: هذا قول إبراهيم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذُكرت بالإيمان والإسلام جميعا، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان، ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك، لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، الله الذي لم يزل ولا يزال. وأما قوله ﴿مِن قَبْلُ﴾ فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله، وفي هذا يقول: وفي هذا الكتاب.

وقوله ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد ﷺ مسلمين، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلَّغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلَّغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: فأدّوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة

(٧٥٠) أحمر
أسود

الواجبة عليكم في أموالكم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يقول: وثقوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ يقول: نعم الوليّ الله لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، واعتصم به ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف الأئمة، رحمهم الله، في هذه السجدة الثانية من سورة الحج: هل هي مشروع السجودُ فيها أم لا؟ على قولين. وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ: «**فُضلت سورة الحج بسجدتين، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما**»(١).

وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ أي: بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا، فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحَضَر أربعًا وفي السفر تُقْصَر إلى ثِنْتَين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة، كما ورد به الحديث، وتُصَلى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر

(١) ضعيف وأشرت إليه قريبًا.

(٧٥١) أحمر
أسود

الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال، عليه السلام: «**بُعِثْتُ بالحنيفيَّة السَّمحة**»(١) وقال لمعاذ وأبي موسى، حين بعثهما أميرَين إلى اليمن: «**بَشِّرا ولا تنفرا، ويَسِّرا ولا تُعسِّرا**»(٢). والأحاديث في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يعني: من ضيق.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: قال ابن جرير: نصب على تقدير: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: من ضيق، بل وَسَّعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم. قال: ويحتمل أنه منصوب على تقدير: الزموا ملة أبيكم إبراهيم .

قلت: وهذا المعنى في هذه الآية كقوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية [الأنعام: ١٦١].

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ قال الإمام عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: الله عز وجل. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل بن حَيَّان.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

قال ابن جرير: وهذا لا وجه له؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسمّ هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر، ﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني: القرآن. وكذا قال غيره.

---

(١) معناه صحيح أخرجه أحمد (٥/٢٦٦) وغيره.
(٢) البخاري في صحيحه (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٢).

(٧٥٢) أحمر
أسود

قلت: وهذا هو الصواب؛ لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نَوّه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان، في كتب الأنبياء، يتلى على الأحبار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا القرآن ﴿وَفِى هَٰذَا﴾.

وأورد من حديث الحارث الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جِثيّ جهنم**». قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: «**نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله**».

وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ من سورة البقرة [الآية: ٢١]؛ ولهذا قال: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

أي: إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عُدولا خيارا، مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم، لتكونوا يوم القيامة ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها؛ فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك. وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها، وأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض، وطاعة ما أوجب، وترك ما

(٧٥٣) أحمر
أسود

حرم. ومن أهم ذلك إقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة، وهو الإحسان إلى خلق الله، بما أوجب، للفقير على الغني، من إخراج جزء نزر من ماله في السَّنة للضعفاء والمحاويج، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة "التوبة".

وقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: اعتضدوا بالله ، واستعينوا به، وتوكلوا عليه، وتَأَيَّدوا به، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: حافظكم وناصركم ومُظفركُم على أعدائكم، ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ يعني: [نعم] الولي ونعم الناصر من الأعداء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ قيل: عنى به جهاد الكفار. وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه، أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم. قال ابن عطية: وقال مقاتل وهذه الاية منسوخة بقوله تعالى: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ) [التغابن: ١٦]. وكذا قال هبة الله: إن قوله: (حَقَّ جِهَادِهِۦۚ) وقوله في الاية الاخرى. (حَقَّ تُقَاتِهِۦ) [آل عمران: ١٠٢] منسوخ بالتخفيف إلى الاستطاعة في هذه الاوامر. ولا حاجة إلى تقدير النسخ، فإن هذا هو المراد من أول الحكم، لان (حَقَّ جِهَادِهِۦۚ) ما ارتفع عنه الحرج. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره، وهذا تأكيد للامر بالمجاهدة، أي وجب عليكم أن تجاهدوا لان الله اختاركم له. واختلف العلماء في هذا الحرج الذى رفعه الله تعالى، فقال عكرمة: هو ما أحل من النساء مثنى وثلاث ورباع، وما ملكت يمينك. وقيل: المراد قصر الصلاة، والافطار للمسافر، وصلاة الايماء لمن لا يقدر على غيره، وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض

(٧٥٤) أحمر
أسود

والعديم الذى لا يجد ما ينفق في غزوه، والغريم ومن له والدان، وحط الاصر الذى كان على بنى إسرائيل. وقد مضى تفصيل أكثر هذه الاشياء . وروى عن ابن عباس والحسن البصري أن هذه في تقديم الاهلة وتأخيرها في الفطر والاضحى والصوم، فإذا أخطأت الجماعة هلال ذى الحجة فوقفوا قبل يوم عرفة بيوم أو وقفوا يوم النحر أجزأهم، على خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه. وما ذكرناه هو الصحيح في الباب. وكذلك الفطر والاضحى

وقال القرطبي أيضًا:

قال العلماء: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلابة والسراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين، وليس في الشرع أعظم حرجا من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله تعالى، ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج.

❁ ❁ ❁

(٧٥٥) أحمر
أسود

تفسير سورة المؤمنون

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾

[المؤمنون: ١-١١].

(٧٥٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفْلَحَ - خَٰشِعُونَ - ٱللَّغْوِ - مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ - غَيْرُ مَلُومِينَ - ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ - ٱلْعَادُونَ - رَٰعُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَفْلَحَ)	سعدوا وفازوا بالمطلوب (والذي هو رضا الله ﷻ عليهم ودخول جنته) ونجو من المرهوب، وهو سخط الله ﷻ، والنار عياذًا بالله
(خَٰشِعُونَ)	متذللون- ساكنون- خائفون وجلةٌ قلوبهم
(ٱللَّغْوِ)	ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال الباطل من القول والفعل
(مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ)	المراد الإماء (اللواتي يأتين بالشراء أو بالسبي وبنحو ذلك)
(غَيْرُ مَلُومِينَ)	غير مذمومين ولا موبخين
(ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ)	فعل غير ذلك، جامع في غير هذه الأبواب- صرف فرجة في غير هذه الأشياء المذكورة
(ٱلْعَادُونَ)	المعتدون المتجاوزون للحد
(رَٰعُونَ)	محافظون – موقرون- قودون

❁ ❁ ❁

(٧٥٧) أحمر
أسود

س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة المؤمنون:

ج: لا أعلم حديث صحيحًا في فضل سورة المؤمنون والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد خبر صحيح عن رسول ﷺ مفاده أن الجنة خلقها الله بيده فتكلمت قائلة قد أفلح المؤمنون أو أن الله ﷻ نظر إليها لما خلقها بيده، وقال قد أفلح المؤمنون.

ج: كل ذلك لم أقف له على خبر ثابت عن رسول ﷺ، وإنما هي بعض الآثار عن بعض التابعين وغالب ظني أنها مُتلقاة من الإسرائيليات والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآيات (قد أفلح المؤمنون سبب نزول)؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، وإنما ورد م حصله أنها نزلت لما كان النبي ﷺ يرفع بصره إلى السماء في صلاته، فأنزل الله عليه قد أفلح المؤمنون... ولا يصح.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن رسول ﷺ استقبل القبلة ثم قال «اللهم زدنا ولا تنقصنا... الحديث» ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر.

ج: قد روى الإمام أحمد وغيره هذا الحديث ولا يصح سنده إلى رسول ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الخبر الذي فيه أن النبي ﷺ قرأ في صلاة الصبح بالمؤمنون حتى بلغ ذِكر موسى وهارون فأخذته سعلة فركع؟

ج: صحيح أخرجه مسلم بنحوه.

(٧٥٨) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قد فاز المؤمنون بمطلوبهم وأعظم مطلوب لهم هو أن يرضى الله عنهم ويدخلهم جنة وكذا قد نجا المؤمنون من مرهوبهم الذي يرهبونه ويخشونه، وهو سخط الله عليهم وتعذيب الله لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنَّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾، أي: قد فازوا وسعدوا، وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن عائشة ڤ لم سئلت عن خُلق رسول صلى الله عليه وسلم فقرأت ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ حتى انتهت إلى (وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩) قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

ج: فس سنده من تُكلِّم فيه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾.

ج: هذا وصف لأهل الإيمان في صلاتهم. فهم فيها متذللون لله عَزَّ وَجَلَّ ساكنون لا يلتفتون (إلا عند الضرورات وبقدرٍ) قد خشعت قلوبهم فانعكس

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٥٠) وغيره من طريق.

(٧٥٩) أحمر
أسود

الخشوع على جوارحهم فهم في صلاتهم خائفون ساكنون قد غضوا البصر وخفضوا الجناح.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صَلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها.

وقال أيضًا بعد أن أورد جملة من الأثار.

فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رُؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أُمر بتركه فيها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن)

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.

❁ ❁ ❁

(٧٦٠) أحمر
أسود

مبحث في الخشوع في الصلاة والأسباب المعينة عليه بإذن الله

س: اذكر بعض الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة؟

ج: أولًا: ليعلم أن الخشوع من معاينة الذُّل والانكسار،ومن معاينة الخضوع والتواضع ومن معاينة السكون، سكون الجوارح ومن معاينة الخوف.

ثانيًا: وعن الأسباب المعينة على الخشوع أقول وبالله التوفيق من ذلك ما يلي:

١ - التفكر في الآيات التي تتلى وتدبر معانيها فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

فالتفكر في الآيات وحضور القلب كلَّ ذلك يولِّد خشوعًا، وانكسارًا خوفًا من الله ألا ترى أن الله قال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

هذ وكلما كان الشخص عالمًا بمعاني الآيات التي يتلوها أو تتلى عليه فإن ذلك من مسببات الخشوع والخشية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ

(٧٦١) أحمر
أسود

عليَّ» قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟!! قال نعم فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ...﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

ومن أسباب الخشوع، وأفضلها سؤال الله ﷻ ذلك، والتعوذ، بالله من قلب لا يخشع، وقد كان من تعوذات النبي ﷺ، تعوذه من قلب لا يخشع.

ومن أسباب الخشوع في الصلاة إزالة ما يشغل المصلي وإزالة ما يذهب تفكيره فمن ذلك.

إبعاد التصاوير فإن الشغل ينشغل بها عن قراءته وتدبره.

وقد أخرج البخاري من حديث أنس قال كان قرامٌ لعائشة ڤ سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ: «**أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**».

وفي رواية لمسلم من طريق القاسم عن عائشة ڤ أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة فكان النبي ﷺ يُصلي إليه فقال أخريه عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض وعن عائشة ڤ قال كان النبي ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى أعلمها فلما قضى صلاته قال «**اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم ابن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهتني آنفًا في صلاتي**»، وفي رواية «**شغلتني أعلام هذه**». وفي رواية «كانت له خميصة لها علم فكان يتشاغل بها في الصلاة».

ومن أسباب الخشوع أيضًا انتقاء الحالات....المساعدة على الخشوع ما دام في الوقت سعة، فمن ذلك تأخير النبي ﷺ صلاة الظهر حتى تنكسر حدةُ الحر وذلك بقوله **أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**».

(٧٦٢) أحمر
أسود

ومن ذلك قوله ﷺ «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**».

فإن المصلي الجائع والأكل أمامه يفكر في الأكل وينصرف بقلبه إليه، وكذلك الذي يصلي وهو يريد أن يبول أو يتغوط فإنه لا يكاد.....والتدبر والا يكاد يقف لله خاشعًا في صلاته ولذلك قال رسول الله ﷺ إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم».

وفي رواية: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ولا يعجلن حتى يفرغ منه».

ومن ذلك قول النبي ﷺ «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يسغفر فيسب نفسه».

وفي رواية: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقول».

وما دون ذلك تعليل الحركة وترك الالتفات قدر الاستطاعة فإن النبي ﷺ قال «إن في الصلاة لشغلا».

وسُئل النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

وفي الكلمات التي أمر الله ﷻ بها يحي بن زكريا عليهما السلام أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها. وإن الله بالصلاة فإن صليته فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهة لوجه عبده في صلاته ما لم يتلفت.

هذا، وقد قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وتقدم في تفسيرها أنهم بعد نزولها أُمروا بالسكوت.

واحذر الإكثار من التثاؤب خاصة في الصلاة فإن الشيطان يدخل، فإذا دخل شوَّش.

(٧٦٣) أحمر
أسود

قال ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**».

ومن ذلك عدم رفع البصر في الصلاة فإن النبي ﷺ قال م بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم وفي راية عنه الدعاء في الصلاة، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**» ولا تبزق تجاه القبلة ففي الحديث «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله تبارك وتعالى ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا واليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها**».

ملاحظة: وليعلم أن النبي ﷺ يرد عنه تغميض العين في الصلاة بل الوارد عنه يفيد أنه كان يصلي والعين مفتوحة كما حدث في صلاة الكسوف، وكذا عند مرور الشاة أمامه وتقدمه، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

ومن ذلك أعني من أسباب الخشوع في الصلاة التعوذ بالله من الشيطان عند حضوره ووسوسته.

فعن عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ فقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالهل منه واتفل عن يسارك ثلاثًا، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني».

ومن ذلك الطمأنينة في الصلاة قال ﷺ: «**....ثم اركع حتى تطمئن راكعًا.....ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا.....**».

ومن ذلك عدم الانشغال بتسوية الحصى، فإن النبي ﷺ قال في الرجل يسوى التراب حيث يسجد «**إن كنت فاعلًا فواحدة**».

ويتأتى الخشوع أكثر في صلاة النافلة في البيت وفي صلاة الليل،

(٧٦٤) أحمر
أسود

وكل ذلك للبعد عن المشوشات وقال ﷺ «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

ومن ذلك الابتعاد عن الصلاة بجوار المتحدثين الذين يشوشون عليك صلاتك بحديثهم وكذا قد ورد النهي عن الصلاة خلف النائم ولذلك.

مبحث في معرض أخر إن شاء الله:

وكذا لا تشوشن على أحدس بقراءتك ولا يشوشن عليك أحد ففي الحديث عن رسول الله ﷺ إن كلكم مناج ربَّه فلا يؤذين بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة وفي رواية «**لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**».

هذا وثمَّ أسباب أُخر للخشوع في الصلاة اجتزأت منها بما ذكرت وفي الجملة....الشخص أن يتحرى صفة صلاة رسول الله ﷺ فكلها خشوع وهو خير أسوة وبالله تعالى التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم عن الباطل ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال موضونه لا ينشغلون به ولا يقفون عنده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ أي: عن الباطل، وهو يشمل: الشرك -كما قاله بعضهم-والمعاصي -كما قاله آخرون -وما لا فائدة فيه من

(٧٦٥) أحمر
أسود

الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقَذَهم عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: شأن أهل الإيمان الإعراض عن اللغو، اذكر ما يدل على ذلك وبعض الوارد في الحث على قلة الكلام.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

[النساء: ١١٤]

وإلى ذلك أرشدنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

قال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم والآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**».

وحثنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا:

فقال عليه الصلاة والسلام: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صمت نجا**».

وقال ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال**».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة الأموال والزروع والانعام والفطر وغير ذلك من

(٧٦٦) أحمر
أسود

الزكوات المفروضة.

والثاني: زكاة النفوس أي تطهيرها من الشرك والدنس والذنوب والمعاصي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أذؤهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾: الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النِّصَب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وكقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧]، على أحد القولين في تفسيرها.

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

في المراد بالزكاة هنا وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم.

أحدهما: أن المراد بها زكاة الأموال ، وعزاه ابن كثير للأكثرين.

(٧٦٧) أحمر
أسود

الثاني: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك، والمعاصي بالإيمان بالله، وطاعته وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام، وعلى هذا فالمراد بالزكاة كالمراد بها في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩-١٠] وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ ﴾ [الأعلى: ١٤]. الآية وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١] وقوله: ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ [الكهف: ٨١] الآية وقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧] على أحد التفسيرين. وقد يستدل لهذا القول الأخير بثلاث قرائن.

الأولى: أن هذه السورة مكية، بلا خلاف، والزكاة إنما فرضت بالمدينة كما هو معلوم. فدل على أن قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ نزل قبل فرض زكاة الأموال المعروفة، فدل على أن المراد به غيرها.

القرينة الثانية: هي أن المعروف في زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله ﴿ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ونحو ذلك. وهذه الزكاة المذكورة هنا، لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال تعالى فيها ﴿ والذين هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ فدل على أن هذه الزكاة: أفعال المؤمنين المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء مال.

الثالثة: أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل بينهما كقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وقوله: ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل بين ذكرها، وبين ذكر الصلاة بجملة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ٣].

والذين قالوا المراد بها زكاة الأموال قالوا: إن أصل الزكاة فرض بمكة قبل

(٧٦٨) أحمر
أسود

الهجرة ، وأن الزكاة التي فرضت بالمدينة سنة اثنتين هي ذات النصب ، والمقادير الخاصة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ هل هي عامة في الرجال والنساء؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ فهي عامة في الرجال والنساء.

أما قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ فهي خاصة بالرجال إذ لا يحل للمرأة أن تُمكِّن عبدها من نفسها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ قال ابن العربي: «من غريب القرآن أن هذه الايات العشر عامة في الرجال والنساء، كسائر ألفاظ القرآن التى هي محتملة لهم فإنها عامة فيهم، إلا قوله: (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥) فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات، بدليل قوله: (إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ). وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخرى كآيات الاحصان عموما وخصوصا وغير ذلك من الأدلة».

قلت: وعلى هذا التأويل في الاية فلا يحل لامرأة أن يطأها من تملكه إجماعا من العلماء، لانها غير داخلة في الاية، ولكنها لو أعتقته بعد ملكها له جاز له أن يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم.

(٧٦٩) أحمر
أسود

﴿ حَٰفِظُونَ ﴾ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهنّ الله للرجال بالنكاح. ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ يعني بذلك: إماءهم. و«ما» التي في قوله: ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ محل خفض، عطفا على الأزواج. ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ ﴾ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُوَبَّخٍ على ذلك، ولا مذمومٍ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ ﴾ حافظون لها من ماذا؟

ج: حافظون لها من الزنا واللواط والسحاق، وكذا من الاستمناء على الصحيح، وحافظون لها من نظر الآخرين إليها أيضًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ ﴾ أي: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير الأزواج والإماء، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ ﴾ أي: المعتدون.

❁ ❁ ❁

حكم الاستمناء

س: ما حكم الاستمناء، ووضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ..﴾.

ج: الظاهر لي والله أعلم تحريمه لأن الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر من رُفع عنه اللوم إذ قال:

(٧٧٠) أحمر
أسود

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾. ثم عقب ذلك بقوله جل ذكره: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ والاستمناء مما وراء ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل الإمام الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عَرَفَةَ في جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجَزَريّ، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العاملين، ويدخلهم النار أول الداخلين، إلا أن يتوبوا، فمن تاب تاب الله عليه: ناكح يده ، والفاعل، والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره**». هذا حديث غريب، وإسناده فيه من لا يعرف؛ لجهالته، والله أعلم.

قلت (مصطفى): والأمر كما ذكر الحفاظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالحديث ضعيف جدًا، وتكفي الآية بعمومها للاستدلال على منع الاستمناء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم.

(٧٧١) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة، ويا ليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها. فإن قيل: إنها خير من نكاح الامة، قلنا: نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا، وإن كان قد قال به قائل أيضا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل، عار بالرجل الدنئ فكيف بالرجل الكبير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم، والذين هم لأماناتهم اليت استؤمنوا عليها، ويدخل في ذلك الأمانات التي يودعها الناس عندهم، وكل الأمانات التي استؤمنوا عليها كالأسرار التي يُستأمنون عليها، وكذا العهود التي عاهدوا عليها الكفار لا يتعدونها ولا ينتقضونها ولا يغدرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ ﴾ التي ائتمنوا عليها ﴿وَعَهۡدِهِمۡ ﴾ وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ﴿رَٰعُونَ ٨ ﴾ يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ ﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

❁ ❁ ❁

(٧٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم على صلاتهم يحافظون بتأديتها في وقتها وبأركانها وواجباتها لا يتركونها حتى يخرج وقتها، ولا يُخَلُّون بواجباتها وفرائضها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ أي: يواظبون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها، كما قال رسول ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أولئك الذين تقدمت أوصافهم هم الذين يرثون أماكن الكفار في الجنان فما من شخص إلا له معقدان مقعد في الجنة

(٧٧٣) أحمر
أسود

ومقعد في النار فإذا دخل المؤمن الجنة ودخل الكافر النار، ورث المؤمن مكان الكافر في الجنة، وورث الكافر مكان المؤمن في النار.

أما الفردوس فهي أعلى الجنة فأفضلها كما في الحديث عن رسول ﷺ وسيأتي إن شاء الله.

أما قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ أي ماكثون فيها إلا ما لا نهاية لا يبغون عنها حولًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار في الجنة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عن أبي هريرة، قال: قال رسول ﷺ: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَلَهُ مَنزلانِ: مَنزل فِي الجَنَّةِ، ومَنزلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ ماتَ وَدَخَل النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنزلَهُ**» فذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ﴾ البستان ذا الكَرْم، وهو (ٱلْفِرْدَوْسَ) عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية.

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ يعني ماكثون فيها، يقول: هؤلاء الذين يرثون الردوس خالدون، يعني ماكثون فيها أبدًا، لا يتحولون عنها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولَما وَصَفَهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

وثبت في الصحيحين أن رسول ﷺ قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه**

(٧٧٤) أحمر
أسود

الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترَكَ أولئك ما أمرُوا به مما خُلقوا له -أحرزَ هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضًا، وهو ما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي بُردَةَ ، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضَعُها على اليهود والنصارى**».

وفي لفظ له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقال : هذا فَكَاكُكَ من النار**». فاستحلف عُمر بن عبد العزيز أبا بُردَةَ بالله الذي لا إله إلا هو، ثلاث مرات، أن أباه حَدَّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فحلف له . قلت: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣] ، وكقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقد قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر: الجنة بالرومية هي الفردوس.

وقال بعض السلف: لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٧٧٥) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٢-١٦].

(٧٧٦) أحمر
أسود

س: وضح معنين ما يلي:

﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ - نُطۡفَةٗ - قَرَارٖ مَّكِينٖ - عَلَقَةٗ - مُضۡغَةٗ - خَلۡقًا ءَاخَرَۚ - فَتَبَارَكَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ)	طين مستل من جميع الأرض أستللناه (استخرجناه) من طين وقيل نيٌّ استل من ظهر آدم، وقيل عن آدم طين لأنه خرج منه وقيل عنه مكين لقوله هيئ لذلك ومُكِّن فيه، ابن آدم بإذن ربه ﷻ
(نُطۡفَةٗ)	قطرة المني
(قَرَارٖ مَّكِينٖ)	مكان يستقر فيه أعدّ لذلك وقيل: عن مكين لقوله هيء لذلك ومُكِّن فيه ابن آدم بإذن ربه ﷻ
(عَلَقَةٗ)	دم متجمع
(مُضۡغَةٗ)	قطعة لحم
(خَلۡقًا ءَاخَرَۚ)	بعد نفخ لروح فيه تحول إلى خلقه أخر وهو الجنين في بطن الأمن وقيل غير ذلك
(فَتَبَارَكَ)	كثر الخير الوارد منه- وتعاظم وتنامى

❁ ❁ ❁

(٧٧٧) أحمر
أسود

الأطوار التي يمر بها الإنسان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾؟

ج: ابتداءًا فلأهل العلم قولان في المراد بالإنسان:

أحدهما: أنه آدم صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنهم عموم أبنائه.

وبناء على ذلك يتأتى التفسير.

فالذين قالوا إن الإنسان هو آدم عليه السلام قالوا السلالة من طين هي تربة الأرض بصفة عامة التي استل منها الطين الذي خلق منه آدم عليه فقد خلق آدم عليه السلام من قبضة من التراب قبضها الله عز وجل من جميع الأرض.

وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث:

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك».

فعلى ذلك فالسلالة هي الشيء المستل أي المستخرج من طين.

والذين قالوا إن الإنسان المراد به بنوا آدم قالوا إن السلالة هي المنيُّ المستل (المستخرج) من صلب آدم عليه السلام، ولما كان آدم عليه السلام قد خلق من طين، قيل سلالة من طين.

وهذا بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ أسللناه منه، فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعني

(٧٧٨) أحمر
أسود

بالإنسان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به آدم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم، وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع، من سلالة، وهي النطفة التي استلَّت من ظهر الفحل من طين، وهو آدم الذي خُلق من طين.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم:

حَمَلتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنفرًا ... سُلالَةَ فَرجٍ كان غيرَ حَصِين

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً ... سُلالَةَ أفْراسٍ تجَللها بَغْلُ

فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم:

إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ ... عَلى القَوْدِ إلا بالأُنُوفِ سَلائِلُهْ

وقول الراجز:

يَقْذِفْنَ فِي أسْلابِها بالسَّلائِلِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون. وقال الأعمش، عن المِنْهال بن عمرو، عن أبي يحيى، عن ابن عباس: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ قال: صَفوةُ

(٧٧٩) أحمر
أسود

الماء. وقال مجاهد: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ أي: من منيّ آدم. قال ابن جرير: وإنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه. وقال قتادة: استُلّ آدمُ من الطين. وهذا أظهر في المعنى، وأقرب إلى السياق، فإن آدم، عليه السلام، خلق من طين لازب، وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التراب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم جعلنا ابن آدم بعد أن استخرجناه من صلب أبيه نطفة، وهي قطرة المني، فجعلناها، وبعد جماع الزوج لزوجته وإخراج المني في الرحم نطفة تستقر مكان هي لها وأعدَّ لها ومُكنت فيه وهو رحم المرأة، ثم خلقنا هذه النطفة علقة، حولناها إلى دم متجمع ثم تحول هذا الدم إلى قطعة لحم، وهي المضغة ثم خلقنا هذه المضغة قطعة اللحم عظامًا، حولناها إلى عظام مكسوةٍ باللحم ثم نفخنا فيه الروح، فبعد أن كان شكلًا بلا روح نفخنا فيه الروح فتحوَّل إلى جنين يتحرك فتكاثر الخير الوارد من الله ﷻ وتعاظم وتنامى وتزايد، فإنه ﷻ أحسن الخالقين.

هذا، وقد قا ل بعض أهل العلم إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أنه تغلب الإنسان في الدنيا بعد مولده فيكون طفلًا ثم يقوى ويشب ثم يكون شيخًا كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] هذا وقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ لا يفيد أن هناك خالق غير الله، إلا إذا وجه الخلق بمعنى الصنع، ومن العلى من

(٧٨٠) أحمر
أسود

قال إن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير لكن خلق الله أحسن من خلق عيسى عليه السلام، وهذا القول متعقب بأن عيسى عليه السلام كان يخلق بإذن الله ثم هذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذُكر عمومًا.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهيأ له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا. وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة، وهي القطعة من الدم، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما. وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ على الجمع، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: ﴿عَظْما﴾ في الحرفين على التوحيد جميعا.

والقراءة التي نختار في ذلك الجمع؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْما﴾ وعصبا، فكسوناه لحما. وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: ﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾ عائدة على الإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد. فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فقال بعضهم:

(٧٨١) أحمر
أسود

إنشاؤه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه؛ فيصير حينئذ إنسانا، وكان قبل ذلك صورة.

وقال آخرون: إنشاؤه خلقا آخر، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة، والاغتذاء، ونبات الشعر والسنّ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بإنشائه خلقًا آخر: سوَى شبابه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ لأن عيسى ابن مريم كان يخلق، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا، ومنه قول زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

ويروى:

وَلأَنْتَ تَخْلُق ما فريت وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٧٨٢) أحمر
أسود

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾: هذا الضمير عائد على جنس الإنسان، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧، ٨] أي: ضعيف، كما قال: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ، يعني: الرحمُ مُعَد لذلك مهيأ له، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣] ، أي: [إلى] مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم وتنقَّل من حال إلى حال، وصفة إلى صفة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي: ثم صَيَّرنا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل -وهو ظهره-وترائب المرأة-وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الثندوة-فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة. قال عكرمة: وهي دم.

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: وهي قطعة كالبَضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ يعني: شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

وقرأ آخرون: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾.

قال ابن عباس: وهو عظم الصلب.

وفي الصحيح، من حديث أبي الزِّنَاد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «**كل جسد ابن آدم يبلى إلا عَجْبُ الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب**».

﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ أي: وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ أي: ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى القولين المذكورين في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾. ثم قال: ولا منافاة فإنه من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم.

ثم أورد الحافظ ابن كثير عدة أحاديث منها حديثا ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم ليُجمع خَلقُه في بطن**

(٧٨٣) أحمر
أسود

أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وحديث حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم- قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله، ويكتبان، فيقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص».

وفي رواية: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم يقول، يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه، ليقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص».

وفي رواية: «إن الله وكّل بالرحم مَلكًا فيقول: أي رب، نطفة. أيْ رب، علقة أي رب، مضغة. فإذا أراد الله خلقها قال: يا رب، ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق والأجل؟» قال: «فذلك يكتب في بطن أمه».

وأورد غير ذلك ثم قال ابن كثير:

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السَّوِيّ الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

(٧٨٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم إنكم يا بني آدم بعد هذه النشأة التي ذكرناها لميتون عند انقضاء آجالكم، ثم إنكم من بعد موتكم لمبعوثون يوم القيامة للحساب وللثواب والعقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أوّل مرّة. وإنما قيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾؛ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل: هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي بعد الخلق والحياة. والنحاس: ويقال في هذا المعنى لمائتون. ثم أخبر بالبعث بعد الموت فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ يعني: النشأة الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] يعني: يوم المعاد، وقيام

(٧٨٥) أحمر
أسود

الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ١٦-٢٢].

(٧٨٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ - بِقَدَرٍ - فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ - عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ - جَنَّٰتٍ - طُورِ سَيْنَآءَ - تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ - وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ - لَعِبْرَةً - ٱلْفُلْكِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(سَبْعَ طَرَآئِقَ)	سبع سموات، وقيل عن السموات طرائق لكون بعضها فوق بعض
(بِقَدَرٍ)	على قدر الحاجة
(فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ)	فجعلناه مستوًا في الأرض تنتفعون به
(عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ)	على إذهابه وعدم الاحتفاظ به
(جَنَّٰتٍ)	حدائق وبساتين
(طُورِ سَيْنَآءَ)	الطور جبل عليه نبات، وسيناء هي سيناء المعروفة، المراد- عند كثير به من العلماء الجبل الذي كلَّم الله عز وجل عنده نبيه موسى صلى الله عليه وسلم
(تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ)	تخرج الدهن، وهو الزيت
(وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ)	إدام يؤتدم به، الشيء الذي يوضع على الخبز كي يؤكل الخبز معه
(لَعِبْرَةً)	لعظة ودلالة
(ٱلْفُلْكِ)	السفن العظيمة

❁ ❁ ❁

(٧٨٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ولماذا أطلق على السموات طرائق؟

ج: المعنى والله أعلم ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات شدادًا كما قال تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ: ١٢] ولم نفعل لمن تدبر أمر سائر الخلائق ولم نفعل عن عن تدبير أمر سائر الخلائق، ولم نفعل عن حفظًا الخلائق أيضًا فقد أمسكنا السموات كي لا تسقط عليكم كما قال جل ذِكره ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج: ٦٥].

هذا وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ يحتمل ما يلي: إننا خلقنا هذه السموات السبع العظيمة في شأنها البديعة في خلفها، ومع خلقناها لم نفعل عن تدبير أمر سائر الخلائق فلم نفعل عن تدبير أمر النملة في جحرها، أو الحيتان في البحار أو الوحوش في الغابات، لم نفعل عن تدبير أمر النحل والذباب والطيور، لم نفعل عن بني آدم وعن تدبير أمورهم ومعايشهم، لم نفعل عن سائر الخلق، ولم ننشغل بخلق السموات السبع عن سائر مخلوقاتنا، فالله لا يشغله جليل عن حقير ولا كبير عن صغير، بل أحصى كل شيء وحفظ كل شيء.

فإذا كان ذلك كذلك فلا يُقَصِّر الشخص عن الدعاء فليسأل ربَّه ﷻ القليل كما يسأله الكبير الكثير، وليسأل الله كل ما يريد، فلا يظن أن الله ﷻ منشغلٌ عنه بما هو أهم، فالله يكفي العباد ويسمع ويرى ويجيب ويعطي ويمنع ويتفضل أما لماذا أطلق على السموات طرائق، ملكوت بعضها فوق بعض لذا أطلق عليها طرائق كذا قال أكثر العلماء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن

(٧٨٨) أحمر
أسود

فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهنّ فوق بعض، فكلّ سماء منهنّ طريقة.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى خَلْق الإنسان، عطف بذكر خلق السموات السبع، وكثيرًا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وهكذا في أول ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها [في] صبيحة يوم الجمعة، في أولها خَلْقُ السموات والأرض، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين، وفيها أمر المعاد والجزاء، وغير ذلك من المقاصد.

فقوله: ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: قال مجاهد: يعني السموات السبع، وهذه كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢]. وهكذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير. وهو -سبحانه- لا يَحجبُ عنه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال، والبحار والقفار والأشجار، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا

(٧٨٩) أحمر
أسود

رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ قال أبو عبيدة: أي سبع سموات. وحكى عنه أنه يقال: طارقت الشيء، أي جعلت بعضه فوق بعض، فقيل للسموات طرائق لان بعضها فوق بعض. والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة. وقيل: لانها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ قال بعض العلماء: أي عن خلق السماء. وقال أكثر المفسرين: أي عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

قلت: ويحتمل أن يكون المعنى (وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾) أي في القيام بمصالحهم وحفظهم ، وهو معنى الحى القيوم، على ما تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: يُذكِّر الله عَزَّ وَجَلَّ ببعض نعمه على خلقه فيقول وأنزلنا من السماء ماء وهو (المطر، والغيث) بقدر على قدر حاجاتكم، لا كثير فيهلككم ولا قليل فتموتون جوعًا وعطشًا، وإنما على قدر حاجاتكم فأسكناه في الأرض، جعلناه ساكنا مستقرًا أمامكم تستفيدون منه، وإنا على إذهابه لقاع الأرض لقادرون وعلى إذهابه للبحار لقادرين، وعلى عدم إنزاله القادرون وعلى خلط الماء المالح به فيفسد عليكم الماء العذب القادرون على كل ذلك لقادرون.

أما قوله تعالى: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ أي أنبتنا لكم به من الزروع والثمار والحدائق والنباتات ما ترون ومن ذلك (جَنَّٰتٍ) حدائق وبساتين من نخيل

(٧٩٠) أحمر
أسود

وأعناب لكم فيها (في الجبات) فواكه كثيرة من كل صنف ومن هذه الفواكه وثمار النخيل والأعناب تأكلون وكذا أنبتناكم بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء شجرة، وهي شجرة الزيتون تخرج من جبل الطور وعند جبل الطور، وقد قيل إن الطور كل جبل عليه نبات، وقيل إنه جبل مخصوص، وهو الذي كلَّم الله ﷻ عنده نبيه موسى ﷺ أما سيناء فالأصح أنها المكان المعروف (سيناء المعروفة بمصر، وقيل إنها تمتد إلى الشام) فالمراد أن شجرة الزيتون أصلها من الله ﷻ كانت عند هذا الجبل جبل الطور بسيناء وقال لبعضهم إن المراد بسيناء مباركٌ وحسنٌ واستبعد هذا بعض العلماء، لأنها لو كانت كذلك لكانت طور منونةً، أي طورٍ حسنٍ ولكن لما كانت طور مجرورة فقط عُلم أن سيناء اسم لمكان والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ أي تنبت هذه الشجرة شجرة الزيتون الدهن الذي يؤتدم به أي يوضع مع الخبز فيؤكل معه، فقيل الزيت الزيتون صبغ لآكلين، أي إدام يأتدم به الأكلون يضعون مع الخبز فيغير لونه ويغير طعمه ولذلك قيل عنه صبغ، فيؤكل مع الخبز، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها.

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من

(٧٩١) أحمر
أسود

نخيل وأعناب ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ يقول: لكم في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ يقول: ومن الفواكه تأكلون، وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصّ جل ثناؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب، دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعني بها: شجرة الزيتون.

وقوله: ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يقول: تخرج من جبل ينبت الأشجار.

وأما قوله: ﴿سَيْنَآءَ﴾ فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿سِيناء﴾ بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿سَيْنَآءَ﴾ بفتح السين، وهما جميعا مجمعون على مدّها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك.

قال آخرون: معناه حسن.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف.

وقال آخرون: إنه جبل ذو شجر.

(٧٩٢) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منوّنا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ تَنۢبُتُ ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿ تَنْبُت ﴾ بفتح التاء، بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن، وقرأه بعض قرّاء البصرة: ﴿ تَنْبُتُ ﴾ بضم التاء، بمعنى تنبت الدهن، تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: ﴿ تُخْرِجُ الدُّهْن ﴾ وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل: أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه، وكما قال الراجز:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أرْبابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بِالبيضِ وَنَرْجُو بالفَرَج

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت، وأنبت؛ ومن أنبت قول زهير:

رأيْتَ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينا لَهُمْ حتى إذا أنْبَتَ البَقْلُ

ويروى: نبت، وهو كقوله: ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ ﴾ [هود: ٨١] و«فاسر»، غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: ﴿تَنْبُت ﴾ بفتح التاء؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليها. ومعنى ذلك: تَنْبُت هذه الشجرة بثمر الدهن.

(٧٩٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين، يأتدمون به، ويصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصبغ عطف على الدهن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعدّ ولا تحصى، في إنزاله القَطْر من السماء ﴿ بِقَدَرٖ ﴾ أي: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: «الأرض الجرُز» ، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور.

وقوله: ﴿ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابليَّة له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ ﴾ أي: لو شئنا ألا تمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري [والبحار] والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشُرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض، بل ينجَرّ على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور

(٧٩٤) أحمر
أسود

إلى مَدَى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالا فيسكنه في الأرض ويَسْلُكُه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون، فله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ يعني: فأخرجنا لكم بما أنزلنا من الماء ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ أي: بساتين وحدائق ذات بهجة، أي: ذات منظر حسن.

وقوله: ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أي: فيها نخيل وأعناب. وهذا ما كان يألف أهل الحجاز، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره، وكذلك في حق كل أهل إقليم، عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يَعْجِزُون عن القيام بشكره.

وقوله: ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: من جميع الثمار، كما قال: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [النحل: ١١].

وقوله: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ كأنه معطوف على شيء مقدر، تقديره: تنظرون إلى حسنه ونضجه، ومنه تأكلون.

وقوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ يعني: الزيتونة. والطور: هو الجبل. وقال بعضهم: إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر، فإن عَرى عنها سمي جَبَلا لا طورًا، والله أعلم. وطور سيناء: هو طور سينين، وهو الجبل الذي كَلَّم [الله] عليه موسى بن عمران، عليه السلام، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون.

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾: قال بعضهم: الباء زائدة، وتقديره: تنبت الدهن، كما في قول العرب: ألقى فلان بيده، أي: يده. وأما على قول من يُضَمِّن الفعل فتقديره: تخرج بالدهن، أو تأتي بالدهن؛ ولهذا قال: ﴿ وَصِبْغٍ ﴾ أي: أدْم، قاله قتادة. ﴿ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ.

وأورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة**

(٧٩٥) أحمر
أسود

مباركة» وأسانيده ضعيفة، والآية تشهد لمعناه، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي على مقدار مصلح، لأنه لو كثر أهلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ يعني الماء المختزن. وهذا تهديد ووعيد؛ أي في قدرتنا إذهابه وتغويره، ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي غائرا ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ [الملك: ٣٠].

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا﴾ أي جعلنا ذلك سبب النبات، وأوجدناه به وخلقناه. وذكر تعالى النخيل والأعناب لأنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ قاله الطبري. ولأنها أيضا أشرف الثمار، فذكرها تشريفا لها وتنبيها عليها. ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي في الجنات. ﴿فَوَٰكِهُ﴾ من غير الرطب والعنب. ويحتمل أن يعود على النخيل والأعناب خاصة إذ فيها مراتب وأنواع؛ والأول أعم لسائر الثمرات.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ شجرة عطف على جنات. وأجاز الفراء الرفع لأنه لم يظهر الفعل، بمعنى وثم شجرة؛ ويريد بها شجرة الزيتون. وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد، وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار. ﴿تَخْرُجُ﴾ في موضع الصفة. ﴿مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه.

وقال أيضًا:

(٧٩٦) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ قراءة الجمهور وقرأت فرقة ﴿وأصباغ﴾ بالجمع وقرأ عامر بن عبد قيس ﴿ومتاعا﴾؛ ويراد به الزيت الذي يصطبغ به الأكل؛ يقال: صبغ وصباغ؛ مثل دبغ ودباغ، ولبس ولباس. وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ؛ حكاه الهروي وغيره. وأصل الصبغ ما يلون به الثوب، وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه. وقال مقاتل: الأدم الزيتون، والدهن الزيت. وقد جعل الله تعالى في هذه الشجرة أدما ودهنا؛ فالصبغ على هذا الزيتون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢﴾.

ج: المعنى والله أعلم، وإن لكم في هذه الأنعام التي ترونها والتي منها الإبل، وهي أعظمها خلقًا كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾ [الغاشية: ١٧] لك في هذه الأنعام دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا وعظة تتعظون بها إذا انظرتم إليها فعلتم شيئًا من عظمة الخالق سبحانه وتعالى وشيئًا من قدرته، وشيئًا من نعمة وأياديه عليكم فإن الله ﷻ يخرج لكم من بطون هذه الأنعام من بين فرسٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وكذا لكم فيها منافع كثيرة أخر، فمن أصوافها وأوبارها وأشعارها تتخذون أثاثًا ومتاعًا إلى حين وكذا تأكلون من لحومها وتصطبغون بدهونها وتعالجون بألبانها، بل وبأبوالها كا ورد في الحديث ومنافع كثيرةٌ أُخر، وأيضًا فتحل أثقالكم إلى لم تكونوا بالغين إلا بشق الأنفسن فتنتقلون عليها من مكان إلى مكان كما أن الله سخر لكم الفلك وهي السفن العظيمة الهائلة تنتقلون عليها أيضًا من مكان إلى مكان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٧٩٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ تعتبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندكم، وقدرته على ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ من اللبن الخارج من بين الفرث والدم، ﴿ وَلَكُمْ ﴾ مع ذلك ﴿ فِيهَا ﴾ يعني في الأنعام ﴿ مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ وذلك كالإبل التي يُحمل عليها، ويُركب ظهرها، ويُشرب درّها، ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يعني من لحومها تأكلون. وقوله: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يقول: وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر ، وعلى هذه في البحر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾: يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرْث ودم، ويأكلون من حملانها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ويركبون ظهورها ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل: ٧] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

❁ ❁ ❁

(٧٩٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[المؤمنون: ٢٣-٣٠].

(٧٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ - ٱلْمَلَؤُا - يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ - جِنَّةٌ - فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ - بِمَا كَذَّبُونِ - ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ - بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا - وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ - فَٱسْلُكْ فِيهَا - زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ - سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ - وَلَا تُخَاطِبْنِي - فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا - ٱسْتَوَيْتَ - مُنزَلًا مُّبَارَكًا - خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَفَلَا تَتَّقُونَ)	أفلا تخافون الله وتخشونه أفلا تجعلون بينكم وبين عذابه رقابة (بتوحيدكم وسمعكم وطاعتكم لله)
(ٱلْمَلَؤُا)	الأشراف والكبرا والوجهاء
(يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)	يتعالى عليكم – يتكبر عليكم- يكون له فضل عليكم يتعاظم عليكم
(جِنَّةٌ)	جنون وخبل
(فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ)	انتظروا به واصبرو عليه حتى يموت بعد زمنٍ، وكذا انتظروا حتى نقضي، أمرًا وتضارًا في شأنه
(بِمَا كَذَّبُونِ)	بسبب تكذيبهم- بإنكارهم ما جئتهم به من الأمر بتوحيدك وعبادتك وحدك لا شريك له
(ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ)	اصنع السفينة العظيمة الهائلة قال الطبري أي منا ومنظر
(بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)	وبتعليمنا إياك صنعتها
(وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ)	علا الماء وجه الأرض- امتلأ التنور (وهو شيء يخبز منه) بالماء.

(٨٠٠) أحمر
أسود

(فَٱسۡلُكۡ فِيهَا)	فأدخل فيها
(زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ)	قيل من كل صنف ذكر وأنثى
(سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ)	كتبت عليه الشقاوة وقيل كان كافرًا وسبق القول أنه سيعذب
(وَلَا تُخَٰطِبۡنِي)	لا تسألني.....لهم ولا رحمتهم
(فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ)	في أهل الشرك

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾.

ج: المعنى والله أعلم ولقد أرسلنا نبينا نوحًا عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض أرسلناه إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وأطيعوه واسألوه، وارجوه وحده لا شريك له فليس لكم معبودٌ يستحق العبادة غيره أفلا تتقون عذابه وتخشون عقابه وقد أشركتم به وعبدتم معه غيره، أفلا تخافون وتحذرونه أفلا تجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بتوحيدكم له وعبادتكم إياه وحده لا شريك له.

هكذا دعاهم نوح عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له فما كان جوابهم إلا أن قالوا وخاصة الملأ منهم وهم الأشراف الذين تصدروا المواجهة الحق وهم الأشراف الذين تصدروا المواجهة الحق وهم عليه القوم وأكابرهم، قال هؤلاء الملأ الذين كفروا من قومه قالوا لبعضهم البعض مُنفرين عن نوح عليه السلام

(٨٠١) أحمر
أسود

صادِّين الناس عن دعوته واتباعه، ما هذا (أي نوح) إلا بشرٌ مثلكم، ليس ملكًا من السماء، بل هو بشر مثلكم يريد أن يتعالى عليكم ويتعاظم عليكم ويكون له فضلٌ عليكم ويتكبر عليكم وتيمز عنكم، وليس برسول من عند الله ﷻ، ولو أراد الله ﷻ أن يرسل إليكم رسولًا لأنزل ملائكة من عنده يامروننا وينهوننا، فما سمعنا من قبله عن رجل أرسله الله ما سمعنا أن الله أرسل نبيًا بشرًا، ولا وجدنا أباءنا الأولين حصل عندهم ذلك، فما نوح -عليه السلام- إلا رجل به جنون وخبل، فاصبروا عليه فسيموت وتستريحون منه بعد وقتٍ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا، والبراءة من كل معبود سوانا، ﴿فَقَالَ﴾ لهم نوح ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحلّ بكم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشراف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأنتم له تبع ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئًا سواه؛ لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يدعونا إليه نوح،

(٨٠٢) أحمر
أسود

من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي آباؤهم الأولون.

ويعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضا للجنّ: جنة، فيتفق الاسم والمصدر، وهو من قوله: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ كناية اسم نوح. وقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ يقول: فتلبثوا به، وتنظروا به حتى حين، يقول: إلى وقت مَّا، ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم مَّا، أو إلى وقت مَّا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين بعثه إلى قومه، لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد، وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله، ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: ألا تخافون من الله في إشراككم به؟!

فقال الملأ -وهم السادة والأكابر منهم-: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ يعنون: يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم. فكيف أوحي إليه دونكم؟ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ أي: لو أراد أن يبعث نبيًّا، لبعث مَلَكًا من عنده ولم يكن بشرًا! ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ أي: ببعثة البشر في آبائنا الأولين. يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم والأمم الماضية.

وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ أي: مجنون فيما يزعمه، من أن الله أرسله إليكم، واختصه من بينكم بالوحي ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي: انتظروا به ريب المنون، واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه.

ومما قاله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعا ونحن له تبع. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ أي لو شاء الله ألا يعبد شيء سواه لجعل رسول ملكا. ﴿ مَّا

(٨٠٣) أحمر
أسود

سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ أي بمثل دعوته. وقيل: ما سمعنا بمثله بشرا؛ أي برسالة ربه. ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي في الأمم الماضية؛ قال ابن عباس. والباء في ﴿بِهَٰذَا ﴾ زائدة؛ أي ما سمعنا هذا كائنا في أبائنا الأولين، ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون نوحا ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ أي جنون لا يدري ما يقول. ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي انتظروا موته. وقيل: حتى يستبين جنونه. وقال الفراء: ليس يراد بالحين ها هنا وقت بعينه، إنما هو كقول: دعه إلى يوم ما. فقال حين تمادوا على كفرهم: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي انتقم ممن لم يطعن ولم يسمع رسالتي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قال نوح عليه السلام ما كذبه قومه- داعيًا الله عز وجل راجيًا ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿ٱنصُرْنِي ﴾ على قومي فقد كذبوني انصرني على قومي بسبب تكذيبهم لي.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ قال بعض أهل العلم أرسل الله إليه رسلًا (ملائكة من السماء) بذلك، قال القرطبي أي أرسلنا إليه رسلًا من السماء، يأمرونه ويخبرونه بأمر الله له أن يصنع السفينة العظيمة الهائلة (وهي الفلك) ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ قال الطبري يقول يمرأى منا ومنظر ووحينا يقول بتعليمنا إياك صنعتها.

قلت: (مصطفى): وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بإغراق هؤلاء واقترب وقت ذلك، وعلا ماء المطر والطوفان وجه الأرض، وامتلأ أيضًا التنور (الذي يُخبز

(٨٠٤) أحمر
أسود

فيه) امتلأ بالماء، كدليل على شدة الماء فاحمل في السفينة من كل صنف زوجين على شدة الماء فاحمل في السفينة من كل صنف زوجين اثنين، قيل ذكر وأنثى من كل جنس حتى يُحافظ على الخلق، وكذا فاحمل فيها أهلك إلا من سبق القول بأنه سيهلك ويموت على الكفر منهم، وسيعذب وهم زوجتك وولدك ولا تراجعني في شأنهم، ولا تطلب من شيئًا في شأنهم ولا تسألني نجاتهم ولا نجاة قومك الذين كفروا فإنهم جميعًا مغرقون.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ يقول: قال نوح داعيا ربه ، مستنصرا به على قومه؛ لما طال أمره وأمرهم ، وتمادوا في غيهم: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ على قومي ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ يعني بتكذيبهم إياي، فيما بلَّغتُهم من رسالتك ، ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ يقول: فقلنا له حين استنصرنَا على كَفَرة قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا ، يقول: بمرأى منا، ومنظر، ووحينا ، يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك، بعذابهم وهلاكهم ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾.

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور. والصواب عندنا من القول فيه بشواهده، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ يقول: فادخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الفلك ﴿ مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾يقال: سلكته في كذا، وأسلكته فيه، ومن سلكته قول الشاعر:

وكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف، ومنه قول الهُذَلي.

(٨٠٥) أحمر
أسود

حتـى إذَا أَسْـلَكُوهُمْ فِـي قُتائِـدَةٍ شَـلا كمَـا تَطْـرُدُ الجَمَّالَـةُ الشُّـردَا

وقال: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ وهم ولده ونساؤهم ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ من الله بأنه هالك، فيمن يهلك من قومك ، فلا تحمله معك، وهو يام الذي غرق.

ويعني بقوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من أهلك، والهاء والميم في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من ذكر الأهل.

وقوله: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي ﴾ الآية، يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم.

﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يقول: فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه دعا ربه يستنصره على قومه، كما قال تعالى مخبرا [عنه] في الآية الأخرى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠] ، وقال هاهنا: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي: ذكرًا وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار، وغير ذلك، وأن يحمل فيها أهله ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي: سبق فيه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، كابنه وزوجته، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: عند معاينة إنزال المطر العظيم، لا تأخذنك رأفة بقومك، وشفقة عليهم، وطَمَع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان. وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة «هود» بما يغني عن إعادة ذلك هاهنا.

❁ ❁ ❁

(٨٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى والله اعلم فإذا علوت السفينة واعتدلت عليها أنت ومن معك من المؤمنين بلك، وكذا من حملتهم معك من كل زوجين اثنين، فقل، وبعد علوك عليها واعتدالك عليها الحمد لله الذي سلمنا وحفظنا ونجانا من أهل الظلم والشرك بالله، وأسأل الله ﷻ أن ينزلك إنزالًا مباركًا بالسلامة والنجاة أجمل المنازل وأحسنها وأكثرها بركةً وخيرات وأمان قائلًا رب أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين أي: وأنت خير من أنزل العباد أكرم المنازل.

أما قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ فحاصل معناه إن فيما ذُكر في شأن قوم نوح وما حل بهم لدلالات على قدرتنا ووحدانيتنا وعلى إكرامنا لأوليائنا وأهل الطاعة لنا، ودلالة على انتقامنا ممن أشرك بنا وعادى رسلنا وكذبهم، وإن كنا لمختبرين للناس بهذا القرآن وبالذي أوردنه فيه من القصص والعبر وغير ذلك والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ، ممن حملته معك من أهلك، راكبا فيها عاليا فوقها ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني من المشركين.

يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وقل إذا سلمك الله ، وأخرجك من الفلك ، فنزلت عنها: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ من الأرض ﴿مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ﴾ من أنزل عباده المنازل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا

(٨٠٧) أحمر
أسود

مُّبَارَكًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي، بمعنى: أنزلني إنزالا مباركا. وقرأه عاصم ﴿مَنزلا ﴾ بفتح الميم وكسر الزاي. بمعنى: أنزلني مكانًا مباركًا وموضعا.

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد، من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا، وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام- لعبرا لقومك من مشركي قريش، وعظات وحُجَجا لنا، يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم، فينزجروا عن كفرهم، ويرتدعوا عن تكذيبك، حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب.

وقوله: ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤]. وقد امتثل نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هذا، كما قال تعالى: ﴿ ۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود:٤١]. فذَكَر اللهَ تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه، وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ أي: إن في هذا الصنيع -وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين- ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ أي: لحججًا ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى، وأنه تعالى فاعل لما يشاء، وقادر على كل شيء، عليم بكل شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ أي في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين.

(٨٠٨) أحمر
أسود

(لَآيَٰتٍ) أي دلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءهم. ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾ أي ما كنا إلا مبتلين الامم قبلكم، أي مختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم ليظهر المطيع والعاصي فيتبين للملائكة حالهم، لا أن يستجد الرب علما. وقيل: أي نعاملهم معاملة المختبرين.

❁ ❁ ❁

(٨٠٩) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ
وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾
أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ
لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ
قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا
لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[المؤمنون: ٣١-٤٤].

(٨١٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَنشَأْنَا - قَرْنًا - وَأَتْرَفْنَٰهُمْ - مُّخْرَجُونَ - هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ - لِمَا تُوعَدُونَ - عَمَّا قَلِيلٍ - ٱلصَّيْحَةُ - غُثَآءً - فَبُعْدًا - تَتْرَا - فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَنشَأْنَا)	خلقنا- أوجدنا- أحدثنا
(قَرْنًا)	القرن هنا جماعة من البشر وجدوا في زمن معين وجمعتهم خصال معينة وأمور معينة
(وَأَتْرَفْنَٰهُمْ)	أنعمنا عليهم ووسعنا عليهم، نعمناهم وبسطنا لهم في الأرزاق
(مُّخْرَجُونَ)	مبعوثون للحساب يوم القيامة، مخرجون من قبوربكم
(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ)	بعيد بعيد
(لِمَاتُوعَدُونَ)	للذي يعدكم به من البعث والخروج من القبور
(عَمَّاقَلِيلٍ)	بعد قليل
(ٱلصَّيْحَةُ)	قل صاح جبريل صيحة عظيمة- وقيل صوت العذاب الشديد، وقيل صوت عظيم
(غُثَآءً)	الغثاء ما ارتفع من السيل فكان فوق الماء
(فَبُعْدًا)	أبعد الله القوم الكافرين
(تَتْرَا)	يتبع بعضهم بعضا
(فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا)	أهلكنا بعضهم بعد بعض

(٨١١) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الأجمالي للآيات المتقدمة من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾....إلى قوله تعالى: ﴿فَبَعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ثم أوجدنا وأحدثنا وخلقنا من بعد قوم نوحٍ قرنًا آخرين جماعة من الناس في زمن واحد وجمعهم أمر معين، وهنا جمعتهم بعثة رسول فيهم وقد قيل إن المعنى بهؤلاء القرن الأخرين قوم عاد فهم الذين جاءوا من بعد قوم نوح عليه السلام وقيل إن المراد بهم قوم ثمود لانهم الذين أخذوا بالصيحة، والأظهر أنهم قوم عاد والله أعلم أرل الله إليهم رسولًا كريمصا وهو نبيه هودصا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ويبين لهم أنه ليس لهم إله غير الله يستحق العبادة، ويحثهم هذا النبي الكريم على تقوى الله عز وجل والخوف منه وأن يجعلوا بينهم وبين عذاب الله عز وجل وقاية بتوحيدهم وإخلاص عبادتهم لله، فعندها قال الملأ وهم الأشراف والكبراء من أهل الكفر، قال هؤلاء الملأ الكفار المكذبون بالبعث بعد الموت، قال هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ووسع عليهم وبسط لهم في الرزق وأمدهم بالمال والبنين والصحة والعافية في هذه الحياة الدنيا، قال هؤلاء مكذبين لهذا الرسول الكريم وصادين عن دعوته وعن الإيمان به، ومُنفرين عن عبادة الله وحده لا شريك له قالوا ما هذا إلا بشرٌ مثلكم، أي ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم ياكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون يأكل من طعامكم ويشرب من شرابكم، ليس بملكٍ من السماء، فكيف تطيعون إذا لئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذن لمغبونون خسرتم دنياكم التي تتلذذون فيها بالملذات، وخسرتم شرفكم وعزتكم ووجاهتكم في الدنيا.

أيعدكم هذا الرجل وعدًا باطلًا فيقول لكم إنكم إذا متم وأصبحتم ترابًا

(٨١٢) أحمر
أسود

وأصبحتم عظامًا باليةً نخرة مفتتة يفتتها من يريد أنكم ستخرجون من قبروكم للجزاء والحساب، هذا أمر مستحيل بعيد بعيد أن يحدث مثل هذا بعيدٌ بعيدٌ أن تخرجوا من قبوركم للجزاء والحساب بعيدٌ بعيدٌ أن يكون هناك بعث وثواب وعقاب فما هي إلا حياتنا الدنيا نعيش فيها حياتنا ثم نموت ولا بعث ولا ثواب ولا عقابن وما هو إلا رجل كذاب يفتري على الله الكذب، وما نحن له بمُصدقين فعند ذلك وعا رسولهم دعاءه قائلًا رب انصرني فقد كذبون فيا أخبرتهم به انصرني فقد أنكروا وحدانيتك وجحدوها وأنكروا البعث والثواب والعقاب، فأجابه الله ﷻ قال تعالى عما قليل ليصبحن نادمين، بعد قليل سيندم هؤلاء أشد الندم تكذيبهم وقاصد منهمن فأخذتهم صيحة عظيمة استأصلهم وأهلكتهم، صيحة عظيمةٌ مع الريح الصرصر الشديدة، صيحةٌ عظيمة يستحقونها فجلعناهم كالغثاء الذي على وجه الماء، ذلكم الغثاء الذي لا قيمة له ولا توبة له فأبعد الله أهل الظلم عن رحمته وعن جنته أبعد أهل الشرك به وتكذيب رسله عن كل خير.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تفسير الآيات السابقة:

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مَهْلِك قوم نوح ، قرنا آخرين ، فأوجدناهم ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ داعيا لهم، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يا قوم، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ

(٨١٣) أحمر
أسود

وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح، وعَنَى بالرسول في هذا الموضع: صالحًا، وبقومه: ثمود. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يقول: الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا بلقاء الآخرة، يعني، كذّبوا بلقاء الله في الآخرة. وقوله: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يقول: ونعَّمناهم في حياتهم الدنيا بما وسَّعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى بَطِرُوا وعَتوْا على ربهم، وكفروا، ومنه قول الراجز:

وَقَدْ أُرَانِي بِالدِّيَارِ مُتْرَفَا

وقوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا، يأكل مما نأكل منه من الطعام، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته، قال: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ معناه: مما تشربون منه، فحذف من الكلام (مِنْهُ)؛ لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فاتبعتموه، وقبلتم ما يقول وصدّقتموه. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه.

قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابًا في قبوركم، وعظاما قد ذهبت

(٨١٤) أحمر
أسود

لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها - أنكم مخرجون من قبوركم أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت ﴿أَنَّكُمْ﴾ مرّتين، والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم ، وكنتم ترابًا وعظامًا - مخرجون مرة واحدة، لما فرق بين ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى ، وبين خبرها بإذا، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظنّ وأخواته، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره، فتكرّر اسمه مرّة وتحذفه أخرى، فتقول: أظن أنك إن جالستنا أنك محسن، فإن حذفت أنك الأولى أو الثانية صلح، وإن أثبتهما صلح، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز خطأ أن يقال: أظنّ أنك أنك جالس، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياءً من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا يقول:

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال: يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزرع يحصد هذا ، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء ، ويأتي آخرون، وقرأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] وقرأ: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[سبأ: ٣].

(٨١٥) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مُخرجون. وقوله: ﴿هُوَ﴾ من ذكر الرسول، وهو صالح. ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول: إنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله، ومن تصديقهم إياه بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ربّ انصرني على هؤلاء بما كذّبون يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحقّ، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه، وتكذيبهم له، فقال الله له مجيبًا في مسألته إياه ما سأله: عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تَنزل بهم فتنتنا فلا ينفعهم الندم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة، فأخذتهم بالحقّ، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به، وتكذيبهم رسوله ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ﴾ يقول: فصيرناهم بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء فإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه.

وقوله: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم؛ إذ كفروا بربهم، وعصوا رسله، وظلموا أنفسهم.

(٨١٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنًا آخرين -قيل: المراد بهم عاد، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم. وقيل: المراد بهؤلاء ثمود؛ لقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ -وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. فكذبوه وخالفوه، وأبوا من اتباعه لكونه بشرًا مثلهم، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري، فكذبوا بلقاء الله في القيامة، وأنكروا المعاد الجثماني، وقالوا ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: بعيد بعيد ذلك.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد. ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي: استفتح عليهم الرسول واستنصَرَ ربَّه عليهم، فأجاب دعاءه، ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به،

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: وكانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم.

والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصَّرْصر العاصف القويّ الباردة، ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ أي: صرعى هَلْكى كغثاء السيل، وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه. ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾، كقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[الزخرف:٧٦] أي: بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد هلاك قوم نوح. ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾

(٨١٧) أحمر
أسود

قيل: هم قوم عاد. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعنى هودا، لانه ما كانت أمة أنشئت في إثر قوم نوح إلا عاد. وقيل: هم قوم ثمود ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا) يعنى صالحا. قالوا: والدليل عليه قوله تعالى آخر الاية: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ)، نظيرها: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) [هود: ٦٧]. قلت: وممن أخذ بالصيحة أيضا أصحاب مدين قوم شعيب، فلا يبعد أن يكونوا هم، والله أعلم. (مِّنْهُمْ) أي من عشيرتهم، يعرفون مولده ومنشأه ليكون سكونهم إلى قوله أكثر. ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ تقدم. ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ أي عن قليل، و«ما» زائدة مؤكدة. ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ على كفرهم، واللام لام القسم، أي والله ليصبحن. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ في التفاسير: صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التى أهلكهم الله تعالى بها فماتوا عن آخرهم. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ أي هلكى هامدين كغثاء السيل، وهو ما يحمله من بالى الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي هلاكا لهم. وقيل بعدا لهم من رحمة الله، وهو منصوب على المصدر. ومثله سقيا له ورعيا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم أوجدنا وخلقنا من بعد هذا القرى أهلكناه- عادًا أو ثمود- قرونًا كثيرة أخرى، لا تتقدم أمة بهلاكها على الوقت الذي حدَّده الله لإهلاكها ولا تتأخر يومًا عن ذلك بل ولا ثانية، وأرسلنا لهذه الأمم المكذبة رسلًا مثل إهلاكها- ينذرونهم ويخوفونهم ويعرِّفونها أمر الله عز وجل وأمر رسله

(٨١٨) أحمر
أسود

عليهم الصلاة والسلام، أرسلنا إليهم رسلا متتابعين رسولًا يتلوه رسول سيكون رسول كلما جاء أنه رسولها كذبوه فأهلكنا بعضهم بعد إهلاك من قبلهم وجعلناهم أحاديث على الألسن يتحدث الناس بشأنهم ويتمثلون بهم في بشر فأبعد الله ﷻ وأخرى أهل الكفر والظلم وعدم الإيمان والتصديق.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين. وقوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها ، والوقت الذي وقتنا لفنائها، ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد ﷺ ، وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم ، مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم ، فيحلّ بهم نقمته، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة.

وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم ، التي أنشأناها بعد ثمود ، رسولُها الذي نرسله إليهم، كذّبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا. وقوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك ، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس ، ومثلا يتحدّث بهم في الناس، والأحاديث في هذا الموضع جمع

(٨١٩) أحمر
أسود

أحدوثة، لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث، وإنما قيل: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ لأنهم جعلوا حديثا ، ومثلا يتمثَّل بهم في الشرِّ، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا ، ولا أُحْدوثة. وقوله: ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدّقون برسوله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: أمما وخلائق، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يعني : بل يُؤْخَذون حَسَب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم، أمة بعد أمة، وقرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وخَلفًا بعد سلف.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾: قال ابن عباس: يعني يتبع بعضهم بعضًا. وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] ، وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ يعني: جمهورهم وأكثرهم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس:٣٠].

وقوله: ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾ أي: أهلكناهم، كقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧].

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ أي: أخبارًا وأحاديث للناس، كقوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد هلاك هؤلاء. ﴿قُرُونًا ﴾ أي أمما. ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ قال ابن عباس: يريد بنى إسرائيل، وفي الكلام حذف:

(٨٢٠) أحمر
أسود

فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ (مِنْ) صلة، أي ما تسبق أمة الوقت المؤقت لها ولا تتأخره، مثل قوله تعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ويستقدمون) [الاعراف: ٣٤]. ومعنى ﴿تَتْرَا﴾ تتواتر، ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا.

وقال في: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي بالهلاك. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به، كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجب منه. قال الأخفش: إنما يقال هذا في الشر (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) ولا يقال في الخير، كما يقال: صار فلان حديثا أي عبرة ومثلا، كما قال في آية أخرى: (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) [سبأ: ١٩].

قلت: وقد يقال فلان حديث حسن، إذا كان مقيدا بذكر ذلك، ومنه قول ابن دريد:

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن وعى

(٨٢١) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا
عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ
أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم
مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا
كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ
ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا
تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ
تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[المؤمنون: ٤٥-٦٧].

(٨٢٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِـَٔايَٰتِنَا - وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ - وَمَلَإِيۡهِۦ - فَٱسۡتَكۡبَرُواْ - عَالِينَ - عَٰبِدُونَ - ٱلۡمُهۡلَكِينَ - ٱلۡكِتَٰبَ - يَهۡتَدُونَ - ءَايَةٗ - رَبۡوَةٖ - ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ - أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ - فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ - فَذَرۡهُمۡ - فِي غَمۡرَتِهِمۡ - حَتَّىٰ حِينٍ - أَيَحۡسَبُونَ - نُمِدُّهُم - نُسَارِعُ - لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ - خَشۡيَةِ رَبِّهِم - مُّشۡفِقُونَ - يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ - وَجِلَةٌ - يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ - وُسۡعَهَا - وَلَدَيۡنَا - غَمۡرَةٖ - مِّن دُونِ ذَٰلِكَ - مُتۡرَفِيهِم - يَجۡـَٔرُونَ - عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ - مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَا)	بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا بالمعجزات التي أيدناهم بها
(وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ)	حجة موضحة لكونهما على الحق
(وَمَلَإِيۡهِۦ)	أشراف قومه
(فَٱسۡتَكۡبَرُواْ)	فتعالوا عن الحق ورفضوا قبوله
(عَالِينَ)	قاهرين لغيرهم- مُتعالين على الناس
(عَٰبِدُونَ)	خاضعون أذلاء مطيعون
(ٱلۡمُهۡلَكِينَ)	الهلكى الميتين الذي أهلكهم الله ﷻ (وكان ذلك بإغراقهم)
(ٱلۡكِتَٰبَ)	المراد به هنا (التوراة)
(يَهۡتَدُونَ)	يوفتون إلى طريق الحق والصواب ويُرشدون إليه

(٨٢٣) أحمر
أسود

(ءَايَةً)	علاقة على قدرتنا ووحدانيتنا
(رَبْوَةٍ)	مكان مرتفع
(ذَاتِ قَرَارٍ)	ذات مستقر حسن، يُستقر عليها وذات ثمار وزرع
(وَمَعِينٍ)	ماء ظاهر جار
(أُمَّتُكُمْ أُمَّةً)	المراد ملتكم
(فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ)	افترقوا فرقا وجعلوا دينهم أديانا متعددة متبعين كتبًا وضعوها وضلالات ألقوها
(فَذَرْهُمْ)	فاتركهم
(فِي غَمْرَتِهِمْ)	فياهم مغمورون فيه من الضلال والجهل والكفر
(حَتَّىٰ حِينٍ)	حتى أجل حددناه لهم (لإنزال العذاب عليهم أو لموتهم أو ليوم القيامة
(أَيَحْسَبُونَ)	أيظنون
(نُمِدُّهُم)	نعطيهم ونمنحهم ونوسع عليهم في الدنيا
(نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ)	نكرمهم بخيرات الدنيا وسنكرمهم بخيرات الآخرة
(خَشْيَةِ رَبِّهِم)	خوف ربهم ﷻ
(مُّشْفِقُونَ)	خائفون وجلون
(يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ)	يعطون ما أعطوا – يفعلون ما فعلوا من الخيرات
(وَجِلَةٌ)	خائفة
(يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ)	يسابقون إلى الخيرات

(٨٢٤) أحمر
أسود

(وُسْعَهَا)	طاقتها
(وَلَدَيْنَا)	عندنا
(غَمْرَةٍ)	غمرة بجهالة والعمى والكفر والغي
(مِّن دُونِ ذَٰلِكَ)	غير ذلك (غير الأعمال التي عملوها والشرك)
(مُتْرَفِيهِم)	الأغنياء منهم
(يَجْـَٔرُونَ)	يصيحون- يضجون- يصرخون
(عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ	على أدباركم ترجعون
(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ)	متعالين على الخلق
(سَٰمِرًا)	سامرين (من السمر ليلًا)
(تَهْجُرُونَ)	تتركون (الصلاة فيه) تهجرون القرآن. تتكلمون بالهجر من القول، وهو الباطل الردي الخاطئ القبيح

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ثم أرسلنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم متتابعين، أرسلنا موسى عليه السلام وهو ابن عمران كليم الله وأرسلنا أيضًا معه أخاه هارون وقد مننا عليه بالنبوة والرسالة كذلك، أرسلناها بآياتنا بحججنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا الدالة على صدقهم في قولهم إنا رسولا

(٨٢٥) أحمر
أسود

رب العالمين وكذا أيدناهما بحجج مظهرة إظهارًا كاملًا أنهما روسولان من الله ﷻ.

وهذه الحجج وتلك منها العصا التي تتحول إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء، في آيات أخر كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ...﴾ كل هذا فضلًا عن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.

أرسلنا موسى وأخاه هارون بهذه الحجج والآيات إلى فرعون وكبراء قومه وسائر قومهم فرفضوا الحق وكذبوه وظلموا عباد الله، وكانوا قومًا قارهين لغيرهم في الدنيا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب، وكانوا أيضًا متعالين على موسى وهارون عليهما السلام، كلما جاءتهم رسلنا ﴿موسى وهارون﴾ بحججنا الواضحات وآياتنا النيرات، رفضوها وتعالو عليها قائلين أنؤمن لبشرين مثلنا يريدون لموسى وهارون عليهما السلام وقومهما خاضعون أذلاء مذللون لنا يخدموننا ويطيعوننا في كل ما نأمرهم به فكيف نترك ذلك، ونصبح نحن مطيعين لرجلين منهم فكان هذا الاستعلاء عن الحق سببًا في هلاكهم أي في هلاك فرعون وقومه.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يقول: بحججنا ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم.

(٨٢٦) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، وقوله: ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قال: عَلَوا على رُسُلهم، وعصَوا ربهم، ذلك علوّهم، وقرأ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣] الآية.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ فنتبعهما ﴿وَقَوْمُهُمَا ﴾ من بني إسرائيل ﴿ لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يعنون: أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم، ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان لملك: عابدا له. ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد؛ لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: قال فرعون: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾... الآية، نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع ذلك، وذلك حين أتوهم بالرسالة، وقرأ: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٧٨] قال: العلوّ في الأرض.

وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يقول: فكذّب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلَكَهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأخاه هارون إلى فرعون وملئه، بالآيات والحجج الدامغات، والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما، لكونهما بَشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه،

(٨٢٧) أحمر
أسود

وأغرقهم في يوم واحد أجمعين، وأنزل على موسى الكتاب -وهو التوراة- فيها أحكامه وأوامره ونواهيه، وذلك بعد ما قصم الله فرعون والقبط، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

❁ ❁ ❁

س: أين هذه الربوة التي آوى الله ﷻ إليها مريم عليها السلام وابنها صلى الله عليه وسلم؟

ج: لأهل العلم في تحديد مكانها أقوال:

أحدها: أنها دمشق.

الثاني: أنها أرض الرملة من فلسطين.

الثالث: أنها ربوة من رُبا مصر.

الرابع: أنها بيت المقدس.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ولقد آتينا موسى عليه السلام التوراة وأرسلناه بها إلى قومه لعلهم يوفقون ويرشدون إلى طريق الحق والصواب والإيمان والهدى، وبعده جلعنا عيسى بن مريم عليه السلام وأمه مريم عليها السلام حجة على قومهما ودلالة على قدرتنا على كل شيء وعلى إيجاد بشرٍ من غير أبن ودلالة على وحدانيتنا وصيرناهما ووجهناهما إلى مكان مرتفع من الأرض حسن في سُكناه ألا وهي ربوةَ يُستقر عليها ويعيش المرء عليها فقد كانت خصبة ذات زروع وثمار ونخيل وغير ذلك وكان بها ماء جار ظاهر على وجه الأرض أيضًا تيسيرًا على من سكنها وتيسيرًا على مريم عليها السلام إذ سكنتها كما قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ

(٨٢٨) أحمر
أسود

ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٥].

وبنحو هذا قل أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعملوا بما فيها، ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ﴾ يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ﴾ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه، إذا صار إليه؛ وعلى مثال أفعلته فهو يُؤْويه. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٖ﴾ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل ، يكون في رفعة من قومه ، وعزّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريد بها الاسم، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل: رَبَا رَبْوة.

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة ، وآوَى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرَّمْلة من فلسطين.

وقال آخرون: هي دمشق.

وأورد قولًا: آخر فيه نظر وهو إنها ربوة من رُبا مصر.

وقولًا رابعًا: أنها بيت المقدس.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين.

(٨٢٩) أحمر
أسود

وقال:

وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء ظاهر، لغير الباطن، جار.

وقال آخرون: عُني بالقرار الثمار.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقرّ فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه. وأما ﴿وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ فإنه مفعول من عِنْته فأنا أعينه، وهو مُعين، وقد يجوز أن يكون فعيلا من مَعَن يمعن فهو معين من الماعون، ومنه قول عَبيد بن الأبرص:

وَاهيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبُ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾ [القصص: ٤٣].

ثم قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، أنه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى.

وأورد آثارًا ثم قال:

(٨٣٠) أحمر
أسود

وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العَوْفِيّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾، قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾ [مريم: ٢٤].

وكذا قال الضحاك، وقتادة: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾: هو بيت المقدس. فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾.

ج: هذا والله أعلم أمر الله ﷻ لجميع الرسل الذين أرسلهم إلى خلقه فقد قال لهم يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، أي من الحلال الطيب الذي أحللته لكم وطيبته لكم، واعملوا أعمالًا صالحة تقربكم من مرضاتي بأعمالكم وأقوالكم عليه.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: قال: قال رسول ﷺ: **"أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيلُ السفر أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»**.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي ملتكم ملةً واحدة، وهي

(٨٣١) أحمر
أسود

الإسلام وإخلاص العمل لله والتوحيد فالزموا ملتكم، فهي ملة واحدة للرسل كلهم، وأنا ربكم فاتقون واخشوني واعملوا بطاعتي ومرضاتي واجتنبوا معصيتي والشرك بي.

ولكن ماذا كان، كان أن افترقوا واختلفوا واتبعت كل فرقةٍ منهم كتابًا مختلفًا أو جزءًا من الكتاب وترك جزءس آخر منه واتبع بعضهم أساطير اكتتبوها، وفرح كل فريق منهم بما هو عليه من الغي والضلال، فاتركهم يا رسول الله بعد أن نصحتهم وبينت لهم- اتركهم في ضلالهم وغيِّهم يتمادون. أفيظنون أن ما هم فيه من المال والبنين، من السعة في المال وكثرة النبيين، أفيظنون أن هذا خيرٌ لهم أفيظنون أننا بذلك نحبهم ونكرمهم، كلا، بل هذا استدارج لهم، وهم لا يشعرون فلا يتصور أن الشخص يشرك ويعصى ويرتكب الكائر ويكرم من أجل هذا، إنما هذا، عياذًا بالله استدراج.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأمر تعالى عباده المرسلين، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عَون على العمل الصالح، فقام الأنبياء، عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، بهذا أتم القيام. وجمعوا بين كل خير، قولا وعملا ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله عن العباد خيرًا.

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ قال: أما والله ما أُمِرُوا بأصفركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الصحيح: «**ما من نبي إلا رعى الغنم**». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال:

(٨٣٢) أحمر
أسود

«نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».

وفي الصحيح: أن داود، عليه السلام، كان يأكل من كسب يده .

وفي الصحيحين: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب القيام إلى الله قيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سُدسَه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفر إذا لاقى».

وذكر بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أي : دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة «الأنبياء»، وأن قوله: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ ﴾ أي: الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء، ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ ولهذا قال متهددًا لهم ومتواعدًا: ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ ﴾ أي: في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: إلى حين حينهم وهلاكهم، كما قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجر: ٣].

وقوله: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يعني: أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ:٣٥] ، لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء؛ ولهذا قال: ﴿ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا

(٨٣٣) أحمر
أسود

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] ، وقال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥] ، وقال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المدثر: ١١-١٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧] والآيات في هذا كثيرة.

قال قتادة في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال: مُكِرَ والله بالقوم في أموالهم وأولادهم، يا ابن آدم، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المعنى: هذا الذى تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالتزموه. والامة هنا الدين، وقد تقدم محامله ، ومنه قوله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ) [الزخرف: ٢٢] أي على دين.

وقال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الاية تقوى أن قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ) إنما هو مخاطبة لجميعهم، وأنه بتقدير حضورهم. وإذا قدرت (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ) مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه الاية واتصال قوله: (فَتَقَطَّعُوٓاْ). أما أن قوله: (وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾) وإن كان قيل للانبياء فأممهم داخلون فيه بالمعنى، فيحسن بعد ذلك اتصال. ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي افترقوا، يعنى الامم، أي جعلوا دينهم أديانا بعد ما أمروا

(٨٣٤) أحمر
أسود

بالاجتماع. ثم ذكر تعالى أن كلا منهم معجب برأيه وضلالته وهذا غاية الضلال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿زُبُرًا﴾ يعنى كتبا وضعوها وضلالات ألفوها، قاله ابن زيد. وقيل: إنهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل، ثم حرف الكل وبدل، قاله قتادة. وقيل: أخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه. و(زُبُرًا) بضم الباء قراءة نافع، جمع زبور. والاعمش وأبو عمرو بخلاف عنه (زبرا) بفتح الباء، أي قطعا كقطع الحديد، كقوله تعالى: (ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]. ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ أي فريق وملة. ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي عندهم من الدين. ﴿فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي معجبون به. وهذه الاية مثال لقريش خاطب محمد صلى الله عليه وسلم في شأنهم متصلا بقوله: (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ) أي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، فلكل شئ وقت. والغمرة في اللغة ما يغمرك ويعلوك، وأصله الستر، ومنه الغمر الحقد لانه يغطى القلب. والغمر الماء الكثير لانه يغطى الارض. وغمر الرداء الذى يشمل الناس بالعطاء، قال:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

المراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة. ودخل فلان في غمار الناس، أي في زحمتهم. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ قال مجاهد: حتى الموت، فهو تهديد لا توقيت، كما يقال: سيأتي لك يوم.

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فذهب إلى أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ موجه إلى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبنى تفسيره للآيات على ذلك، وأراه في ذلك قد ابتعد عن الصواب حيث يفهم من حديث أنه قصر الخطاب على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٨٣٥) أحمر
أسود

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام، ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنَّا أذاكم، وكما قال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾، وهو رجل واحد.

وقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفِّيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِنَّ﴾ هذه على الاستئناف، والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب؛ لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ مبتدأ، فقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ مردود عليه عطفا به عليه، فكان معنى الكلام: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدِّين والملة.

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿زُبُرٗاۖ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق: ﴿زُبُرٗاۖ﴾ بمعنى جمع الزبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ﴿زُبُرٗاۖ﴾ كتبا، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا

(٨٣٦) أحمر
أسود

بحكم التوراة ، وكذّبوا بحكم الإنجيل والقرآن، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذبوا بحكم الفرقان.

ثم قال الطبري:

وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذهبهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب، كلّ معجبون برأيهم، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الشام ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ ﴾ بضم الزاي وفتح الباء، بمعنى: فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد، وذلك القطع منها واحدتها زبرة، من قول الله: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ ﴾ فصار بعضهم يهودا ، ويعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء؛ لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك؛ لأن الزبُر هي الكتب، يقال منه: زبرت الكتاب: إذ كتبته.

فتأويل الكلام: فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبًا كما بيَّنا قبل.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يقول: كل فريق من تلك الأمم ، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب ، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحقّ سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(٨٣٧) أحمر
أسود

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطَّعوا أمرهم بينهم زبرا، ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ في ضلالتهم وغيهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، يعني: إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ ﴾ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها. و«ما» من قوله: ﴿ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ نصب؛ لأنها بمعنى الذي ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذِكْره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدّهم به من ذلك إنما هو إملاء واستدراج لهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: هذه أوصاف لأهل الفضل والصلاح وبيان لبعض أعمالهم متضمنة ثناءًا من الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم، يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ خائفون خشية من ربهم عَزَّ وَجَلَّ خائفون رهبة منه وهيبةً وإجلالًا له، خائفون كذلك من عذابه وعقابه ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قد صدقوا بكل آيات الله عَزَّ وَجَلَّ وانتفعوا بها وامتثلوها آيات الكتاب العزيز الآيات الشرعية الدينية، والآيات الكونية القدرية صدقوا بكل ذلك، كما قال تعالى في شأن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [مريم: ١٢] أي صدقت بآيات

(٨٣٨) أحمر
أسود

الكونية القدرية، وأيقنت أن الله ﷻ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون وكذا أيقنت بأوامر الله ونواهيه وامتثلت ما أمُرت به وانتهت عما نهيت عنه.

وهكذا فأهل الإيمان كذلك استدلوا بآيات الله الكونية القدرية على وحدانيته وعلى قدرته، استدلوا بجريان الشمس والقمر واختلاف الليل والنهار والأرض وما فيها والسموات على قدرة الله ووحدانيته فأيقنوا أن الله على كل شيء قديرٍ وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

وكذا امتثلوا ما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه فكانوا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

لم يشركوا بالله ﷻ ولم يعبدوا معه إلهًا آخر، بل عبد الله وحده لا شريك له وأخلصوا له الوجه والعمل، وكذا أدّوا م افترضه الله عليهم فرضًا ونفلًا، فأدوا الزكاة المفروضة وأتبعوها بنوافل الصدقات، وكذا الصلوات المفروضة واتبعوها بنوافل الصلوات وكذا سائر الأعمال من صيام وحج وذِكر وشكرٍ ودعاء، وإصلاح بين الناس وأعمال برٍّ وغير ذلك من أنواع التبرر فيعلون كل ذلك وقلوبهم خائفة من لقاء الله ﷻ فيقربون بالقربات ويسألون الله القبول كما في حديث عائشة **ڤ**، وإن كان فيه مقال يسيرٌ وسيأتي إن شاء الله قريبًا.

وأورد البعض معنى آخر لقوله: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ على قراءة: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي يفعلون ما فعلوا أب أنهم إذا أذنبوا ذنبًا ووقعوا في خطأ لضعفهم فهم بشر، وقد خلق الإنسان ضعيفًا، إذا فعلوا شيئًا من ذلك خافوا الله وخافوا العادة فلم يصروا على مافعلوا بل سألوه المغفرة والرحمة فقد أيقنوا بلقاء الله، وأيقنوا أنهم راجعون إلى الله ﷻ.

فهؤلاء الذين ذكُرت صفاتهم يسارعون في أعمال البر ويتسابقون إليها فيصلون الصلوات في أوقاتها، بل في أول وقتها في الصلوات التي يستحب لها

(٨٣٩) أحمر
أسود

ذلك ويبادرون بإخراج الزكوات عند حلول وقتهان ويؤدون الحج فور استطاعتهم إليه سبيلان ويبادرون بالصلح مع المسلمين، وبالإصلاح بينهم.

وفي كل أنواع الخير ترى لهم سبقًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

فهذه بعض صفاتهم:

ثم أخبرهم الله ﷻ برحمته بهم ولطفه ورفقه بهم إذ قال: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي لا تحمل نفسًا فوق طاقتها، فلا يكلف العبد إلا بما يطيق ويستطيع ففي الآية الكريمة رفع للحرج عنهم فمن لم يستطع الصلاة قائمًا صلى جالسًا ومن لم يستطع الصلاة جالسًا صلى مضطجعًا ومن كان ذا عي وعرج ومرض سقط عنه الجهاد جهاد النفس ومن كان فقيرًا فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها، وهكذا ففي الآية رفع للحرج عن هذه الآية، وعن هؤلاء الذين ذكرت صفاتهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ فحاصل معناه أن أعمال هؤلاء وغيرهم وأقوالهم كل ذلك يكتب في كتاب الاعمال ويرونه يوم القيامة ينطق عليهم الكتاب بالحق- بلا زيادة ولا نقص فكل خير عملوه وكل شيء عملوه مثبت في صحائفهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

وكما قال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي لا يبخسون شيئًا من حقوقهم، ولا يُهضموا شيئًا حق حسناتهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٤٠) أحمر
أسود

يعني تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادّون في طلب مرضاته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨﴾ يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ يقول: والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثَن، ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحدا من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ والذين يعطون أهل سُهْمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم. ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ يعني: ما أعطوهم إياه من صدقة، ويؤدّون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك، كما قال الحسن: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن أنه كان يقول: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا، ثم تلا الحسن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧﴾ إلى ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قال: يعطون ما أعطوا، وينفقون ما أنفقوا، ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجله، اتقاء لسخط الله والنار.

(٨٤١) أحمر
أسود

قال الطبري:

وعلى هذه القراءة أعني على ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ قرأة الأمصار، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ، لإجماع من القراء عليه، ووفاقه خط مصاحف المسلمين.

وأورد الطبري حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله «الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا ابنة أبي بكر -أو يا ابنة الصديق- ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

وقال الطبري:

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

قال: والخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكفّ عن الشرك بالله، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات،

قوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ كان بعضهم يقول: معناه سبقت لهم من الله السعادة، فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها.

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوّله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

(٨٤٢) أحمر
أسود

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى "اللام" التي في قوله: ﴿ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ إلى غير معناها الأغلب عليها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلا ما يسعَها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلَّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع.

﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرّ، ينطق بالحقّ ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُرْمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عَمَّا له من الثواب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم، عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن

(٨٤٣) أحمر
أسود

كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيرًا فهو حق، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له ولا كفء له.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

وأورد ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق؛ ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله** عَزَّ وَجَلَّ» وفي رواية للترمذي بنحوه. وقال: «**لا يابنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..﴾.

يقول تعالى مخبرًا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا: أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، أي: إلا ما تطيق حمله والقيام به، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: كتاب الأعمال، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يبخسون من الخير شيئا، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ

(٨٤٤) أحمر
أسود

﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم بل قلوب هؤلاء المشركين مغمورة في الضلال والكفر والغفلة عن هذا القرآن وعن الذكر الحكيم، وعن الإيمان والتوحيد وعن الخصال الطيبة والفعال الحميدة التي تحلى بها وعملها أهل الإيمان الذين ذكرت أوصافهم من قبل أم قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فحاصل معناه أن هؤلاء المكذبين المشركين كتب الله ﷻ عليهم أعمالًا سيئة غير الشرك به لم يكونوا عملوها وسيعملونها بعد أي فسيعيشوا حتى يعملوها كما في حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ فوالذي نفسي بيده إن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

أما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فحاصل معناه أي أهل الكفر وأهل النعم منهم أهل الله الثراء أو المال يتقلبون في البلاد عملًا بمعصية الله ﷻ فيأتيهم العذاب بغتةً، فإذا بهم يصيحون ويضجون ويصرخون ويطلبون الإمهال فلا يمهلوا يسمع لهم الجؤار وهو الصوت المرتفع العالي ولكن لا مغيث ولا مجيب، وقد قال بعض أهل العلم إن ذلك كان يوم بدر إذ الله ﷻ أخزى أهل الكفر والشرك به وأكرم أهل الإيمان وأعزهم ونصرهم.

أما أهل الكفر فكما تقدم فقد خزاهم الله وأبعدهم ولم يُجبهم مجيب ولم يُصرخهم مستصرخ ولم يغثهم مغيث فلا ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم فقد كانت آياتي في الدنيا تتلى عليكم فكلما جاءهم شيء من كتاب الله ﷻ

(٨٤٥) أحمر
أسود

كذبوا به وأنكروه وازدادوا غيًّا وضلالًا وكلما رأوا معجزة كذبوا بها.

كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ٢].

فهؤلاء القوم كانوا إذا تليت عليهم الآيات ازدازد كُفرًا وضلالًا، وغواية ونفورًا هذا شأنهم عند تلاوة الآيات عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] أي أن الآيات إذا أنزلت ازدادوا تكذيبصا ونفورًا فمن ثمَّ ازدادوا غيًّا وضلالًا وكفرًا.

أما قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن قوله مستكبرين به عائدٌ على الحرام، أي أن أهل مكة يشركون بالله ﷻ ويستكبرون بوجود الحرم في بلادهم، فيقولون نحن أهل الحرم لن نُهزم ولن نُغلب، ويتعالون على الناس، ومع ذلك فهم لا يصلون في الحرام ولا يوحدون الله فيه بل اسكبروا به على الناس وهجروه في ذات الوقت وما كان حظهم إلا السمر فيه ليلًا للقيل والقال.

الثاني: أن نزول القرآن ما زادهم إلى كبرًا ونفورًا وسمرًا بالليل للقيل والقال في شأن القرآن مع قولهم هجرًا من القول في شأن، أي باطلًا من القول في شأنه.

فلما نزل هذا القرآن كذبوا به فبطروا الحق بتكذيبهم وغمطوا الناس، بخسوهم حقوقهم، بخسوا أهل الإيمان حقوقهم ما آمنوا فوصفوهم بأقبح الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك بسيء الأوصاف، فمن قال إنه سحر ومن قال إنه قول شاعر، ومن قائل إن قول كاهن ومن قائل إنه أساطير الأولين

(٨٤٦) أحمر
أسود

اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلًا إلى غير ذلك من الأوصاف السيئة.

فعلى ذلك فقوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ أي مستكبرين بسبب القرآن أي أنهم استكبروا على الإيمان به وكذبوه واتخذوه محلًا للسمر والتفكه) وقالوا فيه الهجر عن القول:

الثالث: أن قوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ أي برسول ﷺ استكبروا عن الإيمان به حين أرسل إليهم وذلك بتكذيبهم له ونفورهم عنه، واتخذوا ذكر رسول ﷺ مجالًا للسخرية والاستهزاء في مجالسهم، فملؤوا مجالسهم بالفكاهات وشيء الأوصاف الهذا الرسول الكريم، وقالوا فيه هجرًا من القول أيضًا، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر في تفسير الآيات قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: ﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾ من القرآن.

وقوله: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي. ﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله ، وأهل التقوى والخشية له.

وأورد من طريق: عن حميد قال: سألت الحسن عن قول الله ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ

(٨٤٧) أحمر
أسود

﴿٦٣﴾ قال: لم يكن له بد من أن يستوفي بقية علمه، ويصلي به.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾.

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾ قال: المترفون: العظماء ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤﴾ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجُّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

قال: وقوله: ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم. ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذّبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ يقول: مستكبرين بحرم الله يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأنا أهل الحرم.

(٨٤٨) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿سَٰمِرًا﴾ يقول: تَسْمُرون بالليل. ووحد قوله: ﴿سَٰمِرًا﴾ وهو بمعنى السُّمَّار؛ لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وحد ومعناه الجمع، كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك، قول الشاعر.

مِنْ دُونِهِم إن جِئْتَهُم سَمَرًا عَزْفُ القِيانِ وَمَجْلِسٌ غَمْرُ

فقال: سمرًا لأن معناه: إن جئتهم ليلًا وهم يسمرون وكذلك قوله: ﴿سَٰمِرًا﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سعيد بن جبير: ﴿سَٰمِرًا﴾ قال تسمرون بالليل بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة ربما لا يمدرون.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت، أو رسول ﷺ ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه، وذلك إذا هذى؛ فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول، وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ قال: الهَذَيَان؛ الذي يتكلم بما لا يريد، ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا

(٨٤٩) أحمر
أسود

يدري. قال: كان أُبيّ يقرؤها: ﴿ سَٰمِرًا تَهۡجُرُونَ ٦٧ ﴾. وقرأ ذلك آخرون: ﴿ سَٰمِرًا تَهۡجُرُونَ ﴾ بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قرّاء الأمصار: نافع بن أبي نعيم، بمعنى: يفحشون في المنطق، ويقولون الخنا، من قولهم: أهجر الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبُّون رسول الله ﷺ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن في قوله: ﴿سَٰمِرًا﴾ تهجرون رسولي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منكرًا على الكفار والمشركين من قريش: ﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ ﴾ أي: غفلة وضلالة ﴿ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ أي: القرآن الذي أنزله [الله تعالى] على رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣ ﴾: قال الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ ﴾ أي: سيئة من دون ذلك، يعني: الشرك، ﴿ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣ ﴾ قال: لا بد أن يعملوها. كذا روي عن مجاهد، والحسن، وغير واحد.

وقال آخرون: ﴿ وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣ ﴾ أي: قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب. ورُوِي نَحو هذا عن مقاتل بن حيَّان والسُّدِّيّ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهو ظاهر قوي حسن. وقد قدمنا في حديث ابن مسعود: «**فوالذي لا إله غيره، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها**».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾ يعني: حتى إذا جاء مترفيهم -وهم السعداء المنعمون في الدنيا- عذابُ الله وبأسه ونقمته بهم ﴿ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون، كما قال تعالى: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ ﴾ [المزمل:

(٨٥٠) أحمر
أسود

١١-١٣] ، وقال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ [ص: ٣].

وقوله: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ أي: لا نجيركم مما حل بكم، سواء جأرتم أو سكتُّم، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ووجب العذاب.

ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ أي: إذا دعيتم أبيتم، وإن طُلبتم امتنعتم؛ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾: في تفسيره قولان، أحدهما: أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله، فعلى هذا الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه الحرم بمكة، ذموا لأنهم كانوا يسمرون بالهُجْر من الكلام.

والثاني: أنه ضمير القرآن، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام: «إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة» إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.

والثالث: أنه محمد ﷺ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنه شاعر، أو كاهن، أو ساحر، أو كذاب، أو مجنون. وكل ذلك باطل، بل هو عبد الله ورسوله، الذي أظهره الله عليهم، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء.

وقيل: المراد بقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: بالبيت، يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه، وليسوا بهم، كما قال النسائي في التفسير من سننه.

❁ ❁ ❁

(٨٥١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ ﴾ [المؤمنون: ٦٨-٧٤].

(٨٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ - جِنَّةٌۭ - ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ - أَتَيْنَٰهُم - بِذِكْرِهِمْ - خَرْجًا - فَخَرَاجُ رَبِّكَ - عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ)	يتفكروا في القرآن ويعقلون معانيه
(جِنَّةٌۭ)	جنون
(ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ)	وافقهم الحق في كل ما يريدون وقال عددٌ من أهل العلم إن الحق هو الله ﷻ أي رافقهم الله في كل ما يريدون ويهوون
(أَتَيْنَٰهُم)	أتيناهم بما فيه شرفٌ لهم وغرٌّ لهم
(بِذِكْرِهِمْ)	أتيناهم بما فيه تذكيرٌ لهم وبيان لهم
(خَرْجًا)	أجرًا
(فَخَرَاجُ رَبِّكَ)	فرزق ربك، وأجر ربك وثواب ربك
(عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ)	عن طريق الحق لمنحرفون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى والله أعلم أفلم يتفكر هؤلاء المشركون فيما أُنزل عليهم من قول الله ﷻ، أولم يتفكروا في هذا القرآن الكريم ويتعقلوا آيات أم أنهم قد

(٨٥٣) أحمر
أسود

جاءهم من القول من الرسل ما لم يأت أبارهم الأولين فهم لذلك منكرون فقوله: ﴿أَمۡ جَآءَهُم﴾ تحتمل أوين أحد هي أن تكون استفهامية فيكون المعنى أفقد جاءهم من الرسل ما لم يأت أباءهم الأولين (بمعنى الأقدمين) فإذا كان كذلك فقد أخطأوا فقد جاءت رسلٌ قبل رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] ثم إنهم يوفون عددًا من الرسل كإبراهيم عليه السلام وموسى وعيسى عليهما السلام.

فعليه يكون المعنى استفهام للتوبيخ والمراد قد جاءتكم رسلٌ من قبلي فلم تنكرون أن أكون رسولًا وقد جئتكم بالنيات من ربكم.

والثاني: أن تكون ﴿أَمۡ﴾ بمعنى بل، ويكون المعنى بل جاءهم من الرسل والكتب، رسول وكتاب أم الرسول فهو محمد ﷺ وأما الكتاب فهو القرآن فيكون المعنى قد جاءهم ما لم يأت أباءهم الأولين فكان من اللائق، وقد تفضل الله عليهم بإرسال رسول إليهم، ولم يرسله لأياتهم كان من اللائق أن يشكروا هذه النعمة من الله ويبادروا بالإيمان والتصديق، فقد قالوا من قبل لو أن عندنا ذِكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين.

وكانوا كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]. ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦﴾ [يس: ٦].

أما قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ فالاستفهام على بابه، والمعنى أفيجهلون رسول الله من هو فمن ثمَّ ينكرونه كلا بل إنهم يوفونه ويعرفون صدقه وأمانته ونسبه وكريم خلقه، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ أفيقولون عنه مجنون كلا وحاشاه بل قد جاءهم بالحق، وكل ما جاءهم به ودعاهم إليه حق

(٨٥٤) أحمر
أسود

ولكن أكثرهم للحق وللإذعان للحق كارهون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟ ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون (أَمْ) في هذا الموضع بمعنى: بل، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آباءهم ذلك.

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدًا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جلّ ثناؤه: فكيف يكذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟! ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بَيّن، وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟

وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ

(٨٥٥) أحمر
أسود

كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم، وتدبرهم له وإعراضهم عنه، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف، لا سيما وآباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها، والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عنهم.

وقال قتادة: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ إذًا والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بما تشابه، فهلكوا عند ذلك.

ثم قال منكرا على الكافرين من قريش: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي: أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، ﷺ، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته.

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك.

وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ يحكي قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقوَّل

(٨٥٦) أحمر
أسود

القرآن، أي: افتراه من عنده، أو أن به جنونا لا يدري ما يقول. وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يُطاق ولا يُدافع، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين؛ ولهذا قال: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يحتمل أن تكون هذه جملة حالية، أي: في حال كراهة أكثرهم للحق، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ يعني القرآن وهو كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] وسمي القرآن قولا لأنهم خوطبوا به ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فأنكروه وأعرضوا عنه وقيل: ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى بل أي بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به فلذلك أنكروه وتركوا التدبر له وقال ابن عباس: وقيل: المعنى أم جاءهم أمان من العذاب وهو شيء لم يأت آباءهم الأولين فتركوا الأعز.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون: الخير أحب إليك أم الشر أي قد أخبرت الشر فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وأنه من أهل الصدق والأمانة ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت قال سفيان: بلى ! قد عرفوه ولكنهم حسدوه !

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ أي أم يحتجون في ترك الإيمان به بأنه مجنون فليس هو هكذا لزوال أمارات الجنون عنه ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ يعني القرآن والتوحيد الحق والدين الحق ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ أي كلهم ﴿ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(٨٥٧) أحمر
أسود

حسدا وبغيا وتقليدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن الحق هو الله ﷻ فيكون المعنى، ولو وافقهم الله ﷻ في كل ما يريدون ويهدون لفسدت السموات والأرض وذلك لأن، أهواءهم مختلفة وأراءهم متعارضة وشهواتهم متناقضة، ومن ثمَّ لو وافقهم الله في كل ما يريدون لفسدت السموات والأرض وفسد كل شيء فيها، لأن السموات والأرض قامتا بالحق.

والوجه الثاني: أن الحق هو التشريع الذي أنزله الله فيكون المعنى، ولو جاءت الأحكام وتفسير الآيات وفق ما يريدون ويهوون لفسدت السموات والأرض من فيهن، وذلك أيضًا لاختلافهم وتناقضهم وتعدد أرائهم.

أما قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ ففي ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ أيضًا وجهان:

أحدهما: شرفهم وعزهم، أي قد أتيناهم بما فيه إن اتبعوه شرفٌ لهم وعزٌّ لهم ولكنهم هذا الشرف موصونة عن هذا العزِّ معرضون، ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ أي شرف لك ولقومك.

والثاني: أن المراد ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ بما فيه بيانٌ لهم بأحكام الله ﷻ وشرائعه، وما هو حق، وما هو باطل، فأعرضوا عن هذا البيان وعن هذا القرآن، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٨٥٨) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.

وقال وقوله: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ قال مجاهد، وأبو صالح والسدي: الحق هو الله عز وجل، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك (لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ أي: لفساد أهوائهم واختلافها، كما أخبر عنهم في قولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ثم قال: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠] وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ

(٨٥٩) أحمر
أسود

ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ٥٣] ، ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

ثم قال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ هنا هو الله سبحانه وتعالى قاله الأكثرون منهم مجاهد و ابن جريج وأبو صالح وغيرهم وتقديره في العربية: ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل: هو مجاز أي لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا أي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله عز و جل ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك إما عجزا وإما جهلا لفسدت السموات والأرض وقيل: المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ آلهة مع الله تعالى لتنافت الآلهة وأراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والأرض وإذا فسدتا فسد من فيهما وقيل: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ أي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لأن شهوات الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق أن يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون (لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ إشارة إلى من يعقل من ملائكة السموات وإنس الأرض وجنها الماوردي وقال الكلبي: يعني وما بينهما من خلق وهي قراءة ابن مسعود لفسدت السماوات والأرض وما بينهما فيكون على تأويل الكلبي وقراءة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل فير قراءة الجمهور يكون محمولا على فساد ما يعقل من الحيوان لأن ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد

(٨٦٠) أحمر
أسود

يعود على من في السموات من الملائكة بأن جعلت أربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد الإنس يكون على وجهين: أحدهما: باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني: بعبادة غير الله وذلك كفر وأما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لأنهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال قتادة: أي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس: أي ببيان الحق وذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفأعرض هؤلاء المشركون عن الحق، وعن الإيمان، وعن اتباعك فيما تدعوهم إليه من أمر الله ﷻ لكونك تسألهم على ذلك أجرصا، كلا فما سألتهم يا رسول الله أجرًا على إيمانهم وعلى ما جئتهم بل، بل ثواب الله وعطاءه لك وجزاؤه لك خير من أي أجرٍ آخر من البشر، وربك خير من رزق وخيرٌ من أعطى وتفضل، وإنك يا رسول الله الله العلي الحق وتدعوهم إلى الطريق المستقيم الذي يقودهم إلى جنة الله ﷻ وإلى مرضاته وإن أهل الكفر عن هذا الطريق المستقيم لمنحرفون، عادلون عنه، أي منحرفون عنه متنكبون عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ؛ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم

(٨٦١) أحمر
أسود

يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقيله لهم: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: ٢٣] وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير.

وقوله: ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ ﴾ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة؛ ﴿ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا ﴾: قال الحسن: أجرا. وقال قتادة: جعلا ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ ﴾ أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه، كما قال: ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ ﴾ [ص: ٨٦]، وقال: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

(٨٦٢) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ أي: لعادلون جائرون منحرفون. تقول العرب: نكب فلان عن الطريق: إذا زاغ عنها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أم تسألهم رزقا فرزق ربك خير ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾ أي ليس يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل إنعامه وقيل: أي ما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له والدعاء إليه خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك أموالهم حتى تكون كأعين رجل من قريش فلم تجبهم إلى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد إلا أن اختلاف الكلام أحسن قاله الأخفش وقال أبو حاتم: الخرج الجعل والخراج العطاء المبرد: الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال: الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت به وعنه أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض ذكر الأول الثعلبي والثاني الماوردي.

وقولـه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ أي إلى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي بالبعث ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ قيل: هو مثل الأول وقيل: إنهم عن طريق الجنة لناكبون حتى يصيروا إلى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا إذا عدل عنه ومال إلى غيره ومنه نكبت الريح إذا لم تستقم على مجرى وشر الريح النكباء.

❁ ❁ ❁

(٨٦٣) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا
عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[المؤمنون: ٧٥-٨٣].

(٨٦٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ - يَعۡمَهُونَ - فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ - وَمَا يَتَضَرَّعُونَ - مُبۡلِسُونَ - قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ - ذَرَأَكُمۡ - تُحۡشَرُونَ - أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ)	لتمادوا واستمروا في كفرهم وشركهم وظلمهم
(يَعۡمَهُونَ)	يتحيرون ويترددون
(فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ)	فما خضعوا لربهم ﷻ، وما تذللوا له
(وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)	وما يدعونه وما يسألونه ويلجؤون إليه
(مُبۡلِسُونَ)	آيسون من الرحمة
(قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ)	شكركم قليل - قليلٌ منكم الشاكر
(ذَرَأَكُمۡ)	خلقكم
(تُحۡشَرُونَ)	تجمعون يوم القيامة
(أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)	قصص وحكايات الأولين

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن هو الكفار لا ينتفعون بالآيات والنذر، وكذا لاينتفعون بإكرام الله ﷻ لهم فيؤمنوا فسواء عليهم رحمهم الله وأنزل عليهم الغيث من السماء يرحمهم به بعد مهلكةس كانوا فيها، وبعد عطش

(٨٦٥) أحمر
أسود

شديد وهلاك للأموال والأنفس والبهائم والثمرات فانزل عليهم ماءًا من السماء شربوا وسقت أنعامهم وزروعهم فنمت أرضهم وأنبتت وأثمرت وسمنت بهائهم فحلبوا ألبانها واستقوا وصحت أبدانهم من العلل كذلك.

وكذا لو كشفنا عنهم بلاءً حلَّ بهم من أجسادهم ورفعنا عنهم التفرد والمسكنة والمذلة وغير ذلك من أنواع الضر، ما انتفعوا بذلك بل لتمادوا في كفرهم وظلمهم وتجاوزهم حدود الله تجاوزًا شديدًا واستمروا فيما هم فيه مترددون من كفرٍ إلى كفرٍ ومن ضلالٍ إلى ضلال ومن حيرة إلى حيرة، وكذا لو بدلنا الأهوال فبد لنا النعم إلى نقم والرحمة عذابًا والصحة والعافية مرضًا وسقمًا أيضًا ما حملهم ذلك على الخضوع لربهم والتذلل له وبيان الافتقار إليه وسؤاله ورجاءه ودعائه.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾ حاصل معناه والله أعلم أنه أهل الكفر لما لم ينتفعوا بالمجاعات والأمراض ونحو ذلك ولم ينتفعوا كذلك بالرحمة والعافية وسعة الأرزاق شأنهم شأن الأم المكذبة قبلهم، إذ الله قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥ ﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥] فالحاصل أنهم لما لم ينتفعوا بهذا ولا بذاك، ولم يهتدوا إلى الإيمان بعد تقليب الأمور والأحوال وتغيرها وتنوع الابتلاءات بالسراء والضراء، فتح لله لهم بابًا ذا عذابا شديدٍ، جآءهم من الله عذابٌ شديد وفتحت عليهم أبواب، إذا هم أيسون يائسون لا يدرون ماذا يصنعون ولا يدرون إلى أي مكان يفرون ويذهبون. وإذا هم أيسون من الرحمة والعافية.

وقد قيل إن هذا العذاب الشديد هو عذاب النار فلا نجاة معها إذا

(٨٦٦) أحمر
أسود

دخلوها، لا خروج لأهل الشرك منها ولا سلامة لهم فيها.

وقيل: إن هذا العذاب الشديد هو ما حلَّ بهم يوم بدر من القتل، وقيل إن عذاب شديدٌ في الدنيا تمثل في مجاعات عظيمة حتى أكلوا الميتة، ومصوا النوى من شدة الجوع، والله تعالى أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال؛ ﴿ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ يعني في عتوّهم وجرأتهم على ربهم. ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يعني: يتردّدون.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف. ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ يقول: وما يتذللون له.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال، فقتلوا يوم بدر.

وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد.

وقوله: ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله،

(٨٦٧) أحمر
أسود

في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

(٨٦٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾: يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عللهم وأفهمهم القرآن، لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩]، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون، لو كان كيف يكون.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب والشدائد، ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على ضلالهم وغيهم. ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ أي: ما خشعوا، ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: ما دعوا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وأورد حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: عن ابن عباس، أنه قال: جاء أبو سفيان إلى رسول ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز - يعني: الوبر والدم- فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾.

وأصل هذا الحديث في الصحيحين: أن رسول ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي: حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون، فعند ذلك أبْلَسُوا من كل خير، وأيسوا من كل راحة، وانقطعت

(٨٦٩) أحمر
أسود

آمالهم ورجاؤهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ أي لو رددناهم إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم ﴿ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ قال السدي في معصيتهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ قال الأعمش: يترددون وقال ابن جريج: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ ﴾ يعني في الدنيا ﴿ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ أي من قحط وجوع ﴿ لَّلَجُّوا۟ ﴾ أي لتمادوا فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ وضلالتهم وتجاوزهم الحد ﴿ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يتذبذبون ويخبطون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ قال الضحاك: بالجوع وقيل: بالأمراض والحاجة والجوع وقيل: بالقتل والجوع ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ أي ما خضعوا ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي ما يخشعون لله عَزَّ وَجَلَّ في الشدائد تصيبهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي أنشأ لكم السمع تسمعون به والأبصار ترون بها، والأفئدة تعقلون بها، ولكن قلَّ منكم من يقدم شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، ومن قدَّ من منكم شكرًا فشكره قليل.

والله هو الذي خلقكم وأنشأكم وأحدثكم في الأرض تعيشون عليها حياتكم الدنيا إلى أن تنقضي آجالكم فتموتوا ثم تحشروا إليه يوم القيامة والله هو الذي يحي خلقه إذ خلقهم من نطفةٍ ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجهم

(٨٧٠) أحمر
أسود

طفلًا من بطون أمهاتهم فعاشوا في الدنيا ما شاء الله أن يعيشوا ثم يميتكم إذا انقضت آجالكم التي كتبها الله لكم وأمر الليل والنهار إليه يقلب الله الليل والنهار، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يدخل هذا في ذاك فيطوله ثم تنعكس الأمور، ويكون القصير طويلًا والطويل قصيرًا، والحر باردًا والبارد حارًا أفلا تفهمون وتعقلون قدرة الله أفلا تتوصلون بما ترونه من هذه الآيات إلى أن هذا الكون له إلهٌ يدبر الأمر؟؟!! كل هذا المذكور كان ينبغي أن يُتفكر فيه ويُتأمل ويستدل به على وحدانية الله وقدرته على كل شيء وكذا على قدرته على كل شيء وكذا على قدرته على إحياء الأنفس بعد موتها وعلى تصديقه فيما أخبر به على ألسنة رسله والذي منه البعث والثواب والعقاب، إلا أنه أهل الكفر لم يهتدوا لهذا بل كذبوا بالبعث، وقالوا مثلما قال آباؤهم الأولون قالوا مستكبرين كما قال آباءهم أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون، أي لمبعوثون بعد الموت خلقا جديدًا لقد وعدنا نحن وآباؤنا مثل هذه الوعود بالبعث من قبل هذا، ولكن لم يحصل شيء من ذلك فما هي إلا وعود كاذبة وقصص وخرافات وحكايات الأقوام الذين تقدمونا ولن يحصل منها شيء وليس هناك بعث ولا ثواب ولا عقاب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذّبون بالبعث بعد الممات السمعَ الذي تسمعون به، والأبصَارَ التي تبصرون بها، والأفئدة التي تفقهون بها، فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: تشكرون أيها المكذّبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا.

(٨٧١) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحْشَرونَ من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها، ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك المنّ والفضل، بمعنى: إنك تمنّ وتفضل. وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، و لا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

(٨٧٢) أحمر
أسود

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة ﴿إِنْ هَٰذَآ ﴾ يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها و لا حقيقة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وهي العقول والفهوم، التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، وأنه الفاعل المختار لما يشاء.

وقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم، كقوله: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر، في بَرْئة الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا جليلا ولا حقيرا، إلا أعاده كما بدأه؛ ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: يحيي الرمم ويميت الأمم، ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: وعن أمره تسخير الليل والنهار، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، يتعاقبان لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما، كقوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس: ٤٠].

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم، الذي قد قهر كل شيء، وعز كل شيء، وخضع له كل شيء.

(٨٧٣) أحمر
أسود

ثم قال مخبرا عن منكري البعث، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى، ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يعنون: [أن] الإعادة محال، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلاقهم. وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارا عنهم: ﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات: ١١-١٤]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

❁ ❁ ❁

(٨٧٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ
فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى
فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[المؤمنون: ٨٤-١٠٠].

(٨٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ - يُجِيرُ - وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ - فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ - لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ - بِمَا خَلَقَ - وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ - سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ - ٱلْغَيْبِ - وَٱلشَّهَٰدَةِ - فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ - إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ - فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ - مَا نَعِدُهُمْ - ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ - أَعُوذُ بِكَ - هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ - ٱرْجِعُونِ - كَلَّآ - كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا - بَرْزَخٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)	أفلا تتعظون وتعتبرون
(ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ)	العرش الكبير عظيم القدر
(يُجِيرُ)	يحفظ وينصر ويدفع عنه السوء والمكروه
(وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ)	لا يمنع منه أحدٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنع أحدًا من الله ولا أن يدفع عنه شيئًا أراده الله به
(فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ)	من أي وجه تصرفون عن الحق إلى الباطل من أي وجه تزيفون الحق، وقريبا لكم دلائله
(لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ)	لا نفرد كل إله بمخلوقاته
(وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)	لاستكبر كل إلهس على الأخر، وحاول أن يسلبه ملكه
(سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)	تنزه الله ﷻ عن كل ما لا يليق به مما يصفه الواصفون المشركون

(٨٧٦) أحمر
أسود

(ٱلْغَيْبِ)	ما غاب عن الأعين والحواس
(وَٱلشَّهَٰدَةِ)	فاظهر من الأمور
(فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)	تقدس وترفع عن الشركاء
(إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ)	إذا أريتني ما وعدتهم من العذاب وأنا حي إذا أحللت بهم عذابك وأنا حي
(فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)	فلا تجعلني مع المعذبين
(مَا نَعِدُهُمْ)	ما نخبرهم به من العذاب
(ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ)	قابل الإساءة بإحسان
(أَعُوذُ بِكَ)	ألجأ إليك وأستجير بك
(هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ)	نخس الشياطين وغمزهم
(ٱرْجِعُونِ)	ردوني إلى الحياة الدنيا
(كَلَّآ)	كلمة ردع وزجر
(كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا)	مجرد كلمة، وقيل كلمة لابد وأن يقولها
(بَرْزَخٌ)	حجاب بينه وبين الرجوع إلى الدنيا وقيل المدة ما بين موته إلى مبعثه يوم القيامة

❁ ❁ ❁

(٨٧٧) أحمر
أسود

س: هل كان أهل الشرك يعرفون الله بعض المعرفة ويقرون له بأنه الخالق الرازق ونحو ذلك؟

ج: نعم كان أهل الشرك يعرفون الله ﷻ دلَّ على ذلك إقرارهم، إذ الله قال: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين وحدانية الله ﷻ لمن ملك الأرض ولمن ملك من فيها ومن المتصرف في الأرض ومن المتصرف فيما فيها إن كان عندكم علم بذلك أفيدوني، فسيقولون الله، أي أن ملك الأرض ومن فيها لله ﷻ يتصرف فيها بما

(٨٧٨) أحمر
أسود

يشاء وتقضي فيها بما يريد عزَّ وةجل وتعالى وتقدس، وكذا له ملك ما في الأرض يتصرف فيه كيف يشاء ويقضي فيه بالذي يريد، فقل لهم يا رسول الله إن هم أجابوك بهذا الجواب أفلا تذكرون أفلا تتعظون وتعتبرون وتؤمنون بالله ﷻ على كل شيء قدير وأمه على بعثكم لقدير.

ثم قل لهم: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦﴾ من خالقها ومن صاحبها ومن المتصرف في السموات ومن المستوى على العرش العظيم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ أي ملكها لله ﷻ وحده لا شريك له فقل لهم حينئذٍ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾ أي أفلا تتقون الله ﷻ فتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بطاعتكم له واجتنابكم ما نهاكم عنه وبتوحيدكم له ومراقبتكم له، وأراكم بما أخبركم به على ألسنة رسله عليهم السلام.

ثم قل لهم كذلك: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي خزائن كل شيء، وملك كل شيء، وهو يجير من استجار به، يحفظه – يمنعه – ينصره – يؤيده – يُدبر له أمره ولا يستطيع أحدٌ أن يجير أحدًا أارده الله بسوء فإذا أراد الله بقوم سوء فلا رد له وما لهم من دونه من وال، وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾ [الأحزاب: ١٧].

فسيقول أهل الكفر إذا قلت لهم: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ قل ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ من أي وجهٍ تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ومن أي وجه تكذبون عليه وتجلعون له شريكًا فإذا أقروا لك بكل ذلك أقروا بأن الأرض ومن فيها لله ﷻ، وبأن رب السموات السبع ورب العرش العظيم هو الله وبان الله عو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، فاعلم حينئذس أنهم كذبة في

(٨٧٩) أحمر
أسود

دعواهم لله الشرك، وفي قولهم الملائكة بنات الله وفي قولهم بأن الله ﷻ له ولد، بل أتيناهم بالحق الذي لا مرية فيه إنهم لكاذبون فيما ادعوا وفيما افتروا.

وأيقن يا رسول الله وليوقن كل مؤمن وأخبر الناس كذلك أن الله ﷻ ما اتخذ من ولدٍ فليس له ولد وما كان معه إلهق آخر فلو كان معه آلهة أخرى لانفرد كل إله بما يملكه ولحصل بغيٌ من بعضهم على بعض كلٌ يريد أن يتعالى على الآخر ويستولي على ملكه ونصيبه وتكون مكانته هي العليا، فسبحان الله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه، سبحانه تنزه وتقدس عن الشريك والمثيل والولد وتنزه عما يصفه الواصفون المشركون وعما ينسبون إليه من اتخاذ الشريك والمثيل والولد والصاحبة عالم الغيب والشهادة، يعلم ما غاب عن الأعين وما ظهر لها، يعلم ما غاب في الصدور وما ظهر على الألسن، يعلم السر وأخفى فتعالى عن هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه وتعالى وتقدس عن كل شريك اتخذ معه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

(٨٨٠) أحمر
أسود

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من ربّ السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ يقولون: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!

وقد بيَّنت فيما مضى السِّحْر: أنه تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ إنما معناه: فمن أيّ وجه يخيل إليكم الكذب حقا: والفاسد صحيحا، فتصرفون عن الإقرار بالحقّ الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد ﷺ.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات

(٨٨١) أحمر
أسود

الله، وأن الآلهة والأصنام ألهة دون الله ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَد شيء سوى الله؛ لأنه لا إله غيره ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينْحَلُونه من الولد والشريك ، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته ﴿ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ يقول: إذن لاعتزل (كُلُّ إِلَٰهٍ) منهم ﴿ بِمَا خَلَقَ ﴾ من شيء، فانفرد به، ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر. وقوله: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره؛ تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القِدم إلها يُعبد تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم وقال: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ فرفع على الابتداء، بمعنى: هو عالم الغيب، ولذلك دخلت الفاء في قوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ كما يقال: مررت بأخيك

(٨٨٢) أحمر
أسود

المحسن فأحسنت إليه، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء؛ لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن، فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقيل: وأحسنت إليه، لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ، ولذلك لو جاء ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ بالواو كان وجه الكلام في ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله، وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى! فيكون قوله: ﴿ وَتَعَالَى ﴾ حينئذ معطوفا على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء؛ لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء، كابتدائها بالواو، وبالخفض كأن يقرأ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ في هذا الموضع أبو عمرو، وعلى خلافه في ذلك قراءة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية.

وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية، فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، ولا يستبدّون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ، فقال: ﴿ قُلۡ لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ أي: من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات، وسائر صنوف

(٨٨٣) أحمر
أسود

المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [أي: لا تذكرون] أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ أي: من هو خالق العالم العُلْوي بما فيه من الكواكب النيّرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم، يعني: الذي هو سقف المخلوقات.

ثم قال: ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ يعني: الكبير: وقال في آخر السورة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ أي: الحسن البهي. فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحسن الباهر؛ ولهذا قال من قال: إنه من ياقوتة حمراء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟

﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: بيده الملك، ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]، أي: متصرف فيها. وكان رسول الله ﷺ يقول: «**لا والذي نفسي بيده**»، وكان إذا اجتهد في اليمين قال: «**لا ومقلب القلوب**»، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا، لا يُخْفَر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يفتات عليه، ولهذا قال الله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، الذي لا يمانع ولا يخالف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن،

(٨٨٤) أحمر
أسود

وقال الله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، أي: لا يسئل عما يفعل؛ لعظمته وكبريائه، وقهره وغلبته، وعزته وحكمته ، والخلق كلهم يُسألون عن أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه، هو الله تعالى، وحده لا شريك له ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾أي: في عبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك، كما قال في آخر السورة: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٧] ، فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال، وإنما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال، كما قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك، فقال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ أي: لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال، ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ ﴾ [الملك: ٣] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض.

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا.

(٨٨٥) أحمر
أسود

﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه، ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُل ﴾ يا محمد جوابا لهم عما قالوه ﴿ لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول ف ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ﴾ ولا بد لهم من ذلك ف﴿ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ أي إفلا تتعظون وتتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم قادر ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يريد أفلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم أن الملائكة بناتي وكرهتم لأنفسكم البنات ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يريد السموات وما فوقها وما بينهن والأرضين وما تحتهن وما بينهن وما لا يعلمه أحد إلا هو وقال مجاهد: ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ خزائن كل شيء الضحاك: ملك كل شيء والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى في (الأنعام) ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي يمنع ولا يمنع منه وقيل: ﴿ يُجِيرُ ﴾ يؤمن من شاء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي لا يؤمن من أخافه ثم قيل: هذا في الدنيا أي من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع وقيل: هذا في الآخرة أي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع ﴿ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ أي فكيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده أو كيف يخيل إليكم أن تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع ! والسحر هو التخييل.

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي بالقول الصدق لا ما تقوله الكفار من

(٨٨٦) أحمر
أسود

إثبات الشريك ونفي البعث ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ ﴿ مِن ﴾ صلة ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ ﴿ مِنْ ﴾ زائدة والتقدير: ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه إله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى: لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضا لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ تنزيها عن الولد والشريك ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ تنزيه وتقديس.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله داعيًا الله راجيًا إياه مستعيذًا به، يارب إذا حلَّ بهؤلاء القوم المكذبين عذاب فلا تجلعني من المعذبين معهم، بل مسلمين يا رب واحفظني ولا تؤاخذني بجريرة هؤلاء الظالمين، ولا تحشرني معهم ولا تنزلني منزلهم.

ثم يُخبر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صلى الله عليه وسلم ويعلمه بأنه قادر على تعجيل إنزال العذاب على هؤلاء المكذبين فيرى النبي صلى الله عليه وسلم عذبهم وهي حيٌ قبل أن يموت فيقول تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرَيِّني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجِّني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن

(٨٨٧) أحمر
أسود

رضيت عنه من أوليائك. وقوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلْنِي ﴾ جواب لقوله: ﴿ إِمَّا تُرِيَنِّي ﴾ اعترض بينهما بالنداء، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام، لا يقال: يا زيد فقم، ولا يا رب فاغفر؛ لأن النداء مستأنف، وكذلك الأمر بعده مستأنف، لا تدخله الفاء والواو، إلا أن يكون جوابا لكلام قبله.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم، لقادرون، فلا يحْزُنَنَّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا نبيه محمد ﷺ أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم: ﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ أي: إن عاقبتهم -وإني شاهدُ ذلك- فلا تجعلني فيهم، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي -وصححه-: «**وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون**».

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ أي: لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علمه ما يدع به أي قل رب أي يا رب أريتني ما يوعدون من العذاب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي في نزول العذاب بهم بل أخرجني منهم وقيل: النداء معترض و ﴿ما﴾ في ﴿إما﴾ زائدة وقيل: إن أصل إما إن ما فـ﴿إن﴾ شرط و ﴿ما﴾ شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني منهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

(٨٨٨) أحمر
أسود

قولـــه تعـــالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

أمر جلا وعلا نبيه في هاتين الآيتين الكريمتين أن يقول: رب إما تريني ما يوعدون: أي أن ترني ما توعدهم من العذاب، بأن تنزله بهم، وأنا حاضر شاهد أرى نزوله بهم ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي لا تجعلني في جملة المعذبين الظالمين، بل أخرجني منهم، ونجني من عذابهم، وقد بين تعالى في مواضع أخر: أنه لا ينزل بهم العذاب، وهو فيهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية، وبين هنا أنه قادر على أن يره العذاب، الذي وعدهم به في قوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٥] وبين في سورة الزخرف، أنه إن ذهب به قبل تعذيبهم، فإنه معذب لهم ومنتقم منهم لا محالة، وأنه إن عذبهم، وهو حاضر فهو مقتدر عليهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم إرشادٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ وكذا إرشاد عام لأهل الإيمان للتعامل مع شياطين الإنس وشياطين الجن، هنا وفي سورة الأعراف وفي سورة المؤمنون يتكرر مثل هذا الإرشاد وحاصله أننا نتعامل مع شياطين الإنس ابتداءًا بدفع السيئة بالحسنة، فإذا أساءوا قابلنا الإساءة بالإحسان، العفو والصفح، وقابلنا الكلمة السيئة بالكلمة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾.

(٨٨٩) أحمر
أسود

وكما قال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وكما قال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أي العدو الشيطان فلا مهادنة فإنه لا تجدي معه المداهنة ولا المدارة ولا تأليف ولكن تجدي معه بإذن الله التعوذات بالله وحسن الالتجاء إلى الله فمن ثم شرع لنا التعوذ بالله منه.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

هذا ومن العلماء من ذهب إلى هذه الآيات مبسوطة بآية السيف وذهب آخرون إلى عدم النسخ وقالوا هذه لها مقامات تتنزل فيها، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، والجمع هل هنا حكمة والله أعلم.

وأعود فأقول فقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي قابل جهالتهم ومقالاتهم السيئة بالطريقة التي هي حسنة وبالكلمة الطيبة فقابل الإساءة بإحسان والسيئة بصفح وغفران، فالله ﷻ أعلم بما يصفونك به ويصفون به كتابه ﷻ ويفون به ربهم ﷻ وقل متعوذًا بالله ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ ألجأ إليك وأستجير بك ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ غمزهم وطعنهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وألجأ إليك يا رب لتصرفهم عني فلا يحضرون مجلسي ولا يشوشون عليَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٨٩٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحَلُونه من الأكاذيب والفِرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها، والهَمْزُ: هو الغَمْز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزة، والهَمَزَاتُ جمع همزة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول: وقل أستجير بك أن يحضروني في أموري.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال مرشدًا له إلى التِّرْياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾، وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]: أي ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾: أمره أن يستعيذ من

الشياطين، لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف.

وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول ﷺ كان يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه**».

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: في شيء من أمري؛ ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور -وذلك مطردة للشياطين -عند الأكل والجماع والذبح، وغير ذلك من الأمور؛ ولهذا روى أبو داود أن رسول ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم، وأعوذ بك من الهَدْم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت**». وأورد ما أقر به الإمام أحمد من طرق أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رسول ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم، من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح ومكارم الأخلاق فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم فهو محكم بينهم فهو محكم باق في الأمة أبدا وما كان فيها من موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفع عن أمورهم فمنسوخ بالقتال ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي أنها آية موادعة والله تعالى أعلم

وقوله قوله تعالى: ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ الهمزات هي جمع همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال: همزه ولمزه ونخسه دفعه قال الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر ابن آدم وهو قوله: ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ أي

(٨٩٢) أحمر
أسود

نزعات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

والظاهر في قوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] أو عند حضور الموت أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: هل الشياطين تحضر بعض المجالس وتتخلف عن مجالس أُخر لا تحضرها.

ج: نعم الشياطين قد تحضر بعض المجالس والأماكن والأشخاص، وقد تتخلف عن الحضور، فمنها شياطين نشطة ومنها شياطين خاملة ودلَّ على ذلك من النصوص ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

ومجيء الشيطان بغلامٍ كأنه يُدفع وبجارية كأنها تُدفع كي يأكلا الطعام مع رسول الله ﷺ كي يستحل بها الطعام ففي الحديث الذي أخرجه مسلم

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا**

(٨٩٣) أحمر
أسود

فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِى يَدِى مَعَ يَدِهَا ».

وكذلك الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه في فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ ». قَالَ الأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ « فَيَلْتَزِمُهُ ».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هؤلاء المشركين المكذبين يستمرون في تكذيبهم وعنادهم حتى إذا عاين أحدهم الموت بمقدماته، وحضرته ملائكة العذاب قال رب ارجعون، وفي راية قال: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ بالجمع أقوال:

أحدها: أنه قال: (رَبِّ ٱرْجِعُونِ) معظمًا الله ﷻ.

الثاني: أنه نادى ربه أولًا بقوله: ﴿رَبِّ﴾ ثم لما رأى الملائكة قال: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ فتحول خطابه.

الثالث: أن معنى ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ ارجعوني ارجعوني ارجعوني هذا، وطل بالرجوع إلى الدنيا لا لمالٍ ولا لأولاد ولا لمنصب ولا لجاه ولا سلطان إنما لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، لعلي أُسلم لعلِّي أصلي لعلي أصوم لعلي أعمال البر كلها تلك الأعمال التي قصرت فيها في دنياي، فيجاب قائلًا ﴿كَلَّآ﴾

(٨٩٤) أحمر
أسود

وهي كلمة ردع ونفي.

أما قوله ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: إنها مجرد كلمة لا تتعدى حجمها كونها كلمة بلا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨].

الثاني: إنها كلمة لابد وأن يأتي عله وقت يقولها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي ومن أمامهم حاجز وحجاب بينهم وبين الحياة مرة ثانية يستمر هذا الحاجز والحجاب إلى يوم البعث فلن يعود إلى الحياة إلا يوم القيامة والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال:- لعظيم ما يعاين مما يَقْدم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة-: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرّطت فيه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال: حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت.

قال الطبري:

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يُرْجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يقول: هذه الكلمة، وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا بد

(٨٩٥) أحمر
أسود

له أن يقولها يقول ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى.

وأورد عن عدد من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ حاصله أن البرزخ بقية الحياة الدنيا وحجاب بين الميت وبين الرجوع إلى الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: هاهنا: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم.

ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله: (كَلَّآ)، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه، وقول لا عمل معه، ولو رد لما عمل صالحا، ولكان يكذب في مقالته هذه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال ابن كثير:

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾: قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

وقال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه.

(٨٩٦) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي قوله: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال: ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ [الجاثية: ١٠] وقال ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقوله: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ أي: يستمر به العذاب إلى يوم البعث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأما قوله: (ٱرْجِعُونِ) وهو مخاطب ربه عز وجل ولم يقل: «ارجعني» جاء على تعظيم الذكر للمخاطب.

وقيل: استغاثوا بالله عز وجل أولا، فقال قائلهم: رب، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ارجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج.

وقيل: إن معنى (ٱرْجِعُونِ) على جهة التكرير، أي ارجعني ارجعني ارجعني.

❁ ❁ ❁

س: المحتضر (وخاصة الكافر) يتمنى الموت في عدة مواطن عند الاحتضار، ويوم القيامة وعند لقاء الله وإذا دخل النار، وفي عدة مواطن، وضح ذلك بأدلته:

ج: أما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند الاحتضار فمن أدلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ... ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا يوم البعث والنشور، فمن أدلته ما يلي:

(٨٩٧) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله تعالى: (وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ) [إبراهيم: ٤٤].

وأما تمنيهم الرجوع عند كلام الله معهم فدليله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند معاينة النار فدليله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

وأما تمنيهم الموت وهم في النار فمنه قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر: ٣٧].

قلت: وإلى مثل ما ذُكر أشار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٨٩٨) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ
وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ
فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٠١-١١١].

(٨٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلصُّورِ - فَلَآ أَنسَابَ - ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ - ٱلۡمُفۡلِحُونَ - تَلۡفَحُ - كَٰلِحُونَ - غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا - ضَآلِّينَ - ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا - سِخۡرِيًّا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلصُّورِ)	قرن يُنفخ فيه
(فَلَآ أَنسَابَ)	فلا قرابات بينهم تنفعهم ولا يُنادى قريب قريبه
(ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ)	رجحت كفة حسناته
(ٱلۡمُفۡلِحُونَ)	الفائزون بالمطلوب الناجون من المرهوب
(تَلۡفَحُ)	تسفع
(كَٰلِحُونَ)	كُشف أسنانهم بعد أن أُحرقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم وقيل عابسون
(غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا)	رجعنا إلى ما كتبت علينا من الشقاوة فعملنا بعمل أهل الشقاوة- غلبت علينا أعمال أهل الشقاوة من الشهوات والملذات والكفر والضلال
(ضَآلِّينَ)	منحرفين عن طريق الحق والصواب
(ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا)	امكثوا فيها
(سِخۡرِيًّا)	مجالًا للاستهزاء والضحك والانتقاص أما سُخريا بالضم فمعناها الاستعباد والتسخير في الأعمال

❁ ❁ ❁

(٩٠٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

ج: فإذا نفخ الملك الموكل بالصور في الصور، الملك هو إسرافيل عليه السلام، وقد اختلف في هذه النفخة أهي الأولى أم الثانية، والظاهر والله أعلم أنها النفخة الثانية عند قيامهم من القبور، إذ النفخة الأولى يعقبها صعق، أما النفخة الثانية هي التي يصحبها قيامهم وهم ينظرون، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالمعنى فإذا نُفخ في الصور فقاموا للحساب، للثواب أو العقاب فعند ذلك لا ينفع ذا نسب نسبه ولا يسأل بعضهم بعضا بل كل منشغلٌ بم هو فيه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وعند ذلك توضع الموازين لوزن الأعمال والأقوال فمن ثقلت كفة حسناته ورجحت على كفة سيئاته فأولئك هم الفائزون الذي فازوا بالمطلوب الذي منه رضوان الله عليهم، وجنته التي أعدها لهم ومن خفت كفة حسناته، وثقلت عليها ورجحت كفة السيئات فأولئك الذين خسروا أنفسهم غبنوها وضيعوها من قبل وكانوا قد باعوها بثمن بخس، بالشهوات والشبهات والكفر والضلال، هؤلاء الذي ضاعوا وخسروا وخابوا فمأواهم جهنم والعياذ بالله خالدين فيها تسفع النارُ وجوههم وهم في النار، وقد احترقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم فرؤيت أسنانهم، وقد تقلصت الشفاة بسبب احتراق الوجوه، فهذا هو الكالح، وقيل إن الكالح العابس.

(٩٠١) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾ يعني: الخالدون في جنات النعيم ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يقول ومن خفَّت موازين حسناته فرجَحَت بها موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول: تَسْفَع وُجوهَهم النارُ.

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى:

وَلَـــهُ المُقْـــدَمُ لا مِثْـــلَ لَـــه ... ســاعة الشِّــدْق عَــنِ النَّــابِ كَلَــحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهبُ النار فتحْرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي الأحوص عن عبد الله، في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه، وقلصت شفتاه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ قال ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والد لولده، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١]

(٩٠٢) أحمر
أسود

أي: لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه -كان- في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة.

وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي: ثقلت سيئاته على حسناته، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: خابوا وهلكوا، وباؤوا بالصفقة الخاسرة.

﴿ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ أي: ماكثون فيها، دائمون مقيمون لا ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أضواء البيان)

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

في هذه الآية الكريمة، سؤالان معروفان يحتاجان إلى جواب مبين للمقصود مزيل للإشكال.

السؤال الأول: أنه تعالى ذكر في هذه الآية: أنه إذا نفخ في الصور، والظاهر أنها النفخة الثانية، أنهم لا أنساب بينهم يومئذ، فيقال: ما وجه نفي الأنساب

(٩٠٣) أحمر
أسود

بينهم ، مع أنها باقية كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس: ٣٣-٣٦] ففي هذه الآية ثبوت الأنساب بينهم.

السؤال الثاني: أنه قال: ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ مع أنه ذكر في آيات أخر أنهم في الآخرة يتساءلون ، كقوله في سورة الطور ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الطور: ٢٥] وقوله في الصافات ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الصافات: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ذكرنا الجواب عن هذين السؤالين في كتابنا: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب بما حاصله:

إن الجواب عن السؤال الأول: هو أن المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا ، من التفاخر بالآباء ، والنفع والعواطف والصلات. فكل ذلك ينقطع يوم القيامة ، ويكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه ، وليس المراد نفي حقيقة الأنساب ، من أصلها بدليل قوله: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٥] الآية.

وإن الجواب عن السؤال الثاني من ثلاثة أوجه:

الأول: هو قول من قال: إن نفي السؤال بعد النفخة الأولى ، وقبل الثانية ، وإثباته بعدهما معاً. وهذا الجواب فيما يظهر لا يخلو من نظر.

الثاني: أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة ، والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك وهو عن السدي ، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص ، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض ، فيما بينهم من الحقوق ، لقنوطهم من الإعطاء ، ولو كان المسؤول أباً

(٩٠٤) أحمر
أسود

أو ابنـًا أو أمـًا أو زوجة ، ذكر هذه الأوجه الثلاثة صاحب الإتقان.

❁ ❁ ❁

(٩٠٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم توبيخٌ من الله ﷻ لأهل النار، يقول لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، ألم أرسل إليكم رسلًا وأنزل إليكم كتابًا فقلت الرسل عليكم كتب وآياتي وأقامت عليكم الحجج فكذبتم بكل ذلك؟!!

فعندها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي يا ربنا كُتبت علينا الشقاوة فصرنا إليها كتبت علينا الشقاوة في اللوح المحفوظ، وفي بطون الأمهات فعملنا بعلم أهل الشقاوة.

وقيل غلبت علينا الملذات والشهوات والأهواء فعملنا فيها بمعصيتك فصرنا بذلك على الشقاوة وقوله وكنا قومًا ضالين، أي وكنا قومًا في دنيانا ضآلين عن طريق الحق وعن سبيل الرشاد وقد تنكبنا عنه بعد مجيء رسلك إلينا فيا ربنا أخرجنا من هذه النار فإن عدنا إلى الأعمال السيئة التي علمناها فإنا حينئذٍ أهل ظلم فافعل بنا ما تريد.

قال الله ﷻ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ امكثوا فيها أبدًا بدين ولا تكلمون، أمكثوا فيها مطرودين من رحمتي مُبعدين عن جنتي ماكثين في عذابي ولا تكلموني في شيء، ولا تسألوني رحمتكم ولا تسألوني إخراجكم من النار، فقد كان فريق من عبادي، وهم أهل الإيمان يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وصدقنا رسلك وأقررنا بما جاءونا به وآمن بكل ما أمرتنا بالإيمان به، وكافرًا يسألونني رحمتي

(٩٠٦) أحمر
أسود

ومغفرتي قائلين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، أنت يا ربنا خر من رحم فكنتم تسخرون منهم إذا قالوا ذلك وتهزأون بهم وتمادت بكم السخرية منهم والاستهزاء بهم فانشغلتم بذلك عن ذكري، وكان شأنكم الضحك منهم فهاهم الآن أعمني أهل الإيمان قد جُوزوا أفضل الجزاء وأحسن الجزاء إنني أنا الذي جازيتهم اليوم على إيمانهم وعلى صبرهم على أذاكم، وعلى ثباتهم على الإيمان، فكانوا هم الفائزين هذا اليوم، قد نالوا مطلوبهم ونجوا من مرهوبهم، وسلم ولله الحمد لهم أمرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ وترك ذكر يقال؛ لدلالة الكلام عليه ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين، وبغير ألف، وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «شَقاوَتُنا» بفتح الشين والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب.

وقوله: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ يقول: كنا قومًا ضللنا عن سبيل الرشاد، وقصد الحق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟

(٩٠٧) أحمر
أسود

فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الذين خفَّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما تكره منا من عمل، فإنا ظالمون.

وقوله: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ أي: اقعدوا في النار، يقال منه: خَسَأتْ فلانا أخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءا، وخَسيء هو يخسَأ، وما كان خاسئا، ولقد خَسِيء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، ولقد كانوا طامعين فيه.

وأورد بسند صحيح عن أبي الزعراء، عن عبد الله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألا يُخْرج منها، يعني من النار أحدا، غير وجوههم وألوانها، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا ربّ، فيقول: من عرف أحدا فليخرجه؛ قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا، فيقول: يا فلان يا فلان، فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ فإذا قالوا ذلك؛ انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ وهذه الهاء في قوله "إنه" هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة، وقد بينت معناها فيما مضى قبلُ. ومعنى دخولها في الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ﴾ وأنت خير من رحم أهل

(٩٠٨) أحمر
أسود

البلاء، فلا تعذبنا بعذابك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربكم ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ في الدنيا، القائلين فيها: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ سُخْريا. والهاء والميم في قوله: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ ﴾ من ذكر الفريق.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ سِخۡرِيًّا ﴾ فقرأه بعض قرّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ بكسر السين، ويتأوّلون في كسرها أن معنى ذلك الهزء، ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة: السُّخْرة والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا ﴾ بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضمّ والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِجِّيّ ولُجِّي، ودِرِيّ، ودُرِيّ، منسوب إلى الدرّ، وكذلك كِرسيّ وكُرسيّ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك، نظير قولهم في جمع العصا: العِصِيّ بكسر العين، والعُصِيّ بضمها؛ قالوا: وإنما اخترنا الضم في السِّخري؛ لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت؛ لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حَكَيت عنه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ قال: هما مختلفتان:

(٩٠٩) أحمر
أسود

سِخريا، وسُخريا، يقول الله: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢] قال: هذا سِخريّا: يُسَخِّرونهم، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم سُخريًّا، فتلك سِخريًّا يُسَخرونهم عندك، فسخَّرك رفعك فوقه، والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي: سُخريّا يَسْخَرون منهم. فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود: ٣٨] وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، اتخذوهم سُخريًّا: اتخذوهم هُزُؤًا، لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألْهاكم عنه ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ قال: أنسى هؤلاء الله استهزاؤُهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩] حتى بلغ: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المطففين: ٣٢].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾ يقول تعالى ذكره: إني أيُّها المشركون بالله المخلَّدون في النار، جَزَيْت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون اليوم، بما صبروا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا؛ بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها.

(٩١٠) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تقريع من الله تعالى لأهل النار، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم، التي أوبقتهم في ذلك، فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي: قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وأزلت شُبَهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ (فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٨-١١]، ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها، فَضَلَلْنَا عنها ولم نُرْزَقْهَا.

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: رُدَّنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة، كما قالوا: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله: (فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١١، ١٢] أي: لا سبيل إلى الخروج؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي.

قال العَوْفِي، عن ابن عباس: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ قال: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه.

وأورد بسندٍ صحيح عن عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو قال: إن أهل

(٩١١) أحمر
أسود

جهنم يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يردّ عليهم: إنكم ماكثون. قال: هانت دعوتهم -والله -على مالك ورب مالك. ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: والله ما نَبَس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق.

وبسندٍ صحيح عن أبي الزَّعْرَاء قال: قال عبد الله بن مسعود: إذا أراد الله ألا يخرج منهم أحدًا -يعني: من جهنم-غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين، فيشفع فيقول: يا رب . فيقول: من عرف أحدًا فليخرجه. فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدًا فيقول: أنا فلان. فيقول: ما أعرفك.

قال: فعند ذلك يقول: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾، فعند ذلك يقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾. وإذا قال ذلك، أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بَشَر.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا، وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ، ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أي: حملكم بغضهم على أن نَسِيتم معاملتي ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ أي: من صنيعهم وعبادتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠] أي: يلمزونهم استهزاء.

ثم أخبر عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين، فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ

(٩١٢) أحمر
أسود

بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ أي: على أذاكم لهم واستهزائكم منهم، ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ أي: جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة، الناجين من النار.

❁ ❁ ❁

(٩١٣) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨ ﴾

[المؤمنون: ١١٢-١١٨].

(٩١٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لَبِثْتُمْ - بَعْضَ يَوْمٍ - ٱلْعَآدِّينَ - عَبَثًا - فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ - ٱلْكَرِيمِ - لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ - لَا يُفْلِحُ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَبِثْتُمْ)	مكثتم
(بَعْضَ يَوْمٍ)	جزءًا من اليوم
(ٱلْعَآدِّينَ)	الذين يعدون الأيام والليالي السنين (قيل هم الملائكة، وقيل غير ذلك)
(عَبَثًا)	لعبا- باطلا- عن غير حكمة
(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ)	تقدس- تمجد- ترفَّع
(ٱلْكَرِيمِ)	الحسن- البهي- جميل الشكل والمنظر
(لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ)	لا حجة- لا بيِّنة
(لَا يُفْلِحُ)	لا يحظى بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب- لن يسلم من النار ولن ينجو منها ولن يدخل جنة ولن يرد عليها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، سؤال توبيخ لأهل الكفر والضلال الذين أضاعوا دنياهم في الكفر والشرك والشهوات والملذات، قال الله ﷻ لهم يوم

(٩١٥) أحمر
أسود

القيامة وكم لبثتم في الأرض عدد سنين كم لبثتم في الأرض من السنوات وكم عشتم على الأرض أحياءًا، وقيل كم لبثتم في القبور والأول أولى.

فجهل هؤلاء الجواب، وأنساهم أليم العذاب مدة مكثهم في الحياة الدنيا فقالوا لبثنا يومًا أو جزءًا من اليوم فسأل الذين يُعدون الأيام والليالي ويحسبونها، أما نحن فلا علم لنا، وظننا أننا لبثنا يومًا أو بعض يوم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] أما ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ فلأهل العلم في تعيينهم أقوال:

أحدها: أنهم الملائكة.

الثاني: أنهم الحُسَّاب الذي يحسبون الأيام والليالي والشهور.

أما قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ قال لهم ما لبثتم في دنياكم إلا زمنا قليلًا، وقيل ما لبثتم في قبوركم إلا زمنًا قليلًا ، وهذا وذاك بالنسبة إلى ما هم فيه من شدة العذاب وطول البقاء في النار، فالدنيا مهما طالت فهي قصيرة وحياة الشخص فيها أقصروا أقصروا بالنبسبة للآخرة أما قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فحاصل معناه إن كنتم تعلمون حقيقة ما مكثتموه فيها وقيل إن كنتم تعلمون المصير الذي أنتم إليه صائرون ما كفرتم ولا أشركتم ولا تلذذتم بالمحرمات والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وفي قوله: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ ، وكذلك قوله: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾. ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار وهم

(٩١٦) أحمر
أسود

في النار: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾؟ وأنهم أجابوا الله فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فنسِي الأشقياء؛ لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا، وقَصُرَ عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها؛ لما حلّ بهم من نقمة الله، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم. ولعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل، والسنين الكثيرة.

واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين، فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، ويُحْصُون عليهم ساعاتهم.

وقال آخرون: بل هم الحُسّاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَسْئَلِ الْعَادِّينَ﴾ وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض.

وقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلًا يسيرًا، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده، ولو صَبَروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ أي: الحاسبين ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مدة يسيرة على كل تقدير ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تَصَرَّفتم لأنفسكم هذا التصرف السّيئ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم

(٩١٧) أحمر
أسود

على طاعة الله وعبادته -كما فعل المؤمنون-لفزتم كما فازوا.

(٩١٨) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: يعنى في القبور. وقيل: هو سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا. وهذا السؤال للمشركين في عرصات القيامة أو في النار. ﴿عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ بفتح النون على أنه جمع مسلم، ومن العرب من يخفضها وينونها. ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم.

مسألة

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾.

في هذه الآية سؤال معروف: وهو أنهم لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا أجابوا بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب كقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] والعشر أكثر من يوم أو بعضه ، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم: ٥٥] والساعة: أقل من يوم أو بعضه ، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وقد بينا الجواب عن هذا السؤال في كتابنا: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في الكلام على هذه الآية بما حاصله: أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ويقول بعض آخر منهم: لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم: لبثنا عشراً.

(٩١٩) أحمر
أسود

والدليل على هذا الجواب من القرآن أنه تعالى بين أن أقوالهم إدراكاً، وأرجحهم عقلاً، وأمثلهم طريقة هو من يقول: إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طه: ١٠٣-١٠٤] فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ أي الحاسبين، الذين يضبطون مدة لبثنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أفظننتم يا أهل الكفر ويا أهل الشرك يا من اتخذتم دينكم لعبًا ولهوًا وغرتكم الحياةُ الدنيا، أفحسبتم يا هؤلاء أنما خلقناكم باطلًا وعبثًا منا لغير حكمةٍ وخلقناكم هملًا بال تكليف، وبلا أمرٍ ولا نهي وحسبتم أنكم لن ترجعوا إلى الله ﷻ فتعالى الله عن ذلكن تعالى الله عن الباطل وعن العبث فربنا ﷻ لا يعبث، فهو الملك الحق وقوله الحق وخلقه خلقهم بالحق لا معبود غيره ولا رب سواه هو رب العرش الكريم العرش حسن المنظر، والعرش البهي.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ﴾ يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟.

وقال في في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ

(٩٢٠) أحمر
أسود

ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبودة إلا الله الملك الحقّ ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ والربُّ: مرفوع بالردّ على الحقّ، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]، يعني هملا .

وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: تقدَّس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ ، فذكر العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان: ١٠].

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ لم يخلق خلقه عبثا، ولن يتركهم هملًا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦-١١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: هملًا بل ثواب ولا عقاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

(٩٢١) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الأحقاف: ٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ومن يعبد مع الله إلهًا آخر، ويسأله ويرجوه ولا حجة له ولا بينة له على صحة ذلك، ولا أمر له من أن بذلك قطعًا، فإنما حسابه عند ربه، وسيجازيه على ذلك أسوء العذاب فلن ينجو من النار ولن يحضى بالأمن يوم الوعيد، لن يسلم أهل الكفر والجحود والنكران والشرك والطغيان لن يسلموا من عذاب الله ولن يلفتوا منه، ولن يحظوا بالأمن السلامة فعل يا رسول الله ويا عبد الله رب اغفر، ما مضى من ذنوبي، استرها عليَّ ولا تؤاخذني بها وارحمني بقبول توبتي ورجوعي إليك وارحمني بإنجائي من عذابك وإدخال جنتك وأنت خير من رحم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة.

وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ يقول: فإنما حساب عمله السَّيِّئ عند ربه وهو مُوَفِّيه جزاءه إذا قدم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت ﴿وَأَنتَ

(٩٢٢) أحمر
أسود

خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ يقول: وقل: أنت يا ربّ خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

(٩٢٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره، وعَبَدَ معه سواه، ومخبرًا أن من أشرك بالله ﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا دليل له على قوله -فقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ ، وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط في قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: الله يحاسبه على ذلك.

ثم أخبر: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء، فالغَفْرُ -إذا أطلِق-معناه محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناها: أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي لا حجة له عليه ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي هو يعاقبه ويحاسبه. (إِنَّهُۥ) الهاء ضمير الامر والشأن. ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ وقرأ الحسن وقتادة: (لا يفلح) - بالفتح - من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتي. ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار لتقتدى به الامة. وقيل: أمره بالاستغفار لأمته.

تم بحمد الله.

❊ ❊ ❊

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

سورة النور

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسهيلُ لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير سورة النور

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

طنطا ت : ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ محمول : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

تفسير سورة النور

فى

سؤال وجواب

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٩٩/٧٥٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

مكتبة مكة

طنطا ١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس

ت : ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ ت محمول : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حقٌ ، وقولك حقٌ ، والجنة حقٌ والنار حقٌ، والنبيون حقٌ ، ومحمد ﷺ حقٌ ، والساعة حقٌ .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وبعد :

فهذا تفسير سورة النور في سؤال وجواب ، جزء من عملي في تفسير القرآن الكريم في سؤال وجواب ، ذلكم العمل الموسوم بـ «التسهيل لتأويل التنزيل » .

وقد صدر منه بفضل الله جملة أجزاء ، وهذا تفسير سورة النور أقدمه لإخواني سائلاً الله سبحانه وتعالىٰ أن يفتح به قلوبهم وأن ينوِّر به أبصارهم ، وأن يأخذ بأيديهم إلىٰ ما يحبه الله ويرضاه وإلىٰ جنات النعيم .

هذا ، وكما لا يخفىٰ ، فسورة النور قد حملت جملة من الأحكام والآداب والعقائد والسلوك والسِّيركذلك ، فتعرضت لهذا كله وأوردت طرفًا كبيراً من الفوائد في هذه الأبواب ، وكذلك شيئًا واسعًا من الأبحاث الفقهية التي يقتضيها المقام .

وما كان من توفيق في هذا الكتاب فمن الله سبحانه وتعالىٰ وحده ، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، وله الحمد أولاً وآخرًا ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه . فأسأل الله الثواب والمغفرة .

وإلىٰ تفسير هذه السورة المباركة الكريمة ، والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

مصر - الدقهلية - منية سمنود

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

س : اذكر معنى ما يلي:

فرضناها - بينات - تذكرون - في دين الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
فرضناها	أوجبنا عليكم ما فيها من أحكام
بينات	واضحات
تذكَّرون	تتعظون - تتذكرونها فتعملون بموجبها
في دين الله	في حكم الله

س - هل صح حديثٌ في فضل سورة النور ؟

ج : لا أعلم حديثًا صحيحًا في فضل سورة النور .

* * *

س- ما مدى صحة حديث عائشة رضي الله عنها الذى قالت فيه: قال رسول الله ﷺ : « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة - يعني النساء - وعلموهن المغزل وسورة النور »؟

ج : هذا حديث تالف الإسناد جدًّا وضعيف جدًّا ، فقد أخرجه الحاكم[1] في مستدركه من طريق عبد الوهاب بن الضحاك، وعبد الوهاب هذا متروك الحديث ، وقد رماه عدد من أهل العلم بالكذب ووضع الحديث .

ومن عجيب أمر الحاكم رحمه الله أنه قال بعد أن أخرج الحديث : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، وهذا مما يؤكد ما نقله العلماء عن الحاكم من أنه متساهل جداً في التصحيح ، بل وفي غاية التساهل ، وقد تعقبه الذهبي رحمه الله تعالىٰ بقوله : (قلت :) بل موضوع وآفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم : كذاب .

س : ما معنى (سورة) ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن السورة اسم للمنزلة العالية الشريفة ، وهي مشتقة من السور لارتفاعها وعلو مكانتها ، قالوا ولذلك سميت السورة من القرآن سورة ومنه قول زهير :

ألم تر أن الله أعطاك سـورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي منزلةً .

---

(١) الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٩٦) .

س - ما المراد بقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا ﴾ [النور: ١] ؟

ج : **المراد** - والله أعلم -: هذه سورة أنزلناها .

ومن العلماء من قدَّر محذوفًا بعد قوله « أنزلناها » فقال : « أنزلناها » رحمة منا بالعباد وحفظناها من كل شيطان (١) .

* * *

س : لماذا نُكِّرت السورة في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا ﴾ [النور: ١] ؟

ج : التنكير هنا للتفخيم فالمعنى هذه سورة جليلة عظيمة القدر .

* * *

س : لماذا صُدِّرت هذه السورة خاصة بقوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا ﴾ [النور: ١] مع أن كل السور أنزلها الله سبحانه وتعالى ؟

ج : صُدِّرت هذه السورة بقوله تعالى (سورة أنزلناها) لمزيدٍ من الاعتناء بها .

* * *

س - في قوله تعالى (وفرضناها) قراءتان ، وضحهما ؟ وبين معنى كلٍ منهما

ج : أما القراءتان فهما (فَرَضناها) بالتخفيف ، و(فرَّضناها) بالتشديد .

أما معنى قوله تعالى : (وفَرَضناها) بالتخفيف فمعناه : أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم به ومعناه أيضًا : بينا فيها الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود والآداب .

---

(١) ذكر ذلك السعدي في تفسيره ، وهذا الذي ذكره يعم كل السور إلا أن يُقال أن فيها مزيدًا من الرحمة بالعباد ببيان الأحكام والآداب والمعاملات ، بل والعقائد والأخلاق ، والله أعلم .

أما معنى (فرَّضناها) بالتشديد فمنه ما يلي :

فرَّضناها : أي أكثرنا من ذكر الفرائض فيها .

ومن ذلك فرَّضناها : فصلناها وبيناها .

ومن ذلك أيضًا : فرضناها : قطعناها في الإنزال أي أنزلنا جزءًا منها ثم الجزء الآخر ثم الثالث . . وهكذا أي نزلناها منجمة نجمًا نجمًا .

وعلى الإجمال قال بعض العلماء : الفرض : القطع ، والتشديد للتكثير أو للمبالغة أو لتأكيد الإيجاب أو لكثرة الفرائض فيها كالزنا والقذف واللعان والاستئذان وغض البصر وغير ذلك .

هذا ، ومن أهل العلم من أشار إلى أن السورة كلها مفروضة بما فيها من آداب وحدود وتكاليف وأخلاق ، قال : ففرضية الآداب فيها كفرضية الحدود .

فقوله تعالى (وفرضناها) للتأكيد على أهمية ما ورد في هذه السورة من آداب وحدود وأخلاق وتكاليف وغير ذلك ، والله أعلم .

السرُّ في تقديم الزانية على الزاني

س - لماذا قُدِّمت الزانية على الزاني في قوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور : ٢] ؟

ج : **قال بعض أهل العلم قُدمت الزانية على الزاني لأمور :**

أحدها : أن المرأة هي الداعية إلىٰ الزنا بما تُحدثه من تبرج ، ومن خضوع بالقول ، ومن تكسر وتغنج وغير ذلك .

الثاني : أنها أيضًا هي التي تمكن الرجل من نفسها بمطاوعتها له ولولا تمكينها له لم يقع [(١)] .

الثالث : قيل إن الشهوة في المرأة أكثر وعليها أغلب ؛ فصدَّرها تغليظًا لتردع شهوتها ، وإن كان قد رُكب فيها حياء لكنها إذا زنت ذهب الحياء كله ، ذكره القرطبي .

وقال بعض أهل العلم : إنما قدمت المرأة هنا وأخرت في آية حد السرقة لأن الزنا إنما يتولد بشهوة الوقاع ، وهي في المرأة أقوىٰ وأكثر ، والسرقة إنما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة ، وهي في الرجل أقوىٰ وأكثر .

الرابع : أن الزنا كان في ذلك الزمان متفشيًا في النساء ، وكن هن الداعيات إليه ، حتىٰ كان للبغايا والإماء رايات تُنصب علىٰ بيوتهن ليعرفهن من يريد الفاحشة .

الخامس : أن الزنا في النساء أشد عاراً عليهن ، فالعار بالزنا فيهن أكثر ؛ إذا موضوعهن الحجبة والصيانة فقدم ذكر الزانية تغليظًا واهتمامًا ، وأيضًا فالزنا بالمرأة أضر من أجل الحبل ، والله أعلم .

---

(١) أي إلا إذا أكرهت ، والمكرهة لا حدَّ عليها .

س : لماذا ذكرت الزانية مع الزاني ولم يكتف بذكر الزاني وكانت الزانية داخلة فيه ؟

ج : لم يكتف بذكر الزاني حتىٰ لا يظن ظانٌّ أن الرجل لما كان هو الواطئ والمرأة محل ليست بواطئة فلا يجب عليها حد ، فذكرها دفعًا لهذا الإشكال [١] حتىٰ يبين أن المرأة عليها حدٌ هي الأخرىٰ ، والله أعلم .

* * *

س - عرف الزنا الذي إذا فُعل أقيم الحد على فاعله ؟

ج : الزنا هو : وطء الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح ، وقيل هو : إدخال فرج في فرج مشتهىٰ طبعًا محرمًا شرعًا . ذكر ذلك القرطبي وغيره .

* * *

س - ما هي القرائن التي يُتوصل بها إلى معرفة الزاني الذي يقام عليه الحد ؟

ج : يُتوصل إلى معرفة الزاني بإحدى القرائن الآتية :

١ - البينة : (أي الشهود ، وعددهم أربعة رجال) .

٢ - الحَبَل (أي الحمل) ، أي إذا وجدت المرأة الخلية من زوج أو سيد حُبلىٰ ولم تذكر شبهة ولا إكراه .

٣ - الاعتراف .

وذلك لما روي عن أمير المؤمنين عمر [٢] رضي الله عنه أنه قال : «وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف» .

---

(١) ذكره القرطبي رحمه الله .

(٢) في الصحيحين ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

س - لمن وُجِّه الخطاب في قوله تعالى (فاجلدوا) ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله** : لا خلاف في أن المخاطب بهذا الأمر الإمام ومن ناب منابه ، وزاد مالك والشافعي السادة في العبيد [١] .

* * *

س - هل للجلد المذكور في الآية الكريمة صفة مخصوصة ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله** : « أجمع العلماء على أن الجلد بالسوط يجب، والسوط الذي يجب أن يجلد به يكون سوطًا بين سوطين لا شديدًا ولا لينًا» .

ونقل رحمه الله عن الجمهور قولهم : الضرب الذي يجب : هو أن يكون مُؤلمًا لا يجرح ولا يَبْضَع ، ولا يُخرج الضارب يده من تحت إبطه ، وبه قال الجمهور .

* * *

س - هل يُزاد على العقوبة المذكورة في الآية الكريمة شيء آخر ؟ وما الدليل ؟

ج : نعم يُزاد على العقوبة المذكورة في الآية الكريمة شيءٌ آخر وهو تغريب عام [٢]، وذلك لما أخرجه مسلم [٣] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ...** » الحديث .

---

(١) أي أن العبد أو الأمة إذا زنى أحدهما جلده سيده ، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها ولا يُثرِّب ، ثم إن زنت فليجلدها ولا يُثرب ، ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر . . » الحديث. أخرجه البخاري (٦٨٣٩) ومسلم (حديث ١٧٠٣).

(٢) أي النفي عن البلاد سنة .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٦٩٠) .

وفي حديث أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما في الصحيحين [(١)] **أن النبي** ﷺ قال للرجل الذي زنىٰ ولده : « **على ابنك جلد مائة وتغريب عام** ».

س - هل على البكر تغريب إذا زنت ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن البكر تغرَّب (أي تنفىٰ) إذا زنت وذلك لقول النبي ﷺ : « **البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة** » ولما ورد أيضًا من حديث زيد بن خالد الجهني وأبي هريرة رضي الله عنهما **أن النبي** ﷺ **أمر بمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتغريب عام** .

قال النووي رحمه الله (في شرح مسلم) : «وأما قوله ﷺ في البكر (**ونفي سنة**) ففيه حجة للشافعي والجماهير أنه يجب نفيه سنةً رجلاً كان أو امرأة ، وقال الحسن : لا يجب النفي ، وقال مالك والأوزاعي : لا نفىٰ علىٰ النساء ، وروىٰ مثله عن عليٍّ رضي الله عنه وقالوا : لأنها عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة ولهذا نهيت عن المسافرة إلا مع محرم ، وحجة الشافعي قوله ﷺ : «**البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة** » .

قلت : (**مصطفى**) : ويمكن دفع الاعتراض القائل بأن في النفي تضييع لها بأن يقال إن إمام المسلمين يوفر لها مكانًا آمنًا تنفىٰ إليه هي وغيرها ، وليس هذا بشاقٍ ولا عسير .

* * *

---

(١) البخاري (٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) ، ومسلم (١٦٩٧ ، ١٦٩٨) .

إضافة : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١٢/ ١٥٩) : ولا يلزم . من خلو آية النور عن النفي عدم مشروعيته كما لم يلزم من خلوها من الرجم ذلك ومن الحجج القوية أن قصة العسيف كانت بعد آية النور لأنها كانت في قصة الإفك وهي متقدمة علىٰ قصة العسيف لأن أبا هريرة حضرها وإنما هاجر بعد قصة الإفك بزمان .

س - هل قوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور : ٢] يعم كل زانية وزان أم أنه قد استثنيت منه صور؟ وما هي الصور المستثناة ؟

ج : قوله تعالىٰ : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة) لا يعم كلَّ زان وزانية ، بل هو في حق الزاني الحر البكر (أي الذي لم يتزوج) البالغ العاقل غير المكره .

أما بالنسبة للأَمة والعبد فإن الله سبحانه وتعالىٰ يقول في شأن الإماء ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] وهذا في الإماء وألحق بهن العبيد لعدم الفارق (١) .

أما الزاني غير البكر (أي الزاني المحصن) (٢) فعقوبته الرجم ومن العلماء من أضاف إليه الجلد أيضًا لهذه الآية الكريمة ، لكن جمهور العلماء علىٰ أن الزاني المحصن وكذلك الزانية المحصنة عليهما الرجم فقط ، وستأتي جملة أدلة علىٰ ذلك إن شاء الله .

أما شرط البلوغ والعقل فلما رواه أبو داود (٣) وغيره من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال : أُتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسًا فأمر بها عمر أن تُرجم ، فمر بها (علىٰ) علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : ما شأن هذه ؟ قالوا : مجنونة بني فلان زنت ، فأمر بها عمر أن ترجم قال فقال :

---

(١) ذكره صديق حسن خان وغير واحد من العلماء .

(٢) قال الشنقيطي في أضواء البيان : «ومعنىٰ الإحصان أن يكون قد جامع في عمره ، ولو مرة واحدة في نكاح صحيح وهو بالغ عاقل حر ، والرجل والمرأة في هذا سواء ، وكذلك المسلم والكافر والرشيد والمحجور عليه لسفهٍ » .

(٣) أبو داود (حديث ٤٣٩٩) ، (٤٤٠٠) ، (٤٤٠١) وغيره .

راجعوا بها ، ثم أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أما علمت [١] أن القلم قد رفع عن **ثلاثة عن المجنون** حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى **يعقل؟ قال** : بلى ، قال : فما بال هذه ترجم ؟ قال : لا شيء ، قال : **فأرسلْها، قال**: فأرْسَلَها، قال : فجعل يكبر .

وبالنسبة لعدم مؤاخذة المجنون أيضًا فلما رواه البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه فقال : يا رسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه حتى ردَّد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال : «**أبك جنون؟**..» الحديث .

فدل هذا على أنه لو كان به جنون ما أقام عليه النبي ﷺ الحد والله أعلم .

* * *

(١) في رواية أبي داود (٤٤٠١) : أوما تذكر أن رسول الله ﷺ قال : «رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » قال صدقت ، قال : فخلِّ عنها . وللحديث طرق أخرى عن علي ، وإن كان فيها مقال إلا أنها تصلح للاستشهاد .

منها طريق أبي الضحى عن علي عند أبي داود (٤٤٠٣) مرفوعًا ، وأبو الضحى لم يدرك عليًا .

ومنها طريق الحسن البصري عن علي عند أحمد (١/ ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٠) مرفوعًا لكن في سماع الحسن البصري من علي نظر .

ومنها طريق القاسم بن يزيد عن علي مرفوعًا والقاسم ضعيف ولم يدرك عليًا أيضًا (أخرجه ابن ماجة ٢٠٤٢) .

وللحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أخرجه أبو داود (٤٣٩٨) وابن ماجة (٢٠٤١) وغيرهم ، وبالجملة فالحديث صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٤) وانظر مسلم (١٣١٨) .

الدليل على الرجم

س - ما هو الدليل على الرجم ، ومن الذي يُرجم ؟

ج : من الأدلة على الرجم ما يلي :

ما أخرجه مسلم [١] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **خُذوا عني ، خُذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكرُ بالبكر**[٢] **جلد مائة ونَفْى سُنة ، والثَّيبُ بالثَّيب جلد مائة والرجم** » .

وما أخرجه البخاري ومسلم [٣] (واللفظ لمسلم) من طريق عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : « إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أُنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله

---

(١) مسلم (حديث ١٦٩٠) .

(٢) ليس معنى قوله : « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » أن البكر إذا زنى بالبكر فقط يجلد مائة ويغرب عام ، فالبكر سواء زنى ببكرٍ أو بثيب فإنه يجلد مائة ويغرب عام ، وكذلك الفتاة البكر إذا زنت فعليها جلد مائة (واختلف في التغريب في حقها) .

ومعنى قوله : « الثيب بالثيب جلد مائة والرجم »، أن الثيب سواء زنى بثيب أم زنى ببكر فإنه يجلد مائة ويرجم (واختلف هل يجلد مع الرجم أم لا على ما سيأتي بيانه إن شاء الله) .

أما قوله (البكر البكر) فخرج مخرج الغالب ، بمعنى أن البكر في الغالب يزني ببكر ، وأن الثيب في الغالب يزني بثيب .

فالحاصل أن البكر سواء زنى ببكر أم بثيب فإنه يجلد مائة ويغرب عام .

والثيب سواء زنى بثيب أو زنى ببكر فإنه يُرجم (واختلف في جلده مع الرجم) .

(٣) البخاري (حديث ٦٨٣٠) ومسلم (حديث ١٦٩١) .

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبلُ أو الاعتراف .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري [١] وأشار إليه مسلم «واللفظ للبخاري» من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله ﷺ فحدَّثه أنه قد زنى فشهد على نفسه أربع شهادات فأمر به رسول الله ﷺ فرجم وكان قد أحصن .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجلُ رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه فقال : يا رسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه حتى ردَّدَ عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال : « **أبك جنون ؟** » قال لا . قال : « **فهل أحصنت**»؟ قال : نعم ، فقال النبي ﷺ : «**اذهبوا به فارجموه** ».

وأخرج مسلم [٣] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ رجلُ قصير أعضل [٤] ليس عليه رداء فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى ، فقال رسول الله ﷺ (فلعلك ؟) قال لا ، والله إنه قد زنى الآخر [٥] قال : فرجمه . . الحديث .

وثبت أيضا في الصحيحين [٦] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رجم ماعز بن مالك .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٤) ، وانظر مسلم (ص ١٣١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٥) ، ومسلم (ص١٣١٨) .

(٣) مسلم (حديث ١٦٩٢) .

(٤) (أعضل) أي له عضلات ، أي مشتد الخلق .

(٥) يريد بالآخر نفسه ، ويريد تحقير نفسه لكونه ارتكب هذا الفعل .

(٦) البخاري (٦٨٢٤) ومسلم (١٦٩٣) .

. وفي الصحيحين [١] من حديث عبد الله بن أبي أوفى أنه سُئل هل رجم رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

وأخرج البخاري [٢] من حديث علي رضي الله عنه حين رجم المرأة يوم الجمعة وقال : قد رجمتها بسنة رسول الله ﷺ .

وأخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما قالا : كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال : أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي قال : قل ، قال : إن ابني هذا كان عسيفًا على هذا ، فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاةٍ وخادم ، ثم سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأته الرجم ، فقال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره ، المائة شاة والخادم ردٌّ ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها** » ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وأخرج مسلم [٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً من أسلم[٥] يقال له ماعز بن مالك ، أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت فاحشة[٦] . فأقمه عليّ[٧] . فرده النبي ﷺ مراراً ، قال : ثم سأل قومه ؟ فقالوا:

---

(١) البخاري (٦٨١٣) ومسلم (١٧٠٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٢) .

(٣) البخاري (٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) ومسلم (١٦٩٧ ، ١٦٩٨) .

(٤) مسلم (حديث ١٦٩٤) .

(٥) أي من قبيلة أسلم .

(٦) (إني أصبت فاحشة) أراد بالفاحشة ، هنا ، الزنى .

(٧) (فأقمه علي) أي فأقم حدّه عليّ .

ما نعلم به بأسًا إلا أنه أصاب شيئًا ، يرىٰ أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد ، قال : فرجع إلىٰ النبي ﷺ ، فأمرنا أن نرجمه ، قال : فانطلقنا به إلىٰ بقيع الغرقد [١] ، قال : فما أوثقناه ولا حفرنا له ، قال : فرميناه بالعظم والمدر والخزف[٢] . قال : فاشتد واشتددنا خلفه[٣] ، حتىٰ أتىٰ عرض الحرة[٤] ، فانتصب لنا ، فرميناه بجلاميد الحرة [٥] (يعني الحجارة) ، حتىٰ سكت ، قال : ثم قام رسول الله ﷺ خطيبًا من العشىٰ فقال : « **أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا ، له نبيب كنبيب التيس ، عليّ أن لا أوتى** [٦] **برجل فعل ذلك إلا نكلت به** » ، قال : فما استغفر له ولا سبه[٧] .

وفي صحيح مسلم [٨] من حديث بريدة رضي الله عنه .

جاء ماعز بن مالك إلىٰ النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! طهرني فقال: « **ويحك**[٩] **ارجع فاستغفر الله وتب إليه** » قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ! طهرني ، فقال رسول الله ﷺ: « **ويحك ! ارجع فاستغفر الله**

---

(١) (بقيع الغرقد) موضع بالمدينة ، وهو مقبرتها .

(٢) (فرميناه بالعظم والمدر والخزف) العظم معروف . والمدر الطين المتماسك . والخزف قطع الفخار المنكسر .

(٣) (فاشتد واشتددنا خلفه) أي عدا وأسرع للفرار . وعدونا خلفه .

(٤) (حتىٰ أتىٰ عرض الحرة) عرض الحرة أي جانبها ، والحرة بقعة بالمدينة ذات حجارة سود .

(٥) (بجلاميد الحرة) أي بصخورها ، وهي الحجارة الكبار ، واحدها جلمود وجملد .

(٦) (علىٰ أن لا أوتىٰ) أن مخففة واسمها ضمير الشأن أي ليكن لازما عليّ هذا الشأن وهو : لا أوتىٰ برجل فعل الفجور بإحدىٰ عيال الغزاة إلا فعلت به من العقوبة ما يكون عبره لغيره .

(٧) (فما استغفر له ولا سبه) أما عدم السب فلأن الحد كفارة له ، مطهرة له من معصيته . وأما عدم الاستغفار فلئلا يغتر غيره فيقع في الزنىٰ اتكالاً علىٰ استغفاره ﷺ .

(٨) مسلم (حديث ١٦٩٥) .

(٩) (ويحك) قال في النهاية : ويح كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها .

وتب إليه » قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ! طهرني ، فقال : النبي ﷺ مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ : « فيم أطهرك ؟ » فقال : من الزنى ، فسأل رسول الله ﷺ « أبه جنون ؟» فأخبر أنه ليس بمجنون ، فقال : « أشرب خمراً ؟ » فقام رجل فاستنكهه[١] فلم يجد منه ريح خمر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « أزنيت ؟ » فقال : نعم ، فأمر به فرجم ، فكان الناس فيه فرقتين : قائل يقول : لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئته . وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز : أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده . ثم قال : اقتلني بالحجارة ، قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس . فقال : « استغفروا لماعز بن مالك»، قال : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم » .

قال : ثم جاءته امرأة من غامد [٢] من الأزد ، فقالت : يارسول الله ! طهرني ، فقال : «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه » ، فقالت : أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك ، قال : « وما ذاك ؟ » قالت : إنها حبلي من الزنى [٣] ، فقال : « آنت ؟ » قالت : نعم ، فقال لها : « حتى تضعي ما في بطنك» قال : فكفلها رجل من الأنصار [٤] حتى وضعت ، قال : فأتى النبي ﷺ فقال : «قد وضعت الغامدية » ، فقال : «إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار فقال : إليّ رضاعه يا نبي الله! قال فرجمها .

---

(١) (فاستنكهه) أي شم رائحة فمه . طلب نكتهه بشم فمه . والنكهة رائحة الفم .

(٢) (غامد) بطن من جهينة .

(٣) (إنها حبلى من الزنى) أرادت إنى حبلى من الزنى . فعبرت عن نفسها بالغيبة .

(٤) (فكفلها رجل من الأنصار) أي قام بمؤنتها ومصالحها ، وليس هو من الكفالة التي هي بمعنى الضمان ، لأن هذا لا يجوز في الحدود التي لله تعالى .

وفي رواية أخرىٰ لمسلم [١] من حديث بريدة أيضًا :

أن ماعز بن مالك الأسلمي أتىٰ رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني ، فرده ، فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله ! إني قد زنيت ، فرده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ قومه فقال : « **أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا ؟**» فقالوا : ما نعلمه إلا وفيّ العقل ، من صالحينا ، فيما نرىٰ ، فأتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه . فأخبروه : أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له ثم أمر به فرجم .

قال : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله ! إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله ! لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً ، فوالله ! إني لحبلىٰ ، قال : « إما لا ، فاذهبي [٢] حتىٰ تلدي» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة . قالت : هذا قد ولدته . قال : «اذهبي فأرضعيه حتىٰ تفطميه » . فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز . فقالت : هذا ، يا نبي الله ! قد فطمته ، وقد أكل الطعام . فدفع الصبي إلىٰ رجل من المسلمين . ثم أمر بها فحفر لها إلىٰ صدرها . وأمر الناس فرجموها . فيقبل خالد[٣] بن الوليد بحجر . فرمىٰ رأسها . فتنضح [٤] الدم علىٰ وجه خالد . فسبها . فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها . فقال « مهلا ! يا خالد !

---

(١) مسلم ص (١٢٣٢) .

(٢) (إما لا فاذهبي) هو بكسر الهمزة من إما ، وتشديد الميم ، وبالإمالة ، الأصل : إن ما ، فادغمت النون في الميم وحذف فعل الشرط فصار إما لا ، ومعناه : إذا أبيت أن تستري علىٰ نفسك وتتوبي وترجعي عن قولك فاذهبي حتىٰ تلدي ، فترجمين بعد ذلك .

(٣) (فيقبل خالد) حكاية للحال الماضية ، أي فأقبل .

(٤) (فتنضح) روي بالحاء المهملة وبالمعجمة ، والأكثرون علىٰ المهملة ومعناه : ترشش وانصب .

فوالذي نفسي بيده ! لقد تابت توبة ، لو تابها صاحب مكس [١] لغفر له» .

ثم أمر بها فصلىٰ عليها ودُفنت .

وفيه من حديث عمران بن حصين[٢] رضي الله عنهما :

أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ، وهي حبلىٰ من الزنىٰ ، فقالت : يانبي الله ! أصبت حدًا[٣] فأقمه علي ، فدعا نبي الله ﷺ وليها ، فقال : «أحسن إليها ، فإذا وضعت فائتني بها » ففعل ، فأمر بها نبي الله ﷺ ، فشكت عليها ثيابها [٤] ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلىٰ عليها ، فقال له عمر : تصلي عليها ؟ يا نبي الله ! وقد زنت ، فقال : « **لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها [٥] لله تعالى؟**».

هذا وقد استدل بعض أهل العلم علىٰ الرجم بالإجماع المنقول عن العلماء[٦] بأن الزاني الحر المحصن يُرجم ، وكذلك استدلوا بالقرآن المنسوخ لفظًا الباقي حكمًا وهو : «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة**» .

---

(١) (صاحب مكس) معنىٰ المكس الجباية ، وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان الظلمة عند البيع والشراء . كما قال الشاعر :

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

قاله النووي من ترتيب محمد فؤاد .

(٢) مسلم (١٦٩٦) .

(٣) (أصبت حدًّا) أي ارتكبت أمرًا يوجب الحد .

(٤) (فشكت عليها ثيابها) هكذا هو في معظم النسخ: فشكت ،وفي بعضها: فشدت، وهو معني الأول، وفي هذا استحباب جمع أثوابها عليها وشدها ، بحيث لا تنكشف عورتها في تقلبها وتكرار اضطرابها .

(٥) (جادت بنفسها) أي أخرجت روحها ودفعتها لله تعالىٰ .

(٦) نقل الإجماع غير واحدٍ من أهل العلم منهم صديق حسن خان في فتح البيان (٩/ ١٦٥) وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ١١٨): «وقال ابن بطال أجمع الصحابة وأئمة الأمصار علىٰ أن المحصن إذا زنىٰ عامدًا عالمًا مختارًا فعليه الرجم ، ودفع ذلك بعض الخوارج وبعض المعتزلة » .

أما من الذي يُرجم ؛ فهو الزاني الحر البالغ العاقل المحصن الذي أُحصن بزواج صحيح[١] ، وكذلك الزانية الحرة البالغة العاقلة المحصنة بزواج صحيح .

* * *

س : هل مع الرجم جلد؟

ج : ذهب بعض أهل العلم ، ومنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى أن الزاني المحصن ، أو الزانية المحصنة تُجلد ثم ترجم ، تجلد لقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وترجم لحديث «واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » وتُرجم كذلك لحديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ . . وفيه : «الثيب بالثيب جلد مائة والرجم» .

وقد أخرج البخاري [٢] عن علي رضي الله عنه حين رجم المرأة يوم الجمعة وقال : قد رجمتها بسنة رسول الله ﷺ .

بينما ذهب جمهور العلماء [٣] إلى أن الزاني المحصن أو الزانية المحصنة

---

(١) وأيضًا لا يكن الزاني مُكرهًا على الزنا ولا ترجم المرأة كذلك إذا أكرهت على الزنا .

وأكثر العلماء على أن الإحصان لا يقع بالنكاح الفاسد ولا بنكاح الشبهة ، فإن تزوج الرجل امرأة بنكاح شبهة أو نكاحًا فاسدًا ثم زنى بامرأة أخرى لا يُقام عليه حد الرجم بل حدُّه الجلد والتغريب .

وكذلك ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الرجل لا يكن محصنًا بمجرد العقد بل يشترط الوطء .

وانظر ما قاله ابن المنذر وذكره الحافظ في الفتح (١٢/ ١١٧) .

(٢) البخاري (٦٨١٢) .

(٣) انظر فتح الباري (١٢/ ١١٩) .

ترجم فقط ولا تجلد ، وذلك لأن النبي ﷺ قال : « **واغد يا أُنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها** » ولم يذكر الجلد وكذلك رجم الغامدية وماعز بلا جلد .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [١] :

« قال الشافعي : فدلت السنة على أن الجلد ثابت على البكر وساقط عن الثيب ، والدليل على أن قصة ماعز متراخية عن حديث عبادة أن حديث عبادة ناسخ لما شرع أولا من حبس الزاني في البيوت فنسخ الحبس بالجلد وزيد الثيب الرجم ، وذلك صريح في حديث عبادة ، ثم نسخ الجلد في حق الثيب ، وذلك مأخوذ من الاقتصار في قصة ماعز على الرجم وذلك في قصة الغامدية والجهنية واليهوديين لم يذكر الجلد مع الرجم وقال ابن المنذر : عارض بعضهم الشافعي فقال : الجلد ثابت في كتاب الله والرجم ثابت بسنة رسول الله كما قال علي ، وقد ثبت الجمع بينهما في حديث عبادة وعمل به علي ووافقه أبي ، وليس في قصة ماعز ومن ذكر معه تصريح بسقوط الجلد عن المرجوم لاحتمال أن يكون ترك ذكره لوضوحه ولكونه الأصل فلا يرد ما وقع التصريح به بالاحتمال ، وقد احتج الشافعي بنظير هذا حين عورض إيجابه العمرة بأن النبي ﷺ أمر من سأله أن يحج على أبيه ولم يذكر العمرة ، فأجاب الشافعي بأن السكوت عن ذلك لا يدل على سقوطه ، قال : فكذا ينبغي أن يجاب هنا » .

س : هل ترجم الحبلى من الزنا أم ينتظر حتى تضع ؟

ج : لا ترجم الحبلى حتى تضع ما في بطنها ، ومن أهل العلم من قال لا ترجم حتى يُفطم ولدها .

أما كونها لا ترجم حتى تضع ما في بطنها فقدا نعقد الإجماع على ذلك[٢]

---

(١) فتح الباري (١٢/ ١٢٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله « فتح الباري » (١٢/ ١٤٦) : « وقد استقر الإجماع على أنها لا =

وأخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حُبلىٰ من الزنا فقالت : يا نبي الله أصبت حدًا[٢] فأقمه عليَّ فدعا نبيُّ الله ﷺ وليَّها فقال : « **أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها** » ففعل فأمربها نبي الله ﷺ فشكَّت[٣] عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلىٰ عليها .

أما الانتظار بها حتىٰ ترضع صغيرها فلما أخرجه مسلم [٤] من حديث بريدة رضي الله عنه قال . . . . فذكر الحديث وفيه : ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد ، فقالت : يا رسول الله طهرني . . . » فذكر الحديث وفيه : «**إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه** .» الحديث وقد تقدم .

وفي سياق آخر للقصة عند مسلم [٥] أيضًا . . . « **فاذهبي حتى تلدي** » فلما ولدت أتته بالصبي في خرقةٍ ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : « **اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه** » فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسره خبز فقالت : هذا ، يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلىٰ رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلىٰ صدرها وأمر الناس فرجموها .

س - هل يُقام الحد على الكافر إذا زنى ؟

ج : نعم يُقام الحدُّ علىٰ الكافر إذا زنىٰ ، وهذا رأىٰ جمهور أهل

= ترجم حتىٰ تضع ، قال النووي : وكذالو كان حدها الجلد لا تُجلد حتىٰ تضع ، وكذا من وجب عليها قصاص وهي حامل لا يقتص منها حتىٰ تضع بالإجماع في كل ذلك » .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٦٩٦) .

(٢) (أصبت حدًا) أي ارتكبت كبيرة توجب عليَّ إقامة الحد .

(٣) أي شُدَّت عليها ثيابها بحيث لا تنكشف عورتها أثناء حركتها وتقلبها عند الرجم .

(٤)مسلم (حديث ١٦٩٥) .

(٥) مسلم (ص ١٣٢٣) .

العلم[١]، وذلك لما رواه البخاري ومسلم [٢] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتي بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود، فقال : « **ما تجدون في التوراة** [٣] **على من زنى ؟** » قالوا : نسود وجوههما ونحملهما [٤] . ونخالف بين وجوههما ، ويطاف بهما ، قال : «فأتوا بالتوراة ، إن كنتم صادقين » فجاؤا بها فقرءوها ، حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتى ، الذي يقرأ ، يده على آية الرجم ، وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد الله بن سلام ، وهو مع رسول الله ﷺ : مره فليرفع يده . فرفعها فإذا تحتها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ ، فرجما .

قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه .

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور : ٢] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : لا تأخذكم بها رأفة [٥] فتسقطوا الحد عنهما بل أقيموا الحدود على الزناة .

---

(١) نقله عنهم الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٢ / ١٧٠ ط . دار المعرفة) .

(٢) البخاري (حديث٦٨٤١) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) .

(٣) (ما تجدون في التوراة) قال العلماء : هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم .

(٤) (ونحملهما) هكذا هو في أكثر النسخ : نحملهما . وفي بعضها : نجملهما . وفي بعضها: نحممهما. وكله متقارب . فمعنى الأول نحملهما على حمل ، ومعنى الثاني نجملهما جميعا على الجمل، ومعنى الثالث نسود وجوههما بالحمم ، وهو الفحم ، وهذا الثالث ضعيف، لأنه قال قبله: نسود وجوههما . قاله النووي .

(٥) سواءً كانت رأفة طبيعية جبلية أو رأفة لأجل قرابة أو صداقة أو غير ذلك .

واستدل لهذا القول بما أخرجه الطبري وغيره بإسناد صحيح أن ابن عمر رضي الله عنهما حدَّ جارية له فقال للجالد وأشار إلى رجلها وإلى أسفلها قلت: فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها ؟!!

الثاني: أن المراد بقوله: ﴿**وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٢] شدة الجلد أي اجلدوهما جلداً شديداً وأوجعوهما ضرباً.

وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن حماد قال: يُحدُّ القاذف والشارب وعليهما ثيابهما، وأما الزاني فتخلع ثيابه، وتلا هذه الآية ﴿**وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾، فقلت لحماد (القائل هو شعبة فهو راوي الأثر عنه): أهذا في الحكم؟ قال: في الحكم والجلد. وأخرج الطبري أيضا بإسناد صحيح عن الزهري قال: «يجتهد في حد الزاني والفرية ويُخفف في حد الشرب»[1].

قال الطبري رحمه الله:

«وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده في دين الله يعني في طاعة الله التي أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين إقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع شديد وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته وإذا كان ذلك كذلك فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجلد

---

(١) وأخرج الطبري من طريق ابن المثنى قال: ثنا يحيى بن أبي بكر قال: ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» قال: «الجلد الشديد»، وأبو جعفر هو الرازي متكلم فيه.

على ما أمر به وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا ، وللعرب في الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسأمة والسآمة والكأبة والكآبة وكأن الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة .

س : كم هذه الطائفة التي تشهد الحد ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : رجلٌ فما فوقه .

الثاني : لابد من حضور أربعة قياسًا على الشهادة على الزنا .

الثالث : ثلاثة لأن أقل الجمع ثلاثة ، وثم أقوال أخر ، والله أعلم .

س : ما هي العلة من شهود الطائفة للحد ؟

ج : **لأهل العلم قولان في ذلك :**

أحدهما : أن العلة من شهود الطائفة ردع المحدود وتوبيخه حتى يعتبر به غيره .

الثاني : حتى يدعو أهل الإيمان له بالتوبة والمغفرة والرحمة ، والله أعلم .

وذكر بعض أهل العلم وجهًا ثالثًا وهو أن شهود الطائفة المؤمنة الغرض منه إضافة إلى ما ذكر تعلُّم الحدود والشرائع وكيفية إقامة الحد وإصابة الصواب فيه ، والله أعلم .

س - اذكر بعض الأدلة الواردة في ذم الزنا والترهيب منه وعقوبة الزناة في الآخرة ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قول الله تعالى : ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢، ٣] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

وقول النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧٢) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وأخرجه البخاري أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٦٨٠٩) وفي آخره زيادة قال عكرمة : قلت لابن عباس كيف ينزع الإيمان منه ؟ قال : هكذا ، وشبك بين أصابعه ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا ، وشبَّك بين أصابعه .

وننقل هنا قول النووي رحمه الله في « شرح مسلم » لهذا الحديث :

قال النووي رحمه الله : هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا عيش الآخرة ، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره : « من قال لا إله إلا =

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قال قلت له : إن ذلك لعظيم ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك** » قال : قلت : ثم أي ؟ قال : «**ثم أن تزاني حليلة جارك**» (١) .

وأخرج البخاري (٢) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : كان

= الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور : « أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا » إلى آخره ، ثم قال لهم ﷺ : « فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئًا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه » فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان ، إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه ، ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيراً ، وإذا ورد حديثان مختلفان ظاهرا وجب الجمع بينهما ، وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا ، وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه ، وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين ، ويستحق اسم الذم ، فيقال: سارق وزان وفاجر وفاسق، وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه ينزع منه نور الإيمان وفيه حديث مرفوع، وقال المهلب: ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى ، وذهب الزهري إلى أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاءت ولا يخاض في معناه ، وإنا لا نعلم معناها ، وقال : أمروها كما أمرها من قبلكم . وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها غلط فتركتها ، وهذه الأقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتملة ، والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه أولا ، والله أعلم .

(١) البخاري (حديث رقم ٦٨١١) ومسلم (حديث ٨٦) .

(٢) البخاري (حديث ٧٠٤٧) .

رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه : «**هل رأى أحد منكم من رؤيا**»؟ قال : فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة : أنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي : انطلق وإني انطلقت معهما . . . فذكر الحديث ، وفيه : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ، قال : وأحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لغط وأصوات ، قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضوا ، قال : قلت لهما : ما هؤلاء؟ . . . فذكر الحديث وفيه : وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني . . الحديث .

وأخرج أبو داود[1] في سننه بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظُّلة فإذا انقلع رجع إليه الإيمان** » .

وأوردنا في ثنايا هذا الكتاب أن الزاني يُجلدُ ويُغرَّب أو يرجم على التفصيل الذي ذكرناه في ذلك ، وكل هذه أنواع من العقوبات .

س - اذكر سبب نزول قول الله تعالى : ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور : ٣]؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود [2] بإسناد حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد ، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له ، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى

---

(١) أبو داود (حديث ٤٦٩٠) .

(٢) الترمذي (حديث ٣١٧٧) وقال : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » ، وأبو داود (حديث ٢٠٥١) والنسائي (٦/ ٦٦) .

مكة يحمله ، قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة ، قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط ، فلما انتهت إليَّ عرفته فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد، فقالت : مرحبا وأهلا ، هلم فبت عندنا الليلة ، قال : قلت : يا عناق حرم الله الزنا فقالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت ، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا ، فطل بولهم على رأسي وأعماهم الله عني قال : ثم رجعوا ، ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذخر ، ففككت عنه كبله فجلعت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أنكح عناقًا ؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد عليَّ شيئًا حتى نزلت ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣].

فقال رسول الله ﷺ : « **يا مرثد ، الزاني لا ينكح إلازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها** » .

* * *

س - ما المراد بالنكاح في قوله تعالى : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣] ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالنكاح عقد النكاح (أي عقد التزويج) فالمعنى على هذا التأويل : الزاني لا يتزوج إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا يتزوجها إلا زان أو مشرك ، وهذا تأويل ضعيف فلو حملنا الآية على هذا التأويل لأباحت الآية للزانية (وهي مسلمة) أن تتزوج المشرك لقوله :

﴿ وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣] وكذلك سيباح للمؤمن أن يتزوج مشركة ، وهذا قول ضعيف مردود ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

والتأويل الثاني - وهو الصحيح عندي - أن المراد بالنكاح في الآية الكريمة هو الوطء (أي الجماع) فالمعنىٰ أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لا تزني إلا بزانٍ أو مشرك .

أو بتعبير آخر : الزاني لا يطاوعه علىٰ زناه إلا زانية مثله أو مشركة لا ترىٰ حرمة الزنا ، والزانية لا يطاوعها علىٰ الزنا بها إلا زان أو مشرك وهذا قول فريق كبير من أهل العلم منهم ابن عباس رضي الله عنهما فقد صح عنه كما عند الطبري في قول الله عز وجل : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ قال (أي ابن عباس) : لا يزني إلا بزانية أو مشركة .

وهو أيضا قول سعيد بن جبير وعكرمة وابن زيد وغيرهم ، وقد صحت عنهم الأسانيد بذلك عند الطبري وغيره .

فصح عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ أنهما قالا : هو الوطء ، وفي رواية عن سعيد بن جبير : لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ولا تزني مشركة إلا بمثلها .

وصح عن ابن زيد أنه قال : هؤلاء بغايا كن في الجاهلية ، والنكاح في كتاب الله الإصابة ، لا يصيبها إلا زان أو مشرك لا يحرِّم الزنا ولا تصيب هي إلا مثلها .

* **وهذا هو الذي اختاره ابن جريرالطبري رحمه الله تعالى** ، فقال رحمه الله بعد أن ذكر أقوال العلماء والأسانيد إليهم بأقوالهم : « وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بالنكاح في هذا الموضع الوطءوأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة علىٰ أن الزانية من المسلمات حرام علىٰ كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فمعلوم إذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقدعقد نكاح علىٰ عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا زانية أو مشركة وإذا كان ذلك كذلك فبين أن معنىٰ الآية الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله ، وقوله :﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور : ٣] يقول وحرم الزنا علىٰ المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً** ﴾ »[النور ٣] .

واختاره أيضًا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ فقال : «هذا خبرٌ من الله تعالىٰ بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه علىٰ مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترىٰ حرمة ذلك » .

ونحوه قاله السعدي في تفسيره ، فقال:«فأخبر أن الزاني لا يقدم علىٰ نكاحه من النساء إلا أنثىٰ زانية تناسب حاله حالها ، أو مشركة بالله لا تؤمن ببعث ولا جزاء ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك لا ينكحها إلا زان أو مشرك» .

وقال نحو ذلك الشنقيطي في «أضواء البيان» ، فقال : « قد قدمنا مرارًا أن من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في نفس الآية قرينة دالة علىٰ عدم صحة ذلك القول ، ذكرنا هذا في ترجمة الكتاب وذكرنا فيما مضىٰ من الكتاب أمثلة كثيرة لذلك ، ومن أمثلة

ذلك هذه الآية الكريمة وإيضاح ذلك أن العلماء اختلفوا في المراد بالنكاح في هذه الآية فقال جماعة : المراد بالنكاح في هذه الآية : الوطء الذي هو نفس الزني ، وقالت جماعة أخرىٰ من أهل العلم : إن المراد بالنكاح في هذه الآية هو عقد النكاح ، قالوا : فلا يجوز لعفيف أن يتزوج زانية كعكسه ، وهذا القول الذي هو أن المراد بالنكاح في الآية : التزويج لا الوطء في نفس الآية قرينة تدل علىٰ عدم صحته ، وتلك القرينة هي ذكر المشرك والمشركة في الآية ، لأن الزاني المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله تعالىٰ : ﴿**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ**﴾ [البقرة: ٢٢١] وقوله تعالىٰ : ﴿**لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٠] وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ** ﴾ [الممتحنة: ١٠] وكذلك الزانية المسلمة لا يحل لها نكاح المشرك لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا**﴾ [البقرة: ٢٢١]، فنكاح المشركة والمشرك لا يحل بحال ، وذلك قرينة علىٰ أن المراد بالنكاح في الآية التي نحن بصددها الوطء ؛ الذي هو الزنىٰ ؛ لا عقد النكاح ، لعدم ملاءمة عقد النكاح لذكر المشرك والمشركة ، والقول بأن نكاح الزاني للمشركة والزانية للمشرك ، منسوخ ظاهر السقوط ، لأن سورة النور مدنية ؛ ولا دليل علىٰ أن ذلك أحل بالمدينة ، ثم نسخ ، والنسخ لابد له من دليل يجب الرجوع إليه .

س - اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى :﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً . . . ﴾ .؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله تعالىٰ وجوهًا في تفسيرهذه الآية ، نذكر وجهًا واحداً منها ، قال الرازي : « (**أحدها**) **وهو أحسنها** ، ما قاله القفال : وهو أن اللفظ وإن كان عامًّا لكن المراد منه الأعم الأغلب ، وذلك لأن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والفسق لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء ، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله أو في مشركة ، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها

الصلحاء من الرجال وينفرون عنها ، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين ، فهذا على الأعم الأغلب كما يقال لا يفعل الخير إلا الرجل التقي ، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا ههنا .

وأما قوله : ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣] فالجواب من وجهين: (أحدهما) : أن نكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها ، وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه ، لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواضع التهمة، والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة . ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام ، فكيف بمزاوجة الزواني والفجار، (الثاني) : وهو أن صرف الرغبة بالكلية إلى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المؤمنين، لأن قوله : ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً . . .﴾[النور :٣] معناه أن الزاني لايرغب إلا في الزانية فهذا الحصر محرم على المؤمنين، ولايلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية ، فهذا هو المعتمد في تفسير الآية .

* * *

س - هل ذهب أحد من العلماء إلى أن هذه الآية ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً . . .﴾[النور :٣] منسوخة؟ وما مدى صحة هذا القول؟

ج : نعم قد ذهب فريق من العلماء إلى أنها منسوخة ، فقد صح عن سعيد بن المسيب أنه قال: «يرون الآية التي بعدها نسختها ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ . . .﴾[النور : ٣٢]، قال : فهن من أيامى المسلمين» . أخرجه الطبري بإسناد صحيح عنه[١] .

---

(١) وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم ، وسفيان الثوري في تفسيره ، وعزاه الحافظ ابن كثير إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في كتاب « الناسخ والمنسوخ » .

وفي رواية أخرىٰ أيضًا عن سعيد بن المسيب قال: «نسختها قوله: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور: ٣٢]».

وقال ابن كثير : «ونص علىٰ ذلك أيضًا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي .

وذكر القرطبي رحمه الله تعالى عن أبي جعفر النحاس أن هذا عليه أكثر العلماء .

قلت : ولا أرىٰ صحة هذا القول فالنسخ يحتاج إلىٰ إثبات التأريخ .

وأيضًا فليس بين الآيتين تعارضٌ يحملنا علىٰ الاتجاه للنسخ ، فقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٢] أمر ندب وإرشاد للمسلمين بالتيسير علىٰ الأيامىٰ والصالحين والإماء في أمر الزواج ، ولا تعلق للآية بحكم تزوج الزانية بالعفيف ولا العفيف بالزانية ، ثم يرد أيضًا القول بأنها من العام المخصوص .

فليس للقول بالنسخ وجه قويٌ عندي ، والله أعلم .

وقد قال الشنقيطي في « أضواء البيان » : « والقول بأن نكاح الزاني للمشركة والزانية للمشرك منسوخ ظاهر السقوط لأن سورة النور مدنية ، ولا دليل علىٰ أن ذلك أحل بالمدينة ثم نسخ ، والنسخ لابد له من دليل يجب الرجوع إليه .

س - ما مدى صحة حديث (لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله)؟ ومن أخرجه؟ وهل يحتج به على تحريم تزوج الزانية بالعفيف وتحريم تزوج العفيفة بالزاني ؟

ج : الحديث أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقي[1] وفي إسناده حبيب المعلم ، وقد اختلف أهل العلم في حبيب المعلم؛ فمنهم من وثقه ومنهم من توقف فيه وضعفه .

---

(١) أبو داود (حديث٢٠٥٢) والحاكم (٢/ ١٩٣) والبيهقي السنن الكبرىٰ (٧/ ١٥٦) .

أما مدى الاحتجاج بهذا الحديث على التحريم فلا ينتهض الحديث إلى الحكم بالتحريم فهو - في حالة صحته - محمول على الكراهية أي لا ينبغي أن ينكح الزاني المجلود إلا زانية مجلودة مثله وذلك حتى لا يعير من العفيفة إذا تزوج بعفيفة ، وليس الأمر على التحريم إنما هو من باب الكفاءات، فلا يليق بمسلمة مؤمنة تقية ورعة أن تتزوج بفاسق خمار سكير عربيد ، والعكس صحيح أيضًا ، وأما قولنا إنه على الكراهية لأن الله سبحانه لما ذكر المحرمات عقبها بقوله: ﴿ **وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ** .... ﴾ [النساء: ٢٤] .

* * *

بعض مثالب الزواج بالزانية

س - اذكر بعض مثالب الزواج بالزانية ؟

ج : من مثالب الزواج بالزانية القائمة على زناها ما يلي :

أولاً : ارتكاب المحرم بالتزويج بها لقوله تعالى : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣].

ثانيًا : إلحاق من ليسوا بأولادك بك ، فهي تزني وتحمل من رجالٍ آخرين وينسب الأولاد إليك فيكبروا ويرثوا منك وليسوا لك بورثة ، ويطلعوا على محارمك وليسوا لك بمحارم .

ثالثًا : زهد الزانية في زوجها فهي امرأة فاجرة مجربةٌ للرجال في كل وقت وحين إذا أغضبها زوجها خرجت وزنت بغيره واستعلت عليه ونشزت ، بل وسلطت عليه الأشرار والفجار من عشَّاقها .

رابعًا:الزانية تجر زوجها إلى فعل المحرم، فلزهدها فيه ولهجرانها لفراشه يتجه هو الآخر لانفاذ شهوته في امرأةٍ غيرها في الحرام وكذلك الرجل الزاني لا يعف زوجته العفيفة لاستغنائه عنها بغيرها فقد تفكر هي الأخرى في الرجال .

خامسًا : الزانية تجر إلى بيت زوجها صديقات السوء من أمثالها مما يوقع الزوج هو الآخر بالزنى معهن ، والزانية تحرص على ذلك حتى لا يعيرها زوجها بالزنا ، فإذا زنا زوجها عيرته كما يعيرها ، وقد قال الله تعالى في شأن الكفار : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾ [النساء: ٨٩] وقال سبحانه : ﴿ **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٧] .

سادسًا : الزانية تُفقد زوجها الغيرة شيئًا فشيئًا وتوقع زوجها في الدّياثة والجنة لا يدخلها ديوث .

سابعًا : الزانية تعلم أولادها وبناتها الزنا وتسهله عليهم وتقربه إليهم فتخرج ذرية فاسدة تربت في بيت فسقٍ ودعارة فتتفتت الأسرة وينزل عذاب الله عز وجل على العصاه .

ثامنًا : الزانية تعلم زوجها الزنا بما تقصه عليه من أخبار النساء وأخبار الرجال ، والنفس أمارة بالسوء ، والمرء على دين خليله .

تاسعًا : انتشار الأوبئة والأمراض في البيت ، وهذه عقوبة عاجلة من الله سبحانه وتعالى في الدنيا ، ومن أخطر أمراض العصر الحديث : «مرض الأيدز، ومن أعظم أسبابه : الزنا والعياذ بالله .

عاشرًا : العذاب الأخروي الذي تجلبه الزانية لزوجها ، فالرجل مسئول عن رعيته أمام الله سبحانه وتعالى كما قال عليه الصلاة والسلام : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** »[1] ، وكما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦] ، وقد قال الله جل ذكره : ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] وهي ، وإن لم تكن كافرة -

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٤) ، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

فهي **مرتكبة للكبائر** والجرائم ومقترفة للفواحش ، والأزواج في الآية الكريمة المراد **بهم الأمثال** والأشباه في المعتقد والعمل .

حادي عشر : إسقاط هيبة الزوج أمام الناس ، فالمسلمون إذا علموا من حال رجل الدياثة أسقطوه من أنظارهم وتركوا مصاهرته ومجالسته ، فلا يجالسه ولا يصاهره إلا الفساق من أمثاله .

ثاني عشر : تعيير الزوج وتُعيِّر أسرته وعشيرته وأقاربه بالزواج من الزانية .

س - إلى ماذا يرجع الضمير فى قوله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٣] ؟

ج : من العلماء من قال: إنه يرجع إلى الزنا، أي: وحرَّم الزنا على المؤمنين ومنهم من قال يرجع إلى زواج البغايا ، أي وحرِّم نكاح البغايا على المؤمنين .

س - إذا حملتم النكاح في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ... ﴾ على الوطء فيرد عليكم إشكال فحواه أن السبب الصحيح لنزول الآية الكريمة - كما قدمتموه - إنما هو في رجل استأذن في الزواج بامرأة مشركة بغي فنزلت الآية بمنعه من الزواج ، فكيف يتم دفع هذا الإشكال ؟

ج : دفع هذا ، والله أعلم ، بأن يقال : إننا حملنا (النكاح) في الآية ابتداءً على الوطء على ما قدمناه واخترناه ، وبعد أن حملناه على الوطء لا يمنع أن يدخل فيه معنى آخر بدليل آخر فأضيف إلى الوطء الممنوع الزواج بامرأة بغي (زانية) مقيمة على زناها ومستمرة فيه .

فحينئذ نكون قد حملنا النكاح على معنيين : أحدهما الوطء ، والثاني : الزواج ، (لكن هنا زواج المقيمة على زناها المستمرة فيه) .

* واعلم أن هذا الإشكال قد أورده الشنقيطي رحمه الله على نفسه فقال: «هذه الآية الكريمة من أصعب الآيات تحقيقًا ، لأن حمل النكاح فيها على التزويج، لا يلائم ذكر المشركة والمشرك ، وحمل النكاح فيها على الوطء لا يلائم الأحاديث الواردة المتعلقة بالآية ، فإنها تعين أن المراد بالنكاح في الآية : التزويج ، ولا أعلم مخرجًا واضحًا من الإشكال في هذه الآية إلا مع بعض تعسف ، وهو أن أصح الأقوال عند الأصوليين كما حرره أبو العباس بن تيمية رحمه الله في رسالته في علوم القرآن ، وعزاه لأجلاء علماء المذاهب الأربعة هو: جواز حمل المشرك على معنييه ،أو معانيه ، فيجوز أن تقول : عدا اللصوص البارحة على عين زيد ، وتعني بذلك أنهم عوروا عينه الباهرة وغوروا عينه الجارية ، وسرقوا عينه التي هي ذهبه أو فضته .

وإذا علمت ذلك فأعلم أن النكاح مشترك بين الوطء والتزويج ، خلافًا لمن زعم أنه حقيقة في أحدها ، مجاز في الآخر كما أشرنا له سابقًا ، وإذ جاز حمل المشرك على معنييه ،فيحمل النكاح في الآية على الوطء ، وعلى التزويج معًا ، ويكون ذكر المشركة والمشرك على تفسير النكاح بالوطء دون العقد ، وهذا هو نوع التعسف الذي أشرنا له ، والعلم عند الله تعالى .

وأكثر أهل العلم على إباحة تزويج الزانية والمانعون لذلك أقل وقد عرفت أدلة الجميع .

قلت : وما قدمته يوافق كلام الشنقيطي رحمه الله لكن بصورة مختصرة ، ولكني أحببت أن أضيف هنا شيئًا ، وهو أن وجه القائلين بالنسخ تألق هاهنا في هذا المقام ، فقولهم وإن لم يكن له وجه قوي عندي لكن وصفه بالسقوط (كما قدمنا عن الشنقيطي) فيه نوع من البعد عن الصواب، وخاصة أنه (أعني القول بالنسخ) قول كثير من أهل العلم وفضلائهم كسعيد بن المسيب رحمه الله والإمام الشافعي رحمه الله .

س - هل يحرم على العفيف أن يتزوج امرأة زانية ، وهل يحرم على العفيفة أن تتزوج برجل زان ؟

ج : إذا كانت الزانية قد تابت من زناها فيجوز للعفيف أن يتزوجها وكذلك إذا تاب الزاني من زناه جاز للعفيفة أن تتزوجه فالتوبة تجب ما قبلها [١] .

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله في « أضواء البيان » (٦/ ٨٣، ٨٤) :

الفرع الثالث : اعلم أن أظهر قولي أهل العلم عندي أن الزانية والزاني إن تابا من الزنا وندما على ما كان منهما ونويا أن لا يعودا إلى الذنب ، فإن نكاحهما جائز ، فيجوز له أن ينكحها بعد توبتهما ، ويجوز نكاح غيرهما لهما بعد التوبة ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ويدل لهذا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] فقد صرح جل وعلا في هذه الآية أن الذين يزنون ومن ذكر معهم إن تابوا وآمنوا ، وعملوا عملاً صالحًا يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وهو يدل على أن التوبة من الزنا تذهب أثره ، فالذين قالوا: إن من زنا بامرأة لا تحل له مطلقًا ، ولو تابا وأصلحا فقولهم خلاف التحقيق ، وقد وردت آثار عن الصحابة بجواز تزويجه بمن زنى بها إن تابا ، وضرب له بعض الصحابة مثلاً برجل سرق شيئًا من بستان رجل آخر ، ثم بعد ذلك اشترى البستان ، فالذي سرقه منه حرام عليه ، والذي اشتراه منه حلال له ، فكذلك ما نال من المرأة حرامًا فهو حرام عليه ، وما نال منها بعد التوبة والتزويج حلال له ، والعلم عند الله تعالى .

واعلم أن قول من رد الاستدلال بآية ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان : ٦٨] الآية ، قائلاً : إنها نزلت في الكفار لا في المسلمين يرد قوله : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما أوضحنا أدلته من السنة الصحيحة مرارًا . والعلم عند الله تعالى .

الفرع الرابع : اعلم أن الذين قالوا بجواز نكاح العفيف الزانية ، لا يلزم من قولهم أن يكون زوج الزانية العفيف ديوثًا ، لأنه إنما يتزوجها ليحفظها ، ويحرسها ويمنعها من ارتكاب ما لا ينبغي منعًا باتًا بأن يراقبها دائمًا ، وإذا خرج ترك الأبواب مقفلة دونها ، وأوصى بها من يحرسها بعده فهو =

ولكن هذا مع الكراهة ، فالأفضل والأكمل والمستحب أن يتزوج العفيف بعفيفه ، والعفيفة بعفيف ،وقدمنا حديث لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله .

فيستحب للمرأة التقية الورعة أن تتزوج برجل تقيٍ ورع وكذلك فالتقي الورع يستحب له أن يتزوج بتقية ورعة مثله .

أما إذا كانت المرأة الزانية قائمة على زناها ولم تتب منه فلا يجوز للرجل أن يتزوجها لما في ذلك من الشر والفساد وإلحاق غير أولاده به ، ولأنه أحد الأوجه في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

وكذلك فالتقية الورعة لا تتزوج بزانٍ قائمٌ علىٰ زناه ومستمرٌ فيه ، والله أعلم .

ولأهميه هذه المسألة نورد ما قاله الشنقيطي رحمه الله فقد أورد بحثًا موسعًا في هذا فقال رحمه الله : «اعلم أن العلماء اختلفوا في جواز نكاح العفيف الزانية ؛ ونكاح العفيفة الزاني ، فذهب جماعة من أهل العلم منهم الأئمة الثلاثة إلىٰ جواز نكاح الزانية مع الكراهية التنزيهية عند مالك وأصحابه ؛ ومن وافقهم ؛ واحتج أهل هذا القول بأدلة :

منها : عموم قوله تعالىٰ : ﴿ **وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ** ﴾ [النساء : ٢٤] وهو شامل بعمومه الزانية والعفيفة ، وعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ** ﴾ الآية [النور : ٣٢] ؛ وهو شامل بعمومه الزانية أيضًا والعفيفة .

= يستمتع بها ، مع شدة الغيرة ، والمحافظة عليها من الريبه ، وإن جرىٰ منها شيء لاعلم له به مع اجتهاده في صيانتها وحفظها فلا شيء عليه فيه ، ولا يكون به ديوثًا كما هو معلوم ، وقد علمت مما مر أن أكثر أهل العلم علىٰ جواز نكاح العفيف الزانية كعكسه ، وأن جماعة قالوا بالمنع .

والأظهر لنا في هذه المسألة أن المسلم لا ينبغي له أن يتزوج إلا عفيفة صينة ، للآيات التي ذكرنا والأحاديث ، ويؤيده حديث « فاظفر بذات الدين تربت يداك » والعلم عند الله تعالىٰ» .

ومن أدلتهم على ذلك : حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي لا ترد يد لامس : قال : « غربها » ، قال: أخاف أن تتبعها نفسي ؟ قال : « **فاستمتع بها** » ، قال ابن حجر في بلوغ المرام في هذا الحديث بعد أن ساقه باللفظ الذي ذكرناه : « رواه أبو داود ، والترمذي ، والبزار ورجاله ثقات ، وأخرجه النسائي من وجه آخر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ قال : « **طلقها ، قال : لا أصبر عنها قال : فامكسها**» اهـ من بلوغ المرام ، وفيه تصريح ابن حجر بأن رجاله ثقات ، وبه تعلم أن ذكر ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فيه نظر ؛ وقد ذكره في الموضوعات مرسلاً عن أبي الزبير قال : « أتى رجل النبي ﷺ فقال : إن امرأتي » الحديث ؛ ورواه أيضًا مرسلاً عن عبيد بن عمير ، وحسان بن عطية كلاهما عن رسول الله ﷺ ثم قال: وقد حمله أبو بكر الخلال على الفجور ؛ ولا يجوز هذا ؛ وإنما يحمل على تفريطها في المال لو صح الحديث .

قال أحمد بن حنبل : هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، ليس له أصل» . انتهى من موضوعات ابن الجوزي ، وكثرة اختلاف العلماء في تصحيح الحديث المذكور وتضعيفه معروفة .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار : «ولا ريب أن العرب تكنى بمثل هذه العبارة ، عن عدم العفة عن الزنى ، يعني بالعبارة المذكورة قول الرجل : إن امرأتي لا ترد يد لامس» . اهـ .

وما قاله الشوكاني وغيره هو الظاهر لأن لفظ : لا ترد يد لامس » ، أظهر في عدم الامتناع ممن أراد منها ما لا يحل كما لا يخفى فحمله على تفريطها في المال غير ظاهر ، لأن إطلاق لفظ اللامس على أخذ المال، ليس بظاهر كما ترى .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الحديث المذكور في المرأة التي ظهر عدم **عفتها** ، وهي تحت زوج ، وكلامنا الآن في ابتداء النكاح لا في الدوام عليه وبين **المسألتين فرق** كما سترىٰ إيضاحه إن شاء الله تعالىٰ .

ثم اعلم أن الذين قالوا بجواز تزويج الزانية والزاني أجابوا عن الاستدلال بالآية التي نحن بصددها ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً** ﴾ [النور : ٣] الآية من وجهين :

الأول : أن المراد بالنكاح في الآية هو الوطء الذي هو الزنىٰ بعينه ، قالوا : والمراد بالآية تقبيح الزنىٰ وشدة التنفير منه ، لأن الزاني لا يطاوعه في زناه من النساء إلا التي هي في غاية الخسة لكونها مشركة لا ترىٰ حرمة الزنىٰ أو زانية فاجرة خبيثة .

وعلىٰ هذا القول فالإشارة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ٣] راجعة إلىٰ الوطء الذي هو الزنىٰ ،أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منه كعكسه ، وعلىٰ هذا القول فلا إشكال في ذكر المشركة والمشرك .

الوجه الثاني : هو قولهم : إن المراد بالنكاح في الآية التزويج ، إلا أن هذه الآية التي هي قوله تعالىٰ : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً** ﴾ [النور : ٣] الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ** ﴾الآية [النور : ٣٢] ، وممن ذهب إلىٰ نسخها بها : سعيد بن المسيب ، والشافعي .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه : هذا خبر من الله تعالىٰ بأن الزاني ، لا يطأ إلا زانية ، أو مشركة : أي لا يطاوعه علىٰ مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترىٰ حرمة ذلك ، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زان : أي عاص بزناه ، أو مشرك لا يعتقد تحريمه .

قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس رضي الله عنهما ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً** ﴾ [النور : ٣] قال : ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزنىٰ بها ، إلا زان أو مشرك ، وهذا إسناد صحيح عنه ، وقد روي عنه من غير وجه أيضًا ، وقد روي عن مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير ، وعروه بن الزبير ، والضحاك ، ومكحول ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد نحو ذلك . » انتهىٰ محل الغرض منه بلفظه .

فتراه صدر بأن المراد بالنكاح في الآية : الجماع ، لا التزويج ، وذكر صحته عن ابن عباس الذي دعا له النبي ﷺ الله أن يعلمه تأويل القرآن ، وعزاه لمن ذكر معه من أجلاء المفسرين ، وابن عباس رضي الله عنهما من أعلم الصحابة بتفسير القرآن العظيم ، ولا شك في علمه باللغة العربية .

فقوله في هذه الآية الكريمة بأن النكاح فيها هو الجماع لا العقد يدل علىٰ أن ذلك جار علىٰ الأسلوب العربي الفصيح ، فدعوىٰ أن هذا التفسير لا يصح في العربية ، وأنه قبيح ، يرده قول البحر ابن عباس كما ترىٰ .

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : « وقد روىٰ عن ابن عباس ، وأصحابه أن النكاح في هذه الآية : الوطء .

واعلم أن إنكار الزجاج لهذا القول في هذه الآية ، أعني القول بأن النكاح فيها الجماع ، وقوله : إن النكاح لا يعرف في القرآن ، إلا بمعنىٰ التزويج مردود من وجهين :

الأول : أن القرآن جاء فيه النكاح بمعنىٰ الوطء ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾ [البقرة : ٢٣٠] وقد صح عن النبي ﷺ أنه فسر قوله : ﴿ **حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾ ، بأن معنىٰ نكاحها له مجامعته لها حيث قال: « لا حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك » ومراده بذوق العسيلة : الجماع، كما هو معلوم .

الوجه الثاني : أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، يطلقون النكاح علىٰ الوطء ، والتحقيق : أن النكاح في لغتهم الوطء ، قال الجوهري في صحاحه :

النكاح الوطء ، وقد يكون العقد اهـ . وإنما سموا عقد التزويج نكاحًا ، لأنه سبب النكاح أي الوطء ، وإطلاق المسبب ، وإرادة سببه معروف في القرآن ، وفي كلام العرب ، وهو مما يسميه القائلون بالمجاز ، المجاز المرسل كما هو معلوم عندهم في محله ، ومن إطلاق العرب النكاح على الوطء قول الفرزدق :

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق

لأن الإنكاح في البيت ليس المراد به : عقد التزويج ، إذ لا يعقد على المسبيات ، وإنما المراد به الوطء بملك اليمين والسبي مع الكفر ، ومنه قوله أيضًا :

وبنت كريم قد نكحنا ولم يكن لها خاطب إلا السنان وعامله

فالمراد بالنكاح في هذا البيت هوالوطء بملك اليمين ، لا العقد كما صرح بذلك بقوله : ولم يكن لها خاطب إلا السنان وعامله .

وقوله :

إذا سقى الله قومًا صوب غادية فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم والناكحين شطى دجلة البقرا

ومعلوم أن نكاح البقر ليس معناه التزويج .

قالوا : ومما يدل على أن النكاح في الآية غير التزويج ، أنه لو كان معنى النكاح فيها التزويج لوجب حد المتزوج بزانية ، لأنه زان ، والزاني يجب حده ، وقد أجمع العلماء على أن من تزوج زانية لا يحد حد الزنى ، ولو كان زانيًا لحد حد الزنى فافهم ، هذا هو حاصل حجج من قالوا إن النكاح في الآية الوطء ، وأن تزويج العفيف الزانية ليس بحرام كعكسه .

وقالت جماعة أخرى من أهل العلم : لا يجوز تزويج الزاني لعفيفة ولا عكسه ، وهو مذهب الإمام أحمد ، وقد روى عن الحسن وقتادة ، واستدل أهل هذا القول بآيات وأحاديث .

فمن الآيات التي استدلوا بها هذه الآية التي نحن بصددها ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٣] قالوا : المراد بالنكاح في هذه الآية : التزويج ، وقد نص الله علىٰ تحريمه في قوله : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، قالوا : والإشارة بقوله . (ذلك) راجعة إلىٰ تزويج الزاني بغير الزانية أو المشركة وهو نص قرآني في تحريم نكاح الزاني العفيفة كعكسه .

ومن الآيات التي استدلوا بها قوله تعالىٰ : ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** ﴾ [المائدة: ٥] قالوا : فقوله : ﴿ **مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ** ﴾ أي أعفاء غير زناة ، ويفهم من مفهوم مخالفة الآية : أنه لا يجوز نكاح المسافح الذي هو الزاني لمحصنة مؤمنة ، ولا محصنة عفيفة من أهل الكتاب ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ [النساء: ٢٥] فقوله : ﴿ **مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ** ﴾ أي عفائف غير زانيات ، ويفهم من مفهوم مخالفة الآية ، أنهن لو كن مسافحات غير محصنات لما جاز تزوجهن .

ومن أدلة أهل هذا القول أن جميع الأحاديث الواردة في سبب نزول آية ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً** ﴾ الآية [النور : ٣] ، كلها في عقد النكاح وليس واحد منها في الوطء ، والمقرر في الأصول أن صورة سبب النزول قطعية الدخول ، وأنه قد جاء في السنة ما يؤيد صحة ما قالوا في الآية ، من أن النكاح فيها التزويج ، وأن الزاني لا يتزوج إلا زانية مثله ، فقد روىٰ أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله** » وقال ابن حجر في بلوغ المرام في حديث أبي هريرة هذا : «رواه أحمد، وأبو داود ورجاله ثقات» .

وأما الأحاديث الواردة في سبب نزول الآية :

فمنها : ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول ، كانت تسافح ، وتشترط أن تنفق عليه قال : فاستأذن النبي ﷺ أو ذكر له أمرها فقرأ عليه نبي الله : ﴿ وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣] رواه أحمد .

وقال الشوكاني في « نيل الأوطار » في شرحه لهذا الحديث : وقد عزاه صاحب المنتقىٰ لأحمد وحده، وحديث عبد الله بن عمرو أخرجه أيضًا الطبراني في الكبير والأوسط . قال في مجمع الزوائد : «ورجال أحمد ثقات» .

ومنها حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارىٰ بمكة ، وكانت بمكة بغي يقال لها عناق ، وكانت صديقته ، قال : فجئت النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله أنكح عناقًا قال : فسكت عني فنزلت : ﴿ وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور : ٣] فدعاني فقرأها عليّ، وقال: «لا تنكحها» . رواه أبو داود، والنسائي والترمذي .

قال الشوكاني في « نيل الأوطار» في كلامه علىٰ حديث عمرو بن شعيب هذا الذي ذكره صاحب المنتقىٰ ، وعزاه لأبي داود والنسائي والترمذي وحديث عمرو بن شعيب حسنه الترمذي وساق ابن كثير في تفسير هذه الآية الأحاديث التي ذكرنا بأسانيدها ، وقال في حديث عمرو بن شعيب هذا : قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود ، والنسائي في كتاب النكاح من سننهما من حديث عبيد الله بن الأخنس به .

قالوا : فهذه الأحاديث وأمثالها تدل علىٰ أن النكاح في قوله : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور: ٣] أنه التزويج لا الوطء ، وصورة النزول قطعية الدخول ، كما تقرر في الأصول قالوا : وعلىٰ أن المراد به التزويج ، فتحريم نكاح الزانية والزاني منصوص في قوله تعالىٰ : ﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣] .

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ، ما نصه : « وأما نكاح الزانية فقد صرح الله سبحانه وتعالىٰ بتحريمه في سورة النور ، وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك ، فإنه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ، ويعتقد وجوبه عليه أو لا ، فإن لم يلتزمه ، ولم يعتقده فهو مشرك ، وإن التزمه واعتقد وجوبه ، وخالفه فهو زان ، ثم صرح بتحريمه ، فقال : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ٣] ولا يخفىٰ أن دعوىٰ النسخ للآية بقوله : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [النور: ٣٢] من أضعف ما يقال ، وأضف منه حمل النكاح علىٰ الزنىٰ .

إذ يصير معنىٰ الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، وكلام الله ينبغي أن يصان عن مثل هذا ، وكذلك حمل الآية علىٰ امرأة بغي مشركة في غاية البعد عن لفظها ، وسياقها كيف ، وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان ، وهو العفة فقال : ﴿ **فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ [النساء: ٢٥] فإنما أباح نكاحها في هذه الحالة دون غيرها ، وليس هذا من دلالة المفهوم ، فإن الأبضاع في الأصل علىٰ التحريم ، فيقتصر في إباحتها علىٰ ما ورد به الشرع ، وما عداه فعلىٰ أصل التحريم » . انتهىٰ محل الغرض من كلام ابن القيم .

وهذه الأدلة التي ذكرنا هي حجج القائلين : بمنع تزويج الزاني العفيفة كعكسه ، وإذا عرفت أقوال أهل العلم ، وأدلتهم في مسألة نكاح الزانية والزاني فهذه مناقشة أدلتهم .

أما قول ابن القيم رحمه الله : « إن حمل الزنا في الآية علىٰ الوطء ينبغي أن يصان عن مثله كتاب الله » ، فيرده أن ابن عباس وهو هو في المعرفة باللغة العربية وبمعاني القرآن صح عنه حمل الزنىٰ في الآية علىٰ الوطء ولو كان ذلك

ينبغي أن يصان عن مثله كتاب الله لصانه عنه ابن عباس ، ولم يقل به ولم يخف عليه أنه ينبغي أن يصان عن مثله .

وقال ابن العربي في تفسير ابن عباس للزنىٰ في الآية بالوطء هو معنىٰ صحيح . انتهىٰ منه بواسطة نقل القرطبي عنه .

وقول ابن القيم في كلامه هذا الذي ذكرنا عنه: « فإن لم يلتزمه ، ولم يعتقده فهو مشرك » يقال فيه : نعم هو مشرك ، ولكن المشرك لا يجوز له نكاح الزانية المسلمة ، وظاهر كلامك جواز ذلك، وهو ليس بجائز فيبقىٰ إشكال ذكر المشرك والمشركة وارداً علىٰ القول بأن النكاح في الآية التزويج كما ترىٰ .

وقول ابن القيم رحمه الله في كلامه هذا : «وليس هذا من باب دلالة المفهوم فإن الأبضاع في الأصل علىٰ التحريم فيقتصر في إباحتها علىٰ ما ورد به الشرع وما عداه فعلىٰ أصل التحريم » يقال فيه : إن تزويج الزانية وردت نصوص عامة تقتضي جوازه كقوله تعالىٰ : ﴿ **وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٤] وهو شامل بعمومه للزانية والعفيفة والزاني والعفيف ، وقوله : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [النور : ٣٢] فهو أيضًا شامل بعمومه لجميع من ذكر ، ولذا قال سعيد بن المسيب : إن آية ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ** ﴾ [النور : ٣٢] الآية ناسخة لقوله تعالىٰ : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً** ﴾ [النور : ٣] الآية وقال الشافعي : القول في ذلك كما قال سعيد من نسخها بها .

وبما ذكرنا يتضح أن دلالة قوله : ﴿ **مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ** ﴾ [النساء: ٢٥] علىٰ المقصود من البحث من باب دلالة المفهوم كما أوضحناه قريبًا ، لأن العمومات المذكورة لا يصح تخصيص عمومها إلا بدليل : منطوقًا كان أو مفهومًا كما تقدم إيضاحه .

وأما قول سعيد بن المسيب والشافعي، بأن آية : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً**

أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] منسوخة بقوله : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] فهو مستبعد ، لأن المقرر في أصول الشافعي ومالك وأحمد هو أنه لا يصح نسخ الخاص بالعام ، وأن الخاص يقضي على العام مطلقًا ، سواء تقدم نزوله عنه أو تأخر ، ومعلوم أن آية ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ الآية [النور : ٣٢] أعم مطلقًا من آية ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً ﴾ الآية [النور :٣]، فالقول بنسخها لها ممنوع على المقرر في أصول الأئمة الثلاثة المذكورين، وإنما يجوز ذلك على المقرر في أصول أبي حنيفة رحمه الله، كما قدمنا إيضاحه في سورة الأنعام، وقد يجاب عن قول سعيد، والشافعي بالنسخ بأنهما فهماه من قرينة في الآية، وهي أنه لم يقيد الأيامى الأحرار بالصلاح، وإنما قيد بالصلاح في أيامى العبيد والإماء، لذا قال بعد الآية : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢] .

* * *

س - هل يجوز نكاح الحامل من الزنا قبل وضع حملها ؟

ج : لا يجوز نكاح الحامل من الزنا حتى تضع حملها لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤] ، ولما في ذلك من اختلاط الأنساب .

لكن تزوجها بمن زنى بها وحملت منه له وجهٌ ، وذلك لما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، والبيهقي في السنن الكبرى[1] بإسناد صحيح عن عبيد الله

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٤٨) ، والبيهقي «السنن الكبرى» (٧/ ١٥٥) واللفظ لابن أبي شيبة، ووقع عنده عبد الله بدلاً من عبيد الله ، وهو خطأ والصواب عبيد الله كما عند البيهقي ، وعبيد الله بن أبي يزيد ثقة ، وأبوه قال عنه الحافظ في التقريب : أبو يزيد المكي حليف بني زهره يُقال له صحبة ، وهو والد عبيد الله ، ووثقه ابن حبان ، من الثانية .

بن أبي يزيد عن أبيه أن سباع بن ثابت تزوَّج ابنة رباح بن وهب ، وله ابن من غيرها ، ولها ابنة من غيره ، ففجر الغلام بالجارية فظهر بالجارية حمل فرفعا إلى عمر بن الخطاب فاعترفا فجلدها وحرَّص أن يجمع بينهما فأبى الغلام . والله تعالى أعلم .

س - لماذا قدمت الزانية على الزاني في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] **وقدَّم الزاني على الزانية في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾** [النور : ٣] ؟

ج : قال عددٌ من أهل العلم : قدمت الزانية في الآية الأولى لأنها مادة الزنا وهي الداعية إليه وهي التي تمكن الرجل من نفسها وتومض إليه بعينيها وتخضع له بقولها وتتكسر له في مشيتها .

أما تقديم (الزاني) في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] لأن الرجل أصل في النكاح لأنه الخاطب ومنه الطلب [١] .

* * *

(١) وهذا في حالة حمل النكاح على العقد ، وقد بينا ما في ذلك ، والله أعلم .

حد القذف

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

يرمون - المحصنات ؟

ج :

الكلمة	معناها
يرمون	يسبون بالفاحشة - يشتمون بالزنا [1] (يقذفون بالفاحشة) أي يقولون : إن فلانة زنت .
المحصنات	العفيفات [1]

* * *

(١) وسيأتي لذلك مزيد .

س - ما هي شرائط الإحصان ؟

ج : من العلماء من جعل شرائط الإحصان خمسة وهي : الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا [١] .

ومنهم من جعلها أربعة فقال : هي العقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا (أي لم يعتبر الإسلام شرطًا من شروط الإحصان) .

وفي الحقيقة أن الإحصان يطلق على المنع ، ولهذا سُمي الحصن حصنًا لكونه يمنع من دخل فيه من عدوه .

فالإحصان - في بابنا هذا - هو ما يمنع المرأة من الزنا ، والأشياء المذكورة تمنع المرأة في الغالب من الزنا ، فإسلامها ودينها يمنعها من الزنا ، وعقلها يمنعها من الزنا ، وبلوغها يمنعها من الزنا ، وكونها حرَّه كذلك ، فحريتها تمنعها من الزنا ، وعفتها تمنعها من الزنا .

ولكن ما المراد بالمحصنات في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ** ﴾ [النور : ٤٤] ؟ فمن العلماء من اشترط توافر الخمسة أشياء المذكورة في المقذوفة حتى تكون محصنة ، ومن ثم يجب الحدُّ على قاذفها فقال : يجب أن تكون مسلمة بالغة عاقلة حرَّه عفيفة ، فإذا تخلف شرط من هذه الشروط لا يجلد قاذفها ، والجمهور على هذا .

ومنهم من تجاوز عن بعض هذه الشروط .

فذهب ابن حزم [٢] إلى أن تخلف هذه (الشروط باستثناء العفة) لا يؤثر في إيجاب الحد على القاذف، فذهب إلى أن قاذف الكتابية وقاذف المجنونة

---

(١) انظر « تفسير الرازي » (٢٣/ ١٥٦) ، « وزاد المسير » (٥/ ٣٤٣) .

(٢) انظر « المحلى » (١١/ ٢٧١) .

وقاذف الصغيرة وقاذف الأمة ، كل هؤلاء يجب عليهم الحد إذا كان المقذوف عفيفًا .

س - ما هي الشروط الواجب توافرها في القاذف حتى يُحد؟ وكذلك الشروط في المقذوف؟ وما هو الشيء المقذوف به الذى به يُحدُّ قائله ؟

ج : ذكر القرطبي - نقلاً عن العلماء - شروطًا في القاذف، وشروطًا في المقذوف به، وشروطًا في المقذوف ، واذكر ما قاله بتصرفٍ يسير .

قال : شرطان في القاذف وهما : العقل والبلوغ .

وشرطان في المقذوف به وهو: أن يقذف بوطء يلزمه فيه الحد ؛ وهو الزني واللواط أو بنفيه من أبيه .

قلت : كأن يقال : فلان زنى أو فلانة زنت أو فلان فعل - أو فُعِل به - فعل قوم لوط مع فلان أو فلانة (ويسمى الأشخاص) أو يقول الشخص : فلانٌ ليس بابن لفلان يعني أنه ولد زنا .

وخمسة شروط في المقذوف وهي : العقل والبلوغ والإسلام والحرية والعفة عن الفاحشة .

قلت : وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك قريبًا .

* * *

س - في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور : ٤] مقدر محذوف، ما هو ؟

ج : المحذوف هو (الزنا) فالمعنى والذين يرمون المحصنات بالزنا، واكتفى بذكره في الآية المتقدمة ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ...﴾ [النور : ٢] عن إعادته قال الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) : وقد أجمع العلماء على أن المراد الرمي بالزنا وفي الآية أقوالٌ تدل عليه :

(أحدها) : تقدم ذكر الزنا .

(**وثانيها**) أنه تعالىٰ ذكر المحصنات وهن العفائف ، فدل ذلك علىٰ أن المراد بالرمي رميهن بضد العفاف .

(**وثالثها**) قوله : (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يعني علىٰ صحة ما رموهن به ، ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط إلا في الزنا .

(**ورابعها**) انعقاد الإجماع علىٰ أنه لايجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هوالرمي بالزنا » .

* * *

س - إذا قُذِفَ الرجل هل يُحدُّ قاذفه ؟

ج : نعم يُحدُّ قاذفه إذا لم يأت بالشهداء شأنه في ذلك شأن المحصنة من النساء .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1] : « وقد انعقد الإجماع علىٰ أن حكم قذف المحصن من الرجال حكم قذف المحصن من النساء » .

ونقل الإجماع علىٰ ذلك أيضًا القرطبي في تفسيره والحافظ ابن كثير رحمهما الله تعالىٰ وغيرهم .

قال الشنقيطي في أضواء البيان : « وقد أجمع جميع المسلمين علىٰ أن قذف الذكور للذكور ، أو الإناث للإناث ، أوالإناث للذكور لا فرق بينه وبين ما نصت عليه الآية من قذف الذكور للإناث للجزم بنفي الفارق بين الجميع » .

س - لماذا خصت المحصنات بالذّكر مع أن حكم الرجال هو حكم النساء في ذلك ؟

ج : خصت النساء بالذكر في قوله تعالىٰ : ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**﴾ [النور : ٤] لأن قذفهن أشنع والعار فيهن أعظم .

---

(١) فتح الباري (١٢/ ١٨١) .

وهناك قولٌ آخر في الآية الكريمة ، وهو أن الآية تعم الرجال والنساء والتقدير فيها (والذين يرمون الأنفس المحصنات) ويؤيد هذا قوله تعالىٰ في آية أخرىٰ : ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ** ﴾ [النساء : ٢٤] فإن البيان بكونهن من النساء يُشعر بأن لفظ المحصنات يشمل غير النساء وإلا لم يكن للبيان كثير معنىٰ .

وقيل أراد بالمحصنات الفروج[١] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾ [الأنبياء : ٩١] فتتناول الآية الرجال والنساء .

وقيل : إن لفظ المحصنات ، وإن كان للنساء لكنه ههنا يشمل النساء والرجال تغليبًا .

أشار إلىٰ هذا كله صديق حسن خان في تفسيره « فتح البيان » ناقلاً له عن القرطبي كما هو ديدنه وشأنه في تفسيره « فتح البيان » والشوكاني في « فتح القدير» ناقلين له عن القرطبي وغير مشيرين إلىٰ القرطبي كما هو دأبهما وشأنهما في كثير من الأحيان ينقلان عن القرطبي دون عزو إليه غفر الله لهما .

* * *

س - ما حكم من قذف كتابيا ؟ والكتابي (اليهودي أو النصراني) إذا قذف مسلمًا فما حكمه ؟

ج : جمهور العلماء[٢] علىٰ أنه لا حدَّ علىٰ من قذف رجلاً من أهل الكتاب أو امرأة منهم .

---

(١) قال ابن حزم في « المحلىٰ » (١١/ ٢٧٠) : « وأما جوابنا الذىٰ نعتمد عليه ونقطع به وأنه مراد الله تعالىٰ بالبرهان الواضح فهو أن الله تعالىٰ إنما أراد بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ [النور : ٤] الفروج المحصنات » .

(٢) نقله عنهم القرطبي في تفسيره .

وقد ذهب ابن حزم رحمه الله إلىٰ وجوب الحد علىٰ من قذف محصنة من أهل الكتاب انظر «المحلىٰ» مسألة (٢٢٢٩) .

وإذا قذف النصراني المسلم الحرَّ فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة .

قال القرطبي : « لا أعلم في ذلك خلافًا » .

س - ماذا على الحرِّ إذا قذف عبدًا ؟ وماذا على العبد إذا قذف حُرًّا ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الحرَّ إذا قذف العبد لم يجب عليه الحد، وبالغ بعض العلماء في ذلك فنقل الإجماع على ذلك كالمهلب ، فقد نقل عنه الحافظ [(١)] ابن حجر في « فتح الباري » قوله : «أجمعوا على أن الحر إذا قذف عبداً لم يجب عليه الحد . . . » ثم تعقبه الحافظ بقوله : «في نقله الإجماع نظر فقد أخرج عبد الرزاق[(٢)] عن معمر عن أيوب عن نافع سئل ابن عمر عمن قذف أمَّ ولدٍ لآخر ؟ فقال : يضرب الحد صاغراً وهذا بسند صحيح وبه قال الحسن وأهل الظاهر » .

قلت (مصطفى) : وسيأتي قول ابن حزم قريبًا .

وقد ورد فيمن قذف مملوكه وهو بريء ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **من قذف مملوكه وهوبريء مما قال جُلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » [(٣)] .

أما العبد إذا قذف حُرًّا فإنه يجلد أربعين جلدة لقول الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ** ﴾ [النساء: ٢٥] ، وهذا قول

---

(١) « الفتح » (١٢/ ١٨٥) .

(٢) وأورده ابن حزم في « المحلى » (١١/ ٢٧١) وقال : « وهذا الإسناد عن ابن عمر من أصح إسناد يوجد في الحديث » .

قلت (مصطفى) : وهو من طريق معمر عن أيوب السختياني ، وأيوب بصريٌّ وفي رواية معمر عن البصريين كلام .

(٣) البخاري (حديث ٦٨٥٨) ومسلم (حديث ١٦٦٠)، ووجه الاستدلال بهذا الحديث على إسقاط الحد عن الحر إذا قذف عبداً واضح ، وهو ما ذُكر في « الفتح » عن المهلب «فتح» (١٢/ ١٨٥) ، ففيه : ودلَّ هذا الحديث على ذلك لأنه لو وجب على السيد أن يُجلد في قذف =

جمهور العلماء[١] .

وقال ابن حزم رحمه الله[٢] : « والمؤمن له حُرمة عظيمة ، وربَّ عبدٍ جلف خيرٌ من خليفةٍ قرشي عند الله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣] والناس في الولادة أولاد آدم وامرأته ثم تفاضل الناس بأخلاقهم وأديانهم لا بأعرافهم ولا بأبدانهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام** »[٣] فسوىٰ عليه السلام بين حرمة العرض من الحر والعبد نصًا » .

ونقل ابن حزم رحمه الله تعالىٰ أقوال موافقيه ومخالفيه وأدلة هؤلاء وهؤلاء وسيأتي قوله قريبًا إن شاء الله .

س - ما الحكم فيمن قذف طفلة صغيرة ؟

ج : هذه مسألة شائكة اختلف فيها العلماء :

والظاهر لي من أقوالهم أن الصحيح أنها إذا كانت لم تحض (أي لم تبلغ) فيُعزَّر قاذفها بما دون الحد ، ويُنكَّل به لكون عدم بلوغها شبهة في دفع الحد عن قاذفها ، فهي لا تجلد إذا زنت (لكونها لم تبلغ) فمن ثمَّ وردت الشبهة التي استدعت إسقاط الحد عن قاذفها ، ولكن كما أسلفنا فالمسألة شائكة والقول فيها ليس قولاً واحد .

قال القرطبي رحمه الله : « إذا رمىٰ صبية يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنىٰ

= عبده في الدنيا لذكره كما ذكره في الآخرة ، وإنما خص ذلك بالآخرة تمييزًا للأحرار من المملوكين، فأما الآخرة فإن ملكهم يزول عنهم ويتكافئون في الحدود ، ويقتص لكل منهم إلا أن يعفو ولا مفاضلة حينئذ إلا بالتقوىٰ .

(١) نقله عنهم الحافظ في « الفتح » .

(٢) « المحلىٰ » (١١/ ٢٧٢) .

(٣) البخاري (حديث ٧٠٧٨) وانظر مسلم (١٦٧٩) .

كان قذفًا عند مالك ، وقال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور : ليس بقذف ؛ لأنه ليس بزنىٰ إذ لا حدّ عليها ، ويعزر .

قال ابن العربي : والمسألة محتملة مشكلة ، لكن مالك طلب حماية عرض المقذوف ، وغيره راعىٰ حماية ظهر القاذف ، وحماية عرض المقذوف أولىٰ ؛ لأن القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه الحد .

قال ابن المنذر : وقال أحمد في الجارية بنت تسع : يجلد قاذفها ، وكذلك الصبي إذا بلغ عشراً ضرب قاذفه .

قال إسحاق : إذا قذف غلامًا يطأ مثله فعليه الحد ،والجارية إذا جاوزت تسعًا مثل ذلك .

قال ابن المنذر : لا يحد من قذف من لم يبلغ ؛ لأن ذلك كذب، ويعزر علىٰ الأذىٰ » .

أما ابن حزم رحمه الله تعالىٰ فقد ذهب إلىٰ وجوب إقامة الحد علىٰ من قذف المحصن الصغير أو الكبير ، والعاقل أو المجنون ، فقال رحمه الله :

« قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ** ﴾ الآية [النور :٤] ، وقد قلنا: إن الإحصان في لغة العرب هو المنع وبه سمي الحصن حصنًا يقال درع حصينة ؛ وقد أحصن فلان ماله إذا أحرزه ومنع منه ، قال تعالىٰ : ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ** ﴾ [الحشر :١٤] والصغار محصونون بمنع الله تعالىٰ لهم من الزنا، وبمنع أهليهم وكذلك المجانين وكذلك المجبوب والرتقاء ، والقرناء ، والعنين ، وقد يكون كل هؤلاء محصنين بالعفة ، وأما البكر والمكره فمحصنان بالعفة فإذا كل هؤلاء يدخلون في جملة المحصنات بمنع الفروج من الزنا ، فعلىٰ قاذفهم الحد ولا سيما القائلون إن الحرية إحصان وكل حرة محصنة فإن الصغيرة الحرة، والمجنونة، والرتقاء ، وسائر من ذكرناهم محصنون وإسقاط الحد عن قاذفهم خطأ محض لا إشكال فيه فما علمنا لهم حجة أكثر من أن قالوا: إن من قذف من ذكرنا فقد تيقنا كذبه (فقلنا لهم) صدقتم والآن حقا وجب الحد علىٰ القاذف إذ قد صح كذبه ، وبالله تعالىٰ التوفيق » .

س - هل يختص القذف بمن قذف امرأة متزوجة أو كانت قد تزوجت فقط أم أن من قذف بكرًا بالغة يُقام عليه الحد كذلك ؟

ج : لا يختص القذف بمن قذف المزوجات بل من قذف الأبكار كذلك يُقام عليه الحدُّ أيضًا ، وقد نقل الإجماع على ذلك فريق من العلماء منهم الحافظ ابن حجر رحمه الله في« فتح الباري»[1] .

* * *

س - على ماذا يشهد الشهود ؟

ج : يشهد الشهود على أنهم رأوا الرجل يزني بالمرأة بأعينهم كما يرون المرود يدخل في المكحلة .

* * *

س - هل تعتبر شهادة المرأة مع شهادة الشهود في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ [النور : ٤] **؟**

ج : ذهب جمهور[2] أهل العلم إلى أن شهادة المرأة لا يُعتد بها في الحدود ولا في القصاص ، فعلى ذلك لا يعوَّل على شهادتهن في القذف .

ومما يؤيد قول الجمهور قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ** ﴾ [النور: ٤] وأيضًا فالحدود تدرأ بالشبهات ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في شأن النساء : ﴿ **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

* * *

(١) « الفتح » (١٢/ ١٨١) .

(٢) نقله عن الجمهور الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٥/ ٢٦٦) .

عقوبة القاذف

س - ما هي عقوبة القاذف ؟

ج : قذف المحصنات الغافلات المؤمنات كبيرة من أكبر الكبائر ، وقد جاء الوعيد عليها في الدنيا والآخرة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ** ﴾ [النور: ٢٣ - ٢٦] .

وقال النبي[1] ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل : يا رسول الله وما هن؟ قال : «**الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» .

وقال الله سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٤] . فانتظمت الآية الكريمة ثلاث عقوبات :

أحدها : أن القاذف يجلد ثمانين جلدة .

الثاني : أن شهادته ترد أبدًا كما قال تعالى : ﴿ **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا** ﴾ [النور : ٤] .

الثالث : أنه يكون فاسقًا .

س - إذا عفا المقذوف عن القاذف هل يسقط الحد عنه ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المقذوف إذا عفا عن قاذفه فإن الحدَّ يسقط عن القاذف .

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٥٧) ، ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

قال ابن الجوزي في « زاد المسير » : « وحد القذف حقٌّ لآدمي يصح أن يبرئ منه ويعفو عنه ، وقال أبو حنيفة : هو حق الله عز وجل ، وعندنا (القائل ابن الجوزي) أنه لا يستوفى إلا بمطالبة المقذوف وهو قول الأكثرين . . . . » .

وقال القرطبي في تفسيره : « ولا خلاف أنه إذا لم يجلد القاذف بأن مات المقذوف قبل أن يطالب القاذف بالحد ، أو لم يرفع إلى السلطان ، أو عفا المقذوف فالشهادة مقبولة .

س - إذا قذف شخص شخصًا ولم يرفع الأمر إلى السلطان فهل يحكم بفسق القاذف ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى أنه لا يُحكم عليه بالفسق إلا إذا أقيم عليه الحد ، وذهب آخرون إلى أنه يحكم بفسقه ورد شهادته إذا لم يُقم البينة .

قال ابن الجوزي في « زاد المسير » : « واختلفوا هل يُحكم بفسقه ورد شهادته بنفس القذف أم بالحد ؟ فعلى قول أصحابنا إنه يُحكم بفسقه ورد شهادته إذا لم يُقم البينة ، وهو قول الشافعي ، وقال أبو حنيفة ومالك : لا يُحكم بفسقه وتقبل شهادته ما لم يُقم الحد عليه » .

قلت : وقد قال النبي ﷺ : « **سباب المسلم فسوق** » [1] .

* * *

التعريض بالقذف

س - هل التعريض بالقذف يُعدُّ قذفًا يوجب الحد ؟

ج : الذي أختاره من أقوال العلماء في هذا الباب هو ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء ، ألا وهو أن التعريض بالقذف لا يعطي

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٨) ومسلم (حديث ٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

حكم التصريح ، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي ولدت غلامًا أسود ، فقال النبي ﷺ : « **هل لك من إبل ؟** » قال : نعم ، قال : « **فما ألوانها** » قال : حُمرٌ . قال : « **هل فيها من أورْق**[٢] **؟** » قال : إن فيها

(١) البخاري (حديث ٦٨٤٧) ومسلم (حديث ١٥٠٠) .

(٢) قال النووي رحمه الله : أما الأورق : فهو الذي فيه سواد ليس بصاف ومنه قيل للرماد أورق ، وللحمامة ورقاء ، وجمعه وُرق بضم الواو وإسكان الراء كأحمر وحُمر .
والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيهًا بعرق الثمرة ومنه قولهم : فلان معرقٌ في النسب والحسب ، وفي اللؤم والكرم ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه ، وأصل النزع الجذب ، فكأنه جذبه إليه لشبهه ، يقال منه نزع الولد لأبيه وإلى أبيه ، ونزعه أبوه ونزعه إليه .
وقال النووي رحمه الله أيضًا : وفي هذا الحديث أن التعريض بنفي الولد ليس نفيًا ، وإن التعريض بالقذف ليس قذفًا ، وهو مذهب الشافعي وموافقيه .
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١٢/ ١٧٥) : قا ل ابن التين وقد انفصل المالكية عن حديث الباب بأن الأعرابي إنما جاء مستفتيًا ولم يرد بتعريضه قذفًا ، وحاصله أن القذف في التعريض إنما يثبت على من عرف من إرادته القذف ، وهذا يقوي أن لا حد في التعريض لتعذر الإطلاع على الإرادة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .
هذا ، وقد استدل القائلون بأن التعريض بالقذف لا يُعدُّ قذفًا - إضافة إلى ما ذُكر بما أخرجه البخاري (حديث ٢٥٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**ألا تعجبون ؟! كيف يصرف الله عني شتم قريشٍ ولعنهم ؟ يشتمون مُذمّمًا ويلعنون مُذَمّمًا وأنا محمد** ».
قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٦/ ٥٥٨) قوله : (يشتمون مذمّمًا) كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا : فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره ، قال ابن التين : استدل بهذا الحديث من أسقط حد القذف بالتعريض وهم الأكثر ، خلافًا لمالك ، وأجاب بأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليهم في ذلك ، بل الواقع أنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره . انتهى ، والتحقيق أنه لا حجة في ذلك إثباتًا ولا نفيًا .

لورقا، قال : « **فأنى أتاها ذلك ؟** » قال : عسىٰ أن يكون نزعه عرق ، قال : «**وهذا عسى أن يكون نزعه عرق** » .

وأيضًا فالحدود تدرأ بالشبهات .

وقد صح عن فريق من أهل العلم أن التعريض ليس فيه حدٌ انظر مصنف عبد الرزاق ففيه جملة آثار بذلك .

ومن أدلة القائلين بأن التعريض بالقذف لا يعد قذفًا قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ** ﴾ [البقرة: ٢٣٥] قالوا ففرق الله عز وجل بين حكم التصريح وبين حكم التعريض تفريقًا لا يختل علىٰ ذي حسٍّ سليم ، وإذا كانا شيئين مختلفين ليس لأحدهما حكم الآخر فلا يجوز البتة أن يجعل في أحدهما ما جُعل في الآخر بغير نص ولا إجماع .

وهذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن التعريض بالقذف يُعدُّ قذفًا وهو قول الإمام مالك رحمه الله .

وممن كان يرىٰ أن التعريض بالقذف فيه الحد إن كان يتوقع أن فيه قذف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فقد أخرج عبد الرزاق في المصنف[1] بإسناد صحيح عن ابن عمر أن عمر كان يحدُ في التعريض بالفاحشة .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٤٢١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ٢٥٢) ، وله شاهد عند مالك في « الموطأ » (ص ٨٢٩ ، ٨٣٠) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن رجلين استبا في زمان عمر بن الخطاب ، فقال أحدهما للآخر : والله ما أبي بزان ، ولا أمي بزانية ، فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب ، فقال قائل : مدح أباه وأمه ، وقال آخرون : قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا ، نرىٰ أن تجلده الحد ، فجلده عمر الحد ، ثمانين .

قال مالك : لا حد عندنا إلا في نفي ، أو قذف ، أو تعريض ، يرىٰ أن قائله إنما أراد بذلك نفيا ، أو قذفًا ، فعلىٰ من قال ذلك ، الحد تاما . =

قال القرطبي رحمه الله : فإن عرَّض ولم يُصرِّح ، فقال مالك : هو قذف ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا يكون قذفًا حتىٰ يقول : أردت به القذف ، والدليل لما قاله مالك هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرّة التي أوقعها القاذف بالمقذوف ، فإذا حصلت المعرّة بالتعريض وجب أن يكون قذفًا كالتصريح والمعول علىٰ الفهم ؛ وقد قال تعالىٰ مخبرًا عن شعيب : ﴿ **إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾ [هود: ٨٧] أي السفيه الضال ؛ فعرضوا له بالسب بكلام ظاهر المدح في أحد التأويلات ، حسبما تقدم في هود ، وقال تعالىٰ في أبي جهل : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [الدخان: ٤٩] ، وقال حكاية عن مريم: ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٨]؛ فمدحوا أباها ونفوا عن أمها البغاء ، أي الزنىٰ ، وعرضوا لمريم بذلك ؛ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٦]، وكفرهم معروف ، والبهتان العظيم هو التعريض لها ؛ أي ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ،أي أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد . وقال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سبأ: ٢٤] ؛ فهذا اللفظ قد فهم منه أن المراد به أن الكفار علىٰ غير هدىٰ ، وأن

= قال مالك : الأمر عندنا أنه إذا نفىٰ رجل رجلاً من أبيه ، فإن عليه الحد ، وإن كانت أم الذي نفي مملوكة ، فإن عليه الحد .

وقد أخرجه البيهقي أيضًا « السنن الكبرىٰ » (٨/ ٢٥٣) .

وله سياق آخر فيه مزيد إيضاح عند عبد الرزاق (المصنف ٧/ ٤٢٥) من طريق يحيىٰ بن سعيد قال: إن رجلاً في زمن عمر بن الخطاب قال لرجل : ما أمي بزانية ولا أبي بزانٍ ، قال عمر : ماذا ترون، قالوا : رجل مدح نفسه ، قال: بل هو(*) ، انظروا فإن كان بالآخر بأس فقد مدح نفسه، وإن لم يكن به بأس فلم قالها ، فوالله لأحُدَّنه فحدَّه .

(*) أي بل هو يريد القذف .

الله تعالىٰ ورسوله علىٰ الهُدىٰ ؛ ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه ، وقد حبس عمر رضي الله عنه الحُطية لما قال :

دع المكارم لا ترحل لبُغيتهـــا وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

لأنه شبهه بالنساء في أنهن يطعمن ويسقين ويكسون، ولما سمع قول النجاشي :

قبيلته لا يغـــدرون بذمـــة ولا يظلمون الناس حبة خـردل

قال : ليت الخطَّاب كذلك ؛ وإنما أراد الشاعر ضعف القبيلة ؛ ومثله كثير .

قلت : وما أورده القرطبي رحمه الله ليس بصريح في إقامة الحد علىٰ المعرّض بالقذف ، والله أعلم .

تنبيه : قال الحافظ[1] ابن حجر رحمه الله : ومن لم يقل بالحد في التعريض يقول بالتأديب فيه ، لأن في التعريض أذي للمسلم ، وقد أجمعوا علىٰ تأديب من وجد مع امرأةٍ أجنبية في بيت والباب مغلق عليهما .

س - هل التوبة ترفع كل هذه الأشياء التي لحقت بالقاذف من جلدٍ ورد شهادة وفسق ؟

ج : قدَّمنا أن القاذف مستحق لثلاثة أشياء :

أولها : إقامة الحد عليه (وهو جلده ثمانين جلده) .

الثاني : رد شهادته .

الثالث : اعتباره فاسقًا من الفساق .

أما إذا تاب ؛ فإن التوبة لا تسقط عنه الحد (ما دام أمره قد وصل إلىٰ السلطان) بالإجماع[2] .

---

(١) « فتح الباري» (١٢/ ١٧٥) .

(٢) وقد نقل الإجماع غير واحدٍ من العلماء منهم الحافظ ابن كثير رحمه الله ، فقال : وأما الجلد فقد ذهب وانقضىٰ سواء تاب أو أصر وألا حكم له بعد ذلك بلا خلاف . =

أما رد الشهادة والحكم عليه بالفسق فقد ذهب جمهور العلماء [١] . (منهم مالك والشافعي وأحمد) إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق .

ومن الحجج لأصحاب هذا القول أن الحدود كفارة لأهلها وأن التوبة تجبُّ ما قبلها وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يرتفع بالتوبة إنما هو الفسق فقط ، فقالوا : يرتفع عنه الحكم بالفسق ويبقى مردود الشهادة أبدًا ، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله وقول غيره من أهل العلم ، وهو قول غير وجيه، وقد قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [الشورى: ٢٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٧] .

ومن حجج هذا القول ما روىٰ عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا تجوز شهادة خائنٍ ولا خائنة ولا محدود في الإسلام**»[٢] .

= وقال القرطبي رحمه الله : فالاستثناء (أي في قوله : إلا الذين تابوا) [النور : ٥] غير عامل في جلده بالإجماع .

(١) نقله عن الجمهور الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٥/ ٢٥٥) ونقله عن المذكورين الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ضعيف . أخرجه ابن ماجة (٢٣٦٦) وأحمد (٢/ ٢٠٨) والدراقطني (٤/ ٢٤٤) والبيهقي (١٠/ ١٥٥) «السنن الكبرىٰ» والطبري عند تفسير الآية الكريمة، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا، وفي السند إلىٰ عمرو بن شعيب ضعف فهو ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ .
وقد أخرجه الترمذي أيضًا (حديث ٢٢٩٨) والدراقطني (٤/ ٢٤٤) والبيهقي (١٠/ ١٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وفي الإسناد إليها ضعف أيضًا ففيه يزيد بن أبي زياد الشامي وهو ضعيف .
فبالجملة فالحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

* أما ما هي صفة التوبة التي بها يرفع الحكم بالفسق عن الشخص وتُقبل شهادته فللعلماء فيها قولان :

أحدهما : أن يكذب نفسه ويعترف على نفسه بأنه قد كذب على المقذوفة وافترى عليها ، والحجة لهذا القول أن القذف فيه ظلم للعباد فلابد أن تنفى التهمة عنهم بأن يُكذب المفتري نفسه ، ومن الحجة لهذا القول أيضًا ما روى عن عمر رضي الله عنه في قصة أبي بكرة وأصحابه مع المغيرة بن شعبة ، فقد ورد من عدة طرق[1] أن أبا بكرة وجماعة من أصحابه قذفوا المغيرة بن شعبة ورموه

(١) هذه القصة لها طرق متكاثرة عن أمير المؤمنين عمر؛ منها طرق صحيحه ومنها طرق دون ذلك ، وهي بلا شك صحيحة بمجموعها من هذه الطرق ما يلي :

ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح (١٣٥٦٦ جزء ٧/ ٣٨٤) عن أبي عثمان النهدي قال: شهد أبو بكرة ونافعٌ وشبلُ بن معبد على المغيرة بن شعبة أنهم نظروا إليه كما ينظرون إلى المرود في المكحلة ، قال : فجاء زياد فقال عمر: جاء رجل لا يشهد إلا بالحق ، قال: رأيت مجلسًا قبيحًا وانبهارًا(*) قال: فجلدهم عمر الحدّ ، وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة في المصنف (٨٨٧٠)، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٨٨٧٣) بإسناد صحيح عن قسامة بن زهير قال: لما كان من شأن أبي بكرة والمغيرة بن شعبة الذي كان ، قال : أبو بكرة: اجتنب أو تنح عن صلاتنا ، فإنا لا نصلي خلفك ، قال : فكتب [إلى] عمر في شأنه ، قال : فكتب عمر إلى المغيرة: أما بعد، فإنه قد رقى إلي من حديثك حديثًا ، فإن يكن مصدوقًا عليك فلان يكون مت قبل اليوم خير لك ، قال : فكتب إليه وإلى الشهود أن يقبلوا إليه ، فلما انتهوا إليه دعا الشهود ، فشهدوا ، فشهد أبو بكرة وشبل بن معبد وأبو عبد الله نافع ، فقال عمر حين شهد هؤلاء الثلاثة : أود المغيرة أربعة ، وشق على عمر شأنه جدًا ، فلما قام زياد قال: إن تشهد إن شاء الله إلا بحق، ثم شهد قال: أما الزنا فلا أشهد به، ولكنى رأيت أمرًا قبيحًا ، فقال عمر: الله أكبر، حدوهم ، فجلدوهم، فلما فرغ من جلد أبي بكرة قام أبو بكرة فقال : أشهد أنه زان ، فهم عمر أن يعيد عليه الحد ، فقال علي: إن جلدته فارجم صاحبك، فتركه فلم يجلد ، فما قذف مرتين بعد .

(*) الانبهار انقطاع النَّفس من السعي الشديد .

بالزنا فلما عرضوا مع المغيرة على أمير المؤمنين عمر شهد ثلاثة على المغيرة بأنه قد زنى ، وأما الرابع فلم يصرح برؤيته للزنا بل قال : رأيت منظراً قبيحًا وانبهاراً فجلد عمر الثلاثة وقال لهم: توبوا تقبل شهادتكم فتاب رجلان ولم يتب أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته .

والقول الثاني : أنه لا يلزم أن يكذب نفسه ، بل توبته صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود في مثل ذلك من الجرم ، وهذا هو اختيار الطبري رحمه الله وعزاه إلى جماعة من التابعين وغيرهم ، وقال : وهو قول مالك بن أنس رحمه الله .

* * *

س - ما هي صورة الإصلاح المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ [النور : ٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال: إن الإصلاح إظهار التوبة من القذف، ومنهم من قال : إن المراد بالإصلاح إصلاح العمل فقال هؤلاء : إنه لابد من مُضي مدةٍ عليه في حسن الحال حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ويظهر عليه أثر

= وأخرج عبد الرزاق (٧/ ٣٨٤) بإسناد صحيح عن ابن المسيب قال : شهد على المغيرة بن شعبة ثلاثة بالزنا ، ونكل زياد ، فحدّ عمر الثلاثة ، وقال لهم : توبوا تُقبل شهادتكم ، فتاب رجلان ولم يتب أبو بكرة ، فكان لا يقبل شهادته ، وأبو بكرة أخو زياد لأمه ، فلما كان من أمر زياد ما كان ، حلف أبو بكرة أن لايكلم زياداً أبداً ، فلم يكلمه حتى مات .

وفي رواية أخرى عند عبد الرزاق (٧/ ٣٨٤) عن ابن المسيب قال: شهد على المغيرة أربعة بالزنا، فنكل زياد، فحدّ عمر الثلاثة، ثم سألهم أن يتوبوا، فتاب اثنان ، فقبلت شهادتهما ، وأبى أبو بكرة أن يتوب ، فكانت لا تجوز شهادته ، وكان قد عاد مثل النصل من العبادة حتى مات .

ولمزيد انظر تفسير الطبري ، و« السنن الكبرى » للبيهقي (١٠/ ١٥٢) .

الصلاح ، ومن العلماء من قدَّر هذه المدة بسنة ومنهم من لم يقدرها وتركها لأعراف الناس . والله أعلم .

س - هناك ذنوب قد لا تكفي لمحوها كلمة استغفر الله فقط، وضح ذلك بمزيد من الشرح والتفصيل .

ج : نعم تتفاوت الذنوب وتتفاوت كفارتها ، فهناك الصغائر وهناك الكبائر ، هناك كبائر الإثم والفواحش وهناك اللمم ، وهناك ذنوب بين ذلك فكلمة استغفر الله قد تكفي لإزالة أثر اللمم من النظرة إلى المحرم ، والاستماع إلى اللغو ونحو ذلك ولكنها لاتكفي - إلا إذا شاء الله - لمحو أثر الكبيرة والمظالم المتعلقة بالعباد وهاهنا فائدة تَرِدْ نَوَدْ أن نذكرها لما لها من أهمية .

فحوى هذه الفائدة أن الذنب كلما عَظُمَ كلما احتاج معه إلى كفارة عظيمة توازيه وتكافئه أو تزيد عليه حتى تقضي عليه وتدمره وتزيله وتذهب بأثره فإذا شبهنا الذنب في حجمه بالكوب مثلا فهذا الذنب يُزال ويُكسر بضربة خفيفة باليد ، وإذا زاد هذا الذنب وأصبح مثل الدَّورق مثلاً فهذا يحتاج إلى دفعة أقوى وضربة أعظم كي يزال ويكسر وإذا عظم الذنب وشبهناه بالجدار فهذا يحتاج إلى صاروخ كبير يزيله ويفتته ويدمره .

فمثلاً إذا نظر رجل إلى امرأة أجنبية مثلاً ، فهذه النظرة المحرمة تحتاج إلى استغفار وتوبة إلى الله عز وجل .

وإذا تجرأ الشخص على المعصية وقبَّل امرأة أو باشرها (فيما دون الفرج) فهذه الفعلة القبيحة تحتاج إلى أكثر من الاستغفار ، تحتاج إلى وضوءٍ حسنٍ وصلاة ركعتين يُقبل فيهما العبد بقلبه على ربه سبحانه وتعالى ويخلص فيهما الدعاء كما تحتاج إلى مزيد من الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله .

وإذا ازدادت الجرأة وأقبل الشخص على الفاحشة - فاحشة الزنا - واقترفها ووقع فيها فهذا يحتاج إلى شيء آخر ، إلى حدّ من حدود الله .

وهكذا سائر الذنوب والكبائر .

ومن ثم اختلفت الكفارات ، فكلما كبر الذنب عظمت كفارته ! فاليمين المنعقدة كفارتها إطعام عشرة مساكين إلى آخر ما ورد في الآية قال تعالى : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ** ﴾ [المائدة: ٨٩] والظهار كفارته أعظم ، وهو قول الرجل لزوجته : أنت عليَّ كظهر أمي أو كظهر أختي . . وهو منكرٌ من القول وزور ومن ثم عظمت كفارته ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ [المجادلة: ٣، ٤] .

وكذلك من أفطر عامداً في نهار رمضان من غير عذر . وهنا من صرح بالقذف يجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة أبداً ويُعدُّ من الفاسقين !!

والزاني يجلد مائة جلدة ويغربَّ عاماً إذا كان بكراً ، أما إذا كان محصناً (قد تزوج) فيرجم حتى الموت .

فكما أسلفنا فهناك ذنوب تكفي كلمة استغفر الله لمحوها ، وهناك ذنوب لا تكفي لإزالتها كلمة استغفر الله بمفردها[1] بل تحتاج إلى صلاة ركعتين .

---

(١) وهذا من باب الأسباب والمسببات ، وإلا فالله قادر على أن يغفر الذنوب ، ولو لم يستغفر العبد ، قال تعالى : ﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

وذنوب لا تكفي لها الركعتان فتحتاج إلى الفريضة وإلى الصلوات الخمس.

وذنوب لا تكفي الصلوات الخمس لتكفيرها فتحتاج إلى الجمعة .

وذنوب لا تكفي الجمعة لتكفيرها بل تحتاج إلى رمضان .

وذنوب تحتاج إلى عُمرة ،وذنوب لا تكفي لها العمرة فتحتاج إلى الحج المبرور الذي يهدمها .

وذنوب مرد الأمر فيها إلى الله إن شاء آخذ بها العبد وإن شاء عفا عنه .

فعلى المرء أن يعرف ذلك ، وعلى المفتي أن يلاحظ ذلك فهناك جملة من المحاذير يأثم فاعلها وليس هناك نص على حجم الكفارة فيها فهذه تقدر بقدرها ويُفتى مرتكبها بكفارة توازي جرمه ومعصيته وعلى هذا جاءت فتاوى أهل العلم.

وثمَّ ذنوب أُخر تتعلق بالعباد وتستلزم التحلل من العباد ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] .

ونحو ذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة: ٣٩] .

ومن ثمَّ رأى بعض العلماء أن من رمى امرأة بالزنا وهي بريئة عليه أن يكذب نفسه ويُظهر براءتها أمام الناس حتى تتم توبته !

❊ ❊ ❊

آيات الملاعنة

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

س - أطلق على هذه الآيات اسم، فما هو هذا الاسم ؟

ج : هذه الآيات هي آيات الملاعنة ، وهذا هو الاسم الذي أطلق عليها .

* * *

س - لماذا أطلق على هذه الآيات آيات الملاعنة ؟

ج : أطلق عليها آيات الملاعنة لقول الزوج عليّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين .

س - ما هو سبب نزول آيات الملاعنة ؟

ج : لنزول هذه الآية سببان[1] :

أحدهما : ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : « أن عويمراً أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني

---

(١) ويصح أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة فتحدث عدة وقائع وتنزل آية واحدة تبين حكم هذه الوقائع ، وانظر « الصحيح المسند من أسباب النزول » لشيخنا مقبل الوادعي حفظه الله ، وانظر ما قاله النووي في « شرح مسلم » (كتاب اللعان طبعة الشعب ص ٧١٣) .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٤٥) ومسلم (حديث ١٤٩٢) .

عجلان فقال : كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً ، فتقتلونه ، أم كيف يصنع ؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأتىٰ عاصم النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، فكره رسول الله ﷺ المسائل ، فسأله عويمر ، فقال : إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها قال عويمر : والله لا أنتهي حتىٰ أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال : يا رسول الله ﷺ ، رجل وجد مع امرأته رجلاً ، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ : قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمَّىٰ الله في كتابه فلاعنها ثم قال : يا رسول الله ، إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها ، فكانت سنة لم كان بعدهما في المتلاعنين ، ثم قال رسول الله ﷺ : انظروا ، فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلَج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها فجاءت به علىٰ النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر ، فكان بعد ينسب إلىٰ أمه» .

والآخر ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :

أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء ، فقال النبي ﷺ : «**البينة أو حدٌّ في ظهرك**» ، فقال : يا رسول الله ، إذا رأىٰ أحدنا علىٰ امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : «**البينة وإلا حد في ظهرك**» ، فقا ل هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، فلينزلن الله ما يبرّئ ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ** ﴾ فقرأ حتىٰ بلغ ﴿ **إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [النور : ٦-٩]، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد ، والنبي ﷺ يقول : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت؟ فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٤٧) .

إنها موجبة ، قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتىٰ ظننا أنها ترجع ، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم ، فمضت . فقال النبي ﷺ : «**أبصروها ، فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الآليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء**» ، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ : «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن**» .

* * *

س - في آيات الملاعنة نوعٌ من رفع الحرج عن أمة محمدٍ ﷺ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه كالتالي :

قد تقدم من قبل في شأن من قذف امرأة بالزنا أن عليه أن يأتي بأربعة من الشهداء فيحلفون أنهم رأوا الرجل مع المرأة يزنيان كما يرون الميل يدخل في المكحلة ، فإذا لم يأت بهؤلاء الشهداء الأربعة يجلد ثمانين جلدة وترد شهادته ويُعدُّ من الفاسقين .

لكن هذا قد يتعذر في أكثر الأحيان بين الزوج وزوجته ، ويرىٰ الرجل زوجته وهي تزني فإذا انصرف وأتىٰ بالشهداء يكون هذا الزاني الفاجر قد قضىٰ حاجته ثم انصرف ، فحينئذ يتعذر علىٰ الزوج إقامة البينة علىٰ زوجته ، فإن سكت سكت علىٰ غيظ وألحق به من ليس بولده ، وإن تكلم تكلم بأمر عظيم وهو القذف ، وجلب لنفسه الجلد والفسق ورد الشهادة فجاءت هذه الآية رافعة للحرج في شأن الزوج خاصة إذا رأىٰ امرأته تزني برجل ، فله حينئذ إن يقسم أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين، بدلاً عن الشهود الذين يتعذر عليه الإتيان بهم ، وأيضًا ينفي عن نفسه من ليس بولده ، فهذا هو وجه رفع الحرج بين الزوجين بهذه الآية ، والله أعلم .

س - يشرع للقاضي والحاكم والمُصلح أن يُذَكِّر الخصوم بالله قبل الحكم ، دلّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما ورد في قصة الملاعنين .

ففي صحيح البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته فجاء فشهد ، والنبي ﷺ يقول : « **إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ؟** » .

وفي الصحيحين [٢] من حديث ابن عمر نحو ذلك ، ففيهما من طريق سعيد بن جبير قال : قلت لابن عمر : رجلٌ قذف امرأته ؟ فقال : فرق النبي ﷺ بين أخوي بني العجلان ، وقال : «**الله يعلم أن أحدكما لكاذب فهل منكما تائب؟**» فأبيا ، وقال : «**الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب**» ؟ فأبيا ، فقال : «**الله يعلم أن أحدكما لكاذب فهل منكما تائب-؟**» فأبيا ، ففرق بينهما ، قال أيوب : فقال لي عمرو بن دينار : إن في الحديث شيئًا لا أراك تحدثه ، قال : قال الرجل مالي ، قال : قيل : لا مال لك ، إن كنت صادقًا فقد دخلت بها ، وإن كنت كاذبًا فهو أبعد منك .

* * *

س - ما هي صفة اللعان وصيغته ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى هذه الصيغة التي أخرجها الحاكم والبيهقي[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قذف هلال بن أمية

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٠٧) .

(٢) البخاري (حديث ٥٣١١) ومسلم (١٤٩٣) .

(٣) الحاكم (٢/ ٢٠٢) والبيهقي« السنن الكبرى » (٧/ ٣٩٥) ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي . =

امرأته قيل له : والله ليحدنك رسول الله ﷺ ثمانين جلدة ، قال : الله أعدل من ذلك أن يضربني ثمانين ضربة وقد علم أني رأيت حتى استوثقت وسمعت حتى استبنت ، لا والله لا يضربني أبداً ، فنزلت آية الملاعنة فدعاهما رسول الله ﷺ حين نزلت الآية فقال : « **الله يعلم أن أحدكما - كاذب فهل منكما تائب** » فقال هلال : والله إني لصادق ، فقال له : « **احلف بالله الذي لا إله إلا هو إني لصادق تقول ذلك أربع مرات فإن كنت كاذبًا فعليَّ لعنة الله** » فقال رسول الله ﷺ : «**قفوه عند الخامسة فإنها موجبة** » ، فحلف ثم قالت أربعًا : والله الذي لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين فإن كان صادقًا فعليها غضب الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **قفوها عند الخامسة فإنها موجبة** » فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت : لا أفضح قومي فقال رسول الله ﷺ : « **إن جاءت به أكحل أدعج سابغ الأليتين ألف الفخذين خدلج الساقين فهو للذي رميت به ، وإن جاءت به أصفر قضيفًا سبطًا فهو لهلال بن أمية** » فجاءت به على صفة البغي .

وقال ابن قدامة في المغني[1] ، وصفته (أي اللعان) أن الإمام يبدأ بالزوج

= قلت : وفي إسناده أحمد بن كامل بن خلف القاضي ، ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥٨) قال الخطيب في ترجمته : حدثني علي بن محمد بن نصر قال : سمعت حمزة بن يوسف يقول : سأل أبو سعد الإسماعيلي أبا الحسن الدراقطني بن أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي فقال : كان متساهلاً ، وربما حدَّث من حفظه بما ليس عنده في كتابه وأهلكه العجب فإنه كان يختار ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً .

قلت : وباقي رجال الإسناد ثقات .

ولعل هذا التصرف في لفظ الأيمان من تصرف أحمد بن كامل بن خلف القاضي وذلك لقول الدارقطني : إنه كان متساهلاً وربما حدث من حفظه بما ليس عنده في كتابه .

ولذلك فإننا لا نعول على صفة اليمين الواردة في هذا الحديث كثيرا وأيضًا تلميذه الحاكم عنده بعض الأوهام . والله أعلم .

(١) المغني (٧/ ٤٣٦) .

فيقيمه ويقول له : قل أربع مرات : أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي هذه من الزنا ويشير إليها إن كانت حاضرة ولا يحتاج مع الحضور والإشارة إلىٰ نسبها وتسميتها كما لا يحتاج إلىٰ ذلك في سائر العقود ، وإن كانت غائبة أسماها ونسبها فقال : امرأتي فلانة بنت فلان ويرفع في نسبها حتىٰ ينفي المشاركة بينها وبين غيرها ، فإذا شهد أربع مرات وقَّفه الحاكم وقال له : اتق الله فإنها الموجبة (عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة) وكل شيء أهون من لعنة الله ويأمر رجلاً فيضع يده علىٰ فيه حتىٰ لا يبادر بالخامسة قبل الموعظة ، ثم يأمر الرجل فيرسل يده عن فيه فإن رآه يمضي في ذلك قال له قل : وأن لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين فيما رميت به زوجتي هذه من الزنا .

ثم يأمر المرأة بالقيام ويقول لها : قولي أشهد بالله أن زوجي هذا لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا وتشير إليه ، وإن كان غائبًا أسمته ونسبته فإذا كررت ذلك أربع مرات وقفها ووعظها كما ذكرنا في حق الزوج ويأمر امرأة فتضع يدها علىٰ فيها فإن رآها تمضي علىٰ ذلك قال لها قولي : وأن غضب الله عليَّ إن كان زوجي هذا من الصادقين فيما رماني به من الزنا .

بينما ذهب بعض العلماء إلىٰ العمل بظاهر الآية الكريمة فقد استنبط أبو محمد بن حزم[1] رحمه الله من قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [النور : ٦ - ٩] .

أن الملاعن يقول : بالله إني لمن الصادقين بالله إني لمن الصادقين بالله إني لمن الصادقين بالله إني لمن الصادقين ، هكذا يكرر بالله إني لمن الصادقين أربع

(١) المحلىٰ (١٠/ ١٤٣) .

مرات ثم يأمر الحاكم من يضع يده على فيه ويقول له : إنها موجبة ، فإن أبى فإنه يقول : وعليَّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين .

قال ابن حزم رحمه الله : « فإذا أتم هذا الكلام سقط عنه الحد لها والذي رماها به فإن لم يلتعن حُد حد القذف فإذا التعن كما ذكرنا قيل لها إن التعنت وإلا حددت حد الزنا فتقول : بالله إنه لمن الكاذبين بالله إنه لمن الكاذبين بالله إنه لمن الكاذبين بالله إنه لمن الكاذبين ، ثم تقول : وعليّ غضب الله إن كان من الصادقين ، ويأمر الحاكم من يوقفها عند الخامسة ويخبرها بأنها موجبة لغضب الله تعالى » . انتهى .

ويُسنُّ أن يُذكَّر الخصمان بالله عز وجل لما تقدم من قول الرسول ﷺ : «**الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب** » .

ويشرع أن يستوقف المتلاعن قبل اليمين الخامسة ويُذكَّر مرة أخرى لما أخرجه أبو داود والنسائي[1] بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر رجلاً - حين أمر المتلاعنين أن يتلاعنا - أن يضع يده على فيه عند الخامسة ويقول : إنها موجبة .

* * *

س - هل يشترط في اللعان أن يقول : رأيتها تزني ، أم يكتفى بقوله : إنها زانية ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يشترط في اللعان أن يقول الرجل : رأيتها تزني ، ولا أن ينفي حملها إن كانت حاملاً ، أو ولدها إن كانت وضعت خلافًا لمالك ، بل يكتفي أن يقول : إنها زانية أو زنت ، ذكره الحافظ في الفتح[2]

(١) أبو داود (حديث ٢٢٥٥) ، والنسائي (٦/ ١٧٥) .

(٢) « فتح الباري » (٩/ ٤٤٠) .

وقال : ويؤيده أن الله شرع حد القذف على الأجنبي برمي المحصنة ، ثم شرع اللعان برمي الزوجة ، فلو أن أجنبيًا قال: يا زانية ، وجب عليه حد القذف فكذلك حكم اللعان .

س - هل يُفرَّق بين المتلاعين ؟

ج : نعم يُفرَّق بين المتلاعين ، وهذا رأي جماهير العلماء ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق الزهري عن سهل بن سعد في قصة ملاعنة عويمر وفيها : أن عويمر قال : يا رسول الله ، إن حبستها فقد ظلمتها (وفي رواية فقد كذبت عليها) فطلَّقها وفي رواية : (ثلاثا) فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين .

وأخرج البخاري ومسلم[2] أيضًا من طريق ابن جريج قال : أخبرني ابن شهاب عن الملاعنة وعن السنة فيها عن حديث سهل بن سعد أخي بني ساعدة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر في القرآن من أمر المتلاعنين ، فقال النبي ﷺ : «**قد قضى الله فيك وفي امرأتك**» ، قال: فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد ، فلما فرغا قال : كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها ، فطلقها ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ حين فرغا من التلاعن،

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) البخاري (حديث ٥٣٠٩) ومسلم (٣/ ٧١٦ - ٧١٧) .

وفي رواية لأبي داود (٢٢٥٠) من طريق عياض بن عبد الله الفهري وغيره عن ابن شهاب عن سهل بن سعد في هذا الخبر قال: فطلقها ثلاث تطليقات عند رسول الله ﷺ فأنفذه رسول الله ﷺ ، وكان ما صنع عند النبي ﷺ سُنة ،قال سهل : حضرت هذا عند رسول الله ﷺ فمضت السنة بعدُ في المتلاعنين أن يُفرَّق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا .

قلت (مصطفى) : وإسناده ضعيف من أجل عياض بن عبد الله الفهري .

ففارقها عند النبي ﷺ فقال : «ذاك تفريق بين كل متلاعنين» .

وأخرج البخاري[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ فرَّق بين رجلٍ وامرأةٍ قذفها وأحلفهما .

وفي رواية : « لاعن النبي ﷺ بين رجلٍ وامرأةٍ من الأنصار وفرَّق بينهما»[٢] .

* * *

س - هل هذا التفريق بين الزوجين المتلاعنين تفريقٌ أبدى لا رجعة معه، أم أنه يجوز لهما أن يتراجعا ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن التفريق بين المتلاعنين يكون علىٰ التأبيد[٣]، بينما ذهب سعيد بن المسيب رحمه الله[٤] ، وتبعه أبو حنيفة رحمه

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩ / ٤٥٨) ، ورواه مسلم مختصراً (٣ / ٧٢٠) .

(٢) البخاري مع « الفتح » (٩ / ٤٥٨) ومسلم (٣/ ٧٢٠) .

(٣) ومن أدلة الجمهور ما يلي :

قول النبي ﷺ للملاعن حينما طالب بالصداق : «لا سبيل لك عليها« قالوا : والعبرة بعموم اللفظ .

ما ورد في بعض طرق الحديث : فطلقها ثلاثًا فكانت سنة للمتلاعنين .

ما أخرجه أبو داود (رقم ٢٢٥٠) من طريق عياض الفهري وغيره عن ابن شهاب عن سهل بن سعد فطلقها ثلاث تطليقات فأنفذه رسول الله ﷺ وكان ما صنع النبي ﷺ سُنة . ولكنه حديث ضعيف .

وثم حديث آخر عند الدارقطني عن ابن عمر وفيه ضعف .

أما الدليل الأول الذي استدلوا به فليس بقاطعٍ علىٰ أنه تحريم علىٰ التأبيد ، هذا مع أنه محتمل أن يكون ردًا علىٰ الملاعن حينما طالب بالصداق فيكون قوله عليه السلام : « لا سبيل لك عليها » أي لامال لك عندها ، وحتىٰ إذا حملناه علىٰ الطلاق فليس فيه أنه تحريم أبدىٰ .

أما قوله في الدليل الثاني فكانت سنة للمتلاعنين ، فالراجح أن هذه اللفظة مدرجة (انظر الفتح ٩/ ٤٥٢) .

(٤) انظر المصنف (٧/ ١١٣) .

الله إلى أنه إذا تاب الملاعن واعترف بعد الملاعنة فإنه يُجلد ويلحق به الولد وتُطَلَّق امرأته تطليقه بائنة ويخطبها مع الخطاب ويكون ذلك متى أكذب نفسه .

* * *

س - بمن يُلحق الولد بعد التلاعن ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الولد يلحق بأمه بعد الملاعنة لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لاعن بين رجلٍ وامرأته ، فانتفى من ولدها ففرَّق بينهما ، وألحق الولد بالمرأة[٢] .

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩ / ٤٦٠) ومسلم (٣/ ٧٢٠) .

(٢) ذكر بعض أهل العلم أن مالكًا رحمه الله تفرد بزيادة : «وألحق الولد بالمرأة» ، ولكنه قد ورد في قصة عويمر أيضًا من طريق الأوزاعي عن الزهري عن سهل وفي آخرها فكان بعد ينسب لأمه أخرجه البخاري .

وعند مسلم (٣/ ٧١٦) من طريق يونس عن الزهري عن سهل في قصة عويمر : فكانت حاملاً فكان ابنها يدعى إلى أمه ثم جرت السنَّة أنه يرثها وترث فيه ما فرض الله لها ، وهي عند أبي داود أيضًا مختصرة (٢٢٥٩) و (٢٢٤٧) وفيها « فكان ابنها يُدعي إليها » .

وهذا هو رأي الجمهور من أهل العلم أن نسب الولد ينقطع من جهة الأب لأن رسول الله ﷺ قضى ألا يدعى ولدها لأب وهذا هو الحق . قاله ابن القيم في الزاد (٥/ ٣٩٧) .

وقال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٣/ ٧١٦) معقبا على قوله (وكانت حاملاً فكان ابنها يدعى إلى أمه ثم جرت السنة أنه يرثها وترث منه ما فرض الله لها) : « فيه جواز لعان الحامل ، وأنه إذا لاعنها ونفى عنه نسب الحمل انتفى عنه ، وأنه يثبت نسبه من الأم ويرثها وترث منه ما فرض الله للأم وهو الثلث إن لم يكن للميت ولد ولا ولد ابن ولا اثنان من الأخوة والأخوات ، وإن كان شيء من ذلك فلها السدس ، وقد أجمع العلماء على جريان التوارث بينه وبين أمه وبينه وبين أصحاب الفروض من جهة أمه وهم إخوته وأخواته من أمه وجداته من أمه ثم إذا دفع إلى أمه فرضها أو إلى أصحاب الفروض ، وبقي شيء فهو لموالي أمه إن كان عليها ولاء ولم يكن عليه هو ولا بمباشرة إعتاقه ، فإن لم يكن لها موال فهو لبيت المال .

هذا تفصيل مذهب الشافعي ، وبه قال الزهري ومالك وأبو ثور ، وقال الحكم وحماد : ترثه ورثة أمه =

س - هل يسترد الرجل الصداق من امرأته بعد الملاعنة ؟

ج : لا يسترد الرجل الصداق بعد الملاعنة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[١] ، من طريق سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر عن المتلاعنين. فقال: قال النبي ﷺ للمتلاعنين : « **حسابكما على الله أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها** » قال: مالي[٢] قال : « **لا مال لك ، إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها فذاك أبعد لك** » الحديث .

وقال الحافظ في «الفتح» : وقد انعقد الإجماع على أن المدخول بها تستحق جميعه واختلف في غير المدخول بها ، فالجمهور على أن لها النصف كغيرها من المطلقات قبل الدخول . والله أعلم » .

وكذلك نقل النووي رحمه الله الإجماع على ثبوت مهر الملاعنة المدخول بها .

* * *

س - إذا قذف الرجل زوجته فلم يصل الأمر إلى السلطان فهل يُفرق بينهما ؟

ج : أخرج عبد الرزاق[٣] بإسناد صحيح عن إبراهيم قال : إذا قذف الرجل امرأته فلم يترافعا فهي امرأته .

= وقال آخرون : عصبة أمه ، روى هذا عن علي وابن مسعود وعطاء وأحمد بن حنبل ، قال أحمد: فإن انفردت الأم أخذت جميع ماله بالعصوبة ، وقال أبو حنيفة: إذا انفردت أخذت الجميع لكن الثلث بالفرض ، والباقي بالرد علي قاعدة مذهبه في إثبات الرد . والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ٥٣١٢) ومسلم (مع النووي ٣/ ٧١٩) .

(٢) المراد به الصداق .

(٣) عبد الرزاق (المصنف ١٢٤١١) ، وإبراهيم هو النخعي .

س - إذا قال الرجل لزوجته: «لم أجدك عذراء » هل يُجلد أو يُلاعن؟

ج : أخرج عبد الرزاق[١] بإسناد صحيح عن عطاء قال : إذا قال لامرأته: لم أجدك عذراء ، ولا أقول ذلك من زنا فلا يُجلد ، لم يجلد عمر من زعموا أن العذرة يُذهبها الوضوء وأشباهه .

وروىٰ عبد الرزاق أيضًا [٢] بإسناد صحيح عن طاوس قال : إن العَذْرة يذهبها غير الوطء ، ولا ملاعنة بينهما .

وصح عن الشعبي في الرجل يقول لامرأته : لم أجدك عذراء ، قال : لا يضرب إلا أن يرميها بالزنا لأن العذرة تذهب بها الحيضة والوثبة .

قلت : وإضافة إلىٰ ذلك فمن النساء من غشاء بكارتها (مطاطي) فقد يتوهم شخصٌ أنه لم ير الدَّم الناشئ عن فضِّ البكارة فيسُيءُ الظن بزوجته وهي بريئة ، فليدخل مثل هذا في الاعتبار أيضًا . والله أعلم .

* * *

س - إذا قالت امرأة متزوجة: هذا الولد ليس من زوجي ، وادعى الزوج أنه ولده فبمن يلحق الولد؟

ج : يلحق الولد بالزوج لقول النبي ﷺ : « **الولد للفراش وللعاهر الحَجَر**»[٣] وقد أخرج عبد الرزاق [٤] في المصنف بإسناد صحيح عن معمر

---

(١) عبد الرزاق « المصنف » (١٢٤٠١) .

(٢) عبد الرزاق « المصنف» (١٢٤٠٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٤٩) ومسلم (حديث ١٤٥٧) ، ومعنىٰ « الولد للفراش » أي لصاحب الفراش أي للزوج أو للسيد (إذا كانت أمة) ، أما قوله :« وللعاهر الحجر» فالمراد بالحجر الذي يرجم به الزاني .

(٤) عبد الرزاق (١٢٣٨٠) .

قال: قلت للزهري: أرأيت لو أن امرأة زنت فقالت: إن ولدها من غير زوجها وقال الزوج: بل هو لي؟ قال: هو له إن اعترف به.

وقال عبد الرزاق[١] أخبرنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: أم ولد ميسرة ابن زياد تزعم أن ولدها ليس من ميسرة، قال: لا، الولد للفراش وللعاهر الحجر، فقال له ابن عبيد بن عمير: أفلا يُدعي له القافة[٢]؟ قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، قال ابن جريج: وأقول أنا: إذا قالته الحرة كُذِّبت وضُربت.

* * *

س - ما المراد بالعذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ...﴾ [النور: ٨] **؟**

ج: المراد بالعذاب هنا حدُّ الزنا، وهو الرجم إن كانت أحصنت، والجلد والتغريب إن كانت لم تحصن.

* * *

س - لماذا خُصَّ الرجل باللعن في قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٧] **وخصَّت المرأة بالغضب في قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** [النور: ٩] **؟**

ج: خصت الزوجة بالغضب لكونها إن كذبت تكذب على علم، إذ هي تعلم تمام العلم هل هي زنت أم لم تزن، فالذي يكذب في مثل هذا الموطن على

---

(١) عبد الرزاق (١٢٣٨١).

(٢) القافة هم القوم - أو الرجل = الذي يعملون بالقيافة، وهي مطابقة أثر الولد مع والديه فينظرون هل هو ابنه أو ليس بابنه، وذلك من خلال النظر إلى يده ويد أبيه أو رجله ورجل أبيه.

علم يستحق الغضب ، وذلك كاليهود لأنهم عاندوا وكابروا مع علمهم فوصفوا بأنهم مغضوب عليهم .

وأضاف بعض العلماء وجهًا آخر وهو أن المرأة خصت بالغضب لخيانتها وتمكين غير زوجها منها وإلحاق الولد بأب غير أبيه ولكونها هي الداعية إلىٰ الزنا والمرغبة فيه .

أما تخصيص الرجل باللعن فلكذبه وافترائه إن كان كاذبًا ، فهو سيطرد زوجته من عنده وينفي عن نفسه الولد ، فيستحق اللعنة ، وهي الطرد من الرحمة إن كان كاذبًا ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س - أين جواب الشرط لقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]؟

ج : جواب الشرط محذوف ، ولأهل العلم في تقديره أقوال :

الأول: أن المراد : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة وأنزل بكم العذاب ولفضح الكاذب منهما . وثم قول آخر وهو :

الثاني : ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما أنزل هذه الآيات التي رفعت الحرج عن الزوج الذي يرىٰ زوجته علىٰ فاحشة ولم يستطع الإتيان بالشهود ، والآيات التي رفعت الحرج عن الزوجة التي يتهمها زوجها وهي بريئة .

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : يقول تعالىٰ ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وأنه عوَّاد علىٰ خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة علي معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم

بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً رحمة منه بكم وتفضلاً عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما نهاكم من معاصيه ، وتُرك الجواب في ذلك اكتفاءً بمعرفه السامع المراد منه .

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره : جواب الآية محذوف ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان : أيها الرجل لولا كذا ، أي لولا كذا لشتمتك ، فعلىٰ هذا معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** ﴾ [النور : ١٠] لنال الكاذب منكما العذاب في الحال ، ومنهم من قال : ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** ﴾ بتأخير العذاب وإمهاله لعجَّل عذابه .

وقال الرازي في تفسيره : ولا شبهة أن في الكلام حذفًا إذ لابد من جواب إلا أن تركه يدل علىٰ أنه أمر عظيم ، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوقٍ به .

وقال السعدي في تفسير المنان : أي لأحل بأحد المتلاعنين - الكاذب منهما - ما دعا به علىٰ نفسه .

قلت : وقد زدت أنا الوجه الثاني الذي قدمته ، والله أعلم .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٠] ولماذا ختمت بها الآية ؟

ج : قوله : « تواب » أي يرجع بالتوبة والرحمة علىٰ من رجع عن المعاصي ، وقوله : «حكيم» أي فيما شرع وفرض من الحدود وفيما بيَّن من الأحكام .

أما وجه ختام الآية الكريمة بقوله : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ** ﴾ [النور : ١٠] ففيه فتح باب التوبة لمن أراد أن يتوب ويرجع إلىٰ الله ، فالله يتوب عليه ويرجع إليه بالرحمة ويتجاوز عنه ، كما قدمنا مراراً أن الكبائر ، بل والصغائر - إذا ذكرت مع عقوبتها فتح بعدها باب التوبة حتىٰ لا يقنط شخص من رحمة الله ، كما قال

سبحانه في شأن الذين حرَّقوا المؤمنين بالنار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠] فدلت الآية على أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

إلى غير ذلك، فانظر إلى سعة رحمة الله عز وجل وعظيم عفوه، تفتح أبواب التوبة للتائبين حتى لا يقنط أحدٌ من رحمة الله، ولا ييأس شخص من روح الله.

حديث الإفك

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

س - اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

الإفك - عصبةٌ - تولى كبره - لولا - مبين - مسَّكم - أفضتم فيه - تلقَّونه - هيِّنًا - بهتان - يعظكم - تشيع - الفاحشة؟

ج :

الكلمة	معناها
الإفك	أشد الكذب - أسوأ الكذب - الكذب والافتراء والبهتان والمراد به هنا الفريةُ التي رُميت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . وقيل أيضًا في تعريف الإفك : الكذب الذي يتحير الشخص من شدته ، والبهتان الذي لا تشعر به حتى يفجأك.
عصبةٌ	جماعة ، وقيل جماعة يتعصب بعضهم لبعض .
تولى كِبرَه	قام بنشر معظمه وإفشاء أكثره - بدأ بالخوض فيه ونشره
لولا	هلا
مبينُ	ظاهر - واضحٌ - جليٌّ - بيِّنٌ
مسَّكم	أصابكم - حلَّ بكم
أفضتم فيه	تكلمتم فيه - وأكثرتم من الحديث فيه - خضتم في الحديث فيه - تحدثتم بتوسعٍ واستفاضة بدون تحفظ .
تلقَّونه	تقولونه - تتلقونه - يأخذه بعضكم عن بعض ويتلقاه بعضكم من بعض ومنه قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) - ينقله بعضكم عن بعض . وقول آخر : تستمرون فيه وتسرعون بالكذب، من قوله: ولق في الشيء إذا استمر فيه . والمعنى تستمرون في كذبكم .
هينًا	سهلاً - يسيراً .
بهتانٌ	افتراء - كذبٌ مُحير - والبهتان ذكر المسلم بما يكره بما ليس فيه كما في الحديث (وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) .
يعظكم	يُذكرِّكم - يُحرم عليكم - ينهاكم (نهيًا مصحوبًا بالوعيد)
تشيع	تنتشر وتُذاع وتظهر وتفشو .
الفاحشة	الزنا - وقيل الفرية والاتهام والرمي بالزنا واللواط ونحو ذلك.

س - ما هو هذا الإفك؟، ومن الذي تولى كبره؟، ومن التي رُميت به؟

ج : هذا الإفك هو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، والذي تولىٰ كبره هو عبد الله بن أُبي بن سلول ، وذلك لما ورد في الصحيحين[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : وكان الذي تولىٰ كبره عبد الله بن أُبىٰ ابن سلول .

وهذا هو رأي أكثر أهل العلم .

ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن الذي تولىٰ كبره هو حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وهذا قول ضعيف ، لكن من حجج قائليه ما أخرجه البخاري[٢] في صحيحه من طريق مسروق قال : دخل حسانُ بن ثابت علىٰ عائشة فشبَّب وقال : حصانٌ[٣] رزان[٤] ما تُزنُّ[٥] بريبةٍ وتصبحُ غرثىٰ[٦] من لحوم الغوافل[٧] قالت عائشة : لست كذاك ، قلت : تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النور : ١١] فقالت : وأي عذاب أشد من العمىٰ ، وقالت : وقد كان يَرُدُّ عن رسول الله ﷺ .

ولكن ما ذكر عن عائشة أن الذي تولىٰ كبره عبد الله بن أبي بن سلول أصرح مما ذُكر في رواية مسروق من أن الذي تولىٰ كبره هو حسان بن ثابت .

---

(١) سيأتي قريبًا .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٥٦) .

(٣) حصان أي عفيفة ممتنعة من الرجال .

(٤) رزان أي رزينة .

(٥) تُزَنُّ : تُرمىٰ .

(٦) جائعة فارغة البطن لكونها لم تأكل لحم إخوانها الأموات باغتيابهم .

(٧) الغوافل : جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر .

ولعلَّ مسروقًا يريد الآية بتمامها ، وأن حسان من الذين جآءوا بالإفك وشاركوا في نشره .

أو يُقال إن مسروقًا لم يشهد الذي حدث إذ هو تابعي لم يشهد القصة وإنما أقرته عائشة على أن حسان شارك في نشر الإفك ولم ترد أنه هو الذي تولى كبره .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك كان عبد الله بن أُبي ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أنه الذي بدأ بذكر الإفك ، وكان يجمع أهله ويُحدثهم عبد الله ابن أُبى بن سلول ، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر . والله أعلم .

* * *

س - اذكر بعض من ساهم في نشر هذا الإفك وبثه ؟

ج : ممن ساهم في نشر هذا الإفك وبثه ، عبد الله بن أُبي بن سلول ، وهو الذي تولى كبره كما قدمنا ، ومنهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنه بنت جحش ، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك .

وثم آخرون فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم عصبة .

* * *

س - الخطاب في قوله تعالى : ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ [النور: ١١] **موجهٌ لمن ؟ وما فائدة هذا الخطاب؟**

ج : الخطاب لرسول الله ﷺ ولآل أبي بكر الصديق ولكل المؤمنين الذين ساءهم هذا التصرف .

وفائدته أنه يحمل معنى التسلية والتصبير للمؤمن ، بل وزيادة تكريم في قوله : ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١].

س - ما هو وجه الخير في هذا الإفك ؟

ج : الخير في هذا من وجوه ، فقد قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١] ومن وجوه الخير في هذا الإفك ما يلي :

أولاً: أن من رُمي بهذا الإفك قد اكتسب ثوابًا عظيمًا ؛ لكونه ابُتلي وظلم فصبر وعفا ، ومن صبر على البلاء فهو مأجور ومن عفا فهو من المحسنين الذين ادخرت أجورهم عند الله .

ثم هذا الذي رُمي بهذا الإفك ، وهو عائشة وصفوان رضي الله عنهما يأخذان من أجور وحسنات من رماهما وقذفهما وطعن في عرضهما ، فالمظلوم يأخذ من حسنات ظالمه كما في حديث المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتي قد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا . . فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[1] .

وأيضًا فخطايا من رُمي ومن ابتلي فصبر تُكفر ويغفرها الله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : كل من أهمه أمر رسول الله ﷺ وأمر نسائه وأمر المؤمنين وأحزنه فإنه مأجور فالهم الذي يصيب المؤمن يؤجر عليه المؤمن .

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار » .

ثالثًا: في المحن يظهر المحب من المبغض والصديق من العدو فيعرف المؤمنون المحب لهم والمبغض والصديق والعدو .

رابعًا : إظهار عفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان فضلها وبيان براءة حرم النبي ﷺ ، وذلك في قرآن يتلىٰ في المحاريب، ويحفظ في الصدور، وتعمر به قلوب أهل الإيمان .

خامسًا : تأديب المؤمنين وتعليمهم إذا حدثت لهم مثل هذه الأحداث ، وبيان كيفية التصرف في مثل هذه المواطن .

* * *

س - علمنا نحن البشر قاصرٌ ؛ فقد نرى الخير في شيء ويكون هذا الشيء يحمل كل الشر ، وقد نرى في شيءٍ ما شرًا ويكون فيه كل خير ، دلل على هذا ؟

ج : علىٰ ذلك جملةٌ من الأدلة ، منها ما يلي :

قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

وقوله تعالىٰ في شأن النساء : ﴿ **فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ٩] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [النور : ١١] .

وها هو الخضر يخرق السفينة ، ويقتل الغلام ، ويقيم الجدار في قرية البخلاء ، وهذا شيء مستنكرٌ في الظاهر ولكنه كله خير ، ويقول الخضر لموسىٰ

وهو يُعلمه : (ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر)[١] .

وأخيراً أُذكر بهذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ...** » فذكر الحديث وفيه : «**وبينا صبي يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة**[٣] **وشارة**[٤] **حسنة ، فقالت أمه : اللهم ! اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه ، فقال : اللهم ! لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع**» .

قال : فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها قال : «**ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيت، سرقت ، وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فترك الرضاع ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها ، فهناك تراجعا الحديث**[٥] **فقالت : حلقي**[٦] **! مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم : اجعل ابني مثله فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون : زنيت ، سرقت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت : اللهم اجعلني مثلها**[٧] ؟ .

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠١) ومسلم (حديث ٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٥٠) والبخاري (حديث ٣٤٦٦) .

(٣) (فارهة) الفارهة النشيطة الحادة القوية ، وقد فرهت فراهة وفراهية .

(٤) (وشارة) الشارة الهيئة واللباس .

(٥) (تراجعا الحديث) معناه أقبلت على الرضيع تحدثه ، وكانت أولا لا تراه أهلا للكلام ، فلما تكرر منه الكلام، علمت أنه أهل له فسألته وراجعته .

(٦) (حلقي) أي أصابه الله تعالى بوجع في حلقه .

(٧) (مثلها) أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة .

قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم! لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق. فقلت: اللهم اجعلني مثلها.

***

س - في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾ [النور: ١١]، مقدرٌ محذوف ما هو؟

ج: المقدر هو (جزاء) فالمعنى لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من الإثم.

***

ما ورد في حديث الإفك من الفوائد

س - اذكر سبب نزول هذه الآيات ﴿ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾ [النور: ١١]؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمهُا، خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه، مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه، وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل[٢]، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (حديث ٢٧٧٠) واللفظ له.

ذكر النووي رحمه الله من حاشية مسلم بترتيب محمد فؤاد، معاني هذه المفردات.

(٢) (آذن ليلة بالرحيل) روى بالمد وتخفيف الذال، وبالقصر وتشديدها، أي أعلم.

جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلىٰ الرحل ، فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار[١] قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط[٢] الذين كانوا يرحلون لي[٣] فحملوا هودجي[٤]، فرحلوه علىٰ بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه .

قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافًا ، لم يُهَبَّلْنَ [٥] ولم يَغْشَهُنَّ اللحم ، إنما يأكلن العُلْقَةَ[٦] من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي[٧] الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلىٰ ، فبينا أنا جالسة ، في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ، ثم الذكواني ، قد عرس[٨] من وراء الجيش فادلج[٩] . فأصبح عند منزلي ، فرأىٰ

---

(١) (عقدي من جزع ظفار) العقد نحو القلادة، والجزع خرز يماني وظفار، مبنية علىٰ الكسر، تقول: هذه ظفار ودخلت ظفار وإلىٰ ظفار، بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها، وهي قرية باليمن.

(٢) (الرهط) هم جماعة دون العشرة .

(٣) (يرحلون لي) هكذا وقع في أكثر النسخ : يرحلون لي ، باللام ، وفي بعض النسخ : بي ، بالباء . واللام أجود ، ويرحلون أي يجعلون الرحل علىٰ البعير ، وهو معنىٰ قولها فرحلوه .

(٤) (هودجي) الهودج مركب من مراكب النساء .

(٥) (لم يهبلن) ضبطوه علىٰ أوجه : أشهرها ضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة ، أي يثقلن باللحم والشحم . قال أهل اللغة : يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه .

(٦) (العلقة) أي القليل ، ويقال لها أيضًا : البلغة .

(٧) (فتيممت منزلي) أي قصدته .

(٨) (قد عرّس) التعريس نزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة ، وقال أبو زيد : هو النزول أي وقت كان ، والمشهور الأول .

(٩) (فادلج) الإدلاج هو السير آخر الليل .

سواد إنسان[١] نائم فأتاني فعرفني حين رآني ، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي ، فاستيقظت باسترجاعه[٢] حين عرفني ، فخمرت وجهي[٣] بجلبابي ، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتىٰ أناخ راحلته فوطئ علىٰ يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة، حتىٰ أتينا الجيش ، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة[٤] ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولىٰ كبره[٥] عبد الله بن أُبي بن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت ، حين قدمنا المدينة ، شهرا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك[٦]، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني[٧] ، في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف[٨] الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول « كيف تيكم [٩] ؟ » فذاك يريبني ، ولا أشعر بالشر ، حتىٰ خرجت بعدما نقهت [١٠] وخرجت معي أم مسطح قِبل

---

(١) (فرأىٰ سواد إنسان) أي شخصه .

(٢) (فاستيقظت باسترجاعه) أي انتبهت من نومي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) (فخمرت وجهي) أي غطيته .

(٤) (موغرين في نحر الظهيرة) الوغر النازل في وقت الوغرة ، وهي شدة الحر ، ونحر الظهيرة وقت القائلة وشدة الحر .

(٥) (تولىٰ كبره) أي معظمه .

(٦) (يفيضون في قول أهل الإفك) أي يخوضون فيه ، والإفك ، بكسر الهمزة وإسكان الفاء ، هذا هو المشهور ، وحكي القاضي فتحهما جميعًا ، قال : هما لغتان كنجْس ونجَس ، وهو الكذب .

(٧) (يريبني) بفتح أوله وضمه ، يقال : رابه وأرابه ، إذا أوهمه وشككه .

(٨) (اللطف) بضم اللام وإسكان الطاء ، ويقال بفتحهما معا ، لغتان . وهو البر والرفق .

(٩) (كيف تيكم) هي إشارة إلىٰ المؤنثة ، كذلكم ، في المذكر .

(١٠) (نَقِهت) بفتح القاف وكسرها ، لغتان ، حكاهما الجوهري في الصحاح ، وغيره ، والفتح أشهر ، واقتصر عليه جماعة ، يقال : نقه ينقه نقوها فهو ناقه ، ككلح يكلح كلوحا فهو كالح ، ونقه ينقه نقها فهو ناقه كفرح يفرح فرحا ، والجمع نُقَّه ، والناقه هو الذي أفاق من المرض وبرأ منه ، وهو قريب عهد به ، لم يتراجع إليه كمال صحته .

المناصع[١] ، وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلاً إلىٰ ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[٢] قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول[٣] في التنزه[٤]، وكنا نتأذىٰ بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها[٥] ، فقالت : تعس[٦] مسطح، فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً ، قالت : أي هنتاه[٧] أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضًا إلىٰ مرضي ، فلما رجعت إلىٰ بيتي، فدخل علي رسول الله ﷺ ، فسلم ثم قال: «كيف تيكم ؟ » قلت : أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ ،

---

(١) (المناصع) هي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها .

(٢) (الكنف) هي جمع كنيف ، قال أهل اللغة : الكنيف الساتر مطلقا .

(٣) (الأول) ضبطوا الأول بوجهين : أحدهما : ضم الهمزة وتخفيف الواو ، والثاني : الأوَّل ، بفتح الهمزة وتشديد الواو، وكلاهما صحيح .

(٤) (التنزه) هو طلب النزاهة بالخروج إلىٰ الصحراء .

(٥) (في مرطها) المرط كساء من صوف ، وقد يكون من غيره .

(٦) (تعس) بفتح العين وكسرها ، لغتان مشهورتان ، واقتصر الجوهري علىٰ الفتح ، والقاضي علىٰ الكسر ، ورجح بعضهم الكسر ، وبعضهم الفتح ، ومعناه عثر ، وقيل : هلك ، وقيل : لزمه الشر ، وقيل : بعد ، وقيل : سقط بوجهه خاصة .

(٧) (أي هنتاه) قال صاحب نهاية الغريب :وتضم الهاء الأخيرة وتسكن ، ويقال في التثنية : هَنَتان، وفي الجمع : هنات وهَنَوات ، وفي المذكر : هن وهنان وهنون ، ولك أن تلحقها الهاء لبيان الحركة ، تقول ياهنة ، وأن تشبع حركة النون فتصير ألفا فتقول : ياهناه ، ولك ضم الهاء فتقول : ياهناهُ أقبل ، قالوا : وهذه اللفظة تختص بالنداء ، ومعناه يا هذه. وقيل : يا امرأة ، وقيل : يا بلهاء، كأنها نسبت إلىٰ قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم .

فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية ! هوني عليك فوالله ! لقلّما كانت امرأة قط وضيئة[١] عند رجل يحبها ، ولها ضرائر[٢]، إلاكثرن عليها[٣] ، قالت قلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتىٰ أصبحت لايرقأ[٤] لي دمع ولا أكتحل بنوم[٥] ، ثم أصبحت أبكي ، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي[٦] ، يستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار علىٰ رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال : يا رسول الله ! هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي ابن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك ، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريره فقال : « **أي بريرة هل رأيت من شيء- يريبك من عائشة ؟** » قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه[٧] عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن[٨] فتأكله ، قالت فقام رسول الله

---

(١) (وضيئة) هي الجميلة الحسنة ، والوضاءة الحسن .

(٢) (ضرائر) جمع ضرة ، وزوجات الرجل ضرائر ، لأن كل واحدة تتضرر بالأخرىٰ ، بالغيرة والقسم وغيره ، والاسم منه الضرّ ، بكسر الضاد ، وحكي ضمها .

(٣) (كثرن عليها) أي أكثرن القول في عيبها ونقصها .

(٤) (لا يرقأ) أي لا ينقطع .

(٥) (ولا أكتحل بنوم) أي لا أنام .

(٦) (استلبث الوحي) أي أبطأ ولبث ولم ينزل .

(٧) (أغصمه) أي أعيبها به .

(٨) (الداجن) الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعي ، ومعنىٰ هذا الكلام أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً ولا فيها شيء من غيره ، إلا نومها عن العجين .

ﷺ على المنبر ، فاستعذر[١] من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : « **يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ! ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وماكان يدخل على أهلي إلا معي** » فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه[٢]، يا رسول الله ! إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام سعد بن

---

(١) (استعذر) معناه أنه قال : من يعذرني فيمن آذاني في أهلي ، كما بينه في هذا الحديث ، ومعنى من يعذرني : من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلمني، وقيل معناه من ينصرني ، والعذير الناصر .

(٢) (أنا أعذرك منه) قال القاضي عياض : هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد ، وهو قولها : فقام سعد ابن معاذ فقال : أنا أعذرك منه ، وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق، سنة ست ، فيما ذكره ابن إسحق .

ومعلوم أن سعد بن معاذ مات إثر غزوة الخندق، من الرمية التي أصابته ، وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير ، إلا شيئًا قاله الواقدي وحده .

قال القاضي : قال بعض شيوخنا : ذكر سعد بن معاذ ، في هذا ، وهم ، والأشبه أنه غيره ، ولهذا لم يذكره ابن إسحق في السير ، وإنما قال : إن المتكلم أولاً وآخرا أسيد بن حضير ، قال القاضي : وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع ، وهي سنةالخندق ، وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة .

قال القاضي : فيحتمل أن غزوة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق .

قال القاضي : وقد ذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس ، قال : وكانت الخندق وقريظة بعدها ، وذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك ، وقال : الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق .

قال القاضي : وهذا لذكر سعد في قصة الإفك، وكانت في المريسيع، فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ، وهو الذي في الصحيحين، وقول غير ابن إسحق، في غير وقت المريسيع، أصح .

هذا كلام القاضي ، وهو صحيح .

عبادة ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحًا ، ولكن اجتهلته الحمية[١] ، فقال لسعد بن معاذ : كذبت . لعمر الله ! لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله ! لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج[٢] ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت ، قالت: وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة . لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي ، وأنا أبكي ، استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي ، قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: « **أما بعد.يا عائشة ! فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله**[٣] **وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه** » قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي[٤] حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ

---

(١) (اجتهلته الحمية) هكذا هو هنا لمعظم رواة «صحيح مسلم» ، «اجتهلته» ، بالجيم والهاء ، أي خفته وأغضبته وحملته على الجهل .

(٢) (فثار الحيان الأوس والخزرج) أي تناهضوا للنزاع والعصبية .

(٣) (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله) معناه إن كنت فعلت ذنبًا ، وليس ذلك لك بعادة، وهذا أصل اللمم .

(٤) (قلص دمعي) أي ارتفع لاستعظام ما يعيبني من الكلام .

فيما قال ، فقال : والله! ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ ، فقالت : والله ! ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني، والله! لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتىٰ استقر في نفوسكم وصدقتم به ، فإن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة ، لتصدقونني ، وإني ، والله ! ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : (فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون) .

قالت : ثم تحولت فاضطجعت علىٰ فراشي ، قالت: وأنا ، والله حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن ، والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلي ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلىٰ ، ولكني كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، قالت : فوالله ما رام[١] رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد ، حتىٰ أنزل الله عز وجل علىٰ نبيه ﷺ ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[٢] عند الوحي ، حتىٰ إنه ليتحدر[٣] منه مثل الجمان[٤] من العرق، في اليوم الشات ، من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فلما سرّي[٥] عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : «أبشري

---

(١) (ما رام) أي ما فارق .

(٢) (البرحاء) هي الشدة .

(٣) (ليتحدر) أي ليتصبب .

(٤) (الجمان) الدر ، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ، في الصفاء والحسن .

(٥) (فلما سرّي) أي كشف وأزيل .

ياعائشة ! أما الله فقد برأك » ، فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت : والله ! لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي ، قالت : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ** ﴾ [النور : ١١] عشر آيات ، فأنزل الله عزوجل هؤلاء الآيات براءتي ، قالت : فقال أبو بكر ، وكان ينفق علي مسطح لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ**[1] **مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور: ٢٢ - ٢٤] .

قال حبان بن موسىٰ : قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجىٰ آية في كتاب الله .

فقال أبو بكر : والله ! إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلىٰ مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال: لا أنزعها منه أبدًا .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش ، زوج النبي ﷺ عن أمري : « **ما علمت ؟ أو ما رأيت ؟** » فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري[2] . والله ما علمت إلا خيراً .

قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني[3] من أزواج النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها[4] . فهلكت فيمن هلك .

---

(١) (ولا يأتل أولو الفضل) أي لا يحلفوا ، والألية اليمين .

(٢) (أحمي سمعي وبصري) أي أصون سمعي وبصري من أن أقول سمعت ولم أسمع ، وأبصرت ولم أبصر .

(٣) (وهي التي كانت تساميني) أي تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي ﷺ ، وهي مفاعلة من السمو ، وهو الارتفاع .

(٤) (وطفقت أختها تحارب لها) أي جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك .

س - اذكر بعض الفوائد المتعلقة بحديث الإفك ؟

ج : **أورد النووي رحمه الله طرفًا من ذلك فقال رحمه الله** [١] :

واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة :

إحداها : جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد قطعة مبهمة منه ، وهذا وإن كان فعل الزهري وحده ، فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به .

الثانية : صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء .

الثالثة : وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن .

الرابعة : أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات ، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا ، وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح ، وخالف فيه بعض أصحابنا .

الخامسة : جواز سفر الرجل بزوجته .

السادسة : جواز غزوهن .

السابعة : جواز ركوب النساء في الهوادج .

الثامنة : جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار .

التاسعة : أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير .

العاشرة : جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج ، وهذا من الأمور المستثناه .

---

(١) شرح مسلم (كتابة التوبة) .

الحادية عشر : جواز لبس النساء القلادة في السفر كالحضر .

الثانية عشر : أن من يركب المرأة البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرمًا إلا لحاجة ، لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه .

الثالثة عشر : فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ ، وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل المختار .

الرابعة عشر : جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوه لحاجة تعرض له عن الجيش ، إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع .

الخامسة عشر : إعانة الملهوف وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان رضي الله عنه في هذا كله .

السادسة عشر : حسن الأدب مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال ، وإنه ينبغي أنه يمشي قدامها لا بجنبها ولا وراءها .

السابعة عشر : استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان .

الثامنة عشر : استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا ، وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه .

التاسعة عشر : تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي ، سواء كان صالحًا أو غيره .

العشرون : جواز الحلف من غير استحلاف .

الحادية والعشرون : أنه يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة رضي الله عنها هذا الأمر شهرًا ، ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض ، وهو قول أم مسطح : تعس مسطح .

الثانية والعشرون : استحباب ملاطفة الرجل زوجته ، وحسن المعاشرة .

الثالثة والعشرون: أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئًا أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض ، فتسأل عن سببه فتزيله .

الرابعة والعشرون : استحباب السؤال عن المريض .

الخامسة والعشرون : أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ، ولا يتعرض لها أحد .

السادسة والعشرون : كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذىٰ أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح ، كما فلعت أم مسطح في دعائها عليه .

السابعة والعشرون: فضيلة أهل بدر ، والذب عنهم ، كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح .

الثامنة والعشرون : أن الزوجة لا تذهب إلىٰ بيت أبويها إلا بإذن زوجها .

التاسعة والعشرون : جواز التعجب بلفظ التسبيح ، وقد تكرر في هذا الحديث وغيره .

الثلاثون : استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينوبه من الأمور .

الحادية والثلاثون : جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تعلق ، أما غيره فهو منهي عنه ، وهو تجسس وفضول .

الثانية والثلاثون : خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم .

الثالثة والثلاثون : اشتكاء ولي الأمر إلي المسلمين من تعرض له بأذىٰ في نفسه أو أهله أو غيره ، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به .

الرابعة والثلاثون : فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل رضي الله عنه بشهادة النبي ﷺ له بما شهد ، وبفعله الجميل في إركاب عائشة رضي الله عنها ، وحسن أدبه في جملة القضية .

الخامسة والثلاثون : فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما .

السادسة والثلاثون : المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات ، وتسكين الغضب .

السابعة والثلاثون : قبول التوبة والحث عليها .

الثامنة والثلاثون : تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار ، لأنهم أعرف .

التاسعة والثلاثون : جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ، ولا خلاف أنه جائز .

الأربعون : استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة ، أو اندفعت عنه بلية ظاهرة .

الحادية والأربعون : براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا إكرام من الله تعالى لهم .

الثانية والأربعون : تجديد شكر الله تعالى عند تجدد النعم .

الثالثة والأربعون : فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ ...** ﴾ [النور: ٢٢] .

الرابعة والأربعون : استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين .

الخامسة والأربعون : العفو والصفح عن المسيء .

السادسة والأربعون : استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات .

السابعة والأربعون : أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

الثامنة والأربعون : فضيلة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها .

التاسعة والأربعون : التثبيت في الشهادة .

الخمسون : إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ، ومن خدمه أو أطاعه كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان وإكرامه إكراماً للنبي ﷺ .

الحادية والخمسون : أن الخطبة تبتدأ بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله .

الثانية والخمسون : أنه يستحب في الخطب أن يقول بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ والشهادتين : أما بعد ، وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة .

الثالثة والخمسون : غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم ، واهتمامهم بدفع ذلك .

الرابعة والخمسون: جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق ، وقال : إنك منافق تجادل عن المنافقين ، وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ، ولم يرد النفاق الحقيقي .

❊ ❊ ❊

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - هلا إذ بلغكم هذا الإفك والكذب ظننتم بإخوانكم المؤمنين أهل الفضل والتقى والصلاح خيراً وقلتم لما سمعتم عنهم من مكروه وسوء بملء أفواهكم هذا كذب واضح وافتراء فاضح لمن جاء به ولمن نقله؟!!

* * *

س - من المراد بالأنفس في قوله تعالى : ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] ؟

ج : المراد بقوله تعالى : (بأنفسهم) أي بإخوانهم وأخواتهم من المؤمنين والمؤمنات وذلك لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة واحدة لأنهم أهل ملةٍ واحدة وقد ورد هذا المعنى في جملة من النصوص ، كقوله تعالى : ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وقوله تعالى : ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وكقوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ[1]﴾ [البقرة: ٥٤] وأيضاً قوله تعالى : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

وكقوله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[2] .

---

(١) هذا في شأن بني إسرائيل كي يتاب عليهم من عبادتهم للعجل ، وقوله : ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أي ليقتل بعضكم بعضاً .

(٢) انظر « صحيح مسلم » (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً .

وكقول النبي ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام... »[١].

* * *

س - اذكر بعض الآداب التي أدَّب الله بها المؤمنين في مثل هذه الأحوال ؛ أحوال انتشار الشائعات والطعن في المؤمنين والمؤمنات ؟

ج : أولاً : على المؤمن أن يظن الخير بإخوانه المؤمنين وأخواته المؤمنات، فإذا نقل له عن أخيه المؤمن أو عن أخته المؤمنة خبرٌ يشين ويُحزن، وخبرٌ يحمل طعنًا في أعراض إخوانه المؤمنين والمؤمنات ، فعليه حينئذ أن يُكذِّب هذا الخبرالذي يحمل طعونًا في المؤمنين والمؤمنات وفي أعراضهم ويقول بملء فيه عن هذا الخبر الذي لم تصاحبه البينات : هذا إفك مبين ، هذا كذب واضح وظاهر ، وذلك تبرئة لساحة إخوانه المؤمنين وأخواته المؤمنات وحماية لأعراضهم وصونًا لكرامتهم ، وإلى هذا الأدب أرشدنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ [النور: ١٢] ، وقد ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم تصرفوا مثل هذا التصرف من الظن الحسن بإخوانهم المؤمنين والمؤمنات فقد أخرج الطبري وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟! قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك ، قال : فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ**

---

(١) البخاري (حديث١٧٤١) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) ابن جرير الطبري في التفسير (١٨/ ٧٧) ، وفيه إبهام رجال بني النجار ولا أدري أهم صحابة أم لا ؟

جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: ١١] ، وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ الآية [النور : ١٢] أي كما قال أبو أيوب وصاحبته .

ثانيًا : على أهل الأيمان أن يتثبتوا في أمورهم بالبينات والدليل والبرهان فلا يترك أهل الكذب والافتراء يخوضون في أعراض المؤمنين والمؤمنات وينتهكوها، بل يطلب من هؤلاءالبينات والدلائل والبراهين على صدق مدعاهم، فإذا أتوا بالبينات والدلائل والبراهين أخذ بها وأقيم الحد على مستحقه ، وإذا لم يأت هؤلاءالظلمة بالبينات فحينئذ يحكم عليهم بما يستحقونه شرعًا ودينًا من إقامة حدود الله عليهم ووصفهم بالكذب والفسق .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] .

فقد تقوى الظنون وتكثر الوساوس والهواجس لكثرة كلام الناس وليس هناك بينات ، فإذا تدافعت عليك الظنون وكثرت عليك الوساوس فعليك حينئذٍ أن تطالب بالبينات الظاهرة ، ألا وهي الشهود هاهنا ، فإذا لم يأت القذفة بالشهود فأ ولئك عند الله هم الكاذبون .

ثالثًا : على المؤمن أن ينظر في حجم الكلام وفي أبعاده ، وبمن يتعلق هذا الكلام وذاك الحديث ، فليس كل الكلام يتكلم به ، وليس كل حديث يُخاض فيه وعرض المسلم ليس كعرض الكافر ، والمؤمن الصالح أعظم حرمة من الفاسق الكذاب .

فإذا اتهم رجل من أهل الفضل والصلاح وطُعن في عرضه فاتهامه والطعن في عرضه أعظم جرمًا بلا شك من الطعن في عرض غيره .

فلا تسمح لشخصٍ يطعن في أهل الصلاح أمامك ، لا تسمح لشخص بالخوض في أعراضهم وأنت ساكت ، بل ذب عن أخيك المسلم وعن عرضه وعن حماه ! والزم الأدب ولا تخض مع الخائضين ولا تهلك مع الهالكين ، قال الله سبحانه : ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور: ١٦].

وصدقت يارب فيما قلت ، فحقًا ليس لأهل الإيمان أن يخوضوا في مثل هذه القاذورات ولا في مثل هذه الطعون ولا في تلك البذاءات .

ليس لأهل الإيمان أن يتناولوا الأعراض ، وأعراض من ؛ أعراض بيت النبوة ، أشرف بيت على وجه الأرض !!

فابتداءً ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء ؟

فهل يليق بالمؤمن أن يطعن في بيت نبيه ﷺ ، وهل يليق به أن يتوارد على ذهنه أو على قلبه سوءٌ في شأن بيت نبيه ﷺ وبيت أزواجه اللواتي هن أمهات المؤمنين ؟!!

فحقًا ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم !!

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] تساؤلٌ حاصله كيف يصيروا عند الله من الكاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء مع أن من كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أم لم يأت ؟

ج : المراد بقوله تعالى : ﴿ **فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [النور: ١٣] أي أنهم في أحكام الشرع التي تجري بين الناس كاذبون ، أي فاعتبروهم في دنياكم

كاذبين وهذا كما قال تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] .

ولإيضاح هذا المعنىٰ نقول : لو أن رجلاً رأىٰ رجلاً آخر يزني ، وقال : إنني رأيته يزني ، وقد رآه يزني حقيقة ، لكنه لم يأت معه بسائر الشهود ، فحكم هذا القاذف في الدنيا أنه فاسق ويقام عليه الحد ولا تقبل له شهادة أبدًا كما قال الله تبارك وتعالىٰ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : قوله تعالىٰ : ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] أي هم في حكم الله كاذبون ، وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه ، ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله تعالىٰ ؛ وهو سبحانه إنما رتب الحدود علىٰ حكمه الذي شرعه في الدنيا لا علىٰ مقتضىٰ علمه الذي تعلق بالإنسان علىٰ ما هو عليه ، فإنما يبني علىٰ ذلك حكم الآخرة .

قلت : ومما يقوي هذا المعنىٰ ويعضده ما خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : أيها الناس إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرًا أمنّاه وقرّبناه ؛ وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءًا لم نؤمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة ، وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا علىٰ الظاهر ، وأن السرائر إلىٰ الله عز وجل .

* * *

س - لماذا قيل ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ [النور: ١٥] مع أن القول في أكثر الأحيان يكون بالفم؟

ج : للعلماء على ذلك أجوبة :

أحدها : أن القول وإن كان في أكثر الأحيان يكون بالفم ، لكنه في أحيان أُخر يكون في النفس كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة: ٨] فلدفع ما قد يظن وهو أنهم قد يكونوا حدَّثوا أنفسهم ولم يتكلموا بذلك ، جيء بقوله : ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ [النور : ١٥] لبيان أنهم قد صرحوا بهذا القول وتكلموا به ، فحتى لايظن ظآن أنه كلام في النفس ، صرح بذكر الأفواه حتى يعلم أنه قد خرج من الأفواه .

الثاني : أنه قولٌ لم يقم على علم وقر في القلب وأيقن القلب به كما في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧] .

الثالث : أن المراد أنهم يقولون بملء أفواههم ، فإن القاذف قد يشير إشارة وقد يتبجح ويجهر بالقذف ويصرح به ويتشدق .

الرابع: إن قوله : ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ [النور: ١٥] للتأكيد أي لتأكيد أنهم قد قالوا ذلك . والله أعلم .

س - هناك بعض الذنوب قد يظنها الشخص صغائر وهي كبائرٌ مُهلكة ، اذكر ما يدل على ذلك ، واذكر أمثلةً لهذه الذنوب؟

ج : نعم هناك من الذنوب ذنوبٌ يظنها الشخص صغائر وهي كبيرة مهلكة ، وقد دلَّ على ذلك ما يلي :

قول الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].

وقول النبي ﷺ : « **إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير** [١] **ثم قال : بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** » [٢] .

وقول النبي ﷺ : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم** » [٣] .

وفي رواية للبخاري أيضًا : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها في النارأبعد مما بين المشرق** » [٤] .

وقول أنس رضي الله عنه : « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات » [٥] .

قال أبو عبد الله : يعني المهلكات .

ومن أمثلة هذه الذنوب : القذف والرمي بالزنا ، ومنها الاغتياب والنميمة ، ومنها نفي نسبة الرجل إلى أبيه ، ومنها عدم الاستبراء من البول .

س - (سبحانك) كلمة تُقال عند التعجب من صنائع الله سبحانه وتعالى كقول النسوة في شأن يوسف عليه السلام: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: ٣١] فما هو وجه إيرادها في قوله تعالى: ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾؟

---

(١) أي وما يعذبان في كبير في أنظاركم وفي تصوركم ، ولكنه كبير عند الله عز وجل .

(٢) البخاري (حديث ١٣٧٨)، ومسلم (حديث ٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) البخاري (٦٤٧٨) .

(٤) البخاري (حديث ٦٤٧٧) .

(٥) البخاري (٦٤٩٢) .

ج : المراد ، والله تعالىٰ أعلم ، التعجب من جرأة هؤلاء المفترين الذين جاءوا بالإفك والتعجب من شدة كذبهم علىٰ زوجة نبيهم ﷺ ، وكلمة (سبحانك) وإن كانت في الأصل للتعجب من صنع الله ، لكن كثر استعمالها في كل متعجَّب منه .

أو يقال : إن كلمة (سبحانك) هنا المراد بها تنزيه الله سبحانه وتعالىٰ من أن تكون حرمة نبيه ﷺ فاجرة ، وتنزيهه سبحانه من أن يدنس بيت نبيه ﷺ .

ومعنىٰ آخر أورده فريق من أهل العلم وهو براءة إليك مما جاء به هؤلاء الأفاكون .

* * *

س - هل تشرع الصلاة على النبي ﷺ عند التعجب ؟

ج : لم يرد ذلك عن رسول الله ﷺ فيما علمت ولم أقف علىٰ أحدٍ من الصحابة فعل ذلك .

وقال القاسمي في « محاسن التأويل » : وأما الصلاة علىٰ النبي ﷺ في مقام التعجب فلم ترد ولم تسمع في لسان الشرع ، وقد صرح الفقهاء بالمنع ، وإنما وقع من العوام وبعض المُحْدَثين كقوله :

فمن رأى حُسْنَهُ المفدَّى ... في الحال صلى على مُحمد

س - ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] ؟

ج : وجه ذلك الحث علىٰ التحلي بأخلاق المؤمنين ، فالاتصاف بالإيمان يصدُّ عن كل قبيح ويصرف عن كل مكروه .

ووجه ذلك أيضًا التهييج على التخلق بالأخلاق الحسنة ، كما تقول لشخص مثلاً : (افعل كذا لو كنت رجلاً) فيحرص هذا الشخص على فعل ما ذكرته به كي يُثبت لك رجولته .

فكذلك قوله : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ١٧] فالمؤمن يحرص على أن يثبت له مسمى الإيمان ، ويستقر فيه ، فمن ثم لا يعود لمثل هذا الافتراء وذلك حتى يثبت له مسمى الإيمان ، وهذا أسلوب جيد وحسن في الدعوة إلى الله ،ألا وهو إثارة الخير في الناس وتهييجهم على فعله بتذكيرهم بما فيهم من خير .

فإذا قلت لشخص : (أيها الرجل الصالح افعل كذا) ، فتصديرك للحديث بقولك له : (يا أيها الرجل الصالح) يكون سببًا في فتح قلبه لك وإقباله بوجهه عليك، ومن ثم امتثال ما أمرته به وحثثته عليه .

ولهذا أمثلة ونماذج متعددة في كتاب الله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فاستفتاح النداء بهذا يجعل المؤمن يُصغى لما سيلقى عليه .

ومن ذلك كذلك قوله تعالى : ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ [الإسراء: ٣] .

أي يا أبناء أهل الصلاح ، ويا ذرية أهل الإيمان والفضل الذين حُملوا في الفلك مع نوح ﷺ اعلموا أن نوحًا كان عبدًا شكورًا فكونوا كذلك .

وقوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [البقرة: ٤٧] أي يا أبناء النبي الكريم إسرائيل (وهو يعقوب ﷺ) .

إلى غير ذلك ، فهي كلمات تفتح القلوب وتطمئن الأفئدة .

ومن هذا أيضًا قول النبي ﷺ لحفصة في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «**إن عبد الله رجلٌ صالح لو كان يقوم من الليل** » فما ترك ابن عمر قيام

الليل بعد ذلك [١] .

وكإيضاح آخر لذلك فعند قولك - أثناء مخاطبتك لشخصٍ ما - لا تفعل هذا فإن هذا لا يتناسب مع أخلاقك ، لا تفعل هذا فإن هذا لا يتناسب مع أسرتك ، لا تفعل هذا فإن هذا لا يتناسب مع دينك ، دع هذا لغيرك من السفهاء ومن الأسر المتهتكة ، دعه للفساق .

فمثل هذه العبارات والكلمات تَردُّ من قيلت له إلىٰ الحق ردًّا جميلاً بإذن الله ، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨] ؟

ج : المعنىٰ- والله أعلم- ويوضح الله لكم الآيات المبينة للشرائع والدالة علىٰ الآداب والمرشدة لكل حسن وجميل من الأخلاق، وذلك لتتعظوا بها وتتأدبوا بآدابها، والله عليم بقلوبكم وبما يصلحها حكيم فيما شرعه وأمر به ونهىٰ عنه .

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] دليل على أن من أعمال القلوب أعمالٌ يؤاخذ عليها الشخص، وضح ذلك ؟

ج : نعم في الآية دليلٌ علىٰ أن من أعمال القلوب أعمالاً يؤاخذ عليها ، فالحب مصدره القلب ، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة كما قال تعالىٰ .

---

(١) انظر البخاري (٣٧٣٨) ، ومسلم (٢٤٧٩) .

وثمّ جملة من الأدلة في هذا الباب منها ما يلي :

قول الله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٢٥] .

وقول النبي ﷺ : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار..**» وفي الحديث : « **إنه كان حريصًا على قتل صاحبه** »[١] . والحرص مصدره القلب .

وكذلك في باب الحسنات ، يقول النبي ﷺ: « **إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم** » قالوا يا رسول الله : وهم بالمدينة ، قال : «**وهم بالمدينة حبسهم العذر** » وفي رواية : « إلا شركوكم في الأجر » وفي رواية «حبسهم المرض »[٢] .

وكذلك قول النبي ﷺ : « **المرء مع من أحب** »[٣] والحب مصدره القلب .

أما قوله تعالىٰ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقول النبي ﷺ : « **إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم** »[٤] .

فمحله في الخطرات والوساوس التي تعتري القلب وتمرُّ عليه ، لا تلك التي يعقد القلب عليها العزم ، والله أعلم .

---

(١) البخاري (٧٠٨٣) ، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (٤٤٢٣)، ومسلم (١٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) البخاري (حديث ٢٥٢٨) ومسلم (حديث ١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س - ما المراد بالعذاب الأليم في الدنيا ؟

ج : من ذلك الحدود التي تقام عليهم في الدنيا ، والابتلاءات والمحن والمصائب التي يبتليهم الله بها في الدنيا جزاءً بما كسبوا .

* ومن ذلك العذاب الأليم ما حلَّ بحسان بن ثابت من العمىٰ ، فقد أخرج البخاري [١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها ، قلت : أتأذنين لهذا ؟ قالت : أو ليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيان : تعني ذهاب بصره .

وفي رواية أخرىٰ عند البخاري[٢] أيضًا قلت (أي مسروق) : تدعين مثل هذا يدخُل عليك ، وقد أنزل الله : ﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النور: ١١] فقالت : وأي عذاب أشد من العمىٰ . والله أعلم .

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ﴾ مقدرٌ محذوف دلَّ عليه السياق نرجوا إيضاحه ؟

ج : هذا المقدر المحذوف هو لعاجلكم بالعقوبة وأنزل عليكم العذاب ، فالمعنىٰ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة ولأنزل عليكم العذاب ولكن الله رءوف رحيم ، والله أعلم .

* * *

(١) البخاري (حديث٤٧٥٥) .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٥٦) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات :

خطوات الشيطان - ما زكى - يأتل - أولو الفضل - السعة ؟

ج :

الكلمة	معناها
خطوات الشيطان	طرقه ومسالكه ومذاهبه ونزغاته
ما زكى	ما صَلُح ما تطهر من الذنوب ما اهتدى ما أسلم
يأتل	يحلف (١) وقيل يُقصر
أولوالفضل	الأغنياء المحسنون أهل التفضل والإحسان
السعة	المال ، من قوله لينفق ذو سعةٍ من سعته

(١) جمهور العلماء على أن معنى (يأتل) هنا يحلف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ أي للذين يحلفون أن لا يقربوا نساءهم ، ومن العلماء من ذهب إلى أن (يأتل) هنا بمعنى يقصر ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ﴾ أي لا يقصرون في إغوائكم ، والأول أولى لما ورد من سبب النزول .

س - وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١]. ؟

ج: المعنى - والله أعلم - لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم إليها الشيطان.

وبتعبير آخر: لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه، ولا تقتفوا آثاره بإشاعتكم الفاحشة أو إذاعتها في الذين آمنوا والإصغاء إلى أهل الإفك والتلقي لأقوالهم.

* * *

التحذير من اتباع خطوات الشيطان

س - حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباع خطوات الشيطان في جملة مواطن، اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة: ٩١].

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٩] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

* * *

انتشار الشائعات والحث على التثبت

س - قد تنتشر الشائعات في أوساط المسلمين ، حتى بين أهل الصلاح، فعلى المسلم أن يتثبت في أموره ويتريث في قبول الأخبار ويسأل عن البينات والقرائن ، وضح ذلك ودلِّل عليه ؟

ج : نعم قد تنتشر الشائعات حتىٰ في أوساط الصالحين ، ومن ثمَّ حثنا ربنا علىٰ التثبت في أمورنا وفي أخبارنا وفيما يُنقل عن إخواننا ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] فقد تتفشىٰ الشائعات وتنتشر وتضر بأهل الفضل والصلاح ، بل وبعموم المؤمنين والمؤمنات وليس لها أساس من الصحة .

وها هي حالات انتشرت فيها الشائعات حتى في أوساط أهل الفضل والصلاح، في أوساط خير القرون ، وخير أمة أخرجت للناس .

انتشر في أوساطهم حديث الإفك وتحدث به قوم من الصحابة متبعين سبيل أهل النفاق في هذا الباب .

انتشر في أوساطهم أيضًا أن النبي ﷺ طلّق أزواجه ولم يكن طلقهن ، وذلك لما غاضب النبي ﷺ أزواجه واعتزلهن كما قد ورد في صحيح البخاري[١] من حديث عمر رضي الله عنه .

انتشر في أوساط أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ يريد أن يتزوج بزينب ابنة أم سلمة ولم يكن لهذا الخبر أساس ولا مسحة من الصحة .

ففي صحيح البخاري [٢] من حديث أم حبيبة قالت : قلت : يا رسول الله، أنكح أختي بنت أبي سفيان ، قال : «**وتحبين**» ، فقلت : نعم ، لستُ لك بمخلية ، وأحب من شاركني في خير أُختي ، فقال النبي ﷺ: « **إن ذلك لا يحل لي** » ، قلت : يا رسول الله ، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة ، قال : « **بنت أم سلمة** »؛ فقلت: نعم ، قال : « **فوالله لو لم تكن في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن** ».

وها هي حالة أخرىٰ :

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث أنس رضي الله عنه : أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لعلي « **اذهب فاضرب عنقه** » فأتاه علي فإذا هو في ركي[٤] يتبرد فيها ، فقال له علي : اخرج ، فناوله يده فأخرجه ، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر ، فكف علي عنه ، ثم أتىٰ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه لمجبوب ، ما له ذكر .

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩١) .

(٢) البخاري (حديث ٥١٠٧) .

(٣) مسلم ص (٢١٣٩) (حديث ٢٧٧١) .

(٤) الركي هو البئر .

س - الله سبحانه وتعالى يزكي من يشاء ، ومن ثم ينبغي أن ندعو ربنا لتزكية أنفسنا ، وقد كان النبي ﷺ يفعله ، اذكر من السنة ما يدل على ذلك؟.

ج : كان من دعاء النبي ﷺ : « **اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها** »(١) .

س - فيمن نزلت هذه الآية الكريمة : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النور : ٢٢] ؟

ج : نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه لما أقسم أن لا ينفق على مسطح بعد قذف مسطح لعائشة وتبرئة الله عز وجل لها .

وقد تقدم في حديث الإفك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأنها قالت : فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره : والله لا أُنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ**﴾ [النور : ٢٢] إلى قوله : ﴿**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**﴾ فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدًا .

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجُبن والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » .

الحث على العفو والصفح

س - في قوله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ [النور: ٢٢] إرشاد إلى العفو وحث عليه. اذكر مزيداً من الأدلة في هذا الباب ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠] .

وقول رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقةٌ من مال ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله »(١) .

---

(١) مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

وقوله ﷺ: « **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم** »[١] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **ما تجرع عبدٌ جرعة أفضل عند الله عزَّ وجل من جرعة غيظٍ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى** »[٢] .

ومن صفة رسول الله ﷺ أنه لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[٣] .

* * *

س - حثنا ربنا سبحانه وتعالى على العفو عن ذوي المروءات وإقالة عثراتهم إن هم تابوا وأصلحوا واعترفوا بذنوبهم ، اذكر ما يدل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** ﴾[النور: ٢٢].

ففيه حثٌّ لأبي بكر على العفو عن مسطح لمازلت قدمه وقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ومن ذلك عفو رسول الله ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة لما أرسل حاطبٌ رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمور رسول الله ﷺ ، وأطلع الله نبيه على هذه الرسالة ثم عفا رسول الله عن حاطب .

---

(١) صحيح لشواهده ، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥ ، ٢١٩) والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٠) وعبد ابن حميد في « المنتخب » بتحقيقي (حديث ٣٢٠) .

(٢) أحمد في المسند (٢/ ١٢٨) وابن ماجة (٤١٨٩) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وهو صحيح بمجموع طريقيه والله أعلم .

(٣) انظر البخاري (حديث ٤٨٣٨) ، والترمذي (حديث ٢٠٨٥) .

ومن ذلك قول الرسول ﷺ في شأن تلك المرأة التي تابت من زناها وأقيم عليها الحد ، لما قال عمر : تُصلي عليها يا نبي الله وقد زنت ؟! فقال : « **لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى** »(١) .

* * *

فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه

س - في حديث الإفك فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وضح هذه الفضيلة ؟

ج : هذه الفضيلة تكمن في سرعة امتثال أبي بكر رضي الله عنه لأمر الله عز وجل فهو رجلٌ قُذفت ابنته ظلمًا وزورًا من رجل قريبٍ له (وهو مسطح) مع إنفاق أبي بكر عليه ، ثم برأها الله عز وجل في قرآنٍ يُتلىٰ ، فيقسم أبو بكر أن لا ينفق علىٰ مسطح لما قذف ابنته وبرأها الله فتنزل الآية : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ ...** ﴾ [النور: ٢٢] فيتراجع أبو بكر عن قسمه ويقول : لا أنزعها (أي النفقة) منه أبدًا .

س - هل يستحب العفو والصفح في كل الأحوال ؟

ج : يستحب العفو والصفح إذا اعترف الظالم بذنبه وسقط في يديه من جراء ظلمه ، ويستحب العفو والصفح أيضًا ما دامت المواقف تقتضي العفو والصفح والمسامحة ، وكذلك إذا كان الظالم - يُقدر قيمة هذا العفو والصفح .

---

(١) مسلم (حديث ١٦٩٦) .

أما إذا كان العفو والصفح سيزيدان الطاغي في طغيانه والباغي في بغيه فحينئذ يجدر بنا أن نأخذ على أيدي الطغاة البغاة الظلمة حتى ينكفوا عن أذاهم ويقلعوا عن شرهم ، وقد دلت على ذلك أدلة :

فمن ذلك قوله تعالى في شأن أهل الإيمان : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٩] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات: ٩] .

وقد دعا النبي ﷺ على أقوام فقال عليه الصلاة والسلام : « **اللهم عليك بقري ، اللهم عليك بأبي جهل وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبي معيط** »(١) .

* * *

أرجى آية في كتاب الله

س - ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ [النور: ٢٢] أرجى آية في كتاب الله فما هو وجه قولهم، واذكر مزيدًا من أقوال العلماء في تحديد أرجى آية في كتاب الله؟

ج : في صحيح مسلم (في حديث الإفك) أن الذي ذكر هذا هو عبد الله ابن المبارك رضي الله عنه ، ووجه هذا القول عندي ، والله أعلم ، أن الله

---

(١) البخاري مع « الفتح » (١/ ٣٤٩) ومسلم مع النووي (١٢/ ١٥٠) .

سبحانه وتعالىٰ حث المؤمنين الذين قُذفت بناتهم ، (حث الصديق أبا بكر الذي قذفت ابنته عائشة) علىٰ العفو عمن ظلمهم وآذاهم بقذف بناتهم ، وليس علىٰ العفو فقط بل حثهم علىٰ إرجاع النفقة إليهم ، ثم بين سبحانه أنه عز وجل أهل لذلك العفو بقوله : ﴿ **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٢] .

وثم أقوال أُخر في تحديد أرجىٰ آية من كتاب الله ، وتتفاوت أنظار أهل العلم في تحديد ذلك ، فكل يُحددها باعتبار استقر في ذهنه فمن هذه الأقوال في تحديد أرجىٰ آية ما يلي :

أحدها : أنها قول الله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] .

الثاني : أنها قوله تعالىٰ : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

الثالث : أنها قوله تعالىٰ : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٧] .

الرابع : أنها قوله تعالىٰ : ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٧] .

الخامس : أنها قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾[الضحى: ٥] .

وذلك لأن رسول الله ﷺ لا يرضىٰ ببقاء أحدٍ من أمته في النار .

الموانع من الزنا

س – وضعت جملةٌ من الأمور في ديننا للحيلولة دون وقوع فاحشة الزنا ، وضح بعض هذه الأمور ؟

ج : من ذلك ما يلي :

* الترهيب من الزنا وبيان قبحه وشدة عقوبته في الآخرة في جملة آيات

من كتاب الله ، وفي جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ ، وقد تقدمت .

* إقامة الحدود على الزناة وشهود طائفة من المؤمنين للحدود وهي تقام .

* تحريم الخلوة بالنساء الأجنبيات (غير المحارم) .

* تحريم النظر إلى النساء لغير علةٍ شرعية ، ولذلك حث النساء على غض أبصارهن .

* تحريم مصافحة الأجنبيات .

* منع سفر المرأة بدون زوج أو محرم .

* احتجاب المؤمنات عن الرجال الأجانب .

* منع النساء من الخضوع بالقول للرجال لما يجره الخضوع بالقول من الفتن .

* منع المرأة من إبداء زينتها للأجانب .

* الاستئذان عند دخول بيوت الآخرين .

* منع إشاعة الفاحشة ونشر الرذيلة في أوساط المؤمنين .

* حث الشباب والفتيات على الزواج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج .

* استئذان الأبناء على الآباء داخل البيوت، بما ورد في ذلك من الضوابط .

* * *

الجزاء من جنس العمل

س - اذكر بعض الأدلة على أن الجزاء من جنس العمل .

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور: ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ [الشورى: ٤٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **ارحموا ترحموا واغفروا يُغفر لكم** »[١] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة** »[٢] .

* وقوله عليه الصلاة والسلام : « **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به** »[٣] .

* * *

(١) صحيح لشواهده ، وقد تقدم .

(٢) مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) مسلم في النووي (١٢/ ٢١١) .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

المحصنات - لعنوا - دينهم الحق .

ج :

الكلمة	معناها
المحصنات	العفيفات
لُعنوا	أُبعدوا عن رحمة الله - عُذِّبوا
دينهم الحق	حسابهم العدل - جزاؤهم الواجب المستحق ، كقوله (ثم يجزاه الجزاء الأوفى)

س - ما حكم من سبَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها بعد نزول براءتها ؟

ج : **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبةً على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكر في هذه الآية فإنه كافر مُعاند للقرآن .

س - قذف المحصنات الغافلات المؤمنات كبير ةمهلكة ، اذكر من السنة ما يدل على ذلك ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** ، قيل : يا رسول الله ، وماهن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » .

* * *

س - هل الزنا أشد أم القذف ؟

ج : الزنا أشد من القذف بدليل أن عقوبته تفوق عقوبة القذف .

س - لماذا إذن - والزنا أشد من القذف - قيل في القذف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣] فجمعت الآية الكريمة على القاذف لعنًا في الدنيا والآخرة، والعذاب العظيم؟

ج : هذا الإشكال حمل بعض أهل العلم على تخصيص الآية .

فذهب فريق منهم إلى أن هذه الآية خاصة بأقوام معينين ، وحملهم على

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٦٦) ومسلم (٨٩) .

هذا التخصيص ما ذُكر من أن الزنا أشد إثمًا وأعظم جرمًا من القذف ، ولكن عقوبة القذف المشار إليها في الآية أغلظ وأعظم ، فمن ثمَّ خصصوا الآية ، فذهب فريق إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها وبمن رماها من أهل النفاق كعبد الله بن أُبي بن سلول .

وقال آخرون : إنها خاصة بمن أصر على القذف ولم يتب منه .

وقال آخرون : إنها خاصة بمشركي مكة لأنهم كانوا يقولون للمرأة إذا خرجت مهاجرة إنما خرجت لتفجر .

بينما ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنها عامة في كل قاذف ومقذوف من المحصنين والمحصنات ، ووجَّه اللعن في الآية بتوجيهات ذكرها صديق حسن خان في « فتح البيان » فقال: «قال أهل العلم إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة فالمراد باللعنة في قوله : ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور: ٢٣] الإبعاد عن الثناء الحسن على ألسنة أهل الإيمان ، وضرب الحد ، وهجر سائر المؤمنين لهم ، وزوالهم عن رتبة العدالة واستيحاش أهل الإيمان منهم ، وإن كان المراد بها من قذف عائشة خاصة كانت هذه الأمور في جانب عبد الله بن أُبي رأس المنافقين، وإن كانت في مشركي مكة فإنهم ملعونون في الدنيا والآخرة » .

* * *

س - ما المراد بالغافلات في الآية الكريمة ؟

ج : المراد بالغافلات الغافلات عن الزنا وهن اللواتي لم يفكرن فيه ولم يتوارد على أذهانهن أنهن يزنين ، ولم يحدثن أنفسهن بفعل الفاحشة .

قال صديق حسن خان في « فتح البيان » : «(الغافلات) أي اللاتي غفلن عن الفاحشة بحيث لا تخطر ببالهن ولا يفطن لها ، وفي ذلك من الدلائل على كمال النزاهة، وطهارة الجيب ما لم يكن في المحصنات .

وقيل: هن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاءٌ ولا مكر، لأنهن لم يجربن الأمور، ولم يزرن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات [(١)]، وكذلك البله من الرجال الذين غلبت عليهم سلامة الصدور، وحسن الظن بالناس لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا نفوسهم بها.

* * *

شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة

س - جوارح العبد تنطق وتشهد عليه يوم القيامة، دلِّل على ذلك بأدلةٍ من الكتاب والسُّنة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣].

---

(١) هذا قد أورده الرازي في «الكشاف» (٣/٥٦) ونقله عنه صديق حسن خان كما ترى، وهو هناك بزيادة

ولقد لهوت بطفلةٍ ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها

وأخرج الإمام مسلم [١] رحمه الله تعالىٰ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : « **هل تدرون مم أضحك؟**» قال : قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : « **من مخاطبة العبد ربه ، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟** قال : **يقول: بلى** ، قال : **فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلاشاهدًا مني،** قال: فيقول: **كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا** ، قال : **فيختم على فيه ، فيقال لأركانه : انطقي** ، قال : **فتنطق بأعماله،** قال : **ثم يخلى بينه وبين الكلام،** قال : **فيقول: بعدًا لكُن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل** » .

* * *

س - وضح المراد بشهادة الألسنة ؟

ج : شهادة الألسنة تتمثل في نطقها بغير إذن أصحابها وبغير اختيارهم ، فتنطق بغير إذنهم شاهدةً عليهم بما أحدثوه في دنياهم ، والله أعلم .

* * *

س - ما المراد بقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: ٢٥] ؟

ج : المعنىٰ أنه يوم القيامة يوم تشهد علىٰ هؤلاء المفترين الأفاكين القاذفين ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما صنعوا من أفعال رذيلة وأقوال قبيحة ، فعندها يجازيهم الله أعدل الجزاء وأتم الجزاء علىٰ سوء صنيعهم ، فالمراد بالدين هنا الجزاء .

أما قوله تعالىٰ : ﴿ **وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** ﴾ فالحق اسم من أسماء الله تبارك وتعالىٰ ثبت من جملة أدلة من الكتاب والسنة .

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩) .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦] .

وقال ﷺ : « أنت الحق » .

أما المبين فمعناه والله أعلم المظهر للأشياء على حقيقتها .

قال الطبري رحمه الله : ويعلمون يومئذٍ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذي كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون » .

* * *

المراد بالخبيثين والخبيثات والطيبين والطيبات

س - وضح معنى هذه الآية الكريمة : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦] ؟

ج : في هذه الآية قولان مشهوران :

أولهما وأشهرهما : أن الكلمات والأقوال الخبيثة تصدر من الخبيثين من الرجال والنساء ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات فهم أهلٌ لها .

والكلمات الطيبة تصدر من الطيبين من الناس ، والطيبون تصدر منهم الكلمات الطيبة فهم لها أهل .

وهذا هو قول جمهور المفسرين ، نقله عنهم البغوي في تفسيره ، وكذلك القرطبي وصديق حسن خان .

الثاني : أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، وهكذا الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء .

س - على القول الثاني في تفسير الآية الكريمة كيف يوجه قول الله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١٠، ١١] ؟

ج : هذا القول يوجه بأحد توجيهين :

أولهما : أن الرجل الصالح يبحث عند زواجه عن امرأة صالحة ولكنه قد يُغرر به فقد يكون ظاهرها الصلاح ولكن باطنها الكفر والنفاق والعياذ بالله وهذا ما يشعر به قوله تعالى : (فخانتاهما) .

الثاني : أن يكون نبي الله نوح ، وكذا لوط عليهما السلام قد تزوجا بهاتين المرأتين قبل أن يبعثا ويكونا نبيين ، فيكونا عليهما السلام قد تجوزا في مسألة كفرهما قبل بعثتهما ، وقد كانت الكافرة تحل للمسلم في بداية بعثة الرسول محمد ﷺ ، وخاصة أن المراد بالخيانة في الدين ، وليست الخيانة في الفراش ، فلم تخن زوجة نبي فراش هذا النبي كما قاله جمهور المفسرين ، والله أعلم .

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور : ٢٦] دليل على أن أهل الصلاح أيضًا ليسوا بمعصومين من الوقوع في الخطأ ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه من قوله تعالى في شأن الطيبين والطيبات : (لهم مغفرة) أي علي ما قدموه من ذنوب ، أو ما اقترفوه من آثام فأفاد ذلك أن أهل الصلاح تصدر منهم معاصي أيضًا وإلا فالمغفرة لماذا ؟

وقد دلت على ذلك أدلة أخرى منها .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

فقوله : ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ يفيد أنهم عملوا أعمالاً سيئة فغفرها الله لهم .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »(١) .

وقول النبي ﷺ : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوي ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرج ويكذِّبه»(٢) .

* * *

بعض ما جاء في فضل الكلم الطيب

س - يليق بالطيبين أن يحرصوا على حفظ ألسنتهم فلا تصدر منهم إلا الكلمات الطيبة ، وضح ما جاء في فضل الكلم الطيب .

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] .

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (٦٢١٢) ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وقول الله تعالىٰ في الحث علىٰ الكلم الطيب: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقول النبي ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة»(١).

والطيب من القول طريق أهل الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

* * *

تبرئة الله سبحانه وتعالى للمظلومين

س - ينبغي أن يطمئن المتهم البريء إلى فرج الله عز وجل وإلى تبرئة الله سبحانه وتعالى له عاجلاً أو آجلاً دلِّل على ذلك، واذكر بعض من برأهم الله في الدنيا ممن اتهموا وهم بُرآء؟

ج: نعم فليطمئن المتهم البرئ إلىٰ ذلك فإن الله يدافع عنه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

---

(١) البخاري (حديث ٢٩٨٩) ومسلم (حديث ١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

إلىٰ غير ذلك من الآيات وقد برأ الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الحياة الدنيا عدداً لا يحصيهم إلا هو سبحانه، وممن ذُكرت تبرئتهم في كتاب الله سبحانه وتعالىٰ.

يوسف الصديق عليه السلام فقد برأه الله سبحانه علىٰ لسان الشاهد من أهل المرأة بقوله: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٧-٢٨].

وبراءة صريحة علىٰ لسان المرأة نفسها بقولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢].

ثم تبرئة أخرىٰ علىٰ لسان إخوانه الذين قالوا عن أخيه: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧].

يريدون يوسف، فهاهم هؤلاء يقولون له بعد ذلك: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

وها هو موسى ﷺ يتهمه قومه اتهامات باطله ويطعنون فيه بأنواع من الطعن لا تحصىٰ حتىٰ في جسمه يقولون عنه إنه آدر (أي عظيم الخصيتين) لكونه لا يغتسل معهم ولا يتعرىٰ معهم وحياؤه ﷺ يمنعه من التكشف والتعري معهم، فيبرأه الله مما وصفوه به وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

ففي تفسير هذه الآية أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٤) ومسلم (٣٣٩).

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسىٰ كان رجلا حييا ستيراً لا يرىٰ من جلده شيء استحياءً منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده : إما برص وإما أدرة ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسىٰ ، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه علىٰ الحجر ثم اغتسل . فلما فرغ أقبل إلىٰ ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسىٰ عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه ،وطفق بالحجر ضربا بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا ، فذلك قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا** ﴾ [الأحزاب: ٦٩] .

وها هو زيد بن أرقم رضي الله عنه لما نقل مقالات المنافقين إلىٰ رسول الله ﷺ وما يطعنون به في رسول الله ﷺ وما يكيدون به للإسلام ، وكذبه المنافقون وأقسموا الأيمان أنهم ما قالوا ،وصار في موضع اتهام بين المسلمين أوفىٰ الله له بأذنه ، وصدقه الله سبحانه وتعالىٰ ، وها هو الحديث بذلك : أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي- أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ ، فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلي عبد الله بن أبىٰ وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه ، فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت فقال لي عمي : ما أردت

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٧٢) .

إلىٰ أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١] فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال : «إن الله قد صدقك يا زيد» .

وها هي مريم عليها السلام لما اتهمها قومها بما اتهموها به وقالوا لها : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨] فماذا كان ؟! أنطق الله لها طفلها ورضيعها فقال عيسىٰ عليه السلام متكلمًا في المهد :﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٣] .

وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أنزل الله براءتها في قرآن يحفظ في الصدور ويتلىٰ في المحاريب وفي الصلوات وفي كل مكان !!!

وها هي جاريةٌ أخرى وأمةٌ من الإماء يبرأها الله تبرئة عظيمة، ها هي قصتها :

أخرج البخاري[1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها فكانت معهم ، قالت : فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور ، قالت: فوضعته - أو وقع منها - فمرت به حُدَيَّاةٌ وهو ملقىٰ ، فحسبته لحمًا فخطفته ، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت: فاتهموني به ، قالت : فطفقوا يفتشون حتىٰ فتشوا قبلها ، قالت : والله إني لقائمة معهم إذا مرت الحدياة فألقته ، قالت : فوقع بينهم ، قالت : فقلت: هذا الذي اتهمتموني به زعمتم ، وأنا منه بريئة وهو ذا هو ، قالت : فجاءت إلىٰ

(١) البخاري (حديث ٤٣٩) .

رسول الله ﷺ فأسلمت ، قالت عائشة : فكان لها خباء في المسجد ، أو حفش، قالت فكانت تأتيني فتحدث عندي ، قالت: فلا تجلس عندي مجلسًا إلا قالت :

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة : فقلت لها : ما شأنك لا تقعدين معي مقعدًا إلا قلت هذا ؟ قالت : فحدثتني بهذا الحديث .

وها هو جريج العابد يُبرئه الله عز وجل ممن اتهموه بالزنا :

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : « **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي ، فجاءته أمه فدعته ، فقال : أجيبها أو أصلي ؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته ، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها ، فولدت غلامًا، فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال: الراعي ، قالوا : نبني صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، إلا من طين** ».

فليطمئن كل بريءٍ وليطمئن كل من اتهم بالباطل ، وليطمئن كل مظلوم ، ولينم هؤلاء وهم قريرو العين فالله ناصرهم والله مبرأهم والله يرفع لهم الدرجات ويحط عنهم الخطايا والأوزار بما ظُلموا وبما افتري عليهم وبما انتهك من أعراضهم .

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ
فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

تستأنسوا - أزكى - جناح؟

ج :

الكلمة	معناها
تستأنسوا	تستأذنوا - وذهب الجمهور إلى أن المراد بالاستئناس الاستئذان بتنحنح ونحو ذلك وقيل تستأنسوا تستعلموا وتستبصروا ليكون الدخول على بصيرة.
أزكى	أكثر تزكية لكم وتطهيراً من السيئات وأكثر تنميةً لحسناتكم - أطهر وأبعد عن الريبة والشكوك والإثم
جناح	حرج وإثمٌ

س - هل لأحد من السلف قراءة أخرى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧] ؟

ج: نعم قد وردت عن بعض السلف قراءةٌ أُخرىٰ لهذه الآية، فقد أخرج ابن جرير[١] الطبري- رحمه الله- بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يقرأ هذه الآية فيقول في قراءته: ﴿**حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا**﴾.

وهذا - كما قدمنا - من ناحية الإسناد صحيح، لكن قد تعقب القرطبي هذا القول بقوله: «وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿**حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا**﴾ وصح الإجماع فيها من لدُن مدة عثمان فهي التي لا يجوز خلافها».

وقال البيهقي رحمه الله: «يحتمل أن يكون ذلك كان في القراءة الأولىٰ ثم نسخت تلاوته، يعني ولم يطلع ابن عباس علىٰ ذلك»[٢].

* * *

س - كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] قُدِّم الإستئناس على السلام، فهل الاستئناس يكون دائمًا قبل السلام أم تبعًا لتوجُّه الآية الكريمة ؟

ج: المراد بالإستئناس في الآية الكريمة - كما نقلنا عن الجمهور - الاستئذان بتنحنح ونحوه، وذلك ليعلم أهل البيت بدخولك فيحفظوا عوراتهم ويستروا بيوتهم، ثم إذا دخلت والتقيت بهم فسلم عليهم، وعلىٰ هذا الوجه فلا إشكال في الآية الكريمة.

---

(١) الطبري (١٨/ ٨٧).

(٢) انظر «فتح الباري» (١١/ ٩).

وأحيانًا يأتي الاستئناس بمعنىٰ طلب الأُنس ويكون ذلك داخل البيوت، والسلام يكون قبله ، ومن ذلك ما ورد في حديث عمر رضي الله عنه عند البخاري [١] : فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إليَّ فقال: قد ذكرتك فصمت ، فلما وليت منصرفًا ، قال : إذا الغلام يدعوني ، فقال : قد أذن لك النبي ﷺ فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع علىٰ رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثَّرالرمال بجنبه ، متكئًا علىٰ وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع إليّ بصره فقال: «لا» فقلت: الله أكبر ، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء . . . . الحديث .

ففيه أن الاستئناس بعد السلام .

ولا إشكال في هذا فقد يكون الاستئناس لطلب الأُنس من صاحب البيت داخل البيت ، وقد يكون الاستئناس لإعلام صاحب البيت بدخول الداخل .

وعلىٰ هذا التأويل يكون قوله تعالىٰ : ﴿ **حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ إذا أردنا بالإستئناس المعنىٰ الثاني تكون الآية من باب المقدم والمؤخر ، والواو لا تقتضي الترتيب إنما تقتضي مطلق التشريك ، فيكون المعنىٰ حتىٰ تسلموا علىٰ أهلها وتستأنسوا أي تطلبوا الأُنس إذا دخلتم ، والله أعلم .

* * *

بعض أحكام الاستئذان وآدابه

س - اذكر بعض سنن الاستئذان والآداب المتعلقة به ؟

ج : من ذلك ما يلي :

أن يكون الاستئذان ثلاثًا فإن أُذن للشخص وإلا انصرف ، وذلك لما

---

(١) البخاري (٥١٩١) .

أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنت جالسًا بالمدينة في مجلس الأنصار، فأتانا أبو موسىٰ فزعًا أو مذعورًا ، قلنا ما شأنك ؟ قال : إن عمر أرسل إليَّ أن آتيهُ ، فأتيت بابه فسلمت ثلاثًا فلم يرد عليَّ فرجعت فقال: ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : إني أتيتك فسلمت علىٰ بابك ثلاثًا فلم يردوا عليَّ فرجعت ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع** » فقال عمر : أقم عليه البينة وإلا أوجعتك ، فقال أُبي ابن كعب : لا يقوم معه إلا أصغر القوم ، قال أبو سعيد: أنا أصغر القوم ، قال: فاذهب به .

* ومن الآداب أيضًا ما أخرجه أحمد [٢] بسند حسن من حديث كلدة بن الحنبل أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ ، وجداية وضغابيس[٣] ، والنبي ﷺ بأعلىٰ الوادي ، قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي ﷺ: «**ارجع فقل السلام عليكم ، أدخل ؟** » بعدما أسلم صفوان ، قال عمرو : أخبرني هذا الخبر أمية بن صفوان ولم يقل سمعته من كلدة ، قال الضحاك وابن الحارث : وذلك بعدما أسلم ، وقال الضحاك وعبد الله بن الحارث : بلبن وجداية .

وعند أبي داود[٤] عن ربعي قال : حدثنا رجل من بني عامر (أنه) استأذن علىٰ النبي وهو في بيت فقال : ألج ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه : « **اخرج إلى هذا فعلمه**

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٤٥) ومسلم (حديث ٢١٥٣) .

(٢) أحمد في المسند (٣/ ٤١٤) .

(٣) الجداية من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة، والضغابيس صغار القثّاء .

(٤) أبو داود (٥/ ٣٦٩) وإسناده صحيح .

الاستئذان ، فقل له : قل : السلام عليكم أأدخل ؟ » فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل .

ولا يستقبل الباب بل يكون المُستأذن عن اليمين أو الشمال كي لا يطّلع على عورات البيوت ، وذلك لما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [١] بإسناد صحيح لشواهده من حديث عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ أن النبي ﷺ إذا أتى باباً يُريد أن يستأذن لم يستقبله ؛ جاء يمينًا وشمالاً فإن أُذن له وإلا انصرف .

ويستحب للمستأذن أن يُعرِّف بنفسه وليقل : أنا فلان ، إذا لم يكن صوته معروفًا لدى أهل البيت .

أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي ، فدققت الباب ، فقال : **« من ذا؟»** فقلت : أنا ، فقال **« أنا أنا »** [٢] كأنه كرهها .

واحذر الإطلاع على البيوت بغير إذن ، وبدون علم أصحابها .

فقد أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : **« لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذنٍ فحذفته بحصاةٍ ففقأت عينه لم يكن عليك جناح »** .

---

(١) البخاري « الأدب المفرد» رقم ١٠٧٨) (جـ ٢ / ٥١٣) ، وشاهده عند أبي داود (٥/ ٣٦٧) من طريق عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص عن الأعمش عن طلحة عن هزيل قال : جاءرجلٌ - قال عثمان : سعد - فوقف على باب النبي ﷺيستأذن ، فقام على الباب - قال عثمان مستقبل الباب - فقال له النبي ﷺ: « هكذا عنك - أو هكذا فإنما الاستئذان من النظر » .

(٢) البخاري (٦٢٥٠) ومسلم (حديث ٢١٥٥) .

(٣) البخاري (حديث ٦٩٠٢) ومسلم (ص ١٦٩٩) .

وفي رواية لمسلم[١] : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حلَّ لهم أن يفقئوا عينه » .

وفي الصحيحين [٢] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رجلاً اطَّلع في جُحْر في باب رسول الله ﷺ ، ومع رسول الله ﷺ مِدْرىٰ يحكُّ به رأسه ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « **لوأعلم أنك تنتظرني لطعنت به في عينك**» وقال رسول الله ﷺ : «**إنما جعل الإذن من أجل البصر** » .

وقد جعل الاستئذان من أجل البصر كما قال النبي ﷺ [٣] .

وعند البخاري في« الأدب المفرد» [٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخل البصر فلا إذن** » .

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾ [النور: ٢٨] أدب تغافل عنه الكثيرون وضحه ؟

ج : هذا الأدب يكمن في امتثال أمر الله لك بالرجوع إذا قال لك صاحب البيت: ارجع فارجع وليس في نفسك غضاضة وليس في صدرك حرج ، وذلك لأنك - في المقام الأول - ممتثلٌ لأمر الله ، ثم إن صاحب البيت أدرىٰ ببيته وبما فيه من عورات ، وللناس أسرار ولهم أعذار فعليك بالرجوع ولا يسوؤك هذا الصنيع من صاحب البيت ولا تشعره بأدنىٰ استياء ، ولا تلح في الاستئذان ولا تقف علىٰ الباب منتظراً بل انصرف متىٰ قيل لك : ارجع فهو أزكىٰ لك من القيام والقعود علىٰ الأبواب .

---

(١) مسلم (حديث ٢١٥٨) من حديث أبي هريرة أيضاً .

(٢) البخاري (حديث ٦٩٠) ومسلم (حديث ٢١٥٧) .

(٣) وقد تقدم ذلك في حديث سهل بن سعد الساعدي المشار إليه قريباً .

(٤) البخاري في « الأدب المفرد » (٢/ ٥٢٣) رقم (١٠٨٩) وإسناده حسن .

استئذان الرجل على أمه وأخته

س - هل يستأذن الرجل على أمه عند دخوله عليها ؟ وكذلك هل يستأذن على أخته ؟ وهل يستأذن على زوجته ؟

ج : نعم يستأذن الرجل عند دخوله على أمه ، فقد يرى منها ما يسوؤه ويسوؤها .

وقد أخرج البخاري في« الأدب المفرد» [١] من طريق مسلم بن نذير ، قال: سأل رجلٌ حذيفة فقال : أستأذن على أُمي ؟ فقال : إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره .

وعنده أيضًا[٢] من طريق علقمة قال : جاء رجل إلى عبد الله[٣] قال أأستأذن على أمي ؟ فقال : ما على كل أحيانها تحب أن تراها .

وكذلك يستأذن الرجل على أخواته ، وذلك لما أخرجه البخاري في الأدب المفرد [٤] من طريق عطاء قال : سألت ابن عباس فقلت : أستأذن على أُختي؟ فقال : نعم ، فأعدتُ فقلتُ : أختان في حجري ، وأنا أمونهما وأُنفق عليهما، أستأذن عليهما ؟ قال : نعم أتحب أن تراهما عريانتين ؟ ثم قرأ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ** ﴾ [النور: ٥٨] .

---

(١) البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٦٠) وهو موقوف صحيح .

(٢) البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٥٩) وهو موقوف صحيح .

(٣) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) البخاري «الأدب المفرد» ١٠٦٣) بإسناد صحيح .

قال : فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث ، قال : ﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [النور: ٥٩] .

قال ابن عباس : فالإذن واجب ، زاد ابن جريج على الناس كلهم .

أما الاستئذان على الزوجة فيستحب أيضًا ، فقد تكون على حالٍ لا تحب أن يراها عليه أحد .

ففي صحيح البخاري [(١)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوةٍ فلما قفلنا . . . ذهبنا لندخل فقال : « **أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً أي عشاءً لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة** » .

وعند البخاري في « الأدب المفرد » من حديث جابر رضي الله عنه قال: إذا دخلت على أهلك فسلِّم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة [(٢)] .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور: ٢٩] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - ليس عليكم إثمٌ ولا حرج في دخول بيوتٍ غير مسكونة فيها متاع لكم بلا استئذان عند دخولكم، أما البيوت غير المسكونة التي ذكرها الله فلأهل العلم فيها أقوال :

الأول منها أنها : الأماكن العامة التي فيها حاجات الناس ، كالمطاعم والفنادق ونحو ذلك .

الثاني منها : البيوت المبنيه على الطرقات يمر بها المارة والمسافرون وأبناء السبيل .

---

(١) البخاري حديث (٥٢٤٧) .

(٢) البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٩٥) وهو موقوف صحيح .

الثالث : أنها أماكن قضاء الحاجة .

الرابع : العمائر والأربطة التي جعلت وقفًا للناس .

الخامس : أنها المدارس ودور التعليم .

السادس : أنها بيوت مكة (على رأي من قال : إن دور مكة لا تُملَّك) وثمَّ أقوال أُخر .

وقد ذكر الطبري رحمه الله جملة من هذه الأقوال ثم قال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال إن الله عمَّ بقوله : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ** ﴾ كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن لأن الأذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل إن كان له مالكًا أو كان فيه ساكنًا ، فأما إن كان لا مالك له فيحتاج إلى أذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه فإذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا إليها أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغيراستئذان لمتاع له يؤويه إليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه منْ بول أو غائط أو غير ذلك ، وأما بيوت التجار فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها فإن ظن ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله فإن الأمر في - ذلك بخلاف ما ظن وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه لا سيما إذا كان فيه متاع ، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول فذلك بعد راجع إلى ما

قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه وإذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنىٰ قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ في شيء وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت هي ما لم يكن مسكونًا إذ حانوت التاجر لاسبيل إلىٰ دخوله إلا بإذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عني الله من هذه الآية بمعزل .

* * *

س- ما المراد بالمتاع في قوله تعالى : ﴿ فيها متاعٌ لكم ﴾ [النور : ٢٩] ؟

ج : قال صديق حسن خان في « فتح البيان » : المتاع : المنفعة عند أهل اللغة فيكون معنىٰ الآية : فيها منفعة لكم ، كاستكنان من الحر ، والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ، ومنه قوله تعالىٰ : (ومتعوهن) : وقولهم : أمتع الله بك ، وقد فسر الشعبي المتاع في كلامه بالأعيان التي تباع ، قال جابر بن زيد : وليس المراد بالمتاع الجهاز ، ولكن ما سواه من الحاجة ، قال النحاس : وهو حسن موافق للغة .

وقال ابن الجوزي في « زاد المسير » : «فيخرَّج في معنىٰ المتاع ثلاثة أقوال :

أحدها : الأمتعة التي تباع وتشترىٰ .

الثاني : إلقاء الأذىٰ من الغائط والبول .

الثالث : الانتفاع بالبيوت لإتقاء الحر والبرد .

عيادة الرجل للمرأة

س - وهل يجوز للرجل أن يعود المرأة إذا مرضت ؟

ج : نعم يجوز ذلك إذا أمنت الفتنة ووجد التستر ، وذلك لما أخرجه

مسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب - أو أم المسيب فقال : « **مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟** » قالت : الحمى لا بارك الله فيها ، فقال : « **لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد** » .

ولما أخرجه أبو داود[٢] بإسناد صحيح من حديث أم العلاءقالت : عادني رسو ل الله ﷺ وأنا مريضة فقال : ؟ « **أبشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تُذهب النار خبث الذهب والفضة** » .

الرجل يزور المرأة

س - هل يجوز للرجل أن يزور المرأة ؟

ج : نعم يجوز ذلك إذا أمنت الفتنة ، وذلك لما أخرجه مسلم[٣] عن أنس قال : قال أ بو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن- نزوها [٤] كما كان رسول الله ﷺ يزوها فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٤٣٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٦/ ٩) .

(٤) قال النووي رحمه الله : «فيه . . . وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها .

عيادة المرأة للرجل

س - هل يجوز للمرأة أن تعود الرجل إذا مرض ؟

ج : نعم يجوز ذلك إذا كانت الفتنة مأمونة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ وعُك[٢] أبو بكر وبلال رضي الله عنهما قالت : فدخلت عليهما قلت : يا أبت كيف تجدك[٣] ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئ مصبح [٤] في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل[٥]
وهل أردن يومًا مياه مجنة[٦] وهلْ تبدُوَنْ لي شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « **اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصححها ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة** » .

---

(١) أخرجه البخاري (مع « الفتح » ١٠/ ١١٧) ومسلم (٣/ ٥٢٥) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر (فتح ٧/ ٢٦٢) : «وعك بضم أوله وكسر ثانيه أي أصابه الوعك وهي الحمى » .

(٣) كيف تجدك أي كيف تجد نفسك أو جسدك .

(٤) مصبح أي مصاب بالموت صباحًا ، وقيل : المراد أنه يقال له وهو مقيم بأهله صبحك الله بالخير ، وقد يفجأه الموت في بقية النهار وهو مقيم بأهله .

(٥) جليل : بالجيم نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها .

(٦) مياه مجنة : بالجيم موضع على أميال من مكة ، وكان به سوق .

تحريم الخلوة بالأجنبية

س - اذكر بعض الأحاديث الواردة في تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « **إياكم والدخول على النساء** »[٢] فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو[٣] ؟ قال : « **الحمو الموت** » .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/ ٣٣٠) ومسلم (٥/ ١٦) .

(٢) قال النووي رحمه الله ٥/ ١٦ : «في هذا الحديث والأحاديث بعده تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها ، وهذا الأمران مجمع عليهما » .

(٣) أخرج مسلم ٥/ ١٧ بسنده الصحيح إلى الليث بن سعد أنه قال : الحمو أخ الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه .

وقال النووي رحمه الله : «اتفق أهل اللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم ، والأختان أقارب زوجة الرجل ، والأصهار يقع على النوعين .

أما قوله ﷺ : « الحمو الموت » (فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت ، وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم ، وعادة الناس المساهلة فيه ويخلو بامرأة أخيه فهذا هو الموت وهو أولى بالمنع من الأجنبي لما ذكرناه فهذا الذي ذكرته هو صواب معنى الحديث والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أقوالاً أخر في الحمو (انظر « الفتح » (٩/ ٣٣١) .

وذكر في معنى قوله عليه السلام « الحمو الموت » عدة أقوال فقال : «قيل المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية ، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها أشار إلى ذلك كله القرطبي ، وقال الطبري : المعنى أن خلوة الرجل بامرأة أخيه أو ابن أخيه تنزل منزلة الموت ، والعرب تصف الشيء المكروه بالموت ، قال ابن الأعرابي : هي كلمة تقولها العرب مثلا كما تقول الأسد الموت =

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم** »[٢] فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، امرأتي خرجت حاجة واكتتبت في غزوة كذا وكذا ؟ قال : « **ارجع فحج مع امرأتك** » .

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام[٣] أحمد في « مسنده » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... **لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما** » .

ومنها ما أخرجه مسلم [٤] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **ألا لا يبيتن رجل عند امرأةٍ ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم** » .

= أي لقاؤه فيه الموت ، والمعنى احذروه كما تحذرون الموت . . وذكر الحافظ أقوالاً ثم قال : وقال القرطبي في « المفهم » : المعنى أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة أي فهو محرم معلوم التحريم ، وإنما بالغ في الزجر عنه وشبه بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة لإلفهم بذلك حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة فخرج هذا مخرج قول العرب : الأسد الموت ، والحرب الموت ، أي لقاؤه يفضي إلى الموت وكذلك دخوله على المرأة قد يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة . . . » إلخ .

(١) أخرجه البخاري (مع « الفتح »٩/ ٣٣٠) ومسلم (١٣٤١) .

(٢) قال النووي رحمه الله (٥/ ١٦) : «والمحرم هو كل محرم عليه نكاحها على التأبيد لسبب مباح لحرمتها ، فقولنا على التأبيد احترازا من أخت امرأته وعمتها وخالتها ونحوهن ، ومن بنتها قبل الدخول بالأم ، وقولنا (لسبب مباح) احترازًا من أم الموطوءة بشبهة وبنتها فإنه حرام على التأبيد لكن لا لسبب مباح فإن وطء الشبهة لا يوصف بأنه مباح ولا محرم ولا بغيرهما من أحكام الشرع الخمسة لأنه ليس فعل مكلف ، وقولنا (لحرمتها) احتراز من الملاعنة فهي حرام على التأبيد لا لحرمتها بل تغليظًا والله أعلم .

(٣) أحمد (١/ ١٨) .

(٤) مسلم (٥/ ١٦) .

دخول جماعة الرجال على المرأة

س - هل يجوز لمجموعة من الرجال الدخول على امرأة أجنبية؟

ج : نعم يجوز ذلك إذا لم يكن هناك تواطؤ على الفاحشة ، وكان الدخول لغرض شرعي ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذ فرآهم فكره ذلك فذكر ذلك لرسول ﷺ وقال : لم أر إلا خيراً، فقال رسول الله ﷺ : « **إن الله قد برأها من ذلك** » ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال : « **لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان** »[١] .

ولما أخرجه مسلم[٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال : «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟**» قالا : الجوع يا رسول الله قال : «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا**» فقاموا معه - فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت : مرحبًا وأهلا[٣] فقال لها رسول الله ﷺ :

---

(١) قال النووي رحمه الله : «ثم إن ظاهر الحديث جواز خلوة الرجلين أو الثلاثة بالأجنبية والمشهور عند أصحابنا تحريمه فيتأول الحديث على جماعة يبعد وقوع المواطأة منهم على الفاحشة لصلاحهم أو مروءتهم أو غير ذلك ، وقد أشار القاضي إلى نحو هذا التأويل » .
قلت : والحديث أخرجه مسلم (٥/ ١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٦٠٩) .

(٣) قال النووي رحمه الله : (فقالت : مرحبًا وأهلاً) كلمتان معروفتان للعرب ومعناه صادفت رحبًا وسعة وأهلاً تأنس بهم ، وفيه استحباب إكرام الضيف بهذا القول وشبهه إظهار السرور بقدومه وجعله أهلاً لذلك كل هذا وشبهه إكرام للضيف وقد قال ﷺ : « من كان يؤمن بالله =

«**أين فلان ؟** » قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه ، وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ : « **إياك والحلوب** » فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « **والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** »[1] .

* * *

دخول الرجل على مجموعة من النساء

س - إذا دخل رجل على مجموعة من النسوة وهن محجبات هل يجوز ذلك ؟

ج : نعم يجوز ذلك ما دامت الفتنة مأمونة وهن محجبات ، والله أعلم .

* * *

= واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة ، وجواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علما محققا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة .

(١) للمزيد من الوقوف على طرف الحديث انظر تفسير سورة التكاثر عند ابن كثير رحمه الله .

وقوف الرجل مع امرأة في الطريق

س - هل يجوز لرجل أن يقف مع امرأة في الطريق ؟

ج : نعم يجوز ذلك إذا كان الطريق مسلوكًا ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أنس[١] رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال : « **يا أم فلان : انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك** » فخلا معها[٢] في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم (ص١٨١٢) والبخاري مختصراً (٩/ ٣٣٣) .

(٢) قال النووي رحمه الله (٥/ ١٨٠) : قوله : « (خلا معها في بعض الطرق) أي : وقف معها في طريق مسلوك ، ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية ، فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها ، لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره والله أعلم » .

وقال النووي أيضًا : «وفي الحديث بيان تواضعه ﷺ بوقوفه مع المرأة الضعيفة» . هذا وقد ترجم الإمام البخاري للحديث بباب : ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح هذه الترجمة : أي لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهم بل بحيث لا يسمعون كلامهما إذا كان ما يخافت به كالشيء الذي تستحي المرأة من ذكره بين الناس ، وأخذ المصنف قوله في الترجمة « وعند الناس » من قوله في بعض طرق الحديث « فخلا بها في بعض الطرق أو في بعض السكك »وهي الطرق المسلوكة التي لا تنفك عن مرور الناس غالبًا ، ثم قال رحمه الله : «وفيه أن مفاوضة المرأة الأجنبية سراً لا يقدح في الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة رضي الله عنها « وأيكم يملك إربه كما كان ﷺ يملك إربه » .

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات :

يغضوا - أزكى لهم - لا يُبدين - ليضربن - بخمرهن - جيوبهن - بعولتهن - غير أولي الأربة - الطفل ؟

ج :

الكلمة	معناها
يغضوا	يخفضوا [1] - يكفوا - وقيل يُداني بين الجفون

(١) ومنه قول الشاعر :

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يُوارى جارتي مأواها

أزكى لهم	أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم
لا يُبدين	لا يُظهرن
يضربن	يغطين - يشددن
خمرهن	جمع خمار
جيوبهن	الجيب هوفتحة الصدر ، وهو ما يسميه العامة طوقًا [١]
بعولتهن	أزواجهن
غير أولي الأربة	الذين ليست له حاجة في النساء
الطفل	الأطفال

أبحاث في غض البصر

س - اذكر بعض الوارد في الحث على غض البصر ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قول الله تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] .

وقول النبي ﷺ [٢] : « **إياكم والجلوس على الطرقات** » فقالوا : ما لنا بُدٌّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « **فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها** » قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « **غض البصر ، وكفُّ الأذى ، وردُّ السلام، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر** » .

---

(١) وليس هو ما يكون في الجنب لوضع الدراهم والأقلام فيه ، فقد ذُكر في تفسير القاسمي أن هذا ليس من كلام العرب .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١) .

وفي صحيح مسلم[١] من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري.

س - وضح المراد بـ (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣]؟

ج: من العلماء من قال: إنها زائدة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

ومنهم من قال: إنها للتبعيض أن يغضوا أبصارهم عن بعض الأشياء ولا يطلقوها تنظر إلى كل شيء، والقول بأنها للتبعيض أولى؛ لأن من النظر ما هو مباح.

ومنهم من قال: إن المراد بالغض النقصان، فقوله: غضَّ فلانٌ من فلانٍ أي وضع منه، فعلى ذلك فـ (من) صلة للغض، والله أعلم.

س - اذكر بعض المنافع في غض البصر؟

ج: ذكر ابن القيم جملة من منافع غض البصر فقال[١]:

«أحدها: امتثال أمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة، إلا بامتثال أوامر ربه، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم، الذي لعل فيه هلاكه، إلى قلبه.

الثالث: أنه يورث القلب أنسًا بالله وجمعية على الله، فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر، فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

---

(١) مسلم حديث (٢١٥٩). (١) نقلاً من تفسير القاسمي.

(٢) نقلاً من تفسير القاسمي.

الرابع : أنه يقوي القلب ويفرحه ، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه .

الخامس : أنه يكسب القلب نوراً ، كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة ، ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر ،فقال : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] ثم قال إثر ذلك : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [النور : ٣٥] أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن ، الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه ، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب ، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان ، فما شئت من بدعة وضلالة ، واتباع هوىٰ واجتناب هدىٰ ، وإعراض عن أسباب السعادة ، واشتغال بأسباب الشقاوة ، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب ، فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمىٰ الذي يجوس فيْ حنادس الظلام .

السادس : أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب ،وكان شاه بن شجاع الكرماني يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة ،وباطنه بدوام المراقبة ،وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة .

وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة ، والله سبحانه يجزي العبد علىٰ عمله بما هو من جنس عمله ، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه ، فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبسه بصره لله ، ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة ، والفراسة الصادقة المصيبة، التي إنما تنال ببصيرة القلب، وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة ، فقال تعالىٰ : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الحجر: ٧٢] فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعمه الذي هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب إفساد العقل، وعمه البصيرة يسكر القلب، كما قال القائل :

سُكرانِ: سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سُكْرانِ

وقال الآخر :

قالوا : جننت بمن تهوى فقلت لهم: العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

السابع : أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة ، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة ، وسلطان القدرة والقوة ، كما في الأثر : « الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله » . وضد هذا تجده في المتبع هواه ، من ذل النفس ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه ، كما قال الحسن : إنهم وإن طقطقت بهم البغال ، وهملجت بهم البراذين ، فإن المعصية لا تفارق رقابهم ، أبىٰ الله إلا أن يذل من عصاه ، وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته ، والذل قرين معصيته ، فقال تعالىٰ : ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون : ٨] وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [آل عمران : ١٣٩] والإيمان قول وعمل ظاهر وباطن، وقال تعالىٰ : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: ١٠] أي من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب ، والعمل الصالح ، وفي دعاء القنوت : «**إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت** »[1] ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته ، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه ، وله من الذل بحسب معصيته .

الثامن : أنه يسد علىٰ الشيطان مدخله من القلب ، فإنه يدخل مع النظرة

---

(١) أخرجه الطبراني « المعجم الكبير » ٣/ ٧٥ رقم ٢٧٠٧) وأحمد (١/ ١٩٩- ٢٠٠) والترمذي (٤٠٦٤) وغيرهم بإسنادٍ صحيح من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا .

وينفذ معها إلىٰ القلب ، أسرع من نفوذ الهوىٰ في المكان الخالي . فيمثل له صورة المنظور إليه ، ويزينها ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلب ،ثم يعده ويمنيه . ويوقد علىٰ القلب نار الشهوة ، ويلقي عليه حطب المعاصي ، التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة ، فيصير القلب في اللهب ، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار ، وتلك الزفرات والحرقات ، فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب ، فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور

ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصورالمحرمة ، أن جعل لهم في البرزخ تنور من نار ، وأودعت أرواحهم فيه ، إلىٰ حشر أجسادهم ، كما أراها الله نبيه ﷺ في المنام في الحديث المتفق علىٰ صحته .

التاسع : أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها . وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها . فتنفرط عليه أموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن أمرربه ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف : ٢٨] وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه .

العاشر : أن بين العين والقلب منفذًا وطريقًا يوجب انفعال أحدهما عن الآخر ، وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده ، فإذا فسد القلب فسد النظر ، وإذا فسد النظر فسد القلب .وكذلك في جانب الصلاح ، فإذا خربت العين وفسدت ، خرب القلب وفسد ، وصاركالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ ، فلا يصلح لسكنىٰ معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه ، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك ، فهذه إشارة إلىٰ بعض فوائد غض البصر ، تطلعك علىٰ ما وراءها ، انتهىٰ .

س - لماذا قدم غضُّ البصر على حفظ الفرج في الآية الكريمة؟

ج : أجاب علىٰ ذلك القاسمي في« محاسن التأويل » بقوله : « سر تقديم

غض البصر على حفظ الفروج ، هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور ، كما قال الحماسي :

وكنت إذا أرسلتَ طَرْفَكَ رائدًا لقلبك يومًا أتعَبتك المناظرُ

ولأن البلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يُقدر على الاحتراس منه فبودر إلى منعه .

ولأنه يتقدم الفجور في الواقع فجعل النظم على وِفْقِهِ .

س - ذكر العلماء أن هناك تأثيرًا للنظر على القلب وارتباطًا بينهما ، وضح ذلك ؟

ج : مما يدل على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

فاستفيد من مفهوم الآية أن السؤال المباشر المصحوب بالنظر يؤثر على القلب ويبعده عن الطهارة ، أما السؤال من وراء حجاب فهو أطهر للقلب .

وقوله تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] فقوله : (**ذلك** أزكى لهم) أي أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم كما قاله فريق من العلماء .

وورد بإسنادٍ [(١)] فيه ضعف : « **إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه** ».

---

(١) ضعيف أخرجه الحاكم في« المستدرك» (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤) من طريق إسحاق بن عبد الواحد القرشي ثنا هشيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن محارب بن دثار عن صلة عن حذيفة مرفوعًا .
قال الذهبي : قلت : إسحاق واهٍ ، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعوفه ، وقد رواه الطبري أيضًا (١٠/ ٢١٤) برقم (١٠٣٦٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن أبيه عن ابن مسعود ، وعبد الرحمن ضعيف كما تقدم ثم قد اختلف عليه كما هو واضح .

مواطن يباح النَّظر فيها إلى النساء

س - اذكر بعض المواطن التي يجوز للرجل فيها أن ينظر إلى المرأة، أو تنظر فيها المرأة إلى الرجل؟

ج : من هذه المواطن ما يلي :

نظر الرجل إلى المرأة لمداواتها ، وكذلك نظر الخاتن إلى فرج المختون فهذه من الضرورات ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ﴾[الأنعام : ١١٩] .

وفي« **صحيح البخاري**» (١) من حديث الربيع بنت معوِّذ قالت : كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة .

وقال ابن قدامة في« المغني»(٢) : «ويباح للطبيب أن ينظر إلى ما تدعوا إليه الحاجة من بدنها من العورة وغيرها فإنه موضع حاجة » (٣) .

قلت : وفي هذا الباب كذلك ما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن أم سلمة استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة فأمر أبا طيبة أن

---

(١) البخاري (حديث ٨٠) .

(٢) « المغني » (٩/ ٤٩٨) .

(٣) وقد وضع الفقهاء لذلك ضوابط ، منها : أن لا توجد امرأة تقوم بمداواة المرأة وعلاجها ، أو تكون هناك امرأة ولكنها لا تحسن القيام بذلك .

ومنها أن لا يخلو الطبيب بالمريضة بل يكون ذلك في وجود محرم لها .

ومنها أن لا ينظر إلا على قدر الحاجة .

ومنها أن لا يخشى على الطبيب الافتتان بها ، فإن خُشي على الطبيب الافتتان بها ترك العلاج وتولاه غيره .

يحجمها»[١] . قال : حسبت أنه قال : كان أخاها من الرضاعة أو غلامًا لم يحتلم[٢] .

وكذلك يجوز للقابلة أن تنظر إلى فرج المرأة عند الولادة .

قال ابن القطان في « أحكام النظر »[٣] : « النظر من القابلة لاشك في أنه إن كان يضطر إليه في ما يتناول جاز للضرورة بل هو أحرىٰ ، وأولىٰ بالجواز من المداواة فإنه معالجة نفس » .

وقال ابن نجيم[٤] في « البحر الرائق » : ويجوز للمرأة إذا كانت تولد أخرىٰ أن تنظر إلىٰ فرجها وأن تمس فرجها» .

وكذلك يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة عند الشهادة أو الحكم عليها وعند القصاص .

ومن الأدلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ** ﴾ [النساء : ١٣٥] وكذلك ما في « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن سعد بن عبادة قال : يا رسول الله ، إن وجدت مع امرأتي رجلاً أأمهله حتىٰ آتي بأربعة شهداء؟ قال : « نعم »[٥] .

---

(١) مسلم (حديث ٥٧٠٨) وأبو داود (٤١٠٥) وابن ماجة (٣٤٨٠) وأحمد (٣/ ٣٥٠) .

(٢) قال ابن حزم في « المحلىٰ » (١٠/ ٣٣) : وأما قول الراوي حسبت أنه كان أخاها من الرضاعة أو غلامًا لم يحتلم فإنما هو ظن من بعض رواة الخبر ممن دون جابر ، ثم هو أيضًا ظن غيرصادق لأن أم سلمة رضي الله عنها ولدت بمكة ، وبها ولدت أكثر أولادها ، وأبو طيبة غلام لبعض الأنصار بالمدينة فمحال أن يكون أخاها من الرضاعة .

(٣) « أحكام النظر » (ص ١٨٠) .

(٤) « البحر الرائق » (٨/ ٢١٨) .

(٥) مسلم (ص ١١٣٥) (حديث ١٤٩٨) .

قال ابن القطان «في أحكام النظر» [١] : ويجوز للقاضي إذا أراد أن يحكم عليها **والشاهد إذا أراد** الشهادة عليها النظر إلىٰ وجهها » .

أما النظر إليها عند القصاص فجائز بلا خلاف ، وقد نفىٰ الخلاف ابنُ القطان في «أحكام النظر» .

وكذلك يجوز للعاملين في مجالات توثيق العقود وما شابهها النظر إلى وجه المرأة للتأكد من كونها هي البائعة أو المشترية أو الواهبة أو الواقفة ونحو ذلك.

وكذلك للرجل أن ينظر إلى المرأة عند الضرورة التي لابد منها .

أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبامرثد الغنوي - وكلنا فارس - فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين**» ، قال : فأدركناها تسير علىٰ جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ ، قال : قلنا : أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي كتاب، فانخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئًا ، قال صاحباي : ما نرىٰ كتابًا ، قال: قلت : لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ والذي يحلف به لنخرجن الكتاب أو لأجردنك[٣] ، قال: فلما رأت الجد مني أهوت بيدها إلىٰ

---

(١) « أحكام النظر » (ص ١٨٢) .

(٢) البخاري(مع « الفتح » ١١/ ٤٦) ومسلم (٥/ ٣٦٣) وأبو داود (٢٦٥١) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر « فتح الباري » (١١/ ٤٧) : في الحديث أنه يجوز النظر إلىٰ عورة المرأة للضرورة التي لا يجد بدا من النظر إليها .

وقال النووي رحمه الله': فيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة ، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة ، وعلىٰ هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلىٰ الستر . شرح مسلم (٥/ ٣٦٣) .

حجزتها - وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب قال: فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال: « **ما حملك يا حاطب على ما صنعت ؟** » قال: ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله، وما غيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله قال: « **صدق فلا تقولوا له إلا خيرًا** » قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فأضرب عنقه قال: فقال: « **يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة** ». قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم[1].

وكذلك يجوز النظر إلى المسبيات.

فقد أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبيٌ فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**»؛ قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث جواز النظر إلى المسبيات لأنه ﷺ لم ينه عن النظر إلى المرأة المذكورة، بل في سياق الحديث ما يقتضي إذنه في النظر إليها ».

---

(١) قال الحافظ ابن حجر « فتح الباري » (١١/ ٤٧): في الحديث أنه يجوز النظر إلى عورة المرأة للضرورة التي لا يجد بدا من النظر إليها.

وقال النووي رحمه الله فيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر. شرح مسلم (٥/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٩) ومسلم (ص ٢٠١٩).

نظر الرجل إلى المرأة عند خطبتها .

وعلى ذلك جملة من الأدلة ، منها :

قوله تعالى : ﴿ **لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

ووجه الاستدلال من ناحية أنه لا يُعجبه حسنهن إلا بعد رؤيته لهن .

وما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : جئت أهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر وصوَّبه . . .

وأخرج مسلم في صحيحه[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوَّج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : « **أنظرت إليها ؟** » قال : لا ، قال : « **فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا** » .

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم [٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أُريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقةٍ من حرير فقال لي : هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يُمضه** » .

أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا خطب أحدكم المرأة فَقَدَرَ أن يرى منها بعض**

---

(١) البخاري (حديث ٥١٢٦) ومسلم (١٤٢٥) .

(٢) مسلم (حديث ١٤٢٤) .

(٣) البخاري (حديث ٥١٢٥) ومسلم (١٨٨٩) .

ما يدعوه إليها فليفعل »[١] .

* * *

س - هل يجوز النظر إلى صورة المرأة ؟

ج : الظاهر لي أن ذلك لا يجوز إلا عند الضرورة والحاجة وذلك لقول النبي ﷺ : « **لا تباشر المرأةُ المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها** »[٢] .

* * *

س - ما حكم نظر الرجال إلى صور النساء في التليفزيون ؟ وكذلك نظر النساء إلى صور الرجال ؟

ج : الظاهر أن هذا لا يجوز لعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣٠ ، ٣١] ولما في ذلك من الفتنة وإثارة الشهوة والتحريض علىٰ المحرم والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س - ما المراد بحفظ الفرج في الآية الكريمة ؟

ج : حفظ الفرج هنا عام فيدخل فيه ما يلي :

حفظ الفرج من الزنا واللواط ، وكذلك حفظه من الاستمناء الذي يفعله شرار الشباب ، والسحاق الذي تفعله شرار الفتيات .

وكذلك حفظه من نظر الآخرين إليه ، فقد قال النبي ﷺ : « **احفظ عورتك إلا**

---

(١) أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦٠) .

(٢) البخاري (حديث ٥٢٤٠) من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا .

من زوجتك أو ما ملكت يمينك» [١] .

وقال النبي ﷺ : « **لاينظرالرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة**»[٢] .

وكذلك حفظه من التمكين من مسِّه فلا يُمكن أحدٌ من مسِّه .

* * *

دخول المحارم من الرضاع على المرأة

س - هل يؤذن في دخول المحارم من الرضاع على المرأة ؟ وهل تُبدي لهم الزينة ؟

ج : نعم يؤذن لمحارم المرأة من الرضاع بالدخول عليها وتُبدي لهم الزينة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة قالت : فقلت : يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك ، فقال النبي ﷺ : «**أراه فلانًا** » لعم حفصة من الرضاعة .

قالت عائشة : لو كان فلانًا حيًّا - لعمها من الرضاعة - دخل عليَّ؟ فقال : «**نعم الرضاعة تحرِّم ما تحرم الولادة** ».

* * *

---

(١) حسن ، أخرجه أبو داود (٤٠١٧) والترمذي (٢٧٦٩) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا .

(٢) مسلم (١/ ٦٤١) .

(٣) البخاري مع « الفتح » (٩/ ١٣٩) ومسلم (١٤٤٤) .

حديث (أفعمياوان أنتما)

س - ما مدى صحة حديث [١] أم سلمة رضي الله عنها الذي فيه: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ «احتجبا منه» فقلنا : يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟!! فقال النبي ﷺ «أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه؟!! » .

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ففي إسناده نبهان مولى أم سلمة وهو ضعيف .

* * *

حديث المرأة للرجال

س - هل يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب ؟

ج : نعم يجوز لها ذلك إذا لم يكن النظر بشهوة وإذا كانت الفتنة مأمونة ومع ذلك فتركه أولى وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ يومًا على باب حُجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم .

واستدل للجواز كذلك بأن الرجال لم يزالوا على مرّ الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات فلو استووا لأمر الرجال بالنقاب أو منعن من الخروج .

واستدل للجواز كذلك بقول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس : « **فانتقلي**

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ٤١١٢) .

(٢) البخاري مع «الفتح» (١/ ٥٤٩) ، ومسلم (٨٩٢) .

فاذهبي إلى ابن أم مكتوم فكوني عنده فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده» [١] .

وذهب قوم إلى المنع مستدلين بقوله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ [النور :٣١] وبقول النبي ﷺ لأم سلمة وميمونة : « **أفعمياوان أنتما**».

أما الحديث فهو ضعيف وقد بينا ذلك من قبل ، أما الآية فتحمل على ما إذا كان النظر بشهوة ، وتحمل أيضًا على أنها لسد الذريعة فالنظر يجر إلى مفاسد فتركه من الأصل أولى ، وهذا يوافق ما قدمناه والله تعالى أعلم .

* * *

المرأة تعالج الرجل

س – هل يجوز للمرأة أن تعالج الرجل عند الضرورة ؟

ج : نعم يجوز ذلك لما أخرجه البخاري [٢] من حديث الربيع بنت معوِّذ قالت : كنا[٣] مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة[٤] .

---

(١) مسلم (ص١١١٥) .

(٢) أخرجه البخاري مع « الفتح » (٦/ ٨٠) .

(٣) في بعض الروايات : « كنا نغزومع النبي ﷺ » .

(٤) قال الحافظ في الفتح : وفيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة قال ابن بطال : ويختص ذلك بذوات المحارم ثم بالمتجالات منهن لأن موضع الجرح لا يلتذ بلمسه بل يقشعر منه الجلد ، فإن دعت الضرورة لغيرالمتجالات فليكن بغير مباشرة ولامس ، ويدل على ذلك اتفاقهم على أن المرأة إذا ماتت ولم توجد امرأة تغسلها أن الرجل لا يباشر غسلها بالمس بل يغسلها من وراء حائل في قول بعضهم كالزهري، وفي قول الأكثر تيمم وقال الأوزاعي تدفن كما هي، قال ابن المنير : الفرق بين حال المداواة وتغسيل الميت أن الغسل عبادة والمداواة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات وبوَّب البخاري في كتاب الطب من « صحيحه » باب هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل؟ ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث هناك (فتح ١٠/ ١٣٦) : ويؤخذ =

لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة

س - هل يجوز للمرأة أن تنظر إلى عورة المرأة ؟

ج : لا يجوز ذلك إلا للضرورة ، وذلك لما أخرجه مسلم [١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد** »[٢] .

* * *

= حكم مداواة الرجل المرأة منه بالقياس ، وإنما لم يجزم بالحكم لاحتمال أن يكون ذلك قبل الحجاب ، أو كانت المرأة تصنع ذلك بمن يكون زوجًا لها أو محرمًا ، وأما حكم المسألة فتجوز مداواة الأجانب عند الضرورة وتقدر بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجس باليد وغير ذلك .

قلت : أما في حالة وجود رجل يعالج فلا ينبغي أن تعالج النساء الرجال حينئذ بل قد يصار إلى القول بالتحريم والحالة هذه والله أعلم .

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٤١) .

(٢) قال النووي رحمه الله : أما قوله ﷺ : « ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد وكذلك في المرأة مع المرأة » فهو نهي تحريم إذا لم يكن بينهما حائل ، وفيه دليل على تحريم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان ، وهذا متفق عليه ، وهذا ما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس باجتماع الناس في الحمام فيجب على الحاضر فيه أن يصون بصره ويده وغيرها عن عورة غيره وأن يصون عورته عن بصر غيره ويد غيره من قيم وغيره ، ويجب عليه إذا رأى من يخل بشيء من هذا أن ينكر عليه .

قوله تعالى : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١].

س - اذكر بعض الآثار الواردة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١].

ج : من هذه الآثار ما يلي :

أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح (١) عنه قال : حدثنا ابن المثني قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (٢) قال : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال : الثياب .

أثر ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرج ابن جرير الطبري جملة آثار في كل أثرٍ منها مقال (٣) .

---

(١) الطبري (١٨/ ٩٢) .

(٢) هذا إسناد صحيح عن عبد الله رضي الله عنه وهو ابن مسعود ولهذا الأثر طرق أخرىٰ عن ابن مسعود رضي الله عنه عند ابن جرير الطبري رحمه الله .

(٣) وها نحن موردوها ومبينوا ما فيها إن شاء الله تعالىٰ :

١ - قال ابن جرير رحمه الله :

حدثنا أبو كريب قال : ثنا مروان قال : ثنا مسلم الملائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ، قال : الكحل والخاتم .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ففيه مسلم الملائي وهو مسلم بن كيسان وهوضعيف جدا ، وقد اختلف عليه أيضًا فروي عنه عن سعيد قوله ولم يذكر ابن عباس .

٢ - وقال ابن جرير أيضًا :

حدثنا ابن حميد قال : ثنا هارون عن أبي عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال: «الظاهر منها الكحل والخدان » .

قلت : وهذا إسناد في غاية من الضعف نرمي به ولا نبالي فابن حميد وهو شيخ ابن جرير وهو محمد بن حميد الرازي ضعيف ، ونهشل واه للغاية ، والضحاك وهو ابن مزاحم لم يسمع من ابن عباس . =

. . . . . .

= ٣ - وقال ابن جرير أيضًا :

حدثني علي قال : ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ، قال : والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم فهذا تظهره في بيتها لمن دخل من الناس عليها .

قلت : وهذا إسناد ضعيف فعلي - وهو ابن أبي طلحة - لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما ، ومن هذه الطريق أخرجه أيضًا (٧/ ٩٤) .

٤ - قال ابن جرير :

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال : الخاتم والمسكة .

وهذا إسناد ضعيف فابن جريج لم يسمع ابن عباس فبينهما بون .

هذه هي الآثار التي أوردها ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي كل منها ضعف كما رأيت .

وذكر ابن كثير رحمه الله إسناداً آخر إلى ابن عباس فقال : وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ . قال : وجهها وكفيها والخاتم .

قلت : أخرجه ابن أبي حاتم (ص٢٥٧٤) من طريق الأشج عن ابن نمير عن الأعمش ، ولا تعرف للأعمش رواية عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة رواية للأعمش عن سعيد عن ابن عباس ، والأعمش مدلس معروف بذلك فالغالب عندي أنه أخذه عن مسلم بن كيسان الملائي عن سعيد ، فقد روى الأعمش عن مسلم بن كيسان ،وروى مسلم بن كيسان هذا الأثر عن سعيد كما تقدم قريبا في (١) ، ومسلم بن كيسان ضعيف كما تقدم .

هذه هي جملة الآثار المسندة التي وقفنا عليها عن ابن عباس في الكتب التي بين أيدينا، وقد علمت ما فيها ، وقد أورد ابن جرير جملة أسانيد عن سعيد بن جبير قوله وهي ضعيفة أيضًا عن سعيد .

وقد صحت بعض الأقوال عن بعض التابعين في أن المراد بقوله تعالى : ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ الوجه والكفان . =

س - وضح باختصار معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - ولا يُظهرن شيئًا من زينتهن لكن ما ظهر منهن رغمًا عنهن فلا إثم عليهن في ظهوره، وهذا هو القول القوي عندي .

ونقل القرطبي عن ابن عطية قوله : « ويظهرلي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تُبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ،ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه ، أو إصلاح شأنٍ ونحو ذلك ، فـ(ماظهر) على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه» .

* * *

س - اذكر حاصل أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال أصحها وأقواها إسنادًا عندي هو أولها ، وهذه الأقوال هي :

= ولم نقف - في الكتب التي بين أيدينا - على إسناد صحيح إلى صحابي في أن المراد بـ (ما ظهرمنها) الوجه والكفين وإذا صح شيء منها فهو متجه كما قال ابن كثير رحمه الله إذ قال : وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن إبدائها ، ثم هو إن صح مرجوح أيضًا لما سيأتي نقله عن الشنقيطي رحمه الله .

وقد صحت جملة من الآثار عن التابعين أيضًا في أن المراد بقوله : ﴿ **إلا ما ظهر منها** ﴾ : الثياب .

فحاصل الأمر أن الذي صح لدينا الآن أثر ابن مسعود في أن المراد بقوله : ﴿ **إلا ما ظهر منها** ﴾ الثياب وصح ذلك أيضًا عن جملة من التابعين ، وصح عن جملة من التابعين أنهم قالوا : ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ : الوجه والكفين ، وقد علمت ما فيه .

الأول : قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه [١] أن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ قال : الثياب .

قال الشنقيطي في « أضواء البيان » : وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة .

القول الثاني والثالث :صاغها الشنقيطي بقوله : **القول الثاني** : أن المراد بالزينة ما تتزين به ، وليس من أصل خلقتها أيضًا لكن النظرلتلك الزينة يستلزم رؤية شيء من بدن المرأة وذلك كالخضاب والكحل ، ونحو ذلك ، لأن النظر إلىٰ ذلك يستلزم رؤية الموضع الملابس له من البدن كما لا يخفىٰ .

القول الثالث : أن المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة الذي هو من أصل خلقتها ، لقول من قال : إن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان ، وما تقدم ذكره عن بعض أهل العلم ، ثم قال رحمه الله بعد ذلك بقليل : أما الأول منهما، فبيانه أن قول من قال في معنىٰ : ﴿ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ : أن المراد الوجه والكفان مثلاً ، توجد في الآية قرينة تدل علىٰ عدم صحة هذا القول ، وهي أن الزينة في لغة العرب هي ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها: كالحلي والحلل فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه ، وبه تعلم أن قول من قال : الزينة الظاهرة الوجه والكفان خلاف ظاهر معنىٰ لفظ الآية وذلك قرينة علىٰ عدم صحة هذا القول ، فلا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه .

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٩٢) بإسناد صحيح ، وقد تقدم .

وأما نوع البيان الثاني المذكور فإيضاحه : أن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها ، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها كقوله تعالىٰ : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ، وقوله تعالىٰ : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص: ٦٠] ، وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقوله تعالىٰ : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، وقوله تعالىٰ : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقوله تعالىٰ : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩]، وقوله تعالىٰ عن قوم موسىٰ : ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]، وقوله تعالىٰ :﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ، فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته كما ترىٰ ، وكون هذا المعنىٰ هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن يدل علىٰ أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنىٰ الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم ، وهو المعروف في كلام العرب كقول الشاعر :

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... وإذا عطلن فهن خير عواطل

وبه تعلم أن تفسير الزينة في الآية بالوجه والكفين فيه نظر وإذا علمت أن المراد بالزينة في القرآن ما يتزين به مما هو خارج عن أصل الخلقة وأن من فسروها من العلماء بهذا اختلفوا على قولين ، فقال بعضهم : هي زينة لا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من بدن المرأة كظاهر الثياب ، وقال بعضهم : هي زينة يستلزم النظر إليها رؤية موضعها من بدن المرأة كالكحل والخضاب ، ونحو ذلك، قال مقيده عفاالله عنه وغفر له : أظهر القولين المذكورين عندي قول ابن مسعود رضي الله عنه أن الزينة الظاهرة هي ما لا يستلزم النظر إليها شيء من بدن المرأة الأجنبية ، وإنما قلنا إن هذا القول هو الأظهر لأنه هو أحوط الأقوال وأبعدها عن أسباب الفتنة وأطهرها لقلوب الرجال والنساء ولا يخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها كما هو معلوم والجاري على قواعد الشرع الكريم هو تمام المحافظة والابتعاد من الوقوع فيما لا ينبغي .

* * *

أدلة الحجاب

س - اذكر بعض الأدلة على وجوب ستر وجه المرأة وكفيها وجميع بدنها ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

الدليل الأول : آية الحجاب وهي قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة فخدمت رسول الله ﷺ عشراً حياته وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل ، وقد كان أبي بن كعب سألني عنه، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب ابنة جحش : أصبح النبي ﷺ بها عروسًا ، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث ، فقام رسول الله ﷺ فخرج وخرجت معه كي يخرجوا فمشى رسول الله ﷺ ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن رسول الله ﷺ أنهم خرجوا فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه حتى دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يتفرقوا فرجع النبي ﷺ ورجعت معه حتى بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فأنزلت آية الحجاب فضرب بيني وبينه سترا .

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة مبني على أصلين :

أولهما : أن خطاب الواحدخطاب للجماعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة** » فلما أمر الله نساء النبي ﷺ بالحجاب كان هذا الأمر أيضًا لعموم نساء المؤمنين .

وثانيهما : الاشتراك في العلة، فعلة السؤال من وراء حجاب طهارة

---

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١١/ ٢٢) ، ومسلم (٣/ ٥٩٦) .

القلوب ، ونساء المؤمنين كنساء النبي ﷺ في احتياجهن إلى ذلك [١] ويتأيد هذا بقرينة انضمام نساء المؤمنين إلى نساء النبي ﷺ وبناته في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

الدليل الثاني : قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

---

(١) تنبيه :

قد يفهم أحد من الناس قول الله تعالى : ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾ [الأحزاب : ٣٢] . على أن ذلك يفيد انفصال نساء النبي ﷺ في الحكم الشرعي المتقدم عن نساء المؤمنين، فهذا لا تحتمله هذه الآية الكريمة ، ولننقل ما قاله بعض العلماء فيها :

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء** ﴾ . هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لايشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة .

وقال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾ : يعني في الفضل والشرف .

قال الشنقيطي رحمه الله (٦/ ٩٢) :

وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عام ، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب ، علمت أن القرآن دل على الحجاب ، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ، فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المتقتضية للطهارة التامة وعدم التدنس بأنجاس الريبة ، فمن يحاول منع نساء المسلمين- كالدعاة للسفور والتبرج والاختلاط اليوم - من الاقتداء بهن في هذا الأدب السماوي الكريم المتضمن سلامة العرض والطهارة من دنس الريبة غاش لأمة محمد ﷺ، مريض القلب كما ترى .

وقد صح عن عبيدة السلماني في تفسيرها أنه غطىٰ رأسه ووجهه بثوبه وأبرز ثوبه عن إحدىٰ عينيه .

قال الشنقيطي : رحمه الله « أضواء البيان » (٦/ ٥٨٦) :

ومن الأدلة القرآنية علىٰ احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتىٰ وجهها قوله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، فقد قال غير واحد من أهل العلم إن معنىٰ : (يدنين عليهن من جلابيبهن) : أنهن يسترن بها جميع وجوههن ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها ، وممن قال به ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلماني وغيرهم .

ثم بدأ الشيخ رحمه الله مناقشته للمخالفين .

الدليل الثالث : حديث عبد الله بن مسعود [١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان** » .

الدليل الرابع : حديث الإفك[٢] وفيه : «وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأىٰ سواء إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي » .

الدليل الخامس : حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام[٣] .

---

(١) أخرجه الترمذي (الأدب ١١٧٣) بإسناد صحيح .

(٢) أخرجه البخاري مع « الفتح » (٨/ ٤٥٢) ومسلم (ص ٢١٢٩) .

(٣) الحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح (١/ ٤٥٤) .

حديث إذا بلغت المرأة المحيض

س - ما مدى صحة حديث : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا » وأشار إلى وجهه وكفيه ؟

ج : هذا الحديث ضعيف جدًّا فقد أخرجه أبو داود [١] من طريق الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها . . . . .

وهذا إسناد ضعيف جدًّا وتالف وذلك للآتي :

أولاً : خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها ، فالسند منقطع .

ثانيًا : قتادة مدلس وقد عنعن .

ثالثًا : سعيد بن بشير ضعيف وخاصة في قتادة .

رابعًا : الوليد - وهو ابن مسلم - مدلس وقد عنعن .

فضلاً عن هذا كله فإن الحديث من المحتمل أن يكون قبل نزول آية الحجاب أيضًا .

وعلى كل حال فلا دلالة فيه على جواز كشف الوجه لما بيناه من شدة الضعف التي به ، وللحديث شواهد تالفة وساقطة أيضًا .

* * *

(١) أبو داود (٤١٠٤) .

الإماء والحجاب

س - هل يلزم الإماء ما يلزم الحرائر من الحجاب ؟

ج : لا يلزم الإماء ما يلزم الحرائر من الحجاب وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثا يبنىٰ عليه بصفية بنت حيي ، فدعوت المسلمين إلىٰ وليمته ، فما كان فيها خبز ولا لحم ، أمر بالأنطاع فألقي فيها من التمر والأقط والسمن فكانت وليمته، فقال المسلمون : إحدىٰ أمهات المؤمنين أو مما ملكت يمينه ؟ فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطّىٰ لها خلفه ، ومد الحجاب بينها وبين الناس .

* * *

قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١]

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ .؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلىٰ أن المراد بالآية تغطية الصدر والنحر ، من هؤلاء ابن كثير والقرطبي وغيرهم ، بينما ذهب الشنقيطي في « أضواء البيان» إلىٰ أن المراد ستر الوجه ، ولا تعارض بينهم ، فما قاله ابن كثير والقرطبي لا ينافي ما قاله الشنقيطي فتغطية الصدر والنحر أحد مستلزمات تغطية الوجه ، وليس في تغطية الصدر والنحر انتفاء تغطية الوجه ومن عمل بتفسير الشنقيطي فقد عمل بالتفسيرين معا ، وساعد الشنقيطي علىٰ اتجاهه قول الحافظ ابن حجر

---

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (٩/ ١٢٦) ، ومسلم (٣/ ٥٩٣) .

الذي سنذكره قريبًا ، وعمل الصحابيات رضي الله عنهن [١] .

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ [٢] .

حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : « لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها» [٣] .

وقال البخاري أيضًا :

وقال أحمد بن شبيب [٤] حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « يرحم الله نساء المهاجرات الأول [٥] لما أنزل

---

(١) « أضواء البيان » (٦/ ٥٩٥) .

(٢) البخاري « مع الفتح » (٨/ ٤٨٩) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٨/ ٤٩٠) قوله : «فاختمرن» : أي غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار علىٰ رأسها وترميه بالجانب الأيمن علىٰ العاتق الأيسر وهو التقنع .
وقال الحافظ أيضًا « الفتح » (١٠/ ٤٨) : في سبب تسمية الخمر خمرًا . . ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها .

(٤) هذا الحديث معلق عند البخاري ، ولكنه موصول من طريق آخر عن ابن شهاب عند أبي داود (٤١٠٢) وانظر « تغليق التعليق » (٤/ ٢٦٩) .

(٥) عند البخاري - كما هنا - وأبي داود : « نساء المهاجرات الأول » ، وورد هذا أيضًا في نساء الأنصار من عدة أوجه بعضها صحيح وبعضها فيه مقال ، لكنها بمجموعها صحيحة بلا شك .
منه ما أخرجه أبو داود (٤١٠٠) فقال : حدثنا أبو كامل حدثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن مهاجر عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت نساء الأنصار فأثنت عليهن وقالت لهن معروفًا وقالت : لما نزلت سورة النور عَمِدن إلىٰ حجور - أو حجوز - شك أبو كامل . فشققنهن فاتخذنه خمرًا . وفي إسناده إبراهيم بن مهاجر متكلم فيه ، لكن يصلح للشواهد . =

الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور : ٣١] ، شققن مروطهن فاختمرن بها » .

وأخرجه أبو داود (٤١٠٢) .

* * *

الزينة التي تبديها المرأة لمحارمها

س - ما هو الذي يُرَخَّص للمرأة في إبدائه أمام المحارم ؟

ج : تبدي للمحارم ما يظهر منها غالبًا في البيت كالرأس ومواضع الوضوء وما يظهر منها في حال المهنة والعمل ، ويدل على هذا ما أخرجه البخاري في « صحيحه » [1] من طريق أبي سلمة قال : دخلت أنا وأخو عائشة

= وقال أبو داود أيضًا (٤١٠١) : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت : لما نزلت : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ [النور : ٣١] ، خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية .

وقال ابن كثير رحمه الله (٣/ ٢٨٤) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثني الزنجي بن خالد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها : إن لنساء قريش لفضلاً ، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ [النور : ٣١] ، انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رءوسهن الغربان .

وفي إسناد هذا الأخير الزنجي بن خالد وهو مسلم بن خالد وهو إلى الضعف أقرب .

(١) البخاري مع « الفتح» (١/ ٣٦٤) .

على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ فدعت بإناءٍ نحو من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب .

* وعند البخاري[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : دخلت على حفصة ونسواتها[٢] تنطف .

وما أخرجه البخاري [٣] أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان الرجال والنساء يتوضئون في زمان الرسول ﷺ جميعًا .

وهذا الحديث أما أن يحمل على المحارم أو يحمل على أن ذلك كان قبل نزول الحجاب .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة في قوله : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] قال : تُبدي لهؤلاء الرأس [٤] .

هذا وإن خُشي من أحد المحارم سوء أو شر فللمرأة أن تتحفظ معه تحفظًا شديدًا ولا تبدي له ما يساعده على الفساد فالله لا يحب الفساد ، والله أعلم .

* * *

---

(١) البخاري (٤١٠٨) .

(٢) « نسواتها تنطف » أي ضفائرها تقطر .

(٣) البخاري مع « الفتح » (١/ ٢٩٨) .

(٤) الطبري (١٨/ ٩٤) .

هذا وقد ورد عند الطبري جملة آثار في تفسير هذه الآية منها أثر ابن عباس في قوله : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال : تُبدي لهؤلاء قرطيها وقلادتها وسوارها ، فأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فإنه لا تبديه إلا لزوجها ، وهذا إسناد ضعيف ففيه أبو صالح كاتب الليث ، وقد تُكلِّم فيه ، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . الطبري (١٨/ ٩٤) .

أبواب في اللباس والزينة

حكم النمص

س - ما معنى النمص ؟ وما حكمه ؟

ج : أما المراد بالنمص فهو إزالة الشعرمن وجه المرأة ، وبعض العلماء خصه بشعر الحاجب فقط .

أما حكم النمص فهو حرام لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق علقمة قال: لعن عبد الله الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب : ما هذا ؟ قال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله؟!!

قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته ، فقال : والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧] .

* * *

إذا نبت للمرأة لحية

س - إذا نبت للمرأة شارب أو لحية هل يجوز لها أن تزيلهما ؟

ج : الذي يظهر لي هو جواز إزالته لما في إزالته من ابتعاد عن التشبه بالرجال وهذا هو الذي اختاره النووي ورد على من خالفه فيه . والله أعلم .

* * *

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١٠/ ٣٧٧) ، ومسلم (٤/ ٨٣٦) .

تحريم وصل الشعر

س - امرأة مرضت فتساقط شعرها هل يجوز لها وصله بشعر آخر ؟

ج : لا يجوز لها ذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت : إني أنكحت ابنتي ثم أصابها شكوىٰ فتمرق رأسها ، وزوجها يستحثني بها أفأصل رأسها . فسب رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة . وفي رواية لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة[٢] .

س - هل يجوز للمرأة أن تصل ضفائرها بقطعة من القماش ؟

ج : نعم يجوز لها ذلك ، وقد أجاز الإمام أحمد رحمه الله القرامل (أي الوصل بالقرامل) والقرامل هي جمع قرمل وهو نبات طويل الفروع لين ، والمراد به هنا خيوط من حرير أو صوف يعمل ضفائر تصل به المرأة شعرها .

ونقل النووي عن عياض قوله : فأمَّا ربطُ خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهي عنه لأنه ليس بوصل ، ولا هو في معنىٰ مقصود الوصل ، وإنما هو للتجمل والتحسين .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٧٤) ، ومسلم (٤/ ٨٣٤) .

(٢) أخرجها البخاري مع « الفتح » (١٠/ ٣٧٤) ، ومسلم (٤/ ٨٣٣) .

والواصلة هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر ، والمستوصلة التي تطلب من يفعل بها ذلك ، ويقال لها : موصولة .

تحريم الوشم

س - ما معنى الوشم ؟ وهل هو جائز ؟

ج : الوشم هو أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش ، وقد تكثره وقد تقلله وفاعلة هذا واشمة ، وقد وشمت تشم وشمًا ، والمفعول بها موشومة فإن طلبت فعل ذلك بها فهي مستوشمة ، وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها ، والطالبة له ، وقد يفعل بالبنت وهي طفلة فتأثم الفاعلة ولا تأثم البنت لعدم تكليفها حينئذ . قاله النووي . وقال أبو داود : والواشمة التي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد والمستوشمة المعمول بها .

وذكر الحافظ ابن حجر نحو الكلام المتقدم «فتح» (١٠/ ٣٧٢) وقال : وذكر الوجه الغالب وأكثر ما يكون في الشفة ، وعن نافع أنه يكون في اللثة ، فذكر الوجه ليس قيدا ، وقد يكون في اليد وغيرها من الجسد، وقد يفعل ذلك نقشا ، وقد يجعل دوائر ، وقد يكتب اسم المحبوب ، وتعاطيه حرام بدلالة اللعن كما في حديث الباب ، ويصير الموضع الموشوم نجسًا لأن الدم انحبس فيه فتجب إزالته إن أمكنت ولو بالجرح إلا إن خاف منه تلفًا .أو شيئًا أو فوات منفعة عضو فيجوز إبقاؤه وتكفي التوبة في سقوط الإثم ، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة . انتهى .

وقال النووي نحو هذا الكلام في نجاسة الموضع الموشوم ووجوب إزالته في هذا عندي نظر والله أعلم .

قلت (مصطفى) : والوشم حرام لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث

ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة** »[١] .

* * *

النهي عن التفلُّج

س - ما معنى التفلج؟ وما حكمه ؟

ج : **أما التفلج** فقال النووي رحمه الله :

وأما (المتفلجات) : فبالفاء والجيم ، والمراد مفلجات الأسنان ، بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات ، وهو من الفلج بفتح الفاء واللام ، وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات ، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهارا للصغر وحسن الأسنان ، لأن هذه الفرجة المطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار ، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر ، وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضا : الوشر ، ومنه لعن الواشرة والمستوشرة ، وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث ، ولأنه تغيير لخلق الله تعالى ، ولأنه تزوير ، ولأنه تدليس .

وأما قوله : « المتفلجات للحسن»، فمعناه يفعلن ذلك طلبًا للحسن وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن ، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس ، والله أعلم .

قلت : **وأما حكمه** فهو محرم لما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن مسعود رضي الله عنة لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١٠/ ٣٧٤) ، ومسلم (٤/ ٨٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١٠/ ٣٧٢) ، ومسلم (٤/ ٨٣٦) .

والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، مالي لا ألعن من لعن النبي ﷺ وهو في كتاب الله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ إلى : ﴿ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] .

* * *

ثقب أذن المرأة

س - هل يجوز ثقب أذن المرأة ؟

ج : لا أعلم مانعًا من ذلك ، ومما يدل على جواز ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلى يوم عيد ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي قرطها[٢] .

---

(١) البخاري (١٤٣١ ، ٩٨) ، ومسلم (٨٨٤) .

(٢) قال النووي (٢/ ٥٣٨): قال ابن دريد : كل ما علق من شحمة الأذن فهو قرط سواء كان من ذهب أو من خرز ، وأما الخرص فهو الحلقة الصغيرة من الحلي .

وقال ابن حجر (١٠/ ٣٣١) : القرط بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة ما يحلى به الأذن ذهبًا كان أو فضة صرفًا أو مع لؤلؤ وغيره ويعلق غالبًا من شحمتها .

تنبيه : هل تثقب أذن المرأة لوضع القرط فيها أم إن هذا لا يجوز؟

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٠/ ٣٣١) : واستدل به (أي بالحديث المذكور أعلاه) على جواز ثقب أذن المرأة لتجعل فيها القرط وغيره مما يجوز لهن التزين به ، وفيه نظر لأنه لم يتعين وضع القرط في ثقبة الأذن بل يجوز أن يشبك في الرأس بسلسلة لطيفة حتى تحاذي الأذن وتنزل عنها .

سلمنا لكن إنما يؤخذ من ترك إنكاره عليهن، ويجوز أن تكون آذانهن ثقبت قبل مجيء الشرع فيغتفر في الدوام مالا يغتفر في الابتداء، ونحوه قول أم زرع : «أناس من حلي أذني» ولا حجة فيه لما ذكرنا ، ثم نقل الحافظ عن أحمد جواز ثقب أذن المرأة للزينة ، ونقل عن الغزالي في الإحياء قوله : يحرم ثقب أذن المرأة ويحرم الاستئجار عليه، إلا إن ثبت فيه شيء من جهة الشرع.. =

تحلي النساء بجميع أنواع الذهب

س - اذكر بعض الأدلة على جواز تحلي النساء بجميع أنواع الذهب ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

١ - ما أخرجه أبو داود [١] وغيره من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال : « **إن هذين حرام على ذكور أمتي** » . زاد ابن ماجة[٢] : « حل لإناثهم » .

ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلىٰ فبدأ بالصلاة ثم خطب فلما فرغ نزل فأتىٰ النساء فذكرهن وهو يتوكأ علىٰ يد بلال ، وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر ؟ قال : لا ، ولكن صدقة يتصدقن حينئذ : تلقي فتخها [٤] ويلقين قلت : أترىٰ حقًا علىٰ الإمام ذلك ويذكرهن ؟ قال : إنه لحق عليهم وما لهم لا يفعلونه ؟

= قلت : والقول بالتحريم قول بعيد ، وتأويل من أول أن الحلي تشبك بسلسلة لطيفة حتىٰ تحاذي الأذن تأويل بعيد أيضًا ، وتجويز من جوز أن تكون الآذان ثقبت قبل مجيء الشرع تجويز فيه نظر إذ لو كان هذا الفعل - أي الثقب - حرامًا لبينه النبي عليه السلام كما بين حكم المتفلجات والمتنمصات والمستوشمات والمستوصلات ، فالظاهر أن قول أحمد أولىٰ بالصواب والله أعلم .

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٥٧) .

(٢) رواية ابن ماجة (رقم٣٥٩٥) .

(٣) البخاري مع « الفتح » (٢/ ٤٦٦) ، ومسلم (٦/ ١٧٤) .

(٤) الفتخ هي الخواتيم العظام .

ومنها ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات» [١] من طريق عمرو بن أبي عمرو قال: سألت القاسم بن محمد قلت : إن ناسًا يزعمون أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن الأحمرين: المعصفروالذهب ، فقال : كذبوا والله لقدرأيت عائشة تلبس المعصفرات وتلبس خواتم الذهب .

ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة[٢] في «المصنف»من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « أهدىٰ النجاشي إلىٰ رسول الله ﷺ حلْقةً فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي فأخذه رسول الله ﷺ بعودٍ ، وإنه لمعرض عنه ، أو ببعض أصابعه وإنه لمعرض عنه ثم دعا بابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص فقال : «**تحلي بهذا يا بُنية** » .

ومنها قوله تعالىٰ : ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ [الزخرف: ١٨] .

* * *

س -هناك بعض الأدلة استدل بها عالم فاضل من العلماء المعاصرين على تحريم الذهب المحلق خاصة على النساء ، فهل لهذا العالم من سلف من الصحابة أو التابعين أو من أصحاب المذاهب الأربعة؟ ، وكيف توجيهكم لهذه الأدلة ؟

ج : لا أعلم لهذا القائل بهذا القول سلفًا من الصحابة أو من التابعين أو من أصحاب المذاهب الأربعة ، والقول الذي تبناه قول شاذ مردود ، أما توجيه

---

(١) ابن سعد في « الطبقات » (٨/ ٧٠) بإسناد صحيح ، وقد حاول البعض الغمز في هذا الأثر ولكنها محاولة باءت بالفشل ، وانظر أصل كتابنا .

(٢) «المصنف» (٨/ ٤٦٥) بإسناد حسن .

الأدلة التي استدل بها فمن هذه الأدلة ما هو ضعيف ابتداءً ، ومنها أدلة فهمها على غير وجهها كحديث النهي عن لبس الذهب إلا مقطعًا[١] ، فالحديث وإن كان عندي ضعيفًا إلا أنه أيضًا ليس على الوجه الذي حمله عليه ، فإن معناه يتنزل على الفرد التابع أي نهى عن لبس الذهب إلا أن يكون قطعًا كالأزرار والدبابيس ونحوها كما ذهب إليه فريق من أهل العلم ، وذلك لما أخرجه البخاري في «صحيحه» أن النبي ﷺ أعطى مخرمة (والد المسور) ثوبًا مزررًا بالذهب[٢] .

ومن الأدلة أدلة محمولة على أن من لبست الذهب أظهرته فكان النهي عنه سدًا لذريعة التبرج به .

ومنها أن من لبسته لم تكن تؤدي زكاته كما أخرج أبو داود بإسنادٍ حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ معها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها : « **أتعطين زكاة هذا** » قالت : لا ، قال : « **أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار** » قال : فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت : هما لله عز وجل ولرسوله[٣] .

ومنها أن النبي ﷺ اختار لأهل بيته الأفضل في ترك الذهب جملة . والله أعلم .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٣٩) والنسائي (٨/ ١٦١) وأحمد (٤/ ٩٣) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ٥٨٠٠) .

(٣) أبو داود (حديث ١٥٦٣) والترمذي (٦٣٢) والنسائي (٥/ ٣٨) وأحمد (٢/ ١٧٨ ٢٠٤) .

س - هل هناك نهي عن التختم في الإصبع الوسطى ؟

ج : نعم هناك نهي لكنه خاص بالرجال ، أما النساء فإنه يباح لهن التختم في كل إصبع .

أما النهي فهو ما أخرجه مسلم[٢] من حديث علي رضي الله عنه قال : نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في إصبعي هذه أو هذه ، وأومأ إلى الوسطى والتي تليها .

قال النووي في « شرح مسلم » : وأجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل في الخنصر أما المرأة فإنها تتخذ خواتيم في أصابع . . . .

التحذير من التبرج

س - اذكر حديثًا في التحذير من التبرج ؟

ج : هذا الحديث هو ما أخرجه مسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** »[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ٧١) .

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٧١٠) .

(٣) قال النووي رحمه الله : هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة .

أما الكاسيات ففيه أوجه :

أحدهما : كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها .

الثاني : كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن ، والاعتناء بالطاعات . =

حكم المكياج

س - ما حكم المكياج والمساحيق ؟

ج : قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] تقدم في أبواب النكاح حديث أنس بن مالك رضي الله

= **الثالث** : تكشف شيئًا من بدنها إظهارًا لجمالها فهن كاسيات عاريات .

الرابع : يلبسن ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها كاسيات عاريات في المعنى .

قلت : (القائل مصطفى) : والذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى - أن الوجه الثالث والرابع أقرب إلى المعنى لقوله عليه السلام في الحديث مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة .

ثم قال النووي رحمه الله :

وأما مائلات مميلات : فقيل : زائغات عن طاعة الله ، وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها ، ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن .

وقيل : مائلات متبخترات في مشيتهن ، مميلات أكتافهن .

وقيل : مائلات يتمشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا معروفه لهن ، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة .

وقيل مائلات إلى الرجال مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها .

أما رءوسهن كأسنمة البخت فمعناه : يعظمن رءوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت ، هذا هو المشهور في تفسيره ، قال المازري : ويجوز أن يكون معناه يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم ولا ينكسن رءوسهن . واختار القاضي أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء قال : وهي ضفائر الغدائر وشدها إلى فوق ، وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت .

قال : وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رءوسهن ، وجمع عقائصها هناك ، وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام . قال ابن دريد : يقال ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شيقها ، والله أعلم .

عنه أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى رسول الله ﷺ وبه أثر صفرة فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار . . . الحديث [١] .

وتقدم هناك أن النووي رحمه الله تعالى ذكر أن الصفرة تعلقت به من جهة زوجته .

قلت : فعلى هذا فهذه الصفرة التي رآها رسول الله ﷺ على عبد الرحمن ابن عوف إما أن تكون تعلقت به من ناحية زوجته فحينئذ تكون المرأة قد استعملت الصفرة وعلى ذلك يجوز لها غير الصفرة أيضًا ، وإما أن يكون استعمال الصفرة جائز لابن عوف رضي الله عنه[٢] .

فحينئذ يكون جائزًا للنساء من باب الأولى .

فالحاصل في حكم المكياج أنه لم يأت نص بالمنع منه إذا كانت المرأة لن تبديه إلا لمن أذن الله لها في إبدائه لهم وإذا لم يكن فيه تدليس ولا غش لأحد ، وإذا لم يثبت له ضرر كبير على بشرة المرأة ، والله تعالى أعلم .

❊ ❊ ❊

= قوله ﷺ : « لا يدخلن الجنة » يتأول التأويلين السابقين في نظائره أحدهما : محمول على من استحلت حرامًا من ذلك مع علمها بتحريمه ، فتكون كافرة مخلدة في النار لا تدخل الجنة أبدًا .

والثاني : يحمل على أنها لا تدخلها أول مرة مع الفائزين ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥١٥٣) .

(٢) ومن العلماء من قال : إن هذه الصفرة كانت قبل النهي عن التزعفر ، وعلى هذا القول بعض المآخذ منها أن التأريخ (أعني معرفة هل النهي عن التزعفر كان أولاً أو استعمال ابن عوف للصفرة كان أولاً) . ومنها أن النهي عن التزعفر خاص بالرجال ، والله أعلم .

المرأة وصبغ الشعر

س - هل يجوز للمرأة أن تصبغ شعر رأسها للتزين؟

ج : نعم يجوز لها ذلك إذا لم يكن فيه غش لخاطب ولا تدليس عليه ولم يكن قصدها التشبه بالكافرات ، ولم يكن ذلك الصباغ بالسواد أما جواز الصباغ فلما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم** » .

أما المنع من الخضاب بالسواد فلما أخرجه مسلم[٢] من حديث جابر رضي الله عنه وفيه أُتي بأبي قحافة (وهو والد أبي بكر) يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا فقال رسول الله ﷺ : « **غيِّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد** » ، وأخرج أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة** » [٣] .

قال النووي رحمه الله : ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حُمرة .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١٠/ ٣٥٤) ، ومسلم (٢١٠٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٨١٢) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢١٢) والنسائي (٨/ ١٣٨) .

حقيقة المَحْرم

س - ما هي حقيقة المحرم ؟

ج : قال النووي رحمه الله (٣/ ٤٤٨): واعلم أن حقيقة المحرم من النساء[١] التي يجوز النظر إليها والخلوة بها والمسافرة بها كل من حرم نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها ، فقولنا : (على التأبيد) احترازٌ من أخت المرأة وعمتها وخالتها ،وقولنا : (بسبب مباح) احتراز من أم الموطوءة بشبهة وبنتها ، فإنهما تحرمان على التأبيد وليستا محرمين لأن وطء الشبهة لا يوصف بالإباحة لأنه ليس بفعل مكلف ، وقولنا : (لحرمتها) احتراز من الملاعنة فإنها محرمة على التأبيد بسبب مباح ، وليست محرمًا لأن تحريمها ليس لحرمتها بل عقوبة وتغليظًا ، والله أعلم .

* * *

دخول الكتابية على المسلمة

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]

س-هل يجوز للكتابية (اليهودية أو النصرانية) أن تدخل على المرأة المسلمة؟

ج : الصحيح الذي تطمئن إليه نفسي أنه يجوز ذلك إذا كانت الفتنة من

---

(١) فرق بعض أهل العلم بين بعض المحارم وبعض في المراتب التي تبدي لهم ، قال القرطبي رحمه الله (ص ٤٦٦٤) : لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوي المحارم وسوَّى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر ، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها ، وتختلف مراتب ما يبدى لهم ، فيبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج .

قلت : وهذا مقبول من ناحية النظر ، لكنه يفتقر في إثباته إلى الأدلة .

وراء دخولها مأمونة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : «**نعم عذاب القبر**» ، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر.

ومن أهل العلم من منع ذلك محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣١] وحمل النساء على المؤمنات .

ولكن أرى - والله تعالى أعلم - أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ يحتمل أن يكون المراد به جنس النساء .

وقد تقدم أن أسماء استأذنت رسول الله ﷺ فقالت : إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة وهي مشركة أفأصل أمي ؟ قال : «**صلي أمك**»[٢] .

اللهم إلا إذا خشي من الكافرة أن تخرج وتصف المسلمة للرجال طلبا للفساد ونشراً للرذيلة فحينئذٍ تتستر المسلمة منها ، والله أعلم .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى :﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] ؟

ج : ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بقوله تعالى :﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ . أي النساء المسلمات وها هي بعض أقوالهم :

قال ابن كثير رحمه الله (٣/ ٢٨٤) :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٧٢) ومسلم (حديث ٩٠٣) .

(٢) انظر البخاري مع « الفتح » (٥/ ٢٣٣) ومسلم (٣/ ٤١) وأبو داود (١٦٦٨) .

وقوله: ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ : يعني تظهر بزينتها أيضًا للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لأزواجهن ، وذلك (أي الوصف) ، وإن كان محذورًا في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع ، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها** » ثم ذكر ابن كثير بعض الآثار عن السلف في ذلك [١] .

وقال القرطبي رحمه الله (٤٦٢٥) :

قوله تعالى : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ يعني المسلمات ، ويدخل في هذا الإماء المؤمنات ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم ، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئًا من بدنها بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها ،

---

(١) من هذه الآثار التي ذكرها ابن كثيرما عزاه إلى سعيد بن منصور في سننه حيث قال سعيد : حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فإنه بلغني أن نساء من المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء من أهل الشرك فانه من قبَلَك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها .

قلت : وهذا الإسناد ضعيف ففيه نُسي (والد عبادة) وهو مجهول ، وذكر ابن كثير أثرا آخر عن ابن عباس وفي إسناده الكلبي وهو ضعيف ،ولفظه عن ابن عباس : « هن المسلمات لاتبديه ليهودية ولا نصرانية ، وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يره إلا محرم » .

وذكر أثرًا آخر عن مجاهد وفي إسناده ليث (وهو ابن أبي سليم) وهو ضعيف مختلط . وأثر عمر ومجاهد عند البيهقي (٧/ ٩٥) من الطرق المشار إليها وكذلك هي عند ابن جرير . وذكر ابن كثير أيضًا الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم حيث قال : حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوابل نسائهن اليهوديات والنصرانيات .

قلت : وهذا أثر ضعيف ففيه ابن عطاء وهو عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف .

فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **أو ما ملكت أيمانهن** ﴾ ، ثم ذكر بعض الآثار عن السلف .

وبنحو هذا القول قال ابن جرير الطبري ، والشوكاني في التفسير وغيرهم وأشار بعض أهل العلم إلىٰ أن في هذه المسألة خلافًا ، ونورد بعضه إن شاء الله .

في « المغني » لابن قدامة (٦/ ٥٦٢) :

فصل : وحكم المرأة مع المرأة حكم الرجل مع الرجل سواء ، ولا فرق بين المسلمتين وبين المسلمة والذمية كما لافرق بين الرجلين المسلمين وبين المسلم والذمي في النظر .

قال أحمد : ذهب بعض الناس إلىٰ أنها لا تضع خمارها عند اليهودية والنصرانية ، وأما أنا فأذهب إلىٰ أنها لا تنظر إلىٰ الفرج ولا تقبلها حين تلد . وعن أحمد رواية أخرىٰ : أن المسلمة لا تكشف قناعها عند الذمية ولا تدخل معها الحمام وهو قول مكحول وسليم بن موسىٰ لقوله تعالىٰ : ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ قال الشارح : والأول أولىٰ لأن النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن قد كن يدخلن علىٰ نساء النبي ﷺ فلم يكن يحتجبن ولا أمرن بحجاب ، وقد قالت عائشة : جاءت يهودية تسألها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر . فسألت عائشة النبي ﷺ . . وذكر الحديث (قلت : الحديث صحيح) .

وقالت أسماء : قدمت عليّ أمي وهي راغبة - يعني عن الإسلام - فسألت رسول الله ﷺ أصلها ؟ قال : « نعم » . ولأن الحجب بين الرجال والنساء لمعنىٰ لا يوجد بين المسلمة والذمية فوجب أن لا يثبت الحجب بينهما كالمسلم مع الذمي ، ولأن الحجاب إنما يجب بنص أو قياس ولم يوجد واحد منهما ، فقوله : ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ يحتمل أن يكون المراد جملة النساء ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [النور : ٣١]

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ ؟

ج : المراد بقوله : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ** ﴾ الرقيق (أي العبيد) فللمرأة أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء ، ويشهد لهذا ما أخرجه أبو داود بإسناد[1] حسن من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ كان قد وهبه لها ، قال : وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها ، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : « **إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك** »[2] .

---

(١) أبو داود (حديث ٤١٠٦) .

(٢) وهذا رأى أكثر أهل العلم فقد قال ابن كثير رحمه الله (٣/ ٢٨٥): وقال الأكثرون بل يجوزلها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود . . فذكر الحديث الذي ذكرناه .

فيجوز- على رأي الأكثرين - أن تظهر المرأة على رقيقها رجالاً كانوا أو نساءً ويشهد لهم أيضًا ظاهرالآية، فظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ويشهد لذلك ما أخرجه البيهقي (٧/ ٩٥) وصححه الشيخ ناصر في «الإرواء» (٦/ ١٨٣) عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قال : استأذنت عليها فقالت : من هذا ؟ فقلت : سليمان، قالت : كم بقي عليك من مكاتبتك؟ قال : قلت: عشر أواق ، قالت : ادخل فإنك عبد ما بقي عليك درهم .

وقد ورد في المكاتب حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال لنا رسول الله ﷺ: « إذا كان لإحداكن مكاتب فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه » وهذا حديث ضعيف في إسناده نبهان مكاتب أم سلمة وهو مجهول ، وهذا الحديث أخرجه أبو داود (٣٩٢٨) والترمذي (١٢٦١) وابن ماجة (٢٥٢٠) وغيرهم .

وهذا الحديث - رغم ضعفه - يرده عمل عائشة رضي الله عنها المتقدم، ويرده أيضًا ما أخرجه أبو داود (٣٩٢٦) بسند حسن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : «المكاتب عبد ما بقي عليه من مكاتبته درهم » .

قوله تعالى : ﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ [النور : ٣١]

س - وضح المراد بقوله تعالى :﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ مع ذكر بعض أحكام المخنثين ؟

ج : المراد بالتابعين غيرأولي الإربة من الرجال، الأتباع أو الأجراء الذين ليست لهم حاجة في النساء إما لكبر سن أو لولهٍ في العقول أو لغير ذلك .

وقد وردت بعض الآثار عن السلف الصالح رحمهم الله فىٰ هذه الآية في كثير منها مقال [١] .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء ، وهم مع ذلك في عقولهم وَلَه .

وقال العظيم أبادي[٢] في «عون المعبود» : هم الذين ليس لهم حاجة إلىٰ النساء لكبر أو تخنيثٍ أو عنَّة .

* * *

وها هي بعض أحكام المخنثين

قال الإمام البخاري رحمه الله « فتح » (٩/ ٣٣٣) :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة « أن النبي ﷺ كان عندها - وفي البيت مخنث[٣] - فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية : إن فتح الله لكم

---

(١) انظر الطبري (١٨/ ٩٥) والبيهقي (٧/ ٩٦) .

(٢) « عون المعبود » (١١/ ١٦٥) .

(٣) قال النووي رحمه الله : قال العلماء : المخنث ضربان : أحدهما : من خلق كذلك ولم يتكلف =

الطائف غدا أدلك على ابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان »[1] ، فقال النبي ﷺ : « **لا يدخلن هذا عليكم** » .

والحديث أخرجه مسلم (٥/ ٢٦) وأبو داود (٤٩٢٩) وابن ماجة (١٩٠٢) وعزاه المزي للنسائي .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ١٧١٦) :

وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة ، قالت : فدخل النبي ﷺ يومًا وهو عند بعض نسائه ، وهو

= التخلق بأخلاق النساء وزيِّهن وكلامهن وحركاتهن بل هو خلقه الله عليها ، فهذا لا ذم عليه ولا عتب ولا إثم ولا عقوبة لأنه معذور لا صنع له في ذلك ، ولهذا لم ينكر النبي ﷺ أولاً دخوله على النساء ولا خلقه الذي هو عليه حين كان من أصل خلقته ، وإنما أنكر عليه بعد ذلك معرفته لأوصاف النساء ، ولم ينكر صفته وكونه مخنثًا .

الضرب الثاني من المخنث : هو من لم يكن له ذلك خلقة بل يتكلف أخلاق النساء وحركاتهن وهيآتهن وكلامهن، ويتزيا بزيهن ، فهذا هو المذموم الذي جاء في الأحاديث الصحيحة لعنه وهو بمعنى الحديث الآخر : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

أما الضرب الأول فليس بملعون ، ولو كان ملعونًا لما أقره أولا . والله أعلم .

(١) قال الإمام البخاري رحمه الله « فتح » (١٠/ ٣٣٣): تقبل بأربع يعني أربع عكن بطنها فهي تقبل بهن ، وقوله: تدبر بثمان يعني أطراف هذه العكن الأربع لأنها محيطة بالجنبين حتى لحقت، وإنما قال بثمان ولم يقل بثمانية وواحد الأطراف وهو ذكر لأنه لم يقل بثمانية أطراف .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله « فتح » (٩/ ٣٣٥) قال ابن حبيب عن مالك : معناه أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها في كل جانب أربع ولإرادة العكن ذكر الأربع والثمان ، فلو أراد الأطراف لقال: بثمانية ، ثم ذكر الحافظ قول البخاري ثم قال : وتفسير مالك المذكور تبعه فيه الجمهور .

ينعت امرأة ، قال : إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبي ﷺ : « **لا يدخلن عليكن** » . قالت : فحجبوه [١] .

وأخرجه أبو داود (٤١٠٧) وعزاه المزي للنسائي .

قال الإمام البخاري رحمه الله « فتح » (١٠/ ٣٣٣) :

حدثنا معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن يحيى عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، وقال : «**أخرجوهم من بيوتكم** » ، قال: فأخرج النبي ﷺ فلانًا [٢] وأخرج عمر فلانة .

وأخرجه أبو داود (٤٩٣٠) والترمذي (٢٧٨٥) وعزاه المزي للنسائي .

* * *

س - اذكر بعض الوارد في تحريم تشبه الرجال بالنساء ؟

ج : من ذلك ما أخرجه البخاري[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من

---

(١) قال النووي رحمه الله : وأما دخول هذا المخنث أولاً على أمهات المؤمنين فقد بين سببه في هذا الحديث بأنهم كانوا يعتقدونه من غير أولي الإربة ، وأنه مباح دخوله عليهن ، فلما سمع منه هذا الكلام علم أنه من أولي الإربة فمنعه ﷺ الدخول ، ففيه منع المخنث من الدخول على النساء، ومنعهن من الظهور عليه ، وبيان أن له حكم الرجال الفحول الراغبين في النساء في هذا المعنى، حكم الخصي والمجبوب ذكره والله أعلم .

(٢) أشار الحافظ في الفتح (١٠/ ٣٣٤) إلى أن الذي أخرجه النبي ﷺ هو أنجشة الذي كان يحدو للنساء وعزى ذلك إلى الطبراني من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه . وبالنظر في معجم الطبراني وجدنا الحديث جـ ٢٢ ص ٨٥ وفيه فأخرج النبي ﷺ الحبشة وأخرج عمر فلانًا ، لكن سند الحديث ضعيف جدًا .

(٣) البخاري مع «الفتح » (١٠/ ٣٣٢) .

النساء بالرجال »[١] .

قوله تعالى:

﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [النور: ٣١] ؟

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله :

وقوله تعالىٰ : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ ، يقول تعالىٰ ذكره: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليها لصغرهم .

وقال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ

---

(١) في « عود المعبود » (١١/ ١٥٧) قال في النهاية: إنه لعن المترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيآتهم فأما في العلم فمحمود ، وفي رواية لعن الرجلة من النساء بمعنىٰ المترجلة . ويقال امرأة رجلة إذا شبهت بالرجال في الرأي والمعرفة . انتهىٰ .

ونقل الحافظ في « الفتح» (١٠/ ٣٣٢) عن الطبري أنه قال: المعنىٰ لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس ، ثم قال الحافظ : وكذا في الكلام والمشي فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد فرب قوم لا يفترق زي نسائهم من رجالهم في اللبس ، لكن تمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار أما ذم التشبه في الكلام والمشي فمختص بمن تعمد ذلك ، وأما من كان ذلك من أصل خلقته فإنما يؤمر بتكلف تركه والإدمان علىٰ ذلك بالتدريج فإن لم يفعل وتمادىٰ دخله الذم، ولا سيما إن بدا منه ما يدل علىٰ الرضا به، وأخذ هذا واضح من لفظ المتشبهين ، وأما إطلاق من أطلق كالنووي وأن المخنث الخلقي لا يتجه عليه اللوم فمحمول علىٰ ما إذا لم يقدر علىٰ ترك التثني والتكسر في المشي والكلام بعد تعاطيه المعالجة لترك ذلك، وإلا متىٰ كان ترك ذلك ممكنًا ولو بالتدريج فتركه بغير عذر لحقه اللوم .

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء ، فأما إن كان مراهقًا أوقريبًا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ١٧٣٠) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رمح أخبرنا الليث عن أبي الزبير عن جابر أن أم سلمة استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة ، فأمر النبي ﷺ أبا طَيْبَة أن يحجمها . قال : حسبت أنه قال : كان أخاها من الرضاعة أو غلامًا لم يحتلم [1] .

وأخرجه أبو داود (٤١٠٥) وابن ماجة (٣٤٨٠) .

س - فرَّق بعض أهل العلم بين المحارم في حجم الزينة التي تبديها المرأة لكل منهم اذكر طرفًا من ذلك ؟

ج : نعم فرق بعض أهل العلم بين بعض المحارم وبعض في المراتب التي تبدى لهم ، قال القرطبي رحمه الله (ص٤٦٢٤) : لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوي المحارم وسوَّى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر ، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها ، وتختلف مراتب ما يبدى لهم ، فيبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج .

قلت : وهذا مقبول من ناحية النظر ، لكنه يفتقر في إثباته إلى الأدلة .

---

(١) استدل البيهقي رحمه الله بهذا الحديث على جواز إظهار المرأة زينتها للطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (٧/ ٩٦) .

هل تحجب المرأة عن بعض محارمها

س - هل يجوز للرجل أن يحجب امرأته عن بعض محارمها لعلة من العلل ؟

ج : نعم يجوز له ذلك إذا كان هناك ما يدعو إلى ذلك كأن يكون المحرم فاسقًا يخشى منه أن يعتدي على المرأة أو إذا كانت هناك شبهة تدفع إلى ذلك ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [١] ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان عتبة[٢] عهد إلى أخيه سعد[٣] أن ابن وليدة زمعة مني فاقبضه إليك[٤]، فلما كان عام الفتح أخذه سعد فقال : ابن أخي عهد إليَّ فيه فقام عبد ابن زمعة فقال : أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه ، فتساوقا إلى النبي ﷺ فقال سعد : يا رسول الله ابن أخي قد كان عهد إليَّ فيه فقال عبد بن زمعة : أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فقال النبي ﷺ : « **هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش**

---

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (١٢/ ٣٢) ، ومسلم (حديث١٤٥٧) .

(٢) عتبة : هو ابن أبي وقاص وقد اختلف في صحبته والأكثر على أنه مات كافرا . انظر «فتح الباري» (١٢/ ٣٣).

(٣) سعد : هو ابن أبي وقاص الصحابي الجليل .

(٤) قال القاضي عياض رحمه الله (٣/ ٦٤٠) : كانت عادة الجاهلية إلحاق النسب بالزنا وكانوا يستأجرون الإماء للزنا فمن اعترفت الأم بأنه له ألحقوه به فجاء الإسلام بإبطال ذلك وبإلحاق الولد بالفراش الشرعي فلما تخاصم عبد بن زمعة وسعد بن أبي وقاص ، وقام سعد بما عهد إليه أخوه عتبة من سيرة الجاهلية ولم يعلم سعد بطلان ذلك في الإسلام ، ولم يكن حصل إلحاقه في الجاهلية إما لعدم الدعوى ، وإما لكون الأم لم تعترف به لعتبة ، واحتج عبد بن زمعة بأنه ولد على فراش أبيه فحكم له به النبي ﷺ .

وللعاهر الحجر »[١] ثم قال لسودة بنت زمعة[٢] : « احتجبي منه » لما رأىٰ من شبهه بعتبة[٣] فما رآها حتىٰ لقىٰ الله عز وجل » .

---

(١) قوله : « الولد للفراش » أي : الولد لصاحب الفراش ، قال النووي في « شرح مسلم » معناه أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة صارت فراشًا له فأتت بولد لمدة الإمكان منه لحقه الولد وصار ولدًا يجري بينهما التوارث وغيره من أحكام الولادة سواء كان موافقًا له في الشبه أو مخالفًا ، ومدة إمكان كونه منه ستة أشهر من حين اجتماعهما .

أما ما تصيربه المرأة فراشًا فإن كانت زوجة صارت فراشًا بمجرد عقد النكاح ونقلوا في هذا الإجماع وشرطوا إمكان الوطء بعد ثبوت الفراش فإن لم يمكن بأن ينكح المغربي مشرقية ولم يفارق واحد منهما وطنه ثم أتت بولد لستة أشهرأو أكثر لم يلحقه لعدم إمكان كونه منه ، وهذا قول مالك والشافعي والعلماء كافة إلا أبا حنيفة فلم يشترط الإمكان بل اكتفىٰ بمجرد العقد قال : حتىٰ لو طلق عقب العقد من غير إمكان وطءفولدت لستة أشهر من العقد لحقه الولد ، وهذا ضعيف ظاهرالفساد ولا حجة له في إطلاق الحديث لأنه خرج علىٰ الغالب وهو حصول الإمكان عند العقد هذا حكم الزوجة .

أما قوله : « وللعاهر الحجر » قال الحافظ في « الفتح » (١٢/ ٣٦) : أي للزاني الخيبة والحرمان وقال نحوه النووي .

(٢) هي أم المؤمنين رضي الله عنها وهي أخت عبد بن زمعة .

(٣) أمر النبي ﷺ لسودة بالاحتجاب منه علىٰ الاحتياط عند أكثر أهل العلم كما نقله عنهم الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤/ ٢٩٣) (١٢/ ٣٧) قال النووي (٣/ ٦٤٠) : وأما قوله ﷺ : «واحتجبي منه يا سودة » فأمرها به ندبا واحتياطا لأنه في ظاهر الشرع أخوها لأنه ألحق بأبيها لكن لما رأىٰ الشبه البين بعتبة بن أبي وقاص خشي أن يكون من مائة فيكون أجنبيًا منها فأمرها بالاحتجاب منه احتياطًا .

قلت : هذا هو قول الأكثر وهناك أقوال أخر في أمر النبي ﷺ لسودة بالاحتجاب ، منها ما قاله ابن القصار - كما نقله عنه الحافظ في « الفتح » (٤/ ٢٩٣) فقد قال : إنما حجب سودة منه لأن للزوج أن يمنع زوجته من أخيها وغيره من أقاربها . =

مناسبة عدم ذكر العم والخال في

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

س - لماذا لم يُذكر العم والخال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أن العم والخال لم يذكرا في الآية لأنهما ينعتان المرأة لأبنائهما ، فمن ثم لا تضع خمارها عندهما ، فقال ابن كثير : وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هارون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] حتى فرغ منها ، وقال : لم يذكر العم ولا الخال لأنهما ينعتان لأبنائهما ، ولا تضع خمارها عند العم والخال .

قلت : وإسناد هذا إلى عكرمة ضعيف ففي رواية داود عن عكرمة ضعف ، ثم إن الجمهور على خلاف هذا الرأي ، قال القرطبي (ص ٤٦٢٥) : والجمهور على أن العم والخال كسائر المحارم ، في جواز النظر لهما إلى ما يجوز

= وقال غيره : بل وجب ذلك لغلظ أمر الحجاب في حق أزواج النبي ﷺ أما ابن القيم رحمه الله فقد قال في « عون المعبود » (٦/ ٣٦٦) : وأما أمره سودة - وهي أخته - بالاحتجاب منه فهذا يدل على أصل وهو تبعيض أحكام النسب فيكون أخاها في التحريم والميراث وغيره ولا يكون أخاها في المحرمية والخلوة والنظر إليها لمعارضة الشبه للفراش فأعطي الفراش حكمه من ثبوت الحرمة وغيرها وأعطي الشبه حكمه من عدم ثبوت المحرمية لسودة ، وهذا باب من دقيق العلم وسره لا يلحظه إلا الأئمة المطلعون على أغواره المعنيون بالنظر في مآخذ الشرع وأسراره ، ومن نبا فهمه عن هذا وغلظ عنه طبعه فلينظر إلى الولد من الرضاعة كيف هو ابن في التحريم لا في الميراث ولا في النفقة ولا في الولاية ، وهذا ينفع في بنت المخلوقة من ماء الزاني فإنها بنته في تحريم النكاح عليه عند الجمهور وليست بنته في الميراث ولا في النفقة ولا في المحرمية .

لهم ، وليس في الآية ذكر الرضاع ، وهو كالنسب على ما تقدم . قلت : ويشهد للجمهور ما أخرجه البخاري « فتح » (٩/ ١٥٠) ومسلم (٣/ ٦٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن افلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب ، فأبيت أن آذن له فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت فأمرني أن ، آذن له وسيأتي في ذلك حديث آخر قريب إن شاء الله .

* * *

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

س - ما المراد بقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله (١٨/ ٩٧) :

يقول الله تعالى : ولا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك .

ثم ذكر رحمه الله جملة من الآثار في ذلك .

قال القرطبي رحمه الله :

أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها ، فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة وأشد ، والغرض التستر .

قال ابن كثير رحمه الله :

كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق ، وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه فنهىٰ الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذا إذا كان شيء من زينها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهىٰ لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ .

❊ ❊ ❊

س - في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] دليل على سد الذرائع، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأصل في الضرب بالرجل في الأرض مباح ولكنه لما كان وسيلة للفت الأنظار ولعلم الزينة منع منه ، لأنه سيفضي إلىٰ المُحرم . والله أعلم .

❊ ❊ ❊

الآداب التي تتحلى بها المرأة عند الخروج من بيتها

س - اذكر بعض الآداب التي ينبغي أن تتحلى بها المرأة عند خروجها من بيتها ؟

ج : ينبغي علىٰ النساء أن يتحلين بهذه الآداب عند خروجهن من بيوتهن :

❊ **ترك التطيب** : إذا أرادت الخروج ، وذلك لما أخرجه مسلم [١] رحمه الله من حديث زينب الثقفية أنها كانت تحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا شهدت إحداكن العشـــاء فلا تطيب تلك الليلة**» وفي رواية لمسلم [٢] من حديث

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٤).

(٢) مسلم (٢/ ٨٥) .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة** » .

وفي رواية للإمام أحمد[١] بإسناد حسن من حديث الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية** ».

* **المشي في جانب الطريق** : وذلك لما أخرجه ابن حبان[٢] وغيره بإسناد يُحَسَن بمجموع طرقه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس للنساء وسط الطريق** » .

* **الاحتياط في التستر إذا دخلت بيت قومٍ فيه رجال**: وذلك لما أخرجه ابن ماجة وغيره بإسناد صحيح [٣] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لنسوةٍ من أهل حمص : لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل** » [٤] .

* **يجب أن تخرج متسترة** ، مرتدية للثياب التي لا تصف جسمها ولا تحدد عوراتها بل تسترها جميعا ، فإن المرأة عورة كما قال النبي ﷺ [٥] .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤١٤) .

(٢) « موارد الظمآن » (١٩٦٩) .

(٣) ابن ماجة (حديث ٣٧٥٠) .

(٤) هذا محمول على المرأة التي تنزع ثيابها استشرافًا للمعصية وطلبًا للمحرم ، وهو أيضًا من الأحاديث التي تسد الذريعة إلى الفساد كما تنهى المرأة مثلاً عن الخضوع بالقول وعن التبرج وعن التكسر والتغنج حتى لا تقع في الفاحشة فكذلك تنهى عن نزع ثيابها في غير بيت زوجها أما إذا ذهبت بيت ليس فيه رجال وكانت الفتنة مأمونة فلا مانع من خلعها لثيابها والله أعلم .

(٥) أخرجه الترمذي (١١٧٣) ورجاله ثقات .

يجب عليها أن تتحلى بهذا الأدب. هذا ، وقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٠٥) بإسناد حسن لغيره من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كساني رسول الله ﷺ قبطية [١] كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي فكسوتها امرأتي فقال لي رسول الله ﷺ : «مالك لم تلبس القبطية » قلت : يا رسول الله كسوتها امرأتي فقال لي رسول الله ﷺ : « مُرها فلتجعل تحتها غلالة[٢] إني أخاف أن تصف حجم عظامها » .

المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ .... وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

* يجب عليها أن تتحلى بالحياء كما قال تعالىٰ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص: ٢٥] .

* ينبغي أن لا تختلط بالرجال ويجب عليها أن لا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى: قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣].

إذا قُدر وتكلمت مع أحد لضرورة ما أو لطلب شيء مثلاً فيجب عليها أن لا تخضع بالقول لقول الله تعالىٰ : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

---

(١) القُبطية: بضم القاف شقة أو ثوب من القباطي وهي ثياب تعمل بمصر وفي « اللسان » هي القباطي ثياب إلىٰ الدقة والرقة والبياض .

(٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب ، وقيل بطائن تلبس تحت الدروع .

* لا تلبس ثوب شهرة يلفت الأنظار إليها .

ومع ذلك تقلل من الخروج إلا لضرورة لقول الله تبارك وتعالىٰ لنساء النبي ﷺ وهن خير أسوة لنسائنا : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ولقول النبي عليه الصلاة والسلام : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»(١) .

* * *

س - لماذا وجَّه الأمر بالتوبة إلى جميع المؤمنين في قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] ولم يوجه إلى المذنبين فقط ؟

ج : ذلك والله أعلم لأنه ليس هناك أحدٌ ينجو من فتنة النظر فقد قال النبي ﷺ : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويُكذِّبه »(٢) .

* * *

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣) وقال: هذا حديث حسن غريب . وأخرجه أيضًا ابن خزيمة (٣/ ٩٥) والطبراني في الكبير (١٠١١٥) ورجاله ثقات .

(٢) البخاري (١١/ ٥٠٢) ومسلم (ص ٢٠٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، واللفظ لمسلم .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات :

الأيامى - يبتغون الكتاب- فتياتكم - البغاء - تحصنًا - عرض الحياة الدنيا - مبينات - خلوا - موعظة ؟

ج :

الكلمة	معناها
الأيامى	الأيامى جمع أيِّم ، والأيم من لا زوج لها من النساء ، ومن لا زوجة له من الرجال ، وسواءٍ كان قد تزوج من قبل أم لم يتزوج
يبتغون الكتاب	يطلبون المكاتبة (حتى يعتقوا أنفسهم)
فتياتكم	المراد بهن منا إمائكم ، والفتاة تطلق أيضًا على الشابة
البغاء	الزنا
تحصنًا	تعففًا - تزوجًا

عرض الحياة الدنيا	المال- الشرف والجاه
مبينات	موضحات
خلوا	مضوا وسلفوا
موعظة	تذكيرًا وتخويفًا

س - ما هو وجه الربط بين قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ . . . ﴾ والآيات التي قبلها ؟

ج : وجه ذلك أن الأمر بالإنكاح فيه إعانةٌ على ما تقدم من غض البصر وحفظ الفرج كما قال النبيﷺ : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» (١) .

* * *

س- اذكر بعض الأدلة الواردة في الحث على النكاح والترغيب فيه؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾ [النور : ٣٢] .

وقول الله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

وقول النبي ﷺ (٢) : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه**

---

(١) صحيح وسيأتي .

(٢) البخاري (حديث ٥٠٦٥)، ومسلم (حديث ١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١] .

وقول النبي ﷺ[٢] : « أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأُفطر وأصلي وأرقد وأتزوَّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ».

وقال النبي ﷺ[٣] : « وفي بُضع أحدكم صدقة » .

وقال النبي ﷺ : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[٤] .

ثم إن النكاح من سنن المرسلين قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] .

وقد آجر موسىٰ عليه السلام نفسه ثماني حجج من أجل عفة فرجه قال له العبد الصالح : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ .... قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨] .
ثم النكاح سبب في إيجاد الولد الصالح .

وقد قال النبي ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له »[٥] .

---

(١) الوجاء المراد به رضُّ الخصيتين ، والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شرَّ المني كما يفعله الوجاء .

(٢) البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (حديث١٤٠١) .

(٣) المراد هنا الجماع ، فالجماع يكون صدقة وعبادةً إذا نوىٰ به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالىٰ به ، أو طلب ولدٍ صالح أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر إلىٰ حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة ، والحديث أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) مسلم (حديث ١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال النبي ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »[١] .

س - لماذا أُطلق الأمر بإنكاح الأيامى من الحرائر ، وقيِّد بالصلاح في شأن العبيد والإماء ؟

ج : ذلك ، والله أعلم لأن قوله : (الأيامىٰ منكم) لأن الأب عليه أن يُزَوِّج ابنته فهي لا تنفك منه ولا تنفصل عنه ، وكذلك المولىٰ مع موليته ، وكذلك الآباء والأولياء يزوجون أبناءهم ويساعدونهم في ذلك فالأبناء لا ينفكون عنهم ولا ينفصلون .

أما العبيد والإماء غير الصالحين فللرجل أن يسعىٰ في بيعهم وإبعادهم عنه أو عتقهم والإنفكاك من أمرهم ، وهو في هذا ليس بملوم فهو محسن أو متصدق أو فاعل للمباح .

* * *

س - امرأةٌ تقدم لها رجلان كلاهما على درجة واحدة من الدين، أحدهما فقير والآخر ذو مالٍ فمن تختار لها ؟

ج : يُختار لها ذو المال ، وذلك لما أخرجه مسلم[٢] من حديث فاطمة بنت قيس أن أبا عمر بن حفص طلَّقها البتةُ وهو غائب . فأرسل إليها وكيله بشعير . فسخطته[٣] . فقال : والله مالك علينا من شيء ، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « **ليس لك عليه نفقة** » . فأمرها أن تعتد[٤] في بيت

---

(١) أبو داود (٢٠٥٠) من حديث معقل بن يسار مرفوعًا بإسناد صحيح .

(٢) مسلم (حديث ١٤٨٠) .

(٣) (فسخطته) أي ما رضيت به لكونه شعيراً ، أو لكونه قليلاً .

(٤) (تعتد) أي تستوفي عدتها . وعدة المرأة ، قيل : أيام أقرائها ، وقيل : تربصها المدة الواجبة عليها .

أم شريك . ثم قال : « **تلك المرأة يغشاها أصحابي ، اعتدي عند ابن أم مكتوم . فإنه رجل أعمى . تضعين ثيابك . فإذا حللت فآذنيني**[١]» قالت : فلما حللت ذكرت له؛ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني . فقال رسول الله ﷺ : « **أما أبو جهم فلا يضع عصاة عن عاتقه**[٢] . **وأما معاوية فصعلوك**[٣] **لا مال له . انكحي أسامة بن زيد**» فكرهته . ثم قال : « **انكحي أسامة**» فنكحته . فجعل الله فيه خيراً . واغتبطت[٤] .

س - كم من شخصٍ قد تزوج ولم يغنه الله سبحانه وتعالى - بل أصيب بفقرٍ شديد مُدقع ، فكيف تجمع بين هذا الواقع ، وبين قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن ذلك مقيدٌ بالمشيئة بمعنى يغنهم الله من فضله إن شاء ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ** ﴾ [التوبة: ٢٨] وكما قال تعالى : ﴿ **فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ** ﴾ [الأنعام: ٤١] .

---

(١) (فآذنيني) أي فأعلميني .

(٢) (فلا يضع العصا عن عاتقه) فيه تأويلان مشهوران : أحدهما : أنه كثير الأسفار ، والثاني : أنه كثير الضرب للنساء ، وهذا أصح . والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب .

(٣) (فصعلوك) أي فقير في الغاية .

(٤) (واغتبطت) في بعض النسخ : واغتبطت به ، ولم تقع لفظة « به » في أكثر النسخ . قال أهل اللغة : الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه . وليس هو بحسد . تقول منه : غبطته بما نال أغبطه ، بكسر الباء ، غبطًا وغبطة فاغتبط هو . كمنعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس .

الثاني : أن هذا في الغالب ، فأغلب من يتزوج يرزقه الله .

الثالث : إن كان المتزوج يريد بتزوجه العفاف فإن الله يغنيه .

الرابع : أن المراد إن هم اتقوا الله وأخذوا بالأسباب التي شرعها سبحانه وتعالىٰ لهم .

الخامس : أن المراد بالغنىٰ غنىٰ النفس .

السادس : أن المراد يغنهم الله من فضله بالحلال ليتعففوا عن الزنا .

السابع : أن رزق الزوج يجتمع مع رزق الزوجة عند الزواج .

* * *

س - إذا قلتم إن قوله تعالى : ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٢] مقيد بالمشيئة ، أي يغنهم الله من فضله إن شاء، فكذلك المشيئة واردة في غنى الأعزب فلماذا خص الناكح بالوعد بالغنى ؟

ج : ذلك ، والله أعلم - لأن الناس يتعلقون بالأسباب والمسببات ، فقد يفكر من أراد التزوج ويقول : كيف أتزوج؟ ومن أين أُنفق علىٰ الزوجة وعلىٰ الأولاد إذا رزقت بالأولاد ؟، وقد يُغالي في هذا التفكيرحتىٰ يُصرف عن الزواج لتخيله أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتمًا ، وعدمها سبب يوجب توفير المال جزمًا ، فأُريد قطع هذا التفكير وهذا التصور من الأذهان وإبعاد هذه الأوهام عن مريد التزوج علىٰ وجه الخصوص ، وأُريدت طمأنته وإشعاره بأن الله هو الرزاق ، والله أعلم .

* * *

س - ماذا يصنع من لم يجد النكاح ؟

ج : عليه بالتعفف وطلب العفة من الله سبحانه وتعالىٰ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٣] ، وعليه بالصوم كذلك لقول النبي ﷺ: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١) .

وله أن ينكح الإماء (إذا كن ملك يمين) لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥] ولكن صبره عن نكاح ملكت اليمين خير له ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . وذلك لأن الولد يأتي رقيقًا .

وعليه أن يغض بصره ولا يخلو بامرأة أجنبية ولا يصافحها ولا يسافر بها .

* * *

بحث في المكاتب

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ٣٣] ؟

ج : المعنىٰ - والله أعلم - أن من أراد من العبيد أو الإماء الذين تملكونهم أن يشتري نفسه ويتفق علىٰ عتق نفسه مقابل مبلغ من المال يقدمه لكم فاتفقوا معه واكتبوا ذلك إن علمتم فيهم خيراً .

* * *

(١) صحيح ، وقد تقدم .

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور :٣٣]؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالخير هنا المال ، فالمعنى إن علمتم أن عندهم من المال ما يكفي لسداد المكاتبة ، أو أن عندهم قدرة على الاكتساب وسد الديون .

الثاني : إن علمتم فيهم دينًا وصلاحًا .

الثالث : إن علمتم فيهم صدقًا ووفاءً .

الرابع : إن علمتم أنهم يريدون خيرًا من وراء المكاتبة .

* * *

س - هل يجب على من عنده عبدٌ أراد أن يكاتب عن نفسه أن يكاتبه؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الأمر بالمكاتبة في قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر ندب وإرشاد ، لا أمر حتم وإيجاب ، وكان من الصوارف التي صرفوا بها الأمر عن الوجوب ما يلي :

الأول : قوله تعالى : ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قالوا : فأُطلق النظر إلى السيد في شأن عبده ، فلما أطلق النظر في شأنه كان هذا صارفًا عن الوجوب .

الثاني : أنه لا يحل مال امرئٍ مسلم إلا عن طيب نفس [1] ، والعبد من مال المسلم فلا يجب عليه بيعه ولا مكاتبته إلا بطيبة من نفسه (أي نفس المالك) .

الثالث : ذكره صديق حسن خان في «فتح البيان» بقوله : وتمسكوا بالإجماع على أنه لو سأل العبد سيده أن يبيعه من غيره لم يجب عليه ذلك ولم يجبر عليه فكذا الكتابة لأنها معاوضة .

---

(١) وقد ورد بذلك حديث صحيح بمجموع طرقه . انظر : « الإرواء » (١٤٥٩) .

بينما ذهب فريقٌ من أهل العلم إلىٰ وجوب المكاتبة إذا طلبها العبد وعُلِمَ أن فيه خيراً ، وذلك لصريح الآية ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ [النور: ٣٣] ولما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر : لتكاتبنه .

* * *

س - اذكر بعض من كاتبوا عن أنفسهم على عهد رسول الله ﷺ؟

ج : من هؤلاء بريرة رضي الله عنها ، فقد أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها أن بريرة جاءت عائشة تستعينها في كتابتها . ولم تكن قضت من كتابتها شيئًا ، فقالت لها عائشة : ارجعي إلىٰ أهلك ، فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابتك[٢] ، ويكون ولاؤك لي ، فعلت . فذكرت ذلك بريرة لأهلها ، فأبوا ، وقالوا : إن شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل [٣] ، ويكون لنا ولاؤك [٤] ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : **«ابتاعي فأعتقي ، فإنما الولاء لمن أعتق »** ثم قام رسول الله ﷺ فقال : **« ما بال أناس يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ؟ من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله ، فليس له ، وإن شرط مائة مرة . شرط الله أحق وأوثق »** .

ومن هؤلاء أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ، فقد أخرج الإمام أحمد

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٦١) ومسلم (حديث١٥٠٤) .

(٢) أي أؤدي عنك جميع ما عليك من بدل الكتابة .

(٣) أي إن أرادت الثواب عند الله .

(٤) المراد بالولاء هنا الميراث الذي تتركه بريرة إذا ماتت ، فإذا ماتت ولم يكن لها وارث ورثها من أعتقها ، وهذا المراد بقوله عليه السلام : « الولاء لمن أعتق » .

وأبو داود[١] رحمها الله من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي قال :« **فهل لك في خير من ذلك ؟** » قالت: وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **أقضي كتابتك وأتزوجك** » قالت : نعم يارسول الله ، قال: «**قد فعلت** » قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

ومنهم سلمان ، ففي قصة إسلام سلمان عند الإمام أحمد [٢] وابن سعد في «الطبقات» ، بإسناد حسن من حديث سلمان رضي الله عنه قال : . . . فذكر قصة إسلامه ، وفيها : ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أجبيها له بالفقير وبأربعين أوقية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشر - يعني الرجل بقدر

---

(١) أحمد (٦/ ٢٧٧) ، وأبو داود (٣٩٣١) بإسناد حسن .

(٢) أحمد « المسند » (٥/ ٤٤١) ، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٥٣) .

ما عنده- حتىٰ اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ: « **اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي**» ، ففقرت لها وأعانني أصحابي ، حتىٰ إذا فرغت منها جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودىٰ ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقي عليَّ المال . فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال : « **ما فعل الفارسي المكاتب؟** » قال : فدُعيت له فقال : « **خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان** » فقلت : وأين تقع هـــذه يا رسول الله مما عليَّ ؟ قال : « **خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك** » ، قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفـس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهـم ، وعتقت فشهدت مع رسـول الله ﷺ الخندق ، ثم لـم يفتني معه مشـهد .

* * *

س – ما المراد بمال الله المذكور في قوله تعالى : ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور : ٣٣]؟

ج : لأهل العلم في تحديده أقوال :

أحدها : أنه مال الزكاة ، فالمعنىٰ وعاونوا المكاتبين الذين كاتبوا لعتق أنفسهم من مال الزكاة ، فمن مصارف الزكاة الثمانية ﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾ [التوبة: ٦٠] أي في عتق الرقاب وتحريرها .

الثاني : من أموالكم أيها السادة ، فيا من كاتبت عبدك علىٰ أن يعتق نفسه منك تنازل له عن شيء من مال المكاتبة الذي كاتبته عليه .

الثالث : أنها أموال المسلمين عمومًا ، فالمعنىٰ : وعاونوا يا أهل الإسلام من كاتب لتحرير نفسه وساعدوه وأعطوه من مال الله الذي آتاكم ، والله أعلم .

* * *

س - ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] **؟**

ج : سبب نزولها ما أخرجه مسلم [(١)] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان عبد الله بن أُبي بن سلول يقول لجاريةٍ له : اذهبي فابغينا شيئًا فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور : ٣٣] .

وفي رواية لمسلم من حديث جابر أيضًا أن جارية لعبد الله بن أُبي بن سلول يُقال لها : مُسيكه وأخرىٰ يُقال لها : أُميمة فكان يُكرههما علىٰ الزنا فشكتا ذلك إلىٰ النبي ﷺ فأنزل الله : ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور : ٣٣] .

* * *

س - ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] **خرج مخرج الغالب ، وضح ذلك ؟**

ج : إيضاحه أن الإكراه إنما هو لمريدة التحصن أما غيرها (التي لا تريد التحصن) فهي تسارع إلىٰ البغاء من غير حاجة إلىٰ الإكراه ، والمقصود أن

---

(١) مسلم في كتاب التفسير (٤ : ١) .

الإكراه على الزنا حرام سواء أردن تحصنًا أم لا ، وصورة الإكراه مع أنها لا تريد التحصن أن تكون هي مريدة الزنا بإنسان فيكرهها على الزنا بغيره ، وكله حرام قاله النووي .

* * *

س - قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٣٣] غفور رحيم لمن ؟

ج : غفور رحيم لهن إذا أُجبرن على الزنا وأُكرهن عليه ، أي غفور رحيم للفتيات .

وقيل : غفور رحيم لمن أكرههن إذا تاب بعد أن أكرههن والله تعالى أعلم .

* * *

س - اذكر بعض الآيات التي ترفع الحرج عن المكره ؟

ج : منها قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور :٣٣] أي غفور رحيم لهن إذا أكرهن على فاحشة الزنا..

وقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

إلى غير ذلك من الآيات .

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور : ٣٤]؟

ج : المراد قصصًا وأمثالاً وعبرًا لمن سبقوكم وماتوا من قبلكم ، كقصة يوسف عليه السلام ، وقصة مريم عليها السلام ، وسائر القصص التي فيها وعظٌ وتذكيرٌ وتخويف .

وكذلك أخبار عن الأمم المتقدمة وما حل بها من جراء تكذيبها وعتوها وظلمها ونفورها ، والله تعالى أعلم .

* * *

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات ؟

مشكاة - دريٌّ - مباركة - أذن الله - يسبح له فيها - الغدو - الآصال.

ج :

الكلمة	معناها
مشكاة	المشكاة هي الكُوَّة (أو الطاقة) التي ليس لها منفذ - المكان الذي يوضع فيه القنديل والسراج .
دريٌّ	مضيءٌ - نسبة إلى الدُّر - وقيل متلألأ وقيل ضخم- وقيل شديد الإنارة .
مباركة	كثيرة المنافع .
أذن الله	أمر الله
يسبح له فيها	يُصلي له فيها
الغدو	قبل طلوع الشمس
الآصال	قبل غروب الشمس

س - اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ؟

ج : من هذه الأقوال ما يلي :

القول الأول : الله منور السموات والأرض ، فبنوره أضاءت السموات والأرض .

القول الثاني : الله هادي أهل السموات وأهل الأرض .

من الأدلة التي تُجلي معنى الآية الكريمة أيضًا :

قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ﴾ [1] [الزمر: ٦٩] .

وقول النبي ﷺ وقد سُئل هل رأيت ربك ؟ قال: « **نورٌ أنى أراه** [2] »؟ ، وفي رواية «**رأيت نورًا**»[3] ومعنىٰ قوله : « **نورٌ أنى أراه ؟** » ، قال النووي فيه : حجابه النور فكيف أراه ؟ .

قلت : وقد قال النبي ﷺ : « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بَصره من خَلْقِه** » [4] .

---

(١) وهذا إشراقها يوم القيامة .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنىٰ أراه ؟ » .

(٣) هي عند مسلم من طريق عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله . قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت فقال : «رأيت نورًا » .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : قام فينا رسول ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور (وفي رواية : النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه » .

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ [النور: ٣٥]؟

ج : الصحيح أنه يرجع إلى الله عز وجل ، والمراد مثل نور الله عز جل أي في قلب المؤمن(١)، والله تعالى أعلم .

* * *

س - في قوله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [النور: ٣٥] مقدرٌ محذوف ، ما هو ؟

ج : هذا المقدر هو (زيت) فالمعنى يوقد من زيت شجرة مباركة زيتونة ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» (٢) .

* * *

س - ما هي الشجرة المباركة المشار إليها في الآية الكريمة ؟

ج : هي شجرة الزيتون ، وكأنها المشار إليها في قوله : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والله تعالى أعلم .

* * *

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور: ٣٥] ؟

ج : نذكر هنا أشهر ما ذكره العلماء :

---

(١) مثل هدايته في قلب المؤمن .

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٥١) وغيره ، من حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقد أُعلَّ بالإرسال وله طرق أخرى أسانيدها واهية .

لكن كثيراً من معنى الحديث مضمن في قوله تعالى : ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ [النور: ٣٥] .

* **قال الطبري رحمه الله تعالى** : بعد أن ذكر جملة أقوال : وأولىٰ هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غربية ، وقال: معنىٰ الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهي شرقية غربية .

* **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ولا في غربها فيقلص عنها قبل الغروب ، بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلىٰ آخره فيجيء زيتها صافيًا معتدلاً مشرقًا .

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره : وقوله : ﴿ **وَلَا غَرْبِيَّةٍ** ﴾ [النور: ٣٥] أي ليست مما تغرب عليها الشمس ولا تشرق عليها الشمس فتكون لا غربية ولا شرقية ، فمعنىٰ الآية أنها ليست بخالصة للشرق ولا خالصة للغرب ، بل هي شرقية غربية ، يعني بين الشرق والغرب ، لا خالصًا للشرق ولا خالصًا للغرب، والشمس مشرقة عليها في جميع أوقاتها وإذا كان كذلك فيكون زيتها أضوأ ، قالوا هذا كما يُقال: فلان ليس بأسود ولا أبيض ، أي ليس بأسودٍ خالص ولا أبيض خالص ، أي قد اجتمع فيه البياض والسواد ، ويقال: هذا الرمان ليس بحلوٍ ولا حامض ، أي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة ولم يخلص لواحدٍ منهما ، وهذا قول الفرّاء والزّجّاج وأكثر أهل المعاني . والله أعلم .

* * *

س - وضح هذا المثل المذكور في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾ [النور: ٣٥] ؟

ج : ابتداءً فالعلماء- رحمهم الله - وأهل التفسير وفقهم الله يتوسعون شيئًا ما في تفسير الأمثال وإيضاحها حسب ما يتراءىٰ لهم ويظهر لهم من الحكم ووجوه الاعتبار ، فأذكر هاهنا بمشيئة الله مضمون كلام بعضهم مع بعض

الإضافات إليه تجلية للمعاني وإظهاراً للفوائد وما توفيقي إلا بالله .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [النور : ٣٥] .

كقول النبي ﷺ : « **اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن** »(١) .

وقوله : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ** ﴾ أي : مثل نوره في قلب المؤمن ﴿ **كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾ والمشكاة هي الطاقة تكون في الغرفة فيها مصباح ﴿ **الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** ﴾ أي : أن المصباح موضوع في زجاجة ، والزجاجة موضوعة في المشكاة التي هي الطاقة كي تشع الضوء للغرفة فشُبِّه قلب المؤمن بتلك الزجاجة التي حملت جملة مواصفات فهي أولاً : زجاجة مصباح ، وزجاج المصباح بالطبع زجاج رقيق ، وثانيًا : هي مع رقتها صلبة في غاية الصلابة وبيضاء ناصعة البياض إذ هي كالكوكب الدري .

وكذلك قلب المؤمن أبيض ناصع البياض صلب في غاية الصلابة فجمعت الزجاجة بين الرقة والبياض والصلابة .

كذلك قلب المؤمن رقيق أبيض صلب ، رقيقٌ لأهل الإيمان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩] .

---

(١) أخرجه البخاري مع « الفتح » (٣/ ٣) وكذلك حديث (٦٣١٧) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم مع النووي (٦/ ٥٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

فقلب المؤمن رقيق لأهل الإيمان ، يتألم لألمهم ويتوجع لوجعهم ويحزن لحزنهم ، كما قال النبي ﷺ : « ... **وأهل الجنة ثلاثة ...ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم** »(١) .

* وفي الوقت نفسه فهو قلب صلب في غاية الصلابة ، صلبٌ في الحق والتمسك به ، صلبٌ في وجوه أعداء الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ** ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ [التوبة: ١٢٣].

هذا هو قلب المؤمن رقيقٌ لأهل الإيمان شديد علىٰ المبطلين ، صلب في التمسك بالحق .

وهو في الوقت نفسه قلب أبيض ناصع البياض كزجاجة المصباح ، ومن المعلوم أن زجاجة المصباح يترسب عليها سواد يومًا بعد يومٍ ، وهذا السواد يحتاج إلىٰ إزالة وإلىٰ تنظيف ، ويظهر ذلك في مصباح الكيروسين الذي كان يستعمل قديمًا فكانت الأمهات يوميًا ينظفن زجاج المصباح حتىٰ يُشع أكبر قدرٍ من الضوء ، وحتىٰ لا يحجب هذا السواد الإضاءة ويمنعها من الخروج إلىٰ الغرفة ، فيومًا بعد يوم كان ينظف ، وإذا اشتد سواده يومًا لزم مسح هذا الزجاج ولابد ، وكما أسلفنا فقلب المؤمن شُبِّه بهذه الزجاجة - زجاجة المصباح - وكما أسلفنا فالعبد يذنب ولا بد ، والذنب يترك سوادًا علىٰ القلب وكذلك آثارًا ونكتًا كما جاء عن رسول الله ﷺ : « **إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه .

قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، ذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن [١] ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وكما قال[٢] النبي ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ...** » الحديث .

فلابد أن تزال هذه الأوساخ التي ترسبت على القلب وتُزال وإلا تراكمت عليه فأهلكته وأظلمته وأماتت الإيمان بداخله ، كما يحدث للضوء داخل الزجاجة السوداء المظلمة المعتمة .

ومُزيلات هذه الأوساخ والقاذورات يكون بعون الله ثم بالاستغفار (الدائم المستمر)، ومن ثم قال النبي ﷺ : « **إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة** »[٣] .

وعلى ما تقدم فقد كان الصحابة يعدُّون لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد : « **رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور** » (مائة مرة) [٤] .

فإذا دوام العبد على الاستغفار وحافظ عليه ولزمه ورد المظالم إلى أهلها ؛ أزيل أثر الذنوب الذي ترسب على القلب وأصبح القلب أبيض شفافًا صافيًا يخرج منه نور الإيمان إلى الصدر فيضيء الصدر ويتجه هذا النور إلى سائر الجوارح فتتحرك الجوارح في طاعة الله ، فلا تبطش اليد إلا فيما أذن الله لها

---

(١) أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم ، (حديث ١٤٤) .

(٣) مسلم (١٧/ ٢٣) مع النووي .

(٤) صحيح ، أخرجه أبو داود (١٥١٦) وعبد بن حميد في « المنتخب » بتحقيقي (٧٨٤) .

بالبطش فيه، ولاتخطو الرجل إلا إلىٰ حيث أمرها الله، ولا يتكلم اللسان إلا بما يُرضي الله ، ولا تستمع الأذن إلا إلىٰ ما يحبه الله، ولا تنظر العين إلىٰ محارم الله، وكذلك الفؤاد تجده دائم الفكر في طاعة الله وفيما يقرب العبد من الله .

* هذا النور يشع ويخرج من الجسد إلىٰ البيت فلا ترىٰ في البيت شيئًا يغضب الله ، ولا ترىٰ فيه هذا الصخب وهذا الضجيج وهذا التمرد علىٰ الله ، بل ترىٰ آثار الطاعات علىٰ البيت ، تسمع منه تلاوة القرآن ، ترىٰ فيه آثار الوقار، وأثر الفقه والطهارة ، ترىٰ أهله ركعًا سجدًا خُشَّعًا ، لا يأكلون الحرام ولا يشهدون الزور ولا يخوضون مع الخائضين .

* هذا النور الذي شع من القلب وخرج إلىٰ الجسد والصدر يُصاحب صاحبه أيضًا في القبر ، ويأتي أثره في صورة رجل أبيض الوجه حسن الثياب يقول لصاحبه إذا سأله : من أنت فوجهك الوجه يأتي بالخير ؟ فيقول له : أنا عملك الصالح .

هذا النور وهذا الضياء يضيء لصاحبه وينير له الطريق ، يوم تقسم الأنوار يوم القيامة ، والناس في أحوج ما يكونون إلىٰ هذه الأنوار ، تقسم الأنوار في الظلمات يوم القيامة للمرور علىٰ الصراط وللنجاة من سائر الكربات ، يومها يقول المنافقون والمنافقات : ﴿ **لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾** ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤] .

* فهذه الأنوار التي ملئت تلك القلوب في الدنيا تقود أصحابها يوم القيامة إلىٰ فسيح الجنان .

* وعلىٰ العكس إذا ترسبت الذنوب علىٰ القلوب حُجب نور الإيمان وكاد أن يُطفىء بل طفيء فأصبح القلب مُظلمًا وأصبح الصدر مظلمًا وأصبحت الجوارح تتحرك في ظلام ، يدٌ تبطش خبط عشواء ، ورجل تمشي علىٰ غير هدىٰ ولسان يتكلم ولا يكاد يبين ، وأُذُن تستمع إلىٰ ما يسخط الله عليها وعلىٰ صاحبها ، أما العين فتنظر إلىٰ الحرام وبلا هوادة .

* هذه قلوب أحاطت بها آثار الذنوب وغشيتها آثار المعاصي فتحركت جوارح أصحابها في سخط ومساقط ، وفي جهل وجهالاً .

* هذه الظلمات التي صاحبت هذه القلوب الآثمة التي لم يحرص أصحابها علىٰ تنقيتها بالاستغفار والتوبة والإنابة إلىٰ الله ورد المظالم إلىٰ أهلها ، هذه الظلمات تصاحب صاحبها في بيته فتجد بيوتًا مظلمةً وإن كانت مشتعلة بأضواء الدنيا ، لكنها بيوت مُظلمة ، بيوتٌ ميتة ، بيوت علتها الظُّلم وغشيتها الحُجُب وأحدقت بها الشياطين .

* هذه الظلمات تصاحب أصحابها إلىٰ قبورهم فتأتيهم في صورة ذلك الرجل أسود الوجه قذر الثياب يقول لصاحبه : أنا عملك السيئ .

* هذه الظلمات تصاحب أصحابها عند خروجهم من القبور فيتحركون في ظلمات تطفأ عنهم الأنوار وهم في أمس الحاجة إليها ، تخطفهم الكلاليب عند مرورهم علىٰ الصراط فيتساقطون في النيران - والعياذ بالله - علىٰ قدر أعمالهم .

فهذه نتيجة الجرائم ، وهذه آثار النفاق ، وهذا من شؤم المعصية والكفر - والعياذ بالله - .

* أما أهل الإيمان أصحاب القلوب البيضاء النقية الصافية ، فكما أسلفنا

قادهم نورهم حتىٰ دخلوا الجنان ، بل وفي الجنان عليهم النور كذلك والحسن والبهاء .

ولنرجع إلىٰ مزيد بيان لحال قلوبهم في الدنيا .

إنها قلوب رقيقة صلبة بيضاء ، إنها بيضاء فخرج منها النور إلىٰ سائر الصدر والجسد ، ترىٰ ما هي مادة وقودها ؟ إنها توقد بخير الوقود وخير الزيوت إنها توقد من شجرة مباركة زيتونة ، كذلك قلب المؤمن مادته ووقوده إيمان بالله وفطرة سليمة صحيحة مُزجت بعلم شرعي علمٍ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

فكما أن زيت الزيتون من حسنه ونقائه وصفائه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فكذلك الفطرة السليمة والإيمان في قلب المؤمن يجعله يتكلم بالحكمة وينطق بالدليل من قبل أن يأتيه الدليل ومن قبل أن يعرف الآية والحديث .

فإذا مست النار زيت الزيتون أضاءت خير إضاءة وأنارت خير إنارة .

كذلك قلب المؤمن إذا صادفت الفطرة الصحيحة التي فيه والإيمان الذي به إذا صادفت هذه وذاك العلم الشرعي- العلم بالكتاب والعلم بالسنة - أعطت خير إضاءة علىٰ الإطلاق وأنارت خير إنارة علىٰ الإطلاق ، فاجتمعت جملة أنوار ، نور الإيمان والفطرة الصحيحة مع نور الحق والدليل والبرهان من الكتاب والسنة ، كل ذلك أضاء وخرج من زجاجة صافية بيضاء نقية فأعطىٰ خير إضاءة وأوضح غاية الإيضاح فكان - بعد - قائداً لصاحبه إلىٰ الجنة .

ولكن هذا النور وهذه الهداية كل ذلك من عند الله ﴿ **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٣٥] إنها هداية من الله سبحانه وتعالىٰ ؛ فجدير بالعبد أن يسأل ربَّه إياها ، جدير بالعبد أن يلتمسها من الله ويرجوها منه سبحانه ، جدير بالعبد أن يسأل ربه سلامة قلبه وصلاحه ونقائه وصفائه ، فهو سبحانه الوهاب .

فيا عبد الله كيف بك إذا ارتديت ثوبًا أبيض جميلاً حسنًا ثم جاءت عليه بقعة سوداء ، هل تحب أن تبقى هذه البقعة عليه أم أنك تبادر بإزالتها وغسلها ومحوها ؟!!

قطعًا ستبادر بغسلها ومحوها وإزالتها ولا شك .

فلم ترضى أن يكون قلبك - القلب الأبيض قلب المؤمن - ملوثًا بالذنب ومُدنَّسًا بالمعصية ؟!!

إن أمرك لعجيب حقًا !!

أتدري من ينظر إلى قلبك ؟ ، إن الذي ينظر إلى قلبك هو الله سبحانه وتعالى فلم لا تنظف قلبك حتى يراه الله على خير حال ، لم لا تظهر أمام ربك بمظهر حسن قلبًا وقالبًا ؟!!

بادر يا عبد الله بالاستغفار ، بادر بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله ، سل ربك أن يتوب عليك وأن يغسل عنك الخطايا بالماء والثلج والبرد .

أخي ، إنها تذكرة فلا تُعرض عنها ، إنها موعظة فلا تنساها ألا وهي «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » قال ذلك النبي ﷺ ، وفي بعض الروايات : « **التقوى هاهنا** » ويشير إلى صدره ثلاث مرات [١] .

* ونعتذر ، ونتوب إلى الله ونستغفر إذا كنا قلنا شيئًا في كتابه غير مراده سبحانه وتعالى - فهو سبحانه وتعالى أعلم بمراده - ولكنا رأينا أهل العلم توسعوا في شرح الأمثال وجاءت عنهم في الباب عدة أقوال ؛ فتقلدنا قولاً نسأل الله أن يكون موافقًا لعمومات الكتاب والسنة المطهرة ، فما كان في هذا

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

القول من صواب فمن الله سبحانه وتعالىٰ فهو صاحب الفضل وله النعمة والثناء الحسن ، وما كان فيه من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه ونستغفر الله من كل خطأ وزلل ، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ ؟

ج : **للعلماء في ذلك أقوال :**

أحدها : نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ، ولا يضيء واحد منهما بغير صاحبه ، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا ، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه .

الثاني : نور المصباح ونور الزجاجة .

الثالث : نور العمل ونور الاعتقاد .

* * *

س - اذكر معنى آخر ذكره العلماء في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [النور: ٣٥] .

ج : **قال السمعاني** [1] **في تفسيره** : معناه لو لم يكن إبراهيم نبيًا لألحقه الله بالعمل الصالح بالأنبياء في درجاتهم ، ويقال : معناه أن محمدًا لو لم تأته معجزةٌ لدلت أحواله علىٰ صدقه وعلىٰ نبوته .

وقوله : ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي نور محمدٍ ﷺ علىٰ نور إبراهيم عليه السلام .

* * *

(١) تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٥٣٢) .

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] ؟

ج : المعنى ، - والله أعلم - : يهدي الله للإيمان به من يشاء .

* وقيل : يهدي الله للقرآن من يشاء .

* وأيضًا : يوفق الله للإيمان به وللعمل بكتابه وبسنة نبيه ﷺ من يشاء .

وقد ورد في هذا الباب حديث رسول الله ﷺ إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (١) .

* * *

س - هل النور من أسماء الله الحسنى ؟

ج : لا أعلم دليلاً يفيد أن النور من أسماء الله الحسنى ، ولكن ورد في هذا الباب ما يلي :

* قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] .

* قول النبي ﷺ : « **اللهم لك الحمد أنت نورالسموات والأرض ومن فيهن** » (٢) .

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٦٤٢) وقال : هذا حديث حسن ، وأحمد (٢/ ١٧٦ ، ١٩٧) وابن حبان (١٨١٢) والحاكم (١/ ٣٠) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠) ومسلم مع النووي (٦/ ٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

* قوله ﷺ : « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** »[١] .

* قوله ﷺ لما سئل : « هل رأيت ربك يا رسول الله ؟ قال : «**نور أنى أراه**»، وفي رواية : « **رأيت نوراً**» [٢] .

وكأن هذا النور هو الحجاب لما تقدم في الحديث الآخر : «**حجابه النور** »، والله أعلم .

* * *

س - هل لهذه الآية صلة بما قبلها : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾ [النور: ٣٦] ؟

ج : نعم - فيما يظهر لي - لها صلة بما قبلها ، والمراد - والله أعلم - أن أصحاب هذه القلوب الممتلئة بالنور والهداية والإيمان يتواجدون في بيوت أذن الله أن ترفع ، أي إذا سألت عنهم : أين هم ؟ فهم في المساجد ، والله أعلم .

* * *

س - ما المراد بالبيوت المذكورة في قوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور : ٣٦] ؟

ج : أكثر أهل العلم على أن المراد بهذه البيوت المساجد ، والله أعلم .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾ [النور : ٣٦] ؟

ج : المعنى ، -والله أعلم- : أمر الله تعالى أن ترفع هذه البيوت ، وفي المراد برفعها أقوال للعلماء :

---

(١) ، (٢) كلاهما صحيح وقد تقدما .

أحدها : أن تنزه عن كل ما لا يليق بها فلا يحدث فيها لغو ولا صخب ولا شرك ولا منكر .

الثاني : أن تبنى وترفع .

الثالث : أن تطهر وتطيب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س - هل للتعبير بقوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ ... ﴾ [النور: ٣٧] مدلولٌ في الآية الكريمة ؟

ج : في ذلك عندي وجهان :

الأول : أن كلمة ﴿رجال﴾ تشعر بأنهم من أصحاب الهمم العالية ، وليسوا من الكسالى ولا الهمل .

الثاني : أن في قوله ﴿ رجال ﴾ إشارة إلى أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد كما قد دلت على ذلك الأحاديث [(١)] ، والله تعالى أعلم .

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٨] ؟

ج : المعنى- والله أعلم :ليجازيهم الله على أحسن الأعمال التي عملوها

---

(١) من ذلك حديث « **لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن** » رواه أبو داود (حديث : ٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح لغيره .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**» رواه أبو داود (حديث: ٥٧٠).

وحديث أم سلمة - رضي الله عنها - عند أحمد (٦/ ٢٩٧) مرفوعًا وفيه « **خير مساجد النساء قعر بيوتهن** ». وثم من أحاديث أُخر في الباب .

ويتجاوز عن سيائتهم ، وقوله : ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٨] إشارة إلى مضاعفة الحسنات لهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س - اذكر بعض الأمور التي يجب أن تُنزه عنها المساجد ؟

ج : يجب أن تُصان المساجد وتنزه عما يلي :

* الشرك بالله ، فقد قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] .

* البدع والخرافات والمخالفات للكتاب والسنة، وذلك لأنها أعمال مردودة ، وقد قال النبي ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[١] .

* القبور التي تبنى فيها وتؤسس عليها المساجد ، فإن النبي ﷺ قال[٢] : «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفي لفظ لمسلم «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٣٣٠) ومسلم (حديث ٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

وعند البخاري أيضًا (١٣٤١) ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وعند مسلم (حديث ٥٣٢) من حديث جندب قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « . . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك » .

* الصخب ورفع الصوت في المسجد ، وكذلك كثرة الخصومات فإن المساجد إنما بنيت لذكر الله وإقامة الصلاة وتلاوة القرآن كما قال النبي ﷺ [١] .

وقد أخرج البخاري من طريق السائب بن يزيد الكندي قال : كنت قائماً في المسجد فحصبني رجلٌ فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين فجئته بهما فقال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ [٢] ؟!!

* البيع والشراء ونشد الضوال في المسجد ، وذلك لنهي النبي ﷺ عن ذلك ، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عن ذلك ؛ فقد أخرج الترمذي[٣] بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك . وإذا رأيتم من ينشد ضالةً فقولوا: لا رد الله عليك** » .

كذلك ينزه المسجد عن البول والقاذورات والأوساخ لقول النبي ﷺ : «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر**» [٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٥٣٧) في قصة الرجل الذي بال في المسجد وفيه أن النبي ﷺ قال له : «إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عزَّ وجل ، والصلاة، وقراءة القرآن » .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٠) .

(٣) الترمذي (حديث ١٣٢١) .

(٤) مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

كذلك يُنزَّه عن مكث الجُنُب فيه ، لقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا . . .** ﴾ [النساء: ٤٣] .

س - اذكر بعض صور توقير المساجد ؟

ج : من ذلك ما يلي :

الاعتناء بتنظيف المسجد وتطييبه وتبخيره .

ذكر الله عند دخوله وعند الخروج منه ، ومن الأذكار الواردة في ذلك ما يلي :

ما أخرجه مسلم [١] من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك** » .

وما أخرجه أبو داود[٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال : « **أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم** » .

ومن ذلك تحية المسجد[٣] ، فقد قال النبي ﷺ : « **إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين** » .

* * *

---

(١) مسلم (٥/ ٢٤٤) .

وفي رواية عند أبي داود (١/ ٣١٨) في أول هذا الحديث : « فليسلم علي النبي ﷺ » .

(٢) أبو داود (١/ ٣١٨) بإسناد حسن .

(٣) البخاري (حديث ٤٤٤) ومسلم (حديث ٧١٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن
فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ
يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات

سراب - قيعة - لُجِّيٌّ - يغشاه ؟

ج :

الكلمة	معناها
سراب	السراب ما يُرى من بعيد يُظن أنه ماء وليس بماء .
قيعة	القيعة جمع قاع ، والمراد الأرض المستوية المتسعة المنبسطة .
لُجيٌّ	عميق كثير الماء ، واللجة معظم الماء ، واللجي منسوب إلى اللجة وهو الذي لا يدرك قعره .
يغشاه	يعلوه

س - وضح المثل المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً .... ﴾ [النور : ٣٩] وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ... ﴾ [النور: ٤٠] .

ج : هذان مثلان مضروبان لعمل الكفار .

فالمثل الأول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩] فهذا مثل مضروب لأعمال طائفة من الكفار، عمل هؤلاء الكفار أعمالاً يحسبونها نافعة لهم ، وقد تكون هذه الأعمال صالحة في نفسها كالصدقة والعتق وصلة الرحم وحسن الجوار وعيادة المريض ونحو ذلك أو كانت غير صالحة لكنهم يظنوا فيها الصلاح ، فذهب شركهم بثواب هذه[1] وعوقبوا على تلك .

فيأتي الكافر الذي ضل سعيه وهو يحسب أنه يُحسن صنعًا ، ينتظر ثواب عمله فلا يجد لعمله ثوابًا ، فقد أحبطه الشرك وذهب به الكفر كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وكما قال سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

---

(١) وقد أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : ابن جدعان كان في الجاهلية يصلُ الرحم ويُطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : «لا ينفعه ؛ إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٢] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٥] .

فشبه أصحاب هذه الأعمال عند احتياجهم لها - بل وهم في أشد الاحتياج إليها - بالظمآن الذي هو في أمَس الحاجة إلىٰ الماء ، فهذا الظمآن ينظر من بعيد إلىٰ القيعة فيرىٰ سرابًا يحسبه ماءً فيجتهد للوصول إليه كيما ينتفع به ، ولكن بعد جهدٍ جهيد وسعي شديد يصل ولايجد شيئًا إلا الخيبة والحرمان .

وكذلك الكافر يأتي وينظر إلىٰ عمله من بعيد يظن أنه نافعه ثم إذا لاقىٰ ربَّه سبحانه وتعالىٰ وجد العمل قد حبط ،وثوابه قد ذهب وسعية قد ضل ثم يُجازىٰ علىٰ شركه أسوأ الجزاء .

وينسحب هذا أيضًا علىٰ اليهود والنصارىٰ الذين عملوا أعمالاً وظنوا فيها النفع فأحبطها شركهم ، كما في الصحيحين [1] من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « **ثم يؤتى بجهنم تعرضُ كأنها سرابٌ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله ، فيقال:« كذبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولد ، فما تريدون ؟ ، فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولد ، فما تريدون ، فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون...**» الحديث .

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (حديث ١٨٣) .

ويلتحق بهؤلاء أيضًا أهل النفاق الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٤] .

فهذه طائفة قد عملت ولكنها أشركت فخذلت وحُرمت وخابت وضلَّ سعيها وخاب ظنها .

والمثل الثاني : في قوله تعالىٰ : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا . . .** ﴾ [النور: ٤٠] مثلٌ مضُروب لطائفة من أهل الكفر تتحرك في ظلمات ولا تفكر ولا تبالي فمدخلها ظلمة ومخرجها ظلمة وقولها ظلمة وعملها ظلمة ونياتها خبيثه فيتحركون في جهالات ويعملون في جهالات ويتكلمون بالجهل ، هذه حالهم جهل فوق جهل فوق جهل .

مثل مضروب لطائفة مقلدة ومتبعة لهواها كذلك عقائدها فاسدة وأعمالها فاسده وأقوالها فاسدة .

طائفة متوغلة في بحار الشرك والشر والفساد لإعراضها عن ذكر ربها وغفلتها عن شرع بارئها .

وأسوق هنا مزيداً من أقوال العلماء رحمهم الله في هذا الباب ، فقد شرح هذا المثل العلامة ابن القيم رحمه الله شرحًا مستوفىً في التفسير القيم فقال- رحمه الله- بعد أن شرح المثل الأول : .

القسم الثاني : أهل الجهل والظلم ، الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به رسول الله ﷺ ، والظلم لأنفسهم باتباع أهوائهم ، الذين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴾ [النجم: ٢٣] .

وهؤلاء قسمان :

أحدهما : الذين يحسبون أنهم على علم وهدى ، وهم أهل الجهل والضلال . فهؤلاء أهل الجهل المركب ، الذين يجهلون الحق ويعادون أهله ، وينصرون الباطل ويوالونه ، ويوالون أهله ﴿ **وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٨] .

فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السراب ، الذي يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ، وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ، ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان ، كما هو حال من أم السراب فلم يجده ماء ، بل انضاف إلى ذلك : أنه وجد عنده أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين سبحانه وتعالى ، فحسب له ما عنده من العلم والعمل ، فوفَّاه إياه بمثاقيل الذر ، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه ، فجعله هباء منثوراً ، إذ لم يكن خالصًا لوجهه ، ولا على سنة رسوله الله ﷺ ، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علومًا نافعة كذلك هباء منثوراً ، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه .

و« **السراب** » ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، يسرب على وجه الأرض ، كأنه ماء يجري .

و « **القيعة** » والقاع : هو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه ولا واد .

فشبه علوم من لم يأخذ علومه من الوحي وأعماله : بسراب يراه المسافر في شدة الحر فيؤمه ، فيخيب ظنه ، ويجده ناراً تتلظى .

فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس ، واشتد بهم العطش بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء ، وإذا أتوه وجدوا الله عنده ، فأخذتهم زبانية العذاب فنقلوهم إلى نار الجحيم ﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ [محمد: ١٥]

ذلك الماء الذي سقوه هو تلك العلوم التي لا تنفع والأعمال التي كانت لغير الله تعالىٰ صيرها الله تعالىٰ حميمًا ، وسقاهم إياه ، كما أن طعامهم ﴿ **مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ** ﴾ [الغاشية: ٦، ٧] وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة، التي كانت في الدنيا كذلك لا تسمن ولا تغني من جوع .

وهؤلاء هم الذين قال الله عنهم : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وهم الذين عني الله بقوله : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وهم الذين عني بقوله تعالىٰ : ﴿ **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [البقرة: ١٦٧] .

القسم الثاني من هذا الصِّنف : أصحاب الظلمات .

وهم المنغمسون في الجهل ، بحيث قد أحاطت بهم جاهليتهم من كل وجه، وهم لذلك بمنزلة الأنعام ، بل هم أضل سبيلاً .

فهؤلاء أعمالهم التي يعملونها علىٰ غير بصيرة ، بل بمجرد التقليد ، واتباع الآباء من غير نور من الله تعالىٰ .

فظلمات : جمع ظلمة ، وهي ظلمة الجهل ، وظلمة الكفر ، وظلمة ظلم النفس بالتقليد واتباع الهوىٰ ، وظلمة الشك والريب ، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالىٰ به رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلىٰ النور .

فالمعرض عما بعث الله به عبده ورسوله محمداً ﷺ من الهدىٰ ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات : قوله ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلىٰ الظلمة ، وقلبه مظلم ، ووجهه مظلم ، وكلامه مظلم ، وحاله مظلم ، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمداً ﷺ من النور جدَّ في الهرب منه ، وكاد نوره يخطف بصره . فهرب إلىٰ ظلمات الآراء التي هي به أنسب ، كما قيل :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قِطعٌ من الليل مظلم

فإذا جاء إلىٰ زُبَالَة الأفكار ، ونحاتة الأذهان ، جال وصال ، وأبدىٰ وأعاد وقعقع وفرقع ، فإذا طلع نور الوحي ، وشمس الرسالة انجحر في جِحَرة الحشرات .

قوله : ﴿ **في بحر لجي** ﴾ « اللجي » العميق ، منسوب إلىٰ لجة البحر ، وهو معظمه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ** ﴾ [النور: ٤٠] تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه .

فشبه تلاطم أمواج الشُّبه والباطل في صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر وأنها أمواج بعضها فوق بعض .

والضمير الأول في قوله : ﴿ **يغشاه** ﴾ راجع إلىٰ البحر ، والضمير الثاني في قوله : ﴿ **من فوقه** ﴾ عائد إلىٰ الموج .

ثم إن تلك الأمواج مغشاة بسحاب .

فههنا ظلمات : ظلمة البحر اللجي ، وظلمة الموج الذي فوقه ، وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله ، إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكد يراها .

واختلف في معنىٰ ذلك :-

فقال كثير من النحاة : هو نفي لمقاربة رؤيتها ، وهو أبلغ من نفيه الرؤية ، وأنه قد ينفى وقوع الشيء ولا ينفى مقاربته ، فكأنه قال : لم يقارب رؤيتها بوجه .

قال هؤلاء : « كاد » من أفعال المقاربة ، لها حكم سائر الأفعال في النفي والإثبات ، فإذا قيل : كاد يفعل فهو إثبات مقاربة الفعل ، فإذا قيل : لم يكد يفعل ، فهو نفي لمقاربة الفعل .

وقالت طائفة أخرى : بل هذا دال على أنه إنما يراها بعد جهد شديد ، وفي ذلك إثبات رؤيتها بعد أعظم العسر ، لأجل تلك الظلمات .

قالوا : لأن « كاد » لها شأن ليس لغيرها من الأفعال ، فإنها إذا أثبتت نفت، وإذا نفت أثبتت ، فإذا قلت : ما كدت أصل إليك ، فمعناه : وصلت إليك بعد الجهد والشدة ، فهذا إثبات للوصول . وإذا قلت : كاد زيد يقوم . فهي نفي لقيامه ، كما قال تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ [الجن: ١٩] ومنه قوله تعالى : ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ...**﴾ [القلم: ٥١] وأنشد بعضهم في ذلك لغزًا :

أنحوىٌّ هذا العصر: ما هـــي لفظـــة جرت في لســـان جرهم وثمود
وإذا استعملت في صورة النفي أثبتت فإن أثبتت قامـــت مقام جحود؟

وقالت فرقة ثالثة ، منهم أبو عبد الله بن مالك وغيره : إن استعمالها مثبتة يقتضي نفي خبرها ، كقولك : كاد زيد يقوم . واستعمالها منفية يقتضي نفيه

بطريق الأولىٰ ، فهي عنده تنفي الخبر ، سواء كانت منفية أو مثبتة ، فلم يكد زيد يقوم أبلغ عنده في النفي من لم يقم . واحتج بأنها إذا نفيت- وهي من أفعال المقاربة- فقد نفت مقاربة الفعل ، وهو أبلغ من نفيه ، وإذا استعملت مثبتة فهي تقتضي مقاربة اسمها لخبرها ، وذلك يدل علىٰ عدم وقوعه ، واعتذر عن مثل قوله تعالىٰ : ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧١] وعن مثل قول : وصلت إليك وما كدت أصل ، وسلمت وما كدت أسلم : بأن هذا وارد علىٰ كلامين متباينين أي فعلت كذا بعد أن لم أكن مقاربًا له . فالأول يقتضي وجود الفعل . والثاني يقتضي أنه لم يكن مقاربًا له ، بل كان آيسًا منه ، فهما كلامان مقصود بهما أمران متباينان .

وذهبت فرقة رابعة : إلىٰ الفرق بين ماضيها ومستقبلها ، فإذا كانت في الإثبات فهي لمقاربة الفعل ، سواء كانت بصفة الماضي أو المستقبل ، وإن كانت في طرف النفي فإن كانت بصيغة المستقبل كانت لنفي الفعل ومقاربته نحو قوله تعالىٰ: ﴿ **لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾ [النور: ٤٠] .

وإن كانت بصيغة الماضي فهي تقتضي الإثبات ، نحو قوله تعالىٰ : ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧١] .

فهذه أربعة طرق للنحاة في هذه اللفظة .

والصحيح : أنها فعل يقتضي المقاربة ، ولها حكم سائر الأفعال ، ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها ، فإنها لم توضع لنفيه ، وإنما استفيد من لوازم معناها ، فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل لم يكن واقعًا ، فيكون منفيًا باللزوم .

وأما إذا استعملت منفية فإن كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة ، كما إذا قلت : لا يكاد البطال يفلح ، ولا يكاد البخيل يسود ، ولا يكاد الجبان يفرح. ونحو ذلك .

وإن كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقاربًا ، كما قال ابن مالك .

فهذا التحقيق في أمرها .

والمقصود : أن قوله تعالى : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠] إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة - وهو الأظهر - فإذا كان لا يقارب رؤيتها فكيف يراها ؟ قال ذو الرمة :

إذا غيَّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مَيَّة يبرح

أي لم يقارب البراح ، وهو الزوال ، فكيف يزول ؟

فشبْه سبحانه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد ، فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمَّله ورجاه .

وشبهها ثانيًا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات متراكمة في لجج البحر المتلاطم الأمواج ، الذي قد غشيه السحاب من فوقه .

فياله تشبيهًا ما أبدعه ، وأشد مطابقة لحال أهل البدع والضلال ، وحال من عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث به رسوله ﷺ وترك به كتابه .

وهذا التشبيه هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح ، ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم .

وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم ، فهي سراب لا حاصل لها ، وظلمات لا نور فيها .

وهذا عكس مثل أعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة ، فإنها مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد ، ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا والآخرة ، ولهذا يذكر سبحانه هذين المثلين في القرآن في غير موضع لأوليائه وأعدائه .

وقال في أعلام الموقعين :

ذكر سبحانه للكافرين مثلين : مثلاً بالسراب ، ومثلاً بالظلمات المتراكمة وذلك لأن المعرضين عن الهدىٰ والحق نوعان .

أحدهما : من يظن أنه علىٰ شيء ، فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه ، وهذه حال أهل الجهل ، وأهل البدع والأهواء ، الذين يظنون أنهم علىٰ هدىٰ وعلم ، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا علىٰ شيء ، وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب بقيعة ، يُرىٰ في عين الناظر ماء ولا حقيقة له ، وهكذا الأعمال التي لغير الله ، وعلىٰ غير أمره ، يحسبها العامل نافعة له ، وليست كذلك ، وهذه الأعمال التي قال الله عز وجل فيها ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾[الفرقان: ٢٣] .

وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالبقيعة - وهي الأرض القفراء الخالية من البناء ، والشجر والنبات والعالم - فجعل السراب أرض قفر لا شيء بها ، والسراب لا حقيقة له ، وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدىٰ .

وتأمل ما تحت قوله : ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** ﴾ [النور: ٣٩] والظمآن : الذي قد اشتد عطشه فرأىٰ السراب فظنه ماء فتبعه ، فلم يجده شيئًا ، بل خانه أحوج ما كان إليه .

فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم علىٰ غير طاعة الرسول ﷺ ، ولغير الله جعلت كالسراب ، فرفعت لهم أظمأ ما كانوا وأحوج ما كانوا إليها ، فلم يجدوا شيئًا ، ووجدوا الله سبحانه ثم فجازاهم بأعمالهم ، ووفاهم حسابهم .

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث التجلي يوم القيامة « **ثم يؤتى بجنهم ، تعرض كأنها السراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال لهم : اشربوا، فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال لهم : اشربوا ، فيتساقطون** » وذكر الحديث .

وهذه حال كل صاحب باطل ، فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه .

فإن الباطل لا حقيقة له ، وهو كاسمه باطل .

فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولا حق كان متعلقه باطلاً ، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة ، كالعمل لغير الله ، أو علىٰ غير أمره ، بطل العمل ببطلان غايته ، وتضرر عامله من بطلانه ، وبحصول ضد ما كان يؤمله ، فلم يذهب عليه عمله واعتقاده ، لا له ولا عليه ، بل صار معذبًا بفوات نفعه ، وبحصول ضد النفع فلهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [النور: ٣٩] .

فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه علىٰ هدىٰ .

فصل

النوع الثاني : أصحاب مثل الظلمات المتراكمة ، وهم الذين عرفوا الحق والهدىٰ وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال ، فتراكمت عليهم ظلمة الطبع ، وظلمة النفوس وظلمة الجهل ، حيث لم يعملوا بعلمهم ، فصاروا جاهلين ، وظلمة أتباع الغي والهوىٰ فحالهم كحال من كان في بحر لجي ، لا ساحل له ، وقد غشيه موج ، ومن فوق ذلك الموج موج ، ومن فوقه سحاب مظلم ، فهو في ظلمة البحر ، وظلمة الموج ، وظلمة السحاب .

وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلىٰ نور الإيمان .

وهذان المثلان بالسراب الذي ظنه مادة الحياة ، وهو الماء ، والظلمات المضادة للنور : نظير المثلين اللذين ضربهما الله للمنافقين والمؤمنين ، وهما المثل المائي ، والمثل الناري ، وجعل حظ المؤمنين منها الحياة والإشراق ، وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور ، والموت المضاد للحياة ، فكذلك الكفار في هذين المثلين ، حظهم من الماء السراب الذي يغر الناظر ولا حقيقة له ، وحظهم الظلمات المتراكمة .

وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار ، وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة بإعراضهم عن الوحي فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد .

ويجوز أن يكون المراد به تنويع أحوال الكفار ، وأن أصحاب

المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة ، بل على جهل وحسن ظن بالأسلاف فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

وأصحاب المثل الثاني : هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى ، وآثروا الباطل على الحق ، وعموا عنه بعد أن أبصروه ، وجحدوه بعد أن عرفوه ، فهذا حال المغضوب عليهم ، والأول حال الضالين .

وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور : ٣٥] .

فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة : المنعم عليهم : وهم أهل النور ، والضالين : وهم أصحاب السراب ، والمغضوب عليهم : وهم أهل الظلمات المتراكمة ، والله أعلم .

فالمثل الأول من المثلين : لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع .

والمثل الثاني : لأصحا ب العلم الذي لا ينفع ، والاعتقادات الباطلة ، وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق ، ولهذا مثل حال الفريق الثاني في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه ، وأنها أمواج متراكمة ، من فوقها سحاب مظلم ، وهكذا أمواج الشكوك والشبهات في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغي والهوى والباطل .

فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين ، يعرف عظمة القرآن وجلالته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد .

وأخبر سبحانه ، أن الموجب لذلك : أنه لم يجعل لهم نوراً ، بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها ، فلم يخرجهم منها إلى النور ، فإنه سبحانه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « **إن الله خلق خلقه في ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل** [1] **، فلذلك أقول : جف القلم على علم الله** ».

فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة ، فمن أراد هدايته جعل له نوراً وجودياً يحيي به قلبه وروحه ، كما يحيي بدنه بالروح التي ينفخها فيه .

فهما حياتان : حياة البدن بالروح ، وحياة الروح والقلب بالنور ، ولهذا سمى سبحانه الوحي روحاً ، لتوقف الحياة الحقيقة عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ [النحل : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾[غافر : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى : ٥٢] .

فجعل وحيه روحاً ونوراً ، فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ، ومن لم يجعل له نوراً منه فهو في الظلمات وماله من نور .

أما الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - فقال :

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في

---

(١) صحيح ، وقد تقدم ص٢٥٤ .

أول البقرة مثلين ناريًا ومائيًا ، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدىٰ والعلم في سورة الرعد مثلين مائيًا وناريًا ، وقد تكلمنا علىٰ كل منهما في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته ولله الحمد والمنة ، فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلىٰ كفرهم الذين يحسبون أنهم علىٰ شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الأمر علىٰ شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يُرىٰ في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام ، والقيعة جمع قاع كجار وجيرة ، والقاع أيضًا واحد القيعان كما يقال : جار وجيران ، وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الأول فإنما يكون أول النهار يُرىٰ كأنه ماء بين السماء والأرض فإذا رأىٰ السراب من هو محتاج إلىٰ الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه فلما انتهىٰ إليه (لم يجده شيئًا) فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئًا فإذا وافىٰ الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش علىٰ أفعاله لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل إما لعدم الإخلاص أو لعدم سلوك الشرع كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال ههنا : ﴿ **وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [النور: ٣٨] وهكذا رُوي عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد ، وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من ولد . ماذا تبغون ؟ فيقولون : يارب عطشنا فاسقنا فيقال : ألا تَرُدون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهافتون فيها ، وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما

قال تعالىٰ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ [النور: ٤٠] قال قتادة : ﴿ لُّجِّيٍّ ﴾ هو العميق ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [النور: ٤٠] أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم قيل : فإلىٰ أين يذهبون ؟ قال لا أدري . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ الآية يعني بذلك الغشاوة التي علىٰ القلب والسمع والبصر وهي كقوله : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ﴾ [البقرة: ٧٥] الآية وكقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣] ، وقال أبيّ ابن كعب في قوله تعالىٰ : ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: ٤٠] فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلىٰ الظلمات إلىٰ النار ، وقال السدي والربيع بن أنس نحو ذلك أيضًا ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كقوله : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] . فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً وعن أيماننا نوراً وعن شمائلنا نوراً وأن يعظم لنا نوراً .

* * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾
يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

س - اذكر معاني هذه الكلمات :

يسبح له - صافات - المصير - يُزجي - يؤلف بينه - ركامًا - الودق - خلاله - برد - سنا برقه - عبرة ؟

الكلمة	معناها
يسبح له	يُنزهه

صافات	باسطات أجنحتها
المصير	المرجع والمآب
يُزجي	يسوق السحب في أول منشئها وهي ضعيفة - يسوق برفقٍ
يؤلف بينه	يجمع بعضه إلى بعض
ركامًا	متراكمًا ، بعضه فوق بعض
الودق	المطر
خلاله	وسطه ، الفتحات التي بينه
برد	قطع الثلج التي تنزل من السماء
سنا برقه	ضوء برقه - شدة لمعانه
عبرة لأولي الأبصار	اعتبارًا لأصحاب الأفهام

س - من المراد بقوله تعالى : ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٤١]؟

ج : المراد عموم من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والطير والبحار ومن فيها والسماء كذلك والأرض هي الأخرىٰ بل وسائر السموات وسائر الأرضين ومن فيهن وكل خلق خلقه الله عز وجل ، حتىٰ الجماد .

* * *

س - هل الجمادات تسبح ؟ وما الدليل على ذلك ؟

ج : نعم الجمادات تسبح ، ومن الأدلة علىٰ ذلك هذه الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٤١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤] .

ومما يدل علىٰ أن الجمادات لها إدراك يعلمه الله ولا نعلمه قوله تعالىٰ في الحجارة : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ...﴾ [الحشر: ٢١] .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [النور: ٤١] ؟

ج : المعنىٰ - والله أعلم -: أن الطير وهي صافة لأجنحتها في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١] ؟

ج : المعنىٰ - والله أعلم - : كل من في السموات والأرض والطير وهي صافات علمت كيف تصلي لله وكيف تسبح الله ، أي علمت كيفية صلاتها وتسبيحها لله سبحانه وتعالىٰ .

ومعنىٰ آخر : أن يكون المراد ، قد علم الله صلاتهم وتسبيحهم - والله أعلم - .

* * *

س - وضح ما يدل على أن السحاب مسخر ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

* قوله تعالى : ﴿ **والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

* وقوله تعالى : ﴿ **فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ ويصرفه عمن يشاء** ﴾ [النور: ٤٣] .

* وقوله تعالى : ﴿ **يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [يونس: ١٠٧] .

* وقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ويجْعَلُهُ كِسَفًا ..** ﴾ [الروم: ٤٨] .

* وما ورد في حديث رسول الله ﷺ أن رجلاً سمع صوتًا في السحابة يقول لها « **اسق أرض فلان ...** » الحديث[١] .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ** ﴾ [النور: ٤٣] ؟

ج : في ذلك أقوال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرة ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ! ما اسمك؟ قا: فلان . للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له : يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلانٍ لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه » .

أحدها : أن السماء فيها جبال من برد ينزل الله منها على عباده ما يشاء .

والثاني : أن المراد تشبيه السحب العظيمة بالجبال ، وذلك لتراكم هذه السحب وارتفاعها وعلوها على بعضها ، يشاهد ذلك من نظر إلى السحب وهو في طائرة ونحوها ، وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** ﴾ [هود: ٤٢] - والله أعلم - .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ **فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٤٣] ؟

ج : **ذلك يحتمل أحد وجهين :**

الوجه الأول : أن يكون المراد من قوله فيصيب به (أي بالبرد) من يشاء أي يرحم به من يشاء ، وذلك بإنزال الغيث عليهم ، ويكون قوله : ﴿ **وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ** ﴾ أي عقوبة لهم بتأخير إنزال الغيث عليهم .

الوجه الثاني : أن يكون المراد بقوله : ﴿ **وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ** ﴾ أي يعاقب به من يشاء أي بالبرد الشديد الذي يُدمر الثمار ويتلف الزروع والأشجار، ويكون قوله : ﴿ **وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ** ﴾ أي يصرف أذاه وضرره عمن يشاء ، والله أعلم .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ [النور: ٤٤]؟

ج : الآية كقوله تعالى : ﴿ **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...** ﴾ [آل عمران: ٢٧] ففيها جزء من معناها ، والمعنى - الله أعلم - يأخذ من طول أحدهما فيجعله في الآخر ، فترى الليل طويلاً في بعض أوقات السنة

والنهار أقصر ثم يستويان ثم يطول النهار عن الليل ، كل ذلك يفعله ربنا لحكمة يعلمها ورحمة منه بعباده سبحانه وتعالىٰ .

* وأيضًا قد يُراد تقليب الأحوال في الليل والنهار ، من حرٍ وبرد وضوء وظلام ورياح وسكون ونحو ذلك .

* وقد يُراد أيضًا ، والله أعلم ، تقليب الأمور في الليل والنهار .

* ومن معاني ذلك أيضًا : تعاقبهما ومجيء أحدهما مكان الآخر ، والله أعلم .

* * *

س - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [النور: ٤٥] كيف يجمع بينه وبين كون الملائكة خلقت من نور ، مع توضيح المراد بالماء في الآية الكريمة ؟

ج : أما كيفية الجمع بأن يُقال : إن المراد بالدابة في الآية الكريمة كل ما يدب علىٰ الأرض فلأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : أنه المنيُّ .

والثاني : أنه الماء المعهود الذي تشربه الدواب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

* * *

س - اذكر مثالاً لما يمشي على بطنه وآخر لما يمشي على رجليه وثالثًا لما يمشي على أربع ؟

ج : كمثال لما يمشي علىٰ بطنه : الحيات وما شابهها .

وكمثال لما يمشي علىٰ رجلين : الإنسان والطير .

وكمثال لما يمشي على أربع : الأنعام وسائر الحيوانات ـ والله أعلم .

* * *

س – هل هناك مخلوقات تمشي على غير هذه الهيئات المذكورة في الآية الكريمة ؟

ج : نعم هناك ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . .** ﴾ [النور: ٤٥] أي مما ذُكر وغيره ، على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والمشيات والحركات .

* * *

وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

مذعنين - ارتابوا - يحيف ؟

ج :

الكلمة	معناها
مذعنين	طائعين - منقادين - خاضعين
ارتابوا	شكُّوا
يحيف	يجور - يظلم

س - من هم المعنيُّون بقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ...﴾ [النور: ٤٧] ؟

ج : المعنيُّون بذلك هم المنافقون .

* * *

س - من علامات أهل النفاق الإعراض عن التحاكم إلى الكتاب والسنة إلا إذا كان لهم الحق ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨] .

* * *

س - إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩] ؟

ج : الضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ وإلى شرع الله عز وجل أي يأتوا إلى رسول الله ﷺ وإلى التحاكم إلى شرع الله مذعنين أي طائعين منقادين .

* * *

س - لماذا لم يُقل (ليحكما) بدلاً من قوله ﴿ليحكم﴾ مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ [النور: ٤٨] ؟

ج : ذلك لأن الذي سيحكم بينهم هو رسول الله ﷺ أما تقديم لفظ الجلالة في الآية لأن الذي سيحكم به رسول الله ﷺ إنما هو من عند الله عز وجل ، وقدَّم لفظ الجلالة أيضاً تعظيماً ، ومن العلماء من قال إن المعنى وإذا دعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ للحكم بينهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور: ٥٠] ؟

ج: هذا في بيان سبب إعراض المنافقين عن التحاكم إلى كتاب الله عزَّ وجل فلإعراضهم أسباب ، منها وجود مرض الكفر والنفاق في قلوبهم ومنها الشك والارتياب في حكم الله ، ومنها الخوف من أن يجور الله عليهم ويجور عليهم رسول الله ﷺ ثم نفي الله سبحانه عن نفسه وعن رسوله الله ﷺ ووصفهم بالظلم في قوله تعالى : ﴿ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور : ٥٠].

ومن العلماء من قال : إن (أم) بمعنى : بل ؛ فالمعنى : بل ارتابوا والأمر في ذلك كله قريب ، والله أعلم .

* * *

س - التحاكم إلى الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من علامات الإيمان، دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ... ﴾ [النور: ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

* * *

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

جهد أيمانهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
جهد أيمانهم	أي مجتهدين في الحلف والأيمان بالغين الجهد في ذلك. ومن العلماء من قال: إن جهد الأيمان هو الحلف بالله

* * *

س - ما المراد بالخروج في قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ [النور: ٥٣] ؟

ج : المراد الخروج من الأهل والمال والولد والديار للجهاد في سبيل الله وللغزو في سبيله .

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ [النور: ٥٣] ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، أن طاعتكم طاعة معروفة لنا ، فنحن نعرف طاعتكم فهي قول بلا عمل ، وهذا كما تقول للكذاب : لا تقسم فأنا لا احتاج إلى يمينك فأنت معروف لديَّ بالكذب .

قال السعدي- رحمه الله- في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) : قل ﴿ **لاتقسموا** ﴾ أي لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم ، فإن الله قد نبأنا من أخباركم ، وطاعتكم معروفة لا تخفى علينا ، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل من غير عذرٍ فلا وجه لعذركم وقسمكم ، إنما يحتاج إلى ذلك من كان أمره محتملاً ، وحاله مشتبهة فهذا إنما يفيده العذر براءة ، وأما أنتم فكلا ولما وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته .

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ [النور : ٥٤] ؟

ج : المراد ، والله أعلم ، فإن على رسولنا محمد ﷺ ﴿ **مَا حُمِّلَ** ﴾ أي ما كُلِّف به وما أمُر به وهو التبليغ كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ النور : ٥٤] . ﴿ **وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ** ﴾ أي ما كُلِّفتم به وما أمرتم به وهو السمع والطاعة والامتثال وقبول التكاليف .

ومن الآيات في معنى هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

ليستخلفنهم - ليمكنن لهم دينهم - ارتضى - معجزين .

ج :

الكلمة	معناها
ليستخلفنهم	ليجعلنهم خلفاء وأئمة - ليورثنهم .
ليمكنن لهم دينهم	ليظهرن لهم دينهم وليعلينه .
ارتضى	اختار - رضي
معجزين	أصل المعجز الذي يعجز غيره ، وقوله معجزين هنا أي معجزين ربهم أي لا تظن أن الذين كفروا يعجزون ربهم بل هو قادر عليهم وليسوا بفائتين وليسوا بهاربين وليسوا بغالبين لربهم سبحانه ، بل هو عليهم قادر .

س - من المعنيون بقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ...﴾ [النور: ٥٥] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بهذه الآية الكريمة صحابة رسول الله ﷺ ، وقال غيرهم : بل المراد عموم من آمن وعمل صالحًا ، وهذا هو الصحيح لعموم الآية الكريمة فالآية عمت وما خصَّت ، والله أعلم .

* * *

س - من هم هؤلاء ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] الذين استخلفهم الله عز وجل ؟

ج : هم بنو إسرائيل كما قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦] .

* * *

س - هل تحقق هذا الوعد المذكور ؟

ج : نعم قد تحقق هذا الوعد المذكور ، بدليل الفتوحات التي فتحها الله علىٰ المسلمين في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته في حياة خلفائه الراشدين المهديين ومن بعدهم كذلك .

وبدليل قوله تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ

تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ :

هذا وعد من الله تعالىٰ لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا وحكمًا فيهم وقد فعله تبارك وتعالىٰ وله الحمد والمنة : فإنه ﷺ لم يمت حتىٰ فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة - الذي تملك بعد أصحمة - رحمه الله وأكرمه ، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فلم شعث ما وهي بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلىٰ بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفًا منها وقتلوا خلقًا من أهلها وجيشًا آخر صحبه أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلىٰ أرض الشام ، وثالثًا صحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلىٰ بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرىٰ ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ، ومنَّ علىٰ أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قيامًا تامًا لم يدر الفلك بعد الأنبياء علىٰ مثله في قوة سيرته وكمال عدله ، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلىٰ آخرها وأكثر أقليم فارس ، وكسر كسرىٰ وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلىٰ أقصىٰ مملكته وقصر قيصر ، وانتزع

يده عن بلاد الشام وانحدر إلىٰ القسطنطينية ، وأنفق أموالها في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله - عليه من ربه أتم سلام وأزكىٰ صلاة - ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلىٰ أقصىٰ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ففتحت بلاد المغرب إلىٰ أقصىٰ ما هنالك الأندلس وقبرص ؛ وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلىٰ أقصىٰ بلاد الصين ؛ وقتل كسرىٰ وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ؛ وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، جُبيَ الخراج من المشارق والمغارب إلىٰ حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة علىٰ حفظ القرآن ؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها** » فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره علىٰ الوجه الذي يرضيه عنا .

* * *

س - كيف يجمع بين هذه الآية الكريمة وبين الواقع الذي يعيشه المسلمون الآن من تسلط الكفار عليهم ؟

ج : الجمع والله أعلم بأن يُقال : إن المسلمين الآن قد تخلف عن كثير منهم العمل الصالح المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [النور: ٥٥] وكثر فيهم العصاة وانتشروا وحاد كثير منهم عن كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ، فعلىٰ ذلك فلا تعارض بين الآية الكريمة وبين الواقع ؛ فالمسلمون الآن لم يحققوا الآية الكريمة ولم يتخلقوا بها . والله أعلم .

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار السعدي في تفسيره بقوله : ولا يزال الأمر إلىٰ قيام الساعة مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله ،

وإنما يُسلّط الله عليهم الكفار والمنافقين ويُديلُهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح .

* * *

س - هل هناك وجه للربط بين قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] **والآية التي سبقتها** [النور: ٥٥]؟

ج : لقائلٍ أن يقول: إن هناك ربط بين الآيتين ، وجهه أن يُقال: إن الله سبحانه وتعالىٰ ذكَّر أهل الإيمان بأنه إذا منَّ عليهم بالتمكين والاستخلاف فعليهم - بعد أن أذهب الله الخوف عنهم - أن يجتهدوا في عبادة ربهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة رسول الله ﷺ فإن هذا يديم عليهم النعم ويجلب لهم الرحمة من ربهم .

وهذا كما قال تعالىٰ بعد أن ذكر صلاة الخوف ﴿**فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ**﴾ [النساء: ١٠٣] أي بأركانها وهيئاتها التي تعلمتموها وكما قال سبحانه : ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من أعمال الدنيا فاجتهد في العبادة .

وكما قال تعالىٰ : ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ١ -٣] .

وثم وجه آخر ألا وهو الاستعانة علىٰ التمكين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ .

كما قال تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [البقرة: ١٥٣] ، والله أعلم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾
وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ
نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

ملكت أيمانكم - الحُلُم - جناح - القواعد من النساء- لا يرجون نكاحًا - غير متبرجات بزينة ؟

الكلمة	معناها
ملكت أيمانكم	الإماء (الجواري) والعبيد

الحُلُم	الاحتلام ، وهو خروج المني سواء في اليقظة أو في المنام
جناح	إثم
القواعد من النساء	النساء اللواتي انقطع عنهن الحيض وقعدن عن الزواج ويئسن من الولد
لا يرجون نكاحًا	لم يبق لهن تشوفٌ إلى الزواج ولا رغبة فيه (لا يردن زواجًا)
غير متبرجات بزينة	غير مظهرات لزينة خفية، غير قاصدات التبرج ، ولكن قاصدات التخفف من الثياب لاحتياجهن إلى التخفف والمراد أيضًا : أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها ستره .

س - هل هذه الآية منسوخة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ... ﴾ [النور: ٥٨] ؟

ج : الصحيح من أقوال أهل العلم أنها ليست بمنسوخة ، ولكن قَلَّ العاملون بها وبالآداب التي فيها .

* * *

س - لماذا أُمر بالاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة ؟

ج : لأنها أوقات تنكشف فيها العورات في الغالب فهي أوقات نومٍ واسترخاء ويصاحبها في الغالب نزع ثياب أو جماع فحينئذ تتكشف العورات كما قال تعالى : ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾ [النور: ٥٨] .

قال أبو المظفر السمعاني ـ رحمه الله ـ في تفسيره : خص هذه الأوقات

الثلاثة بالأمر بالاستئذان لأنها أوقات ينكشف فيها الناس ويبدوا منهم ما لا يحبون أن يراه أحد ، فإن قبل الفجر ينتبهون من النوم فينكشِفون ، وعند الظهيره يلقون ثيابهم ليقيلوا وبعد العشاء (الأخير) ينكشفون للنوم فأمر الله تعالىٰ بالاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة لهذا المعنىٰ والمراد من الآية استئذان الخدم والصبيان فأما غيرهم يستأذنون في جميع الأحوال .

* * *

س - للأطفال مع الاستئذان أحوال بيِّن هذه الأحوال ووضحها ؟

ج : أحوال الأطفال بالنسبة للاستئذان كالآتي :

أولاً : الأطفال غير المميزين الذين لا يفقهون ولا يدرون شيئًا عن الجماع فهؤلاء لا استئذان عليهم لا في هذه الأوقات الثلاث ولا في غيرها .

ثانيًا : الأطفال المميزون الذين يعلمون حقيقة الجماع وما هو ، ويعرفون أمر النساء فهؤلاء يستأذنون في الأوقات الثلاثة المذكورة في كتاب الله عز وجل ، وهم المعنيُّون بهذه الآيات الكريمة .

ثالثًا : الذين بلغوا الحُلُم فهؤلاء يستأذنون في كل الأوقات .

* * *

س - لماذا أُطلق على هذه الأوقات ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ ﴾ [النور : ٥٨]؟

ج : لكون العورات تظهر وتنكشف فيها أثناء الراحة والنوم ونزع الثياب .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ [النور : ٥٨] ؟

ج : المعنىٰ ، والله أعلم ، ليس عليكم ولا علىٰ هؤلاء الأطفال

ولا ماملكت أيمانكم إثم في عدم الاستئذان في غير هذه الأوقات الثلاثة .

* * *

س - كيف تجمع بين حديث رسول الله ﷺ : « لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً » وبين قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فيقولون العتمه وإنما هي العشاء» .

ج : الظاهر لي من أوجه الجمع أن المنهي عنه التوسع في إطلاق العتمه على العشاء وليكن إطلاق العتمة على العشاء القليل النادر . والله أعلم .

* * *

س - هل للعشاء اسم آخر ؟

ج : نعم يطلق عليها العتمة ، لقول النبي ﷺ : **« ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً »** [1] .

* * *

س - اذكر بعض الفوائد المستنبطة من هاتين الآيتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ [النور: ٥٨، ٥٩] ؟

ج : ذكر السعدي ـ رحمه الله ـ جملة من هذه الفوائد في تفسيره[2] فقال وفي هاتين الآيتين فوائد :

منها : أن السيد ، وولي الصغير ، مخاطبان بتعليم عبيدهم ، ومن تحت

---

(١) البخاري (حديث ٦١٥) ومسلم (حديث ٤٣٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن .

ولايتهم من الأولاد ، العلم والآداب الشرعية ؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ** ﴾ . فلا يمكن ذلك ، إلا بالتعليم والتأديب ، ولقوله : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ** ﴾ .

ومنها : الأمر بحفظ العورات ، والاحتياط لذلك من كل وجه ، وأن المحل والمكان ، الذي هو مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه أنه منهيٌّ عن الاغتسال فيه والاستنجاء ، ونحو ذلك .

ومنها : جواز كشف العورة لحاجة ، كالحاجة عند النوم ، وعند البول والغائط ، ونحو ذلك .

ومنها : أن المسلمين كانوا معتادين القيلولة وسط النهار كما اعتادوا نوم الليل ؛ لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة .

ومنها : أن الصغير الذي دون البلوغ لا يجوز أن يُمكَّن من رؤية العورة، ولا يجوز أن تُرَىٰ عورته ؛ لأن الله لم يأمر باستئذانهم إلا عن أمر ما يجوز .

ومنها : أن المملوك أيضًا ، لا يجوز أن يرىٰ عورة سيده ، كما أن سيده ـ لا يجوز أن يرىٰ عورته ، كما ذكرنا في الصغير .

ومنها : أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهما ـ ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي ـ أن يقرن بالحكم بيان مأخذه ووجهه ولا يلقيه مجردًا عن الدليل والتعليل ؛ لأن الله عز وجل - لما بيَّن الحكم المذكور - علله بقوله : ﴿ **ثلاث عورات لكم** ﴾ .

ومنها : أن الصغير والعبد مخاطبان ، كما أن وليهما مخاطب لقوله : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ** ﴾ .

ومنها : أن ريق الصبي طاهر ، ولو كان بعد نجاسة ، كالقيء ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **طوافون عليكم** ﴾ مع قول النبي ﷺ ، حين سئل عن الهرة : « **إنها ليست بنجس ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات** » .

ومنها : جواز استخدام الإنسان مَنْ تحت يده ، من الأطفال علىٰ وجه معتاد لا يشق علىٰ الطفل ؛ لقوله عز وجل : ﴿ **طوافون عليكم** ﴾ .

ومنها : أن الحكم المذكور المفصل ، إنما هو لما دون البلوغ ، وأما ما بعد البلوغ ، فليس إلا الاستئذان .

ومنها : أن البلوغ يحصل بالإنزال ، فكل حكم شرعي رتب علىٰ البلوغ ، حصل بالإنزال ، وهذا مجمع عليه ، وإنما الخلاف : هل يحصل البلوغ بالسن ، أو الإنبات للعانة ؟ ـ والله أعلم ـ .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ **طَوَّافُونَ عَلَيْكُم** ﴾ [النور : ٥٨] ؟

ج : المعنىٰ ، والله أعلم - كثيرو الدخول عليكم والخروج لكثرة حاجتكم إليهم وحاجتهم إليكم فيشق عليهم الدخول والخروج في كل الأوقات .

* * *

مبيت الغلام عند خالته

س - هل يجوز للغلام أن يبيت مع خالته أو عمته عند زوجها ؟

ج : نعم يجوز ذلك إن كان بإذنهما وعلمهما ، فقد بات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [١] - وهو غلام - عند خالته ميمونة عند رسول الله ﷺ فاضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها واضطجع ابن عباس - رضي الله عنهما - في عرضها .

ويكون ذلك بإذنهما لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ...** ﴾ [النور: ٥٨] .

استئذان الرجل على أخته

س - هل يستأذن الرجل على أخته ؟

ج : نعم يستأذن على أخته ، فقد صح عن عطاء [٢] أنه قال : سألت ابن عباس فقلت : أستأذن على أختي ، فقال : نعم ، فأعدت فقلت : أختان في حجري وأنا أمونهما [٣] وأنفق عليهما استأذن عليهما ؟ قال : نعم . أتحب أن تراهما عريانتين ، ثم قرأ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ** ﴾ [النور: ٥٨] قال : فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث ، قال :

---

(١) أخرجه البخاري (مع « الفتح » ٢/ ٤٧٧) ومسلم (٢/ ٤١٦) .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٦٣) .

(٣) أمونهما : أي أتحمل نفقتهما وآتيهما بالمؤونة .

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩] .

قال ابن عباس : فالإذن واجب ، زاد ابن جريج : على الناس كلهم .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور: ٦٠] ؟

ج : قال القرطبي - رحمه الله - ص (٤٧٠١) القواعد [١] : العُجّز اللواتي قعدن عن التصرف من السن ، وقعدن عن الولد والمحيض ، هذا قول أكثر العلماء . قال ربيعة : هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها ، وقال أبو عبيدة : اللاتي قعدن عن الولد . وليس ذلك بمستقيم ؛ لأن المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع - قاله المهدوي - .

---

(١) أخرج البيهقي بإسناده إلى عاصم الأحول قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ [النور : ٦٠] هو الجلباب قال: فتقول لنا : أي شيء بعد ذلك فنقول : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور : ٦٠] فتقول : هو إثبات الجلباب(*) .

(*) هكذا فهمت حفصة بنت سيرين التابعية الجليلة أن معنى ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ هو إثبات الجلباب وتطبيقها العملي له هو التنقب وتقدم قريبًا عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ [النور : ٦٠] أن المراد : الجلباب ، وفي أمر النبي ﷺ للنساء في الخروج للعيدين قالت إحداهن يا رسول الله : إحدانا لا يكون لها جلباب قال : « لتلبسها أختها من جلبابها » . أخرجه الشيخان .

وقال الطبري : ـ رحمه الله ـ (١٨/ ١٢٦) : اللواتي قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن ، واحدتهن قاعد ، ﴿ **اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا** ﴾ يقول : اللاتي قد يئسن من البعولة فلا يطمعن في الأزواج .

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد ﴿ **اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا** ﴾ أي لم يبق إليهن شرف إلى التزوج ، ونقل هذا عن بعض السلف .

* * *

س – ما المراد بالثياب المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ [النور : ٦٠] ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: الجلباب ، فالنساء في الغالب يلبسن ثيابهن المعتادة ثم عند خروجهن يلبسن الجلباب فوق ثيابهن المعتادة ، فلا جناح عليهن أن يضعن هذا الجلباب وينزعنه إذا لم يردن بذلك تبرجًا بالزينة ـ والله أعلم ـ .

* * *

س – ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور : ٦٠]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: واستعفافهن بإبقاء الثياب عليهن خيرٌ لهن وأفضل من وضعهن للثياب .

* * *

س – ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٠] ؟

ج : وجه ذلك ترهيبًا للقواعد وتذكيرهن ولفت أنظارهن إلى أن الله سبحانه وتعالى سميعٌ لأقوالهن مع الأجانب عليم بنياتهن ومقاصدهن وغرضهن من وضع الثياب ، والله أعلم .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

حرجٌ - صديقكم - أشتاتا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حرج	إثمٌ - جُناح
صديقكم	أصدقائكم - كقوله (فإنهم عدوٌ لي) أي أعداء لي
أشتاتا	متفرقين

س - ما هو الحرج المرفوع في الآية الكريمة عن الأعمى والأعرج والمريض ؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال :

أحدها : أنه الحرج المرفوع في تخلفهم عن الجهاد ، فلا حرج عليهم إن تخلَّفوا عن الجهاد ، وذلك كما ورد في سورة الفتح - عقب قوله تعالىٰ : ﴿ **قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ** ﴾ [الفتح: ١٦] ثم عقب الآية الكريمة بقوله تعالىٰ : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾ [الفتح: ١٧] .

وكما قال سبحانه : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢] .

الثاني : أن الحرج المرفوع إنما هو في الطعام ، وفي ذلك وجهان :

الوجه الأول : أن الناس كانوا يمتنعون عن مؤاكلة أصحاب الأعذار المذكورين « الأعمىٰ والأعرج والمريض » إما تقذراً وإما تورعًا ، فكأن بعض الناس لا تعجبهم طريقة أكل العميان والمرضىٰ ومن بهم عرج فيتقذرونهم ويأنفون من الأكل معهم .

وبعض الناس يرىٰ أنه يظلمهم إذا أكل معهم فهو يستطيع أن يرىٰ الطعام الجيد من الرديء ويتناول الجيد أما الأعمىٰ فلا يستطيع ذلك التمييز وكذلك الأعرج والمريض لا يستطيعان استيفاء حقهما من الطعام في الوقت الذي يستوفي فيه الصحيح حقه ، فمن ثمَّ كان من الأصحاء من يأنف من الأكل معهم لهذا السبب المذكور .

الوجه الثاني : أن أصحاب الأعذار أنفسهم (الأعمىٰ والأعرج والمريض) هم الذين كان يستحيون من الأكل مع غيرهم خشية أن يؤذوا غيرهم بطريقة طعامهم معهم ، أو أن تمتد أيديهم إلىٰ شيء يريده غيرهم ، ونحو ذلك .

الثالث : أن الحرج المرفوع عنهم هو في كل ما يضطرهم إليه العذر وتقتضي نيتهم أن يأتوا فيه بالأتم والأكمل ، فرفع الحرج عن الأعمىٰ فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر ، ورفع الحرج عن الأعرج فيما يتعلق بالتكاليف التي يشترط فيها المشي أو القيام ، ورفع الحرج عن عن المريض في التكاليف التي تشترط فيها الصحة والعافية .

وكأن هذا الأخير أشبه بالصواب وأشمل ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ [النور: ٦١] ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالةٍ أي البيوت التي أنتم وكلاء عليها أو أمُناء علىٰ مخازنها .

* * *

س - لماذا قيل : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ... ﴾ [النور: ٦١] **فمن المعلوم يقينًا أن الشخص له أن يأكل من بيته.**

ج : لأهل العلم في ذلك وجوه :

أحدها : أن هذا ذكر ، مع كونه معلومًا ، ليُعطف عليه غيره وليساوي به ما بعده في الحكم .

الثاني : أن المراد بيوت الأبناء ، وذلك لأن الولد من كسب أبيه كما قال النبي ﷺ : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه** » .

الثالث : أن المراد بيوتكم التي فيها أزواجكم وأولادكم فيكون للأهل والأولاد شيء قد دخل عليهم من أي باب آخر غير باب الأب مثلاً فللأب أن يأكل منه أيضًا . كأن تكون هدية أهديت للزوجة أو للولد ، أو شيء من صداق الزوجة أنفقته في البيت أو نحو ذلك ، والله أعلم .

* * *

س - أفادت الآية الكريمة جواز أكل الناس مجتمعين أو مفترقين ، فهل للأكل مع الجماعة فضل ؟

ج : نعم للأكل مع الجماعة فضل وفيه بركة ، فقد قال النبي ﷺ : «**طعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**»[1] .

هذا ، وقد أخرج أبو داود وغيره[2] بإسناد ضعيف عن وحشي ابن حرب أن أصحاب النبي ﷺ قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ، قال : «**فلعلكم تفترقون؟** » قالوا : نعم ، قال : «**فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه** » .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٩) من حديث جابر - رضي الله عنه - مرفوعًا .
وعند البخاري (٥٣٩٢) ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله مرفوعًا - «طعام الإثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة» .

(٢) أبو داود (٣٧٦٤) وفي إسناده وحشي بن حرب وهو ضعيف ثم إن بعض أهل العلم ضعفه من ناحية صحابيته أيضا وحشي بن حرب جد وحشي الضعيف فقال ما حاصله : إن وحشي قاتل حمزة، وقد قال له النبي ﷺ : « إن استطعت أن تغيب وجهك عني فغيب وجهك عني » فيبعد سماعه من رسول الله ﷺ إلا أن يكون قد أرسل ، والله أعلم .

التسليم على الأهل

س - هل يستحب للرجل أن يسلم على أهله عند الدخول عليهم؟

ج : نعم يستحب له ذلك للعمومات الواردة في الحث على إفشاء السلام لقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [النور: ٦١] والمراد بالنفس الأهل والمؤمنون وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور: ١٢] أي : بإخوانهم .

وقد صح [(١)] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : (إذا دخلت على أهلك فسلِّم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة) .

وفي حديث الإفك قالت عائشة رضي الله عنها : إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلِّم .

* * *

س - ما المراد بالبيوت المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [النور: ٦١] وما المراد بالأنفس ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالبيوت هنا المساجد ، والأنفس هم المؤمنون ، فهم كالنفس الواحدة .

الثاني : أن المراد بالبيوت هنا البيوت المذكورة في صدر الآية الكريمة أي في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ** ﴾ [النور: ٦١] .

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٩٥) .

الثالث : أنها عموم البيوت وعموم الناس ونفس الشخص داخلة فيهم أيضا ، والله أعلم .

* * *

س - إذا لم يكن بالبيت أحدٌ فهل يشرع التسليم عند الدخول ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن الشخص يُسلِّم عند دخوله ، وذلك لعموم قوله تعالىٰ : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [النور: ٦١] قالوا : فليسلم وليقل (السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين) وقالوا أيضًا ، وحتىٰ إذا لم يكن بالبيت أحد من البشر فإن به ملائكة فعلىٰ ذلك يسلم عليهم .

الثاني : أنه لا يُسلم ، وحمل القائلون بذلك الآية علىٰ أن المراد بالأنفس هنا الأهل أو الإخوان وذلك كقوله تعالىٰ : ﴿ **ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور: ١٢] أي بإخوانهم ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١١] أي ولا تلمزوا إخوانكم . قالوا فإذا لم يكن بالبيت أحد فلا يسلم .

أما ما ورد من أنه إذا لم يكن بالبيت أحد فإنه يسلم علىٰ الملائكة فإن ذلك عليه مآخذ ، وهو أن الملائكة تصاحب الشخص في طرقه ومجالسه فلا معنىٰ للسلام عليهم عند دخول البيت ، والرأي الأول أقوىٰ وأظهر ، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم .

* * *

س - ما المراد بقوله تعالى : ﴿ **تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [النور: ٦١] ؟

ج : المراد - والله تعالىٰ أعلم - : أن هذا التسليم الذي أُمرتم به في

قوله تعالىٰ: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النور: ٦١] تحية أمركم الله بها وشرعها الله لكم، فهي مشروعة من عند الله ومأمورٌ بها منه سبحانه ووصفت بأنها مباركة لكونها تجلب البركة والثواب والمودة والأجر، ووصفت بأنها طيبة لاستطابة سامعها لها واستحسانه لها.

وقال بعض أهل العلم في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٦١] أي حسنة جميلة.

❊ ❊ ❊

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

س - اذكر معنى ما يلي :

أمر جامع - يتسللون منكم لواذاً - يخالفون عن أمره - قد يعلم ما أنتم عليه ؟

ج :

الكلمة	معناها
أمرٍ جامع	أمر كان سببًا في اجتماعهم ، أمرٌ جليل خطير كان سببًا في اجتماعهم
يتسللون منكم لواذًا	يهربون في خفية وتستر في بعضهم البعض يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون
يخالفون عن أمره	يخالفون أمره - يُعرضون عن أمره
قد يعلم ما أنتم عليه	يعلم أحوالكم - علم أحوالكم

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢] ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، إنما المؤمنون - كاملوا الإيمان - الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا جمعهم مع رسول الله ﷺ أمرٌ من الأمور الهامة كعمل من الأعمال الهامة (١) أو عبادة من العبادات أو مشورةٍ أو جهاد أو نحو ذلك لم يتركوا رسول الله ﷺ وينصرفوا عنه حتى يستأذنوه ويأذن لهم .

* * *

س - لابد للمربي الصالح من احترامٍ وللكبير من توقير وللقائد من هيبة وذلك حتى يعظم في قلوب الناس وتنفذ كلمته فيهم . اذكر ما يدل على ذلك من سورة النور ومن غيرها ؟

ج : يستدل لذلك من سورة النور ويُستأنس بقوله تعالى : ﴿ **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** ﴾ [النور: ٦٣] .

ومن غيرها بقول النبي ﷺ للأنصار : « **قوموا إلى خيركم ، أو سيدكم** »(٢) وذلك لسعد بن معاذ - رضي الله عنه - .

وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : مكثت سنة أُريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له . . . » .

---

(١) كحفر الخندق مثلاً ، فقد كان هناك من يهرب أثناء العمل من حفر الخندق ويتسلل في خفية حتى لا يراه أحد .

ونحو هذا يحدث في زماننا فقد يكون هناك أمر من الأمور له أهمية كبناء مسجد مثلاً وقد اجتمع المسلمون لبنائه فترى من في قلبه ضعف يترك العمل ويهرب في خفية ويؤثر الكسل والنوم والراحة والدِّعة على الخير العام والثواب العظيم .

(٢) البخاري (٣٨٠٤) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه مرفوعًا - .

أما في شأن الكبير فقد قال النبي ﷺ : « **ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا ويرحم صغيرنا** »[١] .

ولما جاء حويِّصة ومحيصة إلىٰ رسول الله ﷺ وذهب محيَّصةُ يتكلم قال له النبي ﷺ : « **كبرِّ كبرِّ** » يريد السنَّ فتكلم حويصة ثم تكلَّم محيصة[٢] .

وقال ﷺ : « **أراني أتسوك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما**»[٣] .

* * *

س - هل يشرع الاستئذان عند الانصراف ؟

ج : في ذلك تفصيل : .

فإذا كان المسلمون مع إمامهم ومع كبيرهم في أمرٍ جامع هام جمعهم مع إمامهم فلا ينصرفوا إلا بعد الاستئذان منه وكذلك إذا كان الشخص في بيتٍ ما وسيقع في خروجه للاستئذان حرجٌ علىٰ أهل البيت فعليه حينئذٍ بالاستئذان أما إذا كان في بيت والخروج منه بلا إذن لا يُسبب حرجًا علىٰ أهل البيت ولا حرجًا علىٰ المضيف فلا بأس حينئذ بالخروج بلا استئذان ، وقد خرج قوم من بيت رسول الله ﷺ بلا إذن صريح منه ، وذلك في قصة بناء الرسول ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها ونزول آية الحجاب[٤] .

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وقد أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧) والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٥٥) وله طرق .

(٢) البخاري (٧١٩٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٦) معلقًا ، ومسلم (٣٠٠٣) .

(٤) أخرج البخاري (حديث ٦٢٣٨) ومسلم (١١/ ٢٢) من حديث أنس - رضي الله عنه - .

أنه قال : كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فخدمت رسول الله ﷺ عشراً =

أما الأدلة التي تشهد للأول فمنها قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢].

وما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه** »(١) .

وأيضًا ما روىٰ عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « **إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليُسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليُسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة**»(٢) . وذلك إذا حملنا السلام علىٰ أنه سلام الاستئذان .

* * *

س - لماذا أمر رسول الله بالاستغفار لمن جاء مستئذنًا في قوله تعالى: ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ ﴾ [النور: ٦٢] ؟

ج : أجاب علىٰ ذلك صديق حسن خان بقوله : فيه إشارة إلىٰ أن

= حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل ، وقد كان أبيُّ بن كعب يسألني عنه ، وكان أول ما نزل في مُبتنىٰ رسول الله ﷺ بزينب ابنة جحش : أصبح النبي ﷺ بها عروسًا ، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ، ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث ، فقام رسول الله ﷺ فخرج وخَرَجْتَ معه كي يخرجوا فمشي رسول الله ﷺ ومشيت معه ، حتىٰ جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن رسول الله ﷺ أنهم خرجوا فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه ، حتىٰ دخل علىٰ زينب فإذا هم جلوس لم يتفرقوا ، فرجع النبي ﷺ ورجعت معه حتىٰ بلغ عتبة حجرة عائشة ، فظن أن قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، فأُنزل آية الحجاب، فضرب بيني وبينه سترًا» .

(١) وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني - حفظه الله - في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٢) وفي النفس منه شيء .

(٢) وقد صححه الشيخ ناصر أيضًا (السلسلة الصحيحة ١٨٣) .

الاستئذان وإن كان لعذرٍ مُسوغٍ فلا يخلو عن شائبة تأثير أمر الدنيا على الآخرة، لأن اغتنام مجالسه أولى من الاستئذان .

* * *

س - اذكر طرفًا من الآيات التي تحث على توقير النبي ﷺ وإجلاله وتعظيمه ؟

ج : من ذلك ما يلي :

* قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

* وقوله تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] .

* وقوله تعالى : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩] .

* وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

* وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] .

* وقوله تعالى : ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ... ﴾ [النور: ٦٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : لا تنادوا رسول الله ﷺ كما ينادي بعضكم بعضًا فلا تقولوا يا محمد ، يا أبا القاسم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] .

بل عظِّموه وشرفوه ووقِّروه وعزِّروه وقولوا يا نبي الله ويا رسول الله .

الثاني : لا تعتقدوا أن دعاءه علىٰ غيره كدعاء غيره ، وأن دعاءه لشخصٍ كدعاء شخص لشخص ، وذلك لأن دعاء رسول الله ﷺ مستجاب فاحذروا أن يدعوا عليكم فتهلكوا واحرصوا علىٰ دعائه لكم لتغنموا .

الثالث: لا تظنوا أن التخلف عن رسول الله ﷺ إذا دعاكم لأمر كالتخلف عن أمر غيره ، فالتخلف عن دعاء رسول الله ﷺ ونداءه أشد وأعظم [١] .

---

(١) وقد قال الرسول ﷺ « **مثلي ومثلكم** ...» .

وكأن هذا الأخير هو أقرب الأقوال للصواب في هذا الموطن لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣].

وإن كان الوجهان الأولان ليسا ببعيدين عن الصواب أيضًا فمعناهما حق، ومفادهما صدق واعتقادهما واجب، والله أعلم.

* * *

س - ما المراد بالتسلل المذكور في الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: التسلل من الصفوف عند القتال هربًا من القتال.

الثاني: التسلل من حفر الخندق.

الثالث: التسلل من الصلوات والهروب منها والتخلف عنها.

الرابع: أن المراد بالتسلل البعد عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

* * *

س - ما المراد بالفتنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] وما المراد بالعذاب الأليم وكيف يصاب المخالف لرسول الله ﷺ بفتنة؟

ج: قال بعض أهل العلم. إن المراد بالفتنة هنا الانصراف أي انصراف القلوب عن الإيمان إلىٰ الكفر والنفاق والشك والارتياب والابتداع، فمن أعرض أعرض الله عنه، ومن انصرف صرف الله قلبه كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

أما العذاب الأليم فالمراد به هنا، والله أعلم العذاب الدنيوي من قتلٍ أو

أسرٍ أو حبسٍ أو جلد أو مصائب في الأبدان والأولاد ، ولا يمتنع أيضًا أن يُراد به العذاب الأخروي ، والله أعلم .

أما كيف يُصاب المخالف بفتنة فكما قدمنا إن الشخص إذا أعرض أعرض الله عنه وإذا انصرف صرف الله قلبه عن الخير .

هذا ، وقد قال الشنقيطي [1] رحمه الله تعالىٰ في أضواء البيان :

قد دل استقراء القرآن العظيم أن الفتنة فيه أطلقت علىٰ أربعة معان .

الأول : أن يراد بها الإحراق بالنار كقوله تعالىٰ : ﴿ **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الذاريات : ١٣] . وقوله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج : ١٠] أي أحرقوهم بنار الأخدود علىٰ القول بذلك .

الثاني : وهو أشهرها إطلاق الفتنة علىٰ الاختبار كقوله تعالىٰ : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن : ١٦] .

والثالث : إطلاق الفتنة علىٰ نتيجة الاختيار إن كانت سيئة كقوله تعالىٰ : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة : ١٩٣] . وفي الأنفال : ﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٣٩] . فقوله : ﴿ **حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** ﴾ أي حتىٰ لا يبقىٰ شرك ، علىٰ أصح التفسيرين ، ويدل علىٰ صحته قوله بعده : ﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ ، لأن الدين لا يكون كله لله حتىٰ لا يبقىٰ شرك كما ترىٰ ، ويوضح ذلك قوله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلا إله الله**» كما لا يخفىٰ .

---

(١) « أضواء البيان » (٦/ ٢٥٤ - ٢٥٥) .

والرابع : إطلاق الفتنة على الحجة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام : ٢٣] ، أي لم تكن حجتهم ، كما قال به بعض أهل العلم .

والأظهر عندي : أن الفتنة في قوله هنا : ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أنه من النوع الثالث من الأنواع المذكورة .

وأن معناه : أن يفتنهم الله أي يزيدهم ضلالاً بسبب مخالفتهم ، عن أمره، وأمر رسوله ﷺ .

وهذا المعنى تدل عليه آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ، كقوله جل وعلا : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين : ١٤] وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥] وقوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴿١٠﴾﴾ [البقرة : ١٠] . الآية . وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة : ١٢٥] الآية، والآيات بمثل ذلك كثيرة والعلم عند الله تعالى .

س - اذكر بعض الآيات والأحاديث المحذرة من مخالفة رسول الله ﷺ ؟

ج : من ذلك ما يلي :

* قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

* وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... ﴾ [الحجرات: ١، ٢] .

وقول الرسول ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[١] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها» ، قال : « فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحُجزكم عن النار هلَّم عن النار فتغلبوني تقَّحمون فيها »[٢] .

وقول النبي ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »[٣] .

س - اذكر دليلاً من سورة النور يمكن الاستدلال به على أن الأمر يفيد الوجوب ؟

ج : الذي يُستدل به في هذا الباب هو قوله تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

* * *

س - أعمال المرء تُرى يوم القيامة ويُخبر بها ، اذكر ما يدل على ذلك ويؤكده ؟

ج : علىٰ ذلك جملة من الأدلة منها ما يلي :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا .

(٢) (مسلم ص ١٧٨٩) .

(١) بهذا اللفظ عند مسلم (١٣٤٤) ، وقد تقدمت الإشارة إليه .

* قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم: ٤٠] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] .

* وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: ٩] .

* * *

س - ما هو وجه ختام هذه السورة الكريمة بهذه الآية الكريمة ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٤] ؟

ج : وجه ختامها ، والله أعلم أنها ذكرت بأمورٍ أربعة :

أولها : أن كل شيء في السموات والأرض إنما هو لله سبحانه وتعالىٰ يتصرف فيه كيف يشاء ويحكم فيه بما يشاء ويقضي فيه كما يريد فيشرع الحدود ويشرع الآداب ويضرب الأمثال فلا اعتراض علىٰ شرعه ولا امتناع من قضائه .

الثاني : بيان علم الله بما يصدر من خلقه بل وبكل شيء عليه خلقه وتكنه صدورهم ففي هذا تذكير وتحذير ضمنيٌ من مخالفه أمره سبحانه وتعالىٰ وحثٌ علىٰ امتثال أوامره سبحانه وتعالىٰ .

الثالث : التذكير بيوم الحساب والمرجع والمعاد فإن هذا يحمل علىٰ العمل الصالح والامتثال لأمر الله واتباع شرعه .

الرابع : التذكير برؤية الأعمال والاطلاع عليها يوم القيامة فإن الشخص إذا علم أن سعيه سوف يرىٰ أتقن السعي وأحسن العمل ، والله تعالىٰ أعلم .

تم تفسير السورة الكريمة بحمد الله وتوفيقه

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	٥
سورة النور .	٧
السر في تقديم الزانية على الزاني .	١١
الدليل على الرجم .	١٧
بعض مثالب الزواج بالزانية .	٣٩
حد القذف .	٥٥
عقوبة القذف .	٦٤
التعريض بالقذف .	٦٥
آيات الملاعنة .	٧٦
حديث الإفك .	٩٢
ما ورد في حديث الإفك من الفوائد .	٩٩
التحذير من اتباع خطوات الشيطان .	١٢٦
انتشار الشائعات والحث على التثبت .	١٢٧
الحث على العفو وبالصفح .	١٣٠
فضيلة لأبي بكر - رضي الله عنه - .	١٣٢
أرجى أية في كتاب الله .	١٣٣

الموضوع	الصفحة
الموانع من الزنا .	١٣٤
الجزاء من جنس العمل .	١٣٦
شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة .	١٤٠
المراد بالخبيثين والخبيثات والطيبين والطيبات .	١٤٢
بعض ما جاء في فضل الكلم الطيب .	١٤٤
تبرئة الله سبحانه وتعالى للمظلومين .	١٤٥
بعض أحكام الاستئذان وآدابه .	١٥٢
استئذان الرجل على أمه وأخته .	١٥٦
عيادة الرجل للمرأة .	١٥٩
الرجل يزور المرأة .	١٦٠
عيادة المرأة للرجل .	١٦١
تحريم الخلوة بالأجنبية .	١٦٢
دخول جماعة الرجال على المرأة .	١٦٤
دخول الرجل على مجموعة النساء .	١٦٥
وقوف الرجل مع امرأة في الطريق .	١٦٦
أبحاث في غض البصر .	١٦٨
مواطن يباح النظر فيها إلى النساء .	١٧٤
دخول المحارم من الرضاع على المرأة .	١٨٠
حديث (أفعمياوان أنتما) .	١٨١

الموضوع	الصفحة
حديث المرأة للرجال .	١٨١
المرأة تعالج الرجل .	١٨٢
لا تنظر المرأة إلى عورة الرجل .	١٨٣
قوله تعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ .	١٨٤
أدلة الحجاب .	١٩٠
حديث إذا بلغت المرأة المحيض .	١٩٣
الإماء والحجاب .	١٩٤
الزينة التي تبديها المرأة لمحارمها .	١٩٦
أبواب في اللباس والزينة .	١٩٨
حكم النمص .	١٩٨
إذا نبت للمرأة لحية .	١٩٨
تحريم وصل الشعر .	١٩٩
تحريم الوشم .	٢٠٠
النهي عن التفلج .	٢٠١
ثقب أذن المرأة .	٢٠٢
تحلي النساء بجميع أنواع الذهب .	٢٠٣
التحذير من التبرج .	٢٠٦
حكم المكياج .	٢٠٧
المرأة وصبغ الشعر .	٢٠٩

الموضوع	الصفحة
حقيقة المحرم .	٢١٠
دخول الكتابية على المسلمة .	٢١٠
قوله تعالى : ﴿ أو ما ملكت أيمانكم ﴾ .	٢١٤
قوله تعالى : ﴿ أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ﴾ .	٢١٥
بعض أحكام المخنثين .	٢١٥
قوله تعالى : ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ .	٢١٨
هل تحجب المرأة عن بعض محارمها .	٢٢٠
مناسبة عدم ذكر العم والخال في قوله تعالى : ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ .	٢٢٢
الآدب التي تتحلى بها المرأة عند الخروج من بيتها .	٢٢٤
بحث في المكاتب .	٢٣٤
فصل .	٢٧٢
مبيت الغلام عند خالته .	٣٠١
استئذان الرجل على أخته .	٣٠١
التسليم على الأهل .	٣٠٨
الفهرس .	٣٢٣

* * *

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

تفسير سورة الفرقان

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا
٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ
جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ
بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان: 1-6].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَبَارَكَ - نَزَّلَ - ٱلْفُرْقَانَ - نَذِيرًا - فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا - نُشُورًا - إِفْكٌ - ٱفْتَرَىٰهُ - فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا - أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ - ٱكْتَتَبَهَا - تُمْلَىٰ عَلَيْهِ - بُكْرَةً - وَأَصِيلًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَبَارَكَ﴾	تكاثر الخير الوارد منه والواصل إلى عباده - دام خيره وثَبُتَ - تقدس وتعاظم
﴿نَزَّلَ﴾	أنزل شيئًا بعد شيء
﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾	القرآن الذي يفرق به بين الحق والباطل والصواب والخطإ
﴿نَذِيرًا﴾	مُحذرًا مخوِّفًا
﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	فخلقه بقدر (على قدر الحاجة) وسيَّر كلًّا لما خُلِقَ
﴿نُشُورًا﴾	بعثًا بعد الموت - إخراجًا للناس من قبورهم أحياء بعد الموت
﴿إِفْكٌ﴾	كذبٌ يُصرف به الناس عن دينهم
﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾	اختلقه وتقوَّله من عند نفسه
﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾	فقد أتوا بقولهم هذا بظلم وزور ووقعوا في ظلم وزورٍ
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	حكايات الأولين - خرافاتهم
﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾	طلب أن تُكتب له

(7) أحمر أسود

﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾	تُقرأ عليه
﴿بُكْرَةً﴾	غدوة - صباحًا
﴿وَأَصِيلًا﴾	عشيًّا - مساءً

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تكاثر الخير والوارد منه سبحانه وتعالى ودام إنعامه وثَبُتَ إحسانه، ربنا الذي نزَّل القرآن الذي به يُفرق بين الحق والباطل ويفصل بينهما، ويعلم الحق من الباطل، نزَّله على عبده ورسوله محمد ﷺ سورة بعد سورة ليكون رسوله ﷺ للإنس والجن نذيرًا محذِّرًا من النار مخوفًا منها، والذي نزَّل الفرقان هو الله الذي له ملك السموات والأرض هما ملك له سبحانه وتعالى يتصرف فيهما كيف يشاء ويقضي فيهما بالذي يريد لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، هو ربهما ومالكهما، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له ولد وكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وكذا فليس له شريك في ملكه سبحانه وتعالى، وقد خلق ٥ كل شيءٍ مُقدرًا تقديرًا، خلق كل شيء وهيَّأه ويسره لما خلق له، خلق كل شيء بقدر، فترى النسور طويلة العمر بيضها قليل، وترى الذباب يتكاثر بالملايين وعمره قصير، وترى الماء ينزل من السماء بقدر ولو شاء لأهلك به الخلق كلهم، وترى الطول والعرض لبني آدم متقارب،

وهكذا خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

تبارك تفاعل من البركة، ثم قال: فقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ؛ ليكون محمد لجميع الجن والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيًا إليه، نذيرًا: يعني: منذرًا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ قال: النبي النذير. وقرأ ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ٢٤]، وقرأ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، قال: رسل. قال: المنذرون: الرسل. قال: وكان نذيرًا واحدًا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدين، وكان نذيرًا، ولم أسمع أحدًا يحق أنه كان نبيًّا ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] قال: من بلغه القرآن من الخلق، فرسول الله ﷺ نذيره. وقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: لم يرسل الله رسولًا إلى الناس عامة إلا نوحا، بدأ به الخلق، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد ﷺ ختم به.

يقول تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فالذي الثانية من نعت الذي الأولى، وهما

جميعًا في موضع رفع؛ الأولى بقوله تبارك، والثانية نعت لها ويعني بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي له سلطان السماوات والأرض، ينفذ في جميعها أمره وقضاءه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحقٌّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول: تكذيبًا لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدًا، فمن أضاف إليه ولدًا فقد كذب وافترى على ربه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ يقول تكذيبًا لمن كان يُضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تلبيته: لبيك لا شريك لك، إلَّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه، فيصلح أن يُعبد من دونه. يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، فإن كل ذلك خَلْقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزَّل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى الممالك طاعة مالكهم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري، وقوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ يقول: فسوَّى كل ما خلق، وهيَّأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

(10) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى حامدًا نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لِنَقْرَأَهُۥ..﴾ الآية [الكهف: ١-٣] وقال هاهنا: ﴿تَبَارَكَ﴾ وهو تفاعَلَ من البركة المستقرة الدائمة الثابتة ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ نزل: فَعَّل، من التكرر، والتكثر، كما قال: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦]؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا مُفَصَّلا آيات بعد آيات، وأحكاما بعد أحكام، وسورًا بعد سُوَر، وهذا أشد وأبلغ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣]. ولهذا سماه هاهنا الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحرام والحلال.

وقوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: هذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه، فقال ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ أي: إنما خصَّه بهذا الكتاب العظيم

المبين المفصل المحكم الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، الذي جعله فرقانًا عظيمًا -إنما خصَّه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال - صلوات الله وسلامه عليه-: «**بُعثت إلى الأحمر والأسود**». وقال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**»، فذكر منهن: أنه «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة**»، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي: الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض، الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يحيي ويميت، وهكذا قال هاهنا: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، فَنزَّه نفسه عن الولد، وعن الشريك.

ثم أخبر أنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ أي: كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عظَّم تعالى نفسه و ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نزَّه سبحانه وتعالى نفسه عمَّا قاله المشركون من أن الملائكة أولاد الله يعني: بنات الله سبحانه وتعالى وعما قالت اليهود: عزير ابن الله - جلَّ الله تعالى - وعما قالت النصارى: المسيح ابن الله - تعالى الله عن ذلك- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما قال عبدة الأوثان ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ لا كما قال المجوس والثنوية: إن الشيطان أو الظلمة يخلق بعض الأشياء ولا

(12) أحمر
أسود

كما يقول من قال: للمخلوق قدرة الإيجاد فالآية ردٌّ على هؤلاء ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ أي: قدَّر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة وبعد القيامة فهو الخالق المقدر فإياه فاعبدوه.

❁ ❁ ❁

(13) أحمر
أسود

الآلهة المعبودة من دون الله
لا تملك لنفسها فضلا عن غيرها نفعًا ولا ضرًّا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واتخذ هؤلاء المشركون من أهل مكة وغيرهم آلهة يعبدونها من دون الله ﷻ، **وكلمة من دون الله تحتمل معنيين أحدهما:** مع الله ﷻ، **والثاني:** بدلًا من عبادة الله ﷻ، وهذه الآلهة التي عبدوها من دون الله لا تخلق شيئًا، ولا تقدر على ذلك بل هي مخلوقة كغيرها من المخلوقات بل إنهم صنعوها بأيديهم وعبدوها (تلك الأصنام والأوثان) ولا تملك لنفسها - فضلًا عن غيرها - دفع ضُرٍّ ولا جلب نفع، بل قد كسر أمثالها الخليل إبراهيم ﷺ ولم تدفع عن نفسها شيئًا، ولا تملك تلك الآلهة لعابديها موتًا، أي: لن تستطيع أن تُميتهم إذا أراد الله لهم حياة، ولن تستطيع أن تحييهم إذا أراد الله بهم موتًا، وكذا لا تستطيع تلك الآلهة المعبودة من دون الله ﷻ أن تُبعث أحدًا قد مات من قبره.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مُقرعًا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجبًا أولي النهي منهم، ومنبههم على موضع خطإ فعلهم، وذهابهم عن منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل - واتخذ هؤلاء المشركون بالله- من دون الذي له مُلك السموات والأرض وحده، من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدّره- آلهة: يعني أصنامًا بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئًا وهي تُخلق،

(14) أحمر
أسود

ولا تملك لنفسها نفعًا تجرّه إليها، ولا ضرًّا تدفعه عنها ممن أرادها بضرّ، ولا تملك إماتة حيّ، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضرّ والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشر الميت نشورًا، وهو أن يُبعث ويُحيا بعد الموت.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك لأزمَّة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومع هذا عَبَدُوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يملكون لعابديهم؟! ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: ليس لهم من ذلك شيء، بل ذلك مرجعه كله إلى الله ﷻ، فهو الذي هو يُحيي ويُميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]. فهو الله الذي لا إله غيره ولا ربَّ سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ ذكر ما صنع المشركون على جهة

(15) أحمر
أسود

التعجيب في اتخاذهم الآلهة مع ما أظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ يعني: الآلهة ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لما اعتقد المشركون فيها أنها تضرُّ وتنفع عبَّر عنها كما يعبر عما يعقل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا ضُرَّ وجلب نفع فحذف المضاف وقيل: لا يقدرون أن يضروا أنفسهم أو ينفعوها بشيء ولا لمن يعبدهم؛ لأنها جمادات ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ أي: لا يميتوهن أحدًا ولا يحيونه والنشور: الإحياء بعد الموت أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم. قول الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبًا للميت الناشر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسل الله، قالوا عن هذا القرآن ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد ﷺ من عند نفسه ليصرف الناس عن عبادة آلهتهم إلى عبادة الله وحده، اختلقه محمد من عند نفسه وساعده على اختلاقه واختلقه معه أيضًا قوم آخرون من اليهود وغيرهم، فقد علموه ودارسوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، وهنا كذَّب الله ﷻ هؤلاء الكفار بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾، أي: ولقد أتوا لما قالوا هذه المقولة بمنكرٍ من القول وزور وظلم، لقد ظلموا النبي ﷺ وبخسوه حقه، لما قالوا: إنه افترى هذا القرآن، فالنبي ﷺ الصادق المصدوق فكان من حقه أن يُشكر وأن

يُصدق، وأن يُؤمنوا به فبخسوه حقه وكذبوه وأتوا بميلٍ من القول عن الحق، فالزور الميل عن الحق إلى الباطل.

وكذا ظلموا هذا القرآن لكونهم وصفوه بأنه قول بشر، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ يعني: إلا كذب وبهتان ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلقه وتخرصه بقوله: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يعلم محمدًا هذا الذي يجيئنا به اليهود، فذلك قوله: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ يقول: وأعان محمدًا على هذا الإفك الذي افتراه يهود.

وقوله: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾ يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ ظلمًا، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد ﷺ. وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، والزور: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ كذبًا محضًا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾: أي: كذب، ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ يعنون النبي ﷺ، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ أي: واستعان على جمعه بقوم آخرين. قال الله تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾ أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا هم يعلمون أنه باطل،

ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون.

وصف الكفار للقرآن بأنه أساطير والردُّ عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال أيضًا أهل الكفر والجحود والشرك بالله، قالوا عن هذا القرآن: إنه حكايات وقصص وخرافات الأولين، يعنون الذين سبقوا ومضوا أمر محمد من يكتبها له وتُقرأ عليه غدوة وعشيًّا.

والظاهر - والله أعلم -: أن فريقًا من أهل الكفر قال عن القرآن: إنه إفك افتراه محمد ﷺ، وفريق آخر منهم قالوا: إنه أساطير الأولين، ويحتمل أيضًا أن قائلي هذه المقولة وتلك هم صنف واحدٌ من الكفار.

فقل يا رسول الله لهؤلاء القائلين عن هذا القرآن: إنه كذب مفترى، ولهؤلاء القائلين: إنه أساطير الأولين اكتتبها، قل لهؤلاء وأولئك: كلا فليس هو بالإفك المفترى، وليس هو بأساطير الأولين، بل أنزله الله ﷻ الذي يعلم حقائق الأمور، ويعلم ما خفي في السموات والأرض، ويعلم ما أضمرته النفوس وأخفته الصدور إنه كان غفورًا رحيمًا، غفورًا لعباده التائبين والمذنبين والمفترين والمتقولين إن هم تابوا إليه واستغفروه، فتوبوا إلى الله واستغفروه ولا تفتروا بإمهاله لكم وترك تعذيبكم فإنه بكم رحيم إذا أمهلكم حتى تتوبوا وتُقلعوا عن غيّكم وضلالكم. والله أعلم. وبنحو هذا قال العلماء.

(18) أحمر
أسود

قال الطبري $:

فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله، الذين قالوا لهذا القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﷺ: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين، يعنون: أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتتبها محمد ﷺ من يهود، ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعنون بقوله: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ فهذه الأساطير تُقرأ عليه، من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأمللت ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ يقول: وتُملى عليه غدوة وعشيًّا.

وقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمدًا ﷺ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بل هو الحق، أنزله الربُّ الذي يعلم سرَّ من في السماوات ومن في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، ومُحصي ذلك على خلقه، ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم، وأضمروه في نفوسهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيتفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يُمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر.

وقال ابن كثير $:

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾يعنون: كتب الأوائل استحسنها ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: تُقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ أي: في أول النهار وآخره.

وهذا الكلام -لسخافته وكذبه وبهْته - كُلّ أحد يعلم بطلانه، فإنه قد عُلم بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله لم يكن يعاني شيئًا من

الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بُعِث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبِرَّه. فلما أكرمه الله بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، وَرَموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا ماذا يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون: ساحر، وتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: كذاب، قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾.

[الإسراء: ٤٨]

وقال تعالى في جواب ما عاندوا هاهنا وافتروا: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخبارًا حقًّا صدقًا مطابقًا للواقع في الخارج، ماضيًا ومستقبلًا ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾: دعاء لهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن رحمته واسعة، وأن حِلْمه عظيم، وأن من تاب إليه تاب عليه. فهؤلاء مع كذبهم وافترائهم وفجورهم وبهتهم وكفرهم وعنادهم، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا، يدعوهم إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى الإسلام والهدى كما قال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠]. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة!

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾.

وهذا القول منهم فيه عدة عظائم:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبرُّ الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.

ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علمًا بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وهم قد زعموا ذلك.

❁ ❁ ❁

(21) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ
مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ
يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨
ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩
تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا
١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا
مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا
وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ
ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾ [الفرقان: 7-16].

(22) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿كَنزٌ - جَنَّةٌ - إِن تَتَّبِعُونَ - مَّسْحُورًا - فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا - تَبَارَكَ - وَأَعْتَدْنَا - سَعِيرًا - تَغَيُّظًا - وَزَفِيرًا - أُلْقُوا مِنْهَا - دَعَوْا هُنَالِكَ - ثُبُورًا - وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كَنزٌ﴾	ذهب أو فضة
﴿جَنَّةٌ﴾	حديقة - بستان
﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾	ما تتبعون
﴿مَّسْحُورًا﴾	أصابه السحر (فجعله يخرِّف ويهذي)
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾	فلا يستطيعون الاهتداء إلى طريق الحق
﴿تَبَارَكَ﴾	تكاثر الخير الوارد منه - تقدس وتعاظم
﴿وَأَعْتَدْنَا﴾	أعددنا
﴿سَعِيرًا﴾	نارًا مستعرة
﴿تَغَيُّظًا﴾	غيظًا عليهم
﴿وَزَفِيرًا﴾	هواءً شديدًا يخرج منها
﴿أُلْقُوا مِنْهَا﴾	ألقوا فيها
﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾	دعوا عندئذٍ - سألوا الله عندها وفيها
﴿ثُبُورًا﴾	هلاكًا - تندمًا - خيبةً - تحسرًا
﴿وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾	وعدًا وعده الله عباده في الدنيا ويسألونه يوم القيامة أن يحققه لهم.

(23) أحمر
أسود

بشريَّة رسول الله ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الكفر الذين هم أهل الجحود، جحود وحدانية الله ﷻ، وهم أهل الشرك قالوا مُنفرين عن رسول الله ﷺ مالِ هذا الرسول يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق يبيع ويشتري كما نمشي نبيع ونشتري، فإن كان رسولًا من عند الله ﷻ فلمَ لم يُنزل معه ملك يؤيده في دعوته ويخبر الناس أن هذا مُنذر ورسول من عند الله حتى يصدقه الناس، أو يُلقى إليه من السماء كنزٌ من ذهب أو فضة حتى يتفرغ لدعوته ويكف عن البيع والشراء والمشي في الأسواق، أو تكون له حديقة عظيمة وبستان عظيم يجعله الله له ليأكل منه بدلًا من الخروج إلى السوق للبيع والشراء ثم تمادى أهل الظلم قائلين ما تتبعون يا أصحاب محمدٍ إلا رجلًا مسحورًا قد أصابه السحر فأثر على عقله وجعله يخرّف ويدعي الرسالة، فيقول تعالى مُصبرًا نبيه ﷺ ومُسليًا له ومطمئنًا، انظر إلى ضلال هؤلاء كيف ضربوا لك الأمثال فأرادوا معك ملكًا أو أرادوك مَلَكًا وأرادوا السماء أن تمطر عليك ذهبًا وفضة... إلى غير ذلك مما ذكروه، فضلوا عن الحق والصواب بذلك فلا يستطيعون اهتداء إلى الحق ولو فكروا وأمعنوا النظر وتأملوا وتدبروا لوجدوا أن

هذا القرآن الذي يتلوه رسول الله ﷺ بما فيه من الهدى والنور والآيات النيرات البينات أفضل من كل ما سألوه، فإن الآيات التي طلبوها وسألوها توشك أن تزول وتنتهي أما القرآن فمعجزة باقية، كما قال ﷺ: **«ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أُوتي من الآيات ما على مثله آمن البشر، إنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أنا أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**.

ويقول تعالى ردًّا على هؤلاء المشركين: ﴿تَبَارَكَ﴾ تقدس وتعاظم وتكاثر الخير الوارد من قبله ودام هذا الخير، تعاظم وتكاثر الخير الوارد من الله الذي إن شاء جعل لك خيرًا من كل ما ذكروه، جعل لك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك إن شاء في الدنيا قصورًا تسكنها، ولكن كل هذا الذي في الدنيا متاعٌ زائل، وذاهب. وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدًا ﷺ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يقول: هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقًا من السماء، فيكون معه منذرًا للناس، مصدقًا له على ما يقول، أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ يقول: أو يكون له بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

وقال $:

وبعد، فإن في قوله تعالى ذكره: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ دليلًا بينًا على أنهم إنما قالوا له: اطلب ذلك لنفسك، لتأكل أنت منه، لا نحن.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ ﴾ أيها القوم باتباعكم محمدًا ﴿إِلَّا رَجُلًا﴾ به سحر.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤوا طريق الهدى والرشاد، فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلًا إلى الحق، إلا فيما بعثتك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعني بـ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ التي في قوله: ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: خيرًا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد: هلا أوتيته وأنت لله رسول، ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له خيرًا مما قالوا، فقال: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

وقال آخرون: عنى بذلك المشي في الأسواق، والتماس المعاش.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ يعني بالقصور: البيوت المبنية.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا

(26) أحمر
أسود

دليل منهم، وإنما تعللوا بقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾، يعنون: كما نأكله، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، ﴿وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ﴾ أي: يتردد فيها وإليها طلبًا للتكسب والتجارة، ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ يقولون: هلا أنزل إليه ملك من عند الله، فيكون له شاهدًا على صِدْق ما يدَّعيه! وهذا كما قال فرعون: ﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣﴾ [الزخرف: ٥٣]. وكذلك قال هؤلاء على السواء، تشابهت قلوبهم؛ ولهذا قال: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ أي: علم كنز [يكون] ينفق منه، ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ أي: تسير معه حيث سار. وهذا كله سهل يسير على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك، وله الحجة البالغة ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨﴾.

قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ﴾ أي: جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك، من قولهم «ساحر، مسحور، مجنون، كذاب، شاعر» وكلها أقوال باطلة، كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَضَلُّواْ﴾ أي: عن طريق الهدى، ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩﴾ وذلك لأن كل من خرج عن الحق فإنه ضال حيثما توجه؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد، يُصَدّق بعضه بعضا.

ثم قال تعالى مخبرًا نبيه أنه لو شاء لآتاه خيرًا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠﴾.

قال مجاهد: يعني: في الدنيا، قال: وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرًا، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا

(27) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

سحر النبي ﷺ

س: هل ثبت أن النبي ﷺ سُحر؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ قد سُحر لكن هذا السحر لم يكن بالسحر المتعلق بتبليغ الشريعة، إنما كان متعلقًا بمسألة إتيان الأزواج وقد قدمت في سورة البقرة في مبحث السحر ما يفيد أن النبي ﷺ قد سُحر، وفيه أن عائشة قالت: «سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أن يفعل الشيء وما فعله...»[(1)].

❁ ❁ ❁

الجمع بين الآية والحديث

س: كيف الجمع بين ما ورد في سحر النبي ﷺ، وبين تكذيب الكفار القائلين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾؟

ج: معلوم - والله أعلم - أن السحر مراتب والرسول ﷺ بشر، يصاب بما يصاب به البشر ويبتلى بما يبتلى به البشر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، إلا أن الرسول ﷺ معصوم في تبليغه للشريعة والوحي.

فعلى ذلك، يجاب - والله أعلم - بأن نوع السحر الذي تأثر به النبي ﷺ إنما كان سحرًا يتعلق بأمره مع النساء حتى كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ولم يكن لهذا السحر تأثير على تبليغ الشريعة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(1) البخاري (5765، 5766)، ومسلم (2189).

(29) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الشرك والجحود والنكران ليسوا في حقيقة الأمر بمستنكرين عليك كونك تأكل الطعام وتمشى في الأسواق، ليس هذا هو أساس تكذيبهم بل أصل تكذيبهم أنهم ينكرون البعث كذا قال بعض أهل العلم.

ويبدو - والله أعلم - أن هناك وجهًا آخر حاصله أنهم لم يقتصروا على ردهم عليك بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق... إلى آخر ما ذكروه، وإنما فعلوا شيئًا آخر هو أعظم وارتكبوا جرمًا آخر هو أخطر، ألا وهو تكذيبهم بيوم القيامة، وقد أعددنا لمن كذب بيوم القيامة نارًا مستعرة عظيمة هائلة إذا رأت أهلها المكذبين بيوم القيامة من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وصوتًا عظيمًا للزفير، وهو الهواء الشديد الذي يخرج منها.

هذا، وإن كان صوت التغيظ لا يسمع إلا أن الله سبحانه وتعالى يجعل صوت تغيظها يُسمع.

هذا، وإذا أُلقوا فيها فإنهم يُلقون في أماكن ضيقة شديدة الضيق، ويلقون مقرنين مقيدين.

قيل: ضُمَّت أيديهم إلى رقابهم وربطت معها.

وقيل: قُرن كل شخص مع قرينه، أي رُبط كل شخص مع شيطانه الذي أضله في الدنيا.

وقيل: ربط (قيِّد) كل شخص مع قرينه من بني آدم الذين كانوا على

شاكلته.

فإذا أُلقوا فيها على هذه الحال - والعياذ بالله - ألقوا مقترنين ومقرنين في نارٍ عظيمة هائلة صوتها مزعج هائل، يلقون وقد ربطت أيديهم إلى رقابهم وقد ربطوا مع بعضهم ومع شياطينهم، ألقوا في أماكن ضيقة شديدة الضيق، فعياذًا بالله نارٌ وقيودٌ وضيق مكان!!!

نارٌ، وأي نارٍ، نارٌ عظيمة هائلة!!!

وقيود شديدة!!!

وأماكن شديدة الضيق!!!

فعندها ماذا يقولون؟!! وماذا يصنعون؟!!

إنهم عند ذلك يدعون على أنفسهم بالموت والهلاك يدعون على أنفسهم متندمين مُتحسرين متأسفين على عدم طاعتهم في الدنيا، فيقال لهم: لا تدعوا على أنفسكم بالهلاك مرة واحدة، بل ادعو مرات ومرات، وتندموا مرات ومرات، وتحسروا مرات ومرات.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ما كذب هؤلاء المشركون بالله، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبًا منهم بالقيامة، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ يقول: وأعددنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة، نارًا تسعر عليهم وتتقد ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، يقول: إذا رأت

(31) أحمر
أسود

هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد، تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتفور، يقال: فلان تغيظ على فلان، وذلك إذ غضب عليه، فغلى صدره من الغضب عليه، وتبين في كلامه، ﴿وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾، وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ والتغيظ لا يسمع، قيل معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد.

وقال تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا ألقي هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانًا ضيقًا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الثبور، فقال بعضهم: هو الويل.

وقال آخرون: الثبور: الهلاك.

قال الطبري $:

والثبور في كلام العرب: أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه:

ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا، والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندامتاه، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي: هلكة،

(32) أحمر
أسود

ويقول: هو مصدر من ثبر الرجل أي: أهلك، ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعرى:

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وقوله: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ﴾ أيها المشركون ندمًا واحدًا: أي مرة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرًا. وإنما قيل: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ لأن الثبور مصدر؛ والمصادر لا تجمع، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها، كما يقال: قعد قعودا طويلا وأكل أكلًا كثيرًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ أي: إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيبًا وعنادًا، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرًا واسترشادًا، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: وأرصدنا ﴿لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ أي: عذابًا أليمًا حارًّا لا يُطاق في نار جهنم.

وقال الثوري، عن سلمة بن كُهَيْل، عن سعيد بن جبير: (السَّعِير): وادٍ من قيح جهنم.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي: جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: في مقام المحشر. قال السدي: من مسيرة مائة عام ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ أي: حنقًا عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧، ٨] أي: يكاد ينفصل بعضها من بعض؛ من شدة غيظها على من كفر بالله.

وقال $:

وقوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قال أبو صالح: يعني مكتفين: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي: بالويل والحسرة والخيبة. ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

وقال $:

والأظهر: أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار، كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢] أي: هالكًا.

وقال عبد الله بن الزبَعْرى:

إذْ أجَاري الشَّيطانَ في سَنَن الغـ ـــي، وَمَــنْ مَــالَ مَيْلَــهُ مَثْبُــورُ

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن النار يوم القيامة، إذا رأت الكفار ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: في عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها، وسمعوا زفيرها.

وما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة بين بعضه في سورة الملك، فأوضح فيها شدة غيظها على من كفر بربها، وأنهم يسمعون لها أيضًا شهيقًا مع الزفير الذي ذكره في آية الفرقان هذه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: يكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها، على من كفر بالله تعالى.

وللعلماء أقوال في معنى الزفير والشهيق، وأقربها أنهما يمثلهما معًا صوت الحمار في نهيقه، فأوله زفير، وآخره الذي يردده في صدره شهيق.

والأظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ أي: سمعوا غليانها من شدة غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب

(34) أحمر
أسود

عربي معروف. وقال بعض أهل العلم: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ أي: أدركوه، والإدراك يشمل الرؤية والسمع، وعلى هذا فالسمع مضمن معنى الإدراك، وما ذكرنا أظهر.

وقال القرطبي: «قيل المعنى: إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم»، ثم ذكر في آخر كلامه أن هذا القول هو الأصح.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

مسألة

اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله هنا: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ورؤيتها إياهم من مكان بعيد، تدل على حدة بصرها كما لا يخفى، كما أن النار تتكلم كما صرح الله به في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة، وكحديث اشتكائها إلى ربها، فأذن لها في نفسين، ونحو ذلك، ويكفي في ذلك أن الله جلَّ وعلا صرح في هذه الآية، أنها تراهم وأن لها تغيظًا على الكفار، وأنها تقول: هل من مزيد.

واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم، من المنتسبين للعلم من أن النار لا تبصر، ولا تتكلم، ولا تغتاظ. وأن ذلك كله من قبيل المجاز، أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها كله باطل ولا معول عليه لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند، والحق هو ما ذكرنا.

وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أن النصوص من الكتاب والسنة، لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه، كما

(35) أحمر
أسود

هو معلوم في محله.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: وقت عذابهم وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان وتزاحم السكان وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان النحس وحبسوا في أشر حبس ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾ دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله، بل يقال لهم: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ أي: لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين الذين أعددت لهم سعيرًا يسمعون لها تغيظًا وزفيرًا، الذين يلقون مقرنين في السعير داعين على أنفسهم بالويل والخيبة والحسرة والهلاك، قل لهم: أذلك الذي ذكرته لكم من الوعيد لأهل الكفر والإجرام خيرٌ أم جنة الخلد التي لا تزول ولا تفنى ولا يتحول عنها أهلها بحال ولا يموتون فيها خير، أجنة الخلد خيرٌ أم العذاب الذي أعدَّ لكم.

إن جنة الخلد وعدها الله المتقين الذين اتقوا الشرك بالله والكفر به

وطرائق المجرمين، أعد الله ﷻ جنة الخلد لأهل التقى جزاء لهم على ما أطاعوه وعبدوه ووحدوه ومصيرًا يصيرون إليه بعد مماتهم لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم خالدين في النعيم المقيم كان على ربك وعدًا وعده الله العباد المؤمنين وسيسألون ربهم يوم القيامة عن إنجازه، فرب العزة وعدهم في دنياهم جنات النعيم فيطلبون من الله يوم القيامة أن يحقق لهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا وينجزه لهم، كما كانوا في الدنيا يقولون: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤].

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته، وثواب تقواهم إياه، ومصيرًا لهم، يقول: ومصيرًا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ فيها، يقول: لابثين فيها ماكثين أبدًا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] يقول الله تبارك وتعالى: وكان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدًا

وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا، ومسألتهم إياه ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: يا محمد، هذا الذي وصفناه من حال هؤلاء الأشقياء، الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم، فتتلقاهم بوجه عبوس وبغيظ وزفير، ويُلقَون في أماكنها الضيقة مقرَّنين، لا يستطيعون حراكًا، ولا انتصارًا ولا فكاكًا مما هم فيه -: أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله للمتقين من عباده، التي أعدها لهم، وجعلها لهم جزاء على ما أطاعوه في الدنيا، وجعل مآلهم إليها.

﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ من الملاذ: من مآكل ومشارب، وملابس ومساكن، ومراكب ومناظر، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَر على قلب أحد. وهم في ذلك خالدون دائمًا أبدًا سرمدًا بلا انقطاع ولا زوال، ولا انقضاء، ولا يبغون عنها حوَلًا. وهذا من وَعْد الله الذي تفضل به عليهم، وأحسن به إليهم، ولهذا قال: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ أي لا بد أن يقع وأن يكون، كما حكاه أبو جعفر بن جرير، عن بعض علماء العربية أن معنى قوله: ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ أي: وعدًا واجبًا.

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء[1]، عن ابن عباس ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يقول: سلوا الذي واعدتكم -أو قال: واعدناكم- نُنْجِزْ.

وقال محمد بن كعب القُرَظي في قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾: إن الملائكة تسأل لهم ذلك: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ [غافر: ٨].

---

(1) عطاء هو الخراساني، ولم يسمع ابن عباس.

(38) أحمر
أسود

وقال أبو حازم: إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون: ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا. فذلك قوله: ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار، ثم التنبيه على حال أهل الجنة، كما ذكر تعالى في «سورة الصافات» حال أهل الجنة، وما فيها من النضرة والحبور، ثم قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات: ٦٢-٧٠].

وقال القرطبي $:

قال الكلبي: وعد الله المؤمنين الجنة جزاء على أعمالهم فسألوه ذلك الوعد فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] وهو معنى قول ابن عباس وقيل: إن الملائكة تسأل لهم الجنة دليله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨] الآية وهذا قول محمد بن كعب القرظي وقيل معنى ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ أي واجبًا وإن لم يكن يسأل كالدين حكي عن العرب: لأعطينك ألفًا وقيل: ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يعني أنه واجب لك فتسأله وقال زيد بن أسلم: سألوا الله الجنة في الدنيا ورغبوا إليه بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأعطاهم ما طلبوا وهذا يرجع إلى القوم الأول.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿لَّهُم فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ أي: يطلبون وتتعلق به أمانيهم ومشيئتهم، من المطاعم والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة والنساء الجميلات

(39) أحمر
أسود

والقصور العاليات والجنات والحدائق المرجحنة والفواكه التي تسر ناظريها وآكليها، من حسنها وتنوعها وكثرة أصنافها والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاءوا يصرفونها ويفجرونها أنهارًا من ماء غير آسن وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه وأنهارًا من خمر لذة للشاربين وأنهارًا من عسل مصفى وروائح طيبة، ومساكن مزخرفة، وأصوات شجية تأخذ من حسنها بالقلوب ومزاورة الإخوان، والتمتع بلقاء الأحباب، وأعلى من ذلك كله التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم وسماع كلامه، والحظوة بقربه والسعادة برضاه والأمن من سخطه واستمرار هذا النعيم ودوامه وزيادته على ممر الأوقات وتعاقب الآنات ﴿كَانَ﴾ دخولها والوصول إليها ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم، فأي الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين عمال دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخر يا أولي الألباب؟

لقد وضح الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنرجوك يا من قضيت على أقوام بالشقاء وأقوام بالسعادة أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء ونسألك المعافاة منها.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ فيه وجهان معروفان.

أحدهما: أن معنى كونه ﴿مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ أن المؤمنين كانوا يسألونه،

(40) أحمر
أسود

وكانت الملائكة أيضًا تسأله لهم، أما سؤال المسلمين له فقد ذكره تعالى: بقوله عنهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ وسؤال الملائكة لهم إياه ذكره تعالى أيضًا في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ الآية، وقال بعض العلماء: ﴿مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ أي: واجبًا لأن ما وعد الله به فهو واجب الوقوع، لأنه لا يخلف الميعاد، وهو جل وعلا يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه ويستأنس لهذا القول بلفظة (على) في قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال بعض أهل العلم: إن المسلمين يوم القيامة يقولون: قد فعلنا في دار الدنيا كل ما أمرتنا به فأنجز لنا ما وعدتنا، والقولان الأولان أقرب من هذا. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(41) أحمر
أسود

س: كيف قيل: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ ولا مقارنة بين أهل النار وأهل الجنة، ولا خيرية في أهل النار أصلًا؟

ج: أجاب بعض أهل العلم بما حاصله أن هذا من باب أفعل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤]، وكقول الصحابيات لعمر ﷺ: «أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ »، ولا فظاظة ولا غلظة في رسول الله ﷺ.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ إن قيل: كيف قال ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ولا خير في النار فالجواب أن سيبويه حكى عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة وقد علم أن السعادة أحب إليه وقيل: ليس هو من باب أفعل منك وإنما هو كقولك: عنده خير قال النحاس: وهذا قول حسن كما قال:

فشـــــركما لخيركمـــــا الفـــــداء

قيل: إنما قال ذلك لأن الجنة والنار قد دخلتا في باب المنازل فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلين وقيل: هو مردود علي قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الآية وقيل: هو مردود على قوله: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ وقيل: إنما قال ذلك على معنى علمكم واعتقادكم أيها الكفار وذلك أنهم لما كانوا يعملون عمل أهل النار صاروا كأنهم يقولون إن في النار خيرًا.

❁ ❁ ❁

(42) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ
عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن
نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ
وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ
صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ
فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ
بَصِيرٗا ٢٠ ﴾ [الفرقان: 17-20].

(43) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَحۡشُرُهُمۡ - أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي - ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ - سُبۡحَٰنَكَ - مِن دُونِكَ - أَوۡلِيَآءَ - نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ - بُورٗا - صَرۡفٗا - نَصۡرٗاۚ - وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾	يجمعهم يوم القيامة
﴿أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي﴾	صرفتم عبادي عن الحق إلى الباطل
﴿ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾	أخطأوا طريق الحق والصواب وحادوا عنه
﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾	تنزهت - تبرئة لك
﴿مِن دُونِكَ﴾	غيرك
﴿أَوۡلِيَآءَ﴾	أنصار
﴿نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾	تركوا العمل بالقرآن - تركوا ذكرك وطغوا وبغوا
﴿بُورٗا﴾	هلكى - لا خير فيهم
﴿صَرۡفٗا﴾	صرف العذاب وتحويله (عن أنفسهم وعن غيرهم)
﴿نَصۡرٗاۚ﴾	نصر أنفسهم
﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾	جعلنا بعضكم سببًا لانصراف بعض عن الدين والحق والصواب

❁ ❁ ❁

(44) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - واذكر يا رسول الله، واذكر أيها المؤمن، واذكروا جميعًا يوم يجمع الله ﷻ أهل الكفر والشرك بالله، يجمعهم وآلهتهم التي عبدوها مع الله، وكذا يجمع عباد الملائكة مع الملائكة وعباد عزيرٍ مع عزيز وعباد عيسى عليه السلام مع عيسى فيقول للمعبودين الذين عُبدوا من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء، أأنتم صرفتم عبادي هؤلاء الذين أشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا، أأنتم صرفتموهم عن عبادتي وحدي لا شريك لي إلى عبادة غيري؟! أم أنهم هم الذين سلكوا طريق الغواية وابتعدوا عن سبيل الهدى والرشاد؟؟

فعندها قالت الملائكة وعُموم من عُبد من دون الله: تنزهت يا ربنا عن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد، تنزهت يا ربنا عن كل ما لا يليق بك، تبرئة لك يا ربنا عن كل شيء وصفك به واصف مما لا يليق بك، ما كان ينبغي لنا، وليس من شأننا ولا من حقنا ولا يليق بنا أن نتخذ وليًا غيرك يتولانا أو ناصرًا غيرك ينصرنا، أو أحدًا من عبادك يعبدنا فيا ربنا ما دعوناهم أبدًا إلى عبادتنا بل دعوناهم إلى عبادتك وحدك لا شريك لك، وذلك كما قال عيسى عليه السلام إذ سأله ربه ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ

قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ عِيدًا ..﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

وكذا كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

ثم يقول من عُبد من دون الله - بعد أن قال ما حاصله يا ربنا ما أمرناهم بعبادتنا بل بعبادتك وحدك لا شريك لك -: ولكن يا ربنا لما تفضَّلت عليهم وأنعمت عليهم وعلى آبائهم بنعمك وعظيم آلائك ما شكروك بل طغوا وبغوا لما أنعمت عليهم.

وحملهم النعيم الذي هم فيه على ترك العمل بالقرآن، وعلى ترك ذِكرك وتوحيدك إلى الشرك بك وكانوا قومًا هلكى لا خير منهم يُرجى، ولا صلاح منهم يؤمَّل.

ثم يرجع الكلام إلى هؤلاء المشركين فيقول الله لهم: فها أنتم يا أهل الشرك هؤلاء قد كُذِّبتم، وقد كذبتكم الآلهة التي عبدتموها من دوني، كذبوكم في دعواكم أنهم أضلوكم فالآن، وقد وقع القول وحق القول لا تستطيعون صرف العذاب عن أنفسكم، ولا نصر أنفسكم فليس لكم ناصر ينصركم ولا تستطيعون نصر أنفسكم ولا صرف العذاب عنها، وها نحن في الدنيا نحذركم إنه من يشرك بالله منكم نذقه عذابًا شديدًا، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن.

(46) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقـول: فيقـول الله للـذين كـان هؤلاء المشركون يعبـدونهم مـن دون الله: أأنـتم أضـللتم عبـادي هـؤلاء؟! يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلـى الغـي والضـلالة حتى تاهوا وهلكوا، أم هم ضلوا السبيل، يقول: أم عبادي هم الذين ضـلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب.

وقال $:

يقـول تعـالى ذكـره: قالـت الملائكـة الـذين كـان هـؤلاء المشـركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهًـا لـك يـا ربنـا، وتبرئـة ممـا أضـاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخـذ مـن دونـك مـن أوليـاء نواليهم، أنت ولينـا مـن دونهـم، ولكـن متعـتهم بالمـال يـا ربنـا فـي الـدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر وكـانوا قومًـا هلكـى، قـد غلـب علـيهم الشـقاء والخذلان.

وقال $:

واختلفت القراء في قـراءة قولـه: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿نَّتَّخِذَ﴾ بفتح النون سوى الحسن ويزيـد بـن القعقاع، فإنهما قرآه: ﴿**أن نُتخـذ**﴾ بضـم النـون. فـذهب الـذين فتحوهـا إلـى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى، ومن عبـد مـن دون الله من المؤمنين، هم الذين تبرءوا أن يكون كان لهم ولي غيـر الله تعـالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضم النون، فإنهم وجهوا معنـى الكـلام إلـى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرءوا إلى الله أن يكـون كـان لهـم أن يعبـدوا من دون الله جلَّ ثناؤه، كما أخبر الله عن عيسى، أنـه قـال إذا قيـل: ﴿ءَأَنتَ

قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ ...﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧].

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون، لِعِلَلٍ ثلاث، إحداهن: إجماع من القراء عليها. والثانية: أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرءوا إلى الله من ولايتهم، فقالوا لربهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ [سبأ: ٤١] فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل «من» هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء، ولا تدخلها في الأخبار، لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل، وإنما يقولون: ما رأيت من أحد، وما عندي من رجل، وقد دخلت ها هنا في الأولياء، وهي في موضع الخبر، ولو لم تكن فيها «من» كان وجهًا حسنًا. وأما البور: فمصدر واحد وجمع للبائر، يقال: أصبحت منازلهم بورًا: أي خالية لا شيء فيها، ومنه قولهم: بارت السوق وبار الطعام إذا خلا من الطلاب والمشتري، فلم يكن له طالب، فصار كالشيء الهالك.

وقد قيل: إن بور: مصدر، كالعدل والزور والقطع، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة؛ لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ

(48) أحمر
أسود

صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ ما يلي:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون، يعني بقولكم، يقول: كذبوكم بكذبكم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ قال: كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به، وكذب هؤلاء.

قال الطبري:

وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ﴾ قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا، ولا أن ينتصروا قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون، قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده، وقال العابدون من دون الله: لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الصافات: ٢٦]، وقرأ قول الله جلَّ ثناؤه ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٩].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ ﴾ أيها المؤمنون-

يعني بقوله: ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ ومن يشرك بالله فيظلم نفسه، فذلك نذقه عذابًا كبيرًا كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عما يَقَع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم مَن عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. قال مجاهد: عيسى، والعُزَير، والملائكة. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي: فيقول الرب تبارك وتعالى: أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية؛ [المائدة: ١١٦-١١٧] ولهذا قال تعالى مخبرًا عما يُجيب به المعبودون يوم القيامة: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ قرأ الأكثرون بفتح «النون» من قوله: ﴿نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]. وقرأ آخرون: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا، فإنا عبيد لك، فقراء إليك. وهي قريبة المعنى من الأولى.

(50) أحمر
أسود

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ أي: طال عليهم العمر حتى نَسُوا الذكر، أي: نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك.

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ قال ابن عباس: أي هلكى. وقال الحسن البصري، ومالك عن الزهري: أي لا خير فيهم. وقال ابن الزبعرى حين أسلم:

يا رَسُولَ المَليك إنّ لسَاني ... رَاتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ
إذْ أجاري الشَّيطَانَ في سَنَن الغـ ... ـي، وَمَن مالَ مَيْلَه مَثْبُورُ

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي: فقد كذبكم الذين عَبَدْتُم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء، وأنكم اتخذتموهم قربانًا يقربونكم إليه زلفى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ أي: لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم، ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾ أي: يشرك بالله، ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

وقال القرطبي $:

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي في الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي تركوا ذكرك فأشركوا بك بطرًا وجهلًا فعبدونا من غير أن أمرناهم بذلك وفي الذكر قولان: أحدهما: القرآن المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد الثاني: الشكر على الإحسان إليهم والإنعام عليهم إنهم ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ أي: هلكى قاله ابن عباس مأخوذ من البوار وهو الهلاك.

(51) أحمر
أسود

وقال $:

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: يقول الله تعالى عند تبري المعبودين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: في قولكم إنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني الآلهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم وقيل: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ من الله وقال ابن زيد: المعنى فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد وعلى هذا فمعنى ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بما تقولون من الحق وقال أبو عبيد: المعنى فما تقولون فيما يستطيعون لكم صرفًا عن الحق الذي هداكم الله إليه ولا نصرا لأنفسهم مما يزيل بهم من العذاب بتكذيبهم إياكم.

وقال $:

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ قال ابن عباس: من يشرك منكم ثم مات عليه ﴿نُذِقْهُ﴾ أي: في الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ أي: شديدًا كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤] أي: شديدًا.

❁ ❁ ❁

النعم كثيرًا ما تُطغي بني آدم

س: المتاع الدنيوي الزائد يطغي أهله. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿... وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [فصلت: ٥١].

(52) أحمر
أسود

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ **[الزمر: ٨]**.

وقوله تعالى: ﴿... فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ **[الحديد: ١٦]**.

قيل في تفسيرها: فطال عليهم الأمد في النعيم والعافية فتسربت القسوة إلى قلوبهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾.

ج: هذا - والله أعلم - ردٌّ على المشركين الذين قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ...﴾ **[الفرقان: ٧]**، يُقال لهم: إن كل رسولٍ أُرسل قبل رسول الله محمد ﷺ كل المرسلين كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، شأنهم شأن سائر البشر في التماس أسباب الرزق، وجعلنا بعضكم أيها البشر فتنة لبعض ينصرف كثيرون بسببهم عن الدين أتصبرون على قضاء الله وقسمته وقدره أم لا؟ وكان ربك يا رسول الله بصيرًا بما تصنعه ويصنعه قومك.

هذا، ومن صور هذه الفتنة، إذ الله قال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ أن أهل الكفر من الكبراء والأثرياء والوجهاء قالوا - وقد نظروا إلى أتباع النبي ﷺ فإذا هم الفقراء والضعفاء- فقالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ **[الأنعام: ٥٣]**.

فتركوا الإيمان لكون الفقراء آمنوا، فهكذا افتتن الكبراء بالفقراء.

وكذا كان الكبراء هم الآخرون سببًا لفتنة الضعفاء، وذلك بحملهم على الكفر وتهديدهم إن هم آمنوا.

وهكذا يطرد افتتنان البشر ببعضهم البعض فترى الفتاة الجميلة

الحسناء فتنة للدميمة والدميمة فتنة للجميلة.

وذلك أن الدميمة تعترض على القدر قائلة: لماذا خلقني الله دميمة وخلقها جميلة؟!! فتتسخط الأقدار وكذا الجميلة تزدري الدميمة وتحتقرها فتصرف عن الخير والحق بسببها.

والعالم فتنة للجاهل، والجاهل فتنة للعالم.

العالم يزدري الجاهل فيضرُّ في دينه.

والجاهل يعترض على القدر بجهله.

والقوي فتنة للضعيف والضعيف فتنة للقوي وذو المنصف فتنة للوضيع، والوضيع له فتنة، والغني فتنة للفقير، والفقير له فتنة وهكذا، يفتن كثيرون ببعضهم البعض، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾ [التغابن: ١٥]، وهكذا الزوج قد يتسبب في فتنة زوجته وهي الأخرى قد تتسبب في فتنته.

أما قوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ فحثٌّ على الصبر وعلى الرضا بقضاء الله، وعلى التسليم له سبحانه، عدم التسخط على أقداره وقضائه، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: كان ربك بصيرًا بك بأعمالك وبأحوالك، بصيرًا بالعباد كذلك وما أجابوك به، والله أعلم.

قال الطبري $:

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وجواب لهم عنه يقول لهم جلَّ ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق؟! من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق،

(54) أحمر
أسود

وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فإن قال قائل: فإن «من» ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر «من» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عليه، كما اكتفي في قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] من إظهار «من»، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليبلغك الرسالة، فإنه ليبلغك الرسالة، صلة لمن.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبيًّا وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكًا وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى، وقسم له، وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمدًا الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه، لأني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير

منكم إلى اتباعه طمعًا في دنياه أن ينال منها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبد القدوس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾... الآية، يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرًا مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيًا مثل فلان، ويقول هذا السقيم: لوشاء الله لجعلني صحيحًا مثل فلان.

وقال $:

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن جميع مَنْ بعثه من الرسل المتقدمين: إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذي به ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله ﷺ. ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم مَن يُطيع ممن يعصي؛ ولهذا قال: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: بمن يستحق أن يوحى إليه، كما

(56) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به، ومن لا يستحق ذلك.

وأورد ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: **«يقول الله: إني مبتليك ومبتل بك»**(1).

قال القرطبي $ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه وأن يصبر كل واحد منهما على الحق كما قال الضحاك في معنى ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ أي: على الحق وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لم نعاف؟ والأعمى يقول: لم لم أجعل كالبصير؟ وهكذا صاحب كل آفة والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فالفتنة: أن يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ محذوف الجواب يعني أم لا تصبرون فيقضي جوابًا كما قاله المزني وقد أخرجته الفاقة فرأى خصيًّا في مراكب ومناكب فخطر بباله شيء فسمع من يقرأ الآية: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ فقال: بلى

(1) مسلم (2865).

ربنا! نصبر ونحتسب وقد تلا ابن القاسم صاحب مالك هذه الآية حين رأى أشهب بن عبد العزيز في مملكته عابرًا عليه ثم أجاب نفسه بقوله: سنصبر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ أي بكل امرئ وبمن يصبر أو يجزع ومن يؤمن ومن لا يؤمن وبمن أدى ما عليه من الحق ومن لا يؤدي وقيل: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي اصبروا مثل: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا فهو أمر النبي ﷺ بالصبر.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

وإذا علمت معنى كون بعضهم فتنة لبعض. فاعلم أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣] الآية. فيه فتنة أغنياء الكفار بفقراء المسلمين، حيث احتقروهم وازدروهم، وأنكروا أن يكون الله من عليهم دونهم لأنهم في زعمهم لفقرهم، ورثاثة حالهم، لا يمكن أن يرحمهم الله ويعطيهم من فضله الواسع كما قال تعالى عنهم إنهم قالوا فيهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] وقال: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] إلى غير ذلك من الآيات، وسيوبخهم الله يوم القيامة على احتقارهم لهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٢] وقوله تعالى: أتصبرون، أي على الحق أم لا تصبرون. والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(58) أحمر
أسود

س: كيف الجمع بين ما ورد عن رسول الله ﷺ من أن شر البقاع الأسواق، وبين كونه كان يمشي في الأسواق، وكذا المرسلون ؤ كانوا يمشون في الأسواق؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المساجد وصفت بأنها خير البقاع لكثرة ذِكر الله ﷻ فيها فضلًا عن إقامة الصلوات فيها وتلاوة القرآن، وأن الأسواق وصفت بأنها شر البقاع لما فيها من اللغو والأيمان الكاذبة والغش وغير ذلك ولكن دخول المرسلين فيها ليس لشيء من ذلك إنما للبيع والشراء، وكذا فإن ذكر الله لا يفارقهم ولا يعتريهم الغش ولا الكذب ولا التدليس ولا الأيمان الفاسدة، بل هم أسوة حسنة بذكرهم لله وحسن معاملاتهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما ورد في الأسواق.

ج: هنالك من الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾.

وأورد البخاري(1) عدة أحاديث في هذا الصدد، منها حديث أبي هريرة ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْق بِالْأَسْوَاقِ وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنْ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ».

(1) البخاري (2047).

وحديث(1):

عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ ﷺ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ؟**» قَالَ: نَعَمْ.

وحديث(2):

أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ.

وحديث(3):

ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ فَنَزَلَتْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ.

وحديث(4):

عَائِشَةُ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا**

---

(1) البخاري (2048).
(2) البخاري (2049).
(3) البخاري (2050).
(4) البخاري (2118).

(60) أحمر
أسود

بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»**.

وحديث(1):

أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**.

وحديث(2):

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي»**.

وحديث(3):

أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ.

---

(1) البخاري (2119).
(2) البخاري (2020).
(3) البخاري (2022).

(61) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ
ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ
فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ
مَقِيلٗا ٢٤ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ
ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ
يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا
خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ
لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان: 21-31].

(62) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وقال الذين لا يخافون لقاء الله ﷻ ولا يتوقعون حدوث يوم القيامة، من ثمَّ فكذبوا النبي ﷺ وأنكروا أن يكون القرآن من عند الله واستمروا في شركهم وكفرهم، قال هؤلاء: لو أنزل علينا الملائكة فيوحون إلينا كما أُوحي إليك يا محمد أو يشهدون لك بأنك رسول من عند الله فنسمع شهادتهم لك بذلك.

ويشهد للمعنيين المتقدمين قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾﴾ [المدثر: ٥٢]، أي: أن كل كافر يريد أن يكون رسولًا وينزل عليه وحيٌ وتنزل عليه كتب، ويشهد للمعنى الثاني قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢]، أي: تأتي بالله فنراه عيانًا ويشهد لك أنك رسولٌ من عنده ﷻ، وكذا نرى الملائكة عَيانًا فيشهدون لك.

قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ لقد ملأهم الكبر وجحد الحق وتجاوزا الحدَّ في الاستكبار والتعالي عن قبول الحق.

فقل لهؤلاء: إنهم يوم يرون الملائكة لن يُبشروا بخير، فالملائكة لا تنزل على أهل الشرك تبشرهم بخير إنما تبشر أهل الإيمان، أما هؤلاء فإذا جاءتهم الملائكة فإنها تأتيهم بالعذاب والعياذ بالله، كما أتت قوم لوطٍ،

(63) أحمر
أسود

وكما تأتي المحتضرين الذين يعاينون الموت بين يدي الموت كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، فهذا قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين، لن يبشروا بخيرٍ عند نزول الملائكة عليهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]، فالقائلون - عند جمهور المفسرين - هم الملائكة يقولون حرامًا محرمًا أن تبشروا بخيرٍ يا أهل الإجرام عند نزول الملائكة عليكم، بل تُبشروا بما يسؤوكم.

ثم يخبر الله ﷻ بأن أعمال أهل الكفر التي عملوها في دنياهم يتبررون بها كصلة الأرحام وإكرام الضيف والإحسان إلى المساكين كل ذلك يُبطله الشرك بالله.

وكذا العبادات التي اجتهدوا فيها على طريقتهم، وهم بالله مشركون، كل ذلك ذهب باطلًا فضاع عليهم ولم ينتفعوا به وأصبح هباءً منثورًا، والمراد بالهباء المنثور ذرات الغبار التي تُرى مع شعاع الشمس إذا دخل الشعاع من فتحة من الفتحات إلى الغرفة يأتي شخص كي يمسكه بيده فلا يستطيع، وقيل: المراد بالهباء المنثور الماء المهراق.

والأول أشهر، والحاصل أن أهل الكفر لا ينتفعون بعمل عملوه في الدنيا من الأعمال التي يظنونها تقربهم إلى الله فقد أبطلها شركهم بالله ﷻ، وذهب الشرك بثوابها.

(64) أحمر
أسود

أمـــا قولـــه تعـــالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ فحاصل معناه - والله أعلم - أن أصحاب الجنة لا يأتي عليهم وقت القيلولة يوم القيامة إلا وقد استقروا في الجنة بفضل الله، أي أن يوم القيامة - ذلك اليوم الطويل الذي هو كألف سنة مما يعد الناس لا يأتي بطوله على المؤمنين ولكن لا يمر نصفه إلا وقد استقر المؤمنين في الجنة بإذن الله وبنحو ما ذكرنا في الآيات المتقدمة قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمدًا محق فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: ٩٠] ثم قال بعد: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢] يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم، وتعظموا، ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١] يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حده.

يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم يومئذ بخير ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرًا محجورًا، حرامًا محرمًا عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله; ومن الحجر قول المتلمس:

حنت إلى نخلة القصوى فقلت لها ... حجر حرام ألا تلك الدهاريس

(65) أحمر
أسود

ومنه قولهم: حجر القاضي على فلان، وحجر فلان على أهله؛ ومنه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه؛ ومنه قول الآخر.

فهممت أن ألقى إليها محجرا فلمثلها يلقى إليه المحجر

أي مثلها يركب منه المحرم.

واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ ومن قائلوه؟ فقال بعضهم: قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة.

وقال الطبري $:

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة.

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾; ومنه قول الراجز:

وقدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم وقالوا

(66) أحمر
أسود

إن دمـــــاءكم لنـــــا حـــــلال

يعني بقوله: قدم: عمد.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ يقول: فجعلناه باطلًا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان. والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارًا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل.

وقال آخرون: بل هو ما تسفيه الرياح من التراب، وتذروه من حطام الأشجار، ونحو ذلك.

وقال آخرون: هو الماء المهراق.

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًّا، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا، وأحسن منهم فيها مقيلًا.

فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة، فيقال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قرارًا في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكـــر

أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

وإنما قلنا: معنى ذلك: خير مستقرًّا في الجنة منهم في الدنيا، لأن الله

(67) أحمر
أسود

تعالى ذكره عم بقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها، والقائلة من جميع أحوال أهل النار، ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا، ولا في الدنيا دون الآخرة، فالواجب أن يعم كما عم ربنا جلَّ ثناؤه، فيقال: أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرًا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة، وأحسن منهم مقيلا وإذا كان ذلك معناه، صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم: هذا خير من هذا، وهذا أحسن من هذا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن تَعَنُّت الكفار في كفرهم، وعنادهم في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: بالرسالة كما نزل على الأنبياء، كما أخبر عنهم تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ويحتمل أن يكون مرادهم هاهنا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فنراهم عيانًا، فيخبرونا أن محمدًا رسول الله، كقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢]. وقد تقدم تفسيرها في سورة «سبحان»؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾. وقد قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرون الملائكة لا بشرى

(68) أحمر
أسود

يومئذ لهم، وذلك يَصْدُق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سَموم وحَميم، وظلٍّ من يحموم. فتأبى الخروج وتتفرق في البدن، فيضربونه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]. وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب، ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم، فإنهم يبشرون بالخيرات، وحصول المسرات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: أن الملائكة تقول لروح المؤمن: «**اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان**».

وقد تقدم الحديث في سورة «إبراهيم» عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ يعني: يوم القيامة.

قاله مجاهد، والضحاك؛ وغيرهما.

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم، فإن الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: وتقول الملائكة للكافرين حَرَام محرم عليكم الفلاح اليوم.

وأصل «الحجر»: المنع، ومنه يقال: حَجَر القاضي على فلان، إذا منعه التصرف إما لسفَه، أو فَلَس، أو صغر، أو نحو ذلك. ومنه سمي «الحجْر» عند البيت الحرام؛ لأنه يمنع الطُّوَّاف أن يطوفوا فيه، وإنما يطاف من ورائه. ومنه يقال للعقل «حجر»؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق.

والغرض أن الضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عائد على الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، وهذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم- شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

(70) أحمر
أسود

قال مجاهد والثوري: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ أي: عمدنا.

وقال السدي: قدمنا: عمدنا. وبعضهم يقول: أتينا عليه.

وأورد ابن كثير أقوالًا في تفسير الهباء المنثور منها: الغبار الذي في شعاع الشمس، ومنها الماء المهراق، ومنها الرماد، **قال ابن كثير $:**

وحاصل هذه الأقوال التنبيهُ على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، إذا إنها لا شيء بالكلية. وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] وتقدم الكلام على تفسير ذلك، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠]؛ وذلك لأن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات، والغرفات الآمنات، فهم في مقام أمين، حسن المنظر، طيب المقام، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٦]، وأهل النار يصيرون إلى الدركات السافلات، والحسرات المتتابعات، وأنواع العذاب والعقوبات، ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٦] أي: بئس المنزل منظرًا وبئس المقيل مقامًا؛ ولهذا قال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: بما عملوه من الأعمال المتقبلة، نالوا ما نالوا، وصاروا إلى ما صاروا إليه، بخلاف أهل النار فإنه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار، فَنَبَّه -تعالى- بحال السعداء على حال الأشقياء، وأنه لا خير عندهم بالكلية، فقال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

قال الضحاك: عن ابن عباس: إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين، ويَقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين لا يرجون لقاء الله قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، و﴿لَوْلَآ﴾ في هذه الآية للتحضيض.

والمعنى أنهم طلبوا بحث وشدة أن تنزل عليهم الملائكة أو يرون ربهم، وهذا التعنت الذي ذكره الله عنهم هنا من طلبهم إنزال الملائكة عليهم، أو رؤيتهم ربهم ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٢]، وقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قيل: فتوحى إلينا كما أوحت إليك، وهذا القول يدل له قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٤] وقيل: لولا أنزل علينا الملائكة فنراهم عيانًا، وهذا يدل له قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢] أي: معاينة على القول بذلك، وقد قدمنا الأقوال في ذلك في سورة بني إسرائيل.

(72) أحمر
أسود

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ قال بعض العلماء: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون لقاءنا لعدم إيمانهم بالبعث. والرجاء يطلق على الخوف كما يطلق على الطمع. قال بعض العلماء: ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] قال أي: لا تخافون لله عظمة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

فقوله لم يرج لسعها: أي: لم يخف لسعها، وقال بعض أهل العلم: إطلاق الرجاء على الخوف لغة تهامة، وقال بعض العلماء: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يأملون، وعزاه القرطبي لابن شجرة وقال: ومنه قول الشاعر:

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

أي: أتأمل أمة إلخ. والذي لا يؤمن بالبعث لا يخاف لقاء الله، لأنه لا يصدق بالعذاب، ولا يأمل الخير من تلقائه، لأنه لا يؤمن بالثواب.

وقوله جلا وعلا: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أضمروا التكبر عن الحق في قلوبهم، واعتقدوه عنادًا وكفرًا، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي: تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان يقال: عتا علينا فلان: أي تجاوز الحد في ظلمنا، ووصفه تعالى عتوهم المذكور بالكبر، يدل على أنه بالغ في إفراطه، وأنهم بلغوا غاية الاستكبار، وأقصى العتو، وهذه الآية الكريمة تدل على أن تكذيب الرسل بعد دلالة المعجزات، ووضوح الحق وعنادهم والتعنت عليهم بطلب إنزال الملائكة، أو رؤية الله استكبار عن الحق عظيم وعتو كبير يستحق صاحبه النكال، والتقريع،

ولذا شدد الله النكير على من تعنت ذلك التعنت واستكبر عن قبول الحق كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾ الآية [النساء: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥]، واستدلال المعتزلة بهذه الآية، وأمثالها على أن رؤية الله مستحيلة استدلال باطل ومذهبهم والعياذ بالله من أكبر الضلال، وأعظم الباطل، وقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية: إن الله لا يرى قول باطل، وكلام فاسد.

والحق الذي لا شكَّ فيه: أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة كما تواترت به الأحاديث عن الصادق المصدوق ﷺ، ودلت عليه الآيات القرآنية منطوقًا ومفهومًا. كما أوضحناه في غير هذا الموضع.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار الذين طلبوا إنزال الملائكة عليهم، أنهم يوم يرون الملائكة لا بشرى لهم، أي: لا تسرهم رؤيتهم ولا تكون لهم في ذلك الوقت بشارة بخير، ورؤيتهم للملائكة تكون عند احتضارهم، وتكون يوم القيامة ولا بشرى لهم في رؤيتهم في كلا الوقتين.

أما رؤيتهم الملائكة عند حضور الموت فقد دلت آيات من كتاب الله أنهم لا بشارة لهم فيها لما يلاقون من العذاب من الملائكة عند الموت، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٧-٢٨]، وأما رؤيتهم الملائكة يوم القيامة فلا بشرى لهم فيها أيضًا، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - واذكر يوم تتشقق السماء وينزل منها الغمام، وقد قيل إن الغمام غمام أبيض مثل الغمام الذي ظُلل على بني إسرائيل، هذا وإذا تشققت السماء ونزل منها الغمام وتتنزل معه الملائكة، قال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠].

فعند ذلك فلا ينازع في كون الملك لله منازع، وإن كان الملك دائمًا لله، لكن في الدنيا قد يأتي شخص ويدعي أن لنفسه شيئًا من الملك، أما يوم القيامة فلا يدعي مُدعي ولا ينازع منازع.

بل الملك كله لله، قضاء الحق وقول الحق، وكان هذا اليوم يومًا شديدًا شاقًّا على الكافرين وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿تَشَقَّقُ﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز

(75) أحمر
أسود

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ بتشديد الشين بمعنى: تتشقق، فأدغموا إحدى التاءين في الشين فشددوها، كما قال: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٨].

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى.

والقول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: ويوم تشقق السماء عن الغمام. وقيل: إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل، وجعلت الباء، في قوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ مكان «عن» كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ يقول: ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلًا ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول: الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ يقول: وكان يوم تشقق السماء بالغمام يومًا على أهل الكفر بالله عسيرًا، يعني صعبًا شديدًا.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن هَول يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام، وهو ظُلَل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر. ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

(76) أحمر
أسود

ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]، وفي الصحيح(1): «**أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وقوله: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: شديدًا صعبًا؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٨-١٠]، فهذا حال الكافرين في هذا اليوم. وأما المؤمنون فكما قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ أي: واذكر يوم تشقق السماء بالغمام وقرأه عاصم والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وأبو عمرو: ﴿**تشقق**﴾ بتخفيف الشين وأصله تتشقق بتاءين فحذفوا الأولى تخفيفًا واختاره أبو عبيد الباقون (تشَّقَّقُ) بتشديد الشين على الإدغام واختاره أبو حاتم وكذلك في «ق»، ﴿بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ أي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما تقول: رميت بالقوس وعن القوس ورمي أن السماء تتشقق عن سحاب أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم فتنشق

(1) صحيح مسلم حديث (2788) من حديث عبد الله بن عمر ؓ وليس فيه: «أنا الديان».

(77) أحمر
أسود

السماء عنه وهو الذي قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من السموات ويأتي الرب جل وعز في الثمانية الذين يحملون العرش لفصل القضاء.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ مبتدأ و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ صفة له و﴿لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الخبر لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل مالك وملكه وبقي الملك الحق لله وحده ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦﴾ أي لما ينالهم من الأهوال ويلحقهم من الخزي والهوان وهو على المؤمنين أخف من صلاة مكتوبة على ما تقدم في الحديث وهذه الآية دالة عليه لأنه إذا كان على الكافرين عسيرًا فهو على المؤمنين يسير يقال: عَسِرَ يَعسَر وعَسُر يَعسُر.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، من فوق السماوات فتنفطر له السماوات وتشقق وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفًّا صفًّا، إما صفًّا واحدًا محيطًا بالخلائق، وإما كل سماء يكونون صفًّا ثم السماء التي تليها صفًّا وهكذا.

القصد أن الملائكة -على كثرتهم وقوتهم- ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصًا الذي بارز مالكه بالعظائم، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي

(78) أحمر
أسود

لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أنه أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه «الرحمن» الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتمَّ بها كل ناقص وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ سبب نزول؟

ج: أورد السيوطي في الدر المنثور من طريق سعيد بن جبير عن

(79) أحمر
أسود

ابن عباس ﷺ: «أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلًا حليمًا، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلًا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرًا فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه، فلم يرد عليه التحية فقال: ما لك؟ لا ترد عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ قال: أوقد فعلتها قريش؟! قال: نعم. قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه، وتبصق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم. ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البصاق، ثم التفت إليه فقال: **«إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا»**.

فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه، أبى أن يخرج فقال له أصحابه: اخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدْرَكَ، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين، وحلَّ به جَمَلُهُ في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: **«نعم. بما بصقت في وجهي»**، فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾».

وله وجه آخر عند عبد الرزاق[1] في «مصنفه» بسندٍ مرسل من

(1) وصحح السيوطي إسناده، وفي هذا التصحيح نظر، وقد أعله بعض أهل العلم.

(80) أحمر
أسود

طريق معمر عن مقسم مولى ابن عباس، قال معمر: وحدثني الزهري ببعضه قال: إن ابن أبي مُعَيط وأُبيّ بن خلف الجمحي التقيا، فقال عقبة بن أبي مُعَيط لأُبَيّ بن خلف، وكانا خليلين من الجاهلية، وكان أُبَيّ بن خلف أتى النبي ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فلما سمع ذلك عقبة قال: لا أرضى عنك حتى تأتي محمدًا فتتفُل في وجهه، وتشتمه وتُكَذِّبه، قال: فلم يُسَلِّطه الله على ذلك، فلما كان يوم بدر أُسِرَ عقبة بن أبي معيط في الأُسارى فأمر النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب أن يقتله، فقال: عقبة: يا محمد! مِنْ بين هؤلاء أُقتل؟

قال: **«نعم»**.

قال: لِمَ؟

قال: **«بكفرك، وفجورك، وعُتُوّك على الله ورسوله»**.

قال معمر: وقال مقسم: فبلغنا - والله أعلم - أنه قال: فمَن للصبية؟ قال: **«النار»**، قال: فقام إليه علي بن أبي طالب فضرب عنقه.

وأمَّا أُبَيّ بن خلف فقال: والله لأقتلنَّ محمدًا.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: **«بل أنا أقتله - إن شاء الله -»**، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺ إلى أُبَيّ بن خلف، فقيل: إنَّه لَمَّا قيل لمحمد ﷺ ما قلت، قال: **«بل أنا أقتله - إن شاء الله -»**، فأفزعه ذلك، وقال: أنْشُدُك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، فوقعت في نفسه؛ لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولًا إلا كان حقًّا، فلما كان يوم أُحد خرج أُبيّ بن خلف مع المشركين، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ﷺ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال

(81) أحمر
أسود

لأصحابه: «**خَلُّوا عنه**»، فأخذ الحربة فجزله بها - يقول: رماه بها - فيقع في ترقوته، تحت تسبغة البيضة، وفوق الدِّرع، فلم يخرج منه كبير دمٍ، واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه، حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقِه لقتلني، أليس قد قال: «**أنا أقتله - إن شاء الله -**»، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم، قال: فما لبث إلا يومًا أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾(1).

❁ ❁ ❁

ندم الكافر يوم القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله يوم القيامة عندما يجازى الناس بأعمالهم، اذكر يومها إذ يعض الظالم على يديه، وهي كلمة تذكر عن من وقع في أشد الندم والحسرة والأسى، يعض على يديه قائلًا: يا ليتني اتخذت مع رسول الله ﷺ في الدنيا طريقًا يوصلني إلى الجنة، يا ليتني سلكت معه الطريق الذي سلكه وسرت معه في الطريق الذي سار فيه واتبعته إلى ما دعاني إليه، يا ويلتي، يا ندمى، ويا أسفى،

---

(1) ولذلك وجوه أُخر بأسانيد أُخر فيها مقالات.
انظر أبا نعيم في «دلائل النبوة» (606/2)، والطبري (385/3)، وابن أبي حاتم (2683/8)، وتفسير عبد الرزاق (57/2) وغير ذلك.

(82) أحمر
أسود

ليتني لم أتخذ هذا الغاوي الذي أغواني خليلًا وصديقًا، ليتني تركته وابتعدت عنه، فقد أضلني صرفني عن الحق بعد وصول الحق إليَّ، أن أهتدي، فأضلني هذا الغوي المبين، ثم تحذير من الشيطان الذي أغوى بني آدم، ومن طرائقه، فيقول تعالى: إن الشيطان كان للإنسان خذولًا. يخذله عن اتباع الحق ويصرفه عنه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلًا يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله، وقوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾.

اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ وبقوله: ﴿فُلَانًا﴾ فقال بعضهم: عني بالظالم: عقبة بن أبي معيط، لأنه ارتد بعد إسلامه، طلبًا منه لرضا أبي بن خلف، وقالوا: فلان هو أُبيّ.

وقوله: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ يقول جل ثناؤه مخبرًا عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدني عنه، يقول الله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ يقول: مسلمًا لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا

﴿٢٧﴾: يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مرْية فيه، وسلك طريقًا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة نَدمَ حيثُ لا ينفعه النَدَمُ، وعضّ على يديه حسرةً وأسفًا.

وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي مُعَيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٦-٦٨] فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويَعَض على يديه قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ يعني: مَن صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، أو غيرهما.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ أي: بعد بلوغه إلي، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: يخذله عن الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه.

وقال القرطبي $:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي يقول هذا النادم: لقد أضلني من اتخذته في الدنيا خليلًا عن القرآن والإيمان به وقيل: ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: عن الرسول ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ قيل: هذا من قول الله لا من قول الظالم وتمام الكلام على هذا عند قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ والخذل: الترك من الإعانة ومنه خذلان إبليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة

(84) أحمر
أسود

سراقة بن مالك فلما رأى الملائكة تبرأ منهم وكل من صد عن سبيل الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان خذولًا عند نزول العذاب والبلاء.

❁ ❁ ❁

(85) أحمر
أسود

بعض الآثار السيئة لمجالسة الشريرين

س: اذكر بعض الآثار السيئة لمجالسة أهل الشر والفساد.

ج: لجلساء السوء خطرٌ عظيم فقد يصرفون الشخص عن دينه بالكلية ومن ثم يتردى في جهنم خالدًا فيها أبدًا والعياذ بالله، وقد يوقعونه في البدعة والكبيرة والمعصية، إلى غير ذلك من الشرور والآثام.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت: ٢٥].

وها هو رجل كان حليمًا(1) وتسبب صاحبه وخليله في إضلاله وإغوائه وفيه نزل: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وهذه مجالس نحس مستمر

تلك المجالس التي يقعد أهلها بكل صراطٍ يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجًا.

تلك المجالس التي شُغِل أهلها بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله فأصبحوا من الخاسرين.

مجالس اتبع أهلها من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا.

مجالس أهل الظلم وأهل الكفر، تلك التي تئول بأهلها إلى الجحيم والعياذ بالله.

---

(1) وانظر ما تقدم من أسباب النزول.

(86) أحمر
أسود

ها هم جلساء سوءٍ أردوا صاحبهم إلى الجحيم بعد أن كاد أن يُسلم، ألا وهو أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي كان ينافح عن الرسول ويدافع، فقد ذكر العلماء من أبياته التي كان ينافح بها عن رسول الله ﷺ هذه الأبيات(1):

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبزى محمدٌ ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وذكروا منها أيضًا قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب(2) دفينا

وذكروا أيضًا مقولته:

ودعوتني وعلمت أنك صادقٌ ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا(3)

فانظر إلى الضرر العظيم الذي ألحقه رفيق السوء أبو جهل بأبي طالب في «الصحيحين»(4) طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال:

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

فقال رسول الله ﷺ: «يا عم؛ قل: لا إله إلا الله. كلمةٌ أشهد لك بها عند

---

(1) البداية والنهاية (93/6).
(2) فتح الباري (194/7).
(3) فتح الباري (196/7).
(4) البخاري (حديث 3884)، ومسلم (حديث 24).

الله».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ؛ أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله؛ لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

وهرقل كاد أن يُسلم، وتمنى أن يكون عند رسول الله ﷺ يغسل التراب عن رجليه، ولكن قرناء السوء وخِلَّان الشر والفساد تسببوا في ضلاله لما آثر رغبتهم على ما عند الله ﷻ، فقد سأل هرقل أبا سفيان جملة من الأسئلة عن رسول الله ﷺ وعلم من أجوبتها ما يقطع بصحة نبوة رسول الله ﷺ، ومع ذلك ضل لما آثر مُلكه وآثر مجالسة حاشيته وبطانته وأن يبقى ملكًا عليهم ويرضون عنه، فكفر بذلك وخُذِل.

في «الصحيح»(1) من حديث أبي سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش.. فذكر الحديث وفيه أن هرقل قال له بعد جملةٍ من الأسئلة التي وجهها إليه وأجابه عليها أنه قال للترجمان:

قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن

(1) البخاري (حديث 7)، ومسلم ببعضه (حديث 1773).

(88) أحمر
أسود

لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يَتَأَسَّى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا، فقد أعرفه أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون،,كذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارجٌ لم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

فذكر الحديث وفيه:

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

وها هو جليس سوء كاد أن يُردي جليسه، ولكن الله سلَّم قال تعالى في شأن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

قال السعدي $ في تفسيرها:

لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. و﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟!!

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني. مازلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكرًا للبعث، حتى متنا، ثم بُعثنا. فوصلت أنا إلى ما ترون من النعيم الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك أنه قد وصل إلى العذاب.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورًا بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأي عين؟

(90) أحمر
أسود

والظاهر من حال أهل الجنة وسرور بعضهم ببعض وموافقة بعضهم على قرينه بعضًا أنهم أجابوه لما قال وذهبوا تبعًا لهم للطلاع على قرينه.

﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به.

﴿قَالَ﴾ له لائمًا على حاله، وشاكرًا لله على نعمته أن نجاه من كيده: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾ أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ على أن ثبتني على الإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ في العذاب معك.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩].

أي: يقوله المؤمن، مبتهجًا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة من العذاب; استفهام بمعنى الإثبات والتقرير.

وجلساء السوء يزينون لك الباطل ويحببونك فيه:

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢].

وجلساء السوء يصرفونك عن الخير ويزهدونك فيه قال تعالى:

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨﴾ [الأحزاب: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

وكذا فإنهم يشككونك فيما أنت عليه من الحق:

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ

وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢].

وهم - أعني جلساء السوء - أتباع للشيطان، والشيطان قد قعد لابن آدم عند طرق الخير يصرفه عنها ويصده عنها:

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **«إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلمْ وتذر دينكَ ودينَ آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه، فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟! وإنما مثلُ المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه، فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتُقاتل فتقتل فتنكحُ المرأة ويقسم المال؟! فعصاه، فجاهد»**، فقال رسول الله ﷺ: **«فمن فعل ذلك كان حقًّا على الله ﷻ أن يدخله الجنة ومن قُتل كان حقًّا على الله ﷻ أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًّا على الله أن يدخل الجنة»**(1).

وقد قال الشيطان لربه: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

فما من سبيل من سبل الخير إلا وعليه شيطان يصرف الناس عنه ويصد الناس عنه، شيطان إنس كان أو شيطان جن، ومن ثَمَّ قال نبي الله شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ

(1) النسائي (6/21-22)، وأحمد في المسند (3/483) وإسناده حسنٌ، وأشار بعض العلماء إلى اختلاف وقع في إسناده، انظر «الإصابة» ترجمة سبرة.

(92) أحمر
أسود

ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾ [الأعراف: ٤٥].

فإذا أقبل الشخص على الاستقامة وجد هناك من جلساء السوء من يُرَهِّبه منها ويثقِّلها عليه.

وإذا أقبل على الصدقة وجد هناك من يُزهده فيها ويبخله عن إخراجها.

وإذا أقبل على الحج يجد من يثبطه ويُسَوِف له، وهكذا جلساء السوء على الدوام أتباع للشياطين يصدون الناس عن الخير.

واحذر فإن من جلساء السوء:

دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها:

أخرج البخاري ومسلم(1) من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير. وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله؛ إنا كنا في جاهلية وشر. فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم. وفيه دخنٌ**»(2)، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قومٌ يستنونَ بغير سنتي. ويهدونَ بِغَيرِ هدْيي. تعرفُ منهمْ وتنكرُ**». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاةٌ على أبواب جهنم**(3) **من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فقلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا. قال: «**نعم، قومٌ من**

---

(1) البخاري (حديث 3606)، ومسلم (حديث 1847)، واللفظ له.

(2) الدخن: لون يميل إلى السواد، والمراد أن القلوب لا تصفو لبعضها ولا يزول خبثها كذا نقل عن النووي رحمه الله بمعناه.

(3) يدخل فيها الأمراء الذين يدعون إلى البدع والضلالات، ويدخل فيها علماء السوء الذين يدعون إلى ذلك أيضًا.

(93) أحمر
أسود

جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله؛ فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم**»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلَّها. ولو أن تعضَّ على أصل شجرةٍ، حتى يدركك الموتُ وأنتَ على ذلك**».

وجلساء السوء يُخَذِّلون أصحابهم في أشد المواطن التي يُحتاج فيها إلى ناصرٍ ومعين:

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر: ١١-١٢].

وها هو عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين ينسحب ويتخلى عن رسول الله ﷺ ومعه ما يقارب ثلث الجيش:

أخرج البخاري ومسلم(1) من حديث زيد بن ثابت **ق** لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه. وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقةٌ تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾ [النساء: ٨٨]، وقال: «**إنها طيبةٌ تنفي الذنوبَ، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة**».

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى - في «فتح الباري» في شرحه لهذا الحديث:

قوله: (رجع ناس ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه،

---

(1) البخاري (حديث 4050)، ومسلم (2776).

(94) أحمر
أسود

وقد ورد ذلك صريحًا في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج قال عبد الله بن أبي لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلث الناس. قال ابن إسحاق في روايته: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجيًّا كعبد الله بن أُبي فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال: أبعدكم الله.

وجلساء السوء يغررون بجلسائهم، ويمنونهم أماني كاذبة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣].

وأهل الغواية والزيغ والضلال يحبون لجلسائهم الغواية والزيغ والضلال كذلك حتى يكونوا أمثالهم:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ [القصص: ٦٣]

وقال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [النساء: ٢٧]

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي أحبوا نزول العنت بكم، ورغبوا في حلول المشقة بكم.

وقال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾. [النساء: ٨٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾.

[البقرة: ٢١٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فمن ثَمَّ فالزاني يحب أن يزني الناس كلهم.

وكذا السارق المحدود (الذي أقيم عليه الحد) يحب أن يسرق الناس كلهم.

وأيضًا فشربة الخمر (في الغالب) يحبون أن يشرب الناس كلهم وذلك حتى لا يمتازوا عليهم

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى - في كتاب «الاستقامة» بعد أن ذكر أمورًا:

وهذه الأمور مما تعظم بها المحنة على المؤمنين، فإنهم يحتاجون إلى شيئين: إلى دفع الفتنة التي ابتُلي بها نظراؤهم - من فتنة الدين والدنيا - عن نفوسهم مع قيام المقتضى لها، فإن معهم نفوسًا وشياطين، كما مع غيرهم.

فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوى المقتضى عندهم كما هو الواقع، فيقوى الداعي الذي في نفس الإنسان وشيطانه، ودواعي الخير كذلك، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير.

فكم من الناس لم يرد خيرًا ولا شرًّا حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.

ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له مثل من تبعه من الأجر والوزر.

(96) أحمر
أسود

كما قال النبي ﷺ: **«من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن يُنقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ سنةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»**(1).

وذلك لاشتراكهم في الحقيقة، وأن حكم الشيء حكم نظيره، وشبيه الشيء منجذب إليه.

فإذا كان هذان داعيين قويين، فكيف إذا انضم إليهما داعيان آخران؟!

وذلك أن كثيرًا من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم. وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة: من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفيهم. وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيرًا ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركهم في أمورهم وشهواتهم إما للمعاونة على ذلك، كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطاع الطريق ونحو ذلك، وإما لتلذذهم بالموافقة، كما في المجتمعين على شرب خمر مثلًا، فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم، إما لكراهتهم امتيازه عنهم بالخير: إما حسدًا له على ذلك، وإما لئلا يعلو عليهم بذلك ويُحمد دونهم، وإما لئلا يكون له عليهم حجة، وإما لخوفهم من معاقبته لهم

---

(1) أخرج مسلم (حديث 1017) من حديث جرير بن عبد الله قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، عليهم الصوف. فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجةٌ. فحث الناس على الصدقة، فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه.

قال: ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه. فقال رسول الله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها. ولا ينقص ذلك من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده كُتب عليه وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ»**.

بنفسه، أو بمن يرفع ذلك إليهم، ولئلا يكونوا تحت منته وحظره، ونحو ذلك من الأسباب.

قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]. وقال عثمان بن عفان ﷺ: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن».

والمشاركة قد يختارونها في نفس الفجور، كالاشتراك في شرب الخمر والكذب والاعتقاد الفاسد، وقد يختارونها في النوع الثاني: كالزاني الذي يود أن غيره يزني، أو السارق الذي يود أن غيره يسرق لكن في غير العين التي زنى بها أو سرقها.

وأما الداعي الثاني فقد يأمرون الشخص بمشاركتهم فيما هم عليه من المنكر؛ فإن شاركهم وإلا عادوه وآذوه على وجه قد ينتهي إلى حد الإكراه أو لا ينتهي إلى حد الإكراه.

ثم إن هؤلاء الذين يختارون مشاركة الغير لهم في قبيح فعلهم، أو يأمرونه بذلك ويستعينون به على ما يريدونه، متى شاركهم وعاونهم وأطاعهم انتقصوه واستخفوا به، وجعلوا ذلك حجة عليه في أمور أخرى، وإن لم يشاركهم عادوه وآذوه. وهذه حال غالب الظالمين القادرين.

وهذا الموجود في المنكر موجود نظيره في المعروف وأبلغ منه. كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فإن داعي الخير أقوى، فإن الإنسان فيه داعٍ يدعوه إلى الإيمان والعلم، والصدق والعدل وأداء الأمانة، فإذا وجد من يعمل مثل ذلك صار له داعٍ آخر، لا سيما إذا كان

نظيره، لا سيما مع المنافسة، وهذا محمود حسن.

فإن وجد من يحب موافقته على ذلك ومشاركته له من المؤمنين والصالحين، ومن يبغضه إذ لم يفعل ذلك، صار له داعٍ ثالث.

فإذا أمروه بذلك ووالوه على ذلك، وعادوه وعاقبوه على تركه، صار له داعٍ رابع.

ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات. وهذه أربعة أنواع.

ويؤمر أيضًا بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ **[العصر: ١-٣]**.

ومن صاحب أهل الشر والفساد
ناله كِفلٌ من عقوبتهم

فها هم قومٌ من أهل الإسلام بمكة خرجوا يُكثِّرون سواد المشركين على المسلمين يوم بدر فكان المسلمون الذي هم مع رسول الله ﷺ يرمي أحدهم بسهمه فيصيب أخاه الذي هو في صفوف أهل الشرك فيحزن المسلمون لذلك ويقولون قَتَلْنَا إخواننا فينزل قرآن يُرفع به الحرج عن المسلمين الذين هم مع رسول الله ﷺ ويتوعد به هؤلاء الذين خرجوا مع أهل الشرك.

(99) أحمر
أسود

أخرج البخاري [1] من حديث ابن عباس ﷺ أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل فأنزل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [2] [النساء: ٩٧].

وفي «الصحيح» [3] من حديث عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يغزو جيشٌ الكعبةَ فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم»**، قالت: قلتُ يا رسول الله: كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: **«يُخسف بأولهم وآخرهم ثمَّ يبعثون على نياتهم»**.

وفي «الصحيحين» [4] من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم»** [5].

---

(1) البخاري (حديث 4596).

(2) قال الحافظ ابن حجر $: واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

(3) البخاري (حديث 2118).

(4) البخاري (حديث 7108)، ومسلم (2879).

(5) قال الحافظ في «الفتح» (241/4): (قال المهلب في هذا الحديث: أن من كثَّر سواد قوم في المعصية مختارًا أن العقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية. فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: **«ويبعثون على نياتهم»**، وفي هذا الحديث: أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل

(100) أحمر
أسود

وأخرج مسلم[1] من حديث عائشة ف قال: عبث[2] رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله؟! فقال: «**العجبُ، إنَّ ناسًا من أمتي يؤمُّون بالبيت برجلٍ من قريشٍ قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم**»، فقلنا: يا رسول الله؛ إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: «**نعم، فيهم المستبصر[3] والمجبور[4] وابن السبيل[5]، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتَّى، يبعثهم الله على نياتهم**».

وأخرج البخاري ومسلم[6] من حديث زينب بنت جحش ف أن النبي

هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي ضرورة من البشرية؟ ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث.

وقال ابن التين: (يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: «إن ناسًا من أمتي»، والذين يهدمونها من كفار الحبشة، وأيضًا فمقتضى كلامه: أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر: أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها).

(1) مسلم (حديث 2884).

(2) عبث: أي اضطرب بجسمه أو حرك أطرافه وهو نائم.

(3) «المستبصر»: هو المستبين لذلك القاصد للمقاتلة.

(4) «المجبور»: هو المكره.

(5) «ابن السبيل»: المراد به هنا: سالك الطريق معهم وليس منهم.

قال النووي - رحمه الله -: (وفي هذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من =

= مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.

وفيه: أن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا).

قال النووي: (وبيداء المدينة): الشرف الذي قُدَّام ذي الحليفة، أي: إلى جهة مكة.

قلت: وقد تقدم أن البيداء هي كل أرض ملساء.

(6) البخاري (حديث 7059)، ومسلم (حديث 2880)، ونقل النووي عن الجمهور تفسير

(101) أحمر
أسود

ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «**لا إلـه إلا الله. ويـلٌ للعرب مـن شـر قـد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وعقد سفيان بيده عشرة.

قلت: يا رسول الله؛ أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد الله بقومٍ عذابًا، أصاب العذابُ من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم**»(1).

ثم إنا إذا نظرنا في أحوال أهل الشر عمومًا، ومن ابتلي منهم بسجنٍ مُوحشٍ مُظلم، ومن ارتكب جريمة أو اقترف إثمًا أو عق والدًا أو والدةً نجد من أعظم أسباب ما وقعوا فيه صديقًا شريرًا مُفسدًا، وقرينًا من قرناء الشر والسوء.

ومن جالس أهل الريب والشر والفساد استجلب طعن الناس فيه وأثار الشكوك حول نفسه:

أخرج البخاري ومسلم(2) من حديث عتبان بن مالك ﷺ وهو من أصحاب النبي ﷺ، ممن شهد بدرًا، من الأنصار - أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إني قد أنكرت بصري. وأنا أصلي لقومي. وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم. ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى فأتخذه

(الخبث) في الحديث بالفسق والفجور.

(1) مسلم (حديث 2879).

(2) البخاري (حديث 1186)، ومسلم (حديث 33).

(102) أحمر
أسود

مصلى. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«سأفعل إن شاء الله»**.

قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار. فاستأذن رسول الله ﷺ. فأذنت له. فلم يجلس حتى دخل البيت. ثم قال: **«أين تحب أن أصلِّي من بيتك؟»** قال: فأشرت إلى ناحية من البيت. فقام رسول الله ﷺ فكبر. فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم. قال وحبسناه على خزيرٍ (1) صنعناه له قال: فثاب رجالٌ من أهل الدار (2) حولنا. حتى اجتمع في البيت رجالٌ ذوو عددٍ. فقال قائلٌ منهم: أين مالك بن الدُّخْشُن؟ فقال بعضهم: ذلك منافقٌ لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريدُ بذلك وجه الله»**، قال: قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»**.

وقد سنَّ لنا أن ندفع الشبه والشكوك عن أنفسنا، ومن جالس أهل الشر والفساد لم يدفع الشبهة عن نفسه:

* أخرج البخاري ومسلم (3) من حديث صفية بنت حيي **ف** قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا. فأتيته أزوره ليلًا. فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد. فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا. فقال النبي ﷺ: **«على رسلكما إنها صفية بنت حيي»**، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: **«إن الشيطان**

(1) الخزير: لحم يقطع قطعًا صغيرة ثم يصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق.
(2) ثاب: أي اجتمع.
(3) البخاري (حديث 3281)، ومسلم (حديث 2175).

(103) أحمر
أسود

يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًّا» أو قال: «**شيئًا**».

* وعند مسلم(1) من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجلٌ فدعاه. فجاء. فقال: «**يا فلان! هذه زوجتي فلانة**»، فقال: يا رسول الله! من كنت أظن به، فلم أكن أظن بك. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**».

ومجالسة الأشرار تحمل على المنافسة في الشر.

وجليس السوء يقابلك بوجه، ومن خلفك بوجه آخر، يثني عليك في وجهك، ويطعن فيك من خلفك:

وفيه قول رسول الله ﷺ: «**تجدون من شرِّ الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(2) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

* **وقد قال تعالى:** ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]

* **وقال سبحانه:** ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة: ١٤].

وصديق السوء يخلفك في أهلك بشرٍّ وسوء.

ومجالسة الشريرين تحمل على التشبه بهم وتقليدهم في هديهم وعملهم:

---

(1) مسلم (حديث 2174).
(2) البخاري (حديث 3493)، ومسلم (2526).

(104) أحمر
أسود

ومن ثمَّ تقود هذه المشابهة إلى موافقة أخلاقهم وموافقتهم في معتقدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية $ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلًا - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

وقال شيخ الإسلام أيضًا[1]:

وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم - بل سائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط.

ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص، كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة الجنس البعيد مثلًا، فلا بد من نوع ما من المفاعلة.

ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة. وكذلك: الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل

---

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص487 فما بعدها.

(105) أحمر
أسود

الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمَّالون والبغَّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلَّابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين. هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام. والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضًا مناسبة وائتلافًا.

وإن بَعُد المكان والزمان فهذا أيضًا أمر محسوس؛ فمشابهتهم في أعيادهم- ولو بالقليل – وهو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط علق الحكم به، وأدير التحريم عليه، فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة. بل في نفس الاعتقادات وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، لو تفطن له، وكل ما كان سببًا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في

(106) أحمر
أسود

الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين.

وذاك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب ونحو ذلك - لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما. وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضًا، ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة: إما على الملك وإما على الدين.

وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء - وإن تباعدت ديارهم وممالكهم - بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض. وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه. إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

وبمجالسة السيئين والأشرار تستقل أعمالك السيئة وتتجرأ على المعاصي والكبائر:

فإذا تناول شخص سيجارةً فإنه قد يحزن ويتألم لكونه وسط قومٍ من أهل الصلاح لا يقتربون من تلك السجائر، بل ويتأذون برائحتها، أما إذا جالس قومًا يشربون الخمر فإنه يستقل تناول السجائر بالنسبة لصنيعهم.

* وكذا إذا قبَّل رجلٌ امرأة لا تحل له فإنه يندم ويستغفر، أما إذا جالس قومًا من الزناة واستمع إلى قصصهم وما يفعلون فإنه يستقل ما صنع بالنسبة لصنيعهم.

(107) أحمر
أسود

* ولذلك ففي «الصحيح»[1] عن حذيفة ﷺ قال: «إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

ولذا فإن من سلبيات السفر إلى بلاد الكفار أن الذاهب إليها إذا رجع إلى بلده ووجد منكرات في بلدته المسلمة فإنه يستقل ما يحدث في بلاده من منكرات بالنسبة إلى ما رآه من منكر في بلاد الكفر ومن ثمَّ يقل عنده وازع الإنكار ويضعف فيه وازع التغيير والإصلاح.

وجليس السوء يُذكرك بالمعاصي، وبواطن السوء:

ويُعرفك بالأشرار المفسدين ويضيع أوقاتك في الباطل ويشغلك عن ذكر الله وعن الصلاة.

وجليس السوء يحسدك على ما آتاك الله من الفضل ويتمنى زوال نعم الله عنك، بل ويسعى لذلك.

ومن أحب أهل الكفر والفسوق والعصيان حُشر معهم:

فكما قدمنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المرء مع من أحب**»[2].

والمجادلة عن جلساء السوء ذنبٌ يستغفر منه:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

---

(1) البخاري (حديث 6494).
(2) صحيح، وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

(108) أحمر
أسود

هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٩].

وقد ورد لهذه الآيات أسباب نزول ضعيفة الأسانيد نذكر منها فقط:

* ما أخرجه الطبري(1) من طريق قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر، وبَشِير، ومُبَشِّر، وكان بشير رجلًا منافقًا، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله إلى بعض العرب، ثم يقول: «قال فلان كذا»، و«قال فلان كذا»، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث! فقال:

أو كلما قال الرجال قصيدة أضموا وقالوا: ابن الأبيرق قالها؟!

قال: وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار، فقدمت ضافطة من الشأم بالدرمك، ابتاع الرجل منها فخصَّ به نفسه، فأما العيال، فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشأم، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح له: درعان وسيفاهما وما يصلحهما. فعُدِي عليه من تحت الليل، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح. فلما أصبح، أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذهب بسلاحنا وطعامنا! قال: فتحسَّسنا في الدار، وسألنا، فقيل

(1) الطبري (10416) وفي سنده محمد بن إسحاق مدلسٌ وقد عنعن، وفيه أيضًا عمر بن قتادة قال الحافظ فيه: مقبول.

لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نراه إلا على بعض طعامكم.

قال: وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل! رجلًا منا له صلاح وإسلام.

فلما سمع بذلك لبيد، اخترط سيفه ثم أتى بني أبيرق فقال: والله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عنَّا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها! فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له!

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاءٍ، عَمَدُوا إلى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: **«أَنْظُرُ في ذلك»**.

فلما سمع بذلك بنو أبيرق، أتوا رجلًا منهم يقال له: «أسير بن عروة»، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيّنةٍ ولا ثَبَتٍ.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: **«أعمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت؟!»** قال: فرجعت ولودِدْتُ أنِّي خرجت من بعض مالي ولم أكلِّم رسول الله ﷺ في ذلك. فأتيت عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

(110) أحمر
أسود

فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ يعني: بني أبيرق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ أي: مما قلت لقتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أي: بني أبيرق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ أي: إنهم إن يستغفروا الله يغفر لهم ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾ قولهم للبيد ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾ يعني: أسيرًا وأصحابه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء: ١٠٥-١١٤].

فلما نزل القرآن، أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردَّه إلى رفاعة.

قال قتادة: فلما أتيتُ عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عسا في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولًا، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، قال: فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا. فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة ابنة سعد بن شُهَيد، فأنزل الله فيه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٥-١١٦].

فلما نزل على سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت فرمت به في الإبطح، ثم قالت: أهديت إليّ شعر حسان! ما كنت تأتيني بخير!

والمُعرض عن الأصدقاء الصالحين تستهويه الشياطين وتحيط به وبمجلسه:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] أي تدفعهم إلى المعاصي دفعًا وتسوقهم إليها سوقًا.

وعداوة أهل الشر وجلساء السوء لبعضهم ثابتة يوم يقوم الأشهاد:

وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

*** ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم:** ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

*** وقال تعالى:** ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨].

*** وقال تعالى:** ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٤-١٠١].

وجليس السوء يتخلى عن صديقه يوم الحساب:

قال أهل الكفر: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

ومع أن الكافر يرى صديقه يوم القيامة لكن لا يملك له نصرًا، قال

تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠-١١].

أي مع أن الحميم يرى حميمه يوم القيامة ويبصره ويعرفه لكنه لا يسأله شيئًا إذ هو يعلم مسبقًا ما الجواب.

وأصدقاء السوء يتلاعنون في الآخرة:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهذه مجالس أيضًا ينبغي أن تُتقى وتُعتزل:

مجالس الباطل والشرك والزور والبهتان:

قال تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾.

[الفرقان: ٧٢]

في أحد الوجوه للمفسرين: لا يحضرون مجالس الشرك.

* فتلك المجالس التي يُشرك فيها بالله ﷻ، ويُدعى فيها غيره ويُعبد فيها من سواه، ويُطلب المدد والعون والغوث من غير الله، تلك مجالس يجب اعتزالها والبعد عنها، فلا يحل لأحدٍ أن يجلس فيها إلا كمُذكِّر يذكِّر ببطلانها، ويُذَكِّر بحقوق الله - سبحانه وتعالى - ويُحذر من الشرك به وتجاوز حدوده وانتهاك حرماته.

إن النبي ﷺ أتاه رجلٌ فقال: يا رسول الله إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: **«هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟»** قالوا: لا، قال: **«هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟»**، قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: **«أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»**(1).

وكذا فلتُتَّق مجالس البدع والخرافات والإحداث في الدين، وكذا مجالس الإثم والفسوق والعصيان:

تلك المجالس التي تُشرب فيها الخمور وتُنتهك فيها الأعراض، ويُستطال فيها على العباد فلا شك أن الجلوس في تلك المجالس لا يأتي بخير، فترى فيها ما يسوؤك وتسمع فيها ما لا يسرُّك.

وكذا فَلتتقِ مجالس المعازف والمزامير التي استحلها أقوام، ومجالس الغيبة والنميمة؛ تلك المجالس التي تؤكل فيها لحوم الميتة وتُلتهم فيها الجيف، وقد علم أهلها قول ربهم سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وكذا مواطن الفتن كالمسارح والملاهي والسينمات، وتلكم التجمعات التي تكتظ بالشر وتمتلئ بالمنكرات والموبقات، وتثمر ثمرًا خبيثًا في القلب والفؤاد، وتلوث الأسماع والأبصار.

وكذا فلتتق مجالس الجدل الذي لا فائدة فيه ولا طائل تحته:

وتلك المجالس التي يضيع أهلها أثمن وأغلى أوقاتهم سفاسف الأمور

---

(1) أبو داود (حديث 3313) وسنده صحيح وله شواهد. انظر سنن أبي داود (3314، 3315)، وابن ماجه (2131).

(114) أحمر
أسود

كمن يشجعون الكرة ويجادلون عن فريقٍ من الفرق ويخرجون من ذلك بصدورٍ موغَرَة، وقلوب قلقة مضطربة وعداوات لا سبب لها ولا حامل عليها إلا الطيش وخفة العقل وانهزام النفس واستزلال الشيطان.

ولتتقِ مجالس المترفي الفسقة، تلكم المجالس التي تورث الكبر والغرور وتحمل على الفسق والطغيان:

وتجعل الشخص دائم التطلع إلى ما في أيديهم - ومن ثم لا يقدم شكرًا لخالقه وبارئه ورازقه.

وأي شخصٍ يصرفُ عن طاعة الله ﷻ، وكذا أي مكان يصرف عن ذلك ينبغي أن يُهجر، وأن يُتقى ويبتعد عنه:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧﴾ [العنكبوت: ٥٦-٥٧].

فذكَّر الله سبحانه وتعالى بالموت حتى يهون فراق موطن المعصية وجليس السوء على كل عبدٍ مسلمٍ مؤمنٍ.

وكذا فلتتقِ المجالس التي يُثار فيها كلامٌ لا فائدة فيها:

فإن النبي ﷺ قد قال: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال...**»(1).

وقال عليه الصلاة والسلام كذلك: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(2).

وقد قال تعالى: ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ

(1) أخرجه البخاري (7292)، ومسلم (593، 1341).
(2) البخاري (حديث 6475)، ومسلم (حديث 47) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(115) أحمر
أسود

إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: **«من صمت نجا»**(1).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»**(2).

❁ ❁ ❁

(1) حسن: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (345)، وأحمد (158/3، 177).
(2) صحيح لشواهده: أخرجه الترمذي (2616)، وانظر شاهده عند الحاكم (286/4).

(116) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال الرسول ﷺ شاكيًا إلى ربِّه ﷻ صنيع المشركين وهجرانهم القرآن، ووصفهم له بأنه سحرٌ وكهانة وشعر وأساطير الأولين، وكذلك هجرهم لهم بتركهم الإيمان به والإنصات إليه، بل واستمرارهم في التشويش عليه إذ الله قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وكذا هجروه بتكذيبه وتركه، قال الرسول شاكيًا كل ذلك يا رب ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهذا على وصف الهجران بالذي ذكرت، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قول الرسول ﷺ إنما هو في الآخرة، يشهد على وقومه بأنهم هجروا القرآن، وقال آخرون - وهم الأكثر: إن ذلك في الدنيا، ولا يمنع أن يكون في الآخرة كذلك لقوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١]، أما قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾، فهو تصبير للنبي ﷺ، وتسليةٌ له فإن كنت كذبت يا رسول الله، فإخوانك المرسلون كذِّبوا هم الآخرون فاصبر كما صبروا، فلكل نبي عدوٌ من المجرمين.

أما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾﴾ أي: صبرًا فإن الله خير ناصرٍ وكفى به هاديًا ونصيرًا، فإن هداك فلا مضل لك، والحمد لله فإنه ﷻ قد هداك، وإن نصرك فلا غالب لك والحمد لله فقد نصرك ربك ﷻ. والله أعلم.

قال الطبري $:

(117) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه: يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورًا.

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورًا، فقال بعضهم: كان اتخاذهم ذلك هجرًا، قولهم فيه السيئ من القول، وزعمهم أنه سحر، وأنه شعر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له.

ذكر من قال ذلك:

ابن زيد في قول الله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ [الأنعام: ٢٦] قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وذلك هجرهم إياه.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه، فلم تخصص بذلك من بينهم. يقول: فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: وكفاك يا

(118) أحمر
أسود

محمد بربك هاديًا يهديك إلى الحق، ويبصرك الرشد، ونصيرًا: يقول: ناصرًا لك على أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصرك عليهم، فاصبر لأمري، وامض لتبليغ رسالتي إليهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ يريد محمدًا ﷺ يشكوهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ أي: قالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر عن مجاهد.

والنخعي وقيل: معنى ﴿مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ أي: متروكًا فعزاه الله تبارك وتعالى وسلاه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ أي كما جعلنا لك يا محمد عدوًّا من مشركي قومك وهو أبو جهل في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من مشركي قومه فاصبر لأمري كما صبروا فإني هاديك وناصرك على كل من ناوأك وقد قيل: إن قول الرسول ﴿يَٰرَبِّ﴾ إنما يقوله يوم القيامة أي هجروا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد -صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين -أنه قال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾، وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضًا من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه،

(119) أحمر
أسود

وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدولُ عنه إلى غيره -من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره -من هجرانه، فنسأل الله الكريمَ المنانَ القادرَ على ما يشاء، أن يخلّصنا مما يُسْخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما حصل لك -يا محمد - في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي: لمن اتبع رسوله، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة. وإنما قال: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن؛ لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن؛ فلهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(120) أحمر
أسود

(121) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ
فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ
تَفۡسِيرًا ٣٣ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ
هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ
تَدۡمِيرٗا ٣٦ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ
ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ
وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا
٣٩ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ
يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ٤٠ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا
هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا
لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ
سَبِيلًا ٤٢ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣
أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ
سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفرقان: 32-44].

(122) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ - وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا - بِمَثَلٍ - وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا - يُحْشَرُونَ - وَأَضَلُّ سَبِيلًا - ٱلْكِتَٰبَ - وَزِيرًا - وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ - تَبَّرْنَٰهُ تَتْبِيرًا - أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ - مَطَرَ ٱلسَّوْءِ - لَا يَرْجُونَ نُشُورًا - هُزُوًا - لَيُضِلُّنَا - صَبَرْنَا عَلَيْهَا - إِلَٰهَهُۥ - هَوَىٰهُ - وَكِيلًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	لنقوي به قلبك - لنقوي به عزيمتك - لنزيدك به طمأنينةً
﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾	بيَّناه تبيينًا - فسرناه تفسيرًا - أنزلناه مترسلًا شيئًا بعد شيء
﴿بِمَثَلٍ﴾	بقولٍ معارض لما تقوله بمثل يمثلون به حتى يردوا ما جئتهم
﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	أحسن تفصيلًا وبيانًا
﴿يُحْشَرُونَ﴾	يجمعون يوم القيامة
﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	أشد ابتعادًا عن طريق الحق والصواب
﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾	المراد به هنا التوراة
﴿وَزِيرًا﴾	معينًا - ظهيرًا
﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾	قيل: إنهم أهل قرية يقال لها الرس - وقيل: أصحاب بئر، وهي الرس
﴿تَبَّرْنَٰهُ تَتْبِيرًا﴾	دمرنا تدميرًا - أهلكنا إهلاكًا

(123) أحمر
أسود

﴿أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ﴾	مروا على القرية، والمراد قرية قوم لوط التي أهلكها الله بالحجارة وهي (سدوم)
﴿مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾	المطر السيئ وهو الحجارة التي أرسلت عليهم (حجارة من سجيل منضود)
﴿لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾	لا يخافون بعثًا من القبور - ولا يخافون الحساب يوم البعث
﴿هُزُوًا﴾	استهزاءً وسخريةً وازدراءً
﴿لَيُضِلُّنَا﴾	ليصرفنا
﴿صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾	تمسكنا بها وتثبتنا عليها
﴿إِلَٰهَهُۥ﴾	معبوده
﴿هَوَىٰهُ﴾	شهوته ومراده وما يهواه
﴿وَكِيلًا﴾	موكلًا به تهديه (بعد أن أضله الله) وتحفظه بعد أن أزاغه الله

❁ ❁ ❁

اعتراض الكفار على نزول القرآن مفرقا والرد عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقال أهل الكفر (من أهل الشرك بمكة وكذا اليهود وغيرهم) لولا أُنزل على محمد ﷺ القرآن جملة واحدة كما أُنزلت الألواح على موسى ع، فقل لهؤلاء هكذا أنزلناه مفرقًا مُنجمًا

(124) أحمر
أسود

بحسب الوقائع (على مدار ثلاث وعشرين سنة) لنطمئن به قلبك، فإذا حدثت نازلة ونزل فيها قرآن يُتلى اطمأن قلبك وقلب من اتبعوك، فتردن أن الله يدافع عنكم وتعلمون ذلك وتعلمون أن الله يبين لكم وينزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة لما في قلوبكم وصدوركم وفسرناه تفسيرًا وبيَّناه تبيينًا وأنزلناه مترسلًا شيئًا بعد شيءٍ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ يقول: هلا نزل على محمد ﷺ القرآن ﴿جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء؛ لنثبت به فؤادك نزلناه.

ويعني بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به.

وقوله: ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ يقول: وشيئًا بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبت.

وقال الطبري $:

وقال آخرون: معنى الترتيل: التفسير والتبيين.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ قال: فسرناه تفسيرًا، وقرأ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ **[المزمل: ٤]**.

❁ ❁ ❁

(125) أحمر
أسود

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ...﴾، وبين قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ...﴾ فمفادها أنه نزل مفرقًا وهو الواقع.

ج: الجمع - والله أعلم - بأن يقال إن ابتداء نزوله كان في ليلة القدر، تلك الليلة المباركة، ثم نزل شيئًا بعد شيء هذا وجهٌ، والوجه الثاني: أن يُقال إن القرآن نزل من عند الله إلى سماء الدنيا كله جملة واحدة في ليلة القدر، ثم نزل من سماء الدنيا على رسول الله ﷺ على مدار ثلاث وعشرين سنة، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم، وكلامهم فيما لا يعنيهم؛ حيث قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية. فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ ولهذا قال: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾. قال قتادة: وبيَّناه تبيينًا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيرًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولا يأتيك أهل الكفر بمثل من أمثلتهم كي

(126) أحمر
أسود

يطعنون به فيك وفي القرآن الذي أنزلته عليك إلا أنزلنا عليك بعد مثالهم هذا قرآنًا يُتلى فيه الحق والوضوح والسياق الأحسن والرد الأمثل على ما جاءوك به، أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾ فحاصل معناه: أن هؤلاء الذين يعارضون القرآن ويأتون بالأمثال الباطلة هم الضُّلال حقًّا، هؤلاء الذين يعارضون القرآن ويأتون بأمثالٍ باطلةٍ لرده وتكذيبه، يُحشرون يوم القيامة إلى النار على وجوههم، وينزلون أسوأ المنازل يوم القيامة، ألا وهو نار جهنم والعياذ بالله، فقد كانوا في الدنيا أضل الخَلْق عن طريق الحق والصواب. والله أعلم.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرًا.

وقال: وعني بقوله: ﴿وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانًا وتفصيلًا.

ثم قال الطبري $:

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: هؤلاء المشركون يا محمد، القائلون لك ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم، فيُساقون إلى جهنم شر مستقر في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة، وأضل منهم في الدنيا طريقًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحُجة وشبهة ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: ولا يقولون قولًا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصحُ من مقالتهم.

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: إلا نزل جبريل مِنَ الله بجوابهم.

ثم في هذا اعتناء كبير؛ لشرف الرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحًا ومساءً، ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجلُّ، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله وقد جمع الله تعالى للقرآن الصفتين معا، ففي الملإ الأعلى أُنزل جُملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك إلى الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ثم قال تعالى مخبرًا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم، في أسوإ الحالات وأقبح الصفات: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى

(128) أحمر
أسود

وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾، وفي الصحيح(1)، عن أنس: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «**إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة**».

وقال القرطبي $:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة، ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب به ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت. قال النحاس: وكان ذلك من علامات النبوة؛ لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبيٍّ فكان ذلك تثبيتًا لفؤاده وأفئدتهم ويدل على هذا ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله ﷻ أن الصلاح في إنزاله متفرقًا؛ لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ فكانوا يتعبدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله ﷻ فيه الصلاح، ثم ينزل النسخ بعد ذلك فمحال أن ينزل جملة واحدة: افعلوا كذا ولا تفعلوا. قال النحاس: والأولى أن يكون التمام ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ لأنه إذا وقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صار المعنى كالتوراة والإنجيل والزبور ولم يتقدم لها ذكر قال الضحاك: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: تفصيلًا والمعنى: أحسن من مثلهم تفصيلًا فحذف لعلم السامع وقيل: كان المشركون يستمدون من أهل الكتاب وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما يأتي به النبي ﷺ أحسن تفسيرًا مما عندهم لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾

(1) البخاري (4760)، ومسلم (2806).

[البقرة: ٤٢]، وقيل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ كقولهم في صفة عيسى إنه خُلِقَ من غير أب إلا جئناك بالحق أي: بما فيه نقض حُجتهم كآدم إذا خُلِقَ من غير أب وأم.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعًا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حقٌّ وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظًا وأحسن تفسيرًا مبين للمعاني بيانًا كاملًا.

وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخَلْق فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.

وفيه ردٌّ على المتكلفين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرًا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معانٍ غير ما يفهم منها، فإذًا -على قولهم- لا يكون القرآن أحسن تفسيرًا من غيره، وإنما التفسير الأحسن -على زعمهم- تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد آتينا موسى ﷺ التوراة هداية

(130) أحمر
أسود

لبني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء: ٢]، وأيدنا موسى ﷺ بأخيه هارون فقد طلب موسى ذلك واستجبنا له، قال موسى ﷺ: ﴿هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٦].

فأيدنا موسى ﷺ بأخيه هارون وجعلناه معه معينًا يُعينه الله به على أعباء الرسالة وتكاليفها.

وأمرناهما فقلنا لهما: اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا. اذهبا إلى فرعون وقومه هؤلاء الذين كذبوا بحججنا الدالة على قدرتنا وواحدنيتنا، تلك الحُجج التي منها العصا التي تتحول إلى حية تسعى، وتلك اليد التي تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء. فذهب موسى وهارون بآياتنا كما أمرناهما إلى فرعون وملئه، فكذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرًا بإغراقهم في اليم على ما تقدم تفصيله في غير موطن.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ يا محمد ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة، كالذي آتيناك من الفرقان ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ يعني: معينًا وظهيرًا ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا، فدمرناهم تدميرًا.

(131) أحمر
أسود

وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو: فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى متوعدًا من كذّب رسولَه محمدًا ﷺ من مشركي قومه ومن خالفه، ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه، مما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله، فبدأ بذكر موسى ؏ وأنه ابتعثه وجعل معه أخاه هارون وزيرًا، أي: نبيًّا مُؤَازرًا ومؤيدًا وناصرًا، فكذبهما فرعون وجنوده، فـ ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠﴾ [محمد: ١٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر قوم نوحٍ ؏ لما كذبوا رسول الله نوحًا ؏؛ إذ جاءهم نوح ؏ بـ(لا إله إلا الله) بالأمر بتوحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، وهذا الذي جاءت به الرسل كلها، ومن ثمَّ قيل لما كذبوا الرسل فمن كذب رسولًا فقد كذب الجميع؛ إذ دعوة الرسل واحدة. فالحاصل أن قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقهم الله وجعلهم للناس علامة ودلالة على قدرته وشدة انتقامه من المكذبين.

وكذا دلالة على أن الله ﷻ يُنجي رسله ؏، ودلَّ على ذلك ما ذكره الله جلَّ ذكره من تركه السفينة التي أنجى عليها نوحًا ومن معه آية للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾ [القمر: ١٥]، أن قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧﴾ فحاصل معناه وأعددنا للمشركين المكذبين المعاندين للرسل عذابًا مؤلمًا موجعًا - والله أعلم.

(132) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقوم نوح لما كذبوا رسلنا، وردوا عليهم ما جاءوهم به من الحق، أغرقناهم بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ يقول: وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعِبرة للناس يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ يقول: وأعددنا لهم - من الكافرين بالله- في الآخرة عذابًا أليمًا، سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا.

وكذلك فعلَ بقوم نوح حين كذّبوا رسوله نوحًا ﷺ ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه؛ ولهذا قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾، ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى الله ﷻ، ويحذرهم نقَمه، فما آمن معه إلا قليل. ولهذا أغرقهم الله جميعًا، ولم يَبق منهم أحد، ولم يبق على وجه الأرض من بني آدم سوى أصحاب السفينة فقط.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي: عِبرة يعتبرون بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١-١٢]. أي: وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لُجَج البحار، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق، وجَعلكم من ذرّية مَن آمن به وصَدّق أمره.

وقال القرطبي $:

﴿لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ ذكر الجنس والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده فنوح إنما بُعث بلا إله إلا الله

وبالإيمان بما ينزل الله فلما كذبوه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل: إن من كذَّب رسولًا فقد كذب جميع الرسل؛ لأنهم لا يفرق بينهم في الإيمان، ولأنه ما من نبي إلا يصدق سائر أنبياء الله فمن كذب منهم نبيًّا فقد كذب كل من صدقه من النبيين ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ أي: بالطوفان على ما تقدم في (هود) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي علامة ظاهرة على قدرتنا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي للمشركين من قوم نوح ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ أي: في الآخرة وقيل: أي: هذه سبيلي في كل ظالم.

❁ ❁ ❁

أصحاب الرس

س: من أصحاب الرس هؤلاء؟

ج: لأهل العلم أقوال في (الرس) فمنهم من قال:

إنها قرية من القرى: ثم اختلف هؤلاء:

فقال بعضهم: إنها قرية من قرى ثمود.

وقال آخرون: إنها قرية في اليمامة يُقال لها الفَلْج.

وقال آخرون: إنها أنطاكية (بلدة صاحب رس)، وقيل غير ذلك.

وقيل: إن (الرس) بئر كانت عند قومٍ كذَّبوا نبيهم وألقوه في البئر.

قال الطبري $:

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك; ومنه قول الشاعر:

سبقت إلى فرط باهل تنابلة يحفرون الرساسا

(134) أحمر
أسود

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قومًا كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرًا، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة.

❁ ❁ ❁

س: هل صح حديث: «إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود»؟ ومن العبد الأسود هذا وما شأنه؟

ج: أما الحديث فلا يصح سنده فهو مرسل ضعيف، وقد أخرجه الطبري بسندٍ ضعيفٍ عن محمد بن كعب مرسلًا، وفيه ما حاصله أن العبد الأسود هذا هو عبد آمن وكان يذهب إلى النبي الذي ألقاه قومه في بئر (وهي الرس) فيكشف غطاء البئر ويُطعم النبي.... إلى آخر ما ورد.

والخبر لا يثبت، وفي متنه كثيرٌ من الأمور المستنكرة، ثم إن النبي محمدًا ﷺ هو أول من يدخل الجنة كما قد ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأهلكنا عادًا وثمودًا وأهلكنا أصحاب الرس وأهلكنا أممًا وقرونًا كثيرة بين هؤلاء المذكورين، وكلًّا من هؤلاء الذين أهلكناهم قد بيَّنا لهم حججنا وضربنا لهم الأمثال الدالة على واحدنيتنا فكذبوا بها فدمرناهم تدميرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ودمرنا أيضًا عادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا.

يقول: ودمرنا أضعاف هذه الأمم التي سميناها لكم أممًا كثيرةً.

وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي

(136) أحمر
أسود

أهلكناها التي سميناها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبهناها على حُججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعِبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة.

وقوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم، فدمرناهم بالعذاب إبادة، وأهلكناهم جميعًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: وأممًا بين أضعاف مَنْ ذُكر أهلكناهم كثيرة؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: بينا لهم الحجج، ووضَّحنا لهم الأدلة -كما قال قتادة: أزحنا عنهم الأعذار- ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أي: أهلكنا إهلاكًا، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

[الإسراء: ١٧]

والقرن: هو الأمة من الناس، كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون: ٣١] وحدَّه بعضهم بمائة وعشرين سنة. وقيل: بمائة سنة. وقيل: بثمانين سنة. وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك. والأظهر: أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد؛ فإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهم قرن ثانٍ، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» الحديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

(137) أحمر
أسود

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد مرَّ مشركو قريش أثناء سفرهم على القرية التي أمطرنا عليهم مطرًا سيئًا، من أسوإ الأمطار أمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، وهي قرى قوم لوط، ومنها قرية (سدوم) فكان من اللائق أن يعتبروا بها ويدكروا، ولكن لم يحصل ادكارٌ ولا اعتبار، بل كان هؤلاء المشركون لا يخافون الآخرة ولا يخافون بعثًا من القبور للحساب فقد كانوا ينكرون ذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورًا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم - قرية قوم لوط- ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ يقول جلَّ ثناؤه: أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أُمطرت مطر السوء يرون تلك القرية، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم، فيعتبروا ويتذكروا، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدًا ﷺ ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما كذبوا محمدًا فيما جاءهم به من عند الله؛ لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلَّ بالقرية التي وُصفت، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورًا بعد الممات، يعني: أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب، ولا يؤمنون بقيام الساعة، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله.

وقال القرطبي $:

(138) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ يعني مشركي مكة والقرية قرية قوم لوط و(مكر السوء) الحجارة التي أمطروا بها ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي: في أسفارهم ليعتبروا قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط كم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾[الصافات: ١٣٧]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٩] وقد تقدم ﴿بَل كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ أي لا يصدقون بالبعث ويجوز أن يكون معنى ﴿يَرْجُونَ﴾ يخافون ويجوز أن يكون على بابه ويكون معناه: بل كانوا يرجون ثواب الآخرة.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ يعني: قرية قوم لوط، وهي سدوم ومعاملتها التي أهلكها بالقلب، وبالمطر الحجارة من سجيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣] وقال ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٦] وقال ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٩]؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي: فيعتبروا بما حَلّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله.

وقوله: ﴿بَل كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ يعني: المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورًا، أي: معادًا يوم القيامة.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَل كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

أقسم جلَّ وعلا في هذه الآية أن الكفّار الذين كذبوا نبيّنا ﷺ، قد أتوا

(139) أحمر
أسود

على القرية التي أمطرت مطر السوء، وهو أن الله أمطر عليها حجارة من سجّيل، وهي سدوم قرية قوم لوط، وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة، وهما أن الله أمطر هذه القرية مطر السوء الذي هو حجارة السجيل، وأن الكفار أتوا عليها، ومروا بها جاء موضحًا في آيات أخرى.

أمّا كون الله أمطر عليها الحجارة المذكورة، فقد ذكره جلَّ وعلا في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، وبيَّن في سورة «الذاريات»، أن السجيل المذكور نوع من الطين، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[الذاريات: ٣٢-٣٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا رآك أهل الشرك، ولكونك تدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ما يتخذونك إلا هزوًا أي: ما يكون ردُّ فعلهم تجاهك حينما تدعوهم إلى عبادة الله وحده إلا الاستهزاء والسخرية منك قائلين بانتقاصٍ لك وازدراءٍ أهذا هو الذي اصطفاه الله من بيننا وابتعثه رسولًا.

لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا التي نعبدها ونرجوها، تلك الأصنام والأوثان، ولو صبرنا على عبادتها وشدة تمسكنا بها لانصرفنا

(140) أحمر
أسود

عنها وابتعدنا فردَّ الله عليهم قولهم مهددًا لهم وصبَّر نبيه ﷺ على قيلهم قبوله، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أشد انصرافًا عن طريق الحق، والصواب.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ﴾ إلينا ﴿رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ من بين خلقه.

ويقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله ﷺ، إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يُضلنا عن آلهتنا التي نعبدها، فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبوتنا على عبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حلَّ بهم على عبادتهم الآلهة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يقول: من الراكب غير طريق الهدى، والسالك سبيل الردى أنت أوهم؟

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه، كما قال: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦] يعنونه بالعيب والنقص، وقال هاهنا: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؟ أي: على سبيل التنقص والازدراء -قبَّحهم الله -كما قال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ يعنون:

أنه كاد يُثنيهم عن عبادة أصنامهم، لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على عبادتها. قال الله تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

وإذا رأوك يا محمد هؤلاء المكذبون لك، المعاندون لآيات، المستكبرون في الأرض استهزءوا بك واحتقروك وقالوا -على وجه الاحتقار والاستصغار-: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] أي: غير مناسب ولا لائق أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم وقلبهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول -حاشاه- في غاية الخسة والحقارة وأنه لو كانت الرسالة لغيره لكان أنسب.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عنادًا وهو متجاهل، قصده ترويج ما معه من الباطل بالقدح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله ﷺ وجده رجل العالم وهمامهم ومقدمهم في العقل والعلم واللُّب والرزانة، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والعفة والشجاعة وكل خُلُقٍ فاضل، وأن المحتقر له والشانئ له قد جمع من السفه والجهل والضلال والتناقض والظلم والعدوان ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلًا وضلالًا أن يقدح بهذا الرسول العظيم والهمام الكريم.

والقصد من قدحهم فيه واستهزائهم به تصلبهم على باطلهم وتغرير ضعفاء العقول ولهذا قالوا: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ بأن يجعل الآلهة إلهًا واحدًا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لأضلنا فزعموا -قبحهم الله- أن الضلال هو التوحيد وأن الهدى ما هم عليه من الشرك فلهذا تواصوا بالصبر

(142) أحمر
أسود

عليه. ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

وهنا قالوا: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ والصبر يُحمد في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع فإنه صبر على أسباب الغضب وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون فهم كما قال الله عنهم: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ٣].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أرأيت يا رسول الله هذا المشرك الذي اتخذ ما يهواه وما يشتهيه إلهًا يعبده من دون الله، أفأنت تقدر على ردِّه عن الشرك وتتوكل بحفظه من الشرك وبردِّه إلى الإيمان، كلا فإنك لن تستطيع ذلك ولو سلكت معه أحسن الطرق وأجمل السُّبل ولو دعوته بكل ما أوتيت من قدرةٍ على دعوته.

أفتظن يا رسول الله أن أكثر هؤلاء يسمعون الحق ويفهمونه ويجيبونك ويؤمنون بك، كلا بل إنهم في عدم سماعهم كالبهائم التي لا تُفهم مرادك إذا ناديتها بل الأنعام أفضل منهم وأهدى سبيلًا؛ لأن الأنعام وإن كانت قد جبلت على عدم فهم خطاب بني آدم، لكنها تسمع لراعيها وتنقاد له وتشكر له مودته فيها، بل وإنها تسجد لخالقها وتشكره وتسبح بحمده.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ﴾ [النور: ٤١].

فحقًّا إن هؤلاء الكفار لأضل من الأنعام وأبعد عن طريق الحق والصواب، والله أعلم.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾ شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبده، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه، فلذلك قال جلَّ ثناؤه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظًا في أفعاله مع عظيم جهله؟ ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يُتلى عليهم، فيعون ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يعاينون من حجج الله، فيفهمون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يقول: ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها، ولا تفقه، بل هم من البهائم أضل سبيلًا لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى لنبيه، منبهًا له أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال، فإنه لا يهديه أحد إلا الله ﷻ.

(144) أحمر
أسود

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ [فاطر:٨]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾. قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: أسوأ حالًا من الأنعام السارحة، فإن تلك تعقل ما خُلِقَتْ له، وهؤلاء خُلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ عجب نبيه ﷺ من إضمارهم على الشرك وإصرارهم عليه مع إقرارهم بأنه خالقهم ورازقهم ثم يعمد إلى حجر يعبده من غير حجة. قال الكلبي غيره: كانت العرب إذا هوي الرجل منهم شيئًا عبده من دون الله فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن فعلى هذا يعني: أرأيت من اتخذ إلهه بهواه فحذف الجار وقال ابن عباس: الهوى إله يُعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية، قال الشاعر:

لعمر أبيها لو تبدت لناسك ... قد اعتزل الدنيا بإحدى المناسك
لصلى لها قبل الصلاة لربه ... ولارتد في الدنيا بأعمال فاتك

وقال القرطبي أيضًا:

وقيل: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: أطاع هواه. وعن الحسن لا يهوى شيئًا

(145) أحمر
أسود

إلَّا اتبعه والمعنى واحد ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي حفيظًا وكفيلًا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد أي: ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتك وإنما عليك التبليغ وهذا ردٌّ على القدرية ثم قيل: إنها منسوخة بآية القتال وقيل: لم تنسخ لأن الآية تسلية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل أنهم لأن منهم من قد علم أنه يؤمن، وذمهم جل وعز بهذا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه أي: هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع وقيل: المعنى: أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا والمراد أهل مكة وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل في مثل هذا الموضوع ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: في الأكل والشرب لا يفكرون في الآخرة ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ إذا لا حساب ولا عقاب على الأنعام وقال مقاتل: البهائم تعرف ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها التي تعقلها وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم وقيل: لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك أيضًا.

❁ ❁ ❁

(146) أحمر
أسود

بعض الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا
بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟
فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا
﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

[الفرقان: 45-52]

(147) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ - سَاكِنًا - دَلِيلًا - قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا - يَسِيرًا - لِبَاسًا - سُبَاتًا - نُشُورًا - طَهُورًا - وَأَنَاسِيَّ - صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ - لِيَذَّكَّرُوا۟ - كُفُورًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾	جعله ممدودًا أي عامًّا مغطيًا الجو كله (وهذا ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)
﴿سَاكِنًا﴾	دائمًا لا يزول
﴿دَلِيلًا﴾	علامة على وجوده - علامةً عليه وأنه شيء موجود، فلولا طلوع الشمس ما عُرف معنى الظل
﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾	رددناه إلينا أي بعد أن كان موجودًا بدأ يقل شيئًا
﴿يَسِيرًا﴾	قليلًا قليلًا - شيئًا فشيئًا - خفيًّا (في خفاء لا تكادون ترونه وهو يتقلص) - سهلًا
﴿لِبَاسًا﴾	ساترًا يستركم (بظلامه)
﴿سُبَاتًا﴾	راحة لأبدانكم
﴿نُشُورًا﴾	يقظةً وحياةً وانتشارًا للعمل كذلك
﴿طَهُورًا﴾	يُتطهر به - يُطهر الله به الأشياء
﴿وَأَنَاسِيَّ﴾	بشرًا - وقيل أناسي، وقيل: جمع إنسان

(148) أحمر
أسود

﴿صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾	قسمناه بينهم - حوَّلناه من أناسٍ إلى أناسٍ آخرين. وقيل: صرفناه أي: صرفنا آيات القرآن كما قال تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾.
﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾	ليتعظوا ويعتبروا
﴿كُفُورًا﴾	جحودًا لنعم الله

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم -: لفت للنظر وحث على التفكر في مخلوقات الله ﷻ للاستدلال بها على قدرته ووحدانيته، فيقول الله ﷻ: ألم تر بعينيك - وبقلبك كذلك - إلى هذا الظل الممدود العام الذي يغطي الأجواء من حولك، وهو الظل الذي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل إنه الظل في الليل كله إلى أن تطلع الشمس، والأول عليه أكثر العلماء هذا، ولو شاء ربك ﷻ لجعل هذا الظلَّ دائمًا مستمرًّا لا يزول ولكن بطلوع الشمس يقبض الظلُّ شيئًا فشيئًا قبضًا قليلًا قليلًا فيقل الظل تدريجيًّا كلما ارتفعت الشمس في السماء إلى وقت الزوال، ولولا أن الشمس طلعت ما عُرف للظل معنى، فطلوعها دليلٌ على وجود الظل، وقوله تعالى: ﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ على المعنى الذي قدمته من أن الله ﷻ يقبض الظل إليه شيئًا فشيئًا فيقل تدريجيًّا، وهذا أمر سهلٌ ويسير على الله ﷻ.

هذا، وهناك أقوال أخر لأهل العلم في هذا الصدد، وها هي بعض

أقوالهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ مَدَّ﴾ ربك ﴿الظِّلَّ﴾ وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ يقول: ولو شاء لجعله دائمًا لا يزول، ممدودًا، لا تذهبه الشمس، ولا تنقصه.

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ يقول جل ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويُفنيه إذا أراد; والهاء في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ من ذكر الظل. ومعناه: ثم جعلنا الشمس على الظل دليلًا. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء، إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحار، وما أشبه ذلك.

قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضًا خفيًّا سريعًا بالفيء الذي نأتي به بالعشي.

وقيل: إن الهاء التي في قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ عائدة على الظل، وإن معنى الكلام: ثم قبضنا الظل إلينا بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظل الممدود، قالوا: وذلك وقت قبضه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ فقال بعضهم: معناه: سريعًا.

وقال آخرون بل معناه: قبضًا خفيًّا.

(150) أحمر
أسود

وقال الطبري أيضًا:

وقيل: إنما قيل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة، ولا يقبل الظلام كله جملة، وإنما يقبض ذلك الظل قبضًا خفيًّا، شيئًا بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام.

قال الحافظ ابن كثير $:

من هاهنا شرع تعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

وأورد عن عدد من أهل العلم أنه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

ثم قال:

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: دائمًا لا يزول، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **[القصص : ٧١]** ، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **[القصص: ٧٢]**.

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ أي: لولا أن الشمس تطلع عليه، لما عرف، فإن الضد لا يُعرف إلا بضدِّه.

وقال قتادة، والسّدي: دليلًا يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: الظل، وقيل: الشمس. ﴿يَسِيرًا﴾ أي: سهلًا. قال ابن عباس: سريعًا. وقال مجاهد: خفيًّا. وقال السّدي: قبضًا خفيًّا، حتى لا يبقى في الأرض ظلٌّ إلا تحت سقف أو تحت شجرة،

وقد أظلت الشمس ما فوقه.

وقال أيوب بن موسى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ أي: قليلًا قليلًا.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ يجوز أن تكون هذه الرؤية من رؤية العين ويجوز أن تكون من العلم وقال الحسن وقتادة وغيرهما: مد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقيل: هو من غيوبة الشمس إلى طلوعها والأول أصح والدليل على ذلك أنه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة فإن فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل ذي علة، وفيها ترد نفوس الأموات والأرواح منهم إلى الأجساد(1) وتطيب نفوس الأحياء فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب. وقال أبو العالية: نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر. أبو عبيدة: الظل بالغداة والفيء بالعشي؛ لأنه يرجع بعد زوال الشمس سُمِّي فيئًا؛ لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب، قال الشاعر وهو حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة:

فلا الظل من برد الضحا تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

قال ابن السكيت: الظلُّ ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وحكى أبو عبيدة عن رؤبة، قال: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي دائمًا مستقرًّا لا تنسخه الشمس. ابن عباس: يريد إلى يوم القيامة وقيل: المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ أي:

(1) ولا أعلم دليلًا على هذا القول.

(152) أحمر
أسود

جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على أن الظل شيء ومعنى لأن الأشياء تعرف بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعنى الفاعل وقيل: بمعنى المفعول كالقتيل والدهين والخضيب أي: دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به أي: أتبعناها إياه فالشمس دليل أي حجة وبرهان وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو صفة الشمس لأنه في معنى الاسم كما يقال: الشمس برهان والشمس حقٌّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ يريد ذلك الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ أي سيرًا قبضه علينا وكل أمر ربنا عليه يسير فالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضًا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فأشرق على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها فإذا غربت فليس هناك ظلٌّ إنما ذلك بقية نور النهار وقال قوم: قبضه بغروب الشمس؛ لأنها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وإنما بتم زواله بمجيء الليل ودخول الظُّلمة عليه وقيل: إن هذا القبض وقع بالشمس لأنها إذا طلعت أخذ الظل في الذهاب شيئًا فشيئًا. قال أبو مالك و إبراهيم التميمي وقيل: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي: قبضنا ضياء الشمس بالفيء ﴿قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ وقيل: ﴿يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ أي: سريعًا قاله الضحاك. قتادة خفيًّا أي: إذا غاب الشمس قبض الظل قبضًا خفيًّا كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزءًا من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: والله ﷻ هو الذي جعل لكم الليل ساترًا يستركم بظلمته وجعل النوم راحة لكم ولأبدانكم وجعل لكم النهار ليقظتكم وانتشاركم وخروجكم لعملكم كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١١].

وكما قال ﷻ: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الذي مدَّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلًا هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسًا. وإنما قال جلَّ ثناؤه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يكسونها. وقوله: ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا﴾ يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهدأ به جوارحكم. وقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نشر الميت، كما قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبًا للميت الناشر

ومنه قول الله: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ أي: يلبس الوجود ويُغَشيه، كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليل: ١].

(154) أحمر
أسود

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾ أي: قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تَكِلُّ من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معًا.

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧﴾ أي: ينتشر الناسُ فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [القصص: ٧٣].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ يعني: سترًا للخالف يقوم مقام اللباس في ستر البدن. قال الطبري: وصف الليل باللباس تشبيهًا من حيث يستر الأشياء ويغشاها.

وقال:

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾ أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال وأصل السُّبات من التمدد يقال: سبتت المرأة شعرها أي: نقضته وأرسلته ورجل مسبوت أي: ممدود الخِلْقة وقيل: للنوم سبابت لأنه بالتمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل: السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الأعمال فيه وقيل: السبت الإقامة في المكان فكأن السُّبات سكون ما وثبوت عليه فالنوم سبات على معنى أنه سكون عن الاضطراب والحركة. وقال الخليل: السبات نوم ثقيل أي: جعلنا نومكم ثقيلًا ليكمل الإجمام والراحة.

وقال: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧﴾ من الانتشار للمعاش أي

النهار سبب الإحياء للانتشار شبه اليقظة فيه بتطابق الإحياء مع الإماتة وكان غ إذا أصبح قال: «**الحمد لله الذي أحيانا من بعد ما أماتنا وإليه النشور**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧىَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

ج: يُذكِّر الله ﷻ بنعمه على خلقه وبفضله عليهم فيقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي: مبشرةً بنزول الغيث الذي به يرحم الله ﷻ العباد فيسقون منه وتحيا أبدانهم وتحيا أرضهم وتحيا مواشيهم فالرياح مقدمات لهذا الغيث مبشرات به، وأنزل الله ﷻ من السماء ماءً مطهرًا للأشياء مذهبًا للنجاسات ليُحيي بهذا الماء أرضًا ميتةً ليس فيها نبات ولا ثمر فتنبت وتُثمر بإذن الله، وكذا ليسقى بهذا الماء من خلقه أنعامًا وأناسًا كثيرين، ثم يبين الله ﷻ أنه بقدرته وبحوله وقوته هو الذي يجعل الماء ينزل على هذه الأرض ولا يتنزل على تلك، وذلك ليتعظ الناس وليعتبر الناس وليقبلوا على عبادة ربهم ﷻ وتوحيده، ودعائه وحده لا شريك له، ولكن رفض أكثر الناس هذا، وأبوا إلا أن يستمروا على كفرهم وجحودهم لنعم الله ﷻ وضلالهم وغوايتهم، والعياذ بالله، ومنهم من قال: مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا.

وبنحو ذلك قال عدد من أهل العلم.

(156) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح الملقحة ﴿بُشْرًا﴾: حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورًا. ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يعني: أرضًا قحطة عذية لا تنبت. وقال: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ولم يقل ميتة؛ لأنه أُريد بذلك لنحيي به موضعًا ومكانًا ميتًا ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ من خلقنا ﴿أَنْعَامًا﴾ من البهائم ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ يعني الأناسي: جمع إنسان وجمع أناسي، فجعل الياء عوضًا من النون التي في إنسان، وقد يجمع إنسان: إناسين، كما يجمع النشيان نشايين. فإن قيل: أناسي جمع واحده إنسي، فهو مذهب أيضًا محكي، وقد يجمع أناسي مخففة الياء، وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه، كما يجمع القرقور: قراقير وقراقر. ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف، قول العرب: أناسية كثيرة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورًا لنُحيي به الميت من الأرض بين عبادي؛ ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ يقول: إلا جحودًا لنعمي عليهم، وأيادي عليهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر مطرًا من عام، ولكن الله يصرفه بين خَلْقه; قال: ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾.

(157) أحمر
أسود

وفي رواية أُخرى عن ابن عباس أيضًا عن ابن عباس أيضًا: ما عام بأكثر مطرًا من عام، ولكنه يصرفه في الأرضين، ثم تلا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾.

قلت (مصطفى): وورد نحوه عن ابن مسعود ﷺ.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قال: المطر مرة هاهنا، ومرة هاهنا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم، وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات، أي: بمجيء السحاب بعدها، والرياح أنواع، في صفات كثيرة من التسخير، فمنها ما يثير السحاب، ومنها ما يحمله، ومنها ما تسوقه، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشِّرا، ومنها ما يكون قبل ذلك يَقُمّ الأرض، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: آلة يتطهر بها، كالسَّحُور والوقود وما جرى مجراه. فهذا أصح ما يقال في ذلك. وأما من قال: إنه فعول بمعنى فاعل، أو: إنه مبنيٌّ للمبالغة أو التعدي، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم، ليس هذا موضع بسطها، والله أعلم.

وقوله: ﴿لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: أرضًا قد طال انتظارها للغيث، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء. فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ أي: وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة، لشربهم وزروعهم وثمارهم،

(158) أحمر
أسود

كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى، لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة.

قال ابن مسعود وابن عباس: ليس عام بأكثر مطرًا من عام، ولكن الله يصرفه كيف يشاء، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات. أو: ليذكر من منع القَطْر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه، فيقلع عما هو فيه.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾: قال عكرمة: يعني: الذين يقولون: مطرنا بنَوء كذا وكذا.

وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم(1)، عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يومًا، على إثر سماء أصابتهم من الليل: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا**

(1) مسلم (حديث 71).

(159) أحمر
أسود

بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي، مؤمن بالكوكب».

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ يتطهر به كما يقال: وضوء للماء الذي يتوضأ به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر طهورًا فالطهور (بفتح الطاء) الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر وهذا هو المعروف في اللغة قاله ابن الأنباري، فبيَّن أن الماء المنزل من السماء طاهر في نفسه مطهر لغيره فإن الطهور بناء مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهرًا مطهرًا وإلى هذا ذهب الجمهور.

وقال $:

قوله تعالى : ﴿ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ ﴾ أي: بالمطر ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ بالجدوبة والمحل وعدم النبات. قال كعب: المطر روح الأرض يحييها به وقال ﴿مَّيْتًا ﴾ ولم يقل ميتة لأن معنى البلدة والبلد واحد وقاله الزجاج وقيل: أراد بالبلد المكان ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ قراءة العامة بضم النون وقرأ عمر بن الخطاب وعاصم والأعمش فيما روى المفضل عنهما نسقيه (بفتح) النون ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: بشرًا كثيرًا وأناسي واحده إنسي.

وقال $:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني القرآن وقد جرى ذكره في أول السورة: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ **[الفرقان: ١]**، وقوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ **[الفرقان: ٢٩]** وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

(160) أحمر
أسود

[الفرقان: ٥٠] ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ أي: جحودًا له وتكذيبًا به وقيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ هو المطر، روي عن ابن عباس وابن مسعود: وأنه ليس عامًّا بأكثر مطرًا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء فما زيد لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل: ﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ وابلًا وطشًا وطلًّا ورهامًا - الجوهري: الرهام الأمطار اللينة – ورذاذًا. وقيل: تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به والطهارات وسقي البساتين والغسل وشبهه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو شئنا يا رسول الله لبعثنا في كل قرية رسولًا ينذرهم عذاب الله ﷻ ويخوفهم عقابه ويبشرهم بجنته إن هم أطاعوا، لو شئنا لفعلنا ذلك لتخفيف الأعباء عليك ولجعلنا كل رسولٍ في كل قرية مسئولًا عن تبليغ أهلها وإنذارهم تخفيفًا لأعباء الدعوة عليك، ولكن جعلناك يا رسول الله رسولًا للخَلْق كلهم فضلًا منَّا عليك وإكرامًا منَّا لك، وذلك حتى يعظم لك الأجر بقيامك بالمسئولية العظيمة التي عهدنا بها إليك، وبتأدية الأمانات التي كلفناك بأدائها للخلق فلا تتوانى عن الدعوة إلى الله ولا تنثني عنها ولا تفتر بل استمر في الدعوة إلى الله وقم بأعباء الجهاد كما أُمرت وكما كُلِّفت وجاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا بتذكيرهم به وبتخويفهم من العقاب بالوارد فيه وبامتثال أمر ربك ﷻ الذي أمرك في هذا القرآن.

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي: بالإسلام، أما قوله: ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ فجهادًا متواصلًا من غير فتور ولا توانٍ ولا انثناء.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيرًا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة، ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبله، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١﴾ أي: رسولًا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف عليك أعباء النبوة ولكنا لم نفعل بل جعلناك نذيرًا للكل لترتفع درجتك فاشكر نعمة الله عليك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: فلما يدعونك إليه من اتباع آلهتهم ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: بالقرآن. ابن زيد: بالإسلام وقيل: بالسيف وهذا فيه بعد؛ لأن السورة مكية نزلت قبل الأمر بالقتال ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ لا يخالطه فتور.

وقال ابن كثير $:

(162) أحمر
أسود

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ يدعوهم إلى الله ﷻ، ولكنا خصصناك -يا محمد- بالبعثة إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧] ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وفي الصحيحين: **«بُعثت إلى الأحمر والأسود»** وفيهما: **«وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ يعني: بالقرآن، قاله ابن عباس ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩] .

❁ ❁ ❁

(163) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ
ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا
مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾
تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[الفرقان: 53-62]

(164) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿مَرَجَ - ٱلْبَحْرَيْنِ - عَذْبٌ فُرَاتٌ - مِلْحٌ أُجَاجٌ - وَحِجْرًا مَّحْجُورًا - خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا - نَسَبًا - وَصِهْرًا - ظَهِيرًا - يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا - وَتَوَكَّلْ - وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ - وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا - فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا - نُفُورًا - بُرُوجًا - سِرَاجًا - مُّنِيرًا - خِلْفَةً - يَذَّكَّرَ - أَرَادَ شُكُورًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَرَجَ﴾	خلط
﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾	البحر المالح والعذب
﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾	عذب حلو
﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	مالح شديد الملوحة
﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾	مانعًا (ساترًا) ممنوعًا مستورًا
﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾	خلق من المنيّ إنسانًا
﴿نَسَبًا﴾	قرابةً (وهي القرابات من ناحية الآباء والأمهات)
﴿وَصِهْرًا﴾	أصهارًا (وهي التي من ناحية الزوج والزوجة)
﴿ظَهِيرًا﴾	معاونًا - معينًا (على معصية الله)
﴿يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾	يسلك طريقًا يوصله إلى مرضاة الله
﴿وَتَوَكَّلْ﴾	اعتمد
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾	نزّهه عن كل ما لا يليق به، وذلك يكون من فضل الله عليك، فتنزيهك له بفضله فليُحمد على هذا صلِّ له- قل سبحان الله وبحمده

(165) أحمر
أسود

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾	هو وحده الخبير بذنوب عباده ويكفي ذلك
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	اسأل عنه خبيرًا به - أسأله فهو الخبير
﴿نُفُورًا﴾	بُعدًا - فِرارًا
﴿بُرُوجًا﴾	قصورًا - كواكب عظيمة - نُجومًا
﴿سِرَٰجًا﴾	شمسًا متوهجة كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]
﴿مُّنِيرًا﴾	مضيئًا
﴿خِلْفَةً﴾	يخلف أحدهما الآخر، يذهب هذا ويجيء ذاك
﴿يَذَّكَّرَ﴾	يتعظ - يعتبر
﴿أَرَادَ شُكُورًا﴾	أراد أن يشكر الله بصلاة أو بذكر أو بصيام أو

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالبحرين؟

ج: المراد بـ(البحرين) العذب والمالح، أي: البحار والأنهار.

❁ ❁ ❁

(166) أحمر
أسود

مزيد من الدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: والله هو الذي خلط البحرين ببعضهما العذب والمالح، الأنهار والبحار، فتصب الأنهار ماءها في البحار ولا تعتدي البحار بمياهها العظيمة المالحة على الأنهار بل بينهما حاجزٌ جعله الله سبحانه وتعالى بينهما حتى لا تدخل مياه البحار على مياه الأنهار فتفسدها وتفسد على الناس معايشهم.

وكما قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ **[الرحمن: ٢٠]**.

وكما قال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ **[النمل: ٦١]**.

فقوله هنا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا.

وقوله: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ أي: سائرًا مانعًا ممنوعًا، أي: ساترًا يمنع أحدهما من البغي على الآخر.

هذا هو القول الذي عليه جماهير العلماء من المفسرين، وإن كانت هناك أقوال أُخر منها أن المراد بالبرزخ الأرض اليابسة، وهذا خطأ لمخالفته قول الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ **[الرحمن: ١٩]**، وبنحو ذلك يضعف القول القائل بأن المراد بحر السماء وبحر الأرض.

وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج؛ لأن

الرجل إذا خلَّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، ومنه الخبر عن النبي ﷺ، وقوله لعبد الله بن عمرو: «كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا وشبَّك بين أصابعه. يعني بقوله: قد مرجت: اختلطت، ومنه قول الله: ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ۝٥﴾ [ق: ٥] أي مختلط. وإنما قيل للمرج مرج من ذلك؛ لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب، ويقال: مرجت دابتك: أي خليتها تذهب حيث شاءت. ومنه قول الراجز:

رعى بها مرج ربيع ممرج

وقوله: ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾ الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله: ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾ يقول: وهذا ملح مرٌّ، يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار.

وإنما عني بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأُجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته؛ لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾ يعني: حاجزًا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣﴾ يقول: وجعل كل واحد منهما حرامًا محرمًا على صاحبه أن يغيره ويفسده.

قال الطبري $:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣﴾ دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بينهما حاجزًا

(168) أحمر
أسود

من الأرض أو من اليبس؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بيَّنت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضًا أو يبسًا لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبًا، وفيه أعظم العِبر والمواعظ والحُجج البوالغ.

وقال ابن كثير $:

وقوله : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ أي : خلق الماءين: الحلو والملح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزُّلال. قاله ابن جريج، واختاره ابن جرير، وهذا الذي لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات. والله سبحانه إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس، فرقه تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارًا وعيونًا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم.

وقوله: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: مالح مُرّ زعاق لا يُستساغ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم، وبحر اليمن، وبحر البصرة، وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر، وما شاكلها وشابهها من البحار

(169) أحمر
أسود

الساكنة التي لا تجري، ولكن تتموج وتضطرب وتغتلم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مد وجَزْر، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جَزَرت، حتى ترجع إلى غايتها الأولى، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة، ثم تشرع في النقص، فأجرى الله سبحانه وتعالى -وله القدرة التامة - العادة بذلك. فكلُّ هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة الماء؛ لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان. ولما كان ماؤها ملحًا كان هواؤها صحيحًا وميتتها طيبة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر: أنتوضأ به؟ فقال: «**هو الطّهور ماؤه، الحِلُّ ميتته**».

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا﴾ أي: بين العذب والمالح ﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا، وهو اليَبَس من الأرض، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: مانعًا أن يصل أحدهما إلى الآخر، كما قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرحمن: ١٩-٢١]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ عاد الكلام إلى ذكر النعم و﴿مَرَجَ﴾ خلى وخلط وأرسل. قال مجاهد: أرسلهما وأفاض أحدها في الآخر. قال ابن عرفة: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أي: خلطهما فهما يلتقيان يقال: مرجته إذا خلطته ومرج الدين والأمر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

(170) أحمر
أسود

[ق: ٤]، ومنه قوله عليه الصلاة و السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص: **«إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وهكذا»** وشبك بين أصابعه.

وقال $:

فقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أجراهما وقال الأخفش: يقول قوم أمرج البحرين مثل مرج فعل وأفعل بمعنى ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: حلو شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: فيه ملوحة ومرارة ورُوي عن طلحة أنه قرأ: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾ بفتح الميم وكسر اللام ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا من قدرته، لا يغلب أحدهما على صاحبه كما قال في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ أي: سترًا مستورًا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقال الحسن: يعني بحر فارس وبحر الروم. وقال ابن عباس وابن جبير: يعني بحر السماء وبحر الأرض, قال ابن عباس: يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ قضاء من قضائه ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ حرامًا محرمًا أن يعذب هذا الملح بالعذب أو يملح هذا العذب بالملح.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

اعلم أن لفظة: ﴿مَرَجَ﴾، تطلق في اللغة إطلاقين:

الأول: مرج بمعنى: أرسل وخلى، من قولهم: مرج دابّته إذا أرسلها إلى المرج، وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب؛ كما قال حسان بن ثابت ﷺ:

وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء

وعلى هذا، فالمعنى: أرسل البحرين وخلاهما لا يختلط أحدهما

(171) أحمر
أسود

بالآخر.

والإطلاق الثاني: مرج بمعنى: خلط، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ۝٥﴾ [ق: ٥]، أي: مختلط، فعلى القول الأول: فالمراد بالبحرين الماء العذب في جميع الدنيا، والماء الملح في جميعها.

وقوله: ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾، يعني: به ماء الآبار، والأنهار والعيون في أقطار الدنيا.

وقوله: ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾، أي: البحر الملح، كالبحر المحيط وغيره من البحار التي هي ملح أُجاج، وعلى هذا التفسير فلا إشكال.

وأمّا على القول الثاني بأن ﴿مَرَجَ﴾ بمعنى خلط، فالمعنى: أنه يوجد في بعض المواضع اختلاط الماء الملح والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا محقّق الوجود في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرت مدينة سان لويس عام ستّ وستّين وثلاثمائة وألف هجرية، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، ولكن أخبرني بعض المرافقين الثقاة أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذبًا وفراتًا، وبالأخرى ملحًا أُجاجًا، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه جلَّ وعلا ما أعظمه، وما أكمل قدرته.

وهذا الذي ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية، جاء موضحًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى في سورة «فاطر»: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ

(172) أحمر
أسود

سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، أي: لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به، وهذا البرزخ الفاصل بين البحرين المذكور في سورة «الفرقان» وسورة «الرحمن»، قد بيَّن تعالى في سورة «النمل» أنه حاجز حجز به بينهما، وذلك في قوله جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النمل: ٦١]، وهذا الحاجز هو اليبس من الأرض الفاصل بين الماء العذب، والماء الملح على التفسير الأوَّل.

وأمَّا على التفسير الثاني: فهو حاجز من قدرة الله غير مرئي للبشر، وأكّد شدّة حجزه بينهما بقوله هنا: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾، والظاهر أن قوله هنا: ﴿وَحِجْرًا﴾، أي: منعًا وحرامًا قدريًّا، وأن ﴿مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ توكيد له، أي: منعًا شديدًا للاختلاط بينهما، وقوله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ ﴾، صفة مشبّهة من قولهم: عذب الماء بالضم فهو عذب. وقوله: ﴿فُرَاتٌ﴾ صفة مشبّهة أيضًا، من فرت الماء بالضم، فهو فرات، إذا كان شديد العذوبة، وقوله: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾، صفة مشبهة أيضًا من قولهم: ملح الماء بالضم والفتح، فهو ملح.

قال الجوهري في «صحاحه»: «ولا يقال مالح إلا في لغة ردية». اهـ.

وقد أجاز ذلك بعضهم، واستدلّ له بقول القائل:

ولو تفلت في البحر والبحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذبًا

وقوله: ﴿أُجَاجٌ﴾، صفة مشبهة أيضًا، من قولهم: أجّ الماء يؤجّ أُجوجًا فهو أجاج، أي: ملح مُرٌّ، فالوصف بكونه أجاجًا يدلّ على زيادة المرارة

(173) أحمر
أسود

على كونه ملحًا، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(174) أحمر
أسود

س: ما المراد بالماء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾؟

ج: لأهل العلم قولان في هذا:

أشهرهما: أن المراد بالماء هو المني كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾...﴾ [المرسلات: ٢٠-٢١].

والثاني: أن المراد بالماء هو الماء عمومًا كماء الأنهار وماء المطر وماء العيون والآباء ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

المراد بالنسب والصهر

س: ما المراد بالنسب والصهر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن النسب هم القرابات عمومًا من ناحية الأب والأم والصهر القرابات من ناحية النكاح أي من ناحية الزوجة والزوج.

الثاني: أن النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه، وأرى هذا القول ضعيفًا.

وهنالك أقوال آخر نوردها قريبًا إن شاء الله.

وانظر المحرمات بالنسب وبالمصاهرة فيما قدمته من سورة النساء، وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا

(175) أحمر
أسود

وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: والله هو الذي خلق من ماء الرجل، من المنيّ بشرًا نجعل من هؤلاء البشر أهل نسب يعني قرابات، وكذلك جعل بسبب هذا الماء أصهار، وكان ربك قديرًا على فعل ما يريد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق من النُّطف بشرًا إنسانًا فجعله نسبًا، وذلك سبعة، وصهرًا، وهو خمسة.

وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق، وتصريفهم فيما شاء وأراد.

وقال ابن كثير $:

وقولـــه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: خلق الإنسان من نطفة ضعيفة، فسوَّاه وعَدّله، وجعله كامل الخِلْقة، ذكرًا أو أنثى، كما يشاء، ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرًا، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات. وكل ذلك من ماء مهين؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

وقال القرطبي $:

قال الفراء: النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه وقاله الزجاج وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ واشتقاق الصهر من صهرت الشيء إذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه فسُمِّيت المناكح صهرًا لاختلاط الناس بها وقيل: الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الأختان وقرابة الزوج هم الأحماء والأصهار يقع عامًّا

(176) أحمر
أسود

لذلك كله قاله الأصمعي. وقال ابن العربي: الأختان أبو المرأة وأخوها وعمها - كما قال الأصمعي - والصهر زوج ابنة الرجل وأخوه وأبوه وعمه وقال محمد بن الحسن في رواية أبي سليمان الجوزجاني: أختان الرجل: أزواج بناته وأخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه وأصهاره كل ذي رحم محرم من زوجته. قال النحاس: الأولى في هذا أن يكون القول في الأصهار ما قال الأصمعي وأن يكون من قبلهما جميعًا يقال: صهرت الشيء أي: خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه.

وقال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ على خلق ما يريده.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وبعد أن بيَّن الله ﷻ نعمه على خلقه وعددها ودلَّل على قدرته ووحدانيته فإذا بالكافرين أيضًا يعبدون آلهة من دون الله ﷻ لا تنفعهم ولا تضرهم من الأوثان والأصنام، وكان الكافر معينًا للشيطان على معصية الله، ومظاهرًا للشيطان على معصية الله.

هذا، ومن العلماء من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ قولًا آخر حاصله أنه كان هينًا على الله ﷻ مهملًا، فكما كان في الدنيا يتخذ ربه ظهريًّا فإنه يهمل كذلك يوم القيامة، وكما قال شعيب عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ﴾ [هود: ٩٢].

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلب إليهم نفعًا إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، وهي ما عدد علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرًا ۝٥٤﴾، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلَّ به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس، وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر، ولا له عنه دافع ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معينًا للشيطان على ربه، مظاهرا له على معصيته.

وأورد عن مجاهد آثارًا تصح بمجموعها فحواها أن الكافر يظاهر الشيطان (أي: يعاونه) على معصية الله ومخالفة أمره.

وأورد أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ قال: على ربه عوينًا. والظهير: العوين. وقرأ قول الله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٨٦﴾ [القصص: ٨٦] قال: لا تكونن لهم عوينًا. وقرأ أيضًا قول الله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ قال: ظاهروهم: أعانوهم.

وقال $:

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ أي:

(178) أحمر
أسود

وكان الكافر على ربه هينًا، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتفت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه، وكأن الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهور به، كأنه قيل: وكان الكافر مظهورًا به. والقول الذي قلناه هو وجه الكلام، والمعنى الصحيح؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم، وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم، ولم يجر لاستكبارهم عليه ذكر، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام، التي لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، بلا دليل قادهم إلى ذلك، ولا حجة أدتهم إليه، بل بمجرد الآراء، والتشهي والأهواء، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم، ويعادون الله ورسوله فيهم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ أي: عونًا في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٧٤-٧٥] أي: آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرًا، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم، ويَذُبُّون عن حَوْزتهم، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله في الدنيا والآخرة.

قال مجاهد: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ قال: يظاهر الشيطان على معصية الله، يعينه.

(179) أحمر
أسود

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ يقول: عونًا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

وقال زيد بن أسلم: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ قال: مواليًا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾ لما عدَّد النعم وبيَّن كمال قدرته عجب من المشركين في إشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضر أي: إن الله هو الذي خلق ما ذكره، ثم هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه أمواتًا جمادات، لا تنفع ولا تضرُّ ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾ رُوي عن ابن عباس ﴿ٱلۡكَافِرُ﴾ هنا أبو جهل - لعنه الله- وشرحه أنه يستظهر بعبادة الأوثان على أوليائه وقال عكرمة: الكافر إبليس ظهر على عداوة ربه. وقال مطرف: ﴿ٱلۡكَافِرُ﴾ هنا الشيطان. وقال الحسن: ﴿ظَهِيرٗا ٥٥﴾ أي: معينًا للشيطان على المعاصي: وقيل: المعنى وكان الكافر على ربه هينًا ذليلًا، لا قدر له ولا وزن عنده من قول العرب: ظهرت به أي: جعلته خلف ظهرك ولم تلتفت إليه ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيّٗاۖ﴾ [هود: ٩٢] أي: هينًا ومنه قول الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها

هذا معنى قول أبو عبيدة وظهير بمعنى مظهور أي: كفر الكافرين هين على الله تعالى والله مستهين به لأن كفره لا يضره وقيل: وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قويًّا غالبًا يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ضُرٍّ ونفع.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

(180) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

الظهير في اللغة: المعين، ومنه قول تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧]

ومعنى قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾، على أظهر الأقوال: وكان الكافر معينًا للشيطان، وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله، فالكافر من حزب الشيطان يقاتل في سبيله أولياء الله، الذين يقاتلون في سبيل الله، فالكافر يُعين الشيطان وحزبه في سعيهم؛ لأن تكون كلمة الله ليست هي العليا، وهذا المعنى دلّت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ [النساء: ٧٦] ومعلوم أن الذي يقاتل في سبيل الطاغوت، المقاتلين في سبيل الله، أنه على ربّه ظهير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وما أرسلناك يا رسول الله وكيلًا على هؤلاء ولا مكلفًا بهدايتهم (هداية التوفيق) ولا مسيطرًا عليهم فذلك ليس لك، إنما الهادي هو الله، وإنما أنت مذكر، ومبشرًا لمن أطاع بالجنة، ومخوفًا من عصى بالنار ومنذرًا ومحذِّرًا فقل لهؤلاء المعاندين المعارضين: ما أسألكم أجرًا على إيمانكم ولا على هدايتكم لكن من شاء أن يتخذ طريقًا يقربه من الله ويوصله إلى مرضاته وجناته فليتبعني فإنني

أُبين له طريق الحق والصواب، ومن شاء أن يتطوع بالصدقة لوجه الله فليتطوع.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد إلى من أرسلناك إليه ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بالثواب الجزيل، من آمن بك وصدَّقك، وآمن بالذي جئتهم به من عندي، وعملوا به ﴿وَنَذِيرٗا﴾ من كذَّبك وكذَّب ما جئتهم به من عندي، فلم يصدِّقوا به، ولم يعملوا ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم: ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرًا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئًا، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلًا طريقًا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوّه، وغير ذلك من سُبل الخير.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ يريد بالجنة مبشرًا ونذيرًا من النار وما أرسلناك وكيلًا ولا مسيطرًا. ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ يريد على ما جئتكم به من القرآن والوحي و﴿مِنۡ﴾ للتأكيد ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ فهو استثناء منقطع والمعنى : لكن من شاء ﴿ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ بإنفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق ويجوز أن يكون متصلًا ويُقدر حذف المضاف التقدير : إلا أجر ﴿ مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ باتباع ديني حتى ينال

(182) أحمر
أسود

كرامة الدنيا والآخرة.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ أي: على هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجرة أطلبها من أموالكم، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير : ٢٨] ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا ومنهجًا يقتدى فيها بما جئت به.

❁ ❁ ❁

معنى قوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم -: واعتمد في شؤونك كلها وأمورك كلها على الله ﷻ فهو الحي الذي لا يموت، وسائر الخلق يموتون، ونزّه الله ﷻ عن كل ما لا يليق به من الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد والمثيل وغير ذلك، نزّهه عن كل ما يصفه الواصفون المشركون مما لا يليق به وتسبيحك له (أي تنزيهك له) فضلٌ من الله عليك؛ إذ وفقك لذلك فاحمد الله على أن وفقك لتسبيحك له، وقيل في معنى ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: صل له مُنزِّهًا إياه عن كل ما يليق، وقيل: وسبح بحمده، قل: سبحان الله وبحمده،

أما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾، أي: أنه ﷻ خبيرٌ بكل ذنوب عباده لا يخفى عليه منه شيء، فهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فلكونه خلقهما وما بينهما فهو يعلم من خلق كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ثم إنه سبحانه الرحمن استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض فاسأل عنه إن أردت أن تسأل خبيرًا به، وأَخْبر الناس به هو رسوله ﷺ الذي أرسله للناس كافة، أي: فاسأل عن الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ.

وقيل: اقرأ القرآن فقد أخبر الله عن نفسه في هذا الكتاب العزيز.

فعليه فقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾ أي: اسأل عنه ﴿خَبِيرًا﴾ أي: خبيرًا به، وقيل المعنى: فاسأل عن أي شيء تريده خبيرًا به والخبير بكل شيء هو الله ﷻ، والله أعلم. ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الصدد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوّض إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه. قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ يقول: واعبده شكرًا منك له على ما أنعم به عليك. قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرًا بذنوب خلقه، فإنه لا يخفى عليه شيء منها، وهو مُحصٍ جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾.

(184) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ فقال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وقد ذكر السماوات والأرض، والسماوات جماع، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشيئين، كما قال القطامي:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أنَّ حِبالَ قَيْسٍ وتَغْلِبَ قَدْ تَبايَنَتا انقِطاعا

يريد: وحبال تغلب فثنى، والحبال جمع؛ لأنه أراد الشيئين والنوعين.

وقوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ يقول: فاسأل يا محمد خبيرًا بالرحمن، خبيرًا بخلقه، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلق.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ أي: في أمورك كلها كُن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدًا، الذي هو ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم ربِّ كل شيء ومليكه، اجعله ذُخْرك وملجأك، وهو الذي يُتَوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة : ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾، أي: اقرن بين حمده وتسبيحه؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «**سبحانك اللهم رَبَّنا وبحمدك**» أي: أخلص له

العبادة والتوكل، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] .

وقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] .

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي: لعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: هو الحي الذي لا يموت، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في سفولها وكثافتها ، ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، أي: يدبر الأمر، ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي: استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد عُلِم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى -فما قاله فهو حقٌّ، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء، وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله، وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا من كان، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا في الإخبار

(186) أحمر
أسود

وعدلًا في الأوامر والنواهي؛ ولهذا قال: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قال مجاهد في قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك. وكذا قال ابن جريج.

وقال شمر بن عطية في قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قال: هذا القرآن خبير به.

❁ ❁ ❁

المشركون واسم الرحمن

س: هل كان المشركون ينكرون اسم الرحمن؟

ج: منهم طوائف كانت تثبته، ومنهم من كان ينكره.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ...وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ [يس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية: لا ندري ما الرحمن وما الرحيم(1).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وإذا قيل لهؤلاء المشركين لا تسجدوا للأصنام ولا للأوثان ولا لأي شيء إلا لله ﷻ وحده لا شريك له هو الرحمن، قالوا مستنكرين: وما الرحمن؟! فإننا لا نعرف من الرحمن، أنسجد لما تأمرنا، وزادهم قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ ابتعادًا وفرارًا عن الحق

(1) مسلم (مع النووي 138/12)، والبخاري (2731)، (2732).

والإيمان.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: اجعلوا سجودكم لله خالصًا دون الآلهة والأوثان. قالوا: ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾.

واختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء المدينة والبصرة: ﴿لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له. وقرأته عامة قرَّاء الكوفة **«لمَا يَأْمُرُنا»** بالياء، بمعنى: أنسجد لما يأمر الرحمن، وذكر بعضهم أن مُسيلمة كان يُدعى الرحمن، فلما قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن، قالوا: أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة؟ يعنون مُسَيلمة بالسجود له.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القرَّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورًا﴾ يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله، وإفراد الله بالعبادة بعدًا مما دعوا إليه من ذلك فرارًا.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى منكرًا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؟ أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يُسَمّى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ للكاتب: **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»**

(188) أحمر
أسود

فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم؛ ولهذا أنزل الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: هو الله وهو الرحمن . وقال في هذه الآية : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؟ أي: لا نعرفه ولا نُقرُّ به ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ أي: لمجرد قولك؟ ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾، أما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم، ويُفْرِدُونه بالإلهية ويسجدون له. وقد اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجودُ عندها لقارئها ومستمعها، كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾ أي: الله تعالى ﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ على جهة الإنكار والتعجب أي: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم القاضي أبو بكر ابن العربي أنهم إنما جهلوا الصفة لا الموصوف واستدل على ذلك بقوله : ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ولم يقولوا: ومن الرحمن قال ابن الحصار: وكأنه $ لم يقرأ الآية الأخرى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الرعد: ٣٠] ﴿ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ هذه قراءة المدنيين والبصريين أي: لما تأمرنا أنت يا محمد واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: (يأمرنا) بالياء يعنون الرحمن كذا تأوَّله أبو عبيد قال : ولو أقروا بأن الرحمن أمرهم ما كانوا كفارًا، فقال النحاس: وليس يجب أن يتأول عن الكوفيين في قراءتهم هذا التأويل البعيد ولكن الأولى أن يكون التأويل لهم ﴿**أنسجد لما يأمرنا**﴾ النبي ﷺ فتصح القراءة على هذا وإن كانت الأولى أبين وأقرب تناولًا ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴾ أي: زادهم قول القائل

لهم اسجدوا للرحمن نفورًا عن الدين وكان سفيان الثوري يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعًا ما زاد أعدائك نفورًا.

❁ ❁ ❁

مزيد من الآيات
الدالة على وحدانية الله وقدرته ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تكاثر الخير الوارد من الله ﷻ وتنامى وتزايد، تكاثر خير الله الذي جعل في السماء بروجًا، كواكب عظيمة، قصورًا، نجومًا، وجعل فيها شمسًا عظيمة سراجًا وهاجًا، وكذا جعل فيها قمرًا منيرًا للخلق في ظلماتهم، وهو أيضًا الذي جعل الليل والنهار، يخلف بعضهم بعضًا، يذهب هذا ويجيء ذاك لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ويستدل على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، وكذا لمن أراد أن يقدم شكرًا لله، فمن فاته قيامه من الليل صلَّاه بالنهار، ومن فاتته أذكاره وأوراده بالنهار فعلها ليلًا، ومن أراد أن يصوم عرف وقت الصيام والإفطار.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: تقدّس الربّ الذي جعل في السماء بروجًا، ويعني بالبروج: القصور، في قول بعضهم.

وقال آخرون: هي النجوم الكبار.

وقال الطبري:

(190) أحمر
أسود

قولـه: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ اختلف القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء المدينة والبصرة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عنى عندهم بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾.

وقرأته عامة قرَّاء الكوفيين «وَجَعَلَ فِيها سُرُجا» على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ وجعلوا النجوم سرجًا إذ كان يهتدى بها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ يعني بالمنير: المضيء.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن ما فات أحدهما من عمل يعمل فيه لله، أدرك قضاؤه في الآخر.

وقال آخرون: بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفًا صاحبه، فجعل هذا أسود وهذا أبيض.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ

وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ قال: لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل، لو كان الدهر ليلا كله كيف يدري أحد كيف يصوم، أو كان الدهر نهارًا كله كيف يدري أحد كيف يصلي. قال: والخلفة: مختلفان، يذهب هذا ويأتي هذا، جعلهما الله خلفة للعباد، وقرأ: ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

قال الطبري:

والخلفة: مصدر، فلذلك وحدت، وهي خبر عن الليل والنهار؛ والعرب تقول: خلف هذا من كذا خلفة، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله، كما قال الشاعر:

وَلَهَا بِالمَاطِرُونَ إذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خِلْفَةٌ حَتَّى إذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا

وكما قال زهير:

بِهَا العِيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلّ مَجْثَمِ

يعني بقوله: يمشين خلفة: تذهب منها طائفة، وتخلف مكانها طائفة أخرى. وقد يحتمل أن زُهَيرًا أراد بقوله: خلفة: مختلفات الألوان، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها. ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا، وتجيء كذا.

وقوله: ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكَّر أمر الله، فينيب إلى الحق ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(192) أحمر
أسود

يقول تعالى، ممجدًا نفسه، ومعظمًا على جميل ما خلق في السماء من البروج – وهي الكواكب العظام- في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وابي صالح، والحسن، وقتادة.

وقيل: هي قصور في السماء للحرس، يُروى هذا عن علي، وابن عباس، ومحمد بن كعب، وإبراهيم النخعي، وسليمان بن مِهْران الأعمش. وهو رواية عن أبي صالح أيضًا، والقول الأول أظهر. اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] ؛ ولهذا قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ وهي الشمس المنيرة، التي هي كالسراج في الوجود، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ : ١٣] .

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي: مضيئًا مشرقًا بنور آخر ونوع وفن آخر، غير نور الشمس، كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] ، وقال مخبرًا عن نوح ﷺ، أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح : ١٥-١٦] .

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر، يتعاقبان لا يفتران. إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب ذاك ، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقوله: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: جعلهما يتعاقبان، توقيتًا

لعبادة عباده له، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل. وقد جاء في الحديث الصحيح[1]: **«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»**.

❁ ❁ ❁

(1) مسلم (2759).

(194) أحمر
أسود

صفات عباد الرحمن وأعمالهم

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ
قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا
سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ
بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ
ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾
يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا
مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ
كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامُۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان: 63-77].

(195) أحمر
أسود

س: وضّح معنى ما يلي:

﴿هَوْنًا - سَلَٰمًا - يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ - غَرَامًا - سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا - لَمْ يُسْرِفُوا - وَلَمْ يَقْتُرُوا - قَوَامًا - لَا يَدْعُونَ - أَثَامًا - مُهَانًا - يَتُبْ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا - لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ - بِٱللَّغْوِ - مَرُّوا كِرَامًا - لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا - إِمَامًا - ٱلْغُرْفَةَ - وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا - حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا - مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ - دُعَآؤُكُمْ - لِزَامًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَوْنًا﴾	بسكينة ووقار وطاعة وتواضع – بلا جهل على أحدٍ بتوسط واعتدال
﴿سَلَٰمًا﴾	قولًا مُسددًا موفقًا- قولًا سالمًا من الأذى
﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾	يقضون أغلب الليل في صلاة لربهم ودعاء
﴿غَرَامًا﴾	دائمًا – مُلازمًا لا يزول
﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	ساءت مقرًّا ومحلًّا للإقامة
﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾	لم يتجاوز حد الاعتدال في النفقة ولم ينفقوا في غير وجه الحق والصواب
﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾	لم يبخلوا ولم يضيقوا على أنفسهم وأهاليهم – لم يمنعوا الحقوق عن أصحابها
﴿قَوَامًا﴾	عدلًا ومعروفًا وقيامًا بالشيء على وجهه
﴿لَا يَدْعُونَ﴾	لا يعبدون
﴿أَثَامًا﴾	عقابًا – نكالًا ، وقيل : وادٍ في جهنم ، وقيل : مضاعفة العذاب والخلود في النار مهانًا

(196) أحمر
أسود

﴿مُهَانًا﴾	ذليلًا صاغرًا مُهملًا معذبًا
﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾	يرجع إلى الله رجوعًا حقيقيًّا فيقبل الله توبته
﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾	لا يحضرون مجالس الباطل (مجالس الشرك والفحش واللهو وغير ذلك) لا يُدلون بشهادات كاذبة عند القضاء والحكام
﴿بِٱللَّغْوِ﴾	ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، السباب والشتم والجهالات
﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾	مروا دون تعرضٍ لسفيه ودون ردٍّ عليه واكتراثٍ به، كما تقول: مر مرور الكرام
﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾	لم يقابلوها بأذان صماء ولا أعين عمياء ما تستقر به الأعين
﴿إِمَامًا﴾	أئمة
﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾	الغرفة واحدة الغرف، وهي مكانة سامية وعلية في الجنة لأهل التقى وللمقربين
﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾	يُحيون فيها بالتحية والسلام يقابلون فيها بالتحية والسلام
﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾	نعمت المستقر الحسن
﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ﴾	لا يبالي بكم ربي
﴿دُعَآؤُكُمْ﴾	إيمانكم
﴿لِزَامًا﴾	ملازمًا لكم

أمثلة لإضافة التشريف

س: ما فائدة الوصف بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مع أن البشر كلهم عبيد لله؟

ج: هذه إضافة تشريف لهذا الصنف من البشر شُرِّفوا بنسبتهم في عبوديتهم إلى الله ﷻ.

كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]، وكما في قولهم في الحرم (بيت الله) وغير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وهؤلاء عباد الرحمن الذين شرِّفوا بنسبتهم إلى الرحمن ﷻ في عبوديتهم له ﷻ فهم يعبدونه وحده لا شريك له، ها هي بعض صفاتهم وها هي بعض أعمالهم لعلَّ متشبهًا أن يتشبه بهم ولعل مريدًا للهداية أن يسلك طريقهم فهم الذين يمشون على الأرض هونًا بسكينةٍ ووقار وتواضع وطاعة لله، وكذا يمشون مشيًا وسطًا معتدلًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وكما في قول لقمان لولده: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

وإذا جهل عليهم جاهل لم يقابلوه بالجهالة التي صدرت منه بل قابلوه بما يليق بالعقلاء والحلماء والفضلاء وأهل الإيمان أجابوه بما يقتضيه المقام من الحلم والعفو والإعراض عن أهل الجهل، وقابلوه السيئة

(198) أحمر
أسود

بالحسنة إذا كان المقام يقتضي ذلك، وقابلوه بالسداد عمومًا حسب ما تُرشد إليه عمومًا الشريعة، فقد يحتاج الجاهل إلى كلمة طيبة فيقدمونها له، وقد يحتاج إلى إعراض عنه فيعرضوا عنه، وقد يحتاج في بعض الأمور إلى شدة لردعه فيسلكون هذا السبيل لصد عدوان العدو الصائل.

وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب.

وقال ابن كثير $:

هذه صفات عباد الله المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ أي: بسكينة ووقار من غير جَبَرية ولا استكبار، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٧]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من البضائع تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى

(199) أحمر
أسود

كأنما ينحط من صَبَب[1]، وكأنما الأرض تطوى له. وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابًّا يمشي رُويدًا، فقال: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرة، وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهَوْن هاهنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»**[2].

وقال $:

وقوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: إذا سَفه عليهم الجهال بالسَّيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

❁ ❁ ❁

أهل الإيمان يعملون الطاعات ويخشون العذاب

س: أهل الإيمان يعملون الطاعات ويسألون الله القبول ويحذرون غضب الله وعقابه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا

---

(1) وكأن هذا – إن ثبت- محمول على أن تلك هي مشيته المتوسطة.
(2) البخاري (635)، ومسلم (603).

﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ ...﴾ فمع مبيتهم لله ﷻ متقلبين بين القيام والسجود لله فإنهم يحذرون عذاب الله ﷻ ولا يغترون بعملهم الذي يعملون. وكذا في قوله تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام وولده صادق الوعد إسماعيل عليه السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم -: مزيدُ بيان لصفات عباد الرحمن وأعمالهم فمن شأنهم أنهم في ليلهم يتقلبون بين القيام له ﷻ وبين السجود له جل ذكره كما قال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨] وكما قال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [السجدة: ١٦].

ثم إن هؤلاء الفضلاء، عباد الرحمن، لا يغترون بعملهم بل يسألون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم فإن عذابها كان مُلازمًا لا يزول والعياذ بالله، فقد علموا ذلك وأيقنوا، ومن ثم حذروا منه أشد الحذر، إنها أي جهنم ساءت المقر الذي يستقر فيه الشخص، وساءت المقام الذي يقيم فيه الشخص.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والذين يبيتون لربهم يصلون لله، يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام. وقوله: ﴿وَقِيَٰمًا﴾ جمع: قائم، كما الصيام جمع: صائم ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرًا منه ووجلًا. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غرامًا ملحًا دائمًا لازمًا غير مفارق من عذِّب به من الكفار، ومهلكًا له. ومنه قولهم: رجل مُغْرم، من الغُرْم والدَّين. ومنه قيل للغريم غَريم لطلبه حقه، وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرَم بالنساء، وفلان مغرَم بفلان: إذا لم يصبر عنه؛ ومنه قول الأعشى:

إنْ يُعَاقِب يَكُنْ غَرَاما وَإنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلا فَإنَّهُ لا يبالي

يقول: إن يعاقب يكن عقابه عقابًا لازمًا، لا يفارق صاحبه مهلكًا له، وقول بشر بن أبي خازم:

يَوْمَ النِّسارِ وَيَوْمَ الجِفا رِ كَانَ عِقَابًا وَكَانَ غَرَاما

وقال $:

وقوله: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ يقول: إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا، يعني بالمستقر: القرار، وبالمقام: الإقامة؛ كأن معنى الكلام: ساءت جهنم منزلًا ومقامًا. وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة، وإذا فتحت فهو من قمت، ويقال: المقام إذا فتحت الميم أيضًا هو المجلس، ومن المُقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة، قول سلامة بن جندل:

يَوْمانِ: يَوْمُ مُقَاماتٍ وأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تَأْوِيبَ

ومن المُقام الذي بمعنى المجلس، قول عباس بن مرداس:

(202) أحمر
أسود

فـأيِّي مـا وأيُّـكَ كـانَ شَـرًّا فقِيـدَ إلـى المَقامَـةِ لا يَرَاهـا

يعني: المجلس.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ أي: في عبادته وطاعته، كما قال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧ - ١٨]، وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦] وقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية [الزمر : ٩] ولهذا قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أي: ملازمًا دائمًا.

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: بئس المنزل منظرًا، وبئس المقيل مقامًا.

وقال القرطبي $:

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: بئس المستقر وبئس المقام أي: إنهم يقولون ذلك عن علم وإذا قالوه عن علم كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون فيكون ذلك أقرب إلى النجح.

❁ ❁ ❁

س: متى يُعد الشخص مسرفًا ومتى يُعدُّ مُقترًا؟

ج: الإنفاق أمر نسبي، فأحيانًا ينفق الشخص نفقة كثيرةً، ولا يكون مُسرفًا فيها، وذلك لأن دخله مرتفع ورزق الله عليه واسع أو لأن المقام اقتضى ذلك لوجود أضياف ونحو ذلك من المناسبات.

وأحيانًا يكون مُبذرًا إذا أنفق نفقة ولو كانت أقل، وذلك لكون دخله

قليل أو لكونها أنفقت في غير محلها.

وكذا يُعدُّ مقترًا إذا بخل عن حق عليه (سواء حق الله ﷻ أو حق نفسه أو حق أهله وعياله أو حق أضيافه ...)، ولا يكون مُقترًا من منع المال ولو كان قليلًا إذا كان سينفق في معصية الله ﷻ فالإنفاق أمر نسبي، ومن ثمَّ يترتب على ذلك وصف الشخص بالإسراف أو التقتير والله أعلم.

فالإنفاق أمر نسبي، فقد ينفق الشخص في اليوم ألفًا من الجنيهات والريالات ولا يعد مسرفًا إذا كان دخله على سبيل المثال في اليوم عشرة آلاف، وقد ينفق مائة ويعد مسرفًا، وذلك إذا كان دخله في اليوم خمسون مثلًا.

وهكذا قد ينفق على أضياف دعت الحاجة إلى إكرامهم، ينفق كثيرًا ولا يعد مسرفًا لكون المقام اقتضى ذلك، فالحاصل أن الأمر نسبي، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾.

ج: هذا بيان لطريقة عباد الرحمن في الإنفاق لعلَّ ملتمسًا الهداية أن يلتمس طريقتهم في الإنفاق فيسير عليها.

فمن شأنهم أنهم إذا أنفقوا لم يتجاوزا الحد في الإنفاق ولم يوصفوا بأنهم من أهل التبذير الذين هم إخوان للشيطان فمن ثمَّ لم ينفقوا في باطل ولم يتجاوزوا الحدَّ في المباحات، ولم يشتروا ما لا فائدة فيه ولا حاجة إليه، وكذا لم يبخلوا عن أداء الحقوق لأصحابها ، لم يضيقوا على أنفسهم ولا على أهاليهم وأبناءهم، ولم يبخلوا على أضيافهم، وكذا فإنهم يؤدون

(204) أحمر
أسود

الحقوق لأصحابها فالفقير له عندهم حق والمسكين والجار، فضلًا عن الحق الذي ألزمهم الله به، فلم يوصفوا بأنهم بخلاء، وكما سبق لم يوصفوا أنهم من أهل الإسراف والتبذير.

* بل امتثلوا ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

* وامتثلوا ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

* وامتثلوا ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

أما قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ فمعناه: أن أمرهم بين الإسراف والتقتير كان عدلًا فيقومون بالمطلوب ولا يتجاوزون الحدود ولا يقصرون عن الواجبات والمستحبات، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها.

ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع، وما الإسراف فيها والإقتار. فقال بعضهم: الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلت: قال: وإياها عنى الله، وسماها إسرافًا. قالوا: والإقتار: المنع من حق الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ قال: لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله كلَّ ما أنفق في معصية الله وإن قلّ فهو إسراف، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله. قال: وما أُمْسِكَ عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار.

(205) أحمر
أسود

وقال آخرون: السرف: المجاوزة في النفقة الحد، والإقتار: التقصير عن الذي لا بدَّ منه.

وقال آخرون: الإسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق.

قال الطبري $:

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدَّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتر مذمومًا، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم.

فإن قال قائل: فهل لذلك من حدٍّ معروف تبينه لنا؟ قيل: نعم ذلك مفهوم في كلِّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرِّ وغير ذلك، نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلًا غير أن جملة ذلك هو ما بيَّنا وذلك نحو: أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه، وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه، وأداء فرائضه؛ فذلك من السرف، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه؛ فذلك من الإقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو، كل ما جانس ما ذكرنا، فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس، وحضوره المحافل والجمع والأعياد دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام ما قوَّاه على عبادة ربه، مما ارتفع عما

(206) أحمر
أسود

قد يسد الجوع، مما هو دونه من الأغذية، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته، فذلك خارج عن معنى الإسراف، بل ذلك من القوام، لأن النبي ﷺ قد أمر ببعض ذلك، وحضّ على بعضه، كقوله: «**مَا عَلى أحَدِكُمْ لَوْ اتَّخَذَ ثَوْبَيْنِ: ثَوْبًا لِمِهْنَتِهِ، وَثَوْبًا لجُمْعَتِهِ وَعِيدِه**» وكقوله: «**إذَا أنْعَمَ اللهُ عَلَى عبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ**» وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيَّناها في مواضعها.

وأما قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ فإنه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بيَّنا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهْليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عَدْلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وأورد القرطبي قولًا حسنًا في هذا الصدد فقال: قال ابن عطية: وهذا ونحوه غير مرتبط بالآية والوجه أن يقال: إن النفقة في معصية أمرٌ حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون مُنزَّهون عن ذلك وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقًّا آخر أو عيالًا ونحو هذا وألا يضيق أيضًا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام أي: العدل والقوام في كل

(207) أحمر
أسود

واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوساطها ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أن يتصدق بجميع ماله لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال إبراهيم النخعي: هو الذي لا يجيع ولا يعرى ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآيات: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول وذلك مما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله (وهو ابن مسعود) ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ أَوْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: **«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»** قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ (1).

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

واعلم أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة، أن الله مدح عباده الصالحين بتوسُّطهم في إنفاقهم ، فلا يجاوزون الحدَّ بالإسراف في الإنفاق، ولا يقترون، أي: لا يضيقون فيبخلون بإنفاق القدر اللازم .

وقال بعض أهل العلم: الإسراف في الآية : الإنفاق في الحرام

(1) البخاري (4761)، ومسلم (86).

(208) أحمر
أسود

والباطل، والإقتار منع الحق الواجب، وهذا المعنى وإن كان حقًّا فالأظهر في الآية هو القول الأول.

وقال $ (أضواء البيان):

وإذا علمت مما ذكرنا أن جميع مسائل الاقتصاد راجعة إلى أصلين، هما: اكتساب المال، وصرفه في مصارفه، فاعلم أن كل واحد من هذين الأصلين، لا بدّ له من أمرين ضروريين له:

الأوّل منهما: معرفة حكم الله فيه؛ لأن الله جلَّ وعلا لم يُبح اكتساب المال بجميع الطرق التي يكتسب بها المال، بل أباح بعض الطرق، وحرَّم بعضها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ولم يبح الله جلَّ وعلا صرف المال في كل شيء، بل أباح بعض الصرف وحرَّم بعضه؛ كما قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، وقال تعالى في الصرف الحرام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾[الأنفال: ٣٦]، فمعرفة حكم الله في اكتساب المال وفي صرفه في مصارفه أمر ضروري لا بدّ منه؛ لأن من لم يعلم ذلك قد يكتسب المال من وجه حرام ، والمال المكتسب من وجه حرام ، لا خير فيه ألبتّة ، وقد يُصرف المال في وجه حرام ، وصرفه في ذلك حسرة على صاحبه .

الأمر الثاني : هو معرفة الطريق الكفيلة باكتساب المال، فقد يعلم الإنسان مثلًا أن التجارة في النوع الفلاني مباحة شرعًا ، ولكنه لا يعلم أوجه التصرُّف بالمصلحة الكفيلة بتحصيل المال، من ذلك الوجه

الشرعيّ، وكم من متصرّف يريد الربح، فيعود عليه تصرُّفه بالخسران ، لعدم معرفته بالأوجه التي يحصل بها الربح. وكذلك قد يعلم الإنسان أن الصرف في الشيء الفلاني مباح ، وفيه مصلحة، ولكنه لا يهتدي إلى معرفة الصرف المذكور ، كما هو مشاهد في المشاريع الكثيرة النفع إن صرف فيها المال بالحكمة والمصلحة ، فإن جواز الصرف فيها معلوم ، وإيقاع الصرف على وجه المصلحة ، لا يعلمه كل الناس .

وبهذا تعلم أن أصول الاقتصاد الكبار أربعة :

الأول : معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال ، واجتناب الاكتساب به ، إن كان محرَّمًا شرعًا .

الثاني : حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة ما يبيحه خالق السماوات والأرض ، وما لا يبيحه .

الثالث : معرفة حكم الله في الأوجه التي يُصرف فيها المال ، واجتناب المحرم منها .

الرابع: حسن النظر في أوجه الصرف ، واجتناب ما لا يفيد منها ، فكل من بنى اقتصاده على هذه الأسس الأربعة كان اقتصاده كفيلًا بمصلحته ، وكان مرضيًا لله جلَّ وعلا ، ومن أخلَّ بواحد من هذه الأُسس الأربعة كان بخلاف ذلك؛ لأن من جمع المال بالطرق التي لا يبيحها الله جلَّ وعلا فلا خير في ماله، ولا بركة؛ كما قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ ﴾ [المائدة: ١٠٠] الآية.

❁ ❁ ❁

(210) أحمر
أسود

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومن صفات عباد الرحمن، وهي أخص صفاتهم أنهم لا يعبدون إلهًا مع الله ﷻ بل يعبدون الله وحده لا شريك له، ويكفرون بعبادة ما سواه، وكذا فإنهم لا يقتلون النفس التي حرَّم الله ﷻ قتلها إلا بالحق، والحق هو ما ذكره الله في كتابه وذكره النبي ﷺ في سُنته، والذي منه قول النبي ﷺ: **«لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ»**.

وكذا فهناك حد الحرابة المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ...﴾ [المائدة: ٣٣] إلى غير ذلك مما وردت به النصوص كقتال الفئة الباغية ...

وكذا من صفات عباد الرحمن أنهم لا يزنون، ومن يفعل شيئًا مما ذُكر فإنه يلق عقابًا ونكالًا، صورته أنه يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه بلا نهاية ذليلًا صاغرًا مهانًا.

لكن من تاب قبل موته مما ذُكر، وأتبع الإيمان بالعمل الصالح فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات – على ما قدمنا ذكره من كيفية تبديل السيئات بحسنات – وكان الله غفورًا لهم ما أسلفوه من الذنوب، رحيمًا بهم ثم

يتأكد القول بأن باب التوبة مفتوح على العموم للمذنبين فيقول تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾، وحاصل معناه أن من رجع إلى الله ﷻ قبل الله رجوعه، وبتوبته يتوب الله عليه، وهذا الأخير في حق غير المذكورين أولًا فالمذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ قبول توبتهم في قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أما غيرهم من المذنبين فيبين أن باب التوبة مفتوح لهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلهًا آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها، أو زنًا بعد إحصانها، أو قتل نفس، فتُقتل بها ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يقول: ومن يأت هذه الأفعال، فدعا مع الله إلهًا آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالًا كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾، ومن الأثام قول بَلْعَاءَ بن قيس الكناني:

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حيْثُ أمْسَى عُقُوقًا والعُقُوقُ لَهُ أثَامُ

يعني بالأثام: العقاب.

وقال الطبري $:

(212) أحمر
أسود

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتَوْا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يُعلِّمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم.

وأورد الطبري الروايات بذلك ثم قال:

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة بالتي في النساء.

قلت (مصطفى): يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

قلت (مصطفى): لكن النسخ لا يصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، وكذا عند التعارض، ولا تعارض هاهنا ثم إن الجمع ممكن، بأن يُقال إن آية النساء ليس فيها تعرض لذكر التوبة، فمن تاب تاب الله عليه حتى ولو كان كافرًا ، لقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ولقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

* ثم إن القتل نفسه يُكفَّر إذا شاء الله، فإن الله قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

* وحديث قاتل المائة نفسًا شاهد بذلك أيضًا.

* وكذلك يمكن أن ينزل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ..﴾، على المستحلِّ، الذي يستحل قتل المؤمن لكونه مؤمنًا، والله أعلم.

*** هذا وارجع إلى ما قاله الطبري $ في تفسير الآيات.**

قال $:

وقوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان. وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلق أثاما ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله ﴿وَءَامَنَ﴾ يقول: وصدَّق بما جاء به محمد نبي الله ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه.

قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيمانًا، وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به، وبالزنا عفة وإحصانًا.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك، فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوّله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركًا

(214) أحمر
أسود

في الكفر بعينه إيمانًا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حِجا.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يُعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها. قوله: ﴿وَمَن تَابَ﴾ يقول: ومن تاب من المشركين، فآمن بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله فأطاعه، فإن الله فاعل به من إبداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الإسلام، مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحًا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأورد أبو جعفر الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ قال: هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ ، ما كان هؤلاء إلا معنا، قال: ومن تاب وعمل صالحًا فإن لهم مثل ما لهؤلاء ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ لم تُحظر التوبة عليكم.

أما الحافظ ابن كثير $: فقد أورد عند تفسير هذه الآية الكريمة ما أخرجه الإمام أحمد(1) عن شَقيق، عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: سُئل رسول الله ﷺ أي: الذنب أكبر؟ قال: «**أن تَجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قال: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعم معك**». قال: ثم أي؟

(1) أحمد (380/1).

(215) أحمر
أسود

قال: «**أن تزاني حليلة جارك**». قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾.

وأشار إلى ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق منصور وسليمان (الأعمش) عن أبي وائل عن أبي ميسرة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**».

وأورد روايات أخر ثم قال:

وقوله: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ . رُوي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ﴿أَثَامًا ﴾ وادٍ في جهنم.

وقال عكرمة: ﴿ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ أودية في جهنم يُعذَّب فيها الزناة. وكذا رُوي عن سعيد بن جبير، ومجاهد.

وقال قتادة: ﴿ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ نكالًا كنا نحدث أنه وادٍ في جهنم.

وقال السدي: ﴿ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾ : جزاء.

وهذا أشبه بظاهر الآية؛ ولهذا فسره بما بعده مبدلًا منه، وهو قوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: يكرر عليه ويغلظ، ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ أي: حقيرًا ذليلًا.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: جزاؤه على ما فعل

---

(1) البخاري (4761)، ومسلم (86).

(216) أحمر
أسود

من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿ إِلَّا مَن تَابَ﴾ في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب؛ لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقررًا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقَبَلَ منه، وغير ذلك من الأحاديث.

ثم قال ابن كثير $ بعد أن أورد جملة من الآثار:

ثم قال تعالى مخبرًا عن عموم رحمته لعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان، جليل أو حقير، كبير أو صغير فقال: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ أي: فإن الله يقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، وقال ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٤]، وقال: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]، أي: لمن تاب إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إخراج لعباده المؤمنين

من صفات الكفرة في عبادتهم الأوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات ومن الزنى الذي كان عندهم مباحًا.

وقال: قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان على ما تقدم بيانه في الأنعام ﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين ودلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى ولهذا ثبت في حد الزنى القتل لمن كان محصناً أو أقصى الجلد لمن كان غير محصن.

وقال: و﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بالجزم بدل من «يلق» الذي هو جزاء الشرط.

قال سيبويه: مضاعفة العذاب لقى الآثام. قال الشاعر:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبًا جزلا ونارًا تأججا

وقال آخر:

إن علي الله أن تبايعا تُؤخذ كرهًا أو تجيء طائعا

وأما الرفع ففيه قولان: أحدهما أن تقطعه مما قبله والآخر أن يكون محمولا على المعنى كأن قائلًا قال: ما لُقي الآثام فقيل له : يضاعف له العذاب و(مهانا) معناه ذليلًا خاسئًا مبعدًا مطرودًا.

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف ﴿ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾ أي: في العذاب ﴿ مُهَانًا ﴾ فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل

(218) أحمر
أسود

واحد من هذه الثلاثة لكونها؛ إما شرك وإما من أكبر الكبائر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيُخرجون من النار ولا يُخلَّد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونصَّ تعالى على هذه الثلاثة لأنها أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

❁ ❁ ❁

المراد بتبديل السيئات إلى حسنات

س: ما المراد بتبديل السيئات حسنات في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك حاصلها ما يلي:

الأول: أنهم كانوا في جاهليتهم يعملون أعمالًا سيئة، فتكتب عليهم سيئات، فبعد أن آمنوا، عملوا أعمالًا صالحة فبدلًا من السيئات التي كانت تكتب عليهم أصبحت تُكتب لهم حسنات على أعمالهم الصالحة.

الثاني: أنهم لما عملوا السيئات استعظموا ذلك فكلما ذكروا السيئة التي عملوها أحدثوا استغفارًا وعملًا صالحًا، فكانت السيئة التي عملوها سببًا في أعمالٍ صالحة كثيرة عملوها، وعلى سبيل التقريب، قد يذنب الشخص ذنبًا كفارته صلاة ركعتين مثلًا فيصلي ركعتين، يُكفِّر الله بهما الذنب الذي ارتكب، ولكن العبد كلما ذكر الذنب استغفر وصلى وصام وتصدق وعمل صالحًا فكل ما يصنعه بعد أن غُفر ذنبه بصلاة ركعتين، فكل ما يصنع يُحصِّل مزيدًا من الثواب والأجر، والله أعلم.

وأورد القرطبي وجهًا حاصله حمل الآية على ظاهرها فقال: فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ : في معنى قوله: ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾ قال: هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك فحوَّلهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتال المسلمين قتالًا مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات.

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا، وأبدلهم بالفجور إحصانًا وبالكفر إسلامًا.

وهذا قول أبي العالية، وقتادة، وجماعة آخرين.

والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته، كما ثبتت السنة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف -رحمهم الله تعالى-وهذا سياق الحديث-قال الإمام أحمد:

(220) أحمر
أسود

وأورد ابن كثير $ حديث: أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة: يُؤتى برجل فيقول: نَحّوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها، قال: فيُقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا؟ فيقول: نعم -لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئًا - فيُقال: فإن لك بكل سيئة حسنة. فيقول: يا رب، عملت أشياء لا أراها هاهنا»**(1). قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه.

قال القرطبي $ أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ لا يقال: من قام فإنه يقوم فكيف قال من تاب فإنه يتوب ؟ فقال ابن عباس: المعنى من آمن من أهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وأدى الفرائض فإنه يتوب إلى الله متابا أي فإني قدمتهم وفضلتهم على من قابل النبي ﷺ واستحل المحارم. وقال القفال: يحتمل أن يكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ ثم عطف عليه من تاب من المسلمين وأتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين أيضا وقيل: أي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله وفليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا فحقق توبته بالأعمال الصالحة فهو الذي تاب إلى الله متابا أي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذا أكد بالمصدر فـ ﴿ مَتَابًا ﴾ مصدر معناه التأكيد كقوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] أي: فإنه يتوب إلى الله حقًّا فيقبل الله توبته حقا.

---

(1) مسلم (190)، وأحمد (170/5).

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ أي: فليعلم أن توبته في غاية الكمال؛ لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شوائب الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا الحثُّ على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالها.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، وذلك فيما أخرجه البخاري من طريق سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ أَبْزَى: «سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣] وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: فَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ، وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ:- ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

❁ ❁ ❁

س: مَنْ مِنَ العلماء الذين ذهبوا إلى أن الآية الكريمة: ﴿...وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾ منسوخة؟

ج: ذهب إلى ذلك ابن عباس في بعض المرويات عنه، وذهب إلى

---

(1) البخاري (4765)، ومسلم (159/18).

(222) أحمر
أسود

أن ناسخها هو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ...﴾ الآية.

أخرج البخاري(1) في صحيحه من طريق: الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ ابْنَ جُبَيْرٍ: هَلْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ فَقَالَ سَعِيدٌ: قَرَأْتُهَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا قَرَأْتَهَا عَلَيَّ فَقَالَ: هَذِهِ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ.

ومن طريق سَعِيدِ(2) بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فَدَخَلْتُ فِيهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ.

وفي رواية أخرى(3) عنه قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣]، قَالَ: لَا تَوْبَةَ لَهُ. وَعَنْ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وفي رواية أخرى عند البخاري (4) : عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَنْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ».

قال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري) في شرح ما تقدم:

---

(1) البخاري (4762).
(2) البخاري (4763).
(3) البخاري (4764).
(4) البخاري (4766).

(223) أحمر
أسود

قَوْله: عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ فَسَأَلْته فَقَالَ : لَمْ يَنْسَخهَا شَيْء, وَعَنْ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَهْل الشِّرْك) هَكَذَا أَوْرَدَهُ مُخْتَصَرًا , وَسِيَاق مُسْلِم مِنْ هَذَا الْوَجْه أَتَمّ , وَأَتَمّ مِنْهُمَا مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَبْعَث مِنْ رِوَايَة جَرِير بِلَفْظِ: «هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا أَمَرَهُمَا ؟ الَّتِي فِي سُورَة الْفُرْقَان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ وَالَّتِي فِي سُورَة النِّسَاء ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ قَالَ : سَأَلْت ابْن عَبَّاس فَقَالَ : لَمَّا أُنْزِلَتِ الَّتِي فِي سُورَة الْفُرْقَان قَالَ مُشْرِكُو مَكَّة: قَدْ قَتَلْنَا النَّفْس وَدَعَوْنَا مَعَ الله إِلَهًا آخَر وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِش, قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ الْآيَة , قَالَ : فَهَذِهِ لِأُولَئِكَ , قَالَ : وَأَمَّا الَّتِي فِي سُورَة النِّسَاء فَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَفَ الْإِسْلَام ثُمَّ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم لَا تَوْبَة لَهُ , قَالَ . فَذَكَرْت ذَلِكَ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ : إِلَّا مَنْ نَدِمَ» وَحَاصِل مَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَات أَنَّ ابْن عَبَّاس كَانَ تَارَة يَجْعَل الْآيَتَيْنِ فِي مَحَل وَاحِد فَلِذَلِكَ يَجْزِم بِنَسْخِ إِحْدَاهمَا , وَتَارَةً يَجْعَل مَحَلَّهُمَا مُخْتَلِفًا . وَيُمْكِن الْجَمْع بَيْنَ كَلَامَيْهِ بِأَنَّ عُمُوم الَّتِي فِي الْفُرْقَان خَصَّ مِنْهَا مُبَاشَرَةَ الْمُؤْمِن الْقَتْل مُتَعَمِّدًا , وَكَثِير مِنَ السَّلَف يُطْلِقُونَ النَّسْخ عَلَى التَّخْصِيص , وَهَذَا أَوْلَى مِنْ حَمْل كَلَامه عَلَى التَّنَاقُض , وَأَوْلَى مِنْ دَعْوَى أَنَّهُ قَالَ بِالنَّسْخِ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ . وَقَوْل ابْن عَبَّاس بِأَنَّ الْمُؤْمِن إِذَا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا لَا تَوْبَة لَهُ مَشْهُور عَنْهُ , وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ أَصْرَح مِمَّا تَقَدَّمَ : فَرَوَى أَحْمَد وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق يَحْيَى الْجَابِر وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ طَرِيق عَمَّار الذَّهَبِيّ كِلَاهُمَا عَنْ سَالِم بْن أَبِي الْجَعْد قَالَ : «كُنْت عِنْدَ ابْن عَبَّاس بَعْدَمَا كُفَّ بَصَره , فَأَتَاهُ رَجُل فَقَالَ : مَا تَرَى فِي رَجُل قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ؟ قَالَ : جَزَاؤُهُ

(224) أحمر
أسود

جَهَنَّم خَالِدًا فِيهَا , وَسَاقَ الْآيَة إِلَى ﴿عَظِيمًا﴾ قَالَ : لَقَدْ نَزَلَتْ فِي آخِر مَا نَزَلَ , وَمَا نَسَخَهَا شَيْء حَتَّى قُبِضَ رَسُول اللَّه ﷺ , وَمَا نَزَلَ وَحْي بَعْدَ رَسُول اللَّه ﷺ . قَالَ : أَفَرَأَيْت إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ : وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَة وَالْهُدَى» لَفْظ يَحْيَى الْجَابِر , وَالْآخَر نَحْوه . وَجَاءَ عَلَى وَفْق مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْن عَبَّاس فِي ذَلِكَ أَحَادِيث كَثِيرَة: مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيق أَبِي إِدْرِيس الْخَوْلَانِيّ عَنْ مُعَاوِيَة سَمِعْت رَسُول اللَّه ﷺ يَقُول : «**كُل ذَنْب عَسَى اللَّه أَنْ يَغْفِرَهُ؛ إِلَّا الرَّجُل يَمُوت كَافِرًا , وَالرَّجُل يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**» وَقَدْ حَمَلَ جُمْهُور السَّلَف وَجَمِيع أَهْل السُّنَّة مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى التَّغْلِيظ , وَصَحَّحُوا تَوْبَة الْقَاتِل كَغَيْرِهِ , وَقَالُوا : مَعْنَى قَوْله : ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ أَيْ: إِنْ شَاءَ اللَّه أَنْ يُجَازِيَهُ تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء أَيْضًا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وَمِنَ الْحُجَّة فِي ذَلِكَ حَدِيث الْإِسْرَائِيلِي الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ثُمَّ أَتَى تَمَام الْمِائَة فَقَالَ لَهُ : لَا تَوْبَةَ , فَقَتَلَهُ فَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ جَاءَ آخَر فَقَالَ : «**وَمَنْ يَحُول بَيْنَك وَبَيْنَ التَّوْبَة**» الْحَدِيث , وَهُوَ مَشْهُور , وَسَيَأْتِي فِي الرِّقَاق وَاضِحًا . وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ لِمَنْ قُبِلَ مِنْ غَيْر هَذِهِ الْأُمَّة فَمِثْله لَهُمْ أَوْلَى لِمَا خَفَّفَ اللَّه عَنْهُمْ مِنَ الْأَثْقَال الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ(1).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾.

---

(1) الفتح (354/8).

(225) أحمر
أسود

ج: أما قوله تعالى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ﴾ ففيها وجهان:

أحدهما: لا يشهدون: لا يحضرون.

الثاني: لا يشهدون: لا يدلون بالشهادة أي أمام القضاء.

فعلى المعنى الأول.

لا يشهدون الزور: أي: لا يحضرون مجالس أهل الشرك بالله ولا مجالس اللغو والباطل والغناء الباطل ولا مجالس الكذب، فلا يشركون ولا يكذبون ولا يلغون.

الثاني: لا يدلون بالشهادات الكاذبة أمام القضاء والمُحكِّمين بين الناس.

والزور يُطلق على الميل، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الكهف: ١٧] فالميل عن الحق إلى الباطل يطلق عليه زور.

أما اللغو: فالمراد به ما لا فائدة فيه من الكلام، وكذا كل ما هو مُضرٌ من الكلام فيدخل فيه الكلام البذيء الذي كان أهل الشرك يقولونه لأهل الإيمان.

ويدخل فيه ذكر النكاح بلفظه الصريح في غير موطن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ أي: إذا مروا بأهل الشرك الذين يشتمونهم ويسبونهم لم يقابلوا السفاهات بمثلها بل أعرضوا عنه كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥] وكذا إذا ذُكر أمامهم الرفث فلا يقعون فيه ولا يتكلمون به، أي: لا يتكلمون في أمور النكاح بما لا فائدة

(226) أحمر
أسود

فيه. وكذا إذا مروا بما لا فائدة فيه من الحديث تركوه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه، فقال بعضهم: معناه الشرك بالله.

وقال آخرون: بل عني به الغناء.

وقال آخرون: هو قول الكذب.

قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسَّن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حقٌّ، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء؛ لأنه أيضًا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضًا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حقٌّ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئًا من الباطل لا شركًا، ولا غناء، ولا كذبًا ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور؛ لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخصَّ من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذُكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين، ويكلمونهم به من الأذى. ومرورهم به كرامًا

إعراضهم عنهم وصفحهم.

وقال آخرون: بل معناه: وإذا مروا بذكر النكاح، كفُّوا عنه.

وقال آخرون: إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له.

وقال آخرون: عُني باللغو هاهنا: المعاصي كلها.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظَّموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: عُني به بعض ذلك دون بعض؛ إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وإذا مرُّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مرُّوا كرامًا، مرورهم كرامًا في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن يَنْهَوْا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قومًا يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم،

(228) أحمر
أسود

وكل ذلك مرورهم كرامًا.

وأورد ابن كثير أقوالًا في تفسير الزور نحوًا مما ذُكر وأدخل فيها الفسق وأعياد المشركين ومجالس السوء والخنا، وقال:

وقيل: المراد بقوله تعالى: ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي: شهادة الزور، وهي الكذب متعمدًا على غيره، كما ثبت في الصحيحين(1) عن أبي بَكْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكْبر الكبائر؟**» ثلاثًا، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: «**الشرك بالله، وعقوق الوالدين**». وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**». فمازال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

والأظهر من السياق أن المراد: لا يشهدون الزور، أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مرُّوا، ولم يتدنسوا فيه بشيء؛ ولهذا قال: ﴿ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ .

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغِيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه.

---

(1) البخاري (2654)، ومسلم (87).

وشهادة الزور داخلة في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولوية، ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم ﴿ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: نزَّهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفهٌ ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم – بيانٌ لحال أهل الإيمان إذا ذكَّرهم مُذكِّر بآيات الله ﷻ فإنهم ينتفعون بالذكرى، يصغون للآيات ويتفهمونها ويعملون بمقتضاها، لا يقابلونها مقابلة الأعمى ولا يستمعونها استماع الأصم بل يلقون القلوب حتى يستمعون الآيات، ويتدبرونها ويتبعون ذلك بالعمل. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والذين إذا ذكَّرهم مذكِّر بحجج الله، لم يكونوا صمًّا لا يسمعون، وعميًّا لا يبصرونها ولكنهم يقَاظُ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذِّكرهم به، ويفهمون عنه ما يُنبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانًا سمعته، وقلوبًا وعته.

وقال $:

(230) أحمر
أسود

فإن قال قائل: وما معنى قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أوَ يَخر الكافرون صمًّا وعميانًا إذا ذكروا بآيات الله، فَيُنْفَى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟ قيل: نعم، الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخره عليها كذلك: إقامته على الكفر، وذلك نظير قول العرب: سببت فلانا، فقام يبكي، بمعنى فظل يبكي، ولا قيام هنالك، ولعله أن يكون بكى قاعدا، وكما يقال: نهيت فلانًا عن كذا، فقعد يشتمني، ومعنى ذلك: فجعل يشتمني، وظل يشتمني، ولا قعود هنالك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتى قد فهموا معناه. وذكر الفرَّاء أنه سمع العرب تقول: قعد يشتمني، كقولك: قام يشتمني، وأقبل يشتمني.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذه من صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، بخلاف الكافر، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يُقْصر عما كان عليه، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: بخلاف الكافر الذي ذكر بآيات ربه، فاستمر على حاله، كأن لم يسمعها أصم أعمى.

قال مجاهد: قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يسمعوا: ولم يبصروا، ولم يفقهوا شيئًا.

(231) أحمر
أسود

وقال الحسن البصري: كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمى.

وقال قتادة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ يقول: لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه، فهم -والله -قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال : ﴿ لَمْ يَخِرُّواْ﴾ وليس ثَمَّ خرور كما يقال : قعد يبكي وإن كان غير قاعد قاله الطبري واختاره. قال ابن عطية : وهو أن يخروا صمًّا وعميانًا هي صفة الكفار وهي عبارة عن إعراضهم وقرن ذلك بقولك : قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقعود ولا قيام وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة. قال ابن عطية: فكأن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأمر فإذا أعرض وضل كان ذلك خرورًا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وإن كان قد شبه به الذي يخر ساجدًا لكن أصله على غير ترتيب وقيل: أي: إذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم فخروا سجدًا وبكيًّا ولم يخروا عليها صمًّا وعميانًا. وقال الفراء: أي: لم يقعدوا على حالهم الأول كأن لم يسمعوا.

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها.

﴿ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم

(232) أحمر
أسود

يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥] يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانًا سامعة وقلوبًا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتُحدث لهم نشاطًا ويفرحون بها سرورًا واغتباطًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن أهل الإيمان، عباد الرحمن يدعون ربهم ويسألونه قائلين: يا ربنا هب لنا ما تقر به الأعين من أزواجنا وذرياتنا يعنون بذلك ما تستقر به الأعين فلا تنظر إلى أبناء الآخرين، ولا إلى أزواج الآخرين، ومن ذلك أن تكون الزوجة مطيعة لله ﷻ، وكذا يرى الأبناء والبنات مطيعين لله ﷻ، لا يجرون إليه الجرائر ولا يأتون يومًا بعد يوم المصائب، ومن دعاء أهل الإيمان أيضًا دعاؤهم بأن يكونوا أئمة في الخير يُقتدى بهم المتقون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك.

وأورد آثارًا بهذا المعنى مفادها أن تهتدي أزواجه وذريته للإسلام

(233) أحمر
أسود

ويعملون بطاعة الله ولا يجرون إليه الجرائر.

ثم قال:

وقيل: هب لنا قرة أعين، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع، وقوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ واحدة لأن قوله: قرة أعين مصدر من قول القائل: قرّت عينك قرة، والمصدر لا تكاد العرب تجمعه.

وقوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: اجعلنا أئمة يَقْتَدِي بنا من بعدنا.

وقال آخرون: بل معناه: واجعلنا للمتقين إمامًا: نأتم بهم، ويأتم بنا من بعدنا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إمامًا، يأتمون بنا في الخيرات؛ لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إمامًا، وقال: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ولم يقل أئمة. وقد قالوا: واجعلنا وهم جماعة؛ لأن الإمام مصدر من قول القائل: أمَّ فلان فلانًا إمامًا، كما يقال: قام فلان قيامًا وصام يوم كذا صيامًا. ومَنْ جمع الإمام أئمة، جعل الإمام اسمًا، كما يقال: أصحاب محمد إمام، وأئمة للناس. فمن وحَّد قال: يأتم بهم الناس. وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويّي أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية: الإمام في قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ جماعة، كما تقول: كلهم عُدُول. قال: ويكون على الحكاية كما يقول القائل: إذا قيل له: من أميركم، هؤلاء أميرنا، واستشهد لذلك بقول الشاعر:

(234) أحمر
أسود

يـــا عـــاذِلاتي لا تُـــرِدْنَ مَلامَتِـــي إنَّ الـــعوَاذلَ لَسْـــنَ لـــي بأمِيـــرِ

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولــه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ يعنـــي: الذين يسـألون الله أن يُخـرج مـن أصـلابهم وذريـاتهم مـن يطيعـه ويعبـده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة، فتقرُّ بـه أعيـنهم فـي الـدنيا والآخرة.

وأورد آثارًا أُخر منها ما أخرجه أحمد وغيره من طريق صـفوان بـن عمرو، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيـه قـال: جلسـنا إلـى المقداد بن الأسود يومًا، فمر به رجل فقال: طـوبى لهـاتين العينـين اللتـين رأتـا رسـول الله ﷺ! لوددنـا أنَّـا رأينـا مـا رأيـت، وشـهدنا مـا شـهدت. فاستغضب، فجعلت أعجبُ ما قال إلا خيرًا! ثم أقبل إليه فقـال: مـا يحمـل الرجل على أن يتمنى مَحْضَرًا غيَّبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبَّهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولـم يصـدقوه، أولا تحمـدون الله إذ أخـرجكم لا تعرفـون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم، قد كُفيتم البلاء بغيركم؟ لقد بعـث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبيًّا من الأنبياء في فتـرة مـن جاهليـة، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفُرقان فَرَّقَ به بين الحق والباطل، وفَرَّقَ بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده وولده، أو أخاه كافرًا، وقد فتح الله قُفْل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النـار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النـار، وإنهـا التـي قـال الله تعـالى: ﴿

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ . وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه(1).

وقوله: ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير.

وقال غيرهم: هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديًا إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثوابًا، وأحسن مآبًا؛ ولهذا ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية»**(2).

وقال القرطبي $:

وذلك أن الإنسان إذا بُورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرة العين وسكون النفس ووحد ﴿قُرَّةَ﴾ لأنه مصدر تقول: قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل أن تكون من القرار ويحتمل أن تكون من القر وهو الأشهر، والقرُّ البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر وتستريح إلى البرد وأيضًا فإن دمع

---

(1) أحمد (6/2)، والطبري (26560) وغيرهما.
(2) مسلم (1631).

(236) أحمر
أسود

السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال : أقر الله عينك وأسخن الله عين العدوّ وقال الشاعر:

فكم سخنت بالأمس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي: قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطأ : (إنكم أيها الرهط أئمة يُقتدى بكم) فكان ابن عمر يقول في دعائه : اللهم اجعلنا من أئمة المتقين وقال : ﴿ إِمَامًا ﴾ ولم يقل أئمة على الجمع؛ لأن الإمام مصدر يقال : أمَّ القوم فلان إمامًا مثل الصيام والقيام وقال بعضهم : أراد أئمة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أولئك الذين تقدمت أوصافهم وأعمالهم ومعتقداتهم، وهم عباد الرحمن يجازيهم الله ﷻ يوم القيامة أحسن الجزاء، يُجازيهم الغرفة وهي غرفة عَليَّة في الجنة، ومنزلة سامية فيها كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمَا ... »**.

يجازيهم الله بهذه الغرف بسبب صبرهم على الطاعات وعلى أقدار الله ﷻ وعلى التمسك بشرائعه، وكذا بصبرهم عن المحرمات وعدم فعلها وتدخل عليهم الملائكة بالتحيات والتبريكات كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] وكذا تحية

من الله وسلامًا من الله، سلام قولًا من ربٍّ رحيم، فضلًا عن سلام بعضهم على بعض، هذا وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٦] أي: ماكثين فيها، لا يتحولون ولا يرغبون في التحول فقد حَسُنَتْ قرارًا وإقامة فنعم المستقر ونعم محل الإقامة.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ ... إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾... الآية ﴿يُجۡزَوۡنَ﴾ يقول: يُثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا ﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ يقول: بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها. وقوله: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ اختلفت القرَّاء في قراءته، فقرأته عامة قرَّاء أهل المدينة والبصرة ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ مضمومة الياء، مشدَّدة القاف، بمعنى: وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية. وقرأ ذلك عامة قرَّاء الكوفة: «**وَيَلْقَوْنَ**»بفتح الياء، وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها «**وَيَلْقَوْنَ فِيهَا**» بفتح الياء، وتخفيف القاف؛ لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد، قالت: فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام، قرنته بالياء وقلما تقول: فلان يُلقَّى السلام، فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد، أن يقال: ويُتَلَقَّوْنَ فيها بالتحية والسلام.

(238) أحمر
أسود

وإنما اخترنا القراءة بذلك، كما تجيز أخذت بالخطام، وأخذت الخطام.

وقد بيَّنا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل، فأغني عن إعادته في هذا الموضع.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني: أنهم ماكثون فيها، لابثون إلى غير أمد، حَسُنَت تلك الغرفة قرارًا لهم ومقامًا. يقول: وإقامة.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأفعال والأقوال الجليلة قال بعد ذلك كله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: المتصفون بهذه ﴿ يُجۡزَوۡنَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ ٱلۡغُرۡفَةَ ﴾ وهي الجنة.

قال أبو جعفر الباقر، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسُّدِّيُّ: سُمِّيت بذلك لارتفاعها.

﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ أي: على القيام بذلك ﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ أي: يُبْتَدءُون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار .

وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ أي: مقيمين لا يظعنون ولا يَحُولون ولا يموتون، ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولًا كما قال تعالى: ﴿ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾]

هود : ١٠٨ .

وقولـه: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: حَسُنَت منظرًا وطابت مَقيلًا ومنزلًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين لا يبالي بكم ربي ﷻ إذا لم تعبدوه، لا يُبالي بكم لولا إيمان الذين يؤمنون منكم، فهم سبب في إمهال الله لكم، أما أنتم يا مَنْ بقيتم على الكفر وقد كذبتم فسوف يكون العذاب حالًّا بكم ملازمًا لكم، لزامًا سيكون العذاب، وقيل: إن اللزام هو العذاب نفسه، العذاب الملازم، هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللزام قد مضى يوم بدر، ففي الصحيح(1) عن ابن مسعود قال: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾.

وذهب آخرون من العلماء إلى أن اللزام سيكون يوم القيامة، ولا تعارض فالعذاب ملازم لهم منذ أن قُتلوا إلى يوم القيامة إلى ما لا نهاية له.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أي شيء يَعُدكم، وأي شيء يصنع بكم ربي؟ يقال منه: عبأت به أعبأ عبئًا، وعبأت الطيب أعبؤه: إذا هيأته، كما قال الشاعر:

---

(1) البخاري (حديث 4767).

(240) أحمر
أسود

كـــــأنَّ بِنَحْـــــرِهِ وبِمَنْكَبَيْـــــهِ عَبِيـــرًا بـــاتَ يَعْبَـــؤُهُ عَـــرُوسُ

يقول: يهيئه ويعمله يعبؤه عبًّا وعبوءًا، ومنه قولهم: عَبَّأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه: أُهَيِّئُهُ والعبءُ: الثقل.

وقال:

وقوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ﴾ يقول: لولا عبادة من يعبده منكم، وطاعة من يطيعه منكم.

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله ﷺ: فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أُرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتم به، كان يعبأ بكم ربي، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم، وخلافكم أمر بارئكم، عذابًا لكم ملازمًا، قتلًا بالسيوف وهلاكًا لكم مفنيًا يلحق بعضكم بعضًا، كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ:

فَفاجَـــأَهُ بِعادِيَـــةٍ لِـــزَامٍ كمَـــا يَتَفَجَّـــرُ الحَـــوْضُ اللّقِيـــفُ

يعني باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضًا، وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدِّم، ففعل الله ذلك بهم، وصدقهم وعده، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وألحق بعضهم ببعض، فكان ذلك العذاب اللزام.

وقال آخرون: معنى اللزام: القتال.

وقال آخرون: اللزام: الموت.

ثم قال الطبري $:

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى ذلك: فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شرّ. وقد بيَّنا الصواب من القول في ذلك. وللنصب في اللزامِ وجه آخر غير الذي قلناه، وهو أن يكون في

قوله (يَكُون) مجهول، ثم يُنصب اللزام على الخبر كما قيل:

إذَا كـــان طَعْنًـــا بَيْـــنَهُمْ وَقتـــالا

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك: قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تَدْعون من دونه من الآلهة والأنداد، وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّيٓ﴾ أي: لا يُبالي بكم ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه؛ فإنه إنما خلق الخَلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا.

وقال مجاهد، وعمرو بن شعيب: ﴿ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّيٓ﴾ يقول: ما يفعل بكم ربي.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّيٓ لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ يقول: لولا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم؛ إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبَّب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ أي: أيها الكافرون ﴿ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ أي: فسوف يكون تكذيبكم لزامًا لكم، يعني: مقتضيًا لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك يوم بدر، كما فسَّره بذلك عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

وقال الحسن البصري: ﴿ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ يعني: يوم القيامة. ولا

(242) أحمر
أسود

منافاة بينهما. والله أعلم.

(243) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

تفسير سورة الشعراء

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ
مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤
وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ
فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ
زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ [الشعراء: 1-9].

(244) أحمر
أسود

س: وضّح معنى ما يلي:

﴿بَٰخِعٌ - ءَايَةً - أَعۡنَٰقُهُمۡ - خَٰضِعِينَ - ذِكۡرٍ - مُحۡدَثٍ - مُعۡرِضِينَ - أَنۢبَتۡنَا - زَوۡجٍ - كَرِيمٍ - لَأٓيَةً﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بَٰخِعٌ﴾	مهلكٌ – قاتلٌ
﴿ءَايَةً﴾	معجزة – أو عظيم يخشون معه الهلاك
﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾	رقابهم – أعناق الرجال، وقيل: كبراء القوم وسادتهم
﴿خَٰضِعِينَ﴾	ذليلين – صغيرين
﴿ذِكۡرٍ﴾	تذكيرٌ (بكتاب الله وآياته)
﴿مُحۡدَثٍ﴾	حديث نزوله
﴿مُعۡرِضِينَ﴾	منصرفين – مدبرين
﴿أَنۢبَتۡنَا﴾	أخبار – حقائق
﴿زَوۡجٍ﴾	صنف (من أصناف النباتات)
﴿كَرِيمٍ﴾	حسن
﴿لَأٓيَةً﴾	لمعجزة - لدلالة

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم –: ط، وس، وم، تلك الأحرف التي لا يعلم معناها هنا إلا الله، تلك الأحرف التي تقرؤونها وتكتبونها، هي التي منها

آيات هذا القرآن الموضح المظهر للحقائق والأحكام والتشريعات، ومع كونكم تعرفونها لكن لا تستطيعوا أن تؤلفوا منها آية ولا سورة.

أما قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ ألا يكونوا مؤمنين، فهذا، وإن كانت صورته صورة الخبر لكن معناه النهي، وحاصل المعنى: لا تقتل نفسك ولا تهلكها بسبب كفرهم وعدم إيمانهم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بيَّن لمن تدبره بفهم، وفكَّر فيه بعقل، أنه من عند الله جلّ جلاله، لم يتخرَّصه محمد ﷺ ، ولم يتقوَّله من عنده، بل أوحاه إليه ربه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخْع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب؛ ومنه قول ذي الرُّمة:

ألا أيُّهَذَا الباخعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ لشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي: هذه آيات القرآن المبين، أي: البين الواضح، الذي يفصل بين الحق والباطل، والغي والرشاد.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ﴾ أي: مهلك ﴿نَّفۡسَكَ﴾ أي: مما تحرص عليهم وتحزن عليهم ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ ، وهذه تسلية من الله لرسوله -صلوات الله وسلامه عليه- في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالى:

(246) أحمر
أسود

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

❁ ❁ ❁

لا تذهب النفس حسرات على أهل الكفر

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر: ٨] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

ج: المعنى- والله أعلم -: إن نشأ أجبرناهم على الإيمان ولم نترك لهم أي اختيار بل لأنزلنا عليهم معجزة من السماء محذرةً لهم إما أن يذعنوا ويؤمنوا وإلا أهلكناهم، وإما أن يخضعوا وتخضع رقابهم ويستسلموا وإلا أهلكناهم، وكما قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَٰقِعٌۢ بِهِمْ ...﴾ [الأعراف: ١٧١].

قال ابن كثير $:

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤] أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرًا، ولكنَّا لا نفعل ذلك؛ لأنا لا نريد

من أحد إلا الإيمان الاختياري؛ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فنَفَذ قَدَرُه، ومضت حكمته، وقامت حُجته البالغة على خَلْقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالأعناق هنا كبراء القوم وسادات القوم، فيكون المعنى: ولو نشاء لأنزلنا آية تقهر هؤلاء الكبراء وتجبرهم على الإيمان إلا أن هذا القول بعيدٌ هاهنا.

قال الطبري $:

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وأن يكون قوله «خاضعين» مذكرًا؛ لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قول جرير:

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّي ... كمَا أخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ

وذلك أن قوله: مرَّ، لو أسقط من الكلام، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله: فظلت أعناقهم، لأدى ما بقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا ذُلوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا.

فإن قيل في الكلام: فظلوا لها خاضعين، كان الكلام غير فاسد، لسقوط الأعناق، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها، فصرف

(248) أحمر
أسود

الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم، إذا كان الاسم المبتدأ به، وما أُضيف إليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر.

❁ ❁ ❁

معنى قوله تعالى (مُحدثٍ)

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – وما يأتي هؤلاء المشركين من تذكيرٍ من ربهم ٥ بآياته التي ينزلها على نبيه ﷺ حديثُ نزولها إلا ازدادوا إعراضًا ونفورًا وانصرافًا عن الحق.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حُجج الله عليهم على صدقك، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك، لتذكرهم به، إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبيره.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ أي: كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس، كما قال: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [يس:٣٠]، وقال: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا

(249) أحمر
أسود

بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: فقد كذب أهل الشرك هؤلاء بالقرآن المنزل عليك يا رسول الله، وكذبوا نبوتك وكذبوا بوحدانية الله ﷻ وكذبوا بالبعث بعد الموت فسوف يأتيهم وقت تتبين لهم فيه حقائق الأمور التي كذبوا بها واستهزءوا بها. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله، وأعرضوا عنه ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمرُّدهم على ربهم.

وقال ابن كثير $:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: فقد كذبوا بما جاءهم من الحق، فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

وقال القرطبي $:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ أي: أعرضوا ومن أعرض عن شيء ولم يقبله فهو تكذيب له ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وعيد لهم أي: فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزؤوا به .

❁ ❁ ❁

(250) أحمر
أسود

لفت النظر إلى الأدلة الكونية

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ج : المعنى – والله أعلم - : أو لم ير هؤلاء المعرضون عن القرآن المكذبون بالبعث بعد الموت، المنكرون وحدانية الله ﷻ ونبوتك، أولم ير هؤلاء قدرة الله ﷻ تلك التي أراهم بعض مظاهرها من إحياء الأرض الميتة بما ينزله من السماء من ماء فيُحييها به وينبت فيها من كل صنفٍ بهيج حسن إن في إحيائه بعد موتها لدلالة على البعث بعد الموت، فالذي أحياها يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، ولكن من الذي يستفيد من هذا ومن ذا الذي يعقل؟ إنهم أهل إيمان، ولكن أكثر الناس ما هم بمؤمنين ولا بمستفيدين، وإن ربك لهو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب ولا يُردُّ قوله ولا يُردُّ أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المشركون المكذِّبون بالبعث والنشر إلى الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يعني بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا، فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كلِّ زوج كريم لآية.

يقول: لدلالة لهؤلاء المشركين المكذِّبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبها، لن يُعجزه أن يُنْشر بها الأموات بعد مماتهم، أحياء من قبورهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر.

يقول جلَّ ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع؛ لأني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يُعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع؛ لأن قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عقيب وعيد الله قومًا من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أُهلكوا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه.ولعل ابن جُرَيج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

وقال القرطبي $:

(252) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ نبَّـه علـى عظمتـه وقدرته وأنهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لعلموا أنه الذي يستحق أن يعبد؛ إذ هو القادر على كل شيء والزوج هو اللون قاله الفراء ﴿كَرِيمٍ ﴾ حسن شريف وأصل الكرم في اللغة الشرف والفضل فنخلة كريمة أي فاضلة كثيرة الثمر ورجل كريم شريف فاضل صفوح ونبتت الأرض وأنبتت بمعنى وقد تقدم في سورة (البقرة) والله سبحانه هو المخرج والمنبت له ورُوي عن الشعبي أنه قال : الناس من نبات الأرض، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم ومن صار إلى النار فهو لئيم. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: فيما ذكر من الإنبات في الأرض لدلالته على أن الله قادر لا يعجزه شيء ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: مصدقين لما سبق من علمي فيهم و﴿كَانَ﴾ هنا صلة في قول سيبويه تقديره : وما أكثرهم مؤمنين. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ يريد المنيع المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

وقال ابن كثير $:

ثم نبَّه تعالى على عظمته في سلطانه وجلالة قدره وشأنه، الذين اجترؤوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه، وهو القاهر العظيم القادر، الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم، من زروع وثمار وحيوان.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: دلالة على قدرة الخالق للأشياء، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء، ومع هذا ما آمن أكثر الناس، بل كذبوا به وبرسله وكتبه، وخالفوا أمره وارتكبوا زواجره.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: الذي عَزّ كلَّ شيء وقهره وغلبه،

(253) أحمر
أسود

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: بخلقه، فلا يعجل على مَنْ عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

❁ ❁ ❁

(254) أحمر
أسود

شيء من قصة موسى غ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ
﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾
قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ
وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا
خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ
حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء: 10-37].

(255) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱئۡتِ - يَنۡقُونَ - فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ - وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ - بِـَٔايَٰتِنَآۖ - وَلِيدٗا - ٱلۡكَٰفِرِينَ - ٱلضَّآلِّينَ - حُكۡمٗا - تَمُنُّهَا عَلَيَّ - عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ - مُّوقِنِينَ - بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ - وَنَزَعَ يَدَهُۥ - فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ - أَرۡجِهۡ - حَٰشِرِينَ - عَلِيمٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱئۡتِ﴾	اذهب إلى
﴿يَنۡقُونَ﴾	يجعلون وقاية بينهم وبين عذاب الله (بترك الشرك وبترك الكبائر والإجرام)
﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾	فاجعله رسولًا وأرسل إليه وحيًا
﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾	لهم عليَّ قودٌ، ذنبٌ ارتكبته في حقهم بقتل نفس منهم
﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾	بحججنا، وأدلتنا
﴿وَلِيدٗا﴾	في صغرك
﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	الجاحدين
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	الجاهلين
﴿حُكۡمٗا﴾	نبوةً
﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾	تتفضل عليَّ به وتعيِّرني بها
﴿عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	جعلتهم عبيدًا عندك
﴿مُّوقِنِينَ﴾	مُصدقين

(256) أحمر
أسود

256 التسهيل لتأويل التنزيل

﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾	بحجة تظهر صدقي وتدل عليه
﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾	أخرج يده من جيبه بعد أن أدخلها فيه
﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾	فماذا تشيرون عليَّ
﴿أَرْجِهْ﴾	أخِّره – أمهله
﴿حَٰشِرِينَ﴾	جامعين يجمعون الناس لك لملاقاة موسى غ
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم بالسحر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

ج: المعنى: وإذ كلَّم الله ﷻ نبيه موسى غ وناداه ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] أن اذهب يا موسى إلى آل فرعون، إلى هؤلاء الظالمين الذين قال كبيرهم: إني ربكم الأعلى فصدقوه، الذين قال لهم كبيرهم: ما علمت لكم من إله غيري فاستمعوا له وأطاعوا وأقروا له وأذعنوا، اذهب إلى هؤلاء الذين طغوا وبغوا وقتلوا العباد وشردوهم وذبحوا الأبناء واستحيوا النساء، اذهب إلى هؤلاء قوم فرعون فذكرهم بوحدانية الله وحذرهم من سوء عاقبة أعمالهم وشركهم وكفرهم لعلهم يحذرون عذاب الله فيتقونه ويتقوا أسبابه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين قوم فرعون، ونصب القوم الثاني ترجمة

عن القوم الأوَّل، وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به. ومعنى الكلام: قوم فرعون فقل لهم: ألا يتقون. وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء، ولم يقل ألا تتقون بالتاء؛ لأن التنزيل كان قبل الخطاب، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابًا، كما قيل: **(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ)** و﴿سَتُغْلَبُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

ج: هذه أمورٌ ذكرها موسى ﷺ لما كلَّفه الله ﷻ بالذهاب إلى فرعون ونصحه وتذكيره وتحذيره من العاقبة السيئة إذا هو مات على كفره وطغيانه، وليست هذه الأمور التي ذكرها ﷺ طلبًا لمعافاته من الرسالة والتكليف ولكن ذكرها ﷺ طلبًا من الله ﷻ وسؤالًا كي يتفضل عليه ربُّه ﷻ ويكرمه بأن يجعل أخاه هارون ﷺ نبيًّا كي يُعينه على ما كلَّف به.

* أما عن معنى الآيات – والله أعلم – قال موسى ﷺ لما قال الله له: ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ربِّ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أدعوهم إليه، يصفونني بالكذب فإذا وصفوني بذلك ضاق صدري، ولم يستطع لساني أن يتكلم مدافعًا عني، وذلك للعقدة التي كانت في لسانه؛ إذ قال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] فأرسل يا رب إلى هارون اجعله يا رب نبيًّا، كما قال موسى ﷺ: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

وكما قال: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

(258) أحمر
أسود

أما قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ أي: ولقد قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلوني بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ موسى لربه ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم إياي إن كذَّبوني. ورفع قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ عطفا به على أخاف، وبالرفع فيه قرأته عامة قرَّاء الأمصار، ومعناه: وإني يضيق صدري. وقوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ يقول: ولا ينطق بالعبارة عما ترسلني به إليهم، للعلة التي كانت بلسانه. وقوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ كلام معطوف به على يضيق. وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ يعني هارون أخاه، ولم يقل: فأرسل إليّ هارون ليؤازرني وليعينني؛ إذ كان مفهومًا معنى الكلام، وذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك، بمعنى: لفزعنا إليك لتُعيننا. وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ يقول: ولقوم فرعون عليَّ دعوى ذنب أذنبت إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم.

وقال ابن كثير $:

هذه أعذار سأل من الله إزاحتها عنه، كما قال في سورة طه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه:٢٥-٣٦] .

وقوله: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ أي: بسبب ما كان قتل ذلك

القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر.

وقال القرطبي $:

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ في المحاجة على ما أحب وكان في لسانه عقدة على ما تقدم في (طه) ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أرسل إليه جبريل بالوحي واجعله رسولًا معي ليؤازرني ويظاهرني ويعاونني ولم يذكر هنا ليُعينني لأن المعنى كان معلومًا وقد صرح به في سورة (طه): ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ [طه: ٢٩] وفي القصص: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤] وكأن موسى أذن له في هذا السؤال ولم يكن ذلك استعفاء من الرسالة بل طلب من يُعينه ففي هذا دليل على أن من لا يستقل بأمر ويخاف من نفسه تقصيرًا أن يأخذ من يستعين به عليه ولا يلحقه في ذلك لوم ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ الذنب هنا قتل القبطي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم–: أن الله ﷻ قال لموسى عليه السلام: لن يقتلك فرعون ولن ينالك بسوء فاذهب أنت وأخوك هارون بأدلتنا وحججنا فإننا مستمعون لكما ولما يُقال لكما. كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

هذا، وأنبه هنا على الخطإ الجسيم الذي وقع من الإمام القرطبي عفا الله عنه وتجاوز إذ نفى عن الله ﷻ صفة الاستماع فقال:

﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ أي سامعون ما يقولون وما يجاوبون وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وأنه يُعينهما ويحفظهما والاستماع إنما يكون بالإصغاء ولا يوصف الباري سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بأنه السميع

(260) أحمر
أسود

البصير وقال في (طه): ﴿ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦].

قلت (مصطفى): هكذا قال: ونفى الاستماع، وقد أثبته الله ﷻ لنفسه فينتبه لمثل هذه الأقوال الشاذة المخالفة لنهج أهل السنة والجماعة، بل المخالفة لسياق الكتاب العزيز، وليُحذر من مثلها.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّاۖ﴾: أي: لن يقتلك قوم فرعون. ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾ يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا، يعني بأعلامنا وحُججنا التي أعطيناك عليهم. وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به.

وقال ابن كثير $:

﴿قَالَ كَلَّاۖ﴾ أي: قال الله له: لا تخف من شيء من ذلك كما قال: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا ﴾ أي : برهانًا ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص:٣٥].

﴿ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦] أي: إنني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي.

قلت (مصطفى): أما لماذا قال: ﴿إِنَّا مَعَكُم ﴾ ولم يقل معكما فقد أجاب عنه **القرطبي بقوله:**

وقال: ﴿ مَعَكُم ﴾ فأجراهما مجرى الجمع؛ لأن الاثنين جماعة ويجوز أن يكون لهما ولمن أرسلا إليه ويجوز أن يكون لجميع بني إسرائيل.

❁ ❁ ❁

(261) أحمر
أسود

س: ما المراد بالآيات في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؟

ج: من ذلك العصا واليد، والله أعلم.

س: قول فرعون -عليه لعنة الله- لموسى ﷺ ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ ما المراد بالفعلة وما المراد بقوله: ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟

ج: أما الفعلة فهي قتل القبطي؛ إذ الله قال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص: ١٥].

أما قوله: ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنك كفرت بنعمنا عليك وإحساننا إليك وتربيتنا لك، كفرت بكل هذا، وقتلت واحدًا منا فالكفر هاهنا كفر النعم.

الثاني: أن المراد وأنت من الكافرين بالله فقد كنت معنا على ديننا قبل أن ترجع إلينا بقولك الذي جئتنا به الآية.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنت من الكافرين بالله على ديننا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السُّدي: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ يعني: على ديننا هذا الذي تعيب.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت من الكافرين نعمتنا عليك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ قال: ربيناك فينا وليدا، فهذا الذي كافأتنا أن قتلت

(262) أحمر
أسود

منا نفسا، وكفرت نعمتنا!

قال الطبري $:

وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية؛ لأن فرعون لم يكن مقرًّا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الربُّ، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدي: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، الإيمان عنده: هو دينه الذي كان عليه موسى عنده، إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذٍ يا موسى، على قولك اليوم، فيكون ذلك وجهًا يتوجه. فتأويل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منَّا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه.

وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

قوله تعالى في كلام فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

أبهم جلَّ وعلا هذه الفعلة التي فعلها لتعبيره عنها بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾، وقد أوضحها في آيات أُخر، وبيَّن أن الفعلة المذكورة هي قتله نفسًا منهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: ٣٣]، وقوله عن الإسرائيلي الذي استغاث بموسى مرّتين: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

[القصص: ٣٣].

وأظهر الأقوال عندي في معنى قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾، أن المراد به كفر النعمة، يعني: أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيرًا، وإحساننا إليك تتقلب في نعمتنا فكفرت نعمتنا، وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفسًا منّا، وباقي الأقوال تركناه؛ لأن هذا أظهرها عندنا.

وقال بعض أهل العلم: ردّ موسى على فرعون امتنانه عليه بالتربية، بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢]، يعني: تعبيدك لقومي، وإهانتك لهم لا يعتبر معه إحسانك إليّ؛ لأني رجل واحد منهم، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾.

ج: قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾.

أي: قال موسى مجيبًا لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾، أي: إذ فعلتها ﴿وَأَنَا۠﴾ في ذلك الحين ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾، أي: قبل أن يوحي الله إليّ، ويبعثني رسولًا، وهذا هو التحقيق - إن شاء الله - في معنى الآية.

وقول من قال من أهل العلم: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾، أي: من الجاهلين، راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه بالنسبة إلى ما علمه الله من الوحي يعتبر قبله جاهلًا، أي: غير عالم بما أوحى الله إليه.

وقد بيَّنا مرارًا في هذا الكتاب المبارك أن لفظ الضلال يطلق في القرآن، وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

(264) أحمر
أسود

الإطلاق الأوّل: يطلق الضلال مرادًا به الذهاب عن حقيقة الشيء، فتقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء: ضلّ عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين.

ومن هذا المعنى قوله هنا: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾، أي: من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي؛ لأني في ذلك الوقت لم يوحَ إليّ، ومنه على التحقيق: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]، أي: ذاهبًا عمّا علمك من العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]، فقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي: لا يذهب عنه علم شيء كائنًا ما كان، وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾، أي: تذهب عن علم حقيقة المشهود به بدليل قوله بعده: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾، وقوله تعالى عن أولاد يعقوب: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨]، وقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥]، على التحقيق في ذلك كلّه. ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وتظنّ سلمى أنني أبغي بها ... بدلًا أراها في الضلال تهيم

والإطلاق الثاني: وهو المشهور في اللغة، وفي القرآن هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر، وعن طريق الحقّ إلى الباطل، وعن طريق الجنّة إلى النار، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧].

والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال على الغيبوبة والاضمحلال،

(265) أحمر
أسود

تقول العرب: ضلّ الشيء إذا غاب واضمحلّ، ومنه قولهم: ضلّ السمن في الطعام، إذا غاب فيه واضمحلّ، ولأجل هذا سمّت العرب الدفن في القبر إضلالًا؛ لأن المدفون تأكله الأرض فيغيب فيها ويضمحلّ.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ١٠]، يعنون: إذا دفنوا وأكلتهم الأرض، فضلوا فيها، أي: غابوا فيها واضمحلّوا.

ومن إطلاقهم الإضلال على الدفن، قول نابغة ذبيان يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني:

فإن تحيى لا أملك حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

فآب مضلّوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

وقول المخبل السعدي يرثي قيس بن عاصم:

أضلّت بنو قيس بن سعد عميدها ... وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

فقول الذبياني: فآب مضلّوه، يعني: فرجع دافنوه، وقول السعدي: أضلّت، أي: دفنت، ومن إطلاق الضلال أيضًا على الغَيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنت القذى في موج أكدر مزبد ... قذف الأتي به فضلَّ ضلالا

وقول الآخر:

ألم تسأل فتخبرك الديار ... عن الحي المضلل أين ساروا

وزعم بعض أهل العلم أن للضلال إطلاقًا رابعًا، قال: ويطلق أيضًا على المحبّة، قال: ومنه قوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف: ٩٥]، قال: أي في حبّك القديم ليوسف، قال: ومنه قول الشاعر:

(266) أحمر
أسود

هـذا الضـلال أشـاب منـي المفرقـا والعارضـين ولـم أكـن متحقّقـا
عجبًـا لعـزة فـي اختيـار قطيعتـي بعـد الضـلال فحبلهـا قـد أخلقـا

وزعم أيضًا أن منه قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]، قال: أي محبًّا للهداية فهداك، ولا يخفى سقوط هذا القول، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: الخوف الجبلِّي قد يتسرب إلى أهل الفضل والصلاح. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول موسى ﷺ: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾ [الشعراء: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ [طه: ٦٧].

وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١].

وقوله تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقول يعقوب ﷺ: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ..﴾ [يوسف: ١٣]؛ والله أعلم.

قال القرطبي $:

وخاف موسى أن يقتلوه له ودلَّ على أن الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله وأن لا فاعل إلا هو؛ إذ يسلط من شاء على من شاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾.

ج: في هذا وجهان لأهل العلم:

(267) أحمر
أسود

أحدهما: أن هذا استنكار.

والمعنى: أو هذه نعمة تمتنُّ بها عليَّ وقد استعبدت أهلي وذبحتهم.

الثاني: أن هذا من الإقرار بالنعم، وكأنه قال له قد ذكرت أنك ربيتني في بيتك وأحسنت إلي وقد لبثت فيكم سنين ولك أيضًا أن تمتن عليَّ بنعمة أُخرى وهي أنك جعلت بني إسرائيل عبيدًا لك ولم تجعلني عبدًا لك، أي عبدت بني إسرائيل وتركتني، والله أعلم.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾.

أي: تدلي علي بهذه المنة؛ لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تمنُّ بها وتدلي بها؟

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ قال لموسى وهارون ث، بعد أن منَّ عليهما بالرسالة والنبوة: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ فاذهبا إلى فرعون فقولا

(268) أحمر
أسود

(له) إنا ذو رسالة إليك من رب العالمين، كلٌّ منا رسولٌ أرسل إليك من الله ﻫ نطلب منك أن ترسل معنا قبيلتنا الذين هم بنو إسرائيل، فقد كانوا مُستبعدين مُستذلين عند فرعون فأراد موسى وهارون ث الخروج بقومهما من مصر وأرادا من فرعون أن يطلقهم ويُخلِّ سبيلهم حتى يخرج بهم إلى أرض أُخرى قيل هي فلسطين فعندئذٍ أجاب فرعون بازدراء واحتقار واستصغار وامتهان ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ ألم تتربى في بيتنا في صغرك وتأكل من طعامنا وتشرب شرابنا ومكثت معنا سنوات من عمرك على طريقتنا، وبعد ذلك قتلت منَّا نفسًا وكفرت بنعمنا عليك وإحساننا إليك، فعندها قال موسى غ: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: قتلت النفس التي قتلتها قبل أن يُوحى إليَّ قبل أن أكون رسولًا، وقيل: وأنا من المخطئين بفعلتي هذه الجاهلين. وقيل: لم يكن يعلم أن الوكزة تقضي إلى القتل.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ وخرجت هاربًا من بلادكم لما خشيت أن تقتلوني فلما خرجت ومكثت زمانًا بعيدًا عنكم وهب لي ربي حُكمًا، قيل: نبوةً، وقيل: التوراة التي آتاه الله إياها.

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ أي: منَّ الله علي بالرسالة فاختارني رسولًا.

ثم قال موسى غ : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: أي نعمةٍ هذه التي تمنُّ عليَّ بها؟ مقابل إساءتك المتواصلة البالغة إلى قومي بني إسرائيل، أي: إن كنت أحسنت إليَّ بإطعامي وشرابي فقد قتلت قومي واستعبدتهم واستذللتهم وسُمْتهم سوء العذاب.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ﴾... الآية، يقول: فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون. ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ إليك بـ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ وقال رسول رب العالمين، وهو يخاطب اثنين بقوله: ﴿فَقُولَآ﴾ لأنه أراد به المصدر من أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعنى برسالة، وقال الآخر:

ألا من مبلغ عني خفافًا رسولا بيت أهلك منتهاها

يعني بقوله: رسولًا رسالة، فأنث لذلك الهاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو: فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه، فقال فرعون: ألم نربك فينا يا موسى وليدًا، ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وذلك مكثه عنده قبل قتل القتيل الذي قتله من القبط. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ يعني: قتله النفس التي قتل من القبط.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعلة التي فعلت، أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الضالين. يقول: وأنا من

(270) أحمر
أسود

الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحيٌ بتحريم قتله عليَّ. والعرب تضع من الضلال موضع الجهل، والجهل موضع الضلال، فتقول: قد جهل فلان الطريق وضلَّ الطريق، بمعنى واحد.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة خطأ. قال: والضلالة ههنا الخطأ، لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله.

وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل موسى لفرعون: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ معشر الملإ من قوم فرعون ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ يقول: فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ يقول: وألحقني بعداد من أرسله إلى خَلْقه، مبلغًا عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون.

وقال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نبيه موسى ﷺ لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ يعني بقوله: وتلك تربية فرعون إياه، يقول: وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنُّها عليَّ بحقٍّ. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: وتلك نعمة تمنُّها علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر «وتركتني» لدلالة قوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ عليه، والعرب تفعل ذلك اختصارًا للكلام، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة، فيعاقب أحدهما، ويعفو عن الآخر، فيقول المعفو عنه هذه

(271) أحمر
أسود

نعمة علي من الأمير أن عاقب فلانًا، وتركني، ثم حذف «وتركني» لدلالة الكلام عليه، ولأن في قوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ وجهين: أحدهما النصب، لتعلق ﴿تَمُنُّهَا﴾ بها، وإذا كانت نصبًا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنُّها عليَّ لتعبدك بني إسرائيل. والآخر: الرفع على أنها ردٌّ على النعمة. وإذا كانت رفعًا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنُّها علي تعبيدك بني إسرائيل. ويعني بقوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾: أن اتخذتهم عبيدًا لك. يقال منه: عبدت العبيد وأعبدتهم، قال الشاعر:

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيها أباعر ما شاءوا وعبدان

وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال: أتمنُّ علي أن اتخذت بني إسرائيل عبيدًا؟!

وأورد الطبري وجهًا آخر فقال: وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة علي أن عبدت الناس ولم تستعبدني.

وقال ابن كثير $:

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه:٤٧] أي: كل منا رسول الله إليك، ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك، فإنهم عباد الله المؤمنون، وحزبه المخلصون، وهم معك في العذاب المهين. فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية، ونظر بعين الازدراء والغمص فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي: أما أنت الذي

(272) أحمر
أسود

ربيناه فينا، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، أن قتلت منا رجلًا وجحدت نعمتنا عليك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ أي: الجاحدين. قاله ابن عباس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: في تلك الحال، ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ أي: قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليَّ بالرسالة والنبوة.

قال ابن عباس ؓ ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وغيرهم: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ أي: الجاهلين.

قال ابن جُرَيْج: وهي كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود ؓ.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر، فقد أرسلني الله إليك، فإن أطعته سَلمت، وإن خالفته عَطبت.

ثم قال موسى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ أي: وما أحسنت إلي وربَّيْتني مقابل ما أسأتَ إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدًا وخدمًا، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، أفَيَفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأتَ إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرتَه شيئًا بالنسبة إلى ما فعلتَ بهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ اختلف الناس في معنى هذا الكلام فقال السدي والطبري والفراء: هذا الكلام من موسى ؑ على جهة الإقرار بالنعمة كأنه يقول: نعم؟ وتربيتك نعمة علي من حيث

(273) أحمر
أسود

عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وقيل: هو من موسى ﷺ على جهة الإنكار أي: أتمنُّ علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة؛ لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي فكيف تذكر إحسانك إلي على الخصوص؟ قال معناه قتادة وغيره.وقيل: فيه تقدير استفهام أي: أوتلك نعمة؟ قاله الأخفش والفراء أيضًا وأنكره النحاس وغيره. قال النحاس: وهذا لا يجوز؛ لأن ألف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال إلا أن يكون في الكلام (أم) كما قال الشاعر:

تروح من الحي أم تبتكر

ولا أعلم بين النحويين اختلافًا في هذا إلا شيئًا قاله الفراء قال: يجوز حذف ألف الاستفهام في أفعال الشك وحكى ترى زيدًا منطلقًا؟ بمعنى: أترى وكان علي بن سليمان يقول في هذا: إنما أخذه من ألفاظ العامة. قال الثعلبي: قال الفراء: ومن قال إنها إنكار قال معناه: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام كقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤] قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وأنشد الغزنوي شاهدًا على ترك الألف قولهم:

لم أنس يوم الرحيل وقفتها ... وجفنها من دموعها شرق

وقولها والركاب واقفة ... تركتني هكذا وتنطلق

قلت: ففي هذا حذف ألف الاستفهام مع عدم أم خلاف قول النحاس قال الضحاك: إن الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون باستفهام

(274) أحمر
أسود

وبغير استفهام والمعنى: لو لم تقتل بني إسرائيل لرباني أبواي فأي نعمة لك علي! فأنت تمنُّ علي بما لا يجب أن تمن به وقيل: معناه كيف تمنُّ بالتربية وقد أهنت قومي؟ ومن أهين قومه ذل و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ في موضع رُفع على البدل من ﴿نِعْمَةٌ﴾ ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى: لأن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتم عبيدًا يقال: عبدته وأعبدته بمعنى قاله الفراء وأنشد:

علام يعبدني قومي وقد كَثُرَت فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون قال لموسى ﷺ لما قال له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ وأي شيء رب العالمين الذي تدعوني إليه؟ فأجابه موسى ﷺ بقوله: رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مصدقين.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: وأي شيء رب العالمين؟ ﴿قَالَ﴾ موسى هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومالكهن ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: ومالك ما بين السموات والأرض من شيء. ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك فأيقنوا أن ربُّنا هو رب السموات والأرض وما بينهما.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون قال لقومه لما سأل موسى ﷺ عن رب العالمين فأجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قال حينئذٍ لقومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ إلى ما يقوله موسى ﷺ من أن له ربًّا غيري وهو ربُّ السموات والأرض، فحينئذٍ توجَّه موسى ﷺ بالخطاب للقوم قائلًا لهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: أن الله ﷻ هو ربي وربكم ورب آبائكم الذين ماتوا وذهبوا، فعندها قال فرعون ساخرًا: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ أي: مغلوب على عقله لا يدري ما يقول، فعندها قال موسى ﷺ متوجهًا للقوم: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: إن كانت لكم عقول تفهمون بها.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ قال فرعون لمن حوله من قومه: ألا تستمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى ﷺ القوم بالجواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله؛ إذ قال لهم فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ إلى قول موسى، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي خلقكم ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب

(276) أحمر
أسود

على عقله؛ لأنه يقول قولًا لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدو الله إلى الجنة؛ لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربَّ غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجًّا عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته؛ إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربًّا لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابًا ملوك أخر، كانوا قبل فرعون، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون؛ لأن كلامه كان عندهم كلامًا لا يعقلون معناه، وقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ فمعناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها، وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم غ بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح؛ إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر.

وقال القرطبي $:

فعلم موسى جهله (أي جهل فرعون) فأضرب عن سؤله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ على معنى الإغراء والتعجب من سفه المقالة إذا كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاد

موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فجاء بدليل يفهمونه عنه لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا وأنه لابد لهم من مُغيّر وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا وأنهم لا بد لهم من مكون فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ليس يجيبني عما أسأل فأجابه موسى ﷺ عن هذا بأن قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ أن ليس ملكه كملكك لأنك إنما تملك بلدًا واحدًا لا يجوز أمرك في غيره ويموت من لا تحب أن يموت والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وقيل: علم موسى ﷺ أن قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الرب اليوم.

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه وجحوده، في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وكانوا يجحدون الصانع -تعالى -ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦]، قال له: ومَنْ هذا الذي تزعم أنه ربُّ العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرًّا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدًا

(278) أحمر
أسود

له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة. فعند ذلك التفت فرعون إلى مَنْ حوله من مَلَئه ورؤساء دولته قائلًا لهم، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه، أن لكم إلهًا غيري؟ فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: خالقكم وخالق آبائكم الأوائل، الذي كانوا قبل فرعون وزمانه.

﴿قَالَ﴾ أي: فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي: ليس له عقل في دعواه أن ثمّ ربًّا غيري.

﴿قَالَ﴾ أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سَخّرها فيه وقدّرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربُّكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربًا، والمغرب مشرقًا، كما أخبر تعالى عن ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ

إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ ولهذا لما غُلب فرعون وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى ﷺ فقال ما أخبر الله تعالى عنه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون عليه لعنة الله لما غُلب ولما انقطع عن الحجج وظهر بطلان رأيه توعد موسى ﷺ بالسجن، فقال له: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾ لئن اتخذت معبودًا سواي تعبده لأدخلنك السجن مع المسجونين، فقال له موسى ﷺ: أولو جئتك بحجة ودلالة على صدقي فيما قلته لك، حجة تبين لمن تأملها أني رسول من عند الله، قال فرعون آنذاك: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ في دعواك أنك رسول من عند الله.

فعندئذٍ ألقى موسى ﷺ عصاه فإذا بها تتحول إلى ثعبان مبين، ثعبان عظيم يُبين لمن نظر إليه أنه آية من عند الله ﷻ ليس سحرًا ولا شعوذة ولا كهانة، وأضاف موسى إلى ذلك أيضًا أنه أدخل يده في جيبه، يعني

(280) أحمر
أسود

فـــــــ

بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله: ﴿مُّبِينٌ ۝٣٢﴾ يقول: يبين لفرعون والملإ من قومه أنه ثعبان.

وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ﴾ يقول: وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلمع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾ لمن ينظر إليها ويراها.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه، وصدق ما أتاه به من عند ربه ﴿لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ﴾ يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝٣٤﴾ يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانًا ﴿عَلِيمٞ ۝٣٤﴾، يقول: ذو علم بالسحر وبصر به. ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط، والمعني به بني إسرائيل؛ لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدمًا لأنفسهم ومهانًا، فلذلك قال لهم: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم﴾ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم.

وإنما قلت معنى ذلك كذلك؛ لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه، فقال له ولأخيه: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾.

وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ۝٣٥﴾ يقول: فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له: أخِّر موسى وأخاه وأنظره، وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك

(282) أحمر
أسود

كل سحار عليم بالسحر.

وقال الحافظ ابن كثير $:

لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾. فعند ذلك قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾؟ أي: برهان قاطع واضح.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفم كبير، وشكل هائل مزعج.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: تتلألأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون - لشقائه - إلى التكذيب والعناد، فقال للملإ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر. فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به. فقال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليَّ فيه ماذا أصنع به؟

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [أي: أخِّره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحَّار عليم] يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه

(283) أحمر
أسود

على الناس في النهار جهرة.

وقال القرطبي $:

لما انقطع فرعون - لعنه الله - في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك لأن فيه الاعتراف بأن ثمَّ إلهًا غيره وفي توعده بالسجن ضعف وكان فيما يروى أنه يفزع منه فزعًا شديدًا حتى كان اللعين لا يمسك بوله. وروي أن سجنه كان أشد من القتل وكان إذا سجن أحدًا لم يخرجه من سجنه حتى يموت فكان مخوفا ثم لما كان عند موسى ع من أمر الله تعالى ما لا يرعه توعد فرعون ﴿قَالَ﴾ له على جهة اللُّطف به والطمع في إيمانه ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ فيتضح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع في أن يجد أثناءه موضع معارضة فـ﴿قَالَ﴾ له ﴿فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١﴾ ولم يحتج الشرط إلى جواب عند سيبويه لأن ما تقدم يكفي منه.

❁ ❁ ❁

(284) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ
لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ
إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ
فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾
قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: 38-51].

(285) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لِمِيقَٰتِ - مَّعۡلُومٖ - لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ - لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ - بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ - تَلۡقَفُ - مَا يَأۡفِكُونَ - مِّنۡ خِلَٰفٖ - لَا ضَيۡرَۖ - مُنقَلِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لِمِيقَٰتِ﴾	لوقت
﴿مَّعۡلُومٖ﴾	مُحددٌ - معروف
﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ﴾	كي نتبع
﴿لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾	لمن المقربين عندي ومن أهل مجالستي ومشورتي
﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾	بقوة فرعون - بشدته ومنعته
﴿تَلۡقَفُ﴾	تخطف - تبتلع - تلتهم
﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾	ما يكذبون - ما يصرفون به الناس عن الحق إلى الباطل
﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾	يعني اليد اليمنى مع الرجل اليسري
﴿لَا ضَيۡرَۖ﴾	لا ضرر
﴿مُنقَلِبُونَ﴾	راجعون - مبعوثون يوم القيامة

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن فرعون أرسل رسله لمدائن ملكه يجمع السحرة منها فاجتمعوا إليه والتقوا بنبي الله موسى ﷺ واتفقوا معه على

(286) أحمر
أسود

موعدٍ للقاء، وهو كما قال موسى ﷺ إذ طلبوا منه ذلك بقولهم: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨﴾ [طه: ٥٨]، وقال: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾ [طه: ٥٩].

فجمع السحرة لهذا اليوم الذي حُدد، وأمر الناس أيضًا أن يجتمعوا في هذا اليوم كي يتبعوا السحرة ويؤمنوا بهم ويصدقوهم في حال غلبتهم لموسى ﷺ أي إن كانوا هم الغالبين موسى ﷺ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة ﴿لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ يقول: لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم، وذلك يوم الزينة ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾ [طه: ٥٩].

وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة، لموسى أو للسحرة؟ فلعلنا نتبع السحرة، ومعنى لعل هنا كي، يقول: كي نتبع السحرة، إن كانوا هم الغالبين موسى، وإنما قلت ذلك معناها: لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغير معقول أن يقول من كان على دين: أنظر إلى حجة من هو على خلافي لعلي أتبع دينه، وإنما يقال: أنظر إليها كي أزداد بصيرة بديني، فأقيم عليه. وكذلك قال قوم فرعون. فإياها عنوا بقيلهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾.

وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن

يتم نوره ولو كره الكافرون. وهذا شأن الكفر والإيمان، ما تواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، ولهذا لما جاء السحرة، وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخييلا في ذلك، وكان السحرة جمعًا كثيرًا، وجمًا غفيرًا.

ثم قال $:

واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم، وقال قائلهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾، ولم يقولوا: نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملكهم.

❁ ❁ ❁

س: أهل الكفر والعياذ بالله يمكرون بأنفسهم وما يشعرون. وضح ذلك من قصة فرعون مع موسى ؏.

ج: تلك واضحة في مواطن منها: أن فرعون اجتهد في جمع السحرة من كل مكان واجتهد في جمع الناس كذلك، فهو يجتهد كي يظهر خطأ موسى ؏ بزعمه، ولكن كل السحرة الذين جمعهم كانوا جنده واكتشفوا بطلان ما هم عليه فكأنه جمعهم ليريهم أن موسى ؏ رسولٌ من عند الله وأن ما جاء به هو الحق.

فهو يريد أمرًا والله يريد أمرًا آخر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وكذا ينضم ذلك - كما سيأتي - من جمعه للناس وللجنود لملاحقة

(288) أحمر
أسود

موسى ﷺ ولقتله هو ومن آمن معه فجمعهم فأغرقه الله ومن معه جميعًا، فكأنه جمعهم للغرق بل جمعهم لذلك وهم لا يشعرون، فحقًّا إن الله ﷻ من وراء الكافرين محيط، وكما قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: حاصل معناه - والله أعلم - أن السحرة قالوا لفرعون لما جمعهم: هل ستجعل لنا أجرًا إن نحن غلبنا موسى وأبطلنا ما جاء به، قال: نعم ولكم أكثر من ذلك فسأجعلكم من المقربين عندي، من أهل مجالستي ومن أهل مشورتي تُقبل شفاعتكم عندي ويسمع قولكم، فاجتمعوا عنده، والتقوا بموسى ﷺ فعرضوا على موسى عرضًا وخيَّروه تخييرًا، فقالوا له: إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى، فقال لهم موسى ﷺ: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ألقوا أنتم أولًا وهاتوا ما عندكم، فألقوا حبالهم وعصيهم، وأقسموا بعزة فرعون، بقوته وعظمته وغلبته ومنعته أنهم سيغلبون. ولكن هيهات هيهات فقد تبدلت الأمور وتغيَّرت الأحوال فموسى ﷺ ليس بساحرٍ كهؤلاء ولم يأت بسحرٍ، بل هو رسول من عند الله حقًّا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فرعون لوعد موسى وموعد فرعون ﴿قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ سحرنا قبلك ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ موسى

﴿ قَالَ ﴾ فرعون لهم: ﴿نَعَمْ﴾ لكم الأجر على ذلك ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ منا. فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين، وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون، على أن ذلك معناه فـ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ من حبالكم وعصيكم. ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾ من أيديهم ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ يقول: أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ موسى.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ أي: إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وطاقًا، وجمع حشمه وخدمه وأمراءه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا، أي: هذا الذي جمعتنا من أجله، فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي. فعادوا إلى مقام المناظرة ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ [طه: ٦٥، ٦٦]، وقد اختصر هذا هاهنا فقال لهم موسى: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وهذا كما يقوله الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئًا: هذا بثواب فلان. وقد ذكر الله في سورة الأعراف: أنهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال في «سورة طه»: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٥، ٦٩].

(290) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن موسى ﷺ، وبعد أن ألقى السحرةُ حبالهم وعصيهم فظهرت للناس في صورة حيات وثعابين ونحو ذلك مما يأتي به السحرة، وكما قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، فحينئذٍ أوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ: ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، فألقى موسى ﷺ عصاه فإذا وبتوفيق من الله وبقدرة الله تتحول إلى حية عظيمة ضخمة حية على الحقيقة، تبتلع كل ما جاء به هؤلاء السحرة من سحر ليصرفوا الناس به عن الحق، إنها ابتلعت والتهمت كل ما ألقاه السحرة فعندها وحينئذٍ، وقد علم السحرة أن هذا الذي جاء به موسى ﷺ ليس بسحرٍ، بل هي آيةٌ من عند الله، عندها ألقي السحرة ساجدين خروا لله سجدًا متواضعين خاشعين لله ذليلين مُقرين بقدرة الله، مصدقين موسى ﷺ معلنيين عن إيمانهم قائلين آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، قالوا ذلك دون استئذان من فرعون، ودون رجوع إلى أحد، بل كلهم وبمجموعهم وفي وقت واحد عند رؤية المعجزة الكبرى والآية العظيمة آمنوا كلهم أجمعون.

فعندها توعدهم فرعون وتهددهم قائلًا: آمنتم له قبل أن آذن لكم؟!! ويظن عدو الله أنه مسيطرٌ على القلوب وأن الإيمان يحتاج إلى استئذان.

ثم بدأ عدو الله يطعن في صدقهم ويتوعدهم فقال لهم: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني موسى ﷺ ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي: لرئيسكم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ما

سيحل بكم من العقوبة والنكال.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم. ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخاييل وخدعة. ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خروا لوجوههم سجدًا لله، مذعنين له بالطاعة، مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه. ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به. ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك آمنتم به. ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به.

وقال ابن كثير $:

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئًا.

قال تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾

(292) أحمر
أسود

وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨-١٢٢]، وكان هذا أمرًا عظيمًا جدًّا، وبرهانًا قاطعًا للعذر وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا، قد غُلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فَغُلِبَ فرعون غَلَبًا لم يشاهد العالم مثله، وكان وقحًا جريئًا - عليه لعنة الله-، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهددهم ويتوعدهم، ويقول: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه:٧١]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وقال ابن كثير أيضًا:

تهددهم فلم يقطع ذلك فيهم، وتوعدهم فما زادهم إلا إيمانا وتسليما. وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم، من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به، وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه؛ ولهذا لما قال لهم فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؟ أي: كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم، ولا تفتاتوا عليَّ في ذلك، فإن أذنت لكم فعلتم، وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع؛ ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾. وهذه مكابرة يعلم كل أحد بُطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل.

(293) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(294) أحمر
أسود

س: وضح معنى قول فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: هذا قولٌ قاله فرعون للسحرة لما آمنوا، قاله لهم متوعدًا مُتهددًا لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي: لأقطعن اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم بعد ذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمني، وليس هذا فحسب بل ولأصلبنكم في جذوع النخل، لأصلبنكم كلكم، ما أنا بتارك منكم أحدًا، قالوا حينئذٍ ﴿لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر، لن يلحقنا كبير ضرر فالدنيا كلها زائلة وكلها فانية وإننا إلى الله راجعون يوم القيامة فسيجازينا على ما تحملناه في سبيله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ مخالفًا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فوكد ذلك بأجمعين إعلامًا منه أنه غير مستبقٍ منهم أحدًا. ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا؛ وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلان فلانًا فهو يضير ضيرًا، ومعناه: لا ضرر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ قال: يقول: لا يضرنا الذي تقول، وإن صنعته بنا وصلبتنا. ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يقول: إنا إلى ربنا راجعون، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا، وثباتنا

على توحيده، والبراءة من الكفر به.

وقال ابن كثير $:

ثم توعَّدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب، فقالوا: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ أي: المرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملًا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا، وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قول السحرة لما آمنوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾.

ج: معناه - والله أعلم -: أن السحرة وبعد أن منَّ الله عليهم بالإيمان وتوعدهم فرعون بالذي توعدهم به لم يُبالوا ولم يتأثروا بل قالوا وبإيمان صادق، قالوا ما حاصله: إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا ما قدمناه من الخطايا والذنوب والكبائر والآثام، نطمع في ذلك ونتوسل إلى الله ﷻ بكوننا أول من آمن عند رؤية هذه الآية العظمى والمعجزة الكبرى.

فقولهم: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ متضمنٌ توسلًا إلى الله ﷻ بسبقهم إلى الإيمان ومبادرتهم إليه.

أما كونهم أول المؤمنين، فكما قدمت، فأحد وجوهه أنهم أول المؤمنين عند رؤية الآية العظيمة.

وقيل: أول المؤمنين من قومهم، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن

(296) أحمر
أسود

يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه.

ثم قال الطبري $:

﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾ يقول: لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾ قال: كانوا كذلك يومئذٍ أول من آمن بآياته حين رأوها.

وقال ابن كثير $:

﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي: ما قارفناه من الذنوب، وما أكرهتنا عليه من السحر، ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾ أي: بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان. فقتلهم كلهم.

❁ ❁ ❁

(297) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي
ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ
قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾
فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: 52-68].

(298) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ -مُّتَّبَعُونَ -ٱلْمَدَآئِنِ -حَٰشِرِينَ -لَشِرْذِمَةٌ -لَغَآئِظُونَ -حَٰذِرُونَ - وَمَقَامٍ كَرِيمٍ - فَأَتْبَعُوهُم -مُّشْرِقِينَ -تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ -لَمُدْرَكُونَ -سَيَهْدِينِ -كُلُّ فِرْقٍ -كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ -وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾	اخرج ليلًا بعبادي (الذين هم آنذاك بنو إسرائيل وعموم من آمن بموسى ع)
﴿مُّتَّبَعُونَ﴾	سيتبعكم فرعون لإدراككم والقبض عليكم
﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾	مُدن مصر التي يحكمها فرعون
﴿حَٰشِرِينَ﴾	جامعين يجمعون له الناس
﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾	فئة قليلة مُحتقرة
﴿لَغَآئِظُونَ﴾	لمضايقون - يسببون لنا غيظًا
﴿حَٰذِرُونَ﴾	مستعدون متأهبون قد أخذنا عددنا وأسلحتنا، وقرئ **(حذرون)** أي: على حذر من هؤلاء وغوائلهم
﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	منازل حسان - منابر
﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾	فساروا خلفهم للحاق بهم وللإتيان بهم
﴿مُّشْرِقِينَ﴾	عند شروق الشمس
﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾	نظر كل فريق إلى الآخر ورآه
﴿لَمُدْرَكُونَ﴾	لملحقون - لملحوق بنا

(299) أحمر
أسود

﴿سَيَهۡدِينِ﴾	سيوفقني إلى الطريق الذي فيه نجاتي وسلامتي
﴿كُلُّ فِرۡقٖ﴾	كل جانب - كل طائفة من البحر - كل ناحية
﴿كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	كالجبل العظيم
﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾	قربنا هنالك القوم الآخرين وهم آل فرعون (استدراجًا لهم لإغراقهم)

❁ ❁ ❁

س: وضـــــح معنـــــى قولـــــه تعـــــالى: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وأوحينا إلى موسى أن اخرج ببني إسرائيل ليلًا فإن فرعون ومن معه سيتبعوكم لمنعكم من الخروج وإبقائكم في الإذلال والامتهان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾ يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي؛ يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلًا من أرض مصر. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢﴾ إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر.

وقال ابن كثير $:

لما طال مُقام موسى ﷺ ببلاد مصر، وأقام بها حُجَج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا

(300) أحمر
أسود

العذاب والنكال، فأمر الله موسى ﷺ، أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمَر، ففعل موسى ﷺ ما أمره به ربه ﷻ. خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حليًّا كثيرًا، وكان خروجه بهم - فيما ذكر غير واحد من المفسرين - وقت طلوع القمر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن فرعون -عليه لعنة الله- لما أصبح ووجد موسى ﷺ قد خرج ببني إسرائيل ومن آمن معه من مصر أرسل رسله إلى مدائن مُلكه يجمعون الجند ويجمعون من استطاعوا لملاحقة موسى ﷺ ومن معه، قائلًا لهم: إن هؤلاء - يعني موسى ﷺ ومن آمن به وقومه بني إسرائيل- ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ لفئة قليلة حقيرة، وإنهم دائمًا يغيظوننا، كل يوم يأتوننا بشيءٍ يضايقنا ويغيظنا، وذكر العلماء من أسباب هذه الإغاظة ما يلي:

* إيمانهم بموسى ﷺ وتكذيبهم لفرعون وخروجهم على قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾...﴾ [النازعات: ٢٤].

ومنها أن بني إسرائيل استعاروا حُليًّا من قوم فرعون وخرجوا بها من مصر ومنها - وهو غريب إلا أن عددًا من التابعين قال به- ألا وهو أن الملائكة قتلوا الأبكار من آل فرعون تلك الليلة، وكما أسلفت فهو قول غريب وبعيد ولا أعلم دليلًا عليه.

أما قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فللعلماء فيه **وجهان، أولهما:** وإنا

لجميع مستعدون قد حملنا سلاحنا وعددنا وأخذنا أهبتنا، وإنا لجميعٌ مقرون.

والثاني: وإنا لجميع حذرون أي: على حذر من هؤلاء فكل يوم تأتينا منهم أمور تجعلنا نحذرهم ونخشاهم ولذا فإني أريد أن أستأصلهم وأقطع دابرهم وآمن شرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني بهؤلاء: بني إسرائيل ﴿لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤﴾ يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة.

وقال $:

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم.

وقال $:

وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم، وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ بمعنى: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة: ﴿**وإنا لجميع**

(302) أحمر
أسود

حذرون﴾ بغير ألف. وكان الفراء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن، وكأن الحذر المخلوق حذرًا لا تلقاه إلا حذرًا; ومن الحذر قول ابن أحمر:

هل أنسأن يومًا إلى غيره إني حوالي وإني حذر

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ، فمصيب الصواب فيه.

وقال ابن كثير $:

فلما أصبحوا وليس في ناديهم داعٍ ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل؛ لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعًا في بلاده حاشرين، أي: مَنْ يحشر الجندَ ويجمعه، كالنُّقباء والحُجَّاب، ونادى فيهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ -يعني: بني إسرائيل- ﴿لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤﴾ أي: لطائفة قليلة.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥﴾ أي: كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ أي: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم، وأبيد خضراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢﴾ لما كان من سنته تعالى في عباده إنجاء المؤمنين المصدقين من أوليائه المعترفين برسالة رسله وأنبيائه وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا وسماهم عباده لأنهم آمنوا بموسى ومعنى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا

(303) أحمر
أسود

الكلام تعريفهم أن الله ينجيهم منهم فخرج موسى ﷺ ببني إسرائيل سحرًا فترك الطريق إلى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول: هكذا أمرت فلما أصبح فرعون علم بسرى موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر فروي أنه لحقه ومعه مائة ألف أدهم من الخيل سوى سائر الألوان وروي أن بني إسرائيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا والله أعلم بصحته(1) وإنما اللازم من الآية الذي يقطع به أن موسى ﷺ خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك، قال ابن عباس: كان مع فرعون ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري: الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم أي قطع، وأنشد الثعلبي قول الراجز:

جاء الشتاء وثيابي أخلاق شراذم يضحك منها النواق

النواق من الرجال الذي يروض الأمور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله: ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ لام توكيد وكثيرا ما تدخل في خبر إن إلا أن الكوفيين لا يجيزون إن زيدا لسوف يقوم والدليل على أنه جائز قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ٦٦] وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت على سوف قاله النحاس. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي أعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها على ما تقدم وماتت أبكارهم تلك الليلة وقد مضى هذا في (الأعراف) و(طه) مستوفى، يقال: غاظني كذا

(1) ولا أعلم دليلًا على صحته.

(304) أحمر
أسود

وأغاظني والغيظ: الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ أي: غاظونا بخروجهم من غير إذن ﴿**وإنا لجميع حذرون**﴾ أي مجتمع مستعد أخذنا حذرنا وأسلحتنا وقرئ ﴿حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ أي: فرقون أي: فرقون خائفون، قال الجوهري: وقرئ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ و(**حَذِرون**)، و(**حَذُرون**) بضم الذال، حكاه الأخفش، ومعنى حاذرون متأهبون، ومعنى و(حذرون) خائفون.

❁ ❁ ❁

(305) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - فأخرجنا آل فرعون من الحدائق والبساتين وعيون الماء التي كانوا يستمتعون بها ومن المنازل الحسان التي كانوا يسكنونها والمنابر التي كانوا يرتقون عليها ويصعدون عليها، وكذا من كنوز الذهب والفضة التي كانوا يكتنزونها، وهكذا فكما أخرجناهم، أورثنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل، ثم بشيء من التفصيل فيخرج آل فرعون لملاحقة موسى وبني إسرائيل في الصباح عند شروق الشمس، وقد قيل(1) إنهم تأخروا عن ملاحقتهم لكون القمر انخسف في تلك الليلة وأظلم الجو، وقيل: إنه تأخر عن ملاحقتهم حتى جمع الجموع. فالله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء، وكنوز ذهب وفضة، ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل. وقوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فأتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس، وقيل: حين أصبحوا.

---

(1) وليس على ذلك دليل ثابت فيما علمت.

(306) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي: فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا.

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف:١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص:٥، ٦].

ذكر غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود، فأمَّا ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات، من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دُهْم، وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم، ففي ذلك نظر. والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل، والله سبحانه وتعالى أعلم. والذي أخبر به هو النافع، ولم يعين عدتهم؛ إذ لا فائدة تحته، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم.

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: وصلوا إليهم عند شروق الشمس، وهو طلوعها.

❁ ❁ ❁

(307) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واستمرت المطاردة والملاحقة من فرعون وجنوده بما معهم من أنواع السلاح والعتاد، وكان جيشًا عظيمًا هائلًا فاستمرت المطاردة والملاحقة إلى أن اقترب موسى ﷺ من البحر، واقترب فرعون بجموعه وجنوده من موسى ﷺ، ورأى كل فريق الآخر فعندها قال أصحاب موسى لموسى ﷺ: قد أدركنا القوم، قد أدركونا لا محالة، وليس أمامنا إلا البحر، فالبحر أمامنا والعدو يلاحقنا، ها هو قد أدركنا، وها نحن سنقتل لا محالة، فقال موسى ﷺ نافيًا هذا الظن: كلا، لن نُدرك فإن ربي معي سيوفقني لسلوك طريق السلامة والنجاة، فعندها أوحى الله ﷻ إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب بعصاه البحر فانفلق البحر فلقتين، كل فلقة منه كالجبل العظيم، وسبحان الله أصبح البحر كأنه جبلين عظيمين (من الماء) بينهما ممرٌ يابس، سبحان الله، ماء مرتفع جدًّا عن كل جانب وبينهما أرض يابسة، فسلك موسى ﷺ ومن معه هذا الطريق اليبس والأمواج كالجبال تحيط به ولا تسقط عليه، وسبحان الله إنها معجزةٌ عظيمة، ويُقال لِمَ لم يتفطن فرعون لهذا، ولم يتعظ؟! وجواب ذلك أن الله أعمى بصيرته عن هذه المعجزة، وقرَّبه الله وقرَّب من معه إلى هذا الطريق اليبس واقتحموا اليبس، وساروا فيه فعندها، وقد سلَّم الله ﷻ موسى ومن معه أطبق الجبلان (جبلان من ماء) على فرعون

(308) أحمر
أسود

وجنده وهم يسيرون على اليبس الذي سار عليه موسى ﷺ، فسبحان من قربهم إلى حتفهم وسبحان من جرأهم على اقتحام اليبس بعد موسى ومن معه!! فحقًّا إن الأمور تجري بمقادير، إن الله سلَّم موسى ﷺ، وتجاوزوا البحر، أما فرعون فانطبق عليه البحر وعلى من معه فأغرقه الله ومن معه جميعًا.

عندها صاح فرعون، وقبيل نهايته: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، ولكن لم يكن إيمانه بنافع له، قال تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾ [يونس: ٩١].

فحقًّا إن في إهلاك فرعون ومن معه بهذه الطريقة وعلى هذا النحو لآية، ومعجزة ودلالة على قدرة الله ﷻ ووحدانيته لآية ودليلًا على أن الله ﷻ يُنجي أولياءه وينتقم من أعدائه، ولكن من يتعظ، ومن يعتبر؟!! إن الأكثرين لا يتعظون - لا يعتبرون - لا يؤمنون، وإن ربك لهو الغالب على أمره القوي الذي لا يُردُّ له أمرٌ، ولا يحول بينه وبين ما يريد حائلٌ، الرحيم بعباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل، وجمع فرعون وهم القبط ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ أي: إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى، تشاؤمًا بموسى.

وأورد بإسناد صحيح عن سليمان بن طرفان قال: قلت لعبد الرحمن:

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ قال: تشاءموا بموسى، وقالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

و عن السدي: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾ يا موسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩] اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، إنا لمدركون؛ البحر بين أيدينا، وفرعون من خلفنا.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما ذكرتم، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين، يقول: سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه.

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ يقول تعالى ذكره: فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم. وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط، لكل سبط منهم فرق.

وقال $:

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤﴾: وقربنا هنالك آل فرعون من البحر، وقدمناهم إليه، ومنه قوله: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠] بمعنى: قربت وأدنيت؛ ومنه قول العجاج:

طي الليالي زلفا فزلفا ... سماوة الهلال حتى احقوقفا

وقال $:

وقوله: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥﴾ يقول تعالى ذكره: وأنجينا موسى

(310) أحمر
أسود

مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين. وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلت بفرعون ومن معه تغريقي إياهم في البحر إذ كذبوا رسولي موسى، وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم، والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي، وعظة لهم وعبرة أن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم، ولك آية في فعلي بموسى، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهاري إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أني سالك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذبيك، ومعليك عليهم. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بمن أنجى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة.

وقال الحافظ ابن كثير $ تعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ أي: رأى كل من الفريقين صاحبه، فعند ذلك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾، وذلك أنه انتهى بهم السير إلى سيف البحر،

وهو بحر القلزم، فصار أمامهم البحر، وفرعون قد أدركهم بجنوده، فلهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله، سبحانه، هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد.

وكان هارون ﷺ، في المقدمة، ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون وموسى ﷺ، في الساقة، وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون، وجعل يوشع بن نون، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى، ﷺ: يا نبي الله، هاهنا أمرك الله أن تسير؟ فيقول: نعم، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، وقال: انفلق بإذن الله.

وقال ابن كثير $ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ تقدم تفسيره.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ أي: تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: قرب منا العدو ولا طاقة لنا به.

وقال $:

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم ورأت بنو إسرائيل العدو القوي والبحر أمامهم ساءت

(312) أحمر
أسود

ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر ﴿كَلَّآ﴾ أي لم يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ أي: بالنصر على العدو ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ أي: سيدلني على طريق النجاة فلما عظم البلاء على بني إسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك أنه ٥ أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل يفعله وإلا فضرب العصا ليس بفارق للبحر ولا معين على ذلك بذاته إلا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه وقد مضى في (البقرة) قصة هذا البحر ولما انفلق صار فيه اثنا عشر طريقًا على عدد أسباط بني إسرائيل ووقف الماء بينها كالطود العظيم أي: الجبل العظيم والطود: الجبل ومنه قول امرئ القيس:

فبينا المرء في الأحياء طود ... رماه الناس عن كثب فمالا

وقال الأسود بن يعفر:

حلوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

جمع: طود أي: جبل فصار لموسى وأصحابه طريقًا في البحر يبسًا فلما خرج أصحاب موسى وتكامل آخر أصحاب فرعون على ما تقدم في (يونس) انصب عليهم وغرق فرعون فقال بعض أصحاب موسى: ما غرق فرعون فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا إليه.

وقال:

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قربناهم إلى البحر يعني فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره قال الشاعر:

وكـل يـوم مضـى أو ليلـة سـلفت فيهـا النفـوس إلـى الآجـال تزدلـف

❁ ❁ ❁

شيءٌ من قصة إبراهيم ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا
كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي
أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشعراء: 69-89]

(314) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَٱتۡلُ - نَبَأَ - إِذۡ قَالَ - أَصۡنَامًا - عَٰكِفِينَ - تَدۡعُونَ - ٱلۡأَقۡدَمُونَ - أَطۡمَعُ - خَطِيٓـَٔتِي - يَوۡمَ ٱلدِّينِ - حُكۡمًا - لِسَانَ صِدۡقٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱتۡلُ﴾	واقصص
﴿نَبَأَ﴾	خبر
﴿إِذۡ قَالَ﴾	حين قال
﴿أَصۡنَامًا﴾	تماثيل
﴿عَٰكِفِينَ﴾	مقيمين - ملازمين عبادتها
﴿تَدۡعُونَ﴾	تطلبون - تسألون - تعبدون
﴿ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾	السابقون - المتقدمون
﴿أَطۡمَعُ﴾	أرجو
﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾	خطاياي عمومًا، وقيل إنها قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾، وقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾، وقوله عن سارة هذه أختي.
﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾	يوم القيامة - يوم الثواب والعقاب
﴿حُكۡمًا﴾	نبوةً - علمًا - فهمًا وفقهًا
﴿لِسَانَ صِدۡقٍ﴾	ثناءً حسنًا وذِكرًا جميلًا من الناس

❁ ❁ ❁

(315) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واقصص يا رسول الله على قومك وعلى عموم من أرسلت إليهم، اقصص على مشركي قومك وعموم المشركين كذلك خبر إبراهيم ﷺ، خبر أبي الأنبياء ﷺ حين قال لأبيه وقومه، وقد رآهم يعبدون أصنامًا مع الله سبحانه وتعالى ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا فقال لهم: أي شيء تعبدون؟ قالوا: نعبد أصنامًا فنقيم حولها ونلزم عبادتها ونعكف على عبادتها، فقال: هل يسمعونكم عند دعائكم وسؤالكم إياهم وطلبكم منهم وهل يجيبونكم؟ وأيضًا فهل إذا عبدتموهم نفعوكم بشيء؟ وإن تركتم عبادتها أضرتكم بشيء؟ هل تُثيبكم هذه الآلهة أو تعاقبكم؟ هل تكشف عنكم ضرًّا أو تجلب لكم نفعًا؟ قالوا: لا تجلب لنا ضرًّا ولا تجلب لنا نفعًا؟ هذا مفهوم من جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يعبدونها ويعكفون حولها وملازمون لعبادتها، ومعنى العكوف: طول المكث، والمراد: الاستمرار في العبادة وحتى ولو ابتعدوا عنها، فعندها قال الخليل إبراهيم ﷺ: أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها مع الله، والتي كان آباؤكم وأجدادكم من قبل يعبدونها، فأنا بريء منها لا أقرُّ لها بعبادة ولا أقرُّ لها بجلب نفع أو دفع ضرٍّ، بل أعلن عن عداوتي لها وبراءتي من عبادتها لكنني لا أتبرأ من عبادة الله، فإني سألزم عبادة الله وحده لا شريك له هو رب العالمين المعبود بحق سأعبده وحده لا شريك

له.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ يقول: فنظل لها خدمًا مقيمين على عبادتها وخدمتها.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟

وقال: وقوله: ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئا على عبادتكموها، أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم؟ ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ فكان جوابهم إياه: لا؛ ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعونا ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ وذلك رجوع عن مجحود، كقول القائل: ما كان كذا بل كذا وكذا، ومعنى قولهم: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ وجدنا من قبلنا ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه، قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها

لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعًا لمنهاجهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون، يعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ نصبًا على الاستثناء، والعدو بمعنى: الجمع، ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس.

ومعنى الكلام: أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبده، إلا رب العالمين.

وقال ابن كثير $:

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يتلوه على أمته، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبري من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نَشَأ وشَب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله ۵

(318) أحمر
أسود

فقال: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾؟

أي: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: مقيمين على عبادتها ودعائها.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ يعني : اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يُهرعون. فعند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أي: إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير، فَلْتَخْلُص إلي بالمساءة، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها. وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن نوح ﷺ: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس:٧١]، وقال هود ﷺ: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٤-٥٦]، وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ﴾ [الأنعام:٨١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] يعني: لا إله إلا الله.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ نبه المشركين على فرط جهلهم

(319) أحمر
أسود

إذا رغبوا عن اعتقاد إبراهيم ودينه وهو أبوهم. والنبأ الخبر أي: اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وعيبه على قومه ما يعبدون وإنما قال ذلك ملزمًا لهم الحجة.

وقال:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وكانت أصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب. ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: فنقيم على عبادتها وليس المرد وقتًا معينًا بل هو إخبار عما هم فيه وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون الكواكب فيقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهارًا وبات يفعل كذا إذا فعله ليلًا ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ قال الأخفش: فيه حذف والمعنى: هل يسمعون منكم؟ أو هل يسمعون دعاءكم؟

وقال في قوله تعالى:

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم أو تملك لكم خيرًا أو ضرًّا إن عصيتم؟! وهذا استفهام لتقرير الحجة فإذا لم ينفعوكم ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها؟ ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ فنزعوا إلى التقليد من غير حجة ولا دليل وقد مضى القول فيه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم. ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ من هذه الأصنام ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الأولون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ واحد يؤدي عن جماعة وكذلك يقال للمرأة هي عدو الله وعدوة الله؟ حكاهما الفراء قال علي بن سليمان: من قال عدوة الله وأثبت الهاء قال: هي بمعنى معادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب ووصف الجماد بالعداوة بمعنى أنهم عدو لي

(320) أحمر
أسود

إن عبدتهم يوم القيامة كما قال: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ٨٢﴾ [مريم: ٨٢]، وقال الفراء هو من المقلوب مجازة فإني عدو لهم لأن من عاديته عاداك ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ قال الكلبي: أي إلا من عبد رب العالمين إلا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال أبو إسحاق الزجاج: قال النحويون هو استثناء ليس من الأول وأجاز أبو إسحاق أن يكون من الأول على أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ ويعبدون معه الأصنام فأعلمهم أنه تبرأ مما يعبدون إلا الله وتأوله الفراء على الأصنام وحدها والمعنى عنده: فإنهم لو عبدتهم عدو لي يوم القيامة على ما ذكرنا وقال الجرجاني: تقديره: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلى رب العالمين فإنهم عدو لي وإلا بمعنى دون وسوى كقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الدخان: ٥٦] أي دون الموتة الأولى.

❁ ❁ ❁

أدب في النقل عن الله ﷻ

س: في قول إبراهيم عۏ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ أدب في النقل عن الله ﷻ. وضح ذلك.

ج: حاصل هذا - والله أعلم - أنه معلوم أن الأمراض قدَّرها الله سبحانه وتعالى، وقد يُقدرها ابتلاء لرفعة الدرجات وقد يُقدرها لشيءٍ صدر من العبد، وهو سبحانه الذي يشفي تفضلًا منه.

فالحاصل أن المرض والشفاء كل ذلك بتقدير الله ﷻ ولكن تأدبًا في اللفظ نسب الخليل المرض إلى نفسه إذ قال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ ونسب الشفاء إلى الله إذ قال: ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ مع أن الجميع مقدرٌ.

وهذا من حسن الكلام وأدب النقل عن الله ﷻ ونحوه قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠].

وكذا قول الخضر: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب العيب إلى نفسه، ولكن قال في شأن الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: ٨١]، وقال في شأن الأيتام: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

كل ذلك مع أن الأمور كلها مقدرة وبأمر الله، فقد قال الخضر بعد ذلك: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]؛ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

المراد بخطيئة إبراهيم ﷺ

س: ما المراد بخطيئته ﷺ التي قال عنها: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾؟

ج: قال عددٌ من أهل العلم إنها المذكورة في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] لما دعوه إلى عبادة الأصنام، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله عن سارة: هذه أختي.

وفي الحديث(1) عن رسول الله ﷺ: **«لم يكذب إبراهيم ﷺ، قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله. قوله: إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدةٌ في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم**

(1) مسلم (2371)، والبخاري (3358).

(322) أحمر
أسود

في الأرض مسلمًا غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتي بها. فقام إبراهيم ؏ إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فقبضت يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضتين الأوليين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي. قدر الله أن لا أضرك. ففعلت. وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان. ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي. فلما رآها إبراهيم ؏ انصرف. فقال لها: مهيم؟ قالت: خيرًا. كف الله يد الفاجر. وأخدم خادمًا». قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء.

* **وقال آخرون:** إنها عموم الخطايا التي صدرت من إبراهيم ؏.

❁ ❁ ❁

س: وضح إجمالًا معنى قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

ج: هذا يقوله إبراهيم خليل الرحمن ؏، وهو متصل بما قبله، فالمعنى قبله أنه ؏ أعلن عن عداوته للأوثان والأصنام ورفضه التام لعبادتها وأعلن عن تمسكه بعبادة رب العالمين ثم وضح شيئًا من فضل الله ﷻ عليه وكذا شيئًا من قدرته سبحانه فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ أي: أنني أعبد الذي خلقني فهو الذي يوفقني ويرشدني، والذي هو - وليس أحد

سواه - ﴿يُطْعِمُنِي﴾ يغذيني بالطعام[1] وييسره لي ويرزقني إياه ويجعلني له مستسيغًا ويسقني الشراب بتيسيره ذلك لي، وإذا قُدِّر علي مرض، ووقعت في مرض بسبب ذنوبي أو ابتلاء ابتليت به، فالذي يكشف عني هو الله، هو الذي يشفيني منه ويعافيني، وهو الذي يميتني في الوقت الذي يريده ثم يحيني يوم القيامة للجزاء، والذي أرجو منه أن يغفر خطاياي التي أخطأتها في دنياي يوم القيامة يوم الجزاء يوم الثواب والعقاب، فهذا هو المستحق للعبادة، إنه ربي الذي لا أعبد إلهًا سواه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ للصواب من القول والعمل، ويسددني للرشاد. ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه.

وقال $ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع

---

(1) وفي الحديث القدسي: «**كلكم جائع إلا من أطعمته**»، وفي الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

(324) أحمر
أسود

ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجًا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعًا ولا ضرًّا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، وقولي: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقولي لسارة: إنها أختي.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يعني: لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ أي: هو الخالق الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ أي: هو خالقي ورازقي، بما سخر ويَسَّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المُزْنَ، وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد، وأنزل الماء عذبًا زلالًا لـ ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: ٤٩].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا، كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حُذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠]؛ ولهذا قال

إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدِّر من الأسباب الموصلة إليه.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ أي: هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ أي: هو الذي لا يقدر على غَفْر الذنوب في الدنيا والآخرة، إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ أي: يرشدني إلى الدين. ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ أي: يرزقني ودخول ﴿هُوَ﴾ تنبيه على أن غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول: زيد هو الذي فعل كذا أي لم يفعله غيره. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ قال: ﴿مَرِضْتُ﴾ رعاية للأدب وإلا فالمرض والشفاء من الله ﷻ جميعًا ونظيره قول فتى موسى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]. ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ يريد البعث وكانوا ينسبون الموت إلى الأسباب فبين أن الله هو الذي يميت ويحيي وكله بغير ياء ﴿يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ ﴿يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ لأن الحذف في رؤوس الآي حسن لتتفق كلها وقرأ ابن أبي إسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء لأن الياء اسم وإنما دخلت النون لعلة فإن قيل: فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها إبراهيم دليلًا على هدايته ولم يهتد بها غيره؟ قيل: إنما ذكرها احتجاجًا على وجوب الطاعة لأن من أنعم وجب أن يطاع ولا يعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا إلزام صحيح.

(326) أحمر
أسود

قلت (مصطفى): وقد أعرضت عن ذكر أمور أشار إليها القرطبي ناقلًا لها عن غيره ولا أرتضيها ولا أحب أن أسلك مسكلهم هذا مع كتاب الله ﷻ.

هذا، ثم قال القرطبي:

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ ﴿أَطۡمَعُ﴾ أي: أرجو وقيل: هو بمعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواه وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: ﴿**خطاياي**﴾ وقال: ليست خطيئة واحدة قال النحاس: خطيئة بمعنى خطايا معروف في كلام العرب.

ثم قال $:

﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ يوم الجزاء حيث يجازى العباد بأعمالهم وهذا من إبراهيم إظهار للعبودية وإن كان يعلم أنه مغفور له وفي صحيح مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعة؟ قال: **«لا ينفعه إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»**.

❁ ❁ ❁

الثناء على الله وتمجيده وتعظيمه بين يدي الدعاء

س: يستحب للداعي أن يُقدِّم دعاءه بثناءٍ على الله ﷻ. وضح ذلك من الآيات التي بين أيدينا ومن غيرها.

ج: إيضاحه أن إبراهيم ﷺ أثنى على ربِّه ﷻ ومجده بقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨...﴾ ثم دعا بعد ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾، فجاء دعاؤه بعد ثنائه على الله وتمجيده له.

(327) أحمر
أسود

ولهذا شواهد كثيرة، وقد تقدم مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

ج: هذا دعاءُ إبراهيم ﷺ بعد ثنائه على الله ﷻ وإعلانه عن وجهته وهويته وتوحيده لربه ﷻ وخالقه، وتبرئه من عبادة غير الله ﷻ فدعا ربَّه بهذه الدعوات المباركات: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يا رب تفضل علي بعلمٍ يقربني منك، بفقهٍ أتعبد به وبنبوةٍ تمنُّ بها عليَّ وألحقني بمن أنعمت من الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والفضل والصلاح، ألحقني بهم يا رب وأدخلني مدخلهم وأنزلني منازلهم، واجعل لي يا رب ثناءً حسنًا على ألسنة الذين يأتون من بعدي، ومُنَّ عليَّ آخرتي بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم، الذين يرثونها بدلًا عن أهل الكفر الذين تركوها بسيئ أعمالهم وحرموها بشركهم وضلالهم. واغفر يا رب لأبي فقد كان من الذين أخطأوا الطريق طريق التوحيد وسلك طريق أهل الشرك والزيغ والضلال، فاغفر له يا رب. وكان هذا من إبراهيم ﷺ قبل أن يعلم أن أباه عدوٌ لله ثم إنه ﷺ تراجع بعد هذا الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

ثم سأل إبراهيم ﷺ ربَّه قائلًا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ لا تفضحني على

(328) أحمر
أسود

رؤوس الأشهاد يوم القيامة ولا تعذبني، فالعذاب خزيٌ عظيم، لا تخزني يوم القيامة يوم لا ينفع صاحب المال مالُه ولا صاحب الولد ولدُه لكن السالم الآمن من العذاب من أتى الله يوم القيامة بقلب سليم من الشرك بالله.

وكذا سليم القلب من الأغلال والأحقاد لأهل الإيمان، فصاحبه يرتفع درجات.

وهذه أقول بعض أهل العلم في الآية الكريمة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن مسألة خليله إبراهيم إياه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ يقول: رب هب لي نبوة. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يقول: واجعلني رسولًا إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وائتمنته على وحيك، واصطفيته لنفسك. وقوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يقول: واجعل لي في الناس ذكرًا جميلًا وثناء حسنًا، باقيًا فيمن يجيء من القرون بعدي.

وأورد الطبري بسندٍ - فيه مقال، لكن معناه جيد- عن عكرمة قوله:

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]. قال: إن الله فضله بالخُلة حين اتخذه خليلًا فسأل الله فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧] ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨] فهذا أجره الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ [النحل: ١٢٢] وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ قال: اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح، والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم.

وقال الطبري $ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكني ذلك. ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ يقول: إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه.

(330) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عون قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.

وأورد عدة آثار مفادها أن القلب السليم هو السليم من الشرك.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [إبراهيم:٤١]، وهذا مما رجَعَ عنه إبراهيم، **غ**، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٤]. وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة:٤].

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة ڤ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ**».

---

(1) البخاري (4768).

(331) أحمر
أسود

وفي رواية: «**يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أنك لا تخزيني يوم يبعثون. فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين**». هكذا رواه عند هذه الآية.

وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردًا به، ولفظه: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ وغَبَرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يُقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**».

قال ابن كثير: والذيخ: هو الذكر من الضباع، كأنه حول آزر إلى صورة ذيخ متلطخٍ بعذرته فيلقى في النار كذلك.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا: ﴿وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ولو افتدى بِمَنْ في الأرض جميعًا، ولا ينفعُ يومئذ إلا الإيمانُ بالله، وإخلاص الدين له، والتبري من الشرك؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي: سالم من الدنس والشرك.

وأورد أقوالًا في القلب السليم، منها الشرك كما قدمنا، ويلتحق به النفاق وألحق البعض به البدعة.

❁ ❁ ❁

(332) أحمر
أسود

ندم أهل الكفر يوم القيامة

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ
﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾
فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ
﴿١٠٤﴾ ﴾

[الشعراء: 90-104]

(333) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَأُزْلِفَتِ - وَبُرِّزَتِ - لِلْغَاوِينَ - فَكُبْكِبُوا - يَخْتَصِمُونَ - تَاللَّهِ - حَمِيمٍ - كَرَّةً﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَأُزْلِفَتِ﴾	قُرِّبت - أُدْنيت
﴿وَبُرِّزَتِ﴾	أظهرات وكُشف عنها
﴿لِلْغَاوِينَ﴾	للغواة الذين أغووا بني آدم سواء كانوا من الجن أو من الإنس
﴿فَكُبْكِبُوا﴾	ألقوا على بعضهم البعض - رُمي بعضهم على بعض في النار على وجوههم - دُهوروا
﴿يَخْتَصِمُونَ﴾	يخاصم بعضهم بعضًا ويجادل بعضهم بعضًا ويتلاعنون
﴿تَاللَّهِ﴾	والله
﴿حَمِيمٍ﴾	قريب - شديد الصداقة - كان في الدنيا يحمي من أجل أخيه ويغضب له
﴿كَرَّةً﴾	رجعة إلى الدنيا

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات السابقات من قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وقُرِّبت الجنة يوم القيامة لأهلها الذين اتقوا الله ﷻ في دنياهم، وذلك بطاعتهم له فيما أمرهم به واجتنابهم

(334) أحمر
أسود

ما نهاهم الله عنه، وبخشيتهم له في السر والعلن وأظهرت النار (الجحيم) لأهلها قبل أن يدخلوها وكشف لهم عنها، كشف عن النار لهؤلاء الغواة الذين أضلوا العباد وتسببوا في كفرهم وقيل لهؤلاء الذين هم أهل النار: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله في دنياكم؟ أين هذه الأصنام والأوثان وعموم الآلهة التي عبدتموها مع الله؟!! أين هي الآن هل تستطيع هذه الآلهة أن تنصركم الآن؟! بل هل تستطيع هذه الآلهة أن تنتصر لأهلها فضلًا عن نصرتها لغيرها؟!! كلا بل قد تبرأ كل معبود ممن عبدوه، وتخلى كلٌّ عن الآخر، فهنالك كبكبوا فيها، أي طرحوا على وجوههم في النار بعضهم فوق بعض هم ومن أغووهم وتسببوا لهم في الضلال ومعهم جنود إبليس كلهم، هؤلاء الجنود الذين كانوا في الدنيا يصدون الناس عن الإيمان وعن الخير، فاجتمع هنالك في النار بعضهم فوق بعضٍ بإهمال وازدراء واحتقار وإهانة، اجتمعوا أهل الكفر مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله فقالوا آنذاك -وقد دبت بينهم الخصومات-: ﴿تَٱللَّهِ﴾ أي: والله لقد كنا في الدنيا في بُعْدٍ عن الحق مظهر لمن تأمله أننا في ضلال، لقد كنا في ضلالٍ واضح عندما كنا نعبد آلهة مع الله ونسويكم يا من عبدناهم في الدنيا ويا من اتخذناهم آلهة، نسويكم بالله ٥، فنعبدكم كما نعبده ونطيعكم فيما دعوتمونا إليه من الضلال كما يطيع أهل الطاعة ربهم فيما يدعوهم إليه من الخير والحق والإيمان ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ وما صرفنا عن الحق إلى الباطل إلا أهل الإجرام، فها نحن قد اجتمعنا في النار ولم نجد شفعاء يشفعوا لنا لا آلهة ولا بشر ولا ملائكة ولا أي شافع يشفع، فقد قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾

[غافر: ١٨].

كذا، وليس لنا هاهنا اليوم صديق ينفعنا، ذلكم الصديق القريب، قريب الصداقة وقريب النسب الذي كان في الدنيا ينتصر لنا ويغضب لغضبنا فما رأيناه اليوم، لقد تخلى هو الآخر عنا فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا حتى نؤمن ونصدق ونتبع رسل الله الكرام. ولكن هيهات هيهات، إن في ذلك المتقدم ذِكره لدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته، ولكن الأكثرون عن تلك الدلالات معرضون لا يؤمنون ولا يصدقون، ولا يتعظون ولا يعتبرون، وإن ربك هو العزيز الغالب الذي لا يمنع من شيء يريده، ﴿ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ بعباده إذ أرسل إليهم رسلًا تبين لهم طريق الحق وطريق الصواب، رحيم بالعباد؛ إذ دلهم على وحدانيته وأرشدهم لها، رحيم بأهل الإيمان إذ يدخلهم فسيح الجنان، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٩٠﴾ وأُدنيت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١﴾ يقول: وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأنداد ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ٩٣﴾ لأنفسهم، فينجونها مما يراد بها؟

وقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ٩٤﴾ يقول: فرمي ببعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل كبكبوا:

(336) أحمر
أسود

كببوا، ولكن الكاف كُررت كما قيل: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦] يعني به صر، ونهنهني ينهنهني، يعني به: نههني.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ قال: طرحوا فيها.

قال الطبري $:

فتأويل الكلام: فكُبكب هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون.

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع: الشياطين.

فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة. فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين.

وقوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ يقول: وكُبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون. وجنوده: كل من كان من أتباعه، من ذريته كان أو من ذرية آدم.

وقال $ في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل. وقوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم

من دونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الغاوين في الجحيم: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ يعني بالمجرمين: إبليس، وابن آدم الذي سنَّ القتل.

وقال:

وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد، فيعفو عنا، وينجينا من عقابه. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ من الأقارب.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالشافعين، وبالصديق الحميم، فقال بعضهم: عني بالشافعين: الملائكة، وبالصديق الحميم: النسيب.

وقال آخرون: كل هؤلاء من بني آدم.

وقوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن فيما احتج به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسُنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة، ويقتدون بهم في ذلك ما سن فيهم في الدار الآخرة، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين. وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عُبِدَ دونه، ثم لم يتب من كفره حتى

(338) أحمر
أسود

هلك، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم.

وقال ابن كثير $:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها في الدنيا.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: أظهرت وكُشف عنها، وبدت منها عُنقٌ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر، وقيل لأهلها تقريعًا وتوبيخًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله، من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئًا، ولا تدفع عن أنفسها؛ فإنكم وإياها اليوم حَصَبُ جَهَنم أنتم لها واردون.

وقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾ قال مجاهد: يعني: فَدُهْوِرُوا فيها.

وقال غيره: كببوا فيها. والكاف مكررة، كما يقال: صرصر. والمراد: أنه ألقي بعضهم على بعض، من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: ألقوا فيها عن آخرهم.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: يقول الضعفاء للذين استكبروا: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر:٤٧]. ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين، وعبدناكم مع ربِ العالمين.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ قال بعضهم: يعني من الملائكة، كما يقولون: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف:٥٣]. وكذا قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي: قريب.

قال قتادة: يعلمون -والله- أن الصديق إذا كان صالحًا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وذلك أنهم يتمنون أنهم يردُّون إلى الدار الدنيا، ليعملوا بطاعة ربهم -فيما يزعمون -وهو - سبحانه وتعالى- يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون. وقد أخبر تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص»، ثم قال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص:٦٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: إن في محاجة إبراهيم لقومه وإقامته الحجج عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: قربت وأدنيت ليدخلوها وقال الزجاج: قرب دخولهم إياها.﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أي: أظهرت ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ يعني جهنم ﴿لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: الكافرين الذين ضلوا عن الهدى أي: تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر أهل الجنة الفرح لعلمهم أنهم يدخلون الجنة. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لأنفسهم وهذا

(340) أحمر
أسود

كله توبيخ. ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ أي: قلبوا على رؤوسهم وقيل: دهوروا وألقي بعضهم على بعض.

وقال $:

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ الآلهة. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ من كان من ذريته وقيل: كل من دعاه إلى عبادة الأصنام فاتبعه. وقال قتادة والكلبي ومقاتل: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الشياطين وقيل: إنما تلقى الأصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم . ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعني : الإنس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذٍ. ﴿تَٱللَّهِ﴾ حلفوا بالله ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ أي: في خسار وتبار وحيرة عن الحق بينة؛ إذ اتخذنا مع الله آلهة فعبدناها كما يعبد وهذا معنى قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي: في العبادة وأنتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصر أنفسكم. ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الأصنام وقيل: أسلافنا الذين قلدناهم قال أبو العالية وعكرمة: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ إبليس وابن آدم القاتل هما أول من سن الكفر والقتل وأنواع المعاصي. ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي: صديق مشفق.

وقال:

ويجوز أن يريد بالصديق الجمع والحميم القريب أو الخاص ومنه حامة الرجل أي: أقرباؤه وأصل هذا من الحميم وهو الماء الحار ومنه الحمام والحمى فحامة الرجل: الذين يحرقهم ما أحرقه يقال: وهم حزانته أي: يحزنهم ما يحزنه ويقال: حم الشيء وأحم إذا قرب ومنه الحُمى؛ لأنها تقرب من الأجل. وقال علي بن عيسى: إنما سمي القريب حميمًا

(341) أحمر
أسود

لأنه يحمى لغضب صاحبه فجعله مأخوذًا من الحمية وقال قتادة: يذهب الله ﷻ يوم القيامة مودة الصديق ورقة الحميم.

❁ ❁ ❁

(342) أحمر
أسود

شيءٌ من قصة نوح ﷺ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ
ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ قَالُواْ لَئِن
لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ
بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي
ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢﴾ [الشعراء: 105-
122].

(343) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَتَّقُونَ -أَمِينٌ-أَنُؤْمِنُ لَكَ -ٱلْأَرْذَلُونَ - إِنْ حِسَابُهُمْ -ٱلْمَرْجُومِينَ - فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا -ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ -ٱلْبَاقِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَتَّقُونَ﴾	ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بتوحيدكم لله وعبادتكم إياه وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهاكم عنه وتصديق ما أخبركم
﴿أَمِينٌ﴾	ذو أمانةٍ؛ أبلغ الذي كلفت به دون زيادة أو نقص
﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾	أنصدقك ونتبعك
﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾	الضعفاء - الفقراء - الوضعاء الذين ليس معهم مال وليسوا من ذوي الجاه والمنصب
﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾	ما حسابهم
﴿ٱلْمَرْجُومِينَ﴾	المقتولين رجمًا بالحجارة وقيل: المشتومين المقذوفين بسيئ الألفاظ
﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾	فاقضي بيني وبينهم قضاء
﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾	السفينة العظيمة الهائلة الممتلئة
﴿ٱلْبَاقِينَ﴾	الباقين في العذاب مع الغرقى والهلكى

(344) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: كذبت قوم نوح نبيهم نوحًا ﷺ فيما دعاهم إليه من تقوى الله ﷻ وطاعته وعبادته وحده لا شريك له.

أما قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وقد أرسل إليهم نوح فقط، فحاصل توجيهه أن من كذب رسولًا فقد كذب الرسل كلهم، ذلك لأن دعوة المرسلين- عليهم صلوات الله وسلامه- دعوة واحدة فالمكذب لواحدٍ مكذبٌ للجميع.

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ فحاصل القول فيه أنهم كذبوه لما قال لهم ذلك، لما قال لهم: ألا تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بتوحيدكم واتباعكم أمر ربكم وتركككم ما نهاكم عنه، فإني لكم رسول أمين على الوحي أبلغكم إياه كما أمرني ربي بلا زيادة ولا نقصان، فاجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وأطيعون فيما آمركم به وما أسألكم على تبليغي الوحي إليكم أجرًا، وكذا ما أسألكم على إيمانكم إن آمنتم أجرًا إن أجري إلا على رب العالمين، فاتقوا الله فقد علمتم صدقي وأطيعون فيما أنقله لكم عن الله ﷻ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ الله فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله ﴿أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ على وحيه إلي، برسالته إياي إليكم.

ويقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به، وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم باتقائه. ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمري إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، من ثواب ولا جزاء ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ دونكم ودون جميع خلق الله، فاتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله، وأطيعون، يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم.

وقال ابن كثير $:

هذا إخبار من الله ﷻ عن عبده ورسوله نوح ﷺ وهو أول رسول بُعث إلى الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، بعثه الله ناهيًا عن ذلك، ومحذرًا من وَبيل عقابه، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم، ويتنزل تكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾ أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟

﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧﴾ أي: إني رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾ فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وائتمنني عليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ قال: ﴿كَذَّبَتۡ﴾ والقوم مذكر لأن المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ لأن من كذب رسولا

(346) أحمر
أسود

فقد كذب الرسل لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقيل: كذبوا نوحًا في النبوة وفيما أخبرهم به من مجيء المرسلين بعده وقيل: ذكر الجنس والمراد نوح غ وقد مضى هذا في (الفرقان) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: ابن أبيهم وهي أخوة نسب لا أخوة دين وقيل: هي أخوة المجانسة قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقيل: هو من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدًا منهم الزمخشري ومنه بيت الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾ أي: ألا تتقون الله في عبادة الأصنام. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾ أي: صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى وقيل: (أمين) فيما بينكم فإنهم كانوا عرفوا أمانته وصدقه من قبل كمحمد ﷺ في قريش. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: فاستتروا بطاعة الله تعالى من عقابه ﴿وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ فيما آمركم به من الإيمان. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لا طمع لي في مالكم ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ أي ما جزائي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾ كرر تأكيدًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٤ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١١٥ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قال قوم نوح لنوح غ لما دعاهم إلى توحيد الله ﻫ وتقواه وطاعته أجابوه بقولهم: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي: أنهم قالوا: كيف نتبعك وإنما أتباعك هم الفقراء الضعفاء والوضعاء فينا، ليس معك كبير أحدٍ من ذوي المناصب والوجاهات والأموال، أفنجالسك

(347) أحمر
أسود

فنعدُّ من هؤلاء؟!

فقال حينئذٍ: وما علمي بما كانوا يعملون، ما أمرت أن أفتش عن قلوبهم ولا أن أكون رقيبًا عليهم إنما أقبل منهم ما ظهر من إيمانٍ، أما حسابهم فهو على الله ﷻ هو الذي يعلم سرهم وعلانيتهم، أما إذا طالبتموني بطردهم فما أنا بطاردهم، وما أنا بمبتعد عنهم فما أنا إلا نذير للخلق، أحذر من عصى وأشرك وأنذره وأبين له عاقبة أمره إن هو مات على الشرك، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات؟! ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون؟! إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر، فمن أظهر حسنًا ظننت به حسنًا، ومن أظهر سيئًا ظننت به سيئًا. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سرَّ أمرهم وعلانيته.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله. ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه، وسطوته على كفركم به. مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتمكم نصيحته.

وقال ابن كثير $:

يقولون: أنؤمن لك ونتبعك، ونتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين

(348) أحمر
أسود

اتبعوك وصدقوك، وهم أراذلنا؟! ولهذا قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾؟ أي: وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنه والبحث والفحص، إنما عليَّ أن أقبل منهم تصديقهم إياي، وأكل سرائرهم إلى الله ۵.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾، كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ليتابعوه، فأبى عليهم ذلك، وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ أي: إنما بعثت نذيرًا، فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، أو جليلًا أو حقيرًا.

قال السعدي $ في (تيسير الكريم الرحمن):

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم؟ بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا - إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته -: بيّن لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجرد ما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده بقطع النظر عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح، لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ فبنوا على هذا الأصل، الذي كل أحد

(349) أحمر
أسود

يعرف فساده، رد دعوته - عرفنا أنهم ضالون مخطئون، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة، ما يفيد الجزم واليقين، بصدقه وصحة ما جاء به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم نوحٍ ﷺ ازداد تكذيبهم له وعنادهم له فقالوا: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين، قيل: من المرجومين بالحجارة المقتولين، وقيل: المرجومين بالسباب والقذف والشتم، فعندها اعتصم بالله وازداد اعتصامه فقال: رب إن قومي كذبون فاقض بيني وبينهم يا رب قضاءً تنتصر فيه من الظالم وتأخذ للمظلوم حقه ونجني يا رب ومن آمنوا معي واحفظنا من شرور هؤلاء فأنجاه الله ﷻ وأنجى من معه وهم المؤمنون به في السفينة العظيمة التي أمر نوحٌ ﷺ بصناعتها، تلك السفينة العظيمة التي أمر نوح ﷺ أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول منهم وهم زوجته وولده، فالفلك المشحون هو المملوء الموقر، فحمل ﷺ فيه وأنجاه الله ومن معه ثم أغرق الباقين في الكفر والضلال، إن في ذلك لدلالة على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، ودلالة على أن الله ﷻ يُنجي أهل الإيمان، وإن ربك لهو العزيز الذي لا يغلب ولا يردُّ له، أمر الرحيم الذي يرحم عباده برهم وفاجرهم أما

رحمته في الآخرة فهي خاصة بأهل الإيمان، والله أعلم.

قال الطبري $:

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يا نوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آلهتنا، لتكونن من المشتومين، يقول: لنشتمنك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا علي نصيحتي لهم. ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ يقول: فاحكم بيني وبينهم حكمًا من عندك تهلك به المبطل، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك، وكذب رسولك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ قال يقول: اقض بيني وبينهم.

قال الطبري $:

﴿وَنَجِّنِى﴾ يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكمًا بيني وبينهم. ﴿وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي.

وقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ يقول: فأنجينا نوحًا ومن معه من المؤمنين -حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين- في الفلك المشحون: يعني في السفينة الموقرة المملوءة.

وقولـه: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ مـن قومـه الـذين كـذبوه، وردوا عليـه النصيحة.

وقال في تأويل قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المـؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كـذبوه، لآيـة لـك ولقومـك المصـدقيك مـنهم والمكـذبيك، فـي أن سـنتنا تنجيـة رسـلنا وأتباعهم، إذا نزلت نقمتنا بالمكـذبين بهـم مـن قـومهم، وإهـلاك المكـذبين بالله، وكذلك سنتي فيك وفي قومك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنـوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فـي انتقامـه ممـن كفـر بـه، وخـالف أمـره ﴿الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته.

قال ابن كثير $:

لما طـال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وجهرًا وإسرارًا، وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ، والامتناع الشديد، وقالوا في الآخر: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أي: عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: لنرجمنَّك. فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:٩-

.

وقال هاهنا: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.
والمشحون: هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين، أي: نجيناه ومن معه كلهم، وأغرقنا مَنْ كذبه وخالف أمره كلهم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ أي: عن سبِّ آلهتنا وعيب ديننا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ أي: بالحجارة قاله قتادة وقال ابن عباس ومقاتل: من المقتولين. قال الثمالي: كل مرجومين في القرآن فهو القتل إلا في مريم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم:] أي: لأسبنك وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ من المشتومين قاله السدي ومنه قول أبي دؤاد. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ قال ذلك لما يئس من إيمانهم والفتح: الحكم وقد تقدم. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ يريد السفينة وقد مضى ذكرها والمشحون: المملوء والشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يؤنث الفلك هاهنا لأن الفلك هاهنا واحد لا جمع. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أي: بعد إنجائنا نوحًا ومن آمن. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(353) أحمر
أسود

ذِكر نبي الله هود ﷺ

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [الشعراء: 123-140].

(354) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿رِيعٍ - ءَايَةً - تَعْبَثُونَ - مَصَانِعَ - تَخْلُدُونَ - بَطَشْتُم - بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ - بِأَنْعَٰمٍ - أَوَعَظْتَ - خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿رِيعٍ﴾	الريع المكان المُشرف المرتفع وقيل: المراد به الطريق، وقيل: الطريق بين الجبلين
﴿ءَايَةً﴾	بنيانًا عظيمًا كدليلٍ تستدلون به على قوتكم
﴿تَعْبَثُونَ﴾	تلعبون - تصنعون ما لا فائدة فيه
﴿مَصَانِعَ﴾	قصور مشيدة - أبراج - حصون - وقيل: مآخذ المياه
﴿تَخْلُدُونَ﴾	تعيشون لا تموتون - تخلِّدون في الدنيا
﴿بَطَشْتُم﴾	ضربتم - آذيتم
﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	ضربتم بقوة بالسيف، قتلتم بلا هوادة ولا رحمة من غير سبب أو لأتفه سببٍ
﴿بِأَنْعَٰمٍ﴾	بإبل، وقيل: بالأنعام الثمانية والجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة، والجدي والعنز
﴿أَوَعَظْتَ﴾	أذكَّرت وحذَّرت
﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	دين الأولين وعادتهم وشأنهم، وقيل: المراد: أساطير الأولين

❁ ❁ ❁

(355) أحمر
أسود

س: كيف قيل: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ وإنما أُرسل إليهم نبي الله هود ﷺ فقط؟

ج: الحاصل - والله أعلم - أن عادًا لما كذبوا رسولهم هود فقد كذبوا المرسلين جميعًا ذلك لأن الذي أرسل به هودٌ ﷺ من الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وطاعته وتقواه هو الذي أرسلت به الرسل كلها فمكذبٌ لواحد منهم إنما هو مكذبٌ لجميعهم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ومعلوم أن قوم هود الذين هم (عاد) كفار؟

ج: لأهل العلم في ذلك أجوبة ذكرت ضمنًا في قصة نوحٍ ﷺ المتقدمة، وحاصلها:

أنه قيل إنها أخوةٌ في النسب.

وقيل: إنها بمعنى واحدٍ منهم كما يقال: يا أخا العرب، يا أخا تميم، ونحو ذلك، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن قبيلة عاد، تلك القبيلة التي أتاها الله قوةً عظيمة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦-٨]، هذه القبيلة العاتية الظالمة كذبت رسول

(356) أحمر
أسود

الله إليها، وهو نبي الله هود ﷺ لما دعاهم إلى توحيد ربه وتقواه وطاعته قائلًا لهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية بطاعتكم له إني لكم رسول أمين على الوحي الذي أوحاه الله إليَّ، أبلغكم إياه دون زيادة أو نقصان، فاتقوا الله فيما أمرتكم به فقد علمتم صدقي، وأطيعوني ولا تعصوني وما أسألكم على إيمانكم ولا على دعوتكم إلى الإيمان أجرًا، إنما أطلب الأجر من الله ﷻ وحده لا شريك له، هو رب السموات والأرض وما بينهما وربُّ كل شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ رسل الله إليهم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقاب الله على كفركم به. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربي يأمركم بطاعته، ويحذركم على كفركم بأسه، ﴿أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ على وحيه ورسالته. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته والانتهاء إلى ما يأمركم وينهاكم ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابًا. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين.

وقال ابن كثير $:

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود، ﷺ، أنه دعا قومه عادًا، وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف، وهي: جبال الرمل قريبًا من بلاد حضرموت متاخمة لبلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، كما قال في «سورة الأعراف»: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩] وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة

(357) أحمر
أسود

والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته، فقال لهم كما قال نوح لقومه، إلى أن قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾.

ج: هذا خطاب نبي الله هود ﷺ مع قومه، قال لهم: أتبنون بكل مكانٍ مرتفع، وبكل مكانٍ مرتفع، وبكل طريق بنيانًا عظيمًا هائلًا تستدلون به على قوتكم وجبروتكم عبثًا بلا فائدة، تبنونه فقط لإظهار قوتكم ولا حاجة لكم فيه، إنما تضيعون أوقاتكم وتهلكون أبدانكم، وتبددون أموالكم فيما لا فائدة لكم فيه، وكذا تبنون المصانع التي هي القصور الشاهقة والبروج المشيدة والتي هي مآخذ المياه، تفعلون ذلك كي تخلدوا في الدنيا لا تموتون، أو تصنعون ذلك كأنكم ستعيشون أبد الدهر لا تموتون، وإذا أنزلتم عقوبة بشخصٍ بطشتم به بلا رحمة ولا هوادة بسببٍ أو لغير بسبب، بل بطشتم بالعباد ظلمًا وقهرًا بكل قوتكم وبكل أنواع البطش، وأعظمه القتل بالسيف فاتقوا الله بامتثال ما أمركم وانتهوا عما نهاكم واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية وأطيعوني فقد علمتم صدقي، ثم عاود

(358) أحمر
أسود

التذكير بتقوى الله وبيان نعمه عليهم إذ قال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون من صنوف النعم والقوة في البدن وغير ذلك، فقد أمدكم بأنعام، وهي الأنعام الثمانية (الإبل والبقر والغنم والماعز) من كلٍ زوجين، وقد تطلق الأنعام على الإبل خاصة.

وكذا فإنه سبحانه وتعالى أمدكم ببنين فرزقكم الذرية وأمدكم بحدائق وبساتين وعيونٍ للمياه تشربون منها وتسقون، إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم وهو يوم القيامة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ والريع: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد.

وقال: وقوله: ﴿تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ قال: تلعبون.

وقال $: قوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المصانع، فقال بعضهم: هي قصور مشيدة.

وقال آخرون: هي أبرجة الحمام.

وقال آخرون: بل هي مآخذ الماء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصونًا مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع.

(359) أحمر
أسود

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ يقول: كأنكم تخلدون، فتبقون في الأرض.

وقال $:

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلًا بالسيوف، وضربًا بالسياط.

وقال $:

في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هود لقومه من عاد: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين، والبساتين والأنهار. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾ من الله ﴿عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾.

وقال ابن كثير $:

اختلف المفسرون في الريع بما حاصله: أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة. تبنون هناك بناء محكمًا باهرًا هائلًا؛ ولهذا قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ أي: معلمًا بناءً مشهورًا، تعبثون، وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم غ ذلك؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم قال: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾. قال مجاهد: المصانع: البروج المشيدة، والبنيان المخلد. وفي رواية عنه: بروج الحمام.

(360) أحمر
أسود

وقال قتادة: هي مآخذ الماء. قال قتادة: وقرأ بعض القراء: **(وتتخذون مصانع كأنكم خالدون)**.

وفي القراءة المشهورة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: لكي تقيموا فيها أبدًا، وليس ذلك بحاصل لكم، بل زائل عنكم، كما زال عمن كان قبلكم.

وقال:

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وصفهم بالقوة والغلظة والجبروت.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ أي: اعبدوا ربكم، وأطيعوا رسولكم.

ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: إن كذبتم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، فما نفع فيهم.

وأورد **$** أثرًا عزاه لابن أبي حاتم فقال: وقال ابن أبي حاتم **$**: حدثنا أبي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد، حدثنا ابن عَجْلان، حدثني عَوْن بن عبد الله بن عتبة، أن أبا الدرداء **ﷺ** لما رأى ما أحدث المسلمون في الغُوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق! فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون! ألا تستحيون! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه كانت قبلكم قرون، يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غرورًا، وأصبح جمعهم بورًا، وأصبحت مساكنهم قبورًا، ألا إن عادًا ملكت ما بين عدن وعمان خيلًا وركابًا، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

وقال القرطبي $:

(361) أحمر
أسود

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي: كي تخلدوا وقيل: لعل استفهام بمعنى التوبيخ أي: فهل (تخلدون) كقولك: لعلك تشتمني أي: هل تشتمني وروي معناه عن ابن زيد وقال الفراء: كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة: كأنكم خالدون باقون فيها.

وقال $:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ البطش: السطوة والأخذ بالعنف وقد بطش به يبطش ويبطش بطشًا وباطشه مباطشة وقال ابن عباس ومجاهد: البطش: العسف قتلًا بالسيف وضربًا بالسوط ومعنى ذلك: فعلتم ذلك ظلمًا وقال مجاهد أيضًا: هو ضرب بالسياط ورواه مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل: هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال الكلبي والحسن: هو القتل على الغضب من غير تثبت وكله يرجع إلى قول ابن عباس وقيل: إنه المؤاخذة على العمد والخطإ من غير عفو ولا إبقاء. قال ابن العربي: ويؤيد ما قال مالك قول الله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩] وذلك أن موسى ﷺ لم يسل عليه سيفًا ولا طعنه برمح وإنما وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد والكل مذموم إلا بحق والآية نزلت خبرًا عمن تقدم من الأمم ووعظًا من الله ﷻ لنا في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وأنكره عليهم.

❁ ❁ ❁

(362) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: ﴿...خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءتان هي ﴿خُلُقُ﴾ بضم الخاء واللام والثانية: ﴿**خَلْق**﴾.

أما معنى خُلُق الأولين فمعناها لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم، أي: أن هذا الذي نحن عليه دين آبائنا وأخلاق آبائنا ولن نتركه.

والثاني: خلق الأولين، ومعناه: اختلاق الأولين وكذب الأولين وأساطير الأولين أي: هذا الذي تدعونا إليه إنما هو أساطير الأولين.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك; فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى أبي جعفر، وعامة قرّاء الكوفة المتأخرين منهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ من قبلنا: وقرأ ذلك أبو جعفر، وأبو عمرو ابن العلاء: «**إنْ هَذَا إلا خَلْقُ الأوّلينَ**» بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى: ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأوّلين وأحاديثهم؟

وقال $:

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، نحو اختلاف القرَّاء في قراءته، فقال بعضهم: معناه: ما هذا إلا دين الأوّلين وعادتهم وأخلاقهم.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن مسعود: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ يقول: إن هذا إلا اختلاق الأوّلين.

وبإسناد صحيح عنه: أنه كان يقرأ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ ويقول: شيء اختلقوه.

(363) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ قال: إن هذا إلا أمر الأوّلين وأساطير الأوّلين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلًا.

قال الطبري $:

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ بضم الخاء واللام، بمعنى: إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم، كما قال ابن عباس؛ لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيّهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأوّلين، يعنون بالخلق: عادة الأوّلين. ويزيد ذلك بيانًا وتصحيحًا لما اخترنا من القراءة والتأويل، قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنهم لو كانوا لا يقرُّون بأن لهم ربًّا يقدر على تعذيبهم، ما قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئتنا به يا هود إلا خلق الأوّلين، وما لنا من معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع، ويعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون: إنها تقربنا إلى الله زلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم، وما الله معذبنا عليه. كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا، أنهم كانوا يقولون لرسلهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: دينهم؛ عن ابن عباس وغيره وقال الفراء:

(364) أحمر
أسود

عادة الأولين وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائي: ﴿**خَلْقُ الأولين**﴾ الباقون ﴿خُلُقُ﴾ قال الهروي: وقوله ﷻ: ﴿**إن هذا إلا خَلْقُ الأولين**﴾ أي: اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فمعناه عادتهم والعرب تقول: حدثنا فلان بأحاديث الخلق أي بالخلافات والأحاديث المفتعلة وقال ابن الأعرابي: الخلق: الدين والخلق: الطبع. والخلق: الروءة. قال النحاس: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عند الفراء يعني عادة الأولين وحكى لنا محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مذهبهم وما جرى عليه أمرهم. قال أبو جعفر: والقولان متقاربان ومنه الحديث عن النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» أي: أحسنهم مذهبًا وعادة وما يجري عليه الأمر في طاعة الله ﷻ ولا يجوز أن يكون من كان حسن الخلق فاجرًا فاضلًا ولا أن يكون أكمل إيمانًا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر. قال أبو جعفر: حكي لنا عن محمد بن زيد أن معنى ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تكذيبهم وتخرصهم غير أنه كان يميل إلى القراءة الأولى لأن فيها مدح آبائهم وأكثر ما جاء القرآن في صفتهم مدحهم لآبائهم وقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣] وعن أبي قلابة: أنه قرأ: ﴿**خُلْق**﴾ بضم الخاء وإسكان اللام تخفيف ﴿خُلُقُ﴾ ورواها ابن جبير عن أصحاب نافع عن نافع وقد قيل: إن معنى ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: دين الأولين ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] أي: دين الله و ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عادة الأولين: حياة ثم موت ولا بعث وقيل: ما هذا الذي أنكرت علينا من البنيان والبطش إلا عادة من قبلنا فنحن نقتدي بهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

ج: هذا جواب قوم عاد لنبيهم هود ﷺ بعد أن وعظهم وذكرهم وحذرهم، وأمرهم بطاعة الله ﷻ، قالوا له: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أحذرتنا وذكرتنا أم لم تكن من المذكِّرين الواعظين، كل ذلك يستوي عندنا فلن نؤمن لك ولن نصدقك فما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعادة آبائنا الأقدمين، وقد ماتوا عليه وما أصابهم شيء فلن نعذب، فإنهم لم يعذبوا، وهكذا تمادى بهم تكذيبهم فأهلكناهم إن في ذلك لدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا وما كان أكثر هؤلاء بعد وعظهم بمؤمنين، بل استمروا على كفرهم ولم يُجد فيهم وعظ الواعظين، وإن ربك لهو العزيز في انتقامه فإذا أراد أن ينتقم فلا رادَّ لعذابه، وهو كذلك الرحيم بعباده فلم يعاجلهم بالعقوبة بل أنذرهم وحذرهم، ثم هو رحيم بأهل الإيمان في الدنيا والآخرة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن جواب قوم هود له، بعدما حذرهم وأنذرهم، وَرَغَّبَهُم ورهبهم، وبيَّن لهم الحق ووضحه: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي: لا نرجع عما نحن فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:٥٣] وهكذا الأمر؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(366) أحمر
أسود

حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

[يونس: ٩٦، ٩٧]

وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قرأ بعضهم: (**إن هذا إلا خَلْق**) بفتح الخاء وتسكين اللام.

قال ابن مسعود، والعوفي عن عبد الله بن عباس، وعلقمة، ومجاهد: يعنون ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين. كما قال المشركون من قريش: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٤، ٥]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وقرأ آخرون: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ -بضم الخاء واللام -يعنون: دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد. ونحن تابعون لهم، سالكون وراءهم، نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يقول: دين الأولين. وقاله عكرمة، وعطاء الخراساني، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ﴾ أي: فاستمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده، فأهلكهم الله، وقد بيَّن سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية، أي: ريحًا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدًّا، فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا

أعتى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر:٦، ٧] وهم عاد الأولى، كما قال: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠]، وهم من نسل إرم بن سام بن نوح. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: الذين كانوا يسكنون العمد. ومن زعم أن «إرم» مدينة، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب، وليس لذلك أصل أصيل. ولهذا قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر:٨]، أي: لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال: التي لم يبن مثلها في البلاد، وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:١٥].

وقد قَدَّمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور، عتت على الخزنة، بإذن الله لها في ذلك، وسلكت وحصبت بلادهم، فحصبت كل شيء لهم، كما قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ﴾ الآية [الأحقاف:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:٦، ٧]، أي: كاملة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، أي: بقوا أبدانًا بلا رؤوس؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه، وتكسر رأسه، وتلقيه، كأنهم أعجاز نخل منقعر. وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم، فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئًا، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ﴾ [نوح:٤]؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ

فَأَهْلَكْنَٰهُمْۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقال الطبري $:

في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: فكذَّبت عاد رسول ربهم هودًا، والهاء في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ من ذكر هود. ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْۖ﴾ يقول: فأهلكنا عادًا بتكذيبهم رسولنا. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، المكذِّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين به.

❁ ❁ ❁

(369) أحمر
أسود

شيء من قصة صالح ﷺ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٥ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ
١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ
١٤٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ
شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦
فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾ [الشعراء:
141-159].

(370) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿طَلْعُهَا - هَضِيمٌ - وَتَنْحِتُونَ - فَٰرِهِينَ - ٱلْمُسْرِفِينَ - ٱلْمُسَحَّرِينَ - بِـَٔايَةٍ - شِرْبٌ - وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ - فَعَقَرُوهَا - فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طَلْعُهَا﴾	ثمرها، (الملتفة على بعضها والتي تحيط بها[1]
﴿هَضِيمٌ﴾	ناضج وطيب مستطاب يُهضم سريعًا إذا أكل
﴿وَتَنْحِتُونَ﴾	تحفرون – تنقشون
﴿فَٰرِهِينَ﴾	مهرةً حاذقين – متجبرين – بطرين – أشرين – متطاولين متعجبين مستكبرين
﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	المتجاوزين للحد في الطغيان
﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾	المصابين بالسحر
﴿بِـَٔايَةٍ﴾	بدليل على صدقك ونبوتك بمعجزةٍ تشهد أنك رسول من عند الله
﴿شِرْبٌ﴾	حظّ من الشرب – قدرٌ من الوقت تشرب فيه
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾	لا تقربوها بأذى
﴿فَعَقَرُوهَا﴾	فقتلوها – رموها بالسهام وضربوها بالسيوف
﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾	فحل بهم العقاب

❁ ❁ ❁

(1) قال القرطبي: والطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو.

(371) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – كذبت قبيلة ثمود جميع المرسلين، وذلك بتكذيبها بنبيها صالحًا غ فالذي يكذب رسولًا فقد كذب جميع الرسل، كما تقدم إذ دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه واحدة. كذبوا رسولهم إذ قال لهم: ألا تتقون ربكم بامتثالكم أمره واجتنابكم نهيه، وعبادته وحده لا شريك له فإني لكم رسول من عند الله أمين على وحيه، فاتقوا الله وأطيعون فقد علمتم صدقي في دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي لكم ولا على إيمانكم من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: كذَّبت ثمود رسل الله، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله، فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره ﴿أَمِينٌ﴾ على رسالته التي أرسلها معي إليكم. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أيها القوم، واحذروا عقابه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب. ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول: إن جزائي وثوابي إلا على ربِّ جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق.

(372) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

وهذا إخبار من الله ٥ عن عبده ورسوله صالح ﷺ: أنه بعثه إلى قوم ثمود، وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجْر، التي بين وادي القُرَى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة مشهورة. وقد قدمنا في «سورة الأعراف» الأحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غَزْوَ الشام، فوصل إلى تَبُوك، ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك. وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل ﷺ. فدعاهم نبيهم صالح إلى الله ٥ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه. فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله ٥ ثم ذكرهم آلاء الله عليهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- أن صالحًا ﷺ استمر في وعظ قومه وتذكيرهم وتحذيرهم قائلًا لهم: أتظنون أنكم ستتركون في دياركم آمنين مطمئنين وأنتم مقيمين على كفركم بالله وشرككم به وظلمكم للعباد وطغيانكم وبغيكم، أتظنون أنكم ستتركون هكذا في بلادكم وأنتم على هذه الحال آمنين مطمئنين تعيشون في حدائق وبساتين، وعيون ماء تجري رزقًا من الله لكم، وزروع ونخل ثمرها نضيج تأكلون رطبًا مريئًا يسهل

(373) أحمر
أسود

عليكم هضمه، وأما عن مساكنكم فها أنتم تطاولتم بغيًا، ولم تنشؤوا مساكن على قدر حاجاتكم بل تطاولتم وبغيتم ونحتم من الجبال بيوتًا، وقد عُلمتم كيف النحت ولكن لم تشكروا الله عليه، بل تطاولتم وبغيتم واستكبرتم على خالقكم، لقد كنتم حذقةً ومهرةً في النحت ولكن صوحب ذلك بالكبر والتعالي، فلا تظنوا أن هذه المساكن التي نحتموها في الجبال ستخلدكم أو أنكم ستخلدون في دنياكم فاتقوا الله وأطيعون فقد علمتم صدقي ونصحي لكم، ولا تطيعوا أمر هؤلاء الذين تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان وأسرفوا على أنفسهم، أكثروا عليها من المعاصي والكبائر والشرك بالله.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيتركم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئًا؟ ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ يقول: في بساتين وعيون ماء. ﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ يعني بالطلع: الكُفُرَّى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿هَضِيمٞ﴾ فقال بعضهم: معناه اليانع النضيج.

وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت.

وقال آخرون: هو الرطب اللين.

وقال آخرون: هو الراكب بعضه بعضًا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من

(374) أحمر
أسود

لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمسِّ الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضًا، وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وتتخذون من الجبال بيوتًا. واختلفت القرَّاء في قراءة قوله: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ فقرأته عامة قرَّاء أهل الكوفة: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ بمعنى: حاذقين بنحتها. وقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: **(فَرِهِينَ)** بغير ألف، بمعنى: أشرين بطرين.

وأورد $ أقوالًا في معنى فارهين، منها حاذقين، ومنها متجبرين ومنها كيسين ومنها أشرين، ومنها أقوياء، ثم قال:

وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم، وخلافكم أمره، وأطيعون في نصيحتي لكم، وإنذاري إياكم عقاب الله ترشدوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل صالح لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ **[النمل: ٤٨]** يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون، يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله.

وقال ابن كثير $:

يقول لهم واعظًا لهم ومحذرًا إياهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكرًا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارّة، وجعلهم في أمن من المحذورات. وأنبت لهم من الجنات، وأنبع لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات؛ ولهذا قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾. قال العوفي، عن ابن عباس: أينع وبَلَغ، فهو هضيم.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ قال ابن عباس، وغير واحد: يعني: حاذقين. وفي رواية عنه: شرهين أشرين. وهو اختيار مجاهد وجماعة. ولا منافاة بينهما؛ فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا، من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم؛ ولهذا قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: أقبلوا على عَمَل ما يعود نفُعه عليكم في الدنيا والآخرة، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلًا.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني: رؤساءهم وكبراءهم، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر، ومخالفة الحق.

❁ ❁ ❁

س: من هم المسرفون الذين عناهم صالحٌ غ بقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم إنهم التسعة الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وقال آخرون: هم

(376) أحمر
أسود

عموم المسرفين الذي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان والكفر والعصيان. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- أن قوم صالحٍ ﷺ وهم قبيلة ثمود لما دعاهم إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له وأمرهم بطاعته وتقواه ردوا عليه بقولهم إنما أنت من المُسحرين، أي من الذين أصابهم السحر فغيَّر عقولهم، فلذلك قلت ما قلت، وادعيت ما ادعيت من أنك رسول الله، وقيل: إن قولهم من المسحرين أي: المخلوقين أمثالنا لك (سحرٌ) وهو الرئة فأنت تمرض كما نمرض تصاب كما نصاب، وليست لك علينا مزية حتى نتبعك. فما أنت برسولٍ من عند الله إنما أنت بشرٌ مثلنا، وإن كنت تدعي الرسالة فهات الدليل على ذلك، ائتنا بآية – بعلامة- بدليل على صدقك أنك رسول من عند الله، فقال لهم: هذه ناقة الله، ناقة تخرج لكم كما طلبتم، ناقة عظيمة هائلة لبنها يكفي القبيلة بكاملها لها أن تشرب من البئر يومًا واليوم الثاني تشربوا أنتم من البئر، فلها أن تشرب في يوم ولكم أن تشربوا يومًا من البئر، كل له يوم مخصوص مُحدد فلا تقربوا هذه الناقة، التي هي من عند الله دليل على نبوتي ورسالتي، لا تقربوها بسوء ولا تلحقوا بها أذى فيصيبكم عذابٌ عظيم في دنياكم هذه فضلًا عن

(377) أحمر
أسود

الآخرة وعذابها، فهكذا نصحهم صالحٌ غ، ولكن هل أجدى نصحه معهم؟! وهل أثرت نصحيته فيهم؟! كلا بل تمادوا في الشر والفساد والتعالي والإجرام فعقروا الناقة، قتلوها بسهامهم وسيوفهم فقد خرج لها أشد رجلٍ إجرامًا وأكثر رجل عزةً ومنعةً في قومه، وهو أشقى رجل في قبيلة ثمود، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وكما قال: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

فالحاصل: أنهم عقروا الناقة ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ على عقرها لما رأوا من طلائع العذاب ومقدماته ولم ينفعهم الندم آنذاك، بل حلَّ بهم من أمر الله ما حلَّ ونزل بهم من عذاب الله ما نزل فأخذهم الله ٥ ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة هائلة عظيمة فدوتهم وأبادتهم وأماتتهم. إن في ذلك لدليل على قدرة الله على الانتقام من أعدائه، ودليل على إنجاء الله لعباده المؤمنين، ولكن، ومع هذا التذكير فلم تكن الذكرى تنفع الأكثرين بل أعرض الأكثرون مع رؤيتهم الآيات والمعجزات وإن ربك يا محمد لهو العزيز الذي لا يُغلب والذي لا يرد له أمر الرحيم بعباده المؤمنين، وكذا رحيم بالخلق في دنياهم ينذرهم ويحذرهم ويطعمهم ويسقيهم ويعافيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: إنما أنت من المسحورين.

وقال آخرون: معناه: من المخلوقين.

(378) أحمر
أسود

وقال:

والصواب من القول في ذلك عندي: القول الذي ذكرته عن ابن عباس، أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربًّا ولا ملكًا فنطيعك، ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحر: المفعل من السحرة، وهو الذي له سحرة.

وقال $: في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ثمود لنبيها صالح: ﴿مَآ أَنتَ﴾ يَاصَالِحُ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ من بني آدم، تأكل ما نأكل، وتشرب ما نشرب، ولست بربٍّ ولا ملك، فعلام نتبعك؟ فإن كنت صادقًا في قيلك، وأن الله أرسلك إلينا ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ يعني: بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا.

وقال $:

وقوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم، ما لكم من الشرب، ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئًا، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئًا. ويعني بالشرب: الحظ والنصيب من الماء، يقول: لها حظّ من الماء، ولكم مثله، والشُّرْب والشَّرْب والشِّرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر.

(379) أحمر
أسود

وقد حُكي عن العرب سماعًا: آخرها أقلها شُربًا وشِربًا.

وقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: فخالفت ثمود أمر نبيها صالح ﷺ، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء، فأصبحوا نادمين على عقرها، فلم ينفعهم ندمهم، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يقول: إن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول: ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن آمن به من خلقه.

وأورد ابن كثير قولين في تفسير المسحرين. أحدهما: المسحورين، والثاني (المخلوقين).

قال:

واستشهد بعضهم على هذا القول بما قال الشاعر:

فإن تسألينا: فيم نحن؟ فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

يعني الذين لهم سُحور، والسَّحر: هو الرئة، والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة: أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك.

وقال ابن كثير $:

(380) أحمر
أسود

ثم قالوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا﴾ يعني: فكيف أوحي إليك دوننا؟ كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٥، ٢٦].

ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه -وقد اجتمع ملؤهم -أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة -وأشاروا إلى صخرة عندهم -ناقة عُشَراء من صفتها كذا وكذا. فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق، لئن أجابهم إلى ما سألوا لَيُؤمنَنَ به، وليتبعنه، فأنعموا بذلك. فقام نبي الله صالح غ فصلى، ثم دعا الله، ه، أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشَراء، على الصفة التي وصفوها. فآمن بعضهم وكفر أكثرهم، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ يعني: ترد ماءكم يومًا، ويومًا تردونه أنتم، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ فحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينًا من الدهر ترد الماء، وتأكل الورق والمرعى. وينتفعون بلبنها، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا وريًا، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم، تمالؤوا على قتلها وعقرها.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۖ﴾ وهو أن أرضهم زُلزلت زلزالًا شديدًا، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ قال ابن عباس: قالوا: إن كنت صادقًا فادع الله يخرج لنا

(381) أحمر
أسود

من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنًا فدعا الله وفعل الله ذلك فـ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾ أي: حظ من الماء أي: لكم شرب يوم ولها شرب يوم. فكانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار. وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم ليس لهم في يوم ورودها أن يشربوا من شربها شيئًا ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئًا قال الفراء: الشرب الحظ من الماء.

وقال أيضًا:

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ أي: على عقرها لما أيقنوا بالعذاب وذلك أنه أنظرهم ثلاثًا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب وقيل: لم ينفعهم الندم لأنهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحًا غ ليقتلوه لما أيقنوا بالعذاب وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد إذ لم يقتلوه معها وهو بعيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ إلى آخره تقدم.

❁ ❁ ❁

شيء من قصة نبي الله لوط ﷺ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ
مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى
مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ
دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

[الشعراء: 160-175]

(383) أحمر
أسود

س: وضّح معنى ما يلي:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ - ٱلْعَٰلَمِينَ - وَتَذَرُونَ - عَادُونَ - ٱلْمُخْرَجِينَ - ٱلْقَالِينَ - عَجُوزًا - ٱلْغَٰبِرِينَ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا - فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾	أتجامعون الرجال في أدبارهم
﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	البشر
﴿وَتَذَرُونَ﴾	تتركون
﴿عَادُونَ﴾	معتدون – متجاوزون للحد
﴿ٱلْمُخْرَجِينَ﴾	المطرودين من البلاد
﴿ٱلْقَالِينَ﴾	المبغضين المُنكرين الكارهين الرافضين
﴿عَجُوزًا﴾	امرأة كبيرة السن
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾	المراد هنا أرسلنا عليهم حجارة
﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	بئس المطر، ذلك المطر الذي أمطره الله على الذين أنذرتهم رسلهم فكذبوا رسلهم

❁ ❁ ❁

(384) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – كذبت قوم لوط جميع المرسلين بتكذيبهم نبي الله لوطًا غ، فمن كذَّب رسولًا فقد كذب جميع المرسلين، وذلك لأن دعوة المرسلين واحدة، كذبوا لوطًا إذ أمرهم بتقوى الله ﻫ، ولقد قال لهم مُذكِّرًا إني لكم رسولٌ من عند الله أمينٌ على الوحي أبلغكم ما أرسلت به إليكم دون زيادة أو نقصان، وقد علمتم صدقي فاتقوا الله وأطيعون فيما أدعوكم إليه وما أسألكم على دعوتي لكم أجرًا فما أجري إلا على رب العالمين هو الذي أطلب منه الأجر وأبتغي منه الثواب.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ من أرسله الله إليهم من الرسل حين ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله أيها القوم. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربكم ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه، وتبليغ رسالته. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أنفسكم، أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاءً ولا ثوابًا. يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله، وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم، إلا على ربِّ العالمين.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله لوط غ وهو: لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة

عظيمة في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون «سدوم» وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكَرَك والشَّوبَك، فدعاهم إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكْران دون الإناث/.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

ج: هذا قول نبي الله لوط عليه السلام لقومه مستنكرًا عليهم صنيعهم القبيح، وهو إتيان الرجال في أدبارهم وترك الزوجات اللواتي أحلهن الله ﷻ، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ أتجامعون الرجال في أدبارهم، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: من البشر، ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ نساءكم الحلال اللواتي أحلهن الله لكم بل أنتم قوم متجاوزون للحد معتدين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم. وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ، فأحله لكم. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(وَتَذَرُونَ ما أصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ)**.

وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم

(386) أحمر
أسود

ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كانوا ينكحونهم في أدبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم (في الأعراف) ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يعني: فروج النساء فإن الله خلقها للنكاح. قال إبراهيم بن مهاجر: قال لي مجاهد: كيف يقرأ عبد الله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ قلت: **(وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم)** قال: الفرج؛ كما قال: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون لحدود الله.

❁ ❁ ❁

س: أهل الكفر دومًا يهددون رسلهم بالإخراج من البلاد، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقول قوم لوط للوطٍ ﷺ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾[الشعراء: ١٦٧].

وقولهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

وقول قوم شعيب لشعيب ﷺ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(387) أحمر
أسود

وقول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «ليتني فيها جزعًا، إذ يخرجك قومك قال: **أو مخرجي هم؟** قال: نعم لم يأت أحدٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودي».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله اعلم – أن قوم لوطٍ ﷺ أجابوه لِما دعاهم إلى الله ونهاهم عن فعل الفاحشة القبيحة التي اختصوا بها، وأعلن لهم عن بغضه لها ولسائر أعمالهم القبيحة، ولشركهم بالله، أجابوه بقولهم: لئن لم تنته يا لوط عن دعوتك لنا إلى توحيد ربك، وعن نهيك لنا عن أفعالنا التي نفعلها لنطردنك من بلادنا أنت والذين اتبعوك على ما أنت عليه، فعندها أجابهم لوط ﷺ معلنًا عن وجهته وعن دينه، إني لعملكم من القالين، من المبغضين الكارهين التاركين، ثم دعا ربه ۵ بقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ رب احفظني وسلمني من شرهم وكيدهم ومكرهم، أنا وأهلي، وكذا رب فاعصمني من هذا الزلل الذي وقعوا فيه والقبح الذي يرتكبوه.

وكذا رب نجني من العذاب الذي سيحل بهم نتيجة عملهم السيئ.

فأجاب الله دعاءه فنجاه وأهله أجمعين إلا زوجته تلك العجوز الخائنة التي كانت تدل قومه على أضيافه، ثم ولما أنجاه الله وسلمه دمر الله قومه، ومعهم زوجته الخائنة له في الدين، وكانت صورة هذا الدمار أن رُفعت قريتهم إلى السماء ثم قلبت رأسًا على عقب كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا

عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾[الحجر: ٧٤]، ثم أتبعوا بحجارة من طين متحجر كلٌّ له حجرٌ يصيبه كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود: ٨٢]، وفي الأخرى: ﴿سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾، فهكذا كان العقاب فبئس المطر الذي أمطره الله ﷻ على هؤلاء القوم الذين أتتهم رسلهم تنذرهم فكذبوا رسلهم وتمادوا في غيهم وطغيانهم، إن في ذلك الذي أحللناه بهم من الدمار والذي أنزلناه بهم من العذاب، وكذا في إنجائنا عبادنا المؤمنين لدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن ما كان أكثر هؤلاء القوم بمؤمنين مع مجيء النذر إليهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الذي لا يغلب بل أمره نافذٌ في خلقه وقضاءه فيهم لا يُرد ومع ذلك فهو رحيم بعباده إذ أرسل إليهم رسلًا تذكرهم وتحذرهم، وأيضًا رحيم بهم يرزقهم ويعافيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن نهينا عن إتيان الذكران ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ من بين أظهرنا وبلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي ﴾

من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ يعني في الباقين، لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء. ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذَّبوه. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحقّ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في سابق علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن آمن به.

وقال ابن كثير $:

لما نهاهم نبي الله عن إتيانهم الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم -ما كان جواب قومه له إلا قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ يعنونَ: عما جئتنا به، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أي: ننفيك من

(390) أحمر
أسود

بين أظهرنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢]، فلما رأى أنَّهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرون على ضلالهم، تبرأ منهم فقال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: الْمبغضين، لا أحبه ولا أرضى به؛ أنا بريء منكم. ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: كلهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع مَنْ بقي من قومها، وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في «سورة الأعراف» و«هود»، وكذا في «الحِجْر» حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقال القرطبي $:

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من بلدنا وقريتنا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ يعني: اللواط ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: المبغضين والقلي: البغض قليته أقليه قلى وقلاء قال:

فليست بمقلي الخلال ولا قالي

وقال آخر:

عليك السلام لا مللت قريبة وما لك عندي إن نأيت قلاء

(391) أحمر
أسود

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذاب عملهم دعا الله لما أيس من إيمانهم ألا يصيبه من عذابهم.

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ولم يكن إلا ابنتاه على ما تقدم في (هود).

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ روى سعيد عن قتادة قال: غبرت في عذاب الله ٥ أي: بقيت وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: من الباقين في الهرم أي: بقيت حتى هرمت قال النحاس: يقال للذاهب غابر والباقي غابر كما قال:

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

وكما قال:

فما ونى محمد مذ ان غفر له الإله ما مضى وما غبر

أي ما بقي والأغبار: بقيات الألبان.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي أهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل: خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة على ما كان خارجا من القرية ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وقيل: إن جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم أتبعها الله بالحجارة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط وابنتاه.

❁ ❁ ❁

شيء من قصة نبي الله شعيب ع

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

[الشعراء: 176-191]

(393) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لْأَيْكَةِ - أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ - ٱلْمُخْسِرِينَ - بِٱلْقِسْطَاسِ - ٱلْمُسْتَقِيمِ - وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ - وَلَا تَعْثَوْا۟ - وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ - ٱلْمُسَحَّرِينَ - كِسَفًا - يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لْأَيْكَةِ﴾	الشجر المُلتف الكثير
﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾	أتموا الكيل – أعطوا الناس إذا بعتم لهم الكيل مستوفى كاملًا
﴿ٱلْمُخْسِرِينَ﴾	المُنقصين – المبخسين – الذين لا يعطون الناس حقهم مستوفى
﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾	الميزان
﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾	العدل
﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾	لا تنقصوا الناس حقوقهم عند البيع ولا تحرموهم أموالهم كذلك
﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾	لا تسرعوا في الأرض بالفساد
﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	الخلق الذين من قبلكم
﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾	المسحورين، وقيل: المخلوقين من أمثالنا الذين لهم (سحر) وهو الرئة والذين يأكلون ويشربون مثلنا
﴿كِسَفًا﴾	قطعًا

(394) أحمر
أسود

394 التسهيل لتأويل التنزيل

﴿يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾	يوم أن أظلهم العذاب في صورة سحابة أظلتهم فاجتمعوا تحتها فتأججت عليهم نارًا

❁ ❁ ❁

س: هل القوم الذين أرسل إليهم شعيب شيء واحد أم هي شيئان؟

ج: ذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أن الذين أرسل إليهم شعيب ﷺ شيء واحد وهم أهل مدين، وهم أيضًا أنفسهم أصحاب الأيكة.

وذهب آخرون من العلماء: إلى أنه أرسل إلى قبيلتين، وهي أصحاب الأيكة، وأهل مدين، والأول أظهر. وسيأتي ما يؤيد ذلك إن شاء الله من كلام أهل العلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم يقل هاهنا (أخوهم شعيب)؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن سبب ذلك أنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي الشجر الكثير الملتف فلم يكن أخًا لهم في عبادتهم تلك والله أعلم.

هذا، وأما الذين قالوا إن شعيبًا ﷺ أرسل إلى فريقين، وهما أهل مدين وأصحاب الأيكة فذهبوا إلى أن شعيبًا كان أخًا لأهل مدين، ولم يكن أخًا لأصحاب الأيكة، والله أعلم.

قال القرطبي $:

﴿قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب لأنه لم يكن أخًا لأصحاب الأيكة في النسب فلما ذكر مدين قال: ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا﴾ لأنه كان منهم وقد مضى في (الأعراف) القول في نسبه قال ابن زيد: أرسل الله شعيبًا رسولًا إلى قومه أهل مدين وإلى أهل البادية وهم أصحاب الأيكة وقاله قتادة.

(395) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم- أن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم نبي الله شعيبٌ ﷺ، وهم قوم مدين، كانوا أصحاب أشجار كثيرة ملتفة وهي الغيضة، وقيل: كانوا يعبدونها ومع شركهم بالله وعبادتهم غير الله ﷻ كانوا يظلمون الناس أيضًا، وكانوا يبخسونهم حقوقهم فإذا باعوا للناس شيئًا أنقصوا من كيله ووزنه، وإذ اشتروا من الناس شيئًا أخذوا حقهم كاملًا مستوفًى، فحذرهم نبي الله شعيب ﷺ من هذا، ومن ذاك، حذرهم من الشرك بالله ﷻ، ومن ظلم العباد وأكل أموال الناس بالباطل فقال لهم: ألا تتقون الله ﷻ بعبادته وحده لا شريك له وترك ما تعبدون، ألا تتقون الله ﷻ بامتثالكم أمره، واجتنابكم ما نهاكم عنه إني لكم رسول من عند الله ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه، فكذبوا بتكذيبهم بنبيهم ﷺ جميع المرسلين، فمن كذب رسولًا فقد كذب الجميع؛ لأن دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه واحدة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾. والأيكة: الشجر الملتف، وهي واحدة الأيك، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أيكة؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ

(396) أحمر
أسود

وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين فيما ذُكر.

وقال $:

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لهم شعيب: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم؟. ﴿إِنِّي﴾ من الله ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على وحيه.﴿فَاتَّقُوا﴾ عقاب ﴿اللَّهَ﴾ على خلافكم أمره ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ ترشدوا. ويقول: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على نصحي لكم من جزاء وثواب، ما جزائي وثوابي على ذلك ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال ابن كثير $:

هؤلاء -أعني أصحاب الأيكة -هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغَيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: «إذ قال لهم أخوهم شعيب»، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبًا. ومن الناس مَنْ لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا غ، بعثه الله إلى أمتين، ومنهم مَنْ قال: ثلاث أمم.

وقد روى إسحاق بن بشر الكاهلي -وهو ضعيف -حدثني ابن السدي، عن أبيه -وزكريا بن عمر، عن خَصِيف، عن عِكْرِمة قال: ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظُّلَّةِ.

وروى أبو القاسم البغوي، عن هُدْبَة، عن هَمَّام، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ [ق:١٢] قوم شعيب، وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [ق:١٤] قوم

شعيب.

قال إسحاق بن بشر: وقال غير جُوَيْبر: أصحاب الأيكة ومدين هما واحد. والله أعلم.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «شعيب»، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبيه، عن معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيبًا النبي، غ**».

وهذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا. والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة.

❁ ❁ ❁

الأمر بإيفاء الكيل والميزان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾.

ج: هذا قول نبي الله شعيب غ لقومه يأمرهم بإيفاء الكيل، وإعطاء الناس حقهم كاملًا مستوفًى غير منقوص ولا مبخوس وينهاهم عن إنقاص الحقوق، فيقول: ولا تكونوا من المخسرين للناس أشياءهم وإذا وزنتم فَزِنُوا بالميزان العادل المضبوط ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تكثروا من الفساد في الأرض، ولا تسرعوا في الأرض بالفساد، واتقوا

الذي خلقكم وخلق الخلق الذين من قبلكم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

﴿۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ يقول: أوفوا الناس حقوقهم من الكيل. ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم.

ويعني بقوله: ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾ وزنوا بالميزان ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ الذي لا بخس فيه على من وزنتم له. ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثروا في الأرض الفساد.

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ أيها القوم عقاب ربكم ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ وَخَلَقَ ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني بالجبلة: الخلق الأوّلين. وفي الجبلة للعرب لغتان: كسر الجيم والباء وتشديد اللام، وضم الجيم والباء وتشديد اللام؛ فإذا نزعت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾ **[يس: ٦٢]** وربما سكنوا الباء من الجبْل.

قال ابن كثير $:

يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيهما، فقال: ﴿۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ أي: إذا دفعتم إلى الناس فكملوا الكيل لهم، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصًا، وتأخذوه -إذا كان لكم- تامًا وافيًا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون.

﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾: والقسطاس هو: الميزان، وقيل: القَبَّانُ. قال بعضهم: هو معرب من الرومية.

وقال مجاهد: القسطاس المستقيم: العدل -بالرومية. وقال قتادة: القسطاس: العدل.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: تَنْقُصوهم أموالهم، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: يعني: قطع الطريق، كما في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف:٨٦].

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾: يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل، كما قال موسى ﷺ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٦]. قال ابن عباس، ومجاهد، والسُّدِّي، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: خلق الأولين. وقرأ ابن زيد: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس:٦٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

ج: هذا جواب قوم شعيب لما دعاهم ﷺ إلى الله، قالوا له: إنما أنت من المسحورين الذين أثَّر السحر على عقولهم فلم تعد تضبط ما تقول وأصبحت تُخرف، وقال بعض العلماء: إن المعنى، إنما أنت من المخلوقين من أمثالنا، بشر كما أننا بشر ليس لك فضل علينا، واعتقادنا فيك أنك كاذب، هذا يقيننا، ثم استعجلوا نزول العذاب بقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أي: قطعًا من السماء إن كنت من الصادقين في دعواك أنك

(400) أحمر
أسود

رسول، فهكذا استعجلوا العذاب.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ يقول: قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب، كما نعلل بهما، ولست ملَكًا. ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ تأكل وتشرب ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾. يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقًا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: قطعًا من السماء، وهي جمع كِسفة، جمع كذلك كما تجمع تمرة: تمرًا.

وقال القرطبي $:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين في أنك رسول الله تعالى ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: جانبًا من السماء وقطعة منه فننظر إليه كما قال: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ﴾ [الطور: ٤٤] وقيل: أرادوا أنزل علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها- تشابهت قلوبهم -حيث قالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ يعنون: من المسحورين، كما تقدم.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: تتعمد الكذب فيما تقوله، لا أن الله أرسلك إلينا.

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الضحاك: جانبًا من السماء. وقال

قتادة: قطعًا من السماء. وقال السدي: عذابًا من السماء. وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾، إلى أن قالوا: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٢]. وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال:٣٢] وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾.

ج: هذا - والله أعلم- قول شعيب ﷺ لقومه لما كذبوه، قال لهم: ربي أعلم بما تعملون، هو أعلم بأعمالكم، أعلم بشرككم، وتطفيفكم المكيال والميزان، والله أعلم بقولي لكم وجوابكم عليَّ، فكذَّبوه في كل ذلك فسلَّط الله عليهم حرًّا شديدًا اضطرهم الحر للخروج من بيوتهم، فلما خرجوا منها التماسًا لظلٍّ يستظلون به، إذا بهم يرون سحابة عظيمة سوداء قد أظلت ما تحتها، فاجتمعوا كلهم تحت تلك السحابة العظيمة السوداء للاستظلال بها، فلما اجتمعوا كلهم تحتها تأججت عليهم نارًا، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، إن في انتقامنا من أعدائنا وإنجائنا لرسلنا لدلالة على قدرتنا ووحدانيتنا، ولكن لم يكن أكثر الناس بمؤمنين، وإن

(402) أحمر
أسود

ربك لهو الغالب القوي الذي لا يمنع من شيء أراده، وفي ذات الوقت رحيم بالعباد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يقول: بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يقول: فكذَّبه قومه. ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارًا، وأحرقتهم، وبذلك جاءت الآثار.

وأورد بإسناد صحيح عن زيد بن معاوية، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ قال: أصابهم حرٌّ أقلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة، فابتدروها، فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة.

وبإسناد صحيح عن جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول:

بعث شُعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلما أراد الله أن يعذبهم، بعث الله عليهم حرًّا شديدًا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارًا. قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾.

وقال الطبري $:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد، قال: ثنا حاتم بن أبي صغيرة، قال: ثني يزيد الباهلي، قال: سألت عبد الله ابن عباس، عن هذه الآية: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ

(403) أحمر
أسود

يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرًّا شديدًا، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابًا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردًا ولذة، فنادى بعضهم بعضًا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارًا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾.

وأورد الطبري كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ قال: بعث الله إليهم ظلة من سحاب، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم، كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم الشمس، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شُعيب عظيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ فِي﴾ تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة، بتكذيبهم نبيهم شعيبًا، ﴿لَأٓيَةٗۖ﴾ لقومك يا محمد، وعبرة لمن اعتبر، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك، سنتنا في أصحاب الأيكة. ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ في سابق علمنا فيهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وأناب إلى طاعته.

(404) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يقول: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم، وكذلك وقع بهم كما سألوا، جزاءً وفاقًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا من جنس ما سألوا، من إسقاط الكسف عليهم، فإن الله، سبحانه وتعالى، جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًّا مدة سبعة أيام لا يَكُنُّهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررًا من نار، ولهبًا ووهجًا عظيمًا، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق، ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف:٨٨]، فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود قال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود:٦٧]؛ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]. قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم، فقال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ وهاهنا قالوا: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه.

﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

(405) أحمر
أسود

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾: أي: العزيز في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين.

❁ ❁ ❁

(406) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً
أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم
مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن
مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ٢٠٩﴾ [الشعراء: 192-209].

(407) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ - زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ - ءَايَةً - ٱلۡأَعۡجَمِينَ - سَلَكۡنَٰهُ - بَغۡتَةً - مُنظَرُونَ - مَتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ - يُمَتَّعُونَ - مُنذِرُونَ - ذِكۡرَىٰ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾	المراد به جبريل ع الأمين على الوحي
﴿زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	كتب الأولين، (الكتب التي أنزلها الله ﷻ على الأمم من قبلنا)
﴿ءَايَةً﴾	علامةً ودليلًا (على صدقك وعلى أن القرآن من عند الله)
﴿ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾	الذين لا يتكلمون اللغة العربية، وقيل: الذين لا ينطقون، وقيل: البهائم
﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾	أدخلناه
﴿بَغۡتَةً﴾	فجأة
﴿مُنظَرُونَ﴾	مؤجلون –مُمهلون- مؤخرون
﴿مَتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ﴾	جعلناهم يعيشون في المتاع سنين طويلة لهم في الدنيا ما يطلبون وما يتمتعون به
﴿يُمَتَّعُونَ﴾	يستمتعون به
﴿مُنذِرُونَ﴾	رسلٌ محذرون مخوفون
﴿ذِكۡرَىٰ﴾	موعظة - تذكيرًا

(408) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ قراءتان وضحهما.

ج: القراءة الأولى هي (نَـزَلَ) بـالتخفيف والفتح والثانيـة هـي (**نَـزَّل**) بفتح النون وتشديد الزاي.

قال الطبري $:

واختلف القرَّاء في قـراءة قولـه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ فقرأتـه عامـة قـرّاء الحجـاز والبصـرة ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ مخففـة ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ رفعًـا بمعنـى: أن الـروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد، وهو جبريـل. وقـرأ ذلـك عامـة قرَّاء أهل الكوفة. (**نزَّل**) مشددة الزاي ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ نصبًا، بمعنـى: أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين، وهو جبريل **غ**.

والصـواب مـن القـول فـى ذلـك عنـدنا أن يقـال: إنهمـا قراءتـان مستفيضتان فـى قـرَّاء الأمصـار، متقاربتـا المعنـى، فأيتهمـا قـرأ القـارئ فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل بـه إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل.

نزل بلسان عربي حتى يُفهم عنـك المـراد كمـا قـال تعـالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ **[فصلت: ٤٤]**، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ **[الزخـرف: ٣]**، وكمـا قـال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾.

فلهذا نزل القرآن بلسان عربي مبين. وهنا يجدر إيراد أثر ابن عبـاس **ڤ** الذي أخرجه البخاري(1) في صحيحه من طريق سـعيد بـن جبيـر عـن

(1) البخاري (5).

ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا. وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا - فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – وإن هذا القرآن المنزل عليك تنزيلٌ أنزله رب العالمين، أنزله عليك بواسطة جبريل غ، وهو الروح، روح القدس وهو الأمين على الوحي لا يزيد فيه ولا ينقص ولا يتخلف عن إيصاله، نزل به على قلبك لتكون من المنذرين العباد المُحذرين لهم من الشرك الذي هم فيه، وذلك الشرك الذي يُفض بهم إلى النار إن هم ماتوا عليه، كذا لتحذرهم من معصية الله تبارك وتعالى وتحذرهم من غضبه وعقابه وناره التي أعدها الله للعصاة والمجرمين والمشركين، نزل هذا القرآن بلسان عربيٍّ مظهرٌ موضحٌ للأمور.

هذا، وقد قال الطبري $:

(410) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وإنّ هذا القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والهاء في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ كناية الذكر الذي في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ **[الشعراء: ٥]**.

وقال:

وبنحو الذي قلنا في أن المعني بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل.

وقال $:

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك. وقوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذِّبين بآيات الله. وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ يقول: لتنذر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ من صلة قوله: ﴿نَزَلَ﴾، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلامًا منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا: إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبًا به واستكبارًا ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذَّبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذِّبون.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾، ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: وهو جبريل غ، قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نزاع فيه.

قال الزهري: وهذه كقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة:٩٧].

وقال مجاهد: من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له.

وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بَيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلًا إلى المحجة.

وقال القرطبي $:

وإن القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل إليك كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [البقرة: ٩٧] أي: يتلوه عليك فيعيه

(412) أحمر
أسود

قلبك وقيل: ليثبت قلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: لئلا يقولوا: لسنا نفهم مما تقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – وإن هذا القرآن لمذكور في الكتب التي أنزلها الله ﷻ على الأنبياء السابقين الذين أرسلوا للأمم السابقة، فالكتب التي أنزلها الله (كالتوراة والزبور والإنجيل) وقبلها صحف إبراهيم وغير ذلك من الكتب مذكورٌ فيها هذا القرآن الكريم وفيها ثناءٌ عليه وثناءٌ على من أُنزل عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معناه: أولم يكن لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن، أولم يكن لهم في شهادة علماء بني إسرائيل – كعبد الله بن سلام وغيره من علماء بني إسرائيل- لهذا القرآن بأنه من عند الله، أولم يكن في ذلك دليلٌ وحجة وعلامة على أنه من عند الله وأنك صادق فيما تقول؟!!

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأوَّلين: يعني في كتب الأوَّلين، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأوّلين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من

(413) أحمر
أسود

ذكر ربك، دلالةٌ على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله ﷺ من بني إسرائيل في عصره.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: وإنَّ ذِكْر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم، الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك، حتى قام آخرهم خطيبًا في ملئه بالبشارة بأحمد: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف : ٦]، والزبر هاهنا هي: الكتب وهي جمع زَبُور، وكذلك الزبور، وهو كتاب داود. وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر:٥٢] أي: مكتوب عليهم في صحف الملائكة.

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك: أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها؟ والمراد: العدول منهم، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، عَمَّنْ أدركه منهم ومَنْ شاكلهم. وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية [الأعراف:١٥٧].

❁ ❁ ❁

(414) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – ولو نزلنا هذا القرآن على رجل أعجمي لا ينطق العربية فقرأه عليهم، بلغة العجم ما فهموه ولا عقلوه ولا آمنوا به ولا صدقوه.

وكذا لو قرأه الأعجمي عليهم بلغتهم وهو عجمي، أي: أن عجمي ومع ذلك مكَّنه الله من قراءة هذا القرآن عليهم بلغتهم الفصحى، فكانت معجزة، عجمي يتكلم بأفصح اللغات وهو لم يتعلمها أيضًا ما آمنوا بهذا القرآن ولا صدقوه.

وكذلك لو أنزلناه على بهيمةٍ عجماء(1) لا تتكلم فنطقت به ما آمن هؤلاء الكفار مع وجود هذه المعجزة، فلو تكلمت البهيمة وقرأت القرآن وأخبرتهم أن القرآن من عند الله ما آمنوا أيضًا، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

فهكذا من خُتم على قلبه لن يؤمن ولو جاءته كل آية كما قال جل ذكره: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، فهكذا أدخلنا الكفر في قلوب أهل الإجرام وهكذا أدخلنا التكذيب بالقرآن في قلوبهم،

(1) ومنه قول النبي ﷺ: **«العجماء جبار»** أي: أن العجماء إذا قتلت شخصًا أو جرحته فلا دية على أصحابها.

(415) أحمر
أسود

فهذا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ حتى يروا العذاب المؤلم الموجع الذي سيحل بهم حقيقة، إلا أن هذا العذاب سيأتيهم بغتة، وستأتيهم الساعة بما تحمله من أهوالها بغتة وهم لا يشعرون، فعندها يقولوا : هل نحن مؤجلون مؤخرون كي نتوب ونرجع، كما في الآية الأخرى: ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨] والآية وفيها قولهم: ﴿أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عَجْماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عُجْم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربيّ والأعجمي، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لا حَيَّ يَعْدِلُهُمْ ... مِنْ سُوقَةٍ عَرَبٌ ولا عُجْمُ

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان، فإنه يقال: هذا رجل عجمي، وهذان رجلان عجميان، وهؤلاء قوم عَجَم، كما يقال: عربيّ، وعربيان، وقوم عرب. وإذا قيل: هذا رجل أعجميّ، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمري

(416) أحمر
أسود

ضخم، وكما قال العجاج:

والـــــدَّهْرُ بالإنســـــانِ دَوَّارِيُّ

ومعناه: دوّار، فنسبه إلى فعل نفسه.

وأورد بإسناد صحيح عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت واقفًا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ حتى يفقهه عربيٌّ وعجميٌّ، لو فعلنا ذلك.

وقال $:

وقوله: ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ يقول: فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء، وهذا تسلية من الله نبيه محمدًا ﷺ عن قومه، لئلا يشتد وجدُه بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان ﷺ شديدًا حرصه على قبولهم منه، والدخول فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدَّة حرصه على ذلك منهم، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ **[الشعراء: ٣]** ثم قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته، كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة: ولو نزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به، ثم وكد تعالى ذكره الخبر

عما قد حتم على هؤلاء المشركين، الذين آيس نبيه محمدًا ﷺ من إيمانهم من الشقاء والبلاء، فقال: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ التكذيب والكفر ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ويعني بقوله: سلكنا: أدخلنا، والهاء في قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ كناية من ذكر قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾، كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن.

وقال $:

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ يقول: فعلنا ذلك؛ بهم لئلا يصدَّقوا بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل الدنيا، كما رأت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة.

وقال $:

في تأويل قوله تعالى : ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فيأتي هؤلاء المكذِّبين بهذا القرآن، العذاب الأليم بغتة، يعني: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة. ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ حين يأتيهم بغتة ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ أي: هل نحن مؤخَّر عنا العذاب، ومُنْسأ في آجالنا لنثوب، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله، فنراجع الإيمان به، وننيب إلى طاعته؟

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى مخبرًا عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن؛ أنه لو أنزله على رجل من الأعاجم، مِمَّنْ لا يدري من العربية كلمة، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته، لا يؤمنون به؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ

(418) أحمر
أسود

ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ كما أخبر عنهم في الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥] وقال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقال $:

ويقول تعالى: كذلك سلكنا التكذيب والكفر والعناد والجحود، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالحق ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي: عذاب الله بغتة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾؟ أي: يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم:٤٤]، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته، ندم ندمًا شديدًا هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٨، ٨٩]، فأثرت هذه الدعوة في فرعون، فما آمن حتى رأى العذاب الأليم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – أفيستعجل هؤلاء المكذبون نزول عذابنا عليهم فيقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ويقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ويقول: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إلى غير ذلك من صور الاستعجال.

أفيستعجل هؤلاء نزول العذاب عليهم ويغترون بما هم فيه من النعيم في هذه الدنيا الفانية الزائلة، ألا فاعلم وأخبرهم أننا لو متعناهم عشرات السنين أو مئات السنين أو آلاف السنين، بكل صور المتاع فأعطوا من الدنيا كل ما أحبوا وكلَّ ما رغبوا، وكل ما تمنوا فتزوج أحدهم بمن شاء، وأكل أحدهم وشرب مما يشاء ولبس ما شاء، وسكن فيما يشاء وركب ما شاء وتقلد من المناصب ما شاء، وبعد ذلك جاءه الموت والحساب فما أغنى عنه كلَّ ما تمتع به دنياه، ما أغنى عنه ماله ولا جاهه ولا منصبه ولا ولده ولا مسكنه، فسيأتي يوم يقول فيه قائل: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] ويفتدى آخر بكل ما كان يملك في الدنيا فلا تقبل منه فدية ولا تنفعه شفاعة ولا يغني عنه ما كان فيه من النعيم.

(420) أحمر
أسود

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»**(1).

وفي الحديث الآخر أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ع فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ. قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى ع عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا. قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ. فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ. رَبِّ! أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ. رَمْيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ** رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَاللَّهِ! لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»**(2).

وفي رواية أخرى في الصحيحين(3) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ع. فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ. فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ. فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ. فَلَهُ، بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ

---

(1) مسلم (2807).
(2) مسلم (2372) وهو عند البخاري كذلك بنحوه (1339).
(3) مسلم (2372)، وانظر أيضًا البخاري (1339).

شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالْآنَ. فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»**.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فحاصل معناه: أننا أعذرنا إلى الخلق بإرسال الرسل إليهم ولم نبخسهم حقوقهم في ذلك بل أرسلنا رسلنا بالبينات والحجج فأنذروهم وحذروهم وبلغوهم ونصحوهم، موعظة منا وتذكيرًا لهم، وما كنا لنظلمهم بإهلاكهم بلا نذير بل أنذرناهم وحذرناهم، ولكنهم كذبوا الرسل وعاندوهم، بل وحاربوهم وآذوهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى ﴿تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا. ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالًا؟، وهل نفعهم شيئًا؟، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم

(422) أحمر
أسود

يكتسبوه.

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ من هذه القرى التي وصفت في هذه السور ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ يقول: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلًا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ يقول: إلا لها منذرون ينذرونهم، تذكرةً لهم وتنبيهًا لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا. ففي الذكرى وجهان من الإعراب: أحدهما: النصب على المصدر من الإنذار على ما بيَّنْتُ، والآخر: الرفع على الابتداء كأنه قيل: ذكرى.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يقول: وما كنا ظالميهم في تعذيبناهم وإهلاكهم، لأنا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التمادي في الغيّ.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: إنكار عليهم، وتهديد لهم؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبًا واستبعادًا: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ الآية.[العنكبوت: ٥٣].

ثم قال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ أي: ولو أخرناهم وأنظرناهم، وأملينا لهم برهة من الزمان وحينًا من الدهر وإن طال، ثم جاءهم أمر الله، أي: شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعم؟ ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن

يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]؛ ولهذا قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.

وفي الحديث الصحيح(1): **«يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له: هل رأيت خيرًا قط؟ هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول: لا [والله يا رب]. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا كان في الدنيا، فيصبغ في الجنة صبغة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا والله يا رب»** أي: ما كأن شيئًا كان؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب، ﷺ يتمثل بهذا البيت:

كأنَّك لَمْ تُوتِر من الدّهْر لَيْلَةً ... إذا أنْتَ أدْرَكْتَ الذي كنتَ تَطْلُبُ

ثم قال الله تعالى مخبرًا عن عدله في خلقه: أنَّه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

❁ ❁ ❁

(1) مسلم (2807).

(424) أحمر
أسود

(425) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ
ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣
وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ
٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ
٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ
٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ
٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ
مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء: 210-227].

(426) أحمر
أسود

س: وضّح معنى ما يلي:

﴿عَنِ ٱلسَّمۡعِ - لَمَعۡزُولُونَ - فَلَا تَدۡعُ - وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ - وَتَوَكَّلۡ - وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ - تَنَزَّلُ - أَفَّاكٍ - أَثِيمٍ - يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ - ٱلۡغَاوُۥنَ - فِي كُلِّ وَادٍ - يَهِيمُونَ - مُنقَلَبٍ - يَنقَلِبُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾	عن الاستماع للملائكة الذين يتحدثون في السماء بالأمر الذي قضاه الله
﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾	لممنوعون كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨]، وقال: ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن: ٩].
﴿فَلَا تَدۡعُ﴾	فلا تعبد
﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾	ألن الخطاب ولَيِّن الجانب وكن رفيقًا
﴿وَتَوَكَّلۡ﴾	اعتمد
﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	سجودك مع الساجدين، وأعمالك مع المصلين
﴿تَنَزَّلُ﴾	تَنْزَل
﴿أَفَّاكٍ﴾	كذاب (يصرف الناس عن الحق بكذبه وافترائه)
﴿أَثِيمٍ﴾	مرتكب للآثام
﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾	يلقون ما يستمعونه من السماء وما يخطفونه (من الملائكة الذين يتحدثون في السماء بالأمر الذي قضاه الله)

(427) أحمر
أسود

﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾	الضلال من الإنس والجن والشياطين
﴿فِى كُلِّ وَادٍ﴾	في كل طريق، وفي كل فنٍّ، وفي كل موضوع
﴿يَهِيمُونَ﴾	يخوضون – يتكلمون
﴿مُنقَلَبٍ﴾	مرجع – مصير
﴿يَنقَلِبُونَ﴾	يرجعون إليه – يصيرون إليه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، وما ينبغي لهم أن يتنزلوا به فليسوا بأهل لأن يتنزلوا بالقرآن، وليس من سجاياهم ولا من طبائعهم أن يتنزلوا بالقرآن فالقرآن هدى ونور، وهم (أي: الشياطين) يريدون إضلال العباد وإغوائهم فأنى لهم أن يتنزلوا بهذا القرآن، وأنى لهم أن يكرموا بحمله، ثم إن القرآن يؤذيهم ويخنسون ويهربون عند تلاوته.

ثم إنهم إن فكروا أن يأخذوه من الملائكة التي تتحدث في العنان، أي: في السماء ما استطاعوا ذلك؛ لأن الشهب أُعدت لهم ترجمهم وتحرقهم فهم معزولون عن السمع (عن استماع الملائكة) كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٨، ٩].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن

(428) أحمر
أسود

الشياطين على محمد، ولكنه ينزل به الروح الأمين. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ يقول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك. ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ يقول: وما يستطيعون أن يتنزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء. ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ يقول: إن الشياطين عن سمع القران من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به؟!

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد: أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾. ثم ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه لا ينبغي لهم، أي: ليس هو من بُغْيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مُدّة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال:

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، كما قال تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨-١٠].

❁ ❁ ❁

س: من لم يعمل صالحًا وتمادى في الغيّ ومات على الكفر لن تغني عنه قراباته ولن يشفع فيه أحدٌ دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

* وقوله تعالى في شأن الخليل إبراهيم ﷺ إذ قال لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، وبعدها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وكذا ابن نوح -على نوح السلام- إذا قال نوح: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٦].

* وقوله تعالى في شأن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

(430) أحمر
أسود

عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

ونبينا محمد ﷺ لم يغن عن عمه أبي لهب شيئًا بل نزلت فيه سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ...﴾.

وعمه أبو طالب في ضحضاح من نار يغلي منهما دماغه كما جاء في الحديث ولولا رسول الله (أي: لولا دفاعه عن رسول الله) لكان في الدرك الأسفل من النار.

* وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقوله ﷺ: **«من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**.

وستأتي أدلة أُخر قريبًا عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وفي الباب أدلة أكثر بكثير مما ذُكر.

❁ ❁ ❁

س: ماذا صنع النبي ﷺ حينما أُنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾؟

ج: ورد في ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري(1) ومسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾: **«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا،**

(1) البخاري (2753)، و(4771)، ومسلم (206).

(431) أحمر
أسود

يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا».

وفي رواية(1):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: **«يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا».**

وعند البخاري(2) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: **يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ** - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟** قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.** فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾».

وعند مسلم(3) من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

---

(1) مسلم (204).
(2) البخاري (4770).
(3) مسلم (حديث 205).

(432) أحمر
أسود

ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: **«يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»**.

وعنده(1) أيضًا من حديث قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ. فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا. ثُمَّ نَادَى: **«يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ! إِنِّي نَذِيرٌ. إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ. فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ: يَا صَبَاحَاهْ»**.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد أن النبي ﷺ تلا: (ورهطك منهم المخلصين) عقب قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؟

ج: ورد هذا في صحيح مسلم(2) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا. فَهَتَفَ: **«يَا صَبَاحَاهْ!»** فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: **«يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!»** فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: **«أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»** قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: **«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٌ»**.

---

(1) مسلم (حديث 207).
(2) مسلم (حديث 208).

(433) أحمر
أسود

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خص عشيرته الأقربين بالإنذار لتنحسم أطماع سائر عشيرته وأطماع الأجانب في مفارقته إياهم على الشرك وعشيرته الأقربون قريش وقيل: بنو عبد مناف ووقع في صحيح مسلم ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (ورهطك منهم المخلصين) وظاهر هذا أنه كان قرآنًا يتلى وأنه نسخ إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته إشكال وهو أنه كان يلزم عليه ألا ينذر إلا من آمن من عشيرته فإن المؤمنين هم الذين يوصفون بالإخلاص في دين الإسلام وفي حب النبي ﷺ لا المشركون لأنهم ليسوا على شيء من ذلك والنبي ﷺ دعا عشيرته كلهم مؤمنهم وكافرهم وأنذر جميعهم ومن معهم ومن يأتي بعدهم ﷺ فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى.

❁ ❁ ❁

التحذير من الشرك والأمر بإنذار العشيرة الأقربين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم، حاصله أن الله ﷻ حذر نبيه ﷺ من عبادة غير الله وتوعده بالعذاب إن فعل ذلك، وأمره أيضًا أن ينذر عشيرته الأقربين، وكذا أن يبلغ أهل الإيمان ويخفض جناحه لهم، فإن خالفوا في ذلك فليعلن عن براءته من أعمالهم وليتوكل على الله الذي لا يُغلب ولا يُمنع من

(434) أحمر
أسود

شيء يريده فإنه به رحيم ثم طمأنه بأنه يسمعه ويراه في كل أحواله وفي سجوده مع الساجدين وأخبره بأنه هو السميع العليم، هذا إجمالًا.

* **وبشيء من التفصيل،** ينهى الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه ورسوله محمدًا ﷺ عن عبادة أحدٍ مع الله ﷻ، ويحذره من ذلك فإن فعل ذلك فإنه من المعذبين، وإذا كان الخطاب في صورته لرسول الله ﷺ فسائر أمته وسائر الخلق داخلون في الخطاب بلا شك ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

ثم يأمر الله ﷻ نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين وأولهم أولاده وبنو جده عبد المطلب فقد بدأ بهم النبي ﷺ لما أنزلت عليه الآية الكريمة على ما أوضحته سابقًا.

أمره الله ﷻ أن ينذرهم ويخوِّفهم من عصيان أمر الله ﷻ وأن ينذرهم ويخوفهم عاقبة شركهم، وهي نارٌ تلظى والعياذ بالله.

وأمره الله ﷻ أن يُلين جانبه وكلامه مع أهل الإيمان، يخفض لهم الجناح ويلين لهم الخطاب، فإن أعرض هؤلاء (عشيرته الأقربون وغيرهم) عن الإيمان وأبوا إلا الكفر فليعلن عن براءته من أفعالهم قائلًا: إني بريء مما تعملون.

وكذا فليتوكل على الله وليعتمد عليه وحده لا شريك له فهو ناصره ومتولي أمره وموفقه وحافظه فهو الذي يراه عند قيامه في الصلاة وعند كل قيام يقومه وكذا كل مجلس يجلسه، ويرى تقلبه في الساجدين أي: ويرى سجوده مع الساجدين وصلاته مع المصلين ويبين له أنه السميع

لكل الأقوال والحركات والسكنات السميع لكل شيء العليم بكل شيء، ومنه سماعه لأقوالك لقومك وما أجابوك به، سميع لدعاتك ومجيبك إن شاء في الوقت الذي يشاء، سميع لمناجاتك وتلاوتك، العليم بكل شؤونك وشؤون غيرك وما يعتريك وما يعتري غيرك، عليم بما يضايقك وعليم بالفرج ووقت الفرج.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يا محمد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تعبد معه معبودًا غيره ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا. وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم.

وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ يقول: وألن جانبك وكلامك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة الأصنام ومعصية بارئ الأنام. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ فى نقمته من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بمن أناب إليه وتاب

(436) أحمر
أسود

من معاصيه.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثم تركع، وحين تسجد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تقلبك في المصلين، وإبصارك منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك منهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتقلبك مع الساجدين: أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تصرّفك في الناس.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله، والساجدون في قول قائل هذا القول: الأنبياء.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه. فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر.

وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن

كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه.

فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك مما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتمًّا بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأى من ربك ومسمع.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ومخبرًا أنّ مَنْ أشرك به عذبه.

ثم قال تعالى آمرًا لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه أن ينذر عشيرته الأقربين، أي: الأدنين إليه، وأنه لا يُخَلِّص أحدًا منهم إلا إيمانهُ بربه ٥، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين. ومن عصاه من خلق الله كائنًا مَنْ كان فليتبرأ منه؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وهذه النِّذارة الخاصة لا تنافي العامة، بل هي فرد من أجزائها، كما قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس:٦]، وقال: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧]، وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:٥١]، وقال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وقال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، كما قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

(438) أحمر
أسود

وفي صحيح مسلم: **«والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»**.

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة.

وأورد جملة أحاديث في هذا الصدد. سنذكر بعضها إن شاء الله، وقال:

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: في جميع أمورك؛ فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُعْلٍ كلمتك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: هو معتنٍ بك، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ **[الطور:٤٨]**.

قال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني: إلى الصلاة.

وقال عكرمة: يرى قيامه وركوعه وسجوده.

وقال الحسن: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إذا صليت وحدك.

وقال الضحاك: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من فراشك أو مجلسك.

وقال قتادة: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾: قائما وجالسا وعلى حالاتك.

وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: قال قتادة: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال: في الصلاة، يراك وحدك ويراك في الجَمْع. وهذا قول عكرمة، وعطاء الخراساني، والحسن البصري.

وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ يرى مَنْ خلفه كما يرى مَنْ أمامه؛ ويشهد لهذا ما صح في الحديث: **«سَوّوا صفوفكم؛ فإني أراكم من وراء ظهري»**(1).

---

(1) البخاري (1723).

(439) أحمر
أسود

وروى البزار وابن أبي حاتم، من طريقين، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجه نبيًّا.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية. [يونس:٦١].

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل ﷺ، ذلك كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلًّا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ [و] إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل يعد هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح،

(440) أحمر
أسود

ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – هل أخبركم أيها الناس على من تنزل الشياطين، إنها لا تتنزل على الرسل والأنبياء، وذلك لكونهم يتلون القرآن وهي تفر من القرآن، إنما تتنزل (من الهواء لكونها تطير في الهواء) على كل كذاب يصرف الناس عن دينهم ﴿أَثِيمٖ﴾ مرتكب للآثام.

أما قوله تعالى: ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾، فالمراد أن الشياطين تلقي ما سمعته من حديث اختطفته من الملائكة الذين يتحدثون في الملأ الأعلى، تلقيه على السحرة أو الكهنة فتكذب السحرة والكهنة ويزيدون مع الكلمة الواحدة مائة كذبة (على ما سيأتي بيانه في تفسير سورة سبأ عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

فقوله تعالى: ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾: المراد به الشياطين تلقي ما سمعته على الكهنة.

فقوله: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾: المراد به أكثر السحرة والكهنة كاذبون، وهذا قول أكثر المفسرين.

وهناك وجه آخر يبدو لي من السياق، والله أعلم حاصله أن قوله: يلقون السمع عائدٌ على السحرة والكهنة (الأفاكون الأثمة) فالمعنى

يُصغون بأسماعهم إلى إملاءات الشياطين، ويقبلون ما تلقيه عليهم الشياطين، ثم أيضًا فأكثرهم (أكثر السحرة والكهنة) كاذبون.

ونحوه في تفسير ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] لكن الأخير مؤمن ويلقي السمع للقرآن والمواعظ، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ من الناس؟ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ يعني كذّاب بهات ﴿أَثِيمٍ﴾ يعني: آثم.

وقال $:

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، قال: كنت عند عبد الله ابن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ يقول تعالى ذكره: يلقي الشياطين السمع، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء، إلى ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ من أوليائهم من بني آدم.

وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ يقول: وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا لِمَنْ زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقا، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه، أو أنه أتاه به رئيّ من الجن،

(442) أحمر
أسود

فنزه الله، سبحانه، جناب رسوله عن قولهم وافترائهم، ونبه أن ما جاء به إنما هو [الحق] من عند الله، وأنه تنزيله ووحيه، نزل به ملك كريم أمين عظيم، وأنه ليس من قَبيل الشياطين، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة؛ ولهذا قال الله: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ أي: أخبركم. ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ أي: كذوب في قوله، وهو الأفاك الأثيم، أي الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضا كذبة فسقة.

﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: يسترقون السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء، كما صح بذلك الحديث، كما رواه البخاري، من حديث الزهري: أخبرني يحيى بن عُروَةَ بن الزبير، أنه سمع عُرْوَةَ بن الزبير يقول: قالت عائشة، **ف**: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: **«إنهم ليسوا بشيء»**. قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقا؟ فقال النبي ﷺ: **«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فَيُقَرقِرها في أذن وليه كقَرْقَرة الدجاجة، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»**[1].

وقال البخاري أيضًا[2]: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو

(1) صحيح البخاري حديث (7561).
(2) صحيح البخاري حديث (4800).

(443) أحمر
أسود

قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: **«إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، كأنها سلسلة على صَفْوان، حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع، هكذا بعضهم فوق بعض»**. ووصف سفيان بيده فَحَرفها، وبَدّدَ بين أصابعه **«فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر - أو الكاهن - فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء»**. انفرد به البخاري.

❁ ❁ ❁

(444) أحمر
أسود

بحث يسير في الشّعر

س: ما المراد بـ(الغاوون)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: الغواة، أهل الغواية، والضلال من الناس، ومردة الشياطين وعصاة الجن.

الثاني: أنهم رواة الشعر، الذين يتتبعون الشعراء وينقلون شعرهم.

الثالث: أنهم الشياطين.

الرابع: أنهم ضلال الإنس والجن.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجنّ، وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية.

❁ ❁ ❁

س: هل كل الشعراء يتبعهم الغاوون؟

ج: لا، بل هناك الذين استثناهم الله ﷻ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ﴾ والله أعلم.

ولقد كان من أصحاب رسول الله ﷺ شعراء نافحوا عن الإسلام ودافعوا عن رسول الله ﷺ وردوا أذى المشركين، كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك **ق** وغيرهم كذلك.

(445) أحمر
أسود

أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرأيت قول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾... إلخ. فقال: فَرَّجت عني يا أبا أسامة; فرّج الله عنك.

❁ ❁ ❁

س: هل كل الشعر مذموم؟

ج: لا، بل حسنه كحسن الكلام وطيبه كطيب الكلام، وسيئه كسيء الكلام. فمنه إذن الطيب المستحب، ومنه المحرم والمكروه وكذلك منه المباح.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء قال ابن عباس: هم الكفار ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ ضلال الجن والإنس وقيل ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ الزائلون عن الحق ودل بهذا أن الشعراء أيضا غاوون لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك وقد قدمنا في سورة (النور) أن من الشعر ما لا يجوز إنشاده ويكره ويحرم وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم قال: (هيه) فأنشدته بيتا فقال: (هيه) ثم أنشدته بيتًا فقال: (هيه) حتى أنشدته مائة بيت هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم: عن عمرو بن الشريد عن الشريد أبيه وهو وهم لأن الشريد هو الذي أردفه رسول الله ﷺ واسم

(446) أحمر
أسود

أبي الشريد سويد وفي هذا دليلٌ على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعًا وطبعًا وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية لأنه كان حكيمًا ألا ترى قوله غ: **«وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»** فأما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك مندوب إليه كقول القائل:

الحمد لله العلي المنان صار الثريد في رؤوس العيدان

أو ذكر رسول الله ﷺ أو مدحه كقول العباس:

من قلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرًا وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

فقال له النبي ﷺ: **«لا يفضض الله فاك»** أو الذب عنه كقول حسان:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذالك الجزاء

وهي أبيات ذكرها مسلم في صحيحه وهي في السير أتم أو الصلاة عليه كما روى زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل يجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي ﷺ فجلس عمر يبكي وكذلك ذكر أصحابه ومدحهم ف

(447) أحمر
أسود

ولقد أحسن محمد بن سابق حيث قال:

إنـي رضـيت عليـا للهـدى علمـا كمـا رضـيت عتيقـا صـاحب الغـار
وقـد رضـيت أبـا حفـص وشـيعته وما رضيت بقتل الشيخ فـي الـدار
كـل الصـحابة عنـدي قـدوة علـم فهـل علـي بهـذا القـول مـن عـار
إن كنـت تعلـم أنـي لا أحـبهم إلا مـن أجلـك فـاعتقني مـن النـار

وقال آخر فأحسن:

حـب النبـي رسـول الله مفتـرض وحـب أصـحابة نـور ببرهـان
مـن كـان يعلـم أن الله خالقـه لا يـرمين أبـا بكـر ببهتـان
ولا أبـا حفـص الفـاروق صـاحبه ولا الخليفـة عثمـان بـن عفـان
أمـا علـي فمشـهور فضـائله والبيـت لا يسـتوي إلا بأركـان

قال ابن العربي: أما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد أنشد كعب بن زهير النبي ﷺ:

بانـت سـعاد فقلبـي اليـوم متبـول متـيم إثرهـا لـم يفـد مكبـول
ومـا سـعاد غـداة البـين إذ رحلـوا إلا أغن غضـيض الطـرف مكحـول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنـه منهـل بـالراح معلـول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر في تشبيه ريقها بالراح وأنشد أبو بكر ؓ:

فقـدنا الـوحي إذ وليـت عنـا وودعنـا مـن الله الكـلام

(448) أحمر
أسود

سوى ما قد تركت لنا رهينا توارثه القراطيس الكرام
فقد أورثتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام

فإذا كان رسول الله ﷺ يسمعه وأبو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: **«أصدق كلمة** - أو **أشعر كلمة - قالتها العرب قول لبيد:**

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

أخرجه مسلم وزاد: **«وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»** وروي عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر فقال: ويلك يا لكع! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي، فحسنه حسن وقبيحه قبيح! قال: وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال: وسمعت ابن عمر ينشد:

يحب الخمر من مال الندامى ويكره أن يفارقه الغلوس

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرًا مجيدًا مقدمًا فيه وللزبير بن بكار القاضي في أشعاره كتاب وكانت له زوجة حسنة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها وله فيها أشعار كثيرة منها قوله:

(449) أحمر
أسود

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها أطير لو أن إنسانا يطير

وقال ابن شهاب: قلت له تقول الشعر في نسكك وفضلك! فقال: إن المصدور إذا نفث برأ.

الثانية: وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين القول كما روي عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال: وقد وجب عليك الحد فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وروي أن النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملا لعمر بن الخطاب ﷺ فقال:

من مبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية ورقاصة تجذو على كل منسم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بالقدوم عليه وقال: إي والله إني ليسوءني ذلك فقال يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئا مما قلت وإنما كانت فضلة من

(450) أحمر
أسود

القول وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فقال له عمر: أما عذرك فقد درأ عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملًا أبدًا وقد قلت ما قلت.

وقال القرطبي أيضًا:

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا»** وفي الصحيح أيضا: عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذا عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: **«خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا»** قال علماؤنا: وإنما فعل النبي ﷺ هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح إذا أعطي وفي الهجو والذم إذا منع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه ولا يحل الإصغاء إليه بل يجب الإنكار عليه فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعًا تعين عليه أن يداريه بما استطاع ويدافعه بما أمكن ولا يحل له أن يعطى شيئا ابتداء لأن ذلك عون على المعصية فإن لم يجد من ذلك بدا أعطاه بنية وقاية العرض فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة قلت قوله: **«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه»** القيح: المدة يخالطها دم يقال منه: قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح و(يريه) قال الأصمعي: هو من الوري على مثال الرمي وهو أن يدوى جوفه يقال منه: رجل موري

(451) أحمر
أسود

مشدد غير مهموز وفي الصحاح: وروى القيح جوفه يريه وريا إذا أكله وأنشد اليزيدي:

قالت له وريا إذا تنحنحا

وهذا الحديث أحسن ما قيل في تأويله: إنه الذي قد غلب عليه الشعر وامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الأوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة الأدبية وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بوب على هذا الحديث «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر» وقد قيل في تأويله: إن المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي ﷺ أو غيره وهذا ليس بشيء لأن القليل من هجو النبي ﷺ وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم وكذلك هجو غير النبي ﷺ من المسلمين محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى.

الرابعة: قال الشافعي: الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمضمناته وقد كان عند العرب عظيم الموقع قال الأول منهم:

وجرح اللسان كجرح اليد

وقال النبي ﷺ في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين: [إنه لأسرع فيهم من رشق النبل] أخرجه مسلم وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

(452) أحمر
أسود

خلــوا بنــي الكفــار عــن ســبيله اليــوم نضــربكم علــى تنزيلــه
ضــربا يزيــل الهــام عــن مقيلــه ويــذهل الخليــل عــن خليلــه

فقال عمر: يا ابن رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: **«خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل»**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ألم تعلم، وألم تر أن الشعراء في كل بابٍ يخوضون، وفي كل موضوع يتحدثون.

قال الطبري $:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أنهم - يعني الشعراء - في كلّ واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحقّ، وطريق الرشاد، وقصد السبيل.

وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب على وجه لا يبالى ما قال نزلت في عبد الله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولايفعلونه وقيل: إنها نزلت في أبي عزة الجمحي حيث قال:

(453) أحمر
أسود

ألا أبلغـــا عنـــي النبـــي محمـــدا بأنـــك حـــق والمليـــك حميـــد
ولكـــن إذا ذكـــرت بـــدرا وأهلـــه تـــأوه منـــي أعظـــم وجلـــود

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بذكر الله ﷻ في قوله: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك وجوه:

أحدها: ذكروا الله كثيرًا في أشعارهم.

الثاني: كان من شأنهم ذِكر الله كثيرًا في أقوالهم وعلى ألسنتهم.

قال القرطبي $:

ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طرقهم من القول الحق فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- وانتصروا من أهل الكفر والعصيان والعدوان لما ظلمهم هؤلاء، فهجوهم كما هجوهم، وكذا انتصروا من الذين اعتدوا على الإسلام.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهذا استثناء من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها.

(454) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء، فقال بعضهم: هي حال منطقهم ومحاورتهم الناس، قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كلّ أحوالهم.

وقولـه: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم، وإجابتهم عما هجوهم به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم-: وسيعلم أهل الكفر والتكذيب والذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله واعتدائهم على الإسلام وأهله المنقلب السيء، والمرجع السيء الذي سيرجعون إليه إما في الدنيا عاجلًا غير آجل وفي الآخرة حتمًا سيعلمون ما لهم من مصير سيء يصيرون إليه. والله أعلم.

قال القرطبي $ ومعنى: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ أي: مصير يصيرون وأي مرجع يرجعون لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم إلى

(455) أحمر
أسود

العقاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله أعلم.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يُطفأ سعيرها، ولا يَسْكُن لهبها.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة النمل

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ
ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ
قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا
وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ
ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ
يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا
فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ
بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾
[النمل: 1-14].

(457) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿طسٓ - مُّبِينٍ - يُوقِنُونَ - زَيَّنَّا - يَعۡمَهُونَ - لَتُلَقَّى - لَّدُنۡ - ءَانَسۡتُ - بِشِهَابٖ قَبَسٖ - تَصۡطَلُونَ - بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ - وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ - جَآنّٞ - وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا - وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ - لَدَيَّ - بَدَّلَ حُسۡنَۢا - مِنۢ بَعۡدِ سُوٓءٖ - تِسۡعِ ءَايَٰتٍ - مُبۡصِرَةٗ - سِحۡرٞ - وَجَحَدُواْ بِهَا - وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ - ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طسٓ﴾	أحرف مقطعة، بُدئت بها بعض السور لا يعمل معناها إلا الله
﴿مُّبِينٍ﴾	مظهر موضع للأشياء – ظاهر بيّن
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون
﴿زَيَّنَّا﴾	حسَّنا
﴿يَعۡمَهُونَ﴾	يترددون – يتحيرون في الضلالة
﴿لَتُلَقَّى﴾	لتأخذ - لتتلقى
﴿لَّدُنۡ﴾	عند
﴿ءَانَسۡتُ﴾	أبصرت – أحسست
﴿بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾	بشعلة مقتبسة
﴿تَصۡطَلُونَ﴾	تستدفئون (من البرد)
﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾	تقدس وتعاظم وكثر الخير الوارد منه
﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	تنزه الله (عن كل ما لا يليق به)

(458) أحمر
أسود

﴿جَآنٌّ﴾	حية عظيمة، نوع من الحيات سريعة الحركة
﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾	انصرف هاربًا مسرعًا
﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾	لم يلتفت – لم يرجع
﴿لَدَيَّ﴾	عندي
﴿بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾	عمل أعمالًا صالحة يبتغى بها وجه الله بعد أن عمل سوءًا
﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾	من غير برصٍ ولا مرض
﴿تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾	تسع حجج واضحات – تسع معجزات
﴿مُبۡصِرَةٗ﴾	مضيئة – نيّرة – واضحة يسترشد بها من أراد
﴿سِحۡرٞ﴾	سحر مظهرٌ لمن رآه أن فاعله ساحر
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾	أنكروها – كذبوا بها، مع علمهم أنها من عند الله
﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾	كان عندهم يقين أنها من عند الله
﴿ظُلۡمٗا﴾	بخسًا لأنفسهم حقها من الأمان كلما كذبوا استجلبوا لأنفسهم نارًا
﴿وَعُلُوّٗاۚ﴾	تعاليًا عن الحق ورفضًا له

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾.

ج: أما عن قوله تعالى: ﴿طسٓۚ﴾ فأحرف مقطعة، لا يعلم معناها إلا الله.

(459) أحمر
أسود

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ هذه المتلوة عليك والمنزلة عليك آيات القرآن وكتاب مظهر موضح لكل الحقائق، مظهر لكونك رسول من عند الله ٥، كتاب من عند الله حقًّا، ليس كما يقول أهل الظلم وأهل الكفر من أنك افتريته وتقوَّلته واختلقته، قد أنزلناه عليك ﴿هُدًى﴾ دلالة وإرشادًا وتوفيقًا وتبشيرًا للطائعين المصدقين بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

مبشرًا لهم بفسيح الجنان وجميل الثواب، تُبشر هؤلاء العاملين، الذين اتبعوا الإيمان بالعمل الصالح هم يُداومون على الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وحدودها وفرائضها، وكذا فإنهم يؤدون ما أوجب الله عليهم أداءه من الزكوات وهم بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب مُصدقين تمام التصديق.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن، وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبَّره، وفكَّر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوّله، ولا أحد سواك من خلق الله؛ لأنه لا يقدر أحد من الخَلْق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجنّ والإنس. وخفض قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطفًا به على القرآن. وقوله: ﴿هُدًى﴾ من صفة القرآن.

يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بيَّن به طريق الحق وسبيل السلام. ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدّق بما أنزل فيه

بالفوز العظيم في المعاد.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: هو هُدًى وبشرى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: ويؤدّون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويُطهرون أجسادهم من دنس المعاصي.

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذّبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا؛ لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابًا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ أي: هذه آيات ﴿ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بين واضح.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لِمَنْ آمن به واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، خيرها وشرها، والجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على

(461) أحمر
أسود

التعظيم فقال:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق.

آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخُلُق ذميم.

آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار.

آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيمان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، طبقًا ما كان ويكون.

آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة.

آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صونًا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصَّهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: إن الذين يكذبون بالبعث وينكرونه وينكرون الثواب والعقاب والجنة والنار حسَّنا لهم في أعينهم أعمالهم،

(462) أحمر
أسود

فعملوا أعمالًا سيئة ورأوها حسنة فاستمروا فيها وتمادوا فيها، يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

فهؤلاء الذين استمروا في الضلالة مع ظنهم أنها حسنة لهم يوم القيامة العذاب الذي يُسيئهم وهم أكثر الناس خسرانًا لأنفسهم ولأعمالهم فقد ضاعت عليهم أعمالهم التي عملوها، بل وانقلبت عليهم شرًّا وعذابًا، والعياذ بالله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب. ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾.

يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيَّناها لهم يتردّدون حيارى يحسبون أنهم يحسنون.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش.

يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ **[البقرة: ١٦]**.

وقال ابن كثير $:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: يكذبون بها، ويستبعدون وقوعها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حَسَّنَّا لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غَيهم فهم يَتيهون في ضلالهم. وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة،

كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام: ١١٠]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي: ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدقون بالبعث ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ﴾ قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة وقيل: زيَّنا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها. وقال الزجاج: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه، قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يترددون في أعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس. أبو العالية: يتمادون. قتادة: يلعبون. الحسن: يتحيرون، قال الراجز:

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالحائرين العُمَّه

قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو جهنم قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ في الآخرة تبيين وليس بمتعلق بالأخسرين فإن من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم فهم أخسر كل خاسر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وإنك يا رسول الله لتأخذ هذا القرآن وتتلقاه من عند الله ﷻ الحكيم في شرعه وقضائه وقدره، وفي كل الأمور العليم بكل الأحوال، لا تخفى عليه خافية.

هذا، ومن العلماء من قال إنه قوله: ﴿عَلِيمٍ ﴾ متعلق بما بعده، أي: وإنك

(464) أحمر
أسود

لتلقى القرآن من عند حكيم عليم بقول موسى لأهله: إني آنست نارًا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يا محمد - قال قتادة: ﴿ لَتُلَقَّى﴾ أي: لتأخذ. ﴿ ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: من عند حكيم عليم، أي: حكيم في أوامره ونواهيه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التامُّ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥].

❁ ❁ ❁

س: ذكر العلماء قراءتين في قوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءتان؛ فالأولى: بشهاب قبس ومعناها بشعلةٍ اقتبسها.

والثانية: بشهابٍ قبسٍ والمعنى بشهاب مقتبس.

❁ ❁ ❁

س: ما العامل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ ؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن العامل فيه ما تقدم قبله، وهو قوله: ﴿عَلِيمٍ ﴾ فالمعنى عليم بقول موسى لأهله.

(465) أحمر
أسود

الثاني: أن العامل فيه واذكر، والمعنى واذكر يا رسول الله قول موسى لقومه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر موسى ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: واذكر قول موسى ﷺ لأهله حين رجوعه من بلاد مدين متجهًا إلى مصر، وهو في سيناء عند جبل الطور إذ قال لأهله والأجواء مظلمة والليالي باردة، وقد أبصر نارًا فقال: إني أبصرت نارًا فامكثوا حتى آتيكم منها بخبر لعلنا نستدل به على طريقنا طريق الرجوع أو آتي بخبرٍ عن أهل مصر الذين سنذهب إليهم وعن فرعون وماذا صنع، أو آتيكم بشعلة من هذه النار اقتبسها منها لعلكم تستدفئون بها من هذا البرد، فلما جاءها ناداه ربُّه ٥ وكلمه أن بورك مَنْ في النار، أي تقدَّس من في النار وتعاظم وتكاثر الخير الوارد من قبله، والمراد بالنار – عند كثير من العلماء- النور الذي هو الحجاب، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(1).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالنار النار حقيقة إذ الله قال أن بورك من في النار.

وأما قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: وبارك الله فيمن حولها شرفهم الله بهذا

(1) انظر مسلم (حديث 179).

(466) أحمر
أسود

الشرف، كما قال في آية أخرى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] والمراد بالذين حولها الملائكة عليهم سلام الله وكذا موسى ع، وأيضًا الوادي المكان فهو وادٍ مقدس كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وتنزَّه عن كل نقصٍ وعيب وتنزَّه عن الشريك والمثيل والنِّد والصاحبة والولد وتنزَّه عن كل ما لا يليق به، فهو ربُّ العالمين رب السموات والأرض وما بينهما.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ وإذ من صلة عليم. ومعنى الكلام: عليم حين قال موسى ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾ وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده. ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرت نارًا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يعني من النار، والهاء والألف من ذكر النار ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «**بِشِهَابِ قَبَسٍ**» بإضافة الشهاب إلى القبس، وترك التنوين، بمعنى: أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس، يعني: أو آتيكم بشهاب مقتبس.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قَرَأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

(467) أحمر
أسود

وقال $:

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يقول: فلما جاء موسى النار التي آنسها ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال عن ابن عباس، قال: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يقول: قدَّس.

واختلف أهل التأويل في المعنِّي بقوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ فقال بعضهم: عني جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

وأورد أثرًا ضعيف الإسناد عن ابن عباس: في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يعني نفسه; قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار.

وقال $:

واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: النور، كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه.

وقال آخرون: معناه النار لا النور.

وقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول: ومن حول النار. وقيل: عَني بمن حولها: الملائكة.

وقال آخرون: هو موسى والملائكة.

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول: وتنزيهًا لله رب العالمين، مما يصفه به الظالمون.

(468) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى لرسوله ﷺ مذكرًا له ما كان من أمر موسى، كيف اصطفاه الله وكلمه، وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي: اذكر حين سار موسى بأهله، فأضل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور نارًا، أي: رأى نارًا تأجج وتضطرم، فقال ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطريق، ﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تتدفؤون به. وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نورًا عظيمًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: فلما أتاها رأى منظرًا هائلًا عظيمًا؛ حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدًا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء.

قال ابن عباس وغيره(1): لم تكن نارًا، إنما كانت نورًا يَتَوَهَّج.

وفي رواية عن ابن عباس(2): نور رب العالمين. فوقف موسى متعجبًا مما رأى، فنودي أن بورك من في النار. قال ابن عباس: أي قُدّس. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: من الملائكة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود -وهو الطيالسي -حدثنا شعبة والمسعودي، عن عمرو بن مُرَّة، سمع أبا عُبَيْدة يحدث، عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينام، ولا**

(1، 2) ولم أقف على سند صحيح عن ابن عباس بهذا، والأسانيد التي وقفت عليها فيها مقال.

(469) أحمر
أسود

ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل». زاد المسعودي: **«وحجابه النور -أو النار- لو كشفها لأحْرَقَتْ سُبُحات وجهه كل شيء أدركه بصره»**(1). ثم قرأ أبو عُبَيْدة: ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم، من حديث عمرو ابن مُرَّة، به.

وقوله: ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم، المباين لجميع المخلوقات، ولا يكتنفه الأرض والسموات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ ﴾ (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾: خذ يا محمد بن آثار حكمته وعلمه قصة موسى؛ إذ قال لأهله: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾ أي: أبصرتها من بعد قال الحارث بن حلزة:

آنست نبأة وأفزعها القناص عصرًا وقد دنا الإمساء

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا ﴾ أي فلما جاء موسى الذي ظن أنه نار وهي نور قاله وهب بن منبه، فلما رأى موسى النار وقف قريبًا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة(2) يقال لها العليق، لا تزداد النار إلا عظمًا وتضرمًا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسنًا،

---

(1) مسلم (249 و 295 حديث 179) بنحوه.
(2) قلت: ولم أقف على خبرٍ ثابت عن رسول الله ﷺ في ذِكر الشجرة. والله أعلم.

(470) أحمر
أسود

فعجب منها وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه فخافها فتأخر عنها، ثم لم تزل تُطمعه ويطمع فيها إلى أن وضح أمرها على أنها مأمورة، لا يدري من أمرها إلى أن ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ وقد مضى هذا المعنى في (طه) ﴿ نُودِيَ﴾ أي: ناداه الله كما قال: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ [مريم: ٥٢] ﴿ أَنۢ بُورِكَ ﴾ قال الزجاج: ﴿أَنۡ ﴾ في موضع نصب أي بأنه قال: ويجوز أن تكون في موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم فاعله وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبي وابن عباس ومجاهد **(أَنْ بُورِكَت مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)** قال النحاس: ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير فتكون البركة راجعة إلى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب: باركك الله وبارك فيك الثعلبي العرب تقول: باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك أربع لغات، قال الشاعر:

فبوركت مولودًا وبوركت ناشئا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

الطبري: قال ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ ولم يقل بورك في من في النار على لغة من يقول: باركك الله ويقال باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى أي: بورك على من في النار وهو موسى أو على من في قرب النار لا أنه كان في وسطها وقال السدي: كان في النار ملائكة، فالتبريك عائد إلى موسى والملائكة أي بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيَّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه قال: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣] وقول ثالث قاله ابن عباس و الحسن وسعيد بن جبير: قدس من

في النار وهو الله سبحانه وتعالى عني به نفسه تقدس وتعالى. قال ابن عباس و محمد بن كعب: النار نور الله ﷻ نادى الله موسى وهو في النور.... إلى آخر ما قاله $:

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فحاصل معناه: أن الله ﷻ أكرم موسى ؑ بكرامة عظيمة جدًّا، وهي كونه ناداه وكلمه بلا واسطة قائلًا له: إنه أنا الله العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في كل شيء يشرعه ويقضيه.

ثم إن الله ﷻ أمره بأن يلق عصاه التي في يده، فألقاها ؑ، فتحوَّلت إلى حية عظيمة كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] والجآن نوعٌ من أنواع الحيات العظيمة شديدة الحركة، فلما رآها موسى هكذا انصرف مسرعًا هاربًا ولم يلتفت وراءه ولم يرجع فناداه ربُّه ﷻ: يا موسى لا تخف مما رأيت إني لا يخاف عندي المرسلون الذين أخذتهم واجتبيتهم، فهؤلاء لا يخافون لكن من ظلم منهم فإني أُخيفه بسبب ما صدر منه من ظلم، وقد قال بعض أهل العلم هاهنا: إن موسى ؑ إنما خاف لكونه قد ظلم بقتل نفسٍ لم يُؤمر بقتلها.

ورُوي عن بعض أهل العلم أن الأنبياء ؑ كانت تذنب فتعاقب، أي: من ارتكب منهم شيئًا من الذنب عُوقب به، ونُقل هذا بأسانيد فيها بعض

(472) أحمر
أسود

المقال عن بعض التابعين، وقال به بعض المفسرون.

هذا، ومن العلماء من قال: إن المعنى تمَّ عند قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

أي: إني لا يخاف عندي رسلي إلا من ظلم منهم فإنه يخاف بسبب ذنبه.

أما قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال بعض أهل العلم: إنه هنا مستقرٌّ محذوف مفهوم من السياق، والمعنى: أما من ظلم من سائر خَلْقي ثم عمل عملًا صالحًا مبتغيًا به وجه الله فإني غفورٌ لذنبه، رحيمٌ به.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى هنا تم الكلام ثم استثناء منقطع حاصل معناه لكن من ظلم من سائر خلقي، ثم بدل حُسنًا بعد سوء فإني غفور له والله أعلم.

ويبقى هنا سؤال واردٌ على من قال إن من ظلم من المرسلين يُخيفه الله ﷻ بسبب ظلمه، ألا وهو إن موسى عليه السلام لما قتل النفس التي لم يؤمر بقتلها استغفر من ذلك إذ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ فطلب المغفرة وغفر الله له إذ الله قال: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ فكيف يُخيفه الله وقد غفر له؟؟؟!!!

وجواب ذلك فيما أرى والله أعلم أن موسى آنذاك لم يكن أُوحي إليه، وإنما أُرسل عليه السلام بعد تكليم ربِّه ﷻ له، فمن ثمَّ لم يكن قد علم أن الله غفر له فبقي خائفًا من عقوبة ذنبه، ولحقه شيء من هذا الخوف في هذا المقام.

أو يُقال: إن الله ﷻ غفر له بعد هذه الوقائع.

أو يُقال: إنه لبيان أن من ظلم فإنه يخاف من عاقبة ظلمه.

أو يُقال: إلا من ظلم فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له والله أعلم.

(473) أحمر
أسود

وقال القرطبي $:

فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة ؟ قيل له: هذه سبيل العلماء بالله ه أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم أيضًا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به فهم يخافونه من المطالبة به. وقال الحسن وابن جريج: قال الله لموسى: إني أخفتك لقتلك النفس. قال الحسن: وكانت الأنبياء تذنب فتعاقب. قال الثعلبي والقشيري والموردي وغيرهم: فالاستثناء على هذا صحيح أي إلا من ظلم نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل: إنهم بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر قد مضى هذا في (البقرة).

قلت: والأول أصح لتنصلهم من ذلك في القيامة كما في حديث الشفاعة وإذا أحدث المقرب حدثًا فهو وإن غفر له ذلك الحدث فأثر ذلك الحدث باقٍ وما دام الأثر والتهمة قائمة، فالخوف كائن لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزازة تؤديه إلى أن يكدر عليه صفاء الثقة، وموسى غ قد كان منه الحدث في ذلك الفرعوني ثم استغفر وأقر بالظلم على نفسه، ثم غفر له ثم قال بعد المغفرة: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧] ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الآخر وأراد أن يبطش به فصار حدثًا آخر بهذه الإرادة وإنما ابتلي من الغد؛ لقوله: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وتلك كلمة اقتدار من قوله: لن أفعل فعُوقب بالإرادة حين أراد أن يبطش ولم يفعل فسلط عليه الإسرائيلي حتى أفشى سره؛ لأن الإسرائيلي لما رآه تشمر للبطش ظن

(474) أحمر
أسود

أنــه يريــده فأفشــى عليــه فــ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ [القصص: ١٩] فهرب الفرعوني وأخبر فرعون بما أفشى الإسرائيلي على موسى وكان القتيل بالأمس مكتومًا أمره، لا يدرى مَنْ قتله فلما علم فرعون بذلك وُجِّه في طلب موسى ليقتله واشتد الطلب وأخذوا مجامع الطرق، جاء رجل يسعى فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ﴾ [القصص: ٢٠] الآية فخرج كما أخبر الله فخوف موسى إنما كان من أجل هذا الحدث فهو وإن قربه ربُّه وأكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولَّت به ولم يعقب.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله لموسى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في نقمته من أعدائه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبيره في خلقه.

وقال $:

وقوله: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ في الكلام محذوف تُرك ذكره، استغناء بما ذُكِر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجانّ: جنس من الحيات معروف.

وقال $:

وقوله: ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ يقول تعالى ذكره: ولَّى موسى هاربًا خوفًا منها ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ يقول: ولم يرجع. من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ قال: لم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع،

فقال الله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قال: فلم يرعوا لذلك، قال: فقال الله له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] قال: فلم يقف أيضًا على شيء من هذا حتى قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها.

وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لديّ المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوّة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال الطبري – بعد أن أورد أقوالًا وبعض القراءات -:

قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء صحيح من قوله: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ منهم فأتى ذنبًا، فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بيَّن الحسن $ معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس.

فإن قال قائل: فما وجه قيله إن كان قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناءً صحيحًا، وخارجًا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين، وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ كلام آخر بعد الأوّل، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم، ومن لم يظلم عند قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل، وسائر الناس غيرهم، وقيل: فمن ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء فإني له غفور رحيم.

(476) أحمر
أسود

فإن قال قائل: فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بـ(ثُمَّ) إن لم يكن عطفًا على قوله: ﴿ظَلَمَ﴾؟ قيل: على متروك استغني بدلالة قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ عليه عن إظهاره؛ إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره، وهو فمن ظلم من الخلق. وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يُحمل الكلام على وجهه من التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلمًا من خَلْق الله، وركَّب مأثمًا، ثم بدل حُسنًا، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه ﴿رَّحِيمٌ﴾ به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم، الذي عزَّ كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أفعاله وأقواله.

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده؛ ليُظهر له دليلًا واضحًا على أنه الفاعل المختار، القادر على كل شيء. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةً عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والجان: ضرب من الحيات، أسرعه حركة، وأكثره اضطرابًا - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنَّان البيوت - فلما عاين

(477) أحمر
أسود

موسى ذلك ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ أي: ولم يلتفت من شدة فرقه ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولًا واجعلك نبيًّا وجيهًا.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على شيء ثم أقلع عنه، ورجع وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الهاء عماد وليست بكناية في قول الكوفيين والصحيح أنها كناية عن الأمر والشأن ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب الذي ليس كمثله شيء ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴾ في أمره وفعله وقيل: قال موسى: يا رب مَنِ الذي نادى؟ فقال له: ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ أي: أني أنا المنادي لك ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾.

وقال $:

إنها قُلبت له أولًا حية صغيرة فلما أنس منها قُلبت حية كبيرة وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهي الأنثى ومرة ثعبانًا وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل: المعنى انقلبت ثعبانًا تهتز كأنها جانٌّ، لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعى وجمع الجان جنان ومنه الحديث: «نهى عن قتل الجنان التي في البيوت» ﴿ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ خائفًا على عادة البشر ﴿ وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ أي: لم يرجع قاله مجاهد. وقال قتادة: لم يلتفت ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ أي: من الحية وضررها، ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ وتمَّ

(478) أحمر
أسود

الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعا فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ وقيل: إنه استثناء من محذوف والمعنى: إني لا يخاف لدي المرسلون وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ فإنه لا يخاف.

ثم قال $:

وفي الآية قول آخر: وهو أن يكون الاستثناء متصلًا والمعنى إلا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد سوى ما روي عن يحيى ابن زكريا ﷺ وما ذكره الله تعالى في نبينا ﷺ في قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] ذكره المهدوي واختاره النحاس وقال: علم الله من عصى منهم يُسرّ الخيفة فاستثناه فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له. الضحاك: يعني آدم وداود ث. الزمخشري: كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى ﷺ بوكزه القبطي.

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصًا عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه.

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: فهذا الذي هو محَلُّ الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجُرْم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، وتاب وأناب فبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعًا وهو أرحم بعباده من الوالدة

بولدها.

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية، إدخال اليد في الجيب وإخراجها بيضاء من غير سوء، داخلة في التسع أم أن الآيات تسعٌ غيرها، وهي العاشرة؟

ج: الظاهر – والله أعلم- أنها داخلة في تلك الآيات التسع فقوله: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ معناه والله أعلم ضمن تسع آيات.

وإن كان من العلماء من قال إنها تسعٌ غيرها وهي العاشرة، لكن ما قدمته أولى، ولقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ﴾ [الإسراء: ١٠١].

❁ ❁ ❁

الآيات التسع التي أيد بها موسى ﷺ

س: ما هذه الآيات التسع؟

ج: منها بالاتفاق العصا واليد، العصا التي تحوَّلت إلى حية تسعى، وتلك التي ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم، وتلك التي ضرب بها الحجر قائلًا: ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر. واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

فهاتان آيتان العصا واليد:

ومنها المذكورات في قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ [الأعراف: ١٣٣] فهذه خمس آيات.

(الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع - الدم)

وثنتان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾

(480) أحمر
أسود

[الأعراف: ١٣٠] فالسنون سنوات الشدة التي حلَّت بهم ونزلت، بما فيها من فقر ومرض، ونقص الثمرات فهاتان اثنتان.

فيكون المجموع للمذكور كله تسع.

وهناك آيات تدخل ضمن المذكورات فالرجز المذكور في قولهم: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] داخلة في السنين (سنوات الشدة) أو داخل في الخمس المذكورات والله أعلم.

وهناك قرينة إيضاح لهذا في سورة الإسراء بحمد الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ ﴾.

ج: يقول الله تعالى لموسى ﷺ: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾ أي: في فتحة ثوبك، تلك الفتحة التي تُدخل فيها رأسك ثم أخرجها فإن أخرجتها خرجت بيضاء من غير مرض من غير برصٍ، خرجت بيضاء ناصعةً فهذه آية ومعجزة ضمن تسع آيات ومعجزات أيدناك بها وأرسلناك بها إلى فرعون وقومه فقد كانوا قومًا فاسقين، كافرين بالله جاحدين وحدانيته ونعمه.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله لنبيه موسى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾ ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه; وإنما أمره بإدخاله في

(481) أحمر
أسود

جيبه؛ لأن الذي كان عليه يومئذٍ مِدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمٌّ. وقال بعضهم: كان كمُّها إلى بعض يده.

وقال:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ قال: الكفُّ فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كمه.

وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يقول: من غير برص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون; وترك ذكر مرسل لدلالة قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ على أن ذلك معناه، كما قال الشاعر:

رأتْنِي بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مخافَةً وفِي الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ

ومعنى الكلام: رأتني مقبلًا بحبليها، فترك ذكر «مقبل»استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك؛ إذ قال: رأتني بحبليها; ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قومًا فاسقين، يعني: كافرين بالله، وقد بيَّنا معنى الفسق فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(482) أحمر
أسود

وقوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصِدْق من جعل له معجزة، وذلك أن الله -تعالى - أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعِه، فإذا أدخلها وأخرجها خَرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف.

وقوله: ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن، وأجعلهن برهانًا لك ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١] كما تقدم تقرير ذلك هنالك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- فلما جاءت آل فرعون حججنا واضحة جلية منيرةً يستنيرون بها، ومضيئة يستضيئون بها وبصائر يستبصرون بها وصفوها بأنها سحر، فوصفوا العصا التي تحوَّلت إلى حية تسعى بأنها سحر، ووصفوا اليد التي تخرج بيضاء للناظرين بأنها سحر، فقالوا: هذا سحر مبين، سحرٌ مظهر لمن رآه، أن فاعله ساحر، أما قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ أي: وكذبوا رسولنا لما جاءهم بهذه الآيات، وأنكروا أن تكون هذه معجزات من عند الله ﷻ مع كونهم في قرار أنفسهم يوقنون أنها من عند الله، ولكن كذبوا بها فظلموا أنفسهم بهذا التكذيب، وكذَّبوا بها كبرًا وتعاليًا على الحق فأهلكوا أنفسهم بهذا الكبر وبذاك التعالي فانظر بعين الاعتبار والاتعاظ إلى ما حلَّ بهؤلاء القوم المفسدين، وكيف كانت عاقبة أمرهم،

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل. وقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه.

وقال في قوله:

﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر.

وقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

وقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينًا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ قال: استيقنوا أن الآيات من الله حقٌّ، فلما جحدوا بها؟ قال: ظلمًا وعلوًّا.

وقوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداءً وتكبرًا.

وقال:

ومعنى ذلك: وجحدوا بالآيات التسع ظلمًا وعلوًّا، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحقّ بعد وضوحه لهم، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم.

(484) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة؟! وماذا حلَّ بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا؟! فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول: وكذلك يا محمد سُنتي في الذين كذّبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾ أي: بينة واضحة ظاهرة، ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين .

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: في ظاهر أمرهم، ﴿ وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: علموا في أنفسهم أنها حقٌّ من عند الله، ولكن جَحَدوها وعاندوها وكابروها، ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ أي: ظلمًا من أنفسهم، سَجِيَّة ملعونة، ﴿ وَعُلُوّٗاۚ ﴾ أي: استكبارًا عن اتباع الحق؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم، في إهلاك الله إياهم، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون بمحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى؛ فإن محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى، بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده

(485) أحمر
أسود

في نفسه وشمائله، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به، وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ أي: واضحة بينة. قال الأخفش: ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال: الولد مجبنة ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ جروا على عادتهم في التكذيب فلهذا قال: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله وأنها ليست سحرًا ولكنهم كفروا بها وتكبروا أن يؤمنوا بموسى وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين و﴿ظُلْمًا﴾ ﴿وَعُلُوًّا﴾ منصوبان على نعت مصدر محذوف أي وجحدوا بها جحودًا ظلمًا وعلوًّا والباء زائدة أي: وجحدوها قاله أبو عبيدة ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: آخر أمر الكافرين الطاغين انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره.

(486) أحمر
أسود

قصة نبي الله سليمان ﷺ مع ملكة سبأ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: 15-19].

(487) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ - وَحُشِرَ - يُوزَعُونَ - لَا يَحْطِمَنَّكُمْ - أَوْزِعْنِيٓ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾	لغة الطير
﴿وَحُشِرَ ﴾	جُمع
﴿يُوزَعُونَ ﴾	يرد أوَّلهم لآخرهم وآخرهم لأولهم حتى يكونوا مجتمعين أو يكونون صفًّا واحدًا، وقيل: يُساقون، وقيل: يتقدمون
﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾	لا يكسرنكم
﴿أَوْزِعْنِيٓ ﴾	ألهمني

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم – إخبارٌ من الله ﷻ بالذي منَّ به على داود وسليمان ث، وبالذي أنعم به عليهما، وكيف وأنهما قابلا ذلك بالشكر وليس بالجحود والنكران، وهكذا كل من أنعم الله عليه يلزمه أن يقابل نعم الله بالشكر.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ﴾ والمراد النبوة وعلومها وسائر العلوم التي آتاهما الله إياها فمن ذلك ما ذكره في شأن داود غ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ

(488) أحمر
أسود

ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠]، وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وكذا ما علمه الله سليمان من القضاء والفهم فيه، وتعليمه لغة الطير وغير ذلك، فلما آتاهما ذلك قالا شاكرين لله الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصَّهم الله بعلمه. ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خَلْقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والمُلْك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ أي: فهمًا قاله قتادة وقيل: علمًا بالدين والحكم وغيرهما كما قال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] وقيل: صنعة الكيمياء وهو شاذّ وإنما الذي آتاهما الله النبوة والخلافة في الأرض والزبور ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وفي الآية

(489) أحمر
أسود

دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أُوتيه فقد أُوتي فضلًا على كثير من عباد الله المؤمنين ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

❁ ❁ ❁

س: هل كان سليمان ﷺ يفهم لغة الطير فقط؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه كان يعلم لغة الحيوانات أيضًا، والدواب عمومًا بدليل فهمه للغة النمل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي $:

قال ابن العربي: من قال إنه لا يعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات فكان كل نبت يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان.

❁ ❁ ❁

س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وبين قول النبي ﷺ: «إنَّا مَعشر الأَنبيَاء لَا نُورث»؟

ج: الجمع بأن يقال: إن سليمان إنما ورث العلم والنبوة، وليس المراد وراثة المال، ولو كان المراد وراثة المال ما ورثه سليمان وحده بل كان سيرثه عموم ورثته، والله أعلم، وسيأتي مزيدٌ من ذلك في أقوال المفسرين إن شاء الله.

قال القرطبي:

وقال ابن العربي: فلو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد فخص

(490) أحمر
أسود

الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكًا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة – بمعنى: صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثًا تجوزًا وهذا نحو قوله: **«العلماء ورثة الأنبياء»** ويحتمل قوله ﷺ: **«إنا معشر الأنبياء لا نورث»** أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم وإن كان فيهم من ورث ماله كزكرياء على أشهر الأقوال فيه، وهذا كما تقول: إنا معشر المسلمين إنما شغلتنا العبادة والمراد أن ذكر فعل الأكثر ومنه ما حكى سيبويه: إنا معشر العرب أقرى الناس للضيف.

قلت: قد تقدم هذا المعنى في (مريم) وأن الصحيح القول الأول لقوله ﷺ: **«إنا معشر الأنبياء لا نورث»** فهو عامٌّ ولا يخرج منه شيء إلا بدليل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – وورث نبي الله سليمان ﷺ علم أبيه داود ونبوته ﷺ وقال شاكرًا لله مُذكرًا بنعمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، أي: لغة الطير ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ﴾ من الخيرات وما تحتاج إليه وما يحتاجه الخلق في دنياهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ المظهر لمن تأمله أننا ولله الحمد قد فُضلنا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَۖ﴾ العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصَّه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه

(491) أحمر
أسود

داود دون سائر ولد أبيه ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير، يعني: فهمنا كلامها; وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ يقول: وأعطينا ووهب لنا من كلّ شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمَّله وتدبره أنه فَضْلٌ أعطيناه على من سوانا من الناس.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي: في الملك والنُّبوة، وليس المراد وراثَةَ المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخصَّ سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائةُ امرأة. ولكن المراد بذلك وراثةُ الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: **«نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»**(1).

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾، أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من المُلْك التامّ، والتمكين العظيم، حتى إنه سَخَّر له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطَه أحد من البشر -فيما علمناه -مما أخبر الله به ورسوله. وَمَنْ زعم من الجهلة والرّعاع أنّ الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود- كما يتفوه به كثير من الناس - فهو قولٌ بلا

(1) أخرجه البخاري (3711، 3712)، ومسلم (1759)، ولفظه: **«ما تركنا فهو صدقة»**، من حديث عائشة ف عن أبي بكر مرفوعًا، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا عند البخاري (6730)، ومسلم (1758)، ومسلم (1761).

(492) أحمر
أسود

علم. ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة؛ إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال. ولكن الله - سبحانه وتعالى- كان قد أفهم سليمان ﷺ ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها؛ ولهذا قال: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: مما يحتاج إليه الملك، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: الظاهر البيّن لله علينا.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«كان داود ﷺ فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع»**. قال: **«فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لِمَنْ في البيت: من أين دخل هذا الرجل، والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود ﷺ فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: مَنْ أنت؟ قال: الذي لا يهاب الملوك، ولا يمتنع من الحجاب، فقال داود: أنت والله إذًا ملك الموت. مرحبًا بأمر الله، فتزمل داود ﷺ مكانه حتى قُبِضَت نفسه، حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان ﷺ للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي**

(493) أحمر
أسود

جناحًا جناحًا» قال أبو هريرة: يا رسول الله، كيف فعلت الطير؟ فقبض رسول الله ﷺ يده، وغلبت عليه يومئذٍ المضرَحية(1).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُجمعون ويرتبون ويُرد أوَّلهم حتى لا يتقدم ويرفع آخرهم حتى لا يتأخر، أي: كي يكونون مجتمعين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون.

وأورد الطبري عدة أقوال: في معنى يوزعون.

منها: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا (أي: يرد أولهم على آخرهم).

ومنها: يساقون.

ومنها: يتقدمون.

واختار الطبري قول من قال: معناه يرد أولهم على آخرهم.

قال: وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكافّ، يقال: وزع فلان فلانًا عن الظلم: إذا كفَّه عنه.

ثم قال: وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه.

---

(1) أحمد (419/2)، وفي سنده ضعف للانقطاع بين المطلب وأبي هريرة فالمطلب بن عبد الله بن حنطب لم يسمع أبا هريرة.

(494) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حُرًّا أظلته منه بأجنحتها(1).

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يكفُّ أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له.

قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة، يردون أُولاها على أخراها؛ لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن سليمان ﷺ لما مرَّ مع جنوده في هذا الحشد الهائل العظيم من الجن والإنس والطير، مرَّ على وادي النمل فقالت نملة محذرةً قومها وبني جنسها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حفاظًا على حياتكم فقد يدمرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

(1) قلت: وهذا الترتيب الذي ذكره لا أعلم دليلًا عليه.

(495) أحمر
أسود

سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

❁ ❁ ❁

س: في قول النملة: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ إشارة إلى أمرٍ مهمٍّ من أمور المعتقد وضحه.

ج: هذا الأمر حاصله أن سليمان ﷺ ومن معه لا يعلمون الغيب، فمع أنه سخِّرت له الجن فإنه وكذا الجن الذين معه قد لا يشعرون بأن النمل سيهلك وأنهم سيحطمون النمل، فإذا كان الأمر كذلك فحريٌّ بهم ألا يعلموا الغيب. والله أعلم.

س: في قول النملة: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ إشارة إلى رأفة سليمان ﷺ وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان ﷺ لن يحطم النمل ومساكنهم عن عمدٍ وعن قصدٍ، إنما إن صُدِرَ ذلك منه فيكون عن عدم علم. ففيه إذن إشارة إلى رأفة سليمان ﷺ بالحيوان.

قال القرطبي $:

فقولها: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ التفاتة مؤمن أي: من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.

وقال $:

وقولها: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ إشارة إلى الدين والعدل والرأفة ونظير قول النملة في جند سليمان: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند محمد ﷺ ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الفتح: ٢٥]. التفاتًا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن. إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى، والمثني

(496) أحمر
أسود

على جند محمد ﷺ هو الله ﷻ بنفسه لما لجنود محمد ﷺ من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما لمحمد ﷺ فضل على جميع النبيين ﷺ أجمعين.

س: هل كان لهذه النملة وصفٌ معينٌ تمتاز به عن سائر أنواع النمل؟

ج: لا أعلم لها وصفًا تمتاز به عن غيرها إنما هي أقوالٌ لبعض المفسرين لا مستند لها. من كتاب أو سنةٍ صحيحة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن قتل النمل.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث: أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«قَرَصَت نبيًّا من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه، أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تُسَبِّح؟! فهلا نملة واحدة!»**.

وفي الحديث الآخر: «نهى النبي ﷺ عن قتل النمل والنحل والهدهد والصُّرد»(1).

❁ ❁ ❁

س: في قول النملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ إشارة إلى حرص النملة على بني جنسها، فتفضل بذلك على كثير من بني آدم وضح ذلك.

ج: إيضاحه – والله أعلم – أن النملة حرصت على سلامة بني جنسها، في الوقت الذي يدمر البشر بعضهم بعضًا، ويبيد بعضهم بعضًا، ويترك بعضهم الآخر جائعًا، مع أنه أي الثري يملك ملايين الأطنان من القمح في البحار والمحيطات ويتركون إخوانهم يموتون جياعًا.

---

(1) مسلم (2241)، وسنده صحيح، وقد أورده البعض في العلل بما لا يكاد يؤثر، انظر علل ابن أبي حاتم رقم (2374).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن سليمان ﷺ لما أفهمه الله ﷻ لغة النملة وقولها: تَبَسَّم تَبَسُّم الشاكر لله ﷻ الحامد له؛ إذ أعلمه قولها تَبَسَّم تَبَسُّم المسرور لحرصها على جنسها وتذكر نعمة الله عليه فطلب من الله ﷻ أن يعينه على شكر هذه النعم بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ ألهمني يا رب شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وكذا نعمك التي أنعمت بها على والديَّ وألهمني أن أعمل عملًا صالحًا ترضاه وتتقبله وأدخلني برحمتك في عداد عبادك الصالحين وفي مدخل عبادك الصالحين، وهم الأنبياء والمرسلون والمؤمنون، ألا وهو جنات النعيم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فتبسم سليمان ضاحكًا من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يعني بقوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قال: في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرض عليه. وقال ابن زيد: ﴿ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ يقول: وأوزعني أن أعمل

(498) أحمر
أسود

بطاعتك وما ترضاه ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين.

وقال ابن كثير $:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليَّ، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾أي:عملًا تحبه وترضاه، ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك.

❁ ❁ ❁

س: هل من فائدة للتقييد بقوله: ﴿ضَاحِكٗا﴾ عقب قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بما حاصله أن التبسم قد يكون عن سعادةٍ وسرور، وقد يكون عن غضب، وقد يكون عن تعجب، وقد يكون عن سخرية، وقد صح عن النبي ﷺ في قصة كعب بن مالك، والثلاثة الذين خُلِّفوا، قال كعب: فتبسم النبي ﷺ تبسم المغضب[1]...

وقال القرطبي $:

وقد قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم

---

(1) البخاري (4418)، ومسلم (2769).

(499) أحمر
أسود

بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾؛ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضًا، ألا تراهم يقولون تَبَسَّم تَبَسُّم الغضبان وتَبَسَّم تَبَسُّم المستهزئين وتبسم الضحك إنما هو عن سرور ولا يُسرُّ نبي بأمر دنيا وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين.

❁ ❁ ❁

(500) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ
ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 20-28].

(501) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ - أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ - سَبَإٍ - بِنَبَإٍ - يَقِينٍ - تَمْلِكُهُمْ - عَرْشٌ عَظِيمٌ - وَزَيَّنَ لَهُمُ - فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ - فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ - أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ - ٱلْخَبْءَ - رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ - سَنَنظُرُ - بِكِتَٰبِى - ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ - مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾	بحث عنهم – فتش في أمرهم – تفقد أحوالهم ومن الموجود ومن المتخلف الغائب
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	بحجة بينة – بعذر واضح جليّ
﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	انتظر زمانًا ليس بالطويل
﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾	علمت أشياء لا تعلمها- أحطت علمًا بأمور لا تعلمها
﴿سَبَإٍ ﴾	بلاد سبأ باليمن (عند مأرب)
﴿بِنَبَإٍ﴾	بخبر مؤكد
﴿يَقِينٍ﴾	يقيني
﴿تَمْلِكُهُمْ﴾	يعني: أنها ملكة عليهم
﴿عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	سرير ملك عظيم
﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ﴾	حسَّن لهم
﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾	فصدهم عن طريق الحق
﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾	لا يعرفون طريق الحق والصواب ولا يوقنون له

(502) أحمر
أسود

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾	ألا يا هؤلاء اسجدوا – وقيل: إنه استفسار والله أعلم
﴿الْخَبْءَ﴾	الشيء المخفي المكنون كوقت نزول الغيث وكذا الغائب المكنون في الأرض
﴿تُخْفُونَ﴾	تسرون
﴿تُعْلِنُونَ﴾	تظهرون
﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	صاحب العرش العظيم
﴿سَنَنْظُرُ﴾	سنبحث
﴿بِكِتَابِي﴾	برسالتي
﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾	فألقى عليهم
﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾	ثم تنح عنهم جانبًا- يعني: حتى يقرأ الرسالة – ابتعد عنهم
﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾	بماذا يردون؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – أن نبي الله سليمان ﷺ تفقد الطير، نظر في أمرها وهل هي متواجدة أم لا؟ فقال: ما لي لا أرى الهدهد، أهو موجود ولكن بصري غفل عنه أم أنه غير موجود؟ ثم تهدده سليمان ﷺ وتوعده بقوله: لأعذبنه عذابًا شديدًا، قال فريق من العلماء: وذلك بنتف

(503) أحمر
أسود

ريشه أو لأذبحنه أو ليأتيني بحجة بيّنة تبين سبب تغيبه.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ يعني بقوله: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟

وقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها.

وقوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها.

وأورد آثارًا متعددة عن ابن عباس وغيره في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وذلك بنتف ريشه، أما السلطان المبين أي: بحجةٍ له فيها عذرٌ بَيِّن.

❁ ❁ ❁

س: لماذا بحث سليمان ﷺ عن الهدهد خاصة؟

ج: أورد الطبري هذا السؤال وأجاب عليه بقوله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سليمان ﴿ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير، ما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدهد: لم تفقَّده سليمان من بين الطير؟ فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعْد الماء، فقال: من يعلم بُعْد

(504) أحمر
أسود

الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده.

قلت: وإسناده صحيح إلى ابن عباس ﷺ.

وأورد الطبري له شاهدًا آخر:

عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فبينا هو في مسيره؛ إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدهد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاف، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

وسنده صحيح إلى ابن عباس أيضًا.

وأورد الطبري وجهًا آخر عن وهب بن منبه فقال: وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأي ذلك كان؛ إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح.

فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير؛ إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء.

قال السعدي $ (تيسير الكريم الرحمن):

(505) أحمر
أسود

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية.

وقال السعدي منتقدًا قول من قال: إن سليمان ﷺ طلب الهدهد ليدله على مكان الماء.

ولم يصنع شيئًا من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دالٌّ على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال» أو «فتش عن الهدهد» أو: «بحث عنه» ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضًا فإن سليمان ﷺ لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟!!

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل

(506) أحمر
أسود

هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلمًا للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالًا منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالًّا عليها، وإن خالفته لفظًا ومعنًى أو لفظًا أو معنًى ردها وجزم ببطلانها؛ لأن عنده أصلًا معلومًا مناقضًا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

وقال السعدي أيضًا:

والشاهد أن تفقد سليمان ﷺ للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيًّا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبًا من غير إذني ولا أمري؟

فحينئذٍ تغيَّظ عليه وتوعده فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ دون القتل.

❁ ❁ ❁

س: في قوله: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: الأولى: فمكُث بضم الكاف.

والثانية: فمكَث بفتح الكاف.

❁ ❁ ❁

(507) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- أن الهدهد أقام زمنًا قصيرًا ليس طويلًا فجاء قائلًا لسليمان ﷺ: أحطت بعلم لا تعلمه وجئتك من سبإ بخبر يقين، خبر مؤكد.

وقال بعض العلماء: إن قوله: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ عائد على سليمان ﷺ، والمعنى قريب، والله أعلم.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد.

وقوله: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغَيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ يقول: وجئتك من سبإ بخبر يقين.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: غاب زمانًا يسيرًا، ثم جاء فقال لسليمان: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر صدق حق يقين. وسبأ: هم: حِمْير، وهم ملوك اليمن.

وقال القرطبي $:

والضمير في (مكث) يحتمل أن يكون لسليمان والمعنى: بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل أي غير وقت طويل ويحتمل أن يكون للهدهد وهو الأكثر فجاء: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ وهي:

(508) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: معناه - والله تعالى أعلم – أن الهدهد قال لسليمان غ مبيّنًا عذره في التأخر والتخلف: إني وجدت امرأةً تملك قوم سبإ هي الملكة عليهم وآتاها الله ﻫ من كل شيء يحتاج إليه الملوك ويحتاج إليه الناس في دنياهم، ولها سرير ملكٍ تجلس عليه عظيم الشأن، وقد وجدتها – مع هذا النعيم الذي هي فيه- هي وقومها يعبدون غير الله، إنهم يسجدون للشمس من دون الله، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم وزيَّنها في نفوسهم وقلوبهم فصرفهم بهذا التزيين عن طريق الله ومرضاته فهم لا يهتدون إلى طريق الحق ولا إلى طريق الثواب.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى مخبرًا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرًا بعذره في مغيبه عنه: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني: تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أُوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدًا له مملكة معه، وكان مع ذلك ﷺ رجلًا حُبِّب إليه الجهاد والغزو، فلما دلَّه الهدهد على مُلْك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه،

حقَّت للهدهد المعذرة، وصحّت له الحجة في مغيبه عن سليمان.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأوتيت من كلّ شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة.

وقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة.

وقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبإٍ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يقول: وحسَّن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبَّب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدّهم عن سبيل الحقّ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زيَّن لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحقّ ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يتردّدون.

وأورد الحافظ ابن كثير $ أقوالًا غريبةً لا أرتضيها، وليس عليها مستند كقول قتادة كانت أمُّها جنية إلى آخر ما قال فأضربت عنه عمدًا، وقال $:

قال الحسن البصري: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ وهي بلقيس بنت شَرَاحيل ملكة سبأ.

قلت (مصطفى): وكذا قال غير واحدٍ من أهل العلم أن اسمها بلقيس، ولم أقف على خبرٍ عن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ولا ينفيه. وهذا، وقد قال

(510) أحمر
أسود

ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن، ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ.

قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحًا ومساءً؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ لما قال الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ قال سليمان: وما ذلك الخبر ؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني: بلقيس بنت شراحيل تملك أهل سبأ ويقال: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطِّه وبين بلدها قريبة وهي من مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب ؟ والجواب أن الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة كما أخفى على يعقوب مكان يوسف.

وقال $:

قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مبالغة أي: مما تحتاجه المملكة. وقيل: المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئًا فحذف المفعول لأن الكلام دل عليه ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: سرير، ووصفه بالعظم في الهيئة

ورتبة السلطان قيل: كان من ذهب تجلس عليه، وقيل: العرش هنا الملك والأول أصح؛ لقوله تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ [النمل: ٣٨] الزمخشري: فإن قلت كيف سوَّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم ؟ قلت: بين الوصفين بَوْنٌ عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق من السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت شيء عن رسول الله ﷺ يُفيد أن ملكة سبأ كانت أمها من الجن؟

ج: لم أقف على أي شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»؟ وما مناسبة ذلك؟ يُرجى إلقاء بعض الضوء على معناه؟

ج: نعم ثبت ذلك في البخاري، وكذا مناسبته ففي البخاري من حديث أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ: **«لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»**(1).

❁ ❁ ❁

المرأة والعمل بالقضاء

(1) البخاري (4425).

(512) أحمر
أسود

س: هل يجوز أن تعمل المرأة قاضية؟

ج: أما كونها تقضي بين الرجال كعمل دائم لها فهذا مما لا أعلم له مستندًا عن رسول الله ﷺ، ثم إن الصحابة والتابعين لم يظهر فيهم ذلك، ولا أتباع التابعين، والله أعلم.

ثم إن النساء ناقصات عقلٍ ودينٍ كما قال النبي محمد ﷺ.

ثم إن الفتنة من وراء عملها متأتية من دخول الرجال عليها وكلامهم المستمر معها إلى غير ذلك من الفتنة.

فضلًا عن كونه يُمكن الاستئناس بقوله ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»(1). وعمل الصحابة، فمن بعدهم بمقتضاه، وعدم اتخاذهم قاضية من النساء ما يدل على المنع، والله أعلم.

قال القرطبي $:

روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»(2)

قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا نصٌّ في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق ولا بأن يُكتب لها مسطور بأن فُلانة مقدمة على الحكم وإنما سبيل ذلك التحكيم والاستنابة

---

(1) تقدم.

(2) تقدم من حديث أبي بكرة عند البخاري.

في القضية الواحدة وهذا هو الظن بأبي حنيفة و ابن جرير وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا إليه فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر ابن الطيب المالكي الأشعري مع أبي الفرج ابن طرار شيخ الشافعية، فقال أبو الفرج: الدليل على أن المرأة يجوز أن تحكم أن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المرأة كإمكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي أبو بكر ونقض كلامه بالإمامة الكبرى فإن الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الأمور وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل. قال ابن العربي: وليس كلام الشيخين في هذه المسألة بشيء فإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفوضهم مفاوضة النظير للنظير لأنها إن كانت فتاة حَرُمَ النظر إليها وكلامها وإن كانت برزة لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قطُّ من تصور هذا ولا من اعتقده.

س: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنييهما.

ج: القراءة الأولى: أَلَا بالتخفيف والمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله.

والقراءة الثانية: ألَّا بالتشديد، والمعنى متعلق بما قبله، ألا وهو وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله أي وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم كي لا يسجدوا لله. والله أعلم.

قال الطبري $:

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فقرأ بعض المكيين

(514) أحمر
أسود

وبعض المدنيين والكوفيين «ألا» بالتخفيف، بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فأضمروا «هؤلاء» اكتفاء بدلالة «يا» عليها. وذكر بعضهم سماعًا من العرب: ألا يا ارحمنا، ألا يا تصدّق علينا; واستشهد أيضا ببيت الأخطل:

ألا يا اسْلَمي يا هِنْدَ هنْدَ بَنِي بَدرٍ وَإنْ كان حَيَّانا عِدًا آخِرَ الدَّهْر

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم، ولا موضع لقوله: «ألا» في الإعراب. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بتشديد ألا بمعنى: وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ﴿أَلَّا﴾ في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا (ويسجدوا) في موضع نصب بأن.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ...﴾ الآية سجدة؟

ج: نعم عندها سجدةٌ عند جماهير أهل العلم، بل نُقل الإجماع على ذلك، وممن نقل الإجماع الطحاوي في شرح معاني الآثار[1]، ولكن اختلفوا في موضع السجود هل عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أما عقب قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على قولين قويين لأهل العلم في ذلك. والأمر في ذلك واسع ولله الحمد.

❁ ❁ ❁

(1) شرح معاني الآثار (359/1).

(515) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – أن الهدهد تعجب من سجود القوم لغير الله- سبحانه وتعالى- تعجب من سجودهم للشمس فقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ﴾ الشيء المخبوء في السموات، ومنه الغيث (الماء) والمخبوء من الأرض وهو النبات، والماء أيضًا، وكل مخبوءٍ، ويعلم ما أسررنا به من النوايا والأقوال والأعمال، وما أظهرناه من ذلك، إنه الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

قال الطبري $:

ويعني بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: خبء السماء والأرض ما جعل الله فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه، ولا تنبت هذه، ففتق السماء، وأنزل منها المطر، وأخرج النبات.

وقال $:

وقيل: يخرج الخبء في السموات والأرض؛ لأن العرب تضع «من» مكان «في» و«في» مكان «من» في الاستخراج ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يقول: ويعلم السرّ من أمور خلقه، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها، وذلك على قراءة من قرأ ﴿أَلَّا﴾ بالتشديد. وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه: ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم

(516) أحمر
أسود

بالسجود بقوله: «ألا يا هؤلاء اسجدوا». وقد ذكر أن ذلك في قراءة أُبـيّ: **(ألا تَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي يَعْلَمُ سرَّكُمْ وما تُعْلِنُون)**.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئًا ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني بذلك: مالك العرش العظيم، الذي كل عرش وإن عظم، فدونه لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد; في قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هذا كله كلام الهدهد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ **[فصلت: ٣٧]**.

وقرأ بعض القراء: «ألا يا اسجدوا لله» جعلها «ألا» الاستفتاحية، و«يا» للنداء، وحذف المنادى، تقديره عنده: «ألا يا قوم، اسجدوا لله».

وقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعلم كل خبيئة في السماء والأرض.

وقوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال. وهذا كقوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ **[الرعد: ١٠]**.

وقولـه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ أي: هـو المـدعو الله، وهـو الذي لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم، الذي لـيس فـي المخلوقـات أعظـم منه.

وقال $:

ولما كان الهدهد داعيًا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نُهِي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، عـن أبـي هريـرة ﷺ قال: نهى النبي ﷺ عـن قتـل أربـع مـن الـدواب: النملـة والنحلـة والهدهـد والصُّرَد. وإسناده صحيح(1).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قولـه تعـالى: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – أن سليمان ﷺ قـال للهدهـد لمـا أخبـره عن سبب تغيّبه: قال: سننظر في خبرك واعتذارك هل أنـت صـادق فيمـا نقلت من أخبارٍ معتذرًا بها أم لا، وللتأكـد مـن ذلـك اذهـب برسـالتي هـذه فألقها عليها ثم تنحَّى جانبًا – وهذا من أدب الرسول الذي يرسـله شـخص يتنحى عن المرسل إليه حتى ينظـر فـي أمـره بدقـة، ثـم يعيـد الجـواب – فانظر ما الردُّ الذي سيردون به، وقيل: إن فـي الجـزء الأخيـر مـن الآيـة تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: فألقه إليهم فانظر ما ردهم، ثم تولَّ عنهم راجعًا إلينا.

قال الطبري $:

---

(1) سنن أبي داود (5267)، وأحمد (332/1)، وابن ماجه (3223، 3224).

(518) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ﴾ فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحُجَّة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك كله ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك; فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يَرْجِعونَ، ثم تول عنهم منصرفًا إليّ، فقال: هو من المؤخَّر الذي معناه التقديم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: فأجابه سليمان، يعني: أجاب الهدهد لما فرغ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ وانظر ماذا يرجعون، ثم تولَّ عنهم منصرفًا إليَّ. وقال: وكانت لها كوّة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدَّها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس.

قال الطبري: فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعًا بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تولّ عنهم، فكن قريبًا منهم، وانظر ماذا يرجعون; قالوا: وفعل الهدهد، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها، وقولها لهم: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضًا.

وقال ابن كثير $:

(519) أحمر
أسود

يخبر تعالى عن قيل سليمان ﷺ للهدهد حين أخبره عن أهل سبإ وملكتهم: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي: أصدقت في إخبارك هذا، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في مقالتك، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾: وذلك أن سليمان ﷺ كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها. وأعطاه لذلك الهدهد فحمله، قيل: في جناحه كما هو عادة الطير، وقيل: بمنقاره. وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كُوّة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبًا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك.

وقال القرطبي $:

﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه وإنما صار صدق الهدهد عذرًا؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمان ﷺ حُبِّب إليه الجهاد وفي الصحيح: **«ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل»** وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للإمام أن يمتحن ذلك إذا تعلق به حكم من أحكام الشريعة كما فعل سليمان فإنه لما قال الهدهد: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ لم يستفزه الطمع ولا استجره حبُّ الزيادة في الملك إلى أن يعرض له حتى قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فغاظه حينئذٍ ما سمع وطلب الانتهاء إلى ما

(520) أحمر
أسود

أخبر وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك فقال: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في إملاص المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمةً قال: فقال عمر: ايتني بمن يشهد معك قال: فشهد له محمد بن مسلمة وفي رواية فقال: لا تبرح حتى تأتي بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن سلمة فجئت به فشهد ونحوه حديث أبي موسى في الاستئذان وغيره.

وقال $:

في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعائهم إلى الإسلام وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار كما تقدم في (آل عمران):

وقال: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى: وكن قريبًا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب بن منبه. وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه. أي: ألقه وارجع. قال: وقوله: ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ ﴾ واتساق رتبة الكلام أظهر أي: ألقه ثم تولَّ وفي خلال ذلك فانظر أي: انتظر وقيل: فاعلم كقوله: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] أي: اعلم ماذا يرجعون؟ أي: يجيبون، وماذا يردون من القول؟ وقيل: ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ يتراجعون بينهم من الكلام.

(521) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(522) أحمر
أسود

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا
كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ
أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِىَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم
بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ
أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ
ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ
﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: 29-44].

(523) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْمَلَؤُا۟ - أُلْقِىَ إِلَىَّ - كِتَٰبٌ كَرِيمٌ - أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ - مُسْلِمِينَ - أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى - قَاطِعَةً أَمْرًا - تَشْهَدُونِ - أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ - وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ - مَاذَا تَأْمُرِينَ - أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ - أَذِلَّةً - فَنَاظِرَةٌۢ - أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ - لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا - صَٰغِرُونَ - بِعَرْشِهَا - عِفْرِيتٌ - ءَاتِيكَ بِهِۦ - طَرْفُكَ - مُسْتَقِرًّا - نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا - أَتَهْتَدِىٓ - وَصَدَّهَا - ٱلصَّرْحَ - لُجَّةٌ - مُّمَرَّدٌ - قَوَارِيرَ - وَأَسْلَمْتُ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾	أشراف القوم – علية القوم ووجهاؤهم
﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ﴾	ألقى الهُدهد عليَّ
﴿ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾	رسالة كريمة مختومة بختم الملوك فيها بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾	ألا تتكبروا على أمري – لا تتعالوا عليَّ ولا تمتنعوا من امتثال ما أمرتكم به
﴿مُسْلِمِينَ ﴾	مستسلمين خاضعين
﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾	أشيروا عليَّ فيما أسألكم عنه
﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾	مُبرمةً أمرًا – متخذة قرارًا – مُصدرة أمرًا
﴿تَشْهَدُونِ ﴾	تحضروني وتُقروني
﴿أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ ﴾	أقوياء
﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾	عند جلادة وقوة في الحرب شديدة نُنَكِّل
﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾	ما الذي تشيرين به؟

(524) أحمر
أسود

﴿أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾	الوجهاء والأثرياء فيها
﴿أَذِلَّةً﴾	جمع ذليل – ذليلين
﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾	منتظرة
﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾	أتعطونني مالًا – أتزيدونني مالًا
﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾	لا طاقة لهم بها – لم يعهدوا مثلها من قبل ولم يروا مثلها من قبل
﴿صَٰغِرُونَ﴾	أذلاء
﴿بِعَرْشِهَا﴾	بسرير ملكها
﴿عِفْرِيتٌ﴾	ماردٌ – رئيس – كبير من كبرائهم
﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾	أُحضره لك
﴿طَرْفُكَ﴾	بصرك
﴿مُسْتَقِرًّا﴾	ثابتًا أمامه قد جيء به
﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾	غيروا لها بعض ملامح سرير ملكها (زيدوا فيه وانقصوا منه)
﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾	أتفهم وجه الصواب أم لا – أتعرف عرشها وتهتدي إليه أم لا؟
﴿وَصَدَّهَا﴾	منعها (من الإيمان)
﴿ٱلصَّرْحَ﴾	المكان المتسع الذي أمام القصر أو أمام المبنى عمومًا
﴿لُجَّةٌ﴾	موج عاتي من موج البحر – موجٌ شديدٌ – بحرٌ

(525) أحمر
أسود

﴿مُّمَرَّدٌ﴾	مُملس
﴿قَوَارِيرَ﴾	زجاج
﴿وَأَسْلَمْتُ﴾	دخلت في دين الإسلام مستسلمةً لأمر الله ٥

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – أن الهدهد لما ألقى الرسالة على ملكة سبأ تناولتها واطلعت على ما فيها فقالت لأشراف قومها يا أيها الملأ! إني أُلقي إليَّ كتاب كريم، مكتوب فيه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تتكبروا عليَّ وأتوني مستسلمين طائعين خاضعين لله مُقرِّين له بالوحدانية وأنه لا شريك له.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

وقال:

وقوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ والملأ أشراف قومها، يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختومًا.

وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم

(526) أحمر
أسود

صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ قال: هو كتاب سليمان حيث كتب إليها.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كُسِرت إنَّ الأولى والثانية على الردّ على «إني» من قوله: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾. ومعنى الكلام: قالت: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب، وإنه من سليمان.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ يقول: ألقي إليّ كتاب كريم ألا تعلوا عليّ.

ففي «أنْ» وجهان من العربية: إن جعلت بدلًا من الكتاب كانت رفعًا بما رفع به الكتاب بدلًا منه؛ وإن جعل معنى الكلام: إني أُلقي إليّ كتاب كريم ألا تعلوا عليَّ كانت نصبًا بتعلق الكتاب بها.

وعني بقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم، فقلت لابن زيد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تتكبروا عليَّ؟ قال: نعم; قال: وقال ابن زيد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ذلك في كتاب سليمان إليها.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ يقول: وأقبلوا إليّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

وقال ابن كثير $:

ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ فجمعت عند ذلك

(527) أحمر
أسود

أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ تعني بكرمه: ما رأته من عجيب أمره، كون طائر أتى به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدبًا. وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم.

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾. فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قِبَل لهم به. وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حَصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قبل سليمان ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: في رسالة سليمان ﷺ إلى ملكة سبإٍ ما يفيد تواضع الأنبياء ؤ ، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان ﷺ في رسالة قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ لم يقل من النبي الملك الذي سُخِّرت له الريح والجن والإنس والطير إلى غير ذلك، ولكن بكل تواضع ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ ونحوه قول الرسول ﷺ: **«مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»**(1) ونحوه قول يوسف ﷺ: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ [يوسف: ٩٠].

❁ ❁ ❁

س: لماذا وُصف هذا الكتاب بأنه كريم؟

ج: قيل: لأنه كان مختومًا.

وقيل: لأنه كان من ملك.

---

(1) البخاري (حديث رقم 7).

(528) أحمر
أسود

وقيل: لأنها قرأت فيه ما لم تقرأه في غيره ولمست فيه من التواضع والإخلاص لله ما لم تلمسه من غيره وما لم تقرأه في غيره.

قال القرطبي $:

وقيل: توهمت أنه كتاب جاء من السماء إذا كان الموصل طيرًا.

وقيل:

﴿ كَرِيمٍ﴾ حسن كقوله: ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧٤] أي: مجلس حسن، وقيل: وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله ٥ وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سبًّا ولا لعنًا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله ٥ ألا ترى إلى قول الله ٥ لنبيه ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها وقد روي أنه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان.

وقال $:

الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالأثير وبالمبرور فإن كان لملك قالوا: العزيز وأسقطوا الكريم غفلة وهو أفضلها خصلة فأما الوصف بالعزيز فقد وصف به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] فهذه عزته وليست لأحد إلا له فاجتنبوها في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية لحق الولاية وحياطة للديانة قاله القاضي أبو بكر ابن العربي.

(529) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما يدل على مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل.

ج: من ذلك قول سليمان عليه السلام في رسالته: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقول رسول الله ﷺ: **«بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»**(1). وكذا في اتفاقية رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو ففيها أن النبي ﷺ قال لعلي: **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم..»**(2).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – أن ملكة سبأ قالت لأشراف قومها ووجهاءهم مستشيرةً لهم ومستخبرة أمرهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾، أشيروا عليَّ في الأمر الذي قد حلَّ بي ووقع بي فإني ما كنت قاضية أمرًا، مُبرمة أمرًا كهذا الذي سأبرمه حتى تحضروا عندي وتشيروا عليَّ، فأجابوها بقولهم: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ أي: أقوياء وذوو شدة في الحروب، والأمر إليك، أمر القتال من عدمه موكول إليك وأنت مفوضةٌ فيه، فأمرينا فيه بما تريدي.

وبنحو هذا قال العلماء

---

(1) البخاري (مع الفتح 47/11)، ومسلم (103/12).
(2) مسلم (138/12) مع النووي، والبخاري (2731)، و(2732).

(530) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ تقول: أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إليّ، فجعلت المشورة فتيا.

وقوله: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ تقول: ما كنت قاضية أمرًا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: دعت قومها تشاورهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ يقول في الكلام: ما كنت لأقطع أمرًا دونك ولا كنت لأقضي أمرًا، فلذلك قالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ بمعنى: قاضية.

وقوله: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ؛ إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوّة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فَمُرينا نأتمر لأمرك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن ابن زيد: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ بعد هذا، ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾.

وقال ابن كثير $:

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ أي: حتى تحضرون وتشيرون.

﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: مَنُّوا إليها بعَدَدهم وعُدَدهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ أي: نحن

(531) أحمر
أسود

ليس لنا عاقة ولا بنا بأس، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا عاقة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطيعه.

قال الحسن البصري $: فوضوا أمرهم إلى عِلْجة تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سُخّر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا؛ ولهذا قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾ الملأ أشراف القوم وقد مضى في سورة (البقرة) القول فيه قال ابن عباس: كان معها ألف قَيْل، وقيل: اثنا عشر ألف قَيْل مع كل قَيْل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم فأخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض بقولها: ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة الآف.

وقال $ في تأويل قولهم:

﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة.

(532) أحمر
أسود

قال القرطبي $:

في هذه الآية دليل على صحة المشاورة وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في «آل عمران» إما استعانة بالآراء وإما مداراة للأولياء وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوّهم وحزمهم فيما يقيم أمرهم وإمضائهم على الطاعة لها بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوّها وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجَدُّهم كان ذلك عونًا لعدوهم عليهم وإن لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم وربما كان في استبدادها برأيها وَهْنٌ في طاعتها ودخيلة في تقدير أمرهم وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿ نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتدَّ ضم فخذيه فحبسه بقوته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ملكة سبأ لما وُكِّلَ إليها قومها وأشراف قومها الأمر بقولهم: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فبينت لهم حينئذٍ أحوال الملوك قائلة: إن الملوك إذا دخلوا قرية خربوها، وجعلوا العزيز

فيها ذليلًا، وجعلوا الحُر فيها مستعبدًا، وقتلوا وسفكوا الدماء وأسروا الأسارى، فقال الله لها مقرًّا على ما قالته: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملإ من قومها؛ إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿ أَفۡسَدُوهَا ﴾ يقول : خرّبوها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾ وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم; وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة.

قال الحافظ ابن كثير $:

قال ابن عباس: أي إذا دخلوا بلدًا عنْوَة أفسدوه، أي: خَرّبوه، ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ﴾ أي: وقصدوا مَنْ فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان؛ إما بالقتل أو بالأسر.

قال ابن عباس: قالت بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ﴾، قال الرب ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾، ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة، فقالت: ﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي: سأبعث إليه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكفُّ عنا، أو يضرب علينا خَرَاجًا نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا. قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس.

وقال القرطبي $:

(534) أحمر
أسود

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور فصدق الله قولها ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تامٌّ فقال الله ﷻ تحقيقًا لقولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ وشبيه به في سورة (الأعراف) ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩] تم الكلام فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ وقال ابن شجرة: هو قول بلقيس فالوقف ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أي: وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

ج: هذا قول ملكة سبإ لقومها بعد أن استشارتهم فوكلوا أمرهم إليها، فقالت: وإني مرسلة إليهم بهديةٍ فمنتظرة ردَّهم على تلك الهدية، إن قبلوها وكَفُّوا عنا فهذا الذي نريد، وإن ردُّوها فما أرى الرجل إلا نبيًّا يريد منا أن نتبعه على دينه، فلننتظر إذن ردُّ المرسلين الذي سنرسلهم وعلى إثر ذلك يأتي قرارنا، فكانت امرأة حكيمة عاقلة.

قال الطبري $:

ذكر أنها قالت: إني مرسلة إلى سليمان؛ لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبيّ؟ وقالت: إن يكن نبيًّا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكًا قبل الهدية وانصرف.

وقوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ تقول: فأنظر بأيّ شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي، أبقبول وانصراف عنا، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ هذا من حسن نظرها وتدبيرها أي: إني أجرب هذا الرجل بهدية وأعطيه فيها نفائس من الأموال وأغرب عليه بأمور المملكة: فإن كان ملكًا دنيويًّا أرضاه المال وعلمنا معه بحسب ذلك وإن كان نبيًّا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه.

وقال $:

قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ أي: منتظرة ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قال قتادة: يرحمها الله أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها قد علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس وسقطت الألف في (بم) للفرق بين (ما) الخبرية وقد يجوز إثباتها قال:

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

❁ ❁ ❁

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيء في وصف هذه الهدية التي أرسلتها ملكة سبإ إلى سليمان ؑ؟

ج: لم يرد في ذلك خبر صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد وردت أقوال لعدد من المفسرين في هذا الصدد، ذكر عددًا منها الطبري بأسانيد أغلبها ضعيف إلى قائليها.

وقال ابن كثير إجمالًا:

ذكر غير واحد من المفسرين، من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك. وقال بعضهم: أرسلت

(536) أحمر
أسود

إليه بلَبِنَة من ذهب. والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب.

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما: وأرسلت جوارٍ في زي الغلمان، وغلمان في زي الجواري، وقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي. قالوا: فأمرهم ﷺ أن يتوضؤوا، فجعلت الجارية تُفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف، فميزهم بذلك.

وقيل: بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها، والغلام بالعكس.

وقيل: بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلى مرافقهن، والغلمان من مرافقهم إلى أكفهم. ولا منافاة بين ذلك كله، والله أعلم.

وذكر بعضهم: أنها أرسلت إليه بقدح ليملأه ماء رواء، لا من السماء ولا من الأرض، فأجرى الخيل حتى عرقت، ثم ملأه من ذلك، وبخرزة وسلك فيجعله فيها، ففعل ذلك. والله أعلم أكان ذلك أم لا **وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات.** والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾.

قلت (مصطفى): ولا داعي للانشغال بصفة الهدية، فلا فائدة في ذلك فضلًا عن كون النبي ﷺ لم يذكر شيئًا في ذلك.

❁ ❁ ❁

س: لماذا ردَّ سليمان ﷺ الهدية؟

ج: ردَّها لأنها كانت رشوة عن الدين، أي: رشوة حتى يقبل بها دينهم الباطل. فلذا لم يقبلها ﷺ.

قال القرطبي $:

(537) أحمر
أسود

كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[1] ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان ع وسائر الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين- وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكًا أو نبيًّا؛ لأنه قال لها في كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية ولا يؤخذ عنه هدية وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال وهذا ما لم يكن من مشرك.

❁ ❁ ❁

باب في الهدايا وفضلها

س: اذكر بعض الوارد في فضل الهدية وشيئًا من فقهها.

ج: وها هي جملة نصوص عن رسول الله ﷺ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللكافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أو كراهيتها وكراهية قبولها. وبالله التوفيق.

* أخرج البخاري[2] رحمه الله تعالى من حديث عَائِشَةَ ف قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا[3].

* وفي «الصحيحين»[4] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ف قَالَ: كَانَ رَسُولُ

---

(1) وسيأتي إن شاء الله.

(2) أخرجه البخاري (حديث 2585)، وقد أعلَّه بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.

(3) معنى يثيب عليها أي: يجازي المهدي بهدية أيضًا.

(4) أخرجه البخاري (حديث 2576)، ومسلم (حديث 1077).

(538) أحمر
أسود

اللَّهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **«كُلُوا»** وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

الحثُّ على الهدية ولو بالقليل:

وحثَّ النبي ﷺ على الإهداء ولو بالقليل:

* فقال عليه الصلاة والسلام: **«يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا**(1) **وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»**(2). والفِرْسِنَ: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي ﷺ، حثَّ المرأة على الإهداء لجارتها والجود بما تيسر عندها وإن كان هذا المُهدى قليلًا فهو خير من العدم، وهو دليلٌ على المودة، وفي الحديث أيضًا حثٌّ للمهدى إليها على قبول الهدية وإن قلَّت الهدية فهي دليل على تقدير المهدية للمُهدى إليها.

* وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **«تَهَادُوا تَحَابُوا»**(3).

الحثُّ على قبول الهدية:

* وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»(4) بإسناد صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) عن النبي ﷺ قال: **«أَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ**(5) **وَلا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ»**.

---

(1) وقد تطلق الجارة على الضُّرة أحيانًا، وهي هنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضُّرة أيضًا، والله أعلم.

(2) أخرجه البخاري (2566) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(3) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث 594)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهده.

(4) البخاري في «الأدب المفرد» (حديث 157)، وأحمد في «المسند» (404/1)، وأبو يعلى (284/9)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (555/6).

(5) ذكر فريقٌ من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأقضية.

(539) أحمر
أسود

قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها:

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير:

* ففي «الصحيح»[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»**.

وَالْكُرَاع مِنَ الدَّابَّة: مَا دُون الْكَعْب.

قال الحافظ ابن حجر $[2]: وَخَصَّ الذِّرَاع وَالْكُرَاع بِالذِّكْرِ لِيَجْمَعَ بَيْن الْحَقِير وَالْخَطِير؛ لِأَنَّ الذِّرَاع كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرهَا وَالْكُرَاع لَا قِيمَة لَهُ.

إذا رددت الهدية فبين سبب ردِّها جبرًا للخاطر[3]**:**

وكذا إذا ردَّ هدية علَّل سبب الرد جبرًا لخاطر المُهدي:

* ففي «الصحيحين»[4] من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ ﷺ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّه عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: **«أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنا حُرُمٌ»**.

قال الحافظ ابن حجر $: وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبُول مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْهَدِيَّة.

أما عن قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم[5]**:**

وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين:

---

(1) البخاري (حديث 2568).
(2) «فتح الباري» (236/5).
(3) إذا كان الخاطر يُجبر بذلك؛ أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبين والله أعلم.
(4) أخرجه البخاري (حديث 2573)، ومسلم (حديث 1193).
(5) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل.

* ففي «الصحيح»[1] من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا.

* وفي «الصحيحين»[2] كذلك أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا.

* وَأَهْدَى أُكَيْدِرَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ إلى النبي ﷺ حُلَّةً[3].

* وانظر ترجمة مارية ﷺ (أم إبراهيم ﷺ وسرّية رسول الله ﷺ) في «الإصابة» فقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ.

* وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر وردَّ الله يده وكبته الله أهداها هذا الكافر هاجر ﷺ[4].

وكذلك فالإهداء للمشركين جائز:

قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

* وفي «الصحيحين» من حديث أَسْمَاءَ بِنت أَبِي بَكر ﷺ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُول الله ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: **«نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»**[5].

---

(1) البخاري (حديث 3161)، ومسلم (حديث 1392).

(2) البخاري (حديث 2617)، ومسلم (2190) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(3) البخاري معلقًا (2616)، ومسلم متصلًا (ص 1917) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(4) البخاري (2635) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ فَأَعْطَوْهَا آجَرَ فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللهَ كَبَتَ الْكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً؟!»** والحديث مطول في مواطن أخر من الصحيح.

(5) أخرجه البخاري (2620) (5978) وهناك قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ

* وَأَهْدَى عُمَرُ حُلَّةً لِأَخٍ لَهُ مُشْرِكٌ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ أَخُوهُ(1).

لكن إذا كان هذا الكافر سيتقوى بهذه الهدية على المسلمين ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذٍ لا يُهْدَى إليه، ولا كرامة.

* وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح(2) من طريق مُجَاهِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»**.

وهناك هدايا لا تُرد:

* منها: الطيب؛ ففي «صحيح البخاري»من حديث أَنَس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ.

* وصح عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ»**.

أما إذا كانت الهدية بمنزلة الرشوة فإنها تُرد كما فعل سليمان ﷺ، إذ كانت الهدية رشوة عن الدين كي تُقرَّ على عبادة الشمس.

وكذا فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذٍ.

وكذلك إذا كانت الهدية للأمراء والوزراء والمسئولين(3) كي

ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ...﴾ [الممتحنة: 8، 9]، وأخرجه مسلم (41/3).

(1) انظر البخاري (2619).

(2) الترمذي (حديث 1943)، وأبو داود (5152)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث 105).

(3) كالقضاة والشُّرط ونحوهم.

(542) أحمر
أسود

يعطوك شيئًا ليس من حقك أو يتجاوزوا لك عن شيء لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه فحينئذٍ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية، وقد استعمل النبي ﷺ لفظًا شديدًا في الزجر في هذا الباب:

* ففي «الصحيحين»(1) من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: «ابْنُ اللتْبِيَّةِ» عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. قَالَ: **«فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ - أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ- فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ،** - ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ-: **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»** ثَلَاثًا.

* ومن ثم روى البخاري معلقًا(2) عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانَتْ الْهَدِيَّةُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً وَالْيَوْمَ رِشْوَةٌ.

* وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»(3) بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: السُّحت الرشوة في الدِّين. قال سفيان: يعني الحكم.

---

(1) البخاري (حديث 2597)، ومسلم (1832).

(2) معلقًا (مع الفتح 260/5) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وَصَلَهُ ابْن سَعْد بِقِصَّةٍ فِيهِ، فَرَوَى مِنْ طَرِيق فُرَات بْن مُسْلِم قَالَ: اشْتَهَى عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز التُّفَّاح فَلَمْ يَجِدْ فِي بَيْته شَيْئًا يَشْتَرِي بِهِ، فَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَتَلَقَّاهُ غِلْمَان الدَّيْر بِأَطْبَاقِ تُفَّاح، فَتَنَاوَلَ وَاحِدَة فَشَمَّهَا ثُمَّ رَدَّ الْأَطْبَاق، فَقُلْت لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا حَاجَة لِي فِيهِ، فَقُلْت: أَلَمْ يَكُنْ رَسُول الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّة ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لِأُولَئِكَ هَدِيَّة وَهِيَ لِلْعُمَّالِ بَعْدهمْ رِشْوَة.

(3) عبد الرزاق (المصنف 14664)، وانظر «السنن الكبرى» للبيهقي (139/10).

(543) أحمر
أسود

* وأخرج أبو داود(1) وغيره بإسناد صحيح من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي».

وكذلك إذا كانت الهدية شيئًا مسروقًا أو شيئًا محرمًا فلا تقبل لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان.

* وفي «مسند الإمام أحمد»(2) أن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ صَحِبَ قَوْمًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَوَجَدَ مِنْهُمْ غَفْلَةً فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ فَجَاءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهَا.

* وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط، فإذا عرف من عادته هذا فلك – والله أعلم – أن تتوقف في قبول هديته.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وهذا في مثل هذا الموطن، في رجل يهدي وينتظر من المهدي إليه أضعاف ما يقدمه له.

---

(1) أخرجه أبو داود (3580)، والترمذي (مع التحفة 567/4)، وابن ماجه (775/2).
قال كثير من أهل العلم: إن الراشي هو معطي الرشوة والمرتشي هو آخذها والرائش هو الذي يسعى بينهما، وقالوا: الرشوة ما يُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به.
انظر ما ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذي» وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»، وكذلك الخطابي في «معالم السنن» وغيرهم.

(2) «المسند» (246/4) من طريق أبي معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن المغيرة بن شعبة به.
وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال، لكن للحديث شاهد في البخاري ففيه (2731، 2732)... وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: **«أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»**.

(544) أحمر
أسود

أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدَّين عليك، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي، اعتذارٍ لا يكسر له خاطرًا ولا يشوش عليه فكرًا.

وكذلك إذا كان المهدي منَّانًا يمنُّ بهديته ويتحدث بها فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف.

وكل هذا يقدر بقدره والأصل استحباب الهدية واستحباب قبولها والإثابة عليها.

وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخص سفيه يستعملها في معصية الله ﷻ وفي الفساد في الأرض، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وكذلك فأثناء هديتك انتبه هل ستُصْلِح في باب وتُفسد في باب آخر أم أن الهدية كلها خير، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد:

قال النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ﷺ(1): أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: **«فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»** قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

* وأخرج عبد الرزاق (2) بإسناد صحيح عن ابن عباس ﷺ قال: إذا

(1) أخرجه البخاري (2587)، ومسلم (حديث 1623).
(2) عبد الرزاق (المصنف 14650).

أسلفت رجلًا سلفًا، فلا تقبل منه هدية كُراع ولا عارية ركوب دابة.

* وأخرج أيضًا[1] من طريق سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنه كان لنا جار سمَّاك فأقرضته خمسين درهمًا، وكان يبعث إليَّ من سمكه، فقال ابن عباس: حاسبه، فإن كان فضلًا فرُدَّ عليه، وإن كان كفافًا فقاصصه.

* وأخرج أيضًا [2] بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دين فأكلت عليه فاحسبه له ما أكلت عنده، إلا أن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك.

وثمَّ جملة آثار أُخر في هذا الباب، وفي أسانيد كثير منها مقال[3].

* **قلت:** لكن إذا أقرضت رجلًا مبلغًا من المال وردَّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك فلا مانع من قبوله، وذلك لما في «الصحيحين»[4] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ[5] مِنَ الْإِبِلِ فَجَاءَه يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ ﷺ: **«أَعْطُوهُ»** فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا[6]، فَقَالَ: **«أَعْطُوهُ»** فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى الله بك، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»**.

وفي «الصحيحين»[7] أيضًا من حديث جَابِرٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ

---

(1) عبد الرزاق (المصنف 14651)، وهو صحيح أيضًا، وأخرجه البيهقي (350/5).
(2) عبد الرزاق (المصنف 14649).
(3) انظرها في «مصنف عبد الرزاق» (142/5)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (349/5).
(4) البخاري (حديث 2393)، ومسلم (حديث 1601).
(5) يعني جمل له سنٌّ معين.
(6) وفي رواية أخرى: لا نجد إلا سنًّا أفضل من سنِّه.
(7) البخاري (حديث 2394)، ومسلم (ص 1222، 1223).

(546) أحمر
أسود

وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِي وَزَادَنِي.

وأيضًا ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا فقد يقترض شخص من شخص مالًا ويحل وقت السداد ولا يطيق المدين السداد؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته وحتى يصبر عليه فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا، نعم إنه يجوز قبولها ما لم يشترط لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة.

وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري(1) $ من طريق أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيقًا وَتَمْرًا وَتَدْخُلَ فِي بَيْتٍ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ فِي أَرْضٍ الرِّبَا بِهَا فَاشٍ، إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَأَهْدَى إِلَيْكَ حِمْلَ تِبْنٍ أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ أَوْ حِمْلَ قَتٍّ فَلَا تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ رِبًا.

وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة، ومحل ذلك – كما هو معلوم- عند أمن الفتنة، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة، وتقع المرأة في قلب الرجل ويقع في قلبها ويحدث من وراء ذلك المحرم، فحينئذٍ تمنع الهدية لا لكونها حرامًا، ولكن سدًّا للذريعة الموصلة إلى الحرام فالله لا يحب الفساد.

ولا ينبغي أن تحرج أحدًا وتحمله على الإهداء لك، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدى، ولكن إن أهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة ولا إشراف نفس بورك لك فيه، ولتحرص على أن تكون نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك.

(1) البخاري (حديث 3814).

(547) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – فلما جاءت رسل ملكة سبأ إلى سليمان ﷺ بهداياها التي أرسلتها قال لهم سليمان ﷺ: أتمدونني بمالٍ فالذي أعطانيه الله ومنَّ عليَّ به من المال والدنيا خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون، ارجع إلى قومك فلنأتينهم بجنودٍ لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم من بلادهم أذلةً أشد الإذلال، مُهانون أشد الإهانة.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدونن بمال.

وقوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إليّ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكَّنني منها وملَّكني فيها ما لم يُمَلِّك أحدًا.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ وهذا قول سليمان لرسول المرأة: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم.

﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ يقول: ولنخرجنّ من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟!

(548) أحمر
أسود

﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، ﴿ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

قال الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، ف: أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا. وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد.

﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أي: بهديتهم، ﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم ، ﴿ وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ ﴾ أي : من بلدهم ، ﴿ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ أي : مهانون مدحورون.

فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان ﷺ قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسَرّه.

وقال القرطبي $: ومعنى أتمدونني أتزيدونني مالا إلى ما تشاهدونه من أموالي.

قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ أي: فما أعطاءء من الإسلام والملك والنُّبوَّة خير مما أعطاكم فلا أفرح بالمال و(**آتان**) وقعت في كل المصاحف بغير ياء وقرأ أبو عمرو ونافع و حفص: ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ بياء مفتوحة فإذا وقفوا حذفوا وأما يعقوب فإنه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقاء الساكنين والباقون بغير ياء في الحالين ﴿ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: هذا معناه - والله أعلم – أن سليمان غ قال لعَلَيَّة القوم الذين معه و لكبرائهم: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا سأل سليمان غ الملأ أن يأتوه بعرش ملكة سبأ قبل مجيئها مستسلمة مع قومها؟

ج: قال بعض العلماء: إنما قال ذلك حتى إذا أخذه قبل إسلامها لم يكن عليه جناح.

وقال آخرون: إنما أراد أن يختبرها به إذا جاءت.

وقال آخرون: إنما أخذه ليبين لها قدرة الله ﷻ على كل شيء.

قال الطبري $:

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصّ سليمان مساءلة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها، فقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته، وخشي أن تسلم فيحرُم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرُم عليه أخذه بإسلامها.

وقال آخرون: بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به، ويختبر به عقلها، هل تثبته إذا رأته، أم تنكره؟

قال القرطبي $:

واختلفوا في فائدة استدعاء عرشها فقال قتادة: ذكر له بعظم وجوده

(550) أحمر
أسود

فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم والإسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج. وقال ابن زيد: استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلًا على نبوته لأخذه من بيوتها دون جيش ولا حرب ولا ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ على هذا التأويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس. وقال ابن زيد أيضًا: أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال: ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ ﴾ وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان ﷺ فيولد له منها ولد فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان، فقالت لسليمان في عقلها خلل فأراد أن يمتحنها بعرشها(1) وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله: ﴿ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴾ قاله الطبري. وعن قتادة: أحب أن يراه لما وصفه الهدهد والقول الأول عليه أكثر العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ ولأنها لو أسلمت لحظر عليه مالها فلا يُؤتى به إلا بإذنها. روي أنه كان من فضة وذهب مرصعًا بالياقوت الأحمر والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق.

❁ ❁ ❁

س: متى قال سليمان للملإ: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾؟

ج: جمهور المفسرين على أن سليمان ﷺ قال ذلك بعد أن أتوه بالهدية وردَّها لهم.

وقال ابن عطية: وظاهر الآيات أن هذه المقالة من سليمان ﷺ بعد مجيء هديتها وردّه إياها، وبعثه الهدهد بالكتاب؛ وعلى هذا جمهور المتأولين.

---

(1) ولا دليل على هذا القول فيما أعلم.

(551) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن المراد قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، وذلك لأنهم إنما خرجوا من بلادهم متجهين إلى سليمان ﷺ، مستسلمين خاضعين لا عن رغبةٍ في الإسلام.

قال الطبري $:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فقال بعضهم: معناه: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملإ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا؛ ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين؛ لأن المرأة لم تأت سليمان؛ إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة

(552) أحمر
أسود

جرت بينهما ومساءلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن عِفريتًا من الجن، وهو المارد والداهية والرئيس فيهم: أنا أُحضر لك عرشها – سرير مُلكها – قبل أن تقوم من مقامك الذي أنت فيه، وقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمقام المقام الذي كان يجلس فيه للحكم، وزعم بعضهم أنه كان يمتد إلى نصف النهار، وليس على هذا دليل لا من كتاب ولا من سنةٍ صحيحة، أما قوله: ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ أي قادر على إحضاره، أمين على ما فيه.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنّ مارد قويّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت، وعفرية; فمن قال: عفرية، جمعه: عفاري; ومن قال: عفريت، جمعه: عفاريت.

وقوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا.

وكان فيما ذُكر قاعدًا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذُكِرَ أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار.

وقوله: ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه.

وقد قيل: أمين على فَرْج المرأة.

وقال القرطبي $:

(553) أحمر
أسود

والعفريت من الشياطين القوي المارد والتاء زائدة وقد قالوا: تعفرت الرجل إذا تخلق بخلق الأذاية.

(554) أحمر
أسود

صفات مستحبة في الأجير

س: يستحب لصاحب العمل أن يُراعي في الأجير الذي يستأجره أمرين، قوته وقدرته على العمل، والثاني الأمانة، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول العفريت الجني: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ فذكر مؤهلاته لذلك، وهي القوة والأمانة.

وقول بنت العبد الصالح لأبيه في شأن موسى ﷺ: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وقول الصديق يوسف ﷺ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فذكر الحفظ وهو مقتضى الأمانة، وذكر العلم بتدبير الأمور وهو من مقتضيات القوة. وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان ﷺ مُقدمًا عرضًا أسرع من العرض الذي ذكره عفريت من الجن، أن آتيك بسرير ملكها قبل أن يرتد إليك طرفك، أي: قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت، فارفع بصرك وانظر إلى نهاية بصرك فلن تغمض عينك من تعب بصرك إليَّ وهو حاضرٌ عندك قيل إنما من عينك. فوافق سليمان ﷺ على ذلك فإذا بسرير ملكها أمانة بين يديه فقال شاكرًا لله: هذا من فضل ربي ليختبرني أأشكره على نعمه أم أكفر نعمه عليَّ.

(555) أحمر
أسود

ثم قال مُذكرًا: ومن شكر فإنما يشكر لنفسه أي: أن فائدة الشكر عائدةٌ عليه هو لا على أحدٍ سواه، فإن الله غنيٌّ عن العباد، ولكن يُجازي الشكور.

قال سليمان: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: ومن جحد نعم الله عليه ولم يُقرَّ بها ولم يقدم لها شكرًا فإن ربي غني عنه كريم سبحانه، ومن كرمه تفضله على الخلق مع جحودهم نعمه ه وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلُغ طرفك مداه وغايته.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله: ﴿يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ﴾ يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيًا إلى أن يتناهى ما امتدَّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ﴾ لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعًا ﴿إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ من عند منتهاه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده. وفي الكلام متروك استُغنى بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به; فلما رآه سليمان مستقرًّا عنده.

وقال:

وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾ يقول: هذا البصر والتمكن والملك

(556) أحمر
أسود

والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله عليّ وعطائه الذي جاد به علي، ليبلوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أأشكر ذلك من فعله عليّ، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له.

وقد قيل: إن معناه: أأشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني.

وقوله: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه؛ لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خَلْقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضًا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعًا إلى نفسه، ولا دفع ضُرّ عنها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظَّها بخَس، والله غنيّ عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضرّه كفر من كفر به من خَلْقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

وقال ابن كثير $:

فلما عاين سليمان ومَلَؤه ذلك، ورآه مستقرًّا عنده ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ أي: هذا من نعم الله علي ﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ﴾ أي: ليختبرني، ﴿ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾، كقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]، وكقوله: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم: ٤٤].

وقوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، ﴿كَرِيمٌ﴾ أي: كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد، وهذا كما قال موسى: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ

حَمِيدٌ﴾.

[إبراهيم: ٨]

وفي صحيح مسلم: **«يقول الله تعالى: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم [ثم أوفيكم إياها] فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**(1).

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: ثابتًا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا النصر والتمكين من فضل ربي ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ قال الأخفش: المعنى لينظر ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ وقال غيره: معنى ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾: ليتعبدني وهو مجازٍ والأصل في الابتلاء الاختبار أي: ليختبرني أأشكر نعمته أم أكفرها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه؛ حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تُنال النعمة المفقودة ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ أي: عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل.

❁ ❁ ❁

الذي عنده علمٌ من الكتاب

س: مَنْ هذا الذي عنده علمٌ من الكتاب؟

ج: لم أقف على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ يبين فيه من هذا الذي

---

(1) مسلم (2577).

(558) أحمر
أسود

عنده علم من الكتاب.

والظاهر من الآية الكريمة أنه عالمٌ، شخصٌ من أهل العلم بالكتاب.

وإن كان أكثر أهل العلم على أنه رجلٌ من البشر علَّمه الله اسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قال القرطبي $:

أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل وكان صدِّيقًا يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

وهناك أقوالٌ أُخر في اسمه منها:

قول قتادة: أنه بليخا.

ومنها: أنه أسطوم.

وأقول أُخر غريبة: منها أنه سليمان غ نفسه، ومنها أنه الخضر وكل ذلك لا دليل عليه، والاجتزاء بما في كتاب الله أسلم والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ﴿عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؟

ج: قال أكثر المفسرين: إنه العلم باسم الله الأعظم.

❁ ❁ ❁

اسم الله الأعظم

س: ما اسم الله الأعظم؟

ج: لم أقف على دليلٍ ثابت في هذا عن رسول الله ﷺ، والأخبار المنقولة عنه - صلوات الله وسلامه عليه- في ذلك معلولة.

(559) أحمر
أسود

وقد قال الجمهور[1]: إنه لفظ الجلالة (الله) فلما اعترض عليهم في ذلك بأن كثيرًا من الناس يدعون بهذا الاسم ولا يستجاب لهم، أجيب بأنهم تخلفوا عن سائر شرائط الدعاء فلم يأتوا بها، فالله أعلم.

س: الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه أيضًا يكون بالسراء، وأهل الفهم يفهمون ذلك دلِّل على ذلك.

ج: نعم فإن الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه يكون بالسراء كذلك، وهكذا فهم نبي الله سليمان ﷺ لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

وقد قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن سليمان ﷺ قال لجنده وأتباعه: غيّروا لملكة سبإ سرير ملكها الذي آتيتموني به، زيدوا فيه أشياء، وأنقصوا منه أشياء حتى نرى مدى فهمها وذكائها وقوة عقلها، وذلك إذا اهتدت إلى معرفة عرشها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبإٍ، وقدمت هي عليه - لجنده: غيّروا لهذه المرأة سريرها.

---

(1) انظر حاشية رد المحتار (7/1)، والدعاء المأثور للطرطوسي (97)، وشرح مشكل الآثار (162/1)، والقرطبي (102/1) وغيرهم.

(560) أحمر
أسود

وقوله: ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ يقول: ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها.

وقيل: إن سليمان إنما نكَّر لها عرشها، وأمر بالصرح يعمل لها، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها، وأن رجلها كحافر حمار، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك.

وقال ابن كثير $:

لما جيء سليمان غ بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته؛ ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به، فقال: ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ أي غيروه قيل: جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وقيل: غير بزيادة أو نقصان. قال الفراء وغيره: إنما أمر بتنكيره لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئا فأراد أن يمتحنها وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد فيبقون مسخرين لآل سليمان أبدًا فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار فقال: ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ لنعرف عقلها وكان لسليمان ناصح من الجن فقال: كيف لي أن أرى قدميها من غير أن أسألها كشفها؟[1] فقال: أنا أجعل في هذا القصر ماء وأجعل فوق الماء زجاجًا تظن أنه ماء فترفع ثوبها فترى قدميها فهذا هو الصرح الذي أخبر الله تعالى عنه.

❁ ❁ ❁

(1) وليست هناك أسانيد ثابتة إلى رسول الله ﷺ بهذا والعلم عند الله.

(561) أحمر
أسود

س: قولـه تعـالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ مَـنْ قائلـه؟ بـيِّن ذلـك مـع إيضاح معناه.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلـك هـو سـليمان ﷺ وحاصـل معنـاه: أن سـليمان ﷺ يقول: وأوتينا العلم بقدرة الله ﷻ والعلم الذي علمنا الله إياه عمومًا مـن قبـل مجيء هذه المرأة وكنا مسلمين لله قبل مجيئها متدينين بدين الإسلام.

الثاني: أن قائلة ذلك هي المرأة، والمعنى: وأوتينا العلم بأنك نبيٌّ مـن قبل أن نرى هذه المعجزة التي ظهرت لنـا مـن نقـل عرشـنا إلـى بـلادك، وجئناك مستسلمين خاضعين.

وبنحو هذين القولين قال أهل العلم.

قال القرطبي $:

﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾ قيل: هو مـن قـول بلقـيس أي: أوتينـا العلـم بصـحة نبوة سـليمان مـن قبـل هـذه الآيـة فـي العـرش ﴿ وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ منقـادين لأمـره وقيل: هو من قول سليمان أي: أوتينا العلـم بقـدرة الله علـى مـا يشـاء مـن قبـل هـذه المـرة وقيـل: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ ﴾ بإسـلامها ومجيئهـا طـائعـة مـن قبـل مجيئها وقيل: هو من كلام قوم سليمان والله أعلم.

وسيأتي مزيدٌ عما قريب إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلـم -: أن ملكـة سـبإ لمـا جـاءت إلـى سـليمان ﷺ أطلعها سـليمان ﷺ علـى العـرش بعـد أن غيَّـر منـه بعـض الأشـياء، وزاد

ونقص، وقيل لها: أهكذا عرشك؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ قالت: كأنه هو شبهته به وهذا من وافر عقلها لم تنكر أن يكون عرشها، ولم تثبت يقينًا لكونه تركته وراءها في بلادها.

أما قول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ فللعلماء فيه قولان سبقت الإشارة إليهما، وهذا مزيد من أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبإٍ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ قالت وشبهته به: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: كان أبي يحدّثنا هذا الحديث كله، يعني حديث سليمان، وهذه المرأة ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ شكت.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل سليمان، وقال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لله من قبلها.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ يريد بلقيس ﴿ قِيلَ﴾ لها ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ شبهته به لأنها خلفته تحت الأغلاق فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها.

وقال ابن كثير $:

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: عرض عليها عرشها، وقد غُيِّرَ ونُكِّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لُبٌّ ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره

(563) أحمر
أسود

وصفاته، وإن غير وبدل ونكر، فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: يشبهه ويقاربه. وهذا غاية في الذكاء والحزم.

وقوله: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: قال مجاهد: سليمان يقوله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؟

ج: هذه تحتمل جملة من المعاني:

الأول: وهو الأظهر عندي والله أعلم.

أما (ما) اسم موصول بمعنى الذي، والمعنى إجمالًا ومنعتها الآلهة التي كانت تعبدها من دون الله ﷻ، منعتها من عبادة الله فقد كانت من قوم كافرين.

أي: ومنعها من الإيمان عبادتها للشمس.

أي: أن عبادتها وعبادة قومها للشمس جعلتها تنصرف عن عبادة الله وحده لا شريك له.

الثاني: أن الذي صدَّها هو سليمان عليه السلام والمعنى، وصدها، أي: ومنعها سليمان عليه السلام عن ما كانت تعبد من دون الله، أي: ومنعها سليمان عن عبادة غير الله، أي: عن عبادة الشمس فقد كانت من قومٍ كافرين.

الثالث: وصدها عن عبادة الله وحده لا شريك له كونها كانت من قومٍ كافرين، فصدوها عن عبادة الله بعبادتهم الشمس وجهلهم، وإلا فقد كانت موفورة العقل.

الرابع: وصدها الله ﷻ عن عبادة غيره بما أطلعها عليه من معالم قدرته ووحدانيته. والله أعلم.

(564) أحمر
أسود

وهذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبإ ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وأورد عن مجاهد بإسنادين قد يُحسنا قال: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ قال: كفرها بقضاء الله، صدها أن تهتدي للحق.

قال الطبري $:

ولو قيل: معنى ذلك: وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله، بمعنى: منعها وحال بينها وبينه، كان وجهًا حسنًا. ولو قيل أيضا: وصدّها الله ذلك بتوفيقها للإسلام، كان أيضًا وجهًا صحيحًا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكُسِرَت الألف من قوله: «إنها» على الابتداء. ومن تأوَّل قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ التأويل الذي تأولنا، كانت «ما»من قوله: ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ﴾ في موضع رُفِعَ بالصد؛ لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. ومَنْ تأوَّله على الوجهين الآخرين كانت «ما» في موضع نصب.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾: هذا من تمام كلام سليمان، غ -في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، رحمهما الله -أي: قال سليمان: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾، وهي كانت قد صدها، أي: منعها من عبادة الله وحده. ﴿ مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾. وهذا الذي قاله

مجاهد وسعيد حَسَنٌ، وقاله ابن جرير أيضًا.

ثم قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿ وَصَدَّهَا﴾ ضمير يعود إلى سليمان، أو إلى الله ۵ تقديره: ومنعها ﴿ مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: صدَّها عن عبادة غير الله ﴿ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.

قلت: ويؤيد قول مجاهد: أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح، كما سيأتي.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ الوقف على ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ حسن والمعنة: منعها من أن تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فـ(ما) في موضع رفع. النحاس: المعنى أي: صدها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تسلم ويجوز أن يكون (ما) في موضع نصب؛ ويكون التقدير: وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله أي حال بينها وبينه ويجوز أن يكون المعنى: وصدها أي منعها الله عن عبادتها غير فحذفت (عن) وتعدَّى الفعل نظيره: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه وأنشد سيبويه:

ونبئت عبد الله بالجوِّ أصبحت كرامًا مواليها لئيمًا صميمها

وزعم أن المعنى عنده نبئت عن عبد الله ﴿ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ قرأ سعيد ابن جبير: **(أنها)** بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لأنها ويجوز أن يكون بدلًا من (ما) فيكون في موضع رفع إن كانت (ما) فاعلة الصد والكسر على الاستئناف.

قال السعدي $:

(566) أحمر
أسود

قال الله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسًا من قوارير تجري تحته الأنهار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه قيل لملكة سبأ لما وصلت إلى سليمان ﷺ وحدَّثها ببعض ما ذُكر، قيل لها ادخلي الصرح، وهو المكان الرحيب الفسيح الذي يكون في البيت أو أمامه فلما رأته حسبته لجة بحر؛ إذ قد كان – على ما ذكر عدد من العلماء – ماءٌ يجري وفوقه زجاج – فلم تتفطن لوجود الزجاج لشفافيته الزائدة فرأت الماء فكشفت عن ساقيها، فقال لها سليمان ﷺ؛ إنه صرح مُمرد -مُصَنَّع من قوارير من زجاج- فما وسعها إلا الإقرار بالإسلام، والاعتراف بظلم النفس، فقالت معلنة عن إسلامها: ربِّ إني ظلمت نفسي بما صدر مني من عبادة الشمس من دون الله، وأسلمت مع سليمان ﷺ لله رب العالمين، وتدينت بدين الإسلام الذي

(567) أحمر
أسود

هو الطاعة والانقياد لله مع الإقرار له بالوحدانية فلا شريك له ولا ربِّ سواه.

قال الطبري $:

ذُكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبإ تريده، أمر الشياطين فبنوا له صرحًا، وهو كهيئة السطح من قوارير، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك.

قال الطبري $:

وقيل: إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله؛ لأن الجنّ خافت من سليمان أن يتزوّجها، فأرادوا أن يُزهِّدوه فيها، فقالوا: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجنّ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك.

وقال $:

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر، كشفت من ساقيها؛ لتخوضه إلى سليمان.

وقال $:

وقوله: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرّد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير.

وقوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ...﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالت المرأة صاحبة سبإ: ربِّ إني ظلمت نفسي في عبادتي

(568) أحمر
أسود

الشمس، وسجودي لما دونك ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ﴾ تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في: ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ قال: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ فعرفت أنها قد غلبت ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ وذلك أن سليمان ﷺ أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيما من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه. واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان ﷺ إلى اتخاذه، فقيل: إنه لما عزم على تزويجها واصطفائها لنفسه؛ ذكر له جمالها وحسنها، ولكن في ساقيها هُلْبٌ عظيم، ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة. فساءه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ -هذا قول محمد بن كعب القُرَظي، وغيره -فلما دخلت وكشفت عن ساقيها، رأى أحسن الناس وأحسنه قدمًا، ولكن رأى على رجليها شعرًا؛ لأنها ملكة ليس لها بعل فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل لها: الموسى؟ فقالت: لا أستطيع ذلك. وكره سليمان ذلك، وقال للجنّ: اصنعوا شيئًا غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النُّورَةَ. وكان أول من اتخذت له النّورَة(1).

❁ ❁ ❁

(1) وورد ذلك بأسانيد عن عددٍ من السلف لكن في جلِّها مقال، ولا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ.

(569) أحمر
أسود

س: اذكر مزيدًا من الأقوال في تفسير الصرح.

ج: قال القرطبي $:

وكان الصرح صحنًا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عمله ليريها مُلكًا أعظتم من ملكها قاله مجاهد وقال مجاهد: كان من قوارير خلفه ماء (حسبته لُجَّة) أي: ماء وقيل: الصرح القصر عن أبي عبيدة كما قال:

تحسب أعلامهن الصُّروحا

وقيل: الصرح: الصحن كما يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى أبو عبيدة في الغريب المصنف أن الصرح كل بناء عالٍ مرتفعٍ من الأرض وأن الممرد الطويل. النحاس: أصل هذا أنه يقال لكل بناء عمل عملًا واحدًا صرح من قولهم: لبن صريح إذا لم يشبه ماء ومن قولهم: صرح بالأمر ومنه: عربي صريح وقيل: عمله ليختبر قول الجن فيها إن أمها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب بن منبه. فلما رأت اللُّجة، فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق: وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأمر ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ فإذا هي أحسن الناس ساقًا سليمة مما قالت الجن غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها: ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ والممرد المحكوك المملس ومنه الأمرد وتمرد الرجل إذ أبطأ خروج لحيته بعد إدراكه قاله الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق عليها ورملة مرداء إذا كانت لا تنبت والممرد أيضًا المطول ومنه قيل للحصن: مارد. أبو صالح: طويل على هيئة النخلة.

وابن شجرة: واسع في طوله وعرضه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

أصل الصرح في كلام العرب: هو القصر، وكل بناء مرتفع، قال الله سبحانه وتعالى إخبارًا عن فرعون -لعنه الله -أنه قال لوزيره هامان: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ الآية [غافر: ٣٦، ٣٧]. والصرح: قصر في اليمن عالي البناء، والممرد أي: المبنى بناء محكمًا أملس ﴿مِّن قَوَارِيرَاْ﴾ أي: زجاج. وتمريد البناء تمليسه. ومارد: حصن بدومة الجندل.

والغرض أن سليمان ؑ اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة؛ ليُريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله – تعالى- وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعَرَفت أنه نبيٌّ كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله ﷻ وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا.

❁ ❁ ❁

شيء من ذكر نبي الله صالح ؑ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

(571) أحمر
أسود

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ
ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

[النمل: 45-53]

(572) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَرِيقَانِ - يَخْتَصِمُونَ - تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ - ٱطَّيَّرْنَا بِكَ - طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ - تُفْتَنُونَ - تِسْعَةُ رَهْطٍ - تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ - لَنُبَيِّتَنَّهُۥ - لِوَلِيِّهِۦ - مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ - وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا - عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ - خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَرِيقَانِ﴾	قسمان – فرقتان (مؤمنون وكافرون)
﴿يَخْتَصِمُونَ﴾	بينهما خصومة
﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾	تطلبون العقوبة وتستعجلون وقوعها بدلًا من طلبكم الرحمة والعفو والمغفرة من الله
﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾	تشاءمنا بك وبوجودك معنا (فمنذ أن رأيناك والمصائب تحل بنا)
﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾	ما حلّ بكم مقدَّرٌ عند الله – عذابكم مقدر من الله عليكم (بسبب كفركم)
﴿تُفْتَنُونَ﴾	تختبرون
﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾	تسعة أفراد
﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾	أقسم بعضهم لبعض بالله
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾	لنقتلنه ليلًا
﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾	لأقربائه وأولياء دمه وعصبته
﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾	وقت هلاكه وهلاك أهله

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾	دبروا تدبيرًا، تآمروا مؤامرةً
﴿عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾	نهاية أمر تدبيرهم – جزاء تآمرهم
﴿خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾	فارغة منهم، فقد أبيدوا وأهلكوا بسبب ظلمهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام فاستجاب له فريق منهم وعارضه آخرون، وتخاصم الفريقان وطلب فريق الكفار نزول العذاب عليهم مكذبين به منكرين وقوعه فقالوا مكذبين وبعد أن عقروا الناقة التي أيَّدَ الله بها نبيه صالحًا ﷺ: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، فقال لهم صالحٌ ﷺ: يا قوم لم تطلبون نزول العذاب وحلوله بكم ولا تسألون الله أن يرحمكم، هلا استغفرتم الله وتبتم إليه وسألتموه أن يرحمكم لعلكم ترحمون؟!!!

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلهًا غيره ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾ يقول: فلما أتاهم صالح داعيًا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، ففريق مصدّق صالحا مؤمن به، وفريق مكذّب به

(574) أحمر
أسود

كافر بما جاء به.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه: يا قوم لأيّ شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة.

وقوله: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح ﷺ حين بعثه الله إليهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾ قال مجاهد: مؤمن وكافر -كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[الأعراف: ٧٥، ٧٦]

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾، أي: لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؟ ولهذا قال: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ تقدم معناه ﴿فَإِذَا

هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قال مجاهد: أي: مؤمن وكافر قال: والخصومة ما قصَّه الله تعالى في قوله: ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الأعراف: ٧٥] إلى قوله: ﴿كَٰفِرُونَ ﴾ وقيل: تخاصمهم أن كل فرقة قالت: نحن على الحق دونكم.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ قال مجاهد: بالعذاب قبل الرحمة المعنى: لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب وقيل: أي: لم تفعلون ما تستحقون به العقاب لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: هلا تتوبون إلى الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لكي ترحموا وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن قوم صالح ﷺ لما دعاهم إلى الله ﷻ كذَّبوه وعارضوه، بل وتشاءموا بوجوده، فكلما حلَّت بهم مصيبة قالوا: إن المتسبب فيها صالح ﷺ ومن معه، كأنهم قالوا: منذ أن رأيناكم والمصائب تحلُّ بنا فقال لهم صالح ﷺ: بل الذي يقع بكم ويحلُّ بكم مقدرٌ من الله ﷻ عليكم، ولكنكم قوم تبتلون وتختبرون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم

(576) أحمر
أسود

المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم: ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أيّ ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب.

وقوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أتطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه؟ أم تعصونه فتعملون بخلافه، فيحلّ بكم عقابه؟

وقال ابن كثير $:

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ أي: ما رأينا على وجهك ووجوه مَنِ اتبعك خيرًا. وذلك أنهم -لشقائهم- كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه.

قال مجاهد: تشاءموا بهم. وهذا كما قال تعالى إخبارًا عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨] أي: بقضاء الله وقدره. وقال مخبرًا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس: ١٨، ١٩]. وقال هؤلاء: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: الله يجازيكم على ذلك ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ قال قتادة: تبتلون بالطاعة والمعصية.

والظاهر أن المراد بقوله: ﴿تُفۡتَنُونَ﴾ أي: تستدرجون فيما أنتم فيه من

الضلال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ أي تشاءمنا. والشؤم النحس. ولا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة. ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء ، أو يدفع مقدورا فقد جهل. وقال الشاعر :

طيرة الدهر لا ترد قضاء ... فاعذر الدهر لا تشبه بلوم

أي يوم يخصه بسعود ... والمنايا ينزلن في كل يوم

ليس يوم إلا وفيه سعود ... ونحوس تجري لقوم فقوم

وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة ، وكانت إذا أرادت سفرا نفرت طائرا ، فإذا طار يمنة سارت وتيمنت ، وإن طار شمالا رجعت وتشاءمت.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي مصائبكم. ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ أي تمتحنون. وقيل : تعذبون بذنوبكم.

وقال الشنقيطي$ (أضواء البيان):

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾، قال بعض العلماء: تختبرون. وقال بعضهم: تعذبون؛ كقوله: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وقد قدمنا أن أصل الفتنة في اللغة، وضع الذهب في النار ليختبر بالسبك أزائف هو أم خالص؟ وأنها أطلقت في القرآن على أربعة معانٍ:

الأول: إطلاقها على الإحراق بالنار؛ كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ

(578) أحمر
أسود

﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠]، أي: حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين، وقد اختاره بعض المحققين.

المعنى الثاني: إطلاق الفتنة على الاختبار، وهذا هو أكثرها استعمالاً؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

الثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة، ومن هنا أطلقت الفتنة على الكفر والضلال؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: لا يبقى شرك، وهذا التفسير الصحيح، دلَّ عليه الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقد دلَّ عليه قوله بعده في «البقرة»: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وفي «الأنفال»: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فإنه يوضح أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: لا يبقى شرك؛ لأن الدين لا يكون كله لله، ما دام في الأرض مشرك، كما ترى.

وأما السنة: ففي قوله ﷺ: **«أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»**، الحديث. فقد جعل ﷺ الغاية التي ينتهي إليها قتاله للناس، هي شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهو واضح في أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا يبقى شرك، فالآية والحديث كلاهما دال على أن الغاية التي ينتهي إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في الأرض شرك، إلا أنه تعالى في الآية عبر عن هذا المعنى بقوله: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وقد عبّر ﷺ عنه بقوله: **«حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»**، فالغاية في الآية والحديث واحدة في المعنى، كما ترى.

(579) أحمر
أسود

الرابع: هو إطلاق الفتنة على الحجة، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن حجتهم، كما قاله غير واحد، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم- إخبار عن مكر قوم صالح ﷺ بنبيهم، وكيف أن الله ﷻ قد انتقم منهم فقد كان في المدينة تسعة أشخاص تسعة نفر هم أكابر المجرمين فيها كثيرو الإفساد فيها بالكفر والظلم والدعوة إلى الكفر، وقد قيل: إنهم الذين حرضوا على قتل الناقة، الحاصل أن شأنهم الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح فكل عملهم فساد، فتآمر هؤلاء فيما بينهم واجتمعوا وأقسم بعضهم لبعض بالله لنقتلن صالحًا وأهله من الليل ثم إذا التقينا بأولياء الدم، أولياء صالح لنقولن لهم: ما حضرنا قتل أهله، ولا رأينا ذلك ولا نعلم عن ذلك شيئًا، وإننا لصادقون فيما نقوله لكم فنووا القتل، وعزموا على الكذب.

وبنحوه قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي حِجر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن

(580) أحمر
أسود

كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين؛ لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود.وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا.

وقوله: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يُفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون. تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضكم لبعض: لنبيتن صالحًا وأهله، فلنقتلنه، ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله.

وأورد الطبري[1] بإسناده إلى ابن إسحاق: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحًا، فإن كان صادقًا -يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث- عجلناه قبله، وإن كان كاذبًا نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلًا ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة؛ فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ نقول لوليه -وإنا لصادقون- أنا ما شهدنا مهلك أهله.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهمُّوا بقتل صالح أيضًا، بأن يبيتوه في أهله ليلًا فيقتلوه غيْلَة، ثم يقولوا

---

(1) وفي سنده إلى ابن إسحاق عند الطبري ضعف، ولكن بين ابن إسحاق والقصة بون شاسع.

(581) أحمر
أسود

لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي: مدينة ثمود، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ أي: تسعة نفر، ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم.

وقال القرطبي $:

وكانوا أهل كفر ومعاصٍ جمة، وجملة أمرهم أنهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط والجمع أرهط وأراهط قال:

يا بؤس للحرب التي وضعت أرهط فاستريحوا

وهؤلاء المذكورون كانوا أصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ودبَّر أهل الإجرام من قوم صالحٍ، وهم التسعة نفر، دبروا لصالح غ وأهله كي يقتلوه ويقتلوا أهله ودبَّر الله ٥ لهم ومكر بهم، فهم يرتبون لقتل صالحٍ ومن معه، وربي ٥ يستدرجهم من حيث لا يعلمون، فانظر بعين الاعتبار وبعين التفكر والتدبر إلى ماذا آل أمر هؤلاء وكيف كانت عاقبتهم، لقد دمرهم الله ٥ ودمر قومهم أجمعين، فها هي بيوتهم فارغةً منهم شاهدة على الدمار الذي حلَّ بهم وعلى النكال الذي نالهم والعذاب الذي أصابهم إن في ذلك لدلالة وعلامة

(582) أحمر
أسود

على قدرتنا وانتقامنا من أعدائنا، لدلالة لقوم يعلمون قدرتنا، ويعلمون وحدانيتنا وأنه لا شريك لنا في ملكنا، ثم يخبر تعالى عن مصير أهل الإيمان والتقوى، أهل التوحيد وطاعة الله فيقول تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ كانوا يتقون الشرك بالله، ويتقون عذاب الله وغضبه وعقابه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلًا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

وقد بيَّنا فيما مضى معنى: مكر الله، بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به، ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ قال: احتالوا لأمرهم، واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكرًا، ومكرنا بهم مكرًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا وشعرنا بمكرهم، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم، فبادروا الغار، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون

ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هنا، وأنجى الله صالحًا ومن معه.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحَذِّرْ قومك من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات.

وقوله: ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نبق منهم أحدًا.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم، ليس فيها منهم أحد، قد أهلكهم الله فأبادهم ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ يقول تعالى ذكره: بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله، وتكذيبهم رسولهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا، من قومك الذين يكذِّبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعِبرة.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود رسولنا صالحًا والمؤمنين به. ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: وكانوا يتقون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحًا الذي حلَّ بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك، عند إحلالنا عقوبتنا

(584) أحمر
أسود

بمشركي قومك من بين أظهرهم.

وذكر أن صالحًا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين.

وقال ابن كثير $:

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لما عقروا الناقة وقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث. وكان لصالح مسجد في الحجْر عند شعب هناك يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف، أي: غار هناك ليلًا فقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم. فبعث الله صخرة من الهضَب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، ولا يدرون ما فعل بقومهم. فعذب الله هؤلاء هاهنا، وهؤلاء هاهنا، وأنجى الله صالحًا ومن معه، ثم قرأ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي: فارغة ليس فيها أحد ﴿بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: كيف أنجى الله ﷻ صالحًا والمؤمنين معه من العذاب الذي أنزله على القوم الكافرين؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن صالحًا ﷺ خرج بمن آمن معه وتركوا البلاد فنزل بأهلها العذاب هذا، وقد ذكر البعض في كيفية الإنجاء

(585) أحمر
أسود

أقوالًا لا أعلم لها مستندًا صحيحًا، ولكن يقينًا فإن الله ﷻ أنجاهم.

قال القرطبي $:

قيل: آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل والباقون خرج بأبدانهم - في قول مقاتل وغيره - خراج مثل الحمص وكان في اليوم الأول أحمر ثم صار من الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد. قال مقاتل: فقعت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسُمِّيت حضرموت. قال الضحاك: ثم بنى الأربعة الآلاف مدينة يقال لها: حاضورا.

وكما أسلفت فليس لهذه الأقوال كبير مستندٍ ولكن الله أنجاهم كما أخبر على وجه الإجمال والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(586) أحمر
أسود

شيءٌ من ذِكر نبي الله لوط ﷺ

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل: 54-58].

(587) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ - تُبْصِرُونَ - لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ مِن دُونِ ٱلنِّسَآءِ - تَجْهَلُونَ - يَتَطَهَّرُونَ - قَدَّرْنَٰهَا - ٱلْغَٰبِرِينَ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا - فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	أتفعلون الفعلة الفاحشة
﴿تُبْصِرُونَ﴾	يرى بعضكم بعضًا أمام بعضكم- تعلمون أنها
﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ مِن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾	لتجامعون الرجال في أدبارهم بدلًا من النساء
﴿تَجْهَلُونَ﴾	تجهلون عاقبة أمركم – تفعلون فعل الجهلاء
﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾	يتنزهون عن أدبار الرجال – لا يأتون الرجال
﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾	كتبنا عليها
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب – الهالكين
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾	أرسلنا عليهم حجارةً
﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	فساء ذلك المطر من أُنذروا وحُذِّروا فلم يقبلوا ولم يحذروا، أي: فساءهم ذلك المطر وما سرهم وما فرحوا به بل كان نكدًا عليهم وكربا عليهم وبلاء

❁ ❁ ❁

(588) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: واذكر نبي الله لوطًا ﷺ إذ قال لقومه الذين كانوا يرتكبون الفواحش القذرة المستقذرة التي لم يسبقهم إليها أحدٌ، فقد كانوا يأتون الذكران من العالمين، كان الرجل يجامع الرجل، ويترك جماع النساء، كانوا يفعلون ذلك أمام بعضهم البعض، يُبصر بعضهم بعضًا وهم يفعلون تلك الفاحشة، يفعلونها وهم يعلمون أنها فاحشة، وأنهم لم يسبقهم بها أحدٌ، فقد كانوا أهل جهلٍ وغباء، يجهلون حتى الآداب والأخلاق، فضلًا عن جهلهم بشرائع الله واستخفافهم بها، يجهلون عقوبة من فعل ذلك ليس جهلًا عن قلة علم، بل جهل المستخف المستهزئ المنكر الجاحد، وإلا فقد حذرهم لوطٌ ﷺ أشد التحذير، ونصحهم أبلغ نُصح وذكَّرهم أجمل تذكير، ولكن ما انتفعوا بشيء من ذلك، فما كان جواب قومه إلا أن طالبوا بإخراجه وإخراج أهله من بلادهم لا لجرمٍ فعلوه، ولكن أخرجوهم لتطهرهم!!

أخرجوهم لبعدهم عن الفواحش؟!!

أخرجوهم لامتناعهم عن أدبار الرجال ومجامعة الرجال؟!!

فحقًّا إنها انتكاسات في الأفهام، وانتكاسات في الأخلاق فضلًا عن ضياع الدين وذهابه؛ إذ يريدون إخراج المتطهر من بينهم، وطرده من بينهم.

أصبح التطهر – في عُرْف قوم لوط – جريمة يستحق فاعلها الطرد من البلاد والإخراج منها.

فهكذا حين يُطمس على القلوب، يصبح الحق باطلًا في الأفهام ويصبح المنكر معروفًا في الأذهان، ويُطرد أهل الفضل والصلاح من البلاد، ويبقى الأشرار والأراذل وأهل الإجرام.

ولكن ربي بالمرصاد، بالمرصاد لكل من خالف شرعه وعاند رسله وكذبهم، ربي يكرم أولياءه وينتقم من أعدائه، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ فقد كانت خائنة له في دينها تدل أهل الشرك على خباياه، وعلى من آمن به فيسومونهم سوء العذاب، تدل على أضيافه إذا جاءه أضياف فلذا قدَّر الله عليها أن تكون من المعذبين، من الغابرين الباقين في العذاب الذي لحق بقوم لوط ألا وهو المطر ولكن أي مطر! إنها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك، كل حجر عليه اسم صاحبه، حجارة من سجيل منضود، بعد أن قلَّب الله قريتهم، بعد أن جعل عاليها سافلها، أمطر عليها حجارة من سجيل منضود، فساء هذا المطر وبئس هذا المطر الذي أُمطر على هؤلاء القوم الذين أُنذروا فلم ينتفعوا بالنذر ولم تغن عنهم النذر.

وبنحو ما ذُكِرَ قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطًا إلى قومه؛ إذ قال لهم: يا قوم ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة؛ لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾ منكم بذلك من دون

(590) أحمر
أسود

فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح. وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له؛ إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطًا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم، ثم ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن عبده لوط ﷺ، أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة، استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يرى بعضكم بعضًا، وتأتون في

ناديكم المنكر؟

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي: يتحرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم. فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط؛ ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها.

وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ ﴾ أي: حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد؛ ولهذا قال: ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: الذين قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وَهمُّوا بإخراجه من بينهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ أي: وأرسلنا لوطًا أو اذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهم أهل سدوهم وقال لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ الفعلة القبيحة الشنيعة ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة وذلك أعظم لذنوبكم وقيل: يأتي بعضكم بعضًا وأنتم تنظرون إليه وكانوا لا يستترون عتوًّا

(592) أحمر
أسود

منهم وتمردًا. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ إما أمر التحريم أو العقوبة واختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بألفين على الوجوه كلها؛ لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي: عن أدبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد. وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء. ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ وقرأ عاصم: **(قَدَّرْنَا)** مخففًا والمعنى واحد ويقال: قد قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته. قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: من أنذر فلم يقبل الإنذار.

❁ ❁ ❁

(593) أحمر
أسود

بعض الأدلة على وحدانية الله ٥

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

[النمل: 59-65]

(594) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱصۡطَفَىٰٓ - حَدَآئِقَ - ذَاتَ بَهۡجَةٖ - يَعۡدِلُونَ - قَرَارٗا - خِلَٰلَهَآ - رَوَٰسِيَ - حَاجِزٗا - ٱلۡمُضۡطَرَّ - وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ - خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ - تَذَكَّرُونَ - يَهۡدِيكُمۡ - بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ - تَعَٰلَى ٱللَّهُ - يَبۡدَؤُاْ - يُعِيدُهُۥ - بُرۡهَٰنَكُمۡ - ٱلۡغَيۡبَ - أَيَّانَ - أَدۡرَكَ - شَكّٖ - عَمُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾	اختار ووفق للإيمان، اختار للرسالة وللنبوة
﴿حَدَآئِقَ﴾	بساتين
﴿ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾	ذات منظر حسن بهيج يسر الناظرين
﴿يَعۡدِلُونَ﴾	يميلون عن عبادته إلى عبادة غيره – يُساوون بين الله وغيره
﴿قَرَارٗا﴾	مستقرة ساكنة
﴿خِلَٰلَهَآ﴾	بينها
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا
﴿حَاجِزٗا﴾	مانعًا من اختلاط العذب بالمالح
﴿ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾	الذي ألجأته الضرورة والحاجة وانقطع رجاؤه في الخلق ولم يعدله من ينتظر عنده الفرج إلا الله فلجأ
﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾	يعافي من البلاء – يصرف المكروه
﴿خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	يخلف بعضكم بعضًا – يأتي بعضكم خلفًا للآخر
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون وتعتبرون

(595) أحمر
أسود

﴿يَهْدِيكُمْ﴾	يرشدكم
﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾	مبشرات بالخير قبل نزول المطر
﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾	تعاظم الله وتنزَّه
﴿يَبْدَؤُا۟﴾	يخلق الخلق لأول مرة
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يبعثه يوم القيامة
﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾	حجتكم ودليلكم
﴿ٱلْغَيْبَ﴾	ما غاب عن البشر واستأثر الله ﷻ بعلمه كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾ الآية.
﴿أَيَّانَ﴾	متى
﴿ٱدَّٰرَكَ﴾	تتام وتكامل – تتابع وتوارد
﴿شَكٍّ﴾	ريب من وقوعها
﴿عَمُونَ﴾	العمه عمى القلب، والعمى عمى البصر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ﴿قُلِ﴾ (يا رسول الله) وكذا قل يا عبد الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه التي لا تُحصى، تلك النعم السابغة الظاهرة والباطنة وعلى آلائه التي لا تُعد.

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، وكذا الحمد لله على انتقامه من الظالمين كقوم لوط وثمود وغيرهم ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ وأمانٌ من الله ﷻ وسلامة لهم

(596) أحمر
أسود

من العذاب، سلام على هؤلاء المرسلين الذين اصطفاهم الله، أمانٌ عليهم فقد أمَّنهم الله وحفظهم، سلام على أمة محمد ﷺ أمان لها مما أصاب به ربنا قوم لوط الأشرار، سلام على أهل التوحيد، وقل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء: آلله خيرٌ وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ أم هذه الأوثان وتلك الأصنام والآلهة الباطلة وعبادتها والركوع لها والسجود؟!

فبلا شك أن الله ﷻ خير وبلا ريب ولا تردد فعبادة الله خير ولكن سلهم هذا السؤال على سبيل التوبيخ والتأنيب والتبكيت. والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفّقنا من الهداية، ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ يقول: وأمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط، وقوم صالح، على الذين اصطفاهم، يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدِّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه.

وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الذين زيَّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصَّها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها، ولا عن أوليائها سوءًا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرّ وله كل شيء؟ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم، وأياديه عندهم، وتعريفهم بقلة شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك،

فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على نعَمه على عباده، من النعم التي لا تعدُّ ولا تُحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العُلى والأسماء الحسنى، وأن يُسَلِّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام - عليهم من الله الصلاة والسلام - هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره: إن المراد بعباده الذين اصطفى: هم الأنبياء، قال: وهو كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وقال الثوري، والسدي: هم أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عباس.

ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميل أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار.

قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى.

ثم شرع تعالى يبين أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال الفراء: قال أهل

(598) أحمر
أسود

المعاني: قيل للوط: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على هلاكهم وخالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبة لنبينا محمد ﷺ أي: قل الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية. قال النحاس: وهذا أولى لأن القرآن مُنزَّل على النبي ﷺ وكل ما فيه فهو مخاطب به غ إلا ما لا يصح معناه إلا لغيره وقيل: المعنى أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ يعني: أمته غ قال الكلبي: اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس وسفيان: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: أمر رسول الله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرًا عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عِظة وفي مفتتح كل خُطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ اختار أي: لرسالته وهم الأنبياء ف ودليله قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨١].

❁ ❁ ❁

س: من هم العباد الذين اصطفاهم الله؟

ج: هؤلاء هم المرسلون، وكذا هم أمة محمد ﷺ وكذا السابقون من سائر الأمم.

(599) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن الأصنام ليس فيها خيرٌ على الإطلاق ولا في عبادتها أي خيرٌ، فكيف يوجه قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ؟

ج: هذا – والله أعلم- من باب أفعل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء.

كقوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤].

وليس في أصحاب النار خيرٌ.

وكقول الصحابيات لعمر ﷺ: «أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ»

وليس في رسول الله ﷺ أية فظاظة ولا أية غلظة.

هذا وقد قال القرطبي $:

(خير) ههنا ليس بمعنى أفضل منك وإنما هو مثل قول الشاعر:

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

فالمعنى: فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفداء ولا يجوز أن يكون بمعنى (من) لأنك إذا قلت: فلان شرٌّ من فلان ففي كل واحد منهما شرٌّ وقيل: المعنى: الخير في هذا أم في هذا الذي تشركونه في العبادة ! وحكى سيبويه: السعادة أحب إليك أم الشقاء وهو يعلم أن السعادة أحب إليه وقيل: هو على بابه من التفضيل والمعنى: الله خير أم ما تشكرون،

(600) أحمر
أسود

أي: أثوابه خير أم عقاب ما تشركون وقيل: قال لهم ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن في عبادة الأصنام خيرًا فخاطبهم الله ﷻ على اعتقادهم وقيل: اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أآلهتكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، ذلكم الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً يغيثكم به وينفعكم به ويحييكم به فأنبت به بساتين وحدائق ذات منظرٍ حسن بهيج ما كان بإمكانكم ولا باستطاعتكم أبدًا أن تنبتوا شجرها أمعبود يُعبد مع الله فعل هذا؟؟

كلا فلا معبود مع الله يقدر على فعل هذا، ولكنهم قوم ينصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، ويجعلون ربًّا لهم مع الله ﷻ يدعونه ويرجونه ويسألونه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قُريش: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: مطرًا، وقد يجوز أن يكون مريدًا به العيون التي فجَّرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ يعني: بالماء الذي أنزل من السماء ﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن

(601) أحمر
أسود

حديقة. وقوله: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ يقول: ذات منظر حسن. وقيل: ذات بالتوحيد. وقد قيل: حدائق، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد بيَّنت ذلك فيما مضى.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق؛ إذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك؛ لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء.

وقوله: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك، وأنزل من السماء الماء، فأنبت به لكم الحدائق؟ فقوله: ﴿أَإِلَهٌ﴾ مردود على تأويل: أمع الله إله، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: بل هؤلاء المشركون قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطإ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سُنة من مضى قبلهم من آبائهم.

وقال ابن كثير $:

فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: تلك السموات بارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة، والأرض باستفالها وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول، والفيافي والقفار، والأشجار والزروع، والثمار والبحور والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: جعله رزقا للعباد، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ

(602) أحمر
أسود

حَدَآئِقَ ﴾ أي: بساتين ﴿ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا ﴾ أي: منظر حسن وشكل بهي، ﴿كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ ﴾ أي: لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، المستقل بذلك المنفرد به، دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يُفرَدَ بالعبادة مَن هو المتفرد بالخلق والرزق؛ ولهذا قال: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: أإله مع الله يعبد. وقد تبين لكم، ولكل ذي لُبٍّ مما يعرفون به أيضًا أنه الخالق الرازق.

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا. وهو يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثَمَّ أحدٌ فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ ﴾ [النحل: ١٧].

وقوله هاهنا: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾: ﴿ أَمَّنۡ ﴾ في هذه الآيات تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كَمَنْ لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك، وقد قال: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

ثم قال في آخر الآية: ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ أي: يجعلون لله عدلًا ونظيرًا. وهكذا قال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] أي: أمن هو هكذا كَمَنْ ليس كذلك؟ ولهذا قال: ﴿ قُلۡ هَلۡ

يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٞ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: أمَنْ هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيره، كَمَنْ هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ قال أبو حاتم: تقديره آلهتكم خير أم من خلق السموات والأرض وقد تقدم ومعناه: قدر على خلقهن وقيل: المعنى أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله ٥ وعجز آلهتهم ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ الحديقة البستان الذي عليه حائط والبهجة المنظر الحسن. قال الفراء: الحديقة البستان المحظر عليه حائط وإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة: الحدائق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة والحسن يبهج به من رآه ﴿ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ ﴾ (ما) للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا أي: ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها؛ إذ هم عجزة عن مثلها لأن ذلك إخراج الشيء من العدم إلى الوجود.

ثم قال على جهة التوبيخ: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: هل معبود مع الله يعينه

(604) أحمر
أسود

علـى ذلـك؟ ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ بـالله غيـره وقيـل: ﴿يَعْدِلُونَ ﴾ عـن الحـق والقصد أي: يكفرون وقيل: (إله) مرفوع بـ(مع) تقدير ه: أمـع الله ويلكـم إله والوقف على (مع الله) حسن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: آلهتكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ﷻ وعبادتـه وحده لا شريك له ذلكم الله الـذي جعـل لكـم الأرض مسـتقرةً بكـم لا تميـد بكم بل ثابتة كي تسيروا عليها وتقضـوا عليهـا حـوائجكم، وجعـل خلالهـا أنهارًا وشقها فيها وجعلها جارية بما ينفع العباد، وكـذا جعـل فـي الأرض جبالًا رواسي هـي سـبب فـي اسـتقرارها وثباتهـا وكـذا جعـل بـين البحـر المالح والماء العذب حاجزًا يحجز هذا عن ذاك حتى لا يختلط بـه ويفسـد على الناس معايشهم، أمعبود مع الله ﷻ يفعل ذلك؟! كلا فلا معبـود مـع الله يفعل ذلك، ولكن أكثرهم جهلـة لا يعلمـون عظمـة الله ولا يعلمـون قـدره، ولا يقدرونه حق قدره ومن ثمَّ فلا يخلصون العبادة له وحده لا شـريك لـه لجهلهم قدره ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أعبادة ما تشركون أيهـا النـاس بـربكم خيـر وهـو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكـم قـرارًا تسـتقرون عليهـا لا تميـد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكـم ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ يقـول: بينهـا أنهـارًا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ وهـي ثوابـت الجبـال، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بـين العـذب والملـح، أن يفسـد

أحدهما صاحبه ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟

وقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه.

وقال ابن كثير $:

يقول: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا ﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾.

[غافر: ٦٤]

﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾ أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم؛ حيث ذرأهم من أرجاء الأرض، سَيَّرَ لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ ﴾ أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ ﴾ أي: جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا، أي: مانعًا يمنعها من الاختلاط؛ لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس. والمقصود

(606) أحمر
أسود

منها: أن تكون عذبة زلالًا تسقى الحيوان والنبات والثمار منها. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها: أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا؛ لئلا يفسد الهواء بريحها، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ ولهذا قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: فعل هذا؟ أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: في عبادتهم غيره.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي: مستقرًّا ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ أي: وسطها مثل: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ يعني: جبالًا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ مانعًا من قدرته لئلا يختلط الأُجاج بالعذاب. وقال ابن عباس: سلطانًا من قدرته فلا هذا يُغيِّر ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز: المنع ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟!! ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أآلهتكم التي جعلتموها ندًّا لله، وعبادتها خير أم الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له أم الله الذي يجيب من ألجأته الضرورة

والحاجة إليه، فالمضطر هو الذي انقطع وعجز عن كل الأسباب ولم يعد له في الدنيا بابٌ يلتمسه فكل الأبواب أغلقت في وجهه، فاتجه حينئذٍ إلى الله ﷻ يسأله ويرجوه أن يمنحه ويعطيه ويكشف عنه الضرَّ، آلله الذي يجيب المضطر ويكشف الضر، ويصرف السوء والمكروه، ويجعل الخلق خلفاء على هذه الأرض يخلف بعضهم بعضًا عليها، أمعبود معه؟؟ كلا فلا إله إلا الله ولا ربَّ سواه ولا معبود غيره، ولكن قلَّ اتعاظكم، وقلَّ من يتعظ منكم، وقلَّ من ينتفع بالذكرى منكم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ يقول: ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم. وقوله: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يقول: أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تَذَكُّرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

وقال ابن كثير $:

ينبه تعالى أنه هو المدعُو عند الشدائد، المرجُو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر

(608) أحمر
أسود

المضرورين سواه.

وقال $:

وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يُخْلِفُ قَرنًا لقرن قبلهم وخَلَفًا لسلف، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا كما قدمنا تقريره. وهكذا هذه الآية: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أمة بعد أمة، وجيلًا بعد جيل، وقومًا بعد قوم. ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضَهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب. ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدًا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، فكانت تضيق عليهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم، ويتضرر بعضهم ببعض. ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يُكَثِّرهم غاية الكثرة، ويذرأهم في الأرض، ويجعلهم قرونًا بعد قرون، وأممًا بعد أمم؛ حتى ينقضي الأجل وتفرغ البَشرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا، ثم يقيم القيامة، ويُوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: يقدر على ذلك، أو أإله مع الله يُعْبد، وقد علم أن الله هو المنفرد بفعل ذلك ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

(609) أحمر
أسود

وقال القرطبي $:

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وُجِدَ من مؤمن أو كافر طائع أو فاجر كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه.

ثم قال $:

فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لأنه منقطع عن الأهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه إلى مسعد ولا مُعين لغربته فتصدق ضرورته إلى المولى فيخلص إليه في اللجاء وهو المجيب للمضطر إذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته إلا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته وإياسه عن برّ ولده مع وجود أذيته فيسرع الحق إلى إجابته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: آلهتكم التي تعبدون من دون الله خيرٌ أم

(610) أحمر
أسود

الله ۵ الذي يهديكم إذا ضللتم في ظلمات البر والبحر، بما أودعه في الكون من آياته ودلالالته كالنجوم التي تهتدون بها كما قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ١٦] وبما رزقكم من الأفهام التي تهتدون بها.

وكذا الذي أرسل الرياح قبيل نزول المطر تبشركم بنزوله بعد أن يئستم من رحمة الله، أمعبود يفعل ذلك غير الله؟ كلا، بل الله يفعل ذلك وحده لا شريك له - تعالى الله عن شرككم علوًّا كبيرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فيهما الطريق، فأظلمت عليكم السبل فيهما؟

قوله: ﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ يقول: والذي يرسل الرياح نُشرًا لموتان الأرض بين يدي رحمته، يعني: قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض. وقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئًا من ذلك فتعبدوه من دونه، أو تشركوه في عبادتكم إياه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يقول: لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون.

وقال ابن كثير $:

يقول: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ الآية. [الأنعام: ٩٧]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ أي: بين يدي السحاب

(611) أحمر
أسود

الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدبين الأزلين القنطين، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ﴾ أي: يرشـدكم الطريـق ﴿ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ إذا سافرتم إلى البلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار وقيل: وجعل مفاوز البر التي لا أعلام لها ولجج البحار كأنها ظلمات لأنه ليس لها علم يهتدى به ومن يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته أي: قدام المطر باتفاق أهل التأويل ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يفعل ذلك ويعينه عليه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ من دونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: آلهتكم التي عبدتموها من دون الله خير؟ أم الله ﷻ الذي خلق الخَلْقِ لأول مرة، وقد اعترفتم بذلك وأقررتم به، أآلله الذي خلق الخَلْق لأول مرة، ثم يميتهم ثم يحييهم، والذي يرزقكم من السموات من غيث والأرض من نباتها وكنوزها أمعبود يفعل ذلك مع الله؟! كلا فلا ربَّ غيره ولا معبود سواه، فإن زعمتم أن معه إلهًا فهاتوا دليلكم وبرهانكم على هذا إن كنتم صادقين في دعواكم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض فينزل من

(612) أحمر
أسود

هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ سوى الله يفعل ذلك؟ وإن زعموا أن إلهًا غير الله يفعل ذلك أو شيئًا منه فـ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي: حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم. ومن التي في «أمَّن» و«ما» مبتدأ في قوله: أما يشركون، والآيات بعدها إلى قوله: ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

وقال ابن كثير $:

أي: هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق، ثم يعيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج : ١٢ ، ١٣] ، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: بما ينزل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢]، وقال: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ [الحديد: ٤]، فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزاهير، وغير ذلك من ألوان شتى، ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٤] ؛ ولهذا قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: فعل هذا؟ وعلى القول الآخر: يعبد؟ ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان، كما قال: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كانوا يقرون أنه الخالق الرازق

(613) أحمر
أسود

فألزمهم الإعادة أي: إذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الإعادة وهو أهون عليه ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ أي: حجتكم أن لي شريكًا أو حجتكم في أنه صنع أحد شيئا من هذه الأشياء غير الله ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله للسائلين عن الساعة – عن القيامة- متى هي؟ قل لهم: لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الذي استأثر الله بعلمه إلا الله، ومن ذلك الغيب وقت قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة إلا الله وما يشعر هؤلاء متى يبعثون من قبورهم، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة؟ ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة.

وأورد بسندٍ صحيح عن عائشة ڢ قالت: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي

(614) أحمر
أسود

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ (1).

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول معلمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله ۵ فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثقل علمها على أهل السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ قراءتان، وضحهما.

ج: القراءة الأولى: (أدرك).

والثانية: (ادَّارك).

قال الطبري $:

وقوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ بكسر اللام من «بل» وتشديد الدال من «ادراك »، بمعنى: بل تدارك علمهم أي: تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا، ثم أُدغمت

(1) مسلم (117).

التاء في الدال كما قيل: ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [التوبة: ٣٨] وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته.

وقرأته عامة قراء أهل مكة: **«بَلْ أدْرَك عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ»** بسكون الدال وفتح الألف، بمعنى: هل أدرك علمهم علم الآخرة؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾.

ج: أولًا:

تأويل الآية على قراءة من قرأ (ادارك) معناها بل تم علمهم بالساعة يوم القيامة، أما في الدنيا فقد كانوا متشككين في وقوعها، وفي عماية عنها وكانت قلوبهم في عمًى عنها.

أو بصياغة أُخرى: إن هؤلاء المنكرين للقيامة كَمُلَ علمهم بوقوعها يوم القيامة؛ حيث لا ينفعهم حينئذٍ علم، وقد كانوا في دنياهم في شك منها وارتياب، وكانت قلوبهم في عمًى عن وقوعها، وهم وإن كان علمهم تكامل في الآخرة إلا أن إيمانهم آنذاك لم ينفعهم.

هذا هو الوجه الأول: على قراءة من قرأ (ادارك).

والوجه الثاني: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة، فهذا يقول فيها قولًا وآخر يقول فيها قولًا، وهكذا تتابعت أقوالهم في شأنها هل هي كائنة أم لن تكون؟! وكلٌّ أدلى برأيه في ذلك، بل هم إجمالًا في شكٍّ من وقوعها وفي عماية عنها وعن العمل لها.

قال القرطبي $:

أصل: «آدَّارَكَ» تدارك؛ أدغمت الدال في التاء وجيء بألف الوصل؛

(616) أحمر
أسود

وفي معناه قولان: أحدهما: أن المعنى بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوا كل ما وُعِدوا به معاينة فتكامل علمهم به. والقول الآخر أن المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة؛ فقالوا تكون وقالوا لا تكون.

ثانيًا:

أما القراءة الثانية **(بل أدرك علمهم في الآخرة)** فمعناها قريب من المعنى الأول، وحاصله بل أدرك علمهم في الآخرة حقيقتها حين عاينوها وقد كانوا في الدنيا في شكٍّ منها، بل وقد كانت قلوبهم في عمًى عن وقوعها. ولكن لا ينفعهم علمهم بها في الآخرة.

والوجه الثاني في معناها على قراءة (أدرك) بمعنى تساوى علمهم في شأن الآخرة ألا وهو عدم المعرفة بوقتها.

قال ابن كثير $:

وقرأ آخرون: «بل أدرك علمهم»، أي: تساوى علمهم في ذلك، كما في الصحيح لمسلم: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة -: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟»** أي: تساوى في العجز عن دَرْك ذلك علم المسؤول والسائل.

وقوله: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ ﴾ عائد على الجنس، والمراد: الكافرون، كما قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾ [الكهف: ٤٨] أي: الكافرون منكم. وهكذا قال هاهنا: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ ﴾ أي: شاكُّون في وجودها ووقوعها، ﴿ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾ أي: في عمَاية وجهل كبير في أمرها وشأنها.

وقال القرطبي $:

القراءة الثانية فيها أيضًا قولان: أحدهما: أن معناه كَمُلَ في الآخرة

وهو مثل الأول. قال مجاهد: معناه يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الآخر: أنه على معنى الإنكار وهو مذهب أبي إسحاق واستدل على صحة هذا القول بأن بعده ﴿بَلۡ هُمۡ مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ أي: لم يدرك علمهم علم الآخرة وقيل: بل ضَلَّ وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم.

وقال الطبري $:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ **«بَلْ أدْرَكَ»** القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو أن معناه: إذا قرئ كذلك ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون، فلا ينفعهم علمهم به حينئذٍ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك، بل هم منها عمون.

وقال $:

وأما على قراءة من قرأه ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو أن يكون معنى بل: أم، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام كما قال الشاعر:

فَوَاللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَت ... أمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إليَّ حَبِيبُ

يعني بذلك بل كل إلي حبيب، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة يعني: تتابع علمهم في الآخرة أي: بعلم الآخرة أي: لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه.

(618) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ﴾ يقول: بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شكٍّ من قيامها، لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ يقول: بل هم من العلم بقيامها عمون.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، أي: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي: يعلمون في الآخرة علمًا كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾، أي: في دار الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علمًا كاملاً لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه منه البعث والجزاء.

وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية؛ لأن القرآن دلَّ عليه دلالة واضحة في آيات متعددة؛ كقوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، فقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾، بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا، أي: يوم القيامة، وهذا يوضح معنى قوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت، وقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، يوضح معنى قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾، لأن ضلالهم المبين اليوم، أي: في دار الدنيا، هو شكهم في الآخرة، وعماهم عنها؛ وكقوله تعالى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ

(619) أحمر
أسود

غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾ [ق: ٢٢]، أي: علمك اليوم بما كنت تنكره في الدنيا مما جاءتك به الرسل حديد، أي: قوي كامل.

❁ ❁ ❁

(620) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم
بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ
ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾
إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ
عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

[النمل: 67-81]

(621) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَمُخْرَجُونَ - أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ - عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ - ٱلْوَعْدُ - رَدِفَ لَكُم - تَسْتَعْجِلُونَ - تُكِنُّ - غَآئِبَةٍ - كِتَٰبٍ مُّبِينٍ - يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ - بِحُكْمِهِۦ - فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ - ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ - ٱلصُّمَّ - وَلَّوْا مُدْبِرِينَ - بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ - إِن تُسْمِعُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَمُخْرَجُونَ﴾	لمخرجون أحياءً من قبورنا يوم القيامة –
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	ما سطره الأولون الذين سبقونا من الخرافات والحكايات والقصص
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	نهاية أمر أهل الإجرام
﴿ٱلْوَعْدُ﴾	الوعد بالعذاب – ما تعدنا به من العذاب
﴿رَدِفَ لَكُم﴾	دنا واقترب
﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾	تطلبون وقوعه عاجلًا
﴿تُكِنُّ﴾	تُخفي
﴿غَآئِبَةٍ﴾	أي أمرٍ عائب
﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	المراد اللوح المحفوظ
﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	يخبرهم – يخبر بني إسرائيل بحقيقة الأمور التي يختلفون فيها
﴿بِحُكْمِهِۦ﴾	بعدله وقضائه

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	فاعتمد على الله
﴿ ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾	الحق الواضح الظاهر – الحق المظهر لمن تأمله أنه الحق الذي لا مرية فيه
﴿ ٱلصُّمَّ ﴾	الذين لا يسمعون
﴿ وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾	انصرفوا معرضين
﴿ وَمَا أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾	بموفق عُمي البصيرة وبمنقذهم من ضلالتهم
﴿ إِن تُسْمِعُ ﴾	ما تسمع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم –: وقال الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وعبدوا معه غيره، قالوا منكرين للبعث والثواب والعقاب، قالوا: إئذا كنا ترابًا بعد موتنا، وقد كان آباؤنا من قبل ترابًا كذلك أسنعود أحياءً ويعود آباؤنا أحياءً بعد الممات وبعد صيرورتنا إلى تراب؟ لقد وُعدنا هذا، لقد وعدتنا يا محمد بهذا من قبل مرات ومرات، وكذا وُعد آباؤنا بهذا من قبل مرات ومرات، ولم يتحقق شيءٌ من الذي وعدنا به نحن وآباؤنا فما هذا الذي ذكرتموه لنا إلا أساطير سطَّرها الأولون وخرافات كتبوها في كتبهم ليس لها في الواقع حقيقة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال الذين كفروا بالله: أئنا لمخرجون من قبورنا

أحياء، كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابًا قد بلينا؟ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ يقول: لقد وَعَدنا هذا من قبل محمد واعدون، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطَّر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن منكري البعث من المشركين: أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا ورفاتًا وترابًا ثم قال: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعًا.

وقولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: يعنون: ما هذا الوعد بإعادة الأبدان، ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: أخذه قوم عَمَّن قبلهم، مَنْ قبلهم يتلقاه بعضهم عن بعض، وليس له حقيقة.

قال الله تعالى مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد:

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث الجاحدين وحدانية الله، سيروا في الأرض أيها الناس فانظروا إلى مدائن قوم لوط، وإلى ديار عادٍ وثمود، وإلى القرى التي أبادها الله وأفناها ودمرها، تلك القرى التي قالت بنحو قولكم وكذَّبت كتكذيبكم،

(624) أحمر
أسود

انظروا كيف كان عقاب الله لهم واعتبروا بذلك، فمنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرقه الله ومنهم من أرسلنا عليهم الريح العقيم، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظُّلَّة، إلى غير ذلك من صور العذاب، فانظروا إليهم بعين الاعتبار والاتعاظ فلا تحزن يا رسول الله على قومك المكذبين لك فالله أعلم بهم، وهو ناصرك فلا تكن في حرج ولا في ضيق مما يخوفونك به، ومما يمكرون بك فيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخربها الله، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفَّت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم.

وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضيق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلًا بالسيف.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿سِيرُواْ﴾ في

بلاد الشام والحجاز واليمن ﴿ فَٱنظُرُواْ﴾ أي: بقلوبكم وبصائركم ﴿ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ المكذبين لرسلهم. ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: على كفار مكة إن لم يؤمنوا ﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ﴾ في حرج ﴿ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم.

وقال ابن كثير $:

﴿ قُلۡ﴾ يا محمد لهؤلاء: ﴿ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: المكذِّبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقَمُ الله وعذابه ونكاله، ونجَّى الله من بينهم رسله الكرام وَمَنِ اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته.

ثم قال تعالى مسليًا لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ أي: في كيدك ورَد ما جئت به، فإن الله مؤيدك وناصرك، ومظهرٌ دينك على مَنْ خالفه وعانده في المشارق والمغارب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم –: ويقولون: (أي: ويقول أهل الشرك والتكذيب بالبعث) متى هذا الوعد بقيام الساعة وبالثواب وبالعقاب إن كنتم صادقين يا أهل الإسلام في دعواكم إن الساعة قائمة؟! فقل لهؤلاء المنكرين المستعجلين للعذاب: عسى أن يكون قد اقترب العذاب الذي

(626) أحمر
أسود

تستعجلونه، فقوله: ﴿رَدِفَ﴾ بمعنى اقترب ودنا. والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك ﴿مَتَىٰ﴾ يكون ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدُناه من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تعدوننا به ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ يقول جل جلاله: قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقترب لكم ودنا ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من عذاب الله.

وقال الطبري أيضًا:

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ وكلام العرب المعروف: ردفه أمرٌ، وأردفه، كما يقال: تبعه وأتبعه، فقال بعض نحويي البصرة: أدخل اللام في ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخل اللام في ذلك للمعنى؛ لأن معناه: دنا لهم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَها الحَاجَاتُ يَطْرَحْنَ بالفَتى

فأدخل الباء في يطرحن، وإنما يقال طرحته؛ لأن معنى الطرح: الرمي، فأدخل الباء للمعنى؛ إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى، وهذا القول الثاني هو أولاهما عندي بالصواب، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين، في سؤالهم عن يوم القيامة

(627) أحمر
أسود

واستبعادهم وقوع ذلك: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال الله مجيبًا لهم: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾. [قال ابن عباس أن يكون قرب -أو: أن يقرب -لكم بعض الذي تستعجلون]. وهكذا قال مجاهد، والضحاك، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي.

وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١]، وقال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وإنما دخلت «اللام» في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ ؛ لأنه ضُمن معنى «عَجِل لكم» كما قال مجاهد في رواية عنه: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: عجل لكم.

وقال القرطبي $:

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ من العذاب فكان ذلك يوم بدر. وقيل: عذاب القبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وإن ربك لذو نعم على الناس؛ إذ يؤخر عنهم العذاب والعقاب كي يتوبوا، ونعمه عليهم لا تحصى ويرزقهم مع عصيانهم له ولكن أكثر الناس لا يقدمون لذلك شكرًا، وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدورهم، وما يظهرونه من الأقوال والأعمال وكل شيء ربي به عليم.

قال الطبري $:

(628) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانًا وبالإساءة جزاءها.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في إسباغه نعمَه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم السرائر والضمائر، كما يعلم الظواهر، ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما من أمرٍ غائب عن الناس عن علمهم وعن أعينهم وعن حواسهم، أي أمر كان في السماء والأرض، إلا وعلمه عند الله ﷻ في كتاب مبين لمن نظر فيه أن الله يعلم ذلك تمام العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا مِنْ﴾ مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو أم الكتاب الذي أثبت ربُّنا فيه كلّ ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: ﴿ مُبِينٍ﴾ أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه.

وقال ابن كثير $:

ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه - فقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يعني: وما من شيء، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قال الحسن: الغائبة هنا القيامة وقيل: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض حكاه النقاش. وقال ابن شجرة: الغائبة هنا جميع ما أخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عامٌّ وإنما دخلت الهاء في ﴿غَائِبَةٍ﴾ إشارة إلى الجمع أي: ما من خصلة غائبة عن الخَلْق إلا والله عالم بها قد أثبتها في أمِّ الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرُّ هؤلا ء وما يعلنونه وقيل: أي كل شيء هو مثبت في أُمِّ الكتاب يخرجه للأجل المؤجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له أجل مضروب لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ أثبت الله فيه ما أراد ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته.

(630) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ .

ج: المعنى – والله أعلم-: إن هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله يقص القصص الحق في أكثر المسائل التي يختلف فيها الإسرائيليون، وذلك أنهم اختلفوا فيما بينهم في مسائل كثيرة فنزل كتاب الله ﷻ ببيان وجوه الحق والصواب فيها كاختلافهم الشديد المتباين في شأن عيسى عليه السلام؛ إذ اتهمته اليهود بأشد الاتهامات وكذا اتهموا أمه بأشد الاتهامات، وهما بريئان من تلك التهم، وغالت فيه النصارى أشد الغلو فأنزلوه منزلة الإله ونسبوه إلى الله يعنون بذلك أنه ابنٌ لله ﷻ وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إلى غير ذلك من صور الاختلافات التي جرت بين الإسرائيليين فنزل القرآن بالفصل فيها.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني إسرائيل الحق، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقصُّ عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبينات والفرقان: إنه يقصُّ على بني إسرائيل -وهم حملة التوراة والإنجيل -﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غَلَوا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام- كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضًا فنزلت والمعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام.

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ولم يقل كل الذي فيه يختلفون؟

ج: ذلك – والله أعلم – سترًا عليهم ولعدم فضيحتهم، فقد اختلفوا في أمور لو ظهرت الحقائق فيها لكان في ذلك فضيحة عظيمة لهم فهنالك أمور فعلوها فمسخوا قردة وخنازير، وأمور أُخر لم تُذكر سترًا عليهم كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. أي ويستر على

(632) أحمر
أسود

كثير لا يخبركم به.

هـذا، وثـمَّ توجيـه آخـر لقولـه: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ حاصـله أن هناك مسائل يختلفون فيها تنطعًا وجدالًا لا تستحق أن تُذكر فأهمل ذكرها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وإن هذا القرآن لدلالة على الحق لأهل الإيمان، يدلهم على الحق والخير وطريق الجنان، ويوفقون بسببه لسلوك هذا الطريق المستقيم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لهُدًى، يقول: لبيان من الله، يبين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصّت الهداية بالمؤمنين؟

ج: لأنهم هم المنتفعون به الذين قبلوا هذا القرآن واستفادوا منه واهتدوا بهديه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: إن ربك يفصل بينهم ويحكم بينهم بحكمه الذي لا يظلم فيه ولا يجور، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

يوم القيامة ويظهر المحق من المبطل، وكذا قيل يقص بينهم في الدنيا فيظهر ما حرَّفوه، وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يرد أمره ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه شيء.

قال الطبري $:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه، ﴿ ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- فاعتمد في شؤونك كلها على الله ﷻ وفوّض أمورك إليه ولا تتشكك فيما أنت عليه فإنك على الحق الواضح الجلي، المظهر لمن تأمله أنك على الحق بلا ريب ولا امتراء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ففوّض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك. ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ لمن تأمَّله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ما عليه اليهود والنصارى، المختلفون

(634) أحمر
أسود

من بني إسرائيل، ودون ما عليه أهل الأوثان، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به.

وقال ابن كثير $:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمورك، وبَلِّغ رسالة ربك ، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: أنت على الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك، مِمَّنْ كتبت عليه الشقاوة وحَقَّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فوض إليه أمرك واعتمد عليه فإنه ناصرك ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ أي: الظاهر وقيل: المظهر لمن تدبر وجه الصواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: توكل على الله يا رسول الله وفوض أمرك إليه ﷺ فإنه ناصرك ومعينك ولا تحزن على تكذيب هؤلاء المشركين واليهود لك فإنك على الحق المبين ولن يهتدي بما جئت به أهل الكفر الذين كُتِبَت عليهم الشقاوة فإنهم موتى القلوب فلن ينتفعوا بمواعظك وبما تلقينه عليهم وتذكرهم به، وفضلًا عن كونهم موتى القلوب فإنهم لا يُقبلون على هذا القرآن بل ينصرفون عنه فارّين هاربين، فكيف تسمعهم وهم موتى

(635) أحمر
أسود

وكيف تسمعهم وقد انصرفوا هاربين مدبرين مع موات قلوبهم كذلك، وكذا لن تستطيع هداية الأعمى الذي سلك طريق الضلال والبعد عن الحق إنما تسمع فقط من آمن بهذا القرآن وصدق أنه من عند الله ﷻ، وأقبل على هذا القرآن يستنير بنوره ويهتدي بهداه فهؤلاء هم المسلمون الذين تدينوا بدين الإسلام وعملوا بتعاليمه، هم كذلك المستسلمون الخاضعون لأمر الله ﷻ المنتهون عما نهاهم عنه.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته؛ لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة رَيْن الكفر على قلوبهم، ولا يُصغون للحقّ، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له.

وقال $:

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَٰدِى﴾ من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد. وقوله: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول: ما تقدر أن تُفهم الحق وتوعيه أحدًا إلا سمع من يصدق بآياتنا، يعني: بأدلته وحججه وآي تنزيله ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه، ويفكرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون.

وقال القرطبي $:

(636) أحمر
أسود

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يعني: الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتي لا حس لهم ولا عقل وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولو ا كأنهم لا يسمعون نظيره: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨] كما تقدم وقرأ ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن أبي إسحاق وعباس عن أبي عمرو: **(ولا يسمع)** بفتح الياء والميم (الصم) رفعًا على الفاعل الباقون ﴿تُسْمِعُ﴾ مضارع أسمعت ﴿ٱلصُّمَّ﴾ نصبًا.

وقال ابن كثير $:

ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾أي: لا تسمعهم شيئًا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذنهم وقر الكفر ولهذا قال: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾: إنما يستجيب لك مَنْ هو سميع بصير، السمع والبصر النافعُ في القلب والبصيرة الخاضع لله، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل **ق**.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان):

ومن الآيات النازلة تسلية له ﷺ، قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، أي: لا تسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعني: ما تسمع إسماع هدى وقبول، إلا من هديناهم للإيمان بآياتنا ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

والآيات الدالَّة على هذا المعنى كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ﴾ الآية. [النحل: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى

(637) أحمر
أسود

ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ الآية. [المائدة: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ولو كان معنى الآية وما شابهها: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، أي: الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له ﷺ، كما ترى.

❁ ❁ ❁

(638) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا
جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ
ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ
ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ
مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ
أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٩٣﴾ ﴾ [النمل: 82-93].

(639) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ - لَا يُوقِنُونَ - نَحْشُرُ - فَوْجًا - يُوزَعُونَ - لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ - ٱلصُّورِ - دَٰخِرِينَ - جَامِدَةً - تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ - أَتْقَنَ - بِٱلْحَسَنَةِ - فَزَعٍ - بِٱلسَّيِّئَةِ - فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ - ٱلْبَلْدَةِ - حَرَّمَهَا - أَتْلُوَا۟ - ٱلْمُنذِرِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾	وجب عليهم العذاب –انتهى أمرهم فلم يعد يقبل من الناس إيمان
﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بالبعث
﴿نَحْشُرُ﴾	نجمع
﴿فَوْجًا﴾	جماعة
﴿يُوزَعُونَ﴾	يرد أولهم على آخرهم ويساق آخرهم حتى يلحق بأولهم
﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾	ليناموا فيه – ليستريحوا فيه
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرنٌ ينفخ فيه
﴿دَٰخِرِينَ﴾	أذلاء
﴿جَامِدَةً﴾	قائمة
﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾	تسير كما يسير السحاب
﴿أَتْقَنَ﴾	أحكم
﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾	بـ لا إله إلا الله

(640) أحمر
أسود

﴿فَزَعٍ﴾	خوفٍ
﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾	بالشرك
﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾	طُرحت وجوههم – طُرحوا على وجوههم
﴿ٱلۡبَلۡدَةِ﴾	المراد بها مكة
﴿حَرَّمَهَا﴾	جعلها حرامًا لا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها ولا يُختلى خلاها.. إلى آخر ما يخص مكة لكونها حرم
﴿أَتۡلُوَاْ﴾	اقرأ – اتبع
﴿ٱلۡمُنذِرِينَ﴾	المبلغين عن الله المُحذرين من عقابه وناره

❁ ❁ ❁

(641) أحمر
أسود

دابة الأرض وشيءٌ من الوارد في شأنها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: إذا وجب عليهم العذاب.

الثاني: إذا انتهى أمر إيمان الناس ولن يؤمن إلا مَنْ قد آمن، أي: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون.

الثالث: إذا وجب عليهم الغضب.

*** أما متى تخرج دابة الأرض هذه،** فقد قال عدد من العلماء: إن خروجها من أشراط الساعة الكبرى، أي: أن خروجها قبيل قيام الساعة.

وقد قيل إن ذلك حين ينتهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما من أي مكان تخرج: فلم أقف في ذلك على خبرٍ ثابت عن رسول الله ﷺ، وإن كان كثير من المفسرين ذكروا أنها تخرج من مكة، وقال بعضهم: من جبل الصفا بمكة على وجه الخصوص.

أما عن صفة هذه الدابة: فلم أقف فيها على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ أي: تنطق وتكلمهم كلامًا، وقد قيل أن تقول للمؤمن: يا مؤمن، وللكافر: يا كافر.

أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

(642) أحمر
أسود

أحدها: تكلمهم تخبرهم بأن أهل الكفر كانوا لا يوقنون بالقرآن ولا برسالة رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام.

الثاني: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم.

وقيل: تكلمهم. تقول لهم: إن الناس كانوا بخروجي لا يوقنون.

وقيل: تكلمهم. تجرجرهم وتسمهم على وجوههم. والله أعلم

قال السعدي $:

أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته.

﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ﴾ خارجة ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء.

وهذه الدابة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين وحجة على المعاندين.

❁ ❁ ❁

(643) أحمر
أسود

باب في ذكر الدابة من الآيات والأحاديث

س: اذكر بعض الوارد في ذكر الدابة وخروجها.

ج: من ذلك ما يلي:

قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

ومن ذلك أيضًا ما يلي: ما أخرجه مسلم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ(1): حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»**.

وعند مسلم أيضًا من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ. فَقَالَ: **«مَا تَذَاكَرُونَ؟»** قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»** فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَ...

وعند مسلم أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا...، أَوِ الدَّابَّةَ..»** (2).

هذا وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث ضعيفة، منها:

ما أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (1069) عن طَلْحَةَ بْنِ

---

(1) أخرجه مسلم (2941)، وأبو داود (4310) وغيرهما.

(2) قال الحافظ ابن كثير $ (374/3): (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض. قيل: من مكة، وقيل من غيرها).

(644) أحمر
أسود

عَمْرٍو، وَجَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ طَلْحَةُ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيِّ أَبِي سَرِيحَةَ، وَأَمَّا جَرِيرٌ، فَقَالَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَير، عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَحَدِيثُ طَلْحَةَ أَتَمُّهَا وَأَحْسَنُهَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّابَّةَ، فَقَالَ: **«لَهَا ثَلاَثُ خَرَجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ: فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ ولَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ** - يَعْنِي مَكَّةَ- **ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلاً، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ** -يَعْنِي: مَكَّةَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللَّهِ حُرْمَةً، خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلاَّ وَهِيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَارْفَضَّ النَّاسُ مَعَهَا شَتَّى وَمَعًا، وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعجِزُوا اللَّهَ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى تَجْعَلَهَا كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ الدُّرِّي، وَوَلَّتْ فِي الأَرْضِ لاَ يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلاَةِ، فَتَأْتِيَهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَتَقُولُ: يَا فُلاَنُ يَا فُلاَنُ الْآنَ تُصَلِّي، فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الأَمْوَالِ، وَيَصْطَبِحُونَ فِي الأَمْصَارِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ، يَقُولُ: يَا كَافِرُ، أَقْضِنِي حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ، يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! أَقْضِنِي حَقِّي»**.

قلت: وهذا إسناده ضعيف جدًّا، فيه ثلاث علل:

العلة الأولى: طلحة بن عمرو، وهو: ابن عثمان الحضرمي المكي، وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه.

(645) أحمر
أسود

العلة الثانية: كون جرير (وهو أثبت بلا شك من طلحة) روى الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود وهذا الرجل مبهم.

العلة الثالثة: كون الحديث روي موقوفًا ببعضه عند ابن جرير الطبري في «التفسير» (11/10).

حديث آخر ضعيف:

قال ابن جرير الطبري (11/20): حدثنا عصام بن روَّاد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حُذيفة: قلت: يا رسول الله! من أين تخرج؟ قال: **«مِنْ أَعْظَمِ المَساجِدِ حُرْمَةً عَلى اللهِ، بَيْنَما عِيسَى يَطُوفُ بالبَيْتِ وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ؛ إذْ تَضْطَرِبُ الأرْضُ تحْتَهُمْ، تُحَرِّكُ القِنْدِيلِ، وَيَنْشَقُ الصَّفا ممَّا يَلي المَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أوَّلُ ما يَبْدُو رأْسُها، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيشٍ، لَمْ يُدْرِكْها طالبٌ، وَلَنْ يَفُوتَها هاربٌ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وكافِرٌ، أمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيّ، وتَكْتُبُ بينَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وأمَّا الكافِرُ فَتَنْكُتُ بينَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء كافِرٌ»**.

قلتُ: وآفة هذا الحديث «عصام بن رواد» ضعيف.

وأيضًا: أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف.

وقد روى بنحو هذا الإسناد، استعجبه أهلُ العلم واستنكروه، ولأنه في باب الفتن، فنورده مع التنبيه على أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله

(646) أحمر
أسود

ﷺ.

قال ابن جرير الطبري $ («التفسير» 22/72-73) آخر تفسير سورة سبأ: حدثنا عصام بن روَّاد بن الجراح قال: ثنا أَبي قال: ثنا سفيان بن سعيد قال: ثني منصور بن المعتمرِ عن رِبْعيِّ بن حِراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: **فبينما هم كذلك؛ إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشًا إلى المشرق، وجيشًا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل! اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبإ:** ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ...﴾ [سبأ: ٥١] الآية، **ولا ينفلت منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جُهينة، فلذلك جاء القول: وَعِنْدَ جُهَينَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ».**

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: سألت رواد بن الجراح، عن هذا الحديث الذي حدَّث به عنه، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن

(647) أحمر
أسود

ربعى عن حذيفة، عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا قلت: فقرئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا قلت: فما قصته فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرؤوه عليَّ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني، أو كلام هذا معناه.

قلت (القائل مصطفى): فهذا مما يؤيد ضعف رواية رواد عن سفيان. والله أعلم.

وأخرج ابن جرير الطبري أيضًا من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ومَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ المُؤْمِنِ بالْعَصَا، وَتَخْتِمُ أنْفَ الكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إنَّ أَهْلَ البَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هذَا: يا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يا كافِرُ»**.

قلتُ: وإسناده ضعيف، أيضًا ففيه: علي بن زيد، وهو: ابن جدعان، وهو ضعيف.

وأخرج ابن ماجه (4067) من حديث بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِذَا فِتْرٌ فِي شِبْرٍ»**.

قلت: وإسناده ضعيف جدًّا، ففي إسناده خالد بن عبيد أبو تميلة وهو ضعيف جدًّا.

وأخرج أحمد (268/5) من طريق حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ -يَعْنِي: ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ

(648) أحمر
أسود

دِلَافٍ الْمُزَنِيِّ- لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ، حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ»**.

قلت: وفي إسناده عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، لم يوثقه معتبر، أما قول من قال: «إن مالكًا روى عنه، ورواية مالك عنه توثيق له» فهذا القول مما لا يلاقي عندنا قبولًا سريعًا، فنحن الآن على جهالة الرجل. والحديث ضعيف.

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري $ وكذلك الحافظ ابن كثير جملة آثار في هذا الباب توضِّح من أين تخرج الدابة وصفتها وما معها وما تعمل إلى غير ذلك، وفي أغلب الاسانيد التي ذكروها نظر، ولم نقف على شيء مرفوع يُعول عليه في هذا الباب. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: واذكر يا رسول الله، واذكر يا عبد الله يوم القيامة، يوم يجمع الله من كل أمة، من كل قرن، جماعة من المكذبين بحججنا وأدلتنا فهم يدفعون إلى النار، وقيل: يرد أولهم إلى آخرهم وآخرُهم إلى أولهم حتى لا يتقدم أحدٌ عن أحدٍ حتى إذا أوقفوا بين يدي الله

كما قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

سألهم ربهم ﷻ أكذبتم في الدنيا بحججي وأدلتي ورسلي وما جاءوكم به من البينات، ولم تعرفوا آياتي وحججي حق المعرفة، أم ماذا كنتم تعملون في آياتي وحججي، وما كان موقفكم منها.

وأيضًا أكذبتم بحججي وأدلتي ورسلي ولم تحيطوا علمًا ببطلانها، أي أكذبتم بآياتي بدون علمٍ وكذبتم بها بجهل أم ماذا كان موقفكم منها؟؟

أما قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ فمعناه: ووجب عليهم العذاب بسبب ظلمهم، إذا ليس لهم عذرٌ يعتذرون به ولا جواب يجيبون به.

ثم يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي وحججي ألم يروا قدرتي وكوني جعلت الليل لهم سكنًا هادئًا ينامون فيه فيستريحون ويهدأون، وجعلت لهم النهار مضيئًا مشرقًا يلتمسون فيه المعاش ويسافرون ويروحون ويجيئون طلبًا للرزق، إن في ذلك الاختلاف اختلاف الليل والنهار بما فيه من مصالح لهم وراحة لأبدانهم وسبيلًا لقضاء حوائجهم، إن في ذلك لدلالات يستدل به أهل التصديق على وحدانية الله ﷻ وقدرته وعظيم فضله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجًا، يعني: جماعة منهم، وزمرة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول: ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، فهو يحبس أولهم على آخرهم؛ ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار.

(650) أحمر
أسود

وقال $:

وقولـه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: ﴿أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي﴾ أي: بحججي وأدلتي ﴿وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا﴾ يقول: ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها من تكذيب أو تصديق.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره: ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ يعني: بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون ﴿فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾.

يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول. وقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذَّبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنًا لهم يسكنون فيه ويهدءون، راحة أبدانهم من تعب التصرّف والتقلب نهارًا، وهذا مضيئًا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرّف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل، والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تصييرنا الليل سكنًا، والنهار مبصرًا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله ﷻ ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريعًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي: من كل قوم وقرن فوجًا، أي: جماعة، ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧].

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ قال ابن عباس ﷺ: يدفعون. وقال قتادة: وَزَعَةٌ ترد أولهم على آخرهم. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يساقون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو ﴾ أي: أوقفوا بين يدي الله ﷻ في مقام المساءلة، ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فحينئذٍ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٧]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: بهتوا فلم يكن لهم جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا مَحيد عنه، فقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أي: فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم، وتهدأ أنفاسهم، ويستريحون من نَصَب

(652) أحمر
أسود

التعب في نهارهم. ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ أي: منيرًا مشرقًا، فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب، والأسفار والتجارات، وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا ﴾ أي: زمرة وجماعة ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يعني: بالقرآن وبأعلامنا الدالة على الحق ﴿ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب قال الشماخ:

وكم وزعنا من خميس جحفل وكم حبونا من رئيس مسحل

وقال قتادة: ﴿يُوزَعُونَ ﴾ أي: يرد أولهم على آخرهم حتى إذا جاؤوا قال أي: قال الله: ﴿أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي﴾ التي أنزلتها على رسلي وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي ﴿ وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا ﴾ أي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين. ﴿ أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ تقريع وتوبيخ أي: ماذا كنتم تعملونه حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا ما فيها ﴿ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ أي: وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم. ﴿ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: ليس لهم عذر ولا حجة وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون قاله أكثر المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ أي: يستقرون فينامون ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ أي: يبصر فيه لسعي الرزق ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ بالله ذكر الدلالة على إلهيته وقدرته أي: يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا.

❁ ❁ ❁

(653) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يوم يُنفخ في الصور، والصور: قرنٌ ينفخ فيه، ينفخ فيه إسرافيل ﷺ، فعند ذلك يفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

وقد قيل في الذين استثناهم الله إنهم الملائكة وقيل: الشهداء، وقيل: المؤمنون، وقيل غير ذلك فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ أي: اتوه يوم القيامة أذلة صاغرون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفَزَع في الصُّور، وهو كما جاء في الحديث: **«قرن ينفخ فيه»**. وفي حديث (الصُّور) أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

ثم أورد ابن كثير $: حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم[1] وفيه:

قَالَ: سَمِعْتهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: **«فَيَبْقَى شِرَار النَّاس فِي خِفَّة الطَّيْر وَأَحْلَام السِّبَاع. لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا. فَيَتَمَثَّل لَهُمْ**

---

(1) مسلم (2940).

(654) أحمر
أسود

الشَّيْطَان فَيَقُول: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرنَا؟ فَيَأْمُرهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَان. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقهمْ، حَسَن عَيْشهمْ، ثُمَّ يُنْفَخ فِي الصُّور. فَلَا يَسْمَعهُ أَحَد إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا. قَالَ: وَأَوَّل مَنْ يَسْمَعهُ رَجُل يَلُوط حَوْض إِبِله قَالَ: فَيُصْعَق وَيُصْعَق النَّاس ثُمَّ يُرْسِل اللَّه -أَوْ قَالَ يُنْزِل اللَّه - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلّ أَوْ الظِّلّ (نُعْمَان الشَّاكّ) فَتَنْبُت مِنْهُ أَجْسَاد النَّاس. ثُمَّ يُنْفَخ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَام يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يُقَال: يَا أَيّهَا النَّاس! هَلُمَّ إِلَى رَبّكُمْ. ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثُمَّ يُقَال: أَخْرِجُوا بَعْث النَّار. فَيُقَال: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَال: مِنْ كُلّ أَلْف، تِسْعمِائَةٍ وَتِسْعَة وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْم يَجْعَل الْوِلْدَان شِيبًا وَذَلِكَ يَوْم يُكْشَف عَنْ سَاق».

وقال الحافظ ابن كثير $:

فقوله: «ثُمَّ يُنْفَخ فِي الصُّور. فَلَا يَسْمَعهُ أَحَد إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا» الليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا.

فهذه نفخة الفزع. ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت. ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ -قُرئ بالمد، وبغيره على الفعل، وكلٌّ بمعنى واحد - و﴿دَٰخِرِينَ﴾ أي: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. وفي حديث الصور: أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح، فتوضع في ثقب في الصور، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، وأرواح الكافرين ظُلمة، فيقول

(655) أحمر
أسود

الله ﷻ: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها. فتجيء الأرواح إلى أجسادها، فتدب فيها كما يَدب السُّمُّ في اللديغ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣].

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف من حديث أبي هريرة: أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! ما الصور؟ قال: «**قَرنٌ**»، قال: وكيف هو؟ قال: «**قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيَامِ لِلهِ رَبِّ العَالَمينَ، يَأْمُرُ اللهُ إسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأولى، فيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأرْضِ، إلا مَنْ شاءَ اللهُ، وَيأْمُرُهُ اللهُ فَيَمُدُّ بِها ويطوّلها، فَلا يَفْتُرُ، وَهيَ الَّتي يَقُولُ اللهُ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص: ١٥] فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبالَ، فَتَكُون سَرَابًا، وَتُرَجُّ الأرْضُ بأهْلِها رجًّا، وهي التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦-٨] فَتَكُونُ الأرضُ كالسَّفِينَةِ المُوثَقَةِ فِي البَحْرِ، تَضْرِبُها الأمْوَاجُ، تُكْفأ بأَهْلِها، أوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالوَتَرِ، تُرَجِّحُهُ الأرْياحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ على ظَهْرِها، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الولْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً، حَتَّى تَأتِي الأقْطار، فَتَتَلَقَّاهَا المَلائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها، فَتَرْجِعُ، وَيُوَلي النَّاسُ مُدْبِرينَ يُنادي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُول اللهُ: ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] فبَيْنَما هُمْ عَلى ذلكَ إذْ تَصَدَّعَتِ الأرْضُ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، فَرَأوَا أمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ لِذَلكَ مِنَ الكَرْب ما اللهُ أعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إلى السَّماءِ،

(656) أحمر
أسود

فإذَا هِي كَالمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها، وانْتَثَرتْ نُجُومُها، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ». قال رسول الله ﷺ: **«والأمْوَاتُ لا يعْلَمُون بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ**، فقال أبو هريرة: يا رسول الله! فمن استثنى الله حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[النمل: ٨٧]؟ قال: **«أولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وإنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَومِ وآمَنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ عَلى شِرارِ خَلْقِه»**.

وأورد بسندٍ حسن: عن قَتادة، قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: في الخلق. قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: ففزع من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والإنس والشياطين، من هول ما يعاينون ذلك اليوم.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قيل: إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذٍ الشهداء، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، وقد ذكرناه في الخبر الماضي.

وقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ يقول: وكل أتوه صاغرين.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ قال: الداخر: الصاغر الراغم، قال: لأن المرء الذي يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذي فزع منه، قال: فلما نُفخ في الصور فزعوا، فلم يكن لهم من الله منجى.

وقال القرطبي $:

(657) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: واذكر يوم أو ذكرهم يوم في ينفخ في الصور ومذهب الفراء أن المعنى: وذلكم يوم ينفخ في الصور وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل. وقال مجاهد: كهيئة البوق وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن وقد مضى في (الأنعام) بيانه وما للعلماء في ذلك ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال أبو هريرة قال النبي ﷺ: **«إن الله لما فرغ من خلق السموات خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة»** قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: **«قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين»** وذكر الحديث ذكره علي بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرته في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هنالك وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأرين لازمان لهما أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي: يحيون فزعين يقولون: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء قاله قتادة وقال الماوردي: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت

(658) أحمر
أسود

إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين.

قلت: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث. خرجهما مسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وترى يا رسول الله – يوم القيامة يوم ينفخ في الصور – ترى الجبال تحسبها قائمة، ولكنها تسير وتتحرك بسرعة كما يتحرك السحاب، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وكما قال: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، فهذا صنع الله ﷻ، صنع الله الذي أحكم صناعة كل شيء، إنه خبير بكل ما تفعلونه أيها الناس.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد ﴿تَحْسَبُهَا﴾ قائمة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾.

وإنما قيل: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا، كما قال الجعدي:

بِأَرْعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكَابُ تُهَمْلَجُ

قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وأوثق خلقه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له

(659) أحمر
أسود

ومعصية، وهو مجازٍ جميعهم على جميع ذلك على الخير الخيرَ، وعلى الشرّ الشر نظيره.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع، ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: هو عليم بما يفعل عباده من خير وشرٍّ فيجازيهم عليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيرًا حثيثًا. قال القتبي: وذلك أن الجبال تجمع وتسير فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبُعْدِ ما بين أطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير قال النابغة في وصف جيش:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

قال القشيري: وهذا يوم القيامة أي: هي لكثرتها كأنها جامدة أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير أي: تمر مر السحاب حتى لا يبقى

(660) أحمر
أسود

منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ: ٢٠] ويقال: إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨ - ٩] والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن والحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعًا في الهواء كأنها غبار فمن ننظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجسادًا جامدة وهي بالحقيقة مارة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتتة والحالة السادسة أن تكون سرابًا فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئًا منها كالسراب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- من جاء ربه يوم القيامة بالتوحيد بـ(لا إله إلا الله) التي كان يقولها في الدنيا خالصًا من قلبه فله أجر ذلك مضاعف أضعافًا كثيرة، وهم من فزع يوم القيامة آمنون، آمنون من الفزع، آمنون من الخوف، لا يفزع إذا فزع الناس، ومن جاء ربَّه يوم القيامة بـ(الشرك) أي: أنه كان في الدنيا مشركًا ومات على ذلك، فيُلقى

(661) أحمر
أسود

على وجهه يوم القيامة في نار جهنم والعياذ بالله، وما ظلمناه بإلقائه في النار على وجهه، وإنما جازيناه بعمله السيئ الذي كان يعمله في الدنيا، جازيناه بعبادته غير الله، جازيناه بشركه الذي أشرك.

وهذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿مَن جَآءَ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه ﴿فَلَهُۥ﴾ من هذه الحسنة عند الله ﴿خَيۡرٞ﴾ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ﴿مِّنۡهَا﴾ الجنة، ويؤمنّه ﴿مِّن فَزَعٖ﴾ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ في نار جهنم.

وأورد الطبري عدة آثار مفادها أن السيئة: الشرك، وأن الحسنة: قول لا إله إلا الله.

وقال $:

وقوله: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره. يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون؛ إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم؛ وترك «يقال لهم» اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وقال ابن كثير $:

ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذٍ فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ -قال قتادة: بالإخلاص. وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله -وقد بيَّن في المكان الآخر أن له عَشْر أمثالها ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، كما قال

(662) أحمر
أسود

في الآية الأخرى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وقال: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقوله: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴾ أي: مَنْ لقي الله مسيئًا لا حسنة له، أو: قد رجحت سيئاته على حسناته، كلٌّ بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

أما القرطبي $: فقد نقل الإجماع على أن الحسنة لا إله إلا الله، وأن السيئة الشرك في هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لأهل الشرك: إنما أمرني ربي ﷻ أن أعبده وحده لا شريك له فهو ربُّ هذه البلدة مكة البلد الحرام الذي جعلها محرمةً، جعلها حرمًا آمنًا فكان ذلك سببًا في أمانكم وهيبتكم عند الناس، فالناس من حولكم يُتخطفون، يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا، ويسرق بعضهم بعضًا. أما أنتم فقد جعلكم الله ببلدةٍ حرام حرمها هو سبحانه وقذف في الناس هيبتها فلا يعتدي عليكم معتدٍ ولا يبغي عليكم باغ كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٣، ٤].

فإني من ثمَّ أعبده وحده لا شريك له فهو ربي وربكم وربُّ هذه البلدة وربُّ البلاد كلها وله كل شيء مُلكًا وخلقًا وأمرًا ونهيًا يفعل ما يشاء

ويخلق ما يشاء.

الأشياء كلها ملك له سبحانه وتعالى، وكذا فإنه يأمر فيها بما يشاء ويقضي فيها بما يريد، وقد أمرني ربي أن أكون من المستسلمين الخاضعين المنقادين له ﻫ، وكذا من المتدينين له بدين الإسلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد قل: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ وهي مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصاد صيدها، أو يختلى خلاها دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ يقول: ولربِّ هذه البلدة الأشياء كلها ملكًا. فإياه أمرت أن أعبد، لا من لا يملك شيئًا. وإنما قال جل ثناؤه: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ فخصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو ربّ البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بذلك نعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرَّم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، لا من لم تجر له عليهم نعمة، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر. وقوله: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يقول: وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون، لا من خالف دين جده المحق، ودان دين إبليس عدو الله.

وقال ابن كثير $:

(664) أحمر
أسود

يقول تعالى مخبرًا رسوله وآمرًا له أن يقول: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٤].

وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها، كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾. [قريش: ٣-٤]

وقوله: ﴿ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ أي: الذي إنما صارت حرامًا قدرًا وشرعًا، بتحريمه لها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضَد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لُقَطَتُه إلا لِمَنْ عرفها، ولا يختلى خلاها**»(1) الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع، كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام، ولله الحمد.

وقوله: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾: من باب عطف العام على الخاص، أي: هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ يعني: مكة التي عظم الله حرمتها أي: جعلها حرما آمنًا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر.

(1) البخاري (1834)، ومسلم (1353).

وقال $:

﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ خلقًا وملكًا ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي: من المناقدين لأمره والموحدين له.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وأمرت أن أتلو عليكم القرآن فمن اتبع هذا القرآن واهتدى بهديه واستنار بآياته واستبصر بها فإن ثواب استقامته واتباعه للقرآن وآياته عائدٌ على نفسه، ومن ضلَّ وحاد عن طريق الهداية والاستقامة فإثمه على نفسه وإنما عليَّ البلاغ والإنذار فحسب. والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ﴾و﴿أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ يقول: فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به، فسلك طريق الرشاد ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ يقول: فإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياي، وإيمانه بي، وبما جئت به لنفسه؛ لأنه بإيمانه بي، وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة. وقوله: ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فقل يا محمد لمن ضلّ عن قصد السبيل، وكذبك، ولم يصدّق بما جئت به من عندي: إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به، فحظوظَ أنفسكم

تصيبون، وإن رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم، ونصحت لكم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: على الناس أبلغهم إياه، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وكقوله: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]. أي: أنا مبلغ ومنذر، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: لي سوية الرسل الذين أنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وخَلَصُوا من عهدتهم، وحساب أممهم على الله، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: وقل الحمد لله على عموم نعمه، وعلى نعمة الإسلام التي هدانا إليها وعلى القرآن الذي أنزله عليَّ فاتبعته وتلوته، وسيريكم ربي آياته فيكم سينزل عليكم عذابًا فتعرفون صدقي فيما أخبرتكم به من الحقائق، ستعرفون حقيقة أقوالي، وسيريكم آياته في الآفاق، تلك الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته فتعلمون صدق ما دعوتكم إليه من توحيد الله ﷻ، وما ربك بغافل عن أعمالهم التي يعملونها وعن أقوالهم التي يقولونها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء القائلين لك

من مشركي قومك: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم، ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد.

وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوّك بالذلّ والخزي.

وقال ابن كثير $:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾، أي: لله الحمد الذي لا يُعذِّب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه؛ ولهذا قال: ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[فصلت: ٥٣]

وقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: بل هو شهيد على كل شيء.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على نعمه وعلى ما هدانا ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: في أنفسكم وفي غيركم كما قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ **[فصلت: ٥٣]** ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم وفي السموات وفي الأرض نظيره قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ **[الذاريات: ٢٠ - ٢١]** ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(668) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

مِنْ كُتُبِ اللهِ الأُولَى لِتَهْدِيَ النَّاسَ إِلَى الجَنَّةِ

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

تفسير سورة القصص

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

دار بلنسية

دار بلنسية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
عريب ٥٧٢٩٢ - الرمز البريدي: ١١٥٧٤
هاتف وفاكس: ٤٥١٧٥١٩

التَّسهيل لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير سورة القصص

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٠٥٩١ / ٢٠٠٢

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد:

فبين أيدينا سورة من أجمل السور، تحمل قصةً من أجملِ القصص، ألا وهي: «سورة القصص»، تحمل قصةً من خير ما يذكر به ويُعتبر، ألا وهي: قصة نبي الله موسى عليه صلاة الله وسلامه وعلى نبينا محمد وآله وصحبه .

* نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، ذلكم النبيُّ الحييُّ، والرسول الوفيُّ الكليم الكريم، الصابر الأمين!

* رسول من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

* رسولٌ كلَّمه الله تكليمًا، وامتنَّ عليه امتنانًا!

* رسولٌ ألقى الله عليه محبةً منه، واصطَنعه لنفسه، وليُصنع على عينه .

* نبيٌّ كريم مُخلص، ممَّن أنعم الله عليهم من النبيين، ممن هداهم الله واجتباهم .

* نبيٌّ وجيهٌ في الدنيا والآخرة .

أمرنا الله بالاقتداء به، فذكره الله فيمن قال فيهم: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

أشبهت سيرته وحياته في كثير من مراحلها سيرة نبي الله محمد ﷺ، وابتُليَ بابتلاءاتٍ من جنس تلك الابتلاءات التي ابتُلي بها النبي ﷺ.

* كان النبي ﷺ يتسلَّىٰ بسيرته ويتصبَّر، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يقول إذا أوذي: «**يرحم اللهُ موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»(١).

* نزل القرآن علىٰ رسول الله ﷺ بسيرةِ موسىٰ وقصته وأمره في مكة كما نزل في المدينة أيضًا.

تعددتِ السور والآيات التي تحمل الحديثَ عن نبيِّ الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

* وكما سلف، فإن ذلك لأن سيرته في الجملة أشبهت سيرة رسول الله ﷺ.

* ولذلك فإن طوائف الجن لما سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ قالوا لقومهم: ﴿**يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأحقاف: ٣٠].

مع أن القرآن نزل من بعد عيسىٰ عليه السلام أيضًا، وعيسىٰ أقرب لرسول الله ﷺ من موسىٰ في التأريخ.

وكذلك قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ ـ لما قصَّ النبي ﷺ خبر ما رأىٰ: «**هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى عليه السلام**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠٥)، ومسلم (حديث ١٠٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

وذلك كما ذكرنا لمشابهة أوضاع النبي ﷺ لأوضاع نبي الله موسىٰ، وأحواله لأحواله.

فابتلاءاتٌ وصعابٌ، واختباراتٌ ومشاقٌّ منذ الطفولة وحتىٰ الممات، ولكن في كل الأحوال ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

ولكن في كل الأحوال: (النصر مع الصبر والفرج مع الكرب).

* وُلد نبيُّنا محمد ﷺ يتيمًا، مات أبوه ولم يره.

ونبي الله موسىٰ عليه السلام منذ أن حملت به أمُّه وهي في همومٍ وغمومٍ وخوفٍ وقلقٍ من بطش الفراعنة به، ومن شفار الذباحين الذين كُلفوا من فرعون وآله بذبح أبناء الإسرائيليين ولكن حفظ الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام، بل وتربَّىٰ موسىٰ في بيت الفراعنة.

* وكذلك قيض الله لنبينا محمدٍ ﷺ من يرعاه ويحفظه بإذن الله ويدافع عنه وهو عمه أبو طالب الذي عاش كافرًا ومات كافرًا أيضًا.

وكذلك قيض الله لموسىٰ عليه السلام مَن يقوم بخدمته ويضمُّهُ إلىٰ بيته، وهو فرعون، أكبر طاغية عُرِف في التاريخ.

* ابْتُلِي النبي محمد ﷺ بعد البعثة بعُتاةٍ وطغاةٍ وفَجَرَةٍ وأشرارٍ، كأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميّة بن خلف، ووصفوا النبيَّ الأمين محمد عليه الصلاة والسلام بالسحر والكهانة والشعر والكذب والافتراء.

وكذلك ابتلي نبي الله موسىٰ بهؤلاء الأشرار المفسدين كفرعون وهامان

وقارون، فقالوا عنه: ساحر، كذَّاب!!

وهكذا يُبتلىٰ أهل الإيمان بمن يكذب عليهم ويفتري، ويبغي عليهم ويتطاول، وينال من عرضهم، ويقذف بالغيب من مكان بعيد.

ولكن ماذا بعد هذا؟ وماذا مع هذا؟ دائمًا ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طه: ١٣٢].

فنبذ فرعون وجنوده في اليمِّ، وأُلقي أبو جهلٍ ومن معه بعد قتلهم في قَلِيبٍ خبيثٍ - وهو قليب بدر - وهم جيفٌ نتنة.

* وكما أن الله قال في شأن فرعون: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ﴾ [يونس: ٩٢]، فكذلك يقف النبي ﷺ علىٰ قليب بدر وينادي:

«يا أبا جهل بن هشام، يا أميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربُّكم حقًا، فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًا»[1].

ودائمًا وأبدًا لا يُفلح الظالم حيث أتىٰ.

* وكما أن نبي الله موسىٰ خرج من بلاده خائفًا يترقب، فقد أُخرج النبيُّ ﷺ من مكة أيضًا.

وكما أن الله سبحانه وتعالىٰ تفضَّل علىٰ نبيه موسىٰ عليه السلام ومنَّ عليه وعلىٰ من آمن به من قومه، وورث هو وقومُه جناتٍ وعيونٍ، وكنوزٍ ومقامٍ كريمٍ، ونعمةٍ كان فيها غيرهم فاكهين.

فكذلك نبينا محمد ﷺ فتح الله عليه مكة، فدخلها فاتحًا آمنًا مطمئنًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . . .** ﴾ [الفتح: ١].

---

(١) مسلم (٢٨٧٤).

ولذلك نرىٰ في آخر سورة القصص قول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ** ﴾ [القصص: ٨٥] أي: إلىٰ مكة.

فكما أنَّا رددنا موسىٰ فسنردُّك يا محمد إلىٰ مكة فاتحًا وكذا قال عددٌ من المفسرين. وكما أن الرسول ﷺ وُوجِهَ بأصحاب الأموال الذين حاربوا دعوته بأموالهم كما قال تعالىٰ حاكيًا عن بعضهم: ﴿ **يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا** ﴾ [البلد: ٦] أي: مالاً كثيرًا في عداوة النبي ﷺ ودعوته.

* وكما قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فكذلك ابتلي نبي الله موسىٰ بقارون الذي كانت مفاتحه تنوء بالعُصبة أولي القوّة، وابتلي ببغْي قارون وافتراء قارون، ولكن ما العاقبة؟ خسف الله بقارون وبداره الأرض، وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

* ومن عجيب الأمر: أن يبتلىٰ النبيُّ ﷺ بقريبٍ له يحارب دعوته، ويمشي خلفه يصِفه بالكذب ويتهمه بالجنون ألا وهو: عمه أبو لهبٍ.

ويبتلىٰ موسىٰ عليه السلام أيضًا بقارون الذي هو من قوم موسىٰ وقيل: هو ابن عمه.

فياعجبًا؛ كيف يأتي البلاء من الأقرباء؟

وكيف يأتي الافتراء من العشائر؟!

* ابتلي النبي ﷺ برأس النفاق: عبد الله بن أُبي بن سلول، ولابن سلول

أتباعٌ!!

كما ابتلي موسىٰ عليه السلام بالسامريِّ الكذَّاب، وللسامري أتباعٌ!

* أوذي النبي ﷺ أشدَّ الأذىٰ من أهل الإفك والافتراء، وطعنوا في زوجته الكريمة الشريفة السيدة الطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كما أوذي موسىٰ، واتُّهم ووُصف بما لا يليق أن يوصف به رجل من عوام الناسِ، وموسىٰ عليه السلام من أولي العزم من الرسل الكرام، ولكن برَّأ الله سبحانه عائشة رضي الله عنها في آيات تتلىٰ في المحاريب وتحفظ في الصدور وتسطر في المصاحف، ألا هي قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**...﴾ [النور: ١١]. وهكذا ينجي الله المتقين، ويُبرئ الله المؤمنين.

وفي المقابل يُلحق ربنا بالبغاة الأشرار ما هم له أهل، فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات.

* وكما أن موسىٰ عليه السلام قابلتْه الصعابُ والمشاقُّ والعنادُ من بني إسرائيل، فقد قُوبل نبينا محمد ﷺ بذلك من بني إسرائيل أيضًا، ومن أهلِ النفاقِ كذلك.

فقد جاء موسىٰ بالبينات واطَّلع بنو إسرائيل علىٰ ذلك، وأنجاهم الله من عدوهم، وفلق الله لهم البحر فكان كل فرق كالطود العظيم، وأغرق الله فرعونَ وآله أمام أعين الإسرائيليين وما هو إلا أن جاوزوا البحرَ، فأتوْا علىٰ قومٍ يعكفون علىٰ أصنام لهم: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فسبحان الله، جاء اليهود أيضًا إلىٰ نبينا محمد ﷺ وسألوه مسائل لا يعلمها إلا نبي، فأجابهم عليها خيرَ إجابةٍ، إجابة بوحي من السماء، فأقرُّوا بصحتها، ومع ذلك عاندوا وكفروا، والعياذ بالله.

* وكما أن الإسرائيليين سلكوا سبيل التخذيل لموسىٰ عليه السلام، إذ قال لهم: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٢١]. . . ، ماذا قال الإسرائيليون لنبيهم الكريم موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وقد أنجاهم الله علىٰ يديه: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا أيضًا: ﴿**يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤] ونحو هذا المسلك من مسالك التخذيل سَلَكه أهلُ النفاقِ مع نبينا محمد ﷺ، فرجع عبد الله بن أُبي بن سلول يومَ أُحُدٍ بثُلُثِ الجيش لتخذيل أهل الإيمان[1] أمام أهل الكفر والطغيان، ولكن دائمًا العاقبة للتقوىٰ.

نصر الله أنبياءه وأولياءَه وخذل ربُّ العالمين أعداءَه وأعداءَ المرسلين.

* **وفي الختام:**

فإن الله سبحانه يجعل موتة نبيه محمد ﷺ في المدينة وليست ببلدته التي وُلد فيها، ليست بمكة البلد الحرام، وكذلك يموت موسىٰ قريبًا من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ[2]، فسبحان الله، تشابهتْ سيرهما، وتشابهتْ حياتُهما،

---

(١) انظر كتابنا: «التسهيل»: تفسير سورة النساء عند قوله تعالىٰ: ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ ففيها شيءٌ حول هذا. [النساء: ٨٨].

(٢) أي بمسافة رمية حجر.

وتشابهتِ الابتلاءاتُ التي ابتليا بها عليهما صلوات الله وسلامه.

فهكذا أشبهت سيرةُ نبينا محمدٍ ﷺ سيرةَ نبي الله موسىٰ عليه السلام، ومِن ثَمَّ فقد تكرر ذكر قصة موسىٰ، ونزلت سورٌ مدنية ومكيّة بذلك، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن نبينا محمداً ﷺ لاقىٰ في مكة من التعب والعناء والجهد من أئمة الكفر نحو الذي لقيه موسىٰ من فرعون وهامان وقارون وكذلك لاقىٰ نبينا محمد ﷺ بالمدينة، من العناء والجهد مع اليهود وأهل النفاق نحواً من المعاناة التي عاناها موسىٰ عليه السلام مع بني إسرائيل ونحو ذلك يواجهه الدعاة إلىٰ الله.

فَمِنْ ثَمَّ؛ لزمنا تدبر قصة موسىٰ عليه السلام وسيرة نبينا محمد ﷺ نلتمس من ذلك كله الزاد!

ونتعلم من ذلك كله الصبر!

ونستلهم العون من الله أولاً وآخراً.

والتوفيق بالله وحده.

تناولت هذه السورة المباركة الميمونة أموراً يجب أن تدرك ويجب أن تُتأمل، ويتفكر فيها المتفكر ويعتبر بها المعتبر.

* تجلت في هذه السورة الكريمة مظاهر قدرة الله عز وجل، وأنه تبارك وتعالىٰ يفعل ما يريد، وهو سبحانه غالبٌ علىٰ أمره، له الخلق وله الأمر، قدره نافذٌ في خلقه، لا يُخلف وعده، ولا يُهزم جندُه.

* فانظر إلىٰ آثار قدرة الله ورحمة الله، وكيف حفظ نبيه موسىٰ من الغرق ومن العدو؟ وكيف ألقىٰ الله محبة موسىٰ في قلب من رآه؟ حتىٰ

قالت امرأة فرعون: ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] ثم كيف تجتمع المراضع لإرضاعه وهو يأبىٰ؟ إذِ الله قد حرَّم عليه المراضع ثم كيف جاءت أمه فالتقم ثديها؟!

* ثم كيف قيض الله لموسىٰ رجلاً أتىٰ من أقصىٰ المدينة يسعىٰ يقول: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

* ثم تتساءل لماذا وجَّه موسىٰ إلىٰ «مَدْيَن»؟

* ومن الذي هداه السبيل إليها ويسر له أمر الوصول إليها؟

* وسبحان الله؛ كيف وجد المرأتين وسقىٰ لهما بدون شرط ولا أجر؟

* ثم كيف دعا وكيف استجاب الله دعاءه؟ فجاءته إحداهما تمشي علىٰ استحياءٍ قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

* وبعدُ، فكيف أعانه الله وواجه فرعونَ؟!

* ثم كيف أنجاه الله، وأُخذ عَدُوه فنبذ في اليمّ؟!

* تجلت قدرة الله في هذه السورة المباركة، فالمحفوظ مَن حفِظَهُ اللهُ، والمهتدي منَ هداه الله، والمختارُ من اختاره الله واصطفاه، ولا ينفع حذرٌ من قَدَرٍ.

* استقرئ هذه المعاني الجميلة من سيرة موسىٰ عليه السلام؛ استقرئها من قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، فالذي يخلق ويختار هو الله.

* ومن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] فالذي يهدي هو الله.

*وسبحان الله، فَمَنِ الذي ربط على قلب أم موسى؟ لا شك أنه الله.

*استقرئ أيضًا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦] فالذي يمنُّ على العباد هو الله، والذي يختار الأئمة هو الله، والذي يمكِّن هو الله.

*وكذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣].

تدرك من هذه السورة الكريمة إدراكًا تامًّا، أن الله يتولى الصالحين، ويُدبر لهم أمورهم، ويُصلح لهم شئونهم، ويختار لهم خيرًا مما يختارونه لأنفسهم، فمهما دبَّرتْ أم موسى، ومهما فكَّرتْ، ومهما رتَّبتْ من أمور لحفظ ولدها؛ هل كانت ستصل إلى الثمرة الطيبة التي تفضل الله بها عليها؟!

إنها مهما فكّرتْ؛ فغاية تفكيرها أن يحفظ ولدها من القتل لكنها لم تكن لتفكر - إلا بوحي الله - في أن يرجع ولدها إليها ترضعه آمنة مطمئنة.

*ثم كيف أقرَّ اللهُ عينَها وأذهبَ عنها الحزن، تغدق عليها الهدايا، وتأتيها المنح، وهي المتفضلة المشكورة على القوم بإرضاع ولدها.

*وأيضًا؛ كيف دبَّر اللهُ أمر موسى عليه السلام، وتولاَّه في سفره وحضره، وفي غربته وبلده؟!

*وكيف تزوج ورُزق واستقرَّ زمنًا وهو آمن مطمئن بعد أن أنجاه الله من

القوم الظالمين؟!

إن فضل الله على العباد واسع، يرزقهم من حيث لا يحتسبون، ويدافع عنهم، ويدفع، وهم لا يدرون ولا يشعرون، ويسبغ عليهم من نِعَمِه الظاهرة والباطنة ما لا يتوقعونه ولا يخطر لهم على بال.

* انظر: كيف يقول الله لنبيه محمد ﷺ في هذه السورة الكريمة المباركة: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]؟!

* فهل كان رسول الله ﷺ - قبل أن يُوحىٰ إليه - يتصور يومًا أن يكون سيد ولد آدم، سيد الأولين والآخرين؟!

* هل كان عليه الصلاة والسلام يتوقع أن ينزل عليه وحيٌ من السماء؟! وأن يُعرج به إلىٰ السموات العُلَىٰ؟! وأن تفرض هنالك عليه الصلوات؟!

* هل كان يتوقع أن يُسرىٰ به في ليلةٍ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ؟!

* وسبحان الله، هل ظن رسولنا محمد ﷺ قبل بعثته أنه سيكون أول شافع وأول مشفَّع؟! وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة؟! وأنه صاحب الشفاعة العظمىٰ، ولن تفتح أبواب الجنة لأحدٍ قبله؟!

* فسبحان الله الكريم المنَّان؛ سبحان من له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

* ودومًا فكما يقول الله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

* إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمَّا رماها أهلُ الإفك والكذبِ

والبهتانِ بما رموها به؛ لم تكن تتوقع يومًا أن ينزل في شأنها وحيٌ يتلىٰ، يتلوه أئمة المساجد في المحاريب والأطفال في الكتاتيب، ويتلوه أهلُ الإيمان، ويحفظونه في الصدور تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[1] في حديث الإفك: . . . وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن، والله ما كنتُ أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يتلىٰ ولشأني كان أحْقَرَ في نفسي من أن يتكلم اللهُ عز وجل فيَّ بأمرٍ يتلىٰ، ولكن أرجو أن يرىٰ رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله، ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتىٰ أنزل الله عز وجل علىٰ نبيه ﷺ. . . فذكرتْ آيات الإفك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**. . .﴾ [النور: ١١].

* فسبحان الله، كيف يدبر الله أمر أهل الصلاح أحسن تدبير وأجمله ويختار لهم أفضل السبل وأقومها؟ فله الحمد آناء الليل وأطراف النهار.

نرى في هذه السورة الكريمة عاقبة الظُّلْمِ والبغي والطغيان والتكبر والتعالي على الخلق والخالق سبحانه وتعالى.

* فها هو الذي كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء ويقول: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص: ٣٨] ها هو يُنْبَذُ وجنودُهُ في اليمِّ، ويجعله الله آيةً وعبرةً لم خلفه.

* وها هو قارون الطاغي الباغي بماله وخزائنه، المختال في زينته تُخسف به وبداره الأرض.

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٥٠)، ومسلم (حديث ٢٧٧٠)، واللفظ له.

ولا يظن ظانٌّ أن الانتقام قاصرٌ على فرعون وهامان وقارون فحسب، بل هو عام على كل ظالم.

* فها هي القرىٰ الظالمة عمومًا يُدمرها الله عز وجل: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [القصص: ٥٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿ **وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ٤].

فسبحان من يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويرفع ويخفض ويقبض ويبسط.

نرى في هذه السورة الكريمة آيات بينات يطمئن الله بها نفوس عباده وبها تتأكد نبوة نبينا محمد ﷺ.

* من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [القصص: ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾ [القصص: ٤٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** ﴾ [القصص: ٤٦].

فهذه آيات بينات نيِّرات تدل علىٰ نبوة نبينا محمد ﷺ، وتبين صدقه، فلم يكن في هذه الأماكن أثناء هذه الأحداث، ومع كونه كان أُميًا لكنه قصَّ علىٰ أصحابه هذه القصة أجمل اقتصاص صلوات الله وسلامه عليه.

نرى في هذه السورة الكريمة جبلات البشر التي جُبلوا عليها، من اليقين، والضعف والخوف والاغترار والكبر والتطاول والشهامة والمروءة، والتهافت والتهاوي والثبات والاعتصام، إلى غير ذلك مما جُبل عليه البشر.

* فنرىٰ أم موسىٰ عليها السلام يتسرب إليها الخوف والحزن بل وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا من ذكر موسىٰ عليه السلام، لكن يطمئنها ربُّها ويربط علىٰ قلبها لتكون من المؤمنين.

* نرىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام، وقد خرج من المدينة خائفًا يترقب وأيضًا، فلما رأىٰ العصىٰ تهتز كأنها جانٌّ ولىٰ مدبرًا ولم يعقب، وكذلك نقرأ قوله: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

ومع ذلك كله؛ نراه مُعتصمًا بالله مُكثرًا من ذكر الله، نتعلم منه كيف نكثر من الذكر والشكر والاستغفار.

* فتقرأ قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

* وقوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

* وقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

* وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

* وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

فسبحان الله ، ما أجمل ذكر الله وما أحسنه! به تطمئن القلوب، ويسكن الفؤاد، وتنزل السكينة، وترتفع الدرجات في عليين.

*نرىٰ في هذه السورة الكريمة أهل الدنيا الذين يريدونها، وكيف تتجه أنظارهم إلىٰ قارون وقد خرج في زينته مختالاً في مشيته وهم يقولون متهافتين: ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [القصص: ٧٩]، ولكنهم سرعان ما قالوا متراجعين: ﴿ **لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [القصص: ٨٢].

*نرىٰ أيضًا أهل العلم العاملين به، الذين يرجون ثواب الله، الذين جعلهم الله منارات خير علىٰ الدوام، ودلالات هدىٰ في كل زمان ومكان.

نراهم قد قاموا بما أوجبه الله عليهم لإنقاذ قومهم من الضلال، ولرد الأفئدة إلىٰ رشدها، فنراهم يقولون محذرين ومذكرين وقد اغتر قوم بقارون وثروته ومراكبه وزينته، يقولون لأقوامهم: ﴿ **وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص: ٨٠].

ونرى مكارم الأخلاق أيضًا متجليةً في هذه السورة الكريمة:

*فنرىٰ المروءة والشهامة والنجدة في تصرف موسىٰ؛ إذ سقىٰ للمرأتين من غير شط ولا طَلَبِ أجرٍ.

*ونرىٰ الحياء وقد كُسيت به المرأة ابنة العبد الصالح.

*تقرأ صفات الذين صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة، وأنفقوا مما رزقهم الله، نراهم ﴿ ...**إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ**

أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وفي ثنايا هذه السورة المباركة لفتاتٌ طيبةٌ في أبواب الفقه والتعامل مع الناس:

* كعرض الرجل الصالح إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام للزواج بها، وهكذا يفعل الفضلاء مع أهل الصلاح.

* ومن ذلك أيضًا مشروعية الإجارة، والإشارة إلى أن الكسب من عمل اليد أولى من التسول ومد اليد.

* ثم تختم السورة الكريمة بالحث على الدعوة إلى الله والإقبال عليه، والإعراض عن الشرك وعن مظاهرة المشركين.

* ثم بيان وحدانية الله عز وجل، وأن لا إله إلا هو، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكمُ وإليه المرجع والمآب.

... **وفي الجملة:** فإن السورة الكريمة فيها بيان للحياة الدنيا بإيجاز واختصار، وأن الإنسان خلق فيها في كبد ومشقة، وأنها لا تثبت لأحدٍ على حالٍ، فحتى أهل الفضل والصلاح يعتريهم الخوف والرجاء ولكن دائمًا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥].

وأيضًا فأهل النعيم في هذه الحياة الدنيا لا يثبت لهم فيها نعيمٌ ولا يدوم؛ فالعباد دوْمًا يركبُنَّ طبقًا عن طبقٍ، وقد خلقهم الله أطوارًا، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، فيومٌ يُتبَلَى فيه الناس، ويوم يسعدون، ويوم لهم ويوم عليهم، وهذا عزيزٌ يومه هذا وغدًا ذليل، وهذا حقير ووضيعٌ وغدًا عزيز وكريم، يعز ربي من يشاء ويذل ويخفض ربي من يشاء، ويرفع

له الخلق وله الأمر، ثم الهلاك لاحق بكل شيء، وكل شيء هالك إلا وجهه.

وهذا الذي ذكرناه في هذه المقدمة غيضٌ من فيض من فوائد هذه السورة المباركة الميمونة، فنترك القارئ ينظر في ثناياها، ويقف على معانيها، سائلين الله تبارك وتعالى التوفيق لجميع المسلمين، وأن يرفع راية الإسلام والمسلمين عاليةً خفاقةً.

* * *

وصلِّ اللهمَّ على نبينا وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي شلباية

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(طسٓمٓ ـ الكتاب ـ المبين ـ نتلو عليك ـ نبأ ـ بالحق ـ يؤمنون ـ علا ـ شيعًا ـ يستضعف ـ يستحيي ـ نمنَّ ـ أئمة ـ نمكن لهم).

ج:

الكلمة	معناها
طسٓمٓ	أحرفٌ بُدئت بها السورة، لا يعلم معناها إلا اللَّه. ثم إن من أهل العلم من قال: إنها سيقت للتحدي وبيان الإعجاز.
الكتاب	القرآن.
المبين	المُظهر المُوضِّح، مظهرٌ وموضحٌ للحلال والحرام والعقائد والأحكام وأخبار الأولين والآخرين، وصفات رب العالمين، وسننه في خلقه، وجنته وناره، وأوامره وحقوقه، إلى غير ذلك.
نتلوا عليك	نقرأ عليك ـ نقصُّ عليك.
نبأ	خبر.
بالحق	بالصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب.
يؤمنون	يُصدّقون (يصدقون بالقرآن ويعلمون أنه من عند اللَّه، ويصدقون بنبوة النبي محمد ﷺ

	ورسالته، والبعث والجزاء، وكل ما هو من مقتضيات الإيمان.
علا	تكبَّر - تجبَّر - بغى - تعظَّم بسلطانه.
شيعًا	فِرقًا، - أصنافًا؛ (فرَّقهم وخالف بينهم لإضعافهم).
يستضعف	يستعبد.
يستحيي	يستبقي - يتركهن أحياء.
نمنّ	نُنْعِم - نتفضَّل.
أئمةً	قادةً في الخير - ولاةً للأمر.
نمكن لهم	نجعلهم مقتدرين على الأرض متحكمين فيها.

س: قال الله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فهل القرآن للمؤمنين فقط؟

ج: القرآن نزل لهداية الجميع، ولكن لما كان المنتفعون به هم المؤمنون فقط، فمن ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.

وورد عن قتادة بإسناد حسن عند الطبري أنه قال: قوله: ﴿**نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ يقول: في هذا القرآن نبؤهم. وقوله: ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ يقول لِقَوْمٍ يصدّقون بهذا الكتاب، ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم، وتطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتُنا فيمن عادىٰ موسىٰ، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيَهم منهم كما أنجيناهم.

قال السعدي رحمه الله:

﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ فإليهم يساق الخطاب ويوجَّه الكلام؛ حيث إن معهم من الإيمان ما يقبلون به علىٰ تدبُّر ذلك وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانًا ويقينًا وخيرًا إلىٰ خيرهم، وأما من عداهم فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابًا أن يفقهوه». اهـ.

* * *

س: أيُّ أرض هذه التي علا فيها فرعون؟

ج: الأرض أرض مصر.

* * *

س: اذكر بعض السبل التي يسلكها أهل الكفر لصرف المؤمنين عن دينهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

القتل والقتال: قال تعالى: ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وكما حكى الله عن فرعون قوله: ﴿ **فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ [طه: ٧١].

* وكما قال تعالى: ﴿ **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [النمل: ٤٩].

الحروب الاقتصادية والتضييق على المسلمين في البيع والشراء والتعاملات: كما حدث للرسول ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب، وكما أوصى أهل النفاق بعضهم بذلك فقالوا: ﴿ **لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا** ﴾ [المنافقون: ٧].

التشويش على القرآن وعلى السنة واللغو فيهما ومحاولة الخلط والتحريف: قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٦].

اتباع المتشابه وترك المحكم وإثارة الشُّبه في أوساط المسلمين:

* قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران: ٧].

* وقد قال النبي ﷺ لعائشة وقد تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

* قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَيتَ الرجُلَ يَتْبَعُ المُتَشَابِهِ، ويترُكَ المُحكَمَ فَأُولئكَ الذينَ سَمَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاحْذَرُوهُم»(١).

إثارة النعرات الجاهلية والعصبيات الجاهلية: كما قالوا: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

نشر الشائعات والأراجيف في أوساط المسلمين: كما صنعوا في حديث الإفك، وكما ذكَّرنا الله بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٠].

التلويح والتهديد بالطرد والإبعاد والإخراج من البلاد: كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وكما قال قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٤٧).

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

التهديد بالسجون: كما قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

قتل الدعوات في مهدها: وهو الذي يسميه البعض «تجفيف المنابع» كما كان فرعون يفعل من ذبح الأبناء.

مبدأ تفريق المسلمين: وهو الشعار الذي يرفعه أهل الكفر، (فرِّقْ تَسُدْ) وهو ما كان يصنعه فرعون: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

اعتناق الأديان لتخريبها: كما أخبر الله تعالى عن صنيع اليهود السيء في هذا الباب، فقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

اللهو واللعب والكذب الصُّراح: لصرف الناس عن دينهم.

وصف أئمة الهُدى ومنارات الخير للناس بأوصاف لا تليق بهم: كما وصفوا المرسلين بأنهم سحرة وكهنة وكذبة ومفسدون ومتخلفون ورجعيون.

نشر الشر والفساد والحض على اتباع الشهوات وتزيينها: قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

قتل المعاني الجميلة والخصال الطيبة: كالعفاف والستر والنقاء والطهارة والكرم والجود والشجاعة والنجدة والشهامة.

ليُّ الكلام وتحريفه عن مواضعه: وإلباس الباطل ثوب الحق.

الطعن في أركان الإيمان عمومًا وكذلك أركان الإسلام.

التفريق في الإيمان بين بعض الرسل وبعض، وبعض الكتب وبعضها.

* * *

س: ذكر بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ هذا مُفسرٌ لآية ما هذه الآية؟

ج: هذه الآية هي قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فالآية الكريمة التي هي ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ..﴾ تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾.

* * *

س: لماذا كان فرعون يذبح الأبناء ويستحيي النساء؟

ج: ذلك لأمورٍ ذكرها العلماء:

أولها: لكونهم يعبدون غيره.

الثاني: لتخوفه من ذهاب ملكه علىٰ أيديهم.

الثالث: العصبية ضد بني إسرائيل، فأراد من ثمَّ إهانتهم واحتقارهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«وقوله: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا، وقد سُلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد، يستعملهم في أخس الأعمال، ويكُدُّهُم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ إهانة لهم واحتقاراً وخوفًا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه، فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مَلك مصر على يديه، وكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكر بني إسرائيل، ولن ينفع حذرٌ من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب» اهـ.

قال القرطبي رحمه الله:

ذلك لأن الكهنة قالوا له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يذهب ملكُكَ على يديه، أو قال له المنجمون ذلك، أو رأت رؤيا فعبِّرت كذلك.

* * *

س: من الذين استُضعفوا في الأرض آنذاك؟

ج: هم بنو إسرائيل، ومما يؤيد ذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

* وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ قال: بنو إسرائيل.

* * *

س: ما السبب الذي من أجله جعل الله بني إسرائيل أئمة؟

ج: أولاً: وقبل كل شيء، فالله سبحانه وتعالىٰ يمن علىٰ من يشاء من عباده بما يشاء من نعمه.

* ثم من باب التماس الأسباب التي جعل الله بني إسرائيل أئمة من أجلها فذلك ـ والله أعلم ـ لكونهم ظُلموا وصبروا علىٰ الظلم، وأيقنوا بأن نصر الله قريب وآتٍ.

* قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ يرثون ماذا؟

ج: ورثوا ملك آل فرعون وديار آل فرعون بعد هلاك الفراعنة وجندهم كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وكما قال تعالىٰ في شأن آل فرعون: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨].

س: ما الذي كان يحذره فرعون وهامان وجنودهما؟

ج: كانوا يحذرون زوال ملكهم على يد بعض بني إسرائيل، وصح عن قتادة [١] أنه قال: ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ شيئًا ما حذر القوم قال: وذُكر لنا أن حازيًا حزا لعدوّ الله فرعون، فقال: يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك، فتتبَّع أبناءهم ذلك العام، يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءه حذرًا مما قال له الحازي». اهـ.

* * *

(١) الطبري (٢٧١٦٩، ٢٧١٧٠).

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى
وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(اليمّ ـ خاطئين ـ قُرة عين ـ فارغًا ـ لتبدي به ـ ربطنا على قلبها ـ قُصِّيه ـ فبصرت به ـ عن جُنُبٍ ـ حرمنا عليه المراضع ـ يكفلونه ـ ناصحون).

ج:

الكلمة	معناها
اليم	المراد به هنا النيل[1] (نهر النيل).
خاطئين	آثمين ـ عاصين ـ بعيدين عن الصواب.
قرة عين	تستقر به أعيينا فلا ننظر إلى غيره، وتطمئن به نفوسنا.
فارغًا	فارغًا من كل شيء (إلا من ذكر موسى عليه السلام) فلا تفكر في شيء في الدنيا إلا في ولدها.
لتبدي به	لتظهر أمره ـ تقول إنه ولدي ـ تقول يا ابناه (وذلك من شدة حزنها وخوفها عليه).
ربطنا على قلبها	ألهمناها الصبر ـ قوينا قلبها وقذفنا فيه الصبر والإيمان.
قُصِّيه	اتبعي أثره، وانظري ما يُفعل به، (ومنه قوله تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قَصَصا﴾.

(١) كذا عند أكثر المفسرين، وقد نقل السمعاني إجماع المفسرين على ذلك.

فبصرت به	أبصرته .
عن جُنب	عن بُعد وإعراض ، تنظر إليه مستخفيةً وكأنها لا تريده .
حرمنا عليه المراضع	منعناه من[1] الارتضاع من ثدي النساء ، والمراضع هنَّ النسوة اللواتي يُرضعنَ ، وقيل : المراد موضع الرضاع وهو الثدي ، والتحريم هنا معناه المنع .
يكفلونه لكم	يرضعونه ويقومون على رعايته ـ يحفظونه لكم ـ يضمونه إليهم ويربونه .
ناصحون	مشفقون ، لا يقصرون في إرضاعه .

س: ما المراد بالوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾؟

ج: المراد بالوحي: القذف في القلب، والمراد الإلهام أيضاً.

*قال قتادة رحمه الله: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وحيًا جاءها من الله فقذف في قلبه - وليس بوحي نبوة - أن أرضعي موسىٰ.

*ونقل القرطبي أقوالاً أُخر، منها أن هذا كان قولاً لها في منامها (أي رؤيا منامّية).

ومنها: أن ملَكًا تمثل لها فأخبرها بذلك، ولكنه (أي: القرطبي) قال: وأجمع الكلُّ علىٰ أنها لم تكن نبيّة، وإنما إرسال الملك إليها علىٰ نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمىٰ في الحديث المشهور خرَّجَهُ البخاريُّ ومسلمٌ، وغير ذلك من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وقد سلَّمت الملائكة علىٰ عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيًا.

* * *

س: جمع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، وضح ذلك.

ج: أما الأمران: ففي قوله تعالىٰ: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ﴾.

وأما النهيان: ففي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾.

وأما الخبران والبشارتان: ففي قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لا تخافي على ولدك، ولا تحزني على فراقه.

قال الطبري رحمه الله:

* وقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

* وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: لا تخافي عليه البحر ولا تحزني لفراقه.

* * *

س: هل التقط آلُ فرعون موسى عليه السلام وهم يريدون أن يكون لهم عدواً وحزناً؟

ج: لم يلتقطوه وفي نياتهم ذلك، ولكنهم التقطوه فكانت العاقبة (عاقبة الالتقاط) أنه كان لهم عدواً وحزناً، فاللام هنا مِن العلماء من يسميها لام العاقبة، كما يقال لشخصٍ فعل شيئًا يظن أنه ينفع نفسه بهذا الفعل، يُقال له: ما فعلتَ ذلك إلا لضر نفسك.

أو «لام» الصيرورة، ومنه قول الشاعر:

أموالُنَا لذَوي الميراث نجمعها ودُورُنا لخرابِ الدهرِ نبْنيها

وانظر السؤال الآتي وجوابه.

* * *

س: اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لام ماذا؟

ج: من أهل العلم من قال: إن اللام هنا لام العاقبة، فيكون المعنى: فالتقطه آلُ فرعون فكان عاقبة التقاطهم له أنه كان عدواً لهم وحزنًا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لما كان التقطاهم إياه يؤدي إلى كونه لهم عدواً وحزنًا، فاللام في «ليكون» لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرَّة عين، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدواً وحزنًا، فذكر الحال بالمآل، كما قال الشاعر:

وللمنايا تُربِّي كلُّ مُرْضِعةٍ ... ودُورُنَا لخَرابِ الدهر نبْنِيها

وقال آخر:

فللموت تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَهَا ... كما لخراب الدهر تُبنَى المساكنُ

أي: فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحًا به.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال محمد بن إسحاق وغيره: «اللام ـ هنا ـ لام العاقبة، لا لام التعليل؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك». ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه، ولكن إذا نُظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل؛ لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزنًا. فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]. هذا، وقد اختار الشنقيطي رحمه الله أن اللام للتعليل وانتصر لذلك بقوة.

س: ما وجه العداوة والحزن في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه كان عدوًا لهم في دينهم وحزنًا عليهم لما لحقهم بعد ذلك من المكروه على يديه بعد إعراضهم عن الاستجابة له.

* * *

س: وضح المراد بالخطيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾؟

ج: المراد بـ«الخطيئة» هنا ـ والله أعلم ـ: الشرك والذنب العظيم؛ أي: كانوا خاطئين فيما هم عليه من الكفر والظلم.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي: مرتكبين الخطيئة التي هي الذنب العظيم كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١].

قال: ومن إطلاق الخاطئ على المذنب العاصي قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]، أو قوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، والعلم عند الله تعالى.

* * *

س: في قول امرأة فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ مقدرٌ، ما هو؟

ج: هذا المقدر هو: ﴿هذا﴾، فالمعنى: هذا قرة عين لي ولك، وتعني

بذلك موسىٰ عليه السلام.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لا يشعرون أن هلاكهم علىٰ يديه[1].

الثاني: لا يشعرون أنه عدو لهم من بني إسرائيل.

الثالث: لا يشعرون بما هو كائن من أمره.

الرابع: لا يشعرون أنهم علىٰ خطأ ـ بالنسبة لهم ـ في التقاطه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ فارغًا من ماذا؟

ج: قول أكثر أهل العلم في هذا المقام علىٰ أنه أصبح فارغًا من كل شيء إلا من ذكر موسىٰ عليه السلام؛ أي: أنها لم تعد تفكر في شيءٍ من أمر الدنيا إلا في ولدها موسىٰ عليه السلام وقد ورد ذلك عن قتادة من وجوه؛ قال قتادة: أي: لاغيًا من كل شيء إلا من ذِكر موسىٰ.

* ومن العلماء من قال: أصبح فارغًا من الوحي الذي أوحاه الله إليها بقوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

* صح عن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠] قال: فارغًا من الوحي الذي أوحىٰ الله إليها حين أمرها أن تلقيه

---

(١) وصح نحو هذا عن قتادة عند الطبري.

في البحر، ولا تخاف ولا تحزن، قال: فجاءها الشيطان، فقال: يا أم موسىٰ، كرهتِ أن يقتل فرعون موسىٰ، فيكون لك أجره وثوابه وتولَّيت قتله، فألقيتِه في البحر وغرَّقتِه، فقال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ من الوحي الذي أوحاه إليها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

ج: أما معنىٰ ﴿تُبدي﴾ فهو تُظهر، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩].

* أما المعنىٰ فهو ـ والله أعلم ـ: وأوشكت أم موسىٰ أن تقول إن هذا ولدي، أو شكت أن تقول: يا ابناه؛ أوشكت أن تخبر الناس بخبرها وخبر ما صنعت بولدها وما صُنع به.

* وصح عن ابن عباس[1] أنه قال: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: أن تقول: يا ابناه.

* وبإسناد حسنٍ عن قتادة[2] أنه قال: أي: لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها.

* * *

(١) الطبري (٢٧٢٠٨، ٢٧٢٠٩).
(٢) الطبري (٢٧٢١١).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لولا أن ثبتناها ووفقناها وقوينا قلبها وقذفنا فيه الصبر والإيمان لتكون من المصدقين بوعد الله، الموقنين به.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لا يشعرون أنها تنظر إليه، لا يشعرون أنها أخته.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: معناه من الارتضاع من المرضعات التي أتوه بها.

* وصح عن ابن عباس[1] أنه قال: كان لا يؤتى بمرضعٍ فيقبلها.

* وبإسناد حسنٍ عن قتادة[2] قال: جعل لا يؤتى بامرأةٍ إلا لم يأخذ ثديها.

* أما قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن نرده إلى أمه، ومن قبل أن تقول لأختِهِ قُصيِّه.

* * *

(١) الطبري (٢٧٢٣٤).

(٢) الطبري (٢٧٢٣٦).

س: ما الوعد المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾؟

ج: هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾؛ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يصدقون بأن وعد الله حق ولا يعلمون ذلك.

* * *

س: اذكر طرفًا من فضل الله على أم موسى؟

ج: من ذلك ما يلي:

* وحْيُ الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

* رجوع ولدها إليها يتربى في بيتها وهي عليه آمنة مطمئنة، بل وتتقاضى أجراً على ذلك أيضًا، وتُغدق عليها الهدايا والمنح من أجل ذلك.

* ومن ذلك أن الله قذف محبة موسى في قلب كل من رآه كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ [طه: ٣٩].

* ومن ذلك أن الله ألهمها الصبر وربط على قلبها.

* * *

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بلغ أشده واستوى ـ حُكمًا ـ شيعته ـ فاستغاثه ـ فوكزه ـ فقضى عليه ـ بما أنعمت عليّ ـ ظهيرًا للمجرمين ـ يترقب ـ استنصره ـ يستصرخه ـ غويٌّ مبين ـ جبَّارًا).

ج:

الكلمة	معناها
بلغ أشده	بلغ أشَدَّ قوته وتمام عقله.
واستوى	
حُكمًا	إصابة في الأمور.
شيعته	جماعته وأقاربه، الذي هم على دينه؛ وهم بنو إسرائيل. وشيعة الرجل عمومًا هم الذين يشايعونه ويعاونونه على ما هو عليه.
فاستغاثه	فطلب إغاثته؛ (طلب منه أن يغيثه).
فوكزه	ضربه بجمع كفه.
فقضى عليه	فقتله.
بما أنعمت عليَّ	بإنعامك عليَّ.
ظهيرًا للمجرمين	معينًا للمجرمين؛ (على إجرامهم).

يترقب	ينتظر الطلب أن يدركه ـ يتحسس الأخبار ـ ينظر نتائج الأمور .
استنصره	طلب نصرته ومساعدته .
يستصرخه	يستغيث به ، وأصله من الصُّراخ ، فالمستصرخ يصرخ كي يأتيَه الناس .
غويٌّ مبين	خائب ـ ذو غواية ، موقعٌ في الغواية ؛ لأنه أوقع موسىٰ عليه السلام في قتل النفس التي لم يؤمر بقتلها (فهي بمعنىٰ مغوي) . وقيل : خائب ؛ لقتاله من لا يطيق قتاله . وقيل : بمعنىٰ غاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شره .
جباراً	قتَّالاً . وقيل : الجبار الذي لا يتواضع لأمر اللَّه عزَّ وجلَّ .

س: ما السن التي عندها يكون بلوغ الأشد؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال؛ منها: أنها أربعون سنة، ومنها: أن ذلك عند بلوغ ثلاث وثلاثين.

* * *

س: ما فائدة ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: فائدة ذلك تعميم الجزاء، فكل محسن يجازيه الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء:

* كما قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**﴾ [القمر: ٣٥] وذلك بعد ذكر نبي الله نوح ﷺ.

* وكما قال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

* وكما قال تعالى بعد ذكر امتنانه على عبده أيوب عليه السلام: ﴿**وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: يتذكرها العباد فيعملوا كعمله فيثابوا كما أثيب عليه السلام.

وقد قدمنا مزيداً لذلك في سورة يوسف عليه السلام.

* * *

س: لماذا دخل موسى المدينة على حين غفلةٍ من أهلها؟ ومتى كانت هذه الغفلة؟

ج: **من أهل العلم من قال:** لم يتعمد موسى ذلك، وإنما وافق دخولُهُ غفلةً من أهلها، أما الغفلة فهي منتصف النهار.

وأورد الطبري جملة أقوال في ذلك؛ فقال:

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسىٰ هذه المدينة في هذا الوقت، فقال بعضهم: دخلها متبعًا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسىٰ غير شاهد، فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل في هذه المدينة. وذكر القائلين بذلك.

* **وقال آخرون:** بل دخلها مستخفيًا من فرعون وقومه؛ لأنه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه.

* **وقال آخرون:** بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشدَّه.

* **قالوا:** ومعنىٰ الكلام: ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها لذكر موسىٰ أي من بعد نسيانهم خبره وأمر، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: مَن المعْنيّ بقوله: ﴿مِن شِيعَتِهِ﴾ و﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾؟

ج: المعنيُّ بالذي من شيعته: هو الإسرائيلي الذي هو من أهل دين موسىٰ.

أما الذي من عدوه: فهو من القبط من آل فرعون.

* * *

س: وضح المراد بقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾؟

ج: يعني نبي الله موسىٰ عليه السلام، أنه ظلم نفسه بقتل نفسٍ لم يؤمر

بقتلها، ولذلك فإنه يقول يوم القيامة إذا أتاه الناسُ فقالوا له: يا موسىٰ أنت رسول الله؛ فضلك الله برسالاته، وبتكليمه علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ ﷺ: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها. نفْسِي نفْسِي...**»[1].

* * *

س: كثير من أهل العلم رحمهم الله يقولون بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكيف وجهوا صنيع موسى عليه السلام إذ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة:

أحدها: أنه فعل ذلك قبل النبوة.

الثاني: أن هذا لم يصدر منه عن عمد؛ فالوَكْزَة في الغالب لا تفضي إلىٰ القتل.

الثالث: أن هذا كان من باب دفع العدو الصائل.

* * *

س: قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أنعمت عليَّ بماذا؟

ج: الإنعام هنا عام، ويدخل فيه الإنعام عليه بالحكم والعلم والإيمان، وبلوغ القوة والأشد، ومغفرة الذنوب أيضًا وعدم العقوبة عليه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧١٢)، ومسلم (حديث ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه... عن النبي ﷺ.

س: وضح المراد بقوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم - يا رب لإحسانك إليَّ ونعمك التي أنعمت بها عليَّ فلن أعاون المجرمين على إجرامهم؛ أي: فلن أقابل الإحسان بالإساءة، ولن أتعاون مع الظلمة وأهل الشر والفساد، هذا هو المعنى الذي أرتضيه في هذا المقام.

وقد أورد القرطبي رحمه الله جملة أقوال في ذلك فقال:

قال الزمخشري: قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجوز أن يكون قسمًا جوابه محذوف تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبنّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وأن يكون استعطافًا كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة فلن أكون - إن عصمتني - ظهيرًا للمجرمين.

وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته، وتكثير سواده، حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما بمظاهرة من أدّت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي، المؤدّية إلى القتل الذي لم يحلّ له قتله. وقيل: أراد إني - وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به، فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمنًا ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع.

وقيل في بعض الروايات: إن ذلك الإسرائيلي كان كافرًا، وإنما قيل له إنه من شعيته لأنه كان إسرائيليًا ولم يرد الموافقة في الدين. فعلى هذا ندم لأنه أعان كافرًا على كافر، فقال: لا أكون بعدها ظهيرًا للكافرين.

وقيل: ليس هذا خبراً بل هو دعاء؛ أي: فلا أكون بعد هذا ظهيراً؛ أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين، وقال الفراء: المعنىٰ: اللهم فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وزعم أن قوله هذا هو قول ابن عباس.

قال النحاس: وأن يكون بمعنىٰ الخبر أولىٰ وأشبه بنسق الكلام، كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ، وهذا قول ابن عباس علىٰ الحقيقة لا ما حكاه الفراء؛ لأن ابن عباس قال: لم يستثن فابتلي من ثاني يوم؛ والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا يقال: اللم اغفر لي إن شئت، وأعجب الأشياء أن الفراء روىٰ عن ابن عباس هذا ثم حكىٰ عنه قوله». اهـ.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تنهى عن مظاهرة أهل الإجرام والظلم ومعاونتهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

* قوله تعالىٰ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

* وقوله تعالىٰ: ﴿**وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٧].

* وقوله تعالىٰ: ﴿**وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿**فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [القصص: ٨٦].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

* وقال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(١)، قيل: يا رسول الله كيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم».

* * *

س: من أهل العلم من ذكر أن موسى عليه السلام نسي أمرًا كان ينبغي أن يفعله؛ عندما قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ما هذا الأمر؟

ج: قال السمعاني في تفسره:

«وفي بعض التفاسير أن قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ كانت زلة من موسىٰ عليه السلام حين لم يقرن به مشيئة الله أو الاستغاثة من الله، وقلما يقول الإنسان هذا القول، ويطلق هذا الإطلاق إلا ابتلي، فابتلي موسىٰ في اليوم الثاني بما ذكره الله تعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...﴾الآية [القصص: ١٨]. اهـ.

قلت (مصطفىٰ): مما يدل علىٰ أن موسىٰ عليه السلام كان ذاكرًا لربِّه في هذا المقام قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، ولكن لعل الذي صدر قد صدر

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٤)، ومسلم (٢٥٨٤).

ليعلمنا ربنا أن الشخص لا ييأس من رحمة الله وعفوه سبحانه.

* * *

س: من القائل: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟

ج: قائل ذلك هو الإسرائيلي؛ توقع ـ لما أراد موسىٰ أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما ـ توقع أن موسىٰ يريد قتله، ولم يكن موسىٰ يريد ذلك، فقال: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟!

وهذا قول جمهور المفسرين، ولم يحك الطبريُّ قولاً سواهُ.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

«هذا قول الإسرائيلي من غير خلافٍ علمناه بين المفسرين». اهـ.

* وتقلَّده الحافظ ابن كثير أيضًا فقال: ثم عزم (أي: موسىٰ) علىٰ البطش بذلك القبطي فاعتقد الإسرائيلي ـ لخوره وضعفه وذلته ـ أن موسىٰ إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسىٰ عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقَفها من فمه، ثم ذهب بها إلىٰ باب فرعون فألقاها عندهم، فعلم بذلك، فاشتد حنقه، وعزم علىٰ قتل موسىٰ فطلبوه، وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك.

* وثمَّ قول آخر أن القائل هو القبطي الذي كان يقاتل الإسرائيلي لكن القائلون به قلةٌ، والله أعلم.

* * *

س: حتى أهل الفضل والصلاح قد تصدر منهم الذنوب، بل وقد تتكرر، ولكنهم لا ييأسون من رحمة الله، دلِّلْ على ذلك ووضحه.

ج: نعم، قد تصدر من أهل الصلاح ذنوبٌ وقد تتكرر ولكنهم لا يقنطون من رحمة الله عز وجل، وقد قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

*وقد ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن المراد بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أن العبد يُذنب ثم يظن أن ذنبه لا يغفر فيترك الاستغفار ويترك الرجوع إلىٰ الله، فمن ثَمَّ يقع في الهلكة[1]، والعياذ بالله.

*وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ[2] فيما يحكي عن ربِّه عز وجل قال: «أَذْنَبَ عبْدٌ ذَنْبًا، فقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ تبارك وتَعَالَى: أَذْنَبَ

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالىٰ: ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلىٰ التهلكة يقول: لا توبة لي.
وفي رواية (٣١٦٩): «هو الرجل يذنب فيقول: لا يغفر اللَّه له». وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يُذنب الذنب فيستسلم ويُلقي بيده إلىٰ التهلكة ويقول: لا توبة له ـ يعني قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥].
وقال الطبري ـ بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة ـ: وكذلك الآيس من رحمة اللَّه لذنب سلف منه مُلق بيديه إلىٰ التهلكة لأن اللَّه قد نهىٰ عن ذلك فقال: ﴿ولا تيأسوا من روح اللَّه إنه لا ييأس من روح اللَّه إلا القومُ الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧].

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن =

عَبْدي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ: ربِّ اغْفِرْ لي ذَنْبي، فَقَالَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ: عَبْدي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقَالَ: أيْ: رَبِّ! اغْفِرْ لي ذَنْبي. فَقَالَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى : أذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

* وها هو رجل يُكثر من شرب الخمر فيؤْتىٰ به إلىٰ رسول الله ﷺ، فأخرج البخاري [1] من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان علىٰ عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب «حِمَارًا»، وكان يُضْحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمرَ به فجلد فقال رجلٌ من القومِ: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتىٰ به! فقال النبيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنُوه فَوَاللّه مَا [2] عَلِمْتُ أَنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ»[3].

* وفي رواية أن رجلاً قال: ما له أخزاه الله! فقال رسولُ الله ﷺ: «لا

= النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) نقل الحافظ ابن حجر في (ما) هنا أقوالاً: أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في «إعراب الجمع» أنه قال: ما زائدة أي فوالله علمت أنه. والهمزة علىٰ هذا مفتوحة. قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا؛ أي: علمت عليه أو فيه سوءًا ثم استأنف فقال: «إنه يحب اللّه ورسوله».

(٣) عند أبي يعلىٰ (١/ ١٦١) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أن رجلاً كان يلقب «حمارًا» وكان يهدي لرسول اللّه ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلىٰ رسول اللّه ﷺ فيقول: يا رسول اللّه، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول اللّه ﷺ علىٰ أن يبتسم ويأمر به فيعطىٰ... فذكر الحديث وفي آخره: «لا تلعنوه فإنه يحب اللّه ورسوله». وإسناده حسن.

تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطانِ على أخيكُمْ»(١).

فجديرٌ بالعبد أن لا يقنط أبدًا من رحمة الله عز وجل بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثمَّ أحدٌ بمصعوم من الذنب، وقد قال تعالىٰ في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فحتى التَّقيُّ قد تصدر منه كبيرة، قد تزل قدمُه ويقع في فاحشة، ولكنه يُقلع عنها وينيب إلى ربه ويستغفر:

* وها هم المرسلون، قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠، ١١] وموسىٰ الكليم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وعلىٰ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قتل نفسًا فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

* وهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدَّقُوا به، قال اللهُ عنهم: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥] ففيه دليل علىٰ أنهم عمِلُوا شيئًا من السوء.

* * *

(١) هي عند البخاري (٦٧٨١).

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

س: اذكر معنى ما يلي:

(يسعى ـ الملأ ـ يأتمرون بك ـ يترقب ـ توجَّه ـ تلقاء مدين ـ يهدين سواء السبيل ـ ورد ماء مدين ـ أُمَّة ـ من دونهم ـ تذودان ـ ما خطبكما ـ يُصدر الرعاء ـ فقير).

ج:

الكلمة	معناها
يسعى	يعجل ـ يُسرع
الملأ	أشراف القوم
يأتمرون بك	يتآمرون لقتلك، ويبحثون في أمرك وما هم بك صانعون.
يترقب	ينتظر الطلب أن يُدركه
توجَّه	جعل وجهه وسيره.
تلقاء مدين	ناحية بلاد مدين.
يهديني سواء	يرشدني إلى الطريق السوي المستقيم.
السبيل	يرشدني إلى الطريق السمح الموصل إلى بلاد مدين[1].
ورد ماء مدين	بلغ الماء الذي يسقي منه أهل مدين مواشيهم ويشربون منه.
أمةً	جماعة.
من دونهم	من سواهم.

تذودان	تمنعان ـ تحبسان ـ تكفان أنعامهما وأغنامهما لئلا تختلطان بأنعام الرعاة وأغنامهم .
ما خطبكما	ما شأنكما .
يُصدر الرعاء	الرعاء : جمع راعٍ ، ويصدر الرعاء ، ينصرف الرعاة بعد سقي مواشيهم وأنعامهم .
فقير	محتاج .

س: هل من قول بأن الرجل الذي جاء يسعى هو مؤمن آل فرعون؟

ج: ورد عن قتادة بإسناد حسنٍ[1] عند الطبري أنه قال: كنا نحدَّث أنه مؤمن آل فرعون.

ولكن لا دليل على ذلك، وقتادة لم يرفعه إلى رسول الله ﷺ ولا أسنده إليه.

* * *

س: ينبغي أن يؤازر المؤمنون الدعاةَ إلى اللهِ ويعاونوهم وينصحوهم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* مجيء الرجل من أقصى المدينة يسعى لنصح موسى وتحذيره كما قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى** . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٠].

* ونحو هذا الصنيع صنيع صاحب سورة يس: قال تعالى في شأنه: ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [يس: ٢٠].

* وقول الحواريين إذ قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿ **مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ** ﴾ [الصف: ١٤].

هذه فضلاً على العمومات الآمرة بالتعاون على البرِّ والتقوى والنصح

(١) الطبري (٢٧٢٩٠).

لكل مسلمٍ.

* * *

س: ما الذي كان يترقبه موسى عليه السلام؟

ج: كان يترقب أن يؤخذ بما صنعه من قتل النفس.

وأيضًا يترقب الأخبار وأحاديث الناس في الصدد.

* * *

س: الخوف الجِبلِّي قد يتسرب إلى أهل الفضل والصلاح. دلِّلْ على ذلك.

ج: نعم، قد يتسرب الخوف الجبلِّي إلى أهل الفضل والصلاح، ولكنهم يجأرون إلى الله ويستعينون به فينجيهم الله عز وجل. أما تسربه إليهم؛ فقد قال تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ [القصص: ٢١]. وقال موسى أيضًا: ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾ [الشعراء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٦].

* * *

س: في قول موسى للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ وفي حديثهما معه ما يدل على جواز مخاطبة الرجل للمرأة الأجنبية. دلِّلْ على ذلك بمزيد من الأدلة، ووضح فقه المسألة باختصار.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ**

حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

* قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...﴾ [القصص: ٢٣-٢٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

* وأخرج البخاري من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه[1]: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أناوأخوانٌ لي أنا أصغرهم؛ أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم - إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلىٰ النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتىٰ قدمنا جميعًا فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عُمَيْس - وهي ممن قدم معنا - علىٰ حفصة زوج النبي ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلىٰ النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر علىٰ حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأىٰ أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس،

(١) البخاري (حديث ٤٢٣٠).

قال عمر : آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ ، وايم الله ، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتىٰ أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذىٰ ونخاف ، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه .

فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله ، إن عمر قال كذا وكذا ، قال : «فَمَا قُلْتِ لَهُ؟» قالت : قلت له كذا وكذا ، قال : «**ليسَ بأحَقَّ بي مِنْكُمْ، ولَهُ ولأصحابه هِجْرَةٌ وَاحِدةٌ ، ولَكُمْ أنْتُمْ أهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**» ، قالت : فلقد رأيت أبا موسىٰ وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً ليسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ .

* وأخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة عليها السلام : واكرب أباه ، فقال لها : «**ليْسَ علَى أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**» فلما مات ، قالت :

يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه يا أبتاه، مَنْ جنةُ الفردوس مأواه؟

يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه

فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام : يا أنس ، أطابت نفوسُكم أن تحثُوا علىٰ رسول الله ﷺ التراب؟! .

* * *

س: ما الأدب المستفاد من قول المرأتين: ﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾؟

ج: هذا الأدب يتمثل في حيائهما، وابتعادهما عن مزاحمة ومخالطة الرجال.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ لِلنِّساءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ**»(١).

* * *

س: ما فائدة تذكير المرأتين بشيخوخة أبيهما إذ قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾؟

ج: ذكر بعض أهل العلم فائدتين لذلك:

إحداهما: دفع شبهة والتماس عذر؛ فكأن المرأتين أجابتا مُسبقًا عن سؤال قد يوجَّه إليهما: فلماذا خرجتما إذن؟ وما دمتما لا تختلطان فلماذا لا تقران في بيوتكما؟

فأجابتا بما حاصله: إنه ليس من شيمتنا الخروج، ولا مخالطة الرجال ولكنا اضطُررنا للخروج لكون أبينا شيخًا كبيراً.

الثاني: قال بعض أهل العلم: إن المرأتين استعطفتا موسىٰ بهذا القول كي يسقي لهما، والله أعلم.

* * *

(١) حسن بمجموع طرقه، وقد أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن: ١٩٦٩)، وابن ماجه (٣٧٥٠)، وانظر كتابنا: «جامع أحكام النساء» (٤/ ٣٦٢).

س: ما اسم هذا الشيخ الكبير؟

ج: لم يصح في اسم هذا الشيخ خبرٌ عن رسول الله ﷺ، فالإمساكُ عن تسميته أولىٰ، وإن كان بعض أهل العلم قد قال: إنه شعيبٌ عليه السلام.

ولا دليل علىٰ هذا إلا التوافق في البلدة وأنها مدَيْن.

وقال آخرون: إنه يثرون. وقيل غير ذلك.

قال السعدي رحمه الله «تيسر الكريم الرحمن»:

وهذا الرجل ـ أبو المرأتين ـ صاحب مدين ـ ليس بشعيبٍ النبيُّ المعروف كما اشتهر عند كثير من الناس؛ فإن هذا قول لم يدل عليه دليل.

وغاية ما يكون: أن شعيبًا ـ عليه السلام ـ قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضًا: فإنه غير معلوم أن موسىٰ أدرك زمان شعيب ـ فكيف بشخصه؟!

ولو كان ذلك الرجل شعيبًا لذكره الله تعالىٰ، ولسمته المرأتان، وأيضًا: فإن شعيبًا، عليه الصلاة والسلام ـ قد أهلك الله قومَه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ اللهُ المؤمنين به أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء وصد ما شيتهما، حتىٰ يأتيَهُما رجل غريب فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضىٰ أن يرعىٰ موسىٰ عنده ويكون خادمًا له وهو أفضل منه وأعلىٰ درجة، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسىٰ، فلا منافاة.

وعلىٰ كل حال، لا يعتمد علىٰ أنه شعيبٌ النبيُّ، بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

ج: قال أبو المظفر السمعاني في تفسيره:

«أجمع المفسرون على أنه طلب من الله الطعام لجوعه، قال ابن عباس: فَلْقَةُ خبزٍ أو قبضةُ تمرٍ. وقال سعيد بن جبير: لم يكن على وجه الأرض أكرم منه، وكان محتاجًا إلى شق تمرة. وقال مجاهد: طلب الخبز». اهـ.

* * *

س: اذكر بعض المعاني التي يُطلق عليها الخير.

ج: قال القرطبي رحمه الله:

«فالخير يكون بمعنى: «الطعام» كما في هذه الآية، ويكون بمعنى «المال» كما قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]» ويكون بمعنى «القوّة» كما قال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]، ويكون بمعنى «العبادة» كقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع، واخضرّ لونُه من أكل البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق على الله.

ويروى أنه لم يصل إلى مدين حتى سقط باطن قدميه. وفي هذا معتبر وإشعار بهوان الدنيا على الله.

وقال أبو بكر بن طاهر في قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]: أي: إني لما أنزلتَ من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنيَني بك عمن سواك».

فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا

تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ

أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ

لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا

يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ

﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن

تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ

وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ

قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(استأجره ـ أُنكحك ـ تأجرني ـ حِجج ـ قضيتُ ـ فلا عدوان عليَّ ـ وكيل).

ج:

الكلمة	معناها
استأجره	اتخذه أجيراً.
أُنكحك	أُزوجك.
تأجرني	تعمل أجيراً عندي.
حجج	سنوات.
قضيتُ	أتممتُ.
فلا عدوان عليَّ	لا اعتداء عليَّ، ولا أُطالَب بمزيد.
وكيل	شهيد ـ حفيظ.

س: كيف جاءت المرأة تمشي على استحياء؟

ج: صح[١] عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال: جاءت تمشي على استحياء قائلةً بثوبها على وجهها، ليست بسلفعٍ من النساءِ ولاجَّة خرَّاجة».

* وفي لفظ عند الحاكم: عن عمر رضي الله عنه: فجاءته إحداهما تمشي على استحياء. قال: كانت تجيء وهي خراجةٌ ولاجةٌ، واضعةً يدها على وجهها.

* * *

س: ذكر بعض أهل العلم فائدة في قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، وضح هذه الفائدة.

ج: إيضاح ذلك: أن الاستحياء لم يكن عند كلامها مع موسى فقط، إنما كان في مشيتها أيضًا، فلم يكن استحياءًا متكلفًا أمام موسى عليه السلام، بل جُبلت على الحياء وكان ديدنَها، والله أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿تَمْشِي﴾ كائنةً ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ حالتي المشي والمجيء لا عند المجيء فقط، وهذا دليل على كمال إيمانها وشرف عنصرها؛ لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا، فأتته مستحية.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، والحاكم (٢/ ٤٠٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

س: في قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ما يدل على فضيلة للمرأة، وفضيلة لموسى عليه السلام، وضح ذلك.

ج: أما فضيلة المرأة فظاهرة واضحة؛ فهذا يدل على شدة حيائها وكريم خُلقها فالحياء من مكارم الأخلاق، وخصوصًا من النساء.

* أما بالنسبة لموسى فهذا أيضًا يدل على حسن خلق موسى، وكرم نفسه؛ فلو كان أجيراً متبذلاً يُعلم أنه أجير فإن الحياء منه في الغالب يكون قليلاً، فالحياء من الخدم أقل منه مع السادة وأهل الصلاح والفضل وأهل الكرم والعفاف، فالرجل الصالح الشهم النبيل يُستحيا منه في الغالب. فهذا وجه فضيلة موسى عليه السلام، والله أعلم.

* * *

س: في قول المرأة: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أدب من آداب التخاطب، وضح ذلك.

ج: هذا الأدب يتمثل في عدم جرح الأشخاص وإحراجهم عند الحديث معهم وعند إكرامهم.

ووجه ذلك أن المرأة لم تقل: إن أبي يدعوك للإحسانِ إليك ولإكرامك.

فتكون هذه منة منها عليه، ولكنها قالت: ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فأنت الذي ابتدأت بالإحسان فأردنا أن نكافئك على إحسانك.

فالدِّقة في انتقاء الألفاظ مطلوبة؛ فينبغي أن تنتقي الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب.

فالرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانَه[١] كما قال الرسول ﷺ، فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًا وغمًا، ويمكن أن تبدل بكلمة تجلب انشراحًا وسعادة، وها نحن نورد بعض نماذج ذلك:

* فرقٌ بين قولك لشخص ضربه آخر وظلمه: «أين المضروب؟»، وبين قولك: «أين صاحب الحق؟»، فالمضروب هو صاحب الحق، ولكن في قولك له: أين المضروب؟، أو: أنت المضروب؟ مزيدُ إهانة وإذلالٍ، لكن في قولك: أين صاحب الحق؟ ردٌ للأمور إلى نصابها.

* وفرق كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارٌ موقدة: «يا أهل النار، ويا أصحاب النار». وبين ندائك لهم: «يا أهل الضوء، أو: يا أصحاب النور».

* وكذلك ثمَّ فرقٌ بين قولك لرجلٍ تزوج باثنتينِ: «مَنْ هي الزوجة القديمة؟» وقولك: «مَنْ هي الزوجة الأولى؟»، أو بين قول الزوج نفسه متحدثًا عن زوجته: «الزوجة القديمة» وبين قوله: «الزوجة الأولى، أم فلان وأم فلان (بكنيتها)».

وانظر إلى أدب عليٍّ رضي الله عنه ومعه صحابيٌّ[٢] آخر لما أرسلهما النبيُّ ﷺ للبحث عن الماء فالتقيا بامرأة بين مزادتين - أو سطيحتين - من ماء على بعيرٍ لها فقالا لها: «انطلقي إذًا.

قالت: إلى أين؟

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤)، ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

(٢) الرجل الآخر، أشار الحافظ إلى أنه عمران بن حصين رضي اللَّه عنه.

قالا: إلىٰ رسول الله ﷺ، قالت: الذي يُقال له: الصابىء؟ قالا: هو الذي تعنين... الحديث[١].

* فانظر إلىٰ هذا الأدب فلم يقولا لها (لا) حتىٰ يقعا في الكذب ولم يقولا لها (نعم) فيكون في مقالتهما إقرارٌ علىٰ أنه (الصابىء) وإن كان كلمة «الصابىء» تتحمل جملة، إذ «الصابىء» هو الذي ترك دينه واعتنق دينًا آخر.

* ولكن لا يليق بحال وصف النبي ﷺ بأنه «صابىء»، فقد استقرَّ في ذهن الناس آنذاك أن من وُصف بهذا فهو مذمو ولذلك عدلَ عليٌّ رضي الله عنه ومن معه إلىٰ هذه الكلمة: (هو الذي تعنين).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٢]:

«وفيه أدب حسن، ولو قالا لها: «لا» لفات المقصود، أو: «نعم» لم يحسن بهما، إذ فيه تقرير ذلك، فتخلصا أحسن تخلص.

قلت: فيا سبحان الله، من علَّم هؤلاء الأُمِّيينَ هذا العلم؟! ومن أدبهم بهذا الأدب؟!

فالحمد لله علىٰ نعمة الإسلام، وجزىٰ اللهُ خيراً نبيَّنا محمداً عليه أفضل صلاة وأتم السلام.

* وانظر أيضًا إلىٰ ما في هذه الآية الكريمة، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٤).

(٢) فتح الباري (١/ ٥٣٨).

فأثبت اللهُ تعالىٰ أن الصحابة يوم حنين وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ولكن لما سُئل البراءُ رضي الله عنه ترىٰ كيف أجاب؟!.

* ففي «الصحيح»[١] : أن البراء بن عازب رضي الله عنهما جاءه رجلٌ فقال له: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين، فقال: أما أنا فأشهد علىٰ النبي ﷺ أنه لم يُوَلِّ...».

* وفي رواية: أفررتم[٢] عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر...

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذا أجابه بقوله: «نعم فررنا» أن رسول الله ﷺ فرَّ معهم، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله: لكن رسولَ الله ﷺ لم يفر. فنعم هذا الأدب.

وقد قال النووي رحمه الله تعالى: هذا الجواب من بديع الأدب؛ لأن تقدير الكلام فررتُم كلم؟ فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء: لا، والله ما فرَّ رسولُ الله ﷺ.

* ومن ذلك قول النبي ﷺ لما بلغه أن خالدًا قتل القوم الذين قالوا: «صبأنا. صبأنا» ولم يحسنوا أن يقولوا: «أسلمنا»، وأمر أيضًا بقتل الأسرىٰ منهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أبْرَأُ إليْكَ مِمَّا صَنَعَ خالدٌ**»[٣].

* ففرقٌ بين قول: «اللهم إني أبرأ إليك منْ خالد»، وقول: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدٌ**».

* * *

(١) البخاري (٤٣١٥).
(٢) البخاري (٤٣١٧).
(٣) البخاري (٧١٨٩).

س: أمران يجب أن يُراعيا عند استئجار الأجير، وضحهما بأدلتهما.

ج: هذان الأمران هما القوّة والأمانة، قوة على أداء العمل تتضمن خبرةً به، وأمانة في الأداء، وأمانة على العمل.

وهذه طائفة من الأدلة على ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] فوصفته بوصفيْنِ: القوّة، والأمانة.

* وهذا العفريت من الجن الذي عرض على سليمان عليه السلام أن يأتي بالعرش يقول: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩] فوصف نفسه بالوصفيْنِ أيضًا: بالقوّة، والأمانة.

* ويقول ربنا سبحانه وتعالى في شأن سفيره جبريل ﷺ: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] فوُصِفَ بـ «القوّة» في قوله: ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾، وبـ «الأمانة» كما في قوله: ﴿ أَمِينٍ ﴾.

* وقال الله سبحانه وتعالى في شأن موسى ﷺ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: ١٤]. فجمع بين القوة في قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾، وبين الحكم والعلم والإحسان في قوله: ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾، وهذه تتضمن الأمانة أيضًا.

* وفي شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ

ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦] فقوله تعالىٰ: ﴿**أُوْلِي الأَيْدِي**﴾ يخبر بقوتهم، وقوله: ﴿**وَالأَبْصَارِ**﴾ يتضمن العلم والفهم والأمانة، خاصةً إذا ضم إليها قوله: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ أي: خصصناهم بخاصيّة، وهي كثرة تذكر الدار الأخرىٰ، فهذا التذكر يتطلب منهم الأمانة والدِّين.

* وقوله تعالىٰ ـ في شأن يوسف ﷺ ـ أيضًا: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٢٢].

* وقول ملك مصر ليوسف عليه السلام: ﴿**إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ [يوسف: ٥٤].

* وكذلك قول يوسف ﷺ عن نفسه لما طلب العمل علىٰ خزائن الأرض زكَّىٰ نفسه بشيئين فقال: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥] فقوله: ﴿**حَفِيظٌ**﴾ يتضمن الأمانة، وقوله: ﴿**عَلِيمٌ**﴾ يتضمن القوّة والقدرة علىٰ العمل.

وهذا يَجرُّنا إلىٰ شيء؛ ألا وهو:

توضيح معنى القوّة المصاحبة للأمانة:

أيُّ قوّةٍ هذه، وما المراد بها؟ فلإيضاحها أقول:

إن المراد بـ «القوّة» القوّة الملائمة والمناسبة للعمل الذي يكلف به الشخص:

* **فقوّة العامل** المكلف بحمل أشياء، والسعي في أمور والذهاب والإياب والدفاع والهجوم ونحو ذلك: تكمن في بدنه، فيختار لها العامل قوي البدن.

* **وقوّة العالم**: تكمن في حفظه وذكائه وقوة استنباطه، وإنزال الفتاوىٰ في منازلها، ووضع الأمور في نصابها.

* **وقوة الطبيب**: تكمن في قدرته علىٰ تشخيص المرض، ووصف العلاج المناسب له.

* **وقوّة الطباخ في البيت**: تكمن في جودة الطهي.

* **وقوة المدرس**: تكمن في حصليته العمليّة، وقدرته علىٰ إفهام الطلاب.

* **وقوة المهندس**: تكمن في حسن تخطيطه، ومهارته في التنفيذ.

* **وقوة الفلاح**: تكمن في بدنه، وفي معرفته بالزراعة والحرث ورعاية الماشية.

* **وقوة الأمير في الحرب**: تكمن في بدنه أيضًا، وفي علمه بفنون الحرب وفي شجاعته.

* **وكل صانع**: تكمن قوته في معرفته بصنعته، ومهارته فيها.

* **وكل عالِم**: يكمن علمه في تخصصه الذي يقوم بتدريسه وتعليمه. وهكذا كل الأعمال.

فليست القوّة المرادة هي القوّة البدنيّة في كل الأحوال؛ وذلك لأن احتياجات الناس تختلف وتتنوع، وكذلك قدراتهم تختلف وتتنوع:

* فابن مسعود رضي الله عنه: رجل نحيف البدن، ولكنه [1] من أعلم الصحابة بالتفسير.

---

(١) أخرجه البخاي (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢) من حديث عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه =

* وخالدٌ سيفٌ سلَّه اللهُ على المشركين[١] ومع ذلك رواياته للأحاديث قليلة جدًا لا تكاد تُذكر.

* وأبو ذرٍّ: رجل قَوَّالٌ بالحقِّ، جريءٌ فيه، فما أقلَّت الغبراء ولا أظلَّتِ الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر[٢] ومع ذلك هو مع الإمارة ضعيف؛ قال النبي ﷺ: «**يا أبَا ذَرٍّ، إنِّي أرَاكَ ضعيفًا، وإنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي: لا تُأمَّرَنَّ على اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيمٍ**».

= عنه قال: واللَّه الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب اللَّه تبلغه الإبل لركبتُ إليه.

وفي رواية أخرىٰ عند البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) من طريق شقيق بن سلمة قال: خطبنا ابن مسعود فقال: واللَّه لقد أخذت من فيِّ رسول اللَّه ﷺ بضعًا وسبعين سورة، واللَّه لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب اللَّه، وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحِلَقِ أسمع ما يقولون ما سمعت رادًا يقول غير ذلك.

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي اللَّه، من دقَّة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد».

(١) قال رسول اللَّه ﷺ في شأن خالد، كما في «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (٥/ ٢٩٩): «اللهم هو سيف من سيوفك فانصره». وانظر أيضًا البخاري (٤٢٦٢).

(٢) أخرج الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢) بإسناد صحيح لغيره من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». والغبراء هي الأرض، والخضراء: السماء، واللَّه أعلم.

وانظر المنتخب لعبد بن حميد (بتحقيقي) رقم (٢٠٩).

وهأنذا أؤيد مقالتي هذه بهذا الكلام الطيب الرائع الجميل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ، من كتابه «السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة»، قال رحمه الله: والقوّة في كل ولاية بحسبها:

فالقوة في إمارة الحرب: ترجع إلىٰ شجاعة القلب، وإلىٰ الخِبْرةِ بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلىٰ القدرة علىٰ أنواع القتال مِن رمي وطعنٍ وضربٍ، وركوبٍ وكَرٍّ وفَرٍّ، ونحو ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا وَارْكَبُوا، وأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، ومَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**»، وفي رواية: «**فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا**» رواه مسلم[1].

والقوة في الحكم بين الناس: ترجع إلىٰ العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلىٰ القدرة علىٰ تنفيذ الأحكام.

والأمانة: ترجع إلىٰ خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله علىٰ كل من حكم

---

(١) الحديث باللفظ المشار إليه لم أقف عليه في مسلم، والذي في مسلم الفقرة الأخيرة منه: «مَن عُلِّم الرمي ثم تركه فليس منَّا ـ أو ـ قد عصىٰ» من حديث عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه مرفوعًا (١٩١٩).

وعند مسلم أيضًا (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر: «سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول وهو علىٰ المنبر: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

أما الحديث بلفظ قريب من المشار إليه فقد أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٢٣) وغيرهم، وفي إسناده بعض الكلام.

على الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ واخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

* * *

س: كيف عرفت المرأة قوّة موسى ـ عليه السلام ـ وأمانته؟

ج: ذهب أكثر المفسرين إلى أنها عرفت قوّته برفعه الحجر الذي لا يقدر على رفعه إلا مجموعة من الرجال. أما أمانته؛ فلكونه مشى أمامها وهي خلفه[1].

*وقد أخرج أبو يعلى[2] الموصلي بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وفتناك فتونًا...﴾ [طه: ٤١] فذكر الأثر وفيه: قال: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فاحتملته الغيرة على أن قال: وما يدريك ما قوته، وما أمانته؟ قالت: أما أمانته: قوته: فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أرَ رجلاً أقوى في ذلك السقي منه. وأما فإنه ينظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه، ولم يرفعه، ولم ينظر إليه حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين. فسرِّي عن أبيها فصدَّقها وظن به الذي قالت.

* * *

(١) انظر أثر عمر المتقدم قريبًا.

(٢) مسند أبي يعلى (٥/ ١٠)، والطبري (١٦/ ١٢٥).

س: من ترك شيئًا اتقاءً لله عوضه الله خيرًا منه، وضح ذلك من قصة موسى عليه السلام؟

ج: أما من قصة موسىٰ عليه السلام، فإنه عليه السلام لما غض بصره عن المرأة زوجه الله بها.

وأيضًا لما ترك أخذ الأجر علىٰ السُّقْيَا نُبلاً منه وكرمًا وشهامة عوضه الله خيراً من ذلك؛ فجاءته المرأةُ تقول: ﴿**إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**﴾ [القصص: ٢].

هذا؛ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال لأحد أصحابه: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءً لله تَبَارَكَ وتَعَالَى إلا آتَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْه**»(١).

* * *

س: اذكر من سورة القصص ما يدل على جواز عرض الرجل ابنتَه على الرجل الصالح كي يتزوجها. ودعِّم ذلك بأدلة أُخر من غير سورة القصص.

ج: **أما من سورة القصص**: فقد قال الشيخ الكبير لموسىٰ عليه السلام: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ . . .**﴾(٢) [القصص: ٢٧].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٩)، وله مصادر أخرىٰ، وهو صحيح.

(٢) قال القرطبي رحمه اللّه تعالىٰ (١٣/ ١٧٩): قوله تعالىٰ: ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ فيه عرض الوليّ بنته علىٰ الرجل، وهذه سنة قائمة، عَرَض صالح مدين ابنته علىٰ صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة علىٰ أبي بكر وعثمان، وعَرَضت الموهوبة نفسها علىٰ النبي ﷺ، فَمِن الحَسَنِ عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها علىٰ =

أما من غير سورة القصص: فعند البخاري[١] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمتْ حفصةُ بنت عمر من خُنيس بن حذافة السهمي ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة ـ فقال عمر بن الخطاب أتيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصةَ فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالَي ثم لَقِيَني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوَّجتُك حفصةَ بنتَ عمر فصَمَتَ أبو بكر فلم يُرجع إليَّ شيئًا، وكنت أوْجَدَ عليه منِّي على عثمان، فَلَبِثْتُ ليالَي ثم خطبها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدتَ عليّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ ولو تركها رسولُ الله ﷺ قبلتُها[٢].

* وأخرج البخاري من حديث أم حبيبة[٣] قالت: قلت: يا رسول الله،

= الرجل الصالح؛ اقتداءً بالسلف الصالح، قال ابن عمر: لما تأيمت حفصة قال عمر لعثمان: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر... الحديث.

(١) البخاري (٥١٢٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٩/ ١٧٨): وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه؛ لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجًا؛ لأن أبا بكر كان حينئذٍ متزوجًا.

(٣) البخاري (حديث ٥١٠٧).

أنكِحْ أختي بنتَ أبي سفيان. قال: «**وتُحِبِّينَ؟**» قلت: نعم، لستُ لك بمخلية، وأحبُّ من شاركني في خيرٍ أختي، فقال النبي ﷺ: **إنَّ ذلكَ لا يَحِلُّ لي**»، قلت: يا رسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «**بنتُ أمِّ سَلَمَةَ؟**» فقلت: نعم، قال: «**فَوَالله لَوْ لَمْ تَكُنْ في حجْرِي مَا حَلَّتْ لي، إنَّها لابْنَةُ أخَي من الرَّضَاعَةِ، أرْضَعَتْنِي وأبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَّ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أَخَوَاتِكُنَّ**».

* وأخرج مسلم [1] في «صحيحه» من حديث عليٍّ رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما لك تنوِّق [2] في قريش وتدعنا؟ فقال: «**وَعِنْدَكُمْ شيْءٌ؟**» قلت: نعم، بنت حمزة فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّها لا تَحِلُّ لِي، إنَّها ابْنَةُ أخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ دليل على الولاية في النكاح، وضح ذلك مع مزيد من الأدلة.

ج: إيضاحه: أن أمر النكاح هنا إلى الولي بدليل قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

وفي هذه الآية دليل على أن النكاح إلى الوليّ، لا حظ للمرأة فيه؛ لأن صالح مدين تولاه.

---

(١) مسلم (حديث ١٤٤٦).

(٢) تختار وتنتقي وتبالغ في الانتقاء.

وها هو مزيدٌ من الأدلة:

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ . . . ﴾[1] [البقرة: ٢٣٢].

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾[2] [البقرة: ٢٢١]

* وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[3] [النور: ٣٢].

* وكذلك قول الشيخ الكبير لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾[3].

* ونحوه: قول عمر رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه بعد أن تأيَّمت حفصةُ رضي الله عنها من خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه: إن شئت أنحكتُك حفصة . . . ، وقال أيضًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، إن شئت زوَّجتُك حفصة بنت عمر . . الحديث.

* وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها في وصف نكاح الجاهلية: (. . . فنكاح منها كنكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلىٰ الرجل وليّته أو ابنتَه فيُصدقها ثم ينكحها . . .)[4].

---

(١) وجه الاستدلال: أن الولي قد يُعضل، وسيأتي سبب نزول الآية الكريمة عن قريب إن شاء اللَّه.

(٢) وجه الاستدلال: من قوله تعالىٰ: ﴿ولا تُنكحوا﴾ فالذي يُنكح هو الولي.

(٣) ففيها أن الذي يُنكح هم الرجال.

(٤) أخرجه البخاري (الفتح ٩/ ١٨٢).

* وأصرح من هذا كله ما استدل به الجمهور من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا نِكَاحَ إلا بوَلِيٍّ**».

* وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أيُّمَا امْرأة نَكَحَتْ بغَيْرِ إذْنِ مَوَاليهَا فَنكَاحُهَا باطلٌ (ثلاثًا) ولَهَا مَهْرُهَا بِمَا أصَابَ مِنْهَا، فإنْ اشْتَجَرُوا فإنَّ السلطان وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ**».

وذهب بعض العلماء إلى أن الثيب تزوِّج نفسها مستدلين بقول النبي ﷺ «**الثيِّبُ أحَقُّ بِنَفْسِهَا**».

ولا يصفو لهم هذا الاستدلال؛ فقول النبي ﷺ يفسر بعضُه بعضًا، فقد قال النبيُّ ﷺ: **لا تُنْكَحُ الأيِّمُ حَتَّى تُسْتَأمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأذَنَ...**» الحديث.

ومعنى: «تُستأمَرَ» أوضحه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٩/ ١٩٢) فقال:

أصل الاستئمار طلب الأمر، فالمعنى: لا يُعقد عليها حتى يُطلب الأمرُ منها.

ويؤخذ من قوله: «تُستأمر» أنه لا يعقد إلا بعد أن تأمر بذلك، وليس فيه دلالة على عدم اشتراط الولي في حقها، بل فيه إشعار باشتراطه.

قلت: هذا بالنسبة للثيب، وهذا يفسر قول النبي ﷺ: «**الأيِّمُ أحَقُّ بِنَفْسِهَا**» إعمالاً للأدلة كلها.

ويقوِّي ذلك العمومُ الوارد في قول النبي ﷺ: «**لا نِكَاحَ إلا بِوَلِيٍّ**» وقول

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود (٢٠٨٥).

الله عز وجل: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ وواضح من سبب نزول الآية أنها نزلت في ثيب، والله أعلم[١]

* * *

س: هل يجوز لرجلٍ أن ينظر إلى امرأتين كي يتزوج إحداهما؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ: أن له هذا وذلك لقول الرجل الصالح لموسى عليه السلام: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**﴾ [القصص: ٢٧]، ولقول سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف لما آخى بينهما رسول الله ﷺ بالمدينة: (وانظر إلى إحدى زوجتي هاتين).

* أخرج البخاري[٢] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: «لما قدموا المدينة آخى رسولُ الله ﷺ بين عبدِ الرحمن وسعد بن الرَّبيع.

قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسِمْ مالي نصفَين، ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك فسَمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضتْ عدَّتُها فتزوجْها.

قال: بَارَكَ اللهُ لك في أهلكِ ومالكِ، أين سُوقُكم، فدَلُّوهَ على سوقِ بني قينُقاعَ، فما انقلب إلا ومَعَهُ فضلٌ من أقِطٍ وسمَنٍ.

ثم تابع الغدُوَّ. ثم جاء يومًا وبه أثر صفرةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**مَهْيَم؟**» قال: تزوجتُ. قال: «**كَمْ سُقت إليها؟**» قال: نواةً من ذهب ـ أو وزن نواةٍ

---

(١) وانظر تخريج هذا كله في كتابنا «جامع أحكام النساء»، وكله صحيح.

(٢) البخاري (حديث ٣٧٨٠).

مِن ذهب ـ شَكَّ إبراهيم.

* وعنده [١] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قدِمَ علينا عبدُ الرحمن بن عوف وآخى النبيُّ ﷺ بينَه وبين سعد بن الربيع ـ وكان كثيرَ المالِ ـ فقال سعد: قد علِمَتِ الأنصارُ أنِّي من أكثرِهَا مالاً، سأقسِمُ مالي بيني وبينك شطرَيْنِ، وليَ امرأتانُ انظرْ أعجبهما إليك فأطلِّقُها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتَها، فقال عبدُ الرحمن: بارك الله لك في أهلِك. فلم يرجعْ يومئذٍ حتى أفضل شيئًا من سمنٍ وأقِطٍ، فلم يَلْبَثْ إلا يسيراً حتى جاء رسولَ الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» قال: تزوجتُ امرأةً من الأنصارِ، قال: «**ما سُقْتَ فيهَا؟**» قال: وزن نواة من ذهب ـ أو نواةً من ذهب ـ فقال: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».

* * *

س: امرأة تقدم لها شخصٌ يخطبها فرآها، ولم تُبدِ له موافقةً ولا رفضًا، هل لشخص آخر أن يتقدم إليها ويراها لخطبتها قبل أن تبدي الموافقة أو الرفض للأول؟

ج: نعم، ذلك جائز لحديث فاطمة بنت قيس [٢]؛ ففيه:

أن فاطمة بنت قيس ذكرت للنبي ﷺ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهمٍ خطباها فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا أبُو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عَصَاهُ عنْ عَاتقه، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ، أنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْد**»، فكرهتْه، ثم قال: «**أنْكِحِي أُسَامَةَ**» فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به.

(١) البخاري (حديث ٣٧٨١).

(٢) مسلم (٣/ ٦٩٣).

وقد قال عدد كبير من أهل العلم في تفسير حديث رسول الله ﷺ: «**لا يَخْطُبْ أحَدُكُم على خِطْبَةِ أخيه**» **ما حاصِلُهُ:**

إذاتقدم رجلٌ لخطبة امرأةٍ فرآها ورأتْه، ولم تركن إليه ولم تُبدِ له موافقةً، فيجوز لغيره أن يتقدَّم لخطبتها، فالعبرة برضا المخطوبة وركُونِها إلىٰ الخاطب، فإذا رَضِيَتِ المخطوبة بالخاطب وركنت إليه فلا يحلُّ لأحدٍ أن يتقدَّم إليها حتىٰ يترك الخاطبُ الأولُ.

وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

قالَ الإمام مالك رحمه الله تعالى «الموطأ» (ص ٥٢٣):

وتفسيرُ قول رسول الله ﷺ ـ فيما نرىٰ والله أعلم ـ: «**لا يَخْطُبْ أحَدُكُم عَلى خِطْبَةِ أخيه**» أن يخطب الرجل المرأة فتركن إليه، ويتفقان علىٰ صداق واحد معلوم، وقد تراضيا، فهي تشترط عليه لنفسها، فتلك التي نَهىٰ أن يخطبها الرجل علىٰ خطبة أخيه، ولم يعْنِ بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمرُه، ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد فهذا بابُ فسادٍ يدخل علىٰ الناس.

قال الترمذي رحمه الله (عقب حديث ١١٣٤):

قال مالك بن أنس: إنما معنىٰ كراهية أن يخطب الرجل علىٰ خِطبة أخيه إذا خطب الرجل المرأة فرضَيَتْ به، فليس لأحدٍ أن يخطب علىٰ خطبته.

وقال الشافعي:

معنىٰ هذا الحديث: «**لا يخطب الرجلُ على خِطْبَةِ أخيه**» هذا عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه، فليس لأحد أن يخطب علىٰ

خطبته، فأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه فلا بأس أن يخطبها.

والحجة في ذلك حديث فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبو جهم فرجلٌ لا يرفع عصاه عن النساء، وأما معاوية فصعلوك لا ما له، ولكن أنكحِي أسامة**».

فمعنى هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما، ولو أخبرته لم يُشِر عليها بغير الذي ذكرت.

وقال أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦):

فلما خطب رسول الله ﷺ فاطمة على أسامة بعد علمه بخطبة معاوية وأبي جهم إياها، كان في ذلك دليلٌ على أن تلك الحال يجوز للناس أن يخطبوا فيها، وثبت أن المنهي عنه بالآثار الأُوَل خلاف ذلك فيكون ما تقدم ذكرنا له ي هذا الباب ما فيه الركون إلى الخاطب، وما ذكرنا بعد ذلك، ما ليس فيه ركون إلى الخاطب حتى تصح هذه الآثار وتتفق معانيها ولا تتضاد.

وقال الخرقي ـ رحمه الله ـ في مختصره (٦/ ٦٠٤):

من خطب امرأة فلم تسكن إليه فلغيره خطبتها.

والحجة في ذلك حديثُ فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبو جَهْمٍ فرَجُلٌ لا يَرْفَعُ عَصَاهُ عنِ النِّساءِ، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكَ لا مَال لَهُ، ولكن أُنكحِي أُسَامَةَ**».

فمعني هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره رضاها بواحدٍ منهما ولو أخبرته لم يُشِرْ عليها بغير الذي ذكرت.

وقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦):

فلما خطب رسول الله ﷺ فاطمة على أسامة بعد علمه بخطبة معاوية وأبي جهم إياها، كان في لك دليل على أن تلك الحال يجوز للناس أن يخطبوا فيها، وثبت أن المنهي عنه بالآثار الأُوَل خلاف ذلك فيكون ما تقدم ذِكرنا له في هذا الباب ما فيه الركون إلى الخاطب، وما ذكرنا بعد ذلك، ما ليس فيه ركون إلى الخاطب حتى تصح هذه الآثار وتتفق معانيها ولا تتضاد.

وقال الخرقي رحمه الله في مختصره (٦/ ٦٠٤):

ومن خطب امرأة فلم تسكن إليه فلغيره خطبتها.

وفصَّل ابن قدامة حال المخطوبة إلى ثلاثة أقسام:

(الأول) أن تسكن إلى الخاطب فتُجيبه، أو تأذن لوليها في تزويجه؛ فهذه يحرم على غير خاطبها خطبتها.

(الثاني) أن ترده ولا تركن إليه؛ فهذه يجوز خطبتها.

(الثالث) أن يوجد من المرأة ما يدل على الرضى والسكون تعريضًا لا تصريحًا. واختار ابن قدامة في هذه الحال أنها تمنع من الخُطَّاب الآخرين.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ (فتح الباري ٩/ ١٩٩):

وإذا لم تَرُدَّ ولم تقبل فيجوز، والحجة فيه قول فاطمة[1]: خطبني معاوية

(١) أي: بنت قيس.

وأبو جهم فلم ينكر النبي ﷺ ذلك عليهما بل خطبها لأسامة[١] .

* * *

س ـ هل لولي المرأة أن يستفيد شيئًا من صداقها؟

ج: الأصل أن صداق المرأة لها، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤]، ولقوله ﷺ: «**فهو بما اسْتَحْلَلْتَ مِنْ فَرْجِهَا**»[٢] وفي رواية «**فَقَدْ دَخَلْتَ بِهَا**» إلى غير ذلك من الأدلة.

لكن إن طابت المرأة نفسًا بإعطاء أبيها شيًا فلا بأس بذلك؛ قال الشيخ الصالح لموسى عليه السلام: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ** ﴾ [القصص: ٢٧].

* * *

(١) قال الحافظ عقب هذا الكلام: وأشار النووي وغيره إلى أنه لا حجة فيه؛ لاحتمال أن يكونا خطبا معًا، أو لم يعلم الثاني بخطبة الأول، والنبي ﷺ أشار بأسامة ولم يخطب، وعلى تقدير أن يكون خطب فكأنه لما ذكر لها ما في معاوية وأبي الجهم ظهر منها الرغبة عنهما فخطبها لأسامة.

قلت (والقائل مصطفى):

وما زال وجه الاستشهاد بقصة فاطمة قائمًا وحاصله (على أي الأوجه) أن فاطمة جاءت تستشير رسول اللّه ﷺ في معاوية وأبي جهم لما تقدما لخطبتها، فما بادرها النبي ﷺ بقوله: إنه لا يجوز لأحدهما أن يتقدم لك حتى تَبُتِّي في شأن الآخر.

ثم إنه لم يَرِد في الحديث أيضًا أنها رغبت عن معاوية وأبي جهم في أول الأمر.

فعليه: يجوز للرجل أن يتقدم لخطبة امرأة تقدم لها خُطاب غيره ولم تُظهر الركون لأحدهم، واللّه أعلم.

(٢) البخاري (٥٣١٢، ٥٣١١)، ومسلم ص (١١٣١).

س ـ ما مدي صحة المروي عن رسول اللَّه ﷺ وفيه: «إنَّ مُوْسَى آجرَ نَفْسَه بعفَّة فَرْجه وطُعْمَة بَطْنه»؟

ج: ابتداء فالمعنىٰ الوارد في هذا الحديث معنىٰ صحيح، استفيدت صحته من الآيات الكريمة.

* أما بالنسبة لأسانيد هذا الحديث ـ التي وقفنا عليها ـ فكلها أسانيد ضعيفة:

* منها: ما أخرجه ابن ماجه[1] في سننه من حديث عتبة بن النُّدَّر قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ فقرأ ﴿طسم﴾ [القصص: ١] حتىٰ إذا بلغ قصة موسىٰ قال: «**إنَّ مُوسَى ﷺ آجرَ نَفْسَهُ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ عَشْرًا عَلى عِفَّةِ فَرْجِهِ وَ طَعَامِ بَطْنِه**».

وفي سنده مسلمة بن علي وهو ضعيف جدًّا، وفيه أيضًا بقية بن الوليد؛ مدلسٌ تدليسَ التسوية وقد عنعن.

وثمَّ أسانيد أُخر فيها ابن لهيعة وغيره.

* * *

س: هل يجوز للرجل أن يؤجل شيئًا من الصداق، أو أن يكتب على نفسه صداقًا مؤخرًا لزوجته؟

ج: نعم هذا جائز، فموسىٰ عليه السلام ألزم نفسه بالعمل ثمانية أعوام كأجير عند ولي الزوجة مقابل زواجه بها.

وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ**

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٤).

فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ أي: فادفعوا لهن نصف ما فرضتم، فدلَّ ذلك على أنهم كانوا قد أَجَّلُوا دفع الصداق.

وكذلك قال النبي ﷺ(١) لصحابيٍّ من الصحابة ـ في قصة الواهبة ـ: «هل معك من القرآن شيءٌ؟» قال معي سورة كذا وسورة كذا.

قال: «اذْهَبْ فَقَدْ أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»؛ فعلى رأي من فسر الحديث بأن الصحابي سيعلمها القرآن ففي رواية عند مسلم: «فَعَلِّمْهَا مِنَ الْقُرْآنِ»(٢)؛ فهذا صداق مؤجل، والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل يجوز للأب أن يستفيد شيئًا من صداق ابنته؟

ج: نعم له ذلك إذا كان برضاها، لقول العبد الصالح: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ [القصص: ٢٧].

والأصل أن الصداق للمرأة لقول الله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

* * *

س: هل يجوز الإنكاح على الإجارة؟

ج: نعم يجوز ذلك، لقول العبد الصالح: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ [القصص: ٢٧].

ولقول النبي ﷺ: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ».

---

(١) البخاري (حديث ٥١٤٩)، ومسلم ص (٥٨٤).

(٢) وهناك وجه آخر، وهو أن المعنى: زوجتكها من أجل ما معك من القرآن؛ إكرامًا وتشريفًا لك بحفظك القرآن، والله أعلم.

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(آنس ـ الطور ـ امكثوا ـ جذوة من نار ـ تصطلون ـ شاطئ الوادي الأيمن ـ تهتز ـ جانّ ـ مُدبرا ـ لم يعقب ـ اسلك ـ جيبك ـ من غير سوء ـ جناحك ـ الرهب ـ برهانان ـ مَلأه ـ فاسقين ـ أفصح ـ ردءًا ـ سنشد عضدك ـ سلطانًا ـ بآياتنا ـ بينات).

ج:

الكلمة	معناها
آنس	أبصر ـ أحسَّ ـ رأىٰ.
الطور	الجبل الذي كلَّم اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عنده موسىٰ عليه السلام.
امكثوا	انتظروا ـ تمهلوا.
جذوة من نار	شعلةً ـ قطعة غليظة من الحطب فيها نار ـ جمرة ـ أصل شجرة فيها نار.
تصطلون	تستدفئون ـ تسخنون بها من البرد.
شاطئ الوادي الأيمن	ناحية الوادي عن يمين موسىٰ، وقيل: عن يمين الجبل.
تهتز	تضطرب ـ تتحرك.
جانّ	نوع عظيم من أنواع الحيات.
مُدبرًا	هاربًا.

لم يعقب	لم يرجع على عقبيه ـ لم يلتفت ـ لم ينظر .
اسلك	أدخِل .
جيبك	جيب قميصك (فتحة الصدر) .
من غير سوء	من غير مرض ـ من غير برصٍ .
جناحك	يدك ـ ذراعك .
الرهب	الخوف ـ الرعب ـ الفزع .
برهانان	آيتان ـ حُجتان ـ دلالتان .
ملأه	أشراف قومه .
فاسقين	خارجين عن الطاعة (والمراد هنا كفَّار) .
افصح	أبين ـ أوضح ـ أفصح .
ردءًا	عونًا ـ معينًا .
سنشد	سنقويك ـ سنعينك ـ سنقوي أمرك .
عضدك	
سلطانًا	حجةً وبرهانًا ـ تسلطًا ـ هيبةً في قلوب الأعداء .
بآياتنا	بأدلتنا وحُججنا .
بينات	ظاهرات واضحات .

س: هل يجوز للرجل أن ينقل زوجته من بلدة أهلها إذا تزوجها؟

ج: نعم يجوز له ذلك ما لم تشترط قبل الزواج أن تبقى في بلدة أهلها، ، وقد انتقل موسى بأهله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص: ٢٩].

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: فيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامية وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمراً فالمؤمنون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفي به ما استُحلتْ به الفروج.

* * *

س: أي الأجلين قضاهما موسى عليه السلام؟

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ، ولكن ذهب أكثر المفسرين إلى أنه قضى أكمل الأجلين وأوفاهما.

وفي الباب أثر عن ابن عباس [1] رضي اللَّه عنهما أنه قال ـ وقد سئل ـ: أي الأجلين قضى موسى؟ قال خيرهما وأوفاهما.

وهو صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿البقعة المباركة من الشجرة﴾.

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ: البقعة المباركة من ناحية الشجرة.

* * *

(١) أخرجه الطبري (٢٧٤٠١)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

س: قوله تعالى: ﴿إنك من الآمنين﴾ آمنون من ماذا؟

ج: آمنون من الأعداء، وآمنون من كل ما يخشى منه.

* * *

س: هل كلَّم اللَّه نبيَّنا محمداً ﷺ؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم.

* ففي حديث المعراج عند مسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ...» فذكر الحديث.

* وفيه: أن النبي ﷺ قال: «فرجعت إلى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي ....الحديث».

* وفيه أيضًا قال: «فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَات كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَة، لكُلِّ صَلَاة عَشْرٌ، فَذَلكَ خَمْسُونَ صَلاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

قال: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ» فقال رسول اللَّه ﷺ «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

* * *

(١) مسلم (حديث ١٦٢)، وانظر أيضًا البخاري (٣٤٩ وغيره).

س: لماذا أُمر موسى عليه السلام أن يـدخل يده في جيبه؟ ولماذا أمر بضم يده إلى جناحه؟ وضح أيضًا المراد بقوله تعالى ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾؟

ج: للدلالة على قدرة اللَّه عز وجل؛ حيث خرجت يده بيضاء من غير سوء.

أما: لماذا أُمر بضم يده إلى جناحه؟: فإن الشخص إذا اعتراه خوفٌ فوضع يده على صدره ذهب ذلك الخوف عنه، ذكر ذلك بعض أهل العلم.

قال الحافظ بن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾، قال مجاهد: من الفزع. وقال قتادة: من الرعب. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جرير: مما حصل لك من خوفك من الحية.

والظاهر: أن المراد أعم من هذا، وهو أنه أمر ـ عليه السلام ـ إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده، فإنه يزول عنه ما وجد أو يخف إن شاء اللَّه

وذكر القرطبي رحمه اللَّه أقوالاً في المراد بضم الجناح:

منها: إذا هالك أمرُ يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك وارددها إليه تعد كما كانت.

ومنها: أمره اللَّه أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه خوف الحية.

ومنها: أن المراد بضم الجناح السكون؛ كقوله تعالى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] يريد الرفق، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي ارفق بهم.

وثمَّ أقوال أخر.

* * *

س: إلامَ أشير بقوله: ﴿ فذانك برهان من ربك ﴾؟ وما معنى ﴿ فذانك برهانان ﴾؟

ج: ذلك إشارة إلىٰ اليد التي تحولت إلىٰ حية تسعىٰ كأنها جان، واليد التي خرجت بيضاء من غير سوء.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ** ﴾ يعني ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ: فهذان دليلان قاطعان واضحان علىٰ صحة نبوتك، وقبل ذلك علىٰ قدرة اللَّه عز وجل.

* * *

س: لماذا كان هارون عليه السلام أفصح لسانًا من موسى عليه السلام؟

ج: أولاً وقبل كل شيء: النعم والمواهب فضل من اللَّه يؤتيه من يشاء.

ثم إن من أهل العلم من التمس سببًا لذلك، ألا وهو أن موسىٰ عليه السلام كان بلسانه لثغة لما خُيِّر وهو طفل صغير بين التمرة والجمرة فاختار الجمرة فلثغت لسانه، وكان ذلك سببًا في إنجائه من فرعون لما أرادوا البطش به وهو طفل صغير، ففي حديث الفتون[1] عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما

(١) أبو يعلىٰ (١٥/ ١٠ المسند) بسند صحيح.

في قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] فذكر الحديث، وفيه قال: «فلما ترعرع قالت امرأةُ فرعون لأمِّ موسى أريدُ أن تريني ابني، فوعدتها يومًا تريها إياها، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظؤورتها: لا يَبقينَّ أحدٌ منكم إلا استقبل ابني اليومَ بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه. وأنا باعثةٌ أمينًا يُحصي كل ما يصنع كلُّ إنسان منكم. فلم تزل الهدايا والكرامة والنحلَ تستقبله من حينِ خرجَ من بيت أمه إلى أن أُدخلَ على امراةِ فرعونَ.

فلما دخل عليها بجلتْه وأكرمتْه وفرحتْ به، وأعجبَها وبجلت أمَّهُ بحسنِ أثرها عليه ثم قالت: لآتينَّ به فرعونَ فليبجلنَّهُ وليكرمنَّهُ.

فلما دخلتْ به عليه جعلتهُ في حجرهِ فتناولَ موسى لحيةَ فرعونَ، فمدها إلى الأرض. فقال الغواة أعداء اللَّه لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد اللَّه إبراهيم نبيَّه؛ أنَّه يربُّك ويعلوكَ ويصرعُك؟! فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه، وذلك من الفتون ـ يابن جبير ـ بعد كلِّ بلاءٍ ابتليَ وأربكَ به فتونا!

فجاءت امرأةُ فرعونَ تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعمُ أنه يصرعُني ويعلوني. قالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرفُ الحقَّ فيه: ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهنَّ إليه، فإن بطشَ باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفتَ أنه يعقلُ وإن تناول الجمرتين ولم يُردِ اللؤلؤتين علمت أن أحدًا لا يؤثرُ الجمرتينِ على اللؤلؤتينِ وهو يعقلُ. فقرب ذلك، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافةَ أن تحرقاه.

فقالت المرأةُ: ألا ترى؟ فصرفهُ اللَّهُ عنهُ بعدما كان قد همَّ به، وكان اللَّهُ عز وجل بالغًا فيه أمرهُ.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

ج: يريد موسىٰ عليه السلام بالنفس هنا المقتول القبطي الذي قتله موسىٰ عليه السلام، وخرج بسببه من مصر خائفًا يترقب.

ويريد بذلك ـ والله أعلم ـ مزيداً من الطمأنينة من الله عز وجل، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: لماذا سأل موسى ربه أن يجعل له وزيراً من أهله وهو هارون عليه السلام؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لإعانته ومؤازرته في الدعوة إلىٰ الله كما قال: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤].

* ولمؤازرته ومعاونته في التقرب إلىٰ الله بسائر الطاعات، كما قال: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٣].

وكما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩].

* ولكون هارون عليه السلام كان أفصح لسانًا وأبلغ في البيان، كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

* وأيضًا فليست لفرعون منةٌ علىٰ هارون فلم يتربَّىٰ هارون في بيته، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: الباء في قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ من الآية الكريمة: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ متصلة بماذا؟

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: أنها متصلة بما قبلها، فالمعنى: فلا يصلون إليكما بسبب آياتنا (حججنا وأدلتنا، ومعجزاتنا) التي أيدناكم بها، أي: بسبب العصا التي معك يا موسى وسائر الآيات التي أمددناك بها.

وأيضًا: فلا يصلون إليكما بسبب إبلاغكما آياتنا، فإنا حفظناكما.

فيؤخذ من ذلك أن اللَّه يحفظ الدعاة إليه، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**».

والوجه الآخر: أن الباء متصلة بما بعدها، فالمعنى: بآياتنا التي أيدناكما بها ستغلبون أعداءكم.

ثم إن الطبري رحمه اللَّه قال:

فالباء في قوله: ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ من صلة غالبون، ومعنى الكلام: أنتما ومن اتبعكما الغالبن فرعونَ وملأه بآياتنا، أي: بحجتنا، وسلطاننا الذي نجعله لكما.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿**فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا**﴾ أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم بسبب إبلاغكما آيات اللَّه، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ**

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً ومؤيداً. ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥]، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ بالأذى، ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾، أي: تمتنعان منهم ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾، فيجوز أن يوقف على ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ ويكون في الكلام تقديم وتأخير، وقيل: التقدير: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ بآياتنا.

* * *

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ
لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(مفترى ـ عاقبة الدار ـ لا يفلح ـ صرحًا ـ أطَّلع ـ إله ـ لا يرجعون ـ نبذناهم ـ أليم ـ عاقبة الظالمين ـ المقبوحين).

ج:

الكلمة	معناها
مفترى	مكذوب مُختلق.
عاقبة الدار	العقبى المحمودة في الدار الآخرة.
لا يفلح	لا يسعد ـ لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه.
صرحًا	الصرح: كل بناء مسطح عالٍ.
أطَّلع	أنظر.
إله	معبود.
لا يرجعون	لا يبعثون بعد مماتهم.
نبذناهم	قذفناهم ـ طرحناهم ـ ألقيناهم ـ أغرقناهم.
اليمّ	البحر.
عاقبة الظالمين	آخر أمرهم.
المقبوحين	الممقوتين ـ المشوَّهين (مشوَّهين الخلق) بسواد الوجوه، وزرقة العيون ـ المُهْلَكين.

س: ما الآيات التي جاءهم بها موسى عليه السلام؟

ج: هي تسع آيات كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وأعظمها العصا التي تتحول إلىٰ حيّة تسعىٰ، واليد التي تخرج بيضاء للناظرين.

* * *

س: في قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ﴾ أدب من آداب التخاطب، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن موسىٰ عليه السلام خاطب فرعون بكلام لا يثيره، وبجواب ينبغي أن يكون عونًا علىٰ الخير لمن اتقىٰ فلم يقل له: «أنت الذي أضللت الناس»، ولم يقل له: «بل أنت الساحر المفتري الكذاب»، إنما قال: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

وهذه معارضة من نبي الله موسىٰ عليه السلام لفرعون، وجميل مخاطبة، إذ ترك أن يقول له: بل الذي غرَّ قومه وأهلك جنوده وأضلّ أتباعه أنت لا أنا، ولكنه قال: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ ثم بالغ في ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾؛ يقول: إنه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالىٰ، يعني بذلك فرعون أنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين ادعاء فرعون للألوهية.

ج: من ذلك ما يلي:

*قوله: ﴿أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

*وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

* وقوله لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

* * *

س: تصنَّع فرعون الورع والتعقل بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ليلبس على الناس، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره السعدي رحمه الله، حيث قال:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ متجرئًا على ربه، وموهمًا على قومه السفهاء ضعفاء العقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أي: أنا وحدي إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري لعلمتُه.

فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون، حيث لم يقل: «ما لكم من إله غيري» وهذا، لأنه عندهم العالم الفاضل الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه. فلما قال هذه المقالة التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلهًا غيره، أراد أن يحقق النفي الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـ «هامان»: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨] ليجعل له لبنًا من فخار.

﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي: بناءً عاليًا.

﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ولكن

سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسىٰ.

فانظر هذه الجراءة العظيمة علىٰ الله التي ما بلغها آدمي؛ كذَّب موسىٰ، وادَّعىٰ أنه الله، ونفىٰ أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب ليتوصل إلىٰ إله موسىٰ، وكل هذا ترويج.

ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها؛ كيف لعب هذا الرجل بعقولهم واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم. فسد دينُهم، ثم تَبِعَ ذلك فسادُ عقولهم، فنسألك اللهم الثبات علىٰ الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، وأن تهب لنا من لدنك رحمة؛ إنك أنت الوهاب.

* * *

س: الطوب الأحمر معروفٌ في مصر منذ زمن بعيد، وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قول فرعون لهامان: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا**﴾ [القصص:].

* وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**﴾ [القصص: ٣٨] قال: فكان أول من طبخ الآجرّ يبني به الصرح.

* وأخرج بسندٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**﴾ قال: المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان.

* * *

س: قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ استكبر عن ماذا؟

ج: استكبر عن تصديق موسىٰ واتباعه علىٰ ما دعاه إليه من الإيمان والتوحيدِ؛ تعديًا وتعاليًا وعلوًا علىٰ أمر الله وعلىٰ نبي الله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذِكْرُهُ: فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم وردُّوا علىٰ رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فنُورِّث ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تُقتل أبناؤهم، وتُستحيا نساؤهم، فإنَّا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون، ومخوّلوك وإيَّاهم ديار مَنْ كذَّبك، وردَّ عليك ما أتيتَهم به من الحق وأموالهم، ومهلكوهم قتلاً بالسيف، سنة الله في الذين خَلَوا من قبل.

* * *

س: الذي لا يوقن باليوم الآخر يتجرأ على ارتكاب الكبائر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الذي لا يقر باليوم الآخر يحمله إنكاره وعدم إقراره علىٰ الإقدام علىٰ المعاصي، إذ هو لا يرجو بعثًا ولا حياةً ولا نشورًا ولا ثوابًا،

ولا يخشىٰ عقابًا، فيحمله هذا كله علىٰ اقتراف المعاصي، كما قال تعالىٰ في شأن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] فلذلك تجرأوا ولو أيقنوا باليوم الآخر ما استكبروا.

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦] فلو أيقنوا بالبعث ما طفَّفوا المكاييل ولا الموازين. والله تبارك وتعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾.

ج: المعنىٰ - والله أعلم -: جعلنا فرعون ومن معه أئمةً وقادةً في الشرِّ لمن سلك طريقتهم واتبع هديهم، وأخذ برأيهم في الكفر وتكذيب الرسل، فمن ثَمَّ يحملون أوزارهم وأوزار من تبعهم إلىٰ يوم القيامة كما قد ورد في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كان لَهُ منَ الأجْرِ مِثْلُ أجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك من أجُورهم شيئًا، ومَنْ دعَا إلى ضَلالَةٍ كانَ عليْهِ منِ الإثمِ مثل آثَامِ مَنْ تبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ من آثامِهِم شيْئًا**».

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٦٧٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً . . .﴾.

ج: المعني ـ والله أعلم ـ لعناهم بعد مماتهم أيضًا، وجعلنا الدعاء باللعن عليهم لازمًا لهم، فمن جاء من بعدهم لعنهم، والملائكة تلعنهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ يقول تعالىٰ ذِكْرُهُ: وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خِزيًا وغضبًا منا عليه، فختمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيِّئِ، ونحن متبعوهم لعنة أخرىٰ يوم القيامة، فمخزوهم بها الخزي الدائم، ومهينوهم الهوانَ اللازم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون علىٰ ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله.

قال السعدي رحمه الله:

أي: وأتبعناهم زيادة في عقوبتهم وخزيهم في الدنيا لعنة؛ يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتُهم.

* * *

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بصائر ـ يتذكرون ـ بجانب الغربي ـ الشاهدين ـ قرونًا ـ تطاول عليهم العمر ـ ثاويًا ـ تتلو عليهم آياتنا ـ نادينا ـ مصيبة ـ بما قدمت أيديهم ـ تظاهرا ـ كافرون ـ أهواءهم).

ج:

الكلمة	معناها
بصائر	بصائر يتبصرون بها.
يتذكرون	يتعظون ـ يعتبرون.
بجانب الغربي	بجانب الجبل الغربي الذي كلَّم اللَّه موسى من الشجرة التي هي شَرْقِيَّة.
الشاهدين	الحاضرين ـ المشاهدين.
قرونًا	أممًا.
طال عليهم العمر	طال عليهم الزمن الذي بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام، فنسوا الذكر، ونسوا عهود اللَّه إليهم، ونسوا أوامره.
ثاويًا	مقيمًا.
تتلو عليهم آياتنا	تقرأ عليهم كتابنا.
نادينا	نادينا موسى وكلمناه.

مصيبة	عقوبة ونقمةٌ.
بما قدمت أيديهم	بما اكتسبوا من الآثام.
تظاهرا	تعاونا ـ تناصرا ـ صدَّق أحدهما الآخر.
كافرون	جاحدون منكرون.
أهواءهم	أراءهم، وما تستحسنه نفوسهم وعقولهم.

س: ما المراد بـ «الكتاب» في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ﴾ وما المراد بـ «القرون الأولى»؟

ج: **أما الكتاب**: فهو التوراة.

أما القرون الأولى: فقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.

ومن العلماء من قال: إن المراد فرعون وقومه، وهامان وقارون، فالمعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: يتذكرون نِعَمَ الله عليهم بذلك فيشكروه عليها ولا يكفروا.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ﴾ دليل على نبوة نبينا محمد ﷺ، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن النبي ﷺ أخبر بأمور لم يرها ولم يشهدها، بل بينه وبينها قرونٌ، ثم هو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يسردها خير سردٍ ويقصُّها أحسن اقتصاص.

وقد استفاض الحافظ ابن كثير في بيان هذا، فقال رحمه الله:

يقول تعالى منبهًا على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية، خبرًا كأن سامعه شاهدًا ورائيًا لما تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئًا من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئًا من ذلك، كما أنه لما أخبره عن

مريم، وما كان من أمرها:

* قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] أي: ما كنت حاضراً لذلك ولكن الله أوحاه إليك، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه، وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه.

* ثم قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

* وقال في آخر السورة: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠].

* وقال بعد ذكر قصة يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* وقال في سورة طه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

وقال هاهنا بعد ما أخبر عن قصة موسىٰ من أولها إلىٰ آخرها وكيف كان ابتداء إيحاء الله إليه وتكليمه فله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] يعني: يا محمد، ما كنت بجانب الجبل الغربيّ الذي كلَّم اللهُ موسىٰ من الشجرة التي هي شرقيّة علىٰ شاطئ الوادي ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إليك ذلك، ليجعله حجة وبرهاناً علىٰ قرون قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلىٰ الأنبياء المتقدمين.

* وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: وما كنت مقيمًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخْبرتَ عن نبيها شعيب، وما قال لقومه، وما ردُّوا عليه: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، أي: ولكن نحن أوحينا إليك ذلك، وأرسلناك للناس رسولاً.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي أمرٍ هذا؟

ج: هو العهد الذي عهده الله إلى موسى عليه السلام، والأوامر التي أمره بها، والنواهي التي نهاه عنها، والتكاليف التي كلَّفه بها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولكنا خلقنا أُمَمًا كثيرة بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أمةٌ تتلوها أمّةٌ فلبعد زمنهم عن الأنبياءِ نسوا حجج الله عليهم وما أوحاه الله إلى الأنبياء المتقدمين، وما حلَّ بالظالمين الآثمين الجاحدين، فأخبرناك يا محمد بالذي أخبرناك به تذكيرًا لهم وحُججًا عليهم وبراهين على صدق نبوتك.

قال صديق حسن خان «فتح البيان»:

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خلقنا أُمَمًا بين زمانك يا محمد ﷺ وزمان موسى.

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: أي: طالت عليهم المهلة، وتمادىٰ عليهم الأمد، وفَتَرَتِ النبوةُ، وكانت الأخبار تُخفىٰ، فتغيّرت الشرائعُ والأحكامُ، وتُنوسيَت الأديان، واندرست العلوم ووقع التحريفُ في كثير منها. فتركوا أمر الله ونسوا عهده.

فاقتضت الحكمة التشريع الجديد فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسىٰ وغيره ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك.

ومثله قوله سبحانه: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وقد استُدل بهذا الكلام علىٰ أن الله سبحانه قد عهد إلىٰ موسىٰ عهوداً في محمد ﷺ وفي الإيمان به، فلماطال عليهم العُمُرُ ومضتِ القرونُ بعد القرون نسوا تلك العهود، وتركوا الوفاء بها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ ولكنا نحن الذين أرسلناك إلىٰ أهل مكة رسولاً، وآتيناك كتابًا فيه هذه الأخبار، ولولا ذلك ما علمتها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ نادينا مَنْ؟ وبماذا ناديناه؟

ج: نادينا موسىٰ، وقال بعض العلماء: نادىٰ أمة محمد ﷺ.

أما نداؤه لموسىٰ عليه السلام، فلقوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] ما سيأتي بيانه إن شاء الله، لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾

فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٦].

ويمكن أن يُقال أيضًا: نودي موسىٰ ليبشر أمة محمد ﷺ.

أما وجه ذلك: فإن الله تبارك وتعالىٰ قال: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٧].

فقوله تعالىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يبين لمن هذه الرحمة، إنها للمتقين، أما المتقون فمن تمام أعمالهم وصفاتهم: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهؤلاء أتباع النبي محمد ﷺ.

فالحاصل: أن الله نادىٰ موسىٰ وأخبره أنه سبحانه وتعالىٰ سيكتب رحمته للذين يتقون، وهم أُمّة محمد ﷺ ومن دخل معهم من أهل الكتاب وصدق كتصديقهم، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولهذا قال كثير من المفسرين: نادى: يا أُمّة محمد، قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتُكم قبل أن تدعوني، وهو قوله حين قال موسى: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾.

ج: المراد - والله أعلم بمراده: إنك يا محمد لم تشاهد قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكنَّا أوحيناها إليك وقصصناها عليك رحمة من

ربك، ودليلاً على نبوتك حتى يتذكر من تذكر ويتعظ من يتعظ، ومن ثم تحمله الذكرى والموعظة على الإيمان، ومِن ثَمَّ السلامة من النار، والله أعلم.

* * *

س: من القوم المَعْنِيُّونَ بقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؟

ج: هم العرب، فالعربُ لم تشاهد تلك الأخبار، ولكن أوحيناها إليك رحمة بمن أرسلت إليهم لتنذرهم بها ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: أما قوله: ﴿**يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ففيه أقوالٌ:

أحدها: يتذكرون خطأ ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيرجعوا عن الكفر والعصيان ويقلعوا عنهما.

وقيل: ﴿**يَتَذَكَّرُونَ**﴾ بمعنى يتعظون ويعتبرون وترق قلوبهم، وذلك لكونهم قد ابتعدوا عن الوعظ والتذكير كما قال تعالى: ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحديد: ١٦].

وقيل أيضًا: لعلهم يتذكرون أوامر الله فيعملوا بها ونواهيه فيحذروها.

* * *

س: لماذا خُصَّت اليدُ بالذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟

ج: ذلك، لأن أغلب الكسب يقع بها، والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بـ «الحق» في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾؟

ج: هناك قولان لأهل العلم في ذلك:

أحدها: أن المراد بـ ﴿الْحَقُّ﴾: محمد ﷺ، وفي الحديث: «وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ».

الثاني: أن المراد بـ ﴿الْحَقُّ﴾: هو القرآن، ولا شك أن القرآن حق.

وقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي: وقُلْ هذا القرآن هو الحق من ربكم، والله أعلم.

* * *

س: ماذا يعنون بقولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾؟

ج: ذهب بعض أهلُ العلم إلى أنهم يريدون كتابًا كالذي أوتيه موسى عليه السلام، وأن ينزل جملة واحدة كما نزلت الألواح على موسى عليه السلام.

* وذهب آخرون إلى أنهم أرادوا معجزات كتلك التي آتاها اللهُ موسى عليه السلام، والله أعلم.

* * *

س: من القائلون: ﴿لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن اليهود أمرت قريشًا أن تقول هذا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولولا أن يقول هؤلاء الظالمون المعتدون من أهل الكفر واليهود إذا أنزلنا عليهم عذابنا وحلَّ بهم بأسنا: لولا أرسلت إلينا يا ربنا رسولاً يُذكِّرنا بآياتك ويعلِّمُنا أوامرك قبل أن تنزل علينا العذاب لكنا من المؤمنين المهتدين. كما قال تعالى: ﴿**أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥٦ـ١٥٧]، فعلى ذلك فمفاد الآية الكريمة قطع حجج المشركين وقطع اعتذارهم، وذلك بإرسال الرسل إليهم.

وقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الكريمة:

يقول تعالى ذِكْرُه: ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتُك يا محمد إليهم، لو حلَّ بهم بأسُنا، أو أتاهم عذابُنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربِّهم، واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصي: ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً من قبل أن يحلَّ بنا سخطك وينزل بنا عذابُك، فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا، لعاجلناهم العقوبةَ على شركهم من قبل ما أرسلناك

إليهم ولكنا بعثناك إليهم نذيراً بأسنا على كفرهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. والمصيبة في هذا الموضع: العذاب والنقمة. ويعني بقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اكتسبوا.

* * *

س: اذكر بعض الآيات الدالة على العذر بالجهل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

* وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[الملك: ٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾[طه: ١٣٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

* * *

س: ما المراد بقولهم: ﴿ سِحْرَانِ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوالٌ:

أحدها: أن مراد هؤلاء بقولهم: ﴿ سِحْرَانِ ﴾: التوراة والإنجيل.

وقيل: مرادهم التوراة والقرآن[1].

وقيل أيضًا: الإنجيل والقرآن.

* أما على قراءة مَنْ قرأ: ﴿ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾:

فقيل: إن المراد موسى وهارون عليهما السلام.

(١) واختار ذلك الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه، فقال:

والظاهر على قراءة: ﴿سحران﴾ أنهم يعنون التوراة والقرآن؛ لأنه قال بعده: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدىٰ منهما أتبعه﴾. وكثيراً ما يقرن اللَّه بين التوراة والقرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدىٰ للناس﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾، وقال في آخر السورة: ﴿ثم آتينا موسىٰ الكتاب تمامًا علىٰ الذي أحسن﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾، وقالت الجن: ﴿إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسىٰ﴾. وقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ.

وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن اللَّه لم ينزل كتابًا من السماء ـ فيما أنزل من الكتب المتعددة علىٰ أنبيائه ـ أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا عظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل علىٰ محمد ﷺ وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله علىٰ موسىٰ بن عمران عليه السلام وهو التوراة التي قال اللَّه فيها: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىٰ ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللَّه وكانوا عليه شهداء﴾.

والإنجيل إنما نزل متممًا للتوراة، ومُحِلاً لبعض ما حرم علىٰ بني إسرائيل؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدىٰ منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾، أي: فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل.

وقيل: المراد موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.

وقيل: موسىٰ ومحمد ﷺ.

وقيل: مرادهم عيسىٰ ومحمد ﷺ.

* * *

س: وضح مرادهم بقولهم: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾.

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن مرادهم: وإنَّا بكل الكتب التي نزلتْ من عند الله كافرون، وذهب بعض العلماء أن مرادهم بالقرآن والإنجيل.

وذهب آخرون إلىٰ أن المراد التوراة والقرآن علىٰ نحوٍ من التفسير المتقدم، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين بأن الكتب المنزلة من عند الله سحرٌ (سواء عنوا التوراة والقرآن ـ أو التوراة والإنجيل، أو الإنجيل والقرآن أو غير ذلك)، قل لهم: فأتوا بكتابٍ من عند الله أحسن هداية منهما ـ ألْزَمُه وأتبعه إن كنتم صادقين في وصفكم للكتب بأنها سحر وأن الحق في غيرها، والله أعلم.

* * *

س: هل كان رسول الله ﷺ لا يعلم أن اليهود والمشركين متبعين لأهوائهم حتى قيل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾؟

ج: قد كان رسول الله ﷺ يعلم أن قول اليهود وغيرهم في التوراة والقرآن أنهما سحر، كان يعلم أن هذا القول منهم باطل وكذب بلا شك وأنهم يتبعون أهواءهم في ذلك، أما وجه قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ [القصص: ٥٠]

منها: أن الخطاب خرج في صورته لرسول الله ﷺ، ولكن المراد به غيره، والمعنيُّون بالخطاب قد يكونون اليهود وغيرهم، أو يكون المراد أُمَّة محمد ﷺ كي يزداد أفرادها إيمانًا بأن هذا القرآن من عند الله.

وقد طرح نحو هذا السؤال الطبري رحمه الله وأجاب عليه فقال:

«ولعل قائلاً أن يقول: أو لم يكن النبي ﷺ يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة و الإنجيل من الإفك والزور، المسموهما سحرين: باطل من القول، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما؟

قيل: هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به المقول لهم أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من كفار قريش، وذلك أنه قيل للنبي ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا: هلاَّ أوتي محمد مثل ما أوتي موسى، بالذي أوتي موسى من قبل هذا القرآن، ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى: ﴿**سِحْرَانِ تَظَاهَرَا**﴾، فقولوا لهم: إن كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر، فأتوني

بكتاب من عند الله، هو أهدىٰ من كتابيهما، فإن هم لم يجيبوكم إلىٰ ذلك فاعلموا أنهم كذَبَة، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمداً وما جاءهم به من عند الله أهواءَ أنفسهم، ويتركون الحق وهم يعلمون، يقول تعالىٰ ذِكْرُهُ: ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوىٰ نفسه بغير بيان من عند الله، وعهد من الله، ويترك عهد الله الذي عهده إلىٰ خلقه في وحيه وتنزيله». اهـ.

* * *

س: اذكر بعض الفوائد والعبَر المستخلصة من قصة نبي الله موسى عليه السلام في هذه السورة المبَاركة؟

ج: نورد هنا ما ذكره العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

قال رحمه الله:

«في ذكر بعض الفوائد والعِبر في هذه القصة العجيبة:

فمنها: أن آيات الله وعِبَرَهُ وأيامَه في الأُمم السابقة إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلىٰ حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالىٰ إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم فلا يعبأ الله بهم وليس لهم منها نور وهدىٰ.

ومنها: أن الله تعالىٰ إذا أراد أمراً هيأ أسبابَه، وأتىٰ بها شيئًا فشيئًا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأُمّة المستضعفة، ـ ولو بلغت في الضعف ما بلغت ـ لا ينبغي

لها أن يستولي عليها الكسل عن طلبها حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلىٰ أعلىٰ الأمور، خصوصًا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل ـ الأمة الضعيفة ـ من أسر فرعون وملإِه ومكنهم من الأرض وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة، لا تأخذ حقها، ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها، ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسىٰ، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدِّر علىٰ عبده بعض المشاقِّ، لينيله سروراً أعظم من لك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه. كما قدَّر علىٰ أم موسىٰ ذلك الحزن الشديد، والهمَّ البليغ، الذي هو وسيلة إلىٰ أن يصل إليها ابنها علىٰ وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرىٰ لأم موسىٰ، ولموسىٰ من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان ويتم به اليقين: الصبرُ عند المزعجات والتثبيت من الله عند المقلقات كما قال تعالىٰ: ﴿**لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [القصص: ١٠] أي: ليزداد إيمانها بذلك، ويطمئن قلبها.

ومنها: أن من أعظم نعم الله علىٰ عبده، وأعظم معونة للعبد علىٰ أموره: تثبيت الله إيّاه وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور

المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب والفعل الصواب. بخلاف من استمر قلقه وروعته وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد ـ ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذٌ لابد منه ـ فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيًا لإيمانه بخبر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسىٰ أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت في رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جرىٰ لأخت موسي، وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة علىٰ الكفالة والرضاع، والدلالة علىٰ من يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريَه من آياته ويشهده من بيِّناته ما يزيد به إيمانه، كما ردَّ الله موسىٰ إلىٰ أمه لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عُرف لا يجوز؛ فإن موسىٰ عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبًا، واستغفر اللهَ منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض

وتهييب أهل المعاصي فإنه كاذبٌ في ذلك وهو مفسد ، كما حكىٰ الله قول القبطي : ﴿إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩] علىٰ وجه التقرير له لا الإنكار .

ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه علىٰ وجه التحذير له من شر ، يقع فيه لا يكون ذلك نميمة ـ بل قد يكون واجبًا ـ كما أخبر ذلك الرجل موسي ، ناصحًا له ومحذرًا .

ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة ، فإنه لا يلقي بيده إلىٰ التهلكة ، ولا يستسلم لذلك ، بل يذهب عنه كما فعل موسىٰ .

ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين ، إذا كان لابد من ارتكاب إحداهما فإنه يرتكب الأخف منهما والأسلم ؛ كما أن موسىٰ لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يُقتل أو يذهب إلىٰ بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها وليس معه دليل يدله غير ربه ولكن هذه الحال أرجىٰ للسلامة من الأولىٰ ، فتبعها موسىٰ .

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلىٰ التكلم فيه ، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه ، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين ، بعد أن يقصد بقلبه الحق ، ويبحث عنه ، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حالُهُ .

كما خرج موسىٰ تلقاء مَدْيَنَ فقال : ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[القصص: ٢٢] .

ومنها: أن الرحمة بالخلق والإحسان علىٰ مَن يعرف ومن لا يعرف من أخلاق الأنبياء ، وأن من الإحسان سَقْيَ الماشيةِ الماءَ ، وإعانةَ العاجز .

ومنهـا: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالمًا لها؛ لأنه تعالىٰ يحب تضرع عبده وإظهاره ذله ومسكنته، كما قال موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ومنها: أن الحياء ـ خصوصًا من الكرام ـ من الأخلاق الممدوحة.

ومنها: المكافأة علىٰ الإحسان لم يزل دأب الأُمم السابقين.

ومنهـا: أن العبد إذا عمل العمل للّٰه تعالىٰ، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، فإنه لا يلام علىٰ ذلك، كما قبل موسىٰ مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه علىٰ عوض.

ومنهـا: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز علىٰ رعاية الغنم ونحوها مما لا يقدر به العمل وإنما مرده العرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة ولو كانت المنفعة بضعًا.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الذي يتخيره لا يلام عليه.

ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان أن يكون قويًا أمينًا.

ومنها: أن من مكارم الأخلاق أن يُحَسِّن خلقه لأجيره وخادمه ولا يشق عليه بالعمل لقوله: ﴿مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

ومنهـا: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود، من دون إشهاد لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص: ٢٨].

ومنهـــا: ما أجرىٰ الله علىٰ يد موسىٰ من الآيات البينات والمعجزات الظاهرة؛ من الحيّة، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسىٰ وهارون من فرعون ومن الغرق.

ومنهـا: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إمامًا في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيِّناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها علىٰ عبده، أن يجعله إمامًا في الخير هاديًا مهديًا.

ومنهـــا: ما فيها من الدلالة علىٰ رسالة محمد ﷺ، حيث أخبر بذلك تفصيلاً، وتأصيلاً موافقًا، قَصَّهُ قصًا، صدق به المرسلين وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، لا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع ولا تلاوة دَرَسَ فيها شيئًا من هذه الأمور؛ ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحيٌ أنزله عليه الكريم المنان؛ لينذر به قومًا جاهلين؛ وعن النذر والرسل غافلين. فصلوات الله وسلامه علىٰ من مجرد خبره ينبيء أنه رسول الله ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيِّرة أنه من عند الله. كيف وقد تطابق علىٰ صحة ما جاء به وصدقه خبر الأولين والآخرين والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وجبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب ولا تصلح إلا لأعلىٰ الخلق درجة والنصر المبين لدينه وأُمَّته. حتىٰ بلغ دينه مبلغ الليل والنهار وفتحت أُمَّتَه معظم بلدان الأمصار؛ بالسيف والسِنان وقلوبهم بالعلم والإيمان. ولم تزل الأُمم المعاندة والملوك الكفرة ترميه بقوس واحدة وتكيد له المكايد، وتمكن لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموًا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهورًا. وكل وقت من الأوقات يظهر

من آياته ما هو عِبرة لِلْعَالمِين، وهداية لِلْعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده» اهـ.

* * *

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(وصَّلنا ـ مُسلمين ـ يدرؤن ـ اللغو ـ لا نبتغي الجاهلين ـ نتخطف ـ يُجبى ـ لدنَّا ـ بطرت معيشتها ـ في أمها).

ج:

الكلمة	معناها
وصَّلنا	أوصلنا ـ بيَّنا ـ فصلنا ـ أتممنا ـ أتبعنا بعضه ببعض ـ بعثنا إليهم رسولاً بعد رسول ـ وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة.
مُسلمين	مستسلمين ـ مُوحدين ـ خاضعين ـ مستجيبين.
يدرأون	يدفعون.
اللغو	ما لا فائدة فيه من الكلام، وقيل: المراد السخرية والقول المؤذي.
لا نبتغي الجاهلين	لا نريد محاورة أهل الجهل ـ لا نطلب مجادلة الجاهلين ومحاورتهم ومعاتبتهم.
نُتَخَطَّف	نُخرج ـ نُبعد ـ نُنازع.
يُجبى إليه	يجمع إليه ـ يُحمل إليه.
من لدنَّا	من عندنا.
بطرت معيشتها	خسرت معيشتها ـ أبطرتها معيشتها فطغت وبغت، وجهلت شكر معيشتها.

في أمها	في أعظمها، وأكبرها، وأصلها، وعاصمتها (والمراد هنا: مكة).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولقد أبلغنا قومك ومن حولك يا محمد بما حلّ بالأمم السابقة الذين كذبوا الرسل وخالفوا الكتب.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين، والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذَّبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا، وأصله: من وصل الحبال بعضها ببعض، ومنه قول الشاعر:

فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ ما بالُ ذِمَّةٍ ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزالُ يُوَصَّلُ

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ قال: وصَّل الله لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها. وقرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣]، وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضي بينهم وبين قومهم.

* * *

س: من الذين وصَّل اللَّه إليهم القول؟ وقوله: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: من أهل العلم من قال: إنهم قريش.

* وقال آخرون: إنهم اليهود.

* وقوله ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: يتذكرون عهد اللَّه إليهم في محمد؛ أن يؤمنوا به ويصدقوه، ويعزروه ويوقروه، ويتبعوا النور الذي أنزل معه.

* وقيل أيضًا: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون بالقرآن عن عبادة الأوثان.

* * *

س: الضمير في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ عائد على ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه عائدٌ على القرآن.

ومن العلماء من قال: إنه عائدٌ على النبي ﷺ.

* * *

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبراني[1] بسندٍ صحيح إلى رفاعة القُرظي قال: نزلت هذه الآية في عشرة رهطٍ أنا أحدهم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

* * *

(١) الطبراني (المعجم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

س: كانت هناك طائفة من العلماء العاملين من أهل الكتاب ﷺ سمعوا القرآن آمنوا به وصدَّقوه، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

* وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٢].

* * *

س: اذكر بعض ما ورد في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه ثم آمن بالنبي محمد ﷺ.

ج: هؤلاء لهم أجران:

أجرٌ لإيمانهم بنبيهم والكتاب الذي نزل عليه، وصبرهم على ذلك.

وأجرٌ لإيمانهم بالنبي ﷺ وبالقرآن.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية [القصص: [٥١ ـ ٥٤].

* وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّما رَجُلٍ كانت عندَهُ وَليدَةٌ فعلَّمَها فأحْسَنَ تعليمَهَا، وأدَّبَهَا فأحسَنَ تأديبَها ثُمَّ أَعْتَقَهَا وتَزَوَّجها، فَلَهُ أجران. وأيُّما رجل من أهلِ الكتابِ آمَنَ بنبيِّه وأمنَ ـ يعني بي ـ فَلَهُ أجرانِ، وأيُّما مَمْلوكٍ أدَّى حقَّ مواليهِ وحقَّ ربِّهِ، فلهُ أجرانِ».

* * *

س: هل هناك من تتضاعف أجورهم غير المذكورين في الحديث السابق؟

ج: نعم، هناك من تتضاعف أجورهم غير هؤلاء المذكورين في الحديث، من هؤلاء ما يلي:

١ ـ أهل الإيمان بصفة عامة: قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم

(١) البخاري (حديث ٥٠٨٣)، ومسلم (حديث١٥٤).

بالَّتي تُقَرِّبُكُمْ عندَنا زُلْفَىٰ إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

٢ ـ أزواج النبي ﷺ: قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

٣ ـ المتصدق على القريب الفقير: فله أجران: أجر الصدقة وأجر الصِّلة.

* * *

س: اذكر بعض من لهم حَظٌّ ونصيبٌ من هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

ج: من هؤلاء: النجاشي، وعبد اللَّه بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، وعدي بن حاتم الطائي رضي اللَّه عنهم أجمعين.

* * *

س: ما المراد بصبرهم المذكور في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؟

ج: المراد بصبرهم ـ واللَّه أعلم ـ: صبرهم علىٰ الكتاب الأول (التوراة أو الإنجيل)، وصبرهم علىٰ ما نالهم من الأذىٰ لإيمانهم بالنبي ﷺ وتصديقهم بالقرآن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: يدفعون بالحسنة السيئة؛ فإذا قذفهم أحدٌ بمسبَّةٍ قابلوها بعفوٍ وصفح وجميل قولٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وثمَّ قول آخر، وهو أنهم يتبعون السيئة بالحسنة؛ فالمعنى: أنهم إذا ارتكبوا معصية أتبعوها بحسنة كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وأيضًا: إذا فعلوا ذنبًا أتبعوه بالاستغفار والتوبة.

* * *

س: اذكر على وجه الإجمال شيئًا من الأحاديث الواردة في الحث على الإنفاق.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى في الحديث القدسي[١]: «أَنْفِق يا بن آدَمَ أُنْفِقْ عليكَ».

* قوله النبي ﷺ: «فَلْيَتَّقِينَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٢].

* قول النبي ﷺ: «يا بنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وإِنْ تَمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، ولا تُلام عَلَى كَفَافٍ»[٣].

وفي الباب أدلة لا حصر لها، وهي مبسوطة في موضعها من هذا التفسير، ولكنَّا أردنا أن لا يخلو منها هذا المقام.

* * *

(١) البخاري (الفتح ٩/ ٤٩٧)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) البخاري (حديث ١٤١٣).

(٣) مسلم (حديث ١٠٣٦).

س: من شيم أهل الإيمان الإعراض عن اللغو. دلِّل على ذلك مع مزيد إيضاح.

ج: أما الأدلة على ذلك فمنها ما يلي:

* قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣].

* وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

* وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والثرثارون ـ وهم كثيرو الكلام ـ من أبغض الناس إلى رسول اللَّه ﷺ، قال ﷺ: «إِنَّ من أَحبِّكُم إليَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ وأبعدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهِقُونَ».

قالوا: يا رسول اللَّهِ، قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون، فما المُتفَيْهِقون؟ قال: «المُتَكَبِّرُون»(١).

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
قلت (مصطفى): وله شواهد يُحسَّن بها، انظر مسند الإمام أحمد (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

قال الترمذي رحمه اللَّه:

والثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم.

وقد كره اللَّه سبحانه وتعالى لنا قيل وقال، قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**»(١).

* وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**»(٢).

* وفي قول النبي ﷺ: «**إنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**»(٣).

* وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٤).

* * *

(١) أخرج البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية، لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب: (... كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال).

(٢) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤/ ٢٨٦) «المستدرك».

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

س: هل هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أنها منسوخة بآية السيف، وبقي حكمها ما دون الكفر:

فقال القرطبي رحمه اللَّه:

هذه آية مهادنة، وهي من صدر الإسلام، وهي مما نسختها آية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة.

وقال آخرون من أهل العلم:

ليست الآية منسوخة، بل حكمها باقٍ، وهذا الأظهر والأقوى، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

ج: في ذلك أقوال للعلماء:

أحدها: إذا سمع هؤلاء اللغو ـ وهو: الأذى والسخرية من أهل الشرك ومن أهل الكتاب ـ أعرضوا عنه ولم يعاتبوهم ولم يعاقبوهم.

الثاني: ﴿اللَّغْوَ﴾: وهو ما لا فائدة فيه من الكلام وهو أيضًا الباطل ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: لم يجالسوا أهله، ولم يشاركوهم فيما هم فيه.

الثالث: أن المعنيّ باللغو هنا: ما ألحقه أهل الكتاب بكتاب اللَّه وهو ليس منه، وكما صح عن ابن زيد عند الطبري أنه قال في قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا

اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا . . . ﴾ إلىٰ آخر الآية قال :

هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب اللَّه وقالوا : هو من عند اللَّه إذا سمعه الذين أسلموا ومرّوا به يتلونه ، أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي ﷺ ، لأنهم كانوا مسلمين علىٰ دين عيسىٰ ، ألا ترىٰ أنهم يقولون : ﴿ إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ ؟ ! [القصص : ٥٣] .

* * *

س : وضح المراد بقولهم : ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ .

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : لنا جزاء أعمالنا وقد رضينا به ، ولكن جزاء أعمالكم قد رضيتموه لأنفسكم .

* وقيل أيضًا : المعنىٰ : لنا ديننا ولكم دينكم .

وقوله ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ المراد به : سلام التَّتَارُك .

فالمعنىٰ : أنهم لا يقابلون الإساءة بإساءة ، بل بعفوٍ وإحسان .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :

﴿ **وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ أي : إذا سَفه عليهم سَفيه ، وكلَّمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه ، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ؛ ولهذا قال عنهم : إنهم قالوا : ﴿ **لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ أي : لا نُريد طريق الجاهلين ولا نحبها .

قلت: وقولهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقولهم: ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمخاصمة، والسباب، والمشاتمة والمعاتبة، والمؤاخذة.

* * *

س: هل قول أهل الإيمان: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ كان باللسان في وجوه أهل اللغو؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن هذا لم يكن قولاً في وجوههم، إنما هو بمعنىٰ التتارك وليس بسلام التحية.

والمعنىٰ: أمْنًا لكم منا؛ فإنا لا نحاربكم ولا نشتمكم.

ومنه قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧].

* * *

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

ج: نزلت هذه الآية في أبي طالب عم رسول اللَّهِ ﷺ، وقد دعاه النبي ﷺ إلىٰ الإسلام فأبىٰ.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

قال الزجاج: أجمع المسلمون علىٰ أنها نزلت في أبي طالب.

قال القرطبي:

«(قلت): والصواب أن يُقال: أجمع جُلُّ المفسرين علىٰ أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ، وهو نص حديث البخاري ومسلم».

قلت (مصطفى): أخرج البخاري ومسلم[١] من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ اللَّهِ ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ وعبد اللَّه بن أميةَ بن المغيرة، فقال: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلا اللَّه. كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه**».

فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية: أترغب عن ملةِ عبدِ المطلب؟ فلم يزل رسولُ اللَّهِ ﷺ يعرضها عليه ويُعيدانِه بتلك المقالة حتىٰ قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: علىٰ ملةِ عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا اللَّه.

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**». فأنزل اللَّه ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل اللَّه في أبي طالب فقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦].

* وعند مسلم[٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ لعمِّه عند الموت: «**قُلْ: لا إلهَ إلا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يومَ القِيَامَةِ**» فأبىٰ. فأنزل اللَّهُ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾.

* وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا: عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ لعمِّه: «**قُلْ: لا إله إلا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يومَ القِيَامَةِ**» قال: لولا أن تُعيِّرَني قُريشٌ؛ يقولون: إنَّما حمله علىٰ ذلك الجزعُ. لأقررتُ بها عينَكَ. فأنزل اللَّهُ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤).

(٢) مسلم (حديث ٢٥).

س: وضح الهُدى المنفيَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

ج: اعلم أولاً أن الهداية على قسمين:

هداية الدلالة، وهداية التوفيق.

والهداية في قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ هي هداية التوفيق، فالتوفيق بيد اللَّه وحده، يهدي به من يشاء من عباده.

ونحوه هذه الهداية في قوله تعالىٰ: ﴿**إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ**﴾ [النحل: ٣٧].

أما هداية الدلالة ففي قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

قال السعدي رحمه اللَّه «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالىٰ أنك يا محمد ـ وغيرك من باب أولىٰ ـ لا تقدر علىٰ هداية أحد ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد اللَّه تعالىٰ يهدِي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه ممن لا يصلح لها فيبقيه علىٰ ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورىٰ: ٥٢] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له.

وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل فحاشا وكلا،

ولهذا لو كان قادراً عليها لهدىٰ من وصل إليه إحسانه ونصره ومنعه من قومه عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة له للدين والنصح التام ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد اللَّه.

* * *

س: لماذا لم ينتفع أبو طالب بمحبته لرسول اللَّه ﷺ؟

ج: ذلك لأن محبتة لرسول اللَّه ﷺ كانت محبةً جِبلِّيَّة طبعيَّة، ثم أيضًا لكونه اختار الكفر علىٰ الإسلام، فذهب شركه بثواب عمله.

وقد ورد أنه ينتفع بعض الانتفاع بسبب دفاعه عن رسول اللَّهِ ﷺ، ففي «الصحيحين»[1] من طريق عبد اللَّه بن الحارث قال: سمعتُ العباسَ يقول: قلتُ: يا رسول اللَّهِ، إن أبا طالب كان يحوطُك وينصُرُك. فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إلى ضَحْضَاحٍ**».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؟

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: وهو أعلم بمن قُدِّر له الهدىٰ ومن قدر له الضلال.

ومن المعنىٰ أيضًا: وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الغواية فيُغوَىٰ.

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٨٨٣)، ومسلم ص (٩٥).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن المشركين يتعللون لكفرهم وعدم إيمانهم بخوفهم من غيرهم، وأنهم لو آمنوا لحاربهم من حولهم وأخرجوهم من ديارهم.

فردَّ الله عليهم حجتهم وتعللهم فقال: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: أو لم نجعلهم آمنين في الحرم لا يغزوهم فيه أحد ولا يعتدي عليهم أحدٌ، وذلك لكونهم من أهل الحرم.

ثم إن جميع الثمرات يؤتى بها إليهم في حرصهم هذا، كل ذلك رزقًا من لدنَّا؟!!

فكأن المعنى: فهل نضيعهم إذا آمنوا بنا وصدقونا وقد كنَّا نرزقهم قبل إيمانهم؟!

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعقلون، أي: هم غافلون عن الاستدلال، وأن من رزقهم وأمَّنَهُم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في إسلامهم.

قلت (مصطفى): وقوله: ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ من معناه أيضًا: لا يعلمون أنا نرزق المطيع ونحفظه ونوسع عليه، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا

وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وكما قال تعالى: ﴿وألو استقاموا..غدقا﴾ [الجن: ١٦].

وكما قال نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فالذي رزقهم وحفظهم في حال كفرهم سيرزقهم ويوسع عليهم في حال إسلامهم ويؤمنهم كذلك مما يخافوا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً...﴾.

ج: هذه الآية تحمل بيانًا وإيضاحًا لمن توهم أن اللَّه سيضيعه إذا آمن وسيقاتله الناس ويخرجونه من دياره، فيقال لهذا المتوهم: يا من توهمت أن الخطر في الإيمان باللَّهِ، وأن أهل الكفر سيخرجونك من ديارك وسيقتلونك بسبب ذلك، يا هذا المتوهم اذكر أن اللَّه تبارك وتعالى بيَّن في كتابه الكريم أن الخطر في الكفر أعظم وأعظم مما تتصور من الأذى الذي سيلحقك إذا آمنت؛ فكم من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنَّا نحن الوارثين.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦].

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا

شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾** [النحل: ١١٢].

* * *

س: ما المراد بالقليل في قوله تعالى: ﴿ **لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: أن القليل منها هو الذي سُكن، أما أغلبها فلم يُسكن.

وقول آخر: أن زمن المكث فيها قليل، فلا يكاد أحدٌ أن ينزلها إلا المسافر الذي يمر فيها فيبول أو يقضي حاجة، أو يستريح برهةً من وعثاء السفر.

* * *

س: ينبغي أن يركز الدعاة إلى الله في دعوتهم على المدن الكبرى، وأماكن التجمعات الكبرى قدر الاستطاعة، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾**.

وأم القرىٰ هي قِلَّةٌ، وأمهات البلاد عواصمها ومدنها الكبرىٰ، وفي ذلك خير لمعرفة الناس بالمدن وسهولة الوصول إليها، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ وسقطت النون للإضافة مثل: ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي: لم أهلكهم إلا وقد استحقوا الإهلاك لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم. وفي هذا بيان لعدله وتقدّسه عن الظلم. أخبر تعالى أنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم.

ونزّه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] فنص في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ [هود: ١١٧] على أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلمًا لهم منه، وإن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دلّ على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* * *

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا
يَعۡبُدُونَ ٦٣ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ
يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧ وَرَبُّكَ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠

س: اذكر معنى ما يلي:

(خيرٌ وأبقى ـ لاقيه ـ المحضرين ـ أغوينا ـ أغويناهم ـ كما غوينا ـ فلم يستجيبوا لهم ـ فعميت عليهم الأنباء ـ المفلحين ـ الخيرة ـ تكن صدورهم ـ الحكم).

ج:

الكلمة	معناها
خيرٌ وأبقى	أفضل وأدوم.
لاقيه	ملاقيه وصائر إليه.
المحضرين	المحضرين في النار، فهم أهلها ـ يُحضر يوم القيامة ثم يعزب ـ ومنه ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ وقوله ﴿ولقد علمت الجِنَّةُ إنَّهم لمحضرون﴾.
أغوينا	دعوناهم إلى الغيِّ والضلال.
أغويناهم	
كما غوينا	أضللناهم كما ضللنا.
فلم يستجيبوا	
لهم	فلم يجيبوهم.
عميت	
عليهم الأنباء	خفيت عليهم الحجج ووجوه الإجابة فلم يدروا كيف يجيبوا.

المفلحين	المدركين حاجتهم ـ الفائزين بمطلبهم ـ الناجين من مرهوبهم .
الخيرة	الاختيار .
تُكنُّ	تُخفى ـ تُضمر .
الحكم	القضاء النافذ .

س: اذكر بعض الأدلة على حقارة الدنيا وتفاهتها بالنسبة للآخرة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

* قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

* قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

* قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

وقال رسول الله ﷺ: «والله، ما الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»(١).

* ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٢) في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بالسوقِ، داخلاً من بعضِ

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) مسلم (حديث ٢٩٥٧).

العالية، والناسُ كَنَفَتَهُ[١] . فمرَّ بجديٍ أَسَكَّ ميِّتٍ. فتناوله فأخذ بأُذُنه، ثم قال: «**أيُّكُم يحبّ أنَّ هذا لَهُ بدرْهَم؟**» فقالوا: ما نُحبُّ أنه لنا بشيءٍ. وما نصنعُ به؟ قال: «**أَتُحبُّونَ أَنَّهُ لَكُم؟**» قالوا: واللَّه، لو كانَ حيًا كان عَيْبًا فيه؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ[٢] . فكيفَ وهو ميتٌ؟

فقال: «**فَوَاللَّه، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

* وعند مسلم[٣] أيضًا من حديث عبد اللَّه بن الشخير رضي اللَّه عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر. قال: «**يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي. مَالِي ـ قَالَ ـ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**».

* وعند مسلم[٤] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يومَ القيَامة. فَيُصْبَغُ في النَّار صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا بنَ آدَمَ، هَل رأيتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا. واللَّه يا رَبِّ. ويُؤْتَى بأشَدِّ النَّاس بُؤْسًا في الدُّنيا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّة. فَيُقَالُ لَهُ: يا بنَ آدَمَ، هَلْ رأيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا، واللَّه يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**».

قال السعدي رحمه اللَّه تعالى في تفسير قوله تعالى:

﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾: هذا حضٌّ منه تعالىٰ لعباده علىٰ

---

(١) كنفته أي: علىٰ جانبيه.

(٢) صغير الأذن.

(٣) مسلم (حديث ٢٩٥٨).

(٤) مسلم (حديث ٢٨٠٧).

الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بها، وعلىٰ الرغبة في الأخرىٰ، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه. ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها.

أي: يتمتع به وقتًا قصيرًا، متاعًا قاصرًا، محشوًا بالمنغصات، ممزوجًا بالغصص، ويتزين به زمانًا يسيرًا للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعًا، وينقضي جميعًا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من النعيم المقيم والعيش السليم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدًا ومستمر سرمدًا.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تكون لكم عقول، بها تزنون أي الأمرين أولىٰ بالإيثار، وأي الدارين أحق للعمل لها، فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرىٰ علىٰ الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله. ولهذا نبه العقول علىٰ الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا، ومؤثر الآخرة». اهـ.

* * *

س: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟

ج: هذا استفهام للتوبيخ والتقريع والتهديد.

* * *

س: اذكر بإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ﴾.

ج: في هذا بيان لأمرٍ قد تكرر التنبيه عليه في كتاب اللَّه عز وجل ألا وهو أن المؤمن المصدق لا يستوي مع الفاجر والمكذب.

* قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

* وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

* وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

وهذا المعنى مطرد.

فمعنى الآية الكريمة: أفمن وعدناه على إيمانه وتصديقه وعمله الصالح وعداً حسناً بالجنة وما فيها من النعيم المقيم فهو لاقيه كمن متعناه متاعاً في الحياة الدنيا فاستمتع بها ونسي العمل للآخرة ثم هو يوم القيامة من المحضرين في العذاب.

وقد أخرج الطبري بإسناد جيد عن قتادة أنه قال في الآية الكريمة: هو المؤمن، سمع كتاب اللَّه فصدَّق به وآمن بما وعد اللَّه فيه.

قال السعدي رحمه اللَّه:

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ﴾ أي: هل يستوي مؤمنٌ ساع للآخرة سعيها قد عمل على وعد ربه له بالثواب الحسن، الذي هو الجنة وما

فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه، من غير شك، ولا ارتياب لأنه وعد من كريم، صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته، وجانب سخطه.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهو يأخذ فيها، ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم. قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدىٰ اللَّه رأسًا، ولم ينقد للمرسلين. فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرًا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلىٰ دار الجزاء علىٰ الأعمال. فما ظنكم بما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولىٰ بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار.

* * *

س: ما المراد بالشركاء في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ﴾؟ وقوله ﴿تَزْعُمُونَ﴾ يزعمون ماذا؟

ج: أما المراد بالشركاء: فهم الآلهة من الأنداد التي كانوا يعبدونها مع اللَّه عز وجل.

وأما قوله «تزعمون»: أي: تزعمون أنهم لي شركاء.

وتزعمون أنهم ينفعونكم أو يضرونكم أو يشفعون لكم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أتبع بعد ذلك بنداء آخر، وهو ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا

أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ وضح المراد بالنداءين.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات: ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ كيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن: فيشهد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبد اللَّه ورسوله. وأما الكافر فيقول: هاه... هاه... لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلاً؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

* * *

س: من هم الذين حق عليهم القول؟

ج: هم الشياطين؛ شياطين الجن، وشياطين الإنس كذلك، والدعاة إلىٰ الكفر.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

ج: يقول المتبوعون: (من الرؤساء، والقادة، وأئمة الكفر من شياطين الإنس والجن) لربهم عز وجل: ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي: دعوناهم إلىٰ الغيِّ والضلال، أضللناهم كما ضللنا، ودعوناهم إلي الغيِّ كما كنا

ضالين وغاوين تبرأنا إليك يا ربنا منهم ومن طاعتهم لنا.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين تبرؤ المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

* قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

* قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

* قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

* قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي

كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا.

* * *

س: قوله: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ لماذا يدعون شركاءهم؟

ج: لإنقاذهم من العذاب لزعمهم من قبل أنهم سينقذونهم ويخلصونهم مما هم فيه، وليعطوهم سؤلهم من النعيم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ وأين جواب قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾؟

ج: هنا مقدر محذوف قدَّره فريق من أهل العلم، وها هي بعض أقوالهم:

١ - ورأوا العذاب، فتمنوا وودوا أنهم لو كانوا مهتدين في الدنيا.

٢ - ورأوا العذاب، ولو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم الهدى.

٣ - ورأوا العذاب، ولو أنهم كانوا يهتدون ما دعوا أصنامهم وشركاءهم. والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ يحمل معنًى هامًا ومبدأ أصيلاً من مبادئ الدعوة إلى اللَّه، وضح ذلك.

ج: هذا المعنى هو أن الداعي إلى اللَّه عليه أن يُذكِّر في دعوته إلى اللَّه بأوامر اللَّه عز وجل وأوامر رسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن العبد مسئول يوم القيامة عن كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ فالمسئولية بين يدي اللَّه ليست عن إجابتنا لفلان أو فلان إنما المسئولية الكبرى عن الكتاب والسنة.

وفي الآية شجبٌ للتقليد الأعمى المجرد عن الأدلة وعن الأصول العامة من الشرع.

* * *

س: لماذا عميت عليهم الأنباء؟

ج: لأن اللَّه سبحانه وتعالى قد أبلغ إليهم في المعذرة، فأرسل إليهم رسلاً وأنزل إليهم كتبًا تبين لهم وتُحذرهم وتُذكرهم ومع ذلك خالفوا الكتب، وكذَّبوا الرسل ولم ينتفعوا بالوعظ والتذكير.

* * *

س: قال تعالى: ﴿فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿فأقبل.. يتساءلون﴾ ما وجه الجمع؟

ج: للجمع بين ذلك وجوه:

أحدهما: أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع، فثم مواقف لا يجيبون فيها بشيء، ومن ذلك إذا قيل لهم: ﴿**مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ فلا يجدوا جوابًا

ولا يسأل بعضهم بعضًا عن الجواب.

الثاني: أن الحجج خفيت جميعًا فسكتوا.

الثالث: أن المراد بقوله: ﴿لا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يتماتون بالقربات التي بينهم (من قوله فلان يمت إلى فلان بصلة) أي: لا ينادي الوالد ولده، ولا ينادي الولد والده ولا يسأل حميم حميمًا.

الرابع: لا يستاءلون بمعنى لا يسأل بعضهم بعضًا أن يحمل من ذنوبه شيئًا.

* * *

س: ما وجه قوله ﴿عسى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

عسى من اللَّه واجب[1].

قلت: فعلى هذا فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ معناه: فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا، فإنه ـ إن شاء اللَّه ـ سيكون من المفلحين.

* * *

(١) قلت: قول الطبري رحمه اللَّه تعالى يبدو صحيحًا في هذا المقام وفي مقامات كثيرة، ولكن ثمَّ مواطن قد تكون فيها وجوه متعددة لكلمة «عسى» كما قال تعالى: ﴿عسى اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير واللَّه غفور رحيم﴾.

س: يلزم مع الإيمان والتوبة عملٌ صالح دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [الفرقان: ٧٠].

* * *

س: اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

ج: في معناها قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لأي شيء هذا الاختيار؟

ج: الاختيار للنبوة والرسالة والهداية والتوفيق.

قال القرطبي رحمه اللّه:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي الاختيار إلىٰ اللّه تعالىٰ في

الشفعاء لا إلىٰ المشركين.

وقيل: هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف.

وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا: لو كان الرسول إلىٰ محمد غير جبريل لآمنا به.

قال ابن عباس: والمعنىٰ: وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منه من يشاء لطاعته.

وقال يحيىٰ بن سلام: والمعنىٰ؛ وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوّته. وحكىٰ النقاش: إن المعنىٰ: وربك يخلق ما يشاء من خلقه، يعني: محمداً ﷺ، ويختار الأنصار لدينه.

* * *

س: ما معنى الخيرة؟

ج: في ذلك أقوال للعلماء:

أحدها: أن المراد بالخيرة هنا الشيء الأَخْيَرُ الأفضل فالمعنىٰ وربك يخلق ما يشاء ويختار الأفضل والأخير لولايته ورسالته واصطفائه.

وذلك لأن المشركين كانوا يقسمون شيئًا للَّه بزعمهم وشيئًا للأصنام والأوثان، فيختارون للأوثان والأصنام أفضل طعامهم وشرابهم ويتركون الأدنىٰ للَّه سبحانه وتعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ

إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

فقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ما كان لهم الشيء الأفضل والأَخْيَر، وهذا اختيار الطبري.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ لولايته الخِيَرة من خلقه، ومن سبقت له منه السعادة. وإنما قال جل ثناؤه ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ والمعنىٰ: ما وصفت؛ لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم، فيجعلونها لآلهتهم، فقال اللَّه لنبيه محمد ﷺ: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والعمل الصالح من خلقه، ما هو في سابق علمه أنه خِيرتهم، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم، فكذلك اختياري لنفسي واجتبائي لولايتي، واصطفائي لخدمتي وطاعتي، خيار مملكتي وخلقي.

وقال أيضًا: أن معنىٰ الخيرة في هذا الموضع: إنما هو الخيرة، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء، يقال منه: أُعطي الخيرة والخِيَرة، مثل الطِّيَرة والطِّيَرة، وليس بالاختيار، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال: وربك يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام، أو خير رجل أو امرأة.

وأورد رحمه اللَّه أثرًا بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية.

أما القول الثاني: فإن المراد بالخيرة الاختيار، فالمعنى ما كان لهم أن يختاروا، فالمعنى: وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم (أي: للخلق أن يختاروا) بل هو الذي يختار ويصطفي لرسالته من يشاء، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: سبحان الله تعالى عن شركهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهًا لله وتبرئة له، وعُلُوًا عما أضاف إليه المشركون من الشرك، وما تخرّصوه من الكذب والباطل عليه. وتأويل الكلام: سبحان الله وتعالى عن شركهم. وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى: وتعالى عن الذين يشركون به.

* * *

س: وضح بصورة مجملة معنى الآيات: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ...﴾ الآيات.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتنًا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قَوَام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمدًا إلى يوم القيامة، لأضرّ ذلك بهم، ولسئمته النفوس وانحصرت منه؛ ولهذا قال

تعالىٰ: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾، أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؟!

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمداً دائماً مستمراً إلىٰ يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلَّت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم.

وقال السعدي رحمه اللَّه:

هذا امتنان من اللَّه علىٰ عباده، يدعوهم به إلىٰ شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أن جعل لهم من رحمته، النهار ليبتغوا من فضل اللَّه، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم، في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم، من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده. فهل أحد يقدر علىٰ شيء من ذلك؟

و﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ مواعظ اللَّه وآياته سماع فهم وقبول وانقياد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مواقع العبر، ومواضع الآيات فتستنير في بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم.

وقال في الليل: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وفي النهار ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن سلطان السمع في الليل أبلغ من سلطان البصر، وعكسه النهار.

وفي هذه الآيات تنبيه إلىٰ أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم اللَّه عليه، ويستبصر فيها؛ ويقيسها بحال عدمها. فإنه إذا وازن بين حال وجودها، وبين حال عدمها؛ تنبه عقله لموضع المنة. بخلاف من جرىٰ مع العوائد، ورأىٰ أن هذا أمر، لم يزل مستمراً، ولا يزال. وعمىٰ قلبه عن الثناء علىٰ اللَّه بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت. فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾.

ج: المراد أن أهل الإيمان يحمدونه في الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا فحمدهم له معلوم.

أما في الآخرة فكذلك:

* قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وأيضًا فمن المعنىٰ: هو المحمود في الدنيا والآخرة علىٰ كل حال.

س: في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تسلية لرسول اللَّه ﷺ وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن اللَّه عز وجل إذا أخبر رسوله ﷺ بأنه يعلم ما تكن صدور هؤلاء القوم وما يعلنون، وأنه يعلم ما تضمره قلوبهم من العداوة لرسول اللَّه ﷺ والحقد عليه وحسده، والتآمر ضده، إذ أخبر اللَّه نبيه أنه يعلم ذلك، فمن ثمَّ فربنا سبحانه لن يسلمه لأعداءه ومن ثم يزداد اعتصامه بربِّه ولواذه به وطمأنينته إلىٰ وعده بالنصر والحفظ.

* * *

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(نزعنا ـ برهانكم ـ ضل عنهم ـ يفترون).

ج:

الكلمة	معناها
سرمداً	دائمًا ـ متصلاً ـ لا ينقطع .
ضياءً	نور ـ نهار .
نزعنا	أحضرنا ـ استخرجنا .
برهانكم	حجتكم ـ بيِّنتكم (على أن للَّه شريك) .
ضل عنهم	اضمحلَّ عنهم وذهب .
يفترون	يكذبون ـ يخرصون ـ يختلقون الكذب .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ومن رحمة الله بكم أن جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، وجعل لكم النهار لتبتغوا من فضله، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ فالابتغاء من الفضل يكون نهاراً، والسكون يكون ليلاً هذا في غالب الأحوال، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معني قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ج: المعني - والله أعلم - ولعلّكم تشكرون الله بأنواع المحامد والثناءات، والصلوات والعبادات في الليل والنهار، فمن فاته شيء من أذكاره ونوافله في النهار فليصلها في الليل، ومن فاته شيءٌ منها في الليل استدركه في النهار، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

* * *

س: وضح باختصار معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ووضح وجه الارتباط بينها وبين الآية التي تلتها وهي قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله:

أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له

شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون ويضرون. فإذا كان يوم القيامة وأراد الله أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم ﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر كما قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦].

فإذا حضروا، هم وإياهم، نزع الله ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ من الأمم المكذبة شهيداً يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين.

أي: انتخبنا من رؤساءالمكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، وهم على طريق واحد.

فإذا برزوا للمحاكمة ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيه أحد يستحق شيئًا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله، أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا كان فيهم أهلية، وليروكم إن كان لهم قدرة.

﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذٍ بطلان قولهم وفساده، و﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ تعالى: قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها.

* * *

س: لماذا كُـرر قوله تعـالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟

ج: كُرِّر لزيادة التوبيخ والتأنيب والتقريع وزيادة الخزي وكُرِّر أيضًا لبيان خطورة الشرك.

* * *

س: قـوله تـعـالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيه أن الله ينادي المشركين فكيف يُجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجوه:

أحـــدها: أن الله لا يكلمهم كلامًا يُريحهم ويُطمئنهم إنما إذا كُلِّموا فللتوبيخ والتأنيب والتقريع.

والثـــاني: أن الله لا يناديهم ولكن يأمر من يناديهم فيقـول لهم: أين الشركاء الذين كنتم تزعمون؟

والثالث: أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع.

* * *

س: ما المراد بـ «الشهيد» في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أولهما: أن المراد بـ «الشهيد» من كل أمة هو نبيها لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ

﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] .

الثاني: أن المراد بـ «الشهيد» هو كبيرها العاتي المتمرد بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٨] .

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

ج: إيضاحه ـ والله أعلم ـ: أن المشركين لما قيل لهم هاتوا برهانكم علىٰ أن للَّه شريكًا، ما أتوا بحجةٍ ولا برهانٍ، فعند ذلك اعترفوا بجرائمهم وشركهم، وغاب عنهم واضمحل ما كانوا يختلقونه في الدنيا من الشركاء الذين جعلوهم لله عزَّ وجلَّ.

❊ ❊ ❊

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ
أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ
وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾
قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بغي ـ مفاتحه ـ لتنوء بالعصبة ـ أولي القوة ـ لا تفرح ـ الفرحين ـ ابتغ ـ لا تبغ الفساد في الأرض ـ على علم عندي ـ أكثر جمعًا ـ لذو حظ عظيم ـ فئة ـ المنتصرين ـ وي كأنّ ـ يبسط ـ يقدر).

ج:

الكلمة	معناها
بغى	تجاوز الحد في الكبر والتكبر والطغيان.
مفاتحه	مفاتيح خزائنه.
لتنوء بالعصبة	لتثقل على الجماعة ـ لتميل العصبة ـ لتميل بالجماعة من الناس ـ ليثقل حملُها الفئام من الناس.
أولى القوة	أولي الشدة ـ الأشداء الأصحاء.
لا تفرح	لا تبطر.
الفرحين	البطرين الأثرين ـ المرحين ـ الذين لا يشكرون اللّه على ما أعطاهم.
ابتغ	التمس ـ اطلب.
لا تبغ الفساد في الأرض	لا تسعَ في الأرض بالفساد.
على علم	

عندي	على علم علمنيه اللَّه ـ على معرفة مني بوجوه المجيء بالمال .
أكثر جمعًا	أكثر جندًا ـ أكثر جمعًا للمال .
لذو حظ عظيم	لصاحب نصيبٍ وافرٍ من الدُّنيا .
فئة	جماعة ـ عصابة يتعصبون له .
المنتصرين	الممتنعين مما حلَّ بهم ونزل .
وي كأن	ألم يعلم أنَّ ـ ألم تر أنَّه ـ أَعجب عالمًا أن . كلمة (وي) للتندم ، (وكأن) للتعجب .
يبسط	يوسع .
يقدر	يضيق .

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾ وما تقدمها من الآيات؟ وما وجه الاتعاظ بذلك؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

لما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾[القصص: ٦٠] بيَّن أن قارون أوتيها واغترَّ بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم أيها المشركون بأكثر عدداً ومالاً من قارون وفرعون، و لم ينفع فرعون جنودُه وأموالُه، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه.

* * *

س: ما فائدة التذكير بأن قارون كان من قوم موسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾؟

ج: فائدة ذلك: أن قرابته بموسى لم تنفعه، وذلك لكونه كان باغيًا كافراً، كما قال تعالى: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

*وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

*وكما قال النبي ﷺ: «ومن بطأ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ به نسبُهُ»(١).

وفائدة أخرى: أن موسى لم يملك له الهداية مع أنه قريبه، وكما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وقد نزلت في أبي طالبٍ كما تقدم.

ولم يملك نوحٌ الهداية لولده.

ولم يملكها إبراهيمُ عليه السلام لأبيه.

وفائدة ثالثة: وهي مواساة رسول الله ﷺ، فإن كان أبو لهب بغىٰ عليك يا محمد وآذاك وعاداك، وهو عمُّك، فها هو موسىٰ عليه السلام أُوذي أيضًا من رجل من قومه وهو قارون فبغىٰ عليه فارونُ وظلمه. والله أعلم.

* * *

س: ما درجة قرابة قارون بموسى؟

ج: أكثر أهل العلم علىٰ أنه ابن عمه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: طلب والتمس بالذي أعطاكه الله عزَّ وجل ثواب الله في الدار الآخرة، فتصدق وأنْفِقْ في طاعة الله عز وجل، وأحْسِنْ إلىٰ الأرامل والأيتام والمساكين وجهّز غزاة في سبيل الله، وأعتق الرقاب، وفكَّ الأسارىٰ وسدَّ عن الغارمين، واجتهدْ ساعيًا في أعمال البر والإحسان.

* **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

ج: في ذلك لأهل العلم أقوال:

أحدها: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا، ولا تغفل عن العمل بطاعته سبحانه وتعالى.

وأورد الطبري جملة آثارٍ تحمل هذا المعنى:

منها: من طرق عن مجاهد قال: تعمل في دنياك لآخرتك.

ومنها: عن عون بن عبد الله قال: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: إن قومًا يضعونها على غير موضعها، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ تعمل فيها بطاعة الله.

وأثر في سنده ضعف؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا

وأثر بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك، فإنما تجد في آخرتك ما قدَّمت في الدنيا فيما رزقك الله.

الثاني: أن معنى الآية الكريمة الحث على الاستمتاع بالطيبات كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وكما قال النبي ﷺ: «إن الله يُحِبُّ أن تُرى نِعْمَتُهُ على عَبْدِه»(١).

---

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢) وله شاهد عند النسائي (٨/ ١٨١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾؛ أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا ولزورك عليك حقًا . فآت كل ذي حقٍّ حقه .

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ اختُلف فيه:

فقال ابن عباس والجمهورُ: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحًا في دنياك؛ إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام علىٰ هذا التأويل شدّة في الموعظة.

وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إيَّاه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام علىٰ هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدّة؛ قاله ابن عطية.

قلت[1]: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا.

وعن الحسن: قدّم الفضل، وأمسك ما يبلغ.

وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف.

وقيل: أراد بنصيبه الكفن. فهذا وعظ متصل؛ كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن.

(١) أي: القرطبي.

ونحو هذا قول الشاعر:

نَصيبُك مما تجمعُ الدهرَ كلَّه ... رداءان تُلْوَى فيهما وحَنُوط

وقال آخر:

وهي القناعة لا تبغي بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القُطْنِ والكَفَن

قال ابن العربي: وأبدع ما فيه عندي قول قتادة: ولا تنس نصيبك الحلال، فهو نصيبك من الدنيا ويا ما أحسن هذا.

﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [القصص: ٧٧] أي: أطع اللهَ واعبدْهُ كما أنعم عليك، ومنه الحديث: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ**»

وقيل: هو أمر بصلة المساكين.

قال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نِعَمِ الله في طاعة الله.

وقال مالك: الأكل والشرب من غير سرف.

قال ابن العربي: أرى مالكًا أراد الرد على الغالين في العبادة والتقشف، فإن النبي ﷺ كان يحب الحلواء، ويشرب العسل، ويستعمل الشواء، ويشرب الماء البارد. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع.

﴿ **وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ** ﴾ أي: لا تعمل بالمعاصي ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾. اهـ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: إنما أوتيته لفضل علمٍ علمه اللهُ منِّي فرضي عني بذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ أي: أنا لا أفتقر إلىٰ ما تقولون، فإن الله تعالىٰ إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه لمحبته لي، فتقديره إنما أُعطيته بذلك لعلم الله فيَّ أني أهلٌ له كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩] أي: علىٰ علم من الله بي، وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] أىٰ: ذا ما أستحقُّهُ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح: عن ابن زيد قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

الثاني: إنما أوتيته لخبرتي ومهارتي باكتساب الأموال وخبرتي بالصناعات ومعرفتي بالتجارات التي تُدرُّ دخلاً ومالاً.

وقول ثالث: وهو أن قارون كان يعلم اسم الله الأعظم فتموَّل بسببه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ

قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يُؤتىٰ ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشدُّ منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال، ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضيًا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطًا.

* * *

س: وضح معنى: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: يدخلون النار بغير حساب.

الثاني: لا تسأل عنهم الملائكة لأنهم يعرفون بسيماهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ [الرحمن: ٤١].

ومن سيماهم أنهم زُرق العيون سود الوجوه، قال تعالىٰ: ﴿ **وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا** ﴾ [طه: ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[آل عمران: ١٠٦].

الثالث: لا يسألون سؤال استعتاب، إنما يُسألون سؤال توبيخ وتأنيب وتقريع.

الرابع: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب هؤلاء الذين مضوا.

الخامس: لا يُسألون مجرمو هذه الأمَّة عن ذنوب الأمم الخالية الذين

عذبوا في الدنيا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ﴿**قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم**﴾ أي: ذو حظٍ وافر من الدنيا.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم الكبر والخيلاء؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ [النحل: ٢٣].

* وقوله تعالى: ﴿**إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

* وقوله ﷺ: «**لا يدْخلِ الجنَّةَ من كان في قَلْبِه مثقالُ ذَرّة من كِبْرٍ**»(١).

* وقوله ﷺ: «**ثَلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيَامَة ولا يزكِّيهم ولا يَنْظُرُ إليهم ولهم عذَابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ وملكٌ كذَّابٌ، وعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(٢).

(١) مسلم (حديث ٩١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

* وقوله ﷺ فيما أخرجه البخاري[١] حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**اختصمت الجنَّةُ والنَّارُ إلى ربِّهَا؛ فقالت الجنَّةُ: يا ربّ ما لَهـا لا يدْخُلُهَا إلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وسقَطُهُم، وقالتِ النَّارُ: يعني أوْثِرْتُ بالمتكبِّرين...**»

* في لفظ مسلم[٢]: «**فقالتِ النَّارُ: أوْثِرْتُ بالمتكبِّرينَ والمتجبِّرين**».

* وفي «صحيح مسلم» من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ألا أُخْبِرُكُم بأهْلِ النَّارِ؟**» قالوا: بلىٰ، قال: «**كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»[٣].

* وعند الترمذي وأحمد[٤] بسندٍ حسن عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرونَ يومَ القيامَةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ من كُلِّ مَكَانٍ فيساقُونَ إلى سِجْنٍ في جهنمَ يُسَمَّى (بولس) تعلوهُم نارُ الأنيارِ يسقَونَ من عصَارةِ أهْلِ النَّارِ طينة الخَبَالِ**».

* وفي «الصحيحين»[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه رُجِّل جمَّته إذ خسف اللَّه به فهو يتجلجل إلى يوم القيامةِ**».

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) مسلم (حديث ٢٨٥٣).

(٤) أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩)، والترمذي (٢٤٩٢) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.
وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
قلت (مصطفىٰ): وقد أعله بعض أهل العلم.

(٥) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

* وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن جرَّ ثوبه من الخيلاء لم ينظر اللَّه إليه يوم القيامة**».

* * *

س: اذكر بعض ما ورد في الحث على التواضع.

ج: في هذا الباب من الآيات:

* قوله تعالى: ﴿**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

* وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف: ٢٨].

* وقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣].

* وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

* وقوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحجر: ٨٨].

وأما الأحاديث فمنها ما يلي:

* ما أخرجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَا نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما**

(١) البخاري (٥٧٩١)، ومسلم ص (١٦٥٢)، واللَّفظ له.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

تَوَاضَعَ أحدٌ للَّهِ إلا رفعه اللَّه».

* وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «... **وأن اللَّهَ أوحَى إليَّ أنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد»**.

* وأخرج الإمام أحمد[٢] بسند صحيح عن أبي زرعة قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ فنظر إلىٰ السماء فإذا ملك ينزل، فقال جبريل إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «**بَلْ عبدًا رَسُولاً**».

* وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كانت ناقةٌ لرسول اللَّه ﷺ تُسمَّىٰ العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي علىٰ قعودٍ له فسبقها، فاشتد ذلك علىٰ المسلمين وقالوا: سُبقت العَضباء؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ حقًا على اللَّهِ أن لا يَرفع شيئًا من الدُّنيا إلا وضعه**».

* وفي هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه**

---

(١) مسلم ص (٢١٩٩).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٢٣١).

(٣) البخاري (حديث ٦٥٠١).

(٤) البخاري (حديث ٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه».

* وفي رواية لمسلم: «**انظروا إلى مَن أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه**».

* وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث خالدٍ بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدُّنيا قد آذنت[٢] بِصُرمٍ[٣] وولَّت حذَّاء[٤]، ولم يبق منها إلا صُبابةٌ[٥] كصبابة الإناءِ، يتصابُّها[٦] صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دارٍ لا زوال لها. فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحَجَرَ يُلقىٰ من شفة جهنّم فيهوي فيها سبعين عامًا لا يُدرِك لها قعرًا[٧]. وواللَّهِ لتُملأَنَّ. أفعجبتم؟! ولقد ذُكر لنا أنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتينَّ عليها يومٌ وهو كَظِيظٌ[٨] من الزِّحامِ، ولقد رأيْتُني سابعَ سبعَةٍ معَ رسولِ اللَّه ﷺ ما لنا طعامٌ إلا وَرَقُ الشجرِ، حتَّىٰ قَرِحَتْ[٩] أشداقُنا. فالتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بين وبين سعدِ بن مالكٍ[١٠]. فاتَّزَرْتُ بنصفها واتَّزَرَ

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٧).

(٢) آذنت: أي: أعلمت.

(٣) بصرم: الصرم الانقطاع والذهاب.

(٤) حذاء: مسرعة الانقطاع.

(٥) صبابة: البقية اليسيرة من الشراب تبقىٰ في أسفل الإناء.

(٦) يتصابها: في القاموس: تصابيت الماء شربت صبابته.

(٧) قعرًا: قعر الشيء أسفله. (٨) كظيظ: أي: ممتلئ.

(٩) قرحت: أي: صار فيها قروح وجراح، من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته.

(١٠) سعد بن مالك: هو سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه.

سعدٌ بنصفها. فما أصبح اليومَ منَّا أحدٌ إلا أصبح أميراً على مِصرٍ من الأمصارِ. وإني أعوذُ باللَّهِ أنْ أكونَ في نفسي عظيمًا وعند اللَّه صغيراً. وإنَّها لم تكن نُبُوَّةٌ قطُ إلا تناسخت، حتى يكونَ آخِرُ عاقبتها مُلْكًا. فستخبرون وتُجَرِّبون الأمراء بعدنا.

* * *

س: أهل العلم دائمًا منارات هدى ودلالات خير، وضح ذلك من قصة هارون.

ج: يتضح ذلك من الموقف المشرف الذي وقفه أهل العلم، وقد خرج قارون في زينته وحاشيته، قد لبس أحسن ثيابه وركب أحسن مراكبه، وتتقدمه الجموع وتحيط به الحواشي، وقد أخذوا زخرفهم وزينتهم، ونظر إليه الذين يريدون الحياة الدنيا نظرة ابتهار وإعجاب، بل وتمنوا أن يكون لهم مثل ما له، فقالوا: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [القصص: ٨٠] فهنا وقف أهل العلم وقفتهم التي أوجبها اللَّه عليهم من بيان للحق وعدم كتمانه، فقالوا محذرين، وباللَّه وبثوابه مذكرين، قالوا لهؤلاء الذين أخذتهم زخارف الحياة الدنيا وحطامها الفاني: ﴿**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ [القصص: ٨٠].

فذكَّروا قومهم وحذروا قومهم، وبينوا لقومهم فضل ثواب اللَّه وفضل العمل الصالح.

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ عائد على ماذا؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك عائد على الجنة.

وقال آخرون: بل هو عائدٌ على الأعمال الصالحة.

وقال غيرهم: ذلك عائد على الكلمة نفسها ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، والله أعلم.

* * *

س: الغنى لا يدل على محبة الله للعبد في كل الأحوال، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى في شأن قارون: ﴿آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، ثم قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

* وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿الصَّابِرُونَ﴾، صابرون على ماذا؟

ج: الصابرون هنا هم الصابرون على رزق اللَّه الذي رزقهم إياهم، فلم يتطلعوا إلى الحياة الدنيا ولم يتطلعوا إلى زينة قارون التي خرج فيها بل صبروا على قسمة اللَّه، وصبروا على الإيمان به وامتثال أمره وصبروا على جهالات الجاهلين واستخفاف المستخفين بهم. واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم، لم تكن له جماعة تنصره من دون اللَّه، ولم يكن هو من المنتصرين لنفسه، أي: أنهم لم ينصروه ولم ينتصر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: وأصبح الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من الثراء والمال والجاه والزينة، أصبح هؤلاء لما رأوا ما حلَّ به من العذاب ولما رأوا ما كان من خسفٍ به وبداره أصبحوا يتندمون على ما تمنوه ويقولون

نعجب عالمين أن اللَّه يوسع على من يشاء من عباده ويرزقه رزقًا واسعًا، ويضيق على من يشاء في الأرزاق، ثم ذكروا فضل اللَّه ونعمته عليهم بقولهم: لولا أن تفضَّل اللَّه علينا لخسف بنا، ونعلم ونؤمن أنه لا يسعد الكافرون ولا يظفرون بمطلوبهم ولا ينجون من مرهوبهم.

* * *

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾
إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(عُلوًا ـ فسادًا ـ العاقبة ـ فرض عليك القرآن ـ لرادّك إلى معاد ـ ظهيرًا ـ لا يصدنك ـ إلا وجهه).

ج:

الكلمة	معناها
عُلوًا	تجبرًا ـ كبرًا على الخلق وترفعًا عليهم ـ استطالة على الناس.
فسادًا	عملاً بالمعاصي[1] ـ الأخذ بغير حق.
العاقبة	العاقبة الحسنة المحمودة، وهي الجنة.
فرض عليك القرآن	أنزله عليك وأعطاكه، وأوجب عليك العمل به، وأوجب عليك تبليغه.
لرادك إلى معاد	لرادُّك إلى مكة[1] وهذا رأي جمهور المفسرين. وقول آخر: إلى الجنة بعد ميعاد. وثالث: ليوم القيامة.
ظهيرًا	مساعدًا ومعينًا.
لا يصدنَّك	لا يصرفنَّك
إلا وجهه	إلا إياه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾.

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ يعني: الجنة. وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم، يعني: تلك التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ أي: رفعة وتكبراً على الإيمان والمؤمنين ﴿وَلا فَسَادًا﴾ عملاً بالمعاصي. قاله ابن جريج ومقاتل.

وقال عكرمة ومسلم البطين: الفساد أخذ المال بغير حق. وقال الكلبي: الدعاء إلى غير عبادة اللَّه، وقال يحيى بن سلام: هو قتل الأنبياء والمؤمنين.

﴿والعاقبة للمتقين﴾ قال الضحاك: الجنة. وقال أبو معاوية: الذي لا يريد علواً هو من لم يجزع من ذلّها، ولم ينافس في عزّها، وأرفعهم عند اللَّه أشدهم تواضعًا، وأعزّهم غداً ألزمهم لذلّ اليوم.

وأورد بإسناد صحيح عن إسماعيل بن أبي خالد قال:

مرّ عليٌّ بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كِسَرًا لهم، فسلَّم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ ثم نزل وأكل معهم. ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ متى هذا المجيء؟

ج: هذا يوم القيامة.

س: ما المراد بالحسنة في قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾؟ وما المراد بالسيئة أيضًا في الآية الكريمة؟

ج: أما الحسنة: فمن أهل العلم من قال: إن المراد عموم الحسنات من: إخلاص التوحيد، ومن قول لا إله إلا اللَّه، ومن صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وبر، وأمر، ونهي، وسلام، وامتثال لأوامر اللَّه، إلى غير ذلك من الحسنات.

أما السيئة: فهي عموم السيئات أيضًا، فيدخل في ذلك: الشرك باللَّه، وارتكاب ما نهى اللَّه عنه من القتل، وعقوق الوالدين، وقول الزور، والسحر، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وعموم القذف بغير بينة، والاغتياب، والسرقة، والنميمة، وعدم غض البصر عن المحرمات، إلى غير ذلك مما حرمه اللَّه عز وجل، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

ج: هذا تذكيرٌ من اللَّه عز وجل لنبيه محمد ﷺ، فالمعنى: وما كنت يا محمد ـ قبل أن ينزل عليك القرآن ـ تتوقع أن ينزل عليك القرآن، فما كان رسول اللَّه ﷺ يتوقع أن يُوحى إليه وأن يكون سيد ولد آدم، وأن يكون أول شفيع وأول مشفع، وأن لا تفتح الجنة لأحدٍ قبله، ولم يكن يتوقع أن أمته ستكون خير الأمم، لم يكن عليه الصلاة والسلام يتوقع هذا أبدًا بحالٍ من

الأحوال قبل البعثة، ولكنها رحمة اللَّه السابغة ونعمه وآلاؤه الوافرة، فللَّه الحمد وله الشكر، وصلوات ربي وسلامه على نبيه محمد وآله وصحبه.

* * *

س: من قوله تعالى: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ ما يفيد أن النعم ينبغي أن تُقابل بالشكر، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن اللَّه تعالى ذكَّر نبيه محمداً ﷺ بنعمته عليه في إلقاء الوحي إليه ثم أتبع ذلك بقوله تعالى ﴿**فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ**﴾.

فكما أن أنعمنا عليك فلا تكونن معاونًا لأهل الكفر والإجرام على كفرهم وإجرامهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: احذر يا محمد هؤلاء المشركين أن يصرفوك عن تبليغ آيات اللَّه، بل استمر في التبليغ ولا تتركه وواصل الدعوة إلى اللَّه عز وجل غير ملتفتٍ إلى أحدٍ منهم وغير مكترث برأيهم فبلِّغ رسالة ربك إلى المشركين وبلغ آيات اللَّه إلى عموم خلقه، ولا تصرفنك أقوالهم ولا يصرفنك تكذيبهم وأذاهم.

* * *

س: وردت جملة من الأدلة تحذر من مظاهرة الكافرين ومعاونتهم. اذكر بعض هذه الأدلة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

* وقوله تعالى: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

* وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

* وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولا تعبد مع الله إلهًا آخر، ولا تسأل من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك،

والمعنى أيضًا: وحِّد الله في عبادته فلا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله: واختلف في معنى قوله ﴿إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو.

وقال آخرون: معنىٰ ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر:

أستغفرُ اللَّه ذَنْبًا لستُ مُحصيَه ... رَبُّ العبادِ إليهِ الوجهُ والعَمَلُ

وقال الشنقيطي رحمه اللَّه (أضواء البيان):

* قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، والوجه من الصفات التي يجب الإيمان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَا﴾ [الرحمن: ٢٧] فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله هاهنا: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾أي: إلا إياه

* وقد ثبت في «الصحيح»[1]، من طريق أبي سلمة، عن أبي هُريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ**».

قال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخاري في «صحيحه» كالمقرِّر له.

قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

أستغفرُ اللَّهَ ذَنبًا لستُ مُحصِيَهُ ربُّ العبادِ، إليهِ الوجهُ والعَمَلُ

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه اللَّه عز وجل من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة. والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالىٰ فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾؟

ج: المعنىٰ: له القضاء النافذ في خلقه، يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد.

* * *

س: لماذا ختمت هذه السورة الكريمة المباركة بقوله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ للتذكير بالمرجع والمآب والبعث والحساب، والجزاء والثواب، وكل هذا يحمل علىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ، ويحمل علىٰ التزود بالتقوىٰ استعدادًا ليوم الوعيد، واللَّه أعلم.

* * *

تمت السورة بتوفيق اللَّه

وصلِّ اللَّهمَّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

والحمد للَّه رب العالمين

كتبه

أبو عبد اللَّه/ مصطفى بن العدوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

فهرست الموضوعات

الآيات رقم	الصفحة
١ : ٦	٢٣
٧ : ١٣	٣٥
١٤ : ١٩	٤٧
٢٠ : ٢٤	٦١
٢٥ : ٢٨	٧٣
٢٩ : ٣٥	١٠١
٣٦ : ٤٢	١١٣
٤٣ : ٥٠	١٢٣
٥١ : ٥٩	١٤٩
٦٠ : ٧٠	١٦٩
٧١ : ٧٥	١٩١
٧٦ : ٨٢	١٩٩
٨٤ : ٨٨	٢١٩
فهرست الموضوعات	٢٢٩

تفسير سورة العنكبوت

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾

[العنكبوت: ١-٧].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿الٓمٓ - أَحَسِبَ - لَا يُفۡتَنُونَ - فَتَنَّا - يَسۡبِقُونَآۚ - سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ - يَرۡجُواْ - لَنُكَفِّرَنَّ - سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿الٓمٓ﴾	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله
﴿أَحَسِبَ﴾	أفظن
﴿لَا يُفۡتَنُونَ﴾	لا يختبرون – لا يبتلون
﴿فَتَنَّا﴾	اختبرنا
﴿يَسۡبِقُونَا﴾	يفوتوننا ويهربون منا فنعجز عن إدراكهم ولا نؤاخذهم بأعمالهم
﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾	بئس ما يظنون – بئس ما حكموا به على الله ربهم إذ حكموا بأنه عاجز عن إدراك خلقه
﴿يَرۡجُواْ﴾	يأمل – يطمع – يخاف
﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾	لنمحون – لنغفرن
﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾	الأعمال السيئة التي عملوها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أفظن الناس أن يتركوا بلا ابتلاء ولا اختبار ولا امتحان لمجرد قولهم آمنا، كلا بل ستختبرون وتمتحون. أما قوله: ﴿الٓمٓ﴾ فهي أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ فإن معناه: أظنَّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء –امتحان–، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرنهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ يمتحنون أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يقنع منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء**». وهذه الآية كقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

❁ ❁ ❁

حتمية الابتلاءات

س: اذكر بعض الأدلة على حتمية الابتلاءات وهل يقتصر الابتلاء على أهل الشر فقط؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾.

[التوبة: ١٦]

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

* وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٧].

* وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾ [هود: ٧].

وهذه الابتلاءات – عافانا الله والمؤمنين من كل مكروهٍ وسوء – تعم الصالحين والطالحين على السواء:

* قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾

[المائدة: ٤٨].

* وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

* ثم إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل:

«**يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في البلاء**» قاله النبي ﷺ[(١)].

* ولذا فلما قال عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه لرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**». قُلْتُ: ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»[(٢)].

ثُمَّ إنَّ الناظرَ في كتاب الله عز وجل، والمتأملَ في سيرةِ رسول الله ﷺ والمتتبعَ لسيرِ أهلِ الفضلِ والصلاحِ وغيرهم يرى بوضوح وجلاءٍ أنهم جميعًا قد ابْتُلُوا واخْتُبِرُوا وأن الابتلاءات والاختبارات قد تعددت وتنوعت وها نحن نسوقُ

(١) وسيأتي بلفظه إن شاء الله.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

هنا – بمشيئة الله – أمثلةً من الابتلاءات التي تعرَّضَ لها الأنبياء وأهلُ الفضل والصلاح لعلَّ مدكرًا أن يدّكر ومتعظًا أن يتَّعظ فالذكرى تنفع المؤمنين والاشتراك في المصائب يُهَوِّنُهَا على أهلها في الحياة الدنيا[1].

❁ ❁ ❁

معرفة النعمة من النقمة

س: كيف يعرف الشخص أن الذي حلَّ به ابتلاء أو انتقام؟

ج: هذا في الغالب بالنظر إلى سيرته وعمله، فإن كانت سيرته حسنة وعمله صالحٌ فالغالب أن الذي حلَّ به ابتلاء لرفعة درجاته، وإن كان مسرفًا على نفسه متعديًا على الخلق ففي الغالب أن ما أصابه انتقام منه حتى يرجع عن شره وفساده والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولقد اختبرنا وابتلينا الذين من قبل المؤمنين بك، الذين قالوا آمنا، اختبرناهم وابتليناهم فمنهم من وجدناه صادقًا في قوله، ومنهم من لم يكن كذلك. بل كان كاذبًا في دعواه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا

---

(١) أما في الآخرة فلا يهونها، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي: لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب.

إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذا أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملئهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ منهم في قيلهم آمنا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ منهم في قيلهم ذلك.

❁ ❁ ❁

س: ندرك تمامًا أن الله يعلم الكاذب من الصادق، فكيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾؟

ج: نعم، الله يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن ويعلم كل شيء.

أما توجيه الآية الكريمة فمن العلماء من قال: إن قوله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ معناه فليُظهرن وليُبينن.

وقال آخرون: إن المراد بالعلم، هو العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: ولَيُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان

يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة؛ ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣]: إلا لنرى؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ أي فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم وقد مضى هذا المعنى في (البقرة) وغيرها قال الزجاج: ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازى عليه وإنما يعلم صدق الصادق واقعًا كائنًا وقوعه، وقد علم أنه سيقع. وقال النحاس: فيه قولان: أحدهما: أن يكون ﴿صَدَقُوا۟﴾ مشتقًّا من الصدق و ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مشتقًّا من الكذب الذي هو ضد الصدق ويكون المعنى فليبينن الله الذين صدقوا فقالوا نحن مؤمنون واعتقدوا مثل ذلك والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الآخر: أن يكون صدقوا مشتقًّا من الصدق وهو الصلب والكاذبين مشتقًّا من كذب إذا انهزم فيكون المعنى فليعلمن الله الذي ثبتوا في الحرب والذين انهزموا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أفظن أهل الشرك الذين يشركون بالله فيسيئون إلى أنفسهم بذلك أشد الإساءة وأعظمها أنهم سيهربون منا ولا نستطيع إدراكهم ومن ثمَّ فلن نستطيع أن نحاسبهم ونعاقبهم، فإذا كان هذا هو حكمهم على الله بأنه يعجز عن إدراكهم فساء هذا الحكم الظالم الجائر الذي حكموا

به على الله أنه عاجز، وساء هذا الظن الذي ظنوه بالله ربهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم حَسِبَ الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره، وهم المعنيون بقوله: ﴿أَلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَآۚ﴾ يقول: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله.

وقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي الشرك ﴿أَن يَسۡبِقُونَآۚ﴾ أي يفوتونا ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يفعلون.

وقال:

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي بئس الحكم ما حكموا في صفات ربهم أنه مسبوق والله القادر على كل شيء و ﴿مَا﴾ في موضع نصب بمعنى ساء شيئًا أو حكمًا يحكمون ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع رفع بمعنى ساء الشيء أوالحكم حكمهم وهذا قول الزجاج.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَآۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم؛ ولهذا قال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَآۚ﴾ أي: يفوتونا، ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بئس ما يظنون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: من كان يعمل عملًا صالحًا ويرجو بعمله يومًا يلقى فيه ربَّه سبحانه وتعالى فيثيبه الله ويكافؤه على عمله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ أي: فإن الأجل الذي أجَّلَ الله العباد فيه للقائه لآتٍ لا محالة، وبإذن الله سيكافؤه ربَّه ويثيبه فهو سبحانه السميع لأقواله، والسميع لكل شيء والعليم بأحواله وبأحوال الخلق كلهم.

ألا ويعلم أن من جاهد فإن ثواب جهاده عائدٌ عليه، وليس يعود على الله من جهاد عبده المجاهد شيء، فالله غني عن كل خلقه، وكما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريبًا، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ يقول: والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله، العليم بصدق قيله، إنه قد آمن من كذبه فيه، وقوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ يقول: ومن يجاهد عدوَّه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غنيّ عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي: في الدار الآخرة، وعمل الصالحات

رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملًا موفورًا، فإن ذلك كائن لا محالة؛ لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات؛ ولهذا قال: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾، كقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [فصلت: ٤٦] أي: من عمل صالحًا فإنما يعود نفع عمله على نفسه، فإن الله غني عن أفعال العباد، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل [واحد] منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يوما من الدهر بسيف.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ ﴿يَرۡجُواْ﴾ بمعنى يخاف من قول الهذلي في وصف عسال:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها

وأجمع أهل التفسير على أن المعنى: من كان يخاف الموت فليعمل عملًا صالحًا فإنه لابد أن يأتيه، ذكره النحاس.

قلت (مصطفى): وإنني لأعجب من نقل القرطبي لهذا الإجماع، هذا، وقد دلت الأدلة القواطع على أن أهل الإيمان يرون ربهم عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة، ويلقونه عَزَّ وَجَلَّ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ أي ومن جاهد في الدين وصبر

على قتال الكفار وأعمال الطاعات فإنما يسعى لنفسه أي ثواب ذلك كله له ولا يرجع إلى الله نفع من ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي عن أعمالهم وقيل: المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله حاجة بجهاده.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم-: إن الذين آمنوا بالله ورسله وآمنوا بما أوجب الله عليهم أن يؤمنوا به، وصاحبوا ذلك بصالح الأعمال لنمحون عنهم سيئاتهم التي ارتكبوها وذلك؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، فمن ثَمَّ تصدر منهم – وإن كانوا مؤمنين –أعمالٌ تسؤهم فيغفرها الله لهم، ويجازيهم على صالح أعمالهم أفضل الجزاء وخير الجزاء أضعافًا مضاعفة.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: تلك التي عملوها أثناء شركهم، وقت أن كانوا مشركين قبل أن يُسلموا، وأيضًا فقد حمل قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: على العمل الصالح الذي عملوه وقت أن كانوا مشركين، وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأراه قد قصَّر في هذا الاختيار الذي ذهب إليه، وإنما تكفير السيئات عامٌّ، سواء التي ارتكبها أثناء كفره أو التي فعلها بعد إسلامه، وأما عن الأعمال الصالحة التي عملها في شركه[1] فقد قال النبي ﷺ: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**».

أما ما عمله من عمل صالح بعد إسلامه، وكان يبتغي به وجه الله فالله عَزَّ وَجَلَّ

(١) ومعلوم أنه إذا مات مشركًا فقد حبط كلُّ عمله.

يُجازيه عليه أحسن الجزاء وأفضله والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله، فصحّ إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدّوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ التي سلفت منهم في شركهم ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يقول: ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي صدقوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أي: لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم وهو الطاعات ثم قيل: يحتمل أن تكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك ويُثابوا على ما عملوا من حسنة في الإسلام ويحتمل أن تكفر عنهم سيئاتهم في الكفر والإسلام ويُثابوا على حسناتهم في الكفر والإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من إحسانه وبِرِّه بهم يُجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويُثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال هاهنا:

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨-١٣]

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿وَوَصَّيْنَا - حُسْنًا - جَاهَدَاكَ - أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ - فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ - سَبِيلَنَا - وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ - أَثْقَالَهُمْ - يَفْتَرُونَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَوَصَّيْنَا﴾	أمرنا
﴿حُسْنًا﴾	خيرًا – إحسانًا
﴿جَاهَدَاكَ﴾	اجتهدا عليك – حارباك
﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾	عُذِّب لكونه قال لا إله إلا الله، أُوذي لكونه يرفع كلمة لا إله إلا الله
﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾	تعذيب الناس له لصرفه عن دينه
﴿سَبِيلَنَا﴾	طريقنا في تديننا وتعبدنا – ديننا
﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾	لنحمل آثام ذنوبكم
﴿أَثْقَالَهُمْ﴾	إثم ذنوبهم
﴿يَفْتَرُونَ﴾	يكذبون – يختلقون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وأمرنا الإنسان ووصيناه أن يُحسن إلى والديه،

وأن يفعل بهما خيرًا ووصيناه أن يفعل معهما حسنًا أي خيرًا، وإن حارباك واجتهدا عليك كي تجعل لي شريكًا، وأنت لا علم لك بأن لي شريكًا، بل تعلم أنني إلهٌ واحد فإن اجتهدا كي تجعل لي شريكًا وتعبده معي فلا تطعهما وإليَّ يوم القيامة مرجعكم ومآبكم فأخبركم بما كنتم تعملون في دنياكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فيما أنزلنا إلى رسولنا ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أن يفعل بهما ﴿حُسْنًا﴾.

واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن، فقال بعض نحويِّي البصرة: نُصب ذلك على نية تكرير وصيّنا. وكأن معنى الكلام عنده: ووصينا الإنسان بوالديه، ووصيناه حسنًا. وقال: قد يقول الرجل وصيته خيرًا: أي بخير.

وقوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، فقلنا له: إن جاهداك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إليّ معادكم ومصيركم يوم القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أُجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحثِّ على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ

إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما، في مقابلة إحسانهما المتقدم ، قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾ أي : وإن حَرَصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما، لا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما، وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع مَنْ أحب، أي: حُبًّا دينيًّا؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾؟

ج: أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ. وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ. وَأَنَا أُمُّكَ. وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ. فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا. فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان: ١٥] وَفِيهَا: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾.

(١) مسلم حديث (١٧٤٨).

❁ ❁ ❁

إنما الطاعة في المعروف

س: هل طاعة الوالدين مطلقة؟

ج: لا، بل هي في المعروف، أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فيما أدخلنا فيه الصالحين، ألا وهي الجنة فالمعني لندخلنهم مع الصالحين الجنة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله، ويجتنبوا محارمه ﴿لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) وصح عن النبي ﷺ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

في مَدْخل الصالحين، وذلك الجنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومن الناس من يقول آمنا بالله وصدقنا رسل الله فيُعلنون إيمانهم فإذا ابتلوا بسبب قولهم هذا- ابتلاهم أهل الكفر وعذبوهم حتى يرجعوا عن إسلامهم - رجعوا عن الإسلام وتركوه وجعلوا فتنة الناس (تعذيب الناس لهم) كعذاب الله يوم القيامة، فاستهانوا بالآخرة وكفروا فرارًا من عذاب الدنيا، أما إذا نصر الله رسوله ﷺ ونصر أهل الإيمان، فإذا بهؤلاء المنافقين الذين كفروا وارتدوا، إذا بهم يقولون لأهل الإيمان، رغبةً منهم في مشاركتهم الغنائم، وفي النيل من خيراتهم، إنا كنا معكم ننصركم على عدوكم وندافع عنكم، فقال تعالى لهؤلاء ولغيرهم، أليس الله بأعلم منكم بما في صدور الخلق كلهم، وهو أعلم بأهل النفاق ومرادهم، فإن كانوا يحاولون غش المسلمين وخداعهم فالله يعلمهم ويعلم ما في قلوبهم وسيجازيهم على ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحَّدناه، فإذَا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتدّ عن إيمانه بالله، راجعًا على الكفر به ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يا محمد؛ أهل الإيمان به ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة

الناس كعذاب الله ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَعَكُمْ﴾ ننصركم على أعدائكم، كذبًا وإفكًا، يقول الله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أيها القوم من كلّ أحد ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغيرهم، فإذا أُوذِي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرًّا ولا علانية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

ثم قال: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: ولئن جاء نصر قريب من ربك -يا محمد -وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: إنا كنا معكم، أي إخوانكم في الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى مخبرًا عنهم هاهنا: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا

مَعَكُمْۚ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنُّه ضمائرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية نزلت في المنافقين كانوا يقولون آمنا بالله ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة فارتد عن إيمانه. وقيل: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله ﴿وَلَئِن جَآءَ﴾ المؤمنين ﴿نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المرتدون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾ وهم كاذبون فقال الله لهم: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

يعني أن من الناس من يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ بلسانه، ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾، أي: آذاه الكفار إيذاءهم للمسلمين جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الرّدة -والعياذ بالله- كعذاب الله فإنه صارف رادع عن الكفر والمعاصي. ومعنى ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾، الأذى الذي يصيبه من الكفار، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء الذي هو الفتنة، وهذا قال به غير واحد.

وعليه فمعنى الآية الكريمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين الذين يقولون: آمنّا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، إذا حصل للمسلمين من الكفار أذى، وهم معهم جعلوا فتنة الناس، أي: أذاهم كعذاب الله، وأنه إن جاء نصر من الله لعباده المؤمنين فنصرهم على الكفار، وهزموهم وغنموا منهم الغنائم، قال أولئك المنافقون: ألم نكن معكم، يعنون: أنهم مع المؤمنين ومن جملتهم، يريدون أخذ نصيبهم من الغنائم.

وهذا المعنى جاء في آيات أُخر من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّۖ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣]، وقد قدّمنا طرفًا من هذا في سورة «النساء».

وقد بيَّن تعالى أنهم كاذبون في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾، وبيَّن أنه عالم بما تخفي صدورهم من الكفر والنفاق، بقوله: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: وليُظهرن الله إيمان الذين آمنوا وصدقهم، وذلك بما يبتليهم به من الأمور فيظهر صدقهم وكذا وليظهرن المنافقين، ليظهرن الله نفاقهم حتى يعلمه ما لم يكن يعلمه.

هذا، ومن العلماء من قال: إن العلم هنا هو العلم الذي ينبني عليه الثواب والعقاب، أي: ليظهرن الله من أفعال أهل الإيمان ما به يعظم أجورهم ويجزل لهم الثواب وليظهرن الله أمر أهل النفاق بما يوجب تعذيبهم، فالله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمنّ المنافقين منكم حتى يميزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المتثاقل منكم عنها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: وليختبرنّ الله الناس بالضراء والسراء، ليتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع الله في الضراء والسراء، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالى بعد وقعة أحد، التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– أن أهل الكفر قالوا لأهل الإيمان: اتركوا ما أنتم عليه من الإيمان واسلكوا طريقنا طريق الزَّيغ والضلال، وإن كان هناك تبعات

وآثام وأوزار فإنا نتحملها عنكم، فكذبهم الله في قيلهم ذلك، إذ قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون في أنهم يحملون خطاياهم ويتركونهم بلا خطايا.

هذا، وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أنهم لن يتحملوا إثم إغوائهم، بل سيتحملوا إثم إغوائهم بدليل الآية التي بعدها – وسيأتي شرحها– وإنما معنى قوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ هو الذي قدمناه من كونهم لن يحملوا خطاياهم ويتركونهم بلا خطايا، بل سيحملون خطايا إغوائهم، فضلًا عن كون الآخرين سيحملون خطايا أنفسهم هم الآخرون، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ يقول: قالوا: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذٍ.

وهذا –أعني قوله–: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ وإن كان خرج مخرج الأمر، فإن فيه تأويل الجزاء، ومعناه ما قلت: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُ فإنَّ أنْدَى ... لِصَوْتٍ أنْ يُنَادِيَ دَاعيانِ

يريد: ادعي ولأدع، ومعناه: إن دعوت دعوت.

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وهذا تكذيب

من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش: أنهم قالوا لِمَنْ آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا، ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ أي: وآثامكم -إن كانت لكم آثام في ذلك -علينا وفي رقابنا، كما يقول القائل: «افعل هذا وخطيئتك في رقبتي». قال الله تكذيبًا لهم: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوه: إنهم يحملون عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ [المعارج: ١٠، ١١].

❁ ❁ ❁

الداعي إلى ضلال يتحمل إثم من أغواه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وليحملن أهل الكفر إثم كفرهم وضلالهم، وكذا وليحملن إثم إضلال من أضلوه وإغواء من أغووه وليسئلن يوم القيامة عن كذبهم في قيلهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ وكذا على افترائهم على الله ودعواهم أن الله له شريك، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وليحملنّ هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يكذّبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل، وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يقول: أوزار من أضلوا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾. وقرأ قوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] قال: فهذا قوله: وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزارًا أخَر بسبب مَنْ أضلوا مِنَ الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا، كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وفي الصحيح: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، وَمَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثل آثام مَنِ اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من آثامهم شيئا**».

وفي الصحيح: «**ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سَنّ القتل**».

وقوله: ﴿وَلَيُسْـَٔلَنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون ويختلقون من البهتان.

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ
ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ
﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا

ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ۞

[العنكبوت: ١٤-٢٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ - ٱلطُّوفَانُ - ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ - وَٱتَّقُوهُ - أَوْثَٰنًا - وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا - فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ - ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ - يُبْدِئُ - يُعِيدُهُۥٓ - ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ - تُقْلَبُونَ - بِمُعْجِزِينَ - وَلِىٍّ - نَصِيرٍ - يَيْـَٔسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى - مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ - يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ - مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾	مكث فيهم – عاش بينهم
﴿ٱلطُّوفَانُ﴾	السيل الشديد والمطر الجارف والمياه المدمرة
﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	علامة للخلق على قدرتنا على إهلاك عدونا وإنجاء أوليائنا، وكذا على وحدانيتنا
﴿وَٱتَّقُوهُ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
﴿أَوْثَٰنًا﴾	أصنامًا
﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾	تقولون كذبًا – تصنعون كذبًا – تصنعون أصنامًا تصرفون بها الناس عن عبادة الله ﷻ
﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾	اطلبوا الرزق من عند الله
﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾	تبليغ ما أمره الله بتبليغه تبليغًا واضحًا ظاهرًا مظهرًا الحقائق

﴿يُبْدِئُ﴾	يخلق لأول مرة
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يبعثه يوم القيامة
﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ﴾	البعث الآخر يوم القيامة
﴿تُقْلَبُونَ﴾	ترجعون
﴿بِمُعْجِزِينَ﴾	بفائتين – بهاربين
﴿وَلِيٍّ﴾	مَن يتولاكم ويرعاكم
﴿نَصِيرٍ﴾	من ينصركم
﴿يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾	انقطع أملهم في حصول الرحمة بهم
﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾	توادًا بينكم ومجاملةً من بعضكم لبعض تطلبون بذلك رضا بعضكم على بعض
﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾	يجحد بعضكم قدرة بعض على انقاذه، يجحد بعضكم عبادة بعض وطاعة بعض وصداقة بعض، تلك التي كانت بينهم في الدنيا
﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾	تارك بلادي وذاهب إلى بلاد أخرى لعبادة ربي ﷻ

❁ ❁ ❁

شيء من قصة نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هـذا – والله أعلـم – تبصيرٌ للنبي ﷺ علـى أذى قومـه وتكـذيبهم لله، وكذا فإنه تحذير لأهل الكفر من الشقاق والعناد.

وحاصل ذلك أننا أرسلنا نوحًا عليه السلام، وهو أول رسول إلى أهل الأرض أرسلناه إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأوثان، كي يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فلبث فيهم يدعوهم تسعمائة وخمسين عامًا، وأغلبهم يكذب ويجحد ويسخر ويستهزئ، ويذهب منهم جيلٌ ويأتي آخر أشد ضلالًا وأضل سبيلًا فكانت عاقبة أمرهم أن أرسل الله عليهم الطوفان وأغرقهم جميعًا، أما نوح عليه السلام، وكذا من معه من أهل الإيمان الذين حملهم معه في السفينة فقد أنجاهم الله وسلمهم وأبقى السفينة كدلالة للخلق من بعد نوح عليه السلام على قدرة الله على الانتقام من أهل الظلم وعلى الانتصار لأهل الإيمان، كما قال تعالى في شأن تلك السفينة ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلَنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبيه محمد ﷺ: لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارًا.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: هو الماء الذي أرسل عليهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ يقول: وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول: وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة، قال: قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ...﴾ الآية. قال: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجوديّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو قيل: معنى ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين، وجعل الهاء والألف في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ كناية عن العقوبة أو السخط، ونحو ذلك، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ كان وجها من التأويل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، يخبره عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا، وإجهارًا، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارا عن الحق، وإعراضا عنه وتكذيبا له، وما آمن معه منهم إلا قليل؛ ولهذا قال: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار، فأنت -يا محمد- لا تأسف على مَنْ كفر بك من قومك، ولا تحزن عليهم؛ فإن الله يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك، ويذل عدوّك، ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين.

وقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذين آمنوا بنوح عليه السلام. وقد تقدَّم ذكر ذلك مفصلا في سورة «هود»، وتقدَّم تفسيره بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها كما قال قتادة: إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم زمن الطوفان، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس: ٤١- ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١، ١٢]، وقال هاهنا: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] أي: وجعلنا نوعها، فإن التي يرمى بها ليست هي التي زينة للسماء. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣]، ولهذا نظائر كثيرة.

❁ ❁ ❁

شيء من قصة نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: واذكر يا رسول الله نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقوله لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أخلصوا له العبادة، ولا تشركوا معه شيئًا ولا تعبدوا إلهًا غيره، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بتوحيدكم وصلاتكم وغير ذلك من الطاعات ذلكم التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ لكم من الشرك والكفر إن كنتم تعلمون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضًا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم مما هو شرّ لكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء: أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له، وتوحيده في الشكر، فإنه المشكور على النعم، لا مُسْدٍ لها غيره، فقال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: أخلصوا له في العبادة والخوف، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في

الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه موبِّخًا لهم ومُذكرًا، إن الذي تعبدونه من دون الله إنما هي أصنام لا تنفع ولا تضر، وإنكم تصنعون كذبًا وتنحتون أصنامًا وتعبدونها وتختلقون الكذب أنها آلهة مع الله، ألا فاعلموا أن تلك الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا تملك لكم رزقًا، فاطلبوا الرزق من الله فهو الرزاق ذو القوة المتين، وأخلصوا لله في عبادته، فاعبدوه وحده لا شريك له، وقدموا له شكرًا على نعمه التي لا يحصيها إلا هو فإلى الله مرجعكم ومآبكم يوم القيامة وسيجازي كلًّا بعمله، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانًا، يعني: مُثُلًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ أصنامًا.

ثم قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ فقال بعضهم: معناه: وتصنعون كذبًا.

وقال آخرون: وتقولون كذبًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتنحِتون إفكًا.

وأورد عن قَتادة بسند حسن: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ أي: تصنعون أصنامًا.

وعن ابن زيد بسند صحيح: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ الأوثان التي تعبدونها.

قال الطبري:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: وتصنعون كذبًا.

قال الطبري أيضًا:

فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذبا وباطلا. وإنما في قوله: ﴿إِفۡكًاۚ﴾ مردود على إنما، كقول القائل: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقرأ جميع قرّاء الأمصار: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ بتخفيف الخاء من قوله: ﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ وَضَمَّ اللام: من الخَلْق. وذُكر عن أبي عبد الرحمن السُلميّ أنه قرأ: (**وَتَخَلِّقُونَ إِفْكًا**) بفتح الخاء وتشديد اللام، من التخليق.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ يقول: فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدركوا ما تبتغون من ذلك ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ يقول: وذلوا له ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم، يقال: شكرته وشكرتُ له، أفصح من شكرته. وقوله: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: إلى الله تُرَدّون من بعد مماتكم، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقلَّبون، ورزقه تأكلون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء، سميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم. هكذا روى العوفي عن ابن عباس. وبه قال مجاهد، والسدي.

وروى الوالبي، عن ابن عباس: وتصنعون إفكًا، أي: تنحتونها أصنامًا. وبه قال مجاهد -في رواية -وعكرمة، والحسن، وقتادة وغيرهم، واختاره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهي لا تملك لهم رزقا، ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ وهذا أبلغ في الحصر، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ولهذا قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ أي: فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ أي: لا تعبدوا غيره، فإن غيره لا يملك شيئًا، ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ أي: كلوا من رزقه واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم، ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه بعد أن بيَّن لهم بطلان ما هم عليه، فقال وإن تكذبوا فلستم بأول من كذب، ولكم عبرةٌ بالذي حلَّ بالمكذبين من قبلكم فقد أهلكناهم ودمرناهم كما صنعنا بقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، فانتظروا أن يحلَّ بكم مثل ما حلَّ بهم، أما رسولنا ﷺ فما عليه إلا أن يبلغكم ما أمر بتبليغه، يبلغكم إياه بلاغًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، بلاغًا يبين لكم أن ما أنتم عليه باطل، وأن الذي يدعوكم إليه هو الحق.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن تكذِّبوا أيها الناس رسولنا محمدًا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كَذَّبت جماعات من قبلكم رسلَها فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ، فحلّ بها من الله سخطه، ونزل بها منه عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يقول: وما على محمد إلا أن يبلِّغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أَمَره بأدائه إليكم ربُّه. ويعني بالبلاغ المبين: الذي يُبِين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء.

وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قال: يُعزي نبيه ﷺ. وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول، واعترض بهذا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾. وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضًا.

والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحتج عليهم لإثبات المعاد؛ لقوله بعد هذا كله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للقيامة والثواب والعقاب، أولم ينظروا إلى أنفسهم وما حولهم من المخلوقات فيستدلوا بها على قدرة الله ﷻ على إحيائهم بعد إماتتهم وعلى بعثهم بعد فنائهم، أنهم يرون أمام أعينهم كيف يبدئ الله الخلق، إذ الله يخلقهم من نطفة من منيٍّ يُمنى ثم من علقة ثم من مضغة ثم يخرجهم طفلًا ثم يقوي أمرهم ثم يعودون ضُعفاء ثم يموتون ويصبحون ترابًا، فالذي خلقهم وأماتهم قادر على بعثهم وإعادتهم، وكذا خلق سائر المخلوقات دجاجة تبيض بيضة ثم يخرج من البيضة فرخ صغير وينمو ويكبر ثم تموت تلك الدجاجة وتفنى، وكذا سائر المخلوقات فالذي فعل بها ذلك قادرٌ على البعث بعد الموت فهو (أي البعث) أيسر عليه وأسهل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلًا صغيرًا، ثم غلامًا يافعًا، ثم رجلًا مجتمعًا، ثم كهلًا يقال منه: أبدأ وأعاد وبدأ وعاد، لغتان بمعنى واحد. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أوّل مرّة خلقًا جديدًا، لا يتعذّر عليه ذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل كما كان يسيرًا عليه إبداؤه.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بالبعث بعد الموت.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: المعنى أولم يروا كيف يبدئ الله الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبدا وكذلك يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق منه ولدًا وخلق من الولد ولدًا وكذلك سائر الحيوان أي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأنه إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – حثٌّ على النظر والتفكر والتدبر والاعتبار فيقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟﴾ أيها الناس ويا منكري القدرة على البعث ويا منكري الجزاء ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وانظروا إلى قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ في مخلوقاته التي خلقها، انظروا كيف بدأ خلقها ولم تك شيئًا، انظروا إلى عموم ما خلق الله من دواب تدب على الأرض ومن أسماك وحيتان في البحر، وإلى تلك الطيور السارحة، والنباتات ذات الشكل البهيج، وكذا السموات والأرض والجبال وغير ذلك مما تستدلون به على قدرة الله، فإن الله خلقه ولم يك شيئًا، ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينشؤكم مرة أخرى يوم

القيامة كما أنشأكم في الدنيا فهو ﷻ على كل شيء قدير.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذّر عليه إحداثها مُبدئًا، فكذلك لا يتعذّر عليه إنشاؤها معيدًا ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة: الثوابت، والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبرارٍ وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول للشيء كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. وهذا المقام شبيه بقوله

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي قل لهم يا محمد سيروا في الأرض ﴿ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾؟

ج: هناك – والله أعلم – تعلق للمعنى بما قبله فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ أي يُعيد الناس أحياء بعد موتهم فيعذب من يشاء يوم القيامة ويرحم من يشاء، وإليه المرجع والمآب.

وذهب بعض أهل العلم أن المعنى مستقل هاهنا فقوله: يعذب من يشاء في الدنيا ويرحم من يشاء فيها وإليه مرجع الناس كلهم ومُنقلبهم جميعًا ثم يحاسبهم ويجازي المحسن ويُعاقب المسيء، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ خلقه من بعد فنائهم، فـ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحًا ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ يقول: وإليه

ترجعون وتردّون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: هو الحاكم المتصرف، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فله الخلق والأمر، مهما فعل فَعَدْلٌ؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن: «**إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم**»[1]. ولهذا قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ أي: ترجعون يوم القيامة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ أي بعدله. ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: بفضله. ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ ترجعون وتردون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما أنتم أيها البشر بفائتين من الله ﷻ، فلن تستطيعوا هربًا في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من وليٍّ يتولاكم، ولا نصير ينصركم.

ويمكن أيضًا أن يقال: وما أنتم يا أهل الأرض بهاربين من الله، وكذا أنتم يا أهل السماء لستم بهاربين.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي

(١) وسنده صحيح.

ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال: لا يُعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السموات في السموات إن عصوه، وقرأ: ﴿ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من وليّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءًا ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه، بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: جحدوها وكفروا بالمعاد، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: والذين جحدوا آيات الله وأنكروها وأنكروا البعث والثواب والعقاب أولئك سييأسون من رحمتي يوم القيامة ولهم آنذاك عذاب مؤلمٌ موجعٌ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين كفروا حُجَجَ الله، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ يقول تعالى ذكره: أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعدّ لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مُوجِع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن إبراهيم عليه السلام لما وعظ قومه بالمواعظ المتقدم ذكرها، وذكَّرهم بأنواع التذكير ما كان جوابهم له إلا أن قال بعضهم لبعض اقتلوا إبراهيم عليه السلام أو أوقدوا له نارًا فألقوه فيها فيحترق، ففعلوا ذلك به ولكن الله جعلها عليه بردًا وسلامًا وأنجاه من النار إن في ذلك الإنجاء لإبراهيم عليه السلام لدلالات لقوم يصدقون بقدرتنا ونصرنا لأوليائنا.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ إلا أن قال بعضهم لبعض: ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقَوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا.

وقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إنجائنا لإبراهيم من النار، وقد ألقي فيها وهي تَسَعر، وتصييرها عليه بردًا وسلامًا لأدلة وحججًا

لقوم يصدّقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحق بالباطل: إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم، ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٧، ٩٨]، وذلك أنهم حَشَدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحَوّطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عَنَان السماء: ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا. ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا. فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان.

وقوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ أي: سَلَّمه منها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح وجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ مع ذكر معناها؟

ج: أشار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ثلاث وجوه للقراءات فيها:

أحدها: ﴿مودةَ بينكم﴾ بفتح التاء المربوطة مع تنوينها وفتح النون من بينكم بغير إضافة.

الثاني: ﴿مودةَ بينِكم﴾ بفتح التاء المربوطة وكسر النون من قوله بينِكم.

الثالث: ﴿مودةُ بينِكم﴾ بضم التاء المربوطة وخفض النون.

أما عن المعاني فكلها متقاربة، وحاصلها أن أهل الكفر كان بعضهم يجامل بعضًا بعبادتهم الأصنام والتقرب إليها، أي أنهم يعبدون الأوثان ويتفانون في خدمتها مجاملة من بعضهم لبعض أما بشيء من التفصيل.

فالوجه الأول: حاصله – والله أعلم –: إن الأوثان التي اتخذتموها آلهة تعبدونها من دون الله إنما كان اتخاذكم لها ﴿مودةً بينكم﴾ أي: تواصلًا بينكم وصداقةً وترابطًا بينكم، فكنتم تتواصلون بذلك وتتواددون بذلك، يتودد بعضكم لبعض بذلك.

والثاني: قريب المعنى من الأول، وحاصله –والله أعلم– إنما اتخذتموها مودة بينكم تتحابون على عبادتها وتتواددون على خدمتها فالمقرب منكم من يخدمها ويوقرها.

أما الوجه الثالث: فصل فيه البعض بأن قالوا إن كلمة ﴿إنما﴾ مشتملة على حرفين ﴿إن﴾ و﴿ما﴾ فيكون المعنى –والله أعلم– إن الذي اتخذتم من دون الله أوثانًا إنما هو مودتكم في الدنيا، وليست بنافعتكم شيئًا في الآخرة، والله أعلم. وكما أسلفت فالمعاني متقاربة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يقول لقومه مقرِّعًا لهم وموبخًا على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان: إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا، صداقة وألفة منكم، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا. وهذا على قراءة من نصب ﴿مودة بينَكم﴾، على أنه مفعول له، وأما

على قراءة الرفع فمعناه: إنما اتخاذكم هذا يُحَصّل لكم المودة في الدنيا فقط.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم لقومه: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه: يا قوم﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والشأم وبعض الكوفيين: ﴿مَوَدَّةَ﴾ بنصب «مودة» بغير إضافة ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ بنصبها. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: ﴿مَوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ بنصب «المودّة» وإضافتها إلى قوله: ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾، وخفض ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾. وكأن هؤلاء الذين قرءوا قوله: ﴿مَوَدَّةَ﴾ نصبا، وجَّهوا معنى الكلام إلى: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم﴾ أيها القوم ﴿أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنَكُمۡ﴾، فجعلوا إنما حرفًا واحدًا، وأوقعوا قوله: ﴿ٱتَّخَذۡتُم﴾ على الأوثان، فنصبوها بمعنى: اتخذتموها مودّة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابُّون على عبادتها، وتتوادّون على خدمتها، فتتواصلون عليها، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة: ﴿مَوَدَّةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ برفع المودة وإضافتها إلى البَيْنِ، وخفض البين، وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك، جعلوا «إنَّ مَا» حرفين، بتأويل: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانًا إنما هو مودّتكم للدنيا، فرفعوا «مَوَدَّةُ» على خبر إن. وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعًا بقوله: «إنما» أن تكون حرفا واحدًا، ويكون الخبر متناهيًا عند قوله: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا ﴾ ثم يبتدئُ الخبر فيقال: ما مودتكم تلك الأوثان بنافعتكم، إنما مودّة بينكم في حياتكم الدنيا، ثم هي منقطعة، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودّة مرفوعة بالصفة بقوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودّة، رفعها على ضمير هي.

وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني؛ لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها، اتخذوها مودة بينهم، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة، ثم هي عنهم منقطعة، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيب، لتقارب معاني ذلك، وشهرة القراءة بكلّ واحدة منهنّ في قرّاء الأمصار.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ قال: صارت كل خُلَّة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خُلَّة المتقين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ثم إنكم يا من جامل بعضكم بعضًا باتخاذ الأصنام آلهة يتبرأ بعضكم من بعض يوم القيامة، ويجحد بعضكم بعضًا ويلعن بعضكم بعضًا، أي أن المجاملات التي كانت من بعضكم لبعض ليست بنافعة لكم يوم القيامة بل مصيركم الذي تصيرون إليه ومأواكم الذي تأوون إليه هو النار، وما لكم من نصير ينصركم ولا ولي يتولاكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يوم القيامة أيها المتوادّون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم، ومعاينتكم ما أعدّ الله لكم على التواصل، والتوادّ في الدنيا من أليم العذاب، ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم

بِبَعْضٍ﴾ يقول: يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضُكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يقول: وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة، من دون الله ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنا، فـ ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله. وهذا حال الكافرين، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فصدَّق لوطٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآمن به وبما جاء به من عند الله، واتبعه، وقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إني مهاجر من بلادي إلى بلاد أخرى أعبد فيها ربي عَزَّ وَجَلَّ كما قال في آية أخرى: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى

سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

أما قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فمعناه الذي لا يغلب.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في كل شيء وفيما يشرع ويقضي ويقدِّر. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فصدّق إبراهيم خليل الله لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ يقول: وقال إبراهيم: إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يقول: إن ربي هو العزيز الذي لا يذِلّ من نَصَره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن إبراهيم: أنه آمن له لوط، يقال: إنه ابن أخي إبراهيم، يقولون هو: لوط بن هاران بن آزر، يعني: ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة الخليل.

وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ﴾، على لوط؛ لأنه أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم -قال ابن عباس، والضحاك: وهو المكنى عنه بقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ أي: من قومه.

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية.

❁ ❁ ❁

س: كيف قال إبراهيم عليه السلام لسارة عليها السلام: (ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك) وقد قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾، وكذا قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ج: قد يكون قال لسارة عليها السلام ما قال قبل أن يؤمن له لوطٌ عليه السلام، وكذا قبل إيمان من آمن معه.

وأورد الحافظ ابن كثير قولًا آخر فقال:

لكن يقال: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح: «**أن إبراهيم حين مَرّ على ذلك الجبار، فسأل إبراهيم عن سارة: ما هي منه؟ فقال: أختي، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له: إنك: أختي، فلا تكذبيني، فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين**»[1]. وكأن المراد من هذا -والله أعلم- أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطًا عليه السلام، آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسِل في حياة الخليل إلى أهل «سَدوم» وإقليمها، وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي.

❁ ❁ ❁

س: من أي بلدة هاجر إبراهيم عليه السلام وإلى أي بلدة؟

ج: قال بعض أهل العلم هاجر من بلاد الكوفة إلى الشام، وهذا قول قتادة فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قوله ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: فصدقه لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ قال: هاجرا جميعًا من كوثى، وهي من سواد الكوفة إلى الشام.

(١) مسلم (٢٣٧١).

قلت: كذا قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أقف في الباب على خبرٍ عن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: من القائل: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾؟

ج: قائله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذلك لأمور:

أحدها: أن السياق كله قبل وبعد الآية في شأن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثانيًا: قوله في آية أخرى ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

ثالثًا: قوله بعد الآية الكريمة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وهذا في إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومننا على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن رزقناه بإسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك عند كبره إذ قد قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] وكذا بشرناه بحفيده يعقوب ابن إسحاق عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وهو نبي كريم أيضًا، وجعلنا كل الأنبياء من بعد إبراهيم من ذريته عليه الصلاة والسلام، إلى أن جاء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مبشرًا برسول الله محمد ﷺ الذي هو من نسل إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكذا جعلنا الكتب التي أنزلناها من عندنا تنزل على ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأعطيناه في الدنيا حسنة، وأجرًا عظيمًا: منه صلاتنا عليه في كل صلاة نصليها، وتبريكنا عليه ومنها أن كل الفرق تحب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وترغب في نسبته إليها، وجعلنا له ثناءً حسنًا عليه في الناس من بعده، فقد أجبنا دعوته إذ دعانا قائلًا: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

ومع ذلك كله فأجره مدخرٌ عند الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ورزقناه من لدنا إسحاق ولدًا، ويعقوبَ من بعده وَلَدَ وَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الجمع، يراد به الكُتُب، ولكنه خُرِّج مَخْرج قولهم: كثر الدرهم والدينار عند فلان.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه ثواب بلائه فينا في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مع ذلك ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فله هناك أيضا جزاء الصالحين، غير منتقص حَظُّه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة.

وقيل: إن الأجر الذي ذكره الله ﷻ أنه آتاه إبراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن، والولد الصالح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩] أي: إنه لما فارق قومَه أقرّ الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح في حياة جده. وكذلك قال الله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

أي: زيادة، كما قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] أي: ويولَد لهذا الولد ولد في حياتكما، تقر به أعينكما. وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن، وثبتت به السنة النبوية، قال الله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ

يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وفي الصحيحين[(١)]: «**إن الكريم ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم يوسفُ بنَ يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم**».

فأما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾، قال: «هما ولدا إبراهيم». فمعناه: أن ولد الولد بمنزلة الولد؛ فإن هذا أمر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾، هذه خِلْعَة سَنية عظيمة، مع اتخاذ الله إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام، إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، عليه السلام: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيُّ والمنزل الرَّحْب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكل أحد يحبه ويتولاه، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال تعالى:

(١) البخاري (٤٦٨٨).

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمر به، وكمل طاعة ربه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

[النحل: ١٢٠-١٢١]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾ أي مَنَّ الله عليه بالأولاد فوهب له إسحاق ولدًا ويعقوب ولد ولد وإنما وهب له إسحاق من بعد إسماعيل ويعقوب من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ فلم يبعث الله نبيًّا بعد إبراهيم إلا من صلبه، ووحد الكتاب لأنه أراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والإنجيل والفرقان فهو عبارة عن الجمع فالتوراة أنزلت على موسى من ولد إبراهيم والإنجيل على عيس من ولده والفرقان على محمد من ولده ﷺ وعليهم أجمعين ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يعني اجتماع أهل الملل عليه قاله عكرمة، وروى سفيان عن حميد بن قيس قال: أمر سعيد بن جبير إنسانًا أن يسأل عكرمة عن قوله جل ثناؤه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ فقال عكرمة: أهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منا فقال سعيد بن جبير: صدق. وقال قتادة هو مثل قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ [النحل: ١٢٢] أي عاقبة وعملًا صالحًا وثناء حسنًا وذلك أن أهل كل دين يتولونه وقيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ أن أكثر الأنبياء من ولده ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ليس ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ داخلًا في الصلة وإنما هو تبيين وقد مضى في (البقرة) بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بإبراهيم في الصبر على الدين الحق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه آتى إبراهيم أجره، أي: جزاء عمله في الدنيا، وإنه في الآخرة أيضًا من الصالحين.

وقال بعض أهل العلم: المراد بأجره في الدنيا: الثناء الحسن عليه في دار الدنيا من جميع أهل الملل على اختلافهم إلى كفار ومؤمنين، والثناء الحسن المذكور هو لسان الصدق، في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، لا يخفى أن الصلاح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة، وسائر الطاعات، وأنه في الآخرة يظهر بالجزاء الحسن، وقد أثنى الله في هذه الآية الكريمة على نبيّه إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام، وقد أثنى على إبراهيم أيضًا في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر نبي الله لوط عليه السلام

قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[العنكبوت: ٢٨-٣٥]

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ - لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ - وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ - نَادِيكُمُ - ٱلْمُنكَرَ - بِٱلْبُشْرَىٰ - ٱلْغَٰبِرِينَ - سِيٓءَ بِهِمْ - وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا - رِجْزًا﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	لتفعلون الفعلة الفاحشة، وهي إتيان الذكران من العالمين، فكان الرجل يجامع الرجل
﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾	لتجامعون الرجال
﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾	تقطعون الطريق على المارة (وتفعلون بهم الفواحش)
﴿نَادِيكُمُ﴾	مجتمعكم الذي تجتمعون فيه – مكان الاجتماع
﴿ٱلْمُنكَرَ﴾	الفعل المستنكر الذي تستنكره الشرائع والعقول الصحيحة
﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾	بالأمر السار، وهو تبشيره بأنه سيرزق بإسحاق، وإن إسحاق سيرزق بيعقوب
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب – الهالكين
﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾	ساءه مجيؤهم وأحزنه مجيؤهم
﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾	حزن حزنًا شديدًا بسببهم ولم يجد حيلة أمامه لنصرهم والمحافظة عليهم- أهمه أمرهم همًّا شديدًا – تضايق تضايقًا شديدًا بسببهم

﴿رِجْزًا﴾ عذابًا

س: ما المراد بالفاحشة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: هذه الفاحشة هي إتيان الذكران، فكان الرجل يستغني بالرجل عن المرأة، وهي موضحة في الآية التالية في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ...﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: ٨١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر لوطًا إذ قال لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ الذُّكْرَانَ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها، وهي إتيان الذكران ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إنه أنكر على قومه سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – أنه لم يسبق قوم لوطٍ أحدٌ من العالمين بفعل هذه الفاحشة، أي أن إتيان الذكور لم يفعله أحدٌ قبل قوم لوط.

قال الطبري بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: ما نزا ذَكَرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط.

❁ ❁ ❁

س: اذكر كيف كانوا يقطعون السبيل؟

ج: كانوا يقطعون الطريق على المارة والمسافرين، فيسلبونهم الأموال، ويأخذونهم يفعلون بهم الفواحش.

كذا قال عدد من أهل العلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالمنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم كانوا يفعلون الفاحشة في مكان تجمعهم عيانًا لا يستحيون من ذلك.

الثاني: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم.

وقد ورد بذلك حديث ضعيف الإسناد أخرجه أحمد والترمذي والطبري[1] وغيرهم من طريق أبي صالح – مولى أم هانئ – عن أم هانئ، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: «**يحذفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه**».

وهذا ضعيف.

الثالث: أنهم كانوا يفعلون المنكرات عمومًا في مجالسهم بلا حياءٍ ولا خجل ولا وجل، والتي منها أنهم كانوايتظارطون في المجالس ويضحكون.

وأورد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالًا عن بعض أهل العلم لا أعلم لها مستندًا من

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ٣٤١)، والترمذي (٣١٩٠)، والطبري (١٢٧٧٤٣)، وغيرهم، وفي سنده أبو صالح باذام مولى أم هانئ وهو ضعيف.

كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسول الله ﷺ إلا ما يتعلق بفعلهم الفاحشة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال مكحول[١]: في هذه الأمة عشرة من أخلاق قوم لوط: مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار وتنقيض الأصابع والعمامة التي تلف حول الرأس والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والخذف واللوطية. وعن ابن عباس قال: إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضًا ويتضارطون في مجالسهم ويخذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرفون أصابعهم بالحناء وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون المكوس على كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: هذا استفهام استنكار وتوبيخ من لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه يقول لهم: أئنكم لتفعلون الفعلة القبيحة التي تنفر منها النفوس، تلك الفعلة البشعة المحرمة حيث يأتي بعضكم بعضًا، فعلًا للفاحشة وممارسةً لها، وتؤذون المارة والمسافرين بكل أنواع الأذى فتسلبونهم أموالهم وترمونهم بالحجارة وتفعلون بهم كرهًا وظُلمًا تلك الفعلة الخبيثة ولا تستحيون في أماكن تجمعكم

(١) ولم أقف على سند صحيح لقول مكحول وابن عباس.

من ارتكاب المنكرات مجاهرين بها غير مسرين ولا مستترين، بل تفعلون ذلك جهارًا وأمام بعضكم البعض تفعلون كل أنواع المنكرات فما كان رد قومه عليه إلا أن استبعدوا وقوع العذاب عليهم ونزوله بهم فقالوا: على وجه التحدي والعناد ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا به إن كنت صادقًا في دعواك أننا سنعذب.

وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل لوط لقومه ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ أيها القوم، ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ يقول: وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذُكر عَنْهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ قال: السبيل: الطريق. المسافر إذا مرّ بهم، وهو ابن السبيل قَطَعوا به، وعملوا به ذلك العمل الخبيث.

وقوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم، فقال بعضهم: كان ذلك أنهم كانوا يتضارطُون في مجالسهم.

وقال آخرون: بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم.

وأورد حديثًا ضعيفًا في ذلك سبقت الإشارة إليه وقال بعضهم: بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم أي أن بعضهم يجامع بعضًا في المجالس.

وأورد الطبري عدة آثار بذلك تصح بمجموعها عن مجاهد وقتادة وابن

زيد وغيرهم.

ثم قال الطبري:

وقولـــــه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله إلا قيلهم: ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا، إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذّبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملإ قاله مجاهد. ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون؛ قالته عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، والقاسم. ومن قائل: كانوا يناطحون بين الكباش، ويناقرون بين الديوك، وكل ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شرًّا من ذلك.

وقال:

وقولـــــه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠﴾؟

ج: هذا من لوط عليه السلام دعاءٌ على قومه بعد أن أصروا على جرائمهم وأصروا على كفرهم وأعلنوا عن تحديهم له وتكذيبهم لما يقوله، فقال: ﴿رَبِّ﴾ أي: يا رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض الذي يقطعون السبيل ويأتون الذكران من العالمين فضلًا عن شركهم بالله عز وجل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم-: ولما جاءت ملائكتنا إبراهيم عليه السلام في صورة البشر تبشره بأنه سيرزق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب أي أن إسحاق سيرزق بيعقوب هو الآخر عليه السلام قالوا له إنا أرسلنا إلى قوم لوط عليه السلام لإهلاكهم ولتدمير قريتهم عليهم، فإن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم باخسين لها حقها لشركهم وفعلهم القبائح.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سَدُوم، وهي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن إبراهيم عليه السلام لما أخبرته الملائكة عليهم السلام أنهم مهلكوا أهل قرية لوط عليه السلام قال لهم: إن فيها لوطًا عليه السلام، وهو مؤمن فأجابته الملائكة بقولهم نحن أعلم منك بمن في هذه القرية من المؤمنين وغير المؤمنين، وسننجي لوطًا عليه السلام وننجي أهله معه إلا امرأته فلم تكن بمؤمنه، وقد قضى الله أن تكون من الباقين في العذاب، من الهالكين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للرسل من الملائكة إذ قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلم يستثنوا منهم أحدا، إذ وصفوهم بالظلم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقالت الرسل له: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطًا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتطاولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لما استنصر لوط عليه السلام الله عليهم، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم عليه السلام، في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همَّة لهم إلى الطعام نَكِرَهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة –وكانت حاضرة –فتعجبت من

ذلك، كما تقدم بيانه في سورتي «هود» و«الحجر». فلما جاءت إبراهيم البشرى، وأخبروه بأنهم أُرسلوا لهلاك قوم لوط، أخذ يدافع لعلهم يُنظَرون، لعل الله أن يهديهم، ولما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ﴾، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم. ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: ولما أن جاءت ملائكتنا الذين أرسلناهم إلى قوم لوطٍ لتدميرهم بإهلاكهم ساءه مجيؤهم وتضايق بسببهم خوفًا عليهم من قومه الأشرار أن يأتوا إليهم ويفعلوا بهم الفاحشة، فطمأنوه وقالوا له: لا تخف علينا يا نبي الله من قومك الأشرار ولا تحزن على ما أصابك من هموم وغموم، ولا تحزن مما يحيط بك، ولا تخف فإنا منجوك وأهلك المؤمنين بك، إلا امرأتك فقد كانت خائنة في الدين، وقد كتب الله أن تكون من الهالكين الباقين مع الذين سيعذبون ويهلكون، وفي الآيات الأُخر أن الله ﷻ أوحى إليه أن يخرج بعباد الله المؤمنين وكذا بأهله المؤمنين به، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] وأخبرته الملائكة أنهم سينزلون على أهل هذه القرية

عذابًا من السماء بسبب جرمهم وفسقهم، وإيضاحه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] فأهلكها الله ﷻ وتركها آية وعبرةً وعظةً لقوم يعقلون سنة الله في الخلق ويعقلون كيف يُعذب الظالمون، ويُنجي الله المؤمنين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ من الملائكة ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تَضَيفوه، فساءوه بذلك، فقوله: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: فُعِلَ بهم مِنْ ساءه بذلك.

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول: ساء ظنه بقومه، وضاق بضيفه ذَرْعا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة، قوله: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزَن مما أخبرناك من أنَّا مهلكوهم، وذلك أن الرسل قالت له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ من العذاب الذي هو نازل بقومك ﴿وَأَهْلَكَ﴾ يقول: ومنجو أهلِك معك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها، كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الرسل للوط: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ يا لُوط ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ سَدُوم ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني عذابًا.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله، ويركبون من الفاحشة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعْلتنا التي فَعَلْنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حُجَجه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عُفُوُّ آثارهم، ودروس معالمهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال: هي الحجارة التي أُمطرت عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما رآهم كذلك، ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: اهتمَّ بأمرهم، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه، وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة. ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾، وذلك أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اقتلع قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم. وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾ أي: واضحة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[الصافات: ١٣٧، ١٣٨]

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾

[العنكبوت: ٣٦-٤٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ - وَلَا تَعۡثَوۡاْ - ٱلرَّجۡفَةُ - جَٰثِمِينَ - وَزَيَّنَ - مُسۡتَبۡصِرِينَ - سَٰبِقِينَ - حَاصِبًا - ٱلصَّيۡحَةُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾	اطلبوا ثواب الله في اليوم الآخر بأعمالكم الصالحة
﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾	لا تكثروا من المعاصي – لا تكفروا
﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾	الزلزلة العظيمة
﴿جَٰثِمِينَ﴾	موتى بعضهم فوق بعض
﴿وَزَيَّنَ﴾	حسَّن
﴿مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾	مستبصرين في ضلالتهم مُعجبين بها عالمين بطريق الحق، ولكنهم سلكوا غيره
﴿سَٰبِقِينَ﴾	فائتين من عذابنا – هاربين منا
﴿حَاصِبًا﴾	الحجارة الشديدة الصغيرة القاسية التي تحملها الرياح
﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾	الصوت العظيم الذي أهلكهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولقد أرسلنا إلى أهل مدين نبينا شعيبًا عليه السلام، منهم من قبيلتهم وبلادهم فدعاهم إلى توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به فقال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، اخضعوا له وأطيعوه ولا تجعلوا له شريكًا، واطلبوا بذلك ثواب الله في اليوم الآخر، وأقلعوا عن هذا الفساد الكثير الذي أفسدتموه في الأرض، لا تسعوا في الأرض بالفساد، وكان من فسادهم تطفيف المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم، فما كان منهم إذ دعاهم نبيهم عليه السلام إلى ذلك إلا أن كذَّبوه وخالفوه وعاندوه، فجاءتهم كغيرهم من المكذبين العقوبة، شديدة ومؤلمة فأخذتهم الرجفة، وهي الزلزلة العظيمة من تحت أرجلهم وكذا كان مما أصابهم عذاب يوم الظُّلة، إذ اعتراهم حرٌّ شديدٌ جدًّا أخرجهم من بيوتهم فرأوا سحابة سوداء فذهبوا يستظلون بها فتأججت عليهم نارًا، فنارٌ من فوقهم ورجفة من تحتهم، وصيحة ألمت بهم، فأصبحوا ميتين مُلقى بعضهم على بعض.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مَدْين أخاهم شعيبًا، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاءَ اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثروا في الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأوَّل قوله: ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ بمعنى: واخشَوا اليوم الآخر، وكان غيره من أهل العلم بالعربية يُنكر ذلك ويقول: لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه الجَحْد.

يقول تعالى ذكره: فكذَّب أهل مَدينَ شعيبًا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم رَجْفة العَذاب ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ جُثومًا، بعضُهم على بعض مَوْتَى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: أي ميتين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام، أنه أنذر قومه أهل مَدين، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾.

قال ابن جرير: قال بعضهم: معناه: واخشوا اليوم الآخر، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦].

ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها. وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم. وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في سور «الأعراف، وهود، والشعراء».

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾، قال قتادة: ميتين. وقال غيره: قد ألقي بعضهم على بعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في (الأعراف) و(هود) ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وقال يونس

النحوي: أي: اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الأعمال ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تكفروا فإنه أصل كل فساد والعثو والعثي أشد الفساد عثى يعثى وعثا يعثو بمعنى واحد وقد تقدم وقيل: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: واذكر قوم عاد وقوم ثمود، وما حلَّ بهم من العقاب والنكال لتكذيبهم المرسلين ولشركهم بالله ﷻ وعنادهم وظلمهم وبغيهم، لقد حلَّ بهم أليم العقاب، فانظروا إلى مساكنهم يتبين لكم ويظهر كيف كان عقابنا لهم، فاحذروا؛ فقد زين لهم الشيطان أعمالهم حسنها لهم وجمَّلها في أعينهم، فاحذروا تزيينه لكم، لقد حسنها لهم فصرفهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وقد كانوا في دنياهم مستبصرين.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أنهم مستبصرين في ضلالتهم وكفرهم ومعجبين بذلك.

وقال آخرون من أهل العلم: كانوا مستبصرين عالمين الحق رأوه ولكنهم سلكوا سبيلًا آخر غير ذلك السبيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادًا وثمود، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن

مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ خرابها وخلاؤُها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سَطْوتنا بجميعهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يقول: وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبَهم رسله ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: فردَّهم بتزيينه لهم، ما زيَّن لهم من الكفر عن سبيل الله، التي هي الإيمان به ورسله، وما جاءوهم به من عند ربهم ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ يقول: وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجبين بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ في ضلالتهم مُعْجَبين بها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾ قال الكسائي: قال بعضهم: هو راجع إلى أول السورة أي: ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادًا وثمود قال: وأحب إلى أن يكون معطوفًا على ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ وأخذت عادًا وثمود وزعم الزجاج: أن التقدير وأهلكنا عادًا وثمود وقيل: المعنى واذكر عادًا إذ أرسلنا إليهم هودًا فكذبوه فأهلكناهم وثمود أيضًا أرسلنا إليهم صالحًا فكذبوه فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عادًا بالريح العقيم ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا معشر الكفار ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ بالحجر والأحقاف آيات في إهلاكهم فحذف فاعل التبين ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد. والثاني: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين وهذا القول أشبه لأنه إنما يقال فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم وقيل: أتوا ما أتوا وقد تبين لهم أن عاقبتهم

العذاب.

س: وضح معنى قوله تعـ۞ ۞ ۞ـ ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر قارون الطاغي الباغي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، اذكره واذكر ما حلَّ به، وقد تقدم أمره في سورة القصص، وكذا فاذكر فرعون الذي عتا عتوًّا كبيرًا، واستكبر في نفسه قائلًا: أنا ربكم الأعلى، وقائلًا: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري، واذكر وزيره وزير السوء ذلكم الوزير المبطل، اذكر هؤلاء وما حلَّ بهم لقد جاءهم رسول الله موسى عليه السلام بالآيات البينات والحجج الواضحات الدالة على صدقه فتعالوا عن ذلك واستكبروا وأبوا أشد الإباء أن يؤمنوا، ولكنهم ما فاتونا ولا أعجزونا ولا هربوا منا فإنا كنا عليهم مقتدرون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد، قارون وفرعون وهامان، ولقد جاء جميعهم موسى بالبيِّنات، يعني: بالواضحات من الآيات، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن التصديق بالبينات من الآيات، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كانوا سابقينا بأنفسهم، فيفوتونا، بل كنا مقتدرين عليهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ﴾ قال الكسائي: إن شئت كان

محمولًا على عاد وكان فيه ما فيه وإن شئت كان على ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وصد قارون وفرعون وهامان وقيل: أي: وأهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الحق وعن عبادة الله ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي: فائتين وقيل: سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون كثيرة فأهلكناهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن كل هذه الأمم المكذبة التي قدمنا ذكرها، قد عاقبناها وأنزلنا عليها أليم العقاب بسبب ذنوبها فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا وهي الحجارة الشديدة القاسية، وأحيانًا تحملها الرياح، وهؤلاء الذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط وقوم عاد، فقوم لوط قال تعالى في شأنهم: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] وقوم عاد، قال تعالى في شأنهم: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] قال بعض العلماء: بما تحمله الريح من الحصباء، أي: حصباء الأرض حملتها الريح وعذبوا بها.

ومنهم من أخذته الصيحة، وهم ثمود، وأصحاب مدين، ومنهم من خسفنا به الأرض وهو قارون، ومنهم من أغرقنا وهم قوم نوح وقوم فرعون وهامان، ولم يكن الله ﷻ بظالمٍ لهم إذ أحلَّ بهم ما أحلَّ ولكنهم هم الذين بخسوا أنفسهم حقوقها ولم يجلبوا لها ما تستحق من أمان، وأمانها كان

بتوحيدهم لله ﷻ وطاعة رسله والاستقامة على أمره، فلم يفعلوا ذلك بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وعاندوا أشد العناد وكذبوا المرسلين وظلموا العباد فحلَّ بهم من النكد والبلاء ما حلَّ.

وبنحوما ذكر قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لُوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجِّيل مَنضُود، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد: حاصبًا.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط.

وأورد قولين في الذين أخذتهم الصيحة، قوم ثمود وقوم شعيب، وأورد عن قتادة بسندٍ حسن أنه قال: قوم شعيب لكن الطبري عقب بقوله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع، ثم قال جلَّ ثناؤه لنبيه ﷺ: فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبًا، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض مَنْ أخذته الصيحة من الأمم دون بعض، وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني بذلك قارون.

وأورد وجهين في الذين أغرقهم الله ﷻ، وهم قوم نوح وفرعون وهامان.

وقال:

والصواب من القول في ذلك، أن يُقال: عُني به قوم نوح وفرعونُ وقومه؛ لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما، فهما مَعْنيتان به.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم، بذنوب غيرهم، فيظلمَهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم، وكثرة أياديه عندهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتصرُّفهم في نعم ربهم، وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ قال الكسائي: ﴿فَكُلًّا﴾ منصوب بـ﴿أَخَذْنَا﴾ أي: أخذنا كلًّا بذنبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني: قوم لوط والحاصب ريح يأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار وتستعمل في كل عذاب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمودا وأهل مدين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ قوم نوح وقوم فرعون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ لأنه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم، فأخذهم بالانتقام منهم، فعاد قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت ببلاد اليمن، وثمود قوم صالح، وكانوا يسكنون الحجر قريبًا من وادي القرى. وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدًا، وتمر

عليها كثيرًا. وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة. وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله ورسوله.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: كانت عقوبته بما يناسبه، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: مَنْ أشدُّ منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جدًّا، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عَنَان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحًا ومَنْ آمن معه، وتوعَّدوهُم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، وهم فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: فيما فعل بهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنما فعل ذلك بهم جزاءً وفاقًا بما كسبت أيديهم.

وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية، وهو من باب اللف والنشر، وهو أنه

ذكر الأمم المكذبة، ثم قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾، أي: من هؤلاء المذكورين، وإنما نبهتُ على هذا لأنه قد روي أن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، قال: قوم لوط. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، قال: قوم نوح.

وهذا منقطع عن ابن عباس؛ فإن ابن جُرَيْج لم يدركه. ثم قد ذكر في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان، وقوم لوط بإنزال الرجز من السماء، وطال السياقُ والفصلُ بين ذلك وبين هذا السياق.

وقال قتادة: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ قال: قوم لوط، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قوم شعيب. وهذا بعيد أيضًا لما تقدم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾

[العنكبوت: ٤١-٤٥]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَوْلِيَآءَ -أَوْهَنَ -نَضْرِبُهَا -ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصارًا
﴿أَوْهَنَ﴾	أضعف
﴿نَضْرِبُهَا﴾	نُبيِّنها
﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾	العلماء

❁ ❁ ❁

ضعف المستند الذي يستند إليه أهل الشرك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: هذا مثل ضُرب لبيان بطلان ما عليه أهل الشرك من اعتقادهم بأن آلهتهم تنصرهم من دون الله أو تغني عنهم من عذاب الله من شيء، وحاصل المعنى -والله أعلم- مثل الذين اتخذوا أصنامًا وأوثانًا يعبدونها مع الله، ويجعلونها شريكة الله، وكذا يعبدونها ويتركون عبادة الله، يطلبون بذلك نصرتها لهم عند الشدائد كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتًا يحميها ويُكنُّها فلما حلَّ بالعنكبوت ما حلَّ لم ينفعها بيتها ولم يحفظها من المطر ولا الريح، وذلك لأنه بيتٌ ضعيف فلم يغن عن العنكبوت شيء، وكذا الآلهة التي هي

الأوثان والأصنام، وكل معبود عبد من دون الله لا يملك لعابديه شيئًا ولا يغني عنه من عذاب الله من شيء، فالأصنام والأوثان والآلهة المعبودة من دون الله، شبِّهت ببيت العنكبوت في كونها لا تغني عن عابديها شيئًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ﴾ لو كان هؤلاء يعلمون علمًا ينتفعون به، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾ لنفسها، كيما يُكنهَا، فلم يغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلَّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك مَثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئًا، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾ يقول: إن أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله

أولياء، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، ولكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقرِّبونهم إلى الله زلفى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمَنْ يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو عَلموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿لَوۡ﴾ متعلقة ببيت العنكبوت أي: لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئًا وأن هذا مثلهم لما عبدوها؛ لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (التفسير القيم):

قول الله تعالى ذكره:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتًاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء هم أضعف منهم. فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا. وهو أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء. فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١] فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليًّا يتعزز به، ويتكبر به، ويستقر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده.

وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده.

فإن قيل: فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

فالجواب: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتًا، فلو علموا ذلك ما فعلوه، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزًّا وقدرة. فكان الأمر بخلاف ما ظنوه.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: القراءة الأولى بالياء ﴿يَدْعُونَ﴾، والثانية بالتاء ﴿**تدعون**﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله يعلم الأشياء التي يعبدونها من دون الله، أي شيء كان، وأنه -أي: هذا الشيء المعبود- ضعيف لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره شيئًا، والله هو العزيز الغالب الذي ينفذ حكمه ومراده في خلقه الحكيم فيما يشرع.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله: (إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَدْعُونَ) بالتاء بمعنى الخطاب لمشركي قريش ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أيها الناس، (يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ) إِلَيْهِ (مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ). وقرأ ذلك أبو عمرو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ﴾ بالياء بمعنى الخبر عن الأمم، إن الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالتاء؛ لأن ذلك لو كان خبرًا عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكهم، لكان الكلام: إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما كانوا يدعون، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله لم يكونوا موجودين، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا، وإنما يقال: (إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) إذا أريد به الخبر عن موجودين، لا عمن قد هلك.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أيها القوم، حال ما تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضرُّكم، إن أراد الله

بكم سوءًا، ولا يغني عنكم شيئًا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت في غَنائه عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به، عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قصَّ الله قصصهم في هذه السورة عليكم، فإنه إن نزل بكم عقابُه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء، كما لم يُغْنِ عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه، الحكيم في تدبيره خلقه فمُهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح، والمؤخر من أخَّر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى متوعدًا لِمَنْ عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ بمعنى الذي و﴿مِن﴾ للتبعيض ولو كانت زائدة للتوكيد لانقلب المعنى والمعنى: إن الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾؟

ج: المعنى، وهذه الأمثال التي نسوقها في الكتاب العزيز نبينها ونظهرها ونمثلها ونشبهها ونحتج بها ﴿لِلنَّاسِۖ﴾، وما يفهمها وما يتدبرها وما يعلم معناها إلا الراسخون في العلم، العالمون بالله وآياته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ يقول: نمثلها ونشبهها ونحتجُّ بها للناس، كما قال الأعشى:

هَلْ تَذْكُرُ العَهْدَ مِنْ تَنَمَّصَ إذْ تَضْرِبُ لي قاعِدًا بِها مَثَلا

﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلًا ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ بالله وآياته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا ﴾ أي: هذا المثل وغيره مما ذكر في (البقرة) و(الحج) وغيرهما ﴿ نَضۡرِبُهَا ﴾ نبينها ﴿ لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ أي: العالمون بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه.

❁ ❁ ❁

إيضاح معنى قوله تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن الله ﷻ خلق السموات والأرض لإقامة الحق والعدل إن في ذلك لدلالة على وحدانيته وقدرته، لكن لا يتفطن لذلك إلا أهل الإيمان ولا يستدل بذلك على وحدانيته إلا هؤلاء المؤمنون.

وإن كان من العلماء قد أورد معاني أُخر لكلمة الحق:

منها: أنه سبحانه الذي خلقها وحده لا شريك له لم يشاركه أحدٌ في خلقها فيكون المعنى حقًّا إن الله ﷻ هو الذي خلق السموات والأرض وحده لا شريك له.

الثاني: أنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض لإقامة الحق وتكون الباء في قوله بمعنى اللام فحروف الجر تتناوب ويأتي بعضها مكان بعض كقوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: فاسأل عنه خبيرًا، وكقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: على جذوع النخل.

فيكون المعنى خلق الله السموات والأرض لإقامة الحق، ومنه الاستدلال بخلقها على توحيده ومنه لتجزى كل نفس بما كسبت، فلم يخلقها عبثًا ولا لهوًا إنما خلقها لإقامة الحق والعدل.

الثالث: أنه سبحانه خلق السموات والأرض بكلمته التي هي الحق وبقدرته التي هي حق.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: خلق الله يا محمد، السموات والأرض وحده منفردًا بخلقها، لا يشركه في خلقها شريك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها، والآيات إذا رآها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة: أنه خلق السموات والأرض بالحق، يعني: لا على وجه العبث واللعب، ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والقسط وقيل: بكلامه وقدرته وذلك الحق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: علامة ودلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

ج: أما معنى قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ففيه وجهان:

أحدهما: اقرأ القرآن.

ثانيهما: اتبع القرآن.

* أما قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ حافظ عليها وأدِّها على وجهها

الصحيح بفرائضها وشرائطها وواجباتها وفي أوقاتها.

* أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فحاصل معناه والله أعلم: إن الصلاة بالاستمرار عليها والمداومة عليها تنهى صاحبها عن الفحشاء، وهي كل ما فحش خطؤه من القول والعمل. والمنكر: كل ما يخالف أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ وتستنكره.

فحاصل الأمر أن الصلاة بما فيها من قرآن يتلى، وبما فيها من توقيرٍ لله ﷻ وتنزيهه وبما فيها من مراقبة الله ﷻ تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وهذا في غالب الأحوال.

فغالب الحال أن المصلين أبعد الناس عن الفحشاء والمنكر، وإن كان قد يصدر من بعضهم ما يخلُّ بذلك لكن الأمر أغلبي، والله أعلم.

والوجه الثاني للعلماء في كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن المصلي أثناء صلاته يكون بعيدًا عن الفحشاء والمنكر.

ووجه ثالث: أن الصلاة تُغسل بها ذنوب العبد وتزول فلا يتراكم ذنبٌ فوق ذنب بما يؤول إلى ارتكاب الفحشاء والمنكر، والله أعلم.

أما قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فحاصل معناه: أن العبد إذا صلى فذكر الله ﷻ في صلاته، ذكره الله ذكرًا أعظم وأكبر من ذِكره لله في الصلاة فذكر الله لك يا عبد الله إذا أنت ذكرته في صلاتك أعظم من ذكرك له.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فحاصل معناه: أن الله يراقبك يا عبد الله فأتقن صلاتك واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك، وأكثر من ذكر الله فربك مطلع على كل هذا، ومجازيك به، والله أعلم، وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ٱتْلُ﴾ يعني: اقرأ ﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: ما أنزل إليك من هذا القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني: وأدِّ الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذُكرت في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة، أو في الصلاة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل عنى بها الصلاة.

وأورد الطبري آثارًا كثيرةً بذلك واختار الطبري أن المراد الصلاة نفسها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيًّا بها ما يتلى فيها؟ قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدًا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر.

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح من طريق محمد بن أبي موسى، قال: كنت قاعدًا عند ابن عباس، فجاءه رجل، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر، فقال ابن عباس: الصلاة والصوم، قال: ذاك ذكر الله، قال رجل: إني تركت رجلًا في رحلي يقول غير هذا، قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه، فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك.

وله طرق عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مفادها ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له.

وأورد الطبري أثر أبي الدرداء وهو صحيح موقوفًا عليه قال:

«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم؟ قالوا: ما هو؟ قال: ذكركم ربكم، وذكر الله أكبر».

وأورد الطبري قولًا آخر في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ حاصله ولذكركم الله أفضل من كل شيء.

وأورد أقوالًا أُخر منها:

لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة وقول آخر: وللصلاة التي أتيت أنت بها وذِكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ يقول: والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم، من إقامة حدودها، وترك ذلك وغيره من أموركم، وهو مجازيكم على ذلك، يقول: فاتقوا أن تضيعوا شيئًا من حدودها، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى آمرًا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهو قراءته وإبلاغه للناس: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني: أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك. وقد جاء في الحديث من رواية عمران، وابن عباس مرفوعًا: «**مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر،**

لم تزده من الله إلا بعدًا».

قلت: وهذا الحديث ضعيف من الطرق التي وقفت عليها وقد أورده الحافظ ابن كثير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ يريد إن الصلوات الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال فيه: حديث حسن صحيح. وقال ابن عمر: الصلاة هنا القرآن والمعنى: الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر وعن الزنى والمعاصي.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

ثم أخبر حكمًا منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة فهذا معنى هذه الأخبار لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون

قلت: لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله وهذا أبلغ في المقصود وأتم في المراد فإن الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص

ولا مرض معلوم وهذا مما لا خلاف فيه وروي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك، فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا - وليتها تجزي - فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فإن كان على طريقة معاصي تبعده من الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود والحسن والأعمش قولهم: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدًا**» وقد روي أن الحسن أرسله عن النبي ﷺ وذلك غير صحيح السند، قال ابن عطية: سمعت أُبي رضي الله عنه يقول: فإذا قررنا ونُظِر معناه فغير جائز أن يقول إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية وإنما يتخرج ذلك على أنها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه على حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر والبعد فلن تزده الصلاة إلا تقرير ذلك البعد الذي كان سبيله فكأنها بعدته حين لم تكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود: إن فلانا كثير الصلاة فقال: إنها لا تنفع إلا من أطاعها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم.

وقال: وقيل: ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شيء، وقيل: المعنى إن ذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، وقال الضحاك: ولذكر الله عندما يحرم فيترك أجل الذكر وقيل:

المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء المنكر أكبر أي كبير وأكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة: ولذكر الله أكبر من كل شيء أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل: ذكر الله يمنع من المعصية فإن من كان ذاكرًا له لا يخالفه قال ابن عطية: وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ
وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا
لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ
وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ
مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ
أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ
وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ
بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

[العنكبوت: ٤٦-٥٢]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَجْحَدُ - لَّارَيْبَ - ٱلْمُبْطِلُونَ - بَيِّنَٰتٌ - بِٱلْبَٰطِلِ - وَذِكْرَىٰ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَجْحَدُ﴾	يكفر – ينكر
﴿لَّارَيْبَ﴾	لتشكك
﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾	أهل الباطل، أهل الشرك – أتباع الشيطان
﴿بَيِّنَٰتٌ﴾	واضحات
﴿وَذِكْرَىٰ﴾	موعظة
﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾	بالشيطان، وما يدعو إليه من الشرك

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولا تجادلوا يا أهل الإيمان أهل الكتاب، الذين هم اليهود والنصارى إلا بالطريقة الحسنة التي تؤتي أكلها بإذن ربها بلين الخطاب وجميل الكلام وبيان الحجة أجمل بيان وأتم بيان، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وكما قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٣٥] وكما قال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

وكما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:

٤٤] ونحو ذلك من طيب الكلام ونافعه، لكن الذين ظلموا منهم وظهر منهم أنهم لا يريدون التوصل إلى الحق بل يريدون تضليل العباد وغش العباد والمراوغة والمراد فهؤلاء يُشتد عليهم كما قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، فهؤلاء الذين منهم من يدعى لله الولد، ومن يقول إن الله فقير ونحن أغنياء ومن يقول يد الله مغلولة، ومن يجعل لله الولد والشريك، ومن يطعن في رسول الله، كلهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فهؤلاء يُشتد عليهم، أما غيرهم فيُخاطبوا بالحسنى وقولوا لهم يا أهل الإيمان عند مجادلتكم لهم آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا على لسان نبينا محمد ﷺ وآمنا بالذي أنزل على أنبيائكم يا أهل الكتاب آمنا بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام آمنا بالإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام آمنا بكل الكتب وبكل الرسل التي أنزلها الله والتي أرسلها الله. وإلهنا الذي نعبده هو الله إله واحد هو ربنا وربكم هو إلهنا وإلهكم ونحن له مستسلمون خاضعون سامعون مطيعون.

هذا، ومن أهل العلم من كان يرى أن الآية الكريمة ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ وقال فريق: إن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ هم الذين لا يؤدون الجزية، وأرى الذي قدمته أولى من أنه لا نسخ، والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء في هذه الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: إلا الذين أبوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية، ونصبوا دون ذلك لكم حربًا، فإنهم ظلمة، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية.

قال الطبري:

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذين قد آمنوا به، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فأقاموا على كفرهم، وقالوا: هذه الآية محكمة، وليست بمنسوخة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ قال: ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلهم يحسنون شيئًا في كتاب الله لا تعلمه أنت فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا، المقيمَ منهم على دينه. فقال: هو الذي يُجادَلُ، ويقال له بالسيف، قال: وهؤلاء يهود. قال: ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد، إنما كانوا يهودًا هم الذي كلَّموا وحالفوا رسول الله ﷺ، وغدرت النضير يوم أُحد، وغدرت قُريظة يوم الأحزاب.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبيُّ ﷺ بالقتال، وقالوا: هي منسوخة، نسخها قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾

[التوبة: ٢٩].

عن قَتادة، قوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشدّ من السيف، أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، أو يقرّوا بالخراج.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾: إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب.

فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب إلا من لم يؤدّ الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمدا ﷺ، ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾. ظلم أنفسهم. وإنما عنى به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب، بغير الذي هو أحسن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فمعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن؛ لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحقّ، لأنه إذا جاء بغير الحق، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحقّ، فإذا كان ذلك كذلك، تبين أن لا معنى لقول من قال: عنى بقوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أهل الإيمان منهم، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر،

ولا دلالة على صحته من فطرة عقل.

وقد بيَّنا في غير موضع من كتابنا، أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك، فقولوا لهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ مما في التوراة والإنجيل، ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحد ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ يقول: ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا.

وأورد الطبري حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال[1]: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُم**، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.

وقال آخرون: بل هي باقية أو محكمة لِمَنْ أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) البخاري (٤٤٨٥، ٧٣٦٢).

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ أي: حادوا عن وجه الحق، وعَمُوا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذٍ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

قال جابر: أمرْنَا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف.

قال مجاهد: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ يعني: أهل الحرب، وَمَنِ امتنع منهم عن أداء الجزية.

وقوله: ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا نُقدم على تكذيبه؛ لأنه قد يكون حقًّا، ولا على تصديقه، فلعله أن يكون باطلًا ولكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقًا على شرط وهو أن يكون منزلًا لا مبدلًا ولا مؤولًا.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث البخاري الذي قدمناه.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(١) **وفيه:** كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسوله ﷺ أحدث تقرؤونه محضًا لم يُشَب، وقد حدَثَكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم

(١) البخاري (٧٣٦٣).

الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

وكذا أورد ما أخرجه البخاري[1] من طريق حُمَيد بن عبد الرحمن: أنه سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة -وذكرَ كعبَ الأحبار- فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

قال ابن كثير:

قلت: معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة؛ لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة، لا يعلمها إلا الله ومن منحه الله علمًا بذلك، كل بحسبه، ولله الحمد والمنة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فقال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله ﷻ والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ معناه: ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق وقيل: المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلا م ومن آمن معه ﴿إِلَّا

(١) البخاري (٧٣٦١).

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله على هذا التأويل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا أيضًا محكمة وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: جعلوا لله ولدًا وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] فهؤلاء المشركون الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية فانتصروا منهم، قال النحاس وغيره: من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن؛ لأن أحكام الله ﷻ لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربي وقال مجاهد وسعيد بن جبير: وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه إلا الذين نصبوا، للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وكما أنزلنا على من كان قبلك كتبًا فإنا أنزلنا إليك القرآن كذلك فالذين آتيناهم الكتاب، يؤمنون به، والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتب المُنزلة على أنبيائهم، وكذا فإنهم آمنوا بالقرآن عند نزوله وقبل نزوله.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ للعلماء ففيه وجهان:

أحدهما: قول من قال: إن المراد بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ أن الذين آتيناهم الكتاب المعني بهم أهل الكتاب الذين كانوا على دينهم وبدينهم مستمسكين قبل مبعث النبي ﷺ، فهؤلاء كانوا مؤمنين بالقرآن قبل نزوله إذ قد أخبرت به إجمالًا كتبهم.

فعليه فقوله: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ المراد به ومن أهل الكتاب المعاصرين لرسول الله ﷺ كعبد الله بن سلام وغيره يؤمنون به عند نزوله على رسول الله ﷺ وبعد نزوله.

والقول الآخر: أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ هم مؤمنوا أهل الكتاب عمومًا و﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ المراد: ومن أهل مكة الذين كانوا أهل شرك من يؤمن به، وهم الذين أصبحوا بعد صحابة لرسول الله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فحاصل معناه، وما ينكر آياتنا ويكذب بها إلا الكافرون - والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: كما أنزلنا الكتب على مَن قبلك يا محمد من الرسل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من قبلك من بني إسرائيل ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به، كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بني إسرائيل.

وقوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادًا لنا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ أي: الذين أخذوه فتلَوْه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأشباههما.

وقوله: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾، يعني العرب من قريش وغيرهم، ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، أي: ما يكذب بها ويجحد حقها إلا مَنْ يستر الحق بالباطل، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل، وهيهات.

❁ ❁ ❁

الدليل على أن النبي ﷺ كان أميًّا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وما كنت يا رسول الله تقرأ قبل نزول القرآن عليك أي كتبٍ ولا تعرف الكتابة كذلك فقد كنت أُميًّا لا تقرأ ولا تكتب، وإذا كنت تقرأ وتكتب لتشكك في نبوتك أهل الباطل من أهل الكتاب وأهل الشرك فأهل الكتاب كانوا يعلمون عنك في كتبهم أنك أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾، فإذا لم تكن أميًّا عند مجيئ بعثتك لتشككوا في ذلك.

وكذا أهل الشرك من أهل مكة وغيرهم لو كنت تقرأ أو تكتب لقالوا: إنك قرأت كتبًا لغيرك وتخبرنا بما فيها، مع كونهم أيضًا قد قالوا بذلك، ولكنهم كانوا يعلمون بطلان قولهم لكون الرسول كان أميًّا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَتْلُواْ﴾ يعني: تقرأ ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أمِّيًّا ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ﴾ يقول: إذن لشكّ -بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم- المبطلون القائلون: إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأوّلين.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ قال: كان نبيّ الله لا يقرأ كتابًا قبله، ولا يخطه بيمينه، قال: كان أُمِّيا، والأمّي: الذي لا يكتب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾، أي: قد لبثت في قومك -يا محمد - ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمرًا لا تقرأ كتابًا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وهكذا كان، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ومن زعم من

متأخري الفقهاء - كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه- أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله» فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: «ثم أخذ فكتب»: وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب». ولهذا اشتد النكير بين فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي، وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالًا وخطبوا به في محافلهم: وإنما أراد الرجل -أعني الباجي، فيما يظهر عنه -أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال عليه الصلاة والسلام إخبارًا عن الدجال[1]: «**مكتوب بين عينيه كافر**» وفي رواية: «**ك ف ر، يقرؤها كل مؤمن**».

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت عليه السلام حتى تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا﴾ أي: تقرأ ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ لتأكيد النفي، ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ تأكيد أيضًا، وخرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تخطها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كُتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ عائد إلى الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ أي: وما كنت يا محمد تقرأ قبله

(١) البخاري (٧١٣١).

ولا تختلف إلى أهل الكتاب بل أنزلناه إليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن يقرأ كتابًا ويخط حروفًا ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: من أهل الكتاب وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا: الذي نجده في كتبنا أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية وقال النحاس: دليلًا على نبوته لقريش لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – بل هذا القرآن فيه دلالات واضحات وحجج باهرات دالة على وحدانية الله ﷻ وعلى قدرته وعلمه، محفوظة تلك الآيات في صدور أهل العلم من المؤمنين بالنبي محمد ﷺ يستدلون بها على وحدانية الله وصدق رسله، وما يجحد بآيات الله أي: وما ينكرها إلا أهل الظلم، وما يكفر بها إلا أهل الظلم، والمراد هنا أهل الكفر والعياذ بالله.

هذا، وهناك وجه آخر ذكره الطبري واختاره؛ حاصله: أن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ معناه: بل رسول الله ﷺ وكونه سيكون أميًّا آياتٌ مثبتات راسخات في صدور الذين أوتوا العلم من الذين أوتوا الكتاب، فإنه محفوظ في صدورهم أن النبي ﷺ سيكون أميًّا وإلى هذا

الأخير نحا الطبري في تفسيره.

وها هو قوله مع طائفة آخرين من أهل العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ فقال بعضهم: عنى به نبيَّ الله ﷺ، وقالوا: معنى الكلام: بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أمّي، آيات بينات في صدورهم.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ قال: كان الله تعالى أنزل شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم، وعلمه لهم، وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوَّته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابًا، ولا يخطه بيمينه، وهي الآيات البينات.

وبإسناد حسن عن قَتادة: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ من أهل الكتاب، صدَّقوا بمحمد ونعته ونبوَّته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: عنى بذلك القرآن، وقالوا: معنى الكلام: بل هذا القرآن آيات بيِّنات في صدور الذين أوتوا العلم، من المؤمنين بمحمد ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي

صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد ﷺ، فهو بأن يكون خبرًا عنه، أولى من أن يكون خبرًا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل.

وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يجحد نبوَّة محمد ﷺ وأدلته، ويُنكر العلم الذي يعلم من كتب الله، التي أنزلها على أنبيائه، ببعث محمد ﷺ ونبوَّته ومبعثه إلا الظالمون، يعني: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ﷻ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي: القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمرًا ونهيًا وخبرًا، يحفظه العلماء، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**»[(١)].

وفي حديث عياض بن حمار، في صحيح مسلم[(٢)]: «**يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان**». أي: لو غسل الماء المحلَّ المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل.

وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون، أي: المعتدون المكابرون، الذين يعلمون الحق

---

(١) البخاري (٧٢٧٤).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

ويحيدون عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم وهم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به يحفظونه ويقرؤونه ووصفهم بالعلم لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتادة وابن عباس: ﴿بَلۡ هُوَ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ من أهل الكتاب يجدونه مكتوبًا عندهم في كتبهم بهذه الصفة أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ولكنهم ظلموا أنفسهم وكتموا، وهذا اختيار الطبري.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وقال أهل الكفر من أهل مكة وغيرهم لولا أُنزل على محمد ﷺ معجزة من ربِّه ﷻ كالتي أوتاها صالح أو موسى أو داود أو سليمان أو عيسى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ أو غير هؤلاء.

لولا أوتي ناقة كناقة صالح أو عصًا كعصى موسى أو إلانة الحديد وتسبيح الجبال والطير كما حدث لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو تسخير الريح والشياطين كما حدث لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله كعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو غير ذلك.

فقل لهم يا رسول الله: إنما هذه المعجزات عند الله يُعطيها من يشاء وإنما أمري معكم أني لكم نذير أُنذركم عذاب الله إن أنتم بقيتم على شرككم وضلالكم، قد أبنت لكم عن خطإ ما أنتم فيه وأبنت لكم عن كوني نذير أنذركم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة لله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى؟! قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم ﴿مُّبِينٌ﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات -يعنون - ترشدهم إلى أن محمدًا رسول الله كما جاء صالح بناقته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أمر ذلك إلى الله، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم؛ لأن ذلك سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقوله: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنما بعثت نذيرًا لكم بَيِّنَ النذارة فَعَلَيَّ أن أبلغكم رسالة الله و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾

[البقرة: ٢٧٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ هذا قول المشركين لرسول الله ﷺ ومعناه: هلا أنزل عليه آية كآيات الأنبياء؟! وقيل: كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى أي ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فهو يأتي بها كما يريد إذا شاء أرسلها وليست عندي ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح للآية الكريمة ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ .....﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزولٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

كون القرآن أعظم معجزة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: أولم يكف هؤلاء السائلين عن الآيات والمعجزات أننا أنزلنا عليك يا رسول الله أعظم آية وأعظم معجزة وهي هذا القرآن الذي تتلوه عليهم تدعوهم فيه لكل خيرٍ وتحذرهم من كل شرٍّ ويكون سببًا في نجاتهم من النار ووراثتهم أعالي الجنان، فيه نبأ ما قبلهم وحكم ما بينهم وخبر ما بعدهم، قد حمل أجمل تشريع وأحسن الأحكام وجميل البيان، ترق له القلوب وتصفو له الأفئدة، وتنذرف منه الدموع لا يبلى عن

كثرة القراءة والترداد، إنه كتاب الله لا يوفيه حقه إلا الله، أولم يكف هؤلاء المشركين أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم باقيًا يتلى إنه حقًّا أعظم معجزة وأوضح آية وأعظم بيان إن في ذلك القرآن لرحمة يرحم الله بها العباد إذا اهتدوا بهديه واستقاموا على أمره، و﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ موعظة يتعظ بها أولوا الألباب أهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، من الآيات والحجج ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ﴾ هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: يُقرأ عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ﴾ يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مبينًا كثرة جهلهم، وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم -وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه -فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولا تخالط أحدًا من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما

في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم من حديث[1] أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». أخرجاه من حديث الليث.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن في هذا القرآن: ﴿لَرَحْمَةً﴾ أي: بيانًا للحق، وإزاحة للباطل و﴿وَذِكْرَىٰ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين، ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ﴾ أي أولم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله أو بسورة منه فعجزوا ولو أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقالوا: سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في القرآن ﴿لَرَحْمَةً﴾ في الدنيا والآخرة وقيل: رحمة

(١) أحمد (٢/ ٣٤١)، والبخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

في الدنيا باستنقاذهم من الضلالة ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ في الدنيا بإرشادهم به إلى الحق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بك الجاحدين نبوتك المشركين بالله ما لم يُنزل به سلطانًا، السائلين عن المعجزات، قل لهؤلاء رضيت بالله شهيدًا يشهد عليَّ وعليكم إن كنت كاذبًا فهو يشهد عليَّ وإن كنتم أنتم الكذبة، وهم كذلك فهو شهيد عليكم، كفى به شهيدًا بيني وبينكم فهو خير الشاهدين، وهو الذي يعلم كل شيء في نفسي وفي نفوسكم، ويعلم ما في السموات والأرض، والذين آمنوا بالشيطان وصدقوه فيما دعاهم إليه من اتخاذ شريك لله ﷻ أولئك هم الذين خسروا أنفسهم وضيعوها وتسببوا لها في وراثة الجحيم عياذًا بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم، شاهدًا لي وعليّ؛ لأنه يعلم المحقَّ منا من المبطل، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحقّ، والمبطل على باطله بما هو أهله، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ يقول: صدقوا بالشرك، فأقرّوا به وكفروا

بـه، يقـول: وجحـدوا الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ يقـول: هـم المغبونـون في صفقتهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ قال: الشرك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ أي قل للمكذبين لك كفى بالله شهيدًا يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسوله وأن هذا القرآن كتابه ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي لا يخفى عليه شيء وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لأنهم قد أقروا بعلمه فلزمهم أن يقروا بشهادته ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ قال يحيى بن سلام: بإبليس وقيل: بعبادة الأوثان والأصنام قاله ابن شجرة ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل: بما أشركوا به من الأوثان وأضافوا إليه من الأولاد والأضداد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أنفسهم وأعمالهم في الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ أي: هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه، بأنه أرسلني، فلو كنت كاذبًا عليه لانتقم مني، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات، والدلائل القاطعات.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: لا تخفى عليه خافية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي: يوم معادهم

سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، سيجازيهم على ذلك، إنه حكيم عليم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ
وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٣ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٥٥ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ
نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ
٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا
ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠﴾

[العنكبوت: ٥٣-٦٠]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى - بَغْتَةً - لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ - يَغْشَىٰهُمُ - فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ - لَنُبَوِّئَنَّهُم - يَتَوَكَّلُونَ - وَكَأَيِّن - لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾	وقت أجَّلهُ الله وحدَّده
﴿بَغْتَةً﴾	فجأةً
﴿لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾	سيحيط بهم من كل جانب – محيطة بهم من كل جانب
﴿يَغْشَىٰهُمُ﴾	يعلوهم – يُغطيهم
﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾	لا تعبدوا غيري
﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾	لننزلنهم – لنسكننهم
﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾	يعتمدون
﴿وَكَأَيِّن﴾	كم
﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾	لا تدخر رزقها لغدٍ

❁ ❁ ❁

استعجال أهل الكفر نزول العذاب عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم–: ويستعجلونك بنزول العذاب عليهم لكونهم

يكذبونك وينكرون وقوع العذاب فيقولون على سبيل التحدي ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] أي: نصيبنا من العذاب، ويقول: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ويقول: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] إلى غير ذلك من تمنيهم العذاب، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: ولولا أننا كتبنا عليهم أن يعيشوا زمانًا لنزل عليهم العذاب في الحال ولأهلكناهم، وليأتينهم هذا العذاب فجأة من حيث لا يشعرون.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلًا. وقوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وليأتينهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم، وبأس الله أن يحل عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا

هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقال هاهنا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لولا ما حَتَّم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبًا سريعًا كما استعجلوه.

ثم قال: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يستعجلون بالعذاب، وهو واقع بهم لا محالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ لما أنذرهم بالعذاب قالوا لفرط الإنكار: عجل لنا هذا العذاب وقيل: إن قائل ذلك النضر بن الحارث وأبو جهل حين قالا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ في نزول العذاب قال ابن عباس: يعني هو ما وعدتك ألا أعذب قومك وأؤخرهم إلى يوم القيامة بيانه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] وقال الضحاك: هو مدة أعمارهم في الدنيا. وقيل: المراد بالأجل المسمى النفخة الأولى، قال يحيى بن سلام: وقيل: الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة وقيل: هو القتل يوم بدر وعلى الجملة فلكل عذاب أجل لا يتقدم ولا يتأخر ودليله قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني الذي استعجلوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون بنزوله عليهم.

❁ ❁ ❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: يستعجل أهلُ الكفر نزول العذاب عليهم وإنه آتيهم لا محالة وسيدخلون جهنم وتحيط بهم من كل الجوانب كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] ويقويه قوله بعدها: ﴿مَتَى يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ...﴾ أي: وإن جهنم لمحيطة بهم يوم يغشاهم العذاب.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك في الدنيا، وذهب أن البحر تحت النار فقد أورد الطبري بسندٍ صحيح عن عكرمة في هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ قال: البحر.

وقال الطبري قبلها.

يقول تعالى ذكره: يستعجلكَ يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم، والنار بهم محيطة، لم يبق إلا أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي: يستعجلونك وقد أعد لهم جهنم وأنها ستحيط بهم لا محالة فما معنى الاستعجال وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية[1] وأصحابه من المشركين حين قالوا: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢].

❁ ❁ ❁

(١) وذلك يفتقر إلى صحة الإسناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

ج: هنا - والله أعلم- وجهان:

أحدهما: أن الآية متعلقة بما قبلها، فيكون المعنى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب...

والثاني: أن المعنى واذكر يوم يغشاهم العذاب...

أما عن معنى الآية إجمالًا يوم يغطيهم العذاب من كل الجوانب من تحتهم ومن فوقهم كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] عند ذلك نقول للظالمين الكافرين الجاحدين: ذوقوا جزاء تكذيبكم وجزاء شرككم وكفركم وسيئ أعمالكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يوم يغشى الكافرين العذاب، من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾: أي في النار.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها. وبالياء في ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟﴾ قرأت عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر، وأبي عمرو، فإنهما قرآ ذلك بالنون: (وَنَقُولُ). والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب الحسي.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، تهديد وتقريع وتوبيخ، وهذا عذاب معنوي على النفوس، كقوله: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩]، وقال: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٣-١٦] ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الذاريات: ١٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ قيل: هو متصل بما هو قبله أي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم فإذ غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم وإنما قال: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ للمقاربة وإلا فالغشيان من فوق أعم كما قال الشاعر:

علفتها تبنا وماء باردا

❁ ❁ ❁

حث المؤمن على إقامة دين في أي مكان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾؟

ج: حاصل المعنى – والله أعلم –: أن الله ﷻ ينادي عباده ويأمرهم إذا تعذرت عليهم طاعته في مكانٍ من الأماكن فليتركوه وليذهبوا إلى مكان آخر أكثر أمانًا يعبدون الله ﷻ فيه ولا يعصونه، فيقول تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يا أهل الإيمان والتصديق ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ فأخلصوا في عبادتي وانتقلوا في أرضي حيث تستطيعوا الإخلاص في عبادتي، ثم هوَّن عليه أمر الدنيا بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي: أنكم ستموتون حتمًا إما في بلادكم أو في أي أرض كنتم ثم إن مرجعكم إلى الله ﷻ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يعفو.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحَّدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد ﷺ ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه.

وأورد الطبري آثارًا كثيرةً بذلك.

وقال: وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم. ثم قال:

وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ على

ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب.

وقوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدًا من خلقي.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه: هاجِرُوا من أرض الشرك، من مكة إلى أرض الإسلام المدينة، فإن أرضي واسعة، فاصبروا على عبادتي، وأخلِصوا طاعتي، فإنكم ميتون وصائرون إليَّ؛ لأن كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم؛ ولهذا قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

ثم قال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ أي: أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم، فإن الموت لا بد منه، ولا محيد عنه، ثم إلى الله المرجع، فَمَنْ كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه تمام الثواب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأخبرهم الله تعالى بسعة أرضه وأن البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس

بصواب، بل الصواب أن يتلمس عبادة الله في أرضه مع صالحي عباده؛ أي: إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان بها فهاجروا إلى المدينة فإنها واسعة؛ لإظهار التوحيد بها.

وقال:

وقيل: المعنى: إن أرضي التي هي أرض الجنة واسعة ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ حتى أورثكموها ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ﴿**إياي**﴾ منصوب بفعل مضمر أي فاعبدوا إياي فاعبدون فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني والفاء في قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾ بمعنى الشرط أي إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبدوني في غيره لأن أرضي واسعة.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ تقدم في (آل عمران) وإنما ذكره هاهنا تحقيرًا لأمر الدنيا ومخاوفها كأن بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجوع أو نحو هذا فحقر الله شأن الدنيا أي أنتم لا محالة ميتون ومحشرون إلينا فالبدار إلى طاعة الله والهجرة إليه وإلى ما يمتثل. ثم وعد المؤمنين العاملين بسكنى الجنة تحريضًا منه تعالى وذكر الجزاء الذي ينالونه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

نادى الله جلَّ وعلا عباده المؤمنين، وأكّد لهم أن أرضه واسعة، وأمرهم أن يعبدوه وحده دون غيره، كما دلّ عليه تقديم المعمول الذي هو إياي؛ كما بيّناه في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

والمعنى: أنهم إن كانوا في أرض لا يقدرون فيها على إقامة دينهم، أو يصيبهم فيها أذى الكفار، فإن أرض ربّهم واسعة فليهاجروا إلى موضع منها

يقدرون فيه على إقامة دينهم، ويسلمون فيه من أذى الكفار، كما فعل رسول الله ﷺ والمسلمون.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة جاء في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: والذين آمنوا بالله ﷻ وصدقوا رسله وأتبعوا ذلك بعمل الصالحات طائعين لله في كل ما أمرهم به منتهين عن كل ما نهى عنه لنُسكننهم من الجنة غرفًا عوالي تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا لا يحوَّلون عنها ولا يرغبون في التحول عنها، نعم الأجر الذي أعده الله لعاملي الصالحات، الذين صبروا على طاعة الله ﷻ وصبروا على أقداره، واعتمدوا على الله في كل شؤونهم ولقضاء كل حوائجهم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعني: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا

عما نهاهم عنه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ يقول: لننزلنهم من الجنة عَلالي.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية، ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التي يُثْوِيهُمُوها الله في جنَاته، تجرى من تحتها الأنهار، الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا، وما كانوا يَلْقون منهم، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه، وجهاد أعدائه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا يَنْكُلون عنهم، ثقة منهم بأن الله مُعْلِي كلمته، ومُوهِن كيد الكافرين، وأن ما قُسِم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: لنسكننهم منازل عاليةً في الجنة تجري من تحتها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولًا ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: نعمت هذه الغرفُ أجرًا على أعمال المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: على دينهم، وهاجروا إلى الله، ونابذوا الأعداء، وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده.

قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني أبي، حدثنا صفوان المؤذِّن، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده أبي سلام الأسود، حدثني أبو معَاتق الأشعري، أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه: «**أن في الجنة غُرَفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها،**

أعدَّها الله لِمَنْ أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وأباح الصيام، وأقام الصلاة والناس نيام»[(١)].

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم.

ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار.

الرزق من عند الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وكم من دابة تمشي على الأرض لا تستطيع أن تدخر رزقها لغدٍ، ولا تحمله على ظهرها لغدٍ يرزقها الله ﷻ يومًا بيوم ووقتًا بوقتٍ كلما جاعت وجدت طعامها بإذن الله وهو سبحانه السميع للأقوال، ولكل شيء العليم بأحوال عباده، وفي هذا تهييج على الهجرة في سبيل الله وقذف الطمأنينة في النفوس أن الله يتولى أمر العباد. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارًا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ يومًا بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ما في أنفسكم،

(١) أحمد (٥/ ٣٤٣).

وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوّكم، من إذلال الله إياهم، ونُصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء، قال الله تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر الجلِدُ أنه مرزوق بجَلَدِهِ ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**» ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائكم وقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[العنكبوت: ٦١-٦٩].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يُؤْفَكُونَ - يَبْسُطُ - وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ - لَهْوٌ - ٱلْحَيَوَانُ - ٱلْفُلْكِ - مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - حَرَمًا ءَامِنًا - وَيُتَخَطَّفُ - ٱلنَّاسُ - أَفَبِٱلْبَٰطِلِ - مَثْوًى - جَٰهَدُواْ فِينَا - لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُؤْفَكُونَ﴾	يصرفون عن الحق – يكذبون
﴿يَبْسُطُ﴾	يوسع
﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾	يضيق
﴿لَهْوٌ﴾	ما يُلتهى به
﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾	الحياة الباقية
﴿ٱلْفُلْكِ﴾	السفن العظيمة
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	مفردين ربكم بالدعاء والعبادة
﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾	مكة جعلناها مؤمنة لا يحمل فيها سلاح ولا يعضد فيها شوك... إلى غير ذلك
﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾	يُقتل الناس وتسلب أموالهم ويعتدى عليهم ويؤسرون
﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾	أفبوعد الشيطان – أفبالشرك
﴿مَثْوًى﴾	مقامٌ ومنزلٌ
﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾	جاهدوا لنصرة ديننا

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ لنوفقنهم ولندلنهم على طرق الخير الموصلة لمرضاتنا وجناتنا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر يجريان هذا يعقب ذاك؟ ليقولن الله الذي فعل ذلك كله.

فمن أي وجهٍ إذن يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ويعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله، ليقولنّ: الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ يقول جلّ ثناؤه: فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن الله ﷻ يوسع على من يشاء من عباده في أرزاقهم ويضيق عليهم إن شاء، وهو عليم بكل ما يصلح عباده، وكما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيُقتِّر لمن يشاء منهم، يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي، دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلُح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الآية لما عير المشركون المسلمين بالفقر وقالوا: لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا تمويهًا وكان في الكفار فقراء أيضًا أزال الله هذه الشبهة وكذا قول من قال إن هاجرنا لم نجد ما ننفق أي: فإذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الأشياء فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي لا يختلف أمر الرزق بالإيمان والكفر، فالتوسيع والتقتير منه فلا تعيير بالفقر فكل شيء بقضاء وقدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ من أحوالكم وأموركم وقيل: عليم بما يصلحكم من إقتار أو توسيع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت هؤلاء الكفار من أنزل من السماء مطر فأنبت به الأرض بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها ليقولن الله الذي فعل ذلك، فقل لهم الحمد لله على إقراركم أن الله فعل ذلك، وقل في نفسك الحمد لله الذي فعل ذلك، واعجب من أمرهم، وكون أكثرهم يقرون بذلك ويتجهون إلى عبادة غيره، فحقًّا إن أكثرهم لا يعقلون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها: إنباته النبات فيها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ من بعد جدوبها وقحوطها.

وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ يقول: ليقولنّ الذي فعل ذلك الله، الذي له عبادة كل شيء.

وقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: وإذا قالوا ذلك، فقل: الحمد لله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضرّ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زُلْفة وقربة، ولا يعلمون أنهم هالكون، مستوجبون الخلود في النار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو؛ لأن المشركين –الذين يعبدون معه غيره –معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها

واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كُلًّا منهم، ومَنْ يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبدُّ بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي من السحاب مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: جدبها وقحط أهلها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الإعادة وإذا قدر على ذلك فهو القادر على إغناء المؤمنين فكرر تأكيدًا ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم بذلك وقيل: على إنزال الماء وإحياء الأرض.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما هذه الحياة الدنيا بما فيها من ملاذٍ ومطاعم ومشارب ومساكن ومناكح وغير ذلك من المتاع الفاني الزائل إلا لهو يلتهى

به أهلها ولعب يلعبون به ثم يزولون عن ذلك كله ويزول كل ذلك عنهم إلا ما ابتغى به وجه الله ﷻ من صالح الأقوال والأعمال والنيات فهذا الذي يبقى كما قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦] أما سائر ما في الدنيا فزائل وفان، وإن الدار الآخرة (جنتها ونارها) لهي الحياة الباقية التي لا تفنى ولا تزول فاحرصوا على جنتها وابتعدوا عن نارها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يقول: إلا تعليل النفوس بما تلتذّ به، ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب، لا بقاء له ولا دوام ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ حياة لا موت فيها.

قال الطبري:

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقَصَّروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة

الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي: شيء يلهى به ويلعب أي ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها وأنشد:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الأمور أمور

وتجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها أنجم وتغور

فمن ظن أن الدهر باقٍ سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور

عفا الله عمن صير الهم واحدا ... وأيقن أن الدائرات تدور

قلت: وهذا كله في أمور الدنيا من المال والجاه والملبس الزائد على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطعات وأما ما كان منها لله فهو من الآخرة وهو الذي يبقى كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي ما ابتغى به ثوابه ورضاه ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم أبو عبيدة: أن الحيوان والحياة والحي بكسر الحاء واحد كما قال:

وقد ترى إذ الحياة حِيُّ

وغيره يقول: إن الحي جمع على فعول مثل عصي والحيوان يقع علي كل شيء حي وحيوان عين في الجنة وقيل: أصل حيوان حييان فأبدلت إحداهما واوًا لاجتماع المثلين ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أنها كذلك

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن هؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله إلهًا آخر إذا سافروا وركبوا السفن العظيمة في البحار فلعبت بهم الأمواج وهاجت بهم الرياح توجهوا إلى الله ﷻ وحده لا شريك له بالدعاء سائلين راجين ولم يدعو حينئذٍ صنمًا ولا وثنًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا غير ذلك، إنما دعو الله ﷻ مفردين إياه بالدعاء فإذا سلمهم الله وهدأت الرياح والأمواج ونجاهم الله إلى البر إذا هم يعودون إلى شركهم بالله وينسون إنجاء الله ﷻ لهم فيكفروا بصنيعهم هذا، فتهددهم الله ﷻ وتوعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: سوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وشركهم وكفرهم وعنادهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ يقول: أخلصوا لله – عند الشدّة التي نزلت بهم– التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾

فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره: فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر، من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ، إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ يشركون بالله الآلهة والأنداد. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلا يكون هذا منهم دائمًا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقال هاهنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة؛ لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي لام التعليل. وقد قدَّمْنا تقرير ذلك في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: السفن وخافوا الغرق ﴿دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: صادقين في نياتهم وتركو عبادة الأصنام ودعاءها ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس أو الملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل

الله لهم من النجاة قسمة بين الله وبين خلقه.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ قيل: هما لام كي أي: لكي يكفروا ولكي يتمتعوا وقيل: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ليكون ثمرة شركهم أن يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل: هما لام أمر معناه التهديد والوعيد أي: اكفروا بما أعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء الكفار الجاحدون نعم الله المتخذون معه إلهًا آخر، أولم يروا نعمة الله ﷻ عليهم فيشكروها أولم يروا أنا جعلنا بلادهم آمنة مطمئنة والناس من حولهم يتخطفون قتلًا وسلبًا ونهبًا، فغيرهم يقتل ويُسلب وينهب وهم هنا في بلادهم آمنين مطمئنين لكوننا جعلنا بلادهم حرمًا آمنًا.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

أما قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فحاصل معناه أفبوعد الشيطان الباطل، وكذب الشيطان ودعواه بأن الله له شريك، أيصدقون الشيطان بأن الله له شريك، ويعبدونه من دون الله ويجحدون نعم الله عليهم ويجحدون وحدانية الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يقول تعالى ذكره، مذكرًا هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه، نِعْمَتَه عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم، مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أولم ير هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم، دون سائر عبادنا، فيشكرونا على ذلك، وينزجروا عن كفرهم بنا، وإشراكهم ما لا ينفعنا، ولا يضرّهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرمًا، حرّمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمنًا يأمن فيه من سكنه، فأوى إليه من السباء، والخوف، والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس، ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يقول: وتُسْلَب الناس من حولهم قتلًا وسباء.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال: كان لهم في ذلك آية، أن الناس يُغزَون ويُتَخَطَّفون وهم آمنون.

وقوله: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان بأن يصدّقوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرمًا آمنًا يكفرون، يعني بقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنًّا على قريش فيما أحلهم من حرمه، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمنًا، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ

قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١-٤].

وقوله: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به، وعبدوا معه الأصنام والأنداد، و﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله، فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله، وألا يشركوا به، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وقتل من قتل منهم ببدر، وصارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله مكة، وأرغم آنافهم وأذل رقابهم.

❁ ❁ ❁

بعض صور الكذب والافتراء على الله ﷻ

س: وضح معنى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ليس هناك أحدٌ من المفترين الكاذبين أظلم من شخص افترى على الله كذبًا أو كذب بالقرآن لما جاءه به رسول الله ﷺ وكذَّب بتوحيد الله ﷻ، أليس في إخبارنا أن جهنم مقامٌ للكافرين مُدكر ومتعظ ومزدجر لمن قال هذا حتى يُقلع عنه؟!!

هذا، وللكذب على الله صور، منها: ادعاء الشريك له وكذا ادعاء الصاحبة والولد له – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- ومن ذلك قولهم إذا فعلوا فاحشة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ [الأعراف: ٢٨] وكذلك تحريمهم ما أحل الله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ونسبة ذلك إلى الله، ومن

ذلك أيضًا ادعاء بعضهم أنه أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، إلى غير ذلك من صور الكذب والافتراء على الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبًا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ يقول: أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذّب رسوله ﷺ، وهذا تقرير، وليس باستفهام، إنما هو كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاح

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنا في النار، ومنزلًا يَثْوُونَ فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ أي: لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال: إن الله أوحى إليه، ولم يوح إليه شيء. ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفتر، والثاني مكذب؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أيى لا أحد أظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا وإذا فعل فاحشة قال: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [

الأعراف: ٢٨] ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ قال يحيى بن سلام: بالقرآن وقال السدي: بالتوحيد وقال ابن شجرة: بمحمد ﷺ وكل قول يتناول القولين ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مستقر وهو استفهام تقرير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والذين بذلوا من أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم جهدًا لنصرة ديننا ولإعلاء كلمتنا لنوفقنهم لإصابة الحق ولطريق الرشاد ولسبيل الجنة، وإن الله ﷻ لمع أهل الإحسان يوفقهم ويسددهم ويهديهم ويحفظهم ويرعاهم ويتولاهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبًا من كفار قريش، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا، ونُصرة ديننا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ فقلت له: قاتلوا فينا، قال: نعم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ يعني: الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، أي: لنُبَصرنهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: جاهدوا الكفار فينا أي: في طلب مرضاتنا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا منها قول ابن عطية: فهي قبل الجهاد العُرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته، وقولًا ثانيًا، أُراه قاصرًا، وهو أنه في العبَّاد، وقولًا ثالثًا: مؤداه أنها في الذين يعملون بما يعلمون فيورثهم الله علم ما لم يكونوا يعلمون.

وقولًا رابعًا أعم شيئًا ما، وهو قول أبي سليمان الداراني:

ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعُظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾.

وأورد قول ابن عباس وفيه: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا.

وقال القرطبي أيضًا: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق الجنة، وقال: وهو سبحانه معهم بالنصر والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالإحاطة والقدرة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

من سلك طريق الهداية يسرها الله عليه

س: اذكر بعض الأدلة على أن من سلك طريق الهداية يسر الله له أسبابها وسهلها عليه؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

[الليل: ٥-٧]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مني ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً...».

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة الروم

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ
سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ
وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧
أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ
وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ
فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ
ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾

[الروم: ١-١٠].

(١٥٨) أحمر
أسود

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ - غَلَبِهِمْ - بِضْعِ سِنِينَ - ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا - غَٰفِلُونَ - بِٱلْحَقِّ - وَأَجَلٍ مُّسَمًّى - بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ - لَكَٰفِرُونَ - عَٰقِبَةُ - وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ - وَعَمَرُوهَآ - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - أَسَٰٓـُٔوا۟ - ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾	أقرب الأرض (قيل إلى العرب، وقيل إلى الفرس)
﴿غَلَبِهِمْ﴾	هزيمتهم
﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾	البضع ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى التسع
﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	أمور الدنيا الظاهرة
﴿غَٰفِلُونَ﴾	تاركون- ساهون
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	للحق – لمجازاة المحسن وعقاب المسيء – لعبادته وحده لا شريك له
﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	أجل محددٌ تنتهي عنده السموات والأرض
﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾	بلقاء الله يوم القيامة
﴿لَكَٰفِرُونَ﴾	لجاحدون – منكرون
﴿عَٰقِبَةُ﴾	آخر أمرهم
﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾	إثارة الأرض تقليبها للزراعة وكذا حفرها وتغيير هيئتها عمومًا

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾	أنشأوا فيها المساكن والبيوت
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج القاطعات الدالة على صدق الرسل
﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾	فعلوا ما يسيء إليهم، وذلك بشركهم بالله
﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾	الجزاء الأسوأ وهو النار والعياذ بالله

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ الآية سبب نزول؟

ج: كسببٍ نزول صحيح صريح لم أقف لكن انظر ما سيرد في السؤال الآتي إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد من الآثار في تفسير قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾؟

ج: من ذلك ما ورد عند الإمام أحمد وغيره من طريق حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ. قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ**». فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا. فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونِ** -أُرَاهُ قَالَ- **الْعَشْرِ**» قَالَ سَعِيد بن جبير: الْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ. ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ

(١٦٠) أحمر
أسود

أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وهذا الأثر في الجملة صحيح وله طرق كثيرة تشهد لكثير من معناه، أوردها الطبري وابن كثير وغيرهما.

أورد منها ما يلي:

ما أورده الطبري[2] من طريق عبيد الله، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية، ناحب أبو بكر قريشًا، ثم أتى النبيّ ﷺ، فقال له: إني قد ناحبتهم، فقال له النبيّ ﷺ: «**هَلا احْتَطْتَ، فإنَّ البِضْع ما بينَ الثلاثِ إلى التِّسْعِ**». قال الجمحي: المناحبة: المراهنة، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك.

وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خمسٌ قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

وعند الطبري[4] أيضًا من حديث ابن مسعود، قال: قد مضى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

وأخرج الطبري بما هو صحيح لشواهده[5] من حديث ابن مسعود قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على

(١) أحمد (١/ ٢٧٦)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي (١١٣٨٩)، والطبري (٢٧٨٦٥) وغيرهم – وهو صحيح وله شواهد كثيرة.
(٢) الطبري (٢٧٨٦٦)، وهو شاهد لما قبله.
(٣) البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).
(٤) هو صحيح، عند الطبري (٢٧٨٧٠).
(٥) السند به بعض الضعف لكن لأصله شواهد يصح بها.

الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ إلى ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ قالوا: يا أبا بكر، إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشُقّ على المسلمين، فذكروا ذلك للنبيّ ﷺ: فقال: «**مَا بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ؟**» قالوا: دون العشر. قال: «**اذْهَبْ، فزَايِدْهُمْ وازْدَدْ سَنَتَيْن**» قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾.

ومن الشواهد لأصل المعنى ما أورده ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعزاه لابن أبي حاتم من حديث البراء قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، قال المشركون لأبي بكر: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فارس. قال: «**صدق صاحبي**». قالوا: هل لك أن نخاطرك؟ فجعل بينه وبينهم أجلًا فحلَّ الأجل قبل أن تغلب الرومُ فارسَ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فساءه ذلك وكرهه، وقال لأبي بكر: «**ما دعاك إلى هذا؟**» قال: تصديقًا لله ولرسوله. فقال: «**تَعَرَّض لهم وأعظم الخَطَر واجعله إلى بضع سنين**». فأتاهم أبو بكر فقال لهم: هل لكم في العود، فإن العود أحمد؟ قالوا: نعم. فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسَ، وربطوا خيولهم بالمدائن، وبنوا الرومية، فجاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: هذا السحت، قال: «**تصدق به**».

(١٦٢) أحمر
أسود

وما أورده الترمذي[1] من حديث نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾، وَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ؛ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ قَالَ: نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ أَفَلَا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَى - وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ- فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْعُ؟ ثَلَاثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ. قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ. قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ. قَالَ: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾. قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وثمَّ طرق مرسلة، منها ما أخرجه الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، ولكنه مرسل كما هو معلوم، مراسيل قتادة ضعيفة، لكن هنا في الشواهد، قال قتادة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ قال: غلبتهم فارس على أدنى الشام ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ

(١) الترمذي (٣١٩٤)، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي الزناد متكلم فيه، لكني أوردته في الشواهد.

غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ...﴾ الآية، قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص، وأجلوا بينهم خمس سنين، فولي قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، وولي قمار المشركين أُبيّ بن خلف، وذلك قبل أن ينهى عن القمار، فحل الأجل، ولم يظهر الروم على فارس، وسأل المشركون قمارهم، فذكر ذلك أصحاب النبيّ للنبي ﷺ قال: «**لَمْ تكُونُوا أَحِقَّاءَ أنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ، فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثلاثِ إلى العَشْرِ، وَزَايِدوهُمْ فِي القِمار، وَمادُّوهُمْ فِي الأجَلِ**»، ففعلوا ذلك، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مرجعه من الحديبية[1]، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على المجوس، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ...﴾ الآية.

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح[2] عن الشعبيّ في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: كان النبي ﷺ أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح إلى ابن زيد (ولكنه مرسل ضعيف) **قال ابن زيد:**

في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قال: أدنى الأرض: الشأم، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ قال: كانت فارس قد غلبت الروم،

(١) في ذلك ضعف ونظر.
(٢) لكنه مرسل أيضًا.

(١٦٤) أحمر
أسود

ثم أديل الروم على فارس، وذُكر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرُّوم سَتَغْلِبُ فارِسًا**»، فقال المشركون: هذا مما يتخرّص محمد، فقال أبو بكر: تناحبونني؟- والمناحبة: المجاعلة- قالوا: نعم. فناحبهم أبو بكر، فجعل السنين أربعا أو خمسا، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال رسول ﷺ: «**إنَّ الْبِضْعَ فِيمَا بَيْنَ الثَّلاثِ إِلَى التِّسْعِ، فارْجعْ إلى القَوْمِ، فَزِدْ فِي المُناحَبَةِ**»، فرجع إليهم. قالوا: فناحبهم فزاد. قال: فغَلبت الروم فارسا، فذلك قول الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ يوم أديلت الروم على فارس.

وهناك آثار أخر وأحاديث أخر، ولا يكاد يخلو منها سند من مقال لكن القدر المشترك في هذه المتون يصح بلا شك وسياق الآية تقتضي تصحيح كثير منها، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿أَدْنَى﴾ فمعناه أقرب فقيل: إن المراد أقرب أرض الروم من بلاد فارس، وهي بلاد الشام، وقيل: أدنى الأرض أقرب الأرض أرض الروم إلى بلاد العرب، وهي بلاد الشام أيضًا.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ قبل ماذا وبعد ماذا؟

ج: قال فريق من أهل العلم من قبل نصر فارس على الروم، ومن بعد نصر الروم على فارس، وقيل: المراد لله الأمر في كل وقت وحين وهو الذي يدبر الأمر سبحانه ويفعل ما يريد، وينصر من يشاء، ويخذل من أراد. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

ج: يخبر الله سبحانه وتعالى أن الروم قد غُلبت، غلبتها فارسُ، وذلك في أقرب بلاد الروم إلى العرب، وقيل: إلى بلاد الفرس، وكانت هذه البلاد تحت إمرة ملك الروم، وهي بلاد الشام فأخبر الله أن الروم غلبت هنالك، وأخبر الله ﷻ أن الروم، وإن غُلبت الآن، لكنها ستغلب فيما بعد في بضع سنين، وهو من الثلاث إلى العشر ففي خلال هذه السنوات ستغلب الرومُ فارس ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد من قبل هزيمة الروم ونصر الفرس، ومن بعد ذلك أيضًا، فهو سبحانه يفعل ما يريد، ويوم أن ينتصر الروم على فارس يفرح أهل الإيمان لأن الروم أهل كتاب أما الفرس فهم أهل شرك ووثنية وعبادة النيران، وإن كانوا كلهم على ضلال آنذاك لكن ثمَّ ضلال أخف من ضلال، فعلى كل يفرح المؤمنون بمن هو منهم أقرب، وهم الروم، فالروم أقرب لأهل الإسلام من المجوس، وليعلم أن الله هو الذي ينصر من يشاء ويخذل من يشاء وهو العزيز الذي لا يُغلب، بل يُمض أمره في خلقه، ومع ذلك فهو رحيم بالعباد وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ بضم الغين؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من أرض الشام إلى أرض فارس ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ يقول: والروم من بعد

(١٦٦) أحمر
أسود

غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ غلبتهم فارس ﴿وَمِن بَعْدُ﴾ غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونُصْرة الروم على فارس ﴿يَنصُرُ﴾ اللهُ تعالى ذكره ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من خلقه، على من يشاء، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذّبه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ أي: من قبل ذلك ومن بعده، فبني على الضم لما قُطع المضاف، وهو قوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الإضافة، ونُويت.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أي: للروم أصحاب قيصر ملك الشام، على فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس، كما قال تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى هاهنا: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: في انتصاره وانتقامه من أعدائه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أخبر تعالى بانفراده بالقدر وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي إنفاذ الأحكام.

﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقيل: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم، ونصب ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ على المصدر من قوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون، فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعدا، ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك؛ لأنه ليس

(١٦٨) أحمر
أسود

في مواعيده خلف ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به -يا محمد- من أنا سننصر الروم على فارس، وعد من الله حق، وخَبَر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق، ويجعل لها العاقبة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل.

❁ ❁ ❁

أهل الكفر وعلمهم بالدنيا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن أهل الكفر علمهم بالحياة الدنيا وما تصلح به معايشهم، أمرٌ معروف عندهم فهم متقنون المعرفة لدنياهم، أمور الدنيا هم فيها بارعون، أما الآخرة فهم منها في غفلة لا يدرون شيئًا عنها، ولا يوقنون ولا يعملون لها ولا يلتفتون إليها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه.

وأورد الطبري من طريقين عن ابن عباس قال: العليمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، قال: متى يزرعون ومتى يغرسون.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: معايشهم وما يُصلحهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة.

قال الحسن البصري: والله لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على

(١٧٠) أحمر
أسود

ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يعني: الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.

قلت: ويدخل في معنى الآية الكريمة والفارق بين الكافر والمسلم، والله أعلم، ما صار إليه حالُ الكثيرين ممن حملوا عظيم الشهادات الدنيوية كالدكتوراة وغيرها، ومن ذلك هم من أجهل الناس بالدين، فثمَّ قوم حريصون على الدنيا وحطامها الفاني الزائل، وهم بعيدون أشد البعد عن الاستقامة وعن معرفة شيء عن الشريعة، عياذًا بالله من الزيغ والعمى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تنبيه

اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبّر آية «الروم» هذه تدبّرًا كثيرًا، ويبيّن ما دلّت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس.

وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين، شدّة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلّف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه.

فقد أوضح جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولاً أوليًّا، فقد نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، لأنهم لا يعلمون شيئًا عمّن خلقهم،

فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على أعمالهم، ولم يعلموا شيئًا عن مصيرهم الأخير الذي يقيمون فيه إقامة أبديّة في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودًا من جنس من يعلم؛ كما دلّت عليه الآيات القرآنيّة المذكورة، ثم لما نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره.

وعاب ذلك النوع المذكور من العلم، بعيبين عظيمين:

أحدهما: قلّته وضيق مجاله، لأنه لا يجاوز ﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة، وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السماوات والأرض جلَّ وعلا، والعلم بأوامره ونواهيه، وبما يقرب عبده منه، وما يبعده عنه، وما يخلد في النعيم الأبدي والعذاب الأبدي، من أعمال الخير والشر.

والثاني منهما: هو دناءة هدف ذلك العلم، وعدم نبل غايته، لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا﴾، أنه بدل من قوله قبله ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، فهذا العلم كلا علم لحقارته.

قال الزمخشري في «الكشاف»: «وقوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه، ويسد مسدّه ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا.

وقوله: ﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا فظاهرها ما

(١٧٢) أحمر
أسود

يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعّم بملاذها، وباطنها وحقيتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزوّد منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة، وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرًا واحدًا من ظواهرها. و﴿هُمْ﴾ الثانية يجوز أن يكون مبتدأ، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿هُمْ﴾ الأولى، وأن يكون تكريرًا للأولى، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبر الأولى، وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة، ومقرّها، ومحلّها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع، انتهى كلام صاحب «الكشاف».

وقال غيره: وفي تنكير قوله: ﴿ظَٰهِرًا﴾ تقليل لمعلومهم، وتقليله يقربه من النفي، حتى يطابق المبدل منه، اهـ، ووجهه ظاهر.

واعلم أن المسلمين يجب عليهم تعلّم هذه العلوم الدنيوية، كما أوضحنا ذلك غاية الإيضاح في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨]، وهذه العلوم الدنيوية التي بيّنا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلّمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به على لسان نبيّه ﷺ، كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جلَّ وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة، فلا عيب فيها إذن؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فالعمل في إعداد المستطاع من القوة امتثالاً لأمر الله تعالى وسعيًا في مرضاته، وإعلاء كلمته ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة كما ترى، والآيات بمثل ذلك كثيرة، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أو لم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحدانية الله ﷻ، المقيمون على شركهم، أولم يتفكر هؤلاء وغيرهم في أنفسهم، وما فيها من العبر والآيات والدلالات على وحدانية الله ﷻ، وذلك أنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجوا من بطون الأمهات أطفالًا ثم قوى عودهم واشتد ساعدهم، ثم بعد ذلك تسربت إليهم الشيخوخة ثم الموت؟!!

وكذا أولم يتفكروا فيما يحل بهم من الأمراض والأحزان لا يملكون لها دفعًا.

كذا أولم يتفكروا في طوارق الليل والنهار وضحكهم وبكائهم وحزنهم وهمهم وغمهم!!

وكذا أولم يتفكروا في أنفسهم فهذا طويل وهذا قصير وهذا غبيٌّ وقليل الفهم، وهذا في غاية من الذكاء، وهذا بين هؤلاء وأولئك.

وكذا فهذا ماكرٌ، وذاك ساذج وهذا وسيمٌ ووضيءٌ، وذاك دميم شديد الدمامة، ثم كل ذلك ينتهي إلى غير ذلك من الآيات التي هي في الأنفس إذ الله قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أولم يتفكر هؤلاء في خلق السموات والأرض وما بينهما فإن الله ما خلقهما إلا بالحق، للثواب والعقاب لإثابة المطيع على طاعته والعاصي على عصيانه إلا أن يعفو الله ويصفح، وكذا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا للاستدلال على وحدانية الله، لم نخلقهما

(١٧٤) أحمر
أسود

عبثًا بل خلقناهما لحكمة ولغاية، ثم إنهما ينتهيان ويزولان عند الوقت الذي حدَّده الله لزوالهما، ولكن مع ذلك كله فكثيرٌ من الناس منكرون لقاء الله يوم القيامة جاحدون ليوم القيامة أصلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يتفكَّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم، فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحقّ، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهَّار، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآىِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ قال الفراء : معناه إلا للحق يعني الثواب والعقاب وقيل : إلا لإقامة الحق وقيل : بالحق بالعدل وقيل : بالحكمة والمعنى متقارب وقيل: بالحق أي أنه هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ أي للسماوات والأرض أجل ينتهيان إليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وعلى أن لكل مخلوق أجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسيء وقيل : وأجل مسمى أي خلق ما خلق في وقت سماه لأن يخلق ذلك الشيء فيه ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ اللام للتوكيد والتقدير : لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتأخير أي لكافرون بالبعث بعد الموت وتقول : إن زيدا في الدار لجالس ولو قلت : إن زيدا لفي الدار لجالس جاز فإن قلت : إن زيدا جالس لفي الدار لم يجز لأن اللام إنما يؤتى بها توكيدا لاسم إن وخبرها وإذا جئت بهما لم يجز أن يأتي بها وكذا قلت: إن زيدا لجالس لفي الدار لم يجز.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– أو لم يسافر هؤلاء المكذبون بالبعث والمشركون بالله أسفارًا فيرون مصائر من تقدمهم من البشر، وقد أهلكناهم وأفنيناهم، فها هي ديار قوم لوط التي يمرون عليها مصبحين، وبالليل أفلا يعقلون، وها هي ديار ثمود يرونها ويشاهدونها في أسفارهم، وغيرهم،

(١٧٦) أحمر
أسود

وغيرهم كعاد وفرعون، والقرى التي أهلك الله أهلها وشتت شملهم، فقد كانوا أقوى منهم بدنًا وصحة وعافية، وكانوا يثيرون الأرض يقلبونها للحراثة، والمعنى كما في الآية في شأن البقرة: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، وكما في قوله في الخيل: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤] والمراد أن القوم كانوا يقلبون الأرض ويثيرونها كي يزرعوها، وكذا لاستخراج ما فيها من المعادن، ولعمارتها كذلك وإنشاء المباني والقصور فيها فعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وزرعوها زراعة أحسن من زراعة هؤلاء، وشيدوا فيها القصور وجاءتهم رسلهم تأمرهم بطاعة الله وتوحيده وامتثال أمره، جاءتهم الرسل ومعهم البينات والحجج والأدلة القواطع على وحدانية الله، فلم يُجْدِ ذلك بشيء مع القوم ولم ينتفعوا بالآيات ولم يهتدوا لها فأنزل الله بهم بأسه كما قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ وما كان الله ليبخسهم من حقوقهم شيئًا ولا ينزل بهم شيئًا لا يستحقونه، بل هم الذين ظلموا أنفسهم فاستحقوا ما نالهم وأصابهم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، ﴿وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ﴾: يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم

ما عمروا من الأرض، إذ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بمعصيتهم ربهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾ ببصائرهم وقلوبهم ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث قال الله تعالى: ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٧١] ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: عمروها أولئك أكثر مما عمروها هؤلاء فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ أي: بالمعجزات وقيل: بالأحكام فكفروا ولم يؤمنوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بأن أهلكهم بغير ذنب ولا رسل ولا حجة ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالشرك والعصيان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات، والدلالات الواضحات، من إهلاك مَنْ كفر بهم، ونجاة مَنْ صدقهم، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماعهم أخبار الماضين؛ ولهذا قال: ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم- أيها المبعوث إليهم محمد ﷺ وأكثر أموالًا وأولادًا، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومُكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعمارًا طوالًا فعمروها أكثر منكم. واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا لما جاءتهم

(١٧٨) أحمر
أسود

رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا، أخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله مِنْ واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ أي: وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة في تكذيبهم المتقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ثم كان آخر أمر هؤلاء الذين أساءوا بشركهم بالله واستهزائهم وتكذيبهم بآيات الله، كان آخر أمرهم أن جازاهم الله أسوأ الجزاء، وذلك بإدخالهم النار يوم القيامة

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذّبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم.

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: يعني الخُلَّة التي هي أسوأ من فعلهم؛ أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: الذين أشركوا السوءَى: أي النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقول: كانت لهم السوأى، لأنهم كذّبوا في الدنيا بآيات الله، ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. يقول: وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ [المائدة: ٤٩].

وعلى هذا تكون السوءى منصوبة مفعولًا لأساءوا. وقيل: بل المعنى في ذلك: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أي: كانت السوءى عاقبتهم؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. فعلى هذا تكون السوءى منصوبة خبر كان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ السوءى فعلى من السوء تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن وقيل: يعني بها هاهنا النار قاله ابن عباس ومعنى أساءوا أشركوا دل عليه أن كذبوا بآيات الله السوءى: اسم جهنم كما أن الحسنى اسم الجنة ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأن كذبوا قاله الكسائي.

❁ ❁ ❁

(١٨٠) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[الروم: ١١-١٩]

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿يَبْدَؤُا۟ - تُرْجَعُونَ - يُبْلِسُ - كَٰفِرِينَ - رَوْضَةٍ - يُحْبَرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَبْدَؤُا۟﴾	يُنشئ لأول مرة
﴿تُرْجَعُونَ﴾	ترجعون أحياء يوم القيامة وتلقون ربكم
﴿يُبْلِسُ﴾	ييأس – يسكت وتنقطع حجته
﴿كَٰفِرِينَ﴾	جاحدين
﴿رَوْضَةٍ﴾	بساتين فيها نباتات بهيجة حسنة ورياحين
﴿يُحْبَرُونَ﴾	ينعمون – يكرمون – يُسرون – يتلذذون – حاضرون في العذاب يوم القيامة – قد أُحضروا

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: الله بدأ وأنشأ الخلق أول مرة، وهو سبحانه قادر على إعادتهم بعد موتهم أحياء، وسيفعل ذلك بهم وسيرجع إليه العباد يوم القيامة أحياءً.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردًا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته ﷻ، ثم يعيد خلقًا جديدًا بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقا سويًّا، ولم يك شيئا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(١٨٢) أحمر
أسود

يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقًا جديدًا يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: كما هو قادر على بَداءته فهو قادر على إعادته، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ويوم القيامة ييأس المجرمون المشركون من رحمة الله، وتنقطع محبتهم ويفتضحون ويكتئبون، ثم إن هذه الآلهة التي عبدوها في الدنيا تخلَّت عنهم ولم تشفع لهم، فكفروا بهؤلاء الآلهة يوم القيامة، وتبرءوا منهم وقالوا ما هذه بآلهة تستحق العبادة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم

في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه، ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله ﴿كَٰفِرِينَ﴾، يجحدون ولايتهم، ويتبرّءون منهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون.

وقال مجاهد: يفتضح المجرمون. وفي رواية: يكتئب المجرمون.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الزجاج: المبلس الساكت المنقطع في حجته اليائس من أن يهتدي إليها ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ أي ما عبدوه من دون الله ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ قالوا: ليسوا بآلهة فتبرؤوا منها وتبرأت منهم حسبما تقدم في غير موضع.

❁ ❁ ❁

(١٨٤) أحمر
أسود

انقسام الخلق يوم القيامة وتميزهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم-: إخبار بما يكون من أحوال الناس يوم القيامة فإنهم يتفرقون، أهل الإيمان جماعة، وأهل الكفر منعزلون عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]، وكما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ..﴾ [الواقعة: ٧] ثم ذكر الله مصير كل فريق فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ ﴾ أي في جنة عظيمة وبستان بهيج لينعمون ويكرمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذٍ، يقول في ذلك اليوم ﴿يَتَفَرَّقُونَ ﴾ يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ قال: فرقة والله، لا اجتماع بعدها.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في

هذا الموضع؛ لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشي بني ثعلبة:

ما رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحُسْن مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمس منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْما بأطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ وَلا بأحْسَنَ مِنْها إذ دَنا الأصُلُ

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأرايح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرُون به، ويغبطون عليه. و(الحبرة) عند العرب: السرور والغبطة، قال العجاج:

فالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أعْطَى الحَبَرْ مَوَالِيَ الحَقِّ إنَّ المَوْلى شَكَرْ

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون.

وقال آخرون: معناه: ينعمون.

وقال آخرون: يلذذون بالسماع والغناء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾.

ج: هذا بيانٌ لحال الفريق الثاني وهم أهل الكفر فأخبر الله تعالى أن هؤلاء أهل الكفر والتكذيب بآيات الله والتكذيب بالبعث بعد الموت أنهم محضرون في العذاب يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذّبون .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى الآية الكريمة فسبحوا الله في صلاتكم التي تصلونها حين تمسون، وهي صلاة المغرب (وأضاف بعضهم العشاءإليها)، وسبحوه كذلك في صلاة الصبح، واحمدوه في هاتين الصلاتين فله ﷻ الحمد في السموات والأرض، يُحمد في السموات والأرض.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أي: وسبحوه وصلوا لله ﴿وَعَشِيًّا ﴾ قبل صلاة العصر، وحين تظهرون وقت الظهر.

ومن العلماء من ذهب إلى أن التسبيح على ظاهره، وليس المراد الصلاة قال: والمراد قولوا سبحان الله.

وذهب بعض العلماء إلى أن الله ﷻ يسبح نفسه، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ ﴾، وذلك صلاة المغرب، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾، وذلك صلاة الصبح ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره ﴿فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من سكانها من الملائكة، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ يقول: وسَبِّحوه أيضًا عشيًّا، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن عاصم، عن أبي رَزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل نجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعَشِيّٗا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ الظهر، قال: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾. [النور: ٥٨]

وبسند فيه ليث، وهو ابن أبي سليم متكلم فيه عن ابن عباس في قوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ قال: جمعت الصلوات ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ صلاة الصبح ﴿وَعَشِيّٗا﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ صلاة الظهر.

وبسندٍ حسن عن قتادة ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ لصلاة المغرب ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ لصلاة الصبح ﴿وَعَشِيّٗا﴾ لصلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ صلاة الظهر أربع صلوات.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ قال: ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾: صلاة المغرب، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: صلاة الصبح، وعشيا: صلاة العصر، وحين تظهرون: صلاة الظهر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه

(١٨٨) أحمر
أسود

وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه.

ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض.

ثم قال: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ فالعشاء هو: شدة الظلام، والإظهار: قوة الضياء. فسبحان خالق هذا وهذا، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا، كما قال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٣، ٤]، وقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢]، والآيات في هذا كثيرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بين الكلام بدؤوب الحمد على نعمه وآلائه وقيل: معنى وله الحمد أي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد والأول أظهر فإن الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى والحض على عبادته ودوام نعمته فيكون نوعًا آخر خلاف الصلاة والله أعلم وبدأ بصلاة المغرب لأن الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان بدأ بصلاة الظهر إذ هي أول صلاة صلاها جبريل بالنبي ﷺ. الماوردي: وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن للإنسان في النهار متقلبًا في أحوال توجب حمد الله تعالى عليها وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار أخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل أخفى فسميت به صلاة الليل.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون»؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًّا في سنده ابن لهيعة، وزبان بن فائد وسهل بن معاذ، وكلهم ضعفاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال: أحدها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، وقيل: يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وقيل: يخرج الرجل من المنيِّ، ويخرج المني من الرجل وقيل غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ فكما أنه سبحانه يحيي الأرض بعد موتها بالغيث الذي ينزله عليها، فكذلك يخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: صَلّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس، الله الذي يخرج الحيّ من الميت، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ فينبتها،

(١٩٠) أحمر
أسود

ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة. وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

وقوله: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ كقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٣، ٣٤]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ -٧]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم
مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ
ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

[الروم: ٢٠-٢٧]

(١٩٢) أحمر
أسود

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿ءَايَٰتِهِۦٓ - تَنتَشِرُونَ - أَزۡوَٰجٗا - لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا - مَّوَدَّةٗ - وَرَحۡمَةً - يَتَفَكَّرُونَ - لِّلۡعَٰلِمِينَ - وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ - قَٰنِتُونَ - يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ - يُعِيدُهُۥ - أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ - ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَايَٰتِهِۦٓ﴾	أدلته وحججه عليكم لبيان وحدانيته وقدرته
﴿تَنتَشِرُونَ﴾	تتصرفون – تنتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ
﴿أَزۡوَٰجٗا﴾	إناثًا أزواجًا
﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾	لتطمئنون إليها وتأتنسون بها وتأوون إليها
﴿مَّوَدَّةٗ﴾	المحبة (التي تكون بين الزوجين) والتوادد والتواصل الذي يكون بينهما
﴿وَرَحۡمَةً﴾	الشفقة (شفقة الرجل على امرأته وحرصه على أن لا تصاب بسوءٍ)
﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾	يتعظون ويعتبرون
﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾	جمع عالم، وهو الذي يخشى الله ويتقيه ويعلم أمر الله ونهيه، وقيل للعالمين أي الخلق كلهم برهم وفاجرهم
﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾	بحثكم عن الرزق والتماسكم له
﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾	تبقى ولا تسقط ولا تميل الأرض وكل ذلك بإذنه

﴿قَٰنِتُونَ﴾	خاضعون – مطيعون
﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾	ينشؤه لأول مرة
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يعيده حيًّا بعد الموت
﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾	هينٌ عليه – أمر يسيرٌ عليه وقيل أيسر عليه
﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	أحسن الأمثال وأفضلها وأجلها وهو كونه لا إله إلا هو، واحدٌ لا شريك له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والله أعلم

❁ ❁ ❁

(١٩٤) أحمر
أسود

بعض الآيات الدالة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن آياته الدالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وعلى البعث بعد الموت أنه ﷻ خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب ثم خلق ذريته مما هو معلوم لديهم، من ماءٍ مهين (ماء المني) ثم تحول نطفة المني إلى علقة ثم إلى مضغة ثم أُخرج طفلًا ضعيفًا ثم شبَّ وقوي وترعرع، وانتشر في الأرض يتصرف فيها وينتقل فيها من مكانٍ إلى مكان.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بيَّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ يقول: ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب ﴿بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾، يقول: تتصرفون.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾، فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تَصَوّر فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظامًا، مُشكَّلة على شكل الإنسان، ثم كسا الله تلك العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو سميع

بصير. ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطارَ الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه. فسبحان مَنْ أقدرهم وسَيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر على هذا فهو أهل للعبادة والتسبيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- ومن أدلته وحججه على خلقه، تلك الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته أن خلق لكم من جنسكم ومن نوعكم إناثًا وجعلهن لكم أزواجًا كي تأووا إليها وتطمئنوا بها وتقضوا معهن حاجتكم،

(١٩٦) أحمر
أسود

وتذهب معهن حرارتكم ويذهب ما بكم من هياجٍ، وجعل بينكم أيها الزوجان مودة، ومحبة تتواددون بها وتتواصلون ورحمة تتراحمون بها فيما بينكم، تلك التي من آثارها خشية الرجل على امرأته أن تصاب بأدنى سوء أو أدنى مكروه، إن في ذلك لدلالات وعبر لقوم يتعظون ويعتبرون ويستدلون بذلك على قدرة الله على كل شيء وعلى وحدانيته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ خلقها لكم من ضلع من أضلاعه.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبراً وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يَكُنَّ لكم أزواجا، ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضِلَعه الأقصر الأيسر. ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر إما من جان أو حيوان، لما حصل

هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نَفْرَة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الحث على التوادد والتراحم بين الزوجين.

ج: أقول وبالله التوفيق، وقد تقدم شيء كثير من هذا في سورتي البقرة والنساء، ومن ذلك أيضًا ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**عليكم بالرفق**»[(٢)]. وقوله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(٣)]، وقوله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقوله ﷺ: «**فاستوصوا بالنساء خيرًا**»[(٥)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (بسندٍ صحيح لشواهده) (٢/ ٤٧٢).
(٢) مسلم (٢٥٩٤).
(٣) مسلم (٢٥٩٤).
(٤) البخاري (٦٠٢٤).
(٥) البخاري (٩/ ٢٥٢)، ومسلم (١٠٩١).

(١٩٨) أحمر
أسود

بعض الوارد في الحث
على التوادد والتراحم بين المؤمنين

س: اذكر بعض الوارد في الحث على التوادد والتراحم بين المؤمنين.

ج: من ذلك ما يلي:

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١).

* **وقال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»**(٢).

* **وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم»**(٣).

* **وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**(٤).

* **وقال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»**(٥).

* **وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»**(٦).

---

(١) البخاري (حديث ١٣)، مسلم (حديث ٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**».

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) بإسناد فيه ضعف، ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق**».

(٦) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفس**

* وقال ﷺ في شأن الغِيبة: «ذكرك أخاك بما يكره»[(١)].

* وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: ومن دلائله وحججه على خلقه وأنه واحد لا شريك له، وأنه قادر على بعث الناس بعد إماتتهم خلقه ﷻ للسموات والأرض، تلك التي هي أكبر من خلق الناس، فخلقه لها دالٌّ على قدرته على خلق ما هو أقل منها، وقد قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧]، وكذا خلقه لهم دالٌّ على قدرته على بعثهم بعد موتهم.

وكذا من دلائل قدرته ووحدانيته خلقُهُ ﷻ للخلق مختلفين في لغاتهم ولهجاتهم، فهذا يتحدث بلسان عربي مبين، وهذا دون ذلك وهذا عجمي، وهذا هندي، وهذا فرنسي، وهذا إنجليزي، وهذا باكستاني، وهذا زنجي، وهذا أمريكاني، و... لغات لا يعلمها إلا الله.

بل أهل اللغة الواحدة يختلفون في فصاحتهم ومنطقهم فهذا بليغٌ، وهذا لا

عـــــــ

(٢٠٠) أحمر
أسود

يكاد يبين.

وكذا ما اكتشف مؤخرًا من أنه لكل شخصٍ بصمة صوتٍ تختلف عن بصمة صوت الآخر فسبحان من خلق الخلق وأودع فيهم ما أودع.

ففي خلقه الذي خلق دلالات (للعالمين)، قرأت (**للعالَمين**) بفتح اللام، والمراد الإنس والجن برهم وفاجرهم، وقُرأت (للعالِمين) والمراد العلماء الذين يعقلون عن الله ﷻ قوله.

فهم المستفيدون من هذا التذكير، المتفهمون للمراد بإذن الله وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته أيضًا على أنه لا يُعجزه شيء، وأنه إذا شاء أمات من كان حيًّا من خلقه، ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يقول: واختلاف ألوان أجسامكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرًا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم، وقد بيَّنا معنى (**الْعَالِمِينَ**) فيما مضى قبل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن آيات قدرته العظيمة ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق السموات في ارتفاعها واتساعها، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، والأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال

وأودية، وبحار وقفار، وحيوان وأشجار.

وقوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ يعني: اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تَتَرٌ لهم لغة أخرى، وهؤلاء كَرَج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بَرْبر، وهؤلاء تكْرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كلٌّ له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهرا كان أو خفيًّا، يظهر عند التأمل، كلٌّ وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح ، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ تقدم في البقرة وكانوا يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ اللسان الفم وفيه اختلاف اللغات : من العربية إلى العجمية والتركية والرومية واختلف الألوان في الصور : من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين فلا بد من فاعل فعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ أي للبر والفاجر وقرأ حفص : ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام جمع عالم.

(٢٠٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن حججه على خلقه وأدلته على وحدانيته تقدير الليل والنهار على النحو الذي يتناسب معكم، فقد جعل الليل لكم سكنًا ولباسًا تهدءون فيه وتستريحون كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩].

وجعل النهار للمعاش كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١].

وهنا في الآية الكريمة نوع تقديم وتأخير، والمعنى، ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، وهذا غالب أحوال الناس، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فمعناه – والله أعلم – إن في ذلك الاختلاف بين الليل والنهار من الصفات لدلالات على وحدانية الله لقوم يسمعون سماع الانتفاع، يسمعون المواعظ فينتفعون بها، لا كالذين قال الله في شأنهم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من

رزق ربكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كذلك، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قيل: في هذه الآية تقديم وتأخير والمعنى: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلًا على الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يريد سماع تفهم وتدبر وقيل: يسمعون الحق فيتبعونه وقيل: يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل: يسمعون القرآن فيصدقونه والمعنى متقارب وقيل: كان منهم من إذا تلي القرآن وهو حاضر سدَّ أذنيه حتى لا يسمع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار، وهذا ضد النوم، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعون.

❁ ❁ ❁

(٢٠٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن آياته الدالة على قدرته ووحدانيته أنه سبحانه وتعالى يريكم البرق، وهو الذي يصاحب الأمطار وقبلها أيضًا، يريكم إياه فتخافون من ضرره، في سفركم تخافون منه خشية أن تتأذوا في سفركم، وكذا تطمعون عند رؤيته وأنتم في بلادكم، تطمعون في فضل الله أن ينزل عليكم الغيث فتحيا به البلاد والعباد.

وكذا تخافون منه في حضركم أيضًا أن نتلف زروعكم بسبب شدة البرد، أو أن يصبكم الصواعق، وكذا من آياته إنزال الماء من السماء فيحيي الله به الأرض بعد موتها وتصبح مخضرة إذ ينبت فيها بإذن الله من كل زوج بهيج إن في ذلك لدلالات يَستدل بها على وحدانيتنا وقدرتنا على كل شيء وقدرتنا على البعث بعد الموت قومٌ يعقلون عن الله أمره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لكم إذا كنتم سفْرا، أن تُمطروا فتتأذّوا به ﴿وَطَمَعًا﴾ لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يقول: وينزل من السماء مطرًا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرًا وأدلة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حججه وأدلته.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة ترجون وَمِيضَه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ ولهذا قال: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. وفي ذلك عبرة ودَلالَة واضحة على المعاد وقيام الساعة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ قيل : المعنى أن يريكم فحذف أن لدلالة الكلام عليه؛ قال طرفة :

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وقيل : هو على التقديم والتأخير أي: ويريكم البرق من آياته وقيل: أي ومن آياته آية يريكم بها البرق كما قال الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

وقيل : أي من آياته أنه يريكم البرق خوفًا وطمعا من آياته قاله الزجاج فيكون عطف جملة على جملة خوفًا أي للمسافر وطمعًا للمقيم قاله قتادة الضحاك : خوفًا من الصواعق، وطمعًا في الغيث. يحيى بن سلام : خوفًا من البرد أن يهلك الزرع وطمعًا في المطر أن يحيي الزرع. ابن بحر: خوفًا أن يكون البرق برقًا خلبًا لا يمطر وطمعًا أن يكون ممطرًا وأنشد قول الشاعر:

لا يكن برقك برقًا خلبًا إن خير البرق ما الغيث معه

(٢٠٦) أحمر
أسود

وقال آخر :

فقـــد أرد الميـــاه بغيـــر زاد سـوى عـدى لهـا بـرق الغمـام

والبرق الخلب: الذي لا غيث فيه كأنه خادع ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز: إنما أنت كبرق خلب. والخلب أيضًا: السحاب الذي لا مطر فيه ويقال: برق خلب بالإضافة ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ومن أدلته على وحدانيته وحججه على خلقه وبيان أنه على كل شيء قدير قيام السموات والأرض بأمره وبإذنه، فالسماء لا تسقط على الأرض، وقد قال تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]، وكذا فالأرض لا تميد بأهلها كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان: ١٠].

ولكل من السموات والأرض أجل تنتهي عنده كما قال تعالى: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الأحقاف: ٣].

أما قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، والداعي تكون دعوته بإذن الله وأمره.

وكما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢].

أما قوله: ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ أي: من قبوركم مجيبين الداعي، وذلك

للثواب والعقاب.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قُدرته على ما يشاء، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قامتا بأمره بغير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا اجتهد في اليمين يقول: لا والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، وقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

(٢٠٨) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أن في محل رفع كما تقدم أي قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد وقيل: بتدبيره وحكمته أي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل: بأمره بإذنه والمعنى واحد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي الذي فعل هذه الأشياء قادر على أن يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل:

دعوت كليبا باسمه فكأنما دعوت برأس الطود أو هو أسرع

يريد برأس الطود: الصدى أو الحجر إذا تدهده وإنما عطف هذا على قيام السماوات والأرض بـ«ثم» لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول: يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وإذا الأولى في قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ للشرط والثانية في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَنتُمْ﴾ للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: ولله كلُّ من في السموات والأرض، كلهم له خاضع ذليل تجري على أقدار الله لا يستطيع أن يمتنع منها، فتصيبه الأمراض ولا يمتنع، وتصيبه الخسائر ولا يمتنع ويصيبه الموت والأحداث ولا يمتنع، بل هو لله في ذلك كله خاضع وذليل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وله من في السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس عبيد وملك ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ يقول: كلّ له مطيعون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: ملكه وعبيده، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا.

❁ ❁ ❁

س: ذهب بعض أهل العلم إلى أن القنوت هنا بمعنى الطاعة فقالوا معنى قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: مطيعون، وأوردوا على أنفسهم سؤالًا حاصله كيف قيل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: مطيعون، ومن الخلق من يعصي، فما جواب ذلك؟

ج: إذا حملنا القنوت هنا على الطاعة فلا إشكال أيضًا فمطيعون فيما يجري عليهم من أقدار الله لا يستطيعون الامتناع عنها.

وبنحو ذلك قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيقول قائل: وكيف قيل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون؟ فنقول: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فنذكر اختلافهم، ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول، فقال بعضهم: ذلك كلام مخرجه مخرج العموم، والمراد به الخصوص، ومعناه: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ في الحياة والبقاء والموت، والفناء والبعث والنشور، لا يمتنع عليه شيء من ذلك، وإن عصاه بعضهم في غير ذلك.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس نحوًا من ذلك.

(٢١٠) أحمر
أسود

وقال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة قال: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: مطيع مقرٌّ بأن الله ربه وخالقه.

قال الطبري: وقال آخرون: هو على الخصوص، والمعنى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم.

واختار الطبري القول الأول الذي هو: أن كلّ من في السماوات والأرض من خلق لله مطيع في تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره، من حياة وموت، وما أشبه ذلك، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاصٍ. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي فيه عاص هو ما وصفت، والذي هو له قانت ما بينت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم–: وهو الذي يُنشئ الخلق لأول مرة، وذلك من المني الذي يتدفق إلى رحم المرأة، فتلك النطفة تتعلق بالرحم وتصبح علقة ثم مضغة إلى أن يخرج الطفل من بطن أمه ثم يحييه ما شاء الله أن يحييه ثم

يُميته عند استيفاء الأجل، ثم يُعيده حيًّا يوم القيامة بعد إماتته التي كانت في الدنيا، وهذا البعث، وتلك الإعادة (أهون عليه) أيسر عليه من ابتداء الخلق، وإن كان الكلُّ على الله يسيرٌ وسهلٌ، وقيل لأهون بمعنى هين، أي سهل ويسير.

* أما قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقد قال عددٌ من العلماء: إن المراد بذلك المثل الأعلى وحدانيته ﷻ أي: أنه لا إله إلا هو، ولا شريك له ولا ند ولا مثيل، وليس كمثله شيء.

أما قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُمنع من شيء يريده.

وكذا فهو الغالب، وما دونه مغلوب ومقهور بإذن الله الحكيم في تدبير شؤون الخلق، وفي كل أمر يأمر به، وفي كل نهي ينهى عنه. وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئًا، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فنائه، وهو أهون عليه.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فقال بعضهم: معناه: وهو هين عليه.

وقال آخرون: معناه: وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم.

(٢١٢) أحمر
أسود

وأورد أقوالًا أُخر، وقال:

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول: ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدّس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مثله أنه لا إله إلا هو، ولا ربّ غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني: أيسر عليه.

وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البَدَاءة، والبداءة عليه هَيْنٌ. وكذا قال عكرمة وغيره.

وأورد ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كَذبَني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهونَ عليّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن

(١) انظر البخاري (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

ابن عباس كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقال قتادة: مَثَله أنه لا إله إلا هو، ولا رب غيره

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله، شَرْعًا وقَدَرًا.

وعن مالك في تفسيره المروي عنه، عن محمد بن المنْكَدِر، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، قال: لا إله إلا الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾أي ما أراده جل وعز كان وقال الخليل: المثل الصفة أي وله الوصف الأعلى: (فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كما قال: (۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي صفتها وقد مضى الكلام في ذلك وعن مجاهد: المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه: أي الذي له الوصف الأعلى أي الأرفع الذي هو الوصف بالوحدانية وكذا قال قتادة: إن المثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله ويعضده قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] على ما نبينه آنفا إن شاء الله تعالى وقال الزجاج: وله المثل الأعلى في السماوات والأرض أي قوله: وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول وقال ابن عباس: أي ليس كمثله شيء.

❁ ❁ ❁

(٢١٤) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٢٨-٣٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم -فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ - نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ - فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ - حَنِيفٗاۚ - فِطۡرَتَ ٱللَّهِ - لَا تَبۡدِيلَ - لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ - مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ -فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ - شِيَعٗا﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾	العبيد والإماء الذين تملكونهم
﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾	فأنتم وعبيدكم في الأمور والأموال مستوون
﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾	نوضحها ونبينها
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾	أحسن القصد وأخلص النية واجتهد في العمل الصالح، واتبع هذا الدين الحنيف
﴿حَنِيفٗاۚ﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد موحِّدًا
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾	خلق الله وصنعة الله، وقيل المراد الإسلام
﴿لَا تَبۡدِيلَ﴾	لا تغيير
﴿لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾	لدين الله
﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾	رجَّاعين مطيعين
﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾	تفرقوا في دينهم واختلفوا واختلقوا
﴿شِيَعٗا﴾	فرقًا وأحزابًا

❁ ❁ ❁

(٢١٦) أحمر
أسود

مثل مضروب لنفي الشريك عن الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ضرب الله ﷻ وساق لكم مثلًا من أنفسكم تدركونه بعقولكم وتبصرونه في دنياكم، مثلًا على كونه إلهًا واحدًا لا شريك له، تستدلون بهذا المثل على وحدانيته ﷻ، حاصل هذا المثل أن أحدكم إذا كان له عبدٌ يملكه أو أمة يملكها فهذا المراد بقوله ملكت أيمانكم فهل يرضى أن يشاركه عبدُه في ماله أو تشاركه أمته في ماله، وهل يرضى أحدكم أن يشاركه عبدُه في سائر حقوقه، وهل يرضى أحدكم أن يشاركه عبده في ميراثه من والديه أو من غيرهما، هل يرضى أحدكم أن يشاركه عبده في أموره وشؤونه ثم هو يخشى عبده ويرهبه ويخشى أن يكون للعبد رأيٌ وقولٌ وميراث في شؤونه فقطعًا لا يرضى أحدكم أن يشاركه عبدُه في ماله ولا في قراره ولا في شؤونه الخاصة ولا في ميراثه ولا في غير ذلك، فكيف لا ترضون بأن يشارككم عبيدكم الذين هم بشرٌ أمثالكم، وتستنكفون من ذلك أشد الاستنكاف وترفضونه أشد الرفض، ثم أنتم تجعلون لله الذي ليس كمثله شيء، الذي لا إله غيره ولا معبود سواه تجعلون له شريكًا تعبدونه كما تعبدون الله، وتتقربون إليه كما تتقربون لله، فهذا حقًّا شيء عجيب دال على قلة العقول والأفهام، فهكذا يفصل الله الآيات ويبين الحجج ويضرب الأمثال لقوم يعقلون، فالمستفيدون من تلك الأمثال أصحاب العقول النيرة الرشيدة المؤمنة الموحدة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلًا من أنفسكم، ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ يقول: من مماليككم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ قال: مثل ضربه الله لمن عدل به شيئًا من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركًا مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ قال: هل تجد أحدًا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقي، وتجعل لهم نصيبًا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ) فقال بعضهم: معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء، مما ملكت أيمانكم، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم، كما يرث بعضكم بعضًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما يقاسم بعضكم بعضًا.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي مجلز قال: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك

(٢١٨) أحمر
أسود

مالك، وليس له ذلك، كذلك الله لا شريك له.

قال الطبري: وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، القول الثاني؛ لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده، وعيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة، فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه؛ لأن ذكر الشركة لا يدلّ على خيفة الوراثة، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما بيَّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحبّ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كلّ شيء كذلك نبين حججنا في كل حقّ لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال بعض العلماء : هذه الآية أصل في الشركة بين الخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك انه لما قال جل وعز : ﴿ ضَرَبَ

لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ الآية فيجب أن يقولوا : ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا ! فيقال لهم : فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب ! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكًا لله تعالى في شئ من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضًا بالمال والعمل والقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز .

وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه؛ لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، كما كانوا في تلبيتهم يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم؛ ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ أي: لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله، فهو وهو فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه.

(٢٢٠) أحمر
أسود

وهذا كقوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) [النحل: ٦٢] أي: من البنات، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وجعلوها بنات الله، وقد كان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، فهم يأنفون من البنات. وجعلوا الملائكة بنات الله، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم، فهذا أغلظ الكفر. وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك، أن يكون عبدهُ شريكَه في ماله، يساويه فيه. ولو شاء لقاسمه عليه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (التفسير القيم):

قول الله تعالى ذكره:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾).

هذا دليل قياس. احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم.

ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها، معلوم لها. فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء؟ تخافون أن يقاسموكم أموالكم، ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه.

وقال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا.

والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله، حتى يساويه في التصرف في ذلك؟ فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه، كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ فإن كان هذا الحكم باطلًا في فطركم وعقولكم، مع أنه جائز عليكم، ممكن في حقكم، إذ ليس عبيدكم ملكًا لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عباد لي، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي، فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن أهل الشرك لما ضرب الله لهم المثل ما وجدوا حجة يجيبون بها، فحينئذٍ ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا اتباع الهوى بجهل وغباء وقلة علم وفهم، فماذا تصنع لهؤلاء يا رسول الله؟ ماذا تصنع لهؤلاء الذين أضلهم الله سبحانه وتعالى وأغواهم، وليس لهم يوم القيامة من نصير ينصرهم ولا من مغيث يغيثهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما ذلك كذلك، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان؛ لأن لهم شركاء فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم، فهم وعبيدهم فيه سواء يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه، فرضوا لله من

(٢٢٢) أحمر
أسود

أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم، فأشركوهم في عبادته، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتبعوا أهواءهم جهلًا منهم لحقّ الله عليهم، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته، ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ يقول: فمن يسدّد للصواب من الطرق، يعني بذلك من يوفق للإسلام مَن أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يقول: وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه، فينقذونه من الضلال الذي يبتليه به تعالى ذكره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي لا هادي لمن أضله الله تعالى وفي هذا رد على القدرية ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سَفَهًا من أنفسهم وجهلا ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: المشركون ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ أي: في عبادتهم الأنداد بغير علم، ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير، ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فأخلص نيتك وسدد وجهتك واجتهد

في القيام بأعمال هذا الدين وإقامة فرائضه وواجباته وسننه مؤمنًا بالله مُوحدًا مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، فتلك الحنيفية، ملة إبراهيم عليه السلام التوحيد وترك الشرك، وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي إسلام الوجه لله عز وجل وتوحيده فلا تبدلوا دين الله ولا تغيروه، فإسلام الوجه لله وتوحيده هو الدين المستقيم الذي لا قيام للناس إلا به ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فسدّد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مستقيمًا لدينه وطاعته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها، ونصبت «فطرة» على المصدر من معنى قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلام مُذ خلقهم الله من آدم جميعًا، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٢١٣] بعد.

وقال:

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا تغيير لدين الله؛ أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل.

وأورد الطبري قولًا آخر فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تغيير لخلق الله من البهائم، بأن يخصى

(٢٢٤) أحمر
أسود

الفحول منها.

وقال:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدّل، هو الدين القيم، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة.

وقد وجَّه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب.

وقال:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو الدين الحقّ دون سائر الأديان غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حُنَفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**». وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية.

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا

الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرًا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النَّخَعي، وسعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، وعِكْرِمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لدين الله.

وقال البخاري: قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدين الله، خَلْقُ الأولين: دين الأولين، والدين والفطرة: الإسلام.

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجسانه، كما تُنْتِج البهيمة بهيمة جَمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

وأورد الحافظ ابن كثير حديث عياض بن حمار:

أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «**إن ربي ﷻ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

وقال القرطبي:

والخطاب بـ أقم وجهك للنبي ﷺ أمره بإقامة وجهه للدين المستقيم

(٢٢٦) أحمر
أسود

كما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] وهو دين الإسلام وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل، وحنيفًا معناه معتدلًا، مائلًا عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكرة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة منها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي.

وأورد استدلالات أخر.

ثم قال القرطبي:

وقال آخرون: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ، قالوا: والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر: المبتدئ واحتجوا بما روي عن ابن عباس أنه قال: لم أكن أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها قال المروزي: كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه.

ثم قال القرطبي:

وقالت فرقة: ليس المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«**كل مولود يولد على الفطرة**» العموم وإنما المراد بالناس المؤمنون إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد وقد ثبت أنه خلق أقوامًا للنار كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر : الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكأنه قال : كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته واحتجوا على أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق؛ لقول الله ﷻ: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر : ١]، يعني خالقهن وبقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٢٤] يعني خلقني. وبقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء : ٥٦] يعني خلقهن قالوا : فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قالوا : وإنما المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعا وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث : «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء** - يعنى سالمة - **هل تحسون فيها من جدعاء**» يعني مقطوعة الأذن فمثل قلوب بني آدم بالبهائم لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها فيقال : هذه بحائر وهذه سوائب يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم السائمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم وعصم الله أقلهم، قالوا : ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمورهم ما انتقلوا عنه أبدا وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون قالوا : ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل

(٢٢٨) أحمر
أسود

كفرًا أو إيمانًا؛ لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] فمن لا يعلم شيئًا استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قال أبو عمر بن عبد البر: هذا أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها.

وأورد أقوالًا أخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال:

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق ولا يجيئ الأمر على خلاف هذا بوجه أي لا يشقى من خلقه سعيدًا ولا يسعد من خلقه شقيًّا وقال مجاهد: المعنى: لا تبديل لدين الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فأقيموا وجوهكم يا أهل الإسلام للدين القيم (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) رجاعين إلى الله، توابين مطيعين له، واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بتوحيده وعدم الشرك به وحافظوا على الصلاة واحذروا الشرك بالله ولا تدخلوا في عداد أهل الشرك، ولا تكونوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا فرقًا وأحزابًا وشيعًا وهم اليهود والنصارى الذين افترقوا فرقًا كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة**».

أما قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فحاصل معناه أن كل طائفة وكل فرقة من هذه الفرق التي تفرق إليها اليهود والنصارى فرحون بباطلهم وبدعهم وضلالهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) تائبين راجعين إلى الله مقبلين.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) قال: المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك، كان القوم كفارًا، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتأويل الكلام: فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفًا، منيبين إليه إلى الله، فالمنيبون حال من الكاف التي في وجهك.

فإن قال قائل: وكيف يكون حالًا منها، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة لجماعة؟ قيل: لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع أمر منه له ولأمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفًا لله، منيبين إليه.

وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وخافوا الله وراقبوه، أن تفرّطوا في طاعته، وتركبوا معصيته ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزابًا فرقًا كاليهود والنصارى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾): وهم

(٢٣٠) أحمر
أسود

اليهود والنصارى.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: هؤلاء يهود.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلو وجِّه قوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، وأن معناه: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ أحزابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ كان وجهًا يحتمله الكلام.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ قال ابن زيد، وابن جُرَيْج: أي راجعين إليه، (وَٱتَّقُوهُ) أي: خافوه وراقبوه، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: بل من الموحدين المخلصين له العبادة، لا يريدون بها سواه.

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرأ بعضهم: (**فارقوا دينهم**) أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ

أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملَل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه.

❁ ❁ ❁

(٢٣٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ
مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
٣٤ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥ وَإِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ
يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ
لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا
لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ
ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾

[الروم: ٣٣-٤١]

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وإذا أصاب الناس ضرٌّ في أبدانهم أو في أموالهم أو غشيهم موج وهم في البحر فخافوا على أنفسهم الغرق دعوا ربهم ﷻ رجَّاعين إليه مطيعين له يسألونه وحده ويتركون سؤال من سواه ثم إذا أذاقهم منه رحمة؛ عافية، سعةً في الرزق نجاةً من الكرب، إذا جماعة منهم يرجعون إلى الشرك الذي كانوا فيه وينسون نعم الله عليهم ويجحدونها.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضرّ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم﴾ يقول: أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يقول: إذا جماعة منهم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: يعبدون معه الآلهة والأوثان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم، إذا فريق منهم في حالة الاختبار يشركون بالله، ويعبدون معه غيره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ أي قحط وشدة ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم﴾ أن يرفع

(٢٣٤) أحمر
أسود

ذلك عنهم ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال ابن عباس : مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب عجب نبيه من المشركين في ترك الإنابة إلى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم أي إذا مس هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم أي استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الأصنام لعلمهم بأنه لا فرج عندها ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ أي عافية ونعمة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي يشركون به في العبادة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- أن أهل الشرك لما مسهم الضرُّ وسألوا الله وحده لا شريك له أن يكشفه عنهم فكشفه عنهم كان شكرهم للنعم هو شركهم بالله وجحودهم لنعم الله، فكانت عاقبة كشف الضر عنهم كفرٌ منهم بالله ﷻ، فقل لهؤلاء تمتعوا بدنياكم الفانية الزائلة وارتكبوا ما شئتم من الكفر والشرك والكبائر والمعاصي فسوف تعلمون مغبة أمركم فسوف تنزلون شر المنازل - النار والعياذ بالله - وعندها ستعلمون أنكم كنتم على ضلالٍ وتتمنون أن لو رجعتم إلى الدنيا لعمل الصالحات ولكن ولات حين مندم ولات حين مناص.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره متوعدًا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به: ليكفروا بما أعطيناهم، يقول: إذا هم بربهم يشركون، كي يكفروا: أي يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم، بكشفي عنهم الضرّ الذي

كانوا فيه، وإبدالي ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية، وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره: الذي قال: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ يقول: فتمتعوا أيها القوم، بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا.

وقد قرأ بعضهم: **(فسوف يعلمون)** بالياء، بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم، فقد تمتعوا، على وجه الخبر، فسوف يعلمون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾، هي لام العاقبة عند بعضهم، ولام التعليل عند آخرين، ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك.

ثم توعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال بعضهم: والله لو توعدني حارس دَرْب لخفت منه، فكيف والمتوعد هاهنا الذي يقول للشيء كن فيكون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ قيل: هي لام كي وقيل: هي لام أمر فيه معنى التهديد كما قال جل وعز: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله **(وليتمتعوا)** أي مكناهم من ذلك لكي يتمتعوا فهو إخبار عن غائب مثل: ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب بعد الإخبار عن غائب أي تمتعوا أيها الفاعلون لهذا.

❁ ❁ ❁

(٢٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أفأنزلنا على هؤلاء المشركين كتابًا فيه الحجة والبرهان لما هم عليه من الشرك فمن ثمَّ فهم مستمسكون بشركهم وضلالهم لكون هذا الكتاب يؤيدهم في شركهم ويُقرهم على شركهم ويأمر بشركهم.

كلا، ما أنزلنا كتابًا أبدًا من عندنا على أي أحدٍ فيه الإقرار للمشركين على شركهم، ولا فيه الأمر باتخاذ إلهًا مع الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتابًا بتصديق ما يقولون، وبحقيقة ما يفعلون ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم، وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابًا، ولا أرسل به رسولًا وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه؛ اتباعًا منهم لأهوائهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: أم أنزلنا عليهم كتابًا فهو ينطق بشركهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منكرًا على المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: ينطق (بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾.

ج: هذا– والله أعلم –: بيانٌ لحال كثيرين من الناس، وهم البعيدون عن طريق الله الذين تركوا الإيمان وأقبلوا على الكفر –والعياذ بالله– شأنهم أنهم إذا أنعم الله عليهم بنعمة من المال أو عافية في البدن، أو كثرةٍ في الولد، أو الغيث من السماء إلى غير ذلك من صنوف النعم فرحوا بذلك أشد الفرح، وإذا حلت بهم مصيبة في أبدانهم أو في أموالهم أو في عزيز عليهم، وحلول تلك المصيبة بهم إنما هو بذنوبهم، فعندها يقنطون من رحمة الله وييأسون منها ويظنون أن لا مخرج من ذلك فيصيبهم الهلع والقنوط واليأس لكن، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليسوا كذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإياس.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾، هذا إنكار على الإنسان من حيث هو، إلا مَنْ عَصَمه الله ووفقه؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطر وقال: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قَنط وأيس أن يحصل له

(٢٣٨) أحمر
أسود

بعد ذلك خير بالكلية؛ قال الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]، أي: صبروا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح: «**عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرًا له**»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ يعني الخصب والسعة والعافية؛ قال يحيى بن سلام النقاش: النعمة والمطر وقيل: الأمن والدعة والمعنى متقارب ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ أي بالرحمة ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ أي بلاء وعقوبة قاله مجاهد. السدي: قحط المطر ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي بما عملوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ أي ييأسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال الحسن: إن القنوط ترك فرائض الله سبحانه وتعالى في السر قنِط يقنَط وهي قراءة العامة وقنَط يقنِط وهي قراءة أبي عمر والكسائي ويعقوب وقرأ الأعمش: قنِط يقنِط بالكسر فيهما مثل حسِب يحسِب والآية صفة للكافر يقنَط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل:

كحمار السوء إن أعلفته ... رمح الناس وإن جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه بهذه المثابة وقد مضى في غير موضع فأما المؤمن فيشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢٩٩٩).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء القانطون من رحمة الله الآيسون من روح الله أن الله ﷻ يوسع في الرزق على من يشاء ويضيِّق على من يشاء فمن ثم لا يقنطوا من رحمة الله ولا يطغيهم الفرح بنعمة الله.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التصريف من التوسعة أحيانًا إلى التضييق ومن التضييق إلى التوسعة ﴿لَآيَاتٍ﴾ لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ولكنها ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون بالله وأنه الرزاق وأنه القادر، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم، بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه، وقدره على من قدره عليه، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر، لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ أي يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء أو يضيق فلا يجب أن يدعوهم الفقر إلى القنوط ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾).

الحث على إكرام القرابات والمساكين وأبناء السبيل

(٢٤٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فأعط القرابات - يعني: أقرباءك - حقوقهم فلذوي القربى حق، وكذا أعط المساكين حقوقهم، وكذا أبناء السبيل المسافرين الذين انقطعت عنهم النقة وليس لهم من المال ما يرجعون به إلى بلادهم، فذلك الإيتاء خيرٌ للذين يريدون وجه الله ويرجون ثوابه وأولئك الفائزون بمطلوبهم وهو رضوان الله عليهم وجنته التي أعدها لهم، والناجون من المرهوب، وأعظمه سخط الله والنار - عياذًا بالله من النار ومن سخط الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ، والمسكين وابن السبيل ما فرض الله لهما في ذلك.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يقول: ومن يفعل ذلك مبتغيًا وجه الله به، فأولئك هم المنجحون المدركون طلباتهم عند الله، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا بإعطاء ذي ﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أي: من البر والصلة، (وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾ وهو: الذي لا شيء له ينفق عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته، (وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى،

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: في الدنيا وفي الآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما تقدم أنه سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أمر من وسع عليه الرزق أن يوصل إلى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وأمته؛ لأنه قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ وأمر بإيتاء ذي القربى لقرب رحمه وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول الله □ الصدقة على الأقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد أعتقت وليدة: «**أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**».

وقال: واختلف في هذه الآية فقيل : إنها منسوخة بآية المواريث وقيل : لا نسخ بل للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح. قال مجاهد وقتادة: صلة الرحم فرض من الله ﷻ حتى قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة وقيل: المراد بالقربى أقرباء النبي □ والأول أصح فإن حقهم مبين في كتاب الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] وقيل: إن الأمر بالإيتاء لذي القربى على جهة الندب؛ قال الحسن: حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر (وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾ قال ابن عباس : أي أطعم السائل الطواف وابن السبيل: الضيف فجعل الضيافة فرضًا وقد مضى جميع هذا مبسوطًا مبينًا في مواضعه والحمد لله.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أي إعطاء الحق أفضل من الإمساك إذا أريد بذلك وجه الله والتقرب إليه (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي الفائزون بمطلوبهم من الثواب في الآخرة وقد تقدم في البقرة القول فيه.

من أهدى هدية يريد أكثر منها

(٢٤٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وما أعطيتم أيها الناس أناسًا آخرين من عطايا وأحوال تبتغون بها منهم أكثر من الذي أعطيتموهم فذلك لا يربوا، لا يزداد عند الله، ولا يضاعفه الله أما الذي يضاعفه الله فهو المال الذي تزكو به النفس ويبتغى به وجه الله، فهؤلاء المبتغون وجه الله هم الذين يضاعف الله لهم الأجور.

فعلى ذلك فقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا...) هذا في المال والهدايا التي يعطيها شخص لشخص حتى يُعطيه أكثر منها أي الهدية التي يُرجى من ورائها أعظم منها.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس، بعضكم بعضًا من عطية؛ لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾، يقول: فلا يزداد ذلك عند الله؛ لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيًا به وجهه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله ﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب. من قول العرب: أصبح القوم مسمِنين معطِشين، إذا سمنت إبلهم وعطشت.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾ قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضًا، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها.

وأورد بسندٍ صحيح عن سعيد بن جُبَير: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ)

قال: هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه.

وبسند حسن عن قَتادة: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ قال: ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله، ولا يجزي به.

وقال الطبري:

وأما قوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر: ٦] فَهذَا للنبيّ خاصة، لم يكن له أن يعطي إلا لله، ولم يكن يعطي ليعطى أكثر منه.

وقال آخرون: إنما عنى بهذا الرجل: يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه، ويخدمه، ويعود عليه نفعه، لا لطلب أجر من الله.

وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك، لا طلب ثواب الله.

وقال آخرون: ذلك للنبيّ □ خاصة، وأما لغيره فحلال.

وأما قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا.

وقال:

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ قال: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها وأكثر من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله - بهذا فسره ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومحمد بن

(٢٤٤) أحمر
أسود

كعب، والشعبي -وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة، قاله الضحاك، واستدل بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه.

وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني: ربا البيع؟ وربا لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وإنما الثواب عند الله في الزكاة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح: «**وما تصدق أحد بِعَدْل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، فَيُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوّه أو فَصِيلَه، حتى تصير التمرة أعظم من أُحُد**».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: من تلك الأقوال ما يلي:

قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به معرّفهم قبح فعلهم، وخبث صنيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئًا، ثم رزقكم وخوّلكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث

القيامة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث بعد الموت.

وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق، أو يرزق، أو يميت، أو ينشر، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئًا من ذلك، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئًا من ذلك، ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جلّ ثناؤه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزيهًا لله وتبرئة ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ يقول: وعلوًّا له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ لا والله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي: هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانًا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قُوَى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾، أي: بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يوم القيامة.

وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: الذين تعبدونهم من دون الله. ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه

(٢٤٦) أحمر
أسود

وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة؛ ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعَزّ عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ، أو ولد أو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ ابتداء وخبر وعاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين وأنه الخالق الرازق المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام: (هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ) لا يفعل ثم نزه نفسه عن الأنداد والأضداد والصاحبة والأولاد بقوله الحق: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وأضاف الشركاء إليهم لأنهم كانوا يسمونهم بالآلهة والشركاء ويجعلون لهم من أموالهم.

❁ ❁ ❁

حلول البلايا والمصائب بسبب المعاصي

س: ما المراد بالبر وما المراد بالبحر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أظهرها وأولاها بالقبول عندي، والله أعلم، قول من قال إن البر هو الأرض اليابسة التي يسكن عليها ويقيم عليها البشر، ويمشون عليها ويغدون ويروحون ويزرعون ويعملون.

والبحر العذب والمالح، فيدخل فيه بالاصطلاحات المعاصرة البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات.

والقول الثاني: أن المراد بالبر البلاد البعيدة عن السواحل والبحر المراد به

القرى الساحلية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في المراد من قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فقال بعضهم: عنى بالبرّ، الفلوات، وبالبحر: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار.

وقال:

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أما البرّ فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف.

وقال آخرون: بل عنى بالبرّ: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، وبالبحر: البحر المعروف.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعًا عندهم بحر، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبًا كان أو ملحًا وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفساد الذي ظهر في البر؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم – : العقوبات التي عاقب الله بها العباد، والمصائب التي أحلَّها الله عَزَّ وَجَلَّ بهم وذلك؛ لأن الله قال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

(٢٤٨) أحمر
أسود

وقال هاهنا: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ)، فلذا قلت: إن المراد بالفساد المصائب والعقوبات.

فيدخل في ذلك ما يلي:

* انقطاع الأمطار وهلاك المواشي والجوع والقحط والجدب الذي يُصاب به الخلق.

* ويدخل فيه الأمراض والأسقام والطواعين التي يُصاب بها الخلق.

* ويدخل في ذلك تسلط بعضهم على بعض بالقتل والتشريد وسلب الأموال والخطف والنهب والاغتصاب وقطع الطريق.

ويدخل في ذلك غلاء الأسعار والخسائر في التجارات وتلف المزروعات ونحو ذلك.

ويدخل في ذلك عقوق الأبناء للآباء والأمهات وكل ما من شأنه أن يكون مصيبة وعقوبة داخل في معنى الفساد في البر، والله أعلم.

* وقال بعض العلماء: إن المراد بالمصائب في البر الشرك والكفر والمعاصي والذنوب والكبائر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي.

وأورد حديثًا[1] في سنده ضعف، وهو «**لَحَدٌّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا**» وقال:

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس -أو أكثرهم، أو كثير

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢).

منهم -عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، - وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئَام من الناس، ويستظلون بقَحْفها، ويكفي لبن اللّقحة الجماعةَ من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير.

وثبت في الصحيح: «**إنَّ الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب**»[1].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفساد في البحر؟

ج: من ذلك – والله أعلم-: العقوبات التي يُعاقب الله بها العباد في البحر، والمصائب التي تصيبهم فيه فيدخل في ذلك.

قلة الأسماك التي تصطاد.

ويدخل في ذلك قلة المستخرج من اللؤلؤ والمرجان.

وعموم ما ينتفع به العباد.

ويدخل في ذلك ما يحدث من تسلط قومٍ على قومٍ في البحر كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

ويدخل في ذلك الغرق الذي يعتري بعض السفن، والأمواج العالية العنيفة

(١) البخاري (٦٥١٢).

(٢٥٠) أحمر
أسود

المدمرة التي تغرق البر فضلًا عن البحر، فإن قال قائل كيف يُراد الغرق، والله يقول لعلهم يرجعون، فجوابه لعل الذي لم يغرق يعتبر ويتعظ بغرق الآخرين فيرجع عن غيِّه وشرِّه وفساده، فالمصائب تحلُّ بقوم حتى يتعظ الآخرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾.

ج: المعنى بما عمله الناس من المعاصي والشرك وبما اكتسبوه منها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم –: ليصيبهم بعقوبات بعض أعمالهم، ليس بكلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت: ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾: أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما.

وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ يقول جل ثناؤه: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عصوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي ينيبوا إلى الحقّ، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يبتلى العباد لإرجاعهم إلى طريق الله، دلِّل على ذلك؟

ج: تقدمت الأدلة على ذلك مرارًا، وأذكِّر هاهنا ببعضها فمنها:

قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

[المؤمنون: ٧٦]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ..) [الأعراف: ٩٤] إلى غير ذلك من الآيات والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: لعلهم يرجعون عن عصيانهم إلى الطاعة والاستقامة، ولعلهم يرجعون إلى الله مستغفرين تائبين نادمين على ما فعلوه.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: لعل راجعًا أن يرجع، لعل تائبًا أن يتوب، لعلَّ مستعتبًا أن يستعتب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبارًا منه، ومجازاة على صنيعهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: عن المعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

(٢٥٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ
يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ
ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا
نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ
كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن
قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا
فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ
إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

[الروم: ٤٢-٥٣]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَٰقِبَةُ - فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ - ٱلۡقَيِّمِ - لَّا مَرَدَّ لَهُۥ - يَصَّدَّعُونَ - يَمۡهَدُونَ - وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ - ٱلۡفُلۡكُ - بِأَمۡرِهِۦ - وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ - بِٱلۡبَيِّنَٰتِ - فَنُثِيرُ - فَيَبۡسُطُهُۥ - كِسَفًا - ٱلۡوَدۡقَ - مِنۡ خِلَٰلِهِۦ - أَصَابَ بِهِۦ - يَسۡتَبۡشِرُونَ - لَمُبۡلِسِينَ - فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرًّا - ٱلصُّمَّ - وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ - بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ - ضَلَٰلَتِهِمۡ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَٰقِبَةُ﴾	مآل أمرهم – نهاية أمرهم
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾	أخلص نيتك وسدد عملك وأصلحه مبتغيًا وجه الله بذلك
﴿ٱلۡقَيِّمِ﴾	المستقيم الذي لا اعوجاج فيه الذي لا قيام للخلق بدونه
﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾	لا مانع له، ولا صارف له
﴿يَصَّدَّعُونَ﴾	ينقسمون قسمين
﴿يَمۡهَدُونَ﴾	يصلحون الأماكن التي سيأوون إليها، والمراد يعملون أعمالًا صالحة كي يستريحوا في القبر ويستريحوا يوم القيامة، وفي جنات النعيم، كما تمهد الأم الفراش لطفلها
﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾	لينزل عليكم المطر فيرحمكم به
﴿ٱلۡفُلۡكُ﴾	السفن العظيمة

(٢٥٤) أحمر
أسود

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾	بإذنه
﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا رزقه
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج الواضحات النيِّرات الدالة على صدقهم
﴿فَتُثِيرُ﴾	فتحرك وتنشر
﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾	يمده ويجمعه
﴿كِسَفًا﴾	قطعًا
﴿ٱلْوَدْقَ﴾	المطر
﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾	من بينه (من بين السحاب)
﴿أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	أنزله على من يشاء
﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾	يفرحون – يبشر بعضهم بعضًا يأملون رحمة الله ويرجونها
﴿لَمُبْلِسِينَ﴾	لقانطين – لآيسين
﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾	فرأوا الزرع مصفرًّا بعد اخضراره
﴿ٱلصُّمَّ﴾	الذين لا يسمعون
﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾	انصرفوا معرضين
﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾	بمرشدٍ وموفق العميان الذين اختاروا طريق الباطل
﴿ضَلَٰلَتِهِمْ﴾	طريقتهم الخاطئة التي يسيرون فيها

❁ ❁ ❁

الحث على النظر في سير المتقدمين للاعتبار بهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين سيروا في الأرض فانظروا إلى العاقبة الوخيمة التي حلَّت بمن كانوا قبلكم فتلك آثارهم الدالة على انتقام الله منهم، ها هي ديار عادٍ وثمود ومدائن قوم لوط، بادية للناظرين، لقد أهلكهم الله بشركهم وبكفرهم وبتكذيبهم وعنادهم وعصيانهم، فاعتبروا يا أهل الشرك من مكة وغيرها أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذّبوا رسلَه، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رُسلَ الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ يقول: فَعَلنا ذلك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم.

❁ ❁ ❁

الحث على الإخلاص لله وتوحيده

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فتوجَّه بقلبك يا رسول الله مخلصًا لربك سبحانه وتعالى، توجه إلى هذا الدين دين الإسلام، واعمل بتعاليمه محسنًا

(٢٥٦) أحمر
أسود

النوايا فهذا هو الدين القيم الذي لا قوام للناس إلا به ولا صلاح لهم في دنياهم وآخرتهم إلا به، أقبل عليه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا دافع له ولا راد له، ولا مانع له من الإتيان، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، فعند مجيء يوم القيامة سينقسم الناس إلى قسمين، ويفترقون أهل الإيمان، وأهل الكفر، فقوله: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يفترقون، من قولهم: تصدع السقف إذا انفلق، وعندها من كفر في دنياه فعليه إثم كفره يوم القيامة، وهو – عياذًا بالله– نار الخلود.

ومن عمل صالحًا في دنياه، وكان مؤمنًا، فهذا الذي يُمهد لنفسه ويوطئ لنفسه، كي ينزلها منزلًا طيبًا تستريح فيه في قبرها، ويوم بعثها ونشورها، وفي جنات النعيم، فيوم القيامة آت لا محالة لمجازاة أهل الإيمان بصالح أعمالهم مع إيمانهم، ولمجازاة المسيئين بصنيعهم إن الله ﷻ لا يحب أهل الكفر عياذًا بالله من الكفر.

وبنحو الذي ذكر قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فوجِّه وجْهَك يا محمد، نحو الوجه الذي وجَّهك إليه ربك ﴿لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ لطاعة ربك، والمِلةِ المستقيمةِ التي لا اعوجاج فيها عن الحقِّ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مردّ له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يقول: يوم يجيء ذلك اليوم يصدّع الناسُ، يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قَتادة قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه أوزار كفره، وآثام جحوده نِعَمَ ربه، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يقول: فلأنفسهم يستعدون، ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، كما قال الشاعر:

امْهِدْ لنفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ ... وَلا تُضَيِّعَنَّ نَفْسا مَا لَها خَلَفُ

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما خصّ بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله، إنه لا يحبّ أهل الكفر به. واستأنف الخبر بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ وفيه المعنى الذي وصفت.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ قال الزجاج: أي أقم قصدك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الإسلام وقيل: المعنى أوضح الحق وبالغ في الإعذار واشتغل بما أنت فيه ولا تحزن عليهم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾

(٢٥٨) أحمر
أسود

أي لا يرده الله عنهم فإذا لم يرده لم يتهيأ لأحد دفعه ويجوز عند غير سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد إلا أن يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ قال ابن عباس : معناه يتفرقون وقال الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

أي لن يتفرقا نظيره قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] والأصل يتصدعون ويقال : تصدع القوم إذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لأنه يفرق شعب الرأس.

وقال في: قوله تعالى: (مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أي جزاء كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي يوطئون لأنفسهم في الآخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه : مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا : بسطته ووطأته وتمهيد الأمور : تسويتها وإصلاحها وتمهيد العذر : بسطه وقبوله والتمهد : التمكن وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: (فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ قال : في القبر.

وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾أي يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله من فضله وقيل: يصدعون ليجزيهم الله أي ليميز الكافر من المسلم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته، والمبادرة إلى الخيرات: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة، إذا أراد كونه فلا رادَّ له ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يتفرقون، ففريق في الجنة وفريق في السعير؛ ولهذا قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ

يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: يجازيهم مجازاة الفضل: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، ومع هذا هو العادل فيهم، الذي لا يجور.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: ومن حججه الدالة على وحدانيته وعلى قدرته على كل شيء إرساله ﷻ الرياح بين يدي المطر، وقبل نزول المطر مبشراتٍ بنزوله ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾، أي: وينزل عليكم المطر الذي هو رحمة يرحمكم الله بها، فيحيي الله به البلاد والعباد فتنبت الأرض وتخرج ثمرتها وترعى الدواب وتأتي بألبانها وتتكاثر وتتنامى، وكذا يرسل الرياح لتجري السفن العظيمة في البحر بأمر الله وتسييره لها، ولتلتمسوا فضل الله بالتجارات والأسفار التي تستجلبون بها رزق الله، ولتقدموا لله ﷻ شكرًا على نعمائه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أدلته على وحدانيته، وحججه عليكم، على أنه إله كلّ شيء ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بالغيث والرحمة ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ يقول: ولينزل عليكم من رحمته، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك، أرسل هذه الرياح مبشرات.

(٢٦٠) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعَمه على خلقه، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته، بمجيء الغيث عقيبها؛ ولهذا قال: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد، ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: في البحر، وإنما سيرها بالريح، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: في التجارات والمعايش، والسير من إقليم إلى إقليم، وقطر إلى قطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة، التي لا تعد ولا تحصى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ أي ومن أعلام كمال قدرته إرسال الرياح مبشرات أي بالمطر؛ لأنها تتقدمه وقد مضى في الحجر بيانه (وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ يعني الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ ﴾ أي في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال بحبسها وربما عصفت فأغرقتها بأمره ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني الرزق بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى هذا كله مبينًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المستفاد من ذلك مواساة النبي ﷺ وكذا مواساة أهل الإيمان، فإن كنت كُذِّبت يا رسول الله، فقد كُذِّب إخوانك المرسلون مع كونهم أتوا أممهم بالبينات والحجج على صدقهم ومع ذلك فقد كذبتهم أقوامهم كما كذبك قومك فصبروا فاصبر يا رسول الله كما صبر إخوانك، فإننا سننتقم من

المكذبين من قومك كما انتقمنا من أهل الإجرام الذين كذبوا رسلنا، فقد كان لأهل الإيمان علينا أن ننصرهم، حق لهم علينا أن ننصرهم، فهو حق أوجبه الله على نفسه تكرمًا منه وفضلًا كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه ، فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم، وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلًا إلى قومهم الكفرة، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئت أنت قومك بالبينات فكذّبوهم، كما كذّبك قومك، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ونجّينا الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَن كفر بك، ومظفروك بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه وإن

(٢٦٢) أحمر
أسود

كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كُذّبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، هو حقّ أوجبه على نفسه الكريمة، تكرمًا وتفضلًا كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا ضعيفًا في هذا الصدد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: المعجزات والحجج النيرات ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ أي فكفروا فانتقمنا ممن كفر (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا نصب على خبر كان ونصر اسمها وكان أبو بكر يقف على حقًّا أي وكان عقابنا حقًّا ثم قال: (عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ابتداء وخبر أي أخبر بأنه لا يخلف الميعاد ولا خلف في خبرنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: الله سبحانه وتعالى هو الذي يرسل الرياح فتُنشئ سحابًا وتحركه وتجمعه ويمدُّه ويكثره في السماء على الوجه الذي يُريد، ويجعله قطعًا وكذا يجعله متراكمًا بعضه فوق بعض فترى قطرات المطر تخرج من بينه فإذا أنزله على قوم يريد سبحانه وتعالى أن ينزل عليهم

إذا هم يفرحون ويبشر بعضهم بعضًا بنزوله، وإن كان من قبل نزوله عليهم لآيسين قانطين من رحمة الله مكتئبين حزنين، فانظر يا عبد الله إلى آثار هذا المطر الذي أنزله الله رحمة لعباده انظر إلى الأرض وكيف أصبحت مخضرة!!

وانظر إليها وقد أنبتت من كل زوج بهيج من كل صنف جميل حسن، انظر إليها وقد أخرجت ثمرتها وأنبتت غلتها!

وخرج منها الحب ذو العصف والريحان!

وخرج منها صنوف الفواكه والخضراوات!

وخرجت منها النخل الباسقات!

وكذا الجنات من النخيل والأعناب والزيتون والرمان وغير ذلك كثير وكثير وكثير.

إن الذي فعل ذلك بالأرض، أحياها بعد موتها لمحيي الموتى يوم القيامة بعد موتتهم التي ماتوها في الدنيا، وهو على كل شيء قدير.

* ثم بين الله ﷻ حال الإنسان، وأنه إذا تحولت عنه نعمة الله، بإرسال ريح – مثلًا – فأتلفت الزروع والثمار لكفر بالله، وكفر نعم الله ﷻ وجحدها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ يقول: فتنشئ الرياح سحابًا، وهي جمع سحابة، ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يقول: فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، وقال: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ فوحد الهاء، وأخرج مخرج كناية المذكر، والسحاب جمع كما وصفت، ردًّا على لفظ السحاب، لا على

(٢٦٤) أحمر
أسود

معناه، كما يقال: هذا تمر جيد.

وأورد بسند حسن عن قتادة: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ويجمعه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: يقول: ويجعل السحاب قِطعًا متفرّقة.

وأورد بسند حسن عن قتادة قال: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: أي قطعًا.

قال: وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ يعني: المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ) يعني: من بين السحاب.

وقوله: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يقول: فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون؛ بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده، من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث، من قبل هذا الغيث ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ يقول: لمكتئبين حزنين؛ باحتباسه عنهم.

وأورد بسند حسن عن قتادة: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾: أي قانطين.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فتأويل الكلام إذًا: فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب، كيف يحيي به الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موتها ودثورها، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ﴾. يقول جلّ ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كلّ

شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعزّ عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحًا مفسدةً ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حيت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرًّا، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرًّا، لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون بربهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، إما من البحر على ما ذكره غير واحد، أو مما يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ. ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي: يَمُدّه فيكثّره ويُنَمّيه، ويجعل من القليل كثيرًا، ينشئ سحابة فترى في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق. وتارة تأتي السحاب من نحو البحر ثقالًا مملوءة ماء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وكذلك قال هاهنا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾. قال مجاهد، وأبو عمرو بن العلاء، ومطر الوَرّاق، وقتادة: يعني قطعًا.

وقال غيره: متراكمًا، قاله الضحاك.

(٢٦٦) أحمر
أسود

وقال غيره: أسود من كثرة الماء، تراه مدلهمًّا ثقيلًا قريبًا من الأرض.

وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: فترى المطر -وهو القَطر -يخرج من بين ذلك السحاب، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم.

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، معنى الكلام: أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا أزلين قَنطين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم، جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقعًا عظيمًا.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ)، فقال ابن جرير: هو تأكيد. وحكاه عن بعض أهل العربية.

وقال آخرون: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر، (مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: الإنزال ﴿لَمُبْلِسِينَ).

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس، ويكون معنى الكلام: أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله، ومن قبله -أيضًا - قد فات عندهم نزوله وقتًا بعد وقت، فترقبوه في إبانه فتأخر، فمضت مدة فترقبوه فتأخر، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط، فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ) يعني: المطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾.

ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾، يقول

(وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ﴾ يابسة على الزرع الذي زرعوه، ونبت وشب واستوى على سوقه، فرأوه مصفرًّا، أي: قد اصفر وشرع في الفساد، لظلوا من بعده، أي: بعد هذا الحال يكفرون، أي: يجحدون ما تقدم إليهم من النعم، كما قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ -٦٧].

❁ ❁ ❁

س: هل الموتى يسمعون؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان أوضحتهما عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ من سورة فاطر فارجع إليه إن شئت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾)؟

ج: المعنى – والله أعلم-: فإنك يا رسول الله إذا كلمت الموتى ما سمعوا كلامك، وكذلك إذا كان عندك أصم لا يسمع فانصرف عنك وأدبر وناديته لما انصرف ما سمع دعاءك ولا استجاب لك وكذلك إذا كان هناك أعمى سلك طريق الغواية والضلال فناديته كي يرجع إليك ما رجع إليك وما سلك طريق الهداية، وإنما أنت تهدي وتُسمع ويتقبل منك من آمن بآياتنا التي أنزلناها إليك وصدق بها فهذا هو المسلم المنتفع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِنَّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يقول: لا تجعل لهم

(٢٦٨) أحمر
أسود

أسماعًا يفهمون بها عنك ما تقول لهم، وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا.

وقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ يقول: وكما لا تقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء إذا هم ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه، لسماع ذلك وفهمه.

وأورد بسند حسن عن قَتادة قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: لو أن أصمَّ ولى مدبرًا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: (وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة ومحجة الحقّ فلم يوفقه لإصابة الرشد فصارفه عن ضلالته التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق إلى سبيل الرشاد، يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري؛ لأني القادر على كل شيء. وقيل: ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ) ولم يقل: من ضلالتهم، لأن معنى الكلام ما وصفت من أنه: وما أنت بصارفهم عنه، فحمل على المعنى. ولو قيل: من ضلالتهم، كان صوابًا. وكان معناه: ما أنت بمانعهم من ضلالتهم.

وقوله: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله إلا من يؤمن بآياتنا لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع

كتاب الله تدبَّره وفهمه وعقله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله الذي حدّ فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع.

وقوله: ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ يقول: فهم خاضعون لله بطاعته، متذللون لمواعظ كتابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا تبلغ كلامَك الصم الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدْبِرُون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله تعالى، فإنه بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي مَنْ يشاء، ويضل مَنْ يشاء، وليس ذلك لأحد سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: خاضعون مستجيبون مطيعون، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه، وهذا حال المؤمنين، والأول مَثَلُ الكافرين، كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بهذه الآية: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قَلِيب بدر، بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم، حتى قال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفوا؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون**». وتأولته عائشة على أنه قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق».

وقال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة.

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها

(٢٧٠) أحمر
أسود

من وجوه كثيرة.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ
بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا
يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ
﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

[الروم: ٥٤-٦٠]

(٢٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ضَعْفٍ - وَشَيْبَةً - مَا لَبِثُوا - يُؤْفَكُونَ - يَوْمِ الْبَعْثِ - مَعْذِرَتُهُمْ - وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ - مُبْطِلُونَ - وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ - لَا يُوقِنُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ضَعْفٍ﴾	شيء ضعيف، والمراد هنا قطرة المنيِّ، وقيل: المراد في حال كونكم أطفالًا صغارًا ضعافًا
﴿وَشَيْبَةً﴾	كبر السن الذي معه يشيب الشعر
﴿مَا لَبِثُوا﴾	ما مكثوا (في دنياهم وفي قبورهم)
﴿يُؤْفَكُونَ﴾	يكذبون- يُصرفون عن الحق إلى الباطل
﴿يَوْمِ الْبَعْثِ﴾	يوم القيامة
﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾	اعتذارهم
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	لا يفتح لهم باب للمعاتبة - لا يقبل طلبهم الرجوع إلى الدنيا للعمل الصالح
﴿مُبْطِلُونَ﴾	متبعون الباطل
﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾	لا يستفزنك – لا يخرجنك عن هدوئك وسكينتك
﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون – لا يؤمنون- لا يقرون بالبعث

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: الله ﷻ الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الذي خلقكم يا بني آدم ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ أي: من نطفة من منيٍّ يُمنى، نطفة من ماءٍ مهين، وكذا خلقكم يوم أن أخرجكم من بطون أمهاتكم ضعفاء، وكذا في طفولتكم عمومًا ضعفًا ثم قوَّاكم وجعلكم شبابًا أقوياء ثم جعل من بعد هذه القوة شيخوخة بما تحمله الشيخوخة من ضعفٍ وخور، ومشيبٍ وتدهور، يفعل ذلك بخلقه ويخلق ما يشاء، وهو العليم بتصريف الأمور، القدير على كل شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش، محتجًّا عليهم بأنه القادر على ذلك، وعلى ما يشاء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ أيها الناس (مِّن ضَعْفٍ﴾ يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرًا سويًّا، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ) يقول: ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم، وشيبة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ الهرم ﴿وَشَيْبَةً ۚ) الشمط.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكر: يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة

(٢٧٤) أحمر
أسود

وشباب وشيب ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظامًا ثم يُكسَى لحمًا، ويُنفَخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا واهن القوى. ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا، ثم حَدَثا، ثم مراهقًا، ثم شابًّا. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللِّمَّة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ أي: يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ ذكر استدلالًا آخر على قدرته في نفس الإنسان ليعتبر ومعنى: من ضعف من نطفة ضعيفة وقيل: من ضعف أي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر (ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ يعني الشبيبة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ يعني الهرم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَشَيۡبَةٗۚ﴾ مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ يعني من قوة وضعف ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبيره ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ على إرادته وأجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا

كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانيًا أو ثالثًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن الساعة – وهي يوم القيامة – إذا جاءت، وقامت القيامة، وقام الناس من قبورهم أحياءً بعد موتهم يُقسم أهل الشرك أنهم ما لبثوا غير ساعة، وهم في الحقيقة قد مكثوا زمنًا طويلًا، فكما أنهم حلفوا وكذبوا في يمينهم أنهم ما لبثوا غير ساعة، فكذلك كانوا في الدنيا يحلفون كاذبين.

ثم إن العلماء اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ ما المراد به، فقال بعضهم: يقصد أهل الشرك أنهم ما لبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة هذا هو الرأي الذي أختاره لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾.

وقال آخرون من أهل العلم: إن مرادهم ما لبثوا في الدنيا غير ساعة واحدة، وهذه أقوال بعض أهل العلم في هذا الباب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة، يقول الله جلّ ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يؤفكون: يقول: كذبوا في قيلهم وقَسَمِهم ما لبثنا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا

(٢٧٦) أحمر
أسود

يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون في الدنيا.

قال الطبري: وإنما يعني بقوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ عن الصدق، ويَصُدُّون عنه إلى الكذب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضًا، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم يُنْظَروا حتى يُعذَر إليهم. قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي معنى: ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا: ما لبثنا غير ساعة والقول الآخر: أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] كأن ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ وإن كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كانوا يكذبون في الدنيا يقال: أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير وأرض مأفوكة: ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كما صرفوا عن الحق في قسمهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذلك

كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال جل وعز : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] وقال: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ ﴾ [الأنعام : ٢٣ – ٢٤].

❁ ❁ ❁

س: هل في قولهم أنهم ما لبثوا غير ساعة ما يفيد نفيًا لعذاب القبر؟

ج: كلا بل عذاب القبر حق، أما عن توجيه كونهم قالوا: إنهم ما لبثوا غير ساعة فأقول، وبالله التوفيق: إن ذهبنا إلى أن قوله: ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في الدنيا فلا إشكال، وإن حملنا قوله ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ على المكث في القبر فتوجيه قولهم بما حاصله أن عذاب الآخرة يُنسيهم ما كانوا فيه من عذاب القبر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ ليس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي ﷺ من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سمع النبي ﷺ أم حبيبة وهي تقول: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ: «**لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر**» في أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة.

❁ ❁ ❁

(٢٧٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾؟

ج: هذا ردٌّ على أهل الكفر والإجرام الذين أقسموا بالله كاذبين أنهم ما لبثوا في قبورهم غير ساعة، وما لبثوا في الدنيا غير ساعة فعندئذٍ يردُّ عليهم أهل الإيمان بالله ﷻ ورسله، وأهل العلم بكتاب الله ﷻ وسنن المرسلين، لقد لبثتم يا أهل الإجرام في قبوركم، ليس ساعة واحدة كما تزعمون – ولكنكم لبثتم فيها إلى يوم القيامة، فهذا يوم القيامة ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه آتٍ لا ريب فيه، بل كذبتم به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ ﴾ قال: هذا من مقاديم الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ ﴾ أي: فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في كتاب

الأعمال، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، (وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ) اختلف في الذين أوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل علماء الأمم وقيل مؤمنو هذه الأمة وقيل جميع المؤمنين أي يقول المؤمنين للكفار ردًّا عليهم لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث والفاء في قوله: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه: إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أُوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون: والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في سورة «يس» على أصحّ التفسيرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدلّ دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من

(٢٨٠) أحمر
أسود

تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾، أي: هذا البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عيانًا، فقوله في «يس»: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، قول الذين أوتوا العلم والإيمان، على التحقيق، وقد اختاره ابن جرير، وهو مطابق لمعنى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الآية.

والتحقيق أن قوله هذا إشارة إلى ما وعد الرحمن وأنها من كلام المؤمنين، وليست إشارة إلى المرقد في قول الكفار: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، أي: فيما كتبه وقدره وقضاه. وقال بعض العلماء: أن قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الآية، من قول الكفار، ويدلّ له قوله في «الصافّات»: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ۝٥٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: فيوم القيامة لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم الذين يقدمونه عما بدر منهم وصدر في الدنيا، وكذلك إذا طلبوا أن يرجعوا إلى الدنيا فلن يرجعوا ولن يقبل طلبهم ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فيوم يبعثون من قبورهم ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ يعني: المكذّبين بالبعث في الدنيا ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾، وهو قولهم: ما علمنا أنه

يكون، ولا أنا نُبعث ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُسترجعون يومئذٍ عما كانوا يكذّبون به في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا ينفعهم اعتذارهم عما فعلوا، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: ولا هم يرجعون إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي لا ينفعهم العلم بالقيامة ولا الاعتذار يومئذ وقيل: لما رد عليهم المؤمنون سألوا الرجوع إلى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وذلك إذا كنت جانيًا عليه وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولقد سقنا في هذا الكتاب العزيز أمثلة كثيرة وضربناها للناس يستدلون بها على وحدانيتنا وعلى قدرتنا على كل شيءٍ، وعلى البعث بعد الموت، ولكن مع ذلك كله لم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ولم يعتبروا، ولئن جئتهم يا رسول الله بآية معجزة وآية خارقة للعادة سواء معجزة

(٢٨٢) أحمر
أسود

سألوها أو لم يسألوها طلبوها أم لم يطلبوها، ما آمنوا ولا صدقوا بل وصفوكم بأنكم مبطلون، متبعون للباطل والسحر والشعوذة، فهكذا يختم الله ﷻ على قلوب أهل الكفر هؤلاء، فلا يصل إليها خيرٌ، ولا يصل إليها إيمان ولا هدى، فاصبر على قضاء الله وقدره في هؤلاء، واصبر على جهالات هؤلاء وتكذيبهم لك فإن وعد الله ﷻ الذي وعدك به حق، وكل وعوده حق، سواء الوعد الذي وعدك بنصرك عليهم، أو الوعد الذي وعدك بانتقامه منهم ولا يستفزنك هؤلاء، ولا يخرجونك عن حالك، لا تُستنفر من قيل هؤلاء الذي لا يصدقون بوعدٍ ولا يقرون بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار، ولا يقرون لله ﷻ بالتوحيد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجًا عليهم، وتنبيها لهم عن وحدانية الله. وقوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ يقول: ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية، يقول: بدلالة على صدق ما تقول ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ يقول: ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوّتك، إن أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، فلا

يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلِّغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبَّاعك في الأرض حقّ ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ قال: قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة: (وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) [الزمر: ٦٥] فأنصت له عليّ رضي الله عنه حتى فهم ما قال؛ فأجابه وهو في الصلاة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

ولكنه منقطع بين قتادة وعليٍّ لكن له شاهد يُحسَّن به أخرجه الطبري من وجهين عن علي بن ربيعة عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ ﴾ أي: قد بينا لهم الحق، ووضحناه لهم، وضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه. ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴾ أي: لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره، لا يؤمنون بها، ويعتقدون أنها سحر وباطل،

(٢٨٤) أحمر
أسود

كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، (وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدَى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل (وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرهما ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي تتبعون الباطل والسحر (كَذَٰلِكَ) أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أدلة التوحيد، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: صبر على أذاهم فإن الله ينصرك ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ أي لا يستفزنك عن دينك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ قيل: هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته يقال: استخف فلان فلانًا أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع جزم بالنهي أكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما يبنى الشيئان إذا ضم أحدهما إلى الآخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول: اللذون في موضع الرفع.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ على ما أمرت به، وعلى دعوتهم إلى الله.

ولو رايت منهم إعراضًا، فلا يصدنك ذلك.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن علمه غير ضائع، بل سيجده كاملًا، هان عليه ما يلقاه من المكاره، وتيسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير.

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: قد ضعف إيمانهم، وقل يقينهم، فخفت لذلك أحلامهم، وقل صبرهم.

فإياك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إن تجعلهم منك على بال، وتحذر منهم، وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات، على الأوامر والنواهي.

والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة.

وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر.

وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه.

فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان

❁ ❁ ❁

(٢٨٧) أحمر
أسود

تفسير سورة لقمان

قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ
ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ
وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾
[لقمان: ١-١١].

(٢٨٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْكِتَٰبِ - ٱلْحَكِيمِ - هُدًى - لِّلْمُحْسِنِينَ - يُوقِنُونَ - ٱلْمُفْلِحُونَ - يَشْتَرِى - لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ - لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - هُزُوًا - مُّهِينٌ - وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا - وَقْرًا - رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ - وَبَثَّ فِيهَا - كَرِيمٍ - ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾	القرآن
﴿ٱلْحَكِيمِ﴾	المحكم (لا خلل فيه ولا تناقض) الذي يدعو إلى كل خير وينهى عن كل شرٍّ – ذو الحكمة – الحاكم
﴿هُدًى﴾	بيانٌ ودلالة على طريق الحق – سبب توفيق
﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾	للذين أحسنوا في العمل، وهم أيضًا الذين يراقبون الله ويخشونه
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون تمام التصديق
﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الفائزون بالمطلوب والناجون من المرهوب
﴿يَشْتَرِى﴾	يشتري (من الشراء المعهود المعروف وكانوا يشترون المُغنيات) وقيل: يختار
﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾	الحديث المُلهى (عن ذكر الله)
﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	ليصرف الناس عن طريق الله
﴿هُزُوًا﴾	استهزاءً وسخريةً

(٢٨٩) أحمر
أسود

﴿مُّهِينٌ﴾	مُذلٌّ ومُخزٍ
﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾	انصرف مُعرضًا مُتعاليًا
﴿وَقْرًا﴾	صممًا – ثقلًا
﴿رَوَاسِيَ﴾	جبالًا لإرسائها
﴿أَن تَمِيدَ﴾	لئلا تميل
﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾	فرَّق ونشر
﴿كَرِيمٍ﴾	حسن
﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	ذهاب عن الحق ظاهر – ذهاب عن الحق في طريق مظهر لمن تأمله أن سالكه ضال

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

ج: المعنى إجمالًا – والله أعلم –: ﴿الٓمٓ﴾ هذه التي ستتلى عليك آيات الكتاب الحكيم القرآن الداعي إلى كل خير، الناهي عن كل شرٍّ، المحكم الذي لا تناقض فيه ولا خلل ولا اختلاف ولا تعارض، أنزلناها عليك يا رسول الله هداية ودلالة على طريق الحق لمن أراد سلوكه من أهل الإحسان أهل المراقبة والخشية، أهل العلم الصالح، أنزلناها عليك يا رسول الله رحمة من الله بهم، بهؤلاء الذين يقيمون الصلاة ويؤدونها على الوجه الذي يريده الله منهم، وفي الوقت الذي أمرهم فيه بإقامتها، وكذلك يؤدون الزكوات التي أوجبها الله عليهم طيبةً بذلك نفوسهم مطمئنةً بذلك قلوبهم، فهم أهل اليقين

(٢٩٠) أحمر
أسود

والتصديق بوعد الله ووعيده وبلقائه وثوابه وعقابه، فهؤلاء على طريق الحق والهداية، طريق الجنة سائرون بتوفيق من الله لهم وإعانة على سلوك هذا الطريق، فأولئك هم الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، وأعظم مطلوب لهم الجنة) وأعظم مرهوبٍ يرهبونه النار - والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الحكيم بيانًا وتفصيلًا. وقوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ يقول: هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه.

وقوله: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول: الذين يقيمون الصَّلاةَ المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) مَنْ جعلها الله له المفروضة في أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ يقول: وهؤلاء هم المنْجِحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تقدم في أول سورة «البقرة» عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة، وهو أنه تعالى جعل هذا القرآن هُدًى وشفاء ورحمة للمحسنين، وهم الذين

(٢٩١) أحمر
أسود

أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكورا، فَمَنْ فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ أي: على بصيرة وبينة ومنهج واضح وجلي، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ أي: إن آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

ومن أحكامها: أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن أحكامها: أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

ومن أحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة والأمور الغيبية كلها مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت، ولن يأت علم محسوس ولا معقول صحيح يناقض ما دلت عليه.

ومن أحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا هو خالص المصلحة، أو راجحها.

ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة، أو راجحها.

وكثيرًا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنهي

(٢٩٢) أحمر
أسود

عن الشيء، مع ذكر مضرته.

ومن أحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم فتعمل بالحزم.

ومن أحكامها: أنك تجد آياتها المتكررة، كالقصص والأحكام ونحوها قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف.

فكلما ازداد بها البصير تدبرًا وأعمل فيها العقل تفكرًا انبهر عقله، وذهل لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزمًا لا يمترى فيه أنه تنزيل من حكيم حميد.

ولكن – مع أنه حكيم – يدعو إلى كل خُلُق كريم، وينهى عن كل خُلُق لئيم.

❁ ❁ ❁

مبحث في الغناء

س: ما المراد بلهو الحديث؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها وأشهرها: أن المراد بلهو الحديث الغناء.

الثاني: أن المراد بلهو الحديث الطبل.

الثالث: أن المراد بلهو الحديث الشرك.

أما عن أقوال العلماء بشيء من التفصيل.

فقد ورد عند الطبري وغيره من طريق أبي الصهباء البكري[1] أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ

(١) لكن في إسناده أبو الصهباء البكري، وحديثه لا يرتقي للتحسين.

(٢٩٣) أحمر
أسود

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ فقال عبد الله: الغناء، والذي لا إله إلا هو، يردّدها ثلاث مرّات.

وأخرج الطبري وغيره: من وجوهٍ متعددة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: الغناء.

وهو صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج الطبري أيضًا من طريق: حدثنا الحسن بن عبد الرحيم، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: هو الغناء والاستماع له.

وأورد الطبري أيضًا: بأسانيد تصح عن مجاهد أنه قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: الغناء، وفي بعض الروايات عن مجاهد الغناء وكل لهوٍ باطل أو الاستماع إليه.

وبأسانيد تصح عن عكرمة قال: الغناء.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ ﴾ فليس هكذا أهل الإسلام، قال: وناس يقولون: هي فيكم وليس كذلك، قال: وهو الحديث الباطل الذي كانوا يلغون فيه.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني به كلّ ما كان من الحديث ملهيًا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ ولم يخصص بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي

(٢٩٤) أحمر
أسود

ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾) [الزمر: ٢٣]، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: هذه إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه .

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم : ٦١] قال ابن عباس: هو الغناء بالحميرية اسمدي لنا أي غني لنا.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤].

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال: هي يمانية: اسمد تغن لنا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أولهما: يشتري المغنيات (الجواري) كي يغنين.

الثاني: يختار من الحديث ما هو لهو وباطل.

(٢٩٥) أحمر
أسود

قلت: ويلتحق بالأول شراء آلات اللهو والطرب.

اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ فقال بعضهم: من يشتري الشراء المعروف بالثمن، ورووا بذلك خبراً عن رسول الله ﷺ.

قلت: وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق: عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيَاتِ، وَلا شِرَاؤُهُنَّ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ، وَلا أثمَانُهُنَّ**، وفيهنّ نزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾».

قلت (مصطفى): وهذا سند ضعيف جدًّا.

وقال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: من يختار لهو الحديث ويستحبه، وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ والله لعله أن لا ينفق فيه مالًا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؟

ج: المعنى: ليصرف الناس عن طريق الله ﷻ تلك الطريق الموصل إلى جنته ومرضاته.

وقيل: إن اللام هنا لام العاقبة، بمعنى أنه يشتري لهو الحديث فينصرف الناس عن طريق الله، فبصنيعه ينصرف الناس عن طريق الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: ليصدّ ذلك الذي يشتري من لهو

(٢٩٦) أحمر
أسود

الحديث عن دين الله وطاعته، وما يقرّب إليه من قراءة قرآن وذكر الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله.

وعلى قراءة فتح الياء، تكون اللام لام العاقبة، أو تعليلًا للأمر القدري، أي: قُيضوا لذلك ليكونوا كذلك.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير علم بماذا؟

ج: بغير علم بعقوبته التي سيعاقب بها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث جهلًا منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يتخذ ماذا؟

ج: قيل يتخذ طريق الله هزوًا، أي: ويتخذ سبيل الله هزوا، أي: استهزاء وسخرية فإذا دعاه أحد إلى طريق الله سخر منه ومنها، وقيل: ويتخذ آيات الله هزوًا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قال: بِحَسْب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع، ويتخذها هزوًا يستهزئ بها ويكذّب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب، واتخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به.

(٢٩٧) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.

ج: هؤلاء الذين اشتروا لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، واتخذوها هزوًا لهم يوم القيامة عذاب مذلٌّ مُخزٍ مهين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ في نار جهنم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ أي: كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾.

ج: المعنى –والله أعلم–: وإذا تتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، إذا تتلى عليه آياتنا أدبر متعاليًا عليها رافضًا لها مستكبرًا عن قبولها كأنه لم يسمع شيئًا، بل وكأن في أذنيه صممًا وثقلًا، فأخبر هذا المتولي المُعرض بأنه قد أُعد له أليم العذاب وشديد العقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله آيات كتاب الله، فقرئت عليه ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ يقول: أدبر عنها، واستكبر استكبارًا، وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ

(٢٩٨) أحمر
أسود

أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ يقول: ثقلًا فلا يطيق من أجله سماعه.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُلِيت عليه استكبارًا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع، وذلك عذاب النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يعني القرآن ولَّي أي أعرض (مُسْتَكْبِرًا﴾ نصب على الحال ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلا وصمما.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾) أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها وأعرض وأدبر وتَصَامّ وما به من صَمَم، كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماعها؛ إذ لا انتفاع له بها، ولا أرَبَ له فيها، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة يؤلمه، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الغناء والمعازف

س: هل المعازف حلال أم حرام؟

ج: الظاهر - والله تعالى أعلم - أن المعازف محرمة وذلك لما أخرجه البخاري[1] في صحيحه إذ قال: وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ[2]: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٥١)، وهو معلق كما ترى.

(٢) صورته صورة المعلق، لكن أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله في («الفتح» ١٠/ ٥٣)، وفي («تغليق التعليق» ٥/ ١٧)، فما بعدها، وفي («هدي الساري» ص ٥٩).

(٢٩٩) أحمر
أسود

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ - أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ - وَاللهِ مَا كَذَبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ[١] الْحِرَ[٢]، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ[٣]، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ[٤] يَرُوحُ عَلَيْهِمْ[٥] بِسَارِحَةٍ[٦] لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ[٧] اللهُ وَيَضَعُ[٨] الْعَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

❁ ❁ ❁

(١) قال الحافظ في ((الفتح» ١٠/ ٥٥): قوله: «يستحلون» قال ابن العربي: يحتمل أن يكون المعنى: يعتقدون ذلك حلالًا، ويحتمل أن يكون ذلك مجازًا على الاسترسال أي: يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال، وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك.

(٢) الحِرَ: قال الحافظ: ضبطه ابن نصر بالحاء المهملة المكسورة والراء الخفيفة وهو الفرج، ثم نقل معنى ذلك فقال: والمعنى يستحلون الزنا.

(٣) قال الحافظ: والمعازف بالعين المهملة والزاي بعدها فاء جمع معزفة بفتح الزاي وهي آلات الملاهي، ونقل القرطبي عن الجوهري أن المعازف: الغناء، والذي في «صحاحه» أنها آلات اللهو، وقيل: أصوات الملاهي، وفي «حواشي الدمياطي»: المعازف: الدفوف وغيرها مما يضرب به، ويطلق على الغناء عزف وعلى كل لعب عزف.

(٤) العلم: هو الجبل العالي، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وقيل: هو رأس الجبل وله وجه.

(٥) يروح عليهم: أي: الراعي.

(٦) السارحة هي: الماشية.

(٧) يبيتهم: أي: يهلكهم ليلًا، ومنه قول الله تعالى: (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ) [الأعراف: ٤].

(٨) أي: يوقع الجبل عليهم.

(٣٠٠) أحمر
أسود

شيء من التفصيل في شأن الغناء

س: هل الغناء كله حرام؟

ج: ليس الغناء بمحرمٍ كله، بل منه المباح ومنه المكروه، ومنه المُحرم، وغير ذلك.

فالمُحرم منه ما كان فيه تحريض على الفاحشة والفسق والفجور، وما كان فيه معصية لله أو شرك به، وما كان فيه فسادٌ بصفة عامة؛ إذ الله قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] أو ما كان مصحوبًا بمعازف.

أما المباح منه فما كان في مناسبات، وكانت كلماته تحمل معاني طيبة ولم يكن عادة.

أما المكروه منه فما كان لا يحمل شيئًا مُحرَّمًا ولكن يشغل عما هو أفضل.

أما المستحب منه فما كان فيه تشجيع على عمل البر وعلى طرائق الإحسان، والله أعلم.

وينبغي أن يقيد بما لا يكون عادة، ولا يكثر منه حتى لا يطغى على كتاب الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الغناء المباح؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث:

عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ[(٢)]

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٤٤٠)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) في بعض روايات البخاري (٢/ ٤٤٥)، ومسلم (٨٩٢) زيادة: وليستا بمغنيتين.

بِغِنَاءِ بُعَاثَ[1]، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ،

---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٥٤٤): وَقَوْلهَا: (وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ) مَعْنَاهُ : لَيْسَ الْغِنَاء عَادَة لَهُمَا ، وَلَا هُمَا مَعْرُوفَتَانِ بِهِ . وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْغِنَاء فَأَبَاحَهُ جَمَاعَة مِنْ أَهْل الْحِجَاز وَهِيَ رِوَايَة عَنْ مَالِك ، وَحَرَّمَهُ أَبُو حَنِيفَة وَأَهْل الْعِرَاق ، وَمَذْهَب الشَّافِعِيّ كَرَاهَته وَهُوَ الْمَشْهُور مِنْ مَذْهَب مَالِك ، وَاحْتَجَّ الْمُجَوِّزُونَ بِهَذَا الْحَدِيث وَأَجَابَ الْآخَرُونَ بِأَنَّ هَذَا الْغِنَاء إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّجَاعَة وَالْقَتْل وَالْحِذْق فِي الْقِتَال وَنَحْو ذَلِكَ ، مِمَّا لَا مَفْسَدَة فِيهِ ، بِخِلَافِ الْغِنَاء الْمُشْتَمِل عَلَى مَا يَهِيج النُّفُوس عَلَى الشَّرّ ، وَيَحْمِلهَا عَلَى الْبَطَالَة وَالْقَبِيح. قَالَ الْقَاضِي : إِنَّمَا كَانَ غِنَاؤُهُمَا بِمَا هُوَ مِنْ أَشْعَار الْحَرْب وَالْمُفَاخَرَة بِالشَّجَاعَةِ وَالظُّهُور وَالْغَلَبَة ، وَهَذَا لَا يُهَيِّج الْجَوَارِي عَلَى شَرٍّ وَلَا إِنْشَادهمَا لِذَلِكَ مِنَ الْغِنَاء الْمُخْتَلَف فِيهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَفْع الصَّوْت بِالْإِنْشَادِ ، وَلِهَذَا قَالَتْ : وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ أَيْ: لَيْسَتَا مِمَّنْ يَتَغَنَّى بِعَادَةِ الْمُغَنِّيَات مِنْ التَّشْوِيق وَالْهَوَى وَالتَّعْرِيض بِالْفَوَاحِشِ وَالتَّشْبِيب بِأَهْل الْجَمَال وَمَا يُحَرِّك النُّفُوس وَيَبْعَث الْهَوَى وَالْغَزْل كَمَا قِيلَ: (الْغِنَاء رُقْيَة الزِّنَا) وَلَيْسَتَا أَيْضًا مِمَّنِ اشْتُهِرَ وَعُرِفَ بِإِحْسَانِ الْغِنَاء الَّذِي فِيهِ تَمْطِيط وَتَكْسِير وَعَمَل يُحَرِّك السَّاكِن وَيَبْعَث الْكَامِن ، وَلَا مِمَّنِ اتَّخَذَ ذَلِكَ صَنْعَة وَكَسْبًا، وَالْعَرَب تُسَمِّي الْإِنْشَاد غِنَاء، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ الْغِنَاء الْمُخْتَلَف فِيهِ بَلْ هُوَ مُبَاح، وَقَدِ اسْتَجَازَتْ الصَّحَابَة غِنَاء الْعَرَب الَّذِي هُوَ مُجَرَّد الْإِنْشَاد وَالتَّرَنُّم، وَأَجَازُوا الْحُدَاء وَفَعَلُوهُ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي هَذَا كُلِّه إِبَاحَة مِثْل هَذَا وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَهَذَا وَمِثْله لَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا يَخْرُج الشَّاهِد.

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (كما نقل عنه صاحب «العون» (١٣/ ٢٦٥) كلامًا قيِّمًا في شرح الحديث قال رَحِمَهُ اللهُ: فَلَمْ يُنْكِر رَسُول الله □ عَلَى أَبِي بَكْر تَسْمِيَة الْغِنَاء مِزْمَار الشَّيْطَان وَأَقَرَّهُمَا لِأَنَّهُمَا جَارِيَتَانِ غَيْر مُكَلَّفَتَيْنِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ الْأَعْرَاب الَّذِي قِيلَ فِي يَوْم حَرْب بُعَاث مِنَ الشَّجَاعَة وَالْحَرْب، وَكَانَ الْيَوْم يَوْم عِيد فَتَوَسَّعَ حِزْب الشَّيْطَان فِي ذَلِكَ إِلَى صَوْت امْرَأَة أَجْنَبِيَّة أَوْ صَبِيٍّ أَمْرَد صَوْته وَصُورَته فِتْنَة يُغَنِّي بِمَا يَدْعُو إِلَى الزِّنَا وَالْفُجُور وَشُرْب الْخُمُور مِنْ آلَات اللَّهْو الَّتِي حَرَّمَهَا رَسُول الله □ فِي عِدَّة أَحَادِيث مَعَ التَّصْفِيق وَالرَّقْص وَتِلْكَ الْهَيْئَة الْمُنْكَرَة الَّتِي لَا يَسْتَحِلّهَا أَحَد، وَيَحْتَجُّونَ بِغِنَاءِ جُوَيْرِيَتَيْنِ غَيْر مُكَلَّفَتَيْنِ بِغَيْرِ شَبَّابَة وَلَا دُفٍّ وَلَا رَقْص وَلَا تَصْفِيق وَيَدَعُونَ الْمُحْكَم الصَّرِيح لِهَذَا الْمُتَشَابِه وَهَذَا شَأْن كُلّ مُبْطِل. نَعَمْ لَا نُحَرِّم وَلَا نُكَرِّه مِثْل مَا كَانَ فِي بَيْت رَسُول الله □ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْه وَإِنَّمَا نُحَرِّم نَحْنُ وَأَهْل الْعِلْم السَّمَاع الْمُخَالِف لِذَلِكَ انْتَهَى.

يوم بعاث: هو يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج، قاله الخطابي، وغيره.

(٣٠٢) أحمر
أسود

فَإِمَّا سَأَلْتِ النَّبِيَّ ﷺ وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟»[١] فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ: خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي».

ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجه[٢] بسندٍ حسن من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ وَيَتَغَنَّيْنَ وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ... يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « اللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَأُحِبُّكُنَّ».

ومن ذلك ما أخرجه[٣] البخاري من حديث الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي[٤]

---

(١) عند النسائي في «السنن الكبرى» في عشرة النساء – كما عزاه إليه المزي –: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت: نعم. قال الحافظ ابن حجر في («فتح الباري» ٢/ ٤٤٤): إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا.

لفتة: قال الشافعي (كما نقل عنه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٢٣) في الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة يؤتى عليه ويأتي له ويكون منسوبًا إليه مشهورًا به معروفًا أو المرأة: لا تجوز شهادة واحد منهما؛ وذلك أنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، فإن من صنع هذا كان منسوبًا إلى السفه وسقاطة المروءة، ومن رضي هذا لنفسه كان مستخفًّا، وإن لم يكن محرمًا بيِّن التحريم.

قلت: قوله: وإن لم يكن محرَّمًا بَيِّن التحريم، محمول على ما لا يثير الكامن، ويحرك الساكن، ويدعو إلى الفحش والفجور والزنا، فإن ذلك محرم لا شك فيه، فالله لا يحب الفساد.

(٢) ابن ماجه (١٨٩٩).

(٣) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٠٢).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٠٣): قوله: (كمجلسك) بكسر اللام أي: مكانك. قال الكرماني: هو محمول على أن ذلك كان من وراء حجاب، أو كان قبل نزول آية الحجاب، أو جاز النظر للحاجة، أو عند الأمن من الفتنة. اهـ. والأخير هو المعتمد، والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي □ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية. انتهى ما قاله الحافظ.

(٣٠٣) أحمر
أسود

فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ؛ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ: «**دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ**».

وأخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمْ اللَّهْوُ**».

❁ ❁ ❁

س: اذكر مزيدًا من أقوال العلماء في الغناء.

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق وحدو أنجشة وسلمة ابن الأكوع فأما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والأوتار فحرام. ابن العربي: فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لأنه يُقيم النفوس ويرهب العدوَّ وفي اليراعة تردد والدف مباح. الجوهري: وربما سموا قصبة الراعي التي يزمر بها هيرعة ويراعة. قال القشيري: ضرب بين يدي النبي ﷺ يوم دخل المدينة فهمَّ أبو بكر بالزجر فقال رسول الله ﷺ: «**دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح**»

(١) (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).

(٣٠٤) أحمر
أسود

فكن يضربن ويقلن:

نحـــــن بنـــــات النجـــــار حبـــذا محمـــد مـــن جـــار

وقد قيل : إن الطبل في النكاح كالدف وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يُحَسِّن من الكلام ولمن يكن فيه رفث.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال القاضي أبو بكر بن العربي: أما سماع القنيات فيجوز للرجل أن يسمع غناء جاريته؛ إذ ليس شيء منها عليه حراما لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها، أما أنه لا يجوز انكشاف النساء للرجال ولا هتك الأستار ولا سماع الرفث فإذا خرج ذلك إلى ما يحل ولا يجوز منع من أوله واجتث من أصله. وقال أبو الطيب الطبري : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال : وقال الشافعي وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيهٌ تُرَدُّ شهادته ثم غلظ القول فيه فقال: فهي دياثة وإنما جعل صاحبها سفيهًا؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهًا.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٤٤٥):

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ سَمَاعِ صَوْتِ اَلْجَارِيَةِ بِالْغِنَاءِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَمْلُوكَةً لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يُنْكِرْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ سَمَاعَهُ بَلْ أَنْكَرَ إِنْكَارَه ، وَاسْتَمَرَّتَا إِلَى أَنْ أَشَارَتْ إِلَيْهِمَا عَائِشَةُ بِالْخُرُوجِ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلَّ اَلْجَوَازِ مَا إِذَا أُمِنَتِ اَلْفِتْنَةُ بِذَلِكَ ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .

❁ ❁ ❁

(٣٠٥) أحمر
أسود

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: هذا –والله أعلم– بيانٌ لحال أقوام كانوا في زمن رسول الله ﷺ وبيان لما كانوا يفعلون، فإنهم قومٌ كانوا يسعون جاهدين لصرف الناس عن الدين الحق، دين الإسلام، وذلك بشتى الطرق، ومنها أنهم يشترون لهو الحديث، يشترون المغنيات، الإماء، القيِّنات، آلات اللهو، كل ما يُلهى من الحديث عن ذِكر الله وعن طاعته وعن الإسلام، له يشترون المغنيات يُغنين حتى يصرفوا الناس عن القرآن، حتى يضلوا الناس عن طريق الحق والرشاد، وذلك جهلًا منهم بعاقبة العذاب المعدّ لهم يوم القيامة، وذلك أيضًا تعاميًا منهم عن الحق، ثم إنه يتخذ سبيل الله والدعوة إليها مجالًا للاستهزاء والسخرية وكذا يتخذ آيات الله مجالًا للاستهزاء والسخرية فأولئك لهم يوم القيامة عذابٌ مُذلٌّ مخزٍ، ثم إنه من شأن هؤلاء أيضًا أنهم إذا تليت عليهم آيات الله أعرضوا عنها مستكبرين وانصرفوا عنها متعالين عليها كأنهم لم يسمعونها، كأن آذانهم فيها صمم وثقل شديدين فبشره بأن له يوم القيامة أليم العذاب. والله أعلم.

* فعلى هذا فليس مجرد الغناء هو المسبب للعذاب المهين، ولا للعذاب الأليم ولا الكفر إنما اتخذ أهل الكفر الغناء سبيلًا لصرف الناس عن الحق وعن الهدى وعن الإيمان، وإلا فالغناء في شأنه تفصيل ولا بد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات ينعمون فيها لا يزول عنهم نعيمها بل هم في هذا النعيم مخلدون، وذلك تحقيقًا للوعد الذي وعدهم الله إياه في الدنيا، وهو سبحانه العزيز الذي لا يعجز عن شيء ولا عن تحقيق وعدٍ الحكيم فيما يشرع وفيما يُدبر وفيما يجازى وفي كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله فوحَّدوه، وصدّقوا رسوله واتبعوه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ يقول: لهؤلاء بساتين النعيم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ يقول: وعدهم الله وعدًا حقًّا، لا شكّ فيه ولا خلف له ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادّين عن سبيله ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبير خَلْقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمراكب والنساء، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولا.

وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله، والله لا

(٣٠٧) أحمر
أسود

يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعَّال لما يشاء، القادر على كل شيء، (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾، الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هُدًى للمؤمنين ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ) [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ لما ذكر عذاب الكفار ذكر نعيم المؤمنين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ أي دائمين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ أي: وعدهم الله هذا وعدًا حقًّا لا خُلْف فيه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدم أيضا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – بيانٌ لقدرة الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه سبحانه خلق هذه السموات الطباق السبع بغير أعمدة نراها مع هذا الاتساع العظيم، ولكن ليس لها أعمدةٌ ترى، وهنا وجهان للعلماء:

أحدهما: هل هناك أعمدة ولكنها لا تُرى؟ أم أنه ليس هنالك أعمدة مُطلقًا، وبكل قد قال فريق من العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أي خلق الجبال في الأرض في مناطق متفرقة منها حتى لا تميل الأرض ولا تضطرب، وخلق كل أنواع الدواب وفرَّقها ونشرها في الأرض، وأنزل من السماء ماءً (وهو المطر) فأنبت به في الأرض من كل صنف حسن بهيج وبنحو هذا قال العلماء.

(٣٠٨) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن أورد آثارًا مفادها أن هناك عمدًا لكن لا نراها، وآثارًا بأنها ليس لها عمد، قال:

وقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم. يقول: أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرّك يُمْنَةً ولا يُسْرَةً، ولكن تستقرّ بكم.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قَتادة: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: أي: جبالًا ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خَلْقًا، وذلك كما قال الراجز:

والمُهْرُ يأْبَى أنْ يَزَال مُلَهَّبا

بمعنى: لا يزال.

ثم قال: وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ يقول: وفرّق في الأرض من كلّ أنواع الدوابّ. وقيل: الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب، وهو عندي لكلّ ما دبّ على الأرض.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء مطرا، فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كلّ زوج، يعني: من كل نوع من النبات ﴿كَرِيمٍ﴾، وهو الحسن النِّبتة.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قَتادة: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: أي حسن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خَلْق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، قال الحسن وقتادة: ليس لها عَمَد مرئية ولا غير مرئية.

(٣٠٩) أحمر
أسود

وقال ابن عباس، وَعِكْرِمة، ومجاهد: لها عمد لا ترونها. وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة «الرعد» بما أغنى عن إعادته.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لئلا تميد بكم.

وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي: وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها.

ولما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: من كل زوج من النبات كريم، أي: حسن المنظر.

وقال الشعبي: والناس -أيضًا -من نبات الأرض، فَمَنْ دخل الجنة فهو كريم، ومَنْ دخل النار فهو لئيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- هذا الذي ذكرته لكم من خلق السموات والأرض والجبال والدواب وسائر الخلق، هذا كله خلق الله، لم يخلقه أحدٌ سواه فأطلعوني على أي شيء خلقته آلهتكم التي تعبدونها، تلك الأوثان والأصنام، وغيرها، وقطعًا فلن تأتوا بشيء أبدًا خلقته آلهتكم التي عبدتموها مع الله، ولكن دومًا الظالمون أنفسهم بشركهم في بُعْدٍ عن الحق ظاهر وواضح، في بُعْدٍ موضح لمن تأمله أنهم ضلال والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه

(٣١٠) أحمر
أسود

الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه؟ كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة قوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ ما ذكر من خلق السموات والأرض، وما بثّ من الدوابّ، وما أنبت من كلّ زوج كريم (فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ الأصنام الذين تدعون من دونه.

قال: وقوله: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئًا، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحقّ، فهم في ضلال: يقول: فهم في جور عن الحقّ، وذهاب عن الاستقامة مبين: يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكَّر بعقل أنه ضلال لا هُدى.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات، والأرض وما بينهما، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره، وحده لا شريك له في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ أي: مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد ، ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعني: المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿فِي ضَلَٰلٍ ﴾ أي: جهل وعمى، ﴿مُّبِينٍ ﴾ أي: واضح ظاهر لا خفاء به.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا
تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ
حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ
ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا
تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ
حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا
تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ
وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾

[لقمان: ١٢-١٩]

(٣١٢) أحمر
أسود

س: اذكر معاني هذه:

﴿ءَاتَيْنَا - حَمِيدٌ - يَعِظُهُۥ - وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ - وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ - جَٰهَدَاكَ - وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ - أَنَابَ إِلَيَّ - فَأُنَبِّئُكُم - مِثْقَالَ حَبَّةٍ - يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ - لَطِيفٌ - أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ - عَزْمِ ٱلْأُمُورِ - وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ - مَرَحًا - مُخْتَالٍ - فَخُورٍ - وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ - وَٱغْضُضْ - أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَاتَيْنَا﴾	أعطينا – رزقنا – علَّمنا
﴿حَمِيدٌ﴾	محمود على كل حال
﴿يَعِظُهُۥ﴾	يُذكِّره – يُخوِّفه
﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	ضعفًا على ضعفٍ – جهدًا على جهدٍ – مشقة فوق مشقة
﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾	فطامه بعد عامين – تربيته – إرضاعه بعد وضعه
﴿جَٰهَدَاكَ﴾	حارباك – اجتهدا لإجبارك على فعل شيء
﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾	اسلك طريق
﴿أَنَابَ إِلَيَّ﴾	رجع إليَّ – سلك طريقي – أقبل عليَّ
﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾	فأخبركم
﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾	زنة حبةٍ – وزن حبة

(٣١٣) أحمر
أسود

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾	يُحضرها الله[1] يوم القيامة
﴿لَطِيفٌ﴾	عليم بالأشياء وإن تضاءلت
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	حافظ وداوم عليها
﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	الأمور التي أمر الله بها وأكَّد على فعلها
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾	لا تُمل – لا تُعرض
﴿مَرَحًا﴾	مختالًا – متبخترًا – متجبرًا
﴿مُخْتَالٍ﴾	جبار – مُتعالٍ
﴿فَخُورٍ﴾	متكبر على الناس
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾	توسط في مشيك
﴿وَٱغْضُضْ﴾	واخفض
﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾	شر الأصوات – أقبح الأصوات – أشد الأصوات

❁ ❁ ❁

شيء عن لقمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

س: اذكر شيئًا عن لقمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج: أما عن لقمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورَحِمَهُ اللَّهُ:

فلم أقف في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ على شيء بخصوصه إلا في هذه السورة المباركة، وكذا لم أقف على شيء ثابت عنه في سُنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧].

(٣١٤) أحمر
أسود

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هو: لقمان بن عنقاء بن سدون. واسم ابنه: ثاران في قول حكاه السهيلي».

وعن عمله: فقد قيل: إنه كان خيَّاطًا، وقيل: كان نجارًا، وقيل: كان راعيًا، وقيل: كان قاضيًا، فالله عَزَّ وَجَلَّ أعلى وأعلم!!

ولقد ذكرت أوصافٌ له كثيرة تدل على دمامته، فالله أعلم.

وقد قيل: إنه من الحبشة، وقيل: من السودان، والعلم عند الله.

وكلُّ هذا ليس بضائر، فالعِبْرة مأخوذة على كل حال، والحمد لله.

فهو رجل آتاه الله الحكمة، وذكَّرنا سبحانه بموعظته لولده، علَّنا ننتفع بها ونستفيد منها.

فمن ثَمَّ لا تبذل جهدًا، ولا تضيع وقتًا وراء البحث عن نسبه وقبيلته وبلدته، فلنسكت عما ترك الله ذكره في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولنسكت عما لم يذكره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفظًا للجهد والوقت[1].

❁ ❁ ❁

س: هل لقمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نبي أم ليس بنبي؟

ج: أكثر أهل العلم[2]: على أنه ليس بنبيٍّ، وإنما هو عبدٌ صالحٌ آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ الحكمة، وعلَّمه إيَّاها.

---

(١) ولا نرهق أنفسنا أيضًا في البحث عن اسم كلب أصحاب الكهف، وقبائلهم، ولا بلدة العزير، ولا غير ذلك.

(٢) والقول بعدم نبوته هو قول جمهور العلماء، ذكره عنهم القرطبي، وابن كثير رحمهما الله وغيرهما من العلماء.

ومما استدل به على عدم نبوته ما ورد في بعض الآثار من أنه كان عبدًا حبشيًّا، والرسل إنما تُبعث في أحساب قومها كما قال هرقل لأبي سفيان سائلًا إياه عن حسب رسول الله □، وقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسبٍ، فقال هرقل: وكذا الرسل تُبعث في أنساب قومها.

(٣١٥) أحمر
أسود

قال قتادة: «لم يكن نبيًّا، ولم يوح إليه».

وصحَّ عن مجاهد أنه قال: «كان لقمان رجلًا صالحًا ولم يكن نبيًّا»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: اذكر فائدة الثناء على لقمان رضي الله عنه قبل موعظته لولده.

ج: هذا الثناء في هذا الموطن له فائدةٌ عظيمةٌ، فوصفه بالحكمة يقتضي الحثَّ على الاستماع إلى ما سيلقيه لقمان من الموعظة؛ وذلك لكونها مواعظَ صادرةً من حكيم، والذي وصفه بأنه أُوتي الحكمةَ إنما هو الله عز وجل، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ثم إنها موعظةٌ ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم، فدلَّ ذلك على أنه يلزمنا الاعتناء بها وتدبرها، والتفكر فيها، والعلم بمقتضاها.

❁ ❁ ❁

معنى الحكمة

س: اذكر شيئًا عن معنى الحكمة وفضل من يُؤتاها.

ج: أما الحكمة فلها معانٍ كثيرة:

منها: الإصابة والسداد في القول والعمل.

ومنها: وضع الشيء في محلِّه اللائق به، فلا يتكلم بكلمة في غير موضعها، فمثلًا إذا رأى المقام يحتاج إلى شدةٍ اشتدَّ، وإذا رآه يحتاج إلى إلانةٍ ألانَ الخطاب.

ومنها: الفهم الجيد الصحيح، والعلم النافع، وحُسن التعبير والتأويل.

وصح عن قتادة أنه قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: أي: الفقه في الإسلام.

ومنها: الصواب في المعتقد والفقه في الدين والعقل.

---

(١) انظر (الطبري/ ٢٨٠٧٩) فما بعده.

(٣١٦) أحمر
أسود

ومن معانيها أيضًا: أنها العقل الراجح الذي يمنع صاحبه من سيِّئ التصرفات.

هذا؛ وأحيانًا تُطلق الحكمة ويُراد بها السُّنة.

هذا؛ وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى فضل الحكمة ومن يؤتاها:

فقال في كتابه الكريم: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وبيَّن سبحانه وتعالى مِنَّته على نبيِّه داودَ عليه السلام بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وعلى نبيه عيسى عليه السلام إذ قال: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [المائدة: ١١٠].

وكذا مِنَّته على رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

❁ ❁ ❁

احتياج النِّعم إلى شكر كي تحفظ وتزداد

س: دائمًا النعم تحتاج إلى شكر حتى تنمو وتزداد وكذا فإنه كثيرًا ما يأتي الحث على شكر النعم بعد ذكرها دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك في هذا المقام أن الله عز وجل، بعد أن ذكر النعمة التي أنعمها على لقمان، ألا وهي إيتاؤه الحكمة، أمره أن يقدم لذلك شكرًا لله على ما مَنَّ به عليه، واختصه به من بين أهل زمانه وأقرانه وخِلانه من الحكمة، فقال له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾، قدِّم شكرًا لخالقك، وذلك إقرار بالفضل واعتراف بالنِّعم، ثم حتى تحفظ هذه النعمة وتزداد ولا تتحول ولا تُزال، فالذي رزقك الحكمة هو الله، فقدِّم له شكرًا حتى يزيدك منها، ولا يحولها إلى غيرك.

(٣١٧) أحمر
أسود

فدائمًا شكر النعم سببٌ عظيمٌ من أسباب زيادتها ونمائها وحفظها، وكفران النِّعم سببٌ لزوالها ولتحولها وصرفها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أي: وإذا أخبر ربكم وأعلم ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم من نعمي، ومن فضلي عليكم، ولئن جحدتم نعمتي ولم تقدموا لها شكرًا فسيحلُّ بكم العذابُ الشديد؛ إما في الدنيا بزوالها، أو يجعلها نقمةً، وإما في الآخرة.

فجديرٌ إذن بكل من أنعم الله عليه أن يقدِّم لهذه النعمة شكرًا، وكما ازدادت نعم الله عليك لَزِمَك أن تقدِّم لها مزيدًا من الشكر.

فهذه مريمُ عليها السلام أنعم الله عز وجل عليها:

فقال سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[آل عمران: ٤٢]

وقال الله لها: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام قال الله له – وقد أنعم عليه واصطفاه بالرسالة والتكليم –:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) [الأعراف: ١٤٤].

ونبي الله داود وولده سليمان عليهما السلام:

أنعم الله عز وجل عليهما بالذي أنعم، من تسبيح الجبال والطير مع داود، وإلانة الحديد له، والصوت الحسن الجميل، والحِكْمة وفصل الخطاب، وغير ذلك.

وكذا ما أنعم به – سبحانه – على سليمان عليه السلام من تسخير الرياح والجن، وفهم لغة الطير، وإسالة عين القطر له.

(٣١٨) أحمر
أسود

قال الله سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

وكذا قريش:

لما أنعم الله عليها بنعمة الأمن والأمان، والرزق الذي يأتيها من كل مكان، وكونهم يذهبون إلى اليمن والشام كلَّ عام آمنين مطمئنين وغيرهم يتخطف.

قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١-٤].

ورسول الله ﷺ:

قال الله له: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وقال له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢].

فكما أنَّا أعطيناك الكوثر – وهو الخير الكثير الذي منه نهرٌ في الجنة، ومنه الحوض – فقدِّم لذلك شكرًا ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢].

ونحوه: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

ثم قال له: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧] أي: فاجتهد في عبادة ربك، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٨] في اللجوء إليه، ولتكن رغباؤك إليه.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]، ثم قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩].

كما أننا آويناك إذ كنت يتيمًا فلا تقهر الأيتام.

وكما أننا هديناك إذ كنت ضالًّا: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠].

وكما أننا أغنيناك إذ كنت عائلًا تعول غيرك.

فحدِّث بنعمة الله عليك واشكرها ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

(٣١٩) أحمر
أسود

وهكذا كل من أنعم الله عليه يلزمه أن يقدم شكرًا لله حتى تُحفظ عليه نعم الله وتزداد.

هذا؛ ولأن نعم الله علينا لا تُحصى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فجديرٌ بنا أن نُكثر من الحمد، وأن نُكثر من الشُّكر باليد وباللسان وبالقلب – أعاننا الله على ذكره وشكره وحُسن عبادته-.

❁ ❁ ❁

شكر الشاكرين إنما هو لأنفسهم

س: الشاكر يعود ثواب شكره لنفسه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

وكما في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم[1] في «صحيحه»: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**».

ويُبين الله ﷻ غناه عن خَلْقه وعن شكرهم له، فيقول تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: ومن جحد النعم وكفرها ولم يؤد شكرها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ عنه وعن شكره.

وقوله تعالى: ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود على كل حال، وإن كفر النِّعم الكافرون، وجحدها الجاحدون.

وكذلك فإن الله ﷻ يحمد صنائع المعروف التي يفعلها العباد ويتقربون

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٣٢٠) أحمر
أسود

بها إليه، وذلك حتى لا يتسرب إلى شخص، سؤال حاصله: إذا كان الله غنيًّا عنَّا وعن شُكرنا، فلماذا نقدم هذا الشكر؟

فيكون جوابه: إن الله يحب منا صنائع المعروف.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، أن احمد الله على ما آتاك من فضله، وجعل قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ ترجمة عن الحكمة؛ لأن من الحكمة التي كان أوتيها، كان شكره الله على ما آتَاهُ، وقوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه؛ لأن الله يجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمة الله عليه إلى نفسه أساء؛ لأن الله معاقبه على كفرانه إياه، والله غنيٌّ عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه؛ لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه. ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود على كلِّ حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها، وهو مصروف من مفعول إلى فعيل. اهـ.

❁ ❁ ❁

س: هذا شأن أهل الفضل مع أبنائهم أنهم يقدمون لهم المواعظ، ويخوفونهم بالله، ويحذرونهم من عقابه، ويرشدونهم إلى ما يقربهم من ربهم ولقائه، ويسألون الله لهم الهداية. دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣]، أي: واذكر موعظة

(٣٢١) أحمر
أسود

لقمان لابنه.

كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وكما في دعاء عباد الرحمن ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

كما في الدعاء: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥].

❁ ❁ ❁

خطر الشرك

س: افتتحت هذه الموعظة العظيمة التي وعظ بها لقمان ولده بالتحذير من هذا الخطر العظيم أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ألا وهو الشرك بالله، اذكر بعض ما يدل على خطورة الشرك وعظيم ضرره.

ج: **نعم، فالشرك ظلم عظيم**، كما قال الله تعالى.

إنه ذنب لا يُغفر، إذا مات عليه العبد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

إنه كذب وافتراء على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

إنه ضلال بعيد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

إنه يحبط الأعمال ويُذهب بثوابها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(٣٢٢) أحمر
أسود

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

إنه أكبر الكبائر:

قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ....**» الحديث[١].

إنه يُحرِّم الجنة على مرتكبه:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

وروى مسلم[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[٣] بإسناد صحيح عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عز وجل لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ-: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**».

وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

---

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).
(٢) مسلم حديث (٢٩٨٥).
(٣) أحمد (٥/ ٤٢٨).
(٤) البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٣٢٣) أحمر
أسود

«يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

❁ ❁ ❁

س: هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ مُفسرةٌ لآية في سورة الأنعام، وضح ذلك.

ج: نعم، هذه الآية الكريمة مفسرة لآية في سورة الأنعام، ألا وهي:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فلما نزلت شقَّ نزولها على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ألم تقرءوا قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

وفي بعض الروايات: «فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤)، واللفظ له.

(٣٢٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

ج: قوله: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] أي: لبخس عظيم للنفس، فالمشرك بخس نفسه حقها وظلم نفسه ظُلمًا شديدًا، فلنفسه عليه حق، من حقها عليه أن يبحث لها عن أسباب سلامتها، وأسباب نجاتها، وأسباب سعادتها، ويفعل ما يجلب لها به السعادة والسلامة والنجاة، أما كونه يُهلكها ويُرديها ويتسبب لها في عذاب لا يزول، ولا يتحول، ويتسبب لها في دخول الجحيم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، فقد بخسها حقها بلا شك، وأي بخس أعظم من هذا البخس؟!!

وأيُّ ظُلم أعظم من هذا الظلم؟!!

عياذًا بالله من الظلم والظلمات!!

ثم إن أعظم حقٍّ لله علينا: أن نعبده ونوحده لا نشرك به شيئًا، فمن لم يؤد هذا الحق فقد ارتكب أعظم الظلم.

وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم تجر الوصية بالوالدين على لسان لقمان صريحة فلم يقل: (واستوصي بوالديك خيرًا) مثلًا، بل قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن ذلك حتى لا يظن المنصوح أن الناصح إنما ينصح من أجل نفسه، وكذا لا يظن من قدَّمت له الموعظة أن الواعظ إنما يعظ لحظ نفسه، بل جعلت الوصية بالوالدين من الله ﷻ، فحصل تحول في الخطاب.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

❁ ❁ ❁

(٣٢٥) أحمر
أسود

الأمر بالإحسان إلى الوالدين

س: لقد تكرر التذكير بحق الوالدين في عدة آيات بعد الأمر بعبادة الله ﷻ، وضح السبب في ذلك، واذكر بعض هذه الآيات؟

ج: أما سبب ذلك فهو أن حق الوالدين أعظم حق بعد حق الله ورسوله، فالتذكير بهذا الحق لبيان عظيم منزلته.

ودلَّت على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسُّنة.

فمن ذلك ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل أن يحسنوا إلى الوالدين:

فقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

فانظر إلى هذه النصوص، وكيف أن الأمر بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له جاء ويُعقبه الأمر بالإحسان إلى الوالدين؟ فترى على ماذا يدل هذا؟!

ثم انظر أيضًا إلى حديث النبي ﷺ الذي يُبين منزلة برِّ الوالدين من بين سائر الأعمال:

وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قَالَ: ثُمَّ

(١) البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٣٢٦) أحمر
أسود

أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

وأخرج الإمام أحمد[١] بسند صحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ» فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ.

وحديث الثلاثة[٢] أصحاب الغار، وتوسل واحدٍ منهم ببرّه بأبويه مشهور صحيح ومعروف، وفيه: أن الله فرَّج بسبب ذلك شيئًا مما هم فيه.

وفي الصحيحين[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».

---

(١) المسند (٦/ ١٥١-١٥٢).

(٢) انظره في البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) البخاري مع «الفتح» حديث (٥٩٧١)، ومسلم مع النووي (٥/ ٤١٠).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وَفِيهِ الْحَثّ عَلَى بِرّ الْأَقَارِب ، وَأَنَّ الْأُمّ أَحَقّهمْ بِذَلِكَ ، ثُمَّ بَعْدهَا الْأَب ، ثُمَّ الْأَقْرَب فَالْأَقْرَب .

قَالَ الْعُلَمَاء : وَسَبَب تَقْدِيم الْأُمّ كَثْرَة تَعَبهَا عَلَيْهِ ، وَشَفَقَتهَا ، وَخِدْمَتهَا ، وَمُعَانَاة الْمَشَاقّ فِي حَمْله ، ثُمَّ وَضْعه ، ثُمَّ إِرْضَاعه ، ثُمَّ تَرْبِيَته وَخِدْمَته وَتَمْرِيضه ، وَغَيْر ذَلِكَ .

وَنَقَلَ الْحَارِث الْمُحَاسِبِيّ إِجْمَاع الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْأُمّ تُفَضَّل فِي الْبِرّ عَلَى الْأَب ، وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاض خِلَافًا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ الْجُمْهُور بِتَفْضِيلِهَا.

وَقَالَ بَعْضهمْ : يَكُون بِرّهمَا سَوَاء . قَالَ : وَنَسَبَ بَعْضهمْ هَذَا إِلَى مَالِك ، وَالصَّوَاب الْأَوَّل لِصَرِيحِ هَذِهِ الْأَحَادِيث فِي الْمَعْنَى الْمَذْكُور . وَاللهُ أَعْلَم.

(٣٢٧) أحمر
أسود

وعند البخاري في «الأدب المفرد»[١] بإسناد حسن من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبَاكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «الأَدْنَى فالأَدْنَى».

وهذه وصية بالأم أيضًا

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ – ثَلَاثًا – إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ»[٢].

وهذا يدل على فضل برِّ الأم:

فكما هو معلوم من منهج ابن عباس وطريقته في الفتيا في أبواب الكفارات أنه يفتي – إذا لم يكن في تحديد الكفارة نصٌّ – بكفارة توازي الذنب المرتكب

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٣ ج ١ ص ٤٤).

وقال فضل الله الجيلاني رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث من «الأدب المفرد»:

الأم مقدمة في الإجماع في البرّ على الأب، وأن يكون للأم ثلاثةُ أمثال ما للأب من البر، وذلك لتحمل المشاق في الحمل والوضع حتى تكاد تموت، ولا أقل أن تذوقه في كل وضع إذا ضربها الطلق، ثم المحنة زمن الرضاع إلى أن يكبر الولد ويستغني عن خدمتها، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها ثم تشارك الأب في الإنفاق والتربية وأنواع من المؤنة والخدمة ماداما حيين (كذا ذكره السيوطي) أخذ ذلك من تكرار حق الأم، والأظهر أن يكون تأكيدًا ومبالغة في رعاية حق الأم، وذلك لتهاون أكثر الناس في حق الأم بالنسبة إلى الأب؛ لأن أمر الأم كلَّه في البيت تحت الستور ولا يطلع عليه الناس، فيجترئ الناس على عقوقها أكثر من عقوق الوالد حياءً من الناس، وكذا قوته تزجر عن الجرأة عليه، وضعفها يحمل الدنيء على الإساءة إليها، ولا يبعد أن الشريعة بالغت في البرّ بها أكثر من البرّ بالأب مواساة لها ومراعاة لضعف قلوب النساء وشفقة على الولد، مع أن الأب ليس أنقص حقًّا من حقوقها؛ لأن الأم للين طبعها وضعف بنيتها لا تستطيع أحيانًا أن تتحمل إباءه وسوء خلقه فتعجل أن تغضب فتسرع بالدعاء عليه، والمذكور في كتب الفقه أن حق الوالد أعظم من حق الوالدة، وبرّها أوجب، كذا في شرعة الإسلام. [إنجاح الحاجة، بزيادة].

(٢) صحيح لشواهده: أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١).

(٣٢٨) أحمر
أسود

أو تفوقه حتى يمحى أثره ويُزَالُ، كفتياه في إتيان الحائض، وفتياه في من ترك واجبًا من واجبات الحج وغير ذلك.

وها هو هنا يفتي بفتوى فاقرأها وأمعن النظر لترى كيف منزلة برّ الأم مع الكفارات:

أخرج البخاري[1] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبَّت أن تنكحه، فغِرتُ عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أُمُّك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله ﷻ وتقرب إليه ما استطعت، فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله ﷻ من بر الوالدة.

وهذا أثر أيضًا: بإسناد صحيح عن ابن عمر، فعند البخاري في «الأدب المفرد»[2] من طريق طَيْسَلة بن مَيّاس قال: كنت مع النجدات[3] فأصبت ذنوبًا لا أراها إلا من الكبائر فذكرت ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليست هذه من الكبائر، هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يستسخر، وبكاء الوالدين من العقوق».

قال لي ابن عمر: أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إي والله! قال: أحيٌّ والدك؟ قلت: عندي أمي قال: فوالله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

---

(١) «الأدب المفرد» (أثر ٤ ج ١) ص (٤٥).
(٢) «الأدب المفرد» (أثر ٨ ج ١) ص (٥٢).
(٣) النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، قاله فضل الله الجيلاني.

(٣٢٩) أحمر
أسود

هـذا؛ وقولـه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ بيـان لسـبب الوصـية بالوالـدين، وتذكيرٌ بإحسانهما المتقدم، وبحق الأم خاصة.

فإن سأل سائل عن سبب الوصية بالوالدين، وسبب الاعتناء بالأم؟

فلذلك أسباب منها:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ في بطنها ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفًا على ضعف.

فالمرأة بجبلتها ضعيفة، ثـم الحمـل يضـعفها أكثـر وأكثـر، ويجهـدها أشـد وأشد.

وأيضًا من أسباب الوصية بها: كونها أرضعته وقامت على تربيته وخدمته بعد إرضاعه، وذلك مدة الرضاعة التي بها يستغني عن سائر المطعومات، ألا وهي عامان.

قال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾، أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين.

ثم أمر الله ﷻ بتقديم الشكر له سبحانه، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن أولًا وآخرًا.

وأمر أيضًا بتقديم الشكر للوالدين، وعهد إليه بذلك.

فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ تذكيرًا بحق الوالـدين وحثًّا على إكرامهما والإحسـان إليهمـا والـدعاء لهمـا كمـا قـال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

أما قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾، فتذكير بأن المرجع والمآب والمراد إلى الله ﷻ يوم القيامة.

فيجازي كلَّ عامل بعمله، وكل شاكر على شكره أفضلَ الجزاء وأتمه وأوفره.

(٣٣٠) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك.

وقوله: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك.

❁ ❁ ❁

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؟

ج: هذه الآيات الكريمات نزلت في سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ - وَأَنَا أُمُّكَ - وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤، ١٥] ... فذكر الحديث.

(١) مسلم (١٧٤٨).

(٣٣١) أحمر
أسود

وفي رواية عند الطبري[1]:

عن سعد بن مالك – وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – قال: نزلت فيّ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعامًا ولا تشرب شرابًا، قال: فناشدتها أوّل يوم، فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله، لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا، فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلا أكلت.

وفي رواية أخرى عنه:

قال: قالت أمّ سعد لسعد: أليس الله قد أمرك بالبرّ، فوالله، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا، ثم أوجروها، فنزلت هذه الآية ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾. [العنكبوت: ٨]

❁ ❁ ❁

س: هل طاعة الوالدين مُطلقة في كل ما يأمران به ومع إيضاح قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾؟

ج: كلا بل هي في المعروف؛ لقول النبي ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**» وقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾ أي: وإن حرصا كلَّ الحرص واجتهدا كل الاجتهاد، وضغطا بكل أنواع الضغوط عليك كي تترك دينك وتتابعهما على دينهما دينِ المشركين فلا تطعهما ولا توافقهما، ومع هذا الرفض رفض الدخول في دينها، ومع حرصهما على أن تتابعهما ورفضك لذلك، صاحبهما في الدنيا معروفًا، أي أحسن إليهما بصور

(١) الطبري (٢٨٠٩٨).

(٣٣٢) أحمر
أسود

الإحسان التي تستطيعهما دون أن يتأثر بذلك دينك، واتبع سبيل أهل الإيمان، واسلك طريقهم، واقتفِ آثارهم، فهذا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ يعني: واسلك سبيل المؤمنين المطيعين لي الذين سلكوا طريقي، واستقاموا على أمري.

هذا؛ وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوًّا كبيرًا، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه، فيما بينك وبين ربك ولا إثم.

وقوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

وقوله: ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ، ثم أجازيكم على أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل: ذلك أيضا وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه، فكان معنى الكلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ولا تطع في الشرك به والديك

(٣٣٣) أحمر
أسود

(وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فإن الله وصّى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته.

❁ ❁ ❁

تعليم الابن مراقبة الله ﷻ

س: وضح معنى قول لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

ج: أما المراد بقوله: ﴿إِنَّهَآ﴾.

فقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بقوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ أي: الخطيئة أو المعصية.

وقول ثانٍ: إن المراد الشيء المعمول خيرًا كان أو شرًّا.

وقول ثالث: إن المراد الرزق المقدر.

والمراد بالصخرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾:

قال بعض أهل العلم: إن المراد بالصخرة، صخرةٌ تحمل عليها الأرض كلها، وهذا القول قال به عدد من العلماء، لكن لا أعلم عليه دليلًا من الكتاب ولا من السُّنة الصحيحة.

ومن ثمَّ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع.

(٣٣٤) أحمر
أسود

ثم قال:

وهذا -والله أعلم- كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد: أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.

فيوصي لقمان ولده ويعلمه ويذكره بمراقبة الله ﷻ قائلًا:

يا بني إن ما تعمله من خير أو شرٍّ مهما كان صغيرًا، وإن كان صغيرًا في وزن حبة الخردل، وكذلك إن كنت أسررته، وعملته في مكان خفيٍّ، وبالغت في إخفائه، فسواء عملته وأنت في صخرةٍ قد أحاطت بك من جميع جوانبها، فلم يرك أحدٌ من الخلق، أو عملتها في أيِّ مكان في السماوات أو في أي مكان في الأرض، يأتِ بها الله يوم القيامة، وتوزن لك في ميزان حسناتك، إن كانت حسنة، أو في كفة السيئات إن كانت سيئة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وكما قال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي هذا تعليم الوالد ولده مراقبة الله ﷻ، وتذكيره بأن الله يراه حتى يعمل صالحًا.

هذا؛ وهناك قول آخر في الآية الكريمة:

حاصله أن قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ المراد به الرزق، فيكون المعنى: يا بني إن الرزق الذي كتب لك سيأتيك في أي مكان من أي مكان مادام قد قُدِّر لك، وهذا وإن

(٣٣٥) أحمر
أسود

كان صحيحًا، إلا أن القول الأول عليه أكثر العلماء في تفسير الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها، فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل. وجوَّز بعضهم أن يكون الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ ضمير الشأن والقصة. وجوَّز على هذا رفع ﴿مِثۡقَالَ﴾ والأول أولى.

وقوله: ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ. كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقت ولطفت وتضاءلت ﴿خَبِيرٞ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعني بقوله: ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾: زنة حبة. فتأويل الكلام إذن: إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه.

❁ ❁ ❁

(٣٣٦) أحمر
أسود

الأمر بالصلاة وبيان فضلها والحث عليها

س: وضح معنى قول لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مع ذِكر شيء من أهمية الصلاة والحث عليها.

ج: قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: حافظ عليها وداوم على فعلها وأدائها في أوقاتها وأحسن قيامها وركوعها وسجودها وسائر أركانها.

وحقٌّ ما قاله لقمان لولده، فإن الصلاة عماد الدين وركن الإسلام العظيم – بعد الشهادتين-.

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ...»[(١)].

وإنها أولُ ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة:

قال ﷺ: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

إنها تمحو – بإذن الله- الخطايا والذنوب:

قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»[(٣)].

لقد كانت ولا تزال وستزال شعارًا للصالحين:

لقد قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

لقد قال الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال له ولأخيه هارون عليهما السلام: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ [يونس: ٨٧].

---

(١) البخاري حديث (٨)، ومسلم (١٦).
(٢) صحيح لشواهده: أخرجه أحمد (١٠٣/٤) وغيره.
(٣) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٣٣٧) أحمر
أسود

وقال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هود: ٨٧].

قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وطائفة من الأنبياء ذكرهم الله في كتابه وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

وأصحاب رسولنا الكريم – عليهم رضوان الله –: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي الجملة: ففضائل الصلاة لا تُحصى والأوامر بها لا تكاد تنتهي، والوصية بها تكاثرت وتعددت وتنوعت، والتحذير من تركها توارد من عدة وجوه.

فمن ثمَّ أوصى لقمان ولده بها، وأكَّد عليها غايةَ التأكيد، ولا عذر لمسلم بالغ في تركها مادام عاقلًا أو كانت المرأة حائضًا أو نفساء.

لا تترك الصلاة في سفر ولا في حضرٍ، ولا في صحةٍ ولا في مرضٍ، ولا في شدةٍ ولا في رخاءٍ.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من الوارد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

س: وضح معنى قول لقمان لولده ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ مع ذِكر بعض الوارد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج: هذا يشمل كلَّ معروفٍ وكل منكرٍ، ولا يبتعد الشخص إذ قال: إن الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – بُعثوا لذلك، فقد بُعثت الرسل آمرة بتوحيد الله عز وجل، ناهية عن الشرك به، وأعظم معروف بلا شك هو توحيد الله عز وجل، وأقبح المنكرات على الإطلاق هو الشرك بالله عز وجل.

(٣٣٨) أحمر
أسود

ولقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولقد نالت أمة محمد ﷺ الفلاح وكتبت لها الخيرية على سائر الأمم، لإيمانها بالله ﷻ، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إن النهي عن المنكر سببٌ من أسباب السلامة والنجاة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود: ١١٦].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى القرية التي كانت حاضرة البحر، تلك التي اعتدى أهلها في السبت، وبيَّن الله سبحانه وتعالى أن الذين نجَوْا هم الناهون عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وفي الحديث[1] عن رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ**

(١) البخاري (٢٤٩٣).

(٣٣٩) أحمر
أسود

الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

إنه سبيل أهل الصلاح المنيبين إلى الله تعالى:

قال الله سبحانه: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وسبيل أهل الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

وسبيل الذين باعوا أنفسهم لله ﷻ:

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ) [التوبة: ١١١] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفارة للذنوب والخطايا:

قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ»(١).

وكذلك فإنه صدقة على البدن:

فقد ذكر النبي ﷺ الصدقات التي على ابن آدم، وقال: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ

(١) البخاري (مع الفتح / ٢/ ٥٢٥)، ومسلم (١٤٤).

(٣٤٠) أحمر
أسود

صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»[(١)].

ولقد حثَّ النبيُّ ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فقال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٢)].

ويزداد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأكيدًا على أهل العلم:

قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

❁ ❁ ❁

س: ما وجه اتباع قوله تعالى: ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ﴾؟

ج: وجه هذا، والله أعلم أن العادة قد جرت بأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كثيرًا ما يتعرض لأذى من أهل الشر والفساد، وذلك لكونه ينهاهم عن غيِّهم، ويمنعهم من المحرمات التي يريدون مواقعتها، ومن الشهوات التي يريدون قضاءها، ومن أكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من المحرمات التي ركبوها ودأبوا على فعلها، فمن ثَمَّ لا يرضيهم صنيع المعارض لهم، ولا صنيع من يأمرهم وينهاهم فيقدمون له صنوف الأذى حتى يتركهم ويُخلِّي بينهم وبين ما يريدون من صور الإفساد في الأرض، فحينئذٍ يثبت الله ﷻ أقوامًا على طاعته وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآخرون يتركون ذلك خوفًا من الناس ومن بطشهم.

فيوصي لقمان ولده بالصبر على الأذى وتحمل البلاء والمضي قُدُمًا في

(١) مسلم بنحوه (١٠٠٦، ١٠٠٧).
(٢) مسلم حديث (٤٩).

(٣٤١) أحمر
أسود

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستمرار في ذلك.

ومثل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

فالتواصي بالحق أحيانًا يتبعه بلاء، فمن ثَمَّ لزم التواصي بالصبر.

هذا؛ ولا يمنع أن يكون قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ عامًّا في كل ما يتعرض له الشخص من البلاء، بلاءً كان في الجسد أو في المال أو في الولد، أو غير ذلك من صور الابتلاءات التي تستلزم صبرًا وتقتضيه.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من فضل الصبر

س: النصوص الواردة في فضل الصبر والحثِّ عليه وبيان ما أُعد لأهله من الأجر كثيرة جدًّا اذكر بعضها.

ج: اجتزأ منها بالآتي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[يوسف: ٩٠]

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن الإمامة تُنال بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وبيَّن – سبحانه – أنه أعدَّ للصابرين الغرف وهي في أعالي الجنان:

قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وقال – سبحانه – مُبينًا فضيلة من صبر:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

(٣٤٢) أحمر
أسود

وبيَّن – سبحانه – أنه يحب الصابرين:

فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ووردت الأوامر بالصبر والحثِّ عليه:

في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»[(٢)].

ووردت نصوص كثيرة في فضل الصبر على الأذى والصبر في الجهاد، والصبر على المرض، وعلى فقدان البصر، وعلى جهالات الناس وحماقاتهم، والصبر على أمراء الجور، والصبر عند الصدمة الأولى، وغير ذلك.

فنسأل الله أن يُصبرنا وأن يحفظ علينا إيماننا.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) مسلم (٢٢٣).

(٣٤٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن ذلك من الأمور التي أمر الله ﷻ بها وأكَّد على فعلها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات إجمالًا:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يقول: وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، اعلم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور.

(٣٤٤) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وصَّى ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات والفضائل أجمع ولقد أحسن من قال :

وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ يقتضي على تغيير المنكر وإن نالك ضرر فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحيانًا وهذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله وأما على اللزوم فلا وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في آل عمران والمائدة وقيل : أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى المعصية الله ٥ وهذا قول حسن لأنه يعمُّ.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ قال ابن عباس: من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره وقيل: إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور أي مما عزمه الله وأمر به قاله ابن جريج: ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وقول ابن جريج أصوب.

وقال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، لتكميل نفسك بعبادة ربك : ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ لتكميل غيرك : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ أي : من المحن والبلايا ، أو فيما أمرت به من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لأن الداعي إلى الحق معرّض لإيصال الأذى إليه ، وهو

(٣٤٥) أحمر
أسود

أظهر . ويطابقه آية : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر : ٣] ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصبر ، أو إلى كل ما أمر به : ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي : مما عزمه الله من الأمور ، أي : قطعه قطع إيجاب .

❁ ❁ ❁

الحثُّ على التواضع

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: يواصل لقمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصحه وتذكيره لولده، ويُعلِّمه طرائق التعامل والتحادث مع الناس، ويؤدّبه بجملة من الآداب:

فيقول له: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تُعرض بوجهك عن الناس وهم يحدثونك، بل أقبل عليهم وابتسم في وجوههم، ولا تلو عنقك عنهم، فإن هذا من شيم المتكبرين وأخلاقهم.

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [الحج: ٨، ٩] أي: لاوي عنقه تكبُّرًا على الناس وتعاليًا عليهم، وكبرًا وازدراءً.

ويقول له كذلك: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ ينهاه عن المشي في الأرض باختيال وتكبر وتجبر؛ وذلك لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يحب المختال في مشيته الفخور على الناس المتكبر عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ يقول: لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن ألِنْ جانبك،

(٣٤٦) أحمر
أسود

وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: «**ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِط، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المِخيلَة، والمخيلة لا يحبها الله**».

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: جذلا متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معنى الآية : ولا تمل خدك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا واحتقارًا لهم وهذا تأويل ابن عباس وجماعة وقيل : هو أن تلوي شدقك إذا ذكر عندك كأنك تحتقره فالمعنى: أقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا وإذا حدَّثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكتمل حديثه وكذلك كان النبي ﷺ يفعل.

قلت (القرطبي): ومن هذا المعنى ما رواه مالك عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» فالتدابر: الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وإنما قيل للإعراض تدابر لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك يصنع هو بك ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسرَّه ويسرُّك فمعنى التدابر موجود فيمن صعَّر خده وبه فسر مجاهد الآية وقال ابن خويز منداد : قوله : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ كأنه نهى أن يذل الإنسان نفسه من غير حاجة.

وقال القرطبي أيضًا:

(٣٤٧) أحمر
أسود

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي متبخترًا متكبرًا مصدر في موضع الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشي فرحًا في غير شغل وفي غير حاجة وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

معناه: لا تتكبر على الناس. ففي الآية نهي عن التكبر على الناس، والصعر الميل، والمتكبر يميل وجهه عن الناس، متكبرًا عليهم، معرضًا عنهم، والصعر الميل وأصله: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، ويُطلق على المتكبر يلوي عنقه، ويميل خده عن الناس تكبرًا عليهم، ومنه قول عمرو بن حُنَيٍّ التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعّر خده ... أقمنا له من ميله فتقوّما

وقول أبي طالب:

وكنا قديمًا لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الرؤوس نقيمها

ومن إطلاق الصعر على الميل قول النمر بن تولب العلكي:

إنا أتيناك وقد طال السفر ... نقود خيلًا ضمرًا فيها صعر

وإذا علمت أن معنى قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تتكبر عليهم.

فاعلم أنا قدمنا في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] الآيات القرآنية الدالة على التحذير من الكبر المبينة لكثرة عواقبه السيئة، وأوضحنا ذلك مع بعض الآيات الدالة على حسن التواضع، وثناء الله على المتواضعين.

❁ ❁ ❁

(٣٤٨) أحمر
أسود

بعض الوارد في الحث على التواضع

س: قد وردت في الحثِّ على التواضع والأمر به نصوص كثيرة اذكر بعضها.

ج: من هذه النصوص ما يلي:

ما ثبت عند مسلم[1] من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فقَالَ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».

ولقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[2].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

❁ ❁ ❁

ذمُّ الكبر والاختيال

س: وردت عدة نصوص في ذم الكبر والاختيال اذكر بعضها.

ج: من ذلك ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وأخرج مسلم[3] في «صحيحه» من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ**

---

(١) مسلم (٢١٩٨).
هذا؛ وقد اجتزأت باليسير الذي ذُكر، وإلا فالباب واسع جدًّا، والنصوص فيه كثيرة متعددة.
(٢) مسلم (٢٥٨٨).
(٣) مسلم (٩١).

(٣٤٩) أحمر
أسود

الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[١] وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢].

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»[٣].

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٤].

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ؛ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٥].

❁ ❁ ❁

من أدب المشي

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: تواضع في مشيك إذا مشيت وفي مسيرك إذا سرت، ولا تستكبر ولا تستعجل، ولا تسرع، بل اقتصد في المشي؛ ليكن المشي معتدلًا بين الإسراع والتباطؤ، لا مسرعًا تمشي فتختل، ولا متباطئًا كمشية المريض أو المتمارض.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتئد.

وأورد عن قتادة بسندٍ حسن قال: «نهاه عن الخيلاء».

---

(١) بطر الحق: هو ردُّ الحق ودفعه وإنكاره كبرًا وتعاليًا وترفعًا وتجبرًا.

(٢) غمط الناس: المراد به: احتقارهم وازدراؤهم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٩٠).

(٥) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣٥٠) أحمر
أسود

من أدب الحديث

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

ج: يعلم لقمان رضي الله عنه ولده طريقة التخاطب مع الناس فيأمره قائلًا: (وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ) أي: واخفض صوتك فاجعله وسطًا أيضًا.

وعلَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ أي: فلو كان في رفع الصوت مطلقًا (في كل وقت) خيرٌ لما اختصت به الحمير، بل الحمير صوتها أنكر الأصوات وأشر الأصوات وأقبح الأصوات، وليس لأهل الفضل والصلاح والخُلُق الكريم أن يتشبهوا بالحمير – عياذًا بالله –.

وأورد عن ابن زيد قال: «اخفض من صوتك».

وأورد عن قتادة كذلك بسندٍ حسن: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير أوَّله زفير وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته.

❁ ❁ ❁

(٣٥١) أحمر
أسود

بعض الفوائد المستنبطة من موعظة لقمان لولده

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من موعظة لقمان لولده.

ج: هذه طائفة من الفوائد المستنبطة من هذه الموعظة:

الأولى: بيان أن الله ﷻ هو صاحب الفضل، وأن كل ما بنا من نعم فمنه سبحانه وتعالى، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن.

فالحكيم حكمته من الله ﷻ، والعالم علمه من الله ﷻ، وذلك مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

وكذلك ثَمَّ آيات أُخر يستدل بها في هذا الباب كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وكقول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

فعلى كل عالم أن يدرك ذلك، وعلى كل عاقلٍ وحكيم أن يدرك ذلك، عليه أن يدرك أن ما به من نعمة فمن الله.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الثانية: وجوب شكر الله على نعمه وآلائه وفضله وإحسانه.

الثالثة: الثناء على الشخص الذي يُراد قبولُ قوله، وذلك حتى يلقى قولُه قبولًا، وذلك مأخوذ من الثناء على لقمان قبل ذكر موعظته لولده بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

الرابعة: استحباب وعظ الوالد لولده؛ وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣] وعلى ذلك أدلة كثيرة أُخر:

منها: قول نوح عليه السلام لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

(٣٥٢) أحمر
أسود

وكذا قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكذا وصية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها لما استشعر عليه الصلاة والسلام الموت:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَمْشِي لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ- ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي؟ قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ. قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[(١)].

الخامسة: بيان خطر الشرك، وأنه ظلمٌ عظيمٌ.

---

(١) البخاري (مع الفتح /١١/٧٩)، ومسلم (مع النووي / ١٦/٥).

قال القرطبي رحمه الله:

وقوله: (يَبُنَيَّ) ليس هو على حقيقة التصغير، وإن كان على لفظه، إنما هو على الترقيق كما يُقال للرجل: يا أُخَيَّ، وللصبي هو (كويس).

(٣٥٣) أحمر
أسود

السادسة: الوصية بالوالدين والتنصيص على الأم بذكر فضلها، وما بذلته من جهدٍ لرعاية ولدها، وتقديم الشكر لهما.

وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة من كتاب الله ﷻ، ومن سُنة رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

فيأمر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة بشكره وشكر الوالدين.

وفي معرض الثناء على الأنبياء ومدحهم يأتي الثناء عليهم لبرهم بوالديهم:

قال الله – سبحانه – في شأن نبيه يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

وهذا نبي الله عيسى عليه السلام يتكلم في المهد فيقول: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

السابعة: بيان مدة الرضاعة، وأنها سنتان، وبعد السنتين فالرضاعة لا تحرم.

هذا؛ وقد استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:

(٣٥٤) أحمر
أسود

١٤].

وقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] أن أقلَّ مدة للحمل ستةُ أشهر، والله أعلم.

هذا؛ ومما يؤكد أن الرضاعة المحرمة إنما هي الرضاعة في الصغر والغلام دون الحولين ما يلي:

قول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية:

انتزع مالك - رحمه الله تعالى- ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هي ما كان في الحولين؛ لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة، هذا قوله في «موطئه»[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[(٢)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ: «**انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ**[(٣)] **فَإِنَّمَا**

---

(١) لفظ مالك في «الموطأ» (ص ٦٠٤) في النسخة التي بين أيدينا: الرضاعة قليلها وكثيرها تُحرّم، فأما ما كان بعد الحولين فإن قليله وكثيره لا يُحرّم شيئًا، وإنما هو بمنزلة الطعام.

(٢) البخاري (٥١٠٢)، ومسلم (١٤٥٥).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٤٨/٩):

تَأَمَّلْن مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ هَلْ هُوَ رَضَاع صَحِيح بِشَرْطِهِ : مِنْ وُقُوعه فِي زَمَن الرَّضَاعَة ، وَمِقْدَار الارْتِضَاع فَإِنَّ الْحُكْم الَّذِي يَنْشَأ مِنَ الرَّضَاع إِنَّمَا يَكُون إِذَا وَقَعَ الرَّضَاع الْمُشْتَرَط .

قَالَ الْمُهَلَّب : مَعْنَاهُ انْظُرْنَ مَا سَبَب هَذِهِ الْأُخُوَّة ، فَإِنَّ حُرْمَة الرَّضَاع إِنَّمَا هِيَ فِي الصِّغَر حَتَّى تَسُدّ الرَّضَاعَة الْمَجَاعَة .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْد : مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي جَاعَ كَانَ طَعَامه الَّذِي يُشْبِعهُ اللَّبَن مِنَ الرَّضَاع لَا حَيْثُ يَكُون الْغِذَاء= = بِغَيْرِ الرَّضَاع .

الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ».

وأخرج الترمذي بسندٍ صحيحٍ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ**»(١).

وأخرج عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ عن أبى عطية الوادعى قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إنها كانت معى امرأتى فحُصر لبنها فى ثديها، فجعلت أمصه ثم أمجُّه، فأتيت أبا موسى الأشعرى فسألته فقال: حرمت عليك، قال: فقام وقمنا معه حتى انتهى إلى أبي موسى، فقال: ما أفتيت هذا؟ فأخبره بالذي أفتاه. فقال ابن مسعود، وأخذ بيد الرجل: أرضيعًا ترى هذا؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والدم، فقال أبو موسى: لا تسألونى عن شيء ما كان هذا الحَبْر

قَوْله: (فَإِنَّمَا الرَّضَاعَة مِنْ الْمَجَاعَة) فِيهِ تَعْلِيل الْبَاعِث عَلَى إِمْعَان النَّظَر وَالْفِكْر؛ لِأَنَّ الرَّضَاعَة تُثْبِت النَّسَب وَتَجْعَل الرَّضِيع مُحَرَّمًا .

وَقَوْله «مِنَ الْمَجَاعَة» أَي الرَّضَاعَة الَّتِي تَثْبُت بِهَا الْحُرْمَة وَتَحِلّ بِهَا الْخَلْوَة هِيَ حَيْثُ يَكُون الرَّضِيع طِفْلًا لِسَدِّ اللَّبَن جَوْعَته؛ لِأَنَّ مَعِدَته ضَعِيفَة يَكْفِيهَا اللَّبَن وَيَنْبُت بِذَلِكَ لَحْمه فَيَصِير كَجُزْءٍ مِنَ الْمُرْضِعَة فَيَشْتَرِك فِي الْحُرْمَة مَعَ أَوْلَادهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا رَضَاعَة مُعْتَبَرَة إِلَّا الْمُغْنِيَة عَنِ الْمَجَاعَة أَوْ الْمُطْعِمَة مِنَ الْمَجَاعَة ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾.

وَمِنْ شَوَاهِده: حَدِيث ابْن مَسْعُود: «**لَا رَضَاع إِلَّا مَا شَدَّ الْعَظْم ، وَأَنْبَتَ اللَّحْم**» [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا].

وَحَدِيث أُمّ سَلَمَة: «**لَا يُحَرِّم مِنَ الرَّضَاع إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاء**» [أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ] قاله الحافظ في «الفتح».

(١) الترمذي (١١٦٢ مع التحفة).

وَقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ الرَّضَاعَةَ لَا تُحَرِّمُ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ، وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يُحَرِّمُ شَيْئًا.

(٣٥٦) أحمر
أسود

بين أظهركم[١].

وأخرج سعيد بن منصور بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين»[٢].

وأخرج مالك[٣] بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَأَنَا مَعَهُ عِنْدَ دَارِ الْقَضَاءِ، يَسْأَلُهُ عَنْ رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي كَانَتْ لِي وَلِيدَةٌ[٤]، وَكُنْتُ أَطَؤُهَا، فَعَمَدَتِ امْرَأَتِي إِلَيْهَا فَأَرْضَعَتْهَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: دُونَكَ فَقَدْ وَاللهِ أَرْضَعْتُهَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْجِعْهَا[٥] وَائتِ جَارِيَتَكَ[٦] فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ.

الثامنة: الإحسان إلى الوالدين الكافرين أيضًا، ومصاحبتهما بالمعروف في الدنيا، وإن كانا مشركين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥].

فمع عدم الطاعة فيما يدعوان إليه من الشرك هناك مصاحبة بالمعروف.

قال الله عز وجل: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

---

(١) «المصنف» (٧/ ٤٦٣).
(٢) سعيد بن منصور في «السنن» (٩٨٠).
(٣) «الموطأ» (ص ٦٠٦).
(٤) المراد بالوليدة: الأمة.
(٥) أوجعها: أي: اضربها ضربًا موجعًا.
(٦) وائت جاريتك: أي جامعها.

(٣٥٧) أحمر
أسود

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ[٢] إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ[٣] أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**».

التاسعة: بيان أن الطاعة إنما تكون في المعروف، ولا طاعة لأحدٍ يأمر بمعصية الله أو بالشرك به، وعلى ذلك بعض الأدلة.

أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا، لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[٥].

وأخرج أحمد[٦] بإسناد صحيح عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنْبَرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمَّارٍ: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٥/ ٢٣٣)، ومسلم (٣/ ٤١).

(٢) عند البخاري مع «الفتح» (٦/ ٢٨١)، في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومُدَّتهم، قال الحافظ «الفتح» (٥/ ٢٣٤): وأراد بذلك ما بين الحديبية والفتح.

(٣) في قوله: (راغبة): أقوال، والذي عليه الجمهور – كما نقله الحافظ في «الفتح» – أنها قدمت طالبة في برِّ ابنتها لها خائفة من ردِّها إيَّاها خائبة.

(٤) البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٥) وصح عن النبي ﷺ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**». وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(٦) أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٣٥٨) أحمر
أسود

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا بَالُكَ مَعَنَا. قَالَ: إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ» فَأَنَا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

فعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإن أطاع أباه لكون النبي ﷺ أوصاه بذلك فقال: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ»، إلا أنه لم يقاتل المسلمين، ولم يرفع سيفه عليهم – رضي الله عنه وأرضاه-.

وهذا مزيد من الأدلة في النهي عن تقليد الآباء فيما هم عليه من كفر وعصيان وبدعة ومنكر وضلال:

حيث إن هذا التقليد الأعمى سبيل أهل الكفر والضلال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٣].

العاشرة: الحث على سلوك سبيل أهل الفضل والصلاح.

الحادية عشرة: التذكير بالآخرة وبالمرجع والمآب، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ﴾.

(٣٥٩) أحمر
أسود

الثانية عشرة: تعليم الأبناء مراقبة الله ﷻ، وأنه يراهم ويطلع عليهم، وعلى أعمالهم، وأنه سيوافيهم بها يوم القيامة.

الثالثة عشرة: بيان عظم شأن الصلاة، وعظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عن الأذى.

الرابعةَ عشرةَ: التأدب عند مخاطبة الناس وعدم الإعراض بالوجه عنهم، والتأدب في المشي والنهي عن الاختيال والفخر.

الخامسة عشرة: في الآيات إثبات صفة المحبة لله ﷻ، وذلك من المفهوم المخالف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

وفي الباب أدلة كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

السادسة عشرة: بيان أدب السير في الطرقات.

السابعة عشرة: بيان أدب التخاطب والتحادث مع الناس، وفضيلة خفض الصوت بالقدر الذي يسمع من تحادثه.

الثامنة عشرة: جواز ضرب الأمثال بالحُمُر ونحوها للتنفير من خصالها، وبيان أنكر الأصوات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليسَ لنَا مَثَلُ السَّوْءِ**».

التاسعة عشرة: مشروعية التذكير بقصص ومواعظ السابقين للاستفادة منها.

العشرون: بيان فضيلة لقمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه.

الحادية والعشرون: ذكر طائفة من أسماء الله الحسنى كالمغني، والحميد، واللطيف، والخبير.

فهذه بعض الفوائد، وثَمَّ فوائدُ أُخر يضيق المقام بذكرها.

(٣٦٠) أحمر
أسود

وهذا كله من فضل الله ﷻ، ثم من بركة هذا الكتاب العزيز فهو كتاب مبارك، كما وصفه الله تعالى؛ إذ قال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وكما قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

فنسأل الله أن ينفعنا، وأن يرفعنا بهذا الكتاب العزيز. وأن يجعله شاهدًا لنا لا علينا. وأن يشفعه فينا يوم نلقاه.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين، وأن يجعلنا مع الذي أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

❁ ❁ ❁

(٣٦١) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

[لقمان: ٢٠-٢٨].

(٣٦٢) أحمر
أسود

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿سَخَّرَ -وَأَسْبَغَ -نِعَمَهُۥ -ظَٰهِرَةً -وَبَاطِنَةً -يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ -يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ -مُحْسِنٌ -بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ -عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ -بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ -نَضْطَرُّهُمْ -أَقْلَٰمٌ -نَفِدَتْ -كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَخَّرَ﴾	ذلَّل
﴿وَأَسْبَغَ﴾	أتمَّ وأكمل
﴿نِعَمَهُۥ﴾	عموم النعم التي أنعم الله بها على العباد، ومنها نعمة الإسلام وقول لا إله إلا الله
﴿ظَٰهِرَةً﴾	ظاهرة للأعين، تُرى وتُحس
﴿وَبَاطِنَةً﴾	لا تراها الأعين
﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾	يخاصم في وحدانية الله – يقول: إن الله ليس وحده بل له شريك يُعبد معه
﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾	يستسلم وينقاد – يخلص عمله لله ولا يُراءي
﴿مُحْسِنٌ﴾	موافق في عمله الكتاب والسنة
﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾	الحلقة التي تقود من تمسك بها إلى الجنة، ولا تنكسر ولا تنثني حتى يأخذ بيده من تمسك بها إلى الجنة. وقيل عهدٌ وميثاق وعد الله به من أسلم وأحسن في إسلامه
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾	مرجع الأمور- مردها يوم القيامة

(٣٦٣) أحمر
أسود

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	دواخل النفوس وأسرارها وما يُفكر الشخص به في عبادة ربِّه ﷻ
﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾	نلجؤهم – نوردهم رغمًا عنهم
﴿أَقْلَٰمٌ﴾	جمع قلم (الأقلام المعروفة)
﴿نَفِدَتْ﴾	انتهت
﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾	أوامر الله ونواهيه وعموم ما يتكلم به

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءة الأولى: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ بالجمع، والمراد بها عموم النعم التي أنعم الله بها على الخلق.

والثانية: (**نعمته**)، وقال عدد من أهل العلم إن المراد به نعمة الإسلام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين: (**وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً**﴾ على الواحدة، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿نِعَمَهُۥ﴾ على الجماع، ووجَّهوا معنى ذلك، إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٢١] قالوا: فهذا جمع النعم.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة، ومعنى الجماع، وقد يدخل في الجماع الواحدة. وقد قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ

(٣٦٤) أحمر
أسود

ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]، فجمعها، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ألم تروا يا بني آدم أن الله ﷻ سخر لكم وذلَّل لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وسحاب ورياح وغير ذلك، وكذا ما في الأرض من بحارٍ وجبال وأشجار وغير ذلك، وكل ذلك سخره لمنافعكم وراحتكم، وأتم عليكم نعمه وأكملها تلك النعم التي ترون بعضها ويخفى عليكم غيرها، ومع ذلك كله فمنكم من يجادل ويخاصم في وحدانية الله ويزعم أنه له شريك، وذلك منه بجهلٍ وبدون برهان ولا كتاب مضيء، أنزله الله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجم وسحاب ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه، ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾.

(٣٦٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله، وإخلاص الطاعة والعبادة له ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ عنده بما يخاصم، ﴿وَلَا هُدٗى﴾: يقول: ولا بيان يبين به صحة ما يقول ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ يقول: ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعي، يُبين حقية دعواه.

وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ ليس معه من الله برهان ولا كتاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفًا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبَه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ أي: مبين مضيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ذكر نعمه على بني آدم وأنه سخر لهم ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجرُّ إليهم منافعهم وما في الأرض عامٌّ في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ﴾ أي: أكملها وأتمها وقرأ ابن عباس ويحيى

(٣٦٦) أحمر
أسود

ابن عمارة : وأصبغ بالصاد على بدلها من السين لأن حروف الاستعلاء تجتذب السين من سُفلها إلى علوها فتردها صادًا والنعم: مع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال وهي قراءة نافع و أبي عمرو و حفص الباقون : نعمة على الإفراد والإفراد يدل على الكثرة كقوله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم : ٣٤] وهي قراءة ابن عباس من وجوهٍ صحاحٍ وقيل : إن معناها الإسلام قال النبي ﷺ لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية : «**الظاهرة الإسلام وما حسن من خُلُقك والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك**» النحاس : وشرح هذا أن سعيد بن جبير قال في قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة : ٦] قال : يدخلكم الجنة وتمام نعمة الله ﷻ على العبد أن يدخله الجنة فكذا لما كان الإسلام يؤول أمره إلى الجنة سُمِّي نعمة وقيل : الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل وقال المحاسبي : الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى وقيل : الظاهرة ما يُرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي في هذا أقوالًا تسعة كلها ترجع إلى هذا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يُجَٰدِلُ﴾ يخاصم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: بغير حُجة ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ أي نيِّرٌ بين إلا الشيطان فما يلقى إليهم (وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ) [الأنعام : ١٢١] وإلا تقليد الأسلاف كما في الآية بعد ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يتبعونه.

❁ ❁ ❁

(٣٦٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإذا قيل لأهل الشرك والكفر، وعبدة الأوثان والأصنام، اتبعوا القرآن الذي أنزل الله على نبيه محمدٍ ﷺ ذلكم الذي يدعوكم الله فيه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، الذي يدعو إلى كل خير وينهى عن كل شرٍّ ويخبر بكل صدق، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فإنهم كانوا على حقٍّ وهدى، فقل لهؤلاء: أولو كان آباؤكم على الباطل، وكان الشيطان يدعوهم بتزيينه الكفر والمعاصي لهم إلى عذاب النار المستعرة، أكنتم أيضًا تتبعونهم؟!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلًا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدِّقوا به، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حقّ، قال الله تعالى ذكره: (أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي: لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي: على رسوله من الشرائع المطهرة، ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ أي: لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، قال الله: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا

(٣٦٨) أحمر
أسود

يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] أي: فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم، أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه؛ ولهذا قال: (أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ومن يخلص نيته لله ويقبل على الله ممتثلًا أمره، مجتنبًا نهيه، عاملًا بما أمر، تاركًا ما عنه نهي، فقد تمسك بحلقة متينة يُقاد بها إلى الجنة، لا تنكسر تلك الحلقة ولا تنثنى حتى تدخله الجنة، وكذا فإن له عهدًا موثقًا من الله أن يدخله الجنة وإلى الله مرجع الأمور ومردها، وسيسأل كل عبدٍ عما صنع ويُجازي كل عاملٍ بما عمل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يُعبِّد وجهه متذللًا بالعبودة، مقرًّا له بالألوهة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل، وإنما يعني بذلك: أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه، وهو المسائل أهله عنه، ومجازيهم عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل وانقاد

(٣٦٩) أحمر
أسود

لأمره واتبع شرعه؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد أخذ موثقًا من الله متينًا أنه لا يُعذبه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: كيف يفهم قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ والنفس مجبولة على أنها تحب من أسلم وتسعد لإسلامه وتحزن إذا ارتد مرتدٌّ واستمر الكافر على كفره؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم-: فلا تحزن حزنًا شديدًا يهلكك، وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن استمر على كفره بعد مجيء البينات إليه وإقامة الحجة عليه، وكذا من ارتد عن الإسلام بعد دخوله فيه فلا تحزن على هذا، ولا على ذلك، لا تذهب نفسك عليهم حسرات، لا تنقطع عليهم نفسك ولا تهلكها من أجلهم فإلينا مرجعهم يوم القيامة ومآبهم فنجدهم بأعمالهم ثم نجازيهم عليها، وكذا نجازيهم على ما أضمرته صدورهم ونفوسهم فالله عليم بدواخلهم وبما يدور في قلوبهم هذا، وإن كانوا مُمْتعين في الدنيا، فإنا قد متعناهم بهذا المتاع الزائل القليل الفاني ثم نُلجؤهم بعده إلى عذاب النار، ذلكم العذاب الشديد الغليظ. وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٣٧٠) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نُجازيهم عليها جزاءهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان. وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلًا قليلًا يتمتعون فيها ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذابًا غليظًا، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرّب منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ أي: لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به؛ فإن قدر الله نافذ فيهم، وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا، أي: فيجزيهم عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، فلا تخفى عليه خافية.

ثم قال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: في الدنيا، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي: نلجئهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: فظيع صعب شاقٌّ على النفوس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت أهل الشرك هؤلاء يا رسول الله من

(٣٧١) أحمر
أسود

خلق السموات والأرض ليقولن الله الذي خلقهن، فقل لهم: الحمد لله على إقراركم واعترافكم بأن خالقها هو الله، فكيف تدعون إذن أن الله معه آلهة أخرى فحقًّا إن أكثرهم قومٌ لا يعلمون ما يضرهم وما ينفعهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئًا وهم يُخلقون، ثم قال تعالى ذكره: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء المشركين به: إنهم يعرفون أن الله خالقُ السموات والأرض، وحدَه لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ [أي: إذْ قامت عليكم الحجة باعترافكم]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: هم يعترفون أن الله خالقهن فلم يعبدوا غيره ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ أي: على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيره ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: ينظرون ولا يتدبرون.

❁ ❁ ❁

(٣٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: لله ملك السموات والأرض يفعل فيهما ما يشاء ويتصرف فيهما كيفما يريد أن الله هو الغني عن خَلْقه، فكل شيء ملك له، وهو المحمود على نعمه التي يُنعم بها على خَلْقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: لله كلّ ما في السموات والأرض من شيء ملكًا كائنًا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول: إن الله هو الغنيّ عن عباده هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه؛ لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد: يعني: المحمود على نعمه التي أنعمها على خَلْقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: هو خلقه وملكه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، الحميد في جميع ما خلق، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع، وهو المحمود في الأمور كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي ملكًا وخلقًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ أي الغني عن خلقه وعن عبادتهم وإنما أمرهم لينفعهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود على صنعه.

❁ ❁ ❁

(٣٧٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: ولو أن أشجار الأرض كلها جُعلت أقلامًا وتحوَّلت إلى أقلام، وكان البحر كله مدادًا (أي حِبرًا) تُملأ به تلك الأقلام كي تكتب، وأُضيف إلى البحر سبعة أبحرٍ أخرى تكون مدادًا أيضًا (أي تكون حِبرًا) لنفد المداد كله، لنفدت الأبحر كلها ولم تنته كلمات ربي التي هي أقواله وأوامره ونواهيه وتذكيره والآية في معناها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وبنحو ما ذكرت قال أهل التأويل .

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها بُريت أقلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله: (يَمُدُّهُ) عائدة على البحر. وقوله: (مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله.

وأورد بإسناد صحيح: عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلامًا، وجعل البحور مدادًا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور، وتكسَّرت الأقلام.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ قال: قال المشركون[1]: إنما هذا

(١) وليس هذا بسبب نزول مسند إنما هو تفسير من قتادة للآية.

(٣٧٤) أحمر
أسود

كلام يوشك أن ينفد، قال: لو كان شجر البرّ أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخَلْقه وعلمه.

وأورد الطبري سبب نزول للآية الكريمة لكن بإسنادٍ ضعيف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا ومَده سبعة أبحر] معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونَفدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدًا.

وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر ولا [أن] ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله، ثم هلم جرا؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز قد عَز كلَّ شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه.

❁ ❁ ❁

(٣٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ما خلقكم يا بني آدم ولا بعثكم يوم القيامة إلا كخَلْق نفس واحدة وبعث نفس واحدةٍ، وكل ذلك سهلٌ وهينٌ على الله ﷻ فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون إن الله سميع لأقوال بني آدم، وسميع لكل شيء وبصير بكل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾) قال: يقول: إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما صلح أن يقال: إلا كنفس واحدة، والمعنى: إلا كخلق نفس واحدة؛ لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾ والعرب تفعل ذلك في المصادر ، ومنه قول الله : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩] والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير

(٣٧٦) أحمر
أسود

ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ أي: ما خَلْقُ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة [خلق] نفس واحدة، الجميع هين عليه و ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، (وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكده. ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة؛ ولهذا قال: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٧٧) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ
هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٢٩-٣٤].

(٣٧٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يُولِجُ - أَجَلٍ مُّسَمًّى - ٱلْبَٰطِلُ - ٱلْفُلْكَ - بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ - ءَايَٰتِهِۦٓ - صَبَّارٍ - شَكُورٍ - غَشِيَهُم - كَٱلظُّلَلِ - مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - مُّقْتَصِدٌ - يَجْحَدُ - خَتَّارٍ - ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ - فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ - ٱلْغَرُورُ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿يُولِجُ﴾	يُدخل
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	زمن محدد معلوم
﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾	الذاهب الذي لا بقاء له ولا حقيقة له
﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة
﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾	تيسير الله – بفضل من الله
﴿ءَايَٰتِهِۦٓ﴾	من أدلته التي يسوقها لبيان قدرته
﴿صَبَّارٍ﴾	كثير الصبر (في الضراء)
﴿شَكُورٍ﴾	كثير الشكر والرضا والحمد (في السراء)
﴿غَشِيَهُم﴾	حلَّ بهم ونزل بهم وخرج بهم عن الذي هم فيه
﴿كَٱلظُّلَلِ﴾	كالسحاب الذي يُظل
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	مفردين له العبودية والدعاء، لا تدعون معه غيره
﴿مُّقْتَصِدٌ﴾	متوسط (في الشكر)- غير شاكر
﴿يَجْحَدُ﴾	يكفر

(٣٧٩) أحمر
أسود

﴿خَتَّارٍ﴾	غدَّار
﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾	فلا تخدعنكم ولا تصرفنكم
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾؟

ج: المعنى– والله تعالى أعلم –: يدخل الليل في النهار فتطول ساعات الليل وتقصر ساعات النهار ويدخل النهار في الليل فتطول ساعات النهار وسخر الشمس والقمر، كلٌّ يجري إلى أجل قدَّره الله ﷻ، وحدّده، وأن الله بما تعملون خبير، خبيرٌ بما يصنعه العباد من خير أو شرٍّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بعينك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يقول: يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ يقول: يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات اللَّيل.

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ نقصان الليل في زيادة النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ نقصان النهار في زيادة الليل.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكر: وسخر الشمس والقمر لمصالح خَلْقه ومنافعهم، ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ﴾ يقول: كلّ ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم، وأجل محدود إذا بلغه كوّرت الشمس والقمر.

(٣٨٠) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن: عن قَتادة قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يقول: لذلك كله وقت وحدٌّ معلوم، لا يجاوزه ولا يعدوه.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شرّ ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك، وخرج هذا الكلام خطابًا لرسول الله ﷺ، والمعنيّ به المشركون، وذلك أنه تعالى ذكره: نبه بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ على موضع حجته من جهل عظمته، وأشرك في عبادته معه غيره، يدلّ على ذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ذلك الذي ذكره الله لكم من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل كي تستدلوا على وحدانية الله ولتعلموا أن الله ﷻ إله واحد حقًّا، وأن ما سواه من الآلهة، آلهة باطلة لا تملك لنفسها فضلًا عن غيرها ضرًّا ولا نفعًا، وأن الله هو العلي الكبير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قُدرته، إنما فعله بأنه الله حقًّا، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقُدرته.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الذي يعبد

هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحلّ، فيبيد ويفنى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الله هو العليُّ، يقول: ذو العلوّ على كلّ شيء، وكل ما دونه فله متذلل منقاد، الكبير الذي كل شيء دونه، فله متصاغر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ بمعنى: يأخذ منه في النهار، فيطولُ ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة. وكلا المعنيين صحيح، ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا ذر! أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأذن ربَّها فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت**»[(١)].

وقال:

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]. ومعنى هذا: أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي: الموجود الحق، الإله الحق، وأن كل ما

---

(١) البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٣٨٢) أحمر
أسود

سواه باطل فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه؛ لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذَرّة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابًا لعجزوا عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: العلي: الذي لا أعلى منه، الكبير: الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: ألم تر وتستدل برؤيتك على وحدانية الله، ألم تر أن هذه السفن الهائلة العظيمة تجري في البحر بتيسير الله ﷻ لها، إن في جريانها في البحر وتسييرها لدلالات على وحدانية الله يستدل بها كل صبار كثير الصبر على طاعة الله والاستقامة على أمره، شكور كثير الشكر لله على نعمائه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خَلْقه ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ﴾ يقول: ليريكم من عبره وحُججه عليكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحقّ، وأنّ ما يدعون من دونه الباطل ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: لكلّ من صبر نفسه عن محارم الله، وشكره على نعمه فلم يكفره.

إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبَّار الشَّكور دون

(٣٨٣) أحمر
أسود

سائر الخلق؟ قيل: لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحِجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل؛ لأن الآيات جعلها الله عِبرًا لذوي العقول والتمييز.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره، أي: بلطفه وتسخيره؛ فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت؛ ولهذا قال: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: من قدرته، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: صبار في الضراء، شكور في الرخاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وإذا حلَّ بهؤلاء المشركين، وهم على الفلك في البحر موجٌ كالسحاب الأسود المخيف من كثرته دعوا الله مفردين إياه بالدعاء والعبادة، ولم يسألوا أحدًا سواه، دعوه لينجيهم مما هم فيه فلما أنجاهم مما هم فيه وسلمهم وحفظهم فمنهم مقتصد، وقد قيل في المقتصد: إنه المقتصد (يعني: المتوسط) في تأدية ما عليه من شكر النعم، أنه لم يؤد شكر النعم حق الأداء بل كان متوسطًا في ذلك، ومن العلماء من قال: إن المقتصد هو الكافر، ومعنى مقتصد هاهنا: أنه مقتصد في توحيد ربِّه ليس بموحدٍ خالص التوحيد إنما قد شاب توحيده شركٌ بالله، وما يجحد بآيات الله وقدرته إلا كل غدَّار كثير الغدر وعدم الوفاء جحود لنعم الله عليه منكرٌ لها وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٣٨٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر -إذا ركبوا في الفُلك- موج كالظُّلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء، قال نابغة بني جعدة في صفة بحر:

يُماشِيهِنَّ أخْضَرُ ذُو ظِلال عَلى حافاتِهِ فِلَق الدّنانِ

وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع؛ لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضًا كهيئة الظلل. وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئًا، ولا يدعون معه أحدًا سواه، ولا يستغيثون بغيره. قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرِّ. ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر.

وقوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يكفر بأدلتنا وحُججنا إلا كلُّ غدَّار بعهده، والختر عند العرب: أقبح الغدر، ومنه قول عمرو بن معد يكرب:

وَإنَّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَيْرٍ مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ

وقوله: ﴿كَفُورٖ﴾ يعني: جحودًا للنعم، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ أي: كالجبال والغمام، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ

(٣٨٥) أحمر
أسود

لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قال مجاهد: أي كافر. كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل.

وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضًا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرًا والحالة هذه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ : فالختار: هو الغدَّار. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والخَتْر: أتَم الغدر وأبلغه، قال عمرو بن معد يكرب:

وَإِنَّكَ لَو رَأَيتَ أَبَا عُمَيرٍ ... مَلأتَ يَديكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ

وقوله: ﴿كَفُورٍ﴾ أي: جحود للنعم لا يشكرها، بل يتناساها ولا يذكرها.

❁ ❁ ❁

(٣٨٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾.

ج: المراد - والله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يحذر عباده يومًا ينفرد كلٌّ بعمله ولا يحمل أحدٌ فيه ذنوب غيره – إلا من أضل قومًا فإنه يحمل أيضًا إثم إضلالهم من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا، فلا يغني والدٌ عن ولده، ولا مولود عن والده شيئًا فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لمسلمهم وكافرهم، (ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وتلك الوقاية أعظمها توحيدكم وإفراد ربكم بعبادتكم وثَمَّ وقايات أخر كالصلاة والصيام والصدقة وغير ذلك من سائر الوقايات ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾ واحذروا يوم القيامة وما فيه من العذاب والأهوال، واعلموا في هذا اليوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود عن والده بل كل يحمل ذنوب نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ ثم يُذكر ربنا بأنه وعده متحقق لا ريب فيه ولا شك فيقول: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ فلا تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وبهجتها وزخرفها ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيحملكم على ارتكاب المحرمات، ويسوِّف لكم في التوبة ويمنعكم منها ويؤخركم عنها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وخافوا أن يحلَّ بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو مغنٍ عن والده شيئًا؛ لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل،

(٣٨٧) أحمر
أسود

إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقٌّ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يقول: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذَّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم. وقوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يقول: ولا يخدعنَّكم بالله خادع. والغَرور بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء كائنًا ما كان شيطانًا كان أو إنسانًا، أو دنيا، وأما الغُرور بضم الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررته غُرورًا.

وأورد الطبري آثارًا عن عدد من التابعين مفادها أن الغرور هو الشيطان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منذرًا للناس يوم المعاد، وآمرًا لهم بتقواه والخوف منه، والخشية من يوم القيامة حيث ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لو أراد أن يفديه بنفسه لما قُبِلَ منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه.

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [أي: لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة]. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان. قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. فإنه يغر ابن آدم ويَعدهُ ويُمنيه، وليس من ذلك شيء بل كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ يعني: الكافر والمؤمن أي: خافوه ووحدوه ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ تقدم

(٣٨٨) أحمر
أسود

معنى يجزي في البقرة وغيرهما فإن قيل : قال النبي ﷺ : «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم**» وقال : «**من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له حجابًا من النار**».

وقيل له : المعنى بهذه الآية: أنه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا يؤاخذ أحدهما عن الآخر والمعني بالأخبار أن ثواب الصبر على الموت والإحسان إلى البنات يحجب العبد عن النار ويكون الولد سابقًا له إلى الجنة ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: البعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ أي: تخدعنكم ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزينتها وما تدعو إليه فتتكلوا عليها وتركنوا إليها وتتركوا العمل للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ قراءة العامة هنا وفي سورة الملائكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغرُّ الخلق ويُمنيهم الدنيا ويُليهيهم عن الآخرة وفي سورة النساء : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [النساء : ١٢٠].

❁ ❁ ❁

س: كيف يفهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ...﴾ مع ما اكتشف الآن من إمكانية معرفة الجنين بعد نفخ الروح فيه هل هو ذكر أم أنثى؟

ج: ليس معنى كون البشر علموا ما في الأرحام هل هو ذكر أم أنثى أنهم أحاطوا بمعرفة كلِّ ما في الأرحام بل هناك أشياء وأحوال في الأرحام لا يعلمها إلا الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٨٩) أحمر
أسود

استئثار الله ﷻ بعلم الغيب

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: مرتبطٌ بما قبله ففي الآية التي قبله حذَّر الله سبحانه وتعالى من يوم القيامة، وهنا بيَّن سبحانه وتعالى أنه لا يعلم حتى مجيء هذا اليوم إلا الله سبحانه وتعالى حتى يجدَّ المجدون في العمل ويحذر الحذرون، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: العلم بيوم القيامة متى يكون؟ فقد استأثر الله بعلم ذلك، وكذا فلا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله، ويعلم ما في الأرحام بعمومه وتفاصيله وكل جزئياته، ويعلم ما سيكون في غدٍ، وماذا ستكسب الأنفس في غدٍ، وفي المستقبل عمومًا، وكذلك يعلم أين تموت الأنفس وأين تُقبض، قد علم ربي كل ذلك واستأثر بعلمه فلا يعلم أحدٌ شيئًا من هذه الخمس، وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ هو آتيكم؛ علم إتيانه إياكم عند ربكم، لا يعلم أحد متى هو جائيكم، لا يأتيكم إلا بغتة، فاتقوه أن يفجأكم بغتة، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبل لكم به. وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة. والمعنى: ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ من السماء، لا يقدر على ذلك أحد

(٣٩٠) أحمر
أسود

غيره، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أرحام الإناث ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يقول: وما تعلم نفس حيٍّ ماذا تعمل في غد، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ يقول: وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون منيتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان.

وأورد الطبري بإسناد حسن: عن قَتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهن، فلم يطلع عليهن ملَكًا مقرّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أي سنة، أو في أي شهر، أو ليل، أو نهار ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلًا أو نهارًا ينزل؟ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فلا يعلم أحد ما فِي الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ خير أم شرّ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدًا، لعلك المصاب غدًا ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو بر أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعِلْمُ وقت الساعة لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومَنْ شاء الله من خَلْقه. وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه [الله] تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى، أو شقيًّا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومَنْ شاء الله

(٣٩١) أحمر
أسود

من خَلْقه. وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك. وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]. وقد وردت السُّنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب.

وأورد رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث في هذا الصدد منها ما أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح[١] عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس لا يعلمهن إلا الله** ٥: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وما أخرجه أحمد والبخاري[٢] من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾».

وأورد أيضًا ما أخرجه البخاري[٣] عند تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس؛ إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر**». قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». فقال: يا رسول الله! ما الإحسان؟ قال: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك**

---

(١) المسند (٥/ ٣٥٣).
(٢) أحمد (٢/ ٢٤)، والبخاري (١٠٣٩).
(٣) البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (حديث ٩).

(٣٩٢) أحمر
أسود

تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأَمَةُ رَبَّتَهَا، فذاك من أشراطها. وإذا كان الحفاة العُرَاة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله**. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ ، ثم انصرف الرجل فقال: «**ردُّوه عَلَيَّ**». فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئًا، فقال: «**هذا جبريل، جاء ليُعلِّم الناس دينهم**».

وأورد رحمه الله عدة أحاديث في هذا الصدد.

❁ ❁ ❁

(٣٩٣) أحمر
أسود

تفسير سورة السجدة

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ
ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن
مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ
وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ
ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [السجدة: ١-١١].

(٣٩٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿الٓمٓ - لَا رَيۡبَ فِيهِ - ٱلۡعَٰلَمِينَ - ٱفۡتَرَىٰهُ - نَّذِيرٖ - يَهۡتَدُونَ - يَعۡرُجُ - عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ - ٱلۡعَزِيزُ - أَحۡسَنَ - ٱلۡإِنسَٰنِ - نَسۡلَهُۥ - سُلَٰلَةٖ - مَّهِينٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿الٓمٓ﴾	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله
﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه
﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	السموات والأرض وما بينهما- الإنس والجن
﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	اختلقه من عند نفسه
﴿نَّذِيرٖ﴾	رسول ينذرهم
﴿يَهۡتَدُونَ﴾	يوفقون للخير – يسلكون طريق الهداية
﴿يَعۡرُجُ﴾	يصعد
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	عالم ما غاب وما ظهر
﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾	الذي لا يغلب
﴿أَحۡسَنَ﴾	أتقن
﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾	المراد به هنا آدم عليه السلام
﴿نَسۡلَهُۥ﴾	ذريته
﴿سُلَٰلَةٖ﴾	ماء (منيًّا) منسلًّا خارجًا
﴿مَّهِينٖ﴾	حقير – ضعيف

❁ ❁ ❁

(٣٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: تنزيل القرآن الذي أنزل عليك إنما هو من رب العالمين، لا كما يقول المبطلون أنه أساطير الأولين، وليس كما يقولون: إن هذا إلا سحر يؤثر.

أما العالمين فالمراد السموات والأرض وما بينهما ويدخل في ذلك الإنس والجن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، لا شك فيه (مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ): يقول: من رب الثقلين: الجن والإنس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: قال: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه.

قال الطبري:

وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أُنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرصه محمد ﷺ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وقول الذين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين.

(٣٩٦) أحمر
أسود

س: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة بسورتي السجدة و«هل أتى» الإنسان اذكر ما يدل على ذلك.

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ، يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أيقولون عن رسول الله ﷺ أنه اختلق هذا القرآن وتقوَّله من عند نفسه، فكذبهم الله ﷻ في قيلهم هذا، وقال: بل هو الحق قد نزل من عند الله ﷻ عليك لتنذر قومًا وهم أهل مكة ما أتاهم من نذير أي من رسول من قبلك لعلهم يوفقوا لطاعة الله ﷻ وسلكوا طريقه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذّبه، و(أم) هذه تقرير، وقد بيَّنا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدًا افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك؛ لتنذر قومًا بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على

(١) البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠).

(٣٩٧) أحمر
أسود

كفرهم به (مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ) يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ يقول: ليتبيَّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: كانوا أمَّة أمِّيَّة، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾.

ج: هذا تذكيرٌ من الله ﷻ لعباده بأنه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام (قيل من أيام الدنيا) ثم استوى (قيل في اليوم السابع) على العرش ما لكم غير الله من وليٍّ يتولاكم وينصركم ويحفظكم ولا شفيع يشفع لكم إلا بإذنه أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من خلق ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ في اليوم السابع. يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلقَ هذا الخَلْق العجيب في ستة أيام.

وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ

(٣٩٨) أحمر
أسود

يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرّا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليًّا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتُفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش. وقد تقدم الكلام على ذلك.

﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ أي: بل هو المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه - تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد، أو وزير أو عديل، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وليست ثمَّ للترتيب وإنما هي بمعنى الواو ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ أي: ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ في قدرته ومخلوقاته.

❁ ❁ ❁

(٣٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾.

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم فيها – والله أعلم بالصواب – ما يلي:

يُدبر الله ﷻ أمر الخلائق وهو على عرشه وتتنزل الملائكة بهذا الأمر إلى الأرض وإلى الخَلْق ثم تصعد الملائكة بأعمال العباد إلى ربها ﷻ، كل ذلك (وقت التنزل ووقت الصعود في زمن يسير جدًّا لو قُدِّر بأزمنتكم لكان يعدل ألف سنة من السنين التي تحتسبونها في حياتكم، وبهذا جاءت أقوال عدد من أهل العلم).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرُج إليه.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدَّر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا؛ لأن ما بين الأرض إلى السماء خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ من أيامكم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من

(٤٠٠) أحمر
أسود

قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ أي: يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وتُرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسُمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ من الذي يعرج إليه؟

ج: قيل الملك الذي نزل بالأمر كما قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الذي يدبر الأمر من السماء والأرض هو

(٤٠١) أحمر
أسود

الله ﷻ العالم بكل شيء، عالم بالظواهر والبواطن عالم ما غاب وما ظهر، وما أُخفي وما أُعلن العزيز الذي لا يُغلب، الرحيم بعباده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذّب رسله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها -هو ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي قد عَزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين. فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك بمعنى أنا حسبما تقدم بيانه في أول البقرة وفي الكلام معنى التهديد والوعيد أي: أخلصوا أفعالكم وأقوالكم فإني أجازي عليها.

❁ ❁ ❁

(٤٠٢) أحمر
أسود

س: في قوله: (خَلَقَهُۥ) قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءة الأولى فهي ﴿خَلَقَه﴾ بفتح اللام على أنها فعل ماضٍ.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ معناها – والله أعلم-: الذي أحسن الأشياء ولما خلقها أي الذي خلقها حسنة، وقيل: الذي أتقن كل شيء وأحكمه.

أما القراءة الثانية فهي ﴿خَلْقَه﴾ بتسكين اللام والمعنى الذي ألهم كل شيء خَلْقَه والذي أعلم كل شيءٍ خلقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ بسكون اللام. وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى، وذلك أن الله أحكم خلقه، وأحكم كل شيء خلَقه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: أتقن كلّ شيء وأحكمه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذي حسن خلق كل شيء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه، وأن قوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو من قول القائل: فلان يحسن كذا، إذا كان يعلمه.

(٤٠٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قُرِئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحُسن، فلما كان في خلقه ما لا يشكّ في قُبحه وسماجته، عُلم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك: أعلم وألهم كلّ شيء خلقه، هو أحسنهم، كما قال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]؛ لأن ذلك أظهر معانيه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن الله ﷻ هو الذي أحسن خلق كل شيء وبدأ خلق الإنسان الذي هو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من طين ثم جعل ذريته من ماءٍ ضعيف (وهو المني) ينسل انسلالًا فيخرج من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فينصب في رحم حواء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وهكذا سائر ذرية آدم الذكور والإناث خُلِقُوا من ماءٍ مهين.

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ فهو عائد على قوله وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ أي: وبعد أن خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من طين سواه، أي جعله سويًّا معتدلًا ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم (يا بني آدم) السمع والأبصار والأفئدة، وقلَّ منكم من يشكر، وإن شكرتم فشكركم قليل.

(٤٠٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ يعني: ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾، يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه، كما قال الشاعر:

فجاءتْ بِه عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَرًا سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ وهو خلق آدم، ثم جعل نسله: أي ذرّيته من سلالة من ماء مهين، والسلالة هي: الماء المهين الضعيف.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خَلْقًا سويًّا معتدلًا ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ فصار حيًّا ناطقًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلًا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها.

(٤٠٥) أحمر
أسود

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ قال: أحسن خلق كل شيء. كأنه جعله من المقدم والمؤخر.

ثم لما ذكر خلق السموات والأرض، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ يعني: خلق أبا البشر آدم من طين.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ أي: يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سويًّا مستقيمًا، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾، يعني: العقول، ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله ﷻ، فالسعيد مَنْ استعملها في طاعة ربه عز وجل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ يعني: آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ تقدم في (المؤمنون) وغيرها. وقال الزجاج: من ماء مهين ضعيف وقال غيره: مهين لا خطر له عند الناس. ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ رجع إلى آدم أي: سوَّى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ ثم رجع إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾ وقيل: ثم جعل ذلك الماء المهين خلقًا معتدلًا وركَّب فيه الروح وأضافه إلى نفسه تشريفًا وأيضًا فإنه من فعله وخَلْقه كما أضاف العبد إليه بقوله: عبدي وعبَّر عنه بالنفخ؛ لأن الروح في جنس الريح وقد مضى هذا مبينًا في النساء وغيرها ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ أي: ثم أنتم لا تشكرون بل تكفرون.

❁ ❁ ❁

(٤٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن أهل الكفر قالوا مُستنكرين البعث مُنكرين الحساب: أئنذا متنا وصرنا ترابًا وتفرقت أجسادنا هاهنا وهاهنا واختلطت هل سنبعث مرةً ثانية، أحياء بعد الموت، فنعم سيبعثون، ولكنهم جاحدون البعث منكرون الثواب والعقاب منكرون للقاء الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المُكذّبون بالبعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض وفيها لغتان: ضَلَلْنَا، وَضَلِلنا. بفتح اللام وكسرها، والقراءة على فتحها وهي الجوداء، وبها نقرأ. وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿أَءِذَا صَلَلۡنَا﴾ بالصاد، بمعنى: أنتنا، من قولنا: صلّ اللحم وأصلّ إذا أنتن. وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض؛ لأن كلّ شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضلّ فيه، تقول العرب: قد ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه، ومنه قول الأخطل لجرير:

كُنْتَ القَذَى في مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ قال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقوله: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون؛ حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

(٤٠٧) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ ؟ أي: أئنا لَنَعُودُ بعد تلك الحال؟! يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدْرَتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قُدْرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الإعادة لأنهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا أن لا حساب عليهم وأنهم لا يلقون الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: هل ملك الموت له أعوان أم لا؟

ج: نعم له أعوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس ملك واحد معين، وهذا هو المشهور، وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل.

وقد بيَّن تعالى في آيات أُخر أن الناس تتوفّاهم ملائكة لا ملك واحد؛

(٤٠٨) أحمر
أسود

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١] إلى غير ذلك من الآيات.

وإيضاح هذا عند أهل العلم: أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد، هو المذكور هنا، ولكن له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، أو يعينونه إعانة غير ذلك.

وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور: أن النبيّ ﷺ ذكر فيه: «**أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها من يده بسرعة ملائكة فصعدوا بها إلى السماء**»، وقد بيَّن فيه ﷺ ما تعامل به روح المؤمن وروح الكافر بعد أخذ الملائكة له من ملك الموت حين يأخذها من البدن، وحديث البراء المذكور صححه غير واحد، وأوضح ابن القيّم في كتاب «الروح»، بطلان تضعيف ابن حزم له.

والحاصل: أن حديث البراء المذكور، دلَّ على أن مع ملك الموت ملائكة آخرين يأخذون من يده الروح، حين يأخذه من بدن الميّت. وأمّا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدرون أن يتوفّوا أحدًا إلاّ بمشيئته جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فتحصل: أن إسناد التوفي إلى ملك الموت في قوله هنا: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأن إسناده للملائكة في

(٤٠٩) أحمر
أسود

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الآية، ونحوها من الآيات؛ لأن لملك الموت أعوانًا يعملون بأمره، وأن إسناده إلى الله في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المنكرين للقاء الله ﷻ يقبض أرواحكم ملك الموت عند انقضاء آجالكم، فقد وكِّل ملك الموت بذلك وكل بقبض الأرواح عند انقضاء الآجال، وقد قيل إن ملك الموت اسمه عزرائيل، ولم يثبت بذلك خبرٌ عن النبي ﷺ، هذا، ولملك الموت أعوان كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾.

هذا، وبعد أن يقبض ملك الموت أرواحكم وتموتوا وتقوم قيامتكم ترجعون إلى ربكم ﷻ فيجازى المحسن بإحسانه ويجازى المسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، ومنه قول الراجز:

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ يقول: من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى

(٤١٠) أحمر
أسود

ربكم يوم القيامة، تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ ، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة «إبراهيم»، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان. وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت.

وقال: وقوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم عن قبوركم لجزائكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عطية بعد ذكره الحديث: وكذلك الأمر في بني آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف ملك وملائكة معه في قبض أرواحهم فخلق الله تعالى ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح واستلالها من الأجسام وإخراجها منها وخلق الله تعالى جندا يكونون معه يعلمون عمله بأمره فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنفال: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] وقد مضى هذا المعنى في الأنعام والبارئ خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى

(٤١١) أحمر
أسود

مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون والله تعالى يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الآي والحديث لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفي إليه كما أضيف الخلق للملك.

❁ ❁ ❁

(٤١٢) أحمر
أسود

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا
فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا
وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ فَذُوقُواْ
بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ١٤ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ
أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ
١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾

[السجدة: ١٢-٢٠]

(٤١٣) أحمر
أسود

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ - أَبْصَرْنَا - وَسَمِعْنَا - مُوقِنُونَ - هُدَىٰهَا - حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي - نَسِيتُمْ - نَسِينَٰكُمْ - خَرُّواْ سُجَّدًا - تَتَجَافَىٰ - ٱلْمَضَاجِعِ - خَوْفًا - وَطَمَعًا - قُرَّةِ أَعْيُنٍ - فَاسِقًا - جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ - فَمَأْوَىٰهُمُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾	خافضوا رءوسهم (خجلًا وحياءً وحُزنًا)
﴿أَبْصَرْنَا﴾	رأينا الحق
﴿وَسَمِعْنَا﴾	سمعنا الحق
﴿مُوقِنُونَ﴾	متيقنون – قد أيقنا
﴿هُدَىٰهَا﴾	إيمانها – توفيقها للخير والإيمان
﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾	وجب قولي (على الكفار) وتحقق فيهم مرادي
﴿نَسِيتُمْ﴾	تركتم العمل
﴿نَسِينَٰكُمْ﴾	تركناكم في العذاب
﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾	نزلوا من القيام للسجود (وهووا إليه)
﴿تَتَجَافَىٰ﴾	تتنحى – تبتعد – أماكن النوم
﴿خَوْفًا﴾	خوفًا من غضبه وناره
﴿وَطَمَعًا﴾	طمعًا في رضاه وجنته
﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	ما تستقر به الأعين فلا تنظر إلى شيء آخر

(٤١٤) أحمر
أسود

﴿فَاسِقًا﴾	خارجًا على الطاعة – كافرًا (وهو المراد هنا)
﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	جنات الإقامة الدائمة التي يأوون إليها
﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾	فمصيرهم الذي يصيرون إليه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولو ترى يا رسول الله، وكذا ولو ترى يا ابن آدم أهل الإجرام الذين كانوا في الدنيا أهل إجرام، وما آل إليه أمرهم يوم القيامة لرأيت منظرًا عجيبًا ولرأيت أحوالًا مهولةً تراهم خافضوا رؤوسهم حياءً وخجلًا من الله ﷻ يقولون: يا ربنا قد أبصرنا الحق الذي كنا في الدنيا لا نراه وسمعناه كذلك فيا ربنا ردنا إلى الحياة الدنيا كي نعمل أعمالًا صالحة تنجينا من عذابك فقد أيقنا أن قولك الحق ووعدك الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ إذ هم ناكسوا رءوسهم عند ربهم حياء من ربهم. للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نكذِّب به من عقابك أهل معاصيك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون رب سواك، وأنك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل

ما تشاء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل، يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا ﴾ أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨]. وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] . وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا ﴾ أي: إلى الدار الدنيا، ﴿ نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله، كما قال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ ابتداء وخبر قال الزجاج : والمخاطبة للنبي ﷺ مخاطبة لأمته والمعنى : ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب، ومذهب أبي العباس غير هذا وأن يكون المعنى : يا محمد قل للمجرم ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك. ناكسو رءوسهم أي: من الندم والخزي والحزن والذل والغم عند ربهم أي: عند محاسبة ربهم وجزاء أعمالهم ربنا

(٤١٦) أحمر
أسود

أي: يقولون ربنا (أَبْصَرْنَا) أي: أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وقيل: أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك أبصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فأرجعنا أي: إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل: مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ أنه حق قاله يحيى بن سلام قال سفيان الثوري : فأكذبهم الله تعالى فقال : ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] وقيل : معنى إنا موقنون أي: قد زالت عنا الشكوك الآن وكانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا في الآخرة صاروا حينئذ كأنهم سمعوا وأبصروا وقيل : أي ربنا لك الحجة فقد أبصرنا رسلك وعجائب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا أن يردوا إلى الدنيا ليؤمنوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ولو شئنا لجعلنا الخلق كلهم مؤمنين أهل إيمانٍ ولأعطينا كل نفس تقواها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]، وكما قال تعالى: ﴿لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١]، ولكن حق القول مني، ذلكم القول الذي قلته والقضاء الذي قضيته قبل أن أخلق الخلق ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ يا محمد﴿لَآتَيْنَا ﴾ هؤلاء المشركين بالله

من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ﴿هُدَىٰهَا﴾ يعني: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: من أهل المعاصي والكفر بالله منهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعًا، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ حقَّ القول عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال هاهنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – فذوقوا العذاب بما تركتم العمل ليومكم هذا، فإنا تركناكم في العذاب وأهملناكم كما أهملتم أنفسكم وتركتم تقويمها في الدنيا أو تركتم آياتي، فالجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

هذا قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حاصل معناه:

(٤١٨) أحمر
أسود

وذوقوا عذاب النار التي تخلدون فيها جزاءً على سيء أعمالكم التي عملتموها في دنياكم والتي منها شرككم بالله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار.

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ يقول: يقال لهم أيضا: ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ في الدنيا ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ من معاصي الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ قال: نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي: يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ أي: سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئًا ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: بسبب كفركم وتكذيبكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢٤-٣٠].

❁ ❁ ❁

(٤١٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – إنما يُصدِّق بآياتنا تمام التصديق الذين إذا ذُكِّروا بهذه الآيات خروا سجدًا لربهم ﷻ مسبِّحين بحمده قد نزهوه عن كل ما لا يليق، ومزجوا ذلك بالحمد، يفعلون ذلك متواضعين لله متذللين له ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا ﴿خَرُّوا﴾ لله ﴿سُجَّدًا﴾ لوجوههم، تذلُّلا له، واستكانة لعظمته، وإقرارًا له بالعبوديَّة ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ أي: إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

[غافر: ٦٠]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خلطوا التسبيح بالحمد أي: نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده سبحان ربي الأعلى وبحمده أي:

(٤٢٠) أحمر
أسود

تنزيهًا لله تعالى عن قول المشركين وقال سفيان: وسبحوا بحمد ربهم أي: صلوا حمدا لربهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته قاله يحيى بن سلام النقاش: لا يستكبرون كما استكبر أهل مكة عن السجود.

❁ ❁ ❁

س: هل في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سجود تلاوة؟

ج: ليُعلم أولًا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان[1].

ولكن هل كان النبي ﷺ يسجد عند قراءتها في فجر الجمعة أم لا؟ لم أقف على جزء ثابت في ذلك لكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: قال ابن بطال: أجمعوا على السجود فيها، وإنما اختلفوا في السجود بها في الصلاة.

وقال أيضًا في كتاب الجمعة[3].

(فَائِدَتَانِ) الْأُولَى: لَمْ أَرَ فِي شَيْء مِنْ الطُّرُق التَّصْرِيحَ بِأَنَّهُ ﷺ سَجَدَ لَمَّا قَرَأَ سُورَة تَنْزِيل السَّجْدَة فِي هَذَا الْمَحَل إِلَّا فِي كِتَاب الشَّرِيعَة لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «غَدَوْت عَلَى النَّبِيّ ﷺ يَوْم الْجُمُعَة فِي صَلَاة الْفَجْر فَقَرَأَ سُورَة فِيهَا سَجْدَة فَسَجَدَ» الْحَدِيث، وَفِي إِسْنَاده مَنْ يُنْظَر فِي حَاله. وَلِلطَّبَرَانِيِّ فِي الصَّغِير مِنْ حَدِيث عَلِيّ «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ سَجَدَ فِي صَلَاة الصُّبْح فِي تَنْزِيل السَّجْدَة» لَكِنْ فِي إِسْنَاده ضَعْف[4].

---

(١) البخاري (٨٩١).
(٢) فتح الباري (٢/ ٦٤٢).
(٣) فتح (٢/ ٤٤٠).
(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٧٠)، وفي سنده ضعف ولفظه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سجد في صلاة الصبح بتنزيل السجدة. =

(٤٢١) أحمر
أسود

الثَّانِيَة: قِيلَ الْحِكْمَة فِي اِخْتِصَاص يَوْم الْجُمُعَة بِقِرَاءَةِ سُورَة السَّجْدَة قَصْد السُّجُود الزَّائِد حَتَّى أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأ هَذِهِ السُّورَة بِعَيْنِهَا أَنْ يَقْرَأ سُورَة غَيْرهَا فِيهَا سَجْدَة، وَقَدْ عَابَ ذَلِكَ عَلَى فَاعِله غَيْرُ وَاحِد مِنْ الْعُلَمَاء، وَنَسَبَهُمْ صَاحِب الْهَدْي إِلَى قِلَّة الْعِلْم وَنَقْص الْمَعْرِفَة، لَكِنْ عِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادٍ قَوِيّ عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ أَنَّهُ قَالَ: يُسْتَحَبّ أَنْ يَقْرَأ فِي الصُّبْح يَوْم الْجُمُعَة بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَة. وَعِنْده مِنْ طَرِيقه أَيْضًا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَرَأَ سُورَة مَرْيَم. وَمِنْ طَرِيق اِبْن عَوْن قَالَ: كَانُوا يَقْرَءُونَ فِي الصُّبْح يَوْم الْجُمُعَة بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَة. وَعِنْده مِنْ طَرِيقه أَيْضًا قَالَ: وَسَأَلْت مُحَمَّدًا - يَعْنِي اِبْن سِيرِينَ - عَنْهُ فَقَالَ لَا أَعْلَم بِهِ بَأْسًا. اهـ.

فَهَذَا قَدْ ثَبَتَ عَنْ بَعْض عُلَمَاء الْكُوفَة وَالْبَصْرَة فَلَا يَنْبَغِي الْقَطْع بِتَزْيِيفِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّوَوِيّ فِي زِيَادَات الرَّوْضَة هَذِهِ الْمَسْأَلَة وَقَالَ: لَمْ أَرَ فِيهَا كَلَامًا لِأَصْحَابِنَا، ثُمَّ قَالَ: وَقِيَاس مَذْهَبنَا أَنَّهُ يُكْرَه فِي الصَّلَاة إِذَا قَصَدَهُ اهـ. وَقَدْ أَفْتَى اِبْن عَبْد السَّلَام قَبْله بِالْمَنْعِ وَبِبُطْلَانِ الصَّلَاة بِقَصْدِ ذَلِكَ، قَالَ صَاحِب الْمُهِمَّات: مُقْتَضَى كَلَام الْقَاضِي حُسَيْن الْجَوَاز. وَقَالَ الْفَارِقِيّ فِي فَوَائِد الْمُهَذَّب: لَا تُسْتَحَبّ قِرَاءَة سَجْدَة غَيْر تَنْزِيل، فَإِنْ ضَاقَ الْوَقْت عَنْ قِرَاءَتهَا قَرَأَ بِمَا أَمْكَنَ مِنْهَا وَلَوْ بِآيَةِ السَّجْدَة مِنْهَا، وَوَافَقَهُ اِبْن أَبِي عَصْرُون فِي كِتَاب الِانْتِصَار وَفِيهِ نَظَرٌ.

❁ ❁ ❁

= وهناك حديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر ثم قام فركع فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة. أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وأحمد (٢/ ٨٣)، وغيرهما وفي سنده انقطاع أو جهالة راو يُقال له أمية.

(٤٢٢) أحمر
أسود

مباحث في السجود
فضل السجود

س: اذكر بعض الوارد في فضل السجود.

ج: من ذلك ما يلي:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ»[1].

وعنه أيضًا: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟.... وفيه: «حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»[2].

حديث ثَوْبَانَ وأبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنْ مَعْدَان بْن أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ. فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً». قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ[3].

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) مسلم (٨١).
(٢) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).
(٣) مسلم (٤٨٨).

(٤٢٣) أحمر
أسود

فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[١].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٢].

❁ ❁ ❁

حكم سجود التلاوة

س: هل سجود التلاوة مستحب أو واجب؟

ج: سجود التلاوة مستحب عند جمهور العلماء.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولًا: أن النبي ﷺ سجد عند قراءة السجدة من سورة النجم فسجد، وقرأ الآية في موطن آخر فلم يسجد.

أما كونه سجد فيها ففي الصحيحين[٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفًّا من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا قال ابن مسعود: «فلقد رأيته بعد قُتل كافرًا».

وأخرج البخاري[٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٥٧٦).
(٤) البخاري (١٠٧١).

(٤٢٤) أحمر
أسود

أما كونه لم يسجد فيها ففي الصحيحين[١] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﷺ (والنجم) فلم يسجد فيها.

أما الدليل الثاني على عدم وجوب سجود التلاوة فما أخرجه البخاري[٢] من طريق رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهُدَيْرِ التَّيْمِيِّ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ابن أبي مليكة) وَكَانَ رَبِيعَةُ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - عَمَّا حَضَرَ رَبِيعَةُ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ. وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَزَادَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: إِنَّ اللهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَينَا السُّجُودَ إِلَّا أَنْ نَشَاءَ.

أما الدليل الثالث على عدم وجوب سجدة التلاوة فهو قول رسول الله ﷺ للأعرابي لما سأله عن الصلوات المفروضة فقال: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» قال: هل عليَّ غيرهن، قال: «**لا إلا أن تطوع**»[٣].

هذا، وبالاستحباب قال جمهور العلماء كما نقله عنهم النووي في التبيان في آداب حملة القرآن هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى الوجوب كالأحناف حيث نقله عنهم الطحاوي في شرح معاني الآثار[٤].

واستدلوا بالعمومات كقوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ [النجم: ٦٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الانشقاق: ٢١].

---

(١) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).
(٢) البخاري (١٠٧٧).
(٣) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).
(٤) (١/ ٣٥٥).

(٤٢٥) أحمر
أسود

وبحديث أبي هريرة الوارد في فضل السجود، وقد تقدم عند مسلم وفيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ».

وأجيب على الآيات بأن المراد بقوله: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ يتحقق بسجود الصلاة المفروضة وكذا سائر الأوامر والله أعلم.

❁ ❁ ❁

السجود والطهارة

س: هل تشترط الطهارة لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى اشتراط الطهارة لسجود التلاوة قياسًا على الصلاة، بل وادعى بعضهم أن الإجماع منعقدٌ على ذلك.

قال ابن عبد البر[1]: إجماع من الفقهاء أنه لا يسجد أحدٌ سجدة التلاوة إلا على طهارة.

ونفى ابن قدامة والقرطبي الخلاف في أن سجود القرآن يحتاج إلى ما تحتاج إليه الصلاة من طهارة حدث ونجس ونية واستقبال قبلة ووقت.

هذا، والإجماع المنقول فيه نظر، فقد ذهب ابن حزم وابن تيمية والصنعاني والشوكاني وآخرون إلى أنه لا يلزم الوضوء لسجود التلاوة، واستدلوا بأدلة منها أن النبي ﷺ لما قرأ سورة النجم وبلغ قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾، سجد وسجد جميع من كانوا معه من المسلمين والمشركين والجن... الحديث، وقد تقدم.

قالوا: ويبعد أن يكون الجميع على وضوء وأُجيب على هذا بأن الوضوء

(١) الاستذكار (٨/ ١١٠).

(٤٢٦) أحمر
أسود

لم يكن فرض آنذاك.

واستدلوا أيضًا بحديث صلاة الليل مثنى مثنى، والسجدة ليست كذلك فليست بداخلة في أحكام الصلاة، وثم استدلالات أخر.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودُ فِيهِ وَمَسُّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى جَائِزٌ، كُلُّ ذَلِكَ بِوُضُوءٍ وَبِغَيْرِ وُضُوءٍ وَلِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ.

بُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودَ فِيهِ وَمَسَّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرَ اللهِ تَعَالَى أَفْعَالُ خَيْرٍ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مَأْجُورٌ فَاعِلُهَا، فَمَنْ ادَّعَى الْمَنْعَ فِيهَا فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ كُلِّفَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْبُرْهَانِ.

وَأَمَّا سُجُودُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ لَيْسَ صَلاَةً أَصْلاً.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعلى هذا «أي: سجدة التلاوة» فليست صلاة فلا تشترط لها شروط الصلاة بل تجوز على غير طهارة، كما كان ابن عمر يسجد على غير طهارة لَكِنْ هِيَ بِشُرُوطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخِلَّ بِذَلِكَ إلَّا لِعُذْرٍ .

فَالسُّجُودُ بِلَا طَهَارَةٍ خَيْرٌ مِنْ الْإِخْلَالِ بِهِ وَعَلَى هَذَا تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ فَقَالَ : (بَابُ سَجْدَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكُ نَجِسٌ لَيْسَ لَهُ وُضُوءٌ...).

وذكر أثر ابن عمر وحديث ابن مسعود.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ جِنْسَ الْعِبَادَةِ لَا تُشْتَرَطُ لَهُ الطَّهَارَةُ بَلْ إنَّمَا تُشْتَرَطُ لِلصَّلَاةِ . فَكَذَلِكَ جِنْسُ السُّجُودِ يُشْتَرَطُ لِبَعْضِهِ وَهُوَ السُّجُودُ الَّذِي لِلَّهِ كَسُجُودِ الصَّلَاةِ وَسَجْدَتَيْ السَّهْوِ بِخِلَافِ سُجُودِ التِّلَاوَةِ وَسُجُودِ الشُّكْرِ وَسُجُودِ الْآيَاتِ .

---

(١) المحلى (١/ ٧٩).

(٤٢٧) أحمر
أسود

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْ سُجُودِ السَّحَرَةِ لَمَّا آمَنُوا بِمُوسَى عَلَى وَجْهِ الرِّضَا بِذَلِكَ السُّجُودِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُتَوَضِّئِينَ وَلَا يَعْرِفُونَ الْوُضُوءَ . فَعُلِمَ أَنَّ السُّجُودَ الْمُجَرَّدَ لِلَّهِ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ مُتَوَضِّئًا وَشَرْعُ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا مَا لَمْ يَرِدْ شَرْعُنَا بِخِلَافِهِ.

وَهَذَا سُجُودُ إِيمَانٍ وَنَظِيرُهُ «الَّذِينَ أَسْلَمُوا فَاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ...» وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَيَقُولُوا : حِطَّةٌ . وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِوُضُوءٍ وَلَا كَانَ الْوُضُوءُ مَشْرُوعًا لَهُمْ.

بَلْ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَسَوَاءٌ أُرِيدَ السُّجُودُ بِالْأَرْضِ أَوْ الرُّكُوعُ ....

وَأَيْضًا: فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ بِالسُّجُودِ الْمُجَرَّدِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [مريم: ٥٨] إلى قوله: ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩﴾ وَلَمْ يَكُونُوا مَأْمُورِينَ بِالْوُضُوءِ. اهـ.

وقال الصنعاني[1]:

واختلفوا أيضًا هل يشترط فيها ما يشترط في الصلاة من الطهارة وغيرها فاشترط ذلك جماعة وقال قوم لا يشترط... ثم قال: والأصل أنه لا يشترط الطهارة إلا بدليل وأدلة وجوب الطهارة وردت للصلاة والسجدة لا تسمى صلاة فالدليل على من شرط ذلك.

وقال الشوكاني[2]:

ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئًا وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته ولم ينقل أنه أمر أحدًا منهم

(١) سبل السلام (١/ ٣٥٤).
(٢) نيل الأوطار (٥/ ٣٤٧).

(٤٢٨) أحمر
أسود

بالوضوء ويبعد أن يكونوا جميعًا متوضئين، وأيضًا قد كان يسجد معه المشركون كما تقدم وهم أنجاس لا يصح وضوؤهم.

قلت: فالحاصل أن أكثر العلماء على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة قياسًا على الصلاة والقائلون بعدم اعتبار القياس، أو القائلون بأن القياس هنا لا يتم قالوا بجواز السجود بلا وضوء.

وليس في المسألة دليل واضح يدل على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل للحائض أن تسجد للتلاوة؟

ج: ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن الحائض لا تسجد سجدة التلاوة قياسًا منهم للسجود على الصلاة، واشتراطهم للسجود ما يشترط للصلاة على ما قد تقدم.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك لها وقد بينا بعض أدلتهم فيما سبق كسجود من سجد مع رسول الله ﷺ لما قرأ آية النجم ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ ويبعد أن يكون الجميع على وضوء، وكذا فقد ورد عن الزهري وقتادة القول بأنها: تسجد[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (١/ ٣٢١).

(٤٢٩) أحمر
أسود

المستمع وسجود التلاوة

س: هل يشرع للمستمع أن يسجد للتلاوة؟

ج: نعم يشرع له أن يسجد للتلاوة لأثر ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدُنا موضع جبهته[1].

❁ ❁ ❁

التكبير لسجود التلاوة

س: هل يُكبر الشخص عند الهوي لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى مشروعية التكبير لسجود التلاوة مستدلين بحديث ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فإذا مرَّ بالسجدة كبر وسجد وسجدنا إلا أن هذا الحديث ضعيف الإسناد[2].

واستدلوا أيضًا بالقياس على الصلاة المعتادة فالشخص فيها يكبر عند كل خفضٍ ورفع والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل يشرع للشخص أن يقرأ سورة فيها سجدة تلاوة في الصلاة السرية؟

ج: إذا كان المصلي يصلي صلاة سرية منفردًا فلا بأس.

أما إذا كان إمامًا فيرى جمهور العلماء أن ذلك يكره له لما يُحدثه هذا الصنيع من التباس عند المصلين.

بينما ذهب بعض أهل العلم[3] إلى جواز ذلك بلا كراهة؛ منهم الإمام الشافعي رحمه الله، ومن أدلتهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد في صلاة

---

(١) البخاري (١٠٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤١٣)، وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري (مكبر الاسم مصغر في الرواية).

(٣) انظر فتح الباري (٢/ ٦٥١)، وابن قدامة في المغني (٢/ ٣٧١).

(٤٣٠) أحمر
أسود

الظهر، ثم قام فركع، فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة إلا أن الحديث ضعيف[١].

❁ ❁ ❁

العاجز عن سجدة التلاوة

س: ماذا يفعل من قرأ آية السجدة أو استمعها ولم يستطع السجود لكونه كان ماشيًا أو راكبًا ولم يستطع السجود؟

ج: الذي يظهر لي -والله تعالى أعلم- أنه يومئ برأسه، فالنبي ﷺ كان يصلي النافلة على الراحلة في السفر أينما توجهت يُومئ[٢].

فالسجود من باب أولى.

ثم إن الله ﷻ قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

❁ ❁ ❁

س: إذا قرأ الشخص آيةً فيها سجدة وهو جالس هل يقوم كي يسجد للتلاوة من قيامٍ أم أنه يسجد من جلوسه؟

ج: الظاهر – والله أعلم-: أنه يسجد من جلوسه، إذ لا يوجد دليل مُلزم بأن يسجد من قيام، ثم إن رسول الله ﷺ لما سجد عند قراءة آية النجم ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ وسجد مَنْ كانوا معه لم يرد أنهم قاموا للسجود، وكذا عمر لما نزل من على المنبر فسجد بالناس (الذي يستمعون الخطبة) لم يرد أنهم قاموا وسجدوا فالأظهر والله أعلم أن الأمر في ذلك واسع والأقرب أن يسجد من جلوسٍ ولا يُلزم بقيام والله أعلم.

هل لسجود التلاوة ذكر مخصوص؟

س: هل هناك ذكرٌ معين يُقال في سجود التلاوة؟

(١) أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وفي سنده ضعف أشرت إليه قريبًا.
(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٦)، ومسلم (٧٠٠).

(٤٣١) أحمر
أسود

ج: لا أعلم خبرًا صحيحًا عن رسول الله ﷺ في ذلك؛ وإنما هي سجدةٌ كسائر السجدات يُقال فيها ما يُقال في سائر السجدات.

هذا، وقد وردت في هذا الصدد أحاديث في أسانيدها ضعف، منها حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ يَقُولُ فِي السَّجْدَةِ مِرَارًا: «**سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»(١).

وفي رواية ابن خزيمة: يقول ذلك ثلاث مرات. وفي رواية الحاكم: «**فتبارك الله أحسن الخالقين**».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ.

قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ لِيَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ(٢).

وهناك قولٌ لبعض أهل العلم أنه يتلو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

هل يُسلَّم من سجود التلاوة؟

س: هل هناك تسليم إذا قام الشخص من سجود التلاوة؟

---

(١) أحمد (٦/ ٣١)، وأبو داود (١٤١٤)، وابن خزيمة (٥٦٥)، والبيهقي (٢/ ٣٢٥)، وهو معلول، وانظر العلل للدارقطني (١٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٧٩)، وابن خزيمة وغيره (٥٦٣)، وفي سنده حسن بن محمد وهو مجهول العين.

(٤٣٢) أحمر
أسود

ج: لا أحفظ عن رسول الله ﷺ دليلًا على التسليم من سجود التلاوة، ومن ثمَّ فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه ليس في سجود التلاوة تسليم؛ إذ لم يرد أن النبي ﷺ سلَّم من سجود التلاوة، ونُقِلَ هذا عن أبي حنيفة ومالك وقول عن الشافعي وأحمد[١].

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يشرع التسليم عقب سجود التلاوة قياسًا على الصلاة فالنبي ﷺ قال: «..**وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»، وهو الصحيح عن الشافعي[٢] وأحمد وإسحاق وغيرهم.

❁ ❁ ❁

السجود في أوقات الكراهة

س: هل يسجد الشخص للتلاوة في أوقات الكراهة؟

ج: لا أعلم نصًّا محفوظًا في ذلك عن النبي ﷺ بخصوص سجود التلاوة لا منعًا ولا إباحة إلا أن كثيرًا من العلماء قاسوا ذلك على الصلاة فالذين منعوا من الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس وعندما يقوم قائم الظهيرة منعوا كذلك من السجود، والذين أباحوا الصلاة (خاصة ذوات الأسباب) أباح كثير منهم سجود التلاوة في أوقات الكراهة، أما النواهي عن الصلاة في الأوقات المذكورة فمنها حديث عمر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس[٣].

---

(١) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، وكذا التمهيد لابن عبد البر (١٩/ ١٣٤).
(٢) انظر التبيان للنووي والإنصاف للمرداوي (٢/ ١٩٨).
(٣) البخاري (٥٨١)، ومسلم (٨٢٦).

(٤٣٣) أحمر
أسود

ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ[١].

ومنها حديث عَمْرُو بْنِ عَبَسَةَ أنه سأل النَّبيَّ ﷺ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»[٢].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ قَال: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»[٣].

أما الذين جوَّزوا الصلاة بعد العصر (ذوات الأسباب) فمن أدلتهم:

حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا «أي: الركعتين بعد العصر» ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ ... قَالَ: يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ[٤].

---

(١) انظر البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).
(٢) مسلم (٨٣٢).
(٣) مسلم (٨٣١).
(٤) البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (٨٣٤).

(٤٣٤) أحمر
أسود

س: إذا لم يستطع الإمام أن يقرأ سورة السجدة كاملة يوم الجمعة (في فجر الجمعة) فهل يجوز له أن يقرأ بعض الآيات فيها آية السجدة كي يسجد أم أنه لا يفعل ذلك؟

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم أن هذا يجوز؛ وذلك لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وبهذا قال عدد من العلماء[١]، وإن كان منهم من كره ذلك، لكن ما قدمته من الأدلة يشهد لقول القائلين بالجواز، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي[٢] بسندٍ صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة.

❁ ❁ ❁

س: لماذا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟

ج: ذكر العلماء أسبابًا لذلك:

أحدها: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا ويذكروا الله.

الثاني: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا للصلاة.

ثم اختلف هل ذلك لصلاة الفريضة أم لصلاة النافلة، فقال بعض العلماء: إن ذلك انتظارٌ لصلاة العشاء.

وقال آخرون: إن ذلك لقيام الليل أي: لصلاة النافلة من الليل.

والأظهر أن ذلك لقيام الليل:

---

(١) قال بذلك أبو حنيفة والشافعي وغيرهم، وانظر التبيان وانظر الإشراف لابن المنذر كذلك.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٩٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٤٣٥) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جلّ ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح عن أنس: في قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

وبإسناد صحيح عن قتادة قال أنس في قوله: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧] قال: كانوا يتنفّلون فيما بين المغرب والعشاء، وكذلك تتجافى جنوبهم.

قال الطبري: وقال آخرون: عني بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العتمة.

وقال آخرون: عني بها قيام الليل.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن الحسن قال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ قال: قيام الليل.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم، لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن المراد بذلك هو قيام الليل، وهذا القول هو القول الذي أختاره، وذلك لورود الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ، ألا وهو حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال له (لمعاذ): «... **ألا أدلُّكَ عَلى أبْواب الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ**» وتلا هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

(٤٣٦) أحمر
أسود

يُنفِقُونَ ﴾».

وهو حديث صحيح[1] بمجموع طرقه، وقد أورد الطبري له طرقًا، وقد خرجته في عدة مواطن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلًا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفًا وطمعًا، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلًا؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلًا بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صفة نبيّ الله ﷺ:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالًا ووقتًا دون حال ووقت، كان واجبًا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعِشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائمًا صلَّى أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعًا، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن

(١) هو عند الطبري (٢٨٢٣٧) فما بعدها، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (١١٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٠) وقد خرجته هنالك.

(٤٣٧) أحمر
أسود

الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: ثناءٌ على أهل الإيمان وكذا ترغيبٌ لهم في قيام الليل، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: تبتعد جنوبهم عن مواضع نومهم وتتنحى عنها فيقومون من فراشهم للصلاة والذكر والدعاء فيدعون ربهم ﷻ خوفًا من عذابه وعقابه، وطمعًا في رحمته وثوابه، وفضلًا عن ذلك فإن نفعهم متعدٍّ وخيرهم واصل للعباد فإنهم ينفقون مما رزقهم الله وأعطاهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرًا بإسناد حسن عن قتادة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ قال: خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في رحمة الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: خوفًا من وبال عقابه، وطمعًا في جزيل

(٤٣٨) أحمر
أسود

ثوابه، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فلا تعلم نفس ما أعدَّه الله ﷻ لهؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفًا وطمعًا من النعيم الذي تستقر به الأعين ولا تنظر إلى شيء سواه، جزاءً لهم على صالح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يقول: ثوابًا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. رواه ابن أبي حاتم.

❁ ❁ ❁

(٤٣٩) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

هكذا روى قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ... ﴾ ثم كلام أبي هريرة موقوفًا عليه، وقد وردت طرق تقوي احتمالية الرفع إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج مسلم[٢] من حديث سَهْل بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى. ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «**فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

وأخرج مسلم[٣] في صحيحه من حديث الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يرفعه إلى النبي ﷺ قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ عز وجل: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ**

---

(١) البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) مسلم (٢٨٢٥).

(٣) مسلم (حديث ١٨٩) والظاهر أن الوقف في هذا الحديث على المغيرة بن شعبة هو الأصح، وراجع إن شئت العلل.

(٤٤٠) أحمر
أسود

مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».

وقد أُعِلَّ هذا الحديث بالوقف.

❁ ❁ ❁

لا يستوي المؤمن مع الفاسق

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن المسلم لا يستوي مع الفاسق؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ [فاطر: ١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: لا يستوي المصدق بوعد الله المطيع لأمره المصدق للقرآن مع الخارج عن الطاعة، والمتجه إلى التكذيب أي: لا

(٤٤١) أحمر
أسود

يستوي المؤمن مع الكافر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدّق بوعده ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه، كلا لا يستوون عند الله يقول: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنًا وفاسقًا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنًا واحدًا، وبالفاسق: فاسقًا واحدًا، وإنما أُريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عدله أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة مَنْ كان مُؤمنًا بآياته متبعًا لرسله، بمن كان فاسقًا، أي: خارجًا عن طاعة ربه مكذِّبًا لرُسُله إليه.

❁ ❁ ❁

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: بعد أن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أن المؤمن لا يستوي مع الكافر بيَّن حال هؤلاء

(٤٤٢) أحمر
أسود

وأولئك، فقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ صدقوا المرسلين وأيقنوا بالله ورضوا به ربًّا وبالإسلام دينًا، فلهم الجنات التي يأوون إليها ويستقرون فيها ﴿نُزُلًا ﴾ ضيافة وإكرامًا من الله ﷻ لهم على طاعتهم وصالح عملهم وأما الذين كفروا وخرجوا عن طاعة ربهم ﷻ وامتنعوا من الإقرار له بالوحدانية فمأواهم الذي يأوون إليه هو النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، وكنتم له تنكرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره: أما الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: ﴿نُزُلًا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يقول: نزلًا بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ ﴾ أن الله أعدّها لأهل الشرك به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها ، وهي الصالحات ﴿ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أي: التي فيها المساكن والدُّور والغرف العالية ﴿ نُزُلًا ﴾ أي: ضيافة وكرامة ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ أي: خرجوا عن الطاعة، ﴿ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ كقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ الآية [الحج: ٢٢] .

(٤٤٣) أحمر
أسود

قال الفُضَيل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أخبر عن مقر الفريقين غدًا فللمؤمنين جنات المأوى أي: يأوون إلى الجنات فأضاف الجنات إلى المأوى؛ لأن ذلك الموضع يتضمن جنات ﴿ نُزُلًا ﴾ أي: ضيافة والنزل: ما يُهيَّأ للنازل والضيف وقد مضى في آخر آل عمران وهو نصب على الحال من الجنات أي: لهم الجنات معدة ويجوز أن يكون مفعولًا له ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ أي: خرجوا عن الإيمان إلى الكفر ﴿ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ أي: مقامهم فيها ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ أي: إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى موضعهم فيها؛ لأنهم يطمعون في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم أو يقول الله لهم: ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ والذوق يستعمل محسوسًا ومعنى وقد مضى في هذه السورة بيانه.

❁ ❁ ❁

باب: فسق دون فسق

س: ذكر العلماء أن هناك فسقًا دون فسق وضِّح ذلك ودلِّل عليه.

ج: إيضاحه أن الفسق منه ما هو بمعنى الكفر ومنه ما هو بمعنى المعصية أو الكبيرة، فليس كل فسق يُعدُّ كفرًا، وذلك كقول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» فالفسوق هنا ليس بالكفر.

(٤٤٤) أحمر
أسود

وكذا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] فالفسق هنا ليس بكفر.

أما الفسق في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ فالفسق هنا بمعنى الكفر، وذلك للخلود الذي يخلدون في النار، وهذا محمول على الكفر بلا شك، وكذا قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] فالفسق هنا هو المكفر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هذه الآية الكريمة إحدى الأدلة على عدم فناء النار، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى في شأن أهل الفسق والإجرام: ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ففيه دليل على أن القوم لن يُخرجوا من النار وهناك أدلة أُخر كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله ﷺ: «يُنادي منادٍ ...يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت». والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ
وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ
ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ
وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
(٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)﴾

[السجدة: ٢١-٣٠]

(٤٤٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ - مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦٓ - أَئِمَّةً - يُوقِنُونَ - يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ - يَهْدِ لَهُمْ - ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ - ٱلْفَتْحُ - يُنظَرُونَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾	العذاب الأقرب الذي هو في الدنيا (وقيل: المراد المصائب في الأموال والأنفس والثمرات)
﴿مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦٓ﴾	شكٍّ من التقاءك به
﴿أَئِمَّةً﴾	دعاة للخير وقادةً في ذلك ورؤساء في الحق
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون تمام التصديق
﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾	يقضي بينهم – يحكم بينهم – يجعل هؤلاء على حدة، وأولئك على حدة
﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾	نبين لهم
﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾	الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وقد علاه التراب
﴿ٱلْفَتْحُ﴾	القضاء
﴿يُنظَرُونَ﴾	يؤخرون – يمهلون

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالعذاب الأدنى وما المراد بالعذاب الأكبر؟

ج: أقوى الأقوال في ذلك، والله أعلم، المصائب التي تحلُّ بالعباد في الدنيا سواء كانت في الأنفس أو في الأموال أو في الثمرات.

(٤٤٧) أحمر
أسود

وإن كانت هناك أقوالٌ أخر في ذلك كقول من قال إن المراد بها الحدود.

وكقول من قال: إنها ما حلَّ بالمشركين يوم بدر من القتل.

وكقول من قال: إنها المجاعات التي أصابتهم.

وكلُّ هذه الأقوال داخلة في القول الأول إلا أنه ينبغي التفطن إلى أمر، وهو أنهم ابتلوا بذلك قبل موتهم وقبل قتلهم، وإلا لما كان لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ كبير معنى، فهو إن قال قائل: إن ذلك ما حلَّ بهم من القتل يوم بدر فمراده –والله أعلم– ما حلَّ ببعضهم ليكون عبرة لهم وتذكرة لهم، والله أعلم.

هذا، وهناك قولٌ آخر في هذا الباب أراه ضعيفًا، وهو قول من قال: إن المراد بذلك عذاب القبر، وهذا قول بعيد يتنافى مع قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى الله ويتوبون، وذلك أن التوبة لا تتأتى لأحدٍ بعد موته، والله أعلم.

* أما عن العذاب الأكبر، فالمراد به عذاب يوم القيامة – أعاذنا الله والمسلمين منه.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذِّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم.

(٤٤٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يقول: قيل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى.

هذا، وقد أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: في قوله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال: مصائب الدنيا والرُّوم والبطشة أو الدخان.

وقد أخرجه الطبري ولكن بلفظ مصيبات الدنيا واللزوم (بدلًا من الروم، وهو الأصح، والمراد الآية الكريمة: ﴿لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]).

قال الطبري:

والبطشة أو الدخان شك شعبة في البطشة أو الدخان.

وأورد الطبري من وجوهٍ متعددة: ما مفاده أن العذاب الأكبر هو العذاب يوم القيامة والله أعلم.

❁ ❁ ❁

الابتلاءات لإرجاع الناس إلى الله

س: كثيرًا ما يُبتلى العباد لإرجاعهم إلى طريقة الله دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

(١) مسلم (٢٧٩٩).

(٤٤٩) أحمر
أسود

يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

والأدلة على ذلك كثيرة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ليس هناك أحدٌ أظلم من شخص ذُكِّر بآيات الله فأعرض عنها ونفر منها فإنا من أهل الإجرام وأهل الإعراض منتقمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي كتابه، ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ أي: لا أظلم ممن ذكَّره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن مَنْ أعرض عن ذكره

(٤٥٠) أحمر
أسود

فقد اغتر أكبر الغرَّة، وأعوز أشد العَوَز، وعظم من أعظم الذنوب.

ولهذا قال تعالى متهددًا لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم لنفسه ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي بحججه وعلاماته ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ بترك القبول ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ لتكذيبهم وإعراضهم.

❁ ❁ ❁

جمعٌ بين آيات

س: ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ وبين قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ والآيات التي على هذا النحو والصدد؟

ج: لأهل العلم في ذلك اتجاهان:

أحدهما: أن يكون الجميع في الظلم سواء.

الثاني: أن يكون ذلك منزلًا على الاختصاص بمعنى: ليس من المعرضين أعظم ظلمًا من المعرض عن آيات الله بعد أن ذُكِّر بها.

وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الكتاب الذي آتاه الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج: الكتاب هو التوراة.

س: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ لقاء من؟

(٤٥١) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله أعلم –: فلا تكن يا رسول الله في شكٍّ من لقاءك بموسى عليه السلام الذي كان ليلة المعراج.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أُسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة[1] عن أبي العالية الرياحي، قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم –يعني: ابن عباس– قال: قال نبيّ الله ﷺ: «**أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طِوَالًا جَعْدًا، كأنَّهُ مِنْ رجالِ شَنُوءَةَ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبياضِ، سَبْطَ الرأسِ ورأيْتُ مالِكًا خازِنَ النَّارِ، والدَّجَّالَ**» فِي آياتٍ أَرَاهنَّ اللهُ إيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أنه قد رأى موسى، ولقى موسى ليلة أُسري به.

إلا أن ابن كثير رحمه الله أورد هذا الأثر من طريق قتادة[2] أيضًا عن أبي العالية عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال: جُعل موسى هُدى لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قال: من لقاء موسى ربه عز وجل.

فبين هذين الأثرين بعض الاختلاف والأظهر، والله أعلم أن قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: لقاءك يا رسول الله بموسى عليه السلام ويشهد له ما سيأتي

---

(١) السند الأول من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة، والثاني من طريق روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة.

(٢) مسلم (٢٧٩٩).

(٤٥٢) أحمر
أسود

من آثار عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أورد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوهًا أخر في ذلك فقال –بعد أن أورد نحوًا مما ذكرنا–:

وقيل: فلا تكن في شك في لقاء موسى في القيامة، وستلقاه فيها. وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد و الزجاج وعن الحسن أنه قال في معناه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فأوذي وكذب فلا تكن في شك من أنه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فالهاء عائدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى. النحاس : وهذا قول غريب إلا أنه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى : قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فجاء معترضًا بين ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وبين ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جعلنا من ؟

ج: قيل: جعلنا الكتاب الذي آتيناه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو التوراة هدى لبني إسرائيل يهتدون بها ويسترشدون قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢]، وبهذا القول قال ابن كثير قال: قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والقول الثاني: أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ ﴾ عائدٌ على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويشهد له الخبر المتقدم عن رسول الله ﷺ من طريق قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس. والله أعلم.

وهذا الأخير اختيار الطبري إذ قال:

(٤٥٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعني: رشادًا لهم يرشدون باتباعه، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به، والائتمام بقوله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وجعلنا من بني إسرائيل قادةً في الخير يهدون الناس إلى الحق والخير بإذننا لهم بذلك، وذلك أنهم لما صبروا على طاعتنا وامتنعوا عن معصيتنا، وصبروا على أقدارنا وقضائنا، وكانوا من أهل اليقين والتصديق لآياتنا، كل ذلك كان سببًا في أن جعلناهم أئمة.

فالإمامة تُنال بالصبر واليقين كما قال عددٌ من العلماء، ويشهد له قول الله عَزَّ وَجَلَّ عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] فلما قام بأوامر الله وانتهى عن نواهيه قال الله له إني جاعلك للناس إمامًا.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، الإمام الذي يؤتم به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة

(٤٥٤) أحمر
أسود

في الخير، يؤتم بهم ويهتدى بهديهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ قال: رؤساء في الخير. وقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يقول تعالى ذكره: يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلتهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحقّ، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾، أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وحَرَّفوا وأوَّلوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحًا، ولا اعتقاد صحيحًا؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا. وكذلك قال الحسن بن صالح.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يُقتَدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم، كما لا بد للجسد من الخبز.

وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي على عمي -أو: عمي على أبي -سئل

(٤٥٥) أحمر
أسود

سفيان عن قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ، قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا.

❁ ❁ ❁

س: من هؤلاء الأئمة الإسرائيليون الذين عناهم الله بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم أنبياء بني إسرائيل.

وقال آخرون: إنهم العلماء والفقهاء العاملون من بني إسرائيل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ قراءتان وضحهما؟

ج: القراءاتان هما (لمَّا)، و(لِما).

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم، بمعنى: إذ صبروا، وحين صبروا، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا، وذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (بِمَا صَبَرُوا) وما إذا كسرت اللام من (لِمَا) في موضع خفض، وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم، فلا موضع لها؛ لأنها حينئذٍ أداة.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل

(٤٥٦) أحمر
أسود

الكلام إذا قُرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم، وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتها. وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: أن الرسل وأئمة الخير والهدى لما دعوا بني إسرائيل إلى طريق الحق والرشاد والهدى والإيمان اختلفوا فمنهم من اتبع الهدى ومنهم من ضل عنه وحاد، فأخبر الله ﷻ أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ويقضي بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من أمور الاعتقادات والأعمال، كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [الجاثية: ١٧].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (هُوَ) يبين جميع خلقه يوم القيامة (فِيمَا كَانُوا فِيهِ) في الدنيا (يَخْتَلِفُونَ) من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحقّ الجنة، ولأهل الباطل النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار فيجازي كلا بما يستحق وقيل : يقضي بين الأنبياء وبين قومهم حكاه

(٤٥٧) أحمر
أسود

النقاش.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم نُبيِّن لهؤلاء المكذبين القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم وأبقينا آثارهم فإنهم – أي: الذين هم أحياء- يرون آثار المتقدمين الذين أفناهم الله ﷻ وأبادهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، وكما قال تعالى في شأن ديارٍ أهلكها وأفناها – (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ)، أي بطريق يراها المارّة أثناء سفرهم وعودهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم بالرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤوهم به من قويم السبل، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر؟ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾ [مريم: ٩٨] ؛ ولهذا قال: ﴿ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ ﴾ أي: وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدًا ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ﴾ [الأعراف: ٩٢] ، كما قال: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴾ [النمل: ٥٢] ، وقال: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٥ ، ٤٦] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ ﴾ أي: إن في

(٤٥٨) أحمر
أسود

ذهاب أولئك القوم ودَمَارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم، لآيات وعبرًا ومواعظ ودلائل متظاهرة.

﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: أخبار من تقدم، كيف كان أمرهم؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ يحتمل الضمير في يمشون أن يعود على الماشين في مساكن المهلكين أي وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل أن يعود على المهلكين فيكون حالًا والمعنى : أهلكناهم ماشين في مساكنهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ آيات الله وعظاته فيتعظون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا، فيتعظوا وينزجروا. وقوله: ﴿ كَمْ ﴾ إذا قُرئ ﴿يَهْدِ﴾ بالياء، في موضع رفع بيهد. وأما إذا قرئ ذلك بالنون (**أَوَلَمْ نَهْدِ**) فإن موضع ﴿ كَمْ ﴾ وما بعدها نصب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ أولم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ عاد وثمود، وأنهم إليهم لا يُرجعون.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمَّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا،

(٤٥٩) أحمر
أسود

وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعاينونها، لآيات لهم وعظات يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول، يقول الله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ عظات الله وتذكيره إياهم آياته، وتعريفهم مواضع حججه؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾).

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للحساب أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات عليها، والتي علاها الغبار فنخرج به زرعًا يأكلون من ثمره وتأكل منه أنعامهم أفلا يرون ذلك واضحًا جليًّا أمامهم فيستدلون بذلك على قدرتنا على البعث.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء، أنا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كلّ شيء، وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كلّ ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكول: جَرُوز، كما قال الراجز:

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا ويأكل التمر ولا يلقى النوى

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقي شيئا إلا قطعه سيف جراز، فيه لغات أربع: أرض جُرُز، وجَرْز، وجِرز وجُرْز، والفتح لبني تميم فيما بلغني.

وأورد بسندٍ صحيح عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾

(٤٦٠) أحمر
أسود

أرض باليمن.

وبإسناد حسن عن قتادة: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ المغبرة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨] قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعًا خضرًا، تأكل منه مواشيهم، وتغذّى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذّر عليّ أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أي أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها. الزمخشري: الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ويقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى : ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ ﴾ أي بالماء ﴿ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ من الكلإ والحشيش ﴿ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ من الحب والخضر والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر

(٤٦١) أحمر
أسود

على إعادتهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ : يبين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ ، وهي التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨]، أي: يَبَسًا لا تنبت شيئًا وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا لينبُتَ الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء.

وقال ابن كثير أيضًا:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وقال:

(٤٦٢) أحمر
أسود

قلت: وهذا كقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: ٣٣-٣٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ويقول هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للثواب والعقاب الجاحدون وحدانية الله المستبعدون لوقوع يوم القيامة، يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء والتكذيب، متى هذا اليوم الذي يحصل فيه القضاء بيننا وبينكم يا أهل الإيمان؟ متى هذا القضاء والفصل، ائتونا به، عجِّلوا به، فيأتي جواب ذلك من الله لنبيه ﷺ ولأهل الإيمان، قل يوم القيامة، الذي هو يوم الفصل إذا جاء وإذا حلَّ ووقع لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا آمنوا عند حلوله، وإذا لم يؤمنوا قبل موتهم، وكذا فإنهم لا يؤخرون عن العذاب.

فأعرض عنهم يا رسول الله في دنياك إذ قالوا لك ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ ..﴾ وانتظر يا رسول الله ماذا سيحل بهم من العقاب من جراء كلامهم هذا الذي تكلموا به، وانتظر هلاكهم فإنهم يتربصون بك وينتظرون هلاكك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٤٦٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هؤلاء المشركون بالله يا محمد، لك: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ واختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: قال أصحاب نبي الله ﷺ: إن لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه. فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل عنى بذلك فتح مكة.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدلّ على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شكَّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل، وفساد ما خالفه. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني: إن كنتم صادقين في الذي تقولون، من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان.

وقوله: (قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ) يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح، عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ

(٤٦٤) أحمر
أسود

كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ ﴾ قال: يوم الفتح إذا جاء العذاب.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَاهُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. وقوله: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ يعني يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن استعجال الكفار وقوعَ بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعادًا وتكذيبًا وعنادا: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ ﴾ ؟ أي: متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتًا تُدَال علينا، ويُنْتَقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين!

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ ﴾ أي: إذا حَلَّ بكم بأس الله وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى، ﴿ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَاهُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٣-٨٥] ، ومَنْ زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النَّجْعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قَبِل رسولُ الله ﷺ إسلام

(٤٦٥) أحمر
أسود

الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨]، وكقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، وقال: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

ثم قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، كقوله: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد.

وقوله: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء، وقد قدّمنا أن الفتاح: القاضي، وهي لغة حميرية قديمة، والفتاحة:

(٤٦٦) أحمر
أسود

الحكم والقضاء، ومنه قوله:

ألا مـــن مبلـــغ عمـــرًا رســـولا بـــأني عـــن فتـــاحتكم غنـــي

وقد جاءت آيات تدلّ على أن الفتح الحكم؛ كقوله تعالى عن نبيّه شعيب: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]،أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

وقوله تعالى عن نبيّه نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، أي: احكم بيني وبينهم حكمًا. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، ومن النبيّ ﷺ فقد جاءكم الفتح، أي: الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر؛ كما قاله غير واحد. وقد ذكروا أنهم لما أرادوا الخروج إلى بدر، جاء أبو جهل، وتعلّق بأستار الكعبة، وقال: اللَّهمّ إنا قطان بيتك نسقي الحجيج، ونفعل ونفعل، وإن محمّدًا قطع الرحم وفرّق الجماعة، وعاب الدّين، وشتم الآلهة، وسفّه أحلام الآباء، اللهم أهلك الظالم منّا ومنه، فطلب الحكم على الظالم، فجاءهم الحكم على الظالم فقتلوا ببدر، وصاروا إلى الخلود في النار، إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى قول من قال من أهل العلم: إن المراد بالفتح في الآية الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة، فلا إشكال في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾، وعلى القول بأن المراد بالفتح في الآية الحكم بينهم في الدنيا بهلاك الكفّار، كما وقع يوم بدر. فالظاهر أن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾، أي: إذا عاينوا الموت وشاهدوا القتل، بدليل قوله تعالى:

(٤٦٧) أحمر
أسود

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ [النساء: ١٨]، وقوله تعالى في فرعون: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]. ولا يخفى أن قول من قال من أهل العلم: إن الفتح في هذه الآية فتح مكّة أنه غير صواب، بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ﴾ ومعلوم أن فتح مكّة لا يمنع انتفاع المؤمن في وقته بإيمانه، كما لا يخفى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قيل: معناه فأعرض عن سفههم ولا تجبهم إلا بما أمرت به ﴿ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس: فأعرض عنهم أي عن مشركي قريش مكة وأن هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] وانتظر أي موعدي لك قيل: يعني يوم بدر ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ أي ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل: الآية غير منسوخة إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل: أعرض عنه بعد ما بلغت الحجة وانتظر إنهم منتظرون إن قيل: كيف ينتظرون القيامة وهم لا يؤمنون؟ ففي هذا جوابان: أحدهما: أن يكون المعنى إنهم منتظرون الموت وهو من أسباب القيامة فيكون هذا مجازا والآخر: أن فيهم من يشك وفيهم من يؤمن بالقيامة فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين والله أعلم وقرأ ابن السميقع: (إنهم

(٤٦٨) أحمر
أسود

منتظرون) بفتح الظاء ورويت عن مجاهد و ابن محيصن قال الفراء : لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه : إنهم منتظرون بهم قال أبو حاتم : الصحيح الكسر أي انتظر عذابهم إنهم منتظرون هلاكك وقد قيل : إن قراءة ابن السميقع بفتح الظاء معناها : وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه؛ ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء والله أعلم .

❁ ❁ ❁

تفسير سورة الأحزاب

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ
وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ
لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ
وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ
وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ
إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ
وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ١-٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ - وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ - وَكِيلًا - تُظَٰهِرُونَ - يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ - ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ - أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ - وَمَوَٰلِيكُمْ - جُنَاحٌ - أَوْلَىٰ - وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ - كِتَٰبِ ٱللَّهِ - أَوْلِيَآئِكُم - مَسْطُورًا - مِيثَٰقَهُمْ - مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾	اجعل بينك وبين عذاب الله وغضبه وقاية (بطاعته واجتناب معصيته)
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	اعتمد على الله – فوِّض أمرك إلى الله
﴿وَكِيلًا﴾	من يقض الأمور ويتولاها
﴿تُظَٰهِرُونَ﴾	تقولون إنهن عليكم محرمًا كظهور أمهاتكم
﴿يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾	يرشد إلى الحق والصواب ويوفق له
﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾	انسبوهم لآبائهم الحقيقيين
﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	أعدل عند الله
﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾	المولى هو العبد المعتق يكون مولى لمن أعتقه[1]
﴿جُنَاحٌ﴾	إثم
﴿أَوْلَىٰ﴾	أحق
﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾	الأقارب
﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	حكم الله – القرآن – اللوح المحفوظ

(١) فإذا مات وله تركة وليس له وارث ورثه من أعتقه.

(٧) أحمر أسود

﴿أَوۡلِيَآئِكُم﴾	حلفائكم – أنصاركم – أصحاب المؤاخاة
﴿مَسۡطُورٗا﴾	مكتوبًا
﴿مِيثَٰقَهُمۡ﴾	عهدهم
﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾	عهدًا مؤكدًا (باليمين)

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق زِرٍّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. فَقَالَ: قَطُّ! لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ «سُورَةَ الْبَقَرَةِ»، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»[1]؟

ج: هذا الحديث إسناده حسن.

وقد حسنه الحافظ ابن كثير فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا إسناد حسن، وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضًا، والله أعلم.

وقال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث:

أراد أُبيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن. وأما ما يحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض.

وقال أيضًا:

وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا، وأن آية الرجم رفع لفظها.

(١) أحمد (١٣٢/٥)، والنسائي (٧١٥٠)، وله شواهد يحسن بها، والله أعلم.

النهي عن طاعة الكفار والمنافقين

س: اذكر بعض الآيات التي وردت في النهي عن طاعة الكفار والمنافقين؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

[الأحزاب: ٤٨]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

[الكهف: ٢٨]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

[الشعراء: ١٥١-١٥٢]

❁ ❁ ❁

س: ألم يكن النبي ﷺ أتقى الناس؟! فكيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإذا كان سيد ولد آدم رسول الله ﷺ يؤمر بتقوى الله، وهو إمام المتقين، فلأن يؤمر غيره فمن باب أولى.

الثاني: أن المراد الثبات على تقوى الله ﷻ والازدياد من ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – أمرٌ من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ، وللمؤمنين بالتبع أمرٌ بتقوى الله ﷻ، وذلك أن يجعل بينه وبين عذاب الله وغضبه وقاية، تلك الوقاية تتمثل في أمور، أعظمها الشهادتان (شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) وكذا طاعة الله على العموم، واجتناب معاصيه، وإن اختلفت عبارات العلماء في ذلك إلا أنها تدور حول هذا المعنى المذكور.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقد قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله.

ثم إن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ عن طاعة الكفار والمنافقين، وهذا من التقوى، ومن التقوى عدم طاعة الكفار والمنافقين فيما يدعون إليه من الباطل والمنكر والكفر والضلال، ثم بين الله ﷻ علمه بأهل النفاق هؤلاء حتى يطمئن رسوله ﷺ، وإن كان رسول الله ﷺ مطمئنًا لكل أمر الله ﷻ، فيقول تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾ كان ولا يزال عليمًا بعباده وما تنطوي عليه قلوبهم، عليمًا بأهل الكفر والنفاق، وما يريدونه منك من الإغواء والإخلال والكفر والرِّدة حكيمًا فيما يأمرك به وينهاك عنه، حكيمًا في كل شيء، ثم إن الله ﷻ لما نهى نبيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، أمره باتباع الوحي القرآني المنزل عليه من عند الله، وذكَّره، وحتى يجتهد في الطاعة والعمل الصالح؛ بأنه سبحانه وتعالى خبيرٌ بعمله وعمل أهل الإيمان معه وعمل الناس كلهم على

(١٠) أحمر
أسود

العموم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾ وأمره سبحانه وتعالى بالاعتماد عليه وتفويض الأمور كلها إليه فقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ واعتمد على الله وفوِّض أمرك إلى الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾ ونعم الوكيل الذي وكلته في أمورك كلها فهو يكفي عن غيره في كل الأمور، والله أعلم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالًا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحًا بهم، فإنهم لك أعداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآي كتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾ يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أي: ذا خبرة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ أي هذا القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢﴾.

وقال الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وفوّض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: لا تسمع منهم ولا تستشرهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ أي: فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله. ولهذا قال: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: من قرآن وسنة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: في جميع أمورك وأحوالك، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: وكفى به وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقلبين المنفيين بقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾؟

ج: ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد هو المضغة التي تكون في صدر الإنسان، ويكون في الجانب الأيسر منه في غالب الأحوال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنى في الآية : أنه لا يجتمع في القلب الكفر

(١٢) أحمر
أسود

والإيمان والهدى والضلال والإنابة والإصرار وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز والله أعلم.

وقال: أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لا أحد بقلبين ويكون في هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم أي إنما هو قلب واحد فإما فيه إيمان وإما فيه كفر؛ لأن درجة النفاق كأنها متوسطة فنفاها الله تعالى وبين أنه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الإنسان بهذه الآية متى نسى شيئًا أو وهم يقول على جهة الاعتذار: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل التقييد بقوله تعالى: ﴿لِرَجُلٍ﴾ له اعتبارٌ هنا؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أن له اعتبارٌ للاحتراز عن المرأة التي قد يكون في جوفها جنين أو أكثر وله قلب، وهذا، وإن أريد بالنفي في قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ نفي اجتماع الإيمان والكفر فهذا يتعلق بالرجال والنساء على السواء - والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل لقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ تعلق بما قبله من الآيات.

ج: الذي يظهر لي -والله أعلم-: أن هناك تعلق، حاصله كما أن الله ﷻ لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه وكما أن الإيمان لا يجتمع في قلبٍ واحد مع الكفر فكذلك لا يصلح أن تطيع الكافرين والمنافقين وأن تتبع ما يوحى إليك من ربك، فبين هذين تعارض فلذلك نهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، وأمر باتباع ما يوحى إليه من ربه ﷻ، والله أعلم.

النهي عن التبني

(١٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – ردٌّ على أهل النفاق الذين زعموا أن رسول الله ﷺ له قلبان فقد أخرج أحمد والترمذي والطبري[1] وغيرهم من طريق زُهَيْرٌ، عَنْ قَابُوسَ – يعني: ابْنِ أَبِي ظَبْيَانَ – أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تعالى: (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ مَا عَنَى بِذَلِكَ؟ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا يُصَلِّي، فَخَطَرَ خَطْرَةً. فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَعَهُ: أَلَا تَرَوْنَ لَهُ قَلْبَيْنِ، قَلْبٌ مَعَكُمْ وَقَلْبٌ مَعَهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾.

وكذا ردٌّ على رجلٍ كان على عهد رسول الله ﷺ يدعي أن له قلبان، ويقول إن في جوفي قلبين وقد وردت بذلك عدة أسانيد مرسلة عند الطبري وغيره تصح بمجموعها، فالآية فيها ردٌّ عليه.

وكذا في الآية الكريمة إشارة إلى أنه لا يجتمع إيمان مع كفرٍ، ولا طاعة الله مع طاعة الشياطين والكفار

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله: (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق، وصفوا نبيّ الله ﷺ بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذّبهم.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: رجل من قريش كان يُدعى ذا القلبين من

(١) أحمد (٢٦٧/١)، والترمذي (٣١٩٩)، والطبري (٢٨٣١٨).

(١٤) أحمر
أسود

دهيه.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله ﷺ كان تبناه، فضرب الله بذلك مثلًا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي رُوي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيبًا من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيبًا لمن سمى القرشيّ الذي ذُكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأيّ الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة.

قلت مصطفى:

وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ﴾ حاصل معناه أن الله ﷻ لم يجعل أمك هي التي جعلتها أنت لنفسك أمًّا بقولك لزوجتك (أنت عليَّ كظهر أمي) أي: أن زوجتك لا تصير أمًّا لك بقولك لها (أنت عليَّ كظهر أمي) بل هذا منكر من القول وزور ولا قيمة له ولا اعتبار.

وكما هو معلوم فإن الرجل كان يحرم امرأته على نفسه بقوله لها: (أنت عليَّ كظهر أمي) فنزل في ذلك قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ..﴾ [المجادلة: ٢].

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهنّ: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قبلكم كذبًا، وألزمكم عقوبة لكم كفَّارة.

(١٥) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: أي ما جعلها أمك؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفَّارة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى موطئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت عَلَيَّ كظهر أمي أمًّا له، كذلك لا يصير الدَّعيّ ولدًا للرجل إذا تبنَّاه فدعاه ابنًا له، فقال: (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ﴾، كقوله: (مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ﴾ [المجادلة:٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ﴾ أي: وما جعل الولد الذي تدعيه ولدًا لك، وليس هو في الحقيقة بابنك، ما جعله الله بمجرد دعواك ولدًا لك، بل أبوه الذي نكح أمه فولدته بذلك النكاح، وقد كان في الجاهلية يتبنون أبناء ليسوا بأبنائهم ويلحقونهم بهم وينسبونهم إليهم.

وكان هذا شائعًا فيهم كما كان يُقال سالم بن أبي حذيفة، وقيل بعد: سالم مولى أبي حذيفة، وكما كان يقال لزيد بن حارثة زيد بن محمد، وبعد قيل زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ﴾ يقول: ولم يجعل الله من ادعيت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك.

وذكر أن ذلك نزل على رسول الله ﷺ من أجل تبنيه زيد بن حارثة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: هذا هو المقصود بالنفي؛ فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة، وكان يقال له: «زيد بن محمد» فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ كما قال في أثناء السورة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال هاهنا: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًّا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ نزل في زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ فحاصل معناه أن دعواكم أن أزواجكم عليكم كأمهاتكم، وأن الغلام الذي تبنيتموه كأبنائكم كل ذلك لا قيمة له ولا اعتبار، إنما هي أقوال بالأفواه فقط، وليس لها من الحقيقة والصواب شيءٌ يذكر، والله هو الذي يقول الحق، فقوله حق كله وهو سبحانه يرشد إلى الطريق الأقوم والسبيل الأرشد والأمر الحق، ويوفق لكل ذلك ويبين وجوه الصواب والحق في كل وقت وحين.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه، إنما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته،

(١٧) أحمر
أسود

ولا تصير الزوجة أمًّا بقول الرجل لها: أنت عليّ كظهر أمي ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ يقول: والله هو الصادق الذي يقول الحقّ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه، وبه تكون المرأة للمولود، أمًّا إذا حكم بذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ يقول تعالى ذكره: والله يبين لعباده سبيل الحقّ، ويرشدهم لطريق الرشاد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ بأفواهكم تأكيد لبطلان القول أي أنه قول لا حقيقة له في الوجود إنما هو قول لساني فقط وهذا كما تقول : أنا أمشي إليك على قدم فإنما تريد بذلك المبرة وهذا كثير وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ الحق نعت لمصدر محذوف أي يقول القول الحق و﴿يَهْدِى﴾ معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر.

وقال: الأدعياء جمع الدعى وهو الذي يدعي ابنًا لغير أبيه أو يدعي غير أبيه والمصدر الدعوة بالكسر فأمر تعالى بدعاء الأدعياء إلى آبائهم للصلب فمن جهل ذلك فيه ولم تشتهر أنسابهم كان مولًى وأخًا في الدين وذكر الطبري أن أبا بكرة قرأ هذه الآية وقال : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه : ولو علم والله أن أباه حمار لانتمى إليه ورجال الحديث يقولون في أبي بكرة : نفيع بن الحارث.

وقال: روى الصحيح عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة كلاهما قال: سمعته أذناي ووعاه قلبي محمدًا ﷺ يقول: «**من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**»[1].

وفي حديث أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه**

(١) البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

(١٨) أحمر
أسود

وهو يعلمه إلا كفر»[١].

❁ ❁ ❁

س: وضح قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم– يا من نسبتم بعض الأطفال إليكم وقلتم إنهم لكم أبناء، وهم في الحقيقة ليسوا بأبناء لكم، يا هؤلاء ادعو هؤلاء الأبناء لآبائهم فقولوا فلان ابن فلان (لأبيه على الحقيقة ليس على الادعاء) فذلكم أعدل عند الله فإن لم تعلموا آباءهم، لجهلكم بآبائهم فبينكم وبينهم أخوة الدين والموالاة فليقل فلان مولى فلان، أما الذي أخطأتم فيه ولم تتعمدوا الخطأ فلا إثم عليكم فيه، ولكن الإثم يلحقكم إذا تعمدتم خلاف أمر الله ﷻ وتوبوا إلى الله مما صنعتموه واستغفروه (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ كثير المغفرة (رَّحِيمًا﴾ بعباده.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى ذكره: انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبيه محمد ﷺ: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيدا بن محمد. وقوله: (هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول: دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنَّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين.

---

(١) البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).

(١٩) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ يقـول تعـالى ذكره: فإن أنتم أيها الناس لـم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم إليهم، ولم تعرفوهم، فتلحقوهم بهم، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يقول: فهم إخوانكم في الدين، إن كانوا من أهل ملّتكم، ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي أعدل عند الله ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكرة: قال الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فأنا ممن لا يُعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين، قال: قال أبي: والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمَّارًا لانتمى إليه.

قلت (مصطفى): وسنده صحيح.

قال الطبري: وقولـه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يقول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول: ولكن الإثم والحرج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه، وأنت ترى أنه كذلك ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمدًا. أما الخطأ فلا يؤاخذكم

(٢٠) أحمر
أسود

الله به ﴿وَلَٰكِن﴾ يؤاخذكم بـ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما» التي في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خفض ردًّا على «ما» التي في قوله: ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ وذلك أن معنى الكلام: ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذمّ من ادّعى ولد غيره ابنًا له، إذا تابا وراجعا أمر الله، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط.

وأورد ابن كثير ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث عبد الله بن عمر؛ أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾. وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن موسى بن عقبة، به.

قال ابن كثير: وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك؛ ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة: يا رسول

(١) البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢١) أحمر
أسود

الله، كنا ندعو سالما ابنًا، وإن الله قد أنزل ما أنزل، وإنه كان يدخل عَلَيّ، وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا، فقال ﷺ: «**أرضعيه تحرمي عليه**»(١) الحديث.

ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، وقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقال في آية التحريم: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء:٢٣]، احترازًا عن زوجة الدعيّ، فإنه ليس من الصلب، فأما الابن من الرضاعة، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعًا، بقوله عليه السلام في الصحيحين(٢): «**حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب**».

فأما دعوة الغير ابنًا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهى عنه في هذه الآية، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي، من حديث سفيان الثوري، عن سلمة بن كُهَيْل، عن الحسن العُرَني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على حُمُرَات لنا من جَمْع، فجعل يَلْطَخ أفخاذنا ويقول: «**أُبَيْنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس**»(٣).

قال أبو عبيد وغيره: «أُبَيْنيّ: تصغير ابني». وهذا ظاهر الدلالة، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر.

وقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ في شأن زيد بن حارثة، وقد قتل في يوم مؤتة

---

(١) مسلم (١٤٥٣).
(٢) البخاري (٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٤)، وأحمد (٧٢/٦) بنحوه.
(٣) أحمد (٢٣٤/١).

(٢٢) أحمر
أسود

سنة ثمان، وأيضًا ففي صحيح مسلم [(١)]، من حديث أبي عَوَانة الوضاح بن عبد الله اليَشْكُري، عن الجَعْد أبي عثمان البصري، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُني**».

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: أمر الله تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضًا عما فاتهم من النسب. ولهذا قال رسول الله ﷺ يوم خرج من مكة عام عُمرة القضاء، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم. فأخذها علي وقال لفاطمة: دونَك ابنة عَمّك فاحتمليها. فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر في أيّهم يكفلها، فكل أدلى بحجة؛ فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي -وقال زيد: ابنة أخي. وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عمي، وخالتها تحتي -يعني أسماء بنت عميس. فقضى النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**». وقال لعلي: «**أنت مني، وأنا منك**». وقال لجعفر: «**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**». وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**» [(٢)].

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها: أنه، عليه الصلاة والسلام حكم بالحق، وأرضى كلا من المتنازعين، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، كما قال تعالى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

وقد جاء في الحديث: «**من ادعى لغير أبيه، وهو يعلمه إلَّا كفر**» [(٣)]. وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد، في التبري من النسب المعلوم؛ ولهذا قال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

---

(١) مسلم (٢١٥١).
(٢) البخاري (٦٩٩).
(٣) البخاري (٣٥٠٨) بنحوه.

(٢٣) أحمر
أسود

س: المسلم إذا أخطأ فلا إثم عليه دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال الله: قد فعلت». أخرجه مسلم (١) في صحيحه.

وقول النبي ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» (٢).

وما روي عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» وهو صحيح لشواهده، وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز أخذ الأطفال اللقطاء ونسبتهم إلينا لكوننا نربيهم معنا في البيوت، ولا نعرف آباءهم؟

ج: لا تجوز نسبتهم إليك، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث المحذرة من انتساب شخص إلى غير أبيه عن عمدٍ؟

تقدم قريبًا شيء من هذا في ثنايا كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ».

---

(١) مسلم (١٢٦).
(٢) البخاري (٧٣٥٢).
(٣) البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢).

(٢٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في أمورٍ، منها:

محبته أعظم من محبة النفس، فرسول الله ﷺ أولى بأن أحبه وأحق أن أحبه من محبتي لنفسي.

ففي الصحيحين(١) من حديث: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين».

وفي الصحيح(٢) أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يَا عُمَر، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شيء حَتَّى مِنْ نَفْسِي. «الْآنَ يَا عُمَرُ». ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.

* وأولى بنا كذلك في قضائه وحكمه فحكمه مقدمٌ في النفاذ فينا على حكم غيره، بل على حكم أنفسنا في أنفسنا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد ﴿أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: أحق بالمؤمنين به ﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥)، ومسلم (٤٤).
(٢) البخاري (٦٦٣٢).

(٢٥) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحَه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مُقَدّمًا على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

فكذلك أولى بنا من أنفسنا في السمع والطاعة والاتباع فنسمع قوله ونتبعه ونطيعه، وإن خالف ذلك ما في أنفسنا.

وكذلك يدخل فيما ذكر ما أخرجه البخاري (١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. اقرؤوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عَصَبَتُه مَن كانوا. فإن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا، فليأتني فأنا مولاه**».

وأورد بعض أهل العلم وجهًا آخر حاصله أنه صلوات الله وسلامه عليه أولى بهم من أنفسهم لكون أنفسهم تدعوهم إلى النار وهو يدعوهم إلى الجنة، وذلك كما في الأحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث أبي موسى (٢) عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**».

---

(١) البخاري (٤٧٨١)، وكثيرًا ما تأتي كلمة «اقرؤوا إن شئتم» مدرجة من قول أبي هريرة فينبغي أن تحرر ها هنا.

(٢) حديث أبي موسى عند البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، واللفظ لمسلم.

(٢٦) أحمر
أسود

وفي الصحيحين[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».

وما أخرجه مسلم من حديث جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله بعد ذكره بعض هذه الأحاديث:

وهذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها.

ثم قال: في شرح بعض ألفاظ الحديث، قال العلماء: الحجزة للسراويل والمعقد للإزار فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام في نجاتنا وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين أيدينا فهو أولى بنا من أنفسنا ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين بنا صرنا أحقر من الفراش وأذل من الفراش ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقيل: أولى بهم أي أنه إذا أمر بشيء ودعت النفس إلى غيره كان أمر النبي ﷺ أولى وقيل: أولى بهم أي هو أولى بأن يحكم على المؤمنين فينفذ حكمه في أنفسهم أي فيما يحكمون به لأنفسهم مما يخالف حكمه.

❁ ❁ ❁

(١) حديث أبي هريرة عند البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، واللفظ لمسلم.
(٢) مسلم (٢٢٨٥).

(٢٧) أحمر
أسود

شيء من فضيلة أزواج النبي ﷺ

س: قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أمهاتهم في ماذا؟

ج: أمهاتهم في التشريف والتعظيم والتبجيل، وكذا في حرمه زواج الرجال بهن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهم يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة (ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ يعظِّم بذلك حقهنّ، وفي بعض القراءة: (وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ).

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ محرّمات عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي في «المختصر»، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات ثم هذه الأمومة لا

(٢٨) أحمر
أسود

توجب ميراثًا كأمومة التبني وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن أخوات للناس وسيأتي عدد أزواج النبي ﷺ في آية التخيير إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: هل أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنات أيضًا؟

ج: الظاهر؛ أن نعم –والله أعلم– وذلك لكونهن شُرفن بذلك فالتشريف يقتضي التعميم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف الناس هل هن أمهات الرجال والنساء أم أمهات الرجال خاصة على قولين: فروى الشعبي عن مسروق عن عائشة ڤ أن امرأة قالت لها: يا أمة فقالت لها: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم قال ابن العربي: وهو الصحيح.

قلت: لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيمًا لحقهن على الرجال والنساء يدل عليه صدر الآية: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة ويدل على ذلك حديث أبي هريرة وجابر فيكون قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ عائدًا إلى الجميع ثم إن في مصحف أبي بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقرأ ابن عباس: من أنفسهم وهو أب (١) لهم وأزواجه أمهاتهم وهذا كله يوهن ما رواه مسروق إن صح من جهة الترجيح وإن لم يصح فيسقط الاستدلال به في التخصيص وبقينا على الأصل الذي هو العموم الذي يسبق إلى الفهوم والله أعلم.

---

(١) لا بد وأن يفهم هذا في ضوء قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ...﴾.

(٢٩) أحمر
أسود

س: ما مدى صحة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا، وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ»، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ وَيَنْهَى عَنْ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ.

ج: الحديث أخرجه أبو داود (١) وغيره بسندٍ حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والقرابات الذين ورَّث الله بعضهم من بعض أولى بالميراث من غيرهم، وذلك موجود في كتاب الله وحكمه، موجود أن القرابات هم الذين يرثون الميت (إذا كان الأقرباء مسلمون) وهم أولى به من سائر المؤمنين والمهاجرين (أولى بميراثه)، ولمزيد إيضاح فقد كان الأمر في أول الهجرة، وقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار فقد المهاجري الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين أنصاري، يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون سائر قراباته، وكذا يرث الأنصاري المهاجريَّ دون سائر قراباته.

وقال بعض العلماء: إن التوارث كان بالهجرة بمعنى أن المسلم المهاجر يرث المسلم المهاجر دون سائر قراباته من المسلمين الذين لم يهاجروا فنسخ كل ذلك بآية المواريث، وبالآية التي بين أيدينا وبغير ذلك مما في هذا المعنى- والله أعلم، والوجه الأول الذي قدمته هو قول مجاهد.

وإن كانت هناك أقوالٌ أخر.

وهذه طائفة من أقوال العلماء في ذلك.

---

(١) أبو داود حديث (٨).

(٣٠) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكم الله ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار. وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه، للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد ابن جبير، وغير واحد من السلف والخلف.

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثًا عن الزبير بن العوام، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي -من ساكني بغداد- عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوام قال: أنزل الله، عَزَّ وَجَلَّ، فينا خاصة معشر قريش والأنصار: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ﴾، وذلك أنا معشر قريش لما قَدمنا المدينة، قَدمنا ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نِعْمَ الإخوانُ، فواخيناهم ووارثناهم. فآخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلانا، وآخى عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه رجلًا من بني زُرَيق، سعد الزرقي، ويقول بعض الناس غيره. قال الزبير: وواخيت أنا كعب بن مالك، فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله يا بني، لو مات يومئذٍ عن الدنيا، ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة، فرجعنا إلى مواريثنا[(١)].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) سنده صحيح، وعبد الرحمن بن أبي الزناد من الأثبات في هشام بن عروة. والله أعلم.

(٣١) أحمر
أسود

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأولوا الأرحام الذين ورّثت بعضهم من بعض، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضًا، بالهجرة والإيمان دون الرحم.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ لبث المسلمون زمانًا يتوارثون بالهجرة، والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئًا، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت المواريث بالملل.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ قال: كان النبيّ ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة، وكانوا يتوارثون على ذلك، وقال الله: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ [النساء: ٣٣] قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم، قال: فكان هذا أوّلًا، فقال الله: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ يقول: إلا أن توصوا لهم ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولي رحم، حتى يهاجروا إلى المدينة، وقرأ: قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣] فكانوا لا يتوارثون، حتى إذا كان عام الفتح، انقطعت الهجرة، وكثر الإسلام، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبيّ ومن معه إلا أن يهاجر؛ قال: وقال رسول الله ﷺ لمن بعث: «**اغْدُوا عَلى اسْمِ اللهِ لا تَغْلُوا وَلا تُوَلُّوا، ادْعُوهُمْ إلى**

(٣٢) أحمر
أسود

الإسْلامِ، فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ، فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ، فَلَهُمْ ما لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ، فإنْ أبَوْا وَلَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دَارَهُمْ فأقِرُّوهُمْ فِيها، فَهُمْ كالأعْرابِ تجْرِي عَلَيْهِمْ أحْكام الإسْلام، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ».

قال: فلما جاء الفتح، وانقطعت الهجرة، قال رسول الله ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» وكثر الإسلام، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين، وكان لهم في الفيء نصيب، وإن أقاموا وأبوا، وكان حقهم في الإسلام واحدًا، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكلّ أحد، حين جاء الفتح.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، أولى بالميراث، ممن لم يؤمن، ولم يهاجر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ قيل: إنه أراد بالمؤمنين الأنصار وبالمهاجرين قريشًا وفيه قولان:

أحدهما: أنه ناسخ للتوارث بالهجرة.

الثاني: أن ذلك ناسخ للتوارث بالحلف.

و﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بـ أولى لا بقوله: وأولو الأرحام بالإجماع لأن ذلك كان يوجب تخصيصًا ببعض المؤمنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل إشكالها قاله ابن العربي. النحاس: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي

(٣٣) أحمر
أسود

كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ يجوز أن يتعلق من المؤمنين بـ أولو فيكون التقدير : وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين ويجوز أن يكون المعنى أولى من المؤمنين.

قلت (مصطفى): ويمكن إيضاح ما ذكر على النحو التالي:

الأول: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين أي: أن القرابات أولى بأن يرث بعضهم بعضًا من أهل الإيمان، أي: أن القرابات أولى بالميراث من المؤمنين.

الثاني: أن القرابات أولى بأن يرث بعضهم بعضًا من المهاجرين وهذا على قول من قال: إن المؤمن المهاجر كان يرث المؤمن المهاجر، ولا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من أخيه شيئًا فتكون الآية قد عمَّت، ومعناها: والقرابات أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بأقرباء للميت، وأولى بالميراث من المؤمنين الذين هاجروا. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بكتاب الله في قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: في حكم الله كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

الثاني: أن المراد: القرآن.

الثالث: أن المراد: اللوح المحفوظ الذي قضى فيه أحوال خلقه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قد ذهب التوارث الذي كان بين المهاجريِّ والأنصاريِّ، ولم يبق إلا أن توصوا لبعضكم البعض، وينصر بعضكم بعضًا ويُحسن بعضكم إلى بعض، أما الميراث فقد ذهب، والأولى به هم القرابات المسلمون، وقد قال بعض أهل العلم إلى القرابات المسلمة يرث بعضهم بعضًا، ولا يرث أهل الشرك شيئًا من المسلمين، وهذا معلوم فالمسلم لا يرثه مشركٌ، وهو لا يرث الكافر كذلك إلا أنه يجوز أن يوصي المسلم ببعض ماله لقراباته من أهل الشرك.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ قال: للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم.

وبإسناد حسن عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ما قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ فقال: العطاء، فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحقّ الإيمان والهجرة والحلف، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية.

(٣٥) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ يقول: إلا أن توصوا لهم.

ثم قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفًا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده.

وإنما اخترت هذا القول، وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليًّا بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع «أن» من قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ نصب على الاستثناء ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولي أرحام منكم معروفًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾، أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ يريد الإحسان في الحياة والوصية عند الموت أي إن ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء وقال محمد

(٣٦) أحمر
أسود

ابن الحنفية نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني أي يفعل هذا مع الولي والقريب وإن كان كافرا فالمشرك وليٌّ في النسب لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلماء هل يجعل الكافر وصيًّا فجوز بعض ومنع بعض ورد النظر إلى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رحمه الله تعالى وذهب مجاهد وابن زيد والرماني إلى أن المعنى : إلى أوليائكم من المؤمنين، ولفظ الآية يعضد هذا المذهب وتعميم الولي أيضًا حسنٌ وولاية النسب لا تدفع الكافر وإنما تدفع أن يلقى إليه بالمودة كوليِّ الإسلام.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – اللوح المحفوظ الذي سُطِّرت فيه أعمال العباد، ومن العلماء من قال الكتاب القرآن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ أي: هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدَّر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد. وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله: أي في اللوح المحفوظ مسطورًا: أي

(٣٧) أحمر
أسود

مكتوبًا، مكا قال الراجز:

فِي الصُّحُفِ الأُولَى التِي كَانَ سَطَرْ

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ «الكتاب» يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في «كتاب الله». و﴿مَسْطُورًا﴾ من قولك سطرت الكتاب إذا أثبته أسطارًا. وقال قتادة: أي: مكتوبًا عند الله عَزَّ وَجَلَّ ألا يرث كافر مسلمًا. قال قتادة: وفي بعض القراءة «كان ذلك عند الله مكتوبًا». وقال القرطبي: كان ذلك في التوراة.

❁ ❁ ❁

الميثاق المأخوذ على النبيين و

س: ما هذا الميثاق الذي أخذه الله على النبيين عليهم صلوات الله وسلامه؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

الأول: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الثاني: أنه الميثاق المأخوذ عليهم أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وذلك لقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

الثالث: أنه الميثاق المأخوذ على النبيين للتصديق برسول الله ﷺ إذا بُعث وهم أحياء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

(٣٨) أحمر
أسود

رابعًا: أنه كل ما أخذ على النبيين من عهود ومواثيق من الله ﷻ. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ...﴾ عطف للخاص على العام، وضحه وبيِّن المستفاد منه.

ج: إيضاحه أن الله ﷻ بعد أن ذكر أنه أخذ الميثاق من النبيين، والنبيون يدخل فيهم الأنبياء المذكورون ف عطف بذكر بعض الأنبياء، إذ قال: ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم...

والمستفاد منه بيان فضيلة هؤلاء الأنبياء فهم أولو العزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه محمد رسول الله ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه.

وقد ذكر خمستهم في آية أخرى؛ إذ الله قال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾. [الشورى: ١٣]

❁ ❁ ❁

س: هل الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ...﴾ هو الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ...﴾؟

ج: قال بعض العلماء هو نفسه، وإنما أعيد للتأكيد والتوكيد.

وقال آخرون: إن الميثاق الأول هو المأخوذ على الأنبياء وهم في صلب آدم عليه السلام، والثاني: هو المأخوذ عليهم بعد إرسالهم أن يؤمنوا برسول الله إذا بعث وهم أحياء.

(٣٩) أحمر
أسود

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين وقيل: الأول هو الإقرار بالله تعالى والثاني في أمر النبوة ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ﴾ الآية أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمدًا رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ أن لا نبي بعده.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾...﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإذ يا رسول الله، ما كان مسطورًا في الكتاب إذ أخذنا من النبيين العهد المؤكد على إقامة الدين وعلى أن يصدق بعضهم بعضًا، وأخذنا هذا الميثاق أيضًا منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأكدنا عليهم الميثاق وغلظناه عليهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا أي كان مسطورا حين كتب الله ما هو كائن وحين أخذ الله تعالى المواثيق من الأنبياء ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ وإنما خص هؤلاء الخمسة وأن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلًا لهم وقيل: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم ويحتمل أن يكون هذا تعظيمًا في قطع

(٤٠) أحمر
أسود

الولاية بين المسلمين والكافرين أي هذا مما لم تختلف فيه الشرائع أي شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي كان في ابتداء الإسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متأكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الإيمان وهو سبب وكيد فأما التوارث بين مؤمن وكافر فلم يكن في دين أحد من الأنبياء الذين أخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين ولا تمالئوا الكفار ونظيره : (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا)-إلى قوله:-(وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾. ومن ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل : أي النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورًا ومأخوذًا به المواثيق من الأنبياء (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ أي عهدًا وثيقًا عظيمًا على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وأن يصدق بعضهم بعضا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: (لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ...﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الصادقين هم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه يسألهم ربهم عن الصدق الذي جاءوا به من عند الله وبماذا أجابتهم أممهم، كما قال تعالى: (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

الثاني: أن المراد بالصادقين أيضًا الأنبياء، والمراد أنهم يُسألون عن العهود التي أعطوها ربهم، وأخذها عليهم ربهم ﷻ، هل وفَّوا بها أم لا.

الثالث: ليسأل الأنبياء هل بلغوا رسالات ربهم أم لا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤١) أحمر
أسود

س: ما فائدة هذا السؤال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ...﴾؟

ج: قيل: لتوبيخ أهل الكفر والتكذيب كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦] فهذا سؤال لتوبيخ من عبدوا عيسى عليه السلام وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩] وذلك لتوبيخ من وأدها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وأعدَّ الله للجاحدين وحدانيته والمكذبين لرسله عذابًا مؤلمًا موجعًا.

❁ ❁ ❁

(٤٢) أحمر
أسود

شيءٌ من الوارد في غزوة الأحزاب (الخندق)

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا
وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ
يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ
وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ
ٱلۡفِتۡنَةَ لَأَتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا
يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ
ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ
أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾

[الأحزاب: ٩-١٧]

(٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا -زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ- وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ -ٱبْتُلِيَ -وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا -فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ -غُرُورًا -طَآئِفَةٌ -يَثْرِبَ -لَا مُقَامَ لَكُمْ - بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ - أَقْطَارِهَا -سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ -تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ -يَسِيرًا -لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ -لَّا تُمَتَّعُونَ -يَعْصِمُكُم - سُوٓءًا -رَحْمَةً -وَلِيًّا -نَصِيرًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	جنودًا لم تبصروها، وهم الملائكة
﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	شخصت العيون – مالت العيون
﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾	انتقلت القلوب من أماكنها من شدة الخوف من الصدور إلى الحناجر، وقيل هذا مَثَلٌ يضرب لمن غلبه الخوف الشديد فاضطرب قلبه اضطرابًا شديدًا
﴿ٱبْتُلِيَ﴾	اختُبر
﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	تحركوا تحركًا شديدًا – تحركت قلوبهم تحركًا شديدًا (منها قلوب تحركت خوفًا، وأخرى إيمانًا وطمأنينةً)
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	في قلوبهم شك، وضعف إيمان
﴿غُرُورًا﴾	خداعًا وغشًّا
﴿طَآئِفَةٌ﴾	جماعة
﴿يَثْرِبَ﴾	المدينة، وقيل: يثرب أرض والمدينة جزء منها في أطرافها

(٤٤) أحمر
أسود

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾	لا وجه لمرابطتكم هنا حول الخندق فهذا مقام لن تحفظوا فيه
﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾	مكشوفة معرضة للسرقة – غير مرتفعة الأسوار، وذلك يعرضها للسرقة
﴿أَقْطَارِهَا﴾	جوانبها – نواحيها
﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾	طلب منهم الشرك- طلب منهم أن يشركوا – طلبت منهم الخيانة
﴿تَلَبَّثُوا بِهَا﴾	تمسكوا بها
﴿يَسِيرًا﴾	زمنًا قليلًا
﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾	لا يفرون عند لقاء العدو فيجرون أمامه وهو يتبعهم
﴿لَا تُمَتَّعُونَ﴾	لا تعيشون متمتعين بدنياكم
﴿يَعْصِمُكُمْ﴾	يمنعكم
﴿سُوءًا﴾	شرًّا – بلاءً – هزيمةً – مرضًا
﴿رَحْمَةً﴾	عافيةً ونصرًا وسعةً ورزقًا وإيمانًا
﴿وَلِيًّا﴾	أحدًا يتولى أمركم
﴿نَصِيرًا﴾	شخصًا ينصركم

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ما المراد به.

ج: المراد، والله أعلم، أحد أمرين:

الأول: تذكروها، فاشكروها واعملوا بمقتضى هذا الشكر.

الثاني: حدثوا بها الناس شاكرين لها.

(٤٥) أحمر
أسود

س: ما هذه النعمة التي أنعم الله بها على أهل الإيمان وعناها الله بقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ...﴾؟

ج: هل التي ذكرت عقيب ذلك إذ الله قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ فالنعمة هي حفظ الله لعباده المؤمنين وتسليمه لهم مما حلَّ بهم من الخوف، ومما كان سيحلُّ بهم من القتل، والتشريد والسبي وانتهاك الأعراض على أيدي الأحزاب الذين تحزبوا عليهم من أهل الشرك من قريش وغطفان ويهود بني قريظة، وكانت هذه النعمة ممثلة في ريحٍ سلَّطها الله ﷻ وأرسلها على أهل الكفر فانقلبوا خائبين، وكذا كانت النعمة إرسال جنودٍ لم يرها المؤمنون، وهم الملائكة لنصرة أهل الإيمان وتثبيتهم ومؤازرتهم وطمأنينتهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق (إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾: جنود الأحزاب: قُريش، وغطفان، ويهود بني النضير (فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ وهي فيما ذكر: ريح الصبا.

❁ ❁ ❁

س: ما هذه الريح، وما تلك الجنود التي لم يرها المؤمنون؟

ج: هي ريح الصبا، وتلك التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**نصرت بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور**»[1].

أما الجنود الذين لم يرهم المؤمنون فهم الملائكة.

قال الحافظ ابن كثير $:

(١) مسلم (٩٠٠)، والبخاري (١٣٥).

(٤٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف، فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إليّ، فيجتمعون إليه فيقول: النجاء، النجاء، لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب.

❁ ❁ ❁

س: أية غزوة تلك التي ذكر الله ﷻ بنعمته على المسلمين فيها إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وفي أي السنوات كانت؟

ج: هي غزوة الأحزاب، وأيضًا يطلق عليها غزوة الخندق، وهي بها أشهر وأما في أي السنوات كانت فأقوال العلماء أغلبها دائر بين كونها في السنة الرابعة من الهجرة إلى السنة الخامسة، ورجح الحافظ ابن كثير كونها كانت في السنة الخامسة من الهجرة، ولعلَّ الجمع بين الأقوال ممكن بأن تكون بعد أربع سنوات وبضعة أشهر من الهجرة، ومن العلماء من قَرَّبَ السنوات إلى خمس، ومنهم من قرَّبها إلى الأربع والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف في أي سنة كانت، فقال ابن إسحاق: كانت في شوال من السنة الخامسة، وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت وقعة الخندق سنة أربع، وهي وبنو قريظة في يوم واحد، وبين بني قريظة والنضير أربع سنين.

وصحح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كونها كانت سنة خمس؛ إذ قال:

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور. وقال موسى

(٤٧) أحمر
أسود

ابن عقبة وغيره: كانت في سنة أربع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾؟

ج: الخطاب لأهل الإيمان، وما كان من شأنهم يوم الخندق فأخبر الله ﷻ أنه بصير بأحوالهم آنذاك وما هم فيه من الكرب والبلاء، وبصيرٌ بعملهم الذي كانوا يعملون وما حدث لهم من جهدٍ ومشقةٍ وعناء، وأن كل ذلك معلوم لديه سبحانه وسيوافيهم به جزاءً حسنًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم يومئذٍ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة، وثباتهم لعدوهم، وغير ذلك من أعمالهم، بصيرًا لا يخفى عليه من ذلك شيء، يحصيه عليهم، ليجزيهم عليه.

❁ ❁ ❁

(٤٨) أحمر
أسود

ذِكرُ بعض الأحاديث الواردة
في غزوة الأحزاب (الخندق)
شيءٌ من الوارد في حفر الخندق،
وفي ثناياه وبعض الآيات المعجزات

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**».

وفي الصحيحين[2] من حديث البراء قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ. وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

«واللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّ الْأُولَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا

قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ:

إِنَّ الْمَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ.

وفي رواية البخاري:

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وعند مسلم من طريق: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

---

(١) البخاري (٤٠٩٨)، ومسلم (١٨٠٤).

(٢) البخاري (٢٨٣٧)، (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣) ونحوه من حديث أنس عند البخاري (٢٧٩٥)، ومسلم (١٨٠٥).

(٤٩) أحمر
أسود

أَوْ قَالَ: عَلَى الْجِهَادِ. شَكَّ حَمَّادٌ. وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»

وأخرج البخاري[1] من حديث جابر رضي الله عنه قال: «إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فِي الكَدِيَةِ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ. فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ. ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ». قَالَ: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنِ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» فَقَالَ: «قُومُوا». فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

وفي رواية[2] من طريق سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما

(١) البخاري (٤١٠١).
(٢) البخاري (٤١٠٢).

(٥٠) أحمر
أسود

قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا. ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِهَلَّكُمْ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**» فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ؛ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي. وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ».

❁ ❁ ❁

(٥١) أحمر
أسود

قول النبي ﷺ من يأتيني بخبر القوم
وفيه فضيلة للزبير وحذيفة رضي الله عنهما

أخرج البخاري[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

وأورد ابن إسحاق[2] من وجهٍ آخر فقال: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا. قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثم يرجع** - يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ- **أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟**» فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا**» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً. فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قَالَ

---

(١) البخاري (٤١١٣).
(٢) وفي سنده يزيد بن زياد فيه بعض المقال.

(٥٢) أحمر
أسود

حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا مِنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ فَوَاللهِ مَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ «**أن لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**»، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرَاجِلُ. قَالَ ابنُ هشام: المَرَاجِلُ ضَرْبٌ مِنْ وَشْيِ اليَمَنِ. فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَجْلِيهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ.

أخرج مسلم[1] **في صحيحه من طريق إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:** كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**» فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا؛ إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: «**اذْهَبْ**

(١) مسلم (١٧٨٨).

(٥٣) أحمر
أسود

فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ» فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ. حَتَّى أَتَيْتُهُمْ. فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ. فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ. فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ. فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ. فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ. فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا. فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ».

❁ ❁ ❁

الريح التي نُصر بها النبي ﷺ
وقوله ﷺ: «نُصرت بالصبا»

أخرج البخاري[1] من طريق مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤١٠٥).

(٥٤) أحمر
أسود

مشاركة جبريل عليه السلام

للمؤمنين في غزوة الخندق وبني قريظة

أخرج البخاري[١] من حديث عَائِشَةَ ف قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا. وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

ومن حديث[٢] أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

وأخرج البخاري[٣] من حديث ابن عمرَ ف قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ».

حكم سعد بن معاذ

رضي الله عنه في بني قريظة وقصة موته رضي الله عنه

وأخرج البخاري[٤] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدريّ ف يَقُول: «نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ** -أَوْ **خَيْرِكُمْ**-» فَقَالَ: **هَؤُلاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ** فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ: «**قَضَيْتَ بِحُكْمِ**

---

(١) البخاري (٤١١٧).
(٢) البخاري (٤١١٨).
(٣) البخاري (٤١١٩).
(٤) البخاري (٤١٢٢).

(٥٥) أحمر
أسود

اللهِ» وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ».

وأخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ ف قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ. فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤١٢٢).

(٥٦) أحمر
أسود

متفرقات في غزوة الأحزاب وبني قريظة

أخرج البخاري[١] من حديث سليمان بن صُرد قال: قال النبي ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا».

وَفِي رِوَايَة عِنْدَه أَيضًا: «الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

وأخرج البخاري[٢] من حديث ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «أَوَّلُ يَوْمٍ شَهِدْتُهُ يَوْمُ الْخَنْدَقِ».

أخرج البخاري[٣] من حديث عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «مَلَأَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ».

وعند البخاري[٤] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَت الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا» فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ».

وعند البخاري[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ».

---

(١) البخاري (٤١٠٩).
(٢) البخاري (٤١٠٧).
(٣) البخاري (٤١١١).
(٤) البخاري (٤١١٢).
(٥) البخاري (٤١١٤).

(٥٧) أحمر
أسود

وأخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمْ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

وعنده[٢] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ الْغَزْوِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ يَبْدَأُ فَيُكَبِّرُ ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلَاتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا - أَوْ كَمَا قَالَتْ- وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَكِ كَذَا» وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ- عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤١١٥).
(٢) البخاري (٤١١٦).
(٣) البخاري (٤١٢٠).

(٥٨) أحمر
أسود

بعض أقوال أهل العلم إجمالاً في غزوة الخندق

س: اذكر إجمالًا بعض أقوال أهل العلم في غزوة الخندق؟

ج: من هذه الأقوال ما يلي:

قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم: سلام بن أبي الحُقَيْق، وسلام بن مِشْكَم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا. وخرجت قريش في أحابيشها، ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وعلى غطفان عُيَينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا، ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفَر، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات.

وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أراضي المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، وخرج رسول الله ﷺ، ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سَلْع ووجوههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة -وهم

(٥٩) أحمر
أسود

طائفة من اليهود -لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حُيَيّ بن أخطب النَّضَري، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعَظُم الخَطْب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ودّ العامري -وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية -ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه، فلم يبرز إليه أحد، فأمر عليًّا فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله عليٌّ، رضي الله عنه، فكان علامة على النصر.

ثم أرسل الله عز وجل، على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا تُوقَد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول: أمر رسول الله ﷺ بالقتال من المدينة وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ قال: ذلك يوم الخندق جاءت قريش من ها هنا واليهود من ها هنا والنجدية من ها هنا يريد مالك: إن الذين جاؤوا من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان وكان سببها: أن نفرًا من اليهود

(٦٠) أحمر
أسود

منهم كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن أخطب النضريون وهوذة بن قيس وأبو عمار من بني وائل وهم كلهم يهود هم الذين حزَّبوا الأحزاب وألَّبوا وجمعوا خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل فأتوا مكة فدعوا إلى حرب رسول الله ﷺوواعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة، والحارث بن عوف المري على بني مرة، ومسعود بن رخيلة على أشجع فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم شاور أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضى رأيه وقال المهاجرون يومئذ : سلمان منا، وقال الأنصار : سلمان منا فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**» وكان الخندق أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرٌّ فقال : يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون في الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحاق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه آيات بينات وعلامات للنبوات.

قلت: كذا أورد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أخرج الآثار التي أوردها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا التي أوردها قبله ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما قوله ﷺ: «**سلمان منا آل البيت**» فضعيف الإسناد.

❁ ❁ ❁

(٦١) أحمر
أسود

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (زاد المعاد)

فصل
في غزوة الخندق

فصل: في غزوة الخندق

وكانت في سنة خمسٍ من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاَفَ أن أحدًا كانت في شوال سنةَ ثلاثٍ، وواعدَ المشركون رسولَ الله ﷺ في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه لأجل جَدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس، جاؤوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي.

وخالفهم موسى بن عقبة وقال: بل كانت سنةَ أربع.

قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شَك فيه، واحتج عليه بحديث ابن عمَرَ في «الصحيحين» أنه عرضَ على النبِي ﷺ يومَ أُحدٍ، وهو ابن أربع عشرةَ سنة، فلم يجزه، ثم عرضَ عليه يومَ الخندق، وهو ابن خَمسَ عشرةَ سنة، فأجازه[1].

قال: فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنةٌ واحدة.

وأجيب عن هذا بجوابين:

أحدهما: أن ابنَ عمر أخبرَ أن النبِي ﷺ، رده لما استصغَرَه عَن القتال، وأجازه لما وَصَلَ إلى السن التِي رآه فيها مطيقًا، وليس في هذا ما يَنفي تجاوزَها بسنةٍ أو نحوها.

الثانِي: أنه لعله كان يومَ أُحدٍ في أول الرابعة عشرة، ويومَ الخندق في آخر الخامسة عشرة.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨) من حديث ابن عمر.

(٦٢) أحمر
أسود

فصل

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهودَ لما رَأوا انتصارَ المشركين على المسلمين يَومَ «أُحد»، وعلموا بميعاد أبِي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل؛ خرج أشرافهم، كسلام بن أبِي الحقيق، وسلام ابن مشكَم، وكنَانة بن الربيع، وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم عَلَى غَزو رسول الله ﷺ، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابَتهم قريشٌ، ثم خرجوا إلى غَطَفَان فدعَوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب، يدعونَهم إلى ذلك، فاستجابَ لهم مَن استجاب، فخرجت قريشٌ وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلافٍ، ووافَتهم بنو سليم بمَر الظهرَان، وخرجت بنو أسد، وفَزَارَة، وأشجع، وبنو مرةَ، وجاءت غَطَفَان وقائدهم عيينة بن حصنٍ. وكان مَن وافى الخندقَ من الكفار عشرة آلاف.

فلما سَمعَ رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه، استشار الصحابةَ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندقٍ يحول بين العدو وبينَ المدينة، فأمر به رسول الله ﷺ، فبادر إليه المسلمون، وعَملَ بنفسه فيه، وبادروا هجومَ الكفّار عليهم، - وكان في حَفره من آيات نبوته، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، وكان حفر الخندق أمامَ سَلعٍ، وسَلعٌ: جبل خلفَ ظهور المسلمين، والخندق بينهم وبين الكفار.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فتحصن بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم.

وقال ابن إسحاق: خرج في سبعمائة، وهذا غلط من خروجه يوم أحدٍ.

وأمر النبيّ ﷺ بالنسَاء والذراري، فَجعلوا في آطام المدينة، واستخلف

عليها ابنَ أم مكتوم.

وانطلق حُيي بن أَخطَب إلى بنِي قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتَح له، فلم يَزَل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه، قال: لقد جئتكَ بعز الدهر، جئتكَ بقريش وغَطَفَان وأَسَدٍ على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتَنِي والله بذل الدهر، وبجَهَامٍ قد هراقَ مَاؤه. فهو يَرعد ويَبرق ليس فيه شيء. فلم يزل به حتى نقضَ العَهدَ الذي بينَه وبينَ رسول الله ﷺ. ودخل مع المشركين في محاربته، فَسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حُيي أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخلَ معه في حصنه، فيصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفى له به.

وبلغ رسولَ الله ﷺ خبر بنِي قريظة ونقضهم للعهد، فبعث إليهم السعدين، وخواتَ بن جبير، وعبدَ الله بن رواحة ليَعرفوا: هل هم على عهدهم، أو قد نقضوه، فلما دَنوا منهم، فوجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله، فانصرفوا عنهم. ولحنوا إلى رسول الله ﷺ لحنًا يخبرونه أنهم قد نقضوا العَهد وغدَروا، فعظمَ ذلك على المسلمين، فقالَ رسول الله ﷺ عند ذلك: «الله أَكبَر أَبشروا يَا مَعشَرَ المسلمين»، واشتد البلاء، ونَجَم النفَاق، واستأذن بعض بنِي حارثة رسولَ الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقَالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهمَّ بنو سلمَةَ بالفَشَل، ثم ثبت الله الطائفتين.

وأقام المشركون محاصرينَ رسولَ الله ﷺ شهرًا. ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فَوارسَ من قريش، منهم عمرو بن عبد ودٍّ، وجماعة معه أقبلوا نحوَ الخندق، فلما وقفوا عليه، قالوا: إن هذه مَكيدةٌ ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكانًا ضيقًا من

(٦٤) أحمر
أسود

الخندق، فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السّبخة بين الخندق وسَلعٍ، وَدَعَوا إلى البرَاز، فانتدب لعمروٍ عليّ بن أبِي طالب ا، فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، وانهزمَ الباقون إلى أصحابهم، وكان شعار المسلمين يومئذٍ «**حم لا ينصَرونَ**»[(١)].

ولما طالت هذه الحال على المسلمين، أراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينةَ بنَ حصنٍ، والحارثَ بنَ عوف رئيسي غَطَفَان، على ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك؛ فقالا: يا رسولَ الله، إن كان الله أمَرَكَ بهذا، فسمعًا وطاعةً، وإن كان شيئًا تصنعه لنا، فلا حاجةَ لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرىً أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعَزنا بك، نعطيهم أموالَنَا. والله لا نعطيهم إلا السيفَ، فصوبَ رأيَهما، وقال: «**إنمَا هوَ شَيء أَصنَعه لَكم لَما رَأَيت العَرَبَ قَد رَمَتكم عَن قَوسٍ وَاحدَةٍ**»[(٢)].

ثم إن الله - ﷻ، وله الحمد- صنع أمرًا من عنده، خَذَلَ به العدو، وهزم جموعَهم، وفَلَّ حدهم، فكان مما هيأ من ذلك، أن رجلًا من غَطَفَانَ يقَال له: نُعَيم بن مسعود بن عامر رضي الله عنه، جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إنِّي قد أسلمت، فمرنِي بما شئت، فقالَ رسول الله ﷺ: «**إنمَا أَنتَ رَجلٌ وَاحدٌ،**

(١) صحيح: لكن ليس فيه أن هذا الشعار كان يوم الخندق. أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢)، وأحمد (٦٥/٤) و(٣٧٧/٥) وغيرهم من حديث أبي إسحاق السبيعي عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي □ يقول: «**إن بلغكم العدو فإن شعاركم: حم لا ينصرون**».

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (٩٤/٢)، وابن هشام في «السيرة» (١٨٠/٤) من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة والزهري مرسلًا. وأخرج ابن أبي شيبة نحوه في «المصنف» (٣٦٨١٦) عن أبي معشر مرسلًا. وأبو معشر ضعيف.

(٦٥) أحمر
أسود

فَخَذِّل عَنا مَا استَطَعتَ فَإن الحَربَ خَدعَة». فذهب من فوره ذلك إلى بنِي قريظة، وكان عشيرًا لهم في الجاهلية، فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بنِي قريظة، إنكم قد حاربتم محمدًا، وإن قريشًا إن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا انشمَروا إلى بلادهم راجعين، وتركوكم ومحمدًا، فانتقم منكم. قالوا: فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: لقد أشرتَ بالرأي، ثم مضى على وجهه إلى قريش، فقال لهم: تعلمون ودي لكم، ونُصحي لكم، قالوا: نعم. قال: إن يهودَ قد نَدموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رَهائنَ يدفعونَها إليه، ثمَ يمالئونه عليكم، فإن سألوكم رهائنَ، فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غَطَفَان، فقال لهم مثلَ ذلكَ، فلما كان ليلة السبت من شوال، بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع والخفّ، فانهضوا بنا حتى نناجزَ محمدًا، فأرسل إليهم اليهود: إن اليومَ يومَ السبت، وقد علمتم ما أصاب مَن قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رَهائنَ، فلما جاءتهم رسلهم بذلك، قالت قريش: صدقَكم والله نعيم، فبعثوا إلى يهود؛ إنا والله لا نرسل إليكم أحدًا، فاخرجوا معنا حتى نناجزَ محمدًا فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذلَ الفريقان[1]، وأرسلَ الله على المشركين جندًا من الريح، فجعلت تقوض خيامَهم، ولا تَدَع لهم قدرًا إلا كَفَأتها، ولا طنبًا إلا قَلَعَته، ولا يَقرّ لهم قرار، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرّعبَ والخوفَ، وأرسل رسول الله ﷺ حذيفةَ بن اليمان يأتيه بخبرهم،

(١) انظر «السيرة» لابن هشام (١٨٨/٤)، و«تاريخ الطبري» (٩٦/٢)، و«البداية والنهاية» (١٢٧/٤).

(٦٦) أحمر
أسود

فوجدهم على هذه الحال، وقد تهيؤوا للرحيل[١]، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره برحيل القوم فأصبح رسول الله، وقد ردَّ الله عدوه بغيظه، لم ينالوا خيرًا، وكفاه الله قتالهم، فصدق وعدَه، وأعز جندَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحده، فدخل المدينةَ ووضعَ السلاحَ، فجاءه جبريل عليه السلام، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أَوَضَعتم السلاَحَ، إن المَلائكَةَ لَم تَضَع بَعد أَسلحَتَهَا، انهَض إلَى غَزوَة هؤلاء – يَعنِي: بنِي قرَيظَةَ – فَنادَى رسول الله ﷺ: «**مَن كَانَ سَامعًا مطيعًا، فَلاَ يصَليَن العَصرَ إلا في بنِي قرَيظَة**»[٢]. فخرج المسلمون سراعًا، وكان من أمره وأمر بنِي قريظَة ما قدمناه، واستشهد يومَ الخندق ويومَ قريظة نحو عشرةٍ من المسلمين.

فصل

وقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألَّبَ الأحزابَ على رسول الله، ولم يُقتل مع بنِي قريظة كما قتلَ صاحبه حُيي بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواةً للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله – سبحانه وتعالى –، قد جعل هذين الحيين يتصاولان بينَ يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فَأذنَ لهم، فانتدب له رجالٌ كلّهم من بنِي سلمة، وهم: عبد الله بن عَتيكٍ، وهو أمير القوم، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخُزَاعيّ بن أسود، فساروا حتى أتوه في خيبر في دار له، فنزلوا عليه ليلًا، فقتلوه، ورجعوا إلى رسول الله، وكلّهم ادعى قتله، فقال: «**أَرونِي أَسيَافَكم**» فلما أَرَوه إياهَا، قال لسيف عبد الله بن أنيس، «**هذَا الذي قَتَلَه أرى فيه أَثَرَ الطعَام**»[٣].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٨٨) لكن ليس فيه أنهم تهيئوا للرحيل.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) وغيرهما من حديث ابن عمر.
(٣) أخرج قصة قتل أبي رافع البخاري (٤٠٣٨، ٤٠٣٩)، وغيره من حديث البراء بن عازب وفيها أن الذي قتله هو عبد الله بن عتيك، وأما ما ذكره المصنف فأخرجه ابن جرير في

(٦٧) أحمر
أسود

«تاريخه» (٥٦/٢) من حديث عبد الله بن كعب بن مالك مرسلًا وأورده ابن سعد في «الطبقات» (٩١/٢) من غير إسناد.

(٦٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وكان الله بما تعملون بصيرًا مُطلعًا عليكم عالمًا بكم بصيرًا بكم وبأعمالكم في كل وقت وحين، وبصيرًا بكم لما جاءتكم جنود الأحزاب من كل مكان، أبو سفيان من ناحية مكة وعيينة بن حصن الفزاري ومن معه من قبل نجد، واليهود من ناحيتهم، وكلٌّ من اتجاهه، واشتد الخطب وازداد الكرب وعمَّ البلاء فهنالك شخصت الأبصار ومالت، وانتقلت القلوب من أماكنها فلكأنها بلغت الحناجر من شدة الخوف الذي اعتراها، وكثرت الظنون بالله ﷻ فأهل النفاق يظنون بالله شر الظنون يظنون أن رسول الله ﷺ سيُتأصل هو ومن معه ولن تبقى منهم باقية، وأهل الإيمان ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم، ومن أسفل منكم. وقيل: إن الذين أتوهم من أسفل منهم، أبو سفيان في قريش ومن معه.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها، وشخصت طامحة.

وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر.

(٦٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ يقول: وتظنون بالله الظنونَ الكاذبة، وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله ﷺ يُغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظنّ ممن كان مع رسول الله ﷺ في عسكره.

وأورد بإسناد حسن عن الحسن: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ قال: ظنونا مختلفة: ظنّ المنافقون أن محمدًا وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حقّ، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ تقدم عن حذيفة أنهم بنو قريظة، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: من شدة الخوف والفزع، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾.

وقال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق حتى قال مُعَتّب بن قشير -أخو بني عمرو بن عوف -: كان محمد يَعِدُنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط.

وقال الحسن في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه سيستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ (إِذْ) في موضع نصب بمعنى واذكر. وكذا ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ (مِّن فَوْقِكُمْ) يعني من فوق الوادي،

(٧٠) أحمر
أسود

وهو أعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك في بني نصر، وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد (وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق (وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي شخصت وقيل : مالت، فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول (وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة؛ فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت قاله قتادة وقيل : هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار كاد قال:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي: كادت تقطر. ويقال: إن الرئة تنفتح عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا ولهذا يقال للجبان : انتفخ سحره، وقيل : إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة. روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : بلغ فزعها والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضربانه أي كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة، والحنجرة والحنجور (بزيادة النون) حرف الحلق (وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قال الحسن : ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم ينصرون وقيل : هو خطاب للمنافقين أي قلتم: هلك محمد وأصحابه.

وأخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ ف: (إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

(١) البخاري (٤١٠٣).

(٧١) أحمر
أسود

مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ قَالَتْ: كَانَ ذَاكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – لما جاءتكم الجنود من كل اتجاه وأحاطوا بالمدينة من جوانبها عندئذ حلَّ البلاء الشديد وحُرِّك المؤمنون بالفتنة تحريكًا عظيمًا فالثابت ثبته الله ﷻ والمنافق أظهر نفاقه وضعيف الإيمان أبان عن ضعف إيمانه، وأخرج أهل النفاق ما كان مُضمرًا في نفوسهم وكذا أظهر ضعفاء الإيمان ضعفهم فقالوا: أين هذا الذي وعدنا به محمدٌ ﷺ، قد كان يعدنا أننا سنفتح فارس والروم وكنوزهما ستنفق في سبيل الله فأين ذلك؟!!

وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا خداعًا وتغريرًا وباطلًا ليس له من الصواب والحق وجه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومُحِّصَ القوم وعرف المؤمن من المنافق.

وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ يقول: وحرّكوا بالفتنة تحريكًا شديدًا، وابتلوا وفتنوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا، وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير.

(٧٢) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ قال: قال ذلك أُناس من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ ﷺ: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ: «**إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما في سَبِيلِ اللهِ**» فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ فقال له: كذبت، لأخبرنّ رسول الله ﷺ خبرك، قال: فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فدعاه فقال: «**ما قلت؟**» فقال: كذب عليّ يا رسول الله، ما قلت شيئًا، ما خرج هذا من فمي قطّ، قال الله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ...﴾، حتى بلغ ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾[التوبة: ٧٤] قال: فهذا قول الله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم: أنهم ابتُلوا واختُبروا وزلزلوا زلزالًا شديدًا، فحينئذٍ ظهر النفاق، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم.

---

(١) وهذا تفسيرٌ من قتادة للآيات، وليس مسندًا منه إلى رسول الله □ كما هو واضح، وكذا ابن زيد في الأثر الذي بعده.

(٧٣) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ أما المنافق، فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حَسِيْكَة، ضَعُف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر إذ قالت جماعة من أهل النفاق، ومن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم شك وارتياب، وضعف في الإيمان، قالت هذه الطائفة: يا أهل يثرب لا وجه لمرابطتكم مع رسول الله ﷺ في هذا المقام فارجعوا إلى بيوتكم سالمين، واتركوا الرباط اتركوا الثغور التي أنتم عليها واستقروا في بيوتكم فلم يعد بنافعٍ ولا مُجدٍ تواجدكم ها هنا فهكذا تنادوا فيما بينهم، نادى بعضهم بعضًا بهذا وطلب بعضهم من بعض هذا، وفريق آخر يستأذن رسول الله في التخلف عن المرابطة في الثغور كي يرجع إلى بيته، مُتعللًا بأن البيوت عرضة للسرقة، وليس لها أبواب جيدة ولا حصون جيدة، ولا جدران عالية، بل هي معرضة للسرقة، قال تعالى مكذبًا لهم: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ﴾ بل هي حصينةٌ منيعةٌ، وليس هنالك سراقٌ كما يزعمون، ولكنهم يريدون الفرار والهرب.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ وإذ

(٧٤) أحمر
أسود

قال بعضهم: يا أهل يثرب، ويثرب: اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب. وقوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ بفتح الميم من مقام. يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، كما قال الشاعر:

فأيِّي ما وأيُّكَ كانَ شَرّا فَقيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها

قوله: ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ يقول: فارجعوا إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك من قيل أوس ابن قيظي ومن وافقه على رأيه.

وقوله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ وإنها مما يلي العدوّ، وإنا نخاف عليها السرّاق، فبعث النبيّ ﷺ (١)، فلا يجد بها عدوًّا، قال الله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ يقول: إنما كان قولهم ذلك: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ إنما كان يريدون بذلك الفرار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: أي، هاهنا، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾، أي: إلى بيوتكم ومنازلكم. ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ الطائفة تقع

(١) وهذا مرسل.

(٧٥) أحمر
أسود

على الواحد فما فوقه وعني به هنا أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله ﷺ طيبة وطابة وقال أبو عبيدة : يثرب اسم أرض، والمدينة ناحية منها: السهيلي: وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم وفي بعض هذه الأسماء اختلاف. وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول فيها وبها سُمِّيت الجحفة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بفتح الميم قراءة العامة وقرأ حفص والسلمي والجحدري وأبو حيوة : بضم الميم يكون مصدرًا من أقام يقيم أي لا إقامة أو موضعًا يقيمون فيه ومن فتح فهو اسم مكان أي لا موضع لكم تقيمون فيه ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أي إلى منازلكم أمروهم بالهروب من عسكر النبي ﷺ. قال ابن عباس : قالت اليهود لعبد الله ابن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين : ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فإنا مع القوم فأنتم آمنون.

قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحارث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان : قال ذلك أوس بن قيظي عن ملإ من قومه ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي سائبة ضائعة ليست بحصينة وهي مما يلي العدو وقيل : ممكنة للسراق لخلوها من الرجال.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ تكذيبًا لهم وردًّا عليهم فيما ذكروه ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ أي ما يريدون إلا الهرب قيل : من القتل وقيل : من الدين، وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار : بني حارثة

(٧٦) أحمر
أسود

وبني سلمة وهموا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم أنزل الله تعالى : (إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، الآية فلما نزلت هذه الآية قالوا : والله ما ساءنا ما كنا هممنا به إذ الله ولينا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- ولو دخل العدو على هؤلاء القوم المدينة أو بيوتهم من جوانبها، ثم طلب منهم أن يشركوا بالله لأشركوا وأطاعوه، وما تمسكوا بما هم عليه من الإيمان إلا زمنًا يسيرًا، ولبادروا بالكفر وقيل: وما تلبثوا بالمدينة إلا زمنًا يسيرًا، وقيل: وما تلبثوا بالممانعة إلا يسيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين: (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها، واحدها: قطر، وفيها لغة أخرى: قُتر، وأقتار، ومنه قول الراجز:

إنْ شِئْتَ أنْ تدهن أو تمرا فَوَلِّهِنَّ قُتْرَكَ الأشَرَّا

وقوله: (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك (لَآتَوْهَا﴾ يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرًا قليلًا ولأسرعوا إلى ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دخل عليهم من نواحي المدينة (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: أي: الشرك (لَآتَوْهَا﴾ يقول:

(٧٧) أحمر
أسود

لأعطوها. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ يقول: إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش، والذين يريدون قتالهم، ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: والفتنة: الكفر، وهي التي يقول الله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] أي: الكفر. يقول: يحملهم الخوف منهم، وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾: أنهم لو دَخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، وقُطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع.

هكذا فسرها قتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وابن جرير، وهذا ذم لهم في غاية الذم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الفتنة هنا وجهان:

أحدهما: سئلوا القتال في العصبية لأسرعوا إليه؛ قاله الضحاك.

الثاني: ثم سئلوا الشرك لأجابوا إليه مسرعين قاله الحسن ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ أي: بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى يهلكوا قاله السدي والقتيبي والحسن والفراء وقال أكثر المفسرين : أي وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلا

(٧٨) أحمر
أسود

قليلًا ولأجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الأحزاب لأظهروا الكفر.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿لَآتَوْهَا﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما؟

ج: القراءة الأولى: بالمد ﴿لآتوها﴾ ومعناها لأعطوها، أي: لأعطوا الفتنة وهي الشرك من طلبها منهم، أي: لأشركوا.

والثانية: بالقصر ﴿لَآتَوْهَا﴾ أي لجاءوها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (لآتَوْها) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء مكة: ﴿لَآتَوْهَا﴾ بقصر الألف، بمعنى جاءوها. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: (لآتَوْها) بمدّ الألف، بمعنى: لأعطوها، لقوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾. وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء. والمدّ أعجب القراءتين إليّ لما ذكرت، وإن كانت الأخرى جائزة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – ولقد كان هؤلاء الذين قالوا إن بيوتنا عورة، وأرادوا بذلك الفرار والهرب وترك المرابطة مع رسول الله ﷺ أمام الكفار، كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ عهدًا وأكدوا عهدهم، وأشهدوا الله على أنفسهم أنهم لن يولوا الأدبار ولن يتخلوا عن رسول الله ﷺ، وسيسألهم الله عن هذا العهد.

(٧٩) أحمر
أسود

أما هذا العهد فمتى كان؟ فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدهما: أنه عند إسلامهم ومبايعتهم رسول الله ﷺ على نصرته والدفاع عنه.

الثاني: أنهم لما تخلفوا عن بدر أعطوا عهودًا بالثبات.

الثالث: أنهم لما انهزموا يوم أُحدٍ وفروا أعطوا عهودًا بالثبات.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوّهم الأدبار، إن لقوهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ١٥﴾ يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه.

وذُكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ١٥﴾ قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف، أن لا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد، لا بد من ذلك.

(٨٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين أرادوا الفرار، لن ينفعكم فراركم من الموت أو القتل فالآجال مقدرة ومكتوبة، وإن قُدِّر أنكم تخلفتم عن القتال فماذا عساكم أن تتمتعوا في هذه الحياة الدنيا، إنكم لن تمتعوا إلا زمنًا يسيرًا ثم تأتيكم منيتكم في الوقت الذي قدره الله عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون: إن بيوتنا عورة ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: وإنما الدنيا كلها قليل.

وبإسناد صحيح عن ربيع بن خثيم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى آجالهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعد هربكم وفراركم ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

❁ ❁ ❁

(٨١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – قل لهؤلاء الذين أرادوا الفرار واستأذنوك للرجوع إلى ديارهم: من هذا الذي يمنعكم من الله إن أراد سوءًا من قتل أو جراح أو قلة مال أو تسلط عدوٍّ أو غير ذلك أو أراد بكم سلامة وعافية، وأمنًا وأمانًا وغير ذلك من صور النعم.

قل لهؤلاء: لن تجدوا وليًّا يتولاكم من دون الله ولا ناصرًا ينصركم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد! لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون:(إن بيوتنا عورة) هربا من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءًا في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قِبَله؟

وقال $:

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءًا في أنفسهم وأموالهم (مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ يليهم بالكفاية (وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يمنعكم منه. (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

(٨٢) أحمر
أسود

سُوٓءًا﴾ أي: هلاكًا. (أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةً﴾ أي: خيرًا ونصرًا وعافية. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧﴾ أي: لا قريبًا ينفعهم ولا ناصرًا ينصرهم.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم﴾ ، أي: يمنعكم، (مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧﴾، أي: ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجيرٌ ولا مغيث.

❁ ❁ ❁

(٨٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى
يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ
يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[الأحزاب: ١٨-٢٧]

(٨٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ - هَلُمَّ إِلَيْنَا - وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ - أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ - يُغْشَىٰ عَلَيْهِ - سَلَقُوكُم - بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ - أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ - فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ - يَسِيرًا - ٱلْأَحْزَابَ - بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ - أَنبَآئِكُمْ - أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - قَضَىٰ نَحْبَهُۥ - وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا - بِصِدْقِهِمْ - ظَٰهَرُوهُم - أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ - صَيَاصِيهِمْ - لَمْ تَطَـُٔوهَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾	كثيرو التعويق، وهو الصد عن سبيل الله والصد عن الجهاد، وتخذيل المؤمنين، والصد عن سبل الخير عمومًا
﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	تعالوا إلينا، وإلى ما نحن فيه من الراحة والأمان
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾	لا يشهدون القتال
﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾	بخلاء عليكم- طامعون فيما عندكم – وطامعون فيما رزقكم الله من الغنائم وغيرها – بخلاء عليكم بالنفقة والنصح والقتال معكم والمشورة الصحيحة
﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾	يغمى عليه – يُصاب بالإغشاء
﴿سَلَقُوكُم﴾	السلق رفع الصوت، والمعنى استقبلوكم بأصوات مرتفعة قائلين إنا كنا معكم وتسببنا في نصركم، وقائلين غير ذلك أيضًا.
﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾	ألسنة شديدة (سواء في الثناء على أنفسهم أو في المطالبة بشيء من الغنائم وغير ذلك

(٨٥) أحمر
أسود

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾	بخلاء بصنوف الخير عمومًا، لا يعطونكم إياها
﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ	أذهب الله ثواب أعمالهم – ضيَّع الله أعمالهم
﴿يَسِيرًا﴾	سهلًا غير شاق ولا عسير
﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾	المراد المتحزبون لحرب الله وروسله الذين حاصرو المدينة، وهم قريش وغطفان وغيرهم.
﴿بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾	ماكثون في البادية مع الأعراب
﴿أَنبَآئِكُمْ﴾	أخباركم
﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	قدوة تقتدون به
﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾	وفى بعهده ونذره، قضى أجله
﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾	وما غيَّروا- وما نقضوا العهد ولا الميثاق
﴿بِصِدْقِهِمْ﴾	بوفائهم بعهودهم
﴿ظَٰهَرُوهُم﴾	عاونوهم
﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، لكن المراد هنا يهود بني قريظة ومن كان معهم من غيرهم من اليهود
﴿صَيَاصِيهِمْ﴾	حصونهم
﴿لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾	لم تفتحوها – لم تغنموها ولم تدخلوها منتصرين على أهلها

❁ ❁ ❁

(٨٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: يخبر الله ﷻ بأنه يعلم المُخذلين الذين يُخذّلون عن رسول الله ﷺ ويصدون الناس عن المرابطة معه على الثغور، ويصرفون الناس عن الجهاد في سبيل الله، فيقول: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾، وهم الذين يصرفون الناس عن الجهاد فهم كثيرو التعويق كثيرو الحث على عدم الجهاد، هؤلاء الذين يقولون لإخوانهم المجاهدين تعالوا إلينا واتركوا رسول الله ﷺ، واتركوا المرابطة معه عند الخندق، وتعالوا إلينا حيث الظلال الوارفة، والثمار اليانعة والأشجار المثمرة، ثم إن هؤلاء المعوقين لا يشهدون المعارك إلا في القليل النادر، وكأنه حياءً فقط وخجلًا من المؤمنين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخذيلًا عن الإسلام وأهله ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدًا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرًا، ودفعًا عن أنفسهم المؤمنين.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقال الطبري: وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾: أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي المعترضين منكم؛ لأن يصدوا الناس عن النبي ﷺ وهو مشتق من عاقني عن كذا أي صرفني عنه وعوق، على التكثير ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ على لغة أهل الحجاز وغيرهم يقولون: «هَلُمُّوا» للجماعة و«هَلُمِّي» للمرأة لأن الأصل: «ها» التي للتنبيه ضمت إليها «لم» ثم حذفت الألف استخفافًا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لأنها لا تنصرف ومعنى هلم أقبل وهؤلاء طائفتان أي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال: عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال مقاتل: هم عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقون ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون قالوا للمسلمين: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا. الثاني: أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين: هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمدا فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحدًا.

وأورد وجهًا آخر ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ خوفًا من الموت وقيل: لا يحضرون القتال إلا رياء وسمعة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أي:

(٨٨) أحمر
أسود

إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن هؤلاء المنافقين المعوِّقين عن الجهاد في سبيل الله بخلاء عليكم يا أصحاب رسول الله ﷺ، يا أهل الإيمان، بخلاء عليكم إذا غنمتم يطالبونكم بالغنيمة أو بشيء كبير منها، بخلاء عليكم بالنصح والإرشاد، بخلاء عليكم بالجهاد معكم، فإذا جاءت الحروب بما فيها من خوف رأيت هؤلاء المنافقين في حالة ذُعرٍ شديد وخوف شديد وهلع شديد ينظرون إليك إذا رأوا العدو أو سمعوا بمجيئه وأعينهم تدور كالمغمى عليه، كالذي جاءته سكرات الموت، فإذا ذهب العدو، وانقلع الخوف، ورد الله أهل الكفر، وغنمكم عدوكم إذا بهؤلاء المنافقين يستقبلونكم بألسنة حادة وشديدة يقولون بصوت عالٍ: إنا فعلنا كذا وكذا، وفعلنا كذا وكذا، وينسبون لأنفسهم ما لم يفعلوه من شجاعة وإقدام وبسالة، وهم أجبن الناس وأخوف الناس.

مع العلم بأن هؤلاء أشحة على الخير، ليس فيهم كبير خير، ولا يُرجى منهم خير، فهؤلاء لم يؤمنوا، لم يوقنوا بقلوبهم، ولكنها أقوال تصدر من الألسن والأفواه فقط، فلذا فقد أحبط الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في وقت من الأوقات، بسبب نفاقهم ورياءهم وكفرهم الذي أضمروه في نفوسهم، وكان هذا الإحباط، إحباط أعمالهم شيئًا سهلًا على الله ﷻ ليس

(٨٩) أحمر
أسود

بشاق عليه ولا بشديد، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين في هذا الموضع من الشح، فقال بعضهم: وصفهم بالشحّ عليهم في الغنيمة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾... إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس، وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لواذا بك، تدور أعينهم خوفا من القتل، وفرارا منه ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يقول: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به ﴿فَإِذَا ذَهَبَ

(٩٠) أحمر
أسود

ٱلْخَوْفُ﴾ يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

وأما قوله: (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فإنه يقول: عضوكم بألسنة ذربة. ويقال للرجل الخطيب الذرب اللسان: خطيب مسلق ومصلق، وخطيب سَلاق وصَلاق.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به، فقال بعضهم: ذلك سلقهم إياهم عند الغنيمة بمسألتهم القسم لهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم وأسوأ مقاسمة، أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحقّ.

وقال آخرون: بل ذلك سلقهم إياهم بالأذَى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يسلقونهم من القول بما تحبون نفاقًا منهم.

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ فأخبر أن سلقهم المسلمين شحًّا منهم على الغنيمة والخير، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك لا شكّ أنه للمؤمنين أذى.

وقوله: (أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يقول: أشحة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون.

وقوله: (لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدّقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر

(٩١) أحمر
أسود

ونفاق، ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها.

وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم.

وقال السُّدي: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: في الغنائم.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

وقال ابن عباس: ﴿سَلَقُوكُم﴾ أي: استقبلوكم.

وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق.

وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السّلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلظَةً ... وَفي الحَربْ أمْثَالَ النِّسَاء العَوَارِكِ

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير.

والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ أي: سهلا هينا عنده.

(٩٢) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أي بخلاء عليكم أي بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل : بالقتال معكم، وقيل : بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم، وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها.

وقال:

يحسن أن تقف على قوله : (إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) وقف حسن ومثله: (أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ) حال من المضمر في (سَلَقُوكُم) وهو العامل فيه (فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ) وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره وربما غشى عليه، وفي الخوف وجهان:

أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب قاله ابن شجرة.

(رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) خوفا من القتال على القول الأول ومن النبي ﷺ على الثاني (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة وقيل : لشدة خوفهم حذرا أن يأتيهم القتل من كل جهة (فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) وحكى الفراء (صلقوكم) بالصاد وخطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغا وأصل الصلق الصوت ومنه قول النبي ﷺ: «**لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة**» قال الأعشى:

فيهم المجد والسماحة والنجـ ـدة فيهم والخاطب السلاق

قال قتادة : ومعناه بسطوا ألسنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون : أعطنا أعطنا فإنا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة أشح قوم وأبسطهم لسانا ووقت

(٩٣) أحمر
أسود

البأس أجبن قوم وأخوفهم قال النحاس : هذا قول حسن لأن بعده (أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ) وقيل : المعنى بالغوا في مخاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال القتبي : المعنى آذوكم بالكلام الشديد السلق : الأذى ومنه قول الشاعر :

ولقد سلقنا هوازنا بنواهل حتى انحنينا

(أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ) أي: على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل : على المال أن ينفقوه في سبيل الله قاله السدي (أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ ﴾ يعني بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان والمنافق كافر على الحقيقة لوصف الله ﷻ لهم بالكفر (فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي لم يثبتهم عليها إذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها (وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما: وكان نفاقهم على الله هينًا.

الثاني: وكان إحباط عملهم على الله هينا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن هؤلاء المنافقين لا يتوقعون نصر الله ﷻ لكم، لسوء ظنهم بالله، فإن هؤلاء المنافقين، وإن صرف الله الأحزاب وردهم خائبين، وقد انطلقوا مذعورين، فإنهم لا يصدقون ولا يتوقعون أن يكون الأحزاب قد انصرفوا، وإن قدر الله ورجع الأحزاب إليكم يتمنى هؤلاء المنافقون أنهم في البادية هنالك مع الأعراب يسألون عن أخباركم، ماذا صنع محمد وأصحاب محمد ولو أنهم كانوا معكم ما قاتلوا معكم عدوَّكم إلا شيئًا

(٩٤) أحمر
أسود

قليلًا دفعًا للمعرّة عن أنفسهم أمامكم وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وغطفان.

وقوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جبنًا وهَلعًا منهم.

وقوله: ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحدهم حزب ﴿يَوَدُّوا﴾ يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفا من القتل.

وذلك أن قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد؛ وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنما قيل: أعرابيّ لأهل البدو، فرقا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم، يعني: عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم، ألا يشهدوا معكم مشاهدكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا يقول: إلا تعذيرا، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب.

(٩٥) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور، ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ﴾ أي: ويَوَدّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم ، ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلًا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ أي لجبنهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا وكانوا انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ أي وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال ﴿ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ ﴾ تمنوا أن يكونوا مع الأعراب حذرًا من القتل وتربصًا للدوائر، وقرأ طلحة بن مصرف «**لو أنهم بدى في الأعراب**» يقال : باد وبدى مثل غاز وغزى ويمد مثل صائم وصوام بدا فلان يبدو إذا خرج إلى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح وأصل الكلمة من البدو وهو الظهور ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ وقرأ يعقوب في رواية رويس «**يتساءلون عن أنبائكم**» أي عن أخبار النبي ﷺ يتحدثون : أما هلك محمد وأصحابه أما غلب أبو سفيان وأحزابه أي يودوا لو أنهم بادون سائلون عن أنبائكم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم وقيل : أي هم أبدا لجبنهم يسألون عن أخبار المؤمنين وهل أصيبوا وقيل : كان منهم في أطراف المدينة من لم يحضر الخندق جعلوا يسألون عن أخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين

(٩٦) أحمر
أسود

(وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾) أي رميا بالنبل والحجارة على طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: لقد كان لكم يا أهل الإسلام في رسولكم قدوة حسنة تقتدون به، فكان من اللائق أن تقتدوا بنبيكم ﷺ فيما كان عليه من الصبر والمصابرة والمرابطة، والتضحية والفداء، فمن كان يرجو ثواب الله ﷻ ويرجو لقاء الله ﷻ، وكان لله ذاكرًا ذكرًا كثيرًا فليتأسَّ برسول الله ﷺ وليفعل فعله وليقتد به.

قال الطبري $:

وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به، يقول لهم جلّ ثناؤه: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلَّفوا عنه (لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أُسوة في أن يكون معه حيث يكون هو.

وقال ابن كثير $:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا

(٩٧) أحمر
أسود

وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذا عتاب للمتخلفين عن القتال أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق والأسوة: القدوة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأسوة ما يتأسى به أي يتعزى به فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلف إلا صابرًا محتسبًا وشاكرًا راضيًا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين:

أحدهما: المنافقون عطفا على ماتقدم من خطابهم.

الثاني: المؤمنون لقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ واختلف في هذه الأسوة بالرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هل هي على الإيجاب أو على الإستحباب على قولين:

أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.

قلت (مصطفى): وفي التأسي به ﷺ تفصيل من ناحية الوجوب أو الاستحباب أو الإباحة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٩٨) أحمر
أسود

س: ما هذا الوعد الذي عناه المؤمنون بقولهم ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؟

ج: قال عددٌ من العلماء: إنه المذكور في سورة البقرة إذ الله قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- ولما رأى أهل الإيمان والتصديق واليقين أحزاب الكفار قد اجتمعوا عليهم من كل صوب وحدب تذكروا ما وعدهم الله ورسوله في الكتاب العزيز بأنهم سيبتلون ويختبرون فقالوا مصدقين بوعد الله ﷻ، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادتهم تلك الجموع التي رأوها والأحزاب التي تألبت عليهم من كل صوبٍ وحدبٍ إلا إيمانًا واستسلامًا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ يقول: ولمَّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا -تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ...﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]- ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع

الأحزاب عليهم إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ...﴾ [البقرة: ٢١٤] خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ وتصديقًا بما وعدهم الله، وتسليمًا لقضاء الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم، وجَعْله العاقبةَ حاصلةً لهم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾.

قال ابن عباس وقتادة: يعنون قوله تعالى في «سورة البقرة»: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾: دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص. وقد

(١٠٠) أحمر
أسود

قررنا ذلك في أول «شرح البخاري» ولله الحمد والمنة.

ومعنى قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي: ذلك الحال والضيق والشدة ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله، ﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: انقيادا لأوامره، وطاعة لرسوله.

❁ ❁ ❁

فضيلة لأنس بن النضر رضي الله عنه

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟

ج: نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه أخرج البخاري (١) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نُرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

وعند أحمد ومسلم (٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: عَمِّي (أَنَسٌ) الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ. قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ. وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا، فِيمَا بَعْدُ، مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ. قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا. قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ. فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو! أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ قَالَ فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ. قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ، عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ.

---

(١) البخاري (٤٧٨٣).

(٢) أحمد (١٩٤/٣)، ومسلم (١٩٠٣).

(١٠١) أحمر
أسود

وعند الطبري (١) وغيره بإسناد صحيح عن حميد قال: زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرينّ الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أُحُد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نتحدّث أن هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نزلت فيه، وفي أصحابه.

❁ ❁ ❁

فضيلة لطلحة رضي الله عنه

س: اذكر صحابيًّا قال رسول الله ﷺ في شأنه: إنه ممن قضى نحبه؟

ج: ذاك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

أخرج الطبري وغيره (٢) بسندٍ صحيح.

عَنْ طَلْحَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ قال: وَكَانُوا لَا يَجْرِؤونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ، فَقَالُوا لِلْأَعْرَابِيِّ سَلْهُ ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾؟ فَسَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ دَخَلت مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ

(١) الطبري (٢٨٤٢٨) وأصله في الصحيح دون ذكر سبب النزول.
(٢) وأخرجه أيضًا أبو يعلى (٢/٢٦-٢٧)، والترمذي (٣٧٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩).

(١٠٢) أحمر
أسود

خُضْرٌ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلِي عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ».

وعند البخاري (١) من طريق قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ شُلَّتْ.

وَفِي رِوَايَة: وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.

وعند أبي يعلى (٢) من حديث الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ حِينَ صَنَعَ برسولِ الله ﷺ مَا صَنع».

❁ ❁ ❁

س: ما هذا العهد الذي عاهدوا الله عليه، وقال تعالى في شأنه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه العهد الذي ذكره الله أو قال: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أن المعنى، من المؤمنين رجال أوفياء وفَّوا بما عاهدوا الله عليه ووفوا بالعهود التي أخذها عليهم رسول الله ﷺ والتي فيها أن لن يفروا ولن يهربوا عند الحرب ولن يتخلوا عن رسول الله ﷺ،

(١) البخاري (٣٧٢٤ و ٤٠٦٣).
(٢) أبو يعلى (٣٣/٢) بسندٍ حسن، والترمذي (٣٧٣٨)، وأحمد (١٦٥/١).

(١٠٣) أحمر
أسود

فهؤلاء الرجال صدقوا وما كذبوا، ووفوا وما غدروا، وأدوا الأمانة ولم يخونوها فمنهم من قضى أجله شهيدًا في سبيل الله لنصرة دين الله، ولنصرة رسول الله ﷺ، ومنهم من لا يزال قائمًا مدافعًا عن الدين حتى يأتيه الأجل وحتى يتسنى له قضاء نذره، وما غيَّر هؤلاء ولا بدلوا كما فعل أهل النفاق، بل ثبتوا على العهد والوفاء به.

أما قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ...﴾ فحاصل معناه،والله أعلم أننا ابتليناهم حتى نعلم الصادق منهم في دعواه، والوفيَّ منهم بعهده من الغادر الخائن، فالذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه سيجزيهم الله بوفائهم أفضل الجزاء وأحسن الجزاء، والذين غدروا ونقضوا العهد والميثاق أمرهم موكول إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ فيه فتح باب التوبة أمام المسرفين حتى لا ييأس شخص من رحمة الله ولا يقنط من روح الله. فهؤلاء الذين نكلوا عن رسول الله، ونقضوا العهد، فتح لهم باب التوبة كي يتوبوا ويصلحوا وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه. والنحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك،

(١٠٤) أحمر
أسود

منها الموت، كما قال الشاعر:

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ

يعني: منيته ونفسه؛ ومنها الخطر العظيم، كما قال جرير:

بِطَخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلى نَحْبِ

أي على خطر عظيم؛ ومنها النحيب، يقال: نحب في سيره يومه أجمع: إذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته؛ ومنها التنحيب، وهو الخطار، كما قال الشاعر:

وإذْ نَحَّبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّهُمْ أحَقُّ بِتاجِ المَاجِدِ المُتَكَوِّم؟

وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾: وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرًا، كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم: هلمّ إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ يقول: ما شكُّوا وما تردّدوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون.

وقوله: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: يقول: ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ بكفرهم بالله ونفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ من نفاقهم، فيهديهم للإيمان.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان.

قال الطبري: إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بقوله: ﴿إِن شَاءَ﴾ والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق، فيقال:

(١٠٥) أحمر
أسود

ويعذّبه إن شاء؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته. وإنما معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم.

وقد بين ما قلنا في ذلك قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فمعنى الكلام إذن: ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة، فيوفقهم لها، أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لمَّا ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾، قال بعضهم: أجله.

وقال البخاري: عهده. وهو يرجع إلى الأول.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه.

وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: وما غيَّروا عهدهم، وبدَّلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾.

وقوله: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا

(١٠٦) أحمر
أسود

يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، فهذا علم بالشيء بعد كونه، وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. ولهذا قال هاهنا: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه. ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾: وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: أمر الله بالجهاد ليجزي الصادقين في الآخرة بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ في الآخرة ﴿إِن شَاءَ﴾ أي: إن شاء أن يعذبهم لم يوفقهم للتوبة؛ وإن لم يشأ أن يعذبهم تاب عليهم قبل الموت. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح أن هذه الآية الكريمة كانت مفقودة إلى أن وجدت مع خزيمة ابن ثابت؟

ج: أخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) البخاري (٤٧٨٤).

(١٠٧) أحمر
أسود

يَقْرَؤُهَا، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ - الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى- والله تعالى أعلم – وردَّ الله ﷻ الأحزاب عن مدينة رسول الله لم يصيبوها بسوء ولا مكروه ولم يصيبوا أهلها كذلك بسوء ولا مكروه، ولم يحظوا بما راموه وتمنَّوه وأرادوه، فلم يرجعوا بغنيمة ولا مال ولا ظفروا بمسلم ولا مسلمة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أرسله على أهل الكفر من جنودٍ من الملائكة الكرام وريح الصبا التي نصر الله بها أهل الإيمان.

وكان الله ﷻ قويًّا لا يُغلب ولا يُغلب جنده وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ به وبرسوله من قُرَيش وغطفان ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ يقول: بكربهم وغمهم، بفوتهم ما أمَّلوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طَمِعوا فيه من الغَلَبة ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ يقول: لم يصيبوا من المسلمين مالًا ولا إسارًا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم.

(١٠٨) أحمر
أسود

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ يقول: وكان الله قويًّا على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب؛ ﴿عَزِيزًا﴾: يقول: هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾: قويًّا في أمره، عزيزًا في نقمته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بالعداوة، وهمهم بقتله، واستئصال جيشه، ومَنْ هَمّ بشيء وصَدق هَمَّه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله.

وقوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**».

(١٠٩) أحمر
أسود

وفي الصحيحين من حديث إسماعيل[١] بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوْفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم**». وفي قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم.

وأورد حديث سليمان بن صُرَد قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**»[٢].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: بحوله وقوته، ردهم خائبين، لم ينالوا خيرًا، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمنة.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبري[٣] بإسنادٍ صحيح من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: حُبسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصلّ الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهويّ كفينا، وأنزل الله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالًا فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة، وذلك

(١) البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤١).
(٢) البخاري (٤١٠٩)، وأحمد (٢٦٢/٤).
(٣) الطبري (٢٨٤٣٩، ٢٨٤٤٠).

(١١٠) أحمر
أسود

قبل أن تنزل صلاة الخوف ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأنزل الله ﷻ يهود بني قريظة وهم الذين عاونوا الأحزاب الكافرة (قريشًا وغطفان وغيرهم)، أنزلهم الله ﷻ من حصونهم التي كانوا بها يتحصنون وقذف في قلوبهم الخوف والفزع الشديد فأدى ذلك إلى استسلامهم فحكم فيهم سعدُ بن معاذ رضي الله عنه بأن تقتل مقاتلتهم وتُسبى نساءهم وذراريهم، فكان القتل خاصًّا عمن بلغ من الرجال والسبي للنساء والصبيان، وغنّمكم الله يا أهل الإسلام ارض بني قريظة وأموالهم، وكذا منَّ الله ﷻ عليكم بأرض لم تنزلوها في حينكم فغنَّمكم إياها بعد ذلك، وقد قيل: إنها أرض خيبر، وقيل: إنها مكة، وقيل: فارس والروم، وقيل غير ذلك، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيءٌ، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: من أهل التوراة، وكانوا يهود: وقوله: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم.

وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يقول: وألقى في قلوبهم الخوف منكم ﴿فَرِيقًا

(١١١) أحمر
أسود

تَقْتُلُونَ﴾ يقول: تقتلون منهم جماعة، وهم الذين قتل رسول الله ﷺ منهم حين ظهر عليهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يقول: وتأسرون منهم جماعة، وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا.

وقوله: (وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ اختلف أهل التأويل فيها، أيّ أرض هي؟ فقال بعضهم: هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التي فتحها الله بعد ذلك على المسلمين.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ قال: قال الحسن: هي الروم وفارس، وما فتح الله عليهم.

وقال آخرون: هي مكة.

وقال آخرون: بل هي خيبر.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خَيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطئوه يومئذ، ثم وطئوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله: (وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض. (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾. يقول تعالى ذكره: وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك، وعلى نصره إياهم، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:

(وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب

(١١٢) أحمر
أسود

رسول الله ﷺ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: بني قريظة من اليهود، من بعض أسباط بني إسرائيل، كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما، طَمَعًا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، فعليهم لعنة الله.

وقوله: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: حصونهم. كذا قال مجاهد، وعِكْرِمة، وعطاء، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم ومنه سميت صياصي البقر، وهي قرونها؛ لأنها أعلى شيء فيها.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: وهو الخوف؛ لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، وليس مَنْ يعلم كمن لا يعلم، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليَعزّوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، وانقلب الفال، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

قال الإمام أحمد[1]: حدثنا هُشَيْم بن بشير، أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي قال: عُرضتُ على النبي ﷺ يوم قريظة فشكوا فيَّ، فأمر بي النبي ﷺ أن ينظروا: هل أنبت بعد؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت، فخلى عني وألحقني بالسبي.

بعض مرويات غزوة بني قريظة

(١) أحمد في المسند (٣٨٣/٤) وسنده صحيح.

(١١٣) أحمر
أسود

س: اذكر شيئًا من المرويات الصحيحة الواردة في شأن غزوة بني قريظة؟

ج: أورد البخاري ومسلم في صحيحهما جملة من ذلك، منها ومن غيرها ما يلي أخرج البخاري[١] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا. وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

وما أخرجه بسنده إلى[٢] أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

وما أخرجه بسنده[٣] إلى ابن عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ»[٤].

---

(١) البخاري (٤١١٧).

(٢) البخاري (٤١١٨).

(٣) البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

(٤) **قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/١١٠ فما بعدها):** واختلف الفقهاء أيّهما كان أصوب؟ فقالت طائفة: الذين أخَّروها هم المصيبون، ولو كنا معهم، لأخرناها كما أخروها، ولما صليناها إلا في بني قريظة امتثالًا لأمره وتركًا للتأويل المخالف للظاهر.

وقالت طائفة أخرى: بل الذين صلوها في الطريق في وقتها حازوا قصب السبق، وكانوا أسعد بالفضيلتين، فإنهم بادروا إلى امتثال أمره في الخروج، وبادروا إلى مرضاته في الصلاة في وقتها، ثم= = بادروا إلى اللحاق بالقوم، فحازوا فضيلة الجهاد، وفضيلةَ الصلاة في وقتها، وفهموا ما يراد منهم، وكانوا أفقه من الآخرين، ولا سيما تلك الصلاة، فإنها كانت صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مدفع له ولا مطعن فيه. ومجيء السُّنة بالمحافظة

(١١٤) أحمر
أسود

وأخرج البخاري[١] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلَاتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ

عليها، والمبادرة إليها، والتبكير بها، وأن من فاتته، فقد وتر أهله وماله، أو قد حبط عمله.

فالذي جاء فيها أمر لم يجئ مثله في غيرها، وأما المؤخرون لها، فغايتهم أنهم معذورون، بل مأجورون أجرًا واحدًا لتمسّكهم بظاهر النص، وقصدهم امتثال الأمر، وأما أن يكونوا هم المصيبين في نفس الأمر، ومن بادر إلى الصلاة وإلى الجهاد مخطئًا، فحاشا وكلا، والذين صلوا في الطريق، جمعوا بين الأدلة، وحصلوا الفضيلتين، فلهم أجران، والآخرون مأجورون أيضًا رضي الله عنهم.

فإن قيل: كان تأخير الصلاة للجهاد حينئذٍ جائزًا مشروعًا، ولهذا كان عقب تأخير النبي ﷺ العصر يوم الخندق إلى الليل، فتأخيرهم صلاة العصر إلى الليل، كتأخيره لها يوم الخندق إلى الليل سواء، ولا سيما أن ذلك كان قبل شروع صلاة الخوف.

قيل: هذا سؤال قوي، وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن يقال: لم يثبت أن تأخير الصلاة عن وقتها كان جائزًا بعد بيان المواقيت، ولا دليل على ذلك إلا قصة الخندق، فإنها هي التي استدلّ بها من قال ذلك، ولا حجة فيها؛ لأنه ليس فيها بيان أن التأخير من النبي ﷺ كان عن عمد، بل لعله كان نسيانًا، وفي القصة ما يشعر بذلك، فإن عمر لما قال له: يا رسول الله، ما كدت أصلّي العصر حتى كادت الشمس تغرب، قال رسول الله ﷺ: «**والله ما صليتها**». ثم قام، فصلاها. وهذا مشعر بأنه كان ناسيًا بما هو فيه من الشغل، والاهتمام بأمر العدو المحيط به، وعلى هذا يكون قد أخرها بعذر النسيان، كما أخرها بعذر النوم في سفره، وصلاها بعد استيقاظه، وبعد ذكره؛ لتتأسى أمته به.

والجواب الثاني: أن هذا على تقدير ثبوته إنما هو في حال الخوف والمُسايفة عند الدهش عن تعقّل أفعال الصلاة، والإتيان بها، والصحابة في مسيرهم إلى بني قريظة، لم يكونوا كذلك، بل كان حكمهم حكم أسفارهم إلى العدو قبل ذلك وبعده، ومعلومٌ أنهم لم يكونوا يؤخرون الصلاة عن وقتها، ولم تكن قريظة ممن يخاف فوتهم، فإنهم كانوا مقيمين بدارهم، فهذا منتهى أقدام الفريقين في هذا الموضع.

فائدة: قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/١١٤-١١٥ ط. ابن رجب): فغزوة بني قَينُقَاع عقب بدر، وغزوة بني النضير عقب غزوة أُحد، وغزوة بني قُريظة عقب الخندق.وأما يهود خيبر، فسيأتي ذكر قصتهم إن شاء الله تعالى.

(١) البخاري (٤١٢٠).

(١١٥) أحمر
أسود

أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا - أَوْ كَمَا قَالَتْ- وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَكِ كَذَا**» وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ- عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ».

ومن حديث أَبِي سَعِيدٍ[1] الخدريّ ف يَقُول: «نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ** -أَوْ **خَيْرِكُمْ**- فَقَالَ: **هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ** فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ: **قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ** وَرُبَّمَا قَالَ: **بِحُكْمِ الْمَلِكِ**».

ومن حديث[2] عَائِشَةَ ف قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنْ الْغُبَارِ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ

---

(١) البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨).
(٢) البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

(١١٦) أحمر
أسود

فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ. فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ- إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: **يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟** فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفي رواية عند مسلم[1]: فَانْفَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ. فَمَا زَالَ يَسِيلُ حَتَّى مَاتَ -وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ- قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... فَمَا فَعَلَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا ... وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
وَقَدْ قَالَ الْكَرِيمُ أَبُو حُبَابٍ ... أَقِيمُوا قَيْنُقَاعُ وَلَا تَسِيرُوا
وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالًا ... كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ

وأخرج البخاري[2] من حديث الْبَرَاءَ بن عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: **اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ**».

❁ ❁ ❁

(١) عقب حديث (١٧٦٩).
(٢) البخاري (٤١٢٤).

آية التخيير ومناقب
لأهل بيت النبي ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ
أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ
مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ
وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ
فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ
تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ۞ ﴾

[الأحزاب: ٢٨-٣٤]

(١١٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أُمَتِّعۡكُنَّ -وَأُسَرِّحۡكُنَّ -سَرَاحٗا جَمِيلٗا -وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ -بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ -يَقۡنُتۡ -رِزۡقٗا كَرِيمٗا -إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ -فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ -فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ -وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ -ٱلرِّجۡسَ -وَٱلۡحِكۡمَةِ -لَطِيفًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أُمَتِّعۡكُنَّ﴾	أعطيكن ما تعطاه المطلقة من المتاع والمال أو نحوه
﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ﴾	أطلقكن
﴿سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾	تطليقًا جميلًا وفق ما أمرني الله به
﴿وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	الثواب يوم القيامة – الجنة في الآخرة
﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾	قيل: المراد الزنا – وقيل: الكبائر عمومًا – وقيل: النشوز والتعالي
﴿يَقۡنُتۡ﴾	يطيع
﴿رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾	رزقًا حسنًا وهو الجنة
﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾	إن أطعتن
﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾	فلا تكنَّ – لا يكن قولكن ليِّنًا
﴿فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾	في قلبه شك ونفاق – في قلبه حب إتيان الفواحش
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	استقررن في بيوتكن – الزمن بيوتكن
﴿ٱلرِّجۡسَ﴾	الشيطان – الشرك – السوء والفحشاء

(١١٩) أحمر
أسود

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾	السُّنة
﴿لَطِيفًا﴾	ذا لطفٍ

❁ ❁ ❁

س: ما سبب نزول آية التخيير؟

ج: أخرج مسلم[1] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ. فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**» فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿لِّلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «**لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**».

---

(١) مسلم (١٤٧٨).

(١٢٠) أحمر
أسود

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ لَهُمَا: (إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ...﴾ فذكر الحديث.

وفيه فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ وَكَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللهُ فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ» وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: (عَظِيمًا﴾ قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ.

❁ ❁ ❁

س: ما الذي صنعه رسول الله ﷺ عند نزول آيات التخيير هذه؟

ج: أخرج البخاري[٢] ومسلم من حديث عائشة ف: زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهَا حِينَ أَمَرَ اللهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ، فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، وقَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ. قَالَت: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ

(١) البخاري (مع الفتح ٦/٣٩)، ومسلم (١٠/٩٣).
(٢) البخاري (٤٧٨٥، ٧٤٨٦)، ومسلم (١٤٧٥).

(١٢١) أحمر
أسود

اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ».

وَفِي رِوَايَة[1] لمسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا مَضَى تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدَأَ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا. وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَعُدُّهُنَّ فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**» ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الْآيَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿لِّلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ عَلِمَ وَاللهِ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَوَ فِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالسراح الجميل المذكور في قوله: ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾؟

ج: المراد الطلاق وفق ما أمر الله به، أي على الوجه الذي أمر الله به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾؟

ج: هذا أمرٌ من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بتخيير نساءه بين الدنيا وحطامها وبين الآخرة وثوابها، وكان ذلك لما سألته النفقة، واستقللن قدر النفقة التي يعطيها لهن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك بسبب شدة غيرتهن عليه، والأول أولى.

---

(١) في طرق حديث (١٤٧٥) بعده بقليل.

(١٢٢) أحمر
أسود

فأمره الله ﷻ بأن يخيرهن فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي: الدنيا بما فيها من متاع وزينة ﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ أي: أعطيكن المتعة التي تعطاها المطلقات ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ وأطلقكن طلاقًا وفق ما أمرني الله ﷻ به.

ومن هذا التسريح الجميل، تسريحهن بإحسان، كما قال تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أما إذا كنتن تردن وجه الله ﷻ، ولقاء الله ﷻ وطاعة الله والثواب الذي عند الله ﷻ، وتردن البقاء مع رسول الله ﷺ كزوجات مطيعات له فأبشرن بما أعدَّه الله لكنَّ، فقد أعد للمحسنات منكنَّ الراغبات في الآخرة المحسنات في التعامل مع رسول الله ﷺ، اللواتي يأتين بالنفل مع الفرض، أعدَّ الله لهنَّ أجرًا عظيمًا، وهو عظيم الثواب يوم القيامة بإدخالهان الجنة برفقة النبي ﷺ، ويالله من عظيم الأجر وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد، ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ يقول: فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يقول: وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ وهن العاملات منهنّ بأمر الله وأمر رسوله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا

﴿٢٩﴾.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتِّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا أمرٌ من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخَيّر نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يَحصُل لهن عنده الحياةُ الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن، رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وأورد ما أخرجه البخاري[1]: من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة، ڤ، زوج النبي ﷺ أخبرته: أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**». وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوهًا أُخر لهذا الحديث.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

(١٢٤) أحمر
أسود

تخيير الزوجة لا يُعدُّ طلاقًا

س: هل تخيير الرجل زوجته بين الفراق والإبقاء عليها يُعدُّ طلاقًا؟

ج: لا يعد طلاقًا عند جماهير العلماء .

أخرج البخاري ومسلم[١] في صحيحيهما من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَيَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاخْتَرْنَا اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا شَيْئًا.

وفي رواية في الصحيحين[٢] لذلك من طريق مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ الْخِيَرَةِ فَقَالَتْ: خَيَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَفَكَانَ طَلَاقًا؟

قَالَ مَسْرُوقٌ: لَا أُبَالِي أَخَيَّرْتُهَا وَاحِدَةً أَوْ مِائَةً بَعْدَ أَنْ تَخْتَارَنِي.

وفِي بَعضِ ألفَاظِ مُسْلِم مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَلَمْ يَكُنْ طَلَاقًا.

قَالَ النَّوَوِي رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذِهِ الْأَحَادِيث دَلَالَة لِمَذْهَبِ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَبِي حَنِيفَة وَأَحْمَد وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء أَنَّ مَنْ خَيَّرَ زَوْجَته فَاخْتَارَتْهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ طَلَاقًا وَلَا يَقَع بِهِ فُرْقَة.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيّ وَزَيْد بْن ثَابِت وَالْحَسَن وَاللَّيْث بْن سَعْد أَنَّ نَفْس التَّخْيِير يَقَع بِهِ طَلْقَة بَائِنَة سَوَاء اِخْتَارَتْ زَوْجهَا أَمْ لَا، وَحَكَاهُ الْخَطَّابِيّ وَالنَّقَّاش عَنْ مَالِك، قَالَ الْقَاضِي: لَا يَصِحّ هَذَا عَنْ مَالِك . ثُمَّ هُوَ مَذْهَب ضَعِيف مَرْدُود بِهَذِهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة الصَّرِيحَة ، وَلَعَلَّ الْقَائِلِينَ بِهِ لَمْ تَبْلُغهُمْ هَذِهِ الْأَحَادِيث وَاَللهُ أَعْلَم.

قلت: ومن خيَّر زوجته فاختارت نفسها فيعده كثير من أهل العلم طلاقًا ولا نعلم لهم دليلًا صريحًا، ولكننا لا نراه طلاقًا حتى يُحدث المطلق نفسه

(١) البخاري (٥٢٦٢ مع الفتح (٣٦٧/٩))، ومسلم (٦٧٧/٣).
(٢) البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (٦٧٧/٣).

(١٢٥) أحمر
أسود

الطلاق إذ إن الأمر بيد الرجل وهو صاحب الحق في طلاق زوجته أو إمساكها.

وقد قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ..﴾ [النساء: ٣٤] الآية[١].

من جعل أمر امرأته بيدها فطلَّقت نفسها هل يقع الطلاق؟

* ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الرجل إذا ملَّك امرأته أمرها (أي: قال لها: أمرك بيدك) فطلقت نفسها أن ذلك الطلاق يقع، ولكنهم اختلفوا هل يقع واحدة أو يقع ثلاثًا وتكون قد بانت منه، أو أن الأمر بيدها والقضاء ما قضت به فإن اختارت واحدة فواحدة أو اثنتين فاثنتان أو ثلاثًا فثلاث.

* بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى ان كل ذلك لا يقع إلا إذا طلقها هو بنفسه.

وها هي بعض أقوال أهل العلم[٢] في ذلك، وبالله التوفيق.

قال عبد الرزاق «المصنف»[٣]: أخبرنا الثوري عن منصور قال: حدثني إبراهيم عن علقمة - أو الأسود - عن ابن مسعود قال: جاء إليه رجل فقال: كان بيني وبين امرأتي بعض ما يكون بين الناس، فقالت: لو أن الذي بيدك من أمري بيدي لعلمت كيف أصنع؟ فقال: إن الذي بيدي من أمري بيدك، قالت: فأنت طالق ثلاثًا، فقال: أراها واحدة وأنت أحق بالرجعة وسألقى أمير

---

(١) وانظر ما قاله أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «المحلى» (١٠/ ١١٦، ١١٧).

(٢) اقتصرت على جملة آثار وأعرضت عن جملة منها؛ لأن الغرض مؤدى مما ذكر، ولكون بعض الآثار فيه ضعف

(٣) المصنف (٦/ ٥٢٠)، وسعيد بن منصور (السنن ١٦٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٧).

(١٢٦) أحمر
أسود

المؤمنين عمر، فلقيه فقص عليه القصة قال: فقال: فعل الله بالرجال وفعل الله بالرجال يعمدون إلى ما في أيديهم فيجعلونه في أيدي النساء بفيها التراب، ماذا قلت؟ قال: قلت: أراها واحدة وهو أحق بها، قال: وأنا أرى ذلك، ولو رأيت غير ذلك لرأيت أنك لم تصب. صحيح

قال منصور: فقلت لإبراهيم: فإن ابن عباس يقول: خطأ الله نوترها لو كانت قالت: طلقت نفسي فقال إبراهيم: هما سواء[١].

وأخرج عبد الرزاق[٢] من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن امرأة ملكها زوجها أمرها فقالت أنت الطلاق وأنت الطلاق وأنت الطلاق فقال ابن عباس خطأ الله نوترها إنما الطلاق لك عليها ليس لها عليك.

صحيح عن ابن عباس

وقال عبد الرزاق[٣] أيضًا: أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أن مجاهدا أخبره أن رجلا جاء إلى ابن عباس فقال لما ملكت امرأتي أمرها طلقتني ثلاثا فقال خطأ الله نوتها إنما الطلاق لك عليها وليس لها عليك.

صحيح

وأخرج سعيد بن منصور[٤] في سننه بسندٍ صحيح عن ابن عمر قال: إذا جعل الرجل أمر امرأته بيدها فطلقت نفسها واحدة فهي واحدة أو اثنتين فثنتين أو ثلاث فثلاث إلا أن يناكرها ويقول : لم أجعل الأمر إليك إلا في واحدة فيحلف على ذلك وإن ردت الأمر فليس بشيء وكان يقول : القضاء

(١) يعني قولها طلقت نفسي وقولها: أنت طالق.
(٢) المصنف (١١٩١٩).
(٣) المصنف (١١٩١٨).
(٤) السنن (١٦٢٠)، ومالك في الموطأ (٦/ ٣٣٥).

ما قضت.

وفي لفظ لمالك (عن طريق نافع عن ابن عمر): إذا ملك الرجل امرأته أمرها فالقضاء ما قضت به إلا أن ينكر عليها ويقول: لم أرد إلا واحدة فيحلف على ذلك ويكون أملك بها ما كانت في عدتها.

وروى عبد الرزاق[١]:

عن معمر عن الزهري وقتادة عن ابن المسيب قالا: إذا ملَّك الرجل امرأته أمرها فالقضاء ما قضت إن واحدة فواحدة، وإن اثنتان فثنتان، وإن ثلاث فثلاث. صحيح عن ابن المسيب

وروى عبد الرزاق[٢]:

عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: امرأة ملكت أمرها فردته إلى زوجها قال: ليست بشيء، فإن طلقت نفسها فهو على ذلك إن واحدة فواحدة، وإن اثنتان فثنتان، وإن ثلاث فثلاث. صحيح عن عطاء

وروى عبد الرزاق[٣]:

عن ابن جريج قال: أخبرني ابن طاوس عن أبيه وقلت له: فكيف كان أبوك يقول في رجل ملك امرأته أمرها أتملك أن تطلق نفسها؟ قال: لا، كان يقول: ليس إلى النساء طلاق. صحيح عن طاوس

قلت: والنفس أميل إلى قول طاوس إلا إذا تلفظ الزوج بلفظ الطلاق، والله أعلم.

وذهب قليل من أهل العلم إلى أن ذلك لا يقع به طلاق:

---

(١) المصنف (١١٩٠٣).
(٢) المصنف (١١٩٠١).
(٣) المصنف (١١٩١٣).

(١٢٨) أحمر
أسود

وذلك لأن الله تعالى إنما جعل الطلاق إلى الرجال فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ...﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ...﴾ [البقرة: ٢٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات، فكلها أفادت أن الطلاق إنما هو بيد الرجال.

وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن تمام القوامة أن يكون الطلاق بيد الرجل.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[1] [الأحزاب: ٢٨].

فردَّ الله سبحانه الأمر على رسوله إذا أرادت نساؤه الحياة الدنيا وزينتها أن يمتعهن ويسرحهن بنفسه، ولم يقل لهن: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فأنتن طوالق، والقول بعدم الوقوع قول قليل من العلماء[2] كما أسلفت.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله تعالى «المحلى» (١٠/ ١٢٣) في هذه الآية: فإنما نص الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام إن أردن الدنيا ولم يردن الآخرة طلقهن حينئذ من قبل نفسه مختارًا للطلاق لا أنهن طوالق بنفس اختيارهن الدنيا، ومن ادعى غير هذا فقد حرف كلام الله عز وجل وأقحم في حكم الآية كذبًا محضًا ليس فيها منه نص ولا دليل.

(٢) وهذا القول هو قول طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقول أبي محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفهمه البعض من أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(١٢٩) أحمر
أسود

مسألة: ومن خيَّر امرأته فاختارت نفسها، أو اختارت الطلاق، أو اختارت زوجها، أو لم تختر شيئًا، فكل ذلك لا شيء وكل ذلك سواء، ولا تطلق بذلك، ولا تحرم عليه ولا لشيء من ذلك حكم ولو كرر التخيير وكررت هي اختيار نفسها، أو اختيار الطلاق ألف مرة، وكذلك إن ملَّكها أمر نفسها أو جعل أمرها بيدها ولا فرق ... ثم أورد جملة من الآثار وقال: وكل هذه الأقاويل آراء لا دليل على صحة شيء منها ..[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مسألة: ومن جعل إلى امرأته أن تطلق نفسها لم يلزمه ذلك ولا تكون طالقًا طلقت نفسها أو لم تطلق لما ذكرنا قبل من أن الطلاق إنما جعله الله تعالى للرجال لا للنساء[2].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾.

ج: هذا تحذيرٌ من الله ﷻ لأزواج النبي ﷺ وإنذار لهن وتخويف من المعاصي والكبائر، وفي ذات الوقت فإنه ترغيب لهن في الطاعات والاستكثار منها.

يقول تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ بفاحشة الزنا، والعياذ بالله، وقيل: النشوز وسوء الخلق، وقيل: عموم الفواحش، من يأت

(١) المحلى (١٠/ ١١٦).
(٢) المحلى (١٠/ ٢١٦).

(١٣٠) أحمر
أسود

منكن بشيء منها فإن عذابها مضاعف ضعفين، قيل: مضاعف في الآخرة، وقيل: يضاعف في الدنيا والآخرة، فإذا كان هناك حدٌّ من الحدود فإنه يضاعف، والأظهر الأول، وكان هذا التعذيب أمرًا سهلًا عند الله لمن ارتكبوا الجنايات والكبائر وانتهكوا الحرمات.

وفي المقابل فإن من تطيع الله ورسوله وتتبع ذلك وتصاحبه الأعمال الصالحة من صلاة وصيام ونحو ذلك يضاعف الله ﷻ له الأجر والثواب مرتين فضلًا عما أعده لها في الآخرة من فسيح الجنان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يقول: من يزن منكنّ الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحدّ، ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ﴾ على فجورها في الآخرة ﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ على فجور أزواج الناس غيرهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ والله أعلم.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله منكن، وتعمل بما أمر الله به؛ ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ يقول: يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ يقول: وأعتدنا لها في الآخرة عيشًا هنيئًا في الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى واعظًا نساء النبي ﷺ، اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ أن يخبرهن بحكمهن دون سائر

(١٣١) أحمر
أسود

النساء، بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة -قال ابن عباس: وهي النشوز وسوء الخلق. وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف:٨١]، ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤]، فلما كانت محلَّتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع؛ ولهذا قال: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قال: في الدنيا والآخرة.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ أي: سهلا هينا.

ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: يطيع الله ورسوله ويستجب ﴿نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال العلماء: لما اختار نساء النبي ﷺ رسول الله ﷺ شكرهن الله على ذلك فقال تكرمة لهن: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية وبين حكمهن عن غيرهن فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وجعل ثواب طاعتهن

(١٣٢) أحمر
أسود

وعقاب معصيتهن أكثر مما لغيرهن فقال : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ فأخبر تعالى أن من جاء من نساء النبي ﷺ بفاحشة - والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك كما مر في حديث الإفك - ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على سائر النساء أجمع وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع حسبما تقدم بيانه غير مرة - أنه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر وقيل : لما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الأجر والعذاب وقيل : إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله ﷺ فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في إيذاء رسول الله ﷺ وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] واختار هذا القول الكيا الطبري .

الثانية : قال قوم : لو قدر الزنى من واحدة منهن - وقد أعاذهن الله من ذلك - لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الأمة والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى : ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين.

وقال رحمه الله:

وقال قوم : الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزِّنى واللِّواط، وإذا وردت منكَّرة فهي سائر المعاصي، وإذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة : بل قوله ﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ تعم جميع المعاصي وكذلك الفاحشة كيف وردت.

(١٣٣) أحمر
أسود

وقال: وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة؛ ذكره النحاس.

❁ ❁ ❁

تضاعف العقوبات والأجور لقرائن تحتف بالأعمال

س: كثيرًا ما تتضاعف العقوبات على الكبائر والمعاصي لقرائن تحتف بتلك الكبائر والمعاصي، وكثيرًا ما تتضاعف الأجور على الأعمال الصالحة لقرائن تحتف بتلك الأعمال الصالحة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك، ولإيضاح ذلك أقول، وبالله التوفيق:

إن الكذب حرام حرَّمه الله ﷻ ولكن الكذب على رسول الله أشد تحريمًا، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»، وقال: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدِكُم».

والكذب على الله أشد وأشد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ...﴾ [العنكبوت: ٦٨].

فلما كان في تبليغ كلام الله ﷻ لخلق الله أجرٌ عظيم، وفي تبليغ كلام رسوله ﷺ أجرٌ أيضًا، كذا فقد تضاعف العذاب على من كذب.

وكذلك الصلاة في الحرم المكي بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، وأيضًا فالعقوبات على الظالم هناك أشد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

* وأزواج النبي ﷺ كُرِّمن وشرفن بالزواج برسول الله ﷺ وضوعف لهن الأجر على الطاعة، فكذلك إذا قُدِّر وارتكبن فاحشة ضوعف لهن العذاب ضعفين.

* وكذا فالزنى حرام وكبيرةٌ من الكبائر، لكن الزنى بحليلة الجار أشد

(١٣٤) أحمر
أسود

تحريمًا وأعظم إثمًا.

وهذا باب عليه أدلة كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– يا نساء النبي لستن كأحد من النساء من هذه الأمة في الشرف والفضيلة، وعلو المنزلة فقد شرفكن الله ﷻ بالزواج من نبيه محمد ﷺ فمن ثمَّ يلزمكن مزيدٌ من الأدب والتقى، فإن أنتن لَزِمْتُن التقوى تضاعفت لكم الأجور وعظم لكم الفضل، فلا تلن بالقول أثناء الحديث مع الرجال، فإن إلانة القول هذه تطمع أهل النفاق فيكنَّ، وتُطمِّع مريدي الفواحش ومُحبيها فيكن، والزمن يا نساء النبي الكلام الذي يرضى الله عنكن، الكلام الطيب الذي ليس فيه خضوع وليس فيه ما يُطمع الآخرين فيكن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله ﷺ: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ) من نساء هذه الأمة (إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ) الله فأطعتنه في ما أمركن ونهاكن.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ) يعني من نساء هذه الأمة.

وقوله: (فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ) يقول: فلا تلنَّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ) قال: خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال.

(١٣٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه؛ إما شاكٌّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: إنما وصفه بأن في قلبه مرضًا، لأنه منافق.

وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش.

وقوله: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ يقول: وقلن قولًا قد أذن الله لكم به وأباحه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبا لنساء النبي بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنهن لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾.

قال السُّدِّي وغيره: يعني بذلك: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ولهذا قال: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ أي: دَغَل، ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: قال ابن زيد: قولا حسنًا جميلا معروفًا في الخير.

ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ يعني في الفضل والشرف وقال : كأحد ولم يقل كواحدة؛ لأن أحدًا نفي من المذكر والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس بآدمي يقال : ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير وإنما خصص النساء بالذكر لأن فيمن تقدم آسية ومريم وقد أشار إلى

(١٣٦) أحمر
أسود

هذا قتادة وقد تقدم في آل عمران الاختلاف في التفضيل بينهن فتأمله هناك ثم قال : إن اتقيتن أي خفتن الله فبين أن الفضيلة إنما تتم لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن، قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ في موضع جزم بالنهي إلا أنه مبني كما بني الماضي هذا مذهب سيبويه أي لا تلن القول أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلًا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا، قوله تعالى : ﴿فَيَطْمَعَ﴾ بالنصب على جواب النهي ﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي شك ونفاق عن قتادة والسدي وقيل : تشوف لفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة، وهذا أصوب وليس للنفاق مدخل في هذه الآية.

ثم قال: وعلى الجملة فالقول المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

ج: هذا خطاب لأزواج النبي ﷺ، والمؤمنات لهن تبع، خطابٌ لهن وأمرٌ بأن يلزمن بيوتهن ولا يخرجن إلا للحاجة والضرورة، ونهيٌ لهن عن التبرج الذي هو إظهار المحاسن، والمفاتن التي يفتتن بها الرجال كما كانت النسوة في الجاهلية الأولى تصنع، وأمر لهن بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها وأداء

(١٣٧) أحمر
أسود

فرائضها وواجباتها، وكذا أمرٌ لهن بإخراج الزكوات المفروضة، ثم أمر عام بطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ ثم أخبر الله ﷻ أنه يريد أن يذهب عنهم الرجس وعن عموم أهل البيت، والرجس قيل إنه الشيطان، وقيل الشرك، وقيل: كل ما يُشين ويُسيء، ويريد ربي أن يطهرهم من الذنوب والآثام تطهيرًا عظيمًا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

❁ ❁ ❁

حث النساء على القرار في البيوت

س: اذكر بعض الوارد في حث النساء على القرار في بيوتهن؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

والمفهوم من قول المرأتين اللتين سألهما موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣]، فاعتذرتا عن الخروج لكون أبيهما شيخًا كبيرًا، وكذا قول النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ**»[(١)].

وما روي عن النبي ﷺ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وكذا العمومات الواردة في التحذير من فتنة النساء كقوله ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**»[(٣)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي**

---

(١) صحيح: وله طرق كثيرة عن رسول الله ﷺ.

(٢) رجاله ثقات، وقد أخرجه الترمذي (١١٧٣) وغيره.

(٣) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(١٣٨) أحمر
أسود

إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[١].

وكذا فإن قرارها في البيت أصون لها وأبعد عن الأنظار، وقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

إلا أنه يجوز لها أن تخرج لقضاء حوائجها بالضوابط الشرعية كما هو معلوم[٢].

❁ ❁ ❁

ذم التبرج والتحذير منه

س: اذكر بعض الوارد في ذم التبرج؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾.

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[٣] بسندٍ صحيح من حديث: فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ ﷻ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ».

---

(١) مسلم (٢٧٤٢).

(٢) وينبغي أن تكون حالة المرأة وهي خارجة على وفق ما يقتضيه الشرع وما يلزم به من العفة والتستر الذي ينافي التبرج والسفور، وينبغي لها عند خروجها أن تمتنع من الطيب عند خروجها وتترك مزاحمة الرجال وتمشي على حافة الطريق ولا تضرب بأرجلها ليُعلم ما يُخفى من زينتها، وتلزم الحياء في مشيتها، وبصفة عامة تتبع ما أمر به الله ورسوله عند خروجها، وقد قدمنا أكثر ذلك ويلزمها أيضًا أن تستأذن الزوج أو تعلم رضاه، وبالله التوفيق.

(٣) أحمد في المسند (٦/ ١٩).

(١٣٩) أحمر
أسود

وأخرج أحمد[١] من حديث أُمَيْمَة بِنْت رُقَيْقَة: أَنَّهَا أَتَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي، وَلَا تَزْنِي، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكِ، وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلَا تَنُوحِي، وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى».

وأخرجه مسلم[٢] في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[٣].

---

(١) أحمد في المسند (٢/ ١٩٦) وسنده حسن.

(٢) مسلم (٥/ ٧١٠).

(٣) قال النووي رحمه الله: هَذَا الْحَدِيث مِنْ مُعْجِزَات النُّبُوَّة ، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النبي ، فَأَمَّا أَصْحَاب السِّيَاط فَهُمْ غِلْمَان وَالِي الشُّرْطَة .
أَمَّا (الْكَاسِيَات) فَفِيهِ أَوْجُه:
أَحَدهَا: مَعْنَاهُ : كَاسِيَات مِنْ نِعْمَة الله ، عَارِيَات مِنْ شُكْرهَا.
وَالثَّانِي: كَاسِيَات مِنْ الثِّيَاب ، عَارِيَات مِنْ فِعْل الْخَيْر وَالِاهْتِمَام لِآخِرَتِهِنَّ ، وَالِاعْتِنَاء بِالطَّاعَاتِ .
وَالثَّالِث: تَكْشِف شَيْئًا مِنْ بَدَنهَا إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا ، فَهُنَّ كَاسِيَات عَارِيَات .
وَالرَّابِع: تَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِف مَا تَحْتهَا ، كَاسِيَات عَارِيَات فِي الْمَعْنَى .
قلت: (القائل مصطفى): والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن الوجه الثالث والرابع أقرب إلى المعنى، وذلك لقوله عليه السلام في الحديث: «**مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**».=
= ثم قال النووي رحمه الله:
وَأَمَّا «**مَائِلَات مُمِيلَات**»: فَقِيلَ : زَائِغَات عَنْ طَاعَة الله تَعَالَى ، وَمَا يَلْزَمهُنَّ مِنْ حِفْظ الْفُرُوج وَغَيْرهَا ، وَمُمِيلَات يُعَلِّمْنَ غَيْرهنَّ مِثْل فِعْلهنَّ.
وَقِيلَ : مَائِلَات مُتَبَخْتِرَات فِي مِشْيَتهنَّ ، مُمِيلَات أَكْتَافهنَّ.
وَقِيلَ : مَائِلَات يَتَمَشَّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء ، وَهِيَ مِشْطَة الْبَغَايَا مَعْرُوفَة لَهُنَّ ، مُمِيلَات يُمَشِّطْنَ غَيْرهنَّ تِلْك الْمِشْطَة.

(١٤٠) أحمر
أسود

وأخرج أحمد[١] بإسناد حسن لغيره من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسْ الْقُبْطِيَّةَ؟**[٢]» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً**[٣] **إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا**».

وأخرج عبد الرزاق[٤] في مصنفه بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: كان

وَقِيلَ : مَائِلَات إِلَى الرِّجَال مُمِيلَات لَهُمْ بِمَا يُبْدِينَ مِنْ زِينَتهنَّ وَغَيْرهَا .
وَأَمَّا «**رُءُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت**» فَمَعْنَاهُ : يُعَظِّمْنَ رُءُوسهنَّ بِالْخُمُرِ وَالْعَمَائِم وَغَيْرهَا مِمَّا يُلَفّ عَلَى الرَّأْس ، حَتَّى تُشْبِه أَسْنِمَة الْإِبِل الْبُخْت ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُور فِي تَفْسِيره ، قَالَ الْمَازِرِيّ : وَيَجُوز أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَال وَلَا يَغْضُضْنَ عَنْهُمْ ، وَلَا يُنَكِّسْنَ رُءُوسهنَّ ، وَاخْتَارَ الْقَاضِي أَنَّ الْمَائِلَات تُمَشِّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء ، قَالَ : وَهِيَ ضَفْر الْغَدَائِر وَشَدّهَا إِلَى فَوْق ، وَجَمْعهَا فِي وَسَط الرَّأْس فَتَصِير كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت.
قَالَ : وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالتَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْت إِنَّمَا هُوَ لِارْتِفَاعِ الْغَدَائِر فَوْق رُءُوسهنَّ ، وَجَمْع عَقَائِصهَا هُنَاكَ ، وَتُكْثِرهَا بِمَا يُضَفِّرْنَهُ حَتَّى تَمِيل إِلَى نَاحِيَة مِنْ جَوَانِب الرَّأْس ، كَمَا يَمِيل السَّنَام ، قَالَ اِبْن دُرَيْد : يُقَال : نَاقَة مَيْلَاء إِذَا كَانَ سَنَامهَا يَمِيل إِلَى أَحَد شِقَّيْهَا . وَاَللَّه أَعْلَم .
قَوْله □ : «**لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّة**» يُتَأَوَّل التَّأْوِيلَيْنِ السَّابِقَيْنِ فِي نَظَائِره أَحَدهمَا : أَنَّهُ مَحْمُول عَلَى مَنْ اِسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمهَا بِتَحْرِيمِهِ ، فَتَكُون كَافِرَة مُخَلَّدَة فِي النَّار ، لَا تَدْخُل الْجَنَّة أَبَدًا .
وَالثَّانِي : يُحْمَل عَلَى أَنَّهَا لَا تَدْخُلهَا أَوَّل الْأَمْر مَعَ الْفَائِزِينَ . وَاَللَّه تَعَالَى أَعْلَم ..

(١) أحمد في المسند (٥/ ٢٠٥).

(٢) القُبطية هي بضم القاف، قال الخطابي: الشقة أو الثوب من القباطي وهي ثياب تعمل بمصر، وفي «اللسان» (ص ٣٥١٤) القُباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض.

(٣) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب وقيل: بطائن تلبس تحت الدروع، كذا في «السان» وثَمَّ أقوال أخر.
وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل متكلم فيه، لكن له شاهد عند أبي داود (٤١١٦) من حديث دحية الكلبي أن النبي □ أعطاه قبطية، فقال: «**اصدعها صدعين، فاقطع أحدهما قميصًا، وأعط = = الآخر امرأتك تختمر به**»، فلما أدبر قال: «**واؤمر امرأتك أن تجعل ثوبًا لا يصفها**».

(٤) المصنف (٥١١٥).

(١٤١) أحمر
أسود

الرجال والنساء في بني إسرائيل يصلون جميعًا، فكانت المرأة لها الخليل تلبس القالبين[1] تطول بهما لخليلها، فألقي عليهن الحيض، فكان ابن مسعود يقول: أخروهن حيث أخرهن الله.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بتبرج الجاهلية الأولى؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، ذكرها الطبري وغيره.

منها ما أخرجه الطبري بسندٍ صحيح عن ابن عباس: قال: تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحًا، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحًا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلًا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئًا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلًا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

وبإسناد صحيح عن ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: التبختر. وقيل إن التبرج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة

---

(١) هما نعلان من خشب.

(١٤٢) أحمر
أسود

محاسنها للرجال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.

فإن قال قائل: أوفي الإسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله: ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمراكن ونهياكن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إنما يريد الله ليصرف عنكم السوء

(١٤٣) أحمر
أسود

والمكروه والشرك والشيطان، وسائر صور السوء والفحشاء، ويطهركم يا أهل البيت من الذنوب تطهيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ) إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾) فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾) قال: الرجس هاهنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك.

❁ ❁ ❁

أهل البيت وشيء من فضلهم

س: عرِّف أهل البيت؟ واذكر بعض الوارد في فضلهم؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن أهل البيت هم أصحاب الكساء فقط وهم عليٌّ وفاطمة وحسن وحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهذا هو القول الأول.

وحجة أصحاب هذا القول، حديث الكساء وسيأتي إن شاء الله.

القول الثاني: أن أهل البيت هم أزواج النبي ﷺ خاصة، وحجة أصحاب هذا القول أن سياق الآيات في شأنهن.

القول الثالث: أن المراد بأهل البيت من حُرِّمت عليهم الصدقة، وهم آل

(١٤٤) أحمر
أسود

عليٍّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وحجتهم قول النبي ﷺ: «**إِنَّا آلُ مُحَمَّد لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**».

القول الرابع: أنهم أصحاب الكساء (علي وفاطمة وحسن وحسين) وأزواج النبي ﷺ وحجتهم بأن النبي فسر الآية بقوله في أصحاب الكساء اللهم هؤلاء أهل بيتي، وبأن سياق الآيات في أزواج النبي ﷺ، وبأن الله قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ ولم يقل عنكن..

القول الخامس: أن كل المذكورين داخلون في آل البيت، والله أعلم.

ثم هذه بعض الأقوال في ذلك:

أخرج مسلم[1] في صحيحه من طريق يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي؛ وَاللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا- بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ - فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» ثلاثًا **فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ**

(١) مسلم (٢٤٠٨).

(١٤٥) أحمر
أسود

نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ.

قال ابن كثير ثم رواه مسلم وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ، عن حَسَّانُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فذكر الحديث كنحو ما تقدم، وفيه: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا، وَايْمُ اللهِ إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنْ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا، أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.

هكذا وقع في هذه الرواية، والأولى أولى، والأخذ بها أحرى. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعًا بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعًا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة[1] إن صحت، فإن في بعض أسانيدها نظرًا، والله أعلم.

وقال ابن كثير أيضًا:

ثم الذي لا يشك فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي

(١) فقد أورد عددًا من الأحاديث في شأن أهل البيت.

(١٤٦) أحمر
أسود

خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس.

ثم قال ابن كثير: ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية، كما تقدم في الحديث: «**وأهل بيتي أحق**»[(١)].

وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال: «**هو مسجدي هذا**».

فهذا من هذا القبيل؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قُباء، كما ورد في الأحاديث الأخر. ولكن إذا كان ذاك أسّسَ على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ أولى بِتَسمِيَته بذلك، والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا أبو عَوَانة، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن أبي جميلة قال: إن الحسن بن علي استُخلفَ حين قُتِل علي، رضي الله عنهما قال: فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد، وحسن ساجد قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهرا، ثم بَرَأ فقعد على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ

---

(١) أخرج أحمد (٤/ ١٠٧)، والحاكم (٢/ ٤١٦) وغيرهما من طرق عن الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا شَدَّادٍ أَبِو عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا رضي الله عنه فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ □؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ ف أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ قَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللهِ □ فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ □ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهم آخِذٌ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ، فَأَدْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ - أَوْ قَالَ: كِسَاءه- ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣﴾ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ**».

(١٤٧) أحمر
أسود

تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ قال: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يَحِنّ بكاء.

وقال السُّدِّي، عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ؟ قال: نعم، ولأنتم هم؟ قال: نعم.

وهذا مزيد من الوارد
في فضل آل بيت النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه[1] من حديث عائشة ف قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

وعند أحمد[2] بسندٍ يصح لشواهده من حديث أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ جَاءَ نَعْيُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَعَنَتْ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللهُ غَرُّوهُ وَذَلُّوهُ لَعَنَهُمْ اللهُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ غَدِيَّةً بِبُرْمَةٍ قَدْ صَنَعَتْ لَهُ فِيهَا عَصِيدَةً تَحْمِلُهُ فِي طَبَقٍ لَهَا حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» قَالَتْ: هُوَ فِي الْبَيْتِ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَادْعِيهِ وَائْتِنِي بِابْنَيْهِ**» قَالَتْ: فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ وَعَلِيٌّ يَمْشِي فِي إِثْرِهِمَا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُمَا فِي حِجْرِهِ وَجَلَسَ عَلِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَاجْتَبَذَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً خَيْبَرِيًّا كَانَ بِسَاطًا لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ فَلَفَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ

(١) مسلم (٢٤٢٤).
(٢) أحمد (٦/ ٢٩٨)، وانظر شواهده عند الطبري (٢٢/ ٦)، وابن كثير في تفسير الأحزاب (٣/ ٤٨٣).

(١٤٨) أحمر
أسود

طَرَفَيْ الْكِسَاءِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: بَلَى فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رضي الله عنهما. صحيح لشواهده.

وأخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**».

وأخرج أحمد[٢] وغيره بسند صحيح لشواهده من حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابُ اللهِ وَأَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ جَمِيعًا**».

ومن فضائل آل البيت أننا نصلي عليهم في كل صلاة (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد).

ونبرك عليهم كذلك.

(اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد).

هذا، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: (ارقبوا محمدًا في أهل بيته)[٣].

وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»[٤].

---

(١) مسلم (ص ١٨٧١ في طرق حديث ٢٤٠٤).
(٢) أحمد (٥/ ١٨١-١٨٢)، وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٢٤٠) وله شواهد يصح بها.
(٣) البخاري (٣٧١٣).
(٤) البخاري (٣٧١١).

(١٤٩) أحمر
أسود

هذا، وقد وردت أحاديث في فضائل صحابة مخصوصين من آل البيت كثيرة جدًّا في فضائل علي وفاطمة وحسنٍ وحسينٍ رضي الله عنهم أجمعين فراجعها إن شئت في كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم – أمرٌ من الله عز وجل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ العلم الشرعي المتمثل في القرآن والسنة التي هي الحكمة لخلق الله عز وجل، وذلك لأن الله عز وجل قد امتن عليهن بالزواج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنهن يطلعن منه على بعض ما لم يطلع عليه، غيرهن فلزم أن يبينَّ للناس ما ينفعهم إن الله كان ذا لطف بكن خبيرًا بكن كذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكرن نعمة الله عليكن، بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه. وعنى بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن وذلك السنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ : أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيرا بكن إذ

(١٥٠) أحمر
أسود

اختاركن لرسوله أزواجًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: بلطفه بكنَّ بلغتنَّ هذه المنزلة، وبخبرته بكنَّ وأنكنَّ أهل لذلك، أعطاكنَّ ذلك وخصكنَّ بذلك.

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لفظ الذكر يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أي اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة.

الثاني اذكرن آيات الله واقدرن قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله تعالى ومن كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله.

الثالث: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ بمعنى احفظن واقرأن وألزمنه الألسنة فكأنه يقول: احفظن أوامر الله تعالى ونواهيه وذلك هو الذي يتلى في بيوتكن من آيات الله فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي ﷺ ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعملوا ويقتدوا وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين .

قال ابن العربي: في هذه الآية مسألة بديعة وهي أن الله تعالى أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزل عليه من القرآن وتعليم ما علمه من الدين فكان إذا قرأ على واحد أو ما اتفق سقط عنه الفرض وكان على من سمعه أن يبلغه إلى غيره ولا يلزمه أن يذكره لجميع الصحابة ولا كان عليه إذا علم ذلك أزواجه أن يخرج إلى الناس فيقول لهم: نزل كذا ولا كان كذا ولهذا قلنا :

(١٥١) أحمر
أسود

يجوز العمل بخبر بسرة في إيجاب الوضوء من مس الذكر؛ لأنها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم أن يبلغ ذلك الرجال كما قال أبو حنيفة : على أنه قد نقل عن سعد بن أبي وقاص وابن عمر.

❁ ❁ ❁

(١٥٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب:٣٥]

(١٥٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ -وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾	المُطيعين (لله ورسوله)
﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾	الخائفين من الله – المطمئنين بالله

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ..﴾ سبب نزول؟

ج: ورد عند الترمذي[1] ما يحسن لشواهده من حديث أُمِّ عمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ..﴾.

ج: هذه بشارةٌ من الله ﷻ لمن هذه صفاتهم.

أما قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ فهم الذين التزموا الإسلام دينًا فشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاموا رمضان، وحجوا بيت الله الحرام عند استطاعتهم، وكذا الذين استسلموا لأمر الله ورسوله.

---

(١) الترمذي (٤/ ١١٦)، وانظر الحاكم (٢/ ٤١٦)، ومجمع الزوائد (٧/ ٩١)، وتفسير ابن كثير للآية الكريمة، والله أعلم.

(١٥٤) أحمر
أسود

أما قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فهم الذين أيقنت قلوبهم بما سبق وصدقت به، فآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وصدقت بذلك كله قلوبهم، وأطاعوا ربهم ﷻ فيما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم الله عنه.

فقوله: (وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ هم المطيعون والمطيعات لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

أما قوله تعالى: (وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فهم الذين صدقوا في عهودهم مع الله ووفوا بها، وصدقوا فيما أعلنوا عليه من إسلام وإيمان ووفاء وطاعة.

وكذا صدقوا في حديثهم مع الناس.

وكذا فقد صبروا على أوامر الله (وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ هم الصابرون على الأقدار، وعلى الطاعات، والممتنعون عن المناهي.

وقوله: (وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ عنى به الخائفين من الله ﷻ والخائفات، والمتذللين له بالطاعات والمتذللات، ثم رغبة منهم فيما عند الله واستسلامًا بعد استسلام وطاعة بعد طاعة فإنهم أقاموا النفل مع الفرض.

فقوله: (وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ المتصدقين بما أوجبه الله عليهم، والمتصدقات، وكذا المتطوعين بالنفل بعد الفرض، والمتطوعات فهم يفعلون ذلك أجمع يعطون الزكاة الواجبة ويتبعونها بالنفل المستحب والتطوع المستحب، وكذا في الصيام.

فقوله: (وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ أي: الذين صاموا الفريضة، وهي رمضان، وأتبعوا ذلك بصيام النفل بصفة عامة كصوم الاثنين والخميس والست من شوال، وثلاثة أيام من كل شهر، وعرفة وعاشوراء، وإن استطاعوا

(١٥٥) أحمر
أسود

صاموا يومًا وأفطروا يومًا.

وعصمهم الله ﷻ بصيامهم هذا فحفظوا فروجهم فقوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ المعنى هم الذين اتقوا ما حرَّم الله عليهم من الزنا وفعل قوم لوط وغير ذلك، مما حرمه الله عليهم، وكذا اللواتي حفظن فروجهن.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الذين ذكروا الله بتلاوة كتابه، وكذا بتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره وعموم صور الذكر الواردة في الكتاب العزيز والسنة المباركة وأكثروا في حديثهم مع الناس بالتذكير بالله، وجرى ذكر الله على ألسنتهم كثيرًا فهؤلاء الذين ذُكرت أوصافهم (إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وحفظ فرج وكثرة ذكر) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ على حسناتهم وصالح أعمالهم، وهذا الأجر العظيم هو الجنة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن المتذللين لله بالطاعة والمتذللات، والمصدقين والمصدقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجلًا منه ومن عقابه والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك، والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم

(١٥٦) أحمر
أسود

والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر أو من ملكهن إن كن إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجرًا عظيمًا: يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:١٤]. وفي الصحيحين: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1]. فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ القنوت: هو الطاعة في سكون، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم:٢٦]، ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٣]، ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨]. فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها، ثم القنوت ناشئ عنهما.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾: هذا في الأقوال، فإن الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجَرّب عليه كِذْبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومَنْ صدق نجا، «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. وإياكم والكذب؛**

(١) البخاري (٢٧٨٢).

(١٥٧) أحمر
أسود

فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال الرجل يكذب ويتَحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[1]. والأحاديث فيه كثيرة جدًّا.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾: هذه سَجِيّة الأثبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة، وَتَلَقّي ذلك بالصبر والثبات، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، أي: أصعبه في أول وهلة، ثم ما بعده أسهل منه، وهو صدق السجية وثباتها.

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ الخشوع : السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع. والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾: الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحسانًا إلى خلقه، وقد ثبت في الصحيحين: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» فذكر منهم: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[2].

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأحاديث في فضل الصدقة والصيام والذكر.

ثم قال: وقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة.

---

(١) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)
(٢) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(١٥٨) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: هل من رابط بين هذه الأوصاف وبعضها؟

ج: نعم يبدو هذا الترابط جليًّا، فالقوم أعلنوا عن إسلامهم وأقروا بأركانه وعملوا بها (فهم المسلمون والمسلمات) وصدقت بذلك قلوبهم، وكذا أقرت بعموم ما أمروا بالإقرار به (فهم المؤمنون والمؤمنات) وأتبعوا ذلك بالسمع والطاعة عمومًا (فهم القانتون والقانتات) وصدقوا فيما أعلنوا من سمع وطاعة وصدقوا فأوفوا بما أعلنوه وعاهدوا عليه (فهم الصادقون والصادقات) واستمروا صابرين على الطاعات والأقدار، مجتنبين للمناهي (فهم الصابرون والصابرات).

وخشعوا لله في ذلك كله وتذللوا له بالطاعات فليست طاعات مجردة، بل مصحوبة بالتذلل لخالقهم لنيل مرضاته (فهم الخاشعون والخاشعات) وتعدت منافعهم فوصلت لعباد الله، وكذا لم يجتزءوا بالفرض بل أتبعوه بالنفل فطاعة بعد طاعة فكذا (المتصدقين والمتصدقات) نفل مع فرضٍ وكذا هذبوا أنفسهم فامتثلوا أولًا ما أمروا به من صوم رمضان ثم أتبعوا ذلك بالنفل، فهم (الصائمين والصائمات) وساعدهم هذا الصوم على حفظ فروجهم فالصيام جنةٌ ووقاء فحفظوا فروجهم عما حرم الله ﷻ عليهم فهم (الحافظون فروجهم والحافظات)، وأكثروا من ذكر الله ﷻ وداوموا على ذلك (فهم الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات)، فهؤلاء بشروا بالمغفرة لذنوبهم فليسوا بمعصومين، فهم ومع ما ذُكر من أوصافهم إن أوقعهم الشيطان في زللٍ بادروا بالتوبة والإنابة والاستغفار فيغفر الله لهم، وقد أعد الله لهؤلاء الأجر العظيم،

(١٥٩) أحمر
أسود

وهو جنة الخلد التي أُعدت للمتقين، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بدأ تعالى في هذه الآية بذكر الإسلام الذي يعم الإيمان وعمل الجوارح، ثم ذكر الإيمان تخصيصًا له وتنبيها على أنه عظم الإسلام ودعامته والقانت: العابد المطيع، والصادق: معناه فيما عوهد عليه أن يفي به، والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط والخاشع: الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل وقيل: بالفرض خاصة والأول أمدح، والصائم كذلك ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ أي عما لا يحل من الزنى وغيره وفي قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ حذف يدل عليه المتقدم تقديره: والحافظات فاكتفى بما تقدم، وفي ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أيضًا مثله.

❁ ❁ ❁

(١٦٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا
لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ
أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن
رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

[الأحزاب: ٣٦-٤٠]

(١٦١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْخِيَرَةُ -ضَلَّ-أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ -مُبْدِيهِ -وَطَرًا -حَرَجٌ -أَدْعِيَآئِهِمْ -فَرَضَ-سُنَّةَ ٱللَّهِ-خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ-قَدَرًا مَّقْدُورًا -حَسِيبًا -وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾	الاختيار
﴿ضَلَّ﴾	حاد عن طريق الحق الصواب وانصرف عنه وابتعد
﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾	لا تطلق زوجتك
﴿مُبْدِيهِ﴾	مُظهره – مُعلنه
﴿وَطَرًا﴾	حاجة
﴿حَرَجٌ﴾	إثمٌ
﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾	الولد الدَّعي هو المنسوب إلى أبٍ ليس بأبيه
﴿فَرَضَ﴾	أحل
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾	فعل الله – أمر الله –قضاء الله
﴿خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾	مضوا فيما سبق
﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	قضاءً مقضيًّا
﴿حَسِيبًا﴾	حافظًا – ناصرًا – مُحصيًا لأعمالهم
﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	آخر النبيين

❁ ❁ ❁

(١٦٢) أحمر
أسود

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾.

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، والله أعلم.

وقد أورد الطبري عدة طرق، لا يخلو طريق منها من مقال تفيد أن الآية الكريمة نزلت في زينب بنت جحش ڤ لما خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة فأبت أول الأمر أن تتزوجه ثم تزوجته بعد نزول الآية.

من هذه الطرق ما أورده الطبري بسندٍ ضعيف جدًّا عن ابن عباس قوله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ....﴾ إلى قوله (ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: «نعم» قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

وبسندٍ فيه ضعفٌ يسير[1] عن مجاهد قوله: (أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله ﷺ.

وبسند حسن عن قتادة قوله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت ورأت أنه يخطبها

(١) ومع ذلك فهو مرسل، وكذا الذي بعده.

(١٦٣) أحمر
أسود

على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت.

وبسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ....﴾[1] الآية كلها.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ﴾ هل تفيد تحريمًا أو تفيد كراهية أو منعًا أو ماذا؟

ج: أحيانًا تفيد الحظر والمنع، وأحيانًا تفيد استحالة وقوع الشيء كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [مريم: ٣٥].

وأحيانًا تفيد الكراهية.

وهي في هذا المقام تفيد المنع والحظر، فالمراد أنه لا يجوز ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لفظة «ما كان، وما ينبغي» ونحوهما معناها الحظر والمنع فتجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون كما في هذه الآية وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلا كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ

(١) وهناك إسناد ضعيف جدًّا، أنه نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أورده الطبري.

(١٦٤) أحمر
أسود

وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] وقوله تعالى: (۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] وربما كان في المندوبات كما تقول : ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وما كان جائزًا لمؤمن ولا لمؤمنة أن يكون لهم الاختيار عند مجيء الأمر من الله ورسوله، فإذا جاء من الله أمرٌ أو جاء عنه نهيٌّ، أو جاء من رسول الله أمر أو ورد عنه نهي، فليس لمؤمن ولا لمؤمنة الحق في إبداء الرأي معارضة لأمر الله ﷻ ولأمر رسوله ﷺ ومن يفعل ذلك عصيانًا لأمر الله ورسوله فقد جاء عن طريق الحق والصواب صبورًا مظهرًا لضلاله وانحرافه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى:

(١٦٥) أحمر
أسود

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

❁ ❁ ❁

س: من هذا الذي أنعم الله عليه، وأنعم عليه رسول الله ﷺ؟ وما صورة هذا الإنعام؟

ج: هذا هو الصحابي الجليل زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِبُّ رسول الله ﷺ.

أما إنعام الله عليه فنعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليه واسعة لا تعدُّ ولا تُحصى، وأعظمها نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بأن هداه للإسلام والإيمان ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما إنعام رسول الله ﷺ عليه، فمنه إحسانه ﷺ عليه ومن صور هذا الإحسان إعتاق النبي ﷺ له وتحريره من الرِّق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتابًا من الله له ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالهداية ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، إنه قال لمولاه زيد ابن حارثة وهو الذي ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾، أي: بالإسلام، ومتابعة الرسول، عليه

(١٦٦) أحمر
أسود

أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر، حبيبًا إلى النبي ﷺ، يقال له: الحِبّ، ويقال لابنه أسامة: الحِبّ ابن الحِبّ. قالت عائشة، ف: ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمَّره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه[1].

❁ ❁ ❁

شيءٌ من فضائل زيد بن حارثة رضي الله عنه

س: اذكر شيئًا من فضل زيد بن حارثة رضي الله عنه؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرج البخاري[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ عَلَيْهِ وَمَا يَسُرُّنِي -أَوْ قَالَ- مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا - وَقَالَ- وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَتَذْرِفَانِ».

وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ».

وأخرج أحمد[4] في سنده من حديث عائشة قالت: مَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) في هذا الأخير نظر فإن النبي □ قال: «**الأئمة من قريش**».

(٢) البخاري (٣٠٦٣).

(٣) البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٤) أحمد في المسند (٦/ ٢٥٤)، وانظر فضائل الصحابة لأحمد (١٥٢٨)، (١٥٣٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٥).

(١٦٧) أحمر
أسود

زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ اسْتَخْلَفَهُ.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[١] بسند صحيح من حديث سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قال: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَمَعَ زَيد بْن حَارِثَة تِسْعَ غَزَوَاتٍ يُؤمِّرُه رَسُول الله ﷺ عَلينَا.

وأخرج ابن أبي شيبة[٢] في المصنف من حديث البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لزيدٍ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا زَيد فَأَخُونَا وَمَوْلَانَا**»، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجوه أُخر بنفس اللفظ.

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

❁ ❁ ❁

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣).
(٢) المصنف (١٢٣٥٩).
(٣) البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(١٦٨) أحمر
أسود

ومن مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه أنه

الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في كتاب الله عز وجل

قال القرطبي رحمه الله:

قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه: كان يقال زيد بن محمد حتى نزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ فقال: أنا زيد بن حارثة وحرم عليه أن يقول: أنا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحدًا من أصحاب النبي ﷺ وهي أنه سماه في القرآن فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ يعني من زينب ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب نوه به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ له ألا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا**» فبكى وقال: أوذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدًا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبدًا لا يزال على ألسنة المؤمنين كما لم يزل مذكورًا على الخصوص عند رب العالمين؟ إذ القرآن كلام الله القديم[1] وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء ولزيد بن حارثة تعويضًا من الله تعالى له مما نزع عنه وزاد في الآية أن قال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة علم ذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى.

---

(١) وقوله: القديم تحتاج في إثباتها لدليل، ولم أقف عليه.

(١٦٩) أحمر
أسود

س: من هي زوجته التي عناها الله بقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؟

ج: هي زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، التي صارت بعدُ زوجةً لرسول الله ﷺ وأمًّا من أمهات المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان رسول الله ﷺ قد زَوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية - وأمها أميمة بنت عبد المطلب -وأصدقها عشرة دنانير، وستين درهما، وخِمارًا، ومِلْحَفة، ودرْعًا، وخمسين مُدًّا من طعام، وعشرة أمداد من تمر. قاله مقاتل بن حيان[1]، فمكثت عنده قريبًا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش ف

س: اذكر شيئًا من الوارد في فضل زينب ف وقصة زواج النبي ﷺ بها.

ج: أما قصة زواج النبي ﷺ بها فقد أخرجها مسلم[2] في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ[3] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**» قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) وهذا مرسل.

(٢) مسلم (١٤٢٨).

(٣) هي زينب بنت جحش بن رياب براء وتحتانية وآخره موحدة بن يعمر الأسدية، أمها أميمة عمة النبي □.

(١٧٠) أحمر
أسود

ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ.

وفي رواية لمسلم: ﴿ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

ومن مناقبها ف

أن الله ﷻ زوجها من فوق سبع سموات

أخرج البخاري[1] من حديث أنس قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

وَلَقَدْ نَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ فِي زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

أخرج البخاري[2] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ

(١) البخاري (٧٤٢٠).
(٢) البخاري (٧٤٢١).

(١٧١) أحمر
أسود

النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ.

وما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه كما أولم على زينب ڢ

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَمَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا أَوْلَمَ بِشَاةٍ.

وكان رسول الله ﷺ يطيل المكث عندها ڢ.

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عَائِشَةَ ڢ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ قَالَ: «**لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**».

ثناء عائشة على زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

أخرج مسلم[٣] حديث عَائِشَةُ ڢ وفيه: ... «فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ».

---

(١) البخاري (٥١٧١)، ومسلم (١٠٤٩).
(٢) البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤).
(٣) مسلم (٢٤٤٢).

(١٧٢) أحمر
أسود

ولقد عصمها الله بالورع
في حديث الإفك فلم تتكلم إلا بخير

أخرج البخاري[١] حديث الإفك وفيه قالت عائشة: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فقال: «**يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ** فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ».

ومن فضل زينب ف كثرة تصدقها

أخرج مسلم[٢] في صحيحه من حديث عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**».

قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا.

قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ[٣] لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

---

(١) البخاري (٤٧٥٠).

(٢) مسلم (٢٤٥٢).

(٣) تنبيه: أخرج البخاري (١٤٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وذلك من طريق مَسْرُوقٍ عَنْها قَالَت: إنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: **أَطْوَلُكُنَّ يَدًا؟** فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، ودفع هذا الإشكال يتم بما أورده الحافظ في الفتح (٣/ ٢٨٧) حيث قال: قَالَ ابْن رَشِيد : وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ عَائِشَة لَا تَعْنِي سَوْدَة قَوْلهَا «فَعَلِمْنَا بَعْدُ» إِذْ قَدْ أَخْبَرَتْ عَنْ سَوْدَة بِالطُّولِ الْحَقِيقِيِّ، وَلَمْ تَذْكُرْ سَبَبَ الرُّجُوعِ عَنْ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا الْمَوْت، فَإِذَا طَلَبَ السَّامِع سَبَب الْعُدُولِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْإِضْمَار مَعَ أَنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّ الْمُخْبَرَ عَنْهَا إِنَّمَا هِيَ الْمَوْصُوفَةُ بِالصَّدَقَةِ لِمَوْتِهَا قَبْلَ الْبَاقِيَاتِ ، فَيَنْظُرُ السَّامِع وَيَبْحَثُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا زَيْنَب ، فَيَتَعَيَّنُ الْحَمْلُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ إِضْمَارِ مَا لَا يَصْلُحُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)** قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنَيِّرِ: وَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ قَوْلَهَا «فَعَلِمْنَا بَعْدُ» يُشْعِرُ إِشْعَارًا قَوِيًّا أَنَّهُنَّ حَمَلْنَ طُولَ الْيَدِ عَلَى = = ظَاهِرِهِ، ثُمَّ عَلِمْنَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافَهُ وَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، وَالَّذِي عَلِمْنَهُ آخِرًا خِلَافَ مَا اعْتَقَدْنَهُ أَوَّلًا ، وَقَدْ انْحَصَرَ الثَّانِي فِي زَيْنَب لِلِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّهَا أَوَّلُهُنَّ مَوْتًا فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمُرَادَة . وَكَذَلِكَ بَقِيَّة الضَّمَائِرِ بَعْدَ قَوْلِهِ «فَكَانَتْ» وَاسْتَغْنَى عَنْ تَسْمِيَتِهَا لِشُهْرَتِهَا بِذَلِكَ انْتَهَى .

(١٧٣) أحمر
أسود

إثبات أن زينب أول من لحقت بالنبي ﷺ

أخرج ابن سعد[١] في الطبقات من طريق عبد الرحمن بن أبزى أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش فكانت أول نساء رسول الله ﷺ موتًا بعده فكبر عليها أربعًا ثم أرسل إلى أزواج النبي ﷺ من تأمرني أن يدخلها قبرها؟ قال: وكان يعجبه أن يكون هو يلي ذلك فأرسلن إليه من كان يراها في حياتها فيدخلها في قبرها فقال عمر بن الخطاب: صدقن..

وأخرج الطبري[٢] بسندٍ ضعيف، ولكن معناه صحيح من طريق الشعبي قال: كانت زينب زوج النبي ﷺ تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله قولك لزيد بن حارثة رضي الله عنه الذي أنعم الله عليه بالإسلام والإيمان، وأنعمت عليه بالعتق لما جاءك يشكو زوجته زينب ف، حافظ على زوجتك، وأمسكها ولا تطلقها، واتق الله في نفسك وفي زوجتك بفعل ما أمرك الله به في شأنها.

س: فيمن نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾؟

---

(١) ابن سعد في الطبقات (٨/ ٨٨).

(٢) وهو مرسل ضعيف الإسناد، وكما اشرنا فمعناه صحيح.

(١٧٤) أحمر
أسود

أخرج البخاري[١] **من حديث:** أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ .

الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه

س: ما الذي أخفاه رسول الله ﷺ وأخبر الله ﷻ أنه مُبديه؟

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ كان قد أخبر نبيه ﷺ – بما أوحى إليه – أن زيدًا سيُطلق زينب ف وأن أمر الاختلاف الذي بينهما سيؤول إلى طلاق فلما جاء زيدٌ إلى النبي ﷺ يشكو زوجته أمره النبي بإمساكها مع تقوى الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من كون زيد سيطلق زينب ولم يخبر زيدًا بذلك.

وهذا التأويل هو الذي أرتضيه، وإنني لأتعجب من الطبري عفا الله عنه، مما ذهب إليه من الرأي في هذا الباب، ونقله عن غيره، وأورد جملة من الآثار بذلك؛ لا يثبت منها شيء – فيما علمت – عن صحابي فضلًا عن عدم ثبوته عن رسول الله ﷺ، وحاصل ما أورده أن النبي ﷺ لما جاءه زيدٌ يشكو زوجته تمنى النبي ﷺ من قلبه أن لو طلق زيدٌ زوجته حتى يتزوجها هو، وأخفى هذا التمني في نفسه.

فأقول، وبالله التوفيق: من أين أتى الطبري ومن قالوا بهذا القول، من أين أتوا بهذا القول، مع ما فيه من نسبة شيء قد يُشين إلى رسول الله ﷺ؛ فكان من اللائق به أن يضرب الذكر صفحًا عن مثل هذا لعدم ورود سند ثابت به، ثم كان يلزمه أن ينافح عن رسول الله في هذا المقام، وأن يُحسن الظن

---

(١) البخاري (٤٧٨٧).

(١٧٥) أحمر
أسود

بنبيه الكريم ﷺ في هذا الموطن، عفا الله عن الطبري وعمن قال بقوله، ثم إنني أشكر للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، حسن صنيعه إذ أضرب عن ذكر هذه الروايات التي تحمل ما قد يُشين رسول الله ﷺ مع ضعف أسانيدها وحاشاه رسولنا الكريم من أن يفعل شيئًا يشينه فإنه على خلق عظيم صلوات ربي وسلامه عليه، فعياذًا بالله من الغفلة التي قد توقع الشخص في حرج.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم هاهنا آثارًا عن بعض السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحببنا أن نضرب عنها صفَحا لعدم صحتها فلا نوردها.

وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضا حديثًا، من رواية حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضا.

قلت (مصطفى): وأشكر للحافظ ابن كثير حسن صنيعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم إن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اختار من الأقوال ما أشرت إليه ونقل عن الأكثرين والحمد لله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروي عن علي بن الحسين[1]: «أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه

---

(١) قلت: وسواء صح القول عن علي بن الحسين، أم لم يثبت السند، فهذا القول هو الذي أرتضيه. والله أعلم.

هذا، وقد أورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول علي بن الحسين عازيًا إياه إلى ابن أبي حاتم فقال:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق، حدثنا ابن عيينة، عن علي بن زيد ابن جُدْعان قال: سألني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؟ فذكرت له فقال: لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مُزَوّجكها، وتخفي =

(١٧٦) أحمر
أسود

أن زيدًا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه أنه يريد طلاقها قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «**اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك**»، وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال: «**أمسك**» مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية أي في كل حال قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مستخف بحرمته. قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» وأسند إلى علي بن الحسين قوله: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرًّا من الدرر أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأخذتك خشية

= في نفسك ما الله مبديه.

وأرى هذا الأثر يصح في هذا المقام، وإن كان في سنده علي بن زيد وهو ضعيف، لكنني أراه في هذا الموطن يصح لكونه يحكي شيئًا حدث له مع علي بن الحسين، وانظر الأثر عند الطبري والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٦٦).

(١٧٧) أحمر
أسود

الناس أن يقولوا : تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه وقال النحاس : قال بعض العلماء : ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن الناس.

ثم عقب القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام لابن العربي لدفع ما قد يرد من اشتباه أو إشكال فقال:

قال ابن العربي: فإن قيل لأي معنى قال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أخبره الله أنها زوجه قلنا : أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته فيها أو رغبته عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها فإن قيل : كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفراق لا بد منه ؟ وهذا تناقض قلنا : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة ألا ترى أن الله تعالى يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلًا وحكمًا وهذا من نفيس العلم فتيقنوه وتقبلوه وقوله : ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي في طلاقها فلا تطلقها وأراد نهي تنزيه لا نهي تحريم لأن الأولى ألا يطلق وقيل : اتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ قيل تعلق قلبه وقيل : مفارقة زيد إياها وقيل : علمه بأن زيدًا سيطلقها لأن الله قد أعلمه بذلك.

أما قول الطبري الذي لا أرتضيه فهو: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقِي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وخف الله في الواجب له

(١٧٨) أحمر
أسود

عليك في زوجتك ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبدٍ ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلًا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس.

وكذا لا أرتضي ما نقله بسندٍ حسن عن قتادة إذ قال: وكان يُخفي في نفسه ودَّ أنه طلقها.

وأعرض أيضًا عن سائر ما ذكره الطبري في هذا الصدد والله المستعان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾؟

ج: ذلك – والله تعالى أعلم– أن رسول الله ﷺ كان يخشى أن يقول الناس إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، فقد كان زيدٌ يدعى زيد بن محمدٍ فإذا طلق زيد زينب وتزوجها رسول الله ﷺ سيتكلم الناس في عرضه، فكان عندهم لا يسوغ لرجل أن يتزوج امرأة ولده سواء الذي تبناه، وليس بولده، أو ولده من صلبه.

فكان النبي يخشى ما ذُكر، وهو قول الناس إن محمدًا تزوج زوجة ابنه، فذكَّره الله ﷻ أنه سبحانه أحق بأن يخشى ويُرهب، لا الناس، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الأثر عن عائشة، قالت: لو كتم رسول الله ﷺ شيئًا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾؟

ج: ذاك أثر صحيح الإسناد، وروي من عدة وجوه عن عائشة رضي الله عنها[1].

---

(١) أخرج الطبري بعضًا منها

(١٧٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– فلما قضى زيدٌ بن حارثة رضي الله عنه حاجته من زينب بنت جحش رضي الله عنها وطلقها زيدٌ وانقضت عدتها منه زوَّجها الله نبيَّه محمدًا ﷺ بوحي كريم، أوحاه الله إلى نبيه ﷺ، وهو جبريل عليه السلام ذلك حتى يرتفع الحرج ويرتفع الإثم ويرتفع الشعور بالخجل عن المؤمنين الذي يريدون أن يتزوجوا امرأة من تبنوه ونسبوه إلى أنفسهم ابنا، وليس بابن على الحقيقة، فهؤلاء الذين تبنوا أطفالًا أو رجالًا وألحقوهم بهم، يحق لهم أن يتزوجوا بأزواج هؤلاء إذا طلقوهن وانقضت عدتهن، فالمحرَّم من النساء ليس امرأة من تبناه الشخص، وإنما امرأة ابنه الذي هو من صلبه ليس الولد الدَّعي الملتقط أو غير المُلتقط قال تعالى في بيان المحرمات من النساء ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] فالابن بالتبني امرأته حلال إذا طلقها وانقضت عدتها أما الابن الذي هو من الصلب، الذي هو ابن على الحقيقة فامرأته حرام.

فقوله تعالى: ﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ هم الأبناء بالتبني، وهم ليسوا بأبناء على الحقيقة، وليس من حق أحدٍ الآن أن يتبنى ولدًا وينسبه لنفسه ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ فحاصل معناه أن ما يريده الله لا بد وأن يكون، وأنا ما يقضيه الله لا بد وأن يتحقق، وقد يكون هذا الختام عائدًا على بعض ما في القصة المذكورة من ناحية زيدٍ وزينب رضي الله عنها

(١٨٠) أحمر
أسود

فيكون المعنى، وإن حاولت يا رسول الله أن تصلح بين زيدٍ وزينب فلن يتم الصلح بينهما ويعيشا كزوجين؛ لأن الله ﷻ أراد لك أن تتزوجها لبيان حكم عظيم لهذه الأمة وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، إذا أراد أحدهم أن يتزوج امرأة من تبناه إذا طُلِّقت وانقضت عدتها. والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا القدر من الآية

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر، ومنه قول الشاعر:

وَدَّعَنِي قَبْلَ أن أُوَدِّعَهُ لمَّا قَضَى مِنْ شَبابِنا وَطَرَا

﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه؛ ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ يعني: في نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهن وبِنَّ منهم ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ يقول: إذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم، وفارقوهن وحللن لغيرهم، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي: كائنا كان لا محالة. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيًا مفعولًا كائنًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ يقول: إذا طلقوهن، وكان رسول الله ﷺ تبني زيد ابن حارثة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ....﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ إذا كان ذلك منه غير نازل لك، فذلك قول الله

(١٨١) أحمر
أسود

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾: الوطر: هو الحاجة والأرب، أي: لما فَرَغ منها، وفارقها، زَوّجناكها، وكان الذي وَلي تزويجها منه هو الله، عَزَّ وَجَلَّ، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ أي: إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: «زيد بن محمد»، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، ثم زاد ذلك بيانًا وتأكيدًا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة؛ ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء:٢٣] ليحترز من الابن الدَّعِي؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم.

وقوله: (وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾﴾ أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحَتَّمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١٨٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ما كان على النبي من إثم في فعل ما أحله الله له، ومن ذلك تزوج من أحلَّهن الله له من النساء، ومن ذلك زواجه بامرأة زيد الذي كان قد تبناه من قبل، وهذه طريقة الله ﷻ في الأنبياء الذين سبقوه لم يكن الله ﷻ يؤثمهم إذا فعلوا ما أباحه الله لهم فقد كان لسليمان مائة امرأة، ولغيره كذلك عددٌ من النساء، وكان أمر الله قضاء مقضيًّا وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾: من إثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه إياها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ : أي أحل الله له.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ يقول: لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له، ونصب قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ على معنى: حقًّا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيًّا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ أي: فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دَعِيُّه زيد بن حارثة.

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم

(١٨٣) أحمر
أسود

يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حَرج، وهذا رَدٌّ على مَنْ تَوَهَّم مِن المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعيه، الذي كان قد تبناه.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: وكان أمره الذي يقدِّره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة. أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم أي سن لمحمد ﷺ التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان فكان لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، وذكر الثعلبي عن مقاتل و ابن الكلبي أن الإشارة إلى داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها و(سُنَّةَ) نصب على المصدر أي سن الله له سنة واسعة و(ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟) هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد بقوله: (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾).

ج: هذا وصف للأنبياء والرسل الذين مضوا من قبل، وتقدموا فمن شأنهم أنهم يبلغون ما أمروا بتبليغه إلى الخلق، ويخافون في ذلك ربهم ﷻ إن هم قصروا في البلاغ ويخافون الله ﷻ إن هم عصوا أمره ولا يخافون أحدًا سوى الله ﷻ، وكفى بالله حافظًا لهم وناصرًا ومعينًا، وكفى بالله حافظًا لأعمالهم ومُحصيًا ومحاسبًا عليها.

(١٨٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن، ولا تخش أحدًا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءًا، والذين من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ خُفض ردًّا على التي في قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾. وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه، ومحاسبا لهم عليها .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يمدح تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ أي: وكفى بالله ناصرًا ومعينًا. وسيد الناس في هذا المقام -بل وفي كل مقام -محمد رسول الله ﷺ؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو، صلوات الله عليه، فإنه بُعث إلى جميع الخلق عَرَبهم وعجمهم، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى مَنْ قام بها بعده أصحابه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في

(١٨٥) أحمر
أسود

ليله ونهاره، وحَضَره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ وقد ولد لرسول الله ﷺ أبناء؟

ج: في ذلك توجيهان لأهل العلم:

أحدهما: ما كان محمد أبا أحدٍ من قريش ولا غيرها إلا أبناؤه، ما كان أبًا لزيد بن حارثة ولا لغيره من رجالكم.

الثاني: أن يُقال: إن أولاد النبي ﷺ ماتوا صغارًا ولم يعش منهم أحدٌ حتى كان رجلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء.

وأورد بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: آخرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ

(١) ومعلوم أن هذا مرسل، فقتادة لم يدرك القصة، ولكن يبدو لي أن هذا تفسير من قتادة.

(١٨٦) أحمر
أسود

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، نهى أن يقال بعد هذا: «زيد بن محمد» أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه، صلوات الله عليه وسلامه، لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة فماتوا صغارا، وولد له إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضا رضيعا، وكان له من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به، صلوات الله وسلامه عليه، ثم ماتت بعده لستة أشهر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما تزوج زينب قال الناس : تزوج امرأة ابنه فنزلت الآية أي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم وأن نساءه عليهم حرام فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم وأعلم أن محمدًا لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الآية أن النبي ﷺ لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور : إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا وأما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على أنه لا نبي بعد رسول الله محمد ﷺ؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

(١٨٧) أحمر
أسود

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ ».

وعند مسلم[٢] من طريق مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ» وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

وفي رواية عند مسلم: «وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ ».

قلت: ولكن يبدو – والله أعلم – أن تفسير العاقب من قول الزهري كما بُيِّن في بعض الروايات.

وعند مسلم[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».

وأخرج الإمام أحمد[٤] بسندٍ حسن من حديث أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ» قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ قَالَ: «وَلَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ ».

---

(١) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).
(٢) مسلم (٢٣٥٤)، والبخاري (٣٥٣٢).
(٣) مسلم (٥٢٣).
(٤) أحمد (٣/ ٢٦٧).

(١٨٨) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام:١٢٤] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة.

وأورد كمًّا من الأحاديث ثم قال:

والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل مَنِ ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنَيرجيَّات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله، سبحانه وتعالى، على يد الأسود العَنْسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحِجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ

(١٨٩) أحمر
أسود

أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ الآية [الشعراء:٢٢١، ٢٢٢]. وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم السلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة، فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًّا ما دامت الأرض والسموات.

❁ ❁ ❁

(١٩٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾
هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ
وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا
كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا
﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٨]

(١٩١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَسَبِّحُوهُ -بُكْرَةً -وَأَصِيلًا -يُصَلِّي عَلَيْكُمْ -ٱلظُّلُمَٰتِ -ٱلنُّورِۚ -شَٰهِدًا -وَمُبَشِّرًا - وَنَذِيرًا -وَسِرَاجًا مُّنِيرًا -فَضْلًا كَبِيرًا -وَدَعْ أَذَىٰهُمْ -وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَسَبِّحُوهُ ﴾	نزِّهوه عن كل ما لا يليق به، بقولكم سبحان الله وبصلاتكم
﴿بُكْرَةً ﴾	صباحًا – وقيل صلاة الصبح
﴿وَأَصِيلًا ﴾	مساءً وقيل صلاة العصر
﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾	يثنى عليكم (عند ملائكته) – يرحمكم
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	ظلمات الكفر والجهالة والضلال
﴿ٱلنُّورِۚ﴾	نور الإسلام والهداية والتوفيق والسداد
﴿شَٰهِدًا﴾	شاهدًا على قومك وشاهدًا أيضًا على سائر الأمم، يشهد على أمته أنه قد بلغهم، وهو وأمته يشهدون على سائر الأمم أن أنبياءهم قد بلغوهم
﴿وَمُبَشِّرًا ﴾	مُخبرًا من أطاع بأن له الجنة
﴿وَنَذِيرًا ﴾	مُحذرًا من عصى بأن له النار
﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	ضياء منيرًا مشرقًا موضحًا الحق من الباطل، والهداية من الغواية
﴿فَضْلًا كَبِيرًا ﴾	أجرًا مضاعفًا أضعافًا

(١٩٢) أحمر
أسود

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾	لا تؤاخذهم، بل أعرض عنهم ولا تعاتبهم، وقد قيل إن الآية منسوخة – والله أعلم
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	فوض أمرك إلى الله ﷻ واعتمد عليه

❁ ❁ ❁

بعض الوارد
في فضل الذكر وفوائده والحث عليه

س: اذكر بعض الوارد في الحث على ذكر الله ﷻ والإكثار منه وبعض الوارد في فضل ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١].

ومن فوائد الذكر:

أن الله ﷻ يذكرنا إذا نحن ذكرناه قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فإن ذكرناه في ملإٍ ذكرنا في ملإٍ خير منهم، وإن ذكرناه في أنفسنا ذكرنا في نفسه: قال تعالى في الحديث القدسي «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(١٩٣) أحمر
أسود

ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قيل في معناها: أن ذكر الله للعبد إذا ذكره في الصلاة أكبر من ذكر العبد له.

ومن الفوائد أن القلوب تطمئن بذكر الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

والألسن ترطب بذكر الله:

فقد سأل رجل رَسُولَ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَمُرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: **لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ**»[(١)].

والأبدان تقوى بذكر الله:

ففي الصحيح[(٢)] من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى فِي يَدِهَا. وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**».

والشياطين تخنس إذا ذُكر الله:

فمن ثمَّ أطلق على الشيطان الخناس يختفي إذا ذُكر الله.

والملائكة تتنزل بذكر الله، والسكينة والرحمات تغشانا وتحل بنا:

ففي الصحيح[(٣)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ**

(١) أحمد (١٩٠/٤)، والترمذي (٢٣٢٩).
(٢) البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧).
(٣) مسلم (٢٦٩٩).

(١٩٤) أحمر
أسود

نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

وعند مسلم[1] أيضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟! قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ».

وبذكر الله نسبق غيرنا:

قال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

وبذكر الله نحظى بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(١) مسلم (٢٧٠١).

(١٩٥) أحمر
أسود

والذاكر في حصن حصين:

أخرج الترمذي وأحمد[1] وغيرهما بسندٍ صحيح من حديث الْحَارِث الْأَشْعَرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ... فذكر الحديث وفيه: وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ».

* ومن مقاصد العبادات إقامة ذكر الله:

* فالصلاة قال الله فيها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] قيل: لتذكرني فيها.

* والحج كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة: ١٨٩].

* والتلبية والإهلال والتكبير في الطواف وسائر أعمال الحج كلها ذكر لله.

* وعقب الصيام ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* والمناسك والذبائح كذلك ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ ...﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

* بل ومن مقاصد الجهاد إقامة ذكر الله، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

(١) الترمذي (٢٨٦٣).

(١٩٦) أحمر
أسود

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].

فشرع الجهاد ومن مقاصده حفظ المساجد التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا.

* إن موسى عليه السلام سأل ربه أن يعينه ويشد أزره بأخيه هارون لإقامة ذكر الله، فقال موسى عليه السلام: (هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٣٠-٣٥] فلهذا المقصد الحسن أجيب عليه السلام، قال تعالى: (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦].

* إن زكريا عليه السلام لما منع الكلام كآيةٍ ودليلٍ على أن زوجته حملت لم يمنع من الذكر، قال تعالى: (ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١].

ولقد روي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال: (فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٠٣] بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: (هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبري بسندٍ ضعيف عنه، ولكن لمعناه شواهد.

(١٩٧) أحمر
أسود

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى، ونزهوه عن كل ما لا يليق به صباحًا ومساءً، وذلك بقولكم: سبحان الله، أو بصلاتكم (الصلاتين اللتين فرضتا أول ما فرضتا، وثبت فضلهما أيضًا بعد ذلك وهما صلاة الصبح وصلاة العصر). والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بصلاة الله علينا، وما المراد بصلاة الملائكة علينا؟

ج: أما صلاة الله علينا فيذكر العلماء فيها وجهين:

أحدهما: ثناؤه علينا (عند الملائكة).

الثاني: رحمته ﷻ بنا أما صلاة الملائكة علينا فدعاؤهم لنا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك وجه ربط بين قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ .. ﴾ الآية، وبين الآيات التي سبقتها وهي: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾...﴾.

ج: نعم هناك وجه، حاصله أن قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ... ﴾ يتضمن حثًّا على الذكر، فإذا كان ربك سبحانه وتعالى يثني عليك يا عبد الله عند ملائكته فاذكره صباحًا ومساءً وصلِّ له كما أمرك والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ سلام مِنْ مَنْ؟

ج: سلام من الله ﷻ كما قال تعالى: (سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

وسلام من الملائكة كما قال تعالى: (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

(١٩٨) أحمر
أسود

وسلام من الولدان المخلدين، وسلام من بعضهم على بعض. والله أعلم.

س: وضح معنى هذه الآيات إجمالًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ ؟

ج: هذا حثٌّ من الله ﷻ لعباده المؤمنين على أن يكثروا من ذكره تبارك وتعالى وتسبيحه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وحث على صلاتين – فضلًا عن سائر الصلوات – لهما شأن عظيم وهما صلاة الصبح، وصلاة العصر، وكذا حثٌّ على الأذكار في هذه الأوقات، وذلك كله في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ثم تهييج على ذلك وتحريض عليه بقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ فإذا كان سبحانه وتعالى يصلي عليكم وملائكته فلم لا تذكرونه وهو يثني عليكم ويرحمكم وملائكته يدعون لكم كما قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [غافر: ٧-٩].

* ثم إن قوله تعالى: (وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ يقتضي أيضًا أن نذكره بكرة وأصيلًا، بل وفي كل وقت وحين.

* أما قوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ فحاصل معناه: أنه إخبار من الله ﷻ لأهل الإيمان بالتحية التي سيُحييهم بها يوم لقائه

بهم، وهي تسليمه عليهم وسلام من الملائكة عليهم كذلك.

وكذا فإنهم فيما بينهم يُسلم بعضهم على بعض.

* أما قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ فهو الجنة جنة الخلد التي أعدت للمتقين، والله أعلم، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيًّا صلاة العصر. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته . وقيل: إن معنى قوله: ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يقول: تدعو ملائكة الله لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإسلام.

وأورد بسند حسن عن قتادة قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من الضلالات إلى الهدى.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ قال: من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة: الظلمات، والنور: الهدى.

وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به

(٢٠٠) أحمر
أسود

ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا.

وأورد بسند حسن عن قتادة: قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ قال: تحية أهل الجنة السلام.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ يقول: وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابًا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا، كريمًا، وذلك هو الجنة.

وأورد بسند حسن عن قتادة قال: هي الجنة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب.

ثم أورد جملة أحاديث في فضل الذكر، وقال:

وقوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي: عند الصباح والمساء، كقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧، ١٨].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: هذا تهييج إلى الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ

(٢٠١) أحمر
أسود

﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]. وقال النبي ﷺ: «**يقول الله: مَنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومَنْ ذكرني في مَلأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(١).

والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية. ورواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عنه.

وقال غيره: الصلاة من الله: الرحمة. وقد يقال: لا منافاة بين القولين والله أعلم.

وأما الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ الآية. [غافر: ٧-٩].

وقوله: ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين. ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا: فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبَصّرهم الطريق الذي ضَلَّ عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام. وأما رحمته بهم في الآخرة: فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٠٢) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ الظـاهر أن المـراد -والله أعلـم- ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أي: من الله تعالى يوم يلقونه ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: يوم يسلم عليهم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس:٥٨].

وزعم قتادة أن المراد أنهم يتحون بعضهم بعضا بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة. واختاره ابن جرير.

قلـت: وقـد يستدل بقولـه تعـالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠].

وقولـه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾ يعنـي: الجنـة ومـا فيهـا مـن المآكـل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد.

وقـال في قولـه تعـالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ أي اشـغلوا ألسـنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب.

وقال أيضًا:

وقيل: المراد صلوا لله بكرة وأصيلًا، والصلاة تسمى تسبيحًا، وخص الفجر والمغرب والعشاء بالذكر لأنها أحق بالتحريض عليها؛ لاتصالها بأطراف الليل وقال قتادة و الطبري: الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر والأصيل: العشي وجمعه أصائل. والأصل بمعنى الأصيل وجمعه آصال،

قاله المبرد، وقال غيره : أصل جمع أصيل كرغيف ورغف، وقد تقدم.

س: على الداعي إلى الله ﷻ أن يمزج بين التبشير بالجنة وأوصافها والتحذير من النار ولا ينصب كل كلامه على التخويف من النار دلِّل على ذلك؟

ج: نعم عليه ذلك، وذلك لأن الله ﷻ أرسل نبيه محمدًا ﷺ ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ مبشرًا من أطاع بالجنة ومنذرًا من عصى، ومحذرًا من النار.

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وقد كثرت جدًّا الآيات المبشرة لأهل الإيمان بالجنة، وكذا المخوِّفة من النار، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الداعي إلى الله لن يتمكن من الدعوة إلا بتمكين الله له اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من الدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ قيل: بأمره، وقيل: بتقديره.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ هنا معناه : بأمره إياك وتقديره ذلك في وقته وأوانه، فعليه فلن يتمكن شخص من الدعوة إلى الله إلا بتمكين الله له بذلك، فهذا يُلزم الدعاة إلى الله أن يسألوا الله أن يجندهم له، وأن يحفظ عليهم تمكينه لهم من الدعوة إلى الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر آية توضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ

(٢٠٤) أحمر
أسود

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

س: هل هذا القدر من هذه الآية الكريمة: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب ذلك إلى أن هذه الآية الكريمة منسوخة بآية السيف، وكذا بنحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ موصوف في التوواة بنحو ما وصف به في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ اذكر ما يوضح ذلك؟

ج: أخرج البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده من طريق عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَسْتَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا[1].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢١٢٥)، والمسند (٢/ ١٧٤).

(٢٠٥) أحمر
أسود

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾.

ج: حاصل المعنى – والله تعالى أعلم – أن الله تبارك وتعالى يخبر نبيه ﷺ بالذي بعثه به وأرسله به فيقول تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ)، وهذا تلطف في الخطاب وبيانٌ لعظيم منزلة رسول الله ﷺ عند الله ﷻ، فلم يناده باسمه في القرآن أبدًا بل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ) – (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ) – (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ) – (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ)، ونحو ذلك.

(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا) على أمتك كما قال تعالى: (فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾) [النساء: ٤١].

وكذا شهيدًا هو وأمته على سائر الأمم كما في الصحيح[1] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ) [البقرة: ١٤٣] وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ».

وكذلك أرسلناك (وَمُبَشِّرٗا) من أطاع بالجنة.

(وَنَذِيرٗا) لمن عصى بالنار.

(وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ) إلى توحيده ﷻ والسمع والطاعة له سبحانه وتعالى، وداعيًا إلى لا إله إلا الله.

---

(١) البخاري (٤٤٨٧)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢٠٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره، وتقديره ذلك.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: وضياءً منيرًا للخلق ليستبصروا به من ظلمات العمى والجهالة والكفر.

وأمره ﷻ أن يبشر أهل الإيمان بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾، أجورًا عظيمة زائدة على أعمالهم التي عملوها ومضاعفة أضعافًا كثيرة.

ثم ينهاه ربه ﷻ عن طاعة الكافرين والمنافقين بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم لا تؤاخذهم ولا تعاتبهم ولا تقابل إساءتهم بإساءة، (وقيل: إن هذا كان أوائل الدعوة ثم نسخ).

ثم أمره الله بتفويض أمره إليه إذ قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: واعتمد في شؤونك كلها على الله وفوض أمرك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: وكفى بالله حافظًا لك، ومدبرًا لأمورك كلها، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك بالبلاغ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وداعيا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان.

(٢٠٧) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يقول: بأمره إياك بذلك ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده ﴿مُّنِيرًا﴾ يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا: يقول: بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفا كثيرا، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق؛ فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يقول: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلفك.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: اصبر على أذاهم.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضاؤه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يقول: وحسبك بالله قيما بأمورك، وحافظًا لك وكالئًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿شَٰهِدًا﴾ أي: لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، [كقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]].

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب.

(٢٠٨) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: وأمرُك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾، أي: لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: اصفح وتجاوز عنهم، وكِلْ أمرهم إلى الله، فإن فيه كفايةً لهم؛ ولهذا قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين وناسخه آية السيف، وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل وهذا تأويل مجاهد والآية منسوخة بآية السيف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ أمره بالتوكل عليه وآنسه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ وفي قوة الكلام وعد بنصر. والوكيل : الحافظ القائم على الأمر.

❁ ❁ ❁

(٢٠٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾) [الأحزاب: ٤٩-٥٢]

(٢١٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿نَكَحْتُمُ - تَمَسُّوهُنَّ - عِدَّةٍ - تَعْتَدُّونَهَا - فَمَتِّعُوهُنَّ - وَسَرِّحُوهُنَّ - ءَاتَيْتَ - أُجُورَهُنَّ - يَسْتَنكِحَهَا - خَالِصَةً لَّكَ - مَا فَرَضْنَا - حَرَجٌ - تُرْجِي - وَتُؤْوِيَ إِلَيْكَ - ٱبْتَغَيْتَ - عَزَلْتَ - تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ - حَلِيمًا - تَبَدَّلَ بِهِنَّ - حُسْنُهُنَّ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَكَحْتُمُ﴾	تزوجتم (عقدتم عقد الزواج)
﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾	تجامعوهن
﴿عِدَّةٍ﴾	مدة زمنية تنتظرها المرأة المطلقة (وهي ثلاثة قروء للمدخول بها)
﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾	تنتظرونها وتراجعون فيها أزواجكم
﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾	أعطوهن شيئًا يستمتعن به
﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾	طلقوهن – اتركوهن يتصرفن في أنفسهن كما أمرهن الله
﴿ءَاتَيْتَ﴾	أعطيت
﴿أُجُورَهُنَّ﴾	مهورهن – صداقهن
﴿يَسْتَنكِحَهَا﴾	يتزوجها
﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾	خاصة بكم
﴿مَا فَرَضْنَا﴾	ما أوجبنا عليهم – ما شرعنا لهم
﴿حَرَجٌ﴾	إثم

(٢١١) أحمر
أسود

﴿تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾	تطلق واحدة وتتزوج مكانها أخرى
﴿حُسْنُهُنَّ﴾	جمالهن دعوة واحدة

❁ ❁ ❁

لا عدة على المطلقة قبل المسيس

س: ما المراد بالنكاح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ...﴾؟

ج: المراد بالنكاح هنا عقد التزويج (بدون بناء بالزوجة).

قال ابن كثير $:

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة. منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح: هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده؛ لقوله: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾. وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها.

❁ ❁ ❁

س: هل الكتابية (اليهودية أو النصرانية) إذا عقد عليها المسلم، ولم يبن بها ثم طلقها، تأخذ نفس الحكم من كونها لا تعتد أم أن عدم العدة خاص بالمؤمنات لقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؟

ج: الكتابية تأخذ نفس الحكم، وقد نقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاتفاق على هذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ خرج مخرج الغالب؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة

(٢١٢) أحمر
أسود

والكتابية في ذلك بالاتفاق.

❁ ❁ ❁

س: إذا قال رجل لامرأة – ليست بزوجته – أنت طالق، فهل إذا تزوجها تكون طالقًا؟ وإذا قال لها: إن تزوجتك فأنت طالق هل تكون طالقًا إذا تزوجها؟

ج: عند جمهور العلماء لا يعتبر بهذا القول الذي كان منه قبل الزواج إذ لا طلاق إلا بعد نكاح، واستدل بهذه الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ...﴾ على أن لا طلاق قبل الزواج، ففي الحالتين المذكورتين في السؤال لا يقع الطلاق، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل ابن عباس، وسعيد بن المسَيَّب، والحسن البصري، وعلي بن الحسين، زين العابدين، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾، فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله. وهذا مذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وطائفة كبيرة من السلف والخلف، رحمهم الله تعالى.

وذهب مالك وأبو حنيفة، رحمهما الله، إلى صحة الطلاق قبل النكاح؛ فيما إذا قال: «إن تزوجت فلانة فهي طالق». فعندهما متى تزوجها طلقت منه. واختلفا فيما إذا قال: «كل امرأة أتزوجها فهي طالق». فقال مالك: لا تطلق حتى يعين المرأة. وقال أبو حنيفة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث النبي ﷺ «**لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك**»[1].

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٤٧٧/٣)، وأبو داود (٢١٩٠)، وغيرهما من حديث عمرو بن

(٢١٣) أحمر
أسود

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ليس من حقكم يا معشر من طلقتم النساء قبل الدخول بهن ليس من حقكم إلزامهن بعدة تراجعوهن فيها ولكن بمجرد تطليقكم لهن فقد حللن للزواج برجال آخرين غيركم إن شئن ذلك، ولا ينتظرن ما تنتظره سائر المطلقات المدخول بهن من القروء الثلاث المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

ج: المراد- والله تعالى أعلم - فأعطوهن - أي المطلقات قبل المسيس (قبل البناء بهن - ما يتمتعن به من مال أو متاع أو أثاث أو ذهب أو غير ذلك مما يستمتع به، وذلك، والله تعالى أعلم - جبراً لخواطرهن المكسورة التي كسرت بالطلاق فالمطلقة التي كُسر خاطرها بالطلاق يُجبر خاطرها بالمتاع والله أعلم.

أما قوله: (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ فمؤداه واتركوهن وشأنهن لا تعترضوهن ولا تمنعوهن مما أردن من فعل ما أباحه الله لهن والله أعلم.

❁ ❁ ❁

شـــــــ

(٢١٤) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾.

ج: هذا خطاب لأهل الإيمان وأمرٌ لهم وبيان لحكم من الأحكام المتعلقة بالطلاق، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي عقدتم عقد النكاح ﴿ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: من قبل جماعهن، فالمساس هنا هو الجماع ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ أي: فليس لكم أن تأمروهن أن ينتظرن حتى تنتهي عدتهن وتراجعوهن أثناء ذلك قبل انقضاء العدة، فمتعوهن على قدر استطاعتكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ...﴾ ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ اتركوهن وشأنهن ﴿سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ تسريحًا وفق الكتاب والسنة هذا ومن أهل العلم من قال بأن هذه المتعة خاصة باللواتي عُقد عليهن ولم يُحدد ولم يُسمَّ الصداق أما التي سُمي وحُدِّد صداقها فلا تصف الصداق فقط، وليس لها متعة، وهذا قولٌ قوي؛ لأن الله جعل للمطلقة قبل المسيس نصف الصداق كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ فالمفاد أنه وإن كان للمرأة نصف الصداق؛ لكنها أرشدت للأفضل وهو التجاوز عن هذا النصف فكيف يكون ذلك، ويلزم الزوج بالمتعة، والله أعلم، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعني: من قبل أن تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ

(٢١٥) أحمر
أسود

تَعْتَدُّونَهَا﴾ يعني من إحصاء أقراء، ولا أشهر تحصونها عليهن؛ (فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ يقول: أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال. وقوله: (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف، وهو التسريح الجميل.

وأورد بإسناد فيه مقالٌ[1] عن عن ابن عباس قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فهذا في الرجل يتزوج المرأة، ثم يطلقها من قبل أن يمسها، فإذا طلقها واحدة بانت منه، ولا عدة عليها تتزوج من شاءت، ثم قرأ: (فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: إن كان سمى لها صداقًا، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمى لها صداقًا، متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل.

قال الطبري: وقال بعضهم: المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله: (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وأورد بإسناد صحيح عن شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب، قال: نسخت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة .

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها مَنْ شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضا.

---

(١) قلت: وإن كان فيه مقال إلا أن معناه صحيح ولذا فقد أوردته، والله أعلم (مصطفى).

(٢١٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ : المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وفي صحيح البخاري، عن سهل بن سعد وأبي أسيد؛ أن رسول الله ﷺ تزوج أميمة بنت شَرَاحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيَّين[1].

وقال القرطبي $:

هذه الآية مخصصة لقوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة : ٢٢٨]، ولقوله : ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤] وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة فأغنى عن الإعادة هنا ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ فيه وجهان : أحدهما : أنه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني : أنه طلاقها طاهرًا من غير جماع قاله قتادة وقيل : فسرحوهن بعد الطلاق إلى أهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد.

❁ ❁ ❁

شيء عن أزواج النبي ﷺ وإمائه

(١) البخاري (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

(٢١٧) أحمر
أسود

س: اذكر شيئًا عن أزواج النبي ﷺ وقصص زواجه بهن، وكذا شيئًا عن إمائه.

ج: أقول – وبالله تعالى التوفيق – قد وقعت لي قصص زواج النبي ﷺ ببعض نسائه بأسانيد صحيحة أوردها إن شاء الله بعد إيراد ما ذكره القرطبي عن أزواج النبي ﷺ، وإمائه، وذلك عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾، وإن كان فيما ذكره القرطبي من أحاديث وآثار ما لم أقف له على إسناد، فأورد ما ذكره القرطبي من غير تعقيب ثم أعقب بالذي وقع لي بالأسانيد الصحيحة إن شاء الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ كان للنبي ﷺ أزواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها و منهن من خطبها فلم يتم نكاحه معها.

فأولهن : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت قبله عند أبي هالة واسمه زرارة بن النباش الأسدي وكانت قبله عند عتيق بن عائذ ولدت منه غلامًا اسمه عبد مناف وولدت من أبي هالة هند بن أبي هالة وعاش إلى زمن الطاعون فمات فيه ويقال : إن الذي عاش إلى زمن الطاعون هند بن هند وسمعت نادبته تقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله ولم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة غيرها حتى ماتت وكانت يوم تزوجها رسول الله ﷺ بنت أربعين سنة وتوفيت بعد أن مضى من النبوة سبع سنين وقيل : عشر وكان لها حين توفيت خمس وستون سنة وهي أول امرأة آمنت به وجميع أولاده منها غير إبراهيم قال حكيم بن حزام: توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ في

(٢١٨) أحمر
أسود

حفرتها ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها.

ومنهن: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية أسلمت قديمًا وبايعت وكانت عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو وأسلم أيضًا وهاجرا جميعًا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل : مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها ودخل بها بمكة وهاجر بها إلى المدينة فلما كبرت أراد طلاقها فسألته ألا يفعل وأن يدعها في نسائه، وجعلت ليلتها لعائشة - حسبما هو مذكور في الصحيح - فأمسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين.

ومنهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : يا رسول الله دعني أسلها من جبير سلًّا رفيقًا فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل: بثلاث سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات رسول الله ﷺ وهي بنت ثماني عشرة ولم يتزوج بكرًا غيرها وماتت سنة تسع وخمسين وقيل: ثمان وخمسين.

ومنهن حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله ﷺ ثم طلقها فأتاه جبريل فقال : «**إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة فراجعها**» قال الواقدي : وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وقيل : ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

ومنهن : أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية - واسم أبي أمية سهيل - تزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال سنة أربع زوجها منه ابنها سلمة على الصحيح وكان عمر ابنها صغيرًا وتوفيت في سنة تسع

(٢١٩) أحمر
أسود

وخمسين وقيل : سنة ثنتين وستين والأول أصح وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل أبو هريرة : وقبرت بالبقع وهي ابنة أربع وثمانين سنة.

ومنهن : أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطب عليه أم حبيبة فزوجه إياها وذلك سنة سبع من الهجرة وأصدق النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وتوفيت سنة أربع وأربعين وقال الدارقطني : كانت أم حبيبة تحت عبيد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة على النصرانية فزوجها النجاشي النبي ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

ومنهن : زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب وكان اسم أبيها برة فقالت: يا رسول الله بدل اسم أبي فإن البرة حقيرة فقال لها النبي ﷺ: «**لو كان أبوك مؤمنا كنا سميناه باسم رجل منا أهل البيت ولكني قد سميته جحشا والجحش من البرة**» ذكر هذا الحديث الدارقطني : تزوجها رسول الله ﷺ بالمدينة في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين .

ومنهن : زينب بنت خذيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية كانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم تزوجها رسول الله ﷺ في رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في حياته في آخر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرًا ودفنت بالبقيع.

ومنهن : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية أصابها

(٢٢٠) أحمر
أسود

في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية وتوفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين وقيل : سنة خمسين وهي ابنة خمس وستين.

ومنهن : صفية بنت حيي بن أخطب الهارونية سباها النبي ﷺ يوم خيبر واصطفاها لنفسه وأسلمت وأعتقها وجعل عتقها صداقها وفي الصحيح أنها وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس وماتت في سنة خمسين وقيل : سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع.

ومنهن : ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة من بني النضير سباها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوجها في سنة ست وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال الواقدي : ماتت سنة ست عشرة وصلى عليها عمر قال أبو الفرج الجوزي : وقد سمعت من يقول : إنه كان يطؤها بملك اليمين ولم يعتقها.

قلت: ولهذا والله أعلم لم يذكرها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد أزواج النبي ﷺ .

ومنهن : ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها رسول الله ﷺ بسرف على عشرة أميال من مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضية وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وقدر الله تعالى أنها ماتت في المكان الذي بنى فيه رسول الله ﷺ بها ودفنت هنالك وذلك في سنة إحدى وستين وقيل : ثلاث وستين وقيل : ثمان وستين.

فهؤلاء المشهورات من أزواج النبي ﷺ وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن :

(٢٢١) أحمر
أسود

فأما من تزوجهن ولم يدخل بهن فمنهن : الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل: فاطمة، وقيل: عمرة، وقيل: العالية قال الزهري : تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية فاستعاذت منه فطلقها، وكانت تقول : أنا الشقية تزوجها في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين.

ومنهن : أسماء بنت النعمان بن الجون بن الحارث الكندية وهي الجونية قال قتادة: لما دخل عليها دعاها فقالت: تعال أنت فطلقها وقال غيره: هي التي استعاذت منه وفي البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد قالا: تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين، وفي لفظ آخر قال أبو أسيد: أتى رسول الله ﷺ بالجونية فلما دخل عليها قال : «**هبي لي نفسك**» فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده ليضعها عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك ! فقال : «**قد عذت بمعاذ**» ثم خرج علينا فقال : «**يا أبا أسيد أكسها رزاقيتين وألحقها بأهلها**».

ومنهن : قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس زوجها إياه الأشعث ثم انصرف إلى حضرموت فحملها إليه فبلغه وفاة النبي ﷺ فردها إلى بلادها فارتد وارتدت معه ثم تزوجها عكرمة بن أبي جهل فوجد من ذلك أبو بكر وجدًا شديدًا فقال له عمر : إنها والله ما هي من أزواجه ما خيرها ولا حجبها ولقد برأها الله منه بالارتداد وكان عروة ينكر أن يكون تزوجها.

ومنهن : أم شريك الأزدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند أبي بكر بن أبي سلمى فطلقها النبي ﷺ ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل : إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم .

ومنهن : خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله ﷺ فهلكت قبل أن

(٢٢٢) أحمر
أسود

تصل إليه.

ومنهن : شراف بنت خليفة أخت دحية تزوجها ولم يدخل بها .

ومنهن : ليلى بنت الخطيم أخت قيس تزوجها وكانت غيورا فاستقالته فأقالها.

ومنهن : عمرة بنت معاوية الكِندية: تزوجها النبيّ ﷺ قال الشعبيّ: تزوَّج امرأة من كِندة فجيء بها بعد ما مات.

ومنهن : ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم : تزوجها رسول الله ﷺ وأنكر بعضهم وجود ذلك.

ومنهن : الغفارية : قال بعضهم: تزوج امرأة من غفار فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بياضًا فقال: «**الحلقي بأهلك**» ويقال : إنما رأى البياض بالكلابية فهؤلاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن ﷺ .

فأما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها.

فمنهن : أم هانئ بنت أبي طالب واسمها فاختة خطبها النبي ﷺ فقالت : إني امرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها.

ومنهن : ضباعة بنت عامر .

ومنهن : صفية بنت بشامة بن نضلة خطبها النبي ﷺ وكان أصابها سباء فخيرها النبي ﷺ فقال : «**إن شئت أنا وإن شئت زوجك؟**» قالت : زوجي: فأرسلها فلعنتها بنو تميم قاله ابن عباس.

ومنهن: أم شريك وقد تقدم ذكرها .

ومنهن : ليلى بنت الخطيم وقد تقدم ذكرها .

ومنهن : خولة بنت حكيم بن أمية وهبت نفسها للنبي ﷺ فأرجأها فتزوجها

(٢٢٣) أحمر
أسود

عثمان بن مظعون.

ومنهن : جمرة بنت الحارث بن عوف المري خطبها النبي ﷺ فقال أبوها : إن بها سوءا ولم يكن بها فرجع إليها أبوها وقد برصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر .

ومنهن : سودة القرشية خطبها رسول الله ﷺ وكانت مصبية فقالت : أخاف أن يضغو صبيتي عند رأسك فحمدها ودعا لها.

ومنهن : امرأة لم يذكر اسمها قال مجاهد : خطب رسول الله ﷺ امرأة فقالت : استأمر أبي فلقيت أباها فأذن لها فلقيت رسول الله ﷺ فقال : «**قد التحفنا لحافًا غيرك**».

فهؤلاء جميع أزواج النبي ﷺ.

وكان له من السراري سريتان: مارية القبطية وريحانة في قول قتادة وقال غيره: كان له أربع : مارية وريحانة وأخرى جميلة أصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حُيَيّ النَّضَرِيَّة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن وأرضاهن.

❁ ❁ ❁

(٢٢٤) أحمر
أسود

زواج النبي ﷺ ببعض نسائه

زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين خديجة ف

أخرج البيهقي[1] في السنن الكبرى بسندٍ رجاله ثقات عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِيمَا يَحْسَبُ حَمَّادٌ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ بِنْت خُويلِد، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ عَنْ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا فَدَعَتْ أَبَاهَا وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمِلُوا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ ف: إِنَّ مُحَمَّدًا يَخْطُبُنِي فَزَوِّجْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَقَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَانُوا يصْنَعُونَ بِالْآبَاءِ إِذَا زَوَّجُوا بَنَاتَهُمْ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ السُكْرُ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَا لَعَمْرِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحِي تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَقَرَّ.

❁ ❁ ❁

(١) السنن الكبرى (١٢٩/٧).

(٢٢٥) أحمر
أسود

زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة ڤ

أخرج الإمام أحمد[1] من طريق أبي سَلَمَةَ وَيَحْيَى قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «**فَمَنْ الْبِكْرُ؟**» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «**وَمَنْ الثَّيِّبُ؟**» قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**» فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ؟ فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: «**ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي**» فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبٍ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ ابْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلَ هَذِهِ تَقُولُ؟ قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ ﷻ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ، فَرَجَعَ فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي

---

(١) أحمد (٦/٢١٠).

(٢٢٦) أحمر
أسود

رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَهُ السِّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ قَالَ: ادْعُهَا إِلَيَّ فَدَعَيْتُهَا، قَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ ابْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ، أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَنِسَاءٌ، فَجَاءَتْنِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ تَرْجَحُ بِي فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الْأُرْجُوحَةِ وَلِي جُمَيْمَةٌ فَفَرَقَتْهَا، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ فَبَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِمْ وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي

(٢٢٧) أحمر
أسود

بَيْتِنَا مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ، كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ[(١)].

❁ ❁ ❁

زواج النبي ﷺ من عائشة ف

أخرج البخاري[(٢)] بسنده إلى عَائِشَةَ ف قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.

---

(١) من قوله قالت عائشة إلى آخر الحديث إسناده حسن؛ لأنه حينئذٍ من طريق محمد بن عمرو قال: ثنا أبو سلمة ويحيى (وهو ابن عبد الرحمن بن حاطب كما في سنن البيهقي ١٢٩/٧) قالت عائشة، فهو سند متصل، ومحمد بن عمرو حديثه لا يرتقى إلى الصحة.
أما الجزء الأول من الحديث فظاهره الإرسال؛ لأن كلًّا من أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب تابعي ولم يشهد القصة، وقد ورد الحديث في سنن البيهقي (١٢٩/٧) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قالت عائشة ... فذكره إلا أنه من طريق أحمد بن عبد الجبار وهو متكلم فيه وقد عزا الحافظ ابن حجر هذا الحديث إلى أحمد والطبراني وحسَّن إسناده (فتح ٢٢٥/٧).

(٢) البخاري (٣٨٩٤).

(٢٢٨) أحمر
أسود

وبسنده إليها[١] أيضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفْ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ».

❁ ❁ ❁

زواج النبي ﷺ من حفصة ڤ

أخرج البخاري[٢] من طريق سَالِم بْن عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ڤ يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٣٨٩٥)، ومسلم (ص ١٨٩٠).
(٢) البخاري (٥١٢٢).

(٢٢٩) أحمر
أسود

زواج النبي ﷺ من أم سلمة ف

أخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا: فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**».

وقد تقدم عن قريب زواج النبي ﷺ بزينب رضي الله عنها عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾».

❁ ❁ ❁

زواج النبي ﷺ بميمونة ف

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ.

وقد ورد في مسلم[٣] من طريق يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ.

وهذا معلول بالإرسال، وحديث ابن عباس أصح.

---

(١) مسلم (ص ٦٣١).
(٢) البخاري (٥١/٤)، ومسلم (٥٦٨/٣).
(٣) مسلم (٥٦٩/٣) وقد أعل بالإرسال.

(٢٣٠) أحمر
أسود

زواج النبي ﷺ من جويرية ف

أخرج ابن إسحاق[١] بسنده إلى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمّا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ فِي القسْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمّاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلّاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إلّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللّهِ – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم – تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاَللّهِ مَا هِيَ إلَّا أَنْ رَأَيْتهَا فَكَرِهتهَا وَقُلْتُ: يَرَى مِنهَا مَا رَأَيْتُ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَي رَسُولِ الله ص قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ سَيّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك، وَقَدْ كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَأَعِنِّي عَلَى كِتَابَتِي فَقَالَ: «**أَو خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟أُؤدِي عَنْك كِتَابَتك وَأَتَزَوّجُك**»؛ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. فَبلَغَ النَّاس أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللّهِ ص وَأَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَلَقَدْ أُعْتِقَ الله بِهَا مِائَة أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهَا عَلَى قَوْمِهَا.

❁ ❁ ❁

(١) نقل الحافظ في الإصابة (٢٥٧/٤) عن ابن إسحاق قوله: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة ... فذكره، وسنده حسن.

(٢٣١) أحمر
أسود

زواج النبي ﷺ بصفية ف

أخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَدَمِي تَمَسُّ قَدَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَزَغَتْ الشَّمْسُ وَقَدْ أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ وَخَرَجُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ وَمُرُورِهِمْ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ! قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**» قَالَ: وَهَزَمَهُمْ اللهُ ﷻ وَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تُصَنِّعُهَا لَهُ وَتُهَيِّئُهَا، -قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ:- وَتَعْتَدُّ فِي بَيْتِهَا، وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيمَتَهَا التَّمْرَ وَالْأَقِطَ وَالسَّمْنَ فُحِصَتْ الْأَرْضُ أَفَاحِيصَ[٢]، وَجِيءَ بِالْأَنْطَاعِ فَوُضِعَتْ فِيهَا وَجِيءَ بِالْأَقِطِ وَالسَّمْنِ، فَشَبِعَ النَّاسُ قَالَ: وَقَالَ النَّاسُ: لَا نَدْرِي أَتَزَوَّجَهَا أَمْ اتَّخَذَهَا أُمَّ وَلَدٍ؟ قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَجَبَهَا فَقَعَدَتْ عَلَى عَجُزِ الْبَعِيرِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَفَعْنَا قَالَ: فَعَثَرَتْ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ وَنَدَرَ[٣] رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَدَرَتْ فَقَامَ فَسَتَرَهَا وَقَدْ أَشْرَفَتْ النِّسَاءُ فَقُلْنَ: أَبْعَدَ اللهُ الْيَهُودِيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ أَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: إِي وَاللهِ لَقَدْ وَقَعَ.

قَالَ أَنَسٌ: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَ يَبْعَثُنِي

---

(١) مسلم (٣/٥٩٢).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أي كشف التراب من أعلاها وحفرت شيئًا يسيرًا ليجعل الأنطاع في المحفور ويصب فيها السمن فيثبت ولا يخرج من جوانبها وأصل الفحص الكشف، وفحص عن الأمر، وفحص الطائر لبيضه، والأفاحيص جمع أفحوص.

(٣) ندر أي: سقط.

(٢٣٢) أحمر
أسود

فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ لَمْ يَخْرُجَا، فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ**» فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: «**بِخَيْرٍ**» فَلَمَّا فَرَغَ رَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ إِذَا هُوَ بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَدْ رَجَعَ قَامَا فَخَرَجَا فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَمْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ، أَرْخَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾ الْآيَةَ.

❁ ❁ ❁

س: كيف أحلَّ الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أزواجه، ومعلوم أن زوجة الرجل له حلال؟

ج: لذلك بعض التوجيهات:

أحدها: أن المعنى إنا طيبنا لك أزواجك اللواتي هن معك، وأحللنا لك وطئهن ومعاشرتهن، وإن كنَّ أكثر من أربع نسوة فكل ذلك لك حلال، مادمت قد آتيتهن مهورهن، فإذا كنا قد منعنا غيرك من الجمع بين أكثر من أربع نسوة فقد أبحنا لك أزواجك اللواتي هن معك كلهن، وليس المعنى أنهن كن محرمات عليك فأبحناهن لك، والآية كقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] مع أن الطيبات[1] حلال.

---

(١) وإن كان هناك وجه آخر في قوله ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: التي كانت محرمة على بني إسرائيل.

(٢٣٣) أحمر
أسود

الثاني: أن الآية مقدمة في السياق مؤخرة في المعنى فقوله تعالى: -وسيأتي- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ كان بعد أن اختارت نساء رسول الله ﷺ الله ورسوله والدار الآخرة، فأكرمن بأن يقتصر عليهن رسول الله ﷺ زمنًا ثم أبيح له أن يتزوج بعد ذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ فكل امرأة آتاها رسول الله ﷺ مهرها وتزوجها فهي حلال له. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي $:

وقد اختلف الناس في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ فقيل: المراد بها أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا تكون الآية مبيحة جميع النساء حاشا ذوات المحارم. وقيل: المراد أحللنا لك أزواجك، أي: الكائنات عندك لأنهن قد اخترنك على الدنيا والآخرة قاله الجمهور من العلماء. وهو الظاهر لأن قوله: ﴿ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشروط ويجيء الأمر على هذا التأويل ضيقا على النبي ﷺ، ويؤيد هذا التأويل ما قاله ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج في أيِّ الناس شاء وكان يشق ذلك على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى، سرَّ نساؤه بذلك.

قلت: والقول الأول أصح لما ذكرناه ويدل أيضا على صحته ما خرجه الترمذي عن عطاء قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله تعالى له النساء قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢٣٤) أحمر
أسود

وكان قد قال قبل ذلك:

لما خير رسول الله ﷺ نساءه فاخترنه حرم عليه التزوج بغيرهن والاستبدال بهن مكافأة لهن على فعلهن. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ الآية وهل كان يحل له أن يطلق واحدة منهن بعد ذلك؟ فقيل: لا يحل له ذلك عزاء لهن على اختيارهن له وقيل: كان يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فأباح له أن يتزوج بمن شاء عليهن من النساء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ والإحلال يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم يكن محرمات عليه وإنما كان حرم عليه التزويج بالأجنبيات فانصرف الإحلال إليهن ولأنه قال في سياق الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ الآية ومعلوم أنه لم يكن تحته أحد من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت أنه أحل له التزويج بهذا ابتداء وهذه الآية وإن كانت مقدمة في التلاوة فهي متأخرة النزول على الآية المنسوخة بها، كآيتي الوفاة في البقرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: كان كل امرأة آتاها مهرًا، فقد أحلها الله له.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، وهي الأجور ها هنا.

(٢٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله الإماء اللواتي منَّ الله بهن عليك من الفيء الذي دخل على المسلمين من عددهم من السبايا من النساء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبتهن فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾، أي: وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما. وملك ريحانة بنت شمعون النضرية، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانتا من السراري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أحل الله تعالى السراري لنبيه ﷺ ولأمته مطلقًا، وأحل الأزواج لنبيه عليه الصلاة والسلام مطلقًا، وأحله للخلق بعدد، وقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رده عليك من الكفار، والغنيمة قد تسمى فيئًا؛ أي: مما أفاء الله عليك من النساء بالمأخوذ على وجه القهر والغلبة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾؟

(٢٣٦) أحمر
أسود

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله أن تتزوج فضلًا عن نسائك اللواتي هنَّ معك –، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ دون اللاتي لم يهاجرن، فاللواتي لم يهاجرن معك لم نُبحهن لك، وقال بعض العلماء: واللاتي هاجرن أي أسلمن وبنحو ما ذكر قال فريق من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فأحل الله له ﷺ من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه.

وأورد من طريق السدي، عن أبي صالح، عن أم هانئ، قالت: خطبني النبي ﷺ فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت: فلم أُحل له؛ لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: هذا عدل وَسط بين الإفراط والتفريط؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فَرّطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا بشع فظيع.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ أي أحللنا لك ذلك زائدًا من

(٢٣٧) أحمر
أسود

الأزواج اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك على قول الجمهور لأنه لو أراد أحللنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك : ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾ لأن ذلك داخل فيما تقدم.

قلت: وهذا لا يلزم وإنما خص هؤلاء بالذكر تشريفا كما قال تعالى : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن : ٦٨] والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فيه قولان:

الأول: لا يحل لك من قرابتك كبنات عمك العباس وغيره من أولاد عبد المطلب وبنات أولاد عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة إلا من أسلم لقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى تعالى عنه**».

الثاني: لا يحل لك منهن إلا من هاجر إلى المدينة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال : ٧٢] ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح للنبي ﷺ الذي كمل وشرف وعظم ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أفرد العم والخال وجمعت العمات والخالات في قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ...﴾؟

ج: قيل: إن ذلك لشرف الرجال على النساء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ فوحَّد لفظ الذكر لشرفه، وجمع الإناث لنقصهن كقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل:٤٨]، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وله

(٢٣٨) أحمر
أسود

نظائر كثيرة.

(٢٣٩) أحمر
أسود

أما القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

ذكر الله تبارك وتعالى العم فردًا والعمات جمعًا، وكذلك قال: ﴿خَالِكَ﴾ و﴿خَٰلَٰتِكَ﴾ والحكمة في ذلك: إن العم والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك العمة والخالة، وهذا عرفٌ لغويٌّ فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الإشكال وهذا دقيق فتأملوه قاله ابن العربي.

❁ ❁ ❁

وهب المرأة نفسها لرجل لا يحل إلا للنبي محمد ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وأحللنا لك يا رسول الله من وهبت نفسها لك لتتزوجها بدون مهرٍ إن أردت أن تتزوجها فهي حلالٌ لك، وليس لأحدٍ من أصحابك ولا من المسلمين أن يكون له مثل ذلك، فوهب المرأة نفسها لرجل لا يحل، إلا لك يا رسول الله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ يقول: وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير صداق.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يقول: إن أراد أن ينكحها فحلال له أن ينحكها وإذا وهبت نفسها له بغير مهر ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾ يقول: لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك.

(٢٤٠) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ...﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين إلا امرأة لها زوج.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس ذلك للمؤمنين، وذكر أن لرسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أي النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يعدهن، وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله ﷺ امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد.

وأما الذين قالوا: قد كان عنده منهن فإن بعضهم قال: كانت ميمونة بنت الحارث. وقال بعضهم: هي أم شريك . وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أي: ويحل

(٢٤١) أحمر
أسود

لك -يأيها النبي -المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك. وهذه الآية توالى فيها شرطان، كقوله تعالى إخبارًا عن نوح، عليه السلام، أنه قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وكقول موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]. وقال هاهنا: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

وأورد ما أخرجه الإمام أحمد[1] والبخاري رحمهما الله وكذا مسلم رحمه الله من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ. فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا إِيَّاهُ؟**» فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ لا إِزَارَ لَكَ فَالْتَمِسْ شَيْئًا**» فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «**الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**» فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا - لِسُوَرٍ يُسَمِّيهَا- فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ**».

وكذا ما أخرجه أحمد والبخاري[2] من طريق ثابت قال: كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ فَقَالَ أَنَسٌ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَلْ لَكَ فِيَّ حَاجَةٌ؟ فَقَالَتْ ابْنَتُهُ: مَا كَانَ أَقَلَّ حَيَاءَهَا! فَقَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ.

---

(١) أحمد (٣٣٦/٥)، والبخاري (٢٣١٠)، ومسلم (١٤٢٥).
(٢) البخاري (٥١٢٠)، وأحمد (٢٦٨/٣).

(٢٤٢) أحمر
أسود

وذكر ابن كثير عدة أسانيد فيها مقال في أسماء اللواتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ ثم قال:

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن من النبي ﷺ كثير، كما قال البخاري، حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة قال: هشام بن عروة حدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي ﷺ وأقول: أتهب امرأة نفسها؟ فلما أنزل الله: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يُسَارع في هواك[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئا. وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما.

أي: إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب لها عليه بها مهر مثلها، كما حكم به رسول الله ﷺ في بَرْوَع بنت واشق لما فوضت، فحكم لها رسول الله ﷺ بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها، والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فأما هو، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها؛ لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا وليٍّ ولا شهود، كما في قصة زينب بنت جحش، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾، يقول: ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير وليٍّ ولا مهر إلا للنبي ﷺ.

---

(١) البخاري (٤٧٨٨).

(٢٤٣) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي: إذا وهبت المرأة نفسها وقبلها النبي ﷺ حلت له، وإن لم يقبلها لم يلزم ذلك. كما إذا وهبت لرجل شيئا فلا يجب عليه القبول، بيد أن من مكارم أخلاق نبينا أن يقبل من الواهب هبته. ويرى الأكارم أن ردها هجنة في العادة، ووصمة على الواهب وأذية لقلبه فبين الله ذلك في حق رسوله ﷺ وجعله قرآنا يتلى؛ ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم.

قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي هبة النساء أنفسهن خالصة ومزية لا تجوز فلا يجوز ان تهب المرأة نفسها لرجل، ووجه الخاصية أنها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك. فأما فيما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول ومهر المثل بعد الدخول

قوله تعالى: ﴿أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي ينكحها يقال : نكح واستنكح، مثل عجب واستعجب، وعجل واستعجل. ويجوز أن يرد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح، أو طلب الوطء و(خَالِصَةً) نصب على الحال قاله الزجاج وقيل : حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر تقديره : أحللنا لك أزواجك وأحللنا لك امرأة مؤمنة أحللناها خالصة بلفظ الهبة وبغير صداق وبغير وليٍّ.

قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ فائدته أن الكفار وإن كانوا مخاطبين بفروع الشريعة عندنا فليس لهم في ذلك دخول لأن تصريف الأحكام إنما يكون فيهم على تقدير الإسلام.

❁ ❁ ❁

(٢٤٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾؟

ج: الحاصل – والله تعالى أعلم – أن الله جل ذكره يُذكِّر نبيه ﷺ فيقول: قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم، أي: قد أحللنا لك ما أحللناه مع علمنا بما أوحيناه على عبادنا المؤمنين وشرعناه لهم في أمور النكاح من كونهم لا يزيدوا في الزواج عن الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وألا يكون الزواج إلا بوليٍّ وشهود وصداق وكذا علمنا بما أحللناه لهم من ملك اليمين، ومع ذلك مع علمنا بذلك أحللنا لك الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وأحللنا لك الواهبات، وذلك حتى لا يكون إثم في تصنع، ولا يكن عليك ضيق في فعل ما أباحه الله لك، وكان الله غفورًا لعباده فيما يصدر منهم إذا هم استغفروه، وكذا يغفر تفضلًا لمن يشاء ولم يصدر منه استغفار، رحيما بعباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال عددٌ من العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة إلا بولي عصبة وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ قال: كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي

(٢٤٥) أحمر
أسود

عدل، ولا يحل لهم من النساء إلا أربع وما ملكت أيمانهم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كتابيات، لهم حلال بالسباء والتسري وغير ذلك من أسباب الملك.

وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها؛ لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية، وكان الله غفورًا لك ولأهل الإيمان بك، رحيمًا بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ قال أبيُّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة وابن جرير في قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: من حَصْرِهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمة، وقد رخصنا لك في ذلك، فلم نوجب عليك شيئا منه؛ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: ما أوجبنا على المؤمنين وهو ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة وولي. قال معناه أبي بن

(٢٤٦) أحمر
أسود

كعب وقتادة وغيرهما

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي ضيق في أمر أنت فيه محتاج إلى السعة أي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فـ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك أنك قد أثمت عند ربك في شيء ثم آنس تعالى جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته فقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِنْهُنَّ﴾ أي: من الواهبات اللواتي وهبن أنفسهن لك فتؤخر من تشاء منهن، فلا تقبلها الآن، وتضم إليك من تشاء فتقبل من الواهبات من تشاء.

أخرج البخاري وأحمد ومسلم[1] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.

ولفظ أحمد:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُعَيِّرُ النِّسَاءَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةُ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قَالَتْ:

(١) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤)، وأحمد (١٥٨/٦).

(٢٤٧) أحمر
أسود

إِنِّي أَرَى رَبَّكَ ﷻ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فدل هذا على أن المراد بقوله: ﴿تُرْجِي﴾ أي: تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: من الواهبات ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي: مَنْ شئت قبلتها، ومَنْ شئت رددتها، ومَنْ رددتها فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك، إن شئت عُدْتَ فيها فآويتها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِنْهُنَّ﴾ عائدٌ على أزواج النبي ﷺ، والمعنى تؤخر من تشاء من أزواجك فلا تقسم لها يومها وليلتها وتضم إليك من تشاء منهن فتقسم لها وتعطيها يومها وليلتها.

يعني أن الحرج ارتفع عنك في القسمة فإن شاء قسم وإن شاء ترك القسمة، ولكن مع ذلك صلوات ربي وسلامه عليه كان يقسم بين نساءه كما سيأتي إن شاء الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القَسْم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاري[1] من طريق معاذة عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فَقُلْتُ لَهَا: مَا كُنْتِ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ

(١) البخاري (٤٧٨٩).

(٢٤٨) أحمر
أسود

يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا.

فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده، أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم. وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قوله: (۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ ﴾ قال: فجعله الله في حلٍّ من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم.

القول الثالث: أن المراد بقوله: (مِنْهُنَّ ﴾ عائد أيضًا على أزواج النبي ﷺ، ولكن معناه تطلق من تشاء منهن، وتبقي على من تشاء.

وقد ذكر الطبري هذا القول فقال: وقال آخرون: معنى ذلك: تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق.

وقال أيضًا:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك .

قلت (مصطفى) وهذا هو القول الرابع:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو

(٢٤٩) أحمر
أسود

إرجاؤها منهن.

إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن المعنى: ومن أردت جماعها منسائك فلا إثم عليك، ومن تركت جماعها فلا إثم عليك.

وقال آخرون: ومن أمسكت منهن فلم تطلقها فلا جناح عليك، ومن طلقتها فلا جناح عليك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع، فلا جناح عليك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قال: جميعا هذه في نسائه؛ إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قال: ومن ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه.

قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك: ومن استبدلت ممن أرجيت،

(٢٥٠) أحمر
أسود

فخليت سبيله من نسائك، أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن ذلك منهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لدلالة قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ على صحة ذلك، لأنه لا معنى لأن تقر أعينهن إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهن، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن، وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ذلك الذي أخبرناه بأننا أبحناه لك أقرب وأدعى إلى استقرار أعين أزواجك وقلوب أزواجك فإذا علمن أن الله هو الذي أباح لك ذلك انتفت عنهن الشكوك والظنون والغيرة واطمأنت نفوسهن، فهن مؤمنات راضيات بقضاء الله ﷻ وكلمه، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾ يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهن، وتؤوي من تشاء منهن، ووضعي عنك الحرج في ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك، وعزلك عن ذلك من عزلت منهن، أقرب لنسائك ﴿أَن تَقَرَّ

(٢٥١) أحمر
أسود

أَعْيُنُهُنَّ) به (وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك، وإذني لك به، وإطلاق مني لا من قبلك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة، كان أطيب لأنفسهن، وأقلَّ لحزنهن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحَرَج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى- والله أعلم- والله يعلم ما في قلوبكم يا أهل الإيمان، ويا رسول الله، يعلم من ميل بعض الرجال إلى بعض النسوة دون بعض، ويعلم ما تطمئن به النفوس المؤمنة وكان الله (عَلِيمًا﴾ بما في النفوس (حَلِيمًا﴾ ذا حلم إذا لم يعجل بالعقوبة بل أنزل ما تطمئن به النفوس وتذهب بسببه الذنوب والآثام.

(٢٥٢) أحمر
أسود

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ يقول: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة، يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ يقول: وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَلِيمًا﴾ يقول: ذا حلم على عباده، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.

❁ ❁ ❁

مباحث في القسمة بين الأزواج

س: اذكر بعض الوارد في قسمة النبي ﷺ بين أزواجه؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي.

وما أخرجه البخاري ومسلم[2] من طريق أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مِنْ السُّنَّةِ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيِّبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا وَقَسَمَ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ عَلَى الْبِكْرِ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَسَمَ. صحيح

(١) البخاري (٥٢١٧).
(٢) البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (١٤٦١).

(٢٥٣) أحمر
أسود

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ[١]: وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ إِنَّ أَنَسًا رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وأخرج مسلم[٢] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي**».

وأخرج مسلم[٣] من حديث أَنَسٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَجَاءَتْ زَيْنَبُ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: هَذِهِ زَيْنَبُ فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا، فَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى الصَّلَاةِ وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا؟

---

(١) **قال الحافظ في الفتح (٩/٣١٤):** كَأَنَّهُ يُشِير إِلَى أَنَّهُ لَوْ صَرَّحَ بِرَفْعِهِ إِلَى النَّبِيّ ﷺ لَكَانَ صَادِقًا، وَيَكُون رُوِيَ بِالْمَعْنَى وَهُوَ جَائِز عِنْده ، لَكِنَّهُ رَأَى أَنَّ الْمُحَافَظَة عَلَى اللَّفْظ أَوْلَى. وَقَالَ اِبْن دَقِيق الْعِيد: قَوْل أَبِي قِلَابَةَ يَحْتَمِل وَجْهَيْنِ:
أَحَدهمَا: أَنْ يَكُون ظَنَّ أَنَّهُ سَمِعَهُ عَنْ أَنَس مَرْفُوعًا لَفْظًا فَتَحَرَّزَ عَنْهُ تَوَرُّعًا.
وَالثَّانِي: أَنْ يَكُون رَأَى أَنَّ قَوْل أَنَس (مِنْ السُّنَّة) فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، فَلَوْ عَبَّرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مَرْفُوع عَلَى حَسَبِ اِعْتِقَاده لَصَحَّ لِأَنَّهُ فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، قَالَ : وَالْأَوَّل أَقْرَب ، لِأَنَّ قَوْله: (مِنْ السُّنَّة) يَقْتَضِي أَنْ يَكُون مَرْفُوعًا بِطَرِيقٍ اِجْتِهَادِيّ مُحْتَمَل ، وَقَوْله (أَنَّهُ رَفَعَهُ) نَصّ فِي رَفْعه وَلَيْسَ لِلرَّاوِي أَنْ يَنْقُل مَا هُوَ ظَاهِر مُحْتَمَل إِلَى مَا هُوَ نَصّ غَيْر مُحْتَمَل اِنْتَهَى ، وَهُوَ بَحْث مُتَّجِه ، وَلَمْ يُصِبْ مَنْ رَدَّهُ بِأَنَّ الْأَكْثَر عَلَى أَنَّ قَوْل الصَّحَابِيّ (مِنْ السُّنَّة كَذَا) فِي حُكْم الْمَرْفُوع لِاتِّجَاهِ الْفَرْق بَيْن مَا هُوَ مَرْفُوع وَمَا هُوَ فِي حُكْم الْمَرْفُوع ، لَكِنْ بَاب الرِّوَايَة بِالْمَعْنَى مُتَّسِع.

(٢) مسلم (١٤٦٠).

(٣) مسلم (١٤٦٢).

(٢٥٤) أحمر
أسود

وأخرج البخاري[١] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وأخرج مسلم[٢] من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً؟**» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ. قَالَ: «**لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي**» قُلْتُ: نَعَمْ فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ**» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ**

---

(١) البخاري (٢٦٨٨).
(٢) مسلم (ص ٦٦٩).

(٢٥٥) أحمر
أسود

يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولِي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ».

وأخرج أبو داود[1] بسندٍ صحيح عن عروة قال: قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ[2] حِينَ يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى، وَفِي أَشْبَاهِهَا، أُرَاهُ قَالَ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾.

وأخرج البخاري[3] من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: تِسْعُ نِسْوَةٍ

❁ ❁ ❁

---

(١) أبو داود (٢١٣٥).

(٢) أي: من غير جماع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (زاد المعاد ٥/ ١٥٢): وللرجل أن يدخل على نسائه كلهن في يوم إحداهن، ولكن لا يطؤها في غير نوبتها.

وقال النصعاني رَحِمَهُ اللهُ (سبل السلام ص ١٠٦٨): فيه دليل على أنه يجوز للرجل الدخول على من لم يكن في يومها من نسائه والتأنيس لها واللمس والتقبيل.

(٣) البخاري (٢٦٨).

(٢٥٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾؟

ج: وقع الخلاف في قوله تعالى: (مِنۢ بَعۡدُ﴾ وبناء عليه جاء الخلاف في تفسير الآية.

فقال فريق من أهل العلم: -وهذا هو القول الذي أرتضيه، وكذا فهو قول كثير من أهل العلم- إن قوله: (مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي من بعد اللواتي تقدم ذكرهن أي من بعد نزول الآية ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ (أي اللواتي هن معك وقد تزوجتهن بصداق) وأحللنا لك (وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ الإماء اللواتي أفاء الله بهن عليك، وأحللنا لك (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾، وأحللنا لك (وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ تهب نفسها إليك إن كنت تريد أن تتزوجها بطريقة الوهب، وما وراء ذلك لم نُحلَّه لك، فليس لك أن تتزوج غير المذكورات، وليس لك أن تطلق امرأة من نسائك وتتزوج مكانها بأخرى فمعنى الآية إذن لا يحل لك النساء إلا اللاتي أحللناها لك.

القول الثاني: أن قوله: (مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد النسوة اللواتي اخترن الله ورسوله أي: من بعد التخيير.

القول الثالث: أن قوله: (مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد ما أحللنا لك الواهبات المؤمنات والأزواج وملك اليمين، وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك. .. لم نحل لك اليهوديات ولا النصرانيات.

واختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول (الذي قدمته أولًا) فقال:

وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلكَ: لا يحل لك النساء من بعد بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: (إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ

(٢٥٧) أحمر
أسود

أُجُورَهُنَّ ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ عقيب قوله: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله ﷺ ذكر إباحة المسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صح ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه.

وأورد ابن كثير $ وجهين عن أهل العلم:

أحدهما: أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ، كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن قَصَره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ولو

(٢٥٨) أحمر
أسود

أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن.

والثاني: معنى الآية: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك.

وجنح إلى قول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحكم عليه بأنه جيد، وذلك لأن اللواتي قال الله فيهن ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ...﴾ إلى آخر الآية يدخل فيهن أزواج النبي ﷺ اللواتي اخترن الله ورسوله.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الوارد عن عائشة ڤ قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له النساء؟

ج: هذا الخبر رواه البعض من طريق عطاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بسندٍ صحيح عن عطاء[1].

ورواه آخرون بإدخال واسطة بين عطاء وعائشة وهو عبيد بن عمير، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية عطاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا.

❁ ❁ ❁

(١) أحمد في المسند (٤١/٦) (٢٤٢٤٦) و (١٨٠/٦) (٢٥٥٧٤)، والترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٥٦/٦)، والبيهقي (٥٤/٧) وغيرهم.

(٢٥٩) أحمر
أسود

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – ولا يحل لك أن تطلق امرأة من أزواجك وتتزوج مكانها أُخرى وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وابن كثير رحمهما الله وغيرهما وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا أُخر ضعيفة.

منها أن المعنى: لا يحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر.

ومنها: ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته.

وأورد أثر ابن زيد في هذا فقال:

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ قال: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم؛ يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته؛ فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل، فأما الحرائر فلا قال: وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية.

قلت (مصطفى): وهذا الذي ذكره ابن زيد لم يكن معروفًا في الجاهلية عند مبعث النبي ﷺ، وقبيل مبعثه، وما أورده ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الصدد وعزاه إلى البزار[1] من طريق إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يَسَار عن أبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلني امرأتك وأبادلُك بامرأتي: أي: تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي. فأنزل الله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ قال: فدخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ، وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له رسول

(١) كشف الأستار (٢٢٥١)، وانظر مجمع الزوائد (٩٢/٧).

(٢٦٠) أحمر
أسود

الله ﷺ: «**فأين الاستئذان؟**» فقال يا رسول الله، ما استأذنت على رجل من مُضَر منذ أدركت. ثم قال: من هذه الحُمَيْراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه عائشة أم المؤمنين**». قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ قال: «**يا عيينة إن الله قد حرم ذلك**». فلما أن خرج قالت عائشة: مَنْ هذا؟ قال: «**هذا أحمق مطاع، وإنه على ما ترين لسيد قومه**».

ثم قال البزار: إسحاق بن عبد الله: لين الحديث جدًّا، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه، وبينا العلة فيه.

قلت (مصطفى): والأمر كما ذكر فإسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة متروك، والخبر تالف جدًّا.

لكن اختار ابن جرير ما قدمته أولًا فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجًا.

❁ ❁ ❁

س: قد ورد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة ثم راجعها فكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه يمكن توجيه ذلك بأن تطليق حفصة رضي الله عنها كان قبل نزول الآية الكريمة.

وأيضًا يمكن أن يُقال إن النبي ﷺ لم يُنه عن الطلاق، وإنما نهي عن الاستبدال والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٦١) أحمر
أسود

س: هل كان لرسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نزول هذه الآية؟

ج: لم يكن له ذلك إلا على قول من قال بالنسخ، واختلف في الناسخ هل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ ويكون ذلك من المقدم في السياق المؤخر في المعنى؟ أم أن الناسخ مفهوم مما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ما مات حتى أحلَّ الله له النساء.

* أم أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ فالله أعلم.

وقد تقدم شيء من ذلك فيما مضى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم له سبب نزول صحيح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - ولا يباح لك من النساء إلا الإماء وكان الله على كل شيء مُراقبًا وحفيظًا لا يعزب عنه علم شيء ولا يخفى عليه شيءٌ.

قال الطبري $:

وإلا في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ استثناء من النساء. ومعنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فإن لك أن تملك من أي أجناس الناس شئت من الإماء.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ يقول: وكان الله على كل شيء؛ ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظًا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يئوده حفظ ذلك كله.

(٢٦٢) أحمر
أسود

آية الحجاب

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا
مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ
لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ
ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ
وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ
فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا
نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣-٥٦]

(٢٦٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(غَيْرَ نَٰظِرِينَ -إِنَىٰهُ -مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ -مَتَٰعًا -تُبْدُواْ شَيْـًٔا -لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ -مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ -وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ -شَهِيدًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(غَيْرَ نَٰظِرِينَ ﴾	غير منتظرين – غير متحينين
(إِنَىٰهُ ﴾	نضجه واستواءه
(مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾	متكلمين مع بعضكم البعض بالأحاديث التي يستأنس بها
(مَتَٰعًا ﴾	المتاع عموم ما يتمتع به من الآنية والقدور وغير
(تُبْدُواْ شَيْـًٔا ﴾	تظهروا شيئًا
(لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ ﴾	لا إثم عليهن
(مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾	الإماء اللواتي هن ملك اليمين
(وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ﴾	اجعلن بينكن وبين عذاب الله وقاية، خفن الله- اخشين الله
(شَهِيدًا ﴾	مشاهدًا للأعمال مُطلقًا عليها مراقبًا لعباده شاهدًا عليهم

❁ ❁ ❁

(٢٦٤) أحمر
أسود

س: اذكر سبب نزول آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] في صحيحهما من حديث: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرًا حَيَاتَهُ وَكُنْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَأْنِ الْحِجَابِ حِينَ أُنْزِلَ، وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا عَرُوسًا، فَدَعَا الْقَوْمَ فَأَصَابُوا مِنَ الطَّعَامِ ثُمَّ خَرَجُوا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَطَالُوا الْمُكْثَ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ كَيْ يَخْرُجُوا، فَمَشَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ لَمْ يَتَفَرَّقُوا فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَظَنَّ أَنْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا فَأُنْزِلَ آيَةُ الْحِجَابِ فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِتْرًا.

وفي رواية[2] أخرى في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا: لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَخَلَ الْقَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ وَقَعَدَ بَقِيَةُ القَوم، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ الْآيَةَ.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢٢/١١)، ومسلم (٥٩٦/٣).
(٢) البخاري (مع الفتح ٢٢/١١)، ومسلم (٥٩٨/٣).

(٢٦٥) أحمر
أسود

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة ﵂ قَالَتْ: كَانَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «احْجُبْ نِسَاءَكَ» قَالَتْ: فَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَخْرُجْنَ لَيْلًا إِلَى لَيْلِ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ- وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً- فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ - حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ- قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ آيَةَ الْحِجَابِ.

قلت: ولا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة، انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول».

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة ﵂ قَالَتْ: خَرَجَتْ سَوْدَةُ[٣] بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً[٤]، لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَقَالَ لِي عُمَرُ: كَذَا وَكَذَا قَالَتْ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ»[٥].

---

(١) البخاري (٦٢٤٠)، ومسلم.
(٢) البخاري (مع الفتح ٥٢٨/٨)، ومسلم (١٣/٥).
(٣) هي أم المؤمنين.
(٤) طويلة
(٥) فسر هشام بن عروة الحاجة هنا بأنها البراز (كما في البخاري حديث ١٤٧)، وتعقب في هذا فقال الحافظ ابن حجر (٢٤/١١): وفي وجوب حجب أشخاصهن مطلقًا إلا في حاجة البراز نظر فقد كن يسافرن للحج وغيره، ومن ضرورة ذلك الطواف والسعي وفيه بروز أشخاصهن، بل وفي حالة الركوب والنزول لا بد من ذلك وكذا في خروجهن إلى المسجد النبوي وغيره.
قلت: والأمر كما قال الحافظ ابن حجر ﵀ فقد استأذنت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ أن تزور أبويها – وكان ذلك بعد الحجاب كما في حديث الإفك – فأذن لها رسول الله ﷺ.

(٢٦٦) أحمر
أسود

وأخرج مسلم في صحيحه[١] قال أنس: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا. وَكَانَ يَبْعَثُنِي فَأَدْعُو النَّاسَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَتَبِعْتُهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ. لَمْ يَخْرُجَا. فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ. فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟**» فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: «**بِخَيْرٍ**» فَلَمَّا فَرَغَ رَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ إِذَا هُوَ بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَأْنَسَ بِهِمَا الْحَدِيثُ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَدْ رَجَعَ قَامَا فَخَرَجَا فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَمْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ أَرْخَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الْآيَةَ.

وعنده[٢] أيضًا من حديث أنس قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**» قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا. قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي. حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا. فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي. فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ! أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي. فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي. قَالَ:

---

(١) مسلم (١٤٢٨) ص ٧١٣.
(٢) مسلم (١٤٢٨) ص ٧١٤.

(٢٦٧) أحمر
أسود

فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ، قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ. زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ: (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: (وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

وعند مسلم أيضًا[1] من حديث أنس بن مالك قال: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحِجَابِ لَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ قَالَ أَنَسٌ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَ: وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِالْمَدِينَةِ، فَدَعَا النَّاسَ لِلطَّعَامِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسَ مَعَهُ رِجَالٌ بَعْدَ مَا قَامَ الْقَوْمُ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَشَى فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بَابَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ مَكَانَهُمْ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ حُجْرَةَ عَائِشَةَ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ قَامُوا، فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِالسِّتْرِ، وَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ.

وفي رواية لمسلم[2] عن أنس بن مالك قال: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي - أُمُّ سُلَيْمٍ - حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ! اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي، وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ. وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «ضَعْهُ» ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ**» وَسَمَّى رِجَالًا. قَالَ: فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ.

---

(١) مسلم نفس المصدر السابق، والبخاري (٥٤٦٦).
(٢) مسلم نفس المصدر السابق، والبخاري (٥١٦٣).

(٢٦٨) أحمر
أسود

قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِ مِائَةٍ. وَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَنَسُ هَاتِ التَّوْرَ**» قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتْ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ**» قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا قَالَ: فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ. فَقَالَ لِي: «**يَا أَنَسُ ارْفَعْ**» قَالَ: فَرَفَعْتُ. فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ. قَالَ: وَجَلَسَ طَوَائِفُ مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْحُجْرَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيَّ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾.

ج: هذا أدب يجب أن يتحلى به أهل الإيمان مع رسولهم ﷺ إذ كان حيًّا أرشدهم الله ﷻ إليه وأدبهم به فقد كان من أهل الإيمان من يأتي لزيارة رسول

(٢٦٩) أحمر
أسود

الله ﷺ في بيته، يرجو أن يتناول طعامًا في بيت رسول الله ﷺ فينتظر وقت نضج الطعام واستواءه وتقديم الطعام للأكل فيستأذن على رسول الله ﷺ كي يدخل في وقت الطعام فيؤذن له، فتسامع القوم بذلك وتكاثروا وازدادوا فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنهى القوم عن هذا الصنيع إلا إذا دُعوا إلى طعامٍ، فإذا دعوا إلى طعام فليدخلوا بلا حرج ولا تطفل، فإذا فرغتم يا أهل الإيمان من الذي دعيتم إليه من الطعام فانصرفوا وارجعوا ولا تجلسوا مع بعضكم البعض في بيت النبي ﷺ تسترسلون في الحديث مستئنسين به فإن ذلكم الاسترسال في الحديث والاستئذان للدخول في وقت تقديم الطعام كان يؤذي رسول الله ويشق عليه، ويستحي أن يراجعكم فيه، وأن يعاتبكم في شأنه، ولكن الله ﷻ لا يستحيي من بيان الحق لكم، وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا، يعني: فتفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسًا من بعضكم لبعض به.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ يقول: إن دخولكم بيوت النبي من غير

(٢٧٠) أحمر
أسود

أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له كان يؤذي النبي فيستحيي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أن يتبين لكم، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم.

وقال ابن كثير $:

﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾: حَظَر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى على هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**».

ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾.

قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي غير متحينين نضجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا يكرهه الله ويذمه. وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب الضيفن، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين. وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم أخاه فَلْيجب، عُرسًا كان أو غيره**»[1]. وأصله في الصحيحين.

---

(١) مسلم (١٤٢٩).

(٢٧١) أحمر
أسود

وفي الصحيح أيضا[1]، عن رسول الله ﷺ: «**لو دُعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ كُرَاع لقبلت، فإذا فَرَغتم من الذي دُعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل، وانتشروا في الأرض**»؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ أي: كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ونسُوا أنفسهم، حتى شَقّ ذلك على رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ﴾.

وقيل: المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه، عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجرَكم عنه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ عطف على قوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ و(غَيْرَ) منصوبة على الحال من الكاف والميم في (لَكُمْ) أي غير ناظرين ولا مستأنسين والمعنى المقصود: لا تمكثوا مستأنسين بالحديث كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ في وليمة زينب ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ أي لا يمتنع من بيانه وإظهاره ولما كان ذلك يقع من البشر، لعلة الاستحياء نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيح عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المراة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأت الماء**».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢٥٦٨).

(٢٧٢) أحمر
أسود

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن؟ فأنزل الله آية الحجاب. وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، فنزلت كذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعًا ﴿فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقول: من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم

وعليهن سبيل.

ويقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٥٣٠٩):

المسألة التاسعة : في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، بدنها وصوتها، كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها.

قلت: (وفيما قاله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن صوت المرأة عورة نظر يُحرر في موضعه – إن شاء الله – في كتابنا الأدب).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في المسألة الحادية عشرة: قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ٥٠٥):

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

أما الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال كلامًا طيبًا متينًا في («أضواء البيان» (٦/ ٥٨٤):

فأفاد وأجاد رحمه الله رحمة واسعة فليراجع فإنه كلام طويل، ها نحن ننقل بعضه إن شاء الله.

(٢٧٤) أحمر
أسود

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ («أضواء البيان» (٦/ ٥٨٤)):

واعلم أنه مع دلالة القرءان على احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، قد دلّت على ذلك أيضًا أحاديث نبوية، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» وغيرهما من حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيّ ﷺ قال: «**إيّاكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» . أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب «النكاح» ، في باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم الخ. ومسلم في كتاب «السلام»، في باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فهذا الحديث الصحيح صرّح فيه النبيّ ﷺ بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهنّ وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب؛ لأن من سألها متاعًا لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنبيّ ﷺ حذَّره من الدخول عليها، ولما سأله الأنصاري عن الحمو الذي هو قريب الزوج الذي ليس محرمًا لزوجته، كأخيه وابن أخيه وعمّه وابن عمّه ونحو ذلك، قال له ﷺ: «**الحمو الموت**»، فسمّى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير؛ لأن الموت هو أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدنيا، كما قال الشاعر:

والموت أعظم حادث ... مما يمرّ على الجبلة

والجبلة: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ [الشعراء: ١٨٤]، فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ عام في جميع النساء، كما ترى.

(٢٧٥) أحمر
أسود

إذ لو كان حكمه خاصًّا بأزواجه ﷺ لما حذر الرجال هذا التحذير البالغ العامّ من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهنّ ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرّم تحريمًا شديدًا بانفراده، كما قدّمنا أن مسلمًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فدلّ على أن كليهما حرام.

(قلت: الذي يبدو ويترجح أن التبويب الذي في «صحيح مسلم» إنما هو للنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ يقول: إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فحرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات. وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته ﷺ. قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرًا

(٢٧٦) أحمر
أسود

لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ وقد قيل : إنما منع من التزوج بزوجاته لأنهن أزواجه في الجنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن تظهروا شيئًا يا أهل الإيمان أو تخفوه فكل ذلك عند الله سواء فإنه يعلم كل شيء الظاهر والباطن والسر والعلن عنده سواء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئًا أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ بقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، (أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك.

وقال ابن كثير $:

وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك، وشدَّد فيه وتوعد عليه بقوله: (إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾، ثم قال: (إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ أي: مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

[غافر: ١٩]

وقال القرطبي $:

(٢٧٧) أحمر
أسود

البارىء سبحانه وتعالى عالم بما بدا وما خفي وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض تقضى ولا مستقبل يأتي وهذا على العموم تمدح به وهو أهل المدح والحمد، والمراد به هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها ممن أشير إليه بقوله : ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ومن أشير إليه في قوله : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ فقيل لهم في هذه الآية : إن الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها فصارت هذه الآية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض من تُبدى لهم الزينة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم -: لا إثم على أزواج النبي ﷺ في وضع الحجاب أمام المحارم المذكورين، وكذا لا إثم عليهن إذا أذن لهؤلاء المذكورين في الدخول عليهن (أي: بدون الحجاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ...﴾) أما المذكورون في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ فهؤلاء معروفون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ يعني: النساء المؤمنات، وقيل: جنس النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فالمراد به العبيد المملوكين لهن،

(٢٧٨) أحمر
أسود

وكذا الإماء.

أما قوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ أي: وخفن الله واخشين الله من مخالفة أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾ أي: مراقبًا لا تخفى عليه خافية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا حرج على أزواج رسول الله ﷺ في آبائهن ولا إثم.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء؛ فقال بعضهم: وضع عنهن الجناح في وضع جلابيبهن عندهم .

وقال آخرون: وضع عنهن الجناح فيهن في ترك الاحتجاب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ ...﴾ إلى ﴿شَهِيدًا﴾: فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم.

قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم؛ وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ فلا يكون قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى.

فتأويل الكلام إذن: لا إثم على نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين في إذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن، ولا لأبنائهن ولا لإخوانهن ولا لأبناء إخوانهن . وعنى بإخوانهن وأبناء إخوانهن إخوتهن وأبناء إخوتهن. وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان. وأما إذا جمع إخوة، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية، ولا أبناء

إخوانهن، ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذرًا من أن يصفهن لأبنائه.

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يقول: ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين.

وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من الرجال والنساء، وقال آخرون: من النساء. وقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ يقول: وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن، فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه، إلا فيما أباح لكن تركه، والْزمْنَ طاعته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن، وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركن، يقول: فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله، وهو شاهد عليكم، بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلكن، فإنه شاهد على كل شيء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما أمر تعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بيَّن أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور، عند قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ إلى آخرها، [النور: ٣١]، وفيها زيادات على هذه.

وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته.

وقال أيضًا:

(٢٨٠) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: يعني بذلك: عَدَم الاحتجاب من النساء المؤمنات.

وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يعني به: أرقاءَهن من الذكور والإناث.

وقوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ أي: واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فراقبن الرقيب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأصناف وانجزمت الإباحة عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في غاية البلاغة والإيجاز كأنه قال اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الأمر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله أعلم ثم توعد تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم يُذكر العم والخال في الآية الكريمة؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن العم والخال لم يُذكرا؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين ويأخذان حكم الوالد.

وثم رأي آخر أورده الطبري وغيره بإسناد صحيح عن داود، عن الشعبي وعكرمة في قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها.

قال القرطبي $:

ذكر الله تعالى في هذه الآية من يحل للمرأة البروز له ولم يذكر العم

(٢٨١) أحمر
أسود

والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد يسمى العم أبا قال الله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وإسماعيل كان العم. قال الزجاج العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما فإن المرأة تحل لابن العم وابن الخال فكره لهما الرؤية وقد كره الشعبي وعكرمة أن تضع المرأة خمارها عند عمها أو خالها وقد ذكر في هذه الآية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الآية بعض تلك وقد مضى الكلام هناك مستوفى والحمد لله.

قلت: والرأي الأول أولى، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرَاهُ فُلَانًا**» لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنْ الرَّضَاعَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا لِعَمِّهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ دَخَلَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنْ الْوِلَادَةِ**». والله أعلم.

أخرج البخاري[٢] من حديث عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: «اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَقُلْتُ: لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي عَمُّكِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَقَالَ: «**ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ**» قَالَ عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كَانَتْ

(١) البخاري (١٣٩/٩)، ومسلم (١٤٤٤).
(٢) البخاري (٤٧٩٦).

(٢٨٢) أحمر
أسود

عَائِشَةُ تَقُولُ: حَرِّمُوا مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا تُحَرِّمُونَ مِنْ النَّسَبِ»[١].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بصلاة الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ؟

ج: قال كثير من أهل العلم إن المراد بذلك ثناؤه ﷻ عليه في الملإ الأعلى.

وقال آخرون: إن المراد رحمته به.

وقال آخرون: إن المعنى أنه يبارك على نبيه ﷺ، ومن صور البركة أن الخير الكثير جُعل في هذا النبي الكريم ﷺ فقد جعله الله مباركًا الخير فيه ثابت ومتنامي، والبركة تحل معه ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بصلاة الملائكة على النبي ﷺ؟

ج: المراد: دعاؤهم له واستغفارهم له وثناؤهم أيضًا عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾؟

ج: هذا إخبارٌ من الله ﷻ لأهل الإيمان بأنه سبحانه وتعالى، يصلي على نبيه ﷺ، وكذا ملائكته يصلون على النبي، فمن ثمَّ فيا أهل الإيمان صلوا على نبيكم وسلموا عليه تسليمًا.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَأَنَّ الْبُخَارِيّ رَمَزَ بِإِيرَادِ هَذَا الْحَدِيث إِلَى الرَّدّ عَلَى مَنْ كَرِهَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَضَع خِمَارهَا عِنْدَ عَمّهَا أَوْ خَالهَا ، كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق دَاوُدَ بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة وَالشَّعْبِيّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُمَا : لِمَ لَمْ يَذْكُر الْعَمّ وَالْخَال فِي هَذِهِ الْآيَة ؟ فَقَالَا : لِأَنَّهُمَا يَنْعَتَاهَا لِأَبْنَائِهِمَا ، وَكَرِهَا لِذَلِكَ أَنْ تَضَع خِمَارهَا عِنْدَ عَمّهَا أَوْ خَالهَا . وَحَدِيث عَائِشَة فِي قِصَّة أَفْلَحَ يَرُدّ عَلَيْهِمَا . وَهَذَا مِنْ دَقَائِق مَا فِي تَرَاجِم الْبُخَارِيّ .

(٢٨٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبي محمد ﷺ.

وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء . وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ يقول: وحيوه تحية الإسلام .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.

❁ ❁ ❁

مباحث في الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض الوارد في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[1] من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

وأخرج الترمذي[2] وغيره بسندٍ حسن لشواهده من حديث: أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

(١) مسلم (٤٠٨).
(٢) الترمذي (٢٤٥٧)، وله شاهد عند عبد الرزاق (٣١١٤).

(٢٨٤) أحمر
أسود

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ» قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ...فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ» قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

وأخرج النسائي[١] بسندٍ حسن من حديث: أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ».

وأخرج أحمد[٢] بسندٍ صحيح عن: أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ».

وعند الترمذي[٣] بسندٍ حسن لغيره من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وأخرج ابن حبان[٤] وغيره من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ؟ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ آتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ

---

(١) النسائي (٣/٥٠).
(٢) أحمد في المسند (٢/٤٦٣).
(٣) الترمذي (٣٥٤٦).
(٤) ابن حبان (٩٠٤) بسندٍ صحيح لغيره.

(٢٨٥) أحمر
أسود

رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ آمِينَ.. فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الكِبَرِ فَلَمْ يُبِرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، قُلْتُ: آمِينَ».

وأخرج الإمام أحمد[1] بسندٍ حسن: عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ».

❁ ❁ ❁

بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

* التشهد الأخير وقبل الدعاء:

فسيأتي حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك... الحديث.

وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

الشاهد منه قوله: «قد علمنا كيف نسلم عليك...».

قال البيهقي رحمه الله[2]: قوله في الحديث: «قد علمنا» إشارة إلى السلام على النبي ﷺ في التشهد فقوله: (فكيف نصلي عليك) أيضًا يكون المراد به في القعود للتشهد.

وعند أحمد بسندٍ حسن[3] فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

(١) أحمد (٤٤١/١).
(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٢).
(٣) أحمد (١٨/٦).

(٢٨٦) أحمر
أسود

سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَذْكُرْ اللهَ ﷻ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ».

ومن ذلك بعد سماع المؤذن:

أخرج مسلم[١] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

ومن ذلك عند دخول المسجد:

أخرج الدارمي[٢] بسندٍ حسن من حديث أَبِي حُمَيْدٍ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنازة:

أخرج عبد الرزاق[٣] بسندٍ صحيح عن الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهيل بن حنيف يحدث ابن المسيب قال: السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن، ثم تصلي على النبي ﷺ ثم تخلص الدعاء للميت، ولا يقرأ إلا في التكبيرة الأولى ثم يسلم في نفسه عن يمينه.

---

(١) مسلم (٤/٨٥).
(٢) الدارمي (١٣٩٤).
(٣) عبد الرزاق (٦٤٢٨) المصنف.

(٢٨٧) أحمر
أسود

وهذا مرسلٌ[(١)]، ولكنه يصح لشواهده، فله شواهد كثيرة.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس:

لحديث: «**مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ..**». وسيأتي.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره:

لحديث: «**الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**».

وهل تشرع الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة؟

فأقول، وبالله التوفيق:

قد ورد في ذلك حديث مختلف في صحته أخرجه الإمام أحمد[(٢)] وغيره من طريق حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ – يَعْنِي: وَقَدْ بَلِيتَ – قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ**».

وهذا السند صحيح إلا أن هناك اختلاف في تحديد عبد الرحمن بن يزيد هل هو ابن جابر كما هو ظاهر في السند، وهو ثقة، أم أنه عبد الرحمن بن يزيد

---

(١) لكن أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٠٠/١) من طريق شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو أمامة سهل بن حنيف وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ أخبره أن السنة في صلاة الجنازة ... فهو بهذا موصول، فالله أعلم، وعلى كلٍّ فللمعنى شواهد كثيرة.

(٢) أحمد (٨/٤)، وأبو داود (١٥٣١)، والنسائي (٩١/٣)، وابن ماجه (١٦٣٦) وغيرهم.

(٢٨٨) أحمر
أسود

ابن تميم كما نص على ذلك عدد من أهل العلل، وعليه فهو مجهول، والحديث ضعيف الإسناد!

في ذلك وجهان لأهل العلم، كما أشرت والله أعلم.

هذا، وقد قال الإمام الشافعي في الأم[١]: وأحب كثرة الصلاة على النبي ﷺ في كل حال وأنا في يوم الجمعة وليلتها أشد استحبابًا. اهـ.

ومن ذلك عند الهم والحزن، تشرع الصلاة على النبي ﷺ لحديث أُبي بن كعب وسيأتي[٢].

ومن ذلك في كل مجلس لحديث: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»[٣].

وكذا الصلاة عليه في كل مكان:

أخرج أحمد[٤] بسندٍ حسن من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي».

❁ ❁ ❁

(١) الأم (٣١٨/١).
(٢) وسيأتي.
(٣) وسيأتي.
(٤) أحمد (٣٦٧/٢).

(٢٨٩) أحمر
أسود

بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث: أَبُي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

وأخرج البخاري[٢] من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ**».

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من طريق: عَبْدُ اللهِ بْنُ عِيسَى سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

---

(١) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (١٢٧/٤).
(٢) البخاري (٦٣٥٨).
(٣) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم مع النووي (١٢٦/٤).

(٢٩٠) أحمر
أسود

وأخرج مسلم[1] من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**....**وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**».

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز الاجتزاء بالسلام على النبي دون الصلاة عليه؟

ج: الظاهر أن هذا، وإن كان جائزًا لكن خلاف الأفضل فالأولى أن نُصلي عليه ونسلم.

قال ابن كثير $:

قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: «صلى الله عليه فقط»، ولا « عليه السلام » فقط، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾، فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليما.

❁ ❁ ❁

س: هل الأولى أن نقول (ﷺ) أم (ق)؟

ج: الظاهر – والله أعلم – ذكر الآل أولى، وذلك لأن عددًا من الأحاديث وردت بذكر الآل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ...) والله أعلم.

---

(١) مسلم (مع النووي ١٢٣/٤).

(٢٩١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الادلة على جواز الصلاة على النبيين؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

أخرجه البخاري[1] من حديث سمرة مرفوعًا.

وما أخرجه مسلم[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ».

❁ ❁ ❁

س: هل تجوز الصلاة على غير النبيين والمرسلين؟

ج: في ذلك بعض الاختلاف، وهذا بيانه باختصار وإيجاز.

القول الأول: أنها تجوز، وقد تقدمة أدلة متعددة في الصلاة على آل النبي محمد ﷺ، وكذا على آل إبراهيم عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»[3].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾.

وعند أبي داود وغيره بسندٍ صحيح عَنِ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) البخاري (٣٣٥٤).
(٢) مسلم (١٥٥).
(٣) البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (٧٥٦/٢).

(٢٩٢) أحمر
أسود

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ»[(١)]. وهناك أحاديث أخر في هذا الباب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث: «**اللهم، صل على محمد وآله وأزواجه وذريته**»، فهذا جائز بالإجماع، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم:

فقال قائلون: يجوز ذلك، واحتجوا بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾، وبقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبحديث عبد الله بن أبي أَوْفَى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صل عليهم**». وأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**». أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وبحديث جابر: أن امرأته قالت: يا رسول الله، صل عَلَيَّ وعلى زوجي. فقال: «**صلى الله عليكِ وعلى زوجك**».

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: «قال أبو بكر صلى الله عليه». أو: «قال علي صلى الله عليه». وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: «قال محمد، عَزَّ وَجَلَّ»، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ لأن هذا من شعار ذكر الله، عَزَّ وَجَلَّ. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

---

(١) أبو داود (٦٦٤) بسندٍ صحيح.
(٢) البخاري (٦٣٥٩)، ومسلم (١٠٨٧).

(٢٩٣) أحمر
أسود

وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك، والله أعلم.

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم، أو الكراهة التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال، حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار. ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود. قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، كما أن قولنا: «عَزَّ وَجَلَّ»، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: «محمد عَزَّ وَجَلَّ»، وإن كان عزيزا جليلا لا يقال: «أبو بكر -أو: علي -صلى الله عليه». هذا لفظه بحروفه. قال: وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجُوَيني من أصحابنا: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: «علي عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليكم، أو سلام عليك، أو السلام عليك أو عليكم. وهذا مجمع عليه. انتهى ما ذكره.

قلت: وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأن يقال: « عَلَيْهِ السَّلَامُ »، من دون سائر الصحابة، أو: «كرم الله وجهه» وهذا وإن كان معناه صحيحا، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين.

(٢٩٤) أحمر
أسود

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (جلاء الأفهام):

قال القاضي أبو الحسين بن الفراء في رؤوس مسائله: وبذلك[1] قال الحسن البصري، وخصيف، ومجاهد، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، وكثير من أهل التفسير، قال: وهو قول الإمام أحمد. اهـ.

قلت (مصطفى): القول الثاني: المنع من ذلك، وقد وجهوا الأدلة السابقة بما حاصله أن الله عَزَّ وَجَلَّ يصلي على المؤمنين، وكذا ملائكته يصلون على المؤمنين ولا يقاس على ذلك أن يصلي المؤمنون بعضهم على بعض، وكذا لا يقاس على صلاة رسول الله ﷺ على بعض المؤمنين، وإنما هي خصوصية، ودلَّوا على قولهم بأن الصحابة لم يرد عنهم أنهم كانوا يصلون على بعضهم البعض، فلم يُصل أحد على أبي بكر ولا على عمر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جلاء الأفهام:

وأما صلاة النبي ﷺ على من صلى عليه فتلك مسألة أخرى، فأين هذه من صلاتنا عليه التي أمرنا بها قضاء لحقه، هل يجوز أن يشرك معه غيره أم لا؟

يؤكده الوجه الثاني: أن الصلاة عليه حق له ﷺ، يتعين على الأمة أداؤه والقيام به، وأما هو ﷺ فيخص من أراد ببعض ذلك الحق، وهذا كما تقول في شاتمه ومؤذيه: «إن قتله حق لرسول الله ﷺ يجب على الأمة القيام به واستيفاؤه»، وإن كان ﷺ يعفو عنه حتى كان يبلغه ويقول: «**رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[2].

وبهذا حصل الجواب أيضًا عن قوله:

«**اللهم صل على آل أبي أوفي**»، وعن الدليل الثالث أيضا، وهو صلاته على

---

(١) أي: بالجواز.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

تلك المرأة وزوجها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾:

ليس بمتناول لمحل النزاع، فإن النزاع إنما هو هل يسوغ لأحدنا أن يصلي على غير الرسول وآله ﷺ، وأما الملائكة فليسوا بداخلين تحت أحكام تكاليف البشر حتى يصح قياسهم عليه فيما يقولونه أو يفعلونه، فأين أحكام الملك من أحكام البشر: فالملائكة رسل الله في خلقه وأمره، يتصرفون بأمره لا بأمر البشر.

وبهذا خرج الجواب عن كل دليل فيه صلاة الملائكة. اهـ.

وأما صلاة الله سبحانه وتعالى على غير الأنبياء الواردة في هذه الأدلة أجاب عنها ابن القيم فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنَّ هذا في غير محل النزاع، وكيف يصح قياس فعل العبد على فعل الرب سبحانه وتعالى؟ وصلاة العبد دعاء وطلب، وصلاة الله على عبده ليست دعاء، وإنما هي إكرام وتعظيم ومحبة وثناء، وأين هذا من صلاة العبد).اهـ.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس بسندٍ صحيح قال: لا تنبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين، قال سفيان: يكره أن يصلى إلا على نبي[1].

وعند ابن أبي شيبة في المصنف بسندٍ صحيح عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه كتب:

أما بعد، فإن أناسًا من الناس التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن أناسًا من القصاص قد أحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأموالهم عدل صلاتهم على

(١) عبد الرزاق في المصنف (٣١١٩).

(٢٩٦) أحمر
أسود

النبي ﷺ فإذا أتاك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعون ما سوى ذلك[1].

قال القاضي عياض في فضل الصلاة على النبي ﷺ:

والذى ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله، وروى عن ابن عباس، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرًا وتعزيزًا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي ﷺ وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأيضًا فهو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي ﷺ.

وأيضًا التشبه بأهل البدع منهيٌّ عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك.

ونقل النووي عن الجمهور كراهة الصلاة على غير الأنبياء، واختار أن الكراهة على التنزيه، وذلك في كتاب الأذكار.

---

(١) المصنف (٢٤١/٨).

(٢٩٧) أحمر
أسود

وقال ابن عبد البر في الاستذكار[١]:

قال أبو عمر: والذي أختاره في هذا الباب أن يقال: اللهم ارحم فلانًا واغفر له ورحم الله فلانا وغفر له ورضي عنه ونحو هذا من الدعاء له والترحم عليه ولا يقال إذا ذكر النبي ﷺ إلا صلى الله عليه إلا أنه جائز أن يدخل معه في ذلك آله على ما جاء في الأحاديث عنه ﷺ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واللهم صل على محمد وأزواجه وذريته[٢] ولا يصلى على غيره بلفظ الصلاة امتثالا لعموم قول الله ﷻ ! ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ ! [النور ٦٣] في حياته وموته ﷺ.

قلت (مصطفى): والصلاة على آل البيت في صلاتنا، وكذا في صيغ صلاتنا على رسولنا محمد ﷺ قد تقدمت بأسانيد في غاية من الصحة فالقول باستحباب الصلاة على آل البيت قولٌ صحيحٌ بلا شك.

ولكن لم أقف على دليل من استعمالات الصحابة أنهم كانوا يقولون عن علي ﷺ أو عن الحسن ﷺ، إنما ورد عن بعضهم عن عليٍّ عليه السلام، وعن فاطمة عليها السلام. هذا، وينبغي أيضًا أن يوجَّه ما ورد عن رسول الله ﷺ من الحديث «**خيار ائمتكم الذين تصلون عليهم ويصلون عليكم...**».

❁ ❁ ❁

س: هل وردت عن رسول الله ﷺ صيغة فيها الجمع بين الصلاة عليه والصلاة على أصحابه، كقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

ج: أما ذكر الصحب فلم أقف عليها على النحو المذكور في أي حديث عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

---

(١) الاستذكار (٦/٢٦٤).
(٢) البخاري (٣٣٦٩).

(٢٩٨) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟
فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٧-٦٢]

(٢٩٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ - مُّهِينًا - ٱحْتَمَلُوا۟ - بُهْتَٰنًا - وَإِثْمًا مُّبِينًا - يُدْنِينَ - جَلَٰبِيبِهِنَّ - فَلَا يُؤْذَيْنَ - فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ - وَٱلْمُرْجِفُونَ - لَنُغْرِيَنَّكَ - مَّلْعُونِينَ - ثُقِفُوٓا۟ - أُخِذُوا۟ - سُنَّةَ ٱللَّهِ - خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ - تَبْدِيلًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾	طردهم الله من رحمته وأبعدهم عنها
﴿مُّهِينًا﴾	مُذلًّا مُخزيًا
﴿ٱحْتَمَلُوا۟﴾	تحملوا – ارتكبوا
﴿بُهْتَٰنًا﴾	إثم الافتراء على الناس
﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	ذنبًا واضحًا مُظهرًا أنه مذنبون وأثمة وظلمة
﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[1]	يُقربن الجلباب فيغطين به الجسم كله والوجه
﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾	لا يؤذيهن منافق ولا غيره (إذا علم أنهن حرائر)
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	في قلوبهم شك وضعف إيمان وحب للزنا والفواحش
﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾	الذين ينشرون الشائعات لإضعاف المؤمنين
﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾	لنسلطنك عليهم
﴿مَّلْعُونِينَ﴾	مطرودين من رحمة الله – مُبعدين عنها

(١) وسيأتي تفسيرها.

(٣٠٠) أحمر
أسود

٣٠٠ التسهيل لتأويل التنزيل

﴿ثُقِفُوٓاْ﴾	وجدوا
﴿أُخِذُواْ﴾	أُسروا – قُدِّموا للقتل
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾	طريقة الله، وعادة الله
﴿خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾	مضوا من قبل (الأمم المتقدمة)
﴿تَبۡدِيلٗا﴾	تحويلًا

❁ ❁ ❁

س: كيف كانوا يؤذون الله ورسوله؟

ج: أما أذيتهم لله ﷻ فلها صور منها: سبُّهم للدهر، ففي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

ومنها: نسبتهم الولد إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

* ومنها: دعواهم أن الملائكة بنات الله.
* ومنها: اتخاذهم شريكًا مع الله.
* ومنها: قول اليهود يد الله مغلولة.
* ومنها: قولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء.
* ومنها: قولهم: إن الله ﷻ لن يعيدهم، ولن يبعثهم.
* ومنها: انتهاكهم للمحرمات التي حرمها عليهم.

---

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣٠١) أحمر
أسود

* ومنها: أذيتهم لرسله وعداؤهم لرسله.

* ومنها: تكذيبهم بالكتب المنزلة من عند الله.

* ومنها: مضاهاتهم بخلق الله كأصحاب التصاوير الذين يضاهئون بخلق الله.

أما أذيتهم لرسول الله ﷺ فلها صور أيضًا:

* منها: تكذيبهم له.

* ومنها: وصفهم له بسيئ الألفاظ، كقولهم: ساحر كذاب، وشاعر، ومجنون، وغير ذلك.

* ومنها: طعنهم في بعثته.

* ومنها: طعنهم في أعماله التي يعملها، وفي فعله ما أحل الله له.

* ومنها: حربهم له وعداوتهم له.

* ومنها: سبُّهم له وشتمهم له.

* ومنها: سعيهم لقتله، والطعن في عرضه، وفي عرض أهل بيته، والطعن في أصحابه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور أذية المؤمنين؟

ج: لذلك صور، منها:

* طعنهم في المؤمنين لإيمانهم ولاستقامتهم.

* ومنها: سخريتهم بصلاتهم وصيامهم وعبادتهم.

* ومنها: عيبهم بسبب ضعف حسبهم، وقلة مالهم، ودمامة صورهم، ودنو صنعتهم.

* ومنها: اغتيابهم ولمزهم وهمزهم.

(٣٠٢) أحمر
أسود

* ومنها: أكل أموالهم وسفك دماءهم والاستخفاف بهم.
* ومنها: الاعتداء على أعراضهم وأولادهم.
* ومنها: رميهم بالفواحش وهم منها براء.

❁ ❁ ❁

س: اذكر إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- إن الذين يؤذون الله ﷻ بشركهم به ونسبتهم الولد إليه، وسائر صنوف الأذى، وكذا يؤذون رسوله ﷺ بتكذيبهم له، وطعنهم في نبوته، وصنوف الأذى المكفرة (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) طردهم الله ﷻ من رحمته، وأبعدهم عنها في الدنيا والآخرة، فما عليهم في الدنيا إلا اللعنات، وفي الآخرة اللعنات وصور العذاب الأليم المهين المذل المخزي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات لإيمانهم بالله ورسوله، وكذا يؤذونهم بغير سببٍ يستدعي الأذى فقد حَمَّلُوا أنفسهم أوزارًا عظيمة بسبب كذبهم على أهل الإيمان وافترائهم عليهم وإلحاق الأذى بهم، وكذا احتملوا آثامًا بسبب أذيتهم لهم بأية صورة من صور الأذى.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨] يقول: فقد احتملوا

(٣٠٣) أحمر
أسود

زورا وكذبًا وفرية شنيعة، وبهتان: أفحش الكذب، (وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ يقول: وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ فإياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه، ويغضب له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضًا بالأفعال والأقوال القبيحة كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق وهذه الآية نظير الآية التي في النساء: (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء : ١١٢] كما قال هنا وقد قيل : إن من الأذية تعييره بحسبٍ مذموم أو حرفة مذمومة أو شيء يثقل عليه إذا سمعه لأن أذاه في الجملة حرام وقد ميز الله تعالى بين أذاه وأذى الرسول وأذى المؤمنين فجعل الأول كفرًا والثاني كبيرة فقال في أذى المؤمنين: (فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ وقد بيناه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه (فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومِنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم

(٣٠٤) أحمر
أسود

ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين.

❁ ❁ ❁

مزيدٌ من ادلة الحجاب

س: اذكر بعض الآثار وبعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه الطبري بسند صحيح عن عبيدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ فلبسها عندنا ابن عون قال: ولبسها عندنا محمد قال محمد: ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون بردائه فتقنع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب[1].

---

(١) وله إسناد آخر عن عبيدة أيضًا عند ابن جرير فقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يعقوب قال: ثنا هشيم قال: أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة عن قوله: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾. قال: فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.
قلت: وهذا أيضًا إسناد صحيح.
وقد ورد في هذا أيضًا أثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾. أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة.
لكن في إسناد هذا كلام إذ أن الراوي عن ابن عباس هو علي بن أبي طلحة، وهو لم يسمع منه، وقد قيل: إن بينهما مجاهدًا لكننا الآن على ضعف رواية علي عن ابن عباس.
ورد أثر آخر بسند حسن عن قتادة عند الطبري أيضًا فقال الطبري: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا =

(٣٠٥) أحمر
أسود

ومنها: ما أخرجه أبو داود[١] في كتاب (المسائل) إذ قال: حدثنا أحمد يعني ابن محمد بن حنبل قال: حدثنا يحيى وروح عن ابن جريج، قال آخر: ما قال لي عطاء، وقال: أخبرني أبو الشعثاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تدني الجلباب إلى وجهها ولا تضرب به، قال روح في حديثه: قلت: وما لا تضرب به؟ فأشار لي كما تجلبب المرأة، ثم أشار لي ما على خدها من الجلباب، قال: تقطعه وتضرب به على وجهها كما هو مسدول على وجهها. قلت: وسنده صحيح.

وهو عند الشافعي[٢] في المسند من طريق سعيد بن سالم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: تدلى عليها من جلابيبها ولا تضرب به فقال عطاء: وقلت: وما لا تضرب به؟ قال: فأشار لي كما تجلبب المرأة ثم أشار إلى ما على خدها من الجلباب، فقال: لا تغطيه فتضرب به على وجهها فذلك الذي لا يبقى عليها ولكن تسدله على وجهها كما هو مسدولًا ولا تقلبه ولا تضرب به ولا تعطفه.

وهذه بعض أقوال العلماء:

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛

= سعيد عن قتادة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء، وهذا سند حسن فبشر: هو ابن معاذ، ويزيد: هو ابن زريع. وثمة آثار أخرى.

(١) رقم ٤٢ ص ٦٠.

(٢) مسند الشافعي ص ١٨ رقم ٥٤٤.

(٣٠٦) أحمر
أسود

لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المسألة الثانية : لما كانت عادة العربيات التبذُّل وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكرة فيهن أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبًا أو شابًّا. انتهى محل الغرض منه.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ («فتح القدير» ٤/ ٣٠٤):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ...﴾ من للتبعيض والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار قال الجوهرى: الجلباب الملحفة وقيل: القناع وقيل: هو ثوب يستر جميع بدن المرأة كما ثبت فى «الصحيح» من حديث أم عطية أنها قالت: يا رسول الله إحدانا لايكون لها جلباب فقال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**» قال الواحدى: قال المفسرون: يغطين وجوههن ورؤوسهن إلا عينا واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى، وقال الحسن: تغطى نصف وجهها، وقال قتادة: تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى إدناء الجلابيب وهو مبتدأ وخبره ﴿أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أى: أقرب أن يعرفن فيتميزن عن الإماء ويظهر للناس أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولأهلهن وليس المراد بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أن تعرف الواحدة منهن من هى بل المراد أن يعرفن

(٣٠٧) أحمر
أسود

أنهن حرائر لا إماء لأنهن قد لبسن لبسة تختص بالحرائر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك إدناء الجلابيب ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن أو غفورًا لذنوب المذنبين رحيمًا بهن فيدخلن في ذلك دخولًا أوليًّا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

ومن الأدلّة القرآنيّة على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾، فقد قال غير واحد من أهل العلم: إن معنى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها، وممن قال به: ابن مسعود، وابن عباس، وعبيدة السلماني وغيرهم.

ثم بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشته للمخالفين.

قلت: وقد بينا ما في أثر ابن عباس قريبًا.

هذا، وقد قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا مشابهة لما تقدم.

ثالثًا: وجه الاستدلال بالآية الكريمة:

الأولى: علة الاشتراك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

الثانية: قول أكثر أهل التفسير في الآية.

أما بالنسبة للناحية الأولى: فقد اشترك نساء المؤمنين في الأمر الموجه لأزواج النبي ﷺ وبناته بإدناء الجلابيب عليهن، ولا يختلف اثنان من أهل العلم أن نساء النبي ﷺ أُمِرن بستر وجوههن – على الأقل – فيتبعهن في ذلك نساء المؤمنين.

أما بالنسبة للناحية الثانية: وهي تفسير أهل العلم للإدناء من الجلابيب

(٣٠٨) أحمر
أسود

فالمراد – وإن كان ورد فيها بعض الخلاف – على قول أكثر أهل العلم تغطية الوجه.

قلت (مصطفى):

تنبيه هام: ليس المراد من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾. أن تعرف الواحدة من النساء من هي كما يذكره بعض من يلبسون الحق بالباطل، وإنما المراد أن يعرفن أنهن حرائر لا إماء، وذلك لأنهن لبسن لبسة تختص بالحرائر.

تنبيه ثان: ورد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ قدم المدينة على غير منزل فكان نساء النبي ﷺ وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾.

وسبب النزول هذا لا يصح فقد أخرجه ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٢/ ٣٤) وفي إسناده ضعف شديد ففيه ابن حميد وهو محمد بن حميد شيخ ابن جرير وهو ضعيف، وفيه راو لم يسم وفيه أنواع أخرى من الضعف.

وليس معنى كون سبب النزول لا يصح أن تفسير العلماء للآية خطأ.

تنبيه ثالث: سبق أن بينا في تفسير الآية أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميزن في زيهن عن زي الإماء وذلك بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، فإذا فعلن ذلك ورآهن الفساق علموا أنهن حرائر فكفوا عنهن.

وليس المراد من ذلك أن تعرض الفساق للإماء جائز بل هو حرام، لا شك في ذلك، والمتعرض لهن من الذين في قلوبهم مرض، بل كل ما في الأمر

(٣٠٩) أحمر
أسود

أن الحرائر يحترزن أكثر من الإماء، وقد قال الصحابة - رضوان الله عليهم - لما بنى النبي ﷺ بصفية بنت حيي كما سيأتي في أبواب مناقشة المخالفين -: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فدل ذلك على التفريق.

ونحن إنما ذكرنا هذا التنبيه لأن أبا محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في («المحلى» ٣/ ٢١٨): وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ﴾ إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك؛ لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يعترضونهن.

قال: ونحن نبرأ إلى الله من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم ووهلة فاضل عاقل، أو افتراء كاذب فاسق؛ لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين وهذه مصيبة الأبد ... إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه.

قلت: أولًا: إن هذا القول الذي نقده ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قول جمهور المفسرين من التابعين فمن بعدهم.

ثانيًا: إن قول جمهور المفسرين الذي انتقده ابن حزم ليس فيه أبدًا ما ادعاه ابن حزم من أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين، وتوضيحًا لذلك نقول: إذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نساء النبي ﷺ بأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فهل في هذا إباحة للذي في قلبه مرض أن يطمع في نساء المؤمنين وإمائهم، كلا وحاشا فهو زيادة أمر لاحتراز نساء النبي ﷺ من الذين في قلوبهم مرض.

(٣١٠) أحمر
أسود

قال الشنقيطي في («أضواء البيان» ٦/ ٥٨٨):

وفي الجملة: فلا إشكال في أمر الحرائر بمخالفة زي الإماء ليهابهن الفساق، ودفع ضرر الفساق عن الإماء لازم، وله أسباب أخر ليس منها إدناء الجلابيب.

تنبيه رابع: فسر أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ - رغم مخالفته لنا في مسألة الوجه- الجلباب بقوله: والجلباب في لغة العرب التي خاطبنا بها رسول الله ﷺ هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه. («المحلى» ٣/ ٢١٧).

❁ ❁ ❁

أبناء رسول الله ﷺ

س: اذكر بعض أسماء أبناء رسول الله ﷺ وبناته؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

فالذكور من أولاده: القاسم أمه خديجة وبه كان يكنى ﷺ وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين وقال عروة: ولدت خديجة للنبي ﷺ القاسم والطاهر وعبدالله والطيب وقال أبو بكر البرقي: ويقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبدالله وإبراهيم أمه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهرًا وقيل: ثمانية عشر، ذكره الدارقطني. ودفن بالبقيع. وقال ﷺ: «**إن له مرضعا تتم رضاعه في الجنة**» وجميع أولاد النبي ﷺ من خديجة سوى إبراهيم وكل أولاده ماتوا في حياته غير فاطمة.

وأما الإناث من أولاده فمنهن: فاطمة الزهراء بنت خديجة، ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي أصغر بناته وتزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في

(١) قلت: وتحرير ذلك بالأسانيد أمرٌ شاقٌّ عليَّ.

(٣١١) أحمر
أسود

السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة وقيل : تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بيسير وهي أول من لحقه من أهل بيته ف.

ومنهن: زينب أمها خديجة تزوجها ابن خالتها أبو العاصي بن الربيع وكانت أم العاصي هالة بنت خويلد أخت خديجة، واسم أبي العاصي لقيط وقيل: هاشم، وقيل: هشيم، وقيل: مقسم، وكانت أكبر بنات رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ونزل رسول الله ﷺ في قبرها.

ومنهن: رقية أمها خديجة تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد : ١] قال أبو لهب لابنه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن بنى بها وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء وتزوجها عثمان بن عفان وكانت نساء قريش يقلن حين تزوجها عثمان:

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلها عثمان

وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين، وكانت قد أسقطت من عثمان سقطًا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله، وكان عثمان يكنى به في الإسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات، ولم تلد له شيئًا بعد ذلك وهاجرت إلى المدينة ومرضت ورسول الله ﷺ يتجهز إلى بدر فخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول الله ﷺ ببدر على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة بشيرا من بدر فدخل المدينة حين سوى التراب على رقية ولم يشهد دفنها رسول الله ﷺ.

ومنهن: أم كلثوم أمها خديجة تزوجها عتيبة بن أبي لهب أخو عتبة قبل

(٣١٢) أحمر
أسود

النبوة وأمره أبوه أن يفارقها للسبب المذكور في أمر رقية ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ فلما توفيت رقية تزوجها عثمان وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة النبي ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله ﷺ على قبرها ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة وذكر الزبير بن بكار أن أكبر ولد النبي ﷺ: القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر وولد بعد النبوة ومات صغيرًا ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله.

❁ ❁ ❁

س: هل المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة شيء واحد، أو أنهم ثلاثة أصناف؟

ج: قال عدد من العلماء: إنهم صنف واحدٌ وكلهم أهل نفاق.

وقال آخرون: كلهم أهل نفاق لكن منهم الذي في قلبه شك وارتياب في الإيمان، ومنهم الذي يزني ويتتبع الزنا، ومنهم الذي يُرجف في المدينة بالأكاذيب والأباطيل.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ الآية أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قال: هم شيء واحد يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء والواو مقحمة كما قال:

(٣١٣) أحمر
أسود

إلـى الملـك القـرم وابـن الهمـام وليـث الكتيبـة في المـزدحم

أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل : كان منهم قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة وقوم يشككون المسلمين.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ ينتهون عن ماذا؟

ج: ينتهون عن تشكيك المسلمين في دينهم، وعن تشكيكهم في نصرة الله لنبيهم وعن كل ما يقتضيه النفاق.

❁ ❁ ❁

س: ما المرض الذي في قلوب القوم المذكورين؟

ج: قال كثير من أهل العلم، إنه حبهم للزنا وقضاء الشهوات المحرمة وممارستهم الزنا، وقيل: ضعف في الإيمان.

❁ ❁ ❁

س: ماذا يصنع هؤلاء المرجفون في المدينة؟

ج: ينشرون الشائعات الكاذبة والأباطيل وما يخوِّفون به أهل الإسلام، فيقولون: جاء العدو وسيتأصلكم ... ونحو ذلك من الأراجيف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والإرجاف : إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به وقيل : تحريك القلوب يقال : رجفت الأرض أي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان : الاضطراب الشديد والرجاف : البحر سمي به لاضطرابه قال الشاعر :

المطعمـون اللحـم كـل عشـية حتـى تغيـب الشـمس في الرجـاف

والإرجاف: واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه

(٣١٤) أحمر
أسود

قال الشاعر :

فإنـــا وإن عيرتمونـــا بقتلـــه وأرجـف بالإسـلام بـاغ وحاسـد

وقال آخر :

أبـالأراجيف يـا ابـن اللـؤم توعـدني وفي الأراجيـف خلـت اللـؤم والخـور

فالإرجاف حرام لأن فيه إذاية فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾؟

أجاب القرطبي على ذلك بقوله:

ج: المعنى – والله أعلم – لنسلطنك عليهم لتستأصلنهم بالقتل.

❁ ❁ ❁

س: لا يتسلط قوم على قوم إلا بإذن الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

١ – قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

٢ – قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

٣ – قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: ٢٤].

٤ – قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

❁ ❁ ❁

(٣١٥) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وتشكيكهم لأهل الإيمان وتشكيكهم في الدين، وفي نصرة الله لنبيه ﷺ وكذا لئن لم ينته أهل الإرجاف الذين ينشرون الشائعات الكاذبة في المدينة للتفتيت في عضد المسلمين ولإضعاف شوكتهم، وكذلك لئن لم ينته هؤلاء الذين يمارسون الفواحش والزنا ويحبون ذلك، ويتتبعون ذلك لنسلطنك عليهم يا رسول الله فتقتلهم قتلًا وتأسرهم أسرًا ثم لا يجاورونك في المدينة إلا زمنًا قليلًا ويخرجون منها، وقيل: ثم لا يجاورونك فيها إلا وهم قليلو العدد مستضعفون، ثم إنهم مطردون من رحمة الله مبعدون عنها.

أما قوله تعالى: (أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ فمعناه: في أي مكان كان إذا أظهروا النفاق والإرجاف والفواحش أخذوا حينئذٍ وقتلوا تقتيلًا وتلك هي سنة الله، والعادة في الأمم المتقدمة المنافق فيها، والمرجف، والزناة، والمفسدون في الأرض فيؤخذون ويقتلون تقتيلًا، فهي سنة لا تتبدل، وطريقة لا تتغير.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر ويظهرون الإيمان (وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني: ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال: شهوة الزنا.

(٣١٦) أحمر
أسود

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾ الآية، قال: هؤلاء صنف من المنافقين ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أصحاب الزنا، قال: أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا. وقرأ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ قال: والمنافقون أصناف عشرة في براءة، قال: فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء.

وقوله: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقول: وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل.

وكان إرجافهم فيما ذكر كالذي:

حدثني بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة[1] قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ...﴾ الآية، الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم أهل النفاق أيضًا الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين.

وقوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بالمدينة.

---

(١) وإسناده حسن.

(٣١٧) أحمر
أسود

قال الطبري:

وقوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ يقول تعالى ذكره: مطرودين منفيين ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ على كل حال ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ إذا هم أظهروا النفاق. ونصب قوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ على الشتم، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين، فيكون قوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ مردودًا على القليل؛ فيكون معناه: ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ هؤلاء المنافقون الذين في مدينة رسول الله ﷺ معه من ضرباء هؤلاء المنافقين، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلًا ويلعنهم لعنًا كثيرًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ...﴾ الآية، يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرًا، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته.

(٣١٨) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة (إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ﴾ حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين، (أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وجدوا، (أُخِذُواْ﴾ لذلتهم وقلتهم، (وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾.

ثم قال: (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمرَّدُوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: وسنة الله في ذلك لا تُبدَّل ولا تغير.

❁ ❁ ❁

(٣١٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ
أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣-٧٣]

(٣٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلسَّاعَةِ -لَعَنَ -سَعِيرًا -وَلِيًّا -نَصِيرًا -سَادَتَنَا -وَكُبَرَآءَنَا -فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلسَّاعَةِ﴾	يوم القيامة
﴿لَعَنَ﴾	طرد وأبعد (من رحمته)
﴿سَعِيرًا﴾	نارًا مستعرةً
﴿وَلِيًّا﴾	شخصًا يتولاهم
﴿نَصِيرًا﴾	شخصًا ينصرهم
﴿سَادَتَنَا﴾	رؤساءنا في الضلال
﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾	علية القوم ووجهاؤهم
﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾	فصرفونا عن طريق الحق والصواب

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على اقتراب قيام الساعة؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»(١).

(١) البخاري (٦٥٠٤، ٦٥٠٥)، ومسلم (٢٩٥١).

(٣٢١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأدلة على أن قيام الساعة لا يعلم موعده إلا الله؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

[الأعراف: ١٨٧]

وقوله ﷺ لما سأله جبريل عنها: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ**»[(١)].

وثمَّ أدلة كثيرة في هذا الصدد. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: يسألك الناس يا رسول الله عن وقت قيام الساعة، عن يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب، فقل لهؤلاء السائلين إن العلم بوقت قيامها عند الله، وما يُعلمك يا رسول الله، وما يعلمك أيها السائل لعل وقت قيام الساعة يكون قريبًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ﴾ متى هي قائمة؟ قل

(١) مسلم (حديث ٨).

(٣٢٢) أحمر
أسود

لهم: إنما علم الساعة ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبًا. قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ هؤلاء المؤذون لرسول الله ﷺ لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة استبعادًا وتكذيبًا موهمين أنها لا تكون ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي أجبهم عن سؤالهم وقل علمها عند الله وليس في إخفاء الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله جل وعز ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي ما يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ أي في زمان قريب وقال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار إلى السبابة والوسطى خرجه أهل الصحيح وقيل: أي ليست الساعة تكون قريبًا فحذف هاء التأنيث ذهابًا بالساعة إلى اليوم كقوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل قريبة ذهابًا بالرحمة إلى العفو إذ ليس تأنيثها أصليًّا وقد مضى هذا مستوفى وقيل: إنما أخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعدًّا لها في كل وقت.

❁ ❁ ❁

س: من السائلون عن الساعة؟

ج: عموم الناس سألوا عن الساعة، فالمؤمنون سألوا عنها للاستعداد لها.

والكفار سألوا عنها استبعادًا واستنكارًا لوقوعها.

وجبريل سأل عنها لتعليم الناس أن أمرها موكول إلى الله. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الله أبعد الكافرين عن رحمته وطردهم وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا تتقد وتستعر، دائمو المكث فيها لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها، ولا يجدون وليًّا يتولاهم ولا نصيرًا ينصرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾) يقول: وأعد لهم في الآخرة نارًا تتقد وتتسعر ليصليهموها (خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) يقول: ماكثين في السعير أبدًا إلى غير نهاية (لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يتولاهم، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي: أبعدهم عن رحمته (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) أي: في الدار الآخرة.

(خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) أي: ماكثين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها، (لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي طردهم وأبعدهم واللعن: الطرد والإبعاد عن الرحمة وقد مضى في البقرة بيانه (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) فأنث السعير لأنها بمعنى النار (لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾) ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه.

(٣٢٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- مرتبطٌ بما قبله فالمعنى، ولا يجدون وليًّا يتولاهم ولا نصيرًا ينصرهم يوم يكونون في النار، ووجوههم تتقلب فيها حالًا بعد حالٍ، وهم يقولون: يا ليتنا أطعنا الله، وأطعنا الرسول.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لا يجد هؤلاء الكافرون وليًّا ولا نصيرًا في يوم تقلب وجوههم في النار حالًا بعد حال ﴿ يَقُولُونَ ﴾ وتلك حالهم في النار ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ في الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يقولون وهم كذلك، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢]، وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله، وأطاعوا الرسول في الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٣٢٥) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم–: أن أهل الكفر يقولون وهم في النار: يا ربنا إنا في الدنيا أطعنا سادتنا وهم كبراؤنا في الشرك، وكبراؤنا في المراكز والمناصب والوجاهات فصرفونا عن طريق الحق وأبعدونا عن الصواب، فيا ربنا، ولكونهم أضلونا وصرفونا فضاعف يا ربنا عليهم العذاب، عذابًا لكفرهم، وعذابًا لإغوائهم لنا، واطردهم يا ربنا عن رحمتك طردًا بعيدًا بعيدًا. واخزهم يا ربنا خزيًا كبيرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ يقول: فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا (وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ يقول: واخزهم خزيًا كبيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾. وقال طاوس: سادتنا: يعني الأشراف، وكبراءنا: يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم.

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء.

(رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا، (وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾. قرأ بعض القراء بالباء الموحدة. وقرأ آخرون بالثاء المثلثة، وهما قريبا

(٣٢٦) أحمر
أسود

المعنى، كما في حديث عبد الله بن عمرو: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**». أخرجاه في الصحيحين[1]، يُروى «كبيرًا» و«كثيرًا»، وكلاهما بمعنى صحيح.

وقال القرطبي $:

«إنا أطعنا ساداتنا» بكسر التاء، جمع سادة. وكان في هذا زجر عن التقليد. والسادة جمع السيد، وهو فعلة مثل كتبة وفجرة. وساداتنا جمع الجمع والسادة والكبراء بمعنى. وقال قتادة: هم المطعمون في غزوة بدر، والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة، أي: أطعناهم في معصيتك وما دعونا إليه ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ أي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الفرقان: ٢٩].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣٢٧) أحمر
أسود

س: ما الأذى الذي آذى به القوم موسى عليه السلام ومن هم الذين آذوا موسى عليه السلام؟

ج: لا شك أن موسى عليه السلام أوذي من قومٍ كثيرين فآذاه فرعون وقومه أشد الأذى واتهموه بجملة من الاتهامات، وهذا مبسوط في كتاب الله عز وجل.

وكذا آذاه قومه من بني إسرائيل ولكن أكثر المفسرين على أن الذين عناهم الله بقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ هم بنو إسرائيل، وتعددت الأقوال في ذلك، ومن هذه الأقوال أنهم عابوه بشيءٍ زعموا أنه في جسمه، فقالوا: إنه (آدر) أي: عظيم الخصية، وذلك لكونه كان حييًّا لا يغتسل عريانًا معهم، فبرأه الله مما قالوا، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومن ذلك أيضًا أنهم اتهموه بأنه قتل أخاه هارون عليه السلام فبرأه الله مما قالوا، إلى غير ذلك من صور الأذى الذي لحق بموسى عليه السلام، ومن ثمَّ فإن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يتصبر بذكر موسى عليه السلام وما حلَّ به ففي الصحيح[1] من حَدِيثِ عَبْدَ اللهِ رضي الله عنه (وهو ابن مسعود) قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

أما عن الوارد في الأذى الذي لحق بموسى عليه السلام فمنه كما أشرت قريبًا ما أورده البخاري في صحيحه[2] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ**

(١) البخاري (٣٤٠٥).
(٢) البخاري (٣٤٠٤).

(٣٢٨) أحمر
أسود

مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ ﷻ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

وأخرج البخاري[2] أيضًا من طريق عَوْف عَنْ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ وَخِلَاسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

قلت (مصطفى): والذي يبدو لي ويظهر -والله تعالى أعلم- أن قوله وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ...﴾ ليس من قول النبي ﷺ إنما هو من قول أبي هريرة، وكأن أبا هريرة رضي الله عنه ربط بين الآية والحديث ففسر الآية بالحديث وكذا روي عن غيره من الصحابة نحوه على ما في بعض أسانيد هامة فقال، وكذا الروايات التي أوردها الحافظ ابن كثير رحمه الله كقوله ... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ...﴾، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا...»، هذه

(١) على ما يبدو لي أن هذا من قول أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) البخاري (٤٧٩٩).

(٣٢٩) أحمر
أسود

الرواية مردها على الأخرى التي مفادها أن أبا هريرة هو الذي ربط بين الآية والحديث والله أعلم.

ولذا فإن الطبري رحمه الله تعالى بعد أورد طرقًا لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وقال آخرون بل كان أذاهم إياه ادعاءهم عليه قتل هارون أخيه، وأورد ذلك من طريق عباد[1] قال: ثنا سفيان بن حبيب[2] عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ ...﴾ الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حبًّا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

قلت (مصطفى): فلو كان مقطوعًا عند الطبري رحمه الله أن رسول الله ﷺ فسَّر الآية بالذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه لجزم به الطبري ولجعله قولًا واحدًا مجزومًا به، وإن ألحق به غيره.

---

(١) هو عباد بن العوام، كما أوضحته رواية ابن أبي حاتم التي ذكرها ابن كثير في تفسيره.
(٢) يبدو أن هنا تصحيف ففي رواية ابن أبي حاتم، سفيان بن حسين.

(٣٣٠) أحمر
أسود

ولكن لما قال الطبري: ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا... والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة الوجاهة التي قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾؟

ج: من هذه الوجاهة التي لموسى عليه السلام عند الله أنه عز وجل اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه، ومنها: أن الله عز وجل يقبل شفاعته ودعاءه، ومنها: أن الله عز وجل شقَّ البحر له أمام قومه فرأوا كرامات عظيمة بأعينهم حدثت لنبي الله موسى عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا أهل الإيمان بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما آذت بنو إسرائيل موسى عليه السلام، ولكن وقِّروه وعظِّموه، فإن الله عز وجل برأ موسى عليه السلام مما آذوه به، وكانت لموسى عليه السلام وجاهة عند الله عز وجل فمثله لا ينبغي أن يؤذى فكذا نبيكم صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبًا وباطلًا (فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ) فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم (وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا) يقول:

(٣٣١) أحمر
أسود

وكان موسى عند الله مشفعًا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: له وجاهة وجاه عند ربه ﷻ.

قال الحسن البصري: كان مستجابَ الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه. ولكن منع الرؤية لما يشاء الله ﷻ.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة: أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقول السديد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾؟

ج: قيل: المراد بالقول السديد: قول لا إله إلا الله.

* وقيل: المراد بالقول السديد: القول الحق الصواب.

* وقيل: عموم ما يُراد به وجه الله من الأقوال.

* وقيل: هو الإصلاح بين المتشاجرين.

والحاصل أن القول السديد هو ما يراد به وجه الله من الأقوال، وهذا يعمُّ الخيرات كلها.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك من كان يؤذي رسول الله حتى قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾؟

ج: نعم كان هناك أهل نفاق يؤذون رسول الله ﷺ، ويلمزونه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

(٣٣٢) أحمر
أسود

وكذا قد أوذي رسول الله ﷺ في حادث الإفك.

وأوذي رسول الله ﷺ لما تزوج بزينب بنت جحش.

وأوذي رسول الله بصور شتى من أهل الكفر والنفاق.

❁ ❁ ❁

س: هل يجب على خطيب الجمعة أن يذكر هذه الآية الكريمة في خطبة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ...﴾؟

ج: لا يجب ذلك إذ لم يرد أمرٌ بذلك.

❁ ❁ ❁

س: ما الرابط بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾، وقوله: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾؟

ج: وجه الربط بين ذلك أن القول السديد سببٌ في صلاح الأعمال.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم وعد جل وعز بأنه يجازي على القول السداد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة منزلة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي فيما أمر به ونهى عنه ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: يا أيها الذين آمنوا اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، واحذروا غضب الله وعقابه، وأن ينزل بكم بأسه فقولوا قولًا حقًّا وصوابًا دائمًا وأبدًا، وقولوا في رسول الله، وفي أهل الإيمان ما هم له أهل

من الحق والصدق، وكل ما يقربكم من الله فإن هذا القول الحق الصواب الذي يبتغى به وجه الله سبب عظيمٌ من أسباب التوفيق وإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب؟ أما القول الأعوج غير المستقيم فإنه سببٌ عظيم من أسباب فساد العمل، وسبب من أسباب ارتكاب الذنوب والآثام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته.

وقوله: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولًا قاصدًا غير جائر، حقًّا غير باطل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: عدلًا قال قتادة: يعني به في منطقه وفي عمله كله، والسديد الصدق.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيعمل بما أمره به وينتهي عما نهاه ويقل السديد ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَنْ كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك، أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال

(٣٣٤) أحمر
أسود

الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية. وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها.

ثم قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾: وذلك أنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأمانة وعرضها على السموات والأرض والجبال؟

ج: المراد – والله أعلم – الفرائض والأوامر والنواهي، والسمع والطاعة في ذلك.

والمعنى: أن الله ﷻ عرض على السموات والأرض والجبال أن يكلفهن، يأمرهن بما يشاء وينهاهن عما يشاء، على أن يثيبهن إذا أطعن، ويُعذبهن إذا عصين، أي: أنه ﷻ يفرض عليهن فرائض إن قمن بها يثبن وإن لم يقمن بها يُعذبن فاختارت السموات والأرض والجبال ألا تكلف خشية أن تعذب.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمانة بعض ما ذُكر، فقالوا:

منها كون المرأة مؤتمنة على فرجها، فقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن مسروق عن أبي بن كعب قال: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها.

وقال بعض العلماء: إن الأمانة المراد بها الأمانات التي يحفظها الناس بعضهم لبعض.

وقال آخرون: إنها ائتمان آدم عليه السلام ابنه قابيل على أهله وإخوته فخان وقتل أخاه.

وقال آخرون: الأمانة الغسل من الجنابة إلى آخر تلك الأقوال.

والصواب، والله أعلم أن المعنى الأول الذي قدمناه، وهو أن الأمانة هي

(٣٣٥) أحمر
أسود

عموم التكاليف والسمع والطاعة، والقيامة بالتكاليف، والله أعلم.

قال القرطبي $:

قال العلماء: معلوم أن الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول الأخير وهذا العرض عرض تخيير لا إلزام والعرض على الإنسان إلزام وقال القفال وغيره : العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والأرض على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر حقه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر : ٢١] ثم قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر : ٢١].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بالذي فيه الحظ له.

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد.

(٣٣٦) أحمر
أسود

وبإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا، ويستأمنهن على الدين، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ يعني به: الدين والفرائض والحدود ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلومًا جهولًا عن حقها.

وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس.

قال الطبري $:

وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه.

ثم قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا.

(٣٣٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

قال غير واحد: إن الأمانة هي الفرائض.

وقال آخرون: هي الطاعة.

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق: قال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها.

وقال قتادة: الأمانة: الدين والفرائض والحدود.

وقال بعضهم: الغسل من الجنابة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا مَنْ وفق اللهُ، وبالله المستعان.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى في شأن الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الإنسان لما قبل تحمل الأمانة، وأنه يعاقب إذا خان، ويثاب إذا أداها وقام بها كان ظلومًا لنفسه جهولًا بربه، وجهولًا بحقيقة أمره، وجهولًا بما تؤول إليه الأمور.

أورد الطبري بإسنادٍ عن قتادة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: ظلومًا لها يعني: للأمانة جهولًا عن حقها.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يعني: قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله.

(٣٣٨) أحمر
أسود

قال القرطبي $:

قال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المراد الكافر والمنافق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بربه، فيكون على هذا الجواب مجازًا مثل: (وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ) [يوسف: ٨٢] وفيه جواب آخر على أن يكون حقيقة أنه عرض على السموات والأرض والجبال الأمانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب أي أظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها وأشفقت وقالت: لا أبتغي ثوابًا ولا عقابًا وكل يقول: هذا أمر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما أمرن به وسخرن له قاله الحسن وغيره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ حمّل الإنسان الأمانة لما أعلن الإنسان عن قبوله لحملها فظهر بذلك خائن الأمانة من مشرك ومنافق، فالمشرك جحد كل ما افترضه الله عليه، ورفضه، ولم يُقرّ حتى بالشهادة لله بالوحدانية، وأما المنافق فأظهر ما لا يبطنه ونطق موافقة باللسان وخالف قلبه ما يقول بلسانه، فمن ثم أحل الله بهؤلاء وأولئك العذاب، أما أهل الإيمان فقد رُدُّوا إلى الإيمان ومن ثم إلى طاعة الله ورحمة الله فقبل الله رجوعهم وتفضل عليهم برحمته لهم وكان الله ولا يزال غفورًا للمستغفرين.

غفورًا لأهل الإيمان والتوحيد، رحيم بهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها

(٣٣٩) أحمر
أسود

الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان ﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها ﴿رَّحِيمًا﴾ أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ هذان اللذان خاناها ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذان اللذان أدَّياها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله، ﷻ، ومخالفة رسله، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ اللام في ليعذب متعلقة بـ حمل أي حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع فهي لام التعليل لأن العذاب نتيجة حمل الأمانة وقيل بـ(عَرَضْنَا) أي عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وإيمان المؤمن ليثيبه الله.

(٥٠٥) أحمر
أسود

تفسير سورة سبأ

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦) [سبأ: ١-٦].

(٥٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَلِجُ - يَعْرُجُ - لَا يَعْزُبُ - مِثْقَالُ - سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا - مُعَٰجِزِينَ - رِّجْزٍ - أَلِيمٌ - صِرَٰطِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(يَلِجُ)	يدخل ويغيب
(يَعْرُجُ)	يصعد
(لَايَعْزُبُ)	لا يغيب
(مِثْقَالُ)	وزن
(سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا)	اجتهدوا لإبطال حججنا وآياتنا
(مُعَٰجِزِينَ)	مُغالبين - يظنون أنهم يعجزوننا ولا نستطيع الإتيان بهم
(رِّجْزٍ)	الرجز - أسوأ العذاب - العذاب السيئ
(أَلِيمٌ)	مؤلم موجع
(صِرَٰطِ)	طريق

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾)؟

ج: المعنى - والله أعلم - الحمد الكامل لله ﷻ، فله الحمد كله وله الشكر كله إذ له ما في السموات وما في الأرض لا شريك له في ملكه ولا منازع

(٥٠٧) أحمر
أسود

لـه في أمـره، فلـه الحمـد علـى ذلـك فـلا ننـزل حاجاتنـا إلا بـه ﷻ ولا يكشـف الكـروب إلا هـو ولا يـأتي بـالخير إلا هـو سبحانه وتعـالى، وكـذا، وكمـا أن لـه الحمد الكامل في الـدنيا، فلـه الحمـد أيضًـا في الآخـرة كمـا يقـول أهـل الإيمـان (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) [الزمـر: ٧٤]، وكمـا يقولـون: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ...) [فاطر: ٣٤].

وها هي بعض أقول العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه (وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ) [سبأ: ١] يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصًا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١) حكيم في أمره، خبيرٌ بخلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة: أن له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في

(٥٠٨) أحمر
أسود

جميع ذلك، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٣].

ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قيل: هو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر ٧٤] وقيل: هو قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠] فهو المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا وهو المالك للآخرة كما أنه المالك للأولى ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ بأمر خلقه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما يستوجب الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

ج: هو نفسه سبحانه وتعالى محمود على كل حال، وكل النعم التي نحن فيها إنما هي من الله عَزَّ وَجَلَّ.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وكما قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

ومن نعمه علينا إنزاله القرآن على نبينا محمد □ وهدايتنا للإسلام.

(٥٠٩) أحمر
أسود

ومما يستوجب الحمد كونه مالك أمر السموات والأرض فهي ملك له فلا نلتجئ لغيره ولا نرجو سواه فهو المعطي الوهاب فلا تتشعب بنا السبل، ولا تتفرق بنا الطرق، فكل ما نريده نسأله ربنا سبحانه.

وكذا فهو المحمود في الآخرة، فالأمر هناك أمره، والملك ملكه، ولا منازع ينازع، ولا شريك يعارض، وهو الرحمن الرحيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ يعلم كل شيء، ومن علمه أنه يعلم ما يدخل في الأرض ويغيب فيها من بذور وأموات وغير ذلك، وكذا يعلم ما يخرج منها من نبات وكنوز وبراكين ودواب وغير ذلك، وكذا يعلم ما ينزل من السماء من قطرٍ (غيث)، ومن ملك ومن أمرٍ ومن نهي، وغير ذلك.

وأيضًا يعلم ما يعرج في السماء وما يصعد فيها من عمل ومن قول وأرواحٍ وغير ذلك.

وهو الرحيم بعباده الغفور لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء. من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه، كما قال الشاعر:

رأيت القوافي يتلجن موالجا تضايق عنها أن تولجها الإبر

(٥١٠) أحمر
أسود

يعني بقوله: «يتلجن موالجا»: يدخلن مداخل (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) يقول: وما يخرج من الأرض (وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ) يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، وهو الرحيم الغفور، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مالك عن الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته، (وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ) أي: من قطر ورزق، (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ) أي: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، (وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾) أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ) أي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال: (فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ) من الكنوز والدفائن والأموات وماهي له كفات (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من نبات وغيره (وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ) من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والمقادير والبركات وقرأ علي بن أبي طالب «**وما ننزل**» بالنون والتشديد (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ) من الملائكة وأعمال العباد قاله الحسن وغيره (وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾).

❁ ❁ ❁

س: أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسم بربِّه على أن الساعة ستأتي، وذلك في

(٥١١) أحمر
أسود

ثلاث مواطن من الكتاب العزيز. بيِّنها.

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير إذ قال:

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره مَنْ أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: (۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾) [يونس:٥٣]، والثانية هذه: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، والثالثة في التغابن: (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾) [التغابن:٧]، فقوله: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: (عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر قالوا منكرين البعث، ومكذبين رسول الله □ قالوا: لا تأتينا الساعة، أي ليس هناك بعث، ولا ثواب ولا عقاب، فأمر الله نبيه محمدًا □ أن يُقسم لهم بربِّه على وقوعها، إذ الله قال: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)، وأما عن موعد وقوعها فلا يعلمه إلا هو، فهو سبحانه لا يغيب عنه ولا يخفى وزن ذرةٍ من أي شيء كان في السموات أو في الأرض، ولا أصغر من وزن الذرة ولا أكبر والله محيط به علمًا، ثم هو مثبت

(٥١٢) أحمر
أسود

في كتاب موضح مظهر للأشياء لا يعلمه إلا هو.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبًا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسمًا به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها فقال: (عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ).

ويعني جل ثناؤه بقوله: (لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ) لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له.

وقوله: (مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ) يعني: زنة ذرة في السماوات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض (وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ) يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة (وَلَآ أَكۡبَرُ) منه (إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣) يقول: هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال مجاهد وقتادة: (لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ) لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.

❁ ❁ ❁

(٥١٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾).

ج: الآيتان - والله تعالى أعلم - مرتبطتان في معنيهما بالآية التي تقدمتهما فالمعنى أن الساعة ستأتي، ليجزي الله ﷻ المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته، فالذين صدقوا المرسلين، وآمنوا بما أنزل الله على رسله وأتبعوا ذلك وصاحبوه بصالح الأعمال لهم مغفرةٌ لذنوبهم ورزق كريم جزاء صالح أعمالهم، وهذا الرزق الكريم هو الجنة.

وأما الذين اجتهدوا للصد عن سبيل الله ولإبطال الآيات والحجج يظنون أنهم سيفوتوننا ويهربون منا ونعجز عنهم فأولئك لهم عذاب شديد مؤلم موجع من أسوأ العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) يقول جلَّ ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾) يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾) في الجنة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب ليجزي المؤمنين ما وصف

(٥١٤) أحمر
أسود

وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين، يقول: وكي يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ) يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم، ويعني بالأليم: الموجع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ) أي: لا يعجزون (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥) قال: الرجز: سوء العذاب، الأليم: الموجع.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: (وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ) قال: جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ (لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦) [فصلت: ٢٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: (لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ) أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥) أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: (لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠) [الحشر: ٢٠]، وقال تعالى: (أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨) [ص:٢٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا) أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا

(٥١٥) أحمر
أسود

(مُعَٰجِزِينَ) مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وأن الله لا يقدر على بعثهم في الآخرة وظنوا أنا نهملهم فهؤلاء (لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥).

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (وَيَرَى) ما معناها؟

ج: الظاهر أن معناها هنا: ويعلم، ويوقن.

❁ ❁ ❁

س: من الذين أوتوا العلم الذين عناهم الله بقوله: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ...)؟

ج: لأهل العلم أقوال هاهنا:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب الذين آمنوا وأسلموا كعبد الله بن سلام وغيره.

الثاني: أنهم أصحاب رسول الله □.

الثالث: أنهم عموم من آتاهم الله علمًا بكتابه وبسنة رسوله □.

❁ ❁ ❁

س: وضح وجه الواو في قوله: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ...).

ج: في ذلك وجوه للعلماء:

أحدها: أن قوله: (وَيَرَى) معطوف على (لِّيَجۡزِيَ) فالمعنى - والله أعلم - قل: بلى وربي لتأتينكم الساعة ليجزي الذي آمنوا وعملوا الصالحات

(٥١٦) أحمر
أسود

بالقسط.

... وليعلم الذين أوتوا العلم أن القرآن حقٌّ بما فيه من وعد ووعيد وثواب وعقاب..

الثاني: أنها للمقابلة، والمعنى، وكما أن أهل الكفر ينكرون البعث ويقولون لا تأتينا الساعة، ففي مقابلهم أهل العلم يعلمون أن الساعة حق.

وستقوم الساعة حتى يتأكد لهم ما أُخبروا به.

الثالث: أن الذين أوتوا العلم في الدنيا يعلمون - وقبل مجيء الساعة - أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، فهذا ثناءٌ عليهم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، فيرى في موضع نصب عطفًا به على قوله: يجزي في قوله: (لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان، فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق.

وقيل: عنى بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله □.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ) قال: أصحاب محمد.

وقوله: (وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦) يقول: ويرشد من اتبعه وعمل

(٥١٧) أحمر
أسود

بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ). هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذٍ عين اليقين، ويقولون يومئذٍ أيضًا: (لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ) [الأعراف: ٤٣]، ويقال أيضًا: (هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾) [يس:٥٢]، (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ) [الروم:٥٦]، (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾). العزيز هو: المنيع الجناب، الذي لا يُغالب ولا يُمَانع، بل قد قهر كل شيء، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه، وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر الذين سعوا في إبطال النبوة بين أن الذين أوتو العلم يرون القرآن حق قال مقاتل: الذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب وقال ابن عباس: هم أصحاب محمد □ وقيل جميع المسلمين وهو أصح لعمومه والرؤية بمعنى العلم وهو في موضع نصب عطفًا على ليجزي أي ليجزي وليرى قاله الزجاج والفراء وفيه نظر؛ لأن قوله: (لِّيَجْزِىَ) متعلق بقوله: لتأتينكم الساعة ولا يقال: لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق فإنهم يرون

(٥١٨) أحمر
أسود

القرآن حقًّا وإن لم تأتيهم الساعة والصحيح أنه رفع على الاستئناف ذكره القشيري.

قلت: وإذا كان ليجزي متعلقًا بمعنى أثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن عطف ويرى عليه أي وأثبت أيضًا ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق ويجوز أن يكون مستأنفًا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦) أي يهدي القرآن إلى طريق الإسلام الذي هو دين الله ودل بقوله: (ٱلۡعَزِيزِ) على أنه لا يغالب وبقوله: (ٱلۡحَمِيدِ ٦) على أنه لايليق به صفة العجز.

❁ ❁ ❁

(٥١٩) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾) [سبأ: ٧-٩].

(٥٢٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿نَدُلُّكُمْ - مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - جِنَّةٌ - كِسَفًا - مُّنِيبٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(نَدُلُّكُمْ)	نُخبركم
(مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)	مُتم وتفرقت أجسادكم بعد مصيركم ترابًا
(خَلْقٍ جَدِيدٍ)	أحياء بعد الموت
(جِنَّةٌ)	جنون
(كِسَفًا)	قطعًا من السماء
(مُّنِيبٍ)	رجَّاع - تواب

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾).

ج: حاصل القول في الآيات الكريمة، أن أهل الكفر قال بعضهم لبعض على سبيل السخرية والاستهزاء برسول الله ﷺ، واستبعاد وقوع يوم القيامة قالوا لبعضهم: هل ندلكم على رجلٍ غريب القول والشأن يخبركم أنكم إذا متم وصرتم ترابًا وتفرقت أجسادكم في كل مكان أنكم ستبعثون خلقًا جديدًا؟ أهذا شخص متقولٌ على الله أم أنه مجنون؟! فلا يخلو شأنه من أمرين إما أن يكون كذابًا على الله أو أنه مجنون.

(٥٢١) أحمر
أسود

فـدافع الله ﷻ عـن نبيـه ﷺ بقولـه: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨)، أي أن هذا الرسول الكريم ليس بكذاب على الله، وليس بمجنون بل أهل الكفر متمادون في كفرهم وتكذيبهم وسيؤول ذلك بهم إلى العذاب، فضلًا عما هم فيه من البعد الواضح عن الحق، والانحراف عنه.

وبنحو ذلك قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض: (هَلۡ نَدُلُّكُمۡ) أيها الناس (عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتًا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقًا جديدًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس (يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ) إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتًا وعظامًا وقطعتكم السباع والطير (إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) ستحيون وتبعثون.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ...) إلى (خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) قال: يقول: (إِذَا مُزِّقۡتُمۡ) وإذا بليتم وكنتم عظامًا وترابًا ورفاتًا، ذلك (كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧) قال: (ينبئكم إنكم) فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء، لأن النبأ خبر وقول، فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله: (يُنَبِّئُكُمۡ) دون لفظه، كأنه قيل: يقول لكم: (إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧).

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد

(٥٢٢) أحمر
أسود

الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله □ في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنَّا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبًا؛ فتخلق عليه بذلك باطلًا من القول وتخرص عليه قول الزور (أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ) يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قالوا تكذيبًا (أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله (أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ) وإما أن يكون مجنونًا (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ...) الآية.

قال الطبري:

وقوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨) يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد □ وظنوا به من أنه افترى على الله كذبًا، أو أن به جنة، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول □ في إخباره بذلك: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ) أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق: (إِنَّكُمۡ) أي: بعد هذا الحال (لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧) أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك، وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لُبّس عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: (أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ

(٥٢٣) أحمر
أسود

جِنَّةٌۢ)؟ قال الله تعالى رادًّا عليهم: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾) أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء، (فِي ٱلۡعَذَابِ) أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، (وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾) من الحق في الدنيا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لما دخل ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل فحذفتها وكان فتح ألف الاستفهام فرقًا بينها وبين ألف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [مريم: ٧٨] مستوفي ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ هذا مردود على ما تقدم من قول المشركين، والمعنى: قال المشركون أفترى على الله كذبًا؟ والافتراء الاختراق أم به جنة؟ أي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ أي: ليس الأمر كما قالوا بل هو أصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصوب إذا صاروا إلى تعجيز الإله ونسبة الافتراء إلى من أيده الله بالمعجزات.

❁ ❁ ❁

س: يدافع الله ﷻ عن أنبيائه وأوليائه. اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى ردًّا على أهل الشرك إذ وصفوا رسول الله ﷺ بالافتراء أو الجنون (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾).

وقوله تعالى: (وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾) [القلم: ١-٢].

وقوله تعالى: (فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾...) [الطور: ٢٩].

(٥٢٤) أحمر
أسود

إلى غير ذلك، وقد قدمنا سائر الأدلة في مواطنها بحمد الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أفلم ير هؤلاء المكذبون لرسلنا، المنكرون للبعث والحساب، أفلم يروا أنهم حيث كانوا، وحيث ذهبوا ففوقهم سمائي وتحتهم أرضي، وأنا عليهم قادر، إن شئت أسقطت عليهم قطعًا من السماء من فوق رؤوسهم تدمرهم، وإن شئت خسفت بهم الأرض، إن في ذلك لعبرة ودلالة لكل عبد رجَّاع إلى الله ﷻ.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد □: (أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرًا أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعا، فإنا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم) قال:

(٥٢٥) أحمر
أسود

ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ) كما خسفنا بمن كان قبلهم (أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) أي: قطعًا من السماء.

وقوله: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾) والمنيب: المقبل التائب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منبهًا لهم على قدرته في خلق السموات والأرض، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة مُظلَّلة عليهم، والأرض تحتهم، كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات:٤٧، ٤٨].

قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

وقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

(٥٢٦) أحمر
أسود

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ قال مَعْمَر، عن قتادة: ﴿مُنِيبٍ﴾: تائب.

وقال سفيان عن قتادة: المنيب: المقبل إلى الله ﷻ.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجَّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن مَنْ قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعلم الله تعالى أن الذين قدر على خلق السموات والأرض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وأن السموات والأرض ملكه وأنهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يأمنون الخسف والكسف كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة.

وقرأ حمزة و الكسائي: (**إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط**) بالياء في الثلاث أي إن يشاء الله أمر الأرض فتنخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم كسفًا الباقون بالنون على التعظيم وقرأ السلمي و حفص (**كسفا**) بفتح السين، الباقون بالإسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لآية أي دلالة ظاهرة (﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾) أي: تائب رجاع إلى الله بقلبه وخَصَّ المنيب بالذكر؛ لأنه المنتفع بالفكرة في حُجج الله

(٥٢٧) أحمر
أسود

وآياته.

❁ ❁ ❁

(٥٢٨) أحمر
أسود

ذكر نبي الله داود وسليمان ث

قال الله تعالى:

(۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ
(١٠) أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ
ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ
مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ
كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ
(١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ
ٱلْمُهِينِ (١٤))

[سبأ: ١٠-١٤]

(٥٢٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(فَضْلًا -أَوِّبِي -وَأَلَنَّا -سَٰبِغَٰتٍ -وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ -غُدُوُّهَا شَهْرٌ - وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ -وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ -يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا -مَّحَٰرِيبَ -وَتَمَٰثِيلَ -وَجِفَانٍ -كَٱلْجَوَابِ - وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ -ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا -مِنسَأَتَهُۥ -خَرَّ - تَبَيَّنَتِ - ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَضْلًا)	شيئًا زائدًا عن الناس – زيادة
(أَوِّبِي)	سبِّحي معه – رجِّعي معه التسبيح
(وَأَلَنَّا)	جعلنا لينًا في يده
(سَٰبِغَٰتٍ)	دروع سابغة تغطي الجسم كله
(وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ)	اجعل الثقب على قدر المسمار وقد قال البعض: إن السرد هو المسمار نفسه وقال آخرون: إن السرد هو الحلق نفسها
(غُدُوُّهَا شَهْرٌ)	ما تسيره (مسيرتها في الصباح – في الغداة) يعادل مسيرة الراكب لمدة شهر
(وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)	ومسيرتها في الرواح (عند الرجوع مساء) تعدل مسيرة شهر للراكب
(وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ)	جعلناها سائلة، عين القطر هي عين النحاس، والمراد: جعلنا له النحاس مذابًا، أي: أذبناه له.
(يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا)	يحيد عن الأمر – لا يمتثل الأمر

(٥٣٠) أحمر
أسود

(مَحَٰرِيبَ)	الأبنية الجميلة الحسنة البهيجة، والمحراب أفضل شيء في المجالس - وقيل: القصور والمساجد
(وَتَمَٰثِيلَ)	ما يصور على صورة حيوان أو غيره
(وَجِفَانٍ)	جمع جفنة، وهي التي يُوضع فيها الطعام
(كَٱلْجَوَابِ)	الجواب جمع جابية، وهي الحوض الذي يُجب إليه الماء
(وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ)	جمع قدر، والراسيات الثوابت التي لا تتحرك من عِظمها وضخامتها
(ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ)	قدموا شكرًا لله يا آل داود
(مِنسَأَتَهُۥۖ)	عصاه
(خَرَّ)	سقط (ميتًا)
(تَبَيَّنَتِ)	ظهر لها - اكتشفت
(ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)	المُذل المخزي المُرهق

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الفضل الذي آتاه الله نبيه داود عليه السلام ؟

ج: لأهل العلم في تعيينه عدة أقوال، وكلها صحيحة، وكلها فضل، لخصها القرطبي بقوله:

(۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ) بَيَّنَ لمنكري نبوة محمد ﷺ أن إرسال الرسل

(٥٣١) أحمر
أسود

ليس أمرًا بدعًا بل أرسلنا الرسل وأيدناهم بالمعجزات وأحللنا بمن خالفهم العقاب (ءَاتَيْنَا) أعطينا (فَضْلًا) أي أمرًا فضَّلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة أقوال:

الأول: النبوة. **الثاني**: الزبور.

الثالث: العلم قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا) [النمل: ١٥].

الرابع: القوة قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧].

الخامس: تسخير الجبال والناس قال الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾.

السادس: التوبة قال الله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ) [ص: ٢٦].

السابع: الحكم بالعدل، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] الآية.

الثامنة: إلانة الحديد قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠].

التاسع: حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه وهو المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١] على ما يأتي إن شاء الله تعالى وقال ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**». قال العلماء: المزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سُمِّيت آلة الزمر مزمارًا.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يتبع إصلاح أمر الدنيا بالحث على إصلاح أمر الآخرة. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا).

(٥٣٢) أحمر
أسود

نعقِّب أعمال الدنيا بأعمال الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: يا من تريدون الحج، ولا تنسوا أمرًا آخر، وهو زاد الآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكما قال تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ) [الأعراف: ٢٦]، ثم قال: (وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ)، إلى غير ذلك من النصوص.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد مننا على داود عليه السلام وأعطيناه ما لم نعطه غيره من معاصريه، فلقد تفضلنا عليه بأمور كثيرة زائدة على الناس، ومنها: الصوت الحسن وتسخير الجبال، الجبال تُسبح معه إذا سبح، فكان ذا صوت حسن جدًّا عليه صلاة الله وسلامه كما قال النبي □ لأبي موسى رضي الله عنه: «**لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**».

وأمرنا الجبال أن تسبح معه في مشهدٍ مهيبٍ ومنظرٍ عجيبٍ ومَسْمع لم يُسمع من قبل، وكذا الطير سخرناها أيضًا تسبح معه وتؤوب معه وترجع كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٨-١٩]، وكذلك فقد امتننا عليه بأن جعلنا الحديد سهلاً ليّنًا في يديه يتصرف فيه كيف يشاء ويصنع به ما يريد من غير حاجة إلى طَرْقٍ ولا إلى

(٥٣٣) أحمر
أسود

نار، ولا إلى غير ذلك، وأوحينا إليه وعلمناه أن يعمل الدروع السوابغ التي تقي سهام الأعداء وتُحفظ من ضرباتهم ونِبالهم وسيوفهم، كالقمصان الواقية التي يلبسها الملوك والرؤساء، ولكن الدروع التي كان يصنعها داود كانت سابغة تغطي الجسم كله، وقد قال تعالى: (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ) [الأنبياء: ٨١] أي: لتمنعكم من عدوِّكم الذي يرميكم بسهامه ويضربكم بسيوفه وأوحينا إليه أن (وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ)، وقد قيل: إن السرد هو المسمار، وقيل: إنه الحلقة التي يدخل فيها المسمار، وعلى كُلٍّ فالمعنى: اجعل الثقب على قدر المسمار فلا توسع الحلقة (الثقب) فلا يُجدي المسمار معه بشيء، وكذا لا تُضيق الثقب عن المسمار فتنكسر الحلقة عند إدخال المسمار فيها، بل اضبط القُطر (قطر الحلقة وقُطر المسمار)، وهذا من أصول الصناعات.

ثم أرشده الله ﷻ إلى العمل الصالح مع هذا العمل الدنيوي، وإلا فليس للعمل الدنيوي نفع بدون عمل صالح، فقد قال تعالى عن أقوام: (يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾) [الروم: ٧].

فقال تعالى: (وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾) أي: لعملكم مراقب ومطلع وشاهد، لا يخفى عليَّ من عملكم شيء، وسأجازيكم عليه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منَّا فضلًا وقلنا للجبال: (أوبي معه): سبحي معه إذا سبح. والتأويب عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله، ومنه قول الشاعر:

(٥٣٤) أحمر
أسود

يومـــان يـــوم مقامـــات وأنديـــة ويـــوم ســـير إلـــى الأعـــداء تأويـــب

أي رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه (أُوبي معه) من آب يئوب، بمعنى تصرفي معه، وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة.

وأورد عدة آثار في تفسير (أَوِّبِي) أي: سبِّحي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ) قال: سبِّحي معه.

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: (وَٱلطَّيۡرَۖ) وفي نصب الطير وجهان: أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن إعادة رافعه عليه فيكون كالمصدر عن جهته، والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه، فيكون معنى الكلام: فقلنا: يا جبال أوبي معه وسخرنا له الطير. وإن رفع ردًّا على ما في قوله: سبحي من ذكر الجبال كان جائزًا، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال، وإن لم يحسن نداؤها بالذي نوديت به الجبال، فيكون ذلك كما قال الشاعر:

ألا يـــا عمـــرو والضـــحاك ســـيرا فقـــد جاوزتمـــا خمـــر الطريـــق

وقوله: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠) ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد.

وأورد عن قتادة بسندٍ حسن قال: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠) سخر الله له الحديد بغير نار.

قال الطبري:

وقوله: (أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ) يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوامُّ

(٥٣٥) أحمر
أسود

الكوامل من الدروع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ) دروع وكان أول من صنعها داود، وإنما كان قبل ذلك صفائح.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: السابغات: دروع الحديد.

وأورد الطبري قولين في تفسير قوله تعالى: (وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ) حاصلهما: أن السرد هو مسمار حلق الدرع، أي: المسامير التي في الحلق، والآخر السرد هو الحلق بعينها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ) اختلف أهل التأويل في السرد؛ فقال بعضهم: السرد هو مسمار حلق الدرع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ) قال: كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق. وقال آخرون: هو الحلق بعينها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ) قال: السرد حلقه، أي: قدر تلك الحلق، قال: وقال الشاعر:

أجاد المسدي سردها وأذالها

قال: يقول: وسعها أجاد حلقها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعني بقوله: (وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ): وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة.

(٥٣٦) أحمر
أسود

وقوله: (وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ) يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله (إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١) يقول جل ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر، لا يخفى علي منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه- مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصُّمُّ الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: «**لقد أوتي هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود**».

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنج ولا بَرْبَط ولا وَتَر أحسن من صوت أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى قوله: (أَوِّبِي) أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.

والصواب أن المعنى في قوله تعالى: (أَوِّبِي مَعَهُۥ) أي: رَجّعي معه مُسَبّحة معه، كما تقدم، والله أعلم.

وقوله: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠): قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال: (أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ) وهي: الدروع. قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

(وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ): هذا إرشاد من الله لنبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تعليمه صنعة

(٥٣٧) أحمر
أسود

الدروع.

قال مجاهد في قوله: (وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ): لا تُدِقّ المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلّظه فيفصمها، واجعله بقدر.

وقوله: (وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا) أي: في الذي أعطاكم الله من النعم، (إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾) أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى علي من ذلك شيء.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم إذا يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن خير ما أكل المرء من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**» وقد مضى هذا في الأنبياء مجودًا والحمد لله.

❁ ❁ ❁

بعض نعم الله عَزَّ وَجَلَّ على سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وسخرنا لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الريح تحمله إلى حيث يشاء وإلى حيث يريد.

(٥٣٨) أحمر
أسود

سخرناها له تقطع في ذهابها صباحًا (أي: في الغدوة صباحًا) ما يقطعه الراكب في شهر، وتقطع في رواحها (رجوعها أثناء الرواح) ما يقطعه الراكب في شهرٍ وأسلنا له عين النحاس، أي جعلنا النحاس يسيل بلا نارٍ، ولا صهرٍ، فكما أن الله ألان الحديد لداود، فقد جعل النحاس سائلاً لسليمان عليه السلام، وكذا سخرنا له جنًّا يعملون أمامه، سخَّرت له بتسخيرنا لهم، ومن يميل منهم عن الأمر - أمر سليمان عليه السلام، إذ إنه مُلِّك عليهم بتمليك الله له نذقه من عذاب النار المستعرة، وقيل: إن هذا العذاب في الآخرة، وعليه الأكثرون، وقيل: إنه في الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بنصب الريح، بمعنى: ولقد آتينا داود منا فضلًا وسخرنا لسليمان الريح. وقرأ ذلك عاصم: **(ولسليمان الريح)** رفعًا بحرف الصفة إذ لم يظهر الناصب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم.

وقوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ يقول: وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له.

(٥٣٩) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة (وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ) عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ) قال: الصفر سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن.

وقوله: (وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ) يقول تعالى ذكره: ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له (وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾) في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذّى بها، ويذهب رائحا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله: (وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ) أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. (وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) أي: ومَنْ يعدل ويخرج منهم عن الطاعة (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾) وهو الحريق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ

(٥٤٠) أحمر
أسود

وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - أن الله ﷻ سخَّر الشياطين لسليمان عليه السلام تعمل له ما يريده من محاريب وهي الأبنية الحسنة الفاخرة، وهي أشرف شيء في المجلس وأفضله ومقدمته.

وقيل إن المراد به القصور والمساجد، وقيل: المساكن العظيمة الفخمة، وكذا يصنعون له التماثيل، وهي جمع تمثال، وهو ما كان على صورة الحيوان أو غيره، وكان هذا جائزًا في زمن سليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام ونسخ ذلك في شريعتنا، وقد قال النبي □: «**لا تدع صورة إلا طمستها**»، وكذا يعملون له الجفان، وهي جمع جفنة، وهي التي يوضع فيها الطعام، ولكنها كانت عظيمة جدًّا فقد كانت الجفنة كالجابية، والجابية هي الحوض الذي يجبى إليه الماء، وهي المكان المنخفض المتسع الذي يتجمع فيه الماء.

وكذا يعملون له القدور الهائلة - قدور الطبخ - العظيمة التي لا تنقل من أماكنها.

ثم يوجه إليه الأمر بعمل الصالحات، فيقول تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾)، قلَّ من العباد من يقدم شكرًا لله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد:

كدمي العاج في المحاريب أو كال ... بيض في الروض زهره مستنير

وقوله: (وَتَمَٰثِيلَ) يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج.

(٥٤١) أحمر
أسود

قوله: (وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ) يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب، وهي جمع جابية والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على نادي المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

وكما قال الآخر:

فصبحت جابية صهارجا كأنها جلد السماء خارجا

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن (وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ) قال: كالحياض.

وقوله: (وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ) يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمهن.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة (وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ) قال: عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أمكنتهن.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ) قال: مثال الجبال من عظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرك ولا تنقل، كما قال للجبال: راسيات.

وقوله: (ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا) يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصَّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه، وترك ذكر: «وقلنا لهم» اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه، وأخرج قوله: (شُكْرًا) مصدرًا من قوله: (ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ) لأن معنى قوله: (ٱعْمَلُوٓا۟) اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا) قال:

(٥٤٢) أحمر
أسود

أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾) يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَتَمَٰثِيلَ) جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من الحيوان أو غير حيوان وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حكى مكي في الهداية له: أن فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الآية، قال ابن عطية: وذلك خطأ وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه.

قلت: ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله. قال النحاس: قال قوم عمل الصور جائز لهذه الآية ولما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن المسيح وقال قوم: قد صح النهي عن النبي ﷺ عنها والتوعد لمن عملهما أو اتخذها فنسخ الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه ما كان مباحًا قبله وكانت الحكمة في ذلك لأنه بعث عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والصور تعبد فكان الأصلح إزالتها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التمثال على قسمين: حيوان وموات والموات على قسمين: جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله: وتماثيل وفي الإسرائيليات: أن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان فإن قيل: لا عموم لقوله: (وَتَمَٰثِيلَ) فإنه إثبات في نكرة والإثبات في النكرة لا عموم له إنما

العموم في النفي في النكرة. قلنا: كذلك هو بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله: ما يشاء فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له فإن قيل: كيف استجاز الصور المنهي عنها ؟ قلنا كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بيَّنا والله أعلم.

وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور؛ إذ ذاك محرمًا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مقتضى الأحاديث يدل على أن الصور ممنوعة ثم جاء: «**إلا ما كان رقما في ثوب**» فخُصَّ من جملة الصور ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لعائشة في الثوب: «**أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا**» ثم بهتكه الثوب المصور على عائشة منع منه، ثم بقطعها له وسادتين تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها فإن جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوَّعد عليه وتبين بحديث الصلاة إلى الصور أن ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الأمر فيه والله أعلم، قاله ابن العربي.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

روى مسلم عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال رسول الله □: «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»[1] قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول عَلَمُها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت: دخل عليَّ رسول الله □ وأنا مستترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه، ثم

(١) مسلم (٢١٠٧).

(٥٤٤) أحمر
أسود

تناول الستر فهتكه، ثم قال: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله** ﷻ»[(١)] وعنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدوة إلى سهوة فكان النبي ﷺ يصلي إليه فقال: «**أخريه عني**» قالت: فأخرته فجعلته وسادتين قال بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعًا؛ لأن محل النبوة والرسالة الكمال فتأمله.

وقال رحمه الله:

قال المزني عن الشافعي: إن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صورًا ذات أرواح لم يدخل إن كانت منصوبة وإن كانت توطأ فلا بأس وإن كانت صورة الشجر ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خرطا أو نقشا في البناء واستثنى بعضهم ما كان رقمًا في ثوب لحدث سهل بن حنيف.

قلت: لعن رسول الله المصورين ولم يستثن وقوله: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم**» ولم يستثن وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ومن لسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين**»[(٢)] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، وفي البخاري و مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»[(٣)] يدل على المنع من

(١) مسلم (٢١٠٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١٧/ ٤٥١) وغيرهما، وانظر علل الدارقطني (١٠/ ١٤٧، رقم ١٩٣٧).
(٣) البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٥٤٥) أحمر
أسود

تصوير شيء أي شيء كان وقد قال جلَّ وعزَّ: (مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا) [النمل: ٦٠] على ما تقدم بيانه فاعلمه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صلى الله عليه و سلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزُفَّتْ إليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها أيضًا قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي. خرَّجهما مسلم. قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ثم إنه لا بقاء لذلك وكذلك مايصنع من الحلاوة أومن العجين لا بقاء له فرخَّص في ذلك والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الشكر:

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها- أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه فقالت له عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» انفرد بإخراجه مسلم[1] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالأفعال عمل الأركان والشكر بالأقوال عمل اللسان والله أعلم.

س: هل أدى آل داود الشكر كما أُمِرُوا؟

---

(١) مسلم (٢٨١٩)، والبخاري (٤٨٣٧)، وله طرق أُخرى عن رسول الله ﷺ عند البخاري (١١٣٠) من حديث المغيرة أيضًا، وَوَهِمَ القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال: انفرد بإخراجه مسلم.

(٥٤٦) أحمر
أسود

ج: في الصحيحين عن رسول الله ؛ أنه قال: «**إن أحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفر إذا لاقى**»[1].

فهذا دليل على كونهم أَدُّوا شكر النعمة كما أُمِرُوا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما حكمنا على سليمان بالموت وحان أجله فمات، أو فلما قدَّرنا عليه الموت فمات، مات عليه السلام ولم تعلم الجن بموته إلا لما سقط على الأرض ميتًا، فقد مات وبَقِيَ زمنًا متكئًا على عصاه، ودابة الأرض التي هي الأرضة (وهي دودة تأكل الخشب) استمرت تأكل عصاه حتى أوهنتها فسقط عليه السلام فحينئذ ظهر للجن أنهم لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون، أو كان يوهمهم كبراؤهم، ويوهمون هم الناس. فلو كانوا يعلمون الغيب ما استمرُّوا مسخرين مُذللين في العمل الشاق المرهق، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات (مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ) يقول: لم يدل الجن على موت سليمان (إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ) وهي

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٥٤٧) أحمر
أسود

الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكِئًا عليها فأكلتها، فذلك قول الله ﷻ (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ).

وقوله: (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ) يقول ﷻ: فلما خر سليمان ساقِطًا بانكسار منسأته تبينت الجن (أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ) الذي يدعون علمه (مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾) المذل حولًا كاملًا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حيٌّ.

وأورد الطبري حديثا عن رسول الله □ في ذلك، ويبدو أن الحديث في ثبوته نظر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي □ قال: «**كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولًا ميتًا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين**». قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء.

(٥٤٨) أحمر
أسود

هذا، وقد علق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الخبر بقوله، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر، فذكره، وقال بعد ذكره:

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طَهْمان، به. وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا، وعطاء بن أبي مسلم[1] الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قال: كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾) ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا.

قلت (مصطفى): وأرى هذا الأثر من أوفق الآثار التي سيقت في تفسير الآية لتمشيه مع سياقها، والله أعلم.

وأورد الطبري أثرًا بسندٍ صحيح عن ابن زيد، وأراه مأخوذًا من الإسرائيليات كذلك فيه قال ابن زيد، في قوله: (مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ) قال: قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني، قال: فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير، ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العيدان يقال

(١) كذا قال، والصواب عطاء بن السائب، فليس لابن أبي مسلم ذِكر في هذا السند.

(٥٤٩) أحمر
أسود

لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها فخر ميتًا، قال: فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: (مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ) قال: والمنسأة: العصا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى كيفية موت سليمان، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه -وهي مِنْسَأته-كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد -مدة طويلة نحوا من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة-تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

❁ ❁ ❁

(٥٥٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأٓخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾) [سبأ: ١٥-٢١]

(٥٥١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لِسَبَإٍ -ءَايَةٌۖ -سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ -خَمۡطٖ -وَأَثۡلٖ -قُرٗى ظَٰهِرَةٗ -بَٰعِدْ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا -فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ -وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ -لَأٓيَٰتٖ -صَبَّارٖ -شَكُورٖ -صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ -سُلۡطَٰنٍ -حَفِيظٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(لِسَبَإٍ)	قيل اسم لرجل – قبيلة – بلدة – بلاد
(ءَايَةٌۖ)	دليل على قدرتنا وفضلنا
(سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ)	سيل الإفساد والدمار – سيل الماء الغزير – سيل الوادي – سيل الشديد – سيل الجرذان (الفئران)
(خَمۡطٖ)	الأراك الذي يؤخذ منه السواك – وقيل المراد ثمرة شجرة الأراك
(وَأَثۡلٖ)	شجر يقال له الطرفاء (طرفاء الغابات)
(قُرٗى ظَٰهِرَةٗ)	قرى واضحة معروفة لدى الناس، متواصلة، بادية على الطريق
(وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ)	جعلنا المسافات بين القرى على القدر الذي يحتاجه المسافر
(بَٰعِدْ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا)	اجعل هنالك مسافات بين الاستراحات التي نزل فيها أثناء سفرنا
(فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ)	جعلناهم على ألسنة الناس، يسبهم الناس، ويتندرون بذكرهم

(٥٥٢) أحمر
أسود

٥٥٢ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)	شتتناهم وفرقناهم في كل مكان
(لَأٓيَٰتٍ)	لعبرة ودلالة
(صَبَّارٍ)	صبار على الطاعات، وصبار عن المعاصي
(شَكُورٍ)	شكور على النعم
(صَدَّقَ عَلَيْهِمْ)	حقَّق فيهم
(سُلْطَٰنٍ)	حُجة - تسلط (بضرب أو بحجة)
(حَفِيظٌ)	عالم بكل شيء ويحفظه على العبد ويسجله عليه

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في سبأ

س: اذكر بعض الأخبار الواردة في سبأ مبيِّنًا مدى صحتها.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه الطبري في تفسيره إذ قال حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي حيان الكلبي[1] عن يحيى بن هانىء عن عروة المرادي عن رجل منهم يقال له: فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان؟ رجلًا كان أو امرأة، أو جبلا أو دواب؟ فقال: «**لا كان رجلًا من العرب وله عشرة أولاد؛ فتيمن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والأزد والأشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا؛ فعاملة وجذام ولخم وغسان**».

---

(١) تصويبه أبو خباب الكلبي.
وهو يحيى بن أبي حية، وهو ضعيف.
والخبر أيضًا عند الطبراني في الكبير (٨٣٤) من طريق أبي جناب.

(٥٥٣) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثني الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي قال: قال رجل يا رسول الله: أخبرني عن سبأ ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد؛ فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار، فقال رجل: ما أنمار؟ قال: «**الذين منهم خثعم وبجيلة**»[(١)].

حدثنا أبو كريب ثنا العنقزي قال أخبرني أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادي عن أبيه أو عن عمه(أسباط شك) قال: قدم فروة بن مسيك على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أجبلًا كان أو أرضًا؟ فقال: لم يكن جبلاً ولا أرضًا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: «وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم»[(٢)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن هُبَيرة، عن عبد الرحمن بن وَعلة؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «**بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير، وأما الشامية فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان**»[(٣)].

(١) وسنده أيضًا ضعيف، وأخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، والترمذي (٣٢٢٢)، وغيرهما وفي سنده أبو سبرة النخعي، قال ابن معين: لا أعرفه، والحسن بن الحكم يخطئ كثيرًا.

(٢) وفيه ضعف أيضًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٢٨)، والحاكم (٣٥٨٥) وغيرهم، وفي سنده ضعف واختلاف.

(٥٥٤) أحمر
أسود

قال ابن كثير بعد أن أورده: رواوه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به. وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم»، من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. وقد روي نحوه من وجه آخر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثني ابن لهيعة، عن توبة بن نَمر، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال: كنا عند عبيدةبن عبد الرحمن بأفريقية فقال يومًا: ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح: كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطَيفي قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «**ما أمرت فيهم بشيء بعد**». فأنزلت هذه الآية: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ) الآيات، فقال له رجل: يا رسول الله، ما سبأ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله: أن رسول الله ﷺ سُئل عن سبأ: ما هو؟ أبلد، أم رجل، أم امرأة؟ قال: «**بل رجل، وَلَد له عَشَرَة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير غير ما حلها. وأما الشام: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة**».

فيه غرابة من حيث ذكر [نزول] الآية بالمدينة، والسورة مكية كلها، والله أعلم.

وللحديث طرق أُخر لا تخلو من ضعف أو جهالة أو مقال.

(٥٥٥) أحمر
أسود

أخرجها الحاكم والطبراني في الكبير والبخاري في التاريخ الكبير[1] وابن أبي خيثمة في التاريخ وغيرهم.

وهل يُحسَّن القدر المشترك بين تلك الروايات أم أنها تبقى كلها في حيز الضعف؟ في ذلك وجهان للعلماء والله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تقوية هذه الأخبار وتحسينها.

❁ ❁ ❁

س: من سبأ؟

ج: في الأخبار السابقة عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجلٌ.

ومن أهل العلم، الذين جنحوا إلى تضعيف الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد.

من قال أيضًا إن سبأ رجل، وهو اسم أبي اليمن، ومنهم من قال إنها قبيلة.

ومنهم من قال إنها بلاد، وفي الآية الكريمة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال علماء النسب، منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال:

---

(١) الحاكم (١٣٥٨٦)، والطبراني (٨٣٥)، و(٨٣٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٦٨)، وابن أبي خيثمة في التاريخ (٥٣١٦).

(٥٥٦) أحمر
أسود

ريشا ورياشا. وذكروا أنه بشَّر برسول الله □ في زمانه المتقدم، وقال في ذلك شعرًا:

سَيَمْلِكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظيمًا ... نَبيّ لا يُرَخِّصُ في الحَرَام
وَيَملك بَعْدَه منْهُم مُلُوك ... يدينون العبادَ بغَير ذام
ويَملك بَعدهم منا مُلُوك ... يَصير المُلك فينَا باقْتسَام
وَيَمْلك بَعْد قَحْطَان نَبي ... تَقي خَبْتَة خير الأنام
وسُميَ أحْمَدًا يَا لَيْتَ أني ... أُعَمَّرُ بَعْد مَبْعَثه بعام
فأعضُده وأَحْبوه بنَصْري ... بكُل مُدَجّج وبكُل رام
متى يَظْهَرْ فَكُونُوا نَاصريه ... وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلغه سَلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب «الإكليل».

❁ ❁ ❁

قصة قوم سبأ

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لقد كان لقبيلة سبأ ولذرية سبأ (على رأي من قال إنه رجل) في بلادهم التي يسكنونها آية، علامة على فضل الله وقدرته وإنعامه وإحسانه، آية يستدرك بها على وحدانيته وعلى رزقه لمن تفكر وتأمل واعتبر، هذه الآية تتمثل في جنتين، بستانين عن يمين الداخل وشماله فيهما من كل الثمرات بلا جهد ولا تعب ولا مشقة كلوا يا آل سبأ من رزق الله الذي رزقكم إياه وقدموا شكرًا لله على نعمه وإحسانه، فبلدتكم بلدةٌ طيبة وربكم

غفور لذنوبكم. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها.

وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن.

وذكر الطبري بعض الأحاديث التي قدمتها وقال، وأما قوله: (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) فإنه يعني بستانين كانا بين جبلين عن يمين من آتاهما وشماله، **وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد** في قوله: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ...﴾ إلى قوله: (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسد يسقيها.

ورفعت الجنتان في قوله: (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) ترجمة عن الآية، لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم.

وقوله: (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ) الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، (وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك، وإلى هذا منتهى الخبر، ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل: هذه بلدة طيبة أي ليست بسبخة، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شيء مؤذٍ؛ الهمج والدبيب والهوام (وَرَبٌّ غَفُورٌ

(٥٥٨) أحمر
أسود

﴿١٥﴾) يقول: ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾) وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس -صاحبة سليمان-منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مَذرَ، كما يأتي تفصيله وبيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ)، ثم فسرها بقوله: (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أي: من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك، (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾) أي: غفور لكم إن استمررتم على التوحيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ءَايَةٌ) اسم كان أي علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر.

(٥٥٩) أحمر
أسود

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ) أي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم أمر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل: أي قالت الرسل لهم قد أباح الله تعالى لكم ذلك أي أباح لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة (مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ) أي من ثمار الجنتين (وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ) يعني على ما رزقكم (بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ) هذا كلام مستأنف أي هذه بلدة طيبة أي كثيرة الثمار وقيل: غير سبخة وقيل: طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد: هي صنعاء (وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥) أي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل: إنما ذكر المغفرة مشيرًا إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في أول البقرة وقيل: إنما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧).

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم سبأ لما أعرضوا عن الإيمان والتوحيد وشكر النعم، تبدلت نعم الله عليهم إلى نقم، فقد أُرسل عليهم السيل الشديد المفسد المدمر، فدَّمر جنتيهم وأبادهما وأفناهما ونبتت مكانها جنتان منهما ما يؤكل، جنتان بستانان فيهما الخمط، وعود الأراك والأثل وهو طرفاء الغابة،

(٥٦٠) أحمر
أسود

وكل ذلك لا يكاد ينتفع به، أما الذي ينتفع به - وهو السدر - فهو قليل، ذلك العقاب الذي عاقبناهم به إنما هو بسبب جحدهم وكفرهم، فلا نعاقب أهل الصلاح على صلاحهم وإنما نعاقب أهل الشرك والفساد والعصيان والكفر على ما يصدر منهم من كفران وجحود ونكران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها.

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ) يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول.

والعرم: المسناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة، وإياه عنى الأعشى بقوله:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ... ومأرب عفى عليه العرم
رجام بنته لهم حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس.

وأورد الطبري بعض الآثار بذلك. ليست بالمرفوعة إلى رسول الله ﷺ.

ثم قال: وقيل إن العرم اسم وادٍ كان لهؤلاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ) ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئًا.

وقال آخرون: العرم صفة للمسناة التي كانت لهم وليس باسم لها.

(٥٦١) أحمر
أسود

وقوله: (وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط.

وأورد عدة آثار مفادها أن الخمط هو الأراك .

أورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: (وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال: أذهب تلك القرى والجنتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط، قال: فالخمط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكًا، والفاكهة أثلًا وشيئًا من سدر قليل.

قال الطبري:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين (أُكُلٍ) غير أبي عمرو، فإنه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط. وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط وينونون الأكل، فإنهم جعلوا الخمط هو الأكل، فردوه عليه في إعرابه. وبضم الألف والكاف من الأكل قرأت قراء الأمصار، غير نافع، فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه (ذَوَاتَىْ أُكُلٍ) بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القراء عليه، وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط، وذلك في إضافته وترك إضافته، نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم، فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم لأنها منه، وتنون أحيانا، ثم تترجم بالكرم عنها، إذ كانت الأعناب ثمر الكرم.

وأما الأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم

(٥٦٢) أحمر
أسود

منها، وقيل: إنها السمر.

وقوله: (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾) يقول: ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل.

وكان قتادة يقول في ذلك: (ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾) قال: بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

وقوله: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا، و(ذَٰلِكَ) من قوله: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم) في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه، ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.

وقوله: (وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾) اختلفت القراء في قراءته؛ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (**وهل يجازى**) بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله (**إلا الكفور**) رفعًا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَهَلْ نُجَٰزِيٓ) بالنون وبكسر الزاي (إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾) بالنصب.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾): لما كان أجودَ هذه الأشجار المبدل بها هو السّدْر قال: (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾)، فهذا الذي صار أمر تَيْنك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية،

(٥٦٣) أحمر
أسود

تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسّدْر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

وقال القرطبي:

قوله تعالى: (وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ) وقرأ أبو عمرو أكل خمط بغير تنوين مضافا قال أهل التفسير والخليل: الخمط الأراك الجوهري: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل وقال أبو عبيدة: هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة الزجاج: كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله المبرد: الخمط كل ما تغير إلى ما لا يشتهى واللبن خمط إذا خفض والأولى عنده في القراءة ذواتي أكل خمط بالتنوين على أنه نعت لـ أكل أو بدل منه لأن الأكل هو الخمط بعينه عنده فأما الإضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكل حموضة أو أكل مرارة...

إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: كيف كان هذا الدمار والخراب الذي أصاب سبأ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال لا أعلم قولاً منها استند على دليل صريح، والحاصل أن السيل أُرسل عليهم فدمَّر مزارعهم وحدائقهم وبيوتهم على ما أفادته الآية الكريمة إجمالاً، وإن كان بعض أهل العلم قد ذكروا أقوالاً في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٥٦٤) أحمر
أسود

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم.

فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرب أرضهم وديارهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: بعث الله عليه جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما، وقرأ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال: ذهب بتلك القرى والجنتين.

وقال آخرون: كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾).

(٥٦٥) أحمر
أسود

ج: أقول – وبالله التوفيق – والعلم عند الله ﷻ:

أولاً: الذي أختاره في معنى (نُجَٰزِيٓ) هو نعاقب.

ثانيًا: ليُعلم أن ما يصيب الناس من البلايا.

والمصائب وتحوُّل النعم عنهم، يكون في الغالب لأحد أمرين:

أولهما: أن تكون تلك المصائب والبلايا وتحول النعم سببها معاصي ارتكبوها، وجرائم اقترفوها فجاءت تلك المصائب عقوبات من الله على ما اقترفوه وما اكتسبوه، وعقوبات على عدم شكر النعم.

ثانيهما: أن تكون تلك الابتلاءات لرفعة الدرجات، إذا هم صبروا عليها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

* فعلى هذا قد تكون البلية واحدة، ولكنها انتقامًا من شخصٍ، وإكرامًا لشخص آخر فقد يهدم بيتٌ على من فيه، ولكن أحد الذين تهدَّم عليهم البيت نالوا الفضل الوارد في الحديث «**صاحب الهدم شهيد**».

والآخرون خرَّ عليهم السقف من فوقهم عقابًا على جرائمهم وانتقامًا منهم كما قال تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ ﴾ [النحل: ٢٦].

وبعد هذا التقرير أقول مستعينًا بالله ﷻ إن قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾ لا إشكال على معناه بحالٍ من الأحوال، فحاصل معناه وهل نعاقب إلا الكفور؟ سواء قلنا إنه كفور النعم أو الكفور بالله، كل ذلك لا إشكال فيه.

(٥٦٦) أحمر
أسود

فالآية الكريمة وردت عقب ذِكر سبأ وما كانوا فيه من النعيم، وما قابلوا به تلك النعم، ألا وهو الأعراض، وسواء قلنا الإعراض عن الإيمان أو الإعراض عن شكر النعم فكل ذلك يجلب العقاب.

فالمعنى، وهل نعاقب إلا من جحد نعمنا عليه وأنكرها ولم يقدم لها شكرًا بل قابلها بالطغيان والنكران.

وأيضًا: وهل نعاقب إلا من كفر بنا وعصى أمرنا وجحد قدرتنا ووحدانيتنا.

وهذا صحيح قطعًا، وإلا فالمطيع لا يعاقب أبدًا على طاعته لله، والشاكر لا يعاقب أبدًا لكونه شكر الله، والموحد لا يعاقب أبدًا على توحيده لله.

إنما يعاقب العاصي لعصيانه والجاحد لجحده، والمشرك لشركه.

أما ما قد يُتوهم من أن مسلمًا غنيًّا قد أصبح فقيرًا أو أن مسلمًا صحيحًا قد ابتلى فمرض مرضًا شديدًا أو غير ذلك، فهذا كله - كما أسلفتُ - إنما يكون لرفعة الدرجات وعلو المقامات، والله أعلم.

وبهذا الذي ذكرته، والتوفيق من الله وبالله، فيدفع الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم حول قوله تعالى: (وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾)، وأجابوا بأجوبة لا تكاد تستقيم أو لا تكاد تفهم حيث قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مسألة: في هذه الآية سؤال ليس في هذه السورة أشد منه وهو أن يقال: لم خص الله تعالى المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي ؟ فتكلم العلماء في هذا فقال قوم: ليس يجازى بهذا الجزاء الذي هو الاصطلام والإهلاك إلا من كفر وقال مجاهد: يجازي بمعنى يعاقب وذلك أن المؤمن

(٥٦٧) أحمر
أسود

يكفر الله تعالى عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزى ولا يجازى لأنه يثاب وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار وقال: المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكبائر النحاس: وأولى ما قيل في هذه الآية وأجل ما روي فيها: أن الحسن قال مثلا بمثل وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حوسب هلك**» فقلت: يا نبي الله فأين قوله جلَّ وعزَّ: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾) [الانشقاق: ٨] قال: «**إنما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك**» وهذا إسناد صحيح وشرحه: أن الكافر يكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين هذا قوله تعالى في الأول: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟) [سبأ: ١٧]، وفي الثاني: وهل يجازى إلا الكفور ومعنى يجازى: يكافأ بكل عمل عمله ومعنى جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جزى مجازًا.

وقال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: أوما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخص أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال: وهل يجازى إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جلَّ ثناؤه في هذا الموضع (**وهل يجازى إلا الكفور**)؟ كأنه قال جل ثناؤه: لا يجازى: لا يكافأ على عمله

(٥٦٨) أحمر
أسود

إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئا، ولا يمحص شيء منها في الدنيا.

وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت.

❁ ❁ ❁

س: ما هذه القرى التي بارك الله فيها؟

ج: لأهل العلم فيها قولان: أحدهما بيت المقدس، والآخر: الشام عمومًا.

ولقد قال تعالى: (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ) [الإسراء: ١].

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه البركة في هذه القرى التي قال تعالى: (ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا)؟

ج: قيل بكثرة الثمار والأشجار والمياه، وقيل بكثرة عدد أهلها وصلاحهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ)؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المسافات بين تلك القرى وبعضها قدرها الله ﷻ، فكلما شعر المسافر بتعب وإرهاق وجد منزلاً ومأوى، أي أن المسافات بين تلك القرى ليست بالطويلة، بل هي المسافات التي يطمئن معها المسافر ولا يخاف من قطع طريق أو قلة زاد أو غير ذلك مما يخشاه المسافرون.

(٥٦٩) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الله ﷻ أمتن على هذه القبيلة وهؤلاء القوم - قوم سبأ - بمننٍ أُخر غير طيب العيش في بلادهم وسعة الأرزاق فيها وحسن ثمارها وبهجة أشجارها ونباتاتها، ففضلًا عن ذلك إذا أرادوا سفرًا لعبادة أو لتجارة إلى بلاد الشام وبيت المقدس التي كانت محلاً لذلك، فإن الله ﷻ يسر عليهم سُبُل السفر فهنالك منازل للاستراحة والاستجمام، فالسفر ليس بموحش، والطريق ليس بمقطوع، بل هو طريق مؤنس عليه قرى وبلاد واضحة المعالم كلما تعب المسافر أو كاد أن يتعب وجد استراحة ينزل فيها، فلا يخاف ولا يقلق بل يجد الزاد ويجد الأمان، كما قال تعالى للقرشيين: (فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾).

[قريش: ٣-٤]

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التى باركنا فيها وهي الشأم، قرى ظاهرة.

وقيل: عُني بالقرى التي بُورك فيها بيت المقدس.

وقوله: (قُرًى ظَٰهِرَةً) يعني: قرى متصلة، وهي قرى عربية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن البصري في قوله: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً) قال: قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل

(٥٧٠) أحمر
أسود

في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى.

قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتى بيتها حتى يمتلىء من كل الثمار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً) قال: كان بين قريتهم وبين الشأم قرى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها، تروح من قرية وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم.

وقوله: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ) يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية ولا يغدون إلا من قرية.

وقوله: (سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾) يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياما آمنين لا تخافون جوعًا ولا عطشًا، ولا من أحد ظلمًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾) لا يخافون ظلمًا ولا جوعًا، وإنما يغدون فيقيلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئًا، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادًا ولا سقاء مما بسط للقوم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾) قال: ليس فيها خوف.

(٥٧١) أحمر
أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا).

(قُرًى ظَٰهِرَةً) أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ) أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، (سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾) أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ) أي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية والمبيت في قرية أخرى وانما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق فإذا وجد الزاد والأمن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل أينما أراد (سِيرُواْ فِيهَا) أي وقلنا لهم سيروا فيها أي في هذه المسافة فهو أمر تمكين أي كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين فهو أمر بمعنى الخبر وفيه إضمار القول (لَيَالِيَ وَأَيَّامًا) ظرفان (ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾) نصب على الحال وقال: ليالي وأيامًا بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أي كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه قال

(٥٧٢) أحمر
أسود

قتادة: كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ).

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن قوم سبأ سئموا النعيم الذي كانوا فيه، ولم يقدموا شكرًا لله على ما أنعم به عليهم وتفضل، فبدلاً من أن يكونوا مستريحين في أسفارهم، طلبوا أن تكون هناك مسافات بعيدة بين الاستراحات حتى يجمعوا الحطب وينضجوا اللحم ويتعبوا في ذلك فيشعرون - بزعمهم - بالتلذذ مع التعب والمشقة، فقالوا: (رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا) أي: اجعل بين هذه الاستراحات والقرى مسافات كبيرة بدلاً من أن تكون قرى متقاربة، وظلموا أنفسهم وشقوا عليها بهذا الطلب، وكذا ظلموا أنفسهم بانهماكهم في المعاصي والمحرمات والكفر فشتت الله شملهم وفرَّق الله جمعهم، وجعلهم عبرة يعتبر بها مريد الاعتبار، وجعلهم أحاديث على ألسنة الناس فكان الشخص يقول للآخر شتتك الله كما شتت قوم سبأ، ومزقك الله كما مزقهم، ونحو ذلك، والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن صوَّب قراءة باعد ورجحها على (بعِّد):

فإذا كان هو الصواب من القراءة، فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعد بين

(٥٧٣) أحمر
أسود

أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين (إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾) أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة.

وقال الطبري:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال ثنا عبثر، قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية (فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) قال: كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلًا وخمطًا وشيئًا من سدر قليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: (وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ).

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد... حتى نبيت في الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ) وكان ظلمهم إياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله (فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ) يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب، فيقال: تفرق القوم أيادي سبأ، وأيدي سبأ إذا تفرقوا وتقطعوا.

وقوله: (وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع.

(٥٧٤) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ) قال قتادة: قال عامر الشعبي: أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)، وقرأ آخرون: **(بعِّد بين أسفارنا)**، وذلك أنهم بَطروا هذه النعمة -كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد-وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾ [القصص: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢]. وقال في حق هؤلاء: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي: بكفرهم، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ ﴾ أي: جعلناهم حديثا للناس، وَسمَرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «تفرقوا أيدي سبأ» «وأيادي سبأ» و«تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ».

(٥٧٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إن في الذي حدث لقوم سبأ من تبديل النعم إلى نقمٍ، ومن الاستقرار والأمان إلى خوفٍ وتشرد وتمزق في البلاد، إلى غير ذلك مما حلَّ بهم، إن في ذلك لدلالات يستدل بها الصبار الذي يصبر على أوامر الله ويجتنب مناهيه، يستدل بها على فضل طاعته لربه واستقامته على أمره، وصبره على ما يحلُّ به من بلاء، وما يؤمر به من الطاعات، وامتناعه عما نُهِيَ عنه من المحظورات.

وكذا فيما حلَّ بقوم سبأ آيات لكل شكور حتى يحافظ على نعم الله التي أعطاه الله إياها ويزداد شكرًا ولا يكفرها ولا يجحدها.

هذا، وقوله تعالى: (لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾) يبين الحال التي عليها المؤمن، فحاله دائرٌ بين الصبر والشكر إن ابتلي صبر، وإن أنعمَ الله عليه شكر.

كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»[1].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه.

---

(١) مسلم بنحوه (٢٩٩٩).

(٥٧٦) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾) كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾) أي: إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام -لعبرةً وَدَلالةً لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الظن الذي ظنَّه إبليس بالقوم وحققه؟

ج: ذلك هو قوله: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص: ٨٢-٨٣]، وقوله: (أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٦٢]، وقوله: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾) [الأعراف: ١٦-١٧].

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال الله: ما كان إلا ظنًّا ظنه، والله لا يصدق كاذبًا ولا يكذب صادقًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال: أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم عليَّ وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظنًّا منه بغير علم، فقال الله: (فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾).

❁ ❁ ❁

(٥٧٧) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن إبليس ظن ببني آدم ظنًّا، وهو أنه سيغويهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين، ظنَّ بهم ذلك وأقسم على هذا الظن قائلًا: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ثم سعى لتحقيق ما أقسم عليه فأغوى بني آدم - إلا من رحم الله وعصم - وكان ممن أغواهم قوم سبأ حقق فيهم إبليس ما ظنه ببني آدم، وحقق فيهم ما أقسم عليه لربه ﷻ فكفروا وجحدوا إلا فريقًا من أهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ ﴾ بتشديد الدال من صدق، بمعنى أنه قال ظنا منه ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] ثم صدق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم، وباتباعهم إياه.

ثم قال:

ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منا لهم، ظنا غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس.

(٥٧٨) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قيل: كيف علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل له: لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه أنه ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد وقع له تحقيق ما ظن وجواب آخر وهو ما أجيب من قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤] فأعطي القوة والاستطاعة فظن أنه يملكهم كلهم بذلك فلما رأى أنه تاب على آدم وأنه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢] علم أن له تبعا ولآدم تبعًا فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في أجواف الآدميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم تلك الشهوات ومدهم إليها بالأماني والخدائع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالاً، وما كان لإبليس على قوم سبأ ولا على غيرهم من تسلط بسيف ولا بحجة إلا بتسليطنا إياه عليهم لنعلم من يتبع إبليس ممن يكذبونه علمًا ينبني عليه الثواب والعقاب، لنعلم أهل الإيمان الذي صدقوا وعد الله وآمنوا به وبرسله، ولنعلم أهل الشك والريب والتكذيب الذين هم مرتابون في قيام الساعة متشككون في وقوعها، وربك قد حفظ كل شيء من عباده ومن خلقه ومن أعمالهم، وسيوافيهم بأعمالهم.

(٥٧٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ ليعلم حزبنا وأولياؤنا (مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ) يقول: من يصدق بالبعث والثواب والعقاب (مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ) فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ) قال: قال الحسن: والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغرورا دعاهم إليها.

عن قتادة أيضًا قوله: (إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ) قال: وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: عنى بقوله: (إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ) إلا لنعلم ذلك موجودًا ظاهرًا ليستحق به الثواب أو العقاب.

وقوله: (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ حَفِيظٞ ٢١) يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها (حَفِيظٞ ٢١) لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مُجَازٍ جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر.

❁ ❁ ❁

س: نوقن بأن الله ﷻ بكل شيء عليم، فكيف يوجَّه قوله تعالى: (إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ)؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: (إِلَّا لِنَعۡلَمَ) إلا

(٥٨٠) أحمر
أسود

لنظهر، وعليه فلا إشكال وذهب البعض إلى قراءة ذكرها القرطبي عن الزهري وهي (إلا ليُعلَم) على ما لم يسم فاعله، وعلى ذلك فلا إشكال أيضًا.

ووجه ثالث حاصله أن المراد بالعلم العلم الظاهر الذي يقع به الثواب والعقاب، وقد استرسل القرطبي في ذِكر ذلك فقال:

قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ) أي لم يقهرهم إبليس على الكفر وإنما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان: القوة وقيل الحجة أي لم تكن له حجة يستتبعهم بها وإنما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل (إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ) يريد علم الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فأما الغيب فقد علمه تبارك وتعالى ومذهب الفراء أن يكون المعنى: إلا لنعلم ذلك عندكم كما قال: (أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ) [النحل: ٢٧] على قولكم وعندكم وليس قوله: (إِلَّا لِنَعۡلَمَ) جواب (وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ) في ظاهره إنما هو محمول على المعنى أي وما جعلنا له سلطانا إلا لنعلم فالاستثناء منقطع أي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فـ(إِلَّا) بمعنى لكن وقيل هو متصل أي ما كان له عليهم من سلطان غير أنا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل: كان زائدة أي وما له عليهم من سلطان كقوله: (كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ) [آل عمران: ١١٠] أي أنتم خير أمة وقيل: لما اتصل طرف منه بقصة سبأ قال: وما كان لإبليس على أولئك الكفار من سلطان وقيل: وما كان له في قضائنا السابق سلطان عليهم وقيل: إلا لنعلم إلا لنظهر وهو كما تقول: النار تحرق الحطب فيقول آخر لا بل الحطب يحرق النار فيقول الأول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم أيهما يحرق صاحبه أي لنظهر ذلك وإن كان معلوما لهم ذلك

(٥٨١) أحمر
أسود

وقيل: إلا لتعلموا أنتم وقيل: أي ليعلم أولياؤنا والملائكة كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ١٣٣] أي يحاربون أولياء الله ورسوله وقيل: أي ليميز كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرأ الزهري: إلا ليعلم على ما لم يسم فاعله ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ أي أنه عالم بكل شيء وقيل: يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه.

❁ ❁ ❁

(٥٨٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) [سبأ: ٢٢-٢٣]

(٥٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
(شِرْكٍ -ظَهِيرٍ -فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(شِرْكٍ)	مشاركة في ملك السموات والأرض
(ظَهِيرٍ)	معاون
(فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)	ذهب الفزع عنها - جُلِّي عنها وكشف عنها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أما وقد علمتم يا أهل الشرك ما كان من أمر النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام، وكيف كان إكرامنا لهما، وكذا قد علمتم ما فعلنا بقوم سبأ، وما استطاع أحدٌ أن يمنع من إكرامنا، ولا أن يمنع من عقابنا فادعوا الذين عبدتموهم مع الله عز وجل كي يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا، فلن تجدوا ذلك عندهم فهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بل كل ما في السموات والأرض ملك لله عز وجل، وكذا فليس لهم نصيب من المشاركة، فلا هم ملاكٌ ولا هم شركاء لله عز وجل وما لله عز وجل منهم من معاون يعاونه، وبنحو هذا قال العلماء.

(٥٨٤) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلها من كان كذلك.

وقوله: (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ) يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسومًا، وإما مشاعًا، يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعًا ولا مقسومًا، فكيف يكون من كان هكذا شريكًا لمن له ملك جميع ذلك.

وقوله: (وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾) يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعًا ولا مقسومًا، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه.

(٥٨٥) أحمر
أسود

قولـه: وأورد بإسـنادٍ حسـن عـن قتـادة: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ) يقـول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض (وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم) من الذين يدعون من دون الله (مِّن ظَهِيرٖ) من عون بشيء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبيّن تعالى أنه الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ) أي: من الآلهة التي عبدت من دونه (لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ)، كما قال تبارك وتعالى: (وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣) [فاطر: ١٣].

وقولـه: (وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ) أي: لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة، (وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢) أي: وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

قال قتادة في قوله: (وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢)، من عون يعينه بشيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ) أي هذا الذي مضى ذكره من أمر داود وسليمان وقصة سبأ من آثار قدرتي فقل يا محمد لهؤلاء المشركين هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب توبيخ وفيه إضمار: أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله لتنفعكم أو لتدفع عنكم ما قضاه الله تبارك وتعالى عليكم فإنهم لا يملكون ذلك و(لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢) أي ما لله

(٥٨٦) أحمر
أسود

من هؤلاء من معين على خلق شيء بل الله المنفرد بالإيجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولا يتقبل شفاعة شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه كما قال: (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ) [البقرة: ٢٥٥].

وكما قال تعالى: (وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ) [الأنبياء: ٢٨].

وكما قال تعالى: (۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾) [النجم: ٢٦].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم. فـ«من» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله: (إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ): المشفوع له.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (أَذِنَ لَهُۥ) فقرأ ذلك عامة القراء بضم الألف من (أُذن له) على وجه ما لم يسم فاعله، وقرأه بعض الكوفيين (أَذِنَ لَهُۥ) على اختلاف أيضًا عنه فيه، بمعنى أذن الله له.

(٥٨٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ) أي: لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة.

❁ ❁ ❁

قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ)

س: وضح معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾).

ج: أولاً: معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ) أي: ذهب عنها الفزع والخوف.

وقد قيل: إن ذلك بعد إغشاء حصل لهم من شدة الفزع والخوف.

ثانيًا: الذين فزِّع عن قلوبهم عند أكثر العلماء هم الملائكة، وإن كان ثمَّ قولٌ آخر أنهم المشركون.

ثالثًا: متى فُزِّع عن قلوبهم؟ أكثر العلماء على أن ذلك بعد القضاء الذي يقضيه الله ﷻ بعد الأمر الذي يأمر به، وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عند تفسير هذه الآية الكريمة من كتاب التفسير من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

إن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق**

(١) البخاري (حديث ٤٨٠٠).

(٥٨٨) أحمر
أسود

السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء».

وأخرج مسلم[1] في صحيحه أن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي □ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله □ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله □: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله □: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال: الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون».

وأورد الطبري من طريق الشعبي[2] عن ابن مسعود في هذه الآية: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ) قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم

(١) مسلم (٢٢٢٩).
(٢) وإن كان الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، لكن له طرق أخر عند الطبري وغيره عن ابن مسعود.

(٥٨٩) أحمر
أسود

تنادوا: (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)؟ قال: فيقول: من شاء قال الحق وهو العلي الكبير.

وأورد بإسناد صحيح عن مسروق قال: إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا، قال: فيغشى عليهم، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول من شاء الله الحق وهو العلي الكبير.

أما متى يُفزَّع عن قلوبهم فلأهل العلم أقوال لخصها الطبري بقوله:

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) يقول: حتى إذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب.

واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟ فقال بعضهم: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي.

وقال آخرون ممن قال: الموصوفون بذلك الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ...) الآية، قال: يوحي الله إلى جبرائيل فتفرق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة (قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾).

وقال آخرون: بل ذلك من فعل ملائكة السماوات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة.

وقال آخرون: بل الموصوفون بذلك المشركون، قالوا: وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، قال: وإنما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم.

(٥٩٠) أحمر
أسود

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ) قال: فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم، وما كان يضلهم (قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الإقرار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله □ بتأييده. وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلي عنها، وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق، (وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ) على كل شيء (ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) الذي لا شيء دونه. والعرب تستعمل «فزع» في معنيين فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزع منها: هو مفزع، وتقول للجبان الذي يفزع من كل شيء: إنه لمفزع، وكذلك تقول للرجل الذي يقضي له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها: هو مغلب، وإذا أريد به هذا المعنى كان غالبًا، وتقول للرجل أيضا الذي هو مغلوب أبدًا: مغلب.

واختار ابن كثير ما ذهب إليه الطبري فقال: وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة . هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ). وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السموات كلامه،

(٥٩١) أحمر
أسود

أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي.

(حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: زال الفزع عنها.

فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ .

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا.

وأما وجه الربط بين قوله تعالى: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ) وقوله: (لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ...) فوجهه - والله أعلم - إن شفاعة هؤلاء الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم لا تُقبل ولا تنفع إلا بإذن الله فهؤلاء الملائكة الذين عبدهم أقوامٌ منكم وظنوا أيضًا أنهم يشفعون لهم، لا يشفعون إلا بإذن الله، ثم هذا حالهم عند سماع الأمر من الله، أنهم يُصابون بالفزع الشديد، يعتريهم الفزع الشديد، الذي هو إغشاءٌ أو شبه إغشاء فإذا صرف هذا عنهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فإذا كان هذا شأنهم فكيف يشفعون هم أو غيرهم لكم؟! والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في

(٥٩٢) أحمر
أسود

الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال: (وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾) [الأنبياء: ٢٨] والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) أي ماذا أمر الله به فيقولون لهم: (قَالُواْ ٱلْحَقَّ) وهو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين (وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) فله أن يحكم في عباده بما يريد ثم يجوز أن يكون هذا إذنًا لهم في الدنيا في شفاعة أقوام ويجوز أن يكون في الآخرة وفي الكلام إضمار أي ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن تهيبًا لكلام الله تعالى حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل أمر يأمر به الرب تعالى أي لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين.

❁ ❁ ❁

(٥٩٣) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

(۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ
هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾)

[سبأ: ٢٤-٣٠]

(٥٩٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:
(يَفۡتَحُ - أَجۡرَمۡنَا - ٱلۡفَتَّاحُ - أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ - كَآفَّةً).

ج:

الكلمة	معناها
(أَجۡرَمۡنَا)	اكتسبنا من الأعمال
(يَفۡتَحُ)	يقضي
(ٱلۡفَتَّاحُ)	القاضي العليم بخلقه
(أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ)	جعلتموها لله شريكة وعبدتموها مع الله
(كَآفَّةً)	عامة – كلهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤).

ج: المعنى، قل يا رسول الله – لهؤلاء المشركين – على سبيل الاستفهام الذي يحمل معنى التقرير والتوبيخ والإلزام – من الذي يسوق لكم الرزق من السموات كالغيث الذي ينبت الله به الثمر ويحيي به الأرض بعد موتها، وكذا من الذي يخرج لكم الرزق من الأرض ومن ذلك الثمار والنبات والمعدن والكنوز ونحو ذلك، وكذا من يرزقكم هذه التجارات التي تتجرون، وغير ذلك من الأرزاق من البحار ونحوها، قل لهم ذلك فإن أجابوا بأن الله فاعلٌ

(٥٩٥) أحمر
أسود

ذلك بهم فالحمد لله قد أقروا وأُقيمت عليهم الحجة وإلا أمسكوا عن الجواب فقل لهم أنت يا رسول الله: إن الله هو الذي يرزقنا، وقل لهم: أحدنا بلا شك على حق، والآخر على باطل، فإما أن نكون نحن على هدى أو في ضلالٍ مبين، يعني بُعد عن الحق مُظهر لمن تأمله أن من هو عليه يُعدّ ضلالًا، وإما أن تكونوا أنتم على هدًى أو في ضلال مبين.

فإذا كنا نحن على هدى، والحمد لله نحن عليه، فأنتم إذن في ضلال مبين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحًا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله وإنا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ ﴾ قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتدٍ.

وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين.

(٥٩٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا تفرُّدَه بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضا، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض -أي: بما ينزل من المطر وينبت من الزرع-إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤) : هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤) .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) لما ذكر أن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال: قل يا محمد للمشركين: (مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) أي من يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السموات أي عن المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والأرض أي الخارجة من الأرض عن الماء والنبات أي لا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آلهتنا فيقولون: لا ندري فقل: إن الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وإن قالوا: إن الله يرزقنا فقد تقررت الحجة بأنه الذي ينبغي أن يعبد (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤) هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد بل على أمرين متضادين وأحد الفريقين مهتدٍ وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم فكذبهم بأحسن من تصريح

(٥٩٧) أحمر
أسود

التكذيب والمعنى: أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين نعمه قل لهم: لا تُسألون يوم القيامة عن أعمالنا التي عملناها في الدنيا وعن كسبنا السيئ أو الحسن الذي اكتسبناه، وكذا فنحن لن نُسأل عن أعمالكم السيئة التي عملتموها بل لكل منا عمله، وسيحاسب عليه، ولكل منا اعتقاده وسيحاسب على اعتقاده، وكذا على أقواله، وقل يا رسول الله لهؤلاء إن ربنا سيجمع بيننا يوم القيامة ثم يقضي بيننا بالحق، وهو القاضي العليم بما يقضي فيه وبه لا يخفى عليه من أمري وأمركم شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من إثم، ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل، قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضال (وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾) يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه

(٥٩٨) أحمر
أسود

المحق من المبطل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾: معناه التبري منهم، أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم بُرآء منا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الكافرون].

وقوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: يوم القيامة، يجمع الخلائق في صعيد واحد، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ أي اكتسبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ﴾ نحن أيضًا ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي إنما أقصد بما أدعوكم إليه الخير لكم لا أنه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ٦] والله مجازي الجميع. فهذه آية مهادنة، ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل: نزل

(٥٩٩) أحمر
أسود

هذا قبل آية السيف.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يريد يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ أي القاضي بالحق ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوال الخلق وهذا كله منسوخ بآية السيف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى: أروني هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله وجعلتموها شريكةً لله ﷻ، ماذا خلقت هذه الآلهة من السموات والأرض، وهل لها من مشاركة أو شراكة في ملك السموات والأرض؟ (كَلَّا) ليس الأمر كما زعمتم أو كما توهمتم، فهذه الآلهة لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لها من شراكة في ملك السموات والأرض.

بل الله ﷻ هو مالك السموات والأرض هو العزيز الذي لا يغلب، ولا يمنع من شيء أراده، الحكيم فيما يشرع وفيما يصنع، وفي كل شيء.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات؟ (

(٦٠٠) أحمر
أسود

كَلَّاۚ) يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ) أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادًا وصيَّرتموها له عدْلًا. (كَلَّاۚ) أي: ليس له نظير ولا نَديد، ولا شريك ولا عديل، ولهذا قال: (بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ):أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له (ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾) أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وَغَلَبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ) يكون (أَرُونِيَ) هنا من رؤية القلب فيكون (شُرَكَآءَۖ) المفعول الثالث، أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عَزَّ وَجَلَّ وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها. ويجوز أن تكون من رؤية البصر فيكون (شُرَكَآءَۖ) حالًا (كَلَّاۚ) أي ليس الأمر كما زعمتم وقيل: إن (كَلَّاۚ) رد لجوابهم المحذوف، كأنه قال: أروني الذين ألحقتم به شركاء قالوا: هي الأصنام فقال كلا أي ليس له شركاء (بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾).

❁ ❁ ❁

(٦٠١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الأدلة على عموم بعثة النبي ﷺ أي أنه رسول لقومه ولمن جاءوا من بعدهم، وكذا رسول للإنس والجن على السواء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: ١]

وفي الصحيحين[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة».

وفي رواية: «بعثت إلى الأسود والأحمر».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وما أرسلناك إلا للناس كلهم، وكذا الإنس والجن بشيرًا لمن أطاع بالجنة، ونذيرًا لمن عصى بالنار، ولكن أكثر الناس لا

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٦٠٢) أحمر
أسود

يصدقون برسالتك ولا بما جئت به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: أرسل الله محمدًا إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾: أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١]. ﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ أي تبشر مَنْ أطاعك بالجنة، وتنذر مَنْ عصاك بالنار.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا) أي وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال الزجاج: أي وما أرسلناك إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل:

(٦٠٣) أحمر
أسود

معناه كافًّا للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام والهاء للمبالغة وقيل: أي إلا ذا كافة فحذف المضاف أي ذا منع للناس من أن يشذوا عن تبليغك أو ذا منع لهم من الكفر ومنه: كف الثوب لأنه ضم طرفيه (بَشِيرًا) أي بالجنة لمن أطاع (وَنَذِيرًا) من النار لمن كفر (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾) ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عددًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ويقول أهل الشرك لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان متى هذا الوعد بقيام الساعة؟ متى تقوم القيامة إن كنتم صادقين في دعواكم أنها ستقوم وستأتي؟ قل لهؤلاء: لكم يا أهل الشرك ميعاد تنتهي فيه آجالكم وتموتون لا تستأخرون عن هذا الميعاد ساعة ولا تستقدمون، وعندها يأتيكم الخبر اليقين الذي لا تستطيعون معه تكذيبًا لما أخبرناكم به، والله أعلم.

وبنحوه هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ) جائيا، وفي أي وقت هو كائن (إِن كُنتُمْ) فيما تعدوننا من ذلك (صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾) أنه كائن، قال الله لنبيه: (قُل) لهم يا محمد (لَّكُم) أيها القوم (مِّيعَادُ يَوْمٍ) هو آتيكم (لَّا

(٦٠٤) أحمر
أسود

تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ) إذا جاءكم (سَاعَةً) فتنظروا للتوبة والإنابة (وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾) قبله بالعذاب؛ لأن الله جعل لكم ذلك أجلًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ الآية [الشورى: ١٨].

ثم قال: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح: ٤]، وقال: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[هود: ١٠٤، ١٠٥]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فقال الله تعالى: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿ لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فلا يغرنكم تأخيره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميعاد وقت البعث وقيل: وقت حضور الموت أي لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل: أراد بهذا اليوم يوم بدر؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(٦٠٥) أحمر
أسود

سبأ

قال الله تعالى:

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ
جَآءَكُم بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ
مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾) [سبأ: ٣١-٣٣]

(٦٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بِٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ - مَوۡقُوفُونَ - يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ - ٱسۡتُضۡعِفُواْ - ٱسۡتَكۡبَرُواْ - صَدَدۡنَٰكُمۡ - ٱلۡهُدَىٰ - مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ - أَندَادٗاۚ - وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ - ٱلۡأَغۡلَٰلَ - أَعۡنَاقِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ)	بالكتب التي تقدمته (وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف وعموم الكتب التي أنزلها الله)
(مَوۡقُوفُونَ)	محبوسون
(يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ)	يرد بعضهم على بعض ويجادل بعضهم بعضًا
(ٱسۡتُضۡعِفُواْ)	الذين كانوا في الدنيا مستضعفين مستذلين
(ٱسۡتَكۡبَرُواْ)	الذين كانوا في الدنيا أهل كبر وتجبر وتسلط
(صَدَدۡنَٰكُمۡ)	منعناكم
(ٱلۡهُدَىٰ)	الإيمان
(مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ)	مكركم بالليل والنهار، والمكر: الخداع والتحايل والتضليل
(أَندَادٗاۚ)	أمثالًا
(وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ)	ندموا أشد الندم

(٦٠٧) أحمر
أسود

(ٱلْأَغْلَٰلَ)	الغل: هو ما تربط به الأيدي إذا ضمت إلى الرقبة، فاليد تضم إلى الرقبة وتحيط بهما حلقة هي الغل
(أَعْنَاقِ)	رقاب

❁ ❁ ❁

س: أين جواب قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾؟

ج: هو محذوف مفهوم من السياق وكأن المعنى - والله أعلم - ولو ترى أهل الظلم وهم محبوسون عند الله يوم القيامة ويتجادل بعضهم مع بعض ويتلاومون فيما بينهم أشد التلاوم وأشد الجدال لو تراهم لرأيت منظرًا بشعًا مؤثرًا لرأيت منظرًا تقشعر منه الجلود وتفزع منه العقول وتضطرب منه الأفئدة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: (وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ) وهم قد أعلنوا عن ندمهم في عدة آيات كقوله تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) [فاطر: ٣٧]، وكما في قوله تعالى: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ) [الزمر: ٥٦]؟

ج: لأهل العلم هاهنا أقوال:

أحدها: أن أسروا بمعنى أظهروا وأبدوا قالوا وكلمة (وَأَسَرُّوا۟) من الأضداد، يعنون أنها تأتي أحيانًا بمعنى الإخفاء، وأحيانًا بمعنى الإظهار والإبداء.

الثاني: أنهم أظهروا التنادم فيما بينهم كما قال تعالى في آية مشابهة: (يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾) [طه: ١٠٣].

(٦٠٨) أحمر
أسود

الثالث: أن مواقف القيامة تتعدد فأحيانًا يُبدون التنادم وأحيانًا يُسرّبه بعضهم إلى بعض ويُسر به بعضهم في النفس، وسيأتي مزيد إن شاء الله في هذا الباب.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآيات المباركات (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ...) إلى قوله: (هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣).

ج: هذا بيانٌ لحال الكفار في الدنيا وما انتهى إليه مصيرهم يوم القيامة على وجه الإجمال، وحاصل المعنى - والله أعلم - أن أهل الكفر والجحود والنكران قالوا في الدنيا لرسول الله ﷺ وقال ذلك من بعدهم من أهل الكفر، قالوا لأهل الإيمان: لن نؤمن بهذا القرآن، لن نصدق به، لن نصدق أنه من عند الله، ولن نؤمن أيضًا بالكتب السابقة (كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب)، فالله ما أنزل على بشرٍ من شيء كذا قالوا، فلو رأيت حال هؤلاء المكذبين يوم القيامة لرأيت منظرًا عظيمًا وتندمًا شديدًا، لو تراهم وهم محبوسون عند الله ﷻ كي يدفع بهم إلى النار، لو رأيتهم وهم يتلاومون ويتجادلون ويرد بعضهم على بعض، لو رأيت الذين كانوا في الدنيا أتباعًا، وكانوا في الدنيا على مناهج ساداتهم من الكفر والضلال، لو رأيت هؤلاء الذين كانوا يستضعفون في الدنيا، وهم يحاجون أهل الاستكبار في الدنيا، يقولون لهم لولا أنتم لكنا مؤمنين، فأنتم الذين صرفتمونا عن الإيمان وحملتمونا على التكذيب، فيرد عليهم أهل الاستكبار، الذين كانوا في الدنيا مستكبرين، أنحن صرفناكم عن الإيمان، وقد جاءكم؟! كلا ما صرفناكم بل أنتم في أنفسكم كنتم أهل إجرام

(٦٠٩) أحمر
أسود

مُجترمين للذنوب والآثام، فيرد عليهم المستضعفون بقولهم: بل مكركم بالليل والنهار ومكركم وخداعكم لنا ليلاً ونهارًا وتضليلكم لنا وتمويهكم ليلاً ونهارًا، وأنتم تأمروننا بالكفر بالله وجحود وحدانيته، وتأمروننا بالشرك به، واتخاذ آلهة معه نعبدها كما نعبده، كان هذا دأبكم معنا، وأظهروا حينئذ التندم أشد التندم، ومنهم من أخفاه في نفسه لما رأوا العذاب ورأوا الأغلال قد جعلت في الرقاب مع الأيدي، فالأيدي ضُمَّت إلى الرقاب وأحاطت بها الأغلال، الأغلال أحاطت بالرقاب مع الأيدي، فهل يجزى هؤلاء إلا بما كانوا يعملون، كلا فربنا ليس بظلام للعبيد، وإنما تجزى كلُّ نفس بما كسبت كما في الحديث القدسي فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من مشركي العرب ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الذي جاءنا به محمد ﷺ ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه.

عن قتادة قوله: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ قال: قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء.

وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ يتلاومون، يحاور بعضهم بعضًا؛ يقول المستضعفون - كانوا في الدنيا- للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢﴾).

(٦١٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ) في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله (لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ) فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم (لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١) :(أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ) ومنعناكم من اتباع الحق (بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم) من عند الله يبين لكم (بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢) فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ) من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعا لرؤسائهم في الضلالة (لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ) فيها، فكانوا لهم رؤساء (بَلۡ مَكۡرُ) كم لنا بـ(ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ) صدنا عن الهدى (إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ) أمثالًا وأشباهًا في العبادة والألوهة، فأضيف المكر إلى الليل والنهار. والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار، على اتساع العرب في الذي قد عرف معناها فيه من منطقها، من نقل صفة الشيء إلى غيره، فتقول للرجل: يا فلان نهارك صائم وليلك قائم، وكما قال الشاعر:

ونمت وما ليل المطي بنائم

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله.

وقوله: (إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ) يقول: حين تأمروننا أن نكفر بالله.

وقوله: (وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: شركاء.

قوله: (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ) يقول: وندموا على ما فرَّطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله اذي أعدَّه لهم.

(٦١١) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ) بينهم (لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ).

قولـه: (وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟) وغلـت أيـدي الكـافرين بـالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، يقول جلَّ ثناؤه: ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابًا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا، ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ منهم وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: لولا أنتم تصدونا، لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ﴾ أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك؛ ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتَغُرّونا وتُمَنّونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكَذبٌ ومَيْن.

قال قتادة، وابن زيد: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ يقول: بل مكرهم بالليل والنهار. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار.

(٦١٢) أحمر
أسود

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبَهًا وأشياءَ من المحال تضلونا بها ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلٌّ نَدم على ما سَلَف منه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ : وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلٌّ بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يريد كفار قريش ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال سعيد عن قتادة : (وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل من الآخرة. وقال ابن جريج : قائل ذلك أبو جهل بن هشام. وقيل : إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل بل نكفر بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم. ثم أخبر الله تبارك وتعالى عن حالهم فيما لهم فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمرًا هائلًا فظيعًا ثم ذكر أي شيء يرجع من القول بينهم قال : ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ في الدنيا من الكافرين ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: أغويتمونا

(٦١٣) أحمر
أسود

وأضللتمونا، واللغة الفصيحة لولا أنتم ومن العرب من يقول : لولاكم حكاها سيبويه تكون لولا تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره. ومحمد بن يزيدٍ يقول : لا يجوز لولاكم لأن المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعًا بالإجماع وجب أن يكون المضمر أيضًا مرفوعًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو استفهام بمعنى الإنكار أي ما رددناكم نحن عن الهدى ولا أكرهناكم ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي مشركين مصرين على الكفر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المكر أصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر فهو ماكر ومكار قال الأخفش : هو على تقدير : هذا مكر الليل والنهار. قال النحاس : والمعنى - والله أعلم - بل مكركم في الليل والنهار أي مسارَّتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حملنا على هذا. وقال سفيان الثوري : بل عملكم في الليل والنهار قتادة : بل مكركم بالليل والنهار صدنا فأضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح : ٤] فأضاف الأجل إلى نفسه ثم قال : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف : ٣٤] إذ كان الأجل لهم. وهذا من قبيل قولك : ليله قائم ونهاره صائم قال المبرد : أي بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب : نهاره صائم وليله قائم. وأنشد لجرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وأنشد سيبويه :

فنام ليلي وتجلى همي

أي نمت فيه ونظيره : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر : ٦١] وقرأ قتادة : (بل مكر

(٦١٤) أحمر
أسود

الليل والنهار) بتنوين (**مكر**) ونصب (**الليل والنهار**) والتقدير : بل مكر كائن في الليل والنهار فحذف وقرأ سعيد بن جبير: (**بل مكرٌ**) بفتح الكاف وشد الراء بمعنى الكرور، وارتفاعه بالابتداء والخبرمحذوف. ويجوز أن يرتفع بفعل مضمر دل عليه (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ) كأنهم لما قالوا لهم أنحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال : مر الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل : طول السلامة فيهما كقوله : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ [الحديد : ١٦] وقرأ راشد (**بل مكرَّ الليل والنهار**) بالنصب كما تقول : رأيته مقدم الحاج، وإنما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت : رأيته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي أشباهًا وأمثالًا ونظراء قال محمد بن يزيد : فلان ند فلان أي مثله ويقال نديد وأنشد :

أينما تجعلون إلي ندا ... وما أنتم لذي حسب نديد

وقد مضى هذا في البقرة ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها وهو من الأضداد يكون بمعنى الإخفاء والإبداء. قال امرؤ القيس:

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر ... علي حراصا لو يسرون مقتلي

وروي «يشرون» وقيل: وأسروا الندامة أي تبينت الندامة في أسرار وجوههم قيل : الندامة لا تظهر وإنما تكون في القلب وإنما يظهر ما يتولد عنها حسبما تقدم بيانه في سورة يونس وآل عمران، وقيل : إظهارهم الندامة قولهم : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٢] وقيل : أسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال : ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه : ٦٢] ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأغلال جمع غل يقال : في رقبته غل من

(٦١٥) أحمر
أسود

حديد. ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق : غل قمل وأصله أن الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل وغللت يده إلى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال : ماله أل وغل. والغل أيضا والغلة : حرارة العطش، وكذلك الغليل يقال منه : غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري. أي جعلت الجوامع في أعناق التابعين. والمتبوعين قيل من غير هؤلاء الفريقين. وقيل يرجع ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إليهم وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ ثم ابتدأ فقال : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ بعد ذلك في أعناق سائر الكفار ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٦١٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾) [سبأ: ٣٤-٣٩]

(٦١٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(نَّذِيرٍ -مُتۡرَفُوهَآ -يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ -وَيَقۡدِرُ -زُلۡفَىٰٓ -جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ -ٱلۡغُرُفَٰتِ -يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا - مُعَٰجِزِينَ -مُحۡضَرُونَ -يُخۡلِفُهُۥ).

ج:

الكلمة	معناها
(نَّذِيرٍ)	نبي – رسول الله
(مُتۡرَفُوهَآ)	قادتها وكبراؤها وأصحاب المال والجاه فيها
(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ)	يوسع – يكثر من العطاء
(وَيَقۡدِرُ)	يضيق – يُصيب بالفقر
(زُلۡفَىٰٓ)	قربةً – تقريبًا
(جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ)	الجزاء المضاعف
(ٱلۡغُرُفَٰتِ)	جمع غرفة، وهي غرفٌ في الجنان
(يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا)	يجدون ويجتهدون لإبطال حججنا
(مُعَٰجِزِينَ)	ظانين أنهم يعجزوننا
(مُحۡضَرُونَ)	متواجدون في العذاب
(يُخۡلِفُهُۥ)	يأتي بخير منه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – وما أرسلنا من قبلك يا رسول الله في

(٦١٨) أحمر
أسود

قرية إلا عارضه أهل المال والجاه والسلطة فيها، عارضه كبراؤها وشريروها قائلين: إنما بالذي أرسلتم به من الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة ما سواه، كافرون جاحدون لكل ما تدعوننا إليه من هذا، جاحدون للقرآن منكرون أنه من عند الله، منكرون لجعل الآلهة إلهًا واحدًا منكرون للبعث الذي أخبرتمونا عن وقوعه.. منكرون لكل ما جئتمونا به، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرًا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾) قال: هم رؤوسهم وقادتهم في الشر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليًّا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًّا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: (أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ) [الشعراء: ١١١]، ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [هود: ٢٧]، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾) [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ

(٦١٩) أحمر
أسود

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقال: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال هاهنا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: نبي أو رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة: هم جَبَابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: لا نؤمن به ولا نتبعه.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة إخبار الله ﷻ بنبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾؟

ج: فائدة ذلك - والعلم عند الله - مواساة رسول الله ﷺ وتثبيته وتصبيره، فإنه إذا علم أن إخوانه من المرسلين لقوا مثل الذي لقي، وابتلوا بمثل الذي ابتلي به حمله ذلك على الصبر، كما قال تعالى: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾).

ج: حاصل معنى هذه الآيات - والعلم عند الله - أن أهل الكفر لما بلغتهم

(٦٢٠) أحمر
أسود

رسالة الإسلام ودعاهم رسول الله □ إلى التوحيد، وذكَّرهم باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب قالوا مجيبين أهل الإسلام نحن أكثر منكم أموالاً وأكثر منكم أولادًا، أموالنا أكثر من أموالكم، وأولادنا أكثر من أولادكم، وهذا دليلٌ على إكرام الله لنا، فلو علم أننا لا نستحق ذلك ما أعطانا إياه ولا تفضَّل علينا به إنما أعطانا إياه لكرامتنا عنده، وكما أنه رضي عنا بدليل إعطائه لنا هذا المال والولد فلن يعذبنا، هكذا فهموا!!

وهكذا ظنوا! وهكذا رأوا! وأخطأوا كل ذلك، فقل لهم يا رسول الله إن ربي ﷻ يوسع على من يشاء من عباده في الرزق والولد ويضيق على من يشاء، وكل ذلك اختبارٌ وابتلاء كما قال ﷻ: (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾) [الأنبياء: ٣٥]، وكما قال: (وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾) [الأعراف: ١٦٨]. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ما هم فيه من النعيم ابتلاءٌ من الله واختبار، وقلَّ منهم من يعلم ذلك ويتفطن له كما قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده: (هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...) [النمل: ٤٠].

ثم قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالشيء الذي يقربكم عند الله منزلة ويقربكم منه تقريبًا أكثر إلا من آمن وعمل صالحًا واتقى الله ﷻ فيما أعطاه من المال فأنفقه في مرضاة الله ﷻ وفي طاعته فأولئك لهم جزاء أعمالهم أضعاف ما عملوه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ثم هم يوم القيامة في الغرفات غرف الجنان، آمنون من الحزن والغم والخوف وزوال النعم وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٦٢١) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن في الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيًا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد (إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ) من المعاش والرياش في الدنيا (لِمَن يَشَآءُ) من خلقه (وَيَقْدِرُ) فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ...) الآية، قال: قالوا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى (إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا)، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضيًا لم يعطنا هذا، كما قال قارون: لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا، قال: (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ ...) [القصص: ٧٨] إلى آخر الآية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل قوله تعالى: (وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾).

(٦٢٢) أحمر
أسود

يقول جلَّ ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منا قربة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ) لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال جلَّ ثناؤه: (وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ) ولم يقل باللتين، وقد ذكر الأموال والأولاد، وهما نوعان مختلفان، لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي، ولو قال قائل: أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله، وكان ذلك كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل: راضيان.

وقوله: (إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: (إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا) قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ (۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ) فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين، فمن حملها على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه، وقد يحتمل أن يكون «من» في موضع رفع، فيكون كأنه قيل: وما هو إلا من

(٦٢٣) أحمر
أسود

آمن وعمل صالحًا.

وقوله: (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ) يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ) قال: بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة.

وقوله: (فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى إخبارًا عن المترفين المكذبين: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ [المدثر: ١١-١٧]

وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنتين: أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئًا، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يعطي المال لمن يحب ومَنْ لا يحب، فيفقر مَنْ يشاء ويغني مَنْ يشاء، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة

(٦٢٤) أحمر
أسود

الدامغة القاطعة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .

ثم قال: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ أي: ليست هذه دليلًا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه أحمد ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

ولهذا قال: (إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا) أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح، (فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ) أي: تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف (وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) أي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يُحْذَر منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ قال قتادة: أي أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتها وقادة الشر للرسل: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ أي فضلنا عليكم بالأموال والأولاد ولو لم يكن ربكم راضيًا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ لأن من أحسن إليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أي يوسعه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يقتر أي إن الله هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحانًا لهم فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تغني عنكم غدًا شيئًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(١) أحمد (٢/ ٥٣٩)، ومسلم (٢٥٦٤).

(٦٢٥) أحمر
أسود

يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ هذا لأنهم لا يتأملون ثم قال تأكيدًا : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ قال مجاهد : أي قربى والزلفة القربة وقال الأخفش : أي إزلافًا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبًا كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبًا وزعم الفراء أن التي تكون للأموال والأولاد جميعًا وله قول آخر وهو مذهب أبي إسحاق الزجاج يكون المعنى : وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه وأنشد الفراء :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضي والرأي مختلف

ويجوز في غير القرآن : باللتين وباللاتي وباللواتي وباللذين وبالذين للأولاد خاصة أي لا تزيد كم الأموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبًا ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ قال سعيد بن جبير : المعنى إلا من آمن وعمل صالحًا فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن طاوس أنه كان يقول : اللهم ارزقنى الإيمان والعمل وجنبني المال والولد فإني سمعت فيما أوحيت ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾

قلت : قول طاوس فيه نظر والمعنى والله أعلم : جنبني المال والولد المطغيين أواللذين لا خير فيهما فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في آل عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن من آمن وعمل صالحًا فإيمانه وعمله يقربانه مني.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

(فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ) يعني قوله : (مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)

(٦٢٦) أحمر
أسود

[الأنعام : ١٦٠] فالضعف الزيادة أي لهم جزاء التضعيف وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول وقيل : لهم جزاء الأضعاف فالضعف في معنى الجمع وإضافة الضعف إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نفسه نحو : حق اليقين وصلاة الأولى أي لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة إلى ما يريد الله من الزيادة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) أي من العذاب والموت والأسقام والأحزان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وكما أن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف بما عملوا، ففي المقابل فهؤلاء الذين يسعون بجدٍ واجتهادٍ منهم لإبطال آياتنا ووصفها بغير ما هو لائق بها فيصفونها بأنها سحر وكهانة وأساطيرٌ ودجل، كل ذلك لصرف الناس عنها ويظنون أننا نعجز عنهم فهؤلاء محضرون مجموعون جميعًا في العذاب عذاب النار يوم القيامة والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين يعملون في آياتنا، يعني: في حججنا وآي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾) يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة.

(٦٢٧) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ) أي: يسعون في الصد عن سبيل الله، واتباع الرسل والتصديق بآياته، (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨) أي: جميعهم مَجْزيون بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا) في إبطال أدلتنا وحجتنا وكتابنا (مُعَٰجِزِينَ) معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨) أي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩).

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء الذين ظنوا أن الله ﷻ أغناهم من فضله لكرامتهم عنده ولفضلهم عنده ولمنزلتهم عنده، قل لهم مُكررًا مؤكدًا إن ربي ﷻ يوسع الأرزاق على من يشاء ويضيق فيها على من يشاء اختبارًا وابتلاءً وامتحانًا ليعلم الشكور من الكفور، والبار التقي من الفاجر الشقي، ومهما أنفقتم يا أهل الإيمان من مالٍ في طاعة الله ومرضاته فأيقنوا بأن الله ﷻ يخلف عليكم ما هو خير، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: (قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه

(٦٢٨) أحمر
أسود

فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارًا (وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ) يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم.

وأورد بإسناد يُحسَّن عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ) قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير.

وقال الطبري: وقوله: (وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩) يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ﴾ كرر تأكيدًا.

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد إن الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغتروا بالأموال والأولاد؛ بل أنفقوها في طاعة الله فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه إضمار أي فهو يخلفه عليكم يقال: أخلف له وأخلف عليه أي يعطيكم خلفه وبدله وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله □: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خلفًا وأَعْطِ مُمْسِكًا تلفًا**»[1] وفيه أيضًا: عن أبي هريرة عن رسول الله □ قال: إن الله قال لي: «**أنفق أنفق عليك**»[2] الحديث وهذه إشارة إلى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها إذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء

(١، ٢) كلاهما صحيح، وسيأتيان قريبًا.

(٦٢٩) أحمر
أسود

كما تقدم سواء في الإجابة أو التكفير أو الادخار والادخار هاهنا مثله في الأجر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ لما كان يقال في الإنسان: إنه يرزق عياله والأمير جنده قال: وهو خير الرازقين والرازق من الخلق يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن أخرج من عدم إلى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ أي: بحسب مَا لَه في ذلك من الحكمة، يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدًّا، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره، كما قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ [الإسراء: ٢١] أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع، وهذا غني مُوَسَّع عليه، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغَمرَات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح مَنْ أسلم ورُزِق كَفَافا، وقَنَّعه الله بما آتاه**». رواه مسلم من حديث ابن عَمْرو[1].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء

(١) مسلم (١٠٥٤).

(٦٣٠) أحمر
أسود

والثواب، كما ثبت في الحديث: يقول الله تعالى: «**أَنْفِق أُنْفِق عليك**»[١]. وفي الحديث: «**أن ملكين يَصيحان كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعط مُمْسِكا تَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقا خَلَفًا**»[٢].

❁ ❁ ❁

س: هل كل شيء ينفقه الشخص يخلف الله به عليه؟

ج: ليس كل من يُنفق يوعد بأن يخلف الله عليه، فالذي ينفق في معصية الله ومساخطه لا يدخل في هذا الوعد، وإنما المراد ما يتقرب به إلى الله وكذا عموم أعمال الخير والبر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: أما ما أنفق في معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ولا مخلوف له وأما البنيان فما كان منه ضروريًّا يكن الإنسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه ومأجور ببنيانه وكذلك كحفظ بنيته وستر عورته.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الحث على الإنفاق

س: اذكر بعض الأدلة الواردة في الحث على الإنفاق والتي تبين أن الله عَزَّ وَجَلَّ يُخلف على المنفق.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ

(١) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) بنحوه.

عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾) [آل عمران: ٩٢].

وقوله تعالى: (وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾) [سبأ: ٣٩].

وقوله تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾) [البقرة: ٢٦١].

وقوله تعالى: (قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ) [إبراهيم: ٣١].

وقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾) [الليل: ٥-٧].

وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾) [الأنفال: ٣].

وقوله تعالى: (وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ) [التوبة: ١٢١].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

أما الأحاديث فمنها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك**»[(١)].

وما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا**».

وأخرج البخاري[(٣)] ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ما لي مال إلا ما أدخل على الزبير فأتصدق؟ قال: «**تصدقي ولا تُوعي**

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٤٩٧)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٠٤)، ومسلم (مع النووي ٧/ ٩٥).
(٣) البخاري (مع الفتح ٥/ ٢١٧)، ومسلم (٧/ ١١٩).

(٦٣٢) أحمر
أسود

فيُوعي عليك».

وأخرجا[١] أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**».

وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يملكه في الحق فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل**».

وما أخرجه مسلم[٣] من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**».

وأخرج البخاري[٤] من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: «**أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير من مكة بغير خفير، وأما العيلة: فإن الساعة لا تقوم، حتى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالا؟**

---

(١) البخاري (٩/ ٧٣)، ومسلم (٦/ ٩٧).
(٢) البخاري (٩/ ٧٢).
(٣) مسلم (١٠٣٦).
(٤) البخاري (١٤١٣).

(٦٣٣) أحمر
أسود

فليقولن : بلى ، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا ؟ فليقولن : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

والباب به أحاديث كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

(٦٣٤) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم
مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا
هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ
ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
﴿٤٥﴾) [سبأ: ٤٠-٤٥]

(٦٣٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
(يَحۡشُرُهُمۡ -سُبۡحَٰنَكَ -وَلِيُّنَا -بَيِّنَٰتٖ-يَصُدُّكُمۡ-إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ -مِعۡشَارَ -نَكِيرِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَحۡشُرُهُمۡ)	يجمعهم (يوم القيامة)
(سُبۡحَٰنَكَ)	تنزهت عن كل ما لا يليق بك وتنزهت عن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد
(وَلِيُّنَا)	ناصرنا – متولي أمرنا
(بَيِّنَٰتٖ)	واضحات أنها حق، وأنها من عند الله
(يَصُدُّكُمۡ)	يصرفكم
(إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ)	كذبٌ مُختلق
(مِعۡشَارَ)	عشر
(نَكِيرِ)	إنكاري وتعذيبي لهم

❁ ❁ ❁

س: ما وجه السؤال الذي وجه للملائكة في قوله تعالى لهم: (أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠)؟ وهل له نظائر في الكتاب العزيز؟

ج: هذا السؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة، له نظير في كتاب الله كقوله تعالى: (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ...) [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى: (وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا

(٦٣٦) أحمر
أسود

يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ...) [الفرقان: ١٧-١٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾).

ج: واذكر يا رسول الله يوم يحشر الله الخلق جميعًا أولهم وآخرهم ثم يوجَّه خطاب للملائكة، وسؤال لهم، سؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة فيقول تعالى لملائكته أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فيجيبون قائلين تنزهت يا ربنا عن أن يكون لك شريك في الملك، تنزهت يا ربنا عن كل ما يصفك به الواصفون المشركون، أنت يا ربنا متولي أمرنا رضينا بك وليًّا ونصيرًا، لقد كان هؤلاء القوم يعبدون الجن أكثرهم بهم مصدقون، مصدقون الجن فيما تخبرهم به الجن، والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعًا، ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة (قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ) ربنا؛ تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد (أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ) لا نتخذ وليًّا دونك (بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ).

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ

(٦٣٧) أحمر
أسود

إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾) استفهام كقوله لعيسى: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ) [المائدة: ١١٦].

وقوله: (أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾) يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾؟ [الفرقان: ١٧] ، وكما يقول لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦]. وهكذا تقول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ ﴾ أي: تعاليتَ وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ يعنون: الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم، ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء: ١١٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ هذا متصل بقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ [سبأ: ٣١] أي لو تراهم في هذه الحالة لرأيت أمرًا فظيعًا والخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته ثم قال : ولو تراهم أيضًا يوم نحشرهم جميعا

(٦٣٨) أحمر
أسود

العابدين والمعبودين أي نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة : هذا استفهام كقوله ﷻ لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة : ١١٦] قال النحاس : فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيها لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي أنت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي يطيعون إبليس وأعوانه وفي التفاسير : أن حيًّا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله وهو قوله : ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات : ١٥٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾).

ج: المعنى – والله أعلم – فاليوم لا يملك بعضكم لبعض كشف ضرٍّ أو جلب نفعٍ، لا تملك الملائكة لأهل الشرك دفع ضرٍّ أو جلب نفعٍ، وكذا لا يملك الكفار بعضهم لبعض جلب نفع أو دفع ضرٍّ، ونقول لأهل الشرك: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون، فقد كانوا في الدنيا ينكرون البعث وينكرون الثواب والعقاب والجنَّة والنار، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعًا ينفعونكم به، ولا ضرًّا ينالونكم به أو تنالونهم به (وَنَقُولُ

(٦٣٩) أحمر
أسود

لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ) يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له (ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا) في الدنيا (تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾) فقد وردتموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا) أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكُرَبكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ) - وهم المشركون-(ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾) أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا) أي شفاعة ونجاة (وَلَا ضَرًّا) أي عذابًا وهلاكًا وقيل : أي لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾) يجوز أن يقول الله لهم أو الملائكة : ذوقوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا تتلى على أهل الكفر هؤلاء آيات الله ﷻ التي أنزلها على نبيه محمد □ واضحات ظاهرات أنها من عند الله، وصفوا رسول الله □ بما لا يليق به من الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك

(٦٤٠) أحمر
أسود

بما لا يليق به، فقالوا عن رسول الله □ ما هذا إلا رجل يريد أن يصرفكم عما وجدتم عليه أسلافكم من آبائكم وأجدادكم وغيرهم من أسلافكم، وقالوا: ما هذا إلا كذبٌ مختلق، وقال أهل الكفر للقرآن لما تُلي عليهم ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أن قائله ساحر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات، يقول: واضحات أنهن حق من عندنا (قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ) يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدًا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباوكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم (وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ مُّفۡتَرًىۚ) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا إفك، يقول: إلا كذب مفترى: يقول: مختلق متخرص (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾) يقول جلَّ ثناؤه: وقال الكفار للحق، يعني محمدًا □، لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبيًّا: هذا سحر مبين، يقول: ما هذا إلا سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ ﴾ يعنون محمدًا □ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ أي أسلافكم من الآلهة التي كانوا يعبدونها ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرًىۚ﴾ يعنون القرآن أي ما هو إلا كذب مختلق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾﴾ فتارة قالوا سحر وتارة قالوا إفك ويحتمل أن يكون منهم من قال سحر ومنهم

(٦٤١) أحمر
أسود

من قال إفك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غَضَّةً طرية من لسان رسوله ، ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ ، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل -عليهم وعلى آبائهم لعائن الله- ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ مُّفۡتَرًىۚ﴾ يعنون: القرآن، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾.

ج: هذا - والله أعلم - مع ما يحمله ظاهره من أن الله ﷻ ما أرسل إلى العرب من نذير من قبل رسول الله ، وما آتاهم من كتاب منزلٍ من عنده، مع هذا الظاهر فالآية أيضًا تحمل توبيخًا لهم، حاصله كيف تدعون أن هذا القرآن إفك مفترى، وكيف تدعونه أنه سحر مبين، وكيف تنكرون رسالة رسول الله ، وما عندكم كتب شاهدة بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتبًا يدرسونها، يقول: يقرءونها.

(٦٤٢) أحمر
أسود

أورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ) أي: يقرءونها.

وقال الطبري:

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾) يقول: وما أرسلنالى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾) ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد □.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ) أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد □، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ) أي: لم يقرؤوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول بعث إليهم كما قال : (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾) [الزخرف : ٢١] فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين : نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله.

❁ ❁ ❁

(٦٤٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾).

ج: أولًا قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن مشركي مكة ما بلغوا عشر ما آتى الله ﷻ الأمم المتقدمة التي أهلكها وأبادها من القوم والبطش، فقد كانت الأمم المتقدمة أشد منهم بطشًا وأكثر منهم عددًا كالفراعنة وقوم عادٍ وثمود وغير هؤلاء ومع ذلك فقد أهلكهم الله وأبادهم مع كثرتهم وشدتهم وقوتهم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشًا) [ق: ٣٦].

والوجه الثاني: أن الأمم التي أهلكها الله لم تُعط مثل هؤلاء المشركين من البينات والحجج، ولم يكن كتابها مثل القرآن، فالقرآن أوضح بيان وأعظم حجة، ومع ذلك قد أهلك الله الأمم المتقدمة المكذبة، فهؤلاء الذين كذبوا بالقرآن أجدر بأن يعذبوا فقد عُذب من هذا أدنى منهم ممن جاءتهم حُجج لكنها دون القرآن.

ثانيًا: قوله تعالى: (فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾) أي: كيف كان إنكاري عليهم لما كفروا لقد كان أخذًا شديدًا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا (وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ) يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك

(٦٤٤) أحمر
أسود

من النعم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ) يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: (وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ) قال: ما بلغ هؤلاء، أمة محمد □، معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم (فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾) يقول: فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير، يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي: من الأمم، ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك قال قتادة، والسدّي، وابن زيد. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ ﴾ [غافر: ٨٢]، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ أي: فكيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق : ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي كذب قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشًا وأكثر أموالًا وأولادًا وأوسع عيشًا فأهلكتهم كثمود وعاد ﴿وَمَا بَلَغُواْ ﴾ أي ما بلغ أهل مكة ﴿مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾

(٦٤٥) أحمر
أسود

تلك الأمم والمعشار والعشر سواء لغتان وقيل : المعشار عشر العشر الجوهري : ومعشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل : ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم حكاه النقاش وقيل : ما أعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس : فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه وقيل : المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءًا من ألف جزء الماوردي : وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي عقابي في الأمم وفيه محذوف وتقديره : فأهلكناهم فكيف كان نكيري.

❁ ❁ ❁

(٦٤٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾) [سبأ: ٤٦-٥٤]

(٦٤٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَعِظُكُم -بِوَٰحِدَةٍۖ -مَثۡنَىٰ -وَفُرَٰدَىٰ -جِنَّةٍۚ -نَذِيرٞ لَّكُم -بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ -شَهِيدٞ -يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ -عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ -يُبۡدِئُ -ٱلۡبَٰطِلُ -وَمَا يُعِيدُ -فَزِعُواْ -فَلَا فَوۡتَ -وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ -ٱلتَّنَاوُشُ -وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ -بِأَشۡيَاعِهِم -مُّرِيبٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَعِظُكُم)	أُذكركم – أحذركم – آمركم
(بِوَٰحِدَةٍۖ)	بمسألة واحدة – بخصلة واحدة – بكلمة واحدة
(مَثۡنَىٰ)	اثنين معًا
(وَفُرَٰدَىٰ)	واحدٌ بمفرده
(جِنَّةٍۚ)	جنون
(نَذِيرٞ لَّكُم)	منذرٌ لكم – مُحذِّر لكم
(بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ)	قبل عذاب شديد، وهو عذاب يوم القيامة
(شَهِيدٞ)	عالمٌ ومطلع ورقيب وشاهد
(يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ)	يُنزل القرآن – يؤيد بالحجج
(عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ)	عظيم العلم بكل شيء يغيب عن الخلق وبكل ما هو آت
(يُبۡدِئُ)	يُنشئ – يخلق خلقًا

(٦٤٨) أحمر
أسود

٦٤٨ التسهيل لتأويل التنزيل

(ٱلْبَـٰطِلُ)	الشيطان - كل ما هو ضد الحق
(وَمَا يُعِيدُ)	ما يعيد الخلق أحياء بعد موتهم - ما يُعيد أهل الباطل مقولةً بعد مجيء الحق الواضح
(فَزِعُوا۟)	أصابهم الفزع الشديد مما حلَّ بهم
(فَلَا فَوْتَ)	فلا مهرب - فلا نجاة
(وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)	جاءهم العذاب - وأخذهم العذاب من مكان قريب، قيل: في الدنيا. وقيل: يوم بدر، وقيل لأول وهلة. وقيل: من تحت أقدامهم.
(ٱلتَّنَاوُشُ)	التناول، والمراد تناول الإيمان في الآخرة، وقيل: تناول الرجوع للدنيا كي يؤمنوا
(وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ)	يتكلمون بما لا علم له به
(بِأَشْيَاعِهِم)	بأمثالهم من أهل الكفر السابقين
(مُّرِيبٍ)	مُحيِّر

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة القيام مثنى وفرادى؟

ج: هذا - والله أعلم - أدعى لمزيدٍ من التفكر والإنصاف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: إنما قال: (مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) لأن الذهن حجة الله على العباد وهو

(٦٤٩) أحمر
أسود

العقل فأوفرهم عقلًا أوفرهم حظًّا من الله فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقيام في قوله تعالى: (أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ)؟

ج: المراد أن تقوموا بالتناصح لوجه الله ولطلب الحق وليس المراد بالقيام الذي هو ضد الجلوس.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؟ أي لوجه الله والتقرب إليه وكما قال تعالى: (وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ) [النساء : ١٢٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين وصفوك بالجنون، وكذبوك قل لهم: إنما أُذكركم بواحدة، وأطلب منكم مسألة واحدة، وهي أن يقوم كل اثنين منكم مع بعضهما بمعزل عن الآخرين، ويتناقش الاثنان ويتواعدان قبل المناقشة أن يصدقا في حديثهما معًا إذا تحدثا ثم يقول كل واحدٍ منهما للآخر بعد تفكرٍ ووعدٍ بصدق الحديث، ما تقول في

(٦٥٠) أحمر
أسود

محمد ؟! فسيكون الجواب قطعًا إنه لصادقٌ وأمين ليس بمفتر ولا كذاب.

ويؤكد الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾) أي: ما هو إلا مُحذر ومنذرٌ قبل حلول العذاب بكم يوم القيامة. هذا وجهٌ وثمَّ وجهٌ آخر في تفسير مطلع الآية الكريمة حاصله قل إنما أعظكم بمسألة واحدة، وهي طاعة الله ﷻ.

وقيل: قل إنما آمركم باتباع القرآن، وقيل: قل إنما آمركم بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

فيكون قوله: (۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ...) حاصل معناه.

قل إنما أُذكركم بمسألة واحدة وهي طاعة الله فقوموا فيما بينكم، ليقم منكم الاثنان معًا أو الواحد بمفرده ويتفكر في صدق رسول الله لما دعاه إلى طاعة الله هل هو صادق في دعواه أم لا، فسيجد قطعًا أنه صادق بلا شك ولا ريب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله: (أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، (وَفُرَٰدَىٰ) فرادى فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة.

وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة، وتلك الواحدة أن تقوموا لله

(٦٥١) أحمر
أسود

بالنصيحة وترك الهوى. (مَثْنَىٰ) يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد □ جنونًا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم.

وقوله: (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ) يقول: لأنه ليس بمجنون.

وقوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾) يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها، وقوله: هو كناية اسم محمد □.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ) تمم الحجة على المشركين ؟ أي قل لهم يا محمد : (إِنَّمَآ أَعِظُكُم) أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه. (بِوَٰحِدَةٍ ۖ) أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله قال مجاهد : هي لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي. وعن مجاهد أيضًا: بطاعة الله، وقيل: بالقرآن؟ لأنه يجمع كل المواعظ وقيل: تقديره بخصلة واحدة، ثم بيَّنها بقوله : (أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ) فتكون (أَن) في موضع خفض على البدل من واحدة أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هي أن تقوموا. ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ ﴾ أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ أي: تقوموا قياما خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضا،

(٦٥٢) أحمر
أسود

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس قال: صَعِدَ النبي الصفا ذات يوم، فقال: «**يا صباحاه**». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحكم أو يُمَسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟**» قالوا: بلى. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: (تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١) [المسد: ١] (١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧).

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين: إنني ما سألتكم على دعوتي إلى توحيد الله واتباعه والإيمان به وطاعته. ما سألتكم على ذلك أجرًا، ولا سألتكم أن تجعلوا إليَّ جُعلًا، وإن كان قد صدر في ذلك، وما صدر فهذا الأجر لكم لا حاجة لي فيه، وهذا الجُعل لكم لا حاجة لي فيه إنما أطلب الأجر من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو شهيد عليَّ ومطلع على ما أقوال، ومطلع على قلبي ونواياي.

وبنحو هذا قال العلماء.

(١) البخاري (٤٨٠١).

(٦٥٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جعل على إنذاركم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ) أي: جعل (فَهُوَ لَكُمۡۖ) يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلا.

وقوله: (إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ) يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧) يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ) أي جعل على تبليغ الرسالة (فَهُوَ لَكُمۡۖ) أي ذلك الجعل لكم إن كنت سألتكموه (إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧) أي رقيب وعالم وحاضر لأعمالي وأعمالكم لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله أن يقول للمشركين: (مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ) أي: لا أريد منكم جُعلا ولا عَطاء على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، (إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ) أي: إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله (

(٦٥٤) أحمر
أسود

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾) أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾).

ج: هنا اتجاهان متقاربان في تفسير الآيتين الكريمتين:

أحدهما: قل يا رسول الله إن ربي ﷻ ينزل الوحي من السماء، وهو القرآن، فيقذف به على الباطل فيمحقه ويدفعه، وربي ﷻ علام الغيوب يعلم ما غاب وما ظهر وما هو كائن في النفوس فينزل ما يصلحها. وقل أيضًا يا رسول الله: جاء القرآن وما يُنشئ الشيطان شيئًا ولا يخلق خلقًا ولا يُعيد ميتًا حيًّا بعد موته.

الثاني: قل يا رسول الله إن الله ﷻ يأتي رسوله بالحجج البينات النيرات الواضحات وهو أعلم بعباده فيأتيهم بما يدفع به الباطل عنه، وقل يا رسول الله لقد جاءت الحجج من الله ولم يبق للباطل شيئًا ينشؤه ولا يعيده، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك: (إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد ﷺ (عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾) يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك

(٦٥٥) أحمر
أسود

تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وصفت، والنصب فيه جائز؛ لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه (قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ) يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله (وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ) يقول: وما ينشىء الباطل خلقًا، والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس (وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) يقول: ولا يعيده حيًّا بعد فنائه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: (إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ) : أي بالوحي (عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ) أي: القرآن (وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) والباطل: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾) فقرأ (بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ...) إلى قوله: (وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾) [الأنبياء: ١٨] قال: يزهق الله الباطل، ويثبت الله الحق الذي دمغ به الباطل، يدمغ بالحق على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحق، فذلك قوله: (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾)، كقوله تعالى: (يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) [غافر: ١٥]. أي: يرسل الملك إلى مَنْ يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

وقوله: (قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾) أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهبَ الباطل وزهق واضمحل، كقوله: (بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ) [الأنبياء: ١٨]، ولهذا لما دخل رسول الله □ المسجد الحرام يوم

(٦٥٦) أحمر
أسود

الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يَطعنُ الصنم بسِيَة قَوْسِه، ويقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل ها هنا إبليس، إنه لا يخلق أحدا ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًّا ولكن ليس هو المراد هاهنا والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي يبين الحجة ويظهرها قال قتادة: بالحق بالوحي وعنه: الحق القرآن.

وقال القرطبي كذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ قال سعيد عن قتادة: يريد القرآن. النحاس: والتقدير جاء صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ قال قتادة: الشيطان أي ما يخلق الشيطان أحدًا ﴿وَمَا يُعِيدُ ﴾ فـ(ما) نفي. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى أي شيء؛ أي جاء الحق فأي شيء بقي للباطل حتى يعيده ويبدئه أي فلم يبق منه شيء كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٨] أي لا ترى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا

(١) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

(٦٥٧) أحمر
أسود

يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله إن ابتعدت عن طريق الحق والصواب وحدت عنه فإن ضرر ذلك واقعٌ عليَّ ولاحق بي، وإن اهتديت إلى طريق الحق والصواب فذلك من فضل الله عليَّ بما أوحاه إليَّ من القرآن، فإن آيات هذا الكتاب العزيز بصائر تنير الطريق وترشد الضال.

أما قوله تعالى: (إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾) فمعناه أن الله ﷻ سميع لكل الأقوال والحركات قريب يجيب دعوة الداعي كما قال: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ) [البقرة: ١٨٦]، وكما في الحديث عن رسول الله □: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره، (وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ) يقول: وإن استقمت على الحق (فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ) يقول: فبوحي الله الذي يوحي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى.

وقوله: (إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾) يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في الكبرى (١١٤٢٧).

(٦٥٨) أحمر
أسود

(أَضِلُّ) أي إثم ضلالتي على نفسي (وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ) من الحكمة والبيان (إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠) أي سميع ممن دعاه قريب الإجابة. وقيل وجه النظم : قل إن ربي يقذف بالحق ويبين الحجة، وضلال من ضل لا يبطل الحجة، ولو ضللت لأضررت بنفسي لا أنه يبطل حجة الله، وإذا اهتديت فذلك فضل الله إذ ثبتني على الحجة إنه سميع قيريب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١).

ج: المعنى – والله أعلم – ولو ترى إذا أصيب أهل الكفر بفزعٍ شديد يحلُّ بهم، ولم يستطيعوا الهرب ولا النجاة، وقد أخذوا للعذاب من مكان قريب ليس بالبعيد لرأيت منظرًا بشعًا مخيفًا مزعجًا، ولرأيت حالتهم المزرية المخزية.

هذا، وقد ذكر أهل العلم في وقت هذا الفزع أقوالًا:

أحدها: أنه عندما يحيط بهم عذابٌ في الدنيا ويحلُّ بهم ويوقنوا أنهم هلكى ولا يستطيعون فرارًا، فعليه المكان القريب حاصل معناه أنه الدنيا، أي، وجاءهم العذاب الذي لا يستطيعون التخلص منه في الدنيا قبل الآخرة.

الثاني: أن ذلك كان في غزوة بدر حينما أحلَّ الله ﷻ بالمشركين بأسه ونقمته، ولم يستطيعوا فرارًا ولا هربًا، والمكان القريب الدنيا.

الثالث: أن ذلك عند الموت، وحلوله بهم.

الرابع: أن ذلك عند خسفٍ يصيبهم في الدنيا لا يستطيعون منه فرارًا ولا

(٦٥٩) أحمر
أسود

نجاة، والمكان القريب تحت أرجلهم.

الخامس: أن ذلك قبل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٨٧].

السادس: أن ذلك يوم القيامة عند الخروج من القبور والمكان القريب المراد به (عند هؤلاء القائلين بذلك) هو أخذهم لأول وهلة.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد إذ فزعوا.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية؛ فقال بعضهم: عني بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ قال: وعني بقوله: ﴿إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ...﴾ إلى آخر السورة، قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين.

قال الطبري:

وقال آخرون: عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض.

وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة عن الحسن قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ قال: فزعوا

(٦٦٠) أحمر
أسود

يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم.

وقال قتادة: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾) حين عاينوا عذاب الله.

قال الطبري:

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله □ من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرًا لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله (فَلَا فَوْتَ) يقول: فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربًا، وينجوا من عذابنا.

وقوله: (وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾) يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولو ترى -يا محمد-إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، (فَلَا فَوْتَ) أي: فلا مفرَّ لهم، ولا وزر ولا ملجأ (وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾) أي: لم يُمَكَّنُوا أن يُمنعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة.

والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلًا بذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٦١) أحمر
أسود

قولـه تعـالى : (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ) ذكـر أحـوال الكفـار في وقـت مـا يضطرون فيه إلى معرفة الحق. والمعنى : لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نـزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس. الحسـن: هـو فـزعهم في القبـور مـن الصـيحة وعنـه أن ذلـك الفـزع إنمـا هـو إذا خرجـوا مـن قبـورهم، وقالـه قتـادة. وقـال ابـن مغفـل: إذا عـاينوا عقـاب الله يـوم القيامـة. السـدي: هـو فـزعهم يـوم بـدر حـين ضـربت أعنـاقهم بسـيوف الملائكـة فلـم يسـتطيعوا فـرارًا ولا رجوعًـا إلـى التوبـة. سـعيد بـن جبيـر: هـو الجـيش الـذي يخسـف بهـم في البيـداء فيبقـى مـنهم رجـل فيخـبر النـاس بمـا لقـي أصـحابه فيفزعون فهذا هو فزعهم (فَلَا فَوْتَ) فلا نجاة قالـه ابـن عبـاس. مجاهـد: فـلا مهرب (وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾) أي من القبور وقيل: من حيث كـانوا، فهـم مـن الله قريب لا يعزبون عنه ولا يفوتونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾).

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن أهـل الكفـر لمـا عـاينوا العـذاب ورأوه قالوا: آمنا بالقرآن وبرسول الله ، وآمنا بالله وحده لا شريك له، ولكن من أي وجهٍ يمكنهم الرجوع إلى الدنيا لتناول الإيمان، أنى لهم الرجعة إلى الدنيا كـي يؤمنوا، فقد أصبحوا بعيدين عن الدنيا فقد انقضت وذهبت.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(٦٦٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله: آمنا به، يعني: آمنا بالله وبكتابه ورسوله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) عند ذلك، يعني: حين عاينوا عذاب الله.

وبإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) بعد القتل، وقوله: (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) يقول: ومن أي وجه لهم التناوش.

وأورد الطبري قراءتين في قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ هي (ٱلتَّنَاوُشُ)، و«التناؤش»، وقال:

وقالوا آمنا بالله، في حين لا ينفعهم قيل ذلك، فقال الله: (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ) أي: وأين لهم التوبة والرجعة، أي: قد بعدت عنهم، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنهم قالوا ذلك في القيامة فقال الله: أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدًا من الآخرة، فبأي القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) قال: هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ...) الآية، قال: التناوش: التناول، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة.

قال: وقال ابن زيد في قوله: (وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ) بعد القتل (وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) وقرأ (وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ) [النساء: ١٨] قال: ليس

(٦٦٣) أحمر
أسود

لهم توبة، وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة، فيقبلها الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم، قال: والتائب عند الموت ليست له توبة (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ...) [الأنعام: ٢٧] الآية، وقرأ (رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة: ١٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وبكتبه ورسله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ أي: وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قال مجاهد: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾، قال: التناول لذلك، وقال الزهري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدنيا، وقال الحسن البصري: أما نهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه، وليس بحين رجعة ولا توبة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن

(٦٦٤) أحمر
أسود

مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾).

ج: الظاهر – والله أعلم – أن معنى ذلك أن هؤلاء الذين قالوا لما عاينوا العذاب: آمنا به، قد كفروا بالله ﷻ وبكتابه الذي أنزله على رسوله ، وكانوا في الدنيا يقذفون بالغيب، أي يرمون رسول الله بناء على الظنون، فيقولون ساحر، ويقولون شاعر، ويقولون مجنون، كل ذلك بلا تدقيق منهم فيما يقولونه كالذي يرجم بالغيب، وكالذي يرمي من مكان بعيد ولا يصيب برميه شيئًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ) يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد وبما جاءهم به من عند الله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ) : أي بالإيمان في الدنيا.

وقوله: (وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾) يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾) أي: يرجمون بالظن، يقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: بالقرآن.

(٦٦٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل؟

﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ : قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: بالظن.

قلت: كما قال تعالى: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢]، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: مجنون. إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد، ويقولون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢].

قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ أي بالله عَزَّ وَجَلَّ، وقيل: بمحمد ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه: هو يقذف ويرجم بالغيب ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ على جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب، أي يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجمًا منهم بالظن قاله قتادة وقيل: يقذفون أي يرمون في القرآن فيقولون : سحر وشعر وأساطير الأولين. وقيل: في محمد فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ أي إن الله بعد لهم أن يعلموا صدق محمد. وقيل : أراد البعد عن القلب، أي من مكان بعيد عن قلوبهم. وقرأ مجاهد (**ويقذفون بالغيب**) غير مسمى الفاعل أي يرمون به. وقيل : يقذف به إليهم من يغويهم ويضلهم.

❁ ❁ ❁

(٦٦٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وجُعل حائلٌ بين أهل الكفر وبين ما يحبونه ويهوونه كما فُعل بأسلافهم ومن كان على طريقتهم من أهل الكفر من قبل إنهم كانوا في شكٍّ مُحيِّر.

أما ما الذي كان أهل الكفر يشتهونه، وحيل بينهم وبينه.

فلأهل العلم في تعيينه أقوال:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، فقد كانوا يحبون الرجوع للإيمان.

الثاني: أنه طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، وإجابة المرسلين.

الثالث: أنه طاعة الله مطلقًا.

الرابع: أنه أولادهم وزوجاتهم وبناتهم الذين كانوا يحبونهم في الدنيا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنا به (وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا.

وقال آخرون: معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال:

(٦٦٧) أحمر
أسود

في الدنيا التي كانوا فيها والحياة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه، وقالوا آمنا به فقال الله: وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ خبرًا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرًا عن غيره.

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يقول: فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم.

والأشياع: جمع شيع، وشيع: جمع شيعة؛ فأشياع جمع الجمع.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا، كانوا إذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم إيمان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم، ﴿مُّرِيبٍ﴾ يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة، كما قال الراجز:

(٦٦٨) أحمر
أسود

يـا قـوم مـا لـي وأبـا ذؤيـب؟ كنـت إذا أتوتـه مـن غيـب
يشـم عطفـي ويبـز ثـوبي كأنمـا أربتـه بريـب

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ) أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾) أي: كانوا في الدنيا في شكٍّ وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.

قال قتادة: إياكم والشك والريبة. فإنه من مات على شك بُعِثَ عليه، ومن مات على يقين بعث عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قيل: حيل بينهم وبين النجاة من العذاب. وقيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم. ومذهب قتادة أن المعنى أنهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب أن يقبل منهم أن يطيعوا الله جل وعز وينتهوا إلى ما يأمرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك؛ لأن ذلك إنما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك الوقت. والأصل «حول» فقلبت حركة الواو على الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم) الأشياع جمع شيع، وشيع جمعه شيعة (مِّن قَبْلُ) أي بمن مضى من القرون السالفة الكافرة (إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ) أي من أمر الرسل والبعث والجنة والنار.

(٦٦٩) أحمر
أسود

وقيل : في الدين والتوحيد والمعنى واحد (مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾) أي يستراب به يقال : أراب الرجل أي صار ذا ريبة فهو مريب. ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال: يقال شك مريب؟ كما يقال: عجب عجيب وشعر شاعر في التأكيد.

تم بحمد الله تفسير سورة سبأ

(٥٠٥) أحمر
أسود

تفسير سورة فاطر

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ
وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ
فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ
هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾) [فاطر: ١-١١].

(٥٠٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَاطِرِ -رَّحْمَةٍ -يُمْسِكْ -مُرْسِلَ -فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ -تَغُرَّنَّكُمُ -ٱلْغَرُورُ -حِزْبَهُۥ -ٱلسَّعِيرِ -زُيِّنَ لَهُۥ -سُوٓءُ عَمَلِهِۦ -حَسَرَٰتٍ -فَتُثِيرُ -بَلَدٍ مَّيِّتٍ -ٱلنُّشُورُ -ٱلْعِزَّةَ -يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ -يَبُورُ -وَمَا يُعَمَّرُ -مُّعَمَّرٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَاطِرِ﴾	خالق (على غير مثالٍ سابق)
﴿رَّحْمَةٍ﴾	خير – نعمة
﴿يُمْسِكْ﴾	يمنع – يُغلق
﴿مُرْسِلَ﴾	باسط – مُنعم – مُسدي
﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	من أي وجه تنصرفون عن الحق إلى الباطل
﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾	تخدعنكم
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان
﴿حِزْبَهُۥ﴾	جماعته وجنوده
﴿ٱلسَّعِيرِ﴾	النار المستعرة
﴿زُيِّنَ لَهُۥ﴾	حُسِّن له
﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾	عمله السيئ
﴿حَسَرَٰتٍ﴾	أحزان – تحسرات وتندمت
﴿فَتُثِيرُ﴾	فتهيج – فتحرك

(٥٠٧) أحمر
أسود

﴿بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾	أرض ليس فيها زرع ولا نبات
﴿ٱلنُّشُورُ﴾	الخروج من القبور
﴿ٱلْعِزَّةَ﴾	الغلبة – التعزز – القوة
﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	يفعلون السيئات والمراد هنا الشرك
﴿يَبُورُ﴾	يبطل ويذهب ثوابه
﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾	ما يطول من عمره
﴿مُّعَمَّرٍ﴾	طويل العمر – عمره طويل

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الأثر الذي ذكره ابن كثير عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها؟

ج: أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث، والبيهقي في شعب الإيمان[1]، من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس، وإبراهيم فيه مقال.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر الملائكة عليهم السلام

س: قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من؟

ج: إلى من يشاء من خلقه، وبالذي يُريد من أمره.

* فالملائكة رسلٌ إلى الأنبياء والمرسلين من البشر يوحون إليهم ما يشؤه الله.

---

(١) غريب الحديث (٣٧٣/٤)، والبيهقي في الشعب (٢١١/٣، ٢١٢).

(٥٠٨) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

* وكذا فمن الملائكة رسلٌ لقبض الأرواح عند استيفاء الآجال، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

* وكذا فالملائكة رسل لكتابة الأعمال قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

* كذا ويرسلون لتبشير أقوام ولإهلاك آخرين قال تعالى في شأن الملائكة مع إبراهيم عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

* وكذا قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠].

* وأحيانًا يرسلون لاختبار العباد كما في حديث الأبرص والأقرع والأعمى[1]. فقد أرسل إليهم ملك لاختبارهم.

* وترسل لشهود الصلوات وحضور الجُمع والجماعات خاصة صلاة الفجر والعصر في جماعة[2]، وكذا تؤمن على تأمين المصلين مع الإمام.

وترسل أحيانًا للقتال مع أهل الإيمان ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

(١) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).
(٢) انظر البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

(٥٠٩) أحمر
أسود

مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ [الأنفال: ٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن الله ﷻ خلق الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربع، ومنهم من له أكثر من ذلك.

فقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ يرى جمهور العلماء أن المراد هنا زيادة عدد الأجنحة لمن يشاء من الملائكة وبالعدد الذي يشاؤه الله، وإن كان من أهل العلم من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أعم من أن يكون متعلقًا بأجنحة الملائكة، فأدخل في ذلك حسن الصوت وصباحة الوجه، وملاحة الشخص، واتساع العين إلى غير ذلك، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في أجنحة الملائكة.

ج: من ذلك أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له ستمائة جناح؛ فقد قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]، أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[(١)].

وفي الحديث الآخر: طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه[(٢)].

---

(١) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، وانظر مسند أحمد (٤١٢/١).
(٢) أحمد (١٨٥/٥) بسندٍ صحيح.

(٥١٠) أحمر
أسود

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي أن النبي ﷺ قال: ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع[(١)].

وعيسى عليه السلام سينزل واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ثبت الخبر بذلك عند مسلم[(٢)].

والأدلة في هذا الباب كثيرة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

ج: يحمد ربنا عز وجل نفسه فهو أهلٌ؛ لأن يُحمد، وكذا يحثنا ربنا عز وجل على حمده، فالحمد لله والشكر الكامل كل الشكر لله عز وجل خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، لم يكن له شريك في خلقهما هو سبحانه الذي خلق الملائكة وجعلهم رسلًا إلى خلقه بما يريد، فمنهم رسلٌ بالوحي إلى الأنبياء والمرسلين، ومنهم بغير ذلك، قد جعل الملائكة متفاوتين في الخلق فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربع ومنهم من له أكثر من ذلك فهو يخلق ما يشاء، ويزيد للملائكة ما يشاء من الأجنحة إنه على كل شيء قدير. قدير على فعل أي شيء، وعلى إمضاء أي شيء يريده، وعلى خلق أي شيء، فهو ذو قدرة على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

---

(١) صحيح لغيره، وقد أخرجه عبد الرزاق (٢٣٩/٤)، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود (٣٦٤٢).

(٢) مسلم (٢٩٣٧).

(٥١١) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾.

ج: من الآيات في معناها:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ

(٥١٢) أحمر
أسود

لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧].

ومن الأحاديث قوله ﷺ في أدعيته دبر الصلاة وبعد الركوع: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١).

وفي الحديث كذلك: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعَت عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ ﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – أي نوع من أنواع الخير وأي نعمة من النعم فخزائن كل شيء عند الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

فتشمل الرحمة الغيث النازل من السماء يرحم الله به العباد وتشمل الرزق الواسع، والعلم النافع، والمال والبنين، والصحة والعافية والمنصب والجاه وعموم الخير.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بعد أن ذكر صورًا في تفسير الرحمة):

ولفظ الرحمة يجمع ذلك، إذ هي منكرةٌ للإشاعة والإبهام، فهي متناولة

---

(١) كان يقول ذلك □ بعد الرفع من الركوع، وكذا بعد الانصراف من الصلاة انظر البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠،..)، ومسلم (٤٧٧).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٤٠٩/٤) وغيرهما.

لكل رحمة على البدل، فهو عام في جميع ما ذكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ما يفتح الله ﷻ شيئًا من أبواب رحمته ومن خزائنه كي يكرم عبدًا من العباد بشيء، أي شيء كان فلا يستطيع أحدٌ منع ذلك ولا إمساك ذلك، وما يمنع الله ﷻ من شيء عن أي شخص كان فلن يستطيع أحدٌ إيصال هذا الخير لهذا الشخص.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز غالبٌ على أمره يفعل ما يريده سبحانه وتعالى، ويقضي بما يشاء، حكيم في كل شيء يصنعه، في كل عطاء يعطي، وفي كل منع يمنع حكيم في كل ذلك، وفي غير ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ أي: من خير ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فلا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى ذكره: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فأنث ما لذكر الرحمة من بعده وقال: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ فذكر للفظ «ما» لأن لفظه لفظ مذكر، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ، جاز، ولكن الأفصح

(٥١٤) أحمر
أسود

من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بذكر النعمة في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم قولان، وكلاهما صحيح إلا أن أولهما أقوى في هذا المقام، وهو:

* أن المراد بذكر نعمة الله، عدم نسيانها ومن ثَمَّ العمل بمقتضى هذا الإنعام، من تقديم شكر لله ﷻ عليها وإفراده وحده بالعبادة؛ إذ هو مُسدي النعم وواهبها ومعطيها.

الثاني: أن المراد التحديث بنعم الله كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

❁ ❁ ❁

س: لماذا ذكر نعمة الخلق دون غيرها من النعم؟

ج: ذلك – والله أعلم – لأن أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله ﷻ هو خالقهم فخوطبوا بما أقروا به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكذا كانوا يقرون بأنه الذي يرزقهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

(٥١٥) أحمر
أسود

ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم – مفاده أن الله ﷻ ينادي خلقه ويأمرهم أن يذكروا نعمه عليهم فما هم فيه من نعمةٍ فإنما هي من الله ﷻ، فليعملوا لذلك وليقدموا له شكرًا متمثلًا في توحيده وحمده والعمل بشرائعه والنهي عن ما نهى عنه، وكذا لا يجحدونها بين خلق الله، فالله هو الوهاب، وليس من خالق خلقنا غيره، ولا من رازق رزقنا غيره، لا إله إلا هو فمن أي وجهٍ ينصرف العباد عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ التي أنعمها ﴿عَلَيْكُمْۚ﴾ بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ فتعبدوه دونه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئًا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالألوهة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ يقول: فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون.

(٥١٦) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فَليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾، أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟

❁ ❁ ❁

س: ما المستفاد من إخبار الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بأن الرسل الذين قبله قد كذِّبوا؟

ج: ذلك –والله أعلم– لمواساته وتصبيره وتثبيته وتعزيته، حتى يصبر كما صبروا ويتأسى بالمرسلين قبله، كما قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وكما قال: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].

وقد أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ يعزِّي نبيه ﷺ كما تسمعون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإن يكذبك هؤلاء المشركون فلا تجزع ولا

(٥١٧) أحمر
أسود

تحزن، فقد كذَّب إخوانك المرسلون وإلى الله مرجع هؤلاء المكذبين ومرجعكم جميعًا فأجازي المحسن بإحسانه وبالحسنى والمسيء بما عمل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُحِل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: وإن يكذبك -يا محمد- هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لا يخدعنكم بالله الشيطان.

(٥١٨) أحمر
أسود

ولذلك صور:

منها: أنه يُغريكم بأن الله ﷻ سيغفر لكم ويتجاوز عن سيئاتكم؛ لأنكم مؤمنون، فافعلوا ما بدا لكم من المعاصي والكبائر، وما شئتم فإن الله غفور رحيم.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

ومنها: ما غرَّ به اليهود والنصارى لما زيَّن لهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فارتكبوا الكفر وزعموا أن الله له ولد وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

ومنها: ما غر به أبانا آدم فقد أقسم له بالله على صدق مدعاه من أنه سيكون هو وزوجته ملكين أو يكونا من الخالدين، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ... ﴾.

ومن صور تغريره بهم التسويف بالتوبة وعدم المبادرة بها بدعوى أن العمر طويل وإظهاره أن الله غفور رحيم، وإخفاؤه أن الله شديد العقاب أحيانًا، وأحيانًا العكس لتقنيطهم من رحمة الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ما وعد الله ﷻ به حقٌّ وصدق، فلا تنصرفوا عنه وتنخدعوا بالدنيا الفانية الزائلة فتصرفكم عن عبادة الله وطاعته بمتاعها وملذاتها، ولا يخدعنكم الشيطان بإخباركم بغير الحقيقة حتى يوقعكم في المآثم والمحرمات والكبائر والشرك، والقنوط من رحمة الله.

(٥١٩) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد ﷺ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ أي: المعاد كائن لا محالة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تَتَلَهَّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان. قاله ابن عباس. أي: لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرَّار كذاب أفاك. وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣] . قال مالك، عن زيد بن أسلم: هو الشيطان. كما قال: يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ﴿بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ

(٥٢٠) أحمر
أسود

وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن الشيطان لكم عدوٌّ يا بني آدم فأنزلوه المنزلة اللائقة به منزلة الأعداء الشريرين المفسدين فتخيل يا ابن آدم أن لك عدوًّا يتربص بك يريد اغتيالك يريد قتلك يريد سلب مالك، يريد الفتك بك فكيف تصنع معه؟! إنك تهرب منه غاية الهرب، وتفرُّ منه غاية الفرار فهكذا الشيطان بل أشد من ذلك فلا تنخدع به فأمره لا يقتصر على قتلك واغتيالك إنما يمتد لإدخالك الجحيم وأن تصلى السعير عياذًا بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله ﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوِّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾، يعني شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ فإنه لحقٌّ على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ وحزبه: أولياؤه ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: ليسوقهم إلى النار فهذه

(٥٢١) أحمر
أسود

عداوته.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان ، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله : إن البعث والثواب والعقاب حق ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال سعيد بن جبير : غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول : يا ليتني قدمت لحياتي ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ قال ابن السكيت و أبو حاتم : الغرور الشيطان وغرور جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرًا وهو بعيد عند غير أبي إسحاق

(٥٢٢) أحمر
أسود

لأن غررته متعدٍّ والمصدر المتعدي إنما هو على فعل نحو : ضربته ضربًا إلا في أشياء يسيرة، لا يقاس عليها قالوا : لزمته لزومًا ونهكه المرض نهوكًا فأما معنى الحرف فأحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال : الغرور بالله أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي، ثم يتمنى على الله المغفرة وقراءة العامة (**الغرور**) بفتح الغين وهو الشيطان أي لا يغرنكم بوساوسه في أنه يتجاوز عنكم لفضلكم وقرأ أبو حيوة و أبو السمال العدوي ومحمد بن السميقع الغرور برفع الغين وهو الباطل أي لا يغرنكم الباطل وقال ابن السكيت : والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا. قال الزجاج : ويجوز أن يكون الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود. النحاس : أو جمع غر أو يشبه بقولهم : نهكه المرض نهوكًا ولزمه لزومًا. الزمخشري : أو مصدر غره كاللزوم والنهوك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ ﴾؟

ج: هذا بيانٌ لمصير أهل الكفر وجزائهم وكذا بيان لمصير أهل الإيمان والعمل الصالح ولجزائهم فالذين كفروا أعد الله لهم عذابًا شديدًا يلقونه يوم يبعثون، وأهل الإيمان لهم مغفرةٌ لذنوبهم وأجر كبير مدخرٌ لهم عند لقاء ربهم، وهو الجنة ورضوان الله ﷻ، ومن المذكور أيضًا عذاب القبر ونعيمه، فمن العذاب الشديد المعدّ لأهل الكفر عذابٌ في قبورهم، وفي المقابل أيضًا أمنٌ وأمانٌ لأهل الإيمان في القبور.

(٥٢٣) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ ﴾ من الله ﴿شَدِيدٞ ﴾ وذلك عذاب النار. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ وذلك الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ على ما عملوه من خير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ ، وهل عقبه مقدرٌ محذوف أم لا؟

ج: المعنى –والله أعلم-: أفمن حسَّن له الشيطان عَمَلَه السيئ فرآه بتزيين الشيطان له عملًا حسنًا صوابًا صالحًا مقبولًا، واستمر في ضلالته، وهو يحسبها هدايات، واستمر في منكراته ويحسب ذلك حسنًا وجميلًا وصوابًا، واستمر في شركه ويحسب أنه على خير، أفمن كانت هذه حاله ذهبت نفسك عليه حسرات؟!!

كلا، لا ينبغي أبدًا أن تذهب نفسك عليه حسرات، فجواب أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فعمل السيئات ذهبت نفسك عليه حسرات؟!

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ

(٥٢٤) أحمر
أسود

سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وفي معنى هؤلاء اليهود والنصارى الذين تعبدوا بطرائق باطلة وأشركوا بالله وكذا الخوارج، وطرائق المتصوفة الضالة والمعتزلة والمرجئة وغير هؤلاء.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾؟

ج: المعنى إجمالًا –والله أعلم– أفمن حُسِّن له في نظره عمره السيئ، وظهر في عينيه أنه عملٌ حسن فاستمر فيه ودافع عنه، أفمن كانت تلك حاله تأسفت عليه وتحسرت وتقطعت نفسك أحزانًا عليهم وندمًا على ما تركوا من الخير وحزنًا على ما سيلقونه يوم القيامة من أليم العقاب.

ألا فاعلم أن الله ﷻ يضلُّ من يشاء، يصرفه عن الطاعة والإيمان والعمل الصالح، ويهدي من يشاء، ويوفق للخير من يشاء، فلا تتقطع نفسك حسرات عليهم، فالله أعلم بهم منك، وأعلم بصنيعهم منك، وبنحو هذا قال أهل

(٥٢٥) أحمر
أسود

التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيىء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ منه، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال قتادة والحسن: الشيطان زيَّن لهم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: لا يحزنك ذلك عليهم؛ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ قال: الحسرات الحزن، وقرأ قول الله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم،

(٥٢٦) أحمر
أسود

ومجازيهم به جزاءهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ أي: بقدره كان ذلك، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦]. وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣] وقوله في هذه الآية: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ وهذا ظاهر بيِّنٌ أي لا ينفع تأسفك على مقامهم على كفرهم فإن الله أضلهم وهذه الآية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم أي أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا تريد أن تهديه وإنما ذلك إلى الله لا إليك والذي إليك هو التبليغ.

❁ ❁ ❁

(٥٢٧) أحمر
أسود

بعض الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك؟

ج: قد قدمت الأدلة على ذلك في مواطن كثيرة من كتابي هذا (التسهيل)، ومنها ها هنا:

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾، أي: الخروج من القبور.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾ [الحج: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ١١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: والله هو الذي أرسل الرياح فتهيّج هذه الرياح السحب وتحركها من مكان إلى مكان حتى تضمها إلى بعضها، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور: ٤٣]، فيسوق الله ﷻ السحب إلى حيث يريد، يسوقها كذلك إلى بلدةٍ من البلاد التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر فتصب السحب – بإذن الله – ماءها في هذه البلاد فيحيي الله ﷻ بهذا الماء النازل من السماء تلك الأرض الميتة فإذا الأرض قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج..

فهكذا يخرج الله الموتى من القبور أحياءً بعد إماتتهم. يخرجهم الله أحياء

(٥٢٨) أحمر
أسود

يوم القيامة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل، محل الأرض، داثر لا نبت فيه ولا زرع ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم إلا وفي الأرض منه شيء، قال: فيرسل الله ماءً من تحت العرش؛ منيًّا كمني الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ...﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها فتدخل فيه.

وبأثر حسن عن قتادة قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها -كما في سورة الحج- ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها،

(٥٢٩) أحمر
أسود

﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج: ٥] ، كذلك الأجساد ، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعمُّ الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح: «**كلُّ ابن آدم يبلى إلا عَجْب الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب**»[1]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: من كان النصر والغلبة والقوة والتأييد على العدو والتعزز وغير ذلك مما تقتضيه معاني كلمة العزة فليعلم أن كل ذلك لله ﷻ فهو العزيز، وهو الذي يعزُّ ويذلُّ ويقبض ويبسط ويرفع ويخفض ويُكرم ويهين فليطلب ما يريده من الله ﷻ، وليتعزز بطاعته لله جل وعلا، فمن كان سائلًا عن العزة فهي لله وهو العزيز، ومن كان يريد التعزز فليطلبه من الله وليناله بطاعة الله ﷻ لا من الأصنام والأوثان، ولا من المعبودات من دون الله، ولا من أحد سوى الله .

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعًا.

وقال آخرون: معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله.

---

(١) البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٥٣٠) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ يقول: فليتعزز بطاعة الله.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنه لله جميعًا كلها أي: كل وجه من العزة فلله.

والذي هو أولى الأقوال بالصواب: عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضًا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: مَنْ كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس: ٦٥].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ التقدير عند الفراء: من كان يريد علم العزة وكذا قال غيره من أهل العلم أي من كان يريد علم العزة التي

لا ذلة معها لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلة فإنما هي تعرض للذلة والعزة التي لا ذل معها لله عز وجل ﴿جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه : من كان يريد بعبادته الله عز وجل العزة - والعزة له سبحانه - فإن الله عز وجل يعزة في الآخرة والدنيا.

قلت : وهذا أحسن وروي مرفوعا على ما يأتي ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ظاهر هذا إيئاس السامعين من عزته وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به - سبحانه - وبما وجب له من ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾ [يونس: ٦٥].

ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ومن أين تستحق فتكون الألف واللام للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده – إن شاء الله - غير ممنوعة ولا محجوبة عنه، قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده**» وقد ذكر قوم طلبوا العزة عند من سواه فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩] فأنبأك صريحًا لا إشكال فيه أن العزة له يعز بها من يشاء ويذل من يشاء

وقال ﷺ مفسرًا لقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ : «**من أراد عز الدارين فليطع العزيز**» وهذا معنى قول الزجاج ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة - ولله العزة

(٥٣٢) أحمر
أسود

فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكلم الطيب؟

ج: المراد، والله أعلم: كل كلم يُرضي الله ويحبه الله ﷻ فيدخل في ذلك ذِكْرُهُ تبارك وتعالى بالتهليل والتكبير والتسبيح والحمد وغير ذلك، كقولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل، وغير ذلك.

ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس والحث على الصدقة، ويدخل فيه قراءة القرآن ووعظ الناس وغير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل كل كلم طيب لا يرتفع إلا مع عمل صالح؟

ج: ليس الأمر كذلك، وإنما المراد بالكلم؛ الكلم الذي له ارتباط بالعمل.

فعلى سبيل المثال قولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر كل ذلك يصعد بإذن الله وإن لم يكن مشفوعًا بعمل صالح.

أما الكلم الطيب الذي له ارتباط بالعمل نفسه ففيه تفصيل فإذا كان الشخص يقول للناس: (لا تغشوا) وهو كبير الغشاشين، أو قال لهم: (لا تزنوا) وهو الزاني الأثيم، ونحو ذلك فإن عمله يدمر قوله كأهل النفاق، يقولون: لا إله إلا الله، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا.

❁ ❁ ❁

(٥٣٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولًا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

القول الثاني: إن قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ كلامٌ تامٌّ، ومعناه: أن الكلم الطيب يصعد إلى الله.

وقوله: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ أي: يرفعه الله أو يرفع صَاحَبَه.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي قال: أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ

(٥٣٤) أحمر
أسود

ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًّا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس : فإذا ذكر العبد الله وقال كلامًا طيبًا وأدى فرائضه ارتفع قوله مع عمله وإذا قال ولم يؤد فرائضه رد قوله على عمله.

قال ابن عطية : وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله وقال كلامًا طيبًا فإنه مكتوب له متقبلًا منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وأيضًا فإن الكلام الطيب عمل صالح وإنما يستقيم قول من يقول : إن العمل هو الرافع للكلم بأن يتأول أنه يزيده في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر الله تعالى، كانت الاعمال أشرف فيكون قوله ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ موعظة وتذكرة وحضًّا على الأعمال وأما الأقوال التي هي أعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبولة. قال ابن العربي : «إن كلام المرء بذكر الله إن لم يقترن به عمل صالح لم ينفعه؛ لأن من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا : أن العمل إذا وقع شرطًا في قبول القول أو مرتبطًا فإنه لا قبول له

(٥٣٥) أحمر
أسود

إلا به وإن لم يكن شرطًا فيه فإن كلمه الطيب يكتب له وعمله السيئ يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران».

قلت: ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الآثار أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله بنية صادقة نظرت الملائكة إلى عمله فإن كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وإن كان عمله مخالفًا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله والكناية في يرفعه ترجع إلى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس و شهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية والضحاك وعلى أن الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على العمل الصالح.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: والذين يمكرون بخلق الله فيعملون بالسيئات (الشرك والكبائر والرياء ونحوها) ويوهمون الناس أنهم على طاعة لهم عذاب شديد.

ومكر هؤلاء المشركين من أهل مكة في باطل وضلال وذهاب وبوار، فهو مكر زائلٌ والله خير الماكرين وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ يقول تعالى ذكره:

(٥٣٦) أحمر
أسود

والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقال الطبري أيضًا وقوله: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وشَهْر ابن حَوْشَب: هم المراؤون بأعمالهم، يعني: يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون.

والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنُّهى، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يُكشَف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وما يعيش شخص عُمرًا طويلًا وزمنًا طويلًا، إلا وعمره مكتوب

(٥٣٧) أحمر
أسود

عند الله.

وكذا ولا يُنقص من عمر شخص آخر، أي: وما يموت شخص آخر في صغره إلا وعمره مكتوب عند الله.

والثاني: وما يعمر من معمر، ولا ينقص من أيامه ولو يوم واحد إلا والله يعلمه، يعلم ما تبقى من عمره وما بقي.

وسيأتي مزيد من القول في جواب السؤال التالي بإذن الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾؟

ج: حاصلُ معناه – والله أعلم-: أن الله ﷻ ذكَّر عباده بأصل خلقهم فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب، ثم خلقكم يا بني آدم من نطفة ﴿مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القيامة: ٣٧] وكما قال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢] أي أخلاط، فقيل: من نطفة من مني الرجل ومني المرأة، ثم بعد ذلك أخرجكم من بطون أمهاتكم وجعل منكم الذكر والأنثى يتزوجان، وبيَّن الله ﷻ عظيم علمه بقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ في بطنها و﴿وَلَا تَضَعُ ﴾ ما في بطنها إلا بعلم الله بذلك وتقدير الله ذلك، وما يعيش شخصٌ زمنًا طويلًا، ولا ينقص من عمر شخص آخر فيموت صغيرًا أو دون الشيخوخة، إلا وكل ذلك مسطرٌ مكتوب عند الله ﷻ فذلك على الله أمر سهل ويسير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم ﴾ أيها الناس ﴿مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني بذلك أنه

(٥٣٨) أحمر
أسود

خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني ذريته ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فزوج بعضكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلا ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ قال: ألا ترى الناس؛ الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا، فالهاء التي في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على هذا التأويل، وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول، فهي كناية اسم آخر غيره، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول، وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه، والمعنى: ونصف الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره، والهاء على هذا التأويل للمعمر

(٥٣٩) أحمر
أسود

الأول؛ لأن معنى الكلام: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: ذكرًا وأنثى، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم، لتسكنوا إليها.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ أي: ما يعطى بعض النُّطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس.

قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف آخر.

(٥٤٠) أحمر
أسود

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يكتب من الأجل ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾، وهو ذهابه قليلًا قليلًا الجميع معلوم عند الله سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند الله في كتاب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أجله فليصل رَحِمَه**».

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود، من حديث يونس بن يزيد الأيلي، به.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل عليه، يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ قال سعيد عن قتادة قال: يعني آدم عليه السلام والتقدير على هذا: خلق أصلكم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ قال: أي التي أخرجها من ظهور آبائكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال: أي زوج بعضكم بعضًا فالذكر زوج الأنثى ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضاء مدتها

(٥٤١) أحمر
أسود

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ أي جعلكم أزواجًا فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به فلا يخرج شيء عن تدبيره ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ سماه معمرًا بما هو صائر إليه.

❁ ❁ ❁

(٥٤٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

[فاطر: ١٢-١٤]

(٥٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْبَحْرَانِ -عَذْبٌ فُرَاتٌ -سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ -مِلْحٌ أُجَاجٌ -ٱلْفُلْكَ -مَوَاخِرَ -لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ -يُولِجُ -لِأَجَلٍ مُّسَمًّى -قِطْمِيرٍ - يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ -وَلَا يُنَبِّئُكَ -مِثْلُ خَبِيرٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾	البحر والنهر
﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾	شديد العذوبة والطعم العذب
﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾	مستساغ عند شربه (تستسيغه النفوس)
﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	ملح شديد الملوحة والمرارة
﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة
﴿مَوَاخِرَ﴾	تشق المياه – تمخرها – شاقة للمياه عند سيرها في البحار
﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا فضل الله بالتجارات ونحوها
﴿يُولِجُ﴾	يدخل
﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	لوقتٍ قد سماه الله وحدَّده
﴿قِطْمِيرٍ﴾	القشرة الرقيقة التي تكون على النواة
﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾	ينكرون كونهم كانوا شركاء الله يتبرؤون من عبادتكم لهم
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾	ولا يخبرك

(٥٤٤) أحمر
أسود

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	مثل ذو خبرة

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالبحرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾؟

ج: المراد بالبحرين (العذب والمالح).

الأنهار (في اصطلاحنا) والبحار المالحة.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أطلق عليهما بحران، وإنما هي بحارٌ وأنهارٌ؟

ج: لذلك، وجهان، والله أعلم:

أحدهما: أن النهر أطلق عليه بحر لاتساعه وقد قال النبي ﷺ عن الفرس: «**وإن وجدناه لبحرًا**» لاتساعه.

الثاني: أنه أطلق على النهر بحرٌ هاهنا تغليبًا كما نقول الأبوان (والمراد الأب والأم) وكما يُقال الشمسان، والمراد الشمس والقمر، وبين كل أذانين صلاة، والمراد الأذان والإقامة والأسودان، والمراد التمر والماء، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾؟

ج: فائدته التذكير بأمور:

* منها: التذكير بقدرة الله ﷻ على خلق الشيء وما يقابله، كما قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا...﴾ [يس: ٣٦]، وكما خلق الليل والنهار، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأعمى والبصير، والحلو والحامض، والذكر والأنثى، إلى غير ذلك، فهو أيضًا الذي خلق العذب شديد العذوبة، والمالح شديد الملوحة والمرارة.

(٥٤٥) أحمر
أسود

* ومنها: التذكير بأنه، وكما أنه لا يستوي العذب الفرات مع الملح الأجاج، فكذلك لا يستوي المهتدي مع الضال، ولا المؤمن مع الكافر، ولا الصالح مع الطالح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؟

ج: من هذه الحلية اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾؟

ج: المعنى إجمالًا، وما يستوي البحران (وهما البحر والنهر) في طعومهما وعذوبتهما وملوحتهما، فهذه الأنهار ذات مياهٍ عذبة شديدة العذوبة تستسيغها النفوس وتحبها، وهذا الآخر ملحٌ مرٌّ شديد الملوحة والمرارة، ومن هذا وذلك نأكل اللحم الطري، وهو السمك وتستخرج حلية تلبسها، ومنها اللؤلؤ والمرجان، وترى من قدرة الله ﷻ أن المياه تحمل هذه السفن الهائلة العظيمة، ولو شاء الله لأغرقها فترى السفن العظيمة تمخر المياه تشقها، وذلك عند ركوبكم فيها في أسفاركم، لعلكم تقدموا شكرًا لله على تيسيره هذه لكم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات،

(٥٤٦) أحمر
أسود

والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ والأجاج: المر.

وقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًّا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج، وقد بيَّنا قبل وجه ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وأنما يستخرج من الملح، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدتها ماخرة، يقال منه: مَخَرت تَمْخُر وتمخَر مخرًا، وذلك إذا شقت الماء بصدورها.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ أي: منهما جميعًا ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هذا اللؤلؤ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: وخلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري

(٥٤٧) أحمر
أسود

والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة، ولهذا قال: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، أي: مُرّ.

ثم قال: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾ [الرحمن: ٢٢، ٢٣].

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي: تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير -وهو: صدره.

وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: يُدخل الليل في النهار، وذلك عندما يقصر الليل ويطول النهار ويدخل النهار في الليل، فيأخذ الليل جزءًا من النهار، وذلك عندما يقصر النهار ويطول الليل، وسخر الشمس والقمر

(٥٤٨) أحمر
أسود

يجريان لأجل قد حدَّده الله ﷻ ذلكم الله ربكم وحده لا شريك له هو المعبود وحده لا رب غيره، ولا إله سواه، والذين يعبدون من دونه ما يملكون قشرة النواة الخفيفة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ زيادة هذا فى نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار.

وقوله: ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم.

وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها

(٥٤٩) أحمر
أسود

في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته (مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾) يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها.

وأورد من عدة وجوهٍ أن القطمير قشر النواة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر المقتدر فهو الذي يعبد ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير : القشرة الرقيقة البيضاء التي بين الثمرة والنواة قاله أكثر المفسرين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمَة، وعطاء وعطية العَوْفي، والحسن، وقتادة وغيرهم: القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي: لا

(٥٥٠) أحمر
أسود

يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: إذا سألتم يا أهل الشرك هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله ﷻ ما سمعت دعاؤكم ولا فهمت ولا وعت، وإن قُدِّر، وأنها سمعت بما يقذفه الله فيها من قدرة على السماع إن شاء ما أجابتكم إلى طلبكم ثم يوم القيامة تكفر هذه الآلهة بعبادتكم لها وتنكر عبادتكم إياها وكونها كانت شريكة لله ﷻ، ولا يخبرك بحقيقة الأمور، وحقيقة هذه الآلهة وإلى ماذا سيؤول إليه أمر هذه الآلهة وعابديها.

قال الطبري: قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمعًا يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه.

(٥٥١) أحمر
أسود

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكًا في الدنيا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ إياهم ولا يرضون ولا يقرون به.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة؛ من تبرئها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم ؛ لأنها جماد لا أرواح فيها ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: يتبرؤون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] ، وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] .

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، مثلُ خبير بها.

(٥٥٢) أحمر
أسود

قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ أي: إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ إذ ليس كل سامع ناطقًا. وقال قتادة : المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل : أي لو جعلنا لهم عقولًا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ أي يجحدون أنكم عبدتموهم ويتبرءون منكم، ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا وأنهم أمروكم بعبادتهم كما أخبر عن عيسى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضًا أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلًا للعبادة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ هو الله جل وعز أي لا أحد أخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله في عمله

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ
أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا
وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ ﴾

[فاطر: ١٥-٢٦]

(٥٥٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْفُقَرَآءُ - ٱلْحَمِيدُ - يُذْهِبْكُمْ - بِعَزِيزٍ - وَلَا تَزِرُ - وَازِرَةٌ - وِزْرَ أُخْرَىٰ - مُثْقَلَةٌ - حِمْلِهَا - ذَا قُرْبَىٰ - بِٱلْغَيْبِ - تَزَكَّىٰ - ٱلْمَصِيرُ - ٱلْغُرُورُ - خَلَا - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - ٱلزُّبُرِ - ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ - فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾	المحتاجون
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾	المحمود على نعمه
﴿يُذْهِبْكُمْ﴾	يُميتكم – يهلككم
﴿بِعَزِيزٍ﴾	بشاق – بعسير – بمعجزٍ لله – بممتنع – بصعب
﴿وَلَا تَزِرُ﴾	ولا تحمل
﴿وَازِرَةٌ﴾	نفسٌ حاملةٌ
﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	حمل نفس أخرى – ذنوب نفس أخرى
﴿مُثْقَلَةٌ﴾	نفس أثقلتها الذنوب، وكثرت عليها ذنوبها
﴿حِمْلِهَا﴾	حملها من الذنوب والآثام
﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾	قريبًا (كالأب والأخ والعم ونحوهم)
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	وهم لا يرون الله – في حال غيابهم عن الناس
﴿تَزَكَّىٰ﴾	تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والبدع
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	المرجع والمآب (يوم القيامة)

(٥٥٥) أحمر
أسود

﴿ٱلْغُرُورُ﴾	الحرُّ
﴿خَلَا﴾	مضى – سلف وكان
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج الواضحات
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب المنزلة
﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾	الكتاب الواضح البين الظاهر
﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	كيف كان إنكاري عليهم أي لقد كان إنكاري عليهم شديدًا، وذلك أني عاقبتهم عقابًا شديدًا على صنيعهم

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – إخبارٌ ونداء للناس مفاده يا أيها الناس أنتم المحاويج إلى الله تحتاجون إليه في كل شيء، وفي كل أمر، لا غنى لكم عنه، وهو سبحانه الغني عنكم لا يحتاج إليكم، وكذا طاعتكم وعبادتكم وتقواكم لا يزيد ذلك في ملك الله شيئًا.

ثم هو ذو النعم، فليس غنيًّا فحسب بل هو المنعم المحمود على نعمه وآلائه وإحسانه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم

(٥٥٦) أحمر
أسود

ومن غيركم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي المحتاجون إليه في بقائكم وكل أحوالكم. الزمخشري: «فإن قلت لم عرف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] ولو نكَّرَ لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء فإن قلت: قد قوبل (الفقراء) بـ(الغني) فما فائدة (الحميد)؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادًا منعمًا وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد-ذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه.

❁ ❁ ❁

(٥٥٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى إن يشأ ربنا سبحانه أن يهلككم ويُميتكم ويأت بخلق جديد مطيع له لذهب بكم ولأهلككم، وما هذا الصنيع عليه بشاقٍّ ولا بعسير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم؛ لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمَّا نهاهم عنه.

وقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن النبي ﷺ أرسل للعالمين نذيرًا فما توجيه قوله تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ...﴾؟

ج: المراد إنما ينتفع بالإنذار من كان يخشى ربه بالغيب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لأهل العلم قولان في تفسير قوله تعالى: (يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ وضحهما؟

ج: أحد القولين: أنهم يخشون ربهم وهم لا يرونه.

الثاني: أنهم أيضًا يخشون ربهم في حال غيابهم عن الناس. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٥٥٨) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم: وصف لبعض ما يكون يوم القيامة فهنالك نفوس (بشرٌ وجنٌّ) أثقلتهم ذنوبهم، كانوا قد أذنبوا في دنياهم ذنوبًا عظيمة، أتوا بها يوم القيامة يحملونها على ظهورهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: ٣١] فهذه الذنوب تثقل هذه الأنفس وترهقها ولا تحمل نفسٌ حمل نفس أخرى، ولا تخفف عنها من أحمالها وإن دعت نفسٌ مثقلة بالذنوب نفسًا أخرى لحمل شيء من أوزارها ما أجابتها ولو كان المدعو قريبًا لمن دعاه، فإنه يفرُّ منه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ﴾ فحاصله أنك يا رسول الله تنذر القوم كلهم، ولكن المنتفعون بالذكرى هم الذين يخافون ربهم وهم لا يرونه، وكذلك يخشونه إذا ابتعدوا عن أعين الناس، وأقاموا الصلاة حافظوا على أدائها في أوقاتها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: ومن تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والآثام، مقلعًا عنها مستغفرًا منها فإن تطهره لنفسه والله غنيٌّ عن العباد وأعمالهم، وإنما المرجع والمآب إلى الله ويجازي كلًّا بعمله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل آثمة إثم

(٥٥٩) أحمر
أسود

أخرى غيرها ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يقول تعالى: وإن تسأل ذاتُ ثِقَل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئًا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ إلى ذنوبها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: قريب القرابة منها، لايحمل من ذنوبها شيئًا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئًا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

وقوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم.

وقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به.

وقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مجازٍ جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه.

(٥٦٠) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُسَاعَد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، أي: ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنُّهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: ومَنْ عمل صالحًا فإنما يعود نفعه على نفسه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الفضيل بن عياض : هي المرأة تلقى ولدها فتقول : يا ولدي! ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء، ألم يكن حجري لك وطاء فيقول : بلى يا أماه فتقول : يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبًا واحدًا فيقول : إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي إنما يقبل إنذارك من يخشى عقاب الله تعالى وهو كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه وقرئ : «**ومن ازكى فإنما يزكى لنفسه**» ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي إليه مرجع جميع الخلق.

(٥٦١) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للكافر والمؤمن، ولما هما عليه ولما يؤول إليه أمرهما يوم القيامة، وكذا لحالهم عند تبليغهم أمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ.

* فكما أنه لا يستوي في الدنيا الأعمى الذي فقد بصره مع ذي العينين في إبصار الطريق ورؤيته.

** فكذا لا يستوي أعمى البصيرة، الذي أعمى الله قلبه عن الإيمان مع ذي البصيرة الذي بصرَّه الله بالإيمان وهداه ووفقه لسلوكه.

وكما أن الظلمات لا تستوي مع النور.

فكذلك لا تستوي ظلمات الكفر مع نور الإيمان والهداية.

وكما أنه لا يستوي الظل مع الحر.

فكذلك لا تستوي الجنة مع النار.

وكما أنه لا يستوي الحي مع الميت.

فكذا لا يستوي المؤمن مع الكافر.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ أي: يُسمعه ما يهتدي به ويوفقه له، وما أنت بمسمع من في القبور، حاصل معناه أنك لن تستطيع هداية أحدٍ في حكم الميت، بل هو ميت القلب فما أنت إلا منذر تحذر الناس من عاقبة ما هم عليه، ومن سوء ما أُعِدَّ لهم، وبنحو هذا وليس لك من أمر هدايتهم (هداية

(٥٦٢) أحمر
أسود

التوفيق) من شيء، قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمدًا وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ قيل: ولا الجنة ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة. وذكر أَبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار. وأما أَبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.

والقول في ذلك عندي: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أَبو عبيدة: أشبه مع الشمس لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود الظل.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ ...﴾ الآية، خلقًا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي

(٥٦٣) أحمر
أسود

النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ قال: هذا مَثْلٌ ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ولا هذا الأعمى، وقرأ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مَثْلٌ ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيًّا وجعل الكافر ميتًا ميت القلب ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه.

وأورد بإسناد حسن عن سعيد، عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك

(٥٦٤) أحمر
أسود

إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [هود: ٢٤] فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة؛ حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غَيِّه وضلاله في الدنيا والآخرة؛ حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِب عليهم الشقاوة لا حيلةَ لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

(٥٦٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن والجاهل والعالم مثل: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ قال الأخفش سعيد: (لا) زائدة والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور. قال الأخفش: والحرور لا يكون إلا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل بالعكس. وقال رؤبة بن العجاج: الحرور تكون بالنهار خاصة والسموم يكون بالليل خاصة حكاه المهدوي وقال الفراء: السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون فيهما. النحاس: وهذا أصح لأن الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي.

قلت: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رَسول الله ﷺ قال: «**قالت النار ربِّ أكل بعضي بعضًا فأذن لي أتنفس فأذن لها بنفسين؛ نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حرٍّ أو حرور فمن نفس جهنم**»وروي من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة: «فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهريرها» وهذا يجمع تلك الأقوال وأن السموم والحرور يكون بالليل والنهار فتأمله وقيل: المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دائم كما قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] والنار ذات حرور وقال معناه السدي وقال ابن عباس: أي ظل الليل وحر السموم بالنهار. قطرب: الحرور الحر والظل البرد ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ قال ابن قتيبة: الأحياء العقلاء والأموات الجهال. قال قتادة: هذه كلها أمثال أي كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي يسمع

(٥٦٦) أحمر
أسود

أولياءه الذين خلقهم لجنته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ أي الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات كذلك لا تسمع من مات قلبه.

وقال:

قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي رسول منذر فليس عليك إلا التبليغ ليس لك من الهدى شيء إنما الهدى بيد الله تبارك وتعالى.

❁ ❁ ❁

سماع الأموات

س: هل الموتى يسمعون؟

ج: **أولًا:** وقبل الإجابة على السؤال، فأنبِّه على أمرٍ ألا وهو أن الأموات وإن سمعوا لا ينتفعون بهذا السماع، لمجرد أنهم سمعوه أما إذا دعا لهم داعٍ، أو سأل لهم سائل، أو استغفر لهم مستغفر، فقد ينتفعون بذلك بإذن الله.

ثانيًا: اختلف أهل العلم في سماع الأموات على قولين:

القول الأول: أنهم لا يسمعون، وحجة أصحابه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾.

القول الثاني: أنهم يسمعون، ولكن لما أسلفت لا ينتفعون بذلك السماع، ومن حجج أصحاب هذا القول ما يلي:

أولًا: قصة القليب، قليب بدر لما أُلقي فيه أهل الشرك بعد قتلهم، كأبي جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وغير هؤلاء وخطاب الرسول لهم وقوله: «**يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان، يا فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا**

فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟!»، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلَّم أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ولهذا الحديث طرق وألفاظ كثيرة[١].

ثانيًا: حديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاه...**» الحديث.

وفي رواية: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...**» الحديث[٢].

ثالثًا: استدلوا أيضًا بتسليم النبي ﷺ على أهل القبور، فكان إذا أتى المقبرة قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الصدد.

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم[٤] من حديث عمرو بن العاص موقوفًا عليه قال وهو في سياقة الموت فَبَكَى بكَاءً طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَقَالَ: فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ...وفيه أن الميت يسمع حينئذٍ من حول القبر.

---

(١) انظر البخاري (٣٩٧٦)، و(٣٩٧٩)، و(٣٩٨٠، ٣٩٨١) ومسلم (٢٨٧٣) و(٢٨٧٤) و(٢٨٧٥)، وأحمد (١٥٩٢١، ١٥٩٢٤، ١١٦٠٩)، وغيرها كثير جدًّا.

(٢) البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) مسلم (مع النووي ٣/ ١٣٧)، و(٧/ ٤٠).

(٤) مسلم (١٢١).

(٥٦٨) أحمر
أسود

وكذا استدلوا بأحاديث أُخر في أسانيد كثير منها فقال:

ووجَّه هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، على أن المراد موتى القلوب وهم الكفار.

لكن أجاب الأولون على ذلك بما حاصله أن المشبَّه به يكون أقوى من المشبه، فإذا شبه الكافر بالميت في عدم سماعه فيكون الميت أقوى في عدم السماع، أي: أشد امتناعًا للسماع كما تقول فلانٌ أسدٌ، تشبهه بالأسد في شجاعته، فمعلوم أن الأسد أشد شجاعة.

لكن يُمكن أن يجاب على هذا بأن تشبيه الكافر بالميت إنما هو في عدم الاستفادة أي: أن المنفي هو سماع الاستفادة، والله أعلم.

وعَلَى كل حال فالمسألة خلافية كما ترى وللعلماء فيها القولان لكن لا ينتفع الميت بما يدور حوله وبما يسمعه من كلام، اللهم إن كان استغفارًا أو دعاء، أو ما ورد فيه نصٌّ أم مجرد السماع، فلا انتفاع. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إنا أرسلناك رسولًا إلى الناس يا رسول الله ومعك الحق، بالقرآن، كذا أرسلناك وأرسالنا لك حق، بشيرًا لمن أطاع ربَّه ﷻ ووحده وعبده بالجنة، ونذيرًا لمن أشرك وعصى بالنار، وما من أمةٍ من الأمم قد تقدمت ومضت وسلفت إلا وقد كان فيها نذير، منذرٌ ومحذرٌ من غضب الله وعقابه ومنذرٌ من الشرك والعصيان.

(٥٦٩) أحمر
أسود

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿بَشِيرٗا﴾ يقول: مبشرًا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيرٗاۚ﴾ تنذر الناس مَن كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ كل أمة كان لها رسول.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النُّذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾ الآية [النحل: ٣٦]، والآيات في هذا كثيرة.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك فارق بين الزبر والكتاب المنير؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: إنهما في هذا المقام بمعنى واحد، حاصله أن المراد الكتب التي أنزلها الله عليهم، وإنما قوله الكتاب المنير فريدٌ وصف للزبر كما تقول: طبتك باللحم واللحم الطيب، فالثاني بيانٌ للأول وإيضاح له.

(٥٧٠) أحمر
أسود

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: (بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ أي الكتب، وقوله: ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق.

وقال أيضًا: ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ يضعف الشيء وهو واحد.

قلت (مصطفى): بل وقال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ ثلاث مسميات لشيء واحد وهو الكتاب الذي أنزل الله على رسوله (رسول كل أمة).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي بالمعجزات الظاهرات والشرائع الواضحات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي: الكتب المكتوبة ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ أي الواضح وكرر الزبر والكتاب وهما واحدٌ لاختلاف اللفظين وقيل : يرجع البينات والزبر والكتاب إلى معنى واحد وهو ما أنزل على الأنبياء من الكتب.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة إخبار النبي ﷺ بما سبق من تكذيب الأمم للمرسلين من قبله؟

ج: فائدته تصبير النبي ﷺ وتثبيته كما قال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وكذا حمله على التأسِّي بمن سبقه من أهل الصلاح والفضل من المرسلين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى: وإن يكذبك قومك والقرشيون والذين أرسلت فيهم فقد

(٥٧١) أحمر
أسود

كذبت الأمم من قبلهم رسلهم، مع مجيء رسلهم بالحُجج الواضحات والمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم ونبوتهم ورسالتهم، وكذا جاؤوهم بالكتب من عند الله فكذبوهم أيضًا مع مجيئهم بالكتب التي هي الكتب الواضحات الظاهرات التي لا لبس فيها ولا غموض، فماذا كان بعد تكذيبهم، لقد أخذت أهل الكفر بعذاب شديد فكيف كان إنكاري عليهم لقد كان إنكارًا شديدًا، لقد كان إنكاري عليهم متمثلًا في عذاب شديد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه ﷺ فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات، يقول: بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم وحلول عقوبتي بهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: كيف كانت عقوبتي لهم وأثبت ورش عن نافع و شيبة الياء في (**نكيري**) حيث وقعت في الوصل دون الوقف وأثبتها يعقوب في الحالين وحذفها الباقون في الحالين.

(٥٧٢) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وهي الكتب، ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ أي: الواضح البين.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: ومع هذا كله كَذّب أولئك رسلَهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا؟

❁ ❁ ❁

(٥٧٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]

(٥٧٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿جُدَدٌۢ -وَغَرَابِيبُ سُودٌ -يَخۡشَى ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(جُدَدٌۢ ﴾	طرائق في الجبال – قطع خطوط بألوان تغاير لون الجبل (أي: أن الجبل نفسه به خطوط ملونة تخالف لونه)
(وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾	سود غرابيب أي سود شديدة السواد
(يَخۡشَى ﴾	يخاف

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ألم تر بعينيك وأمامك وكذا ألم تر بقلبك وتعلم أن الله ﷻ أنزل من السماء ماء – وهو الغيث والمطر – فأخرج به من الأرض نباتًا، ثم أثمر هذا النبات ثمرات متنوعة في ألوانها هذا أصفر، وذاك أحمر، وذاك أبيض، ومن كل الألوان كما قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥]، وكذا فإن الله ﷻ جعل من الجبال قطعًا وطرائق أوهى الخطوط تكون في الجبال بألوان تخالف لون الجبل الأصلي فترى الجبل الشامخ به ألوان في وسطه أحيانًا ترى اللون الأبيض وترى لونًا آخر أحمر، وألوان أخر، وترى من الجبال جبالًا سودًا غرابيب (أي: شديدة

(٥٧٥) أحمر
أسود

السواد)، وهكذا من الناس أيضًا من هو أبيض، ومن هو أسمر، ومن هو أحمر، ومن هو بين ذلك ودون ذلك وكذا الدواب التي تدب على الأرض والأنعام أيضًا، من إبل وبقر ضأن ومعز كلها ذات ألوان يخالف بعضها بعضًا ويُغاير بعضها بعضًا.

ألم تر ذلك فتستدل به على قدرة الله ﷻ فهو قادر على خلق الشيء وما يقابله كما قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦].

إنما يستدل بذلك على وحدانية الله وقدرته أهل العلم الذين يخشون الله ويعلمونه أنه على كل شيء قدير، يعلمون أن الله قادرٌ على هداية أقوامٍ، وإضلال أخرى، قادر على تعذيب أقوام ورحمة آخرين.

إن الله عزيز لا يغلب، غفور كثير المغفرة لمن استغفر وأناب.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثًا فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها: يقول: فسقيناه أشجارًا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدتها جدة، ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار:

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ

يعني بالجدة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.

(٥٧٦) أحمر
أسود

وقوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ يعني: مختلف ألوان الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير، وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أحمر وأخضر وأصفر ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ أي: طرائق بيض ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: جبال حمر وبيض ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ هو الأسود يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ

(٥٧٧) أحمر
أسود

صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد: ٤] .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق -وهي: الجُدَد، جمع جُدّة-مختلفة الألوان أيضًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي .

ومنها: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني وقتادة.

وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غربيب.

ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: سود غرابيب. وفيما قاله نظر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب -وهو: كل ما دبَّ على قوائم- والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضًا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا

(٥٧٨) أحمر
أسود

اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال:

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

❁ ❁ ❁

(٥٧٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا
وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ
ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ
بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا
يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن
فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾

[فاطر: ٢٩-٣٥]

(٥٨٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتْلُونَ -وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ -سِرًّا -وَعَلَانِيَةً -لَّن تَبُورَ - أُجُورَهُمْ - غَفُورٌ شَكُورٌ -أَوْحَيْنَآ -مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ -ٱصْطَفَيْنَا -ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ -مُّقْتَصِدٌ - سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ - جَنَّٰتُ عَدْنٍ -يُحَلَّوْنَ -أَسَاوِرَ -شَكُورٌ -أَحَلَّنَا -دَارَ ٱلْمُقَامَةِ -لَا يَمَسُّنَا -نَصَبٌ -لُغُوبٌ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَتْلُونَ﴾	يقرؤن (وقيل: يتبعون)
﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	أدوا الصلاة في أوقاتها بأركانها وحدودها
﴿سِرًّا﴾	في خفاء
﴿وَعَلَانِيَةً﴾	علنًا (أمام الناس) جهارًا
﴿لَّن تَبُورَ﴾	لن تكسد ولن تخيب ولن تضيع
﴿أُجُورَهُمْ﴾	ثواب أعمالهم
﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم
﴿أَوْحَيْنَآ﴾	أنزلنا
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	موافقًا لما بين يديه من الكتب التي تقدمته (كالتوراة والإنجيل)
﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾	اخترنا – فضلنا – اجتبينا
﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	مسرف على نفسه بالمعاصي والكبائر

(٥٨١) أحمر
أسود

﴿مُّقْتَصِدٌ﴾	متوسط في الطاعات يفعل الواجبات ويترك الكبائر
﴿سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	يسبق غيره إلى فعل الخير – مسابق إلى الخير سباق إليه
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾	بساتين إقامة
﴿يُحَلَّوْنَ﴾	يلبسون (كحلية)
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع أسورة، وهي ما يلبس في اليد
﴿شَكُورٌ﴾	يشكر لعباده أعمالهم الصالحة التي عملوها ويكافؤهم عليها
﴿أَحَلَّنَا﴾	أسكننا – أدخلنا – وأنزلنا – جعلها محلًّا لنا
﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾	دار الإقامة التي لا تحول عنها ولا خروج منها
﴿لَا يَمَسُّنَا﴾	لا يصيبنا
﴿نَصَبٌ﴾	تعب
﴿لُغُوبٌ﴾	إعياء

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل تلاوة القرآن والحث على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٥].

(٥٨٢) أحمر
أسود

وفي الحث على ذلك:

وقوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

والآيات في هذا كثيرة.

أما الأحاديث فمنها ما يلي:

قوله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»(١).

وقوله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٢).

وما أخرجه ابن ماجه(٣) وغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ».

قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ»(٤).

وقوله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»(٥).

---

(١) مسلم (٧٩٨)، ونحوه عند البخاري (٤٩٣٧).
(٢) مسلم (٢٦٩٩).
(٣) ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧).
(٤) البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧).
(٥) الترمذي (٢٩١٤) وغيره.

(٥٨٣) أحمر
أسود

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[١].

وقوله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ...» الحديث[٢].

وقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٣].

وقوله ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[٤] عِظَامٍ سِمَانٍ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»[٥].

وفي صحيح مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؟

ج: قال بعض العلماء أن المراد بالزيادة ما يلي:

أولًا: تضعيف الثواب على الحسنات فالحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

ثانيًا: الشفاعة تقبل فيهم بإذن الله فالقرآن يشفع لهم والرسول ﷺ يشفع

(١) مسلم (٨١٧).

(٢) البخاري (٥٠٢٦)، ونحوه عند البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعًا، البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٣) البخاري (٥٠٢٧).

(٤) المراد الحوامل من الإبل

(٥) مسلم (٨٠٢).

(٥٨٤) أحمر
أسود

لهم، وأعمالهم الصالحة هنالك يثابون عليها.

ثالثًا: رفعة الدرجات، ففي الحديث: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا**».

رابعًا: فضل الله عليهم بالنظر لوجهه الكريم وإحلال رضوانه عليهم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – إخبارٌ من الله ﷻ بفضيلة حملة كتابه العزيز العاملين به، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾، الذين يقرؤون القرآن ويرتلونه ويتبعونه، ويحافظون على صلواتهم كما أمرهم الله ﷻ، وكذلك يؤدون الزكوات زكوات الفرض والنفل (سرًّا) في خفاء، وهذا غالب حالهم سترًا على الفقراء والمحاويج والمساكين، ومن العلماء من قال: زكاة الفرض لا بأس بإبدائها (وعلانية) حيث يحتاج الأمر إلى ذلك كأن يكون في ذلك دفعًا للشبهات المثارة حول شخص، أن يكون في ذلك حملٌ للآخرين على التأسي والاقتداء، فهؤلاء الذين ذكر صفاتهم وأعمالهم، يبتغون بأعمالهم هذه ثوابًا من ربهم ﷻ بتلك الأعمال، لن يضيع ثوابهم، بل سيوفيهم ربهم ﷻ أجورهم، ثواب أعمالهم مستوفى كاملًا، بل وسيزيدهم من فضله عطاءً فوق العطاء وثوابًا فوق الثواب، فإنه ﷻ غفورٌ لذنوب عباده المستغفرين، وشكور لأعمالهم الحسنة التي عملوها.

(٥٨٥) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة.

وقوله: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.

وقوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام. وقوله: ﴿تِجَٰرَةً﴾ جواب لأول الكلام.

وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التى عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل، وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

وأورد الطبري بأسانيد صحيحة عن مُطرف بن عبد الله قال: في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ...﴾ إلى آخر الآية، هذه آية القراء يعني بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية التي فيها فضيلة القراء واضحة وظاهرة وجلية وعظيمة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم.

(٥٨٦) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «**إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والذي أنزلنا إليك يا رسول الله هو الحق، لا شك فيه ولا ريب، وهو الصواب أنزلناه إليك موافقًا الكتب التي سبقته، تلك التي أنزلناها على أنبيائنا ورسلنا كالتوراة والإنجيل وغيرها، فهي لا تخالفه ولا يخالفها بل هو مصدقٌ لها وهي به مبشرة وله مصدقة وفي قوله (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وجهان مشهوران للعلماء:

أحدهما: أن الأخبار التي في الكتاب العزيز توافق تلك التي في التوراة والإنجيل، وكذا ما فيه من الأخبار بوحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

الثاني: أن مجيء القرآن تصديق للتوراة والإنجيل، ففي التوراة والإنجيل

(٥٨٧) أحمر
أسود

إخبار بأنه سينزل على النبي محمد ﷺ، فإذا لم ينزل كانت الأخبار التي فيها بخروجه كاذبة، فنزوله يُعدُّ تصديقًا لها، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ ذو خبرةٍ بعباده، والله يستحق الإكرام منهم، وبصيرٌ بما يصلحهم وينفعهم فيشرع لهم ما ينفعهم ويرشدهم إلى كل ما فيه خيرٌ لهم.

وبنحو ما ذكر قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ للكتب التي خلت قبله.

قال:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وهو القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالنبوة، وأنه منزل من رب العالمين.

(٥٨٨) أحمر
أسود

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على مَنْ سواه. ولهذا فضَّل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات

س: ما المراد بالكتاب المذكور في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ومن الذين اصطفاهم الله من عباده الذين عناهم الله بقوله: ﴿ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؟

ج: لأهل العلم في تفسير الكتاب أقوالٌ – وسأذكرها بعد إن شاء الله – أختار منها أن المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

والذين اصطفاهم الله ﷻ هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله من سائر الأمم وفضلهم على سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وكما قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[(١)].

وللحديث عدة ألفاظ تحمل هذا المعنى في الصحاح وغيرها وكما قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وإنما قلت: (اصطفاهم الله من سائر الأمم) احترازًا من أن يفهم أحدٌ أن أفراد أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؛ فالأنبياء عمومًا صفوة الله من خلقه من البشر، وكيف يكون الظالم لنفسه من أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؟!!

---

(١) البخاري (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣، ٢٥٣٤) وله طرق.

(٥٨٩) أحمر
أسود

فلذا قلت مُحترزًا: اصطفى الله أمة محمد ﷺ في الجملة من سائر الأمم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بالظالم لنفسه وبالمقتصد وبالسابق بالخيرات بإذن الله.

ج: على ما ذهبت إليه من تأويل الآية الكريمة فالذي أراه، والعلم عند الله.

أن الظالم لنفسه: هو المسرف على نفسه من أمة محمد ﷺ وهو مرتكب الذنوب والمعاصي والآثام ومقترف الكبائر والموبقات، ولكن من أهل التوحيد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يشرك بالله شيئًا.

فهذا، وإن كان يعذب – إن لم يغفر الله له – يُعذب على ذنوبه وجناياته وجرائمه، لكن مآله ما دام من أهل التوحيد إلى الجنة، على ما وردت به الأحاديث الصحاح الثوابت عن رسول الله ﷺ من خروج أقوام من النار ودخولهم الجنة.

وقد يفهم أيضًا هذا من السياق القرآني الكريم فعقب هذه الآيات يقول تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ فإن حملناها على الثلاثة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات بإذن الله، فيكون توجيه القول في الظالم لنفسه ودخوله الجنة بأحد أمرين:

أولهما: أن يغفر الله له لتوحيده، وذلك أمر مردُّه إلى الله، وقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: أن يعذب في النار بقدر جرائمه وجرائره ثم يخرج منها ويدخل الجنة على ما أفادته الأحاديث الصحاح. والله أعلم.

أما المقتصد من هذه الأمة: فهو الذي يفعل الواجبات والفرائض ويتقي المحظورات والكبائر، وأراه كالقائل في الحديث لما سأل النبي □ عن

(٥٩٠) أحمر
أسود

الصلاة والزكاة والصيام ... وقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، وقال النبي □: «أفلح إن صدق»، أو «دخل الجنة إن صدق»، وكذلك يدخل في هذا الباب من كان مقتصدًا في الطاعات ليس بمستكثر منها.

أما السابق بالخيرات من هذه الأمة: فهو القائم بالفرض والمتبعه بالنفل، هو المحسن المتصدق، هو المصلي والقانت آناء الليل، هو فاعل النوافل بعد الفرائض عمومًا هو المسابق إلى الخيرات عمومًا، هو محسن التوكل على الله هو التقي الورع، إلى غير ذلك مما تقتضيه المسابقة بالخيرات. والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: لماذا قدِّم الظالم لنفسه على المقتصد والسابق بالخيرات؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

واختلف أهل العلم في سبب تقديم الظالم في الوعد بالجنة على المقتصد والسابق ، فقال بعضهم : قدم الظالم لئلا يقنط ، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط . وقال بعضهم : قدم الظالم لنفسه؛ لأن أكثر أهل الجنة الظالمون لأنفسهم؛ لأن الذين لم تقع منهم معصية أقل من غيرهم . كما قال تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص : ٢٤] .

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الإفادة بقوله تعالى: (بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟

ج: ذلك – والله أعلم – لبيان أمر حاصله أن من يسبق بالخيرات سبق لا يكون إلا بإذن الله بذلك وبتوفيق من الله لذلك، فمن ثَمَّ يحرص العبد على سؤال الله ﷻ أن يجعله من السابقين بالخيرات.

(٥٩١) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ثم تفضَّلنا على أمة محمد ﷺ بهذا الكتاب العزيز متضمنًا ما في الكتب التي تقدمته ومصدقًا لها ومهيمنًا عليها، تفضلنا عليهم بأن جعلناهم القائمين بهذا الكتاب العزيز، المؤمنين به، العاملين بما فيه المصدقين له.

فوراثة الكتاب وراثة الإيمان به والعمل بما فيه والتصديق له.

وإن كان بعض العلماء كالطبري – رحمه الله تعالى – قد أوَّل الميراث بأنه الإيمان بالكتب المتقدمة – على ما سيأتي من قوله إن شاء الله – وابن كثير أوَّله بالقيام به (أي: بالقيام بالقرآن يعني بالعمل به).

وآخرون أوّلوا بتأويلاتٍ أخر، لكن ما ذكرته لعلها والله أعلم يكون أشملها.

❁ ❁ ❁

س: ذلك هو الفضل الكبير إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك يحتمل أمورًا:

أحدها: أنه راجع إلى أقرب مذكور وهو السبق بالخيرات، فمن سبق بالخيرات فقد تفضَّل الله عليه بفضل كبير.

الثاني: أنه عائدٌ على الاصطفاءً وإيتاءهم هذا الكتاب مع أن منهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد.

الثالث: أنه عائدٌ على الجنات التي أعدت لهم، والله أعلم.

(٥٩٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: من هذه الأقوال ما يلي:

قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال:

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومَن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه؛ فقال بعضهم: الكتاب هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. والمصطفون من عباده أمة محمد ﷺ. والظالم لنفسه أهل الإجرام منهم.

وأورد من طرق متعددة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: قال كعب: إن الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ... ﴾ حتى بلغ قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبًا عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ... ﴾ إلى قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فقال: تماست مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم هو شهادة أن لا إله إلا الله، والمصطفون هم أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق، وهو في

(٥٩٣) أحمر
أسود

النار، والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن قال: الظالم لنفسه المنافق.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ هذا المنافق في قول قتادة والحسن ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ قال: هذا صاحب اليمين ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: هذا المقرب، قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤] وأما في الآخرة فكانوا أزواجًا ثلاثة ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة: ٨- ١١].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أُنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل

(٥٩٤) أحمر
أسود

بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ فكان معلومًا إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه: وإذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ فعمَّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا ﴾ إنما عني به المقتصد والسابق!

قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؟ قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة، فيكون ممن عمَّه خبر الله جل ثناؤه بقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

وأورد الطبري حديثين في هذا الباب في إسناديهما ضعف أعرضت عن

(٥٩٥) أحمر
أسود

ذكرهما عن عمدٍ وقد أشار الطبري نفسه إلى ضعفهما، ثم قال رحمه الله:

وعنـي بقولـه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الـذين اخترنـاهم لطاعتنـا واجتبيناهم، وقوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصي واقترافه الفواحش ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدًا ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضَّل به من كان مُقصِّرًا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

وأورد عددًا كبيرًا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد لا يثبت

(٥٩٦) أحمر
أسود

منها أي حديث عن رسول الله ﷺ ثم قال:

وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا في الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات:

قوله تعالى : ﴿أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي أعطينا والميراث عطاء حقيقة أو مجازًا فإنه يقال فيما صار للإنسان بعد موت آخر و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده وكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكأنه ورث أمة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في الأمم قبلنا ﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ أي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر وأصله اصتفونا فأبدلت التاء طاء والواو ياء ﴿مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ قيل المراد أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل أمة إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمد ﷺ والأول لم يرثوه وقيل : المصطفون الأنبياء توارثوا الكتاب بمعنى أنه انتقل عن بعضهم إلى آخر، قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل: ١٦] وقال : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم: ٦] فإذا جاز أن تكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ من وقع في صغيرة. قال ابن عطية: وهذا قول مردود من غير ما وجه. قال الضحاك: معنى ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ أي: من ذريتهم ظالم لنفسه وهو المشرك. الحسن: من أممهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والآية في أمة محمد ﷺ وقد اختلفت عبارات أرباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله:

(٥٩٧) أحمر
أسود

السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري: الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه. وقال الأنطاكي : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال. وقال ابن عطاء : الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبى والسابق الذي أسقط مراده بمراد الحق وقيل : الظالم الذي يعبد الله خوفًا من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعًا في الجنة والسابق الذي يعبد الله لوجهه لا لسبب. وقيل: الظالم الزاهد في الدنيا لأنه ظلم نفسه فترك لها حظًّا وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل : الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الصابر على البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل : الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل : الظالم الذي أعطي فمنع والمقتصد الذي أعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وآثر يدوى أن عابدين التقيا فقال : كيف حال إخوانكم بالبصرة ؟ قال : بخير إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا فقال : هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ ! عبادنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا وقيل : الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل : الظالم التالي للقرآن ولا يعمل به والمقتصد التالي للقرآن ويعمل به والسابق القارئ للقرآن العالم به والعامل به وقيل : السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض أهل العلم في هذا : بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك

(٥٩٨) أحمر
أسود

الفضيلتين والمقتصد الذي إن فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة فهو أولى بالظلم وقيل : الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب ربه وقيل : الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذي ينتصف وينصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف وقالت عائشة رضي الله عنها : السابق الذي أسلم قبل الهجرة والمقتصد من أسلم بعد الهجرة والظالم من لم يسلم إلا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم.

قلت : ذكر هذه الأقوال وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهم طرفان وواسطة وهو المقتصد الملازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر ابن حني التغلبي :

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

أي: نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد أي: ما لم يجوروا وليس قتلهم بمحرم علينا إن جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات.

وفي «أضواء البيان»:

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

(٥٩٩) أحمر
أسود

قد بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب ، دليل على أن الله اصطفاها في قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وبين أنهم ثلاثة أقسام :

الأول : الظالم لنفسه ، وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضاً فهو الذي قال الله فيه: ﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢] .

والثاني: المقتصد وهو الذي يطيع الله ، ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة ، وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه ، والمقتصد والسابق ، ثم إنه تعالى بين أن إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير منه عليهم ، ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ والواو في يدخلونها شاملة للظالم ، والمقتصد والسابق على التحقيق . ولذا قال بعض أهل العلم : حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين ، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة ، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين ولذا قال بعدها متصلاً بها ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

(٦٠٠) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: هل الرجال في الجنة يتحلَّون بالأساور من ذهب؟

ج: نعم كلٌّ يتحلى بذلك الرجال والنساء على السواء فالذهب، وإن كان مُحرمًا لبسه على الرجال في الدنيا لكنه حلالٌ لهم يوم القيامة كما أفادته الآيات المباركات.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحزن الذي أذهبه الله عن أهل الإيمان؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه الخوف من دخول النار، فقد سلمهم الله وآمنهم، وكانوا من قبل خائفين من ذلك.

الثاني: حزن الموت والخوف من الموت.

الثالث: ما كان في الدنيا من تعب ونصب وهمٍّ وحزن .

الرابع: أن الحزن هو الخوف الذي كان يعتري الظالم لنفسه.

الخامس: أن الحزن الخوف الذي كانوا فيه في مواقف القيامة عند تلقي الكتاب، وعند الميزان وعند الصراط، وعند دنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة، وكذا عند القنطرة لقصاص المظالم، وعند الخروج من القبور.

والظاهر -والله أعلم-: أن المراد بالحزن هو كل حزن قد أصابهم قبل دخول الجنة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٦٠١) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – بيانٌ للفضل الكبير الذي أخبر الله ﷻ أنه أعدَّه للذين اصطفاهم من عباده، فهذا الفضل الكبير هو ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ أي: حدائق وبساتين إقامة دائمة يلبسون في هذه الجنات، أساور من ذهب يتحلون بها وكذا يتحلون باللؤلؤ وغيره، ولباسهم في هذه الجنات حرير ثم يخبر الله عن قولهم وشكرهم لما أدخلهم جناته جنات النعيم إذ قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ الذي كنا نعاني منه في دنيانا وكنا نخشاه عند موتنا ويوم بعثنا وقبل أن ندخل تلك الجنات جنات النعيم.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ لذنوبنا التي اقترفناها فقد كنا بشرًا نخطئ ونذنب ﴿شَكُورٌ﴾ لصنائع المعروف التي صنعناها الحمد لله الذي أسكننا وأنزلنا وجعل محلًّا لنا ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ الجنة التي هي دار الإقامة الدائمة لا تحوَّل عنها ولا خروج منها، أنزلنا فيها بفضله سبحانه، وإلا فأعمالنا لم تكن بكافية لإنزالنا تلك الدار، أحلنا بفضله وبرحمته هذه الدار لا يصيبنا فيها تعبٌ ولا إعياءٌ، لا قليل التعب ولا كثيره، لا تعبٌ على الأبدان، ولا تعب على النفوس فلله الحمد جعلنا الله من سكان الفردوس، اللهم آمين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب،

(٦٠٢) أحمر
أسود

الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ اختلف أهل التأويل في الحَزَنِ الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم؛ فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

وقال آخرون: عني به الموت.

وقال آخرون: عني به حزن الخبز.

(يعني) والله أعلم، التعب من أجل الحصول على الطعام، الذي كان يحدث للبعض في الدنيا.

وقال آخرون: الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعًا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

(٦٠٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذين أدخلوا الجنة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول، والميم إذا ضمت من «المقامة» فهو من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يقام فيه، قال الشاعر:

يَومَانِ يَومُ مَقامَاتٍ وأَنْدِيَةٍ ... وَيَومُ سَيرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأْوِيبُ

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ يعني باللغوب: العناء والإعياء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: جنات الإقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم معادهم وقدومهم على ربهم عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول ﷺ أنه قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1].

---

(١) مسلم (٢٥٠)

(٦٠٤) أحمر
أسود

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه الله لهم في الدار الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[1]. وقال: «**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وقال في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ وهو الخوف من المحذور، أزاحه عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾: يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله وَمَنِّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل أَحَدٌ منكم عمله الجنة**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنِي الله برحمة منه وفضل**»[2].

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء.

والنصَب واللغوب: كلٌّ منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤].

---

(١) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣) وله طرق.
(٢) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٦٠٥) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٦٠٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم
مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ
أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ
فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ
ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ ﴾

[فاطر: ٣٦-٣٨]

(٦٠٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ - نَجْزِي - كَفُورٍ - يَصْطَرِخُونَ - نُعَمِّرْكُم - مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	لا يحكم عليهم بالموت
﴿نَجْزِي﴾	نعطيه جزاءه الذي يستحقه
﴿كَفُورٍ﴾	جحود لنعم الله
﴿يَصْطَرِخُونَ﴾	يصيحون – يضجون – يصرخون بشدة – ينادون بصوت عالٍ – يستغيثون بصوت عالٍ
﴿نُعَمِّرْكُم﴾	نجعلكم أحياء في الدنيا
﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾	زمنًا يتعظ فيه من يتعظ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: هذا بيان لحال الأشقياء يوم القيامة بعد أن بُيِّن حال السعداء، قال تعالى في شأن الأشقياء: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، جزاءً لهم على كفرهم وعصيانهم وتمردهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ لا يحكم لهم بالموت فيموتوا، بل يبقون بلا موت، وكذا لا يخفف عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

(٦٠٨) أحمر
أسود

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، فهكذا نجازي كل جحود لنعم الله وجحود لرسالات الله.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلدين فيها؛ لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة: ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ ﴾؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم.

وأورد من حديث أَبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكنَّ ناسًا**، أو كما قال، **تُصيبهمُ النارُ بذنوبِهم**، أو قال: **بخطاياهم، فَيُمِيتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فَحْمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضَبَائرَ ضَبَائرَ، فَبُثُّوا على أهل الجنة، فقال: يا أهلَ الجنة أَفِيضُوا عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حَمِيلِ السيل**» فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[1].

قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقد قيل في موضع آخر: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافِئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في

(١) انظر مسلم (١٨٥).

الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤] . وثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون**»[(١)] . قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧] . فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]، وقال: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] .

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: وأهل النار يضجون فيها ويستغيثون بصوت عالٍ ويصيحون قائلين: يا ربنا أخرجنا من هذه النار نعمل عملًا صالحًا غير الذي كنا نعمله من العمل السيئ، فلا يجابون إلى طلبهم بل

(١) انظر مسلم (١٨٥).

(٦١٠) أحمر
أسود

يوبَّخون فيقال لهم: أولم نعمركم في الدنيا أعمارًا كانت كفيلة بأن يتعظ فيها من اتعظ، ويعتبر فيها من اعتبر؟! فلم تتعظوا ولم تعتبروا، وأرسلنا إليكم رسولنا يحذركم وينذركم فما سمعتم له ولا أطعتم فذوقوا النار جزاء تكذيبكم فما لأهل الشرك والظلم والكفر من نصير ينصرهم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: نعمل بطاعتك ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قبلُ من معاصيك. وقولهُ: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ حولتْ تاؤها طاءً لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت.

ثم أورد جملة آثار وقال:

فتأويل الكلام إذن: أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

ويقول تعالى ذكره: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا؛ ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب ﷻ أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [غافر: ١١، ١٢]، أي: لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك، ولو رددتم لعدّتم إلى ما نهيتم عنه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ أي: أوما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة : اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نُعَيَّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة.

ثم قال بعد أن أورد جملة من الأحاديث والآثار:

وكذا بعد أن أورد قولين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: أحدهما أن النذير هو الشيب، والثاني: أن النذير الرسول محمد ﷺ.

وصوب هذا الثاني بقوله:

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧،

(٦١٢) أحمر
أسود

٧٨]، أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: فذوقوا عذابَ النار جزاءً على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنذير في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؟

ج: للعلماء فيه قولان:

أحدهما: أن النذير هو الشيب الذي يعتري الرأس.

الثاني: وعليه الأكثرون أن النذير هو رسول الله محمد ﷺ، وهذا الأظهر وعليه الأكثر.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما العمر الذي قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؟

ج: لأهل العلم فيه أقوال:

أحدهما: أنه أربعون سنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

الثاني: أنه ستون سنة (وعليه أكثر العلماء)، وقد روي هذا، وذاك (أربعون

وستون) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد فيه عبد الله بن عثمان بن خثيم وهو صدوق، ويبدو أنه يُحسن حديثه ما لم يخالف لكن هنا رواه مرة بلفظ ستين، ومرة بلفظ أربعين فالله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير إلى القول بأنه ستين سنة محتجًّا بأحاديث منها ما أخرجه البخاري رحمه الله والإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخَّر عمره حتى بلغه ستين سنة**»[(١)].

وهذا أخرجه البخاري من طريق معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: .. فذكره.

أما رواية أحمد من طريق رجل من بني غفار عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين** أو **سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه لقد أعذر الله إليه**».

وهناك وجوه أخر للاختلاف في سند هذا الحديث.

وأورد ابن كثير - رحمه الله تعالى - بإسناد حسن[(٢)] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**».

وفيه كلام أيضًا، ولكن له بعض الشواهد قد يصحح بها فالله أعلم.

قلت (مصطفى): وعلى كلٍّ فالذي يظهر لي كتفسير لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أن المراد به: أولم نعيشكم في الحياة زمنًا

---

(١) البخاري (٦٤١٩)، وأحمد (٢/٢٧٥) وغيرهما، قلت (مصطفى): وفي إسناد هذا الحديث بعض الاختلاف.

(٢) وفيه بعض الكلام كذلك، وقد أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والسياق المذكور عزاه ابن كثير للحسن بن عرفة.

(٦١٤) أحمر
أسود

يحدث به التذكر والاتعاظ والاعتبار، وليس بلازم أن يكون أربعين سنة أو ستين سنة؛ لأن من الكفار من يموت وهو في العشرين، ومنهم من يموت دون ذلك والله أعلم.

أما الذي أحياه الله إلى ستين سنة، فقد أعذر الله إليه كما في الحديث ولا تعارض. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بألسنتكم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

❁ ❁ ❁

(٦١٥) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾) [فاطر: ٣٩-٤٥]

(٦١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿خَلَّفَ - مَقْتًا - خَسَارًا - شُرَكَاءَكُمْ - تَدْعُونَ - شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ - عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ - غُرُورًا - تَزُولَا - جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ - نُفُورًا - اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ - وَمَكْرَ السَّيِّئِ - يَحِيقُ - يَنْظُرُونَ - سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ - تَبْدِيلًا - تَحْوِيلًا - لِيُعْجِزَهُ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَلَّفَ﴾	قومٌ يأتون بعد قوم آخرين (جيل بعد جيل، وأمة بعد أمة، وقرن بعد قرن)
﴿مَقْتًا﴾	بغضًا (والمقت أشد البغض) بُعدًا عن الرحمة غضبًا عليهم
﴿خَسَارًا﴾	هلاكًا
﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾	آلهتكم التي جعلتموها شريكةً لله ﷻ
﴿تَدْعُونَ﴾	تعبدون – تسألون وترجون
﴿شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾	مشاركة مع الله في خلق السموات أو في شيء مما في السموات
﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾	على بصيرة منه – على أمرٍ منه
﴿غُرُورًا﴾	خداعًا – غشًّا وتضليلًا
﴿تَزُولَا﴾	تنتقلا عن أماكنهما
﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	مجتهدين في الأيمان – يقسمون أشد القسم ويؤكدون اليمين أشد التأكيد ويوثقونها أشد التوثيق

(٦١٧) أحمر
أسود

﴿أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾	أوفق – أكثر توفيقًا ورشادًا واتباعًا للطريق المستقيم من إحدى الأمم التي مضت (قيل اليهود أو النصارى)
﴿نُفُورًا﴾	ابتعادًا وهربًا
﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	تعاليًا على الحق وبطرًا له امتناعًا بكبرٍ عن اتباع آيات الله
﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾	المكر السيئ وهو الشرك وتضليل العباد وصرفهم عن الإيمان إلى الكفر
﴿يَحِيقُ﴾	ينزل – يحلُّ
﴿يَنظُرُونَ﴾	ينتظرون
﴿سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	طريقة الله في عقاب الأولين – طريقته في المكذبين وهي تعذيبهم والانتقام منهم
﴿تَبۡدِيلٗا﴾	تغييرًا
﴿تَحۡوِيلًا﴾	صرفًا ودفعًا
﴿لِيُعۡجِزَهُۥ﴾	يعجز عن إدراكه، ليهرب منه شيء فيعجز عن إدراكه- ليفوته ولا يستطيع اللحاق به

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يخلفون من؟

ج: المراد –والله أعلم-: خلائف لقوم آخرين قد سبقوا ومضوا وهلكوا، قيل: خلائف لقوم عادٍ وثمود، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: ١٤].

(٦١٨) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أمةً بعد أمةٍ وقرنًا بعد قرن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فمن كفر منكم فإثم كفره وجزاؤه عائدٌ عليه، ووبال كفره عائدٌ على نفسه دون غيره؛ إذ هو المعاقب عليه دون غيره، ولن يضر بكفره إلا نفسه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن استمرار الكافر على كفره يومًا بعد يوم يزيده بغضًا من الله وبُعدًا عن رحمة الله.

وكذا لا يزيده إلا هلاكًا يوم القيامة وخسارة لنفسه وعذابًا. وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدًا من رحمة الله ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا

(٦١٩) أحمر
أسود

خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارؤه رب العالمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أُخرى، قل لهم أرأيتم أوثانكم هذه التي جعلتموها شريكة لله ودعوتموها من دون الله انظروا إليها وفكِّروا واعتبروا، هل خلقت شيئًا في الأرض، أم هل هي شريكة لله في سمواته، سلهم يا رسول الله عن ذلك فلن يجدوا جوابًا.

كذا سلهم هل أنزل الله إليهم كتابًا من عنده يأمرهم بالشرك بالله فهم لهذا الكتاب متبعون وبه مقتدون، كلا بل هي أماني كاذبة وغشٌّ وخداع يخدع به المستكبرون أهل الاستضعاف ويغشونهم، وكذا يخدع أهل الظلم عمومًا بعضهم بعضًا، يقولون: ستشفع لكم تلك الأصنام إذا عبدتموها.

يقولون: إنها تقربكم من الله زلفى!

هكذا يخدع بعضهم بعضًا.

(٦٢٠) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لا شيء والله خلقوا منها ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لا والله ما لهم فيها شرك ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتيناهم كتابًا فهو يأمرهم أن يشركوا.

وقوله: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ وذلك قول بعضهم لبعض: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم آلهتهم من النار، وتقصيهم من الله ورحمته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

وقوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما

(٦٢١) أحمر
أسود

يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

❁ ❁ ❁

لا يسقط نجم على نجم إلا بإذن الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: إن الله ﷻ يمسك السموات والأرض ويحفظهما من أن تنتقلا عن أماكنهما ولئن قدَّر عليهما فانتقلتا عن أماكنهما فلن يستطيع أحدٌ أن يمنعهما ولن يستطيع أحدٌ أن يمسكهما ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده إذ لم يعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿غَفُورًا﴾ كثير المغفرة لمن تاب إليه وأناب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لئلا تزولا من أماكنهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ يقول: ولو زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ يقول: ما أمسكهما أحد سواه. ووضعت «لئن» في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ في موضع «لو» لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى، ونظير ذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الروم: ٥١] بمعنى: ولو أرسلنا ريحًا، وكما قال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٤٥] بمعنى: لو أتيت. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي وائل: قال: جاء رجل إلى عبد الله

(٦٢٢) أحمر
أسود

فقال: من أين جئت ؟ قال: من الشأم. قال: من لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كعبًا. فقال: ما حدثك كعب ؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدقته أو كذبته ؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفورًا لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾.

❁ ❁ ❁

(٦٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم–: أن مشركي مكة، كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يقسمون ويجتهدون في الأيمان، ويغلظونها أشد التغليظ أن لو جاءهم نذير من عند الله (يعنون رسولًا من عند الله،وكتابًا من عند الله) ليكونن أفضل وأحسن حظًّا وأحسن استقامة ورشادًا من اليهود ومن النصارى كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾.

أي: فلما جاءهم النذير من عند الله، وهو رسول الله محمد ﷺ، ما زادهم مجيؤه إلا بعدًا وهربًا ونفورًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ يقول: ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ يعني بالنذير محمد ﷺ، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا.

(٦٢٤) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاك وغيره، كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠﴾ [الصافات: ١٦٧-١٧٠]

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ -وهو: محمد ﷺ- بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين، ﴿مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾، أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمدًا ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ أي نبي ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

❁ ❁ ❁

(٦٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: أن أهل الشرك لما جاءهم نذير نفروا أشد النفور وامتنعوا عن الإيمان أشد الامتناع كبرًا وتعاليًا على الحق، فـ(**الكبر بطر الحق وغمط الناس**) كما قال النبي ﷺ فنفروا كبرًا وتعاليًا وجحدًا له، ومكروا المكر السيئ، واقترفوا السوء وأضلُّوا العباد فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وسعوا في غش العباد وتضليلهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، أي ولا يحل إثم المكر السيئ إلا بأهله، فهذا المكر الذي مكروه بشركهم، وتضليلهم العباد، عقوبته حالة بهم نازلة بهم.

فماذا عساهم أن ينتظروا حتى يؤمنوا؟

هل ينتظرون إلا مثل ما حلَّ بالأولين الذين سبقوهم من العقوبات، فعندها لن ينتفعوا بإيمان إن هم آمنوا، وسيحل بهم نحو من الذي حلَّ بمن كانوا قبلهم، فلن تجد لسنة الله تغييرًا، ولن تجد لعذاب الله تحويلًا.

فلن تتغير سنة الله وطريقته في أهل الظلم فإنه ﷻ يهلكهم ويعاقبهم، وإن تنوعت صور العقوبات.

ولن تجد أحدًا يستطيع أن يحول عنهم العذاب إذا نزل بهم وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: نفروا استكبارًا في الأرض وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك.

(٦٢٦) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ وهو الشرك.

قال الطبري: وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر كما قيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله، يعني بالذين يمكرونه، وإنما عني أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ أي: عقوبة الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ﴾ يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلًا يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ﴾ أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي

(٦٢٧) أحمر
أسود

جارية كذلك في كل مكذب، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ أي: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد: ١١]، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي إنما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ أي: أجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر أحد أن يبدل ذلك ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في (آل عمران) وأضافها إلى الله عز و جل وقال في موضع آخر: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾[الإسراء: ٧٧] فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين وهو كالأجل تارة يضاف إلى الله وتارة إلى القوم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ [النحل: ٦١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء القوم المكذبين سيروا في الأرض فانظروا إلى آثار الذين كذبوا من قبلكم، فقد كانوا أكثر منكم قوة وأشد منكم بطشًا، ثم ها هي بيوتهم خاوية لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا، انظروا كيف أن الله عَزَّ وَجَلَّ انتقم منهم وشتت شملهم وفرَّق جمعهم وأبادهم وأفناهم، وما كان منهم من أحد يستطيع الفرار من قدر الله ولا من أمر الله ولا

(٦٢٨) أحمر
أسود

من عقاب الله، وما كان من شيء يعجز الله ويفوته هربًا وفرارًا، فلا ملك، ولا إنس ولا جن، ولا دابة ولا طائر ولا يحتان، ولا أي شيء يستطيع أن يهرب من الله ﷻ ويُعجز الله ﷻ بل الله ﷻ عليم بكل شيء، قديرٌ على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها، ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلًا لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عمَّا هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليمًا بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديرا على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

(٦٢٩) أحمر
أسود

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل؟ كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فَخُلِيَتْ منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النَّعَم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السموات والأرض ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بين السنة التي ذكرها أي: أولم يروا ما أنزلنا بعاد وثمود وبمدين وأمثالهم لما كذبوا الرسل فتدبروا ذلك بنظرهم إلى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر بما حلَّ بهم أفليس فيه عِبرة وبيان لهم ليسوا خيرًا من أولئك ولا أقوى بل كان أولئك أقوى دليله قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إذا أراد إنزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: ولو يؤاخذ الله ﷻ الناس بما اقترفوه من الذنوب والآثام ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدبُّ عليها من إنس ولا

(٦٣٠) أحمر
أسود

جنٌّ، ولا أنعام ولا أي شيء يدبُّ على الأرض، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل قد سماه الله وعيَّن وحدده، وهو يوم القيامة، وقيل: إلى يوم مماتهم، فإذا جاء الأجل الذي حدَّده الله فالله ﷻ كان ولا يزال بصيرًا بعباده، وبصيرًا بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وسيجازيهم على ما اقترفوه واكتسبوه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ يقول: ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ إلا ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعًا، ومن كان فيها به مشركًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ أي: لو آخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض، وما

يملكونه من دواب وأرزاق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كاد الجَعْلُ أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[1].

وقال سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ولكن يُنْظرهُم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذٍ، ويوفي كلَّ عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهلَ الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل يستفاد من الآية الكريمة أن الله ﷻ لو آخذ كل شخص بذنوبه لأهلكه؟

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن الله ﷻ لو آخذ الناس ومن على الأرض بذنوب بعضهم لكانت ذنوب بعضهم كفيلة بإهلاك كل من على الأرض، أما هل لو آخذ الله كل شخص بذنبه لأهلكه؟ فهذا يعكر عليه أن الأنبياء وأهل الصلاح حسناتهم تزيد على سيئاتهم، والله أعلم.

تم بحمد الله

تفسير سورة فاطر

---

(١) وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦٣٢) أحمر
أسود

تفسير سورة يس

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾) [يس: ١-١٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

(يسٓ -ٱلۡحَكِيمِ -صِرَٰطٖ - مُّسۡتَقِيمٖ -حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ -أَغۡلَٰلٗا -ٱلۡأَذۡقَانِ -مُّقۡمَحُونَ -مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ -سَدّٗا -وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ -فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ -لَا يُبۡصِرُونَ -ٱلذِّكۡرَ -بِٱلۡغَيۡبِۖ -وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ -وَءَاثَٰرَهُمۡۚ -إِمَامٖ مُّبِينٖ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(يسٓ)	أحرف مقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(ٱلۡحَكِيمِ)	المُحكم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التحريف - المتقن
(صِرَٰطٖ)	طريق
(مُّسۡتَقِيمٖ)	لا اعوجاج فيه
(حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ)	وجب عليهم وتحقق فيهم ما كتب الله عليهم
(أَغۡلَٰلٗا)	أطواقًا
(ٱلۡأَذۡقَانِ)	جمع ذقن (وهي الذقن المعروفة للإنسان)
(مُّقۡمَحُونَ)	رافعوا أبصارهم مع وجوههم
(مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ)	أمامهم، (وقيل في الدنيا)
(سَدّٗا)	حاجزًا
(وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ)	خلفهم (وقيل عن أمر الآخرة)
(فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ)	جعلنا على أبصارهم غشاوة تحجب الرؤيا

(لَا يُبْصِرُونَ)	لا يرون الحق
(ٱلذِّكْرَ)	القرآن
(بِٱلْغَيْبِ)	حينما يغيب عن أعين الناس، (وقيل: وهو لا يرى الله كما في الحديث: أن تعبد الله كأنك تراه)
(وَأَجْرٍ كَرِيمٍ)	كبير - حسن وجميل
(وَءَاثَٰرَهُمْ)	قيل: مواضع أقدامهم وآثار خطاهم التي مشوها في الدنيا. وقيل: ما خلفوه وراءهم من سُنة حسنةً كانت أو سيئة، فاقتدى بهم الناس فيها.
(إِمَامٍ مُّبِينٍ)	اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال بني آدم.

❁ ❁ ❁

ذِكر بعض الوارد في فضل سورة يس وبيان ضعفه

س: هل صح لديكم شيء في فضل سورة يس؟ وما مدى صحة هذه الأخبار التي أوردها الحافظ ابن كثير في تفسير هذه السورة المباركة؟

ج: لم يصح لدي خبرٌ في فضل سورة يس أما ما أورده ابن كثير $ في تفسير هذه السورة المباركة فلا يثبت منه شيء كذلك.

فحديث أنس:

قال: قال رسول الله □: «إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كَتَب الله له بقرءتها قراءةَ القرآن عشر مرات»[(١)].

أخرجه الترمذي، وضعفه بقوله:

---

(١) الترمذي (٢٨٨٧) وغيره.

(٨) أحمر أسود

ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق ﷺ، ولا يصح لضعف إسناده، وعن أبي هريرة منظور فيه.

وما أخرجه أحمد(١) وغيره من حديث معقل بن يسار ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا، واستخرجت** (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ)**، من تحت العرش فوصلت بها** - أو: **فوصلت بسورة البقرة** -، **ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة، إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم**».

في سنده رجل مُبهم، وكُني عنه في بعض الطرق بأبي عثمان، وليس بالنهدي، وهو مجهول، وإن كان بعض العلماء قد بنى عليه عملًا، فقال ابن كثير $:

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة: أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله. وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

قال الإمام أحمد $: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت -يعني يس-عند الميت خُفِّف عنه بها.

قلت (مصطفى): كذا قال الحافظ ابن كثير $، والمستند الذي استندوا إليه ضعيف كما ترى.

أما ما عزاه ابن كثير إلى أبي بكر البزار حيث قال:

حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد - هو ابن الحباب - حدثنا

---

(١) أحمد (٥/٢٦)، وأبو داود (٣١٢١) وغيرهما.

حُميد- هو المكي، مولى آل علقمة - عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله □: «**إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس**».

ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد، عن حميد.

ففي سنده حميد المكي وهو مجهول.

هذا، وثمَّ أخبارٌ أُخر في هذا الباب كلها تالفةٌ وضعيفة، بل وأكثرها موضوع(١).

❁ ❁ ❁

معنى (يس)

س: اذكر بمزيدٍ من التوسع معنى (يس) مع بيان ما ترونه راجحًا منها؟

ج: أقول، وبالله التوفيق، إن المعنى الذي أختاره لقوله تعالى: (يسٓ ﴿١﴾) أنها أحرف مقطعة، العلم بها موكولٌ إلى الله ﷻ، ولأهل العلم أقوال في تفسيرها ذكره الطبري وأورد لكل قول إسناده.

وأذكر ما أورده الطبري ملخصًا:

قال $: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (يسٓ ﴿١﴾)، فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: معناه يا رجل - أو يا إنسان.

---

(١) ولمزيد من البحث في هذا الصدد. راجع إن شئت الجزء الحديثي الذي أعدَّه أخي الشيخ محمد بن عمرو بن عبد اللطيف رحمه الله رحمة واسعة (حديث قلب القرآن يس)، وجملة مما روي في فضلها ضمن كتابه أحاديث ومرويات في الميزان.

(١٠) أحمر
أسود

وقال آخرون: هو مفتاح كلامٍ افتتح الله به كلامه.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾؟

ج: هذا قسمٌ أقسم الله ﷻ فيه بالقرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أقسم ربنا ﷻ على صدق رسوله ﷺ فيما أخبر به من كونه رسول من عند الله ﷻ وأقسم الله على أنه (أي: رسول الله) على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف، طريق موصل إلى جنات النعيم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبينات حججه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره مقسمًا بوحيه وتنزيله لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ قسم كما تسمعون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾.

وقوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾: أي على

(١١) أحمر
أسود

الإسلام.

وفي قوله: (عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾) وجهان:

أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق، فيكون حينئذ (عَلَىٰ) من قوله: (عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾) من صلة الإرسال. والآخر أن يكون خبرًا المبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾) أي: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾) أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم، مبنيٌّ على ضبط كلمة (تنزيل)، هل هي بفتح اللام: (تَنزِيلَ) أو بضمها: (**تنزيلُ**)؟ فهما قراءتان مشهورتان.

فقول من قال: (**تنزيلُ**) فمعناه أن هذا القرآن تنزيلٌ من العزيز الرحيم.

وأما (تَنزِيلَ) فحمل بعض القائلين (تَنزِيلَ) على معنى الإرسال. قالوا: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾) إرسال (ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾) أي: بإرسال العزيز الرحيم لك.

وقال بعض العلماء: إن المعنى نزَّل الله ذلك تنزيلًا، أما العزيز فمن

(١٢) أحمر
أسود

معناه: الذي لا يغلب.

أما الرحيم: فرحمته بعباده واسعة، ومن رحمته بهم يتركهم ولا يعاقبهم إن تابوا من كفرهم وأنابوا إليه.

وهذه بعض الأقوال:

قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى: (تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥).

اختلف القراء في قراءة قوله: (تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (**تنزيلُ العزيز**) برفع (**تنزيلُ**)، والرفع في ذلك يتجه من وجهين:

أحدهما: بأن يجعل خبرًا، فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذ: إنك لمن المرسلين، هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تَنزِيلَ) نصبًا على المصدر من قوله: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣) لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقًّا.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

وقال ابن كثير $:

(تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥) أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت

(١٣) أحمر
أسود

به مُنزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾).

[الشورى:٥٢، ٥٣]

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) قرأ ابن عامر وحفص والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: تنزيل بنصب اللام على المصدر أن نزَّل الله ذلك تنزيلًا وأضاف المصدر فصار معرفة كقوله: (فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ) [محمد: ٤] أي: فضربًا للرقاب الباقون (**تنزيلُ**) بالرفع على خبر ابتداء محذوف أي: هو تنزيل أو الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرىء: (تنزيل) بالجر على البدل من (القرآن) والتنزيل يرجع إلى القرآن وقيل: إلى النبي □ أي: إنك لمن المرسلين وإنك (تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) فالتنزيل على هذا بمعنى الإرسال قال الله تعالى: (قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ) [الطلاق: ١٠، ١١] ويقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى، ومحمد □ رحمة الله أنزلها من السماء، ومن نصب قال: إنك لمن المرسلين إرسالًا من العزيز الرحيم و(ٱلْعَزِيزِ) المنتقم ممن خالفه (ٱلرَّحِيمِ) بأهل طاعته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾)؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أشهرهما ـ وأراه أصحهما ـ: أن معناه لتنذر قومًا لم يُنذر آباؤهم، أي: لم يأت آباءهم نذيرٌ، فلذا فهم غافلون عن الذكر والتوحيد، فقوله: (مَّآ) نافية، أي: أن آباءهم لم ينذروا ودلَّ على ذلك قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم

(١٤) أحمر
أسود

مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾) [السجدة: ٣].

وقوله تعالى: (أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ...) [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، وقوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾) [سبأ: ٤٤]، وهذا الوجه هو اختيار الحافظ ابن كثير $.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾) يعني بهم: العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي مَنْ عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، عند قوله تعالى: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف: ١٥٨].

* **والقول الآخر:** أن قوله: (مَّآ أُنذِرَ)، (مَّآ) هنا بمعنى الذي، فيكون المعنى لتنذر قومًا بالذي أُنذر به آباؤهم لكونهم قد غفلوا عن الذي أُنذر به آباؤهم، أو غافلون عما سيحل بهم إذا ماتوا على الكفر، وغافلون عن العقوبات التي عاقب الله بها أعداءه المكذبين لرسله.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) (مَّآ) لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير منهم قتادة لأنها نفي والمعنى: لتنذر قومًا ما أتى آباءهم قبلك نذير وقيل: هي بمعنى: الذي، فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة أيضًا، وقيل: إن (مَّآ) والفعل مصدر أي: لتنذر قومًا إنذار آبائهم ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم

(١٥) أحمر
أسود

بالتواتر أخبار الأنبياء؛ فالمعنى لم ينذروا برسول من أنفسهم ويجوز أن يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا. ويجوز أن يكون هذا خطابًا لقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤]، وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣] أي: لم يأتهم نبي، وعلى قول من قال بلغهم خبر الأنبياء فالمعنى فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك، ويقال للمعرض عن الشيء: إنه غافل عنه وقيل: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ عن عقاب الله.

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾، فقال بعضهم: معناه: لتنذر قومًا ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم.

وأورد من طريق شعبة عن سماك عن عكرمة في هذه الآية: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال: قد أنذروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال بعضهم: لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم. وقال بعضهم: لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم أي: هذه الأمة لم يأتهم نذير، حتى جاءهم محمد □.

واختلف أهل العربية في معنى (مَّآ) التي في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ إذا وجه معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا، ولم يرد بها الجحد؛ فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أنذر آباؤهم ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ وقال: فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز،

(١٦) أحمر
أسود

والله أعلم. قال: وهو على الجحد أحسن، فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا في الفترة.

وقال بعض نحويي الكوفة: إذا لم يرد بما الجحد، فإن معنى الكلام: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم، فتلقى الباء، فتكون (مَّآ) في موضع نصب (فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦) يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نقمته، وسطوته بهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لقد تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم من كونهم لا يؤمنون، فقد كتبت عليهم الشقاوة ووجب عليهم العذاب فمن ثَمَّ فهم لا يؤمنون.

قال الطبري $:

وقوله: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧) يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ) أي: وجب العذاب على أكثرهم (فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧) بإنذارك وهذا فيمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

الظاهر أن القول في قوله: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ)، وفي قوله تعالى: (۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) [فصلت:

(١٧) أحمر
أسود

٢٥] الآية. وفي قوله تعالى: (قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ) [القصص: ٦٣] الآية. وفي قوله تعالى: (وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠) [يس: ٧٠]. وقوله تعالى: (فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١) [الصافات: ٣١] والكلمة في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧) [يونس: ٩٦، ٩٧] وفي قوله تعالى: (قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١) [الزمر: ٧١] أن المراد بالقول والكلمة أو الكلمات على قراءة، (**حقت عليهم كلمات ربك**) بصيغة الجمع، هو قوله تعالى: (لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩) [هود: ١١٩] وكما دلت على ذلك آيات من كتاب الله تعالى: كقوله تعالى في آخر سورة هود: (وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩) [هود: ١١٨-١١٩] وقوله تعالى في السجدة: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣) [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: في أخريات ص: (قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥) [ص: ٨٤، ٨٥].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ) يدلّ على أن أكثر الناس من أهل جهنم، كما دلّت على ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧) [هود: ١٧]، (وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣) [يوسف: ١٠٣]، (وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١) [الصافات: ٧١]، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨) [الشعراء: ٨].

❁ ❁ ❁

(١٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أطواقًا من حديد أو نحاس أو غير ذلك في رقاب هؤلاء الكفار، قد ضمت هذه الأطواق أيديهم إلى رقابهم فجمعت الأيدي مع الرقبة وأحاطت بها الأطواق فلما فعل ذلك بهم، والأيدي تحت أذقانهم مضمومة إلى رقابهم وهي تحت أذقانهم فاضطرهم هذا إلى أن يرفعوا أبصارهم إلى السماء، فمن ثَمَّ فهم لا يرون ما أمامهم، وكذا فأيديهم مغلولة عن الخير، لا تُبسط بالخير، وهذا بيان للكفار وحالهم وبُعدهم عن الإيمان وبُعدهم عن الخير، فلا يفعلون خيرًا ولا يبصرونه، وهذه الآية في معناها كقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩]، أي: لا تكن ممسكًا بخيلًا، وسيأتي لها مزيدٌ إن شاء الله.

* **وهناك وجهٌ آخر** - وستأتي الإشارة إليه في كلام القرطبي $ - حاصله أن ذلك يوم القيامة وعُبر عنه هنا بلفظ الماضي، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعل في عنقه غل، فجَمَع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسُه، فصار مقمَحًا؛ ولهذا قال: (فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) والمقمح: هو الرافع رأسه، كما قالت أم زَرْع في كلامها: «وأشرب فأتقمَّح» أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهينًا وتَرَوّيًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

(١٩) أحمر
أسود

فَمَـــا أدْري إذَا يَمَّمْـــتُ أرْضًـــا أريـــد الخَيْـــرَ أيّهمـــا يَلينـــي
أَلْخَيْـــرُ الـــذي أنَـــا أبْتَغيـــه أم الشَّـــرّ الـــذي لا يَـــأتَليني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لَمّا دل السياق والكلام عليه، وكذا هذا، لما كان الغُلّ إنما يعرف فيما جَمَع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تبسط بشيء من الخيرات. وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر **(إنا جعلنا في أيمانهم أغلالا فهي إلى الأذقان)** وقوله: (إِلَى ٱلْأَذْقَانِ) يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان، كما قال الشاعر:

ومـــا أدري إذا يممـــت وجهًـــا أريـــد الخيـــر أيهمـــا يلينـــي
أألخيـــر الـــذي أنـــا أبتغيـــه أم الشـــر الـــذي لا يـــأتليني

فكنى عن الشر، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعني قائله، إذ كان الشر مع الخير يذكر. والأذقان: جمع ذقن، والذقن: مجمع اللحيين.

وقوله: (فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨) والمقمح: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد

(٢٠) أحمر
أسود

رفع رأسه.

وأورد الطبري بإسناد ضعيف عن ابن عباس، قوله: (إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) قال: هو كقول الله: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩] يعني بذلك: أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

وقال القرطبي $:

قال النحاس: وهذه القراءة تفسير ولا يقرأ بما خالف المصحف، وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة، التقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره: (سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ) [النحل: ٨١] وتقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف؛ لأن ما وقى من الحر وقى من البرد؛ لأن الغل إذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله عز وجل: (فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ) فقد علم أنه يراد به الأيدي (فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) أي: رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق لأن من غلت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه.

وقال القرطبي أيضًا:

وقال الفراء أيضًا: هذا ضرب مثل أي حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩] وقاله الضحاك: وقيل: إن هؤلاء صاروا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل فجمعت إلى عنقه فبقي رافعًا رأسه لا يخفضه وغاضًّا بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق، وقال الأزهري: إن أيديهم لما

(٢١) أحمر
أسود

غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعدًا كالإبل ترفع رؤوسها وهذا المنع بخلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم بسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم، وقيل: الآية إشارة إلى ما يفعل بأقوام غدا في النار من وضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل كما قال تعالى: (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ) [غافر: ٧١] وأخبر عنه بلفظ الماضي.

قال الشنقيطي $:

واعلم: أن قول من قال من أهل العلم: إن معنى قوله تعالى في هذه الآية الكريمة (إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا) أن المراد بذلك الأغلال، التي يعذبون بها في الآخرة كقوله تعالى: (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾) [غافر: ٧١، ٧٢] خلاف التحقيق، بل المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أمام هؤلاء الكفار حاجزًا يحجزهم عن الإيمان والإسلام والقرآن، وكذا من خلفهم جعلنا حاجزًا فلا يصل إليهم قرآن ولا هدى ولا نور كما قال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾) [الإسراء: ٤٥].

أما قوله: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) فمعناه - والله أعلم - جعلنا على بصرهم غشاوةً عن الحق فلا يرونه ولا يبصرونه، والله أعلم.

(٢٢) أحمر
أسود

قال الطبري $:

وعنى بقوله: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًّا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: جعل هذا سدًّا بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾) وقرأ (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾) [يونس: ٩٦]... الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع.

قال الطبري $:

وقوله: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) يقول: فأغشينا أبصار هؤلاء أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ) أي: أغشينا أبصارهم عن الحق، (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه.

قال القرطبي $:

وقال الضحاك: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: الدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: الآخرة، أي: عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا قال الله تعالى: (۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) [فصلت: ٢٥] أي: زينوا لهم الدنيا ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة، وقيل: على هذا (مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: غرورًا بالدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: تكذيبًا بالآخرة وقيل: (مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٢٣) أحمر
أسود

الغوي من أغواه الله

س: قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) فيه دلالة على أن الله ﷻ يصرف عن الإيمان القوم الذين سبقت لهم الشقاوة، ولذلك أسباب، فربي يصرفهم لانصرافهم الأول، ويزيغ قلوبهم كما زاغوا لأول مرة، دلِّل على ما ذُكر.

ج: قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وهذا المعنى الذي دّلت عليه هذه الآية(١) من كونه جلَّ وعلا يصرف الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ) [البقرة: ٧] وقوله تعالى: (أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً) [الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالى: (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ) [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: (مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ) [الأعراف: ١٨٦]، وقوله تعالى: (وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾) [المائدة: ٤١].

وقوله تعالى: (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾) [النحل: ١٠٨]، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ) [هود: ٢٠].

وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف: ١٠١]

---

(١) يعني قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا....).

والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب وكذلك الأغلال في الأعناق، والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم، لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار، لأن من شؤم السيئات أن الله جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ، والحيلولة بينه وبين الخير وجزاه الله بذلك على كفره جزاءً وفاقًا.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة كقوله تعالى: (بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) [النساء: ١٥٥] فالباء سببية، وفي الآية: تصريح منه تعالى أن سبب ذلك الطبع على قلوبهم هو كفرهم، وكقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) [المنافقون: ٣] ومعلوم أن الفاء من حروف التعليل أي: فطبع على قلوبهم بسبب كفرهم ذلك، وقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥]. وقوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾) [الأنعام: ١١٠] وقوله تعالى: (فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا) [البقرة: ١٠] إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه.

وقد دلّت هذه الآيات على أن شؤم السيئات يجرّ صاحبه إلى التمادي في السيئات، ويفهم من مفهوم مخالفة ذلك، أن فعل الخير يؤدي إلى التمادي في فعل الخير، وهو كذلك كما قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾) [محمد: ١٧] وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

(٢٥) أحمر
أسود

[العنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: (وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ)[التغابن: ١١] إلى غير ذلك من الآيات.

عدم انتفاع أهل الكفر بالمواعظ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ويستوي عند هؤلاء الكفار الإنذار من عدمه، فإذا أنذرتهم لم يؤمنوا وإذا لم تنذرهم لن يؤمنوا كذلك، فهم لا ينتفعون بذكر فقد قضى عليهم بأنهم من أهل النار، ومن ثمَّ لا تجدي معهم الموعظة ولا تنفع معهم التذكرة، إنما ينتفع بالإنذار أهل الإيمان الذين اتبعوا القرآن وصدقوا به وخشوا ربهم سبحانه وتعالى في حال غيابهم عن الناس، قد أيقنوا أن الله يراهم وقد أيقنوا أن الله سيحاسبهم وسيلتقون به فهؤلاء بشرهم يا رسول الله بمغفرة لذنوبهم وعظيم الأجور التي أُعدت لهم وكريمها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم: الإنذار، أو ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون؛ لأن الله قد حكم عليهم بذلك. وقوله: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ) يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله (وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ) يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار

(٢٦) أحمر
أسود

الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله: (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾) يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ) واتباع الذكر اتباع القرآن.

قال ابن كثير $:

وقوله: (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾) أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة، وكما قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾) [يونس:٩٦-٩٧]

(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ) أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، (وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ) أي: حيث لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله، (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) أي: لذنوبه، (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾) أي: كبير واسع حسن جميل، كما قال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾) [الملك: ١٢].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ

(٢٧) أحمر
أسود

وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾)؟

ج: الحديث قد ورد له سبب نزول. أخرجه البزار واستغربه ابن كثير، وقد أورده شيخنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي $ في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» مصححًا له لشواهده، ولكني أراه ضعيفًا، فقال $ ناقلًا عن ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد ڤ قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ص بُعد منازلهم من المسجد فنزلت: (وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ) فأقاموا في مكانهم. وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجرير عن أبي نضرة عن أبي سهيد ڤ عن النبي ص بنحوه، وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية. اهـ.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عباد بن زياد وفيه كلام كما في تهذيب التهذيب لكنه قد توبع كما ترى وقد أخرجه الترمذي ج٤ ص١٧١وحسنه. والحاكم ج٢ ص٤٢٨ وصححه وأقره الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري لكن فيه عندهما طريف بن شهاب وهو ضعيف جدًّا كما في الميزان وهو عند الحاكم سعيد بن طريف فلعله غلط فيه بعض الرواة. هذا والحديث له شاهد عند ابن جرير $ عن ابن عباس ڤ قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: (وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ) وسنده صحيح.

أما قول الحافظ ابن كثير $: إن فيه غرابة لأن السورة بكمالها مكية فلم يظهر لي اتجاهه، فإذا ثبت أن هذه الآية نزلت بمكة فلا مانع من

(٢٨) أحمر
أسود

نزولها مرتين وإن لم يثبت نزولوها بمكة فقد تكون السورة مكية إلا آية كما هو معروف. والله أعلم. انتهى ما قاله شيخنا $.

❁ ❁ ❁

(٢٩) أحمر
أسود

المراد بالآثار التي تُكتب

س: وضح معنى الآية الكريمة: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ يخبرنا بأنه سيحيي الموتى يوم القيامة ويخرجهم من قبورهم أحياءً، أما في الدنيا فإن أعمالهم التي عملوها تكتب عليهم وكذا أقوالهم ونواياهم، فهذا ما قدموه في دنياهم، أما آثارهم فللعلماء فيها قولان: أحدهما: آثار خطاهم التي مشوها على الأرض مكتوبة لهم في سجل أعمالهم. والثاني: ما خلفوه بعدهم من آثار وسنن، فإن تركوا خيرًا يُتَّبع وسُننًا تتبع فهم مأجورون، وإن خلفوا سيئ السنن، وتأسى بهم في الشر أقوام فهذه آثار سيئة مكتوبة.

أما قوله تعالى: (وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾) فمعناه أن كل شيء قد أُحصي وكتب عند الله في اللوح المحفوظ (أم الكتاب)، وقيل في كتاب العبد الذي يقرؤه يوم القيامة، إذ الله قال: (وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾) [الإسراء: ١٣-١٤].

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذكرت.

قال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ) أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب مَنْ يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: (ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾) [الحديد: ١٧].

(٣٠) أحمر
أسود

وقوله: (وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ) أي: من الأعمال.

وفي قوله: (وَءَاثَٰرَهُمۡۚ) قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله ﷺ: «**مَنْ سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومَنْ سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزرُ مَنْ عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**»(١).

وأورد الحافظ ابن كثير أيضًا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**».

وأورد ابن كثير بعض الآثار في هذا المعنى، وقال:

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

وأورد حديث جابر بن عبد الله ﷺ وفيه: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**». قالوا: نعم يا رسول الله؛ قد أردنا ذلك، فقال: «**يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم**»(٢).

وأورد ابن كثير أحاديث وآثار أُخر في هذا الصدد.

---

(١) مسلم (١٠١٧) بنحوه.

(٢) أحمد (٣/٣٣٢)، ومسلم (٦٦٥).

(٣١) أحمر
أسود

ثم قال ابن كثير $:

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتب، فلأن تُكتب تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾)، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وكذا في قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [الإسراء: ٧١]، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِاْيَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) [الزمر: ٦٩]، وقال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾) [الكهف: ٤٩].

أما الطبري رحمه الله تعالى فاقتصر على القول الثاني فقال:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) من خلقنا (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها.

وقوله: (وَآثَارَهُمْ) يعني: وآثار خطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله ، ليقرب عليهم.

وأورد الطبري جملة من الآثار في ذلك، منها أثر جابر (١) قال: أراد بنو سلمة قرب المسجد قال: فقال لهم رسول الله : «**يا بني سلمة دياركم إنها تكتب آثاركم**».

(١، ٢) وهذه وتلك صحيحتان.

(٣٢) أحمر
أسود

وفي رواية(٢):

أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ، فقال: «**يا بني سلمة دياركم إنها تُكتب آثاركم**»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرّنا أنا كنا تحوّلنا.

وقد روي هذا الخبر من وجوه متعددة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَءَاثَٰرَهُمۡۚ) قال: قال الحسن: وآثارهم قال: خطاهم. وقال قتادة: لو كان مغفلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار.

وقوله: (وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢) يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل: (مُّبِينٖ ١٢) لأنه يُبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مجاهد: (فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢) قال: في أم الكتاب.

وبإسناد حسن عن قتادة قال: كل شيء مُحصى عند الله في كتاب.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ) أخبرنا تعالى بإحيائه الموتى ردًّا على الكفرة، وقال الضحاك والحسن: أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل، والأول أظهر، أي: نحييهم بالبعث للجزاء ثم توعدهم بذكره كتب الآثار وهي:

(٣٣) أحمر
أسود

إحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان قال قتادة: معناه من عمل، وقاله مجاهد وابن زيد ونظيره قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥) [الانفطار: ٥]، وقوله: (يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣) [القيامة: ١٣] وقال: (ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨] فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها من أثر حسن كعلم علَّموه أو كتاب صنفوه أو حبيس احتبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك، أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم أو شيء أحدثه فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها، وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد وعلى هذا المعنى تأول الآية عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس أيضًا أن معنى: (وَءَاثَٰرَهُمْ) خطاهم إلى المساجد قال النحاس: وهذا أولى ما قيل فيه لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك لأن الأنصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد؟ [وفي الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**يكتب له برجل حسنة وتحط عنه برجل سيئة ذاهبًا وراجعًا إذا خرج إلى المسجد**».

❁ ❁ ❁

(٣٤) أحمر
أسود

قصة أصحاب القرية

قال الله تعالى:

(وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ
﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ
لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ
قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ
ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا
تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ
ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا
غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾) [يس: ١٣-٢٩]

(٣٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَعَزَّزْنَا -تَطَيَّرْنَا بِكُمْ -لَنَرْجُمَنَّكُمْ -وَلَيَمَسَّنَّكُم -أَلِيمٌ -طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ -أَئِن ذُكِّرْتُم -مُّسْرِفُونَ -أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ -فَطَرَنِى -ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ -ٱلْمُكْرَمِينَ -خَٰمِدُونَ)

ج:

الكلمة	معناها
(فَعَزَّزْنَا)	قوَّينا - شددنا أزرهما
(تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)	تشاءمنا بكم وبوجودكم معنا كلما رأيناكم لم نر خيرًا ولكن أتانا الشر
(لَنَرْجُمَنَّكُمْ)	لنقذفنكم (بالحجارة أو بالشتم والسباب)
(وَلَيَمَسَّنَّكُم)	ليصيبنكم - لينالنكم
(أَلِيمٌ)	مؤلمٌ موجع
(طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ)	أعمالكم معكم - المقدر عليكم يصاحبكم
(أَئِن ذُكِّرْتُم)	ألكوننا ذكرناكم
(مُّسْرِفُونَ)	متجاوزون للحد في الكفر والطغيان والظلم
(أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ)	أبعد مكان فيها - طرف المدينة البعيد
(فَطَرَنِى)	خلقني (لأول مرة)
(ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)	بُعدٌ عن الحق مظهر لمن تأمله أنني ضللت، وقيل: مبين بمعنى: بائن، أي: واضح وظاهر
(ٱلْمُكْرَمِينَ)	الذين أكرمهم الله بإدخالهم جنته
(خَٰمِدُونَ)	ميتون - هلكى - صرعى

(٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾)، **مع بيان هذه القرية وأسماء الرسل.**

ج: أما هذه القرية فلم ترد تسميتها في كتاب الله ﷻ ولا في سنة رسوله محمد ﷺ، وكذا أسماء الرسل لم يأت في نصٍّ من كتاب أو سنة.

لكن جماهير العلماء - بل نقل بعض أهل العلم الإجماع - على أنها أنطاكية.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾) خطاب للنبي ﷺ أُمر أن يضرب لقومه مثلًا بأصحاب القرية - هذه القرية هي أنطاكية- في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي.

قلت (مصطفى): أما الرسل فكما أسلفت لم تأت أسماؤهم في نص من كتاب أو سنة، ولكن ذكر البعض أنهم رسلٌ من الحواريين أرسلهم عيسى ﷺ لمدينة من المدن لدعوة أهلها إلى الله ﷻ، وقال آخرون من أهل العلم: بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومَثِّل يا محمد لمشركي قومك مثلًا أصحاب القرية، ذُكر أنها أنطاكية (إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾) اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛ فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ) قال: ذكر لنا أن

(٣٧) أحمر
أسود

عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث (فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤)، وقال آخرون: بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم.

قلت (مصطفى): أما قوله تعالى: (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤) فحاصل معناه أن الرسل كانوا في أول الأمرين اثنين فعززهم الله بثالث، أي: قواهما برسول ثالث أرسله ربُّه ﷻ مؤيدًا لهما ومُصدقًا لهما، فقالت الرسل (الثلاثة) لأهل القرية: إنا إليكم مرسلون من عند الله ﷻ ندعوكم لتوحيده وعدم الإشراك به.

قال الطبري $:

وقوله: (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ) يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به.

وقوله: (فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤) يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنا إليكم أيها القوم مرسلون، بأن تخلصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام.

وبالتشديد في قوله: (فَعَزَّزۡنَا) قرأت القراء سوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف، والقراءة عندنا بالتشديد، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن معناه إذا شدد: فقوينا، وإذا خفف: فغلبنا، وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَٱضۡرِبۡ)-يا محمد-لقومك الذين كذبوك (مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ

(٣٨) أحمر
أسود

جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾).

وقولـه: (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا) أي: بادروهمـا بالتكـذيب، (فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ) أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث.

وقال القرطبي $:

أمر النبي □ بإنذار هؤلاء المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل قيل: رسل من الله على الابتداء وقيل: إن عيسى بعثهم إلى أنطاكية للدعاء إلى الله وهو قوله تعالى: (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ) وأضاف الرب ذلك إلى نفسه لأن عيسى أرسلهما بأمر الرب وكان ذلك حين رُفع عيسى إلى السماء (فَكَذَّبُوهُمَا) قيل: ضربوهما وسجنوهما (فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ) أي: فقوينا وشددنا الرسالة (بِثَالِثٍ).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾).

ج: هذا - والله أعلم - بيانٌ لجواب أصحاب القرية الذي أجابوا به المرسلين الثلاثة، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، لستم بملائكة، ولو كنتم من عند الله لكنتم ملائكة، وهذا جواب أهل الكفر دائمًا على رسلهم، يقولون: أبشرٌ مثلنا، أبشر يهدوننا، وها هنا قالوا نفس القول الذي يتقوله الكفار دائمًا: (مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ) وما أنتم إلا تكذبون فأجابتهم الرسل بقولهم: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ

(٣٩) أحمر
أسود

نبلغكم ما أرسلنا به إليكم بلاغًا مبينًا مُظهرًا لكوننا رسلًا من عند الله، ومظهرًا للحق.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أُرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا، ولو كنتم رسلًا كما تقولون، لكنتم ملائكة (وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ) يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء (إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥) في قيلكم إنكم إلينا مرسلون.

(قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦) يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون.

(وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧) يقول: وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغًا يبين لكم أنا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا) أي: فكيف أوحيَ إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحيَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة. وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا) [التغابن: ٦]، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله: (قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠) [إبراهيم: ١٠]. وقوله حكاية عنهم في قوله: (وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ

(٤٠) أحمر
أسود

إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾) [المؤمنون: ٣٤]، (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾) [الإسراء: ٩٤]. ولهذا قال هؤلاء: (مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾) أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: (قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾).

[العنكبوت: ٥٢]

(وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾) يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾) أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، وإنما وظيفتنا -التي هي البلاغ المبين- قمنا بها، وبيناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

(٤١) أحمر
أسود

﴿١٩﴾)؟

ج: معناه - والله أعلم -: أن أهل الكفر قالوا للمرسلين لما دعوهم إلى الله ﷻ، إنا تشاءمنا بوجودكم ورؤيتكم فكلما رأيناكم حلَّ بنا الشر وحلَّ بنا البلاء والهم والنكد، ولئن لم تقلعوا عن هذا وتنتهوا عما أنتم فيه وعن دعوتكم التي تبذلونها لنرجمنكم قتلًا بالحجارة، وقذفًا بالسباب والشتم وليصيبنكم منا عذاب أليم.

فأجابتهم الرسل بقولهم: إن ما يصبكم من خيرٍ أو شرٍّ مقدرٌ لكم مكتوب عليكم وملازم لكم وستلقونه حتمًا وما ذلك الذي يصيبكم من شؤمنا، بل قدره الله عليكم لكفركم ولعصيانكم.

أفلكوننا ذكرناكم بالله وتوحيده وعدم الإشراك به ترجموننا وتقذفوننا، إنكم لم تتطيروا بنا فأنتم تعلمون صلاحنا، ولكنكم قوم متجاوزون للحد في الطغيان والمعاصي والكبائر.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل: (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) يعنون: إنا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء، فمن أجلكم.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: (قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قالوا: إن أصابنا شر، فإنما هو من أجلكم.

وقوله: (لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ) يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة

(٤٢) أحمر
أسود

(وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾) يقول: ولينالنكم منا عذاب مُوجع.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ).

يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية (طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ) يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فبما كتب عليكم، وسبق لكم من الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ) أي: أعمالكم معكم.

وبنفس الإسناد عنه (أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ) أي: إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا؟ (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾).

وقوله: (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾) يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام.

وقال ابن كثير $:

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: (إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ) أي: لم نرَ على وجوهكم خيرًا في عيشنا.

وقال قتادة: يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها.

(لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ): قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد: بالشتم.

(وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾) أي: عقوبة شديدة. فقالت لهم رسلهم: (طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ) أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: (فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ) [الأعراف:

(٤٣) أحمر
أسود

١٣١]، وقال قوم صالح: (ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ) [النمل: ٤٧]. وقال قتادة، ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم. وقال تعالى: (وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾) [النساء: ٧٨].

وقوله: (أَئِن ذُكِّرۡتُم بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾) أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

وقال قتادة: أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون.

❁ ❁ ❁

قصة مؤمنٍ مُكرم

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أصحاب القرية[(١)] لما جاءهم المرسلون وكذبوهم، وتوعدوهم بالرجم والعذاب الأليم سمع حينئذٍ بهم رجلٌ بيته في أطراف المدينة، بل في أقصى المدينة فلما أُخبر بأمر

(١) والقرية تطلق على مجموعة البيوت المستقرة، ومن ثمَّ ففي الاصطلاح القرية مدينة والمدينة قرية.

(٤٤) أحمر
أسود

المرسلين الثلاثة، وما كان من أمر قومه معهم لم تطب نفسه أن يبقى ساكتًا ماكثًا في بيته، بل رأى لِزامًا عليه أن يناصر المرسلين وأن يشد أزرهم ويقوي عضدهم، فجاء مسرعًا من أطراف المدينة وأقصاها لنصرة الحق، وهذا من فضل الله عليه أن جنَّده لنصرة الحق، ،كذلك فهذا من فضل الله على الدعاة إليه؛ إذ يقيض لهم من يأتي لمناصرتهم دون أن يطلبوا منه ذلك فمن الذي حمل هذا الرجل على أن يأتي من أطراف المدينة ويتكلم بكلمات الحق التي يُنصار بها المرسلين ولا يبالي في نصرة الحق، بل ينطق به حتى يقتل، إن الذي سخَّره لذلك هو الله سبحانه، فأيقنوا معشر الدُّعاة إلى الله أن الله يؤيدكم بنصره ويقيض لكم، وأنتم لا تشعرون من يدافع عنكم.

* فالحاصل أن الرجل جاء من أقصى المدينة مشتدًّا مسرعًا ساعيًا يحذر قومه وينذرهم ويوصيهم، يا قوم اتبعوا المرسلين، سيروا على طريقهم واهتدوا بما معهم من الهدى فهم لا يطلبون منكم مالًا على إيمانكم وتصديقكم، بل هم على طريق هداية ورشاد، يريدونكم أن تسلكوا الطريق الذي سلكوه متقربين به إلى الله، يريدون لكم الخير، يريدون لكم السلامة، فهم على هداية.

هكذا شهد لهم هذا الرجل، وقد قيل إن اسمه حبيب، وعلى هذا أكثر أهل العلم، ولم يأت اسمه في خبرٍ ثابتٍ عن رسول الله ، وقيل: كان نجارًا، وقيل غير ذلك.

والحاصل أنه رجل مؤمن يصدع بالحق لا يبالي فذكَّر قومه بالحق وآزر المرسلين وشهد لهم بالصدق، ثم صدَّق قولُهُ عمله، فقال: (وَمَا لِيَ لَآ

(٤٥) أحمر
أسود

أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) وما المانع لي من عبادة الله خالقي وإليه مرجعي ومرجعكم جميعًا، يحاسب الجميع ويجازيهم. أيعقل أن أعبد آلهة غيره أو أن أعبد معه ربًّا سواه، كلا، فلن يكون، فإن ربي ﷻ إن أرادني بسوءٍ بضرٍّ في بدني أو قلةٍ في مالي أو أي نوع من أنواع الضر، وكذا إذا أرادني في الآخرة بمكروه فإن هذه الآلهة المعبودة من دونه لن تشفع لي عند الله، وشفاعتها إن شفعت فليست بمقبولة، فضلًا عن كونها جمادات لا تشفع، ولا تستطيع أن تُنقذني مما حلَّ بي ولا أن تشفيني من مرض، ولا ترد إليَّ عافيتي بعد ابتلائي، إني إذا عبدتهم فقد حكمت على نفسي أنني اخترت طريقًا غير صائب وغير موفق وغير مقربٍ من الله ﷻ.

إني إن عبدتهم فقد حكمت على نفسي بالضلال، من رآني علم أنني ضآل بعبادتي لهذه الأوثان والأصنام، ثم جهر بكلمة الحق قائلًا: (إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾) قال ذلك للجميع، قاله لقومه ولم يُبال بهم، وقال ذلك للمرسلين مستشهدًا إياهم على مقولته لها مؤازرًا لهم، متقربًا بكلمته إلى الله.

فماذا كان لما قال مقولة الحق؟!! إنهم قتلوه!!

فهل ضرَّه القتل بشيء؟!! كلا بل أُدخل الجنَّة وأكرمه الله ﷻ بصنوف النعيم، وأنزله كريم المنازل فكان ناصحًا لقومه وللخلق حيًّا وميتًا، فقال: (يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾) إن ربي قد غفر لي ذنوبي وأكرمني فيا ليت قومي يعلمون هذا حتى يؤمنوا فينالوا مثل ما نلت، سبحان الله! فهذا الرجل يتمنى لقومه أن يؤمنوا، وإن كانوا قد قتلوه، لكنه لا يتمنى لهم النار بل يتمنى مع كونهم قتلوه فسيح الجنات بإيمانهم

(٤٦) أحمر
أسود

بالله. أما عن قومه الذين قتلوه فلم يقدر الله لهم إيمانًا ولم يشأ سبحانه بل أخذتهم جميعًا صيحةٌ واحدة فإذا هم ميتون، كان أمرهم أحقر من أن تنزل عليهم ملائكة من السماء بل أخذتهم صيحة واحدة فأهلكتهم وأماتتهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمنًا، وكان اسمه فيما ذُكر «حبيب بن مري».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ قال: ذكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم، أقبل إليهم. وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به.

وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاؤوا به أجرًا؟ فقالت الرسل: لا؛ فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسل- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾.

(٤٧) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾) يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا الرجل المؤمن: (وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي) أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني(وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾) يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعًا، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده.

وقوله: (ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً) يقول: أأعبد من دون الله آلهة، يعني: معبودًا سواه (إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ) يقول: إذ مسني الرحمن بضرٍّ وشدة (لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا) يقول: لا تغني عني شيئًا بكونها إلي شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني (وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾) يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني.

وقوله: (إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها (إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق.

وقوله: (إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾) فاختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله.

وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأني قد آمنت بكم واتبعتكم؛ فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجموه بالحجارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾)

(٤٨) أحمر
أسود

هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقعصوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات.

وقال في تأويل قوله تعالى: (قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧).

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه: (ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ) فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ) فلما دخلها (قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧) قال: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، ولا تلقاه غاشًّا، فلما عاين من كرامة الله (قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩).

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم (مِنۢ بَعۡدِهِۦ) يعني: من بعد مهلكه (مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ).

(٤٩) أحمر
أسود

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه، فقال بعضهم: عني بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة، ولا بعث إليهم نبيًّا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨) قال: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩).

وقال آخرون: بل عني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

قال الطبري $:

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

وقوله: (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩) يقول: ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ) نصبًا على التأويل الذي ذكرت، وأن في كانت مضمرًا وذكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه (**إلا صيحةٌ واحدةٌ**) رفعًا على أنها مرفوعة بكان، ولا مضمر في كان.

والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لإجماع الحجة على

(٥٠) أحمر
أسود

ذلك، وعلى أن في كانت مضمرًا.

وقوله: (فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾) يقول: فإذا هم هالكون.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا عطاءً ولا منعًا، ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾): يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، (ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا) أي: على إبلاغ الرسالة، (وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾) فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له.

(وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى) أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

(ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً)؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، (إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾) أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه، لا يملكون من الأمر شيئًا. فإن الله لو أرادني بسوء، (فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ) [يونس: ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، (إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) أي: إن اتخذتها آلهة من

(٥١) أحمر
أسود

دون الله.

وقوله: (إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥): قال ابن إسحاق[(١)] -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب-يقول لقومه: (إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ) الذي كفرتم به، (فَٱسۡمَعُونِ ٢٥) أي: فاسمعوا قولي.

ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: (إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ) أي: الذي أرسلكم، (فَٱسۡمَعُونِ ٢٥) أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني آمنت بربكم واتبعتكم.

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم.

وأورد الحافظ ابن كثير $ أقوالًا وآثارًا منها أثر مرسلٌ عزاه لابن أبي حاتم من طريق عبد الملك -يعني: ابن عمير-قال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي □: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام. فقال رسول الله □: «**إني أخاف أن يقتلوك**». فقال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فقال له رسول الله □: «**انطلق**». فانطلق فمرَّ على اللات والعزى، فقال: لأصبحَنَّك غدًا بما يسوؤك. فغضبت ثقيف، فقال: يا معشر ثقيف، إن اللات لا لات، وإن العُزى لا عُزى، أسلِموا تسلَموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكْحَله فقتله، فبلغ رسولَ الله □ فقال: «**هذا مثله كمثل صاحب يس** (قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧)».

---

(١) هذا ضعيف عن ابن عباس.

(٥٢) أحمر
أسود

وآثارًا أخر أوردها ابن كثير فيها مقال أعرضت عنها.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨): يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، فيما رواه ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عنه أنه قال في قوله: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨) أي: ما كاثرناهم بالجموع. الأمر كان أيسر علينا من ذلك، (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩) قال: فأهلك الله ذلك الملك، وأهلك أهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

وقيل: (وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨) أي: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عقابًا يدمرهم.

وقيل: المعنى في قوله: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) أي: من رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩).

قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جندًا.

قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل ﷺ فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد.

وقال القرطبي $:

(٥٣) أحمر
أسود

وفي هذه الآية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ والحِلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، إلا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله: (۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨) أي: ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبيٍّ بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن. قال الحسن: الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء وقيل: الجند العساكر، أي: لم أحتج في هلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل أهلكهم بصيحة واحدة، قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله: (وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨) تصغير لأمرهم أي: أهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل أو من بعد رفعه إلى السماء.

❁ ❁ ❁

(٥٤) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا
قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢
وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا
فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا
عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ
ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ
قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا
ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنقَذُونَ ٤٣ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤) [يس: ٣٠-٤٤]

(٥٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ -يَسۡتَهۡزِءُونَ -لَا يَرۡجِعُونَ -لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ -ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ - ٱلۡأَزۡوَٰجَ - وَءَايَةٌ لَّهُمۡ -نَسۡلَخُ مِنۡهُ -مُّظۡلِمُونَ -لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ -كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ - يَسۡبَحُونَ -ذُرِّيَّتَهُمۡ -ٱلۡفُلۡكِ -ٱلۡمَشۡحُونِ -فَلَا صَرِيخَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ)	يا ندمًا من العباد على ما فعلوه - يا ويلًا للعباد - يا دعوة العباد على أنفسهم بالحسرة (وهي الانقطاع عن الخير).
(يَسۡتَهۡزِءُونَ)	يسخرون
(لَا يَرۡجِعُونَ)	لا يرجعون أحياء بعد الموت
(لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ)	عندنا مجموعون (يوم القيامة)
(ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ)	الأرض التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر
(ٱلۡأَزۡوَٰجَ)	الأصناف، والذكران والإناث
(وَءَايَةٌ لَّهُمۡ)	ودليلٌ لهم (على قدرتنا ووحدانيتنا)
(نَسۡلَخُ مِنۡهُ)	تُنزع عنه - نُخرج منه
(مُّظۡلِمُونَ)	داخلون في الظلام
(لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ)	لموضع قرارها - لمكان تستقر فيه (وهو تحت العرش)
(كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ)	كعذق النخل اليابس المنحني

(٥٦) أحمر
أسود

(يَسۡبَحُونَ)	يجرون
(ذُرِّيَّتَهُمۡ)	قيل آباءهم، وقيل: ذرية آدم ﷺ، (وثمَّ أقوال أخر)
(ٱلۡفُلۡكِ)	السفينة العظيمة
(ٱلۡمَشۡحُونِ)	الممتلئ
(فَلَا صَرِيخَ)	مُنقذ - مغيث - من يسمع صريخهم فيجيبهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا حسرة ستحل بالعباد الكافرين يوم القيامة، ويا عظيم الندم الذي سيحل بهم يوم القيامة، لكونهم كذبوا الرسل في الدنيا، فكلما جاءهم رسولٌ في الدنيا سخروا منه واستهزءوا به.

ويا عظيم التلهف الذي سيصدر منهم، فإنهم يتمنون أن لو كانوا أطاعوا الرسل، ويتلهفون للخروج من النار.

وكأن النداء في قوله: (يَٰحَسۡرَةً) أي: يا حسرةً تعالي وحلِّي بالعباد يوم القيامة فهذا أوانك وأوان حضورك، يا عظيم الندم تعال فهذا مقامك وهذا أوانك، ويمكن أن يؤخذ المعنى اللُّغوي للتحسر من الانحسار ومن معانيه الانقطاع، وعدم الوصول إلى المراد، فيكون المعنى يا عظيم انقطاع هؤلاء عن الخير يوم القيامة بسبب تكذيبهم للرسل، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: يا حسرة من العباد على أنفسها وتندمًا وتلهفًا في

(٥٧) أحمر
أسود

استهزائهم برسل الله (مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ) من الله (إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾) وذكر أن ذلك في بعض القراءات **(ياحسرة العباد على أنفسها)**.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن: (يَٰحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: **(ياحسرة العباد على أنفسها)**.

*** وبإسناد ضعيف عن ابن عباس:** يا ويلًا للعباد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم.

(مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾) أي: يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ألم ير هؤلاء الكفار المكذبون للرسل المعاندون للحق كم أهلكنا قبلهم من القرون الكافرة فتلك مساكنهم ظاهرة وبادية قد خربت ودمرت وسقطت سقوفها على جدرانها المائلة المتهدمة، وها هي أخبارهم قد وصلتهم.

ثم إن هؤلاء الذين أفناهم الله وأبادهم، لا يستطيعون رجوعًا إلى الحياة الدنيا لإصلاح ما أفسدوا، ولعمل صالحٍ بعد فساد العمل، ولإيمان بعد

(٥٨) أحمر
أسود

كفرٍ، لا يستطيعون ذلك بحالٍ، فهلَّا اعتبر هؤلاء المكذبون؟! هلَّا اعتبروا بالموت الذي يحول بينهم وبين الاستدراك والاستعتاب؟؟ ثم إن الجميع، من مات وهلك، ومن هو حي وسيموت، كلٌّ هؤلاء سيحضرون يوم القيامة ويجمعون ويقضي الله ﷻ فيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد: كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) يقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير.

ثم قال الطبري $:

و(كَمْ) من قوله: (كَمْ أَهْلَكْنَا) في موضع نصب إن شئت بوقوع **(يروا)** عليها. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(ألم يروا من أهلكنا)** وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها؛ وأما (أَنَّهُمْ)، فإن الألف منها فتحت بوقوع **(يروا)** عليها. وذُكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها، وترك إعمال يروا فيها.

وقوله: (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾) يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون.

قال ابن كثير $ في قوله تعالى: ثم قال تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم

(٥٩) أحمر
أسود

مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) أي: ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفَجَرتهم من قولهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) [المؤمنون: ٣٧]، وهم القائلون بالدور من الدهرية، وهم الذين يعتقدون جهلًا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردَّ الله تعالى عليهم باطلهم، فقال: (أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾).

وقوله: (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾) أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله ﷻ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: (وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ) [هود: ١١١].

وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف؛ فمنهم مَنْ قرأ: **(وَإن كل لَمَا)** بالتخفيف، فعنده أن **(إن)** للإثبات، ومنهم مَنْ شدد (لَمَّا)، وجعل **(إن)** نافية، و(لَمَّا) بمعنى (إلَّا) تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض الاستدلالات على البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ودلالة للخلق على وحدانيتنا وقدرتنا على إحياء الخلق بعد موتهم، هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها ولا زرع

(٦٠) أحمر
أسود

ولا ثمر، فأحييناها بالغيث الذي أنزلناه من السماء فأنبتنا فيها النباتات وأخرجنا منها الثمار، وكذا السنابل وغيرها التي منها الحبوب فمنها يأكلون، وكذا جعلنا بما أنزلناه من السماء من ماء حدائق وبساتين عظيمة من نخيل وأعناب وكذلك فجرنا في الأرض وفي البساتين والحدائق تلك العيون التي تضخ الماء.

كل ذلك خلقناه لهم وجعلناه لهم ليأكلوا من ثمار النخيل والأعناب وغيرها من الثمار التي أثمرها الله لهم، وتلك التي زرعوها بأيديهم وغرسوها بأيديهم فأنبتها الله لهم.

أفلا يقدمون لذلك شكرًا لله، شكرًا متمثلًا في توحيده وإفراده بالعبادة، شكرًا متمثلًا في الإحسان إلى الخلق وشكر الخالق وحمده.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه مَنْ مات مِنْ خلقه وإعادته بعد فنائه، كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجه منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا

(٦١) أحمر
أسود

يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾).

يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و(ما) التي في قوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) في موضع خفض عطفًا على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت؛ وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: **(ومما عملته)** بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءتنا مضمرة؛ لأن العرب تضمرها أحيانًا، وتظهرها في صلات: من، وما، والذي. ولو قيل: (ما) بمعنى المصدر كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم، ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضًا مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾) يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) أي: دلالة لهم على وجود الصانع[(١)] وقدرته التامة وإحيائه الموتى (ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ) أي: إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: (أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾) أي: جعلناه رزقًا لهم ولأنعامهم، (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾) أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره.

---

(١) يكثر البعض من استعمال اسم الصانع، ولم أره في آية ولا في حديث صحيح.

(٦٢) أحمر
أسود

لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: (وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ) أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس وقتادة؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥)؟ أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟ واختار ابن جرير -بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالًا- أن (ما) في قوله: (وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ) بمعنى: (الذي)، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال: وهي كذلك في قراءة ابن مسعود: **(ليَأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون)**.

قلت (مصطفى): وفي قوله تعالى: (وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ) قولان:

أحدهما: مبني على أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي، وهو المعنى الذي قدمناه.

والثاني: أن (ما) نافية، أي: ليأكلوا من ثمره وما صنعته أيديهم، أي: ولم تصنعه أيديهم، وما كانوا يستطيعون أن يفعلوه إلا بإذن الله ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ) [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

قال القرطبي $:

لا موضع لها فلا تحتاج إلى صلة ولا راجع أي: ولم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل وقال غيرهم: المعنى ومن الذي عملته أيديهم أي: من الثمار ومن أصناف

(٦٣) أحمر
أسود

الحلاوات والأطعمة ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل: يرجع ذلك إلى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن عباس أيضًا (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾) نعمه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى -والله أعلم -: تنزَّه ربنا وخالقنا وإلهنا عما يصفه به الواصفون المشركون، وتنزه ربنا عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد، تنزه عن أن يكون له شريك في الملك، تنزه عن كل نقص وعيب تنزه ربنا وخالقنا وإلهنا الذي خلق الأصناف كلها الذي خلق كل صنف، وكل ذكر وأنثى مما تنبته الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمونه أيضًا، فقد خلق ما يعلمه عبيده، وما لا يعلمون كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: تنزيهًا وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكورًا وإناثًا، ومما لا يعلمون أيضًا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجًا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ) أي: من زروع وثمار ونبات. (وَمِنْ أَنفُسِهِمْ) فجعلهم ذكرًا وأنثى، (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) أي:

(٦٤) أحمر
أسود

من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾) [الذاريات: ٤٩].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار؛ إذ عبدوا غيره مع ما رأوه من نعمه وآثار قدرته وفيه تقدير الأمر أي: سبحوه ونزهوه عما لا يليق به، وقيل: فيه معنى التعجب أي: عجبًا لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله! والأزواج والأنواع والأصناف فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة: يعني الذكر والأنثى (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) يعني: من النبات لأنه أصناف (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) يعني: وخلق منهم أولادًا أزواجًا ذكورًا وإناثًا (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) أي: من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض، ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملائكة ويجوز ألا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال في هذه الآية أنه إذا انفرد بالخلق فلا ينبغي أن يشرك به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وعلامة لهم ودليلٌ لهم على قدرتنا ووحدانيتنا هذا الليل الذي يرونه وجعلناه لهم سكنًا، ننزع عنه النهار ونخرج منه النهار فيبقى ليلًا مُظلمًا سكنًا هادئًا، فإذا هم داخلون في

(٦٥) أحمر
أسود

الظلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا على قدرة الله على فعل كل ما شاء (ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى (مِنۡهُ) في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا) [الأعراف: ١٧٥] أي: خرج منها وتركها، فكذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله: (فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧) يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧) قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي، من معنى سلخ النهار من الليل، بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء؛ لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار، ولا كل النهار في كل الليل.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا) [الأعراف: ٥٤]؛ ولهذا قال ٥ هاهنا: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) أي: نصرمه منه

(٦٦) أحمر
أسود

فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) كما جاء في الحديث: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم**».

هذا هو الظاهر من الآية.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ) أي: وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلاهيته، والسلخ: الكشط والنزع يقال: سلخه الله من دينه، ثم تستعمل بمعنى الإخراج وقد جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وظهور المسلوخ فهي استعارة و(مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) داخلون في الظلام يقال: أظلمنا أي: دخلنا في ظلام الليل وأظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا وقيل: (مِنْهُ) بمعنى: عنه، والمعنى: نسلخ عنه ضياء النهار (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) أي: في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم.

قال السعدي $:

أي: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. (ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ) أي: نزيل منه الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ما ورد عن النبي □ عند

(٦٧) أحمر
أسود

البخاري[١] وغيره من حديث أبي ذر ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾»».

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضًا: عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾، قال: «**مستقرها تحت العرش**».

وفي رواية[٢] أيضًا:

عن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «**يا أبا ذر؛ تدري أين تذهب الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها ﷻ، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت. فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرها، ثم قرأ:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾».

فالحاصل - والله أعلم - أن الشمس تجري كل يوم حتى تستقر تحت العرش وتستأذن ربها للطلوع فيؤذن لها - على ما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وهذا كله بتقدير الله ﷻ العزيز الذي لا يُمانع من شيء أراده، العزيز كذلك في انتقامه من أعدائه، العليم بكل شيء.

قال الطبري ﷺ:

---

(١) البخاري (٤٨٠٣).
(٢) انظر البخاري (٣١٩٩)، واللفظ لأحمد (١٥٢/٥).

(٦٨) أحمر
أسود

وقوله: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ) يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله □ (١).

وأورد خبر أبي ذر الذي ذكرناه عن رسول الله □ ثم قال $.

وقوله: (ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨) يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقرّ لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفى عليه خافية.

وأورد ابن كثير قول آخر فقال:

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: (لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ) أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه.

وقال ابن كثير أيضًا:

(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ) أي: الذي لا يخالَف ولا يُمانَع، (ٱلۡعَلِيمِ ٣٨) بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقَنَّنَه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى: (فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦) [الأنعام: ٩٦]. وهكذا ختم آية (حم) السجدة بقوله: (ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢) [فصلت: ١٢].

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس،

---

(١) قلت: ولا قول لأحدٍ مع قول رسول الله □.

(٦٩) أحمر
أسود

فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ) أي: دائمًا تجري لمستقر لها، قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. (ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ) الذي بعزته دَبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. (ٱلۡعَلِيمِ ٣٨) الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وجعلنا للقمر منازل ينزلها كل ليلة فيتناقص بعد تمامه واستوائه تدريجيًّا حتى يكون في آخر الشهر كعذق النخلة المتيبس المنحني.

قال ابن كثير $:

ثم قال: (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ) أي: جعلناه يسير سيرًا آخر يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، كما قال تعالى: (۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ) [البقرة: ١٨٩]، وقال: (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ) الآية [يونس: ٥]، وقال: (وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا) [الإسراء: ١٢]، فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد،

(٧٠) أحمر
أسود

ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري. وأما القمر، فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبسًا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم.

قال ابن عباس: وهو أصل العِذْق.

وقال مجاهد: العرجون القديم: أي العذق اليابس.

يعني ابن عباس: أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى، وكذا قال غيرهما. ثم بعد هذا يبديه الله جديدًا في أول الشهر الآخر.

وقال الطبري $:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ) فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين: **(والقمر)** رفعًا عطفًا بها على الشمس؛ إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضًا الشمس في الإعراب؛ لأنه أيضًا من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمر قدرناه منازل. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين، وعامة قراء الكوفة نصبًا (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ) بمعنى: وقدرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردوه على الهاء من الشمس في المعنى؛ لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، فتأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا

(٧١) أحمر
أسود

القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم؛ والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جلَّ ثناوه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس؛ لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسًا منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويًّا معتدلًا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

قال السعدي $:

(وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ) ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، (حَتَّىٰ) صَغُرَ جدًّا، فيعود (كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾) أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نشَّ وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئًا فشيئًا، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا الشمس تستطيع أن تدخل في الليل وتذهب بضياء القمر، وكذا لا يستطيع الليل أن يجري بسرعة ويسبق النهار بل كلٌّ يلحق بالآخر ليس بينهما مدة، فإذا ذهب هذا جاء هذا كما قال: (يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤]، فمعنى: ولا الليل سابق النهار أي: ليس يسبقه بمدة زمنية ويتخلف النهار عن إدراكه ويكون بينهما

(٧٢) أحمر
أسود

فاصل زمني، فكل هذا لا يحدث، بل كلٌّ يجري في مجراه ويتتبع الآخر.

قال الطبري $:

وقوله: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ) يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ) يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ) ولكل حدٌّ وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا.

وقال $:

وقوله: (وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠) يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ): قال مجاهد: لكل منهما حدٌّ لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقوله: (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ): يقول: لا ينبغي إذا كان الليلُ أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال مجاهد: (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ) يطلبان حثيثين، ينسلخ أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب

(٧٣) أحمر
أسود

الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبًا حثيثًا.

وقوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾) يعني: الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي: يدورون في فلك السماء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم-: ودلالة لهم، وعلامة لهم على قدرتنا ووحدانيتنا وفَضْلِنا عليهم وإنعامنا، أننا حملنا ذرية أبيهم آدم ﷺ مع نوحٍ ﷺ في السفينة العظيمة التي حملت من كل زوجين اثنين، وقيل: إن المراد بالذرية الآباء والأجداد، أي: آباء المخاطبين وأجدادهم، وسيأتي لها مزيد إن شاء الله.

أما قوله تعالى: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) فالمراد وخلقنا لهم من مثل هذه الباخرة العظيمة التي حُمل فيها نوح ﷺ ومن معه بواخر وسفنًا مثلها وإن اختلفت أحجامها كي يركبوا فيها.

فقوله: (مِّن مِّثْلِهِۦ) أي: من مثل هذه البواخر والسفن بواخرَ وسفنًا.

وقال البعض: إن المراد بقوله: (مِّن مِّثْلِهِۦ) أي: الإبل ونحوها التي يحملون عليها.

والقول الأول أولى؛ لأن الله قال بعدها: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) فدلَّ ذلك على أنها السفن.

أما قوله: (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أي: فلا أحد يسمع قولهم وصراخهم فينقذهم،

(٧٤) أحمر
أسود

أي: فلا مُنقذ لهم ولا مُغيث لهم، ولكن برحمتنا حملناهم في الفلك كما حملنا آباءهم، ومتعناهم إلى حين انتهاء آجالهم، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني: من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عني جلَّ ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر.

وأورد الطبري عدة أسانيد تفيد أن المشحون هو الموقر الممتلئ، وأن المراد بالفلك سفينة نوح غ، وأورد الطبري قول ابن زيد بإسناد صحيح عنه.

قال ابن زيد في قوله: (ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) قال: الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون: الذي قد شحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ وربما لم يمتلئ.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلًا منَّا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: (مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) فقال بعضهم: هي السفن.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: (مِّن مِّثْلِهِۦ) حاصلها قولان:

(٧٥) أحمر
أسود

أحدهما: السفن التي ينتفع بها.

والثاني: الإبل.

قال الطبري $:

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

وقوله: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) يقول: فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يغيثهم، فينجيهم من الغرق.

وقوله: (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾) يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه.

وقوله: (وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾) يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم ينقذون، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ودلالة لهم أيضًا على قدرته تعالى: تسخيره البحر ليحمل السفن، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح غ التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم؛ ولهذا قال: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) أي: آباءهم، (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين.

جنح ابن كثير إلى أن المراد بقوله: (مِّن مِّثْلِهِ) السفن، فقال بعد إيراد

(٧٦) أحمر
أسود

قول من قال إنها السفن:

ويُقَوِّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ **[الحاقة:١١-١٢]**.

وقوله: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) يعني: الذين في السفن، (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه، (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾) أي: مما أصابهم. (إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا) وهذا استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونُسَلِّمكم إلى أجل مسمى؛ ولهذا قال: (وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾) أي: إلى وقت معلوم عند الله.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ...) والمحمول هم الآباء الذين كانوا مع نوحٍ ؑ؟

ج: من أهل العلم من قال: إن المراد بالذرية ذرية آدم ومنهم من قال: أراد بالذرية الآباء، وهناك أقوالٌ أُخر.

قال القرطبي $:

(أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) من أشكل ما في السورة لأنهم هم المحمولون فقيل: المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية (فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي بن سليمان أنه سمعه يقوله وقيل: الضميران جميعًا لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول: سفينة نوح، وعلى الثاني: يكون اسمًا للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية

(٧٧) أحمر
أسود

والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية الآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح ﷺ فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان وسمي الآباء ذرية لأن منهم ذرأ الأبناء وقول رابع: إن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهًا بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب ﷺ ذكره الماوردي.

قال السعدي $:

أي: ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المعبود؛ لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(وَخَلَقْنَا لَهُم) أي: للموجودين من بعدهم (مِّن مِّثْلِهِۦ) أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه (مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن؛ لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإبهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم؛ لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرًا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) الإبل، التي

(٧٨) أحمر
أسود

هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضًا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والبخارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق.

ولهذا نبههم على نعمته عليهم؛ حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾) مما هم فيه.

(٧٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٨٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم
مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ
أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾
مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ
جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ
وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا
يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٥٩﴾ ﴾

[يس: ٤٥-٥٩]

(٨١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(ٱتَّقُواْ -مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ -وَمَا خَلۡفَكُمۡ -ءَايَةٌ -صَيۡحَةً وَٰحِدَةً - ٱلۡوَعۡدُ -يَخِصِّمُونَ -تَوۡصِيَةً -ٱلصُّورِ -ٱلۡأَجۡدَاثِ -يَنسِلُونَ -شُغُلٍ -فَٰكِهُونَ -ظِلَٰلٍ -ٱلۡأَرَآئِكِ -مُتَّكِـُٔونَ -مَا يَدَّعُونَ - سَلَٰمٌ قَوۡلًا - وَٱمۡتَٰزُواْ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱتَّقُواْ)	احذروا - اجعلوا وقاية بينكم وبين العذاب
(مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ)	العقوبات التي حلّت بالأمم من قبلكم
(وَمَا خَلۡفَكُمۡ)	والعقوبات التي ستحل بمن كذبوا يوم القيامة (وقيل العكس)
(ءَايَةٌ)	دلالة على وحدانيتنا - معجزة
(صَيۡحَةً وَٰحِدَةً)	النفخة في الصور (النفخة الأولى)
(ٱلۡوَعۡدُ)	ما وعدتمونا من العذاب ومن قيام الساعة
(يَخِصِّمُونَ)	يتخاصمون بينهم في أمور الدنيا يجادلون في يوم القيامة (أيقع أم لا يقع) يغلب بعضهم بعضًا في الخصومة
(تَوۡصِيَةً)	كتاب وصية - إخبار بوصية (إخبار بما يريدونه أن يقع بعد الوفاة)
(ٱلصُّورِ)	قرنٌ يُنفخ فيه
(ٱلۡأَجۡدَاثِ)	القبور
(يَنسِلُونَ)	يخرجون مسرعين - يُسرعون

(٨٢) أحمر
أسود

(شُغُلٍ)	انشغال وعملٌ (انشغال عما فيه أهل النار) وعمل يتلذذون به من طعام لذيذ واستمتاع بالنساء وافتضاض للأبكار
(فَٰكِهُونَ)	فرحون - معجبون - متلذذون - متفكهون بالكلام وبالطعام وبالتلذذ ونحو ذلك
(ظِلَٰلٍ)	جمع ظل
(ٱلْأَرَآئِكِ)	الأسرَّة في الحجال، والأسرة جمع سرير والحجال: جمع حجلة، وهي أشبه بالناموسية من حيث الوصف العام كالغرفة من حرير تحيط بالسرير
(مُتَّكِـُٔونَ)	جالسون جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على السرير أو على مسند. وقيل: الاتكاء: التربع، وهي جلسة تنمُّ عن راحة البال والهدوء.
(مَا يَدَّعُونَ)	ما يتمنون - ما يطلبون - ما يسألون
(سَلَٰمٌ قَوْلًا)	سلام من الله عليهم يقوله الله قولًا لهم بنفسه ۵. وقيل: (وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ): أي: لكم ما سألتم خالصًا لكم
(وَٱمْتَٰزُوا۟)	تميَّزوا - انفصلوا - انعزلوا - ابتعدوا

❁ ❁ ❁

(٨٣) أحمر
أسود

بيان عناد الكفار وشقاقهم ومخالفتهم للرسل

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا قيل لأهل الشرك بالله والتكذيب لرسله احذروا النقم والعقوبات التي حلَّت بالأمم التي كانت من قبلكم احذروا أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، واحذروا الذنوب التي تسبب لكم مثل تلك النقم، وتسبب تلك العقوبات لعل الله أن يرحمكم بتقواكم ويصرف عنكم العذاب، وكذا احذروا عذاب الآخرة.

إذا قيل لهم ذلك أعرضوا واستمروا معرضين فكلما جاءتهم آيةٌ من الآيات الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا وانتقامنا ممن خالفوا أمرنا وكذبوا رسلنا أعرضوا عنها وانصرفوا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمدًا □: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله. (وَمَا خَلۡفَكُمۡ) يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه (لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾) يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ): وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة.

(٨٤) أحمر
أسود

وقولـه: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) يقول تعالى ذكره: وما تجيء هؤلاء المشركين من قريش آية -يعني: حجة من حجج الله- وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها.

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ)؟ قيل: جوابه وجواب قوله: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ...) قوله: (إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾)؛ لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله، فاكتفي بالجواب عن قوله: (ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وعن قوله: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ) بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك؛ لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن تمادي المشركين في غيِّهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس، (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾) أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ) أي: على التوحيد وصدق الرسل (إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) أي: لا يتأملونها ولا ينتفعون بها.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) قال قتادة: يعني: (ٱتَّقُوا۟

(٨٥) أحمر
أسود

مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ) أي: من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم (وَمَاخَلْفَكُمْ) من الآخرة. ابن عباس وابن جبير ومجاهد: (مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما مضى من الذنوب (وَمَاخَلْفَكُمْ) ما يأتي من الذنوب. الحسن: (مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما مضى من أجلكم (وَمَاخَلْفَكُمْ) ما بقي منه وقيل: (مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من الدنيا (وَمَاخَلْفَكُمْ) من عذاب الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من أمر الآخرة وما عملوا لها (وَمَاخَلْفَكُمْ) من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: (مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما ظهر لكم (وَمَاخَلْفَكُمْ) ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا، دليله قوله بعد: (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) فاكتفى بهذا عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وإذا قيل لأهل الكفر والجحود والنكران والتكذيب بوحدانية الله: أنفقوا على الفقراء والمساكين والمحاويج، وكذا ابذلوا من المال الذي رزقكم ما كان جوابهم لأهل الإيمان إلا السخرية والاستهزاء، ما كان جوابهم إلا أن قالوا: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟!! أي: دعوا الفقير فقيرًا، فلو أراد الله له الغنى لأغناه، فقولهم: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، كلمةُ حقٍّ أريد بها باطل، وذلك أنهم استدلوا به على البخل وحرمان الفقراء والمساكين، في الوقت الذي أمرهم فيه بالإنفاق والإحسان للفقراء، فخالفوا الأمر الشرعي الديني الذي أمرهم الله به.

(٨٦) أحمر
أسود

أما قول: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ **ففيه قولان لأهل العلم:**

أحدهما: أنه قول الكفار لأهل الإيمان لما أمروهم بالإنفاق.

الثاني: أنه قول الله ﷻ لأهل الكفر.

وحاصل معناه: إن أنتم إلا في ذهاب عن الحق وبُعد عن الحق مظهرٌ لمن تأمل حالكم أنكم مبتعدين عن الحق منحرفين عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه.

وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال، وهذا أولى وجهيه بتأويله.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذٍ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: وإذا أُمروا بالإنفاق مما رزقهم

الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين (قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمروهم به: (أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ) أي: وهؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، (إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧) أي: في أمركم لنا بذلك.

قال القرطبي $:

وقيل: قالوا هذا تعلقًا بقول المؤمنين لهم: (أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ) [يس: ٤٧] أي: فإذا كان الله رزقنا فهو قادر على أن يرزقكم فلم تلتمسون الرزق منا؟ وكان هذا الاحتجاج باطلًا؛ لأن الله تعالى إذا ملَّك عبدًا مالًا ثم أوجب عليه فيه حقًّا فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله قوله: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا) [الأنعام: ١٤٨] وقوله: (قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۗ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١) [المنافقون: ١] (إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧) قيل: هو من قول الكفار للمؤمنين أي في سؤال المال وفي اتباعكم محمدًا، قال معناه مقاتل وغيره وقيل: هو من قول أصحاب النبي □ لهم وقيل: من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠).

ج: هذا - والله أعلم - بيان لاستهزاء الكفار بالمرسلين، وبيان لتكذيبهم بالبعث، فإنهم إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون،

(٨٨) أحمر
أسود

وإذا قيل لهم: (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾)، وسيأتي يوم القيامة، يظهر فيه خطؤكم ويظهر فيه صدق ما جاءتكم به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصدق ما جاء في الكتب المنزلة من عند الله، قالوا مستنكرين مستبعدين مستهزئين: متى يتحقق هذا الوعد؟! متى تقوم الساعة؟! أرونا هذا اليوم، أرونا هذا العذاب.

فيقول تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) وحاصل معناه - والعلم عند الله - ما ينتظر هؤلاء حتى يؤمنوا إلا الصيحة الواحدة، وهي نفخة الصور الأولى نفخة الفزع، فحينئذٍ يؤمنوا، ولن ينفعهم إيمانهم آنذاك، إن هذه الصيحة تأخذهم وهم في خصومات فيما بينهم في أمور الدنيا، تأخذوهم أيضًا وهم يتجادلون في الساعة وينكرونها، تأخذهم وبعضهم يخصم بعضًا بالحجة، تأخذهم فجأة وبغتةً فلا يستطيع أحدهم أن يوصي بالذي يُوصى فيه، ولا يستطيع عندها أحدٌ أن يرجع إلى أهله فقد قضي الأمر، وحيل بين أقوامٍ وبين ما يشتهون.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

في تأويل قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾).

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ) أي: الوعد بقيام الساعة (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾) أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ

(٨٩) أحمر
أسود

﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾).

يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي المغيرة القواس، عن عبد الله بن عمرو، قال: لينفخن في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً...) الآية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «**تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون**».

وقال $:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة: (**وهم يخصمون**) بسكون الخاء وتشديد الصاد، فجمع بين الساكنين، بمعنى: يختصمون، ثم أدغم التاء في الصاد فجعلها صادًا مشددة، وترك الخاء على سكونها في الأصل. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: (**وهم يخصمون**) بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى: يختصمون، غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التي في يفتعلون إلى

(٩٠) أحمر
أسود

الخاء منها، فحركوها بتحريكها، وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة: (يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) بكسر الخاء وتشديد الصاد، فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك آخرون منهم: **(يخصمون)** بسكون الخاء وتخفيف الصاد، بمعنى: (يفعلون) من الخصومة، وكأن معنى قارئ ذلك كذلك: كأنهم يتكلمون، أو يكون معناه عنده: كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفات في قراء الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) يقول تعالى ذكره: فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدًا (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجًا عن أهله أن يرجع إليهم؛ لأنهم لا يمهلون بذلك. ولكن يعجلون بالهلاك.

قال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ)؟ (يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) [الشورى: ١٨]، قال الله تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه- والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك؛ إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطَوِّلُها ويَمُدُّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا - وهي صفحة العنق -

(٩١) أحمر
أسود

يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ ولهذا قال: (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾).

وقد وردت هاهنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث.

وقال القرطبي $:

(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي: لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضًا لما في يده من حق وقيل: لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضًا بالتوبة والإقلاع بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) إذا ماتوا وقيل: إن معنى (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) لا يرجعون إليهم قولًا، وقال قتادة: (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) أي: إلى منازلهم لأنهم قد أعجلوا عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾).

ج: هذا بعض البيان لما يحدث يوم القيامة ينفخ إسرافيل ﷺ في الصور، وهو قرن يُنفخ فيه، وقد قيل إن هذه النفخة هي الثانية (على رأي من قال إنهما نفختان فقط)، وقد قيل: إنها نفخة ثالثة (على رأي من قال إنها ثلاث نفخات).

وعلى كلٍّ فهي نفخة البعث من القبور، ينفخها إسرافيل ﷺ، فإذا بالخلق

(٩٢) أحمر
أسود

قد اجتمعت عظامهم المتفرقة وأشلاؤهم المتمزقة، وإذا بالحياة تدب فيهم بعد الممات، وبعد طول رقود، فإذا هم من القبور يخرجون إلى ربهم مسرعين كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣].

وهنا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون مسرعين، فعندها يقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقد قال بعض أهل العلم: إنهم ينامون نومة بين النفختين.

وقال آخرون: إنما أرادوا بقولهم من مرقدنا من نومتنا التي نمناها بعد إذ قُبضنا في الحياة الدنيا ومتنا فيها.

أما قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فلأهل العلم في قائله أقوال:

أحدها: أنه قول أهل الإيمان يجيبون به الكفار، فإذا قال الكفار: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، أجابهم أهل الإيمان بقولهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

والثاني: أنه قول الملائكة، هي التي أجابت أهل الكفر.

والثالث: أنه قول الكفار أنفسهم بعضهم لبعض، وجوابًا منهم لأنفسهم.

أما عن معنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فحاصل معناه هذا الذي وعدكم الرحمن به، فقد وعدكم أنكم ستبعثون، فلما سألتم متى هذا الوعد؛ فها هو الوعد قد تحقق وصدق المرسلون فيما أخبروا به عن الله ﷻ. أما قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فحاصل معناه: أن أمر بعثكم ما شقَّ علينا ولا أرهقنا فما كان بعثكم من قبوركم إلا بنفخةٍ واحدة نفخها الملك الموكل بالنفخ في الصور

(٩٣) أحمر
أسود

فإذا جميع بني آدم، وجميع الخلق عند الله ﷻ محضرون يوم القيامة، ففي هذا اليوم لا تُبخس نفس شيئًا من حقها، ولا تجزي إلا بما عملت.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

ويعني بهذه النفخة: نفخة البعث.

وقوله: (فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ) يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها جدث.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ) أي: من القبور.

وقوله: (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾) يقول: إلى ربهم يخرجون سراعًا، والنسلان: الإسراع في المشي.

قال الطبري:

وقوله: (قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ) يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها (يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ) وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

*** ذكر من قال ذلك:**

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن خيثمة، عن الحسن، عن أبي بن كعب، في قوله: (يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ) قال: ناموا نومة قبل البعث.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ) هذا قول أهل

(٩٤) أحمر
أسود

الضلالة، والرقدة ما بين النفختين.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى اختلاف العلماء في تعيين القائل: (هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾) هل هم الكفار أم المؤمنون، واختار أنه قول أهل الإيمان، فقال:

أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأن الكفار في قيلهم (مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ) دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جُهَّالًا ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك.

وانتصر ابن كثير $ لقول الطبري - كما سيأتي بيانه - إن شاء الله.

قال الطبري:

وقوله: (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾) يقول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور (فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾) يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد. وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم (إِلَّا صَيۡحَةً) بالنصب والرفع فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

في تأويل قوله تعالى: (فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: (فَٱلۡيَوۡمَ) يعني: يوم القيامة (لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا) كذلك ربنا لا يظلم نفسًا شيئًا، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها

(٩٥) أحمر
أسود

إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾) يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور؛ ولهذا قال: (فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾) والنَّسلان هو: المشي السريع، كما قال تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾).

[المعارج: ٤٣]

(قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)؟ يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أُبَيّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين.

فلذلك يقولون: (مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون -قاله غير واحد من السلف-: (هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة.

ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن - والله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: (يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

نقله ابن جرير، واختار الأول، وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في

(٩٦) أحمر
أسود

الصافات: (وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١) [الصافات: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦) [الروم: ٥٥، ٥٦].

وقوله: (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣)، كقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤) [النازعات: ١٣، ١٤]. وقال تعالى: (وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ) [النحل: ٧٧]، وقال: (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢) [الإسراء: ٥٢].

أي: إنما نأمرهم أمرًا واحدًا، فإذا الجميع محضرون، (فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا) أي: من عملها، (وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤).

شبهة ودفعها

س: كيف يُجاب على نفاةِ عذاب القبر إذا استدلوا على قيلهم بقوله تعالى: (قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ)؟

ج: يجاب عليهم، أولًا: بالكم الهائل من الآيات والأحاديث التي أثبتت عذاب القبر، وقد قدمت كثيرًا منها عند تفسير قوله تعالى في شأن قوم فرعون: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ...) [غافر: ٤٦].

وقوله تعالى في شأن قوم نوح: (مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا) [نوح: ٢٥].

وعند قوله تعالى: (أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢) [التكاثر: ١-٢].

ثانيًا: حمل بعض أهل العلم قول الكفار (يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ) على نومةٍ ناموها بين النفختين وقد تقدم القول في هذا.

ثالثًا: وهو ما نقله القرطبي؛ إذ قال: وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا

(٩٧) أحمر
أسود

عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عُذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم.

أقول، ذلك كالذي دخلت في رجله شوكة فآلمته فبات ليلة مُتألمًا، ثم نُشرت رجله بالمنشار، فإنه لن يذكر بعد نشر رجله ما ألمَّ به من أثر الشوكة، فقد أنساه نشر رجله بالمنشار ما كان من أمر الشوكة بلا شك؛ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾).

ج: هذا بيان لبعض النعيم الذي يعيشه أهل الجنة، إنهم في انشغال عما فيه أهل النار، في انشغال بالتلذذ بالحور الحسان، في انشغال باقتصاص العذارى (الأبكار) في انشغال بما هم فيه من صنوف النعيم، معجبون ومتلذذون ومتفكهون وفرحون.

وهم وأزواجهم في ظلال (وهي جمع ظل) قد جلسوا جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على الوسادة التي على السرير، وقيل: إن الاتكاء التربع، لهم في هذه الجنات وتلك الظلال فاكهة من كل صنوف الفاكهة ولهم ما يتمنون ويسألون، ثم إن الله ﷻ يُسلِّم عليهم بنفسه - سبحانه وتعالى- قولًا يقوله بنفسه سلام صادر من ربٍّ رحيم، ربٍّ لم يؤاخذهم بما أسلفوا من دنياهم من المعاصي بل عفا عنهم وتجاوز وتكرَّم، وقد ورد وجهٌ آخر لأهل العلم في تفسير قوله: (سَلَٰمٌ) أنه متعلق بما قبله فالمعنى (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ

(٩٨) أحمر
أسود

﴿٥٧﴾) أي: ما يسألون وما يطلبون خالصٌ لهم قولًا قاله الله ﷻ.

وقيل: ولهم ما يدعون ذا سلام أو سلامة أو سلمًا معنى هذا لا يحسن الوقف على (مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾) ذكره القرطبي.

* وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾) اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جلَّ ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارى.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم في نعمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم في شغل عما فيه أهل النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلَّ ثناؤه: (إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ) وهم أهلها (فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار.

وأورد معانٍ لكلمة فاكهون وقراءتين لها **(فاكهون)** و**(فكهون)**، ومن معانيها أوردها (فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾) فرحون - عجبون - كثير الفواكه - صاحب فاكهة ومن معانى فكهون الفكِه الذي يتفكَّه، ونقل عن بعض أهل العلم بكلام العرب: تقول للرجل الذي يتفكَّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس، إن فلانًا لفكهٌ بأعراض الناس.

ثم قال الطبري $:

ويعني بقوله: (هُمْ) أصحاب الجنة (وَأَزْوَٰجُهُمْ) من أهل الجنة في الجنة

(٩٩) أحمر
أسود

وقال:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: **(في ظلل)** بمعنى: جمع ظلة، كما تجمع الحلة حللًا. وقرأه آخرون: (فِي ظِلَالٍ)؛ وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان:

أحدهما: أن يكون مرادًا به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكِنَّ، فيكون معنى الكلمة حينئذٍ: هم وأزواجهم في كِنٍّ لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا؛ لأنه لا شمس فيها.

والآخر: أن يكون مرادًا به جمع ظلة، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الخلة في الكثرة: الخلال، والقلة: قلال.

وقوله: (عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾) والأرائك: هي الحجال فيها السُّرر والفرش: واحدتها أريكة.

وقوله: (لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ) يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة: (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾) يقول: ولهم فيها ما يتمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: دع علي ما شئت أي: تمن علي ما شئت.

وقوله: (سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾) في رفع سلام وجهان في قول بعض نحويي الكوفة؛ أحدهما: أن يكون خبرًا لما يدعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص. وإذا وجه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذٍ منصوبًا توكيدًا خارجًا من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقًّا، كأنه قيل: قاله قولًا.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: (سَلَٰمٌ) مرفوعًا على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولًا من الله. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله: **(سلامًا قولًا)**

(١٠٠) أحمر
أسود

على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾) ثم نصب سلامًا على التوكيد، بمعنى: مسلمًا قولًا. وكان بعض نحويي البصرة يقول: انتصب قولًا على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولًا. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله: (وَلَهُمْ) فيها (مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾).

وذكر الطبري قوله وما اختاره بما أرى فيه تعارضًا وتضاربًا فأعرضت عن ذِكره ثم قال $: وقوله: (مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾) يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم في الدنيا.

قال السعدي $:

ولهم أيضًا (سَلَامٌ) حاصل لهم (قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾) ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: (قَوْلًا) وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تعالى قدَّر أن يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وانفصلوا يا أهل الإجرام، يا أهل الشرك عن أهل الإيمان وانعزلوا عنهم كما قال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ

(١٠١) أحمر
أسود

يَتَفَرَّقُونَ).

[الروم: ١٤]

وكما قال: (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾) [الروم: ٤٣].

وكما قال: (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ).

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يعني بقوله: (وَٱمْتَٰزُواْ): تميزوا؛ وهي افتعلوا، من ماز يميز، فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازًا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عمّا يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى: يتميزون عن المؤمنين في موقفهم،

كقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) [يونس:٢٨].

وقال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾) [الروم: ١٤]، (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾) [الروم: ٤٣] أي: يصيرون صدْعَين فرقتين، (۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) [الصافات: ٢٢، ٢٣].

❁ ❁ ❁

(١٠٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن
كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾) [يس: ٦٠-٧٠]

(١٠٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ -لَا تَعْبُدُوا -أَضَلَّ -جِبِلًّا - اصْلَوْهَا -نَخْتِمُ -لَطَمَسْنَا -فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ -فَأَنَّى يُبْصِرُونَ - لَمَسَخْنَاهُمْ -عَلَى مَكَانَتِهِمْ -مُضِيًّا - وَلَا يَرْجِعُونَ - نُنَكِّسْهُ -ذِكْرٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)	أوصيكم - آمركم - آخذ عليكم عهدًا
(لَا تَعْبُدُوا)	لا تطيعوا
(أَضَلَّ)	صرف عن الحق
(جِبِلًّا)	خلقًا - أممًا
(اصْلَوْهَا)	ادخلوها مصلين بحرِّها
(نَخْتِمُ)	نطبع
(لَطَمَسْنَا)	لأعميناهم - لذهبنا بأبصارهم
(فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ)	ابتدروا الطريق – اتجهوا إلى الطريق ليسيروا فيه
(فَأَنَّى يُبْصِرُونَ)	من أي وجه يرون
(لَمَسَخْنَاهُمْ)	غيَّرنا حالتهم إلى صور أخر كأحجار ونحوها
(عَلَى مَكَانَتِهِمْ)	في مكانهم - على هيئتهم - في بيوتهم
(مُضِيًّا)	تقدمًا للأمام
(وَلَا يَرْجِعُونَ)	لا يستطيعون تأخرًا ورجوعًا
(نُنَكِّسْهُ)	نرده إلى مثل حال طفولته ضعيف البدن والعقل

(١٠٤) أحمر
أسود

(ذِكْرٌ)	تذكير

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ **).**

ج: معناه - والعلم عند الله - ألم أوصيكم وآمركم وآخذ عليكم العهد يا بني آدم ألا تطيعوا الشيطان وألا تتبعوا خطواته، وألم أُبيِّن لكم يا بني آدم عداوة الشيطان لكم، وأوضح لكم أنه قد أظهر عداوته وأفصح عنها يوم أن أخرج أبويكم من الجنة، وألم أعهد إليكم يا بني آدم وألم آمركم أن تفردوني بالعبادة ولا تشركوا بي شيئًا فإن هذا هو الصراط المستقيم، هو عبادتي وحدي لا شريك لي وترك عبادة الشيطان وطاعته.

لقد أضل الشيطان منكم خلقًا كثيرًا وأغواهم وصرفهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وعن طريق الإيمان إلى طريق الكفر والطغيان، أفلم تكونوا تتفكرون في هذا، فهذه جهنم يا أهل الكفر التي حذرناكم منها ووعدناكم بها إن أنتم أصررتم على البقاء على الكفر وعلى التمسك بالشرك واتباع خطوات الشيطان، هذه جهنم التي وعدناكم بها وكذبتم بها، ادخلوا مصلِّين بحرها وسمومها ادخلوها فاحترقوا بها، ادخلوها ولتحيط بكم من جميع جوانبها، ادخلوها واحترقوا بها بسبب كفركم وعنادكم وشرككم واتباعكم الشيطان وترك عبادة الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

(١٠٥) أحمر
أسود

قال الطبري $:

وقولــه: (۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾) وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه، وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله (إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾) يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسدًا منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه حتى أخرجه وزوجته من الجنة.

وقولــه: (وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾) يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾).

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ): ولقد صَدَّ الشيطان منكم خلقًا كثيرًا عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها.

وقوله: (أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾) يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله. وقوله: (هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾) يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم

(١٠٦) أحمر
أسود

رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار. وقوله: (ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾) يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ يعني باليوم: يوم القيامة (بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾): يقول: بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله تعالى: (۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾): هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: (وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾) أي: قد أمرتكم في الدار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به؛ ولهذا قال: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ)، يقال: «جِبِلا» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «جُبُلا» بضم الجيم والباء، وتخفيف اللام. ومنهم من يسكن الباء. والمراد بذلك الخلق الكثير، قاله مجاهد، والسُّدِّيّ، وقتادة، وسفيان بن عيينة.

وقوله: (أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾) أي: أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعُدُولُكم إلى اتباع الشيطان؟!

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ) العهد هنا بمعنى الوصية أي: ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل (أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) أي: لا تطيعوه في معصيتي، قال الكسائي: لا للنهي (وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ) بكسر النون على

(١٠٧) أحمر
أسود

الأصل ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة (هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾) أي عبادتي دين قويم قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ) أي أغوى (جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ) أي خلقًا كثيرًا قاله مجاهد قتادة: جموعًا كثيرة. الكلبي: أمما كثيرة والمعنى واحد.

وقال القرطبي أيضًا في قوله تعالى: (أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾) عداوته وتعلموا أن الواجب طاعة الله، (هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ) أي تقول لهم خزنة جهنم هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها.

❁ ❁ ❁

شهادة الجوارح على أصحابها

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾).

ج: حاصل معنى الآية الكريمة أن جوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما عمل، وذلك أن الإنسان الكافر يطلب يوم القيامة ألا يشهد عليه إلا نفسه فيختم على فِيهِ، أي: يطبع على فمه ويُغلق وتنطق سائر الأعضاء كما أفاده الحديث عن رسول الله □.

وقد قدمت شيئًا من ذلك في آيات سورة النور: (يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾) [النور: ٢٤].

وآيات سورة فصلت: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾...) [فصلت: ٢٠، ٢١].

وفي سورة البلد: (أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا

(١٠٨) أحمر
أسود

وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾...) [البلد: ٧-٩].

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ فقد قدمناها أيضًا هنالك، ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ؓ(١) قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك.

فقال: «**هل تدرون مما أضحك؟**».

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل**».

وعبد الرزاق في مصنفه، وكذا غيره بسندٍ حسن من طريق بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**إنكم تُدعَون مُفَدّمة أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه**»(٢).

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: (ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ): اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة (وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم) قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليسرى (بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾) في الدنيا من الآثام.

وأورد الطبري بإسناد صحيح إلى يونس بن عبيد، عن حميد بن هلال،

---

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) عبد الرزاق في المصنف، وأحمد (٣/٥) وغيرهما.

(١٠٩) أحمر
أسود

قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول أي: رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى (١)، ثم تلا (ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ولو نشاء لعاقبناهم في الدنيا بعقوبةٍ عاجلة فأعميناهم فيها وسلبنا منهم الأبصار فجاءوا يبتدرون الطريق للمشي فيه فلم يستطيعوا المشي وقد سُلبت أبصارهم، فمن أي وجه يبصرون الطريق الذي يريدونه ويريدون سلوكه.

---

(١) كذا قال أبو موسى، وهناك أخبار مرفوعة إلى رسول الله ﷺ تفيد أنها فخذ الرجل اليسرى (انظر مسند أحمد ١٥١/٤).

(١١٠) أحمر
أسود

الثاني: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وأعميناهم عن الحق والصواب، فمن أي وجه يرون الحق ومن أي وجه تأتيهم الهداية وقد أضللناهم.

وهذا الوجه استبعده الطبري بما حاصله أنهم ضالون عن الهدى، فكيف يُقال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... ويراد به العمى عن الهدى وهم عميانٌ؟!

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ) فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك، ولو نشاء لتركناهم عميًا، وأورد بإسناد صحيح عن الحسن، في قوله: (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾) قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾) يقول: لو شئنا لتركناهم عميًا يترددون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميًا لا يبصرون طريقًا، ولا يهتدون له؛ والطمس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس.

(١١١) أحمر
أسود

وقوله: (فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ) يقول: فابتدروا الطريق.

وقوله: (فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦) يقول: فأي وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم.

وقال الذين وجهوا تأويل قوله: (وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ) إلى أنه معني به العمى عن الهدى، تأويل قوله: (فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦): فأنى يهتدون للحق.

قلت: وأورد القرطبي وجهًا ثالثًا أو تأويلًا آخر للقول الثاني حاصله: ولو نشاء لفقأنا عين ضلالتهم فجعلناهم يبصرون الحق ويهتدون إليه ويستبقوا إلى الصراط المستقيم، ولكننا ما فعلنا ذلك بهم فأنى لهم الهداية.

قال القرطبي $:

وقوله: (فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ) أي استبقوا الطريق ليجوزوا (فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ) أي فمن أين يبصرون، وقال عطاء و مقاتل و قتادة وروي عن ابن عباس[(١)]: ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم وتبادروا إلى طريق الآخرة ثم قال: (فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦) ولم نفعل ذلك بهم أي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال باقية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧).

---

(١) ولم أقف على أسانيد صحيحة عنهم بذلك، والأسانيد التي أوردها الطبري عن بعضهم في هذا الباب ضعيفة، والله أعلم.

(١١٢) أحمر
أسود

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو نشاء لغيَّرنا حالتهم التي هم عليها كبشر ولحولناهم إلى أشياء أُخر كحجارة جامدة في مكانها، ولجعلناهم متحجرين في أماكنهم فما استطاعوا تقدمًا ولا تأخرًا.

ولقد رؤيت صُورٌ لبعض البشر متجمدين كالأحجار على هيئاتهم، منهم متحجر وهو جالس، ومنهم وهو قائم، ومنهم وهو مائل، ومنهم من قد رفع يديه إلى فيه وتحجرت في طريق الوصول إلى الفم، وغير ذلك، فالله أعلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ قال: لو نشاء لأقعدناهم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

قال الطبري: والمكانة والمكان بمعنى واحد.

❁ ❁ ❁

(١١٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ومن نمد له في العمر، ونحييه حياة طويلة في الدنيا نرده إلى مثل حاله في طفولته فيصير لا يعلم من بعد علم شيئًا؛ كما قال تعالى: (۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) [الروم: ٥٤]، وكما قال تعالى: (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) [النحل: ٧٠].

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَمَن نُّعَمِّرْهُ) فنمد له في العمر (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئًا بعد العلم الذي كان يعلمه.

وقال الطبري $:

عن قتادة قوله: (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)، يعني الهرم.

ويعني تعالى ذكره بقوله: (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾): أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى: (۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) [الروم: ٥٤]. وقال: (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)

(١١٤) أحمر
أسود

[الحج: ٥].

والمراد من هذا -والله أعلم-الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾) أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّبيبَة، ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة.

وقال القرطبي $:

وقال سفيان في قوله تعالى: (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته؛ قال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر

فطول العمر يصير الشباب هرمًا والقوة ضعفًا والزيادة نقصًا وهذا هو الغالب وقد تعوذ □ من أن يرد إلى أرذل العمر (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾) أن من فعل هذا بكم قادر على بعثكم، وقرأ نافع و ابن ذكوان: **(تعقلون)** بالتاء، الباقون بالياء.

❁ ❁ ❁

رسول الله ليس بشاعرٍ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وما علمنا رسول الله □ الشعر، وما يليق به ذلك ولا تسمح منزلته بذلك، فهو أجل من ذلك □، وما هو - أي وما رسول الله □ - إلا وقد أرسل لتذكير العباد، وقال البعض: إن المراد

(١١٥) أحمر
أسود

بقوله: (إِنۡ هُوَ) أي: القرآن، وما أُنزل عليه قرآن موضح عن الله ﷻ مراده؛ لينذر من كان قَلْبُهُ حيًّا ويبقى من كان قلبه ميت على كفره وضلاله فيحق عليه ما كتبه الله عليه من الشقاوة - والله أعلم.

قال الطبري $:

وقوله: (وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ) يقول تعالى ذكره: وما علمنا محمدًا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا.

وقوله: (إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ) يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: (إِنۡ هُوَ) أي: محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم. (وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩) يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين، يقول: يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن.

وقوله: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا) يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد.

قوله: (وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠) يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، المولين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ): يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد □: إنه ما علمه الشعر، (وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ) أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جِبِلَّته؛ ولهذا وَرَدَ أنه - عليه الصلاة والسلام - كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظم، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه.

(١١٦) أحمر
أسود

وقال أيضًا:

ولهذا قال تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ) ويعني: محمدًا □ ما علمه الله شعرًا، (وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) أي: وما يصلح له، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: ما هذا الذي علمناه، (إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. ولهذا قال: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا) أي: لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حي على وجه الأرض، كقوله: (لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ) [الأنعام: ١٩]، وقال: (وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ) [هود: ١٧]. وإنما ينتفع بنذارته من هو حَيّ القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني: عاقلًا (وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾) أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

وقال القرطبي $:

أخبر تعالى عن حال نبيه □ ورد قول من قال من الكفار إنه شاعر وإن القرآن شعر بقوله: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) وكذلك كان رسول الله □ لا يقول الشعر ولا يزنه.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: (وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) أي وما ينبغي له أن يقوله وجعل الله جلَّ وعزَّ ذلك علمًا من أعلام نبيه ﷺ لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر ولا اعتراض لملحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول؛ لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ولم يقصد به إلى الشعر ليس بشعر ولو كان شعرًا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن

(١١٧) أحمر
أسود

شاعرًا على ما تقدم بيانه.

وقال الزجاج: معنى (وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ) أي ما يتسهل له قول الشعر لا الإنشاء (إِنۡ هُوَ) أي هذا الذي يتلوه عليكم (إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩).

وقال في تفسير قوله: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا):

قوله تعالى: **(لتنذر من كان حيا)** أي: حي القلب قاله قتادة؛ الضحاك: عاقلًا، وقيل: المعنى لتنذر من كان مؤمنًا في علم الله، هذا على قراءة التاء خطابًا للنبي ﷺ وهي قراءة نافع وابن عامر وقرأ الباقون بالياء على معنى لينذر الله عز وجل أو لينذر محمد ﷺ أو لينذر القرآن وروي عن ابن السميقع: **(لينذر)** بفتح الياء والذال (وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠) أي وتجب الحجة بالقرآن على الكفرة.

قال السعدي $:

ينزه تعالى نبيه محمدًا ﷺ، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: (وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ) أن يكون شاعرًا، أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرًا؛ لأنه رشيد مهتدٍ، والشعراء غاوون، يتبعهم الغاوون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، (إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩) أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح.

(وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩) أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل

(١١٨) أحمر
أسود

على أنه مبين لجميع الحق بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله.

❁ ❁ ❁

(١١٩) أحمر
أسود

س: كيف يوفق بين قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾) مع ما ورد عن رسول الله ﷺ من كونه قال بعض أبيات الشعر في مواطن متعددة كقوله يوم حنين:

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب(١)

وكقوله يوم الخندق وهم يحفرون:

اللهـم لـولا أنـت مـا اهتـدينا ولا تصـدقنا ولا صـلينا(٢)

وكقوله في مواطن أخر لما جُرح أصبعه:

هـل أنـت إلا أصـبع دميـت وفـي سـبيل الله مـا لقيـت(٣)

إلى غير ذلك من المواطن التي أنشد فيها صلوات الله وسلامه عليه شعرًا.

ج: ولأهل العلم على ذلك أجوبة منها:

أولًا: أن هذا من القليل النادر، والقليل النادر لا حُكم له.

ثانيًا: أنه قال ذلك تبعًا لغيره كالذي حدث يوم الخندق، فإنه قال ذلك تبعًا لأصحابه، قال ابن كثير: فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون.

ثالثًا: أن ما صدر منه كقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

صدر منه اتفاقًا من غير قصدٍ لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه. أشار إليه ابن كثير وغيره.

---

(١) البخاري (٢٨٦٤).
(٢) البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).
(٣) البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).

(١٢٠) أحمر
أسود

رابعًا: أن المراد بالنفي نفي نظم الشعر، وليس المراد إنشاءه، وقد توسع القرطبي $ في الجواب، فقال:

إصابته الوزن أحيانًا لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزنه كقوله يوم حنين وغيره:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في أيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعرًا ولا في معناه كقوله تعالى: (لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ) [آل عمران: ٩٢] وقوله: (نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ) [الصف: ١٣] وقوله: (وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ) [سبأ: ١٣] إلى غير ذلك من الآيات وقد ذكر ابن العربي منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن على أن أبا الحسن الأخفش قال في قوله: «**أنا النبي لا كذب**» ليس بشعر، وقال الخليل في كتاب العين: إن ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرًا، وروي عنه أنه من منهوك الرجز وقد قيل: لا يكون من منهكوك الرجز بالوقف على الباء من قوله: «**لا كذب**» ومن قوله: «**عبد المطلب**» ولم يعلم كيف قاله النبي □، قال ابن العربي والأظهر من حاله أنه قال: «**لا كذب**» الباء مرفوعة وبخفض الباء من عبد المطلب على الإضافة وقال النحاس: قال بعضهم: إنما الرواية بالإعراب وإذا كان بالإعراب لم يكن شعرًا لأنه إذا فتح الباء من البيت الأول أو ضمها أو نونها وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم: ليس هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة الأعيان؛ لأن أشعار

(١٢١) أحمر
أسود

العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره وأما قوله: «**هل أنت إلا أصبعًا دميت**» فقيل: إنه من بحر السريع وذلك لا يكون إلا إذا كسرت التاء من دميت فإن سكن لا يكون شعرًا بحال؛ لأن هاتين الكلمتين على هذه الصفة تكون فعول ولا مدخل لفعول في بحر السريع ولعل النبي □ قالها ساكنة التاء أو متحركة التاء من غير إشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم أن هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه أن يكون النبي □ عالمًا بالشعر ولا شاعر، إن التمثل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن يكون قائلها عالمًا بالشعر ولا يسمى شاعرًا باتفاق العلماء كما أن من خاط خيطًا لا يكون خياطًا.

قال أبو إسحاق الزجاج: معنى (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ) وما علمناه أن يشعر أي ما جعلناه شاعرًا وهذا لا يمنع أن ينشد شيئًا من الشعر، قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في هذا، وقد قيل: إنما خبر الله عز و جل أنه ما علمه الله الشعر ولم يخبر أنه لا ينشد شعرًا وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قول بين زعم صاحبه أنه إجماع من أهل اللغة وذلك أنهم قالوا: كل من قال قولًا موزونًا لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر وإنما وافق الشعر وهذا قول بين، قالوا: وإنما الذي نفاه الله عن نبيه ﷺ فهو العلم بالشعر وأصنافه وأعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفًا بذلك بالاتفاق؛ ألا ترى أن قريشًا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه إذا قدموا عليهم الموسم، فقال بعضهم: نقول إنه شاعر، فقال أهل الفطنة منهم: والله لتكذبنكم العرب فإنهم يعرفون أصناف الشعر فوالله ما يشبه شيئًا منها وما قوله بشعر، وقال أنيس أخو أبي ذر: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم أنه

(١٢٢) أحمر
أسود

شعر أخرجه مسلم، وكان أنيس من أشعر العرب وكذلك عتبة بن أبي ربيعة لما كلمه: والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما يأتي بيانه من خبره في سورة «فصلت» إن شاء الله تعالى، وكذلك قال غيرهما من فصحاء العرب العرباء واللسن البلغاء ثم إن ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرًا وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد إليه فقد يقول القائل: حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ولا يعد هذا شعرًا وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلاء: اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى.

❁ ❁ ❁

س: هل الشعر كله مذموم، ولماذا قيل: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ...)؟

ج: ليس الشعر كله مذموم بل منه ما هو حسن محمود، وقد قال تعالى: (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ) [الشعراء: ٢٢٧]، وقد أقرَّ النبي ﷺ بعض أبيات الشعر، وبعض الصحابة الشعراء، بل وأمرهم بذلك، كما قال لحسان ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**»، وفي الحديث: «**إن من الشعر حكمة**»(١).

قال ابن كثير $:

والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحة، وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين. ومنه

(١) انظر البخاري (٦١٤٥)، (٨٧٢).

(١٢٣) أحمر
أسود

ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي الله □: «**آمن شعره وكفر قلبه**»، وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي □ مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «**هيه**». يعني يستطعمه، فيزيده من ذلك.

أما نفيه عن رسول الله □ فلفائدة عظيمة، وهي عدم التباس الشعر بالقرآن.

وكذا لنفي ما كان أهل الجاهلية يتقولون ويصفون به رسول الله □ من كونه شاعر. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١٢٤) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا
يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا
يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ
رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾)

[يس: ٧١-٨٣]

(١٢٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَٰلِكُونَ - وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ - جُندٌ مُّحْضَرُونَ - نُّطْفَةٍ - خَصِيمٌ مُّبِينٌ - رَمِيمٌ - فَسُبْحَٰنَ - مَلَكُوتُ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَٰلِكُونَ)	متصرفون - قاهرون
(وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ)	سخرناها لهم - هيأناها لهم وجعلناها مطيعة لهم
(جُندٌ مُّحْضَرُونَ)	جنودٌ مدافعون عن الأصنام يحضرون للدفاع عنها
(نُّطْفَةٍ)	قطرٌة من منيٍّ
(خَصِيمٌ مُّبِينٌ)	مخاصم لربِّه ٥ مظهر لخصومته مبينٌ لها
(رَمِيمٌ)	متفتتة بالية - تراب
(فَسُبْحَٰنَ)	تنزه عن كل ما لا يليق به وتنزه عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد
(مَلَكُوتُ)	ملك - مقاليد - مفاتيح

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أَوَ لَمْ يرَ هؤلاء الكفار، وأهل الشرك أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا، وهي الأنعام الثمانية، وقيل: المراد هنا

(١٢٦) أحمر
أسود

الإبل خاصة لعظمها، كما قال تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾...).
[الغاشية: ١٧]

(فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾) أي: فهم فيها متصرفون، فالطفل الصغير منهم يقود الناقة العظيمة الهائلة، ولو شاء الله لأهلكته ولأهلكت أباه، ولكن الله سخرها فتراها مسخرةً، ولا تستطيع يا ابن آدم أن تُسحر فأرًا وتجعله مطيعًا لك.

أما قوله: (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) أي: فمنها مراكب لهم يركبونها ويسافرون عليها، (وهي الإبل) ومنها يأكلون (فالأنعام كلها تؤكل)، (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ)، ومن هذه المنافع ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها وغير ذلك، (وَمَشَارِبُ) يشربون من ألبانها ويأكلون من سمنانها، (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾)، أفلا يقدمون شكرًا لله عز وجل على هذه النعم، أفلا يحملهم هذا على تقديم شكرٍ لله ﷻ متمثلًا في حمده باللسان، وفي توحيده، وفي شكره بالجنان وفي عمل طاعة لله بالجوارح والأركان؟!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (أَوَلَمْ يَرَوْا) هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ) يقول: مما خلقنا من الخلق[(١)] (أَنْعَٰمًا) وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾) يقول: فهم لها مصرِّفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط.

---

(١) وليس في هذا نفي صفة اليد، فقد دلَّت عليها أدلة كثيرة جدًّا.

(١٢٧) أحمر
أسود

وقوله: (وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ) يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة ركوب، والركوب بالضم: هو الفعل (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾) لحومها.

وقال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثًا ومتاعًا، ومن جلودها أكنانًا، ومشارب يشربون ألبانها.

وقوله: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾) يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية لي والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم، (فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾): قال قتادة: مطيقون أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطَارُ مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسيرِ صغيرٍ.

وقوله: (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾) أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾) إذا شاؤوا نحروا واجتزروا.

(وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ) أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، (وَمَشَارِبُ) أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك. (أَفَلَا

(١٢٨) أحمر
أسود

يَشْكُرُونَ)؟ أي: أفلا يُوَحِّدُون خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم) هذه رؤية القلب أي أو لم ينظروا ويعتبروا ويتفكروا (مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ) أي مما أبدعناه وعملنا من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة و (ما) بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وإن جعلت (ما) مصدرية لم تحتج إلى إضمار الهاء (أَنْعَـٰمًا) جمع نعم والنعم مذكر (فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾) ضابطون قاهرون (وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ) أي سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف شاء لا يخرج من طاعته (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) قراءة العامة بفتح الراء أي مركوبهم كما يقال: ناقة حلوب أي محلوب وقرأ الأعمش و الحسن و ابن السميقع: (**فمنها ركوبهم**) بضم الراء على المصدر.

والركوب ما يركب وأجاز الفراء: (**فمنها ركوبهم**) بضم الراء كما تقول فمنها أكلهم ومنها شربهم (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾) من لحمانها (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ) من أصوافها وأوبارها وأشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك (وَمَشَـٰرِبُ) يعني ألبانها ولم ينصرفا لأنهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الله على نعمه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واتخذ أهل الكفر هؤلاء مع ما جاءهم

(١٢٩) أحمر
أسود

من البينات والآيات والدلالات على واحدانيتنا - مع ذلك كله اتخذوا آلهة يعبدونها غير الله ﷻ ويعبدونها مع الله ﷻ لعلها - بزعمهم - تنفعهم وتنصرهم، ألا فليعلم هؤلاء أن هذه الآلهة لا تستطيع نصرهم، ولن تنصرهم بل هم لهم جندٌ محضرون، ولقد قيل في قوله تعالى: (وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) أقوال:

أحدها: أن هذه في الدنيا، وأن معنى قوله: (وَهُمْ) أي: الكفار، (لَهُمْ) أي: للأصنام، (جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) أي: أن الكفار جندوا أنفسهم لنصرة أصنامهم ومعبوداتهم التي عبدوها من دون الله، فكلما تكلم أحدٌ في الأصنام بمكروه، وكلما نفَّر عنها منفرٌ ورغب عنها راغبٌ إذا بهم يدافعون عن أصنامهم وعن آلهتهم أشد الدفاع.

والوجه الآخر: (وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) أي: والأصنام يؤتى بها يوم القيامة وتحضر أمام عابديها لتبكيتهم ولتوبيخهم فها هي أحجار لا تنفع ولا تضر فكيف عبدتموها، وكذا عموم الآلهة المعبودة من دون الله تتبرأ ممن عبدها.

وهناك وجه آخر: أن أصنامهم التي عبدوها تكون عذابًا عليهم في النار.

والقول الأول أولى؛ لأن الآلهة تضل عمن عبدوها يوم القيامة -والله أعلم.

أما قوله تعالى: (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) وعندها وقف لازم، فهو مواساةٌ لرسول الله ﷺ، أي: لا تحزن من قولهم وافترائهم، فهذا شأنهم وشأن أمثالهم ثم مواساة أخرى بقوله تعالى: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) أي: لا يخفى عليهم ما يقولونه، وما يفعلونه سواءً فعلوا ذلك سرًّا أو فعلوه جهرًا،

(١٣٠) أحمر
أسود

وإنا حافظوك، وإنا مبطلو كيدهم فاطمئن وأبشر ولا تحزن - والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري $:

قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ ٧٤﴾ يقول: طمعًا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءًا، ولا تدفع عنهم ضرًّا.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ٧٥﴾ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مُّحْضَرُونَ ٧٥﴾ وأين حضورهم إياهم، فقال بعضهم: عني بذلك: وهم لهم جند محضرون عند الحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم.

عن قتادة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الآلهة ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ٧٥﴾ والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءا، إنما هي أصنام.

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندًا حينئذٍ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم.

(١٣١) أحمر
أسود

وقوله تعالى: (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك.

وقوله: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى.

قال الله تعالى: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: (وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾): قال مجاهد: يعني: عند الحساب، يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خِزْيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

وقال قتادة: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعني: الآلهة، (وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾)، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءا، إنما هي أصنام.

وهكذا قال الحسن البصري.

(١٣٢) أحمر
أسود

وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير $.

وقولـه: (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) أي: تكـذيبهم لـك وكفـرهم بـالله، (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزيهم وصْفَهم ونعـاملهم علـى ذلـك، يـوم لا يفقـدون مـن أعمـالهم جليلًا ولا حقيـرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) أي قد رأوا هذه الآيات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا آلهة لا قدرة لها على فعل (لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾) لما يرجون من نصرتها لهم إن نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول: لعله أن يفعل (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعني الآلهة وجمعوا بالواو والنون؛ لأنه أخبر عنهم بخبر الآدميين (وَهُمْ) يعني الكفار (لَهُمْ) أي للألهة (جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) قال الحسن: يمنعون منهم ويدفعون عنهم، وقال قتادة: أي يغضبون لهم في الدنيا وقيل: المعنى أنهم يعبدون الألهة ويقومون بها فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع أن تنصرهم وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى وقيل: إن الآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل: معناه وهذه الأصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لأنهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم وقيل: الآلهة جند لهم محضرون يوم القيامة لإعانتهم في ظنونهم، وفي الخبر: إنه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه إلى النار فهم لهم جند محضرون

قلت: ومعنى هذا الخبر ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وفي الترمذي عنه أن النبي □ قال:

(١٣٣) أحمر
أسود

«يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون» وذكر الحديث بطوله[(١)] (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه ﷺ أي لا يحزنك قولهم: شاعر ساحر وتم الكلام ثم استأنف فقال: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) من القول والعمل وما يظهرون فنجازيهم بذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أو لم ير هذا الإنسان الكافر أصل خلقه، وكيف كان فيتفكر بذلك ويعتبر ويوقن بقدرتنا على البعث، ولكنه ما فكر وما اعتبر وما أيقن، ولكنه كان مخاصمًا لربه مجادلًا في آياته يحادد ربَّه ﷻ ويشاقق ويعترض على أوامره ويظاهر ويتعاون مع الذين يرفضون أمر الله، فقوله: (خَصِيمٌ) بمعنى: مخاصم مجادل (مُّبِينٌ) مظهر بخصومته عداوته لربِّه ﷻ.

قال الطبري $:

فتأويل الكلام إذن: أولم ير هذا الإنسان الذي يقول: (مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقًا سويًّا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك

---

(١) تقدم بنحوه.

(١٣٤) أحمر
أسود

إخبار لله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟! إنكارًا منه لقدرة الله على إحيائها.

وقوله: (مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات نزلت في أُبي بن خلف، أو العاص أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله: (أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ) للجنس، يعم كل منكر للبعث.

(أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) أي: أولم يستدل مَنْ أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾) [المرسلات: ٢٠-٢٢]. وقال: (إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ) [الإنسان: ٢] أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟

وأورد الحافظ ابن كثير $ ما أخرجه الإمام أحمد(١) في مسنده بإسناد صحيح من حديث بُسْر بن جحَاش: أن رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: «**قال الله ﷻ: ابن آدم أنَّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه؟! حتى إذا سَوّيتك وعدلتك، مشيت بين برديك وللأرض منك وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلتَ: أتصدقُ، وأنَّى أوانُ الصدقة**».

---

(١) المسند (٤/٢١٠).

(١٣٥) أحمر
أسود

وقال القرطبي $:

(أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ) وهو اليسير من الماء نطف إذا قطر (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) أي: مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا خصيمًا مبينًا.

وذلك أنه أتى النبي □ بعظم حائل فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم! فقال النبي □: «**نعم ويبعثك الله ويدخلك النار**» فنزلت هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) سبب نزول؟

ج: أورد الطبري بسندٍ مرسل صحيح إلى سعيد بن جبير قال: جاء العاص ابن وائل السهمي إلى رسول الله □ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيًّا بعد ما أرم؟ قال: «**نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**» قال: ونزلت الآيات: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾...) وإلى آخر الآية.

وهذا مرسلٌ، وهو ضعيف من هذا الوجه، وقد ذكره ابن أبي حاتم(١) متصلًا بذكر ابن عباس، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ڤ قال: إن العاص بن وائل أخذ

(١) نقلًا عن شيخنا الشيخ مقبل رحمه الله إذ نقل السند أيضًا عن ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وقال: الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٢٩ من طريق عمرو بن عون عن هشيم به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٣٦) أحمر
أسود

عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ص: أيحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله ص: «**نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**». قال: نزلت الآيات آخر يس.

قلت (مصطفى): فالخبر مختلف في وصله وإرساله، كما ترى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وشبَّهنا هذا الكافرُ بخلقنا فقال: من ذا الذي يحيي هذه العظام البالية المتفتتة، وقد أصبحت رميمًا وترابًا، ونسي هذا الإنسان الكافر كيف خلقناه فقد خلقناه من نطفةٍ من مني يمنى، من قطرة مني قُذفت في رحم امرأة فهنالك حدث الاختلاط بين ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) [الإنسان: ٢]، وكما قال تعالى: (خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾) [الطارق: ٦، ٧]، أولم يذكر الإنسان الكافر هذا، ومن ثَمَّ فلا يشبهنا بخلقنا، ولا يصفنا بالعجز، أو لم يتفكر في هذا فيوقن بقدرتنا على البعث، بعث العباد بعد موتهم فقل يا رسول الله لهذا الكافر الجاحد المنكر للبعث إذا سأل من يحيي العظام وهي رميم؟ قل له: يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليمٍ، فالذي خلق الخلق لأول مرة قادر على بعثهم وإعادتهم.

وقل أيضًا يحييها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون النار.

(١٣٧) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ) يقول: ومثل لنا شبهًا بقوله: (مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ) يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقًا سويًّا ناطقًا، يقول: فلم يفكر في خلقنا إياه، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرًا سويًّا ناطقًا متصرفًا، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشرًا كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء، يقول الله لنبيه محمد □: (قُلْ) لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام وهي رميم (يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تك شيئًا (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدئ، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه.

وقال $ كذلك:

يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا) يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرًا سويًّا، وخلقًا جديدًا، كما بدأها أول مرة.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا) يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

قال الطبري: قوله: (فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾) يقول: فإذا أنتم من هذا

(١٣٨) أحمر
أسود

الشجر توقدون النار؛ وقال: (مِّنْهُ) والهاء من ذكر الشجر، ولم يقل: منها، والشجر جمع شجرة؛ لأنه خرج مخرج الثمر والحصى، ولو قيل: منها كان صوابًا أيضًا؛ لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه.

(أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ) يقول تعالى ذكره منبهًا هذا الكافر الذي قال: (مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) على خطإ قوله، وعظيم جهله (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ) السبع (وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ) مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السماوات والأرض. يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟ وقوله: (بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ) يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه خافية.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ولهذا قال: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) أي: استبعد إعادة الله تعالى -ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض-للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده؛ ولهذا قال تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت.

وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، واللفظ لأحمد من حديث حذيفة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلًا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا جزلًا، ثم**

(١٣٩) أحمر
أسود

أوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فأذرُّوها في اليم، ففعلوا، فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له». فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نبَّاشًا(١).

وقال $:

وقوله: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾) أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضرًا نَضرًا ذا ثمر ويَنْع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ) أي ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة أي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال غ: «**نعم ويبعثك الله ويدخلك النار**».

قوله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا) نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا) إي إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فأخرج الله منه النار فهو القادر على إخراج الضد من الضد وهو

(١) البخاري (٣٤٥٢)، وأحمد (٣٩٥/٥).

(١٤٠) أحمر
أسود

على كل شيء قدير ويعني بالآية ما في المرخ والعفار وهي زنادة العرب ومنه قولهم: في كل شجر نار واستجمد المرخ والعفار، فالعفار الزند وهو الأعلى والمرخ الزندة وهي الأسفل يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ماء فيحك بعضهما إلى بعض فتخرج منهما النار وقال: (مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ) ولم يقل الخضراء وهو جمع لأنه رده إلى اللفظ ومن العرب من يقول: الشجر الخضراء كما قال ٥: (مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) [الواقعة: ٥٢ ـ ٥٣].

❁ ❁ ❁

(١٤١) أحمر
أسود

مزيدٌ من الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول (أي بخلق الإنسان أول مرة)، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) **[يس: ٧٩]**.

وقوله تعالى: (أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾) **[ق: ١٥]**.

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ) **[الروم: ٢٧]**.

❁ ❁ ❁

س: أجيب على أهل الشرك إذ قالوا: (مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) بجواب يتضمن عدة استدلالات على البعث. وضح ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

الاستدلال الأول: قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فهذا دال على قدرته على البعث.

الاستدلال الثاني: قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾)، وهذا أيضًا يتضمن قدرته على الخلق.

الاستدلال الثالث: قوله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾) فكونه أخرج من الشجر الأخضر نارًا مع أن الخضرة تتنافى مع النار قادر على إحياء الأرض بعد موتها.

وكذا من قال إن البترول أصله شجر أخضر قد تحلل.

الاستدلال الرابع: استدلالٌ بخلقه السماوات والأرض، وخلقهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما قادر على أن يخلق ما دونهما.

(١٤٢) أحمر
أسود

الاستدلال الخامس: قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾) أي: خلَّاق لكل شيء، وعليم بكل شيء.

الاستدلال السادس: أن ملكوت كل شيء بيديه وهو قوله: (فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾).

هذا، وقد أشار السعدي $ إلى ذلك إذ قال مجيبًا على من قال: (مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾):

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شافٍ كافٍ، فقال: (قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علمًا يقينًا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور.

(وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾)، هذا أيضًا دليل ثانٍ من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلًا ثالثًا فقال: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾) فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلًا رابعًا فقال: (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) على سعتهما وعظمهما (بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم) أي: أن يعيدهم بأعيانهم. (بَلَىٰ) قادر على

(١٤٣) أحمر
أسود

ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. (وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾) وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا) نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. (أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) أي: في الحال من غير تمانع.

(فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ) وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه؛ ولهذا قال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾).

ج: هذا - والله أعلم - احتجاج على منكري البعث بما حاصله أن الله ﷻ الذي خلق السماوات والأرض -وهي أكبر من خلق الناس- قادرٌ ﷻ على

(١٤٤) أحمر
أسود

أن يخلق مثل هؤلاء البشر الضعفاء الذين هم في خلقهم أيسر على الله من خلق السماوات والأرض، فخالق الشيء العظيم لا يعجز عن خلق ما دونه فهنا يقول تعالى: (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم) أي: مثل بني آدم، ثم يجيب تعالى بقوله: (بَلَىٰ) أي: إنه لقادر على خلق مثلهم وهو الخلاق لا يصعب عليه خلق شيء، فهو يخلق ما يشاء، عليم بكل شيء، وعليم كيف يخلق أي شيء.

ثم يقول تعالى: (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) أي: تخلق الأشياء بكلمة (كُن) فيكون الشيء كما أراده الله ﷻ.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ[(١)]: أنه «**ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا** - يَعْنِي أَعْطَاهُ، قَالَ - **فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لكم؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا** - فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ - **وَإِنْ يَقْدِمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ فَانْظُرُوا، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي** - أَوْ قَالَ: **فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا فَقَالَ اللَّهُ كُنْ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتُكَ** - أَوْ **فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رحمه الله**».

أما قوله: (فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) فحاصل معناه: فتنزه ربنا الذي بيده ملك كل شيء ومقاليد كل شيء عن الضعف وعن النقص وعن الشريك وكيف يكون له شريك وله ملك كل شيء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) أي: تبعثون وترجعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

---

(١) البخاري (٦٤٨١).

(١٤٥) أحمر
أسود

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى منبهًا على قدرته العظيمة في خلق السماوات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال هاهنا: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ أي: يأمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار:

إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا ... يَقُولُ لَهُ «كُنْ» قَوْلَةً فَيَكُونُ

وقال $:

وقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كقوله ٥: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورَحَمُوت، ورَهْبَة

(١٤٦) أحمر
أسود

ورَهَبُوت، وجَبْر وجَبَرُوت. ومن الناس من زعم أن المُلْك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

وقال القرطبي $:

ثم قال تعالى محتجًّا: (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم) أي أمثال المنكرين للبعث وقرأ سلام أبو المنذر ويعقوب الحضرمي: **(يقدر على أن يخلق مثلهم)** على أنه فعل **(بلى)** أي إن خلق السماوات والأرض أعظم من خلقهم فالذي خلق السماوات والأرض يقدر على أن يبعثهم **(وهو الخلاق العليم)** وقرأ الحسن باختلاف عنه **(الخالق)**.

قوله تعالى: (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) قرأ الكسائي **(فيكون)** بالنصب عطفًا على (يَقُولَ) أي إذا أراد خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة.

(فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ) نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى ملك والعرب تقول: جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة: (مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ) مفاتح كل شيء وقرأ طلحة ابن مصرف وإبراهيم التيمي والأعمش **(ملكة)** وهو بمعنى ملكوت إلا أنه خلاف المصحف (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) أي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرأ السلمي وزر بن حبيش وأصحاب عبد الله **(يرجعون)** بالياء على الخبر.

❁ ❁ ❁

(١٤٧) أحمر
أسود

(١٤٨) أحمر
أسود

تفسير سورة الصافات

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠) [الصافات: ١-١٠]

(١٤٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ - فَٱلزَّٰجِرَٰتِ - فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا -مَّارِدٖ -ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ -وَيُقۡذَفُونَ - دُحُورٗاۖ -وَاصِبٌ - خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ -شِهَابٞ ثَاقِبٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ)	هم الملائكة يصفون عند ربهم صفوفًا وكذا يصفون أجنحتهم
(فَٱلزَّٰجِرَٰتِ)	قيل: الملائكة تزجر السحاب وقيل: آيات القرآن التي فيها زجرٌ
(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا)	قيل: هم الملائكة تتلو القرآن المنزل وقيل: هي آيات الله فيها إخبار للناس وتزكيةٌلهم ويتلو بعضها بعضًا
(مَّارِدٖ)	عاتٍ متمردٍ - عاصٍ شديد العصيان والنفور عن الطاعة خبيث ماكر
(ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ)	الملائكة في السماء
(وَيُقۡذَفُونَ)	يُرمون
(دُحُورٗاۖ)	مطرودين - مدحورين - مُبعدين
(وَاصِبٌ)	دائم
(خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ)	استرق كلمة من الملائكة وخبرًا مما تحدث به الملائكة
(شِهَابٞ ثَاقِبٌ)	شهاب مضيءٌ محرقٌ من نار

(١٥٠) أحمر
أسود

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣).

ج: هذا قسم أقسم الله ﷻ به، فأقسم ربنا بالصافات وهي الملائكة تصف عند ربها ﷻ كما قال تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢) **[الفجر: ٢٢]**، وكما قالت الملائكة: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥) **[الصافات: ١٦٥]**.

وكما قال رسول الله ﷺ: « فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ.....» الحديث[(١)].

وكما قال ﷺ: « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟ قَالَ: « **يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ** »[(٢)].

أما قوله تعالى: (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢) فأيضًا هو قسمٌ أقسم الله به، والمراد بالزاجرات الملائكة التي تزجر السحاب، وقيل: آيات القرآن التي فيها زجرٌ للعباد، وكذا قوله تعالى: (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣) هي الملائكة تتلو الكتاب المنزل من عند الله كما قال تعالى: (فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦) فهذه تفسر قوله تعالى: (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣) وبنحو الذي ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري $:

أقسم الله تعالى ذكره بالصافات، والزاجرات، والتاليات ذكرا؛ فأما الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافة،

---

(١) مسلم (٥٢٢).
(٢) مسلم (٤٣٠).

(١٥١) أحمر
أسود

فالصافات: جمع جمع.

وأورد الطبري $ عددًا من الآثار بذلك، وقال: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢) فقال بعضهم: هي الملائكة تزجر السحاب تسوقه.

وقال آخرون: بل ذلك آي القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢) قال: ما زجر الله عنه في القرآن.

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه.

وقوله: (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣) يقول: فالقارئات كتابًا.

واختلف أهل التأويل في المعني بذلك، فقال بعضهم: هم الملائكة.

وقال آخرون: هو ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣) قال: ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم.

وقال القرطبي $:

(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣) الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى قاله ابن مسعود و ابن عباس و الحسن و مجاهد و ابن جبير و السدي وقيل: المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع لأنه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود وأتباع وقال قتادة:

(١٥٢) أحمر
أسود

المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) [النمل: ٧٦]، ويجوز أن يقال لآيات القرآن تاليات لأن بعض الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي: أن المراد بالتاليات الأنبياء يتلون الذكر على أممهم.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد أن رسول الله □ صلى بأصحابه بالصافات؟

ج: نعم قد ورد ذلك فيما أخرجه النسائي من طريق ابن أبي ذئب قال: أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: كان رسول الله □ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات. تفرد به النسائي(١).

❁ ❁ ❁

س: على أي شيء أقسم الله ﷻ (بالصافات...).

ج: أقسم الله ﷻ على أنه إله واحد، أي أنه أقسم على وحدانيته ﷻ.

وكذا أقسم على أنه رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾).

---

(١) النسائي (٩٥/٢)، وأحمد (٢٦/٢ و١٥٧)، وغيرهما، وفي سنده الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب، وحديثه قابل للتحسين عند فريق من العلماء.

(١٥٣) أحمر
أسود

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن معبودكم الذي يجب أن تعبدوه إلـهٌ واحد هو خالق السماوات والأرض ومدبر أمرهما، وكذا فهو رب المشارق - مشارق الشمس - ومغاربها، تلك التي تشرق فيها الشمس صيفًا وشتاءً وتغرب، ويحتمل أن يراد مشارق الشمس والقمر والنجوم، ومغارب ذلك.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤) والصافات صفًّا إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا.

وقوله: (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا) يقول: هو واحد خالق السماوات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئًا ولا يفنيه.

وقوله: (وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥) يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيم على ذلك ومصلحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلومًا أن معها المغارب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤) وقع القسم على هذا إن إلهكم لواحد (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥) قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

وقال ابن كثير $:

(١٥٤) أحمر
أسود

وقوله: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾) هذا هو المقسم عليه، أنه تعالى لا إله إلا هو (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: من المخلوقات، (وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾) أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت، وسيارات تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليهما. وقد صرح بذلك في قوله: (فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾) [المعارج:٤٠]. وقال في الآية الأخرى: (رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾) [الرحمن:١٧] يعني في الشتاء والصيف، للشمس والقمر.

❁ ❁ ❁

المستفاد من النجوم

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾).

ج: يخبر الله سبحانه وتعالى أنه زيَّن السماء الدُّنيا، وهي القريبة من الأرض بالكواكب وجعل هذه الكواكب فضلًا عن تزيين السماء الدنيا بها، جعلها تحفظ السماء الدنيا من تصنت الشياطين المتمردة العاتية التي كانت تتصنت على الملائكة وهم يتحدثون. كما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ) [الملك: ٥]، وكما قالت الجن: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾) [الجن: ٩]، فالحاصل أن السماء الدنيا زيِّنت بالكواكب، وجعلت هذه الكواكب بما يخرج منها من الشهب حفظًا للسماء الدنيا من تصنت الشياطين المردة جعلت حفظًا حتى لا تتسمع المردة من الشياطين أخبار الملائكة وهم يتحدثون، ومن سوَّلت له

(١٥٥) أحمر
أسود

نفسه أن يتصنت فهنالك يُقذف بالشهب من كل ناحية فيرجع مُبعدًا مطرودًا، وله عذاب دائم متواصل، وكذا فإن من خطف خطفة من الأخبار التي تتحدث بها الملائكة في السماء ثم ذهب يلقيها على فم الكاهن أو الساحر، فإن شهاب يتبعه يحرقه؛ كما في الآية الكريمة: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾)، وكما قالت الجن: (فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ) يعنون بعد مبعث النبي □: (يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾) [الجن: ٩]، وقد قدمت مزيدًا من الحديث على هذا في سورة الجن (التسهيل، جزء تبارك).

هذا، وقد قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾) اختلفت القراء في قراءة قوله: (بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب بإضافة الزينة إلى الكواكب، وخفض الكواكب بـ(إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا) التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب. وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾) بتنوين زينة، وخفض الكواكب ردًّا لها على الزينة، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب، كأنه قال: زيناها بالكواكب. وروي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب. ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا إذا نونت الزينة، لم يكن لحنا، وكان صوابا في العربية، وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر، فجائز توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية.

وأما القراءة فأعجبها إلي بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض

(١٥٦) أحمر
أسود

الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا. فأما النصب في الكواكب والرفع، فلا أستجيز القراءة بهما، لإجماع الحجة من القراء على خلافهما، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح.

وقوله: (وَحِفۡظٗا) يقول تعالى ذكره: (وَحِفۡظٗا) للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب.

وحفظًا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (وَحِفۡظٗا) يقول: جعلتها حفظا من كل شيطان مارد.

وقوله: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ) اختلفت القراء في قراءة قوله: (لَّا يَسَّمَّعُونَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض الكوفيين: **(لا يسمعون)** بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى: لا يتسمعون، ثم أدغموا التاء في السين فشددوها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف؛ لأن الأخبار الواردة عن رسول الله □ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع.

وأورد الطبري من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا

(١٥٧) أحمر
أسود

ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعًا؛ قال: فلما بعث رسول الله □ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يخطه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله □ قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال أبو كريب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد قدمت كمًّا كبيرًا من هذا في سورة الجن من (التسهيل)، فارجع إليها إن شئت.

ثم قال الطبري $:

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملإ الأعلى، فحذفت «إن» اكتفاء بدلالة الكلام عليها، كما قيل: (كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ) [الشعراء: ٢٠٠-٢٠١] بمعنى: أن لا يؤمنوا به؛ ولو كان مكان «لا» أن، لكان فصيحًا، كما قيل: (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ) [النساء: ١٧٦] بمعنى: أن لا تضلوا، وكما قال: (وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ) [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع من الكلام، فتقول: ربطت الفرس لا ينفلت، كما قال بعض بني عقيل:

وحتى رأينا أحسن الود بيننا ... مساكنة لا يقرف الشر قارف

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ) قال: منعوها. ويعني بقوله: (إِلَى ٱلۡمَلَإِ): إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم.

(١٥٨) أحمر
أسود

قال: وقوله: (وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا) ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورًا.

والدحور: مصدر من قولك: دحرته أدحره دحرًا ودحورًا، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادحر عنك الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده.

قال الطبري $:

وقوله: (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب.

وأورد وجهين للعلماء في تفسير الواصب:

أحدهما: الدائم.

والآخر: الموجع.

واختار أنه الدائم، فقال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال: (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) [النحل: ٥٢] فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص.

وقوله: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) يقول: إلا من استرق السمع منهم (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) يعني: مضيء متوقد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) من نار وثقوبه: ضوءه.

وبإسنادٍ حسن عن السدي قوله: (شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) قال: شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(١٥٩) أحمر
أسود

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض (بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦)، قرئ بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥) [الملك:٥]، وقال: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨).

[الحجر:١٦-١٨]

وقوله ها هنا: (وَحِفْظًا) تقديره: وحفظناها حفظًا، (مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧) يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه، ولهذا قال: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ) أي: لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣) [سبأ:٢٣] ولهذا قال: (وَيُقْذَفُونَ) أي: يرمون (مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨) أي: من كل جهة يقصدون السماء منها، (دُحُورًا) أي:رجما يدحرون به ويرجمون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك، (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩) أي:في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال: (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥) [الملك:٥].

وقوله: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ) أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله قبل

(١٦٠) أحمر
أسود

أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ أي: مستنير.

❁ ❁ ❁

(١٦١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾) [الصافات: ١١-٢١]

(١٦٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ -طِينٖ لَّازِبِۭ -عَجِبۡتَ -يَسۡتَسۡخِرُونَ -دَٰخِرُونَ -زَجۡرَةٞ -يَوۡمُ ٱلدِّينِ -يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)	سلهم
(طِينٖ لَّازِبِۭ)	طين لاصق (يلصق بعضه ببعض ويلصق بيد من يحمله) وقيل: الجيد، وقيل: إن الطين الجيد يكون لزجًا
(عَجِبۡتَ)	تعجبت
(يَسۡتَسۡخِرُونَ)	يسخرون ويستهزئون
(دَٰخِرُونَ)	أذلاء - صاغرون
(زَجۡرَةٞ)	نفخةٌ واحدة - صيحة واحدة (النفخ في الصور) - وقيل: دعوة واحدة
(يَوۡمُ ٱلدِّينِ)	يوم القيامة الذي يُدان فيه الناس بأعمالهم
(يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ)	يوم القيامة الذي يفصل فيه بين العباد ويُقضى فيه بينهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١).

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هؤلاء المشركين الجاحدين المنكرين للبعث أهم أشد خلقنا أم الأشياء الأخر التي خلقناها كالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والشياطين وغير ذلك، فإن خلق

السماوات والأرض أكبر وأعظم من خلقهم كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، فإذا كان كذلك فإن بعثهم أحياء يوم القيامة أمرٌ يسيرٌ علينا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسلهم: أهم أشد خلقا؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسماوات والأرض؟

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: **(أهم أشد خلقا أم من عددنا)؟**

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينًا لازبًا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: اللازب: الجيد.

وفي روايةٍ عن ابن عباس: هو الطين الحر الجيد اللزج.

وفي روايةٍ عنه يشهد لها ما تقدم: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ يقول: ملتصق.

وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: واللازب الذي يلزق باليد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: فَسَل هؤلاء المنكرين للبعث: أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات

(١٦٤) أحمر
أسود

العظيمة؟ -وقرأ ابن مسعود: (**أم من عددنا**)-فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. كما قال تعالى: (لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) **[غافر:٥٧]** ثم بين أنهم خُلقوا من شيء ضعيف، فقال: (إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾).

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك: هو الجيّد الذي يلتزق بعضه ببعض. وقال ابن عباس، وعكرمة: هو اللزج. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾) قراءتان. وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: نعم في قوله تعالى: (عَجِبْتَ) قراءتان.

إحداهما: (عَجِبْتَ) بفتح التاء.

الثانية: (عجبتُ) بضم التاء.

ومعنى (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾): أي بل عجبت أنت يا رسول الله من الفضل العظيم الذي أنزلته عليك وإبلاغك إياهم وتكذيبهم لك وسخريتهم بك. فأنت تقدم لهم كل خير، وتخبرهم بما فيه كل نفع وتتلو عليهم خير كتاب وهم يسخرون منك ويكذبونك ويعاندونك، فأنت متعجبٌ من صنيعهم وهم يسخرون منك.

والوجه الثاني: (بل عجبتُ): معناه - والله أعلم -: أن الله ﷻ يخبرنا بأنه تَعجَّب من صنيع هؤلاء المكذبين، فالقرآن يتلى عليهم، وهم فيه يسخرون

(١٦٥) أحمر
أسود

وأنت تدعوهم إلى التوحيد وهم يسخرون منك.

وأيضًا قد عجب ربنا من اتخاذهم شريكًا له مع هذه الآيات التي تُساق إليهم.

قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: **(بل عجبتُ ويسخرون)** بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل[(١)] عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

هذا، وقد أورد الطبري عن قتادة بسندٍ حسن أنه قال: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: بل عجبت -يا محمد-من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها. وهم بخلاف أمرك، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك.

وهذه فائدة أوردها الطبري رحمه الله تعالى في سؤال طرحه وأجاب عليه، بعد أن صوَّب القراءتين بقوله الصواب من القول في ذلك أن يقال:

---

(١) وليس معنى هذا أن الطبري ينفي صفة العجب لله ولا أن صفة العجب منتفية عن الله.
فسيورد الطبري القول الذي فيه... قد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله.

(١٦٦) أحمر
أسود

إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبًا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما. فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر □ أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية.

❁ ❁ ❁

إثبات صفة التعجب لله

س: هل ربنا سبحانه وتعالى يعجب؟

ج: نعم ربنا سبحانه وتعالى يعجب، على الوجه الذي يليق به سبحانه، والشأن في ذلك شأن سائر الصفات.

قال رسول الله □: «**عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**»(١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

(١) البخاري حديث (٣٠١٠).

﴿١٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - أن هؤلاء المشركين إذا ذُكِّروا ووعِظُوا بالقرآن وما فيه من الآيات لا ينتفعون بالذكرى وإذا حُذروا لا ينتفعون بالتحذير.

(وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) دلالة واضحة على قدرتنا ووحدانيتنا يسخرون منها ويستهزئون بها، فهذا شأنهم إعراض وسخرية وعدم انتفاع.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينيبوا إلى طاعة الله (لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾): يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا.

وقوله: (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾) يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد □ يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون.

❁ ❁ ❁

استنكار المشركين للبعث

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم - إخبارٌ عن أهل الكفر وقولهم في القرآن الكريم، واستنكارهم للبعث، فقالوا عن القرآن: ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أنه سحرٌ، ثم قالوا عن البعث مستنكرين: أئذا متنا وتفرقت أجسادنا

(١٦٨) أحمر
أسود

وتقطعت أوصالنا وكنا ترابًا وعظامًا باليةً نخِرةً أئنا لمبعوثون أحياءً بعد الممات؟!! وكذلك سيبعث آباؤنا الذين قد ماتوا وذهبوا؟ فأين هم الآن؟!

قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين الذين وصفوا القرآن بأنه سحر، نعم ستبعثون وأنتم أذلاء صاغرون، وما هي إلا نفخة واحدة - صيحة واحدة - ينفخها إسرافيل في الصور فإذا أنتم من القبور قيام تنظرون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون - من قريش - بالله لمحمد □: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر مبين.

يقول: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾) يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياءً من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابًا وعظامًا، قد ذهب عنها اللحوم.

(أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا.

يقول الله لنبيه محمد □: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابًا وعظامًا أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) تكذيبًا بالبعث (قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾).

وقوله: (وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾) يقول تعالى ذكره: وأنتم صاغرون أشد الصغر؛ من قولهم: صاغر داخر.

وقوله: (فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور (فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾) يقول: فإذا هم

(١٦٩) أحمر
أسود

شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥) أي:إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين، (أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧) يستبعدون ذلك ويكذبون به، (قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨) أي: قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابًا وعظامًا، (وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨) أي: حقيرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تعالى: (وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧) [النمل:٨٧]، وقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠) [غافر:٦٠].

وقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ١٩) أي: إنما هو أمر واحد من الله ﷻ، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة.

وقال القرطبي $:

أي إذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع (أَءِذَا مِتۡنَا) أي: أنبعث إذا متنا؟ فهو استفهام إنكار منهم وسخرية (أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧) أي: أو تبعث آباؤنا دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف وقرأ نافع: **(أو آباؤنا)** بسكون الواو وقد مضى هذا في سورة (الأعراف) في قوله تعالى: (أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ) [الأعراف: ٩٨].

قوله تعالى: (قُلۡ نَعَمۡ) أي: نعم تبعثون (وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨) أي: صاغرون أذلاء لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون، وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم فهذا أمر واقع على رغمكم وإن أنكرتموه اليوم

(١٧٠) أحمر
أسود

بزعمكم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) أي: صيحة واحدة قاله الحسن: وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لأن مقصودها الزجر، أي: يزجر بها كزجر الإبل والخيل عند السوق (فَإِذَا هُمْ) قيام (يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾) أي: ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: المعنى ينتظرون ما يفعل بهم، وقيل: هي مثل قوله: (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الأنبياء: ٩٧] وقيل: أي: ينظرون إلى البعث الذي أنكروه.

(١٧١) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١).

ج: هذا - والله أعلم - دعاءٌ منهم على أنفسهم فدعوا على أنفسهم بالويل، وأيضًا كأنهم فزعوا لما سيحل بهم، وكأنهم أيضًا قالوا: يا للويل الذي سيحل بنا يا لعظيم هذه المصيبة ولشدة هذا العذاب.

فهذا يوم القيامة الذي كنا نستبعده قد جاء، وقد حلَّ، هذا هو اليوم الذي يُفصل فيه بين العباد فيدخل أهل الجنة الجنة وأهلُ النَّار النار.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المكذبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: (يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠) يقولون: هذا يوم الجزاء والمحاسبة.

وقوله: (هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١) يقول تعالى ذكره: هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن قِيلِ الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة نَدمُوا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم، (وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠). فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: (هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١). وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ.

وقال القرطبي $:

(١٧٢) أحمر
أسود

قوله تعالى: (وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠) نادوا على أنفسهم بالويل لأنهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب على أنه مصدر عند البصريين، وزعم الفراء أن تقديره: ياوي لنا ووي بمعنى: حزن. النحاس: ولو كان كما قال لكان منفصلًا وهو في المصحف متصل ولا نعلم أحدًا يكتبه إلا متصلًا و(يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠) يوم الحساب، وقيل: يوم الجزاء (هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١) قيل: هو من قول بعضهم لبعض أي هذا اليوم الذي كذبنا به وقيل: هو من قول الله تعالى لهم وقيل: من قول الملائكة، أي: هذا يوم الحكم بين الناس فيبين المحق من المبطل فـ (فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧) [الشورى: ٧].

❁ ❁ ❁

(١٧٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ
صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ
ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ
ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ
كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا
غَٰوِينَ ٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ
٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ
ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩)

[الصافات: ٢٢-٣٩]

(١٧٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(ٱحۡشُرُواْ -ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ -وَأَزۡوَٰجَهُمۡ -فَٱهۡدُوهُمۡ -صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ - وَقِفُوهُمۡۖ -لَا تَنَاصَرُونَ - مُسۡتَسۡلِمُونَ -يَتَسَآءَلُونَ -تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ -سُلۡطَٰنٖۖ -طَٰغِينَ -فَحَقَّ عَلَيۡنَا -فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ -وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱحۡشُرُواْ)	اجمعوا
(ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)	الذين كفروا - الذين أشركوا
(وَأَزۡوَٰجَهُمۡ)	أشباههم - نُظراءهم - ضُرباءهم[(١)] - أتباعهم - أمثالهم- أشياعهم
(فَٱهۡدُوهُمۡ)	أرشدوهم - سوقوهم
(صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ)	طريق النار
(وَقِفُوهُمۡۖ)	احبسوهم - أوقفوهم (في مكانهم لا يتحركون حتى تُسألوا)
(لَا تَنَاصَرُونَ)	لا ينصر بعضكم بعضًا
(مُسۡتَسۡلِمُونَ)	خاضعون - ذليلون - لا يستطيعون فعل شيء يريدونه، بل يُفعل بهم ما يريده
(يَتَسَآءَلُونَ)	يتخاصمون - يتلاومون - يوبِّخ بعضهم بعضًا
	تدخلون علينا من قبل الدين فتصرفوننا عن الحق إلى

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عمر ﷺ أنه قال: ضرباءهم.

(١٧٥) أحمر
أسود

(تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ)	الباطل، وتزينون لنا الدنيا وتزهدوننا في الآخرة. تجبروننا على الكفر بالقوة والقهر. تأتوننا من حيث نأمنكم
(سُلْطَٰنٍۭ)	قوة - قهر - حجة
(طَٰغِينَ)	متجاوزين للحد في الكفر والظلم والمعاصي والكبائر
(فَحَقَّ عَلَيْنَا)	فوجب علينا ما كتبه الله علينا فحلَّ بنا
(فَأَغْوَيْنَٰكُمْ)	فصرفناكم عن الحق - أضللناكم - زينا لكم
(وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ)	وافق المرسلين فيما قالوه أخبر بصدقهم وأنهم ما كذبوا آمن بالمرسلين قبله

❁ ❁ ❁

بعض مشاهد القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أنه يُقال للملائكة اجمعوا أهل الكفر والشرك بالله ﷻ مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله، من أصنام ونحو ذلك، اجمعوهم مع نظرائهم وأمثالهم وأشياعهم وأتباعهم.

أما قوله: (مِن دُونِ ٱللَّهِ) فله وجهان: أحدهما: مع الله، أي: وما كانوا يعبدونه مع الله، الثاني: يعبدونها بدلًا من عبادتهم لله، أي: يتركون عبادة الله بالكلية.

(١٧٦) أحمر
أسود

أما قوله: (فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) فمعناه: فأرشدوهم إلى طريق النار.

أما قوله تعالى: (وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾) فمعناه: أوقفوهم للسؤال؛ أما متى هذا الوقوف ومتى هذا الإيقاف، فالله أعلم به، ثم من العلماء من قال: يوقفون وهم في طريقهم إلى النار لتأنيبهم وتبكيتهم وتوبيخهم وبيان ضعفهم ومهانتهم، فيقال لهم: (مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) لا ينصر بعضكم بعضًا، فلا جواب إلا الاستسلام والخضوع والذل والمهانة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وهو: فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ) قال: أزواجهم في الأعمال، وقرأ (وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾) [الواقعة: ٧-١٠] فالسابقون زوج، وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كل من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: (وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾) [التكوير: ٧] قال: زوجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوج الله بعض هؤلاء بعضًا، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة، والسابقين السابقين، قال: فهذا قوله: (۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ) قال: أزواج الأعمال التي زوجهن الله.

(١٧٧) أحمر
أسود

وقوله: (وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجهوهم إلى طريق الجحيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾).

يقول تعالى ذكره: (وَقِفُوهُمْ): احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة (إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾) فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه، فقال بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار.

وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله.

وقوله: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضًا (بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾) يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه. وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض (بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾) في عذاب الله.

وقوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾) قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن يتساءلون.

ذكر من قال ذلك:

(١٧٨) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾) الإنس على الجن.

وقال الحافظ ابن كثير $:

الملائكة أن تُميزَ الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم، ولهذا قال تعالى: (۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ).

(وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أي: من الأصنام والأنداد، تحشر معهم في أماكنهم. وقوله: (فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) أي: أرشدوهم إلى طريق جهنم، وهذا كقوله تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾) [الإسراء:٩٧].

وقوله: (وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾) أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا.

وقال $:

ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) أي: كما زعمتم أنكم جميع منتصر، (بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾) أي: منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه.

أما القرطبي $، فأورد أقوالًا نحو التي تقدمت ومما أورده في قوله تعالى: (۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ) أن الكافر يحشر مع الكافر، والزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر.

وكان مما أورده: نساؤهم اللواتي هن لهم موافقات على الكفر.

ويشهد للمعنى ما ورد في حديث(١) رسول الله □ ففيه: «..... **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد**

(١) البخاري (٧٤٣٧) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(١٧٩) أحمر
أسود

الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت».

*** وفي رواية[(١)]: «... فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم».**

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل النار يقبل بعضهم على بعض يتخاصمون ويتلاومون.

وللعلماء هنا قولان في تفسير قوله تعالى: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ):

أحدهما: أن الإنسي أَقبل على الجنّي الذي أضلّه وأغواه.

الثاني: أن التابع من بني آدم (وهم الضعفاء) أقبل على المتبوع (وهم المستكبرون).

وكلا القولين صحيح، فهذا كله كائن يوم القيامة.

وإن كان الأشهر في هذا المقام أن الإنسي أقبل على الجني (وهو الشيطان والقرين الذي أغواه).

الحاصل أن التابع قاله للمتبوع.

---

(١) البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد مرفوعًا.

(١٨٠) أحمر
أسود

فالكفار من بني آدم أقبلوا على الشياطين التي أضلتهم فقالوا لهم: (إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾) كنتم تأتوننا من ناحية الدين فتزينون لنا الباطل، وتزهدوننا في الخير والحق بشبهكم التي تقذفونها إلينا.

وكذلك أيضًا يقول الأتباع من البشر لسادتهم وكبرائهم: إنكم كنتم تقهروننا على عبادة هذه الآلهة الباطلة وترغبوننا في عبادتها، فيجيب أهل الكفر من شياطين وعتاة بني آدم: (بَل لَّمْ تَكُونُوا) أيها الأتباع من أهل الكفر (مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾) على إيمان، وما كانت لدينا قوة نقهركم بها على الكفر ولكنكم اخترتم هذا الطريق، وكنتم من أهل الطغيان وتجاوز الحدود، فوجب علينا ما كتب علينا كما قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾).

[هود: ١١٩]

فها نحن نذوق العذاب، لقد اخترنا طريقًا وهو طريق الضلال فسلكناه فسلكتموه معنا، فقد كنا غاوين فأغويناكم معنا.

قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ) الأتباع والمتبوعون، كفار الإنس والشياطين كلهم مشتركون في العذاب، وهكذا نفعل بكل مجرم ومن اتبعه على إجرامه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $ بعد أن أورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾) الإنس على الجن.

قال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾).

(١٨١) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

يعني: بالقوة والقدرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾) قال: قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قِبَل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطئوننا عنه.

وبإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾) قال: تأتوننا من قِبَل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾) قال: قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به.

وقوله: (قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍۖ) يقول تعالى ذكره: قالت الجن للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين، وكنتم للأصنام عابدين.

(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍۖ) يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حجة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق (بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾) يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قومًا طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره.

(١٨٢) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: قالت لهم الجن: (بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾) حتى بلغ (قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾).

وبإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) قال: الحجة وفي قوله: (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾) قال: كفار ضلال.

وقال في تأويل قوله تعالى: (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾).

يقول تعالى ذكره: فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) قال: هذا قول الجن.

وقوله: (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾) يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضًا خبر من الله عن قيل الجن والإنس، قال الله (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أغووا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعًا في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾) قال: هم والشياطين. (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾) يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار.

وقال ابن كثير $:

(١٨٣) أحمر
أسود

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دَرَكات النار، (فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾) [غافر:٤٧، ٤٨]. وقال: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾) [سبأ:٣١-٣٣]. قالوا لهم هاهنا: (إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾).

وقوله: (قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾) تقول القادة من الجن، والإنس للأتباع: ما الأمر كما تزعمون؟ بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان، (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۚ) أي: من حجة على صحة ما دعوناكم إليه، (بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾) أي: بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به، فخالفتموهم.

(فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾)، يقول الكبراء للمستضعفين: حقت علينا كلمة الله: إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة، (فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ) أي: دعوناكم إلى الضلالة، (إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾) أي: دعوناكم إلى ما نحن فيه، فاستجبتم لنا، قال الله تعالى: (فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾) أي: الجميع في النار، كل بحسبه، (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ

(١٨٤) أحمر
أسود

﴿٣٤﴾).

وقال القرطبي $:

و(يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾) ها هنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضًا ويوبخه في أنه أضله أو فتح له بابًا من المعصية يبين ذلك أن بعده (إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾) قال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين، وقتادة: هو قول الإنس للجن وقيل: هو من قول الأتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ) [سبأ: ٣١] الآية قال سعيد عن قتادة: أي تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس نحو منه وقيل: تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسمية السانح وقيل: (تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾) تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدقناه، وقيل: تأتوننا من قِبَل الدين فتهونون علينا أمر الشريعة وتنفروننا عنها.

قلت: وهذا القول حسن جدًّا؛ لأن من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين أي: كنتم تزينون لنا الضلالة، وقيل: اليمين بمعنى القوة أي: تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾) [الصافات: ٩٣] أي: بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي: بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد: (تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾) أي: من قبل الحق أنه معكم وكله متقارب المعنى (قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾) قال قتادة: هذا قول الشياطين لهم، وقيل: من قول الرؤساء أي: لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم منه إلى الكفر بل كنتم على الكفر

(١٨٥) أحمر
أسود

فأقمتم عليه للإلف والعادة (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ) أي: من حجة في ترك الحق (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾) أي: ضالين متجاوزين الحد (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ) هو أيضًا من قول المتبوعين، أي: وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقو العذاب كما كتب الله وأخبر على ألسنة الرسل (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾) [السجدة: ١٣] وهذا موافق للحديث: «**إن الله جل وعز كتب للنار أهلا وللجنة أهلًا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم**» (فَأَغْوَيْنَٰكُمْ) أي: زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر (إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾) بالوسوسة والاستدعاء ثم قال خبرًا عنهم: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾) الضال والمضل (إِنَّا كَذَٰلِكَ) أي مثل هذا الفعل (نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾) أي: المشركين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: (إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾).

ج: معناها - والله أعلم - أن أهل الشرك كانوا إذا طُلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، فقيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، استكبروا وامتنعوا عن ذلك ويتمادى بهم الضلال والغيُّ إلى أن يصفوا رسول الله □ بأنه شاعر مجنون، فيقولون: أنترك عبادة آلهتنا من أجل أن شاعرًا مجنونًا قال لنا اتركوا عبادتها؟!!

فيدافع الله ﷻ عن نبيه □ وعن الوحي الذي أوحاه إليه، فيقول تعالى: (بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ) وهو القرآن والتوحيد والإيمان، (وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) ووافق الرسل الذين قد تقدموه ولم يخالفهم، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(١٨٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥) يقول: يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون؛ وترك من الكلام قولوا، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه من ذكره.

وقوله: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦) يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون؟!! يقول: لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبي الله ﷺ ونقول: لا إله إلا الله.

وقوله: (بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ) وهذا خبر من الله مكذبًا للمشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: شاعر مجنون – كذبوا- ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو لله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ) بالقرآن (وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧): أي: صدق من كان قبله من المرسلين.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ) أي: في الدار الدنيا (إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥) أي: يستكبرون أن يقولوها، كما يقولها المؤمنون.

وقال أيضًا: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦) أي: أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون، يعنون رسول الله ﷺ؟! قال الله تعالى تكذيبًا لهم، وردًّا عليهم: (بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ) يعني: رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرْعة الله له من الإخبار والطلب، (وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧) أي:

صدّقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وأمره كما أخبروا، (مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ...) الآية.

[فصلت:٤٣]

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾) أي: لقول شاعر مجنون فرد الله جلَّ وعزَّ عليهم فقال: (بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ) يعني: القرآن والتوحيد (وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) فيما جاؤوا به من التوحيد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم - قول الله ﷻ ووعيده للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ووصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر مجنون، قال الله لهم: إنكم لذائقوا يوم القيامة العذاب المؤلم الموجع جزاءً لكم بما عملتموه في الدنيا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون (إِنَّكُمْ) أيها المشركون (لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾) الموجع في الآخرة (وَمَا تُجْزَوْنَ) يقول: وما تثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها (إِلَّا) ثواب (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾) في الدنيا - معاصي الله.

وقال القرطبي $:

(١٨٨) أحمر
أسود

(إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾) الأصل لذائقون فحذفت النون استخفافا وخفضت للإضافة ويجوز النصب كما أنشد سيبويه:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأجاز سيبويه (وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ) على هذا (وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾) أي: إلا بما عملتم من الشرك.

❁ ❁ ❁

(١٨٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ
﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ
﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾
فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾
فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ
﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾) [الصافات: ٤٠-٧٤]

(١٩٠) أحمر
أسود

س : اذكر معنى ما يلي:

(ٱلْمُخْلَصِينَ -رِزْقٌ مَّعْلُومٌ -مُّكْرَمُونَ -كَأْسٍ -مَّعِينٍ -لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ -غَوْلٌ -يُنزَفُونَ - قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ -عِينٌ -بَيْضٌ مَّكْنُونٌ -يَتَسَآءَلُونَ -قَرِينٌ -لَمَدِينُونَ -مُّطَّلِعُونَ - فَٱطَّلَعَ -سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ -لَتُرْدِينِ -ٱلْمُحْضَرِينَ -نُزُلًا -فِتْنَةً -أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ - طَلْعُهَا -لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ -أَلْفَوْا -عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ -ٱلْمُنذَرِينَ -ٱلْمُخْلَصِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته
(رِزْقٌ مَّعْلُومٌ)	رزق أعلمهم الله به إجمالًا وهو الجنة
(مُّكْرَمُونَ)	يكرمهم الله ﷻ
(كَأْسٍ)	إناء (كوب) فيه خمر
(مَّعِينٍ)	جار - ظاهر - قريب تراه العين
(لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ)	يتلذذ بها شاربوها
(غَوْلٌ)	لا تغتال عقولهم - اغتيال للعقول وذهاب بها
(يُنزَفُونَ)	يصابون بالصداع - تستنزف عقولهم
(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)	قاصرات النظر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى أزواجهن
(عِينٌ)	عيناء - حسنة العين
(بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)	بيض محفوظ مصون، وقد قيل: إنه البيض الذي تحت القشر

(١٩١) أحمر
أسود

(يَتَسَآءَلُونَ)	يسأل بعضهم بعضًا (على سبيل التذكير بما كان من أمر الدنيا وهم فيها)
(قَرِينٌ)	صديق مقارن ملازم
(لَمَدِينُونَ)	لمحاسبون - لمجزيُّون
(مُّطَّلِعُونَ)	ناظرون - مشاهدون
(فَٱطَّلَعَ)	فنظر
(سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ)	وسط النار
(لَتُرْدِينِ)	لتهلكني - لتدخلني النار
(ٱلْمُحْضَرِينَ)	الذين أحضروا في النار ودخلوها
(نُزُلًا)	ضيافةً وعطاءً وفضلًا
(فِتْنَةً)	اختبارًا وابتلاءً
(أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ)	قرار النار - قاع النار جذعها ومنبتها في قاع النار وفروعها تنتشر في النار، ومن قاع النار غذاؤها - منها غُذيت، ومنا سُقيت
(طَلْعُهَا)	ثمرها
(لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ)	لخليطًا ولمزيجًا من الماء الساخن الذي يغلي (قيل: خَلط الماء بالصديد، صديد أهل النار)
(أَلْفَوْا)	وجدوا
(عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ)	على طريقهم يسيرون مُسرعين فَزعين مرعوبين

(١٩٢) أحمر
أسود

(ٱلْمُنذَرِينَ)	القوم الذين أنذرناهم وخوفناهم (الكفار المكذبون للرسل)
(ٱلْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله لعبادته الذين استخلصهم الله من الكفر

❁ ❁ ❁

ذكر بعض نعيم أهل الجنة

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - لكن عباد الله المخلصين لا يعذبون بل ويكرمون غاية الإكرام، فهؤلاء الذين أخلصهم الله لعبادته واصطفاهم لها وسلمهم من الشرك، هؤلاء لهم رزق معلوم في الجنة، فالرزق المعلوم هو الجنة التي أعدت لهم وأعلمهم الله بها، ثم ببعض التفصيل لهذه الجنة وما فيها، قال تعالى: فواكه يتنعمون فيها كيف شاؤوا، وكيف اشتهوا فكلما اشتهوا منها شيئًا وجدوه، ولهم فوق ذلك إكرام من الله ﷻ، ومن الإكرام رفعة درجاتهم وتكليم الله لهم وسماعه لهم، وهم في بساتين وحدائق يتنعمون فيها، قد جلسوا واتكؤوا على سرر يقابل بعضهم بعضًا وينظر بعضهم إلى بعض، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعضٍ، يطوف عليهم الولدان المخلدون بآنية فيها خمر، خمر جاري ظاهر، تِلك الخمر بيضاء كما قال

(١٩٣) أحمر
أسود

بعض أهل العلم: أشد بياضًا من اللبن، وقال بعض العلماء: إن البيضاء هي الكأس، ولا مانع من أن تكون الكأس بيضاء والخمر بيضاء لذيذة الطعام والمذاق يتلذذ بها الشاربون لا تغتال عقولهم ولا تذهب بها ولا يسكرون ولا تسبب لهم صداعًا.

وعندهم أيضًا مما يتلذذ به ويشتهي ويستمتع بالحسناوات من النساء حور العين، هؤلاء اللواتي قصرن أبصارهن وأعينهن عن الناس فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قنعهن الله ﷻ، فليست لهم حاجة في النظر إلى غير الأزواج.

ثم إنهم حسناوات العيون عظيمات الحسن، كأن هؤلاء النسوة الحسناوات في حسنهن وجمالهن كالبيض المحفوظ.

وقد قال بعض العلماء في ذلك: إنه كالبياض الذي تحت القشر (تحت قشر البيض) قبل أن تمسه الأيدي، والمكنون المصون الذي لم تمسه الأيدي والذي لم يُصبه شيء بغيره عن حالته.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾) يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾) قال:

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾) يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة.

(١٩٤) أحمر
أسود

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾) في الجنة.

*** وبإسناد حسن عن السدي في قوله:** (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾) قال: في الجنة.

وقال $:

قوله: (فَوَٰكِهُ) ردًّا على الرزق المعلوم تفسيرًا له، ولذلك رُفعت، وقوله: (وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾) يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها

(فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾) يعني: في بساتين النعيم

(عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾) يعني: أن بعضهم يقابل بعضًا، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقوله: (يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾) يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾) قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية.

وبإسنادٍ حسن عن السدي، في قوله: (بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾) قال: الخمر. والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا، ولكنه يكون إناء.

وقوله: (بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾) يعني بالبيضاء: الكأس، ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء، ولم يقل أبيض، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(صفراء)**.

وقال $:

وقوله: (لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾) يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها.

وقوله: (لَا فِيهَا غَوۡلٞ) يقول: لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال

(١٩٥) أحمر
أسود

عقولهم: يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها، كما قال الشاعر:

ومـــا زالـــت الكـــأس تغتالنـــا وتـــــذهب بـــــالأول الأول

والعرب تقول: ليس فيها غيلة وغائلة وغول بمعنى واحد؛ ورفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول، وكذلك تفعل العرب في التبرئة إذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه، وقد يحتمل قوله: (لَافِيهَاغَوْلٌ) أن يكون معنيًّا به: ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه، وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه، أو ينال بداهية عظيمة: غال فلانًا غول.

وأورد أقوالًا في ذلك.

منها: ليس فيها صداع.

ومنها: ليس فيها أذى فتشكي منه بطونهم.

ومنها: أنها لا تغول عقولهم.

ومنها: ليس فيها أذى ولا مكروه.

ومنها: ليس فيها إثم.

قال:

ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانًا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول.

(١٩٦) أحمر
أسود

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جلَّ ثناؤه: (لَا فِيهَا غَوْلٌ) فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك.

قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة **(ينزفون)** بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: **(ولا هم عنها ينزِفون)** بكسر الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها ينفد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم، ولا يسكرهم شربهم إياه، فيذهب عقولهم.

وأورد أقوالًا في ذلك حاصلها: لا تُذهب عقولهم، ولا تغلبهم على عقولهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾).

يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، ولا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن مجاهد والسدي قال: قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم.

(١٩٧) أحمر
أسود

ونحوه عن قتادة بإسنادٍ حسن.

وبإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد، في قول الله (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا.

وقوله: (عِينٌ ﴿٤٨﴾) يعني بالعين: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (عِينٌ ﴿٤٨﴾) قال: عظام الأعين.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: العَيناء عظيمة العين.

قال الطبري:

وقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾) اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء.

وأورد عن سعيد بن جبير قوله: كأنهن بطن البيض.

وعن السدي بإسنادٍ صحيح: البيض حتى يُقشر قبل أن تمسه الأيدي.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: لم تمر به الأيدي ولم تمسه يشبهن بياضه.

قال الطبري $:

وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبه بياضهن في الصفرة بذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾) قال:

(١٩٨) أحمر
أسود

البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون.

وقال آخرون: بل عنى بالبيض في هذا الموضع: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضًا أو متاعًا، كما قال أبو دهبل:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكنته، فهو مُكنٌّ.

قال السعدي $:

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضًا، أنهم على (سُرُرٍ) وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة المجملة، فهم متكئون عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح.

(مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾) فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل.

(١٩٩) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا للناس: (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾)، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال تعالى (وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ) [العصر:١-٣].

وقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ) [التين:٤-٦]، وقال: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾) [مريم:٧١، ٧٢]، وقال: (كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾) [المدثر:٣٨، ٣٩] ولهذا قال هاهنا: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾) أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله: (أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾) قال قتادة، والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى: (فَوَٰكِهُ ۖ) أي: متنوعة (وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾) أي: يُخْدمون ويرفهون وينعمون، (فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾) قال مجاهد: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

وقوله: (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾)، كما قال في الآية الأخرى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾) [الواقعة:١٧-١٩] فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا، من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول-وذهابها بالعقل جملة، فقال تعالى هاهنا: (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

(٢٠٠) أحمر
أسود

﴿٤٥﴾) أي: بخمر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي: لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم.

وقوله ٥: (لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾) أي: طعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك.

وقوله: (لَا فِيهَا غَوْلٌ) يعني: لا تؤثر فيهم غولا -وهو وجع البطن. قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد-كما تفعله خمر الدنيا من القُولَنْج ونحوه، لكثرة مائيتها.

وقيل: المراد بالغول هاهنا: صداع الرأس.

وقال:

وقوله: (وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) أي: عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

وقوله: (عِينٌ ﴿٤٨﴾) أي: حسان الأعين. وقيل: ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول، وهي النجلاء العيناء، فوصف عيونهن بالحسن والعفة.

وقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان.

وقال الحسن: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) يعني: محصون لم تمسه الأيدي.

وقال السدي: البيض في عشه مكنون.

وقال سعيد بن جبير: (بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾)، يعني: بطن البيض.

وقال عطاء الخراساني: هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة.

(٢٠١) أحمر
أسود

وقال السدي: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) يقول: بياض البيض حين ينزع قشره. واختاره ابن جرير لقوله: (مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾)، قال: والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش، وتنالها الأيدي بخلاف داخلها، والله أعلم.

قال الشنقيطي $:

قوله تعالى: (وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾).

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات من صفات نساء أهل الجنّة:

الأولى: أنهن (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)، وهو العين، أي: عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لشدة اقتناعهن واكتفائهن بهم.

الثانية: أنهن (عِينٌ ﴿٤٨﴾)، والعِين: جمع عيناء، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء.

الثالثة: أن ألوانهن بيض بياضًا مشربًا بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبّههن به، ومنه قول امرىء القيس في نحو ذلك:

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها غير الماء نمير المحلّل

لأن معنى قوله: كبكر المقانات البياض بصفرة: أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة، فبيَّن كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن، بقوله تعالى في (ص): (۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾) [ص: ٥٢]، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب، ومنه قول امرىء القيس:

(٢٠٢) أحمر
أسود

مـن القاصـرات الطـرف لـو دبّ مـن الـذرّ فـوق الأتـب منـها لأثـرا

وذكر كونهن عينًا في قوله تعالى فيهن: (وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾) [الواقعة: ٢٢]، وذكر صفا ألوانهنّ وبياضها في قوله تعالى: (كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾) [الواقعة: ٢٣]، وقوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾)، وصافتهن كثيرة معروفة في الآيات القرآنية.

واعلم أن اللَّه أثنى عليهن بنوعين من أنواع القصر:

أحدهما: أنهن (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)، والطرف العين، وهو لا يجمع ولا يثنّى لأن أصله مصدر، ولم يأتِ في القرآن إلا مفردًا؛ كقوله تعالى: (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾) [إبراهيم: ٤٣]، وقوله تعالى: (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ)، ومعنى كونهن (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) هو ما قدّمنا من أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن بخلاف نساء الدنيا.

والثاني من نوعي القصر: كونهن مقصورات في خيامهن، لا يخرجن منها؛ كما قال تعالى لأزواج نبيّه □: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)، وذلك في قوله تعالى: (حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾) [الرحمن: ٧٢]، وكون المرأة مقصورة في بيتها لا تخرج منه من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب؛ ومنه قوله:

مـن كـان حربًـا للنسـا ء فـإنني سـلم لهنـه
فـإذا عثـرن دعـونني وإذا عثـرت دعوتهنـه
وإذا بـرزن لمحفـل فقصـارهن ملاحهنـه

فقوله: قصارهن، يعني: المقصورات منهن في بيوتهن اللاتي لا يخرجن إلا نادرًا.

(٢٠٣) أحمر
أسود

قال السعدي $:

ذكر أزواجهم فقال: (وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾) أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضًا، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وهذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضًا، محبة لا يطمح معها أحد إلى غيره، ويدل على شدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.

(عِينٌ ﴿٤٨﴾) أي: حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحدق.

(كَأَنَّهُنَّ) أي: الحور (بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين.

❁ ❁ ❁

أهل الجنة يرون أهل النار أحيانًا

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾).

(٢٠٤) أحمر
أسود

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الجنة بعد أن منَّ الله عليهم بدخولها وأخذوا منازلهم منها واستقروا فيها أقبل بعضهم على بعضٍ يذكُرون ما كان من شأنهم في الحياة الدنيا، ويذكرون مجالسهم التي كانوا يجلسونها في الدنيا، فكان مما تذاكروه أن واحدًا منهم قال لهم: إني كان لي صديق مقارن ملازم لي، وقيل: إن هذا القرين شيطان، وقيل: إنه إنسان غويّ، وكان هذا القرين الملازم لي يشككني في البعث والجزاء والثواب والعقاب، فكان يقول لي: أتصدق أننا بعد موتنا وتحوّلنا إلى ترابٍ وعظام سنبعث أحياءً مرة أخرى ونجازى على ما عملناه ونحاسب عليه؟! أئنا لمحاسبون؟!

فهكذا كان قرينه يشككه في البعث فبينما هم كذلك إذ قال هذا القائل هل أنتم ناظرون في النار للاطلاع عليها لرؤية هذا القرين فيها؟؟ فنظر في النار واطلع عليها فرأى قرينه في وسطها، فقال له: والله لقد كدت أن تهلكني وتوردني هذا المورد الذي دخلته، ولولا فضل الله عليَّ وتثبيته لي على الإسلام والاستقامة لكنت معك الآن في النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضًا.

(قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾).

يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض

(٢٠٥) أحمر
أسود

يتساءلون: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾) فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطانًا، وهو الذي كان يقول له: (أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾) بالبعث بعد الممات.

وقال آخرون: ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب.

وقال وقوله: (أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾) يقول أئنا لمحاسبون ومجزيّون بعد مصيرنا عظامًا ولحومنا ترابًا.

قوله تعالى: (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾).

يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أُدخل الجنة لأصحابه: (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾) في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات.

وقوله: (فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾) يقول: فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم.

وقوله: (تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾) يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾) يقول: ولولا أن الله أنعم عليَّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله.

قال الحافظ ابن كثير $:

(٢٠٦) أحمر
أسود

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها؟ وذلك من حديثهم على شرابهم، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم، من مآكل ومشارب وملابس، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾) قال مجاهد: يعني شيطانًا.

وأورد بسندٍ(١) فيه ضعف عن ابن عباس قال: هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا.

ولا تنافي بين كلام مجاهد، وابن عباس؛ فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلامًا تسمعه الأذنان، وكلاهما متعاديان، قال الله تعالى: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام:١١٢] وكل منهما يوسوس، كما قال تعالى: (مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾) [الناس: ٤-٦]. ولهذا (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾) أي: أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء؟! يعني: يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد. (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾) قال مجاهد، والسدي: لمحاسبون؟ وقال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي: لمجزيون بأعمالنا؟ وكلاهما صحيح.

قال: (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾) أي:مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه

(١) وكذا السند عن مجاهد فيه كلام.

(٢٠٧) أحمر
أسود

وجلسائه من أهل الجنة. (فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾) قال ابن عباس، وسعيد ابن جبير، وخليد العصري وقتادة، والسدي، وعطاء الخراساني يعني: في وسط الجحيم.

(قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾) يقول المؤمن مخاطبًا للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك. (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾) أي: ولولا فضل الله عليَّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليَّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ) [الأعراف:٤٣].

قال السعدي $:

لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، وصف تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾) في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. و(يَقُولُ) لي (أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾) أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكرًا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به

(٢٠٨) أحمر
أسود

الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم -: قول أهل الجنة لما دخلوها واستقروا فيها، فقالوا على سبيل الشكر لنعمة الله العظيمة التي أنعم الله بها عليهم من دخولهم الجنة وخلودهم فيها: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾) يتعجبون من واسع فضل الله عليهم ومن عظيم نعمته ورحمته بهم فيقولون متعجبين: أئنا لن نموت، إلا الموتة الأولى التي مُتناها في الدنيا؟! ولن نعذب؟! فحقًّا إن هذا لهو الفوز العظيم، وقوله تعالى: (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾).

قال بعض أهل العلم: إنه قول الله ﷻ، وقال آخرون: إنه قول أهل الجنة، وحاصل معناه، لمثل هذا النعيم فليجتهد المجتهدون في طاعة الله ﷻ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورًا منه بما أعطاه فيها (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ) يقول: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾) يقول: وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾) يقول: إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا.

وقوله: (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾) يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي

(٢٠٩) أحمر
أسود

أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾) هذا من كلام المؤمن مغبطًا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب؛ ولهذا قال: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾).

وقوله: (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾) قال قتادة: هذا من كلام أهل الجنة.

وقال القرطبي $:

(لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن لما رأى ما أعد الله له في الجنة وما أعطاه قال: (لِمِثْلِ هَٰذَا) العطاء والفضل (فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾) نظير ما قال له الكافر: (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾) [الكهف: ٣٤] ويحتمل أن يكون من قول الملائكة وقيل: هو من قول الله عز و جل لأهل الدنيا أي: قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء و(لِمِثْلِ هَٰذَا) الجزاء (فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾). النحاس: وتقدير الكلام - والله أعلم - فليعمل العاملون لمثل هذا.

ذكر شجرة الزقوم

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أهذا الذي ذكرناه من النعيم الذي أُعد لأهل

(٢١٠) أحمر
أسود

الجنة، ومن الإكرام المعدُّ لهم فيها خير ضيافةٍ، وأحسن عطاءً وأوسع رزقًا وأهنأ وأمرأ وأسلم أم من كان طعامه من شجرة الزقوم، تلك التي ذُكر شأنها في آيات أُخر إذ الله قال: (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾) [الدخان: ٤٣-٤٦]، إنا جعلنا هذه الشجرة في الدنيا سببًا لانصراف هؤلاء الكفار عن الحق وسببًا لإبعادهم عنه بسبب ابتعادهم الأول وانصرافهم عن مجيء الحق إليهم لأول مرة، فلانحرافهم أول مرة ولتكذيبهم رسولنا زدناهم انصرفًا بسبب ذكرنا شجرة الزقوم التي أعددناها لهم، وهكذا من يأتيه الحق وينصرف عنه، يصرفه الله كما قال تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الأنعام: ١١٠].

وكما قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾) [الأعراف: ١٤٦]، وكقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ) [الصف: ٥]، وكقوله تعالى: (ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم) [التوبة: ١٢٧].

فالحاصل أن الله ﷻ جعل هذه الشجرة سببًا لفتنتهم وانصرافهم عن الحق، فكأنهم لما سمعوا عن كونها تخرج في أصل الجحيم أنكروا ذلك، وقالوا: كيف ذلك والنار تأكل الأشجار؟! فكفروا بذلك، وهذا وجه الافتتان بها.

أما عن هذه الشجرة، فكما قال تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) في أصل النار، في قاعها، غُزِّيت بالنار وشربت من النار، ثمرها

(٢١١) أحمر
أسود

في بشاعته ونكارته - ذلكم الثمر المتفرع منها في النار - كرءوس الشياطين وإن كنا لم نر الشياطين لكن جُعلت مثالًا لكل مستبشع وقبيح، ثم أخبر تعالى أنهم سيأكلون منها فهي طعامهم، قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾) وبعد الأكل ثمَّ شراب يشربونه، شراب أبشع الشراب إنه شراب مخلوط مشوبٌ، ماء حارٌ حميم بلغ أعلى درجات حرارته وغليانه مخلوط بصديد أهل النار وبدمائهم، هذا هو شرابهم (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) حاصل معناه ثم إن مردَّ هؤلاء الكفار بعد شربهم الحميم إلى الجحيم مرة ثانية للأكل منها فهم يدورون بين حميمٍ آن للشراب منه وطعام الزقوم في الجحيم، فيذهبون إلى مكان في النار يشربون منه الحميم ثم يرجعون إلى مكان الطعام يأكلون الزقوم كما قال تعالى: (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٣-٤٤] قد بلغ أعلى درجات حرارته، أما قوله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾) أي: أنهم قد وجدوا آباءهم على ضلالة فساروا مسرعين مهرولين إلى هذه الضلالة وساروا عليها، ولقد حاد عن الطريق قبلهم أكثر من تقدمهم، فالكثرة دومًا في ضلال مع أننا أرسلنا إليهم رسلًا يحذرونهم وينذرونهم ويخوفونهم، ولكن كذبوهم وجحدوهم، فانظر كيف كانت عاقبة هؤلاء المكذبين للرسل، لقد كانت عاقبتهم وخيمة، وإن شئت أن ترى بعضها رأيت (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) [القصص: ٥٨]، (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟) [النمل: ٥٢]، (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

لكن أغرق الله بعضهم وأخذت آخرين الصيحة، وخسفت الأرض بفئامٍ منهم، وأرسل الله حاصبًا على أقوام إلى غير ذلك من صور العذاب التي

(٢١٢) أحمر
أسود

أحلَّها الله بهم، ولكن الله سلَّم عباده الذين اصطفاهم لعبادته ولطاعته، فهذا قوله: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾).

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم. وعني بالنزل: الفضل، وفيه لغتان: نُزُل ونُزْل؛ يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نُزْل ونُزُل. وقوله: (أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾) ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: (إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾) يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾).

وأورد بإسنادٍ حسن(١) عن قتادة: (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾) حتى بلغ (فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، غذيت بالنار ومنها خلقت.

وبإسنادٍ حسن عن السدي(٢) قال: قال أبو جهل لما نزلت (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾) [الدخان: ٤٣] قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم

---

(١) وإسناده حسن عن قتادة، وأراه تفسيرًا منه.

(٢) هذا وإن حُسِّن عن السدي لكنه مرسل، فالسدي لم يدرك أبا جهل، ولم يدرك رسول الله □.

(٢١٣) أحمر
أسود

الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾) قال: لأبي جهل وأصحابه.

وبإسنادٍ فيه مقال عن مجاهد[1] قوله: (إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾) قال: قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه.

وقوله: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾) يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني: شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رءوس الشياطين في قبحها.

وقوله: (فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾) يقول تعالى ذكره: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالئون من زقومها بطونهم.

في تأويل قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾).

يقول تعالى ذكره: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبًا، وهو الخلط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيابًا (مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أسخن فانتهى حره، وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وأورد الطبري بأسانيد فيها مقال عن ابن عباس قال: (لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) يقول: لمزجًا، وفي رواية: يعني شرب الحميم على الزقوم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: مِزاجًا من حميم.

---

(١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ثم إنه مرسل.

(٢١٤) أحمر
أسود

وبإسنادٍ حسن عن السدي قال: الشوب: الخلط وهو المزج.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) قال: حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) يقول تعالى ذكره: ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٤].

قال الطبري:

وقوله: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾) يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضلالًا عن قصد السبيل، غير سالكين محجة الحق.

(فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾) يقول: فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم، ليقتفوا آثارهم وسنتهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرًا حثيثًا فيه شبه بالرعدة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ -خير ضيافة وعطاء (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾)؟ أي: التي في جهنم.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة، كما قال بعضهم

(٢١٥) أحمر
أسود

من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر، يقال له: الزقوم، كقوله تعالى: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾) [المؤمنون:٢٠]، يعني: الزيتونة. ويؤيد ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾) [الواقعة:٥١، ٥٢].

وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾)، قال قتادة: ذكرت شجرة الزقوم، فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ﷻ: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) غذت من النار، ومنها خلقت.

وقال مجاهد: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾) قال أبو جهل -لعنه الله-: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه.

قلت: ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا نختبر به الناس، من يصدق منهم ممن يكذب، كقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾) [الإسراء:٦٠].

وقوله: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) أي: أصل منبتها في قرار النار، (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾) تبشيع وتكريه لذكرها.

قال وهب بن منبه: شعور الشياطين قائمة إلى السماء.

وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٢١٦) أحمر
أسود

وقيل: المراد بذلك ضرب من الحيات، رءوسها بشعة المنظر.

وقيل: جنس من النبات، طلعه في غاية الفحاشة.

وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير، والأول أقوى وأولى، والله أعلم.

وقوله: (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾)، ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها، وما في معناها، كما قال: (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾) [الغاشية:٦، ٧].

وأورد ابن كثير ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس ؓ: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «**اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قُطرت في بحار الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**».

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور.

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) أي: ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج، وجحيم تتوقد، وسعير تتوهج، فتارة في هذا وتارة في هذا، كما قال تعالى: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾) [الرحمن:٤٤]. هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية، وهو تفسير حسن قوي.

(٢١٧) أحمر
أسود

وقوله: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾) أي: إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك، من غير دليل ولا برهان؛ ولهذا قال: (فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾) قال مجاهد: شبيهة بالهرولة. وقال سعيد بن جبير: يسفهون.

وقال القرطبي $:

(ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا) أي: بعد الأكل من الشجرة (لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) الشوب: الخلط والشَوب والشُّوب لغتان كالفَقر والفُقر والفتح أشهر، قال الفراء: شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابةً فأخبر أنه يشاب لهم والحميم: الماء الحار ليكون أشنع قال الله تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾) [محمد: ١٥] السدي: يشاب لهم الحميم بغساق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم، وقيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظًا لعذابهم وتجديدًا لبلائهم (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون إليها وقال مقاتل: الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون إلى الجحيم لقوله تعالى: (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٣ - ٤٤]، وقرأ ابن مسعود: **(ثم إن منقلبهم إلى الجحيم)** وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون **(ثم)** بمعنى الواو. القشيري: ولعل الحميم في موضع من جهنم على طرف منها.

❁ ❁ ❁

(٢١٨) أحمر
أسود

س: كيف جُعلت شجرة الزقوم فتنة للظالمين، أي ما وجه افتتان الظالمين بها؟

ج: وجهه أنهم قالوا كيف تنبت الشجرة في وسط الجحيم والنار تأكل الأشجار؟

وخفي عليهم لجهلهم ولقلة إيمانهم أن الله ﷻ على كل شيء قدير، فسخروا من رسول الله ﷺ لما ذكَّرهم بهذه الشجرة، ففتنوا وانصرفوا عن الحق، وازدادوا وانصرفًا عنه كما قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ) [الإسراء: ٦٠].

أي: جعلناها فتنة للناس، أي: اختبارًا وابتلاءً فأهل الإيمان يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وأنه ﷻ خلق النار وخلق الأشجار، وأودع في النار ما أودع من تمكينها من الإحراق، وهو سبحانه قادر على سلب ذلك منها، وقادر على إنبات ما يشاء فيها، وقد قال ﷻ للنار: (يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾) [الأنبياء: ٦٩]، فكانت عليه بردًا وسلامًا.

أما أهل الكفر فيكذبون بذلك فيزدادون بعدًا عن الحق والهدى، والله أعلم.

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾) أي: المشركين وذلك أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر؟ وقد مضى هذا المعنى في (سبحان) واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾) [المدثر: ٣٠] ما الذي يخصص هذا العدد؟ حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا)

(٢١٩) أحمر
أسود

[المدثر: ٣١] والفتنة: الاختبار، وكان هذا القول منهم جهلًا إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجرًا من جنسها لا تأكله النار كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار وقيل: هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخلله الأرواح وحملوا وزن الأعمال والصراط واللوح والقلم على معاني زوروها في أنفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع، وإذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وإن جاز أن يكون له تأويل ثم التأويل في موضع إجماع المسلمين على أنه تأويل باطل لا يجوز، والمسلمون مجمعون على الأخذ بهذه الأشياء من غير مصير إلى علم الباطن وقيل: إنها فتنة أي: عقوبة للظالمين كما قال: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها سمي طلعًا لطلوعه.

❁ ❁ ❁

س: كيف شبهت شجرة الزقوم طلعها برءوس الشياطين ونحن لا نعرف رءوس الشياطين؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن كل شيء مكروه شبِّه برءوس الشياطين، وكل شخص شرير شبه بالشيطان لِمَا استقر في النفوس من أن الشيطان سببٌ لكل ضلال، ومحلٌ لكل خُبث، ومثالٌ لكل كريهٍ.

كما أنه في المقابل كل طيب وجميل يوصف بأنه مَلك مع كوننا لم نر

(٢٢٠) أحمر
أسود

الملائكة.

وهذه أقوال بعض العلماء في هذا الباب.

وقال القرطبي $:

(كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾) قيل: يعني الشياطين بأعيانهم شبهها برءوسهم لقبحهم، ورءوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرًا عن صواحب يوسف: (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾) [يوسف: ٣١]، وهذا تشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس والقرظي ومنه قول امرىء القيس:

ومســـنونة زرق كأنيـــاب أغـــوال

وإن كانت الغول لا تعرف ولكن لما تصور من قبحها في النفوس.

وقد طرح الطبري مثل هذا السؤال وأجاب عليه إذ قال:

فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم، ولا برءوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبَيَّنها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾) فلم يتركهم في عماء منها. وأما في تمثيله طلعها

(٢٢١) أحمر
أسود

برءوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم:

أحدها: أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.

والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانًا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله:

عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروى عجيز.

والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس.

❁ ❁ ❁

س: هل شجرة الزقوم شجرة أم شجر؟

ج: بل هو شجرٌ كما قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) [الواقعة: ٥١-٥٣].

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾).

وقوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾) [الدخان: ٤٣-٤٤].

وقوله: (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾) [الحاقة: ٣٦].

ج: هذا - والله أعلم - يحمل على أحد أمرين:

(٢٢٢) أحمر
أسود

أولهما: أن يُقال إن فئات من الكفار طعامهم دائمًا وإن اقتصر على صنف من هذه الأصناف فلا يأكلون إلا الضريع مثلًا.

وفئات أُخر طعامهم فقصر على الغسلين.

وفئات أُخر طعامهم فقصر على الزقوم.

والثاني: أن يقال إنهم جميعًا يستمرون على طعام واحد زمنًا طويلًا ثم بعده ينتقلون إلى طعام آخر لزمن طويل أيضًا فيكون ليس لهم في هذا الوقت إلا هذا الطعام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ضلَّ وانحرف وحاد عن الطريق المستقيم الموصل إلى جنة النعيم - وهو طريق الإسلام - انحرف عن قبل هؤلاء القرشيين أكثر من تقدموهم من الأمم، ولقد أرسلنا إليهم رسلًا تنذرهم كما أرسلنا إلى هؤلاء رسولًا ينذرهم، فكذبوا الرسل كما كذبك هؤلاء يا رسول الله، فانظر ماذا حل بمن كذَّبوا وعاندوا وكفروا لقد حلَّ بهم من البلاء ما حل لكن عباد الله الذي أخلصهم واصطفاهم قد سلمهم الله ونجاهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم

(٢٢٣) أحمر
أسود

مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾) يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا (فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾) يقول: فتأمل وتبين كيف كان غب أمر الذين أنذرتهم أنبياؤنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾) يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله؛ واستثنى عباد الله من المنذرين، لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناؤهم منهم.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى. وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين، ينذرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، ممن كفر به وعبد غيره، وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم. فأهلك المكذبين ودمرهم، ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم، ولهذا قال: (فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾).

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾) أي: من الأمم الماضية (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾) أي: رسلًا أنذروهم العذاب فكفروا (فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾) أي: آخر أمرهم (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾)

(٢٢٤) أحمر
أسود

أي: الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم ثم قيل: هو استثناء من (المنذرين) وقيل هو من قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾).

[الصافات: ٧١]

❁ ❁ ❁

(٢٢٥) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥-٨٢]

(٢٢٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(نَادَىٰنَا - فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ - ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ - ٱلْبَاقِينَ - فِى ٱلْعَٰلَمِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(نَادَىٰنَا)	دعانا
(فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ)	فلنعم المجيبون له - نعم من أجابه
(ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)	الطوفان - وتكذيب قومه له
(ٱلْبَاقِينَ)	الباقين على مر الدهور والعصور إنما هم من ذرية نوح ﷺ
(فِى ٱلْعَٰلَمِينَ)	في البشر، وقيل في الإنس والجن

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله نوح ﷺ

س: ما هذا النداء الذي نادى به نوحٌ ﷺ ربَّه ﷻ؟

ج: منه قوله: (أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾) [القمر: ١٠].

وقوله: (لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾) [نوح: ٢٦].

❁ ❁ ❁

س: ما صورة الإجابة التي أجاب الله ﷻ بها نوحًا ﷺ لما دعاه؟

ج: أجابه الله ﷻ بأن سلَّمه ونجاه من أهل الظلم ففتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر وفجَّرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمرٍ قدَّره الله ﷻ وهو إهلاك الظلم وأهل العناد الذين عاندوه □.

قال تعالى: (فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾...)

الآيات.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾...) [نوح: ٥-٦] إلى قوله: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾) [نوح: ٢٦]، وقوله: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى قبل، وبينا اختلاف العلماء في عددهم.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلًا فذكر نوحًا ؑ، وما لقى من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة، (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾) [القمر: ١٠]، فغضب الله لغضبه عليهم؛ ولهذا قال: (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) أي: فلنعم المجيبون له (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾)، وهو التكذيب والأذى.

❁ ❁ ❁

س: هل كل أهل نوحٍ ؑ أنجاهم الله؟

ج: على ما ذُكر في كتاب الله ﷻ فإن الله قال: (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ) [هود: ٤٠]، وزوجته قد قال الله في شأنها: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا

(٢٢٨) أحمر
أسود

عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾) [التحريم: ١٠]، وكذا ولده، فقد قال تعالى: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ...) [هود: ٤٥-٤٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾).

ج: قال السعدي $: فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: (فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابقت ما سأل، فنجاه وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح غ، وجعل له ثناء حسنًا مستمرًّا إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكرب العظيم؟

ج: هو ما لقيه من تكذيب قومه له وسخريتهم منه واستهزائهم به.
ومن أيضًا الطوفان العظيم الذي حلَّ بالأرض في زمانه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾)؟

(٢٢٩) أحمر
أسود

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا ذريته هم الباقين في الأرض بعد إهلاك سائر الناس وموتهم، فكان الذين تناسلوا هم ذرية نوحٍ ﷺ.

وقد ورد حديثٌ في سنده ضعف من طريق الحسن عن سمرة أن النبي ﷺ قال: «**سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم**»(١).

وأكثر أهل العلم - ولم أقف على دليلٍ ثابت بذلك - ذهبوا إلى أن أبناء نوح ﷺ ثلاثة سام وحام ويافث.

وقال الحافظ ابن كثير $:

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ: وقد روي عن عمران بن حُصين(٢)، عن النبي ﷺ مثله.

والمراد بالروم هاهنا: هم الروم الأوَل، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي ابن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح ﷺ.

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ابن المسيب قال: ولد نوح ﷺ ثلاثة: سام وحام ويافث، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة، فولد سامُ العربَ وفارسَ والروم، وولد يافثُ الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حامُ القبطَ والسودان والبربر. وروي عن وهب بن منبه نحو هذا، والله أعلم.

قلت: ولا يثبت في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ فيما علمت.

هذا، وقد قال الطبري $:

---

(١) أحمد (٩/٥)، والطبري (٢٩٤١٩)، والترمذي (٣٢٣١)، وغيرهم، وسنده ضعيف.

(٢) ولا يصح هذا، فهو نوع اختلاف على الحسن البصري، فمرة رواه عن سمرة، ومرة رواه عن عمران، وكلٌّ لا يصح، والله أعلم.

(٢٣٠) أحمر
أسود

وقوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) يقول: وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

ونحوه بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: لم يبق إلا ذرية نوح.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين هذه الآية الكريمة: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) **وبين نداء الله ﷻ في سورة الإسراء:** (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) [الإسراء: ٣]، **فالآية الأولى مفادها أنه لم يبق حيًّا بعد الطوفان إلا ذرية نوح، والثانية: أفادت أن الناس هم ذرية المحمولين مع نوح عليه السلام؟**

ج: قد يُقال - والعلم عند الله -: إنه كان محمولًا مع نوحٍ في السفينة قوم من أهله وذريته وقوم من المؤمنين به من غير ذريته، فلم يُقدِّر الله ﷻ أن يعيش ويحيا وتكون له ذرية إلا من كانوا من ذرية نوح عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا لنوحٍ عليه السلام ذِكرًا حسنًا في الناس الذين جاءوا من بعده، وثناءً حسنًا منهم عليه.

وقد قيل: إن المراد بالآخرين هم أمة محمد ﷺ كما قال تعالى: (۞ شَرَعَ

(٢٣١) أحمر
أسود

لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا) [الشورى: ١٣]، وكما قال تعالى: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣) [الإسراء: ٣]، ومن العلماء من قال: إنهم المؤمنون بعده عمومًا، ومنهم من قال: ثناءً حسنًا على ألسنة الخلق، هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الذي تركه الله عليه في الآخرين مفسرٌ بقوله تعالى: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩).

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨) وأبقينا عليه، يعني: على نوح ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا في الآخرين، يعني: فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به.

وأورد عن ابن عباس ڠ بسندٍ فيه مقال: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨) يقول: يُذكر بخير.

ونحوه عن مجاهد يقول: جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وعن السدي قال: الثناء الحسن.

وقوله: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩) يقول: أمنة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء؛ وسلام مرفوع بعلى. وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: معناه: وتركنا عليه في الآخرين، (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ) أي: تركنا عليه هذه الكلمة، كما تقول: قرأت من القرآن (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢) فتكون الجملة في معنى نصب، وترفعها باللام، كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى، وهو في تأويل نصب، قال: ولو كان: تركنا عليه سلامًا، كان

(٢٣٢) أحمر
أسود

صوابًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩) مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨) أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا في كل أمة؛ فإنه محبب إلى الجميع حتى إن في المجوس من يقول: إنه أفريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي أن فيه تقديرين:

أحدهما: (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨) يقال: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ) أي: تركنا عليه هذا الثناء الحسن، وهذا مذهب أبي العباس المبرد، أي: تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليمًا ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله تعالى: (سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا) [النور: ١].

والقول الآخر: أن يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ) أي: سلامة له من أن يذكر بسوء (فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨) قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود (**سلامًا**) منصوب بـ (وَتَرَكۡنَا) أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا سلامًا، وقيل: (فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨) أي: في أمة محمد □، وقيل: في الأنبياء إذ لم يبعث بعده نبي إلا أمر بالاقتداء به، قال الله تعالى: (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا) [الشورى: ١٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وكما أنجينا نوحًا ﷺ، وسلمناه وأكرمناه

بأن جعلنا ذريته هم الباقين، وجعلنا له ثناءً حسنًا في الناس بعد موته، فهكذا نجازي كل محسنٍ ولا يقف جزاؤنا الحسن على شخص بعينه بل كل من أحسن يجازى ويكرم.

ثم عودٌ بالثناء على نوحٍ ﷺ بقوله تعالى: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) شهادة من الله له بذلك، ثم أغرقنا الآخرين، أي: بقية قومه (الذين لم يؤمنوا به).

وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء.

قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين، وأبقينا عليه ثناء في الآخرين (كَذَٰلِكَ نَجْزِى) الذين يحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا. وقوله: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) يقول: إن نوحًا من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة.

وقوله: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: ثم أغرقنا حين نجينا نوحًا وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾) قال: أنجاه الله ومن معه في السفينة وأغرق بقية قومه.

وقال ابن كثير $:

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله، نجعل له لسانَ صدْق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك.

ثم قال: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) أي: المصدقين الموحدين الموقنين، (ثُمَّ

(٢٣٤) أحمر
أسود

أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾) أي: أهلكناهم، فلم تبْق منهم عين تطرف، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) أي: نبقي عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب أي: جزاء، كذلك (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) هذا بيان إحسانه، قوله تعالى: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾) أي: من كفر وجمعه أخر والأصل فيه أن يكون معه (مِنْ) إلا أنها حذفت لأن المعنى معروف ولا يكون آخرا إلا وقبله شيء من جنسه (ثُمَّ) ليس للتراخي ها هنا بل هو لتعديد النعم كقوله: (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) [البلد: ١٦ - ١٧] أي ثم أخبركم أني قد أغرقت الآخرين وهم الذين تأخروا عن الإيمان.

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله إبراهيم ﷺ

(۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم
بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾
فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾) [الصافات: ٨٣-٩٨]

(٢٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(مِن شِيعَتِهِۦ - أَئِفْكًا - دُونَ ٱللَّهِ - سَقِيمٌ - فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ - مُدْبِرِينَ - فَرَاغَ - بِٱلْيَمِينِ - يَزِفُّونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(مِن شِيعَتِهِۦ)	من أهل دينه وملته - من أتباعه وعلى منهاجه وطريقته وسنته - من أنصاره على ما هو عليه من الحق
(أَئِفْكًا)	أكذبًا - والإفك أسوأ الكذب
(دُونَ ٱللَّهِ)	غير الله
(سَقِيمٌ)	مريض، (قيل بالطاعون)
(فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ)	فانصرفوا عنه
(مُدْبِرِينَ)	منطلقين - فارِّين
(فَرَاغَ)	فمال - فذهب، وهناك وجه آخر فراغ عنهم (أي عن قومه) ثم ذهب إلى آلهتهم
(بِٱلْيَمِينِ)	باليد اليمنى لقوتها وشدتها
(يَزِفُّونَ)	يجرون - يسرعون - يستعجلون

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾) شيعة من؟ وما معنى الشيعة هنا؟

ج: المراد: شيعة نوحٍ ﷺ، فالمعنى: وإن إبراهيم ﷺ لمن شيعته نوح ﷺ، أي: من أتباعه الذين هم على دينه وطريقته وسنته ومنهاجه.

(٢٣٧) أحمر
أسود

هذا هو قول الجمهور من المفسرين.

قال الطبري $: وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لإبراهيم خليل الرحمن.

وهناك قول آخر ذكره الطبري عن بعض أهل اللغة مُشيرًا إلى تضعيفه ألا وهو أن المراد بقوله: ومن شيعته، أي: ومن شيعة محمد رسول الله □ لإبراهيم غ.

قال الطبري:

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) **[يس: ٤١]** بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم، وقد سبقتهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾) قال ابن عباس: أي من أهل دينه وقال مجاهد: أي على منهاجه وسننه قال الأصمعي: الشيعة الأعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم فالهاء في (شِيعَتِهِۦ) على هذا لمحمد غ وعلى الأول لنوح وهو أظهر لأنه هو المذكور أولًا.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾) **متى هذا المجيء؟**

ج: قال القرطبي $:

يحتمل مجيئه إلى ربِّه من وجهين:

(٢٣٨) أحمر
أسود

أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني: عند إلقائه في النار.

قلت (مصطفى): وهناك وجهٌ ليس ببعيد، حاصله أن مجيئه إلى ربِّه ۵ المراد به يوم القيامة، أي: أنه عند مجيئه لربِّه ۵ يوم القيامة سيوافي ربَّه ۵ بقلب سليم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بسلامة هذا القلب؟

ج: لأهل العلم أقوال، وكلها صحيحة.

أولها: سليمٌ من الشرك بالله، خالصٌ لله بالتوحيد، مخلصٌ.

وهذا قول أكثر العلماء.

ثانيها: سليمٌ من الشك.

ثالثها: سليمٌ من النفاق.

رابعها: ما ذكره الطبري بسندٍ صحيح عن عروة قال: يا بني لا تكونوا لعانين، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئًا قط فقال الله: (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾).

خامسها: الذي يعلم أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) مَنْ أبوه؟

ج: آزر هو أبو إبراهيم ﷺ.

قال تعالى: (۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً) [الأنعام: ٧٤].

وفي الحديث ـ وقد تقدم في سورة الأنعام ـ: «**يلقى إبراهيم أباه آزر**

(٢٣٩) أحمر
أسود

يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ...» [(١)] الحديث.

ولا التفات إلى قول آخر غير هذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله إبراهيم ﷺ إذ لم تأخذه في الله لومةُ لائم بل دعا إلى الله وبدأ بأول قريبٍ له وهو أبوه ومعه قومه، فقال لهم: ما تعبدون.

وفي الآية الأخرى: (مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ) [الأنبياء: ٥٢].

أتريدون أن تعبدوا آلهة باطلة غير الله، كذبًا منكم وافتراء على الله؟

أتفترون على الله الكذب بدعوتكم آلهة سواه، وتجعلونها شريكة لله وتريدون عبادتها لذلك؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال السعدي $:

(أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) أي: أتعبدون من دون الله آلهة كذبًا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

(فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾) أي: وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادًا وشركاءً.

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٥٠).

(٢٤٠) أحمر
أسود

قال الطبري $:

وقوله: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾) يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون.

وقوله: (أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) يقول: أكذبًا معبودًا غير الله تريدون.

وقال القرطبي $:

(أَئِفْكًا) نصب على المفعول به بمعنى أتريدون إفكا قال المبرد: والإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الأرض (ءَالِهَةً) بدل من إفك (دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) أي تعبدون ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فما الذي تظنونه بربكم أن يفعله بكم وقد عبدتم معه غيره؟

أو ما الذي تتوقعون أن يصنعه بكم ربكم من صور العذاب وقد عبدتم معه غيره؟

وهذا قول الطبري $، ونقله عن قتادة بسندٍ حسن.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه: (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)؟ يقول: فأي شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره.

(٢٤١) أحمر
أسود

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾) يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ثانيها: المراد ما هذا الظن السيئ الذي حملكم على أن عبدتم مع الله إلهًا آخر.

ثالثها: ماذا تظنون بالله ﷻ، أتظنونه غير قادر؟ أتظنونه غافلًا عنكم؟ أتظنونه سيسوي بين الموحد والمشرك؟! أتظنونه سيكرم من أشرك؟!! والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا نظر نظرةً في النجوم، وما وجه تعلق ذلك بقوله: (إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، وما نوع المرض الذي ادعى أنه أصابه؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن القوم كانوا أهل تنجيم وكانوا ينظرون إليها فيتيامنون أو يتشاءمون فجاراهم على طريقتهم لإبطال ما هم عليه.

أما وجه تعلقه بقول: (إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، فحاصله أنه رأى نجمًا طلع، وكان القوم يتوهمون أن بعض النجوم إذا طلعت صاحبتها بعض الأمراض، فلما قال لهم: (إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) تركوه مصدقين له، وكان عۃ قد أراد أن يتركوه حتى لا يشارك في كفرهم وضلالهم وحتى يتجه إلى الأصنام يصنع بها الذي صنع.

أما المرض الذي ذكره؛ إذ قال: (إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، فقال أكثر المفسرين: إنه الطاعون، وهذا الذي حملهم على الفرار منه والهرب عنه خشية العدوى، وأما المذكور في كتاب الله ﷻ فهو قوله: (إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) ولم يذكر نوع المرض.

(٢٤٢) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجمًا قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مطعون، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها.

وأورد بإسنادٍ ضعيف إلى ابن عباس، قوله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج، فقال: إني مَطْعُون، فتركوه مخافة الطاعون.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب أنه قال: رأى نجمًا طلع.

وبإسنادٍ حسن عنه (عن ابن المسيب) أيضًا: أنه (أي الخليل ﷺ) رأى نجمًا طلع، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، قال: كايد نبي الله عن دينه، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾).

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد[(١)]، عن أبيه، في قول الله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) قال: أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾).

قال ابن كثير $:

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجُهم إلى عيد لهم، فأحب أن

---

(١) وابن زيد نفسه ضعيف، وهو هنا من رجال الإسناد لكن قد تغفر له روايته عن أبيه.

(٢٤٣) أحمر
أسود

يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلامًا هو حقٌّ في نفس الأمر، فَهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه، (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾) قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم: يعني قتادة: أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) أي: ضعيف.

❁ ❁ ❁

س: كيف قال الخليل ﷺ: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) مع كونه كان صحيحًا؟

ج: اعتبر ذلك إحدى الكذبات الثلاث التي صدرت من إبراهيم ﷺ كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ﷺ قَطُّ إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِى ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾). وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) وَوَاحِدَةً فِى شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِى يَغْلِبْنِى عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِى فَإِنَّكِ أُخْتِى فِى الإِسْلاَمِ فَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ فِى الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِى وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لاَ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلاَّ لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِىَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى الصَّلاَةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا: ادْعِى اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِى وَلاَ أَضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ فَقَالَ: ادْعِى اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِى فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لاَ أَضُرَّكِ. فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِى جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِى بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِى بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِى وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ:**

(٢٤٤) أحمر
أسود

فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ قَالَتْ: خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(١).

وأورد الطبري رحمه الله تعالى وجهًا آخر، وردَّه فجزاه الله خيرًا على ردِّه إياه.

قال الطبري $:

وقال آخرون: إن قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) كلمة فيها معراض، ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر.

ورد الطبري هذا القول بقوله: والخبر عن رسول الله □ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله □ هو الحق دون غيره. قوله: (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾) يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفًا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به.

قلت: وقد أحسن الطبري $ رحمة واسعة؛ إذ لم يُقدم قولًا على قول رسول الله □، وفي هذا دلالة عظيمة على إمامته وجلالته؛ إذ لم يقدم على قول رسول الله □ قولًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو أسامة، حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله □ قال: «**لم يكذب إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات**

(١) مسلم (٢٣٧١) مرفوعًا، والبخاري موقوفًا (٢٣٥٨)، ومرفوعًا مختصرًا (٢٣٥٧).

(٢٤٥) أحمر
أسود

الله، **قولــه:** (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، **وقولــه:** (بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) [الأنبيــاء: ٦٣]، **وقوله في سارة: هي أختي**» فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا- وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزًا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث(١): «**إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن قوم إبراهيم ﷺ لما سمعوا قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) نفروا عنه وانصرفوا منطلقين فلما كان ذلك مال إلى آلهتهم - قال البعض: وأتى بطعام فقدمه لها - فقال: ألا تأكلون من هذا؟ على سبيل الاستهزاء والسخرية، ثم قال: (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾)، ما لكم لا تتكلمون ولا تجيبون.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري $ بعد أن أورد قول قتادة: (فَتَوَلَّوْا) فنكصوا عنه (مُدْبِرِينَ) منطلقين، **قال الطبري:**

وقولــه: (فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره: فمال إلى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا؛ وأرى أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم

---

(١) قلت: وهو ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٤٠/٢) بسندٍ ضعيف.

(٢٤٦) أحمر
أسود

إلى آلهتهم؛ كما قال عدي بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ ـفع إلا المصادق النِّحرير

يعني بقوله: «لا ينفع الرواغ»: الحياد. أما أهل التأويل فإنهم فسروه بمعنى فمال.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: (فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ) فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب. وبسند حسن إلى السُّدي قال: (فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ) ذهب.

ثم قال الطبري $:

وقوله: (فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنۡطِقُونَ ٩٢) هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة؛ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو: فقرب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: (أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١) فلما لم يرها تأكل قال لها: ما لكم لا تأكلون، فلم يرها تنطق، فقال لها: (مَا لَكُمۡ لَا تَنۡطِقُونَ ٩٢) مستهزئًا بها، وكذلك ذكر أنه فعل بها، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل.

وقال ابن كثير $:

(فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠) أي: إلى عيدهم، (فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ) أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء، (فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١)، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتُبرّك لهم فيه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصَّت اليمين بالذِّكر؟ وما معنى الآية الكريمة: (فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣)؟

(٢٤٧) أحمر
أسود

ج: خصت اليمين بذكر - وهي اليد اليمنى - للدلالة على قوة البطش وشدة التكسير والتحطيم.

قال ابن كثير $:

وإنما ضربهم باليمين؛ لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة الأنبياء تفسير ذلك.

وذكر بعض أهل العلم وجهًا آخر حاصله:

أن قوله: (بِٱلۡيَمِينِ ٩٣) معناه: إمضاءً لليمين التي أقسمها ووفاءً بها، وهي قوله: (وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧) [الأنبياء: ٥٧].

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضربًا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضربًا بالقوة والقدرة، ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوة: وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع: الحلف، ويقول: جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله: (وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧) [الأنبياء: ٥٧].

وقال القرطبي $:

(فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣) خصَّ الضرب باليمين لأنها أقوى والضرب بها أشد - قاله الضحاك والربيع بن أنس- وقيل: المراد باليمين: اليمين التي حلفها حين قال: (وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم) وقال الفراء وثعلب: ضربًا بالقوة واليمين القوة.

وأورد القرطبي وجوه أُخر أراها ضعيفة، والله أعلم.

(٢٤٨) أحمر
أسود

أما عن معنى الآية وحاصل القول فيها:

فلما تولى القوم عن إبراهيم ﷺ وانصرفوا عنه مال على آلهتهم وذهب إليها يكسرها ويحطمها، قيل ذلك: كان بفأس، وقيل بغير ذلك.

طفق الخليل يضربها ضربًا شديدًا حتى حطَّمها إلا كبيرهم فقد تركه لمزيد من السخرية من هذه الآلهة.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٤٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن قوم إبراهيم ﷺ لما رجعوا فوجدوا الأصنام قد كُسِّرت وتحطمت وأصبحت جذاذًا إلا كبيرًا لهم تساءلوا فيما بينهم - كما في الآية الأخرى-: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء: ٥٩]، فأجيبوا بقول القائل: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [إبراهيم: ٦٠، ٦١]...، فالحاصل أنهم ذهبوا إليه مسرعين للإتيان به، فهذا قوله: ﴿يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ يسرعون، فقال لهم - بعد مناقشة بينه وبينهم تضمنت معالمها في سور أُخر -: أتعبدون ما تنحتونه بأيديكم وتصنعونه بأيديكم، وتتركون عبادة الله أو تجعلونها شريكةً لله ؟!

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ محتملٌ لمعنيين ذكرها العلماء:

أحدها: والله خلقكم وخلق أعمالكم.

الثاني: والله خلقكم وخلق الأشجار والأحجار التي تصنعون منها الأصنام.

أي: كيف تعبدونها والله خالقكم وخالقها؟

فلما عجزوا عن مواصلة النقاش معه وانقطعت بهم الحجج، تشاوروا فيما بينهم كيف نصنع مع إبراهيم ﷺ؟ فاتجهوا إلى ما يتجه إليه الجبابرة والظلمة عمومًا - ألا وهو البطش بعد انقطاع الحجة والعجز عن المناظرة - فقالوا: ابنوا له بنيانًا، قيل: تنورًا عظيمًا تُوقد فيه النار، وقيل: مبنى

(٢٥٠) أحمر
أسود

عظيمًا هائلًا،

وقيل غير ذلك، فأضرموا فيه النار، وألقوا إبراهيم فيها، فأرادوا بإبراهيم غ شرًّا وقتلًا وإجرامًا، فأبطل الله سعيهم، ودفع الله كيدهم، وسلَّم خليله إبراهيم غ، وجعلوا هم الأسفلون، فحوججوا وغلبوا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $ بعد أن أورد معنى كلمة (يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾) ووجوه القراءات فيها:

قال: وقد اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يجرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يمشون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون.

قال الطبري:

وقوله: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام.

وقوله: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله: (وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر أن يكون بمعنى(الذي)، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

(٢٥١) أحمر
أسود

وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله الذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ): بأيدكم.

قلت (مصطفى): وسنده حسن.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾).

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: (قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾) ابنوا لإبراهيم بنيانًا؛ ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه (فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾) والجحيم عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

وقوله: (فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا) يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدًا، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: (فَجَعَلۡنَٰهُمُ) أي فجعلنا قوم إبراهيم (ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾) يعني: الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾) قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقال ابن كثير $:

قوله هاهنا: (فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾): قال مجاهد وغير واحد: أي: يسرعون.

وهذه القصة هاهنا مختصرة، وفي سورة الأنبياء مبسوطة، فإنهم لما

(٢٥٢) أحمر
أسود

رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم ﷺ هو الذي فعل ذلك. فلما جاؤوا ليعاتبوه، أخذ في تأنيبهم وعيبهم، فقال: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾)؟! أي: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) يحتمل أن تكون (مَا) مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربْعِيّ بن حراش، عن حذيفة مرفوعًا قال: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**». وقرأ بعضهم: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾).

فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: (ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: (فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾).

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) فيه حذف أي قالوا من فعل هذا بآلهتنا، فقال محتجًّا: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) أي: أتعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها، والنحت: النجري والبري، نحته ينحته بالكسر نحتا أي: براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) (ما) في موضع نصب أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام يعني الخشب والحجارة وغيرهما كقوله: (بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ) [

الأنبياء: ٥٦] وقيل: إن (ما) استفهام ومعناه التحقير لعملهم وقيل: هي نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدرًا والتقدير: والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز و جل واكتساب للعباد وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية وروى أبو هريرة عن النبي □ قال: «**إن الله خالق كل صانع وصنعته**» ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله □: «**إن الله عز و جل صنع كل صانع وصنعته**»(١) فهو الخالق وهو الصانع سبحانه.

وقال:

قوله تعالى: (قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا) أي: تشاوروا في أمره لما غلبهم بالحجة حسب ما تقدم في (الأنبياء) بيانه فـ (قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا) تملأونه حطبًا فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم.

وقال:

(فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا) أي: بإبراهيم والكيد المكر، أي: احتالوا لإهلاكه (فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨) المقهورين المغلوبين؛ إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧ و ٣٥٨)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٧ و١١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧: ٥٧) وغيرهم.

(٢٥٤) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ
بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ
نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ
وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾) [الصافات: ٩٩-١١٣]

(٢٥٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى هذه الكلمات:

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي -سَيَهْدِينِ -هَبْ لِي -حَلِيمٍ -بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ -أَسْلَمَا -وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ - ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ - وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأٓخِرِينَ - وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ).

ج:

الكلمة	معناها
(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي)	مهاجر إلى أرضٍ أعبد فيها ربي ٥
(سَيَهْدِينِ)	سيوفقني ويسددني ويدلني على الطريق الأرشد والأمثل
(هَبْ لِي)	ارزقني - امنحني - تفضَّل عليَّ
(حَلِيمٍ)	يتجاوز عن الإساءات - صبور - لا يعاجل بالعقوبة
(بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ)	استطاع المشي والعمل وقدر عليهما بلغ حدًّا يستطيع فيه أن يعمل مع أبيه ويساعده
(أَسْلَمَا)	استسلما لأمر الله - شهدا ألا إله إلا الله
(وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ)	طرحه على وجهه ليذبحه من قفاه والجبين ما على جنبتي الجبهة فللوجه جبينان، والجبهة بينهما
(ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ)	الاختبار العظيم - الامتحان الشديد
(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأٓخِرِينَ)	تركنا عليه ثناءً حسنًا في الذين جاءوا من بعده
(وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ)	جعلنا الخير فيه ثابتًا ومتناميًا

(٢٥٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾).

ج: هذا قول الخليل إبراهيم □ لما أنجاه الله ﷻ من النار وسلَّمه منها، ومع ذلك لم يُجدِ هذا في قومه ولم تؤثر فيهم نجاته من النار أمام أعينهم، فقرر ترك البلاد والهجرة منها، قيل: إلى الأرض المقدسة، وقيل: إلى حران، وقيل غير ذلك، وسيوفقني الله ﷻ وسيسددني.

وقد ذهب بعض العلماء مذاهب أُخر في تفسير قوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾)، فقد ذهب قتادة $ إلى أن المعنى ذاهب بعمله وقلبه ونيته. أخرج ذلك عنه الطبري بإسناد حسن.

قلت (مصطفى): وهذا غريب وبعيد عن المعنى والسياق، وكذا يرده ما ورد في سورة العنكبوت من قوله: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) **[العنكبوت: ٢٦]**.

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح إلى سليمان بن صرد، وهو من أصحاب النبي □ أنه قال: (أي: سليمان بن صرد) قال:

لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾) فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أن أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقى في النار؛ فلما ألقي فيها، قال: حسبي الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾) **[الأنبياء: ٦٩]** قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عنقًا من النار فأحرقته.

قلت (مصطفى): وهذا مصيرٌ منه إلى أنه قال: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾) لما أخذوه لإلقائه في النار.

(٢٥٧) أحمر
أسود

قال القرطبي $:

وفي قوله: (سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) على هذا القول تأويلان، أحدهما: سيهدين إلى الخلاص منها، والثاني: إلى الجنة.

وفي هذا القول، والذي قبله بعدٌ، والصواب -والله أعلم- في قوله: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) أنه (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ) [العنكبوت: ٢٦]، أي: تارك البلاد بما فيها ومتجه إلى حيث أعبد ربي ٥.

وهذا رأي أكثر أهل العلم، واختيار الطبري $.

إذ قال:

وقوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) يقول: وقال إبراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله.

قال الطبري:

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك؛ لأن الله -تبارك وتعالى- ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجَّاه مما حاول قومه من إحراقه قال: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ) [العنكبوت: ٢٦] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) لأنه كقوله: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ)، وقوله: (سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) يقول: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم: إنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين

(٢٥٨) أحمر
أسود

أظهرهم.

وقال القرطبي $:

هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك إبراهيم غ وذلك حين خلصه الله من النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه (سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾) فيما نويت إلى الصواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - أن إبراهيم غ، وكان لا يُولد له قبل ذلك، لما قرر الهجرة إلى ربِّه ﷻ سأله ربَّه ولدًا صالحًا يكون أنيسًا، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) أي: ولدًا ويكون من أهل الصلاح والفضل.

قال الطبري $:

وقوله: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) وهذه مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدًا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون.

وقال: من الصالحين، ولم يقل: صالحًا من الصالحين، اجتزاء بمن ذكر المتروك، كما قال ﷻ: (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾) **[يوسف: ٢٠]** بمعنى زاهدين من الزاهدين.

وقال ابن كثير $:

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) يعني: أولادًا مطيعين عوَضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم.

❁ ❁ ❁

(٢٥٩) أحمر
أسود

س: كيف قيل في الغلام إنه: (حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾) وفي الصغر لا يُعرف حِلمٌ من عدمه؟

ج: قال القرطبي $:

أي: أنه يكون حليمًا في كبره فكأنه بُشِّر ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك فكانت البشرى على ألسنة الملائكة.

❁ ❁ ❁

س: هل بشر إبراهيم ﷺ أكثر من مرةٍ، وكلُّ مرة ببشارة تختلف عن الأولى؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فقالوا:

البشارة الأولى: بشارة بإسماعيل □.

البشارة الثانية: بشارة بإسحاق □.

البشارة الثالثة: بشارة بأن إسحاق ﷺ سيكون نبيًّا.

أما عن أدلة هذه الأقوال.

فأدلة البشارة الأولى: (بإسماعيل ﷺ) - وهذا عند فريق من العلماء، فهي قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾).

والبشارة الثانية: (بإسحاق ﷺ) دليلها: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾)، وقوله تعالى: (وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١].

والبشارة الثالثة: بأن إسحاق سيكون نبيًّا، دليلها: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾).

مع أن بعض المذكور فيه بعض الخلاف، سيأتي بيانه إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

(٢٦٠) أحمر
أسود

قصة الذبيح

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ).

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: فلما قوي إسماعيل ﷺ واستطاع العمل مع والده إبراهيم ﷺ وانتفع به أبوه.

فالسعي هنا سعي إبراهيم ﷺ، أي: فلما استطاع إسماعيل ﷺ أن يساعد أباه في عمله.

الثاني: أن السعي سعي إسماعيل ﷺ، والمعنى فلما استطاع إسماعيل ﷺ أن يسعى ويمشي وتقوَّى على ذلك، أي: فلما مشى مع إبراهيم ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا الأنبياء في المنام وحيٌ»؟

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد لا يثبت عن رسول الله ﷺ، فرواية سماك عن عكرمة ضعيفة مضطربة.

وفي الحديث عللٌ أُخر.

أما عن رؤيا الأنبياء، وهل هي وحيٌ أم لا؟

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن رؤيا الأنبياء وحيٌ، وذلك لقول الخليل إبراهيم ﷺ لولده: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ).

وقول ولده له: (يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢)...).

ولقوله تعالى: (لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ

(٢٦١) أحمر
أسود

ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) [الفتح: ٢٧]. وعند البخاري في حديث صلح الحديبية الطويل أن عمر ﷺ قال لرسول الله ﷺ: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: «لا». قال (أي رسول الله ﷺ): «**فإنك آتيه ومطوف به**»[(١)].

وقد تحققت هذه الرؤيا بفضل الله.

هذا، وقد صح عن قتادة[(٢)] عند الطبري أنه قال: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئًا فعلوه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية $[(٣)]: ورؤيا الأنبياء وحيٌ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة[(٤)] ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل ث بالرؤيا، وأما رؤية غيرهم فتعرض على الوحي فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه ليست كل رؤيا للأنبياء وحيٌ مستدلين بحديث[(٥)] عائشة ف قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**أُريتك في المنام يجيء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت وجهك فإذا أنت هي، فقلت: إن يك من عند الله يُمضه**».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢٧٣١).
(٢) الطبري (٧٨/٢٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٠/٤).
(٤) دعوى الاتفاق فيها نظر.
(٥) البخاري (٥١٢٥).

(٢٦٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم ﷺ: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ).

ج: هذا من إبراهيم ﷺ يُعد توطئة لولده إسماعيل على قبول الأمر الذي هو من الله ﷻ، وأيضًا اختبارٌ لصبر إسماعيل ﷺ ولجلادته يقول له أبوه: يابني إني رأيت رؤيا منامية أني أذبحك، فما رأيك في هذا؟

قال الطبري $:

وقوله: (قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ) وكان فيما ذكر أن إبراهيم أنذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدًا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحًا؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.

❁ ❁ ❁

س: هل كان إبراهيم ﷺ متوقفًا في ذبح ولده حتى يعطيه ولده القرار إذ قال: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ)؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أنه لم يكن متوقفًا على رأي ولده وقراره، وإنما أراد أن يختبر صبر ولده، وكذا أراد لولده أن يُثاب باستسلامه لأمر الله ﷻ، وذلك بدليل قوله تعالى: (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ).

قال الطبري $:

فإن قال قائل: أو كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله، والانتهاء إلى طاعته؟ قيل: لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله،

ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك أم لا وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله.

وقوله: (قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ) يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحي. (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢) يقول: ستجدني إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: (ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ)، ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: افعل الأمر الذي تؤمره، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**إني أرى في المنام افعل ما أمرت به**).

وقال ابن كثير $:

وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه.

(قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ) أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢) أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله ﷻ. وصدق، صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛ ولهذا قال الله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥)

[مريم:٥٤-٥٥]

❁ ❁ ❁

س: في قول إسماعيل ﷺ لأبيه (يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ) تذكير بطاعة الله، وضحه.

ج: إيضاحه أن إسماعيل ﷺ حث أباه على امتثال أمر الله ﷻ، فقال له: يا أبت افعل ما يأمرك الله به، ففضلًا عن كونه استسلامًا لأمر الله ﷻ فإنه

(٢٦٤) أحمر
أسود

أيضًا حثٌّ للأب على الصبر وتذكيرٌ له بالامتثال لأمر الله.

فهي أسرة كريمة مكرمة، وهكذا إسماعيل ﷺ، وتلك أمه هاجر التي قالت لإبراهيم حين تركها وولدها إسماعيل عند البيت الحرام: «**آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا!!**».

❁ ❁ ❁

س: اذكر ما يبين أن إسماعيل ﷺ وفى بما قال: (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾).

ج: الدليل على ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾...).

*** وقوله تعالى:** (وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾).

[الأنبياء: ٨٥]

*** وقوله تعالى في شأن إسماعيل ﷺ:** (إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾) **[مريم: ٥٤- ٥٥]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما استسلم إبراهيم ﷺ واستسلم ولده إسماعيل ﷺ لأمر ربه ﷻ ورضيا بما قضاه الله وقدَّره وأمر به وأضجع إبراهيم ﷺ ولده إسماعيل على الأرض ووجهه على الأرض حينئذ ناداه ربُّه ﷻ أن يا إبراهيم (قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ) قد امتثلت ما أُمرت به في رؤياك.

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾) أي: كذلك نوفق المطيعين لنا كما وفقناك

(٢٦٥) أحمر
أسود

لمزيدٍ من طاعتنا وامتثال أمرنا نوفق من أطاعنا وامتثل أمرنا ونجازيه.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥) حاصل معناه، وكما جازيناك بإكرامك بالذبح العظيم تفديةً لولدك وأنجيناك من هذه الشدة وذاك الكرب الذي كنت فيه، فإننا أيضًا نجازي أهل الإحسان على الدوام فنكافؤهم على ما أطاعونا.

إن هذا لهو البلاء المبين، قيل: الاختبار الشديد المظهر لحقائق ما عليه الأشخاص، وقيل: إن هذا هو النعيم، وإن هذه لهي النعمة العظيمة عليك، وقد تأتي كلمة البلاء على المعنيين؛ كما قال تعالى: (وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ) [الأنفال: ١٧].

وهذه بعض أقوال العلماء في المسألة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا) قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله.

وقوله: (وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣) يقول: وصرعه للجبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣) أى وكبه لفيه وأخذ الشفرة (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ) حتى بلغ (وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧).

وقوله: (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ) وهذا جواب قوله: (فَلَمَّآ

(٢٦٦) أحمر
أسود

أَسْلَمَا) ومعنى الكلام: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم؛ وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا) [الزمر: ٧٣]، وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقيها.

ويعني بقوله: (قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ) التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك.

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾) يقول: إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزي الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا.

وقوله: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾): يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح إلى ابن زيد، في قوله: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾) قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه. (صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ): ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار.

وقال ابن كثير $:

قال الله تعالى: (فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾) أي: فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: (أَسْلَمَا)، استسلما وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمْرَ الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم.

(٢٦٧) أحمر
أسود

ومعنى (وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣) أي: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه.

وقال:

وقوله تعالى: (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ) أي: قد حصل المقصودُ من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح.

وقال:

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥) أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا، كقوله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣) [الطلاق:٢-٣].

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافًا لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦) أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله، منقادًا لطاعته؛ ولهذا قال تعالى: (وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧) [النجم:٣٧].

وقال القرطبي $:

السادسة: قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥) أي نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة.

(٢٦٨) أحمر
أسود

(إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾) أي النعمة الظاهرة يقال: أبلاه الله إبلاء وبلاء إذا أنعم عليه وقد يقال بلاه قال زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فزعم قوم أنه جاء باللغتين.

وقال آخرون: بل الثاني من بلاه يبلوه إذا اختبره ولا يقال من الاختبار إلا بلاه يبلوه ولا يقال من الابتلاء يبلوه وأصل هذا كله من الاختبار أن يكون بالخير والشر قال الله ﷻ: (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: ٣٥] وقال أبو زيد هذا من البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه قال: وهذا من البلاء المكروه.

❁ ❁ ❁

س: ما موضع الواو في قوله تعالى: (وَنَدَيْنَٰهُ)؟

ج: أجاب القرطبي على ذلك بقوله:

(وَنَدَيْنَٰهُ) والواو زائدة مقحمة كقوله: (فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ) [يوسف: ١٥] أي أوحينا وقوله: (وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ) [الأنبياء: ٩٦-٩٧] أي اقترب وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ) [الزمر: ٧٣] أي قال لهم وقال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى

❁ ❁ ❁

(٢٦٩) أحمر
أسود

الذبيح من هو؟

س: الغلام الذي فُدي بذبح عظيم، هل هو إسماعيل ﷺ؟ أم أنه إسحاق ﷺ؟

ج: في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، ويبدو - والله أعلم - على ما تشهد له الأدلة أنه إسماعيل ﷺ.

أما بشيء من التفصيل، فأقول - وبالله التوفيق -:

ابتداءً: تنبيهات:

أولًا: لم يثبت في هذا الباب خبرٌ صحيح عن رسول الله ﷺ.

والحديث الذي هو «**أنا ابن الذبيحين**» متكلم فيه.

ثانيًا: وأيضًا فالآيات لم يُنص فيها على تحديد اسم الذبيح، وإنما فُهم من مضمونها ما فُهم.

ثالثًا: لم يتفق الصحابة فيما بينهم على شيء، ثم إن كثيرًا من الأسانيد إليهم فيها ضعف.

رابعًا: نحن كمسلمين ولله الحمد نعتقد تمام الاعتقاد ونؤمن تمام اليقين أن كلًّا من إسماعيل وإسحاق ث له فضل، فكلاهما نبي كريم.

ثم هذا شيء من التفصيل:

بعض أدلة القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسماعيل ﷺ:

أولًا: تقدم إسماعيل ﷺ في الذِّكر الحكيم كتقدمه في ثناء إبراهيم ﷺ على ربِّه ﷻ وحمده له بقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

* **وكذا في قوله تعالى:** ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ

(٢٧٠) أحمر
أسود

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ) [النساء: ١٦٣]، وفي قول يعقوب ﷺ لبنيه: (مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا) [البقرة: ١٣٣].

ثانيًا: أن امرأة إبراهيم ﷺ (وهي سارة ﷺ) لما بُشِّرت بإسحاق بشرت معه بيعقوب ﷺ، فلم تكن لتبشر بحفيدٍ ثم يؤمر بذبح ولد الابن الذي منه الحفيد قبل أن يتزوج هذا الابن؟

فمن أين يتأتى الحفيد؟ وقد ذبح أبوه وهو غلام؟!!

أما كونها بشرت بهما معًا ففي قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١].

فلا يتصور أن يبشر الشخص بولد وحفيد من هذا الولد ثم يؤمر بذبح الولد قبل أن يتزوج!!

ثالثًا: إن سياق الآيات التي معنا في هذه السورة المباركة سورة الصافات دعا إبراهيم ﷺ (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾) فبشر كما قال تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ) أي: مع هذا الغلام الحليم، (قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ...) ثم بعد ذلك قال تعالى: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾)، وهذا في السياق بعد ذِكر الغلام الحليم وما كان من شأنه في القصة.

أما قول من قال: إنه نبئ بعد ذلك، أي: أن الذبيح عنده هو إسحاق ثم بشر إبراهيم بأن ولده إسحاق سيكون نبيًّا، فقول بعيد.

فقوله: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا)، المراد منه - والله أعلم -: أن ذلك في أصل البشرى بإسحاق وأنه سيولد.

(٢٧١) أحمر
أسود

رابعًا: أن الغلام الذي أُمر إبراهيم ﷺ بذبحه، قال لأبيه إبراهيم ﷺ: (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾)، وقد كان ذلك في شأن إسماعيل ﷺ، ووصف إسماعيل ﷺ بذلك، إذ الله قال: (وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾) [الأنبياء: ٨٥].

بعض استدلالات القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق ﷺ:

*** أقوى استدلالٍ لهذا الفريق من العلماء هو:** أن إبراهيم ﷺ لما قرر ترك بلاد الكفر: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾) بُشِّر بالغلام الحليم في قوله تعالى: (فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾)، فبالنظر إلى ذلك وإلى قوله تعالى في سورة مريم: (فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾) [مريم: ٤٩]، يتضح أن الذي بشر به بعد اعتزال قومه هو إسحاق ويعقوب، وكذا قوله تعالى في سورة العنكبوت: (۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ) [العنكبوت: ٢٦-٢٧] قد يُفهم منه أنه رزق بهما بعد هجرته.

هذا فيما أرى أقوى استدلالٍ للقائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق ﷺ.

وأقول - وبالله التوفيق - إن هذا الاستدلال يمكن توجيهه بأن يقال: نعم إن إبراهيم بُشِّر بإسحاق ويعقوب ث بعد هجرته، ولا نختلف في ذلك، ولكن الأمر بعد الهجرة واسع.

فيمكن أن يقال: إن إبراهيم لما هاجر بشر بالغلام الحليم إسماعيل ﷺ (من هاجر) وبُشِّر أيضًا بعدها بإسحاق (من سارة) والله أعلم.

هذا، وقد وردت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم في

(٢٧٢) أحمر
أسود

هذا الصدد، أذكر منها أهم ما أورده الإمام الطبري رحمه الله تعالى معلقًا عليه بإذن الله.

قال الطبري $:

وقوله: (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح.

واختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

* وأورد الطبري بإسنادين فيهما ضعفٌ(١) **عن العباس بن عبد المطلب ؓ:** (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) قال: هو إسحاق.

* وأورد بسندٍ صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: الذي أُمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

قلت: وهذا مخالف لما هو أثبت وأصح وأوثق عن ابن عباس من طرق متعددة من أن الذبيح هو إسماعيل ؑ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله(٢): ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

وأبو الأحوص هو عوف بن مالك، وهو ثقة.

---

(١) أما الإسناد الأول، ففيه يحيى بن يمان، وهو ضعيف، وكذا فيه مبارك بن فضالة، وفيه كلام، والحسن البصري مدلس، وقد عنعن.
والسند الثاني: فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) وعبد الله هو ابن مسعود.

(٢٧٣) أحمر
أسود

* وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح أن كعبًا[(١)] قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلًا يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى؛ قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديًا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك؛ قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن؛ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال

---

(١) وكعب هو كعب الأحبار مكثرٌ من رواية الإسرائيليات، وفيما يبدو أن هذا منها، والسند إلى كعب صحيح، لكن ما قاله كعب غالب ظني أنه متلقى من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٢٧٤) أحمر
أسود

إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك؛ وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها؛ قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا، فأدخله الجنة.

وأورد الطبري آثارًا أُخر في هذا الصدد يبين أن الذبيح إسحاق، وفيها مقال. ثم قال:

وقال آخرون: الذي فدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم إسماعيلُ.

* وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: الذبيح إسماعيل.

* وأورد بأسانيد قوية متعددة عن ابن عباس.

تصح[1] بلا ريب عنه: (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) قال إسماعيل: وفي بعض الروايات عن ابن عباس: المفدَّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

*** وأورد بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال: (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾)** قال: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن (وهو البصري) قال: هو إسماعيل.

وأورد جملة أسانيد أخر في هذا الصدد.

واختار الطبري $ أن الذبيح هو إسحاق.

وإن كنت لا أوافقه على هذا الاختيار وقد خالفه كثيرون من أهل العلم، إلا أنني أورد قول الطبري وقول غيره من أهل العلم.

قال الطبري $:

---

(١) ومنها الصحيح في غاية الصحة استقلالًا، ومنها ما في سنده مقال ويشهد له غيره.

(٢٧٥) أحمر
أسود

وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ فإذا كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١]، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به. وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع

(٢٧٦) أحمر
أسود

قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا) ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.

قلت: وهذه طائفة أُخرى من أقوال العلماء.

قال الحافظ ابن كثير $:

قال الله تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾) وهذا الغلام هو إسماعيل ﷺ، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم، ﷺ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم، ﷺ، ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بكْره، فأقحموا هاهنا كذبًا وبهتانًا «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحَرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

(٢٧٧) أحمر
أسود

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾). ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ) [الحجر:٥٣]. وقال تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود:٧١]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام.

وقال الحافظ ابن كثير $ أيضًا:

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل $: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل. ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل، غ. قال: وروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل.

وقال البغوي في تفسيره: وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وسعيد بن

(٢٧٨) أحمر
أسود

المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهو رواية عن ابن عباس، وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء.

وجنح القرطبي إلى أن الذبيح إنما هو إسحاق غ، ونقل ذلك عن الأكثر، وقال:... وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى،... وقال: وهذا القول أقوى في النقل عن النبي □ وعن الصحابة والتابعين.

قلت (مصطفى): أما عن رسول الله □ فلم يصح عنه في الباب خبرٌ، أما الآثار فقد تقدمت الإشارة إليها.

ثم قال القرطبي $ مُدعمًا ما جنح إليه من أن الذبيح إسحاق، ومُفندًا الأقوال الأخر:

واحتجوا بأن الله ﷻ قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الصافات: ٩٩] أنه دعا فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) فقال تعالى: (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) [مريم: ٤٩] ولأن الله قال: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم وإنما بشر بإسحاق لأنه قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) وقال هنا: (بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾) وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾) [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله: (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به

(٢٧٩) أحمر
أسود

ولأن الله تعالى قال: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا) فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيًّا وأيضًا فإن الله تعالى قال: (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١] فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب وأيضا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح إسماعيل ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع أما قولهم: كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبيًّا فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان قاله ابن عباس وسيأتي ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب ويقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح وهذا مذهب ثالث.

س: ما هذا الذبح العظيم الذي فُدي به هذا الغلام الحليم؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه كبش.

وقد صحَّ ذلك عن ابن عباس ڤ من وجوه متعددة عنه أخرجها الطبري وغيره.

ومما أورده الطبري طريق ابن خثيم (وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم) عن سعيد عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم ڠ هو الكبش الذي مَرَّ به ابن آدم فتُقبل منه.

ولا أرى عبد الله بن عثمان يتحمل مثل هذا المتن ولم يوافق عبد الله بن عثمان عليه.

(٢٨٠) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وتركنا على إبراهيم ﷺ ثناءً حسنًا في الأمم التي جاءت من بعده.

قال الطبري $: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسنًا.

وفي رواية: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال: سأل إبراهيم، فقال: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾) [الشعراء: ٨٤] قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾).

ج: هذا - والله أعلم - معناه - سلامٌ من الله ﷻ على إبراهيم الخليل ﷺ، فالناس وإن أثنوا عليه فثناء الله عليه أجمل وأحسن، أمانٌ من الله ﷻ على إبراهيم ﷺ.

قال الطبري $:

وقوله: (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾) يقول تعالى ذكره: أمنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر.

ومن العلماء من ذكر وجهًا آخر حاصله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾) أنه يُقال: سلام على إبراهيم.

(٢٨١) أحمر
أسود

أي: أن الآخرين (الأمم التي تأتي من بعده تقول: سلام على إبراهيم)، والأول أولى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١).

ج: المعنى - والله أعلم - وكما جزينا إبراهيم ﷺ بالثناء الحسن بعد موته، وكما أكرمناه بالذي أكرمناه به، فإننا نكرم كلَّ محسنٍ.

أما قوله: (إِنَّهُۥ) أي: إبراهيم ﷺ (مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١) المصدقين بوحدانيتنا المقرين بها الموقنين بها.

قال الطبري $:

وقوله: (كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠) يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١) يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣).

ج: المعنى - والله أعلم - وبشرنا إبراهيم ﷺ لإيمانه وصدقه وصبره وثباته بأن جعلنا ولده إسحاق ﷺ نبيًّا صالحًا كما قال تعالى في شأن موسى ﷺ، (وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣) **[مريم: ٥٣]**.

وكذا فإنا قد باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بأن جعل الخير فيهما والنبوة في ذريتهما، فالأنبياء من بعد إبراهيم ﷺ من ذريته، وكل من بعد

(٢٨٢) أحمر
أسود

إسحاق من الأنبياء إنما هو من ذرية إسحاق إلا رسول الله محمد □ فإنه من ذرية إسماعيل ؑ، أما سائر ذرية إسحاق فمنها المحسن ومنها الظالم لنفسه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وبشرنا إبراهيم بإسحاق نبيًّا شكرًا له على إحسانه وطاعته.

وقوله: (وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ) يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ) يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه (وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣) ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه (مُبِينٞ ١١٣): يعني الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله.

هذا، وقد أورد الطبري توجيهات وأقوال العلماء الذين يرون أن الذبيح إسحاق حاصلها أنه - أي إبراهيم ؑ - أُكرم، وأُكرم ولده إسحاق ؑ بعد أن استسلما لأمر الله ﷻ، أُكرم إسحاق بأن جعله الله نبيًّا، وأُكرم إبراهيم بأن جعل الله ولده نبيًّا.

وقد قدمت من الذبيح بما فيه كفايةٌ، والله أعلم.

والظاهر لي - والله أعلم - أن هذا مزيد إكرام لإبراهيم ؑ، بعد أن استسلم هو وإسماعيل ؑ لأمر الله ولقضائه، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢)، لما تقدمت البشارة بالذبيح- وهو إسماعيل- عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق، وقد ذكرت في سورتي

(٢٨٣) أحمر
أسود

(هود) و(الحجر).

وقوله: (نَبِيًّا) حال مقدرة، أي: سيصير منه نبي من الصالحين.

وقوله: (وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾) كقوله تعالى: (قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾) [هود:٤٨].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ) لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال: منهم محسن ومنهم مسيء وأن المسيء لا تنفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل فلابُدَّ من الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر وفي التنزيل (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ) [المائدة: ١٨] الآية أي أبناء رسل الله فرأوا لأنفسهم فضلًا وقد تقدم.

س: هل يلزم من كون الرجل صالحًا أن يكون ولده صالحًا أيضًا؟

ج: ليس هذا بلازم، فالله ﷻ يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وقد قيل في تفسيرها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، فإبراهيم ؑ مؤمن، وأبوه كافر ونوح ؑ نبي من أولي العزم من الرسل، وابنه كافر.

ولقد قال تعالى في شأن ذرية نوح وإبراهيم ؑ، (فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾) [الحديد: ٢٦].

وقال في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق ؑ: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾).

(٢٨٤) أحمر
أسود

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧]، إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ ❁ ❁

(٢٨٥) أحمر
أسود

ذكر موسى وهارون ث

قال الله تعالى:

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) [الصافات: ١١٤-١٢٢]

(٢٨٦) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَنَنَّا - ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ - ٱلْمُسْتَبِينَ - وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَنَنَّا)	تفضلنا
(ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)	العذاب الذي كانوا يلاقونه من فرعون وجنوده - وقيل: الغرق - وقيل: ملاحقة فرعون لهما
(ٱلْمُسْتَبِينَ)	المتبين الواضح - المبين للأحكام والشرائع والأخبار
(وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)	أرشدناهما إلى طريق الحق والصواب ووفقناهما لسلوكه

❁ ❁ ❁

س: بماذا منَّ الله على موسى وهارون ث؟

ج: منَّ عليهما بأن جعلهما نبيين كريمين وَجِيهَين، وجعلهما سببًا لنجاة قومهما من الكرب العظيم، ومنَّ عليهما بنصرهما على عدوهما، وبالكتاب الذي أنزل على موسى غ وبالهداية والتوفيق للإيمان والسداد.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الكرب العظيم الذي أنجى الله منه موسى وهارون ث وقومهما؟

هذا الكرب العظيم هو ما كان يلقاه الإسرائيليون من عذاب من قِبل آل فرعون، إذ كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

وقيل: الكرب العظيم: مطاردة فرعون وقومه لهما.

(٢٨٧) أحمر
أسود

وقيل: الكرب العظيم: الغرق.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة هذا النصر الذي نصر الله ﷻ فيه موسى وهارون ث؟

ج: صورته أن الله ﷻ أغرق بمنِّه وكرمه وفضله آل فرعون، وأورث القوم الذين كانوا يستضعفون (وهم بنو إسرائيل، ومنهم موسى وهارون ث) مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الجمع في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾؟

ج: وجهه أنه ﷻ نصرهما وقومهما، فالجمع لموسى وهارون وقومهما، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب المستبين؟ وما معنى المستبين؟

ج: أما الكتاب المستبين فهو التوراة، أما معنى المستبين: فهو الواضح المبين الظاهر.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ج: المعنى إجمالًا، ولقد تفضلنا على موسى وهارون وأكرمناهما

(٢٨٨) أحمر
أسود

بجعلهما نبيين كريمين، وسلمناهما وقومهما (الذين هم بنو إسرائيل) من الكرب العظيم الذي كانوا يعيشونه من الامتهان والإذلال وقتل الرجال وذبح الأطفال واستحياء النساء، وأتممنا عليهم الفضل بأن أغرقنا فرعون وآله، ونصرنا بني إسرائيل وتفضلنا عليهما (أي على موسى وهارون) بالتوراة التي فيها هدى ونورٌ، يُستضاء بها ويسترشد، ووفقناهما لسلوك الطريق المستقيم المؤدي إلى مرضاة الله ﷻ ورضوانه، وتركنا عليهما بعد موتهما ثناءً حسنًا في الناس، فأهل الإيمان يثنون عليهما، ومع ذلك فتحية من الله ﷻ لهما في الدنيا والآخرة، ووعد بالأمن لهما في الدنيا والآخرة، وهكذا نجازي كل محسن بإكرامه، ثم ختام بشهادة حسنة لموسى وهارون، شهادة من الله لهما بالإيمان والصدق فيه ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ فهنيئًا لهما بسلام الله عليهما، وبوصفه الكريم لهما بالإيمان والإحسان.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي أنه قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ من الغرق، **وبإسنادٍ حسن عن قتادة:** من آل فرعون.

وقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم، ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ لهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾:

(٢٨٩) أحمر
أسود

وآتينا موسى وهارون الكتاب، يعني: التوراة، قال: ويعني بالمستبين: المتبين هُدى ما فيه وتفصيله وأحكامه.

وقوله: (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) الإسلام.

وقوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾) يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.

وقوله: (سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾) يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾) يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

وقال ابن كثير $:

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء. ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم. ثم أنزل الله على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين، وهو التوراة، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً) [الأنبياء:٤٨].

(٢٩٠) أحمر
أسود

وقـــال هاهنـــا: (وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) أي: في الأقوال والأفعال.

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾) أي: أبقينا لهما من بعدهما ذكرًا جميلًا وثناء حسنًا، ثم فسره بقوله: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾).

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾) لما ذكر إنجاء إسحاق من الذبح وما من به عليه بعد النبوة ذكر ما من به أيضا على موسى وهارون من ذلك وقوله: (مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾) قيل: من الرق الذي لحق بني إسرائيل وقيل: من الغرق الذي لحق فرعون: (وَنَصَرْنَٰهُمْ) قال الفراء: الضمير لموسى وهارون وحدهما؛ وهذا على أن الاثنين جمع؛ دليله قوله: (وَءَاتَيْنَٰهُمَا) (وَهَدَيْنَٰهُمَا) وقيل: الضمير لموسى وهارون وقومهما وهذا هو الصواب لأن قبله (وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا) و(ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾) التوراة يقال: استبان كذا أي سار بينا واستبانه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان (ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾) يريد الثناء الجميل (سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) تقدّم.

❁ ❁ ❁

(٢٩١) أحمر
أسود

(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾) [الصافات: ١٢٣-١٣٢]

(٢٩٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(بَعْلًا - أَتَدْعُونَ بَعْلًا -وَتَذَرُونَ -لَمُحْضَرُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَعْلًا)	صنمًا - إلهًا - ربًّا
(أَتَدْعُونَ بَعْلًا)	أتعبدون صنمًا - أتعبدون إلهًا غير الله، وربًّا غير الله
(وَتَذَرُونَ)	تتركون
(لَمُحْضَرُونَ)	لمحضرون للعذاب يوم القيامة

❁ ❁ ❁

س: من إلياس ﷺ؟

ج: إلياس ﷺ نبي كريم مرسل أرسله الله ﷻ إلى قومه.

وقد قيل: إنه إدريس.

وقيل: إنه إلياس بن فنحاص بن العِيزار بن هارون بن عمران، كذا قال الطبري $، ولا أعلم مستند ذلك.

ونقل الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: كان يُقال إلياس هو إدريس.

قلت: وكل هذا مما لا دليل عليه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من هو إلياسين؟

ج: هو إلياس ﷺ.

❁ ❁ ❁

(٢٩٣) أحمر
أسود

س: لماذا زيدت النون في قوله (إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها لغة قومٍ من العرب.

الثاني: أنها زيدت لدخول قومه معه، أي: سلام على إلياس وآل إلياس.

الثالث: أنها زيدت لتساوي الآيات.

الرابع: وهو قول ضعيف أن إلياسين هم آل محمد □.

*** وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.**

قال الطبري $:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) بكسر الألف من إلياسين، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يسمى باسمين: إلياس، وإلياسين مثل إبراهيم، وإبراهام؛ يستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: (سَلَٰمٌ) فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله. وكان بعض أهل العربية يقول: إلياس: اسم من أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق، والألف واللام منه، ويقول: لو جعلته عربيا من الإلس، فتجعله إفعالا مثل الإخراج، والإدخال أجري؛ ويقول: قال: سلام على إلياسين، فتجعله بالنون، والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين، وهي في بني أسد تقول: هذا إسماعين قد جاء، وسائر العرب باللام؛ قال: وأنشدني بعض بني نمير لضب صاده:

(٢٩٤) أحمر
أسود

يقــول رب الســوق لمــا جينــا هــذا ورب البيــت إســرائينا

قال: فهذا كقوله إلياسين؛ قال: وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: قد جاءتكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه، قال الشاعر:

أنــا ابــن ســعد ســيد الســعدينا

قال: وهو في الاثنين أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر:

جزانــي الزهــدمان جــزاء ســوء وكنــت المــرء يجــزى بالكرامــة

واسم أحدهما: زهدم؛ وقال الآخر:

جزى الله فيها الأعورين ذمامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: سلام على آل محمد. وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله: **(وإن إلياس)** بترك الهمز في إلياس ويجعل الألف واللام داخلتين على (ياس) للتعريف، ويقول: إنما كان اسمه (ياس) أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠).

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) بكسر ألفها على مثال إدراسين، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون

(٢٩٥) أحمر
أسود

على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله، على نحو ما بينا من معنى ذلك.

فإن ظن ظان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غني عن الزيادة فيه.

مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) قال: إلياس.

قال الطبري أيضًا:

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (سلام على إدراسين) دلالة واضحة على خطأ قول من قال: عنى بذلك سلام على آل محمد، وفساد قراءة من قرأ: **(وإن إلياس)** بوصل النون من (إن) بإلياس، وتوجيه الألف واللام فيه إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذي هو ياس، وذلك أن عبد الله كان يقول: إلياس هو إدريس، ويقرأ: **(وإن إدريس لمن المرسلين)**، ثم يقرأ على ذلك: **(سلام على إدراسين)**، كما قرأ الآخرون: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك: (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) بقطع الآل من ياسين. ونظير تسمية إلياس بإل ياسين: (وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ) [المؤمنون: ٢٠] ثم قال في موضع آخر: (وَطُورِ سِينِينَ ٢) [التين: ٢] وهو موضع واحد سمي بذلك.

واستفاض القرطبي أيضًا في ذلك فقال:

(سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠) قراءة الأعرج وشيبة ونافع وقرأ عكرمة وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: **(سلام على آل ياسين)** وقرأ الحسن: **(سلام على آل ياسين)** بوصل الألف كأنها ياسين دخلت عليها الألف

(٢٩٦) أحمر
أسود

واللام التي للتعريف والمراد إلياس غ وعليه وقع التسليم لكنه اسم عجمي والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغيرهم لها قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا فياسين وإلياس وإلياسين شيء واحد الزمخشري: وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وقرئ: (عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ) و(**إدريسين**) و(**إدرسين**) و(**إدراسين**) على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. النحاس: ومن قرأ (**سلام على آل ياسين**) فكأنه والله أعلم جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله أي أهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم أنه إذا سلم على آله من أجله فهو داخل في الإسلام كما قال النبي □: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**» وقال الله تعالى: (أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾) [غافر: ٤٦] ومن قرأ (إِلۡ يَاسِينَ) فللعلماء فيه غير قول فروى هارون عن ابن أبي إسحاق قال: إلياسين مثل إبراهيم يذهب إلى أنه اسم له وأبو عبيدة يذهب إلى أنه جمع جمع التسليم على أنه وأهل بيته سلم عليهم وأنشد:

قدني من نصر الخبيبين قدي

يقال: قدني وقدي لغتان بمعنى حسب وإنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير فجمعه على أن من كان على مذهبه داخل معه وغير أبي عبيدة يرويه: الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورأيت علي بن سليمان يشرحه بأكثر من هذا قال: فإن العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون: المهالبة على أنهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال: فعلى هذا (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) سمى كل رجل منهم بإلياس وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئًا من هذا إلى أنه ذكر أن العرب تفعل هذا على جهة النسبة

(٢٩٧) أحمر
أسود

فيقولون: الأشعرون يريدون به النسب المهدوي: ومن قرأ (إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) فهو جمع يدخل فيه إلياس فهو جمع إلياسي فحذفت ياء النسبة كما حذفت ياء النسبة في جمع المكسر في نحو المهالبة في جمع مهلبي كذلك حذفت في المسلم فقيل: المهلبون وقد حكى سيبويه الأشعرون والنميرون يريدون الأشعريين والنميريين السهيلي: وهذا لا يصح بل هي لغة في إلياس ولو أراد ما قالوه لأدخل الألف واللام كما تدخل في المهالبة و الأشعريين فكان يقول: (**سلام على الإلياسين**) لأن العلم إذا جمع ينكر حتى يعرف بألف ولام ولا تقول: سلام على زيدين بل على الزيدين بالألف واللام فإلياس غ فيه ثلاث لغات النحاس: واحتج أبو عبيد في قراءته (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) وأنه اسمه كما أن اسمه إلياس لأنه ليس في السورة سلام على (**آل**) لغيره من الأنبياء □ فكما سمي الأنبياء كذا سمي هو وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو وهو غير لازم لأن بين قول أهل اللغة أنه إذا سلم على آله من أجله فهو سلام عليه والقول بأن اسمه (إلياسين) يحتاج إلى دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال قال الماوردي: وقرأ الحسن (**سلام على ياسين**) بإسقاط الألف واللام وفيه وجهان: أحدهما: أنهم آل محمد □ قاله ابن عباس. والثاني: أنهم آل ياسين فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان: أحدهما أنها زيدت لتساوي الآي كما قال في موضع: (طُورِ سَيۡنَآءَ) [المؤمنون: ٢٠]، وفي موضع آخر (وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾) [التين: ٢] فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفًا له الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي: قال بعض المتكلمين في معاني القرآن: آل ياسين آل محمد غ ونزع إلى قول من قال في تفسير (يٓسٓ) يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة:

(٢٩٨) أحمر
أسود

أحدها أن سياقة الكلام في قصة إلياسين يلزم أن تكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسى وهارون وأن التسليم راجع عليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الآية الأخرى مع ضعف ذلك القول أيضا فإن (يسٓ) و(حمٓ) و(الٓمٓ) ونحو ذلك القول فيها واحد إنما هي حروف مقطعة إما مأخوذة من أسماء الله تعالى كما قال ابن عباس وإما من صفات القرآن وإما كما قال الشعبي: لله في كل كتاب سر وسره في القرآن فواتح القرآن وأيضًا فإن رسول الله □ قال: «**لي خمسة أسماء**» ولم يذكر فيها «يسٓ» وأيضًا فإن (يسٓ) جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولوكان اسما للنبي □ لقال: (يسٓ) بالضم كما قال تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) [يوسف: ٤٦] وإذا بطل هذا القول لما ذكرناه فـ (إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) هو إلياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مثل إدريس وإدراسين كذلك هو في مصحف ابن مسعود (**وإن إدريس لمن المرسلين**) ثم قال: سلام على إدراسين (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾) تقدّم.

وقال ابن كثير $:

(سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) كما يقال في إسماعيل: إسماعين. وهي لغة بني أسد. وأنشد بعض بني نمير في ضَبٍّ صَادَه.

يَقُولُ رَبّ السوق لما جينا هذا وربِّ البيت إسْرَائينا

ويقال: ميكال، وميكائيل، وميكائين، وإبراهيم وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين، وطور سيناء، وطور سينين. وهو موضع واحد، وكل هذا سائغ.

(٢٩٩) أحمر
أسود

وقرأ آخرون: (**سلام على إدريس**)، وهي قراءة عبد الله بن مسعود. وآخرون: (**سَلامٌ عَلَى آلْ يَاسِينَ**) يعني: آل محمد □.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآيات المباركات: (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾...) **إلى قوله تعالى:** (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - إن إلياس ﷺ لرسولًا من الرسل الذين أرسلناهم لهداية عبادنا وإرشادهم ودعوتهم إلى الله ﷻ، وذلك إذ قال لقومه: ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية؟ (أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾) أتدعون صنمًا وتعبدونه، أتعبدون ربًّا غير الله ﷻ، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين، أتتركون عبادة الله ربكم ورب آبائكم الأولين؟

هكذا قال إلياس ﷺ لقومه ولكن بماذا أجاب القوم؟!

إنهم قد أجابوا بما أجاب به غيرهم من أهل الكفر! لقد كذَّبوه فتوعدهم الله على هذا التكذيب بقوله: (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾) أي: محضرون للحساب والعقاب والعذاب يوم القيامة، ولمحضرون في النار، لكن عباد الله الذي آمنوا بهذا النبي الكريم وصدقوه واتبعوه فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ، فإن الله سيسلمهم وينجيهم من حضور العذاب.

أما قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾) أي: ثناءً حسنًا فيمن جاؤوا من بعده.

(سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) سلام من الله ﷻ على إلياس، وأمنةٌ من الله عليه، وهكذا نجازي أهل الإحسان. لا يقف جزاؤنا على من ذكرناهم من الأنبياء فحسب، بل كل محسن يجازى ويكرم.

(٣٠٠) أحمر
أسود

ثم شهادة حسنة لإلياس غ بالصدق والإيمان، قال تعالى: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢).

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

وقوله: (لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣) يقول جلَّ ثناؤه: لمرسل من المرسلين (إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤).

يقول حين قال لقومه في بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله، وإلهًا سواه (وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥) يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق.

وقد اختلف في معنى بعل، فقال بعضهم: معناه: أتدعون ربًّا؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم.

وأورد أقوالًا أُخر في تفسير البعل، فقال: وقال آخرون: هو صنم كان لهم يُقال له بعل، وبه سميت بعلبك.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها.

قال الطبري:

وللبعل في كلام العرب أوجه. يقولون لرب الشيء: هو بعله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها؛ ويقولون لزوج المرأة: بعلها؛ ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء، ولم يكن سقيًا بل هو بعل، وهو العذي. وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن يوزا.

وقال:

(٣٠١) أحمر
أسود

واختلفت القراء في قراءة قوله: (ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦) فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: (**الله ربكم ورب آبائكم الأولين**) رفعًا على الاستئناف، وأن الخبر قد تناهى عند قوله: (أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦) نصبًا، على الرد على قوله: (وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥) على أن ذلك كله كلام واحد.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفاضة القراءة بهما في القراء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، ورب آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئًا، ولا يضر ولا ينفع.

وقوله: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧) يقول: فكذب إلياس قومه، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧) في عذاب الله. (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨) يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩) يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده.

وقال الطبري:

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١) يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالًا وقوله: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢) يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحدونا، وأطاعونا، ولم يشركوا بنا شيئًا.

(٣٠٢) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾) أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟

وقال:

وقوله: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) أي: أتعبدون صنمًا؟ (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾) أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وقال:

قال الله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾) أي للعذاب يوم الحساب.

(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾) أي: الموحدين منهم. وهذا استثناء منقطع من مثبت.

وقوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾) أي: ثناء جميلًا.

❁ ❁ ❁

(٣٠٣) أحمر
أسود

ذكر نبي الله لوط ﷺ

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾
وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨]

(٣٠٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(ٱلْغَـٰبِرِينَ -مُّصْبِحِينَ -أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْغَـٰبِرِينَ)	الباقين في العذاب - الهالكين
(مُّصْبِحِينَ)	في الصباح
(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)	أفلا تتفكرون وتتأملون وتعتبرون وتتدبرون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات المباركة: (وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾...أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وإن نبي الله لوطًا غ لمرسلٌ من المرسلين أرسلناهم لهداية الخلق ودعوتهم إلى التوحيد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الطواغيت، وكذا لنهي قومه عن الفواحش التي كانوا يرتكبونها وهي إتيان الذكران من العالمين، فكذَّبوه واستخفوا به وراودوه عن ضيفه، ولكن سلمه الله وحفظه ونجاه، فلقد أُمر بالخروج من البلاد ليلًا ومن آمن به من أهله فخرجوا وسلمهم الله ونجاهم ولكن امرأته بقيت مع القوم في العذاب، وأرسلت على القوم حجارة من سجيل منضود، فدمرتهم كما تقدم في عدة مواطن ثم يُلفت نظر المشركين المكذبين من أهل مكة بقوله تعالى: وإنكم يا أهل مكة لتمرون على ديار قوم لوط ومدائنهم التي دمرها الله وأبقى آثارها للاستدلال بذلك على عاقبة الظلم وكتذكرة لمن يخشى، إنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم صباحًا وليلًا وأنتم

مسافرون، فهي في طريقكم إلى بلاد الشام، فأثناء رحلتكم إلى الشام ترونها أفلا تتفكرون وتتدبرون؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإن لوطًا المرسل من المرسلين.

(إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾) يقول: إذ نجينا لوطًا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحللناه بقومه، فأهلكناهم به. (إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾) يقول: إلا عجوزا في الباقين، وهي امرأة لوط.

وقوله: (ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾) يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارًا وبالليل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾) قالوا: نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطئًا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

وقوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما

(٣٠٦) أحمر
أسود

أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط، غ أنه بعثه إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا؛ ولهذا قال: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟

❁ ❁ ❁

ترك آثارٍ للظالمين وبقايا يستدل بها على الانتقام من كل ظالم

س: كثيرًا ما يترك للظالمين آثارٌ يستدل بها على إهلاكهم، وعلى قدرة الله على كل ظالم. اذكر بعض ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون: (فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ) **[يونس: ٩٢]**

وقوله تعالى: (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾) **[الحج: ٤٥]**.

وقوله تعالى في شأن سفينة نوح: (وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) **[القمر: ١٥]**.

قال الشنقيطي رحمه (أضواء البيان).

(٣٠٧) أحمر
أسود

وقوله تعالى: فـ(جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾) فقوله: (وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾)، فيه تهديد عظيم لمن يعمل عمل قوم لوط من الكفر وتكذيب نبيهم، وفواحشهم المعروفة، وقد وبخ تعالى من لم يعتبر بهم، ولم يحذر أن ينزل به مثل ما نزل بهم، كقوله في قوم لوط: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾).

وقوله فيهم: (وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) **[العنكبوت: ٣٥]**. وقوله فيهم: (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾) **[الحجر: ٧٦]**. وقوله فيهم وفي قوم شعيب (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾) **[الحجر: ٧٩]**، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

❁ ❁ ❁

(٣٠٨) أحمر
أسود

ذكر نبي الله يونس ع

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ
سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨]

(٣٠٩) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَبَقَ -ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ - فَسَاهَمَ -ٱلْمُدْحَضِينَ - فَٱلْتَقَمَهُ -وَهُوَ مُلِيمٌ -ٱلْمُسَبِّحِينَ - لَلَبِثَ - يَوْمِ يُبْعَثُونَ -فَنَبَذْنَٰهُ -بِٱلْعَرَآءِ -سَقِيمٌ -يَقْطِينٍ -إِلَىٰ حِينٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَبَقَ)	فرَّ - خرج عن غير إذنٍ من الله له بالخروج تباعد
(ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)	السفينة العظيمة الممتلئة بالبضائع والناس
(فَسَاهَمَ)	فقارع (أجرى قرعة مع غيره)
(ٱلْمُدْحَضِينَ)	المغلوبين (الذين جاءت القرعة عليهم لا لهم)
(فَٱلْتَقَمَهُ)	ابتلعه
(وَهُوَ مُلِيمٌ)	وهو مذنب - مكتسب أعمالًا يُلام عليها
(ٱلْمُسَبِّحِينَ)	المُصلين - القائلين (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)
(لَلَبِثَ)	لمكث
(يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	يوم يبعثون أحياءً من قبورهم يوم القيامة
(فَنَبَذْنَٰهُ)	قذفناه
(بِٱلْعَرَآءِ)	بالأرض الفضاء
(سَقِيمٌ)	عليل - مريض - ضعيف
(يَقْطِينٍ)	قيل اليقطين الدباء (القرع) وقيل: كل نبات ينبت على الأرض وليس له ساق

(٣١٠) أحمر
أسود

(إِلَىٰ حِينٍ)	إلى يوم مماتهم ووفاتهم - إلى انقضاء آجالهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾).

ج: حاصل المعنى - والله أعلم - أن الله ﷻ يخبر عن نبيه الكريم يونس ابن متى عم، فيقول: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾) الذي أرسلنالهم لهداية الناس وأوحينا إليهم أنه لا إله إلا أنا فاعبدون، وأمرناهم بتبليغ ذلك للخلق.

ثمَّ يذكرنا الله ﷻ بشيء من أمره، فيقول: (إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) واذكره إذ خرج من بلاده (نينوي) عن غير إذنٍ من الله له بالخروج، فركب السفينة المليئة الموقرة، فلعبت بهم الأمواج وأشرفوا على الغرق والهلاك فألقوا أمتعتهم لتخفيف أحمال السفينة ولم يُجد ذلك بشيء، فاستهموا على إلقاء واحد منهم، واقترعوا على ذلك فوقعت القرعة على يونس □، (فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) أي: كان من المغلوبين الذين لم تأت القرعة في صالحهم، بل وقعت القرعة عليه كي يُلقى في البحر، فألقى فيه فجاء حوت عظيم هائل فابتلعه ولم يُصبه بضررٍ مع أنه كان مُليمًا عم، أي أنه كان مُذنبًا لخروجه من بلدته عن غير إذنٍ من ربِّه ﷻ، (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) لولا أنه كان من المصلين في وقت رخائه وعافيته قبل البلاء (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ) في بطن الحوت (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾) إلى يوم بعث الموتى من قبورهم أحياء، وذلك إلى يوم القيامة.

(٣١١) أحمر
أسود

فقولـه: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) ويستفاد منه أن أعمال البر في وقت الرخاء تنفع عند حلول الشدائد، فالمسبحين هم المصلون والمتنفلون.

وقيل: لولا أنه قال في بطن الحوت: (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾) [الأنبياء: ٨٧]، (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾).

فمن فضل الله عليه أن الله ﷻ ألهم الحوت أن يتجه إلى الشاطئ ويقذف يونس ؑ، فقذف يونس ؑ على الشاطئ في الفضاء هناك حيث لا شيء يكِنُّهُ ولا يُظلُّهُ، فمنَّ الله عليه بإنبات شجرة من يقطين عليه يستدفئ بها وقد قيل في اليقطين: إنه القرع.

وقيل: إنه كل نبت لا ساق له.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم (إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) يقول: حين فر إلى الفلك، وهو السفينة، المشحون: وهو المملوء من الحمولة الموقر.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) كنا نحدث أنه الموقر من الفلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) قال: الموقر. وقوله: (فَسَاهَمَ) يقول: فقارع.

وأورد بإسنادٍ حسن[1] عن قتادة: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) قال: فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا،

---

(١) وهناك آثارٌ أوردها الطبري تشهد لنفس المعنى تركتها عن عمدٍ لضعف أسانيدها.

(٣١٢) أحمر
أسود

فقرع يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (فَسَاهَمَ) قال: قارع.

وقوله: (فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدحض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذكر عنهم: دحض الله حجته، وهي قليلة.

وقوله: (فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ) يقول: فابتلعه الحوت؛ وهو افتعل من اللقم. وقوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾) يقول: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يلم، كما يقال: أصبحت محمقا معطشا: أي عندك الحمق والعطش؛ ومنه قول لبيد:

سفها عذلت ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان، ويعذل بالقول.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾): أي في صنعه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: وهو مذنب، قال: والمليم: المذنب.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ) يعني يونس (كَانَ مِنَ) المصلين لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾) يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجاه.

وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به، فقال:

(٣١٣) أحمر
أسود

(فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك، وقالوا مثل قولنا في معنى قوله: (مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾).

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله بذلك؛ قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد متكئًا.

وأورد أيضًا بإسنادٍ صحيح إلى عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ﷺ: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) قال: من المصلين.

وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها، فقال: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) في بطن الحوت.

وقال بعضهم: كان ذلك تسبيحًا، لا صلاة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عمران القطان، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.

وأورد الطبري $ بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾) لصار له بطن الحوت قبرًا إلى يوم القيامة.

قال الطبري:

وقوله: (۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ) يقول: فقذفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره؛ ومنه قول الشاعر:

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي

يعني بالبلد: الفضاء.

(٣١٤) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ) بأرض ليس فيها شيء ولا نبات.

قال الطبري: (وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥): وهو كالصبي المنفوس: لحم نيء.

قال:

وقوله: (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦) يقول تعالى ذكره: وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك، فهي عند العرب يقطين.

وأورد بسندٍ صحيح عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦) فقالوا عنده: القرع؛ قال: وما يجعله أحق من البطيخ.

وأورد بسندٍ صحيح عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، في قوله: (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦) قال: كل شيء ينبت ثم يموت من عامه.

قال الطبري:

وقال آخرون: هو القرع.

وأورد بسندٍ صحيح عن عبد الله (هو ابن مسعود): (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦) قال: القرع، وأورد الطبري عدة آثار بذلك.

وقال:

وقال آخرون: كان اليقطين شجرة أظلَّت يونس ؑ.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠) قال ابن عباس: هو الموقر، أي:

(٣١٥) أحمر
أسود

المملوء بالأمتعة.

(فَسَاهَمَ) أي: قارع (فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) أي: المغلوبين. وذلك أن السفينة تَلَعَّبَت بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فتساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس، عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يضنون به أن يلقى من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك.

وأمر الله تعالى حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار(١)، وأن يلتقم، يونس ﷺ، فلا يَهْشِمُ له لحما، ولا يكسر له عظمًا. فجاء ذلك الحوت وألقى يونس، ﷺ، نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت.

وقال $:

وقال ابن عباس، وسعيد بن جُبَيْر، والضحاك، وعطاء بن السائب، والسدي، والحسن، وقتادة: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) يعني: المصلين.

وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. وقال بعضهم: كان من المسبحين في جوف أبويه. وقيل: المراد: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) هو قوله: (فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾) [الأنبياء:٨٧، ٨٨]

---

(١) وهذه التفصيلات التي أوردها الحافظ ابن كثير لا مستند لها من كتاب الله ﷻ، ولا عن رسوله ﷺ فيما صح عنه.

(٣١٦) أحمر
أسود

قاله سعيد بن جبير وغيره.

❁ ❁ ❁

(٣١٧) أحمر
أسود

فضل صنائع المعروف وقت العافية والرخاء

س: صنائع المعروف في أوقات الرخاء تنفع الشخص عند حلول الشدائد. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

وقد قال كثيرٌ من أهل العلم في تفسيرها، فلولا أنه كان من المصلين في وقت عافيته قبل حلول البلاء به، للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

ومنها حديث الثلاثة الذين انطبقت على فم غارهم صخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، وها هو الحديث بذلك.

وفي الحديث(١): «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

❁ ❁ ❁

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيءٌ في الدُّباء (التي هي القرع)؟

ج: نعم قد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب الدباء، بل وكان يأكل منها ويتتبعها من أطراف القصعة.

ففي الصحيحين(٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا من شعير وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ

---

(١) حسن بمجموع طرقه وشواهده: أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٦٣٥)، وانظر مسند أحمد (٢٩٣/١ و ٣٠٧)، والحاكم في المستدرك (٦٣٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٠٨٠) وغيرها.

(٢) البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

(٣١٨) أحمر
أسود

وَقَدِيدٌ، قال أنس: فَرَأَيْتُ رسول الله □ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَي الصحفة - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ منذ يَوْمِئِذٍ.

قال الحافظ ابن كثير $:

وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا. وقد ثبت أن رسول الله □ كان يُحِبّ الدُّبَّاء، ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) متى كان هذا الإرسال، هل قبل أن يبتلعه الحوت أم بعد نجاته؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: أن ذلك بعد أن أُخرج من بطن الحوت أرسله الله رسولًا إلى قومه مرة ثانية يدعوهم فآمنوا كلهم أجمعون.

الثاني: أن ذلك كان قبل أن يلقى في البحر ويلتقمه الحوت، وإيمانهم كان بعد خروجه من عندهم.

قال ابن كثير $:

قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم وآمنوا به. وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت، كانوا مائة ألف أو يزيدون.

❁ ❁ ❁

س: قطعًا فإننا - والحمد لله - نوقن ونعلم بأن الله يعلم عدد الذين أُرسل إليهم يونس غ. فما وجه قوله تعالى: (أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾).

(٣١٩) أحمر
أسود

ج: لأهل العلم أقوال:

أحدها: أن أو هنا بمعنى بل، والمراد وأرسلنا إلى قوم إذا نظر إليهم الناظر قال مُقرِّبًا إنهم مائة ألف كما يقول الشخص مستكثرًا جئتك ألف مرة ولكنهم في الحقيقة يزيدون على المائة ألف.

الثاني: أن من الناظرين من إذا نظر إليهم اعتبرهم مائة ألف، والحقيقة أنهم أكثر من ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس، أو يزيدون على مائة ألف. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله: (أَوۡ): بل يزيدون.

وقال:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندكم، يقول: كذلك كانوا عندكم.

وإنما عنى بقوله: (وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧) أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينوى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧) أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل، قال: قال الحسن: بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه (فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨).

وقيل: إن يونس أرسل إلى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء.

وقوله: (فَـَٔامَنُواْ) يقول: فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدقوا

(٣٢٠) أحمر
أسود

بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله.

وقوله: (فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾) يقول: فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت.

وقال ابن كثير $:

وهكذا سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة:٧٤]، وقوله: (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء:٧٧]، وقوله: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾) [النجم:٩] أن المراد ليس أنقص من ذلك، بل أزيد.

وقوله: (فَـَٔامَنُوا۟) أي: فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس، غ، جميعهم. (فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾) أي: إلى وقت آجالهم، كقوله: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾) [يونس:٩٨].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) قد مضى في (البقرة) محامل (أَوْ) في قوله تعالى: (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة: ٧٤] وقال الفراء: (أَوْ) بمعنى بل وقال غيره إنها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا تأملنا رياحا أو رزاما

أي: ورزامًا وهذا كقوله تعالى: (وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل: ٧٧] وقرأ جعفر بن محمد (**إلى مائة ألف ويزيدون**) بغير همز فـ(يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ محذوف أي وهم يزيدون النحاس: ولا يصح هذان القولان عند البصريين وأنكروا كون

(٣٢١) أحمر
أسود

(أَوْ) بمعنى بل وبمعنى الواو لأن بل للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده وتعالى الله عز و جل عن ذلك أو خروج من شيء إلى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى (أَوْ) فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائتي ألف أخصر وقال المبرد: المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر وإنما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل: هو كما تقول: جاءني زيد أو عمرو وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب وقال الأخفش والزجاج: أي أو يزيدون في تقديركم.

قال ابن عباس: زادوا على مائة ألف عشرين ألفًا.

❁ ❁ ❁

(٣٢٢) أحمر
أسود

الإنكار على أهل الكفر القائلين بأن الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرًا

قال الله تعالى:

(فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) [الصافات: ١٤٩-١٦٣]

(٣٢٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ -شَٰهِدُونَ -إِفۡكِهِمۡ - أَصۡطَفَى -أَفَلَا تَذَكَّرُونَ -سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ - فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ -ٱلۡجِنَّةِ-لَمُحۡضَرُونَ - سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ -بِفَٰتِنِينَ -صَالِ ٱلۡجَحِيمِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)	سلهم
(شَٰهِدُونَ)	حاضرون - شهودٌ ترون بأعينكم
(إِفۡكِهِمۡ)	كذبهم، والإفك أسوأ الكذب
(أَصۡطَفَى)	أختار
(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)	أفلا تتعظون وتنزجرون
(سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ)	حجة موضحة أن ما تقولون حق
(فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ)	كتابٌ تنقلون منه ما تقولون والمراد: إن كان عندكم كتاب من عند الله فيه أن الله جعل الملائكة إناثًا واصطفاهم لنفسه فأتوا به
(ٱلۡجِنَّةِ)	قيل: الملائكة، وقيل: الجنة، قيل: قرابةً، وقيل: مصاهرةً
(لَمُحۡضَرُونَ)	لمحاسبون - لمعذبون
(سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)	تنزّه الله
(بِفَٰتِنِينَ)	بمضلين - بصارفين أحدًا من الهداية للضلالة
(صَالِ ٱلۡجَحِيمِ)	من كتب الله عليه أنه سيصلى الجحيم أي: سيدخل النار

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾).

(٣٢٤) أحمر
أسود

وكيف أُمر النبي □ أن يستفتيهم وهم كفار؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فسلهم يا رسول الله - سل هؤلاء المشركين، كيف قسمتم هذه القسمة فجعلتم البنات لله واخترتم الذكور لأنفسكم، وهذه كقوله تعالى: (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾) **[النجم: ٢١-٢٢]**.

وكما قال تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾) **[النحل: ٥٧]**.

فأهل الشرك وصفوا الملائكة بأنهم بنات الله، وصفوهم بأنهم إناث، قال تعالى: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسألون.

ثم إن أهل الشرك، وبعد أن وصفوا الملائكة بأنهم إناث عبدوهم من دون الله ﷻ كما صدر عن بعض قبائل العرب وغيرهم كخزاعة وغيرها.

أمَّا كيف أُمر النبي □ أن يسألهم؛ فهذا السؤال الصادر من رسول الله □ لهم لتوبيخهم وتأنيبهم.

قال الطبري $:

وقوله: (فَٱسْتَفْتِهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: سل يا محمد مشركي قومك من قريش.

وقال:

وقوله: (أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾): ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: سلهم، وقل لهم: ألربي البنات ولكم البنون؟

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾) لأنهم

(٣٢٥) أحمر
أسود

قالوا- يعني مشركي قريش - لله البنات ولهم البنون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال: كانوا يعبدون الملائكة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى منكرًا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون، أي: من الذكور، أي: يَودّون لأنفسهم الجيد. (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾) [النحل:٥٨] أي: يسوءه ذلك، ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول تعالى: فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال: (فَٱسْتَفْتِهِمْ) أي: سلهم على سبيل الإنكار عليهم: (أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾) كقوله: (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾) [النجم:٢١-٢٢].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾) لما ذكر أخبار الماضين تسلية للنبي □ احتج على كفار قريش في قولهم: إن الملائكة بنات الله فقال: (فَٱسْتَفْتِهِمْ) وهو معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهم المسافة أي فسل يا محمد أهل مكة (أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ) وذلك أن جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هل خلقنا الملائكة إناثًا وأهل الشرك هؤلاء كانوا يروننا ويطلعون علينا عند خلق الملائكة، فمن

(٣٢٦) أحمر
أسود

ثم وصفوهم بأنهم إناث؟!!

وقال الطبري $:

يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقي الملائكة وأنا أخلقهم إناثا، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾) أي: كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟ كقوله: (وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾) [الزخرف:١٩] أي: يسألون عن ذلك يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الشرك هؤلاء من شدة كذبهم وافترائهم، افتروا على الله الكذب وقالوا وَلَدَ اللهُ، فكذَّبهم الله في ذلك، وهم الكاذبون، فقال تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾)، وكذَّبهم الله في آيات أخر، فقال تعالى: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾) [الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ) [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: (وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...) [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: (... وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾)

(٣٢٧) أحمر
أسود

[الكهف: ٤-٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ في قيلهم ذلك.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولًا جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولدًا. وجعلوا ذلك الولد أنثى، ثم عبدوهم من دون الله. وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ويحكم، أو ويلكم يا أهل الشرك، أقد اختار الله ﷻ لنفسه البنات، وخصَّكم أنتم بالبنين ما الذي حدث لعقولكم حتى تصدروا هذا الحكم أفلا تنزجرون وتتركون هذا الباطل الذي أنتم فيه ألكم حجة بيِّنة تكون لكم عذرًا عند ربكم تحتجون بها على ما ذكرتموه، فإن كانت لكم حجة من كتاب من عند الله نزل فيه أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله، فأتوا بهذا الكتاب؟؟

وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٣٢٨) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: موبخًا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: (أَصْطَفَى) الله أيها القوم (ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾)؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا، كما قيل: (أَذْهَبْتُمْ) بالقصر (طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا) [الأحقاف: ٢٠] يستفهم بها، ولا يستفهم بها، والمعنى في الحالين واحد، وإذا لم يستفهم في قوله: (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ) ذهبت ألف اصطفى في الوصل، ويبتدأ بها بالكسر، وإذا استفهم فتحت وقطعت.

وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قراء الكوفة والبصرة، فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام، وفتح ألفه في الأحوال كلها، وهي القراءة التي نختار لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾) يقول: بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾) يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات، ما لكم كيف تحكمون؟

وقوله: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾) يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله.

وقوله: (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾) يقول: ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون؟

(٣٢٩) أحمر
أسود

وقوله: (فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ) يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال منكرًا عليهم: (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾) أي: أيّ شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين؟ كقوله: (أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾) **[الإسراء: ٤٠]**؛ ولهذا قال: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾) أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟.

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾) أي: حجة على ما تقولونه.

(فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾) أي: هاتوا برهانًا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب مُنزل من السماء عن الله: أنه اتخذ ما تقولونه، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يُجَوّزُه العقل بالكلية.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالجنة؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

أحدهما: أنها الجنة.

الثاني: أنها الملائكة.

❁ ❁ ❁

س: كيف جعلوا بين الله ﷻ وتعالى عما يصفه المشركون، كيف جعلوا بينه وبين الجنة نسبًا؟

ج: لأهل العلم في إيضاح ذلك وجوه:

أحدها: أن أهل الشرك زعموا أن الله ﷻ وإبليس لعنه الله أخوان.

(٣٣٠) أحمر
أسود

ذكره الطبري، ونقله بسندٍ ضعيف عن ابن عباس ﷺ.

الثاني: أن أهل الشرك زعموا أن الله ﷻ خطب إلى سادات الجن، أي: إلى كبراء الجنة والسادة فيهم فزوجوه من سرواتهم، فولدت سرواتُ الجن الملائكة.

تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾).

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المراد: ولقد علمت الجنة (سواء اخترنا أنها الملائكة أم الجنة) إنهم لمحضرون يوم القيامة للحساب.

أما على القول بأن الجنّة: الشياطين فيكون قوله: (لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾) يحتمل معنى آخر، وهو لمحضرون في العذاب يوم القيامة، والله أعلم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع.

قلت (مصطفى): هذا متعلق بالجنة الذين افتروا على الله الكذب وتقوَّلوا على الله ﷻ بالباطل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - تنزَّه ربنا رب العزة عما يصفه به هؤلاء المشركون، سواء الذين جعلوا له شريكًا في ملكه أم الذين ادعوا له

(٣٣١) أحمر
أسود

الولد أم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، أو الذين قالوا: إن الله ﷻ خطب إلى الجن فزوجوه من سرواتهم، أو غير هؤلاء، تعالى الله علوًّا كبيرًا وتمجد وتقدس عن كل هذا الذي يصفه به الواصفون الظالمون المشركون.

قال الطبري $:

وقوله: (سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩) يقول تعالى ذكره تنزيهًا لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة.

❁ ❁ ❁

س: من أي شيء حدث الاستثناء في قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه بمعنى أن عباد الله المخلصين لا يصفون الله بتلك الأوصاف التي لا تليق به.

الثاني: أن عباد الله المخلصين لا يحضرون العذاب ولا يشهدونه.

قال الطبري $:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠) يقول: ولقد علمت الجنة أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته، وخلقهم لجنته.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠) استثناء منقطع، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله: (عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩) عائدًا إلى جميع الناس ثم استثنى

(٣٣٢) أحمر
أسود

منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل.

وقال القرطبي $: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾) فإنهم ناجون من النار.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وجعل أهل الشرك والكفر والضلال بين الله ۵ وبين الجن نسبًا، فقالوا: إن الله ۵ خطب من الجن فزوجوه، وولدت له الجنُّ الملائكة، وقال بعض أهل الغيِّ والضلال: إن الله والشيطان أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قالوا ذلك عن الجن، الجن منهم من آمن وعلم أنه مجموع ليوم القيامة للحساب.

ومنهم من هو كافر ويعلم أنه محضرٌ في العذاب يوم القيامة.

تنزه الله عما يقوله أهل الظلم علوًّا كبيرًا، وعما يصفونه به من أوصاف باطلة.

لكن عباد الله المخلصين الذين أخلصهم الله واصطفاهم قد وصفوه بجميل الأوصاف التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ، فهؤلاء ناجون من النار وسالمون من العذاب بإذن الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فإنكم يا أهل الشرك وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ۵ لن تستطيعوا فتنة أحدٍ ولا صرفه ولا تحويله عن

(٣٣٣) أحمر
أسود

الإيمان إلى الكفر، إلا من سبق في علم الله أنه من أهل الشقاوة وقضى الله عليه بها، والعياذ بالله.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (فَإِنَّكُمْ) أيها المشركون بالله (وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾) من الآلهة والأوثان (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾) يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضلين أحدًا (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) يقول: إلا أحدا سبق في علمي أنه صال الجحيم.

وقد قيل: إن معنى (عَلَيْهِ) في قوله: (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾) بمعنى به.

وأورد الطبري عدة آثار حول هذا المعنى منها صحيح الإسناد، ومنها ما هو ضعيف.

ومما أورد قول إبراهيم النخعي بإسنادٍ صحيح عنه: (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) إلا من قدّر عليه أنه يصلى الجحيم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾) حتى بلغ: (صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) يقول: ما أنتم بمضلين أحدًا من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاكم بعمل النار.

وبإسنادٍ حسن عن السدي: (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) إلا من كتب الله أنه يصلى الجحيم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) يقول: لا تفتنون به أحدًا، ولا تضلونه، إلا من قضى الله أنه صال الجحيم، إلا من قد قضى أنه من أهل النار.

وقال القرطبي $:

(٣٣٤) أحمر
أسود

قوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾) (ما) بمعنى الذي وقيل: بمعنى المصدر أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام وقيل: أي فإنكم مع ما تعبدون من دون الله يقال: جاء فلان وفلان وجاء فلان مع فلان (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ) أي على الله (بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾) بمضلين. النحاس: أهل التفسير مجمعون فيما علمت على أن المعنى ما أنتم بمضلين أحدًا إلا من قدر الله عز و جل عليه أن يضل وقال الشاعر:

فـــــرد بنعمتـــــه كيـــــده عليـــه وكـــان لنـــا فاتنـــا

أي: مضلًّا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) أي: ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم ممن ذُري للنار. (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾) [الأعراف:١٧٩]. فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة، كما قال تعالى: (إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾) [الذاريات:٨، ٩] أي: إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل.

❁ ❁ ❁

(٣٣٥) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ
﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ
لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ
فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ
ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾) [الصافات: ١٦٤-١٨٢]

(٣٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ -ٱلصَّآفُّونَ -ٱلْمُسَبِّحُونَ-ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ -ٱلْمُخْلَصِينَ - فَتَوَلَّ عَنْهُمْ -حِينٍ- وَأَبْصِرْهُمْ - يُبْصِرُونَ - بِسَاحَتِهِمْ -فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ-رَبِّ ٱلْعِزَّةِ -وَسَلَامٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)	مكان ومقام لا يتجاوزه أو مكان يعبد فيه ربَّه ٥
(ٱلصَّآفُّونَ)	الذين يقفون صفوفًا (في صلاتهم وغيرها)
(ٱلْمُسَبِّحُونَ)	الذين يصلون - الذين يقولون سبحان الله
(ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ)	كتابًا من عند الله كالذي أُوتاه من قبلنا من اليهود
(ٱلْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله واصطفاهم المصطفين
(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ)	فأعرض عنهم
(حِينٍ)	وقت - قيل: مجيء الموت - وقيل: العذاب يوم القيامة - وقيل: حتى يقضي الله فيه بأمر
(وَأَبْصِرْهُمْ)	انتظرهم
(يُبْصِرُونَ)	يرون (ما يحلُّ بهم)
(بِسَاحَتِهِمْ)	بديارهم
(فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ)	بئس الصباح صباح هؤلاء الذين أنذرتهم رسلهم فلم يستجيبوا
(رَبِّ ٱلْعِزَّةِ)	صاحب العزة، صاحب القوة والغلبة والبطش
(وَسَلَامٌ)	أمانٌ من الله

(٣٣٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآيات المباركات: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾).

ج: هذه قولة تقولها الملائكة عليهم سلام الله، يقولون: وما منا من ملك إلا له مقام معلوم يقف فيه لعبادة ربِّه ﷻ، وكذا مقام معلوم يتحرك فيه ويتنقل لا يتجاوزه.

ثم تثني الملائكة، وتصف حالها (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾) الذين نقف صفوفًا مستقلة عند ربنا ﷻ للصلاة، (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) المصلون، وكذا الذاكرون الله ﷻ بتسبيحه وتهليله وتمجيده وتكبيره.

قال الطبري $:

وقوله: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾) وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال في قوله: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾) قال: الملائكة.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: الملائكة.

وقال الطبري في تأويل: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾).

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾) لله لعبادته (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) له، يعني بذلك المصلون له.

وأورد الطبري من طريق الضحاك بن مزاحم يقول قوله: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) كان مسروق بن الأجدع، يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبي الله ﷺ: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم**»، فذلك قول الله: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

(٣٣٨) أحمر
أسود

لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾).

وأورد الطبري بإسنادٍ أصح عن مسروق عن عبد الله، قال: إن من السماوات سماء ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد، أو قدماه قائم، ثم قرأ: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾).

وقد يُعلُّ السند الأول من طريق الضحاك عن مسروق بهذا السند الثاني، ويُعلُّ من ثمَّ المرفوع بالموقوف.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾) قال: صفوف في السماء (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾): أي المصلون، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي نضرة، قال: كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) استووا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استووا تقدم فكبر.

قلت (مصطفى): ولا يُعرف لأبي نضرة سماع من عمر ؓ.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى مُنزهًا للملائكة مما نَسَبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾) أي: له موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في صفوف الملائكة عند ربها.

(٣٣٩) أحمر
أسود

ج: من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ[(١)] قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِى أَرَاكُمْ رَافِعِى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا، فَقَالَ: «مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ».

ومن حديث حذيفة[(٢)] ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في تسبيح الملائكة.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...﴾ [غافر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

وقول الملائكة عن أنفسهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

---

(١) مسلم حديث (٤٣٠).
(٢) مسلم (٥٢٢).

(٣٤٠) أحمر
أسود

لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإن كان أهل الشرك هؤلاء ليقولون قبل مبعث النبي □ إليهم ليقولون: لو أننا أُنزلت علينا كتب من عند الله ﷻ كالتي أُنزلت على الذين من قبلنا اليهود والنصارى، لكنا عبادًا لله أفضل منهم وأحسن وأشد إخلاصًا لله، فلما جاءهم ذِكرُ أفضل من الذكر الذي سألوه كفروا به أي: فلما جاءهم الرسول □ بما معه من القرآن كفروا به.

فتوعدهم الله بقوله: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾) أي: عاقبة كفرهم وتكذيبهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ) يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد □ نبيًّا، (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾) يعني كتابًا أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ) الذين أخلصهم لعبادته، واصطفاهم لجنته.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾) قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد □: لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكنا عباد الله المخلصين؛ فلما جاءهم محمد □كفروا به، فسوف يعلمون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾) قال: هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين، أو جاءنا علم من علم الأولين قال: قد جاءكم محمد بذلك.

(٣٤١) أحمر
أسود

وقال في تأويل قوله تعالى: (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠).

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد □ وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب، يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا علي ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩) أي: قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى، ويأتيهم بكتاب الله، كما قال تعالى: (وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢) [فاطر:٤٢]، وقال: (أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧) [الأنعام:١٥٦، ١٥٧]؛ ولهذا قال هاهنا: (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠)، وعيد أكيد وتهديد شديد، على كفرهم بربهم -سبحانه وتعالى-وتكذيبهم -رسوله □.

وقال القرطبي $:

عاد إلى الإخبار عن قول المشركين أي كانوا قبل بعثة محمد □ إذا عيروا بالجهل قالوا: (لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨) أي لو بعث إلينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه ولما خففت (إن) دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقًا بين النفي والإيجاب والكوفيون يقولون (إن) بمعنى ما واللام بمعنى إلا وقيل: معنى (لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا) أي: كتابًا من كتب الأنبياء (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩) أي

(٣٤٢) أحمر
أسود

لو جاءنا ذكر كما جاء الأولين لأخلصنا العبادة لله

(فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ) أي بالذكر، والفراء يقدره على حذف أي فجاءهم محمد بالذكر فكفروا به وهذا تعجيب منهم أي فقد جاءهم نبي وأنزل عليهم كتاب فيه بيان ما يحتاجون إليه فكفروا وما وفوا بما قالوا: (فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠) قال الزجاج: يعلمون مغبة كفرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٥).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد مضى ما كتبناه على عبادنا، فقد كتبنا في اللوح المحفوظ إذ قدرنا المقادير أن عبادنا المرسلين هم المنصورون بالحجج على من ناوأهم وخالفهم.

وقدرنا فيما قدرنا، أي: العاقبة الحسنة لجنة الله ۵ فإنهم هم الغالبون، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين حتى يأتي أمر الله فيهم إما الإذن بقتالهم بعد وقت من الأوقات، وإما بإماتتهم وإما بالانتقام منهم يوم القيامة.

وانتظر ماذا سيحل لهم فسوف يرون ما يحل بهم من العقاب والنكال.

قال الطبري $:

وقوله: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢) يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١) حتى

(٣٤٣) أحمر
أسود

بلغ: (هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣) قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي، في قوله: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢) يقول: بالحجج.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين**) فجعلت على مكان اللام، فكأن المعنى: حقت عليهم ولهم، كما قيل: على ملك سليمان، وفي ملك سليمان، إذ كان معنى ذلك واحدا.

وقوله: (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣) يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١) أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١) [المجادلة:٢١]، وقال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١) [غافر:٥١]؛ ولهذا قال: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢) أي: في الدنيا والآخرة. كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم، وكيف أهلك الله الكافرين، ونجى عباده المؤمنين.

(وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣) أي: تكون لهم العاقبة.

وقوله جل وعلا: (فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤) أي: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إلى وقت مؤجل، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر؛ ولهذا

(٣٤٤) أحمر
أسود

قال بعضهم: غيَّى ذلك إلى يوم بدر. وما بعدها أيضا في معناها.

وقوله: (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾) أي: أنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتك وتكذيبك؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد: (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾).

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه، قال: فأبصرهم وأبصر، واحد.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحين في قوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾)؟

ج: قال بعض العلماء: الحين إلى الموت.

وقال آخرون: حتى يوم بدر.

وقال آخرون: حتى يأذن الله ﷻ لأهل الإيمان في قتال أهل الكفر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أفيستعجل هؤلاء الكفار عذابنا؟ فهذا شأنهم، شأنهم العذاب كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾) [ص: ١٦]، قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾) [الملك: ٢٥]، وكما في قوله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) [الحج: ٤٧].

فإذا نزل عذابنا بديارهم فبئس الصباح صباحهم، بئس ما يتصبحون

(٣٤٥) أحمر
أسود

به، ليس بصباحٍ خيِّرٍ ولكن بئس الصباح.

فأعرض عنهم يا رسول الله إلى حين يقضي الله فيهم بأمره، وانظر ماذا سيحلُّ بهم فسوف يعلمون حقيقة ما سيحل بهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبي (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾) **[الملك: ٢٥]**.

وقوله: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به؛ والساحة: هي فناء دار الرجل، (فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) قال: بدارهم (فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) قال: بئس ما يصبحون.

وقال في قوله تعالى: (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلهم وفريتهم على ربهم (حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾) يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾) يقول: وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) أي: هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم،

(٣٤٦) أحمر
أسود

فإن الله يغضب عليهم بذلك، ويعجل لهم العقوبة، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة.

قال الله تعالى: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: فإذا نزل العذاب بمحلتهم، فبئس ذلك اليوم يومهم، بإهلاكهم ودمارهم.

قال السدي: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يعني: بدارهم، (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: فبئس ما يصبحون، أي: بئس الصباح صباحهم؛ ولهذا ثبت في الصحيحين(١) من حديث إسماعيل بن عُلَيَّةَ، عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس ﷺ قال: صَبَّح رسول الله ﷺ خيبر، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش، رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك.

وقال القرطبي $:

(وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾) قال قتادة: سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار، وعسى من الله للوجوب، وعبر بالإبصار عن تقريب الأمر أي عن قريب يبصرون وقيل: المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب أي لا تستعجلوه فإنه واقع بكم

---

(١) البخاري (٣٧١) و (٢٩٤٥)، ومسلم (١٣٦٥).

(٣٤٧) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) أي العـذاب قـال الزجـاج: وكـان عـذاب هـؤلاء بالقتـل ومعنـى (بِسَاحَتِهِمْ) أي بـدارهم عـن السـدي وغيـره والسـاحة والسحسة في اللغة فناء الدار الواسع، الفراء: (نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) ونـزل بهم سواء (فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب وفيه إضمار أي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر؛ لأن العذاب كـان يـأتيهم فيه.

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تنـزه ربك رب العزة، صـاحب القوة والبطش والغلبة، كما قـال تعـالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾) **[الذاريات: ٥٨]**، وكمـا قـال: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾) **[البروج: ١٢]**، وكمـا قـال: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ) **[يوسف: ٢١]**، فـالعزة الغلبـة والقهـر، فتنـزه ربنـا القـوي الـذي لا يُغلب، تنزه ربنا عن كل ما يصفه به الواصفون الكذابون المشركون، تنـزه ربنا عن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا عن الشريك والند والمثيل والزوجـة والولد.

(وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾) وأمانٌ من الله ﷻ على رسله الكرام، والحمد لله رب العالمين.

قال الطبري $:

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) يقـول تعـالى ذكـره تنزيهًـا لربـك يـا محمـد وتبرئـة لـه. (رَبِّ الْعِزَّةِ) يقـول: رب القـوة والـبطش (عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد

(٣٤٨) أحمر
أسود

الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠): أي عما يكذبون يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقوله: (وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١) يقول: وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى.

وقوله: (وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢) يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصًا دون ما سواه؛ لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبله، ومن عنده.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون -تعالى وتقدس عن قولهم علوًّا كبيرًا-ولهذا قال: (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ)، أي: ذي العزة التي لا ترام، (عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠) أي: عن قول هؤلاء المعتدين المفترين.

(وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١) أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم، وصحته وحقيته.

(وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢) أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال. ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات

(٣٤٩) أحمر
أسود

الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص -قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

وقال القرطبي $:

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ أي على إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين وقيل: أي على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين وقيل: أي على هلاك المشركين، دليله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] قلت: والكل مراد والحمد يعم ومعنى ﴿يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ يكذبون والتقدير عما يصفون من الكذب.

س: هل صح حديث في فضل قول: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ بخصوصها؟

ج: قد وردت في فضل ذلك عدة أحاديث، ولا أعلم منها حديثًا ثابتًا عن رسول الله ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٣٥٠) أحمر
أسود

تفسير سورة ص

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن
قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ
٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ
بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ
١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ
وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ
١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥) [ص: ١-١٥].

(٣٥٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(صٓ - ذِى ٱلذِّكۡرِ - عِزَّةٖ - وَشِقَاقٖ - فَنَادَواْ - وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ - مُّنذِرٞ - عُجَابٞ - وَٱنطَلَقَ - ٱلۡمَلَأُ - وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ - ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ - ٱخۡتِلَٰقٌ - ٱلذِّكۡرُ - ذِكۡرِى - فَلۡيَرۡتَقُواْ - ٱلۡأَسۡبَٰبِ - جُندٞ مَّا - ٱلۡأَحۡزَابِ - ٱلۡأَوۡتَادِ - وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ - أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ - فَحَقَّ عِقَابِ - صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ - فَوَاقٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(صٓ)	حرف من الأحرف التي بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(ذِى ٱلذِّكۡرِ)	ذي الشرف - ذي التذكير
(عِزَّةٖ)	حمية جاهلية - عصبية للباطل - استكبار وامتناع
(وَشِقَاقٖ)	فراق للحق - خلاف وتباعد
(فَنَادَواْ)	استغاثوا - رفعوا أصواتهم
(وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ)	في وقت لا ينفع فيه الفرار ليس بحين فرارٍ ولا مهرب ليس بوقتٍ للفرار ولا للهروب
(مُّنذِرٞ)	مُحذرٌ - مخوفٌ - رسولٌ
(عُجَابٞ)	عجيب
(وَٱنطَلَقَ)	مشوا مُسرعين
(ٱلۡمَلَأُ)	الأشراف - الكبراء - علية القوم

(٣٥٣) أحمر
أسود

(وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ)	استمروا على عبادة أصنامكم وآلهتكم
(ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ)	النصرانية، وقيل: دين الآباء والأجداد
(ٱخۡتِلَٰقٌ)	كذبٌ وافتراء
(ٱلذِّكۡرُ)	القرآن
(ذِكۡرِي)	وحييّ الذي أوحيته - كتابي الذي أنزلته - القرآن
(فَلۡيَرۡتَقُواْ)	فليصعدوا وليترقوا
(ٱلۡأَسۡبَٰبِ)	الطرق الموصلة إلى السماوات وأبوابها، والسبب هو الشيء الذي يُتوصل به إلى المراد
(جُندٞ مَّا)	هم جندٌ
(ٱلۡأَحۡزَابِ)	المتحزبون على الشرك، والمتحزبون على محاربة الرسل
(ٱلۡأَوۡتَادِ)	جمع وتد، وهو الذي يثبت في الأرض تُربط به الأشياء، كان له أوتاد يعذب بها الناس، وأيضًا له أوتاد يربط بها الخيام للعب تحتها
(وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ)	أصحاب الشجر الكثير الملتف - أصحاب الغيضة وهم قوم شعيب ﷺ
(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ)	هؤلاء الأحزاب القوية الكافرة
(فَحَقَّ عِقَابِ)	وجب عليهم عذابي، وحلَّ بهم عقابي
(صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ)	النفخة الأولى في الصور - نفخة واحدة
(فَوَاقٖ)	إفاقة - رجوع - ترداد

(٣٥٤) أحمر
أسود

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى (صٓ).

ج: لأهل العلم في ذلك عدة أقوال:

أولها وأظهرها: أن (صٓ) حرف من الحروف المقطعة التي بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، العلم بها موكولٌ إلى الله ﷻ.

الثاني: أن معنى (صٓ) صادِ بعملك القرآن، أي: اعرض عملك على القرآن، وانظر أين أنت من القرآن.

الثالث: أنها قسمٌ أقسم الله به.

الرابع: أنها اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أن معناها صدق الله.

وثمَّ أقوالٌ أُخر.

والظاهر لي والله أعلم أن القول الأول أولاها بالصواب كما ذكرت.

❁ ❁ ❁

شيء عن مكانة القرآن الكريم وشرفه وعلو منزلته

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١)

ج: الواو في قوله تعالى: (وَٱلۡقُرۡءَانِ) واو القسم، أقسم الله ﷻ بالقرآن.

أما قوله: (ذِي ٱلذِّكۡرِ ١) فمن معانيه ذو الشرف والمكانة العالية السامية.

فللقرآن مكانة عالية سامية عند الله ﷻ، فقد قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤) [الزخرف: ٤]، ووصفه الله بأنه مجيد وكريم وعزيز وحكيم إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

ثم إنه شرفٌ لمن نزل عليه ولمن نزل إليهم كما قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ) [الزخرف: ٤٤] أي: شرف لك ولقومك.

(٣٥٥) أحمر
أسود

وشرف لمن تعلمه وحمله وعمل به ودعا إليه، شرفٌ لهم في الدنيا وفي الآخرة.

ففي الدنيا يؤمون غيرهم في الصلوات ويقدمون به إذا اجتمعوا في القبور ويطيب به ذِكرهم في الدنيا، وهو لهم نور وبصيرة وهدى ورشاد وذكرٌ لهم في الآخرة يرتفعون به درجات.

وقد وردت في هذا الباب جملة من النصوص، منها قول النبي ﷺ: «اقْرَأْ فُلاَنُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ »(١).

ومنها ما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وفي صحيح مسلم(٣): « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ».

وقوله ﷺ(٤): «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ».

وفي رواية: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »، وفي الصحيحين(٥) من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

---

(١) مسلم (٨٢/٦) والبخاري (٥٧/٩) مع الفتح.
(٢) مسلم (٢١/١٧) مع النووي.
(٣) مسلم (٨٩/٦) مع النووي.
(٤) البخاري (مع الفتح ٧٤/٩).
(٥) البخاري (مع الفتح ٦٥/٩)، ومسلم (مع النووي ٨٣/٦).

(٣٥٦) أحمر
أسود

كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا».

وعند الإمام أحمد(١) بسندٍ حسن من حديث أنس قال: قال رسول الله □: «إن لله ۵ أهلين من الناس»، قال: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته».

وعند مسلم(٢) من حديث عائشة ث قالت: قال رسول الله □: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ ».

وعند أبي داود بسندٍ حسن(٣) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله □: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا ».

وعند الترمذي بسندٍ حسن(٤) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله □: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ».

وفي صحيح مسلم(٥) من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهِ □ وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ

---

(١) أحمد (١٢٧/٣).
(٢) مسلم (٨٤/٦) مع النووي.
(٣) أبو داود (١٥٣/٢).
(٤) الترمذي مع التحفة (٢٢٦/٨)، وسنده حسن، لكن اختلف في رفعه ووقفه.
(٥) مسلم (٨٩/٦).

(٣٥٧) أحمر
أسود

إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ».

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «**أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**».

وعنده من حديث[1] أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاَثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟**». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَثَلاَثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِى صَلاَتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ**».

وثمَّ نصوص أُخر كثيرة في الباب.

وأرجع فأقول: و(ذكرٌ) أيضًا بمعنى: تذكير، فقد حمل أجمل أنواع التذكير وأفضلها وأحسنها، تذكيرٌ للعباد بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فقوله: (ذِى ٱلذِّكۡرِ ۝١) ذي التذكير ذكركم الله به.

قال الطبري $ بعد أن أورد مُجمل القولين:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم؛ لأن الله أتبع ذلك قوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢) فكان معلومًا بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرًا لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق.

قال السعدي $:

هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من جاء به، فقال: (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ۝١) أي: ذي القدر العظيم والشرف،

---

(١) مسلم (٦/٨٩).

(٣٥٨) أحمر
أسود

المُذَكِّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تَلَقِّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢) عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣) أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١) فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء.

أحدهما: أن الذكر بمعنى الشرف، والعرب تقول فلان مذكور يعنون له ذكر أي: شرف. ومنه قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: ٤٤] أي شرف لكم على أحد القولين.

(٣٥٩) أحمر
أسود

الوجه الثاني: أن الذكر اسم مصدر بمعنى التذكير؛ لأن القرآن العظيم فيه التذكير والمواعظ، وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير.

❁ ❁ ❁

س: ما جواب القسم لقوله تعالى: (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١)؟

ج: جوابه - والله أعلم - مفهوم وإن كان لم يُنص عليه، فالمعنى: ص والقرآن ذي الشرف إنه لشريف وعظيم وذو مكانة وأنه من عند الله ﷻ، وما تنزلت به الشياطين، ولكن الذين كفروا في عزَّةٍ وشقاق.

* وإلى هذا المعنى أشار قتادة، فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عنه: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) قال: هاهنا وقع القسم.

وأورد الطبري أقوالًا ولكنه اختار قول قتادة فقال: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: (بَلِ) لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١) ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزة وشقاق.

هذا، وهنالك أقوال أُخر أوردها القرطبي رحمه الله تعالى واستفاض في ذكرها، فقال القرطبي $:

وجواب القسم محذوف، واختلف فيه على أوجه: فقيل جواب القسم (صٓۚ) لأن معناه حق فهي جواب لقوله: (وَٱلۡقُرۡءَانِ) كما تقول: حقًّا والله نزل والله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله: (وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١) حسنًا وعلى (فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) تمامًا قاله ابن الأنباري وحكى معناه الثعلبي عن الفراء وقيل: الجواب (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) لأن (بَلِ) نفي

(٣٦٠) أحمر
أسود

لأمر سابق وإثبات لغيره قاله القتبي؛ فكأنه قال: (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢) عن قبول الحق وعداوة لمحمد □ أو (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١) ما الأمر كما يقولون: من أنك ساحر كذاب؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله: (قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟) [ق: ١ - ٢] وقيل: الجواب (كَمْ أَهْلَكْنَا) [ق: ٣٦] كأنه قال: والقرآن لكم أهلكنا فلما تأخرت (كَمْ) حذفت اللام منها كقوله تعالى: (وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١) [الشمس: ١] ثم قال: (قَدْ أَفْلَحَ) [الشمس: ٩] أي: لقد أفلح، قال المهدوي: وهذا مذهب الفراء. ابن الأنباري: فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله: (فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) وقال الأخفش: جواب القسم (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤) [ص: ١٤] ونحو منه قوله تعالى: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧) [الشعراء: ٩٧]، وقوله: (وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١) [الطارق: ١]، (إِن كُلُّ نَفْسٍ) [الطارق: ٤]. ابن الأنباري: وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الآيات والقصص وقال الكسائي: جواب القسم قوله: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤) [ص: ٦٤] ابن الأنباري: وهذا أقبح من الأول لأن الكلام أشد طولًا فيما بين القسم وجوابه. وقيل الجواب: قوله: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤) [ص: ٥٤] وقال قتادة: الجواب محذوف تقديره (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١) لتبعثن ونحوه.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

اعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله تعالى: (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١)، فقال بعضهم: إن المقسم عليه مذكور، والذين قالوا: إنه مذكور، اختلفوا في تعيينه وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط.

فمنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله تعالى: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ

(٣٦١) أحمر
أسود

ٱلنَّارِ)

[ص: ٦٤]

ومنهم من قال: هو قوله: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص: ٥٤].

ومنهم من قال: هو قوله تعالى: (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾) [ص: ١٤] كقوله: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾) [الشعراء: ٩٧]. وقوله: (وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾) [الطارق: ١-٤].

ومنهم من قال هو قوله: (كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم)، ومن قال هذا: قال: إن الأصل لكم أهلكنا ولما طال الكلام، حذفت لام القسم، فقال: (كَمۡ أَهۡلَكۡنَا) بدون لام.

قالوا: ونظير ذلك قوله تعالى: (وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾) لما طال الكلام بين القسم والمقسم عليه، الذي هو قد أفلح من زكاها، حذفت منه لام القسم.

ومنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله: (صٓۚ) قالوا معنى (صٓۚ): صدق رسول الله والقرآن ذي الذكر. وعلى هذا فالمقسم عليه هو صدقه □.

ومنهم من قال: المعنى: هذه (صٓۚ) أي: السورة التي أعجزت العرب، (وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾)، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سقوطها.

وقال بعض العلماء: إن المقسم عليه محذوف، واختلفوا في تقديره، فقال الزمخشري في «الكشاف»: «التقدير (وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾)، إنه لمعجز»، وقدره ابن عطية وغيره فقال: «(وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾) ما الأمر كما يقوله الكفار»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له-: الذي يظهر صوابه بدليل استقراء

(٣٦٢) أحمر
أسود

القرآن: أن جواب القسم محذوف وأن تقديره: (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١) ما الأمر كما يقوله الكفار، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة.

الأول: منها أن النبي ﷺ مرسل من الله حقًّا وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا) **[الرعد: ٤٣]**.

والثاني: أن الإله المعبود جل وعلا واحد، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥) **[ص: ٥]**.

والثالث: أن الله جلَّ وعلا يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ) وقوله: (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ) **[التغابن: ٧]**، وقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ) **[سبأ: ٣]**.

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى:(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢)؛ لأن الإضراب بقوله: (بَلِ)، دليل واضح على المقسم عليه المحذوف. أي: ما الأمر كما يقوله الذين كفروا، (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ) أي: في حمية وأنفة واستكبار عن الحق، (وَشِقَاقٍ ۝٢) أي: مخالفة ومعاندة.

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة، فلدلالة آيات كثيرة: أما صحة رسالة الرسول ﷺ، وكون الإله المعبود واحدًا لا شريك له فقد أشار لهما هنا. أما كون الرسول مرسلًا حقًّا ففي قوله تعالى هنا: (وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤) يعني أي: لا وجه للعجب المذكور. لأن يجيء المنذر الكائن منهم.

(٣٦٣) أحمر
أسود

لا شك في أنه بإرسال من الله حقًّا.

وقولهم: (هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾) إنما ذكره تعالى إنكارًا عليهم وتكذيبًا لهم. فعرف بذلك أن في ضمن المعنى والقرآن ذي الذكر إنك مرسل حقًّا ولو عجبوا من مجيئك منذرًا لهم، وزعموا أنك ساحر كذاب، أي: فهم الذين عجبوا من الحق الذي لا شك فيه، وزعموا أن خاتم الرسل وأكرمهم على الله ساحر كذاب.

وأما كون الإله المعبود واحدًا لا شريك له، ففي قوله هنا: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾)، لأن الهمزة في قوله: (أَجَعَلَ) للإنكار المشتمل على معنى النفي، فهي تدل على نفي سبب تعجبهم من قوله □: إن الإله المعبود واحد.

وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم، على أن الله أقسم على تكذيبهم فيها وإثباتها بالقسم صريحًا كقوله تعالى مقسمًا على أن الرسول مرسل حقًّا:(يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾) [يس: ١-٣]، فهي توضح معنى (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾) إنك لمن المرسلين.

وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة كقوله تعالى: (تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾) [البقرة: ٢٥٢]، وأما كونه تعالى هو المعبود الحق لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾) ونحو ذلك من الآيات فدل ذلك على أن المعنى تضمن ما ذكر أي: والقرآن ذي الذكر، إن إلهكم لواحد كما أشار إليه بقوله: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ ...) الآية.

(٣٦٤) أحمر
أسود

وأما كون البعث حقًّا، فقد أقسم عليه إقسامًا صحيحًا صريحًا، في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: (قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ) [التغابن: ٧]. وقوله تعالى: (قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ) [سبأ: ٣] أي الساعة. وقوله: (قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ) [يونس: ٥٣].

وأقسم على اثنين من الثلاثة المذكورة وحذف المقسم عليه الذي هو الاثنان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولكن أهل الكفر والتكذيب وجحود القرآن في حمية واستكبار عن قبول الحق، حملهم ذلك على الشقاق والخلاف والمعاندة للحق - والله أعلم.

قال الطبري $:

وقوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذاب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) أي: في حميةٍ وفراق.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) قال: يعادون أمر الله ورسله وكتابه، ويشاقون، ذلك عزة وشقاق، فقلت له: الشقاق: الخلاف، فقال: نعم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢) أي: إن في هذا القرآن لذكرًا لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم ينتفع به الكافرون؛ لأنهم (فِي عِزَّةٖ) أي:

(٣٦٥) أحمر
أسود

استكبار عنه وحمية (وَشِقَاقٍ ۝٢) أي: مخالفة له ومعاندة ومفارقة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ) أي: في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال جل وعز: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ) [البقرة: ٢٠٦]، والعزة عند العرب: الغلبة والقهر يقال: من عز بز يعني: من غلب سلب ومنه: (وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ۝٢٣) [ص: ٢٣] أراد غلبني وقال جرير:

يعز على الطريق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح

أراد يغلب (وَشِقَاقٍ ۝٢) أي: في إظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا في شق وذلك في شق.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أهلكنا قرونًا كثيرة قبل كفار قريش فلما جاءهم بأسنا وحلَّ بهم عذابُنا نادى بعضهم بعضًا مستغيثين مستنجدين، لكنهم نادوا في وقتٍ ليس بوقت فرار ولا هروب.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: كثيرًا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدًا □ فيما جاءهم به من عندنا من الحق (مِّن قَرْنٍ) يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله (فَنَادَواْ) يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فرارًا من عقابه، وهربًا من أليم عذابه (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣) يقول: وليس ذلك حين فرار ولا

(٣٦٦) أحمر
أسود

هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة. وقوله: (مَنَاصٍ ﴿٣﴾) مفعل من النوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفر؛ ومنه قول امرئ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

يقول: أو تقدم يقال من ذلك: ناصني فلان: إذا ذهب عنك، وباصني: إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها، بالضاد.

وقال ابن كثير $:

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ) أي: من أمة مكذبة، (فَنَادَوا) أي: حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمُجدٍ عنهم شيئًا. كما قال تعالى: (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾) [الأنبياء: ١٢] أي: يهربون، (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾) [الأنبياء: ١٣].

ثم قال $:

وهذه الكلمة وهي (وَلَاتَ) هي (لا) التي للنفي، زيدت معها (التاء) كما تزاد في (ثم) فيقولون: (ثمت)، و (رب) فيقولون: (ربت). وهي مفصولة والوقف عليها. ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير] أنها متصلة بحين: (ولا تحين مناص). والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب (حين) تقديره: وليس الحين حين مناص. ومنهم من جوز النصب بها، وأنشد:

(٣٦٧) أحمر
أسود

تَـــذَكَّر حُـــب ليلـــى لاتَ حينـــا وأَضْحَى الشَّيْبُ قد قَطَع القَرينا

ومنهم من جوز الجر بها، وأنشد:

طَلَبُـــوا صُـــلْحَنَا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنَـــا أن لـــيس حـــين بقـــاءِ

وأنشد بعضهم أيضًا:

ولاتَ سَـــــــاعةَ مَنْـــــــدَم

بخفض الساعة، وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص: التقدم. ولهذا قال تعالى: (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾) أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب.

❁ ❁ ❁

(٣٦٨) أحمر
أسود

س: الكفار إذا رأوا العذاب نادوا نداءات متنوعة. وضح ذلك.

ج: قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء.

أحدهما: نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾) إلى قوله تعالى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾) [الأنبياء: ١١-١٥]، وقوله تعالى: (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾) [الأعراف: ٤-٥].

الثاني: من نوعي النداء المذكور نداؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب الذي أحسوا أوائله، كقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر: ٨٤-٨٥] وهذا النوع الأخير هو الأنسب والأليق بالمقام، لدلالة قوله: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾) [ص: ٣] عليه.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾) الذي هو المسألة الثالثة، معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاينة العذاب، حين مناص، أي: ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

فقوله: (وَلَاتَ) هي لا النافية زيدت بعدها تاء التأنيث اللفظية كما

زيدت في ثم، فقيل فيها ثمت، وفي رب، فقيل فيها ربت.

وأشهر أقوال النحويين فيها، أنها تعمل عمل ليس وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة، أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة، كالساعة والأوان، وأنها لا بد أن يحذف اسمها أو خبرها والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب، وربما عكس، وهذا قول سيبوية وأشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

في النكرات أعملت كليس « لا » وقد تلى « لات » و « أن » ذا

وما لـلات في سوى حين عمل وحذف ذي الرفع فشا والعكس

والمناص مفعل من النوص، والعرب تقول: ناصه ينوصه إذا فاته وعجز عن إدراكه، ويطلق المناص على التأخر؛ لأن من تأخر ومال إلى ملجأ ينقذه مما كان يخافه فقد وجد المناص.

والمناص والملجأ والمفر والموئل معناها واحد، والعرب تقول: استناص إذا طلب المناص، أي: السلامة والمفر مما يخافه، ومنه قول حارثة ابن بدر:

غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري

والأظهر أن إطلاق النوص على الفوت والتقدم، وإطلاقه على التأخر والروغان كلاهما راجع إلى شيء واحد؛ لأن المناص مصدر ميمي معناه المنطبق على جزئياته، أن يكون صاحبه في كرب وضيق، فيعمل عملًا، يكون به خلاصه ونجاته من ذلك.

س: هل صح لهذه الآيات سبب نزول: (أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ...)؟

ج: لا أعلم لها سببن نزول صحيح.

(٣٧٠) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وعجب الكفار من أهل مكة وغيرهم من الكفار أن بُعث إليهم رسولٌ بشري من البشر، فوصفوه بأنه ساحر كذاب، وقالوا متعجبين: أجعل المعبودات معبودًا واحدًا لا يُعبد غيره؟!! (إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾).

تعجبوا من كون الله ﷻ يسمعهم جميعًا ويجيبهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك (وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾) يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمدًا ﷺ، ساحر كذاب.

وقوله: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا) يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدًا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا (إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾) أي: إن هذا لشيء عجيب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾) قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعًا إله واحد! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.

وقال ابن كثير $:

(٣٧١) أحمر
أسود

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشرًا، كما قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ وقال هاهنا: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ﴾ أي: بشر مثلهم، ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ﴾ أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك -قبحهم الله تعالى-وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول □ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الملأ من أهل الكفر وهم الأشراف والكبراء انطلقوا مسرعين لإخوانهم الذين هم على شاكلتهم يحذرونهم من اتباع رسول الله □ فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ ويقول: استمروا على عبادة آلهتكم لا تتركوها فها هنا أمرٌ يُخطط له ويبيت له، ويريده محمد □، يريد أن نكون له أتباع وأن تكون له السيادة علينا وأن يصرفنا عن عبادة آلهتنا التي نعبد، وما قد سمعنا بهذا في الملة النصرانية، فقد كان النصارى أهل شرك، ثم قالوا: ما هذا الذي يدعونا إليه محمد □ إلا كذب وافتراء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل، قال الطبري $:

(٣٧٢) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: (أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا) بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. فـ(أَنِ) من قوله: (أَنِ ٱمْشُوا) في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشيًا، ومضيًّا على دينكم. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم)**. وذكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط.

وقوله: (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦) أي: إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعًا ولسنا مجيبيه إلى ذلك.

وقوله: (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، قالوا: وهي الملة الآخرة.

وقال آخرون: بل عنوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش.

وقوله: (إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧) يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق أي: كذب اختلقه محمد وتخرّصه.

وقال ابن كثير $:

(وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ) وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: (ٱمْشُوا) أي: استمروا على دينكم (وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ) ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦) قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه

(٣٧٣) أحمر
أسود

محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه.

س: وضح معنى قولهم: (أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾).

ج: هذا استفهام استنكاري من الكفار استنكروا نزول القرآن على رسول الله من بينهم، فقالوا: (أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ) أي: القرآن، (مِنۢ بَيۡنِنَاۚ) فتعجبوا من ذلك.

قال تعالى: (بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ) أي: إنهم لا يكذبون رسول الله فإنهم يعلمون أنه صادق، ولكنهم في شك من نزول الوحي عليه؛ كما قال تعالى: (فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾) **[الأنعام: ٣٣]**، أما قوله تعالى: (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾) أي: إنهم لم يذوقوا عذاب الله على الشرك الذي صدر منهم ولو ذاقوا العقوبة على الشرك ما تمادوا في شركهم.

أما قوله تعالى: (أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾) فحاصله الاستنكار عليهم فيما طلبوا وسألوا واستنكروا، فالمعنى إن خزائن رحمة الله بيد الله ليست بأيديهم هو الذي يهب من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع له ممن أراد، ولا راد لما قضى، فهو الذي يتفضل بالنبوة والعلم والوحي على من يشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به، وليس بأشرف منا حسبًا. وقوله: (بَلۡ

(٣٧٤) أحمر
أسود

هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۖ) يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدًا صادق، ولكنهم في شك من وحينا إليه، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا، (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾) يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدًا، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون، حين لا ينفعهم علمهم (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعني: مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما مَنَّ الله به عليك من الكرامة، وفضلك به من الرسالة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولهم: (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَآۚ) يعني: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قالوا في الآية الأخرى: (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾) **[الزخرف: ٣١]**، قال الله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ) **[الزخرف: ٣٢]**، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾) أي: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته سيعلمون غب ما قالوا، وما كذبوا به يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دَعّا.

ثم قال مبينًا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل

من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء، فلا يهديه أحد من بعد الله، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير؛ ولهذا قال تعالى منكرًا عليهم: (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾) أي: العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد.

وهذه الآية شبيهة بقوله: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾) [النساء: ٥٣: ٥٥]، وقوله: (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾) [الإسراء: ١٠٠]، وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري وكما أخبر تعالى عن قوم صالح حين قالوا: (أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾) [القمر: ٢٥-٢٦].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ) هو استفهام إنكار والذكر ها هنا القرآن أنكروا اختصاصه بالوحي من بينهم فقال الله تعالى: (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىٓ ۖ) أي: من وحيي وهو القرآن أي: قد علموا أنك لم تزل صدوقًا فيما بينهم وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا؟ (بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾) أي: إنما اغتروا بطول الإمهال ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك، ولكن لا ينفع الإيمان حينئذ و(لَمَّا) بمعنى: لم وما زائدة كقوله: (عَمَّا قَلِيلٍ) [المؤمنون: ٤٠]، و(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ) [النساء: ١٥٥]، قوله تعالى: (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾) قيل: أم لهم هذا

(٣٧٦) أحمر
أسود

فيمنعوا محمدًا ﷺ مما أنعم الله عز و جل به عليه من النبوة و(أَمۡ) قد ترد بمعنى التقريع إذا كان الكلام متصلًا بكلام قبله كقوله تعالى: (الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ) [السجدة: ١ - ٣]، وقد قيل: إن قوله: (أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ) متصل بقوله: (وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ) [ص: ٤] فالمعنى أن الله ﷻ يرسل من يشاء؛ لأن خزائن السماوات والأرض له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ألهؤلاء المشركين المكذبين المستبعدين أن ننزل الرسالة على النبي محمد ﷺ، ألهم السلطان في السماوات والأرض يُعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ويأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا؟! فإذا كان ذلك لهم فليصعدوا في السماوات وليطرقوا أبوابها كي يصلوا إلى السماء السابعة إن استطاعوا فإن فكروا في ذلك، فإنهم بلا شك ولا ريب مهزومون، فقوله: (جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١) حاصله أن هؤلاء المتحزبين على تكذيب رسول الله المعترضين على رسالته إذا فكروا في سلوك الأسباب الموصلة إلى السماء سيهزموا بلا ريب ولا شك، فقوله: (هُنَالِكَ) أي: عند أبواب السماوات، ومن أهل العلم، وهم الأكثر ذكروا أن قوله: (هُنَالِكَ) أي: يوم بدر، وقال آخرون: (هُنَالِكَ) أي: يوم الأحزاب يوم الخندق.

وهذا منهم - والله أعلم - لكون غزو الفضاء لم يكن موجودًا في

(٣٧٧) أحمر
أسود

زمانهم ولم يكن متصورًا في زمانهم ولو كان متصور لكان هناك من حمل الآية الكريمة عليه، مع أنه قد أشير إليه أيضًا.

هذا، والآية الكريمة توضحها الآية الأخرى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٥]، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزة وشقاق ﴿مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ فإنه لا يعازني ويشاقني من كان في ملكي وسلطاني. وقوله: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾ يقول: وإن كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقده وتعهده.

واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بها أبواب السماء.

وقوله: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ يقول تعالى ذكره: هم ﴿جُندٞ﴾ يعني: الذين في عزة وشقاق هنالك، يعني: ببدر مهزوم. وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ من صلة مهزوم وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، وما في قوله: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ﴾ صلة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ قال: وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندًا من المشركين، فجاء تأويلها

(٣٧٨) أحمر
أسود

يوم بدر.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾) أي: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه كقوله: (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾) وكان ذلك يوم بدر (بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾) [القمر: ٤٤-٤٦].

وقال القرطبي $:

(أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: فإن ادعوا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾) أي: فليصعدوا إلى السماوات وليمنعوا الملائكة من إنزال الوحي على محمد، يقال: رقي يرقى وارتقى إذا صعد ورقى يرقي رقيًا مثل رمى يرمي رميًا من الرقية قال الربيع بن أنس: الأسباب أرق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى والسبب في اللغة كل ما يوصل به إلى المطلوب من حبل أو غيره وقيل: الأسباب أبواب السماوات التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد و قتادة قال زهير:

ولو رام أسباب السماء بسلم

وقيل: الأسباب السماوات نفسها أي: فليصعدوا سماءً سماءً، وقال السدي: (فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾) في الفضل والدين وقيل: أي فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة وهو معنى قول أبي عبيدة وقيل: الأسباب الحبال

(٣٧٩) أحمر
أسود

يعني إن وجدوا حبلًا أو سببًا يصعدون فيه إلى السماء فليرتقوا وهذا أمر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه □ النصر عليهم فقال: (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ)، (مَّا) صلة وتقديره هم جند فـ (جُندٌ) خبر ابتداء محذوف (مَهزُومٌ) أي: مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم؛ لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا هذا لنا ويقال: تهزمت القربى إذا انكسرت وهزمت الجيش كسرته والكلام مرتبط بما قبل: أي: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢) وهم جند من الأحزاب مهزومون فلا تغمك عزتهم وشقاقهم فإني أهزم جمعهم وأسلب عزهم وهذا تأنيس للنبي □ وقد فعل بهم هذا في يوم بدر قال قتادة: وعد الله أنه سيهزمهم وهم في مكة فجاء تأويلها يوم بدر، و(هُنَالِكَ) إشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتال محمد □ وقيل: المراد بالأحزاب الذين أتوا المدينة وتحزبوا على النبي □ وقد مضى ذلك في (الأحزاب) والأحزاب: الجند كما يقال: جند من قبائل شتى، وقيل: أراد بالأحزاب القرون الماضية من الكفار أي هؤلاء جند على طريقة أولئك.

❁ ❁ ❁

عقاب الله للمكذبين

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤).

ج: المعنى - والله أعلم -: وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فإن قوم نوحٍ من قبلهم قد كذَّبوا نبيهم نوحًا ﷺ، وكذا كذبت قبيلة عادٌ نبيها هودًا ﷺ، وكذا كذب فرعون – عليه لعنة الله – كذب نبي الله موسى ﷺ فرعون

(٣٨٠) أحمر
أسود

الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس يربطهم فيها، وله أوتاد يلعب تحتها كتلك الأوتاد التي تثبت في الأرض وتنصب حولها الخيام.

وقيل في الأوتاد: إن المراد بها البنيان.

وكذا كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحًا ﷺ، كذا قوم لوط كذبوا لوطًا ﷺ، وكذا أصحاب الأيكة وهي الشجر الكثير الملتف، كذبوا نبيهم شعيبًا ﷺ، فهؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة هم الأحزاب الكافرة الذين كانوا في الدنيا أقوياء جبابرة أولئك المتحزبون ضد رسل الله الكرام، كلهم كذب الرسل فحق عليهم عقابي ووجب عليهم عذابي.

* وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش - القائلين: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟!- رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد، فقال بعضهم: قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يلعب له عليها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾) قال: كان له أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذو البنيان، قالوا: والبنيان: هو الأوتاد.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف

(٣٨١) أحمر
أسود

من معنى الأوتاد، وثمود وقوم لوط، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا. (وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ) يعني: وأصحاب الغيضة.

وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى، عن أبي عمرو يقول: الأيكة: الحرجة من النبع والسدر، وهو الملتف منه، قال الشاعر:

أفمن بكاء حمامة في أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني: محمل السيف.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوك بهم سبيلهم.

(إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ) يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله؛ وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي: **(إن كل لما كذب الرسل فحق عقاب)** يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣) أي: كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك؛ ولهذا قال: (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤) فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر.

(٣٨٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥).

ج: الظاهر - والله أعلم -: أن المعنى وما ينتظر هؤلاء المشركون بعد أن اطلعوا على أخبار الأمم المكذبة المشركة التي تقدمتهم، ماذا ينتظر كفار قريش ومن تابعهم على كفرهم، ماذا عساهم أن ينتظروا، فلينتظروا صيحة واحدة، وهي صيحة النفخ في الصور ليس لها فتور ولا انقطاع بل هي مستمرة متواصلة، ليس لها ارتداد ولا رجوع، وليس للمشركين معها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ) المشركون بالله من قريش (إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ) يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥) يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعني: من فتور ولا انقطاع.

وأورد أقوالًا منها بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥) قال: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق، يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥) قال مالك عن زيد ابن أسلم: أي: ليس لها مثنوية أي: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي: فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات

(٣٨٣) أحمر
أسود

والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله ﷻ.

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى: (وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً) (يَنظُرُ) بمعنـى: ينتظـر ومنـه قوله تعالى: (ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ) [الحديد: ١٣] (هَٰٓؤُلَآءِ) يعني: كفار مكة (إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً) أي: نفخة القيامة، أي: ما ينتظرون بعد ما أصيبوا ببدر إلا صيحة القيامة وقيل: ما ينتظر أحيائهم الآن إلا الصيحة التي هي النفخة في الصور كما قال تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةً) [يس: ٤٩-٥٠]، وهذا إخبار عن قرب القيامة والموت وقيل: أي ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة المتدينين بدين أولئك إلا صيحة واحدة وهي النفخة وقال عبد الله بن عمرو: لم تكن صيحة في السماء إلا بغضب من الله عزَّ و جلَّ على أهل الأرض (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾) أي: من ترداد، عن ابن عباس مجاهد: ما لها رجوع، قتادة: ما لها من مثنوية، السدي: ما لها من إفاقة.

❁ ❁ ❁

(٣٨٤) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا
دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾
وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾) [ص: ١٦-٢٠]

(٣٨٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(قِطَّنَا -يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ -ذَا ٱلۡأَيۡدِ -أَوَّابٌ-بِٱلۡعَشِيِّ -مَحۡشُورَةٗ - كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ - وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ - ٱلۡحِكۡمَةَ-وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ).

ج:

الكلمة	معناها
(قِطَّنَا)	كتابنا - ما كتبته علينا من العذاب أو الثواب نصيبنا من العذاب - حظنا من العذاب
(يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)	يوم القيامة
(ذَا ٱلۡأَيۡدِ)	ذا القوة والبطش - ذا النعم (أنعم الله عليه بنعم عظيمة)
(أَوَّابٌ)	رجَّاع - مكثرٌ من التسبيح والاستغفار
(بِٱلۡعَشِيِّ)	ما بين العصر إلى الليل وقت صلاة الضحى بعد إشراق الشمس
(مَحۡشُورَةٗ)	مُجتمعة - مجموعةً
(كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ)	كلٌ له مُطيع رجَّاع، كلٌ معه مسبحٌ لله
(وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ)	قوينا ملكه بكثرة الجنود الذين أعدوا لحراسته أعطيناه هيبة عظيمة في قلوب الناس قويناه في مملكته وجعلنا له ملكًا كاملًا مما يحتاج إليه الملوك
(ٱلۡحِكۡمَةَ)	الفهم والفطنة والعقل – السداد في القول والعمل والنبوة

(٣٨٦) أحمر
أسود

٣٨٦ التسهيل لتأويل التنزيل

(وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ)	الفصل في القضايا والأحكام، وذلك بالتوفيق والفهم في القضايا والأحكام، وبالشاهدين واليمين، وبغير ذلك. وقيل: هو قول (أما بعد) في الخطب للفصل بين المقدمة والموضوع.

❁ ❁ ❁

س: من القائلون: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦)؟ وعلى أي وجهٍ قالوا هذا القول؟ وما معناه؟

ج: قائلوه هم الكفار، قالوه على سبيل الاستهزاء والاستخفاف والتكذيب، كما في قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨) [يونس: ٤٨]، وكما في قوله تعالى: (وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٢) [الأنفال: ٣٢].

أما عن معنى الآية: فإن أهل الشرك لما هُدِّدوا بالعذاب يوم القيامة قالوا: مستخفين بمن أخبرهم بذلك ومستبعدين لوقوعه (رَبَّنَا) أي: يا ربنا (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) أحلل علينا في الدنيا عاجلًا غير آجل نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة؛ والله أعلم.

هذا، وإن كان هناك من أهل العلم من وجَّه الآية توجيهات أُخر.

قال الطبري $:

وقوله: (وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقط في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة؛ ومنه قول الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطي القطوط ويأفق

(٣٨٧) أحمر
أسود

يعني بالقطوط: جمع القط، وهي الكتب بالجوائز.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم، فقال بعضهم: إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعد لهم في الآخرة في الدنيا، كما قال بعضهم: (إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: ٣٢].

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾) أي نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًّا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) [الأنفال: ٣٢]... الآية.

وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد □ فيؤمنوا حينئذٍ به ويصدقوه.

وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا.

وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيل الرزق.

وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ) [الحاقة: ١٩] (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ) [الحاقة: ٢٥] في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ ولينظروا من أهل الجنة هم، أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله.

(٣٨٨) أحمر
أسود

وإنما قلنا إن ذلك كذلك؛ لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: (ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فكان معلومًا بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي □ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله □ أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦) هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القط هو الكتاب وقيل: هو الحظ والنصيب.

❁ ❁ ❁

النهي عن تمني البلاء

س: هل يشرع تمني نزول العذاب والبلاء في الدنيا حتى لا يعذب الشخص في الآخرة؟

ج: لا يشرع ذلك، بل المشروع سؤال الله ﷻ العافية أما أهل الكفر فلكونهم يستنكرون وقوع العذاب، وينكرون البعث فإنهم يقولون مستخفين: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦).

* **وكما قالوا:** (فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠) [الأعراف: ٧٠].

(٣٨٩) أحمر
أسود

* **فهكذا** كانوا يستعجلون العذاب، قال تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾) [العنكبوت: ٥٣].

* **وقال تعالى:** (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ) [الرعد: ٦].

وقد يفعل ذلك من قلَّ علمه من المسلمين.

ففي صحيح مسلم(١) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَىْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**». قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِى بِهِ فِى الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِى فِى الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ - أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ** (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١]». قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.

وفي رواية عند مسلم: «**لاَ طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ**»، فما المسنون وما المشروع إذن؟!

المسنون والمشروع سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

المسنون قول: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١].

* فكم من شخصٍ سعيد في الدنيا والآخرة.

* **قال تعالى في شأن عيسى ﷺ:** (وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾).

[آل عمران: ٤٥]

* وموسى ﷺ ألقى الله عليه محبةً منه، ومع ذلك فهو في الآخرة من المقربين!!

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٨٨).

(٣٩٠) أحمر
أسود

* وسليمان ﷺ كان نبيًّا ملكًا سُخِّرت له الجنُّ والإنس والطيرُ ومع ذلك إن له عند الله (لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾) [ص: ٢٥].

* وإبراهيم ﷺ يسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، أي ثناءً حسنًا بعد الموت.

فمن ثمَّ لا يشرع سؤال العذاب، بل يُسأل الأجر والثواب، والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في شأن نبي الله داود ﷺ، وكذا اذكر شيئًا من فضائله.

ج: أقول، وبالله تعالى التوفيق:

* إنه من الفئة المؤمنة التي ابتليت فخرجت من الابتلاء سالمة آمنة غانمةً موفقةً.

* إنه من الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى!

* **هؤلاء الملأ الذين سألوا نبيًّا(١) لهم فقالوا:** (ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ) [البقرة: ٢٤٦].

* لكن نبي الله داود ﷺ لم يتول ولم ينكص على عقبيه، ولم يُغيِّر ولم يُبدِّل.

* **إن نبينا محمدًا ﷺ وصف هذا النبي الكريم بقوله:** «... **ولا يفر إذا**

---

(١) قيل: إن هذا النبي اسمه (شمويل)، ولكن لا نعلم دليلًا من الكتاب والسنة على ذلك.

(٣٩١) أحمر
أسود

لاقى»[(١)].

وكيف يفرُّ، والفرار كبيرةٌ من أعظم الكبائر؟!! قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾) [الأنفال: ١٥، ١٦].

فكيف يُولي الدّبر إذن؟؟؟!!!

* **كيف ذلك والنبي ﷺ يقول:** «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟... فقال: «.... **وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**»[(٢)]؟!

* لم يعترض هذا النبي الكريم قبل نبوته على تأمير طالوت عليهم ولم يحسد طالوت على ما آتاه الله من الفضل، أما غيره من بني إسرائيل فقد اعترضوا و(قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ).

[البقرة: ٢٤٧]

* أما أهل الإيمان ومنهم داود ﷺ فلا يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، بل هم مباركون أينما كانوا، رؤساء أو مرءوسين.

* كذلك فإنه ﷺ قد مرَّ من ابتلاء النهر بسلامٍ وأمان ووفاء وجاوزه مؤمنًا موقنًا بوعد الله ﷻ.

أما غيره فخالفوا أمر ملكهم، قال تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ

---

(١) صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٥٧)، ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٣٩٢) أحمر
أسود

ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ) [البقرة: ٢٤٩].

وداود ﷺ من هذه القلة المؤمنة الذين امتثلوا وصبروا فجاوز ﷺ النهر مؤمنًا مع الفئة المؤمنة - فما جاوز النهر إلا مؤمنٌ - جاوزه في طائفةٍ من أهل الإيمان عددهم عددُ أصحاب بدرٍ من المؤمنين.

أخرج البخاري (١) من حديث البراء ﷺ قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاثمائة.

قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

* وماذا بعد أن جاوزا النهر، وماذا لما برزوا لجالوت وجنوده؟!

جاوزا النهر وبرزا لجالوت وجنوده فقالوا: (لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ) [البقرة: ٢٤٩].

لكن داود ﷺ لم يقل ذلك، بل كان من الطائفة المؤمنة التي تُؤمن بلقاء الله، فكان فيمن قالوا: (كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩) [البقرة: ٢٤٩].

* **كان فيمن قالوا - لما برزوا لجالوت وجنوده -:** (رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠) [البقرة: ٢٥٠]!!

* فكان ماذا؟

* كان أن مكنه الله من قتل جالوت الكافر، فالحمد لله رب العالمين (وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ) [البقرة: ٢٥١].

فهكذا يصبر داود ﷺ على البلاء، وينجو من ابتلاءٍ تلو ابتلاء وهكذا

---

(١) البخاري (حديث ٣٩٥٧).

تكون العاقبة للتقوى!!!

* لم يرتدّ على عقبيه لما فُرض عليه القتال!!

* لم يعترض على تأمير طالوت عليهم!!

* لم يشرب من النهر، بل صبر امتثالًا للأمر!!

* لم يضعف ولم يهن عن لقاء العدو، بل استعان بالله وصبر!!

* لم يترك نفسه لنفسه ولم يغتر بقوتِه، بل سأل الله العون وطلب منه الصبر والثبات والنصر على الأعداء!!

فصبرٌ يتلوه صبرٌ!! وثباتٌ يتبعه ثبات!!!

واستعانةٌ بالله بعد استعانةٍ! وسؤالُ الله النصر على الأعداء!!

ويقين بالله مع إيمانٍ وصبرٍ!

فبهذا - بعد توفيق الله - تناول الإمامة: بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، نعم تُنال الإمامة بالصبر واليقين.

* وقال تعالى في شأن الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] ابتلى الله إبراهيم ﷺ بأوامر ونواهٍ، فامتثل الأمر واجتنب ما نهاه عنه ربه ﷻ، فجعله الله الناس إمامًا!!

قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

* لقد آتاه الله الملك.

* بل لقد أصبح بعدُ خليفةً في الأرض!!

* **قال تعالى:** ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]!!

ولكنه لم يكن خليفةً ظالمًا ولا ملكًا جائرًا جاهلًا، بل ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ

(٣٩٤) أحمر
أسود

ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ) [البقرة: ٢٥١].

وكذا فهو عالمٌ بأمور دنياه وسياسة رعاياه قال تعالى: (وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ).

[البقرة: ٢٥١]

فهو نبي كريمٌ، وملكٌ حكيمٌ وخليفةٌ عادلٌ، وعالمٌ عابدٌ ﷺ!!

ثم ماذا كان منه ﷺ أمام هذه النعم المترادفة والفضل الواسع والعطاء الزائد من الله ﷻ؟!!

لقد كان من الشاكرين!!

لقد امتثل أمر ربه إذ أمره فقال: (ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾) [سبأ: ١٣].

لقد كان من القليل الشاكر.

قال تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾) [النمل: ١٥]، فقدم داود حمدًا لله على ما منَّ به وأنعم، وتفضَّل به وتكرَّم.

وبهذا تُزاد النعم، (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ) [إبراهيم: ٧]، فالحمد لله رب العالمين.

وبضدها وبالجحود تزول: (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾) [إبراهيم: ٧].

لفتة كريمة:

أمر الله ﷻ نبيه داود بالذي أمره به إذ قال: (ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ) [سبأ: ١١]، وهذا مما يتعلق بأمور الدنيا.

والدروع السابغات تتقى بها سهام العدو، فصنعتها صنعة نافعة.

(٣٩٥) أحمر
أسود

فلينظر قوم في أعمالهم، هل أعمالهم نافعةٌ وفيها خيرٌ وصلاحٌ أم ماذا يعملون؟؟

* والذي نلفت النظر إليه أن الله ﷻ بعد أن حث على عملٍ نافعٍ يتعلق كثيرًا بأمور الدنيا - وأمر داود عليه السلام بالدِّقة في هذا العمل بقوله: (وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ) - ذكَّر بأمر الآخرة والعمل لها فقال سبحانه: (وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا) [سبأ: ١١] أي: وأقبلوا على الله ﷻ بالأعمال الصالحة التي تقربكم إليه.

فيدخل في هذا الصلاةُ والصيام والصدقة وسائر أعمال البر عمومًا.

فعلى سبيل المثال:

يقول سبحانه: (يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا) [الأعراف: ٢٦]، أي: قد أنزلنا عليكم لباسًا تسترون به عوراتكم، وتتزينون به كذلك، ثم ذكَّر ربُّنا سبحانه وتعالى بلباس هو خيرٌ وأفضل، فقال سبحانه: (وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف: ٢٦]، فذكَّر ربنا سبحانه وتعالى بلباسٍ ينبغي أن نكتسي به وأن نتجلل به وأن تُعمَّر به قلوبنا، ألا وهو لباسُ التقوى.

* **ونحوه قول الله تبارك وتعالى:** (وَتَزَوَّدُوا۟) [البقرة: ١٩٧]، ثم أشار إلى زاد آخر أهم وأعظم فقال: (فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ) [البقرة: ١٩٧].

* ونحو هذا التذكير في قول الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام مع الجن، إذ قال تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ) [سبأ: ١٣]، ثم ذكَّر الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان عليه السلام بتقديم شكرٍ لذلك، فقال تعالى: (ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا) [سبأ: ١٣].

ألا فليذكر اللهَ الذاكرون، وليشكره الشاكرون.

ألا فليذكر اللهَ التجارُ في تجارتهم والصُّناعُ في صنائعهم و(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(٣٩٦) أحمر
أسود

ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩)

[المنافقون ٩]

وعن عبادة نبي الله داود ﷺ

وتعبُّدُ نبي الله داود ﷺ من أفضل التعبد وأحبه إلى الله ﷻ، فصلاته أحب الصلاة إلى الله، وقيامه أحب القيام، وصيامه أحب الصيام، وتلاوته من أحب التلاوة وأحسنها وأجملها، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ**»(١).

وفي رواية في الصحيح أيضًا: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ ﷺ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلاَ يَفِرُّ إِذَا لاَقَى**»(٢).

وفي لفظ آخر في الصحيح(٣) أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّى أَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ. فقال له رسول الله ﷺ: «**أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ**»، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى. قَالَ: «**فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَ أَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ**». قُلْتُ: إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**». قُلْتُ: إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٢٠)، ومسلم (حديث ١١٥٩).
(٢) البخاري (حديث ٣٤١٩).
(٣) البخاري (حديث ٣٤١٨)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٣٩٧) أحمر
أسود

رسول الله. قَالَ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ - عَ - وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ**».

فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**».

وعبادة داود هذه إنما هي بتيسير الله له وتسهليه عليه، **ففي الصحيح** من حديث أبي هريرة(١) ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ - عَ - الْقُرْآنُ**(٢)، **فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ**(٣)، **وَلاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

❁ ❁ ❁

س: قد وهب الله ﷻ نبيه داود عَ صوتًا حسنًا في غايةٍ من الحُسن، جميلًا في غايةٍ من الجمال، فكان إذا سبَّح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطيور، كل معه مسبحٌ، وكل معه مُرجعٌ في منظر عجيب، ومشهد مهيب!! سكينةٌ تتنزل!! ملائكةٌ تحفُّ!! نبيٌّ كريمٌ يُرتِّل!! والرب مطلعٌ وشاهدٌ وبصيرٌ!! فنرجو التذكير بشيء من فضل تحسين الصوت بالقرآن.

---

(١) البخاري (حديث ٣٤١٧).

(٢) **قيل:** المراد بالقرآن: القراءة، قال الحافظ ابن حجر ﷺ: في رواية الكشميهني (القراءة) قال: والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وقيل المراد: الزبور، وقيل: التوراة، وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن، أشار إليه صاحب (المصابيح) والأول أقرب، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة؛ لأن الزبور كله مواعظ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة... (الفتح ٦/٥٢٤).

قلت (مصطفى): الكتاب الذي أنزله الله على داود عَ هو الزبور كما هو معلوم، وقد قال تعالى: (وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾) [النساء: ١٦٣].

(٣) سبحان من بارك لداود عَ في وقته، قال الحافظ ابن حجر ﷺ: وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير.

(٣٩٨) أحمر
أسود

ج: من ذلك ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: (وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾) [المزمل: ٤].

* وقال النبي □: «زيِّنُوا القرآن بأصواتكم»(١).

* وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»(٢).

* وفي رواية: «لم يأذن الله لشيء ما أَذِنَ لنبيٍّ أن يتغنى بالقرآن»(٣).

* وفي ثالثة: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»(٤).

* وقال □: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة...»(٥).

❁ ❁ ❁

وكان ﷺ يأكل من عمل يده

وهذا من أطيب الكسب وأفضله.

* قال النبي □: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»(٦) أخرجه البخاري من حديث المقدام ﷺ مرفوعًا.

وفي الصحيح أيضًا من حديث أبي هريرة أن النبي □ قال: «خُفِّف على داود ﷺ القرآن...»، فذكر الحديث، وفيه: «ولا يأكل إلا من عمل

(١) صحيح لشواهده: وأخرجه أحمد (٢٨٣/٤) وغيره، وله شواهد.
(٢) البخاري (حديث ٧٥٤٤).
(٣) البخاري (مع الفتح ٦٨/٩).
(٤) أبو داود (١٥٥/٣) وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وبه علة.
(٥) مسلم (مع النووي ٨٤/٦).
(٦) البخاري (٢٢٠٧).

يده»[(١)].

هذا مع أنه ﷺ كان خليفةً في الأرض، إلا إنه كان يأكل من عمل يده، قال تعالى: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ) [سبأ: ١١].

فقد كان ﷺ يعمل دروعًا سابغات واسعة طويلة تقي من يلبسها سهام العدو ونبله[(٢)]، وتحفظه بإذن الله من ضربات السيوف.

وتعلم داود ﷺ هذه الصنعة بتعليم الله له كما قال تعالى: (وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ) [البقرة: ٢٥١]، وكما قال تعالى: (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾) [الأنبياء: ٨٠].

وقد امتنَّ الله عليه بمعجزةٍ لم يؤتها غيره من الأنبياء ؤ ألا وهي إلانة الحديد في يده يشكِّله كيف يشاء، ويكيفه ويوجهه حيث يُريد، لا يحتاج إلى مطرقةٍ، ولا يحتاج إلى نار.

وعلَّمه الله دقة الصنعة فقال له: (وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ) [سبأ: ١١] أي: اجعل المسمار على قدر الثقب، فلا تجعل المسمار أغلظ من الثُّقب فيفصم الحديد عند طرق المسمار فيه، ولا تجعل الثقب أوسع من المسمار فلا يؤدي المسمار الغرض الذي من أجله صنع، بل اجعل قطر المسمار مماثلًا لقطر الثُّقب الذي سيُوضع فيه المسمار أو أقل قليلًا جدًّا بالقدر الذي يسمح بدخول المسمار في الثقب، وهذا بلا شك من إتقان العمل.

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) ونحوها القمصان الواقية التي يرتديها الرؤساء لوقايتهم طلقات الرصاص.

(٤٠٠) أحمر
أسود

الحاصل: أن نبي الله داود ﷺ كان يعمل بيده وكان يتقن العمل وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والصالحون.

فمنهم من كان يرعى الغنم، بل كل نبيٍّ قد رعى الغنم، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»(١).

* ومنهم من كان نجارًا كنوح وزكريا ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (حديث ٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

من فوائد
التذكير بقصص الأنبياء

س: ما فائدة التذكير بقصص الأنبياء ؤ؟

ج: لذلك فوائد، منها:

للاتعاظ والاعتبار، وكما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ) **[يوسف: ١١١]**.

* وتُساق وتُذْكر أيضًا لتثبيت الفؤاد وطمأنة القلوب، كما قال تعالى: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ) **[هود: ١٢٠]**.

* ونُذكِّر بهذه القصص كي نتأسى بهم في صبرهم، وفي بَذْلهم وعطائهم وتبليغهم رسالات ربهم، قال تعالى: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ).

[الأحقاف: ٣٥]

لقد أُمرنا بالاقتداء بهؤلاء الأنبياء والصالحين واتباع سبيلهم قال تعالى:

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ) **[الأنعام: ٩٠]**.

وقال تعالى: (وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) **[لقمان: ١٥]**.

❁ ❁ ❁

(٤٠٢) أحمر
أسود

شيء من ذكر نبي الله داود ﷺ

س: لمـاذا خُـصَّ داود ﷺ بالـذِّكر فـي قولـه تعـالى: (ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ....)؟

ج: أقول ـ والله تعالى أعلم ـ: إنـه ﷺ ذُكر دون غيره من الأنبياء في هذا المقام (وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ)، والله تعالى أعلم، لأمر يتناسب مع هذا المقام ألا وهو حسن قيامه ﷺ، أعني حسن قيامه في صلاته من الليل، وحسن عبادته عمومًا، فكأن المعنى: اصبر على ما يقولون، وصلِ صلاة كصلاة داود ﷺ، وتعبَّد ربك كما يتعبد فقد كان صابرًا على العبادة قويًّا في الطاعة، قال رسول الله ﷺ: «**أحب القيام إلى الله قيام داود ﷺ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ﷺ**»(١).

فعليه يكون المعنى: اصبر على ما يقولون وصلِّ واجتهد في عبادتك... وهذا يتمشى مع سائر الوصايا في كتاب الله عند الشدائد.

فمن الوصايا التي كثيرًا ما نُوصَى بها لمواجهة الشدائد والصعاب الوصية بالصبر والصلاة، فهذا من خير ما تواجه به الشدائد والصعاب.

* **قال تعالى:** (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣) **[البقرة: ١٥٣]**

* **وقال سبحانه:** (وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥) **[البقرة: ٤٥]**

* **وقال تعالى:** (فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩) **[ق: ٣٩]**، والمراد: صلاتي الفجر والعصر.

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٤٠٣) أحمر
أسود

* وقال تعالى: (وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾) [الطور: ٤٨، ٤٩].

* فكلها تتمشى مع (ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ) [ص: ١٧] أي: اذكر صلاته وعبادته وخشيته لله ﷻ، وحسن تلاوته وترتيله، وقوته في العبادة واجتهاده فيها.

* قال قتادة $: أُعطي قوةً في العبادة وفقهًا في الإسلام.

❁ ❁ ❁

س: بِم أوصى الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يفعله أمام جحود الجاحدين وتكذيب المكذبين وإنكار المنكرين للبعث واستبعادهم له؟

ج: أوصاه بالصبر وبالصلاة فها هنا قال: (ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ) أي: تذكر صلاته، فصل كما كان يصلي.

❁ ❁ ❁

س: ما المستفاد من قوله تعالى: (عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ)؟

ج: المستفاد التذكير بعبوديته لله ﷻ.

* لقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه عبدٌ، فقال: (وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ) [ص: ١٧] نعم هو عبدٌ ﷺ، وكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم لله عبيد.

* قال تعالى في شأن نبينا محمدٍ ﷺ: (فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾) [النجم: ١٠].

* وقال: (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا) [الإسراء: ١].

* وقال سبحانه: (وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا...) [البقرة: ٢٣].

(٤٠٤) أحمر
أسود

وثم أدلة أُخر في هذا الصدد.

* **وقال سبحانه وتعالى في شأن عيسى ﷺ:** (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) **[الزخرف: ٥٩]**.

* وقال عيسى ﷺ عن نفسه أول ما تكلم في المهد (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ).

[مريم: ٣٠]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾).

ج: هذا تصبيرٌ من الله ﷻ لنبيه محمدٍ ﷺ وتثبيت له وإرشاد وتبصير، فالمعنى اصبر يا رسول الله على ما يقوله قومك لك مستنكرين البعث والحساب وتذكر عبدنا داود ﷺ القوي في العبادة المجتهد فيها، فاجتهد كما كان يجتهد، فقد كان قويًّا في العبادة، ومع ما آتيناه من النعم كان رجاعًا إلى الله مكثرًا من الاستغفار والتسبيح والصلاة.

قال الطبري ﷺ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإنا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا، فاذكره (ذَا الْأَيْدِ)؛ ويعني بقوله: (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته.

(٤٠٥) أحمر
أسود

وقولـه: (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾) يقـول: إن داود رجـاع لمـا يكرهـه الله إلـى مـا يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع.

وقال الحافظ ابن كثير $ عقب تفسيره لقولـه تعالى: (وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾).

ولمـا كـان هذا الكـلام منهم علـى وجـه الاستهزاء والاستبعاد قـال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمرًا له بالصبر على أذاهم ومبشرًا لـه على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.

(ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾).

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود ﷺ: أنه كان ذا أيد والأيد: القوة في العلم والعمل.

قـال ابن زيد والسدي: الأيد: القوة وقرأ ابن زيد: (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾) [الذاريات: ٤٧].

وقال مجاهد: الأيد: القوة في الطاعة.

وقال قتادة: أعطي داود قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه ﷺ كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر.

وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله □ أنـه قـال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كـان ينـام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى**»، وإنه كان أوابا، وهو الرجاع إلى الله ﷻ في جميع أموره وشئونه.

وقال القرطبي $:

قولـه تعالى: (ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أمر نبيه بالصبر لما استهزءوا بـه، وهذه

(٤٠٦) أحمر
أسود

منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ) لما ذكر من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على أذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم أن له في الآخرة أضعاف ما أعطيه داود وغيره من الأنبياء وقيل: المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم أقاصيص الأنبياء لتكون برهانًا على صحة نبوتك (ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ) ذا القوة في العبادة وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا وذلك أشد الصوم وأفضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر إذا لاقى العدو وكان قويًّا في الدعاء إلى الله تعالى وقوله: (عَبۡدَنَا) إظهار لشرفه بهذه الإضافة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض نعم الله ﷻ على نبيه داود عم.

ج: من هذه النعم ما يلي:

ما ذكره الله ﷻ إذ قال: (۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ (١) وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١) [سبأ: ١٠-١١].

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض نعمه على هذا النبي الكريم داود عم، فمن ذلك:

* أن جعله الله نبيًّا كريمًا.

* ومن ذلك تسخير الجبال معه تسبح بتسبيحه، وتُرجع بترجيعه،

---

(١) السرد: المسامير في الخلق، أما السابغات: فهي الدروع الكوامل الطوال الواسعة.

(٤٠٧) أحمر
أسود

وكذلك الطيور (يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ) [سبأ: ١٠].

* وكذلك إلانة الحديد له، فكما قال بعض العلماء: كان لا يحتاج إلى أن يُدخل الحديد نارًا، ولا أن يطرقه بمطرقةٍ، بل سهله الله عليه ولينه الله له، كالخيوط، وقيل كالطين، والله على كل شيء قدير، قادرٌ ربنا على أن يجعل الصعب سهلًا، والحديد لينًا، والنار بردًا وسلامًا. قال تعالى: (وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠) [سبأ: ١٠].

* وكذا علمه الله سبحانه وتعالى - والله خلق كل صانع وصنعته - صنعة الدروع السابغات. قال تعالى: (أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ) [سبأ: ١١].

وقال تعالى: (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ) [الأنبياء: ٨٠].

وعلمه الله الدِّقة في هذه الصنعة، ومنه نستفيد الدقة في الأعمال، قال تعالى: (وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ) [سبأ: ١١] أي: اجعل الثقب على قدر المسمار.

* ومن نعم الله على هذا النبي الكريم أن مكنه من قتل جالوت، ثم إن الله سبحانه وتعالى آتاه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، آتاه الملك وجعله خليفة، كما قال سبحانه: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ) [ص: ٢٦].

* وجعل ملكه قويًّا، وجعله مهابًا، كما قال تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ) [ص: ٢٠].

* **وآتاه الحكمة كما قال:** (وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠) [ص: ٢٠].

* (وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ) [البقرة: ٢٥١]، صناعة الدروع وغيرها، قال تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥).

[النمل: ١٥]

(٤٠٨) أحمر
أسود

* وآتاه زبورًا، وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه، قال تعالى: (وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣) [النساء: ١٦٣].

* وكذا آتاه الله سبحانه وتعالى صوتًا حسنًا عظيمًا.

* ومن نعم الله سبحانه وتعالى على هذا النبي الكريم أن رزقه ولدًا صالحًا، قال تعالى: (وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠) [ص: ٣٠].

* ومن نعمه عليه أيضًا أن منَّ عليه بالتوبة والمغفرة، وجعله من المقربين، قال تعالى: (فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥) [ص: ٢٥].

* ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر بعض مننه على داود حثه على العمل الصالح وأمره به، فحتى لا يشغل بعمل السابغات، الدروع الواقيات، قال الله تعالى: (وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ) [المؤمنون: ٥١]، فحثه الله على العمل الصالح عمومًا، وحثه على الشكر خصوصًا بقوله تعالى: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ).

وذلك حتى لا ينسى ذكر الله في خضم العمل في الحياة الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٤٠٩) أحمر
أسود

عمر داود ﷺ

س: كم عُمر هذا النبي الكريم (داود) ﷺ؟

ج: ورد عن رسول الله ﷺ بإسنادٍ صحيح(١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله. فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس، فسلم عليهم، فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، وقال الله جل وعلا ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعين سنة. قال: يا رب، ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود. وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال: أي رب، زده في عمره. قال: ذاك الذي كتبت له. قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك اسكن الجنة، فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

---

(١) ابن حبان بسندٍ صحيح لغيره (٢٠٨٢).

(٤١٠) أحمر
أسود

وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾).

ج: أقول - وبالله ۵ التوفيق -: إن الله ۵ وهب نبي الله داود ﷺ صوتًا حسنًا في غايةٍ من الحسن جميلًا في غاية من الجمال، فكان إذا سبَّح أجابته الجبال واجتمعت إليه الطيور، كلٌّ معه مسبحٌ، وكلٌّ معه مُرجع في منظر عجيب ومشهدٍ مهيب!! سكينةٌ تتنزل!! ملائكة تحف!! نبي كريم يُرتل!! والربُّ مطلع وشاهد وبصير!!!

فالمعنى: أن الله ۵ سخَّر الجبال بحصاها وبرمالها مع داود ﷺ تسبح معه إذا سبح بالعشي وهو ما بين صلاة العصر إلى الليل، والإشراق عند شروق الشمس.

قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾) يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى.

ذكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال.

وأورد الطبري من طريقين(١) عن سعيد بن أبي عروبة، عن أبي المتوكل(٢)، عن أيوب بن صفوان، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: أخبري هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيني

(١) والسند بهما يصح إلى سعيد بن أبي عروبة، ولأصله شواهد يصح بها.
(٢) عند الطبري في السند الآخر: «عن متوكل».

(٤١١) أحمر
أسود

وبينه، فاغتسل، ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾) وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال: بعدهن صلاة الإشراق.

وقد ورد من طرق أن ابن عباس كان يقول عن صلاة الضحى: صلاة الإشراق - والله أعلم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾) أي: إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال تعالى: (يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ) [سبأ: ١٠]، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له.

أما قوله تعالى: (وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾)، فمعناه: وسخرنا أيضًا مع داود ﷺ الطير مجموعةً له إذا دعاها، كل معه مسبح وكل معه مُرجعٌ وكل له مطيع.

قال الطبري $:

وقوله: (وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً) يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له؛ ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان

(٤١٢) أحمر
أسود

حشرها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ): مسخرة.

وقوله: (كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩) يقول: كل ذلك له مطيع رجاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكل: كل الطير.

* **أما قوله تعالى:** (وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠)، فهذه أيضًا مِنَّةٌ من الله ﷻ على داود عليه السلام، قوله: (وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ) أي: قوَّيناه، وذلك- على ما ذكره العلماء بأمرين:

أحدهما: بالجنود، فقد كان حرس داود عليه السلام - على ما ذُكر - آلافًا مؤلفة.

والثاني: بالهيبة التي قذفها الله في قلوب الناس لداود عليه السلام.

وقد أورد **الطبري** أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنه - وهذا يغلب أنه من الإسرائيليات - حاصله يبين سبب الهيبة التي قذفت في قلوب الناس لداود عليه السلام، والظاهر لي أن هذه الهيبة إنما هي من الله ﷻ والنفس لا تطمئن إلى ثبوت ما ذكره **الطبري بسنده إذ قال:**

حدثني ابن حرب، قال: ثنا موسى، قال: ثنا داود، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رجلًا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبي ﷺ فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرا لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة

(٤١٣) أحمر
أسود

من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟! فقال له داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله فيك؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل علي حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قتلت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، وشدد به ملكه، فهو قول الله: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ)(١).

قال الطبري $ عقب ذِكره الأثر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له.

*** أما قوله تعالى:** (وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾)، فالحكمة الإصابة والسداد في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الصحيح، والحكمة أيضًا تطلق على النبوة وتُطلق على السنة، وقد أوتي داود ﷺ ذلك كان نبيًّا كريمًا رُزق فهمًا طيبًا في الفصل في القضايا وكان مُسددًا في القول والعمل ﷺ، وكذا منَّ الله عليه بـ (وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾)، فكلماته كانت تفصل بين الحق والباطل، وكانت تفصل وبسرعة بين الخصوم، وقد قال بعض العلماء: إن المراد بفصل الخطاب، هو ما يفصل به بين الخصوم إما بالشهود وإما بالأيمان، وإما بالفهم الصحيح للقضية، والقضاء الصحيح

(١) الطبري (٢٩٨٢١)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

(٤١٤) أحمر
أسود

فيها.

وأورد ابن كثير أثرًا بإسنادٍ فيه ضعف: وعزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي موسى ﷺ قال: أول من قال: «أما بعد» داود ﷺ وهو فصل الخطاب.

وأورد الطبري بسنده إلى الشعبي قال في قوله: (وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠) قول الرجل أما بعد.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضًا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملًا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.

❁ ❁ ❁

(٤١٥) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ
أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ
كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا
هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُۥ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ
كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ
﴿٢٩﴾) [ص: ٢١-٢٩]

(٤١٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلْخَصْمِ -تَسَوَّرُواْ -ٱلْمِحْرَابَ -فَفَزِعَ مِنْهُمْ -خَصْمَانِ -بَغَىٰ -وَلَا تُشْطِطْ -وَٱهْدِنَآ -سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ -أَكْفِلْنِيهَا -وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ -ظَلَمَكَ -بِسُؤَالِ -ٱلْخُلَطَآءِ -فَتَنَّٰهُ -وَخَرَّ رَاكِعًا -وَأَنَابَ -لَزُلْفَىٰ - وَحُسْنَ مَـَٔابٍ -فَيُضِلَّكَ -نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ -بَٰطِلًا -ظَنُّ -ٱلْفُجَّارِ -لِّيَدَّبَّرُوٓاْ -وَلِيَتَذَكَّرَ -أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْخَصْمِ)	قوم بينهم خصومة
(تَسَوَّرُواْ)	تسلقوا أسوار المحراب
(ٱلْمِحْرَابَ)	أشرف شيء في المكان - مكان العبادة
(فَفَزِعَ مِنْهُمْ)	فخاف منهم
(خَصْمَانِ)	نحن خصمان بيننا خصومة
(بَغَىٰ)	تعدى - ظلم
(وَلَا تُشْطِطْ)	لا تجور - لا تميل - لا تحيد
(وَٱهْدِنَآ)	دلنا - أرشدنا
(سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ)	الطريق المستقيم العدل الوسط الموصل إلى مرضاة الله ﷻ
(أَكْفِلْنِيهَا)	اتركها لي وأضمها إليَّ وأكون لها كفيلًا
(وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ)	غلبني بالحجة والبطش، إن تكلم كان أفصح مني بيانًا، وإن تضاربنا كان أشد مني وأقوى وأشد بطشًا وإن دعا ودعوت كان أكثر مني

(٤١٧) أحمر
أسود

(ظَلَمَكَ)بخ	بخسك حقك
(بِسُؤَالِ)	بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه
(ٱلْخُلَطَآءِ)	الشركاء
(فَتَنَّٰهُ)	اختبرناه - ابتليناه
(وَخَرَّ رَاكِعًا)	هوى ساجدًا
(وَأَنَابَ)	رجع وتاب
(لَزُلْفَىٰ)	لقربى - لمنزلة المقربين
(وَحُسْنَ مَـَٔابٍ)	مرجع حسن يلقاه يوم القيامة ومنقلب حسن - جزاء حسن - حسن مصير
(فَيُضِلَّكَ)	يحيد بك عن طريق الحق - يصرفنك
(نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ)	تركوا العمل ليوم القيامة
(بَٰطِلًا)	عبثا - بلا فائدة
(ظَنُّ)	تفكير - اعتقاد
(ٱلْفُجَّارِ)	الكفار المنتهكون لحرمات الله
(لِّيَدَّبَّرُوٓاْ)	ليتفكروا - ليتفهموا
(وَلِيَتَذَكَّرَ)	ليعتبر
(أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)	أصحاب العقول والأفهام الرشيدة

❁ ❁ ❁

(٤١٨) أحمر
أسود

س: هل الخصمان ملكان أم أنهما من البشر؟

ج: ليس عندي من النصوص ما يُرجح وجهًا على وجهٍ لكن عمومًا فتمثل الملائكة بصورة البشر واردٌ وعليه عدة أدلة من الكتاب والسنة.

فمن كتاب الله ﷻ:

*** قوله تعالى في شأن مريم ؤ:** ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧].

*** وقوله تعالى في شأن إبراهيم ؑ:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٩].

*** وقوله تعالى في شأن لوط ؑ:** ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٧٧] إلى قوله: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ﴾ [هود: ٨١].

*** ومن سنة رسول الله ﷺ:**

* مجيء جبريل في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وسؤاله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة(١)، على ما في حديث عمر ﷺ في صحيح مسلم.

* وحديث الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله ﷻ(٢).

* وحديث الرجل الذي زار أخًا له في الله فأرصد الله له ملكًا على مدرجته(٣).

وكثيرٌ جدًّا من الأحاديث في هذا الباب.

---

(١) مسلم (حديث رقم ٨).
(٢) البخاري (حديث ٥٠٠)، ومسلم (٢٢٧٥).
(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٤١٩) أحمر
أسود

فالحاصل:

أولًا: أن الملائكة قد تأتي في صورة بشر، وتُكلِّم الناسَ، وكل هذا بإذن الله.

ثانيًا: أن من أهل العلم من نفي الخلاف في كون الخصمين من الملائكة.

هذا، وقد قال القرطبي $: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به هاهنا ملكان.

فالله تعالى أعلم بالصواب.

وتردُ أسئلة على من قال إنهما ملكان:

السؤال الأول: كيف يتسورا المحراب وهما ملكان؟!

وجوابه أنهما صنعا ما يصنع البشر لإزالة الالتباس عنهما.

الثاني: كيف يكونا ملكين وبينهما خصومة؟!

وجوابه أن الله رخص لهما في قول ذلك للابتلاء والاختبار.

الحاصل أن داود ﷺ رأى الخصمين، فمن ثَمَّ فزع منهم، ولا ضير في هذا على داود ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما الذي أفزع داود ﷺ من الخصمين؟

ج: الذي أفزعه من الخصمين أنهما لم يأتيا البيوت من أبوابها، بل تسلقا السور حتى دخلا المحراب!! وكما هو معلوم فإن البيوت تؤتى من أبوابها، ويدخلها الداخل بعد استئذان، لقوله تعالى: (وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا) [البقرة: ١٨٩]، ولقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا) [النور: ٢٧].

(٤٢٠) أحمر
أسود

ولكن الخصمان لم يستأذنا في الدخول، ولم يأتيا البيت من بابه، بل أتوه من أعلى السور، فهذا الذي أفزع نبي الله داود ﷺ!!

هل يخاف المؤمن

س: كيف فزع داود ﷺ وهو نبي؟ فهل الخوف يتسرب إلى الأنبياء وأهل الإيمان؟

ج: نعم، قد يتسرب ذلك إليهم فالفزع الجبلي، والخوف الجبلي يتسربان حتى إلى أهل الصلاح.

* قال تعالى في شأن نبيه موسى ﷺ لما رأى العصا وقد أُلقيت، تهتز كأنها جان: (فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ) **[القصص: ٣١]**.

* وقال نبي الله يعقوب ﷺ لنبيه لما سألوه أن يترك يوسف معهم (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾) **[يوسف: ١٣]**، وقال نبي الله موسى ﷺ: (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾) **[الشعراء: ١٤]**.

* **وقال تعالى في شأن أهل الإيمان:** (وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ) **[الأنفال: ٢٦]**.

* فلا ضير ولا حرج ولا عتب على داود ﷺ إذ فزع منهم!!

❁ ❁ ❁

س: لا يشرع للمسلم أن يرِّوع إخوانه المؤمنين بل عليه أن يطمئنهم إذا خافوا ويُسري عنهم إذا فزعوا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول الخصمين لداود ﷺ لما رأوه قد فزع

(٤٢١) أحمر
أسود

منهم: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ...).

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع إخوانه لا يروعهم ولا يزعجهم، بل يُذهب عنهم الروع والخوف قدر استطاعته.

* ولما تمثل المَلك لمريم ژ بشرًا سويًّا، وقالت له: (إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾) [مريم: ١٨]، (قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾) [مريم: ١٩].

* **وأيضًا فإنها لما ألجأها المخاض إلى جذع النخلة فقالت:** (يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾).

[مريم: ٢٣-٢٤]

* والملائكة ذ يطمئنون إبراهيم غ فيقولون: (لَا تَخَفۡ) [هود: ٧٠].

* **ويطمئنون لوطًا لما قال هذا يوم عصيب فيقولون:** (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ) [هود: ٨١].

* أيضًا أخرج أبو داود(١) بإسنادٍ صحيح عَنْ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله □ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله □ في مسيرٍ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذه فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «**ما يضحككم؟**»، فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله □: «**لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلمًا**».

* وأخرج أبو داود(٢) وأحمد وعبد بن حميد وغيرهم بإسناد حسن

---

(١) أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٣٦٢/٥).
(٢) أبو داود (٢٧٣/٥)، وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد (٢٢١/٤).

(٤٢٢) أحمر
أسود

من حديث عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها عليه**».

* وفي الصحيحين(١) كذلك من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا - أو في سوقنا - ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها**» أو قال: «**فليقبض بكفِّه أن يُصيب أحدًا من المُسلمين منها شيءٌ**».

* وفي الصحيح(٢) كذلك من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدةٍ فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**».

❁ ❁ ❁

تذكير القضاة بالله

س: يجوز للخصوم أن يذكروا القاضي أن يحكم بينهم بالعدل، وكذا يشرع للقاضي أن يُذكِّرَ الخصوم. دلِّل على ذلك.

ج: من الدليل على ذلك قول الخصمين لداود ﷺ: (فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ)، فسبحان الله خصم يُذكر القاضي والحاكم والخليفة؟! نعم يُذكره لكنها تذكرةٌ بالمعروف، تذكرةٌ بالحكمة والموعظة الحسنة وما لهم لا يذكروه، و(ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥) [الذاريات: ٥٥].

* وكذا أيضًا يُشرع للحاكم والقاضي أن يُذكِّر المتخاصمين بالله ﷻ،

(١) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (حديث ٢٦١٥).
(٢) مسلم (٢٦١٦).

(٤٢٣) أحمر
أسود

ويحثهم على مراقبته وخشيته، وقد وردت بذلك جملة أدلة:

* فمن ذلك ما ورد عن رسول الله □ من تذكير المتخاصمين، ففي الصحيحين(١) من حديث أمِّ سلمة قالت: قال رسول الله □: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ(٢) بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

❁ ❁ ❁

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري(٣) من حديث ابن عباس ق، أن هلال ابن أمية قذف امرأته فجاء فشهد(٤)، والنبي □ يقول: «**إن الله يعلم أن أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائبٌ**»، ثم قامت فشهدت.

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٥) من حديث عائشة ق، قالت: سمع رسول الله □ صوت خُصُوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه(٦) في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله □ فقال: «**أين المتألي(٧) على الله لا يفعل المعروف؟**»، فقال: أنا يا رسول الله، فله أيُّ ذلك أحب.

---

(١) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (حديث ١٧١٣).
(٢) ألحن: أي أعلم بالحجة، وأبلغ في الكلام.
(٣) (حديث ٥٣٠٧).
(٤) أي: شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.
(٥) مسلم (حديث ١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).
(٦) يسترفقه: أي يطلب منه الرفق.
(٧) المتألي: الحالف.

(٤٢٤) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٤٢٥) أحمر
أسود

قصة الخصوم الداخلين على داود ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وهل بلغك خبر الخصوم الذين تسلقوا أسوار المحراب ودخلوا على داود ﷺ محرابه رغم كثرة الحرس الذين يحرسونه، هل بلغك هذا الخبر وهذا النبأ؟ هل بلغك خبرهم إذ دخلوا على داود ﷺ، فلما دخلوا عليه خاف منهم وفزع؟ فحينئذ طمأنوه فقالوا له: لا تخف نحن خصمان بيننا خصومةٌ جئنا نتحاكم عندك، وقد ظلم بعضنا بعضًا وتعدى عليه، فاقض بيننا بالحق ولا تجور ولا تحيد عن الحق وأرشدنا إلى الطريق الوسط طريق الحق الذي يُرضي عنا ربنا، دُلنا على طريق الحق كي نسلكه.

ثم بداية عرض القضية.

(إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) تعريف الخصم بخصمه أمام القاضي، وقوله: (إِنَّ هَٰذَآ أَخِى) على ملتي وديني، فسبحان الله لم تنقطع الأخوة الإيمانية بالخصومة والمظلمة، وثمَّ ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو أن الأخوة الإيمانية ما زالت باقية حتى مع القتل، قال تعالى: (فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ) [البقرة: ١٧٨].

ألا فليتق الله المخاصم الفاجر الذي يقطع مع خصومته الأخوة ولا يرقب في مؤمنٍ عهدًا ولا قرابة، ولا رحمًا بل ولا دينًا!!

(٤٢٦) أحمر
أسود

ألا فليعلم المخاصم الفاجر أن فيه شعبةً من نفاق وعلامةً من علاماته، ألا وهي الفجور في الخصومة «**وإذا خاصم فجر**»(١).

لكن الخصمان عند داود كانا على تقًى كما هو واضح من حديثهما إذ قالوا: (فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً).

وهل هي نعاجٌ على الحقيقة؟ قال بذلك بعض أهل العلم ويشهد له ظاهر القرآن الكريم.

وقال آخرون: إنه أريد بالنعاج هنا النساء، فقوله: (لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً) أي: تسع وتسعون امرأة.

(وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ) على الخلاف المتقدم، قيل: إنها نعجة على الحقيقة، وقيل: إن المعنى: امرأة، والله أعلم بالصواب من ذلك.

ثم ماذا كان من أمر الخصم؟

كان أن قال صاحب التسعة والتسعين نعجة لأخيه (أَكۡفِلۡنِيهَا) أي: أعطنيها- تنازل لي عنها وضمها إليَّ حتى أكفلها، أعطنيها أتمم بها المائة.

فسبحان الله الذي خلق الخلق على سجايا وطباعٍ!! وسبحان من قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق!!!

تأخذ مني نعجتي وتكمل بها مائة وتتركني بلا نعجة واحدة؟!

هكذا يريد الخصم أن يضم إلى نعاجه التسعة والتسعين ما يتمم به المائة، ولو كان على حساب أخذه نعجة أخيه!!

ثم إن الخصم قال: (وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾) أي: طلب مني نعجتي وغلبني بالحجة والكلام، فهو إن بطش قهر وإن تكلم أوضح وأبان، فهو أعزّ مني

---

(١) البخاري (حديث ٣٤)، ومسلم (حديث ٥٨).

وأقوى مني في الكلام.

فهكذا كم من حقوقٍ تذهب، وكم من ظلمٍ يقع، وكم من أموالٍ تضيع بسبب فصاحة اللسان، واستعمال تلك الفصاحة في الباطل والزور، ومن ثمَّ فقد حذر النبي □ من مثل ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام فيما قد سبق من الحديث: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعتُ لَهُ مِن حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

* وقد وصف النبي □ من يُريد الذهاب بحقوق الناس بأسلوبه وخطابه وسجعه بأنه من إخوان الكهان، ففي الصحيحين أن رسولَ الله □ قضى في امرأتين من هُذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجرٍ فأصاب بطنها وهي حاملٌ فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي □ فقضى: أنَّ ديةَ ما في بطنها غُرَّة عبد أو أمة، فقال وليُّ المرأةِ التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهلَّ فمثل ذلك يطلُّ(١)، فقال النبي □: «**إنما هذا من إخوان الكهان**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾).

---

(١) أي: ينبغي أن تهدر ديته.

(٢) البخاري (حديث ٥٧٥٨)، ومسلم (حديث ١٦٨١).

(٤٢٨) أحمر
أسود

ج: هذا قضاء نبي الله داود ﷺ بعد عرض هذه القضية قضية شخصية، شخص له تسع وتسعون نعجة، وآخر له نعجةٌ واحدة، فطلبها منه كي يضمها إلى نعاجه وغلبه بالحجة والبيان، هنالك قضى نبي الله داود ﷺ، بعد أن استمع إلى صاحب الشكوى، فقال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ)(١) أي: بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه.

ثم بُيِّنت حقيقةٌ لعل متعظًا يتعظ ومعتبرًا يعتبر ومتفطنًا يتفطن!!! ألا وهي (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ).

أما الخلطاء فمن العلماء من قال: إنهم الأصحاب، ومنهم من قال: إنهم الشركاء.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: وأكثر العلماء على أن الخلطاء صورتهم أن يأتي كلُّ واحدٍ بغنمه، فيجمعها راع واحد، والدلو والمراح واحد.

فالحاصل أن كثيرًا من الخلطاء - من الشركاء - يبغي بعضهم على بعض.

يجور بعضهم على بعض، ويتطاول بعضهم على بعض ويمد بعضهم يده إلى مال بعض ويأخذه بغير حقه.

فليتفطن لذلك الذين يستثمرون أموال الناس؛ فإنهم يبدؤون في أول أمرهم على استقامةٍ وصلاح، ثم إذا رزقهم الله ﷻ فبدلًا من أن يقدموا شكرًا فإنهم يتخوضون في أموال المسلمين، وتمتد أعينهم إليها ويأخذونها

---

(١) أي بسؤاله أي بطلبه، ونحوه في حذف الهاء (لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ) [فصلت: ٤٩]، أي: من دعائه بالخير.

(٤٢٩) أحمر
أسود

بغير حقها، بل يأكلونها بالباطل وليتفطن كل شريك، وليتفطن كلُّ من له مال قد اختلط بمال غيره.

إن نبينا محمدًا □ قد قال يوم النحر بمكة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمةٍ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا....» (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ **[البقرة: ١٨٨]**.

فهذه نصوص تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل وتحذر من ذلك أشد التحذير، ولكن مَنْ الممتثل لذلك؟ ما امتثل لذلك وما سمع وأطاع إلا القليل، ألا وهم أهل الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ **[ص: ٢٤]**.

نعم أهل الإيمان قلة.

* **قال تعالى:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ **[سبأ: ١٣]**.

* **وقال تعالى:** ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ **[آل عمران: ١١٠]**.

* **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ **[يوسف: ١٠٣]**.

فهذا الإخبار بقلة أهل الإيمان حتى لا يستوحش السالكون طريق الهداية لقلة سالكيه.

هذا الإخبار لمواساة أهل الإيمان ولإيناسهم!!

ولنرجع إلى ما كان من أمر نبي الله داود ﷺ، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا

---

(١) البخاري (حديث ٤٤٠٦)، ومسلم (ص ١٣٠٦) من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا.

(٤٣٠) أحمر
أسود

فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ).

* **أما قوله تعالى:** (فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ) أي: فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك.

* **وقوله:** (وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ) وإن له عندنا للقربى يوم القيامة، قال ذلك الطبري $، وأورد قول قتادة في تفسير: (فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ) قال: الذنب.

* **أما قوله:** (وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾) أي: حسن مرجع ومنقلب، وحسن مصير يوم القيامة.

* **قلت (مصطفى):** ومن هنا لا ينبغي أن يقنط أحدٌ من رحمة الله أبدًا، بل على المرء أن يُقدم توبة على الدوام، ويستغفر الله، ويكثر من الاستغفار ما دام حيًّا، ولا ييأس من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إن نبي الله الكليم موسى ﷺ قتل نفسًا، فقال: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾) **[القصص: ١٦]**، وكذا فلا ينبغي أن يغتر عبدٌ بعمل صالح عمله، ولا أن يقترف السيئات متكلًا على سعة عفو الله ومغفرته، فالله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

وقد قال سبحانه: (۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾) **[الحجر: ٤٩-٥٠]**.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾) أي: وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله ﷻ بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات في الجنة لنبوته

(٤٣١) أحمر
أسود

وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح: «**المقسطون عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يقسطون فِى أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(١).

❁ ❁ ❁

س: ماذا عن معنى (وَظَنَّ)؟! وهل فتن داود ﷺ؟ ولماذا اختبر ﷺ؟ وكيف كانت تلك الفتنة؟! واستغفر ربه من ماذا؟!

ج: أما كلمة (وَظَنَّ) فأحيانًا تأتي بمعنى علم وأيقن، ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ) **[البقرة: ٢٤٩]**.

وقول المؤمن يوم القيامة: (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾) **[الحاقة: ٢٠]** أي: أيقنتُ.

ولكن هل هي في هذا الموطن (وَظَنَّ دَاوُۥدُ) بهذا المعنى: علم وأيقن؟!!

قد قال بذلك بعض العلماء، منهم قتادة $(٢)، والله أعلم.

* أما سائر التساؤلات التي ذُكرت فلا أعلم دليلًا صريحًا صحيحًا في الإجابة عليها، إنما هي أقوال فريقٍ من العلماء، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وكثيرٌ منها يبدو أنه مأخوذ من الإسرائيليات، وكثير منها لا يصح سنده إلى قائله، فنسوقها على وجه الإجمال مستغفرين الله ﷻ أولًا وآخرًا، غير جازمين بصحة ما نقوله؛ إذ ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة مُنزهين نبي الله داود ﷺ عن كل شائنةٍ وكل عيبٍ، فهو

---

(١) مسلم (١٨٢٧) بنحوه.

(٢) أخرج ذلك الطبري (٢٩٨٤٨) بسند حسن عن قتادة، وهو اختيار الطبري أيضًا.

(٤٣٢) أحمر
أسود

نبي كريم جعله الله خليفةً في الأرض له في الآخرة زلفى وحسن مآب، لنا فيه أسوةٌ، وهو لنا على الإجمال قدوة، فهو ممن قال الله فيهم: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ) [الأنعام: ٩٠].

* ثم إن الحامل لنا على إيراد ما سنورده مجملًا ثم ببعض التفصيل هو أن جماهير المفسرين أوردوه في تفاسيرهم وتناقلوه عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فلما لم يكن من شأننا هجران ما ذكره جمهور السلف الصالح، فمن ثمَّ أوردته، وأوردت بعض وجوه التعقب التي ذكرها بعض العلماء عليه، والله المستعان على كل شيء، وهو الموفق للحق والصواب، وهو أعلم بكتابه وأعلم بمراده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فنقول وبالله التوفيق:

* إن حاصل ما ذكره عددٌ من المفسرين في هذا الصدد، وفحواه: أن نبي الله داود ﷺ سمع الثناء الحسن على أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فسأل ربه سبحانه وتعالى ثناءً مثل هذا الثناء، فقيل لداود ﷺ: إنهم ابتلوا فصبروا، فسأل أن يبتلى كما ابتلوا و، فمرت الأيام ودارت حتى نسي السؤال الذي كان سأل، ثم إنه ذات يوم ابتلي، فوقع بصره على امرأة حسناء فوقعت في قلبه، فسأل عنها فوجد أنها ذات زوج، فطلب من زوجها أن يطلقها حتى يتزوجها، فمن ثمَّ كان هذا هو البلاء الذي ابتلي به، واستغفر منه، وخرَّ راكعًا وأناب!

* وزاد البعض زيادات، ألا وهي: أنه أرسل زوجها للقتال، ومن ثمَّ إذا قُتِل زوجها تزوجها.

وهذا ظن لا يليق بنبي كريم كداود ﷺ.

(٤٣٣) أحمر
أسود

هذا حاصل ما ذُكر في هذه القصة.

* أما الخبر الوارد في ذلك عن رسول الله □ فهو خبر ضعيف جدًّا لا يصح عن رسول الله □، ألا وهو ما أخرجه الطبري[(١)] من طريق يزيد الرقاشي عن أنس ڤ قال: سمعت رسول الله □ يقول: «**إنَّ دَاوُدَحِينَ نَظَرَ إلَى المَرْأَةِ فَأَهَمَّ، قَطَعَ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ، فَأَوْصَى صَاحِبَ البَعْثِ، فَقَالَ: إذَا حَضَرَ العَدُوُّ، فَقَرِّبَ فُلانًا بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوتِ...**» الحديث، فهو ضعيف جدًّا من أجل يزيد الرقاشي: ضعيف جدًّا، بل متروك.

* **وقد قاله الطبري أيضًا في تفسير قوله تعالى:** (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ).

واختلف في سبب البلاء الذي ابتلي به نبي الله داود ڠ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يُبتلى كالذي ابتلوا، ويعطى كالذي أُعطوا إن هو صبر.

ثم أورد الطبري آثارًا في هذا الصدد لا يخلو أثر منها من مقالٍ، ثم هي موقوفات ومقطوعات، منها ما أورده عن الحسن: أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يومًا لنسائه، ويومًا لعبادته، ويومًا لقضاء بني إسرائيل، ويومًا لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذاكروا، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبًا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك. فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه،

(١) الطبري (٢٩٨٥٩).

(٤٣٤) أحمر
أسود

فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد، من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلْقها وحُسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضًا إعجابًا بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكانٍ إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل فأُصيب، فخطبها فتزوجها.

قال: وقال قتادة: بلغنا أنها أمّ سليمان، قال: فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ) حتى بلغ: (وَلَا تُشْطِطْ) أي: لا تمل (وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾) أي: أعدله وخيره (إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً)، وكان لداود تسع وتسعون امرأة (وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ) قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾) أي: ظلمني وقهرني، فقال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ) إلى قوله: (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ) فعلم داود أنما صُمد له: أي عني به ذلك (وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾) قال: وكان في حديث مطر أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك، قال: رب وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحدًا؟ قال: إني أقضيك له، ثم استوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي وعلمت أنك قد غفرت لي.

قلت (مصطفى): ولعل هذا مأخوذٌ من الإسرائيليات.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى أثرين عن ابن مسعود وابن عباس ؓ، وفي كل منهما مقال فحواهما: أنهما قالا ما زاد داود ؑ على أن قال: انزل

لي عنها[(١)].

هذه هي القصة على وجه الإجمال، وبعض الوارد فيها، وقد أشرنا إلى ضعف أسانيد الآثار الواردة فيها، وها هي طائفة أُخرى من أقوال أهل العلم يرحمهم الله:

قال القاسمي في محاسن التأويل:

للمفسرين في هذا النبأ أقوال عديدة ووجوه متنوعة مرجعها إلى مذهبين: مذهب من يرى أنها تشير تعريضًا إلى وزر ألمَّ به داود ﷺ ثم غفر له. ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك.

فممن ذهب إلى الأول ابن جرير. فإنه قال هذا مَثَل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه. وذلك أن داود كانت له - فيما قيل - تسع وتسعون امرأة. وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل امرأة واحدة. فلما قُتل نكح - فيما ذكر - داود امرأتَه. ثم لما قضى للخصمين بما قضى علم أنه ابتلي. فسأل غفران ذنبه وخرَّ ساجدًا لله، وأناب إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته.

هذا ما قاله ابن جرير. ثم أسند قصته مطولة من رواياتٍ عن ابن عباس والسدي وعطاء والحسن وقتادة ووهب ومجاهد. ومن طريقٍ عن أنس مرفوعًا. ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن.

قال السيوطي في الإكليل:

القصة التي يحكونها في شأن المرأة، وأنها أعجبته، وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس

---

(١) الطبري (أثر ٢٩٨٣٨)، (٢٩٨٣٩)، (٢٩٨٤٠).

(٤٣٦) أحمر
أسود

مرفوعًا، وفي إسناده ابن لهيعة - وحاله معروف، عن ابن صخر عن يزيد الرقاشي، وهو ضعيف. وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفًا. انتهى.

أقول: أما المرفوع إلى النبي □ فيها، فلم يأت من طريق صحيح. وأما الموقوف من ذلك على الصحب والأتباع ق، فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ، أو الثقة بمن حكى عنها. وينبني على ذلك ذهابهم إلى تجويز مثل هذا على الأنبياء. وقد ذهبت طائفة إلى تجويز ما عدا الكذب في التبليغ. كما فُصِّل في مطولات الكلام.

قال ابن حزم $:

وهو قول الكرامية من المرجئة، وابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه. وهو قول اليهود والنصارى. ثم رد هذا القول $ ردًّا متينًا.

وأما المذهب الثاني: فهو ما جزم به ابن حزم في «الفِصَل» وعبارته: ما حكاه تعالى عن داود غ قول صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافاتٍ ولدها اليهود. وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم، بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم. بغى أحدهما على الآخر على نص الآية. ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله ٥، وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله ٥، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: (۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ)، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفلنيها.

(٤٣٧) أحمر
أسود

فاعجبوا لِمَا يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم. ونعوذ بالله من الخذلان. ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله! إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشَّق امرأة جاره، ثم يعرِّض زوجها للقتل عمدًا، ليتزوجها. وعن أن يترك صلاته لطائر يراه. هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين. لا أفعال أهل البر والتقوى. فكيف برسول الله داود □ الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟ لقد نزَّهه الله ﷻ عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله. فكيف أن يستضيف إلى أفعاله؟ وأما استغفاره وخروره ساجدًا، ومغفرة الله له، فالأنبياء ذ أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفار فعل خير لا يُنكَر من مَلَكٍ ولا من نبي. ولا من مذنب ولا من غير مذنب. فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض. والملائكة كما قال تعالى: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾) [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى عن دواد ﷺ: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ)، وقوله: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ)، فقد ظن داود ﷺ أن يكون ما آتاه الله ﷻ من سعة الملك العظيم فتنة. فقد كان رسول الله □ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه. فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة. انتهى كلام ابن حزم، وهو وقوف على ظاهر الآية، مجردًا عن إشارة وإيماء.

وقال البرهان البقاعي في تفسيره:

وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود.

ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود

غ؛ لأن عيسى غ من ذريته، ليجدوا سبيلًا إلى الطعن فيه. انتهى.

ثم قال: وقوله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ) أي: الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه. وهذه الدعوى تدريب لداود غ في الأحكام. وذكرها للنبي □ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام. ولما ذكر هذا، ربما أوهم شيئًا في مقامه □، فدفعه بقوله: (وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾)، فالقصة لم يجز ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها. وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر. فكم من باطل مشهور، ومذكور هو عين الزور. انتهى.

وقال ابن كثير $:

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ڤ - ويزيد وإن كان من الصالحين-لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله ۵ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضًا. انتهى.

وقال القاضي عياض في «الشفا»:

وأما قصة داود غ فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾) وقوله فيه (أَوَّابٌ) فمعنى

(٤٣٩) أحمر
أسود

(فَتَنَّٰهُ) اختبرناه. و(أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) قال قتادة: مطيع وهذا التفسير أولى، قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله: (لَقَدْ ظَلَمَكَ) فظلمه بقول خصمه، وقيل: بل لما خشى على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا، وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد ابن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية. وقيل: بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا. انتهى.

وقال ابن القيم في أواخر كتابه «الجواب الكافي» في مباحث العشق:

وقد أرشد □ المتحابين إلى النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعًا: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**»(١)، ونكاحه لمعشوقه هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا وقدرا وبه تداوى نبي الله داود □، ولم يرتكب نبي الله محرما وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا. انتهى.

وقال ابن العربي ـ كما نقل عنه القرطبي ـ:

وأما قولهم إنها لما أعجبته أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا

---

(١) في سنده ضعف.

(٤٤٠) أحمر
أسود

باطل قطعا فإن داود □ لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وإنما كان من الأمر أن داود قال لبعض أصحابه: انزل لي عن أهلك وعزم عليه....

قلت (مصطفى): والذين يميلون إلى تصحيح أصل هذه القصة تتلخص حججهم في أمور:

أحدها: كثرة القائلين بمضمون هذه القصة من السلف.

الثاني: ما ورد عن بعض السلف من تفسير النعجة بالمرأة، ولذلك شواهد من لغة العرب.

الثالث: أن قوله تعالى: (فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ)، وقوله تعالى: (فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ) يدل على أن شيئًا ما قدر صدر من داود ﷺ.

❁ ❁ ❁

(٤٤١) أحمر
أسود

سجدة ص

س: هل يشرع السجود عند قراءتنا هذه الآية: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾...)؟

ج: ابتداءً قد أخرج البخاري[(١)] من طريق مجاهدٍ قال: قلتُ لابن عباس: أنسجد في «ص» فقرأ: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ) [الأنعام: ٨٤]، حتى أتى: (فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ) [الأنعام: ٩٠].

فقال ابن عباس ؓ: نبيكم ﷺ ممن أُمِرَ أن يقتديَ بهم.

وعند البخاري[(٢)] من طريق عكرمة عن ابن عباس ؓ قال: ليس «ص» من عزائم السجود، ورأيتُ النبي ﷺ يسجد فيها.

وفي رواية للبخاري[(٣)] من طريق مجاهد قال: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أو تقرأ: (وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ) [الأنعام: ٨٤-٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ.

ولمزيد إفادة في هذا الصدد، أقول وبالله التوفيق:

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٢١).
(٢) البخاري (حديث ٣٤٢٢).
(٣) البخاري (مع الفتح ٥٤٤/٨).

(٤٤٢) أحمر
أسود

هذه مواطن قد ورد فيها سجود التلاوة، فمن ذلك:

سجدة الانشقاق:

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من طريق أبي رافع قال: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ (إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١) [الانشقاق: ١] فَسَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ فقَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ □ فَلاَ أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ.

وسجدة العلق:

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله □ في (إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١) [الانشقاق: ١]، و(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ) [العلق: ١] [(٢)].

ومن ذلك سجدة النجم:

أخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث ابن مسعود ؓ قال: قرأ النبي □: (النجم) بمكة فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصًى - أو تُراب - فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا.

ويجوز أن يترك السجود في النجم، ففي الصحيحين[(٤)] من حديث زيد بن ثابت ؓ قال: قرأتُ على النبي □ والنجم فلم يسجد فيها.

* هذا وقد نقل الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[(٥)] أن السجود المتفق عليه عشر سجدات، قال: منهن في (الأعراف) وموضع السجود فيها منها قوله:

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/٢٥٠)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٨).
(٢) مسلم (صـ ٤٠٦).
(٣) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥١)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٤).
(٤) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥٤)، ومسلم (٥/٧٥).
(٥) «شرح معاني الآثار» (١/٣٥٩).

(٤٤٣) أحمر
أسود

(إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾).

[الأعراف: ٢٠٦].

ومنهن (الرعد) وموضع السجود عند قوله ٥: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾) [الرعد: ١٥].

ومنهن (النحل) وموضع السجود منها عند قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ) [النحل: ٤٩] إلى قوله (يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾) [النحل: ٥٠].

ومنهن في سورة (بني إسرائيل) وموضع السجود منها عند قوله تعالى: (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾) [الإسراء: ١٠٧] إلى قوله: (خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾) [الإسراء: ١٠٩].

ومنهن سورة (مريم) وموضع السجود منها عند قوله: (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾) [مريم: ٥٨].

ومنهن سورة (الحج) فيها سجدة في أولها عند قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ) [الحج: ١٨] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (الفرقان) وموضع السجود منها عند قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ) [الفرقان: ٦٠] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (النمل) فيها سجدة عند قوله تعالى: (أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ) [النمل: ٢٥] إلى آخر الآية.

ومنهن (ألم تنزيل السجدة) فيها سجدة عند قوله تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا) [السجدة: ١٥] إلى آخر الآية.

ومنهن (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾) وموضع السجود منها فيه اختلاف، فقال بعضهم: موضعه (تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾) [فصلت: ٣٧]، وقال

(٤٤٤) أحمر
أسود

بعضهم: موضعه ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٨].

❁ ❁ ❁

س: إذا لم تُعتمَد هذه القصة المشار إليها، فما وجه الفتنة التي قال الله عنها: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾؟

وما وجه الاستغفار وسجود التوبة الذي صدر منه؟ وما الذي غفره الله له؟

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بما حاصله أن العلم بذلك موكول إلى الله ﷻ.

ومنهم من قال: إنه استغفر لكونه أغلق الباب دون الناس حتى وصل الأمر بالخصوم إلى أن يتسوروا المحراب.

وهذا ليس فيه كبير مأخذٍ على نبي الله داود، ولا صغير مأخذٍ؛ إذ النفس لها حق كما أن للرعية حق، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهْوَ غَضْبَانُ**»(١).

فكذا المُتعب المرهق من حق نفسه عليه عند القضاء أن يكون هادئ البال مستقر الحال لا يقضي وهو متعب مرهق.

* ومن العلماء من قال إن الذي صدر من داود عليه السلام أنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يستمع إلى الآخر، ومن المعلوم أن القاضي يلزمه أن يستمع وجهة نظر الآخر، ورده على ما وُجِّه إليهم من تُهمٍ.

وأجاب بعضهم على ذلك بأن سكوت الخصم يُعدُّ إقرارًا منه لقول

(١) البخاري (حديث ١٧٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

الآخر، فالله أعلم.

* ولنرجع إلى ما كنا بصدده ألا وهو ذكر نبي الله داود ﷺ، فنقول وبالله التوفيق:

إن الله ﷻ قال: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ) فأيًّا كان هذا الذي صدر من نبي الله داود ﷺ فقد غفره الله له، والحمد لله رب العالمين.

فمن ثمَّ فلا يُنال أبدًا من نبي الله داود ﷺ كما تفعل طوائف اليهود! ولا يُنال من نبي الله داود أبدًا كما يفعل القُصَّاص ويسترسلون في القصص، فنبي الله داود ﷺ نبيٌّ كريم له عند الله زلفى وحسن مآب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: يا داود إن الذي جعلك خليفة في الأرض هو الله هو الذي مكنك من قتل جالوت!

* هو الذي آتاك الملك والحكمة!!

* هو الذي اصطفاك فـ(ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ). **[الحج: ٧٥]**

* هو الذي اجتباك (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ) **[آل عمران: ١٧٩]**.

* هو الذي علمك مما يشاء!!

(قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾) **[آل عمران: ٢٦]**.

(٤٤٦) أحمر
أسود

فليذكر الحكام والملوك والوزراء والأمراء وذوو المناصب والوجاهات ذلك كله وليكن منهم على بالٍ وليقدموا له شكرًا.

*** ثم قال تعالى آمرًا هذا النبي الكريم - وغيره له تبع -:** (فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ) [ص: ٢٦]، والحق ما أنزله الله في كتابه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

فهذا فرض واجب على كل خليفة وقاضٍ، ليس بفضلٍ ولا نافلة.

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩) [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨) [الجاثية: ١٨].

إنه لحق على ولاة الأمر وكلّ من تقلد منصبًا أن يتقى الله في منصبه وفي رعاياه، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١) [الحج: ٤١].

واجبٌ على الخليفة والحاكم أن ينتصر للمظلوم من الظالم، وأن يأخذ للضعيف حقه ممن بغى عليه.

واجب على الخليفة أن ينهى عن الفساد في الأرض ويأخذ على أيدي الشراذم والأراذل العابثين بالأعراض المغتصبين للأموال، سفكة الدماء، قطاع الطرق، ومروجي المخدرات والمسكرات.

واجب عليه أن يقيم الصلاة، وأن يؤتي الزكاة، ويحمل الناس على طاعة أمر الله ورسوله ﷺ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

(٤٤٧) أحمر
أسود

واجب عليه أن يطلب العون من الله، فالله المستعان على كل حال.

* ثم يُحذر الله نبيه داود ﷺ فيقول له: (وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) [ص: ٢٦] نعم اتباع الهوى - الذي منه ميلُ النفس إلى ما تشتهيه، مع الإعراض عن كتاب الله - يضل عن سبيل الله، أيًّا كان هذا المتبع لهواه، وإن كان من أذكى الناس وأعقل الناس وخير الناس!!

وماذا بعد الضلال عن سبيل الله؟ ماذا بعد ترك الحكم بين الناس بالحق؟!

بعد والعياذ بالله العذاب الشديد المؤلم الموجع (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾) [ص: ٢٦].

نعم لهم عذاب شديد بما تركوا العمل ليوم القيامة.

فعياذًا بالله من الضلال عن سبيل الله! وعياذًا بالله من العذاب الشديد يوم الحساب!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذه وصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله. وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

قال الطبري $:

وقوله: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: وقلنا لداودٍ: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها.

(٤٤٨) أحمر
أسود

كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً) ملكه في الأرض (فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ) يعني: بالعدل والإنصاف (وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ) يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق (فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ) يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله.

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾) يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله (يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾) من صلة العذاب الشديد.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن العوام: عن عكرمة، في قوله: (عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾) قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

❁ ❁ ❁

(٤٤٩) أحمر
أسود

دفع شبهة

س: معلومٌ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحكمون بالحق، فلماذا خصَّ داود ﷺ بقوله: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ)؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي بقوله:

ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأممهم.

ولذلك أمر نبينا ﷺ، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضًا عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ) [المائدة: ٤٢]. وقوله تعالى: (وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ) [المائدة: ٤٩]، وكقوله تعالى: (وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ) [الأحزاب: ١]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤) [الإنسان: ٢٤]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ) [الكهف: ٢٨].

وقد قدمنا الكلام على هذا، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: (لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢) [الإسراء: ٢٢].

وبينا أن من أصرح الأدلة القرآنية الدالة على أن النبي يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره يقينًا قوله تعالى: (۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا) [الإسراء: ٢٣]، ومن المعلوم أن أباه ﷺ توفي قبل ولادته، وأن أمه ماتت وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: (إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا) ومعلوم أنه لا يبلغ عنده الكبر أحدهما، ولا كلاهما لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمان.

(٤٥٠) أحمر
أسود

فتبين أن أمره تعالى لنبيه ونهيه له في قوله: (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ): إنما يراد به التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه □.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾).

ج: يبين الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا ولا لهوًا ولا باطلًا، إنما خلقهم لحكمة أرادها، خلقهم وسيجازي المحسنين المطيعين على إحسانهم وطاعتهم، وسيعاقب المسيئين المتمردين على تمردهم وعتوهم وفسادهم.

(وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾)

[ص: ٢٧]

وأوضح الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي المصلح مع المفسد، ولا العادل مع الظالم الجائر، وأيضًا فلا يستوي المسلم مع المجرم، قال تعالى:

(أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾)

[ص: ٢٨].

كلا، فلا يستوي تقي وفاجر، ولا مؤمن وفاسق (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ

(٤٥١) أحمر
أسود

فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾) [السجدة: ١٨]، (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾). [القلم: ٣٥-٣٦]

ألا فليتدبر هذا الكتاب العزيز، وليتلى وليعمل بما فيه، فلهذا أُنزل، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾) [ص: ٢٩]، جعلنا الله وقارئ هذه الرسالة من أولي الألباب، أصحاب العقول النيِّرة، آمين، اللهم آمين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) عبثًا ولهوًا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهى إلى أمرنا ونهينا.

(ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول: أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يعبث، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئًا باطلًا. (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾) يعني: من نار جهنم. وقوله: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه (كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه.

(أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ) يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه (كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾) يعني: كالكفار المنتهكين حرمات الله.

وقوله: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: وهذا القرآن (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) يقول: ليتدبروا حجج الله التي

(٤٥٢) أحمر
أسود

فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: (لِّيَدَّبَّرُوٓاْ) بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد.

وقرأه أبو جعفر وعاصم (**لتدبروا آياته**) بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان

صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب (وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾) يقول: وليعتبر أولو العقول والحجا ما في الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تعالى: (وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ) أي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، (فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾) أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال: (أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾) أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا

(٤٥٣) أحمر
أسود

الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال: (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩) أي: ذوو العقول وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل.

❁ ❁ ❁

ذِكر نبي الله سليمان ﷺ

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ
ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ
بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا
يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ
أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾
هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾)

[ص: ٣٠-٤٠]

(٤٥٥) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَوَّابٌ -عُرِضَ عَلَيۡهِ -بِٱلۡعَشِيِّ -ٱلصَّٰفِنَٰتُ -ٱلۡجِيَادُ -حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ -ذِكۡرِ رَبِّي -تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ - فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ - فَتَنَّا -جَسَدًا -أَنَابَ -رُخَآءً -حَيۡثُ أَصَابَ -بَنَّآءٍ -وَغَوَّاصٍ -مُقَرَّنِينَ -ٱلۡأَصۡفَادِ -عَطَآؤُنَا -فَٱمۡنُنۡ -أَمۡسِكۡ -بِغَيۡرِ حِسَابٍ -زُلۡفَىٰ -وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَوَّابٌ)	مُسبِّح - مطيع لله - رجاع مستغفر
(عُرِضَ عَلَيۡهِ)	مرَّت عليه ورآها
(بِٱلۡعَشِيِّ)	من العصر إلى الليل
(ٱلصَّٰفِنَٰتُ)	الخيول (أثناء قيامها على ثلاثة أرجل وثني الرجل الرابعة حتى تكون على طرف الحافر)
(ٱلۡجِيَادُ)	قيل: السراع - وقيل: جمع جواد
(حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ)	حب الخيل والمال
(ذِكۡرِ رَبِّي)	قيل: صلاة العصر، وقيل: عموم الذِّكر
(تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ)	اختفت الشمس وتغيَّبت بمغيبها
(فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ)	قولان: أحدهما: عقرها وضرب أعناقها، أي: قطع أرجلها ورقابها، والسوق: جمع ساق، والأعناق: جمع عنق.
(فَتَنَّا)	اختبرنا - ابتلينا
(جَسَدًا)	شيطانًا (عند أكثر العلماء) تمثل بصورة سليمان ﷺ - وقيل: نصف الإنسان (الذي رزقه سليمان ﷺ)

(٤٥٦) أحمر
أسود

(أَنَابَ)	رجع واستغفر - ورجع إليه ملكه
(رُخَآءً)	ليِّنة - طيبةً - رخوةً (من الرخاوة). وقيل: ليست بعاصفة وليست ببطيئة. وقيل: معناها مطيعة لسليمان ﷺ
(حَيۡثُ أَصَابَ)	حيث أراد - إلى المكان الذي يُريده
(بَنَّآءٍ)	يعمل في البناء
(وَغَوَّاصٍ)	عمله الغوص في البحار
(مُقَرَّنِينَ)	مربوطون - موثقون
(ٱلۡأَصۡفَادِ)	السلاسل (سلاسل الحديد) - قيود الحديد
(عَطَآؤُنَا)	ما أعطيناه لك - ما مكّناك منه - ما تفضلنا به عليك - فضلنا عليك
(فَٱمۡنُنۡ)	تفضل على من شئت - حُل (فُك) من الوثاق والقيود من شئت - أعط من شئت
(أَمۡسِكۡ)	امنع من شئت - احْرِم من شئت - احبس من شئت - في القيود (من الشياطين)
(بِغَيۡرِ حِسَابٍ)	لا حساب عليك ولا مؤاخذة عليك بدون حساب (لن نحاسبك)
(زُلۡفَىٰ)	قربة - (منزلة المقربين)
(وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ)	حسن مرجع ومصير - مصير حسن ومرجع حسن

❁ ❁ ❁

(٤٥٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: هذا امتنان من الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام، وتذكيرٌ له بهذه المنة، يمن الله عليه بأنه وهبه ورزقه ولدًا صالحًا نبيًّا كريمًا مطيعًا وهو سليمان عليه السلام، فقد كان سليمان أيضًا مطيعًا لله مستغفرًا مكثرًا من التسبيح والاستغفار عالمًا كذلك.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ **[ص: ٣٠]**.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ **[النمل: ١٥]**.

ومما لا شك فيه أن الرجل ينتفع بولده الصالح في الدنيا وبعد الممات.

ومن ثَمَّ فإن عباد الرحمن يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ **[الفرقان: ٧٤]**.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ...**»(١).

وعند أحمد في «المسند»(٢) بسندٍ حسنٍ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**».

نعمة عظيمة من الله أن يرزق الشخص ولدًا صالحًا تُسخر له الريح والجن والإنس، والطير، وتعمل له الشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.

ثم مع ذلك كله يكون سببًا في رفعة درجاته في الآخرة.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) أحمد في «المسند» (٥٠٩/٢).

(٤٥٨) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ) ابنه ولدًا (نِعْمَ ٱلْعَبْدُ) يقول: نعم العبد سليمان (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) يقول: إنه رجاع إلى طاعة الله تواب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عني به أنه كثير الذكر لله والطاعة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا أنه وهب لداود سليمان، أي: نبيًّا كما قال: (وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ) [النمل: ١٦] أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر.

وقوله: (نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) ثناء على سليمان ؏ بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

وهل قتل سليمان ؏ الخيل

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إذ عُرضت من العصر إلى الليل على سليمان ؏ الخيول السريعة التي من شأنها أنها صافنات تقف على ثلاثة أرجل وتثني الرابعة مهيئة مستعدة جميلة قوية، سريعة، فطفق ؏ ينظر إليها معجبًا بها حتى غربت الشمس ولم يكن قال أذكاره التي كان يقولها، وقال بعض العلماء: فاتته صلاة العصر، فلما كان ذلك استدرك ؏، فقال: إني أحببت حبًّا شديدًا الخيل، فالخيل هي الخير - وشغلني وألهاني حبها

(٤٥٩) أحمر
أسود

عن ذِكر الله ﷻ حتى غابت الشمس واحتجبت واختفت، ثم قال: ردوا عليَّ خيلي فردوها عليه، فلما ردّوها عليه، بدأ يمسح سيقانها ورقابها، واختلف العلماء في مسح السوق والأعناق، هل هو ضرب رقابها وقطع أرجلها بالسيف أم أنه مسحٌ باليد.

فقال فريق من العلماء: إنه قتلها بعد أن قطع أرجلها، أي: قطع سيقانها ثم قتلها قربةً إلى الله، قالوا: وكان ذلك سائغًا في شريعتهم، كسر وقتل ما يشغل عن ذِكر الله من هذه الدواب والآلات، قالو: فأبدله الله خيرًا من ذلك ريحًا تجري بأمره رخآء حيث أصاب...

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بذلك أنه مسح رقابها وأرجلها حبًّا لها ولم يقتلها، وليس هناك ما يفيد أنه قتلها من سنة رسول الله ﷺ ولا أنه قطع أرجلها، ثم كيف يقطع أرجلها؟ وكيف يقتلها وفي ذلك إتلاف للمال وإتلاف للخيل المعدَّة للجهاد في سبيل الله.

قالوا: فلما لم يوجد نصٌّ صريح يُفيد أنه قطع أرجلها وقتلها - عن رسول الله ﷺ - ولم يكن للمحتج حجة إلا الاستدلال بالآية الكريمة، والآية الكريمة محتملة للأمرين، وثمَّ أمر مدفوع بنصوص أُخر، صِرنا إلى الأمر الذي لا يدفع بنصوص أخر، ألا وهو أنه مسحها بيده، كذا قالوا ما هذا حاصله، فالله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: إنه تواب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافنات؛

(٤٦٠) أحمر
أسود

فـ(إذ) من صلة أواب، والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صفنت الخيل تصفن صفونًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾) يعني: الخيل، وصفونها: قيامها وبسطها قوائمها.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾) قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مرج من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تصفن.

والصفن: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلًا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

وفي رواية عن ابن زيد قال: (ٱلصَّٰفِنَٰتُ) الخيل، وكانت لها أجنحة.

قال الطبري: وأما الجياد فإنها السراع، واحدها جواد.

قال: وقوله: (فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾) وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فلهي عن الصلاة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حب الخير. ويعني بقوله: (فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ) أي: أحببت حبًّا للخير، ثم أضيف الحب إلى الخير. وعني بالخير في هذا الموضع الخيل، والعرب فيما بلغني تسمي الخيل: الخير، والمال أيضًا يسمونه الخير.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ): أي المال والخيل، أو الخير من المال.

(٤٦١) أحمر
أسود

وقولـه: (عَن ذِكۡرِ رَبِّي) يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة: (عَن ذِكۡرِ رَبِّي) عن صلاة العصر.

وقال الطبري:

وقوله: (حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾) يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها.

وقولـه: (رُدُّوهَا عَلَيَّۖ) يقول: ردوا علي الخيل التي عرضت عليَّ، فشغلتني عن الصلاة، فكروها عليَّ.

وقولـه: (فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾) يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق.

واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها، من قولهم: مسح علاوته: إذا ضرب عنقه.

وأورد بسندٍ حسنٍ عن قتادة: (فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾) قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني: قتادة والحسن قال: فكسف عراقيبها، وضرب أعناقها.

وأورد الطبري من وجه آخر عن الحسن، وبه يصح النقل عن الحسن (وهو البصري) قال: أَمَرَ بها فعُقرت.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبًّا لها.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال عن ابن عباس قولـه: (فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ

(٤٦٢) أحمر
أسود

وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾) يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها، واختار الطبري قول ابن عباس هذا فقال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله □ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالًا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا كما شغل النبي □ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه(١)، من ذلك عن جابر قال: جاء عمر ق يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله □: «**والله ما صليتها**» فقال: فقمنا إلى بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

ويحتمل أنه كان سائغًا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعًا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود.

وقال ابن كثير $:

(١) البخاري (٥٩٦)، ومسلم (٦٣١).

(٤٦٣) أحمر
أسود

قال الحسن البصري: قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة.

وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها حبًّا لها.

وهذا القول اختاره ابن جرير قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ويهلك مالًا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبًا لله ﷻ بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل.

وأورد بإسناد[(١)] يصح لشواهده عن أبي قتادة وأبي الدهماء: وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تعالى وقال: «**إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - ﷻ - إلا أعطاك الله خيرًا منه**».

وقال القرطبي $:

والمفسرون اختلفوا في معنى الآية فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها إكرامًا لها وقال: أنت في سبيل الله فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عرقبها ثم ذبحها وذبح الخيل وأكل لحمها جائز.

---

(١) أحمد في المسند (٥/٧٨، ٧٩).

(٤٦٤) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: هل كانت لهذه الخيل أجنحة؟

ج: ليس هنالك أخبار صحيحة تُفيد ذلك، وإن كان ذلك قد نُقل عن عددٍ من السلف.

صحَّ عن ابن زيدٍ وغيره أن الصافنات الخيل، وكانت لها أجنحة.

وأخرج أبو داود(١) من طريق محمد بن عوف حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيوبَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ ف قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ □ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**». قَالَتْ: بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟**». قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «**وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟**». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «**فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ**». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ، قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ □.

❁ ❁ ❁

فتنة سليمان ﷺ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ابتلينا سليمان ﷺ واختبرناه لسببٍ من الأسباب لم يوضح هاهنا، ابتليناه بذهاب ملكه مدة من الزمن، وألقينا على

(١) أبو داود (٤٩٣٢)، وفي سنده يحيى بن أيوب الغافقي متكلم فيه.

كرسي المُلك جسدًا، قيل: شيطانًا يحكم مكان سليمان ﷺ، ثم تاب سليمان ورجع إلى الله ﷻ، وردَّ الله ﷻ عليه ملكه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا شيطانًا متمثلًا بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حبقيق.

وقال $: وقوله: (ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) سليمان، فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ) أي: اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة، (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) قال ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم: يعني: شيطانًا. (ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) أي: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الجسد الذي أُلقي على كرسي سليمان ﷺ، ولماذا أُلقي هذا الجسد؟ وكيف أُبعد؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذا الجسد هو شيطان تمثل في صورة إنسان، أما لماذا ألقي على كرسي سليمان ﷺ، فيبدو من السياق، خاصة من قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا)، ومن قوله: (ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) أن ذلك لشيء صدر من سليمان ﷺ لا يليق بمقام النبوة، ولم يُفصح عن هذا الشيء في آيةٍ

(٤٦٦) أحمر
أسود

علمتها، ولا في حديث ثبت لديَّ عن رسول الله □، وكذا كيف أُبعد وكيف رجع لسليمان ﷺ مُلكه؟ فلم أقف على آية ولا حديث بذلك.

هذا، وإن كان قد ورد في الموقوفات عن بعض الصحابة ﷺ، وعن بعض التابعين رحمهم الله ما مفاده أن شيطانًا جلس على كرسي المُلك زمانًا يحكم بما هو مُستنكر ومستغرب إلى أن تاب سليمان ﷺ مما صنع توبة عظيمة فرد الله إليه ملكه، وهذه الموقوفات وآثار التابعين غالب الظن أنها مُتلقاة من الإسرائيليات.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء المتأخرين - وهم قِلةٌ - ولم أر لهم كبير سلف في هذا الرأي الذي ذهبوا إليه، ذهبوا إلى أن هذا الجسد هو نصف الإنسان الذي ابتلي به سليمان ﷺ، فقد قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن ولدًا يجاهد في سبيل الله، فقيل: قل: إن شاء الله، فلم يقل (وغالب الظن أنه نسي)، فلم تلد امرأة منهن إلا واحدة ولدت شق إنسان (أي: نصف إنسان)، وقد جاء بذلك الأخير خبرٌ عن النبي □، لكن لا تعلُّق له بالآية الكريمة فيما روي عن رسول الله □ أما الخبر، فهو ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ □ قَالَ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللَّهِ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِى بِغُلاَمٍ يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ أَوِ الْمَلَكُ قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِىَ. فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلاَّ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلاَمٍ**». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ □: «**وَلَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِى حَاجَتِهِ**».

وهذه بعض الآثار والموقوفات التي أشرت إليها إجمالًا أذكر بعضها،

(١) مسلم (١٦٥٤)، والبخاري (٣٤٢٤).

(٤٦٧) أحمر
أسود

وأُعقب بمشيئة الله - بأقوال أهل العلم، والله المستعان.

أخرج الطبري (١) بسندٍ حسن عن قتادة قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) قال: حدثنا قتادة أن سلمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطانًا في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلًا، قال: ثم رجع حتى عطش عطشًا شديدًا، ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلًا، قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه، فذل، قال: فكان ملكه في خاتمه، فأتى به سليمان، فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعن فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد، فدار حولها، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس، فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه؛ فانطلق يومًا إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان؛ قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط

(١) وهو حسنٌ عن قتادة.

(٤٦٨) أحمر
أسود

على ملك سليمان كله غير نسائه؛ قال: فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله؛ وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجربنه؛ قال: فقال له: يا نبي الله، وهو لا يرى إلا أنه نبي الله، أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغسل عمدًا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسًا؟ قال: لا، قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له، حتى انتهى إليهم (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) قال: هو الشيطان صخر.

وأخرج الطبري من طريقين عن ابن أبي نجيح[1] عن مجاهد قوله: (عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) قال: شيطانًا يقال له آصف، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهن، وأنكرنه؛ قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، وفر آصف فدخل البحر فارًّا.

وبسندٍ صحيح عند الطبري عن سعيد بن جبير: (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) قال: شيطانًا.

وبسندٍ فيه كلام يسير عن السدي في قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ) قال: لقد

---

(١) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير خلاف.

(٤٦٩) أحمر
أسود

ابتلينا (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) قال: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يومًا؛ قال: كان لسليمان مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يومًا من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتلي وأعطاها خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا وخرج مكانه تائهًا قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرءوا قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتد جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصًا فشجه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم، ولم يشغله ما كان به من

(٤٧٠) أحمر
أسود

الضرر، حتى قام إلى شط البحر، فشق بطونهما، فجعل يغسل...، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بد منه، قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسخر له الريح والشياطين يومئذٍ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: (وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥) قال: وبعث إلى الشيطان، فأتي به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فألقي في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق.

*** وبسندٍ صحيح(١) عن مبارك عن الحسن:** (وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا) قال: شيطانًا.

*** وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد فيها ضعف عن ابن عباس قوله:** (وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا) قال: هو صخر الجني تمثَّل على كُرسيه جسدًا.

ولكن له شواهد يصح بها عن ابن عباس ؓ(٢).

*** وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى جلَّ هذه الأقوال، وقال:**

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم:

حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي ابن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن

---

(١) ومبارك مدلسٌ وقد عنعن، لكن من العلماء من يرى أن روايته عن الحسن، في غير المرفوع تُتحمل، والله أعلم.

(٢) وسيأتي الأثر المطوَّل عن ابن عباس في ذلك.

(٤٧١) أحمر
أسود

عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه - وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي. فأعطته إياه. فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له: «أنا سليمان»، إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة. فلما رأى ذلك عَرَف أنه من أمر الله ﷻ. قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان. قال: فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتنكرن من سليمان شيئًا؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس. وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان ﷺ فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته. وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ فقال: نعم. قال: فبكم؟ قال بسمكة من هذا السمك. قال: فحمل سليمان ﷺ السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه. قال: فلما لبسه

(٤٧٢) أحمر
أسود

دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وَهَرب الشيطان حتى دخل جزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه وكان شيطانًا مريدًا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أنماط معه من الرصاص قال: فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان، فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال: يعني الشيطان الذي كان سلط عليه.

* هكذا أورد الحافظ ابن كثير عازيًا هذا الأثر لابن أبي حاتم، وهذا سند يُحسَّن، ولكن فيه كما أشار الحافظ ابن كثير أمرٌ مستبشع جدًّا ومستنكر جدًّا فضلًا على سائر المستغربات فيه.

ألا وهو قول نسوة سليمان - في شأن الشيطان - إنه يأتينا ونحن حيض، فمعاذ الله أن يتلسط شيطان على نساء نبي كريم بهذه الطريقة، ثم هو أيضًا معارض بما في أثر مجاهد المتقدم.

*** ومن ثم فقد استنكره الحافظ ابن كثير $ استنكارًا شديدًا، فقال بعد إيراده الأثر:**

إسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان غ فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه □، وقد رويت هذه القصة مطولة

(٤٧٣) أحمر
أسود

عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متُلقَّاة من قصص أهل الكتاب - والله أعلم بالصواب.

قلت: والأمر كما أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه الله فسيح جناته.

وهذا مزيدٌ من أقوال العلماء - رحمهم الله - في هذا الصدد.

❁ ❁ ❁

(٤٧٤) أحمر
أسود

س: وضح المراد بقوله تعالى: (ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾).

ج: فيها وجهان للعلماء:

أحدهما: ثم رجع إلى سليمان ﷺ مُلكُه.

الثاني: ثم استغفر سليمان ﷺ مما كان قد وقع منه - والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾).

ج: ذلك قول سليمان ﷺ، بعد أن ردَّ الله إليه ملكه سأل ربَّه ﷻ قائلًا: يا رب استر عليَّ ما صدر مني ولا تؤاخذني به، وامحه أيضًا، وتفضل عليَّ يا رب بملكٍ لا يكون لأحدٍ من البشر من بعدي ملكٌ مثله، فأنت الوهاب تهب لمن تشاء ما تشاء.

* هذا هو المعنى الذي أختاره من أقوال أهل العلم والذي تشهد له الأدلة، أما الطبري فذهب مذهبًا آخر، وأورد عن قتادة ما يؤيد به قوله ألا وهو أن المراد بقوله: (لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ) أي: لا يسلبه مني أحدٌ، وأرى هذا المعنى بعيدًا عن الأدلة وعن سياق الآية الكريمة.

قال الطبري $:

قوله: (قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ) يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغبًا إلى ربه: رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به (وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ) لا يسلبنيه أحدٌ كما سلبنيه قبل هذه الشيطان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ

(٤٧٥) أحمر
أسود

بَعْدِيٓۖ) يقول: ملكًا لا أسلبه كما سلبته.

قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

وأورد الحافظ ابن كثير $ ما يُتعقب به قول الطبري فقال:

(قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبنيه كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس. والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله □.

وأورد ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ڤ عَنِ النَّبِىِّ □ قَالَ: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَىَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَىَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِى اللَّهُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِى سُلَيْمَانَ:** (رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ)».

قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِئًا.

وأورد ما أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)] عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ □ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ**». ثَلاَثًا. وَبَسَطَ

---

(١) البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١).
(٢) مسلم (حديث ٥٤٢).

(٤٧٦) أحمر
أسود

يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: **«إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ صبيان أَهْلِ الْمَدِينَةِ»**.

وعند أحمد في المسند(١) من طريق عبد الله بن الديلمي قال: دخلت على عبد الله بن عمرو، وهو في حائط له بالطائف يُقال له: (الوهط)... فذكر الحديث وفيه وسمعت رسول الله □ يقول: **«إن سليمان سأل الله تعالى ثلاثًا، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة: سأله حكمًا يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله: أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجوا أن يكون الله تعالى قد أعطانا إياها»**.

قلت (مصطفى): فهذه الأدلة تشير إلى صحة ما ذُكر من أن سليمان ﷺ سأل ربه مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ غيره من البشر ممن يأتون بعده، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن سليمان ﷺ لما دعا ربَّه ﷻ: (رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) استجاب الله ﷻ دعاءه، وكان

(١) مسند أحمد (١٧٦/٢)، والنسائي (٣١٧/٨)، وغيرهما من طرق عن الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عنه به... وسنده صحيح.

(٤٧٧) أحمر
أسود

من صور إجابة هذا الدعاء أن الله ﷻ سخر له الريح تجري بأمره، يأمرها سليمان ﷺ فتسير ريحًا مطيعة لينة رخوةً إلى المكان الذي يريده منها ﷺ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده (فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ) مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة (تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً) يعني: رخوة لينة، وهي من الرخاوة.

وقال $: واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

وأورد أقوال بعض أهل العلم في ذلك أنها طيبة وليست بعاصفة ولا بطيئة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك مطيعة لسليمان، وقال في قوله: (حَيْثُ أَصَابَ) يقول: حيث أراد من قولهم، أصاب الله بك خيرًا، أي: أراد الله بك خيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾) قال الحسن البصري $: لما عقر سليمان الخيل غضبًا لله ﷻ عوضه الله ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر.

وقوله: (حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾) أي: حيث أراد من البلاد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى

(٤٧٨) أحمر
أسود

ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وسخرنا الشياطين لسليمان □ يأمرُها فتأتمر بأمره، وينهاها فتنتهي عما نهاها عنه، فريق منها يعمل في البناء فيبنون له ما يشاء من الأبنية كما قال تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ) [سبأ: ١٣]، ومنها فريق يعمل في الغوص، يغوصون في قيعان البحار يستخرجون له اللؤلؤ وسائر أنواع الحلي، وما يريده من قيعان البحار، وآخرون - وهم المتمردون على الطاعة الخارجون عنها - قد رُبطوا وحبسوا في القيود والسلاسل والأغلال تعذيبًا لهم وتأديبًا، وقد قال تعالى: (وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾) [سبأ: ١٢].

أما قوله: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا) أي: الذي أعطيناك إياه إذ سألت ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدك. (فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) تفضل على من شئت وأعطه ما شئت أو احرم من شئت وامنع من شئت العطاء. (بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) بلا حساب عليك ولا مؤاخذة عليك، وكل هذا ليس بمتسبب في حرمانه في الآخرة من الجزاء الحسن، بل (وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا) في الآخرة (لَزُلْفَىٰ) لقربة، منزلة المقربين (وَحُسْنَ مَـَٔابٍ) ومآب حسنٌ ومرجع حسن ومصيرٌ حسن، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

وقوله: (وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾) يقول تعالى ذكره: وسخرنا له الشياطين سلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما يشاء من أعماله من بناء وغواص؛ فالبناة منها يصنعون

(٤٧٩) أحمر
أسود

محاريب وتماثيل، والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار، وآخرون ينحتون له جفانًا وقدورًا، والمردة في الأغلال مقرنون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾) قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وغواص يستخرجون الحلي من البحر (وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾) قال: مردة الشياطين في الأغلال.

وقوله: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله: (هَٰذَا) من العطاء، وأي عطاء أريد بقوله: عطاؤنا، فقال بعضهم: عني به الملك الذي أعطاه الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) قال: قال الحسن: الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت.

قال:

وقال آخرون: بل عني بذلك تسخيره له الشياطين، وقالوا: ومعنى الكلام: هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين، وغيرهم عطاؤنا.

وأورد أيضًا بإسنادٍ حسن عن قتادة: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) قال: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع.

واختار الطبري القول الأول، فقال:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن

(٤٨٠) أحمر
أسود

والضحاك[(١)] من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلَّ ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزَّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من الملك، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك (فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩).

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩) فقال بعضهم: عني بذلك: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قال الحسن: (فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩) الملك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة ولا حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنًا في الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك في ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن أيضًا عن قتادة: (فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩) يقول: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك، وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هذا الذي أعطيناك من القوة على الجماع

---

(١) وقد تركت الكلام في إسناديهما.

(٤٨١) أحمر
أسود

عطاؤنا، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب، واترك جماع من شئت منهن.

وقال آخرون: بل ذلك من المقدم والمؤخر. ومعنى الكلام: هذا عطاؤنا بغير حساب، فامنن أو أمسك. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب)**.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول في قوله: (بِغَيْرِ حِسَابٍ) وجهان: أحدهما: بغير جزاء ولا ثواب، والآخر: منة ولا قلة.

والصواب من القول في ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. وإنما قلنا في ذلك هو الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وقوله: (وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾) يقول: وإن لسليمان عندنا لقربة بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا، وحسن مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير في الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾) أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها (وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾) أي: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تَمَرّد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

(٤٨٢) أحمر
أسود

وقولـه: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾) أي: هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي: مهما فعلتَ فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب.

❁ ❁ ❁

س: كيف يسأل سليمان ﷺ ربَّه أن يؤتيه ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده؟ أليس في هذا طلب للدنيا؟

ج: أقول، وبالله التوفيق:

أولًا: طلب الدنيا ليس بممنوع إذا كان سيوجَّه إلى طاعة الله ﷻ وإلى مرضاته، وقد أثنى الله ﷻ على أهل الإيمان إذ يقولون: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١]، وقد كان المسيح عيسى ﷺ وجيهًا في الدنيا كما أنه سيكون وجيهًا أيضًا في الآخرة.

ثانيًا: قد يُقال إن سليمان ﷺ طلب ذلك لدفع ما قد يتسرب إلى أهل الجهل والغباوة من أن الله ﷻ كرهه وطرده عن ملكه نقمةً منه عليه، فطلب مزيدًا من نعم الله ﷻ لدفع هذا الالتباس الذي قد يتولد عند بعض أهل الجهل.

الثالث: أنه طلب ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وكان من ذلك تسخير الشياطين حتى لا يتسلط شيطان على ملكه مرة ثانية.

الرابع: أنه سأل ربه ذلك إذ لكل نبيٍّ خاصية وكرامة ومنزلة يُعرف بها في الدنيا، فكان هذا ما طلبه سليمان ﷺ، لا للتعالي على خلق الله، ولا للبطر والأشر.

(٤٨٣) أحمر
أسود

* هذا، وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى مثل هذا السؤال، وأجاب عليه، فقال $:

إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك، وهو نبي من الأنبياء، وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟

أم ما وجه مسألته إياه، إذ سأله ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك، فلم يكن من ملكه، يعطي ذلك من يعطاه، أم حسد للناس، كما ذكر عن الحجاج بن يوسف؛ فإنه ذكر أنه قرأ قوله: (وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ) فقال: إن كان لحسودًا، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء!

وأجاب الطبري على كل ذلك بقوله:

قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك، فلم تكن إن شاء الله به رغبة في الدنيا، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما رغب إليه فيه، وقبوله توبته، وإجابته دعاءه.

وأما مسألته ربه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك: هب لي ملكًا لا أُسلبه كما سلبته قبل. وإنما معناه عند هؤلاء: هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني، فيكون حجة وعلمًا لي على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم. ويتجه أيضًا؛ لأن يكون معناه: وهب لي ملكًا تخصني به، لا تعطيه أحدًا غيري تشريفًا منك لي بذلك، وتكرمة، لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي، وليس

(٤٨٤) أحمر
أسود

في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء.

وقال القرطبي $:

إن سؤاله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السماوات والأرض؛ فإن الأنبياء و لهم تنافس في المحل عنده فكلٌّ يحب أن تكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا: لما أخذ النبي □ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان: (رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ) فرده خاسئًا، فلو أعطي أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية فكأنه كره □ أن يزاحمه في تلك الخصوصية بعد أن علم أنه شيء هو الذي خص به من سخرة الشياطين وأنه أجيب إلى ألا يكون لأحد بعده والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض الفوائد من قصة داود وسليمان ث

س: اذكر بعض الفوائد من قصة داود وسليمان ث.

ج: ذكر السعدي $ جملة من ذلك، فقال:

فصل

فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان ث

فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد □ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتأسى به.

ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن،

(٤٨٥) أحمر
أسود

فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ) [الأنعام: ٩٠].

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود ﷺ، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود ﷺ.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان ث.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود ﷺ، كان في أغلب أحواله ملازمًا محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه

(٤٨٦) أحمر
أسود

لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتًا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داود ﷺ، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه: «أنت ظلمتني» أو «يا ظالم» أو باغ عليَّ ونحو ذلك لقولهما: (خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ) [ص: ٢٢].

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمئز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصًا الصلاة، من مكفرات

(٤٨٧) أحمر
أسود

للذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.

ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان ﷺ من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدًا صالحًا، فإن كان عالمًا، كان نورًا على نور.

ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله: (نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٣٠﴾).

ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال

(٤٨٨) أحمر
أسود

ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى عن محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فَلْيُفَارِقْه ولْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.

ومنها: القاعدة المشهورة: «**من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرا منه**»، فسليمان ﷺ عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن سليمان ﷺ، كان ملكًا نبيًّا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد ﷺ، وهذه الحال أكمل.

(٤٨٩) أحمر
أسود

ذكر نبي الله أيوب ﷺ

قال الله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤١-٤٤]

(٤٩٠) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَسَّنِيَ -نَادَىٰ -بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ - ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ -مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ -وَشَرَابٞ -رَحۡمَةٗ مِّنَّا -وَذِكۡرَىٰ - لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ -ضِغۡثٗا -وَلَا تَحۡنَثۡۗ -أَوَّابٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّنِيَ)	أصابني
(نَادَىٰ)	دعا – استغاث
(بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ)	النصب: المرض الذي أصابه في بدنه، والعذاب: الفقر الذي حلَّ به، والخسارة التي نالته في ماله. أي: بنصب في بدني (بآلام وأمراض في بدني، وعذاب في مالي (وقلة مال وخسارةٍ في مالي). وقيل: النُّصب الشر والبلاء، والعذاب: الوسوسة التي وسوس له بها الشيطان.
(ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ)	ادفع الأرض برجلك - حرِّكها برجلك
(مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ)	ماء متفجرٌ باردٌ للاغتسال به
(وَشَرَابٞ)	ماء باردٌ تشرب منه
(رَحۡمَةٗ مِّنَّا)	رأفةً منا به
(وَذِكۡرَىٰ)	تذكيرًا
(لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة
(ضِغۡثٗا)	حزمة من عيدان - شمراخًا مجموعًا من عيدان

(٤٩١) أحمر
أسود

(وَلَا تَحْنَثْ)	لا تقع في الحنث (والمعنى ستبر بيمينك إن فعلت ذلك ولن تأثم)
(أَوَّابٌ)	رجَّاع - مستغفر - مسبح

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله عبدنا ونبينا أيوب □، اذكره وما حلَّ به من البلاء وذكِّر به أيضًا كي يُتأسى به في صبره ورضاه بقدر الله ﷻ، اذكره إذ نادى ربَّه ﷻ مستغيثًا به بعد أن أصابه من الضرِّ الشديد ما أصابه، وحلَّ به من البلاء في مالِهِ ما حلَّ، اذكر دعاءه واستغاثته إذ دعا واستغاث قائلًا: يا رب إني أصابني الشيطان في جسدي ببلاءٍ شديد، وفي ماله بعذابٍ شديد، فقد مرضت مرضًا شديدًا وطال بي المرض، وذهب مالي، فاجتمع عليَّ الفقر والمرض واجتمعت علي وساوس من الشيطان وهواجس.

وهذه بعض الأقوال في ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (وَٱذْكُرْ) أيضًا يا محمد (عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ) مستغيثًا به فيما نزل به من البلاء: يا رب (أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ).

وقال $:

وكأن معنى النصب في هذا الموضع: العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه، والعذاب في ذهاب ماله.

(٤٩٢) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب ﷺ وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليمًا سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فَسُلبَ جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته ف فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبًا. فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر المقدور وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال: (أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾) [الأنبياء: ٨٣]، وفي هذه الآية الكريمة قال: رب أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، قيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ولهذا قال تعالى: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾).

قلت (مصطفى): وقول الحافظ ابن كثير $ وعفا عنه في شأن نبي الله أيوب ﷺ إنه أُلقي على مزبلةٍ من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها قولٌ غير

(٤٩٣) أحمر
أسود

مقبول، ولا دليل عليه، وقد أخذه - فيما يظهر لي - من قول قتادة الذي أخرجه الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: (وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ) حتى بلغ: (بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾): ذهاب المال والأهل، والضرّ الذي أصابه في جسده، قال: ابتلي أيوب، ؏، سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كُنَاسَة لبني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه، وعَظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

قلت: وهذا وإن حُسِّن سنده إلى قتادة إلا أنه ليس عن رسول الله ﷺ ولعله تلقاه من الإسرائيليات وقد أحسن ابن العربي إذ قال $ - فيما أورده عنه القرطبي $:

قال ابن العربي القاضي أبو بكر ؏: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: (۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ) [الأنبياء: ٨٣] والثانية في (ص): (أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾). وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «**بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب**» الحديث وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فأعرض عن سطورها بصرك وأصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالًا ولا تزيد فؤادك إلا خبالًا وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا: (هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ) [البقرة: ٧٩]،

(٤٩٤) أحمر
أسود

ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقد أنكر النبي □ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.

قلت (مصطفى): وكلام ابن العربي في الجملة طيب لكن عليه بعض المؤاخذات، منها قوله: فلم يصح عنه (أي: عن النبي □ أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «**بينا أيوب يغتسل...**») والتعقب عليه أن ما أورده الطبري يصح سنده ألا وهو ما أخرجه الطبري بسندٍ صحيح (١) عن أنس بن مالك، أن رسول الله □ قال: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به؛ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حقٍّ؛ قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحي إلى أيوب في مكانه: أن (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾) فاستبطأته، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان؛**

---

(١) وأشار القرطبي رحمه الله إلى إعلاله بالإرسال إذ قال:

قلت: وذكره ابن المبارك أخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله □ ذكر يومًا أيوب وما أصابه من البلاء وذكر أن البلاء الذي أصابه كان به ثمان عشرة سنة. وذكر الحديث القشيري. وقيل أربعين سنة.

(٤٩٥) أحمر
أسود

فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به منك؛ إذ كان صحيحًا؟ قال: فإني أنا هو؛ قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض».

*** والمؤاخذة الثانية على كلام ابن العربي $ قوله:** «والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات...»، فهذا ليس بصحيح، ففي الأمر تفصيل يأتي في محله إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: كيف مسَّ الشيطانُ أيوبَ ﷺ بنصب وعذاب؟

ج: أشير في بعض النقولات التي ليس لها كبير إسناد، أن أيوب ﷺ استزله الشيطان فأوقعه في ذنبٍ - الله أعلم ما هو - حتى ذهب عنه وماله بسبب هذا الذنب.

وأورد القرطبي أقوالًا كثيرة جدًّا في هذا الصدد وتعقبها.

هذا، ومن العلماء من قال: إن أيوب ﷺ لما أصيب بالضرِّ في بدنه والفقر في ماله ازداد الشيطان في وسوسته له، وقال: لو كنت نبيًّا ما حلَّ بك الذي حلَّ وما أصابك الذي أصابك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢).

ج: المعنى - والله أعلم -: اضرب يا أيوب - إذ سألت ربك ﷻ كشف الضرِّ عنك - اضرب برجلك الأرض، فضربها برجله فتفجرت الأرض

(٤٩٦) أحمر
أسود

(وقيل: تفجرت منها عينان)، فقال الله له: (هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ) أي: ماءٌ للغسل قد تفجر فاغتسل به، (وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾) أي: واشرب منه يُذهب الله به عنك الداء.

قال الطبري $:

وقوله: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ) ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثًا به أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي وعذاب بذهاب مالي وولدي فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي: حركها وادفعها برجلك والركض: حركة الرجل يقال منه: ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك.

وقوله: (هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾) ذكر أنه نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان؛ فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

وعنى بقوله: (مُغۡتَسَلُۢ): ما يغتسل به من الماء، يقال منه: هذا مغتسل، وغسول للذي يغتسل به من الماء. وقوله: (وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾) يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلًا.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

هذا، وقد أخرج البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله □: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» (١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي

---

(١) أحمد (٣١٤/٢)، والبخاري (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩).

(٤٩٧) أحمر
أسود

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ورددنا لأيوب ﷺ أهله الذين كانوا قد فرُّوا منه ونفروا عنه بسبب فقره ومرضه، ومعلوم أن زوجته كانت وفية له، ورزقناه بأهلٍ آخرين مثلهم رأفةً منا به وتذكرة لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة كي يعلموا أن الذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر ويعافي بعد سقم هو الله ﷻ.

كذا كي لا ييأس من رحمة الله يائس، ولا يقنط منها قانط، والله أعلم.

هذا، ومن العلماء في قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) قال: فأحياهم الله بأعيانهم وزادهم مثلهم، أورد ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة والحسن (يعني البصري) - رحمهما الله.

وقال الحافظ ابن كثير:

وقوله: (رَحْمَةً مِّنَّا) أي: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته (وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾) أي: لذوي العقول ليعلموا أن عاقبةَ الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الله ﷻ خفَّف عن أيوب ﷺ وعن أهله؛ إذ كان قد أقسم أن يضرب امرأته مائة جلدة فأُمر أن يأخذ حزمة بها مائة عود مجتمعة فيضرب زوجته بها ضربة واحدة ويكون قد برَّ في يمينه ولم يقع في الحنث، أي: في إثم عدم الوفاء باليمين.

(٤٩٨) أحمر
أسود

وبيَّن ربنا - سبحانه وتعالى- سبب هذا الترخيص لأيوب ﷺ بقوله: (إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا) عند البلاء الذي ابتليناه به (نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) أي: رجَّاع مستغفر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثًا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا...) الآية، قال: كانت امرأته قد عرضت له بأمر، وأرادها إبليس على شيء، فقال: لو تكلمت بكذا وكذا، وإنما حملها عليها الجزع، فحلف نبي الله: لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة؛ قال: فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبًا، والأصل تكملة المائة، فضربها ضربة واحدة، فأبر نبي الله، وخفف الله عن أمته، والله رحيم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ) قال: ضغثًا واحدًا من الكلإ فيه أكثر من مائة عود، فضرب به ضربة واحدة، فذلك مائة ضربة.

وقوله: (إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ) يقول: إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) يقول: إنه إلى طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع.

وقال ابن كثير $:

(٤٩٩) أحمر
أسود

وقولـه: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ) وذلـك أن أيـوب ﷺ كـان قـد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله ﷻ أن يأخذ ضغثًا - وهو: الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد بَرّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) أي: رَجَّاع منيب ولهذا قال تعالى: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ) [الطلاق: ٢-٣].

وقد استدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الأيمان وغيرها وأخذوها بمقتضاها.

وأورد القرطبي رحمه الله تعالى أقوالًا لا أعلم لها مستندًا، فقال:

كان أيوب حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة وفي سبب ذلك أربعة أقوال: أحدها: ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قال: نعم! فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان. الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها. الثالث: ما حكاه يحيى ابن سلام وغيره: أن الشيطان أغواها أن تحمل

(٥٠٠) أحمر
أسود

أيوب على أن يذبح سخلة تقربًا إليه وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها إن عوفي مائة. والرابع قيل: باعت ذوائبها برغيفين؛ إذ لم تجد شيئًا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها، فلما شفاه الله، أمره أن يأخذ ضغثًا فيضرب به فأخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة.

❁ ❁ ❁

(٥٠١) أحمر
أسود

ذِكر طائفة من الأنبياء و

(وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم
بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ
مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ
كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ
لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾)

[ص: ٤٥-٥٤]

(٥٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أُوْلِي ٱلْأَيْدِى - وَٱلْأَبْصَٰرِ -أَخْلَصْنَٰهُم -بِخَالِصَةٍ - ذِكْرَى ٱلدَّارِ -ٱلْمُصْطَفَيْنَ - ٱلْأَخْيَارِ - هَٰذَا ذِكْرٌ - جَنَّٰتِ عَدْنٍ - مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا -يَدْعُونَ -قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ -أَتْرَابٌ -لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ -نَّفَادٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أُوْلِي ٱلْأَيْدِى)	أولي القوة – الأقوياء
(وَٱلْأَبْصَٰرِ)	جمع بصيرة، وهي الفهم والفقه في الدين والعلم
(أَخْلَصْنَٰهُم)	ميَّزناهم - اختصصناهم
(بِخَالِصَةٍ)	بميزة - بخاصية
(ذِكْرَى ٱلدَّارِ)	تذكر الدار الآخرة - تذكر يوم القيامة
(ٱلْمُصْطَفَيْنَ)	المجتبين المختارين
(ٱلْأَخْيَارِ)	جمع خيِّر، وهو الفاضل الذي يصدر منه فعل الخير دومًا وقيل: الأخيار المختارون للنبوة
(هَٰذَا ذِكْرٌ)	هذا ثناءٌ حسن - هذا تذكير - هذا شرف
(جَنَّٰتِ عَدْنٍ)	بساتين إقامة
(مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا)	الاتكاء: الميل بأحد الشقين على الآخر وقيل: الاتكاء: التربع
(يَدْعُونَ)	يطلبون – يسألون فيجابون
(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)	غاضات البصر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى الأزواج
(أَتْرَابٌ)	في سنٍّ واحدة - متماثلات في الحسن

(لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)	يوم القيامة
(نَّفَادٍ)	انقطاع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واذكر يا رسول الله - عليك صلاة الله، في نفسك ولقومك ولمن أرسلت إليهم هؤلاء العباد الصالحين الأنبياء الأتقياء إبراهيم خليل الرحمن، وولده إسحاق غ، ويعقوب حفيد إبراهيم، وابن إسحاق - عليهم جميعًا السلام-، هؤلاء الأنبياء الأقوياء؛ العلماء أقوياء في أبدانهم ذوو بصائر في قلوبهم، وذوو علم وفقهٍ، لقد ميزناهم بميزةٍ ألا وهي كثرة تذكرهم للدار الآخرة، وكثرة استحضارهم لها فتذكرهم لها يحملهم على العمل الصالح وملازمة التقوى، وكذا فهم يُكثرون من تذكير الناس بالآخرة.

ثم إنهم عند الله ٥ ممن اصطفاهم الله ٥ واجتباهم على سائر خلقه.

إنهم عند الله معدودون في أهل الخير بل وأفاضل الخيرين المختارين الذين يصدر منهم دومًا الخير، والله أعلم.

هذا، وللعلماء أقوالٌ أُخر في تفسير قوله تعالى: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾) تتضح مما أسوقه من كلام أهل العلم رحمهم الله.

قال الطبري $:

وقوله: (أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾) ويعني بالأيدي: القوة، يقول: أهل القوة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني

(٥٠٤) أحمر
أسود

به: أولي العقول للحق.

وقوله ٥: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ) يقول تعالى ذكره: إنا خصصناهم بخاصة: ذكر الدار.

واختلف القراء في قراءة قوله: (بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦) فقرأته عامة قراء المدينة: **(بخالصة ذكرى الدار)** بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار، بمعنى: أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى، والذكرى إذا قرئ كذلك غير الخالصة، كما المتكبر إذا قرئ: **(على كل قلب متكبر)** بإضافة القلب إلى المتكبر، هو الذي له القلب وليس بالقلب. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: (بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦) بتنوين قوله: (بِخَالِصَةٖ) ورد ذكرى عليها، على أن الدار هي الخالصة، فردوا الذكر وهي معرفة على خالصة، وهي نكرة، كما قيل: لشر مآب: جهنم، فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار: أي: أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦) قال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها.

وأورد بإسنادٍ يُحسّن عن السدي: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦) قال: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة.

(٥٠٥) أحمر
أسود

وقال آخرون: معنى ذلك: إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة؛ وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة. وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾) قال: بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به، وأعطيناهم إياه؛ قال: والدار: الجنة، وقرأ: (تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ) [القصص: ٨٣]، قال: الجنة، وقرأ: (وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾) [النحل: ٣٠]، قال: هذا كله الجنة، وقال: أخلصناهم بخير الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خالصة عقبى الدار.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار.

قال الطبري $:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين(بِخَالِصَةٖ) عمل في ذكر الآخرة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضًا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة؛ لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذُكر في الدار الآخرة؛ فلما لم تذكر (في) أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بيَّنا قبل في معنى قوله: (لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ) [فصلت: ٤٩]، وقوله: (بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ

(٥٠٦) أحمر
أسود

نِعَاجِهِۦۖ) [ص: ٢٤].

وقوله: (وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧) يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين:

(وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥) يعني بذلك: العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة.

وقال القرطبي $:

(أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥) قال النحاس: أما (وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥) فمتفق على تأويلها أنه البصائر في الدين والعلم وأما (ٱلۡأَيۡدِي) فمختلف في تأويلها فأهل التفسير يقولون: إنها القوة في الدين وقوم يقولون: (ٱلۡأَيۡدِي) جمع يد وهي النعمة أي: هم أصحاب النعم أي: الذين أنعم الله عز و جل عليهم وقيل: هم أصحاب النعم والإحسان؛ لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرًا وهذا اختيار الطبري (وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ) أي: الذين اصطفاهم من الأدناس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفى والأصل مصتفى وقد مضى في (البقرة) عند قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ) [البقرة: ١٣٢] و(ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧) جمع خير.

وقال $:

والدار يجوز أن يراد بها الدنيا أي: ليتذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ولتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم كما قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ

عَلِيًّا ﴿٥٠﴾) [مريم: ٥٠]، ويجوز أن يراد بها الدار الآخرة وتذكير الخلق بها ومن أضاف خالصة إلى الدار فهي مصدر بمعنى الإخلاص والذكرى مفعول به أضيف إليه المصدر أي: بإخلاصهم ذكرى الدار ويجوز أن يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الآخرة أو الدنيا على ما تقدم.

❁ ❁ ❁

ذِكر بعض ما في الجنان

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يا رسول الله في نفسك ولأمتك أنبياءَ الله الكرام إسماعيل ﷺ صادق الوعد، واليسع ﷺ، وذا الكفل ﷺ، اذكر هؤلاء الأفاضل واقتد بهم في صبرهم وتحملهم فهؤلاء ممن اختارهم الله ﷻ للنبوة وأكرمهم بها، فليكن ذكرهم منك على بالٍ، أما إسماعيل ﷺ فله ذِكر موسع في القرآن، وسيأتي الحديث عنه في بابه إن شاء الله، أما اليسع وذا الكفل فليست لهم قصص في الكتاب العزيز ولا في السنة فيما علمت.

أما قوله تعالى: (هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ)، فقيل: المراد هذا القرآن ذِكر لك ولقومك بمعنى تذكيرٌ لك ولقومك، وقيل: شرفٌ لك؛ إذ أُنزل عليك وشرف لقومك، وقيل: هذا ذِكرٌ حسن وثناءٌ جميل على هؤلاء الأنبياء الصالحين، (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾) أي: ولمن اتقوا ربهم وخافوه ولم يشركوا به شيئًا

وأدوا ما افترضه عليهم واجتنبوا ما نهاهم عنه لحسن مرجع ومصير، أي: لمرجع حسن ومصير حسن يوم القيامة، ثم بيان هذا المصير الحسن ألا وهو (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ) بساتين إقامة (مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠) أبوابها مفتحةً لهم، وقيل: تفتح لهم بالأمر (بالكلام) ليس باللمس (مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا) أي: متكئين في هذه الجنات يجلسون جلسة المتكئ، وهو المائل بأحد الشقين، وقيل: الاتكاء التربع، أي: جلسة المتربع، متكئين فيها على الآرائك، على السُّرر في الحجال، متكئين على سرر مصفوفة، يقابل بعضهم بعضًا (يَدۡعُونَ فِيهَا) يطلبون في هذه الجنات فاكهة كثيرةً وشراب كثير ومهما طلبوا وجدوا، ومهما طلبوا أُجيبوا إلى طلبهم، فهم متلذذون بما هم فيه من النعيم، لا يُرد لهم طلب، وفضلًا عن ذلك فعندهم (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) الحسناوات اللواتي غضضن أبصارهن وقصرنها على الأزواج فقط، فلا ينظرن لرجلٍ إلا لأزواجهن (أَتۡرَابٌ ٥٢) في سنٍّ واحدة متساويات في الحسن والشباب والجمال، ويُقال لهم هناك: (هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣) أي: هذا هو الجزاء الذي وعدناكم به في الدنيا أننا سنجازيكم به يوم القيامة، إن هذا لرزقنا الذي رزقناكم إياه وفضلنا عليكم (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤) ليس له انقطاع ولا تحول ولا زوال.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩).

يقول تعالى ذكره لنبيه □: واذكر يا محمد إسماعيل واليسع وذا

(٥٠٩) أحمر
أسود

الكفل، وما أبلوا في طاعة الله، فتأس بهم، واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته. وقد بيَّنا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. والكفل في كلام العرب: الحظ والجد.

وقوله: (هَٰذَا ذِكۡرٞۚ) يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به.

وقوله: (وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩) يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة، ومصير يصيرون إليه. ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعده من حسن المآب ما هو، فقال: (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠).

القول في تأويل قوله تعالى: (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١).

قوله تعالى ذكره: (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ): بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتين إقامة.

وقوله: (مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠) يعني: مفتحة لهم أبوابها؛ وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلا من الإضافة، كما قيل: (فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١) [النازعات: ٤١] بمعنى: هي مأواه.

وقال $:

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: (مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠) من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر.

(٥١٠) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١﴾ يقـول: متكئـين فـي جنات عدن، على سرر يدعون فيها بفاكهة، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها.

القول في تأويل قولـه تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾.

يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ يعني: نساء قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قال: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

ونحوه عن السدي: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قال: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

وقوله: ﴿أَتۡرَابٌ ٥٢﴾ يعني: أسنان واحدة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَتۡرَابٌ ٥٢﴾ سنٌّ واحدة.

ونحوه عن السدي: ﴿أَتۡرَابٌ ٥٢﴾ قال: مستويات. قال: وقال بعضهم: متواخيات، لا يتباغضن، ولا يتعادين، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن.

وقوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣﴾ قال: هو

في الدنيا ليوم القيامة.

وقولـه: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) يقـول تعـالى ذكـره: إن هـذا الـذي أعطينـا هـؤلاء المتقـين فـي جنـات عـدن مـن الفاكهـة الكثيـرة والشـراب، والقاصرات الطرف، ومكناهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدًا، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونفد بالإنفاد.

وأورد بإسناد يُحسن عن السدي قال: رزق الجنة كلما أخذ منه شيء، عاد مثله مكانه ورزق الدنيا ما له نفاد.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾): أي ما له انقطاع.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الآخرة (لَحُسْنَ مَـَٔابٍ) وهو: المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله: (جَنَّٰتِ عَدْنٍ) أي: جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب.

والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: (مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾) أي: إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها.

وقال $:

وقوله: (مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا) قيل: متربعين فيها على سرر تحت الحجال (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) أي: مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. (وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾)

(٥١٢) أحمر
أسود

أي: من أي أنواعه شاؤوا أتتهم به الخدام (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾) [الواقعة: ١٨].

(۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) أي: عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن (أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾) أي: متساويات في السن والعمر. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسّدّي.

(هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾) أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار.

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء فقال: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) كقوله تعالى: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ) [النحل: ٩٦]، وكقوله: (عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾) [هود: ١٠٨]، وكقوله: (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾) [فصلت: ٨]، أي: غير مقطوع وكقوله: (أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾) [الرعد: ٣٥]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

(٥١٣) أحمر
أسود

ذِكر بعض ما أُعد للطغاة وأهل الشرك

قال الله تعالى:

(هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ
مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ
قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي
ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾)

[ص: ٥٥-٦٤]

(٥١٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِلطَّٰغِينَ -لَشَرَّ مَـَٔابٍ -يَصۡلَوۡنَهَا -فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ -حَمِيمٌ -وَغَسَّاقٌ -مِن شَكۡلِهِۦٓ -أَزۡوَٰجٌ -فَوۡجٌ -مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡۖ -لَا مَرۡحَبَۢا -صَالُواْ ٱلنَّارِ -قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ -فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ -عَذَابًا ضِعۡفًا -سِخۡرِيًّا -زَاغَتۡ -تَخَاصُمُ).

ج:

الكلمة	معناها
(لِلطَّٰغِينَ)	للخارجين عن الطاعة - لمن تجاوز الحد في الظلم والطغيان
(لَشَرَّ مَـَٔابٍ)	شر مرجع ومصير - مرجعٌ سيئ ومصير سيئ
(يَصۡلَوۡنَهَا)	يدخلونها مصلَين بحرها
(فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ)	بئس الفراش الذي يفترش (إذ كان الفراش من نار)
(حَمِيمٌ)	ماء بلغ أعلى درجات حرارته
(وَغَسَّاقٌ)	بادر نزل إلى أقل درجات البرودة، وقيل: (مُنتن)
(مِن شَكۡلِهِۦٓ)	على شاكلته - من لونه ونوعه - أشياء من هذا القبيل
(أَزۡوَٰجٌ)	أصناف
(فَوۡجٌ)	جماعة
(مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡۖ)	داخل معكم
(لَا مَرۡحَبَۢا)	لا اتسعت به مداخلهم - لا اتسعت منازلهم في النار
(صَالُواْ ٱلنَّارِ)	داخلوها وقد أحاطت بهم من كل جوانبهم
(قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ)	تسببتم لنا فيه بدعوتكم لنا إلى العصيان والكفر

(٥١٥) أحمر
أسود

(فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ)	بئس المكان الذي يُستقر فيه - بئس المنزل
(عَذَابًا ضِعْفًا)	عذابًا مضاعفًا
(سِخْرِيًّا)	نسخر منهم ونستهزأ بهم - نسخرهم ونزللهم بالعمل
(زَاغَتْ)	مالت (فلم تعد تراهم) - عميت عنهم
(تَخَاصُمُ)	اختلاف وتلاعن وتباغض وتسابب

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: هذا الذي قد ذكرناه جزاء المتقين، أما الطاغون (وهم الذين تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان) بشركهم بالله وظلمهم للعباد، فله شر مرجع ومصير، لهم مصير سيئ ومرجع سيئ ألا وهو جهنم -والعياذ بالله - يدخلونها مصلِّين بحرها يفترشونها وينامون عليها فلبئس الفراش الذي يفترش، وكذا فلبئس ما مهدوا به لأنفسهم، وإضافة إلى هذا الذي قد ذكر فليذوقوا طعامهم وشرابهم، فهذا (حَمِيمٞ) قد بلغ أعلى درجات حرارته، وهذا (وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾)، قد نزل إلى أدنى درجات البرودة، وقيل: معناه منتن، أما قوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) فالمعنى - والله أعلم : وصنوف أُخر من العذاب على هذه الشاكلة، شاكلة الشراب البارد شديد البرودة بعد الساخن شديد السخونة.

فصور من العذاب على هذه الشاكلة كالصعود الشديد في النار، ثم الهبوط الشديد فيها إلى غير ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآيات.

(٥١٦) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: (هَٰذَا): الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا، فقال: (وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ) وهم الذين تمردوا على ربهم، فعصوا أمره مع إحسانه إليهم (لَشَرَّ مَـَٔابٍ) يقول: لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا.

وأورد بسندٍ حسن عن السدي قال: (وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾) قال: لشر منقلب.

قال الطبري $:

ثم بيَّن تعالى ذكره: ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة، فقال: (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فترجم عن جهنم بقوله: (لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾) ومعنى الكلام: إن للكافرين لشر مصير يصيرون إليه يوم القيامة؛ لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم (فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾) يقول تعالى ذكره: فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله: (هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾) يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره، وغساق فليذوقوه؛ فالحميم مرفوع بهذا، وقوله: (فَلْيَذُوقُوهُ) معناه التأخير؛ لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفيًا بقوله فليذوقوه، ثم يبتدأ فيقال: حميم وغساق، بمعنى: منه حميم ومنه غساق.

كما قال الشاعر:

حتى إذا أضاء الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود

(٥١٧) أحمر
أسود

وإذا وجه إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يضمر قبلها لها ناصب، كم قال الشاعر:

زيادتنا نعمان لا تحرمننا تق الله فينا والكتاب تتلو

والرفع بالهاء في قوله: (فَلْيَذُوقُوهُ) كما يقال: الليل فبادروه، والليل فبادروه.

وأورد الطبري $ في تفسير الغساق قولين:

أحدهما: إنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

والآخر: أنه البارد الذي لا يستطاع من برده.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح.

وقوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) على التوحيد، بمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع، كما يقال: لك عذاب من فلان: ضروب وأنواع؛ وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج الخبر عن الحميم والغساق، وآخر من شكله، وذلك ثلاثة، فقيل أزواج، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: (وأخر) على الجماع، وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتًا لواحد، فلذلك جمع أخر، لتكون الأزواج نعتًا لها؛ والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم إذا كان

(٥١٨) أحمر
أسود

فعلًا بالكثير والقليل والاثنين كما بينا، فتقول: عذاب فلان أنواع، ونوعان مختلفان.

وقال $:

وأما قوله: (مِن شَكۡلِهِۦٓ) فإن معناه: من ضربه، ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي، بمعنى: ما أنت من ضربي بفتح الشين. وأما الشكل فإنه من المرأة ما علقت مما تتحسن به، وهو الدل أيضًا منها.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨) قال: من كل شكل ذلك العذاب الذي سمى الله، أزواج لم يسمها الله، قال: والشكل: الشبيه.

وقوله: (أَزۡوَٰجٌ ٥٨) يعني: ألوان وأنواع.

وبسندٍ صحيح عن الحسن في قوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨) قال: ألوان من العذاب.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى مآل السعداء ثَنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال: (هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ) وهم: الخارجون عن طاعة الله المخالفون لرسل الله (لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥) أي: لسوء منقلب ومرجع. ثم فسره بقوله: (جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا) أي: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم (فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧) أما الحميم فهو: الحار الذي قد انتهى حرُّه وأما الغَسَّاق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨) أي: وأشياء من هذا القبيل،

(٥١٩) أحمر
أسود

الشيء وضده يعاقبون بها.

وأورد بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن رسول الله □ أنه قال: «لو أن دَلْوًا من غَسَّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»(١).

وقال الحسن البصري في قوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) ألوان من العذاب.

وقال غيره: كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾).

ج: معناه - والله تعالى أعلم -: أنه يُقال لمن دخلوا النار واستقروا فيها وأخذوا منازلهم منها، وهي عليهم ضيقة شديدة الضيق، هذه جماعة أُخرى تدخل عليكم يدفع بهم إلى النار معكم، فهم مدفعون دفعًا شديدًا، فيقول أهل النار: لا مرحبًا بهؤلاء الداخلين لا اتسعت بهم المداخل ولا اتسعت لهم المنازل، ضيَّق الله عليهم المنازل والمداخل إنهم داخلو النار مصليون بها، محيطة بهم من كل الجوانب، فيجيب الداخلون: بل أنتم لا اتسعت لكم المنازل ولا المداخل، ضيَّق الله عليكم أشد وأشد، فأنتم الذين تسببتم لنا في هذا بدعوتكم لنا إلى النار، وبإضلالكم لنا، فبئس المنزل

(١) أحمد (٣/٢٨ و ٨٣)، وغيره، وسنده ضعيف.

(٥٢٠) أحمر
أسود

الذي نزلتموه وأنزلتمونا فيه، ما أسوأ هذا المقر والمستقر، ويستمر الداخلون المقتحمون في كلامهم ودعائهم، فيقولون: يا ربنا من تسبب لنا في هذه النار فزده عذابًا ضعفًا في النار، أي: أَذقه عذابًا فوق العذاب، ونكالًا فوق النكال، وضيق فوق الضيق الذي هو فيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وقوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ) يعني: تعالى ذكره بقوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ) هذه فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة؛ (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ) وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم، لا مرحبًا بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: (يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠) [الأعراف: ١١٠]، فاتصل قول فرعون بقول ملئه، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرًا عن أهل النار: (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) [الأعراف: ٣٨].

ويعني بقولهم: (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ) لا اتسعت بهم مداخلهم، كما قال أبو الأسود:

لا مرحب واديك غير مضيق

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ) في النار (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُوا۟ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ...) حتى بلغ: (فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠) قال: هؤلاء التباع يقولون للرؤوس.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ)

(٥٢١) أحمر
أسود

قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجًا بعد فوج، وقرأ: (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) التي كانت قبلها.

وقال الطبري $:

وقوله: (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾) يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. (قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) يقول: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جلَّ ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرحبًا بكم: أي: لا اتسعت بكم أماكنكم، (أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) يعنون: أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان، وصلي النار بإضلالكم إيانا، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله، وتكذيب رسله، حتى ضللنا باتباعكم، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة

(فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾) يقول: فبئس المكان يستقر فيه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ).

وهذا أيضًا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جلَّ ثناؤه: وقال الأتباع: (رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا) يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها.

ويعنون بقولهم: (هَذَا): العذاب الذي وردناه (فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾) يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضًا من دعاء الأتباع للمتبوعين.

وقال ابن كثير $:

(٥٢٢) أحمر
أسود

وقوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩) هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) [الأعراف: ٣٨] يعني: بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ) أي: داخل معكم (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩) لأنهم من أهل جهنم (قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ) أي: فيقول لهم الداخلون: (بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ) أي: أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠) أي: فبئس المنزل والمستقر والمصير. (قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١) كما قال ٥: (قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُوليٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨) [الأعراف: ٣٨] أي: لكل منكم عذاب بحسبه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ).

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه يُقال لأهل النار الذين دخلوها وسبقوا إليها، وهي عليهم ضيقة وبهم مكتظةٌ ومليئة: هذا فوج داخلٌ معكم أي: وتزدادون ضيقًا إلى ما أنتم فيه من الضيق فيقابلون الفوج الداخل بقولهم: (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ)، ضيَّق الله عليهم كما سيضيقون علينا أكثر وأكثر، لا رحبت عليهم الأرض ولا اتسعت لهم المنازل.

وهذه صورة أُخرى من صور العذاب للداخلين، وكتقريبٍ للقارئ، أقول إذا كان هناك قوم في الدنيا في سجن ضيِّق فمن شدة ما هم فيه من

(٥٢٣) أحمر
أسود

الضيق يفرحون إذا طرق الشرطي الباب وأخرج واحدًا، وذلك لأنه سيترك مكانه فراغًا، فيفرحون بفتح الباب وخروج بعضهم، أما إذا فتح الشرطي الباب وأدخل عليهم أقوامًا آخرين، فإنهم يتضايقون أشد الضيق، ويتألمون أشد الألم من شدة الزحام، ولكن قد ترى منهم مع ذلك من يُصبِّر الداخلين ويهوِّن عليهم ويسرى عنهم كما قيل لبعض الأئمة لما أُدخل السجن في حق تكلَّم به: اصبر يا إمام فإنه سوط أو سوطان، ثم لا تدري بما يحدث لك، وستتحمل إن شاء الله، وسينفرج الأمر بإذن الله ونحو هذا الكلام، فمثل هذا الكلام يهوِّن على الداخلين الجدد، أما إذا دخل الداخل ووجد مجرمين في استقباله يستقبلونه باللعن والسباب والشتم مع أنهم هم المتسببون له فيما حلَّ به، فهنالك يزداد ألمًا إلى ألمه ونكدًا إلى نكده وبلاءً إلى بلائه.

وهذا الحال مع الفوج المقتحم للنار يدفع به لدخول النار فيرى من في النار في استقباله باللعنات والسباب والشتم وعدم الترحيب يقولون له: لا مرحبًا بك ولا اتسعت لك الأرض، ضيَّق الله عليك المنازل والمداخل، فهكذا يزداد همًّا إلى همه وغمًّا إلى غمِّه ونكدًا إلى نكده، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله: (أَتَّخَذْنَٰهُمْ) قراءتان. وضحهما.

ج: القراءة الأولى: (أَتَّخَذْنَٰهُمْ) بفتح الهمزة على الاستفهام.

والثانية: **(اتخذناهم)** بوصل الألف على الإخبار، أي: قد اتخذناهم سخريًّا.

قال الطبري $:

(٥٢٤) أحمر
أسود

وقوله: (أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة: (أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا) بفتح الألف من أتخذناهم، وقطعها على وجه الاستفهام، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة، وبعض قراء مكة بوصل الألف من الأشرار: **(اتخذناهم)**. وقد بينا فيما مضى قبل، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانًا، وتخرجه على وجه الخبر أحيانًا.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام، لتقدم الاستفهام قبل ذلك في قوله: (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا) فيصير قوله: **(اتخذناهم)** بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب.

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا، فمعنى الكلام: وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سلمان وبلالًا وخبابًا الذين كنا نعدهم في الدنيا أشرارًا، أتخذناهم فيها سخريًّا نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾).

ج: أقول - وبالله تعالى التوفيق -: أن أهل النار لما استقروا فيها وأخذوا منازلهم فيها، فهم فيها يتضاغون ويتألمون، سألوا عن أقوامٍ كانوا معهم في الدنيا، وكانوا في دنياهم يظنونهم سفهاء، يظنونهم أشرارًا، يظنونهم ضلالًا، ويسخرون منهم ويُسخِّرونهم بالعمل ويذللونهم، كما كان

أبو جهل يفعل مع عمار وكما كان أمية يصنع مع بلال وغير هؤلاء، فقال هؤلاء الطغاة أبو جهل وأمية وغيرهم: أين عمار؟!! أين بلال؟؟ أين هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مُسخرين لنا - نستذلهم - ونسخر بهم؟ أين هم الآن؟

أهم معنا ولكننا لا نراهم؟ أبصارنا قد زاغت ومالت فلا تراهم؟! أم أنهم ليسوا معنا؟ فهذا وجه، وذلك مبنيٌّ على أن الهمزة في قولهم: (أَتَّخَذْنَٰهُمْ) همزة قطع استفهامية، وعلى الوجه الآخر **(اتخذناهم سخريًّا)** قد اتخذناهم في دنيانا محلًّا للسخرية ومجالًا لها، أليسوا معنا أم أنهم معنا ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومالت فنحن لا نراهم؟

ثم بعد ذلك يحدث التلاعن في النار بين أهلها، فيقول تعالى: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾) أي: أن تخاصم أهل النار وتلاعنهم فيما بينهم واتهام بعضهم لبعض - كل ذلك حقٌّ وسيكون بلا ريب ولا شك.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جلَّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما: (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا) يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالًا (كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾) يقول: كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبًا وخبابًا وبلالًا وسلمان.

وقال $:

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: مَنْ كسر السين

(٥٢٦) أحمر
أسود

من السخري، فإنه يريد به الهزء، يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السخرة، يستسخرونهم: يستذلونهم، أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾) قال: فقدوا أهل الجنة (أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا) في الدنيا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾) وهم معنا في النار.

وقال $:

وقوله: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ) يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضًا، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين، فلا تشكوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار.

وقوله: (تَخَاصُمُ) ردٌّ على قوله: (لَحَقٌّ) ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾) إلى: بل زاغت عنهم.

قال الحافظ ابن كثير $:

(وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)

هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

قال مجاهد: هذا قول أبي جهل يقول: ما لي لا أرى بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا. وهذا مثل ضرب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم: يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم

(٥٢٧) أحمر
أسود

يجدوهم فقالوا: (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا) أي: في الدنيا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾) يسلون أنفسهم بالمحال يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله: (وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾) إلى قوله: (ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾) [الأعراف: ٤٤ -٤٩].

وقوله: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾) أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك.

❁ ❁ ❁

تخاصم أهل النار

س: اذكر بعض صور تخاصم أهل النار.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾) [الشعراء: ٩٦-٩٩].

وقوله تعالى: (۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ) [الحج: ١٩]، وقد نزلت في علي وحمزة وعبيدة، أمام عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وفيهم نزلت، وهم المتبارزون يوم بدر.

وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ

(٥٢٨) أحمر
أسود

لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾) [يونس: ٢٨-٢٩].

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ) فقرأ: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾) [الشعراء: ٩٧-٩٨]، وقرأ: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) [يونس: ٢٨].. حتى بلغ: (إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾) [يونس: ٢٩] قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾) [الأنعام: ٢٤] قال: وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.

❁ ❁ ❁

(٥٢٩) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ
مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى
فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ
ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ
رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ
ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾) [ص: ٦٥-٨٨].

(٥٣٠) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مُنذِرٌ - ٱلْغَفَّٰرُ -نَبَؤٌا -مُعْرِضُونَ -بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ -يَخْتَصِمُونَ -سَوَّيْتُهُۥ -فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ -ٱسْتَكْبَرَ - ٱلْعَالِينَ -رَجِيمٌ -لَعْنَتِيٓ -يَوْمِ ٱلدِّينِ -فَبِعِزَّتِكَ -لَأُغْوِيَنَّهُمْ -ٱلْمُخْلَصِينَ - ٱلْمُتَكَلِّفِينَ -ذِكْرٌ- لِّلْعَٰلَمِينَ - نَبَأَهُۥ-حِينٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(مُنذِرٌ)	مُحذرٌ - مخوف - مُذكِّر
(ٱلْغَفَّٰرُ)	كثير المغفرة لعباده المؤمنين
(نَبَؤٌا)	خبر (والمراد بالنبإ هنا القرآن)
(مُعْرِضُونَ)	منصرفون
(بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ)	الملائكة في السماوات
(يَخْتَصِمُونَ)	يتجادلون
(سَوَّيْتُهُۥ)	سوَّيت خلقه وعدلت صورته
(فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)	فخِروا له ساجدين
(ٱسْتَكْبَرَ)	تعاظم وتكبَّر وتمنَّع
(ٱلْعَالِينَ)	ذو علوٍّ وتكبر وارتفاع - تتعالى على ربك
(رَجِيمٌ)	مرجوم (مرجوم بالنجوم والشُّهب والكواكب) - مشتوم
(لَعْنَتِيٓ)	طردي وإبعادي لك (من رحمتي ومن جنتي)
(يَوْمِ ٱلدِّينِ)	يوم القيامة

(٥٣١) أحمر
أسود

(فَبِعِزَّتِكَ)	بقدرتك وبقهرك لمن خالفك وسلطانك وغلبتك مَنْ حربك
(لَأُغْوِيَنَّهُمْ)	لأضلنهم ولأصرفنهم عن طريق الحق إلى الباطل
(ٱلْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصتهم أنت يا رب لعبادتك وطاعتك
(ٱلْمُتَكَلِّفِينَ)	الكاذبين - المتقولين - المتعمدين أن يزيدوا وأن يأتوا بجديد
(ذِكْرٌ)	تذكيرٌ
(لِّلْعَٰلَمِينَ)	للإنس والجن
(نَبَأَهُۥ)	خبره - صدقه وتحققه - صدق ما قيله
(حِينٍ)	وقلت (وقيل: إن ذلك تحقيق يوم بدر) وقيل: إنه يتحقق عند الموت وقيل: إنه يوم القيامة وقيل غير ذلك

❁ ❁ ❁

إنما الله إله واحد

س: وضـــح معنـــى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾).

ج: قال الطبري $ قولًا مفيدًا في تفسيرها أو قال:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك. (إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ) لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه

(٥٣٢) أحمر
أسود

أن يحل بكم على كفركم به، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾) يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كل شيء، ويعبده كل خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكل ما دونه بقدرته، رب السماوات والأرض، يقول: مالك السماوات والأرض وما بينهما من الخلق؛ يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئًا، ولا يضر، ولا ينفع. وقوله: (ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾) يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدعين معه إلهًا غيره، الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

قال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا رسوله □ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله: إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾) أي: هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه. (رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾) أي: هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾) أي: غفار مع عزته وعظمته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾).

ج: قال بعض أهل العلم ما حاصله: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين: إن هذا القرآن خبرٌ عظيم يخبر بأصدق الأخبار وينبئ بأصدق الأنبياء، ومع ذلك فأنتم عنه منصرفون لاهون.

(٥٣٣) أحمر
أسود

ومن العلماء من قال: (قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) أي: إرسالي إليكم خبرٌ عظيم، ومع ذلك فأنتم معرضون عن إنذاري لكم.

والقول الأول عليه أكثر العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق (هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) يقول: هذا القرآن خبر عظيم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال: قوله: (قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) قال: القرآن.

وقوله: (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته.

وقال ابن كثير $:

(قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) أي: خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) أي: غافلون.

قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله: (قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) يعني: القرآن.

❁ ❁ ❁

س: في أي شيء كانت الملائكة تخاصم؟

ج: قال كثير من أهل العلم: في شأن خلق آدم ﷺ؛ إذ قالوا لما قال الله لهم: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾) [البقرة: ٣٠].

وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لقومك ولمن بعثت فيهم: إنني كما تعلمون كنت أميًّا، لا أقرأ ولا أكتب، ولم أتعلم عند أحدٍ من الناس، فأنتم تعرفونني، وما كان لي من علمٍ بما حدث من قبل في شأن إخبار الله ﷻ ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وما كان لي من علمٍ بجواب الملائكة على ربهم، وما كان لي من علمٍ بقصة آدم وشأنه مع إبليس، ما كان لي من علمٍ بكل هذا إلا أن الله ﷻ أوحى إليَّ بذلك كله وإلا فقد كنتُ جاهلًا به.

هذا، وقوله تعالى: (إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) مُفسرٌ بالذي جاء بعده، وهو قوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾...) إلى آخر السورة.

وقوله: (إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) حاصل معناه: أن هذا العلم الذي أخبرني الله به أخبرني به؛ لأنني أنا نذير مبين، لست بشاعر ولا كاهن ولا كذاب ولا ساحر كما تدعون.

وبنحو هذا قال عددٌ من العلماء.

قال الطبري $:

وقوله: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) يقول لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) في شأن آدم من قبل أن يوحي إليَّ ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل

(٥٣٥) أحمر
أسود

واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي: (بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) هو: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: ٣٠].

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: (مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ) قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: (إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾...) حتى بلغ (سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾) وحين قال: (إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...) حتى بلغ (وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ) [البقرة: ٣٠] ففي هذا اختصم الملأ الأعلى.

وقوله: (إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحي الله إليَّ علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملإ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين؛ (فإنما) على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلى إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى، كانت (أنما) في موضع رفع؛ لأن الكلام يصير حينئذٍ بمعنى: ما يوحى إليَّ إلا الإنذار.

(٥٣٦) أحمر
أسود

وقال الطبري أيضًا:

قولـه: (إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) يقـول: إلا أنـي نـذير لكـم، مبـين لكـم إلا إنذاركم. وقيل: إلا أنما أنا، ولم يقل: إلا أنما أنك، والخبر من محمد عن الله، لأن الـوحي قـول، فصـار فـي معنـى الحكايـة، كمـا يقـال فـي الكـلام: أخبرونـي أنـي مسـيء، وأخبرونـي أنـك مسـيء بمعنـى واحـد، كمـا قـال الشاعر:

رجـلان مـن ضـبة أخبرانـا أنـا رأينـا رجـلا عريانـا

بمعنى: أخبرانا أنهما رأيا، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولـه: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) أي: لـولا الـوحي مـن أيـن كنت أدري باختلاف الملإ الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه.

فأمـا الحـديث الـذي رواه الإمـام أحمـد(١) **حيـث قـال:** حـدثنا أبـو سـعيد مولى بني هاشم، حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ ڤ، قال: احتبس علينا رسول الله □ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس. فخرج رسول الله □ سريعا فَثَوّب بالصلاة فصلى وتَجَوّز في صلاته فلما سلم قال: «**كما أنتم على مصافكم**». ثم أقبل إلينا فقال: «**إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني**

---

(١) المسند (٥/٢٤٣)، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة (ص) حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به.

(٥٣٧) أحمر
أسود

قمت من الليل فصليت ما قُدّر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب -أعادها ثلاثًا- **فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك»**. وقال رسول الله □: «**إنها حق فادرسوها وتعلموها**»، فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق.

وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به. وقال: حسن صحيح، وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...).

قلت (مصطفى): وهذا الحديث، وإن صحت له بعض الأسانيد لكنها أسانيد معلولة، والذي ظهر لي وبعد البحث في أسانيده أنه معلول ولا يثبت عن رسول الله □، مع علمي بأنه قد أُلفت فيه كتب وصنفت فيه تصانيف، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٥٣٨) أحمر
أسود

شيء من قصة خلق آدم ﷺ وشأنه مع الملائكة

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾).

ج: هذه الآيات لها بعض التعلق بما قبلها، فالمعنى (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) حين قال ربك للملائكة... إلى آخره.

وهذا إخبار بما قاله الله ﷻ للملائكة قبل خلق آدم ﷺ، أخبر الله ﷻ ملائكته بأنه سيخلق آدم ويجعله خليفةً في الأرض كما تقدم في قوله تعالى من سورة البقرة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) **[البقرة: ٣٠]**، وهنا قال سبحانه: (إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ)سويت خلقه وعدلت صورته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) ضربت فيه الحياة بذلك، فخِرُّوا له سجودًا، أي: أن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم ﷺ، وهذا السجود كان سجود تحية، كما سجد ليوسف ﷺ أبواه وإخوته، ولكن ذلك نسخ في شريعتنا، فلما أمر الله عزَّوجلَّ الملائكة بالسجود لآدم ﷺ سجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس فقد امتنع من السجود مستكبرًا متعاظمًا على الأمر، فقد كان في علم الله من الكافرين، وإن كان قد أظهر خلاف ذلك.

وهنا قد يرد سؤال، وقد تقدم الجواب عليه بتفصيل في سورة البقرة، حاصله: هل إبليس من الملائكة؟ وتقدم بيان الخلاف في ذلك هنالك ورجحته أنه ليس من الملائكة، وإنما أُمر بالسجود معهم تبعًا، ومن الدليل على أنه ليس من الملائكة قوله تعالى: (إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ)

(٥٣٩) أحمر
أسود

[الكهف: ٥٠]، وقوله: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ) [ص: ٧٦]، والملائكة إنما خلقوا من نور، وقد قال تعالى: (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾) [الرحمن: ١٥].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآيات التي وجِّه السؤال عن تأويلها:

وقوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) من صلة قوله: (إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد: (لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾) يعني: بذلك خلق آدم.

وقوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) يقول تعالى ذكره: فإذا سويت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي.

وقال في قوله:

(فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾) يقول: فاسجدوا له وخروا له سجدًا.

وقوله: (فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾) يقول تعالى ذكره: فلما سوى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه، سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السماوات والأرض.

(إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ) يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظمًا وتكبرًا.

(وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾) يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ

(٥٤٠) أحمر
أسود

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾).

ج: هذا - والله أعلم - معناه: أن الله سبحانه وتعالى سأل إبليس - عليه لعنة الله-، عن سبب امتناعه من السجود لآدم ﷺ، فقال له: (أَسْتَكْبَرْتَ) أي: امتنعت مستكبرًا على آدم ﷺ متعاظمًا عليه؟ (أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ) على ربك سبحانه وتعالى، وكنت من قبل ذا علوٍّ وتكبر؟!

فحينئذٍ بيَّن إبليس سبب امتناعه بقوله: (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾) أي: أن الذي منعني من السجود له كوني أفضل منه خُلقتُ من نار، وخُلق هو من طين، والنار أقوى من الطين وأفضل، كذا يرى إبليس، فحينئذٍ طُرد إبليس من الجنة.

قال تعالى: (فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾) مرجوم مشتوم ملعون، وأيضًا مرجوم هو وذريته بالشهب والكواكب كما قال تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) [الصافات: ٦-١٠]، وكما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ ...) [الملك: ٥].

أما قوله: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾) [ص: ٧٨]، فمعناه - والله أعلم -: وإنك مطرود من رحمتي إلى يوم الدين، ومطرود من الجنة إلى يوم القيامة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (قَالَ) الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره:

(٥٤١) أحمر
أسود

(يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ) يقول: أي شيء منعك من السجود (لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ) يقول: لخلق يدي؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبيد المكتِب قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان.

وقال الطبري $:

وقوله: (أَسۡتَكۡبَرۡتَ) يقول لإبليس: تعظمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكبارًا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك (أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥) يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك (قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ) يقول جلَّ ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له؛ لأني خير منه وكنت خيرًا؛ لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه، يقول:

لم أفعل ذلك استكبارًا عليك، ولا لأني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه؛ وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد □، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارًا عن أن يكونوا تبعًا لرجل منهم حين قالوا: (أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ) [ص: ٨]، و(هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ) [الأنبياء: ٣]، فقصَّ عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطانًا رجيمًا، وحقت عليه من الله لعنته، محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدًا، وتعظما من اللعن والسخط

(٥٤٢) أحمر
أسود

ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾).

يقول تعالى ذكره لإبليس: (فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا) يعني: من الجنة (فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾) يقول: فإنك مرجوم بالقوم، مشتوم ملعون.

وقوله: (وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ) يقول: وإن لك طردي من الجنة (إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾) يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ) أي: صرفك وصدك (أَن تَسۡجُدَ) أي: عن أن تسجد (لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ) أضاف خلقه إلى نفسه تكريمًا له وإن كان خالق كل شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئًا بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم فذكر اليد هنا بمعنى هذا.

قلت (مصطفى): وهذه الآية الكريمة (... لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ) من أوضح الأدلة على إثبات صفة اليدين لله ٥، ولكن مع مراعاة قوله تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾) [الشورى: ١١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾).

(٥٤٣) أحمر
أسود

ج: الحاصل - والله أعلم -: أن إبليس لما أخبر بأن الله ﷻ طرده من رحمته طلب من الله ﷻ إمهاله وتأخيره فلا يقبضه إلى يوم القيامة، ولا يهلكه إلى يوم القيامة، فقال: (رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ) أخرني وأمهلني (إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩) وهو يوم القيامة، فأخذ وعدًا بذلك من الله ﷻ؛ إذ قال: (فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠) أي: من المُمهلين المؤخرين المؤجلين إلى يوم القيامة، فحينئذٍ ولما تيقن إبليس من أنه سيعيش إلى يوم البعث أقسم بعزة الله - بقدرة الله وسلطانه وشدة انتقامه ممن خالفه - (لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢) لأصرفن عبادك عن طريق الطاعة إلى طريق المعصية، ومن طريق الإيمان إلى طريق الكفر إلا من اصطفيته أنت يا رب واخترته لعبادتك، فهذا لا سبيل لي عليه، كما قال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢) [الحجر: ٤٢].

قال الطبري $:

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩) يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: رب فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك (فَأَنظِرۡنِيٓ) يقول: فأخرني في الأجل، ولا تهلكني (إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩) يقول: إلى يوم تُبعث خلقك من قبورهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣).

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلًا لهلاكه. وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه، وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢) يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزتك: أي: بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك (لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢) يقول: لأضلن بني آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ

(٥٤٤) أحمر
أسود

ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾) يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلًا فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه.

وقال القرطبي $:

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾) أراد الملعون ألا يموت فلم يجب إلى ذلك وأخر إلى الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فأخر إليه تهاونا به (ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾) لما طرده بسبب آدم حلف بعزة الله أن يضل بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشبه عليهم فمعنى: (لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ) لأستدعينهم إلى المعاصي وقد علم أنه لا يصل إلا إلى الوسوسة ولا يفسد إلا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾) أي الذين أخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى في (الحجر) بيانه.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مُجملًا القول في الآيات السابقة:

هذه القصة ذكرها الله تعالى في سورة (البقرة) وفي أول (الأعراف) وفي سورة (الحجر) و (سبحان) و(الكهف)، وهاهنا وهي أن الله سبحانه أعلم الملائكة قبل خلق آدم ع بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمإ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالًا لأمر الله ٥. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه ٥ فيه وادعى أنه خير من آدم

(٥٤٥) أحمر
أسود

فإنه مخلوق من نار وآدم خُلق من طين والنار خير من الطين في زعمه. وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله، وكفر بذلك فأبعده الله وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه «إبليس» إعلامًا له بأنه قد أبْلَس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يَعْجَل على من عصاه. فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾) كما قال: (أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾) [الإسراء: ٦٢]، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾) [الإسراء: ٦٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾).

ج: أما الحق الثاني، وهو قوله: (وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾) فمعناه عند الجماهير من العلماء، بل وبعضهم نفى الخلاف في قراءته وتفسيره، فهو بنصب الحق (وَالْحَقَّ)، ومعناه: وأقول الحقَّ.

أما الحق الأول: وهو (فَالْحَقُّ) فللعلماء فيه قراءتان:

أحدهما: الحقُّ بالضم، وله معانٍ حينئذٍ.

منها: الله الحقُّ.

ومنها: أنا الحقُّ.

ومنها: الحقُّ مني.

الثاني: الحقَّ (فيكون الحق الأول والحق الثاني منصوبتين) ومعناه: الزموا الحق - اتبعوا الحق.

(٥٤٦) أحمر
أسود

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري $:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول، ونصب الثاني. وفي رفع الحق الأول إذا قرئ كذلك وجهان:

أحدهما: رفعه بضمير لله الحق، أو أنا الحق وأقول الحق.

والثاني: أن يكون مرفوعًا بتأويل قوله: (لَأَمۡلَأَنَّ) فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فالحق أن أملأ جهنم منك، كما يقول: عزمة صادقة لآتينك، فرفع عزمة بتأويل لآتينك؛ لأن تأويله أن آتيك، كما قال: (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ) **[يوسف: ٣٥]**، فلا بُد لقوله: (بَدَا لَهُم) من مرفوع، وهو مضمر في المعنى. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثاني كليهما، بمعنى: حقًّا لأملأن جهنم والحق أقول، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وهو منصوب؛ لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء، كما سواء قولهم: حمدًا لله، والحمد لله عندهم إذا نصب. وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء بمعنى: الزموا الحق، واتبعوا الحق، والأول أشبه لأنه خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتباعه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لصحة معنييهما.

وأما الحق الثاني، فلا اختلاف في نصبه بين قراء الأمصار كلهم،

بمعنى: وأقول الحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾).

ج: هذا قسم أقسمه الله وإخبارٌ أخبر الله به لأملأن جهنم منك يا إبليس ومن ذريتك وممن تبعوكم من الجن والإنس.

قال ابن كثير $:

قلت: وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: (وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾) [السجدة: ١٣]. وكقوله تعالى: (قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾) [الإسراء: ٦٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك المنكرين ما جئت به (وهو القرآن وما فيه من أخبار ووعد ووعيد)، قل لهؤلاء: ما أسألكم على الإيمان بي وبهذا القرآن من أجر، وما أنا من متعمدي الاختلاق والكذب والإفك كما وصفتموني ووصفتم الكتاب الذي معي؛ إذ قلتم: (إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾) [ص: ٧]، وكما قلتم: (إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) [الفرقان: ٤]، فاعلموا أن هذا القرآن: (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) [القلم: ٥٢]، تذكيرٌ للإنس والجن بما فيه من وعدٍ ووعيد وتذكير بالجنة والنار والثواب والعقاب،

(٥٤٨) أحمر
أسود

وستعلمون (بَعۡدَ حِينٖ ٨٨) بعد وقت، صدق هذه الأخبار، وصدق ما فيه من وعدٍ ووعيد.

هذا، وللعلماء أقوال في تفسير الحين هاهنا، وإن كانت للحين معانٍ أوسع وأكثر.

أما معاني الحين هاهنا فمنها: أنه وقت الموت، فعندها يتحقق للعبد صدق ما كان يُخبر به.

الثاني: أنه يوم القيامة.

وأورد بعض العلماء وجهًا آخر حاصله أنه يوم بدر، فقد تحقق لكثير منهم صدق ما أُخبروا به.

أما من معاني الحين الأُخر فمنها الصباح والمساء، قال تعالى: (فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ) [الروم: ١٧-١٨]، ومنها فصول السنة: (صيف وشتاء...)، ومستنده قوله تعالى: (تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ) [إبراهيم: ٢٥].

وثمَّ أقوالٌ أُخر في هذا الباب.

وهذه أقوال بعض العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري $:

وقوله: (قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك (أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ) [ص: ٧]: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجرًا، يعني ثوابًا وجزاء (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦) يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه، فتقولون: (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦) و (إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٞ ٧) [ص: ٧].

(٥٤٩) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) قال: لا أسألكم على القرآن أجرًا تعطوني شيئًا، وما أنا من المتكلفين أتخرص وأتكلف ما لم يأمرني الله به.

وقال الطبري أيضًا في تأويل قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهؤلاء المشركين من قومك: (إِنْ هُوَ) يعني: ما هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) يقول: إلا تذكير من الله (لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾) من الجن والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة. وقوله: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾) يقول: ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه، يعني: نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ) قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به، قيل: (نَبَأَهُۥ) حقيقة أمر محمد □ أنه نبي.

قال الطبري $:

ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي، وما نهايتها؟ فقال بعضهم: نهايتها الموت.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قوله: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾)، أي: بعد الموت، وقال الحسن: يا ابن آدم! عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

قال الطبري: وقال بعضهم: كانت نهايتها إلى يوم بدر.

وقال بعضهم: يوم القيامة.

وقال بعضهم: نهايتها القيامة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ.

عن ابن زيد أيضًا في قوله: (وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾) قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: (لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾) **[الأنعام: ٦٧]**، قال: وهذا أيضًا الآخرة يستقر فيها الحق، ويبطل الباطل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدٍّ منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حدٍّ عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه. فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عكرمة: سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يدرك قوله: (وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾) والحين الذي يدرك قوله: (تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ) **[إبراهيم: ٢٥]**، وذلك من حين تصرم النخلة إلى حين تطلع، وذلك ستة أشهر.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به

(٥٥١) أحمر
أسود

أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة.

وأورد أثر عبد الله بن مسعود(١) **قال:** يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيكم ﷺ: (قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) أخرجاه من حديث الأعمش به.

تم بحمد الله.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).

تفسير سورة الزمر

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ
فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا
هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ
ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ
ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ
مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا
زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ
فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ
وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾) [الزمر: ١-٧].

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلْكِتَٰبِ -بِٱلْحَقِّ -مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ -ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ -أَوْلِيَآءَ-كَٰذِبٌ-كَفَّارٌ - لَّٱصْطَفَىٰ -سُبْحَٰنَهُۥ -ٱلْقَهَّارُ -يُكَوِّرُ -لِأَجَلٍ مُّسَمًّى -نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ -زَوْجَهَا -ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ -ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ -فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ -وَلَا تَزِرُ -وَازِرَةٌ -وِزْرَ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْكِتَٰبِ)	القرآن
(بِٱلْحَقِّ)	متضمنًا الحق - محتويًا على الحق - بالحق لا
(مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ)	مخلصًا له عبادتك لا تعبد معه غيره ولا ترائي
(ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ)	العبادة الخالصة لا يشوبها شيء
(أَوْلِيَآءَ)	أنصار - شفعاء
(كَٰذِبٌ)	كثير الكذاب - مفترٍ على الله
(كَفَّارٌ)	شديد الكفر
(لَّٱصْطَفَىٰ)	لاختار
(سُبْحَٰنَهُۥ)	تنزه
(ٱلْقَهَّارُ)	الذي قهر ويقهر الخلق بقدرته
(يُكَوِّرُ)	يمدُّ وقت الليل حتى يدخل في النهار ويغطي على
(لِأَجَلٍ مُّسَمًّى)	لوقتٍ مُحدَّد
(نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ)	المراد آدم ع
(زَوْجَهَا)	المراد حواء ز

(ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ)	الأنعام الثمانية (الجمل - الناقة - الثور - البقرة - الكبش - النعجة - الجدي - العنز).
(ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ)	ظلمة البطن - ظلمة الرحم - ظُلمة المشيمة
(فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ)	من أي وجهٍ تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره
(وَلَا تَزِرُ)	ولا تحمل
(وَازِرَةٞ)	نفس حاملة
(وِزۡرَ)	حمل (حملٌ من الآثام والأوزار)

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر؟

ج: ورد ذلك من طريق حماد بن زيد[(١)] عن أبي لبابة (مروان)[(٢)] عن عائشة ﷺ، وسنده صحيح لكن حكم عليه بعض العلماء بالشذوذ، وأراها شاذة كما قالوا؛ لأن المتن المطول له أن النبي ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم... وكان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل، وفي لفظ: وكان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، فحكم فريق من العلماء على هذه اللفظة بالشذوذ لمخالفة أبي لبابة لمن رووه عن عائشة ﷺ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٢)، أخرجه أحمد (٦/٦٨، ١٢٢، ١٨٩)، والترمذي في فضائل القرآن حديث (٢٩٢٠)، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥).

(٢) في ز، خ: مروان بن أبي لبابة، والمثبت من سنن النسائي، وغيره.

س: وضح معنى قوله تعالى: (تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذا الكتاب - الذي هو القرآن - نزل من عند الله ﷻ العزيز الذي لا يُغلب الحكيم في تشريعه الذي يشرع وفي تدبيره الذي يُدبر والحكيم في كل شيء.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب. والمؤدى واحد.

قال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن العظيم-من عنده، تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾).

[الشعراء: ١٩٢-١٩٥]

وقال: (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾) **[فصلت: ٤١، ٤٢]**. وقال هاهنا: (تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ) أي: المنيع الجناب، (ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾) أي: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسول الله القرآن متضمنًا الحق محتويًا عليه يأمر بالحق والعدل فاعبد الله وحده لا شريك

له ولا تشرك في عبادته أحدًا، واسمع له وأطع ولا تتجه بعبادتك إلى أحدٍ سواه، وكذا لا ترائى بعملك أحدًا من الخلق.

قال الطبري $:

وقوله: (إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب، يعني بالكتاب: القرآن، (بِٱلۡحَقِّ) يعني: بالعدل، يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرًّا ولا نفعًا.

وقال أيضًا:

وقوله: (فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢) يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فعلت عبدة الأوثان.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢) أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ).

ج: المعنى، والله أعلم، ألا إن العبادة والطاعة تكون لله وحده لا شريك له خالصة له لا يشاركه فيها أحدٌ ولا يُتجه بها إلى أحدٍ سواه.

قال الطبري $:

(١٠) أحمر
أسود

وقوله: (أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ) يقول تعالى ذكره: ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شريك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئًا.

قال السعدي $ «تيسير الكريم الرحمن»:

(أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ) هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتألّه لله في حبه وخوفه ورجائه، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بذم من أشرك به فقال: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ) أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ) أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئًا.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما

(١١) أحمر
أسود

أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلًا ونقلًا وفطرةً، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاجون إلى من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى: فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحمًا لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

(١٢) أحمر
أسود

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين-: (إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ).

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار. (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي) أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم (مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣) أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟!!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أشركوا في عبادة الله ﷻ فعبدوا معه غيره، وطلبوا النصرة من غيره، وقدموا الطاعة لغيره وسجدوا لغيره هؤلاء يقولون - إذا سألهم عن سبب صنيعهم هذا -: ما نعبدهم إلا ليقربوننا من الله ﷻ منزلةً، ويشفعوا لنا عند ربنا كي يرزقنا وكي يُنجينا وكي ينصرنا (وكل ذلك في الدنيا أما الآخرة فكانوا لها جاحدين منكرين).

قال الطبري $:

(١٣) أحمر
أسود

وقولـــه: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، وهي فيما ذكر في قراءة أبي: (**ما نعبدكم**)، وفي قراءة عبد الله: (**قالوا ما نعبدهم**) وإنما حسن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمرا كان أو ظاهرا، جعل الغائب أحيانا كالمخاطب، ويترك أخرى كالغائب، وقد بينت ذلك في موضعه فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير §:

ثم أخبر تعالى عن عُبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: (مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: (إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله

(١٤) أحمر
أسود

فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥] .

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، تعالى الله عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ﷻ يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم من أمر عبادتهم وأمر آخرتهم فيجازى أهل الشرك بسوء صنيعهم الذي صنعوه في دنياهم، ويجازى أهل التوحيد بفسيح الجنات.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعًا جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

(١٥) أحمر
أسود

أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾) [سبأ:٤١، ٤٠] .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ﷻ لا يوفق للهداية من كاذب على الله ﷻ جحود لآياته ونعمه منكرٌ لها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى) إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له (مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ) مفتر على الله، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدا افتراء عليه، كفار لنعمه، جحودًا لربوبيته.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾) أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كفار يجحد بآياته وبراهينه.

وقال القرطبي $:

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾) أي من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد أي للدين الذي ارتضاه وهو دين الإسلام كما قال الله تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) [المائدة : ٣] وفي هذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم.

(١٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لو أراد الله ﷻ أن يتخذ ولدًا كما يزعم المشركون من اليهود والنصارى وغيرهم لاختار من خلقه لنفسه أفضل ما يشاء، ولكنه تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا وتنزَّه عن ذلك تنزيهًا عظيمًا، فهو الله وحده لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وهو الذي قهر كل شيء بقدرته، فالجميع عبيده يفعل فيهم ما يشاء ويمضي فيهم ما يريد.

قال الطبري $:

وقوله: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول: لاختار من خلقه ما يشاء. وقوله: (سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾) يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ ٱللَّهُ) يقول: هو الذي يعبده كل شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبدا، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأنى يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل، ومن سطوته خاشع.

وقال ابن كثير $:

ثم بيَّن تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير، وعيسى فقال: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن

(١٧) أحمر
أسود

يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ) أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون . وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: (لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾) [الأنبياء:١٧] (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾) [الزخرف:٨١]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم.

وقوله: (سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾) أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ) أي لو أراد أن يسمي أحدًا من خلقه بهذا ما جعله ٥ إليهم. (سُبْحَٰنَهُۥ) أي: تنزيهًا له عن الولد (هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾).

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: (يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ) [الحج: ٦١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ

(١٨) أحمر
أسود

عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ) **الآية.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ غنيٌّ عن كل خلقه فهو الذي خلق السموات والأرض، ولم يخلقها لعبًا ولا لهوًا بل خلقهما لأمور جليلة عظيمة، منها استدلال الخلق بها على وحدانية ربهم ﷻ وعلى قدرته على البعث والثواب والعقاب، ثم هو سبحانه يمدُّ الليل ويطوله حتى يأخذ من وقت النهار ويمدُّ النهار ويطوِّله حتى يأخذ من وقت الليل، وكذا من قدرته والأدلة على وحدانيته أنه سبحانه سخر الشمس والقمر كل منهما يجري في مجراه إلى أجل قد سماه الله ﷻ وحدَّده وعند انتهائه يتوقف جريانهما ألا هو العزيز القوي الغالب الذي يقضي ما يريد ويفعل ما يشاء لا دافع لما أراد، ولا راد لما قضى ومع ذلك - مع أنه العزيز تبارك وتعالى وتمجد، فهو الغفار كذلك، يغفر للعباد ذنوبهم ويتجاوز لهم عن خطاياهم، قد فتح باب التوبة بقوله: (ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥) أمام المستغفرين.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره واصفًا نفسه بصفتها: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ) يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ) [الحج: ٦١].

وقال $:

وقوله: (وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ) يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم (كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ) يقول: (كُلّٞ) ذلك يعني الشمس والقمر (يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ) يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى

(١٩) أحمر
أسود

أن تكور الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه (أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥) يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وأنه مالك الملك المتصرف، فيه يقلب ليله ونهاره، (يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ) أي: سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، كقوله: (يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) [الأعراف:٥٤] هذا معنى ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وغيرهم .

وقوله: (وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ) أي: إلى مدة معلومة عند الله ثم تنقضي يوم القيامة. (أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥) أي: مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ) أي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشرك به ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل وقوله تعالى : (يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ) قال الضحاك : أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح

(٢٠) أحمر
أسود

الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع أي ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية قال : ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى : (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ) [فاطر : ١٣] وقيل : تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى : (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا) [الأعراف : ٥٤]، (وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ) أي بالطلوع والغروب لمنافع العباد (كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ) أي في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة [حين] تنفطر السماء وتنتثر الكواكب وقيل : الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي : يسران إلى أقصى منازلهما ثم يرجعان إلى أدني منازلها لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة (يس) (أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥)، (أَلَا) تنبيه أي تنبهوا فإني أن (ٱلۡعَزِيزُ) الغالب (ٱلۡغَفَّٰرُ ٥) الساتر لذنوب خلقه برحمته.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنفس الواحدة، وما المراد بزوجها، وكيف خلق منها زوجها؟

ج: النفس الواحدة آدم ﷺ، والمراد بزوجها حواء ﷺ، وقد خلقت من ضلع من أضلاعه كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خلقت**

(٢١) أحمر
أسود

من ضلع»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالإنزال في قوله تعالى: (وَأَنزَلَ لَكُم ...)؟

ج: المراد، والله أعلم، وخلق لكم أو جعل لكم.

قال القرطبي $:

(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ) أخبر عن الأزواج بالنزول لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل هذا يسمى التدريج ومثله قوله تعالى : (قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) [الأعراف : ٢٦] الآية وقيل : أنزل أنشأ وجعل وقال سعيد بن جبير : خلق وقيل : إن الله تعالى خلق هذه الأنعام في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض كما قيل في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد : ٢٥]، فإن آدم لما هبط إلى الأرض أنزل معه الحديد وقيل : (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ) أي أعطاكم وقيل : جعل الخلق إنزالا لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء فالمعنى : خلق لكم كذا بأمره النازل قال قتادة: من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأزواج الثمانية؟

ج: هي المذكورة في قوله تعالى: (ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِي

(١) البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

(٢٢) أحمر
أسود

بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ) [الأنعام: ١٤٣-١٤٤] الآيات، فهي الجمل والناقة والثور والبقرة، والكبش والنعجة والجدي والعنز.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالظلمات الثلاث؟

ج: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، كذا قال جمهور المفسرين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ...) الآية.

ج:- المعنى، والله أعلم، خلقكم الله ﷻ يا بني آدم من نفس واحدةٍ وهي آدم ﷺ، فقد كنتم في ظهره وفي صلبه ثم خلق حواء ﷺ من ضلع من أضلاع آدم ﷺ وكذا خلق لكم في الأرض التي تعيشون عليها ثمانية أزواج من الأنعام، وهي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز، ثم بيَّن الله ﷻ أحوال خلقنا في بطون أمهاتنا فقال: يخلقكم (يا بني آدم) في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، أي أنكم تكونون نطفة ثم علقة ثم مضغة.. كما ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم وكما ذكر النبي ﷺ في سنته[(١)].

(١) انظر البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢٣) أحمر
أسود

أما قوله: (فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ)، فهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة،. فهذا. خالقكم و.ربكم و إلهكم له مُلك كل شيء يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

وهو إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه فمن أي وجهٍ تُصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان والتوحيد إلى الكفر والشرك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (خَلَقَكُم) أيها الناس (مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) يعني: من آدم(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه.

وقال:

وقوله: (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ) يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جلَّ ثناؤه: (ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣].

وقال:

وقوله: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ) يقول تعالى ذكره: يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم ينشئه خلقًا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق.

(٢٤) أحمر
أسود

وقال:

وقوله: (فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ) يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

وقال:

وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعًا، ولا يدفع عنها ضرًّا، ولا يسوق إليكم خيرا، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم.

وقوله: (لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ) يقول جل وعز: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقدرته ما بين لكم الملك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئا دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق فلله الواحد القهار.

وقوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦) يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له (فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦) يقول تعالى ذكره: فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع.

(٢٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة، وهو آدم ﷺ (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ، وهي حواء، عليهما السلام، كقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً) [النساء:١] .

وقوله: (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ) أي: وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية، أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام: (ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ) [الأنعام:١٤٣] ، (وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٤] وقوله: (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ) أي: قدركم في بطون أمهاتكم (خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ) أي: يكون أحدكم أولا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر، (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾) [المؤمنون:١٤] .

وقوله: (فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ) يعني: ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة -التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد -وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ) أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾) أي: فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يُذْهَبُ بعقولكم؟!

❁ ❁ ❁

(٢٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧).

ج: المعنى، والله أعلم، إن تكفروا يا بني آدم، فإن كفركم لن يضر الله شيئًا، وإيمانكم لن ينتفع به ربكم ٥ ولكن ربنا سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده أن يكونوا كفارًا ويرضى منكم أن تشكروه ويثيبكم على شكركم له ولا تحمل نفس إثم نفسٍ أُخرى بل كل نفس تحمل إثم ما ارتكبته وما اجتنته ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة بعد بعثكم وخروجكم من قبوركم فيخبركم ربكم سبحانه وتعالى بما كنتم تعملون في دنياكم إنه عليم بما تخفيه الصدور.

قال الطبري $:

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جل وعز: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب.

وقوله: (وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ) يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكر، وإنما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا) [آل عمران: ١٧٣] بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانًا.

(٢٧) أحمر
أسود

وقال أيضًا:

وقولـه: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) يقـول: لا تـأثم آثمـة إثـم آثمـة أخـرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يعلم ﷻ عباده أن على كل نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها.

وقال:

وقولـه: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، (فَيُنَبِّئُكُم) يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيئ بما يستحقه، يقول ﷻ لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم.

وقوله: (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محص على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سر أمورهم وعلانيتها.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه تعالى: أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى: (إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾).

(٢٨) أحمر
أسود

[إبراهيم: ٨]

وفي صحيح مسلم[(١)]: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**».

وقوله: (وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ) أي: لا يحبه ولا يأمر به، (وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ) أي: يحبه منكم ويزدكم من فضله.

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ) أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئا، بل كل مطالب بأمر نفسه، (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧) أي: فلا تخفى عليه خافية .

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

قال الله تعالى:

(۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا
كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ
إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا
شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ
بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ
ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ
تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾)

[الزمر: ٨-٢٠]

(٣٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(مَسَّ -ضُرٌّ -مُنِيبًا -خَوَّلَهُۥ -أَندَادًا -لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ -قَٰنِتٌ -ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ -يَتَذَكَّرُ - أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ -ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ -ظُلَلٌ -فَٱتَّقُونِ -ٱلطَّٰغُوتَ -وَأَنَابُوٓاْ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصاب
(ضُرٌّ)	شدة - مرض – فقر
(مُنِيبًا)	راجعًا إليه – تائبًا
(خَوَّلَهُۥ)	أعطاه – منحه
(أَندَادًا)	أمثالًا - شركاء
(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ)	ليصرف الناس بصنيعه عن طاعة الله
(قَٰنِتٌ)	قائم في الصلاة مُطيل القيام - طائع لربه
(ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)	ساعات الليل - أوله ووسطه وآخره
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعتبر
(أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)	أصحاب العقول النيرة الرشيدة
(ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ)	اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية - احذروا غضب ربكم
(ظُلَلٌ)	ظلٌّ - مظلة - سقف
(فَٱتَّقُونِ)	فاحذروا غضبي وعذابي

(٣١) أحمر
أسود

(ٱلطَّٰغُوتَ)	كل ما عبد من دون الله (من صنم ووثن وشيطان وساحر وكاهن - ومدعي للربوبية والإلهية...)
(وَأَنَابُوٓاْ)	رجعوا - تابوا

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ...) الآية.

ج: يبين الله ﷻ حال هذا الإنسان الكافر الجاحد لنعم الله ﷻ، أنه إذا أصابه ضرٌ في بدنه أو فقرٌ أو شدة اتجه إلى ربِّه ﷻ سائلًا راجيًّا منيبًا توابًا ثم إذا عافاه الله ﷻ ومنحه الصحة والمال وكشف عنه شدته التي ألمت به إذا به ينسى ربه ﷻ، وينسى نعم الله عليه، بل ويجعل الله ﷻ شركاء يعبدهم من دون الله ليقتدي به الناس في ذلك فينصرفون عن طاعة الله وتوحيده إلى الشرك به والكفر بنعمه، فقل يا رسول الله مهددًا هذا الشخص الجاحد الكافر، تمتع بما أنت عليه من دنياك الفانية الزائلة واكفر ما شئت أن تكفر فكل هذا المتاع الذي أنت فيه قليل وزائل وفانٍ وإنك من أصحاب النار.

وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا مس الإنسان بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدة في معيشته، وجهد وضيق (دَعَا رَبَّهُۥ) يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك. وقوله: (مُنِيبًا إِلَيۡهِ) يقول: تائبا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعا إلى طاعته.

(٣٢) أحمر
أسود

وقوله: (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ) يقول تعالى ذكره: ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضره، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء.

والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره: قد خوله.

وقوله: (نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ) يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا) يعني: شركاء.

ولـ(مَا) التي في قوله: (نَسِيَ مَا كَانَ) وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي، ويكون معنى الكلام حينئذ: ترك الذي كان يدعوه في حال الضر الذي كان به، يعني به الله تعالى ذكره، فتكون (مَا) موضوعة عند ذلك موضع (من) كما قيل:(وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣) **[الكافرون: ٣]** يعني به الله، وكما قيل: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) **[النساء: ٣]**. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر، كان في الهاء التي في قوله: (إِلَيۡهِ) وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما. والآخر: من ذكر الرب.

وقوله: (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا) يقول: وجعل لله أمثالا وأشباها.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادا، قال بعضهم: جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه في معاصي الله.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فجعل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق

(٣٣) أحمر
أسود

عتاب الله إياهم له على عبادتها.

وقوله: (لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ) يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾) : أي إنك من أهل النار الماكثين فيها. وقوله: (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) : وعيد من الله وتهدد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ) أي: عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾) [الإسراء:٦٧]. ولهذا قال: (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ

دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ).

[يونس: ١٢]

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ) أي: في حال العافية يشرك بالله، ويجعل له أندادا. (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾) أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلا. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، كقوله: (قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾) [إبراهيم:٣٠]، وقوله: (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾) [لقمان:٢٤].

(٣٤) أحمر
أسود

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ) الله (نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ) بأن كشف ما به من الضر والكربة، (نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ) أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه.

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ) أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

(قُلۡ) لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: (تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨) فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الهمزة في قوله تعالى: (أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ..).

ج: من العلماء من قال إنها للنداء فيكون المعنى يا من هو قانت آناء الليل... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ومن العلماء من قال إنها استفهامية كما قال تعالى: (أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨) [السجدة: ١٨].

❁ ❁ ❁

س: أين جواب الاستفهام في قوله تعالى: (أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ).

(٣٥) أحمر
أسود

ج: جوابه محذوف مفهوم من السياق، والمعنى هل يستوي هذا مع المضيع لأوامر الله ﷻ المتغافل عن طاعته المُعرض عن توحيده.

كالآية الأخرى: أفنجعل المسلمين كالمجرمين.

وكقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ [السجدة: ١٨]، إلى غير ذلك.

(٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ...).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفمن هو قائم لله ﷻ مطيع له يصلي له من الليل أحيانًا ساجدًا مُطيلًا للسجود وأحيانًا مطيلًا للقيام يسأل ربه أن يصرف عنه العذاب في الآخرة ويسأله سبحانه أن يرحمه ويدخله جنته، قل هل يستوي الذي يعلمون أن هناك بعثٌ وثواب وعقاب والذين لا يعلمون ذلك، كلا فليس هناك استوءا إنما يتعظ أصحاب العقول النيرة الرشيدة.

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: (۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾) [آل عمران:١١٣]، وقال هاهنا: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا) أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون.

وقال:

وقوله: (يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ) أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: (يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ) ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

وقال:

(٣٧) أحمر
أسود

وقوله: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله؟! (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾) أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل.

وقال الطبري $:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (أَمَّنْ) فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين: (**أمن**) بتخفيف الميم، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في (أمن) بمعنى الدعاء، يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا، فتقول: أزيد أقبل، ويا زيد أقبل، ومنه قول أوس بن حجر:

أبني لبيني لستم بيد ... إلا يد ليست لها عضد

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة، ويكون في النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة، فحذف الخبر عما له، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره، إذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور.

والثاني: أن تكون الألف التي في قوله: «أمن» ألف استفهام، فيكون معنى الكلام: أهذا كالذي جعل لله أندادا ليضل عن سبيله، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه، إذ كان مفهوما المراد بالكلام، كما قال الشاعر:

(٣٨) أحمر
أسود

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده.

وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: (أَمَّنْ) بتشديد الميم، بمعنى: أم من هو؟ ويقولون: إنما هي (أَمَّنْ) استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى، فجاء بأم، فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر، وما أعد له في الآخرة، ثم أتبع الخبر عن فريق الإيمان، فعلم بذلك المراد، فاستغني بمعرفة السامع بمعناه من ذكره، إذ كان معقولا أن معناه: هذا أفضل أم هذا؟.

والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والإعراب، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وأورد الطبري جملة من المعاني لقوله: (قَٰنِتٌ).

منها: قراءة القارئ قائمًا في الصلاة.

ومنها: الطاعة.

وقال:

وقوله: (سَاجِدًاوَقَآئِمًا) يقول: يقنت ساجدًا أحيانًا، وأحيانًا قائمًا، يعني: يطيع، والقنوت عندنا الطاعة، ولذلك نصب قوله: (سَاجِدًاوَقَآئِمًا) لأن معناه: أمن هو يقنت آناء الليل ساجدًا طورًا، وقائما طورا، فهما حال من قانت.

وقوله: (يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ) يقول: يحذر عذاب الآخرة.

(٣٩) أحمر
أسود

وقال:

وقولـه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرًا، ولا يخافون بسيئها شرًّا؟ يقول: ما هذان بمتساويين.

وقولـه: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجا، لا أهل الجهل والنقص في العقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ...).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله يا من آمن من عباد الله جعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتثال أمره وبطاعته واجتناب نواهيه فالذين أطاعوا منكم وراقبوا الله ﷻ واتقوه في هذه الدنيا لهم حسنة عند الله ﷻ مدخرة، فإذا لم تستطيعوا طاعة الله وإقامة أمره واجتناب نهيه في مكان، فها هي أرض واسعة فهاجروا إلى مكانٍ تستطيعون فيه إقامة دينكم، فالصابرون على طاعة الله ﷻ يوفيهم الله أجورهم يوم القيامة في الجنة بلا حساب فيتفضل عليهم بما يشاء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لعبادي الذين آمنوا:

(٤٠) أحمر
أسود

(يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) بـالله، وصـدقوا رسـوله (ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ) بطاعتـه واجتنـاب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ).

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا، وقال: (فِي) من صلة حسنة، وجعل معنى الحسنة: الصحة والعافية.

وقال آخرون: (فِي) من صلة أحسنوا، ومعنى الحسنة: الجنة.

وقوله: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

وقولـه: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠) يقـول تعـالى ذكـره: إنمـا يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه: (قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ) أي: لمـن أحسـن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم.

وقولـه: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) قـال مجاهـد: فهـاجروا فيهـا، وجاهـدوا، واعتزلوا الأوثان.

وقال شريك، عن منصور، عن عطاء في قوله: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) قال: إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا، ثم قرأ: (أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ).

[النساء:٩٧]

وقوله: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠) قال الأوزاعي: ليس يوزن

لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا.

وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك.

وقال السدي: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾) يعني: في الجنة.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان» في معنى قوله تعالى: (وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ): الظاهر أن معنى الآية: أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلًّا تمكنه فيه إقامة دينه.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ) [النساء: ٩٧]. وقوله تعالى: (يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) [العنكبوت: ٥٦]، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله: (فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) على قوله: (إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ) دليل واضح على ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لقومك ومن بعثت فيهم إن الله ٥ أمرني أن أُفرده وحده بالعبادة وأتجه إليه بالطاعة ولا أشرك معه أحدًا في العبادة وكذا أمرني ربي أن أكون أول المسلمين من أمتي، أول من وحَّده من أمتي وقل لهم أيضًا إنني أخشى إذا خالفت ربي في هذا الذي أمرني به عذاب يوم القيامة، وهو عذاب شديد عظيم، وبنحو هذا قال أهل

(٤٢) أحمر
أسود

العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه □: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾) : يقول: وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾) : يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية. (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾) : يعني عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله.

❁ ❁ ❁

س: كيف يؤمر صلوات الله وسلامه عليه أن يكون أول المسلمين، والأنبياء من قبله كانوا على الإسلام، قال يعقوب غ لبنيه: (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾) [البقرة: ١٣٢].

ج: المراد، والله أعلم، أول المسلمين من أمته.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾) أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾) قال السدي: يعني من أمته □.

يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله: (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

(٤٣) أحمر
أسود

عَظِيمٍ ﴿١٣﴾)، وهو يوم القيامة. وهذا شَرْط، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ) هل يخوِّل لهم أن يعبدوا الأصنام؟

ج: لا يخوِّل لهم ذلك، إنما هو على سبيل التهديد للكفار وبيان ثبات النبي ﷺ على الحق، وهذه الآية كقوله تعالى: (فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ) [الكهف: ٢٩]، وكقوله تعالى: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ) [فصلت: ٤٠]، ونحو ذلك، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لقومك إنني أعبد الله ﷻ وحده لا شريك له، وسأستمر على تلك العبادة مُفردًا له بها دون ما سواه من الأصنام والأنداد فاعبدوا ما شئتم يا مشعر قريش من شاء أن يعبد صمنًا عبده، ومن شاء أن يعبد حجرًا عبده، ومن شاء أن يعبد شجرًا عبد، ومن شاء أن يعبد شيطانًا عبد، ومن شاء أن يعبد أي إلهٍ آخر عبده، فستعلمون عاقبة أمري وعاقبة أمركم وسنجازي بصنيعنا وستجازون بصنيعكم، فالخاسرون حق الخسران هم الذين ضيعوا أنفسهم وباعوها بأتفه الأثمان، واعتاضوا عن الإيمان بالشرك بالله، فهؤلاء الذين خسروا أنفسهم وضيعوها وخسروا أهليهم كذلك يوم القيامة، فإنهم إذا دخلوا النار، ودخل أهلوهم النار معهم فهنالك بينهم التلاعن والسباب، وإذا دخل

(٤٤) أحمر
أسود

أهلوهم الجنة فسيتبرأ أهلوهم منهم كذلك، فهذا هو الخسران الحقيقي أن يخسر الشخص نفسه ويوردها نارًا تلظى، وكذا أن يخسر أهله ومحبيه ويخسر حور العين اللواتي أعدهن له إذا كان قد أسلم بل ويلعنونه في الجحيم. والعياذ بالله.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكًا، ولكني أفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم.

وقوله: (قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غبنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون.

وقوله: (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾) يقول تعالى ذكره: ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران.

وقال ابن كثير $:

(قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ) وهذا أيضا تهديد وتبرٍّ منهم، (قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ) أي: إنما الخاسرون كل الخسران (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

(٤٥) أحمر
أسود

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾) أي: هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بشركهم وكفرهم بالله ۵ أعد لهم الله ۵ نارًا تلظى، وكذا الظِّل الذي يستظلون به نارٌ كذلك كما قال تعالى: (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) **[المرسلات: ٣٠-٣١]**، وكما قال: (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ). **[الواقعة: ٤٣]**

وكما قال تعالى: (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) **[الأعراف: ٤١]**، فهذا الخطر العظيم يحذر الله منه العباد ويخوفهم به ليقلعوا عن شركهم، فشركهم الذي يتسبب لهم فيه، ويحثهم ربنا على طاعته فطاعته تنجيهم من ذلك.

وقوله: (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾) أي: فاحذروا عذابي، واتقوا غضبي.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم: (مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) يقول: ومن

(٤٦) أحمر
أسود

تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم: (مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: ٤١] يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد.

وقوله: (ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾) يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتتيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة (فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾) يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصي، لتنجوا من عذابي وسخطي.

وقال ابن كثير $:

ثم وصف حالهم في النار فقال: (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) كما قال: (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾) [الأعراف:٤١]، وقال: (يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾) [العنكبوت:٥٥].

وقوله: (ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ) أي: إنما يَقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمآثم.

وقوله: (يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾) أي: اخشوا بأسي وسطوتي، وعذابي ونقمتي .

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالطاغوت؟

(٤٧) أحمر
أسود

ج: المراد بالطاغوت كل ما عُبد من دون الله ﷻ من شيطان وصنم وكبير قومٍ وساحر وكاهن وغير ذلك، فهو كل من تجاوز به العباد الحدَّ فعبدوه من دون الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨).

ج: المعنى، والله أعلم، والذين ابتعدوا عن الآلهة التي عُبدت من دون الله من أصنام وأوثان وأشجار وأحجار، وشياطين وكهان وسحرة ومردة وغير ذلك مما عُبد من دون الله، فاتقوها وابتعدوا عنها وجانبوها، ورجعوا إلى الله ﷻ وإلى عبادته وحده لا شريك له، هؤلاء المبشرون في دنياهم بأن لهم الجنة في الآخرة فبشرهم بذلك يا رسول الله، بشر هؤلاء العباد الصالحين المتقين الذين يستمعون الأقوال فيأخذون بأحسنها وأوضحها وأدلها على توحيد الله ﷻ وهي الآيات البينات النيرات، فهؤلاء المتبعون للآيات البينات النيرات هم الذين وفقهم الله لسلوك طريق الحق، ذلكم الطريق الموصل إلى جنة الله ومرضاته، هؤلاء هم أصحاب العقول النيرة الرشيدة إذ اختاروا توحيد الله على الشرك به واختاروا الاستقامة على أمره.

قال الطبري $:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ) : أي اجتنبوا كل ما عبد من دون الله من

(٤٨) أحمر
أسود

شيء.

وقال:

وقوله: (وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ) يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وقال:

وقوله: (لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ) يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة (فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد □: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ) يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر، ولا ينفع. وقوله: (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾) يعني: أولو العقول والحجا.

وقال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ) التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه

(٤٩) أحمر
أسود

وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ).

أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول، ما جاء به النبي ، من وحي الكتاب والسنة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله تعالى: (أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ) الآية [المؤمنون: ٦٨]. وقوله تعالى: (إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤) [الطارق: ١٣-١٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ) أي: يقدمون الأحسن، الذي هو أشد حسنًا، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدمون الأحسن مطلقًا على الحسن. ويدل لهذا آيات من كتاب الله.

أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع. ما أنزل عليه من الوحي، فهو في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) [الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة: (فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ).

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه.

واعلم أولًا أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلًا قوله تعالى: (وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧) [الحج: ٧٧] قدموا فعل الخير الواجب، على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير، على مطلق الحسن الذي هو الجائز، ولذا كان الجزاء بخصوص الأحسن الذي هو الواجب

(٥٠) أحمر
أسود

والمندوب، لا على مطلق الحسن، كما قال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾) [العنكبوت: ٧]. وقال تعالى: (وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾) [الزمر: ٣٥] كما قدمنا إيضاحه في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾) [النحل: ٩٧]، وبينا هناك دلالة الآيات على أن المباح حسن، كما قال صاحب المراقي:

ما ربنا لم ينه عنه حسن وغيره القبيح والمستهجن

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾) [النحل: ١٢٦]، فالأمر في قوله: (فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ) للجواز، والله لا يأمر إلا بحسن. فدل ذلك على أن الانتقام حسن، ولكن الله بين أن العفو والصبر، خير منه وأحسن في قوله: (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾) وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، كقوله تعالى في إباحة الانتقام: (وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾) [الشورى: ٤١]، مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه، في قوله بعده: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾)، وكقوله في جواز الانتقام: (۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ) [النساء: ١٤٨]، مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته جل وعلا مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده: (إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾) [النساء: ١٤٩]. وكقوله جلَّ وعلا مثنيًا على من تصدق، فأبدى صدقته (إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ

(٥١) أحمر
أسود

فَنِعِمَّا هِيَ) [البقرة: ٢٧١]، ثم بين أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم، في قوله: (إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [البقرة: ٢٧١].

وكقوله في نصف الصداق اللازم، للزوجة بالطلاق، قبل الدخول: (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) [البقرة: ٢٣٧]، ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن، لأن الله شرعه في كتابه في قوله: (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) [البقرة: ٢٣٧]، مع أنه رغب كل واحد منهما، أن يعفو للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى وذلك في قوله بعده: (وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة: ٢٣٧].

وقد قال تعالى: (وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)، ثم أرشد إلى الأحسن بقوله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ) [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: (وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ)، ثم أرشد إلى الأحسن، في قوله: (فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ) [المائدة: ٤٥].

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالًا غير الذي اخترنا.

منها ما روي عن ابن عباس، في معنى: (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ) قال: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به».

وقيل: «يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن».

وقيل: «إن المراد بأحسن القول: لا إله إلا الله»، وبعض من يقول بهذا يقول: «إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله قبل بعث الرسول ، كزيد

(٥٢) أحمر
أسود

بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: (فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ) وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا كان من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا) الآية [الزمر: ٢٣].

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا) الآية.

أولئك الذين (يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ) لأحسن الأخلاق والأعمال (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾) أي: العقول الزاكية.

ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول

(٥٣) أحمر
أسود

الصحيحة، أو الذي يميز، لكن لما غلبت شهوته على عقله، فبقي عقله تابعًا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾).

ج: هذه الآية الكريمة كالمواساة لرسول الله ﷺ فالمعني لا تحزن يا رسول الله من عدم إسلامهم وعدم إيمانهم، فالذي سبق في علم الله أنه سيكون من أهل النار سيكون ولا بُدَّ من أهلها ولن تستطيع مهما بذلت معه من جهدٍ أن تهديه، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ): أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شَقِي تَقْدر تُنْقذُه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له .

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾).

أظهر القولين في الآية الكريمة: أنهما جملتان مستقلتان، فقوله: (أَفَمَنْ

(٥٤) أحمر
أسود

حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ)، جملة مستقلة، لكن فيها حذفًا، وحذف ما دل المقام عليه واضح، لا إشكال فيه.

والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب، تخلصه أنت منه؟ والاستفهام مضمن معنى النفي، أي: لا تخلص أنت يا نبي الله أحدًا سبق في علم الله أنه يعذبه من ذلك العذاب، وهذا المحذوف دل عليه قوله بعده: (أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩).

وقد قدمنا مرارًا قولي المفسرين في أداة الاستفهام المقترنة بأداة عطف كالفاء والواو وثم كقوله هنا: (أَفَمَنۡ حَقَّ)، وقوله: (أَفَأَنتَ تُنقِذُ).

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الغُرف التي أُعدت لأهل الإيمان في فسيح الجنان.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراؤون الغرفة في الجنة كما تراءؤون الكوكب في السماء**»، وفي الصحيحين (٢) أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراؤون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء. لا يبلغها غيرهم. قال: «**بلى، والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله**

(١) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠)، واللفظ له.
(٢) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، واللفظ له.

وصدقوا المرسلين».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ...) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، لكن الذين خافوا الله واجتنبوا الشرك به وعبدوا الله وحده لا شريك له وأطاعوه لهم يوم القيامة غرفٌ من فوقها غرف مبنية بعضها - كما في الأحاديث بلبنةٍ من ذهب وبلبنيةٍ من فضة، وبعضها من ذهب وبعضها من فضة... تجري تحت قصورها الأنهار، فهذا تحقيق وعد الله الذي وعدهم إياه، ولا يخلف الله الميعاد.

قال الطبري $:

وقوله: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ) يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ) يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار.

وقوله: (وَعۡدَ ٱللَّهِۖ) يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين (لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠) يقول جل ثناؤه: والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعده.

وقال ابن كثير $:

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة، وهي القصور الشاهقة (مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ) ، أي: طباق فوق طباق، مَبْنيات محكمات

(٥٦) أحمر
أسود

مزخرفات عاليات.

وقولـه: (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ) أي: تسلك الأنهار بين خلال ذلك، كما يشاؤوا وأين أرادوا، (وَعۡدَ ٱللَّهِۖ) أي: هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠).

❁ ❁ ❁

(٥٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ
زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن
رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ
أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾)

[الزمر: ٢١-٣١]

(٥٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَسَلَكَهُۥ -يَنَٰبِيعَ -يَهِيجُ -مُصۡفَرّٗا -حُطَٰمًاۚ -لَذِكۡرَىٰ -شَرَحَ -فَوَيۡلٞ -لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم -ضَلَٰلٖ -مُّتَشَٰبِهٗا -مَّثَانِيَ -تَقۡشَعِرُّ -يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ -عِوَجٖ -مُّتَشَٰكِسُونَ -سَلَمٗا -تَخۡتَصِمُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَسَلَكَهُۥ)	فأدخله
(يَنَٰبِيعَ)	جمع ينبوع وهو العين - عيون
(يَهِيجُ)	ييبس
(مُصۡفَرّٗا)	أصفر (بعد خُضرته)
(حُطَٰمًاۚ)	متفتتًا
(لَذِكۡرَىٰ)	لعظةً وعبرةً
(شَرَحَ)	وسَّع - فسح
(فَوَيۡلٞ)	توعدٌ بعذاب شديد - واد في جهنم
(لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم)	للذين لا تلين قلوبهم ولا تخضع للحق
(ضَلَٰلٖ)	بُعد عن الصواب والهدى
(مُّتَشَٰبِهٗا)	يشبه بعضه بعضًا في الحسن والأحكام
(مَّثَانِيَ)	متكرر - تتكرر معانيه وتتكرر الأوامر فيه بالشيء الواحد حتى يفهم، وكذا القصص
(تَقۡشَعِرُّ)	تضطرب من الخوف

(٥٩) أحمر
أسود

(يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)	يدفع النار عن نفسه بوجهه - لا يجد ما يدافع به عن نفسه إلا وجهه فيستقبل به أسوأ العذاب
(عِوَجٍ)	لبس - اختلاف - تعارض - تضاد
(مُتَشَٰكِسُونَ)	مختلفون وأخلاقهم سيئة
(سَلَمًا)	خالصًا (لا يشاركه فيه غيره)، وقيل: سلمًا ضد
(تَخْتَصِمُونَ)	تتحاكمون

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ..) الآية.

ج: ألم تر بعينيك ومن ثَمَّ تستدل بها على وحدانية الله وقدرته وعلى البعث بعد الموت ألم تر ما يحدث أمام عينيك فالله ﷻ أنزل من السماء ماءً فأدخل في عيونه في الأرض - فكل الماء الذي في الأرض إنما هو من السماء - فيخرج ربنا ﷻ وتعاظم وتقدس يُخرج من هذه الأرض صنوفًا من الزروع مختلفة الأشكال والألوان والأطعمة والروائح ثم ييبس هذا النبات من بعد خضرته، ويذبل من بعد بهجته فتراه مصفرًّا بعد اخضرار ثم يجعله يابسًا يتفتت ويتكسر كالتبن ونحو ذلك، إن في هذا الذي يحدث أمامك وتراه بعينك لعظةٍ يتعظ بها من أنار الله بصيرته وأحيا قلبه، وكذا عبرة لمن أراد أن يعتبر ولكن المعتبر هو من هداه الله ووفقه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٦٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ) يقول: فأجراه عيونًا في الأرض، وأحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض.

وقال:

(زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ) يعني: أنواعًا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) يقول: ثم ييبس ذلك الزوع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوى: هاجت الأرض، وهاج الزرع.

وقوله: (فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) يقول: فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر (ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا) والحطام: فتات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فتاتا متكسرا.

وقوله: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾) يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فنائه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى: أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى:

(٦١) أحمر
أسود

(وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾) [الفرقان:٤٨]، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، ويُنْبِعه عيونًا ما بين صغار وكبار، بحسب الحاجة إليها؛ ولهذا قال: (فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ).

وقوله: (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) أي: ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعًا (مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، (ثُمَّ يَهِيجُ) أي: بعد نضارته وشبابه يكتهل (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) ، قد خالطه اليُبْس، (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) أي: ثم يعود يابسًا يتحطم، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾) أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خَضرةً نضرةً حسناء، ثم تعود عَجُوزا شوهاء، والشاب يعود شيخًا هَرِما كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كله الموت. فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعا وثمارا، ثم يكون بعد ذلك حُطاما، كما قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾) [الكهف:٤٥] .

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى: (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾).

قوله: (ثُمَّ يَهِيجُ): أي: ثم بعد نضارة ذلك الزرع وخضرته ييبس، ويتم جفافه ويثور من منابته فتراه أيها الناظر مصفرًا يابسًا، قد زالت خضرته

(٦٢) أحمر
أسود

ونضارته. (ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا) أي: فتاتًا، متكسرًا، هشيمًا، تذروه الرياح، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من حالات ذلك الزرع، المختلف الألوان، (لَذِكْرَىٰ) أي: عبرة وموعظة وتذكيرًا (لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾). أي: لأصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، فقد ذكر جل وعلا مصير هذا الزرع على سبيل الموعظة والتذكير، وبين في موضع آخر، أن ما وعظ به خلقه هنا من حالات هذا الزرع شبيه أيضًا بالدنيا. فوعظ به في موضع وشبه به حالة الدنيا في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى في سورة الحديد: (ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا) [الحديد: ٢٠]. ويبين في سورة الروم أن من أسباب اصفراره المذكور إرسال الريح عليه، وذلك في قوله: (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾) [الروم: ٥١].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله: (لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ)؟

ج: قال بعض أهل العلم إن معناها الذين تقسوا قلوبهم بذكر الله ولا تلين.

وقال آخرون: إن (مِّن) بمعنى: عن، أي: فويل للقاسية قلوبهم عن ذِكر الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ...) الآية.

ج: أيستوي من وسع الله ﷻ صدره وأفسحه وجعله رحبًا لاستقبال

(٦٣) أحمر
أسود

تعاليم الدين والإسلام وجعله يحب ويقبل كل ما قاله الله وكل ما قاله رسوله ، أيستوي هذا مع من ضيَّق صدره فلم يعد يقبل شيئًا من كتاب ربه وسنة رسوله ، ثم توعد الله هذا الأخير بقوله: (فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم) الذين لا تلين قلوبهم عن ذِكر الله ﷻ وذِكر كتابه الذي أنزل وأحكامه التي شرع (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ) في بُعد عن الحق والصواب (مُّبِينٍ ٢٢) قد أبان بُعدهم عن ضلالهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ) يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: (فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ).

قوله: (فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني: عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. وقيل: (مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت (مِّن) مكان (عن)، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢) يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية

(٦٤) أحمر
أسود

قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ) أي: هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق؟! كقوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [الأنعام: ١٢٢]؛ ولهذا قال: (فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ) أي: فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم، (أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾).

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ...) سبب نزول؟

ج: نعم قد صح له سبب نزول وهو ما أخرجه الحاكم (١) وغيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص ؓ في قول الله ﷻ: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ...) الآية [يوسف: ٣]، قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله ﷻ: (الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾)، تلا إلى قوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ) الآيات [يوسف: ١- ٣]، فتلا عليهم زمانًا فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ فأنزل الله ﷻ: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا) الآية، كل ذلك يؤمر بالقرآن.

❁ ❁ ❁

(١) الحاكم (٣٤٥/٢)، وابن حبان (موارد الظمآن ٤٣٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صحيح.

(٦٥) أحمر
أسود

س: ما المراد بالمتشابه في قوله تعالى: (كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا)؟

ج: المراد، والله أعلم، يشبه بعضه بعضًا في الحسن فكله حسن وكله مؤثرٌ في النفوس. وأيضًا يشبه بعضه بعضًا في الأحكام فلا تضاد ولا تضارب في أحكامه وأوامره ونواهيه وقصصه وأخباره، وأيضًا يشبه الكتب التي قبله فيصدقها وتصدقه ولا تعارض بينه وبين سائر ما أنزل من عند الله ﷻ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (مَّثَانِيَ)؟

المراد متكرر تتكرر فيه الأوامر والنواهي حتى يُفهم عن الله ﷻ مراده وتتكرر فيه القصص في كثيرٍ من الأحيان بسياقات متقاربة حتى يفهم الذي قد يُجمل في موطن.

وقيل: مثاني أيضًا لأنه يتكرر عند القراءة فمن ثَمَّ سميت سورة الفاتحة: «السبع المثاني»؛ لأن قراءتها تكرر في الصلوات، وتتكرر الحين بعد الحين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ثم تطمئن جلودهم بعد أن اعتراها الخوف والاضطراب عند سماع القرآن وما فيه من آيات الوعيد، تطمئن لما ترجوه من رحمة الله ﷻ، ولما تُؤمله من فضل الله.

الثاني: ثم تلين جلودهم إلى العمل بالقرآن فيعملون بعد ما يسمعون

(٦٦) أحمر
أسود

راجين مُؤملين.

فالمراد بذكر الله على هذا الوجه القرآن، والله أعلم.

قال السعدي $:

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ) على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا هو المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ) [آل عمران: ٧]، فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: (مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ) فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهًا، أي: في حسنه، لأنه قال: (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ) وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضًا كما ذكرنا.

(مَّثَانِيَ) أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي

(٦٧) أحمر
أسود

الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائمًا إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعًا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداءً بما هو تفسير له.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾)؟

ج: المراد، والله أعلم، ومن يصرفه الله عن هذا الكتاب العزيز، وعن طريق الاستقامة والإسلام، وفسيح الجنان فلن تجد له أحدًا يهديه بحال من الأحوال، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ...) الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ نزل أحسن الكتب المتضمنة لأحسن الكلام وأحسن الهدى كتابًا هو أحسنها يشبه بعضه بعضًا في الحسن فكله حسن، وإن تفاضلت آياته في تأثيرها إلا أن كله حسن، وكذا لا تضارب ولا اختلاف ولا تعارض بين آياته في أحكامها وأوامرها ونواهيها وأخبارها وقصصها فكله يصدق بعضه بعضًا، وكذا يصدق الكتب التي قبله، وتصدقه هي الأخرى، تكررت في هذا الكتاب العزيز الأوامر والنواهي بالشيء الواحد في كثير من المواطن فهو مثاني بهذا المعنى، تكررت حتى تفهم عن الله ﷻ وتبين مراده سبحانه وتعالى، فلا

(٦٨) أحمر
أسود

تكن مثلًا آية تدعو إلى الشرك والعياذ بالله بل آياته متكررة متعددة تدعو كلها إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له.

أيضًا تجد آيات كثيرة تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، وليس ثم أمرٌ بالعقوق إلا النهي عن طاعتهما فيما يدعوان إليه من الشرك.

ترى الآيات تأمر بحفظ الأعراض وعدم هتكها.

ترى الآيات تحث على المحافظة على أموال الآخرين وعدم أخذها إلا بحقها، وهكذا.

هذا، وقوله تعالى: (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) حاصل معناه أن الخوف يعتري أهل الإيمان أهل الخوف من الله الذين يرجون لقاءه ويخافون يوم الحساب، فجلودهم تضطرب خوفًا عند سماع هذا القرآن وسماع ما فيه من آيات الوعيد، فإذا تليت عليهم آيات الرحمة اطمأنت نفوسهم وقلوبهم وجلودهم لما يؤمِّلونه من رحمة الله ﷻ ولما يرجونه منها.

وكذا يتجهون إلى العمل بما في هذا الكتاب العزيز سامعين مطيعين له.

وهذا الذي أصابهم واعتراهم من اقشعرار الجلود ثم الطمأنينة والعمل بهذا القرآن توفيقٌ من الله لهم إذ هداهم لهذا، وأرشدهم وسددهم.

أما من أراد الله ضلالًا وبعد عن طريق الهداية فلن تجد له هاديًا يهديه ولا مرشدًا يرشده وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا) يعني به: القرآن (مُّتَشَٰبِهًا) يقول: يشبه بعضه بعضًا، لا اختلاف فيه، ولا تضاد.

(٦٩) أحمر
أسود

وقوله: (مَّثَانِيَ) يقول: تثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج.

وقوله: (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول تعالى ذكره: تقشعر من سماعه إذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) يعني: إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به.

(ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، (هُدَى ٱللَّهِ) يعني: توفيق الله إياهم وفقهم له (يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ) يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده.

وقد يتوجه معنى قوله: (ذَٰلِكَ هُدَى) إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء.

وقوله: (وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾) يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فما له من هاد، يقول: فما له من موفق له، ومسدد يسدده في اتباعه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا مَدْحٌ من الله ﷻ لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم، قال الله تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ) قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني.

وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

(٧٠) أحمر
أسود

وقال الضحاك: (مَّثَانِيَ) ترديد القول ليفهموا عن ربهم ٥.

وقال عكرمة والحسن: ثنَّى الله فيه القضاء -زاد الحسن: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (مَّثَانِيَ) مُرَدَّد، رُدِّد موسى في القرآن، وصالح وهود والأنبياء، عليهم السلام، في أمكنة كثيرة.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (مَّثَانِيَ) قال: القرآن يشبه بعضه بعضًا، ويُرَدُّ بعضه على بعض.

وقال بعض العلماء: وُيرْوى عن سفيان بن عيينة معنى قوله: (مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ) أنّ سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد، فهذا من المتشابه، وتارةً تكونُ بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثاني، كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾) [الانفطار: ١٣، ١٤]، وكقوله: (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾)، إلى أن قال: (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾) [المطففين: ٧-١٨] ، (هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾)، إلى أن قال: (هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾) [ص:٤٩-٥٥]، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني، أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا، فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله: (مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ) [آل عمران :٧]، ذاك معنى آخر.

وقوله: (تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم

(٧١) أحمر
أسود

مـن الخشـية والخـوف، (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) لمـا يرجـون ويُؤمِّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نَغَمات الأبيات، من أصوات القَيْنات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيًّا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾) [الأنفال: ٢-٤]، وقال تعالى: (وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾) [الفرقان:٧٣] أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم -أي: يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعًا له.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة، ق عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله □ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخُون ولا يتكلّفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقِدح المُعَلّى في الدنيا والآخرة.

إلى آخر ما قاله $.

وقال القرطبي $:

(كِتَٰبًا) نصب على البدل من (أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ) ويحتمل أن يكون حالا

(٧٢) أحمر
أسود

منه (مُّتَشَٰبِهًا) يشبه بعضه بعضًا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف. وقال قتادة: يشبه بعضه بعضًا في الآي والحروف. وقيل : يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه لما يتضمنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب وإن كان أعم وأعجز ثم وصفه فقال : (مَّثَانِيَ) تثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام وثني للتلاوة فلا يمل (تَقْشَعِرُّ) تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) أي عند آية الرحمة، وقيل : إلى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل : (إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) يعني: الإسلام.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أفمن لا يجد شيئًا يدفع به النار عن نفسه إلا وجهه فيقابل النار بوجهه يوم القيامة أفضل أم الذي هو منعمٌ في الجنان؟

فيُقال يومئذٍ للظالمين الذين يتقون النار بوجوههم ذوقوا يا أهل الظلم جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

ولمزيد إيضاح لقوله: (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ) أقول، وبالله التوفيق: إن الشخص في الدنيا إذا تضارب مع آخرٍ أو تقاتل معه فإنه يحرص تمام الحرص على أن لا تصل الضربات إلى وجه نفسه، فيدفع عن وجهه الضربات ما استطاع ويركز في الدفاع عن وجهه أما يوم القيامة فالأيدي مكتوفة والعذاب يتلقى بالوجه عياذًا بالله من ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري $:

(٧٣) أحمر
أسود

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب، فقال بعضهم: هو أن يرمى به في جهنم مكبوبا على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفا، ثم يرمى به فيها، فأول ما تمس النار وجهه، وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده، وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟.

وقوله: (وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾) يقول: ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ)، ويُقْرَعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين: (ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾)، كمن يأتي آمنا يوم القيامة؟! كما قال تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾) [الملك:٢٢]، وقال: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾) [القمر:٤٨]، وقال: (أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) [فصلت:٤٠]، واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر، كقول الشاعر:

فَمَا أدْري إذَا يَمَّمْتُ أرْضًا ... أريدُ الخيرَ: أيّهما يَليني؟

يعني: الخير أو الشر .

❁ ❁ ❁

(٧٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، كذب قبل كفار قريش أقوام آخرون أبادهم الله وأفناهم، كذبوا فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، ومن موضع لا يشعرون أنه يأتيهم من قبله، كقوم نوح لما أغرقوا بالطوفان وكقوم عاد لما أرسلت عليهم الريح العقيم وقوم شعيب إذا أخذهم عذاب يوم الظلة وكقوم فرعون إذا انطبق عليهم البحر وغيرهم من الأمم المكذبة.

فهؤلاء نالهم الخزي والعار والذل والهوان في دنياهم وهنالك عذاب الآخرة هو أشد وأنكى ينتظرهم يوم القيامة.

قال الطبري $:

وقوله: (كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) يقول تعالى ذكره: كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم (فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾) يقول: فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون أي: لا يعلمون بمجيئه منه.

يقول تعالى ذكره: فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم (وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ) يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا، لو كانوا يعلمون، يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(٧٥) أحمر
أسود

وقوله: (كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾) يعني: القرون الماضية المكذبة للرسل، أهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق.

وقوله: (فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ) أي: بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم، فليحذر المخاطبون من ذلك، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل، وخاتم الأنبياء، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظمُ مما أصابهم في الدنيا؛ ولهذا قال: (وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد بيَّنا للناس بضرب الأمثال في هذا الكتاب العزيز كل بيان ومثلنا لهم الأمثال التي تكون سببًا في هدايتهم، فأحيانا بيَّنا لهم مصائر الأمم المكذبة التي تقدمتهم وما حلَّ بها من أليم العقاب، وأحيانًا ضرب لهم مثلًا للحياة الدنيا وزخارفها وبهجتها، وإلى أن تذهب وكيف تزول، ومثلنا لهم بالنبات وبداياته ووسطه ومصيره وضربنا لهم أمثالًا من أنفسهم وفي أنفسهم، وأمثالًا بالدواب والحشرات، وأمثالًا بالمطر النازل من السماء إلى غير ذلك من الأمثال المذكور في كتاب الله ﷻ، كل ذلك لعلهم يتعظون ويعتبرون ويرجعوا عن كفرهم وغيهم وشركهم وضلالهم وعصيانهم إلى توحيد خالقهم وطاعة بارئهم والإيمان

(٧٦) أحمر
أسود

والتصديق.

وجعلنا هذا القرآن بلسانٍ عربي واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا اختلاف فيه ولا اعوجاج ولا انحراف كل ذلك لعل التقوى تحدث لهم، لعلهم يحذرون غضب الله وعقابه، لعلهم يحذرون الشرك الذي يسبب لهم كل دماءٍ وكل بلاءٍ ويورثهم الجحيم عياذًا بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفًا منا لهم وتحذيرًا (لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾) يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وقوله: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنًا عربيًّا (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) يعني: ذي لبس.

ونصب قوله: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) على الحال من قوله: هذا القرآن، لأن القرآن معرفة، وقوله: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) نكرة.

وقوله: (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾) يقول: جعلنا قرآنا عربيًّا إذ كانوا عربًا، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، (لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾) ، فإن المثل يُقَرّب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ) [الروم:٢٨] أي: تعلمونه

(٧٧) أحمر
أسود

من أنفسكم، وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد.

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿عَرَبِيًّا﴾، أي: لأنه بلسان عربي كما قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]. وقال تعالى في أول سورة يوسف: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال في أول الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. وقال في طه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣]، وقال تعالى في فصلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى في الشعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. وقال تعالى في الرعد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمها، دلالة لا

(٧٨) أحمر
أسود

ينكرها إلا مكابر.

قال السعدي $:

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال التوحيد والشرك، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾) عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون.

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: جعلناه قرآنًا عربيًّا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصًا على العرب. (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا) [الكهف: ١-٢].

(لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾) الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

س: وضح معنى هذا المثل: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ...).

ج: هذا مثل ضرب للمشرك الذي تتنازعه الشياطين وتتجاذبه وكل شيطان يقوده إلى ضلالةٍ من الضلالات وضربٍ من ضروب الكفر وسبيل من سُبل العصيان، وكذا ضُرب المثل برجل مؤمن بالله موحد أسلم وجهه لله وهو محسن، وحاصل المثل: ضرب الله لكم مثلًا تعرفونه يا أهل الكفر وتعايشونه فإذا كان بينكم عبدٌ اشتريتموه، اشترته جماعة منكم ولكل واحد من الجماعة فيه نصيب، وهذه الجماعة دائمًا متنازعة مختلفة في

(٧٩) أحمر
أسود

شأن هذا العبد، وأخلاق أفراد هذه الجماعة سيئة فهذا يأمره بأمرٍ، وذاك يأمره بأمرٍ آخر وثالثٌ يأمره بأمرٍ ثالث، وإذا أطاع ضربه الآخرون، فلا تُحمد له طاعة ولا يُشكر له معروف ولا يُجازى بإحسان ولا يُكرم بكرامة، فهو مهانٌ على الدوام، هل يستوي هذا العبد مع عبدٍ آخر يملكه رجل واحد صالح فهو لسيده مطيع، وسيده يكرمه على طاعته ويعرف له قدره، هل يستوي هذا مع ذاك، قطعًا لا يستويان فإذا كان ذلك كذلك فقل يا رسول الله الحمد لله الذي أقام الحجة على عباده، وعلى هؤلاء أهل الشرك وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلًا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلًا لهذا الكافر رجلًا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين - يعني: مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلًا سلمًا لرجل، يقول: ورجلًا خلوصًا لرجل - يعني: المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله - لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

وقوله: (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ) يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأي هذين أحسن

(٨٠) أحمر
أسود

حالًا وأروح جسمًا وأقل تعبًا ونصبًا؟

وقوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ) يقول: الشكر الكامل، والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه. وقوله: (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩) يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ) ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضربا مثلًا واحدًا، فجرى المثل بالتوحيد، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ) [المؤمنون: ٥٠] آية إذ كان معناهما واحدًا في الآية.والله أعلم.

وأورد الطبري بعض الآثار في ذلك:

منها أثر قتادة بسندٍ حسن قوله: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ) قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين، لا يقر به بعضهم لبعض (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة.

وآخر بسندٍ صحيح عن ابن زيد:

في قوله: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) قال: أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواؤهم، والذي لا يملكه إلا واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقًا، فضربه الله مثلًا لهم، وللذي يعبده وحده: (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩) وفي قوله: (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) يقول: ليس معه شرك.

وقال ابن كثير $:

(٨١) أحمر
أسود

ثم قال: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ) أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) أي: خالصًا لرجل، لا يملكه أحد غيره، (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ) أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلًا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثلُ ظاهرا بَيِّنًا جليًّا، قال: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ) أي: على إقامة الحجة عليهم، (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩) أي: فلهذا يشركون بالله.

قال ابن القيم § في «التفسير القيم»:

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحُّون والرجل المتشاكس الضيق الخلق فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان!

وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩).

(٨٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: (سَلَمًا).

ج: هناك قراءتان أوردها الطبري $ إذ قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَرَجُلًا سَلَمًا) فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة: (**رجلا سالمًا**) وتأولوه بمعنى: رجلًا خالصًا لرجل.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) بمعنى: صلحًا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن السلم مصدر من قول القائل: سلم فلان لله، سلمًا بمعنى: خلص له خلوصًا، تقول العرب: ربح فلان في تجارته رِبْحًا ورَبَحًا وسَلِم سِلْمًا وسَلَمًا وسلامة، وأن السالم من صفة الرجل، وسلم مصدر من ذلك. وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سلمًا من أن معناه صلحًا، فلا وجه للصلح في هذا الموضع، لأن الذي تقدم من صفة الآخر، إنما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إنك يا رسول الله ستموت عن قريب وسيموت أهل الشرك الذي يخاصمونك ويكذبونك ويعادونك ويحاربونك ثم إن

مرجعكم ومردكم جميعًا إلى الله ﷻ يوم القيامة يحكم بينكم فيما اختلفتم فيه في دنياكم ويأخذ للمظلوم من ظالمه ويجازي المؤمن بإيمانه.

والآية وإن كانت في سياق الحديث عن المشركين مع رسول الله ﷺ إلا أن عمومها ينتظم جميع الخلق، فالكل سيموتون ويرد للنظلوم حقه من ظالمه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾) يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحق.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عنى به اختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلوم والظالم.

وقال آخرون: بل عني بذلك اختصام أهل الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت ، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾) خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به ، وقد تنزل

(٨٤) أحمر
أسود

الآية في معنى، ثم يكون داخلًا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾) هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾)- [آل عمران: ١٤٤].

ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.

ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذِكْر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره بسنده عن الزبير بن العوام؛ قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾)، قال الزبير: أي رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم؛

(٨٥) أحمر
أسود

ليكرزَنّ عليكم، حتى يؤدَّى إلى كل ذي حق حقه». قال الزبير: والله إن الأمر لشديد؟

ج: أحمد (١٦٧/١) بسندٍ حسن، وفي سنده بعض الاختلاف على صحابيه، انظر علل الدارقطني (٢٢٤/٤).

❁ ❁ ❁

(٨٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) [الزمر: ٣٢-٤١].

(٨٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِٱلصِّدۡقِ -مَثۡوًى -بِكَافٍ -عَبۡدَهُۥۗ -بِضُرٍّ -كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ -بِرَحۡمَةٍ -مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦٓ -حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ -يَتَوَكَّلُ -مَكَانَتِكُمۡ -يُخۡزِيهِ -مُّقِيمٌ -بِوَكِيلٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِٱلصِّدۡقِ)	القرآن - الإسلام - الشهادتان
(مَثۡوًى)	مقام - مكان للإقامة
(بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۗ)	بمانعٍ عبده ممن أرادوه بسوء بحافظ عبده وناصره
(بِضُرٍّ)	ببلاء في جسدي أو مالي أو شدة ونحو ذلك
(كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ)	رافعات هذا البلاء - مُزيلات له
(بِرَحۡمَةٍ)	بخير من مالٍ أو صحةٍ أو عافية وولدٍ ونحو ذلك
(مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦٓ)	مانعات حلول الرحمة بي
(حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ)	كافيني الله ﷻ
(يَتَوَكَّلُ)	يعتمد
(مَكَانَتِكُمۡ)	طريقتكم - مكانكم ووجهتكم
(يُخۡزِيهِ)	يهينه - يُذله
(مُّقِيمٌ)	دائم لا يزول
(بِوَكِيلٍ)	بحفيظ (يحفظ الأعمال ويكتبها)

س: ما المراد بالصدق في قوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ)؟

(٨٨) أحمر
أسود

ج: قال كثيرون من العلماء المراد به: القرآن، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ..)، **وقوله تعالى:** (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ...) **[البقرة: ١١٤]، ونحوهما من الآيات؟**

ج: لأهل العلم طريقان في الجمع بين هذه الآيات:

أحدهما: أن تنزل كل آية منزلة الاختصاص فيُقال مثلًا: ليس من الكاذبين أظلم ممن كذب على الله وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيه اسمه.

الثاني: أن يكون الجميع في الدرجة العليا من الظلم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ليس هناك من الكاذبين أعظم كذبًا من شخص يكذب على الله ﷻ ويكذب بالقرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ.

وصور الكذب على الله ﷻ متعددة، فمنهم من يكذب على الله ﷻ فيدعي له الولد والصاحبة، ولذلك قال مؤمنوا الجن: (وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾) **[الجن: ٣]**، وقالوا أيضًا: (وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾) **[الجن: ٥]**.

ومنهم من يكذب على الله ﷻ ويدعي أن له شريك في الملك!!

(٨٩) أحمر
أسود

ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله فقير ونحن أغنياء.

ومنهم من يكذب على الله ويقول: يد الله مغلولة.

ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله أوحى إليَّ فيحلل ما حرَّم الله، ويحرم ما أحل الله إلى غير ذلك من صور الكذب على الله ٥.

أما قوله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾) فهي في معرض التهديد لهؤلاء الكاذبين على الله، فيقال لهم: أليس في جهنم مقام للجاحدين بآيات الله يقيمون فيها خالدين مخلدين؟!

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

وقوله: (۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول تعالى ذكره: فمَنْ مِنْ خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله، فادعى أن له ولد وصاحبة، أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولًا وأنكر قول لا إله إلا الله.

وقوله: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾) يقول تبارك وتعالى: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، وامتنع من تصديق محمد □ ، واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وادعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولدا -تعالى الله عن

(٩٠) أحمر
أسود

قولهم علوًّا كبيرًا-ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله، صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا قال: (۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ) أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل،كذب على الله، وكَذَّب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق؛ ولهذا قال متوعدًا لهم: (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾) وهم الجاحدون المكذبون .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

والكذب على اللّه يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

❁ ❁ ❁

س: من الذي جاء بالصدق والذي صدق به، وما المراد بالصدق؟

ج: أما الصدق فهو: القرآن، وقيل: قول لا إله إلا الله، وقال: القول الحق عمومًا.

أما الذي جاء بالصدق وصدق به، فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أنه رسول الله □ وكذا فهو المُصدق به.

الثاني: أن الذي جاء بالصدق هو رسول الله □، والذي صدق به أبو بكر ڢ.

الثالث: أن الذي جاء بالصدق رسول الله □ والذي صدق به علي ڢ.

الرابع: أن الذي جاء بالصدق رسول الله □ والذين صدقوا به المؤمنون.

(٩١) أحمر
أسود

الخامس: أن الذي جاء بالصدق جبريل ﷺ والذي صدق به رسول الله ﷺ.

السادس: أن الذي جاء بالصدق كل من بَلَّغ عن الله ﷻ.

أمره وكتابه ودعاه إلى توحيد الله ﷻ واتباع رسله والذي صدق به هم المؤمنون له التابعون له على ذلك وهذا الأخير هو الذي استظهره الطبري بعد أن أورد عددًا من أقوال العلماء في ذلك، فقال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عني بقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال الصدق: هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عقيب قوله: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وذلك ذم من الله للمفترين عليه، المكذبين بتنزيله ووحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية، رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها،

(٩٢) أحمر
أسود

وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود:

(**والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به**) فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله: (وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ) لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن موقتة. وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين، أن (الذي) في هذا الموضع جعل في معنى جماعة بمنزلة «من». ومما يؤيد ما قلنا أيضا قوله: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾) فجعل الخبر عن (الذي) جماعًا، لأنها في معنى جماع. وأما الذين قالوا: عني بقوله: (وَصَدَّقَ بِهِۦٓ) : غير الذي جاء بالصدق، فقول بعيد من المفهوم، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل: والذي جاء بالصدق، والذي صدق به أولئك هم المتقون ، فكانت تكون (الذي) مكررة مع التصديق، ليكون المصدق غير المصدق، فأما إذا لم يكرر، فإن المفهوم من الكلام، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق، لا وجه للكلام غير ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت (الذي) في معنى الجماع بما قد بينا، كان الصواب من القول في تأويله ما بينا.

قال الشنقيطي $:

قوله تعالى: (وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ) الآية.

أوضح جلَّ وعلا، أن (الذي) في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾).

(٩٣) أحمر
أسود

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن (الذي) تأتي بمعنى اللذين، في القرآن وفي كلام العرب، فمن أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى في آية الزمر هذه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ الآية، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ ، أي: الذين استوقدوا بدليل قوله بعده: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله فيها أيضًا: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ، أي: كالذين ينفقون بدليل قوله بعده: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَىۡءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، وقوله تعالى في التوبة: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ٦٩] على القول بأن (الذي) موصولة لا مصدرية، ونظيره من كلام العرب قول أشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقول عديل بن الفرخ العجلي:

فبت أساقي القوم إخوتي الذي ... غوايتهم غيٌّ ورشدهم رشد

وقول الراجز:

يا رب عبس لا تبارك في أحد ... في قائم منها ولا فيمن قعد

إلا الذي قاموا بأطراف المسد

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق.

﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من

(٩٤) أحمر
أسود

الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أولئك الذين ذُكر شأنهم وهم الذين جاءوا بالصدق والذين جاءوا به هم الذين اتقوا الشرك فعبدوا الله وحده ولم يشركوا معه أحدًا في عبادته، وكذا اتقوا - قدر جهدهم وقدر استطاعتهم - ما يغضب ربهم عليهم، والله أعلم.

قال الطبري $:

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾) يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحۡسِنِينَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به كل ما يتمنونه في جنات النعيم فهذا هو جزاء من أحسن في الدنيا بامتثال أمر الله ﷻ واجتناب مساخطه.

قال الطبري $:

وقوله: (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ) يقول تعالى ذكره: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم (ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾) يقول

(٩٥) أحمر
أسود

تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، وائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ليمحو الله عنهم خطاياهم فلا يؤاخذهم بها، وإذا كفَّر عنهم أسوأ الذي عملوا فقد كفر عنهم ما دون ذلك.

وكذا ليكافؤهم الله ﷻ، ويثيبهم ويعطيهم أعظم الأجور على أعمالهم الحسنة التي عملوها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها (وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم) يقول: ويثيبهم ثوابهم (بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ) في الدنيا (يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾) مما يرضى الله عنهم دون أسوئها.

وقال ابن كثير $:

(لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾)، كما قال في الآية الأخرى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ) [الأحقاف: ١٦].

❁ ❁ ❁

(٩٦) أحمر
أسود

س: في قوله تعالى: (لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ)ما ينفي القنوط والبأس من رحمة الله. وضح ذلك.

ج: إيضاحه أنه إذا كان هؤلاء الذين صدقوا به بالقرآن كفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا، ففيه إشارة إلى أنه صدرت منهم أعمال تسؤهم، ومن ثمَّ فغيرهم من باب أولى أن تصدر منهم ذنوب وسيئات.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

(وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾) أي: ألهم ذنوب، أي رب نعم (لَهُم) فيها (مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾)، وقرأ: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ) [الأنفال: ٢] ... إلى أن بلغ (وَمَغۡفِرَةٞ) لئلا ييأس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم (وَرِزۡقٞ كَرِيمٌ ﴿٤﴾) [الأنفال: ٤]، وقوله: (إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ) [الأحزاب: ٣٥] ... إلى آخر الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن أهل الشرك يخوفونك يا رسول الله من أوثانهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ويحذرونك منها ومن ترك عبادتها ويقولون: إنها ستضرك وستصيبك بالخبل وستفعل وتفعل فأيقن يا رسول الله بأن الله ﷻ سيحميك منها ويحفظك منها ويسلمك منها وسيكفيك شرها بما يشاء من صور دفع ضررها عنك فلا تعبأ ولا تبالي بما

(٩٧) أحمر
أسود

يتوعدون.

واعلم أن من يضلله الله فلن تجد له هاديًا يهديه وكذلك من تفضل الله عليه بالهداية فلن تجد مُضلًا يضله.

واعلم يا رسول الله أن الله ﷻ عزيزٌ في انتقامه من أعدائه لا يغلبه غالب ولا يمنعه مما أراد مانع.

هذا، وقد قرأ بعض القراء (**أليس الله بكاف عباده**).

قال الطبري $ في بيان تلك القراءة، وفي تفسير ما ذُكر:

اختلفت القراء في قراءة: (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: (**أليس الله بكاف عباده**) على الجماع، بمعنى: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: (بِكَافٍ عَبْدَهُۥ) على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدًا.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار. فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييها واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار.

وقوله: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك.

وقوله: (وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾) يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشد، فما له سواه من مرشد ومسدد إلى طريق الحق، وموفق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل

(٩٨) أحمر
أسود

بطاعته (وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ) يقول: ومن يوفقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضل، يقول: فما له من مزيغ يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر (أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾) يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفرة خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته.

وقال ابن كثير $:

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ) يعني: المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دونه؛ جهلًا منهم وضلالًا؛ ولهذا قال تعالى: (وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾) أي: منيع الجناب لا يضام، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله □.

❁ ❁ ❁

س: أهل الكفر دومًا يخوِّفون أهل الإيمان والأنبياء بأصنامهم ومعبوداتهم ولكن الله ﷻ يثبت أهل الإيمان والأنبياء فلا يخشون إلا الله. دلِّل على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي في «أضواء البيان» شيئًا من ذلك، وأورد الأدلة في هذا الباب حيث قال في: قوله تعالى: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ).

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار عبدة الأوثان، يخوفون النبي □، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون له: إنها ستضره وتخبله، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله، يخوفون الرسل

(٩٩) أحمر
أسود

بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء.

ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوَّفوه بها: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ ﴾ [الأنعام: ٨١].

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وقال تعالى في هذه السورة الكريمة، مخاطبًا نبينا ﷺ، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله.

وقد بيَّن جل وعلا في موضع آخر، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضًا، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والأظهر أن قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ حذف فيه المفعول الأول، أي

(١٠٠) أحمر
أسود

يخوفكم أولياءه، بدليل قوله بعده: (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ) الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم ...) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، ولئن سألت يا رسول الله أهل الشرك الذين كذبوك وجحدوا آيات الله المنزلة عليك، لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، فيقرون لله بأنه خالق السموات والأرض ومع ذلك فهم يشركون به ويعبدون معه غيره، كما قال تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾) [يوسف: ١٠٦].

فقل لهؤلاء أفرأيتم يا هؤلاء إن أراد الله بي سوءًا أو مكروهًا أو ضرًّا في بدني أو قلة في مالي أو غير ذلك هل تستطيع هذه الآلهة دفع ذلك.

أو أراد بي خيرًا وسعة في الرزق وصحة وعافية.

هل تستطيع هذه الآلهة أن تمنع عني رزقًا ساقه الله إليَّ، كلا فلن تستطيع هذه الآلهة جلب خيرٍ ولا دفع ضرٍّ، فقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين حسبي الله فهو كافيني ما أهمني، وهو الذي يصرف عني السوء والمكروه وهو الذي يتولى أموري كلها عليه اعتمدت وعليه فليعتمد المعتمدون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن: الذي خلقهن الله ، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي

(١٠١) أحمر
أسود

تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة (إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ) يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) يقول: إن أرادني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾) يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) يعني: المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؛ ولهذا قال: (قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ) أي: لا تستطيع شيئًا من الأمر.

وقال:

(قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ) أي: الله كافيّ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون، كما قال هود، غ، حين قال له قومه: (إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾).

(١٠٢) أحمر
أسود

[هود:٥٤-٥٦]

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه، لا تقدر أن تكشف ضرًّا أراد الله به أحدًا، أو تمسك رحمة أراد بها أحدًا، جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾) [مريم: ٤٢]، وقوله تعالى: (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾) [الشعراء: ٧٢-٧٤]. وقوله تعالى: (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾) [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ) [يونس: ١٠٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

❁ ❁ ❁

(١٠٣) أحمر
أسود

س: اذكر حديثًا في معنى الآية الكريمة: (قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ...).

ج: في معناها حديث ابن عباس ف مرفوعًا: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك**»(١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين كذبوك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئت به، قل يا هؤلاء اعملوا على طريقتكم التي أنتم عليها فإني عامل على طريقتي، واثبتوا على منهجكم فإني ثابت على منهجي، وهذا على سبيل التهديد فسوف يأتي اليوم الذي تعلمون فيه أين المحق الذي يستحق فسيح الجنان، وأينا المبطل الذي سيحل عليه عذاب يلازمه ولا يفارقه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم.

وقوله: (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ) يقول تعالى ذكره: من يأتيه عذاب يخزيه،

---

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٢٩٣/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٥١)، وغيرهما.

(١٠٤) أحمر
أسود

ما أتاه من ذلك العذاب، يعني: يذله ويهينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعيد. . (إِنِّى عَٰمِلٌ) أي: على طريقتي ومنهجي، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ستعلمون غب ذلك ووباله (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي: في الدنيا، (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) أي: دائم مستمر، لا محيد له عنه. وذلك يوم القيامة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ) أي على مكانتي أي على جهتي التي تمكنت عندي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) وقرأ أبو بكر: (**مكاناتكم**) وقد مضى في (الأنعام).

(مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي يهينه ويذله أي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) أي: في الآخرة (عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ....) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسولنا هذا القرآن متضمنًا الحق محتويًا عليه، وكذا فنزوله حق وصدق فهو من عند الله حقًّا فمن قبله واهتدى بهداه فثواب عمله لنفسه، ومن حاد عن هذا الكتاب العزيز

(١٠٥) أحمر
أسود

وانصرف عنه فإثم ذلك عائدٌ عليه أيضًا، وما أنت على هؤلاء بحفيظ تحفظ عليهم أعمالهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانًا للناس بالحق (فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ) يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. (وَمَن ضَلَّ) يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم. (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول ، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا □: (إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ) يعني: القرآن (لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ) أي: لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به، (فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ) أي: فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ) أي: إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) أي: بموكل أن يهتدوا، (إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾) [هود:١٢]، (فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾) [الرعد:٤٠] .

❁ ❁ ❁

(١٠٦) أحمر
أسود

(١٠٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي
قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا
يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ
ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا
هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا
كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾) [الزمر: ٤٢-٤٨]

(١٠٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَتَوَفَّى - أَجَلٍ مُّسَمًّى - ٱسْتَمْسَكَتْ - ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ - يَسْتَبْشِرُونَ - فَاطِرَ - ٱلْغَيْبِ - وَٱلشَّهَٰدَةِ - ظَلَمُواْ - لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ - وَبَدَا لَهُمْ - يَحْتَسِبُونَ - سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ - وَحَاقَ بِهِم).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَوَفَّى)	يقبض
(أَجَلٍ مُّسَمًّى)	وقت سماه الله وحدَّده
(ٱسْتَمْسَكَتْ)	نفرت - استكبرت - كفرت
(ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ)	الأصنام والأوثان، وما سوى الله من الآلهة التي عبدوها
(يَسْتَبْشِرُونَ)	يظهر في وجههم أثر الفرح والسرور ويؤمِّلون
(فَاطِرَ)	خالق على غير مثالٍ سابق
(ٱلْغَيْبِ)	لا تراه الأبصار ولا تحسه العيون
(وَٱلشَّهَٰدَةِ)	ما يشاهده الخلق ويرونه
(ظَلَمُواْ)	أشركوا
(لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ)	لقدموه فدية لأنفسهم من العذاب لدفعوه مقابل ألا يعذبوا
(وَبَدَا لَهُمْ)	ظهر وتبين
(يَحْتَسِبُونَ)	يتوقعون

(١٠٩) أحمر
أسود

(سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)	العقاب السيئ لأعمالهم السيئة
(وَحَاقَ بِهِم)	حلَّ ونزل بهم

س: وضح معنى الآية الكريمة: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ..).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، الله يقبض أرواح الأشخاص عند انقضاء آجالهم، فتلك هي الوفاة الكبرى أما الأنفس التي لم تنقض آجالها التي حدَّدها الله لها وقضى أنها تعيشها فإن هذه الأنفس يتوفاها الله ﷻ - الوفاة الصغرى - في منامها - أثناء نومها فنحن نقول إذا استيقظنا الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أماتنا وإليه النشور كما علمنا رسولنا ﷺ فعلى ما ذكر يمكن صياغة ما ذكر على النحو التالي.

الله يتوفى جميع الأنفس، ولكن الأنفس التي انتهت آجالها يتوفاها الله الوفاة الكبرى، ويمسكها عندها فلا ترجع إلى جسد صاحبها. أما الأنفس التي لم تنقض آجالها فإن الله ﷻ يتوفاها أثناء نومها، فإذا أُريد لأصحابها الاستيقاظ ردها الله ﷻ إليهم.

هذا، وقد ذكر فريق من العلماء أن الأرواح كلها تصعد إلى السماء فتكون في الملإ الأعلى فيمسك الله ﷻ عنده تلك الأنفس التي انتهت آجالها ويرسل الأخرى إلى أجساد أصحابها إلى الأجل المسمى المحدد الذي قدر الله لها أن تعيشه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «... **إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

وقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾).

(١١٠) أحمر
أسود

حاصل معناه إن في قبض الأرواح التي انتهت آجالها وإرسال الأنفس التي لم تنتهي آجالها، وكذا في توفيها بالليل لدلالات على قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

ودلالات على وحدانية الله ﷻ لمن يتفكر ويتدبر ويتأمل.

هذا، وقد قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته، فقال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها (فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ) ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها.

وقوله: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾) يقول تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين

(١١١) أحمر
أسود

يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾) [الأنعام: ٦٠-٦١]، فذكر الوفاتين: الصغرى ثم الكبرى. وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى؛ ولهذا قال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) فيه دلالة على أنها تجتمع في الملإ الأعلى، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره. وفي صحيحي البخاري ومسلم(١) من حديث عبيد الله بن عمر، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلْينْفُضْه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف (فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ) التي قد ماتت (وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى).

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: (۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ

(١) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(١١٢) أحمر
أسود

ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) [السجدة: ١١]، (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾) [الأنعام: ٦١]؛ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سببا.

وقوله: (وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) وهذه هي الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، (فَيُمْسِكُ) من هاتين النفسين النفس (ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ) وهي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرْسِلُ) النفس (ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي: إلى استكمال رزقها وأجلها.

❁ ❁ ❁

س: لأهل العلم قولان في (أَمِ ٱتَّخَذُوا). وضحهما.

ج: القول الأول: أن (أَمِ) بمعنى بل، فيكون المعنى: بل اتخذوا من دون الله شفعاء.

والثاني: أن (أَمِ) استفهامية، تحمل معنى الإنكار والتوبيخ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا).

ج: المعنى، والله أعلم، أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله، فلا يشفع شافع إلا بإذن الله، ولا يشفع شافع إلا فيمن ارتضاه الله، إلى غير ذلك من المعاني.

(١١٣) أحمر
أسود

قال تعالى: (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) **[البقرة: ٢٥٥]**.

وقال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ) **[الأنبياء: ٢٨]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ...) **الآيات.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء القوم من أهل الشرك عبدوا الأوثان والأصنام كي تشفع لهم عند خالقهم فأخبر الله ﷻ أن أمر الشفاعة موكول إليه يُشفّع من شاء فيمن يشاء، وهذه الأصنام التي زعمتم أنها تشفع لكم لا تملك لأنفسها شيئًا ولا لغيرها فضلًا عن كونها لا تعقل ولا تفهم.

فأخبرهم يا رسول الله بأن الأمر كله لله فليتجهوا إليه مخلصين له الدين، دون ما سواه، فملك السموات والأرض كله له ﷻ وإليه المرجع يوم القيامة والمآب.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: (قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ولا يعقلون شيئا، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعا له،

(١١٤) أحمر
أسود

لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، شفعكم (لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) ، يقول: له سلطان السموات والأرض وملكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له، يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئًا. (ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾) يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

ومعنى الكلام: لله الشفاعة جميعا، له ملك السموات والأرض، فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والأرض، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضركم فيها، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم، فإنكم إليه ترجعون.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى ذامًّا للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك، وهي لا تملك شيئا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير.

ثم قال: قل: أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ) [البقرة:٢٥٥].

(لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) أي: هو المتصرف في جميع ذلك. (ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾) أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلا بعمله.

وقال القرطبي $:

(١١٥) أحمر
أسود

قوله تعالى : (أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ) أي بل اتخذوا يعني الأصنام وفي الكلام ما يتضمن لم؛ أي: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾) لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء (قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا) أي: قل لهم يا محمد أتتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة (وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾) لأنها جمادات وهذا استفهام إنكار قوله تعالى : (قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ) نص في أن الشفاعة لله وحده كما قال: (مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ) [البقرة:٢٥٥]، فلا شافع إلا من شفاعته (وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ) [الأنبياء: ٢٨] (جَمِيعٗاۖ) نصب على الحال فإن قيل: (جَمِيعٗاۖ) إنما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب أن الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع (لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الشرك إذا سمعوا الداعي يدعو إلى توحيد الله ﷻ ويقول: لا إله إلا الله نفرت قلوبهم وكفرت واستكبرت، وإذا ذكرت الأوثان والأصنام إذا بهؤلاء النافرين عن قول لا إله إلا الله يستبشرون بالأصنام والأوثان ويطلبون منها الشفاعة وكشف الضرر وجلب النفع، ويظنون في أصنامهم أنها تجيب مطالبهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل:

(١١٦) أحمر
أسود

لا إله إلا الله، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات. وعنى بقوله: (ٱشۡمَأَزَّتۡ) : نفرت من توحيد الله. (وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ) يقول: وإذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى ذامًّا للمشركين أيضًا: (وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ) أي: إذا قيل: لا إله إلا الله (ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ) قال مجاهد: (ٱشۡمَأَزَّتۡ) انقبضت.

وقال السدي: نفرت. وقال قتادة: كفرت واستكبرت. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: استكبرت. كما قال تعالى: (إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ) [الصافات:٣٥]، أي: عن المتابعة والانقياد لها. فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر؛ ولهذا قال: (وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ) أي: من الأصنام والأنداد، قاله مجاهد، (إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾) أي: يفرحون ويسرون .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يالله يا خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، يا من تعلم السر والعلانية، وما رأته العيون والأبصار وما أخفته النفوس، يالله أنت تحكم بين عبادك عمومًا يوم القيامة في كل شيء

اختلفوا فيه وتخاصموا بسببه، وتحكم بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وحكمك عدل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض (عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ) الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم (أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ) فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم (فِي مَا كَانُواْ فِيهِ) في الدنيا (يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾) من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم، إذا ذكر من دونك استبشروا بالحق.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة، لهم في حبهم الشرك، ونفرتهم عن التوحيد (قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ) أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض وفطرها، أي: جعلها على غير مثال سبق، (عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ) أي: السر والعلانية، (أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾) أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الحديث الوارد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة: بأي شيء كان رسول الله □ يفتتح صلاته إذا

(١١٨) أحمر
أسود

قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم؛ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

ج: هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وقد أعله بعض العلماء كأبي الفضل الهروي في كتابه «علل أحاديث في صحيح مسلم» بما حاصله أنه من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير.

قال: وفي رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مقال. فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو كان الكفار الذين أشركوا بالله ﷻ في دنياهم يملكون كل ما في الأرض مضاعفًا لقدموه حتى لا يُعذبوا يوم القيامة. ولو قدموه ما قبل منهم.

وقد ظهر لهم وتبين لهم من الله ﷻ ما لم يكن يخطر لهم على بال من صور العذاب. وقيل: إنهم في دنياهم عملوا أعمالًا يظنونها حسنات فإذا بها سيئات.

---

(١) مسلم حديث (٥٣٤).

(١١٩) أحمر
أسود

قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾).

يقول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم (مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) في الدنيا من أموالها وزينتها (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) مضاعفا، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضًا منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذبهم به يومئذ (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ) يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعده لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) وهم المشركون، (مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ) أي: ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه (لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ) أي: الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يُتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، كما قال في الآية الأخرى: وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾) أي: وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم،.

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾) أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

(١٢٠) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين ظلموا وهم الكفار، ولو كان لهم في الآخرة ما في الأرض جميعًا ومثله معه، لفدوا أنفسهم به من سوء العذاب الذي عاينوه يوم القيامة، وبين هذا المعنى في مواضع أخر وصرح فيها بأنه لا فداء ألبتة يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾ [آل عمران: ٩١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة: ٣٦-٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الحديد: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠]. فقوله: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ﴾ أي: وإن تفتد كل فداء، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة: ٤٨]. وقوله ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ [البقرة: ١٢٣]، والعدل: الفداء وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾ [الرعد: ١٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨﴾.

(١٢١) أحمر
أسود

ج: المعنى، وظهر لهم وتبين لهم لما رأوا كتب أعمالهم ما نشرت صحفهم وتلقوا كتابهم بشمالهم ظهر لهم وتبين ما عملوه من الأعمال السيئة من الكفر والكبائر والمعاصي والجرائم، ونزل بهم حينئذٍ وحلَّ بهم جزاء استهزائهم برسل الله الكرام عليهم صلوات الله وسلامه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة (سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ) من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨) ووجب عليهم حينئذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم ، فكانوا به يسخرون، إنكارا أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيبا منهم به، وأحاط ذلك بهم.

وقال ابن كثير $:

(وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ) أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨) أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

قال الشنقيطي $:

قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ).

قوله: (وَبَدَا لَهُمۡ) أي: ظهر لهم (سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ) أي: جزاء سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا، فالظاهر أنه أطلق السيئات هنا مرادًا بها جزاؤها.

ونظيره من القرآن قوله تعالى: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ) [الشورى: ٤٠].

(١٢٢) أحمر
أسود

ونظير ذلك أيضًا إطلاق العقاب، على جزاء العقاب، في قوله تعالى: (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ).

[الحج: ٦٠]

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنهم يبدوا لهم يوم القيامة، حقيقة ما كانوا يعملونه في الدنيا جاء موضحًا في آيات أخر، كقوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ) [يونس: ٣٠]، وقوله تعالى: (يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾) [القيامة: ١٣]، وقوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾) [الانفطار: ٥]. وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ) [الكهف: ٤٩]. وقوله تعالى: (وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾) [الإسراء: ١٣-١٤] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(١٢٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ
بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ
هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾)
[الزمر: ٤٩-٥٢]

(١٢٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَسَّ -ضُرٌّ -خَوَّلْنَـٰهُ -فِتْـنَةٌ -بِمُعْجِزِينَ -يَبْسُطُ -وَيَقْدِرُ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصحاب
(ضُرٌّ)	بلاء - شدة - فقر - مرض
(خَوَّلْنَـٰهُ)	أعطيناه
(فِتْـنَةٌ)	اختبار وابتلاء
(بِمُعْجِزِينَ)	بفائتين - بهاربين
(يَبْسُطُ)	يوسع
(وَيَقْدِرُ)	يضيق

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ).

ج: المعنى، والله أعلم، إنما أوتيته بخبرتي وجدي واجتهادي، وقيل: على علمٍ من الله أني أستحق ذلك.

قال القرطبي $:

قال قتادة: (عَلَىٰ عِلْمٍ) عندي بوجوه المكاسب وعنه أيضًا (عَلَىٰ عِلْمٍ) على خير عندي وقيل : (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي على علم من الله بفضلي وقال الحسن: (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي بعلم علمني الله إياه وقيل : المعنى أنه قال قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة.

❁ ❁ ❁

(١٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآية الكريمة: (فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الإنسان - إلا من رحم الله - إذا أصابه ضرٌّ من مرض أو فقر أو شدةٍ أو عُسرٍ أو بلاء تضرع إلى ربه ﷻ كي يكشف عنه ما حلَّ به، إذا رفع الله ﷻ عنه البلاء وكشفه عنه نسي ربَّه ﷻ وإنعامه عليه، وقال إن الذي أنا فيه من النعيم والخيرات والمال قد أتاني باجتهادي وخبرتي ولولا أن الله يعلم أني من أهل الاستحقاق ما أعطانيه فقل لهذا الذي هذا شأنه: بل ما أنت فيه اختبار وابتلاء ابتلاك الله به ليعلم أتشكر أم تكفر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، لا يعلمون أن ما بأيديهم من مالٍ وما هم فيه من النعيم ابتلاءٌ واختبار، ثم إن هذه المقولة بعينها الذي قالها هذا الجاحد لنعم ربه ﷻ قد قالها أمثاله من الذين أهلكهم الله ﷻ، فلم تكن أموالهم تنفعهم ولم يكن ما اكتسبوه في دنياهم من بنين وثروات ووجاهات وغير ذلك بنافع لهم لما جحدوا نعم الله ﷻ ولم يشكروه بل كفروا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثًا بنا من جهة ما أصابه من الضر، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا) يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر، بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي عندي يعني: فيما عندي، كما يقال:

(١٢٦) أحمر
أسود

أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظن وأحسب.

وقوله: (أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ) : أي على شرف أعطانيه.

وقوله: (بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ) يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم ، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبرناهم به (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ) لجهلهم، وسوء رأيهم (لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩) لأي سبب أعطوا ذلك.

يقول تعالى ذكره: قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناه على علم عندنا (ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) يعني: الذي من قبل مشركي قريش من الأمم الخالية لرسلها، تكذيبا منهم لهم، واستهزاء بهم. وقوله: (فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٥٠) يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه في حال الضراء يَضْرَع إلى الله، ٥، وينيب إليه ويدعوه، وإذا خوله منه نعمة بغى وطغى، وقال: (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ) أي: لما يعلم الله من استحقاقي له، ولولا أني عند الله تعالى خصيص لما خَوَّلني هذا!

قال قتادة: (عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ) [القصص: ٧٨] على خيرٍ عندي.

قال الله ٥: (بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ) أي: ليس الأمر كما زعموا، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم

(١٢٧) أحمر
أسود

بـذلك، فهـي فتنـة أي: اختبـار، (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾) فلهـذا يقولـون مـا يقولون، ويدعون ما يدعون.

(قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) أي: قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى، كثير ممن سلف من الأمم (فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾) أي: فما صح قولهم ولا منعهم جمعهم وما كانوا يكسبون.

❁ ❁ ❁

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: (فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فأصـاب من كـانوا قبل كفار قريش من الأمـم المكذبـة المعانـدة جـزاء أعمـالهم السيئة التـي اكتسبوها فمـنهم من أهلكهم الله بالطوفان ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أرسلت عليهم الريح العقيم إلى غير ذلك من صور العذاب التي حلَّت بهم، والذين ظلموا من هؤلاء القرشيين، أهل الشرك والتكذيب منهم سيصيبهم أيضًا العقاب جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها، وما هم بفائتين ولا فارِّين ولا هاربين من عذاب الله، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتفسير.

قال الطبري $:

وقوله: (فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ) يقول: فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ)

(١٢٨) أحمر
أسود

[القصص: ٧٨]، فخسف الله به وبداره الأرض (فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾) [القصص: ٨١] يقول الله ٥ ثناؤه: (وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ) يقول لنبيه محمد □: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال (سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟) كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها (وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾) يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾) [الأحزاب: ٦٢]، ففعل ذلك بهم، فأحل بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ) أي: من المخاطبين (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟) أي: كما أصاب أولئك، (وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾) كما قال تعالى مخبرًا عن قارون أنه قال له قومه: (لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾) [القصص: ٧٦-٧٨]، وقال تعالى: (وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾) [سبأ: ٣٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾).

(١٢٩) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يعلم هؤلاء المكذبون الجاحدون لنعم الله عليهم القائلون لما رزقهم الله ﷻ من واسع فضله: إنما أوتيناه على علم عندنا، أو لم يعلم هؤلاء أن الله هو الذي يوسع في الأرزاق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء، فكم من شخص أوتي علمًا وفهمًا وهو فقير، وكم من شخص لم يؤت علمًا ولا فهمًا وقد وسعت عليه توسعة عظيمة، فلاله يرزق من يشاء، ويضيق على من يشاء، إن في ذلك لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ينتفع بها أهل الإيمان، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

فقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كل من سواه ، يبسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجج الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد. (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقتيره على من أراد لآيات،يعني: دلالات وعلامات (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) يعني: يصدقون بالحق، فيقرون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أي: يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) أي: لعبرا

(١٣٠) أحمر
أسود

وحججا.

وقال القرطبي $:

قولـــه تعـــالى : (أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) خص المؤمن بالذكر لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرًا واستدراجًا وتقتيره رفعة وإعظامًا.

❁ ❁ ❁

(١٣١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن
كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم
مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾) [الزمر: ٥٣-٦١]

(١٣٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ -لَا تَقۡنَطُواْ - وَأَنِيبُوٓاْ -وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ -بَغۡتَةً - أَن تَقُولَ نَفۡسٌ - يَٰحَسۡرَتَىٰ-فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ -ٱلسَّٰخِرِينَ -كَرَّةً -مَثۡوًى -بِمَفَازَتِهِمۡ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)	أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر
(لَا تَقۡنَطُواْ)	لا تيأسوا
(وَأَنِيبُوٓاْ)	ارجعوا إلى ربكم وأقبلوا إليه تائبين راجعين عن ذنوبكم
(وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ)	اخضعوا له - استسلموا له
(بَغۡتَةً)	فجأةً
(أَن تَقُولَ نَفۡسٌ)	لكي لا تقول نفس - لئلا تقول نفس
(يَٰحَسۡرَتَىٰ)	يا ندمى
(فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)	ضعيت أمر الله - خالفت أمر الله
(ٱلسَّٰخِرِينَ)	المستهزئين الساخرين
(كَرَّةً)	رجعة إلى الدنيا
(مَثۡوًى)	مقام ومأوى
(بِمَفَازَتِهِمۡ)	بما سبق من السعادة التي كتبها الله لهم بفضائلهم - بأعمالهم

❁ ❁ ❁

(١٣٣) أحمر
أسود

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: (۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...) سبب نزول؟

ج: نعم، صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث ابن عباس ﷺ أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة! فنزل: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾) [الفرقان: ٦٨]، ونزل: (۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ) [الزمر: ٥٣].

وأخرج الحاكم في المستدرك (٢) من حديث عمر ﷺ قال: كنا نقول ما لِمُفْتَتِنٍ توبة وما الله يقابل منه شيئًا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة أنزل فيهم: (۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) والآيات التي بعدها. قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو بالمدينة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم

---

(١) البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).
(٢) المستدرك (٤٣٥/٢)، وسنده حسن.

(١٣٤) أحمر
أسود

ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

❁ ❁ ❁

(١٣٥) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن اليأس من رحمة الله؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ...) [الزمر: ٥٣].

وقوله تعالى: (ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾) [يوسف: ٨٧].

وقوله تعالى: (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾) [الحجر: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير $:

ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع، قال الله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ) [التوبة: ١٠٤]، وقال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾) [النساء: ١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟) [النساء: ١٤٥-١٤٦]، وقال: (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾) [المائدة: ٧٣]، ثم قال: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾) [المائدة: ٧٤]، وقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟) [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري: انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!.

والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

(١٣٦) أحمر
أسود

وفي الصحيحين عن أبي سعيد، عن رسول الله ، حديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم ندم وسأل عابدًا من عُبَّاد بني إسرائيل: هل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله وأكمل به مائة. ثم سأل عالما من علمائهم: هل له من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها، فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمر الله أن يقيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أقرب فهو منها. فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة. وذكر أنه نأى بصدره عند الموت، وأن الله أمر البلدة الخيرة أن تقترب، وأمر تلك البلدة أن تتباعد(١).

وأورد الحافظ ابن كثير جملة من الأحاديث أيضًا منها حديث رسول الله : «لولا أنكم تذنبون لخلق الله قومًا يذنبون فيغفر لهم»(٢).

❁ ❁ ❁

س: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: (﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) أي: من المعنيون بالعباد؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم أهل الشرك الذين أرادوا أن يسلموا ولكن تذكروا وذكروا أمورًا فعلوها في جاهليتهم من قتل وزنا وسرقة وشرب خمر وغير ذلك، فقالوا: كيف نسلم وقد توعدتم يا أهل الإسلام من فعل ذلك بالنار؟ فقيل لهم: لا تيأسوا من رحمة الله أيها القوم فإنكم إن تبتم تاب الله عليكم.

الثاني: وقيل إنها في أهل الكبائر من أهل الإسلام، قالوا: قيِّدت بقوله

(١) البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).
(٢) مسلم (٢٧٤٨)، ،أحمد (٤١٤/٥) بنحوه.

(١٣٧) أحمر
أسود

تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وثم أقوال أُخر.

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها قوم من أهل الشرك، قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا، وقتلنا النفس التي حرم الله، والله يعد فاعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان، فنزلت هذه الآية.

وقال آخرون: بل عني بذلك أهل الإسلام، وقالوا: تأويل الكلام: إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء، قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة.

وقال آخرون: نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعًا لمن يشاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف.

فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم إذا تاب منه المشرك. وإنما عنى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ لمن يشاء، كما قد ذكرنا قبل، أن ابن مسعود كان يقرؤه: وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه، فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر

(١٣٨) أحمر
أسود

أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله: (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا) [مريم: ٦٠]. فأما ما عداه فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به.

وأما قوله: (لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ) فإنه يعني: لا تيأسوا من رحمة الله.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا) يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لعبادي الذين أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر وأرادوا أن يسلموا وترددوا وامتنعوا عن الإسلام بسبب ما ارتكبوه من الجنايات، قل لهؤلاء لا تيأسوا من رحمة الله فإنكم إذا أسلمتم غفر الله لكم ما كان منكم في جاهليتكم فالإسلام يهدم ما كان قبله، واعلموا أن الله ﷻ هو الغفور كثير المغفرة، ورحيم بعباده المؤمنين التوابين.

وأيضًا: يا أهل الإيمان يا من استزلكم الشيطان وأوقعكم في الذنوب والمعاصي والكبائر توبوا إلى الله وارجعوا إليه ولا تيأسوا من رحمته فإنه يغفر الذنوب جميعًا إن شاء ، فهو الغفور الرحيم.

وقد وعد سبحانه أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

(١٣٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وارجعوا إلى ربكم تائبين إليه من ذنوبكم مُقلعين عنها واستسلموا لما يأمركم به ربكم واخضعوا له طواعيةً من قبل أن يحلَّ بكم العذاب فلن تجدوا حينئذٍ وليًّا يتولاكم ولا ناصرًا ينصركم، ولا من يدفع عنكم العذاب.

قال الطبري $:

وقوله: (وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ) يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي (مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ) من عنده على كفركم به.

(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾) يقول: ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم.

وقال ابن كثير $:

ثم استحث وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ) أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له، (مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾) أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ) أي اجعوا إليه بالطاعة لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه والإنابة الرجوع إلى

(١٤٠) أحمر
أسود

الله بـالإخلاص (وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ) أي اخضـعوا لـه وأطيعـوا (مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ) في الدنيا (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾) أي لا تمنعون من عذابه.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَاتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم)؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن أحسن ما أُنزل إلينا من ربنا هو القرآن فهو خير كتاب نزل.

وقال آخرون: إذا امتثلنا الأمر واجتنبنا النهي فقد اتبعنا أحسن ما أُنزل إلينا من ربنا ألا وهو امتثال الأمر.

وقال آخرون في بيان ذلك: إن الله أمر بالعدل والإحسان، والعدل منه القصاص، والإحسان العفو، ففي الآية حثٌّ على اتباع الأحسن وهو العفو.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا.

قال القرطبي $:

قولـــــه تعـــــالى : (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾) (أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ) هـو القـرآن وكلـه حسن والمعنـى مـا قـال الحسن : التزموا طاعتـه واجتنبوا معصيته وقـال السـدي : الأحسـن مـا أمـر الله بـه فـي كتابـه وقـال ابـن زيـد : يعنـي المحكمـات وكلـوا علـم المتشـابه إلـى عالمـه وقـال : أنـزل الله كتابـا التـوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز وقيـل : هـذا أحسـن لأنـه نـاسـخ قـاض علـى جميـع الكتـب وجميـع الكتـب منسـوخة وقيـل : يعنـي العفـو لأن الله تعـالى خيـر نبيـه ﷺ بـين العفـو والقصاص وقيل : ما علم الله النبي ﷺ وليس بقرآن فهو حسن ومـا أوحـى

(١٤١) أحمر
أسود

إليه من القرآن فهو الأحسن وقيل : أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية.

وقال ابن كثير $:

(وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) وهو القرآن العظيم.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا.

فإن قال قائل: ومن القرآن شيء وهو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، من قبل أن يحل بكم العذاب فجأة من حيث لا تعلمون ولا تشعرون بمجيئه بل تفاجئون به.

قال الطبري $:

وقوله: (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً) يقول: من قبل أن يأتيكم

(١٤٢) أحمر
أسود

عذاب الله فجأة (وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾) يقول: وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾).

ج: المعنى، بادروا بالتوبة والإنابة إلى الله والإسلام له من قبل أن يأتي يومٌ تقول فيه نفس يا ندمى على ما ضيعت من أمر الله ﷻ، ويا ندمى على عصيانه ويا ندمى فقد كنت من الساخرين المستهزئين بأهل الإيمان، وتقول نفس لو أن الله وفقني للطاعة لكنت ممن اتقوا الشرك، تقول ذلك تندما وتحسرًا وتتمنى نفس أن ترجع إلى الدنيا فتقول لو أن لي كرةً أي: رجعةً إلى الدنيا حتى أعمل بعمل أهل الإحسان وأستقيم.

فقل لهذا الذي تمنى الرجوع إلى الدنيا قد جاءتك في دنياك الحجج والبينات فأنكرتها وجحدتها وتعاليت عليها ورفضتها وكنت لها من الجاحدين، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم، وأسلموا له (أَن تَقُولَ نَفْسٌ) بمعنى لئلا تقول نفس (يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ) ، وهو نظير قوله: (وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم، فأن، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب.

(١٤٣) أحمر
أسود

وقوله: (يَٰحَسۡرَتَىٰ) يعني أن تقول: يا ندما.

والألف في قوله: (يَٰحَسۡرَتَىٰ) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي ، ولكن العرب تحول الياء فى كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفا عليه، وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده:

تزورونهـــا ولا أزور نســـاءكم ألهـف لأولاد الإمـاء الحواطـب

خفضا كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف، فيخفضونها أحيانًا، ويرفعونها أحيانًا، وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد:

يـا رب يـا ربـاه إيـاك أسـل عفـراء يـا ربـاه مـن قبـل الأجـل

خفضًا، قال: والخفض أكثر في كلامهم، إلا في قولهم: يا هناه، ويا هنتاه، فإن الرفع فيها أكثر من الخفض، لأنه كثير في الكلام، حتى صار كأنه حرف واحد.

وقوله: (عَلَىٰ مَا فَرَّطۡتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

وقوله: (وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾) يقول: وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

وأورد الطبري أثر قتادة بسندٍ حسن عنه، وفيه (أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطۡتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾) قال: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، قال: هذا قول صنف منهم.

(١٤٤) أحمر
أسود

ثم قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى : (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾).

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، فى أمر الله، وأن لا يقول نفس أخرى: لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) تقول لو أن لي رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

ثم أورد الطبري أثر قتادة بسندٍ حسن وفيه: (يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) ... الآية، قال: هذا قول صنف منهم (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي) ... الآية، قال: هذا قول صنف آخر: (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ) الآية، يعني بقوله: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر.

ثم قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مكذبًا للقائل: (لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾)، وللقائل: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) : ما القول كما تقولون: (بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ) أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين(ءَايَٰتِي) يقول: قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير

(١٤٥) أحمر
أسود

(فَكَذَّبْتَ) بآياتي (وَٱسْتَكْبَرْتَ) عن قبولها واتباعها (وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾) يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) وهو القرآن العظيم، (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾) أي: من حيث لا تعلمون ولا تشعرون.

ثم قال: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ) أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ.

وقوله: (وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾) أي: إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق .

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) أي: تود أن لو أعيدت إلى الدار فتحسن العمل.

وقال:

ولما تمنى أهل الجرائم العَودَ إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال: (بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾) أي: قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها.

(١٤٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يتمنى أهل الكفر لو عادوا إلى الدنيا ليعملوا من الصالحات. دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك قول قائلهم: (لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨).

وقوله تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧) [الأنعام: ٢٧].

وقولهم: (رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧) [المؤمنون: ١٠٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠).

ج: المعنى، والله أعلم، ويوم القيامة ترى يا رسول الله أهل الكفر والكذب على الله من الزاعمين أن له شريكًا، وكذا الذين زعموا أن عزيرًا ابن الله، والمسيح ابن الله إلى غير ذلك من الكاذبين على الله الذين افتروا عليه الكذب، تراهم، وقد اسودت وجوههم كعلامة عليهم يوفون بها، فأخبر هؤلاء المتكبرين أن جهنم مقامهم ومسكنهم الذي سيأوون إليه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى) يا محمد هؤلاء (ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ) من قومك فزعموا أن له ولدا، وأن له شريكا، وعبدوا آلهة من دونه (وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ).

وقوله: (أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠) يقول: أليس في جهنم

(١٤٧) أحمر
أسود

مـأوى ومسـكن لمـن تكبـر علـى الله، فـامتنع مـن توحيـده، والانتهـاء إلـى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالى هاهنا: (وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ) أي: في دعواهم له شريكا وولدا (وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ) أي: بكذبهم وافترائهم.

وقولـه: (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾) أي: أليست جهنم كافية لها سجنًا وموئلًا لهم فيها الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وينجي الله يوم القيامة أهل التوحيد الذين اتقوا الشرك واجتنبوه، ينجيهم الله بما قدَّره لهم من السعادة وبما سبق في علمه بأنهم السعداء ولا يصيبهم أذى ولا حزن بل هم آمنون مطمئنون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، بمفازتهم: يعني بفوزهم، وهي مفعلة منه.

وقوله: (لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾) يقول تعالى ذكره: لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن

(١٤٨) أحمر
أسود

يمسهم، ولا هم يحزنون، يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: مما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فَزَع، مزحزحون عن كل شر، مُؤمَلون كل خير .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: العذاب الذي يسوؤهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر: ٣٤].

❁ ❁ ❁

(١٤٩) أحمر
أسود

(١٥٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ
أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ
وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا
قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ
ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم
بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾) [الزمر: ٦٢-٦٩]

(١٥١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَكِيلٌ -مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ -لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ -فَصَعِقَ -وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَكِيلٌ)	قائم عليه بالحفظ والرعاية وقائم بأمور كل شيء
(مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)	مفاتيح خزائن السموات والأرض
(لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)	ليذهبن ثواب عملك
(فَصَعِقَ)	فمات
(وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ)	وجيء بكتاب الأعمال (الذي كتبت فيه أعمال العباد) كل له كتاب

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾).

[الحجر: ٢١]

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾).

[المنافقون: ٧]

❁ ❁ ❁

(١٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الأشياء كلها خلقها الله ﷻ وهو سبحانه وتعالى القائم بأمورها جميعًا يصرف الأمور كيف يشاء وكيف يريد، وخزائن كل شيء في السموات والأرض بيده ﷻ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وأهل الكفر الذين يجحدون هذا، ويجحدون آيات الله المنزلة هم الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل بجحدهم وحدانية الله ﷻ وقدرته، واتجاههم إلى غير الله ﷻ يسألونه ويرجونه.

قال الطبري $:

وقوله: (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢) يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل ، يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة.

يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه، واحدها: مقليد. وأما الإقليد: فواحد الأقاليد.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣) يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا

(١٥٣) أحمر
أسود

ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله ﷻ.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته .

وقوله: (لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ) ، قال مجاهد: المقاليد هي: المفاتيح بالفارسية. وكذا قال قتادة، وابن زيد، وسفيان ابن عيينة.

وقال السدي: (لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ) أي: خزائن السموات والأرض.

والمعنى على كلا القولين: أن أزمَّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) أي: حججه وبراهينه (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين عبدوا مع الله إلهًا آخر وجهلوا قدر بهم سبحانه، وكانوا أجهل الجهلاء بشركهم بالله خالقهم قل لهم أتدعونني إلى عبادة إلهٍ غير الله يا أهل الجهل؟!!

إنكم تقرون لله بأنه خالقكم وارزقكم ومحييكم ومميتكم، فكيف

(١٥٤) أحمر
أسود

تدعونني إلى عبادة غيره؟

ثم تحذير للأمة في صورة نبيها □ وتحذير للجميع، ولقد أوحي إليك يا رسول الله لئن أشركت بالله ما لم يُنزل به سلطانًا ليذهبن ثواب كل عملك الذي عملته من صالح الأعمال ولتكونن من الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل، الجحيم والعياذ بالله.

ولقد أوحي إلى الذين من قبلك نحو هذا أيضًا.

قال تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾) [الأنعام: ٨٨]، ثم يحث ربنا سبحانه وتعالى نبينا محمدًا □ على عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له ۵ فيقول: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين.

أي: اعبد الله وحده لا شريك له وكن حامدًا لله شاكرًا له نعمائه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونِّي) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه. واختلف أهل العربية في العامل، في قوله: (أَفَغَيْرَ) النصب، فقال بعض نحويي البصرة: قل أفغير الله تأمروني، يقول: أفغير الله أعبد تأمروني، كأنه أراد الإلغاء، والله أعلم، كما تقول: ذهب فلان يدري، حمله على معنى. فما يدري. وقال بعض نحويي الكوفة: «غير» منتصبة بأعبد، وأن تحذف وتدخل، لأنها علم للاستقبال، كما تقول: أريد أن أضرب، وأريد أضرب، وعسى أن أضرب، وعسى أضرب، فكانت في طلبها الاستقبال، كقولك: زيدا سوف أضرب، فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها، ولا حاجة بنا إلى اللغو.

(١٥٥) أحمر
أسود

وقولـه: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) يقـول تعـالى ذكـره: ولقـد أوحـى إليك يـا محمـد ربـك، وإلـى الـذين مـن قبلـك مـن الرسـل (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقـول: لـئن أشـركت بـالله شـيئا يـا محمـد، ليبطلن عملـك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحـي إليك لـئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنـى: وإلـى الـذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منـه، فاحـذر أن تشـرك بالله شيئا فتهلك.

ومعنى قوله: (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾) ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئًا.

وقال الطبري أيضًا:

يقـول تعـالى ذكـره لنبيـه محمـد □: لا تعبـد مـا أمـرك بـه هـؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهـة والأوثـان والأنداد (وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾) لله علـى نعمتـه عليك بمـا أنعم من الهدايـة لعبادتـه، والبـراءة من عبـادة الأصنـام والأوثـان. ونصـب اسم الله بقولـه: (فَاعْبُدْ) وهـو بعـده، لأنـه رد الكـلام، ولـو نصـب بمضـمر قبله، إذا كانت العرب تقول: زيد فليقم. وزيدًا فليقم. رفعًا ونصبًا، الرفع على فلينظر زيد، فليقم، والنصب على انظروا زيدًا فليقم. كـان صـحيحًا جائزًا.

وقال ابن كثير $:

وقولـــه: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾) أي: أخلـــص العبـــادة لله

(١٥٦) أحمر
أسود

وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾) لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾) سبب نزل؟

ج: لم يثبت لها سبب نزول بسندٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ).

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنى، وما عظَّموا الله حق تعظيمه.

وقال آخرون: جهلوا أن الله على كل شيء قدير.

ووجه آخر واردٌ أيضًا لما قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء ما علموا عن حكمة الله كبير علم.

وأيضًا ما عظموا الله حق تعظيمه لما عبدوا معه إلهًا آخر.

(١٥٧) أحمر
أسود

هذا، وقد أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن مسعود ﷺ قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر. تصديقًا له. ثم قرأ: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾).

قال الطبري $:

وقوله: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ) يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان.

وقال ابن كثير $:

يقول تبارك وتعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ) أي: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال الطبري $:

وقوله: (وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيام (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) كلها (مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ) فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله: (قَبْضَتُهُۥ) ، ثم استأنف الخبر عن السموات، فقال: (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ) وهي مرفوعة بمطويات.

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(١٥٨) أحمر
أسود

قال:

وكان ابن عباس يقول: إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه، وليس في شماله شيء.

قلت (مصطفى): وفي سنده عند الطبري ضعف.

وأورد الطبري جملة من الآثار بذلك.

وقال: وقال آخرون: بل السموات في يمينه والأرضون في شماله.

قال السعدي $:

يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئًا.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات - على سعتها وعظمها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، ولا أظلم منه.

(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧) أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ).

ج: لأهل العلم هنا أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كلتاهما بيد الله ﷻ اليمنى ويده الأخرى

ليس فيها شيء.

والثاني: أن السموات بيده اليمنى والأرض بيده الشمال.

الثالث: إمضاء الآية على ظاهرها، فالأرض جميعها (قيل: المراد الأرضون السبع) (قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ). وإلى هنا وقف ثم قال: (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ) أي: أن السموات بيمينه والأرض قبضته ويسكت على هذا إلا أنه قد جاء من سنة النبي □ ما قد يوضح المراد - أسوقها مع التنبيه على أن ذكر الشمال قد ورد في صحيح مسلم(١) من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله □: «**يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة. ثم يأخذهم بيده اليمنى. قم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله. ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وفي سنده عمر بن حمزة متكلم فيه.

وقد عقبه مسلم بطريق أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله □ قال: «**يأخذ الله ﷻ سماواته وأرضه بيديه. فيقول: أنا الله. (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك**» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله □؟

وفي رواية: عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله □ على المنبر، وهو يقول: «**يأخذ الجبار، ﷻ، سماواته وأرضه بيديه**» ثم ذكر.

---

(١) مسلم (٢٧٨٨).

(١٦٠) أحمر
أسود

وعند البخاري[١] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

وأخرج البخاري[٢] أيضًا من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك**».

وعند مسلم[٣] أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حَبرٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الخبر تصديقًا له ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ) سبب نزول؟

ج: أخرج أحمد[٤] بسندٍ صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله ﷻ يحمل الخلائق على إصبع والسموات

---

(١) البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).
(٢) البخاري (٧٤١٢).
(٣) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٤) أحمد في المسند (٣٧٨/١)، وغيره.

على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، فضحك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله ﷻ: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ) الآية.

قلت: كذا روى أحمد $ وغيره لكن ظني أن مرد هذا إلى الحديث السابق، وفيه.. ثم قرأ، وليس فيه فأنزل، فأرى قوله: ثم قرأ، أصح من قول: ثم أنزل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧).

ج: المعنى، والله أعلم، تنزه ربنا وتعالى عما يصفه به الواصفون المشركون من الأشياء التي يصفونه بها ولا يليق به سبحانه وتعالى.

قال الطبري $:

وقوله: (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧) يقول تعالى ذكره تنزيهًا وتبرئة لله، وعلوًّا وارتفاعًا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.

❁ ❁ ❁

س: من الذين استثناهم الله بقوله: (فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ)؟

ج: قيل: إنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: إنهم الشهداء.

وقد وردت في ذلك بعض الأحاديث الضعيفة لا أرى شيئًا منها ثابتًا.

وقد أخرج البخاري ومسلم[(١)] في صحيحهما من حديث أبي هريرة

قال: بينما يهود يعرض سلعة له أُعطي بها شيئًا، كرهه أو لم يرضه -

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(١٦٢) أحمر
أسود

شك عبد العزيز - قال: لا، والذي اصطفى موسى ﷺ على البشر. قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى ﷺ على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمَّة وعهدًا، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «**لم لطمت وجهه؟**»، قال: قال يا رسول الله: والذي اصطفى موسى ﷺ على البشر وأنت بين أظهرنا. قال: فغضبت رسول الله ﷺ حتى عُرف الغضب في وجهه، ثم قال: «**لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله - قال - ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث - أو في أول من بعث - فإذا موسى ﷺ آخذٌ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى ﷺ**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾).

ج: قال الطبري $ في تفسيرها:

وقوله: (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله: (وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

(١٦٣) أحمر
أسود

ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ) ، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرًا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ) [غافر:١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾) أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) أي: أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾) [النازعات:١٣-١٤]، وقال تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾) [الإسراء:٥٢]، وقال تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾) [الروم:٢٥].

وأورد حديث عزاه لأحمد ومسلم (١) من طريق يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال: سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو: إنك تقول: الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ قال: لقد هممت ألا أحدثكم شيئا، إنما قلت: سترون بعد قليل أمرا عظيما. ثم قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي، فيمكث فيهم أربعين-لا أدري أربعين يوما أو**

(١) مسلم (٢٩٤٠)، وأحمد (١٦٦/٢)، واللفظ له.

(١٦٤) أحمر
أسود

أربعين عاما أو أربعين شهرا أو أربعين ليلة -فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيظهر فيهلكه الله. ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه». قال: سمعتها من رسول الله □: «ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا». قال: «فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه، فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق. ثم يرسل الله -أو: ينزل الله مطرا كأنه الطل-أو الظل شك نعمان -فتنبت منه أجساد الناس. ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾) [الصافات: ٢٤]، قال: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار». قال: «فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق».

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) أي فإذا الأموا من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل : قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به وقيل : هذا النظر بمعنى الانتظار أي ينتظرون ما يفعل لهم

(١٦٥) أحمر
أسود

وأجاز الكسائي قيامًا بالنصب كما تقول : خرجت فإذا زيد جالسًا.

❁ ❁ ❁

س: قدر كم بين النفختين؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبَيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبَيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبَيت. «**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبِه فيه يركب الخلق**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وأضاءت الأرض بنور ربها وجيء بكتب الأعمال التي كتبت فيها أعمال العباد وجيء بالنبيين والشهداء ليشهدوا على الأمم، وقضى الله ﷻ بين العباد بالحق فلا يبخس عاملٌ من حقه شيئًا، بل وفيت كل نفس ثواب ما عملته وربي سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق، تبارك وتعالى، للخلائق لفصل القضاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال، ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم

---

(١) البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(١٦٦) أحمر
أسود

بلغوهم رسالات الله إليهم، (وَٱلشُّهَدَآءِ) أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) أي: بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾) قال الله: (وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾) [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: (وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾) [النساء: ٤٠]، ولهذا قال: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أي: من خير أو شر (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾).

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، يقال: أشرقت الشمس. إذا صفت وأضاءت، وأشرقت: إذا طلعت، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه.

وقوله: (وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ) يقول: وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله، والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد □ ، ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله، والشهداء: جمع شهيد، وهذا نظير قول الله: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ) [البقرة: ١٤٣]. وقيل: عنى بقوله: (الشهداء) : الذين قتلوا في سبيل الله، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأن عقيب قوله: (وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) ، وفي ذلك دليل

(١٦٧) أحمر
أسود

واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا.

وقوله: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) يقول تعالى ذكره: وقضي بين النبيين وأممها بالحق، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمثيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا. واستدل من قال هذا بقوله تعالى: (وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾) [ق: ٢١].

وقال بعض العلماء: الشهداء: أمة محمد ، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وأظهر الأقوال في الآية

(١٦٨) أحمر
أسود

عندي: أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾) [يونس: ٤٧]، فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: (۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ) [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾) [الأعراف: ٦]. وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾) [النساء: ٤١]؛ لأن كونه □ هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ) [النحل: ٨٩]، والرسل من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد □: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ) [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) [آل عمران: ١٦٤] الآية.

والمسوغ للإيجاز بحذف الفاعل في قوله تعالى: (وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ) هو: أنه من المعلوم الذي لا نزاع فيه، أنه لا يقدر على المجيء بهم إلا الله وحده جلَّ وعلا.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(١٦٩) أحمر
أسود

(وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا) علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ) أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾) [الكهف: ٤٩]، ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾) [الإسراء: ١٤].

(وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ) ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. (وَٱلشُّهَدَآءِ) من الملائكة، والأعضاء والأرض. (وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ) أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب.

(١٧٠) أحمر
أسود

فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(١٧١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾)

[الزمر: ٧٠-٧٥]

(١٧٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَسِيقَ - زُمَرًا - خَزَنَتُهَآ - وَيُنذِرُونَكُمْ - حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ - مَثْوَى - طِبْتُمْ - صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ - نَتَبَوَّأُ - فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ - حَآفِّينَ - يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَسِيقَ)	حُشر - جُمع - دُفِعَ
(زُمَرًا)	جماعات جماعات
(خَزَنَتُهَآ)	القائمون عليها - البوابون الذين يقومون بأمرها
(وَيُنذِرُونَكُمْ)	يخوفونكم
(حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ)	تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وما كتبه الله عليهم قبل أن يخلقوا
(مَثْوَى)	مكان - مستقر
(طِبْتُمْ)	طابت أعمالكم في دنياكم - فطاب عيشكم في أخراكم - كنتم طيبين فدام طيبكم
(صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ)	أنجز لنا ما وعدنا
(نَتَبَوَّأُ)	نسكن - ننزل
(فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ)	نعم الثواب الذي أُعد للمطيعين
(حَآفِّينَ)	محدقين - محيطين

(١٧٣) أحمر
أسود

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)	يصلون - يقولون: سبحان الله

س: كم باب للنار - أعاذنا الله منها؟

ج: للنار سبعة أبواب، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾) [الحجر: ٤٣-٤٤].

❁ ❁ ❁

س: اذكر ما يبين أن دخول النار على مراحل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) [الزمر: ٧١].

وقوله تعالى: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾) [الملك: ٨].

وقوله تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) [ص: ٥٩].

وقوله تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ) [الأعراف: ٣٨].

إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ...).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وجمع الذين كفروا يوم القيامة ودفعوا

(١٧٤) أحمر
أسود

إلى جهنم دفعًا شديدًا كما قال تعالى: (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾) [الطور: ١٣]، دفعوا إليها جماعات جماعات الأشد إجرامًا أولًا ثم الذين يلونهم في الإجرام جماعات جماعات أيضًا، كما قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾) [مريم: ٦٨-٦٩]، فيدفعون إلى جهنم فإذا وصلوا إليها فتحت أبوابها لاستقبالهم استقبالًا سيئًا بشعًا مخيفًا مروعًا مُهولًا ويستقبلهم الخزان بالتوبيخ والتأنيب قائلين لهم ألم يأتكم في الدنيا رسلٌ منكم أيها البشر، بشرٌ مثلكم يتلون عليكم آيات الله التي تعرفكم بمراده وأحكامه والدالة على توحيده بمراده وأحكامه والدالة على توحيده والتي تحذركم من العذاب الذي ستلقونه في يومكم هذا، تحذركم من مثل هذا الذي ترونه الآن، فيجيب أهل الكفر معترفين مُقرين (بَلَىٰ) أي: قد جاءتنا الرسل وحذرتنا وخوفتنا، ولكن تم ما قضاه الله ووقع ما قدَّره الله ﷻ، فقد كتب عليهم الشقاوة وأنهم سيدخلون النار فلا مفر ولا محيص عنها، وذلك لأعمالهم السيئة التي ارتكبوها وللجنايات التي اجتنوها وشركهم الذي أشركوا.

فحينئذٍ يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم خالدين في جهنم أبد الآبدين لا تخرجون منها ولا تموتون فيها فبئس المقام الذي ستقيمون فيه بئس المقام مقام أهل الكبر والتعالي على الله ورفض الحق.

قال الطبري $:

وقوله: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ) يقول: وحشر الذين كفروا بالله

(١٧٥) أحمر
أسود

إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا.

وقوله: (إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا) السبعة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ) قوامها: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ) يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. قالوا: بلى: يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾) يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به.

يقول تعالى ذكره: فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: (ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ) السبعة على قدر منازلكم فيها (خَٰلِدِينَ فِيهَا) يقول: ماكثين فيها لا ينقلون عنها إلى غيرها. (فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾) يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ وإنما يساقون سوقًا عنيفًا بزجر وتهديد ووعيد، كما قال تعالى: (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾) [الطور:١٣] أي: يدفعون إليها دفعًا. هذا وهم عطاش ظماء، كما قال في الآية الأخرى: (يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾) [مريم: ٨٥-٨٦]. وهم في تلك الحال صُمٌّ وبكم وعمي، منهم من

(١٧٦) أحمر
أسود

يمشي على وجهه، (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾) [الإسراء:٩٧].

وقوله: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا، لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل-: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ) أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم: (بَلَىٰ) أي: قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾) أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشَّقْوة التي كنا نستحقها حيث عَدَلْنا عن الحق إلى الباطل، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في الآية الأخرى: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾) [الملك:٨-١٠]، أي: رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾) [الملك:١١] أي: بعدًا لهم وخسارًا .

وقوله هاهنا: (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ) أي: كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون

(١٧٧) أحمر
أسود

ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به؛ ولهذا قال جل وعلا: (قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ) أي: ماكثين فيها لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، (فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢) أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل .

قال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة والزمر : الجماعات واحدتها زمرة كظلمة وغرفة وقال الأخفش و أبو عبيدة : (زُمَرًاۖ) جماعات متفرقة بعضها إثر بعض قال الشاعر :

وترى الناس إلى منزله زمرًا تنتابه بعد زمر

وقال آخر :

حتى احْزألّت زمر بعد زمر

وقيل: دفعًا وزجرًا بصوت كصوت المزمار (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) جواب إذا وهي سبعة أبواب وقد مضى في (الحجر) (وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ) واحدهم خازن نحو سدنة وسادن ويقولون لهم تقريعًا وتوبيخًا: (أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ) أي الكتب المنزلة على الأنبياء (وَيُنذِرُونَكُمۡ) أي يخوفونكم (لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ) أي قد جاءتنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم (وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١) وهي قوله تعالى: (لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩) [هود : ١١٩]، قوله تعالى : (قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ) أي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى

(١٧٨) أحمر
أسود

الكلام في أبوابها وقال وهب : تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة ومُضر (فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾) تقدم بيانه.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) أي: سوقًا عنيفًا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾) [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعًا، وذلك لامتناعهم من دخولها.

ويساقون إليها (زُمَرًا) أي: فرقًا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضًا، ويبرأ بعضهم من بعض. (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أَبْوَٰبُهَا) لقدومهم وقِرًى لنزولهم.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ) مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟! (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ) التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

(قَالُواْ) مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: (بَلَىٰ) قد جاءتنا رسل

(١٧٩) أحمر
أسود

ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾) أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم.

فـ(قِيلَ) لهم على وجه الإهانة والإذلال: (ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ) كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. (خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ) أبدا، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. (فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾) أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي.

❁ ❁ ❁

س: كم باب للجنة؟

ج: الجنة لها ثمانية أبواب.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم (١) في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو يسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».

وفي الصحيحين (٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الرَّيَّان يدخل منه الصائمون يوم**

---

(١) مسلم (حديث ٢٣٤).

(٢) البخاري (١٨٩٦، ٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).

(١٨٠) أحمر
أسود

القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد».

❁ ❁ ❁

(١٨١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الوارد في صفة أبواب الجنة.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل - قال: «**... فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى..**».

وفي صحيح مسلم[(٢)] من حديث عتبة بن غزوان ﷺ قال: فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم، فيهوى فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قعرًا. والله لتملأن أفعجبتم؟ ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة. وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام. ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ.

وفي الصحيحين[(٣)] من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان**»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ما على أحدٍ يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم وأرجو أن تكون**

---

(١) البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (حديث ١٩٤).
(٢) مسلم (٢٩٦٧).
(٣) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

(١٨٢) أحمر
أسود

منهم».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في أن دخول يكون على مراحل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[١] في صحيحه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة**»، وفي لفظ لمسلم: «**أنا أول من يقرع باب الجنة**».

وعند مسلم[٢] أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

وفي الصحيحين[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري، في السماء إضاءة لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، رشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

وفي الصحيحين[٤] من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف (لا يدري أبو حازم

---

(١) مسلم (١٩٦).
(٢) مسلم (١٩٧).
(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، واللفظ له.
(٤) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).

(١٨٣) أحمر
أسود

أيهما قال) متماسكون. آخذ بعضهم بعضًا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وحشر الذين خافوا ربهم في الدنيا فاتقوا الشرك به، واتقوا مخالفته وعصيانه وامتثلوا أمره ووحدوه وعبدوه فلم يشركوا به شيئًا حشروا حشرًا جميلًا مُكرمين مُعززين كما قال تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾) **[مريم: ٨٥]**، سيقوا إلى جنات النعيم جماعات جماعات الأتقى أولًا ثم الذي دونه في التقوى.

رسول الله □ أولًا ثم الأنبياء ثم الصديقون ثم العلماء والشهداء ثم الأتقى فالأتقى فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة وفتحت لهم أبوابها إذا بخزنتها يرحبون بهم غاية الترحيب يستقبلونهم مُسلمين عليهم مهنئين قائلين لهم السلام عليكم طبتم، كنتم في الدنيا طيبين فدام طيبكم، كنتم تعملون أعمالًا طيبة فهذا مآلكم وهذا جزاؤكم، فها هي الجنان المُعدَّة لكم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تريدون التحول.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئًا (إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ) يعني جماعات، فكان سوق

(١٨٤) أحمر
أسود

هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدا على ما قد بينا قبل فى سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دعًا ووردًا، كما قال الله.

وقال $:

واختلف أهل العربية في موضع جواب «إذا» التي في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) فقال بعض نحويي البصرة: يقال: إن قوله: (وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا) في معنى: قال لهم، كأنه يلغي الواو، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة، كما قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد: فإذا ذلك لم يكن. قال: وقال بعضهم: فأضمر الخبر، وإضمار الخبر أيضًا أحسن في الآية، وإضمار الخبر في الكلام كثير. وقال آخر منهم: هو مكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدة:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشُّردا

وقال الأخطل في آخر القصيدة:

خلا أن حيًّا من قريش تفضلوا على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما الواو في جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب، فجعل الثاني نسقًا على الأول، وإن كان الثاني جوابًا كأنه قال: أتعجب لهذا وهذا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك،

(١٨٥) أحمر
أسود

وإن كان القول الآخر غير مدفوع، وذلك أن قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾) يدل على أن في الكلام متروكًا، إذ كان عقيبه (وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) ، وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: حتى إذا جاءوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وعني بقوله: (سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ) : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى. وقوله: (طِبْتُمْ) يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم.

وقال $:

وقوله: (وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) يقول: وقال الذين سيقوا زمرًا ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، (وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ) يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثًا لنا عنهم.

وقوله: (نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ) يقول: نتخذ من الجنة بيتًا، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي.

وقوله: (فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾) يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة.

وقال ابن كثير $:

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة (زُمَرًا) أي: جماعة بعد جماعة: المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع

(١٨٦) أحمر
أسود

الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا.

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) أي: وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول، فيقصدون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمدًا، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله، ﷻ، أن يأتي لفصل القضاء، ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها.

وقد ثبت في صحيح مسلم[(١)] عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة**» وفي لفظ لمسلم: «**وأنا أول من يقرع باب الجنة**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾) لم يذكر الجواب هاهنا، وتقديره: حتى إذا جاءوها، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا، وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سَعِدوا وطابوا، وسُرّوا وفرحوا، بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم. وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل.

---

(١) مسلم (١٩٧).

(١٨٧) أحمر
أسود

وقال أيضًا:

وقوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) أي: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، كما أمر رسول الله □ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات: «**إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة**» وفي رواية: «**مؤمنة**». وقوله: (فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾) أي: ماكثين فيها أبدًا، لا يبغون عنها حولًا.

(وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) أي: يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم، والملك الكبير، يقولون عند ذلك: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) أي: الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾) [آل عمران: ١٩٤]، (وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ) [الأعراف:٤٣]، (وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾) [فاطر:٣٤-٣٥].

وقولهم: (وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾) قال أبو العالية، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وابن زيد: أي أرض الجنة.

وهذه الآية كقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾) [الأنبياء: ١٠٥]، ولهذا قالوا: (نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ) أي: أين شئنا حللنا، فنعم الأجر أجرنا على عملنا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا) يعني من الشهداء

(١٨٨) أحمر
أسود

والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين : (وَسِيقَ) بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) قيل : الواو هنا للعطف عطف على جملة والجواب محذوف قال المبرد : أي سعدوا وفتحت وحذف الجواب بليغ في كلام العرب وأنشد :

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسها

فحذف جواب لو والتقدير لكان أروح وقال الزجاج : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) دخلوها وهو قريب من الأول وقيل : الواو زائدة وقاله الكوفيون وهو خطأ عند البصريين وقد قيل : إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة بدليل قوله : (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠) [ص: ٥٠] وحذف الواو في قصة أهل النار لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذلالا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله قال النحاس : فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول فقد تكلم فيه بعض أهل العلم بقول لا أعلم أنه سبقه إليه أحد وهو أنه لما قال الله ﷻ في أهل النار : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) دلَّ بهذا على أنها كانت مغلقة ولما قال في أهل الجنة : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) دل بهذا على أنها كانت مفتحة قبل أن يجيئوها والله أعلم.

(١٨٩) أحمر
أسود

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ) بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدًا على النجائب. (إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا) فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها. (وَفُتِحَتۡ) لهم (أَبۡوَٰبُهَا) فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. (وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا) تهنئة لهم وترحيبًا: (سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ) أي: سلام من كل آفة وشر حال.عليكم (طِبۡتُمۡ) أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. (فـ) بسبب طيبكم (ادۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ)؛ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون.

وقال في النار: (فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) وفي الجنة (وَفُتِحَتۡ) بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها إلى الشفاعة عند أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد ، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن

(١٩٠) أحمر
أسود

لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

قال السعدي $:

(وَقَالُواْ) عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومنَّ عليهم وهداهم: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ) أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفَّى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منَّانا. (وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ) أي: أرض الجنة (نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ) أي: ننزل منها أي مكان شئنا، ونتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعًا عنا شيء نريده. (فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾) الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرًا عظيمًا باقيًا مستمرًا.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نُزلًا وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء.

❁ ❁ ❁

س: أهل الجنة كثيرٌ حمدهم لله ﷻ. دلِّل على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي $ في «أضواء البيان» عددًا من الأدلة عند تفسير قوله تعالى: (وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ).

فقال: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة إذا دخلوها وعاينوا ما فيها من النعيم، حمدوا ربهم وأثنوا عليه، ونوهوا بصدق وعده

(١٩١) أحمر
أسود

لهم، وذكر هذا المعنى في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[الأعراف: ٤٣]. وقوله تعالى: (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) الآية.

وقوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾).

[فاطر: ٣٣-٣٥]

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وترى أيها المؤمن إذا دخلت الجنة ملائكة الرحمن ﷻ محدقين حول العرش يصلون ويسبحون، وتسبيحهم وصلاتهم بتوفيق الله لهم، وقضى يومئذٍ بين الخلائق بالحق وقال القائلون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) قالت ذلك الملائكة، وقالها أهل الإيمان.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن، ويعني بالعرش: السرير.

واختلف أهل العربية في وجه دخول (مِنْ) في قوله: (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) والمعنى: حافين حول العرش.

(١٩٢) أحمر
أسود

وفـــي قولـــه: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمـر: ٦٥]، فقـال بعـض نحـويي البصـرة: أدخلـت (مِن) فـي هـذين الموضعين توكيدًا، والله أعلم ، كقولك: ما جاءني من أحد، وقال غيره: قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها (مِنْ) وتخرج، نحو: أتيتك قبل زيد، ومن قبل زيد، وطفنا حولك ومن حولك، وليس ذلك من نوع: ما جاءني من أحد؛ لأن موضع(مِنْ) في قولهم: ما جاءني من أحد رفع، وهو اسم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن (مِنْ) في هذه الأماكن، أعني في قوله: (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ومن قبلك، وما أشبه ذلك، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد.

وقولـه: (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول: يصلون حول عرش الله شكرًا لـه، والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح، وتحذفها أحيانًا، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حمد الله، كما قال جل ثناؤه: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾) [الأعلى: ١] ، وقال في موضع آخر: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: ٧٤ و ٩٦ ـ الحاقة: ٥٢].

وقولـه: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) يقول: وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي لـه الألوهية، وملك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجنٍّ وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق.

(١٩٣) أحمر
أسود

وأورد الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال: (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...) الآية، كلها قال: فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد فقال: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾).

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كُلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور -أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد، يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل؛ ولهذا قال: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم) أي: بين الخلائق (بِالْحَقِّ).

ثم قال: (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) أي: ونطق الكون أجمعه -ناطقه وبهيمه-لله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) يا محمد (حَافِّينَ) أي: محدقين (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) في ذلك اليوم (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) متلذذين بذلك لا متعبدين به أي يصلون حول العرش شكرًا لربهم والحافون أخذ من حافات الشيء ونواحيه قال الأخفش : واحدهم حاف وقال الفراء : لا واحد له؛ إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين ودخلت (مِنْ) على (حَوْلِ) لأنه ظرف والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف وقال الأخفش : (مِنْ) زائدة أي حافين

(١٩٤) أحمر
أسود

حول العرش وهو كقولك : ما جاءني من أحد فمن توكيد الثعلبي : والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح وتحذفها أحيانًا فيقولون : سبح بحمد ربك، وسبح حمدًا الله قال الله تعالى : (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١) [الأعلى : ١]، وقال : (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤) [الواقعة : ٧٤] (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) بين أهل الجنة والنار وقيل : قضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق والعدل (وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥) أي يقول المؤمنون الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الآية : افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ) [الأنعام: ١]، وختم بالحمد فقال: (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥) فلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده وقيل : إن قول (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥) من قول الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضائه.

قال السعدي $:

(وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم (حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ) أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا.

(وَقُضِىَ بَيْنَهُم) أي: بين الأولين والآخرين من الخلق (بِٱلْحَقِّ) الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. (وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥) لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم

(١٩٥) أحمر
أسود

وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

❁ ❁ ❁

تم بحمد الله تفسير سورة الزمر في سؤال وجواب

(١٩٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

سورة غافر

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ
ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ
وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ
ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ
وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن
صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾) [غافر: ١-٩]

(١٩٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(حمٓ - غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ - وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ - ذِى ٱلطَّوۡلِۖ - يَغۡرُرۡكَ - تَقَلُّبُهُمۡ فِى ٱلۡبِلَٰدِ - وَٱلۡأَحۡزَابُ - وَهَمَّتۡ - لِيَأۡخُذُوهُۖ - لِيُدۡحِضُواْ - حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ - وَسِعۡتَ كُلَّ شَىۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا - وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ - وَقِهِمۡ - جَنَّٰتِ عَدۡنٍ - وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ)	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله وقيل: إنه قسمٌ أقسم الله به وقيل: اسم من أسماء القرآن وقيل غير ذلك.
(غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ)	يغفر ذنوب عباده ويسترها عليهم - اسمه غافر
(وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ)	يقبل رجوع العباد إليه بعد ابتعادهم عن طريقه ويقبل رجوعهم إلى طاعته بعد عصيانهم
(ذِى ٱلطَّوۡلِۖ)	ذي الغنى والسعة - ذي القدرة - ذي الفضل والنعم
(يَغۡرُرۡكَ)	يخدعك
(تَقَلُّبُهُمۡ فِى ٱلۡبِلَٰدِ)	تصرفهم - تنقلهم - مكثهم
(وَٱلۡأَحۡزَابُ)	الكفار المجتمعون على حرب الرسل
(وَهَمَّتۡ)	سعت وبذلت الجهد
(لِيَأۡخُذُوهُۖ)	ليقتلوه
(لِيُدۡحِضُواْ)	ليبطلوا

(١٩٨) أحمر
أسود

(حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ)	تحققت كلمة الله التي كتبها على أهل الكفر تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم
(وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا)	وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء، أي: أن رحمتك شملت كل شيء - وعلمك أحاط
(وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ)	سلكوا الطريق الموصل إلى مرضاتك طريق
(وَقِهِمۡ)	اصرف عنهم
(جَنَّٰتِ عَدۡنٍ)	بساتين وحدائق للإقامة الدائمة
(وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ)	اصرف عنهم عقوبة المعاصي والسيئات التي ارتكبت واحفظهم من أن يقعوا في السيئات

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله العزيز العليم من عنده نزل هذا القرآن، فهذا القرآن نزل من العزيز الذي لا يعجز عن شيءٍ والذي يُمضي ما أراد والذي يقلب على أمره فكل ما يريده يكون، (ٱلۡعَلِيمِ ٢) بخلقه وبما ينفعهم، ومن ثمَّ أنزل لهم ما ينتفعون به في دنياهم وأخراهم.

ثم يصف الله ﷻ نفسه وما يفعله بخلقه فيقول تعالى: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ)، فلم يزل يغفر لعباده الذنوب قبل نزول الآية وبعد نزولها.

وكذا فإنه سبحانه يقبل توبتهم ورجوعهم إليه إذا أرادوا الرجوع إلى طريقه وامتثال أمره ثم يحذر الله ﷻ فيقول: (شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ) لمن تمرد على أمره وعصاه وتمادى في غيِّه وطغيانه، فترهيب بعد ترغيب.

(١٩٩) أحمر
أسود

ويبين ربنا فضله على عباده بقوله: (ذِى ٱلطَّوۡلِۖ) ذي الغنى والفضل والقدرة.

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣) لا إله غيره ولا معبود سواه إليه المرجع والمآب يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته.

قال الطبري $:

وقوله: (تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢) يقول الله تعالى ذكره: من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب؛ فالتنزيل مرفوع بقوله: (مِنَ ٱللَّهِ).

وفي قوله: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ) وجهان؛ أحدهما: أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد وقال: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ) ولم يقل الذنوب؛ لأنه أريد به الفعل، وأما قوله: (وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ) فإن التوب قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة، كما قال الشاعر:

عوم السفين فلما حال دونهم

وقد يكون مصدر تاب يتوب توبًا.

وقوله: (شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ) يقول تعالى ذكره: شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلوا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، فإنه كما أن لا يؤيس أهل الإجرام والآثام من عفوه، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه، وركبوا من معاصيه.

وقوله: (ذِى ٱلطَّوۡلِۖ) يقول: ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء

(٢٠٠) أحمر
أسود

من خلقه؛ يقال منه: إن فلانًا لذو طول على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم. وقوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم، الذي صفته ما وصف جل ثناؤه، فلا تعبدوا شيئًا سواه (إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣) يقول تعالى ذكره: إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس، فإياه فاعبدوا، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢) أي: تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن-من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام جنابه، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه.

وقوله: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ) أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخَضَع لديه.

وقوله: (شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ) أي: لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله، وبغى. وهذه كقوله تعالى: (۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠) [الحجر : ٤٩-٥٠] يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن؛ ليبقى العبد بين الرجاء والخوف.

وقوله: (ذِي ٱلطَّوۡلِۖ) قال ابن عباس: يعني: السعة والغنى. وكذا قال مجاهد وقتادة.

وقال يزيد بن الأصم: (ذِي ٱلطَّوۡلِۖ) يعني: الخير الكثير.

وقال عكرمة: (ذِي ٱلطَّوۡلِۖ) ذي المنِّ.

وقال قتادة: ذي النعم والفواضل.

(٢٠١) أحمر
أسود

والمعنى: أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والأنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، (وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ...) الآية [إبراهيم : ٣٤].

وقوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه (إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣) أي: إليه المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، (وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١) [الرعد : ٤١].

❁ ❁ ❁

س: لماذا يجادل أهلُ الكفر؟

ج: يجادلون لإبطال الحق الذي جاءت به الرسل ولتضليل العباد.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ).

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه لا يجادل في آيات الله، أي لا يخاصم فيها محاولًا ردها، وإبطال ما جاء فيها، إلا الكفار.

وقد بيَّن تعالى في غير هذا الموضع الغرض الحامل لهم على الجدال فيها مع بعض صفاتهم، وذلك في قوله: (وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦) [الكهف: ٥٦]، وأوضح ذلك الغرض في هذه السورة الكريمة، في قوله: (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ).

وقد قدمنا في سورة الحج أن الذين يجادلون في الله منهم، أتباع يتبعون رؤساءهم المضلين، من شياطين الإنس والجن، وهم المذكورون في قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ

(٢٠٢) أحمر
أسود

عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾) [الحج: ٣-٤].

وأن منهم قادة هم رؤساؤهم المتبوعون وهم المذكورون في قوله تعالى:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) الآية. [الحج: ٨-٩].

وبين تعالى في موضع آخر أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا لله وآمنوا به وبرسوله، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان، وبين بطلان حجة هؤلاء، وتوعدهم بغضبه عليهم، وعذابه الشديد وذلك في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾) [الشورى: ١٦].

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾) [غافر: ٤] أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾).

(٢٠٣) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، ما يخاصم في آيات الله ويحاول إبطالها ودحضها بالباطل إلا الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ، فلا تتأثر بذلك، وقد ترى أنهم يُمتعون في الدنيا ويتصرفون في البلاد كيف شاءوا وتنقلوا من مكانٍ إلى مكان وهم آمنون مطمئنون فلا تنخدع بهذا، لا يخدعنك هذا ولا تظن أنهم على حقٍّ، بل متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيده.

وقوله: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤) يقول جلَّ ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم بربهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنا لم نمهلهم لذلك، ولكن ليبلغ الكتاب أجله، ولتحق عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤) أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) أي: الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤) أي: في أموالهم ونعيمها وزهرتها، كما قال: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ) [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، وقال تعالى: (نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤)

(٢٠٤) أحمر
أسود

[لقمان : ٢٤].

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى : (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) سـجل سـبحانه علـى المجـادلين فـي آيـات الله بـالكفر والمـراد الجـدال بالباطـل مـن الطعـن فيهـا والقصد إلـى إدحـاض الحـق وإطفـاء نـور الله تعـالى وقـد دل علـى ذلـك فـي قولـه تعـالى: (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ) [غافر : ٥]، فأمـا الجـدال فيهـا لإيضـاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقد مضـى هـذا المعنـى فـي (البقرة) عند قوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ) [البقرة : ٢٥٨] مستوفى (فَلَا يَغۡرُرۡكَ) وقـرئ : (**فـلا يغـرك**) (تَقَلُّبُهُمۡ) أي: تصـرفهم (فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤) فـإني وإن أمهلـتهم لا أهملهـم بـل أعـاقبهم قـال ابـن عبـاس : يريـد تجـارتهم مـن مكـة إلـى الشـام وإلـى الـيمن وقيـل : (يَغۡرُرۡكَ) مـا هـم فيـه مـن الخيـر والسـعة فـي الـرزق فإنـه متـاع قليـل فـي الـدنيا وقـال الزجـاج : (فَلَا يَغۡرُرۡكَ) سلامتهم بعد كفرهم فإن عاقبتهم الهلاك وقال أبو العالية : آيتـان مـا أشدهما على الذين يجادلون في القرآن : قوله : (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) وقوله : (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦) [البقرة : ١٧٦].

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قولـه تعالى: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤).

نـهى الله جل وعلا نبيه □ في هذه الآية الكريمة، ليشرع لأمتـه عن أن يغره تقلب الذين كفروا في بلاد الله، بالتجـارات والأربـاح، والعافيـة وسـعة الـرزق، كمـا كانـت قـريش تفـيض عليهـا الأمـوال مـن أربـاح التجـارات،

(٢٠٥) أحمر
أسود

وغيرها من رحلة الشتاء والصيف المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريش: ٢] أي: إلى اليمن والشام وهم مع ذلك كفرة فجرة، يكذبون نبي الله ويعادونه.

والمعنى: لا تغتر بإنعام الله عليهم تقلبهم في بلاده، في إنعام وعافية فإن الله جل وعلا يستدرجهم بذلك الإنعام، فيمتعهم به قليلًا، ثم يهلكهم فيجعل مصيرهم إلى النار.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

والفاء في قوله: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾، سببية، أي: لا يمكن تقلبهم في بلاد الله متنعمين بالأموال والأرزاق، سببًا لاغترارك بهم، فتظن بهم ظنًّا حسنًا لأن ذلك التنعم، تنعم استدراج، وهو زائل عن قريب، وهم صائرون إلى الهلاك والعذاب الدائم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ

(٢٠٦) أحمر
أسود

عِقَابِ ﴿٥﴾).

ج: يقص الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ أخبار الأمم المكذبة من قبله حتى يتصبر ويتسلى ويعلم أنه ليس وحده في هذا الطريق، فأعداء الرسل هم أعداؤه، ثم يبين له أن العاقبة للتقوى، وأن العذاب الشديد على من كذب وتولى ويبين سبحانه أن أهل الباطل بذلوا ما استطاعوه من جهدٍ وجادلوا بالكذب والزور والبهتان لإبطال الحق الذي جاءتهم به رسلهم، بل وسعوا لقتل رسلهم وبذلوا في سبيل ذلك ما استطاعوا، ولكن الله سلَّم الرسل وعافاهم، وأخذ أهل الباطل أخذًا شديدًا.

قال الطبري $:

ثم قصَّ على رسول الله ﷺ قصص الأمم المكذبة رسلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وأنه أحل بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعذار رسله إليهم وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه، إعلامًا منه بذلك نبيه أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نقمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولًا المجادليك بالباطل، قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمَّعوا على رسلهم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين وأشباههم.

وقوله: (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره: وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة رسلها، المتحزبة على أنبيائها، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه.

(٢٠٧) أحمر
أسود

وقولـه: (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ) يقـول: وخاصـموا رسـولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم لـه الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل.

وقولـه: (فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥) يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي، فكيف كان عقابي إياهم، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال تعالى مسليًا لنبيه محمد □ في تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء؛ فإنه قد كذبتهم أممهم وخالفوهم، وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال: (كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ) وهو أول رسول بَعَثه الله ينهى عن عبادة الأوثان، (وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ) أي: من كل أمة، (وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ) أي: حرصوا على قتله بكل ممكن، ومنهم من قتل رسوله، (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ) أي: مَاحَلُوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي.

وقوله: (فَأَخَذۡتُهُمۡۖ) أي: أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام، (فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥) أي: فكيف بلغك عذابي لهم، ونكالي بهم؟ قد كان شديدًا موجعًا مؤلمًا.

قال قتادة: كان والله شديدًا.

وقال القرطبي $:

(٢٠٨) أحمر
أسود

قوله تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) على تأنيث الجماعة أي كذبت الرسل (وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ) أي والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) أي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة و السدي : ليقتلوه والأخذ يرد بمعنى الإهلاك كقوله : (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾) [الحج : ٤٤] والعرب تسمي الأسير الأخيذ؛ لأنه مأسور للقتل وأنشد قطرب قول الشاعر :

فإما تأخذوني تقتلوني فكم من آخذ يهوى خلودي

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان : أحدهما: عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم (وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ) أي ليزيلوا ومنه مكان دحض أي مزلقة والباطل داحض لأنه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام : جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان (فَأَخَذْتُهُمْ) أي بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾) أي: عاقبة الأمم المكذبة أي أليس وجدوه حقًّا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أن ما قضاه الله وكتبه وقدره على الأمم الكافرة المتقدمة قد تحقق ووقع كما أراد الله وكما كتب فهؤلاء الكفار أيضًا سيصيبهم ما أصاب من كانوا قبلهم وسيتحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وهو أنهم سيكونون من أصحاب النار.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها التي

(٢٠٩) أحمر
أسود

قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحل بها عقابي بتكذيبهم رسلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحق، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله.

وقوله: (أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦) اختلف أهل العربية في موضع قوله: (أَنَّهُمْ)، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار: أي لأنهم، أو بأنهم، وليس أنهم في موضع مفعول ليس مثل قولك: أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت، لأنهم. وكان غيره يقول: (أَنَّهُمْ) بدل من الكلمة، كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار.

والصواب من القول في ذلك، أن قوله: (أَنَّهُمْ) ترجمة عن الكلمة، بمعنى: وكذلك حق عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولـــــه: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦) أي: كما حقت كلمةُ العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأحرى؛ لأن من كذّبك فلا وثوق له بتصديق غيرك.

❁ ❁ ❁

س: اذكر شيئًا من الأحاديث الواردة في شأن حملة العرش.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو داود[(١)] في سننه بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد الله ڤ

---

(١) أبو داود رقم (٤٧٢٧).

(٢١٠) أحمر
أسود

عن النبي ﷺ قال: «أُذن لي أن أحدثكم عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وأخرج أبو يعلى[(١)] بإسناد صحيح عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُذن لي أن أحدثكم عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون**».

وسيأتي - إن شاء الله - في تفسير قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ..) **[سبأ: ٢٣]**، ما أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)] وفيه: «.. **إذا قضى الله أمرًا سبح حملة العرش..**»، وفيه: «**ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم..**».

❁ ❁ ❁

س: كم عدد حملة العرش يوم القيامة؟

ج: عددهم ثمانية، قال تعالى: (وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧) **[الحاقة: ١٧]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ...) الآيات إلى: (ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩).

ج: الحاصل، والله أعلم، أن الله ﷻ يذكر بحملة العرش وما يقولون بشأن أهل الإيمان فيقول تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ) وهم الملائكة الذين يحملون عرش الرحمن، وهم من أفضل الملائكة، والذين من حول العرش كذلك، يصلون لله ويسبحونه بتوفيق الله لهم لذلك وإعانتهم على

(١) أبو يعلى (٦٦١٩).
(٢) مسلم (٢٢٢٩).

(٢١١) أحمر
أسود

ذلك، ويصدقون بوحدانيته وقدرته ويستغفرون لأهل الإيمان الذين صدقوا بوحدانية الله وعبدوه ولم يشركوا به شيئًا، يستغفرون لهم إذا صدرت منهم ذنوب أو صدرت منهم معاصٍ فيقولون يا ربنا: (وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) رحمتك يا رب شملت كل شيء وعلمك يا ربنا أحاط بكل شيء فلا تحفى يا رب عليك خافية، فيا ربنا يا رحيم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم عبادك المؤمنين هؤلاء فأنت أعلم بهم وبتوحيدهم لك وعبوديتهم لك قد أحطت بهم وبغيرهم علمًا، فاغفر لهؤلاء الرجاعين إليك بعد زلات القدم منهم، اقبل يا ربنا رجوعهم ولا تَرُدُّهم ولا تطردهم، اغفر يا ربنا لهؤلاء الذين سلكوا الطريق إليك وأسلموا الوجوه لك إذا زلت منهم الأقدام أو تعثروا بسيئات ومعاص، فهم أصل توحيدك والإنابة إليك يا ربنا واصرف عنهم عذاب الجحيم.

وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به كذلك) في دعائهم فيقولون: (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾) يا ربنا قد وعدتهم بجنات عدن بحدائق وبساتين لا يتحولون عنها ولا يزولون، وعدتهم يا رب بإقامة دائمة في فسيح الجنات فأنجز لهم يا ربنا ما وعدتهم، وأدخل يا ربنا معهم من استقام من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى تقر أعينهم بهذا الاجتماع المبارك في جنات النعيم، يا ربنا إنك أنت العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده الحكيم فيما تصنع وفيما تشرع وفي كل شيء، وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به) في الدعاء لأهل الإيمان أن يصرف الله ﷻ عنهم المعاصي في الدنيا والسيئات والأعمال السيئة التي

(٢١٢) أحمر
أسود

تسؤهم في الآخرة، فيقولون: (وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) في الدنيا (فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ) بإبعاده عن السيئات وإدخاله الجنات، وذلك من أعظم الفوز، ألا وهو أن يرث الشخص جنات النعيم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحف به من الملائكة (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره (وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ) يقول: ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) يقول: ويسألون ربهم أن يغفر - للذين أقروا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه - ذنوبهم، فيعفوها عنهم.

وقوله: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) ، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون؛ ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا. ويعني بقوله: (وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك.

وقوله: (فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ) يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك.

وقوله: (وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾) يقول: واصرف عن الذين تابوا من الشرك، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة.

وقال $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده،

تقول: يا (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ) يعني: بساتين إقامة (ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ) يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها (وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ) يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا (وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ) جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه.

وقال $:

يعني تعالى ذكره بقوله مخبرًا عن قيل ملائكته: وقهم: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به (وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ) يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك (وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩) لأنه من نجا من النار وأُدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حَمَلة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، (وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ) أي: خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي: من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه

(٢١٤) أحمر
أسود

بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم [(١)]: «**إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثل**».

وقال ابن كثير $:

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) أي: إن رحمتك تَسَع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به، من فعل الخيرات وترك المنكرات، (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾) أي: وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع الأليم. (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) أي: اجمع بينهم وبينهم، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) [الطور: ٢١] أي: ساوينا بين الكل في المنزلة، لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا الناقص في العمل، فساويناه بكثير العمل، تفضلًا منًّا ومنة.

وقال $:

وقوله: (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾) أي: الذي لا يمانع ولا يغالب، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الحكيم في أقوالك وأفعالك، من شرعك وقدرك.

(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أي: فعلها أو وَبالها ممن وقعت منه، (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) أي: يوم القيامة، (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) أي: لطفت به ونجيته من

(١) مسلم (٢٧٣٢).

(٢١٥) أحمر
أسود

العقوبة، ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ
تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا
ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا
دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ
﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ
لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ
لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ
خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞أَوَلَمْ يَسِيرُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ
مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ
﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾) [غافر: ١٠-٢٢]

(٢١٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لَمَقْتُ -فَٱلْحُكْمُ -يَتَذَكَّرُ -يُنِيبُ -فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ -مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ -رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ -ذُو ٱلْعَرْشِ -ٱلرُّوحَ -يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ -بَٰرِزُونَۖ -ٱلْقَهَّارِ -يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ -ٱلْحَنَاجِرِ -كَظِمِينَۚ -لِلظَّٰلِمِينَ -حَمِيمٍ -شَفِيعٍ -خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ -يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ -وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ -وَاقٍ -بِٱلْبَيِّنَٰتِ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَمَقْتُ)	لبغض الله لكم - لكراهية الله لكم
(فَٱلْحُكْمُ)	فالقضاء
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعتبر
(يُنِيبُ)	يرجع إلى طاعة الله
(فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ)	فاعبدوا الله
(مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)	مفردين إياه بالعبادة لا تعبدون معه غيره لا تشركوا في تدينكم وعبادتكم له أحدًا
(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ)	عالي القدر والمقام والمكان
(ذُو ٱلْعَرْشِ)	صاحب العرش، والعرش سرير الملك
(ٱلرُّوحَ)	الوحي - النبوة - القرآن
(يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ)	يوم لقاء الأولين والآخرين يوم لقاء الله ٥
(بَٰرِزُونَۖ)	ظاهرون
(ٱلْقَهَّارِ)	الذي قهر كل شيء وغلب كل شيء
(يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ)	يوم القيامة، وسُمِّيت بذلك لقرب وقوعها

(٢١٨) أحمر
أسود

(ٱلۡحَنَاجِرَ)	جمع حنجرة
(كَٰظِمِينَۚ)	ساكتين - باكين - ممتلئين همومًا وغمومًا - كاتمين للقلوب لا يستطيعون ردها إلى مكانها
(لِلظَّٰلِمِينَ)	للمشركين
(حَمِيمٍ)	قريب - صديق مقرب
(شَفِيعٍ)	شافع يشفع لهم
(خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ)	ما خانت به الأعين وخالفت أمر ربها - ما يصدر من الأعين من الخيانات والمخالفات
(يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ)	يحكم بالعدل
(وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ)	الآثار التي تركوها أي: وتركوا آثارًا في الأرض تدل على قوتهم
(وَاقٍ)	من يقيهم العذاب - شخص يدفع عنهم العذاب
(بِٱلۡبَيِّنَٰتِ)	بالدلالات الواضحات

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠).

ج: المعنى، والله أعلم، أن أهل الكفر إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم مقتًا شديدًا ولاموها وسبوها فتناديهم الملائكة لمقت الله لكم في الدنيا حينما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشد من مقتكم الآن لأنفسكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٢١٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلَّ بكم من سخط الله عليكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾)
يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار: أنهم يُنَادَون يوم القيامة وهم في غَمَرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارًا عاليًا، نادوهم نداء بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يُعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه دخول اللام في قوله تعالى: (لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..)؟

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

(٢٢٠) أحمر
أسود

واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله: (لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ) فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: هي لام الابتداء، كان ينادون يقال لهم؛ لأن في النداء قولًا. قال: ومثله في الإعراب يقال: لزيد أفضل من عمرو. وقال بعض نحويي الكوفة: المعنى فيه: ينادون إن مقت الله إياكم، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام: ناديت أن زيدًا قائم، قال: ومثله قوله: (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥) [يوسف: ٣٥] اللام بمنزلة «إن» في كل كلام ضارع القول مثل: ينادون ويخبرون، وأشباه ذلك.

وقال آخر غيره منهم: هذه لام اليمين، تدخل مع الحكاية، وما ضارع الحكاية لتدل على أن ما بعدها ائتناف. قال: ولا يجوز في جوابات الإيمان أن تقوم مقام اليمين؛ لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن، فاكتفي بها من اليمين؛ لأنها لا تقع إلا معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالموتتين والحياتين؟

ج: قال كثيرون من أهل العلم:

إن الموتة الأولى: وهم في أصلاب الآباء.

والحياة الأولى: خروجهم إلى الدنيا.

والموتة الثانية: هي عند وفاتهم في الدنيا.

والحياة الثانية: عند بعثهم يوم القيامة للحساب.

(٢٢١) أحمر
أسود

وقد استوفيت الحديث عن هذا في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..).

[البقرة: ٢٨]

هذا، وقد أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال: كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان.

قال الشنقيطي $:

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإماتة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفًا وعلقًا، ومضغًا قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت.

والإماتة الثانية: هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا.

وأن المراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياءة الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء والخلود الأبدي، الذي لا موت فيه؛ إما في الجنة وإما في النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق، أن الله صرح به واضحًا في قوله جلَّ وعلا: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾) [البقرة: ٢٨]، وبذلك

(٢٢٢) أحمر
أسود

تعلم أن ما سواه من الأقوال الآية لا معوّل عليه.

والأظهر عندي أن المسوغ الذي سوغ إطلاق اسم الموت على العلقة، والمضغة مثلًا، في بطون الأمهات، أن عين ذلك الشيء، الذي هو نفس العلقة والمضغة، له أطوار كما قال تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾) [نوح: ١٤]، (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) [الزمر: ٦]، ولما كان ذلك الشيء، تكون فيه الحياة في بعض تلك الأطوار، وفي بعضها لا حياة له، صح إطلاق الموت والحياة عليه من حيث إنه شيء واحد، ترتفع عنه الحياة تارة وتكون فيه أخرى، وقد ذكر له الزمخشري مسوغًا غير هذا، فانظره إن شئت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾).

ج: هذا نداء وإقرار من أهل الكفر فيقولون: يا ربنا أمتنا مرتين وأحييتنا مرتين فأقررنا لك بأننا أذنبنا وأجرمنا فهل من طريق للخروج من النار.

قال الحافظ ابن كثير $:

والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله، ٥، في عرصات القيامة، كما قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنَّكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

(٢٢٣) أحمر
أسود

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾) [الأنعام:٢٧-٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسّها وحَسِيسها ومقامعها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾) [فاطر:٣٧]، (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾) [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨]، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مُقدّمة، وهي قولهم: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) [غافر: ١١] أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾) أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون. فأُجِيبُوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾).

قد بين جلَّ وعلا في غير هذا الموضع، أن الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت لا ينفع، كما قال تعالى: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾) [الملك: ١١]، وقال تعالى: (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة: ١٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾)، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأعراف في الكلام على قوله

(٢٢٤) أحمر
أسود

تعـالى: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) [الأعراف: ٣٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الجواب الذي أُجبتم به، وهو عدم خروجكم من النار وعدم إجابة طلبكم للخروج منها لأنكم كنتم في الدنيا إذا دعيتم إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له جحدتم ذلك وأبيتم واستكبرتم، وإذا كان هناك شرك صدقتم وإذا دعيتم إلى الشرك بالله أجبتم فها هنا الحكم والقضاء لله ﷻ يفصل بينكم وبين من كذبتموه من المرسلين، القضاء لله العلي على كل شيء الكبير الذي يتصاغر دونه كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه؛ وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون (بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ) ، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم: (أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا) [ص: ٥].

(وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ) يقول: وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له (فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾) يقول: فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرًا له اليوم.

وقال ابن كثير $:

ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل

(٢٢٥) أحمر
أسود

تَجْحَده وتنفيه؛ ولهذا قال تعالى: (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ) أي: أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا، كما قال تعالى: (وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨) [الأنعام: ٢٨] .

وقوله: (فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢) أي: هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو .

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ هو الذي يريكم آياته الدالة على قدرته كالسموات والأرض وما بينهما وما فيهما كآياته في أنفسكم كآياته فيما حولكم وينزل لكم من السماء غيثًا يغيثكم به، ولكن ما يتعظ وما يعتبر إلَّا من رجع إلى طاعة الله واستقام فهذا الذي ينتفع بالآيات.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ) يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣) يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ) أي: يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه

(٢٢٦) أحمر
أسود

في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ) ، وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف ألوانه وطعومه، وروائحه وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، (وَمَا يَتَذَكَّرُ) أي: يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣) أي: من هو بصير منيب إلى الله، ٥.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ) أي دلائل توحيده وقدرته (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ) جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق لأن بالآيات قوام الأديان وبالرزق قوام الأبدان وهذه الآيات هي السموات والأرضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا (وَمَا يَتَذَكَّرُ) أي ما يتعظ بهذه الآيات فيوحد الله (إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣) أي يرجع إلى طاعة الله.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ).

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جل وعلا هو الذي يُري خلقه آياته، أي الكونية القدرية ليجعلها علامات لهم على ربوبيته، واستحقاقه العبادة وحده. ومن تلك الآيات: الليل والنهار والشمس والقمر كما قال تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ) الآية [فصلت: ٣٧].

(٢٢٧) أحمر
أسود

ومنها السماوات والأرضون وما فيهما، والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا، كما قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ) إلى قوله: (لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾) [البقرة: ١٦٤]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾) [آل عمران: ١٩٠]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾) [الجاثية: ٣-٥]، وقال تعالى: (إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾) [يونس: ٦].

وما ذكره جل وعلا في آية المؤمن هذه، من أنه هو الذي يُرِي خلقه آياته، بيَّنه وزاده إيضاحًا في غير هذا الموضع، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق، كما قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ) [فصلت: ٣٥].

(ٱلْأَفَاقِ) جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

وبين أيضًا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئًا منها: تسخيره لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها

(٢٢٨) أحمر
أسود

وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

وبيَّن في بعض المواضع، أن من آياته التي يريها بعض خلقه، معجزات رسله، لأن المعجزات آيات، أي دلالات، وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦]، وبين في موضع آخر، أن من آياته التي يريها خلقه، عقوبته المكذبين رسله، كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل... إلخ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، أفردوه وحده بالطاعة والعبادة، وإن كره ذلك فكم أهلُ الكفر، فلا تلتفوا إليهم ولا تُبالوا بهم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □

(٢٢٩) أحمر
أسود

وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئًا مما دونه (وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤) يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات الكريمات: (رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ...) إلى قوله: (سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ المستحق لعباده هو رفيع الدرجات قد استوى على عرشه، والعرش فوق السماء السابعة والعرش عرشه، وهو سرير الملك، تبارك ربنا وتعالى وتقدس يُلقي الوحي والنبوة والكتاب على من يشاء من عباده فهو الذي يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس يلقي الروح ويرسل الرسل وينزل الكتب مُنذرًا مُحذرًا من يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون والسابقون واللاحقون وأهل السماء وأهل الأرض، ويلتقي العباد فيه بربهم ﷻ كما قال تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ).

[البقرة: ٢٢٣]

وذلك يوم هم بارزون ظاهرون لا تخفى على الله منهم خافية، فحينئذ ينادى لمن الملك اليوم؟ أين الذين كانوا ينازعون في الدنيا ويقولون نحن الملوك ونحن... ونحن، أين هم الآن؟ فالجواب: لله الواحد القهار، لا ملك لأحدٍ سواه وهو الذي قد قهر كل شيء.

فيقال حينئذٍ اليوم تُجازى كل نفس بعملها ليس هناك بخسٌ وليس هناك

(٢٣٠) أحمر
أسود

ظلم، (إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾) ذو سرعة في محاسبة العباد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات؛ ورفع قوله: (رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ) على الابتداء؛ ولو جاء نصبًا على الرد على قوله: فادعوا الله، كان صوابًا. (ذُو ٱلْعَرْشِ) يقول: ذو السرير المحيط بما دونه. وقوله: (يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) يقول: ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الوحي.

وقال آخرون: عني به القرآن والكتاب.

وقال آخرون: عني به النبوة.

وقوله: (لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾) يقول: لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم التلاق، وذلك يوم القيامة.

وقوله: (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ) يعني بقوله: (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ) يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعني للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج . و(هُم) من قوله: (يَوْمَ هُم) في موضع رفع بما بعده، كقول القائل: فعلت ذلك يوم الحجاج أمير.

وقوله: (لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ) أي ولا من أعمالهم التي عملوها في

الدنيا (شَيۡءٞ).

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ) ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بجبل ولا مدر.

وقوله: (لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ) يعني بذلك: يقول الربُّ: لمن الملك اليوم؛ وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله: (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦) وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل. ومعنى الكلام: يقول الرب: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ) الذي لا مثل له ولا شبيه (ٱلۡقَهَّارِ ١٦) لكل شيء سواه بقدرته، الغالب بعزته.

وقال $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب: (ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ) يقول: اليوم يثاب كل عامل بعمله، فيوفى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه.

وقوله: (لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ) يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسنًا، ولا حمل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه (إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧) يقول: إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى عن عظمته وكبريائه، وارتفاع عرشه العظيم العالي على

(٢٣٢) أحمر
أسود

جميع مخلوقاته كالسقف لها، كما قال تعالى: (مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾) [المعارج: ٣-٤].

وقال أيضًا:

وقوله: (يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ)، كقوله تعالى: (يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾) [النحل: ٢]، وكقوله: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ) [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، ولهذا قال: (لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ) [غافر: ١٥].

وقال أيضًا:

وقوله: (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ) أي: ظاهرون بادون كلهم، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم. ولهذا قال: (يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ) أي: الجميع في علمه على السواء.

وقال:

وقوله: (ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة؛ ولهذا قال: (لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ) كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي ذر، عن رسول الله □ -فيما يحكي عن ربه ﷻ- أنه قال: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** -إلى أن قال:- **يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

(٢٣٣) أحمر
أسود

وقولـه: (إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾) أي: يحاسب الخلائق كلهم، كما يحاسب نفسًا واحدة، كما قال: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ) **[لقمان: ٢٨]**، وقال: (وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾) **[القمر: ٥٠]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ..) **الآيات.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وحذِّر يا رسول الله أهل الشرك من يوم القيامة ذلكم اليوم القريب الذي فيه تنخلع القلوب من أماكنها وتنتقل من شدة الهلع والخوف فتصل إلى الحناجر فتتعلق القلوب بالحناجر وتنشب بها فلا يستطيعون ردها إلى أماكنها فيكظمونها رغمًا عنهم لا تخرج فيستريحون بالموت ولا ترجع إلى أماكنها وهم سكوت ممتلئين همًّا وغمًّا، فحينئذٍ ليس لأهل الشرك قريب يدافع عنهم ولا صديق قريب، ولا شافع يشفع فيهم ثم العود إلى التحذير وبيان مراقبة الله ﷻ للعباد وإطلاعه على ما في نفوسهم، فيقول تعالى: (يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ) يعلم ما صدر من الأعين من الخيانات والجنايات والمخالفات لأمر الله ويعلم لحظ البصر وإن أخفاه الشخص عن الناس وكذا يعلم ربي سبحانه وتعالى ما أضمرته الصدور وما حوته بداخلها ثم هو يحكم بالعدل أما الأوثان والأصنام فلا تقضي بشيء ولا تحكم بشيء، فهي لا تسمع ولا تعقل ولا تعي، لكن ربنا ﷻ هو السميع لأقوال خلقه ولحركاتهم وسكناتهم البصير بهم أينما يكون وحيثما يكونون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

(٢٣٤) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعني يوم القيامة، أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم.

وقوله: (إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ) يقول تعالى ذكره: إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا.

وأورد بسند حسن عن قتادة: (إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ) قال: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها.

وقال $:

وقوله: (مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل.

وقوله: (يُطَاعُ ﴿١٨﴾) صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع، فأجيب وقبلت شفاعته له.

وقوله: (يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ) يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم؛ يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه (وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ) يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خانته الأعين بنظرها،

(٢٣٥) أحمر
أسود

وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحسنى، والذين رددوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدرت، جزاءها.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ) يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئا، ولا تقدر على شيء، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئا، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠) يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة: **(والذين تدعون من دونه)** بالتاء على وجه الخطاب. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال ابن كثير $:

يوم الآزفة هو: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: (أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨) [النجم:٥٧، ٥٨]،

(٢٣٦) أحمر
أسود

وقال: (ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١) [القمر: ١]، وقال: (ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ) [الأنبياء:١]، وقال: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ) [النحل:١]، وقال: (فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧) [الملك:٢٧].

وقوله: (إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ)، قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عكرمة، والسدي، وغير واحد.

ومعنى: (كَٰظِمِينَۚ) أي: ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه (يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨) [النبأ:٣٨].

وقال ابن جُرَيْج: (كَٰظِمِينَۚ) أي: باكين.

وقوله: (مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ۝١٨) أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.

وقوله: (يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩) يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حَقّ الحياء، ويَتَّقُوهُ حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

وقوله: (وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ) أي: يحكم بالعدل.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ) أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، (لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ) أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾) أي: سميع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

وقال الشنقيطي $:

(وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ) أي: يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾) [النجم: ٥٧-٥٨]، وقوله تعالى : (ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ) [القمر : ١] الآية . وقوله تعالى: (ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) [الأنبياء : ١] الآية . وقوله تعالى في الأحزاب : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾) [الأحزاب : ٦٣]، وقوله تعالى في الشورى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) [الشورى : ١٧] .

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ) الظاهر فيه ، أن إذ ، بدل من يوم ، وعليه فهو من قبيل المفعول به ، لا المفعول فيه ، كما بينا آنفًا .

والقلوب : جمع قلب وهو معروف .

ولدى : ظرف بمعنى عند .

والحناجر : جمع حنجرة وهي معروفة .

ومعنى كون القلوب لدى الحناجر ، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان .

أحدهما : ما قاله قتادة وغيره ، من أن قلوبهم يومئذ ، ترتفع من أماكنها في الصدور حتى تلتصق بالحلوق ، فتكون لدى الحناجر ، فلا هي

(٢٣٨) أحمر
أسود

تخرج من أفواههم فيموتوا ، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا . وهذا القول هو ظاهر القرآن .

والوجه الثاني : هو أن المراد بكون القلوب ، لدى الحناجر ، بيان شدة الهول ، وفظاعة الأمر ، وعليه فالآية كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب : ١٠-١١] وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿كَٰظِمِينَ﴾ معناه مكروبين ممتلئين خوفًا وغمًّا وحزنًا .

والكظم : تردد الخوف والغيظ والحزن في القلب حتى يمتلئ منه ، ويضيق به .

والعرب تقول : كظمت السقاء إذا ملأته ماء ، وشددته عليه .

وقول بعضهم كاظمين ، أي ساكتين ، لا ينافي ما ذكرنا ، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام ، فلا يقدرون عليه ، ومن إطلاق الكظم على السكوت قول العجاج :

وربّ أسراب حجيج كظّم ... عن اللّغا ورفث التكلّم

ويرجع إلى هذا القول معنى قول من قال : كاظمين أي لا يتكلمون إلا من أذن له الله ، وقال الصواب ، كما قال تعالى : ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ : ٣٨] .

وقوله : ﴿كَٰظِمِينَ﴾ حال من أصحاب القلوب على المعنى . والتقدير إذ القلوب لدى الحناجر أي إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كونهم كاظمين

(٢٣٩) أحمر
أسود

، أي ممتلئين خوفًا وغمًا وحزنًا ، ولا يبعد أن يكون حالًا من نفس القلوب ، لأنها وصفت بالكظم الذي هو صفة أصحابها .

ونظير ذلك في القرآن : (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾) **[يوسف : ٤]** فإنه أطلق في هذه الآية الكريمة ، على الكواكب والشمس والقمر صفة العقلاء في قوله تعالى : (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾) والمسوغ لذلك وصفه الكواكب والشمس والقمر بصفة العقلاء التي هي السجود .

ونظير ذلك أيضًا قوله تعالى : (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾) **[الشعراء : ٤]** وقوله تعالى : (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾).

[فصلت : ١١] .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يسر هؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحدانية الله، المشركون به، الطغاة الظالمون، أو لم يسيروا في الأرض وينظروا في جوانبها ونواحيها وطرقها فهنالك الظالمون الذين أبادهم الله ٥ وأفناهم كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر جمعًا وقد تركوا من الآثار ما يدل على قوتهم وشدة بطشهم، ولكن أين هم الآن، لقد أبادهم الله وأفناهم وأخذهم أخذة عزيز مقتدر فلم يكن لهم واق يقيهم عذاب الله، ولا مدافع

(٢٤٠) أحمر
أسود

يدفعه عنهم، وذلك الأخذ سببه تكذيبهم لرسل الله الكرام وجحدهم لوحدانية الله، كان ذلك سببًا في أخذهم والانتقام منهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذبون رسوله من قريش، في البلاد، (فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) يقول: فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله (كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ) يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا، وأبقى في الأرض آثارا، فلم تنفعهم شدة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله، وأخذهم بما أجرموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾) يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واق يقيهم، فيدفعه عنهم.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى طاعته (فَكَفَرُواْ) يقول: فأنكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله (فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ) يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم (إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾) يقول: إن الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله

(٢٤١) أحمر
أسود

مشركي قريش، المكذبين رسوله محمدًا يقول لهم جل ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: أو لم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد (فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء، ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ) أي: أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات، ما لا يقدر عليه هؤلاء، كما قال: (وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ) [الأحقاف: ٢٦]، وقال (وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) [الروم: ٩] أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلهم، (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١) أي: وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق.

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها، فقال: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ) أي: بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، (فَكَفَرُواْ) أي: مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا، (فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ) أي: أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها، (إِنَّهُۥ

قال الله تعالى:

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ

(٢٤٢) أحمر
أسود

فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا
يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ
أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا
فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ
مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ
﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ
جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ
﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ
ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي
لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ
فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾) [غافر: ٢٣-٣٧]

(٢٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِـَٔايَٰتِنَا -وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ -وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ -كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ -فِي ضَلَٰلٖ -ذَرُونِيٓ -عُذۡتُ -مُسۡرِفٞ -ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ -بَأۡسِ ٱللَّهِ -وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ -يَوۡمَ ٱلۡأَحۡزَابِ -دَأۡبِ -يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ -تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ -عَاصِمٖۖ -هَلَكَ -مُّرۡتَابٌ -صَرۡحًا -ٱلۡأَسۡبَٰبَ -أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ -تَبَابٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَا)	بحججنا الدالة على وحدانيتنا والدالة على نبوة موسى ﷺ
(وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ)	حجة مظهرةٌ لمن تأملها أن موسى ﷺ صادق
(وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡ)	استبقوا نساءهم للخدمة والامتهان اتركوا نساءهم أحياء
(كَيۡدُ	مكر الكافرين - احتيال الكافرين - تدبير الكافرين
(فِي ضَلَٰلٖ)	ضياع - ذهاب - بطلان - عدم فائدة - حيودٌ عن طريق الحق
(ذَرُونِيٓ)	دعوني - اتركوني
(عُذۡتُ)	لجأت إلى ربي مستنجدًا به
(مُسۡرِفٞ)	مشرك - مكثر من الكبائر والقتل والإجرام
(ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)	ممكنون في الأرض، لكم الغلبة فيها على غيركم
(بَأۡسِ ٱللَّهِ)	عذاب الله

(٢٤٤) أحمر
أسود

(وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)	ما أرشدكم إلا إلى طريق الحق
(يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ)	اليوم الذي أحلَّ الله فيه بالأحزاب عذابه ونقمته والأحزاب هم الذين تخربوا على أنبيائهم لحربهم
(دَأۡبِ)	عادة - شأن
(يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ)	يوم القيامة - ينادي الخلق بعضهم بعضًا
(تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ)	تنصرفون هاربين
(عَاصِمٍ)	مانع يمنعكم من العذاب
(هَلَكَ)	مات
(مُّرۡتَابٌ)	شاك
(صَرۡحًا)	قصرًا عاليًا شاهقًا منيعًا
(ٱلۡأَسۡبَٰبَ)	الطرق - الأبواب - ما يتوصل به إلى الأشياء
(أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)	الطرق المؤدية إلى السموات وأبوابها
(تَبَابٍ)	خسار - بطلان - ضلال

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقصة موسى ؏؟

ج: ذلك، والله أعلم، لتصبير النبي ﷺ ولمواساته على ما يلقى من أذى قومه.

(٢٤٥) أحمر
أسود

س: ما هذه الآيات التي ذكرها الله في قوله : (أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾)؟

ج: هي الآيات التسع التي ذكرها الله ﷻ إذ قال: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾) [الإسراء: ١٠١]، وأعظمها العصى التي تتحول بإذن الله إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا يا رسولنا من قبلك موسى ﷺ إلى فرعون الذي ادعى الربوبية والإلهية فقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى) [القصص: ٣٨]، وقال: (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾) [النازعات: ٢٤]، وكذا إلى وزيره وزير السوء هامان، وإلى الذي أطغاه ماله وجاهه وهو قارون الإسرائيلي الطاغي الباغي.

أرسلنا موسى ﷺ لهؤلاء بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا، والدالة على صدق رسولنا فما كان منهم، وبعد رؤيتهم للآيات إلا تكذيب موسى ﷺ، ووصفه بالسحر، وهكذا شأن الأمم السابقة لأمتك يا رسول الله، قال تعالى: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾) [الذاريات: ٥٢]، فلا تجزع يا رسول الله ولا تحزن إذا وصفك قومك بالسحر، فقد وُصف من قبلك بمثل هذا.

(٢٤٦) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه محمد □، عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخبره أنه معليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه، وأهلك عدوه فرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ) : يعني بأدلته (وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾).

وقال:

يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾) يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى.

(كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾) يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مسليًا لنبيه □ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشرًا له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات؛ ولهذا قال: (بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾) والسلطان هو: الحُجة والبرهان.

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) هو: ملك القبط بالديار المصرية، (وَهَـٰمَـٰنَ) وهو: وزيره في مملكته (وَقَـٰرُونَ) وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة (فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾) أي: كذبوه وجعلوه ساحرًا مُمَخْرِقًا مموهًا كذابًا في أن الله

(٢٤٧) أحمر
أسود

أرسله. وهذه كقوله: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾) [الذاريات ٥٢-٥٣].

❁ ❁ ❁

س: كيف وجه الأمر بقتل الأبناء لما جاءهم موسى بالبينات، ومعلوم أن قتل الأبناء كان قديمًا في العام الذي ولد فيه موسى ؏؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن الأمر بقتل الأبناء تكرر وشُدِّد فيه مرة ثانية بعد مجيء موسى ؏ ولذا قال قوم موسى لموسى ؏: (أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ...) [الأعراف: ١٢٩] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وما كان جواب فرعون على ما دعاه إليه موسى ؏ إلا التكذيب والتهديد بالقتل بل الأمر بقتل الأبناء الصغار واستبقاء النساء لإذلال أهاليهن وأزواجهن ولاستخدامهن وامتهانهن، ولكن كل ذلك لن يكن بضائر أهل الإيمان شيئًا فمكر الكافرين في ضياع وذهاب وبطلان، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك (قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) بالله (مَعَهُۥ) من بني إسرائيل (وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ) يقول: واستبقوا نساءهم

(٢٤٨) أحمر
أسود

للخدمة.

فإن قال قائل: وكيف قيل: (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ) ، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيًّا؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ) قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان.

وقال $:

وقوله: (وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥) يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق، وصد عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى.

وقال ابن كثير $:

(فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا) أي: بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم، (قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ) وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول: فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين. وأما الأمر الثاني: فللعلة الثانية، لإهانة هذا الشعب،

(٢٤٩) أحمر
أسود

ولكي يتشاءموا بموسى، غ؛ ولهذا قالوا: (أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩).

[الأعراف: ١٢٩]

قال قتادة: هذا أمر بعد أمر.

قال الله تعالى: (وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥) أي: وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصروا عليهم، إلا ذاهب وهالك في ضلال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا) وهي المعجزة الظاهرة (قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ) قال قتادة : هذا قتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الإنسان من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله وهذا معنى قوله تعالى : (وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥) أي في حسران وهلاك وإن الناس لا يمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلًا.

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: (وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥) ولم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال)؟

(٢٥٠) أحمر
أسود

ج: ذلك، والله أعلم، للخروج بالقصة إلى حيز العموم؛ لبيان أن كل كافرٍ كيده في ضلال.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥)، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

قاعدة

وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال). بل قال: (وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥).

❁ ❁ ❁

س: في قوله: (يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦) **قراءتان. وضحهما.**

ج: الأولى: (يُظۡهِرَ) بضم الياء، وبفتح الدال في قوله: (ٱلۡفَسَادَ ٢٦).

والثانية: (**يَظهر**) بفتح الياء، وضم الدال من قوله: (**الفسادُ**).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون يقول لقومه لما جاءه موسى

(٢٥١) أحمر
أسود

بالبينات، وعجز فرعون عن مواجهة الحجة بالحجة، فما كان منه إلا أن لوح بالبطش والقتل وهدّد به فقال لقومه: دعوني أقتل موسى وليدع ربه أن ينجيه مني، دعوني أقتله فإني أخاف أن ينشر الفساد في الأرض، وهكذا ادعى عدو الله فرعون على نبي الله وكليمه موسى أنه يريد أن يظهر الفساد في الأرض، فغريب ومستنكر صنيع أهل الإجرام.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لملئه: (ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ) الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ) يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة: **(وأن يظهر في الأرض الفساد)** بغير ألف، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (أَوۡ أَن) بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم**(يَظهر في الأرض)** بفتح الياء ورفع الفساد.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهرًا كان ظاهرًا، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر، ففي القراءة بإحدى القراءتين في ذلك دليل واضح على صحة معنى الأخرى. وأما القراءة في: (أَوۡ أَن يُظۡهِرَ) بالألف وبحذفها، فإنهما أيضا متقاربتا المعنى، وذلك أن الشيء إذا بدل إلى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل إليه الأول هو الظاهر دون المبدل، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم

(٢٥٢) أحمر
أسود

بالواو أو بأو، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين.

فتأويل الكلام إذن: إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: (إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ) : أي أمركم الذي أنتم عليه (أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦) والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله.

وقال ابن كثير $:

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ) وهذا عَزْمٌ من فرعون -لعنه الله-على قتل موسى، غ، أي: قال لقومه: دعوني حتى أقتل لكم هذا، (وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ) أي: لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد.

وقوله -قبحه الله-: (إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦) يعني: موسى، يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل: «صار فرعون مُذَكِّرًا» يعني: واعظًا، يشفق على الناس من موسى، غ.

وقرأ الأكثرون: (أن يبدل دينكم وأن يُظهِر في الأرض الفساد) وقرأ آخرون: (أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦) وقرأ بعضهم: **(يَظْهَر في الأرض الفسادُ)** بالضم .

وقال موسى: (إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)

(٢٥٣) أحمر
أسود

أي: لما بلغه قول فرعون: (ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ) قال موسى: استجرتُ بالله وعُذْتُ به من شره وشر أمثاله؛ ولهذا قال: (إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم) أيها المخاطبون (مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ) أي: عن الحق، مجرم، (لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ).

س: وضح معنى قول موسى ﷺ: (إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧).

ج: هذا، والله أعلم، معناه أن موسى لما هُدد من فرعون، ما كان أمامه إلا أن يلجأ إلى الله مستنجدًا به مستجيرًا به فقال: إني استجرت بربي ﷻ فهو ربي وربكم من كل متعال على الحق مستكبر في الأرض لا يقر ببعثٍ ولا يؤمن بثوابٍ ولا عقابٍ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقًا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفًا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة.

وقال الشنقيطي $:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، عاذ بربه ، أي اعتصم به ، وتمنع من كل متكبر ، أي

(٢٥٤) أحمر
أسود

متصف بالكبر ، لا يؤمن بيوم الحساب ، أي لا يصدق بالبعث والجزاء .

وسبب عياذ موسى بربه المذكور ، أن فرعون قال لقومه : (ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦).

[غافر: ٢٦]

فعياذ موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون ، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون ، لأن فرعون لا شك أنه متكبر ، لا يؤمن بيوم الحساب فهو داخل في الكلام دخولًا أوليًّا ، وهو المقصود بالكلام .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال رجل مؤمن من قوم فرعون، واحدٌ يُسرُّ بالإيمان ويخفيه ولا يظهره: كيف تقتلون رجلًا لا لشيء إلا لكونه قال ربي الله، وقد جاءكم بالحجج الدالة على صدقه في دعواه النبوة وإن يك كاذبًا فإثمه على نفسه، وإن يك صادقًا ما حذروا فقد يحل بكم ما وعدكم به وما دعا عليكم به إن الله لا يوفق للطاعة من هو مشرك مسرف على نفسه بالكبائر والشركيات وظلم العباد.

قال الطبري $:

وقوله: (وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ) اختلف أهل العلم

في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه.

وقوله: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ) يقول: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فإن في موضع نصب لما وصفت. (وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ) يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك. وتلك البينات من الآيات يده وعصاه.

وقوله: (وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ) يقول: وإن يك موسى كاذبا في قيله: إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم (وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ) يقول: وإن يك صادقا في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطًا (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾) يقول: إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحق.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الشرك، وأراد: إن الله لا يهدي من هو مشرك به مفتر عليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾) : مشرك أسرف على نفسه بالشرك.

وقال آخرون: عنى به من هو قتال سفاك للدماء بغير حق.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه

(٢٥٦) أحمر
أسود

عم بقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾) والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعا في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عم القول بذلك.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ) أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: (رَبِّيَ ٱللَّهُ)، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: (وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ) يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والأخرى، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

وهكذا أخبر الله عن موسى، غ، أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله: (۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾) [الدخان:١٧ ـ ٢١]، وهكذا قال رسول الله □ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله عباد الله، ولا يمسوه بسوء، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته، قال الله تعالى: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) [الشورى: ٢٣] أي: إلا أن لا تؤذوني فيما

(٢٥٧) أحمر
أسود

بيني وبينكم من القرابة، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس. وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية، وكان فتحًا مبينًا.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون، لكان أمره بينا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات، ولهذا قال: ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾.

أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث

(٢٥٨) أحمر
أسود

امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل ﷺ وأرضاه وغفر له ورحمه - إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ) أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. (كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾) بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفًا ولا كاذبًا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: (يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ) أي: في الدنيا (ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ) على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، (فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ) أي: عذابه (إِن جَآءَنَاۚ) ؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه وبينهم بقوله: (فَمَن يَنصُرُنَا) وقوله: (إِن جَآءَنَاۚ) ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه.

(٢٥٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: ذكر بعض العلماء منقبةً للصديق أبي بكر ﷺ عند تفسير الآية الكريمة: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ...). وضحها.

ج: هذه المنقبة حاصلها أن أبا بكر جهر بإيمانه ودافع عن رسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير $:

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ)، اللهم إلا ما رواه البخاري (١) في صحيحه حيث قال:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيى ابن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبة بن أبي مُعَيط، فأخذ بمَنْكب رسول الله ﷺ ولَوَى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، ﷺ، فأخذ بمنكبه ودَفَع عن النبي ﷺ ثم قال: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ).

❁ ❁ ❁

س: لماذا قدَّم مؤمن آل فرعون احتمالية الكذب على احتمالية الصدق في قوله: (وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ)؟ وهل لذلك نظائر في القرآن؟

---

(١) البخاري (٤٨١٥).

(٢٦٠) أحمر
أسود

ج: ذلك، والله أعلم، لدفع الشبهة والرِّيبة حتى لا يظن أنه ممالئ ومجامل لموسى ﷺ.

ومن نظائر هذا في القرآن: (إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾) [يوسف: ٢٦-٢٧].

قوله: (وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾)، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن مؤمن آل فرعون استمر مُذكرًا بقوله: يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض، أي أنكم ممكنون في الأرض غالبون لمن ناوأكم وخالفكم فمن الذي يمنعنا من عذاب الله إذا حلَّ بنا ونزل، قال فرعون: ما أريكم إلا ما أرى أي أن الذي أشير به عليكم هو رأيي ونصيحتي لكم وما أريد لكم إلا النصح والهداية لطريق الحق.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: (يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ) يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى إسرائيل في أرض مصر (فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ) يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا،

(٢٦١) أحمر
أسود

وعقوبته إن جاءتنا، قال فرعون (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ) يقول: قال فرعون مجيبًا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أُريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله □، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله، (فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ) أي: لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء.

(قَالَ فِرۡعَوۡنُ) لقومه، رادًّا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ) أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاءه به من الرسالة (قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ) [الإسراء:١٠٢]، وقال الله تعالى: (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ) [النمل: ١٤].

فقوله: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ) كذب فيه وافترى، وخان الله ورسوله ورعيته، فغشهم وما نصحهم وكذا قوله: (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩) أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تعالى: (فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ

(٢٦٢) أحمر
أسود

أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾) [هود: ٩٧]، وقال تعالى: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾) [طه: ٧٩]، وفي الحديث(١): «**ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا لم يَرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**».

قال السعدي $:

(قَالَ فِرْعَوْنُ) معارضًا له في ذلك، ومغررًا لقومه أن يتبعوا موسى: (مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) وصدق في قوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى) ولكن ما الذي رأى؟

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنًا له.

وكذب في قوله: (وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾).

ج: هذا، والله أعلم، تحذير من مؤمن آل فرعون لقومه، يقول لهم: ويا قوم إني أخلف عليكم إن كذبتم موسى ﷺ ورددتم ما جاءكم به وتوعدتموه، أن يحل بكم ما حل بالأمم من قبلكم بالأحزاب الذين تحزبوا على أنبيائهم

(١) البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

(٢٦٣) أحمر
أسود

وكفروا بربهم فانتقم الله منهم، أخاف عليكم أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، مثل الصنيع الذي حل بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لما كذبوا أنبياءهم، فربنا سبحانه وتعالى لا يريد ظلمكم بل يرسل إليكم رسلًا يحذرونكم وينذرونكم ما قبلوا ما جاءكم به موسى .

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون وملئه: يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم.

وقوله: (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم.

وقوله: (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب.

وقوله: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا إخبار من الله، ﷻ، عن هذا الرجل الصالح، مؤمن آل فرعون: أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال: (يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾) أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد

(٢٦٤) أحمر
أسود

وثمود، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم راد، ولا صده عنهم صاد.

(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾) أي: إنما أهلكهم الله بذنوبهم، وتكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره. فأنفذ فيهم قدره.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بيوم التناد؟ ولماذا أطلق عليه يوم التناد؟

ج: المراد بيوم التناد يوم القيامة، وأطلق عليه يوم التناد لنداء الناس بعضهم بعضًا فأحيانًا ينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أم مما رزقكم الله، وأحيانًا ينادي أهل الجنة أهل النار (أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) [الأعراف: ٤٤]، وأحيانًا ينادي الشخص أباه أو أخاه أو قريبه أو حميمه، إلى غير ذلك من صور النداءات التي تحمل توبيخًا أحيانًا وتحمل تبكيتًا أحيانًا أُخر وتحمل لومًا واستغاثة إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾).

ج: هذا، والله أعلم، تحذيرٌ من مؤمن آل فرعون لقومه فيقول لهم مُحذرًا يا قوم إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد - يوم القيامة - يوم ينادي بعض الخلق بعضًا مستغيثين صارخين، أو معاتبين لائمين أو غير ذلك من أسباب النداءات.

يوم تولون مدبرين، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم تولون هاربين تظنون أنكم ستجدون ملجأً أو محيصًا أو مهربًا فلا ملجأ ولا

(٢٦٥) أحمر
أسود

محيص ولا مهرب.

ومن يصرف الله عن طريق الهداية في الدنيا، فلن تجد له هاديًا يهديه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون يعظم قومه ويذكر قومه فيقول لهم: ولقد جاء يوسف □ إلى أسلافكم وأجدادكم يا أهل مصر، جاءهم بالحجج الواضحات الدالة على نبوته وصدقه والتي فيها تأويله للرؤيا، والتي فيها ما ذكره في السجن إذ قال: (لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ..) [يوسف: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات، فما زال أسلافكم في تشككٍ من أمره ومن أمر رسالته حتى إذا مات يوسف □ قالوا: لن يبعث الله رسولًا، واطمئنوا إلى دوام مملكتهم فقد كانوا يتوقعون زوال مملكتهم على يد يوسف □، قال تعالى: (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾) أي: كذلك، وكما أضل الله أولئك، فيضل من هو مكثر من المعاصي والشرك والكبائر متشكك في أمر الله ووحدانيته.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله.

وقوله: (فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ) يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته (حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ)

(٢٦٦) أحمر
أسود

يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤) يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاك فى حقيقة أخبار رسله.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ) يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولًا من قبل موسى، وهو يوسف، غ، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي؛ ولهذا قال: (فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ) أي: يئستم فقلتم طامعين: (لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ) وذلك لكفرهم وتكذيبهم (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤) أي: كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه.

وقال القرطبي $:

(فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ) أي أسلافكم كانوا في شك (حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ) أي من يدعي الرسالة (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ) أي مثل ذلك الضلال (يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ) مشرك (مُّرۡتَابٌ ٣٤) شاك في وحدانية الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(٢٦٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، يخاصمون فيها ويدفعونها بالباطل وبدون حجة أتتهم من عند الله، كبر جدالهم مقتًا عند الله، استجلب لهم جدالهم هذا بالباطل المقت الشديد والبغض الشديد والذمّ الشديد من ربهم ﷻ، وكذا استجلب لهم مقت أهل الإيمان، فهكذا يختم الله على قلب كل متكبرٍ على عبادة الله ﷻ، متعاظم على اتباع الحق، مسرف على نفسه بقتل العباد وأذاهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون: (ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ) فقوله: (ٱلَّذِينَ) مردود على (مَنۡ) في قوله: (مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ) . وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج (بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ) يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل؛ و(ٱلَّذِينَ) إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب ردًّا على (مَنۡ).

وقوله: (كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ) يقول: كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتًا عند الله، (وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ) بالله؛ وإنما نصب قوله: (مَقۡتًا) لما في قوله: (كَبُرَ) من ضمير الجدال، وهو نظير قوله: (كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ

(٢٦٨) أحمر
أسود

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ) [الكهف: ٥]، فنصب كلمة من نصبها، لأنه جعل في قوله: (كَبُرَتْ) ضمير قولهم: (ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾) [الكهف: ٤] وأما من لم يضمر ذلك فإنه رفع الكلمة.

وقوله: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾) يقول: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده، ويصدق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحق.

وقال الحافظ ابن كثير §:

ثم قال: (ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ) أي: الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) أي: والمؤمنون أيضا يُبغضُون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ ولهذا قال: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ) أي: على اتباع الحق (جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾).

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون، وبعد استماعه إلى موعظة المؤمن من آله تمادى في غيِّه وضلاله فقال لوزيره وزير السوء هامان: (يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا) قصرًا عاليًا شاهقًا لعلي أسلك الأسباب والطرق التي توصلني

إلى إله موسى الذي يدعي أنه له إله مع ظني القطعي وتأكدي أن موسى كاذب في دعواه، وهكذا زين الشيطان لفرعون عمله وحسنه في عينه وقلبه وصرف عن طريق الحق إلى طريق الباطل، ودبَّر وتآمر وما تدبيره وما كيده إلا في ضياع وخسران.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قيله: أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان: (يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦) يعني بناء. وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

(لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦) اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع، فقال بعضهم: أسباب السموات: طرقها.

وقال آخرون: عني بأسباب السموات: أبواب السموات.

وقال آخرون: بل عني به منزل السماء.

فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقًا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك.

وقوله: (فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ) اختلف القراء في قراءة قوله: (فَأَطَّلِعَ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: **(فأطلعُ)** بضم العين: ردًّا على قوله: (أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦) وعطفًا به عليه. وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ (فَأَطَّلِعَ) نصبًا جوابًا لـ(لعلي)، وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

(٢٧٠) أحمر
أسود

عَلَّ صُرُوف الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِـهـا
يُدِلْـنَـنـا اللَّـمَّـةَ مِـنْ لَـمَّـاتِـهـا
فَـتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِـنْ زَفْرَاتِـهـا

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الرفع في ذلك، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا) يقول: وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدَّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا.

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ) يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد، قبيح عمله، حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى.

وقوله: (وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة: (وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ) بضم الصاد، على وجه ما لم يسم فاعله.

وقوله: (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾) يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلًا ولم ينل بما أنفق شيئًا مما أراده، فذلك هو الخسار والتباب.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون، وعتوه، وتمرده، وافترائه في تكذيبه موسى، غ، أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحًا، وهو: القصر العالي

(٢٧١) أحمر
أسود

المنيف الشاهق. وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي، كما قال: (فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا) [القصص: ٣٨]، ولهذا قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون البناء بالآجر، وأن يجعلوه في قبورهم. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: (لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ) قال سعيد بن جبير، وأبو صالح: أبواب السموات. وقيل: طرق السموات (فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ)، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، ٥، أرسله إليه، قال الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ) أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى تكذيب موسى، غ؛ ولهذا قال تعالى: (وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾) قال ابن عباس، ومجاهد: يعني إلا في خسار .

وقال القرطبي $ في قوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ) أي وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه إلهًا دوني وإنما أفعل ما أفعل لإزاحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في أمر الله وقيل : إن الظن بمعنى اليقين أي وأنا أتيقن أنه كاذب وإنما أقول ما أقوله لإزالة الشبة عمن لا أتيقن ما أتيقنه.

❁ ❁ ❁

(٢٧٢) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾
مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾
۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ
بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ
ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾)

[غافر: ٣٨-٤٦]

(٢٧٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَهۡدِكُمۡ -سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ -مَتَٰعٞ -دَارُ ٱلۡقَرَارِ - لَاجَرَمَ -لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ - مَرَدَّنَآ -ٱلۡمُسۡرِفِينَ -وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ - فَوَقَىٰهُ -سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ -وَحَاقَ -غُدُوّٗا - وَعَشِيّٗاۖ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَهۡدِكُمۡ)	أرشدكم - أدلكم
(سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)	طريق الحق والصواب - الطريق الموصل إلى
(مَتَٰعٞ)	ما يستمتع به ثم يزول
(دَارُ ٱلۡقَرَارِ)	دار الاستقرار وعدم الزوال وعدم الانتقال
(لَاجَرَمَ)	حقًّا
(لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ)	ليس له دعاء - لا يدعو
(مَرَدَّنَآ)	مرجعنا - حسابنا يوم الحساب
(ٱلۡمُسۡرِفِينَ)	المشركون - مرتكبو الكبائر والمعاصي والآثام
(وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ)	أسلِّم أمري - أستعين بالله على أموري
(فَوَقَىٰهُ)	فصرف عنه
(سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ)	المكر السيئ الذي مكروه - التدبير السيئ الذي دبَّروه له
(وَحَاقَ)	حلَّ - نزل
(غُدُوّٗا)	صباحًا

(٢٧٤) أحمر
أسود

(وَعَشِيًّا)	مساءً

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه وجَّه النصح صريحًا إلى قومه قائلًا لهم: يا قوم اتبعون فيما دعوتكم إليه من الحق، فأنا أدلكم على طريق الحق والصواب الموصل إلى جنة الله ﷻ إلى مرضاته ليس كما يقول فرعون إذ قال: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾)، ثم يواصل مؤمن آل فرعون تذكيره بقوله: (يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ) أي: ما هي إلا متاع يستمتع به زمنًا قصيرًا ثم تزول ويزول متاعها، أما الآخرة ففيها الاستقرار والخلود وعدم الخروج، والمراد بالآخرة هنا الجنة أو النار.

وقوله:- (مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ)-، حاصله: من عمل بالمعاصي في الدنيا فيجازى بالسيئة سيئة أما الشرك فإنه يحبط الأعمال.

(وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾) أي: يرزقون فيها بلا تحديد أي كيفما شاءوا رزقوا.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

(٢٧٥) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن المؤمن بالله من آل فرعون: (وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ) من قوم فرعون لقومه: (يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾) يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى. يقول: (إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ) يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم (وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾) يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا.

وقال $:

القول في تأويل قوله تعالى : (مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾).

يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها؛ (وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ) يقول: ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا، وائتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ) يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة.

وقال ابن كثير $:

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، ونسي الجبار الأعلى، فقال لهم: (يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾) لا كما كذب

(٢٧٦) أحمر
أسود

فرعون في قوله: (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩) .

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الأخرى، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى، فقال: (يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ) أي: قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل، (وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩) أي: الدار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل إما نعيم وإما جحيم، ولهذا قال (مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ) أي: واحدة مثلها (وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠) أي: لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله، ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ) أي يتمتع بها قليلا ثم تنقطع وتزول (وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩) أي الاستقرار والخلود ومراده بالدار الآخرة الجنة والنار لأنهما لا يفنيان بين ذلك بقوله: (مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ) يعني الشرك (فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ) وهو العذاب (وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا) قال ابن عباس : يعني لا إله إلا الله (وَهُوَ مُؤۡمِنٞ) مصدق بقلبه لله وللأنبياء (**فأولئك يُدخلون الجنة**) بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن وأبي عمرو ويعقوب وأبي بكر عن عاصم يدل عليه (يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠) الباقون (يَدۡخُلُونَ) بفتح الياء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢).

(٢٧٧) أحمر
أسود

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: (مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾) يقول: وتدعونني إلى عمل أهل النار.

وقوله: (تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) يقول: وأشرك بالله في عبادته أوثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل.

وقوله: (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾) يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدو له شيء، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضره شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضر عنده ولا نفع.

وقال ابن كثير $:

يقول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) أي: على جهل بلا دليل (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾) أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) أي إلى طريق

(٢٧٨) أحمر
أسود

الإيمان الموصِّل إلى الجنان (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾) بين أن ما قال فرعون من قوله (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه إلى اتباعه ولهذا قال: (تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) وهو فرعون (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾).

قال السعدي $:

قوله: (۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) بما قلت لكم (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾) بترك اتباع نبي الله موسى ؑ.

ثم فسر ذلك فقال: (تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ) الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. (ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾) الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

(لَا جَرَمَ) أي: حقًّا يقينًا (أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ) أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجء إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا.

(وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. (وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم:

(٢٧٩) أحمر
أسود

(فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ) من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، حقًّا فهذه الأصنام والأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعاء أصلًا فهي لا تدعو لكونها جمادات لا تفهم ولا تعي ولا تتكلم فمن ثَمَّ لا تدعو لعابديها لا في دنيا ولا في آخرة، وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَآ) مرجعنا إلى الله، وأن الذين أسرفوا على أنفسهم بكذبهم على الله وبشركهم بالله وباقترافهم المعاصي هم أهل النار حقًّا.

قال الطبري $:

يقول: حقًّا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئًا.

وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله (وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) يقول: وإن المشركين بالله المتعدين حدوده، القتلة النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع، فقال بعضهم: هم سفاكو الدماء بغير حقها.

وقال آخرون: هم المشركون.

قال الطبري $:

(٢٨٠) أحمر
أسود

وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه، إنما قصد فرعون به لكفره، وما كان همَّ به من قتل موسى، وكان فرعون عاليًا عاتيًا في كفر. سفَّاكا للدماء التي كان محرما عليه سفكها، وكل ذلك من الإسراف، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك.

وقال ابن كثير $:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (لَاجَرَمَ) يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد (لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ).

قال مجاهد: الوثن ليس بشيء.

وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي: لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهذا كقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾) [الأحقاف: ٥-٦]، (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ) [فاطر: ١٤].

وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) أي: في الدار الآخرة، فيجازي كلًّا بعمله؛ ولهذا قال: (وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) أي: خالدين فيها بإسرافهم، وهو شركهم بالله.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (لَاجَرَمَ) تقدم الكلام فيه ومعناه حقًّا (أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ) (ما) بمعنى الذي (لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ) قال الزجاج : ليس له استجابة دعوة تنفع

(٢٨١) أحمر
أسود

وقال غيره : ليس له دعوة توجب له الألوهية (فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ) وقال الكلبي : ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة وكان فرعون أولا يدعو الناس إلى عبادة الأصنام ثم دعاهم إلى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فإذا هرمت أمر بذبحها ثم دعا بأخرى لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال: أنا ربكم الأعلى (وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) قال قتادة و ابن سيرين : يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي : هم السفهاء والسفاكون للدماء بغير حقها وقال عكرمة : الجبارون والمتكبرون وقيل : هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾).

ج: هذا تذكيرٌ من مؤمن آل فرعون لقومه، فبعد أن ذكرهم بالذي ذكرهم به وبيَّن لهم ما ينتظرهم في آخرتهم قال لهم: (فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ) أي: سيأتي يوم تتحققون فيه من صدق مقولتي وصدق تذكرتي، وهو يوم القيامة أما في دنياي فإني قد أسلمت أمري لله ﷻ وتركت أمري له يقضي فيه، والله ليس بغافلٍ عما يصنعه العباد، فسلمه الله وحفظه من كيدهم وتدبيرهم ونزل بآل فرعون ما ساءهم من عذاب الله.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما

(٢٨٢) أحمر
أسود

لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار.

وقوله: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾) يقول: إن الله عالم بأمور عباده، ومن المطيع منهم، والعاصي له، والمستحق جميل الثواب، والمستوجب سيئ العقاب.

وقوله: (فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ) يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه.

وقوله: (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ) يقول: وحل بآل فرعون ووجب عليهم؛ وعني بآل فرعون في هذا الموضع أتباعه وأهل طاعته من قومه.

وعني بقوله: (سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾) : ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار جهنم .

وقال ابن كثير $:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ) أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم، (وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: وأتوكل على الله وأستعينه، وأقاطعكم وأباعدكم، (إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾) أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

(٢٨٣) أحمر
أسود

وقوله: (فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ) أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله مع موسى، ﷺ، وأما في الآخرة فبالجنة (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾) وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم.

قال السعدي $:

(وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. (إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾) يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليَّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

(فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ) أي: وقى الله القويّ، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، ومن إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى ﷺ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾) أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

وفي البرزخ: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾) فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

❁ ❁ ❁

(٢٨٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها.

الثاني: أنهم يرون مقاعدهم من النار صباحًا ومساءً، يقال لهم: هذه منازلكم توبيخًا ونقمة وصغارًا لهم.

وفي حديث ابن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار؛ فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - ٥ - إليه يوم القيامة**»(١). أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به.

قال ابن كثير $:

فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾) أي: أشده ألما وأعظمه نكالا . وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ).

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات عذاب القبر.

ج: من ذلك ما يلي:

---

(١) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢٨٥) أحمر
أسود

ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث عائشة ﷺ؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «**نعم، عذاب القبر حق**». قالت عائشة: فما رأيت رسولَ الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وما أخرجه مسلم وأحمد[(٢)] من حديث عائشة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تُفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «**إنما يفتن يهود**». قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشعرت أنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور؟**»، وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر.

وعند البخاري[(٣)] من حديث أنس ﷺ.. وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه يسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**».

---

(١) البخاري (١٣٧٢).
(٢) مسلم (١٢٣).
(٣) البخاري (١٣٧٤).

(٢٨٦) أحمر
أسود

وأخرج مسلم[(١)] في صحيحه من حديث زيد بن ثابت قال: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**».

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾) **وبين ما ورد من قوله تعالى في شأن الكافرين بعد نزول المائدة:** (قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾) **[المائدة: ١١٥]، وكذا قول النبي □: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون» ونحوها من الآيات.**

ج: هناك للعلماء أقوال في مثل هذا:

أحدها: أن كل المذكورين في الدرجة العليا من الظلم.

الثاني: أن ينزل ذلك منزلة الاختصاص فيكون قوله: (لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾) في زمانهم، وهكذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢٨٦٧).

غافر

قال الله تعالى:

(وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾) [غافر: ٤٧-٥٥]

(٢٨٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(يَتَحَآجُّونَ -تَبَعًا -نَصِيبًا -فِي ضَلَٰلٍ -ٱلْأَشْهَٰدُ -مَعْذِرَتُهُمْ -سُوٓءُ ٱلدَّارِ - ٱلْهُدَىٰ -ٱلْكِتَٰبَ - هُدًى -وَذِكْرَىٰ -لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ -وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ -بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَحَآجُّونَ)	يتخاصمون
(تَبَعًا)	أتباعًا
(نَصِيبًا)	جزءًا
(فِي ضَلَٰلٍ)	في ضياع وبطلان وذهاب وعدم فائدة
(ٱلْأَشْهَٰدُ)	جمع شهيد، وهو الذي يشهد يوم القيامة ومنهم الملائكة والنبيون والمؤمنون والجوارح...
(مَعْذِرَتُهُمْ)	اعتذارهم
(ٱللَّعْنَةُ)	الطرد والإبعاد من رحمة الله
(سُوٓءُ ٱلدَّارِ)	الجزاء الذي يُسيئهم في الآخرة وهو النار
(ٱلْهُدَىٰ)	البيان للحق والصواب
(ٱلْكِتَٰبَ)	التوراة
(هُدًى)	بيانًا للحق وإرشادًا
(وَذِكْرَىٰ)	عظةً - تذكيرًا
(لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ)	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة

(٢٨٩) أحمر
أسود

(وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ)	اطلب من الله المغفرة لذنبك
(وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ)	صل لربك
(بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ)	قيل: العشي: آخر النهار، والإبكار: أوله وقيل: العشي من الظهر إلى غروب الشمس والإبكار بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وقيل: المراد الصلاتان الفجر والعصر (وذلك قبل فرض الصلوات الخمس)

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وذكِّر يا رسول الله أهل الكفر بوقت يتخاصمون فيه وهم في نار جهنم فيقول: الذين كانوا في الدنيا ضعفاء وأتباعًا لأهل الإجرام المستكبرين، يقول لهم: إنا كنا لكم أتباعًا نحبكم ونواليكم ونناصركم، فهل أنتم مخففون عنا شيئًا من العذاب، عذاب النار، فيجيب أهل الإجرام الذين كانوا في الدنيا أهل كبرٍ وأئمة ضلال قائلين: نحن وأنتم كلنا في النار فإن الله قد فصل بين عباده، وأدخل السعداء الجنة، وها نحن وأنتم الأشقياء مآلنا النار، فقد قضي الأمر.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ) [غافر: ١٨]، (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ) يقول: وإذ يتخاصمون في

(٢٩٠) أحمر
أسود

النار. وعنى بذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله □ بإنذارهم من مشركي قومه في النار، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) يقولون لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعا على الكفر بالله (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾) يعنون حظا فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء؛ والتبع يكون واحدا وجماعة في قول بعض نحويي البصرة، وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر. قال: وإن شئت كان واحده تابعًا، فيكون مثل خائل وخول، وغائب وغيب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده. تابع، وقد يجوز أن يكون واحدا فيكون جمعه أتباع. فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم؛ قال الذين استكبروا، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا: إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون، لا خلاص لنا منها (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾) بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون، ورفع قوله: (كُلٌّ) بقوله: (فِيهَا) ولم ينصب على النعت.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار، وتخاصمهم، وفرعون وقومه من جملتهم (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) وهم: الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم: القادة والسادة والكبراء: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ

(٢٩١) أحمر
أسود

﴿٤٧﴾) أي: قسطًا تتحملونه عنا.

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ) أي: لا نتحمل عنكم شيئًا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنكال. (إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾) أي: يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا، كما قال تعالى: (قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾) [الأعراف: ٣٨].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ) أي يختصمون فيها (فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ) عن الانقياد للأنبياء (إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا) فيما دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا (فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ) أي متحملون (عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾) أي جزاءً من العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾).

ج: الظاهر، والله أعلم، من معنى الآية الكريمة أن أهل الكفر لما يئسوا من إجابة بعضهم لبعض ومن إغاثة بعضهم لبعض سألوا القائمين على أمر النار، وهم خزنة النار الموكلون بها قائلين لهم: اسألوا ربكم أن يخفف عنا يومًا من العذاب، فيجيبونهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالحجج الواضحات والدلالات البينات على صدق رسلنا وعلى وحدانيتنا؟! قالوا: بلى أي قد جاءتنا، قالوا: فادعوا أنتم ربكم ولكن لن يستجاب لكم دعاء، فدعاؤكم مردود غير مقبول.

(٢٩٢) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجًا (ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ) لنا (يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا) واحدًا، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا (مِّنَ ٱلۡعَذَابِ) الذي نحن فيه. وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: خفف عنهم يومًا واحدًا.

وقوله: (قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ) يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتتبرءوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك.

وقوله: (قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ) يقول جل ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به.

وقوله: (وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٥٠) يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨) [المؤمنون: ١٠٨].

وقال ابن كثير $:

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩)

لما علموا أن الله، سبحانه، لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨) [المؤمنون: ١٠٨] سألوا الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار-أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: (أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ

(٢٩٣) أحمر
أسود

رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ) أي: أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ (قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ) أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ولهذا قالوا: (وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾) أي: إلا في ذهاب، لا يتقبل ولا يستجاب.

وقال الشنقيطي $:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أهل النار طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم من شدة عذاب النار.

وقد بين في سورة «الزخرف» أنهم نادوا مالكًا خاصة، من خزنة أهل النار، ليقضي الله عليهم، أي: ليميتهم فيستريحوا بالموت من عذاب النار.

وقد أوضح جل وعلا في آيات من كتابه، أنهم لا يجابون في واحد من الأمرين، فلا يخفف عنهم العذاب، الذي سألوا تخفيفه، في سورة «المؤمن» هذه، ولا يحصل لهم الموت الذي سألوه في سورة «الزخرف»، فقال تعالى في عدم تخفيف العذاب عنهم في هذه الآية: (قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾)، وقال تعالى: (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾) [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: (فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾) [النبأ: ٣٠]، وقال تعالى: (لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾)، وقال تعالى: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾) [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى: (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾) [الفرقان: ٧٧]، وقال تعالى: (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾) [البقرة: ١٦٢]، وقال تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ

(٢٩٤) أحمر
أسود

مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾) [المائدة: ٣٧].

وقال تعالى في عدم موتهم في النار: (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟) [فاطر: ٣٦]. وقال تعالى: (وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) [إبراهيم: ١٧]، وقال تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ) [النساء: ٥٦]. وقال تعالى: (إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾) [طه: ٧٤]. وقال تعالى: (وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾)، ولما قالوا: (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ، أجابهم بقوله: (قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾)[الزخرف: ٧٧].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم، يوم يقوم الشهود للإدلاء بشهادتهم، وذلك يوم القيامة، وهؤلاء الشهود فهم الملائكة والأنبياء والجوارح وغير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما توجيه قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾) **وقد قُتل عددٌ من الأنبياء؟**

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بقوله: إن نصرهم على عدوهم يكون بالحجة والبيان.

ومنهم من قال: إن الله ينتصر لأوليائه إذا آذاهم أعداؤهم.

وقد طرح الطبري هذا السؤال على نفسه وأجاب عليه فقال:

يقول القائل: وما معنى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)

(٢٩٥) أحمر
أسود

وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما. ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، و المؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد □ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتله له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

(٢٩٦) أحمر
أسود

وقال:

بقوله: (وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف.

وقال:

وقوله: (يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾) [الأنعام: ٢٣].

وقوله: (وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ) يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾) يقول: ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذكير بنبي الله موسى □؟

ج: فائدة ذلك تصبير النبي □ وتثبيته وبيان أن العاقبة للتقوى، فإن الشخص إذا رأى من سبقوه قد صبروا فأكرمهم الله، فيحملهم هذا على الصبر هم الآخرون.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٩٧) أحمر
أسود

س: ما المراد بالهدى الذي أوتاه موسى ﷺ؟

ج: المراد به الحق الذي أرسل الله ﷻ به نبيه موسى ﷺ وجعله هداية للناس وإرشادًا لهم فيدخل في ذلك الألواح والتوراة وصحف موسى (عند من قال بالتفريق بين هذه الثلاث وجعلها ثلاثًا)، ويدخل فيه كذلك الآيات البينات التي أيَّد الله ﷻ بها موسى ﷺ.

ويدخل في ذلك عموم ما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على نبينا موسى ﷺ وعلى قومه بأن آتيناه ما فيه هدايةٌ وإرشاد وفيه بيان لطرائق الحق والصواب وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون الكتاب الذي أنزله الله عليه وهو التوراة التي فيها تذكيرٌ وهدايةٌ لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة وكانت لهم العاقبة، وأغرق الله عدوه وعدوهم وهو فرعون وقومه.

فاصبر يا رسول الله على ما يصيبك من أذى قومك فإن العاقبة للتقوى وسينصرك ربك ﷻ، فاستعن بالصبر وأكثر من الاستغفار فإن الأعداء كثيرًا ما يتسلطون على الشخص بسبب ذنوبٍ وأكثر من التسبيح والصلاة أواخر النهار وأوائله وقيل: قيل في العشي إنه من بعد الظهر إلى غروب الشمس، وفي الإبكار من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

وقيل: إن المراد بالعشي أواخر النهار والإبكار أوائله.

(٢٩٨) أحمر
أسود

وقيل: المراد صلاتي الصبح والعصر.

وهما اللتان كانتا قبل فرض الصلوات، فالله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى) البيان للحق الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه، كما كذبت قريش محمدًا (وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾) يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلمناهموها، وأنزلناها إليهم (هُدًى) يعني بيانا لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، (وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾) يقول: وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها.

وقوله: (فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدقك وآمن بك، على من كذبك، وأنكر ما جئته به من عند ربك، إن وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له (وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول: وصل بالشكر منك لربك (بِٱلْعَشِيِّ) وذلك من زوال الشمس إلى الليل (وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾) وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأول.

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشي، والباء تحسن فيه، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: وسبح بحمد ربك بالعشي وفي الإبكار. وقال: قد يقال: بالدار زيد،

(٢٩٩) أحمر
أسود

يراد: في الدار زيد، وقال غيره: إنما قيل ذلك كذلك، لأن معنى الكلام: صل بالحمد بهذين الوقتين وفي هذين الوقتين، فإدخال الباء في واحد فيهما.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ) وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور، (وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾) أي: جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه، بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى، غ، وفي الكتاب الذي أورثوه -وهو التوراة-(هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾) وهي: العقول الصحيحة السليمة .

وقوله: (فَٱصْبِرْ) أي: يا محمد، (إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ) أي: وعدناك أنا سنعلي كلمتك، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك، والله لا يخلف الميعاد. وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك.

وقوله: (وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) هذا تهييج للأمة على الاستغفار، (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ) أي: في أواخر النهار وأوائل الليل، (وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾) وهي أوائل النهار وأواخر الليل .

❁ ❁ ❁

(٣٠٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۙ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) [غافر: ٥٦-٦٠]

(٣٠١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(يُجَٰدِلُونَ -بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ -ٱلۡمُسِيٓءُۚ -قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ -لَّا رَيۡبَ فِيهَا -لَا يُؤۡمِنُونَ -ٱدۡعُونِيٓ -يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي -دَاخِرِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُجَٰدِلُونَ)	يخاصمون - يحاولون إبطال الآيات - يردون عليها
(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ)	بغير حجة ولا برهان ولا كتاب أُنزل إليهم من عند
(ٱلۡمُسِيٓءُۚ)	المشرك - المسرف على نفسه بالكبائر والمعاصي
(قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ)	قلَّ اتعاظكم وتذكركم - قلَّ منكم من يتعظ ويعتبر
(لَّا رَيۡبَ فِيهَا)	لا شك في وقوعها ومجيئها
(لَا يُؤۡمِنُونَ)	لا يصدقون
(ٱدۡعُونِيٓ)	اعبدوني - اسألوني
(يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي)	يتعاظمون عليَّ فلا يتواضعون لعبادتي ولا يقرون باستحقاقي للعبادة وحدي لا شريك لي بل يشركون معي غيري. يتعاظمون عن مسألتي فلا يسألونني
(دَاخِرِينَ)	صاغرين - أذلاء

❁ ❁ ❁

(٣٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۙ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذي يخاصمونك في آيات الله المنزلة عليك ويجتهدون لدفعها بالباطل وبغير حجة ولا وجه حق، ولا برهان من الله ﷻ، هؤلاء ما يحملهم على مجادلتك وخصومتك إلا أن صدورهم مُلئت كبرًا ونفوسهم متطلعة إلى أن تكون في مراكز عَليةٍ كبيرة يظنون أنهم لن يحققوا مآربهم إذا اتبعوك، بل سَتَقِلُّ مراتبهم إذا اتبعوك فمن ثَمَّ يعاندونك كي يصلوا إلى ما في نفوسهم من المناصب الكبيرة التي يتمنونها، وهيهات هيهات أن يصلوا لذلك مع عنادهم لك ومع مخالفتهم للحق.

فاستعذ بالله يا رسول الله، اطلب من الله أن يعيذك، ويُجيرك منهم، ويحفظك من شرهم وكذا استعذ بالله أن يتسرب إلى قلبك كبرٌ كالذي تسرب إلى قلوبهم.

إنه هو السميع بأقوالك وأقوالهم والسميع لكل شيء البصير بك وبهم وبكل شيء وبنحو هذا قال كثيرٌ من أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات (بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۙ) يقول: بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها (إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ) يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم

(٣٠٣) أحمر
أسود

على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة (مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ) يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأماني؛ وقد قيل: إن معناه: إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلهم.

وقوله: (فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦) يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦) يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۙ) أي: يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، (إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ) أي: ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع، (فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ) أي: من حال مثل هؤلاء، (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان. هذا تفسير ابن جرير.

وقال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۙ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم

(٣٠٤) أحمر
أسود

بِبَٰلِغِيهِۚ) قال أبو العالية: وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم، وأنهم يملكون به الأرض. فقال الله لنبيه □ آمرا له أن يستعيذ من فتنة الدجال، ولهذا قال: (فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦) .

وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم .

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ) يخاصمون (فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ) أي حجة (أَتَىٰهُمۡۙ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ) قال الزجاج : المعنى ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغي إرادتهم فيه قدره على الحذف وقال غيره : المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم إن اتبعوا النبي □ قل ارتفاعهم ونقصت أحوالهم وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعا فأعلم الله عز و جل أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل : اليهود فالآية مدنية على هذا كما تقدم أول السورة والمعنى : إن تعظموا عن اتباع محمد □ وقالوا إن الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فذلك كبر لا يبلغونه فنزلت الآية فيهم قال أبو العالية وغيره وقد تقدم في (آل عمران) أنه يخرج ويطأ البلاد كلها إلا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي اسمه صاف ويكنى أبا يوسف وقيل : كل من كفر بالنبي □ وهذا حسن لأنه يعم وقال مجاهد : معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل : المراد بالكبر الأمر الكبير أي يطلبون النبوة أو أمرًا كبيرا

(٣٠٥) أحمر
أسود

يصلون به إليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك أو يتمنون موتك قبل أن يتم دينك ولا يبلغونه.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: (لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) وما معنى الآية الكريمة؟

ج: وجه ذلك التنبيه على قدرة الله ﷻ على البعث وعلى حساب خلقه.

أما عن معنى الآية الكريمة فهو واضح وجلي فإذا كنا قد خلقنا السموات في ارتفاعها واتساعها وما حوته، وخلقنا الأرض بفجاجها وسهولها وجبالها وبحارها وأنهارها وما بثثنا فيها من دواب إلى غير ذلك فإعادتنا الخلق أحياءً بعد إماتتهم أيسر علينا وأهون كما قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧]، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يقرون به.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه -بأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق

(٣٠٦) أحمر
أسود

الأولى والأحرى، كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾) [الأحقاف: ٣٣]. وقال هاهنا: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾)؛ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعادا وكفرًا وعنادًا، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أنه لا يستوي عند الله من أعماه الله عن الحق فلم يبصر آيات الله التي حوله ولم يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته لا يستوي من هذا شأنه مع الذي رزقه الله البصيرة والفهم، فينظر إلى ما حوله ويأخذ منه العبر والعظات ويعلم منه أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه قادر على البعث وسيبعث الناس ويحاسب كلًّا على عمله.

وكذلك لا يستوي من امتثل أمر ربِّه ﷻ فعمل بطاعته واجتنب معصيته، لا يستوي هذا مع من أسرف على نفسه وأضرَّ بها بشركِهِ بالله ﷻ واقترافه الكبائر والآثام أما قوله: (قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) أي أن اتعاظكم معشر البشر قليل فلا يكاد يتعظ منكم متعظ ولا يعتبر منكم معتبر إلا من رحم الله، وكذلك فمن اتعظ منكم فاتعاظه قليل.

قال الطبري $:

وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، وهو مثل الكافر الذي لا

(٣٠٧) أحمر
أسود

يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدق. والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء؛ ولا يستوي أيضًا الكافر والمؤمن. (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) يقول جل ثناؤه: ولا يستوي أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره (قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) يقول جل ثناؤه: قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون؛ يقول: لو تذكرتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة: **(يتذكرون)** بالياء على وجه الخبر، وقرأته عامة قراء الكوفة: (تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) بالتاء على وجه الخطاب، والقول في ذلك أن القراءة بهما صواب.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ) أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، (قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) أي: ما أقل ما

(٣٠٨) أحمر
أسود

يتذكر كثير من الناس.

❁ ❁ ❁

(٣٠٩) أحمر
أسود

س: كثيرًا ما ينبه على أن المسلم لا يستوي مع المشرك وأن الصالح لا يستوي مع الطالح. اذكر بعض الآيات في هذا الصدد.

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ [غافر: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القلم: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨]... إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

ج: إن القيامة لآتية، وبعث الناس من قبورهم أحياءً بعد موتهم ومجازاتهم بأعمالهم، وما وعد الله أنه سيكون يوم القيامة لا بُدَّ وأن يكون كما أخبر الله سبحانه وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شك في مجيئها؛ يقول: فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم

(٣١٠) أحمر
أسود

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾) يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ) أي لكائنة وواقعة (لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾) أي: لا يصدقون بها، بل يكذبون بوجودها.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال ربكم: اعبدوني - وحدي لا شريك لي - أفردوني بالعبادة بصلاتكم - بصيامكم - بحجكم - بنسككم - بكل عباداتكم - لا تشركوا معي غيري، فالذين يستكبرون عن عبادتي وحدي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

ويدخل في معنى الآية الكريمة أيضًا:

وقال ربكم اسألوني واطلبوا مني حاجاتكم وما تريدون أجيبكم إلى ما سألتم وأعطيكم ما أردتم، ولا تمتنعوا من سؤالي مستكبرين مستغنين عني فإن الذين يستكبرون عن سؤالي ويستغنون عني سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

هذا، وقد صح من حديث النعمان بن بشير ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾)[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٧١)، والترمذي (٢٩٦٩)، والطبري في تفسير الآية الكريمة.
أما الحديث بلفظ: «الدعاء مخ العبادة»، فلا يصح بهذا اللفظ.

(٣١١) أحمر
أسود

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث.. إن عبادتي دعائي ثم تلا الآية.

وهذا الحديث ينتظم المعنيين المذكورين معًا.

قال الطبري $:

وقوله: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ) يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك (أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ) يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم.

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي) يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهة لي (سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠) بمعنى: صاغرين. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد قيل: إن معنى قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي) : إن الذين يستكبرون عن دعائي.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب.

رواه ابن أبي حاتم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

اللهُ يَغْضَبُ إن تركْتَ سُؤَالهُ ... وَبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغْضَبُ

(٣١٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الدعاء.

ج: تقدم شيء من ذلك في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن ذلك أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

وقوله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يُدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي وأحمد وغيرهما، وقد تقدم، وهو صحيح.
(٢) أحمد (١٨/٣) بسندٍ حسن.

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾
هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾) [غافر: ٦١-٦٨]

(٣١٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ -مُبۡصِرًاۚ -تُؤۡفَكُونَ -يُؤۡفَكُ -يَجۡحَدُونَ -قَرَارًا -بِنَآءً -فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ -ٱلۡبَيِّنَٰتُ -أُسۡلِمَ -أَجَلٗا مُّسَمّٗى).

ج:

الكلمة	معناها
(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ)	لتستقروا فيه - لتناموا فيه
(مُبۡصِرًاۚ)	مضيئًا
(تُؤۡفَكُونَ)	تصرفون (عن الحق إلى الباطل)
(يُؤۡفَكُ)	يُصرف
(يَجۡحَدُونَ)	يكذبون - ينكرون
(قَرَارًا)	مستقرةً تستقرون عليها
(بِنَآءً)	سقفًا
(فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ)	فاعبدوه وحده لا شريك له
(ٱلۡبَيِّنَٰتُ)	دلائل التوحيد - الآيات البينات
(أُسۡلِمَ)	أستسلم - أخضع
(أَجَلٗا مُّسَمّٗى)	وقتًا قد حدَّده الله وسماه - تنتهي عنده آجالكم

❁ ❁ ❁

(٣١٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق أن تعبدوه وتوحدوه ولا تشركوا به شيئًا هو الذي من رحمته بكم: جعل لكم الليل لتستريحوا فيه وتنامون فيه كما قال: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾) أي: راحةً لكم ولأبدانكم وجعل لكم النهار مضيئًا لقضاء معايشكم واحتياجاتكم فيه إن الله لصاحب فضل على الناس كلهم، ولكن الناس لا يقدمون لذلك شكرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه، فتهدءوا من التصرف والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم (وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ) يقول: وجعل النهار مبصرًا من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم (إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ) يقول: إن إلله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾) يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى ممتنًّا على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار

(٣١٦) أحمر
أسود

مبصرًا، أي: مضيئا، ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات، (إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾)أي: لا يقومون بشكر نعم الله عليهم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ).

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: (وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾) **[النبأ: ١٠-١١]**.

وقوله تعالى: (وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ) **[الإسراء: ١٢]**.

وقوله تعالى: (وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾) **[القصص: ٧٣]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الذي فعل ما ذُكر في الآيات السابقة، الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصرًا... إلى آخره، هو الله خالقنا ورازقنا والمتفضل علينا بنعمه، هو خالق كل شيء فلا يستحق العبادة أحدٌ سواه فمن أي وجهٍ تُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، فهكذا، وكما صُرف هؤلاء عن الحق، فكذلك يُصرف كل جاحد مكذبٍ، يصرفه الله عن الحق.

قال الطبري $:

(٣١٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالككم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كل شيء (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، (فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢) يقول: فأي وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟

وقوله: (كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣) يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرافكم عن الحق إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون؛ يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) أي: الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد، خالق الأشياء، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، (فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢) أي: فكيف تعبدون غيره من الأصنام، التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله: (كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣) أي: كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله، كذلك أفك الذين من قبلهم، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات المباركات: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ....) **الآية.**

ج: المعنى، الذي يستحق أن يعبد ويوحد ولا يشرك معه أحد هو الله

(٣١٨) أحمر
أسود

الذي جعل الأرض مستقرة حتى يستطيع أهلها المعيشة عليها وجعل السماء فوقها سقفًا محفوظًا بغير عمدٍ نراها وخلقنا في أحسن الصور وأحسن تقويم وتفضل علينا بأن يسر لنا الحلال الطيب فهذا هو ربنا المنعم علينا والمتفضل تكاثر الخير الوارد منه والنازل لعباده وتعاظم ربنا وتمجد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ) الذي له الألوهة خالصة أيها الناس (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ) التي أنتم على ظهرها سكان (قَرَارًا) تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، (وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً) : بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم (وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب. وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾) يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا) أي: جعلها مستقرا لكم، بساطا مهادا تعيشون عليها، وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم، (وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً) أي: سقفًا للعالم محفوظًا،

(٣١٩) أحمر
أسود

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، (وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) أي: من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق -فهو الخالق الرازق، كما قال في سورة البقرة: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾) [البقرة: ٢٠-٢١] وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾) أي: فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ هو الحي الذي لا يموت، وسائر خلقه يموتون، هو الله لا إله إلا هو، لا معبود سواه ولا رب غيره، فادعوه مخلصين له في دعائكم، عابدين مخلصين في عبادتكم، فله الحمد إذ هو رب العالمين.

قال الطبري $:

(هُوَ ٱلْحَىُّ) يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا

(٣٢٠) أحمر
أسود

تشركوا في عبادته شيئا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندًّا ولا عدلًا (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾) يقول: الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من ملك وجن وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئا، ولا تقدر على ضر ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعًا.

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾) تأولا منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بقيل ذلك.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أي: هو الحي أزلا وأبدًا، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أي: لا نظير له ولا عديل له، (فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ) أي: موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾)

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم التي يعبدونها من دون الله لما جاءتني دلائل التوحيد وعرفتها ونزل عليَّ القرآن وأمرت أن أكون مسلمًا مُستسلمًا خاضعًا لله رب العالمين لا لأحدٍ سواه.

قال الطبري $:

(٣٢١) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (إِنِّي نُهِيتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي) يقول: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾). يقول: وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء، ومالك كل خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ) أي قل يا محمد : نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا إله غيره (أَنْ أَعْبُدَ) غيره (لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي) أي دلائل توحيده (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ) أذل وأخضع (لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾) وكانوا دعوه إلى دين آبائه فأمر أن يقول هذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي خلق أباكم آدم **غ** من تراب ثم خلقكم أنتم يا بني آدم من نطفةٍ من مني يُمنى ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة ثم أخرجتم بعد ذلك أطفالًا من بطون الأمهات ثم بلغت أقصى قواكم ثم صرتم شيوخًا ومنكم من استوفى أجله قبل أن يصل شيخًا فمات قبل الشيخوخة، وعشتم في هذه الدنيا إلى أجلكم الذي أجلكم الله إليه، كل ذلك لعلكم

(٣٢٢) أحمر
أسود

تتفكرون في أنفسكم وتعقلون حجج الله وآياته فيقودكم ذلك إلى الإيمان والتوحيد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره آمرًا نبيه محمدًا □ بتنبيه مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات. وهي أنه خلق أباكم آدم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ) خلقكم (مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) بعد أن كنتم نطفًا (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) من بطون أمهاتكم صغارًا، (ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ) ، فتتكامل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم شيوخًا (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ) أن يبلغ الشيخوخة (وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى) يقول: ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم، وأجلا محدودا لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾) يقول: وكي تعقلوا حجج الله عليكما بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله ينهى أن يُعْبَد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان. وقد بين تعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه، في قوله: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا) أي: هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها، وحده لا شريك له، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله، (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ) أي: من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطا، ومنهم من يتوفى صغيرًا، وشابًّا، وكهلا قبل الشيخوخة، كقوله: (لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) [الحج:

ه]، وقال هاهنا: (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾) قال ابن جريج، تتذكرون البعث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي هو يحيي من أراد أن يحييه بعد موته، ويميت من هو حي، وكذلك يخرج من الأصلاب ما كان مستقرًّا فيها، ويميت من انتهى أجله.

وأيُّ أمرٍ يريده فإنما يقضيه بكلمة كن فيكون كما أراد الله ه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهم يا محمد: (هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ) يقول قل لهم: ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته و(فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا) يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن) يعني للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجودًا بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ) أي: هو المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، (فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾) أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾) [غافر: ٦٩-٧٨]

(٣٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ -ٱلۡأَغۡلَٰلُ -أَعۡنَٰقِهِمۡ -ٱلۡحَمِيمِ -يُسۡجَرُونَ -ضَلُّواْ عَنَّا -تَمۡرَحُونَ - مَثۡوَى -بِـَٔايَةٍ -أَمۡرُ ٱللَّهِ -ٱلۡمُبۡطِلُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ)	من أي وجهٍ يُصرفون عن الحق إلى الباطل - كيف يُصرفون؟ كيف يتبعون الباطل كي ينصرفوا عن
(ٱلۡأَغۡلَٰلُ)	جمع غُل وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو يده. والمراد هنا حلقة من حديد توضع فيه الأيدي مضمومة إلى الرقبة أي أنه يحيط باليد والرقبة معًا.
(أَعۡنَٰقِهِمۡ)	الرقاب
(ٱلۡحَمِيمِ)	الماء الذي بلغ أعلى درجات حرارته
(يُسۡجَرُونَ)	يقذفون في النار - يحترقون
(ضَلُّواْ عَنَّا)	غابوا عنا وذهبوا عنا
(تَمۡرَحُونَ)	تبطرون - تأْشَرون (البطر: بطر الحق جحده والتكذيب به)، وقيل: المرح: الفرح بفعل المحرم،
(مَثۡوَى)	مقام - مسكن - منزل - مأوى
(بِـَٔايَةٍ)	بمعجزةٍ - بشيء خارق للعادات

(٣٢٦) أحمر
أسود

٣٢٦ التسهيل لتأويل التنزيل

(أَمۡرُ ٱللَّهِ)	أمر الله بتعذيب هؤلاء أمر الله بقيام الساعة وإدخال أهل النار النار
(ٱلۡمُبۡطِلُونَ)	الذين حاولوا إبطال الحق بشركهم بالله وقولهم الباطل على الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩).

ج: المعنى، والله أعلم، ألم تر يا رسول الله هؤلاء الكفار أهل الشرك المجادلين في آيات الله الذين يريدون دفعها بالباطل، ألم تر إليهم من أي وجه ينصرفون عن الحق إلى الباطل؟!

قال الطبري $:

وقوله: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩) يقول لنبيه محمد □ ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته (أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩) يقول: أي وجه يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال.

❁ ❁ ❁

(٣٢٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾).

ج: هذا، والله أعلم، وصف للذين يصرفون عن آيات الله وبيان من هم، إنهم أهل الشرك المكذبون بالقرآن المنزل على النبي ﷺ المكذبون بالآيات التي جاءت على أيدي المرسلين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله، وهو هذا القرآن؛ و(ٱلَّذِينَ) الثانية في موضع خفض ردًّا لها على (ٱلَّذِينَ) الأولى على وجه النعت (وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ) يقول: وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب.

وقال ابن كثير $:

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ) أي: من الهدى والبيان، (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾) هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب، ۴، لهؤلاء، كما قال تعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾) [المرسلات: ١٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ

(٣٢٨) أحمر
أسود

خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فسوف يعلم هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن وبما أُرسلت به الرسل من الآيات والأدلة والبراهين على وحدانية الله وعلى البعث وعلى صدق ما جاء في الكتب - سوف يعلم هؤلاء المكذبون بذلك تمام العلم حينما توضع الأغلال وهي أطواق الحديد في رقابهم وقد جمعت أيديهم مع رقابهم وأحاطت بها تلك الأطواق، ثم ربطت الأطواق سلاسل وسُحبوا إلى النار في هذا المشهد المهول المروِّع، أيديهم مضمومة إلى أعناقهم تحيط بها أطواق الحديد، تلك الأطواق التي ربطت في سلاسل ويسحبون بتلك السلاسل إلى الحميم، إلى الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه ثم يقذف بهم في النار فتحرقهم ويكونون لها وقودًا ثم يُقال لهم على سبيل التوبيخ والتأنيب: أين هذه الآلهة التي عبدتموها من دون الله ﷻ وجعلتموها شريكة له في ملكه؟ أين هي؟ ادعوها كي تستجيب لكم - كي تدفع عنكم العذاب - كي تشفع لكم كما زعمتم؟

فيبحث أهل الكفر أين تلك الآلهة؟ لقد غابت عنهم وذهبت فيندمون أشد الندم قائلين، لم نكن ندعو شيئًا له حقيقة، فكل معبودٍ من دون الله قد ذهب عن عابدين وابتعد وتبرأ ممن عبدوه، فضلًا عن تلك الأصنام التي لم تكن تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أصحابها شيئًا، وهكذا، وكما أضل الله سبحانه وتعالى الآلهة عمن عبدوها، فهكذا يضل الله الكافرين عن رحمته، وهكذا يفعل بكل كافر اتخذ مع الله إلهًا آخر يضل عن إلهه الذي كان يعبده في الدنيا من دون الله ويضل عن إلهه.

ذلكم الذي نفعله بكم يا أهل الكفر سببه فرحكم في الأرض بشرككم

(٣٢٩) أحمر
أسود

وبمعاصيكم وكبائركم وأشركم وبطركم في دنياكم فها هي أبواب جهنم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تزولون ولا تموتون فيها ولا تحيون، فلبئس المقام مقام أهل الكفر، وبئس المستقر مستقرهم، بئس المستقر مستقر هؤلاء الذين تكبروا عن الإيمان، ورضوا بالكفر بديلًا عنه، وتعالوا عن توحيد الرحمن ﷻ وبنحو ما ذُكر قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ)، وهذا تهديد من الله المشركين به؛ يقول جل ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم.

وقال أيضًا:

وقوله: (يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾) يقول: يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حره، وبلغ غايته.

وقوله: (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾) يقول: ثم في نار جهنم يحرقون، يقول: تسجر به جهنم: أي توقد بهم.

وقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه؛ وإنما يقال هذا لهم توبيخًا وتقريعًا على ما كان منهم في

(٣٣٠) أحمر
أسود

الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ضلوا عنا: يقول: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلوا عنا، ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا: أي لم نكن نعبد شيئا؛ يقول الله تعالى ذكره: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء.

وقال: ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأشر والبطر .

وقوله: ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ أي: متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم؛ ولهذا قال: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ، كما قال: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤] . وقال بعد

(٣٣١) أحمر
أسود

ذكْره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) [الصافات:٦٨]، وقال: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾) إلى أن قال: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾) [الواقعة: ٤١ -٥٦]. وقال: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾) [الدخان: ٤٣ -٥٠]، أي: يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتحقير والتصغير، والتهكم والاستهزاء بهم.

وقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي: قيل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) أي: ذهبوا فلم ينفعونا، (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أي: جحدوا عبادتهم، كقوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾) [الأنعام: ٢٣]؛ ولهذا قال: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾).

وقوله: (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾) أي: تقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وأشركم وبطركم، (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾) أي: فبئس المنزلُ والمَقِيلُ الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله، واتباع دلائله وحُججه.

وقال القرطبي $:

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهذا تقريع وتوبيخ (قَالُوا

(٣٣٢) أحمر
أسود

ضَلُّواْعَنَّا) أي: هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن أي: خفي وقيل : أي: صاروا بحيث لا نجدهم (بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا) أي: شيئًا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا إنكار لعبادة الأصنام بل هو اعتارف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة قال الله تعالى : (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤) أي كما فعل بهؤلاء الإضلال يفعل بكل كافر.

قوله تعالى : (ذَٰلِكُم) أي ذلكم العذاب (بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ) بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخًا أي نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة وقيل: إن فرحهم بها عندهم أنهم قالوا للرسل : نحن نعلم أنا لا نبعث ولا نعذب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧).

ج: هذا، والله أعلم، تصبير للنبي □ وتسليةٌ له، فالمعنى اصبر يا رسول الله فسيتحقق ما وعد الله به من إحلال العقوبة بهؤلاء الذين كذبوك وعاندوك وخالفوا أمرك فإن الله لا يخلف وعده رسله.

هذا، وقد تحلُّ بهؤلاء المكذبين عقوبتنا في الدنيا وتراهم يعاقبون وأنت حي وقد تموت قبل أن يحل بهم عقابنا، كما قال تعالى: (فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ٤٢)

[الزخرف: ٤١-٤٢].

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ) يقول جل ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل أن يحل ذلك بهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾) يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه؛ فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ) أي: في الدنيا. وكذلك وقع، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم، أبيدوا في يوم بدر. ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته □.

وقوله: (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾) أي: فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة.

❁ ❁ ❁

(٣٣٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله، منهم من ذكَّرناك به وتلونا عليك سيرته وقصته مع قومه، ومنه من لم نخبرك بشيء من أمره، وما كان لرسول من هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى البشر أن يأتي بمعجزةٍ من تلقاء نفسه، ولا أن يأتي بأمرٍ يكون فاصلًا بينه وبين قومه وقاطعًا للحجة ولا أن يأتي بخارقة من خوارق العادات إلا بإذن الله.

فإذا جاء أمر الله الذي يريده بتعذيب قومٍ ورحمة آخرين أو بقيام الساعة أو غير ذلك، فحينئذٍ يفصل بين العباد بالحق، فيرحم الله من يشاء ويقضي لصاحب الحق بحقه وعلى المبطل ببطلانه، فحينئذٍ يخسر هؤلاء المبطلون الذين حاولوا جاهدين إبطال الحق وإزهاقه، بما يقذفونه من شُبه الباطل، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أممها (مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم (وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ) نبأهم.

وقوله: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ) يقول تعالى ذكره: وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن

(٣٣٥) أحمر
أسود

الله له بذلك، فيأتيهم بها؛ يقول جل ثناؤه لنبيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ) يعني بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾) يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكًا.

وقال ابن كثير $:

ثم قال مسليًا له: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) كما قال في (سورة النساء) سواء، أي: منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنُّصرة، (وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف، كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء، ولله الحمد والمنة.

وقوله: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أي: ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات، إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به، (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قُضِيَ بِالْحَقِّ) فينجو المؤمنون، ويهلك الكافرون؛ ولهذا قال: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾).

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) عزَّاه أيضًا بما لقيت الرسل من قبله (مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) أي أنبأناك بأخبارهم وما لقوا من قومهم

(٣٣٦) أحمر
أسود

(وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ) أي من قبل نفسه (إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ) أي إذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله وإنما التأخير لإسلام مَنْ علم الله إسلامه منهم ولمن في أصلابهم من المؤمنين وقيل : أشار بهذا إلى القتل ببدر (قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨) أي الذين يتبعون الباطل والشرك.

❁ ❁ ❁

غافر

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾
أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَٰرًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ
سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾).

[غافر: ٧٩-٨٥]

(٣٣٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلْأَنْعَٰمَ -ٱلْفُلْكِ -وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ -وَحَاقَ بِهِم -بَأْسَنَا -سُنَّتَ ٱللَّهِ -خَلَتْ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْأَنْعَٰمَ)	قيل: المراد هنا الإبل خاصة وقيل: الأنعام الثمانية (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز)
(ٱلْفُلْكِ)	السفن العظيمة
(وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ)	آثارهم الباقية بعد هلاكهم - العلامات الدالة عليهم بعد هلاكهم (منازل - قبور، ونحو ذلك)
(وَحَاقَ بِهِم)	حلَّ بهم - نزل بهم
(بَأْسَنَا)	عذابنا
(سُنَّتَ ٱللَّهِ)	طريقة الله ﷻ - صنيعه في الأمم
(خَلَتْ)	مضت - انقضت وذهبت

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قول الله ﷻ: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾).

(٣٣٩) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك لـه، هو الله الذي جعل لكم الأنعام (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) منها ما تركبوه، وهي الإبل ومنها جميعًا تأكلون، ولكم فيها منافع غير الأكل والركوب كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها كما قال تعالى: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾) [النحل: ٨٠].

وكذا سخرت لتبلغوا عليها حاجة في صدوركم أي: السفر إلى البلاد التي تريدون قضاء حوائجكم فيها ومنها، وعلى الإبل التي هي من الأنعام وعلى (ٱلْفُلْكِ) وهي السفن العظيمة تحملكم في أسفاركم كما قال تعالى: (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ) [النحل: ٧]، ويطلعكم الله على آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأي هذه الآيات الدالة على قدرة الله، فأي هذه الآيات تنكرونها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ) الذي لا تصلح الألوهة إلا لـه أيها المشركون به من قريش (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ) من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم (لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا) يعني: الخيل والحمير (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾) يعني الإبل والبقر والغنم. وقال:(لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا) ومعناه: لتركبوا منها بعضًا ومنها بعضًا تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف.

وقوله: (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ) وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين.

(٣٤٠) أحمر
أسود

وقوله: (وَعَلَيۡهَا) يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة (وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ) يعني: وعلى السفن (تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾) يقول: نحملكم على هذه في البر، وعلى هذه في البحر (وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ) يقول: ويريكم حججه، (فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾) يقول: فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إلهًا.

وقوله: (وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ) يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشق أنفسكم، كما قال جلَّ ثناؤه: (وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ) [النحل: ٧].

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى ممتنًا على عباده، بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم (فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾) [يس: ٧٢]، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة. والبقر تؤكل، ويشرب لبنها، وتحرث عليها الأرض. والغنم تؤكل، ويشرب لبنها، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها، فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فَصَّل وبَيَّنَ في أماكن تقدم ذكرها في (سورة الأنعام)، و(سورة النحل)، وغير ذلك؛ ولهذا قال هاهنا: (لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾).

وقوله: (وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ) أي: حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم،

❁ ❁ ❁

(٣٤١) أحمر
أسود

(فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾) أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا .

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أفلم يَسر هؤلاء المكذبون في الأرض فينظروا مصائر وعواقب الذين كذبوا من قبلهم، فقد كان من كان قبلهم أكثر عددًا منهم وأقوى منهم وتركوا آثارًا عظيمة في الأرض تدل على عظيم قوتهم وشدتهم وبأسهم وغناهم وكثرة أموالهم فما أغنى كل هذا من عذاب الله من شيء، وقد كان من شأنهم لما أتتهم رسلهم بالحجج الواضحات والآيات النيِّرات الدالة على وحدانية الله ﷻ، وقد رأوا أنهم يعلمون من أمور الدنيا علومًا، في حقيقتها زائلة وفانية فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي وفرحوا بما هم فيه من سعة الأرزاق وحسن التدبير في أمور الدنيا، فغرتهم دنياهم وحملتهم على تكذيب المرسلين والسخرية منهم، فحلَّ بهم من أمر الله وعذابه ما حل ونزل بهم جزاؤهم لمَّا استهزؤوا برسل الله الكرام.

فلما رأوا عذاب الله أتى ولا محالة من وقوعه ولا راد له من بعد الله،

(٣٤٢) أحمر
أسود

قالوا حينما عاينوه ورأوه صدقنا بوحدانية الله ﷻ وكفرنا بما سواه من الآلهة والأصنام والأنداد، ولكن ما نفعتهم مقولتهم هذه، فقد قالوها عند حلول العذاب، فلم ينفعهم إيمانهم آنذاك كما قال تعالى في كتابه الكريم: (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ...) [النساء: ١٨]، وكما قال تعالى في شأن فرعون لما أدركه الغرق: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾) [يونس: ٩٠-٩١].

فالحاصل أن إيمانهم لم ينفعهم عند حلول العذاب بهم وعند معاينتهم له، وتلك سُنَّة الله ﷻ وطريقته في الخلق، سنته التي مضت في عباده أنه ينتقم ممن عاندوا رسله وكذبوهم وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعند معاينة العذاب يبادر الكفار بإعلان إيمانهم، وعند وقوع العذاب يخسر هؤلاء الكفار أنفسهم ويخسرون كل ما ينتفع به، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشأم واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبى تكذيبهم (كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ) يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا، وأقوى قوة، وأبقى في الأرض آثارا، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع.

(٣٤٣) أحمر
أسود

قولـه تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقـول تعـالى ذكـره: فلمـا جـاءت هـؤلاء الأمـم الـذين مـن قبـل قـريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينـات، يعنـي: بالواضـحات مـن حجـج الله ﷻ ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ يقـول: فرحـوا جهـلا مـنهم بمـا عندهم من العلم وقالوا: لن نبعث، ولن يعذبنا الله.

وقولــه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يقـول: وحـاق بهـم مـن عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية.

وقال في قولـه تعـالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

يقـول تعـالى ذكـره: فلمـا رأت هـذه الأمـم المكذبـة رسـلها بأسـنا، يعنـي عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم.

وقولـه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ﴾ يقول: قالوا: أقررنـا بتوحيد الله، وصـدقنا أنــه لا إلــه إلا الله ﴿وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يقـول: وجحـدنا الآلهـة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهـة، فبرئنا منها.

فـي تأويـل قولــه تعـالى : ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقًا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد

(٣٤٤) أحمر
أسود

نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته.

وقوله: (سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ) يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن (سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ) يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك.

وقوله: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥) يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبنت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم.

قال السعدي $:

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: (فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ) من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، الهادي من الضلال، والحق من الباطل (فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ) المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًّا، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة

(٣٤٥) أحمر
أسود

لفظية، لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أَثّروه في الأرض، وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئا، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

وقال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب.

وقال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأتاهم من بأس الله ما لا قِبَل لهم به.

(وَحَاقَ بِهِم) أي: أحاط بهم (مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾) أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

(فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا) أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، (قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾) أي: وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقَال العثرات، ولا تنفع المعذرة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: (ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾) [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: (ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾) [يونس: ٩١] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه

(٣٤٦) أحمر
أسود

حين قال: (وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾) [يونس:٨٨].
وهاهنا قال: (فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ)
أي: هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١) أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعاين الملك، فلا توبة حينئذ؛ ولهذا قال: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾).

قال القرطبي $:

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلا أنه بين لنا الخسران لما رأوا العذاب وقيل : فيه تقديم وتأخير أي: (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) (وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) كسنتنا في جميع الكافرين فـ(سُنَّتَ) نصب بنزع الخافض أي كسنة الله في الأمم كلها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تم بحمد الله تفسير سورة غافر من كتابي
التسهيل لتأويل التنزيل
(تفسير القرآن في سؤال وجواب)

(١) في سنده ضعف: أخرجه أحمد (١٣٢/٢)، والترمذي (٣٥٣٧)، وغيرهما، وفي سنده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، فيه مقال.

(٣٤٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

تفسير سورة فصلت

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ
قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ
لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ
ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ
إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ
أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾) [الأحقاف: ١-١٢]

(٣٤٨) أحمر
أسود

س: - اذكر معنى ما يلي:

(فُصِّلَتْ- أَكِنَّةٍ- وَقْرٌ -حِجَابٌ-غَيْرُ مَمْنُونٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(فُصِّلَتْ)	بُيِّنت - فُسِّرت
(أَكِنَّةٍ)	أغطية (جمع غطاء)
(وَقْرٌ)	صمم – ثقل
(حِجَابٌ)	ساتر
(غَيْرُ مَمْنُونٍ)	غير مقطوع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾)؟

ج: معناه، والله أعلم، أن هذا القرآن نزل من عند الله ﷻ الرحمن الرحيم، وهذا الذي نزل كتابٌ قد بُيِّنت آياته بيانًا شافيًا كافيًا ونزل بلسانٍ عربيٍّ واضح يعرف وضوحه وفصاحته وصدقه الراسخون في العلم، نزّل هذا القرآن بشيرًا لمن أطاع الله ورسوله بجنات النعيم وبكل خير ومُحذرًا ومنذرًا بالنار من عصى الله ورسوله وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ولكن قد أعرض أكثر الناس عنه وما انتفع به إلا أهل الإيمان أما غيرهم فتركوه ولم يستمعوا إليه ولم يبالوا به بل كذبوه ورفضوه.

(٣٤٩) أحمر
أسود

* أما قوله: (حمٓ) فمعناها موكول إلى الله وقد تقدم الكلام على نظيراتها مرارًا.

قال الطبري $:

وقوله:(تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢) يقول تعالى ذكره: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد □ (كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ) يقول: كتاب بينت آياته.

وقوله: (قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا) يقول تعالى ذكره: فُصلت آياته هكذا.

وقوله: (لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣) يقول: فصلت آيات هذا الكتاب قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون اللسان العربي.

(بَشِيرٗا) لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، (وَنَذِيرٗا) يقول ومنذرًا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة.

وقوله: (فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ) يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا، وهم قوم رسول الله □. (فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤)يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضًا عنه واستكبارًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: (حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢) يعني: القرآن منزل من الرحمن الرحيم، كقوله تعالى: (قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ) [النحل: ١٠٢]، وقوله: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤) [الشعراء: ١٩٢ -١٩٤].

(٣٥٠) أحمر
أسود

وقولـــه: (كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ) أي: بُينـــت معانيـــه وأحكمـــت أحكامـه، (قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا) أي: فـي حـال كونـه لفظًـا عربيًّـا، بينًـا واضـحًا، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة، كقولـه: (كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١) [هـود: ١] أي: هـو معجـز مـن حيـث لفظـه ومعنـاه، (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢) [فصلت: ٤٢].

وقوله: (لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣) أي: إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماءُ الراسـخون، (بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا) أي: تـارة يبشـر المـؤمنين، وتـارة ينـذر الكـافرين، (فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤) أي: أكثـر قـريش، فهـم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه.

❁ ❁ ❁

س: قولـه تعـالى: (قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣) هـل هـو للـذين يعلمـون فقط؟

ج: ليس كذلك بل هو لعموم الإنس والجن، وإنما خصَّ الله ﷻ «القوم الذين يعلمون» لكونهم المنتفعون به.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

وإنمـا خصـهم بـذلك ، لأنهـم هـم المنتفعـون بتفصـيله ، كمـا خصـهم بتفصيل الآيات في سورة يونس في قولـه تعـالى : (مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥) [يونس : ٥]، وفـي سـورة الأنعـام فـي قولـه تعـالى : (قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨) [الأنعـام : ٩٧، ٩٨] إلـى

(٣٥١) أحمر
أسود

غير ذلك من الآيات .

وقد أوضحنا وجه تخصيص المنتفعين بالأمر المشترك دون غيرهم في سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى : (إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِۚ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ) [فاطر : ١٨] وبينا هناك أن تخصيصهم بالإنذار دون غيرهم ، في آية فاطر هذه ، وفي قوله تعالى في يس: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ) [يس : ١١] وقوله في النازعات: (إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥) [النازعات : ٤٥] وقوله في الأنعام : (وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ) [الأنعام : ٥١] الآية .

مع أن أصل الإنذار عام شامل للمذكورين وغيرهم كما يدل عليه قوله تعالى (تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١) [الفرقان : ١] .

وإنما خص المذكورين بالإنذار؛ لأنهم هم المنتفعون به؛ لأن من لم ينتفع بالإنذار ، ومن لم ينذر أصلًا سواء في عدم الانتفاع ، كما قال الله تعالى: (وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠) [يس : ١٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥).

ج: المعنى - والله أعلم – وقال هؤلاء المشركون المكذبون بالقرآن لرسول الله □ لما دعاهم إلى الإيمان والتصديق: قلوبنا في أغطية وأوعية فلا يصل إليه شيءٌ مما تدعوها إليه بل وفي آذاننا صمم وثقلٌ فلا نستطيع أن نسمع ما تقوله، وفضلًا عن ذلك كله فبيننا وبينك حائلٌ يحول وساتر يمنع وصول كلامك إلينا فالقلوب مقفلة والأذن مغلقة والسواتر والحواجز

(٣٥٢) أحمر
أسود

قائمة فلن يصل إلينا منك شيء فاستمر على دينك الذي تعتقده، ونستمر على ديننا الذي نعتقده فلن نهتدي بما جئت به.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبيّ الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه (قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ) يقول: في أغطية (مِّمَّا تَدۡعُونَآ) يا محمد (إِلَيۡهِ) من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول (وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ) وهو الثقل، لا نسمع ما تدعونا إليه استثقالا لما يدعو إليه وكراهة له.

وقوله: (وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ) يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبيّ الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين.

وقوله: (فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥) يقول: قالوا له : فا عمل يا محمد بدينك، وما تقول إنه الحق، إننا عاملون بديننا وما نقول إنه الحق، ودع دعاءنا إلى ما تدعونا إليه من دينك فإنا ندع دعاءك إلى ديننا.

وأدخلت «من» في قوله: (وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ) والمعنى: وبيننا وبينكَ حِجابٌ، توكيدا للكلام.

وقال ابن كثير $:

(٣٥٣) أحمر
أسود

(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ) أي: في غلف مغطاة (مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ) أي: صمم عما جئتنا به، (وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ) فلا يصل إلينا شيء مما تقول، (فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥) أي: اعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا لا نتابعك.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ).

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن الكفار صرحوا للنبي ، بأنهم لا يستجيبوا له ولا يؤمنون به ، ولا يقبلون منه ما جاءهم به فقالوا له قلوبنا التي نعقل بها ، ونفهم في أكنة ، أي أغطية .

والأكنة ، جمع كنان ، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه .

ويعنون أن تلك الأغطية ، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه ، وقالوا إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرًا أي : ثقلًا وهو الصمم . وأن ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي شيئًان ومما يقول ، كما قال تعالى عنهم : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) [فصلت : ٢٦].

وأن من بينهم وبينه حجابًا ، مانعًا لهم من الاتصال والاتفاق ، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا منهما عن الآخر ، ويحول بينهم وبين رؤية ما يبديه من الحق .

والله جل وعلا ، ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم ، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على قلوبهم الأكنة ، وفي آذانهم الوقر ، وجعل بينهم

(٣٥٤) أحمر
أسود

وبين رسوله حجابًا ، عند قراءته القرآن ، قال تعالى في سورة بني إسرائيل : (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) [الإسراء: ٤٥، ٤٦]. وقال تعالى في الأنعام: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا) [الأنعام : ٢٥] وقال تعالى في الكهف : (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾) [الكهف : ٥٧].

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي ، ووجه كونه مشكلًا ظاهر ، لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت ، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم فعلًا ، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم .

فيقال : فكيف يذمون على قول شيء ، هو حق في نفس الأمر .

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال ، هو ما ذكرناه مرارًا ، من أن الله إنما جعل على قلوبهم الأكنة ، وطبع عليها وختم عليها، وجعل الوقر في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى ، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر ، وتكذيب الرسل طائعين مختارين ، فجزاهم الله على ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة ، والعمى عن الهدى ، جزاء وفاقًا .

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم ، مجازاة لكفرهم الأول .

ومن جزاء السيئة ، تمادي صاحبها في الضلال ، ولله الحكمة البالغة في ذلك .

(٣٥٥) أحمر
أسود

والآيات المصرحة بمعنى هذا كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) [النساء : ١٥٥] .

فقول اليهود في هذه الآية (قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ) كقول كفار مكة : (قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ) لأن الغلف ، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف ، والأكنة جمع كنان ، والغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر .

وقد رد الله على اليهود دعواهم ببل التي هي للإضراب الإبطالي ، في قوله (بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) [النساء : ١٥٥] .

فالباء في قوله : بكفرهم سببية ، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم ، والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد .

وكقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾) [المنافقون: ٣]، والفاء في قوله : فطبع سببية أي ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر .

وقد قدمنا مرارًا أنه تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل ، ومن المعلوم أن العلة الشرعية سبب شرعي .

وكذلك الفاء في قوله : (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾) [المنافقون : ٣] فهي سببية أيضًا، أي فطبع على قلوبهم ، فهم بسبب ذلك الطبع لا يفقهون أي لا يفهمون من براهين الله وحججه شيئًا .

وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد ، وهو ما ينشأ عن كل منهما من عدم الفهم .

لأنه قال في الطبع (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾) [المنافقون : ٣] .

وقال في الأكنة : (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) [الأنعام : ٢٥] أي

(٣٥٦) أحمر
أسود

كراهة أن يفقهوه ، أو لأجل ألا يفقهوه ، كما قدمنا إيضاحه .

وكقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ) [الصف : ٥] فبين أن زيغهم الأول ، كان سببًا لإزاغة الله قلوبهم ، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب .

وكقوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ) [البقرة : ١٠] وقوله تعالى : (وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ) [الأنعام : ١١٠] الآية . وقوله تعالى : (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ) [التوبة: ١٢٥] الآية .

وإيضاح هذا الجواب : أن الكفار قالوا للنبي □ (قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ) [فصلت : ٥] يقصدون بذلك إخباره □ بأنهم لا يؤمنون به بوجه ، ولا يتبعونه بحال ، ولا يقرون بالحق الذي هو كون كفرهم هذا هو الجريمة ، والذنب الذي كان سببًا في الأكنة ، والوقر والحجاب .

فدعواهم كاذبة ، لأن الله جعل لهم قلوبًا يفهمون بها ، وآذانًا يسمعون بها ، خلافًا لما زعموا ، ولكنه ، سبب لهم الأكنة ، والوقر والحجاب ، بسبب مبادرتهم إلى الكفر ، وتكذيب الرسول □ .

وهذا المعنى أوضحه رده تعالى على اليهود في قوله عنهم : (وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ) [النساء : ١٥٥].

وقد حاول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ، الجواب على الإشكال المذكور فقال : فإن قيل إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم ، وذكر أيضًا ما يقرب منه في معرض الذم ، فقال: (وَقَالُواْ

قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) [البقرة : ٨٨] ثم إنه تعالى ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معنى التقرير والإثبات في سورة الأنعام ، فقال : (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) [الأنعام : ٢٥] فكيف الجمع بينهما؟

قلنا : إنه لم يقل ها هنا إنهم كذبوا في ذلك ، إنما الذي ذمهم عليه ، أنهم قالوا إنا إذًا كنا كذلك ، لم يجز تكليفنا وتوجيه الأمر والنهي علينا ، وهذا الثاني باطل .

أما الأول : فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا فيه . اهـ منه . والأظهر هو ما ذكرنا .

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ).

فإن قلت : هل لزيادة من في قوله : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) فائدة؟ قلت : نعم .

لأنه لو قيل : وبيننا وبينك حجاب ، لكان المعنى أن حجابًا حاصل وسط الجهتين .

وأما بزيادة « مِنْ » فالمعنى : أن حجابًا ابتدأ منا وابتدأ منك .

فالمسافة المتوسطة لجهتنا ، وجهتك مستوعبة بالحجاب ، لا فراغ فيها. انتهى منه .

واستحسن كلامه هذا الفخر الرازي وتعقبه ابن المنير على الزمخشري ، فأوضح سقوطه والحق معه في تعقبه عليه .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) [فصلت : ٥] ، وقد قدمنا تفسيره وإيضاحه بالآيات القرآنية ، في سورة بني إسرائيل ، في الكلام على قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(٣٥٨) أحمر
أسود

بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾) [الإسراء : ٤٥] .

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة ما أورده الحافظ ابن كثير وغيره من قصة مجيء عتبة بن ربيعة إلى رسول الله □ وكلامه معه وتلاوة الرسول هذه الآيات (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ...) إلى قوله: (مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾)؟

ج: الإسناد بذلك ضعيف ولا يصح.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة النفوس من الشرك وذلك بقول لا إله إلا الله، أي: أنهم لا يأتون بكلمة لا إله إلا الله.

الثاني: أن المراد الزكاة المفروضة عليهم سواء زكاة الزروع أو الأموال أو الماشية أو الفطر أو غير ذلك من الزكوات المفروضة.

❁ ❁ ❁

س: من لم يؤد الزكاة هل يُعتبر مشركًا؟

ج: من لم يؤدها تكاسلًا أو بُخلًا فليس بمشرك وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله □: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى**

(٣٥٩) أحمر
أسود

يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ».

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالإِبِلُ قَالَ: « **وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ** ».

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ قَالَ: « **وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ وَلاَ عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»(١).

فقوله: «**ثم ينظر مقعده من الجنة أو مقعده من النار**» فيه دلالة على أنه ليس بمشرك.

* أما الذي يجحد فرضية الزكاة فهو كافر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعرضين عن القرآن المنزل عليك قل لهم ليس أمر هدايتكم وتوفيقكم بموكول إليَّ، ولست ملكًا من الملائكة بل بشرٌ يوحي الله ﷻ إليَّ أنما إلهكم إلهٌ واحد

(١) مسلم (حديث ٩٨٧).

(٣٦٠) أحمر
أسود

فأطيعوه والزموه شرعه واستقيموا على أمره واطلبوا منه مغفرة ذنوبكم وسترها وعدم المؤاخذة بها أما المعرضون عن توحيد الله وعبادته وطاعته فالويل لهم، لهم وادٍ في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار، لهم وعيد بالعذاب الشديد، هؤلاء المشركون الذين من شأنهم عدم تأدية الزكاة المفروضة عليهم، ومن شأنهم إنكار البعث والتكذيب بالآخرة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة.

لست بمَلك (يُوحَىٰٓ إِلَيَّ) يوحي الله إليَّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد. (فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ) يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان.

(وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ) يقول: وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم.

وقوله: (وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧) يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم، ولا يوحدونه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها.

(٣٦١) أحمر
أسود

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة (وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) قال: لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك؛ وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا؛ قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه؛ والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

والصواب من القول: في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: (وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧) دليلًا على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: (وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧) معنى؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: (وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧) قوله: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاة الأموال.

وقوله: (وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧) يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: (قُلۡ) يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين: (إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ) لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، (فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ) أي: أخلصوا له

(٣٦٢) أحمر
أسود

العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، (وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ) أي: لسالف الذنوب، (وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦) أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

* وأورد الحافظ ابن كثير حرمه الله تعالى القولين في تفسير قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) ولكنه خالف الطبري في اختياره فقال بعد أن أورد قول من قال إن معناها الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، قال:

وهذا كقوله تعالى: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠) [الشمس: ٩، ١٠]، وكقوله: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥) [الأعلى: ١٤، ١٥]، وقوله (فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨) [النازعات: ١٨] والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات.

وأورد قول من قال: الذين يمنعون زكاة أموالهم وتعقبه بقوله:

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالى: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ) [الأنعام: ١٤١]، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بَيَّن أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك،

(٣٦٣) أحمر
أسود

شيئا فشيئا، والله أعلم.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

والقصد في قوله: (إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ) إضافي أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر .

وقوله : (مِّثۡلُكُمۡ) في الصفات البشرية ، ولكن الله فضلني بما أوحى إليَّ من توحيده .

كما قال تعالى عن الرسل في سورة إبراهيم : (قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ) [إبراهيم : ١١] أي كما منَّ علينا بالوحي والرسالة .

وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: (قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا) [الكهف : ١١٠] الآية .

❁ ❁ ❁

س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم إن الذين آمنوا بالقرآن وبرسول الله □ وصدقوا به وآمنوا بكل ما ألزموا الإيمان به لهم أجرٌ غير مقطوع بل متواصل لا يتحول عنهم ولا يتحولون عنه، وإن تقدمت بهم الأعمار وعجزوا عن الأعمال لضعفهم فأجورهم تأتيهم لا تنقص كما قال تعالى: (ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾) أي: رددنا الإنسان إلى أرذل العمر فضعف عن العمل، لكن أهل الإيمان وإن

(٣٦٤) أحمر
أسود

ضعفوا عن العمل فأجورهم ثابتة وإن حال بينهم وبين أعمالهم حائل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عما نهيناهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾) يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه.

وقال ابن كثير $:

ثم قال بعد ذلك: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال مجاهد وغيره: لا مقطوع ولا مجبوب، كقوله: (مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾) [الكهف: ٣]، وكقوله تعالى: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾) [هود: ١٠٨] .

وقال السدي: غير ممنون عليهم. وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير، فإن المنة لله على أهل الجنة؛ قال الله تعالى: (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) [الحجرات: ١٧]، وقال أهل الجنة: (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾) [الطور: ٢٧]، وقال رسول الله □: «**إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١) .

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من أن أجرهم غير ممنون ، نص الله تعالى عليه في آيات أخر من كتابه ، كقوله تعالى في آخر سورة الانشقاق: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾) [الانشقاق : ٢٥] . وقوله تعالى في سورة التين : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾) [

(١) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٣٦٥) أحمر
أسود

التين : ٦] وقوله تعالى في سورة هود: (۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾) [هود : ١٠٨] .

فقوله : غير مجذوذ أي غير مقطوع ، وبه تعلم أن غير مجذوذ وغير ممنون ، معناهما واحد .

وقوله تعالى في «ص»: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص : ٥٤] أي ماله من انتهاء ولا انقطاع . وقوله في النحل: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ).

[النحل : ٩٦]

❁ ❁ ❁

(٣٦٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ
أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ
لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ
وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ
مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم
بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ
مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ
ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾)
[فصلت: ٩-١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(٣٦٧) أحمر
أسود

(لَتَكۡفُرُونَ - أَندَادٗاۚ - رَوَٰسِيَ - وَبَٰرَكَ فِيهَا - وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا - سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ - ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا - فَقَضَىٰهُنَّ - وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ - ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا - بِمَصَٰبِيحَ - وَحِفۡظٗاۚ - أَنذَرۡتُكُمۡ - صَٰعِقَةً - يَجۡحَدُونَ - رِيحٗا صَرۡصَرٗا - أَيَّامٖ نَّحِسَٰتٖ - عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ - فَهَدَيۡنَٰهُمۡ - ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(لَتَكۡفُرُونَ)	لتجحدون وحدانيته – لتعبدون معه غيره
(أَندَادٗاۚ)	أمثالًا – نظراء – أكفاء
(رَوَٰسِيَ)	جبالًا (سببًا في ترسيتها)
(وَبَٰرَكَ فِيهَا)	جعل الخير دائمًا فيها وثابتًا فيها
(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا)	أودع فيها أرزاق العباد وما يحتاج إليه العباد
(سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ)	كاملات غير ناقصات
(لِّلسَّآئِلِينَ)	لمن سألوا عن زمن خلق السموات والأرض – ولمن سألوا عن الأقوات
(ٱئۡتِيَا)	أخرجا ما فيكما مما استودعكما الله إياه
(طَوۡعًا)	باختياركما
(كَرۡهٗا)	رغمًا عنكما
(فَقَضَىٰهُنَّ)	فخلقهن وفرغ من خلقهن
(وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ)	ألقى الأمر لكل سماء بالذي يريده فيها وبالذي يرده منها
(ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا)	السماء القريبة من الناس

(٣٦٨) أحمر
أسود

(بِمَصَٰبِيحَ)	بنجوم وكواكب
(وَحِفۡظٗاۚ)	حفظناها حفظًا – جعلنا النجوم حفظًا للسماء من الشياطين
(أَنذَرۡتُكُمۡ)	خوَّفتكم
(صَٰعِقَةٗ)	الصاعقة كل ما أفسد الشيء وغيَّره عن هيئته سواء كان ذلك بالموت أو بالإحراق أو بغير ذلك وقيل: المراد هنا بليةٌ ونازلة ووقيعةٌ
(يَجۡحَدُونَ)	ينكرون – يكذبون
(رِيحٗا صَرۡصَرٗا)	ريحًا شديدة البرد – عالية الصوت شديدة الهبوب
(أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ)	أيام مشائيم (جمع شؤم) متواصلات
(عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ)	العذاب الي يخزي ويهين ويُذل
(فَهَدَيۡنَٰهُمۡ)	فبصرناهم ووضحنا لهم
(ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ)	العذاب المهين المذل المخزي

❁ ❁ ❁

س: أيهما خلق أول الأرض أم السماء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأرض خلقت أولًا في يومين ثم خلقت السموات في يومين ثم دُحيت الأرض في يومين.

وقد ذكرت أقوال العلماء في ذلك وحاصل أقوالهم في كتابي هذا التسهيل (سورة البقرة آية ٢٩) عند تفسير قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) فليراجعه من شاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ

(٣٦٩) أحمر
أسود

فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لأهل الشرك الذين عبدوا مع الله ﷻ إلهًا غيره، يا هؤلاء أئنكم لتجحدون وحدانية الله ﷻ وتعبدون معه غيره، وهو الذي خلق الأرض في يومين ومع ذلك تجعلون له الندَّ والمثيل وتتجهون لمن جعلتموه ندًّا لله بعبادتكم، والله هو مالك الخلق كلهم مالك السموات والأرض وما فيها.

أتكفرون بالذي أرسى الأرض بالجبال الشامخات الرواسي حتى لا تميل بكم، وجعل خير الأرض دائم متواصل لكم، وجعلها مباركة قابلة للبذر والغراس والإنبات وقدَّر فيها أقوات العباد وأرزاقهم، وقدَّر فيها الأنهار والأشجار والأمطار وكل ما يصلحها لبني آدم (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾).

أي: في أربعة أيام تامة للسائلين عن زمن خلق الأرض وما جُعل فيها.

وقيل: سواء للسائلين أي: على قدر حاجة السائلين.

قال الطبري $:

وقوله: (وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادًا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله، وقد بيَّنا معنى الندّ بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: (ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾) يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له ندّ؟! هل يكون المملوك

(٣٧٠) أحمر
أسود

العاجز الذي لا يقدر على شيء ندًّا لمالكه القادر عليه؟.

وقال في تأويل قوله تعالى : (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠).

يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض (مِن فَوْقِهَا)، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.

وقوله: (وَبَارَكَ فِيهَا) يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها.

(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا) اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم.

وقال آخرون: بل معناه: وقدر فيها ما يصلحها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها أقواتها من المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الآخر منها لمعاش، بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا) أنه قدّر فيها قوتا دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرّف في البلاد لما خصّ به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن

(٣٧١) أحمر
أسود

البحر من المآكل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة.

وقال ابن كثير $:

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فقال: (۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا) أي: نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾) أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وقال $:

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا)، وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة؛ ولهذا قال تعالى: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾) أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

وقال مجاهد وعكرمة في قوله: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا)، جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها، ومنه: العصب باليمن، والسابري بسابور والطيالسة بالرّي.

وقال ابن عباس، وقتادة، والسدي في قوله تعالى: (سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾) أي: لمن أراد السؤال عن ذلك.

وقال ابن زيد: معناه (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾) أي: على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإن الله قدر له ما هو

(٣٧٢) أحمر
أسود

محتاج إليه.

وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى: (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) [إبراهيم: ٣٤]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾).

ج: أما كلمة سواءً فللعلماء فيها أقوال:

أحدها: أنها وصف للأيام الأربعة والمعنى: وقدَّر الله في الأرض أقواتها في أربعة أيام تامات غير ناقصات ولا زائدات.

والثاني: أن سواء وصف للأقوات والمعنى: قدَّر فيها الأقوات مستوية مع الاحتياجات، وعلى قدر الاحتياجات ويكون قوله للسائلين أي: عن كيفية تقدير الأقوات.

قال الطبري $:

وقوله: (سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة، وقدّر فيها الأقوات بأهلها، وجَدَهُ كما أخبر الله أربعه أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق، فإن الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم.

❁ ❁ ❁

س: وضع معنى قوله تعالى: (ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)؟

ج: المعنى، والله أعلم أن الله لما خلق السموات والأرض قال لهما أخرجا ما فيكما مما أودعته لعبادي طائعتين أو ستخرجاه مجبرتين.

(٣٧٣) أحمر
أسود

والذي أودع في الارض منه الثمار والأشجار والنباتات والأنهار وغير ذلك.

والذي أودع في السماء الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.

وقال الطبري $: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ).

يعني تعالى ذكره: ثم استوى إلى السماء، ثم ارتفع إلى السماء.

وقد بيَّنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: (فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا) يقول جلّ ثناؤه: فقال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار (قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾) جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ)، وهو: بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت السموات، (فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا) أي: استجيبا لأمري، وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فأتم خلقهن، وهن سبع سموات في يومين وألقى في كل سماء ما يريده منها وجعل السماء الدنيا مزينةً بنجوم مضيئة منيرة وكذا جعل هذه النجوم تحفظ السماء من الشياطين الذين يريدون أن

(٣٧٤) أحمر
أسود

يتسمعوا إلى الملإ الأعلى كما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ)، وهذا كله تقدير الله ﷻ العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده، (ٱلْعَلِيمِ) بخلقه وبكل شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ففرغ من خلقهنّ سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة(١).

وقوله: (وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا) يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق.

وقوله: (وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا) يقول تعالى ذكره: وزيَّنا السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح.

وقوله: (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾) يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نقمته من أعدائه، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا) أي: ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو، (وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ) وهن الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، (وَحِفْظًا) أي: حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملإ الأعلى.

(ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾) أي: العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه

---

(١) كذا قال الخميس والجمعة، والأخبار بذلك لا تصح.

وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله التربة يوم السبت....» [(١)] الحديث؟

ج: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وقال بعدم صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ عددٌ كبير من أهل العلم، وقد قدمت الحديث عليه في تفسير سورة البقرة (التسهيل) فراجعه إن شئت.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يطلب أهل الكفر أن ينزل مع الرسول ملكٌ من الملائكة، وكِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ..﴾ إلى قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾.

[الإسراء: ٩٠-٩٢]

وقوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ﴾ [الفرقان: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (٢٧٨٩).

(٣٧٦) أحمر
أسود

س: ما المراد بالرسل التي من بين أيديهم ومن خلفهم؟

ج: قيل في ذلك ما يلي:

الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والتي من خلفهم هي التي أتتهم وهذا قول ابن جرير الطبري - $.

أي أنه عنى بقوله (وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ) ومن بعد الرسل الذي سبقوهم جاءتهم رسلٌ منهم هود غ، وقيل: الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والرسل التي من خلفهم الرسل الذين جاءو من بعدهم وقيل: الرسل التي تقدمتهم والرسل التي أرسلت في القرى المجاورة لهم، وقيل غير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ **).**

ج: المعنى، والله أعلم، فإن أعرض هؤلاء المشركون عن اتباعك وعن القرآن المنزل عليك فقل حذرتكم وخوفتكم صاعقةً مثل تلك الصاعقة التي حلَّت بقبيلتي عادٍ وثمود لما جاءتهم الرسل، الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم والرسل الذين أتوهم والرسل الذين أرسلوا إلى القرى المجاورة لهم أرسلت إليهم الرسل تدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له فكذبوهم وقالوا لو شاء ربنا أن نعبده وحده لا شريك له لأنزل ملائكة من السماء تدعو إلى عبادته وحده لا شريك له وتؤيد المرسلين فيما يدعون إليه فما دام هذا لم يحدث فإنا جاحدون لما جئتم به أيها المرسلون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بيَّنتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره، فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود.

وقد بيَّنا فيما مضى أن معنى الصاعقة: كلّ ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته. وقيل في هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب.

وقوله: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقول: فقل: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقه عاد وثمود التي أهلكتهم، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم؛ فقوله: ﴿إِذْ﴾ من صلة صاعقة. وعنى بقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين.

وعني بقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلا إليهم، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضا، فكذبوهم، فأهلكوا.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له.

قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ يقول جل ثناؤه: فقالوا لرسلهم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله: لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا

(٣٧٨) أحمر
أسود

بالنهي عن ذلك ملائكة.

وقوله: (فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤) يقول: قالوا لرسلهم: فإنا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدّقين به.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين (صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣) أي: ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما.

(إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ)، كقوله تعالى: (۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ) [الأحقاف : ٢١] أي: في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا: (لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ) أي: لو شاء أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده، (فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ) أي: أيها البشر (كَٰفِرُونَ ١٤) أي: لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ) يعني كفار قريش عما تدعوهم إليه يا محمد من الإيمان.

(فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣) أي: خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود.

(٣٧٩) أحمر
أسود

(إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم (أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ) موضع «أن» نصب بإسقاط الخافض أي بـ«ألا تعبدوا» و(قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً) بدل الرسل (فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾) من الإنذار والتبشير. قيل: هذا استهزاء منهم. وقيل: إقرار منهم بإرسالهم ثم بعده جحود وعناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم – فأما قبيلة عادٍ فكان من موقفهم لما أتتهم الرسل محذرةً ومخوفةً أنهم تعالوا على الحق ورفضوا قبوله وعاثوا في الأرض فسادًا وكبرًا ما أنزل الله به من سلطان وتمادوا في غرورهم قائلين من أشد منا قوة، وتغافلوا عن أن الله ﷻ الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وجحدوا آيات الله وأنكروها وكذبوا بها، فماذا كان؟ لقد أرسل الله عليهم ريحًا شيددية الهبوب ذات صوت شديد مفزع وتحمل بردًا قارسًا قائلًا في أيام متواليات مشائيم تحمل الشر كل الشر عليهم ليذيقهم الله بذلك العذاب المهين المُذل المخزي، ولعذاب الآخرة أكبر من ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (فَأَمَّا عَادٌ) قوم هود (فَٱسْتَكْبَرُواْ) على ربهم وتجبروا (فِى ٱلْأَرْضِ) تكبرًا وعتوًّا بغير ما أذن الله لهم به (وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ) وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق، وشدة

(٣٨٠) أحمر
أسود

البطش (هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾). يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا.

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر، فقال بعضهم: عني بذلك أنها ريح شديدة.

وقال آخرون: بل عنى بها أنها باردة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: (صَرْصَرًا) إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها.

وقوله: (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات، فقال بعضهم: عني بها المتتابعات.

وقال آخرون: عني بذلك المشائيم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) أيام والله كانت مشئومات على القوم.

وفي رواية: المشئومات النكدات.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها: أيام مشائيم ذات نحوس؛ لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب.

وقال $:

وقوله: (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول جل ثناؤه: ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا. يقول: وهم يعني عادا لا

(٣٨١) أحمر
أسود

ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم.

وقال ابن كثير $:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: بغوا وعتوا وعصوا، ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ أي: منوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧]، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله، فلهذا قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب. وقيل: الباردة. وقيل: هي التي لها صوت.

والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة:٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق «صرصر» لقوة صوت جريه.

وقوله: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ أي: متتابعات، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : ٧]، كقوله: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [القمر: ١٩]، أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ [أي] أشد خزيا لهم، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: في الأخرى، كما لم ينصروا في الدنيا، وما

(٣٨٢) أحمر
أسود

كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على عباد الله هود ومن آمن معه ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا.

وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم.

وقد مضى في [الأعراف] عن ابن عباس: أن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا.

فقال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقدرة، وإنما يقدر العبد بإقدار الله، فالله أقدر إذا.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: بمعجزاتنا يكفرون.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ هذا تفسير الصاعقة التي أرسلها عليهم، أي ريحًا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب.

وقال القرطبي أيضًا:

﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أي مشئومات، قاله مجاهد.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾ أي لكي نذيقهم ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي العذاب بالريح العقيم.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أي أعظم وأشد.

﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – وأما قبيلة ثمود فبصرناهم وبينا لهم طريق الخير وطريق الشر فاختاروا طريق الشر على طريق الخير، وطريق الغواية على طريق الهداية فأخذتهم صاعقة العذاب المذل المخزي المهين بكسبهم السيئ، وشركهم بالله وإجرامهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: بينا لهم سبيل الخير والشرّ.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح: أعلمناهم الهدى والضلالة، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى.

وقوله: (فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بيننه لهم، من توحيد الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد:

في قوله: (فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) قال: استحبوا الضلالة على الهدى، وقرأ: و(كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) [الأنعام: ١٠٨]... إلى آخر الآية، قال: فزين لثمود عملها القبيح، وقرأ: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ) [فاطر: ٨]... إلى آخر الآية.

قال الطبري:

وقوله: (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) يقول: فأهلكتهم من

(٣٨٤) أحمر
أسود

العذاب المذل المهين لهم مهلكة أذلتهم وأخزتهم، والهون: هو الهوان.

وقوله: (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾) من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسله.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) قال ابن عباس، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، وابن زيد: بينا لهم.

وقال الثوري: دعوناهم.

(فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) أي: بصرناهم، وبينا لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح □، فخالفوه وكذبوه، وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم، (فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾) أي: من التكذيب والجحود.

(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي: من بين أظهرهم، لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله مع نبيهم صالح بإيمانهم، وتقواهم لله ﷻ.

قال السعدي $:

وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحًا ؑ، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يومًا ويشربون من الماء يومًا، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله؛ ولهذا قال هنا: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم؛ وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم

(٣٨٥) أحمر
أسود

البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى.

ولكنهم - من ظلمهم وشرهم - استحبوا العمى - الذي هو الكفر والضلال - على الهدى -الذي هو: العلم والإيمان- (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾) لا ظلمًا من الله لهم.

(وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾) أي نجى الله صالحًا ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي.

قال الشنقيطي §:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعناه العام ، الذي هو البيان ، والدلالة ، والإرشاد ، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع ، على الهدى الخاص الذي هو التوفيق ، والاصطفاء ، كقوله تعالى : (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ) [الأنعام : ٩٠].

فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ) أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكها ، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها على لسان نبينا صالح ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم .

ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى : (إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ) [الإنسان : ٣] بدليل قوله بعده (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾) [الإنسان : ٣] ؛ لأنه لو كان هدى توفيق لما قال : (وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾).

(٣٨٦) أحمر
أسود

ومن إطلاقه على معناه الخاص قوله تعالى : (فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ) [الأنعام : ٩٠]. وقوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى) [محمد: ١٧] . وقوله : (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ) [الكهف : ١٧] .

وبمعرفة هذين الإطلاقين تتيسر إزالة إشكال قرآني : هو أنه تعالى : أثبت الهدى لنبينا □ في آية ، وهي قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢) [الشورى : ٥٢] ونفاه عنه في آية أخرى وهي قوله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ) [القصص : ٥٦] .

فيعلم مما ذكرنا: أن الهدى المثبت له □ ، هو الهدى العام الذي هو البيان، والدلالة والإرشاد ، وقد فعل ذلك □ فبيَّن المحجة البيضاء ، حتى تركها ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والهدى المنفي عنه في آية: (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ) [القصص : ٥٦] هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق ، لأن ذلك بيد الله وحده ، وليس بيده □ ، كما قال تعالى : (وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ) [المائدة : ٤١] الآية . وقوله تعالى : (إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ) [النحل : ٣٧] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة .

وكذلك قوله تعالى : (شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ) [البقرة : ١٨٥] الآية ، لا منافاة فيه بين عموم الناس في هذه الآية . وخصوص المتقين في قوله تعالى : (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢) [البقرة : ٢] لأن الهدى العام للناس هو الهدى العام ، والهدى الخاص بالمتقين، هو الهدى الخاص كما لا يخفى .

(٣٨٧) أحمر
أسود

وقد بينا هذا في غير هذا الموضع ، والعلم عند الله تعالى .

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ) الآية .

الفاء في قوله : فأخذتهم سببية ، أي فاستحبوا العمى على الهدى ، وبسبب ذلك ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون .

واعلم أن الله جل وعلا عبر عن الهلاك الذي أهلك به ثمود ، بعبارات مختلفة ، فذكره هنا باسم الصاعقة في قوله : (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ) وقوله : (فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾) [فصلت : ١٣] .

وعبر عنه أيضًا بالصاعقة في سورة الذاريات في قوله تعالى : (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾)[الذاريات: ٤٣، ٤٤] .

وعبر عنه بالصيحة في آيات من كتابه ، كقوله تعالى في سورة هود في إهلاكه ثمود : (وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾) [هود : ٦٧، ٦٨] وقوله تعالى في الحجر : (وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾) [الحجر : ٨٢، ٨٣] وقوله تعالى في القمر : (إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾) [القمر: ٣١]. وقوله تعالى في العنكبوت: (وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ) [العنكبوت: ٤٠] يعني به ثمودا المذكورين في قوله قبله: (وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ) [العنكبوت : ٣٨] الآية .

وعبر عنه بالرجفة ، في سورة الأعراف في قوله تعالى : (فَعَقَرُوا۟

(٣٨٨) أحمر
أسود

ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ) [الأعراف : ٧٧، ٧٨] الآية .

وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل ، في قوله تعالى : (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾) [النمل : ٥١] .

وعبر عنه بالطاغية في الحاقة في قوله تعالى : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾) [الحاقة : ٥] .

وعبر عنه بالدمدمة في الشمس في قوله تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾) [الشمس : ١٤] .

وعبر عنه بالعذاب ، في سورة الشعراء ، في قوله تعالى : (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً) [الشعراء : ١٥٧، ١٥٨] الآية .

ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم ، والصيحة الصوت المزعج المهلك .

والصاعقة تطلق أيضًا على الصوت المزعج المهلك ، وعلى النار المحرقة، وعليهما معًا ، ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم ، رجفت بهم الأرض من تحتهم ، أي تحركت حركة قوية ، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميرًا واضح .

وقيل لها طاغية ، لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك .

والطغيان في لغة العرب : مجاوزة الحد .

ومنه قوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ) [الحاقة : ١١] الآية . أي جاوز الحدود التي يبلغها الماء عادة .

(٣٨٩) أحمر
أسود

واعلم أن التحقيق ، أن المراد بالطاغية في قوله تعالى : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾) [الحاقة : ٥] أنها الصيحة التي أهلكهم الله بها ، كما يوضحه قوله بعده : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾) [الحاقة : ٦] .

خلافًا لمن زعم أن الطاغية ، مصدر كالعاقبة ، والعافية ، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم ، أي بكفرهم ، وتكذيبهم نبيهم ، كقوله : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾) [الشمس : ١١] .

وخلافًا لمن زعم أن الطاغية هي أشقاهم، الذي انبعث فعقر الناقة ، وأنهم أهلكوا بسبب فعله وهو عقره الناقة ، وكل هذا خلاف التحقيق .

والصواب إن شاء الله هو ما ذكرنا ، والسياق يدل عليه واختاره غير واحد .

وأما قوله تعالى : (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ) [الشمس : ١٤] فإنه لا يخالف ما ذكرنا؛ لأن معنى دمدم عليهم ربهم بذنبهم ، أي أطلق عليهم العذاب وألبسهم إياه ، بسبب ذنبهم .

قال الزمخشري في معنى دمدم : وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة ، إذا ألبسها الشحم .

وأما إطلاق العذاب عليه في سورة الشعراء فواضح ، فاتضح رجوع معنى الآيات المذكورة إلى شيء واحد .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم – ولما حلَّ العذاب المخزي المهين بأهل الظلم أنجى الله أهل الإيمان الذين اتقوا الشرك، واتقوا العصيان وصدقوا

(٣٩٠) أحمر
أسود

المرسلين.

قال الطبري $:

وقوله: (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب - الذي أخذهم بكفرهم بالله - الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله.

يقول: وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يرد في الكتاب العزيز أن الله ٥ يُنجي أهل الإيمان ثم يحلُّ بأسه بالظالمين دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول تعالى لموسى ﷺ: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾) [الدخان: ٢٣، ٢٤].

وقوله تعالى للوط ﷺ: (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾) [الحجر: ٦٥].

وقوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾) [الذاريات: ٣٥].

وقوله تعالى في هذه الآيات: (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾).

وقوله تعالى لنوح ﷺ: (فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾) [المؤمنون: ٢٧]. إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

(٣٩١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ
الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا
فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا
تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ
فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا
أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾) [فصلت: ١٩-٢٩]

(٣٩٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يُحۡشَرُ - يُوزَعُونَ - تَسۡتَتِرُونَ - أَرۡدَىٰكُمۡ - مَثۡوًى لَّهُمۡۖ - يَسۡتَعۡتِبُواْ - ٱلۡمُعۡتَبِينَ -وَقَيَّضۡنَا - قُرَنَآءَ - فَزَيَّنُواْ - مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ - وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ - قَدۡ خَلَتۡ - وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ - دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ -يَجۡحَدُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُحۡشَرُ)	يجمع
(يُوزَعُونَ)	يرد أولهم على آخرهم فيكونون صفًّا لهم وزعةٌ يزعونهم أي: يردون من أراد التقدم على الآخر، ويدفعون من تخلف – يُدفعون يُساقون
(تَسۡتَتِرُونَ)	تستخفون
(أَرۡدَىٰكُمۡ)	أهلككم
(مَثۡوًى لَّهُمۡۖ)	مقام لهم – مسكن لهم
(يَسۡتَعۡتِبُواْ)	يطلبوا أن تقبل منهم الأعذار
(ٱلۡمُعۡتَبِينَ)	الذين قُبلت أعذارهم وقوله: (فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ) أي: ليسوا ممن قبلت أعذارهم
(وَقَيَّضۡنَا)	هيأنا – بعثنا - أرسلنا
(قُرَنَآءَ)	نظراء – جلساء على شاكلتهم
(فَزَيَّنُواْ)	حسنوا
(مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ)	ما مضى من أمرهم وما هم فيه وما هو آت
(وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ)	تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم

(٣٩٣) أحمر
أسود

(قَدۡ خَلَتۡ)	قد مضت
(وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ)	شوشوا عليه عند قراءته – صفقوا وصفروا عند تلاوته تكلموا بالباطل عند تلاوته كذبوه
(دَارُ ٱلۡخُلۡدِ)	دار المكث والإقامة وعدم الانتقال
(يَجۡحَدُونَ)	ينكرون - يكذّبون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾)؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله، واذكر يا ابن آدم يومًا، وهو يوم القيامة يجمع فيه الأولون والآخرون، يُحشر فيه أهل الكفر والتكذيب أعداء الله ورسله المشركون بالله ﷻ يجمعون أهل الكفر مع بعضهم البعض كلٌّ مع نظيره من أهل الإجرام فيصفون ولهم وزعةٌ من الملائكة يردون أولهم حتى يكون مع آخرهم، يكونون معًا ويُدفع بهم إلى النار كما قال تعالى: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) فإذا جاءوا النار وأنكروا شركهم بالله ﷻ في الدنيا وطلبوا من يشهد، طلبوا شاهدًا عليهم من أنفسهم كما تقدم في الحديث، فحينئذٍ تتكلم أركانهم، تكلَّم سمعهم استمعت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا، وتكلمت أبصارهم (أعينهم تقول نظرت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا وكذا الجلود (بما فيها الفروج) تقول: مسست بي كذا وكذا يوم كذا وكذا.

فكل جارحة تشهد على صاحبها بما اجتناه بها وبما فعله بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٣٩٤) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم، فهم يحبس أولهم على آخرهم.

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ) يقول: حتى إذا ما جاؤوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون إليه في الدنيا (وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾).

وقد قيل: عني بالجلود في هذا الموضع: الفروج.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: (وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾) أي: اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار (يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾)، أي: تجمع الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال تعالى: (وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴿٨٦﴾) [مريم: ٨٦]، أي: عطاشًا.

وقوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) أي: وقفوا عليها، (شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾) أي: بأعمالهم مما قدموه وأخروه، لا يُكْتَم منه حرف.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) (مَا) زائدة (شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾) الجلود يعني بها الجلود أعيانها في قول أكثر المفسرين وقال السدي وعبيدالله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج، وأنشد بعض الأدباء لعامر بن جؤية:

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه

(٣٩٥) أحمر
أسود

أو سالم من قد تثنى جلده وابيض رأسه

وقال: جلده كناية عن فرجه.

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾) أي: يرد أولهم إلى آخرهم ، ويلحق آخرهم بأولهم ، حتى يجتمعوا جميعًا ، ثم يدفعون في النار ، وهو من قول العرب : وزعت الجيش ، إذا حبست أوله على آخره حتى يجتمع .

وأصل الوزع: الكف، تقول العرب وزعه ، يزعه وزعًا ، فهو وازع له ، إذا كفه عن الأمر ، ومنه قول نابغة ذبيان :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألمَّا أصح والشيب وازع

وقول الآخر :

ولن يزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس إلا وافر العقل كامله

وبما ذكرنا تعلم أن أصل معنى يوزعون . أي يكف أولهم عن التقدم وآخرهم عن التأخر حتى يجتمعوا جميعًا .

وذلك يدل على أنهم يساقون سوقًا عنيفًا ، يجمع به أولهم مع آخرهم .

وقد بيَّن تعالى أنهم يساقون إلى النار في حال كونهم عطاشًا في قوله تعالى : (وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾) [مريم : ٨٦] ، ولعل الوزع المذكور في الآية يكون في الزمرة الواحدة من زمر أهل النار ، لأنهم يساقون إلى النار زمرًا زمرًا كما قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى : (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) [الزمر : ٧١] الآية .

(٣٩٦) أحمر
أسود

س: ما المراد بالجلود في قوله تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾) [النور: ١٤]؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد عموم الجلود، فكل جلد ابن آدم يشهد عليه.

الثاني: أن المراد بالجلود الفروج، ولكن الله سبحانه وتعالى كنَّى عنها.

قال الطبري مرجحًا القول الأول:

وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

قلت (مصطفى): ولا شك أن القول الأول أرجح وذلك لأنه إمضاءً كظاهر الناس ولأنه أعم من القول الثاني والقول الثاني داخلٌ فيه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة؟

ج: قد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة النور عند قوله تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾) [النور: ٢٤].

وفي سورة البلد عند تفسير قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾) [البلد: ٧-٩].

وهنا قال تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾).

وفي سورة يس يقول تعالى: (ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ

(٣٩٧) أحمر
أسود

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾) [يس: ٦٥].

وأخرج مسلم(١) في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**». قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا – قَالَ: - فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِى. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ - قَالَ - ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ - قَالَ - فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** ».

وأخرج الطبري(٢) وغيره بسندٍ صحيح عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما لي أُمْسكُ بحُجَزِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ ألا إن رَبِّي داعيَّ وإنَّهُ سائِلي هَلْ بَلَّغْت عِبادَهُ؟ وإنّي قائِلٌ: رَبّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، فَيُبَلِّغَ شاهِدُكُمْ غائِبَكُمْ، ثُمَّ إنَّكُمْ مُدَّعُونَ مُفَدَّمَةً أفْوَاهُكُمْ بالفِدامِ، ثُمَّ إنَّ أوَّل ما يُبِينُ عَنْ أَحْدِكَمْ لفَخِذُهُ وكَفُّهُ**».

وفي رواية من طريق أبي قزعة عن حكيم عن أبيه:

عن النبيّ ﷺ أنه قال، وأشار بيده إلى الشأم، قال: «**هاهُنا إلى هاهُنا تحْشَرُونَ رُكْبانا وَمُشاةً على وُجُوهِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، على أفْوَاهِكُمُ الفِدامُ، تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أنْتُمْ آخِرُها وأكْرَمُها على الله، وإن أوَّلَ ما يُعْرِبُ مِنْ أحَدِكُمْ فَخِذُهُ**».

---

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) الطبري (٣٠٤٩١) وبهز عن أبيه عن جده سلسلة حسنة ولكن بهزًا متابع فالسند يصح.

(٣٩٨) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سبب نزول؟

ج: نعم صح لا سبب نزول ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ وَقَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) [فصلت: ٢٢] الآيَةَ[(١)].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾) ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم – أن الجلود لما تكلمت وكذلك الجوارح والأركان، أصحاب الجلود، من أهل الكفر جلودهم لما شهدتم علينا، وأنتم تعلمون أننا سنعذب وأنتم فينا؟ ومعنا وستعذبون؛ فأجابت الجلود حينئذٍ على أصحابها قائلة: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، ونعم فالله على كل شيء قدير، سبحانه وتعالى مكَّن الجلود من النطق والكلام كي تشهد على أصحابها.

ثم تواصل الجلود حديثها الذي يحمل تأنيبًا وتوبيخًا لأصحابها فتقول،

---

(١) مسلم (٢٧٧٥)، والبخاري (٤٨١٧).

(٣٩٩) أحمر
أسود

وقد خلقكم الله ﷻ أول مرة وكنتم تعلمون ذلك، ولكن ما راقبتم ربكم ولا خشيتموه في سرٍّ ولا في علن وما كنتم تسترون وتستخفون من جوارحكم التي ستشهد عليكم، وكنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم بل وظننتم أن الله يخفى عليه كثيرٌ من أمركم وعملكم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟

فأجابتهم جلودهم: (أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

وقوله: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئًا. (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾) يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم. (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) في الدنيا (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) يوم القيامة (سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ)، فقال بعضهم: معناه: وما كنتم تستخفون.

وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كنتم تظنون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول: وما كنتم

(٤٠٠) أحمر
أسود

تظنون (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ) حتى بلغ (كَثِيرًا مِّمَّا) كنتم (تَعْمَلُونَ)، والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوّة إلا بالله.

ثم قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تَستَخْفُون، فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء.

فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بيَّنا أن معنى ذلك إنما هو الأماني، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه.

وقوله: (وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا) كنتم (تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾) يقول جلّ ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ما حرّم الله عليكم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي،

ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: (وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾).

وقال القرطبي $:

(وَقَالُواْ) يعنى الكفار (لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ) وإنما كنا نجادل عنكم (قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) لما خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من يعقل.

(وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفا، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء.

وقيل: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ابتداء كلام من الله.

(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾) وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجزني من الظلم قال: يقول: بلى قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال يقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل**» وفي حديث أبي هريرة ثم يقال: «**الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه** (ولحمه وعظامه) **انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه**» خرّجه أيضًا مسلم.

وقال القرطبي أيضًا:

(٤٠٢) أحمر
أسود

ومعنى (تَسۡتَتِرُونَ) تستخفون في قول أكثر العلماء، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من شهادة الجوارح عليكم، لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية.

وقيل: الاستتار بمعنى الاتقاء، أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة.

وقال معناه مجاهد.

وقال قتادة: (وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ) أي تظنون (أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ) بأن يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي (وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ) فتقول رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز (وَلَا جُلُودُكُمۡ) تقدم.

(وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢) من أعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم.

روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي □ في قوله: (أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ) قال: «**إنكم تدعون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بفدام فأول ما يبين عن الإنسان فخذه وكفه**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣).

ج: المعنى - والله أعلم – وهذا الظن السيئ الذي ظننتموه بالله ﷻ من كونه لا يعلم كثيرًا من علمكم هو الذي أضرَّ بكم وأهلككم فأصبحتم خاسرين بسبب هذا الظن السيئ.

(٤٠٣) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا: إذا أهلكه، وردي هو: إذا هلك، فهو يردى ردى؛ ومنه قول الأعشى:

أفِي الطَّوافِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى وكَمْ مِنْ ردًى أهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

يعني: وكم من هالك أهله لم يرم.

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة، قال: الظنّ ظنان؛ فظنّ منج، وظنّ مُرْدٍ قال: (ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ) [البقرة: ٤٦] قال: (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾) [الحاقة: ٢٠]، وهذا الظنّ المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ) هذا ظنّ مُرْدٍ.

وقوله: وقال الكافرون: (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾) [الجاثية: ٣٢] وذُكر لنا أن نبيّ الله □ كان يقول ويروي ذلك عن ربه: «**عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّه بِي، وأنا مَعَهُ إذَا دَعانِي**». وموضع قوله: (وَذَٰلِكُمْ) رفع بقوله ظنكم. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: (أَرْدَىٰكُمْ) في موضع نصب بمعنى: مرديا لكم. وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى: مردٍ لكم، كما قال: (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً) [لقمان: ٢، ٣] في قراءة من قرأه بالرفع. فمعنى الكلام: هذا الظنّ الذي ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم؛ لأنكم من أجل هذا الظنّ اجترأتم على

(٤٠٤) أحمر
أسود

محارم الله فقدمتم عليها، وركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك وأرداكم. (فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣) يقول: فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.

وقال ابن كثير $:

(وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ) أي: هذا الظن الفاسد -وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون-هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، (فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣) أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤).

ج: لإيضاح المعنى أقول، وبالله التوفيق:

إن أهل النار من شدة ما هم فيه يبحثون عن أيِّ حلٍّ كي يخرجوا من النار فأحيانًا نقول: نصبر على ما نحن فيه لعلَّ الصبر يأتي بالفرج فيصبرون ولا فرج وأحيانًا يصطرخون فيها كي يُنقذهم مُنقذٌ ولكن لا مُنقذ، وهذا كما في قوله تعالى في شأنهم: إذ قالوا: (سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢١) [إبراهيم: ٢١].

فقوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ) على النار وعلى حرِّها فلن يخرجوا فالنار مقامهم الذي أعد لهم، هي مثواهم وإن يعتذروا ويطلبوا الرجوع إلى الدنيا والخروج من النار لفعل ما يريده الله منهم فلن يقبل منهم هذا

(٤٠٥) أحمر
أسود

الاعتذار ولا تُقبل منهم تلك العتبى كالذي يقول بعد أن يرى العقاب: اتركني ولن أفعل! سامحني ولن أعود، لا تضربني قد استقمت لن أفعل مرةً ثانية شيئًا يغضبك، ويقدم كل أنواع الاعتذارات ولا يقبل منه شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار، فالنار مسكن لهم ومنزل. (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا) يقول: وإن يسألوا العُتبى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم. (فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾) يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبرا عنهم: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا)... إلى قوله: (وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾) [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] وكقولهم لخزنة جهنم: (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾) [غافر: ٤٩] إلى قوله: (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾) [غافر: ٤٩-٥٠].

وقال ابن كثير $:

وقوله: (فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾) أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار، ولا تُقَال لهم عثرات.

قال ابن جرير: ومعنى قوله: (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا) أي: يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم -قال: وهذا كقوله تعالى إخبارًا عنهم: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾) [المؤمنون: ١٠٦ -١٠٨].

(٤٠٦) أحمر
أسود

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ) أي: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم.

نظيره: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥) [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم.

(وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ) في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم (فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤).

وقيل: المعنى (فَإِن يَصۡبِرُواْ) في النار أو يجزعوا (فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ) أي: لا محيص لهم عنها، ودل على الجزع قوله: (وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ) لأن المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه، قال النابغة:

فإن أك مظلومًا فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

أي: مثلك من قبل الصلح والمراجعة إذا سئل.

قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة.

تقول: عاتبته معاتبة، وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها.

يقال: إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب.

وأعتبني فلان: إذا عاد إلى مسرتي راجعًا عن الإساءة، والاسم منه العتبى، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.

واستعتب وأعتب بمعنى، واستعتب أيضًا طلب أن يعتب، تقول: استعتبته فأعتبني أي: استرضيته فأرضاني.

فمعنى (وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ): أي: طلبوا الرضا لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار.

وفي التفاسير: وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين.

(٤٠٧) أحمر
أسود

وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية «وإن يستعتبوا» بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول «فما هم من المعتبين» بكسر التاء أي: إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء، قال الله تعالى: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) [الأنعام: ٢٨] ذكره الهروي.

وقال ثعلب: يقال: أعتب إذا غضب وأعتب إذا رضي.

❁ ❁ ❁

س:وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾)؟

ج: المعنى –والله أعلم- وهيأنا لهؤلاء الكفار المكذبين شياطين نظراءهم في الضلال بل أشد منهم ضلالًا وأرسلنا هؤلاء الشياطين عليهم تلازمهم وتدفع إلى المعاصي والكفر وتحملهم على فعل الكبائر، فحسنت الشياطين لهم أعمالهم، أعمال الشر التي عملوها والتي هم فيها فلم يردوا أنهم أخطؤوا إذا أشركوا ولم يروا أنهم أخطؤوا إذ زنوا وإذ سرقوا وإذ أجرموا فلم يقدموا استغفارًا ولا توبة وكذا حسنَّوا لهم ما هم فيه فمضوا فيه ولم يجدوا غضاضةً في ذلك فوجب عليهم من العذاب ما وجب على الأمم الكافرة التي تقدمتهم من الإنس والجن، فكانوا وهم في عداد الخاسرين الهالكين الذي ضيعوا أنفسهم بإسرافهم عليها بالشرك والكبائر والمعاصي.

قال الطبري $:

(٤٠٨) أحمر
أسود

يعنى تعالى ذكره بقوله: (۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ) وبعثنا لهم نُظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرنَّاهم بهم يزيِّنون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك.

وقوله: (فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ) يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤُهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحبَّبوه إليهم حتى آثروه على أمر الآخرة (وَمَا خَلۡفَهُمۡ) يقول: وحسَّنوا لهم أيضًا ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدّقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كلّ ما يشتهونه، وركوب كلّ ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم.

وقوله: (وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين.

(فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ)، يقول تعالى ذكره: وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قُرَناء من الشياطين، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حَقّ على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس.

(إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥) يقول: إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجنّ والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قَيَّض لهم من القرناء من شياطين

(٤٠٩) أحمر
أسود

الإنس والجن: (فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: حَسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين، كما قال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي: كلمة العذاب كما حَقَّ على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم، من الجن والإنس، (إِنَّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾) أي: استوَوا هم وإياهم في الخسار والدمار.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ).

لعلماء التفسير في تفسير قوله: (۞ وَقَيَّضْنَا) عبارات يرجع بعضها في المعنى إلى بعض .

كقول بعضهم : (۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) أي: جئناهم بهم : وأتحناهم لهم .

وكقول بعضهم : (۞ وَقَيَّضْنَا) أي: هيأنا .

وقول بعضهم : (۞ وَقَيَّضْنَا) أي: سلطنا .

وقول بعضهم : أي: بعثنا ووكلنا .

وقول بعضهم : (۞ وَقَيَّضْنَا) أي: سببنا .

وقول بعضهم : قدرنا ونحو ذلك من العبارات ، فإن جميع تلك العبارات راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله تبارك وتعالى هيأ للكافرين قرناء من الشياطين يضلونهم عن الهدى ويزينون لهم الكفر والمعاصي وقدرهم عليهم .

(٤١٠) أحمر
أسود

والقرناء : جمع قرين وهم قرناؤهم من الشياطين على التحقيق .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) فالدنيا زخرفوها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله، وسلكوا ما شاءوا من محاربة الله ورسوله والآخرة بَعّدُوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها، فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، والمعاصي.

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

(وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ) أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر بعذابهم (فِىٓ) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾) لأديانهم وآخرتهم، ومن خسر، فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾)؟

ج: هذه وصايا الكفار لبعضهم إذا تُلي القرآن أو إذا عُرض على أحدٍ كي يؤمن به يوصي الكفار بعضهم بعضًا أن يشوشوا على هذا القرآن عند

تلاوته بالحديث أثناء تلاوته – بالغناء أثناء تلاوته – بالتصفير والتصفيق أثناء تلاوته – بتكذيبه عند تلاوته، كل ذلك لعلهم يصرفوا الناس عن اتباع رسول الله □.

فتوعدهم الله ﷻ بقوله: (فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ) على أسوأ أعمالهم التي عملوها في الدنيا أسوأ الجزاء، وأسوأ تلك الأعمال الشرك بالله - أعاذنا الله منه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) بالله ورسوله من مشركي قريش: (لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به.

وقوله: (وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه.

وقوله: (لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾) يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه، لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدًا.

قال الله جل ثناؤه: (فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة (وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾) يقول: ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

(٤١٢) أحمر
أسود

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ) أي: تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره، (وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) أي: إذا تلي لا تستمعوا له.

وقال $:

(لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله -سبحانه-عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: (وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤).

[الأعراف: ٢٠٤]

ثم قال تعالى: منتصرا للقرآن، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران: (فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا) أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه، (وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) أي: بشَرِّ أعمالهم وسيِّئ فعالهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا) قد تقدم أن الذوق يكون محسوسًا، ومعنى العذاب الشديد: ما يتوالى فلا ينقطع.

وقيل: هو العذاب في جميع أجزائهم.

(وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧) أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء قبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

وأسوأ الأعمال الشرك.

قال السعدي $:

(وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا

(٤١٣) أحمر
أسود

تمكنوا -مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، (لَعَلَّكُمْ) إن فعلتم ذلك (تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾) وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم.

ذلك الذي سنجازي به الكفار، ألا وهو جزاؤهم بأسوأ الذي كانوا يعملون، جزاؤهم النار التي لهم فيها دار المكث والإقامة لا يتحولون عنها ولا ينتقلون منها جزاءً يستحقونه بكفرهم بآيات الله وإنكارهم لها وتكذيبهم لرسولنا □.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله؛ ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالردّ عليه؛ ثم قال: (لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ) يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد؛ والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحسن ذلك

(٤١٤) أحمر
أسود

لاختلاف اللفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة دار كريمة، والدار: هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: **(ذَلِكَ جَزَاءُ أعْدَاء اللهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ)** ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار.

وقوله: (جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨) يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم.

س: من المعنيَّان بقول أهل الكفر: (رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ...)؟

ج: قال كثير من العلماء: إن المعنيين هما إبليس وابن آدم الأول الذي قتل أخاه وسنَّ بذلك سنة الإفساد في الأرض.

والظاهر، والله أعلم أن المراد: إبليس وذريته وابن آدم الأول وعموم غواة بني آدم الذين أغووهم وأضلوهم وصرفوهم عن الحق إلى الباطل وعن الخير إلى الشر، وعن المعروف إلى المنكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الكفر يسالون ربهم يوم القيامة أن يريهم من تسبب في إغوائهم وإضلالهم كي يجعلوهم تحت الأقدام لما تسببوا لهم فيه من الخزي العظيم والعذاب الدائم الذي لا ينقطع.

قال الطبري $:

(٤١٥) أحمر
أسود

يقول تعالى: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه.

وقال:

وقوله: (نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩) يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا)أي: أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا؛ ولهذا قالوا: (لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩) أي: في الدرك الأسفل من النار، كما تقدم في «الأعراف» من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم، قال: (لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨) [الأعراف: ٣٨] أي: إنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده، كما قال تعالى: (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨) [النحل: ٨٨].

❁ ❁ ❁

(٤١٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾)

[فصلت: ٣٠-٣٦]

(٤١٧) أحمر
أسود

س: - اذكر معنى ما يلي:

(تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ - وَأَبۡشِرُواْ - تُوعَدُونَ - أَوۡلِيَآؤُكُمۡ - مَا تَدَّعُونَ - نُزُلًا - ٱلۡحَسَنَةُ - ٱلسَّيِّئَةُۚ - ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ - وَلِيٌّ حَمِيمٌ - وَمَا يُلَقَّىٰهَآ - يَنزَغَنَّكَ - نَزۡغٌ - فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ).

ج:

الكلمة	معناها
(تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)	تهبط عليهم الملائكة عند الاحتضار ونزول الموت
(وَأَبۡشِرُواْ)	افرحوا- وليدخل عليكم السرور الذي يظهر أثره على بشرتكم ووجوهكم
(تُوعَدُونَ)	يعدكم الله بها في الدنيا
(أَوۡلِيَآؤُكُمۡ)	نتولاكم بإذن الله – نحفظكم بإذن الله- قرناؤكم لا نفارقكم حتى تدخلون الجنة
(مَا تَدَّعُونَ)	ما تطلبون وما تسألون وما تريدون
(نُزُلًا)	إكرامًا – حسن ضيافة
(ٱلۡحَسَنَةُ)	التوحيد – لا إله إلا الله – الطاعة – العفو والصفح
(ٱلسَّيِّئَةُۚ)	الشرك – المعصية – الجهل والظلم – الشتم والعيب
(ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)	قابل بالتي أفضل، بالطريقة الحسنة واللفظ الحسن والفعل الحسن
(وَلِيٌّ حَمِيمٌ)	صديق قريب – قريب شديد القرابة- محب لك غاية المحبة
(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ)	وما يحظى بها وما ينالها

(٤١٨) أحمر
أسود

(يَنزَغَنَّكَ)	يصرفنك- يغضبنك –يوسوس إليك صارف عن الحق – وسوسة -غضب
(فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ)	اطلب من الله أن يعيذك ويجيرك فاستنجد بالله

❁ ❁ ❁

س: اذكر حديثًا في الحث على قول (ربنا الله) والاستقامة على ذلك؟

ج: أخرج مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله! قُلْ لي في الإسْلامِ قَولًا لا أسْألُ عنهُ أحدًا بَعدكَ (وفي حديث أبي أسامة: غَيركَ) قال: «**قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(١).

❁ ❁ ❁

س:اذكر حديثًا في تنزل الملائكة على المؤمن عند الاحتضار؟

ج: ذلك وارد في حديث الاحتضار من حديث البراء بن عازب(٢) ﷺ قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ**(٣) مِنْ

---

(١) مسلم حديث (٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧، ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي (٧٥٣)، والحاكم (١/٣٧-٤٠).

(٣) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة انظر «اللسان».

(٤١٩) أحمر
أسود

حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ع(١) حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ» - يَعْنِي: بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - «إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرَّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ □ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ البصر. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ! هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا

(١) لم نقف على دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل.

(٤٢٠) أحمر
أسود

عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ!!» قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ! فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ!! بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى! فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: الآية ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتَنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ! هَذَا يَوْمُكَ

(٤٢١) أحمر
أسود

الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ!! فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

ج: المعنى – والله أعلم – إن الذين أسلموا لله ﷻ وأعلنوا عن توحيدهم له وعبادتهم إياه وحده لا شريك له وشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم استقاموا على ذلك فلم يشركوا بالله شيئًا ولم يتوجهوا بعبادتهم لأحدٍ سوى الله ﷻ ولم يخلطوا توحيدهم بشركٍ واستقاموا على طاعة الله ﷻ وعلى أداء فرائضه، تتنزل عليهم الملائكة عند الاحتضار، وخروج الأرواح من الأجساد وعند نزول الموت تطمئنهم وتبشرهم، فهم في هذا المقام أحوج ما يكونون إلى من يطمئنهم فإنهم عند الاحتضار تعتريهم أمورٌ، إذا نظروا إلى الدنيا حزنوا على من فارقوا من الأزواج والأولاد والبنات، حزنوا على ما خلفوه ورائهم فماذا سيصنع الأنبياء؛ وإلى ماذا سيؤول أمر البنات؟ وأزواجي هل سيتزوجن؟ أم أنهن لي وفيات من الأوفياء؟! أموالي من سيأخذها؟ كيف ستقسم؟ بيوتي من سيسكنها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات والهموم.

وإذا نظر إلى ما هو عليه مقبل وآتٍ، فيا ترى ماذا سيصنع في القبر؟ بما سيجيب الملكين – كيف يأتيه العمل؟ في صورة رجل أبيض الوجه والثياب طيب الرائحة أم صورة من هو أسود الوجه والثياب منتن الريح؟

(٤٢٢) أحمر
أسود

ماذا سيفعل إذا قام من قبره للحساب؟

هل سيتلقى الكتاب باليمين أم بالشمال؟!

ماذا سيفعل عند المرور على الصراط؟!

ميزان حسانته سيثقل؟ أم ميزان السيئات؟

هل سيطرد عن حوض نبيه؟ أم أنه سيشرب منه ويرتوي؟

ماذا سيصنع عند المرور على الصراط؟ هل سيسقط في النار أم يسلم وينجو؟!!

وماذا عند القنطرة، كيف بمظالم العباد؟

وإلى ماذا المصير؟ إلى جنة أم على نار؟

نسأل الله الفرودس.

أمورٌ كلها تعتري المحتضر عند الاحتضار ونزول الموت، فحينئذٍ تتنزل الملائكة مطمئنة مبشرة قائلة: (لا تخافوا) مما هو آتٍ (ولا تحزنوا على ما قد فات) وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا يا أهل الاستقامة، يا أهل الطاعة، فقد كان ربكم يعدكم في كتابه المنزل وعلى لسانه رسوله □ بالجنات إن أنتم أسلمتم وأطعتم فها هو الوعد يتحقق فربكم لا يخلف الميعاد، فأبشروا وافرحوا بالجنة التي وعدكم الله بها.

وكما أننا كنا لكم أولياء في الدنيا نصاحبكم ونحفظكم بإذن الله، وكنا نكتب لكم صالح الأعمال ونستغفر لكم في الدنيا، فنحن في الآخرة أيضًا بإذن الله لكم أولياء ندعو لكم ربكم ﷻ، نشهد لكم عنده بما قدمتموه من صالح الأعمال.

لكم يا أهل الاستقامة على التوحيد ويا أهل الطاعة في هذه الجنات ما تشتهيه أنفسكم، وكل ما تسألونه يأتيكم، إكرامًا من الله ﷻ وحسن ضيافة

(٤٢٣) أحمر
أسود

منه سبحانه وتعالى. قد غفر لكم ذنوبكم وسترها عليكم فلم يؤاخذكم بها فإنه غفور رحيم.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقولـه: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس، وتقر به العيون، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾) أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم، كما اخترتم، (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾) أي: ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رؤوف، حيث غفر، وستر، ورحم، ولطف.

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ) أيها القوم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كنا نتولاكم فيها؛ وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم.

وقوله: (وَفِي الْآخِرَةِ) يقول: وفي الآخرة أيضًا نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللّذات والشهوات.

وقوله: (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾) يقول: ولكم في الآخرة ما تدّعون.

(٤٢٤) أحمر
أسود

وقوله: (نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾) يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلًا لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم؛ ونصب نزلًا على المصدر من معنى قوله: (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾) لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما يشتهون من النعيم نزلًا.

قال السعدي $:

يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم، والحثُّ على الاقتداء بهم، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ)الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. (أَلَّا تَخَافُوا) على ما يستقبل من أمركم، (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾) فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا ويقولون لهم أيضًا - مثبتين لهم، ومبشرين -: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب (سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾) [الرعد: ٢٤] ويقولون لهم أيضًا: (وَلَكُمْ فِيهَا) أي: في الجنة (مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ) قد أُعدَّ وهيئ. (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾) أي: تطلبون من كل ما تتعلق به

(٤٢٥) أحمر
أسود

إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾)أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزلٌ وضيافة (مِّنْ غَفُورٍ) غفر لكم السيئات، (رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾) حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل الدعوة إلى الله.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾).

وقوله تعالى: (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ) [يوسف: ١٠٨].

فالدعاة إلى الله أتباع الرسل.

وقوله تعالى: (وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾) [آل عمران: ٧٩].

وقوله ﷺ: «**مَنْ دَعَا إلى هُدًى كَانَ لهُ منَ الأجْرِ مثل أُجورِ مَن اتَّبعه مِنْ غَيرِ أَنْ يَنقص مِنْ أُجُورهم شَيئًا**».

وقوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّة حَسَنَة فَلهُ أَجرهَا وَأَجر مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَومِ القِيَامَةِ**».

وقوله ﷺ: «**لئِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

(٤٢٦) أحمر
أسود

ففي الصحيحين (١) من حديث سَهْل بْن سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

قال ابن القيم § في «التفسير القيم»:

قولـــه تعـــالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾).

وقال تعالى: (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ) [يوسف: ١٠٨] وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة أو كان الوقف عند قوله: (أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ) ثم يبتدئ (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ) فالقولان متلازمان فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله. فمن دعا إلى الله تعالى، فهو على سبيل رسوله ﷺ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على

(١) البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) واللفظ له.

بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم. والناس تبع لهم والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه، وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته اياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي □ بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا.

وتبليغ سُنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه.

وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب ﷺ في خُطبته التي ذكرها ابن وضاح في كتاب «الحوادث والبدع» له قال:

«الحمد لله الذي امتنَّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضالٍّ تائهٍ قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، يغلبونهم في سالف الدهر، وإلى يومنا هذا فما نسيهم ربك (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾) [مريم: ٦٤] وجعل قصصهم هدًى وأخبر عن حسن مقالتهم فلا تقصر عنهم فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضيعة.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذبُّ عنها، وينطق بعلاماتها فاغتنموا حضور تلك المواطن

(٤٢٨) أحمر
أسود

وتوكلوا على الله».

ويكفي في هذا قول النبي □ لعلي ﷺ ولمعاذ أيضًا: «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

وقوله □: «**من أحيا شيئًا من سُنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وضم بين أصبعيه**».

وقوله □: «**من دعا إلى هدًى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة**».

فمتى يدرك العامل هذا الفضل العظيم. والحظ الجسيم بشيء من علمه. وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحسنة والسيئة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الحسنة شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإخلاص العمل لله والسيئة: الشرك بالله.

الثاني: الحسنة هي الطاعة، السيئة هي المعصية.

الثالث: الحسنة هي الإقبال على القرآن والاستماع له والإنصات والعمل به، والسيئة: الإعراض عن القرآن واللغو عن قراءته.

الرابع: الحسنة العفو عن الناس، السيئة: الاعتداء على الناس.

الخامس: الحسنة الرفق، والسيئة الفحش، وهناك أقوال أخر.

وكل ما ذكر صحيح، والقول بالعموم أولى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ

(٤٢٩) أحمر
أسود

صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم – ليس هناك شخص أحسن قولًا ولا أسدّ رأيًا ولا أسلم منهجًا ولا أهدى سبيلًا من شخص أعلن عن هديته وأعرب عن شخصيته ولم تأخذه في الله لومة لائم فشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ودعا إلى ذلك، ودعا إلى التمسك بتعاليم هذا الدين وشفع ذلك بالعمل الصالح فصدَّق قولُه عمله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولًا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن قتادة، قوله: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ...) الآية، قال: هذا عبد صدّق قولَه عملُه، ومولَجه مخرجُه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾) يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذل له بالعبودية، وخشع له بالإيمان بوحدانيته.

وقال ابن كثير - $:

يقول تعالى: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ) أي: دعا عباد الله إليه، (وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾) أي: وهو في نفسه مهتدٍ بما يقوله،

(٤٣٠) أحمر
أسود

فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتدٍ، ورسول الله □ أولى الناس بذلك، كما قال محمد بن سيرين، والسُّدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقيل: المراد بها المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»(١).

وأورد ابن كثير أحاديث في فضل المؤذن والأذان ثم قال:

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية؛ لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه، فقصه على رسول الله □، فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتًا، كما هو مقرر في موضعه، فالصحيح إذًا أنها عامة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل المؤذن؟

ج: المؤذن المستقيم العامل بأمر الله داخل ضمنًا في الآية الكريمة: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾) ثم هاهي طائفة من الأحاديث عن رسول الله □ في فضل المؤذن.

أخرجه مسلم في صحيحه بسنده إلى طلحة بن يحيى عن عمه قال: كُنتُ عندَ مُعَاويةَ بْن أبي سُفيان. فجَاءَه المؤذن يَدعُوهُ إلى الصَّلاةِ، فقال معاويةُ: سمعتُ رسولَ الله □ يقول: «**المُؤذِّنُونَ أَطولُ النَّاسِ أَعنَاقًا يومَ**

(١) مسلم (حديث ٣٨٧).

(٤٣١) أحمر
أسود

القِيامَةِ»[(١)].

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وأخبر أنه سمعه من النبي ﷺ قال: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط**»[(٣)].

وأخرج ابن حبان بسندٍ صحيح عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعجب ربنا من راعي غنم في رأس الشظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**»[(٤)].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولا تستوي الفعلة الحسنة والكلمة الحسنة والنية الحسنة، مع الفعلة السيئة والكلمة السيئة، والنية السيئة.

* فلا يستوي الإيمان مع الكفر.
* ولا يستوي التوحيد مع الشرك.
* ولا يستوي الاستماع إلى القرآن والإنصات له والإقبال عليه، مع

---

(١) مسلم (حديث ٣٨٧).
(٢) البخاري مع الفتح (٨٧/٢).
(٣) البخاري (٨٤/٢) ومسلم (ص ٢٩١).
(٤) ابن حبان في موارد الظمآن (٢٦٠).

(٤٣٢) أحمر
أسود

اللغو فيه والإعراض عنه.

* ولا تستوي الفظاظة والغلظة وفحش القول مع طيب القول وليّنه والرفق .

* ولا يستوي العفو مع المؤاخذة.

* ولا تستوي كلمة التوحيد مع كلمة الشرك.

* ولا يستوي القول الطيب مع بذيء القول ومنكره وهذا لا يستوي ما يقرب من الله وجنته ومرضاته مع ما يباعد من الله ﷻ ويُسخطه ويتسبب في دخول ناره.

فمن ثمَّ أيها المؤمن قابل الإساءة بإحسان وقابل المظلمة بعفوٍ وغفران، وقابل الكلمة السيئة بكلمة طيبة، فبهذا – بإذن الله – يتحول العدو المريد شديد العداوة إلى صديق قريب شديد الصداقة وشديد المحبة.

ولكن ما يحظى بهذه المنزلة العالية السامية الرفيعة وما يحظى بجزائها الذي هو الجنة إلا الذين صبروا على أذى من آذاهم وما يلقاها إلَّا من كتب الله له الحظُّ العظيم الذي هو الجنة، والحسنة في الدنيا كذلك والله أعلم، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ).

يقول تعالى ذكره: ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم وربهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا:(لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾) فكذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم،

(٤٣٣) أحمر
أسود

ولكنها تختلف كما وصف جلّ ثناؤه أنه خالف بينهما، وقال جلّ ثناؤه: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) فكرر (لا) والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة؛ لأن كلّ ما كان غير مساوٍ شيئًا، فالشيء الذي هو له غير مساوٍ غير مساويه، كما أن كل ما كان مساويًا لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساويًا لفلان، ولا فلان مساويًا له، فلذلك كرّرت (لا) مع السيئة، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحًا.

وإنما عنى بقوله: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته.

وقوله: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد □: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قِبلهم.

وقوله: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾) يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك. وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب.

وقوله: (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾)يقول: وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق في المبرات عظيم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) أي: فرق عظيم بين هذه وهذه،

(٤٣٤) أحمر
أسود

(ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ) أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله: (فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤) وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ثم قال: (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ) أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥) أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال السعدي $:

يقول تعالى: (وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ) أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠) [الرحمن: ٦٠].

ثم أمر بإحسان خاصٍّ، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: (ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ) أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطَيِّبْ له الكلام، وابذل

(٤٣٥) أحمر
أسود

له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾) أي: كأنه قريب شفيق.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة (إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟) نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟!

فإذا صبَّر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- وإما يقذفن الشيطان في نفسك وسوسة للانتقام وعدم المؤاخذة فاطلب من الله أن يعيذك من وساوس الشياطين ومما يلقونه في نفسك من السوء والمكروه فلن يعيذك من الشيطان إلا الله هو السميع لك ولأقوالك والسميع لكل شيء، العليم بك وبأحوالك والعليم بكل شيء.

والآية عامة أيضًا فإذا قذف الشيطان في نفسك أي أمرٍ يغضب الله

فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال الطبري $:

وقولـه: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ ...) الآيـة، يقـول تعـالى ذكره: وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه.

وقال ابن كثير $:

وقولـه: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ) أي: إن شيطان الإنسي ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده.

❁ ❁ ❁

س: في الآيات الكريمات إرشاد إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الشيطاني، وتكرر ما في معناها في آيات أُخر، وضح المعنى مع ذكر الآيات الواردة المشابهة في معناها؟

ج: نعم أرشدنا الله ﷻ إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الجني على السواء في هذه الآيات وفي آيات مشاهبة لها من سور أخر.

وإيضاح ذلك أن الله ﷻ حثنا على العفو والصفح ومقابلة السيئة

(٤٣٧) أحمر
أسود

بالحسنة إذا ما اعتُدي علينا من عدوٍّ إنسي، وذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

أما العدو الجني فلا خلاص منه ولا سلامة إلا بالتعوذ بالله منه، فالعدو الجني لا يقبل هدية تهديها إليه إلا الكفر والعصيان، أما العدو الإنسي فقد يُتألف بشيء من عوارض الدنيا الزائلة الفانية ومن ثَمَّ قال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ...).

أما الآيات المشابهة لذلك فمنها:

قوله تعالى في سورة الأعراف: (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾) [الأعراف: ١٩٩].

فهذه طريقة التعامل مع الإنسي.

أما الجني ففي نفس السورة: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾) [الأعراف: ٢٠٠].

وفي سورة المؤمنون: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾) [المؤمنون: ٩٦]، وهذا مع العدو الإنسي، وأما الجني (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾) [المؤمنون: ٩٨،٩٧] فلا سبيل إلا إلى الاستعاذة بالله منه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٣٨) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ
تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾)

[فصلت: ٣٧-
٤٠]

(٤٣٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي: (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ - لَا يَسْـَٔمُونَ - خَٰشِعَةً - ٱهْتَزَّتْ - وَرَبَتْۚ - يُلْحِدُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُسَبِّحُونَ لَهُۥ)	يصلون له – يسبحون بقول سبحان الله وبحمده
(لَا يَسْـَٔمُونَ)	لا يملون – لا يتعبون
(خَٰشِعَةً)	هامدة لا نبات فيها – ميتة يابسة
(ٱهْتَزَّتْ)	تحركت بالنبات
(وَرَبَتْۚ)	انتفخت – ارتفعت قبل أن تنبت
(يُلْحِدُونَ)	يميلون عن الحق إلى الباطل فيكذبون بالآيات ويصفونها بأنها سحر وكهانة – يعاندون- يكفرون - يشركون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾)؟

ج: المعنى -والله أعلم- ومن آياته الدالة على وحدانيته وأنه لا شريك له والدالة على قدرته وعظمته وعظمة سلطانه الليل والنهار وتعاقبهما وما فيهما من شمس وقمر يجريان لأجل مسمى فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكلٌّ في فلك يسبحون، فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر فإنهما مسخران بتسخير الله لهما ولكن اسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم حقًّا تتوجهون إليها بعبادتكم وتوحدونه، فإن امتنعوا عن

(٤٤٠) أحمر
أسود

السجود لله ﷻ واستكبروا عن ذلك فاعلم أن هناك من هم خيرٌ منهم وأفضل يصلون له ليلًا ونهارًا ولا يملون من ذلك ولا يتعبون.

قال الطبري $:

لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعًا أو ضرًّا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلًا ولا تبصرون شيئًا. وقيل: (وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ) فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنث كنايتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولون: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولون: كلمنني، لأن من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع، فيقولون: رأيت مع عمرو أثوابًا فأخذتهن منه. وأعجبني خواتيم لزيد فقبضهن منه.

وقوله: (إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧) يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة؛ وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئًا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي

(٤٤١) أحمر
أسود

فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾) [يس: ٤٠] لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما.

يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلًا ونهارًا، (وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾) يقول وهم لا يفترون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى منبهًا خلقه على قدرته العظيمة، وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ) أي: أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياؤه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليُعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات.

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: (لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾) أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به؛ ولهذا قال: (فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)

(٤٤٢) أحمر
أسود

أي: عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) يعني: الملائكة، (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾)، كقوله: (فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾) [الأنعام: ٨٩].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ) علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته (ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ) وقد مضى في غير موضع.

ثم نهى عن السجود لهما، لأنهما وان كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله.

لان خالقهما هو الله لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما.

(وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ) وصورهن وسخرهن، فالكناية ترجع إلى الشمس والقمر والليل والنهار.

وقيل: للشمس والقمر خاصة، لأن الاثنين جمع.

وقيل: الضمير عائد على معنى الآيات (إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾) وإنما أنث على جمع التكثير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لأنه فيما لا يعقل.

(فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ) يعني الكفار عن السجود لله (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) من الملائكة (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾) أي: لا يملون عبادته.

قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش وثمانين حولًا لا أبا لك يسام

❁ ❁ ❁

س: هل عند تلاوة هذه الآية الكريمة (...وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ)

(٤٤٣) أحمر
أسود

سجود؟ وما موطن هذا السجود في حالة كونه موجودًا؟

ج: نعم فيها سجود، وإن كان الخبر به لا يثبت عن النبي ، لكن نقل غير واحدٍ الإجماع على السجود عند هذه الآية، ونفى القرطبي الخلاف في ذلك أما موضع السجود فللعلماء فيه قولان:

أحدهما: أنه عقب قوله: (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾).

والآخر: عقب قوله: (وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾).

والأمر في ذلك قريب.

قال القرطبي $:

مسألة: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها. فقال مالك: موضعه (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾)، لأنه متصل بالأمر. وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: (تَعْبُدُونَ). وقال ابن وهب والشافعي: موضعه (وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾) لأنه تمام الكلام وغاية العبادة وبه قال أبو حنيفة. وكان ابن عباس يسجد عند قوله: (يَسْـَٔمُونَ). وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين. وكان أبو وائل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: (يَسْـَٔمُونَ). قال ابن العربي: والأمر قريب.

❁ ❁ ❁

(٤٤٤) أحمر
أسود

س: من الذين عناهم الله بقوله: (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ)؟

ج: هم الملائكة، وذلك لقوله تعالى هاهنا: (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾).

وفي الآية الأخرى: (وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾) [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقد قالت الملائكة عن نفسها: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) [الصافات: ١٦٥-١٦٦].

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وقد دلت هذه الآية الكريمة من سورة فصلت على أمرين :

أحدهما: أن الله جل وعلا إن كفر به بعض خلقه ، فإن بعضًا آخر من خلقه يؤمنون به ، ويطيعونه كما ينبغي ، ويلازمون طاعته دائمًا بالليل والنهار .

والثاني منهما : أن الملائكة يسبحون الله ويطيعونه دائمًا لا يفترون عن ذلك .

وهذان الأمران اللذان دلت عليهما هذه الآية الكريمة ، قد جاء كل منهما موضحًا في غير هذا الموضع .

أما الأول منهما : فقد ذكره جل وعلا في قوله : (فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾) [الأنعام : ٨٩] .

وأما الثاني منهما : فقد أوضحه تعالى في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأنبياء : (وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾) [الأنبياء : ١٩، ٢٠]

وقوله تعالى في آخر الأعراف: (إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ

(٤٤٥) أحمر
أسود

وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾) [الأعراف : ٢٠٦] إلى غير ذلك من الآيات .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : (وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾) أي: لا يملون .

والسآمة: الملل ومنه قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسام

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾)؟

ج: المعنى، ومن حجج الله ﷻ الدالة على أنه قادر على كل شيء، وقادر على إحياء الأنفس بعد موتها ما يحدثه ربنا في الأرض فإنك ترى الأرض هامدة لا نبات فيها فإذا أنزل الله عليها الماء وتشربته ارتفعت واهتزت بالنبات على ظهرها، إن الذي فعل ذلك بها لمحيي الموتى من قبورهم كما أحيا الأرض بالنبات بعد نزول الغيث إنه على كل شيء قدير.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضًا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع.

(فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ) يقول تعالى ذكره: فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات. يقول: تحرّكت به.

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ) يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم.

(٤٤٦) أحمر
أسود

وقولـه: (إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩) يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولـه: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ) أي: على قدرته على إعادة الموتى (أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ) أي: هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة (فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ) أي: أخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، (إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩).

وقال القرطبي $:

(وَرَبَتۡۚ) أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت، قال مجاهد: أي تصعدت عن النبات بعد موتها. وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: ربت واهتزت. والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض، فربوها ارتفاعها. ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية، فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا. وقرأ أبو جعفر وخالد «وربأت» ومعناه: عظمت، من الربيئة. وقيل: «اهتزت» أي استبشرت بالمطر «وربت» أي انتفخت بالنبات. والأرض إذا انشقت بالنبات: وصفت بالضحك، فيجوز وصفها بالاستبشار أيضًا. ويجوز أن يقال الربو والاهتزاز واحد، وهي حالة خروج النبات.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلّل على ذلك؟

(٤٤٧) أحمر
أسود

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾).

وقوله تعالى: (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ) [الحج: ٥-٧].

وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾).

[ق: ٩-١١]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين يميلون عن الحق إلى الباطل في شأن القرآن الكريم فيصفونه بغير الحق، يقولون عنه شعر وسحر وكهانة، وافتراء وأساطير الأولين وكذب، وكذا يلبسونه معنى غير معناه، هؤلاء أمرهم لا يخفى على الله بل الله عليم بصنيعهم وعليم بمكرهم وإلحادهم، ولا يستوي هؤلاء المكذبون بالقرآن الملحدون فيه مع من آمن بالله وصدق بكتابه وبوعده ووعيده، أفهذا المكذب الذي مصيره أنه يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله ﷻ لكونه صدق المرسلين.

ثم تختم الآية بالتهديد في قوله تعالى: (ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾) فأمركم لا يخفى على الله فربي بصيرٌ بما تعملون.

(٤٤٨) أحمر
أسود

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا) إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها.

وقال $:

اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به.

وقال $:

وقال بعضهم: أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

وقال آخرون: أريد به يعاندون.

وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك.

وقال آخرون: أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

وقوله: (لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ) يقول تعالى ذكره: نحن بهم عالمون لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: (أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ). يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا: اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله لإيمانه بالله ؟؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما

حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرًا.

وقوله: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ) وهذا أيضًا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، وكذلك كان مجاهد يقول.

وقوله: (إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠) يقول جلّ ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها، ولا من غيرها شيء.

وقال ابن كثير $:

قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا)، قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد.

وقوله: (لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ) أي: فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ ولهذا قال: (أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)؟ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان.

ثم قال -٥-تهديدًا للكفرة: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ) قال مجاهد، والضحاك، وعطاء الخراساني: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ): وعيد، أي: من خير أو شر، إنه عليم بكم وبصير بأعمالكم؛ ولهذا قال: (إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠).

قال السعدي $:

الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها. وإما بتحريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معانٍ لها، ما أرادها الله منها.

(٤٥٠) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٤٥١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ
قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ
قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ
عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ
وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ
فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ
مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ
يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾)

[فصلت: ٤١-٤٨]

(٤٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلذِّكۡرَ - عَزِيزٌ - ٱلۡبَٰطِلُ - حَكِيمٍ - حَمِيدٍ - أَعۡجَمِيّٗا - فُصِّلَتۡ - وَقۡرٞ - ٱلۡكِتَٰبَ - مُرِيبٍ - أَكۡمَامِهَا - ءَاذَنَّٰكَ - وَضَلَّ عَنۡهُم - وَظَنُّواْ - مَّحِيصٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلذِّكۡرَ)	القرآن
(عَزِيزٌ)	كريم على الله – عزيز على الله – يغلب من أراد أن يأتي بمثله – منيع الجناب
(ٱلۡبَٰطِلُ)	الشيطان – الافتراء
(حَكِيمٍ)	ذو حكمة في الأمور كلها
(حَمِيدٍ)	محمود على نعمه وفضله
(أَعۡجَمِيّٗا)	غير عربي
(فُصِّلَتۡ)	بُيِّنت ووضِّحت
(وَقۡرٞ)	صَممٌ – ثقلٌ
(ٱلۡكِتَٰبَ)	التوراة
(مُرِيبٍ)	مُحيِّر
(أَكۡمَامِهَا)	أوعيتها
(ءَاذَنَّٰكَ)	أعلمناك – أخبرناك – أسمعناك
(وَضَلَّ عَنۡهُم)	غاب عنهم- ذهب عنهم
(وَظَنُّواْ)	تيقنوا
(مَّحِيصٖ)	مهرب – مصرف – فرار – مفر

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ

(٤٥٣) أحمر
أسود

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾
).

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين جحدوا الكتاب المنزل من عند الله وهو القرآن، وكفروا به، فهو وإن جحدوه كتاب عزيز عند الله كريم على الله، غالبٌ لمن أراد أن يأتي بمثله فلا يستطيع أحدٌ من البشر أن يأتي بمثله ولا يستطيع أحد من البشر أن يدخل فيه ما ليس منه ولا أن يحذف ما هو ثابت فيه.

فقوله: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ) قيل في معناه: ولا يستطيع الشيطان أن يدخل فيه شيئًا أو أن ينقص منه شيئًا؛ إذ هو تنزيل من عند الله ﷻ ذو الحكمة فيما يصنع وفي كل شيء.

المحمود على نعمائه وفضائله على عباده.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذّبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن.

وقوله: (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلًا أو تحريفًا، أو تغييرًا، من إنسي وجني وشيطان مارد.

وقوله: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ) اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقًّا، ولا

(٤٥٤) أحمر
أسود

يزيد فيه باطلًا قالوا: والباطل هو الشيطان.

وقوله: (مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ) من قبل الحق (مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۖ) من قبل الباطل.

وأورد الطبري بإسناد حسن:

عن قتادة: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۖ) الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقًّا، ولا يزيد فيه باطلًا.

قال: وقال آخرون: معناه: إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئًا من الحروف ولا ينقص منه شيئًا منها.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

وقوله: (تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢) يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، (حَمِيدٖ) يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١) أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۖ) أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: (تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢) أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته.

وقال القرطبي $:

(٤٥٥) أحمر
أسود

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) أي: عزيز على الله، قاله ابن عباس، وعنه: عزيز من عند الله. وقيل: كريم على الله. وقيل: (عَزِيزٌ) أي: أعزه الله فلا يتطرق إليه باطل. وقيل: ينبغي أن يعز ويجل وألا يلغى فيه. وقيل: (عَزِيزٌ) من الشيطان أن يبدله، قاله السدي. مقاتل: منع من الشيطان والباطل. السدي: غير مخلوق فلا مثل له. وقال ابن عباس أيضًا: (عَزِيزٌ) أي: ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله. (لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ) أي: لا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل ولا ينزل من بعده يبطله وينسخه، قال الكلبي. وقال السدي وقتادة: (لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ) يعني: الشيطان (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ) لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص. وقال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ). ابن جريج: (لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ) فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون. وعن ابن عباس: (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ) من الله تعالى: (وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ) يريد من جبريل □، ولا من محمد □. (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾) ابن عباس: (حَكِيمٍ) في خلقه (حَمِيدٍ) إليهم. قتادة: (حَكِيمٍ) في أمره (حَمِيدٍ) إلى خلقه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر جواب قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾)؟

ج: أجاب على ذلك الطبري بقوله:

واختلف أهل العربية في موضع تمام قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ) فقال بعضهم: تمامه: (أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) وجعل قائلو هذا القول خبر (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ) (أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

(٤٥٦) أحمر
أسود

﴿٤٤﴾)؛ وقال بعض نحويي البصرة: يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام، وعرف المعنى، نحو قوله: (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ) [الرعد: ٣١]. وما أشبه ذلك.

قال: وحدثني شيخ من أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ) أين خبره؟ فقال عمرو:

معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) فقال عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت جواب (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ) (أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) وإن شئت كان جوابه في قوله: (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾)، فيكون جوابه معلومًا، فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن.

وقال آخرون: بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر عن الذي بعده من الذكر؛ فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر، وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول؛ وإنه لكتاب عزيز؛ فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول: إن الذكر الذي كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز، وشبهه بقوله: (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) [البقرة: ٢٣٤].

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام.

(٤٥٧) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ما يقول لك أهل الشرك والتكذيب إلا كما قال أمثالهم لرسل الله الكرام الذين أرسلوا إليهم، فإن قالوا عنك ساحر فقد قال أسلافهم لرسلهم مثل ذلك، قال تعالى: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾) [الذاريات: ٥٢]، أي: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، فإن ربك لذو مغفرة لك ولأصحابك (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾) مؤلمٌ موجه لمن كذبوك وعاندوك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ما جئتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ) [القلم: ٤٨].

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة: (مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) يعزي نبيّه □ كما تسمعون، يقول: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾).

[الذاريات: ٥٢]

قال الطبري:

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ) يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾) يقول: وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه، فمات على

(٤٥٨) أحمر
أسود

الإصرار على ذلك قبل التوبة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: (مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) قال قتادة، والسدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير، ولم يحك هو، ولا ابن أبي حاتم غيره.

وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) أي: لمن تاب إليه (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾) أي: لمن استمر على كفره، وطغيانه، وعناده، وشقاقه ومخالفته.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (مَّا يُقَالُ لَكَ) أي: من الأذى والتكذيب (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) يعزي نبيه ويسليه (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) لك ولأصحابك (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾) يريد لأعدائك وجيعًا.

وقيل: أي ما يقال لك من إخلاص العبادة لله إلا ما قد أوحى إلى من قبلك، ولا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥] أي: لم تدعهم إلا إلى ما تدعو إليه جميع الانبياء فلا معنى لإنكارهم عليك.

قال السعدي $:

أي: (مَّا يُقَالُ لَكَ) أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون

عليه، وقولهم: (مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا).

واقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ) أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقلع وتاب (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾) لمن: أصر واستكبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ).

ج: المعنى-والله تعالى أعلم-: ولو جعلنا هذا القرآن غير عربي لقال أهل الشرك: لولا بُيِّنت آياته ووضحت آياته؛ كيف يكون القرآن أعجمي والرسول عربي؟ فأنزلناه عربيًّا حتى يتلوه عليهم النبي العربي باللسان العربي فيفهمون المراد كما قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ).

[إبراهيم: ٤]

قال تعالى: (قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ) هداية وبيان للطريق وشفاء لما في صدورهم وكذا شفاء لأبدانهم، أما الذين لا يؤمنون به فهم يزدادون به ضلالًا إلى ضلالهم بما يحدثونه من تكذيب لهذا القرآن،

(٤٦٠) أحمر
أسود

ويزدادون عمًى إلى ما هم فيه من العمى كما قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾) [الإسراء: ٨٢].

وكما قال تعالى: (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾) [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميًّا لقال قومك من قريش: (لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ) يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه، أأعجميّ، يعني: أنهم كانوا يقولون إنكارا له: أأعجميّ هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي؟

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: (لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ) قال: لو كان هذا القران أعجميًّا لقالوا: القرآن أعجميّ، ومحمد عربيّ.

وقوله: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هو، ويعني بقوله: (هُوَ) القرآن (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) بالله ورسوله، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم (هُدًى) يعني: بيان للحق (هُدًى وَشِفَآءٌ) يعني: أنه شفاء من الجهل.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ) يقول تعالى

(٤٦١) أحمر
أسود

ذكره: والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه، (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواعظه.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت، كما قال: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾) [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]. وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) أي: لقالوا: هلا أنزل مفصلا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك وقالوا: أعجمي وعربي؟ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه.

هكذا رُوي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، وغيرهم.

وقيل: المراد بقولهم: (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) أي: هلا أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي.

هذا قول الحسن البصري، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله (أَعْجَمِيٌّ) وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في العناد أبلغ.

ثم قال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) أي: لا يفهمون ما فيه، (وَهُوَ

(٤٦٢) أحمر
أسود

عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ) أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾) [الإسراء: ٨٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾).

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد من ذلك أنهم في الدنيا إذا دُعوا إلى الإيمان والقرآن لا يفهمون كالشخص الذي يناديه شخصٌ من مكان بعيد فهو يسمع كلامه ولا يفهم ما يقول. وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾) اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معنى ذلك: تشبيه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم كسامع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من بعيد، وكقولهم للفهم: إنك لتأخذ الأمور من قريب.

وقال ابن كثير $:

(أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾) قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم.

قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول.

قلت: وهذا كقوله تعالى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾) [البقرة: ١٧١].

(٤٦٣) أحمر
أسود

وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم.

وقال السدي: كان عمر بن الخطاب جالسًا عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبَّيكاه. فقال عمر: لِمَ تلبي؟ هل رأيت أحدًا، أو دعاك أحد؟ قال: دعاني داعٍ من وراء البحر. فقال عمر: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾). رواه ابن أبي حاتم.

قال السعدي $:

(أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه فلا يستجيبون. بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا ولا يجيب مناديًا.

❁ ❁ ❁

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾).

ج: هذه تسليةٌ لرسول الله □ وتصبيرٌ له وتثبيت وتذكيرٌ بنبي الله الكريم موسى □، ومعنى الآية الكريمة: ولقد آتينا رسولنا موسى غ التوراة كما آتيناك الفرقان يا رسول الله، فلما آتينا موسى التوراة كذب بها أقوام وآمن بها آخرون، وأقبل البعض على العمل بها وأعرض عنها آخرون، ولولا أن الله ﷻ قضى أنهم يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعوجلوا بالعقوبة في الدنيا (وَإِنَّهُمْ) أي: وإن المبطلين المكذبين بالتوراة لفي ريبة شديدة وشك شديد من هذه التوراة ومن كونها من عند الله ﷻ ويُهتدى بها.

قال الطبري $:

(٤٦٤) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ) يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، (فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ) يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود (وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ) يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخَّر عذابهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم. يقول: لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم.

وقوله: (وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾) يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شكّ مما قالوا فيه (مُرِيبٖ) يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا؛ لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنًّا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ) أي: كُذِّب وأوذي، (فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥]. (وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) [الشورى: ١٤] بتأخير الحساب إلى يوم المعاد، (لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ) أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا (وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾) أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير، وهو محتمل، والله أعلم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ)يعني: التوراة (فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ) أي: آمن به قوم وكذب به قوم. والكناية ترجع إلى الكتاب، وتسلية للنبي □، أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وقيل: الكناية ترجع إلى موسى. (وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ) أي: في

(٤٦٥) أحمر
أسود

إمهالهم. (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: بتعجيل العذاب. (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ) من القرآن (مُرِيبٍ) أي: شديد الريبة. لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم. وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم- من عمل بما أمره الله به وأمره به رسول الله ﷺ من الصالحات فعائدة ذلك على نفسه، فيثاب على ذلك، ومن عمل سيئًا، فخالف الكتاب العزيز والسنة المباركة فعائدة ذلك أيضًا راجعة على نفسه وما ربك بمُبخس لعباده حقوقهم.

وهذا كما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُم أُحْصِيهَا لَكُم ثُمَّ أُوفيكم إِيَّاهَا فَمَن وَجدَ خَيرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسه**»(١).

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه (فَلِنَفْسِهِ) يقول: فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار. (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها، فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم. (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٤٦٦) أحمر
أسود

مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحدًا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه، والله أعلم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ) أي: إنما يعود نفع ذلك على نفسه، (وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) أي: إنما يرجع وبال ذلك عليه، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) أي: لا يعاقب أحدًا إلا بذنب، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ) شرط وجوابه وكذا (وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا). والله جل وعز مستغنٍ عن طاعة العباد، فمن أطاع فالثواب له، ومن أساء فالعقاب عليه. (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، دليله قوله الحق: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا) [يونس: ٤٤] وروى العدول الثقات، والأئمة الأثبات، عن الزاهد العدل، عن أمين الأرض، عن أمين السماء، عن الرب ﷻ: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» الحديث.

وأيضًا فهو الحكيم المالك، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه، إذ له التصرف في ملكه بما يريد.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) الظلَّام كثير الظلم، فكيف يوجَّه ما قد يفهم من أن الآية لم تنف كل الظلم عن الله ؟

ج: الجواب من وجوه

(٤٦٧) أحمر
أسود

أحدها: أن الله ﷻ نفى عن نفسه الظلم كله في مواطن أُخر، قليله وكثيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾.

الثاني: لعل الإخبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ أمام قول من قال: إن الله لا يظلم الخلق، وقالوا: من ثمَّ ولكثرة الخلق فإن الظلم يكثر فنفى الله ﷻ ما قالوه.

وقد أجاب الشنقيطي على مثل هذا السؤال- بعد أن طرحه – بشيء من التفصيل، فقال $:

وفي هذه الآيات سؤال معروف ، وهو أن لفظة ظلام فيها صيغة مبالغة .

ومعلوم أن نفي المبالغة ، لا يستلزم نفي الفعل من أصله .

فقولك مثلًا: زيد ليس بقتال للرجال لا ينفي إلا مبالغته في قتلهم ، فلا ينافي أنه ربما قتل بعض الرجال .

ومعلوم أن المراد بنفي المبالغة ، في الآيات المذكورة هو نفي الظلم من أصله .

والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه :

الأول : أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة ، قد بينت آيات كثيرة ، أن المراد به نفي الظلم من أصله .

ونفي صيغة المبالغة ، إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل ، فلا إشكال لقيام الدليل على المراد .

والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ

(٤٦٨) أحمر
أسود

مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا) [النساء : ٤٠] الآية . وقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾) [يونس : ٤٤] . وقوله تعالى : (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾) [الكهف : ٤٩] وقوله تعالى : (وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ) [الأنبياء : ٤٧] الآية . إلى غير ذلك من الآيات كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف والأنبياء .

الوجه الثاني: أن الله جل وعلا نفى ظلمه للعبيد ، والعبيد في غاية الكثرة .

والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرته ، فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكثرة العبيد ، المنفي عنهم الظلم ، إذ لو وقع على كل عبد ظلم ولو قليلًا ، كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة ، كما ترى .

وبذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة ، وأن المراد بذلك نفي أصل الظلم ، عن كل عبد من أولئك العبيد ، الذين هم في غاية الكثرة ، سبحانه وتعالى عن أن يظلم أحدًا شيئًا ، كما بينته الآيات القرآنية المذكورة .

وفي الحديث: « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي** » الحديث .

الوجه الثالث: أن المسوغ لصيغة المبالغة، أن عذابه تعالى بالغ من العظم والشدة، أنه لولا استحقاق المعذبين لذلك العذاب بكفرهم، ومعاصيهم لكان معذبهم به ظلامًا بليغ الظلم متفاقمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وهذا الوجه والذي قبله أشار لهما الزمخشري ع سورة الأنفال .

الوجه الرابع : ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين ، من

(٤٦٩) أحمر
أسود

أن المراد بالنفي في قوله: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) نفي نسبة الظلم إليه ، لأن صيغة فعال تستعمل مرادًا بها النسبة فتغني عن ياء النسب كما أشار له في الخلاصة بقوله :

ومع فاعل وفعَّال فَعِلْ ... في نَسَب أغنى عَنِ اليَا فقبِلْ

ومعنى البيت المذكور ، أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيه التي هي فاعل كظالم وفعَّال كظلَّام ، وفعِل كفرح ، كل منها قد تستعمل مرادًا بها النسبة ، فيستغنى بها عن ياء النسب ، ومثاله في فاعل قول الحطيئة في هجوه الزبرقان ابن بدر التميمي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالمراد بقوله: الطاعم الكاسي النسبة ، أي ذو طعام وكسوة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى – والله أعلم- أن أهل العلم والأنبياء وغيرهم من أهل الإيمان،بل والملائكة إذا سُئلوا عن يوم القيامة وموعده لم يعلموا ما وعده بل يردون العلم بذلك إلى الله كما قال رسول الله □ لما سئل عن الساعة: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، وكذا فإن الله ﷻ يعلم من تخرج الثمار من أوعيتها وأغلفتها ويعلم متى تحمل النسوة ومن يضعن، فاذكر يوم القيامة وما فيه يوم ينادى الله العباد قائلًا: «أين شركاءي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، قال المشركون: (ءَاذَنَّٰكَ) أعلمناك يا ربنا – وأنت

(٤٧٠) أحمر
أسود

أعلم – وأخبرناك أنه ما منا من أحدٍ يشهد أن لك شريكًا.

وقال بعض أهل العلم: إن قوله: (قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ) قالته الأصنام، فالله أعلم.

هذا، والأظهر أن قائل ذلك هم المشركون لأن السياق في شأنهم.

وقوله تعالى: (وَضَلَّ عَنۡهُم) أي: غاب عن أهل الشرك ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان، وحينئذٍ تيقن أهل الشرك أنه لا مهرب لهم ولا مفر من دخول النار، عياذًا بالله.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد العالمون به علم الساعة، فإنه لا يعلم متى قيامها غيره. (وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا) يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة.

(وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ) يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: (وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي) يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟. (قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ) يقول: أعلمناك (مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾) يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ: ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكًا.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾)

(٤٧١) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي حلّ بهم.

وقوله: (وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) يقول: وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: (۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال □، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة -حين سأله عن الساعة، فقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، وكما قال تعالى: (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾) [النازعات: ٤٤]، وقال: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) [الأعراف: ١٨٧].

وقوله: (وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) أي: الجميع بعلمه، لا يعزب عن علمه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال تعالى: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) [الأنعام: ٥٩]، وقال جلت عظمته: (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾) [الرعد: ٨]، وقال: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾) [فاطر: ١١].

وقوله: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي) أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ (قَالُوا آذَنَّاكَ) أي: أعلمناك، (مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾) أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكا، (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ) أي: ذهبوا فلم ينفعوهم، (وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي: وظن المشركون يوم القيامة، وهذا بمعنى اليقين،

(٤٧٢) أحمر
أسود

(مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي: لا محيد لهم عن عذاب الله، كقوله تعالى: (وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾) [الكهف: ٥٣].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) أي حين وقتها.

وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبيًّا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت:

(**وما تخرج من ثمرة**) «من» زائدة أي وما تخرج ثمرة.

(مِّنْ أَكْمَامِهَا) أي: من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمال أو غيره، ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة، قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة.

وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الرحمن».

وقرأ نافع وابن عامر وحفص (مِن ثَمَرَٰتٍ) على الجمع.

الباقون «ثمرة» على التوحيد والمراد الجمع، لقوله: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ) والمراد الجمع، يقول: (۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) كما يرد إليه علم الثمار والنتاج.

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أي: ينادي الله المشركين (أَيْنَ شُرَكَآءِى) الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. (قَالُوٓاْ) يعني الأصنام. وقيل: المشركون.

ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود (ءَاذَنَّٰكَ) أسمعناك وأعلمناك.

يقال:

آذن يؤذن: إذا أعلم، قال:

(٤٧٣) أحمر
أسود

(مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾) أي: نعلمك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكًا.

لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم كما تقدم في غير موضع.

(وَضَلَّ عَنْهُم) أي بطل عنهم (مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ) في الدنيا (وَظَنُّوا) أي: أيقنوا وعلموا (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي فرار عن النار.

و«ما» هنا حرف وليس باسم، فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى، تقديره: وظنوا أنهم مالهم محيص ولا مهرب.

يقال: حاص يحيص.

حيصا ومحيصا إذا هرب.

وقيل: إن الظن هنا الذي هو أغلب الرأي، لا يشكون في أنهم أصحاب النار ولكن يطمعون أن يخرجوا منها.

وليس يبعد أن يكون لهم ظن ورجاء إلى أن يؤيسوا.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾) أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها، ولهذا قال: (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ) من دون الله، أي: ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وظنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئًا (وَظَنُّوا) أي: أيقنوا في تلك الحال (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ،

(٤٧٤) أحمر
أسود

فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾).

الظن هنا بمعنى اليقين ، لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، وشاهدوا الحقائق ، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص ، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ .

والظاهر أن المحيص مصدر ميمي ، من حاص يحيص بمعنى حاد وعدل وهرب .

وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم ، هو التحقيق إن شاء الله ، لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق ، فيحصل للكفار العلم بها لا يخالجهم في ذلك شكٌّ ، كما قال تعالى عنهم ، إنهم يقولون يوم القيامة (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة : ١٢]. وقال تعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) [مريم : ٣٨]. وقال تعالى : (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾) [ق : ٢٢]. وقال تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) [الأنعام : ٣٠] وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) [النمل : ٦٦] الآية .

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب ، التي نزل بها القرآن على معنيين :

أحدهما : الشك كقوله: (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [يونس : ٣٦] ، وقوله تعالى عن الكفار : (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾) [الجاثية: ٣٢] .

(٤٧٥) أحمر
أسود

والثاني : هو إطلاق الظن مرادًا به العلم واليقين ، ومنه قوله تعالى هنا : (وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) [فصلت : ٤٨] أي أيقنوا ، أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص ، أي لا مفر ولا مهرب لهم من عذاب ربهم ، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : (وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) [الكهف : ٥٣] أي أيقنوا ذلك وعلموه ، وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾) [البقرة : ٤٦] وقوله تعالى : (قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ) [البقرة : ٢٤٩] وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾) [الحاقة: ١٩، ٢٠]، فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين .

ونظير ذلك من كلام العرب قول دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

وقول عميرة بن طارق :

بأن تفتروا قومي وأقعد فيكم ... وأجعل مني الظن غيبًا مرجما

والظن في البيتين المذكورين بمعنى اليقين ، والفعل القلبي في الآية المذكورة التي هي قوله : (وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) [فصلت : ٤٨] معلق عن العمل في المفعولين بسبب النفي بلفظة ما في قوله : (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) كما أشار له في الخلاصة بقوله :

***والتزم التعليق قبل نفي « ما » ***

(٤٧٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٤٧٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾)

[فصلت: ٤٩-٥٤]

(٤٧٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لَّا يَسْـَٔمُ - دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ - مَّسَّهُ - ٱلشَّرُّ - فَيَـُٔوسٌ - قَنُوطٌ - أَذَقْنَٰهُ - رَحْمَةً - ضَرَّآءَ - قَآئِمَةً - لَلْحُسْنَىٰ - فَلَنُنَبِّئَنَّ - غَلِيظِ - أَعْرَضَ - وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ - دُعَآءٍ عَرِيضٍ - شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ - ءَايَٰتِنَا - ٱلْـَٔافَاقِ - يَتَبَيَّنَ - مِرْيَةٍ - بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(لَّا يَسْـَٔمُ)	لا يمل – لا يتعب
(دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ)	دعاء ربه بسعة الرزق والعافية- سؤال ربه المال والصحة
(مَّسَّهُ)	أصابه
(ٱلشَّرُّ)	الفقر أو المرض
(فَيَـُٔوسٌ)	يؤوس من رحمة الله – ويؤوس من إجابة الدعاء – يظن أنه لن يستجاب له دعاء
(قَنُوطٌ)	يظن أن ما به لن يكشف ولن يزول ويظن أنه سيدوم
(أَذَقْنَٰهُ)	أنعمنا عليه – تفضلنا عليه
(رَحْمَةً)	سعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
(ضَرَّآءَ)	بلاء – قلة مال وشدة مرض
(قَآئِمَةً)	آتية – واقعة
(لَلْحُسْنَىٰ)	للجنة – لسعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
(فَلَنُنَبِّئَنَّ)	فلنخبرن
(غَلِيظِ)	شديد

(٤٧٩) أحمر
أسود

(أَعۡرَضَ)	انصرف عن طاعة ربه
(وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ)	تباعد وصدَّ بوجهه
(دُعَآءٍ عَرِيضٖ)	دعاء كثير
(شِقَاقِۭ بَعِيدٖ)	فراق للحق بعيد، وأصله أن يكون الشخص في شق، واتجاه والحق في شق واتجاه آخر
(ءَايَٰتِنَا)	حججنا والدلائل على وحدانيتنا
(ٱلۡأٓفَاقِ)	نواحي السموات والأرض وأقطار السموات والأرض
(يَتَبَيَّنَ)	يظهر
(مِرۡيَةٖ)	شك وريب
(بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٌ)	عالم بكل شيء وقادر على كل شيء

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾).

ج: لا يمل الإنسان ولا يتعب من سؤال ربه ٥ السعة في الأرزاق والعافية في البدن والعز والسلطان وإن أصيب بشيء من الفقر، أو شيءٍ من المرض أو فقدان المنصب والجاه يظن أن ما به لن ينكشف أبدًا وحينئذٍ ييأس من روح الله، ويقنط من رحمته. فحاله إذا أصيب بالفقر والمرض أنه يؤوس من زوال البلاء قنوط يظن أن ما به لن يزول، هذا، وقد قال بعض أهل العلم أن المراد بالإنسان هنا الكافر والله أعلم.

قال الطبري $:

(٤٨٠) أحمر
أسود

وقوله: (لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ) يقول تعالى ذكره: لا يمل الكافر بالله من دعاء الخير، يعني من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربه. والخير في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يملّ من طلب ذلك. (وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ) يقول: وإن ناله ضرّ في نفسه من سُقم أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه (فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾) يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: لا يمل الإنسان من دعائه ربه بالخير – وهو: المال، وصحة الجسم، وغير ذلك، (وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ)، وهو: البلاء أو الفقر (فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾) أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾).

ج: هذا حال الإنسان الكافر والعياذ بالله لئن بدل الله ﷻ حاله وكشف ما به من ضرٍّ وأبدله مكان الفقر والقلة سعةً وغنى، ومكان المرض والبلاء صحة وعافية، ورفعه بعد أن كان ذليلًا وأعزَّه (في الدنيا) بعد أن كان وضيعًا إذا به يتعالى على ربه ويتعاظم على الخلق فيقول: إنني حقيق وجدير بأن يحدث لي مثل هذا فأنا أستحقه بجدارةٍ وقد أوتيته بعلمي وبفهمي، ويتمادى في ضلاله فيقول: وما أعتقد أن القيامة ستقوم، فلا بعث ولا نشور، وعلى فرض أنه سيكون هناك بعث ونشور، ورجعنا يوم

(٤٨١) أحمر
أسود

القيامة أحياءً فالذي أكرمني في الدنيا سيكرمني في الآخرة بالمال وسعة الرزق والعافية والجنة.

يقول تعالى متوعدًا هذا الذي هذه حاله، بقوله: (فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) أي: فلنخبرنهم يوم القيامة بما عملوه في دنياهم ولندخلنهم عذابًا شديدًا، وهو جهنم والعياذ بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرّ، وشدّة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضرّ. (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم.

(وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً) يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم. يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي. يقول: إن لي عنده غنى ومالا.

(فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ)يقول تعالى ذكره: فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم.

(وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(٤٨٢) أحمر
أسود

(وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) أي: إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن: هذا لي، إني كنت أستحقه عند ربي، (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خُوِّل نعمة يفخر، ويبطر، ويكفر، كما قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾) [العلق: ٦، ٧].

(وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) أي: ولئن ثَمّ معاد فليُحسنَنّ إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنى على الله، ٥، بعد إساءته العمل وعدم اليقين. قال تعالى: (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا) عاقبة ورخاء وغنى (مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ) ضر وسقم وشدة وفقر. (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) أي هذا شئ أستحقه على الله لرضاه بعملي، فيرى النعمة حتما واجب على الله تعالى، ولم يعلم أنه ابتلاه بالنعمة والمحنة، ليتبين شكره وصبره. وقال ابن عباس: (هَٰذَا لِي) أي: هذا من عندي. (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ) أي: الجنة، واللام للتأكيد. يتمنى الأماني بلا عمل. قال الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب: للكافر أمنيتان أما في الدنيا فيقول: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ)، وأما في الآخرة فيقول: (يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾) [الأنعام: ٢٧] و(يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾) [النبأ: ٤٠].(فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) أي: لنجزينهم. قسم أقسم الله عليه. (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾) شديد.

(٤٨٣) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ)؟

ج: في معناها قول صاحب الجنتين المذكور أمره في سورة الكهف (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾) **[الكهف: ٣٦]**.

قوله تعالى: (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾) **[مريم: ٧٧]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى تأويل قوله تعالى: (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا أنعمنا على الإنسان الكافر بنعمة منا أعرض عن الإيمان وانصرف متباعدًا متنائيًا عن طاعة ربه ﷻ، وإذا أصابه الشر إذا به يدعو دعاءً طويلًا كثيرًا لكشف ما حلّ به من ضرٍّ، فالكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرّ، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصدّ عنه (وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ) يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه بناحيته.

وقوله: (وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾) يعني بالعريض: الكثير.

وقال ابن كثير $:

(٤٨٤) أحمر
أسود

ثم قال: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: أعرض عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله، ٥، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الذاريات: ٣٩].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الشدة، ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ أي: يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض: ما طال لفظه وقل معناه، والوجيز: عكسه، وهو: ما قل ودل. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

❁ ❁ ❁

س: المال والصحة والعافية كل ذلك يطغى في كثيرٍ من الأحيان دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك والمعاندين

(٤٨٥) أحمر
أسود

للحق، والمعرضين عن القرآن، أرأيتم يا هؤلاء إن كان هذا القرآن حقًّا، وهو حق بلا ريب – ومن عند الله قد نزل، فكيف ستكون حالكم يوم القيامة وقد تبين لكم صدق ما فيه وتحقق ما فيه من الوعد والوعيد كيف ستكون حالكم؟!

إنها ستكون كما أخبر الله ﷻ، ستكونون في النار خالدين مخلدين، ثم قال تعالى من أضل ممن هو في شقاق بعيد، من هو أشد ضلالًا ممن هو في شقٍّ بعيد والحق في شق آخر بعيد عنه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد □: (قُلْ) يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن (أَرَءَيْتُمْ) أيها القوم (إِن كَانَ) هذا الذي تكذبون به (مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ) ألستم في فراق وبعد من الصواب، فجعل مكان التفريق الخبر، فقال: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) إذا كان مفهوما معناه.

وقوله: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) يقول: قل لهم من أشد ذهابا عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراق لأمر الله وخوف له، بعيد من الرشاد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن: (أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ) هَذَا الْقُرْآنُ (مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ) أي: كيف تُرَون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾)؟ أي: في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومَسْلَك بعيد من الهدى.

(٤٨٦) أحمر
أسود

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ) أي: قـل لهـم يـا محمـد (أَرَءَيْتُمْ) يـا معشـر المشـركين. (إِن كَانَ) هـذا القـرآن (مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ) أي: فأي الناس أضل، أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنـى، والله تعـالى أعلـم، سنري الخلـق علامـات علـى وحـدانيتنا وقـدرتنا فـي اتجاهـات السـموات والأرض ونواحيهـا مـن الأحـداث التـي تحـدث فـي السـموات والأرض والتقلبـات التـي تحـدث مـن شـمس وقمـر وخسوفٍ لهما وكسوف، وحرٍّ وبردٍ وليل ونهار ورياح وأمطار ورعد وبرق وصواعق وضباب، ونبات وأشجار وجبال وأنهار وبحار بما فيها من فيضانات، وغير ذلك مما يعتري السماء والأرض، وكذلك سنريهم الأدلة على وحدانيتنا في أنفسهم بما يعتريهم من مرض وصحة وضحك وبكاء، وقوةٍ وضعف، وبما يكتشفون في أنفسهم من الدلائل على وحدانية الله ﷻ وقدرته وكذلك نريهم انتصارات نبينا ﷺ وتحقق ما وعده الله به من الفتوحات وكذلك سنريهم من المعجزات ودلائل النبوة ما به يظهر صدق نبينا وصدق ما جاء به أما قوله: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ) فالحق هو القرآن، وهو أيضًا صدق رسول الله ﷺ وتحقق أنه رسول من عند الله، وأيضًا هو الإسلام، أما قوله: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾)

(٤٨٧) أحمر
أسود

فيدخل في معناه أو لم يجتزئ هؤلاء ويكتفون بشهادة ربك على صدق ما جاء به رسوله وأنه الحق وكذلك يدخل في معناه التحذير أو لم يخش هؤلاء عقابًا ويكتفوا بما حاصله أن الله شاهد عليهم وسيجازيهم على سيء صنيعهم؟!

ويدخل في معناه: أو لم يكفهم ربك سبحانه وتعالى بما ساقه لهم من الآيات الدالة على وحدانيته وأنه شهيدٌ عليهم إذا كذَّبوا وسيجازيهم على ذلك!

* أما قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ فحاصل معناه أن أهل الكفر ومع ما جاءهم من الآيات في شك دائم من البعث ومن لقاء الله يوم القيامة.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ قد أحاط علمًا ربُّنا ﷻ بكل شيء، وكذا من إحاطته بكل شيء قدرته على فعل ما يريد بهم والانتقام منهم، وفي الآية ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡۙ﴾ **[يونس: ٢٢]** أي: أحاطت بهم أسباب الهلاك من كل جوانبهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ **[الكهف: ٢٢]** أي: هلك ثمره وأُبيد والله تعالى أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذّبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق.

واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم، فقال بعضهم: عني بالآيات في الآفاق وقائع النبيّ بنواحي بلد

(٤٨٨) أحمر
أسود

المشركين من أهل مكة وأطرافها، وبقوله: (وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) فتح مكة.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن المنهال، في قوله: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ) قال: ظهور محمد □ على الناس.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عنى بالآفاق: آفاق السماء، وبقوله: (وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) سبيل الغائط والبول.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله السديّ، وذلك أن الله ﷻ وعد نبيّه □ أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم رأوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا راؤه من قبل ظهور نبيّ الله □ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك.

وقوله: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ) يقول جلّ ثناؤه: أري هؤلاء المشركون وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

وقوله: (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾) يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن

بالإحسان، والمسيء جزاءه.

وفي قوله: (أَنَّهُۥ) وجهان:

أحدهما: أن يكون في موضع خفض على وجه تكرير الباء، فيكون معنى الكلام حينئذ: أولم يكف بربك بأنه على كلّ شيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفعا رفع، بقوله: يكف، فيكون معنى الكلام: أولم يكف بربك شهادته على كل شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى : (أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله في شكّ من لقاء ربهم، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم.

وقوله: (أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾) يقول تعالى ذكره: ألا إن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله، ﷻ، على رسوله ﷺ بدلائل خارجية (فِي ٱلۡأٓفَاقِ)، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بَدْر ، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حَلّت بهم، نصر الله فيها محمدا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه.

(٤٩٠) أحمر
أسود

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار»، عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال - وأحسن المقالة -:

وَإذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرا ... فَانظُرْ إليْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أنتَ الذي يُمْسِي وَيُصْبحُ في ... الدنيا وكُلّ أمُوره عبَرُ
أنتَ المصرّفُ كانَ في صِغَرٍ ... ثَمّ استَقَلّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ
أنتَ الذي تَنْعَاه خلْقَتُه ... يَنْعاه منه الشَّعْرُ والبَشَرُ
أنتَ الذي تُعْطَى وَتُسْلَب لا ... يُنْجيه من أنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أنْتَ الذي لا شَيءَ منْه لَهُ ... وَأحَقُّ منْه بِمَاله القَدَرُ

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله تعالى: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾)؟ أي: كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: (لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ) [النساء: ١٦٦].

وقوله: (أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ) أي: في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم

(٤٩١) أحمر
أسود

هَدَرٌ لا يعبئون به وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز صَعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك ثم نزل.

ومعنى قوله، ڤ: «أن المصدق به أحمق» أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحمق بهذا الاعتبار، والأحمق في اللغة: ضعيف العقل.

وقوله: «والمكذب به هالك» هذا واضح، والله أعلم.

ثم قال تعالى -مقررا على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى-: (أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾) أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال السعدي $:

(أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ) أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار، سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يتلفتوا لها.

(أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾) علمًا وقدرة وعزة.

(٤٩٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

(٤٩٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ
ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ
فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
﴿١٢﴾) [الشورى: ١-١٢]

س: - اذكر معنى ما يلي:

(حمٓ . عٓسٓقٓ - كَذَٰلِكَ -ٱلْعَلِيُّ -ٱلْعَظِيمُ -يَتَفَطَّرْنَ -أَوْلِيَآءَ -ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ - بِوَكِيلٍ -أُمَّ ٱلْقُرَىٰ -يَوْمَ ٱلْجَمْعِ -لَا رَيْبَ فِيهِ -ٱلسَّعِيرِ -أُمَّةً وَٰحِدَةً -فِي رَحْمَتِهِۦ -وَلِيٍّ -نَصِيرٍ - فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ -ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي -تَوَكَّلْتُ -أُنِيبُ -فَاطِرُ -ٱلْأَنْعَٰمِ -يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ - لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ -يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ -وَيَقْدِرُ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ . عٓسٓقٓ)	أحرف مُقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(كَذَٰلِكَ)	هكذا
(ٱلْعَلِيُّ)	ذو العلو والارتفاع على كل شيء
(ٱلْعَظِيمُ)	ذو العظمة والكبرياء والجبروت
(يَتَفَطَّرْنَ)	يتشققن
(أَوْلِيَآءَ)	آلهة (يتولونها ويعبدونها)
(ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ)	الله مُحصي أعمالهم مُسطرها عليهم
(بِوَكِيلٍ)	حفيظ (تحفظ أعمالهم وتسجلها)
(أُمَّ ٱلْقُرَىٰ)	هي مكة المكرمة
(يَوْمَ ٱلْجَمْعِ)	يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين
(لَا رَيْبَ فِيهِ)	لا شك في مجيئه وتحققه ووقوعه
(ٱلسَّعِيرِ)	النار المستعرة التي أوقدت واشتدت
(أُمَّةً وَٰحِدَةً)	ملةً واحدة - أهل دين واحد

(فِي رَحۡمَتِهِۦۚ)	في دين الحق - في طاعته التي بها يرحمهم
(وَلِيّ)	شخص يتولاهم ويتولى الدفاع عنهم
(نَصِيرٍ)	شخص ينصرهم
(فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)	مرد الأمر فيه إلى الله يفصل فيه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة يفصل فيه بين العباد
(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي)	هذا هو الله ربي
(تَوَكَّلۡتُ)	اعتمدت عليه وفوَّضت أمري إليه، وبه وثقت
(أُنِيبُ)	أرجع إليه (في كل أموري وشؤوني)
(فَاطِرُ)	خالق (على غير مثالٍ سابق)
(ٱلۡأَنۡعَٰمِ)	هي الأنعام الثمانية (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز)
(يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ)	يخلقكم فيه - يُعيشكم فيه (نسلكم يكون في بطون أمهاتكم - في بطون أزواجكم) ونسل الأنعام يكون في بطون إناثها
(لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)	مفاتيح خزائن السموات والأرض
(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ)	يوسع الرزق
(وَيَقۡدِرُۚ)	يضيق - يُقتِّر

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هكذا يوحي إليك وإلى الأنبياء من قبلك الله ذو العزة الحكيم في تدبيره وفي شرعه وفي كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾) يقول تعالى ذكره: هكذا يوحي إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه. وقيل: إن (حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾) أوحيت إلى كل نبي بعث، كما أوحيت إلى نبينا ﷺ، ولذلك قيل: (كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه (ٱلۡحَكِيمُ) في تدبيره خلقه.

❁ ❁ ❁

س: أين الله؟ الجواب باختصار؟

ج: الله ﷻ في السماء مستوٍ على العرش، وقد قدمنا الأدلة على ذلك باستفاضة.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ له ملك ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي المتعال على كل شيء ذو العلو والارتفاع على كل شيء وهو في سماواته مستوٍ على عرشه ذو العظمة والكبرياء والجبروت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله ملك (مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ) من الأشياء كلها (وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ) يقول: وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته (ٱلْعَظِيمُ) الذي له العظمة والكبرياء والجبرية.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في إثبات اسم العلي للـه ﷻ أو إثبات معناه.

ج: من ذلك قوله تعالى:

(وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) [سبأ: ٢٣].

وقوله تعالى: (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾) [الرعد: ٩].

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾) [الشورى: ٤].

وقوله تعالى: (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾) [الأعلى: ١].

❁ ❁ ❁

س: ما السبب الذي من أجله كادت السموات أن تتفطر؟

ج: قال بعض العلماء: تكاد السموات أن تتفطر من عظمة الرحمن وجلاله، صح ذلك عن قتادة عند الطبري، وروي بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى، وكذا نقل عن غير واحد من العلماء.

وهناك سبب آخر لتفطر السماء: وهو تشققها سقوطًا على الكفار لكفرهم ولكبير افترائهم، قال تعالى: (وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ

شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ...﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

ووجه ثالث: أنها تتفطر لعظم ما يحدث يوم القيامة قال تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾) [المزمل: ١٧-١٨]، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أضواء البيان»:

واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر، في هذه الآية الكريمة، فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات يتفطرن خوفا من الله، وهيبة وإجلالا، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قبله (وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾) [الشورى: ٤]، لأن علوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر.

وعلى هذا الوجه فقوله بعده: (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ) مناسبته لما قبله واضحة؛ لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة فهم (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالا، كما قال تعالى: (وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ) [الرعد:١٣]، وقال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾) [النحل: ٤٩-٥٠].

فهم لشدة خوفهم من الله، وإجلالهم له يسبحون بحمد ربهم، ويخافون

على أهل الأرض، ولذا يستغفرون لهم خوفا عليهم من سخط الله، وعقابه، ويستأنس لهذا الوجه بقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) إلى قوله: (وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) [الأحزاب:٧٢]، لأن الإشفاق الخوف.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ) يعني لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله، كما أوضحه تعالى بقوله: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟).

[غافر:٧]

فقوله: (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) يوضح المراد من قوله: (لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ).

ويزيد ذلك إيضاحًا قوله تعالى عنهم إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين: (فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ) [غافر:٧]؛ لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار.

الوجه الثاني: أن المعنى (تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ) من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخذ ولدا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهذا الوجه جاء موضحا في سورة مريم، في قوله تعالى: (وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾) [مريم:٨٨-٩١]، كما قدمنا إيضاحه.

وغاية ما في هذا الوجه أن آية شورى هذه فيها إجمال في سبب تفطر السماوات، وقد جاء ذلك موضحًا في آية مريم المذكورة. وكلا الوجهين حق.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: والملائكة ينزهون ربهم ﷻ عن ما يصفه به الواصفون المشركون فيقولون سبحانك اللهم وبحمدك.

الثاني: والملائكة يُصلُّون لله ربهم يركعون ويسجدون وتسبيحهم هذا من فضل الله عليهم.

الثالث: أن الملائكة يسبحون له من عظمته فيقولون سبحانك ربنا ما أعظمك.

الرابع: أن الملائكة يسبحون تعجبًا من جرأة المشركين وافترائهم على الله وتعريض أنفسهم لسخط الله.

* **أما قوله:** (بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ) فقد قيل في معناها: بأمر ربهم، وقيل: يمزجون التسبيح بالحمد فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، وقيل: إن تسبيحهم من توفيق الله لهم.

❁ ❁ ❁

س: هل الملائكة يستغفرون لكل من في الأرض؟

ج: يستغفرون لأهل الإيمان فقط.

قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ [غافر: ٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويطلبون نصرتها وعونها وتفريجها الهموم والغموم وكشف الكربات، ويسجدون لها ويتقربون إليها، فهؤلاء الذين عبدوا هذه الآلهة مع الله وجعلوها بزعمهم شريكة لله ﷻ، وكذا الذين عبدوها وتركوا بسببها عبادة الله، هؤلاء الذين يصنعون ذلك لن يتركوا، فالله ﷻ يكتب أعمالهم التي يعملوها ويحصيها ويأمر ملائكته بذلك بكتابة الأعمال وإحصائها وحفظها في كتاب، وأما أنت يا رسول الله فلست بموكل بحفظ أعمال هؤلاء ولا بإحصائها.

*** قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ) يا محمد من مشركي قومك (مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ) آلهة يتولونها ويعبدونها (ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾).

يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ) لماذا اتخذوا الأولياء؟

ج: اتخذوهم أولياء لعبادتهم ولطلب النصرة منهم وكشف الضرِّ وجلب النفع لهم بزعمهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ) أي أشركوا معه شركاء يعبدونهم من دونه، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣) [الزمر:٣].

س: ما الأولياء الذين اتخذهم الكفار؟

ج: هم الأصنام والشياطين، وكل ما عُبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: (إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠) [الأعراف:٣٠]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ) [آل عمران:١٧٥]، أي يخوفكم أولياءه. وقوله تعالى: (فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ) [النساء:٧٦].

وقد وبخهم تعالى على اتخاذهم الشيطان وذريته أولياء من دونه تعالى في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾.

[الكهف:٥٠]

وقد أمر جل وعلا باتباع هذا القرآن العظيم، ناهيا عن اتباع الأولياء المتخذين من دونه تعالى، في أول سورة الأعراف في قوله تعالى: (ٱتَّبِعُواْ

مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقد علمت من الآيات المذكورة أن أولياء الكفار الذين اتخذوهم وعبدوهم من دون الله نوعان:

الأول منهما: الشياطين، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما يزين لهم، من الكفر والمعاصي، فشركهم به شرك طاعة، والآيات الدالة على عبادتهم للشياطين بالمعنى المذكور كثيرة كقوله تعالى: (۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [يس:٦٠]، وقوله تعالى عن إبراهيم (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) [مريم:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾) [النساء: ١١٧]، أي وما يعبدون إلا شيطانًا مريدًا، وقوله تعالى: (قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾) [سبأ:٤١]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾) [النحل: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، إلى غير ذلك من الآيات.

والنوع الثاني هو: الأوثان، كما بين ذلك تعالى بقوله: (مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) [الزمر:٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهكذا يا رسول الله أوحينا إليك هذا القرآن كما أوحينا إلى من كانوا قبلك من الأنبياء والمرسلين. أوحينا إليك

قرآنًا عربيًّا بلسان قومك حتى يفهموا قولك ويعقلوا عنك المراد، أوحينا إليك هذا القرآن إنذارًا وتحذيرًا لأهل مكة ومن حولهم إنذارًا وتحذيرًا من عذاب الله الكائن يوم الجمع، جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ذلكم اليوم الذي لا شك في وقوعه وتحققه، فهنالك ينقسم القوم فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهكذا (أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ) يا محمد (قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا) بلسان العرب، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأنا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه، ليبين لهم (لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ) وهي مكة (وَمَنۡ حَوۡلَهَا) يقول: ومن حول أم القرى من سائر الناس.

ثم قال:

وقوله: (وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ) يقول عَزَّ وَجَلَّ: وتنذر عقاب الله يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع، والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع، كما قيل: يخوف أولياءه، والمعنى: يخوفكم أولياءه.

وقال كذلك: وقوله: (فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧) يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله (وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧) يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا) أي: وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيًّا بيناه بلغة العرب قيل : أي أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ) يعني مكة وقيل لمكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها (وَمَنۡ حَوۡلَهَا) من سائر الخلق (وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ) أي بيوم الجمع وهو يوم القيامة (لَا رَيۡبَ فِيهِۚ) لا شك فيه : (فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ ابتداء وخبر وأجاز الكسائي النصب على تقدير : لتنذر فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرُه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال :«أتدرون ما هذان الكتابان؟». قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال للذي في يده اليُمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا». ثم قال للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذًا نعمل إن كان هذا أمرًا قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «سَدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل النار، وإن عمل أيّ عمل». ثم قال بيديه فقبضهما، ثم قال: «فرغ ربكم -

ﷻ - من العباد». ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: «فريق في الجنة»، ونبذ باليسرى فقال: «فريق في السعير»(١).

ج: الحديث سنده صحيح.

❁ ❁ ❁

س: هل رسول الله ﷺ أوحى إليه القرآن لينذر أهل مكة ومن حولها فقط؟

ج: كلا بل لينذر الثقلين (الإنس والجن).

* **قال تعالى:** (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾). **[الفرقان: ١]**

* **وفي الآية الكريمة:** (وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ) **[الأنعام: ١٩]**.

* **وقال تعالى:** (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا). **[الأعراف: ١٥٨]**

* **وقال تعالى:** (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) **[سبأ: ٢٨]**.

س: اذكر بعض الآيات المذكِّرة بيوم القيامة المحذرة منه ومما فيه؟

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ) **[الشورى: ٧]**.

* **وقوله تعالى:** (وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ) **[البقرة: ٢٨١]**.

* **وقوله تعالى:** (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ). **[الحشر: ١٨]**

* **وقوله تعالى:** (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾).

---

(١) أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي (٢١٤١)، والنسائي (١١٤٧٣)، وغيرهم، من طرق عن أبي قُبيل عن شُفي عن عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد صحيح مع غرابة متنه.

[المزمل: ١٧]

* وقوله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ) [غافر: ١٨].

* وقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾).

[المطففين: ٤-٥]

❁ ❁ ❁

س: نفى الله ﷻ الشك عن وقوع يوم القيامة في عدة آيات. اذكر بعضها.

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

* وقوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

[النساء: ٨٧]

* وقوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ) [آل عمران: ٢٥].

* وقوله تعالى: (وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا) [الحج: ٧].

* وقوله تعالى: (أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل: ١].

* وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ).

[الجاثية: ٣٢]

❁ ❁ ❁

س: لماذا أطلق على يوم القيامة يوم الجمع؟

ج: لأن الله ﷻ يجمع فيه الأولين والآخرين، والإنس والجن، بل والدواب كذلك.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وإنما سمي يوم القيامة يوم الجمع، لأن الله يجمع فيه جميع الخلائق، والآيات الموضحة لهذا المعنى، كثيرة كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾) [الواقعة:٤٩-٥٠]، وقوله تعالى: (هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾) [المرسلات:٣٨]، وقوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ) [النساء:٨٧]، وقوله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ) [التغابن:٩]، وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾) [هود:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران:٢٥]، وقوله تعالى: (وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾) [الكهف:٤٧].

وقد بيَّن تعالى شمول ذلك الجمع لجميع الدواب والطير في قوله تعالى:

(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾) [الأنعام:٣٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) الآية.

ج: المعني، والله تعالى أعلم، ولو شاء الله لجعل عباده أهل ملةٍ واحدةٍ

وأهل دينٍ واحدٍ إما على الإسلام وإما على الكفر، ولكن جرت حكمته سبحانه وتعالى ومضت سنته، وقدَّر قدره الذي يريده بأن جعل من الناس برحمته من هو مؤمن وجعل من الناس من هو كافرٌ وقضى لأهل الإيمان - جعلنا الله منهم - بفسيح الجنان وقضى على أهل الكفر - عيادًا بالله - بالسعير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته.

يقول: لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته، يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾.

يقول: والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله ﷺ تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمرا له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاما له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) أي: إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من شاء إلى الحق، وأضل من شاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: (وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ

وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم (١) اتخذ هؤلاء المشركون أولياء غير الله يطلبون نصرتهم ويعبدونهم ويسجدون لهم فليعلم هؤلاء أن الله ﷻ هو الإله الحق، هو الذي ينصر ويكشف الضر ويجيب المضطر فليتخذوه وليًّا فهو الذي يحيي ويُميت وهو على كل شيءٍ قدير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله (٢) يتولونهم. (فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ) يقول: فالله هو ولي أوليائه، وإياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا. (وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ) يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة. (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩) يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (أَمِ ٱتَّخَذُواْ) أي: بل اتخذوا. (مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ) يعني: أصنامًا. (فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ) أي: وليك يا محمد ووليّ من اتبعك، لا وليَّ سواه. (وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ) يريد عند البعث. (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) وغيره من الأولياء لا يقدر على شيء.

---

(١) ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿أَمِ﴾ بمعنى (بل).

(٢) وقوله: (من دون الله) يحتمل معنيين أحدهما: غير الله، والثاني: مع الله، وهذا وذاك إلحادٌ وضلال وشرك.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

ج: هذه تحتمل معانٍ، منها:

وأي شيء تتنازعون فيه وتختلفون فردوه إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ) **[النساء: ٥٩]**.

وكما قال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾) **[النساء: ٦٥]**.

*** والوجه الثاني:** وأي شيء تختلفون فيه في الدنيا وتتنازعون وجوه الحق فيه فالله ﷻ يقضي بينكم فيه يوم القيامة فيظهر للمصيب أنه مُصيب، ويظهر ويتبين للمخطئ خطؤه. والله أعلم.

وبنحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أي وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين فقولوا لهم حكمه إلى الله لا إليكم وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا

غيره وأمور الشرائع إنما تتلقى من بيان الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء، (فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: هو الحاكم فيه بكتابه، وسنة نبيه ، كقوله: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ) [النساء:٥٩].

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي) أي: الحاكم في كل شيء، (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠) أي: أرجع في جميع الأمور.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ).

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحا في آيات كثيرة.

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه: (وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦) [الكهف:٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿**وَلا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أحَداً**﴾ بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠) [الكهف:١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه.

وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع

تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ) [يوسف:٤٠]، وقوله تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ) [يوسف:٦٧]، وقوله تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾) [الأنعام:٥٧]، وقوله: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾) [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: (وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾) [الكهف:٢٦]، وقوله تعالى: (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾) [القصص:٨٨]، وقوله تعالى (لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾).

[القصص:٧٠]

وقال الشنقيطي أيضًا:

وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جدًّا، كقوله تعالى: (إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾) [النحل:١٠٠]، وقوله تعالى: (وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾) [الأنعام:١٢١]، وقوله تعالى: (۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ) الآية [يس:٦٠]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا، كما تقدم إيضاحه في الكهف.

وقال الشنقيطي أيضًا في «أضواء البيان»(١):

مسألة

اعلم أن الله جلَّ وعلا بين في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي

(١) أضواء البيان (١٦٣/٧).

سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع.

سبحان الله وتعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، فليتبع تشريعهم.

وإن ظهر يقينًا أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية.

سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)، ثم قال مبينًا صفات من له الحكم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى:١٠-١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجا، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: (ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ) الآية [الأنعام: ١٤٣]، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأنه له مقاليد السماوات والأرض، وأنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم.

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩]، فقوله فيها: (فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ) كقوله في هذه: (فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ).

وقد عجب نبيه ﷺ بعد قوله: (فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ) من الذين يدعون الإيمان مع أنهم يريدون المحاكمة، إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم، المعبر عنه في الآية بالطاغوت، وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت، وذلك في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠) [النساء:٦٠].

فالكفر بالطاغوت، الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية، شرط في الإيمان كما بينه تعالى في قوله: (فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ) [البقرة:٢٥٦].

فيفهم منه أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يستمسك بها فهو مترد مع الهالكين.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦) [الكهف:٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟

سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾) [القصص:٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟

تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾) [غافر:١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟

سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾) [القصص:٧٠-٧٣].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينا بذلك كمال قدرته وعظمة إنعامه على خلقه؟

سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في

حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٤٠].

فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم؟

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف:٦٧].

فهل فيهم من يستحق أن يتوكل عليه، وتفوض الأمور إليه؟

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[المائدة:٤٩-٥٠]

فهل في أولئك المشرعين من يستحق أن يوصف بأن حكمه بما أنزل الله وأنه مخالف لاتباع الهوى؟ وأن من تولى عنه أصابه الله ببعض ذنوبه؟ لأن الذنوب لا يؤاخذ بجميعها إلا في الآخرة؟ وأنه لا حكم أحسن من حكمه لقوم يوقنون؟

سبحان ربنا وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[الأنعام:٥٧]

فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير

الفاصلين؟

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ ﴾ [الأنعام:١١٤-١١٥].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلا، الذي يشهد أهل الكتاب أنه منزل من ربك بالحق، وبأنه تمت كلماته صدقا وعدلا أي صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام، وأنه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟

سبحان ربنا ما أعظمه وما أجل شأنه.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس:٥٩].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؟ لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟

سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾. [المائدة:٤٤]

فهل فيهم من يستحق الوصف بذلك؟

سبحان ربنا وتعالى عن ذلك.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾) [النحل:١١٦-١١٧].

فقد أوضحت الآية أن المشرعين غير ما شرعه الله إنما تصف ألسنتهم الكذب، لأجل أن يفتروه على الله، وأنهم لا يفلحون وأنهم يمتعون قليلا ثم يعذبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعد صفاتهم من صفات من له أن يحلل ويحرم.

ومنها قوله تعالى: (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ) [الأنعام:١٥٠].

فقوله: (هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ) صيغة تعجيز، فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم، ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله. إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا هو الله ربي ﷻ الذي تُرد إليه الأمور عند التنازع، والذي يقضي بين العباد يوم القيامة، الذي له الخلق والأمر، هو ربي ﷻ اعتمدت عليه في أموري كلها وفي شؤوني كلها، وإليه مرجعي ومصيري، وإليه أتوب وأرجع عن ذنوبي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) يقول لنبيه محمد □: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠) يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي) أي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه إضمار : أي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيى الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) اعتمدت (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠) أرجع.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما نُذكَّر في كتاب الله ﷻ بأحوال أهل الإيمان التي منها أنهم يتوجهون إليه بقلوبهم وأعمالهم ويعتمدون عليه في أمورهم. دلّل على ذلك.

ج: ذكر ذلك العلامة السعدي في تفسيره «تيسير الكلام الرحمن» فقال:

وقوله: (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك. (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠) أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله

تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: (فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هود: ١٢٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، جعل الله ﷻ لكم يابني آدم من أنفسكم أزواجًا نساءً، وكذا جعل من الأنعام أنعامًا أزواجًا ذكرانًا وإناثًا، فجعل الجمل والناقة، وجعل الثور والبقرة، وجعل الكبش والنعجة، وجعل الجدي والعنز، وهكذا، كما قال تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الذاريات: ٤٩].

* **أما قوله تعالى:** (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) فقد قال بعض أهل العلم إن معناه يخلقكم فيه، أن يخلقكم في بطون الأزواج والمعنى يخلق أبناءكم في بطون أزواجكم ويُعيشهم فيها برهةً من الزمن إلى أن تلد الأم ولدها، وكذا يخلق ويعيش الأنعام في بطون إناثها وأمهاتها برهة من الزمن إلى أن تضع الأنثى وليدها وبنحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا) يقول تعالى ذكره: زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجًا. وإنما قال جل ثناؤه: (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) لأنه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال (وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا) يقول جل ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكورا وإناثا، ومن كل جنس من ذلك. (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم

فيما جعل لكم من الأنعام. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ) في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه.

ثم قال الطبري: وقال آخرون: بل معناه يُعيشكم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا. وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) أي: خالقهما وما بينهما، (جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا) أي: من جنسكم وشكلكم، منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى، (وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ) أي: خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج.

وقوله: (يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ) أي: يخلقكم فيه، أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورًا وإناثًا، خلقًا من بعد خلق، وجيلًا بعد جيل، ونسلًا بعد نسل، من الناس والأنعام.

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ) أي: في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: في هذا الوجه من الخلقة.

قال مجاهد: ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام.

وقيل: (في) بمعنى (الباء)، أي: يذرؤكم به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : (فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ) بـالرفع علـى النعـت لاسـم الله أو علـى تقدير هو فـاطر ويجوز النصـب علـى النداء والجر علـى البدل من الهاء في «عَلَيْهِ» والفاطر : المبدع والخـالق وقد تقدم (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا) قيل معناه إناثا وإنما قال : (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) لأنه خلق حواء من ضلع آدم وقـال مجاهـد : نسـلا بعـد نسـل (وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ) يعنـي الثمانيـة التـي ذكرها في (الأنعام) ذكور الإبل والبقر والضـأن والمعز وإناثها (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ) أي: يخلقكم وينشئكم (فِيهِۚ) أي: فـي الـرحم وقيـل : فـي الـبطن وقـال الفـراء وابـن كيسـان : (فِيهِۚ) بمعنـى بـه وكـذلك قـال الزجـاج : معنـى ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ يكثـركم بـه أي يكثـركم يجعلكـم أزواجـا أي حلائـل لأنهـن سـبب النسـل وقيـل : إن الهـاء فـي (فِيهِ ﴾ للجعـل ودل عليـه (جَعَلَ) فكأنـه قال : يخلقكم ويكثركم في الجعل ابن قتيبـة : (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) أي فـي الـزوج أي يخلقكم في بطون الإناث وقال : ويكون (فِيهِ) فـي الـرحم وفيـه بعد لأن الرحم مؤنثة ولم يتقدم لها ذكر.

منهج في الصفات

س: قولـه تعـالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾). يوضـح منهجًا في الصفات اذكره بإيضاح مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن معنـى الآيـة الكريمـة فحاصـله ليس كربنـا سبحانه وتعـالى شيء أي أنـه ﷻ لا يشبهه شـيءٌ، ومـع ذلك فهو سميع بصير، سميع لما ينطق به الخلق، بصير بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ) فيه وجهان: أحدهما أن يكون معنـاه: لـيس هـو كشـيء، وأدخـل المثـل فـي الكـلام توكيـدا للكـلام إذا اختلـف اللفظ بـه وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل:

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه

فأدخـل علـى «مـا» وهـي حـرف جحـد «إن» وهـي أيضًـا حـرف جحـد، لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام، وكما قال أوس بن حجر:

وقتلـى كمثـل جـذوع النخيـل ... تغشـاهم مسـبل منهمـر

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل، وكما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم في النـاس من أحد

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شـيء، وتكـون الكـاف هـي المدخلـة في الكلام، كقول الراجز:

وصاليات كَكَمَا يُؤَثْفَيْنَ

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه، وكما قال الآخر:

تنفي الغياديق على الطريق قلص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع «عن»، وقد بينا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع.

وقوله: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾) يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محص صغيره وكبيره (وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ) [الجاثية: ٢٢] من خير أو شر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له، (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. (ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾) يرى دبيب النملة السوداء، في

الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) وعلى المعطلة في قوله: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾) قيل : إن الكاف زائدة للتوكيد أي ليس مثله شيء قال :

وصاليات كَكُمَا يُؤَثْفَيْنَ

فأدخل على الكاف كافا تأكيدا للتشبيه وقيل : المثل زائدة للتوكيد وهو قول ثعلب كهو شيء نحو قوله تعالى : (فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟) [البقرة : ١٣٧] وفي حرف ابن مسعود: (**فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا**) قال أوس بن حجر :

وقتلى كمثل جذوع النخـ ـيل يغشاهم مطر منهمر

*** أما عن المنهج الذي توضحه الآية في باب الصفات فحاصله:**

أننا نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ مع نفي المشابهة، أي: لا نشبهه سبحانه وتعالى بخلقه.

فنعتقد أن لله عَزَّ وَجَلَّ يدٌ ولكنها ليست كيد خلقه.

قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال تعالى: (بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ) **[المائدة: ٦٤]**.

وكذا نعتقد أن الله ﷻ سميع يسمع وبصير يرى، ولكن ليس سمعه كسمعنا وليس بصره كبصرنا.

فنحن البشر نرى مَن أمامنا ولا نرى من خلفنا، ولا من عن يميننا ولا من عن يسارنا ولا من فوقنا، ونرى لأمدٍ محددٍ لا تتجاوزه أبصارنا لكن ربنا يرى الخلائق أجمع، ويرى ما هو ظاهر لنا، وما هو خفي علينا، وهكذا يرى من في السموات ومن في الأرض، وكذا يسمع ولكن سمعه ليس كسمعنا فنحن نسمع إذا تكلم أمامنا شخصٌ أما إذا تكلم شخصان أشكل علينا السماع شيئًا ما.

أما إذا تكلم أمامنا عشرة أشخاص في آنٍ واحد فيستحيل أن نفهم مراد كل واحد منهم، فكيف إذا تكلم ألف وكيف إذا تكلم مليون وكيف إذا تكلمت الخلائق أجمع؟!

إن ربي ﷻ يسمع كل هؤلاء وإن تكلموا في آنٍ واحد، فالله يسمع، لكن سمعه ليس كسمع خلقه.

قال تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١) **[الشورى: ١١]**، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢).

ج: المعنى، والله أعلم، له مفاتيح خزائن السموات والأرض يوسع على من يشاء من عباده ويضيق على من يشاء إنه بكل شيء عليم، عليم بمن

يصلحه المال وبمن يُطغيه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره. (إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢) يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقتيره على من يقتر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صلاح تدبير خلقه.

يقول تعالى ذكره: فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا، وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التي لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) تقدم تفسيره في «سورة الزمر»، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما، (يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ) أي: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام، (إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢)﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله: (لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ) أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى اللّه، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء.

واللّه تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ) **[فاطر: ٢]**.

ولهذا قال هنا: (يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ) أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، (وَيَقْدِرُۚ) أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: (إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾) فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

مقاليد السموات والأرض هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها إقليد، وجمعها مقاليد على غير قياس، والإقليد المفتاح. وقيل: واحدها مقليد، وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه جلَّ وعلا (لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ) أي مفاتيحهما كناية عن كونه جلَّ وعلا هو وحده المالك لخزائن السماوات والأرض لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

وقد ذكر جلَّ وعلا مثل هذا في سورة الزمر في قوله تعالى: (ٱللَّهُ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

وما دلت عليه آية الشورى هذه وآية الزمر المذكورتان من أنه جلَّ وعلا هو مالك خزائن السماوات والأرض، جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾) [المنافقون:٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾) [الحجر:٢١].

وبيَّن في مواضع أخر أن خزائن رحمته لا يمكن أن تكون لغيره، كقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾) [ص:٩]، وقوله تعالى: (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾) [الطور:٣٧]، وقوله تعالى: (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا)[الإسراء: ١٠٠].

وقوله في هذه الآية الكريمة: (يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ) جاء معناه موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ) [سبأ: ٣٩]. وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) [سبأ:٣٦]، وقوله تعالى: (ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) [الرعد:٢٦]، وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ) [النحل:٧١]، وقوله تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ) [الزخرف:٣٢]، وقوله تعالى: (إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) [النساء:١٣٥]، وقوله تعالى: (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ) [الطلاق:٧]، وقوله تعالى: (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ) [الطلاق:٧] أي ضيق عليه رزقه لقلته،

وكذلك قوله (يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ) في الآيات المذكورة.

أي يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر، أي يضيق الرزق على من يشاء تضييقه عليه كما أوضحناه في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: (فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) [الأنبياء:٨٧].

وقد بيَّن جلَّ وعلا في بعض الآيات حكمة تضييقه للرزق على من ضيقه عليه.

وذكر أن من حكم ذلك أن بسط الرزق للإنسان، قد يحمله على البغي والطغيان كقوله تعالى: (۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾) [الشورى:٢٧]، وقوله تعالى: (كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ۞) [العلق:٦-٧]

قال الله تعالى:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾.

[الشورى: ١٣-١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿شَرَعَ -وَصَّىٰ -أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ -كَبُرَ -يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ -يُنِيبُ -بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ -مُرِيبٖ - فَلِذَٰلِكَۖ فَٱدۡعُۖ -لَا حُجَّةَ -يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ -حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ -وَٱلۡمِيزَانَۗ -مُشۡفِقُونَ - يُمَارُونَ -ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(شَرَعَ)	سنَّ - فرض
(وَصَّىٰ)	أمر
(أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ)	اعملوا بما ألزمكم الله به
(كَبُرَ)	شقَّ - عَظُمَ - اشتد
(يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ)	يختار
(يُنِيبُ)	يرجع (إلى ربِّه) يُقبل على طاعة الله ويرجع إليها
(بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ)	حسدًا وعداوة وتعديًا (من بعضهم على بعض)
(مُرِيبٖ)	مُحيِّر
(فَلِذَٰلِكَۖ فَٱدۡعُۖ)	فإلى الدِّين الذي أوصى الله به من كانوا قبلك فادع
(لَا حُجَّةَ)	لا خصومة
(يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ)	يجادلون في الله ﷻ وفي الدين الذي أرسل به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه

(حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ)	خصومتهم باطلة - ما يحتجون به باطل ذاهب ليس بمقبول وليس بمجدٍ
(وَٱلْمِيزَانَ)	العدل
(مُشْفِقُونَ)	ودلون من مجيئها - خائفون
(يُمَارُونَ)	يخاصمون - يجادلون
(ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ)	بُعد وجور عن طريق الحق بعيدون عن الصواب

س: ما الذي وصى به ربُّنا ﷻ نوحًا والأنبياء المذكورين عليهم السلام.

ج: هو الذي ذكره الله ﷻ في الآية الكريمة (أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ) أي: اعملوا بتعاليم دينكم واثبتوا على توحيد ربكم ﷻ.

ومما وصى الله به وأمر توحيدُه ﷻ كما قال تعالى:

* (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾). [الأنبياء: ٢٥]

* **وكما قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

* **وكما قال تعالى:** (ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾) [النحل: ١٢٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (❁ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ..﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (۞ شَرَعَ لَكُم) ربكم أيها الناس (مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا) أن يعمله (وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ) يقول لنبيه محمد □: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به (وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ) يقول: شرع لكم من الدين، أن أقيموا الدين (فأن) إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن (مَا) التي في قوله: (مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾. ويجوز أن تكون في موضع خفض ردًّا على الهاء التي في قوله: (بِهِۦ)، وتفسيرًا عنها، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين. وإذ كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لهذه الأمة: (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآخرهم وهو محمد □، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: (وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ) الآية [الأحزاب:٧]. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾) [الأنبياء:٢٥]. وفي الحديث:

«**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة:٤٨]؛ ولهذا قال هاهنا: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أي: وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء، عليهم السلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا) فيه مسألتان :

الأولى : قوله تعالى : (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا) أي الذي له مقاليد السموات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله تعالى : (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] وقد تقدم القول فيه ومعنى (شرع) أي نهج وأوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سنَّ والشارع : الطريق الأعظم وقد شرع المنزل إذا كان على طريق نافذ وشرعت الإبل إذا أمكنتها من الشريعة وشرعت الأديم إذا سلخته وقال يعقوب : إذا شققت ما بين الرجلين قال : وسمعته من أم الحمارس البكرية وشرعت في هذا الأمر شروعا أي خضت : (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (أَنْ) في محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحًا أن أقيموا الدين ويوقف على هذا الوجه على (عيسى) وقيل : هو نصب أي شرع لكم إقامة الدين وقيل : هو جر بدلا من الهاء

في (به) كأنه قال : به أقيموا الدين ولا يوقف على (عيسى) على هذين الوجهين ويجوز أن تكون (أن) مفسرة مثل : أن امشوا فلا يكون لها محل من الإعراب.

الثانية : قال القاضي أبو بكر بن العربي : ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الكبير المشهور : «**ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقولون له: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**...» وهذا صحيح لا إشكال فيه كما أن آدم أول نبي بغير إشكال لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وإنما كان تنبيهًا على بعض الأمور واقتصارًا على ضرورات المعاش وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحدًا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد ﷺ فكان المعنى: أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح الأعمال والزلف إليه بما يرد القلب والجارحة إليه والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنى والأذية للخلق كيفما تصرفت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات فهذا كله مشروع دينًا واحدًا وملة متحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلف أعدادهم وذلك

قولـه تعـالى : (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أي اجعلـوه قائمـا يريـد دائمًـا مستمرًّا محفوظًا مستقرًّا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفَّـى بـذلك ومـنهم مـن نكـث (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) [الفـتح : ١٠] واختلفـت الشـرائع وراء هـذا فـي معـانٍ حسـبما أراده الله ممـا اقتضـت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم قال مجاهد : لـم يبعـث الله نبيًّـا قـط إلا وصـاه بإقامـة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينـه الـذي شـرع لهم وقالـه الـوالبي عن ابـن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة : يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم : تحريم الأمهات والأخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الأقوال ويزيد عليها وخصَّ نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى بالذكر؛ لأنهم أرباب الشرائع.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ولا تختلفوا في أمور دينكم كما اختلف من كـان قـبلكم، والحمـد لله فـنحن كمسـلمين نـدين لله ﷻ وحـده بالإلهيـة والربوبيـة وبأنـه ربُّ النـاس ملك النـاس إلـه النـاس، ولا نجعل لـه شـريكًا، كـذلك بأننـا نـؤمن بالكتـب التـي أنزلهـا الله جميعهـا وكـذلك بكـل رسـل الله وأنبيائه.

وفي الآية حثٌّ على الاجتماع وتحذير من الفرقة والاختلاف.

كمـا قـال تعـالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾) [آل عمران: ١٠٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ) يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن الفرقة والاختلاف.

ج: قد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة آل عمران، وقال الشنقيطي هاهنا في «أضواء البيان» عند تفسيره لسورة الشورى:

قوله تعالى: (وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ).

الضمير في قوله: (فِيهِۚ)، راجع إلى الدين في قوله: (أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ).

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الافتراق في الدين، جاء مبينا في غير هذا الموضع، وقد بين تعالى أنه وصى خلقه بذلك، فمن الآيات الدالة على ذلك، قوله تعالى: (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ) الآية [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣) [الأنعام:١٥٣]، وقد بين تعالى في بعض المواضع أن بعض الناس لا يجتنبون هذا النهي، وعددهم على ذلك كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩) [الأنعام:١٥٩]؛ لأن قوله: (لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ) إلى قوله: (يَفۡعَلُونَ ١٥٩) فيه تهديد عظيم لهم.

وقوله تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: (وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤) [المؤمنون:٥٢-٥٤].

فقوله: (وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ) أي: إن هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد، وربُّكم واحد فلا تتفرقوا في الدين.

وقوله جلَّ وعلا: (فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ) دليل على أنهم لم يجتنبوا ما نهوا عنه من ذلك.

وقوله تعالى: (فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤) فيه تهديد لهم ووعيد عظيم على ذلك. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣) [الأنبياء: ٩٢-٩٣]، فقوله تعالى: (كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣) فيه أيضًا تهديد لهم ووعيد على ذلك وقد أوضحنا تفسير هذه الآيات في آخر سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ) الآية.

وقد جاء في الحديث المشهور: افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن الناجية منها واحدة، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: شقَّ وصعب على أهل الشرك أن يقولوا لا إله إلا الله وأن يعتقدوا ذلك فقد قالوا: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥) [ص: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد

: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ) أي عظم عليهم (مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد ورفض الأوثان. قال قتادة : كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز و جل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناوأها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) أي: شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ).

بين جل وعلا أنه (كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ) أي: شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولعظم ذلك ومشقته عليهم، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجتهدون في عدم

سماعه لشدة كراهتهم له، بل يكادون يبطشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها.

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد □.

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم نوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى: (۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ) [يونس:٧١]، وقوله تعالى عن نوح: (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾) [نوح:٧]، فقوله تعالى: (جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ) يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهتهم لما يدعوهم إليه نوح، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به.

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمدا □ في آيات من كتابه كقوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ) [الحج:٧٢]، فقوله تعالى: (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ)الآية، يدل دلالة واضحة، على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات.

وكقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ) [فصلت:٢٦].

وقوله تعالى في الزخرف: (لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾) [الزخرف: ٧٨]، وقوله تعالى في قد أفلح المؤمنون: (أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾) [المؤمنون:٧٠]، وقوله تعالى في القتال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٩]، وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الجاثية:٦-٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت:٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

واعلم أن هؤلاء الذين يكرهون ما أنزل الله، يجب على كل مسلم أن يحذر كل الحذر من أن يطيعهم في بعض أمرهم؛ لأن ذلك يستلزم نتائج سيئة متناهية في السوء، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٤-٢٨]، فعلى كل مسلم أن يحذر ثم يحذر ثم يحذر كل الحذر، من أن يقول للذين كفروا، الذين يكرهون ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر؛ لأن ذلك يسبب له ما ذكره الله في الآيات المذكورة، ويكفيه زجرًا وردعًا عن ذلك قوله ربه تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٧-٢٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يختار من عباده للإسلام من يشاء ومن يحب، ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما أرسل به نبيه ﷺ من أقبل على طاعة الله ورجع إلى التوبة بعد المعصية.

أي: أن من يسلك سبيل الهداية يوفقه الله لها وييسرها عليه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكما قال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [الليل: ٥-٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ أي: هو الذي يُقَدِّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يختار. والاجتباء: الاختيار؛ أي: يختار للتوحيد من يشاء. ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ أي: يستخلص لدينه من رجع

إليه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.

ولهذا قال: (أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ) أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. (وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ) أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابًا، وتكونون شيعًا يعادي بعضكم بعضًا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا

بالاجتماع لها وعدم التفرق.

(كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) أي: شق عليهم غاية المشقة؛ حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: (وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾) [الزمر: ٤٥]. وقولهم: (أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾) [ص: ٥].

(ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ) أي: يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

(وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾) هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدًا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: (يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ).

[المائدة: ١٦]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما تفرق أهل الكفر فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاءتهم به رسلهم، والوحي الذي

أوحاه الله إلى أنبيائه، وهذا التفرق منهم كان حسدًا من بعضهم لبعض وكراهيةً من بعضهم لبعض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابًا، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحًا، هو إقامة الدين الحق، وأن لا تتفرقوا فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ) قال ابن عباس : يعني قريشًا (إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ) محمد ﷺ وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر : (وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ) **[فاطر : ٤٢]** نبيًّا وقال في سورة البقرة : (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ) **[البقرة : ٨٩]** على ما تقدم بيانه هناك وقيل: أمم الأنبياء المتقدمين فإنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس أيضًا: يعني أهل الكتاب دليله في سورة المنفكين : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤﴾ **[البينة: ٤]**، فالمشركون قالوا : لم خص بالنبوة ! واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى (بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ) أي: بغيًا من بعضهم على بعض طلبًا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: (وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ) أي: إنما كان مخالفتهم

❁ ❁ ❁

للحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغيُ والعنادُ والمشاقة.

س: هل العلم يسبب التفرق والاختلاف؟

ج: نعم قد يُحدث العلم اختلافًا، بل يحدثه في كثير من الأحيان، وذلك على سبيل المثال أن يكون الناس كلهم على ضلالٍ فيأتيهم أحدهم بشيءٍ من أمر الله ﷻ أو أمر رسوله ﷺ فيتبعه أقوامٌ ويأبى آخرون، إذ الله قال: (فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧) [الشورى: ٧]، وقال: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) [التغابن: ٢]، فحينئذٍ، وبعد مجيء البينات والعلم تحدث الفرقة والاختلاف، كما قال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤) [البينة: ٤]، وكما قال: (وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ) [الشورى: ١٤]، وكما قال: (وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ) [البقرة: ٢١٣]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكلمة التي سبقت من ربك؟

ج: المراد بالكلمة هنا هي كلمة الله ﷻ التي قضى بها وقدَّر، فقد كتبت المقادير وقُدِّرت قبل أن تُخلق.

والكلمة هنا تحتمل أمرين، وكذا الأجل المسمى:

أحدهما: ولولا أن الله قضى عليهم في الدنيا أن يعيشوا زمانًا إلى أن تأتيهم آجالهم التي سماها الله وحدَّدها لهم لأنزل الله عليهم عذابه وبأسه

ولحكم للمحق بأنه محق وأكرمه، ولحكم على المبطل بأنه مبطل وعذبه عاجلًا غير آجل.

الثاني: ولولا أن الله ﷻ قضى وقدَّر أن يكون الحساب يوم القيامة، وكذا فصل القضاء لعجل بعقوبتهم في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) يقول جلَّ ثناؤه: ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى، وذلك الأجل المسمى فيما ذكر: يوم القيامة.

وقوله: (لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ) يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحًا من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحق عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ) في تأخير العقاب عن هؤلاء (إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) قيل : القيامة لقوله تعالى : (بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ) [القمر : ٤٦]، وقيل : إلى الأجل الذي قضى فيه بعذابهم (لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ) أي بين من آمن وبين من كفر بنزول العذاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: (وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) أي: لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعًا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) أي: بتأخير العذاب القاضي (إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ) ولكن حكمته وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم. (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ) أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفًا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم (لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾) أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكًّا وارتيابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.

❁ ❁ ❁

س: في الآية دليلٌ على أن الأمور مقدرة، وضح ذلك.

ج: نعم دلَّت الآية الكريمة على أن الأمور مقدرة، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ مفاده أن الله عَزَّ وَجَلَّ قضى أمورًا تحدث في أوقات حدَّدها وسماها قبل أن يخلق الخلق ولولا هذا لفُصل بين العباد في الدنيا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى الذين جاءوا من بعد القرون المختلفة في دينها، لفي شكٍ من الدين الذي أوصى الله به نوحًا والأنبياء من بعده، في شك مُحير. وقيل: لفي شك من الكتاب الذي أنزله الله مُريب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ) يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحق كتابه التوراة والإنجيل. (لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤) يقول: لفي شك من الدين الذي وصى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) يريد اليهود والنصارى (مِنۢ بَعۡدِهِمۡ) أي من بعد المختلفين في الحق (لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤) من الذي أوصى به الأنبياء والكتاب هنا التوراة والإنجيل وقيل : (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) قريش (مِنۢ بَعۡدِهِمۡ) من بعد اليهود والنصارى (لَفِي شَكّٖ) من القرآن أو من محمد وقال مجاهد : معنى (مِنۢ بَعۡدِهِمۡ) من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهو اليهود والنصارى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ) يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذّب للحق (لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤) أي: ليسوا على يقين

من أمرهم، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد.

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن رسول الله ﷺ كان على طريق مستقيم، فلماذا قيل له: (وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ)؟

ج: المراد، والله أعلم، اثبت على طريق الاستقامة الذي أنت عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ) أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ بنفسك (كَمَآ أُمِرۡتَۖ) أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ (الكتاب) في قوله تعالى: (وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ)؟

ج: المراد: جنس الكتب التي أنزلها الله، أي عموم الكتب كصحف إبراهيم وموسى، وكالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وعموم ما أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ).

ج: المعنى، أن الله ﷻ أمرني بالعدل بينكم إذا حكمت فلا أحابي ضعيفًا لضعفه ولا غنيًّا لغناه.

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) قال: أُمر نبي الله □ أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ).

ج: المعنى، والله أعلم، لنا ثواب أعمالنا التي عملناها ولكم جزاء أعمالكم، فالكل سيجازى بعمله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ...﴾.

ج: أوجز الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ القول في هذه الآية وركَّزه إذ قال:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسه-قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضًا عشرة فصول كهذه.

فقوله: (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ) أي: فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به

جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم، فادعُ الناس إليه.

وقوله: (وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ) أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله، كما أمرك الله ﷻ.

وقوله: (وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ) يعني: المشركين فيما اختلقوه، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان.

وقوله: (وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ) أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم.

وقوله: (وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ) أي: في الحكم كما أمرني الله.

وقوله: (ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ) أي: هو المعبود، لا إله غيره، فنحن نقر بذلك اختيارًا، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا، فله يسجد من في العالمين طوعًا واختيارًا.

وقوله: (لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ) أي: نحن برآء منكم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١﴾ [يونس:٤١].

وقوله: (لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ) قال مجاهد: أي لا خصومة. قال السدي: وذلك قبل نزول آية السيف. وهذا مُتَّجَهٌ لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة.

وقوله: (ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ) أي: يوم القيامة، كقوله: (قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦) [سبأ:٢٦].

وقوله: (وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥) أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

ونحوه ذكره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قبل الحافظ ابن كثير.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فإلى ذلك، فوضعت اللام موضع إلى، كما قيل: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥) [الزلزلة: ٥]، وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك، في قوله: (فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ) إلى معنى هذا، ويقول: معنى الكلام: فإلى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه، غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام، لأنه في سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه إلى غيره.

وقوله: (وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ) يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه.

(وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ).

يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف

إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض.

وقوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ) يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه.

وقال أيضًا:

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ) فقال بعض نحويي البصرة: معناها: كي، وأمرت كي أعدل؛ وقال غيره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل، والأمر واقع على ما بعده، وليست اللام التي في لأعدل بشرط؛ قال: (وَأُمِرْتُ) تقع على (أن) وعلى (كي) واللام أمرت أن أعبد، وكي أعبد، ولأعبد. قال: وكذلك كل من طالب الاستقبال، ففيه هذه الأوجه الثلاثة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعدل، لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم.

وقوله: (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ) يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل.

(لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ).

يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.

وقوله: (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ) يقول: لا خصومة بيننا وبينكم

ثم قال: وقوله: (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ) يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة،

فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه. ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

❁ ❁ ❁

س: من هؤلاء الذين حاججوا في الله من بعد ما استجيب له؟ وما صورة هذه المحاججة؟

ج: هم أهل الشرك، وكذا اليهود والنصارى، وقد كان قومٌ قبل هؤلاء حاججوا في الله أيضًا.

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ **[الأنعام: ٨٠]**.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ **[البقرة: ٢٥٨]**.

أما أهل الشرك فحاججوا رسول الله ﷺ في الله وجادلوا في وحدانيته وقضائه وقدره وأنكروا بعثه للعباد يوم المعاد، وكذا اليهود والنصارى حاججوا في الله، فمنهم من ادعى لله الولد ومنهم من قال كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم..

أما قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: من بعد ما آمن الناس وأسلموا، أراد أهل الكفر أن يرجع المسلمون عن دينهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

ونقل بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ)..... الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ) رجع إلى المشركين (مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ) قال مجاهد : من بعد ما أسلم الناس قال : وهؤلاء قد توهموا أن الجاهلية تعود وقال قتادة : الذين يحاجون في الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الأنبياء وكان المشركون يقولون : (أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣) [مريم : ٧٣]، فقال الله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى -متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به-: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ) أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى، (حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ) أي: باطلة عند الله، (وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ) أي: منه، (وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦) أي: يوم القيامة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن ما يحتجون به باطل وذاهب وليس له

وجه ولا أساس ولا ثواب عند الله يوم القيامة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي لا ثبات لها كالشيء الذي يزل عن موضعه والهاء في (لَهُۥ) يجوز أن يكون لله عز و جل أي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له بالوحدانية ويجوز أن يكون للنبي ﷺ أي من بعد ما استجيب محمد ﷺ في دعوته من أهل بدر ونصر الله المؤمنين يقال : دحضت حجته دحوضًا بطلت وأدحضها الله والإدحاض : الإزلاق ومكان دَحْض ودَحَض أيضًا (بالتحريك) أي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت (وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ) يريد في الدنيا (وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦) يريد في الآخرة عذاب دائم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ).

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي أنزل عموم الكتب (منها صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن)، وكذا عموم الكتب، أنزلها الله محتوية على الحق متضمنة له، وكذا فإنزالها من عند الله بالحق، وليست للهو ولا للعبث ولا للعب، وكذا فإنه سبحانه أنزل الميزان كما قال تعالى: (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ) **[الحديد: ٢٥]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ) هذا (ٱلۡكِتَٰبَ) يعني: القرآن (بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ) يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف،

ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ) يعني القرآن وسائر الكتب المنزلة ﴿بِٱلْحَقِّ) أي: بالصدق (وَٱلْمِيزَانَ) أي العدل قاله ابن عباس وأكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل وقيل : الميزان ما بين في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به وقال قتادة : الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وهذه الأقوال متقاربة المعنى وقيل : هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل : إنه الميزان نفسه الذي يوزن به أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس قال الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥] قال مجاهد : وهو الذي يوزن به ومعنى أنزل الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) يعني: الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (وَٱلْمِيزَانَ) ، وهو: العدل والإنصاف، قاله مجاهد، وقتادة. وهذه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ) [الحديد:٢٥]، وقوله: (وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾) [الرحمن:٧-٩].

وقولـه: (وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) فيـه ترغيـب فيهـا، وترهيـب منها، وتزهيد في الدنيا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ).

بيَّن جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي أنزل الكتاب في حال كونه متلبسًا بالحق الذي هو ضد الباطل، وقوله: (ٱلۡكِتَٰبَ) اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية.

وقد أوضحنا في سورة الحج أن المفرد الذي هو اسم الجنس يطلق مرادًا به الجمع، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك مع الشواهد العربية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَٱلۡمِيزَانَۗ) يعني أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والإنصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية: هو آلة الوزن المعروفة.

ومما يؤيد ذلك أن الميزان مفعال، والمفعال قياسي في اسم الآلة.

وعلى التفسير الأول وهو أن الميزان العدل والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة الوزن المعروفة داخل فيه، لأن إقامة الوزن بالقسط من العدل والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب والميزان أوضحه في غير هذا الموضع كقوله تعالى في سورة الحديد: (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ).

[الحديد:٢٥]

فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله بالكتاب والميزان لأجل أن يقوم

الناس بالقسط، وهو العدل والإنصاف. وكقوله تعالى في سورة الرحمن: (وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾) [الرحمن:٧-٩].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ)، وقال في الحديد: (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ) [الحديد:٢٥].

وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا الإنزال، قال: (وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾) [الرحمن:٧]، ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾) [الرحمن:٩]، لأن الميزان الذي نهوا عن إخساره هو أخو المكيال، كما قال تعالى: ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ) [الشعراء:١٨١-١٨٣]، وقال تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾) [المطففين:١-٣]، وقال تعالى عن نبيه شعيب: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ الآية [هود:٨٤]، وقال تعالى عنه أيضا: (قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ) [الأعراف:٨٥]، وقال تعالى في سورة الأنعام: (وَأَوْفُوا۟

ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ) [الأنعام:١٥٢]، وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: (وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾) [الإسراء:٣٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) ولماذا قيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: (قريبة)؟

ج: المعنى، وما يُعلمك لعل وقت قيام الساعة يكون قريبًا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) فلم يخبره بها يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية والعمل بالشرائع قل أن يفاجئ اليوم الذي يكون فيه المحاسبة ووزن الأعمال فيوفى لمن أوفى ويطفف لمن طفف فـ(لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) أي منك وأنت لا تدري وقال : (قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت قاله الزجاج، والمعنى : لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي : (قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾) [الأعراف : ٥٦] قال الشاعر :

وكنا قريبا والديار بعيدة فلما وصلنا نصب أعينهم غبنا

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم يطلب أهل الشرك الذين يقولون: لا بعث - على سبيل التحدي والتعنت والاستبعاد والاستنكار - يطلبون قيام الساعة وتعجيل وقوعها كما ذكر تعالى: (وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾)

[ص: ١٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨]، وكذا ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: يقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سبأ: ٢٩]، وإنما يقولون ذلك تكذيبًا واستبعادًا، وكفرًا وعنادًا.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظنًّا منهم أنها غير جائية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأهل الإيمان والتصديق خائفون من الساعة ومما فيها من الأهوال العظام، وقد أيقنوا أن قيامها ومجيئها حق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: والذين صدقوا بمجيئها، ووعد الله إياهم الحشر فيها، ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: وجلون من مجيئها، خائفون من قيامها؛ لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحق اليقين، لا يمترون في مجيئها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا) أي: خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد في الطاعة؛ كما قال: (وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾) [المؤمنون: ٦٠]. (وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ) أي: التي لا شك فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا) أي: خائفون وجلون من وقوعها (وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ) أي: كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها.

وقد رُوي من طرق تبلغ درجة التواتر، في الصحاح والحسان، والسنن والمسانيد، وفي بعض ألفاظه؛ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بصوت جَهْوَرِيّ، وهو في بعض أسفاره فناداه فقال: يا محمد. فقال له النبي ﷺ نحوًا من صوته: «**هاؤم**». فقال: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**ويحك، إنها كائنة، فما أعددت لها؟**» فقال: حُب الله ورسوله. فقال: «**أنت مع من أحببت**»(١).

فقوله في الحديث: «**المرء مع من أحب**»، هذا متواتر لا محالة، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة، بل أمره بالاستعداد لها.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألا إن الذين يجادلون في قيام الساعة وفي وقوعها لفي تيهٍ وبعد عن الحق شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٤٠).

(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨) يقول: لفي جور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحق والرشاد، بعيد من الصواب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨) أي عن الحق وطريق الاعتبار إذ لو تذكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من ترب ثم من نطفة إلى أن بلغوا ما بلغوا قادر على أن يبعثهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي: يحاجّون في وجودها ويدفعون وقوعها، (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨) أي: في جهل بين؛ لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى، كما قال: (وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ) [الروم:٢٧] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ) عنادا وتكذيبا، وتعجيزا لربهم. (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا) أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفتهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: (وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ) الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي: بعد ما امتروا فيها،

ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها (لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) في غاية البعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد ممن كذب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار.

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولًا وأغزرهم علمًا، وأعظمهم فطنة وفهمًا.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾) [الشورى: ١٩-٢٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ – حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ – حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا – شَرَعُواْ – مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ – كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ – مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ – وَاقِعٞ – رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ – يَقۡتَرِفۡ – يَخۡتِمۡ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾	رحيم بهم - رفيق بهم - بارٌّ بهم، ذو لطفٍ بهم
﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	ثواب الآخرة
﴿حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾	الأجر الدنيوي - ثواب الدنيا
﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾	ما لم يشرعه الله، وما لم يأذن لهم في فعله ولا في ابتداعه
﴿كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾	الكلمة التي قضاها الله والقضاء الذي قدره أنه يؤخر حسابهم ليوم الفصل يوم القيامة
﴿مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾	خائفين من الجزاء على أعمالهم السيئة التي عملوها
﴿وَاقِعٞ﴾	نازل بهم - حالٌ بهم
﴿رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ﴾	المنتزه كثير الخضرة - الأماكن الفسيحة الخضراء
﴿يَقۡتَرِفۡ﴾	يعمل
﴿يَخۡتِمۡ﴾	يطبع

س: اذكر بمزيدٍ من الايضاح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله ذو لطفٍ بعباده وذو رحمةٍ بهم، ومن لطفه بهم ورفقه بهم ورحمته بهم في الدنيا أنه يرزقهم وإن كانوا كفارًا، وكذا لا يعاجلهم بالعقوبة بل يلتطف لهم بالإنذار والتحذير ويسوق إليهم العبر والبينات والدلالات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم. (وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ) الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾) في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحدًا منهم، سواء في رزقه البرّ والفاجر، كقوله تعالى: (۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾) **[هود:٦]** ولها نظائر كثيرة.

وقوله: (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ) أي: يوسع على من يشاء، (وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾) أي: لا يعجزه شيء.

أما القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد استفاض في ذلك:

قوله تعالى : (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ) قال ابن عباس : حفي بهم وقال عكرمة : بار بهم وقال السدي : رفيق بهم وقال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم وقال القرظي : لطيف بهم في

العرض والمحاسبة قال :

غدا عند مولى الخلق للخلق موقف يسائلهم فيه الجليل ويلطف

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : يلطف بهم في الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني : أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل : لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد : لطيف بأوليائه حتى عرفوه ولو لطف بأعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يئس من الخلق توكل ورجع إليه فحينئذٍ يقلبه ويقبل عليه وجاء في حديث النبي ﷺ : «**إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول جل وعز: أمحت آثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم العذاب**» قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه :

أمر بأفناء القبور كأنني أخو فطنة والثوب فيه نحيف

ومن شق فاه الله قدر رزقه وربي بمن يلجأ إليه لطيف

وقيل : اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبي ﷺ: «**يا من أظهر الجميل وستر القبيح**» وقيل : هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل : هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل : هو الذي لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله وقيل : هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال تعالى: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ) [النحل: ١٨]، ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان : ٢٠]، وقال :

(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨]، (يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ) [النساء : ٢٨]، وقيل : هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل : هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل : هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس آمله وقيل : هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل : هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل : هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجًا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجًا وقد مضى في (الأنعام) قول أبو العالية والجنيد أيضًا وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله (يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ) ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض إلى البعض : كما قال : (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) [الزخرف : ٣٢]، فكان هذا لطفا بالعباد وأيضا ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) [الفرقان : ٢٠] على ما تقدم بيانه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أنه (لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده -وخصوصًا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين،

ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصيته صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ) بحسب اقتضاء حكمته ولطفه (وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾) الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من كان يريد بعمله ثواب الله ﷻ له في الآخرة نكثر له من الثواب ونعظم له من الأجر ونعينه في الدنيا على صالح العمل ما دام يبتغي به وجه الله ﷻ، ومن كان يريد بعمله الدنيا فحسب ولا يرغب في ثواب الله ولا يرجوه فيأخذ من الدنيا ما كتبه الله له فيها وليس له في الآخرة من أجرٍ على عمله الذي عمله يبتغي به الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ) يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا) يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها. (وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠) يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا)... الآية، يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئًا إلا رزقًا قد فرغ منه وقسم له.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا)... إلى آخر الآية، قال: من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب، الحرث العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومن عمل للدنيا أعطاه الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ) أي: عمل الآخرة (نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ) أي: نقويه ونعينه على ما هو بصدده، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ

مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾) أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همَّة البتة بالكلية، حَرَمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة.

والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقيدة بالآية التي في «سبحان» وهي قوله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾) [الإسراء:١٨-٢١] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ) الحرث العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمر: واحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى : أي من طلب بما رزقناه حرثا لآخرته فأدى حقوق الله وأنفق في إعزاز الدين فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا إلى سبعمائة فأكثر (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا) أي طلب بالمال الذي آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات فإنا لا نحرمه الرزق أصلا ولكن لا حظ له في الآخرة من ماله قال الله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾) [الإسراء : ١٨ - ١٩] وقيل : (نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ) نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل : حرث الآخرة الطاعة أي من أطاع فله الثواب قيل :(نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ) أي نعطه الدنيا مع الآخرة وقيل : الآية في الغزو أي من أراد بغزوه الآخرة أوتي الثواب ومن أراد بغزوه الغنيمة أوتي منها قال القشيري : والظاهر أن الآية في الكافر يوسع له في الدنيا أي لا ينبغي له أن يغتر بذلك لأن الدنيا لا تبقى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ) أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها (نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ) بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى: (وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾) [الإسراء: ١٩]، ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

(وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا) بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. (نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا) نصيبه الذي قسم له، (وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾) قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾) [هود: ١٥].

❁ ❁ ❁

س: هل كل من يريد حرث الدنيا يؤته الله منها؟

ج: ليس كل من أراد الدنيا أُعطي ما يريده منها، بل الأمر راجع إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية الكريمة (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا) موضحة بقوله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾) [الإسراء: ١٨]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألهؤلاء المشركين آلهة غير الله شرعت لهم الشرك، وشرعت لهم الحلال والحرام، فأحلت ما حرمه الله، وحرمت ما أحله الله؟!!

إذا كان لهؤلاء آلهة على النحو المذكور، وأنها شريكة لله فأين هؤلاء الشركاء، فالحمد لله ليس لله شريك إنما هو إله واحد فمن أين أتى هؤلاء بباطلهم وبافتراءتهم، وإنما أتوا بذلك من قبل شياطين الإنس والجن التي عبدوها مع الله واتخذوها آلهة من دون الله.

هذا ولأن الله قدَّر عليهم أن يحاسبوا على صنيعهم يوم القيامة وقضى بذلك فلولا ذلك لعوجلوا بالعقوبة على شركهم وافترائهم، وعلى كلٍّ فالظالمون المشركون المفترون لهم عذاب يوم القيامة مؤلم مُوجع.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم في الدنيا ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه : (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾) يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قمَعَة يَجُر قُصْبَه في النار**»(١) لأنه أول من سيب السوائب. وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حَمَل قريشا على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه؛ ولهذا قال تعالى: (وَلَوْلَا

(١) البخاري (٤٩٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لعوجلوا بالعقوبة، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد، (وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾) أي: شديد موجع في جهنم وبئس المصير.

ثم قال تعالى: (تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ) أي: في عرصات القيامة، (وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ) أي: الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة، هذا حالهم يوم معادهم، وهم في هذا الخوف والوجل، (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ) فأين هذا من هذا: أين من هو في العَرَصَات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه، ممن هو في روضات الجنات، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ) أي ألهم ! والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله : (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا) [الشورى: ١٣] قوله تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ) [الشورى : ١٧] كانوا لا يؤمنون به فهل لهم آلهة شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله ! وإذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن أين يدينون به (وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ) يوم القيامة حيث قال : (بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) [القمر: ٤٦]، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة وأثاب الطائع (وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ) أي المشركين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾) في الدنيا القتل والأسر والقهر وفي الآخرة عذاب النار وقرأ ابن هرمز: (**وأن**) بفتح الهمزة على العطف على (وَلَوْلَا

كَلِمَةُ) والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب (وَلَوْلَا) جائز ويجوز أن يكون موضع (أن) رفعًا على تقدير : وجب أن الظالمين لهم عذاب أليم فيكون منقطعا مما قبله كقراءة الكسر فاعلمه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر (شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ) من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئا ما جاء عن الله ولا عن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وآباؤهم على الكفر.

(وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ) أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ...﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ترى أيها الناظر يوم القيامة أهل الكفر أهل الشرك أهل الظلم خائفين يوم القيامة مما اكتسبوه وفعلوه في دنياهم من سيئ الأعمال وجزائها السيئ والعذاب عليها، وهو لا محالة واقعٌ بهم أما

أهل الإيمان والعمل الصالح فهم في فسيح الجنات وروضات البساتين لهم ما يتمنونه وما يشتهونه، ذلك هو التفضل الكبير من الله عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ) يقول: وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. (وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ) يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ) يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة، وهي المكان الذي يكثر نبته، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض؛ ومنه قول أبي النجم:

والنغض مثل الأجرب المدجل حدائق الروض التي لم تحلل

يعني بالروض: جمع روضة. وإنما عنى جل ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم.

وقوله: (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم، ذلك هوالفضل الكبير، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كل نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : (تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ) أي خـائفين (مِمَّا كَسَبُواْ) أي من جزاء ما كسبوا والظالمون هاهنا الكافرون بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ) أي نازل بهم (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوۡضَـٰتِ ٱلۡجَنَّـٰتِۖ) الروضة : الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى في (الروم) (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ) أي من النعيم والثواب الجزيل (ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾) أي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته لأن الحق إذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال أقواها وأشهرها وعليها أكثر العلماء قول من قال:

قل يا رسول الله لأهل الشرك لا أسألكم على الإيمان والإسلام والقرآن واتباعي أجرًا وإنما أسألكم - إن لم تؤمنوا بي - ألا تؤذوني بل تصلوا القرابة والرحم التي بيني وبينكم فأنتم قومي وأقربائي فاحفظوا هذه القرابة ولا تؤذوني.

وقد أخرج البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سُئل عن قوله: (إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال:

إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[(١)].

وأخرجه الطبري من طرقٍ متعددة عن ابن عباس رضي الله عنهما منها طريق الشعبي عن ابن عباس، في قوله: (لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) قال: لك يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) سبب نزول؟

ج: أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح عن طاوس قال: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قول الله عز وجل: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) فقال سعيد بن جبير: قربى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ابن عباس: عجلت إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم قرابة فنزلت: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) - إلا ان تصلوا قرابة ما بيني وبينكم[(٢)].

إلا أن البخاري أخرج هذا الحديث بدون ذِكر سبب النزول.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها. (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة

---

(١) البخاري (٤٨١٨).

(٢) أحمد (٢٢٩/١).

من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاء، وعوضا من أموالكم تعطوننيه (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ). فقال بعضهم: معناه: إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم.

القول الثاني: ذكره الطبري فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تؤدُّوا قرابتي (١).

والثالث: ذكره الطبري أيضًا فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودَّدوا لى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة.

والقول الرابع: ذكره الطبري أيضًا فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتكم.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

---

(١) المراد: حق قرابتي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

وأورد جملة أقوال ثم قال:

والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حَبرُ الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس، كما رواه عنه البخاري، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذويه، رضي الله عنهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

فضائل آل بيت الرسول ﷺ

س: اذكر شيئًا من الوارد في فضل آل بيت رسول الله ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

قولـه تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣) [الأحزاب: ٣٣].

وما أخرجه مسلم[(١)] في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: خرج

(١) مسلم: (٢٤٢٤).

النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]».

وما أخرجه أحمد(١) بسندٍ صحيح لشواهده من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله غروه وذلوه لعنهم الله فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحمله في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: «**أين ابن عمك؟**». قالت هو في البيت. قال «**فاذهبي فادعيه وائتني بابنيه**». قالت فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في إثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره قالت أم سلمة: فاجتبذ من تحتي كساء خيبريا كان بساطًا لنا على المنامة في المدينة فلفه النبي ﷺ عليهم جميعا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه ﷻ قال: «**اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**». قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: « **بلى فادخلي في الكساء** ». قالت: فدخلت في الكساء بعدما

(١) أحمد (٦/٢٩٨).

قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم.

وما أخرجه الترمذي(١) بسندٍ صحيح، وهو عند مسلم مطولٌ واللفظ للترمذي من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه لما أنزل الله هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**».

وعند مسلم من طريق يزيد بن حيان(٢) قال: انطلقتُ أنا وحصين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرْقم فلما جلسنا إليه قال له حُصين: لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا؛ رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعتَ حديثه، وغزوتَ معه، وصليتَ خلفه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي لقد كَبِرتْ سِنِّي وقَدُمَ عهدي ونسيتُ بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتُكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكَلِّفونيه ثم قال: قام رسولُ الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّرَ ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأُجيب وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَين: أوَّلُهما كتابُ الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بَعْدَه قال: ومن هُم؟ قال: هم آل عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآل جعفرٍ

---

(١) الترمذي حديث (٢٩٩٩)، وهو عند مسلم مطول (صـ ١٨٧١).

(٢) مسلم (٢٤٠٨).

وآل عباسٍ. قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم.

وأخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح لغيره عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض جميعًا**»(١).

* ومن فضائل آل بيت رسول الله ﷺ أننا نصلي عليهم في صلاتنا، والأحاديث بذلك كثيرة جدًّا أذكر منها فقط حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، وقد لقي عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال له: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٢).

*** وقد صح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٣) أنه قال:** «ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته».

وصح عنه أيضًا أنه قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»(٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾).

ج: الظاهر، والله أعلم، أن معناها، ومن يعمل حسنة نضاعف له

(١) أحمد (١٨٩/٥).
(٢) البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).
(٣) البخاري (٣٧١٣).
(٤) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).

أجرها أضعافًا كثيرة، ونغفر لهم ذنوبهم فإن الله غفور يغفر لعباده زلاتهم وذنوبهم، شكور يشكر لهم طاعتهم إذا هم أطاعوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين (نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشرًا إلى ما شئنا من الجزاء والثواب.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣) إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه.

وأورد عن ابن زيد، بإسناد صحيح قال: غفر لهم الذنوب، وشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها، وجعلها فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) أي: ومن يعمل حسنة (نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) أي: أجرًا وثوابًا، كقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠) **[النساء: ٤٠]** .

وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة(السيئة) بعدها.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣) أي: يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أيقول هؤلاء الكفار على رسول الله ﷺ وينسبون إليه الكذب ويزعمون أنه افترى على الله كذبًا؛ فقل لهؤلاء: إن الله قادر إن فعلت ذلك أن يختم على قلبي وبعد ذلك يمح الباطل المفترى المتقول ويثبت الحق بما ينزله من كتاب، قادرٌ ربي على ذلك وعالم بما يدور في صدري إن فكرت في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: (ٱفْتَرَىٰ) محمد (عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ) فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقًا من قبل نفسه. وقوله: (فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ) يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك.

وقوله: (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه. (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ) التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته.

وقوله: (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) في موضع رفع بالابتداء، ولكنه حذفت منه الواو في المصحف، كما حذفت من قوله: (سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾) [العلق: ١٨]، ومن قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١]، وليس بجزم على العطف على يختم.

وقوله: (إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفى عليه من أمورهم

شيء، يقول لنبيه ﷺ: لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا، لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي أتيتك من وحيي، لأني أمحو الباطل فأذهبه، وأحق الحق، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ) أي: لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ) أي: لطَبَعَ على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾) [الحاقة:٤٤-٤٧] أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

وقوله: (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) ليس معطوفا على قوله: (يَخْتِمْ) فيكون مجزوما، بل هو مرفوع على الابتداء، قاله ابن جرير، قال: وحذفت من كتابته (الواو) في رسم المصحف الإمام، كما حذفت من قوله: (سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾) [العلق: ١٨]، وقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ﴾ [الإسراء:١١] .

وقوله: (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ) معطوف على (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ) أي: يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته، أي: بحججه وبراهينه، (إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: بما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل رجوع عبده إليه بعد أن كان العبد بعيدًا عن طريقه مُذنبًا مقترفًا للذنوب والآثام فإذا رجع فأبواب التوبة له مفتوحة والله يفرح برجوعه هذا، وكذا فإنه يعفوا عن سيئات من تاب وأذنب، وتختم الآية الكريمة بتحذير بقوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾) أي: لا تتمادوا فيما أنتم فيه من شر فالله يعلم جميع ما تفعلونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره (وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) يقول: ويعفو أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾) اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة **(يفعلون)** بالياء، بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده، وقرأته عامة قراء الكوفة: (تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾) بالتاء على وجه الخطاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الياء أعجب إلي، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر، وذلك قوله: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ) ويعني جلَّ ثناؤه بقوله: (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾) ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه، فاتقوا الله في أنفسكم، واحذروا

أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، كقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

وأورد بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الحث على التوبة

س: اذكر بعض الأحاديث المرغبة في التوبة وكذا التي مفادها أن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه، وكذا بعض الآيات.

ج: من الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فصلت: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

*** وينادي الله - سبحانه وتعالى - عباده كما في الحديث القدسي:** «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وقال تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

*** ولما قال الشيطان:** بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: «**فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**...» الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

استغفروني»[(١)].

* وينادي الله ﷻ عباده في الثلث الأخير من الليل: «من يستغفرني فأغفر له»[(٢)].

* وحث الله عباده على التوبة النصوح بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

* وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه، فقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* وبيَّن الله - سبحانه وتعالى - أنه يريد التوبة على عباده: فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤].

* وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

[الشورى: ٢٥].

فرح الله ﷻ بتوبة العبد

قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا

---

(١) أحمد (٣/٢٩).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١١/١٢٨)، ومسلم (٦/٣٦).

وجدها»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام[٢] أيضًا: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دَوِّيَّة[٣] مَهلَكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

وفي الصحيحين[٤] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاةٍ».

وفي لفظ لمسلم[٥]: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٢١٠٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعًا، وأشار إليه البخاري (٢٣٠٨).

(٣) الدَّوِّيَّة: هي الأرض القفر والفلاة الخالية.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).

مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾).

ج: في ذلك وجهان مشهوران:

أحدهما: أنه يستجيب بمعنى يُجيب كقوله تعالى: (فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ...﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فيكون المعنى: ويجيب الله ﷻ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى ما سألوه فيعطيهم ما سألوه وفوق ما سألوه.

فعلى سبيل المثال غاية ما كانت تتمناه أم موسى عليها السلام وهي حامل في ولدها أن يحفظ الله ولدها من شفار الذباحين من الفراعنة، فسلم الله لها ولدها وجعله يتربى تحت عينيها وبين ثدييها في بيت فرعون، فتشفع فيمن شاءت وتُهدى إليها الهدايا بسبب موسى عليه السلام.

الثاني: أن يستجيب عائدةٌ على أهل الإيمان، أي: أنهم يستجيبوا لربهم إذا أمرهم فإذا فعلوا ذلك زادهم الله من فضله كأن يشفعهم في مؤمنين، وكأن يُريهم وجهه الكريم يوم القيامة.

أما أهل الكفر فقد أُعد لهم العذاب الشديد، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض.

ثم قال:

وقوله: (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ) يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي

ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم.

وقال أيضًا:

وقوله: (وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦) يقول جل ثناؤه: والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: (وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) فقال بعضهم: أي استجاب فجعلهم هم الفاعلين، فالذين في قوله رفع والفعل لهم. وتأويل الكلام على هذا المذهب: واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به، والعمل بطاعته إذا دعاهم إلى ذلك.

وقال آخر منهم: بل معنى ذلك: ويجيب الذين آمنوا. وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما الرفع، بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا. والآخر ما قاله صاحب القول الذي ذكرنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: (وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) يكون (ٱلَّذِينَ) في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. وقد جاء في التنزيل (فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ) [آل عمران: ١٩٥]، والمعنى: فأجاب لهم ربهم، إلا أنك إذا قلت استجاب، أدخلت اللام في المفعول؛ وإذا قلت أجاب حذفت اللام، ويكون استجابهم بمعنى: استجاب لهم، كما قال جلَّ ثناؤه: (وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ) والمعنى والله أعلم: وإذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم (يُخۡسِرُونَ ٣) [المطففين: ٣]. قال: ويكون (ٱلَّذِينَ) في موضع رفع إن يجعل الفعل لهم، أي الذين آمنوا يستجيبون لله، ويزيدهم على إجابتهم، والتصديق به من فضله.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا
يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩ وَمَآ
أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ
٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ
رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا
كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ
٣٥ ﴾ [الشورى: ٢٧-٣٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَسَطَ –لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ –ٱلْغَيْثَ –قَنَطُواْ –وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ –ٱلْوَلِيُّ –ٱلْحَمِيدُ –بَثَّ – دَآبَّةٍۚ – بِمُعْجِزِينَ –ٱلْجَوَارِ –يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ –رَوَاكِدَ – صَبَّارٍ – شَكُورٍ – يُوبِقْهُنَّ –بِمَا كَسَبُواْ – يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا –مَّحِيصٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَسَطَ)	وسَّع
(لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ)	لَظَلَمَ بعضهم بعضًا ولتعدى بعضهم على بعض
(ٱلْغَيْثَ)	المطر
(قَنَطُواْ)	يئسوا
(وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ)	يُعم فضله على البلاد، وقيل: الرحمة هنا المطر، وهذا أصح. وقيل: إنها ظهور الشمس بعد اختفائها
(ٱلْوَلِيُّ)	الذي يتولى أمور الناس فيحسن إليهم ويتفضل عليهم ويتولى أهل الإيمان بعفوه ورحمته ونصره
(ٱلْحَمِيدُ)	الذي تحمده الخلائق، والمحمود في السراء والضراء
(بَثَّ)	فرَّق - نشر - خلق
(دَآبَّةٍۚ)	كل ما يدب في السماء والأرض، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وعموم الحيوانات والمخلوقات
(بِمُعْجِزِينَ)	بفائتين - بغالبين - لن يعجز ربكم عن إدراككم

(ٱلْجَوَارِ)	السفن الجارية في البحر
(يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ)	يجعلها ساكنة لا تتحرك
(رَوَاكِدَ)	ساكنة لا تتحرك - مستقرة
(صَبَّارٍ)	ذو صبر على طاعة الله وعلى بلائه واختباره
(شَكُورٍ)	ذو شكر لنعم الله
(يُوبِقْهُنَّ)	يُهلكهن
(بِمَا كَسَبُوا۟)	بسبب كسبهم السيئ ومعاصيهم
(يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا)	يخاصمون في الدلائل والمعجزات وينكرونها ويكذبون بها
(مَّحِيصٍ)	محيد - مهرب - مفر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (❁ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو وسع الله على العباد في الأرزاق فأعطاهم فوق احتياجاتهم لبغى بعضهم على بعض، لتطاول بعضهم على بعض ولظلم بعضهم بعضًا ولكنه سبحانه ينزل من الأرزاق في كثيرٍ من الأحيان ما تستقيم به أمورهم وتسمو به أخلاقهم إنه سبحانه ذو بصر بعباده وذو خبرةٍ بهم، يراهم ويعلم ما يدور في نفوسهم وما تؤول إليه أمورهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحد الذي حده الله لهم إلى غير الذي حده لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: (۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) **سبب نزول؟**

ج: أخرج الطبري بسندٍ صحيح إلى أبي هانئ، وهو حميد بن هانئ الخولاني قال:

سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: (۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ) ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا.

❁ ❁ ❁

الغنى في كثير من الأحيان يسبب الطغيان

س: اذكر بعض الآيات في معنى الآية الكريمة: (۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ).

ج: من الآيات التي في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ﴾ [الإسراء: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨].

بعض صور البغي

س: هل صور البغي التي يقع فيها الناس بسبب بسط الرزق محصورة في تعدي بعضهم على بعض وظلم بعضهم لبعض؟

ج: هي أوسع من ذلك:

فمن صور بغيهم: تعدي بعضهم على بعض وتطاول بعضهم على بعضهم وانتهاك بعضهم لحرمة بعض.

ومن صور بغيهم: تركهم سؤال الله ﷻ واستغناؤهم عنه.

ومن صور بغيهم: أن الرجل إذا وسع عليه حسده الآخرون وتسلطوا عليه.

ومن صور بغيهم: أن بعضهم لن ينقاد لبعض وحينئذ إذا لم ينقاد بعضهم لبعض تتعطل مصالح العباد.

ومن صور بغيهم: طلبهم أكثر وأكثر فيطلبون دابة بعد دابة ومركبًا بعد مركب وملبسًا بعد ملبس ومسكنًا بعد مسكن، فلو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر وأكثر كما في الحديث: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا**»(١).

ومن صور بغيهم: تنافسهم في الدنيا وانشغالهم عن الذكر.

---

(١) البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (٧٢٥).

ومن صور بغيهم: ارتكابهم المعاصي والكبائر بما معهم من أموال إلى غير ذلك من صور البغي، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ).

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ **[الحجر: ٢١]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل المطر من السماء لنفع البلاد والعباد بعد قطعه عنهم زمانًا حتى يئسوا من نزوله كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ **[الروم: ٤٩]**.

فيتفضل الله عليهم بإنزاله ويعمم إنزاله فيشمل المطر البلاد عمومًا فيعم الخير، فهو الذي يتولى عباده بإحسانه وتفضله عليهم ورحمته بهم وهو المحمود في كل حال وبكل لسان وفي كل مقام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس (مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ) يقول: من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه. (وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ) يقول: وينشر في خلقه رحمته، ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السماء.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾) يقـول: وهـو الـذي يلـيكم بإحسـانه وفضله،الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته على البعث وإحياء الأنفس بعد موتها خلقه سبحانه وتعالى للسموات والأرض وما فرَّق بينهما ونشر من مخلوقات، فالذي خلق ذلك قادرٌ على جمعهم يوم القيامة بلا شك، فكما قال تعالى: (لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) [غافر: ٥٧].

وكما قال سبحانه: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ).

[الروم: ٢٧]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، (خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ)، يعني وما فرق في السموات والأرض من دابة.

وقال أيضًا: (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾) يقول: وهو على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم في القبور.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا) أي: ذرأ فيهما، أي: في السموات والأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍۚ) وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسموات، (وَهُوَ)مع هذا كله (عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾) أي: يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾).

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، وما أصبتم به أيها الناس من مصائب فسببها ما فعلتموه من المعاصي وما ارتكبتموه من الآثام ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يؤاخذكم بكل ما يصدر منكم، بل يتجاوز لكم عن كثير من ذنوبكم ومعاصيكم لا يؤاخذكم بها، وإلا فلو آخذكم لأهلككم جميعًا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم

ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

وقال آخرون: بل عني بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحد حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول: فيما عملتم من معصية الله ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ فلا يوجب عليكم فيها حدًّا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ) أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم (وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠) أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، (وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ) [فاطر: ٤٥] وفي الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا هم ولا حزَن، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه، حتى الشوكة يشاكها**»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون (وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ) [فاطر: ٤٥] وليس إهمالًا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزًا.

---

(١) البخاري (٥٦٤٠)، و(٥٦٤١)، و(٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، (٢٥٧٤) وغيرهما، بنحوه وله طرق.

❁ ❁ ❁

بعض صور المصائب - عافانا اللّه -

س: اذكر بعض صور تلك المصائب.

ج: من هذه المصائب ـ عافانا الله منها ـ ما يلي:

* الضُّرُّ في الأبدان كالأمراض والأسقام والجروح والأوجاع التي يصاب بها العباد.

* قلة الأموال كالتضييق في الأرزاق، والخسارة في التجارات، والحريق الذي يلتهم كل شيء ونحو ذلك.

* الحدود التي تقام على العباد من جراء كبائرهم التي ارتكبوها وجرائمهم التي اجترموها.

* اختلاف العقول وقلة الأفهام وذهاب العلم.

* الفضائح التي يفتضح بها أقوام في الناس.

* تسلط الأعداء والشراذم على الشخص.

* تمرد الأبناء والبنات والزوجات.

* الهموم والأحزان والغموم التي تصيب البشر.

* نسيان القرآن وفقدان الرفقة الصالحة والحرمان من فعل الخير.

* استحواذ الشيطان على الشخص وتغير القلوب وانتكاسها إلى غير ذلك من المصائب ـ عافانا الله والمسلمين منها.

❁ ❁ ❁

س: هل تلك الابتلاءات التي تحل بالصالحين تكون بذنوب ارتكبوها، وهل ما أصاب الأنبياء عليهم السلام كأيوبَ وسائر الأنبياء كان بذنوبٍ ارتكبت؟ وإلا فكيف الجمع بين ما حدث لهم وبين الآية الكريمة (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ)؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن هذه الابتلاءات التي يُبتلى بها الصالحون إنما ابتلوا بها لرفعة درجاتهم وعلوم منزلتهم.

قال تعالى: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١).

[محمد: ٣١]

وقال رسول الله ﷺ وقد سئل عن أشد الناس بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه**»(١).

وقال ابن مسعود لرسول الله ﷺ: إنك لتوعك وعكًا شديدًا. قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»، قلت: إن ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «**أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: هل هذه المصائب كفارات للذنوب أم لا؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

---

(١) الترمذي (٢٣٩٨)، وله شواهد يصح بها.

(٢) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

ما أخرجه البخاري[١] من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنها، حتى الشوكة يشاكها**».

وأخرج[٢] أيضًا عن أبي سعيد الخدريِّ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلم من نَصب ولا وَصَب ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذًى ولا غمٍّ - حتى الشوكة يُشاكها - إلا كفَّر الله بها من خطاياه**».

وأخرج[٣] أيضًا من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع: تفيؤها الريح مرة، وتعدلها مرة. ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة**».

ونحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع: من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء**»[٤].

فالأمراض والابتلاءات إذن علامة خير، قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يُصب منه**»[٥].

* **وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:** لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة**

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).
(٢) البخاري (حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).
(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٣).
(٤) البخاري (حديث ٥٦٤٤).
(٥) البخاري (حديث ٥٦٤٥).

ينكبها، أو الشوكة يشاكها»[(١)].

* وأخرج أيضًا[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دَخَلَ على أم السائب - أو أم المسيب - فقال: «**ما لك يا أم السائب** - أو **يا أم المسيب - تزفزفين**»[(٣)]. قالت: الحمى، لا بارك الله فيها: فقال: «**لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**».

وأخرج مسلم[(٤)] من طريقه:

عن الأسود، قال: دخل شباب من قريش على عائشة، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ على طُنُب[(٥)] فسطاط، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا: فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**».

أخرج البخاري[(٦)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يَعودُه، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مريض يعوده قال له: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» قال: قلتَ: طهور؟ كلا، بل هي حُمى تفور - أو تثور- على شيخ كبير، تُزيرُه القبور، فقال النبي ﷺ: «**فنَعَم إذًا**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٤).
(٢) مسلم (حديث ٢٥٧٥).
(٣) تزفزفين: أي ترعدين.
(٤) مسلم (حديث ٢٥٧٢).
(٥) الطنب: هو الحبل الذي يربط به الفسطاط.
(٦) البخاري (٥٦٥٦).

وفي حديث عبد الله بن مسعود(١) رضي الله عنه **قال:** أتيت النبي ﷺ في مرضه - وهو يوعك وعكًا شديدًا، وقلت: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين. قال: «**أجل، ما من مسلم يُصيبه أذًى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ ورق الشجر**».

❁ ❁ ❁

معرفة ما إذا كان الابتلاء عقوبة أو رفعة للدرجات

س: كيف يعرف الشخص الذي يُبتلى أن ما حلَّ به إنما حلَّ به لذنوبه أو إنما حلَّ به لرفعة درجاته؟

ج: هذا لا يتأتى إلا بالنظر إلى سيرته العامة فإن كان غالب أمره الصلاح وأداء حدود الله والبعد عن مساخطه فالغالب حينئذٍ أن المصائب ابتلاءات لرفعة الدرجات.

أما إذا كان مغمورًا في المعاصي مسرفًا على نفسه بالذنوب، فالغالب أن يكون هذا الذي حلَّ به إنما حلَّ به من جراء ذنوبه ومعاصيه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما أنتم معشر البشر بمستطيعي الهرب من ربكم في أي مكان في الأرض، فربكم لن يعجز عن إحلال أمره فيكم،

(١) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

وإنزال بأسه - إن أراد بكم في أي مكان كنتم، كما قال تعالى: (أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا) [البقرة: ١٤٨]، وكما قال: (أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) [النساء: ٧٨]، ففي أي مكان كنتم لن تعجزوا ربكم ﷻ بل الله عليكم قادر، وليس لكم من دون الله من يتولاكم ولا من ينصركم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ) يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هربا في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ) يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه (وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾) يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته وعلى وحدانيته هذه السفن العظيمة الهائلة التي هي كالجبال تلك التي ألهمكم صنعها وتسييرها، فإنه سبحانه يسيرها وإياكم في البحر بما يسخره لها من الرياح، وإلا فربي قادر على أن يجعل الريح ساكنة لا

تتحرك، فالرياح مسخرة بتسخير الله لها، فإذا سكنت الريح ولم تتحرك ظلَّت السفن راكدة على ظهر البحر ساكنة هي الأخرى، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) في تسكين الريح وتحريكها وتسيير السفن وإيقافها لدلالات واضحات على قدرتنا ووحدانيتنا يتعقلها ويتفهمها ويستدل بها على قدرتنا ووحدانيتنا كل ذي صبر على أوامرنا يمتثلها ويعمل بها، وكل ذي صبر عن محارمنا يجتنبها، وكل ذي صبر على قضائنا وقدرنا، وكذا ففيها آية لكل شكور لنعمائنا، مقرٌّ بفضلنا وإحساننا، وإن يشأ الله ﷻ يغرق هذه السفن بمن فيها بسبب عملهم السيئ وكسبهم الخبيث واقترافهم المآثم، ولكنه سبحانه يعفو عن كثير من الذنوب والخطايا، وبنحو هذا جاءت أقوال المفسرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر.

وقال أيضًا:

وقوله: (كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾) يعني كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

..... كأنه علم في رأسه نار

يعني: جبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال كذلك:

وقوله: (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ) يقول تعالى ذكره: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح

التي تجري بها فيه، فثبتن في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر.

ثم قال: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) يقول: إن في جري هذه الجواري في البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذي صبر على طاعة الله شكور لنعمه وأياديه عنده.

يقول تعالى ذكره: أو يوبق هذه الجواري في البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب، واجترموا من الآثام، وجزم يوبقهن، عطفا على (يُسْكِنِ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) ويعني بقوله: (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) أو يهلكهن بالغرق.

وقال:

وقوله: (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها.

وقوله: (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) يقول جلَّ ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا □ من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده.

وقال:

وقوله: (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) يقول تعالى ذكره: ما لهم من محيص من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم، وكفرهم به، ولا لهم منه ملجأ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية،

أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، (شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد، والحسن، والسدي، والضحاك، أي: هي في البحر كالجبال في البر.

(إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ) أي: التي تسير بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره، أي: على وجه الماء (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) أي: في الشدائد (شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) أي: إن في تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه (لِّكُلِّ صَبَّارٍ) أي: في الشدائد، (شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) في الرخاء.

وقوله: (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟) أي: ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) أي: من ذنوبهم. ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر.

وقال بعض علماء التفسير: معنى قوله: (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟) أي: لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها

المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال، آبقة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد.

وهذا القول هو يتضمن هلاكها، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت. ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة، كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيرًا جدًّا لهدم البنيان، أو قليلًا لما أنبت الزرع والثمار، حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيحًا من أرض أخرى غيرها؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم، وأسقط جدرانهم.

وقوله: (وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) أي: لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا، فإنهم مقهورون بقدرتنا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ) أي: وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي: يغرقهن بذنوب أهلها وقيل : يوبق أهل السفن (وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) من أهلها فلا يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل : (وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) أي: ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك.

قال القشيري: والقراءة الفاشية ﴿وَيَعۡفُ) بالجزم وفيها إشكال لأن المعنى : إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف (وَيَعۡفُ) على هذا لأنه يصير المعنى : إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذًا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ﴿ويعفو﴾ بالرفع وهي جيدة في المعنى (وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم

مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) يعني الكفار أي إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة.

قال الله تعالى:

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ
بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾
وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا
ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا
خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ
ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن
يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن
نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا
ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَمَتَٰعُ - يَتَوَكَّلُونَ - ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ - وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ - ٱلۡبَغۡيُ - يَنتَصِرُونَ - مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ - وَيَبۡغُونَ - وَغَفَرَ - عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ - يُضۡلِلِ ٱللَّهُ - هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ - يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا - خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ - يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ - عَذَابٖ مُّقِيمٖ - فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ - ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم - لَا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ - مَّلۡجَإٖ - نَّكِيرٖ - أَعۡرَضُواْ - حَفِيظٗا - إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ - رَحۡمَةٗ - سَيِّئَةُۢ - بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ - كَفُورٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَمَتَٰعُ)	شيءٌ يستمتع به ويفنى بعد ذلك ويزول
(يَتَوَكَّلُونَ)	يعتمدون - يثقون بربهم ﷻ
(ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ)	أجابوه - سمعوا له وأطاعوا
(وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ)	يتشاورون في أمورهم العامة
(ٱلۡبَغۡيُ)	التعدي من غيرهم عليهم
(يَنتَصِرُونَ)	يأخذون حقهم ممن ظلمهم
(مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ)	ليس هناك طريق ولا سبب لتعذيبهم ولا للومهم، وقيل: المراد ما عليهم من عنت ولا مشقة ولا عذاب
(وَيَبۡغُونَ)	يتعدون على العباد
(وَغَفَرَ)	تجاوز عمن ظلموه - ستر السيئة فلم يُؤاخِذ المسيء بإساءته
(عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)	من الأمور العظيمة التي أمر الله بها
(يُضۡلِلِ ٱللَّهُ)	يخذله الله ويصرفه عن الطاعة

(هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ)	هل من طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا
(يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا)	يرونها ويشاهدونها
﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾	خاضعين بسبب الذل الذي أصابهم خاضعين والذلُّ يعتريهم
﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾	ينظرون بعينٍ ذليلةٍ منكسرة لا يستطيعون رفع أبصارهم من شدة الذل الذي يعتريهم ومن العذاب الذي يرونه، وقيل: يسارقون النظر، وقيل: وهو راجع إلى المعنى الأول: ينظرون بجزء من أعينهم، نظرة الذليل المنكسر
(عَذَابٖ مُّقِيمٖ)	عذاب دائم لا يتحول ولا يزول
(فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ)	فما له من طريق لهدايته ولا من طريق لفراره ولا من طريق لإنقاذه
(ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم)	أجيبوا داعي ربكم الذي يدعوكم إلى طريق الله
﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾	لا مانع له ولا رادَّ لوقوعه
(مَّلۡجَإٖ)	ملتجأ تلتجئون إليه - مكان تعتصمون فيه
(نَّكِيرٖ)	نصير - عُزوة تعتزون بها - من يُنكر ما يحلّ بكم من العذاب

(أَعۡرَضُواْ)	انصرفوا عن الإيمان
(حَفِيظٗاۖ)	الحفيظ من يحفظ الأعمال ويكتبها ويسجلها
﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾	ما عليك إلا تبليغ ما أوحي إليك
(رَحۡمَةٗ)	نعمة من مالٍ وولدٍ ونحو ذلك
(سَيِّئَةُۢ)	فقرٌ وفاقةٌ ومرضٌ ونحو ذلك
﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾	بسبب ما عملوه من الأعمال السيئة والذنوب والمعاصي والشرك
(كَفُورٞ)	جحود لنعم الله ﷻ (ينسى النعم ويذكر العقوبة والبلاء فقط)

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾.

ج: من الآيات الواردة في معناها ما يلي:

* **قوله تعالى:** (وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾) [القصص: ٦٠].

* **وقوله تعالى:** (بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾).

[الأعلى: ١٦-١٧]

❁ ❁ ❁

س: هل الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾ للمشركين أم هو عامٌّ؟

ج: بل هو عام، فليس هناك ما يدعو إلى تقييده. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومهما أُوتيتم في هذه الدنيا من شيءٍ فمتاعٌ زائلٌ وفانٍ، تُتزين به في الحياة الدنيا ثم هو ذاهب ومُنتهٍ وما أعده الله ﷻ في الآخرة لأهل الإيمان وأهل التوكل عليه والاعتماد عليه والثقة به خيرٌ وأبقى، لا يزول ولا يتحول كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ **[العنكبوت: ٦٤]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين، فمتاع الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى؛ لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافد، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافذ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه

من متاع الحياة الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى محقرًا بشأن الحياة الدنيا وزينتها، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني، بقوله: (فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ) أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، (وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ) أي: وثواب الله خير من الدنيا، وهو باقٍ سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي؛ ولهذا قال: (لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، (وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦) أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا أغضبهم شخص بفعل شيء يضايقهم ويؤذيهم تجاوزوا عنه وصفحوا عنه، فسجيتهم وطبيعتهم تقتضي العفو عن الناس، وليس من سجيتهم الانتقام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في «سورة الأعراف» ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس.

وقد ثبت في الصحيح(١): أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط، إلا أن

(١) البخاري (٣٥٦٠)، و(٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

تنتهك حرمات الله.

وفي حديث آخر(١): كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «**ما له؟ تربت جبينه**» .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن زائدة، عن منصور ، عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا(٢) .

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أجابوا ربهم ﷻ فيما دعاهم إليه فامتثلوا أمره واجتنبوا ما نهاهم عنه، وحافظوا على صلاتهم في أوقاتها ودوامو عليها، ولا يقطع واحدٌ منهم أمرًا مما يخص جماعة المسلمين إلا وشاور المسلمين فيه، ثم هم منفقون من أموالهم، باذلون لها في طاعة الله ﷻ ومرضاته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) يقول تعالى ذكره:

والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) المفروضة بحدودها في أوقاتها، (وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ) يقول: وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم، (وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

---

(١) البخاري (٦٠٣١).

(٢) السند الظاهر صحيح.

يُنفِقُونَ) يقول: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله، ويؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليهم نفقته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ أي: اتبعوا رسله وأطاعوا أمره، واجتنبوا زجره، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي أعظم العبادات لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولهذا كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشاورهم في الحروب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يتشاورون في الأمور والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه، فكانت الأنصار قبل قدوم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش وقال الحسن : أي: إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم، متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم. قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وقال الضحاك : هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له وقيل : تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي : الشورى ألفة

للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وقد قال الحكيم :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حازم

(ولا تجعل الشورى عليك ... فإن الخوافي قوة للقوادم

فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون بالأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فإن النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما سبق بيانه وقال عمر رضي الله عنه : نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال وتشاوروا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلمًا في المغازي فقال له الهرمزان : مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان والرأس كسرى والجناح الواحد قيصر والآخر فارس فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى وذكر

الحديث. وقال بعض العقلاء: ما أخطأت قط! إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فإن أصبت فهم المصيبون وإن أخطأت فهم المخطئون.

قلت (مصطفى):

وهذا مزيدٌ من المواطن التي استشار فيها النبي ﷺ أصحابه:

* استشار النبي ﷺ عليًّا وبريرة وزينب وأسامة في حديث الإفك.

* واستشار النبي ﷺ أصحابه وخاصة الأنصار يوم بدر.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَمْرُهُمْ) الديني والدنيوي (شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعًا عن اجتماعهم وتوالفهم وتواددهم وتحابهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيرهما، وكالبحث في المسائل الدينية عمومًا، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين إذا بغى عليهم باغٍ وتسلط عليهم متسلط بالاعتداء انتصروا منه ولم يستضعفوا أمامه ولم يذلوا ولم يهنوا من غير أن يعتدوا ولا أن يتجاوزوا الحد في الاقتصاص، وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قولين في ذكر الباغي الذي يُنتصر منه:

القول الأول: أنه الباغي المشرك.

والقول الثاني: أنه كل باغٍ مُعتدٍ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب؛ لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كل منتصر بحق ممن بُغي عليه.

فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟ قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويمًا له، وفي ذلك أعظم المدح.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا وعفوا، كما قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإخوته: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ **[يوسف:٩٢]**، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم عفا عنهم مع قدرته على الانتقام.

وأورد وقائع أُخر عفا فيها النبي ﷺ عمن ظلموه مع قدرته على الانتقام والاقتصاص منهم.

❁ ❁ ❁

س: قال تعالى مُثنيًا على قوم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾، وقال تعالى مُثنيًا أيضًا عليهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾، فالآية الأولى تضمنت ثناءً على من يقتصون ممن ظلمهم، والثانية تضمنت ثناءً على العافين عن الناس الغافرين لهم، وعلى شاكلتها آيات أُخر، فكيف الجمع والتوفيق بين الثناء على العافين الغافرين للناس، والأُخرى التي فيها ثناءٌ على المُقتصين ممن بغى عليهم؟

ج: وجه الجواب أن يُقال: إن العفو له مواطن والمؤاخذة لها مواطن، فإذا صدرت من شخص زلة قدمٍ وأخطأ في حق شخصٍ آخر وصدرت من لسانه فلتاته أو من تصرفاته هناتٌ، ثم تاب وندم فهذا يُستحب في حقه العفو عنه والصفح عما بدر منه من زلات.

أما إذا كان الشخص متماديًا في الغيِّ مُستمرًا في الظلم، يتباهى ويفتخر بظلمه للعباد ويُنصح فلا يقبل النصح ويُذكَّر بالله فلا يقبل التذكير، فهذا الانتصار منه أولى وأنفع له وللمسلمين ولم ارتكب في حقهم من الجرائم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾) أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾) [فصلت: ٣٤-٣٥].

فالمقامات تختلف وتتنوع.

هذا، وهناك اتجاهٌ ضعيف للجمع بين الآيات وهو الحكم بالنسخ نسخ

آيات العفو والصفح، ولكن الجمع أولى، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند تعذر الجمع، والجمع هاهنا ممكنٌ والحمد لله.

هذا وقد قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن العربي : ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعًا للآخر واحتمل أن يكون ذلك راجعًا إلى حالتين إحداهما: أن يكون الباغي معلنًا بالفجور وقحًا في الجمهور مؤذيًا للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل وفي مثله قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق.

الثانية: أن تكون الفلتة أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو هاهنا أفضل وفي مثله نزلت : (وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ) [البقرة : ٢٣٧]، وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة : ٤٥]، وقوله : (وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور : ٢٢].

قلت: هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه قال : قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾) يدل على ظاهره على أن الانتصار في هذا الموضع أفضل، ألا ترى أنه قرنه إلى ذكر الاستجابة لله سبحانه وتعالى وإقام الصلاة وهو محمول على ما ذكر إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق، فهذا فيمن تعدى وأصر على ذلك والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادمًا مقلعًا وقد قال عقيب هذه الآية : (وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن

سَبِيلٍ ﴿٤١﴾) ويقتضي ذلك إباحة الانتصار لا الأمر به وقد عقَّبه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ) وهو محمول على الغفران عن غير المُصرِّ، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الأنتصار منه بدلالة التي قبلها، وقيل : أي إذا أصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه، قاله ابن بحر وهو راجع إلى العموم على ما ذكرنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن أراد الانتصار ممن ظلموه فله أن ينتصر وليس له أن يتعدى، فإذا ظُلم مظلمةً وأراد الاقتصاص فله أن يقتص بقدر مظلمته، كما قال تعالى: (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ) [الحج: ٦٠]، وكما قال تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ..... وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكما قال تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ) [النحل: ١٢٦].

وكما قال تعالى: (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ).

[البقرة: ١٩٤]

وكما قال النبي ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادي فيهما ما لم يعتد المظلوم» (١).

وكما قال ﷺ لهندٍ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) مسلم حديث (٢٥٨٧).

(٢) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ وقد بينا فيما مضى معنى ذلك، وأن معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه، فهي مساءة له. والسيئة: إنما هي الفعلة من السوء، وذلك نظير قول الله ﷻ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكقوله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]، فشرع العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، كقوله: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ قال العلماء: جعل الله المؤمنين صنفين؛ صنف يعفون عن الظالم، فبدأ بذكرهم في قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ وصنف ينتصرون من ظالمهم، ثم بيَّن حد الانتصار بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدي، قال مقاتل وهشام بن حجير: هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سبٍّ أو شتم وقاله الشافعي وأبو حنيفة وسفيان قال سفيان: وكان ابن شبرمة يقول: ليس بمكة مثل هشام، وتأول الشافعي في هذه الآية أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير

علمه واستشهد في ذلك بقول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان : «**خذي من ماله ما يكفيك وولدك**» فأجاز لها أخذ ذلك بغير إذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في (البقرة) وقال ابن أبي نجيح : إنه محمول على المقابلة في الجراح وإذا قال : أخزاه الله أو لعنه الله أن يقول مثله ولا يقابل القذف بقذف، ولا الكذب بكذب وقال السدي : إنما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب تفعله، وسمي الجزاء سيئة؛ لأنه في مقابلتها فالأول ساء هذا في مال أو بدن وهذا الاقتصاص يسوؤه بمثل ذلك أيضًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فمن تجاوز عمن ظلمه ولم يقابل السيئة بالسيئة، فأجره عند الله عزَّ وجل مُدخر ولن يضيع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ) يقول جل ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه. (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال هاهنا: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ) أي: لا يضيع ذلك عند الله

كما صح في الحديث: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا**» وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: المعتدين، وهو المبتدئ بالسيئة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الحث على العفو عن الناس.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* **قال الله تبارك وتعالى:** ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ **[فصلت: ٣٤-٣٥]**.

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ **[آل عمران: ١٣٤]**.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

[التغابن: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾

[الشورى: ٤٠]

* **وقال النبي □ فيما أخرجه مسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:** «**ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

* وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم..»[(١)].

* وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله ﷻ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»[(٢)].

والعفو والإحسان من شيم رسول الله ﷺ:

* أخرج البخاري[(٣)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

* وفي «سنن الترمذي»[(٤)] من طريق أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/١٦٥، ٢١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٨٠)، والحديث صحيح لشواهده.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/١٢٨) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه =

= (٤١٨٩)، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ٤٨٣٨).

(٤) صحيح وله شواهد، وقد أخرجه الترمذي (٢٠٨٥ مع تحفة الأحوذي) وسيأتي لهذا مزيد في ثنايا هذا الكتاب.

❁ ❁ ❁

العدل والفضل

وقد أمر الله سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن، قال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣].

* **فقوله تعالى:** ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾: عدل.

* **وقوله تعالى:** ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: إرشاد إلى الإحسان والعفو.

* **وقوله تعالى:** ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

* **وكذلك في قوله تعالى:** ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾.

[المائدة: ٤٥]

* **وقوله:** ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو.

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٦٠]: عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

* **وقوله:** ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ **[النساء: ١٤٩]** إرشاد إلى العفو.

* **وأيضًا قوله تعالى:** ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ **[الحج: ٦٠]** عدلٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ **[الحج: ٦٠]**، فيه إرشاد إلى العفو.

فهنيئًا له، من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

هنيئًا له، من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

هنيئًا له، من ملك نفسه عند الغضب ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز.

كل هذا خير!

الترخيص للمظلوم في الانتصار ممن ظلموه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ **الآية.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن استوفى حقه المسلوب ممن أخذوه منه فأولئك الذين استردوا حقوقهم من عرضٍ أو من أذى أو من مالٍ أو غير ذلك، فأولئك ليس هنالك طريق للومهم ولا لتوبيخهم ولا لتعذيبهم ، وذلك لكونهم قد استوفوا حقهم، إنما الطريق للوم أو للتوبيخ أو للتعذيب مفتوح على الذين يبخسون الناس حقوقهم ويتعدون عليهم بدون وجه حق، فهؤلاء لهم عذابٌ مؤلم موجعٌ، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحق، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعد، لم يظلم، فيكون عليه سبيل.

ثم قال: وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلما وعدوانا، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.

وقوله: ﴿وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون

في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع.

س: اذكر بعض الوارد في جواز الانتصار ممن ظلموا.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾. **[الشورى: ٤١]**

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ **[الشورى: ٣٩]**.

وقوله تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ ...﴾ **[الحج: ٦٠]**.

*** أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:** لددناه(٢) في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «**ألم أنهكم أن تلدوني؟**» قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «**لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم**».

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر»!!!

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنتصر من أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أمام رسول الله ﷺ لما شعرت أن رسول الله ﷺ يقرّها على هذا الانتصار:

* أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»(٣) من حديث أم المؤمنين عائشة

---

(١) حديث (٥٧١٢)، ومسلم (حديث ٢٢١٣).

(٢) اللدود: هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فمِّ المريض.

(٣) مسلم (حديث ٢٤٤٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل أزواجُ النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه – وهو مضطجع معي في مرطي – فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدلَ في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتةٌ. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أي بنية، ألست تحبين ما أحبُّ؟**» فقالت: بلي. قال: «**فأحبِّي هذه**» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل(١) في ابنة أبي قحافة! فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا. قالت عائشة: فأرسل أزواجُ النبي ﷺ زينبَ بنت جحشٍ، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني(٢) منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأةً قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد(٣) كانت فيها تسرع منها الفيئة(٤).

قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ - ورسول الله ﷺ مع عائشة في

---

(١) قال بعض العلماء: أي يطلبن منك العدل في المحبة القلبية.

(٢) تساميني: أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة. مأخوذ من السمو. وهو الارتفاع.

(٣) سورة من حد: هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حدٍّ. وفي بعضها: من حدة وهي شدة الخلق وثوراته.

(٤) الفيئة: الرجوع. ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلُق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع. أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا، ولا تصر عليه.

مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي(١)، فاستطالت عليَّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها(٢) حين(٣) أنحيت عليها(٤). قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «**إنها ابنة أبي بكرٍ**».

* وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩].

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

* **وكذلك فانظر إلى قوله تعالى:** ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق، ومن ثمَّ شُرع القصاص في

---

(١) ثم وقعت بي: أي: نالت مني بالوقيعة فيّ.

(٢) حين: في بعض النسخ: حتى – بدل حين. وكلاهما صحيح. ورجح القاضي: حين.

(٣) لم أنشبها: أي: لم أمهلها.

(٤) أنحيت عليها: أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

الدنيا، بل وكما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

فكم من ظالمٍ إذا تُرك يتمادى في ظلمه وفي غيِّه وفي شره وفساده!!

وكذلك العفو لا يُندب إليه ولا يُرشد إليه في كل الأوقات؛ فقد يفهم العفو عند قومٍ من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور!!

وقد يفهم الصفح على أنه استسلام للظلم، ومن ثمَّ يتمادى الظالم في ظلمه والطاغي في طغيانه والباغي في بغيه!!

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن صبر على إساءات المسيئين وعلى ظلم الظالمين وستر على السيئة فلم يجازي السيئة بالسيئة بل عفا وأصلح، وهو قادر على الانتصار ممن ظلموه، فإن ذلك الصنيع من الصنائع ذات الأجر الكبير الحسن وإن هذا الصنيع الذي هو التجاوز والإحسان من العزائم التي أمر الله بها.

وإن هذا الصنيع لمن امتثال أمر الله ﷻ في الأمور الشديدة على النفس، وهذا الامتثال له عظيم الأجر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه. (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾) يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن يخذله اللهُ ﷻ ويصرفه عن طريق الإيمان والطاعة، فلن تجد له وليًّا يتولاه ويهديه من بعد الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ) يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة: إنه ما شاء كان ولا راد له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وأنه من هداه فلا مُضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، كما قال: (وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾) [الكهف : ١٧].

❁ ❁ ❁

س: اذكر مزيدًا من الآيات في معنى قوله تعالى: (وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ).

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

* قوله تعالى: (وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾) [الأعراف: ١٧٨].

* وقوله تعالى: (مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾) [الأعراف: ١٨٦]

* وقوله تعالى: (وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾) [الكهف : ١٧].

❁ ❁ ❁

تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا كي يعملوا صالحًا

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾). مع ذكر بعض الوارد في تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى يوم القيامة أهل الظلم أهل الشرك الذين يبخسون الناس حقوقهم، بل ويبخسون الله حقه فلا يوحدونه ومن حقه أن يوحَّد وأن يُعبد ولا يشرك به شيء، ترى هؤلاء يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ووقفوا أمام النار يتمنون الرجوع إلى الحياة الدنيا قائلين هل هناك طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: (هَلْ) لنا يا رب (إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾) وذلك كقوله: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا)... الآية [السجدة: ١٢]، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال مخبرًا عن الظالمين، وهم المشركون بالله (لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ) أي: يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا، (يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾)، كما قال: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾).

[الأنعام:٢٧، ٢٨]

قلت (مصطفى): ومما ورد في تمني الكفار للرجوع إلى الدنيا أيضًا قولهم: (رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾) **[المؤمنون: ١٠٧]**، وقولهم: (رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ) **[فاطر: ٣٧]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى أهل الظلم – أهل الشرك – يوم القيامة يرون النار، وهي أمامهم تراهم في حالة بئيسةٍ تعيسةٍ قد علاهم الذل وغشيهم الهوان ينظرون نظر الذليل المنكسر إليها لا يستطيعون أن يحدقوا البصر ولا أن يركزوه إليها، فحينئذٍ يقول أهل الإيمان الذين أُعدت لهم فسيح الجنات والروضات: إن الخاسرين حقًّا هم الذين ضيعوا أنفسهم، فأصبحت أنفسهم تلعنهم وجوارحهم تلعنهم، وكذا فقد فقدوا أهاليهم الذين كانوا لهم أهل في الدنيا فإن كانوا في الجنات فقد حيل بينهم وبينهم، وإن

كانوا في النيران فهنالك التلاعن والتسابب وكذلك خسروا أهاليهم من حور العين اللواتي كُن أعددن لهم إذا هم كانوا آمنوا، ألا إن أهل الظلم أهل الشرك في عذاب دائم لا يتحول ولا يزول - عافانا الله والمسلمين.

❁ ❁ ❁

س: كيف خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟

ج: ذلك، والله أعلم، أن أهل الكفر جلبوا لأنفسهم أخسَّ المنازل وأردأها وذلك باجترامهم الذي اجترموه وبشركهم في دنياهم بالله ﷻ، فأوردوا أنفسهم لظى، وأوردوا أنفسهم الجحيم.

أما خسرانهم أهاليهم فأهلوهم إن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبين أهاليهم، وإن كانوا في النار فلا انتفاع بهم بل بينهم التلاعن والتسابب والتباغض والتشاتم، وكذا أهاليهم من حور العين، فقد أُعد لكل شخص منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا دخل أهل النار النارَ ورث أهل الإيمان منازلهم - بما فيها ومن فيها - في الجنان، والله تعالى أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ) أي: الخسار الأكبر ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان لهؤلاء الظالمين من أنصار ينصرونهم عند لقاء الله وعند معاينة النار، وما كان لهم من أنصار ينقذونهم من عذاب الله ﷻ، وهكذا الحال دائمًا فمن يخذله الله ويصده عن الإيمان فلن تجد طريقًا لهدايته، ولن تجد له طريقًا لإنقاذه -رزقنا الله الهداية. اللهم آمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله. (وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦) يقول: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه؛ لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه.

❁ ❁ ❁

إيضاح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾)

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما لكم يا من أعرضتم عن طاعة الله ولم يتجيبوا داعيه من أحد ينكر ما يحصل لكم من العذاب، ففي الدنيا قد يضربُ شخصٌ شخصًا ولكن يكون للمضروب من يدافع عنه ويقول لمن ضربه لا تفعل به هكذا وينكر على الضارب صنيعه.

أما في الآخرة فليس هناك من ينكر تعذيب أهل الكفر بل الكل يقرُّ بالعذاب ويرى أن الكافر يستحق ذلك بل الكفار أنفسهم يلعن بعضهم بعضًا ويطلب كلٌّ منهم للآخر مزيدًا من العذاب إذ يقولون: (رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهنالك معنى آخر: وما لكم من حجة تنكرون بها ما قد صدر منكم، فلن تستطيعوا أن تنكروا ما صنعتموه في الدنيا فأنفسكم عليكم شاهدة وجوارحكم عليكم شاهدة، والكرام الكاتبون شهود وكفى بالله شهيدًا – والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجيبوا أيها الناس من دعاكم إلى الله ﷻ ودعاكم إلى سلوك طريق من قبل أن يأتي يومٌ لا دافع له ولا صارف له عن الوقوع كما قال تعالى: (أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾) [النجم: ٥٧-

٥٨]، ما لكم - عند مجيئه ووقوعه - من ملتجإ تلتجئون إليه ولا معتصم تعتصمون به وما لكم من أحد ينكر هذا العذاب الذي حلَّ به ويقول لا تفعلوا بهم هكذا، وما لكم كذلك من نصيرٍ ينصركم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم) يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم. (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ) يقول: لا شيء يرد مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة. (مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ) يقول جل ثناؤه: ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا (وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧) يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذٍ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حَذَّر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: (ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ) أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع.

وقوله: (مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧) أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره- تبارك وتعالى- بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ

منـــــه إلا إليـــــه، (يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾) [القيامة:١٠-١٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : (ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم) أي: أجيبـوه إلـى مـا دعـاكم إليـه مـن الإيمان به والطاعة استجاب وأجاب بمعنـى وقد تقدم، (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ) يريـد يـوم القيامـة أي: لا يـرده أحـد بعـد مـا حكـم الله بـه وجعله أجلًا ووقتًا (مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ) أي: من ملجـإ ينجيكم من العذاب (وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾) أي: مـن ناصـر ينصـركم قالـه مجاهـد وقيـل : النكيـر بمعنى المنكر كـالأليم بمعنـى المؤلم أي: لا تجدون يومئذٍ منكرًا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن أبـي حـاتم وقالـه الكلبـي. الزجـاج معنـاه: أنهم لا يقدرون أن ينكروا الـذنوب التـي يوقفون عليهـا وقيـل : (مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾) أي: إنكار ما ينزل بكم من العذاب والنكير والإنكار تغيير المنكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن أعرض هؤلاء عن إجابة داعي الله عَزَّ وَجَلَّ فلست بمكلف معهم إلا بالبلاغ لست موكلًا بهدايتهم ولا بحفظ أعمالهم ولا بكتابتها بل لدينا ملائكة كرام كاتبون حافظون للأعمال، وعمومًا فهذا شأن

الإنسان إذا أنعمنا عليه بنعمة فرح بها، وإذا ابتلي بأدنى ابتلاء فإنه كفور جحود لنعم الله عليه، ينساها ولا يذكرها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبًا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها. (إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ) يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك. (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ) يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلَّ ثناؤه، فرح بها: يقول: سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال. (وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ) يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش. (بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ) يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير (فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨) يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب ويجحد النعم. وإنما قال: (وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ) فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد؛ لأنه بمعنى الجمع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ) يعني: المشركين (فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ) أي: لست عليهم بمصيطر. وقال تعالى: (۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ) [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: (فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ

﴿٤٠﴾) [الرعد:٤٠]، وقال هاهنا: (إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۖ) أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم. ثم قال تعالى: (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ) أي: إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك، (وَإِن تُصِبۡهُمۡ) يعني الناس (سَيِّئَةُۢ) أي: جدب ونقمة وبلاء وشدة، (فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾) أي: يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط، كما قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر النساء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقالت امرأة: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تُكثرن الشكاية، وتكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يومًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»(١)، وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالمؤمن كما قال رسول الله ﷺ: «**إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ) أي عن الإيمان (فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ) أي حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل: موكلا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا أي ليس لك إكراههم على الإيمان (إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ) وقيل: نسخ هذه بآية القتال (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ) الكافر (مِنَّا رَحۡمَةٗ) رخاء وصحة (فَرِحَ بِهَاۖ) بطر بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ) بلاء وشدة (بِمَا قَدَّمَتۡ

(١) مسلم بنحوه حديث (٧٩).
(٢) مسلم (٢٩٩٩).

أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾) أي لما تقدم من النعمة فيعدد المصائب وينسى النعم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الإنسان - إلا من رحمه الله - إذا أصابه ابتلاء بشيء مما يُبتلى به العباد في الدنيا من نقصٍ في الأموال أو قلةٍ في الأولاد أو ضرٍّ في الأبدان - بما كسبته أيديهم من الجنايات، وما ارتكبته أنفسهم من الموبقات والمحرمات - فإن عادة الإنسان أنه كفور جحود لنعم الله، ينسى كل النعم ويذكر فقط المصائب.

وثمَّ كثيرون من البشر على هذا الغرار والمنوال يتاجرون فيربحون ويكسبون فإذا ابتلوا بأدنى ابتلاء وحلَّ بهم شيءٌ من أمر الله نسوا كل نعمةٍ أنعم الله بها عليهم وجحدوا وأنكروا ولم يظهروا إلا الشرّ.

قلت (مصطفى): فجدير بالإنسان أن يكون شكورًا لنعم الله عليه مثنيًا بها عليه، وألا يكفر ولا يجحد إذا ابتلي بأدنى ابتلاء بل يكون صبارًا شكورًا على الدوام.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَيَهَبُ - يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا - عَقِيمًا - رُوحًا - ٱلْكِتَٰبُ - صِرَٰطِ ٱللَّهِ - تَصِيرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(وَيَهَبُ)	يعطي - يمنح - يرزق
(يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا)	يرزقهم بنين وبنات
(عَقِيمًا)	لا تلد - لا يُلقح
(رُوحًا)	قرآنا - وحيًا - رحمة
(ٱلْكِتَٰبُ)	القرآن
(صِرَٰطِ ٱللَّهِ)	طريق الله
(تَصِيرُ)	ترجع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لله سلطان السموات والأرض وهي ملك له سبحانه يفعل فيهما ما يشاء ويقضي فيهما بما يُريد ويخلق فيهما ما يشاء يتفضل على الخلق على الوجه الذي يختار فيرزق هذا بإناث ولا يرزقه بذكور، والآخر كل أولاده ذكور ليس بينهم أنثى، والثالث يرزقه بالذكور

والإناث، وهذا قد يرزق بتوأم ذكر وأنثى، والرابع يجعله عقيمًا لا يرزق بذكر ولا بأنثى، فهو سبحانه عليم بالخلق قدير على فعل كل شيءٍ، يفعل ما يريد، بصير بالعباد وبهم خبير.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرًا لا أنثى فيهم.

وقوله: (إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) أي: يرزقه البنات فقط -قال البغوي: ومنهم لوط، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) أي: يرزقه البنين فقط. قال البغوي: كإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لم يولد له أنثى، (أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ) أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا ومن

هذا. قال البغوي: كمحمد، عليه الصلاة والسلام (وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا) أي: لا يولد له. قال البغوي: كيحيى وعيسى، عليهما السلام، فجعل الناس أربعة أقسام، منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا يولد له، (إِنَّهُۥ عَلِيمٌ) أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى: (وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ) [مريم : ٢١] أي: دلالة لهم على قدرته -تعالى وتقدس- حيث خلق الخلق على أربعة أقسام، فآدم عليه السلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء عليها السلام من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى من ذكر وأنثى، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم، عليهما السلام؛ ولهذا قال: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ)، فهذا المقام في الآباء، والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام، فسبحان العليم القدير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ابتداء وخبر (يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ) من الخلق (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩) قال أبو عبيدة وأبو مالك ومجاهد والحسن والضحاك: يهب لمن يشاء إناثًا لا ذكور معهن ويهب لمن يشاء ذكورًا لا إناث معهم وأدخل الألف واللام على الذكور دون الإناث؛ لأنهم أشرف فميزهم بسمة التعريف وقال واثلة بن الأسقع إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر وذلك أن الله تعالى قال :

(يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) فبدأ بالإناث (أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا) قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلامًا ثم تلد جارية ثم تلد غلامًا ثم تلد جارية، وقال محمد بن الحنفية: هو أن تلد توأمًا غلامًا وجارية أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا قال القتبي : التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار (وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا) أي لا يولد له يقال : رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقمًا مثل حمد يحمد وعقمت تعقم مثل عظم يعظم وأصله القطع ومنه الملك العقيم أي تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق خوفًا على الملك، وريح عقيم أي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا، ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده ويقال: نساء عقم وعقم قال الشاعر :

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في الأنبياء خصوصًا وإن عم حكمها؛ وُهب للوط الإناث ليس معهن ذكر، ووهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى ووهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس وإسحاق بن بشر، قال إسحاق : نزلت في الأنبياء ثم عمت (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا) يعني لوطًا عليه السلام لم يولد له ذكر وإنما ولد له ابنتان (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى بل ولد له ثمانية ذكور (أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا) يعني رسول الله ﷺ ولد له أربعة بنين وأربع بنات (وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا) يعني يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يذكر عيسى ابن العربي : قال علماؤنا: (يَهَبُ لِمَن

يَشَآءُ إِنَٰثًا) يعني لوطًا كان له بنات ولم يكن له ابن (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) يعني إبرهيم كان له بنون ولم يكن له بنت وقوله : (أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ) يعني آدم كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ذكرًا وأنثى، ويزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر حتى أحكم الله التحريم في شرع نوح ﷺ وكذلك محمد ﷺ كان له ذكور وإناث من الأولاد : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وإبراهيم وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن آدم إلى زماننا هذا إلى أن تقوم الساعة على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيئته النافذة ليبقى النسل ويتمادى الخلق وينفذ الوعد ويحق الأمر وتعمر الدنيا وتأخذ الجنة وجهنم كل واحد ما يملؤها ويبقى.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم يُذكر الخنثى في الآية الكريمة مع أن له تواجدًا في الدنيا؟

ج: الذي ذُكر في الآية الكريمة هو الغالب السائد وأيضًا فقد انتظمته الآية الكريمة بقوله تعالى: (يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ).

وقد نقل القرطبي عن ابن العربي قوله:

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وقد أنكر قوم من رؤوس العوام وجود الخنثى؛ لأن الله تعالى قسم الخلق إلى ذكر وأنثى؛ قلنا : هذا جهل باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة؛ أما قدرة الله سبحانه فإنه واسع عليم وأما ظاهر القرآن فلا ينفي وجود

الخنثى؛ لأن الله تعالى قال : (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ) فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه؛ لأن القدرة تقتضيه وأما قوله : (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ) فهذا إخبار عن الغالب في الموجودات وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الأول والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الإمام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله.

قلت (مصطفى): ومن النادر الذي لم يذكر صراحة في الآية الكريمة، وإن دخل ضمنًا في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ما حدث لسليمان عليه السلام ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه، -أو الملك-: قل: إن شاء الله، فلم يقل، ونسي؛ فلم تأت واحدة من نسائه. إلا واحدة جاءت بشقِّ غلام**». فقال رسول الله ﷺ: «**ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركًا له في حاجته**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٥٢٤٢)، ومسلم (١٦٥٤)، واللفظ له.

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان يجوز وما كان ينبغي وما كان ليحصل وما كان ليتأتى لبشرٍ في الدنيا أن يكلمه الله ﷻ ويرى ربه أثناء تكليمه له، إنما يكون ذلك عن طريق الوحي الذي منه النفث في الروح كما في الحديث: «**إن روح القدس نفث في روعي**»، أو يكلمه ربُّه ﷻ من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، أو يرسل رسولًا ملكًا كجبريل عليه السلام وغيره فيوحي إلى الرسل بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه إليهم، إنه سبحانه عليٌّ حكيم في تدبيره أمر خلقه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهامًا وإما غيره (أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه □ (أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا) يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولًا إما جبرائيل، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ) يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي.

ثم قال:

وقوله: (إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾) يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جلَّ ثناؤه: ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو

حكمة في تدبيره خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عَزَّ وَجَلَّ وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله عَزَّ وَجَلَّ، كما جاء في صحيح ابن حبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي: أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

وقوله: (أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) كما كلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «**ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا**» الحديث، وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا.

وقوله: (أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ) كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء، عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، (إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١) ، فهو علي عليم خبير حكيم.

❁ ❁ ❁

س: هل رأى رسول الله ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟

ج: سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**نور أنى أراه**»(١)، وقال: «**رأيت نورًا**»(٢)، فالظاهر أنه رأى الحجاب الذي هو النور ففي الحديث حجابه

(١، ٢) مسلم (حديث ١٧٨).

النور، والله أعلم.

هذا، وقد احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية الكريمة على عدم رؤية النبي ﷺ ربَّه ليلة المعراج، ففي الصحيحين(١) من طريق مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء. سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، واللفظ لمسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ).

ج: حملها بعض أهل العلم على ظاهرها، وقال: ومما يؤيد هذا الظاهر قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾) **[يوسف: ٣]**.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان على التفصيل الذي فُصِّل لك.

وقال آخرون: إن المراد بذلك الشرائع والأحكام.

وقال آخرون: إن المراد بالإيمان الصلاة بأركانها.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) أي لم تكن تعرف الطريق إلى الإيمان وظاهر هذا يدل على أنه ما كان قبل الإيحاء متصفًا بالإيمان قال القشيري : وهو من معجزات العقول والذي صار إليه المعظم أن الله ما بعث نبيًا إلا كان مؤمنًا به قبل البعثة وفيه تحكم إلا أن يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي أبو الفضل عياض : وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق

ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام.

وأورد جملة من الآثار ثم قال القرطبي رحمه الله:

قال القاضي : ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحد نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله قال القاضي: وأنا أقول إن قريشًا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته، وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركه آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا : (مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا) [البقرة : ١٤٢] كما حكاه الله عنهم.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾)، وبين قوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: ٥٦].

ج: وجه الجمع، والله أعلم، أن الهداية المثبتة هي هداية الدلالة والهداية المنفية التي لا يملكها رسول الله لأحد هي هداية التوفيق، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك فهكذا أوحينا إليك وحيًا ورحمة من عندنا قرآنا عربيًّا جعلناه نورًا يستضيء به ويستبصر من أردنا له الهداية من عبادنا، وإنك يا رسول الله لتدل الناس على هذا النور، وعلى طريق مستقيم، طريق الله ﷻ الذي إليه ترجع الأمور يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ) وكما كنا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، روحًا من أمرنا: يقول: وحيًا ورحمة من أمرنا.

وقال أيضًا:

وقوله: (مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما.

(وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا) يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نورًا، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة (نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ) يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله: (بِهِۦ) من ذكر الكتاب.

ويعني بقوله: (نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ): نسدد إلى سبيل الصواب، وذلك

الإيمان بالله (مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ) يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا.

وقوله: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ) يعني: القرآن، (مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ) أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن، (وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ) أي: القرآن (نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ) ، كقوله: (قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾) [فصلت: ٤٤] .

وقوله: (وَإِنَّكَ) أي: يا محمد (لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾)، وهو الخلق القويم. ثم فسره بقوله: (صِرَٰطِ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٣﴾) أي: شرعه الذي أمر به الله، (ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ) أي: ربهما ومالكهما، والمتصرف فيهما، الحاكم الذي لا معقب لحكمه، (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾)، أي: ترجع الأمور، فيفصلها ويحكم فيها.

س: معلوم أن الأمور كلها لله ﷻ في الدنيا والآخرة يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، فما وجه قوله تعالى: (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾) إذ كانت الأمور الآن وبعد الآن وقبل الآن إليه.

ج: حاصل الجواب أن الفصل في الأمور يوم القيامة إلى الله فهو الذي يقضي بين العباد وليس هناك منازعٌ ينازع كما ينازع المنازعون في

الدنيا ولا مجادل يجادل كما يجادل المجادلون في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله جل ثناؤه: (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣) يقول جل ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل.

فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكامًا وولاة ينظرون بينهم، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.

❁ ❁ ❁

سورة الزخرف

قال الله تعالى:

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾
أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾
وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ
بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا
كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾) [الزخرف: ١-١٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(حمٓ - ٱلْمُبِينِ - تَعْقِلُونَ - أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ - لَدَيْنَا - لَعَلِيٌّ - حَكِيمٌ - أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ - ٱلذِّكْرَ - صَفْحًا - مُّسْرِفِينَ - ٱلْأَوَّلِينَ - يَسْتَهْزِءُونَ - بَطْشًا - مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ - مَهْدًا - سُبُلًا - بِقَدَرٍ - فَأَنشَرْنَا - بَلْدَةً مَّيْتًا - تُخْرَجُونَ - ٱلْأَزْوَٰجَ - ٱلْفُلْكِ - وَٱلْأَنْعَٰمِ - مُقْرِنِينَ - لَمُنقَلِبُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ)	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله
(ٱلْمُبِينِ)	المُوضح المُظهر للحلال والحرام والشرائع والأحكام ولكل شيء يريد الله بيانه للناس
(تَعْقِلُونَ)	تتفهمون - تتفكرون - تتدبرون
(أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ)	أصل الكتاب موجود عند الله - اللوح المحفوظ
(لَدَيْنَا)	عندنا
(لَعَلِيٌّ)	ذو علوٍّ ورفعةٍ
(حَكِيمٌ)	ذو حكمة، فيه الحكمة والإرشاد إلى وضع الأمور في مواضعها الصحيحة
(أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ)	أفنعرض عنكم - أفنترك تذكيركم
(ٱلذِّكْرَ)	القرآن وما فيه من تذكير
(صَفْحًا)	إعراضًا
(مُّسْرِفِينَ)	مشركين - متجاوزين للحد مرتكبين الشرك والكبائر
(ٱلْأَوَّلِينَ)	الأمم المتقدمة

(يَسۡتَهۡزِءُونَ)	يسخرون - يُكذبون
(بَطۡشٗا)	قوة، والبطش الأخذ بشدةٍ وعنف
(مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ)	سنة الله في المتقدمين الذين مضوا
(مَهۡدٗا)	ممهدة مذللة صالحة للمشي عليها
(سُبُلٗا)	طُرقًا
(بِقَدَرٖ)	على قدر الحاجة
(فَأَنشَرۡنَا)	فأحيينا - فأنبتنا
(بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ)	أرضًا ميتة ليس فيها نبات
(تُخۡرَجُونَ)	تبعثون من القبور يوم القيامة
(ٱلۡأَزۡوَٰجَ)	الأصناف - الذكور والإناث
(ٱلۡفُلۡكِ)	السفن الكبيرة
(ٱلۡأَنۡعَٰمِ)	الأنعام الثمانية (الجمل والناقة - الثور والبقرة - الكبش والنعجة - الجدي والعنز) والمركوب منها هو الجمل والناقة
(مُقۡرِنِينَ)	مطيقين - مقاومين
(لَمُنقَلِبُونَ)	راجعون - صائرون يوم القيامة

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣).

ج: هذا، والله تعالى أعلم، قسم أقسم الله ﷻ به، فالواو واو القسم، أقسم ﷻ بالقرآن الموضح المظهر للأشياء والحقائق والشرائع والأوامر

والنواهي والموضح لكل شيءٍ يريده الله من العباد، أقسم سبحانه بذلك على أنه جعل القرآن عربيًّا لعلنا نعقل، وعلى أن هذا الكتاب أصله موجود في اللوح المحفوظ، وموصوف هناك بأنه عليٌّ حكيم، أي أنه موصوف في اللوح المحفوظ لعلو الشأن وارتفاع المنزلة، وأنه ذو حكمة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ) قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال: (وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ) لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد ﷺ ولا افتراء من أحد (إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا) يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب، إذا كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد ﷺ عربًا (لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) يقول: لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجميًّا، فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه.

وقال أيضًا:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤).

يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلي يقول: لذو علو ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢) أي: البين الواضح الجلي

المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي:أنزلناه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب فصيحا واضحا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

س: تشرع مخاطبة الناس على قدر عقولهم. أقمْ الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

* وأخرج البخاري (١) من حديث علي رضي الله عنه، قال: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله**».

* وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة**» (٢).

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين:

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم «في المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال. فذكره «ترتيب محمد فؤاد ص ١١».

قلتُ: وإسناده منقطع، و«ومقدمة مسلم» ليست على شرط «الصحيح».

* ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ومعاذًا رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا)، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: «**إذًا يتَّكِلُوا**»، وأخْبَرَ بها معاذ عند موته تأثمًا[(٢)].

فانظر إلى قوله: «**إذًا يتَّكِلُوا**»، وفي الرواية الأخرى[(٣)] ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**».

* **ونحوه في «صحيح مسلم»:** من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناسُ، فخلِّهم يعملون، فقال: «**فخلِّهم**»[(٤)].

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يُفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه، وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).
(٢) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.
(٣) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).
(٤) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

شيءٌ من فضائل القرآن

س: في قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾) بيانٌ لشرف هذا القرآن وعلو منزلته وعظيم فضله. اذكر بعض الوارد في ذلك مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن إيضاح معنى الآية الكريمة، فأقول وبالله التوفيق قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ) أي: القرآن المتلو عليكم (فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ) في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ (لَدَيۡنَا) أي: عندنا (لَعَلِيٌّ) لذو علو ورفعة ومنزلةٍ سامية (حَكِيمٌ ﴿٤﴾) ذو حكمة في كل شيء فيه من أمر ونهي وإخبار وإنذار وتبشير وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾) بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: (وَإِنَّهُۥ) أي: القرآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ) أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد، (لَدَيۡنَا) أي: عندنا، قاله قتادة وغيره، (لَعَلِيٌّ) أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة ﴿حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ أي: محكم بريء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله.

أما عن شيء من فضائل هذا الكتاب العزيز: فقد وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بجميل الأوصاف، وصفه بأنه كريم (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾) [الواقعة: ٧٧]، وبأنه مجيد (قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾) [ق: ١]، وبأنه حكيم (يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾) [يس: ١-٢]، وبأنه مبارك (وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ) [الأنبياء: ٥٠]، وبأنه عزيز

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) [فصلت: ٤١]، وبأنه كريم، قال تعالى: (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾) [الواقعة: ٧٧] إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَإِنَّهُۥ) أي: هذا الكتاب (فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا) أي: في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها (لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾) أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أفنترك تذكيركم لكونكم أهل شرك لا تستحقون التذكير أو أفنترككم هملًا بلا تكليف لكونكم أهل شرك أو ألكونكم رددتم هذا القرآن ولم تؤمنوا به نترك تذكيركم بالعقاب ونلغي هذا القرآن ونمحُهُ.

وقد أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: (أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾) : أي مشركين، والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

قال ابن كثير: وقول قتادة لطيف المعنى جدًّا وحاصله أنه يقول في معناه: إنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر

به ليهتدي من قدَّر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته.

الثاني: أتحسبون أننا نصفح عنكم ولا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به؟!!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله تقتضي أن لا يترك عباده هملا لا يرسل إليهم رسولا ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أي: أفنعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا فقد قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ

ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾.

ج: هذه الآية الكريمة تحمل تسلية لرسول الله ﷺ وتسرية للهموم عنه، فالمعنى، وإن كنت كُذبت يا رسول الله وسخر منك قومك فلقد أرسلنا رسلًا كثيرين من قبلك إلى أممهم فما كان جواب أقوامهم لهم إلا الاستهزاء والسخرية والتكذيب فأهلكنا تلك الأمم المكذبة التي هي أشد قوة وبأسًا وبطشًا من قومك يا رسول الله، فلا تجزع ولا تحزن، فقد مضت سنتنا وطريقتنا في المكذبين وأننا نهلكهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ) يا محمد في القرون الأولين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش. (وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾) يقول وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبي يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقن عليك، فإنهم إنما سلكوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشًا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلت بهم. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ يقول جل

ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلنا الذي مثلناه لهم في أمثالهم من مكذبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦) (كم) هنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء كما قال : (كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥) [الدخان : ٢٥] أي ما أكثر ما تركوا (وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ) أي لم يكن يأتيهم نبي (إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧) كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه محمدا ﷺ ويسليه (فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا) أي قوما أشد منهم قوة والكناية في (مِنۡهُم) ترجع إلى المشركين المخاطبين بقوله : (أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا) فكنى عنهم بعد أن خاطبهم و(أَشَدَّ) نصب على الحال وقيل هو مفعول أي فقد أهلكنا أقوى من هؤلاء المشركين في أبدانهم وأتباعهم (وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨) أي عقوبتهم عن قتادة وقيل : صفحة الأولين فخبرهم بأنهم أهلكوا على كفرهم حكاه النقاش و المهدوي والمثل : الوصف والخبر .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨).

ج: المعنى، والله أعلم، ومضى مثلنا الذي مثلنا به في الأمم المُكذبة ومضت طريقتنا في انتقامنا ممن كذبونا وخالفونا وما حلَّ بالأولين المكذبين برسلنا.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يذكر الكفار بمصارع الكافرين حتى يتعظوا ويعتبروا. دلّل على ذلك.

ج: أورد الشنقيطي جملة من الأدلة على ذلك فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار الذين كذبوا محمدا □، بأن الله أهلك من هم أقوى منهم، ليحذروا أن يفعل بهم مثل ما فعل بأولئك، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ الآية [الروم:٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [غافر:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾، إلى قوله: (فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ) [الأنعام:٦]، وقوله تعالى: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٥﴾ [سبأ:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر:٤٤].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨) ما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد كفار مكة الذين كذبوا محمدا □، بصفته إهلاكهم وسنته فيهم التي هي العقوبة وعذاب الاستئصال، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢

ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾) [فاطر:٤٢-٤٣]، وقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر:٨٣-٨٥]، وقوله تعالى: (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ) الآية [الكهف:٥٥]، وقوله تعالى: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾) [الزخرف:٥٥-٥٦].

❁ ❁ ❁

س: أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله هو الخالق، كذا كانوا يقرون لله ﷻ بكثيرٍ من أسمائه والحسنى وصفاته العُلى دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ) [الزخرف: ٨٧].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾) [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ) [العنكبوت: ٦٣].

وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾) [ص: ١٦].

وقولهم: (ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: إذن ما دام أهل الكفر يقرون بأن الله خالقهم ورازقهم وبغير ذلك، فما وجه كفرهم وشركهم؟

ج: سبب كفرهم وشركهم صرفهم العبادة لغير الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

من أدلة التحوّل في الخطاب

س: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ **تحوّل في الخطاب. وضحه.**

ج: إيضاحه يتأتى بالنظر إلى ما قبله، فقبله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ هذا قول الكفار ثم حدث تحول في الخطاب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ...﴾، فهذا قول الله تعالى.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبارٍ منه عن نفسه ولو كان إخبارًا عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض. والله أعلم.

هذا، ومن أدلة التحول في الخطاب ما يلي:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، ولم يقل: وجرينا بكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢].

قال بعض أهل العلم: إن الذين قالوا ياويلنا: هم الكفار، والقائلون هذا ما وعد الرحمن.. هم الملائكة.

وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ﴾ ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤]، قال بعض أهل العلم: إن قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هو الله ﷻ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ...﴾ الآية.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وسهل لكم فيها طرقا تطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: فراشًا قرارًا ثابتة، يسيرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه

أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقا بين الجبال والأودية ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ أي: في سيركم من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠) لأهل العلم في تأويله قولان. وضحهما.

ج: أحد القولين: لعلكم تهتدون إلى الأماكن التي تريدون الذهاب إليها.

الثاني: لعلكم تهتدون إلى ما يقربكم من الله ﷻ وتستدلون بآياته على وحدانيته.

قال القرطبي: تستدلون بمقدوراته على قدرته، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الذي خلق السموات والأرض، وهو العزيز العليم نزَّل من السماء ماء على قدر احتياجاتكم ولو شاء لجعله مُنهمرًا متواصلًا فدُمِّرت الطرق بسببه وتهدمت البيوت وهلكت المواشي والنفوس وتلفت الزروع، ولكنه سبحانه جعل ذلك بقدرٍ، على قدر الحاجة ولو شاء لأهلككم بمنعكم القطر من السماء ولكن أنزل من السماء ماء بقدر الحاجة، فأحيا به أرضًا كانت ميتة لا نبت فيها ولا ثمر فأنبتها الله ﷻ فهكذا البعث والنشور يوم القيامة، وهكذا إحياؤكم بعد مماتكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ) يعني: ما نزل جلَّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثًا مغيثًا، حيًّا للأرض الميتة محييا. (فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا) يقول جل ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي كنتم بها قبل مماتكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ) أي: بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم، لأنفسكم ولأنعامكم. وقوله: (فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا) أي: أرضا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها، فقال: (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ) لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر

العباد والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: (فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا) أي: أحييناها بعد موتها، (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾) أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.

❁ ❁ ❁

تفسير الأزواج

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن العزيز العليم الذي أقررتم له بخلق السموات والأرض هو الذي خلق الأصناف كلها أصناف البشر والجن والملائكة والنبات والحيوان، وكل الأصناف، وكذا خلق الذكور والإناث كما قال: (وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾) [الذاريات: ٤٩]، وهو الذي جعل لكم أيضًا السفن العظيمة التي تركبونها هداكم لصناعتها وسيَّرها لكم، وكذا جعل لكم من الأنعام ما تركبونه وتنتقلون به من بلدةٍ إلى أخرى، وهي الإبل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا) يقول تعالى ذكره: والذي خلق كل شيء فزوجه، أي خلق الذكور من الإناث أزواجا، الإناث من الذكور أزواجًا (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ) وهي السفن (وَٱلْأَنْعَٰمِ) وهي البهائم (مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾) يقول: جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث قصدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونه في

البر إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيل والبغال والحمير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ) أي والله الذي خلق الأزواج قال سعيد بن جبير : أي الأصناف كلها وقال الحسن : الشتاء والصيف والليل والنهار والسماوات والأرض والشمس والقمر والجنة والنار وقيل : أزواج الحيوان من ذكر وأنثى قاله ابن عيسى وقيل : أراد أزواج النبات كما قال تعالى : (وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧) [ق : ٧]، و (مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧) [الشعراء: ٧] وقيل ما يتقلت فيه الإنسان من خير وشر وإيمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم.

قلت : وهذا القول يعم الأقوال كلها ويجمعها بعمومه : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ ﴾ السفن (وَٱلْأَنْعَٰمِ) الإبل (مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢) في البر والبحر (لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ) ذكر الكناية لأنه رده إلى ما في قوله : (مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢) قاله أبو عبيد : وقال الفراء : أضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك ذكر وجمع الظهور أي على ظهور هذا الجنس.

الثانية : قال سعيد بن جبير : الأنعام هنا الإبل والبقر وقال أبو معاذ : الإبل وحدها وهو الصحيح لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «**بينما رجل راكب بقرة إذ قالت له لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث**» فقال النبي ﷺ: «**آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر**» وما هما في القوم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا) أي: مما تنبت الأرض من سائر

الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزاهير، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها، (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ) أي: السفن (وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾) أي: ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها.

قال الشنقيطي: رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ).

الأزواج الأصناف، والزوج تطلقه العرب على الصنف. وقد بين تعالى أن الأزواج المذكورة هنا تشمل أصناف النبات وبني آدم وما لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) **[يس:٣٦]**.

وقال تعالى: (وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾). **[طه:٥٣]**

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ) أي: السفن البحرية، الشراعية والبخارية، «و» من (وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ).

وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، (ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: (وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾) أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها

ويسر أسبابها.

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

(وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾) أي: وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ليحاسب كلا بما قدمت يداه. وفيه إيذان وإعلام، بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه، من المسير، ويتذكر منه المسافرة العظمى، التي هي الانقلاب والرجوع إلى الله تعالى: فيبني أموره في مسيره ذلك، على تلك الملاحظة. ولا يخطر بباله في شيء، مما يأتي ويذر أمرًا ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع.

❀ ❀ ❀

س: كيف قيل (لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ)، وهو مؤنث.

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن المراد الجنس، والمعنى لتستووا على ظهور هذا الجنس الذي ذكّرناكم به.

وقال آخرون: (لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ) عائدٌ على الفلك.

واستفاض الطبري في ذِكر وجوه الجواب، فقال:

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: (عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ) وتذكيرها، فقال بعض نحويي البصرة: تذكيره يعود على ما تركبون، وما هو مذكر، كما يقال: عندي من النساء من يوافقك ويسرك، وقد تذكر الأنعام وتؤنث. وقد قال في موضع آخر: (مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ) [النحل: ٦٦]، وقال في موضع آخر: (بُطُونِهَا) [المؤمنون: ٢١]، وقال بعض نحويي الكوفة: أضيفت الظهور إلى الواحد، لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند

والجيش. قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستووا على ظهره، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد. قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فردت الظهور إلى المعنى، ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد. وكذلك تقول: قد كثر نساء الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال: وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة، فأخرجها على الجمع، وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع العسكر صوته، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلا الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستووا على ظهوره، لأنه وصف للفلك، ولكنه وحد الهاء، لأن الفلك بتأويل جمع، فجمع الظهور ووحد الهاء، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير، فقلت: الجند رجال، فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ سخر لكم من الفلك والأنعام ما تركبونه فإذا تمكنتم منه وركبتموه متمكنين ذكرتم نعمة الله عليكم بتسخيره لكم وقلتم شاكرين نعمة الله منزهين له عن الشريك والمثيل والندِّ، تنزه ربنا عن كل النقائص والعيوب وتنزه ربنا عن الشريك

والمثيل والندِّ والولد والصاحبة وعن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا القادر الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه وما كنا نطيق تطويعه لنا وتسخيره لنا لولا أن سخره الله لنا، وإنا إلى ربنا يوم القيامة لصائرون وراجعون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ) يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر (إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ) فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام (وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣)﴾.

وأورد بإسناد صحيح بطرقه عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال:

قال: ركبت دابة، فقلت: (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣)، فسمعني رجل من أهل البيت؛ قال أبو كريب والهباري: قال المحاربي: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما(١)، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما، ثم تقول بعد ذلك ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

(لِتَسۡتَوُاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ) يعلمكم كيف

(١) وقد أورد الطبري عقبه ما يؤيد أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١]، وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعًا تقولون: اللهم أنزلنا منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿لِتَسۡتَوُاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: لتستووا متمكنين واقفين ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: على ظهور هذا الجنس، ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ﴾ أي: فيما سخر لكم ﴿إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه.

❁ ❁ ❁

التنبيه بأمور الدنيا على أمور الآخرة

س: كثيرًا ما يُنبه بسير الدنيا على السير إلى الآخرة وبزاد الدنيا على التزود للآخرة. وضح ذلك.

ج: إيضاحه من عدة آيات:

إحداها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا بلا شك في الدنيا، ثم التذكير بسير الآخرة في قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: يا أيها الحجيج تزودوا بالزاد الكافي واللازم لكم في سفركم ثم نبّه على التزود بزاد آخر للآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكـــذا قولـــه تعـــالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾ [الأعراف: ٢٦] أي: فاكتسوا وتزينوا يا عباد الله ولا تنسوا زادًا آخر هو أفضل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: فلا تنسوا التزود به.

وكـذا قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ [النحل: ٨-٩]، فبعد أن بيَّن سبحانه وتعالى أنه سخر لنا الخيل والبغال والحمير لركوبها، وكذا ما سخره الله لنا مما لم يكن ليخطر للمشركين على بال بيَّن سبحانه أن عليه بيان الطرق الموصلة إليه وإلى مرضاته، فقال: (وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ)، وهنالك سبل لا توصل إليه ولا إلى مرضاته، وإليها الإشارة بقوله تعالى: (وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ)، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤) أي: لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر. وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الأخروي في قوله: (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ) [البقرة: ١٩٧] وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: (وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ) [الأعراف: ٢٦].

بعض الذكر الوارد عند ركوب الدابة

س: اذكر بعض الوارد من الأحاديث عند ركوب الدابة.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾ [هود: ٤١].

وما أخرجه مسلم[1] من طريق عليٍّ الأزدي أن ابن عمر علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**». وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**».

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (٩/١١٠) مع النووي.

قال الله تعالى:

(وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾)

[الزخرف: ١٥-٢٥]

س: اذكر ما يلي:

(جُزۡءٗا – لَكَفُورٞ – مُّبِينٌ – وَأَصۡفَىٰكُم – كَظِيمٌ – يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ – فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ – يَخۡرُصُونَ – عَلَىٰٓ أُمَّةٖ – عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم – مُّتۡرَفُوهَآ – بِأَهۡدَىٰ).

ج:

الكلمة	معناها
(جُزۡءٗا)	نصيبًا
(لَكَفُورٞ)	لجحود لِنعم الله عليه غير شاكر لها، يُظهر المصائب وينسى النعم
(مُّبِينٌ)	مظهرٌ لجحوده
(وَأَصۡفَىٰكُم)	اختاركم
(كَظِيمٌ)	ممتلئ غيظًا - حزين - مكروب - مهموم
(يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ)	يتربى في الصغر لابسًا الحُليّ
(فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ)	عند الخصومة غير مظهر لحجته
(يَخۡرُصُونَ)	يكذبون - يتكلمون بغير علم
(عَلَىٰٓ أُمَّةٖ)	على ملةٍ وطريقة في العبادة
(عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم)	على خطاهم - على طريقهم
(مُّتۡرَفُوهَآ)	الأثرياء من أهلها
(بِأَهۡدَىٰ)	بأفضل وأرشد وأسدّ

س: ما المراد بالجزء في قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: وهو أولاها وأشهرها أن المراد بالجزء النصيب، فالمعنى، وجعل هؤلاء الكفار لله ﷻ نصيبًا مما خلقه الله من العباد فقالوا: الملائكة بنات الله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذا اختيار الطبري إذ قال: يقول تعالى ذِكره وجعل هؤلاء المشركون لله ﷻ من خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله.

ثم قال:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الله جلَّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: (أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ توبيخًا لهم على قولهم ذلك، فكان معلوما أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلَّ ثناؤه.

القول الثاني: أن المراد بقوله: (جُزۡءًاۚ) أي: عدلًا وشريكًا ونِدًّا، وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال: عدلًا.

وقول ثالث ذكره ابن كثير إذ قال:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله، كما ذكر الله عنهم في سورة «الأنعام»، في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأنعام:

١٣٦] . وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١، ٢٢] . وقال هاهنا: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بهم؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل

بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بُدَّ أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ).

قال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) أي عدلا ونظيرا، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله.

وقال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) أي ولدا.

وقال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) يعني البنات.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، واستشهد على ذلك بآية الأنعام. أعني قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ) الآية [الأنعام:١٣٦].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا

رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير صواب في الآية؛ لأن المجعول لله في آية الأنعام، هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجعول له في آية الزخرف هذه، جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث والأنعام، وبين الأمرين فرق واضح كما ترى.

وأن قول قتادة ومن وافقه: إن المراد بالجزء العدل والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضا؛ لأن إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب.

أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقيق في الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الإنسان في الغالب إلا من رحم الله - لجحود لنعم الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقدم لها شكرًا بل ينساها وإذا حلَّت به مصائب يُعدد المصائب، قد أظهر ذلك وبين حالته تلك بنفسه وصنيعه فهو دائم التسخط والتشكي، قليل الشكر والاعتراف لله بالفضل، قليل الثناء على الله.

وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ **[العاديات: ٦-٧].**

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه،

لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفقد اتخذ ربكم من خلقه البنات وأختصكم أنتم بالذكور أيها الجاهلون، فقد قسمتم الخلق بينكم وبين ربكم ﷻ واخترتم لأنفسكم ما ترونه أفضل، قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ يقول جل ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم، وأصفاكم بالبنين. يقول: وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلا يقول: بما مثل لله، فشبهه شبها، وذلك ما وصفه به من أن له بنات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ الميم صلة؛ تقديره اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم أن الملائكة بنات الله؛ فلفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ. ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ أي: اختصكم وأخلصكم بالبنين؛ يقال: أصفيته بكذا؛ أي: آثرته به. وأصفيته الودّ أخلصته له. وصافيته وتصافينا تخالصنا. عجب من إضافتهم

إلى الله اختيار البنات مع اختيارهم لأنفسهم البنين، وهو مقدّس عن أن يكون له ولد إن توهم جاهل أنه اتخذ لنفسه ولدًا فهلا أضاف إليه أرفع الجنسين! ولم جعل هؤلاء لأنفسهم أشرف الجنسين وله الأخس؟ وهذا كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾.

[النجم: ٢١-٢٢]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا بُشر أحد هؤلاء المشركين بالبنت الذي جعلها لله ﷻ لم يرض بذلك ولم يسعد بل يظل مهمومًا محزونًا مكروبًا ممتلئ غمًّا وهمًّا ونكدًا وغيظًا، وينعكس كل ذلك على وجهه فيري أسود.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي بأنه ولدت له بنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ أي صار وجهه ﴿مُسْوَدًّا﴾ قيل ببطلان مثله الذي ضربه وقيل : بما بشر به من الأنثى دليله في سورة النحل : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ **[النحل : ٥٨]** ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت له أنثى اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضـــبان ألا نلـــد البنينـــا وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها (وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ) يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار. ثم ذكر تمام الإنكار فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك، يقول تعالى: فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجعلتم يا أهل الشرك لله عَزَّ وَجَلَّ أردأ الصنفين وهن الإناث الناقصات عقل ودين اللواتي يُنشأن منذ صغرهن في الحلية، فيتحلين بالذهب وسائر الحلي لتتميم نقصهن، وإذا تكلمن في

خصومة من الخصومات لا يستطعن الكلام ولا إثبات حقوقهن في كثير من الأحيان. هذا والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عَيِيَّة، أوَ مَنْ يكون هكذا ينسب إلى جناب الله عَزَّ وَجَلَّ؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب:

وَمَا الحُلي إلا زينَةٌ من نقيصةٍ ... يتمّمُ من حُسْن إذا الحُسْن قصَّرا

وأمَّا إذا كان الجمالُ موفَّرا ... كحُسْنك، لم يَحْتَجْ إلى أن يزوَّرا

وأما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت: «ما هي بنعم الولد: نصرها بكاء، وبرها سرقة».

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾، فقال بعضهم: عُني بذلك الجواري والنساء، وأورد آثارًا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: عُني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله،

وأورد أثر ابن زيد في ذلك إذ قال: في قوله: (أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ)... الآية، قال: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشؤوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها (وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾) قال: لا يتكلم، وقرأ: (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) [يس: ٧٧].

إلا أن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى اختار القول القائل بأن المراد الجواري والنساء، واختياره - فيما أرى- والله أعلم هو الصحيح فسياق الآيات الكريمات يؤيده، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ووصف هؤلاء المشركون ملائكة الله عَزَّ وَجَلَّ المقربين، الذي هم عبادُ الله، وصفوهم بأنهم إناث وادعوا ذلك واعتقدوه فقال تعالى مُنكرًا: (أَشَهِدُواْ) أي: أحضروا خلقهم ورأوهم إناثًا ستكتب هذه الشهادة التي أدلوا بها ويكتب هذا الافتراء الذي افتروه

وسيُسألوا عن كل ذلك يوم القيامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ) أي: اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك، فقال: (أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ) أي: شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا، (سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ) أي: بذلك، (وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩) عن ذلك يوم القيامة. وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة (**الذين هم عند الرحمن**) بالنون، فكأنهم تأولوا في ذلك قول الله جلَّ ثناؤه: (إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ) [الأعراف: ٢٠٦]، فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدسونه إناثا، فقالوا: هم بنات الله جهلا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله عنده.

وقولـه: (سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ) يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء

القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلًا.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الرد على المشركين في قولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ) لما احتجوا به على جواز عبادة الأصنام؟

ج: أولًا: قولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ) كما يقول القائل: كلمة حقٍ أريد بها باطل، فنعم الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله، ولكن قولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ) متضمنٌ منهم لمعتقدٍ حاصله أن الله رضي منهم بعبادة الملائكة أو بعبادة الأوثان بل وأمرهم بذلك كما ذُكر في موطن آخر: (وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ) [الأعراف: ٢٨]، فكأنهم قالوا ولو لم يرض منا بذلك لحال بيننا وبين وقوع ذلك منا ولأنزل علينا عقوبة بسبب ذلك عاجلًا غير آجل.

فدعواهم التي تضمنها قولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ) باطلة؛ لأن الله سبحانه قال: (وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ) [الزمر: ٧].

ثانيًا: أن صريح الكتاب العزيز والسنة المباركة، وهذا من المتواتر المعلوم تواتره بالإجماع يُفيد أن الله ﷻ أرسل الرسل عليهم صلوات الله وسلامه كلهم قاطبة للأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة من سواه.

قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾) [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالى: (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) [النحل: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

ثالثًا: أن الله حذَّر أشد التحذير من الشرك بـه، فقـال: (إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾) [المائـــدة: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

رابعًا: إنـه لا علـم لأحـدٍ بـالأمور التـي قدرها الله وقضـاها إلا بآيـة أو بحديث، وليس لهؤلاء علم بأن الله قدَّر عليهم أن يموتوا على الكفر.

ولا يحتج بالقدر على إسقاط العقوبات الدنيوية كما هو معلوم.

خامسًا: إنهم لو احتج عليهم محتج بمثل ذلك ما قبلوه منه فلو سرق أحدٌ أموالهم، أو زنـى أحد بنسائهم أو قتل رجلٌ أولادهم واحتج عليهم لإسقاط العقوبة عنه - بأن ذلك مقدرٌ ما قبلوه منه.

وهنالك جملة من الأقوال كثيرة للرد على هؤلاء الذين استجازوا الإقامة على الكفر والباطل محتجين على ذلك بالقدر، تأتي في مواضعها إن شاء الله.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ) أي: لـو أراد الله لحـال بيننـا وبـين عبـادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التـي هـي بنـات الله، فإنـه عـالم بذلك وهو يقررنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدها: جَعْلُهم لله ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله

ﷻ، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قَدَرا، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ يعني قال المشركون على طريق الاستهزاء والسخرية : لو شاء الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل وكل شيء بإرادة الله وإراداته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد مقدور وإن لم يقع ولو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى في الأنعام عند قوله : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨]، وفي «يس» : ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ [يس : ٤٧].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠) أي يحدثون ويكذبون فلا عذر لهم في عبادة غير الله عز و جل وكان في ضمن كلامهم أن الله أمرنا بهذا أو رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتنا لها.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ) فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلًا وشرعًا. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

وأما شرعًا، فإن اللّه تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن اللّه تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا ولهذا قال هنا: (مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠) أي: يتخرصون تخرصًا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠).

في هذه الآية الكريمة إشكال معروف، ووجهه أن قول الكفار الذي ذكره الله عنهم هنا، أعني قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠]، هو بالنظر إلى ظاهره كلام صحيح، لأن الله لو شاء أن يعبدوهم ما عبدوهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ الآية [السجدة:١٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام:١٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩].

وهذا الإشكال المذكور في آية الزخرف هو بعينه واقع في آية الأنعام، وآية النحل.

أما آية الأنعام فهي قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وأما آية النحل، فهي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ الآية [النحل:٣٥].

فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وآية الأنعام، وآية النحل: أن ما قاله الكفار حق، وأن الله لو شاء ما عبدوا من دونه من شيء ولا أشركوا به شيئا، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريبا.

فاعلم أن وجه الإشكال، أن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، قال في آية الزخرف: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

﴿٢٠﴾ [الزخرف:٢٠]، أي يكذبون، وقال في آية الأنعام: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال في آية النحل: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ [النحل:٣٥].

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم، هو الكفر بالله والكذب على الله، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه.

والجواب عن هذا أن مراد الكفار بقولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ) وقولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]، مرادهم به أن الله لما كان قادرا على منعهم من الشرك، وهدايتهم إلى الإيمان ولم يمنعهم من الشرك، دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم.

قالوا: لأنه لو لم يكن راضيًا به، لصرفنا عنه، فتكذيب الله لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به، والله جل وعلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله: (وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ) [الزمر:٧].

فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية القدرية، تستلزم الرضى وهو زعم باطل، وهو الذي كذبهم الله فيه في الآيات المذكورة.

وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف: ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف:٢١]، أي آتيناهم كتابا يدل على أنا راضوان منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبينا أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: (بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾

[الزخرف:٢٢]، أي شريعة وملة وهي الكفر وعبادة الأوثان: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢].

فقوله عنهم: ﴿مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ هو مصب التكذيب، لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال.

فالاهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى، وسيأتي إيضاح رده عليهم قريبا إن شاء الله.

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل:٣٦].

فأوضح في هذه الآية الكريمة أنه لم يكن راضيًا بكفرهم، وأنه بعث في كل أمة رسولا، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا الله وحده، ويجتنبوا الطاغوت أي يتباعدوا عن عبادة كل معبود سواه.

وأن الله هدى بعضهم إلى عبادته وحده، وأن بعضهم حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الكفر والشقاء.

وقال تعالى في آية الأنعام: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾

[الأنعام:١٤٩]

فملكه تعالى وحده للتوفيق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق، فهو فضل منا ورحمة.

ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة، لأنه لم يكن له ذلك دينا

علينا ولا واجبا مستحقا يستحقه علينا، بل إن أعطينا ذلك ففضل، وإن لم نعطه فعدل.

وحاصل هذا: أن الله تبارك وتعالى قدر مقادير الخلق، قبل أن يخلق الخلق، وعلم أن قوما صائرون إلى الشقاء وقوما صائرون إلى السعادة، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأقام الحجة على الجميع، ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبسًا فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك.

ثم إنه تعالى وفق من شاء توفيقه، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل الخير والشر، وصرف قدرهم وإرادتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه، من أعمال الخير المستوجبة للسعادة وأعمال الشر المستوجبة للشقاء.

فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا، طائعين مختارين، غير مجبورين، ولا مقهورين: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ **[الإنسان:٣٠]**، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ **[الأنعام:١٤٩]**.

وادعاء أن العبد مجبور لا إرادة له ضروري السقوط عند عامة العقلاء.

ومن أعظم الضروريات الدالة عليه أن كل عاقل يعلم أن بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية، كحركة المرتعش فرقا ضروريا، ولا ينكره عاقل.

وأنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون، وفقأت عينه مثلا،

وقتلت ولده واعتذرت له بالجبر، فقلت له: أنا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء الذي فعلته بك، بل هو فعل الله، وأنا لا دخل لي فيه فإنه لا يقبل منك هذه الدعوى بلا شك، بل يبالغ في إرادة الانتقام منك قائلا: إن هذا بإرادتك ومشيئتك.

ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته، أنه لا يمكن أحدا أن ينكر علم الله بكل شيء، قبل وقوعه والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا ينكرها إلا مكابر.

وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه، برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى.

وإيضاح ذلك أنك لو قلت للقدري: إذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقة أو الزنا في محل كذا في وقت كذا، وأردت أنت بإرادتك المستقلة في زعمك دون إرادة الله ألا تفعل تلك السرقة أو الزنا الذي سبق بعلم الله وقوعه، فهل يمكنك أن تستقل بذلك؟ وتصير علم الله جهلا، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له؟

والجواب بلا شك: هو أن ذلك لا يمكن بحال كما قال تعالى: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) [الإنسان:٣٠]، وقال الله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾) [الأنعام:١٤٩].

ولا إشكال ألبتة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه، فيأتيه العبد طائعا مختارا غير مقهور ولا يجور، وغير مستقل به

دون قدرة الله وإرادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (مِّن قَبۡلِهِۦ) من قبل ماذا؟

ج: ذهب الأكثرون إلى أن ذلك راجع إلى القرآن أي من قبل القرآن، وقال بعض العلماء: من قبل شركهم، والأول أظهر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ما لهؤلاء المشركين مستمسكين بما هم عليه من عبادة الأوثان والشرك بالله، وما لهؤلاء المشركين تاركين للقرآن هاجرين له، هل أنزلنا عليهم قبل هذا القرآن كتابًا من السماء من عندنا فهم به مستمسكون ومن ثم لا يتزحزحون عنه ولا يحيدون؟!

وهذه الآية كقوله تعالى: (أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ **[الروم: ٣٥]**.

وكقوله تعالى: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ) **[فاطر: ٤٠]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ) يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد. (فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ أي: من قبل شركهم، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] أي: لم يكن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يستدل على الكفار بأنهم يعملون أعمالهم على غير برهانٍ ولا كتاب سابق، دلل على ذلك.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» مجيبًا على هذا:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

أم هنا تتضمن معنى استفهام الإنكار، يعني جل وعلا أن هذا الذي يزعم الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأوثان، وجعلهم الملائكة بنات الله، لا دليل لهم عليه، ولذا أنكر أن يكون آتاهم كتابا يحل فيه ذلك وأن يكونوا مستمسكين في ذلك بكتاب من الله، فأنكر عليهم هذا هنا إنكارا دالا على النفي للتمسك بالكتاب المذكور، مع التوبيخ والتقريع.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن كفرهم المذكور لم يكن عن هدى من الله، ولا كتاب أنزله الله بذلك، جاء موضحا في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ الآية [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى في الأحقاف: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ

ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾) [الأحقاف:٤].

وقوله تعالى في الروم: (أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾) [الروم:٣٥].

وقوله تعالى في الصافات: (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾) [الصافات:١٥٦-١٥٧].

وقوله تعالى في النمل: (أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾) [النمل:٦٤].

وقوله تعالى في الحج ولقمان: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾) [الحج:٨].

وقوله تعالى في الأنعام: (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾) [الأنعام:١٤٨].

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا ما آتينا الكفار كتابًا يستمسكون به ويستشهدون به على كفرهم وإنما اتبعوا ملة آبائهم الباطلة التي كانوا عليها من غير سلطان ولا بينة ولا برهان، فإذا سألتهم هل أتاكم كتاب من عند الله يأمركم فيه بالشرك بالله وعبادة الوثن قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على نهجهم سائرون، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا

هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها؛ وعنى جلَّ ثناؤه بقوله: (بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ). بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان.

ثم قال:

وقوله: (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢) يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢) أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا، وفي قوله: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ) [الأنبياء: ٩٢].

وقولهم: (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم) أي: ورائهم (مُّهۡتَدُونَ ٢٢) ، دعوى منهم بلا دليل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢) أي نهتدي بهم وفي الآية الأخرى: (مُّقۡتَدُونَ ٢٣) أي نقتدي بهم والمعنى واحد قال قتادة : مقتدون متبعون وفي هذا دليل على إبطال التقليد لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يستدل أهل الكفر على إقامتهم على ما هم عليه بأن الآباء والأجداد فعلوا ذلك. دلّل على هذا.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾.

[لقمان: ٢١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ٧٠﴾.

[الصافات: ٦٩-٧٠]

وقوله تعالى في شأن إجابة قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ **[الأنبياء: ٥٣]**.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ **[المائدة: ١٠٤]** إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾).

ج: هذه الآية تحمل مواساة لرسول الله ﷺ فكان المعنى، وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فهكذا سلك من كانوا قبلهم هذا المسلك من مسالك التكذيب، فما أرسلنا في قرية من قبلك من رسول ينذرهم ويحذرهم إلا قال كبراؤها والأثرياء منهم إنا وجدنا آباءنا على ملةٍ وعلى طريقة فلن نبرحها ولن نتركها بل سنقتفي آثارهم ونسلك مسلكهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم (إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ)، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾) [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وهكذا قال هاهنا: (وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾).

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الرسول المرسل إلى قومه لما دعاهم إلى الله فأجابهم المترفون بقولهم: (إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾)، قال الرسول: أرأيتم لو جئتكم من عند الله بقرآنٍ فيه هدايةٌ لما تجدوا عليها الآباء والأجداد، فأعرضوا قائلين جاحدين إنا بما أرسلتم به كافرون، أي: مكذبون جاحدون معرضون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم) أيها القوم من عند ربكم (بِأَهۡدَىٰ) إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدتُّمۡ﴾ أنتم (عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ) من الدين والملة. (قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون.

وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي جعفر: (**قل أولو جئتكم**) بالتاء. وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه: (**قل أو لو جئناكم**) بالنون والألف. والقراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى: (قَٰلَ) أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: (أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا

وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به، لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ) أي قل يا محمد لقومك : أوليس قد جئتكم من عند الله بأهدى يريد بأرشد (مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعني بكل ما أرسل به الرسل فالخطاب للنبي ﷺ ولفظه لفظ الجمع لأن تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ: ﴿**قل وقال وجئتكم وجئناكم**﴾ يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ؟ قالوا : إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى.

❁ ❁ ❁

س: بأي شيء انتقم الله منهم؟

ج: منهم من انتقم الله منه بالخسف، ومنهم بعذاب يوم الظلة، ومنهم بالغرق، ومنهم بالريح الصرصر العاتية، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم بالطوفان إلى غير ذلك من صور الانتقام المذكورة في قصصهم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فانتقمنا من هؤلاء الكفرة المُصرين على كفرهم المكذبين لرسلهم بصور عديدة من صور الانتقام، فانظر يا رسول الله بعين الاعتبار كيف كان مصيرهم، وإلى ماذا آل أمرهم!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها، بإحلالنا العقوبة بهم، فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم، إذ كذبوا بآيات الله. ويعني بقوله: (عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾) آخر أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب، كما فصله تعالى في قصصهم، (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾)؟ أي: كيف بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى
فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا
جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ
قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾
وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ
سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا
عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٣٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَرَآءٌ – فَطَرَنِي – سَيَهۡدِينِ – عَقِبِهِۦ – رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ – سُخۡرِيّٗاۗ – أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ – سُقُفٗا – وَمَعَارِجَ – يَظۡهَرُونَ – يَتَّكِـُٔونَ – وَزُخۡرُفٗاۚ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَرَآءٌ)	مُتخلي - رافض - تارك
(فَطَرَنِي)	خلقني
(سَيَهۡدِينِ)	سيوفقني ويرشدني ويُسددني
(عَقِبِهِۦ)	ذريته - نسله
(رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ)	قيل: المراد بها النبوة التي يمن الله بها على من يشاء من عباده. وقيل: الكرامة التي يكرم الله بها من يشاء. وقيل: عموم ما يرحم الله به العباد ويتفضل به عليهم
(سُخۡرِيّٗاۗ)	من التسخير والاستخدام. والمعنى: ليسخر بعضهم بعضًا بكونه يعمل عنده فيأمره وينهاه - خدمًا مسخرين
(أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)	ملة واحدة (على الكفر)
(سُقُفٗا)	أعالي البيوت - السطوح - ما تغطى به الغرف
(وَمَعَارِجَ)	درج (درجات السلالم)
(يَظۡهَرُونَ)	يصعدون
(يَتَّكِـُٔونَ)	الاتكاء هو الميل بأحد الشقين على السرير أو على الأرض أو على غير ذلك
(وَزُخۡرُفٗاۚ)	ذهبًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر قول إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن إذ قال لأبيه آزر ولقومه المشركين الذي أشركوا بالله وعبدوا معه آلهة أخرى من أوثان وأصنام وغير ذلك إذ قال لهم إبراهيم عليه السلام (إِنَّنِى بَرَآءٌ) أي: متبرؤٌ من عبادتكم ومن آلهتكم التي تعبدونها لكن ربي عز وجل الذي خلقني فإني لا أتبرأ منه فإنه خالقي وسيهديني ويوفقني ويسددني ويرشدني، وهذه الآية في معناها قوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ).

[الممتحنة: ٤]

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى) هل هو استثناء متصل أم منقطع؟

ج: الوجهان قائمان لأهل العلم: فالذي قال إنه استثناء متصل، قال: إن القوم كانوا يعبدون الله عز وجل وكانوا يعبدون معه آلهة أُخرى فتبرأ إبراهيم عليه السلام من آلهتهم التي هي دون الله عز وجل ولم يتبرأ من عبادة الله عز وجل.

قال قتادة[1]: كايدهم، كانوا يقولون إن الله ربنا (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) **[لقمان: ٢٥]**، فلم يبرأ من ربه والذي قال إنه منقطع قال: معناه لكن الذي فطرني فإنه سيهدين، قال القرطبي: ويجوز أن يكون منقطعًا أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين، قال ذلك ثقةً بالله وتنبيهًا لقوله أن

(١) أخرجه الطبري (٣٠٨١٤)، بسندٍ حسن.

الهداية من ربه ﷻ.

والآية كقوله: (ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾) [الشعراء: ٧٨].

❁ ❁ ❁

س: ما هذه الكلمة التي قال الله في شأنها: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ)؟

ج: الكلمة هي قول: لا إله إلا الله. هذا قول جمهور المفسرين، وقال بعض أهل العلم: هي الإسلام، وهذا الأخير قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال في قوله: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) فقرأ: (إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾) [البقرة: ١٣١]، قال: جعل هذه باقية في عقبه، قال: الإسلام، وقرأ: (هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) [الحج: ٧٨]، فقرأ: (وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) [البقرة: ١٢٨].

❁ ❁ ❁

س: من الذي جعلها باقية؟

ج: الذي جعلها باقية في عقب إبراهيم هو الله ﷻ تفضلًا منه وامتنانًا على إبراهيم عليه السلام جعل الله ﷻ في ذريته من يتولى لا إله إلا الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾) أي: إليها.

قال القرطبي رحمه الله:

وضمير الفاعل في (وَجَعَلَهَا) لله عز وجل أي وجعل الله هذه الكلمة

والمقالة باقية في عقبه وهم ولده أي إنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله وأوصى بعضهم بعضًا في ذلك.

س: قوله تعالى: (لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨) إلى ماذا؟

ج: يرجعون إلى طاعة ربهم وإلى الإسلام وإلى كلمة التوحيد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم ويثُوبوا إلى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨) أي: يتوبون أو يذكرون. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إني لم أعاجل هؤلاء الكفار المشركين من أهل مكة بالعقوبة مع أن كلمة التوحيد كانت باقية في نسل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكني أمهلتهم حتى أرسلت إليهم رسولي وأنزلت عليه كتابي يتلوه عليهم، فالحق هو القرآن، والرسول هو محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن ما آمنوا إذ جاءهم الحق وما أسلموا ولكن وصفوا القرآن بأنه سحرٌ ووصفوا رسول الله ﷺ بأنه ساحر، وأعلنوا صراحةً عن كفرهم، وذلك بقولهم هذا سحرٌ وإنَّا به كافرون، أي: له جاحدون منكرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (بَلۡ مَتَّعۡتُ) يا محمد (هَٰٓؤُلَآءِ) المشركين من قومك ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ من قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حَتَّىٰ جَآءَهُمُ

ٱلۡحَقُّ﴾ يعني جل ثناؤه بالحق: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب، وبعثت فيهم رسولًا مبينًا. يعني بقوله: (وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾: محمدًا ، والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول: (وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ) يقول جل ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه (قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ يقول: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحي من الله (وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله.

❁ ❁ ❁

س: من هذا الرجل الذي عناه المشركون بقولهم: (لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد الوليد بن المغيرة (أبو خالد بن الوليد) من أهل مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف.

الثاني: أنه عتبة بن ربيعة من أهل مكة أو حبيب بن عمرو الثقفي من أهل الطائف.

وثمَّ أقوالٌ أُخر.

وكل ذلك ليس من وراء العلم به كبير طائل ولو كان في التسمية كبير نفع لبيَّنه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

ولقد أحسن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه، مخبرا عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، والاختلاف فيه موجود على ما بيَّنت.

❁ ❁ ❁

س: ما هاتان القريتان اللتان ذُكرتا في الآية الكريمة: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾).

ج: المراد عند جماهير المفسرين (مكة والطائف)، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾).

ج: هذا، والله أعلم، معناه أهؤلاء الذين يقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهؤلاء يقسمون رحمة ربك فيكرموا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا؟!!! كلا فليس هذا لهم بل كل هذا موكول إلى الله يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد ويمن على من شاء بما شاء، فهو سبحانه الذي قسم بين العباد معايشهم في الحياة الدنيا فجعل هذا حرًّا، وجعل ذاك عبدًا، وجعل هذا غنيًّا وجعل ذاك فقيرًا، وابتلى هذا بالمرض وعافى هذا من المكروه، ورزق هذا بالولد، وحرم هذا، وزوج هذا ذكرانا وإناثًا ورزق هذا بالبنات، وقلَّد هذا منصبًا ومنَّ عليك بالملك وحرم هذا

من المنصب، إلى غير ذلك من صور التفضيل بين العباد فهذا غني، وذاك فقير، وهذا وضيعٌ وذاك جليل القدر عند الناس، وهذه وسيمةٌ وضيئة وتلك دميمة.

وهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ إلى غير ذلك كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) [الفرقان: ٢٠]، وكما قال: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾) [نوح: ١٤]، ثم إن الله ﷻ رفع بعض الأقوام على بعض فجعل هذا مالكًا وهذا مملوكًا مستخدمًا، وهذا غنيًّا وذاك فقيرًا وذلك حتى تستقيم الحياة ويستخدم هذا ذاك في عمله وإلا فلو كان الجميع أغنياء ما وجدوا من يخدمهم ولو كان الجميع فقراء ما استخدم أحدهم الآخر كذلك، فقوله: (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) أي: يسخره في العمل والخدمة. وقيل: استهزاءً وازدراءً، والأول أولى، ثم إن الله ﷻ بيَّن أن رحمة الله ﷻ التي يمن بها على العباد من الإيمان والنبوة والإسلام والسمع والطاعة له، كل ذلك خير مما يجمع من حطام الدنيا الفاني الزائل، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحب، ويحرمه من شاء؟

وقال أيضًا:

وقوله: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره: بل نحن

نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولًا ومن أردنا صديقًا، ونتخذ من أردنا خليلًا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيًّا، وهذا فقيرًا، وهذا ملكًا، وهذا مملوكًا (لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ).

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قال الله تبارك وتعالى:

(أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) فتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جلَّ ثناؤه: (نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ) يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا فى المعاش، في الدنيا.

ثم قال: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خيرٌ لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ)؟ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا.

ثم قال تعالى مبينا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال

والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

وقوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره.

وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا. وهو راجع إلى الأول.

ثم قال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يعني أنه تعالى لم يفوِّض إليهم أمر معايشهم وحظوظهم، في الدنيا، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم، فجعل هذا غنيًّا، وهذا فقيرًا، وهذا رفيعًا، وهذا وضيعًا، وهذا خادمًا، وهذا مخدومًا، ونحو ذلك فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا، ولم يحكمهم فيها، بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في من ينزل إليه الوحي؟

فهذا مما لا يعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢]، التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير.

ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض، لأن نظام العالم في الدنيا، يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل

وعلا، أن يجعل هذا فقيرا مع كونه قويًّا قادرًا على العمل، ويجعل هذا ضعيفا لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم، يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي فتنتظم المعيشة، لكلٍّ منهما وهكذا.

وهذه المسائل التي ذكرها الله جل وعلا، في هذه السورة الكريمة جاءت كلها موضحة في آيات أخر من كتاب الله.

س: الحسد قد يُفضي إلى الكفر والقتل. دلّل على ذلك.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، وقد تقدمت، ومنها هاهنا اعتراض أهل الكفر على نبوة النبي محمد ﷺ بقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، ومن قبل ذُكر أن ابن آدم الأول قتل أخاه بسبب حسده إذ تُقبل منه القربان.

وإخوة يوسف عليه السلام فعلوا ما فعلوه معه حسدًا منهم له إذ أحبه أبوه حبًّا عظيمًا.

واليهود كفروا برسول الله ﷺ حسدًا منهم له.

والأدلة في هذا الباب كثيرة، سلمنا الله والمؤمنين من هذا الداء. آمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: ابتداء، فهذا بيانٌ لرحمة الله عز وجل بعباده المؤمنين فهو سبحانه

يحفظهم من كل ما يصرفهم عن طاعته وتوحيده، ويصرف عنهم ما قد يصرفهم عن طاعته أما عن معنى الآيات الكريمات، فأقول، وبالله التوفيق ولولا أن يجتمع الناس كلهم على الكفر لمتعنا الكفار بصنوف المتاع، ولكن رحمة منا بعبادنا المؤمنين ما متعنا الكفار بصنوف المتاع بل جعلنا منهم الغني والفقير والوسيم والدميم والصحيح والسقيم، وإلا فلولا أن يغتر المؤمنون بدنيا الكفار فيكفرون لمتعنا الكفار بأن نجعل سقوف بيوتهم من الفضة، وكذلك لجعلنا الدرج الذي يصعدون عليه في البيوت لسطوحها (السلالم) من فضة، وكذا لجعلنا أبواب البيوت وأبواب الغرف وكذا السرر التي ينامون عليها، لجعلنا كل ذلك من فضة ولجعلنا أيضًا لهم (أي: الكفار) ذلك من ذهبٍ، ولمتعناهم أيضًا بالذهب وذلك لأن هذا كله متاع زائل ونعيمٌ فانٍ، وإذا رآه المؤمنون لدخلوا في دين الكفر اغترارًا منهم بدنيا الكفار، فحفاظًا على أهل الإيمان وإيمانهم لم تُعط الكفار هذا، وإن كان هذا كله متاعًا زائلًا وفانيًا وما أعده الله ﷻ لأهل الإيمان والتقى في الآخرة خيرٌ من كل ذلك.

هذا، وفي الصحيحين(١) من حديث عمر رضي الله عنه في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه، قال عمر: فقلت: استأنس، يا رسول الله! قال: «**نعم**»، فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر إلا أهبًا ثلاثة. فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسًا، ثم قال: «أفي شكٍّ

(١) البخاري (حديث ٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

أنت؟ يا ابن الخطاب! أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: استغفر لي يا رسول الله! وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن. حتى عاتبه الله ﷻ.

وفي صحيح مسلم(١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة. ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة. فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا. والله! يا رب! ما مرَّ بي بؤس قط. ولا رأيت شدة قط»**.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئًا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا، لوسَّع الدنيا على الذين كفروا توسيعًا عظيمًا، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي: درجًا من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى سطوحهم.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾ من فضة، ولجعل لهم ﴿وَزُخْرُفًا﴾.

أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفًا عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عامًا أو خاصًّا لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند

---

(١) مسلم (٢٨٠٧).

الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدرة، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن كلُّ ما ذُكر من المتاع من الفضة والزخرف وغير ذلك لمتاعٌ زائل يستمتع به زمنًا قصيرًا ثم يزول أو يزول عنه الشخص أما الآخرة وما فيها من النعيم فهي خير، فنعيمها لا يتحول ولا يزول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾.

[العنكبوت: ٦٤]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) يقول تعالى ذكره: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا. (وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ يقول تعالى ذكره: وزينة الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدوا في طاعته،

وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) أي: إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله أي: يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها، كما ورد به الحديث الصحيح.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾) [الزخرف: ٣٦-٤٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَعۡشُ –نُقَيِّضۡ –قَرِينٞ –لَيَصُدُّونَهُمۡ –ٱلسَّبِيلِ –بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ –ٱلصُّمَّ –ٱلۡعُمۡيَ – نَذۡهَبَنَّ بِكَ –لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَعۡشُ)	يتعامى - يُعرض - يتغافل
(نُقَيِّضۡ)	نجعل - نسبب - نسلط
(قَرِينٞ)	مقارن - ملازم - مصاحب
(لَيَصُدُّونَهُمۡ)	ليصرفونهم
(ٱلسَّبِيلِ)	طريق الحق
(بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ)	المسافة ما بين المشرق والمغرب، وقيل: المشرقين تغليبًا كالأسودين (التمر والماء)، والأبوين (الأم والأب)، والله أعلم
(ٱلصُّمَّ)	الذين لا يسمعون الحق، الذين سلبهم الله سماع الحق
(ٱلۡعُمۡيَ)	الذين لا يرون الحق ولا يبصرونه
(نَذۡهَبَنَّ بِكَ)	نتوفينك
(لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ)	شرفٌ لك أن نزل عليك القرآن، وكذا شرفٌ لقومك إذ أُنزل القرآن على رجل منهم

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بذكر الله في قوله تعالى: (وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا...﴾.

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن المراد بذكر الله هنا القرآن وما فيه.

الثاني: أن المراد بالذكر عموم الذكر من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ونحو ذلك، والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: (وَمَن يَعۡشُ) أي: يعرض ويصد (عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ) الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقيَّض له الرحمن شيطانًا مريدًا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزًّا.

❁ ❁ ❁

س: الذي ينصرف وينشغل ويُعرض عن ذِكر الله تتسلط عليه الشياطين. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦).

وقوله تعالى: (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥) [الأعراف: ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾. [فصلت: ٢٥]

وقوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣) [مريم: ٨٣].

وقد وصف الشيطان بالخناس لكونه يخنس عند ذكر الله ﷻ.

وقولـه تعـالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ **[النساء: ١١٥]**.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ..﴾ **[الأنعام: ٧١]**

وفي الحديث(١) عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، ... فذكر الحديث، وفيه: «**وآمركم بذكر الله ﷻ كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في إثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذِكر الله ﷻ...**» الحديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن يُعرض عن هذا القرآن ويتغافل عنه ويتعامى، وكذا من يكذب به فإن الله ﷻ يسلط عليه شيطانًا يقارنه ويلازمه ويصاحبه ويصرفه عن الطاعة ويُزين له المعصية، يحبب إليه الحرام، ويزهده في الحلال، يحمله على التكذيب بالجنة والنار، وكلما أراد أن يسلك سبيل الخير زهَّده فيه وكرَّهه إليه ويزين له الباطل فيفعل

---

(١) أحمد بسندٍ صحيح (١٣٠/٤).

المُحرم ويظن أنه مُحسن وعلى خير وهدى، وذلك كما قال تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ) [فاطر: ٨]، وكما قال في شأن سبأ: (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ) [النمل: ٢٤]، وكما قال تعالى: (قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا) [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه (نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾) يقول: نجعل له شيطانًا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشْوًا وعشوًّا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ) يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته (وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾) يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكٍّ وعلى غير بصيرة. وقال جلَّ ثناؤه: (وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ) فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع، وإنما ذكر قبل واحدًا، فقال: (نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا) لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدًا، ففي معنى جمع.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، حتى إذا جاءنا المُعرض عن ذِكر الله ﷻ يوم القيامة مع قرينه تمنى أنه لم يكن قارنه ولا لازمه ولا صاحبه قائلًا: ياليتني لم أعرفك، ياليتني كنت بعيدًا عنك أبعد ما بين المشرق والمغرب فبئس القرين أنت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾).

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، أن الإشتراك في العذاب الدنيوي قد يخففه بعض الشيء كما يُذكر عن الخنساء أنها قالت:

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس معهم بالتأسي

بل كما قال تعالى: (إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ) **[النساء: ١٠٤].**

وعلى سبيل الإيضاح: إذا كان الطالب في مدرسة وقيل له: إنك قد رسبت في الامتحان فيحزن لذلك إذا كان هو الراسب الوحيد، أما إذا قيل له: كل الطلبة الذين في المدرسة قد رسبوا، فيخف عنه الهم والحزن.

أما في الآخرة فالاشتراك في العذاب لا يخففه، فهذا قوله تعالى: (وَلَن

يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) أي: لن ينفعكم وقد أشركتم في دنياكم بالله، اشتراككم في العذاب يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ) أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا (إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه اعلم الله تعالى أنه منع أهل النار التأسي كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا وذلك أن التأسي يستروحه أهل الدنيا فيقول أحدهم : لي في البلاء والمصيبة أسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء :.. وذكر البيتين اللذين تقدما.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله تعالى: (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه.

ولن ينفعكم أيضًا، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون هان عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفأنت يا رسول الله تُسمع من سلبه الله ﷻ استماع الحق وأفقده الله البصيرة التي يرى بها الصواب من الخطإ، ومن كان في غواية وبُعد ظاهر وواضح عن طريق الحق؟؟ ليس أمر الهداية - هداية التوفيق - بموكول إليك، إنما عليك البلاغ كما قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ) **[القصص: ٥٦]**، وكما قال: (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ) **[ق: ٤٥]** أي: لست بمجبر لهم على سلوك طريق الهداية، وكما قال: (لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢) **[الغاشية: ٢٢]**، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ) : من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى (وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠) يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحق، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جل ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ) يا محمد (وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠) أي: ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك إن كفروا ففيه

تسلية للنبي ﷺ وفيه ردٌّ على القدرية وغيرهم وأن الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن توفيناك يا رسول الله قبل أن تقرَّ عينك برؤية انتقامنا من أهل الظلم وأهل الشرك فإننا سننتقم منهم ولا بد، وقد نُحييك حتى تقرَّ عينك برؤية أهل الظلم وقد انتقم الله منهم، فإنا على ذلك قادرون.

وعلى هذا الوجه من وجوه التأويل فإن الآية تحمل مواساة للمظلومين ولتوضيح ذلك أقول، وبالله التوفيق:

قد يبتلى شخص بظلم بعض العباد له ولا يستطيع أن ينتصر، فخصمه أقوى منه، فيتمنى أن الله ﷻ أنزل بأسه وعقابه بهذا الظالم، ولكن يُقدِّر الله أن لا يُنزل البأس بالظالم في حياة المظلوم بل يموت المظلوم وهمه في صدره ولم يُشف صدره ولم يذهب غيظه، فمثل هذا يواسى بأن الله ﷻ سينتقم له من ظالمه، وإن مات هو قبل ظالمه، فهذا معنى قوله: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾) أما قوله تعالى: (أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) أي: في دنياك قبل مماتك، (فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾) أي: فإنا على ذلك قادرون.

وهذا الذي ذكرته هو ما أراه صوابًا في تأويل الآية الكريمة، والله أعلم بالصواب من تأويل كتابه، وهو اختيار جمهور المفسرين، وهناك من المفسرين

من حمل الآية على أصحاب محمد ﷺ والفتن التي دارت وجرت بينهم فلم يحدث شيءٌ منها في زمان رسول الله ﷺ وإنما دبت الخلافات بعده ﷺ وأورد البعض هذا الحديث: «**النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**»، وحمل هذا الفريق من المفسرين قوله: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ على أصحاب رسول الله ﷺ وما دار بينهم، وهذا أراه بعيدٌ جدًّا وغير صائب، فسياق الآيات في المشركين، عياذًا بالله من الشرك وأهله.

وهذا الرأي الأخير منقولٌ عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه، وقد أورده الطبري بسندٍ صحيح عن قتادة، ولكنه تعقبه.

قال قتادة:

قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ فذهب الله بنبيه ﷺ، ولم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه، وأبقى الله النقمة بعده، وليس من نبيٍّ إلا وقد رأى في أمته العقوبة، أو قال ما لا يشتهي. ذكر لنا أن النبي ﷺ أري الذي لقيت أمته بعده، فما زال منقبضًا ما انبسط ضاحكًا حتى لقي الله تبارك وتعالى.

وتعقب الطبري هذا بقوله: وهذا القول (يعني: قول من قال: عُني به أهل الشرك من قريش): أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدًا لهم أولى من أن يكون وعيدًا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها.

(أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ) يا محمد من الظفر بهم، وإعلائك عليهم (فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾) أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يحتاج المؤمنون إلى تثبيت مع كونهم أهل إيمان. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ - مع كونه مستمسكًا بالقرآن - (فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾).

وقوله تعالى: (فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾) [النمل: ٧٩].

وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ) [الأحزاب: ١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم، اثبت يا رسول الله ولتزدد تمسكًا بما أنت عليه من الوحي والإسلام والنبوة، فإنك على طريق سوي مستقيم موصلٍ بإذن الله إلى جنات النعيم لا ينحرف بك عنها ولا يحيد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾) ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ ﴾ أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.

❁ ❁ ❁

س: هل رسول الله ﷺ لم يكن مستمسكًا بالوحي حتى قيل له: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ ﴾؟

ج: كلا بل كان أشد المستمسكين، وإنما المراد تثبيته على ما هو عليه من الحق، والحث على مزيدٍ من التمسك كذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن هذا القرآن لشرف لك يا رسول الله وشرف لقومك كذلك لو كانوا يعقلون. شرفٌ لك إذ نزل عليك خير كتاب من عند الله وشرف لقومك؛ إذ نزل هذا القرآن على رجل منهم، وسوف يسألك ربك عن هذا الكتاب العزيز، عن تبليغه وعن العمل به والدعوة إليه، وسوف يسأل قومك كذلك عن اتباعهم له من عدمه، وهل ائتمروا بما فيه أم لا؟ وهل انتهوا عما نهاهم الله عنه في هذا الكتاب العزيز أم لا؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ) يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أُوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش (وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾) يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ) يعني: القرآن شرف لك ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره : (لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ) [الأنبياء : ١٠]، أي: شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن بذلك فصاروا عيالًا عليهم؛ لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عني به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سُمِّي عربيًّا... إلى آخر ما قال.

❁ ❁ ❁

س: كيف يسأل رسول الله ﷺ من قبله من الرسل وهو لم يرهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه يسأل أتباع الرسل، الذين هم مؤمنو أهل الكتاب.

الثاني: أنه يسأل الرسل الذي التقى بهم ليلة الإسراء.

واختار الطبري القول الأول، وهو الأصح فيما أرى، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني به: سل مؤمني أهل الكتابين.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاءوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله -جل ثناؤه- إيانا بردِّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول، يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ **[النساء: ٥٩]**، ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن الرد إلى ذلك ردٌّ إلى الله والرسول. وكذلك قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلك من قبلنا، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب؛ إذ كان معلومًا ما معناه.

وقوله: ﴿أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ يقول: أمرناهم بعبادة

الآلهة من دون الله فيما جاءوهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا؟

س: هل كان رسول الله ﷺ شاكًّا حتى أمر أن يسأل؟

ج: لم يكن الرسول ﷺ شاكًّا أبدًا، بل قيل له ذلك لمزيدٍ من التثبيت، وكذا قيل له ذلك لتثبيت أمته فأحيانًا يكون الخطاب في صورته لرسول الله ﷺ ولكن المراد أمته، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على أن الرسل أرسلت بالدعوة للتوحيد.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾.

[النحل: ٣٦]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ **[الأنبياء: ٢٥]**.

وقول عددٍ كبيرٍ من الأنبياء عليهم السلام لأممهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، إلى غير ذلك من الأدلة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى
رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا
لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾
وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ
ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ
﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٦-٥٦]

س : اذكر معنى ما يلي:

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ -وَمَلَإِيْهِۦ -أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ -ٱلسَّاحِرُ -بِمَا عَهِدَ عِندَكَ -كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ -يَنكُثُونَ -مِن تَحۡتِيٓۖ -مَهِينٌ -وَلَا يَكَادُ يُبِينُ -أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ -مُقۡتَرِنِينَ - فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ -فَأَطَاعُوهُۚ -ءَاسَفُونَا -سَلَفًا -وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَآ)	بحججنا والمعجزات التي أيدنا بها موسى عليه السلام
(وَمَلَإِيْهِۦ)	أشراف قومه وكبراؤهم
(أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ)	أعظم في الاحتجاج بها عليهم من غيرها - أكبر من التي قبلها
(ٱلسَّاحِرُ)	المراد بها هنا العالم
(بِمَا عَهِدَ عِندَكَ)	بالعهد الذي أخبرك الله به (أننا إذا آمنا كشف عنا العذاب)
(كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ)	رفعنا عنهم البلاء والعذاب
(يَنكُثُونَ)	ينقضون العهد ويغدرون ويصرون على ضلالتهم
(مِن تَحۡتِيٓۖ)	من بين يدي - أمامي
(مَهِينٌ)	حقير - وضيع - لا منصب له
(وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)	لا يستطيع الكلام إلا بصعوبة ولا يستطيع الإفصاح إلا بصعوبة. قال كثير من أهل العلم: وذلك بسبب الجمرة التي تناولها في صِغره فأثَّرت على لسانه ومن ثمَّ على نطقه، كذا قالوا، فالله أعلم.
(أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ)	ما يلبس في الأيدي من الحلي

(مُقۡتَرِنِينَ)	متتابعين يقارن بعضهم بعضًا - يمشون مع موسى عليه السلام ويؤيدونه ويقوون أمره
(فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ)	استخف بعقولهم ولعب بها ودعاهم إلى الضلالة - رآهم جهلة ورأى عقولهم خفيفة فلعب بها
(فَأَطَاعُوهُۚ)	فأجابوه
(ءَاسَفُونَا)	أغضبونا - أسخطونا
(سَلَفًا)	سلفًا سيئًا، قوم سوء وسلف سيئ لمن عمل بعملهم (فمن الناس من سلفه صالح، وهم الصالحون) (والطالحون سلفهم سيئ وفاسد) والسلف هم من تقدموا
﴿وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾	عبرةً لمن بعدهم

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ...﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ. وضح ذلك.

ج: إيضاحه حاصله أنك يا رسول الله، وإن تكن كُذِّبت فقد كذِّبَ موسى من قبلك، وإن يكن قومٌ قد سخروا منك فإن أقوامًا سخروا من رسلهم كذلك، فاصبر كما صبر إخوانك من المرسلين.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾).

ج: ولقد أرسلنا نبينا وكليمنا موسى عليه السلام بحججنا الدالة على واحدنيتنا والدالة على قدرتنا، وكذا الدالة على نبوته ﷺ وعلى أننا أرسلناه، ومن تلك الآيات والحجج العصا التي تتحول إلى حية تسعى، ومنها اليد التي تخرج بيضاء للناظرين، ومنها ما ذكره الله تعالى في كتابه؛ إذ قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، أرسلناه بها إلى فرعون وأشراف قومه وكبراء قومه قائلًا لهم: إني رسول رب العالمين فما كان جواب هؤلاء - إذا جاءتهم الآيات - إلا السخرية والضحك والاستهزاء والتكذيب، فما انتفعوا بالآيات ولا أجدت معهم المعجزات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش: إني رسول الله إليكم.

(فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾) يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من

الآيات والعِبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعِبر يسخرون، وهذا تسلية من الله ﷻ لنبيه ﷺ عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه ﷺ إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى، عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والأتباع والرعايا، من القبط وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وأنه بعث معه آيات عظامًا، كـ:يده وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ لما أعلم النبي ﷺ أنه منتقم له من عدوِّه وأقام الحجة باستشهاد الأنبياء واتفاق الكل على التوحيد أكدَّ ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الإغراق والتعذيب أي: أرسلنا موسى بالمعجزات وهي التسع

الآيات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك أنت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما نبتليهم بابتلاء وننتقم منهم بانتقام إلا وهو أعظم من الذي قبله وكذا ما نريهم من معجزة إلا وهي أعظم في الاحتجاج عليهم من التي قبلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما نرى فرعون وملأه آية، يعني: حجته لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى(إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى : (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات وكانت كل واحدة أعظم مما قبلها وقيل : (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ لأن الأولى تقتضي علمًا والثانية تقتضي علمًا، فتضم الثانية إلى الأولى فيزداد الوضوح ومعنى الأخوة: المشاكلة والمناسبة كما يقال : هذه صاحبة هذه أي: هما قريبتان في المعنى.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾) عن ماذا؟ وإلى ماذا؟

ج: هذا، والله أعلم، لعلهم يرجعون عن كفرهم وضلالهم وغيِّهم إلى

طريق الله سبحانه وتعالى بعد أن ابتعدوا عنه ويرجعوا إلى توحيده بعد أن أشركوا به، وإلى طاعته بعد عصيانهم له.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يكون الابتلاء لإرجاع الناس إلى دينهم. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ **[الأعراف: ١٣٠]**.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ **[الأعراف: ٩٤]**، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: كيف يصفون موسى عليه السلام بالساحر في موقف يريدون فيه منه أن يدعو الله عز وجل لهم؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حاصله أنهم أرادوا بالساحر في هذا المقام - العالم - فلم يكن السحر مذمومًا عندهم، بل كانوا يكرمون السحرة، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

إن قال لنا قائل: وما وجه قيلهم: يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك، وكيف سموه ساحرًا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذمًّا، وإنما دعوه بهذا الاسم؛ لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم.

وقوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدقوك فيما

جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان علماء زمانهم هم السحرة. ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذموما، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه، لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يَعِدُون موسى إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل. وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا كقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[الأعراف: ١٣٣ -١٣٥]

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ عندما نزل عليهم العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ﴾ يعنون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ أي: بما خصك الله به، وفضَّلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ إن كشف الله عنا ذلك.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قولهم: (إِنَّا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾).

ج: المعنى هنا، والله أعلم، وإنا لسالكون طريق الحق والإيمان والتوحيد، مؤمنين بك وبما جئت به،مصدقين لك (إذا أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بقولهم: (إِنَّا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾) أي: إننا متبعون للحق، مؤمنون بك فارتدوا بعد إيمانهم.

والأولى أصوب، أي: أن المراد إننا لمهتدون فيما يُستقبل إن أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فلما عافيناهم ورفعنا عنهم البلاء الذي ابتليناهم به، وكان من المفترض أن يؤمنوا بناءً على ما أعطوا من عهودٍ ومواثيق إذا هم يغدرون فلا يفون بعهد ولا بميثاق وينقضون العهود والمواثيق ويستمروا على كفرهم وضلالهم بل ازدادوا سخرية واستهزاء بنبي الله موسى عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرون على ضلالهم، ويتمادون في غيِّهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: (أَمۡ أَنَا۠)؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن (أَمۡ) هنا استفامية على بابها المعروف، وذهب آخرون منهم إلى أنها بمعنى (بل) وكلا الوجهين متحملٌ ويصح المعنى به.

فالأولى: يستفهم ويطلب جوابهم، وقد استخف قومه فأطاعوه.

والثانية: مفهومها أن يجيب نفسه بقوله: (بل أنا خيرٌ من هذا...)، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون جمع قومه أو أشرافهم وكبراءهم، وخطبهم، فقال لهم: يا قوم ألست بملك مصر بما فيها، أفعل فيها ما أشاء، وهذه الأنهار كما ترون تجري من بين يدي، أأنا خيرٌ أم هذا الحقير الذي لا يستطيع الكلام؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ) من القبط، فـ(قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾) يعني بقوله: (مِن تَحۡتِيٓۖ): من بين يدي في الجنان.

وقال أيضًا:

وقوله: (أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾) يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه

من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر عدو الله، وما قد مكَّن له من الدنيا استدراجًا من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجًّا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقًّا فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحرًا، لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلًا بالله واغترارًا منه بإملائه إياه.

وقال أيضًا:

يقوله تعالى ذكره مخبرًا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم (أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ) لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده: أنه جمع قومه، فنادى فيهم متبجحًا مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها: (أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ)، قال قتادة: قد كانت لهم جنان وأنهار ماء، (أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١)؟ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥﴾) **[النازعات: ٢٣ -٢٥]**.

وقوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين. وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن ﴿أَمۡ﴾ هاهنا بمعنى «بل». ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها: **(أما أنا خير من هذا الذي هو مهين)**. قال ابن جرير: ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحًا واضحًا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾؟ على الاستفهام.

قلت: وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون -عليه اللعنة- أنه خير من موسى، عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ويعني بقوله: ﴿مَهِينٞ﴾ كما قال سفيان: حقير. وقال قتادة والسدي: يعني: ضعيف. وقال ابن جرير: يعني: لا ملك له ولا سلطان ولا مال.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عيي حصر.

قال السدي: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ أي: لا يكاد يفهم. وقال قتادة، والسدي، وابن جرير: يعني عيي اللسان. وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فيه وهو صغير.

وهذا الذي قاله فرعون -لعنه الله- كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب. وقوله: ﴿مَهِينٞ﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خِلْقةً وخُلُقًا وديناً. وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

﴿٥٢﴾ افتراء أيضًا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في قوله: (قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾) [طه: ٣٦]، وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء.

❁ ❁ ❁

س: هل كانت هذه العقدة في لسان موسى عليه السلام لا زالت باقية حتى بعد بعثته؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن الله ﷻ قد أذهبها وذلك لقول موسى عليه السلام: (وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾) [طه: ٢٧-٢٨]، وقوله تعالى: (قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾) [طه: ٣٦].

❁ ❁ ❁

س:- وضح معنى قوله تعالى:- (فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن فرعون استخف بعقول القوم ولعب بها وقادهم فانقادوا له وأمرهم فسمعوا له وأطاعوا، فقد كانوا أهل فسقٍ وخروج عن الطاعة وأهل انحراف، فسهل عليه قيادتهم، فلما أغضبونا

بسوء صنيعهم وإقرارهم لفرعون؛ إذ قال: (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾) [النازعات: ٢٤]، وإقرارهم له؛ إذ قال: (مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي) [القصص: ٣٨]، فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر، فأغرقناهم أجمعين، وجعلناهم سلفًا سيئًا لمن يأتي من بعدهم ككفار قريش فإن سألت من السلف لكفار قريش؟ فسلفهم السيئ فرعون ومن معه، وكذا جعلنا قوم فرعون، وما أحللناه بهم من النكال والعذاب عبرة يعتبر بهم من جاء من بعدهم، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ) قال ابن الأعرابي : المعنى: فاستجهل قومه ﴿فَأَطَاعُوهُۚ﴾ لخفة أحلامهم وقلة عقولهم يقال : استخفه الفرح أي: أزعجه واستخفه أي: حمله على الجهل ومنه (وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾) [الروم : ٦٠]، وقيل : استفزهم بالقوم فأطاعوه على التكذيب وقيل : استخف قومه أي: وجدهم خفاف العقول، وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول، فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه وقيل : استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال : استخفه خلاف استثقله واستخف به أهانه : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: خارجين عن طاعة الله.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ) أي: استخف فرعون عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشُّبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلًا على حقٍّ ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي دليل يدل على أن فرعون محقٌّ، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟

وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية أمه له، بأساور من ذهب؟ ولكن فرعون لقي ملأ لا عقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حقٍّ وباطل. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ فبسبب فسقهم، قيض لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾
وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ
﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ
عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي
تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾) [الزخرف: ٥٧-٦٤]

س: وضح معنى ما يلي:

(يَصِدُّونَ -جَدَلًا -خَصِمُونَ -مَثَلًا -يَخْلُفُونَ -لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ -فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا - وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ -بِٱلْبَيِّنَٰتِ -بِٱلْحِكْمَةِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَصِدُّونَ)	يضجون - يسمع لهم ضجيج كضجيج الإبل عند تحميلها بثقيل الأحمال
(جَدَلًا)	مجادلةً ومخاصمةً
(خَصِمُونَ)	يلتمسون الخصومة بالباطل - مجادلون بالباطل
(مَثَلًا)	حجةً - برهانًا - بيانًا
(يَخْلُفُونَ)	يخلف بعضهم بعضًا - يأتي بعضهم بعد بعض - يخلفونكم
(لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ)	دليل على اقترابها وعلامة من علامات اقترابها، أي: اقتراب يوم القيامة
(فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا)	فلا تشكن فيها وفي وقوعها
(وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ)	ولا يصرفنكم - ولا يحيدن بكم
(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)	بالحجج الواضحات - ومنها المعجزات التي أيده الله بها وقيل: المراد بالبينات: الإنجيل وما فيه
(بِٱلْحِكْمَةِ)	قيل: بالنبوة - وقيل: بالإنجيل - وقيل: ما يؤدي إلى فعل الجميل وينهى عن القبيح

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لما شبِّه عيسى عليه السلام في كيفية خلقه، وكونه كآدم عليه السلام خلقه الله بكلمة كن، فكان بشرًا من غير أب ولا أم، فكذلك عيسى عليه السلام خلقه الله عز وجل من غير أب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا بشأن عيسى عليه السلام إذا بضجيج يُسمع منهم كالضج الذي يُسمع من الإبل عند تحميلها بثقيل الأحمال، فتعجبوا وسُمع منهم صياح، وقالوا: يُريد محمد أن نعبده كما عُبد عيسى عليه السلام!!!

الثاني: أن النبي □ لما تلا على أهل الشرك قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ضجوا لذلك، وقالوا: فالنصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيرًا، فقد رضينا أن تكون آلهتنا مع المسيح ومع عزير (١).

هذا، وقد ذكر الطبري الوجهين لأهل العلم، فقال:

وقوله: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل، إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهًا نعبده، كما عبدت النصارى المسيح.

---

(١) فقال الله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: أن عزيرًا والمسيح مبعدان عن النار، والله أعلم.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

ثم قال:

وقال آخرون: بل عني بذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ **[الأنبياء: ٩٨]** قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة؛ لأن كل هؤلاء مما يعبد من دون الله، قال الله ﷻ: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ وقالوا: أآلهتنا خير أم هو؟

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يقول تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أي: نهي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ المكذبون لك ﴿مِنْهُ﴾ أي: من أجل هذا المثل المضروب، ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: يلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلحوا.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ﴾ يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ **[الأنبياء: ٩٨]**.

ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبين معبوداتنا في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

ولم قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا

وَٱرۡدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨]، وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أقصى ما يقررون به هذه الشبهة التي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتباشرون.

وهي -ولله الحمد- من أضعف الشُّبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام؛ لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأيُّ شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقربًا عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: (إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ) بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، (وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾) يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قوله تعالى: (إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨]، فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: (إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أن «ما» اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصنامًا وأوثانًا.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ

عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾) [الأنبياء: ١٠١]، فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: (يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾)، وما هما؟ وما معناهما؟

ج: نعم، هناك قراءتان، قراءة بكسر الصاد (يَصِدُّونَ) أي: يضجون، والأخرى: (يَصُدُّونَ)، أي: يُعرضون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرَّاء في قراءة قوله: (يَصِدُّونَ)، فقرأته عامة قراء المدينة، وجماعة من قراء الكوفة **(يُصُدُّون)** بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قُرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفًا معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودًا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجزعون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب.

❁ ❁ ❁

س: قولهم: (أَمۡ هُوَ) إشارة إلى من؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن ذلك إشارة إلى محمد ﷺ، فكأن المشركين

قالوا: أيريد منا محمدٌ أن نعبده؟ فآلهتنا التي نعبدها خيرٌ من محمد.

وقال غيرهم من أهل العلم: إن (هُوَ) إشارة إلى المسيح عيسى عليه السلام، فقالوا: إن الملائكة التي نعبدها خيرٌ من عيسى عليه السلام.

وقال آخرون: إن الأصنام التي نعبدها خير من عيسى عليه السلام، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ما ذكر الكفار كفار قريش المسيحَ عيسى عليه السلام إلا على سبيل المخاصمة بالباطل والجدال بغير حقٍّ، فإنهم يعلمون الحق، ويعلمون أن عيسى عليه السلام ليس بإله، ولم يرض عيسى عليه السلام بأن يُعبد من دون الله، وأن قوله: (وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) [الأنبياء: ٩٨]، عائد على الجمادات، فـ(ما) هنا لغير العاقل، والمراد بها الأصنام المصنوعة من الحجارة، وقوله: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾) أي: قوم مجادلون بالباطل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾).... إلى (فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾). وقوله تعالى ذكره: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ) يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلًا وخصومة يخاصمونك به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول جلَّ ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾) يلتمسون الخصومة بالباطل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ) أي: مراء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد

على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلا منهم، ليسوا يعتقدون صحتها.

❁ ❁ ❁

س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ...﴾ في موطنٍ من المواطن. وضح هذا الموطن.

ج: أخرج الطبري وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضبًا شديدًا، حتى كأنما صبَّ على وجهه الخلّ، ثم قال ﷺ: «**لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨] (١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ما المسيح عليه السلام إلا عبدٌ ليس بربٍّ ولا إلهٍ وليس بابنٍ لله، تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا، فما المسيح إلا عبد كسائر العباد لكننا مننا عليه بمننٍ عظيمةٍ منها الإيمان والنبوة والنطق بالعبودية لله وتوحيده في المهد وسائر مننا التي مننا بها عليه كإحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.. إلى غير ذلك،

---

(١) الطبري (٣٩٤٠).

وجعلناه مثلًا وبيانًا لبني إسرائيل، ودلالةً على قدرتنا على خلق شخصٍ بغير أب، فالله على كل شيءٍ قدير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ) يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ) أي: ما عيسى إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلًا لبني إسرائيل أي: آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى فإن عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذٍ خير الخلق وأحبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ والناس دونهم ليس أحد عند الله عَزَّ وَجَلَّ مثلهم وقيل: المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ والأول أظهر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ).

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: ولو نشاء لجعلنا بدلًا منكم يا بني آدم ملائكة تعبد الله ﷻ في الأرض، يخلف بعضهم بعضًا.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ **[إبراهيم: ١٩-٢٠].**

وكذا قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٣]**.

وكما قال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ **[النساء: ١٣٣]**.

الوجه الثاني: ولو نشاء لجعلنا من جنسكم يا بني آدم، أي: لجعلنا من الإنس ملائكة وإن لم تجر العادةُ بذلك، والله أعلم.

س: قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) إشارة إلى ماذا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن ذلك إشارة إلى عيسى عليه السلام ونزوله من السماء، فنزوله من السماء علم على اقتراب الساعة وشرط من أشراطها الكبرى.

بينما ذهب فريق آخر إلى أن ذلك إشارة إلى القرآن ونزوله على رسول الله ﷺ.

والذي أراه صوابًا في هذا المقام هو القول الأول وهو قول الجمهور فالسياق يقتضيه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في نزول عيسى عليه السلام بين يدي الساعة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب[(٢)]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[(٣)]، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما**

---

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٥٥).

(٢) في بعض روايات «الصحيحين»: («**ويضع الجزية**»): قال النووي رحمه الله: الصواب في معناه: أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا، ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية، وهو ضربها على جميع الكفرة، فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له؛ إما بالإسلام، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابيَّ إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد =

= بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخِهِ، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدلَّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ.

هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٩٢/٦) عن ابن بطال قوله: (وإنما قبلناها أي: الجزية - قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال، فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يُعَامَلُوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالًا والله أعلم).

(٣) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٣٧١/١): (معناه: أن المال يكثر وتنزل البركات،

فيها»[1].

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (❁ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ...﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيح، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها، ثم طفق يحدثنا، فلما قام تَلَاوَمْنَا ألا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدًا. فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أنَّ آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم، إن رسول الله صلى

وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتقيء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضًا الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة، فإن عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة. والله أعلم).

(١) قال النووي رحمه الله: (وأما قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، فمعناه، والله أعلم: أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات، لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث.
وقال القاضي عياض رحمه الله: معناه: أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذٍ، وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد. قال: و«السجدة» هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم).

الله عليه وعلى آله وسلم قال لقريش: «**يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير**»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد: ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فلئن كنت صادقًا فإنَّ آلهتهم كما تقول، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون. ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة(١).

قلت: وفي سنده أبو يحيى مولى ابن عقيل واسمه مصدع، لم أقف على توثيق معتبر له، وكذا في عاصم -وهو ابن بهدلة- بعض الكلام، وإن كان التعويل في التضعيف على ضعف أبي يحيى.

وفي الصحيحين(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**».

وفي صحيح مسلم(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

قال: «**فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا؟ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**».

---

(١) أحمد (٣١٧/١).

(٢) البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (ص١٣٦-١٣٧) ترتيب محمد فؤاد، ولمزيد من النظر في بعض الاختلاف على سند هذا الحديث، انظر كتابي: «الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

(٣) حديث (١٥٦).

وعند مسلم[(١)] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده؛ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما**».

وقوله: «**ليثنينهما**» أي: ليقرن بينهما. قال النووي: (وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان، وأما: «**فج الروحاء**» فبفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. قال: وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع).

وعند الإمام أحمد[(٢)] بسند حسن عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لِعَلَّاتٍ[(٣)]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلًا مربوعًا إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[(٤)]**،

---

(١) مسلم (١٢٥٢).

(٢) أحمد (٤٠٦/٢).

(٣) في رواية: «**والأنبياء أولاد علات**»: قال الحافظ في «الفتح»: (و«العلات» بفتح المهملة: الضرائر، وأصله: أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، و«العَلَل»: الشرب بعد الشرب، و«أولاد العَلات»: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وهو من باب التفسير، كقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢١]. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

(٤) قال الخطابي: (قال الشيخ: «الممصر من الثياب»: الملون بالصفرة، وليست صفرته بالمشبعة. =

= وفي «اللسان» - نقلًا عن أبي عبيد - قال: الثياب الممصرة التي فيها شيء من صُفرة ليست بالكثيرة. وقال شمر: «الممصر من الثياب»: ما كان مصبوغًا فغسل. وقال أبو سعيد:

كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيُهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة(١) على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وعند أحمد(٢) بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عُمرٌ؛ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئْه مِنِّي السلامَ».

وعند مسلم أيضًا من حديث النواس بن سمعان(٣) قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفع(٤)، حتى ظنناه في طائفة

«التمصير في الصبغ»: أن يخرج المصبوغ مبقعًا لم يستحكم صبغه، و«التمصير في الثياب»: أن تتمشق تخرقًا من غير بلًى، وفي حديث عيسى عليه السلام: «ينزل بين ممصرتين، الممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة»، ومنه الحديث: «أتى عليٌّ طلحة رضي الله عنهما وعليه ثوبان ممصران».

(١) الأمنة، أي: الأمان.

(٢) (٢/٢٩٨)، وقد روي من وجه آخر موقوفًا والمرفوع سنده صحيح أيضًا.

(٣) مسلم (٢١٣٧) صـ ٢٢٥٠.

(٤) قوله: «فخفَّض فيه ورفَّع» قال النووي - رحمه الله-: (هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: أحدهما: أنَّ خفَّض بمعنى: حقَّر، وقوله: «رفَّع» أي: عظَّمه وفخمه، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، منه قوله ﷺ: «**هو أهون على الله من ذلك**»؛ وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، و«**أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه**».
والوجه الثاني: أنه خفَّض من صوته من حال الكثرة فيما تكلَّم فيه، فخفض بعد طول الكلام

النخل، فلما رحنا عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**»، قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداةً فخفَّضتَ فيه ورفعتَ، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم**(١)، **إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌّ قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين**(٢) **الشأم**

والتَّعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد).

(١) نقل النووي - رحمه الله - عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مالك قوله: (وأما معنى الحديث: ففيه أوجه، أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره: «غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم» ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: «**أخوف ما أخاف على أمتي: الأئمة المضلون**» معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون.

والثاني: بأن يكون «أخوف من أخاف» بمعنى: خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: «شعر شاعر»، و«خوف فلان أخوف من خوفك»، وتقديره: خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني). هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله.

وقوله: «**إنه شاب قطط**»: أي: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعود المحبوبة.

(٢) قال النووي: (هكذا في نسخ بلادنا «خلة» بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء، وقال القاضي: المشهور في «حلة» بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني: غير منونة، قيل: معناه: سمت ذلك وقبالته.

وفي كتاب «العين»: الحلة موضع حزن وصخور، قال: ورواه بعضهم: «حلة» بضم اللام وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله.

قال: وكذا ذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» قال: وذكره الهروي: «خلة» بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين، وفسَّره: بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي «الجمع بين الصحيحين» أيضًا

والعراق، فعاث(١) **يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعونًا، يوم كسنةٍ، ويوم كشهرٍ، ويوم كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكم**»، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»(٢)، قلنا: يا رسول الله؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتم طول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر**(٣)**، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم**

ببلادنا، وهو الذي رجَّحه صاحب «نهاية الغريب» وفسَّره بالطريق بينهما».

(١) قال النووي: (العيث: الفساد أو أشد الفساد، والإسراع فيه).

(٢) قال عياض: (هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى: «**اقدروا له قدره**»: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلُّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤادة في وقتها.

وأما الثاني الذي كالشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

(٣) قوله: «**تروح**». معناه: «ترجع»، والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعي.

وأما «الذرى»: فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، و«الأسنمة» جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

وقوله: «وأسبغه» بالسين المهملة والغين المعجمة، أي: أطوله، لكثرة اللبن، وكذا «أمده

فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[(١)]، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغَرَض[(٢)]، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء - شرقي دمشق بين مهرودتين[(٣)] - واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ[(٤)]، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه[(٥)]، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان[(٦)] لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج

خواصر» لكثرة امتلائها من الشبع.

(١) قوله: «كيعاسيب النحل»: هي ذُكور النحل، هكذا فسَّره ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنَّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته، والله أعلم.

(٢) «جزلتين» أي: قطعتين، ومعنى: «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

(٣) وأما «المهرودتان»: فروي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، و«الشقة»: نِصف الملاءة.

(٤) «الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم، هي: حبات من الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسُمِّي الماء جمانًا لشبهه في الصفاء.

(٥) أي: قد عصمهم الله من الدجال.

(٦) «اليدان» تثنية يد، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: «ما لي بهذا الأمر يد وما لي به

ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءٌ(١). ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه(٢) فيرسل الله عليهم النغف(٣) في رقابهم، فيصبحون فرْسَى(٤) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى، وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم(٥)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر(٦)، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة(٧)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذٍ

يدان»؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان بعجزه عن دفعه، ومعنى «حرزهم إلى الطور» أي: ضمهم واجعله لهم حرزًا.

(١) في رواية لمسلم بعد قوله: «ماء»: «... **ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل ببيت المقدس- فيقولون: قد قتلنا من في الأرض، هلمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء - أي: بسهامهم - فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا**».

قال النووي في شرح «جبل الخمر» قال: (والخمر هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسَّره في الحديث: «بأنه جبل بيت المقدس»).

(٢) أي: يرغبون إلى الله، يدعون الله عزَّ وجلَّ.

(٣) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٤) «فرسى»: أي قتلى.

(٥) «الزهم والنتن»: أي: الدسم والرائحة الكريهة.

(٦) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و«ولا وبر»: وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.

(٧) قال النووي: (الزُّلفة: بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروى «الزَّلفة» بفتح الزاي واللام

تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[١]، ويبارك الله في الرسل، حتى إن اللقحة[٢] من الإبل لتكفي الفئام[٣] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٤] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[٥]، فعليهم تقوم الساعة». صحيح.

وعند مسلم[٦] أيضًا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابقٍ[٧]، فيخرج إليهم جيش

وبالفاء، وقال القاضي: رُوي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة، قال في «المشارق»: والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: كالمرآة، وحكى صاحب «المشارق» هذا عن ابن عباس أيضًا شبهها بالمرأة في صفائها ونظافتها».

وقيل: كمصانع الماء، أي: أن الماء يستنقع فيها، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء.

وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

(١) القحفة: هي مقعر القشر شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٢) «اللقحة»: القريبة العهد بالولادة، و«اللقوح»: ذات اللبن وجمعها لقاح.

(٣) «الفئام»: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٤) «الفخذ»: هم الجماعة من الأقارب، وهُم دون البطن، والبطن دون القبيلة. نقله النووي عن أهل اللغة، ونقل عن عياض أنه قال: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

(٥) «يتهارجون تهارج الحمر»: أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، و«الهرج» بإسكان الراء: الجماع، يقال: هرج زوجته أي: جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

(٦) مسلم (٢٨٩٧).

(٧) «الأعماق»، و«دابق»: موضعان بالشام بقُرب حلب.

من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منَّا نقاتلهم.

فيقول المسلمون: لا واللهِ، لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا.

فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسطنطينية(١) فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاحَ فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون؛ وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذابَ كما يذوب المِلحُ في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته».

ولمزيد راجع تفسيرنا لقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، وكذا كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن نزول عيسى عليه السلام لدليل على

(١) هي مدينة مشهورة مِن أعظم مدائن الروم.

اقتراب يوم القيامة فلا تشكوا في وقوعها فإنه آتٍ لا محالة، واتبعون فيما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، فهذا هو الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى جنتي ومرضاتي ألا وهو طاعتي واتباع رسلي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا يصرفنكم الشيطان، ولا يبتعدن بكم عن طريقي وعن طاعتي واتباع رسلي، فإن الشيطان لكم عدوٌّ مظهرٌ لكم عن عداوته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ) يقول جلَّ ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا (إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢) يقول: إن الشيطان لكم عدوٌّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدًا وبغيًا.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: (وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ)، ولم يقل: كلّ الذي تختلفون فيه؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأجوبةٍ:

أحدها: أنهم كانوا يختلفون في الأمور الدينية والدنيوية، فبين لهم ما اختلفوا فيه من أمر الدين، والله أعلم.

الثاني: أنه بيَّن لهم بعض المسائل التي اختلفوا فيها وسألوا عنها، وسُكت عن الأشياء التي لم يسألوا عنها - وأرى هذا بعيدًا.

الثالث: أن ﴿بَعۡضَ﴾ هنا بمعنى كل، وذلك كما في الآية الكريمة: (يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ) [غافر: ٢٨].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض هذا الذي كانوا يختلفون فيه.

ج: من أعظم ذلك أن بعضهم بدَّل ما في التوراة فتنازعوا بعده في وجوه الحق والصواب من التوراة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾)﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولما جاء عيسى عليه السلام كرسول من ربِّه عز وجل إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات لبني إسرائيل، قال لهم: قد جئتكم بالنبوة فقد أرسلني الله إليكم، وكذا جئتكم بكل طيب وجميل، وكل ما يدفع إلى الجميل وينهى عن القبيح، وكذا جئتكم بالإنجيل، وجئتكم لأظهر لكم الصواب من وجوه الاختلافات فاتقوا الله ولا تشركوا

به شيئًا ولا ترتكبوا ما حرّمه عليكم وأطيعوني فيما آمركم به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل: عني بالبينات: الإنجيل.

وقال أيضًا:

وقوله: (وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ) يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة.

وقال كذلك:

وقوله: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣) يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ).

ج: المعنى، والله أعلم، إن الله هو ربي وربكم الذي يستحق أن يُعبد ولا يشرك به أحدٌ، فاعبدوه فهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، الطريق الذي إذا سلكتموه أوصلكم إلى جنات الله ومرضاته. فعبادة الله وحده لا شريك له هي الطريق المستقيم وما سواه معوج لا يؤدي إلى خير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ) يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعًا، فاعبدوه وحده،

لا تشكروا معه في عبادته شيئًا، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه.

وقوله: (هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾) يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات التي ذكر فيها عيسى عليه السلام عبوديته لله عز وجل.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٥١﴾) **[آل عمران: ٥١]**.

وقوله في المهد: (إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾) **[مريم: ٣٠-٣١]**.

وقول الله تعالى: (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾) **[المائدة: ١١٦-١١٧]**.

إلى غير ذلك من الآيات.

قال الله تعالى:

(فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ
أَلِيمٍ ٦٥ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا
يَشۡعُرُونَ ٦٦ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ
وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣).

[الزخرف: ٦٥-٧٣]

وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْأَحْزَابُ - مِنۢ بَيْنِهِمْ - ظَلَمُوا۟ - أَلِيمٍ - يَنظُرُونَ - ٱلسَّاعَةَ - بَغْتَةً - ٱلْأَخِلَّآءُ - وَأَزْوَٰجُكُمْ - تُحْبَرُونَ - بِصِحَافٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْأَحْزَابُ)	اليهود والنصارى - أحزاب النصارى المختلفين في عيسى عليه السلام
(مِنۢ بَيْنِهِمْ)	فيما بينهم
(ظَلَمُوا۟)	أشركوا - زعموا أن عيسى هو ابن الله أو زعموا أنه الله أو قالوا: إن الله ثالث ثلاثة
(أَلِيمٍ)	مؤلم موجع
(يَنظُرُونَ)	ينتظرون - يتوقعون
(ٱلسَّاعَةَ)	يوم القيامة
(بَغْتَةً)	فجأة
(ٱلْأَخِلَّآءُ)	الأصدقاء الذين بينهم صداقة شديدة عظيمة
(وَأَزْوَٰجُكُمْ)	أمثالكم - نظراؤكم
(تُحْبَرُونَ)	تُنعمون - تكرمون - تُسرون (من السرور)
(بِصِحَافٍ)	جمع صحفة، وهي القصعة

❁ ❁ ❁

س : من الأحزاب الذين اختلفوا؟ وفي أي شيء اختلفوا؟

ج: أما الأحزاب ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى.

الثاني: أنهم المختلفون في شأن عيسى عليه السلام.

أما الذي اختلفوا فيه فمنه ما يلي:

* اختلافهم في عيسى عليه السلام ، فقالت فرقة يُقال لها النسطورية: إنه ابن الله، وقالت فرقة يُقال لها اليعقوبية: هو الله، وقالت فرقة يُقال لها الملكية: إنه ثالث ثلاثة. ذكر ذلك عنهم القرطبي في تفسيره.

* وكذا اختلفوا هل هو رسول من عند الله كما قال بذلك أهل الإيمان أم هو ليس برسول بل ساحر كما قالت اليهود.

* واختلفوا في البينات التي جاء بها عيسى عليه السلام، فأقرت بها أقوام، وقال آخرون: إن هذا إلا سحرٌ مبين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾).

ج: أما الويل ففيه للعلماء قولان:

أحدهما: أنه وعيد بالعذاب الشديد.

الثاني: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، وقد وردت بذلك بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما عن معنى الآية الكريمة: فالعذاب الشديد، والذي منه - وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار - قد أُعد للذين ظلموا أنفسهم بقولهم على

الله بغير علم وادعائهم أن عيسى عليه السلام ابن الله أو أنه الله أو أنه ثالث ثلاثة، وكذا الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء على عيسى وتكذيبه ووصفه بأنه ساحر وكذاب، ويلٌ لهؤلاء من عذاب مؤلم موجع يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام؛ إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ماذا ينتظر هؤلاء المعرضون عن توحيد الله القائلون في عيسى ابن مريم عليه السلام ما لم يقله الله، ماذا ينتظرون، هل ينتظرون إلا مجيء القيامة أن يحلَّ لهم، فحلوله مفاجئ ومجيئه مفاجئ يأتيهم فجأة وهم غير منتبهين ولا غير متفطنين له.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: وهم

لا يعلمون بمجيئها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾؟ أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين؛ فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذٍ يندمون كل الندم؛ حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والأصدقاء الذين تصادقوا في الدنيا على غير طاعة الله بل على معصيته هؤلاء يوم القيامة يتعادون ويتلاعنون إلا من تصادقوا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فإنهم أخلاء وأصدقاء في الدنيا والآخرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عَزَّ وَجَلَّ فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾) [العنكبوت:٢٥].

س: وضح معنى قوله: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾)

ج: المعنى، والله أعلم، متعلق بما قبله.

فقوله: (إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾) أي: إلا المتقين فلا يتعادون يوم القيامة بل يُقال لهم: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) لا خوف عليكم مما هو آتٍ، ولا تحزنون على ما قد مرَّ وفات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن المتقين الذين لا يتعادون يوم القيامة لا يُعادى بعضهم بعضًا هم الذين صدقوا بآيات الله عَزَّ وَجَلَّ وأعلنوا عن هويتهم ووجهتهم، فاستسلموا لله عَزَّ وَجَلَّ وشهدوا ألا إله إلا الله، فهؤلاء يؤمنهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا، ومن العلماء من ذهب إلى وجهٍ آخر لتعلق الآية بما قبلها، فقال ما حاصله: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) تطلعت كل النفوس لرحمة الله عَزَّ وَجَلَّ وطمعت فيها يوم القيامة، فإذا قال

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾ نُكِّست رؤوس أهل الكفر وأهل الزيغ والضلال، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا مسلمين، يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، حنفاء، لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ادخلوا يا أهل التُّقى يا من تخاللتم في الله واجتمعتم في الدنيا على طاعته وعلى طاعة رسوله ، ادخلوا يا هؤلاء الجنة التي أعدها الله لكم أنتم وأمثالكم ونظراؤكم تنعمون فيها بما تريدون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يطوف على أهل الجنة وأزواجهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون، كما قال تعالى: ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [الطور: ٢٤]، يطوفون حاملي الصحاف من ذهب، في تلك الصحاف ما تشتهيه النفوس وتُسر به الأعين وتستلذ ويقال لهم كي يطمئنوا

وأنتم فيها خالدون: لا تتحولون عنها ولا تزولون، ولا تُبعدون عنها ولا تخرجون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب، وهي جمع للكثير من الصحفة، والصحفة: القصعة.

وقال أيضًا:

ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صحاف من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، فاستغنى بذكر الصحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ) يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذ أعينكم ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ يقول: وأنتم فيها ماكثون،لا تخرجون منها أبدًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات.

(لَكُمْ فِيهَا) يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع (مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾) يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾، وبين قوله ﷺ: «لا يدخل أحدكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن دخول الجنة أولًا برحمة الله ﷻ، ثم الترقي في الدرجات يتأتى بفضل الله، ثم بالأعمال.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قد قدمنا الكلام على هذه الآية الكريمة، ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وبينا أقرب أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها، مع قوله ﷺ: «**لن يدخل أحدكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١).

وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بينت الآيات كونه سبب دخول الجنة هو العمل الذي تقبله الله برحمة منه وفضل، وأن العمل الذي لا يدخل الجنة هو الذي لم يتقبله الله.

والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

---

(١) البخاري (٦٤٦٣)، (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٦)، (٢٨١٧)، (٢٨١٨)، وله عدة طرق وألفاظ صحيحة عن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ
لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا
نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٨٩﴾) [الزخرف: ٧٤-٨٩]

س: وضح معنى ما يلي:

(لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ – مُبۡلِسُونَ – لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ – مَّٰكِثُونَ – بِٱلۡحَقِّ – أَبۡرَمُوٓاْ – مُبۡرِمُونَ – وَنَجۡوَىٰهُمۚ – وَرُسُلُنَا – سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ – فَذَرۡهُمۡ – يَخُوضُواْ – يُوعَدُونَ – إِلَٰهٌ – وَتَبَارَكَ – عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ – فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ – وَقِيلِهِۦ – فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ)	لا يُخفف عنهم
(مُبۡلِسُونَ)	آيسون من رحمة الله - آيسون من زوال عذاب الله
(لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ)	ليُمتنا ربك - ليتوفانا ربك - ليقبض أرواحنا
(مَّٰكِثُونَ)	ماكثون في العذاب - لا تموتون
(بِٱلۡحَقِّ)	بالقرآن - بالنبي عليه الصلاة والسلام
(أَبۡرَمُوٓاْ)	أحكموا أمرًا - رتبوا أمرًا - دبروا أمرًا (يكيدون به أهل الإسلام)
(مُبۡرِمُونَ)	محكمون أمورًا - مجمعون أمورًا - مرتبون أمورًا
(وَنَجۡوَىٰهُمۚ)	ما يتحدثون به فيما بينهم سرًّا عن سائر الناس
(وَرُسُلُنَا)	ملائكتنا - الكتبة الحفظة
(سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)	تنزه رب السموات والأرض
(فَذَرۡهُمۡ)	اتركهم - دعهم
(يَخُوضُواْ)	يمضوا فيما هم فيه من الباطل

(يُوعَدُونَ)	يُخبرون بانه آتٍ
(إِلَٰهٌ)	معبود
(وَتَبَارَكَ)	تعاظم - تمجَّد - تكاثر الخير الوارد لعباده منه وازدادت نعماؤه
(عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ)	العلم بوقت قيام الساعة - العلم بيوم القيامة متى هو
(فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)	من أي وجهٍ يُصرفون عن الحق إلى الباطل
(وَقِيلِهِۦ)	قوله وشكواه
(فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ)	فأعرض عنهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذين ارتكبوا جريمة الكفر بالله والشرك بالله في دنياهم وماتوا على ذلك، مصيرهم يوم القيامة إلى النار - إلى عذاب جهنم لا يتحولون عنه ولا يزولون ولا يخفف عنه ذلك بالعذاب، بل هم آيسون من رحمة ربهم، مستمرون في ما هم فيه من العذاب، ونحن ما ظلمناهم فإن الله ليس بظلام للعبيد، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وبخسوها حقها من الأمان بما اجترموه من الشرك والكفران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ) وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر

بـالله، فـاجترموا بـه فـي الآخـرة (فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾) يقـول: هـم فيـه ماكثون.

لا يفتر عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**وهم فيها مبلسون**) والمعنى: وهم في جهنم مبلسون، والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء.

وقال أيضًا:

وقولـه: (وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾) يقـول تعـالى ذكـره: ومـا ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم (وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾) بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر حال السعداء، ثنى بذكر الأشقياء، فقال: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ) أي: ساعة واحدة (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) أي: آيسون من كل خير، (وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾) أي: بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم، فكذبوا وعصوا، فجوزوا بذلك جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾) لما ذكر أحوال أهل الجنة ذكر أحوال أهل النار أيضًا ليبين فضل المطيع على العاصي (لَا يُفَتَّرُ

عَنْهُمْ) أي: لا يخفف عنهم ذلك العذاب (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) أي: آيسون من الرحمة وقيل : ساكتون سكوت يأس وقد مضى في الأنعام (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بالعذاب (وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) أنفسهم بالشرك ويجوز (وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) بالرفع على الابتداء والخبر والجملة خبر كان.

س: من مالكٌ الذي نادوه بقولهم: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ).

ج: مالك هو خازن النار.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت شيء في أن مالكًا خازن النار ما أجابهم إذا قالوا: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) بقوله: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾) إلا بعد ألف سنةٍ؟

ج: لم أقف في ذلك على نصٍّ صحيح عن رسول الله ﷺ، والله أعلم. ثم إن الأقوال قد اختلفت في وقت إجابته لهم، وكم كان بين قوله: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾) وطلبهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل النار من شدة ما هم فيه من العذاب والنكال ينادون مالكًا خازن النار كي يستريحوا مما هم فيه من العذاب، فيقولون: يا مالك اسأل ربك ﷻ أن يُميتنا فيجيبهم مالك بقوله: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) أي: في العذاب لا تموتون، ثم بيَّن سبب ذلك بقوله: (لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ) أي: بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

﴿٧٨﴾) ومكذبون بهذا القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: (لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بيناه لكم ووضحناه وفسرناه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة.

❁ ❁ ❁

س: ما سبب مكثهم في النار؟

ج: سببه رفضهم للحق كما أوضحته الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: (وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾) في موطنٍ من المواطن. وضحه.

ج: تلاها رسول الله ﷺ على المنبر ففي صحيح[(١)] البخاري من حديث صفوان بن يعلى عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: (وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ).

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن مالك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ج: من ذلك ما يلي:

---

(١) البخاري (٤٨١٩).

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**...ورأيت مالكًا خازن النار**»[(١)] (يعني: «**ليلة أسري به**»).

وفي مسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. وفي قصة الإسراء والمعراج -: «**فلما فرغت من الصلاة قال قائل: هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام**».

وعند البخاري[(٣)] من حديث سمرة بن جندب في الرؤيا المنامية التي رآها رسول الله ﷺ وفيها: «**فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآه كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآةً، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها**....» الحديث وفيه: «**فإنه مالك خازن جهنم**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم أبرم هؤلاء المشركون أمرًا أي: أم دبروا أمرًا يكيدون به الإسلام وأهله، ويكيدون به رسول الله ﷺ، فإنا مدبرون أمورًا نكيدهم بها ونبطل بها سعيهم، كما قال تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾) [الطارق: ١٥-١٦]، وقال تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾).

[الأنفال: ٣٠]

قال الطبري رحمه الله:

---

(١) البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) مسلم (١٧٣).

(٣) البخاري (٧٠٤٧).

يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرًا فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جئناهم به، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: (أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩) قال مجاهد: أرادوا كيد شرٍّ فكدناهم.

وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ **[النمل:٥٠]**، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله، ورد وبال ذلك عليهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ) أي: أبرم المكذبون بالحق المعاندون له (أَمۡرٗا) أي: كادوا كيدا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، (فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩) أي: محكمون أمرا، ومدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: (أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡۚ) سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزولٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفيظن هؤلاء الذين يتآمرون للكيد للإسلام وأهله ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، أفيظن هؤلاء أن الله ﷻ يغفل عن صنيعهم وعن مكرهم وعن كيدهم للإسلام وأهله، كلا، بل الله ﷻ عليم بأمورهم يعلم ما أضمروه في نفوسهم، وما يتسارون به فيما بينهم، وكذا فالله ﷻ له ملائكة موجودون عند هؤلاء الكفار كشهودٍ عليهم يكتبون أعمالهم أولًا بأول كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وكما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، وكما قال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ﴾ يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

وقوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سرِّ كلامهم، وحفظتنا لديهم - يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: قل يا رسول الله لأهل الشرك ولغيرهم: لو فرض أن الرحمن ﷻ كان له ولدٌ - وهذا مستحيل - لكنت أنا أول العابدين.

وفي العابدين قولان:

أحدهما: العابدون لله، أي: أول العابدين لله على هذا الوصف بأن له ولدًا.

الثاني: العابدون لذلك الولد.

وهذا القول الأول هو اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال بعد أن أورد عدة أقوال:

فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جلَّ ثناؤه ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ **[سبأ: ٢٤]**.

وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تيسير الكريم الرحمن:

أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدًا، وهو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد. ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ لذلك الولد؛ لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادًا للأمور المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفيًا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل،

وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهُم أول الناس سبقًا إليه وتكميلًا له، وكل شرٍّ فهم أول الناس تركًا له وإنكارًا له وبعدًا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقًّا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلًا ونقلًا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل : المعنى: قل: يا محمد إن ثبت لله ولد فأنا أول مَنْ يعبد ولده ولكن يستحيل أن يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت بالدليل فأنا أول من يعتقده وهذه مبالغة في الاستبعاد أي: لا سبيل إلى اعتقاده وهذا ترقيق في الكلام كقوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]، والمعنى على هذا : فأنا أول العابدين لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك؛ لأني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني

به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا، كما قال تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

القول الثاني: حاصله أن (إن) بمعنى (ما) النافية، فيكون المعنى: قيل يا رسول الله لهؤلاء المشركين ولغيرهم من الذين زعموا أن الله ﷻ له ولد ما كان للرحمن من ولد.

ويكون هنا وقف تامٌّ، أي: أن المعنى قد تمَّ، ثم ابتدأ كلامًا آخر بقوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: فأنا أول من وحَّد الله وعبده، أي: في زماني.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ اختلف في معناه فقال ابن عباس (١) والحسن والسدي: المعنى ما كان للرحمن ولد فـ(إن) بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تامًّا، ثم تبتدئ: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له والوقف على ﴿ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ تام.

القول الثالث:

مبني على تأويل العابدين بـ(الآنفين الممتنعين)، فيكون المعنى: قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول الآنفين الممتنعين عن عبادة شخصٍ له ولد،

---

(١) والسند الذي وقفت عليه عن ابن عباس فيه نظر، ولفظه عند الطبري أيضًا: ولم يكن للرحمن ولدٌ فأنا أول الشاهدين. أخرجه الطبري (٣١٠٠٧)، وفي سنده ضعف، والمنقول عن السدي: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدًا ولكن لا ولد له. أخرجه الطبري (٣١٠١٢).

ولكن لا ولد لله ﷻ.

هذا، وهنالك أقوالٌ أخر، وأرجح الأقوال فيما أرى -والله أعلم- القول الأول لتمشيه مع ظاهر الآية الكريمة، ثم إن الله سبحانه وتعالى نزَّه نفسه عن ذلك إذ قال بعدها: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ ﴾، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- تنزَّه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفه به الواصفون المشركون الكاذبون والمنكرون الجاحدون -تعالى الله ﷻ عن أن يكون له ولد- وتنزه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عن كل ما لا يليق به، ولا يليق به بحالٍ أن يكون له ولد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يقول تعالى ذكره تبرئةً وتنزيهًا لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ ﴾ أي: تعالى وتقدس

وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فدعهم يا رسول الله في خوضهم وقولهم الباطل بغير علم يخوضون، ويلعبون في دنياهم فسوف يأتي يوم لا محالة يلقون فيه ربهم ﷻ، يسألهم سبحانه عما تقوَّلوه وافتروه، ويسألهم عن خوضهم الذي خاضوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفيه بأن له ولدًا يخوضون في باطلهم، ويلعبون في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾ وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ أي: في جهلهم وضلالهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾ وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ يعني: كفار مكة حين كذبوا بعذاب الآخرة أي: اتركهم يخوضون في باطلهم ويلعبون في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾ إما العذاب في الدنيا أو في الآخرة وقيل : إن هذا

منسوخ بآية السيف وقيل : هو محكم وإنما أخرج مخرج التهديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهو الذي في السماء معبودٌ وكذا فهو معبودٌ يعبدونه أهل الأرض كما أن أهل السماء يعبدونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئًا غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ **[الأنعام: ٣]** أي: هو المدعو الله في السموات والأرض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو المستحق للعبادة في السماء والأرض.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) يخبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله.

(تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ) **[الإسراء: ٤٤]**، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) **[الرعد: ١٥]**.

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ) **[الأنعام: ٣]** أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فإنه فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ) الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئًا إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. (ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾) بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وتعاظم وتعالى وتمجد، وكثر الخير الوارد منه إلى خلقه وازدادت نعماؤه فهو الذي له ملك السموات والأرض، يتصرف فيهما كيف يشاء ليس له فيهما من شريك، وهو الذي يعلم متى تقوم الساعة، فعلم يوم القيامة موكول إليه، لا يعلمه أحدٌ سواه وإليه

ترجعون يا بني آدم فتبعثون وتخرجون من قبوركم ويحاسبكم على ما قدمتم فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي العامل بعمله إلا أن يتغمد برحمته من يشاء ويعفو عن من يشاء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماض فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريك من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ. (وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخَلْق من قبورهم لموقف الحساب.

قوله: (وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾ يقول: وإليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وتبارك: أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص؛ لأنه الرب العلي العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمة الأمور نقضًا وإبرامًا، (وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ) أي: لا يجليها لوقتها إلا هو، (وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾ أي: فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم المنان»:

(وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا) تبارك بمعنى: تعالى وتعاظم،

وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعَظُم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾ أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا تملك هذه الأصنام والأوثان التي تُعبد من دون الله ﷻ الشفاعة لأحد، وكذا لا يملك هذه الشفاعة أحدٌ من الخلق كائنًا ما كان إلا إذا أذن الله له بذلك، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**، وكما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ **[الأنبياء: ٢٨]**، وكما قال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ **[النجم: ٢٦]**.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ معناه، والله أعلم، لكم من شهد ألا إله إلا الله وأيقن قلبه بذلك، قد يشفعه الله ﷻ فيمن يشاء الله سبحانه وتعالى، كذا شهد أن محمدًا رسول الله، ويدخل في هؤلاء عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام.

فهؤلاء شهدوا لله ﷻ بالوحدانية وأيقنوا بها وتيقنوا منها، وهؤلاء يشفعون بإذن الله وفيمن ارتضاه الله ﷻ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له.

قال السعدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن تمام ملكه وسعته، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئًا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: نطق بلسانه، مقرًّا بقلبه، عالمًا بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عقاب الله، الحائزون لثوابه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولئن سألت هؤلاء المشركين من الذي خلقهم فسيكون جوابهم الله الذي خلقنا.

فمن أي وجهٍ إذن يُصرفون عن عبادته - وقد خلقهم - إلى عبادة غيره.

أي: تقرون بأن الله خالقكم، ثم تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولن: الله خلقنا.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فأي وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحق في عبادته.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ قراءتان. وضحهما.

ج: القراءتان هما: (**وقِيلَهُ**) بفتح اللام.

والثانية: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بكسر اللام.

حكاهما الطبري وغيره. وسيأتي مزيدٌ من القول في ذلك إن شاء الله.

س: وضح معنى قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾. ومن القائل: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾؟

ج: أما القائل فهو رسول الله ﷺ. قال قتادة - كما صح ذلك عنه عند الطبري وغيره - هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربِّه.

أما عن معنى الآية الكريمة: فعلى قراءة من قرأبالفتح (**وقِيلَهُ**) فالمعنى: أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم، ويحسبون أنا لا نسمع قولَ رسولنا وشكوى رسولنا التي شكا إلى ربه قائلًا: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فكأن الآية تحمل معنى المواساة، مواساة لرسول الله ﷺ حاصلها: لا تجزع يا رسول الله، فإنا نسمع شكواك التي اشتكيت وإنا منتصرون لك.

وكذا تحمل تهديدًا لأهل الشرك بما حاصله: أن الله ﷻ سمع شكوى نبيه منكم وسيعاقبكم ربكم سبحانه وتعالى، والله أعلم.

هذا، ووجه من قرأ بالكسر ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ فحاصل المعنى، وتبارك الذي عنده علم الساعة، وكذا عنده العلم بقيله أي: عنده العلم بقول رسوله ﷺ إذ قال، وشكواه إذ اشتكى قائلًا: يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨) اختلفت القراء في قراءة قوله: (وَقِيلِهِۦ)، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة: (**وقِيلَهُ**) بالنصب. وإذا قرئ كذلك ذلك، كان له وجهان في التأويل: أحدهما العطف على قوله: (أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ) ونسمع قيله يا رب. والثاني:

أن يضمر له ناصب، فيكون معناه حينئذٍ: وقال قوله: (يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾) وشكا محمد شكواه إلى ربه. وقرأته عامة قراء الكوفة: (وَقِيلِهِۦ) بالخفض على معنى: وعنده علم الساعة، وعلم قيله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قيله شاكيًا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما يلقى منهم: يا ربّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾) أي: وقال: محمد: قيله، أي: شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: يا ربّ! إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: (وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾) **[الفرقان: ٣٠]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين ولا تقابلهم بسفاهتهم وجهالتهم بل قل: سلام عليكم، كما في الآية الكريمة: (وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾) **[القصص: ٥٥]**.

وكما قال تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾) **[الفرقان: ٦٣]**.

(فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾) صدق ما أخبرتهم به.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر بالصفح عنهم منسوخ بآية السيف، وقد تقدم الخلاف في مثل ذلك في مواطن عديدة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ) أي: المشركين، (وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ) أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلًا وقولًا (فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩)، هذا تهديد منه تعالى لهم؛ ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وهذه الآية الكريمة تضمنت ثلاثة أمور:

الأول: أمره ﷺ بالصفح عن الكفار.

والثاني: أن يقول لهم: سلام.

والثالث: تهديد الكفار بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار.

وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة في غير هذا الموضع:

كقوله تعالى في الأول: (وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥) [الحجر: ٨٥]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ) [الأحزاب:٤٨].

والصفح الإعراض عن المؤاخذة بالذنب.

قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو.

قالوا: لأن الصفح أصله مشتق من صفحة العنق، فكأنه يولي المذنب

بصفحة عنقه معرضًا عن عتابه فما فوقه.

وأما الأمر الثاني، فقد بين تعالى أنه هو شأن عباده الطيبين.

ومعلوم أنه □ سيدهم كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ **[الفرقان:٦٣]**، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ **[القصص:٥٥]**، وقال عن إبراهيم إنه قال له أبوه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ **[مريم: ٤٦]**، قال له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ **[مريم:٤٧]**.

ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا.

وأما الأمر الثالث الذي هو تهديد الكفار بأنهم سيعلمون الحقيقة قد جاء موضحا في آيات كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ **[ص:٨٨]**، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ **[الأنعام:٦٧]**، وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ **[النبأ:٤-٥]**، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ **[التكاثر:٣-٤]**، وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ **[التكاثر:٦-٧]**، إلى غير ذلك من الآيات وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ وما في معناه منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ.

والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة، والإعراض عنهم، وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله تعالى.

(٣٤٩) أحمر أسود

❁ ❁ ❁

سورة الدخان

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا
كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا
مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ
يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى
ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾
أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ
﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ
ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾) [الدخان: ١-١٦]

س: وضح معنى ما يلي:

(مُّبَٰرَكَةٍۚ -مُنذِرِينَ -يُفۡرَقُ -حَكِيمٍ -مُّوقِنِينَ -شَكٖ - فَٱرۡتَقِبۡ - يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ - ٱكۡشِفۡ عَنَّا - أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ -تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ -مُعَلَّمٞ -كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ).

ج:

الكلمة	معناها
(مُّبَٰرَكَةٍۚ)	كثيرٌ خيرها - خيرها متواصل وكثير
(مُنذِرِينَ)	مخوِّفين - مُحذِّرين - مُعلمين الناس ما ينفعهم وما يضرهم
(يُفۡرَقُ)	يُفصل (أي من اللوح المحفوظ للملائكة الكتبة)
(حَكِيمٍ)	مُحكم - ذو شأن
(مُّوقِنِينَ)	مُتحققين - متأكدين - مصدقين بقلوبكم - مُصدقين - مُتيقنين
(شَكٖ)	ريب - تكذيب - عدم تصديق - عدم يقين
(فَٱرۡتَقِبۡ)	فانتظر
(يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ)	يَعمُّ الناس - ينزل عليهم
(ٱكۡشِفۡ عَنَّا)	اصرف عنا - أذهب عنا
(أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ)	من أي وجه يتعظون - كيف يعتبرون والذكرى الاتعاظ
(تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ)	أعرضوا عنه
(مُعَلَّمٞ)	علَّمه آخرون
(كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ)	كاشفوا الضر - رافعوا البلاء

❁ ❁ ❁

س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة الدخان؟

ج: لا أعلم حديثًا صحيحًا في فضل سورة الدخان. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب المبين؟

ج: هو القرآن الكريم الموضح للحلال والحرام المُظهر لكل شيءٍ يريده الله من العباد. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بهذه الليلة المباركة؟

ج: هي ليلة القدر، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١]، ولقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا قول جماهير العلماء، وإن كان من العلماء من ذهب إلى أنها ليلة النصف من شعبان لكن لا يثبت بذلك - فيما علمت - خبرٌ عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾.

ج: معنى ﴿يُفۡرَقُ﴾: يُفصل، والأمر الحكيم: الأمر الذي أحكمه الله ﷻ وقدر حصوله ووقوعه.

أما عن المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أي: أنه في هذه الليلة المباركة ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكتبة ما يكون من الأمر في هذه السنة، فالمقدَّر الذي قدَّره الله ﷻ أن يكون في هذه

السنة يُخبر به الله ﷻ ملائكته. وذلك كالإخبار بمن يموت هذه السنة ومن يُعزّ ومن يُذل، ومن يمرض ومن يُعافى ومن يتزوج ومن يُطلِّق ومن يحج ومن يسافر، ومن يُبتلى ومن يسلمه الله ويحفظه، ومن يرزق ويربح، ومن يحرم الرزق ويخسر، ومن يؤمن ومن يكفر، ومن يبقى على السلامة ومن يرتد.. إلى غير ذلك من الأمور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والهاء في قوله: ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الليلة المباركة.

وعني بقوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [لقمان: ١-٢] يعني: المحكم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

معنى قوله: ﴿يُفۡرَقُ﴾، أي يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة، التي هي ليلة القدر، ﴿كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾، أي ذي حكمة بالغة؛ لأن كل ما يفعله الله، مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: ﴿حَكِيمٍ ٤﴾، أي محكم، ولا تغيير فيه، ولا تبديل.

وكلا الأمرين حق؛ لأن ما سبق في علم الله، لا يتغير ولا يتبدل، ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة.

وهي في الاصطلاح وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها.

وإيضاح معنى الآية أن الله تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة إلى ليلة القدر من السنة الجديدة.

فتبين في ذلك الآجال والأرزاق والفقر والغنى، والخصب والجدب والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائنًا ما كان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ).

ج: هنا وجوه ذكرها أهل العلم:

أحدها: أن قوله: (رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ) متعلق بقوله: (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ) فيكون المعنى: إنا أنزلنا عليك القرآن يا رسول الله رحمة من ربك ﷻ بك وبعباده.

الثاني: أن قوله تعالى: (رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ) متعلق بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ والمعنى: إنا كنا مرسلين رسلًا رحمة من ربك ﷻ بك وبعباده.

أو إنا كنا مرسلين رسولنا محمدًا ﷺ رحمة بالعباد كما قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧) **[الأنبياء: ١٠٧]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد □ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا، وأرسلنا من رسلنا إليهم، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا) أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ أي: إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه؛ ولهذا قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦﴾.

الوجه الثالث: أن قوله: (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) متعلق بالذي قضاه الله وقدره في تلك الليلة المباركة والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله (فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قومًا عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الأخروي؛ ولهذا قال: (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣

فِيهَا) أي: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن (يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾) أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد خروجه إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه.

(أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآۚ) أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ للرسل ومنزلين للكتب والرسل تبلغ أوامر المرسل وتخبر بأقداره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الذي أنزل القرآن في هذه الليلة المباركة والذي قدَّر المقادير وقضى الأمور هو رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم بذلك مصدقين متحققين، أي: هو خالق السموات والأرض ومالكها وما بينهما والمتصرف فيهما وفيما بينهما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: (رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ) يقول تعالى ذكره الذي

أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمدًا ﷺ رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ أي: عالمين بذلك علمًا مفيدًا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه، ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم؛ الدافع عنهم النقم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن مُنزل القرآن هو رب السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما، وهو الذي يُعبد وحده ولا يُعبد أحدٌ سواه، وهو الذي يحيي ويميت وهو مالككم ومربيكم بنعمه، وكذا مالك آبائكم

الأولين، فهم له عبيد يقضي فيهم وفيكم بما يشاء. والأولون هنا هم الذين مضوا وسلفوا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، يحيي ويميت، يقول: هو الذي يحيي ما يشاء، ويميت ما يشاء مما كان حيًّا.

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ يقول: هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ أي: إن كنتم متحققين.

ثم قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ الآية **[الأعراف: ١٥٨]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾.

ج: قيل فيه ما يلي:

الأول: بل هؤلاء المشركون متشككون في القرآن، ويخوضون في الحديث عنه بالباطل.

الثاني: في شكٍّ من بعثة النبي ﷺ ورسالته ويخوضون في عرضه ساخرين مستهزئين.

الثالث: في شكٍّ بأن الله خالقهم، وإنما أقروا بالذي أقروا به تقليدًا للآباء والأجداد.

وثم أقوال آخر:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾ يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون، أي: قد جاءهم الحق اليقين، وهم يشكون فيه ويمترون، ولا يصدقون به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾ أي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم إن الله خالقهم وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة، وقيل : ﴿يَلۡعَبُونَ ٩﴾ يضيفون إلى النبي ﷺ الافتراء استهزاء ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب وهو

كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالدخان في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾؟

ج: لأهل العلم قولان مشهوران في هذا، وإن كانت هناك أقوال أُخر مهجورة.

أما القول الأول: فهو قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحاصله أن هذا الدخان قد مضى، وكان هذا زمن النبي ﷺ فلما استعصت عليه قريشٌ وتمردوا عليه وآذوه دعا عليهم بسنوات شدة كالتي مرَّت بالناس زمن نبي الله يوسف ﷺ فحدث قحطٌ شديد وجوعٌ شديد وقد شق عليهم ما هم فيه حتى إن أحدهم - من شدة الجوع - كان ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من ضعف البصر وشدة الجوع، فأتوا النبي ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم فكشف الله سبحانه ما بهم.

فعليه فالدخان هنا هو الدخان الذي رآه المشركون من شدة الجوع وكان ذلك زمن النبي ﷺ.

وقد ورد في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم(١) من طريق مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم ، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦] إن قريشًا لما غلبوا النبى ﷺ واستعصوا عليه قال «**اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف**». فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٨٩)، واللفظ له.

الجهد ، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . قالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ فقيل له إن كشفنا عنهم عادوا . فدعا ربه فكشف عنهم ، فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضًا عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ قال فأتى رسول الله □ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت ، قال: «**لمضر إنك لجرىء**»، فاستسقى لهم فسقوا . فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: يعنى يوم بدر .

والقول الثاني: أن الدخان دخان يأتي قبل يوم القيامة وكشرط من أشراط الساعة وعلامة من علاماتها، وقد وردت بذلك عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث حذيفة بن أسيد (١) الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال:

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٠١).

«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم □، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي بعض الروايات عند مسلم: «**وإن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن تزحل الناس**»(١).

وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.

قلت (مصطفى): ولا مانع من أن يكون دخانٌ قد حدث زمن النبي ﷺ على ما ورد في رواية ابن مسعود، وأيضًا يأتي دخان آخر كشرط من أشراط الساعة وعلامة من علاماتها بين يدي يوم القيامة.

وإلى هذا جنح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان

---

(١) مسلم في طرق حديث (٢٩٠١).

مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله □ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان.

وذكر من قالوا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آتٍ.

وذكر من قالوا بذلك أيضًا، ثم قال مختارًا قول ابن مسعود ومبينًا حجته في ذلك:

وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جلَّ ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾ ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ أمرًا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدًا للمشركين، فهو بأن يكون إذ كان وعيدًا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلًّا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح.

أما الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ذهب إلى أن المراد بالدخان الدخان الذي يكون بين يدي الساعة وشرط من أشراطها (أي: علامة من علاماتها)، وجنح إلى قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.

قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ أي: بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ أي: يتغشاهم ويَعُمهم، ولو كان أمرا خياليًّا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب، وآن أوانه ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي

ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ) أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: (هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضًا أنه قال في هذه الآية: (أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾﴾ وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «**اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف**» فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون - على هذا - قوله: (يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ﴾ أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله □ وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: (إِنَّا

كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنهم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوقع وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر.

وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ أن هذا كله يوم القيامة.

وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: هذا فيه وجهان من وجوه التأويل بُنيا على تفسير الدخان - على ما سبق بيانه - فالذين ذهبوا إلى أن الدخان قد مضى في زمن رسول الله ﷺ

لهم تأويل حاصله أن هذا الدخان قد غشى الناس وعمهم بسبب الجوع الذي حلَّ بهم بدعاء النبي ﷺ عليهم، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي من أي وجهٍ يأتيهم الاتعاظ وقد جاءهم الرسول المبين فأعرضوا عنه ووصفوه بأنه مجنون قد تعلَّم هذا القرآن من غيره، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: سنرفع عنهم العذاب قليلًا ونرزقهم ونكشف عنهم الضرَّ، وأخبر تعالى أنهم أيضًا سيعودون إلى ضلالهم وكفرهم وتكذيبهم، وسيعود عليكم العذاب ثانية ويتكرر يوم نبطش بكم البطشة الكبرى، وذلك يوم بدر، فهذه وجهة العلماء القائلين بأن الدخان هو الذي حلَّ بالمشركين يوم بدر، وقد صاغه الطبري بقوله:

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا، فإذا كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين، فبين أن معناه: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ : يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم. ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجع، وترك من الكلام «يقولون» استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

وقوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك، كما أخبر عنهم

جلَّ ثناؤه ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾.

ثم قال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾.

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون عُلِّم هذا الكلام.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالِّ بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم ﴿قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ يقول: إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضر الحالّ بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدَكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلًا بالسيف.

وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر.

وأورد القول الآخر وحاصله أن البطشة الكبرى يوم القيامة.

أما العلماء القائلون بأن الدخان هو ما يكون بين يدي الساعة كالحافظ ابن كثير وغيره.

فقد فسَّر الحافظ ابن كثير الآيات على الوجه الذي اختاره، فقال:

وقوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١٣، ١٤]، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وقوله: ﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]. وكذا قوله: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

[إبراهيم: ٤٤]، وهكذا قال هاهنا: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤﴾.

يقول: كيف لهم بالتذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والنذارة، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه، بل كذبوه وقالوا: معلم مجنون. وهذا كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤﴾ [سبأ: ٥١ ـ ٥٤].

وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يقوله تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وكقوله: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨]، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخبارًا عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي

مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ) [الأعراف: ٨٨، ٨٩]، وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.

وقال قتادة: (إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾) إلى عذاب الله.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالبطشة الكبرى؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان سبقت الإشارة إليهما:

أحدهما: أن ذلك يوم بدر يوم أن بُطش بأهل الشرك فقُتل منهم من قُتل وأسر منهم من أُسر.

والقول الثاني: أن البطشة الكبرى يوم القيامة.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس قال: قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشةٍ أيضًا.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز الدعاء للمشركين بكشف العذاب عنهم؟ وهل يُدعى لهم عمومًا؟

ج: إذا كان في ذلك مصلحةٌ لأهل الإسلام جاز ذلك -والله أعلم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **له:** (يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾) [الزخرف: ٤٩-٥٠].

ففيه دليل على أنه دعا لهم.

وكذا دعاء الرسول ﷺ لكشف البلاء عن أهل مكة لما حلَّ بهم من جراء دعوته عليهم ما حلَّ ورأوا الدخان من شدة الجوع، على ما أوردته في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾﴾.

هذا، ويجوز الدعاء لهم بالهداية أيضًا.

قال □ لما قيل له: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: «**اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم**»(١).

وكذا دعاء النبي ﷺ لأم أبي هريرة، وكانت مشركة: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**»(٢).

ولكن لا يجوز الدعاء لهم بالمغفرة، قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾) [التوبة: ١١٣-١١٤].

وقال □: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٦)، ومسلم (مع النووي ١٦/٧٧).

(٢) مسلم (١٦/٥١ مع النووي).

(٣) مسلم مع النووي (٧/٤٥).

س: من أقبل على طاعة الله يسر الله له سبلها، ومن أعرض عن الطاعة وكذب وتولى لن تنفعه الذكرى، ولن تجدي معه الموعظة. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾، فلما أعرضوا عن رسول الله ووصفوه بأنه معلم مجنون استبعدت هدايتهم واستبعدت جدوى الموعظة فيهم.

وفي التنزيل: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ **[الأعراف: ١٤٦]**، وكذا في التنزيل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ **[الليل: ٥-١٠]**.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ **[الصف: ٥]**.

❀ ❀ ❀

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[(١)] من طريق مسروق قال: قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا

---

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨).

العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾ قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت . قال: «**لمضر إنك لجرىء**» . فاستسقى فسقوا، فنزلت ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية . فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ قال: يعنى يوم بدر.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ
أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي
فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ
﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ
﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى
عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ
﴿٣٣﴾) [الدخان: ١٧-٣٣]

س: وضح معنى ما يلي:

(فَتَنَّا – أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ – لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِ – بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ – عُذۡتُ – تَرۡجُمُونِ – فَٱعۡتَزِلُونِ – فَأَسۡرِ بِعِبَادِي – مُّتَّبَعُونَ – رَهۡوٗاۖ – جَنَّٰتٖ – وَعُيُونٖ – وَمَقَامٖ كَرِيمٖ – فَٰكِهِينَ – مُنظَرِينَ – ٱلۡمُهِينِ – ٱلۡمُسۡرِفِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَتَنَّا)	ابتلينا - اختبرنا
(أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ)	ادفعوا إليَّ بني إسرائيل
(لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِ)	لا تستكبروا عن طاعته وعبادته - لا تفتروا على الله
(بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ)	بحجة واضحة بيِّنة تدل على صدقي ورسالتي
(عُذۡتُ)	التجأت واستنجدت واستجرت
(تَرۡجُمُونِ)	ترجموني بالحجارة - تقذفوني وتشتموني وتصفونني بما ليس فيَّ
(فَٱعۡتَزِلُونِ)	لا تتعرضوا لي بأذى ولا مكروه
(فَأَسۡرِ بِعِبَادِي)	فاخرج بهم ليلًا (اخرج ببني إسرائيل) ليلًا
(مُّتَّبَعُونَ)	سيتبعكم عدوكم
(رَهۡوٗاۖ)	ساكنًا - سهلًا - على حالته وهيئته
(جَنَّٰتٖ)	حدائق وبساتين
(وَعُيُونٖ)	منابع للماء
(وَمَقَامٖ كَرِيمٖ)	مقامات الملوك والأمراء، والمنابر - وصدور المجالس - المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة

(فَٰكِهِينَ)	مُنعمين - متفكهين - ناعمين
(مُنظَرِينَ)	مُمهلين - مؤخرين عن العقوبة
(ٱلْمُهِينِ)	المُذل المُخزي
(ٱلْمُسْرِفِينَ)	المتجاوزين للحد في العصيان

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد ابتلينا واختبرنا قبل مشركي قريش قوم فرعون وجاءهم رسول كريم من عندنا وهو نبي الله موسى عليه السلام، فقال لهم: ادفعوا إليَّ بني إسرائيل الذين هم عشيرتي وقبيلتي الذين يعبدون الله عز وجل، ادفعوهم إلينا يا آل فرعون وخلوا بيني وبينهم حتى أنصرف بهم وأترك لكم بلادكم كما في الآية الأخرى: (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾) [الشعراء: ١٧]، فالمراد بـ(عِبَادَ ٱللَّهِ) بنو إسرائيل، ثم قال لهم موسى عليه السلام: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾) رسول من عند الله أمينٌ فيما أنقله لكم عن الله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (۞وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط (وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾) يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه.

وقال أيضًا:

وقولـه: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: وجـاء قـوم فرعـون رسـول مـن الله كـريم عليـه بـأن ادفعـوا إلـي، ومعنـى﴿أَدُّوٓاْ﴾: ادفعـوا إلـي فأرسـلوا معـي واتبعـون، وهـو نحـو قولـه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧﴾ **[الشعراء: ١٧]**، فـ﴿أَنْ﴾ فـي قولـه: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ نصـب، وعبـاد الله نصـب بقوله: ﴿أَدُّوٓاْ﴾ وقد تأولـه قوم: أن أدوا إلـي يـا عبـاد الله، فعلـى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وهم قبط مصر، ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾ يعني: موسى كليمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، كقولـه: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ٤٧﴾ **[طه: ٤٧]** .

وقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨﴾ أي: مأمون على ما أبلغكموه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ١٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وكان مما جاءهم به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلبه منهم ألا يتعالوا على الله ولا يستكبروا عن طاعته وعبادته، فهذا قولـه: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، أما قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ١٩﴾، أي: قد جئـتكم بحجـة قاطعـة تشهد أني رسول من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي الآيـات التـي أيَّـد الله بهـا موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كالعصا التي تتحول إلى حية تسعى واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء...

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجـاءهم رسـول كـريم، أن أدوا إلـي عبـاد الله، وبـأن

لا تعلوا على الله.

وعني بقوله: (وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالفوا أمره (إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾) يقول: إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، كقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) [غافر: ٦٠] .

(إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾) أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، (إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾) أي: بحجة بينة ظاهرة وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه: وإني استنجدت بربي خالقي وخالقكم ولجأت إليه مستجيرًا به كي لا ترجموني

بالحجارة، وكي لا ترجموني قذفًا وسبابًا وشتمًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾) قال ابن عباس، وأبو صالح: هو الرجم باللسان وهو الشتم.

وقال قتادة: الرجم بالحجارة.

أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إليَّ بسوء من قول أو فعل.

وذكر معانٍ أُخر للرجم منها الرجم بالحجارة، ومنها القتل.

وقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلَّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولًا باللسان، وفعلًا باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه، شتمًا كان ذلك باللسان، أو رجمًا بالحجارة باليد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإن لم تصدقوني بأني رسول من عند الله عَزَّ وَجَلَّ فلا تؤذونني وتتعرضوا لي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾)، أي: فلا تتعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتكم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قال لقومه أدُّوا إلي عباد الله، وقال لهم: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وقال لهم: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾، رفضوا كل هذا، وعاندوا غاية العناد وتمادوا غاية التمادي في الغيِّ والضلال والتكذيب والأذى، فدعا عليهم قائلًا: رب إن هؤلاء قوم مجرمون، مجترمون للآثام والجنايات فضلًا عن الكفر والتكذيب والتعالي على الله عَزَّ وَجَلَّ، فأوحى الله إليه أن أسر بعبادي ليلًا، أي: اخرج أنت ومن معك من بني إسرائيل من بلاد

مصر ـ ليلًا فإن فرعون وجنده يعدون العدة لكم وسيتبعونكم لقتلكم ولتشريدكم، فإذا وصلت أنت ومن معك إلى البحر فاضربه بعصاك فسينفلق ويكون بعده طريق فاسلكه وامش فيه، فإذا جاوزته فاتركه ساكنًا على الحالة التي دخلت عليه فيها، فإن الله ﷻ سيغرق فرعون وجنده.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٨ ، ٨٩]. وهكذا قال هاهنا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه؛ ولهذا قال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به، ولم يؤد إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن هؤلاء -يعني فرعون- وقومه ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: أنهم مشركون بالله كافرون.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأجابه ربه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صدقوك وآمنوا بك،

واتبعوك دون الذين كذبوك منهم، وأبوا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذٍ بني إسرائيل. وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ لأن معنى ذلك: سر بهم بليل قبل الصباح.

وقوله: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في آثاركم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإذا جاوزت يا نبي الله أنت ومن معك البحر فاتركوه على حالته حين مررتم عليه يابسًا فإن فرعون ومن معه قد حكم الله عليهم بالغرق وقضى به عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذ كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادي ليلا وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد رد البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركه رهوًا.

وأورد بإسناد يصح عن قتادة قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبي الله ﷺ أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولـه هاهنـا: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ وذلـك أن موسـى، عليه السلام، لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنًا، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف درگًا ولا يخشى.

قال ابن عباس: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ كهيئته وامضِهْ. وقال مجاهد: ﴿رَهۡوًاۖ﴾ طريقًا يبسًا كهيئته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كم خلَّف هؤلاء الأقوام الذين أغرقهم الله عز وجل، وهم فرعون وقومه - كم خلَّفوا بعدهم من حدائق وبساتين، وعيون تتفجر منها الأنهار، وكذا كم تركوا من الزروع والثمار وكريم المنازل والمجالس، ونعمٍ عظيمة كانوا منعمين فيها، فهكذا أنعمنا عليهم، وهكذا أورثناها قومًا بعدهم وهم بنو إسرائيل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ﴿وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦﴾ يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم، فقال

بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر.

وقال: وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته.

وقال: وقوله ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قومًا آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عني بالقوم الآخرين بنو إسرائيل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ﴾ والمراد بها الأنهار والآبار، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ وهي المساكن الكريمة الأنيقة والأماكن الحسنة.

وقال: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ

كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال هاهنا: (كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾) وهم بنو إسرائيل، كما تقدم.

❁ ❁ ❁

س: في الآيات بيانٌ لأصل من أصول التفسير. وضحه.

ج: الأصل هو تفسير القرآن بالقرآن.

وإيضاحه: أن الله قال: (كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾)، وقال في آية أُخرى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾) [الشعراء: ٥٩]، فالقوم الآخرون هم بنو إسرائيل.

❁ ❁ ❁

س: هل تبكي السماء والأرض على أحدٍ؟

ج: نعم تبكي بدليل المفهوم المخالف من قوله: (فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وقد أخرج الطبري بسند صحيح إلى سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى: (فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم

خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: إنما قيل: (فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ) لأن المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والارض أربعين صباحًا، ولم تبكيا على فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن لهم عمل يصعد إلى الله صالح فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض فتبكي عليهم الأرض.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرًا أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال، وقد سأله رجل هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إنه ليس عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء. وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩).

❁ ❁ ❁

س: هل من علامة يُعرف بها أن السموات قد بكت على شخص أو لم تبك؟

ج: ليست هناك علامة ظاهرة على ذلك، وقد ذكر بعض العلماء أن بكاء السماء هو احمرارها وليس على ذلك دليل.

وأحب أن أورد هنا قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عَبيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة. وفي كل

ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف الشيعة وكذبهم، ليعظموا الأمر -ولا شك أنه عظيم-ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من -قتل الحسين رضي الله عنه -ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا، ولم يكن شيء من ذلك. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته(١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يُظهر فضله الذي تفضَّل به على بني إسرائيل بإنجائهم من العذاب المُذل المخزي الذي كان يمارسه معهم فرعون وقومه، فقد كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء، ولقد كان متجاوزًا للحد في الظلم والطغيان.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾) يقول تعالى ذكره:

---

(١) البخاري (١٠٤٣)، ومسلم (٩١٥).

ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله: (مِن فِرْعَوْنَ) مكررة على قوله: (مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾) مبدلة من الأولى. ويعني بقوله: (إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾) إنه كان جبارًا مستعليًا مستكبرًا على ربه، (مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾) يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جلَّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جلَّ ثناؤه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾) يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة.

وقوله: (مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا) أي: مستكبرًا جبارًا عنيدًا، وكقوله: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ) [القصص: ٤].

وقوله: (فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾) [المؤمنون: ٤٦]، سرفًا في أمره، سخيف الرأي على نفسه.

❁ ❁ ❁

س: هل بنو إسرائيل فضلوا على أمة محمد ﷺ؟

ج: لا، بل أمة محمد ﷺ أفضل لقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ). [آل عمران: ١١٠]

❁ ❁ ❁

س: إذن كيف يوجَّه قوله تعالى: (وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾)؟

ج: المراد، والله أعلم، على العالمين في زمانهم.

وبهذا قال جماهير العلماء.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ صحيح قال: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكل زمان عالم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ قال مجاهد: ﴿ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ على من هم بين ظهريه. وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك. وكان يقال: إن لكل زمان عالما. وهذه كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ **[الأعراف: ١٤٤]** أي: أهل زمانه، وكقوله لمريم: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ **[آل عمران: ٤٢]** أي: في زمانها؛ فإن خديجة أفضل منها، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، أو مساوية لها في الفضل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي على علم منا بهم لكثرة الأنبياء منهم ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ أي عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الأمة ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ **[آل عمران : ١١٠]**، وهذا قول قتادة وغيره وقيل : على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء وهذا

خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى و الزمخشري وغيرهما ويكون قوله : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ أي بعد بني إسرائيل والله أعلم : وقيل : يرجع هذا الاختيار إلى تخليصهم من الغرق وإيراثهم الأرض بعد فرعون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وآتينا بني إسرائيل من الحجج والبراهين وكذا معه تصريف الأمور ما بين رخاء وشدة، وعسر ويسر، فضلًا عن سائر المعجزات التي أمدَّ الله بها نبيهم ما فيه اختبار عظيم لهم، فإن الشخص قد يبتلى بالسراء كما يبتلى بالضراء إذ الله قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[الأنبياء: ٣٥]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به.

واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء، فقال بعضهم: ابتلاهم بنعمه عندهم.

وقال: وقال آخرون: بل ابتلاهم بالرخاء والشدة.

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى

بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلًا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جلَّ ثناؤه إنه اختبرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: من المعجزات لموسى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ قال قتادة : الآيات إنجاؤهم من فرعون وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب متوجها إلى بني إسرائيل وقيل : إنها العصا واليد ويشبه أن يكون قول الفراء : ويكون الخطاب متوجها إلى قوم فرعون وقول ثالث : إنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به قاله عبد الرحمن بن زيد، ويكون الخطاب متوجها إلى الفريقين معا من قوم فرعون وبني إسرائيل وفي قوله: ﴿بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ أربعة أوجه نعمة ظاهرة؛ قاله الحسن وقتادة. كما قال الله تعالى : ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال : ١٧]، وقال زهير :

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

الثاني : عذاب شديد، قاله الفراء.

الثالث : اختبار يتميز به المؤمن من الكافر؛ قاله عبد الرحمن بن زيد. وعنه أيضًا : ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ثم قرأ : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء : ٣٥].

(٣٩٣) أحمر أسود

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾
إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ
﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

[الدخان: ٣٤-

٥٠]

س: وضح معنى ما يلي:

(بِمُنذَرِينَ - يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ - مِيقَٰتُهُمۡ - مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى - يُنصَرُونَ - شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ - ٱلۡأَثِيمِ - كَٱلۡمُهۡلِ - ٱلۡحَمِيمِ - فَٱعۡتِلُوهُ - سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ - تَمۡتَرُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِمُنذَرِينَ)	بمبعوثين - بخارجين من القبور
(يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ)	يوم القيامة (يفصل الله فيه بين العباد)
(مِيقَٰتُهُمۡ)	وقت اجتماعهم بعد بعثهم من قبورهم
(مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى)	قريب عن قريب، ابن عم عن ابن عمه، صديق عن صديقه
(يُنصَرُونَ)	لا ينصر بعضهم بعضًا
(شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ)	شجرة تنبت في وسط النار (وصفت في آيات أُخر)
(ٱلۡأَثِيمِ)	الفاجر - مرتكب الآثام العظيمة
(كَٱلۡمُهۡلِ)	كدردى الزيت - الزيت المغلي - الرصاص المنصهر أو الفضة والذهب إذا صُهرا وتحولا إلى سائل
(ٱلۡحَمِيمِ)	الماء الذي سخِّن فبلغ أعلى درجات غليانه
(فَٱعۡتِلُوهُ)	فادفعوه وسوقوه بشدةٍ وبقوةٍ
(سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ)	وسط الجحيم - وسط النار
(تَمۡتَرُونَ)	تشكُّون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إن هؤلاء المشركين من أهل مكة ومن حولها، ومن هو على شاكلتهم ليقولون - إذا ذكَّرتهم بالبعث - ما هي إلا الموتة التي سنموتها ولن نبعث بعدها فلسنا بخارجين من قبورنا، فإن كنتم يا أهل الإسلام صادقين في أننا سنبعث فابعثوا لنا الآباء الذين سلفوا ومضوا وماتوا، ابعثوهم لنا من قبورهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل مشركي قريش لنبي الله ﷺ: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ التي نموتها، وهي الموتة الأولى (وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾) بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيبًا منهم بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: (فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾) يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد عليه الصلاة والسلام: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا، وخوطب ﷺ هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ) **[الطلاق: ١]**، وكما قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ **[المؤمنون: ٩٩]**.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقًّا

﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ يعني كفار قريش.

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ ابتداء خبر مثل : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ [المؤمنون : ٣٧] ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي بمبعوثين ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل : إن قائل هذا من كفار قريش أبو جهل قال : يا محمد إن كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا : أحدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف فكأنه قال : إن كنت صادقا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف وهو كقول قائل : لو قال إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء فلم لا يرجع من مضى من الآباء حكاه الماوردي ثم قيل : ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ وحده كقوله : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩] قاله الفراء وقيل : مخاطبة له ولأتباعه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٣٧). ومن تُبع؟ وهل هو نبي أم لا؟

ج: المعنى، والله أعلم، أهؤلاء المشركون خير أم قوم تبع الحميري اليماني الذين أهلكهم الله ﷻ وأفناهم فقد كانوا أهل إجرام، والعياذ بالله.

أما عن تبع فلم أقف في شأنه على خبرٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، وقال بعض العلماء: إنه كان رجلًا صالحًا، فالله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير، أم قوم تبع، يعني تبعًا الحميري.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارًا.

وقوله: (إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٣٧) يقول: إن قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم، وكفرهم بربهم. وقيل: إنهم كانوا مجرمين، فكسرت ألف «إن» على وجه الابتداء، وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ) ذكر لنا أن تبعًا كان رجلًا من حمير، سار بالجيوش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذكر لنا أنه كان إذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك برًّا وبحرًّا وصحًّا وريحًّا. وذكر لنا أن كعبًا كان يقول: نعت نعت الرجل الصالح ذم

الله قومه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول[(١)]: لا تسبوا تبعًا، فإنه كان رجلًا صالحًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى متهددًا لهم، ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث وكقوم تبع -وهم سبأ-حيث أهلكهم الله وخَرَّب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم شذر مذر، كما تقدم ذلك في سورة سبأ، وهي مُصَدَّرة بإنكار المشركين للمعاد. وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عربًا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان، وقد كانت حمير -وهم سبأ-كلما ملك فيهم رجل سموه تُبَّعًا، كما يقال: كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافرا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصَّر الحيرة فاتفق أنه مَرَّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار، وجعلوا يَقْرُونه بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مُهَاجَرُ نبي يكون في آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه

---

(١) هذا لا يثبت من هذا الوجه عن عائشة رضي الله عنها فقتادة لا تُعرف له رواية صحيحة عن عائشة رضي الله عنها.

أيضًا، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناية إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظمها وطاف بها، وكساها الملاء والوصائل والحبير. ثم كر راجعًا إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه، وكان إذ ذاك دين موسى ، عليه السلام، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح، عليه السلام، فتهود معه عامة أهل اليمن. وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه «السيرة».

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عبثًا ولا لعبًا ولا لهوًا ولا باطلًا وإنما خلقناهما لحكم أردناها ولحقٍ قررناه أي لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته خلقنا الإنس والجن لعبادة الله، ثم امتحانهم بالسمع والطاعة والأمر والنهي، ثم بعد نجازي المحسن المطيع بإحسانه وطاعته، ونعاقب العاصي المتمرد بعصيانه وتمرده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ) السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لعبا. وقوله: (مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به.

وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع

على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي (لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾) [النجم: ٣١].

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابًا لتكذيبهم بالمعاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧]، وقال: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إن يوم القيامة هو وقت اجتماعهم جميعًا، أولهم وآخرهم، مسلمهم وكافرهم، ويومها يُفصل بين العباد ولا ينفع قريبٌ قريبه بشيء، لا ينفع ابن العم ابن عمه، ولا الصاحب صاحبه، ولا

ينصر واحدٌ منهم غيره، ولا يستطيعون نصر أنفسهم ولا ينصرهم غيرهم.

أما قوله: (إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ) فمن العلماء من قال: إلا من رحم الله من أهل الإيمان وجعله شفيعًا فإنه يشفع فيمن رحمهم الله أيضًا وأراد بهم الخير (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب، (ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ بعباده وبكل شيء يريد أن يرحمه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة (مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾: يقول: ميقات اجتماعهم أجمعين.

وقوله: (يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا) يقول: لا يدفع ابن عم عن ابن عمه، ولا صاحب عن صاحبه شيئًا من عقوبة الله التي حلت بهم من الله (وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضًا، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا.

وقوله: (إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ) اختلف أهل العربية في موضع (مَن﴾ في قوله: (إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ) فقال بعض نحويي البصرة: إلا من رحم الله، فجعله بدلا من الاسم المضمر في ينصرون، وإن شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره، يريد به: إلا من رحم الله فيغني عنه. وقال بعض نحويي الكوفة قوله: (إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ) قال: المؤمنون يشفع بعضهم في بعض، فإن شئت فاجعل (مَن﴾ في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحد إلا فلان، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام، يريد: اللهم إلا من رحم الله.

وقال آخرون منهم: معناه لا يغني مولى عن مولى شيئا، إلا من أذن الله له أن يشفع؛ قال: لا يكون بدلًا مما في ينصرون، لأن إلا محقق، والأول منفي، والبدل لا يكون إلا بمعنى الأول. قال: وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفًا، لأنه لا يستأنف بالاستثناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنى: يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ يقول جلَّ ثناؤه واصفًا نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ) وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين.

وقوله: (مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾) أي: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم.

(يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا) أي: لا ينفع قريب قريبًا، كقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: (وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ) [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل أخًا له عن حاله وهو يراه عيانًا.

وقوله: (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾) أي: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من الخارج.

ثم قال: (إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ) أي: لا ينفع يومئذ إلا من رحمه الله، عَزَّ وَجَلَّ،

لخلقه (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾) أي: هو عزيز ذو رحمة واسعة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يَوْمَ ٱلْفَصْلِ) هو يوم القيامة وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى: (لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ) [الممتحنة: ٣] ونظيره قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾) [الروم: ١٤]، فـ(يَوْمَ ٱلْفَصْلِ) ميقات الكل كما قال تعالى: (إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾) [النبأ: ١٧] أي الوقت المجعول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذه الشجرة شجرة الزقوم التي وصفت بقوله تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾) [الصافات: ٦٤-٦٥] هي الطعام الذي يأكله الفاجر الكافر مرتكب الآثام، كما قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) [الواقعة: ٥١-٥٣]، وتأثير هذا الطعام في بطونهم كتأثير الزيت المغلي الذي يغلي في البطون كالماء الحار الشديد الذي يغلي، ثمَّ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ لملائكته خذوه فادفعوه بشدة إلى وسط الجحيم وليس فقط يدفع في وسط النار بل صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾) التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاما لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام.

وقال:

وقوله: (كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾) يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد.

وقال أيضًا:

(كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾) يقول: يغلي ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره، وقيل: حميم وهو محموم، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قتيل من مقتول.

وقال أيضًا:

يقول تعالى ذكره: (خُذُوهُ) يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام (فَٱعْتِلُوهُ) يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالدفع والجذب؛ ومنه قول الفرزدق:

ليس الكرام بناحليك أباهم حتى ترد إلى عطية تعتل

أي تساق دفعًا وسحبًا.

وقال:

وقوله: ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ : إلى وسط الجحيم. ومعنى الكلام: يقال يوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعًا في ظهره، وسحبًا إلى وسط النار.

وقال:

وقوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء الذي قال الله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ **[الحج: ٢٠]**، وقد بينت صفته هنالك.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ **[الدخان: ٤٣، ٤٤]**، **وقد قال تعالى في آية أخرى:** ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ **[الغاشية: ٦]**، **وقال:** ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ **[الحاقة: ٣٦]**، **فكيف الجمع؟**

ج: وجه الجمع أن يقال: إن هناك فئة من أهل النار تقتصر في طعامها على الزقوم، وطائفة أخرى يقتصر طعامها على الضريع، وفئة ثالثة طعامها من غسلين.

أو يقال: إنهم يمكثون زمنًا لا يأكلون فيه إلا الزقوم، ويمكثون زمنًا آخر لا يأكلون فيه إلا الضريع، وزمنًا طعامهم من غسلين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ وهو يُهان ويدفع بشدة إلى النار؟

ج: المراد، والله أعلم، ذُق يا من كان يزعم في الدنيا أنه عزيز كريم، ويا من كان يُنادى في الدنيا بالعزيز الكريم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذل بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة، إذ عذب بما عذب به في النار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزتك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن هذا العذاب هو الذي كنتم تتشككون فيه في

الدنيا وتنكرون وقوعه فها هو قد حلَّ بكم ونزل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾، كقوله: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥﴾ **[الطور: ١٣-١٥]**. ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: يقول لك الملك ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك وقيل : هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص أي قال له : إنك أنت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ **[هود : ٨٧]** يعنون السفيه الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير. ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾ أي تقول لهم الملائكة : إن هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ
﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٩]

س: وضح معنى ما يلي:

(مَقَامٍ أَمِينٍ – سُندُسٍ – وَإِسْتَبْرَقٍ – مُّتَقَٰبِلِينَ – يَدْعُونَ فِيهَا – ءَامِنِينَ – يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ – يَتَذَكَّرُونَ – فَٱرْتَقِبْ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامٍ أَمِينٍ)	مجلس ومكان يجلسون فيه ويقيمون فيه آمنين فيه من الخوف والحزن وغير ذلك من الأوصاب والهموم وخشية الشرور
(سُندُسٍ)	الحرير الرقيق
(وَإِسْتَبْرَقٍ)	الحرير الغليظ
(مُّتَقَٰبِلِينَ)	يقابل بعضهم بعضًا، وجوههم متقابلة
(يَدْعُونَ فِيهَا)	يطلبون في الجنة ما يريدون (فيتحقق لهم طلبهم)
(ءَامِنِينَ)	آمنين من الانقطاع، لا يخشون عدم إجابة طلبهم
(يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ)	سهلناه - سهلنا عليك قراءته
(يَتَذَكَّرُونَ)	يتعظون - يعتبرون
(فَٱرْتَقِبْ)	فانتظر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن المتقين الذين اتقوا الشرك، وكذا

اتقوا الكبائر، مقامهم يوم القيامة مقام أمين، يأمنون فيه على أنفسهم من الشرور والمصائب والعذاب وسائر الأوصاب.

إنهم في حدائق وبساتين، وكذا عيون متفجرة.

إنهم يلبسون الحرير ما رقَّ منه (وهو السندس)، وما غلظ (وهو الإستبرق).

كذا وجوههم متقابلة لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه.

وإضافة إلى ما ذُكر، فقد زوجناهم بحور عين، النسوة الحسناوات ذوات العين الحوراء شديدة البياض في شدة سواد وحسن اتساع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه في موضع إقامة، آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢﴾ الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله: ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ﴾ يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو ما رق من الديباج وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج.

وقال:

وقولـه: (مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾) يعنـي أنهـم فـي الجنـة يقابـل بعضـهم بعضًـا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض.

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقال:

يقول تعالى ذكره: كما أعطينـا هؤلاء المتقين فـي الآخـرة من الكرامـة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بـأن زوجنـاهم أيضـا فيهـا حـورا مـن النسـاء، وهـن النقيـات البيـاض، واحدتهن: حوراء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء -ولهذا سُمّي القرآن مثـاني-فقـال: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لله فـي الـدنيا (فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ أي: فـي الآخـرة وهـو الجنـة، قد أمنـوا فيهـا مـن المـوت والخـروج، ومـن كـل هـم وحـزن وجـزع وتعـب ونصـب، ومـن الشـيطان وكيـده، وسـائر الآفـات والمصائب.

(فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾) وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم.

وقولـه تعـالى: (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ) وهـو: رفيـع الحريـر، كالقمصـان ونحوها (وَإِسْتَبْرَقٍ) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش، (مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾) أي: على السرر لا يجلس أحد منهم

وظهره إلى غيره.

وقوله: (كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) أي: هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾) [الرحمن: ٥٦] (كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾) [الرحمن: ٥٨] (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾) [الرحمن: ٦٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾).

والمقام: موضع الإقامة والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾) وفي قوله تعالى: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾) فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

(إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾).

جمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم لجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

«والحور» جمع حوراء. وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة، البيضاء شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف. و«عين» حسان الأعين. وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين.

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة: الحور البيض. وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه. وقال مجاهد: الحور العين: التي يحار فيهن الطرف، باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق. وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض، والتحوير التبييض. والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها. فهو يتضمن الأمرين. وفي الصحاح للجوهري «الحور» شدة بياض العين في شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور. وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر، وقال الأصمعي: ما أدري

ما الحور في العين؟

قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، ويقال: عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

و«العين» جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين هن اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول و ضيق العين في المرأة من العيوب(١).

(وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها و إنما تقول: تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا) [الأحزاب: ٣٧]، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضا وقال الأزهري: تقول العرب: زوجته امرأة

(١) حادي الأرواح ج١ ص٣٤٤-٣٤٦.

وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة.

قوله تعالى: (وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) أي قرناهم وقال الفراء: هي لغة في أزدشنؤة قال الواحدي وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال: شققته بآخر و إنما تمنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، يسألون في الجنة ويطلبون كل ما أرادوا فيأتيهم ما أرادوا وهم آمنون من انقطاعه، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (يَدْعُونَ فِيهَا)... الآية، يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتهوه، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغب أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾)، أي: مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر لهم كلما أرادوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ).

ج: المعنى، والله أعلم، أنهم لا يموتون في الجنة بل يحيون فيها أبدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ) يقول تعالى ذكره لا يذوقون هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ) هذا الاستثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»(١).

وأورد كذلك حديث: أبي سعيد وأبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن**

---

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩، ٢٨٥٠) بنحوه.

❁ ❁ ❁

تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تَبْأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا»(١).

س: وضح معنى قوله: (وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧).

ج: المعنى، والله أعلم، وصرف الله عن هؤلاء المتقين عذاب النار وسلَّمهم منه ونجاهم تفضلًا منه ورحمة، ذلك هو الربح العظيم ثم إن الله وقاهم وصرف عنهم عذاب النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ) يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلًا يا محمد من ربك عليهم، وإحسانًا منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يقهم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه.

وقوله: (ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧) يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

وقوله: (وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾) أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب؛ ولهذا قال: (فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾) أي: إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدًا لن يُدخله عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل**»(١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإنما أنزلنا عليك هذا القرآن بلسانك العربي وسهلناه عليك وسهلنا عليك قراءته حتى يفهموا عنك المراد، ومن ثم تتأتى لهم الذكرى ويجدي فيهم الوعظ إذا أراد الله ذلك لهم ولكن ومع كل هذا، فإنهم يكذبونك ويعارضونك فانتظر حلول العذاب بهم وانتقام الله منهم، وانتظر يومًا يقضى فيه بين العباد وهو يوم القيامة إنهم منتظرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإنما سهلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحججه، ويتعظوا بعظاته، ويتفكروا في آياته إذا أنت تتلوه

---

(١) البخاري (٦٤٦٣) وفي غير موضع، وقد تقدم، وهو عند مسلم كذلك (٢٨١٦) وله عدة طرق.

عليهم، فينيبوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحق عند تبينهموه.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحًا بينًا جليًا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ أي: يتفهمون ويعملون. ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله مسليا له وواعدًا له بالنصر، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ﴾ أي: انتظر ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩﴾ أي: فسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعُلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ **[المجادلة: ٢١]**، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ **[غافر: ٥١ ، ٥٢]** .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني القرآن أي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ أي يتعظون وينزجرون

ونظيره ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر : ١٧] فختم السورة بالحث على اتباع القرآن وإن لم يكن مذكورا كما قال في مفتتح السورة : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] على ما تقدم.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: انتظر ما وعدتك من النصر عليهم إنهم منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل : انتظر الفتح من ربك إنهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل : انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم فإنهم ينتظرون بك ريب الحدثان والمعنى متقارب وقيل : ارتقب ما وعدتك من الثواب فإنهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل : ارتقب يوم القيامة فإنه يوم الفصل وإن لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لأن عاقبتهم ذلك، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

سورة الجاثية

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ
بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾
يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾
مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ
عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿١١﴾) [الجاثية: ١-١١]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَثُّ - يُوقِنُونَ - وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ - أَفَّاكٍ - أَثِيمٍ - ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا - مُّهِينٌ - رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بَثُّ)	ينشر - يُفرِّق
(يُوقِنُونَ)	يصدقون
(وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ)	تنويع الرياح (باردة - حارة - رحمة - عذاب - شمالية - جنوبية - تنزل في أرض وتترك أخرى...)
(أَفَّاكٍ)	كذاب
(أَثِيمٍ)	مرتكب للآثام
(ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا)	سخر منها واستهزأ بها
(مُّهِينٌ)	مُذلٌ مخزي
(رِّجْزٍ أَلِيمٌ)	عذابٌ مؤلم موجع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ) **إلى قوله:** (وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾).

ج: أما قوله: (حمٓ ﴿١﴾) فقد تقدم الكلام عليها بما حاصله أنها حروف مقطعة أمرها موكولٌ إلى الله.

وقوله: (تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾) فمعناه هذا القرآن تنزيل أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ العزيز الذي لا يُغلب بل هو غالبٌ على أمره منتقم من أعدائه. (ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾)

في كل شيء كتدبير أمر الخلق، وفيها شرع من الشرع، وفي كل شيء.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوجِّه الأنظار إلى آياته الدالة على قدرته ووحدانيته في السماء والأرض فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ أي: لدلالات وحجج على وحدانية الله ﷻ، تلك الآيات التي منها الشمسُ والقمرُ والنجوم السيارة والتي منها نزول الغيث والسحاب المسخر، والتي منها الجبال الرواسي والنباتات ذات الألوان البهيجة وعموم ما فيها من الآيات والحجج.

وكذا يوجه النظر إلى خلق الإنسان وما فيه من وجوه الإعجاز فيقول تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ وكذا في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وكون هذا يطول أحيانًا ويقصر أحيانًا، وهذا بظلمته، وذاك بضيائه في كل ذلك آيات، ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وكذا في المطر النازل من السماء وإحياء الأرض به بعد موتها وما يخرج بسببه من النباتات، وتنويع الرياح مرةً حارة، وأخرى باردة، ومرة ترسل رحمة، ومرة تُرسل عذابًا، ومرة تأتي شمالية، ومرة جنوبية إلى غير ذلك، كل ذلك فيه آيات ودلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن لمن تعقلها وتدبرها وتأملها، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ في تدبيره أمر خلقه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره: إن في السموات السبع اللاتي منهن نزول الغيث، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ يقول: لأدلة وحججًا للمصدقين

بالحجج إذا تبينوها ورأوها.

وقال أيضًا:

في تأويل قوله تعالى : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وفى خلق الله إياكم أيها الناس، وخلقه ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يعني: حججًا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرون بها، ويعلمون صحتها.

وقال أيضًا:

في تأويل قوله تعالى : ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع.

وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرة، وجنوبا أخرى، وصبا أحيانا، ودبورا أخرى لمنافعكم.

وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرة، وبالعذاب أخرى.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله

على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقًا؛ لأن به يحصل الرزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء.

وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: جنوبًا وشمالًا، ودبورًا وصبًا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية. ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم.

وقال أولًا: ﴿لَّأٓيَٰتٖ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾، ثم ﴿يُوقِنُونَ ۝٤﴾ ثم ﴿يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ وهو تَرَقٍّ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى. وهذه الآيات شبيهة بآية «البقرة» وهي قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تلك الآيات والحجج التي تتلى عليك هي آيات الله ﷻ وحججه نقصها عليك يا رسول الله ونخبرك بها بالحق والصدق، لا باطل فيها ولا كذب، وكذا نخبرك بها متضمنةً الحق، فبأي حديث بعد حديث الله يؤمنون، وبأي حجج بعد حجج الله يؤمنون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق: يقول: نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقربهم إلى الله زلفى، فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه، تصدقون، إن كنتم كذبتم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ ﴿**تؤمنون**﴾ على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين، وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين.

وأما على قراءة من قرأه: ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها، وذكرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة، ولكلتا القراءتين وجه صحيح، وتأويل مفهوم،

فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر، وذلك قوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤﴾ و﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هذه آيات الله - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات - (نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ)، أي: متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها؛ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!

❁ ❁ ❁

س: التذكير ينبغي أن يكون تذكيرًا بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، فهذا الذي ينبغي أن يُغلَّب، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ **[الجاثية: ٦]**.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ **[ق: ٤٥]**.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ **[القمر: ٤]**.

❁ ❁ ❁

س: تضمنت مطالع هذه السورة الكريمة عددًا من براهين البعث، وضح ذلك.

ج: أورد ذلك الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

والأول من البراهين المذكورة هو خلق السماوات والأرض المذكور هنا في سورة الجاثية هذه: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ لأن خلقه جلَّ وعلا للسماوات والأرض، من أعظم البراهين على بعث الناس بعد

الموت لأن من خلق الأعظم الأكبر، لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر.

والآيات الدالة على هذا كثيرة كقوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧]، أي ومن قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على خلق الأصغر، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس:٨١]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [الإسراء:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النازعات:٢٧-٣٣].

ونظير آية النازعات هذه قوله تعالى في أول الصافات: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ ﴾ [الصافات:١١]، لأن قوله: ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ ﴾ يشير به إلى خلق السماوات والأرض، وما ذكر معهما المذكور في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[الصافات:٥-١٠]

وأما الثاني من البراهين المذكورة: فهو خلقه تعالى للناس المرة الأولى، لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق، لا شك في قدرته على إعادة خلقهم، مرة أخرى كما لا يخفى.

والاستدلال بهذا البرهان على البعث كثير جدًّا في كتاب الله كقوله

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج:٥]، إلى آخر الآيات، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [يس:٧٨-٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [مريم:٦٦-٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [الروم:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ [الإسراء:٥١]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥ ﴾ [ق:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ ﴾ [الواقعة:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧ ﴾ [النجم:٤٥-٤٧]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠ ﴾ [القيامة:٣٦-٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ ﴾ [التين:١-٧]، يعني أي شيء يحملك على التكذيب بالدين أي بالبعث والجزاء، وقد علمت أني خلقتك الخلق الأول في أحسن تقويم، وأنت تعلم أنه لا يخفى على عاقل أن من ابتدع الإيجاد الأول لا شك في قدرته، على إعادته مرة أخرى إلى غير ذلك من الآيات.

وأما البرهان الثالث منها: وهو إحياء الأرض بعد موتها المذكور في

قوله تعالى في سورة الجاثية هذه: (وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا) [الجاثية:٥]، فإنه يكثر الاستدلال به أيضا على البعث في القرآن العظيم، لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، لأن الجميع أحياء بعد موت.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) [فصلت: ٣٩]، وقوله تعالى: (وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾) [الحج: ٥-٧]، وقوله تعالى: (فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾) [الروم:٥٠]، وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾) [الأعراف:٥٧].

فقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ) أي نبعثهم من قبورهم أحياء كما أخرجنا تلك الثمرات بعد عدمها، وأحيينا بإخراجها ذلك البلد الميت، وقوله تعالى: (يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ). [الروم: ١٩]، يعني تخرجون من قبوركم أحياء بعد الموت، وقوله تعالى: (وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾) [قٓ: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات الكريمات: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾...﴾ إلى قوله: (رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، عذاب شديد ووعيد أكيد، ووادٍ في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار لكل كذاب يكذب على الله، ويكذب بآيات الله، ومرتكب للآثام والمحرمات، ذاك الذي شأنه أنه إذا سمع آيات الله، وإذا تُليت عليه وذكّر بها يرفضها ويكذب بها ويصر على كفره بها وجحوده لها وإنكاره ويمر بها وكأنها لم تتل عليه، فبشر هذا الأفاك الأثيم بعذابٍ مؤلمٍ موجعٍ يناله يوم القيامة، وإذا بلغته آية أو جاءه العلم بها سخر منها واستهزأ بها واتخذها مجالًا للسخرية والجحود والإنكار، فله على هذا الاستهزاء وعلى تلك السخرية من الآيات يوم القيامة عذاب مُذلٌ مهين مخزي، تنتظره جهنم (فكلمة: (مِّن وَرَآئِهِمْ) قال البعض: معناه أمامهم وتنتظرهم)، ولن تغني عنهم أصنامهم التي عبدوها من دون الله ولن تغني عنهم أموالهم التي اكتسبوها ولا أولادهم الذين هم كسبٌ لهم، لن يغني عنهم كل هذا عند الله ﷻ بشيء، بل وقد أعدَّ لهم يوم القيامة العذاب العظيم.

ثمَّ يثني ربنا سبحانه وتعالى ويمدح كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، وجديرٌ به أن يُمدح وجدير به أن يُثنى عليه، فيقول تعالى: (هَٰذَا) القرآن (هُدًى) هدايات إلى طريق الله ﷻ وإلى جنته ومرضاه فمن اتبعه اهتدى، ومن حاد عنه وكفر به وجحده له عذاب أليم مؤلم موجع يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكل كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه (يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ) يقول: يسمع آيات كتاب الله تقرأ

عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه (مُسْتَكْبِرًا) على ربه أن يذعن لأمره ونهيه (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) يقول: فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له. (أَلِيمٍ ﴿٨﴾) : يعني: موجع في نار جهنم يوم القيامة.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾).

يقول تعالى ذكره: يقول تعالى ذكره:(وَإِذَا عَلِمَ) هذا الأفاك الأثيم (مِنْ) آيات الله (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) يقول: اتخذ تلك الآيات التي علمها هزوًا، يسخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾) [الدخان: ٤٣-٤٤] إذ دعا بتمر وزبد فقال: تزقموا من هذا، ما يعدكم محمد إلا شهدًا، وما أشبه ذلك من أفعالهم.

وقوله: (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارًا، ويتخذون آيات الله التي علموها هزوًا، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته، وإنما قال تعالى ذكره (أُولَٰئِكَ) فجمع. وقد جرى الكلام قبل ذلك ردًّا للكلام إلى معنى الكل في قوله: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾).

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله، يعني: من بين أيديهم. وقد بينا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك، هو وراءك، فيما مضى بما أغنى عن إعادته؛ يقول: من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئًا: يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئًا.

وقوله: ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ورؤساؤهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نصراء في الدنيا، تغني عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئًا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ يقول: ولهم من الله يومئذ عذاب في جهنم عظيم.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هدى: يقول: بيان ودليل على الحق، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ أي: أفاك في قوله كذاب، حلاف مهين أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله؛ ولهذا قال: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي:

تقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) أي: على كفره وجحوده استكبارًا وعنادًا (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) أي: كأنه ما سمعها، (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) أي: فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا.

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أي: إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا، (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾) أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: نهى رسول الله □ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال: (مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أي: كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة، (وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا) أي: لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أي: ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئًا، (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾).

ثم قال تعالى: (هَٰذَا هُدًى) يعني: القرآن، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾) وهو المؤلم الموجع.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) [إبراهيم:١٥-١٦]، وبينا هناك أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى: أمام.

فمعنى (مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) أي: أمامه جهنم يصلاها يوم القيامة كما قال

تعـالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ٧٩﴾ [الكهف:٧٩]، أي: أمـامهم ملك.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ
كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ١٢-٢٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْفُلْكُ –وَلِتَبْتَغُواْ-يَغْفِرُواْ -أَيَّامَ ٱللَّهِ -بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ -ٱلْكِتَٰبَ -وَٱلْحُكْمَ -بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ- بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ -يَقْضِي -شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ -بَصَٰٓئِرُ -ٱجْتَرَحُواْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْفُلْكُ)	السفن العظيمة
(لِتَبْتَغُواْ)	لتلتمسوا - لتطلبوا رزقه
(يَغْفِرُواْ)	يصفحوا ويتجاوزوا
(أَيَّامَ ٱللَّهِ)	الأيام التي أنزل فيها بأسه بعباده - أيام النقم التي ينتقم الله فيها من الظالمين
(بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)	أولاد يعقوب عليه السلام وذريته من بعدهم
(ٱلْكِتَٰبَ)	التوراة والإنجيل والزبور
(ٱلْحُكْمَ)	جعلنا الحكم فيهم فكانت تسوسهم أنبياؤهم، وقيل: الحكم الفهم في الدين
(بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ)	حجج واضحات يستدلون بها على وحدانية الله وعلى صدق المرسلين
(بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ)	حسدًا وظُلمًا من بعضهم لبعض
(يَقْضِي)	يحكم
(شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ)	طريقة وسنة ومنهاجًا
(بَصَٰٓئِرُ)	جمع بصيرة، يبصرون بها الحق من الباطل
(ٱجْتَرَحُواْ)	اكتسبوا - ما فعلوا

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾).

ج: يُذكِّر الله ﷻ عباده بمننه عليهم وتسخيره البحر لهم، تسير فيه سفنهم العظيمة بتيسير الله لهم، وذلك كي تنقلهم من بلدةٍ إلى بلدةٍ يلتمسون فيه رزق الله ﷻ، وذلك كي يقدم العباد شكرًا لله ﷻ على ما منَّ به عليهم وأنعم، وكذا سخر لهم ما في السموات من شمسٍ وقمر ونجوم سيارة، وكذا السحب، وكذا سخر لهم ما في الأرض من جبال وأنهار وبحار وعموم ما ينتفع به فيها، إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ لقوم يتفكرون في وحدانية الله وقدرته ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ)أيها القوم، (ٱلَّذِى) لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بينها لكم في هذه الآيات، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِۦ) لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ). يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا

لا غيره؛ لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكًا بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية، فإنه لا إله لكم سواه.

وقال:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين (لَآيَاتٍ) يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكروا فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر (لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ) ، وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها (وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ) أي: في المتاجر والمكاسب، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية.

ثم قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ) أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ ولهذا قال: (جَمِيعًا مِّنْهُ) أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ **[النحل: ٥٣]**.

وروى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: (وَسَخَّرَ

لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ) كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعًا منه، ولا ينازعه فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لمن اتبعوك وصدقوك يتجاوزوا ويصفحوا عن أهل الكفر الذين لا يبالون بعذاب الله ولا يتعظون بما حلَّ بأسلافهم ولا يخشون الأيام التي ينزل الله فيها بأسه بالظالمين، قل لأهل العلم يتجاوزوا عنهم ويصفحوا، فإن الله مجازيهم بما كسبوه وما اقترفوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه (لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤) يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ) أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم

لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة.

وقال مجاهد: (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ) لا ينالون نعم الله.

وقوله: (لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾) أي: إذا صفحوا عنهم في الدنيا، فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة؛ ولهذا قال: (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾) أي: تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها.

س: هل هذه الآية: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ) منسوخة؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنها منسوخة.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة في قوله: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ) قال: نسختها ما في الأنفال (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾) [الأنفال: ٥٧]، وفي براءة: (وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً) [التوبة: ٣٦] أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من عمل أعمالًا صالحةً فذلك عائدٌ على نفسه ولن ينتفع الله منه بشيء، ومن أساء في عمله فإثم ذلك عائدٌ عليه ثم

إن لله ﷻ المرجع والمآب.

وهذا كما في الحديث القدسي[(١)]: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهيه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني (وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحدًا سوى نفسه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾) يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازى المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحًا، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئًا.

❁ ❁ ❁

س: كيف فُضل بني إسرائيل على العالمين، وقد قال تعالى في شأن

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

أمة محمد ﷺ: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران: ١١٠]؟

ج: لأهل العلم جوابان على ذلك:

أحدهما: أنهم فُضِّلوا على العالمين في زمانهم.

الثاني: أنهم فضلوا على العالمين كلهم بكثرة الأنبياء فيهم وكثرة المعجزات التي رأوها، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات الكريمات: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ إلى قوله: (يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على بني إسرائيل بإنزال كتبٍ على أنبيائهم كالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، وكذا الزبور الذي آتاه الله داود عليه السلام، وكذا الإنجيل الذي آتاه الله عيسى عليه السلام، وكذا مننا عليهم بالفهم وأيضًا سياسة الناس وقيادتهم، فقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم، وكذا مننا عليهم بكثرة الأنبياء فيهم، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوى وغير ذلك، وفضلناهم على العالمين في زمانهم، وآتيناهم حججًا وأدلة وبراهين للاستدلال بها على وحدانية الخالق سبحانه وصدق المرسلين، فلما جاءهم الحق، والعلم، دبَّ بينهم الاختلاف، وما كان ينبغي أن يُحدث العلم اختلافًا، ولكن حملهم على هذا الخلاف حسد بعضهم لبعض من أجل الرياسات، وظلم بعضهم لبعض طمعًا فيما في يديه.

ثم إن الله عز وجل توعدهم بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا) يا محمد (بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ) يعني: التوراة والإنجيل، (وَٱلْحُكْمَ) يعني: الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، (وَٱلنُّبُوَّةَ) يقول: وجعلنا منهم أنبياءً ورسلًا إلى الخلق، (وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى (وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾) يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام.

وقال في تأويل قوله تعالى : (وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾).

يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء (فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ) طلبًا للرياسات، وتركًا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله.

وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيًا بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحق حينئذٍ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم؛ ولهذا قال: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) أي: من المآكل والمشارب، (وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾) أي: في زمانهم.

(وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ) أي: حججًا وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيًا منهم على بعضهم بعضًا، (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾) أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل. وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ثم جعلناك يا رسول الله من بعد ما آتينا بني إسرائيل الذي آتيناهم، جعلناك يا رسول الله على سنةٍ ومنهاجٍ وفرائض وحدود وأوامر ونواهي، فالزم تلك الشريعة التي شرعناها لك ولا تتبع أهواء أهل الجهل الذين لا يقرون لله بالوحدانية، بل ويعبدون معه آلهة أخرى، فإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإن الظالمين بعضهم أنصار لبعض وأولياء لبعض في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا.

أما أهل التقى، فالله ﷻ يتولاهم ويحفظهم وينصرهم ويسددهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فَاتَّبِعْهَا) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به.

وقوله: (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئًا، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه.

وقوله: (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جلَّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، وقال هاهنا: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أي:

وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضًا، فإنهم لا يزيدونهم إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله بصائر يبصر بها أهلُ الإيمان الحقَ من الباطل، والغيَّ من الرشاد، والصوابَ من الخطأ، والصدقَ من الكذب، فمن فقد هذا القرآن فقد تلك البصائر وفقد التمييز.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ﴾ **[الأنعام: ١٠٤]**.

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ **[المائدة: ١٥-١٦]**.

وكذا فهذا القرآن هداية يهتدي بها أهل اليقين ومن أراد الله أن يرحمهم، أولئك الموقنون المصدقون.

أورد الطبري أثرًا عن ابن زيد بسندٍ صحيح عنه في قوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى

ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾) [الحج: ٤٦]، وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها.

وقال:

وقولـه: (وَهُدًى) يقـول: ورشـاد (وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾) بحقيقـة صحة هذا القرآن، وأنـه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخص جلَّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة؛ لأنهم الذين انتفعوا بـه دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزنًا.

❁ ❁ ❁

س: الهداية بهذا الكتاب العزيز إنما هي لأهل الإيمان، فهم المنتفعون بها. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾) [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى: (قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ) [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: (هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾).

[الجاثية: ٢٠]

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾) [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفظن أهل الشرك والذين فعلوا السوء واستمروا على العصيان أن نسوِّي بينهم وبين أهل الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، ساء ما ظنوا بنا؛ بل سنجازي المحسن بإحسانه ونجازي المسيء بما عمل إن شئنا.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ **[السجدة: ١٨]**.

وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ **[ص: ٢٨]**.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ **[القلم: ٣٥]**... إلى غير ذلك من الآيات التي أفادت أن الله ﷻ لا يسوِّي بين المسلم والكافر والطائع والعاصي، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ **[الحشر: ٢٠]**، وقال هاهنا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ﴾ أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة! ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نُسَاوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ...﴾ الآية، لعمري لقد تفرق القوم في الدنيا، وتفرقوا عند الموت، فتباينوا في المصير.

وقال في قوله: (سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١) يقول تعالى ذكره: بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢).

ج: تكلم الطبري عليها فأجاد إذ قال:

يقول تعالى ذكره: (وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ) للعدل والحق، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ

كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جلَّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكنا خلقناهما للحق والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل.

وقوله: (وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ
بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ
يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ
إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا
يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾).

[الجاثية: ٢٣-٣٧]

س: وضح معنى ما يلي:

(إِلَٰهَهُۥ – هَوَىٰهُ – غِشَٰوَةٌ – ٱلدَّهۡرُۚ – حُجَّتَهُمۡ – لَا رَيۡبَ فِيهِ – ٱلۡمُبۡطِلُونَ – جَاثِيَةٗۚ – كِتَٰبِهَا – نَسۡتَنسِخُ – بِمُسۡتَيۡقِنِينَ – وَبَدَا لَهُمۡ – سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ – وَحَاقَ بِهِم – نَنسَىٰكُمۡ – هُزُوٗا – وَغَرَّتۡكُمُ – يُسۡتَعۡتَبُونَ – ٱلۡكِبۡرِيَآءُ).

ج:

الكلمة	معناها
(إِلَٰهَهُۥ)	معبوده
(هَوَىٰهُ)	ما تهواه نفسه، وما تحبه وتشتهيه
(غِشَٰوَةٌ)	غطاء
(ٱلدَّهۡرُۚ)	الأيام والليالي والسنون وطول العمر - الزمان
(حُجَّتَهُمۡ)	ردُّهم - مستندهم
(لَا رَيۡبَ فِيهِ)	لا شك في وقوعه
(ٱلۡمُبۡطِلُونَ)	أصحاب القول الباطل الذين زعموا أن لله ﷻ شريكًا، والذين زعموا أنه لا بعث، والمكذبون بآيات الله
(جَاثِيَةٗۚ)	باركة على ركبها
(كِتَٰبِهَا)	كتاب أعمالها الذي كتبته الملائكة الحفظة
(نَسۡتَنسِخُ)	نكتب (نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم)
(بِمُسۡتَيۡقِنِينَ)	بمتحققين - بمتأكدين
(وَبَدَا لَهُمۡ)	ظهر لهم وتبين
(سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ)	الأعمال السيئة التي عملوها

(وَحَاقَ بِهِم)	نزل بهم وحلَّ
(نَنسَىٰكُمْ)	نترككم في العذاب - نعاملكم معاملة من نسيكم
(هُزُوًا)	سخريةً واستهزاءً
(وَغَرَّتْكُمُ)	خدعتكم - غرتكم - شغلتكم
(يُسْتَعْتَبُونَ)	يسترضون - يُعاتبون - يُطلب منهم أن يدافعوا عن أنفسهم - يردون إلى الدنيا
(ٱلْكِبْرِيَآءُ)	السلطان والمجد والعظمة والعزة

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ).

ج: المعنى، والله أعلم، أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده هو الهوى الذي تهواه نفسه وتشتهيه؟! فعبد كل ما تهواه نفسه، فإذا وجد حجرًا أبيضًا واشتهته نفسه عبده، وإن وجد شجرة هي أحسن عبدها، وإذا هوى صنمًا عبده، فالحاصل أنه يعبد ما يريد وما يحب وما يشتهي، هذا قول فريق من أهل العلم.

وقال آخرون: المعنى أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فيحلل لنفسه ما يحلل ويحرم ما يريد، فيأتمر بأمر نفسه.

وقد ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القولين فقال:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ) فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسُه من شيء.

ثم قال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ) أي: إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنًا فعله، ومهما رآه قبيحًا تركه.

❁ ❁ ❁

س: هل كل ما تهواه النفوس يكون حرامًا؟

ج: لا، بل ما هوته النفس وكان موافقًا لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسول الله ﷺ فهو حسن، وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله: (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ).

ج: المعنى، والله أعلم، وأضله الله على علمٍ من الله عَزَّ وَجَلَّ أنه لا يستحق الهداية، وأنه لن يهتدي. هذا المعنى الأول.

والمعنى الثاني: وأضله الله بعد أن بلغته الأدلة وأقيمت عليه الحجة.

---

(١) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ) يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ) يحتمل قولين:

أحدها: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك. والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ).

ج: المعنى، والله أعلم، وطبع على سمعه وقلبه بطابع فلا يصل إلى سمعه شيءٌ من الحق الذي يُهتدى به ولا يعقل قلبه ما ينتفع به، وكذلك جعل على بصره غشاوة تحول بينه وبين رؤية الحق وتمييزه من الباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ) يقول تعالى ذكره: وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى.

وقوله: (وَقَلۡبِهِۦ) يقول: وطبع أيضًا على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، ولا يعي به حقًّا.

وقوله: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ) يقول: وجعل على بصره غشاوة أن

يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً) أي: فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئًا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ولهذا قال: (فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾) كقوله: (مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾). **[الأعراف: ١٨٦]**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى ذكره: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً).

الغشاوة هي الغطاء وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب فإن ما في القلب من الخير والشر يظهر على العين فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه وأنت إذا أبغضت رجلًا بغضًا شديدًا أبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والإعراض عنه، وغلظت الغشاوة على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته كالغمامة، ولما عشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك الغشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فمن الذي يهدي هذا الذي أضله الله، كما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ) **[الأعراف: ١٨٦]**، وقوله: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾) أي: أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ) يقـول تعـالى ذكـره: فمـن يوفقـه لإصـابة الحق، وإبصـار محجـة الرشـد بعد إضـلال الله إيـاه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣) أيهـا الناس، فتعلموا أن من فعل الله بـه مـا وصـفنا، فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًّا مرشدًا.

❁ ❁ ❁

س: كيف قالوا: (نَمُوتُ وَنَحۡيَا) وهم لا يقرون بالبعث؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: نموت نحن ويحيا أبناؤنا.

الثاني: أن الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: نحيا ونموت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (نَمُوتُ وَنَحۡيَا) نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنـائهم بعدهم حياة لهم؛ لأنهم منهم وبعضـهم، فكـأنهم بحيـاتهم أحيـاء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنًا مثل فلان؛ لأنه بحياة ذكره بـه كأنـه حـي غير ميت، وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت علـى وجـه تقديم الحيـاة قبـل الممـات، كمـا يقـال: قمـت وقعـدت، بمعنـى: قعـدت وقمت؛ والعرب تفعل ذلك في الواو خاصـة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتـأخر حدوثًا علـى المتقدم حدوثـه منهمـا أحيانًـا، فهذا من ذلك، لأنـه لـم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممـات، فقدم ذكر الممـات قبـل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى

أموانًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يتوهمون ويتخيلون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

ج: معناه، والله أعلم، ما يهلكنا ويميتنا إلا الأيام والسنون، والتقدم في الأعمال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَقَالُواْ) -أي: منكرو البعث- (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ) أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس ومن مات فليس براجع إلى الله ولا مجازى بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم (إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾) وهذا جراءة منهم على الله حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على إنكار الكفار للبعث.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إنكار الكفار للبعث بعد الموت، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى عنهم: (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾) [الدخان: ٣٥]، وقوله: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: ٣٥-٣٧]، وقوله تعالى عنهم: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ) [ق:٣]، وقوله تعالى عنهم: (أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾) [النازعات: ١٠-١٢]، وقوله تعالى: (قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ

رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) [يس:٧٨]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

أما معناه فقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله، عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال.

هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذًا من هذا الحديث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وما لهؤلاء القائلين بأنهم لا تفنيهم إلا الأيام والليالي والسنون من علمٍ بذلك ولا من يقينٍ به إلا يتقولون بما لا علم لهم به ويتبعون ظنونًا بلا براهين ولا بينات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم، لأنهم يقولون ذلك تخرصًا بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته (إِنْ هُمْ إِلَّا

يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) يقول جلَّ ثناؤه: ما هم إلا في ظن من ذلك، وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا تتلى على أهل الشرك آيات الله المنزلة في كتابه على لسان رسوله ﷺ والتي فيها الإخبار بأن الناس سيبعثون ويخرجون من قبورهم للحساب أنكروا ذلك وما كان لهم من حجة ولا من دليل على هذا الانكار إلا قولهم للمرسلين: ائتوا بآبائنا الذين ماتوا، فأحيوهم لنا إن كنتم صادقين في قولكم: إنَّنا سنبعث.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: واضحات جليات، تنفي الشك عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك (مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾) يقول تعالى ذكره: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقًا فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة الحديث القدسي الذي فيه: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر..»؟ وما متنه؟ وما معناه؟

ج: أما الحديث فهو ثابت صحيح، ومن ألفاظه - حيث أن له ألفاظًا متقاربة - ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**».

ومن ألفاظه في الصحيح أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**».

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًّا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المكذبين بالآيات: الله عز وجل يحييكم في هذه الحياة الدنيا إلى ما يشاء ثم يميتكم عند الأجل الذي أجَّلكم إليه ثم يجمعكم يوم القيامة - أولكم وآخركم،

---

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

في ذلك اليوم الذي لا شك ولا ريب في وقوعه، ولكن أكثر الناس قلَّ علمهم بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث، القائلين لك: ائتنا بآبائنا إن كنت صادقًا: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعًا أولكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يقول: ليوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعًا أحياء ليوم القيامة (لَا رَيۡبَ فِيهِ) يقول: لا شك فيه، يقول: فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨] أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى.. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم ٢٧]، ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أي: إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣]، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤﴾ [هود: ١٠٤]، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أي: لا

شك فيه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦ ، ٧] أي: يرون وقوعه بعيدًا، والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن ثم دفع ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ خبر كان والاسم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني بعد كونكم نطفًا أموانًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كما أحياكم في الدنيا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أن الله يعيدهم كما بدأهم.

الزمخشري : فإن قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة ؟ قلت : لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه في أسلوب قوله :

تحيّة بينهم ضَرْبٌ وجيعٌ

كأنه قيل : ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم حجة ألبتة. فإن قلت : كيف وقع قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جواب ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قلت : لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرُّون به من أن الله عز و جل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به أن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم يوم القيامة ومن كان قادرًا

على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، والسموات والأرض ملك لله ﷻ يفعل فيهما ما يشاء، ويقضي فيهما بالذي يريد، ويوم القيامة عندها يخسر أهل الباطل الذين حاولوا في دنياهم إبطال الحق وإطفاء نوره، والذين تكلموا بالباطل في حق الله ﷻ وزعموا أن له شريكًا في الملك، والذين أنكروا البعث وجادلوا بالباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعون له شريكًا، وتعبدونه من دونه، والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه جار عليه حكمه، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا، أم كيف تعبدونه، وتتركون عبادة مالككم، ومالك ما تعبدونه من دونه، (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ) يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي ينشر الله فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض (يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾) : يقول: يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكًا، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون، ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين.

فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) خلقًا وملكًا (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾) (وَيَوْمَ) الأول منصوب بـ(يَخْسَرُ) و(يَوْمَئِذٍ) تكرير للتأكيد أو بدل وقيل : إن التقدير وله الملك يوم تقوم الساعة والعامل في (يَوْمَئِذٍ) (يَخْسَرُ) ومفعول (يَخْسَرُ) محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وترى يا رسول الله يوم القيامة كل أهل ملةٍ من الملل جثاة على ركبهم كلٌ ينادى عليه لاستلام كتاب أعماله الذي كتبته الملائكة الحفظة، ويُقال لهم: اليوم تجازون على أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، فهذا الكتاب الذي أمرنا ملائكتنا بكتابته وأودعت فيه أعمالكم ها هو ينطق عليكم بالحق، يخبركم بالذي عملتموه كما قال تعالى: (وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾) [المؤمنون: ٦٢].

أما قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) فمعناه: إنا كنا نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، وكذا بكتابة أقوالكم كما قال تعالى: (بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾) [الزخرف: ٨٠]، وكما قال: (وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ) [النساء: ٨١]، وكما قال: (وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا) يقول: كل أهل ملة ودين تدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها.

وقوله: (ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) يقول تعالى ذكره: كل أمة تدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسان، وبالإساءة جزاءها.

وقال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره: لكل أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظتها في الدنيا (ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقرءوه (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فتثبتها في الكتب وتكتبها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) أي: على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل، ويقول: نفسي، نفسي، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى أن عيسى ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني.

وقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا) يعني: كتاب أعمالها، كقوله: (وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ) [الزمر: ٦٩]؛ ولهذا قال: (ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) أي: تجازون بأعمالكم خيرها وشرها، كقوله تعالى: (يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾) [القيامة: ١٣ -١٥] .

ثم قال: (هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ) أي: يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، كقوله تعالى: (وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾) [الكهف: ٤٩] .

وقوله: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) أي: إنا كنا نأمر الحفظة أن

تكتب أعمالكم عليكم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا) أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا) أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله تعالى: (مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ) [الجاثية: ١٥].

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: (هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ) أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: (فِي رَحۡمَتِهِۦۚ)؟

ج: قال عددٌ من أهل العلم: (في جنته)، ويشهد له الحديث القدسي الذي فيه أنه عَزَّ وَجَلَّ قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء**» - والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ...﴾ الآيات.

ج: في الآيات بيانٌ لحال المؤمنين الذين استقاموا على الشريعة وعملوا بأوامر الله واجتنبوا مناهيه ومساخطه، وعبدوه وحده لا شريك له، فهؤلاء يدخلهم ربهم في جنته ذلك هو الفوز المبين الذي أبان وأظهر أن أصحابه قد فازوا.

وأما أهل الكفر فيقال لهم - إذا اعتذروا -: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن الإيمان بها ولم تصدقوها وكنتم أهل إجرام؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئًا، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ يعني في جنته برحمته.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذٍ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة، قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات، وهي الخالصة الموافقة للشرع. ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، وهي الجنة. كما ثبت في الصحيح أن الله قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**».

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ أي: البين الواضح، ثم قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ

تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ) أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا: أما قُرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عند سماعها؟ (وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾) أي: في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ) أي: الجنة، (ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ) أي: فيقال لهم ذلك وهو استفهام توبيخ (فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ) عن قبولها (وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾) أي مشركين تكسبون المعاصي يقال : فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم فالمجرم من أكسب نفسه المعاصي وقد قال الله تعالى: (أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾) [القلم : ٣٥] فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر إذًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا قيل للكفار المنكرين للبعث آمنوا، فإن وعد الله حق وآت لا محالة، وكذا الساعة آتية لا محالة، أنكرتم ذلك وقلتم ما ندري عن يوم القيامة الذي تحدثونا بوقوعه شيئًا، وما نحن بمتحققين من وقوعه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذ: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ) الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم (حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ) التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة،

والعقاب على المعصية، آتية (لَارَيْبَ فِيهَا) يقول: لا شك فيها، يعني في الساعة، والهاء في قوله: (فِيهَا) من ذكر الساعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها (قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) تكذيبًا منكم بوعد الله جلَّ ثناؤه، وردًّا لخبره، وإنكارًا لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

وقوله: (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) يقول: وقلتم: ما نظن أن الساعة آتية إلا ظنًّا (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾) أنها جائية، ولا أنها كائنة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَارَيْبَ فِيهَا) أي: إذا قال لكم المؤمنون ذلك، (قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) أي: لا نعرفها، (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) أي: إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، أي مرجوحًا؛ ولهذا قالوا: (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾) أي: بمتحققين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وظهر وتبين العصيان والكذب سيئ أعمالهم أي الأعمال السيئة التي عملوها قد رأوها في أخراهم في صحائف أعمالهم، ونزل بهم وأحلَّ وأحاط به جزاء استهزائهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله

سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾) يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذٍ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله محلُّه بمن كذب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟) أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، (وَحَاقَ بِهِم) أي: أحاط بهم (مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾) أي: من العذاب والنكال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟) أي ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا (وَحَاقَ بِهِم) أي نزل بهم وأحاط (مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾) من عذاب الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لهؤلاء الكفار المستهزئين بالآيات الساخرين منها المكذبين بالبعث يقول لهم: فاليوم أتركك في العذاب كما تركتم العمل ليومكم هذا، وكما أنكرتم يومكم هذا، ومنزلكم الذي تصيرون إليه وتأوون هو النار، أعاذنا الله والمسلمين منها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ) أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم (كَمَا

نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أي: فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به، (وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾).

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتَرْبَع؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: أفظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني» (١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ذلك الجزاء الذي جازيناكم به من الحكم عليكم بالنار تدخلونها وتصلونها؛ لأنكم استهزأتم بآيات الله واتخذتموها محلًّا للسخرية بها ومجالًا لذلك، وخدعتكم دنياكم وشغلتكم وحذفتكم عن طاعة الله واتباع رسله فاليوم - يوم القيامة، وبعد أن أدخلتم النار لا يخرج منها أهلها ولا يطلب منهم إبداء وجهة نظرهم بالعتاب، ولا يسترضون ولا يردون إلى الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حل بكم من عذاب الله اليوم (بِأَنَّكُمُ) في الدنيا (ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا)، وهي حججه وأدلته وآي كتابه التي

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٨) بنحوه.

أنزلها على رسوله ﷺ (هُزُوًا) يعني سخرية تسخرون منها (وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا) يقول: وخدعتكم زينة الحياة الدنيا. فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله، يقول تعالى ذكره: (فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾) يقول: ولا هم يردون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: (ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا) أي: إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريًّا، تسخرون وتستهزؤون بها، (وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا) أي: خدعتكم فاطمأننتم إليها، فأصبحتم من الخاسرين؛ ولهذا قال: (فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) أي: من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾) أي: لا يطلب منهم العتبى، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾).

ج: يحمد ربنا ﷻ نفسه ويصف نفسه بما هو له أهل، فيقول سبحانه: (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ) وقد يتضمن هذا الخبر أمرًا، فيكون المعنى: قولوا: فلله الحمد. (رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ) خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما. (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾) كذا رب الخلق أجمعين خالقهم ورازقهم ومتفضلٌ عليهم بعموم نعمه، وله المجد والعظمة والسلطان في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغلب والذي يُمضي أمره في خلقه، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه (ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾) في

شرعه، وفيما يأمر به وينهى عنه، الحكيم في كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ) على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه ربًّا، وتشركون به معه (رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ) يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع و(رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾) يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق، وله الكبرياء في السموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) في نقمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء (ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾) في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء - والله أعلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال: (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ) أي: المالك لهما وما فيهما؛ ولهذا قال: (رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾).

ثم قال: (وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) قال مجاهد: يعني السلطان. أي: هو العظيم الممجد، الذي كل شيء خاضع لديه، فقير إليه. وقد ورد في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري**». ورواه مسلم[(١)] من حديث الأعمش،

---

(١) مسلم (٢٦٢٠) بلفظ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**».

عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ بنحوه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يغالب ولا يمانع، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس لا إله إلا هو.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن له الكبرياء في السموات والأرض؛ يعني أنه المختص بالعظمة، والكمال والجلال والسلطان، في السموات والأرض، لأنه هو معبود أهل السموات والأرض، الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه، وتمجيده، والخضوع والذل له.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبينًا في آيات أخر كقوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزخرف:٨٤-٨٥].

فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ معناه أنه هو وحده الذي يعظم ويعبد في السموات والأرض ويكبر ويخضع له ويذل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾. [الروم:٢٧]

فقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ معناه أن له الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السموات والأرض.

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد(١) عن النبي ﷺ: «أن الله يقول: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما أسكنته

---

(١) تقدم قريبًا، وهو صحيح.

(٤٨١) أحمر أسود

ناري».

تم بحمد الله.

التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء الأحقاف

في سؤال وجواب

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير جزء الأحقاف

في سؤال وجواب

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن
دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ
يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ
كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ
فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ
قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا
عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١-١٢]

س: - اذكر معنى ما يلي:

﴿حمٓ - ٱلْعَزِيزِ - خَلَقْنَا - أَجَلٍ مُّسَمًّى - كَفَرُوا - عَمَّآ أُنذِرُوا - تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ - أَرُونِي - شِرْكٌ - أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ - أَضَلُّ - لَا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ - غَٰفِلُونَ - حُشِرَ - كَٰفِرِينَ - تُتْلَىٰ - ءَايَٰتُنَا - بَيِّنَٰتٍ - لِلْحَقِّ - سِحْرٌ - مُّبِينٌ - ٱفْتَرَىٰهُ - فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا - تُفِيضُونَ فِيهِ - شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ - بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حمٓ﴾	أحرفٌ مقطعةٌ لا يعلم معناها إلا الله
﴿ٱلْعَزِيزِ﴾	الذي لا يغلب، بل هو غالبٌ على أمره يفعل ما يريد - عظيم السلطان لا يقهر
﴿خَلَقْنَا﴾	صنعنا - أوجدنا - أحدثنا
﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	زمن مُحددٌ ومُقدرٌ
﴿كَفَرُوا﴾	جحدوا وحدانية الله
﴿عَمَّآ أُنذِرُوا﴾	عن الذي أنذروا به وهو القرآن
﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	تعبدون مع الله - تعبدونها وتتركون عبادة الله
﴿أَرُونِي﴾	أطلعوني
﴿شِرْكٌ﴾	نصيب
﴿أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾	بقية من علم - علمٌ يؤثر عن الأولين - علمٌ آثركم الله به وفضلكم به على غيركم وخصَّكم به
﴿أَضَلُّ﴾	أبعد عن الحق
﴿لَا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾	لا يجيبه ولا يحقق مراده
﴿غَٰفِلُونَ﴾	ساهون لا يعقلون ولا يفهمون

﴿حُشِرَ﴾	جمع (وذلك يوم القيامة)
﴿كَٰفِرِينَ﴾	جاحدين مُنكرين
﴿تُتْلَىٰ﴾	تُقرأ
﴿ءَايَٰتُنَا﴾	آيات القرآن المنزلة من عند الله - حججنا التي احتججنا بها على عبادنا
﴿بَيِّنَٰتٍ﴾	واضحات - نيِّرات
﴿لِلْحَقِّ﴾	للقرآن
﴿سِحْرٌ﴾	خداع وتمويه وتضليل
﴿مُّبِينٌ﴾	مُظهر لمن تأمله أنه ساحر - ظاهر
﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾	اختلقه من عند نفسه - تقوَّله - تخرَّصه
﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾	فلا تدفعون عني من عذاب الله شيئًا
﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾	تخوضون فيه من الكلام في شأني وفي شأن القرآن (وذلك عند وصفكم القرآن بأنه سحرٌ..) - تتكلمون فيه
﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾	شاهدًا عليَّ وعليكم
﴿بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	أول الرسل التي أرسلها الله إلى خلقه، فالبدع من الشيء أوله

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، هذا القرآن تنزيلٌ من عند الله العزيز الحكيم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: المراد جميع العوالم التي بين السماء والأرض من ملائكة وإنسٍ وجنٍّ وشجرٍ وحجرٍ وبحارٍ وأنهار ودواب وطيور سوارح، وعموم كل ما بين السموات والأرض من مخلوقات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا ولكلٍّ أجلٌ مسمى محددٌ مقدرٌ عند الله، ينتهي هذا الشيء بانتهاء أجله، فإذا بلغ مخلوقٌ الأجل الذي حدده الله له وأجلَّه إليه وقدَّره له أفناه الله عزَّ وجلَّ عند بلوغ هذا الأجل وأعدمه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات التي توضح أن الآجال مسماة.

ج: من الأدلة على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].
* وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: ٣٤].
* وقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

❁ ❁ ❁

البيان لكون السموات والأرض لم تُخلقا عبثًا

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾؟

ج: المعنى الإجمالي، والله تعالى أعلم، وما أوجدنا ولا أحدثنا ولا صنعنا

السموات والأرض والمخلوقات التي بينهما من ملائكة وإنس وجن وبحار وأشجار وجبال وسائر المخلوقات إلا كي نقيم الحق في ذلك ونعدل بينهم في ذلك ونجازيهم بأعمالهم، فيعمل العامل فنجازيه بعمله، ونأخذ للمظلوم عن ظلمه، ونجازي أهل التوحيد والطاعات ونكافؤهم، ونعاقب أهل الشرك والتمرد والعصيان والظلم، ولكل مخلوق عندنا أجل قدرناه له ينتهي عنده ويفنى ويُعدم، ومع هذا البيان كله وذلك الإنذار فأهل الكفر عن القرآن معرضون، لايتعظون ولا يعتبرون، فهذا حالهم وهذا دينهم مع ما يرونه من الآيات، ومع ما يرونه من فناء الخلق جيلًا بعد جيلٍ وقومًا بعد قومٍ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقًا مصنوعًا، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحقّ، يعني: إلا لإقامة الحقّ والعدل في الخلق.

وقوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجودًا بإيجاده إياه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه نزل الكتاب على عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال، ثم قال: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا على وجه العبث والباطل، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ أي: لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتابًا وأرسل إليهم رسولًا، وهم معرضون عن ذلك كله، أي: وسيعلمون غبّ ذلك.

قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

ولهذا قال هنا: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا عبثا ولا سدى

بل ليعرف العباد عظمة خالقهما ويستدلوا على كماله ويعلموا أن الذي خلقهما، قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى ساعة معينة ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧].

وقد نزه تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبثاً، لا لتكليف وحساب وجزاء، وأنكر ذلك على من ظنه، في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

فقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي تنزه وتعاظم، وتقدس عن أن يكون خلقهم لا لحكمة تكليف وبعث، وحساب وجزاء.

وهذا الذي نزه تعالى عنه نفسه، نزهه عنه أولو الألباب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فقوله عنهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهًا لك، عن أن تكون خلقت هذا الخلق، باطلاً لا لحكمة تكليف، وبعث حساب وجزاء.

وقوله جل وعلا في آية الأحقاف هذه: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. يفهم منه أنه لم يخلق ذلك باطلاً، ولا لعباً ولا عبثاً.

وهذا المفهوم جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٣٩].

وقوله تعالى في آية الأحقاف هذه: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معطوف على قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق، وبتقدير أجل

مسمى، أي وقت معين محدد ينتهي إليه أمد السماوات والأرض، وهو يوم القيامة كما صرح الله بذلك في أخريات الحجر في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ﴾ الآية [الحجر: ٨٥].

فقوله في الحجر: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ يوضح معنى قوله في الأحقاف: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾.

وقد بيَّن تعالى في آيات من كتابه أن للسماوات والأرض أمداً ينتهي إليه أمرهما. كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ الآية [المزمل: ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾.

ما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار معرضون عما أنذرتهم به الرسل جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦]، وقوله في يس: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [يس: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

والإعراض عن الشيء الصدود عنه. وعدم الإقبال إليه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء الكفار أهل الشرك: أرأيتم يا أهل الشرك هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دون الله وجعلتموها شريكةً لله في عبادته، وتركتم توحيد الله بسببها ﴿أَرُونِى﴾ أطلعوني ماذا خلقت هذه الأوثان والآلهة من الأرض، ما الذي خلقته هذه الآلهة من الأرض؟!!، إنها لم تخلق شيئًا، بل الخالق هو الله خلق الأرض وما فيها.

وكذا أروني يا أهل الشرك هل الآلهة شريكة في السموات التي خلقها الله.

ائتوني يا أهل الشرك بكتابٍ نزل من عند الله مثل هذا القرآن يدل على أن الآلهة والأوثان خلقت شيئًا من الأرض أو أنها شريكة لله في السموات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابًا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتي على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لآلهتكم التي تعبدونها أيها الناس، شرك مع الله في السموات السبع، فيكون لكم أيضًا بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتي على إفرادي العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كلّ ما سواه.

وقوله: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أُنزل عليّ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئًا، أو أن لهم مع الله شركًا في السموات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها؛ لأنها إذا صحّ لها ذلك صحت لها الشركة في النِّعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر، واستحقت منكم الخدمة؛ لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله.

وقوله: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بالألف، بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم. ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلميّ أنه كان يقرؤه (أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ)، بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتموه، وأوثرتم به على غيركم، والقراءة التي لا أستجيز غيرها ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بالألف، لإجماع قرّاء الأمصار عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويلها، فقال بعضهم: معناه: أو ائتوني بعلم بأن

آلهتكم خَلَقت من الأرض شيئًا، وأن لها شرك في السموات من قبل الخطّ الذي تخطونه في الأرض، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿قُلْ﴾ أي: لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره: ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير، إن المُلْك والتصرّف كله إلا لله - عزَّ وجلَّ - فكيف تعبدون معه غيره، وتشركون به؟ من أرشدكم إلى هذا؟ من دعاكم إليه؟ أهو أمركم به؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم؟ ولهذا قال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأمركم بعبادة هذه الأصنام، ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: دليل بَيِّن على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ أي: لا دليل لكم نقليًا ولا عقليًا على ذلك؛ ولهذا قرأ آخرون: (أو أَثَرة من علم) أي: أو علم صحيح يأثرونه عن أحد ممن قبلهم، كما قال مجاهد في قوله: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو أحد يأثُر علمًا. وقال العوفي عن ابن عباس: أو بينة من الأمر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثانًا وأندادًا لا تملك نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، قل لهم - مبينًا عجز أوثانهم وأنها لا تستحق شيئًا من العبادة -: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئًا؟ هل خلقوا جبالًا؟ هل أجروا أنهارًا؟ هل نشروا حيوانًا؟ هل أنبتوا أشجارًا؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلًا عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ الكتاب يدعو إلى الشرك ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم

عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وكل رسول قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين على برهان ولا دليل، وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة. يدلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئًا في الدنيا أو في الآخرة؟

❁ ❁ ❁

س: لأهل العلم قولان في قراءة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: القراءة الأولى هي:

أثارة بالألف، والمعنى بقيةٌ من علم.

القراءة الثانية هي:

أثرة بلا ألف والمعنى شيء آثركم الله به أو خصَّكم الله به دون غيركم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾ في ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن كنتم صادقين في أنها تنفع أو تضر.

وقال آخرون: إن كنتم صادقين في أنها خلقت شيئًا من الأرض أو أنها شريكة لله في السموات.

❁ ❁ ❁

ضلال من دعا غير الله عزَّ وجلَّ

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - ليس هناك شخص أشد ابتعادًا عن الحق وانصرافًا

عنه من شخص يدعو إلهًا من دون الله لا يفهم مراده ولا يسمع كلامه ولا يعقل معناه، ومن ثمَّ فإنه لا يجيبه مهما دعاه، ولا يحقق له رجاءه ولا مُناه مهما أطال الدعاء، ولو استمر يدعو إلى يوم القيامة؛ وذلك لأن هذه الآلهة المعبودة من دون الله لا تفهم شيئًا ولا تعقل ولا تقدر على شيءٍ، فالواقف أمام صخرةٍ يدعوها أو حجرٍ يرجوه أو شجرة يسألها أو ميت يسأله، كل ذلك لا يجيب ولا يطيع ولا يفهم عنه المراد ولا يحقق له الرجاء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبدًا، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة؛ لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عني بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب.

وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جاريًا فيه عندهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: لا أضل ممن يدعو أصنامًا، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجَارة صُمّ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تيسير الكريم الرحمن»:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

أي: مدة مقامه في الدنيا لا ينتفع به بمثقال ذرة ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشرككم. ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا جمع الناس يوم القيامة مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله تبرأت الآلهة المعبودة ممن عبدوها وأنكرت هذه العبادة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧﴾ [الفرقان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء؛ لأنهم يتبرؤون منهم ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم إيانا تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] أي: سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، وقال الخليل: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾.

[العنكبوت: ٢٥]

س: كثيرًا ما يصف أهل الكفر القرآن بأنه سحر، اذكر بعض ما ورد في ذلك؟

ج: من الوارد في ذلك:

قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤].

وما ذكره تعالى عنهم إذ قال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧].

وقولهم في شأن التوراة والقرآن، ونبي الله موسى ونبيه محمد ﷺ: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا تليت على هؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى آيات الكتاب العزيز، تلك الآيات الواضحات الدالة على وحدانية الله عزَّ وجلَّ والدالة كذلك على بطلان عبادتهم للأوثان والأصنام والدالة على جهل أهل الكفر بما هم عليه قائمون، فإذا تليت الآيات على هؤلاء كذبوا بها ووصفوها بأنها سحرٌ تُخدع به النفوس والأذهان ويُذهب الأبصار وتُقلب به الحقائق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا، يعني حججنا التي احتججناها عليهم فيما أنزلناه من كتابنا على محمد ﷺ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني واضحات نيرات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذّبوا رسوله للحقّ لما جاءهم من عند الله، فأنزله على رسوله ﷺ ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر ﴿مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ يقول: يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل لهؤلاء الكفار الذين يدَّعُون أن النبي ﷺ اختلق القرآن من عند نفسه وأن الله ما أنزل شيئًا عليه، قل لهؤلاء الذين اتهموك بذلك ورموك به: إن اختلقت هذا القرآن من عند نفسي فلا تستطيعون دفع عذاب الله عني، وذلك لأن الذي يكذب على الله ينتقم الله منه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ وعلى كل حال فربي يا أهل الشرك عالمٌ بقولكم وبوصفكم الذي وصفتموني به وصفتم به كتابه المنزل من عنده، وهو شاهد عليَّ بما تكلمت به، وشاهد عليكم كذلك بما تكلمتم به، ثم هو غفور رحيم إذا تبتم تاب عليكم وغفر لكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش: افترى محمد هذا القرآن، فاختلقه وتخرّصه كذبًا، قل لهم يا محمد إن افتريته وتخرّصته على الله كذبًا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي﴾ يقول: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخرّصي عليه شيئًا، ولا تقدرون أن تدفعوا عني سوءًا إن أصابني به.

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقول: ربي أعلم من كل شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن والهاء من قوله: ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من ذكر القرآن.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يقول: كفى بالله شاهدًا علي وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم، بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني -وليس كذلك-لعاقبني أشد العقوبة، ولم يَقْدرْ أحد من أهل الأرض - لا أنتم ولا غيركم - أن يجيرني منه، كقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، هذا تهديد لهم، ووعيد أكيد، وترهيب شديد.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أضواء البيان»:

وما تضمنته آية الأحقاف هذه وآية الحاقة المبينة لها من أنه لو افترى على الله أو تقول عليه عاجله بالعذاب، وأنه لا يقدر أحد على دفعه عنه. جاء معناه في بعض الآيات؛ كقوله تعالى في يونس: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥] أي إني أخاف إن عصيت ربي بالافتراء عليه بتبديل قرآنه أو الإتيان بقرآن غيره. عذاب يوم عظيم.

وذكر الله تعالى مثل هذا عن بعض الرسل في آيات أخر كقوله عن صالح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ الآية [هود: ٦٣]. وقوله تعالى عن نوح: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدْتُّهُمْ﴾ الآية [هود: ٣٠].

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يصف أهل الكفر هذا القرآن بأنه افتراء، وأن النبي ﷺ أتى به من عند نفسه، اذكر ما يوضح ذلك.

ج: من الآيات الواردة في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الشورى: ٢٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ [سبأ: ٤٣].

❁ ❁ ❁

س: لِمَ خُتمت الآيات المباركات بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾؟

ج: فيما يبدو - والله تعالى أعلم - أنها ختمت بذلك لحثهم على التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجلَّ، فالمعنى إذا رجعتم عما أنتم عليه من الضلال والكفر غفر الله لكم ورحمكم.

وقال الحافظ ابن كثير:

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾ ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة، أي: ومع هذا كله إن رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم، وغفر ورحم. وهذه الآية كقوله في سورة الفرقان: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم؛ يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه، إذا كان فيه أوّل. ومن البدع قول عديّ بن زيد.

فَلَا أنا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي ... رِجَالًا عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وَأَسعد

ومن البديع قول الأحوص:

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقُلْتُ انْظُرِينِي ... لَيسَ جَهْلٌ أَتَيْتُه بِبَدِيع

يعني بأوّل، يقال: هو بدع من قوم أبداع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

* أحدها: أن الآية الكريمة على ظاهرها، أي أن النبي ﷺ لم يكن يدري ما يفعل به ولا بغيره يوم القيامة، ثم إن الله عزَّ وجلَّ أخبره بعد ذلك إذ قال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢].

وقال في أن أهل الإيمان: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الفتح: ٥].

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري من حديث خارجة بن زيد بن ثابت «أن أم العلاء - امرأةً من نسائهم بايعت النبي ﷺ - أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا، فمرضته حتى توفي، وجعلناه في أثوابه. فدخل علينا النبي فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: **وما يُدريك أن الله أكرمه؟** قالت: قلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فمن؟ قال: **أما هو فقد جاءهُ والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله - وأنا رسول الله - ما يُفعل بي.** قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده. قالت: فأحزني ذلك، فنمت، فرأيتُ لعثمان عينًا تجري، فجئت رسول الله وأخبرته، فقال: **ذلك عمله**»[1].

وقد أورد الطبري رحمه الله تعالى جملة من الآثار عن الصحابة والتابعين بذلك وإن كانت أسانيدها لا تخلو من مقال.

---

(١) البخاري (حديث ٣٩٢٩).

* القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ إنما هو في الدنيا، والمراد ما يُفعل بي هل أنتصر عليكم في الدنيا أم أنني سأبتلى كما ابتلي غيري من الأنبياء وأهل الفضل والصلاح بالقتل والإخراج من الديار والجوع والمرض ونحو ذلك.

وكذا ما أدري ما يفعل بكم في الدنيا هل يخسف بكم؟! هل ينتقم منكم وتهزموا شر هزيمة؟!، هل ستنزل عليكم شر هزيمة هل ستنزل عليكم حجارةٌ من السماء،.. ونحو ذلك، واحتج أصحاب هذا القول بأنه من المحال أن يكون رسول الله لا يدرى ما يفعل به ولا بالمؤمنين يوم القيامة، وقد أرسله الله عزَّ وجلَّ بشيرًا ونذيرًا، بشيرًا لمن أطاع بالجنة ونذيرًا لمن عصى بالنار.

* القول الثالث: وأراه أضعف الأقوال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الفرائض والأحكام، أي ماذا سيفرض عليَّ وعليكم من الأحكام.

* وأورد الطبري رحمه الله تعالى مضمون هذه الأقوال واختار القول الثاني فقال:

وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ وقيل له: قل للمؤمنين بك ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلام نصير هنالك، قالوا ثم بين الله لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به حالهم في الآخرة، فقيل له: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢]، وقال: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ﴾ [الفتح: ٥].

ثم أورد أثر ابن عباس رضي الله عنهما[1] في ذلك إذ قال: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ فأنزل الله بعد هذا ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وكذا أورد أثرًا عن الحسن وعكرمة[2]، وفي إسناده ضعف، قالا: قال في حم

---

(١) الطبري (٣١٢٣٩) وفي سنده مقال.

(٢) الطبري (٣١٢٤٠)، وفي سنده ضعف.

الأحقاف: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ فنسختها الآية التي في سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ....﴾ [الفتح: ١-٢] الآية، فخرج نبي الله ﷺ حين نزلت هذه الآية، فبشرهم بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فقال له رجال من المؤمنين: هنيئًا لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ في سورة الأحزاب، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾ [الأحزاب: ٤٧]، وقال: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ...﴾ [الفتح: ٥-٦] الآية، فبين الله ما يفعل به وبهم.

وأثرًا عن قتادة[1] بإسنادٍ صحيح: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ ثم درى أو علم من رسول الله ﷺ بعد ذلك ما يفعل به، يقول: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢].

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهُذَليّ.

وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب؛ لأن الخطاب من مبتدإ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خروج من الله عزَّ وجلَّ خطابا للمشركين وخبرًا عنهم، وتوبيخًا لهم، واحتجاجًا من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم.

فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضًا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، أو خبر عنهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبي ﷺ: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عزَّ وجلَّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرّة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غدًا

---

(١) الطبري (٣١٢٤١) بسندٍ صحيح لغيره.

في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدّة وعذاب؛ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك، وتصديقنا بما تدعونا إليه، رغبة في نعمة، وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة، وعذاب نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه ﷺ ما هو فاعل به، وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم.

كذا قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ واختار.

والذي يظهر لي، والله تعالى أعلم، أن الرأي الأول هو الأقوى للآتي ذِكره:

أولًا: أنه ظاهر الآية الكريمة ويتمشى مع عموم لفظها.

ثانيًا: أنه قول أكثر أهل العلم.

ثالثًا: أنه يُمكن توجيه ما وجِّه إليه بأنه يُقال إنه لم يكن يدري ما يفعل به ولا بغيره على سبيل التفصيل والتعيين. أما على سبيل الإجمال فيدري أن الرسل وأهل الإيمان مآلهم إلى الجنة.

رابعًا: أن ما يرد عليه من الاستدراك الذي أورده الطبري وغيره يرد أيضًا على الرأي الذي اختاره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإذا كان المراد ذلك في الدنيا، فقد أخبر الله عزَّ وجلَّ بالمآل الحسن لرسوله ﷺ ولأهل الإيمان في الدنيا إذ قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

خامسًا: أن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورد عنه القولان، وإن كان في الأسانيد إليهما مقال. والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِى مَا يُفۡعَلُ بِى وَلَا بِكُمۡۖ﴾.

التحقيق إن شاء الله، أن معنى الآية الكريمة، ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أأخرج من مسقط رأسي أو أقتل كما فعل ببعض الأنبياء.

وما أدري ما ينالني من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة.

وما أدري ما يفعل بكم أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك.

وهذا هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين.

وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] الآية. قوله تعالى آمراً له ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - إن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، وأما أنا فلا أتبع إلا الذي أوحاه الله إليَّ، وما لي من شيءٍ في هذا الصدد إلا الإنذار الواضح المظهر أنني قد أنذرتكم وحذرتكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهم ما أتبع فيما آمركم به، وفيما أفعله من فعل إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ يقول: وما أنا لكم إلا نذير، أنذركم عقاب الله على كفركم به ﴿مُّبِينٌ﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم، يقول: فكذلك أنا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نعمت البدعة هذه» لما جمع الناس على أُبي في صلاة التراويح، وكيف يصدر ذلك من عمر والنبي ﷺ يقول: «كل محدثة بدعة»؟

ج: أما عن معنى البدعة فالشيء المحدث على غير مثالٍ سابق أو الشيء الذي يفعل لأول مرة.

ونعم قد قال الرسول ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، ولكن توجيه قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نعمت البدعة هذه» أن هذا الشيء الذي أُحدث لأول مرة في زماني لِنعمَ الشيء وليس المراد الذي أُحدث لأول مرةٍ على الإطلاق فقد كان هذا الشيء

في زمن رسول الله ﷺ ولذلك شواهد في التنزيل كقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣]، أي: وأنا أولهم في زماني، وإن كان يحتمل قولًا آخر وأنا أول المطيعين المستسلمين لأمر الله المنقادين له وذلك على سبيل بيان الإذعان والخضوع والامتثال، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المعني بقوله: ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم - إن كان هذا القرآن من عند الله.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ...﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف له على سبب نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

س: أين جواب الشرط لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ....﴾؟

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

جواب الشرط فى هذه الآية محذوف.

وأظهر الأقوال فى تقديره إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وجحدتموه فأنتم ضلال ظالمون. وكون جزاء الشرط في هذه الآية كونهم ضالين ظالمين يبينه قوله تعالى فى آخر فصلت: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت ٥٢]، وقوله في آية الأحقاف هذه: ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

وقال أبو حيان في البحر: مفعولًا أرأيتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما.

❁ ❁ ❁

شهادة الشاهد الإسرائيلي للنبي محمد ﷺ

س: من الذي عناه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الشاهد هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهوديًّا فأسلم.

وقد وردت بذلك آثارٌ كثيرةٌ جدًّا، أورد الطبري رحمه الله جملةً كبيرةً من الآثار بذلك.

بينما ذهب بعض العلماء، وقد صح هذا عن مسروق بن الأجدع رحمه الله أن هذاالشاهد الذي هو من بني إسرائيل هو موسى عليه السلام، والمراد بقوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: على التوراة التي هي مثل القرآن، واستظهر لقوله بأن السورة مكية ولم يكن عبد الله بن سلام أسلم يومئذ.

وأورد الطبري[1] بسندٍ صحيح عن مسروق قال: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد ﷺ بها قومه، قال: فنزلت ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد ﷺ، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم.

وفي رواية أخرى[2] عن مسروق عند الطبري أيضًا أنه قال: أناس يزعمون أن شاهدًا من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة؛ وقد أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله ﷺ قومه، فقال: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ﴾ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على الفرقان.

* إلا أن الآثار بأنه ابن سلام كثيرةٌ جدًّا، وسبب النزول يشهد لذلك.

---

(١) الطبري (٣١٢٤٥).

(٢) (٣١٢٤٦).

مناقب الصحابي الجليل عبد الله بن سلام

س: اذكر بعض مناقب الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الآية. قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث[(٢)].

وعند أحمد أيضًا من طريق مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ أتي بقصعة فأكل منها ففضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «يجيء رجلٌ من هذا الفجّ من أهل الجنة يأكل هذه الفضلة» قال سعد: وكنت تركت أخي عميرًا يتوضأ قال: فقلت: هو عمير. قال: فجاء عبد الله بن سلام فأكلها[(٣)].

وأخرج ابن حبان في موارد الظمآن بسندٍ حسن من طريق يزيد بن عميرة أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، قال: «أجلسوني» ثم قال: «إن العلم والإيمان مظانهما، من التمسهما وجدهما - أو العلم والإيمان مكانها من التمسهما وجدهما - فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديًّا فأسلم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة»[(٤)].

وأخرج البخاري ومسلم[(٥)] من طريق قيس بن عباد قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة،

---

(١) البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

(٢) قال الحافظ: قوله: «لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث» أي: لا أدري هل قال مالك إن نزول هذه الآية في هذه القصة من قبل نفسه أو بهذا الإسناد.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٦٩)، وعبد بن حميد (١٥٢)، وغيرهما بسندٍ حسن.

(٤) ابن حبان في موارد الظمآن (٢٢٥٢).

(٥) البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج وتبعته فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لَمَ ذاك. رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة - ذكر من سعتها وخضرتها - وسطها عمود من جريد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني منصف فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت في العروة فقيل لي: استمسك، فاستيقظت وإنها لفي يدي. فقصصتها على النبي ﷺ فقال: «**تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت**». وذلك الرجل عبد الله بن سلام.

وأخرج مسلم[1] من طريق خرشة بن الحر قال: كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة قال: وفيها شيخ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلام قال: فجعل يحدثهم حديثًا حسنًا. قال: فلما قام قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. قال فقلت: والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته. قال: فتبعته، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخل منزله قال: فاستأذنت عليه فأذن لي فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال فقلت له: سمعت القوم يقولون لك: لما قمت من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. فأعجبني أن أكون معك. قال: الله أعلم بأهل الجنة. وسأحدثك مِمَّ قالوا ذاك. إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي قم. فأخذ بيدي فانطلقت معه، فإذا أنا بجواد عن شمالي، قال: فأخذت لآخذ فيها، فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال، قال: فإذا جواد منهج على يميني فقال لي: خذ ههنا، فأتى بي جبلًا فقال لي: اصعد قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي قال: حتى فعلت ذلك مرارًا قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا رأسه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة فقال لي: اصعد فوق هذا. قال قلت: كيف أصعد هذا؟ ورأسه في السماء. قال: فأخذ بيدي فزجل بي قال: فإذا أنا

---

(١) مسلم (ص ١٩٣١).

متعلق بالحلقة. قال: ثم ضرب العمود فخرَّ قال: وبقيت متعلقًا بالحلقة حتى أصبحت. قال: فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه فقال: «**أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال**» قال: «**وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسكًا بها حتى تموت**».

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**»، فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت قال: «**فقف مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا**» قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مَسْلحة له. فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا دونهما بالسلاح فقيل في المدينة جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله، فقال نبي الله ﷺ: «**أي بيوت أهلنا أقرب؟**» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي. قال: «**فانطلق فهيئ لنا مقيلًا**». قال: قوما على بركة الله فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود: ويلكم اتقوا**

الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًّا وأني جئتكم بحق فأسلموا»، قالوا: ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار. قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليُسلم قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «يا ابن سلام اخرج عليهم» فخرج، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ وقد هدى الله أقوامًا كافرين فأسلموا بعد كفرهم، وآمنوا بعد شركهم؟

ج: لأهل العلم وجهان في الجواب على مثل هذا السؤال:

أحدهما: أن المراد بالظالمين هنا، الذين سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر، وهم الذين كتبت عليهم الشقاوة، فهؤلاء لا يوفقهم الله لإصابة الحق.

الثاني: أن المراد بالآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ ما داموا قائمين على ظلمهم مستمرين عليه متمادين في الكفر، والعياذ بالله.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾؟

ج: معلوم أن الهداية هدايتان، هداية دلالة وإيضاح وبيان، وهداية توفيق وسداد، فالهداية المنفية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ هي هداية التوفيق والسداد، أي: أن الله عزَّ وجلَّ لن يوفق القوم الظالمين للإيمان ولن يسددهم، والهداية المثبتة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ هداية الدلالة والبيان، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الكفر لما استنكفوا عن الإيمان وكفروا بالقرآن، وكذَّبوا الرسول عليه الصلاة والسلام قالوا لأهل الإيمان: لو كان هذا القرآن خيرًا ما سبقتمونا إلى الإيمان به ولا إلى التصديق بالرسول الذي جاء به لأننا أفهم منكم وأعرف بحقائق الأمور منكم، وعقولنا أرجح من عقولكم، ونحن أعزُّ منكم فلو كان هذا القرآن من عند الله لعرفنا ذلك ولبادرنا بالإيمان به والتصديق، ويشهد لهذا المعنى قولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾.

أورد الطبري بإسنادٍ حسن[1] عن قتادة قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ قال: قد قال ذلك قائلون من الناس كانوا أعزّ منهم في الجاهلية، قالوا: لو كان هذا خيرًا ما سبقنا إليه بنو فلان، يختص الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء تبارك وتعالى.

هذا، وهناك وجه آخر من وجوه التأويل حاصله أن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ المعني به الذين كفروا من بني اسرائيل قالوا للذي آمن منهم وهو عبد الله بن سلام: لو كان القرآن خيرًا، وحقًّا من عند الله ما سبقتنا إليه يا ابن سلام.

والتفسير الأول أظهر والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه. يعنون بلالًا وعمارًا وصُهَيبًا وخبابًا وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحشًا، وأخطؤوا خطأ بينا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] أي: يتعجبون: كيف اهتدى

(١) الطبري (٣١٢٦١)، وقوله: «يختص...» قول قتادة.

هؤلاء دوننا؛ ولهذا قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا لم يوفق الكفار للإيمان ويهتدوا بهذا القرآن ويسترشدوا به فيتهمونه ويطعنون فيه ويصفونه بالكذب قائلين: هذا إفك قديم أي: هذا كذب أُثر عن الأولين.

كما قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى، فيرشدوا به الطريق المستقيم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ يقول: فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ أكاذيب من أخبار الأوّلين قديمة، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عنهم، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ﴾ أي: كذب ﴿قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي: مأثور عن الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ: «**بطر الحق، وغَمْط الناس**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ومن قبل هذا القرآن أنزلنا كتابًا على موسى عليه

السلام وهو التوراة إمامًا يأتم به بنو إسرائيل فيهتدون بما فيه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، فيرحمهم الله بذلك وهذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله كتابٌ موافق ما فيه لما في التوراة فهو مصدق لها بموافقته لما فيها وكذا مصدق لها فقد أخبرت بمجيئه ونزوله فكونه قد جاء ونزل فنزوله تصديقٌ لها.

وقد نزل بلسانٍ عربي مبين لينذر أهل الشرك الذين ظلموا أنفسهم وبخسوها حقها بكفرهم بالله وشركهم به فنزل القرآن بتحذيرهم مما هم فيه ولإنذارهم عاقبة ما هم عليه مقبلون من النار التي أعدت للكافرين.

وكذا فهذا القرآن مبشرٌ لأهل الإيمان وأهل الإحسان بفسيح الجنان، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي
تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ
وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي
وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ
وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ
ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٣-٢٠]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿جَزَآءً - كُرْهًا - فِصَٰلُهُۥ - أَوْزِعْنِيٓ - نَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ - أُفٍّ لَّكُمَآ - أَتَعِدَانِنِيٓ - أُخْرَجَ - خَلَتِ - يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ - ءَامِنْ - أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ - حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ - عَذَابَ ٱلْهُونِ - نَفْسُقُونَ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿جَزَآءً﴾	ثوابًا - مجازاةً
﴿كُرْهًا﴾	مشقةً - تعبًا
﴿فِصَٰلُهُۥ﴾	فطامه
﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾	ردني إلى الحق كي أشكر نعمك - ألهمني - أعني
﴿نَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾	لا نؤاخذهم بمساوئ أعمالهم
﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾	قذرًا لكما - نتنًا لكما
﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾	أتخبرانني وتحذرانني
﴿أُخْرَجَ﴾	أُبعث
﴿خَلَتِ﴾	مضت
﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ﴾	يطلبان من الله أن يُغيثهما ويسلم ولدهما
﴿ءَامِنْ﴾	صدق بوعد الله - أقرّ بالبعث بعد الموت
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	ما سطره الأولون وكتبوه من الأباطيل والأسمار - حكايات الأولين
﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾	وجب عليهم العذاب
﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾	العذاب المذل المُخزي المُهين
﴿نَفْسُقُونَ﴾	تخرجون من الطاعة إلى المعصية - ترتكبون المعاصي والكبائر والكفر

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- إن الذين وحدوا ربهم ولم يشركوا به شيئًا وأعلنوا ذلك وتلفظوا به وأيقنت به قلوبهم فقالوا ربنا الله وحده لا شريك له ثم ثبتوا على ذلك حتى ماتوا وكذا ثم استقاموا على شرع الله الذي شرعه لهم فلا خوف عليهم مما هو آتٍ من أهوال القيامة وعذابها، وكذا فلا خوف عليهم في قبورهم، ولا عند بعثهم ولا عند احتضارهم وكذا فلا خوفٌ عليهم عمومًا ولا هم يحزنون على شيء قد فاتهم ولا على ما خلَّفوه وراءهم، وأولئك أصحاب الجنة يدخلونها ولا يخرجون منها يمكثون فيها أبدًا ثوابًا ومجازاة من الله لهم بما عملوه في الدنيا من صالح الأعمال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الذي لا إله غيره ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من فزع يوم القيامة وأهواله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها أبدا ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ يقول: ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ﴾.

ج: معنى ذلك -والله تعالى أعلم- وأمرنا الإنسان بالإحسان إلى والديه وبرهما ورحمتهما والعطف عليهما، ثم خُصَّت الأم بالذكر لمزيد فضلها فقال تعالى مبينًا ما

لاقته من تعب وما نالها من مشقة فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي: مشقة وهو في بطنها كان أمره شاقًّا عليها، وكذا عندما وضعته لاقت مشقةً وعناءً.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا برًّا بهما، لما كان منهما إليه حملا ووليدا وناشئا، ثم وصف جلّ ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حمله ووضعه، ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ يعني في بطنها كرها، يعني مشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يقول: وولدته كرها يعني مشقة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبا، من وِحَام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: بمشقة أيضا من الطلق وشدته، ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن زمن حمله ورضاعه حتى يُفطم وينفصل عن ثدي أمه ثلاثون شهرًا ومنه استنبط بعض العلماء أن أقل مدةٍ للحمل ستة أشهر لأن الله قال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: أربع وعشرون شهرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وحمل أمه إياه جنينًا في بطنها، وفصالها إياه من الرضاع، وفطمها إياه شرب اللبن ثلاثون شهرًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل علي، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بهذه الآية مع التي في لقمان: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح. ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال محمد بن إسحاق بن يسار، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن بَعْجَةَ بن عبد الله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جُهَيْنة، فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فذكر ذلك له، فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يبكيك؟! فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله غيره قط، فيقضي الله في ما شاء. فلما أتي بها عثمان أمر برجمها، فبلغ ذلك عليا فأتاه، فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت تماما لستة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له علي: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: أما سمعت الله يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فلم نجده بقي إلا ستة أشهر، قال: فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا، علي بالمرأة فوجدوها قد فُرِغَ منها، قال: فقال بَعْجَةُ: فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه. فلما رآه أبوه قال: ابني إني والله لا أشك فيه، قال: وأبلاه الله بهذه القرحة قرحة الأكلة، فما زالت تأكله حتى مات.

❁ ❁ ❁

المراد ببلوغ الأشد

س: ما المراد ببلوغ الأشد في قوله تعالى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد ببلوغ الأشد بلوغ الحُلم.

الثاني: أن المراد ببلوغ الأشد بلوغ ثلاثٍ وثلاثين من العمر، وهذا الأخير مرويٌ عن ابن عباس رضي الله عنه، فقد أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عنه قال: أشده ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة.

وقال الطبري رحمه الله:

وقد بيَّنا فيما مضى أن الأشدّ جمع شدّ، وأنه تناهي قوّته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حُلمه

(١) الطبري (٣١٢٦٥).

كمال قواه، ونهاية شدّته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠]، ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلا من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذلك ذلك في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لا شك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ذلك حين تكاملت حجة الله عليه وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق في بر والديه.

وأورد عن قتادة بإسناد صحيح قال: وقد مضى من سيئ عمله ما مضى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- حتى إذا بلغ ابن آدم أشده، وهو بلوغه الحلم أو بلوغه ثلاثًا وثلاثين ثم اكتمل عقله وتمت إقامة الحجة عليه ببلوغه الأربعين رجع إلى الله بعد أن كان بعيدًا، (وفهم هذا الرجوع من قوله: ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾) وسأل ربه أن يعينه على شكر نعمه عليه تلك المتمثلة في كونه جعله مسلمًا موحدًا، وكذا جعل والديه من قبله من أهل الإسلام والتوحيد وكذا سأل ربه عزَّ وجلَّ أن يعينه على صالح الأعمال التي ترضي الله عزَّ وجلَّ وأصلح لي ذريتي واجعلهم من أهل توحيدك وعبادتك وشكرك، إني رجعت إليك وإني من المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة، وكذا إني من المستسلمين لأمرك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده، وعرف حقّ الله عليه فيما ألزمه من برّ والديه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ يقول: أغرني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ من قبلي، وغير ذلك من نعمك علينا، وألهمني ذلك. وأصله من وزعت الرجل على كذا: إذا دفعته عليه.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ يقول تعالى ذكره: أوزعني أن أعمل صالحا من الأعمال التي ترضاها، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ يقول: وأصلح لي أموري في ذرّيتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه جل ثناؤه بالبرّ بالآباء والأمهات والبنين والبنات.

ثم قال:

وقوله: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الإنسان. ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ يقول: وإني من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أولئك الذين سبقت صفتهم وبيّنت أعمالهم، وهم الذين بلغوا أشدهم وبلغوا أربعين سنة، واستدركوا ما فات من عمرهم وسألوا الله أن يعينهم على صالح الأعمال التي يرضاها الله عزَّ وجلَّ ويرضى بها عنهم، وأن يصلح لهم ذرياتهم، وكذا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، هؤلاء

المذكورة صفتهم هم الذين يتقبل الله عنهم صالح أعمالهم ويغفر لهم سيئاتهم ويتجاوز لهم عنها، ويدخلهم مع أصحاب الجنة وفي عدادهم، تحقيقًا للوعد الصادق الذي وعدهم به فوعد الله لا يتخلف.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال، فيجازيهم به، ويثيبهم عليه ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ يقول: نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك في أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ يقول: وعدهم الله هذا الوعد، وعد الحقّ لا شك فيه أنه موفّ لهم به، الذي كانوا إياه في الدنيا يعدهم الله تعالى، ونصب قوله: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ لأنه مصدر خارج من قوله: «يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ»، وإنما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدًا؛ لأن قوله: «يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ - وَيَتَجاوَزُ» وعد من الله لهم، فقال: وعد الصدق، على ذلك المعنى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وذكّر بالذي هذا صفته، ذلكم الذي ذُكر بالبعث والحساب والثواب والعقاب، ذكّره واللداه المؤمنان، وحذّراه من كفره الذي هو عليه قائم، ولكنه تمادى في العناد والتأفف واستقذار ما قالاه وتكذيبه فقال لهما: ﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ قذرًا لما قلتماه ونتنًا ما قلتماه ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أتجدانني أنني سأبعث وأحاسب وتتواعدانني على إنكار ذلك، وها هي الأمم والقرون قد ماتوا وذهبوا من قبلي فلم يبعث منهم أحدًا ولم يرجع منهم أحدٌ بعد موته حيًّا، وهما

يستغيثان بالله عزَّ وجلَّ ويستصرخان، قائلين ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ الويل لك من كلامك هذا، أقلع عن هذا، و﴿ءَامِنۡ﴾ صدق بالبعث ووحد الله، هكذا يقول الأبوان فيا لها من حالٍ قد وصل إليها الأبوان حنانًا وشفقةً على ولدهما العاق المكذب بالبعث!!

إنهما يعرفان المصير الذي ولدهما عليه مقبلٌ إن هو مات على ذلك إنها الجحيم والعياذ بالله، إنها نارٌ تلظى إنها لظى نزاعة للشوى.

فلذلك فإنهما يستغيثان بالله ويستصرخان ويحذران الولد العاق، ويلك آمن ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ إن البعث آت لا ريب فيه ولا شك، فيتمادى هذا الغويُّ في طغيانه قائلًا مكذبًا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾، ما هذا إلا ما سطره الأولون وكتبه الأولون كذبًا وزورًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر، وبوالديه عاقّ، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا تزيده دعاؤهما إياه إلى الحقّ، ونصيحتهما له إلا عتوًّا وتمرّدًا على الله، وتماديًا في جهله، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم ﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ يقول: قذرًا لكما ونتنًا ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ يقول: أتعداننني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حيًّا.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ يقول: أتعداننني أن أبعث، وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا، فلم يبعث منهم أحدًا، ولو كنت مبعوثًا بعد وفاتي كما تقولان، لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله، ويقرّ بالبعث ويقولان له: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾، أي صدّق بوعد الله، وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حقّ لا شكَّ فيه، فيقول عدوّ الله مجيبًا لوالديه، وردًّا عليهما نصيحتهما، وتكذيبًا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من

التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأوّلون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتماه أنتما فصدّقتما.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أي: حين دَعَوَاه إلى الإيمان والاستقامة ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ أي: من هذه الدعوة ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ أي: أبعث من قبري بعد فنائي ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أي: هلكت ولم يرجع أحد منهم ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يطلبان الغياث بالله منه. والمراد إنكار قوله، واستعظامه، كأنهما لجأا إلى الله في دفعه، كما يقال (العياذ بالله)! أو المعنى: يطلبان أن يغيثه الله بالتوفيق، حتى يرجع عما هو عليه ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ أي: صدّق بوعد الله، وأقر أنك مبعوث بعد موتك. و﴿وَيْلَكَ﴾ في الأصل معناه الدعاء بالهلاك، فأقيم مقام الحث على فعل أو ترك، للإيماء إلى أن مرتكبه حقيق بأن يطلب له الهلاك، فإذا سمع ذلك ترك ما هو فيه، وأخذ ما ينجعه ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: إن وعده تعالى لخلقه، بأنه يبعثهم من قبورهم إلى موقف الحساب، لمجازاتهم بأعمالهم، حق لا شك فيه ﴿فَيَقُولُ ﴾ أي: مجيبًا لوالديه، ورادًّا عليهما نصيحتهما، وتكذيبًا بوعد الله ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أباطيلهم التي كتبوها.

❁ ❁ ❁

س: هل هذا شخصٌ معين، ذلك الذي قال الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ...﴾؟

ج: ذكر البعض أنه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ولكن ذلك لم يصح له سند، ثم إن عبد الرحمن بن أبي بكر قد أسلم، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ...﴾ يفيد أن قائل ذلك سيموت على الكفر، وقد مات عبد الرحمن مسلمًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ

لَكُمَآ﴾ - وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أولئك الذين ذُكرت صفاتهم وأعمالهم، أهل العناد والكفر والتكذيب بالبعث، أولئك هم الذين سبقت لهم الشقاوة، وكتب عليهم في اللوح المحفوظ أنهم سيموتون عليها ويدخلون النار مع من مضى من القرون الكافرة التي مضت قبلهم إنهم كانوا من المغبونين، فقد باعوا الهدى واعتاضوا عنه بالضلال، وباعوا الإيمان واعتاضوا عنه بالكفر والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلَّت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس، الذين كذّبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ أي: دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولكل عاملٍ من مؤمن أو كافرٍ درجته ومنزلته يوم القيامة إما درجات في الجنان أو دركات في النيران، وليجازي ربنا كل عامل بعمله ولن يبخس أحدٌ شيئًا مما عمل فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكلّ هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر، والبرّ بالوالدين، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر، وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عزَّ وجلَّ في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة مما عملوا، يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيئ يجازيهم الله به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يوم القيامة وذكِّر به، يوم يعرض الذين كفروا على النار فيرونها، بل ويدخلونها ويُقال لهم آنذاك أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، ولم تتركوا شيئًا لأخراكم، ولم تعملوا لأخراكم بل أمضيتم ما تريدونه من الشهوات، وتلذذتم بالمحرمات ولم تعملوا للآخرة، بل كل ما تريدونه في دنياكم واستطعتم فعله فعلتموه دون نظرٍ للآخرة، ودون اعتداد بها ودون اكتراثٍ لها، هذا مع كفركم وعظيم تكذيبكم فاليوم يوم القيامة تعاقبون بالعذاب المُذل المهين المُخزي بسبب استكبارهم عن الإيمان واستنكافهم عنه، وكذلك بسبب فسقكم وخروجكم على طاعة ربكم وعدم امتثالكم أمره، وعدم بعدكم عن مناهيه ومساخطه.

هذا، وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن قتادة قال:

ـله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ قرأ يزيد حتى بلغ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ تعلمون والله أن أقوامًا يشترطون حسناتهم استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوّة إلا بالله. ذُكر[1] أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعامًا، وألينكم لباسًا، ولكني أستبقي طيباتي. ذُكر لنا أنه لما قدم الشأم، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام، وذهبوا- قال أبو جعفر فيما أرى أنا- بالجنة، لقد باينونا بونًا بعيدًا.

وذُكر[2] لنا «أن نبيّ الله ﷺ دخل على أهل الصفة مكانًا يجتمع فيه فقراء المسلمين، وهم يرقّعون ثيابهم بالأدَم، ما يجدون لها رقاعًا، قال: أنتم اليوم خير، أو يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أُخرى، ويغدى عليه بحفنة، ويُراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة. قالوا: نحن يومئذ خير، قال: «بل أنتم اليوم خير».

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

معنى الآية الكريمة أنه يقال للكفار يوم يعرضون على النار: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾.

فقوله يعرضون على النار: قال بعض العلماء: معناه يباشرون حرها كقول العرب: عرضهم على السيف إذا قتلهم به، وهو معنى معروف في كلام العرب.

وقد ذكر تعالى مثل ما ذكر هنا في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣٤] وهذا يدل على أن المراد بالعرض مباشرة العذاب لقوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأحقاف: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] لأنه عرض عذاب.

وقال بعض العلماء: معنى عرضهم على النار هو تقريبهم منها، والكشف لهم عنها، حتى يروها كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] الآية. وقال

(١) قتادة لم يسمع عمر فهذا القدر الذي سيرد ضعيف الإسناد.

(٢) هذا مرسل فقتادة لم يدرك رسول الله ﷺ.

تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ قرأه ابن كثير وابن عامر: (أأذهبتم) بهمزتين وهما على أصولهما في ذلك.

فابن كثير يسهل الثانية بدون ألف إدخال بين الهمزتين.

وهشام يحققها ويسهلها مع ألف الإدخال، وابن ذكوان يحققها من غير إدخال.

وقرأه نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ بهمزة واحدة على الخبر من غير استفهام.

واعلم أن للعلماء كلاماً كثيرًا في هذه الآية قائلين إنها تدل على أنه ينبغي التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك.

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل في عموم من يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية. والمفسرون يذكرون هنا آثارًا كثيرة في ذلك، وأحوال أهل الصفة وما لاقوه من شدة العيش.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

التحقيق: إن شاء الله في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم، لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم.

وأنما قلنا: إن هذا هو التحقيق، لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه والله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ الآية.

والقرآن والسنة الصحيحة، قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك ولا نصيب له في الآخرة.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود: ١٥ - ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[الشورى: ٢٠].

وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾[الإسراء: ١٨].

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي لفظٍ له عن رسول الله ﷺ: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته».

فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ فيه التصريح، بأن الكافر يجازى بحسناته في الدنيا فقط، وأن المؤمن يجازى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، وبمقتضى ذلك. يتعين تعييناً لا محيص عنه، أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها فهو الكافر، لأنه لا يجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة.

وأما المؤمن الذي يجزى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يذهب طيباته في الدنيا، لأن حسناته مدخرة له في الآخرة، مع أن الله تعالى يثيبه بها في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢ - ٣] فجعل المخرج من الضيق له ورزقه من حيث لا يحتسب ثواباً في الدنيا وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة.

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وعلى كل حال فالله جل وعلا أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات في الحياة الدنيا، وأجاز لهم التمتع بها، ومع ذلك جعلها

خاصة بهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأعراف: ٣٢].

فدل هذا النص القرآني أن تمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كأصحاب الصفة، يكون لهم أجر زائد على ذلك، لأن المؤمنين يؤجرون، بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد، كما هو معلوم.

والنصوص الدالة على أن الكافر هو الذي يذهب طيباته في الحياة الدنيا، لأنه يجزى في الدنيا فقط كالآيات المذكورة، وحديث أنس المذكور عند مسلم، قد قدمناها موضحة في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن الاستكبار يكون بغير الحق، فلماذا أتبع قوله: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ بقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك للتأكيد على كبرهم وتعاليهم بغير الحق، فقد يستكبر شخصٌ على شخصٍ كافر مثلًا، وقد تكون له آنذاك وجهة، فلدفع هذا قيل: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مع أنه من المعلوم أنهم لا يستكبرون في الأرض إلا استكبارًا متلبساً بغير الحق كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ومعلوم أنه لا يطير إلا بجناحيه، وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩]، ومعلوم أنهم لا يكتبونه إلا بأيديهم، ونحو ذلك من الآيات، وهو أسلوب عربي نزل به القرآن.

ذكر نبي الله هود عليه السلام مع قومه

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ
خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا
لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ
ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا
مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا
وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ
إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ
أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

[الأحقاف: ٢١-٢٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَخَا عَادٍ - بِٱلْأَحْقَافِ - خَلَتِ - ٱلنُّذُرُ - مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ - وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ - لِتَأْفِكَنَا - عَارِضًا - مُّمْطِرُنَا - مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ - تُدَمِّرُ - مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ - وَحَاقَ بِهِم - يَسْتَهْزِءُونَ - وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ - قُرْبَانًا - ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ - إِفْكُهُمْ - يَفْتَرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَخَا عَادٍ﴾	هو نبي الله هودٌ عليه السلام
﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾	جبال الرمل الصغيرة، (وقيل: إنه جبل من رملٍ بالشام، وقيل: بين عُمان وحضرموت)[1]، والله أعلم. قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف، ولا يكون أحقافًا إلا من الرمل، قال: وأخو عاد هود، وجائز أن يكون ذلك جبلًا بالشأم، وجائز أن يكون واديًا بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قومًا منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة.
﴿خَلَتِ﴾	مضت
﴿ٱلنُّذُرُ﴾	جمع نذير، والمراد: الرسل الذين أُرسِلوا لإنقاذ أممهم
﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾	ممن الذين سبقوه
﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾	من الذي جاء من بعده، وقيل: من حوله
﴿لِتَأْفِكَنَا﴾	لتصرفنا (الكفر إلى الإيمان)
﴿عَارِضًا﴾	سحابٌ تعرض لهم، وقد كان متفرقًا في أنحاء السماء فاجتمع وانضم بعضه إلىٰ بعض

(١) وقال مجاهد: الأحقاف: الأرض.

﴿مُّمْطِرُنَا﴾	نازلٌ علينا
﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾	ما طلبتم وقوعه عاجلًا
﴿تُدَمِّرُ﴾	تخرب - تهلك
﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾	أعطيناهم ما لم نعطكم - فيما لم نمكنكم فيه
﴿وَحَاقَ بِهِم﴾	حلَّ بهم
﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾	يكذِّبون - يسخرون
﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾	نوعنا الآيات - بيناها - وضحناها
﴿قُرْبَانًا﴾	قربةً يتقربون بها إلى الله
﴿ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾	غابوا عنهم وهم في أشد الاحتياج
﴿إِفْكُهُمْ﴾	كذبهم
﴿يَفْتَرُونَ﴾	ينسبون إلى الله ما لم يقله

❁ ❁ ❁

س: من المراد بـ ﴿أَخَا عَادٍ﴾؟

ج: هو نبي الله هود عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله لمن أرسلت إليهم من أهل مكة واذكر كذلك لعموم من بعثت إليهم نبي الله هودًا عليه السلام الذي أرسله الله عزَّ وجلَّ إلى قبيلة عادٍ الذين كانوا يسكنون الأحقاف ولكن قد أتاهم الله قوة عظيمة في الأبدان فقهروا أهل الأرض، وأشركوا بالله عزَّ وجلَّ ما لم ينزل به سلطانًا فأرسل

إليهم نبي الله هودًا عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد ويأمرهم بعبادة الله عزَّ وجلَّ وينهاهم عن الشرك، كما قد أرسل الله عزَّ وجلَّ على القرون والأمم التي تقدمته والتي جاءت من بعده، وكما أرسل الله كذلك إلى الأمم من حوله، كلهم أُرسلوا لأقومهم لدعوتهم إلى التوحيد قال هود عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن أنتم أصررتم على الشرك ومُتم عليه ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ وهو عذاب النار يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾.

ج: المعنى، والله اعلم، أن قوم عاد لما ذكرهم نبيهم هودٌ عليه السلام بعبادة الله وحده لا شريك له وأمرهم بذلك قالوا له: أجئتنا لتصرفنا عن الآلهة التي نعبدها من أصنام وأوثان.

ثم استعجلوا العذاب الذي حذرهم منه نبيهم هودٌ عليه السلام فقالوا: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ أي: فائتنا بما تعدنا من صور العذاب إن كنت من الصادقين في قولك أننا سنعذب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود، إذ قال لهم: لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه، وإلى اتباعك على قولك.

وأورد أثرًا عن ابن زيد فيه قال: في قوله: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ قال: لتزيلنا، وقرأ: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾ [الفرقان: ٤٢] قال: تضلنا وتزيلنا وتأفكنا ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة ﴿إِن كُنتَ﴾ من أهل الصدق في قوله وعداته.

قال الرازي في «التفسير الكبير»:

ثم حكى تعالى عن الكفار أنهم قالوا ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ الإفك الصرف، يقال أفكه عن رأيه أي صرفه، وقيل بل المراد لتزيلنا بضرب من الكذب ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ وعن

عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ معاجلة العذاب على الشرك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ في وعدك.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يرد عن أهل الكفر استنكارهم لوقوع العذاب واستعجالهم له على سبيل التكذيب والتحدي، اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ١٦﴾ [ص: ١٦].

وقولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢﴾ [الأحقاف: ٢٢].

وقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٩﴾ [سبأ: ٢٩].

وكذا قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة: ٢٨].

وقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

❁ ❁ ❁

س: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ العلم بماذا؟

ج: العلم بوقت نزول العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٣﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المستعجلين بالعذاب إنما العالم بوقت وقوعه وحلوله ونزوله هو الله، وما أنا إلا رسولٌ أبلغكم ما أمرني الله بتبليغكم إياه، ولكني أراكم قومًا لا تعرفون ما يضركم وما ينفعكم فمن ثم أشركتم بالله ومن ثمَّ استعجلتم نزول العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه عاد: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بوقت مجيء ما أعدكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرّة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه.

قال الرازي في «التفسير الكبير»:

فعند هذا قال هود: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وإنما صلح هذا الكلام جواباً لقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ لأن قولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ استعجال منهم لذلك العذاب فقال لهم هود لا علم عندي بالوقت الذي يحصل فيه ذلك العذاب، إنما علم ذلك عند الله تعالى ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وهو التحذير عن العذاب، وأما العلم بوقته فما أوحاه الله إليّ ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وهذا يحتمل وجوهاً الأول: المراد أنكم لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا سائلين عن غير ما أذن لهم فيه وإنما بعثوا مبلغين. الثاني: أراكم قوماً تجهلون من حيث إنكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذ الجهل المفرط والوقاحة التامة. الثالث: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ حيث تصرون على طلب العذاب وهب أنه لم يظهر لكم كوني صادقاً، ولكن لم يظهر أيضاً لكم كوني كاذباً فالإقدام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد لقومك الرّادّين عليك ما جئتهم به من الحقّ هودًا أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذّبوا رسولنا هودًا إليهم، إذ أنذر قومه عادًا بالأحقاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلًا.

ثم قال أيضًا:

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقد مضت الرسل بإنذار أممها ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يعني: من قبل هود ومن خلفه، يعني: ومن بعد هود. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول: لا تشركوا مع الله شيئا في عبادتكم إياه، ولكن أخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة، إنه لا إله غيره، وكانوا فيما ذُكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ يعني: وقد أرسل الله إلى من حول بلادهم من القرى مرسلين ومنذرين، كقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]، وكقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [فصلت: ١٣، ١٤] أي: قال لهم هود ذلك، فأجابه قومه قائلين: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ أي: لتصدنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾. استعجلوا عذاب الله وعقوبته، استبعادًا منهم وقوعه، كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨].

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم، وأما أنا فمن شأني أني أبلغكم ما أرسلت به، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: لا تعقلون ولا تفهمون.

❁ ❁ ❁

المشروع عند هبوب الرياح ورؤية الحب

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فلما رأى قوم عاد الذين أرسل إليهم نبي الله هود

عليه السلام، لما رأوا سُحبًا مُتفرقة في السماء قد اجتمعت وأقبلت على بلادهم ووديانهم وأقبلت هذه السحابة العظيمة السوداء وأظلت وديانهم قالوا فرحين مستبشرين: هذا عارضٌ مُمطرنا، هذه السحابة ستمطر ماءها على بلادنا، فقيل لهم، إنها ليست بسحابة ممطرة نافعة بل هي العذاب الذي استعجلتم وقوعه واستبعدتم حلوله ها هو قد جاءكم في هذه الريح التي فيها عذاب أليم.

وهذه بعض الآثار الواردة والأقوال في تفسير هذه الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ والعرب تسمي السحاب الذي يُرَى في بعض أقطار السماء عشيا، ثم يصبح من الغد قد استوى، وحبا بعضه إلى بعض عارضا، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ، كما قال الأعشى:

يا من يَرَى عارضا قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ ... كأَنَّمَا الْبَرْقُ في حافاتِهِ الشُّعَلُ

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يَحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هودٌ يعدنا، وهو الغيث.

وأورد عن قتادة[1] بإسنادٍ حسنٍ قال:

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ...﴾ الآية. وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا، فلما رأوا العذاب مقبلًا ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾. وذُكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود؛ فلما خرج نبيّ الله ﷺ فشامه، قال: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾[2].

ثم قال الطبري:

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه ﷺ هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم، بل هو ما استعجلتم به: أي هو العذاب الذي استعجلتم به، فقلتم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

(١) الطبري (٣١٢٩٨).

(٢) ومعلوم أن مثل هذا الخبر متلقىٰ من الإسرائيليات في غالب الأحوال.

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ [الأحقاف: ٢٢] ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ والريح مكرّرة على ما في قوله: ﴿هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عمرو بن ميمون قال: كان هود جلدًا في قومه، وإنه كان قاعدًا في قومه، فجاء سحاب مكفهرّ، فـ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فقال: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ أي: لما رأوا العذاب مستقبلهم، اعتقدوا أنه عارض ممطر، ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ أي: هو العذاب الذي قلتم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٢].

❁ ❁ ❁

س: ما المشروع فعله عند هبوب الريح، وعند رؤية السحب؟

ج: أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: «لعله ياعائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

وفي رواية لمسلم[2] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أيضًا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم، عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سر به، وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته، فقال: «إني خشيت أن يكون عذابًا سُلِّط على أمتي»، ويقول إذا رأى المطر: «رحمة».

(١) مسلم في طرق حديث (٨٩٩).

(٢) مسلم (٨٩٩).

س: قد ذكر رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة في موطن من المواطن، اذكر هذا الموطن.

ج: هذا ورد فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى أرَى منه لهواته، إنما كان يَتبسَم».

قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناسَ إذا رأوا الغيمَ فرِحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة ما يُؤْمنِّي أن يكون فيه عذاب؟ عُذِّب قومٌ بالرِّيح، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾»[1].

❀ ❀ ❀

س: كيف قيل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ وبيوت نبي الله هود عليه السلام ومن آمن معه لم تُدمر؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن الأمر كما ذكر عددٌ من أهل العلم أنها تدمر كل شيء أُمرت بتدميره، وكل شيء أتت عليه، وإلا فقد صرفها الله عن أشياء وأقوامٍ هذا وقد قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ أي: كالشيء البالي التالف المتحطم الذي أصبح ترابًا أو كاد أن يصبح ترابًا، هذا وقد قال الطبري رحمه الله:

وإنما عنى بقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ مما أُرسلت بهلاكه لأنها لم تُدمر هودًا ومن كان آمن به.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿تُدَمِّرُ﴾ أي: تخرب ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ من بلادهم، مما من شأنه الخراب ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ أي: بإذن الله لها في ذلك، كقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: ٤٢] أي: كالشيء البالي. ولهذا قال: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ أي: هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا، وخالف أمرنا.

---

(١) البخاري (٤٨٢٨، ٤٨٢٩).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾.

ج: المعنى، والله تبارك وتعالى أعلم، فأصبح قوم عاد وبعد أن أفناهم الله عزَّ وجلَّ رمادًا وترابًا لا يُرى منهم أحدٌ، وفقط التى تُرى هي المساكن والبيوت.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾؟

ج: الجمع، والله أعلم، بأن يُقال إنهم، وبعد أن أصبحوا وكأنهم أعجازُ نخلٍ منقعر استمرت بهم الريح إلى أن جعلتهم ترابًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المستفاد من التذكير بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: معنى الآية الكريمة، والله أعلم، وكما جازينا قوم عادٍ بإبادتهم وأرسلنا الريح عليهم فأهلكناهم، فهكذا نجازي كل مجرم مستكبر على الله مشركٍ به متكبر على خلقه باغ عليهم.

والمستفاد من هذا التذكير الخروج من خصوص القصة وما حلَّ بالقوم إلى العموم، فليحذر كل مجرم وليحذر كل مستكبر فسيحل به نحو ما أحلَّه الله عزَّ وجلَّ بالأمم المتقدمة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كما جزينا عادًا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعذابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيهم وطَغَوا على ربهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولقد أعطينا قبيلة عاد التي أهلكناها ودمرناها، أعطيناها في الدنيا قبل إهلاكها ما لم نعطكم من متاع الحياة الدنيا وزخرفها، لقد

أتيناهم أموالا كثيرة ووسعنا عليهم توسعة عظيمة، وكذا أنعمنا عليهم بقوةٍ في أبدانهم وبسطة في أجسامهم، وجعلنا لهم تمكينًا في دنياهم يفعلون فيها ما يشاءون، ولم نعطكم في دنياكم مثل ما أعطيناهم فقد كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا وأقوى أبدانا وأعظم جسمانًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكنَّا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدّة الأبدان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا لم نجعلهم في دنياهم صُمًّا وبكمًا وعُميًا عن أمور الدنيا فقد كانوا يسمعون ويبصرون ويفهمون، لكن ما استعملوا سمعهم في طاعة الله ولا استمعوا إلى ما ينفعهم مما جاءهم به نبيهم عليه السلام ولم يستدلوا بأبصارهم على وحدانية الله، ولم يفكروا بقلوبهم في قدرة الله وتوحيده، بل عدلوا عما ينفعهم وتوغلوا وأوغلوا بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم فيما يصرفهم عن طاعة الله عزَّ وجلَّ وعن مرضاته، فلم تنفعهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بشيء فقد كانوا مكذبين برسل الله جاحدين لآيات الله منكرين بها، فلذا حلَّ بهم عقاب الله الذي كانوا يستهزئون بنبيهم لما خوفهم منه، وكانوا يكذبون به لما أخبرهم نبيهم بوقوعه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يسمعون به مواعظ ربهم، وأبصارا يبصرون بها حجج الله، وأفئدة يعقلون بها ما يسرّهم وينفعهم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له، ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله، ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقول: إذ كانوا يكذّبون بحجج الله وهم رُسله وينكرون نبوّتهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يقول: وعاد عليهم ما استهزءوا به، ونزل بهم ما سخروا به، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش، يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله، ما حلّ بعاد، وبادروا بالتوبة قبل النقمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريبا منه، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم، فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: هذا، والله تعالى أعلم، خطاب لأهل مكة، للذين أشركوا منهم، وحاصل معناه يا أهل مكة يا أهل الشرك لقد أهلكنا أهل الكفر في القرى والبلاد المجاورة لكم، وقبل إهلاكهم ذكرناهم ووعظناهم وحذرناهم ونوعنا الآيات لعلهم يرجعون عن كفرهم وشركهم.

أما القرى والبلاد التي حول مكة، وذكر الله عزَّ وجلَّ أنه أهلكها، فمنها ديار ثمود، وقوم لوط التي هي سدوم وبلاد سبأ بمأرب وغيرها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم، كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات، وخرّبنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها.

وقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذِّكْر والحجج، وبيَّنا لهم ذلك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم، والتمادي في غيهم، فأهلكناهم، فلن ينصرهم منا ناصر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني: أهل مكة، قد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود، وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط، كانوا يمرون بها أيضًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز وكانت أخبارهم متواترة عندهم ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ يعني الحجج والدلالات وأنواع البينات والعظات أي بيناها لأهل تلك القرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فلم يرجعوا وقيل: أي صرفنا آيات القرآن في الوعد والوعيد والقصص والإعجاز لعل هؤلاء المشركين يرجعون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فهلا نصرت هذه الآلهة التي عبدها الأقوام من دون الله وزعموا أن عبادتها تقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ، هلا نصرتهم عند حلول العذاب ونزول النقم؟ وهل أغنت عنهم من الله من شيء؟ كلا بل تخلَّت عنهم وسلكت طريقًا غير طريقهم متبرئةً منهم وغابت عنهم فهذا كذبهم إذ كذبوا فقالوا: إن عبادتها تقربنا إلى الله!! ذلك كذبهم إذ قالوا: إنها تغني عنهم من الله شيئًا وتنفعهم وتضرهم!!

وهذا افتراؤهم على الله عزَّ وجلَّ إذ جعلوا له شريكًا ودعوا معه إلهًا آخر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ أي: فهلا نصروهم عند احتياجهم إليهم، ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي: بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها، واعتمادهم عليها.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جلّ ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقرّبون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا، فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون.

وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد ﷺ على مُشركي قومه، يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئا، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها، لتقرّبكم إلى الله زلفى، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها، فدفعت عنها العذاب إذا نزل، أو لشفعت لهم عند ربهم، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم، ولكنها ضرتهم ولم تنفعهم.

يقول تعالى ذكره: ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ يقول: بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، فأخذت غير طريقهم، لأن عبدتها هلكت، وكانت هي حجارة أو نحاسا، فلم يصبها ما أصابهم ودعوها، فلم تجبهم، ولم تغثهم، وذلك ضلالها عنهم، وذلك إفكهم، يقول عزَّ وجلَّ هذه الآلهة التي ضلَّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم، وفي حال طمعهم فيها أن تغيثهم، فخذلتهم، هو إفكهم: يقول: هو كذبهم الذي كانوا يكذّبون، ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون، يقول: وهو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي تقرّبنا إلى الله زُلفى، هي شفعاؤنا عند الله. وأخرج الكلام مخرج الفعل، والمعنى المفعول به، فقيل: وذلك إفكهم، والمعنى فيه: المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الآفك، والآلهة مأفوك بها. وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل، قال: وكذلك قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

استماع الجن للقرآن

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟
أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا
كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[الأحقاف: ٢٩-٣٥]

س: - اذكر معنى ما يلي:

﴿صَرَفْنَآ - قُضِيَ - وَلَّوْاْ - مُنذِرِينَ - مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ - يَهْدِيٓ - طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ - دَاعِيَ ٱللَّهِ - يُجِرْكُم - بِمُعْجِزٍ - يَعْيَ - أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ - وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿صَرَفْنَآ﴾	وجهنا
﴿قُضِيَ﴾	انتهت قراءته - انتهيت من قراءته يا رسول الله - فرغ رسول الله من قراءته
﴿وَلَّوْاْ﴾	انصرفوا
﴿مُنذِرِينَ﴾	مخوِّفين قومهم من العذاب
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	يصدق الكتب التي أخبرت به ومنها التوراة والإنجيل؛ وذلك لأنها أخبرت بزواله فإذا لم ينزل لصارت مُكذبة وأيضًا ما فيه من الأخبار والتوحيد يوافق ما فيها
﴿يَهْدِيٓ﴾	يرشد
﴿طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	طريق لا اعوجاج فيه
﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾	الذي يدعو إلى الله، وهو هنا رسول الله ﷺ
﴿يُجِرْكُم﴾	ينقذكم
﴿بِمُعْجِزٍ﴾	بهارب - بغائب - لن يسبب لله العجز عن عدم إدراكه
﴿يَعْيَ﴾	يتعب
﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾	أصحاب العزائم القوية الذين صبروا على المصائب والشدائد والتكاليف
﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾	لا تطلب العذاب العاجل لهم - لا تستعجل نزول العذاب عليهم

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذكير باستماع الجن للقرآن؟

ج: هذا توبيخٌ للقرشيين الذين كذبوا رسول الله ﷺ وكفروا بالقرآن، فقيل لهم

هؤلاء النفر من الجن آمنوا وصدقوا وأيقنوا بمجرد استماعهم للقرآن، وكذا بادروا بالتوبة، وبادروا بدعوة إخوانهم إلى هذا القرآن وأصبحوا رسلًا إلى أقوامهم يبلغونهم ما جاء به الرسول الكريم محمد ﷺ، فما بالكم يا أهل الكفر معرضين عن هذا الكتاب العزيز؟؟!!

❁ ❁ ❁

س: وضح سبب استماع الجن للقرآن من رسول الله ﷺ.

ج: سبب ذلك فيما ورد في مجموعة كبيرة من الأحاديث والآثار أن النبي ﷺ لما بعث شددت الحراسة على السماء، وقد كانت الجن قبل مبعث رسول الله ﷺ يتنصتون للملائكة في السماء الدنيا ويستمعون إلى ما يقولون فلما بعث النبي ﷺ أرسلت عليهم الشهب فاحترقوا، فقال بعضهم لبعض، وقال لهم كبيرهم إبليس اضربوا مشارق الأرض ومغاربها للبحث عن سبب إرسال الشهب علينا، فضربت الجن مشارق الأرض ومغاربها فوجهت طائفة منهم نحو تهامة ورسول الله ﷺ بنخلةٍ عامدًا إلى سوق عكاظ فوافقوا النبي ﷺ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا فلما انتهت قراءة النبي ﷺ رجعوا إلى قومهم فأخبروهم وقد تقدم هذا بشيء من التوسع في سورة الجن فارجع إليها إن شئت من تفسيري التسهيل لتأويل التنزيل جزء تبارك.

❁ ❁ ❁

س: هل كان رسول الله ﷺ مرسلًا إلى الجن كذلك؟

ج: نعم قد كان كذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وقال الجن لما استمعوا القرآن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وقبلها قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأخبار الثابتة الموضحة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: «**يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا**». فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وإنما أُوحى إليه قول الجن»[1].

* وما رواه مسلم في صحيحه من طريق عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية، فقلنا استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم تجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم.... الحديث[2].

* وما رواه البخاري من حديث أبي هريرة[3] رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته. فبينما هو يتبعه بها فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة. فقال:

---

(١) البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩).

(٢) مسلم حديث (٤٥٠).

(٣) البخاري (٣٨٦٠).

«ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعته إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا».

* وما أخرجه البخاري[1] من طريق معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك - يعني عبد الله - أنه آذنت بهم شجرة[2].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إيراده هذا الخبر: «فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى، ويكون إثباتًا مقدَّمًا على نفي ابن عباس، ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات، والله أعلم. ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة، أي: أعلمته باستماعهم، والله أعلم».

❁ ❁ ❁

س: هل كان من الجن رسلٌ؟

ج: الذي أستحضره في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فهذه محتملة.

ولكن قد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩﴾.

وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نُذر، وليس فيهم رسل ولا شك أن الجن لم يبعث الله منهم رسولًا؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ٢٠٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال عن إبراهيم الخليل: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

---

(١) البخاري (٣٨٥٩).

(٢) ولمزيد راجع تفسيري التسهيل (جزء تبارك سورة الجن).

فكل نبي بعثه الله بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته، فأما قوله تعالى في الأنعام: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢] أي: أحدهما. ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبرًا عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، ولم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى - عليه السلام - أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فلهذا قالوا: ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾. وهكذا قال ورقة بن نوفل، حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عليه أول مرة، فقال: بَخٍ بَخٍ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، يا ليتني أكون فيها جَذَعًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الجن الذين استمعوا لقراءة رسول الله ﷺ قالوا لإخوانهم الذين لم يحضروا القرآن ولم يستمعوا إليه، يا قومنا إنا سمعنا كتابًا يُتلى من بعد ذلك الكتاب الذي نزل على موسى عليه السلام يوافق التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ ويرشد إلى الصواب ويدل على الطريق المستقيم الموصل إلى الجنة بلا اعوجاج.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله ﷺ: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ﴾ مِنَ الْجِنِّ ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ﴾ كِتَابٌ ﴿مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يقول: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رُسله.

وقوله: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ يقول: يرشد إلى الصواب، ويدّل على ما فيه لله رضا ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام.

وقال ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله على الأنبياء. وقولهم: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: في الاعتقاد والإخبار، ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ في الأعمال، فإن القرآن يشتمل على شيئين: خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ في الاعتقادات، ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي: في العمليات.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقول الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن الجن الذين استمعوا لقراءة رسول الله ﷺ رجعوا إلى قومهم منذرين مُحذرين قائلين لهم يا قومنا أجيبوا رسول الله الذي يتلو هذا القرآن وصدقوا به، حتى يغفر الله لكم ذنوبكم وينقذكم من عذاب أليم مؤلم موجع.

قال الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ من الجن ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ قالوا: أجيبوا رسول الله ﷺ إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ يقول: وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به ﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ يقول: يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ يقول: وينقذكم من عذاب موجع إذا أنتم تبتم من ذنوبكم، وأنبتم من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدًا صلوات الله وسلامه عليه إلى الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم السورة

التي فيها خطاب القومين، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن؛ ولهذا قال: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن ﴿مِّن﴾ هاهنا زائدة وفيه نظر؛ لأن زيادتها في الإثبات قليل، وقيل: إنها على بابها للتبعيض، ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: ويقيكم من عذابه الأليم.

❁ ❁ ❁

س: هل يدخل مؤمنو الجن الجنَّة؟

ج: نعم يدخل أهل الإيمان من الجن الجنة، وذلك للعمومات الواردة في أن أهل الإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة، وكذا أهل التقوى، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

أما: استدلال من استدل بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ على أن غاية ما يحصل عليه مؤمنو الجن أن ذنوبهم تُغفر ويُجاروا من عذاب أليم، فاستدلال بعيد وليس فيه ما يشهد لقائله، فلا مانع أن يُجار الشخص من عذاب أليم وتغفر له ذنوبه ومع ذلك يدخل فسيح الجنات، وقد قال تعالى في شأن المؤمنين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢].

وليس معنى ذلك أنهم لا يدخلون الجنة.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة؛ ولهذا قالوا هذا في هذا المقام، وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه.

وقال ابن أبي حاتم[1]: حدثنا أبي قال: حدثت عن جرير، عن ليث، عن

(١) إسناده ضعيف إلىٰ مجاهد لضعف ليث بن أبي سليم واختلاطه.

مجاهد، عن ابن عباس قال: لا يدخل مؤمنو الجن الجنة؛ لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة.

والحق أن مُؤمِنَهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن: ٧٤]، وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن: ٤٦، ٤٧]، فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجِنّ هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس، فقالوا: «ولا بِشَيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد» فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار -وهو مقام عدل- فَلأنْ يجازي مؤمنهم بالجنة -وهو مقام فَضْل- بطريق الأولى والأحرى. ومما يدل أيضا على ذلك عمومُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]، وما أشبه ذلك من الآيات. وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة، ولله الحمد والمنة. وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقا، أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا؟ وما ذكروه هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم، هو يستلزم دخول الجنة؛ لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار، فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة. ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار، ولو صح لقلنا به، والله أعلم. وهذا نوح، عليه السلام، يقول لقومه: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤]، ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة، فكذلك هؤلاء. وقد حكي فيهم أقوال غريبة فعن عُمَر بن عبد العزيز: أنهم لا يدخلون بُحْبُوحَةَ الجنة، وإنما يكونون في رَبَضها وحولها وفي أرجائها. ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرونهم بني آدم عكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا. ومن الناس من قال: لا يأكلون في الجنة ولا يشربون، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس، عِوَضا عن الطعام والشراب كالملائكة، لأنهم من جنسهم. وكل هذه الأقوال فيها نظر، ولا دليل عليها.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقول الجن: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن لم يسلم، ومن لم يطع هذا الرسول ﷺ ويصدق بالقرآن فليس بهاربٍ من عذاب الله، وليس بفائت، ولن يعجز ربه عن إدراكه ولن يُعجز ربه بهروبه فإلى أين يهرب والأرض أرض الله وملكه والسماوات سماواته فهؤلاء الذين كذبوا القرآن وأعرضوا عن الإيمان، بضلالهم وتكذيبهم قد ابتعدوا عن الحق ابتعادًا كبيرًا دالًّا عن انصرافهم الواضح عن الحق والصواب إلى الباطل والضلال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أيُّها القوم رسول الله ﷺ محمدا، وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه من توحيده، والعمل بطاعته ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: فليس بمعجز ربه بهربه، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه، وتركه تصديقه وإن ذهب في الأرض هاربا، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ﴾ يقول: وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه.

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ يقول: هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدّقوا به، وبما دعاهم إليه من توحيد الله، والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير استقامة، ﴿مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾: يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال، وأخذ على غير قصد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال مخبرًا عنه: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ﴾ أي: لا يجيرهم منه أحدٌ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا مقامُ تهديد وترهيب، فَدَعَوا قومهم بالترغيب والترهيب؛ ولهذا نجع في كثير منهم، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وفودا وفودا، كما تقدم بيانه [ولله الحمد والمنة].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أو لم ير هؤلاء المكذبون بالبعثِ المنكرون للثواب والعقاب يوم القيامة، أو لم ير هؤلاء أن الله عزَّ وجلَّ قد خلق السموات والأرض ولم يتعب إذ خلقها سبحانه وتعالى، أفيعجز - سبحانه - عن إحياء الموتى، فمعلوم أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، فبلا شك وبلا ريب فرب العزة الذي لم يتعب إذ خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم، القائلون لآبائهم وأمهاتهم ﴿أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم، فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهنّ من غير شيء، ولم يعي بإنشائهنّ، فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ﴾ فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم.

ثم قال:

وقوله: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: بلى، يقدر الذي خلق السموات والأرض على إحياء الموتى: أي الذي خلق ذلك على كلّ شيء شاء خلقه، وأراد فعله، ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يُعييه شيء أراد فعله، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء، لأن من عجز عن ذلك فضعيف، فلا ينبغي أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أي: ولم

يَكْرثهُ خَلْقُهن، بل قال لها: «كوني» فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، ولهذا قال: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾. ثم قال متهددا ومتوعدا لمن كفر به: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم: أما هذا حق؟ أفسحر هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أي: لا يسعهم إلا الاعتراف، ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه دخول الباء في قوله ﴿بِقَٰدِرٍ﴾.

ج: الظاهر، والله أعلم، أنها كالباء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩]، وفي قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

أي: أنها زائدة للتوكيد، نقله القرطبي عن أبي عبيدة والأخفش.

ثم قال:

وقال الكسائي والفراء والزجاج: الباء فيه خلف الاستفهام والجحد في أول الكلام. قال الزجاج: والعرب تدخلها مع الجحد تقول: ما ظننت أن زيدًا بقائم. ولا تقول: ظننت أن زيدًا بقائم. وهو لدخول «ما» ودخول «أنّ» للتوكيد. والتقدير: أليس الله بقادر، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾ [يس: ٨١].

❁ ❁ ❁

بعض استدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل بخلق السموات والأرض على البعث. اذكر شيئًا من الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ فهذا مفهومه دال على البعث.

قولـه تعـالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[يس: ٨١].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ويوم يُوقف أهل الكفر على النار فيرونها بأعينهم ويُقال لهم: أليس هذا العذاب حقًّا كما وعدناكم فيقولون: بلى، إنه لحق فيقال لهم فذوقوا العذاب بسبب كفركم الذي كفرتم في دنياكم وتكذيبكم بالبعث الذي صدر منكم في دنياكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذّبون بالبعث، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة، على النار، نار جهنم، يقال لهم حينئذ: أليس هذا العذاب الذي تعذّبونه اليوم، وقد كنتم تكذّبون به في الدنيا بالحقّ، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به، كان في الدنيا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ يقول: فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا: بلى هو الحق والله قال: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: فقال لهم المقرّر بذلك: فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا، وتنكرونه، وتأبون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به.

❁ ❁ ❁

أولو العزم من الرسل

س: من هم أولو العزم من الرسل؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن أولي العزم من الرسل هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، وهم المذكورون المنصوص على أسمائهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

ومن العلماء من قال: إن الرسل كلهم أولو عزم.

ولكن القول الأول أظهر -والله أعلم.

فلقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى آمرًا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: على تكذيب قومهم لهم. وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، وقد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتَي «الأحزاب» و«الشورى»، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرّسُل، وتكون ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس- والله أعلم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيرًا.

وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب والشورى، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام.

وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة فصار هو ﷺ خامسهم.

واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة (من)، في قوله: من الرسل بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] الآية، فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس؛ لأنه هو صاحب الحوت وكقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] فآية القلم، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي ﷺ بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل والعلم عند الله تعالى.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

ج: المعنى: فاصبر يا رسول الله كما صبر فضلاء الأنبياء الذين صبروا على الشدائد والمحن وامتثلوا التكاليف خير امتثال واجتنبوا النواهي خير اجتناب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة ﷺ، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدّة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بِالمحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدًّا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ولا تطلب عذاب هؤلاء عاجلًا فإن لهم موعدًا لن يخلفوه وأجلًا لن يتجاوزوه ولا محالة أنه واقعٌ بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ أي: لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم، كقوله: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ [المزمل: ١١]، وكقوله: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ١٧﴾ [الطارق: ١٧].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمراد بالآيات، نهيه ﷺ عن طلب تعجيل العذاب لهم، لأنهم معذبون، لا محالة عند انتهاء المدة المحددة للإمهال، كما يوضحه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ

عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] الآية. وقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٩ - ٧٠] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن هؤلاء المكذبين إذا جاءهم العذاب وعاينوه وطلعت عليهم بوادره نسوا كل ما حدث لهم في الدنيا، وكأنهم لم يلبثوا فيها إلا ساعة من النهار.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: ٥٥].

وكما قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ يقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب، يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ يقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، لأنه ينسيهم شدّة ما ينزل بهم من عذابه، قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور، كما قال جل ثناؤه: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، كقوله:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦]، وكقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾. [يونس: ٤٥]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلَٰغٌ﴾.

ج: لأهل العلم وجهان في ذلك:

أحدهما: أن قوله ﴿بَلَٰغٌ﴾ قبله مقدرٌ محذوف والمعنى هذا القرآن بلاغ وإنذارٌ وتذكيرٌ.

الثاني: أن المعنى: مكثهم في الدنيا بلاغ إلى آجالهم التي كتبها الله لهم، فإذا وافوا الآجال حلَّ بهم العقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ، بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذفت ذلك لبث، وهي مرادة في الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها. والآخر: أن يكون معناه: هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكَّروا واعتبروا فتذكروا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿بَلَٰغٌ﴾.

التحقيق -إن شاء الله- أن أصوب القولين في قوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره، هذا بلاغ، أي هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.

ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله في الأنبياء: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

والبلاغ اسم مصدر بمعنى التبليغ، وقد علم باستقراء اللغة العربية أن الفعال يأتي كثيرًا بمعنى التفعيل، كبلغه بلاغاً: أي تبليغاً، وكلمه كلاماً، أي تكليماً، وطلقها طلاقاً، وسرحها سراحاً، وبينه بياناً.

كل ذلك بمعنى التفعيل؛ لأن فعل مضعفة العين، غير معتلة اللام ولا مهموزته قياس مصدرها التفعيل.

وما جاء منه على خلاف ذلك، يحفظ ولا يقاس عليه، كما هو معلوم في محله.

أما القول بأن المعنى وذلك اللبث بلاغ، فهو خلاف الظاهر كما ترى -والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- فهل يهلك بعذاب الله الذي أعده للعصاة من الطغاة إلا الخارجون عن طاعة الله المتمردون على أمره، وقيل: المعنى وما يهلك إلا القوم الفاسقون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

في قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ تعلموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهرَه أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «أيما عبد من أمتي هم بحسنة كتبت له واحدة، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها. وأيما عبد هم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، ثم كان يتبعها، ويمحوها الله ولا يهلك إلا هالك».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا يهلك على الله إلا هالك، وهذا من عدله تعالى أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب.

❁ ❁ ❁

سورة محمد

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

[محمد: ١-٣]

س: وضح معنى ما يلي: ﴿كَفَرُوا - أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ - كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ - بَالَهُمْ - الْبَاطِلَ - الْحَقَّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿كَفَرُوا﴾	جحدوا وحدانية الله، أشركوا بالله وعبدوا معه غيره
﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	أبطل ثواب أعمالهم - ضيَّع ثواب أعمالهم جعل أعمالهم في ضلالٍ وبُعد عن الحق الصواب
﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	محا عنهم أعمالهم السيئة فلم يؤاخذ بها
﴿بَالَهُمْ﴾	شأنهم - حالهم
﴿الْبَاطِلَ﴾	الشيطان - الشرك وسبُلهُ
﴿الْحَقَّ﴾	القرآن - محمد ﷺ

❁ ❁ ❁

تفاوت الكفار في العذاب

س: هل الكافر الذي يصُد عن سبيل الله عذابه أشد من الكافر الذي ليس كذلك أم أنهما في العذاب سواء ماداما كافرين؟

ج: بلا شك فعذاب الكافر الذي يصد عن سبيل الله أشد من الكافر الذي لا يصد عن سبيل الله، فالنار - أعاذنا الله منها - دركات، من الدليل على ما ذُكر: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[العنكبوت: ١٢-١٣]

* وقال النبي ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- الذين جحدوا وحدانية الله عزَّ وجلَّ، وعبدوا معه غيره، وبالغوا في الكفر وازدادوا ضلالًا وجندوا أنفسهم للصد عن سبيل الله ومنع الناس من دخول الدين وصرف الناس عن الحق، هؤلاء أبطل الله عز وجل ثواب أعمالهم الصالحة التي عملوها كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، وكما قال: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وكذا فقد جعل سائر أعمالهم في ضلال ولم يرشدهم ولم يوفقهم إلى صالح الأعمال.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته، وتصديق نبيه محمد ﷺ عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١﴾ يقول: جعل الله أعمالهم ضلالًا على غير هدى وغير رشاد؛ لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة.

❁ ❁ ❁

س: هل كان الكفار يعملون أعمالًا صالحة مع شركهم؟

ج: نعم منهم من كان يصل الرحم، ويُحسن الجوار، ويعطف ويحنو على الفقراء والمساكين والأيتام، ومنهم من كان يحج ويعتمر (بطريقته الخاطئة) إلى غير ذلك من الأعمال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- وكما بينا حال الكافرين ومآلهم فهذا مآل أهل الإيمان والعمل الصالح والاتباع لرسول الله ﷺ والقرآن.

فالذين صدقوا بالله عزَّ وجلَّ وبما أخبر به وبما أمر به وأتبعوا التصديق بعمل الجوارح، فعملوا الأعمال الصالحة ممتثلين أمر الله عزَّ وجلَّ، وكذا صدقوا بما نزل على رسول الله ﷺ وصدقوا بأن القرآن حق، وأنه من عند الله، هؤلاء محا الله عنهم سيئاتهم التي عملوها وأصلح لهم شأنهم وأصلح أحوالهم ووفقهم لفعل الخيرات.

* قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ يقول: وصدقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم، ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾، عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ جملة معترضة حسنة؛ ولهذا قال: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ قال ابن عباس: أي أمرهم. وقال مجاهد: شأنهم. وقال قتادة وابن زيد: حالهم. والكل متقارب. وقد جاء في حديث تشميت العاطس: «يهديكم الله ويصلح بالكم»[1].

❁ ❁ ❁

س: شهد الله عزَّ وجلَّ للقرآن بأنه الحق في عدة آيات من كتابه العزيز، اذكر بعضها.

ج: من هذه الآيات ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

---

(١) البخاري (٦٢٢٤).

* وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٦٦].

* وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء: ١٧٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾ [الحاقة: ٥١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ذلك الذي ذكرناه من عقوبة أهل الكفر من إبطال ثواب أعمالهم، وكذا الذي ذكرناه عن أهل الإيمان من محو سيئاتهم وإصلاح بالهم سببه أن الكفار اتبعوا الشيطان، وأن أهل الإيمان اتبعوا القرآن المنزل من الله عزَّ وجلَّ، واتبعوا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكل فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ أي: إنما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شؤونهم؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، أي: اختاروا الباطل على الحق.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع، أي الأمر ذلك، أو ذلك الإضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا.

فالكافر اتبع الباطل، والمؤمن اتبع الحق. والباطل: الشرك. والحق: التوحيد والإيمان.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي: ذلك المذكور من إضلال أعمال الكفار أي إبطالها واضمحلالها، وبقاء ثواب أعمال المؤمنين، وتكفير سيئاتهم وإصلاح حالهم، كله واقع بسبب أن الكفار اتبعوا الباطل، ومن اتبع الباطل فعمله باطل.

والزائل المضمحل تسميه العرب باطلاً وضده الحق.

وبسبب أن الذين آمنوا اتبعوا الحق، ومتبع الحق أعماله حق، فهي ثابتة باقية، لا زائلة مضمحلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- وكما بينا لكم أيها الناس جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين فهكذا دائمًا نبين للناس مصائر أعمالهم، إن عملوا خيرًا بيَّنا لهم جزاءهم وإن عملوا شرًّا بيَّنا لهم جزاءهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾ يقول عزَّ وجلَّ: كما بينت لكم أيها الناس فعلي بفريق الكفر والإيمان، كذلك نمثل للناس الأمثال، ونشبه لهم الأشباه، فنلحق بكل قوم من الأمثال أشكالًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾ أي: يبين لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾ أي كهذا البيان الذي بين يبين الله للناس أمر الحسنات والسيئات.

والضمير في: ﴿أَمْثَٰلَهُمْ﴾ يرجع إلى الذين كفروا والذين آمنوا.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾.

قال فيه الزمخشري: فإن قلت: أين ضرب الأمثال؟

قلت: في جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار.

واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين.

أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين اهـ. منه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن
لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ
وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾

[محمد: ٤-٩]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ - أَثْخَنتُمُوهُمْ - فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ - مَنًّا - فِدَآءً - حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا - لِيَبْلُوَا۟ - فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ - سَيَهْدِيهِمْ - وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ - عَرَّفَهَا لَهُمْ - وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ - فَتَعْسًا لَّهُمْ - وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ - فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾	فاضربوا الرقاب - فاقتلوهم
﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾	غلبتموهم - قهرتموهم - جرحتموهم - أكثرتم قتلهم
﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾	أحكموا ربطهم خشية هربهم
﴿مَنًّا﴾	تفضلًا منكم عليهم بإطلاق سراحهم بلا فداء
﴿فِدَآءً﴾	قبول الفدية منهم وإطلاقهم
﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾	حتى يضع المحاربون أسلحتهم حتى يسلم المشركون فتتساقط أوزارهم أي: ذنوبهم وقيل: حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام
﴿لِيَبْلُوَا۟﴾	ليختبر
﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	فلن يُبطل ثواب أعمالهم - لن يُضيع ثوابهم - لن يجعل أعمالهم في ضلال وبُعدٍ عن الحق بل سيوفقهم
﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾	سيوفقهم ويسددهم في طريق الحق
﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	يصلح شأنهم وحالهم وأمرهم
﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾	جعلهم يعرفون منازلهم فيها إذا دخلوها
﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	يثبتها عند القتال فلا تفرون من عدوكم - يثبتها عند الصراط فلا تزل - يثبتكم على الحق
﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾	خزيًا لهم - بُعدًا لهم عن الحق - حُزنًا لهم - شقاءً لهم - هلاكًا لهم

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	جعلها في ضلالٍ، في بُعدٍ عن الحق والصواب
﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾	أبطل ثوابها (ثواب ما عملوه من الأعمال الصالحة)

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- فإذا لقيتم يا أهل الإيمان في الحروب أهل الكفر فاقتلوهم وبالغوا في قتلهم واشتدوا في ذلك واجتهدوا حتى إذا قهرتموهم وغلبتموهم وأوجعتموهم وحملتموهم على الاستسلام فاستسلموا فأحكموا قيدهم حتى لا يهرب منهم هاربٌ ولا يفرّ منهم فار، ذلك حتى ينتهي القتال ويضع المجاهدون أسلحتهم وأثقالهم فإذا انتهت الحرب ووضعتم أثقالكم وقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم واستسلم من استسلم، فإما أن تتفضلوا على الأسرى وتطلقوا سراحهم بلا فدية، وإما أن تقبلوا منهم الفدية مقابل إطلاق سراحهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من أهل الحرب، فاضربوا رقابهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم، فصاروا في أيديكم أسرى ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ يقول: فشدوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم، فيهربوا منكم.

وقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضًا حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مرشدًا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف، ﴿حَتَّىٰ

﴿إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أهلكتموهم قتلًا ﴿فَشُدُّواْ﴾ الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم منتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانًا، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشاطرونهم عليه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الأمر بقتل الكفار حتى يثخنهم المسلمون، ثم بعد ذلك يأسرونهم جاء موضحًا في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الأنفال: ٦٧]، الآية، وقد أمر تعالى بقتلهم في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] الآية.

وقوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] الآية. وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٥٧] الآية، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي فإما تمنون عليهم منًّا، أو تفادونهم فداء.

❁ ❁ ❁

س: لماذا عُبر بلفظ ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ عن القتل؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك للحث على الغلظة والشدة على أهل الكفر أثناء المعارك ففي لفظ ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ ما يفيد ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مصدر قال الزجاج: أي فاضربوا الرقاب ضربًا وخص الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها وقيل: نصب على الإغراء قال أبو عبيدة: هو كقولك: يا نفس صبرًا وقيل: التقدير اقصدوا ضرب الرقاب وقال: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ ولم يقل: فاقتلوهم؛ لأن في العبارة بضرب الرقاب من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه.

❁ ❁ ❁

س: هل قال أحدٌ من أهل العلم: إن هذا القدر من الآية: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ منسوخ، وما ناسخه عند هؤلاء القائلين بذلك، وما مدى صحة هذا القول؟

ج: نعم، قد قال بذلك عددٌ من أهل العلم، قالوا: إن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ قد نُسخ، ثم اختلفوا في الناسخ، فقال بعضهم: هو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وقال آخرون: بل الناسخ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وقد صح هذا عن عدد من أهل العلم كقتادة والسدي وابن جريج وغيرهم كما أخرج ذلك الطبري عنهم بأسانيد صحيحة(١).

فقال ابن جريج والسدي: نسختها ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسروا منهم أسيرًا، فليس لهم إلا أن يفادوه، أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]: أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذكرون. وكذا قال آخرون بالنسخ.

بينما ذهب عددٌ من العلماء إلى أن الآية الكريمة ليست بمنسوخة بل يعمل بها، ونُقل هذا القول عن ابن عمر وعطاء والحسن وغيرهم، وقد أورد الطبري وغيره أسانيد ذلك. والذي يظهر أن الآية الكريمة ليست بمنسوخة بل يعمل بها عند الاحتياج إلى ذلك لمفاداة أسير مسلمٍ مثلًا بأسيرٍ كافر أو لفائدة يراها الإمام المسلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفداء والقتل إلى الرسول ﷺ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكورًا في هذه الآية؛ لأنه قد أذن بقتلهم

(١) انظر الطبري (٣١٣٤١، ٣١٣٤٢) و (٣١٣٤٣، ٣١٣٤٤).

في آية أخرى، وذلك قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة: ٥] ... الآية، بل ذلك كذلك؛ لأن رسول الله ﷺ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرًا في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضًا، ويفادي ببعض، ويمن على بعض، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي معيط وقد أتي به أسيرًا، وقتل بني قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلمًا، وهو على فدائهم، والمن عليهم قادر، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومن على ثمامة بن أثال الحنفي، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتًا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم، إلى أن قبضه إليه ﷺ دائمًا ذلك فيهم، وإنما ذكر جل ثناؤه في هذه الآية المن والفداء في الأسارى، فخص ذكرهما فيها؛ لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكررًا، فأعلم نبيه ﷺ بما ذكر في هذه الآية من المن والفداء ما له فيهم مع القتل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، فإن الله سبحانه عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذٍ ليأخذوا منهم الفداء، والتقلل من القتل يومئذ فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

[الأنفال: ٦٧، ٦٨]

ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية -المخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه- منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥]، رواه العوفي عن ابن عباس. وقاله قتادة، والضحاك، والسدي، وابن جُرَيْج.

وقال الآخرون -وهم الأكثرون-: ليست منسوخة.

ثم قال بعضهم: إنما الإمام مُخَيَّر بين المن على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله.

وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء، لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط من أسارى بدر[1]، وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ

(١) وفي شأن عقبة بعض النظر من ناحية السند بقتله.

حين قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: إن تَقْتلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تُعطَ منه ما شئت.

وزاد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: الإمام مخير بين قتله أو المن عليه، أو مفاداته أو استرقاقه أيضًا. وهذه المسألة مُحَرّرة في علم الفروع، وقد دللنا على ذلك في كتابنا «الأحكام»، ولله الحمد والمنة.

وأورد القرطبي أقوالًا متعددة في نسخ هذه الآية الكريمة فراجعه إن شئت فهنالك تفصيلات كثيرة.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ لما كان طليعة هذه السورة تمهيدًا لجهاد المشركين الساعين في الأرض بالفساد، الصادّين عن منهج الرشاد، وبعثًا على الصدق في قتالهم، كسحًا لعقبة باطلهم، عملًا بما يوجبه الإيمان ويفرضه الإيقان، وتمييزًا لأولياء الرحمن من أولياء الشيطان، تأثر تلك الطليعة بهذه الجملة، ولذا قال أبو السعود: الفاء لترتيب ما في حيّزها من الأمر على ما قبلها. فإن ضلال أعمال الكفرة وخبثهم، وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم، مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الأحكام. أي: فإذا كان الأمر كما ذكر، فإذا لقيتموهم في المحاربة، فضرب الرقاب. وأصله: فاضربوا الرقاب ضربًا. فحذف الفعل، وقدم المصدر، وأنيب منابه مضافًا إلى المفعول. وفيه اختصار وتأكيد بليغ. والتعبير به عن القتل، تصوير له بأشنع صورة، وتهويل لأمره، وإرشاد للغزاة إلى أيسر ما يكون منه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: غلبتموهم، وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم، فصاروا في أيديكم أسرى ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ بفتح الواو، وقرئ بكسرها. وهو ما يوثق به، أي: يربط ويشد، كالقيد والحبل. أي: فأمسكوهم به كيلا يقتلوكم فيهربوا منكم ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي: فإما تمنون بعد ذلك عليهم، فتطلقونهم بغير عوض، لزوال سبعيّتهم، وإما تفدون فداءً، فتطلقونهم بعوض مال، أو مسلم أسروه فيتقوى به المسلمون، أو يتخلص أسيرهم.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

ج: أولًا: معنى الأوزار: الأثقال والأحمال وقد تُطلق الأوزار أحيانًا على الأحمال من الذنوب والسيئات كما في الآية الكريمة ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وكقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

ثم إن أقوال العلماء في الآية قد تعددت: فقال بعض العلماء: المعنى حتى يضع المجاهدون أسلحتهم وذلك بعد انتهاء الحرب.

وقال آخرون: حتى يُسلم الكفار فتتساقط ذنوبهم وأيضًا حتى يبذل المسلمون قصارى جهدهم في الحرب فتتساقط ذنوبهم.

وقال آخرون: حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وحتى يأتي أمر الله.

فالقتال لا يزال بين المسلمين والكفار إلى ذلك الزمان.

والظاهر من هذه الأقوال: ويبدو لي -والله أعلم- أنه أصحها: هو القول الأول، أي: حتى يضع المجاهدون أسلحتهم وذلك بعد انتهاء الحرب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره.

وأورد الطبري من وجهين[1] عن قتادة قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ حتى لا يكون شرك، وهذا صحيح عن قتادة. وأورد[2] من وجهٍ آخر فيه مقال، عن قتادة ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: الحرب، من كان يقاتلهم سماهم حربًا. وأورد الطبري[3] بإسنادين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال:

(١) الطبري (٣١٣٥٤، ٣١٣٥٥).

(٢) الطبري (٣١٣٥٦).

(٣) الطبري (٣١٣٥٣).

حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جرابًا، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دمًا إذا وضعها.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزرًا، وتطلق العرب الأوزار على آلات الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحًا طوالًا وخيلًا ذكورًا

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

ج: الظاهر -والله تعالى أعلم- أن المعنى: ذلك الذي حدثناكم عليه من قتال أهل الشرك وتكليفكم بذلك ليس لكوننا لا نستطيع الانتقام من أهل الشر، بل نحن قادرون على الانتقام منهم وإحلال عقوبتنا بهم فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ولكن هذا التكليف الذي كلفناكم به لنختبر بعضكم ببعض، نختبركم يا أهل الإيمان بالتكليف بالجهاد فهل تمتثلون الأمر أم لا؟ وهل تخشون أهل الكفر أم لا؟ ونختبر كذلك أهل الكفر ونرى هل يتراجعون عن كفرهم أم أنهم ثابتون عليه وإن قتلوا، ونختبرهم بتسليطكم عليهم لعلهم يرجعون عن كفرهم وغيِّهم وضلالهم إلى غير ذلك من الحكم والغايات المأخوذة من التكليف بالقتال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقًا بعد قهرهم، وأسرهم، والمن والفداء ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ هو الحق الذي ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم، ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة

منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلًا إلا بأيديكم أيها المؤمنون ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ يقول: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم، ويبلو أخباركم. كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي «آل عمران» و «براءة» في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

ج: من العلماء من ذهب إلى أن معنى الآية الكريمة أن الشهداء لن تضيع أعمالهم الصالحة التي عملوها في دنياهم، ولن يضيع الله ثواب جهادهم لنصرة دينه، سواء نصرهم الله في المعارك أم كانت لعدوهم الغلبة فقتلوا.

فقد يظن ظان أن الشهداء لما قتلوا ولم ينتصروا في المعارك أنه ليس لهم أجرٌ، فأُبطل هذا الظن إذ الله قال: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

وقد قال أبو سفيان يوم أُحدٍ: يومٌ بيوم بدر والحرب سجال، فأمر النبي ﷺ الصحابة أن يجيبوه، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

والوجه الثاني حاصله أن الشهداء لا تنقطع أجورهم بعد قتلهم، بل أجورهم تتواصل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالًا عليهم كما أضل أعمال الكافرين.

س: كيف قيل: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ وقد قتلوا؟

ج: وجَّه بعض أهل العلم ذلك إلى أن المعنى سيهديهم يوم القيامة إذا أدخلهم الجنان إلى منازلهم التي أُعدت لهم فيها كأنهم سكانها يعرفونها من قبل وسكنوها من قبل.

وهذا قوله أيضًا: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ كما في حديث القنطرة: ففيه: «فوالذي نَفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله كان في الدنيا»[1].

وقال آخرون: سيهدي من بقي منهم ويوفقه حتى يقتل في سبيل الله كما قتل صاحبه، وهذا بعيدٌ شيءٌ ما.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحب، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ يقول: ويدخلهم الله جنته عرفها، يقول: عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- يدخلهم الجنة قد أعلمهم بمساكنهم فيها، فهم يعرفونها ويتجهون إليها كأنهم كانوا يعرفونها من قبل[2].

هذا، وهناك قولٌ حاصله أن قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ أي: طيبها لهم بأنواع الملاذ، مأخوذ من العَرْف وهو الرائحة الطيبة.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ أي: عرفها أولًا بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم،

---

(١) البخاري (٢٤٤٠) وفيه: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة...» فذكره.

(٢) وانظر السؤال المتقدم.

وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ مع ذِكر بعض الآيات في معناها.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- يا من آمنتم بالله ووحدتموه وصدقتم بوعده ووعيده، وصدقتم بكتابه ورسوله وأيقنتم بالبعث وأقررتم بالملائكة وبالقضاء والقدر، يا هؤلاء إن تنصروا دين الله وتنصروا رسوله ﷺ بجهادكم معه ودفاعكم عن دينه وتجتهدون لإعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ ينصركم الله عزَّ وجلَّ على عدوكم ويرفع رايتكم ويؤتكم العزة ويثبت أقدامكم عند القتال فلا تفروا؛ يثبتها على الصِراط كذلك ويثبتكم على الحق أيضًا.

كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وكما قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ...﴾ [الأنفال: ١٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدًا ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأولياءه.

وقوله: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾ يقول: ويقوكم عليهم، ويجرئكم، حتى لا تولوا

عنهم، وإن كثر عددهم، وقل عددكم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسادهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بنصر المؤمنين لله في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

ومعنى نصر المؤمنين لله، نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- والذين جحدوا وحدانية الله وأشركوا في عبادته معه غيره فخزيًا لهم وشقاءً لهم وعذابًا لهم، وكذا فإن الله عزَّ وجلَّ جعل أعمالهم في ضلالٍ وعلى غير هدى ومن ثمَّ فإنها غير متقبلة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله، فجحدوا توحيده ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ يقول: فخزيًا لهم وشقاء وبلاء.

وقوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة؛ لأنها عملت في طاعة الشيطان لا في طاعة الرحمن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ذلك الذي ذُكر من إضلال أعمال الكفار وتلك التعاسة التي كتبت عليهم سببه كراهيتم القرآن المنزل من عند الله، ذلكم الأمر بتوحيد الله عزَّ وجلَّ المتضمن للحق، فمن ثم أحبط الله أعمالهم أي أذهب ثوابها وأضاعها، تلك التي كانوا يتقربون بها من صدقة وعتقٍ وبرٍّ وصلة رحم وعبادة باطلة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ وسخطوه، فكذبوا به، وقالوا: هو سحر مبين.

وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أوبقهم بها، فأصلاهم سعيرًا، وهذا حكم الله جل جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم، كما قال قتادة.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ
وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ
ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ
لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ
هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

[محمد: ١٠-١٥]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا - مَوْلَى - مَثْوًى لَّهُمْ - وَكَأَيِّن - زُيِّنَ - سُوٓءُ عَمَلِهِۦ - مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ - غَيْرِ ءَاسِنٍ - لَّذَّةٍ - مُّصَفًّى - حَمِيمًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾	وأعدَّ الله للكافرين أمثال هذه العقوبات التي حلَّت بمن كانوا قبلهم
﴿مَوْلَى﴾	ناصر - متولي الأمر
﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾	مسكن لهم - مقام لهم
﴿وَكَأَيِّن﴾	كم
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّن
﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾	عمله السيئ
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾	وصف الجنة - نعت الجنة
﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾	غير منتن - متغيِّر (لم يتغير من مُكثه)
﴿لَّذَّةٍ﴾	يتلذذون بها
﴿مُّصَفًّى﴾	صافي لا كدر فيه، مصفى من الشوائب
﴿حَمِيمًا﴾	بلغ أعلى درجات غليانه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾.

ج: هذا -والله تعالى أعلم- حثٌّ للكفار على السير في الأرض والنظر بنظرة الاعتبار والادكار للأمم التي أبادها الله وأهلكها وأفناها، فقد دمر الله القرى على من فيها، وهذه العقوبة ومثلها ربي قادر على إنزالها على الكافرين، وفي الآية أيضًا توبيخٌ لأهل الكفر المعرضين عن الإيمان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسر هؤلاء المكذبون محمدًا ﷺ المنكر وما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفرًا، وإنما هذا توبيخ من الله لهم، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون نقمة الله التي أحلها بأهل حجر ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحل الله بسبإ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسر هؤلاء المشركون سفرًا في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها الرادة نصائحها، ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخربها، فيتعظوا بذلك، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه، فينيبوا إلى طاعة الله في تصديقك، ثم توعدهم جل ثناؤه، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله، أنه مُحل بهم من العذاب ما أحل بالذين كانوا من قبلهم من الأمم، فقال: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ يقول: وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله ﷺ من العذاب العاجل أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ يعني: المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أي: عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم، أي: ونجى المؤمنين من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾، ولهذا قال أبو سفيان صخرُ بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر فلم يجب، وقال: أما هؤلاء فقد هلكوا، وأجابه عمر بن الخطاب فقال: كذبت يا عدو الله، بل أبقى الله لك ما يسوؤك، وإن الذين عَدَدت لأحياء. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سِجال، أما إنكم ستجدون مُثْلَةً لم آمر بها ولم تسؤني، ثم ذهب يرتجز ويقول: اعل هُبَل، اعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجلّ» ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عُزّى لكم. فقال: «ألا تجيبوه؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟

قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا من كان قبلهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر فخمدوا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.

قال الرازي في التفسير الكبير:

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠﴾ يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون المراد لهم أمثالها في الدنيا، وحينئذٍ يكون المراد من الكافرين هم الكافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام. وثانيهما: أن يكون المراد لهم أمثالها في الآخرة، فيكون المراد من تقدم؛ كأنه يقول: دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ذلك الذي فعلناه بأهل الإيمان والذي تفضلنا به عليهم من نصرهم وهدايتهم وإصلاح بالهم، وإدخالهم الجنة، وكذا الذي فعلناه بأهل الكفر من إحباط أعمالهم وإتعاسهم وتدمير بلادهم عليهم سببه أن الله عزَّ وجلَّ توعد بنصر عباده أهل الإيمان وأخبر أنه سيتولاهم بنصره وتدبيره أمرهم، وأن أهل الكفر ليس لهم مولى يتولاهم ولا ناصر ينصرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق

---

(١) البخاري (٤٠٤٣).

الكفر من نصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول: من أجل أن الله ولي من آمن به، وأطاع رسوله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى ذلك:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- وأهل الكفر في دنياهم ليس لهم همٌّ إلا دنياهم والاستمتاع فيها بقضاء أوطارهم وأكلهم وشربهم ونكاحهم، وإمضاء شهواتهم ولعبهم ولهوهم، شأنهم شأن الأنعام سواء بسواء تلك التي تأكل وتشرب وتنكح، ثم إن عاقبة أهل الكفر النار التي أُعدت لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسوله ﷺ يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة؛ مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: والنار -نار جهنم- مسكن لهم ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا كأنهم أنعام، ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عما في غدهم. وقيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع. ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ أي: مقام ومنزل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- وكم من قرية من القرى الظالمة كان أهلها أشد قوة من أهل مكة الذين أخرجوك فظلموا وأشركوا فأهلكناهم، ولم يكن لهم من ناصرٍ ينصرهم ولا من معين يعينهم ولا من متولٍ يتولى أمرهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشد قوة من قريتك، يقول أهلها أشد بأسًا، وأكثر جمعًا، وأعد عديدًا من أهل قريتك -وهي مكة- وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ يعني: مكة، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة، في تكذيبهم لرسول الله ﷺ، وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء، فإذا كان الله، عزَّ وجلَّ، قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة، فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: ٢٠].

وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ أي: الذين أخرجوك من بين أظهرهم.

❁ ❁ ❁

س: هل النبي ﷺ خرج أم أُخرج؟

ج: الظاهر من الأدلة أنه أُخرج عليه صلوات الله وسلامه ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾.

* قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

* وقول النبي ﷺ: «والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»[(١)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وماتضمنته هذه الآية الكريمة من إخراج كفار مكة للنبي ﷺ منها بينه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ الآية [الممتحنة: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد أخرجوه فعلاً بمكرهم المذكور، وبين جل وعلا أن النبي ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من ديارهم لا ذنب لهم يستوجبون به الإخراج إلا الإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١] أي: يخرجون الرسول وإياكم لأجل إيمانكم بربكم.

وقال تعالى في إخراجهم له: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ الآية [التوبة: ١٣]. إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(١) وهو عند الطبري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أفمن كان يسير في حياته على علم وبصيرة من الله عزَّ وجلَّ، وكذا على يقين بما وعده الله عزَّ وجلَّ به فسار متبعًا كتاب الله عزَّ وجلَّ الذي أنزله على رسوله ﷺ كالأعمى الذي يتخبط في حياته ويسير على غير هدى فيتلاعب به الشيطان ويُزين له أسوأ الأعمال فيراها حسنة ويقترفها ويجترمها تبعًا لهواه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه، بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جَبَله الله عليه من الفطرة المستقيمة ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ أي: ليس هذا كهذا، كقوله: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وكقوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

أي: لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علمًا وعملًا قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله -ومع ذلك- يرى أن ما هو عليه هو الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغي!

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى الآية الكريمة ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

ج: من الآيات في معنى الآية الكريمة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨].

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وصف الجنة التي وعد الله عزَّ وجلَّ المتقين إياها أن فيها أنهارًا من ماء غير متغير وغير منتن، مهما طال بقاؤه، وكذا فيها أنهارٌ من خمر يتلذذ الشاربون بها، وأنهار من عسل مصفى من كل الشوائب والأكدار، وكذا لهم فيها من كل الثمرات، وفضلًا عن ذلك فإن الله عزَّ وجلَّ قد غفر ذنوبهم وامتن عليهم بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه؛ لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه.

وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها.

وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ يقول: وفيها أنهار من عسل قد صفي من القذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية، إنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلًا جاريًا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفى، قد صفاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية؛ لأنه كان في شمع فصفي منه.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ يقول: وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا، ثم تابوا منها، وصفح منه لهم عن العقوبة عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ قال عكرمة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: نعتها: ﴿فِيهَآ

أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: يعني غير متغير. وقال قتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني: غير منتن. والعرب تقول: أَسِن الماء إذا تَغَيَّر ريحه. ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة. وفي حديث مرفوع: «لم يخرج من ضُرُوع الماشية».

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٧]، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩]، ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦]، وفي حديث مرفوع: «لم تعصرها الرجال بأقدامها».

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي: وهو في غاية الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير الكريم الرحمن»:

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بحرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحا، وألذها شربًا.

❁ ❁ ❁

وصف أنهار الجنة

س: اذكر بعض الوارد في وصف أنهار الجنة.

ج: هذه الأنهار لا يعلم عددها إلا الله عزَّ وجلَّ.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس: ٩].

ومن هذه الأنهار: أنهارٌ من ماء غير آسنٍ، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهارٍ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسل مصفى.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وفي الحديث[١] عن رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بحر الماء وبحر[٢] العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم يشقق الأنهار بعده».

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «حادي الأرواح»:

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا؛ فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها؛ بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانيين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته

(١) صحيح لشواهده: وأخرجه الترمذي (٢٥٧١).

(٢) والبحر يطلق أحيانًا على النهر، وذلك لاتساعه، فالبحر يطلق على الشيء الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس (وإن وجدناه لبحرًا أي: واسع الخطو سريع).

فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابًا من الخير وفتحت له بابًا من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**» لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم - والله أعلم.

قلت (مصطفى): وهذه الأنهار تتفجر من الفردس.

ففي الصحيح[1] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[2].

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان:

ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيْحَان وجَيْحَان والفُرَات والنيل كل من أنهار الجنة**»[3].

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله «حادي الأرواح»: وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلةً إلىٰ أقصىٰ درجاتها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٩).

وهذان النهران الظاهران والنهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهي.

ففي الصحيحين[١] من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بينا أنا نائم عند البيت...» فذكر الحديث وفيه: «... ورُفِعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران: فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات».

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:... فذكر الحديث وفيه: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه».

وفيها كذلك الحوض والكوثر:

أخرج البخاري[٣] من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه - أو طينه - مسك أذفر».

ومما ورد في صف الكوثر:

ما أخرجه مسلم[٤] في صحيحه من حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات

---

(١) البخاري (٣٢٠٧).

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) البخاري (٦٥٨١).

(٤) مسلم (٤٠٠).

يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك؟».

وفي الجنة ترعُ كذلك:

فعند أحمد بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال: «منبري هذا على تُرعة من تُرع الجنة»(١).

وفي الجنة عيونٌ كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥] من هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم ومنها الكافور، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة (تسنيم وسلسبيل وعين الكافور) كلها معدة للمقربين، ولكنها تخلط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون يشربون منها صرفًا خالصة صافية لم تُشب (أي: لم تخلط) بغيرها.

أما أصحاب اليمين فتمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودلَّ على ذلك ما ذكر من الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٢-٢٧] أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم ما هي؟ وجدت جوابًا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٨] أي: يشرب منها المقربون.

---

(١) أحمد بسند حسن (٨٧٠٦).

فهي تمزج لأصحاب اليمين - الذين هم ها هنا الأبرار - مزجًا ويشرب بها المقربون صرفًا.

هذا، ومما ورد في ذِكر العيون أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره: أمن هو في هذه الجنة التي وصفها ما وصفنا كمن هو خالد في النار. وابتدئ الكلام بصفة الجنة، فقيل: مثل الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: أمن هو في الجنة. ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾. وإنما قيل ذلك كذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام، ولدلالة قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ على معنى قوله: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: المعنى أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار. وقال الزجاج: أي أفمن كان على بينة من ربه وأعطي هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله: ﴿كَمَنْ﴾ بدل من قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [فاطر: ٨]، وقال ابن كيسان: مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والأنهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم ومثل أهل الجنة في النعيم المقيم كمثل أهل النار في العذاب المقيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- وسقي هؤلاء أهل الكفر المخلدون في النار ماءًا قد بلغ أقصى درجات غليانه فتقطعت من هذا الماء أمعاؤهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسقي هؤلاء الذين هم خلود في

النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حرِّه أمعاءهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: حارًّا شديد الغليان إذا أدني منهم شوى وجوهم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم والأمعاء جمع معي والتثنية معيان وهو جميع ما في البطن من الحوايا.

قال السمعاني في «تفسيره»:

وقوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ الحميم: هو الماء الذي تناهى في الحر، وفي التفسير: أنه ماء سعرت عليه نيران جهنم منذ خلقت، فإذا قربه الكافر إلى وجهه للشرب شوى وجهه، وسقطت جلدة وجهه وفروة رأسه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾

[محمد: ١٦-١٨]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ءَانِفًا - ءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ - يَنظُرُونَ - ٱلسَّاعَةَ - بَغْتَةً - أَشْرَاطُهَا - فَأَنَّىٰ لَهُمْ - ذِكْرَىٰهُمْ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَانِفًا﴾	الآن - هذه الساعة
﴿ءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾	ألهمم رشدهم - قذف في قلوبهم التقوى والخوف من الله والعمل بما شرعه واجتناب ما عنه نهى
﴿يَنظُرُونَ﴾	ينتظرون - يؤخرون إيمانهم
﴿ٱلسَّاعَةَ﴾	القيامة
﴿بَغْتَةً﴾	فجأة
﴿أَشْرَاطُهَا﴾	علاماتها
﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾	من أي وجه
﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾	التذكر والاعتبار الذي ينتفعون به

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ومن أهل النفاق من يحضر مجالسك ويستمع إليك بلا مبالاة ولا تعقُّل ولا تفهّم حتى إذا خرجوا من عندك وفارقوا مجلسك قالوا على سبيل الاستخفاف والاستهزاء والسخرية من حديثك، قالوا لأهل التعقل والإيمان والفهم ماذا قال صاحبكم الآن، أو ماذا كان يقول الآن، فيظهرون بذلك أنهم كانوا غير مبالين ولا مهتشين ولا منصتين، فهؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم وأغلق عليها فلم يعد يصل إليها خيرٌ تهتدي به، ولا نورٌ تستضيء به فلم يجدوا ملاذًا من اتباع ما تمليه عليهم عقولهم الضعيفة وآرائهم السخيفة، وشهواتهم المنحطة والشبهات التي تجترفهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد ﴿مَن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاونًا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلًا عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ قالوا إعلامًا منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يصغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك ﴿مَاذَا قَالَ﴾ لنا محمد ﴿ءَانِفًا﴾؟

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم، فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ يقول: ورفضوا أمر الله، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسوى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين، في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله، الذي ابتعث به محمدًا ﷺ أهواءهم، فقال في هؤلاء المنافقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك، ﴿كَمَنۡ زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾ [محمد: ١٤]

ونقل عن قتادة - بإسناد صحيح - قوله في تفسير قوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئًا، فإذا خرجوا من عنده ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ من الصحابة: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: الساعة، لا يعقلون ما يقال، ولا يكترثون له.

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ أي: فلا فهم

صحيح، ولا قصد صحيح.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي من هؤلاء الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وزين لهم سوء عملهم قوم يستمعون إليك وهم المنافقون: عبد الله ابن أبي ابن سلول ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصليت والحارث بن عمرو ومالك ابن دخشم، كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه، فإذا خرجوا سألوا عنه، قاله الكلبي ومقاتل.

وقيل: كانوا يحضرون عند رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فيستمعون منه ما يقول، فيعيه المؤمن ولا يعيه الكافر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ أي إذا فارقوا مجلسك.

﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ قال عكرمة: هو عبد الله بن العباس.

قال ابن عباس: كنت ممن يسأل، أي كنت من الذين أوتوا العلم.

وفي رواية عن ابن عباس: أنه يريد عبد الله بن مسعود.

وكذا قال عبد الله بن بريدة: هو عبد الله بن مسعود.

وقال القاسم بن عبد الرحمن: هو أبو الدرداء.

وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي الآن، على جهة الاستهزاء.

أي أنا لم ألتفت إلى قوله.

و﴿ءَانِفًا﴾ يراد به الساعة التي هي أقرب الأوقات إليك، من قولك: استأنفت الشيء إذا ابتدأت به.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يقول تعالى: ومن المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ما تقول استماعًا، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة قلوبهم عنه، ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي: قريبًا، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه

أسماعهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال؛ ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾.

ج: المعنى -والله تبارك وتعالى أعلم- والذين سلكوا سبيل الهداية وأقبلوا إليك يا رسول الله يتعلمون منك ويفهمون المراد، هؤلاء زادهم الله توفيقًا وسدادًا وهداية ومنَّ عليهم بالتقوى فقذف في قلوبهم الخوف من الله عزَّ وجلَّ واتقاء محارمه وكذا رزقهم مراقبته في السر والعلن ورزقهم امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ أي للإيمان زادهم الله هدى.

وقيل: زادهم النبي ﷺ هدى. وقيل: ما يستمعونه من القرآن هدى. أي يتضاعف يقينهم. وقال الفراء: زادهم إعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى. وقيل: زادهم نزول الناسخ هدى. وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل: **أحدها**: زادهم علما، قاله الربيع بن أنس. **الثاني**: أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا، قاله الضحاك. **الثالث**: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم، قاله الكلبي. **الرابع**: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان. ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ أي ألهمهم إياها. وقيل: فيه خمسة أوجه: **أحدها**: آتاهم الخشية، قاله الربيع. **الثاني**: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. **الثالث**: وفقهم للعمل الذي فرض عليهم، قاله مقاتل. **الرابع**: بين لهم ما يتقون، قاله ابن زياد والسدي أيضًا. **الخامس**: أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ، قاله عطية. الماوردي: ويحتمل. **سادسًا**: أنه ترك الرخص والأخذ بالعزائم. وقرئ: (وأعطاهم) بدل ﴿وَءَاتَىٰهُمۡ﴾. وقال عكرمة: هذه نزلت فيمن آمن من أهل الكتاب.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق، وشرح صدورهم

للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ يقول: زادهم الله بذلك إيمانًا إلى إيمانهم، وبيانًا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم. وقد ذكر أن الذي تلا عليهم رسول الله ﷺ من القرآن، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان: ماذا قال آنفا، وزاد الله أهل الهدى منهم هدى، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل.

وقال أيضًا: وقوله: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه.

❁ ❁ ❁

س: من سلك طريق الهداية يسر الله له أسبابها. اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي الحديث القدسي: «وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فماذا ينتظر هؤلاء المعرضون عن الهداية المعرضون عن القرآن هل ينتظرون الساعة حتى يهتدوا؟

هل ينتظرون النفخ في الصور وبعث العباد من القبور حتى يهتدوا؟ إن أشراط الساعة وعلاماتها قد أتت ولم يؤمنوا فمن أي وجه يهتدوا ومن أين لهم التذكر

(١) البخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإذا تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»، وأخرجه مسلم (٢٦٧٥) بنحوه من حديث أبي هريرة.

والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة؟!

وبتعبير آخر:

إن هؤلاء القوم لم يؤمنوا وقد جاءتهم مقدمات الساعة واقتربت منهم أشراطها الكبرى كذلك وعلاماتها فمتى إذًا يؤمنوا؟ أيؤمنوا إذا جاءتهم الساعة؟ فإذا جاءتهم الساعة فلن ينفعهم التذكر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها. والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة. و«أنْ» من قوله: «إلَّا أنْ» في موضع نصب بالرد على الساعة، وعلى فتح الألف من ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ ونصب ﴿تَأْتِيَهُم﴾ بها قراءة أهل الكوفة.

ثم قال: وقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ أي: وهم غافلون عنها، ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: أمارات اقترابها، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾ [النجم: ٥٦، ٥٧]، وكقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين. وقد أخبر - صلوات الله وسلامه عليه- بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله، كما هو مبسوط في موضعه.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير الكبير»:

وقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يحتمل وجهين أحدهما: لبيان غاية عنادهم وتحقيقه

هو أن الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق إلا إيمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن أشراطها بانت فكان ينبغي أن يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم في لجة الفساد وغاية العناد ثانيهما: يكون لتسلية قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ فهم منه تعذيبهم والساعة عند العوام مستبطأة فكأن قائلاً قال متى تكون الساعة؟ فقد جاء أشراطها كقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، والأشراط العلامات، قال المفسرون: هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فقد جاءت أشراط الساعة، والمراد علاماتها ومقدماتها الصغرى.

قولٌ مجملٌ في بيان أشراط الساعة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أشراط الساعة الكبرى، وبعض أشراطها الصغرى؟

ج: أما أشراط الساعة الصغرى فكثيرة جدًّا، وقد جمعت أكثرها في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وكذلك ضمنته أشراط الساعة الكبرى.

* ومن الأشراط الصغرى: أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ومنها أن تلد الأمةُ ربتها، ومنها كثرة التبرج وكثرة الزنا وكثرة شرب الخمر وكثرة القتل وكثرة النساء، وكثرة الروم وكثرة الأسواق، وكثرة الزلازل وانحسار الفرات عن كنز من ذهب، وخراب الكعبة على يد ذي السويقتين الحبشي، ويخسف بجيش أراد غزو الكعبة، وغُربة الإسلام إلى غير ذلك من الأشراط الصغرى وكذا خروج المهدي.

* ومن الأشراط الكبرى: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء حكمًا عدلًا مقسطًا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، والخسوف الثلاث، وخروج يأجوج ومأجوج، ودابة

الأرض التي تكلم الناس، وطلوع الشمس من مغربها، والريح التي تقبض أرواح المؤمنين، إلى غير ذلك مما ذكرناه هنالك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فمن أي وجه يأتيهم التذكر والاتعاظ، والاعتبار إذا جاءتهم الساعة والذي يظهر، والله أعلم، أن الآية فيها من التقديم والتأخير، والمعنى، فأنى لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أي وجه لهؤلاء المكذبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة، يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم، لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن قتادة قوله: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ يقول: إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ أي: فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة، حيث لا ينفعهم ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

التحقيق إن شاء الله تعالى، في معنى هذه الآية الكريمة، أن الكفار يوم القيامة، إذا جاءتهم الساعة، يتذكرون ويؤمنون بالله ورسله، وأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفعهم لفوات وقته فقوله: ﴿ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ مبتدأ خبره ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ أي كيف تنفعهم ذكراهم وإيمانهم بالله، وقد فات الوقت الذي يقبل فيه الإيمان.

والضمير المرفوع في ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ عائد إلى الساعة التي هي القيامة.

وهذا المعنى، الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، من أن الكفار يوم القيامة

يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾[سبأ: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾[الفجر: ٢٣].

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إلى قوله - ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[الأعراف: ٥٣].

· فظهر أن قوله: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ على حذف مضاف، أي أنى لهم نفع ذكراهم.

والذكرى اسم مصدر بمعنى الاتعاظ الحامل على الإيمان.

قال الرازي في «التفسير الكبير»:

ثم قال تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ يعني لا تنفعهم الذكرى إذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الإيمان، والمراد فكيف لهم الحال إذا جاءتهم ذكراهم، ومعنى ذلك يحتمل أن يكون هو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنبياء: ١٠٣]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[الصافات: ٢١]، فيذكرون به للتحسر، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[الزمر: ٧١].

❁ ❁ ❁

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿إِلَٰهَ - ٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ - مُتَقَلَّبَكُمۡ - مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿إِلَٰهَ ﴾	معبود
﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾	سل الله أن يغفر لك ذنبك
﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ ﴾	مُتصرفكم الذي تتصرفونه - عملكم الذي تعملون وتحرككم الذي تتحركون
﴿ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾	المكان الذي تؤوون إليه بعد انقضاء العمل للنوم فيه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فاعلم يا رسول الله، واعلم يا عبد الله واعلموا جميعًا أيها الخلق أنه لا معبود يستحق أن يُعبد إلا الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه.

وقال الرازي في «التفسير الكبير»:

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ ولبيان المناسبة وجوه الأول: هو أنه تعالى لما قال: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ قال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ يأتي بالساعة، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨﴾[النجم: ٥٧، ٥٨]، وثانيها: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ وهي

آتية فكأن قائلاً قال: متى هذا؟ فقال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار، وكن في أي وقت مستعداً للقائها ويناسبه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، الثالث: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ينفعك.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والنبي ﷺ يعلم ذلك؟

ج: قيل: إن المراد أيقن بذلك ولا تشك فيه ولا تتردد.

وذلك كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

أي: أيقنوا بذلك وازدادوا إيمانًا بذلك واثبتوا على إيمانكم.

* وقال بعض أهل العلم: هذا إخبار من الله عزَّ وجلَّ بذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قال الماوردي: وفيه - وإن كان الرسول عالمًا بالله - ثلاثة أوجه: يعني اعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله.

الثاني: ما علمته استدلالا فاعلمه خبرًا يقينًا.

الثالث: يعني فاذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه.

قال الرازي في «التفسير الكبير»:

فإن قيل: النبي عليه الصلاة والسلام كان عالماً بذلك فما معنى الأمر، نقول عنه من وجهين أحدهما: فاثبت على ما أنت عليه من العلم كقول القائل لجالس يريد القيام: اجلس أي لا تقم ثانيهما: الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام، والمراد قومه والضمير في أنه للشأن، وتقدير هذا هو أنه عليه السلام لما دعا القوم إلى الإيمان ولم يؤمنوا ولم يبق شيء يحملهم على الإيمان إلا ظهور الأمر بالبعث والنشور، وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام، فسلى قلبه وقال: أنت كامل في نفسك مكمل لغيرك فإن لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيراً فأنت في نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث تعلم أن الله واحد وتستغفر وأنت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وأنت تستغفر لهم، فقد حصل لك الوصفان، فاثبت على ما أنت عليه، ولا يحزنك كفرهم.

س: كثيرًا ما يُورد العلماء هذه الآية الكريمة كاستدلالٍ على أن العلم قبل القول والعمل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجلَّ أمر بالعلم بأنه لا إله إلا الله وأخبر بذلك قبل أن يُكلِّف بالاستغفار فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله ثم عقب بقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات.

ويشهد لهذا المعنى من النصوص ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فتلزم البصيرة قبل الدعوة إلى الله، وفي الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فجاء التعلم قبل التعليم.

وكذا في الحديث الآخر: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها».

قال القرطبي في تفسيره:

وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ - إلى قوله - ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ثم قال بعد: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾ [التغابن: ١٤].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

ثم أمر بالعمل بعد.

❁ ❁ ❁

استغفار النبي ﷺ وسائر الأنبياء لأنفسهم وأممهم

س: اذكر بعض الوارد في استغفار النبي ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[1].

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٠١).

وقول عبد الله بن عمر[١] رضي الله عنهما: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد «رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»، وفي رواية: «إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة.

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في استغفار الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم وللمؤمنين من أممهم.

ج: من ذلك ما يلي:

قول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

وقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقد أخرج مسلم في صحيحه من طريق عاصم عن عبد الله سرجس قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خُبزًا ولحمًا أو قال ثريدًا. قال: فقلت له: أَستغفر لك النبي ﷺ؟ قال: نعم ولك ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ..﴾[٣].

* وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يقول:

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

* وها هو موسى عليه السلام يقول:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

ويقول عليه السلام:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

---

(١) أبو داود (١٥١٦)، وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٧٨٤).

(٢) مسلم (١٧/ ٢٣).

(٣) مسلم (حديث ٢٣٤٦).

* ويونس ﷺ ينادي في الظلمات:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* وسليمان عليه السلام يدعو فيقول: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص: ٣٥].

* وأبوه داود عليه السلام يقول الله في شأنه:

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُۥ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ٢٤﴾ [ص: ٢٤].

❁ ❁ ❁

توجيه المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾

س: هل كان رسول الله ﷺ أذنب حتى قيل له: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد ما صدر منك من ذنب قبل نبوتك.

الثاني: على رأي من يجوِّز الصغائر في حق بعض الأنبياء - أنها الصغائر.

الثالث: ما صدر منك من اجتهادات ونزل القرآن بخلافها كقبوله الفدية من أُسارى بدر وكتحريمه بعض ما أحله الله له وكصلاته على عبد الله بن أُبي رأس المنافقين ونحو ذلك.

الرابع: أن الخطاب وجه إليه والمراد أمته، لتقتدي به أُمته.

الخامس: أنه قيل له ذلك لضيق الصدر الذي كان يعتريه أحيانًا من تكذيب قومه له. والله أعلم.

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير الكبير»:

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون الخطاب معه والمراد المؤمنون وهو بعيد لإفراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر. وقال بعض الناس: ﴿لِذَنۢبِكَ﴾ أي: لذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات أي: الذين ليسوا منك بأهل بيت وثالثهما: المراد هو النبي والذنب هو ترك الأفضل الذي هو بالنسبة إليه ذنب وحاشاه من ذلك وثالثها: وجه حسن مستنبط وهو أن المراد توفيق العمل

الحسن واجتناب العمل السيئ، ووجهه أن الاستغفار طلب الغفران، والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى، ومعنى طلب الغفران أن لا تفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي ﷺ وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات، وفي هذه الآية لطيفة وهي أن النبي ﷺ له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره، فأما مع الله وحده، وأما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله، وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ يعني حالكم في الدنيا وفي الآخرة وحالكم في الليل والنهار.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: والله يعلمُ متصرفكم في النهار وعملكم بالنهار ومكانكم الذي تأوون إليه بالليل بعد انقضاء عملكم.

الثاني: والله يعلم سعيكم الذي سعيتموه في الدنيا ومثواكم الذي تدفنون فيه.

الثالث: والله يعلم ما عملتموه في دنياكم ومصيركم الذي تصيرون إليه في أُخراكم.

الرابع: متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم في الأرض.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: والعموم يأتي على هذا كله، فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني آدم وسكناتهم، وكذا جميع خلقه. فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا أولى وأخرى. سبحانه! لا إله إلا هو.

❁ ❁ ❁

وقوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢].

فلما تركوا القرآن والتوراة ابتلوا باتباع الباطل الذي افترته الشياطين واختلقته في شأن ملك سليمان وعن ملك سليمان.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: في ذلك وجهان من وجوه التأويل، بُنيا على تفسير التولي في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾.

أحدهما: فلعلكم يا من نكلتم عن الجهاد وأعرضتم عنه وعن القرآن وانصرفتم أن تُسلط عليكم بهذا الذنب عقوبة ألا وهي انصرافكم عن الحق إلى الباطل وإفسادكم في الأرض وتقطيعكم الأرحام.

الوجه الثاني: فلعلكم إن أصبحتم ولاة أمرٍ ورغبتم في المناصب وتقلدتموها أن تفسدوا في الأرض ولا توفقوا للإصلاح فيها، وكذا لعلكم إن أصبحتم ولاة أمر أن تنصرفوا عن أرحامكم فلا تصلوها كما هو الشأن الغالب فيمن أُوتوا المناصب في الدنيا تنكرون إلا من رحم الله - لأقربائهم وأرحامهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة، وذكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشي عليه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها القوم، يقول:

= عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطّعوا الأرحام، وعصوا الرحمن.

قال الله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ
مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ
﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

[محمد: ٢٠-٢٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مُّحْكَمَةٌ - مَّرَضٌ - نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ - فَأَوْلَىٰ لَهُمْ - عَزَمَ ٱلْأَمْرُ - فَهَلْ عَسَيْتُمْ - تَوَلَّيْتُمْ - لَعَنَهُمْ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿مُّحْكَمَةٌ﴾	ليست بمنسوخة - واضحة
﴿مَّرَضٌ﴾	الأحكام فيها بيان حكم القتال[1]
﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾	شك - نفاق - ارتياب نظر المغمى عليه خوفًا من الموت
﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾	الويل لهم - الأفضل لهم والأحسن
﴿عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾	جد الجد - فرض القتال
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾	فلعلكم
﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾	أعرضتم عن القرآن وعما فيه من الأوامر وتركتم الجهاد - أصبحتم ولاة أمر
﴿لَعَنَهُمْ﴾	طردهم وأبعدهم (عن رحمته)

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

ج: من ذلك، والله تعالى أعلم، ما يلي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

---

(١) أورد الطبري (٣١٣٩٢) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وكذا العمومات الواردة في أن الله عزَّ وجلَّ يعلم كل شيء وهي كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ويتمنى أهل الإيمان الصادقون في إيمانهم أن تنزل على رسول الله ﷺ سورة فيها الترخيص في قتال الكفار، والإذن لهم بقتال الكفار، فقد كان أهل الإيمان في بادئ الأمر ممنوعين من القتال، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧] هكذا كان الأمر في أوله فتمنى أهل الإيمان لو أُذن لهم في القتال، فقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الصادقون في إيمانهم ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: فيها الأمر بالقتال، فإذا أُنزلت سورة محكمة فيها الأمر بالقتال، أمرًا مُحكمًا لم ينسخ، وجاء فيها التكليف بالقتال تبين حينئذٍ الصادق من غيره فهنا يظهر أهل النفاق الذين مُلئت قلوبهم شكًّا وارتيابًا وضعفًا ونفاقًا، يظهرون في صورة من ينظر ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ نظر الذي أُغمي عليه خوفًا من الموت، أو نظر الذي أُغمي عليه بين يدي الموت أو نظر من يُعاين سكرات الموت وذلك من شدة خوفهم من أن يؤمروا بقتال.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي المؤمنون المخلصون. ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ اشتياقا للوحي وحرصا على الجهاد وثوابه. ومعنى: ﴿لَوْلَا﴾ هلا. ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ لا نسخ فيها. قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. وفي قراءة عبد الله: (فإذا أنزلت سورة محدثة) أي محدثة النزول. ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: فرض فيها الجهاد. وقرئ: (فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) على البناء للفاعل ونصب القتال. ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق. ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي نظر مغموصين مغتاظين بتحديد وتحديق، كمن يشخص بصره عند الموت، وذلك لجبنهم عن القتال جزعا وهلعا، ولميلهم في السر إلى الكفار.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله عزَّ وجلَّ، وأمر به نكل عنه كثير من الناس، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء:٧٧].

وقال هاهنا: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: مشتملة على حُكْم القتال؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»: قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه إذا أنزل سورة محكمة، أي متقنة الألفاظ والمعاني، واضحة الدلالة، لا نسخ فيها وذكر فيها وجوب قتال الكفار، تسبب عن ذلك، كون الذين فى قلوبهم مرض أي شك ونفاق، ينظرون كنظر الإنسان الذي يغشى عليه لأنه في سياق الموت، لأن نظر من كان كذلك تدور فيه عينه ويزيغ بصره.

وهذا إنما وقع لهم من شدة الخوف من بأس الكفار المأمور بقتالهم.

وقد صرح جل وعلا بأن ذلك من الخوف المذكور في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

وقد بيَّن تعالى، أن الأغنياء من هؤلاء المنافقين، إذا أنزل الله سورة، فيها الأمر بالجهاد، استأذنوا النبي ﷺ في التخلف عن الجهاد، وذمهم الله على ذلك، وذلك فى

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾ [التوبة: ٨٦ - ٨٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المعنى فالويل لهم، ومنه ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]، فعلى هذا القول يكون قوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ متعلق بما قبله، أي: فالويل للمنافقين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ يقول تعالى ذِكره: فأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض، وقوله: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين.

الثاني: أن قوله: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ معناه: فالأفضل لهم، ويكون حينئذٍ قوله: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ متعلق بما بعده، ويكون المعنى فالأولى والأفضل لأهل النفاق أن يطيعوا ويقولوا قولًا معروفًا.

وهنا وجه آخر حاصله فالأولى والأفضل لمن كان قد تمنى القتال قبل نزوله أن يقتصر على فعل ما يؤمر به ولا يتمنى مزيدًا من التكاليف فإذا جاء التكليف بالقتال امتثل الأمر بذلك وقاتل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال مشجعًا لهم: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ أي: وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا، أي: في الحالة الراهنة، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: جد الحال، وحضر القتال، ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أخلصوا له النية، ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، على اعتبار أن قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ متعلق بما قبله.

فالأفضل لهؤلاء الذين تمنوا القتال، أو الأفضل لهؤلاء الذين جبنوا عند فرض القتال عليهم أن يسمعوا ويطيعوا ويتكلموا بطيب الكلام ولا يطلبون مزيدًا من التكاليف، فإذافرض القتال سمعوا وأطاعوا فلو صدقوا الله وامتثلوا أمره بالقتال فقاتلوا لكان خيرًا لهم مما صنعوه من تمني القتال قبل فرضه فلما فرض نكلوا عنه.

أما على قول من قال إن قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ...﴾ جملة ابتدائية لا تعلق لها بما سبق.

فالمعنى، والله تعالى أعلم، أن المنافقين قالوا قبل فرض القتال لما سئلوا عن شأنهم إذا فرض عليهم القتال، كأنهم قالوا شأننا طاعة وامتثالٌ، فإذا وجب القتال نكلوا عنه، فقيل لهم ما حاصله: إن العمل أبلغ من القول فلو صدقتم الله عزَّ وجلَّ وامتثلتم أمره لكان ذلك أفضل لكم من الأُمنيات الكاذبة التي تتمنوها يا أهل النفاق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة، ويذكر فيها القتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله عزَّ وجلَّ لهم: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ وفرض القتال فيها عليهم، فشق ذلك عليهم، وكرهوه ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ قبل وجوب الفرض عليكم، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشق عليكم.

وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ مرفوع بمضمر، وهو قولكم قبل نزول فرض القتال ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ يقول: فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه.

وقال كذلك:

وقوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم: إذ قيل لهم: إن الله سيأمركم بالقتال طاعة، فوفوا له بذلك، لكان خيرا لهم في عاجل دنياهم، وآجل معادهم.

❁ ❁ ❁

س: هل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذي عناهم الله في الآية مؤمنون صادقوا الإيمان أم أن فيهم منافقًا؟

ج: هنا قولان للعلماء:

أحدما: أنهم المؤمنون صادقوا الإيمان تمنوا فرض القتال، فلما فرض نكل عنه أهل النفاق.

الثاني: أن أهل الإيمان هنا من أظهروا الإيمان فدخل فيهم صادق الإيمان والقول، وغير الصادق في ذلك وهم أهل النفاق، فلما فرض القتال تبين الصادق من الكاذب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل يستحب تمني لقاء العدو؟

ج: الظاهر أنه لا يستحب، ولكن إذا لقيناهم فلنصبر ونقاتل، قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف». والله أعلم.

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

❁ ❁ ❁

س: هل يشرع تمني الشهادة في سبيل الله؟

ج: نعم يشرع، بل ويستحب كذلك.

فقد قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن

مات على فراشه»[١]. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه مرفوعًا.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم أيضًا مرفوعًا: «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تُصبه»[٢].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ فيها وجهان لأهل التأويل، اذكرهما.

ج: الوجه الأول: أعرضتم عن القرآن ونكلتم عن الجهاد الذي أمركم الله به.

الوجه الثاني: أصبحتم ولاة أمرٍ.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في التحذير من قطع الرحم

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من قطع الرحم.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن تعجل عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه يوم القيامة من البغي وقطيعة الرحم»[٣].

وأخرج مسلم[٤] في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال

(١) مسلم (حديث ١٩٠٩) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ١٩٠٨).

(٣) صحيح.

(٤) مسلم (حديث ١٩٥).

رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف[١] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله - قال: - فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء[٢] اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليما. فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[٣] فتقومان جنبتي الصراط[٤] يمينًا وشمالًا فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال[٥] تجري بهم أعمالهم[٦] ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا - قال: - وفي حافتي الصراط[٧] كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس[٨] في النار».

والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا.

وعند مسلم[٩] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله».

---

(١) تزلف: أي تقرب. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء: ٩٠] أي: قربت.

(٢) من وراءَ وراءَ: قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه، وقال: الفتح صحيح. وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ. وشَغَرَ بَغَرَ، نسقطوا بَيْنَ بَيْنَ، فركبهما وبناهما علىٰ الفتح.

(٣) وترسل الأمانة والرحم: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين علىٰ الصفة التي يريدها الله تعالىٰ.

(٤) جنبتي الصراط: معناهما جانباه، ناحيتاه اليمنىٰ واليسرىٰ.

(٥) وشد الرجال: الشد هو العدو البالغ والجري.

(٦) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: «فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح...» إلىٰ آخره.

(٧) حافتي الصراط: هما جانباه.

(٨) ومكدوس: قال في النهاية: أي مدفوع، وتكدّس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط.

(٩) مسلم (٢٥٥٥) وبنحوه عند البخاري (٥٩٨٩).

وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم[(١)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع».

وعند مسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن لي قرابة. أصلهم ويقطعوني. وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ. وأحلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ. فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ. ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم، ما دمت على ذلك».

❁ ❁ ❁

س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة عقب حديث. اذكره.

ج: أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾» [محمد: ٢٢-٢٤][(٣)].

❁ ❁ ❁

من ترك الحق ابتلي بالباطل

س: من ترك الحق ابتلي بالباطل. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣][(٤)].

---

(١) البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) مسلم (٢٥٥٨).

(٣) البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤)، واللفظ له.

(٤) أخرج الطبري (٣١٤٠١) بإسنادٍ حسن، عن قتادة، قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾... الآية. يقول: فهل =

فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عن الجهاد ونكلتم عنه، ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام؛ ولهذا قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا، بل قد أمر تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال.

قال السمعاني في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن توليتم ولاية أي: كانت لكم ولاية. والثاني: إن توليتم عن الإيمان بالرسول وبالقرآن أي: أعرضتم، فهل يكون منكم سوى أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟ وقيل على القول الأول: أنه قد كان هذا في صدر الإسلام، فإن قريشًا لما تولوا الأمر أفسدوا في الأرض وقطعوا الأرحام، وذلك من قتل بني هاشم قريشًا، وقتل قريش بني هاشم.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم الله.

وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ أي: جعلهم بمنزلة الصم. وقوله: ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ أي: بمنزلة العمي.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ التدبر: هو التفكر والنظر فيما يؤول إليه عاقبة الأمر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أولئك المعرضون عن طاعة الله عزَّ وجلَّ وعن كتابه المنزل على رسوله ﷺ وعما فيه من الأوامر كالأمر بالجهاد، ونحوه، أولئك الذين أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم هم الذين طردهم الله عن رحمته، وأبعدهم الله عن جنته، فأصبحوا صُمًّا لا يسمعون خيرًا ينتفعون به، وعميًا لا يرون الحق ولا يعرفونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم، يقول: فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته.

❁ ❁ ❁

س: في الآية الكريمة تنبيهٌ بالأدنى على الأعلى، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن أهل النفاق عوقبوا بتسليط الشيطان عليهم وبغرِّه لهم وخداعهم بسبب وهو قولهم لأهل الكفر سنطيعكم في بعض الأمر، فكيف إذا أطاعوهم في كل الأمر كيف تكون العقوبة حينئذٍ؟!!!

ففي الآية الكريمة تحذيرٌ من اتباع أهل الكفر في قليلٍ أو كثيرٍ.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ
ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟
لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ
ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ
فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

[محمد: ٢٤-٢٨]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتَدَبَّرُونَ - عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا - ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم - سَوَّلَ لَهُمْ - وَأَمْلَىٰ لَهُمْ - إِسْرَارَهُمْ - تَوَفَّتْهُمُ - وَأَدْبَارَهُمْ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾	يتفهمون - يتعقلون - يتأملون
﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	أغلق على القلوب وأحكم الغلق بالأقفال (فلا يصل إليها خيرٌ)
﴿ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾	كفروا بعد إسلامهم: رجعوا إلى الكفر بعد إيمانهم
﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾	حسَّن لهم - زيَّن لهم
﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾	خدعهم وغرَّهم - أخَّر الله آجالهم ومدَّ الله في أعمارهم
﴿إِسْرَارَهُمْ﴾	ما يتساررون به فيما بينهم ما يقولونه من الكلام سرًّا فيما بينهم
﴿تَوَفَّتْهُمُ﴾	قبضت أرواحهم
﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾	أعجازهم

❁ ❁ ❁

الحث على تدبر القرآن

س: اذكر بعض الآيات الواردة في الحث على تدبر آيات القرآن.

ج: من الوارد في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- أفلا يتفهمون آيات القرآن ويقفون على ما فيها من العبر أم أن القلوب قد أُغلق عليها بأقفال فلا يصل إليها خير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا بتدبر القرآن وتفهمه، وناهيًا عن الإعراض عنه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مُطْبَقَة لا يخلص إليها شيء من معانيه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

تنبيه مهم

يجب على كل مسلم يخاف العرض على ربه يوم القيامة أن يتأمل فيه ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى، والطامة الكبرى، التي عمت جل بلاد المسلمين من المعمورة.

وهي ادعاء الاستغناء عن كتاب الله وسنة رسوله، استغناء تامًّا، في جميع الأحكام من عبادات ومعاملات، وحدود وغير ذلك، بالمذاهب المدونة.

وبناء هذا على مقدمتين:

إحداهما: أن العمل بالكتاب والسنة لا يجوز إلا للمجتهدين.

والثانية: أن المجتهدين معدومون عدماً كليًّا، لا وجود لأحد منهم، في الدنيا، وأنه بناء على هاتين المقدمتين، يمنع العمل بكتاب الله وسنة رسوله منعاً باتًّا على جميع أهل الأرض، ويستغنى عنهما بالمذاهب المدونة.

وزاد كثير منهم على هذا منع تقليد غير المذاهب الأربعة، وأن ذلك يلزم استمراره إلى آخر الزمان.

فتأمل يا أخي رحمك الله: كيف يسوغ لمسلم، أن يقول بمنع الاهتداء بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وعدم وجوب تعلمهما والعمل بهما استغناء عنهما بكلام رجال، غير معصومين ولا خلاف في أنهم يخطئون.

فإن كان قصدهم أن الكتاب والسنة لا حاجة إلى تعلمهما، وأنهما يغني غيرهما، فهذا بهتان عظيم، ومنكر من القول وزور.

وإن كان قصدهم أن تعلمهما صعب لا يقدر عليه، فهو أيضاً زعم باطل؛ لأن تعلم الكتاب والسنة أيسر من تعلم مسائل الآراء والاجتهاد المنتشرة مع كونها في غاية التعقيد والكثرة والله جل وعلا يقول في سورة القمر مرات متعددة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧ - ٢٢ - ٤٠]. ويقول تعالى في الدخان: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان: ٥٨]. ويقول في مريم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

فهو كتاب ميسر بتيسير الله لمن وفقه الله للعمل به، والله جل وعلا يقول: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

فلا شك أن الذي يتباعد عن هداه يحاول التباعد عن هدى الله ورحمته.

ولا شك أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله إلى أرضه ليستضاء به فيعلم في ضوئه الحق من الباطل والحسن من القبيح والنافع من الضار، والرشد من الغي.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ

عِبَادِنَا﴾[الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾[التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾[الأعراف: ١٥٧].

فإذا علمت أيها المسلم أن هذا القرآن العظيم، هو النور الذي أنزله الله ليستضاء به، ويهتدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور.

فلا تكن خفاشي البصيرة، واحذر أن تكون ممن قيل فيهم:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

مثل النهار يزيد أبصار الورى نوراً ويعمي أعين الخفاش

﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾[البقرة: ٢٢]. ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾[الرعد: ١٩].

ولا شك أن من عميت بصيرته عن النور تخبط في الظلام، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وبهذا تعلم أيها المسلم المنصف أنه يجب عليك الجد، والاجتهاد في تعلم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وبالوسائل النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منهما علماً صحيحاً.

ولتعلم أن تعلم كتاب الله وسنة رسوله في هذا الزمان، أيسر منه بكثير في القرون الأولى، لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين وأحوال الرجال من رواة الحديث، والتمييز بين الصحيح والضعيف؛ لأن الجميع ضبط وأتقن ودون، فالجميع سهل التناول اليوم.

فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها من النبي ﷺ ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين.

وجميع الأحاديث الواردة عنه ﷺ حفظت ودونت، وعلمت أحوال متونها وأسانيدها وما يتطرق إليها من العلل والضعف. فجميع الشروط التي اشترطوها في الاجتهاد يسهل تحصيلها جدًّا على كل من رزقه الله فهمًا وعلمًا.

والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، ونحو ذلك تسهل معرفته اليوم على كل ناظر في الكتاب والسنة ممن رزقه الله فهماً ووفقه لتعلم كتاب الله وسنة رسوله.

❁ ❁ ❁

س: من هؤلاء الذين عناهم الله بقوله: ﴿ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم أهل النفاق كفرت قلوبهم بعد إيمانهم.

الثاني: أنهم اليهود والنصاري عرفوا صفة النبي محمد ﷺ ثم كفروا.

الثالث: أنهم المرتدون بصفة عامة، وهم الذين كفروا بعد إسلامهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظاهر أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، قوم كفروا بعد إيمانهم.

وقال بعض العلماء: هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد ﷺ، فلما بعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به.

وعلى هذا القول فارتدادهم على أدبارهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وتيقنوه، وعلى هذا فالهدى الذي تبين لهم هو صحة نبوته ﷺ ومعرفته بالعلامات الموجودة في كتبهم.

وعلى هذا القول فهذه الآية يوضحها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: ٨٩]؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ مبين معنى قوله: ﴿بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾، وقوله: ﴿كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ مبين معنى قوله: ﴿ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾.

وقال بعض العلماء: نزلت الآية المذكورة في المنافقين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- من بعد ما ظهر لهم الحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾.

ج: من العلماء من قال: إن المعنى الشيطان زيَّن لهم ما هم عليه من الكفر، وأملى الله عزَّ وجلَّ لهم، أي: أخرهم ومدَّ لهم في الأعمار وأخَّر عقوبتهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ يقول: ومد الله لهم في آجالهم ملاوة من الدهر، ومعنى الكلام: الشيطان سول لهم، والله أملى لهم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقد بيَّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن سبب ارتداد هؤلاء القوم من بعد ما تبين لهم الهدى هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيراً إلى علة ذلك ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي زين لهم الكفر والارتداد عن الدين، وأملى لهم أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر.

قال الزمخشري: سول: سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً.

وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني. انتهى.

وإيضاح هذا أن هؤلاء المرتدين على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وقع لهم ذلك بسبب أن الشيطان سول لهم ذلك أي سهله لهم وزينه لهم وحسنه لهم ومناهم بطول الأعمار.

لأن طول الأمل من أعظم أسباب ارتكاب الكفر والمعاصي.

وفي هذا الحرف قراءتان سبعيتان: قرأه عامة السبعة غير أبي عمرو ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ بفتح الهمزة واللام بعدها ألف وهو فعل ماض مبني للفاعل، وفاعله ضمير يعود إلى الشيطان.

وأصل الإملاء الإمهال والمد في الأجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ

كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] الآية.

ومعنى إملاء الشيطان لهم وعده إياهم بطول الأعمار، كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] إلى قوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقال بعض العلماء: ضمير الفاعل في قوله ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ على قراءة الجمهور راجع إلى الله تعالى.

والمعنى: الشيطان ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي سهل لهم الكفر والمعاصي، وزين ذلك وحسنه لهم، والله جل وعلا أملى لهم: أي أمهلهم إمهال استدراج.

وكون التسويل من الشيطان والإمهال من الله، قد تشهد لهم آيات من كتاب الله كقوله تعالى في تزيين الشيطان لهم: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية. وقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٢] الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

وكقوله تعالى في إملاء الله لهم استدراجاً: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقرأ هذا الحرف أبو عمرو وحده من السبعة (وأملي لهم) بضم الهمزة وكسر اللام بعدها ياء مفتوحة بصيغة الماضي المبني للمفعول والفاعل المحذوف فيه الوجهان المذكوران آنفاً في فاعل وأملي لهم على قراءة الجمهور بالبناء للفاعل.

وقد ذكرنا قريباً ما يشهد لكل منهما من القرآن كقوله تعالى في إملاء الشيطان لهم ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠]، وقوله في إملاء الله لهم: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٣] كما تقدم قريباً، والإشارة في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ راجعة إلى قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

أي ذلك التسويل والإملاء المفضي إلى الكفر بسبب أنهم ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- إن هؤلاء الذين كفروا بعد إسلامهم، ورجعوا إلى الكفر بعد ظهور الحق لهم وبعد أن تبينت معالمه لهم كاليهود والنصارى وأهل النفاق وكذا عموم من ارتد بعد إسلامه، هؤلاء إنما حملهم على الردة تزيين الشيطان لهم ما هم عليه من الكفر وتحسين الباطل لهم وخداعه لهم وتغريره بهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارًا بالله من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة ثم آثروا الضلال على الهدى عنادًا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾ أي: فارقوا الإيمان ورجعوا إلى

الكفر، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي: زين لهم ذلك وحسنه، ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ أي: غرهم وخدعهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ذلك الذي حدث لأهل النفاق - الذين تقدم ذِكرهم - من تزيين الشيطان لهم، والإملاء لهم وتأخيرهم سببه موافقتهم لأهل الشرك والكفر - الكارهين ما أنزله الله من القرآن - في بعض ما يريده منهم أهل الكفر، والله يعلم ما يتسارر به هؤلاء المنافقون مع الكفار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم، والشيطان سول لهم فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين: ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى وأمر رسوله ﷺ.

ونقل بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فهؤلاء المنافقون ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق على خلاف أمر الله وأمر رسوله، إذ يتسارون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ أي: مالؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون؛ ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾ أي: ما يسرون وما يخفون، الله مطلع عليه وعالم به، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [النساء: ٨١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي ذلك الإملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بأنهم قالوا -يعني المنافقين واليهود- ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ وهم المشركون ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد معه وتوهين أمره في السر. وهم إنما قالوا ذلك سرًّا فأخبر الله نبيه. وقراءة العامة: (أسرارهم) بفتح الهمزة، جمع سر، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ الكوفيون وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة على المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٩] جمع لاختلاف ضروب السر.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وظاهر الآية يدل على أن بعض الأمر الذي قالوا لهم سنطيعكم فيه مما نزل الله وكرهه أولئك المطاعون.

والآية الكريمة تدل على أن كل من أطاع من كره ما نزل الله في معاونته له على كراهته ومؤازرته له على ذلك الباطل، أنه كافر بالله بدليل قوله تعالى فيمن كان كذلك ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- فكيف يكون حال هؤلاء المنافقين عند وفاتهم واحتضارهم وقد جاءتهم الملائكة - ملائكة العذاب - تضربهم ضربًا شديدًا على الوجوه والأعجاز، وهذا الذي ذُكر من تعذيب الملائكة لهم عند الاحتضار وضربهم لهم سببه خلافهم أمر الله عزَّ وجلَّ، بل واتباعهم ما يُسخط الله عليهم، وما يجلب عليهم سخطه، وكذا كراهيتهم رضوان الله عليهم، فمن ثم أبطل الله ثواب

أعمالهم الصالحة التي عملوها كصلة الأرحام وإكرام الضيف ونحو ذلك من صنائع المعروف التي عملوها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين، فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم، يقول: فحالهم أيضًا لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بالأدبار: الأعجاز، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم.

وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه؛ لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ ولهذا قال ها هنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

والإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ راجعة إلى المصدر الكامن في الفعل الصناعي أعني قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾، أي ذلك الضرب وقت الموت واقع بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله أي: أغضبه من الكفر به، وطاعة الكفار

الكارهين لما نزله.

والإسخاط استجلاب السخط، وهو الغضب هنا.

وقوله: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾؛ لأن من أطاع من كره ما نزل الله فقد كره رضوان الله.

لأن رضوانه تعالى ليس إلا في العمل بما نزل، فاستلزمت كراهة ما نزل كراهة رضوانه؛ لأن رضوانه فيما نزل، ومن أطاع كارهه، فهو ككارهه.

وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ أي أبطلها؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة. وقد أوضحنا المقام في ذلك إيضاحًا تامًّا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٩].

وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ الآية [النحل:٩٧].

وقال الشنقيطي أيضًا في «أضواء البيان»:

اعلم أن كل مسلم، يجب عليه في هذا الزمان، تأمل هذه الآيات، من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن كثيرا ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد.

لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد ﷺ، وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي ﷺ من السنن.

فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، فهو داخل في وعيد الآية.

وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم.

وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم.

فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

قال الله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ
﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ
وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن
يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ
عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

[محمد: ٢٩-٣٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَمْ حَسِبَ - مَّرَضٌ - أَضْغَٰنَهُمْ - لَأَرَيْنَٰكَهُمْ - بِسِيمَٰهُمْ - لَحْنِ ٱلْقَوْلِ - وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ - نَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ - صَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ - شَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ - تَهِنُوا۟ - ٱلسَّلْمِ - ٱلْأَعْلَوْنَ - يَتِرَكُمْ - فَيُحْفِكُمْ - أَضْغَٰنَكُمْ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَمْ حَسِبَ﴾	أفحسب - أفظن
﴿مَّرَضٌ﴾	شك - نفاق
﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾	أحقاد قلوبهم - الحسد والغلّ الذي في قلوبهم
﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾	لأطلعناك عليهم
﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾	بعلاماتٍ تعرفهم بها
﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾	معنى القول - المفهوم من القول
﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾	ولنختبرنكم
﴿نَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾	نختبر أموالكم فنعلم الصادق من الكاذب
﴿صَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	منعوا الناس من سلوك طريق الله
﴿شَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾	خالفوا الرسول - كانوا في شقٍّ والرسول في شق
﴿تَهِنُوا۟﴾	تضعفوا - تجبنوا
﴿ٱلسَّلْمِ﴾	الصلح - المصالحة - المهادنة
﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾	الغالبون القاهرون -الأعلون عند الله-أنتم أولى بالله
﴿يَتِرَكُمْ﴾	يبخسكم -يظلمكم-يُنقصكم - ينقصكم أجور
﴿فَيُحْفِكُمْ﴾	فيحرجكم - فيُلح عليكم بالطلب - فليحلف في المسألة - فيجهدكم بكثرة السؤال

﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾	الضغائن (الأحقاد والغل والحسد والكراهية) التي في الصدور

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: أفظن أهل النفاق الذي امتلأت قلوبهم شكًّا وريبة وكفرًا وحقدًا على الإسلام وأهله وحسدًا لرسوله الكريم محمد، أفحسب هؤلاء أن يستمروا على هذا الكتمان لتلك الأحقاد ولا يعلم بهم أحدٌ، كلا فالله سبحانه سيخرج هذا الكامن في النفوس من الغل والحقد والريبة والكفر والنفاق، سيخرج هذا على ألسنتهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم، وضعف في يقينهم، فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيبديه لهم ويظهره، حتى يعرفوا نفاقهم، وحيرتهم في دينهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ أي: اعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل تعالى في ذلك سورة «براءة»، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم؛ ولهذا إنما كانت تسمى الفاضحة. والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره.

قال السمعاني في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ الأضغان: جمع ضغن، وهو بمعنى: الحقد والغل والغش، ومعنى الآية: أي: أحسب

المنافقون والكفار أن لن يظهر ما في قلوبهم لرسوله ﷺ وللمؤمنين.

قال الشاعر في الضغن:

قـل (لأبـي) هنـد مـا أردت بمنطـق ... سـاء الـصديق (وسـود) الأضـغان

أي: الأحقاد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- ولو نشاء لأطلعناك على أهل النفاق وجعلنا لهم علامات تعرفهم بها بمجرد رؤيتك لهم، ولتعرفنهم في فحوى الكلام ومضمونه، وعلى كل حال فالله سبحانه يعلم أعمالكم يا أهل النفاق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل: سأريك ما أصنع، بمعنى سأعلمك.

وقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم ثم إن الله تعالى ذكره عرفه إياهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ يقول تعالى: ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم، فعرفتهم عيانًا، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترًا منه على خلقه، وحملًا للأمور على ظاهر السلامة، ورد السرائر إلى عالمها، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ أي: فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه.

قال السمعاني في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي: لعرفناهم إياك.

وقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: جعلنا لهم في وجوههم سمةً تعرفهم بها.

وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فحوى القول ومقصده ومغزاه. وعن بعضهم: قول الإنسان وفعله دليل على نيته. ويقال: لحن في القول إذا ترك الصواب، واللحن هاهنا: هو قول يفهم المخاطب معناه مع إخفاء القائل المراد فيه، قال الشاعر:

منطقُ صائبُ ويلحن أحيا ... نًا وخير القول ما كان لحا

وفي الخبر المعروف أن النبي ﷺ قال: «إنكم لتختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضكم ألحن بحجته من بعض»[1] أي: أفطن.

وعن بعضهم: عجبت لمن يعرف لحن الكلام كيف يكذب.

❁ ❁ ❁

س: هل أطلع الله نبيه محمدًا ﷺ على كل أسماء المنافقين؟

ج: أطلع الله نبيه ﷺ على بعضهم وأخفى عليه بعضهم، وقد أطلع النبي ﷺ حذيفة بن اليمان على بعض من أطلعه الله عليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

أخرج البخاري من طريق إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين، فقال: اللهم ارزقني جليسًا، فقعد إلى أبي الدرداء، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أليس فيكم صاحب السر الذى كان لا يعلمه غيره - يعني حذيفة - أليس فيكم - أو كان فيكم - الذي أجاره الله على لسان رسوله ﷺ من الشيطان - يعني عمارًا - أو ليس فيكم صاحب السواك والوساد - يعني ابن مسعود -[2].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) البخاري (٦٢٧٨).

س: هل الله عزَّ وجلَّ لم يكن يعلم إذ الله قال: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾؟

ج: كلا، بل الله يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن، وإنما المعنى نعلم علمًا وينبني عليه الثواب والعقاب، وقال بعض العلماء: إن المراد بـ﴿نَعۡلَمَ﴾ نرى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ أي: ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي، ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾. وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب، فالمراد: حتى نعلم وقوعه؛ ولهذا يقول ابن عباس في مثل هذا: إلا لنعلم، أي: لنرى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ أي نتعبدكم بالشرائع وإن علمنا عواقب الأمور. وقيل: لنعاملنكم معاملة المختبرين. ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عليه. قال ابن عباس: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ حتى نميز. وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ حتى نرى. وقد مضى في «البقرة». وقراءة العامة بالنون في ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ و﴿نَعۡلَمَ﴾، ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾. وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء فيهن. وروى رويس عن يعقوب إسكان الواو من (نبلو) على القطع مما قبل. ونصب الباقون ردًّا على قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾.

وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء؛ لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم. فتأويله: حتى نعلم المجاهدين علم شهادة؛ لأنهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا، فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة. ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ نختبرها ونظهرها. قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ الآية.

وقد قدمنا إزالة الإشكال في نحوه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة:١٤٣]

فقلنا في ذلك ما نصه: ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه -سبحانه وتعالى- عن ذلك علوًّا كبيرًا- بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون.

وقد بيَّن أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾، دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا- لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار.

وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه.

ومعنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالم السر والنجوى، فهو عالم بكل ما سيكون، كما لا يخفى. اهـ.

❁ ❁ ❁

سنة الابتلاء والاختبار

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن الله عزَّ وجلَّ يختبر عباده المؤمنين.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾. [محمد: ٣١]

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- ولنختبرنكم بالتكاليف الشرعية والأوامر الدينية، والتي منها الأمر بالقتال حتى نرى المجاهدين منكم والصابرين على ما أُمروا به، ونختبركم حتى يتبين الصادق من الكاذب.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه، وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بإبطال العمل الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالشرك، فالشرك يبطل كل الأعمال ويذهب بثوابها. قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

الثاني: لا تبطلوها بفعل الكبائر، فالكبائر تذهب بكثير من الحسنات.

الثالث: لا تبطلوها بالرياء والسمعة.

الرابع: لا تبطلوها بالمعاصي.

الخامس: لا تبطلوها بالتألي على الله.

السادس: لا تبطلوها بنقضها بعد الدخول فيها، وعلى الوجه الأخير: استدل البعض على أن الصلاة إذا أقيمت وكان الشخص في نافلة فإنه يتم نافلته ولا يبطلها.

السابع: لا تبطلوها بعدم طاعتكم لله ورسوله.

الثامن: لا تبطلوها بالردة والكفر.

وثم وجوه أُخر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالله ورسوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في أمرهما ونهيهما ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح.

ونقل الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾... الآية، من استطاع منكم أن لا يبطل عملًا صالحًا عمله بعمل سيئ فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ أي: بالردة؛ ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ الآية [النساء: ٤٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأولى: قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ لما بين حال الكفار أمر المؤمنين بلزوم الطاعة في أوامره والرسول في سننه ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ أي حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري: بالكبائر. ابن جريج: بالرياء والسمعة، وقال مقاتل والثمالي: بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي ﷺ

بإسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه إشارة إلى أن الكبائر تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الإيمان.

الثانية: احتج علماؤنا وغيرهم بهذه الآية على أن التحلل من التطوع صلاة كان أو صومًا بعد التلبس به لا يجوز؛ لأن فيه إبطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من أجاز ذلك وهو الإمام الشافعي وغيره: المراد بذلك إبطال ثواب العمل المفروض فنهى الرجل عن إحباط ثوابه، فأما ما كان نفلًا فلا؛ لأنه ليس واجبًا عليه فإن زعموا أن اللفظ عام فالعام يجوز تخصيصه ووجه تخصيصه أن النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييرًا.

وعن أبي العالية: كانوا يرون أنه لا يضر مع الإسلام ذنب حتى نزلت هذه الآية فخافوا الكبائر أن تحبط الأعمال وقال مقاتل: يقول الله تعالى إذا عصيتم الرسول فقد أبطلتم أعمالكم.

❁ ❁ ❁

س: من مات على الكفر فلن يغفر له. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين أنكروا توحيد الله، وصدوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك، ففتنوهم عنه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك، ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ يقول: ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم ﴿فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: فلن يعفو الله عما صنع من ذلك، ولكنه يعاقبه عليه، ويفضحه به على رءوس الأشهاد.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- إن الذين جحدوا وحدانية الله عزَّ وجلَّ وأشركوا بالله وصرفوا الناس عن الإسلام وأرهبوهم وخوفوهم لن يضروا بصنيعهم هذا رب العباد شيئًا، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[1].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وصدوا الناس عن دينه الذي ابتعث به رسله ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يقول: وخالفوا رسوله محمدًا ﷺ، فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث، ورسول مرسل، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته، وأنه لله رسول.

وقوله: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ لأن الله بالغ أمره، وناصر رسوله، ومظهره على من عاداه وخالفه ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ يقول: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويبطلها إلا مما يضرهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى: أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله: ﴿وَصَدُّواْ﴾ على أنه متعدٍّ يدل على أنهم حملوا غيرهم على الكفر وصدوه عن الحق، وهذا أرجح مما قبله.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي خالفوا محمدًا ﷺ

---

(١) مسلم مع النووي (١٦/ ١٣١) حديث (٢٥٧٧).

مخالفة شديدة.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أمرين:

أحدهما: أن الذين كفروا وصدوا غيرهم عن الحق وخالفوه ﷺ لن يضروا الله بكفرهم شيئًا؛ لأنه غني لذاته الغنى المطلق.

والثاني: أنهم إنما يضرون بذلك أنفسهم؛ لأن ذلك الكفر سبب لإحباط أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية الكريمة جاءا موضحين في آيات من كتاب الله.

فمن الآيات الدالة على الأول الذي هو غنى الله عن خلقه، وعدم تضرره بمعصيتهم، قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر:٧].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس:٦٨].

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن:٦].

وقوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الآيات الدالة على الثاني وهو إحباط أعمالهم بالكفر أي: إبطالها به قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود:١٦] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: لأهل العلم في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وجهان للعلماء. اذكرهما.

ج: الوجه الأول: أن المراد بالأعلون: القاهرون الغالبون.

الوجه الثاني: وأنتم الأعلون عند الله عزَّ وجلَّ.

قال الشنقيطي في «أضوء البيان»:

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ جملة حالية فلا تضعفوا عن قتال الكفار.

﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾، أي تبدؤوا بطلب السلم أي الصلح والمهادنة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، أي والحال أنكم أنتم الأعلون أي الأقهرون والأغلبون لأعدائكم، ولأنكم ترجون من الله من النصر والثواب ما لا يرجون.

وهذا التفسير في قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ هو الصواب.

وتدل عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى بعده: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾؛ لأن من كان الله معه هو الأعلى وهو الغالب وهو القاهر المنصور الموعود بالثواب.

فهو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبدؤهم بطلب الصلح والمهادنة.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [غافر: ٥١]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [التوبة:١٤]، ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ الآية [النساء:١٠٤]؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من النصر الذي وعدكم الله به والغلبة وجزيل الثواب.

وذلك كقوله هنا: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي بالنصر والإعانة والثواب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: فلا تضعفوا ولا تجبنوا عن لقاء عدوكم وتدعوا إلى المصالحة في حال كونكم الأقوى والأشد قهرًا لعدوكم، ففي هذه الحال حال قوتكم لا تدعوا إلى المسالمة والمصالحة، والله عزَّ وجلَّ معكم بنصره ولن يبخسكم من حقوقكم شيئًا، ولن ينقصكم من أجوركم ولا من ثواب جهادكم شيئًا.

والوجه الثاني: ولا تضعفوا ولا تجبنوا أمام أعدائكم وتدعونهم إلى المصالحة فالله عزَّ وجلَّ معكم بنصره وتأييده ولن ينقصكم شيئًا من أجوركم، وأنتم أولى بالله عزَّ وجلَّ منهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ فقال بعضهم: معناه: وأنتم أولى بالله منهم. وقال بعضهم: مثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك، وقال معنى قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أولى بالله منهم.

وقال:

وقوله: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلًا فأخذت له مالًا غصبًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: الصلح ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي وأنتم أعلم بالله منهم. وقيل: وأنتم الأعلون في الحجة. وقيل: المعنى وأنتم الغالبون لأنكم مؤمنون وإن غلبوكم في الظاهر في بعض الأحوال وقال قتادة: لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها.

واختلف العلماء في حكمها فقيل: إنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ لأن الله تعالى منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى الصلح وقيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، وقيل: هي محكمة والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال وقيل: إن قوله: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ مخصوص في قوم بأعيانهم والأخرى عامة فلا يجوز مهادنة الكفار إلا عند الضرورة، وذلك إذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى هذا المعنى مستوفى ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي بالنصر والمعونة مثل: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره، ومنه الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول منه وتره يتره وترًا وترة منه قوله عليه السلام: «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**» أي ذهب بهما وكذلك وتره حقه أي نقصه وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي لن ينتقصكم في أعمالكم كما تقول: دخلت البيت وأنت تريد في البيت قاله الجوهري. الفراء: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ هو مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال لعباده المؤمنين: ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء، ﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكُمْ؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم إلى ذلك.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي: ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئًا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: يبين الله عزَّ وجلَّ أمر هذه الحياة الدنيا وحالها وحقيقتها، فحقيقتها أنها لهو ولعب تشغل أهلها بلعبهم فيها ولهوهم، إذا لم يتفطنوا لحقيقتها، فيا أيها الناس آمنوا بالله واتقوه واتقوا مساخطه وعذابه فإنكم إن آمنتم واتقيتم آتاكم الله ثواب أعمالكم ولم يسألكم جميع الأموال، بل جزءًا منها مواساة من بعضكم لبعض وكذا لنصرة دينكم، وثواب ذلك عائدٌ عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حاضًّا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحل فيذهب ويندرس فيمر، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ يقول: وإن تعملوا في هذه الدنيا التي ما كان فيها مما هو لها، فلعب ولهو، فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وهو الذي يبقى لكم منها، ولا يبطل بطول اللهو واللعب، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم، فيعوضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم، وحاجتكم إلى أعمالكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ يقول: ولا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يكلفكم توحيده، وخلع ما سواه من الأنداد، وإفراد الألوهية والطاعة له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى تحقيرًا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عزَّ وجلَّ؛ ولهذا قال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ أي: هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئا، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لإخوانكم الفقراء، ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه إليكم.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ فيه أقوال:

أحدها: ولا يسألكم جميع أموالكم، إنما يسألكم قدر الزكاة، وهو المعروف.

والقول الثاني: لا يسألكم أموالكم لنفسه، إنما يسألكم لكم.

والقول الثالث: ولا يسألكم أموالكم؛ لأنها ليست لكم في الحقيقة، إنما هي له.

❀ ❀ ❀

س: كيف الجمع بين قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾، وقوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وكذا ما على شاكلتها من الآيت كقوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وقوله: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ..﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ أي: ولا يطلب منكم إخراج أموالكم كلها إنما جزء منها وهي الزكوات أو الصدقات.

الثاني: ولا يسألكم أموالكم لنفسه بل مواساة من بعضكم لبعض، وحنو من غنيّكم على فقيركم. وأيضًا لإثابتكم ومجازاتكم وإكرامكم.

الثالث: لا يسألكم على الإيمان أجرًا كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ أي لا يأمركم بإخراج جميعها في الزكاة بل أمر بإخراج البعض قاله ابن عيينة وغيره، وقيل: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ لنفسه أو لحاجة منه إليها إنما يأمركم بالإنفاق في سبيله ليرجع ثوابه إليكم وقيل: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ إنما يسألكم أمواله؛ لأنه المالك لها وهو المنعم بإعطائها وقيل: ولا يسألكم محمد أموالكم أجرًا على تبليغ الرسالة نظيره ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] الآية.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

في هذه الآية الكريمة أوجه معلومة عند أهل التفسير منها أن المعنى: ولا يسألكم النبي ﷺ ﴿أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾ أجرًا على ما بلغكم من الوحي المتضمن لخير الدنيا والآخرة.

وهذا الوجه تشهد له آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص:٨٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الطور:٤٠].

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

قال بعض المفسرين: أي لا يسألكم جميع أموالكم، بل يقتصر منكم على جزء يسير، كربع العشر وعشره. إشارة إلى إفادة الجمع المضاف للعموم، وهو معطوف على الجزاء. والمعنى: إن تؤمنوا لا يسألكم الجميع، أي: لا يأخذه منكم، كما يأخذ من الكفار جميع أموالهم. ولا يخفى حسن مقابلته لقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: يعطكم كل الأجور، ويسألكم بعض المال - هذا ما قاله الشهاب -.

والظاهر أن المراد بيان غناه تعالى عن عباده، وأن طلب إنفاق الأموال منهم، لعود نفعه إليهم لا إليه، لاستغنائه المطلق، فإن في الصدقات دفع أحقاد صدور الفقراء عنهم، وفي بذله للجهاد دفع غائلة الشرور والفساد، كله مما يعود ثمرته عليهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- إذا طلب الله عزَّ وجلَّ منكم إخراج كل أموالكم ويلح عليكم في هذا الطلب ويحف في المسألة فعند ذلك تبخلوا بها وتمتنعوا من إخراجها وحينئذٍ يصدر منكم ما تكرهون أن يخرج منكم، فتخرج الضغائن من القلوب وتخرج اعتراضات على الشريعة والأحكام من بعضكم ويخرج التسخط على هذا الدين فيظهر على ألسن الكثيرين، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾: يقول جل ثناؤه: إن يسألكم ربكم أموالكم ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ يقول: فيجهدكم بالمسألة، ويلح عليكم بطلبها منكم فيلحف، تبخلوا: يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه، ضنًّا منكم بها، ولكنه علم ذلك منكم، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها.

وقوله: ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ يقول: ويخرج جل ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال: قد علم الله أن في مسألته المال خروج الأضغان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يلح عليكم يقال: أحفى بالمسألة وألحف وألح بمعنى واحد والحفي المستقصي في السؤال وكذلك الإحفاء الاستقصاء في الكلام والمنازعة ومنه أحفى شاربه أي استقصى في أخذه ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ أي يخرج البخل أضغانكم.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ أي: أحقادكم، كراهتكم لدين يذهب بأموالكم. وضمير ﴿وَيُخْرِجْ﴾ لله تعالى، ويعضده القراءة بنون العظمة. أو للبخل لأنه سبب الأضغان. وقرئ (يخرج) من الخروج، بالياء والتاء، مسندًا إلى الأضغان.

❁ ❁ ❁

س: ما موضع كلمة «ها» في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بالنفقة فيه، وأدخلت «ها» في موضعين؛ لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنى بين «ها» وبين «ذا»، فقالت: ها أنت ذا قائمًا؛ لأن التقريب جواب الكلام، فربما أعادت «ها» مع «ذا»، وربما اجتزأت بالأولى، وقد حذفت الثانية، ولا يقدمون أنتم قبل «ها»؛ لأن ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة.

وقال بعض نحويي البصرة: جعل التنبيه في موضعين للتوكيد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- ومن يبخل فإنما يعود بخله على نفسه لأن من يبخل بالصدقات فإنما يبخل على نفسه بالحسنات.

وقال بعض أهل العلم: إن معنى ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: إنما يبخل عن بخل نفسه، أي: إنما بخله صدر لكون نفسه بخيلة، فانعكس ما في القلب على الجوارح.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يبخل بالنفقة في سبيل الله، فإنما يبخل عن بخل نفسه، لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، ولكن كانت تجود بها ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم، لأنه الغني عن خلقه والخلق الفقراء إليه، وأنتم من خلقه، فأنتم الفقراء إليه، وإنما حضكم على النفقة في سبيله، ليكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه.

ونحوه قاله القرطبي، قال: أي على نفسه، أي: يمنعها الأجر والثواب.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في جهاد أعدائه، ونصرة دينه ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾ أي: بالنفقة فيه. ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: يمسكه عنها، لأنه يحرمها الأجر، ويكسبها الوزر ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه. ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ أي: بالذات إليه. فوصفه بالغني وصف لازم له، ووصفُ الخلق بالفقر وصف لازم لهم، لا ينفكون عنه، أي وإذا كان كذلك، فإنما حضكم على النفقة في سبيله ليكسبكم بذلك، الجزيلَ من ثوابه. وليعلم أن سبيل الله يشمل كل ما فيه نفع وخير، وفائدة وقربة

ومثوبة. وإنما اقتصر المفسرون على الجهاد لأنه فرده الأشهر، وجزئيّه الأهم، وقت نزول الآيات، وإلا فلا ينحصر فيه.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ أي: عما جاءكم به محمد ﷺ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يهلككم ثم يأتي بقوم آخرين غيركم، بدلًا منكم، يؤمنون به، ويعملون بشرائعه.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ أي: لا يبخلوا بما أُمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئًا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله، على ما يؤمرون به.

❁ ❁ ❁

س: قول القائل عند التعريف بنفسه: «أخوكم الفقير إلى الله»، وقول الآخر: «أفقر عباد الله»، هل ورد عن رسول الله ﷺ؟

ج: ابتداءً فنحن جميعًا فقراء إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، لكن تصدير التعريف بقول الفقير إلى الله ونحو ذلك، فلم يرد عن رسول الله ﷺ ولا علمته واردًا عن أحدٍ من أصحابه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين وتعرضوا عنه وتتركوا تعاليمه يهلككم الله -عزَّ وجلَّ- ويأتي بقومٍ آخرين سامعين مطيعين لأمر الله عزَّ وجلَّ، مجاهدين في سبيله، منفقين مما آتاهم الله، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ١٣٣]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٩]، وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾ [المائدة: ٥٤].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى ذكره: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن

تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ، فترتدوا راجعين عنه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به، ويعملون بشرائعه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوما غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم.

❁ ❁ ❁

س: من هؤلاء الذين عناهم الله بقوله: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن هؤلاء أهل فارس إذ قد ورد حديث في ذلك لكن سنده ضعيف ألا وهو ما أخرجه الطبري وغيره من طريق عن مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استبدلوا بنا، قال: فضرب النبي ﷺ على منكب سلمان، فقال: «من هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من أهل فارس».

قلت (مصطفى): ومسلم بن خالد ضعيف، والذي يظهر أن الآية الكريمة عامة في كل من يمنّ الله عزَّ وجلَّ عليه بالهداية وينعم عليه بالإيمان ويرزقه حسن الاستقامة، والله أعلم.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: إن تعرضوا.

وقوله: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيه أقوال:

أحدها: ملائكة السماء، وهذا أشد الأقوال.

والقول الثاني: إن تتولوا يا معشر قريش يستبدل قومًا غيركم أي: أهل اليمن، وقد كان الأنصار منهم، فإن الأوس والخزرج حيان من اليمن، وقد قال الشاعر:

وللّـــه أوس آخـــرون وخـــزرج

والقول الثالث: وهو المعروف، وإن تتلوا يا معشر العرب يستبدل قومًا غيركم أي: العجم. وفي الخبر المعروف: أن قومًا سألوا النبي ﷺ عن معني هذه الآية وقالوا: من الذين يستبدلهم بنا؟ وكان سلمان جالسًا بجنبه فقال: هذا وقومه ثم قال: «لو كان الدين معلقًا بالثريَّا لناله رجال من فارس».

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ أي: يكونوا خيرًا منكم وأطوع لي، ومعناه: لا يكونوا أمثالكم في مخالفة الأوامر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

سورة الفتح

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن
ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾

[الفتح: ١-٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَتَحْنَا - فَتْحًا - مُّبِينًا - يَهْدِيَكَ - صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا - عَزِيزًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَتَحْنَا﴾	حكمنا - قضينا
﴿فَتْحًا﴾	حُكمًا - قضاءً
﴿مُّبِينًا﴾	مظهرًا لكونك على الحق - ظاهرًا واضحًا
﴿يَهْدِيَكَ﴾	يُرشدك
﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	طريقًا (في الدين) لا اعوجاج فيه يوصلك إلى جنة الله ومرضاته
﴿عَزِيزًا﴾	غالبًا لا يغلبه غالبٌ ولا يدفعه دافعٌ

❁ ❁ ❁

س: متى نزلت هذه السورة المباركة على رسول الله ﷺ؟

ج: نزلت هذه السورة المباركة عند رجوع النبي ﷺ من الحديبية.

أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ١-٥] مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال: «لقد أنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعًا».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة

(١) مسلم (١٧٨٦).

إن شاء الله. فلما نحر هديه حيث أحصر، ورجع، أنزل الله، عزَّ وجلَّ، هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية.

❁ ❁ ❁

فضل سورة الفتح

س: هل ورد شيءٌ في فضل هذه السورة المباركة؟

ج: نعم، ورد في فضلها عن رسول الله ﷺ أحاديث منها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بي - قال - فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن. وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «**لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل صح للسورة الكريمة (سورة الفتح) سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري ومسلم من طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله؟

فقال علي: نعم. فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في

(١) البخاري حديث (٤١٧٧).

النار؟ قال: « بلى ». قال: ففيم أعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولما يحكم الله بيننا. فقال: « يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا ». فرجع متغيظًا، فلم يصبر حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه الله أبدًا. فنزلت سورة الفتح[١].

وأخرج الطبري من حديث مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحديبية حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كراع الغميم فإذا الناس يرسمون نحو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لبعض الناس فحركنا حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند كراع الغميم واقفًا فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال بعض الناس: أو فتح هو؟ قال: «والذي نفسي بيده إنه لفتح»[٢].

❁ ❁ ❁

س: قرأ رسول الله ﷺ هذه السورة في موطنٍ من المواطن، ما هذا الموطن؟

ج: قرأ النبي ﷺ تلك السورة يوم فتح مكة ففي الصحيحين من حديث عبد الله ابن مغفَّل قال: قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح فرجَّع فيها[٣]. قال معاوية (يعني ابن قرة)[٤] لو شئت أن أحكي لكم قراءة قراءة النبي ﷺ لفعلت.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إنا قضينا لك وحكمنا لك بالنصر على عدوك قضاء ظاهرًا وحُكمًا ظاهرًا موضحًا لمن اطلع عليه وعلم به أن الله نصرك بلا شكٍ ولا ريب. والله تعالى أعلم.

---

(١) البخاري (١٠/ ٢١٠)، ومسلم (٢/ ١٤١).

(٢) الطبري (٢٦/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٩).

(٣) البخاري (٤٨٣٥)، ومسلم (٧٩٤).

(٤) معاوية هو ابن قرة، وهو الراوي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

المراد بالفتح

س: ما المراد بهذا الفتح المبين؟

ج: ذهب الأكثرون من أهل العلم إلى أن المراد بالفتح هنا صلح الحديبية.

ومن حججهم لذلك أن السورة الكريمة - وكما أسلفنا - نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المراد بالفتح فتح مكة.

وثمَّ قولٌ ثالث بعيد، وهو أن المراد بالفتح فتح خيبر وذلك لكونه تمَّ بعد صلح الحديبية.

وأظهر الأقوال في ذلك، والله أعلم، أن الفتح صلح الحديبية، والله تعالى أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية، حين صد المشركون رسول الله ﷺ لما جاء معتمرا في قصة طويلة، صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله ﷺ على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتمر من العام المقبل، وعلى أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده فعل.

وسبب ذلك أنه لما أمن الناس بعضهم بعضا، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عزَّ وجلَّ، وصار كل مؤمن بأي محل كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن ذلك للحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا، فلذلك سماه الله فتحا، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود من فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل به الفتح، ورتب الله على هذا الفتح عدة أمور، فقال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

وذلك -والله أعلم- بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمل ﷺ من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم

من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته ﷺ، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أُطلق على صلح الحديبية فتح؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم، لما كان من وراء هذا الصلح من خير فقد آمن أقوام كثيرون في مدة الهدنة التي قُررت في هذا الصلح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خيرٌ جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان.

❁ ❁ ❁

المراد بالذنب المتقدم والمتأخر

س: ما المراد بالذنب المتقدم والذنب المتأخر في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الذنب المتقدم هو ما صدر منه قبل الرسالة، والذنب المتأخر هو ما بين مبعثه والوحي إليه إلى وقت نزول هذه الآيات.

الثاني: ما تقدم من الذنب قبل الرسالة، وما تأخر بعد الرسالة عمومًا.

الثالث: ما تقدم من ذنبك، ذنب أبيك آدم وأمك حواء وما تأخر من ذنوب أمتك، وهذا القول أراه أبعد الأقوال عن الصواب، وأيضًا فهنالك أقوال أُخر أرى في جميعها نظر وكذا الذي ذُكر فيه نظر أيضًا.

والصواب من القول - والله تعالى أعلم -: أن ما تقدم من الذنب هو كل ما جرى من رسول الله ﷺ من ذنب قبل نزول هذه الآية الكريمة، وما تأخر ما يصدر منه بعد نزولها.

أما الذنب المتقدم فنحو الوارد في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

فكان عليه صلوات الله وسلامه قد أذن لبعض المنافقين في التخلف عن الجهاد لما استأذنوه لذلك.

وكذا نحو الوارد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحريم: ١]، لما حرَّم على نفسه العسل أو مارية.

ونحو الوارد في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨]، والله تعالى أعلم.

قال الرازي في «التفسير الكبير»:

لم يكن للنبي ﷺ ذنب، فماذا يغفر له؟ قلنا: الجواب عنه قد تقدم مراراً من وجوه (أحدها): المراد ذنب المؤمنين (ثانيها): المراد ترك الأفضل (ثالثها): الصغائر فإنها جائزة على الأنبياء بالسهو والعمد، وهو يصونهم عن العجب (رابعها): المراد العصمة.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الربط بين الآيتين الكريمتين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾، والتي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وضح المعنى بشيء من التفصيل؟

ج: وجه الارتباط بينهما يتضح من المعنى، فالمعنى - والله أعلم - إنا حكمنا لك بالنصر على عدوك وقضينا لك بذلك قضاء وحكمًا ظاهرًا ومظهرًا للخلق أن الله نصرك عليهم، وقضي لك بالنصر عليهم، فقدِّم شكرًا وحمدًا لله عزَّ وجلَّ على ذلك، وكذا فقدِّم استغفارًا، فإنك إذا قدمت شكرًا واستغفارًا غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأتم الله نعمته عليك فالشكر تُستجلب به النعم ويُرجى من ورائه المزيد منها كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والاستغفار سبب عظيم من أسباب غفران الذنوب.

ودلَّ على صحة هذا المعنى وسلامته قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١-٣]، فمفادها أن رسول الله ﷺ أُمر - إذا جاءه نصر الله ومنَّ عليه ربُّه بالفتح - أن يسبح بحمد ربِّه مصليًا شاكرًا ذاكرًا، وكذا أُمر بأن يستغفر ربَّه عزَّ وجلَّ.

فإنه إن فعل ذلك تاب الله عزَّ وجلَّ عليه إنه كان توابًا[1].

وهذا المعنى هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هذا، وقد فعل النبي ﷺ ما أمره به ربُّه عزَّ وجلَّ، وأيضًا فقد غفر الله عزَّ وجلَّ لنبيه محمدٍ ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد أخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!! قال: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**» فلما كثر لحمُه صلى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع[2].

وعند البخاري أيضًا من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[3].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ يقول: إنا حكمنا لك يا محمد حكما لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر، لتشكر ربك، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم، وفتحه ما فتح لك، ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك،

---

(١) ولا تنافي بين هذ المعنىٰ، وبين المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن هذه السورة المباركة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ نعت إلىٰ رسول الله ﷺ أجله، وذلك لأن ما فسرت به السورة يقتضيه ظاهرها، وما ذكره ابن عباس فمعنىٰ زائد علىٰ تفسير مفردات السورة، وبلا شك فهو معنىٰ مقبول، والله أعلم.

(٢) البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٣) البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته.

وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١-٣] على صحته، إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله وفتح مكة، وأن يستغفره، وأعلمه أنه تواب على من فعل ذلك، ففي ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إنما هو خبر من الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له، على النعمة التي أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح، لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها.

وبعد ففي صحة الخبر عنه ﷺ: أنه كان يقوم حتى ترم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»، الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول، وأن الله تبارك وتعالى، إنما وعد نبيه محمدا ﷺ غفران ذنوبه المتقدمة، فتح ما فتح عليه، وبعده على شكره له، على نعمه التي أنعمها عليه.

وكذلك كان يقول ﷺ: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة**» ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية، ولا لاستغفار نبي الله ﷺ ربه جل جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل، إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عزَّ وجلَّ غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه من المحال أن يُقال: اللهم اغفر لي ذنبًا لم أعمله.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك أعمالٌ صالحة إذا عملها شخص غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

ج: لا أعلم شيئًا صحيحًا في هذا الباب.

أما مغفرة ما تقدم من الذنوب ففيه أدلةٌ كثيرة، أما مغفرة ما تأخر فلا أعلم فيه شيئًا ثابتًا إلا حديث صلاة التسابيح، وفي سنده مقالٌ وخلاف، وحديث أهل بدرٍ ففيه: «وما يدريك يا عمر لعلَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: هذا من خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه- التي لا يشاركه فيها غيره. وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو -صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، إتمام النعمة على رسول الله ﷺ في الدنيا بنصره على أعدائه وتمكينه منهم وإظهار دينه وإعلاء شرعه، وفي الآخرة بمغفرة الذنوب ورفعة الدرجات.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾.

ج: الهداية تأتي بمعنيين، الأول: التوفيق، والثاني: الدلالة والإرشاد، وهي هنا بمعنييها، فالمعنى الإجمالي: ويرشدك إلى الطريق المستقيم الموصل لجنَّته ومرضاته ويوفقك لسلوكه ويسهله عليك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وينصرك الله نصرًا قويًّا لا يغلبك معه غالب ولا يدفعه عنك دافع.

قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ
جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ
دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا
﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

[الفتح: ٤ - ٧]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلسَّكِينَةَ - يُكَفِّرَ - سَيِّـَٔاتِهِمْ - ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ - دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ - لَعَنَهُمْ - سَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾	الطمأنينة - الرحمة - الوقار
﴿يُكَفِّرَ﴾	يغفر - يمحو - لا يؤاخذ - يتجاوز
﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾	ذنوبهم - خطاياهم
﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾	المتهمين لله في حكمه
﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾	دائرة العذاب (يدور عليهم العذاب حيث كانوا ويحيط بهم)
﴿لَعَنَهُمْ﴾	طردهم وأبعدهم عن رحمته
﴿سَآءَتْ مَصِيرًا﴾	كانت مصيرًا سيئًا لهم

❁ ❁ ❁

س: مَنْ المعنيون بـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين شهدوا معه يوم الحديبية[1].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين. والسكينة تشمل الطمأنينة والسكون إلى الحق والثبات والشجاعة عند البأس.

وقد ذكر جل وعلا إنزاله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين في براءة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦]، وذكر إنزال

(١) إلا صاحب الجمل الأحمر.

سكينته على رسوله في قوله في براءة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ الآية [التوبة:٤٠].

وذكر إنزاله سكينته على المؤمنين في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الفتح:١٨].

وهذه الآيات كلها لم يبين فيها موضع إنزال السكينة، وقد بين في هذه السورة الكريمة أن محل إنزال السكينة هو القلوب، وذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [الفتح:٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله عزَّ وجلَّ أنزل السكينة التي هي الطمأنينة والوقار في قلوب أهل الإيمان فازدادوا تصديقًا مع تصديقهم، ازدادوا تصديقًا بكل ما وعدهم الله به وكذا ازدادوا امتثالًا وسمعًا وطاعة لكل ما أمرهم الله به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾ يقول: ليزدادوا بتصديقهم بما جدد الله من الفرائض التي ألزمهموها، التي لم تكن لهم لازمة ﴿إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ يقول: ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: السكينة الرحمة ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ قال: إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا بها زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣] قال ابن عباس: فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله.

❁ ❁ ❁

بعض الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه

س: اذكر بعض الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقوله تعالى في شأن الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وآيات كثيرة أخرى في هذا الباب.

وقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١).

وقوله تعالى يوم القيامة: «أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان»(٢).

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من هؤلاء الجند؟

ج: هؤلاء على العموم من جندهم الله عزَّ وجلَّ لنصرة دينه وللانتقام من أعدائه ولإنفاذ أوامره.

ومن هؤلاء الجند الملائكة عليهم صلوات الله وسلامه، ومنهم كذلك جنودٌ من الإنس وجنود من الجن، وكذا منهم الطير، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا

---

(١) مسلم (٤٩).

(٢) البخاري (٢٢).

أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفيل: ٣]، ومنهم الدواب كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، فكلها جندٌ من جند الله، وهنالك الريح العقيم، وهنالك غير ذلك من الجند الذين لا يعلمهم إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، أخرج أحمد[1] بسندٍ صحيح من حديث أنس أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرجعه من الحديبية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة وقد حيل بينهم وبين مساكنهم، ونحروا الهدي بالحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١، ٢] قال: «**لقد أنزلت علي آيتان هما أحب إلي من الدنيا جميعًا**». قال: فلما تلاهما قال رجل: هنيئًا مريئًا يا رسول الله قد بيَّن لك ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ الآية التي بعدها ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية [الفتح: ٥].

❁ ❁ ❁

س: هل لقوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تعلقٌ بما قبله.

ج: قد قال ذلك بعض أهل العلم، وحاصل ما ذكروه أن المعنى إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، وذلك حتى تشكر ربك يا رسول الله وأيضًا حتى يشكر المؤمنون ربهم عزَّ وجلَّ، فإذا شكروه وحمدوه أدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

ووجه آخر أن تعلق الآية إنما بالآية التي قبلها فحسب.

ووجه ذلك أن الله عزَّ وجلَّ أنزل السكينة في قلوب المؤمنين حتى يزداد إيمانهم ويزداد عملهم الصالح، ومن ثمَّ يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، والله أعلم.

---

(١) أحمد في المسند (٣/ ١٣٤)، وفي بعض طرق هذا الحديث أن قوله: «قال رجل: هنيئًا مريئًا» إلى آخره، من قول عكرمة فتكون مرسلة، انظر البخاري (٨/ ٤٥٦).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، لتشكر ربك، وتحمده على ذلك، فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وليحمد ربهم المؤمنون بالله، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذي فتحه، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين، بإظهاره إياهم عليهم، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها إلى غير نهاية وليكفر عنهم سيئ أعمالهم بالحسنات التي يعملونها شكرًا منهم لربهم على ما قضى لهم، وأنعم عليهم به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٥﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكان هذا الدخول، دخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وتكفير السيئات وغفران الزلات ومحوها يوم القيامة عند الله ظفرًا عظيمًا، والفوز العظيم الظفر بالمطلوب والفرار من المرهوب وأعظم مطلوب رضوان الله وجنته، وأعظم مرهوب سخط الله ونيرانه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: وكان ما وعدهم الله به من هذه العدة، وذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التي يعملونها عند الله لهم ﴿فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ يقول: ظفرًا منهم بما كانوا تأملوه ويسعون له، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيمًا.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه اتصال قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ...﴾ بما قبله؟

ج: وجهه أن الله عزَّ وجلَّ فتح لنبيه ﷺ فتحًا مبينًا ليحمد الله ويشكره ويحمده المؤمنون ويشكرونه فيغفر لهم، وكذا فتح لنبيه ﷺ فتحًا مبينًا كي يغيظ بذلك أهل الشرك ويسيئهم ويسبب لهم الهموم والغموم في الدنيا فضلًا عن عذاب الآخرة.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة تعذيب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات؟

ج: صورة ذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا نصر رسوله وأيده وحفظه ونصر المؤمنين، دخلت على المنافقين والمنافقات وعلى المشركين والمشركات بذلك النصر الأحزان والهموم والغموم فضلًا عما ينالهم من قتلٍ وأسرٍ واسترقاقٍ، وكل ذلك فضلًا عن العذاب الأخري الذي أعده الله لهم. والله أعلم.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وليعذب المنافقين والمنافقات، بفتح الله لك يا محمد، ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش، فيكبتوا لذلك ويحزنوا، ويخيب رجاؤهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا، وصلي النار والخلود فيها في آجل الآخرة.

❁ ❁ ❁

بعض صور الظن السيئ

س: ما المراد بالظن السيئ الذي ظنه المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بالله عزَّ وجلَّ؟

ج: ظن هؤلاء أن الله عزَّ وجلَّ سيضيع نبيه ﷺ ويخذله ويطفئ نوره، وأن هذا النبي ﷺ لن يرجع إلى مدينته بل سيقتل ويُقتل كذلك من معه ممن آمنوا به.

قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

هذا، وهنالك صورٌ أُخر من الظن السيئ بالله عزَّ وجلَّ:

* فمن ذلك الظن: بأن الله عزَّ وجلَّ له شريك في الملك أو أن له صاحبة أو أن له ولد.

* ومن ذلك الظن: بأن الله عزَّ وجلَّ يشبه خلقه.

* ومن ذلك الظن: بأن الله عزَّ وجلَّ يسوي بين المطيعين له والعاصين

المتمردين على أوامره، الظن بأن الله يسوي بين المسلم والمجرم.

* ومن ذلك الظن: بأن الله عزَّ وجلَّ ليس بقادر على فعل ما يريد.

*ومن ذلك الظن: اتهام الله عزَّ وجلَّ بالقصور، واتهام شرعه الذي شرع بالخلل والنقصان وعدم مناسبته وموافقته لكل زمان ومكان.

* ومن ذلك الظن: بأن الله عزَّ وجلَّ لا يعلم الغيب ولم يقدر المقادير.

* ومن الظن السيئ بالله: ظن البعض أن الله لن يبعث الخلق ولن يحاسبهم.

وهنالك صور كثير من صور الظن السيئ بالله.

* فمن ظن بالله عزَّ وجلَّ ظنًّا مخالفًا لما ذكره الله عن نفسه في كتابه، ولِما ذكره النبي ﷺ في سنته فهو من الذين يظنون بالله سيئ الظن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، على هؤلاء المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات دائرة العذاب تدور عليهم وتحيط بهم أينما كانوا وحيثما نزلوا وكذا العاقبة السيئة عليهم ولهم، وكذا الهزائم تلحقهم والشرور تلاحقهم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه تكرير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

ج: وجه ذلك التأكيد على قدرة الله عزَّ وجلَّ وأن يجند جندًا مما يشاء وإلى حيث يريد فلا غالب له ولا رادٍ لقضائه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾.

ج: المعنى -والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم- وكان الله عزَّ وجلَّ ذا عزةٍ لا يغلبه غالب ولا يمنعه مما أراد مانعٌ فهو تعالى عزيز، وكذا حكيم فيما يشرع لعباده وفيما يقضي به وحكيم في كل شيء.

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿شَٰهِدًا - مُبَشِّرًا - نَذِيرًا - تُعَزِّرُوهُ - تُوَقِّرُوهُ - تُسَبِّحُوهُ - بُكۡرَةً - أَصِيلًا﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿شَٰهِدًا﴾	الذي يشهد على الناس بما صدر منهم وما حدث لهم
﴿مُبَشِّرًا﴾	مُخبرًا بأمرٍ يسر ويُسعد (وهو الإخبار بالجنة ورضوان الله)
﴿نَذِيرًا﴾	مخوفًا من شرور عظيمة (أعظمها سخط الله وعذابه الذي هو النار)
﴿تُعَزِّرُوهُ﴾	تعظموه - تنصرونه بالقتال معه - تجلُّوه
﴿تُوَقِّرُوهُ﴾	تعظموه - تفخموه
﴿تُسَبِّحُوهُ﴾	تنزهوه عن الولد - تنفون عنه الولد والشريك والصاحبة وغير ذلك
﴿بُكۡرَةً﴾	أول النهار
﴿أَصِيلًا﴾	آخر النهار

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨﴾ شاهدًا على ماذا، ومبشرًا بماذا؟ ونذيرًا من ماذا؟

ج: شاهد على أمتك أنك قد بلغتها.

ومبشرًا من أطاعك بالجنة.

ونذير لمن عصاك بالنار.

س: قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ تسبحوا مَنْ؟

ج: تسبحوا الله عزَّ وجلَّ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم المنان»:

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا
يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾
سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ
يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ
ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا
ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ
ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ
بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ
أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٠-١٧]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿نَّكَثَ - أَجْرًا عَظِيمًا - ٱلْمُخَلَّفُونَ - يَنقَلِبَ - زُيِّنَ - ظَنَّ ٱلسَّوْءِ - بُورًا - أَعْتَدْنَا - سَعِيرًا - ٱلْمُخَلَّفُونَ - ذَرُونَا - يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ - تَحْسُدُونَنَا - أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ - حَرَجٌ - يَتَوَلَّ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَّكَثَ﴾	نقض (نقض البيعة وخالف ولم يفِ)
﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾	ثوابًا كبيرًا
﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾	الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ
﴿يَنقَلِبَ﴾	يرجع
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّن
﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾	الظن السيئ الفاسد المخالف للحق
﴿بُورًا﴾	هلكى - فاسدين
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا - هيأنا - جهزنا
﴿سَعِيرًا﴾	نارًا موقدة مستعرة
﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾	الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية
﴿ذَرُونَا﴾	دعونا - لا تمنعونا
﴿يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	يغيروا ما قضاه الله وأمر به الله
﴿تَحْسُدُونَنَا﴾	تتمنون زوال النعم عنا
﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	أقوياء أشداء في الحروب
﴿حَرَجٌ﴾	ضيق - إثم
﴿يَتَوَلَّ﴾	يُعرض - يُدبر - يتخلف وينصرف عن عمدٍ

س: متى كانت هذه البيعة؟

ج: كانت هذه البيعة عام الحديبية.

❁ ❁ ❁

س: على أي شيء كانت هذه البيعة؟

ج: قال عدد من أهل العلم كانت هذه البيعة على أن لا يفروا من عدوهم وعلى أن لا يولوا عدوهم الأدبار، وكذا على نصرتهم لنبيهم محمد ﷺ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي «بيعة الرضوان» التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله ﷺ، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ حقيقة الأمر أنهم ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ فلم يف بما عاهد الله عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لأن وبال ذلك راجع إليه، وعقوبته واصلة له، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ أي: أتى به كاملًا موفرًا، ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله في حقيقة الأمر لأنك مبلغ عن الله عزَّ وجلَّ ما يريده من خلقه، وكذا فإنهم إن ناصروك فإنما يناصرون دين الله عزَّ وجلَّ، وكذا طاعتهم لك إنما هي طاعة لله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يقول: إنما

يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل بايع أحدٌ من الصحابة رسول الله ﷺ على الموت؟

ج: نعم، منهم من بايع على الموت، أي: على الجهاد حتى النصر أو الموت.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾.

ج: أولًا، وقبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن يُعلم أننا نثبت لله عزَّ وجلَّ ما أثبته لنفسه وكذا نثبت له سبحانه وتعالى ما أثبته له رسوله ﷺ، وكذا فإننا ننفي عن الله عزَّ وجلَّ ما نفاه عن نفسه، وكذا ما نفاه عنه رسوله ﷺ.

وبعد، فصفة اليد مما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه وكذا جاءت في سنة رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: «يد الله ملأى».

وذكر رسول الله ﷺ قول المؤمنين يوم القيامة لآدم عليه السلام: «خلقك الله بيده».

إلى غير ذلك من الأحاديث.

فثبتت صفة اليد لله عزَّ وجلَّ بهذه النصوص، ولكنها يدٌ ليست كيد الخلق.

قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

هذا ما أحببت أن أذكِّر به أولًا.

ثم عن قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ فهذه بعض أقوال أهل العلم فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ.

والآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله

ﷺ على نصرته على العدو.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ كقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وذكر القرطبي أقوالًا منها:

يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء.

ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة.

وقوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم.

وذكر أقوالًا أُخر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

ج: قال فريق من أهل العلم: معنى ذلك أن من نقض العهد ولم يفِ بالبيعة التي بايع رسول الله ﷺ فإنما يضر بنفسه ويحرم نفسه من الخير الذي وعده الله به، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فمن لم يفِ بهذا العهد فليس له عند الله أن يفي الله له بعهده لأنه هو الذي نقض العهد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يقول: فإنما ينقض بيعته، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضر بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفَّى بيعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: إنما يعود وبال ذلك على الناكث، والله غني عنه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: يرجع ضرر النكث عليه؛ لأنه حرم نفسه الثواب وألزمها العقاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن ألزم نفسه بما عاهد عليه رسول الله ﷺ، وذلك من نصرة رسول الله ﷺ والدفاع عنه فسوف يجازيه الله عزَّ وجلَّ أجرًا عظيمًا وهو الجنة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره: ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه ﷺ على أعدائه ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ يقول: فسيعطيه الله ثوابا عظيما، وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الضَّم في قوله: ﴿عَلَيْهُ﴾؟

ج: الظاهر، والله أعلم أنها لغة جاءت في كتاب الله عزَّ وجلَّ فنقرها - بلا تردد ولا ريب - كما جاءت، والله أعلم.

س: من هؤلاء الأعراب الذين قالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا؟

ج: قال بعض أهل العلم إنهم قوم من الأعراب الذين هم حول مدينة رسول الله ﷺ من غفارٍ ومُزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدِّيل.

س: قوله: ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ تخلفوا عن ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ عام الفتح لفتح مكة وتخلفوا عن مسيرك الذي سرت إليه زائرًا بيت الله الحرام، وذلك لما استنفرهم رسول الله ﷺ للخروج معه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قولهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

ج: ذلك، والله أعلم، معناه: شغلنا إصلاح أموالنا وشغلتنا مصالح أهلينا فليس لنا من يقوم بالمحافظة على أموالنا، وليس لنا من يخلفنا في أهالينا بخيرٍ إذا نحن خرجنا معك.

❁ ❁ ❁

س: هل كان هؤلاء الأعراب صادقون فيما قالوا؟

ج: بل كانوا كاذبين، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، سيقول لك هؤلاء الذين تخلفوا عن الخروج معك لفتح مكة وللاعتمار إلى بيت الله الحرام، هؤلاء الذين تركوا النفير لما استنفرتهم، شغلتنا عن الخروج معك أعذارٌ منها خوفنا على أموالنا من الضياع فليس لنا من يقوم بإصلاحها، وكذا خوفنا على أهالينا من أن يعتدي عليهم معتد أو يخوننا فيهم خائن، وهذا القول إنما هو قول كاذبٌ لا أساس له من الصحة، ومن ثم قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ فهو سبحانه القادر على إنزال الضرر بكم في أموالكم وأهليكم وإن كنتم متواجدين في أهاليكم وأموالكم، وكذا فهو القادر على التفضل عليكم بنعمه وبواسع فضله في أي مكان كنتم وفي أي مكان حللتم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول لك يا محمد الذين خلفهم الله في أهليهم عن صحبتك، والخروج معك في سفرك الذي سافرت، ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمرا، زائرا بيت الله الحرام إذا انصرفت إليهم، فعاتبتهم على التخلف عنك، شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا، وإصلاح معايشنا وأهلونا، فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك، قال الله جل ثناؤه مكذبهم في قيلهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك مسألتهم رسول الله ﷺ الاستغفار لهم، يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير معه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك: إن أنا استغفرت لكم أيها القوم، ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم، أو أراد بكم نفعا بتثميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شر، والله لا يعازه أحد، ولا يغالبه غالب.

وقوله: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرها وعلانيتها، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها، وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعمرة، وساق معه الهدي، ليعلم الناس أنه لا يريد حربا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا خلافه فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾... الآية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا رسوله -صلوات الله وسلامه عليه -بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم، وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ، فاعتذروا بشغلهم بذلك، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد، بل على وجه التقية والمصانعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يرد ما أراده فيكم تعالى وتقدس، وهو العليم بسرائركم وضمائركم، وإن صانعتمونا وتابعتمونا؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾، مع ذكر طرفٍ من معناها.

ج: أمر الله جل وعلا نبيه أن يقول للمنافقين الذين تخلفوا عنه واعتذروا بأعذار كاذبة: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ أي لا أحد يملك دفع الضر الذي أراد الله إنزاله بكم ولا منع النفع الذي أراد نفعكم به فلا نافع إلا هو ولا ضار إلا هو تعالى، ولا يقدر أحد على دفع ضر أراده ولا منع نفع أراده.

وهذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ما جاء موضحا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في الأحزاب: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب:١٧].

وقوله تعالى في آخر يونس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ الآية [يونس:١٠٧].

وقوله في الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وقوله تعالى في المائدة: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله تعالى في فاطر: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ الآية [فاطر:٢].

وقوله تعالى في الملك: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الملك:٢٨].

❁ ❁ ❁

س: من الذي زين ذلك في قلوبهم؟

ج: لأهل العلم في مثل هذا الموطن وجهان:

أحدهما: أن الذي زيَّن ذلك هو الله، كما قال في كتابه الكريم: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

الثاني: أن الذي زيَّن ذلك هو الشيطان، ومستنده: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤].

والجمع ممكن بأن يُقال: إن الشيطان زيَّن ذلك لهم، ولم يكن يزين لهم إلا بإذن الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما ظن السوء هذا الذي ظنَّه أهل النفاق؟

ج: هو ظنهم بأن رسول الله ﷺ وأصحابه لن ينتصروا ولن يغلبوا بل سيبادوا عن آخرهم وستنطفأ كلمة المسلمين ويخبو نورهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- بل ظننتم يا أهل النفاق يا من تخلفتم عن عمدٍ وعن قصدٍ عن رسول الله ﷺ ظننتم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أهل الإيمان سيهلكو ويُبادو عن آخرهم ولن يرجعوا إلى أهاليهم أبدًا، وقوي هذا الظن في قلوبكم وحسن في نفوسكم، وكان ظنًّا سيئًا تمادى بكم فكنتم بسببه من الهلكى التالفين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله ﷺ عند منصرفه من سفره إليهم بقولهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ما تخلفتم خلاف رسول الله ﷺ حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظنًّا منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبدًا باستئصال العدو إياهم وزين ذلك في قلوبكم، وحسَّن الشيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمدًا ﷺ وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ يقول: وكنتم قومًا هلكى لا يصلحون لشيء من خير. وقيل: إن البور في لغة أذرعات: الفاسد؛ فأما عند العرب فإنه لا شيء. ومنه قول أبي الدرداء: فأصبح ما جمعوا بورًا أي ذاهبًا قد صار باطلًا لا شيء منه؛ ومنه قول حسان بن ثابت:

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد يهدي الإله سبيل المعشر البور

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ومن لم يؤمن بالله عزَّ وجلَّ على الوجه اللائق بذلك من وحدانيته لا شريك له، ولا صاحبة له ولا ولد ولا مثيل، وكذا يؤمن بأسمائه الحسنى وصفاته العلى تلك التي سمى بها نفسه وسماه بها رسوله ﷺ، وكذ من لم يؤمن برسول الله محمد ﷺ وأنه رسول من عند الله يبلِّغ عن الله عزَّ وجلَّ مراده إلى خلقه، فإنا أعددنا وهيأنا له نارًا مستعرةً موقدة يصلاها، وإن أظهر في الدنيا أنه مؤمن، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب، ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم، فيصدقه على ما أخبر به، ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه، فإنا أعددنا لهم جميعًا سعيرًا من النار، تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة؛ يقال من ذلك: سعرت النار: إذا أوقدتها، فأنا أسعرها سعرًا؛ ويقال: سعرتها أيضًا إذا حركتها. وإنما قيل للمسعر مسعر؛ لأنه يحرك به النار، ومنه قولهم: إنه لمسعر حرب: يراد به موقدها ومهيجها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى -والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم- ولله ملك ما في السموات وما في الأرض، وكذا ملك السموات والأرض فليس ربي بحاجة إلى خلقه، فالخلق كلهم خلقه والملك ملكه والأمر أمره يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، والله ذو مغفرة وذو رحمة واسعة.

وكذا تتضمن الآية معنى الإخلاص أي: من لم يخلص العمل لله في الظاهر والباطن فإنه سيصلى السعير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات والأرض، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا، إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم، وهذا من الله جل ثناؤه حثٌّ لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله ﷺ، يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله ﷺ، فإن الله يغفر للتائبين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

س: من المخلفون الذي عناهم الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾؟

ج: المخلفون هنا هم الذين تخلفوا عن عمد وعن قصدٍ عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا إلى الحديبية، يريدون بيت الله الحرام للعمرة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ«المغانم» المذكورة في الآية الكريمة؟

ج: قال كثيرون من أهل العلم: إنها غنائم خيبر، وقد اختصَّ الله عزَّ وجلَّ لها أهل الحديبية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- يريدون أن يغيروا حكم الله الذي حكم به ووعد الله الذي وعد به أهل الإيمان من أهل الحديبية، فقد وعد أهل الحديبية مغانم يأخذونها، وكانت مغانم خيبر خاصة لهم، لا يشركهم فيها غيرهم، فطلب أهل النفاق أن يتبعوا رسول الله ﷺ في مسيره إلى خيبر حتى يشاركوه الغنيمة ولم يكن الله أباح لهم ذلك، فهذا قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول يا محمد المخلفون في أهليهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام، إذا انطلقت أنت ومن صحبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ يقول: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضًا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة الحديبية؛

إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه إلى خيبر يفتتحونها: أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم. فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم، لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقدرًا؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الحديبية وعن الخروج معك إليها ويريدون الغنيمة السهلة اليسيرة غنيمة خيبر لن تتبعونا إلى خيبر ولن تشاركونا في غنيمتها فإن الله عزَّ وجلَّ قضى بأن غنيمة خيبر لأهل الحديبية فقط.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا إليكم، إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها، فليس لكم أن تتبعونا إلى خيبر؛ لأن غنيمتها لغيركم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: أن نشرككم في المغانم، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، ولكن لا فهم لهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل رجوعنا من الحديبية إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة.

س: وضح معنى قول أهل النفاق: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَآ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن أهل النفاق قالوا لأهل الإيمان لما رفض أهل الإيمان أن يصطحبوهم معهم لخيبر - إنكم لا تحبون الخير لنا بل تتمنون زوال النعم عنا، وتتمنون أن تستأثروا بغنيمة خيبر وحدكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- ليس الأمر كما قال أهل النفاق لما منعتموهم الخروج معكم فقالوا لكم بل تحسدوننا، وإنما الصحيح أنهم لا يعقلون أمر الله عزَّ وجلَّ ولا يفهمون الحكمة التي من أجلها منعوا من اصطحابكم، فإنهم لا يفهمون إلا أمر الدنيا، أما أمر الدين فلا يفقهونه ولا يعقلونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأصحابه: ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدًا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدو مغنمًا، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلًا يسيرًا، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر، إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها؛ لأنكم تحسدوننا.

❁ ❁ ❁

س: من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم فارس.

الثاني: أنهم فارس والروم.

الثالث: أنهم أهل هوازن، الذين حاربوا المؤمنين يوم حنين.

الرابع: هوازن وثقيف.

الخامس: بنو حنيفة (قوم مسيلمة الكذاب).

السادس: أن هذه الآية لم تأت بعد.

السابع: أنهم التُّرك، واستدل له بقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار العيون.. كأن وجوههم المجان المطرقة**»[1].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عني بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ستدعون يا من تخلفتم عن القتال مع رسول الله ﷺ، يا أيها الأعراب إلى قوم أقوياء في الحروب لقتالهم أو يعلنوا عن إسلامهم بدون قتال منكم لهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًاۖ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- فإن تطيعوا أيها الأعراب رسولكم ﷺ إذا دعاكم لقتال هؤلاء القوم الأشداء، يؤتكم الله أجرًا حسنًا وهو الجنة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًاۖ﴾ يقول تعالى ذكره، فإن تطيعوا الله في إجابتكم إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولي البأس الشديد، فتجيبوا إلى

---

(١) انظر البخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢).

قتالهم والجهاد مع المؤمنين ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ يقول: يعطكم الله على إجابتكم إياه إلى حربهم الجنة، وهي الأجر الحسن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: وإن تتخلفوا يا معشر الأعراب يا من تخلفتم عن رسول الله ﷺ؛ إذ خرج من مكة يعذبكم عذابًا أليمًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يقول: وإن تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره، فتتركوا قتال الأولي البأس الشديد إذا دعيتم إلى قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يقول: كما عصيتموه في أمره إياكم بالمسير مع رسول الله ﷺ إلى مكة، من قبل أن تدعوا إلى قتال أولي البأس الشديد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ يعني: وجيعًا، وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه، وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين.

❁ ❁ ❁

س: في الآية الكريمة فتح باب للاستدراك، وضح ذلك.

ج: ذلك -والله أعلم- أن هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فتح لهم باب الجهاد مرة أخرى، فإن كنتم صادقين يا معشر من تخلف عن رسول الله ﷺ في أعذاركم التي اعتذرتم بها عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، فها أنتم هؤلاء ستدعون إلى الجهاد مرة أخرى جهاد قومٍ أولي بأس شديد، فانظروا في أمركم إن أطعتم آتاكم الله أجرًا حسنًا، وإن أعرضتم كما أعرضتم مِن قبل عذَّبكم الله عذابًا أليمًا.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ...﴾؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيح، والله أعلم.

بيان الحرج المرفوع عن الأعمى والمريض والأعرج

❁ ❁ ❁

س: ما الشيء الذي إذا فعله الأعمى والأعرج والمريض لم يكن عليه فيه حرج؟

ج: المراد هاهنا -والله أعلم- تخلفهم عن القتال مع رسول الله ﷺ ومع أهل الإيمان، وذلك لكون هذه الأعذار (العمى، والعَرَج والمرض تعوقهم عن القتال والحركة والكرِّ والفرِّ والإقبال والإدبار).

هذا، ومن أهل العلم من ذكر في مثل هذا الموطن من آية سورة النور أن الحرج المرفوع عن الأعمى هو ما يتعلق بالعمى، والحرج المرفوع عن الأعرج إنما هو فيما يتعلق بالعرج، والحرج المرفوع عن المريض إنما هو فيما يتعلق بالمرض.

فمثلًا: التكاليف الشرعية التي تحتاج إلى الإبصار، وكذا الأخطار التي قد تصدر من الأعمى نتيجة عدم الإبصار كأن يصطدم بشيء أو يضع يده في مكان ونحو ذلك، فهذا لا يؤاخذ عليه الأعمى، أما إذا صدرت من الأعمى بذاءات وشتائم، واغتياب للمسلمين والمسلمات، فإنه يؤاخذ على تلك البذاءات والاعتداءات والاغتياب، وكذا الأعرج يرفع عنه الحرج فيما يتعلق بحركة الأرجل من الصلاة قائمًا مثلًا ومن شهود المعارج ونحو ذلك لكن لا يرفع عنه الحرج إذا أطلق بصره بالنظر المحرم أو أطلق لسانه بالقول المحرم أو أطلق يده بالفعل المحرم.

وكذا المريض يرفع عنه الحرج فيما يتعلق بنوع مرضه، والله تعالى أعلم.

لكن على كل حال، ولأن السياق - سياق الآية التي نحن بصددها - متعلقٌ بلوم المتخلفين عن القتال، فإن رفع الحرج المذكور في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ...﴾ الآية، إنما هو هاهنا في التخلف عن القتال، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوَّهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالطاعة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ...﴾؟

ج: الطاعة عامة، فطاعة الله ورسوله في كل أمرٍ واجتناب كل نهي يترتب عليها الأجر المذكور، والتخلف عنها يترتب عليه العذاب المذكور.

ولقائل أن يقول: إن المراد هنا طاعة مخصوصة وهي الطاعة للأمر بالقتال، وهذا بلا شك داخل في الطاعة العامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك، وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعي إلى ذلك، يدخله الله يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يقول: ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دُعي إليه، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذبه عذابًا موجعًا، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: هل الأعذار المبيحة للتخلف عن الجهاد هي المذكورة في الآية الكريمة (العمى والعرج والمرض) أم أن هناك أعذارًا أُخر؟

ج: هذه الأعذار المذكورة في الآية الكريمة هي غالب الأعذار وإلا فثمَّ أعذارٌ أُخر كعدم وجود النفقة والسلاح، وحاجة الوالدين أو أحدهما إلى ولدهما، وذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ وفي حال كون الجهاد على الكفاية وغير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ
لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا
قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

[الفتح: ١٨-٢١]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿السَّكِينَةَ - أَثَٰبَهُمْ - عَزِيزًا - حَكِيمًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿السَّكِينَةَ﴾	الطمأنينة - الثبات - الصبر والوقار - حُسن البصيرة
﴿أَثَٰبَهُمْ﴾	جازاهم
﴿عَزِيزًا﴾	ذو عزةٍ وذو غلبة في انتقامه
﴿حَكِيمًا﴾	حكيمًا في كل شيء يفعله وفي تدبيره وتصريفه الأمور على الوجه الذي يريد

❁ ❁ ❁

س: ما سبب هذه البيعة، بيعة الرضوان عند الحديبية؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في بيان سبب ذلك:

وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفًا وأربعمائة، وفي قول بعضهم: ألفًا وخمسمائة، وفي قول بعضهم: ألفًا وثلاثمائة.

❁ ❁ ❁

س: ما الحديبية هذه؟

ج: الحديبية في الأصل بئر ثم نُسب إليه المكان، ففي الصحيح من حديث البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية: كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاها فجلس على شفيرها ثم

دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[١].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل من بايعوا تحت الشجرة عند الحديبية.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»[٢].

وما أخرجه مسلم من حديث أم مبشرٍ رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها»[٣].

وعند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله: ليدخلن حاطبٌ النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية»[٤].

❁ ❁ ❁

س: كم كان عدد الصحابة الذين شهدوا الحديبية؟

ج: أكثر الأقوال على أنهم كانوا ألفًا وأربعمائة. وهنالك أقوال دلت على أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وأُخرى على أنهم كانوا ألفًا وثلاثمائة، والأكثرون على الأول.

ولعل الروايات التي رويت وأفادت أنهم كانوا ألف وثلاثمائة أو ألفًا وخمسمائة كانت على التقريب، والله أعلم.

هذه، وقد وردت الروايات بأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة، وبأنهم كانوا ألفًا وخمسمائة، وبأنهم كانوا ألفًا وثلاثمائة في الصحيحين[٥] وغيرهما، وورد غير ذلك أيضًا.

---

(١) البخاري (حديث ٤١٥٠).

(٢) البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (في طرق حديث ١٨٥٦).

(٣) مسلم (٢٤٩٦).

(٤) مسلم (٢٤٩٥).

(٥) انظر البخاري (٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤١٥٥، ٤١٥٠، ٤١٥١، ٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦)، (١٨٥٧)، (١٨٥٩).

والأظهر أنهم كانوا في هذه الحيز ما بين ألفٍ وثلاثمائة إلى ألفٍ وخمسمائة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: على أي شيء بايع الصحابة رضي الله عنهم نبيهم محمدًا ﷺ؟

ج: ورد في الصحيح ما يفيد أن بعض الصحابة بايع على عدم الفرار، وبعضهم بايع على الموت.

فعند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر[1].

وعند البخاري[2] من طريق يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

والجمع ممكن بأن يُقال: إن بعضهم بايع على الموت وبعضهم بايع على عدم الفرار، ولا يفهم من كونهم بايعوا على الموت أنهم لا بد وأن يموتوا، إنما المفهوم الصبر على القتال وعدم الفرار وإن أدى ذلك إلى الموت، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الشجرة موجودة لا زالت؟

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، أن معالم هذه الشجرة قد أُزيلت واختفت منذ زمن الصحابة ولم يقفوا لها على أثرٍ. وهذا، والله أعلم، فيه رحمة من الله عزَّ وجلَّ بعباده حتى لا يُغالي في الشجرة أحدٌ ولا يقع في الشرك والبدع والخرافات بسببها أحدٌ.

أخرج البخاري[3] بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله.

وأخرج البخاري[4] كذلك من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت

---

(١) مسلم في طرق حديث (١٨٥٦).

(٢) البخاري (٤١٦٩).

(٣) البخاري (٢٩٥٨).

(٤) البخاري (٤١٦٢).

الشجرة ثم أُنسيتها بعد فلم أعرفها.

وأخرج البخاري[١] من طريق طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجًّا فمررت بقوم يصلون، قلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان؛ فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيدٌ: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. فقال سعيد: إن أصحاب محمدٍ ﷺ لم يعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم!

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الصحابة الكرام الذين شهدوا الحديبية مع رسول الله ﷺ وبايعوه هنالك.

ج: هم عددٌ كبير يصعب حصرهم فسبق أنهم حول الألف وأربعمائة وعلى كلٍّ فمنهم أبو بكر وعمر وعليٌّ رضي الله عنهم، أما عثمان فلم يكن هنالك، وذلك لأن النبي ﷺ كان قد أرسله إلى أهل مكة برسالة.

ومنهم البراء بن عازب وأبو جندل وزيد بن خالد وأبو قتادة وجابر وحاطب بن أبي بلتعة وثابت بن الضحاك وكعب بن عجرة وسلمة بن الأكوع وعبد الله بن عمر، وعائذ بن عمر والأحاديث بذلك في الصحيح وغيره، وثم أقوام آخرون كثير.

❁ ❁ ❁

س: هل كل من شهد الحديبية بايع رسول الله ﷺ؟

ج: ورد عند مسلم[٢] في صحيحه من طريق أبي الزبير سمع جابرًا يُسأل كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعُمر آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرةٌ فبايعناه غير جَدِّ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره.

---

(١) البخاري حديث (٤١٦٣).

(٢) مسلم في طرق حديث (١٨٥٦).

س: كيف الرد على الطاعنين في عثمان رضي الله عنه لكونه لم يبايع تحت الشجرة؟

ج: الرد على ذلك كامنٌ في أن عثمان رضي الله عنه إنما تخلَّف لعذرٍ، وهو ذهابه إلى مكة مُبلِّغًا عن رسول الله ﷺ أمره لأهل مكة.

أخرج البخاري[1] بسنده إلى عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان». فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان». فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

❁ ❁ ❁

س: متى كانت قصة الحديبية؟

ج: كانت - على رأي الجمهور - سنة ستٍّ من الهجرة في شهر ذي القعدة.

ودلَّ على أنها كانت في ذي القعدة ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته»[2].

---

(١) البخاري (٣٦٩٨).

(٢) البخاري (٤١٤٨)، ومسلم (١٢٥٣).

أما كونها كانت في سنة ستٍّ فهذا رأي كثيرين من أهل العلم كما نقله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] إذ قال: قال نافع: كانت سنة ستٍ في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح وهو قول الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في صلح الحديبية

س: اذكر شيئًا من الوارد في صلح الحديبية؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري[٢] من طريق الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «**إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين**». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**». ثم قال: «**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**». ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضًا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن**

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٣٥) فصل في قصة الحديبية.

(٢) البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢).

شاؤوا أمدتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جمعوا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره». فقال بديل: سأبلغهم ما تقول: فانطلق حتى أتى قريشًا قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولًا فإن شئتم نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة بنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته قال: سمعته يقول: كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقال عروة بن مسعود: أي قوم ألستم بالولد؟ قالوا: بلى قال: أو لست بالوالد؟ قالوا: بلى قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه قالوا: ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهًا وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ فقالوا المغيرة بن شعبة فقال: أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على

الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده فإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له**». فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكرز ابن حفص فقال: دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «**هذا مكرز وهو رجل فاجر**». فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: «**لقد سهل لكم من أمركم**». قال معمر قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات أكتب بيننا وبينكم كتابًا فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنا نكتب فقال المسلمون: والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**». ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله**». قال الزهري وذلك لقوله: «**لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**». فقال النبي ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد

خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**». قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدًا قال النبي ﷺ: «**فأجزه لي**». قال: ما أنا بمجيزه لك قال: «**بلى فافعل**». قال ما أنا بفاعل قال مكرز: بل قد أجزناه لك قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله قال: عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًّا؟ قال: «**بلى**». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**». قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري**». قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام**». قال: قلت: لا قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا قال: بلى قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أفأخبرك أنك آتيه العام؟ قلت: لا قال: فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ - حتى بلغ - ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما: معاوية بن أبي سفيان، والأخرى: صفوان بن أمية ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه

رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأى هذا الرجل ذعرًا**». فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم قال النبي ﷺ: «**ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد**». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن آتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ - حتى بلغ - ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت.

وفي الصحيح[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: «**امحه**»، فقال: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه النبي ﷺ بيده. قال: وكان فيما اشترطوا، أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثًا. ولا يدخلها بسلاح، إلا جلبان السلاح قلت لأبي إسحاق: وما جلبان السلاح؟ قال: القراب وما فيه.

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا:

عن البراء قال: لما أحصر النبي ﷺ عند البيت، صالحه أهل مكة على أن

---

(١) مسلم (١٧٨٣)، وانظر البخاري (٢٦٩٨).

يدخلها فيقيم بها ثلاثًا ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه ولا يخرج بأحد معه من أهلها. ولا يمنع أحدًا يمكث بها ممن كان معه. قال لعلي: «**اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**»، فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فأمر عليًا أن يمحاها. فقال علي: لا. والله! لا أمحاها. فقال رسول الله ﷺ: «**أرني مكانها**» فأراه مكانها فمحاها وكتب: «**ابن عبد الله**» فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك. فأمره فليخرج فأخبره بذلك. فقال: «**نعم**» فخرج. وقال ابن جناب في روايته: (مكان تابعناك) بايعناك.

وعند مسلم[1] من حديث أنس رضي الله عنه: أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل ابن عمرو، فقال النبي ﷺ لعلي: « **اكتب بسم الله الرحمن الرحيم** ». قال سهيل: أما باسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم، فقال: « **اكتب من محمد رسول الله** ». قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال النبي ﷺ: « **اكتب من محمد بن عبد الله** ». فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: « **نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا** ».

وعند مسلم[2] من طريق أبي وائل قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالًا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: « **بلى** ». قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: « **بلى** ». قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: « **يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا** ». قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظًا فأتى أبا بكر

---

(١) مسلم (١٧٨٤).

(٢) مسلم (١٧٨٥).

فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم، فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا. قال: فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال يا رسول الله: أو فتح هو؟ قال: « نعم ». فطابت نفسه ورجع.

وعند مسلم[1] أيضًا من طريق قتادة: أن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ١-٥] مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة. وقد نحر الهدي بالحديبية. فقال: «لقد أُنزلت علي آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعًا».

❁ ❁ ❁

س: ما الذي في قلوب الصحابة المبايعين لرسول الله ﷺ المذكور في قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن ذلك يتمثل في الصدق الذي أضمروه في نفوسهم لنصرة نبيهم ﷺ وعزمهم الأكيد على نصرته وعلى الوفاء بما وعدوا به وبايعوا عليه، وعلى الصبر على نصرته صلوات الله وسلامه عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالمغانم الكثيرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾؟

---

(١) مسلم (١٧٨٦).

ج: قال بعض أهل العلم: إنها مغانم خيبر فقد غنم المسلمون غنيمة عظيمة منها.

وقال آخرون: إنها عموم المغانم التي غنمها المسلمون بعد صلح الحديبية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم، وإنزاله السكينة عليهم، وإثابته إياهم فتحًا قريبًا، معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ(الفتح القريب) المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بذلك فتح خيبر فقد فتحها الله على المؤمنين بعد ذلك، وكانت خيبر ذات أموالٍ كثيرة وعقار.

وقد صح عن ابن أبي ليلى وقتادة القولُ بأن الفتح القريب فتح خيبر[1].

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالفتح القريب فتح مكة.

وقال آخرون: إن المراد بالفتح كل الفتوحات التي فتحت بعد هذه البيعة بيعة الرضوان، فيدخل في ذلك فتح خيبر وفتح مكة وسائر الفتوحات التي فتح الله عزَّ وجلَّ على نبيه محمد ﷺ وعلى المسلمين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾: وهو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(١) الأسانيد قد صحت بذلك عند الطبري وغيره.

س: الله سبحانه وتعالى يثيب على ما في القلوب من خيرٍ ونيةٍ صالحةٍ وإيمانٍ بجميل الثواب. دلِّل على ذلك؟

ج: نعم، فإن الله سبحانه وتعالى يثيب على ما في القلوب من صالح النوايا والخير والإيمان بجميل الثواب، فها هم أصحاب رسول الله ﷺ المبايعين له يوم الحديبية قد أخبر الله سبحانه وتعالى برضاه عنهم لِما علمه في قلوبهم من الخير، إذ الله قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾.

فانظر إلى هذا الخير المتوالي والمتواصل والعطاء الجزيل ما سببه؟!! إنه ما قد استقر في قلوب الصحابة من الخير والإيمان.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فماذا كان؟ ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، وأيضًا: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾، وكذلك: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾.

وكذلك مما يدل على أن الله سبحانه وتعالى يثيب على ما في القلوب قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا، وقد تقدمت في غير هذا الموطن.

❁ ❁ ❁

بعض المستفاد من صلح الحديبية

س: اذكر بعض الفوائد الفقهية المستنبطة من قصة الحديبية؟

ج: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» كمًّا كبيرًا من هذه الفوائد والحكم المستفادة منها، فقال[1]:

فصل

في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية

فمنها: اعتمار النبي ﷺ في أشهر الحج، فإنه خرج إليها في ذي القعدة.

ومنها: أن الإحرام بالعمرة من الميقات أفضلُ، كما أن الإحرام بالحج كذلك.

---

(١) زاد المعاد (جـ٣/ ٢٤٦-٢٦٠).

فإنه أحرم بهما من ذي الحُليفة، وبينها وبين المدينة ميلٌ أو نحوه، وأما حديث: «من أحرم بعمرة من بيت المقدس، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، وفي لفظ: «كانت كفارة لما قبلها من الذنوب»[1]، فحديث لا يثبت، وقد اضطرب فيه إسنادًا ومتنًا اضطرابًا شديدًا.

ومنها: أن سَوْقَ الهدي مسنونٌ في العمرة المفرَدَة، كما هو مسنون في القران.

ومنها: أن إشعَارَ الهدي سُنَّة لا مُثلَةٌ منهي عنها.

ومنها: استحباب مغايظة أعداء الله، فإن النبي ﷺ أهدى في جملة هديه جملًا لأبي جهل في أنفه برَةٌ من فضةٍ يَغيظ به المشركين، وقد قال تعالى في صفة النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ومنها: أن أميرَ الجيش ينبغي له أن يبعثَ العيونَ أمامه نحوَ العدو.

ومنها: أن الاستعَانَة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزةٌ عند الحاجة؛ لأن عينه الخزاعي كَانَ كافرًا إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذه أخبارهم.

ومنها: استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجًا لوجه الرأي، واستطابةً لنفوسهم، وأمنًا لعَتبهم، وتعرفًا لمصلحةٍ يختصّ بعلمها بعضهم دونَ بعض، وامتثالًا لأمر الرب في قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقد مَدَحَ سبحانه وتعالى عباده بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

ومنها: جواز سبي زراري المشركينَ إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال.

ومنها: ردُّ الكَلام الباطل ولو نسب إلى غير مكَلفٍ، فإنهم لما قالوا: خلأت

---

(١) ضعيف، ومختلف في سنده، أخرجه أبو داود (١٧٤١).

القَصوَاء، - يعنِي: حَرَنَت وألحت-، فلَم تَسر، والخِلاء في الإبل - بكسر الخاء والمد-، نظير الحران في الخيل، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خلقهَا وطبعها، رده عليهم، وقال: «ما خَلأَت ومَا ذَاكَ لَهَا بخُلق»، ثم أخبر ﷺ عن سبب بروكها، وأن الذي حَبَسَ الفيلَ عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التِي ظهرت بسبب حبسها، وما جرى بعده.

ومنها: أن تسمية ما يلابسه الرجل من مراكبه ونحوها سُنَّة.

ومنها: جواز الحَلف، بل استحبابه على الخبر الدينِي الذي يريد تأكيده، وقد حُفِظَ عن النبِي ﷺ الحلف في أكثر من ثَمَانينَ موضعًا، وأمره الله تعالى بالحَلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضعَ: في سورة «يونس»، و «سبأ»، و «التغابن».

ومنها: أن المشركين، وأهلَ البدَع والفجور، والبغاة والظلَمة، إذا طَلَبوا أمرًا يعَظمونَ فيه حرمةً من حرمات الله تعالى، أجيبوا إليه وأعطوه، وأُعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعانون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كُفرهم وبَغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكلّ من التمس المعاونةَ على محبوب لله تعالى مُرْضٍ له، أُجيبَ إلى ذلك كائنًا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوضٌ لله أعظم منه.

وهذا من أدق المواضع وأصعبهَا، وأشقهَا على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر ما قال، حتى عَملَ له أعمالًا بعده، والصديق تلقاه بالرضا والتسليم، حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله ﷺ، وأجاب عمَرُ عما سُئِلَ عنه من ذلك بعين جواب رسول الله ﷺ، وذلك يدل على أن الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ﷺ، وأعلمهم بدينه، وأقومهم بمحابِّه، وأشدّهم موافقةً له، ولذلك لم يسأل عمر عما عَرَضَ له إلا رسولَ الله ﷺ وصديقَه خاصة دونَ سائر أصحابه.

ومنها: أن النبِي ﷺ عَدَلَ ذاتَ اليمين إلى الحديبية. قال الشافعي: بعضهَا من الحلّ، وبعضها من الحَرَم.

وروى الإمام أحمد في هذه القصة أن النبِي ﷺ كان يصلي في الحرم، وهو

مضطرب في الحلّ[١] . وفي هذا كالدّلالة على أن مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يخصّ بِها المسجد الذي هو مكان الطواف، وأن قوله: «صَلاةٌ في المَسجد الحَرَام أَفضَل من مائة صَلاةٍ في مَسجدي»[٢] ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾[التوبة: ٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[الإسراء: ١] ، وكان الإسراء من بيت أم هانئ.

ومنها: أن من نزل قريبًا من مكة، فإنه ينبغي له أن ينْزل في الحلّ، ويصلي في الحَرم، وكذلك كان ابن عمر يصنع.

ومنها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العَدو إذا رأى المصلحةَ للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلكَ على أن يكون ابتداء الطلب منهم.

وفي قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، ولم يكن عادته أن يقام على رأسه، وهو قاعد، سنةٌ يقتدى بِها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام، وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبِي ﷺ بقوله: «مَن أَحَب أَن يَتَمَثلَ لَه الرجَال قيَامًا؛ فَليَتَبوأ مَقعَدَه من النار»[٣] ، كما أن الفخرَ والخيَلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره، وفي بعث البُدن في وجه الرسول الآخر دليل على استحباب إظهار شعائر الإسلام لرسل الكفار.

وفي قول النبِي ﷺ للمغيرة: «أَما الإسلاَم فَأَقبَل، وَأَما المَال فَلَست منه في شيء»، دليل على أن مال المشرك المعاهدَ معصوم، وأنه لا يملك، بل يرد عليه، فإن المغيرةَ كان قد صحبهم على الأمان، ثم غدر بهم، وأخذ أموالهم، فلم يتعرض النبِي ﷺ لأموالهم، ولا ذبّ عنها، ولا ضمنها لهم؛ لأن ذلك كان قبل إسلام المغيرة.

وفي قول الصديق لعروة: امصص بَظرَ اللات، دليلٌ على جواز التصريح باسم

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٥).

(٢) صحيح أخرجه ابن حبان (١٦٢٠).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٦)، وأحمد (٤/ ٩١).

العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي ﷺ أن يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية بِهَنِ أبيه، ويقال له: اعضض أير أبيك، ولا يكنَى له، فلكل مقام مقال.

ومنها: احتمال قلة أدب رسول الكفار، وجهله وجفوته، ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة، ولم يقابل النبيُّ ﷺ عروةَ على أخذه بلحيته وقتَ خطابه، وإن كانت تلك عادَة العرب، لكن الوقارَ والتعظيمَ خلاف ذلك.

وكذلك لم يقابل رسول الله ﷺ رَسولي مسيلمةَ حين قالا: نشهد أنه رسول الله وقال: «لَولا أن الرّسلَ لا تُقتَل لَقَتَلتكما»[1].

ومنها: طهارة النّخَامَة، سواءٌ كانت من رأسٍ أو صدر.

ومنها: طهارة الماء المستعمل.

ومنها: استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرَة المَكروهَة؛ لقوله لما جاء سهيل: «سَهلَ أَمركم».

ومنها: أن المشهودَ عليه إذا عرفَ باسمه واسم أبيه، أغنى ذلك عن ذكر الجَد؛ لأن النبي ﷺ لم يزد على محمد بن عبد الله، وقَنعَ من سهيل بذكر اسمه واسم أبيه خاصة، واشتراط ذكر الجد لا أصل له، ولما اشترى العَداء بن خالد منه ﷺ الغلامَ فكتب له: «هذا مَا اشترَى العَداء بن خَالد بن هَوذَةَ»[2]. فذكر جده، فهو زيادة بيان تَدلّ على أنه جائز لا بأس به، ولا تَدلّ على اشتراطه، ولما لم يكن في الشهرة بحيث يكتفى باسمه واسم أبيه ذكر جده، فيشترط ذكر الجد عند الاشتراك في الاسم واسم الأب، وعند عدم الاشتراك، اكتفي بذكر الاسم واسم الأب والله أعلم.

ومنها: أن مصالحةَ المشركين ببعض ما فيه ضَيمٌ على المسلمينَ جائزةٌ للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما.

ومنها: أن من حَلَفَ على فعل شيء، أو نَذَره، أو وَعَدَ غيرَه به ولم يعين وقتًا، لا

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢٧٦١)، وأحمد (٤/ ٤٨٧)، والحاكم (٢٦٣٢) (٤٣٧٧) من طريقين عن ابن إسحاق عن سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه مرفوعًا به.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (١٢١٦)، وابن ماجه (٢٢٥١)، وغيرهما.

بلفظه، ولا بنيته، لم يكن على الفور، بل على التراخي.

ومنها: أن الحلاقَ نسكٌ، وأنه أفضل من التقصير، وأنه نسكٌ في العمرة، كما هو نسكٌ في الحج، وأنه نسكٌ في عمرة المحصور، كما هو نسك في عمرة غيره.

ومنها: أن المحصَرَ ينحر هديَه حيث أُحصرَ من الحلّ أو الحرَم؛ وأنه لا يجب عليه أن يواعدَ من ينحره في الحرم إذا لم يَصل إليه، وأنه لا يتحلل حتى يصل إلى محله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥].

ومنها: أن الموضعَ الذي نحر فيه الهدي، كان من الحل لا من الحرم؛ لأن الحَرَمَ كله محل الهدي.

ومنها: أن المحصَرَ لا يجب عليه القضاء؛ لأنه ﷺ أمرَهم بالحلق والنحر، ولم يأمر أحدًا منهم بالقضاء، والعمرَة من العام القابل لم تكن واجبةً، ولا قضاءً عن عمرة الإحصار، فإنهم كانوا في عمرة الإحصار ألفًا وأربعمائة، وكانوا في عمرة القضيةَ دون ذلك، وإنما سُمِّيت عمرةَ القضية والقضاء؛ لأنها العمرة التِي قاضاهم عليها، فأُضيفت العمرة إلى مصدر فعله.

ومنها: أن الأمر المطلقَ على الفور وإلا لم يَغضَب لتأخيرهم الامتثال عن وقت الأمر، وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يَرجون النسخ، فأخَّروا متأولين لذلك، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه، وهو باطل، فإنه ﷺ لو فَهِمَ منهم ذلك، لم يشتَد غضبه لتأخير أمره، ويقول: «مَا لي لا أَغضَب، وأَنَا آمر بالأمر فلا أتبع»، وإنما كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور، وقد رضي الله عنهم، وغفر لهم، وأوجب لهم الجنة.

ومنها: أن الأصل مشارَكَة أمته له في الأحكام، إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت أمّ سلمة: «اخرج ولا تكَلم أحدًا حتى تَحلقَ رأسك وتنحر هديك»، وعلمت أن الناس سيتابعونه.

فإن قيل: فكيف فعلوا ذلك اقتداءً بفعله، ولم يمتثلوه حين أمرهم به؟! قيل: هذا هو السبب الذي لأجله ظن من ظن أنهم أخروا الامتثال طمعًا في النسخ، فلما فعلَ النبيّ ﷺ ذلك، عَلموا حينئذٍ أنه حكم مستَقرٌّ غير منسوخ، وقد تقدم فساد هذا

الظن، ولكن لما تغيظَ عليهم، وخرج ولم يكلمهم، وأراهم أنه بادر إلى امتثال ما أمر به، وأنه لم يؤخر كتأخيرهم، وأن اتباعهم له وطاعتَهم توجب اقتداءهم به، بادروا حينئذٍ إلى الاقتداء به وامتثال أمره.

ومنها: جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم إلى المسلمين، وألا يرد مَن ذهب من المسلمين إليهم، هذا في غير النساء، وأما النساء، فلا يجوز اشتراط رَدهن إلى الكفار، وهذا موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن، ولا سبيلَ إلى دعوى النسخ في غيره بغير موجب.

ومنها: أن خروجَ البضع من ملك الزوج متقوم، ولذلك أوجبَ الله سبحانه رد المهر على من هاجرت امرأته، وحيل بينَه وبينها، وعلى من ارتدت امرأته من المسلمين إذا استحق الكفار عليهم رد مهور من هاجر إليهم من أزواجهم وأخبر أن ذلك حكمه الذي حكم به بينهم، ثم لم ينسخه شيءٌ، وفي إيجابه رد ما أعطى الأزواج من ذلك دليلٌ على تقوّمه بالمسمى، لا بمهر المثل.

ومنها: أن رد من جاء من الكفار إلى الإمام لا يتناول من خرج منهم مسلمًا إلى غير بلد الإمام، وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام، لا يجب عليه ردّه بدون الطلب، فإن النبي ﷺ لم يرد أبا بصير حين جاءه، ولا أكرهه على الرجوع، ولكن لما جاؤوا في طلبه، مكنهم من أخذه ولم يكرهه على الرجوع.

ومنها: أن المعاهدين إذا تسلموه وتمكنوا منه فقتل أحدًا منهم لم يضمنه بديةٍ ولا قَوَدٍ، ولم يضمنه الإمام، بل يكون حكمه في ذلك حكمَ قتله لهم في ديارهم حيث لا حكم للإمام عليهم، فإن أبا بصيرٍ قتل أحد الرجلين المعاهدَين بذي الحُلَيْفَة، وهي من حكم المدينة، ولكن كان قد تسلمَّوه، وفُصِلَ عن يد الإمام وحكمه.

ومنها: أن المعاهدينَ إذا عاهدوا الإمام، فخرجت منهم طائفة، فحاربتهم، وغَنمَت أموالهم، ولم يَتَحَيزوا إلى الإمام، لم يجب على الإمام دفعهم عنهم، ومنعهم منهم، وسواءٌ دخلوا في عَقد الإمام، وعهده، ودينه، أو لم يدخلوا، والعهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين، لم يكن عهدًا بين أبي بصير وأصحابه وبينهم. وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم

عهد، جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يَغزوَهم، ويغنمَ أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام في نصارى مَلَطيَةَ وسبيهم، مستدلًّا بقصة أبِي بصير مع المشركين.

فصل: في الإشارة إلى بعض الحِكم التِي تضمنتها هذه الهدنة

وهي أكبر وأجَلّ من أن يحيط بِها إلا الله الذي أحكم أسبابَها فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده.

فمنها: أنَّها كانت مقَدمةً بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسولَه وجندَه، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، فكانت هذه الهدنة بابًا له، ومفتاحًا، ومؤذنًا بين يديه. وهذه عادة الله سبحانه في الأمور العظام. التِي يقضيها قدرًا وشرعًا، أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات، تُؤذِنُ بها، وتدلّ عليها.

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناسَ أمِنَ بعضهم بعضًا، واختلطَ المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرةً آمنين، وظهر من كان مختفيًا بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل. ولهذا سماه الله ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال ابن قتيبة: قضينا لك قضاءً عظيمًا، وقال مجاهد: هو ما قضى الله له بالحديبية.

وحقيقة الأمر: أن الفتح، في اللغة: فتح المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودًا مغلقًا حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صدّ رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، وكان في الصورة الظاهرة ضيمًا وهضمًا للمسلمين، وفي الباطن عزًّا وفتحًا ونصرًا، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى ما وراءَه من الفتح العظيم، والعزِّ، والنصر من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط، التِي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَربما كَانَ مَكروه النّفوس إلى ... مَحبوبها سَببًا مَا مثله سَبَب

فكان يَدخل على تلك الشروط دخولَ واثق بنصر الله له وتأييده، وأن العاقبَة له،

وأن تلك الشروطَ واحتمالها هو عَيْنُ النصرة، وهو من أكبر الجند الذي أقامه المشترطون، ونصبوه لحربهم، وهم لا يشعرون، فذلّوا من حيث طلبوا العز، وقهروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والغلبة، وعز رسول الله ﷺ وعساكِرُ الإسلام من حيث انكسروا لله، واحتملوا الضيم له وفيه، فدار الدور وانعكس الأمر، وانقلب العزّ بالباطل ذلًّا بحقٍّ، وانقلبت الكَسرة لله عزًّا بالله، وظهرت حكمة الله وآياته، وتصديق وعده، ونصرة رسوله على أتم الوجوه وأكملها التِي لا اقتراح للعقول وراءها.

ومنها: ما سببه - سبحانه - للمؤمنين من زيادة الإيمان والإذعان، والانقياد على ما أحبّوا وكرهوا. وما حصل لهم في ذلك من الرضا بقضاء الله، وتصديق موعوده، وانتظار ما وُعِدُوا به، وشهود مِنَّة الله ونعمَته عليهم بالسكينة التِي أنزلها في قلوبهم، أحوج ما كانوا إليها في تلك الحال التِي تَزَعزَع لها الجبال، فأنزل الله عليهم من سكينته ما اطمأنت به قلوبهم، وقويت به نفوسهم، وازدادوا به إيمانًا.

ومنها: أنه - سبحانه - جعل هذا الحكم الذي حكم به لرسوله وللمؤمنين سببًا لما ذكره من المغفرة لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولإتمام نَعمته عليه، ولهدايته الصراطَ المستقيم، ونصره النصر العزيز، ورضاه به، ودخوله تحته، وانشراح صدره به مع ما فيه من الضيم، وإعطاء ما سألوه، كان من الأسباب التِي نال بِها الرسول وأصحابه ذلك، ولهذا ذكره الله سبحانه جَزَاءً وغاية، وإنما يكون ذلك على فعل قام بالرسول والمؤمنين عند حكمه تعالى، وفتحه.

وتأمل كيف وصفَ - سبحانه - النصرَ بأنه عزيزٌ في هذا الموطن، ثم ذكر إنزالَ السكينة في قلوب المؤمنين في هذا الموطن الذي اضطربت فيه القلوب، وقَلَقَت أشد القلق، فهي أحوج ما كانت إلى السكينة، فازدادوا بِها إيمانًا إلى إيمانهم، ثم ذكر سبحانه بيعَتهم لرسوله، وأكدها بكونها بيعةً له سبحانه، وأن يَده تعالى كانت فوقَ أيديهم إذ كانت يد رسول الله ﷺ كذلك، وهو رسوله ونبيّه، فالعقد معه عقدٌ مع مرسله، وبيعته بيعته، فمن بايعه، فكأنما بايع الله، ويد الله فوقَ يده، وإذا كان الحجر الأسود يمينَ الله في الأرض[1]، فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله، وقبل يمينه،

(١) الحديث الوارد في هذا موضوع وانظره في العلل المتناهية لابن الجوزي (٢/ ٥٧٥ ح ٩٤٤)، وكشف =

فيد رسول الله ﷺ أولى بهذا من الحجر الأسود، ثم أخبر أن ناكثَ هذه البيعة إنما يعود نكثه على نفسه، وأن للموَفي بِها أجرًا عظيمًا، فكلّ مؤمن قد بايع الله على لسان رسوله بيعة على الإسلام وحقوقه، فناكث وموفٍ.

ثم ذكرَ حالَ من تخلفَ عنه من الأعراب، وظنهم أسوأ الظن بالله، أنه يخذل رسولَه وأولياءه، وجندَه، ويظفر بهم عدوهم، فلن ينقلبوا إلى أهليهم وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته، وما يليق به، وجهلهم برسوله وما هوَ أهل أن يعاملَه به ربّه ومولاه.

ثم أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله، وأنه سبحانه علم ما في قلوبهم حينئذٍ من الصدق والوفاء، وكمال الانقياد، والطاعة، وإيثار الله ورسوله على ما سواه، فأنزل الله السكينةَ والطّمَأنينة، والرضا في قلوبهم، وأثابهم على الرضا بحكمه، والصبر لأمره فتحًا قريبًا، ومغانمَ كثيرة يأخذونها، وكان أول الفتح والمغانم فتحَ خَيبَرَ، ومغانمها، ثم استمرت الفتوح والمغانم إلى انقضاء الدهر.

ووعدهم سبحانه مغانم كثيرة يأخذونها، وأخبرهم أنه عجل لهم هذه الغنيمة، وفيها قولان:

أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بينهم وبين عدوهم.

والثاني: أنَّها فتح خيبر وغنائمها.

ثم قال: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]، فقيل: أيدي أهل مكة أن يقاتلوهم، وقيل: أيدي اليهود حين همّوا بأن يغتالوا مَن بالمدينة بعد خروج رسول الله ﷺ بمن معه من الصحابة منها. وقيل: هم أهل خيبر وحلفاؤهم الذين أرادوا نصرهم من أسَد وغطفان. والصحيح تناول الآية للجميع.

وقوله: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: هذه الفعلة التِي فعلها بكم، وهي كفّ أيدي أعدائكم عنكم مع كثرتهم، فإنهم حينئذٍ كان أهل مكة ومن حولها، وأهل خيبر ومَن حولها، وأسدٌ وغَطفَان، وجمهور قبائل العرب أعداءً لهم، وهم بينَهم كالشامَة، فلم

= الخفاء (١/ ٤١٧ ح ١١٠٩).

يَصلوا إليهم بسوء، فمن آيات الله سبحانه كفّ أيدي أعدائهم عنهم، فلم يصلوا إليهم بسوء مع كثرتهم، وشدة عداوتهم، وتولي حراستهم، وحفظهم في مشهدهم ومغيبهم.

وقيل: هي فتح خيبر، جعلها آية لعباده المؤمنين، وعلامة على ما بعدها من الفتوح، فإن الله سبحانه وعدهم مغانم كثيرة، وفتوحًا عظيمة، فعجل لهم فتحَ خيبر، وجعلها آية لما بعدها، وجزاءً لصبرهم ورضَاهم يومَ الحديبية وشكرانًا، ولهذا خص بِها وبغنائمها مَن شهد الحديبية، ثم قال: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، فجمع لهم إلى النصر والظفَر والغنائم الهدايةَ، فجعلهم مهديين منصورين غانمين، ثم وعدهم مغانمَ كثيرة وفتوحًا أخرى، لم يكونوا ذلك الوقت قادرين عليها، فقيل: هي مكة، وقيل: هي فارس والروم، وقيل: الفتوح التِي بعد خيبر من مشارق الأرض ومغاربها.

ثم أخبر سبحانه أن الكفار لو قاتلوا أولياءَه، لولى الكفار الأدبارَ غيرَ منصورين، وأن هذه سنته في عباده قبلَهم، ولا تبديلَ لسُنته.

فإن قيل: فقد قاتلوهم يوم أُحد، وانتصروا عليهم، ولم يولّوا الأدبار.

قيل: هذا وعد معلق بشرط مذكور في غير هذا الموضع، وهو الصبر والتقوى، وفات هذا الشرط يومَ أُحد بفَشَلهم المنافي للصبر، وتنازعهم، وعصيانهم المنافي للتقوى، فصرفهم عن عدوهم، ولم يحصل الوعد لانتفاء شرطه.

ثم ذكر سبحانه؛ أنه هو الذي كفَّ أيدي بعضهم عن بعض من بعد أن أظفر المؤمنين بهم، لما لَه في ذلك من الحكم البالغة التِي منها: أنه كان فيهم رجالٌ ونساء قد آمنوا، وهم يكتمون إيمانَهم، لم يعلم بهم المسلمون، فلو سلطكم عليهم؛ لأصبتم أولئك بمعرة الجيش، وكان يصيبكم منهم معرة العدوان والإيقاع بمن لا يستحق الإيقاع به، وذكر سبحانه حصول المعرة بهم من هؤلاء المستضعفين المستخفين بهم؛ لأنها موجب المعرة الواقعة منهم بهم، وأخبر سبحانه أنهم لو زايلوهم وتميزوا منهم، لعذّب أعداءه عذابًا أليمًا في الدنيا، إما بالقتل والأسر، وإما بغيره، ولكن دفع عنهم هذا العذابَ لوجود هؤلاء المؤمنين بَينَ أظهرهم، كما كان يدفع عنهم عذابَ الاستئصال، ورسوله بين أظهرهم.

ثم أخبر سبحانه، عما جعله الكفار في قلوبهم من حَمية الجاهلية التِي مصدرها الجهل والظّلم، التِي لأجلها صدّوا رسولَه وعبَاده عن بيته، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، ولم يقرّوا لمحمد بأنه رسول الله ﷺ مع تحققهم صدقه، وتيقنهم صحةَ رسالته بالبراهين التِي شاهدوها وسمعوا بِها في مدة عشرين سنة، وأضاف هذَا الجَعلَ إليهم وإن كان بقضائه وقدره، كما يضاف إليهم سائر أفعالهم التِي هي بقدرتهم وإرادتهم.

ثم أخبر سبحانه، أنه أنزل في قلب رسوله وأوليائه من السكينة ما هو مقابل لما في قلوب أعدائه من حَمية الجاهلية، فكانت السكينة حظ رسوله وحزبه، وحمية الجاهلية حظ المشركين وجندهم، ثم ألزم عبادَه المؤمنين كلمة التقوى، وهي جنس يَعمّ كل كلمةٍ يتقى الله بها، وأعلى نوعها كلمة الإخلاص، وقد فُسِّرَت ببسم الله الرحمن الرحيم، وهي الكلمة التِي أبت قريش أن تلتزمها، فألزمَها الله أولياءَه وحزبه، وإنما حَرَمَها أعداءَه صيانة لها عن غير كفئها، وألزمها من هو أحقّ بِها وأهلها، فوضعها في موضعها، ولم يضيعها بوضعها في غير أهلها، وهو العليم بمحال تخصيصه ومواضعه.

ثم أخبر سبحانه، أنه صدَقَ رسولَه رؤياه في دخولهم المسجدَ آمنين، وأنه سيكون ولا بُدَّ، ولكن لم يكن قد آن وقت ذلك في هذا العام، والله سبحانه عَلمَ من مصلحة تأخيره إلى وقته ما لم تعلموا أنتم، فأنتم أحببتم استعجال ذلك، والربّ تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكمته ما لم تعلموه، فقدم بين يدي ذلك فتحًا قريبًا، توطئة له وتمهيدًا.

ثم أخبرهم بأنه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، فقد تكفل الله لهذا الأمر بالتمام والإظهار على جميع أديان أهل الأرض، ففي هذا تقوية لقلوبهم، وبشارة لهم وتثبيتٌ، وأن يكونوا على ثقة من هذا الوعد الذي لا بد أن ينجزه، فلا تظنّوا أن ما وقع من الإغماض والقهر يومَ الحديبية نصرة لعدوه، ولا تخليًا عن رسوله ودينه، كيف وقد أرسله بدينه الحق، ووعده أن يظهرَه على كل دينٍ سواه؟!

ثم ذكر سبحانه، رسولَه وحزبَه الذين اختارهم له، ومدحهم بأحسن المدح وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، فكان في هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم، لا كما يقول الكفار عنهم: إنهم متغلبون، طالبو ملك ودنيا، ولهذا لما رآهم نصارى الشام، وشاهدوا هديَهم وسيرتَهم، وعدلهم وعلمهم، ورحمتَهم وزهدَهم في الدنيا، ورغبتهم في الآخرة، قالوا: ما الذين صَحبوا المسيحَ بأفضلَ من هؤلاء، وكان هؤلاء النصارى أعرفَ بالصحابة وفضلهم من الرافضة أعدائهم، والرافضة تصفهم بضدِّ ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

❁ ❁ ❁

س: ما هذه المغانم الكثيرة التي قال الله عنها: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

أنها جميع المغانم التي غنمها المسلمون بعد صلح الحديبية.

ومنها: أنها جميع المغانم التي غنمها المسلمون بعد خيبر.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالغنيمة التي عجَّلها الله إذ قال: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنها غنائم خيبر.

الثاني: أنها الخير الذي حلَّ بالمسلمين في صلح الحديبية وعقب صلح الحديبية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ مع بيان المراد بالناس الذين كفَّ الله أيديهم عن أهل الإسلام.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله حفظكم وسلمكم من الشرور ومنع الناس من أن ينالونكم بسوءٍ أو مكروه.

أما المراد بالناس فمن أهل العلم من قال: هم اليهود - يهود خيبر - كف الله أيديهم ومنع الله شرورهم عن أهل المدينة لما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه منها إلى الحديبية، فكان بالإمكان أن يتسلط هؤلاء اليهود الأشرار على نساء المسلمين بالمدينة وعلى ذراري المسلمين بالمدينة فيقتلونهم أو يأسرونهم ولكن الله سلَّم وحفظ؛ وهذا قول قتادة وغيره.

ومن أهل العلم من قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ حفظكم يا أهل الإسلام ممن أرادكم بسوءٍ من أهل الشرك وذلك يوم الحديبية.

واختار الطبري رحمه الله تعالى قول قتادة في هذا المقال فقال: والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤]، فعلم بذلك أن الكف الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ غير الكف الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وتكون هذه الكرامات وتلك الانتصارات والفتوحات دلالة للمؤمنين على أن الذي يحفظ هو الله والذي ينصر هو الله، والذي يستحق أن يُبعد ويوحد هو الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وكلاءتهم في مشهدهم ومغيبهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته، منتهين إلى أمره ونهيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال. وكذلك كف أيدي الناس الذين خلفتموهم وراء أظهركم عن عيالكم وحريمكم، ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يعتبرون بذلك، فإن الله حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء، مع قلة عددهم، وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العليم بعواقب الأمور، وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر، كما قال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وكف أيدي الناس عنكم وحفظكم في أنفسكم وعيالكم وليكن في ذلك دلالة على حفظ الله لكم ونصره لكم فتقدموا شكرًا لربكم فيهديكم ربكم صراطًا مستقيمًا أي: يسددكم ويوفقكم لسلوك الطريق السوي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ذلكم الطريق الذي ينتهي بكم إلى الجنة بإذن الله.

هذا، وقد أورد الطبري من طريق معمر عن قتادة قال: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وذلك آية للمؤمنين، كفُّ أيدي الناس عن عيالهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ يقول: ويسددكم أيها المؤمنون طريقًا واضحًا، لا اعوجاج فيه، فيبينه لكم، وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم، فتتوكلوا عليه في جميعها، ليحوطكم حياطته إياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله ﷺ في أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فقد رأيتم أثر فعل الله بكم؛ إذ وثقتم في مسيركم هذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾.

ج: المعنى: ووعدكم الله عزَّ وجلَّ فتح بلدة أخرى وإعطائكم غنيمة أُخرى لم تقدروا أنتم الآن على تحصيلها ولكن الله عزَّ وجلَّ أحاط بها لكم ووعدكم بها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـــه: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي: وغنيمة أخرى وفتحًا آخر معينًا لم تكونوا تقدرون عليها، قد يَسَّرها الله عليكم، وأحاط بها لكم، فإنه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون.

❁ ❁ ❁

س: ما هذه الغنيمة الأخرى أو البلدة الأخرى التي لم يقدروا عليها وقد أحاط الله بها؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أنها خيبر، وهذه قول من قال إن قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ المراد بها ما كان في صلح الحديبية من خير، فعليه قالوا: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي خيبر.

الثاني: أنها الفتوحات التي جاءت بعد خيبر كفارس والروم.

الثالث: أن المراد فتح مكة، وهذا اختيار الطبري بعد أن نقله عن قتادة، فقال:

وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها، ومعقول أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتتعذر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدروا عليها.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان معلومًا أن رسول الله ﷺ لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشًا ولا سرية، علم أن المعني بقوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ غيرها، وأنها هي التي قد عالجها ورامها، فتعذرت فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم، وكان الله على كل ما يشاء من الأشياء ذا قدرة، لا يتعذر عليه شيء شاءه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾
سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ
ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ
فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

[الفتح: ٢٢-٢٦]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ - وَلِيًّا - نَصِيرًا - سُنَّةَ ٱللَّهِ - خَلَتْ - تَبْدِيلًا - أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ - وَصَدُّوكُمْ - وَٱلْهَدْىَ - مَعْكُوفًا - أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ - تَطَـُٔوهُمْ - مَّعَرَّةٌۢ - تَزَيَّلُوا۟ - ٱلْحَمِيَّةَ - حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ - سَكِينَتَهُۥ - وَأَلْزَمَهُمْ - كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾	لانصرفوا فارّين وظهورهم لكم وأعجازهم أمامكم
﴿وَلِيًّا﴾	شخصًا يتولاهم وينصرهم
﴿نَصِيرًا﴾	من ينصرهم عليكم
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾	السنة هي الطريقة المسلوكة المتبعة (والمراد ما يصنعه الله
﴿خَلَتْ﴾	مضت
﴿تَبْدِيلًا﴾	تغييرًا - تحويلًا
﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾	مكنكم منهم -نصركم عليهم- جعل لكم الظفر والغلبة عليهم
﴿وَصَدُّوكُمْ﴾	منعوكم
﴿وَٱلْهَدْىَ﴾	الأنعام التي تهدى لله عزَّ وجلَّ (في الحج وغيره)
﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾	ممنوعًا أن يصل إلى المكان الذي يُنحر فيه، وذلك هو الحرم
﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾	تقتلوهم - تؤذونهم
﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾	إثمٌ - غرم الدِّية - الغرامات الناشئة عن الديات - عارٌ (تعيرون بهم فيقولون قتلوا إخوانهم)
﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾	لو انفصلوا وتميزوا
﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾	العصبية

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾	عصبية الجاهلية
﴿سَكِينَتَهُۥ﴾	الصبر والإيمان والوقار
﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾	جعلهم يلتزمون بها ويتمسكون بها
﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	الكلمة التي يتقى بها من النار وهي لا إله إلا الله

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ولو بدأت الحرب بينكم وبين أهل الكفر يا أهل الإيمان وبدأ القتال لانصرف أهل الكفر منهزمين فارين هاربين، فبعد أن كانوا يواجهونكم وجهًا لوجه انصرفوا هاربين، ظهورهم لكم بعد أن كانت وجوههم أمامكم، هربوا يبحثون عن وليٍّ يتولاهم ويحفظهم منكم أو نصيرٍ ينصرهم عليكم فلا يجدون حينئذٍ وليًّا يتولاهم ويحفظهم ويمنعهم منكم ولا نصيرًا ينصرهم عليكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله أيها المؤمنون بمكة ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ يقول: لانهزموا عنكم، فولوكم أعجازهم، وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ يقول: ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم، المولوكم الأدبار، وليًّا يواليهم على حربكم، ولا نصيرًا ينصرهم عليكم؛ لأن الله تعالى ذكره معكم، ولن يغلب حزب الله ناصره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ يقول تعالى مبشرًا لعباده المؤمنين: بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفار فارًّا مدبرًا لا يجدون وليًّا ولا نصيرًا؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن هذا الذي يُنْزِلُهُ الله بأهل الكفر من الهزيمة ومن جعلهم يولون الأدبار وينصرفون منهزمين، هذا شأن الله في الأمم الكافرة المتقدمة كلما قاتلوا المؤمنين ولوا الأدبار وانصرفوا هاربين، وهذا أمر لا يتغير ولا يتبدل فهي عادة مطردة وشأن مستمرٌّ، يُفعل هذا دومًا بأهل الكفر ولن تجد لهذا تغييرًا ولا تبديلًا ولا تحويلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ يقول تعالى ذكره: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم. وأخرج قوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ نصبًا من غير لفظه، وذلك أن في قوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان، فلذلك قيل: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ مصدرًا من معنى الكلام لا من لفظه، وقد يجوز أن تكون تفسيرًا لما قبلها من الكلام.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنَّها في خلقه تغييرًا، بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال.

قال الحافظ ابن كثير:

ثم قال: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلى نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعُدَدهم، وكثرة المشركين وعُدَدهم.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، قد صح لها سبب نزول.

أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أنس بن مالك، أن ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم، متسلحين يريدون غِرَّة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلْمًا، فاستحياهم، فأنزل الله عز و جل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد ببطن مكة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها مكة نفسها.

الثاني: أنها الحديبية، قالوا: لأن بعضها مضاف إلى الحرم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

ج: يذكر الله -سبحانه وتعالى- مِنَّته على المؤمنين، وكذا قدرته على الجميع فيقول سبحانه مُذكرًا أهل الإيمان لعلهم يشكرون: وهو الذي حفظكم من عدوِّكم يا أهل الإيمان وسلمكم منهم، ومنعهم من الوصول إليكم بسوء ومكروه، ومنع أيديهم من التمكن منكم وإلحاق الأذى بكم، وذلك ببطن مكة - من ناحية جبل التنعيم، فقد توجهوا للنيل منكم ولقتلكم ولكن الله سلمكم وحفظكم.

وكذا منعكم من قتلهم ومن إلحاق الأذى بهم بعد أن مكنكم الله منهم، وفي ذلك فضل من الله عليكم يا أهل الإيمان قد لا تشعرون به، فلعل قتلهم كان يحمل شرًّا أو يُفسد صلحًا نافعًا للمسلمين، وفيه أيضًا فضلٌ من الله على هؤلاء الذين كفَّ

(١) مسلم (١٨٠٨).

الله أيديكم عنهم لعلهم يتوبون أو يُسلمون.

وكل ذلك يجري ويحدث والله عزَّ وجلَّ به بصيرٌ، وبه عليمٌ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لرسوله ﷺ: والذين بايعوا بيعة الرضوان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ يعني: أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ، بالحديبية يلتمسون غرتهم ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله ﷺ، ومن عليهم ولم يقتلهم، فقال الله للمؤمنين: وهو الذي كفَّ أيدي هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾: هذا امتنانٌ من الله على عباده المؤمنين حين كفَّ أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكفّ أيدي المؤمنين من المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان كلًّا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحًا فيه خيرَةٌ للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن هؤلاء أهل الشرك من أهل مكة هم الكفار حقًّا، فهم الذين منعوكم في دخول المسجد الحرام، وكذا فهاهو الهدي الذي تتقربون إلى الله عزَّ وجلَّ بنحره في البلد الحرام قد مُنع من الوصول إلى محل نحره وذبحه، فهو محبوسٌ ممنوع من الوصول إلى محل نحره وذبحه، ولم يكن هذا من عادتهم حتى في الجاهلية، لم يكن من عادة الكفار منع من أراد الحج أو العمرة، ومنع من أراد الوصول بهديه إلى الحرم كي ينحر هديه هنالك، ولكن حملتهم الأنفة والعصبية الجاهلية وحمية الجاهلية على منع المسلمين من الوصول بهديهم إلى

الحرم، وكان هذا عام الحديبية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، وصدوا الهدي معكوفا: يقول: محبوسًا عن أن يبلغ محله. فموضع ﴿أَن﴾ نصب لتعلقه إن شئت بمعكوف، وإن شئت بـ(صدوا). وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك: وصدوا الهدي معكوفًا كراهية أن يبلغ محلّه.

وعني بقوله تعالى ذكره: ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ أن يبلغ محل نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حلّ نحره، وكان رسول الله ﷺ ساق معه حين خرج إلى مكة في سفرته تلك سبعين بدنة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومَنْ مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: هم الكفار دون غيرهم، ﴿وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: وأنتم أحقُّ به، وأنتم أهله في نفس الأمر، ﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ أي: وصدوا الهدي أن يصل إلى محله، وهذا من بغيهم وعنادهم، وكان الهديُ سبعين بدنة، كما سيأتي بيانه.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة[1] قال:

قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا﴾: أي محبوسًا ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ وأقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية، صدهم المشركون، فصالحهم نبي الله ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليالٍ، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من أهلها، فنحروا الهدي، وحلقوا، وقصروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه حتى

(١) وهذا كما هو واضح تفسيرٌ من قتادة للآية وإلا فقتادة تابعي لم يدرك رسول الله ﷺ، وخبره عن رسول الله وعن نزول الآيات داخل في المراسيل.

دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليالٍ، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردوه، فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- ولولا وجود رجال من أهل الإيمان كانوا مستضعفين، فلم يستطيعوا الخروج من مكة فبقوا في أوساط أهل الشرك، وكذا نساءٌ مؤمنات متواجدات في مكة لم يستطعن الهجرة، فإذا أذنا لكم بدخول مكة والقتال لأصبتم بخيلكم ووطأتم بأرجلكم وفرسانكم هؤلاء الرجال المؤمنين وكذا النسوة المؤمنات، فحينئذٍ أصابتكم بذلك معرةٌ، يعني: إثمٌ وذنب، وكذا دية القتل الخطأ، وذلك لكونكم قتلتم إخوانكم المؤمنين وأخواتكم المؤمنات، لولا هذا لأبحنا لكم ولأذنَّا لكم بالقتال، ولكننا -للعلة المذكورة، وهي خشية أن تقتلوا إخوانكم المؤمنين وأخواتكم المؤمنات - لم نسلطكم على أهل الكفر لتواجد إخوانكم وأخواتكم في أوساطهم، وكذا أرجأنا وأخرنا قتل هؤلاء الكفار لعل تائبًا منهم أن يتوب ومهتديًا منهم أن يهتدي وكافرًا منهم أن يسلم وإلا فلو تميَّز أهل الإيمان وانفصلوا عن أهل الكفر لأنزلنا بالذين كفروا عذابنا ولأحللنا بهم بطشتنا ولأريناهم بأسنا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم.

وقال أيضًا:

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يقول: ليدخل الله في الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه.

وقال كذلك:

وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: سبَّة، ويقال: عيب وملامة، ومعناه: أن الكفار يعيبونكم، ويقولون: إنهم يقتلون أهل دينهم. ويقال في المعرة: هي لزوم الدية عند القتل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ أي: بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم، لكُنا سَلَّطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوامًا لا تعرفونهم حالة القتل؛ ولهذا قال: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي: إثم وغرامة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام.

ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ أي: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلًا ذريعًا.

❁ ❁ ❁

س: الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب أحيانًا على الكفار بسبب المؤمنين، وأحيانًا يصرف السوء عن مؤمن بسبب رجل كافر، وضح ذلك!

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجلَّ صرف العذاب عن أهل مكة ولم يسلط عليهم

المؤمنين بسبب وجود بعض أهل الإيمان في أوساطهم، وإلا فربُّنا قد قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

وفي المقابل قال رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

والخبر بذلك الأخير في البخاري وغيره[1]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله - ﷺ - فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار». فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالًا شديدًا، فأصابته جراحة فقيل: يا رسول الله، الذى قلت: إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالًا شديدًا وقد مات. فقال النبي ﷺ: «إلى النار». قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت، ولكن به جراحًا شديدًا. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبى ﷺ بذلك فقال «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله». ثم أمر بلالًا، فنادى بالناس « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ».

❁ ❁ ❁

س: لو تترس كفار بمسلمين هل يُقتل الكفار وإن أصيب المسلمون أو قتلوا أم لا؟

ج: هذه المسألة مبناها على المصلحة الأعظم، وكذا مبناها على قدر المفاسد، فإن كانت المصلحة الأعظم لعموم المسلمين تتحقق بقتل الكفار ولو تترسوا بالمسلمين، قتل الكفار، وإنْ أُصيب المسلمون أو قتلوا فالمسألة بحسبها وعلى حسب تقديرات العلماء والمسئولين عن شئون القتال لذلك، والله أعلم.

وأنقل هنا قول القرطبي وما نقله عن غيره من العلماء إذ قال:

هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن؛ إذ لا يمكن أذية الكافر إلا بأذية المؤمن قال أبو زيد: قلت لابن القاسم: أرأيت لو أن قومًا من المشركين في حصن من حصونهم حصرهم أهل الإسلام وفيهم قوم من المسلمين أسارى في

---

(١) البخاري (٣٠٦٢).

أيديهم أيحرق هذا الحصن أم لا؟ قال: سمعت مالكًا وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم: أنرمي في مراكبهم بالنار ومعهم الأسارى في مراكبهم؟ قال: فقال مالك: لا أرى ذلك لقوله تعالى لأهل مكة: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه وإن فعل ذلك فاعل فأتلف أحدًا من المسلمين فعليه الدية والكفارة فإن لم يعلموا فلا دية ولا كفارة وذلك أنهم إذا علموا، فليس لهم أن يرموا فإذا فعلوه صاروا قتلة خطأ والدية على عواقلهم فإن لم يعلموا، فلهم أن يرموا وإذا أبيحوا الفعل لم يجز أن يبقى عليهم فيها تباعة قال ابن العربي: وقد قال جماعة إن معناه لو تزيلوا عن بطون النساء وأصلاب الرجال وهذا ضعيف؛ لأن من في الصلب أو في البطن لا يوطأ ولا تصيب منه معرة وهو سبحانه قد صرح، فقال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ وذلك لا ينطلق على من في بطن المرأة وصلب الرجال وإنما ينطلق على مثل: الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة وأبي جندل بن سهيل وكذلك قال مالك: وقد حاصرنا مدينة الروم، فحبس عنهم الماء، فكانوا ينزلون الأسارى يستقون لهم الماء، فلا يقدر أحد على رميهم بالنبل، فيحصل لهم الماء بغير اختيارنا وقد جوَّز أبو حنيفة وأصحابه و الثوري الرمي في حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى من المسلمين وأطفالهم ولو تترس كفار بولد مسلم رمي المشرك وإن أصيب أحد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة وقال الثوري: فيه كفارة ولا دية وقال الشافعي بقولنا: وهذا ظاهر فإن التوصل إلى المباح المحظور لا يجوز سيما بروح المسلم فلا قول إلا ما قاله مالك رضي الله عنه والله أعلم.

قلت: قد يجوز الترس ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس ومعنى أنها كلية: أنها قاطعة لكل الأمة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، فإن لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الأمة ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعًا.

قال علماؤنا: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها؛ لأن الفرض أن الترس مقتول قطعًا فإما بأيدي العدو، فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدوِّ على كل المسلمين، وإما بأيدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه؛ لأنه تلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نفرت منها نفس من لم يمعن النظر فيها فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها عدم أو كالعدم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحمية الجاهلية التي تقلدها الكفار وذكر الله شأنهم إذ قال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾؟

ج: هي عصبيتهم لكفرهم وضلالهم وإبائهم وامتناعهم عن قبول الحق حمية لجاهليتهم وتعصبًا لها، وكان ذلك متمثلًا في امتناع كبيرهم سهيل بن عمرو من الإقرار بكلمة بسم الله الرحمن الرحيم، وقوله: لا ندري ما الرحمن وما ندري ما الرحيم؟ وكذا امتناعه عن الإقرار بأن محمدًا رسول الله، وكذا منعه لرسول الله ﷺ من دخول مكة عامه هذا.

وذلك على ما تقدم في الحديث الطويل الذي أخرجه البخاري وغيره والذي أوردته بطوله فيما تقدم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ عامه ذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل لقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ تعلق بما قبله؟

ج: نعم، قد ذكر بعض أهل العلم ذلك فقالوا: المعنى: لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا لما جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لما تعصب أهل الكفر لكفرهم وغضبوا وأصروا على أن لا تكتب كلمة محمد رسول الله وأصروا أيضًا على كتابة باسمك اللهم، ألزم الله عزَّ وجلَّ نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه كلمة التقوى، فجعلهم ملتزمين بها ومستمسكين بها، وهي لا إله إلا الله، وأنزل عليهم الصبر والإيمان والحلم والسكينة، فانتهى الأمر بحمد الله إلى خيرٍ، وآل الأمر إلى كل جميلٍ ومحمود.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره، فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين؛ إذ حمي الذين كفروا حمية الجاهلية، ومنعوهم من الطواف بالبيت، وأبوا أن يكتبوا في الكتاب بينه وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يقال: ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب.

س: ما المراد بكلمة التقوى؟

ج: هي الكلمة التي تُتقى بها النار، ويُتقى بها العذاب، وهي كلمة لا إله إلا الله.

وقال بعض أهل العلم: إنها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقال آخرون: إنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وقال غيرهم: إنها لا إله إلا الله، والله أكبر.

وقيل غير ذلك، فمنهم من قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من قال: إنها الإخلاص، وكل هذا صحيح، وبينه تلازمٌ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢٦﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- أن الله عزَّ وجلَّ أنزل السكينة، وهي الصبر والوقار والإيمان على المؤمنين وجعلهم أشد تمسكًا والتزامًا بكلمة التقوى من غيرهم، وكانوا أهلًا للتمسك بكلمة التقوى وأهلًا لكل خيرٍ، وأهلًا لنزول السكينة عليهم، والله سبحانه وتعالى أعلم بكل شيءٍ، واعلم بأنهم كانوا يستحقون التفضيل عليهم من الله بأن يُلزمهم الله كلمة التقوى، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان رسول الله ﷺ: والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين وأهلها: يقول: وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله بكل شيء ذا علم، لا يخفى عليه شيء هو كائن، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات لم تعلمرهم، لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى
ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

[الفتح: ٢٧-٢٩]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿صَدَقَ - بِٱلْهُدَىٰ - وَدِينِ ٱلْحَقِّ - لِيُظْهِرَهُۥ - ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ - وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ - شَهِيدًا - أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ - رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ - يَبْتَغُونَ - فَضْلًا - وَرِضْوَٰنًا - سِيمَاهُمْ - شَطْـَٔهُۥ - فَـَٔازَرَهُۥ - فَٱسْتَغْلَظَ - فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿صَدَقَ﴾	حقَّق
﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾	البيان الواضح الذي يُهتدى به إلى الحق، (والعلم النافع)
﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	الدين الصحيح (دين الإسلام)
﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾	لينصره - ليُعليه
﴿ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	الأديان الباطلة كلها
﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾	الله يكفي عما سواه
﴿شَهِيدًا﴾	شاهدًا
﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾	غلاظ على الكفار - غليظة قلوبهم عليهم
﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾	لينون - رقيقة قلوبهم - يتراحمون فيما بينهم - يعطف بعضهم على بعض ويحنو بعضهم على بعض وتلين قلوبهم لإخوانهم
﴿يَبْتَغُونَ﴾	يطلبون - يلتمسون
﴿فَضْلًا﴾	تفضلًا من الله عليهم (برحمته لهم ورزقه لهم وعونه لهم ونصره لهم)
﴿وَرِضْوَٰنًا﴾	رضًا من الله عنهم
﴿سِيمَاهُمْ﴾	علاماتهم في وجوههم

﴿شَطْـَٔهُۥ﴾	نباته - النباتات الصغيرة - أفراخه
﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾	فقوَّاه وأعانه
﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾	أصبح غليظًا
﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾	تقوَّى

❁ ❁ ❁

س: ما هذه الرؤيا التي قال الله عزَّ وجلَّ في شأنها: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾؟

ج: حاصل هذه أن الله عزَّ وجلَّ أرى نبيه محمدًا ﷺ رؤيا في منامه، حاصلها أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام معتمرين، منهم من يحلق شعره للتحلل من عُمرته، ومنهم من يُقصر آمنين مطمئنين، لا يخافون عدوهم ولا يخشونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمدًا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصرًا بعضهم رأسه، ومحلقًا بعضهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان رسول الله ﷺ قد أُرِي في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية، لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا» قال: لا قال: «فإنك آتيه ومطوف به».

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؟

ج: ذلك علمه الله عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ كي يعلمه النبي ﷺ، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ قال ابن كيسان: إنه حكاية ما قيل للنبي ﷺ في منامه خوطب في منامه بما جرت به العادة، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ولهذا استثنى، تأدب بأدب الله تعالى؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤]، وقيل: خاطب الله العباد بما يحب أن يقولوه كما قال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقيل: استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل: كان الله علم أنه يميت بعض هؤلاء الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسين بن الفضل وقيل: الاستثناء من ﴿آمِنِينَ﴾ وذلك راجع إلى مخاطبة العباد على ما جرت به العادة وقيل: معنى: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ إن أمركم الله بالدخول وقيل: أي إن سهل الله وقيل: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ أي كما شاء الله وقال أبو عبيدة: ﴿إِن﴾ بمعنى: «إذ» أي إذ شاء الله كقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[البقرة: ٢٧٨] أي: إذ كنتم وفيه بعد لأن «إذ» في الماضي من الفعل و«إذا» في المستقبل وهذا الدخول في المستقبل فوعدهم دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط المشيئة وذلك عام الحديبية فأخبر أصحابه بذلك فاستبشروا ثم تأخر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه فساءهم ذلك واشتد عليهم وصالحهم ورجع، ثم أذن الله في العام المقبل، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ وإنما قيل له في المنام: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ فحكى في التنزيل ما قيل له في المنام فليس هنا شكٌّ كما زعم بعضهم أن الاستثناء يدل على الشك والله تعالى لا يشك و﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ تحقيق فكيف يكون شك ﴿إِن﴾ بمعنى «إذا».

قال السمعاني في تفسيره:

ما معنى قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ والله تعالى هو المخبر، وما يخبر عنه كائن لا محالة، والاستثناء إنما يدخل على شيء يجوز أن يكون، ويجوز ألا يكون؟

والجواب من وجوه: أحدها: أن معنى قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إذا شاء الله.

والوجه الثاني: أن الآية على التقديم والتأخير، ومعناه: لتدخلن المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين، لا تخافون إن شاء الله.

والوجه الثالث: أنه كان مع النبي ﷺ قوم عند نزول هذه الآية، منهم من غاب، ومنهم من مات قبل أن يحصل الموعود، فالاستثناء إنما وقع على هذا أنه يدخل بعضهم أو جميعهم.

والوجه الرابع: وهو الأولى أن الله تعالى قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هاهنا على ما أحب ورضي وأمر به عباده، فإنه أمرهم أن يستثنوا فيما يخبرون به من الأمور المستقبلة، ويدونه على ما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وهذا أمر له ولجميع الأمة، فقال تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وإن علم وقوع الفعل ليقتدي به المؤمنون، ولا يتركوا هذه الكلمة فيما يخبرون به من الأمور التي لم يعلموا وقوعها. قال الأزهري: وكأنه قال: لما قلت إن شاء الله فيما علمت وقوعه، فلأن تقولوا إن شاء الله فيما لم تعلموا وقوعه أولى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- منكم من حلق رأسه بعد أداء عمرته أو حجته، ومنكم من قصَّر شعره.

❁ ❁ ❁

س: أيهما أفضل الحلق أم التقصير (بعد أداء العمرة أو الحج)؟

ج: على الإجمال فالحلق أفضل، وذلك لأن النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثًا، وللمقصرين مرة واحدة.

أما إذا كانت العمرة التي سيتحلل منها عمرة التمتع للحج فالأولى فيها أن يقصر الشخص عقبها ويترك الحلق إلى الحج.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ قصَّر شعره في بعض عمراته التي اعتمرها غير عمرة الحج؟

ج: نعم، قد ثبت ذلك ففي الصحيح من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قصَّر شعره عقب بعض عمراته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾.

ج: المعنى هاهنا -والله أعلم- أن الله عزَّ وجلَّ علم ما لم يعلمه المؤمنون، وكان مما علمه الله عزَّ وجلَّ ولم يعلمه المؤمنون أمر الرجال المستضعفين من أهل الإيمان الذين هم بمكة وكذا النسوة المؤمنات فإن أهل الإيمان كانوا سيطؤونهم ويقتلونهم بغير علم.

وكان مما علمه الله ولم يعلمه المؤمنون أن أقوامًا من أهل الشرك سيسلمون في هذه الفترة وتلك الهدنة التي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين.

وكان مما علمه الله ولم يعلمه المؤمنون أن خيبر ستفتح بعد هذا الصلح.

إلى غير ذلك مما علمه الله ولم يعلمه أهل الإيمان، والله أعلم.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم الله جل ثناؤه ما لم تعلموا، وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين، الذين لم يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرجل، فأصابتهم منهم معرة بغير علم، فردهم الله عن مكة من أجل ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: فعلم الله تعالى من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفتح القريب الذي قال الله عنه: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم إنه صلح الحديبية، فقد كان فتحًا.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه فتح خيبر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحًا قريبًا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ وكان صلح الحديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عمَّ ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

والصواب أن يعمَّه كما عمه، فيقال: جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون المشركين صلح الحديبية وفتح خيبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله عزَّ وجلَّ هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى، وهو البيان الواضح المتمثل في الكتاب العزيز والسنة المباركة، المتمثل في العلم النافع، وكذا أرسله بالدين الحق، وهو دين الإسلام وما فيه من الشرائع ليظهره أي: ليغلبه، وليجعله غالبًا للأديان الباطلة والملل الفاسدة كلها، وإن رغمت أنوف المشركين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبيان الواضح، ودين الحق، وهو الإسلام؛ الذي أرسله داعيا خلقه إليه ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يقول: ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه،

وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، فحينئذٍ تبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمدًا ﷺ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ يقول جلَّ ثناؤه لنبيه ﷺ: أشهدك يا محمد ربك على نفسه، أنه سيظهر الدين الذي بعثك به ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ يقول: وحسبك به شاهدًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى، مبشرًا للمؤمنين بنُصرة الرسول -صلوات الله عليه- على عدوِّه وعلى سائر أهل الأرض: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حقٌّ وإنشاءاتها عدل، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم وملبين ومشركين، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: أنه رسوله، وهو ناصره.

❁ ❁ ❁

بعض أوصاف أصحاب رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل والأمثال المضروبة لهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾.

ج: هذه شهادة من الله عزَّ وجلَّ لنبيه محمد ﷺ بالرسالة وإخبارٌ بذلك ووصف لأصحابه الذين آمنوا به وصدقوه، فإنهم أشداء على الكفار أي: غلاظ على الكفار غير رحماء بهم، ولكنهم - أي: أصحاب النبي ﷺ - رحماء فيما بينهم يعطف بعضهم على بعض، ويحنو بعضهم على بعض ويتألم بعضهم لألم بعض، ورقيقةٌ قلوب بعضهم على بعض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره:

محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر من الأدلة ما يفيد أن المسلمين ينبغي أن يشتدوا على الكفار إذا لم يؤمنوا.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في وصف أصحاب نبيه ﷺ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكذا عموم الأوامر الواردة بقتالهم.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

❁ ❁ ❁

س: لماذا هذه الشدةُ على الكفار؟

ج: هذه الشدة عليهم امتثالًا لأمر الله عزَّ وجلَّ، ثم لعلهم يرتدعون ويقلعون عن كفرهم فيُسلمون.

قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

وقال النبي ﷺ: «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة التي تحث على التراحم بين أهل الإيمان وتُبين أن ذلك من أوصافهم.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨] والمؤمنون لرسولهم تبع.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى في شأن أهل الإيمان: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الحديث: «وأهل الجنة ثلاثة: رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- ترى بعضهم راكعًا وبعضهم ساجدًا، هذه غالب أحوالهم، وأيضًا تراهم أحيانًا رُكعًا وأحيانًا سُجدًا، يلتمسون بهذه الصلاة، وبهذا الركوع وذاك السجود تفضلًا من الله عليهم بأن يكرمهم في الآخرة ويؤتيهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيهم عذاب النار، ويتفضل عليهم بجنته ورضاه عنهم.

أورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ:

عن قتادة: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يقول: تراهم ركعًا أحيانًا لله في صلاتهم سجدًا أحيانًا ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضًا، فضلًا من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ يقول: وأن يرضى عنهم ربهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بهذه السيما التي في الوجوه؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها علامات يجعلها الله يوم القيامة في وجوه أهل الإيمان الذين كانوا يسجدون له في الدنيا، فيعرفون بها يوم القيامة، أي: أن علامات سجودهم تبدو في وجوههم يوم القيامة. ومن العلماء من قال: إن ذلك نورٌ وبياضٌ في الوجوه يوم القيامة، ومنهم من قال: إنها نضرةٌ في الوجوه يوم القيامة.

القول الثاني: أن المراد بذلك علامات الإسلام، وسمتُ الإسلام، وأثر الإسلام يبدو على الوجوه ويظهر عليها، ويظهر عليها كذلك أثر الخشوع لله عزَّ وجلَّ.

فيُعرف المسلم بسمته وهيئته ومنظره وطريقته في الدنيا، فيُرى على المؤمنين سمت الإسلام الحسن في دنياهم.

القول الثالث: أنه أثر العبادة يبدو على وجوههم في الدنيا، أثر قيام الليل، أثر السهر والتعب والنصب لله عزَّ وجلَّ كالصُّفرة التي تكون في الوجوه من السهر والعبادة.

القول الرابع: أنها العلامات التي تكون في الجباه من أثر السجود على الأرض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصَّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾.

ج: هذا وصفٌ لأصحاب رسول الله ﷺ ومثلهم الذي ذُكر في التوراة، إنهم فيما بينهم متراحمون، رقيقةٌ قلوب بعضهم لبعض لينون هينون فيما بينهم، وفي ذات الوقت أشداء غلاظ على أهل الكفر، فهذا حالهم مع البشر؛ لينٌ مع أهل الإيمان، شدة مع أهل الكفر والطغيان.

أما حالهم مع الله عزَّ وجلَّ فمنه صلاتهم، فهم متقلبون بين الركوع والسجود، أحيانًا تراهم ركعًا، وأحيانًا تراهم سجدًا، يلتمسون بذلك فضل الله عزَّ وجلَّ وجنته، وكذا يلتمسون بركوعهم وسجودهم رضوان الله عزَّ وجلَّ عليهم، وقد ظهر على

وجوههم أثر السجود والطاعة لله عزَّ وجلَّ، فهذا هو معنى المثل المضروب لهم في التوراة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل الوقف عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؟ أم أن الوقف عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾؟

وكإيضاح للسؤال: هل المثل المذكور في قوله تعالى: ﴿.. وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..﴾ إلى قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ مثلٌ ضُرب في التوراة فقط لأصحاب النبي ﷺ أم أنه ضُرب لهم في التوراة والإنجيل؟

ج: الظاهر -والله أعلم- أن الوقف عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ فيكون هنالك مثلٌ ضرب لهم في التوراة، ومثل آخر ضُرب لهم في الإنجيل، وإن كان القول الآخر، قد قال به بعض أهل العلم، قالوا: إن المثلين كلاهما ضُرب لأهل الإيمان في التوراة والإنجيل، وقد حكاه الطبري عن بعض أهل العلم، لكنه اختار القول الأول الذي قدمته، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ..﴾ إلى آخر الآية.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- والمثل المضروب لأصحاب محمد ﷺ في الإنجيل وهو الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام كبذور الزروع (حبوب) وضعت في الأرض، بذرها الزُّراع، بذور قليلة، بذرة هاهنا، وبذرة هاهنا، فنمت هذه البذور والحبات وخرج نباتها في أول أمره ضعيفًا، نبتةٌ هاهنا ونبتةٌ هاهنا، ثم نما هذا النبت وترعرع وأمدته جذوره بغذائه ومائه، فاشتد عوده وتقوى وحمل ثمرته، فالحبة أنبتت سنابل، فأصبحت الحبة حبات وتكاثر عددها وازداد.

فقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي: كبذور زرع، وحبات زرع.

﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أنبت نباته.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوَّاه، أي: أن بذرة الزرع قوته بما تمده من غذاءٍ وماءٍ.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فأصبح ساق النبات شيئًا فشيئًا قويًّا غليظًا، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصبحت الساق قوية تتحمل ما عليها من الثمر والسنابل، فقوي واشتد، يعجب هذا الثمر وذاك النبات الكثير المتنامي الزراع الذين زرعوه ووضعوا بذرته في الأرض، وهكذا كان حال أصحاب محمد ﷺ في أول أمرهم كانوا قليلين مستضعفين فنما عددهم وازداد، واشتد ساعدهم وقوي أمرهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

فعل الله ذلك بهم - أي بأصحاب محمد ﷺ - كثَّرهم وقواهم ليغيظ الكفار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرَّخ فهو يشطئ إشطاء، وإنما مثلهم بالزرع المشطئ؛ لأنهم ابتدؤوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يقول تعالى ذكره: يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته، وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يقول: فكذلك مثل محمد ﷺ وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته، ثم قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فدل ذلك على متروك من الكلام، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قرأ هذا الحرف ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ بفتح الطاء، والباقون من السبعة بسكون الطاء.

وقرأ عامة السبعة غير ابن ذكوان: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بألف بعد الهمزة.

وقرأه ابن ذكوان عن عامر: (فَأَزَرَهُ) بلا ألف بعد الهمزة مجردًا.

وقرأ عامة السبعة غير قنبل: ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بواو ساكنة بعد السين.

وقرأه قنبل عن ابن كثير بهمزة ساكنة بدلًا من الواو وعنه ضم الهمزة بعد السين بعدها واو ساكنة.

وهذه الآية الكريمة قد بيَّن الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقًا ضعيفًا متفرقًا، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها، فكذلك النبي ﷺ وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أي: فراخه فنبت في جوانبه، وقوله: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ على قراءة الجمهور من المؤازرة، بمعنى: المعاونة والتقوية، وقال بعض العلماء: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: ساواه في الطول، وبكل واحد من المعنيين فسر قول امرئ القيس:

بمحنية قد آزر الصال نبتها ... مجر جيوش غانمين وخيب

وأما على قراءة ابن ذكوان: (فَأَزَرَهُ) بلا ألف، فالمعنى شد أزره أي: قواه.

ومنه قوله تعالى عن موسى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ الآية [٢٩-٣١]، وقوله: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار ذلك الزرع غليظًا بعد أن كان رقيقًا، وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: استتمَّ وتكامل ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أي: على قصبه.

وما تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم يكونون في مبدإ أمرهم في قلة وضعف، ثم بعد ذلك يكثرون ويقوون. جاء موضحًا في آيات من كتاب الله تعالى كقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ الآية [الأنفال:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

س: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ يستدل به على عدم اليأس من رحمة الله. وضح ذلك.

ج: إيضاحه أنه إذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- قد صدرت منهم أمور وعدهم الله بمغفرتها، فغيرهم من باب أولى أن تصدر منه مثل تلك الأمور.

فجدير بنا أن نؤمن ونعمل الصالحات ونستغفر الله من ذنوبنا، ونسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يستر عُيوبنا. اللهم آمين.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض فضائل أصحاب رسول الله ﷺ بصفة عامة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا، «ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السّمن».

ومن حديث ابن مسعود[2] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

وما أخرجه مسلم[3] من حديث أبي بردة قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء! قال: فجلسنا. فخرج علينا فقال: «ما زلتم هاهنا» قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «أحسنتم - أو - أصبتم»، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: « النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت، أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي، أتى أمتي ما يوعدون ».

(١) البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣).

(٣) مسلم (٢٥٣١).

وما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: « يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ: فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم ».

وما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ».

وعند الإمام أحمد[٣] بسندٍ حسن موقوفًا على عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٣) أحمد (١/ ٣٧٩).

سورة الحجرات

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

[الحجرات: ١-٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَا تُقَدِّمُوا - بَيْنَ يَدَيِ - لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ - تَحْبَطَ - لَا تَشْعُرُونَ - يَغُضُّونَ - امْتَحَنَ - الْحُجُرَاتِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾	لا تقدموا قولًا - لا تتقدموا برأي
﴿بَيْنَ يَدَيِ﴾	قبل - أمام
﴿لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾	لا تنادوه بصوتٍ عالٍ مرتفع
﴿تَحْبَطَ﴾	تبطل - يذهب ثوابها
﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾	لا تدرون
﴿يَغُضُّونَ﴾	يخفضون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ فغض البصر: كفُّه عن النظر. وقيل: معناها أيضًا: يكفُّون، قال الشاعر: فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعبًا بلغت ولا كلابا
﴿امْتَحَنَ﴾	صفَّى - نقَّي - أخلص - اختبر - أصلح - طهَّر
﴿الْحُجُرَاتِ﴾	جمع حُجرة، وهي غرف أزواج النبي ﷺ

❁ ❁ ❁

آداب حملتها سورة الحجرات

س: هذه السورة الكريمة -سورة الحجرات- حملت جملةً من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها الشخص، اذكرها على وجه الإجمال.

ج: نعم، حملت هذه السورة الكريمة جملة من الآداب، منها ما يلي:

أدب مع الله عزَّ وجلَّ، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

فلا نقول قولًا حتى نعلم قول الله عزَّ وجلَّ، ولا نسارع في الأشياء بين يديه أو قبله بل نكون له تبعًا، ولا نقضي قضاءً ولا نحكم بحكم حتى نعلم قضاء الله وحكم الله عزَّ وجلَّ، ولا نقترح على ربنا اقتراحًا ولا نتجاوز ما نهانا عنه ولا نتأخر عما أمرنا به.

أدب مع الله عزَّ وجلَّ، في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ نعم فلنتقِ ربنا ونرهبه ونخشى عذابه ونجتنب معاصيه.

أدبٌ مع الله عزَّ وجلَّ، في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٦]، فالله أعلم بنا من أنفسنا، فلا ينبغي أن نمن على الله بإيماننا ولا أن نزكي أنفسنا بين يديه، ولا أن نتباهي أمامه بأعمالنا.

أدبٌ مع الله عزَّ وجلَّ، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحجرات: ١٨]، ففيه حثٌّ على مراقبة الله في السر والعلن، وتصحيح النيات وابتغاء وجه الله بالأعمال، وإحسان هذه الأعمال.

تذكُّر فضل الله علينا؛ إذ قد هدانا للإيمان وحببه إلينا وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

تذكر فضل الله علينا في هدايته لنا لجميل الأقوال والأعمال والأخلاق، ونهينا عن كل قبيح وذميم.

حثٌّ دائم على مراقبة الله عزَّ وجلَّ وخشيته في السر والعلن؛ إذ هو سبحانه بصير بما نعمل.

أدب مع رسول الله ﷺ: فلا نتقدم بين يديه بأمرٍ، ولا نرفع شيئًا فوق سُننه، ولا نرفع صوتًا فوق صوته، ولا نقدم شرعًا على شرعه صلوات الله وسلامه عليه.

أدب مع رسول الله ﷺ في ندائه كما قال ربنا: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

أدب مع رسول الله ﷺ استُفيد من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، فيلزمنا ذلك بأن نتهم آراءنا دائمًا، ونقدم

قول رسولنا محمد ﷺ في كل وقتٍ وحينٍ فهو - صلوات الله وسلامه عليه - بالمؤمنين رؤوف رحيم.

أدب مع رسول الله ﷺ في ترك المن عليه بإسلامنا، بل يجب علينا أن نثني عليه ونصلي عليه ونسأل ربنا له أعلى الدرجات وأفضل المقامات؛ إذ جعله الله سببًا في هدايتنا صلوات الله وسلامه عليه.

وأدبٌ مع الناس: فعند التخاطب نخاطبهم بجميل الخطاب والطيب من القول، فنستهل الخطاب بما يفتح الله به صدورهم حتى يقبلوا علينا بوجوههم وقلوبهم كما خاطبنا الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحجرات: ١].

أدبٌ مع الناس: فلا نسخر منهم ولا نهزأ بهم، ولا ندعوهم بما يكرهون من الألقاب.

أدبٌ مع الناس: فلا نظن بهم السوء، ولا نتجسس عليهم، ولا نغتاب أحدًا منهم.

أدبٌ مع الناس: في توقير التقي منهم ومعرفة حقه.

أدبٌ مع الناس: في تعليم جاهلهم، والأخذ على يد ظالمهم، ونصرة مظلومهم وترك السخرية منهم، والبعد عن ازدرائهم.

وأدبٌ مع النفس: فلا نزكي أنفسنا، ولا ننزلها منازل ليست هي منازلها كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

أدبٌ مع النفس: في نهيها عن المن.

أدبٌ مع النفس: في توطينها على التثبت من الأخبار، والتأني، وعدم العجلة.

أدبٌ مع النفس: في تدريبها على الخير وحثها على اجتناب الظن السيئ.

أدبٌ مع النفس: في تأهيلها لقول الحق، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٩].

أدبٌ مع النفس: في إزالة الشك عنها، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

أدبٌ مع النفس: في فعل ما يجلب لها الوقار والاحترام، وفي عدم جلب الذم لها وعدم تحميلها العنت والمشقة، وعدم إيقاعها في الحرج وفيما لا طاقة لها به.

وبالجملة: فالسورة الكريمة تحمل كمًّا هائلًا من الحث على الآداب الجميلة والأخلاق الحميدة، فنسأل الله هدايته وتوفيقه.

❁ ❁ ❁

ومن آداب التخاطب

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [الحجرات: ١] أدب من آداب التخاطب مع الناس. وضح هذا الأدب.

ج: هذا الأدب مفادُهُ: أن المخاطب يُذكَّر بمناقبه وفضائله بين يدي الخطاب فإذا أردت أن تخاطب شخصًا ما فذكِّره بما فيه وبما في أهله، أو بما في أهل بلده أو بما في قبيلته من خيرٍ وفضل وصلاح، ثم تحدث معه بالذي تُريد، فبذلك ينشرح لك صدره ويُقبل عليك بقلبه، فحينئذٍ يسمع لما تقول ويُنصت لما تلقيه عليه ويُجيبك إلى ما أردته منه بإذن الله.

فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ من معناه: يا من آمنتم بالله وصدقتم رسوله ﷺ، وأقررتم بالبعث وبالحساب، وأيقنتم بالجنة والنار، وآمنتم أن القرآن من عند الله....

كل هذا داخل في معنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ ثم يأتي التكليف بعد ذلك فيجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية.

ولذلك أمثلة أخرى ونظائر في كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ كقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، فهذا تذكير بصلاح آبائهم، فالمعنى: يا ذرية المؤمنين الصالحين الذين آمنوا بنوح عليه السلام وحملهم الله في الفلك مع نوحٍ عليه السلام، يا ذرية هؤلاء الفضلاء، كونوا شاكرين كآبائكم، وكونوا شاكرين كنوحٍ ﷺ، فإنه كان عبدًا شكورًا.

ونحوه أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ [البقرة: ٤٧]، فهذا تذكيرٌ لهم بصلاح أبيهم إسرائيل، فالمعني: كونوا صالحين كأبيكم فإني قد فضلتكم على العالمين.

ونحوه قول قوم مريم لمريم عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨].

فيذكرونها بصلاح أخيها وأمها وأبيها، فالمعنى: يا أخت الرجل الصالح هارون، قد كان أبوك من الصالحين، ولم تكن أمك من البغايا؛ فحريٌّ بك أن تكوني صالحة كذلك.

ومن هذا التذكير كذلك قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لما ذهب إليه ابن عباس يطلب منه علمًا: «يا بن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فيقول ابن عباس هو الآخر: أنا أحق أن آتيك»[(١)].

ونحوه قول زيد بن ثابت لابن عباس رضي الله عنهما لما أخذ ابن عباس بالركاب لزيد رضي الله عنهما، فقال له زيد: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ[(٢)].

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ للعباس يوم حنين: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة»، فقال عباس - وكان رجلًا صيِّتًا - فقلت بأعلى صوتي: «أين أصحاب السمرة»[(٣)].

فيذكِّر العباس الأنصار بشيءٍ من فضلهم، وهو بيعتهم تحت الشجرة، فيحملهم هذا التذكير بمآثرهم على الاستجابة لما يأمرهم به والإقبال على ما حثهم عليه.

وكترجمة لهذا في واقعنا: إذا أردت من شخص صدقة للفقراء فلتقل: يا ابن المحسنين، تصدق فأهل بيتك أهل فضل وصلاحٍ وإحسان، فجدك أنشأ مدرسة، وعمك بنى لله بيتًا، وخالك ساهم مساهمة كبيرة في مستشفى، وأبوك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا وله فيه يدٌ طولى.

---

(١) الدارمي (١/ ١٤١-١٤٢) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢/ ١٦٦) وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥)، والمراد بأصحاب السمرة: الذين بايعوا تحت الشجرة.

وإذا أردت من شخص أن يتعلم فقل له: أنت من أهل بيت علم وفقه فعمك فقيهٌ، وخالك مُفسر، وجدك كان محدثًا، فأقبل على العلم؛ فهو ميراثك الباقي.

وإذا أردت من شخص أن يقاتل أهل الكفر والردة، فقل له: إن أجدادك لهم أمجادٌ، فهم أبطالٌ ومغاوير وشجعان فتقدم فبارز، وقل كلمة الحق ولا تخش في الله لومة لائم.

فمثل هذه الكلمات تكون سببًا في فتح الصدور وانشراحها بإذن الله.

❁ ❁ ❁

النهي عن تقديم الآراء والأهواء على الكتاب والسنة والتحذير من ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ج: لذلك معانٍ منها ما يلي:

الأول: لا تعجلوا بقضاء أمرٍ من الأمور قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله.

الثاني: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

الثالث: لا تتقدموا بقولٍ أو بفعلٍ ولا تعجلوا به حتى تعلموا قول الله وقول رسول الله ﷺ.

الرابع: لا تقدموا رأيًا حتى تطَّلِعوا على الكتاب والسنة وتعلموا هل فيهما شيء بخصوص الأمر الذي تريدونه أم لا؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١].

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فمعناه: خافوا الله وراقبوه واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية.

وقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ أي: سميع لأقوالكم عليمٌ بمرادكم من هذه الأقوال، وكذلك فهو عليم بنياتكم وبأفعالكم.

❁ ❁ ❁

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ...﴾ [الحجرات: ١]؟ وما سبب هذا النزول؟ وكذلك فيمن نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ [الحجرات: ٢]؟

ج: نزلت هذه وتلك في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

أخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾، حتى انقضت.

وأخرج البخاري[٢] أيضًا من طريق ابن أبي مليكة[٣] قال: كاد الخيران أن يهلكا- أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مُجاشع، وأشار الآخرُ بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير: فكان عمر بعدُ - ولم يذكر ذلك عن أبيه - يعني أبا بكر - إذا حدَّث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السِّرار، لم يُسمعه حتى يستفهمه.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٦٧).

(٢) البخاري (٧٣٠٢).

(٣) وهذا صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل: حدثنا نافع بن عمر بن جُميل الجمحي، حدثني ابن أبي مليكة، حدثني عبد الله بن الزبير.. فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له فاتصل السند بذلك، لكن مؤمل في حفظه شيء إلا أن الحديث تشهد له الرواية الأولىٰ التي قدمناها. والله أعلم.

س: اذكر شيئًا من المستفاد من سبب النزول هذا.

ج: يستفاد من سبب النزول هذا: امتثال مزيد الأدب مع رسول الله ﷺ وإيضاح ذلك: أن الآية - كما سلف - نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما هما خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومع ذلك نزل فيهما الذي نزل، مع أنهما لم يخالفا رسول الله ﷺ في شيء أمر به، وإنما تقدما بقول قبل أن يقول رسول الله ﷺ كلمته، فجاءهم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١]، وكذلك جاءهم التهديد بإحباط العمل في قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢].

فما الظن إذن بمن يخالف أمر الله عزَّ وجلَّ وأمر رسول الله ﷺ وهو عامد متعمد؟!!

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة ما ورد عن رسول الله ﷺ من أنه قال لمعاذ - حين بعثه إلى اليمن -: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله تعالى. قال ﷺ: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «فإن لم تجد؟»، قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي، فضرب في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ؟

ج: هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وقد أخرجه الترمذي[1] وغيره، وفي إسناده الحارث بن عمرو وهو مجهول وقد أُعل هذا الحديث بالإرسال كذلك.

فقال الترمذي -رحمه الله تعالى- عقب إخراجه: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل.

وقال الدارقطني[2] رحمه الله تعالى: والمرسل أصح.

وانظر كذلك البخاري في التاريخ الكبير[3] ترجمة الحارث بن عمرو.

(١) الترمذي (حديث ١٣٢٧).

(٢) الدارقطني في العلل (٦/ ٨٨).

(٣) البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٧).

وكذلك فانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة[١] للشيخ ناصر رحمه الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وجهان للعلماء اذكرهما.

ج: الوجه الأول الذي ذكره العلماء: أن المنهي عنه هو رفع الصوت المعهود عند الناس؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير، فالمعنى: لا تغلظوا له في الخطاب ولا ترفعوا أصواتكم عنده.

والوجه الثاني: أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط وكلاهما مرادٌ.

والمراد من الآية أيضًا: تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وألا ينادوه كما يُنادي بعضهم بعضًا -والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة إعادة النداء وتكريره في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [الحجرات: ٢]؟

ج: ذكر العلماء في تكرار النداء فوائد منها:

أن في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد؛ كقول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأن النداء تنبيه للمنادى؛ ليقبل على استماع الكلام، ويجعل باله منه فإعادته تفيد تجدد ذلك، ومنها: أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيًا غير المخاطب أولًا، ومنها: أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود، وليس الثاني تأكيدًا للأول[٢].

❁ ❁ ❁

(١) السلسلة الضعيفة (رقم ٨٨١).

(٢) نقلًا من فتح البيان.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

ج: المعنى: لا تنادوه كما يُنادي بعضكم بعضًا وتقولوا: يا محمد يا محمد، ولكن قولوا له قولًا لينًا: يا نبي الله يا رسول الله.

❁ ❁ ❁

س: اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

ج: الآية التي في معناها هي قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

ففي هذه الآية نهاهم الله سبحانه وتعالى أن ينادوا نبيهم ﷺ كما ينادي بعضهم بعضًا، وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه ويدعوه - إذا دعوه - باسم النبوة والرسالة- والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ﴾ مقدر محذوف يُفهم من السياق فما هذا المقدر؟

ج: هذا المُقدَّر هو (مخافة) أو (خشية)، فالمعنى: أن تحبط أو خشية أن تحبط، كما يقول القائل: أسند الحائط أن يميل أي: أسند الحائط مخافة أن يميل، وكقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، أي: حتى لا تميد بهم، وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]، أي: حتى لا تقولوا.

س: ما حكم صنيع هؤلاء الذين يجتمعون عند قبره ﷺ ويرفعون أصواتهم في صخب ولغط؟

ج: كل هذا لا يجوز ولا يليق، وينبغي أن يؤخذ على أيديهم ويُمنعوا من هذا الصنيع المنكر.

فكل هذا صنيع لم يرد عن أصحاب رسول الله ﷺ، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه

الله تعالى: وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر[١] بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأنه محترمٌ حيًّا وفي قبره ﷺ دائمًا.

❁ ❁ ❁

س: هل من الممكن أن تكتب على العبد سيئات وهو لا يدري؟

ج: نعم، قد يكون ذلك؛ لقول رسول الله ﷺ: «.. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم»[٢].

وعنه ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[٣].

وقد قال تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢].

❁ ❁ ❁

س: هل يمكن أن يصل إحباط الأعمال بالشخص إلى الكفر وهو لا يشعر؟

ج: قال بعض أهل العلم: لا يصل الأمر إلى ذلك، أي: أن الإنسان المسلم لا يكفر وهو لا يشعر، وصحيح أنه قد يرتكب أعمالًا من أعمال الكفر وهو لا يشعر، لكنه لا يخرج من دائرة الإسلام وهو لا يشعر، كما أن الكافر لا يكون مؤمنًا وهو لا يشعر.

❁ ❁ ❁

---

(١) لم أقف على إسناده.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

تأدب الصحابة رضي الله عنهم بعد نزول الآية على رسول الله ﷺ

س: ما موقف عمر وسائر أصحاب رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآيات؟

ج: أما عمر رضي الله عنه فكان لا يكاد يسمع له صوت عند رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآيات، فكان لا يُسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه رسول الله ﷺ[(١)].

أما سائر الصحابة فكانوا يتحرجون غاية التحرج حتى من الإجابة على الأسئلة التي تطرح عليهم من رسول الله ﷺ مع علمهم بها، فكان عليه الصلاة والسلام يسألهم: «أي يوم هذا؟»[(٢)] وهم يعرفون هذا اليوم وأنه يوم النحر، ولكنهم يتحرجون من الإجابة تأدبًا وظنًّا أنه عليه الصلاة والسلام يريد أن يسميه بغير اسمه فيقولون: «الله ورسوله أعلم».

وكذا في إجابتهم لما سألهم رسول الله ﷺ: «أي شهر هذا؟» وكذا لما سألهم: «أي بلدٍ هذا؟».

وكذلك في حديث ذي اليدين أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم من الركعتين: «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»[(٣)] وقد كان في القوم أبو بكر وعمر ووجوه الصحابة فهابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ، وتكلَّم هذا الرجل.

قال أبو المظفر السمعاني في تفسيره: لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث ١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ إحدىٰ صلاتي العشي. إما الظهر وإما العصر فسلم في ركعتين ثم أتىٰ جذعًا في قبلة المسجد فاستند إليها مغضبًا وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يتكما وخرج سرعان الناس قصرت الصلاة فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يمينًا وشمالًا، فقال: «ما يقول ذو اليدين؟» قالوا: صدق لم تصل إلا ركعتين، فصلىٰ ركعتين وسلم ثم كبر ثم سجد ثم كبر فرفع ثم كبر وسجد ثم كبر ورفع.

قال: وأخبرت عن عمران بن حصين أنه قال: وسلم.

شيءٌ من فضل ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه

س: صحابي جليلٌ كان رفيع الصوت ظن أن قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] نزل فيه، اذكر هذا الصحابي وقصته تلك، وشيئًا من فضل هذا الصحابي الجليل.

ج: هذا الصحابي الجليل هو ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ففي صحيح البخاري[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكِّسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا. فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «**اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة**».

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

إلى آخر الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: «أنا من أهل النار»، واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أَشْتَكَى؟**» قال: سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ؛ فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**».

وعند الطبراني[٣] من حديث أنس أيضًا: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ونشر أكفانه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر مما صنع

---

(١) البخاري (حديث ٤٨٤٦).

(٢) مسلم (حديث ١١٩).

(٣) الطبراني (المعجم الكبير ١٣٠٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٥)، وإسناده صحيح.

هؤلاء، فقُتل، وكانت له درع فسرقت فرآه رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قدر تحت الكانون في مكان كذا وكذا، وأوصاه بوصايا. فطلبوا الدرع فوجدوها وأنفذوا الوصايا.

وعند الترمذي[1] بإسناد حسن: أن النبي ﷺ قال: نِعْمَ الرجل ثابت بن قيس بن شماس.

وفي صحيح مسلم من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار.

ومما يجدر التنبيه عليه بشأن هذا الصحابي الكريم ثابت بن قيس رضي الله عنه أنه مع كونه من أهل الجنة إلا أنه كان دميم الخلقة لحدٍّ وصلت معه امرأته إلى طلب الخلع منه، وافتدت نفسها بالحديقة التي كان قد أصدقها إياها لما قال لها رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟».

فهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على أن الرجل قد يكون دميمًا لكن له مرتبة عليا عند الله سبحانه وتعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

❁ ❁ ❁

بعض محبطات الأعمال

س: اذكر بعض محبطات الأعمال.

ج: من محبطات الأعمال ما يلي:

الشرك بالله: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

ويتبع ذلك الرياء:

ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل

---

(١) الترمذي (حديث ٣٧٩٥).

عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عزَّ وجلَّ لهم يوم القيامة - إذا جزى الناس بأعمالهم -: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[(٢)].

ومن ذلك المن والأذى:

ومما ورد في المن والرياء وأذى العباد وإحباط ذلك للعمل قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فهذا مثلٌ في غاية الحسن يبين كيف يذهب المن والأذى والرياء بثواب الأعمال، فشبَّه صاحب العمل بالحجر الذي هو الصفوان، وعمله وصدقته بالتراب الذي ترسب على الحجر والمن والأذى والرياء بالوابل (الذي هو المطر الشديد)، فالوابل الذي هو المطر الشديد ينزل على الحجر بما عليه من تراب فيذهب بالتراب كله، وكذا المن والأذى والرياء يذهبان بثواب الأعمال التي أُتعبت بالأذى أو بالمن أو صاحبها الرياء.

ووجه آخر: أن المنفق الذي ينفق رياءً وسمعة، والمنان الذي يمن بما أعطي، وكذلك من أتبع صدقته بالأذى، كل هؤلاء كرجلٍ ظن أن الحجر الذي عليه تراب تربةً صالحة للبذر فبذر في التراب، وهو لا يظن أنَّ تحته حجر، وظن أنه بذر بذرةً في مكان طيب منبت فلما جاء الوابل ذهب بالبذرة كلها، وكذا يفعل المن والأذى

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى (حديث ٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد بسند صحيح لشواهده (٥/ ٤٢٨).

والرياء بثواب الأعمال - والله أعلم.

ومن محبطات الأعمال: ترك صلاة العصر.

قال رسول الله ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[١].

ومن ذلك التألي على الله: ففي سنن أبي داود بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل مُتواخيين فكان أحدهما يُذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر. فقال: خَلني وربي أَبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك -أو لا يدخلك الجنة- فقبض أرواحهما فاجتمعا عند ربِّ العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمُذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمةٍ أَوْبَقَتْ[٢] دنياه وآخرته[٣].

وفي صحيح مسلم[٤] من حديث جندب: أن رسول الله ﷺ حدَّث أن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: «مَنْ ذا الذي يتألى[٥] علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك» أو كما قال.

ومن ذلك تقديم الآراء والأهواء على الكتاب والسنة: وذلك لآية الحجرات التي نحن بصددها.

س: يستحب خفض الصوت، عند مخاطبة أهل الفضل، كما أنه يشرع رفع الصوت في بعض المواطن للحاجة، اذكر بعض الوارد في ذلك.

ج: نعم، يُستحب خفض الصوت فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٣) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أوبقت: أهلكت.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٤) مسلم (حديث ٢٦٢١).

(٥) يتألى: يحلف.

وقال عروة بن مسعود الثقفي يصف صحابة رسول الله ﷺ مع نبيهم عليه الصلاة والسلام فيقول:... وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له... الحديث[(١)].

وقد قال لقمان لولده: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٩]، وكأن هذا كان معهودًا حتى عند أهل الكفر، فقد قال أمية بن خلف - وكان كافرًا - لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما رفع سعد صوته على أبي جهل: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي[(٢)].

أما بالنسبة لرفع الصوت أحيانًا - عند الاحتياج لذلك - فقد ورد ما يشهد له ويؤيده.

فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: تخلَّف عنا النبي ﷺ في سفرةٍ سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢). وأحيانًا يرفع الصوت لحاجة وقد قدمنا نماذج من ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٥٠) من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل علىٰ سعد، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل علىٰ أُمية. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل علىٰ أُمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت. فخرج قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف مكة آمنًا وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلىٰ أهلك سالمًا. فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشدُّ عليك منه: طريقك علىٰ المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد علىٰ أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعدٌ: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلوك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا، فلما رجع أمية إلىٰ أهله قال: يا أمَّ صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتليَّ. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أُمية أن يخرج. فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متىٰ ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتىٰ قال: أما إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير ثم قال: يا أم صفوان، جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا. فلما خرج أُمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتىٰ قتله الله عز وجل ببدر.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٠)، ومسلم (حديث ٢٤١).

نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: «ويلٌ للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثًا.

وأيضًا فقد نادى العباس رضي الله عنه يوم حنين بأعلى صوته[1]: أين أصحاب السمرة[2]؟ يريد بذلك الأنصار.

❁ ❁ ❁

توقير رسول الله ﷺ والثناء عليه والحث على اتباع أمره

س: اذكر بعض الوارد في الحث على توقير رسول الله ﷺ والثناء عليه واتباع أمره.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: ٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ..﴾ [النساء: ٦٤].

---

(١) وذلك فيما أخرجه مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين... الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس: ناد أصحاب السمرة»، فقال عباس: -وكان رجلًا صيتًا- فقلت بأعلىٰ صوتي: أين أصحاب السمرة...

(٢) السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، والمعنىٰ: نادِ أهل بيعة الرضوان.

وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء: ٦٥].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران: ٣١].

ومن ذلك: أمر الله تبارك وتعالى بالصلاة عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦].

والتحذير من إيذائه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾[الأحزاب: ٥٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾[الأحزاب: ٥٧].

* صور توقيره:

ومنه ما ورد في صلح الحديبية ففيه: أن عروة بن مسعود الثقفي قال لأصحابه: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يُعظمه أصحابه ما يُعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن يتنخم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

وقول النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا خطب يقول: «.. وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[(٢)].

وكان ابن مسعود يقول: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

محمد ﷺ..»[١].

وقول النبي ﷺ: «.. فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم..»[٢].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[٣] من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يَقُلِ الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟» [الأنفال: ٢٤].

وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان[٥] فالنجاء[٦]، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا[٧] فانطلقوا على مُهلتهم[٨]، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[٩]، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق».

هذا وقال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره «أضواء البيان»:

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٧).

(٢) البخاري (حديث ٧٢٨٨)، ومسلم (حديث ١٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٤)، وفي رواية البخاري (٤٦٤٧) فدعاني فلم آته حتىٰ صليت، فقال: «ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾» [الأنفال: ٢٤].

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٥) «أنا النذير العريان»: قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم.

(٦) «فالنجاء» أي: انجوا النجاء، أو اطلبوا النجاء.

(٧) «فأدلجوا» معناه: ساروا من أول الليل. يقال: أدلجت أدلج إدلاجًا كأكرمت أكرم إكرامًا والاسم الدَّلجة، فإن خرجتَ بالليل قلتَ: ادَّلجتُ أدّلجُ ادّلاجًا، بالتشديد. والاسم: الدُّلجة بضم الدال.

(٨) «علىٰ مهلتهم» هكذا هو في جميع نسخ مسلم.

(٩) «اجتاحهم» استأصلهم.

يخاطبة بما يدل على التعظيم والتوقير، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب:١]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر:١] مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة:٣٥]، وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤﴾ [الصافات:١٠٤]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦]، وقوله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ [ص:٢٦].

أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]. وقوله: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد:٢]، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩].

وقد بيَّن تعالى أن توقيره واحترامه ﷺ بغضِّ الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي أخلصها، وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات:٣]. وقال بعض العلماء في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات:٢] أي لا ترفعوا عنده الصوت كرفع بعضكم صوته عند بعض.

ومن صور إكرام الله لنبيه محمد وثنائه عليه ودفاعه عنه:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

فعليه صلوات ربي وأفضل تسليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣].

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أنه سبحانه أخلص قلوبهم ونقَّاها وصفَّاها مما بها من شوائب وجعلها محلًّا لحلول التقوى بها وسكونها واستقرارها فيها وينشأ عن ذلك أداء الطاعات واجتناب المعاصي.

ومن معنى قوله تعالى: ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: طهرها من كل قبيح.

وأصل الامتحان: الاختبار كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص الجيد ويبطل ويذهب الخبيث.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الحجرات: ٣] دليلٌ على أن أهل الإيمان قد يقعون في معصيةٍ، وضح ذلك وبيِّن المستفاد منه.

ج: نعم يتبين من قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أن أهل الإيمان قد تقع منهم بعض المعاصي، فقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ دليل على أنهم ارتكبوا ذنوبًا يغفرها الله لهم، وقد دلَّت على ذلك نصوص أُخر كقوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الفتح: ٥].

أما المستفاد من ذلك: فهو عدم تسرب اليأس والقنوط إلى أهل الإيمان إن صدرت منهم ذنوب، وليس المستفاد التهاون وارتكاب المعاصي؛ فإن الله شديد العقاب، وعذابه هو العذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

❁ ❁ ❁

س: الخلق الحسن الكريم القويم يجلب لصاحبه المغفرة والأجر العظيم، والخلق السيئ الرديء يجلب لصاحبه الإثم، ويذهب بثواب صالح الأعمال، دلِّل

على ذلك.

ج: مما يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣].

فخفض الصوت والأدب مع رسول الله ﷺ يجلب المغفرة والأجر العظيم.

وكذلك فقد قال النبي ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من خُلُقٍ حسن»[(١)].

وفي بعض الزيادات في هذا الحديث: «وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[(٢)].

وعند أبي داود بإسناد صحيح الشواهد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[(٣)].

وعند الترمذي[(٤)] من حديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا».

وفي المقابل فإن التقدم بين يدي الله ورسوله ورفع الصوت فوق صوته ﷺ كل ذلك مؤذنٌ بإحباط الأعمال والذهاب بثوابها كما أفادته الآية الكريمة، ففي الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحجرات، وكيف كان النداء من وراء الحجرات؟

ج: أما الحجرات فهي جمع حُجرة والمراد بها: حجرات نساء رسول الله ﷺ أما

---

(١) صحيح، أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٢٠٤)، والترمذي (٢٠٠٤)، وأبو داود (٧٩٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) هي عند الترمذي وغيره ولها شواهد صحيحة.

(٣) أبو داود (حديث ٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠، ١٣٣، ١٨٧)، وغيرهم وله شواهد، انظر البخاري في الأدب المفرد (٢٨٤).

(٤) الترمذي (حديث ٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

النداء من وراء الحجرات، فقد قال الزمخشري في «الكشاف»: والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكل واحدة منهن حجرة، ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات، متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه، وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة، فنادوه من ورائها، وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالًا لرسول الله ﷺ؛ ولمكان حرمته، والفعل - وإن كان مسندًا إلى جميعهم - فإنه يجوز أن يتولّاه بعضهم، وكان الباقون راضين، فكأنهم تولوه جميعًا.

❁ ❁ ❁

س: من هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤]؟

ج: هم جملة الأعراب من بني تميم.

❁ ❁ ❁

س: من القائل: «يا محمد، إن مدحي زين، وإن ذمي شين»؟

ج: هذا القول منسوب إلى الأقرع بن حابس رضي الله عنه، فقد أخرج أحمد[1] في مسنده من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال: يا رسول الله، فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ألا إن مدحي زين، وإن ذمي شينٌ فقال رسول الله ﷺ - كما حدَّث أبو سلمة: - «ذاك الله عز وجل»[2].

❁ ❁ ❁

(١) أحمد في المسند (٣/ ٤٨٨).

(٢) في إسناده ضعف،، ووجه هذا الضعف هو: الانقطاع الذي ذكره بعض أهل العلم بين أبي سلمة بن عبد الرحمن والأقرع بن حابس، وكما في «تعجيل المنفعة».

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا
بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ
ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ
وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾

[الحجرات: ٦-٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿بِنَبَإٍ - بِجَهَٰلَةٍ - لَعَنِتُّمْ - زَيَّنَهُۥ - ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِنَبَإٍ﴾	خبر
﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾	بخطأ
﴿لَعَنِتُّمْ﴾	العنت وهو الإثم، والوقوع في الأمر الشاق
﴿زَيَّنَهُۥ﴾	حسَّنه
﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾	المستمسكون بدينهم على صلابةٍ فيه والرشاد: هو الصخر

❁ ❁ ❁

التثبت من الأخبار

س: من شأن المؤمن أن يكون عاقلًا متريثًا متأنيًا في أموره. اذكر من الأدلة ما يوضح هذا المعنى ويحث عليه.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

وقول النبي ﷺ: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة»[(١)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»[(٢)].

وها هو رسول الله ﷺ يقول لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٠)، وفي سنده كلام ولكن والذي بعده يصحان لشواهدهما.

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ١٠٤)، وكما قدمت فهو والذي قبله فيهما كلام لكن يصحان لشواهدهما.

(٣) أخرجه مسلم (حديث رقم ١٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

ويسأل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة - لما صدر منه الذي صدر من إرسال رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها بأمر رسول الله ﷺ فيقول له النبي ﷺ: «يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟»[(١)].

فهي -أعني قوله: «ما حملك على ما صنعت؟»- كلمةٌ ينبغي أن تكون شعارًا يرفعه المؤمن إذا فعل أخوه المؤمن شيئًا مشينًا، أو إذا كان قاضيًا يقضي بين العباد!!

وهي كلمة قالها الرسول ﷺ لحاطب لما أرسل رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمر رسول الله ﷺ[(٢)].

وقد ذكر بعض العلماء أن سبب قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤]. هو أن داود عليه السلام قضى للخصم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر.

قال تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [ص: ٢١-٢٤].

وإذا جاءك شخص صالح بخبر فهل لك أن تتثبت؟ أم تقبله فورًا؟

الظاهر - والله أعلم - أننا في الأصل نقبله لصلاح هذا الرجل وعدالته، أما إذا كان الخبر مستغربًا، أو كان الرجل قد انفرد بالخبر عن الناس، أو أن الخبر يعارض أشياء ثوابت عندك مدعمة بأدلتها، أو كان الرجل بينه وبين قوم شحناء ونقل خبرًا عنهم، أو إذا كان هذا الصالح متسرعًا في تلقي الأخبار ونشرها. إلى غير ذلك من الأسباب، فلك حينئذٍ أن تتثبت وأن تطلب المزيد من القرائن والأدلة؛ فقد يكون هذا الرجل الصالح هو في نفسه مغفلًا في نقل الأخبار وغير ضابط لها، وقد يكون

---

(١) صحيح، وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٤٧)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

س: فيمن نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ...﴾ [الحجرات: ١]؟ وما سبب هذا النزول؟ وكذلك فيمن نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ [الحجرات: ٢]؟

ج: نزلت هذه وتلك في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

أخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾، حتى انقضت.

وأخرج البخاري[٢] أيضًا من طريق ابن أبي مليكة[٣] قال: كاد الخيران أن يهلكا- أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مُجاشع، وأشار الآخرُ بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير: فكان عمر بعدُ - ولم يذكر ذلك عن أبيه - يعني أبا بكر - إذا حدَّث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السِّرار، لم يُسمعه حتى يستفهمه.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٦٧).

(٢) البخاري (٧٣٠٢).

(٣) وهذا صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل: حدثنا نافع بن عمر بن جُميل الجمحي، حدثني ابن أبي مليكة، حدثني عبد الله بن الزبير.. فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له فاتصل السند بذلك، لكن مؤمل في حفظه شيء إلا أن الحديث تشهد له الرواية الأولى التي قدمناها. والله أعلم.

ورسولنا ﷺ أيضًا لما بلغه عن الأنصار خبرٌ يوم حنين جمعهم وسألهم عن الخبر الذي نُقل عنهم.

وثم جملة وقائع في هذا الباب تفيد ما ذكرناه من أنه قد يكون هناك ما يدعو إلى التثبت من خبر الرجل الصالح أيضًا، إن احتاج الأمر إلى ذلك.

وليس هذا من باب رد خبر الواحد، فخبر الواحد العدل الضابط مقبول بشروطه المعروفة في كتب المصطلح.

وينبغي أن يتثبت الشخص من الأخبار التي تصله عن إخوانه أهل الإيمان.

فالشائعات تنتشر في أوساط أهل الصلاح، شائعات لا أصل لها ولا أساس. تجد من يروجها ويتلقاها عنه آخرون بالبث والنشر والإفشاء.

ألا ترى أن خير القرون وأصحاب رسول الله ﷺ تفشت في كثير منهم تلكم المقولة الخبيثة والفرية العظيمة ألا وهي قذف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - الطيبة الطاهرة، ورميها بصفوان بن المعطل السلمي، وكان الذي تولى كبر هذه الفرية عبد الله بن أُبي بن سلول وتلقاها عنه صحابة كان في كثير منهم فضل ولهم سوابق خير في الدفاع عن رسول الله ﷺ كمسطح بن أُثاثة الذي شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ وكحسان بن ثابت الذي كان يُنافح ويدافع بشعْرِه عن رسول الله!! وكحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش رضي الله عنهما!!

وها هو حديث آخر يوضح كيف أن الصحابيات كن يتحدثن فيما بينهن بأمور لا أصل لها ولا أساس:

فها هي أم حبيبة تعرض على رسول الله ﷺ أختها كي يتزوجها فيتعجب من ذلك رسول الله ﷺ فيقول لها: «أو تحبين ذلك؟» فتقول: لست لك بمخلية (أي: لست بتاركة، ولا مفارقة) ولكن أحب من شاركني في خير أختي، فيقول لها النبي ﷺ: «إنها لا تحل لي» فتقول: فإنا نتحدث يا رسول الله أنك ستنكح زينب ابنة أم سلمة!! فيقول عليه الصلاة والسلام: «بنت أبي سلمة؟!» فتقول أم حبيبة: نعم يا رسول الله.

فيقول عليه الصلاة والسلام: «إنها لو لم تكن ربيبة في حجري ما حلت لي؛ إنها ابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة».

وها هو نص الحديث بذلك:

أخرج البخاري[1] من حديث أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أنكح أختي بنت أبي سفيان، قال: «وتحبين؟» قلتُ: نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركي في خير أختي، فقال النبي ﷺ: «إن ذلك لا يحل لي» قلت: يا رسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «بنت أم سلمة؟!» فقلت: نعم، قال: «فوالله لو لم تكن في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن».

فانظر إلى تحدثهن بأحاديث بناء على ظنونهن، أحاديث ليس لها أساس ولا أصل.

وأحيانًا يكون للحديث أساس لكن يتوسع فيه ويزاد عليه ما ليس منه، فإذا رددته إلى أصله تبين لك الصحيح منه من السقيم.

ومن ذلك أن النبي ﷺ آلى من نسائه: «أي: أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا» واعتزلهن عليه الصلاة والسلام في مشربةٍ له، فتحدث الناس بذلك، وزادوا فيه: أن النبي ﷺ طلَّق أزواجه. إلى أن جاء عمر رضي الله عنه واستأذن على رسول الله ﷺ وسأله: هل طلقت نساءك يا رسول الله؟ فقال: «لا»، فكبر عمر، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وها هو الحديث بذلك[2]:

أخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال: دخلت المسجد، فإذا الناسُ ينكتون بالحصى ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمن ذلك اليوم قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول

(١) البخاري (حديث ٥١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٤٧٩).

الله ﷺ ؟ فقالت: ما لي وما لك يا ابن الخطاب؟ عليك بعيبتك[١] قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ ؟ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله ﷺ ؟ قالت: هو في خزانته[٢] في المشربة[٣]. فدخلت فإذا أنا برباح - غلام رسول الله ﷺ - قاعدًا على أسكفة[٤] المشربة، مدلٍّ رجليه[٥] على نقير[٦] من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله وينحدر فناديت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا ثم قلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا، ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرْب عنقها لأضربن عنقها ورفعت صوتي، فأومأ إليّ أن ارقه[٧]، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظًا[٨] من ناحية الغرفة وإذا أفيق[٩]

---

(١) عليك بعيبتك: المراد عليك بوعظ ابنتك حفصة، قال أهل اللغة: العيبة في كلام العرب: وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته بها.

(٢) خزانته: الخزانة مكان الخزن، كالمخزن، وما يخزن فيه يسمىٰ خزينة.

(٣) المشربة: قال في «المصباح»: بفتح بالميم والراء الموضع الذي يشرب منه الناس، وبضم الراء وفتحها: الغرفة.

(٤) أسكفة: وهي عتبة الباب السفلىٰ.

(٥) مد رجليه: أي مرسلها.

(٦) نقير: أي علىٰ شيء من خشب نقر وسطه حتىٰ يكون كالدرجة، قال النووي: هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ، وذكر القاضي أنه بالفاء، بدل النون وهو فقير بمعنىٰ مفقور، مأخوذ من فقار الظهر، وهو جذع فيه درج.

(٧) أن أرقه: أي أشار إلىٰ رباح بالصعود إلىٰ المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم. فـ«أن» تفسيرية. و«ارقه» أمر من الرقي. والهاء في آخره للسكت، وفي الكلام حذف تقديره: فرقيت فدخلت.

(٨) قرظًا: القرظ: ورق من السَلَم يدبغ به.

(٩) أفيق: هو الجلد الذي يتم دباغه، وجمعه أَفَق، كأديم وأدَم، وقد أفق أديمه يأفقه.

معلق، قال: فابتدرت عيناي[١]، قال: «ما يبكيك يا بن الخطاب؟»، قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك، فقال: «يا بن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟»، قلت: بلى، قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإذا كنت طلَّقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت -أحمدُ الله- بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

وكانت عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أطلقتَهن؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزلُ فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم، إن شئت»، فلم أزل أحدِّثه حتى تحسَّر الغضب[٢] عن وجهه وحتى كشر[٣] فضحك وكان من أحسن الناس ثغرًا، ثم نزل نبي الله ونزلت، فنزلت أتشبث[٤] الجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول الله، إنما كنت في الغرفة تسعةً وعشرين، قال: «إن الشهر يكون تسعًا وعشرين»، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه. ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ

---

(١) فابتدرت عيناي أي: لم أتمالك أن بكيت حتىٰ سالت دموعي.

(٢) تحسر الغضب أي: زال وانكشف.

(٣) كشر أي: أبدىٰ أسنانه تبسمًا ويقال: أيضًا في الغضب.

قال ابن السكيت: كشر وبسم وابتسم وافترّ، كله بمعنىٰ واحد، فإن زاد قيل: قهقه وزهزق وكركر.

(٤) أتشبث أي: مستمسكًا بذلك الجذع، الذي هو كالسلم للغرفة. قاله النووي.

ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]. فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عزَّ وجلَّ آية التخيير.

فالشائعات والأراجيف تنتشر في أوساط الناس بصورة سريعة بل في غاية السرعة انتشار النار في الهشيم.

ومن ثم استعملها أهل النفاق للنيل من المؤمنين ولتفتيت وحدتهم وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم، ومن ثم قال تعالى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

❁ ❁ ❁

سبب نزول الآية الكريمة

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ...﴾

وبعض الأحكام المتعلقة بالفسق

س: ما سبب نزول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ..﴾ [الحجرات: ٦].

ج: سبب النزول هو فيما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى[1] بإسناد حسنٍ لشواهده من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه قال: «قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلى رسول الله ﷺ رسولًا إبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد

(١) أحمد (٤/ ٢٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٧٤-٢٧٥)، وله شواهد يُحسن بها، انظر معجم الطبراني الكبير (١٨/ ٦-٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٥٤-٥٥).
وهذه الطرق، وإن كانت مفاريدها لا تخلو من مقال، لكن يشد بعضها بعضًا.

رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله - عزَّ وجلَّ - ورسوله فدعا بروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لى وقتًا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتى رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى. فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله. قال: لا والذى بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: « **منعت الزكاة وأردت قتل رسولى** ». قال: لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولَ رسولِ الله ﷺ خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عزَّ وجلَّ ورسوله. قال: فنزلت الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ إلى هذا المكان ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..﴾ [الحجرات: ٦] دليل على ما قرره أهل السنة والجماعة من أن هناك فسقًا دون فسق وضح ذلك. وأيده بمجموعة من الأدلة.

ج: إيضاحه أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..﴾ [الحجرات: ٦]. قد نزل في رجل مسلم كما تقدم، فدل ذلك على أنه قد يوصف مُسلم بالفسق وقد ورد ما يؤيد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾

[الحجرات: ١١]. فعلى أحد الأقوال: بئس أن يتسمى الرجل المسلم بفاسق بعد أن كان مؤمنًا.

وكذلك في حديث الرسول ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١)، ففيه ما يفرِّق بين الفسق والكفر.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤]، فالقاذف لا يستلزم أن يكون كافرًا.

فهذه نصوص فيها أطلق الفسق على المسلم والكافر.

وثمَّ نصوص أطلق الفسق فيها وأُريد به الكفر، كما في قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٥٤]، فقوم فرعون كفار بلا نزاع، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وكما هو معلوم فالخلود في النار لا يكون إلا للكفار؛ وذلك لقوله تعالى في الحديث القدسي: «وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله»(٢).

فاستفيد من ذلك كله أن هناك فسقًا بمعنى الكفر، وفسق دون ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل تُقبل شهادة الفاسق؟

ج: الأدلة من كتاب الله عزَّ وجلَّ تدل على أن شهادة الفاسق مردودة.

وبهذا قال كثير من أهل العلم.

فمن هذه الأدلة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (حديث ٦٤) من حدث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (ص ١٨٤).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ...﴾[الحجرات: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[الطلاق: ٢].

هذا وقد قال الشنقيطي رحمه الله تعالى[١]: وأما شهادة الفاسق فهي مردودة كما دلت عليه آية النور المذكورة آنفًا.

❁ ❁ ❁

س: هل المسلمون كلهم عدول؟

ج: لا يلزم أن يكون المسلمون كلهم عدولًا؛ فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [الطلاق: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾[النور: ٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ...﴾[الحجرات: ٦].

والآية نزلت في كل مسلمٍ كما تقدم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لأن الله تعالى أمر بالتثبت قبل القبول ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم فإن حكم الحاكم قبل التثبت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة.

❁ ❁ ❁

س: لماذا يُخصص الفاسق بالتثبت من خبره؟

ج: قال سيد قطب رحمه الله تعالى[٢] في تفسيره «الظلال»:

ويخصص الفاسق؛ لأنه مظنة الكذب؛ وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها. فالأصل

---

(١) أضواء البيان.

(٢) هناك بعض المواطن في تفسير «الظلال» عليها جملة من المآخذ، ولكن هذا لا يمنعنا من أخذ ما أصاب فيه مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه.

في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، أن تكون أنباؤهم مأخوذًا بها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره. وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطًا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق، فتصيب قومًا بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكاب ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل في اندفاع.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم يأمر الله سبحانه برد خبر الفاسق مطلقًا بل أمر بالتثبت؟

ج: لأن بعض الفساق قد يصدقون.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «التفسير القيم»:

وها هنا فائدة لطيفة: وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر. فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته.

وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري وفسقه من جهات أخر، فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته، ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة ولا سيما من فسقه من جهة الكذب، فإن كثر منه وتكرر بحيث يغلب كذبه على صدقه فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته، وإن ندر منه مرة أو مرتين ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قراءتان، وضحهما؟

ج: أما القراءة الأولى فهي ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وهي قراءة الأكثرين، أما حمزة والكسائي فقراءتهما: (فتثبتوا).

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ...﴾ [الحجرات: ٧].

ج: هذا، والله أعلم، خبرٌ المراد منه التحذير، أي: فاحذروا أن تقولوا الكذب،

وأن تفتروا الباطل؛ فإن الله يُخبر نبيه ﷺ بأخباركم، ويعرفه أنباءكم، ويرشده إلى الصواب في أموره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ...﴾ [الحجرات: ٧].

ج: المعنى، والله أعلم، أن رسول الله ﷺ لو يطيع أصحابه في كثير من الأمور التي يختارونها، والآراء التي يتبعونها، ويُمضيها وينفذها كما أرادوا لحلَّ بهم العنت ولنزلت بهم المشقة.

❁ ❁ ❁

س: قد يأتي الأمر في صورة الخبر. اذكر أمثلةً لذلك.

ج: من مجيء الخبر في صورة الأمر قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧]. فهذا خبر وإعلامٌ للصحابة بأن فيهم رسول الله ﷺ، ولكن المراد فيه: الحث على توقيره وإجلاله وتقديره واحترامه وامتثال أمره والانقياد لسنته.

وكمثال آخر لمجيء الأمر في صورة الخبر قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، أي: أمنوا أيها الناس من دخل الحرم.

وكمثال ثالث في قوله تعالى في شأن قطاع الطرق التائبين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٤]، أي: فاغفروا لهم فإن الله غفور رحيم.

❁ ❁ ❁

الخير في اتباع سنة رسول الله ﷺ

س: في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[1] [الحجرات: ٧] حث على

---

(١) أخرج الطبري (٣١٦٩٣) بإسناد حسن عن قتادة قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧].. حتىٰ بلغ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتم، فأنتم والله أسخف رأيًا، وأطيش عقولًا، اتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله؛ فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به، وانتهىٰ إليه، وإن ما سوىٰ كتاب الله تغرير.

اتباع الكتاب والسنة. وضح ذلك وبيِّن وجه ذلك.

ج: إيضاح ذلك: أن المؤمنين لو تركوا لاختيارهم يختارون لأنفسهم في كثيرٍ من الأحيان ما هو أشق وأصعب، وإن كان ظاهره عندهم السهولة واليسر، واختيارهم هذا إنما هو لقلة علمهم بالأمور ومآلها وإلى ماذا ستنتهي، ولكن رب العزة سبحانه وتعالى يعلم ما لا نعلم، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]، وكما قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

وها هو الخضر يصنع ما صنع أمام موسى عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، وكل ذلك ظاهره الشر، ولكن كان المآل إلى خيرٍ.

ويقول الخَضِرُ لموسى: «ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر»[1].

فيأمرنا ربنا دائمًا بما فيه خيرٌ لنا في دنيانا وأُخرانا، ويوصى نبيه أن يخبرنا بذلك في سنته، فلو أننا قدمنا آراءنا وأقوالنا على قول الله وقول رسول الله ﷺ لاخترنا لأنفسنا الأشق والأعسر، فمن ثمَّ لزمنا أن نطرح آراءنا وأقوالنا، ونقدم قول الله وقول رسوله ﷺ؛ لما في اتباعهما من الخير والرحمة بنا؛ فربنا سبحانه أرحم بنا من أنفسنا، ونبينا ﷺ حريص علينا وبنا رؤوف رحيم.

هذا، وإن كان قوله تعالى: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧] موجه لأصحاب النبي ﷺ الذين هم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس، فنحن من باب أولى، فلا يسعنا إذن إلا السمع والطاعة لخالقنا ومولانا، ثم الامتثال لأمر نبينا محمد ﷺ.

وها هي جملة من الأمثلة تدل على أن رسول الله ﷺ لو أطاعنا في كثير من الأمر لنزل بنا العنت ولحلَّت بنا المشقة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

مسألة الوصال في السفر

فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن الوصال في السفر فقالوا: إنك تواصل وأبوا إلا أن يواصلوا فواصل بهم فشق ذلك عليهم، ثم واصل بهم كالمنكل لهم، ثم نهاهم عن الوصال فانتهوا، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل! قال رسول الله ﷺ: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**». فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا، ثم رأوا الهلال. فقال: «**لو تأخر الهلال لزدتكم**» كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا.

ويوم الطائف كذلك لما حاصرها رسول الله ﷺ وشاء الله أن لا تفتح أمر النبي ﷺ أصحابه بالانصراف أمر إرشاد فأبوا فقاتلوا من الغد فقتل فريق وجُرح آخر، فأمر بالانصراف فانصرفوا، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف. فلم ينل منهم شيئًا[٣]؛ فقال: «**إنا قافلون**[٤]، **إن شاء**

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٥١)، ومسلم (حديث ١١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (حديث ١٧٧٨).

(٣) قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على «مسلم»: قوله: «فلم ينل منهم شيئًا» أي: لم يصبهم بشيء من موجبات الفتح لمناعة حصنهم. وكانوا، كما ذكره ابن حجر، قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة.

(٤) فقال: «**إنا قافلون**»: أي: نحن راجعون إلى المدينة. فثقل عليهم ذلك. فقالوا: نرجع غير فاتحين! فقال لهم ﷺ: «**اغدوا على القتال**». أي: سيروا أول النهار لأجل القتال. فغدوا فلم يفتح عليهم وأصيبوا بالجراح؛ لأن أهل الحصن رموا عليهم من أعلى السور، فكانوا ينالون منهم بسهامهم، ولا تصل سهام المسلمين إليهم. وذكر في الفتح: أنهم رموا على المسلمين سكك الحديد المحماة. فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع فلما أعاد ﷺ، عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ.

وقال الإمام النووي رضي الله عنه: معنى الحديث أنه ﷺ قصد الشفقة على أصحابه والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين فيه، وتقويتهم بحصنهم. مع أنه ﷺ علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا، بلا مشقة كما جرى، فلما رأى حرص أصحابه على المقام والجهاد أقام وجدَّ في القتال، فلما أصابتهم الجراح=

الله». قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه! فقال لهم رسول الله ﷺ: «اغدوا على القتال»، فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غدًا». قال: فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله ﷺ.

وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لما قال له رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهرٍ»، وقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فآل به الأمر إلى أن قال له: «اقرأه في سبع ولا تزد عن ذلك»، وقال له في شأن الصيام آخر ما قال: «صم صوم داود صم يومًا وأفطر يومًا»، ففي آخر عمره (أعني: عُمر عبد الله بن عمرو بن العاص) كان يقول: ياليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وما ذاك إلا لكونه قد شق عليه في آخر عمره طول الصيام وكثرة القراءة، وها هو الحديث بذلك[1].

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال - والسياق لمسلم -: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار، ما عشت. فقال رسول الله ﷺ: «أنت الذي تقول ذلك؟»، فقلت له: قد قلته، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «فإنك تستطيع ذلك. فصم وأفطر، ونم وقم. وصم من الشهر ثلاثة أيام؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال: «صم يومًا وأفطر يومين». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله. قال: «صم يومًا وأفطر يومًا. وذلك صيام داود -عليه السلام- وهو أعدل الصيام». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك».

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي.

= رجع إلىٰ ما كان قصده أولًا من الرفق بهم، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة. ولعلهم نظروا فعلموا أن رأي النبي ﷺ أبرك وأنفع وأحمد عاقبة وأصوب من رأيهم، فوافقوا علىٰ الرحيل وفرحوا، فضحك النبي ﷺ تعجبًا من سرعة تغير رأيهم.

(١، ٢) البخاري (١٩٧٩) مختصرًا، ومسلم مطولًا (١١٥٩) واللفظ له.

في بعض ألفاظ الحديث عند مسلم: وقال لي النبي ﷺ: «إنك لا تدري لعل يطول بك عُمر».

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

فالصحابة اختاروا الذي هو أدنى، وهو العير، ولكن الله اختار لهم النفير وهو الأفضل والأعلى والأكمل[(١)].

وقد قبل رسول الله ﷺ وأصحابه الفدية من أُسارى بدر، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[(٢)] [الأنفال: ٦٨].

وقد ينهى رسول الله ﷺ عن أمرٍ ويستثقل هذا النهي فريق من الناس لكنه لو رأى أبعاد هذا النهي لاطمأن إلى ذلك واستراح.

فمثلًا نهى رسول الله ﷺ عن مصافحة النساء[(٣)]، فقد يستثقل ذلك بعض

---

(١) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة من سورة الأنفال إن أردت تفصيلًا.

(٢) وذلك فيما أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ففيه قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارىٰ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارىٰ؟»، فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة؟ أرىٰ أن تأخذ منهم فدية؛ فتكون لنا قوة علىٰ الكفار، فعسىٰ الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترىٰ يا ابن الخطاب؟» قلت: لا. والله يا رسول الله! ما أرىٰ الذي رأىٰ أبو بكر، ولكني أرىٰ أن تمكنَّا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنِّي من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوىٰ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا برسول الله ﷺ وأبي بكر قاعدان يبكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علىٰ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عرض عليَّ عذابهم أدنىٰ من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩]. فأحل الله الغنيمة لهم.

(٣) وهذه بعض الأدلة علىٰ ذلك:

أخرج البخاري (مع الفتح ٨/ ٦٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك علىٰ ذلك».

وعند مالك في الموطإ (ص٩٨٢) من حديث أميمة بنت رقيقة: أن رسول الله ﷺ قال: «إني لا أصافح النساء».

وأخرج الطبراني (المعجم الكبير ٢٠/ ٢١١) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطْعَنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»، وإسناده حسن.

الناس، ولكنه لو رأى بعد ذلك مثلًا أن مصافحة رجل أجنبي لامرأة جاره آلت بهما إلى الوقوع في الزنا، فيحمد حينئذٍ حديث رسول الله ﷺ؛ إذ قد حفظ له رسول الله ﷺ عرضه.

ونحو ذلك في النهي عن الخلوة بالأجنبية[1]، فقد يستثقل البعض حديث

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم (٥/ ١٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول علىٰ النساء»[1] فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو[2]؟ قال: «الحمو الموت».
وأخرج البخاري في صحيحه (الفتح ٩/ ٣٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم».

---

(١) قال النووي رحمه الله (٥/ ١٦): في هذا الحديث والأحاديث بعده تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها، وهذان الأمران مجمع عليهما.

(٢) أخرج مسلم (٥/ ١٧) بسنده الصحيح إلىٰ الليث بن سعد أنه قال: الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج؛ ابن العم ونحوه.
قال النووي رحمه الله: اتفق أهل اللغة علىٰ أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم، والأختان: أقارب زوجة الرجل، والأصهار يقع علىٰ النوعين.
أما قوله ﷺ: «الحمو الموت» (فمعناه: أن الخوف منه أكثر من غيره والشر منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلىٰ المرأة والخلوة من غير أن يُنكر عليه بخلاف الأجنبي. والمراد بالحمو هنا: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد: الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وعادة الناس المساهلة فيه ويخلو بامرأة أخيه، فهذا هو الموت، وهو أولىٰ بالمنع من الأجنبي لما ذكرناه، فهذا الذي ذكرته هو صواب معنىٰ الحديث، والله أعلم.
وقد ذكر الحافظ ابن حجر أقوالًا في الحمو (انظر «الفتح» ٩/ ٣٣١). وذكر في معنىٰ قوله: «الحمو الموت» عدة أقوال فقال: قيل: المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلىٰ هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلىٰ الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلىٰ هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة علىٰ تطليقها أشار إلىٰ ذلك كله القرطبي، وقال الطبري: المعنىٰ أن خلوة الرجل بامرأة أخيه أو ابن أخيه تنزل منزلة الموت، والعرب تصف الشيء المكروه بالموت. قال ابن الأعرابي: هي كلمة تقولها العرب مثلًا كما تقول: الأسد الموت أي: لقاؤه فيه الموت، والمعنىٰ: احذروه كما تحذرون الموت..، وذكر الحافظ أقوالًا ثم قال: وقال القرطبي في «المفهم»: المعنىٰ أن دخول قريب الزوج علىٰ امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة أي: فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه وشُبِّهَ بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة لإلفهم بذلك حتىٰ كأنه ليس بأجنبي من المرأة، فخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت، أي: لقاؤه يفضي إلىٰ الموت، وكذلك دخوله علىٰ المرأة قد يفضي إلىٰ موت الدين أو إلىٰ موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو إلىٰ الرجم إن وقعت الفاحشة... إلخ.

رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل: أفرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: «الحمو الموت».

فيقول القائل: لماذا أمنع أخي من الدخول على زوجتي، ثم يُفاجأ بأن شخصًا ما قد ارتكب الفاحشة مع زوجة أخيه، فحينئذٍ يُوقن بحديث رسول الله ﷺ ويطمئن له[1].

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ...﴾ [الحجرات: ٧] وما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]؟

ج: وجه الربط أن يقال: إن من مقتضيات الإيمان الذي حببه الله إلى قلوبكم ألا يقع منكم إلا الأعمال الصالحة وترك التسرع في الأخبار.

ومن العلماء من قال: إن هؤلاء المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]. غير المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح القدير»: والظاهر أنه تذكير للكل بما يقتضيه الإيمان وتوجبه محبته التي جعلها الله في قلوبهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) وأخرج الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨) بسند صحيح[1] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيرًا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يَفشُو الكذبُ حتىٰ إن الرجل ليبتدئ بالشهادة قبل أن يُسألها. فمن أراد منكم بَحبحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

---

(١) وإن شئت أن تنظر تخريجه بتوسع فانظر «المنتخب لعبد بن حميد» بتحقيقي.

المهتدي من هداه الله

س: المهتدي للإيمان والطاعة من هداه الله، والزائغ من أزاغه الله. دلِّل على هذا الأصل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

وأيضًا فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩].

ويقول أهل الإيمان يوم القيامة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ...﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [النور: ٤٦].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾

[الرعد: ٣١].

وفي الحديث القدسي: «كلكم ضال إلَّا من هديته»(١).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا»(٢).

وكذلك الإضلال:

قال الله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

وقال نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨].

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب، فإذا علم الشخص هذا اطمأن قلبه وطلب من الله الإيمان والهداية، وأدى ما أوجبه الله عليه تجاه الناس، ودعا لهم بالتوفيق والهداية، وأخذ بيد ضالهم وعلَّم جاهلهم وخفض جناحه لأهل الإيمان، ولكن مع ذلك لا تذهب نفسه حسرات على من انتكس منهم، ولا تتقطع

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ - فيما يروي عن الله تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلَّا من هديته فاستهدوني أهدكم...». الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (حديث ١٨٠٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا.

نفسه على من أصر على الكفر والعناد، فأمر الهداية مرده إلى الله سبحانه وتعالى كما قدمنا.

وها هو رسول الله ﷺ يبذل قصارى جهده مع عمه أبي طالب ويقول له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى»، ويكرها عليه رسول الله ﷺ(١) ويأبى عمه إلا الكفر عياذًا بالله.

ورسول الله ﷺ عاقل حكيم رشيد سديد في قوله وفعله؛ لكن مع ذلك أمر الهداية ليس له، إنما إلى الله سبحانه وتعالى.

وها هو نوح عليه الصلاة والسلام يُنادي ولده: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود: ٤٢]، فلا يُجدي نداءُ نوحٍ مع هذا الولد الشقي، فيقول ولده: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]، ويحول الموج بينهما فيكون هذا الولد الشقي من المغرقين، وممن ماتوا على الكفر عياذًا بالله.

وتأخذ نوح الشفقة على ولده فينادي: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود: ٤٥]، فيقول الله له: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: ٤٦].

وكذلك لم يستطع نوحٌ عليه السلام لزوجته هدايةً وتوفيقًا، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠].

---

(١) أخرج البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤)، من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أي عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليها، ويعيدانه بتلك المقالة، حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم: علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. قال: قال رسول الله ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وها هو لوط ﷺ لم يستطع لزوجته هدايةً ولا توفيقًا، بل قدر الله عزَّ وجلَّ عليها أنها من الغابرين.

وهذا هو إبراهيم الخليل ﷺ يبذل ما في وسعه مع أبيه ويدعوه ويُناديه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٢-٤٥]، فلا تُجدي مع هذا الغوي نصائح ولده الرشيد، فيقول لولده: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦].

والله هو الذي يشرح الصدور للإسلام:

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

هو سبحانه الذي يثبِّت على الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[1].

ويقول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

وهذا هو الخليل إبراهيم ﷺ رغم توحيده وإمامته في التوحيد يقول: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وها هو شعيب عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢)، من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه مرفوعًا.

س: وضح المراد بالكفر والفسوق والعصيان.

ج: أما الكفر المراد هنا فهو: الكفر بالله، وأما الفسوق: فالمراد به هنا كما ذكره كثير من العلماء: الكذب[1]، وأما العصيان فهو: المخالفة وفعل ما نهى الله عنه ورسوله، وتضييع ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁

الالتفات في الخطاب

س: في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧] تحولٌ (أو التفات) في الخطاب. وضح ذلك واذكر أمثلةً أخرى له.

ج: إيضاحه: أن الخطاب كان للحاضرين في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ثم انتقل إلى الخبر والغائب في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾.

ونظائر ذلك متعددة، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا..﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾ [الإنسان: ٢١-٢٢].

❁ ❁ ❁

س: ما وجه ختام قوله تعالى: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٨]؟

ج: وجه ذلك: حتى لا يعترض معترض فيقول: لماذا حبب الله الإيمان إلى فلان وكرَّهه إلى فلان؟ فيجاب: بأن الله عليم بالمحسن منكم الذي يستحق الإحسان إليه والتفضل عليه بالهداية فيهديه الله، وعليم كذلك بمن يستحق الغواية فيُغوى.

---

(١) وقد تقدم تعريف الفسق بما فيه كفاية، وذكرنا هناك أيضًا أن الفسق: الخروج عن الطاعة.

حكيم في كل شيء، وفي تدبيره لأمور الخلق وتوجيههم إلى ما يشاء من قضائه.

مثل هذا الختام يطمئن المؤمن أيما اطمئنان، ويجيبه على كل تساؤل قد يرد على ذهنه: لماذا هدى الله فلانًا وأضل فلانًا؟!

وكذلك في سائر الأبواب، ففي باب الرزق يقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧] فختام الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ يجيب على تساؤل قد يرد وهو: لماذا رزق الله فلانًا ولم يرزق فلانًا؟ فيجد الجواب: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

وفي باب الرزق بالأولاد، يقول تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]، ثم يختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ فإن سأل سائلٌ: لماذا رزق فلان بالولد ولم أرزق فيجد الجواب: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

[الحجرات: ٩-١٠]

س: اذكر معنى هذه الكلمات:

﴿بَغَتْ - تَفِيٓءَ - فَآءَتْ - وَأَقْسِطُوٓاْ - ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿بَغَتْ﴾	اعتدت - تطاولت - ظلمت - رفضت حكم الله
﴿تَفِيٓءَ﴾	ترجع
﴿فَآءَتْ﴾	رجعت
﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾	اعدلوا
﴿ٱلْمُقْسِطِينَ﴾	العادلين في أحكامهم، القاضين بين الناس بالقسط

❁ ❁ ❁

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩].

ج: سبب نزول هذه الآية الكريمة ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال[١]: قيل للنبي ﷺ: «لو أتيت عبد الله بن أُبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حمارًا، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة[٢]. فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فو الله! لقد آذاني نتنُ حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله! لحمار رسول الله ﷺ أطيبُ ريحًا منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه. قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٩١)، ومسلم (حديث ١٧٩٩).

(٢) الأرض السبخة: هي الأرض التي لا تنبت لملوحتها.

س: على من تطلق الطائفة؟

ج: الطائفة تطلق هنا على الواحد والجمع والاثنين، فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ؛ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس. قاله القرطبي.

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ ولم يقل: اقتتلتا؟

ج: قيل: ذلك باعتبار كل فردٍ من أفراد الطائفتين، فكل طائفة هي مجموعة أفراد، ونحوه قوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[الحج: ١٩]، والضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُمَا﴾ عائد إلى الطائفتين باعتبار اللفظ.

❁ ❁ ❁

س: اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ...﴾ [الحجرات: ٩].

ج: في معنى ذلك حديث رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[(١)]، وفي رواية: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: من المُخاطب بقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]؟

ج: المخاطب عند جمهور العلماء - بذلك هو إمام المسلمين.

أخرج الطبري[(٣)] بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ...﴾ إلى آخر الآية، قال: هذا أمر من الله، أمر به الولاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس، وأمرهم أن يصلحوا بينهما، فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله، فإذا رجعت أصلحوا بينهما، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، قال: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٤).

(٢) أخرجها البخاري (حديث ٦٩٥٢).

(٣) الطبري أثر (٣١٦٩٨).

بحث سريع في قتال الفئة الباغية

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ٩].

ج: قال الشوكاني[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: إنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدِّي ما يجب عليها للأخرى.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] ردٌّ على الخوارج وضح ذلك؟ وهل يخرج المؤمن من الإيمان بمعصية؟

ج: وجه هذا: أن الخوارج يرون تكفير المتقاتلين ويستدلون بحديث النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٢]، وبقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٣]، فيحملون مثل هذه الأحاديث على ظاهرها[٤]، ووجه الرد عليهم: أن الله سبحانه وتعالى سمى الطائفتين مؤمنين، بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فلم يخرجهم من دائرة الإيمان لاقتتالهم، وكذلك قال تعالى في آيات القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الأخوة الإيمانية، وكذلك قال النبي

(١) فتح القدير جـ٥ ص٦٣.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ١٩٤ ط. المعرفة).

ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[١]، فسماهم النبي ﷺ مسلمين.

فدل ذلك على أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بمعصية وإن عَظُمَت، كما دل على ذلك أيضًا قول النبي ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين»[٢]، فأصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد حروبٍ طويلة ووقائع مهولة، والشاهد من ذلك: أنهما مازالتا مسلمتين مع اقتتالهما.

❁ ❁ ❁

س: أي الطائفتين كانت على الحق، طائفة عليّ أم طائفة معاوية رضي الله عنهما؟

ج: طائفة عليٍّ رضي الله عنه هي التي كانت على الحق، وذلك لأمرين:

أولهما: قول النبي ﷺ في شأن عمار رضي الله عنه: «تقتله الفئة الباغية»[٣]، ومن المعلوم أن عمارًا رضي الله عنه كان يُقاتل في صفوف عليٍّ رضي الله عنه وقد قتلته فئة معاوية رضي الله عنه.

الثاني: قول رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»[٤]، وقد مرقت الخوارج فقاتلهم عليٌّ رضي الله عنه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٣١)، ومسلم (حديث ٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرج البخاري (٤٤٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية».
وأخرج مسلم (٢٩١٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».
ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (ص ٧٤٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وله لفظ آخر عند مسلم أيضًا (٧٤٦): «يكون في أمتي فرقتان، فيخرج من بينهما مارقةٌ يلي قتلهم أولاهم بالحق».
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٦١٩): وفي هذا وفي قوله ﷺ: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» دلالة واضحة على أن عليًا ومن معه كانوا على الحق، وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم والله أعلم.
قلت: وينضم إلى هذا ما ورد من كمٍّ غزير من أحاديث في فضل عليّ رضي الله عنه منها: «لأعطين الراية اليوم رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فأعطاها عليًا، وحديث: «ومن كنت مولاه فعلي مولاه»، وقول النبي ﷺ لعلي: «اذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك». إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»[١].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[٤].

وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[٥].

وقال ﷺ في شأن الغِيبة: «ذكرك أخاك بما يكره»[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتها»[٧].

وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الخدم: «إخوانكم خولكم»[٨].

وفي البيوع قال ﷺ: «لا يبع الرجل على بيع أخيه»[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) بإسناد فيه ضعف، ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق».

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن يسر علىٰ معسر؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

(٧) البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٨) البخاري (حديث ٣٠) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٩) البخاري (حديث ٢١٣٩)، ومسلم (حديث ١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

وقال ﷺ: «أرأيت إن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟!»[١].

وفي الخطبة قال عليه الصلاة والسلام: «ولا يخطب على خطبة أخيه»[٢].

بل وفي المشاكل والشجار قال ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمن الوجه»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح»[٤].

وكان النبي ﷺ دائم التذكير بهذا الأصل في أقواله وأقضيته بين المؤمنين كما أسلفنا، ومن ذلك أيضًا:

قوله ﷺ: «فمن قضيت له بحق أخيه بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار..»[٥].

وقوله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «تأخذ فوق يديه»[٦].

وقوله ﷺ في شأن ضالة الغنم: «لك أو لأخيك أو للذئب»[٧].

وقوله ﷺ في التحلل من المظالم: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه..»[٨].

وقوله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم..»[٩].

---

(١) البخاري (٢١٩٨)، ومسلم (حديث ١٥٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٥١٤٢)، ومسلم (ص١١٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ٤٧١) كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٧٠٧٢)، ومسلم (٧/ ٢٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله؛ فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها».

(٦) البخاري (حديث ٢٤٤٤)، وفي رواية: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»، (البخاري ٢٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

وعند مسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.. فذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ وفيه: «ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا لينصره».

(٧) البخاري (حديث ٢٤٢٧)، ومسلم (حديث ١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعًا.

(٨) البخاري (حديث ٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٩) البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

وجاءت جملة نصوص أُخر في هذا المعنى أيضًا:

قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[(١)].

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٢)].

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[(٣)].

وفي رواية ثالثة: «المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».

وجاءت أيضًا نصوص الكتاب العزيز تؤكد أن المؤمنين نفس واحدة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ...﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا تلمزوا إخوانكم.

وقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي: بإخوانهم.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

قال بعض أهل العلم: على إخوانكم.

فأثبتت هذه النصوص الأخوة بين المؤمنين، ولهذه الأخوة مستلزمات منها كما أسلفنا: أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه[(٤)]، فكما يحب لنفسه الربح يحب

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) هذه الروايات عند مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) هذه الروايات عند مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) وانظر إلىٰ هذه الخصلة النبيلة من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وحاول واجتهد أن تكون كذلك مع إخوانك ومع المسلمين.

أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد صحيح، عن ابن بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي علىٰ الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة. أخرجه الطبراني «المعجم الكبير» (١٠٦٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢١-٣٢٢).

لأخيه الربح، وكما يحب أن يُستر عليه، فليحب كذلك أن يستر على أخيه، وكما يدعو لنفسه يدعو لأخيه، وإذا رأى أن يشتد على أخيه، فيشتد على أخيه من أجل مصلحة أخيه ويأخذ على يديه إن رآه يظلم الناس إلى غير ذلك من مستلزمات الأخوة والتوفيق بالله وهو المستعان.

وذلك أيضًا - والله أعلم - كي يتعاطف الناس فيما بينهم فيرحم كبيرهم صغيرهم، ويحنو قويهم على ضعيفهم، ويُعطي غنيهم من ماله لفقيرهم. ويعلم عالمهم جاهلهم، ويرشد المهتدي منهم ضالهم.

وذلك أيضًا لترك التباهي والتفاخر والتعالي فالأصل واحد، وهو آدم عليه السلام وقد خلق من تراب.

ومنها: نبذ العصبيات للقبائل والعشائر والبلدان والمهن والصنائع والألوان والأجناس وغير ذلك من أنواع العصبيات[1].

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث وعن تفسير أية آية من سورة الحجرات يرد: «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»؟

ج: الحديث أخرجه أحمد[2].

ويرد عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] طريقةٌ مُثلى من طرق التوجيه والإرشاد وضحها، مع تدعيمها بمزيد من الأدلة.

ج: إيضاح ذلك: أن الله عزَّ وجلَّ بيَّن أخوة المؤمنين، ثم رتَّب على هذه الأخوة مستلزماتها، ومنها: الإصلاح بين الإخوة هؤلاء، ونحو هذه الطريقة طريقة تقرير المخاطب بأصول وقواعد، ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره، وهي

---

(١) إلا ما كان منها لله وفي الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) أحمد (٥/ ٣٤٠)، وإسناده ضعيف، ففيه مصعب بن ثابت، وهو ضعيف.

طريقة لها أصلها وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذًا منهم الاعتراف والإقرار بصدقه: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[(١)].

وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار لما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا (أي: حزنوا)؛ إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالًا، فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن، ثم قال لهم: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم»... الحديث[(٢)].

وأخرج الإمام أحمد[(٣)] في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: «ادنه» فدنا منه قريبًا، قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك يا رسول الله. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٠)، ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٠٦١).

(٣) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٦) بإسناد صحيح.

وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

وها هو عليه السلام يقرر اليهود[١] - قبل إخبارهم بإسلام عبد الله بن سلام - بسيادة عبد الله بن سلام وفضل عبد الله بن سلام.

قال عليه الصلاة والسلام لليهود: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرأيتك إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «يا ابن سلام، اخرج عليهم»، فخرج، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ[٢].

وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه، وقد كان منهم آنذاك، يقول لهم: ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه.. الحديث[٣].

فانظر إلى استهلاله للحديث، وإلى ذكر مآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة لهم.. ثم حثه لهم على قبول خطة الصلح؛ فحقًّا إنه فقه تعامل، فقه تخاطب مع الناس، يؤتيه الله من يشاء من عباده.

فهي طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن.

❁ ❁ ❁

الحثُّ على الإصلاح بين الناس

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الإصلاح بين الناس والحث على العدل وبيان شيء من فضل ذلك.

---

(١) لكن التوفيق من عند الله.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

ج: من ذلك ما يلي:

الحثُّ على الإصلاح في ثلاثة مواطن في هذه السورة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ فمنها ما يلي:

قول النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم[1] في صحيحه: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا».

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل[3] بين الناس صدقة».

وانظر كيف اقترن الوصف بالسيادة مع الإصلاح بين المسلمين؟!

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٠٧)، ومسلم (١٠٠٩).

(٣) المراد بالعدل هنا: الإصلاح، وقيل: الإصلاح بالعدل.

وذلك فيما ذكره[١] النبي ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وفي سنن أبي داود وغيرها بإسنادٍ صحيح من حديث أبي الدرداء[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة»[٣].

وقد رخص رسول الله ﷺ للمصلح بين الناس في نوعٍ من الكذب من أجل الإصلاح.

أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا».

وقد كان النبي ﷺ يسعى للإصلاح بين الناس جاهدًا في ذلك:

ففي «الصحيح»[٥] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن ناسًا من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يُصلح بينهم، فحضرت الصلاة ولم يأت النبي ﷺ، فأذن بلال بالصلاة ولم يأت النبي ﷺ، فجاء إلى أبي بكر فقال: إن النبي ﷺ حُبس وقد حضرت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس... الحديث.

وفي «صحيح البخاري»[٦] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم».

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٩).

(٢) أبو داود (٤٩١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٣٩١)، والترمذي (٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٦/ ٤٤٤).

(٣) الحالقة: هي الذنب الكبير والمصيبة الكبرىٰ التي تستأصل الدين كما يستأصل الموسىٰ الشعر.

(٤) البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٥) البخاري (حديث ٢٦٩٠).

(٦) البخاري (حديث ٢٦٩٣).

س: هل هناك فرقٌ بين الصلح والحكم؟

ج: نعم، هناك فرق في كثير من الأحيان بين الصلح والحكم، فيُتجوز في الصلح فيما لا يتجوَّز فيه في الحكم.

فمن الأول مثلًا: ما ورد من حديث كعب بن مالك[١] رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى: «يا كعب» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «ضع من دَينك هذا» - وأومأ إليه أي: الشطر - قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فاقضه».

فهنا حثَّ النبي ﷺ كعب بن مالك على وضع النصف من ماله الذي له عند ابن حدرد، وهو نوع من أنواع الإصلاح. أما القضاء فيستلزم أن يستوفى كعبٌ حقه كاملًا.

وفي الصحيح أيضًا من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج[٢] الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح[٣] الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر»[٤]، فقال الزبير: والله أني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

فهنا أشار عليهما النبي ﷺ بأمرٍ لهما فيه سعة على سبيل الإصلاح بينهما، فلما أبى الأنصاري ذلك استوفى النبي ﷺ للزبير حقه كاملًا، فأمره أن يسقي حتى تمتلئ

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه.

(٢) شراج: هو مسيل الماء، أما الحرة: فهي موضع بمدينة رسول الله ﷺ.

(٣) سرح الماء: أي: أطلق الماء، قال الحافظ في «الفتح»: وإنما قال له ذلك؛ لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبسه لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلىٰ أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع.

(٤) في رواية للبخاري: واستوعىٰ له حقه.

أرضه بالماء (حتى يرجع الماء إلى الجدر)، ثم يرسله إلى الأنصاري.

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث بباب: إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حُكم عليه بالحكم البين.

وكنحو ذلك الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

جاء في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها قالت في هذه الآية: الرجل تكون عنده المرأة، ليس بمتكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حِلٍّ، فنزلت هذه الآية في ذلك[(١)].

❁ ❁ ❁

س: بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تعالى بباب: «إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود»، فمتى يتنزل هذا المعنى؟

ج: من مواطن تنزيل هذا: إذا اصطلحوا على شيءٍ يسقط حدًّا من حدود الله تبارك وتعالى بعد وجوب هذا الحد، وذلك كالذي أخرجه ومسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا: إن رجلًا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله[(٣)]. فقال الخصم الآخر، وهو أفقه منه[(٤)]: نعم! فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي. فقال رسول الله ﷺ: «قل»، قال: إن ابني كان عسيفًا[(٥)] على هذا[(٦)] فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٣) (أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله) معنىٰ أنشدك: أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي. وقوله: بكتاب الله: أي: بما تضمنه كتاب الله.

(٤) (وهو أفقه منه) قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه. ويحتمل أن المراد: أفقه منه في القضية؛ لوصفه إياها علىٰ وجهها. ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بخلاف الأول في قوله: أنشدك الله؛ فإنه من جفاء الأعراب.

(٥) «عسيفًا»: العسيف وهو الأجير. وجمعه: عسفاء، كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

(٦) «علىٰ هذا»: يشير إلىٰ خصمه، وهو زوج مزنية ابنه وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور=

الرجم، فافتديت[١] منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله. الوليدة والغنم ردٌّ**[٢]، **وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغد، يا أنيس**[٣] **إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**».

قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

❁ ❁ ❁

الاستئناف في الأحكام

س: هل يجوز الاستئناف في الصلح والأحكام؟

ج: نعم، يجوز الاستئناف في الصلح والأحكام:

دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ففيه: أن النبي ﷺ قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: آتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى**». قال أبو

= فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(١) «فافتديت»: أي: أنقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية، وكأنه زعم أن الرجم حقٌّ لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

(٢) «الوليدة والغنم رد» أي: مردودة. ومعناه: يجب ردها إليك. وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

(٣) «واغد يا أنيس» قال الإمام النووي رضي الله تعالىٰ عنه: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم علىٰ إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيعرفها بأن لها عنده حد القذف فتطالب به أو تعفو عنه، إلا أن تعترف بالزنىٰ فلا يجب عليه حد القذف بل يجب عليها حد الزنىٰ، وهو الرجم؛ لأنها كانت محصنة، فذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنىٰ، فأمر النبي ﷺ برجمها، فرُجمت. ولا بد من هذا التأويل؛ لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حد الزنىٰ. وهذا غير مراد؛ لأن حد الزنىٰ لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنهم، بل لو أقر به الزاني استحب أن يلقن الرجوع. نقلًا عن محمد فؤاد رحمه الله.

(٤) البخاري (حديث ٣٤٢٧).

هريرة: والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذٍ، ومنا نقول إلا المدية.

كما دلت على ذلك أيضًا قصة العسيف المتقدمة.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه واجتناب معاصيه؛ ليرحمكم ربكم فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن
نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ
ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ
أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ
رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ
إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

[الحجرات: ١١-١٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَا يَسْخَرْ - وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ - وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ - بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ - لَا يَغْتَب﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا يَسْخَرْ﴾	لا يهزأ
﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	لا تعيبوا إخوانكم - لا تطعنوا في إخوانكم
﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾	لا تتداعوا، لا تتنادوا بالأوصاف المكروهة
﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾	بئس أن يُدعى الرجل بـ(الفاسق) بعد أن آمن. بئس أن يُقال للرجل: يا نصراني أو يا يهودي بعدما أسلم
﴿لَا يَغْتَب﴾	لا يذكر أحدكم أخاه في غيابه بما يكره

❁ ❁ ❁

س: السخرية من المؤمنين هي سبيل أهل الإجرام فلا ينبغي أن نشاركهم هذا السبيل اذكر ما يدل على ذلك.

ج: نعم، فالسخرية من أهل الإيمان هي سبيل أهل الإجرام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى في شأن الساخرين من نوح عليه السلام: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾[1] [هود: ٣٨].

فجدير بالمؤمن أن يجتنب سبيل المجرمين، وجدير به أن يترك السخرية من

(١) وقد أوردت شيئًا من ذلك في تفسير جزء عم «سورة المطففين» فارجع إليه إن شئت.

المؤمنين؛ فإن الجزاء من جنس العمل، وكما قال تعالى في شأن أهل الإيمان مع الكفار الساخرين منهم: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٨].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في النهي عن السخرية من الناس.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[١] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكِبر: بطر الحق[٢]، وغمط الناس[٣]».

وقال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»[٤].

ولما قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: حسبُك من صفية هكذا (تعني أنها قصيرة) قال لها النبي ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»[٥].

وأخرج البخاري ومسلم[٦] من حديث المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذر بالربذة[٧]. وعليه برد وعلى غلامه مثله. فقلنا: يا أبا ذر، لو جمعت بينهما كانت

---

(١) مسلم (حديث ٩١).

(٢) بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا.

(٣) غمط الناس: احتقارهم.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٢) بسند صحيح.

(٦) البخاري (حديث ٣٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

(٧) «بالرَّبذة»: هو موضع بالبادية، بينه وبين المدينة ثلاث مراحل. وهو في شمال المدينة سكنه أبو ذر رضي الله تعالىٰ عنه، وبه كانت وفاته ودفن فيه. قاله النووي.

حلة![١] قال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ. قال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢] قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه[٣]. قال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية. هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتوهم فأعينوهم».

ومنها حديث عبد الله بن زمعة[٤] رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس.

ومن ذلك عمومات كقوله ﷺ: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٥]، وقوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[٦]، ونحو ذلك من الأحاديث.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] خيرًا منهم في ماذا؟

ج: خيرًا منهم في المعتقد وسلامة النيات، وخيرًا منهم في العمل الصالح، وبالجملة: خيرًا منهم عند الله سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

س: المسخور منه قد يكون خيرًا من الساخر. وضح ذلك، واذكر من الأدلة ما يتجلى به هذا المعنى.

ج: نعم، المسخور منه قد يكون خيرًا من الساخر، فقد يكون الممرض في

---

(١) «لو جمعت بينهما كانت حلة»: إنما قال ذلك؛ لأن الحلة عند العرب ثوبان ولا تطلق على ثواب واحد.

(٢) «إنك امرؤ فيك جاهلية»: أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية، ففيك خلق من أخلاقهم.

(٣) «من سب الرجال سبوا أباه وأمه» معنى هذا: الاعتذار عن سبه أمَّ ذلك الإنسان.

يعني: أنه سبني، ومن سبَّ إنسانًا سب ذلك الإنسان أبا السابّ وأمه، فأنكر عليه النبيّ ﷺ، وقال: هذا من أخلاق الجاهلية، وإنما يباح للمسبوب أن يسب السابّ نفسه بقدر ما سبه، ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٤٣)، وفي رواية: ثم وعظهم في الضرطة فقال: «لِمَ يضحك أحدهم مما يخرج منه؟!».

(٥) صحيح، وقد تقدم.

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٨٧)، ومسلم (١٦٧٩).

مستشفى خيرٌ من طبيبها ومديرها، وقد يكون العامل في شركة أفضل من رئيسها ومديرها، وقد تكون الخادمة خيرًا من المخدومة وأقرب إلى الله منها، وقد يكون الفقير خيرًا عند الله من الغني، وقد يكون الدميم خيرًا من الوسيم الجميل، إلى غير ذلك، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر الحديث وفيه: «وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة[٢] وشارة[٣] حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها فجعل يرتضع».

قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها.

قال: «ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها. فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث[٤]، فقالت: حلقى![٥] مرَّ برجل حسن الهيئة فقلتُ: اللهم! اجعل ابني مثله. فقلتَ: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها[٦]، قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا فقلتُ: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، ولم

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٦٦)، ومسلم (حديث ٢٥٥٠).

(٢) الفارهة: النشيطة القوية.

(٣) الشارة هي: الهيئة واللباس.

(٤) «تراجع الحديث: معناه: أقبلت على الرضيع تحدثه، وكانت أولًا لا تراه أهلًا للكلام، فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

(٥) حلقىٰ: أي: أصابه الله تعالىٰ بوجع في حلقه.

(٦) مثلها: أي: سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها».

ولما رأى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن لنفسه فضلاً على غيره من أقاربه قال له النبي ﷺ: «هل تنصرون إلا بضعفائكم؟»[١].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[البقرة: ٢١٢].

وانظر إلى هذا الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ الذي يضع الأمور في نصابها والحقائق في مواضعها والذي يفيد ما أفادته الآية الكريمة.

سئل رسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله»[٢].

وأخرج البخاري[٣] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: مرَّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟»، فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟»، فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا».

قلت: وهذا محمول على أن هذا الفقير خيرٌ في دينه من هذا الرجل الذي هو من أشراف الناس.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٤].

وفي صحيح مسلم[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رب

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٩٦).

(٢) البخاري (حديث ٣٣٨٣)، ومسلم (حديث ٢٣٧٨).

(٣) البخاري (حديث ٦٤٤٧).

(٤) مسلم (ص١٩٨٧).

(٥) مسلم (٢١٩١).

أشعث[١] مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[٢].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور السخرية التي تكون بين الناس؟

ج: للسخرية صور متعددة كأن يسخر الغني من الفقير لفقره، وكأن يسخر الجميل من الدميم لدمامته، وكأن يسخر ذو المنصب والجاه من الوضيع لوضاعته، وكأن يسخر مسلم عُوفي من الذنب أو الفضيحة ممن أذنب وكشف ستره، كما ذكر ذلك ابن زيد، فعند الطبري بإسناد صحيح[٣] عن ابن زيد أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١]، قال: ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكون خيرًا منهم، وإن كان ظهر على عثرته هذه، وسترت أنت على عثرتك، لعلَّ هذه التي ظهرت خير له في الآخرة عند الله، وهذه التي سترت أنت عليها شرّ لك، ما يدريك لعله ما يغفر لك، قال: فنهى الرجل عن ذلك، قال: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾، وقال في النساء مثل ذلك.

وقال الطبري رحمه الله تعالى:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل النساء يدخلن في القوم؟

ج: نعم، يدخل النساء في القوم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، ونوح ﷺ أرسل إلى الرجال والنساء معًا.

---

(١) أما الأشعث فهو متلبد الشعر، مغبره، الذي لا يدهنه ولا يكثر غسله، ومعنىٰ مدفوع بالأبواب: أنه لا يؤذن له، بل يحجب ويطرد؛ لحقارته عند الناس.

(٢) معنىٰ قوله: «لو أقسم علىٰ الله لأبره» أي: لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله تعالىٰ بإبراره لأبره، وقيل: لو دعاه لأجابه.

(٣) الطبري (٣١٧١٢).

س: ذكر ثم أن النساء يدخلن في القوم فلم قيل: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ [الحجرات: ١١]؟

ج: قيل: ذلك لأن السخرية في النساء أكثر منها في الرجال؛ وذلك لنقصان عقلهن ودينهن كما جاء عن رسول الله ﷺ فعطف الخاص، وهو (النساء) على العام وهو (القوم) للتأكيد على هذا المعنى؛ وتحذير النساء من السخرية من بعضهن البعض.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: أفرد النساء بالذكر؛ لأن السخرية منهن أكثر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ فشمل الجميع.

❁ ❁ ❁

س: اذكر مزيدًا من الأمثلة لعطف الخاص على العام؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ..﴾ [النساء: ١٦٣]، فإبراهيم وإسماعيل و.. من النبيين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ..﴾ [الأحزاب: ٧]، فالمذكورون من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داخلون في عموم النبيين.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، فالرمان من الفاكهة.

❁ ❁ ❁

س: قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، فكيف يلمز الشخص نفسه؟

ج: المراد بقوله تعالى: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في هذا المقام: إخوانكم، وقال تعالى: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾؛ لأن المؤمنين فيما بينهم - فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمرهم وطلب صلاحهم ومحبتهم للخير - كالجسد الواحد، فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، ومن عاب إخوانه فقد عاب نفسه.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ دلالة على أخوة المؤمنين وأنهم كالجسد الواحد؛ لذلك عبر بالنفس عن الآخرين، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. أي: أموال إخوانكم.

وقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمنون كرجلٍ واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[(٣)].

وثمَّ وجه آخر من وجوه التأويل، وهو أن مَن سبَّ الناس سبوه، ومن لعنهم لعنوه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وكما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»[(٤)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا أردت أن تنظر العيوب جمَّة فتأمل عيَّابًا فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب.

وقال ﷺ: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ويدع الجِذع في عينه».

وقيل: من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره. قال الشاعر:

المرء إن كان عاقلًا ورعًا ... أشغله عن عيوبه وَرَعه

كما السقيم المريض يشغله ... عن وجع الناس كلهم وَجَعه

---

(١) (٢) أخرجهما مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث النعمان كذلك مرفوعًا: «المسلمون كرجلٍ واحد إن اشتكىٰ عينه اشتكىٰ كله وإن اشتكىٰ رأسه اشتكىٰ كله».

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترًا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

❁ ❁ ❁

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾

س: هل صح لهذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي[1] وأبو داود وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمين والثلاثة فيُدعى ببعضها فعسى أن يكره قال: فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالألقاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾؟ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

ج: المراد بالألقاب: هنا الألقاب التي كانوا يتداعون بها في الجاهلية فقد كان الرجل منه له اسم أو اسمان أو أكثر من الأسماء المكروهة، فكانوا يتداعون بها، كما قال أبو سفيان في شأن رسول الله ﷺ: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة[2].

ووجه آخر: أن المراد النهي عن تعيير الرجل بالذنب بعد إقلاعه عنه وتوبته منه، وكمن يقول للنصراني عند إسلامه: فعل النصراني في كذا وكذا.. ونحو ذلك.

ووجه ثالث: أن الشخص يقول للآخر: يا فاسق - يا منافق - يا كافر - يا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أيضًا أبو داود (٤٩٦٢)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦)، وابن ماجه (٣٧٤١).

وأخرجه أحمد (٤/ ٦٩) من طريق أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري، عن عمومة له. وقد اختلف العلماء في صحبة أبي جبيرة إلا أن سياق الحديث يفيد إثبات صحبته، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (فتح الباري ١/ ٤٠): وابن أبي كبشة: أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلىٰ جدٍ غامض.

يهودي - يا نصراني، فكل هذا يدخل فيما نهى الله عنه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها، وإذا كان ذلك كذلك صحَّت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض؛ لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضًا.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، أي: لا تتداعوا ولا تتنادوا بالأسماء المكروهة، بل تنادوا بالمستحب منها، فالملائكة يذكرون المؤمن - كما في حديث الاحتضار وخروج الروح - بأحب الأسماء التي كان يحب أن يُدعى بها[(١)].

وكذلك لا يُعير أحدكم أخاه بما كان منه في جاهليته ثم تاب منه.

س: هناك صور مستثناة من النهي عن التنابز بالألقاب. اذكر بعضها.

ج: نعم هناك ما يستثنى من ذلك كما إذا اشتهر رجل بلقب وعُرف به في الناس ولم يكن يتضايق منه أو يتبرم فحينئذ يجوز لنا أن ندعوه به كما قال النبي ﷺ: «أكما

---

(١) أخرج أحمد (٤/ ٢٨٧) بإسناد صحيح من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط(*) من حنوط الجنة حتىٰ يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها فلا يمرون - يعني: بها - علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا».

(*) الحنوط: طيبٌ يُخلط للميت خاصة.

يقول ذو اليدين؟»[١]، وكما قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[عبس: ١-٢]، وقد قدمنا صورًا من ذلك في تفسير سورة عبس من جزء عم فراجع ذلك إن شئت.

وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى: وقع من ذلك مستثنى من غلب عليه الاستعمال كالأعرج والأحدب، ولم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه، فجوَّزته الأمة واتفق على قوله أهل الملة، قال ابن العربي: وقد ورد - لعمر الله - من ذلك في كتبهم ما لا أرضاه في صالح جزرة، لأنه صحَّف (خرزة) فلُقِّب بها، وكذلك في قولهم في محمد بن سليمان الحضرمي: مُطَيَّن؛ لأنه وقع في طين ونحو ذلك مما غلب على المتأخرين، ولا أراه سائغًا في الدِّين. وقد كان موسى بن علي ابن رباح المصري يقول: لا أجعل أحدًا صغَّر اسم أبي في حلٍّ، وكان الغالب على اسمه التصغير بضم العين. والذي يضبط هذا كله: أن كل ما يكره الإنسان إذا نودي به فلا يجوز لأجل الأذيَّة. والله أعلم.

قلت: وعلى هذا المعنى ترجم البخاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب الأدب» من الجامع الصحيح. في «باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل». قال: وقال النبي ﷺ: «ما يقول ذو اليدين». قال أبو عبد الله بن خُويز مَنْدَاد: تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان ما يكره، ويجوز تلقيبه بما يحب، ألا ترى أن النبي ﷺ لقب عمر بالفاروق، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وخزيمة بذي الشهادتين، وأبا هريرة بذي الشمالين وبذي اليدين، في أشباه ذلك.

الزمخشري: روي عن النبي ﷺ: «من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه»؛ ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أشيعوا الكُنى فإنها منبِّهة. ولقد لُقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة أسد الله، وخالد سيف الله، وقلَّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها - ومن العرب والعجم - تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير. قال الماوردي: فأما مستحب الألقاب

---

(١) البخاري (حديث ٤٨٢)، ومسلم (حديث ٥٧٣).

ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف رسول الله ﷺ عددًا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجلّ الألقاب.

قلت: فأما ما يكون ظاهرها الكراهة إذا أريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير. وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حُميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحُميد الأعرج، ومروان الأصغر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت الأصلع - يعني عمر - يقبل الحجر، وفي رواية: الأصيلع.

❁ ❁ ❁

حكم من قال لأخيه: يا كافر أو يا منافق

س: ما جزاء من قال لأخيه يا كافر أو يا منافق؟

ج: ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[(١)].

وفي رواية: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**».

ونحوه عند البخاري أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا[(٢)].

وعند مسلم[(٣)] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس ذلك إلا حار عليه**»[(٤)].

أما أقوال أهل العلم في شرح هذا، فهذا بعضها:

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد؛ وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، وكذا قوله لأخيه: كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦١٠٤)، ومسلم (حديث ٦٠).

(٢) البخاري (٦١٠٣).

(٣) مسلم (حديث ٦١).

(٤) «حار عليه»: أي: رجع عليه.

أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر، فعلى هذا المعنى (باء بها) أي: بكلمة الكفر، وكذا حار عليه، وهو معنى رجعت عليه، أي: رجع عليه الكفر، فباء وحار ورجع بمعنى واحد.

والوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.

والثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا الوجه نقله القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام مالك بن أنس، وهو ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

والوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر؛ وذلك أن المعاصي - كما قالوا - بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر، ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية لأبي عوانة الإسفرايني في كتابه (المخرج على صحيح مسلم): فإن كان كما قال: وإلّا فقد باء بالكفر، وفي رواية: إذا قال لأخيه (يا كافر) وجب الكفر على أحدهما.

والوجه الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير؛ لكونه جعل أخاه المؤمن كافرًا فكأنه كفر نفسه؛ إما لأنه كفر من هو مثله؛ وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام. والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]:

قال ابن بطال: كنت أسأل المهلب كثيرًا عن هذا الحديث لصعوبته فيجيبني بأجوبة مختلفة والمعنى واحد قال: قوله: «**فهو كما قال**» يعني: فهو كاذب لا كافر، إلا أنه لما تعمد الكذب الذي حلف عليه والتزم الملة التي حلف بها قال عليه السلام: «**فهو كما قال**» من التزام تلك الملة إن صح قصده بكذبه إلى التزامها في تلك الحالة، لا في وقت ثان إذا كان ذلك على سبيل الخديعة للمحلوف له. قلت: وحاصله: أنه لا يصير بذلك كافرًا وإنما يكون كالكافر في حال حلفه بذلك خاصة، وسيأتي أن غيره حمل الحديث على الزجر والتغليظ، وأن ظاهره غير مراد، وفيه غير

(١) فتح الباري شرح حديث (٦١٠٥).

ذلك من التأويلات.

قلت: ويخرج من ذلك المتأول؛ وذلك لأن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ في شأن حاطب بن أبي بلتعة - لما أرسل حاطب رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمر رسول الله - قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله[١]، وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين[٢]، وذلك في حديث الإفك، ووصف معاذ رضي الله عنه الرجل الذي فارقه لما أطال في صلاة العشاء، بأنه منافق[٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]؟

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: بئس الاسم الذي يُطلق عليكم وهو الفسق بعد أن تسميتم بالمؤمنين؛ وذلك لأن الذي ينبز أخاه بالألقاب يستحق أن يوصف بالفسق؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق»[٤]. وبئس أن يتسمى الرجل فاسقًا بعد أن كان مؤمنًا.

الثاني: بئس الاسم الذي تطلقه على أخيك، أن تطلق عليه فاسق بعد أن تاب من فسقه وآمن.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بحديث النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٥].

ج: ابتداءً ليس المراد بالكفر الكفر المخرج من الملة؛ وذلك لأن الله تعالى قال:

---

(١) أخرج ذلك البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، وانظره في سياق مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (طرق حديث ٤٦٥ ص ٣٤٠) عن جابر رضي الله عنه: «أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوز رجل فصلىٰ صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل فأتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذًا صلىٰ بنا البارحة فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أني منافق. فقال النبي ﷺ: «يا معاذ أفتَّان أنت؟» ثلاثًا اقرأ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ونحوهما.

(٤)، (٥) أخرجه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (حديث ٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩]. فسماهم الله مؤمنين مع اقتتالهم.

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[١]: ولا متمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتال أشد من السباب - لأنه مفض إلى إزهاق الأرواح - عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدًا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقد أشرنا إلى ذلك في باب المعاصي من أمر الجاهلية، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، وقيل: المراد هنا الكفر اللغوي وهو التغطية؛ لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه، فلما قاتله كان كأنه غطى على هذا الحق. والأولان أليق بمراد المصنف وأولى بالمقصود من التحذير من فعل ذلك والزجر عنه بخلاف الثالث. وقيل: أراد بقوله كفر أي: قد يؤول هذا الفعل بشؤمه إلى الكفر، وهذا بعيد، وأبعد منه حمله على المستحل لذلك؛ لأنه لا يطابق الترجمة، ولو كان مرادًا لم يحصل التفريق بين السباب والقتال؛ فإن مستحل لعن المسلم بغير تأويل يكفر أيضًا، ثم ذلك محمول على من فعله بغير تأويل، ومثل هذا الحديث قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» ففيه هذه الأجوبة، وسيأتي في كتاب الفتن، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] بعد قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية، فدل على أن بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظًا، وأما قوله ﷺ فيما رواه مسلم: «لعن المسلم كقتله» فلا يخفف هذا الحديث؛ لأن المشبه به فوق المشبه، والقدر الذي اشتركا فيه: بلوغ الغاية في التأثير، وهذا في العِرض، وهذا في النفس، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) فتح الباري (١/ ١١٢).

س: هذا التوجيه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١] أحيط بالترغيب والترهيب. وضح ذلك؟

ج: وجه ذلك: أن الآية صُدِّرت بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهذا تذكير لهم بالإيمان الذين هم له أهل، وتذكير بمقتضيات ذلك الإيمان وبالجزاء الذي أُعد للمؤمنين ثم ذكَّر بأخوة المؤمنين لبعضهم البعض في قوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تلمزوا إخوانكم، ثم لوَّح بالوصف بالفسق في قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ ثم ختم بالترهيب بقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾؟

ج: في ذلك حثٌّ على التوبة وترغيب فيها، وكذلك تحذير من التمادي في السخرية من الناس وازدرائهم ونبذهم بالألقاب المكروهة المذمومة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر حديثًا في معنى الآية الكريمة: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]؟

ج: في معناه قوله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن»؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًّا، وانظره إن شئت في السلسلة الضعيفة للشيخ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى[١].

❁ ❁ ❁

س: ما الظن المأمور باجتنابه؟

ج: هو ظن الشر بالمؤمنين، وقال بعض العلماء: إنه التهمة.

❁ ❁ ❁

س: ما الذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواهما؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأُونستْ منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث.

وقال أيضًا: وإن العلماء على أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبح. قاله المهدوي.

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: اجتنبوا كثيرًا من الظن، ولم يقل: اجتنبوا الظن كله، ولم يقل كذلك: اجتنبوا بعض الظن؟

ج: لم يقل: اجتنبوا بعض الظن كله؛ لأن من الظن ما هو خير كما قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

ولم يقل: اجتنبوا بعض الظن حتى يدخل البعض الذي هو إثمٌ في الكثير المجتنب؛ وذلك لكوننا لا نستطيع تحديد هذا الذي هو إثم بالضبط، فتركنا الكثير حتى يدخل فيه القليل الذي هو إثم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: يستفاد من قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] قاعدة نافعة

---

(١) أورده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ (حديث ١٥٦).

اذكر هذه القاعدة. وأيدها بمزيد من الأدلة؟

ج: هي قاعدة الاحتياط، فقد تركنا كثيرًا من الظن احتياطًا واحترازًا مع أن الذي حُرِّم إنما هو بعض الظن.

أما الأدلة التي تشهد لها فمنها ما يلي:

قول النبي ﷺ لما سئل عن البرِّ والإثم فقال: «البرُّ حسن الخُلُق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[١].

وقول النبي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[٢].

وكذلك قول النبي ﷺ[٣]: «إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن[٤] وبينهما مشتبهات لا

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم فقال... الحديث.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وكذلك أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٢)، ومسلم (حديث ١٥٩٩).

(٤) «إن الحلال بين والحرام بين» أجمع العلماء علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلىٰ حديث: «الأعمال بالنية»، وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقال أبو داود السجستاني: يدور علىٰ أربعة أحاديث: هذه الثلاثة وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقيل: حديث: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

قال العلماء: وسبب عظم موقعه: أنه نبه فيه علىٰ إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وإنه ينبغي أن يكون حلالًا، وأرشد إلىٰ معرفة الحلال، وأنه ينبغي ترك المشتبهات؛ فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمىٰ، ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة القلب.

فقال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة» إلخ. فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه.

وأما قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين» فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لا يخفىٰ حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات، وكذلك الكلام والنظر والمشي، وغير ذلك من التصرفات فيها، حلال بين واضح لا شك في حله، وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والدم المسفوح، وكذلك الزنىٰ والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلىٰ الأجنبية وأشباه ذلك.

وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة؛ فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون=

يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه[(١)]، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز أن نظن ببعض المسلمين شرًّا؟

ج: الأصل أننا نظن بالمؤمنين خيرًا؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]. أي: بإخوانهم ولكن إذا غلب على مسلم الشر والفساد، فلنا أن نظن به شرًّا، قال النبي ﷺ: «ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا»[(٢)].

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة، ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان ديننا الذي نحن عليه».

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث: «إذا ظننت فلا تحقق»؟ ومن أخرجه؟

ج: هذا الحديث ضعيف من كل طرقه التي وقفت عليها.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك صلة بين قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، وبين قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾؟

ج: ذكر بعض العلماء صلة بينهما، وفحوى ذلك: أن التجسس من ثمرات سوء

= حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالًا، وقد يكون دليله غير خالٍ عن الاحتمال البين، فيكون الورع تركه، ويكون داخلًا في قوله ﷺ: «فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

(١) «استبرأ لدينه وعرضه» أي: حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي، وصان عرضه عن كلام الناس فيه. (نقلًا من التعليق علىٰ مسلم).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٦٧).

الظن؛ وذلك لأن الظن لا يُقنع القلب، فيتجه صاحب هذا القلب إلى التجسس، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث ابن عمرو رضي الله عنهما الذي قال فيه: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك، ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيرًا»[1]؟

ج: الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالتجسس؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾؟

ج: التجسس هو البحث عن السرائر، وتتبع العورات. أما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، فقد قال الطبري رحمه الله: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في ذم التجسس وتحريمه؟

ج: من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾.

وقول النبي ﷺ: «ولا تحسسوا ولا تجسسوا»[2].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ومن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون، أو يفرون منه صبَّ في أذنه الآنك[3] يوم القيامة»[4].

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، وفي إسناده نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣).

(٣) الآنك: هو الرصاص المنصهر.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

كدت أن تفسدهم»[١].

❀ ❀ ❀

س: هل يجوز التجسس أحيانًا؟

ج: نعم، يجوز التجسس على مسلم أحيانًا، وذلك على شخص من أهل الشر والريب والفساد، وذلك للأدلة التالية:

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ ومعه أُبي بن كعب قِبَلَ ابن صياد فحُدِّث به في نخل، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ طفق يتقي بجذوع النخل، وابن صيادٍ في قطيفة له فيها رمرمة، فرأت أم صياد رسول الله ﷺ فقالت: يا صاف، هذا محمد. فوثب ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: «لو تركته بيّن»[٢].

فلما عُلم عن ابن صياد الشر والسوء والفساد أراد النبي ﷺ أن يتثبت من أمره ويعرف حقيقته.

ومن الأدلة أيضًا: قول النبي ﷺ لأصحابه يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم؟»[٣] فقال الزبير: أنا... الحديث.

وورد نحو ذلك أيضًا من حديث حذيفة، ففي سيرة ابن إسحاق[٤] من طريق محمد بن كعب القرظي قال:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٣)، ومسلم (٢٩٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٤) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) سيرة ابن إسحاق (٣/ ٢٣١).

فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟»، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا»، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء. الحديث.

هذا فضلًا عن العمومات التي يستدل بها في هذا الباب وفي غيره من الأبواب:

كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾[البقرة: ٢٠٥].

وكقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[هود: ١١٦].

وكقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾[آل عمران: ١٠٤].

وكقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[آل عمران: ١١٠].

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

وكقول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا...»[(٢)].

وإيضاحه كيف ينصر الظالم بقوله: «تأخذ فوق يديه» إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

فلو كان ثمَّ شرير مفسد يروِّج للدعارة والمخدرات والإلحاد، فلا شك أن تتبع هذا لقطع شره عن البلاد أمرٌ محمود ومستحب ولا يشك في ذلك عاقل.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (حديث ٤٩).

(٢) البخاري (٢٤٤٤).

باب في الغيبة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. ووضح المراد بالغيبة؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لا يذكر أحدكم أخاه في غيبته بما يكره أن يُقال في حضوره.

أما الغيبة فقال النبي ﷺ في بيانها لأصحابه: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: فرَّق كثير من العلماء بين الغيبة والإفك والبهتان. وضح ذلك؟

ج: نقل القرطبي عن الحسن قوله: فأما الغيبة: فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه[(٢)]، وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه.

❁ ❁ ❁

س: هل الغيبة كبيرة من الكبائر؟

ج: أكثر أهل العلم على أن الغيبة من الكبائر، بل وقد نقل القرطبي الاتفاق على ذلك فقال القرطبي[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدًا عليه أن يتوب إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: والغيبة محرمةٌ بالإجماع ونقل الحافظ ابن حجر عن النووي قوله: الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين.. ثم قال الحافظ بعد أن أورد الأحاديث الواردة في ذم الغيبة: وهذا الوعيد في هذه الأحاديث

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٩).

(٢) قلت: وينبغي أن يُقيد ذلك بالكذب.

(٣) القرطبي وابن كثير عند تفسير الآية المذكورة: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ من سورة الحجرات.

يدل على أن الغيبة من الكبائر لكن تقييده في بعضها بغير حق قد يخرج الغيبة بحق لما تقرر أنها ذكر المرء بما فيه.

❁ ❁ ❁

س: هل يتفاوت إثم اغتياب شخص عن شخص آخر؟

ج: نعم يتفاوت إثم الاغتياب من شخص لآخر، فمن اغتاب وليًّا لله أو عالمًا ليس كمن اغتاب مجهول الحال؛ ولذلك قال بعض أهل لعلم: إن لحوم العلماء مسمومة.

ويتوقف الإثم أيضًا على القدر الذي تم به الاغتياب فمن ذكر شخصًا بقذف في العرض ليس كمن هو دون ذلك.

ويتوقف الإثم على المجامع التي تم فيها الاغتياب.

وزمان الاغتياب كذلك له أثر في قدر الإثم اللاحق بالمغتاب.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في التحذير من الغيبة وبيان إثم المغتابين

س: اذكر بعض ما ورد في ذم الاغتياب والمغتابين؟

ج: من ذلك ما يلي[1]:

قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾[2] [الحجرات: ١٢].

---

(١) وقد وردت في هذا الباب جملة كبيرة جدًّا من الأحاديث فيها مقال أعرضنا عن ذكرها.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

هذا من أحسن القياس التمثيلي؛ فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بمتزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبًا من مجلس ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتاضها من الذم والطعن،=

وقال النبي ﷺ[١] يوم النحر: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ليبلغ الشاهد الغائب؛ فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه».

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أربى الربا عرض الرجل المسلم»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد[٤] بإسناد صحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي ربي عزَّ وجلَّ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».

❁ ❁ ❁

= كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه. ولما كان المغتاب متمتعًا بعرض لحم أخيه، متفكهًا بغيبته وذمه، متحليًا بذلك شُبهَ بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه.

ولما كان المغتاب محبًا لذلك معجبًا به شُبّه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس!

وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا، ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم في أولها: أ يحب أحدهم ذلك فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟!

فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة: أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه. وبالله التوفيق.

(١) البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث ١٦٧٩).

(٢) البخاري (حديث ١٠)، ومسلم (٤٠).

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شر الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت: وفي إسناده مقال، لكن لهذه الفقرة منه شواهد. وانظر سنن أبي داود (عون المعبود، ١٣/ ٢٢٢).

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٨).

وأشار بعض العلماء (كأبي داود) إلى أنه رُوي من بعض الطرق مرسلًا.

قلت: ولكن إسناد الموصول صحيح.

النميمة وإثم النمام

س: وضح معنى النميمة، واذكر شيئًا مما ورد في ذمها.

ج: والنميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

وتدخل فيها بعض صور الغيبة كأن تذكر الشخص في غيبته بما فيه مما يسوؤه قاصدًا بذلك الإفساد.

والنميمة من الكبائر، وعلى ذلك جملة أدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠-١١].

وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»، وفي رواية: «لا يدخل الجنة نمام»، والنمام هو القتات.

ففي الصحيحين[1] من طريق همام بن الحارث قال: كنا جلوسًا مع حذيفة في المسجد، فجاء رجلٌ حتى جلس إلينا فقيل لحذيفة: إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة - إرادةَ أن يُسمعه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات».

وفي رواية مسلم: «لا يدخل الجنة نمام» من حديث حذيفة أيضًا.

وفي رواية لمسلم من طريق همام أيضًا قال: كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير فكنا جلوسًا في المسجد، فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات».

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال في شأن النمام والذي لا يستتر من بوله: «يعذبان...» الحديث.

هذا ويجدر بنا أن ننقل هنا ما ذكره النووي في «شرح مسلم» قال رحمه الله: قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في «الإحياء»: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان يتكلم فيك بكذا، قال:

---

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (حديث ١٠٥)، وفي رواية البخاري: إن رجلًا يرفع الحديث إلىٰ عثمان.

وليست النميمة مخصوصة بهذا، بل حد النميمة: كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز بالإيماء.

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفي ما لنفسه فذكره فهو نميمة.

قال: وكل من حملت إليه نميمة وقيل له: فلان يقول فيك أو يفعل فيك كـ فعليه ستة أمور:

(الأول): ألا يصدقه لأن النمام فاسق.

(الثاني): أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

(الثالث): أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض مـ أبغضه الله تعالى.

(الرابع): ألا يظن بأخيه الغائب السوء.

(الخامس): ألا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

(السادس): ألا يرضى ما نهي النمام عنه فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلا حكى كذا فيصير به نمامًا ويكون آتيًا ما نهى عنه.

هذا آخر كلام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فإن دعت الحاجـ إليها فلا مانع منها وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانًا يفعل كذا ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب عـ صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته.

فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجبًا وبعضه مستحبًّا عـ حسب المواطن. والله أعلم.

أخرج البخاري (حديث ٢١٦)، ومسلم (حديث ٢٩٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان

كبير[١]، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة[٢]، وأما الآخر فكان لا يستتر[٣] من بوله».

قال: فدعا بعسيب[٤] رطب فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدًا، وعلى هذا واحدًا، ثم قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا».

❁ ❁ ❁

الغيبة وإفطار الصائم

س: هل الغيبة تفطر الصائم؟ وما دليل القائلين بذلك؟

ج: الغيبة لا تفطر الصائم عند جمهور العلماء.

والأحاديث الصريحة الواردة في أنها تفطر الصائم لا يثبت منها حديث.

وثمَّ أحاديث أُخر وردت يمكن أن يستدل بها مستدل على ذلك كحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٥].

❁ ❁ ❁

الغيبة والوضوء

س: هل الغيبة تنقض الوضوء؟

ج: الغيبة لا تنقض الوضوء عند جماهير العلماء، والأحاديث الواردة في أن الغيبة تنقض الوضوء لا يصح منها حديث عن النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

بعض وسائل التخلص من الغيبة

س: اذكر بعض وسائل التخلص من الغيبة.

ج: من ذلك ما يلي:

---

(١) «وما يعذبان في كبير» قد ذكر العلماء فيه تأويلين: أحدهما: أنه ليس في زعمهما. والثاني: أنه ليس بكبير تركه عليهما. وحكىٰ القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ تأويلًا. ثالثًا: أي ليس بأكبر الكبائر.

(٢) «بالنميمة»: حقيقتها: نقل كلام الناس بعضهم إلىٰ بعض علىٰ جهة الإفساد.

(٣) «لا يستتر»: روي ثلاث روايات: يستتر ويستنزه ويستبرئ. وكلها صحيحة، ومعناها: لا يتجنبه ويتحرز منه.

(٤) «بعسيب»: هو الجريد والغصن من النخل، ويقال له: العثكال.

(٥) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

سؤال الله عزَّ وجلَّ كشف هذا الداء فهو سبحانه الذي يكشف الضر، وهو سبحانه الذي يهدي لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال، ألا تراه سبحانه قال: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤] فترى من الذي هداهم، إنه الله سبحانه وتعالى.

ومن ثم كان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية لأحسن الأخلاق(١)، ويتعوذ بالله من منكراتها.

ومن أعظم الوسائل للتخلص من هذا الداء: مراقبةُ الله عزَّ وجلَّ وخشيته في السر والعلن، وتذكر أنه سبحانه يراك في كل وقت وحين، ويعلم ما تكن الصدور وما تُعلن.

وكذلك تذكر الملائكة الكرام الكاتبين الذين كلفهم الله برصد حركاتك وكتابة أعمالك، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وكما قال سبحانه: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وكما قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

كذلك تذكر خطر اللسان وما يجره من ذنوب وآثام، فليقلل حينئذ من الكلام ويعرض عن اللغو، فمن صفات أهل الإيمان: الإعراض عن اللغو.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

---

(١) أخرج مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت».

وأخرج الطبراني (كتاب الدعاء حديث ١٣٨٤) من حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يدع بهؤلاء الدعوات: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».

وفي رواية: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء» أخرجه الترمذي (٣٥٩١).

والثرثارون - وهم كثيرو الكلام - من أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: «المتكبرون»[(١)].

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم.

وقد كره الله سبحانه وتعالى لنا قيل وقال، قال النبي ﷺ: «إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[(٢)].

وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلى حصائد ألسنتهم»[(٣)].

وفي قول النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[(٤)].

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم»[(٥)].

وكذلك تَذَكُّر الآيات والأحاديث المحذرة من الاغتياب والمبينة لسوء مغبته.

ومن وسائل التخلص من الاغتياب: اتقاء مجالس أهل الشر والفساد، والإقبال

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
قلت (مصطفىٰ): وله شواهد يُحسَّن بها، انظر مسند الإمام أحمد (٤/ ١٩٣، ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

(٢) أخرج البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ صـ ١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلىٰ معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب: «.. كان النبي ﷺ ينهىٰ عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

(٣) صحيح لشواهده: أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤/ ٢٨٦) المستدرك.

(٤) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

على مجالس العلماء والفضلاء.

فكما قال النبي ﷺ[١]: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك[٢]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة».

وتَذَكَّر ما تجلبه هذه الغيبة من إحن ومحن وفتن ومشاكل وقلاقل بين المسلمين وعداوات وبغضاء كذلك فكم من رحمٍ قد قطعت بسبب الاغتياب، وكم من نفس قد أُزهقت بسبب الاغتياب، وكم من عداوة قد حلت، وبلية قد نزلت وأوصال قد قطعت، ومودة قد زالت، كل ذلك بسبب الاغتياب ومن جرائه.

ومن وسائل التخلص من الغيبة كذلك الإكثار من ذكر الله عزَّ وجلَّ، وتذكر الموت والدار الآخرة.

ومن ذلك كذلك: علاج الغيبة بقطع البواعث التي تبعث عليها وتحمل عليها فمن ذلك: الحسد، والكبر، والتنافس على الدنيا، وحب الظهور، والشهرة ومجاملات الأصحاب، وشفاء الغيظ، وحب الرئاسة والتسلط ونحو ذلك، فهذه أسباب وبواعث تبعث على الاغتياب وتحمل عليه يجب اتقاؤها واجتنابها حتى يسلم لك دينك ويحفظ عليك لسانك وتسلم لك دنياك وأُخراك.

❁ ❁ ❁

ما يفعله من جلس مجلسًا يُغتاب فيه المسلمون

س: ما موقف من جلس مجلسًا فسمع أقوامًا يغتابون المسلمين؟

ج: يلزم من جلس في هذا المجلس أمور، منها ما يلي:

تقديم النصح لهؤلاء المغتابين الذين اجتمعوا على جيف الأموات يأكلون منها: «فالدين النصيحة» كما قال النبي ﷺ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢١٠١)، ومسلم (حديث ٢٦٢٨) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) يُحذيك: أي يعطيك.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٥٥).

وقد بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على النصح لكل مسلم[١].

ثم نهيهم عن هذا المنكر الذي وقعوا فيه؛ فإن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

ويلزم تذكير هؤلاء بحدود الله ومحارمه.

وأيضًا: الذب عن أعراض إخوانك المسلمين وأخواتك المسلمات.

فقد ورد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: نال رجلٌ من رجل عند النبي ﷺ فردَّ عليه رجلٌ، فقال النبي ﷺ: «من ردَّ عن عرض أخيه كان له حجابًا من النار»[٣].

وقد تقدم حديث النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم...».

وفي الصحيحين[٤] أن النبي ﷺ سمع أقوامًا يقولون عن مالك بن الدُّخْشُن: ذاك

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨)، ومسلم (حديث ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٩).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٢٠٦)، وانظر تخريجه هناك وهو صحيح وله شاهد عند أحمد (٦/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٤) أخرج البخاري (حديث ٤٢٥)، ومسلم (حديث ٣٣) من طريق محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك، وهو من أصحاب النبي ﷺ، ممن شهد بدرًا من الأنصار؛ أنه أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد أنكرت بصري، وأنا أُصلي لقومي، وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وودت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلىٰ، فأتخذه مصلًّىٰ. قال: فقال رسول الله: «سأفعل. إن شاء الله». قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له، فلم يجلس حتىٰ دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» قال: فأشرت إلىٰ ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر، فقمنا وراءه، فصلىٰ ركعتين ثم سلم، قال: وحبسناه علىٰ خزير(*) صنعناه له. قال: فثاب رجال من أهل الدار(**) حولنا حتىٰ اجتمع في البيت رجال ذوو عدد، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟»، قال: قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنما نرىٰ وجهه ونصيحته للمنافقين. قال. فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

(*) (خزير) ويقال: خزيرة. قال ابن قتيبة: الخزيرة لحم يقطع صغارًا ثم يصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق، فإن لم يكن فيها لحم، فهي عصيدة.

(**) (فثاب رجال من أهل الدار) أي: اجتمعوا. والمراد: بالدار، هنا: المحلة.

منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يُريد بذلك وجه الله؟».

وفي الصحيحين[١] كذلك في قصة الثلاثة الذين خلفوا: أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال... ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه براده ونظره في عِطفهِ[٢]، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا.

والشاهد من ذلك: أن معاذًا رضي الله عنه دافع عن كعب بن مالك أمام من ذكره بسوءٍ.

وفي صحيح مسلم[٣]: أنا عائذ بن عمرو - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بُني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاء الحُطمة»[٤]، فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس؛ فإنما أنت من نخالة[٥] أصحاب محمد ﷺ. فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم[٦].

هذا، وقد قال النووي[٧] رحمه الله تعالى:

[فصل]: اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها فيجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرّمة أن ينهاه إن لم

(١) البخاري (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩).

(٢) مراده: أنه شغل بحسنه وبهجته وبهائه وثيابه عن الجهاد. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عطفًا؛ لوقوعه علىٰ عطفي الرجل.

(٣) مسلم (ص ١٤٦١، حديث ١٨٣٠).

(٤) «إن شر الرعاء الحطمة» قال في النهاية: الحطمة هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار. يلقي بعضها علىٰ بعض ويعسفها. ضربه مثلًا لوالي السوء. ويقال أيضًا: حُطَمن بلا هاء.

(٥) (نخالة) يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من سقطهم، والنخالة هنا: استعارة من نخالة الدقيق، وهي قشوره. والنخالة والحثالة والحفالة بمعنىٰ واحد.

(٦) (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة.

(٧) النووي في الأذكار (٥٢٧-٥٢٨).

يَخَف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره، فقال أبو حامد الغزالي: ذلك نفاقٌ لا يخرجه عن الإثم، ولا بد من كراهته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر فلم يُقبل منه ولم يمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها، ولا يضرّه بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغار في هذه الحالة المذكورة، فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

وروينا عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه؛ أنه دُعي إلى وليمة، فحضر، فذكروا رجلًا لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلت هذا بنفسي حيثُ حضرت موضعًا يُغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام. ومما أنشدوه في هذا:

وسَمَعك صُنْ عن سماعِ القبيح ... كصَوْن اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح ... شريكٌ لقائله فانتبه

قلت (مصطفى): وإذا لم تستطع إزالة هذا المنكر واستمر هؤلاء البغاة المغتابون في اغتيابهم وبغيهم فاترك لهم مجلسهم إن رأيت الصلاح في ذلك؛ فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام ٦٨، ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فمجالس أهل الصلاح أولى بك، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم أما مجالس

غيرهم، فكما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

هذا، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[(١)]:

ولا يجوز لأحد أن يحضر مجالس المنكر باختياره لغير ضرورة، كما في الحديث أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر»، ورفع لعمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم صائمًا. فقال: ابدأوا به، أما سمعتم الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]؟! بين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن الله جعل حاضر المنكر كفاعله؛ ولهذا قال العلماء: إذا دعي إلى وليمة فيها منكر كالخمر والزمر لم يجز حضورها؛ وذلك أن الله تعالى قد أمرنا بإنكار المنكر بحسب الإمكان، فمن حضر باختياره ولم ينكره، فقد عصى الله ورسوله بترك ما أمره به، من بغض إنكاره والنهي عنه. وإذا كان كذلك، فهذا الذي يحضر مجالس الخمر باختياره من غير ضرورة، ولا ينكر المنكر كما أمره الله، هو شريك الفساق في فسقهم فيلحق بهم.

❁ ❁ ❁

ولا يغتاب الأموات

س: هل للأموات غيبة؟

ج: نعم من تكلم في الأموات بما يُكره فقد اغتابهم؛ لأن أخوتهم الإيمانية لنا لم تنقطع، فمن ثمَّ تنسحب كل النصوص عليهم أيضًا كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وكقول النبي ﷺ في الغيبة: «ذكرك أخاك بما يكره».

وأخرج النسائي[(٢)]: بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر عند النبي ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) النسائي (٤/ ٥٢).

هالكٌ بسوء، فقال: «لا تذكروا هلكاكم إلا بخير».

وفي سنن الترمذي[١] بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه»[٢].

إلا إذا كان الميت إمامًا من أئمة البدع والضلال ويُخشى أن يقتدى به فحينئذ يجوز سبه وبيان مساوئه، بل ويستحب ذلك تحذيرًا للأمة.

قال الله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١].

وقال النبي ﷺ[٣]: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه[٤] في النار؛ لأنه أول من سيَّب السوائب»[٥].

وقد تقدم لهذا الباب مزيد.

❁ ❁ ❁

وكذلك الصبي والمجنون لا يُغتابان

س: هل يجوز اغتياب الصبي الصغير، وكذلك المجنون؟

ج: لا يجوز اغتياب الصبي ولا المجنون فالأصل في الغيبة أنها محرمة؛ لما قدمنا ذكره من الأدلة وليس هناك - فيما اطلعت عليه - دليل يُجوِّز اغتياب الصبي

---

(١) الترمذي (مع التحفة ١٠/ ٣٩٤)، وقال: هذاحديث حسن صحيح، وروي هذا عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) أي: لا تذكروه بسوء.

(٣) البخاري (حديث ٦٤٢٤)، ومسلم (حديث ٢٨٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) قصبه: أي أمعاءه.

(٥) السوائب: جمع سائبة.

قال النووي رحمه الله:

وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها، ولم يُجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف، وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها: السائبة، فما ولدت من ذلك من أنثىٰ شقوا أذنها، وخلوا سبيلها، وحرم ما حرم من أمها، وسموها: البحيرة.

والمجنون، وقد يلحق بالصبي عارٌ من جراء الاغتياب ويستمر به بعد كبره، وكذلك فالمجنون قد يلحق أهله عارٌ من جراء اغتيابه.

❁ ❁ ❁

حكم اغتياب الكافر والذميّ

س: هل يجوز اغتياب الكافر والذمي؟

ج: الظاهر، والله تعالى أعلم، هو جواز ذلك إلا إذا كان هناك من العهود والمواثيق بين المسلمين وبينهم تمنع ذلك.

أما الدليل على الجواز فهو: أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]. وهذا ليس بأخ لنا في الدين.

وكذلك عرَّف النبي ﷺ الغيبة بقوله: «ذكرك أخاك بما يكره»، وهذا ليس لنا بأخ.

وبهذا استدل فريق من العلماء، قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه سبل السلام[1]: وفي قوله: «أخاك» أي: أخ في الدين دليل على أن غير المؤمن تجوز غيبته، ونقل قول ابن المنذر وهو: في الحديث دليل على أن ليس بأخ كاليهودي والنصراني وسائر أهل الملل، ومن قد أخرجته بدعته عن الإسلام لا غيبة له.

أما الدليل على المنع في حالة وجود عهود ومواثيق تمنع ذلك، فهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] ونحوها من الآيات، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

تحلل الشخص ممن اغتابه

س: هل يستحل المغتاب من اغتابه؟

ج: في هذه المسألة أقوال لأهل العلم، فمنهم من يقول بوجوب تحلل الشخص من المظالم كقول النبي ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم

(١) سبل السلام (٤/ ١٥٨٣).

بدخول الجنة...»[١].

وكقول النبي ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٢].

وكحديث: «المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٣].

وكقول النبي ﷺ[٤]: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه».

ومن أهل العلم من فصَّل في مسألة التحلل من المغتاب، فقال: إذا وصلت المقولة إلى الشخص المغتاب منه، وإلا فلا، وذلك حتى لا يتكدر خاطره. قالوا: ويكفي حينئذٍ الاستغفار للشخص وتحسين صورته أمام من قام باغتيابه أمامهم وإصلاح ما قد صدر من فساد.

والظاهر لي - والله أعلم - أن مسألة التحلل من المغتاب تتوقف على الشخص الذي قد تمت غيبته، وعلى نوعية الكلام الذي تمَّ به الاغتياب والنظر في المصلحة الناشئة من التحلل أو المفسدة، ويؤخذ من ذلك كله أخف الأضرار.

فرُبَّ شخص تذهب للتحلل منه من الاغتياب الذي قد تم في حقه فيزداد كربًا ونكدًا ويسألك: أمام من اغتبتني؟ وماذا قلت فيَّ؟ ويذهب به الشيطان هنا وهناك.

ورُبَّ شخص تأتي عليه الكلمات خفيفة هينة ويزداد توقيره لك إذا طلبت منه التحلل.

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

وعلى ذلك فشأنها شأن سائر المحرمات فلا يقبل عليها شخص ولا يستجيزها إلا عند الضرورات، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]. هذا، ومع أنه يجوز للمظلوم مثلًا أن يغتاب من ظلمه بقدر مظلمته إلا أن الأولى والأفضل هو العفو، وقد دلت عدة نصوص على هذا المعنى، فالآية الكريمة: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، عُقِّبت بالحث على العفو في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، وكذلك قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وكذلك أرشدنا ربنا إلى العفو في قوله تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٦٠]، فهو إرشاد إلى العفو كما هو واضح.

وتُباح الغِيبة في بعض المواطن كما ذكر الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «فتح الباري» حيث قال:

قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعًا؛ حيث يتعين طريقًا إلى الوصول إليه بما كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء والمحاكمة، والتحذير من الشر.

ويدخل فيه:

تجريح الرواة والشهود، وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده، وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود، وكذا من رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به. وممن تجوز غيبتهم: مَن يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة.

هكذا ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - على وجه الإجمال.

وأجمل ذلك أيضًا النووي[1] - رحمه الله تعالى - فقال:

---

(١) الأذكار (ص ٥٢٩).

باب بيان ما يباح من الغِيبة

اعلم أنَّ الغيبةَ وإن كانت محرّمة فإنها تُباح في أحوال للمصلحة، والمُجوِّزُ لهَا غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب:

الأوّل: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلَّم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه فيذكرُ أن فلاناً ظلمني وفعل بي كذا وأخذ لي كذا، ونحو ذلك.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعملُ كذا فازجرْه عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوسل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقولَ للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا، فهل له ذلك أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقّي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

وكذلك قوله: زوجتي تفعلُ معي كذا، أو زوجي يفعلُ كذا ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط أن يقول: ما تقولُ في رجل كان من أمره كذا، أو في زوج أو زوجة تفعلُ كذا، ونحو ذلك، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند الذي سنذكره إن شاء اللّه تعالى وقولُها: يا رسول اللّه! إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيح.. الحديث. ولم ينهها رسولُ اللّه ﷺ.

الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: إذا ما استشارك إنسان في مصاهرته أو مشاركته أو إيداعه أو الإيداع عنده أو معاملته أو غير ذلك وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرّد قولك لا تصلحُ لك معاملتُه أو مصاهرُته أو لا تفعلْ هذا أو نحو ذلك لم تجز الزيادةُ بذكر المساوئ، وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه

فاذكره بصريحه. ومنها إذا رأيتَ مَن يشتري عبدًا معروفاً بالسرقة أو الزنا أو الشرب أو غيرها، فعليك أن تبيّن ذلك للمشتري إن لم يكن عالماً به، ولا يختصّ بذلك، بل كل من علم بالسلعة المبيعة عيباً وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه.

ومنها: إذا رأيت متفقهاً يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ يأخذ عنه العلم خِفْتَ أن يتضرَّرَ المتفقّه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويُشترط أن يقصدَ النصيحةَ، وهذا مما يُغلَطُ فيه، وقد يَحملُ المُتكلمَ بذلك الحسدُ، أو يُلَبِّسُ الشيطانُ عليه ذلك، ويُخيَّلُ إليه أنه نصيحةٌ وشفقةٌ، فليتفطَّنْ لذلك.

ومنها: أن لا يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مغفلًا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيلَه ويُولِّي من يَصلحُ، أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضى حاله ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثَّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مُجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، أو مصادرة الناس وأخذ المُكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصمّ والأعمى والأحول والأفطس وغيرهم، جاز تعريفه بذلك بنيّة التعريف، ويحرمُ إطلاقُه على جهة النقص، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء مما تُباح بها الغِيبة على ما ذكرناه.

وممّن نصّ عليها هكذا الإمام أبو حامد الغزالي في «الإحياء» وآخرون من العلماء، ودلائلُها ظاهرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وأكثرُ هذه الأسباب مجمع على جواز الغِيبة بها.

قلت: أما بشيء من التفصيل والاستدلال فأقول -وبالله التوفيق-:

إن من صور الاغتياب الجائزة ما يلي:

التظلم: فالمظلوم له أن يتكلم في حق ظالمه بالقدر الذي به تُرد المظلمة وبنوع

الظلم الذي وقع عليه، وليس له أن يستطيل في عرض الظالم كيف يشاء، فمثلًا شخص أخذ مال شخص فلصاحب المال أن يقول: إن فلانًا (ويسميه إن شاء) أخذ مالي وليس له أن يقول: إن فلانًا يزني ويقتل ويشرب الخمر...

وكون الانتصار يكون بقدر المظلمة؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾، ولقوله تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ ...﴾ [الحج: ٦٠] إلى غير ذلك من الآيات، وكذلك فمن الأحاديث قول النبي ﷺ: «**المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعْتدِ المظلوم**»(١).

أما الأدلة الدالة على جواز اغتياب الظالم فمنها ما يلي:

قوله ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم» معناه: أن إثم السباب الواقع من اثنين مختصٌّ بالبادئ منهما كله، إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار، فيقول للبادئ أكثر مما قال له.

وفي هذا جواز الانتصار، ولا خلاف في جوازه، وقد تظاهره عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾ [الشورى: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٩]، ومع هذا فالصبر أفضل، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٣]، وللحديث المذكور بعد هذا: «**ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا**».

واعلم أن سباب المسلم بغير حقٍّ حرام، كما قال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق**»، ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبه، ما لم يكن كذبًا أو قذفًا أو سبًّا لأسلافه، فمن صور المباح: أن ينتصر بـ يا ظالم، يا أحمق، أو جافي، أو نحو ذلك؛ لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف.

قالوا: وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول من حقه، وبقي عليه إثم الابتداء، أو الإثم المستحق لله تعالى، وقيل: يرتفع عنه جميع الإثم بالانتصار منه،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قاله النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٤٤٨) طبعة الشعب.

ويكون معنى على البادئ: أي عليه اللوم والذم لا الإثم.

قول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. فأخذ أقوال أهل العلم[١] في تأويل هذه الآية الكريمة: لا يحب الله - أيها الناس - أن يجهر أحدٌ لأحدٍ بالسوء من القول: «إلا من ظُلم» فلا حرج عليه أن يُخبر بما أُسيء إليه[٢].

أما الدليل الثاني على تجويز الاغتياب في حالة التظلم فهو قول النبي ﷺ: «مطل الغني ظلم»[٣]، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «ليُّ الواجد يُحِلُّ عرضه وعقوبته»[٤].

أما المطل: فهو من المماطلة أي: التخلف عن السداد في وقته، أما قوله: «ليُّ الواجد»، فالليُّ هو المماطلة أيضًا، والواجد: هو الغني وقوله ﷺ: «يُحل عقوبته» أي: أن المماطلة تجوِّز عقوبة المماطل، والعقوبة هي الحبس، وهي أيضًا تُحلُّ عرضه فلصاحب الدين أن يتكلم في عرض المدين بقوله: فلان مماطل وظلمني حقي.

أما الدليل الثالث: فهو ما أخرجه أبو داود والبخاري[٥] في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق»، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه، فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره، فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه.

الاستفتاء: فمن الأمور التي تجوِّز الاغتياب الاستفتاء، فها هي هند بنت عتبة تشكو زوجها أبا سفيان أمام رسول الله ﷺ، وتذكر في زوجها ما يُكره لعلة دعت إلى

---

(١) وهو قول الطبري رحمه الله تعالى.

(٢) ومن الأقوال في تأويلها أيضًا: لا يحب الله أن يدعو أحدٌ على أحد إلا أن يكون مظلومًا؛ فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨) بسندٍ حسن.

(٥) البخاري في الأدب المفرد (١٢٤)، وأبو داود (٥١٥٣) بسند حسن.

ذلك ولحاجة ألجأتها إلى ذلك.

ففي الصحيحين[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يُعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ إلا ما أخذتُ من ماله بغير علمه، فهل عليَّ في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «خُذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك».

فلو كان قولها: «إن أبا سفيان رجل شحيح» فيه اغتياب مذموم لأبي سفيان ما أقرها عليه رسول الله ﷺ، ولكن لما كان الباب باب فتيا لم يمنعها رسول الله ﷺ من ذكر زوجها بما يحتاج إليه المقام.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رفاعة القرظي طلَّق امرأته فبتَّ طلاقها، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنها كانت تحت رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه والله ما معه إلا مثل الهُدبة[٣]، وأخذت بِهُدبة من جلبابها، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا فقال: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عُسيلتك وتذوقي عسيلته» الحديث.

قلت: ولا شك في أن زوجها كان يكره أن يُقال عنه: إنه ما معه إلا مثل الهدبة، لكن لما كان الباب باب استفتاء فلم تُمنع من أن تذكر مثل هذا، وذلك للمصلحة المترتبة على ذلك.

هذا ويرى بعض العلماء أنه، وإن كان يجوز أن يُذكر ما في الشخص من مكروه إذا كان الداعي لذلك هو الاستفتاء، إلا أن الأولى والأفضل ترك ذكر أسماء الأشخاص، فلأن يقول قائل: ما رأيك في رجل شحيح لا يعطي زوجته ما يكفيها فهل لها أن تأخذ من ماله بغير إذنه؟ أولى من أن يُذكر الرجل باسمه، اللهم إلا إذا

---

(١) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٨٤)، ومسلم (١٤٣٣، ص ١٠٥٦).

(٣) تعني بذلك: الذكر.

كانت هناك حاجة داعية لذلك كصنيع هند عند رسول الله ﷺ.

الاستشارات:

جاءت فاطمة بنت قيس إلى رسول الله ﷺ تستشيره في شأن مَن خطبها، وكان قد خطبها معاوية وأبو جهم رضي الله عنهما، فقال النبي ﷺ: «**أما معاوية فصعلوك، لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**».

فوصف الرسول معاوية رضي الله عنه بأنه صعلوك لا مال له، وأبا جهم بأنه لا يضع عصاه عن عاتقه، ثم رشح لها رسول الله ﷺ رجلًا آخر وهو أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**أنكحي أسامة**».

وهذا هو الحديث بذلك:

أخرج مسلم[١] **من حديث فاطمة بنت قيس** رضي الله عنها: أنا أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب فأرسل إليها وكِيلَه بشعير فَسَخِطته[٢]، فقال: والله! ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقةٌ» فأمرها أن تعتد[٣] في بيت أم شريك، ثم قال: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدِّي عند ابن أمِّ مكتوم؛ فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني**»[٤]، قالت: فلما حللت ذكرت له: أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**[٥]، **وأما معاوية فصعلوك**[٦] **لا مال له. أنكحي أسامة بن زيد**»، فكرهته ثم قال: «**أنكحي أسامة بن زيد**»، فنكحته، فجعل الله فيه

---

(١) مسلم (حديث ١٤٨٠).

(٢) فسخطته: أي ما رضيت به؛ لكونه شعيرًا، أو لكونه قليلًا.

(٣) تعتد: أي تستوفي عدتها. وعدة المرأة، قيل: أيام أقرائها، وقيل: تربصها المدة الواجبة عليها.

(٤) فآذنيني: أي: فأعلميني.

(٥) فلا يضع العصا عن عاتقه: فيه تأويلان مشهوران:

أحدهما: أنه كثير الأسفار، والثاني: أنه كثير الضرب للنساء. وهذا أصح. والعاتق هو: ما بين العنق إلى المنكب.

(٦) فصعلوك: أي فقير في الغاية.

خيرًا، واغتبطت[١].

التحذير والتعريف والبيان:

قال النبي ﷺ في شأن رجل أقبل عليه واستأذن للدخول عليه: «بئس أخو العشير»[٢].

وقال النبي ﷺ في شأن رجلين: «ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا»[٣].

وفي رواية أخرى: «يا عائشة ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان ديننا الذي نحن عليه».

وقول النبي ﷺ في شأن الخوارج والرجل الذي قال له: يا رسول الله، اعدل: «دعه فإن له أصحابًا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

وأيضًا: ففي صحيح مسلم[٤] من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: عُدنا مع رسول الله، رجلًا مُوعوكًا، قال: فوضعت يدي عليه فقلت: والله! ما رأيت كاليوم رجلًا أشد حرًّا. فقال نبي الله ﷺ: «ألا أُخبركم بأشد حرًّا منه يوم القيامة؟ هاذينك

---

(١) واغتبطت في بعض النسخ: واغتبطت به. ولم تقع لفظة: «به» في أكثر النسخ. قال أهل اللغة: الغبطة أن يتمنىٰ مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه: غبطته بما نال أغبطه، بكسر الباء، غبطًا وغبطة فاغتبط هو، كمنعته فامتنع، وحبسته فاحتبس.

(٢) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا استأذن علىٰ النبي ﷺ، فقال: «ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة، أو بئس رجل العشيرة»، فلما دخل عليه ألان له القول. قالت عائشة: فقلتُ: يا رسول الله قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول. قال: «يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من ودعه الناس اتقاء فحشه».

قال النووي -رحمه الله-: قال القاضي: هذا الرجل: عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذٍ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغتر به من لم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبي وبعده ما دل علىٰ ضعف إيمانه وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرًا إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه، ووصف النبي ﷺ له بأنه بئس أخو العشيرة، من أعلام النبوة؛ لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول، تألفًا له ولأمثاله علىٰ الإسلام.

والمراد بالعشيرة: قبيلته، أي: بئس هذا الرجل منها.

(٣) البخاري (حديث ٦٠٦٧).

(٤) مسلم (حديث ٢٧٨٣).

الرجلين الرَّاكبين المقفيين»[١] لرجلين حينئذٍ من أصحابه[٢].

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد حسن عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان أو بعيني شيطان»[٣].

وقال النووي[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان المباح من الغيبة:

التعريف: فإذا كان معروفًا بلقب الأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع، ونحوها جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقصًا، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى، والله أعلم.

وقال النووي في كتابه «الأذكار»[٥]:

باب النهي عن الألقاب التي يكرهها صاحبها

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، واتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان له صفة؛ كالأعمش، والأجلح، والأعمى، والأعرج، والأحول، والأبرص، والأشج، والأصفر، والأحدب، والأصم، والأزرق، والأفطس، والأشتر، والأثرم، والأقطع، والزمن، والمقعد، والأشلّ، أو كان صفة لأبيه أو لأمه أو غير ذلك مما يكره. واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك، ودلائل ما ذكرته كثيرة ومشهورة حذفتها اختصارًا واستغناء بشهرتها.

ومن ذلك إخبار الشخص بما قاله عنه غيره إن كان في ذلك مصلحة وذلك كصنيع زيد بن أرقم مع رسول الله ﷺ لما نقل له مقولة عبد الله بن أُبي ابن سلول، إذ قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل.

---

(١) المقفيين: أي المنصرفين المولين.

(٢) قال النووي: سماهما من أصحابه؛ لإظهارهما الإسلام والصحبة، لا أنهما ممن نالتهما فضيلة الصحبة. (نقلًا من محمد فؤاد).

(٣) أحمد في المسند (١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠).

(٤) النووي (شرح مسلم ٥/ ٤٥٠) طبعة الشعب.

(٥) الأذكار صـ ٤٥٩.

ففي الصحيحين[١] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرج الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ، فدعاني، فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه. فأصابني همٌّ لم يُصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فبعث إليَّ النبي ﷺ، فقرأ، فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد»[٢].

ومن ذلك ما في الصحيحين[٣] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم فتح مكة - وأعطى قريشًا -: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار، قال: فقال: «ما الذي بلغني عنكم؟» - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: هو الذي بلغك. قال: «أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم».

المجاهرة بالفسق:

قال النووي رحمه الله تعالى في «شرح مسلم» في بيان المباح من الغيبة: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالخمر ومصادرة الناس، وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٤٦)... وفي مرسل الحسن: فأخذ رسول الله ﷺ بأذن الغلام فقال: «وفت أذنك يا غلام».

قلت: ومن ذلك أيضًا: ما فيه مصالح عامة للمسلمين فينقل ما يعود عليهم بالنفع، وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هم تحت يده. كما أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح ١٠/ ٤٨٦) مقتصرًا على الفقرة الأخيرة.

(٣) البخاري (حديث ص ٧٣٥)، ومسلم (حديث ٣٧٧٨).

هذا، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله تعالى عن قوله ﷺ: «**لا غيبة لفاسق**» وما حد الفسق؟ ورجل شاجر رجلين: أحدهما شارب خمر، أو جليس في الشرب، أو آكل حرام، أو حاضر الرقص، أو السماع للدف، أو الشَّبابة، فهل على من لم يسلم عليه إثم؟

فأجاب: أما الحديث فليس هو من كلام النبي ﷺ؟ ولكنه مأثور عن الحسن البصري، أنه قال: أترغبون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس. وفي حديث آخر: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له. وهذان النوعان يجوز فيهما الغيبة بلا نزاع بين العلماء.

أحدهما: أن يكون الرجل مظهرًا للفجور. مثل الظلم والفواحش والبدع المخالفة للسنة، فإذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه بحسب القدرة، كما قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم، وفي المسند والسنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون القرآن وتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**». فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار، وأن يهجر ويذم على ذلك، فهذا معنى قوله: فإن هذا يستر عليه؛ لكن ينصح سرًّا، ويهجره من عرف حاله حتى يتوب، ويذكر أمره على وجه النصيحة.

النوع الثاني: أن يستشار الرجل في مناكحته ومعاملته أو استشهاده، ويعلم أنه لا يصلح لذلك؛ فينصحه مستشاره ببيان حاله، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قالت له فاطمة بنت قيس: قد خطبني أبو جهم ومعاوية، فقال لها: «**أما أبو جهم فرجل ضراب للنساء**[٢]، **وأما معاوية فصعلوك لا مال له**» فبين النبي ﷺ حال

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٩).

(٢) تقدم لفظ هذا الحديث.

الخاطبين للمرأة. فهذا حجة لقول الحسن: أترغبون عن ذكر الفاجر! اذكروه بما فيه يحذره الناس؛ فإن النصح في الدين أعظم من النصح في الدنيا، فإذا كان النبي ﷺ نصح المرأة في دنياها، فالنصيحة في الدين أعظم.

وإذا كان الرجل يترك الصلوات، ويرتكب المنكرات، وقد عاشره من يخاف أن يفسد دينه: بيِّن أمره له لتتقي معاشرته، وإذا كان مبتدعًا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقًا يخالف الكتاب والسنة، ويخاف أن يضل الرجل الناس بذلك: بيِّن أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله. وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان: مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية، أو تحاسد، أو تباغض، أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهرًا للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان و«**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**» بل يكون الناصح قصده أن الله يصلح لك الشخص، وأن يكفي المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم، ويسلك في هذا المقصود أيسر الطرق التي تمكنه.

بيان جرح المجروحين وضعف الضعفاء من رواة الحديث والأثر:

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مسلم» في بيان المباح من الغيبة: تحذير المسلمين من الشر، وذلك من وجوه: منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونًا للشريعة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتًا.

قلت: وفي هذا دفاع عن سنة رسول الله ﷺ، ونصح لأمة محمد ﷺ، وتحذير من أهل الشر والباطل والكذب والافتراء.

وإلا لطعن الظالمون والمفترون في السنة ولأدخلوا فيها ما ليس منها، وحينئذٍ يضيع الدِّين وتذهب معالمه ويختلط الحق بالباطل.

❁ ❁ ❁

طلب الإعانة لإزالة المنكر

فتغيير المنكر واجب شرعي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وقال لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

فالنصوص في هذا الباب كثيرة جدًّا ومتعددة وقد لا يتم هذا الواجب - واجب النهي عن المنكر - إلا بتسمية الأشخاص وذكر أسمائهم، ومن ثمَّ فإن ذلك يجوز، وقد قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

وقد نظم بعض العلماء ما ذُكر في نظم فقالوا:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلِّم، ومعرِّفٍ، ومحذِّرِ
ومجاهر بالفسق ثمت سائل ... ومن استعان على إزالة منكرِ

ونظمها آخرون فقالوا:

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

يبـاح اغتيـاب للفتـى إن تجـاهرا بفـسق، وللتعريـف، أو للـتظلم
كـذاك لتحـذير ومـن جـاء سـائلًا كـذا مـن أتـى يبغـي زوال المحـرم

❁ ❁ ❁

س: هل من مواطن أُخر يتسامح فيها مع من اغتاب الناس؟

ج: هناك بعض المواطن التي يسكت فيها الشخص عن من قام بالاغتياب فمن ذلك: امرأة غارت غيرة شديدة فصدرت منها مقالات فيها نوع تجوزات أثناء غيرتها، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»، فغرت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيرًا منها[1].

فالشاهد من ذلك: أن أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذكرت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بقولها: «عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين» أي: سقطت أسنانها ولم يبق إلا لثتها الحمراء، ولا شك أن هذا مما يكره، ولكن لم يؤاخذها رسول الله ﷺ بل تجاوز لها عن ذلك؛ إذ علم أن الحامل لها على ذلك هو الغيرة الشديدة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور الاغتياب التي ينبغي أن تُتقى.

ج: من ذلك: ما ذكره النووي رحمه الله تعالى[2] في كتابه الأذكار حيث قال: قد ذكرنا في الباب السابق أن الغيبة: ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك. وضابطُه: كلَّ ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرَّمة، ومن ذلك: المحاكاة بأن يمشي متعارجًا أو مُطَأْطِئًا أو على غير ذلك من الهيئات، مريدًا حكاية هيئة من يتنقصه بذلك، فكلُّ ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك: إذا ذَكر مُصنف كتاب شخصًا بعينه في كتابه

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٣٧).

(٢) النووي في الأذكار (صـ٥٢٦-٥٢٧).

قائلًا: قال فلان كذا مريدًا تنقيصه والشناعة عليه، فهو حرام، فإن أراد بيان غلطه؛ لئلا يُقلَّد أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُغتر به ويُقبل قوله، فهذا ليس غِيبة، بل نصيحة واجبة يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة، ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين.

ومن الغيبة المحرَّمة قولك: فعل كذا بعضُ الناس أو بعض الفقهاء أو بعض من يدعي العلم، أو بعضُ المفتين، أو بعض من يُنسب إلى الصلاح أو يَدَّعي الزهد، أو بعض من مر بنا اليوم، أو بعض من رأيناه، أو نحو ذلك إذا كان المخاطب يفهمه بعينه؛ لحصول التفهيم.

ومن ذلك: غيبة المتفقهين والمتعبدين، فإنهم يعرضون بالغيبة تعريضًا يفهم به كما يفهم بالصريح، فيُقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول: الله يُصلحنا، الله يغفر لنا، الله يصلحه، نسأل الله العافية، نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة، نعوذ بالله من الشر، الله يعافينا من قلة الحياء، الله يتوب علينا، وما أشبه ذلك مما يُفهم منه تنقصه، فكلُّ ذلك غيبة محرمة، وكذلك إذا قال: فلان يُبتلى بما ابتلينا به كلُّنا، أو ما له حيلة في هذا، كلنا نفعله، وهذه أمثلة، وإلا فضابط الغيبة: تفهيمك المخاطب نقص إنسان كما سبق، وكلُّ هذا معلوم من مقتضى الحديث الذي ذكرناه في الباب الذي قبل هذا عن صحيح مسلم وغيره في حدِّ الغيبة، والله أعلم.

قلت: ومن ذلك: إلباس الاغتياب ثوب الترحم والتعجب والغضب ونحو ذلك فمن ذلك أن تقول امرأة عن أُخرى: مسكينة فلانة! مظلومة فلانة! ثم بعد ذلك تذكر كل ما تكرهه أختها تحت هذا الستار، فتقول: فعل بها زوجها كذا وكذا، وضربها ولدها، وابنتها بها كذا وكذا، وتذكر كل ما تكرهه هذه المسكينة المظلومة!!!

وآخر يقول: عجبت من أمر فلان، وإن أمره لعجب، ثم يذكر ما يكرهه أخوه، فيقول: إنه يقول كذا ويفعل كذا.

وثالث يظهر أنه يغضب لله ولرسوله، ثم يذكر كل ما يكرهه أخوه تحت هذا الستار.

فهذه نماذج يجب أن ينتبه لها المسلم حتى لا يزين له الشيطان سوء عمله فيراه حسنًا، وهو مسيء من المسيئين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره، مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون، أو فيه بعض ما يقولون؛ لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه، فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم.

ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى: تارة في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير، ولا أحب الغيبة ولا الكذب، وإنما أخبركم بأحواله. ويقول: والله إنه مسكين، أو رجل جيد؛ ولكن فيه كيت وكيت. وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصَدَه استنقاصًا وهضمًا لجنابه. ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة، يخادعون مخلوقًا، وقد رأينا منهم ألوانًا كثيرة من هذا وأشباهه.

ومنهم من يرفع غيره رياء فيرفع نفسه، فيقول: لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان؛ لما بلغني عنه كيت وكيت، ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده، أو يقول: فلان بليد الذهن، قليل الفهم؛ وقصده مدح نفسه، وإثبات معرفته، وأنه أفضل منه.

ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة، والحسد، وإذا أثنى على شخص، أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه.

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب؛ ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزئ به.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٦).

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب، فيقول: تعجبت من فلان، كيف لا يفعل كيت وكيت؟! ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت، فيخرج اسمه في معرض تعجبه.

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب الاغتمام، فيقول: مسكين فلان، غمني ما جرى له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف، وقلبه منطو على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليشتفوا به، وهذا وغيره أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه.

ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصده غير ما أظهر. والله المستعان.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الدوافع التي تدفع إلى الاغتياب.

ج: لذلك أسباب شرحها يطول نذكِّر ببعضها على وجه الإجمال حتى تُتَّقَى، فمن هذه الدوافع التي تدفع إلى الاغتياب: التحاسد والتباغض[1]، فهذان يحملان الحاسد والمبغض على أن يتكلما في عرض المحسود بما يكره.

وكذلك: التنافس وحب الرئاسة يدفعان المتنافس إلى انتقاص خصمه ولو أدى ذلك بهما إلى اغتيابه.

وكذلك: حب النفس وحب التعالي على الناس يدفعان المغتاب إلى انتقاص غيره.

وكذلك: الغفلة عن ذكر الله، والغفلة عن عيوب النفس، وقلة الورع، كل ذلك يدفع إلى الاغتياب.

وكذلك: مما يدفع إلى الاغتياب: الحزبيات والعصبيات الجاهلية

---

(١) وقد قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أندادٌ له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدًا وبغيًا: إنه لدميم

والمذهبيات، فترى صاحب الحزب أو المذهب أو القبيلة يتعصب لحزبه ومذهبه وقبيلته وعشيرته مما يؤول إلى انتقاص الآخرين واغتيابهم.

وكذلك: مجاملات الأصدقاء والخلان تدفع في كثير من الأحيان إلى الخوض معهم فيما يخوضون فيه طلبًا لإرضائهم ومجاراة لأهوائهم.

وكذلك: فالمزاح والسخرية وحب إضحاك الناس وتسليتهم، كلُّ ذلك يحمل ضعيف الإيمان وقليل الورع على أن يذكر الآخرين بسوء.

وكذلك: فالفراغ يدفع إلى الاغتياب في كثير من الأحيان.

وثمَّ أسباب أُخر عافانا الله والمسلمين من ذلك أجمع.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

ج: المعنى - والله أعلم -: كما أنكم لا تحبون أكل لحم أخيكم وهو ميت، وذلك لأمرين: أحدهما: لحرمته؛ فإن الله حرَّم عليكم الميتة.

وثانيهما: لنتنه وجيافته.

فكذلك فاتقوا اغتياب إخوانكم، فأعراضهم محرمة عليكم، واغتيابهم قبيح منكم، وملوثٌ لأفواهكم، ومُضرٌّ لأبدانكم.

وقال قتادة[1]: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فكذلك فاكره غيبته وهو حيٌّ.

قلت: وقد قدمنا قول ابن القيم في ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس،

---

(١) الطبري (٣١٧٥٨) وإسناده صحيح.

فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن أحدكم بأخيه المؤمن ظن السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

❁ ❁ ❁

س: هذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾؟ ناسب فيها أن تُبدأ بالناس فما وجه هذه المناسبة؟ وما وجه ابتداء الآيات الأُخر في هذه السورة بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؟

ج: ومن مناسبة ذكر الناس هنا أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] يعمُّ الناس جميعًا، فناسب أن تُبدأ الآية بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ والله أعلم.

وأما وجه بداية الآيات الأخر بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لكونها تشتمل على أوامر ونواهٍ، والمخاطب بذلك هم أهل الإيمان الذين يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل كل الناس خُلقوا من ذكر وأنثى؟

ج: نعم! كلهم كذلك باستثناء آدم عليه السلام فقد خُلق من تراب، وحواء عليها السلام خُلقت من ضِلع، وعيسى عليه السلام خلق بكلمة: (كُن) وله أمٌّ وليس له أب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

الأول منها: خلقه لا من أنثى ولا من ذكر وهو آدم عليه السلام.

والثاني: خلقه من ذكر بدون أنثى وهو حواء.

والثالث: خلقه من أنثى بدون ذكر وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

الرابع: خلقه من ذكر وأنثى وهو سائر الآدميين، وهذا يدل على كمال قدرته

جل وعلا.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

ج: المعنى - والله أعلم -: إنا خلقناكم من ماء رجل وماء أنثى، أي من منيِّ الرجل ومني المرأة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[القيامة: ٣٧]، وكما قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾[الطارق: ٦-٧]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[الإنسان: ٢]، أي: أخلاط وقيل: إن أصلكم واحد، ذكرٌ وهو آدم عليه السلام، وأنثى وهي حواء عليها السلام.

❁ ❁ ❁

س: هل الجنين يكون من ماء الرجل وحده أم من ماء الرجل والمرأة معًا؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى:

ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربَّى في رحم، ويستمد من الدم الذي يكون فيه. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[المرسلات: ٢٠، ٢١]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[السجدة: ٨]. وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[القيامة: ٣٧]. فدل على أن الخلق من ماء واحد. والصحيح: أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية؛ فإنها نصٌّ لا يحتمل التأويل. وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾[الطارق: ٦-٧]، والمراد منه أصلاب الرجال وترائب النساء، على ما يأتي بيانه. وأما ما احتجوا به فليس فيه أكثر من أن الله تعالى ذكر خلق الإنسان من الماء والسُّلالة والنطفة ولم يضفها إلى أحد الأبوين دون الآخر، فدل على أن الماء والسلالة لهما والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا، وبأن المرأة تُمني كما يُمني الرجل، وعن ذلك يكون الشبه، حسب ما تقدم بيانه في آخر الشورى. وقد قال في قصة نوح: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[القمر: ١٢]، وإنما أراد ماء السماء وماء الأرض؛ لأن الالتقاء لا يكون إلا من اثنين، فلا ينكر أن يكون ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[السجدة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[المرسلات: ٢٠]، ويريد

ماءين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بالشعوب والقبائل.

ج: والشعوب جمع شعب، وهو الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة.

فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل.

خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة.

وسميت الشعوب؛ لأن القبائل تتشعب منها. اهـ.

ولم يذكر من هذه الست في القرآن إلا ثلاثة شعوب: القبائل كما في هذه الآية، والفصيلة في المعارج في قوله: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ۝١٣﴾[المعارج: ١٣] . وقد قدمنا ما دلت عليه هذه الآية موضحًا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: ٩] .

واعلم أن العرب قد تطلق بعض هذه الست على بعض كإطلاق البطن على القبيلة في قول الشاعر:

وإن كلابًا هذه عشر أبطن ... وأنت بريء من قبائلها العشر

كما قدمناه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[البقرة: ٢٢٨] .

❁ ❁ ❁

س: ما العلة من جعل الناس شعوبًا وقبائل؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ يقول: ليعرف بعضكم بعضًا في النسب، يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس؛ ليعرف بعضكم بعضًا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقُربة تقرِّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند

الله أتقاكم.

س: هل معرفة الأنساب مطلوب شرعًا؟

ج: نعم، وذلك للتعاون والتوارث والقيامة بحقوق الأقارب وصلة الأرحام.

وقد جعل الله الناس شعوبًا وقبائل من أجل ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

❁ ❁ ❁

أبواب في الكفاءة في النكاح

س: استدل بعض أهل العلم بهذه الآية على إسقاط اعتبار الكفاءة في النكاح واعتبار الكفاءة في الدين فقط. وضح ذلك واذكر معنى الكفاءة وشيئًا من فقهها؟

ج: أما الكفاءة فهي المساواة والمماثلة، ففلان يكافئ فلانًا أي يساويه ويماثله، وفلانةٌ تكافئ فلانًا من ناحية النسب: أي أنها في درجة نسبها تساويه وتماثله، فإن كان قرشيًّا فهي قرشية، أو هاشميًّا فهي هاشمية، وهكذا.

وفلانة تكافئ فلانًا من ناحية المال: أي أنها ثريةٌ كما أنه ثري وفلانة تكافئ فلانًا من ناحية الدين، أي: أنها ذات دين كما أنه ذو دين، فهي مسلمةٌ كما أنه مسلم، وصالحة كما أنه صالح، وعابدة كما أنه عابد.

فيستحب للمرأة أن تتزوج بكُفءٍ لها أو بمن هو أكفأ منها خاصة من ناحية الدين، فلا يصح ابتداءً ولا يحل أن تتزوج مسلمةٌ بكافر ويكره كراهية شديدة للصالحة أن تتزوج بعاصٍ مسرفٍ على نفسه.

والكفاءة أنواع: فمنها: كفاءةٌ في الدين، وكفاءةٌ في النسب، وكفاءة في المال، وكفاءة في الحرية، وكفاءة في الصنعة، وكفاءة في السلامة من العيوب، وبكلٍّ قد قال فريق من أهل العلم.

فبالنسبة للكفاءة في الدين: فهي معتبرة عند العلماء كافة، خاصة عند الخلاف في أصل الدين، فلا يحل لمسلمة أن تتزوج بكافر؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

[الممتحنة: ١٠]؛ ولقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

ثم أيضًا ينبغي أن يُنظر درجة الصلاح فيكره أن تتزوج الصالحة بعاص، ويكره أن تتزوج الطيبة بخبيث، قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النور: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ [النور: ٣].

وقال النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(١)].

وفي الباب حديث كذلك[(٢)]: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» لكن أسانيده ضعيفة.

أما أدلة القائلين باعتبار الكفاءة في النسب فمنها:

ما أخرجه مسلم[(٣)] في صحيحه من حديث واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وهناك من لم يعتبر الكفاءة في النسب ومن أدلتهم ما يلي:

تزويج النبي ﷺ وهو هاشمي - ابنتيه بعثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو قرشي.

تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش - وهي أسدية بزيد بن حارثة - رضي الله عنه وهو مولى.

وزوج النبي ﷺ أسامة بن زيد - وهو مولى - فاطمة بنت قيس وهي قرشية.

وها هي أدلة أخر في هذا الباب:

أخرج البخاري ومسلم[(٤)] من حديث عائشة رضي الله عنها قال: دخل رسول الله ﷺ على

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٩٠)، ومسلم (حديث ١٤٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ١٠٩٠)، وقد أوضحت أوجه العلل فيه في «جامع أحكام النساء» (٣/ ٢٦٤).

(٣) مسلم (حديث ٢٢٧٦).

(٤) البخاري (حديث ٥٠٨٩)، ومسلم (ص ٨٦٨).

ضباعة بنت الزبير فقال لها: «لعلك أردت الحج»، قالت: والله لا أجدني إلا وجعة، فقال لها: «حجي واشترطي قولي: اللهم محلي حيث حبستني»، وكنت تحت المقداد بن الأسود[١].

وأخرج البخاري[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها: أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - وكان ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ - تبنى سالمًا وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الأنصار.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم[٣] من حديث أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

أما الكفاءة في المال[٤] فاعتبرها قوم ولم يعتبرها آخرون:

فمن أدلة الذين اعتبروها: ما أخرجه مسلم[٥] من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة»، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم؛ فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده، فإذا

---

(١) الشاهد: أن المقداد بن الأسود كان من حلفاء قريش ولم يكن بقرشي، وتزوج ضباعة وهي هاشمية أي: أرفع منه نسبًا.

قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٣٥): المقداد هو ابن عمرو الكندي، نُسب إلىٰ الأسود بن عبد يغوث الزهري؛ لكونه تبناه فكان من حلفاء قريش، وتزوج ضباعة وهي هاشمية فلولا أن الكفاءة لا تعتبر بالنسب لما جاز له أن يتزوجها؛ لأنها فوقه في النسب، ولمن يعتبر الكفاءة في النسب أن يجيب بأنها رضيت هي وأولياؤها فسقط حقهم في الكفاءة، وهو جواب صحيح إن ثبت أصل اعتبار الكفاءة في النسب.

(٢) البخاري (حديث ٥٠٨٨).

(٣) مسلم حديث (٩٣٤).

(٤) وليس المراد تحريم تزويج من ليس بغني بامرأةٍ غنية، إنما المراد الاستحباب.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

حللت فآذنيني» قالت: فلما حللت ذكرت له: أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد»، فكرهته ثم قال: «أنكحي أسامة»، فنكحته فجعل الله فيه خيرًا كثيرًا واغتبطت.

أما الذين لم يعتبروها فمن أدلتهم:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وما أخرجه البخاري[(١)] من حديث سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا».

ومن أدلة الذين قالوا باعتبار الكفاءة في الصنعة: ما أخرجه أبو داود[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أبا هند حجم النبي ﷺ في اليافوخ فقال النبي ﷺ: «يا بني بياضة، أنكحوا أبا هندٍ وانكحوا إليه».

وثَمَّ أنواع أُخر من أنواع الكفاءة، كالكفاءة في السلامة من العيوب ومن أدلة القائلين بها حديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[(٣)]، وحديث: «لا يوردن ممرض على مُصح»[(٤)]، وورد عليه حديث: «لا عدوى»[(٥)].

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٠٢) بإسنادٍ حسن.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا (مع الفتح ١٠/ ١٥٨)، وأشار الحافظ هناك إلىٰ من وصله.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٤١ مع الفتح).

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ١٥٨، ١٧١،...).

وأنواع أُخر اعتبرها بعض العلماء كتقارب السن، وقد ورد عليه أن النبي ﷺ تزوج عائشة وهو يكبرها بما يقارب خمسة وأربعين عامًا، وتزوج خديجة وهي تكبره بخمسة عشر عامًا، وتزوج عمر بأم كلثوم بنت عليٍّ - رضي الله عنهم أجمعين - وهو أكبر سنًّا من أبيها.

فهذا ما أحببنا أن نشير إليه في أبواب الكفاءة، وإنما أشرنا إشارات فقط، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة كتب الفقهاء في ذلك.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ
لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ
أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

[الحجرات: ١٤ - ١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَا يَلِتْكُم - مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ - لَمْ يَرْتَابُوا - ٱلصَّٰدِقُونَ - بِدِينِكُمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا يَلِتْكُم﴾	لا ينقصكم
﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾	من ثواب أعمالكم
﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾	لم يشكوا في وحدانية الله ولا في نبوة نبيه ﷺ
﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾	الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم
﴿بِدِينِكُمْ﴾	بطاعتكم لربكم - ما أنتم عليه من إيمان

❁ ❁ ❁

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وبين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩]؟

ج: الجمع يمكن من وجهين:

الوجه الأول: أن يقال: إن القائلين: ﴿ءَامَنَّا﴾ من الأعراب هم أعراب مخصوصون معروفون، وهم كما قال بعض أهل العلم: أعراب بني أسد بن خزيمة، قاله الطبري.

الوجه الثاني: أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] من العام المخصوص، فالحكم للأغلب، وذلك بأن يقال: إن عموم الأعراب لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، وإنما هم مسلمون في الظاهر ولم يصدق عمل كثيرٍ منهم قوله، وقلة منهم هم المؤمنون المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩]، ويؤيد هذا الوجه الأخير قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]، والله أعلم.

س: ما السبب الذي من أجله قيل لهؤلاء الأعراب: ﴿...وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾؟

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: أنه قيل لهم: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾؛ لأنهم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولم تصدق أفعالُهم أقوالهم. وهذا هو اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وأورد عددًا من الآثار عن القائلين به.

فأورد عن الزهري[1] قوله: الإسلام الكلمة والإيمان العمل. وأورد قول ابن زيد[2] في قوله: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ [الحجرات: ١٤]، قال: لم يصدقوا إيمانهم بأعمالهم، فرد الله ذلك عليهم: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون، صدقوا إيمانهم بأعمالهم، فمن قال منهم: أنا مؤمن فقد صدق، قال: وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب، وليس بصادق.

وأورد الطبري آثارًا أخر وأقوالًا أخر ثم قال: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري، وهو أن الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارًا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعلمهم أن يقولوا بالإطلاق: آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا: آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محق، وهو أن يقولوا: أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحق.

القول الثاني: أن هؤلاء الأعراب أرادوا أن ينزلوا أنفسهم منزلة ليست لهم، وهي منزلة المهاجرين، ولم يكونوا قد هاجروا، ومنزلة المؤمنين المجاهدين ولم يكونوا قد جاهدوا فقيل لهم ما ذكره الله في كتابه.

القول الثالث: أنه قيل لهم ذلك لما امتنوا على رسول الله ﷺ بإيمانهم وقالوا: أسلمنا ولم نقاتلك، فقيل لهم: قولوا: أسلمنا واستسلمنا خوف القتل والسبي، وحفاظًا على أموالنا وأنفسنا ونسائنا.

---

(١)، (٢) وأسانيدهما صحيحة عنهما.

في الإيمان والإسلام

س: أيهما أعلى وأخص الإيمان أم الإسلام؟

ج: الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام؛ إذ هو تصديق القلب مع عمل الجوارح فأعمال الجوارح من شهادة لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا وهي أعمال الإسلام، قد يعلمها الشخص وهو يضمر النفاق، كما قال تعالى في شأن المنافقين ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

أما الإيمان فيستلزم أن نؤدي هذه الأعمال والقلب راضٍ عنها مرتاحٌ لها مصدقٌ بثوابها مؤمن بوجوبها.

فالإيمان أعلى وأخص من الإسلام، وذلك بما يلي:

لقوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولما أخرجه البخاري[(١)] ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعد جالس فيهم. قال سعد: فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه. وهم أعجبهم إليَّ. فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلمًا» قال: فسكت قليلًا. ثم غلبني ما أعلم منه فقلت: يا رسول الله! ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنًا؟ فقال رسول الله ﷺ «أو مسلمًا» قال: فسكت قليلًا، ثم غلبني ما علمته منه، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان، والله إني لأراه مؤمنًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلمًا. إني لأُعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يُكب في النار على وجهه».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٧)، ومسلم (حديث ١٥٠ صـ ١٣٢).

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في التفريق بين الإيمان والإسلام؟

ج: ابتداءً فقد سئل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فأجاب، فتقدم جوابه أولًا وآخرًا على كل جواب، ففي صحيح مسلم[١] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند رُكبتيه إلى رُكبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويُصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت. فظهر بهذا الحديث أن الإسلام هو الاستسلام والانقياد والامتثال في الظاهر بالشهادتين وإقام الصلاة... إلى آخر ما ورد في تعريفه، أما الإيمان فهو التصديق بالقلب.

ولكن أحيانًا يأتي الإيمان ويتنزل على بعض الأعمال الظاهرة كما قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

وفي الصحيح[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**من الوفد؟**» أو «**من القوم؟**»... الحديث. وفيه: أنه أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخُمس... الحديث.

ففسَّر فيه الإيمان ببعض الأعمال الظاهرة التي هي من أعمال الإسلام فعلى هذا

---

(١) مسلم حديث رقم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (ص٦٣) واللفظ له، وأصله في البخاري (حديث رقم ٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٣)، ومسلم (حديث ١٧ ص ٤٨).

قال بعض أهل العلم: إن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا كثير من الاصطلاحات في الكتاب العزيز بمعنى: أن الإيمان إذا جاء منفردًا عن الإسلام - في كثير من الأحيان يدخل فيه معنى الإسلام، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام، أما إذا جاء الإيمان والإسلام معًا في سياق واحد أخذ الإيمان معنى أخص وأعلى من الإسلام، وهو: تصديق القلب كما هو الحال في آية الحجرات التي نحن بصددها.

وأورد هنا بعض أقوال أهل العلم في هذا الصدد. قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مسلم» في أول كتاب الإيمان.

في شرح حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان:

أهم ما يذكر في الباب اختلاف العلماء في الإيمان والإسلام وعمومهما وخصوصهما، وأن الإيمان يزيد وينقص أم لا؟ وأن الأعمال من الإيمان أم لا؟ وقد أكثر العلماء رحمهم الله تعالى من المتقدمين والمتأخرين القول في كل ما ذكرناه، وأنا أقتصر على نقل أطراف من متفرقات كلامهم يحصل منها مقصود ما ذكرته مع زيادات كثيرة. قال الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه معالم السنن: ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة! فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة والإيمان العمل. واحتج بالآية يعني قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد. واحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]. قال الخطابي: وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قوله من هذين ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف عليه كتابًا يبلغ عدد أوراقه المئين.

قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنًا في بعضها والمؤمن مسلم

في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها. وأصل الإيمان: التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد. فقد يكون المرء مستسلمًا في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر، وقال الخطابي أيضًا في قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»: في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**». وفيه: إثبات التفاضل في الإيمان، وتباين المؤمنين في درجاته هذا آخر كلام الخطابي.

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان والإسلام وجوابه قال: جعل النبي ﷺ الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك؛ لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحدة جماعها الدين؛ ولذلك قال ﷺ: «**ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعًا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل. هذا كلام البغوي.

ثم قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله ﷺ:

«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، والإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو: التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو: الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم؛ لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر له الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات؛ لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتمات وحافظات له؛ ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم؛ ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة؛ لأن اسم الشيء مطلقًا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلا بقيد؛ ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»، واسم الإسلام يتناول أيضًا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ويتناول أصل الطاعات؛ فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققنا. أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا قال: وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون. وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم. هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح، فإذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص وقالوا: متى قبل الزيادة كان شكًّا وكفرًا. قال المحققون من أصحابنا المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها. قالوا: وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل

وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون. وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرًا حسنًا فالأظهر- والله أعلم - أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة؛ ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس؛ ولهذا قال البخاري في صحيحه: قال ابن مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل. والله أعلم.

وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، أجمعوا على أن المراد: صلاتكم. وأما الأحاديث فستمر بك في هذا الكتاب منها جمل مستكثرات، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الفرق بين الإسلام والإيمان في هذه الآية: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]؟

ج: أُورد هنا قول الشنقيطي رحمه الله تعالى، فقد قال في «أضواء البيان» عند تفسير هذه الآية: ذكر جل وعلا هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الأعراب - وهم أهل البادية من العرب - قالوا: آمنا، وأن الله جل وعلا أمر نبيه أن يقول لهم: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات: ١٤]، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم.

وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام؛ لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

وقد قدمنا مرارًا أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح، والإسلام الشرعي

الصحيح هو استسلام القلب بالاعتقاد واللسان بالإقرار، والجوارح بالعمل، فمؤداها واحد كما يدل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يحتاج إلى بيان وجه الفرق بين الإيمان والإسلام في هذه الآية الكريمة؛ لأن الله نفى عنهم الإيمان دون الإسلام، ولذلك وجهان معروفان عند العلماء أظهرهما عندي: أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسماه الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الإسلام اللغوي الذي هو الاستسلام والانقياد بالجوارح دون القلب.

وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا على الإسلام مع أن الحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية على الصحيح؛ لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهر، وأن توكل السرائر إلى الله.

فانقياد الجوارح في الظاهر بالعمل واللسان بالإقرار يكتفي به شرعًا، وإن كان القلب منطويًا على الكفر.

ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية في قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، لأن انقياد اللسان والجوارح في الظاهر إسلام لغوي مكتفي به شرعًا عن التنقيب عن القلوب.

وكل انقياد واستسلام وإذعان يسمى: إسلامًا لغةً. ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل العدوي مسلم الجاهلية:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالًا
دحاها فلما استوت شدَّها ... جميعًا وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبًا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الريح تصرف حالا فحالا

فالمراد بالإسلام في هذه الأبيات: الاستسلام والانقياد، وإذا حمل الإسلام في

قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ انقدنا واستسلمنا بالألسنة والجوارح. فلا إشكال في الآية.

وعلى هذا القول فالأعراب المذكورون منافقون؛ لأنهم مسلمون في الظاهر، وهم كفار في الباطن.

الوجه الثاني: أن المراد بنفي الإيمان في قوله: ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله.

وعليه إشكال أيضًا؛ لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تام، وهذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين: بأن الإيمان يزيد وينقص.

وإنما استظهرنا الوجه الأول، وهو أن المراد الإسلام معناه اللغوي دون الشرعي، وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وإن أسلموا في الظاهر؛ لأن قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ يدل على ذلك دلالة كما ترى؛ لأن قوله: ﴿يَدۡخُلِ﴾ فعل في سياق النفي وهو من صيغ العموم كما أوضحناه مرارًا، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

ونحو لا شربت أو إن شربا ... واتفقوا إن مصدر قد جلبا

فقوله: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ في معنى: لا دخول للإيمان في قلوبكم.

والذين قالوا بالثاني قالوا: إن المراد بنفي دخوله نفي كماله، والأول أظهر كما ترى.

وقوله تعالى: في هذه الآية الكريمة: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾: المراد به بعض الأعراب، وقد استظهرنا أنهم منافقون؛ لدلالة القرآن على ذلك، وهم من جنس الأعراب قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ [التوبة: ٩٨]، وإنما قلنا: إن المراد بعض الأعراب في هذه الآية؛ لأن الله بين في موضع آخر أن منهم من ليس كذلك، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾ [التوبة: ٩٩].

س: هل هؤلاء الأعراب الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ كانوا مسلمين، أم كانوا منافقين؟

ج: الظاهر أنهم كانوا مسلمين، وقد قال الله تبارك وتعالى لهم: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ ولم يرد في الآية الكريمة ما يشير إلى أنهم من أهل النفاق، وإنما هم مسلمون ادَّعوا لأنفسهم مقامًا أعلى من مقام الإسلام، وهو مقام الإيمان، فأدبوا لذلك، وهو الذي اختاره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورد ما ذكره بعض العلماء، إذ وصفوا هؤلاء الأعراب بالنفاق، وحملوا قولهم. ﴿أَسۡلَمۡنَا﴾ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، فرد الحافظ هذا الكلام، واختار أنهم من أهل الإسلام.

ولمزيد انظر كلام الشنقيطي المتقدم.

❁ ❁ ❁

إجراء الأحكام على الأغلب

س: هل لبناء الأحكام على الأغلب شواهد؟

ج: نعم لهذا شواهد، ومن شواهد ذلك ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ومن ثمَّ حرمت الخمر.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه[(٢)]»، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم! إذا كثر الخبث».

وفي الصحيحين[(٣)] من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: أنها قالت: قال

(١) البخاري حديث (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) في بعض الروايات: وعقد سفيان بيده عَشَرَةً، وفي بعضها وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها.

(٣) البخاري (حديث ٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤).

=

رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم».

وكذلك أحد الأوجه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] مع أن هناك من الأعراب من هو مؤمن، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٩].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم﴾ [الحجرات: ١٤].

ج: المعنى، والله أعلم، وإن تصدقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم ولا يبخسكم حقوقكم، ولا ينقصكم أجوركم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٤]؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو - أيها الأعراب - لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه، يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم، على ما تابوا منه، فتوبوا إليه يرحمكم.

قلت (مصطفى): ووجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ للحث على التوبة والاستغفار، ورجاء رحمة الله عزَّ وجلَّ.

❁ ❁ ❁

= وفي بعض روايات مسلم: فقلنا يا رسول الله: إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتىٰ يبعثهم الله علىٰ نياتهم».

س: ما المراد بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١٥]؟

ج: المراد: المؤمنون الكُمل في إيمانهم.

❁ ❁ ❁

تعدد صور الجهاد في سبيل الله

س: صور الجهاد في سبيل الله تتعدد ولا تقف عند الجهاد بالسيف، اذكر بعض هذه الصور.

ج: لذلك صور، فمنها:

الجهاد بالمال؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ...﴾[التوبة: ٨٨].

وبالنفس كذلك كما في قوله تعالى أيضًا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾[التوبة: ١١١].

وباللسان أيضًا ففي صحيح مسلم[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ﴾ [الحجرات: ١٧] سبب نزول؟

ج: لم يصح لهذه الآية سبب نزول.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (حديث ٥٠ ص ٧٠).

س: من هم الذين امتنوا على رسول الله بإسلامهم؟

ج: هم طائفة من الأعراب، قال بعض أهل العلم: إنهم بنو أسد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يمن عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] يقول: بل الله يمن عليكم - أيها القوم - أن وفقكم للإيمان به وبرسوله ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يقول: إن كنتم صادقين في قولكم: آمنا، فإن الله هو الذي منَّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليَّ بإسلامكم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه ختام السوررة الكريمة والحديث عن الأعراب الوارد فيها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحجرات: ١٨]؟

ج: وجه ذلك: الحث على مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن، وفي الغيب والشهادة.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: إن الله - أيها الأعراب - لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم؛ فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم، فاستسرَّ في خبايا السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ يقول: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها أجهرًا تعملون أم سرًّا، طاعة تعلمون أم معصية، وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ وكُفُوه.

سورة ق

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ
عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ
﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾
وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

[ق: ١-١١]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿قٓ - ٱلْمَجِيدِ - عَجِبُوٓاْ - رَجْعٌ - بَعِيدٌ - مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ - حَفِيظٌ - مَّرِيجٍ - فُرُوجٍ - مَدَدْنَٰهَا - رَوَٰسِيَ - زَوْجٍ - بَهِيجٍ - تَبْصِرَةً - وَذِكْرَىٰ - مُّنِيبٍ - مُّبَٰرَكًا - جَنَّٰتٍ - وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ - بَاسِقَٰتٍ - طَلْعٌ - نَّضِيدٌ - رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ - بَلْدَةً مَّيْتًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿قٓ﴾	حرف من الحروف المقطعة التي بُدئت بها بعض السور لا يعلمها إلا الله
﴿ٱلْمَجِيدِ﴾	العظيم - الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (أي: الذي لا يُدخل عليه الشيطان شيئًا ليس منه)
﴿عَجِبُوٓاْ﴾	تعجبوا
﴿رَجْعٌ﴾	بعثٌ ورجوع إلى الحياة الدنيا بعد الممات (وذلك في الدار الآخرة)
﴿بَعِيدٌ﴾	مستبعد
﴿مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾	ما تأكله الأرض من أجسادهم
﴿حَفِيظٌ﴾	حُفظت فيه الأعمال والمقادير فلا تُمحى ولا يُدرس هذا الكتاب ولا يبلى
﴿مَّرِيجٍ﴾	مختلط [1] - ملتبس عليهم - مضطرب - مختلف [2] - منكر
﴿فُرُوجٍ﴾	شقوق - ثقوب
﴿مَدَدْنَٰهَا﴾	بسطناها
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا

(١) ومنه مرج البحرين يلتقيان، ومنه مرجت عهودهم.

(٢) وشاهده: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات: ٨]

﴿زَوۡجٖ﴾	صنف - نوع من أنواع النباتات
﴿بَهِيجٖ﴾	حسن المنظر
﴿تَبۡصِرَةٗ﴾	شيءٌ تبصرونه بأعينكم فيحملكم على الطاعة - تبصرون به قدرة الله - دلالةً - إيضاحًا
﴿وَذِكۡرَىٰ﴾	تذكيرًا
﴿مُّنِيبٖ﴾	رجَّاع إلى الله - مقبل على طاعة الله
﴿مُّبَٰرَكٗا﴾	نافعًا - كثير النفع
﴿جَنَّٰتٖ﴾	حدائق وبساتين
﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾	الحب الذي يحصد ويُدخر (كالبر والشعير وسائر الحبوب)
﴿بَاسِقَٰتٖ﴾	طوالًا
﴿طَلۡعٞ﴾	الطلع أول ما يخرج من ثمر النخل
﴿نَّضِيدٞ﴾	منضود - بعضه على بعض - متراكب
﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾	غذاء للعباد - قوامًا للعباد
﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾	أرضًا لا زرع فيها ولا نبات

❁ ❁ ❁

بداية المفصل

س: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المفصل يبدأ من سورة «ق» حتى سورة «الناس» (أي: لآخر المصحف)، فما الدليل الذي استدلوا به لذلك؟

ج: نعم، قد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، فقد قال في مطلع تفسيره لسورة «ق»:

وهذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح، وقيل: من الحجرات. وأما ما يقوله العامة: إنه من ﴿عَمَّ﴾ فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا أخرجه أبو داود وغيره من حديث أوس بن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده[1].

هذا، وقد اختار الحافظ ابن كثير هذا القول الذي مفاده أن سورة «ق» هي أول سور المفصل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأعياد بسورة «ق» اذكر الدليل الوارد بذلك؟

ج: أخرج مسلم في صحيحه من طريق عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقدٍ الليثي ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[2].

❁ ❁ ❁

س: لما كان رسول الله ﷺ يقرأ بهذه السورة في خطب الجمعة والأعياد؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب.

❁ ❁ ❁

التنبيه على بعض خرافات بني إسرائيل

س: ما المراد بـ﴿قٓ﴾؟

ج: الظاهر لي، والله تعالى أعلم، أنها حرفٌ من الحروف التي بُدئت بها بعض

(١) أبو داود (١٣٩٣)، وأحمد (٤/ ٩) وابن ماجه (١٣٤٥).

(٢) مسلم (٨٩١).

السور، كتلك الحروف المقطعة: ﴿الٓمٓ - الٓمٓصٓ - كٓهيعٓصٓ﴾ ونحو ذلك، والعلم بهذه الأحرف وبما تضمنته لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ.

هذا، وقد قدمت أقوال أهل العلم في ذلك في مطلع تفسير سورة البقرة، وهذا هو الذي اختاره هاهنا أنها حرف بُدئت به السورة المباركة، والعلم به موكول إلى الله عزَّ وجلَّ.

ومن العلماء من قال إنها اسم من أسماء القرآن، ومنهم من قال: إنها اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وكل هذا لا دليل عليه.

هذا، وقد أبعد جدًّا من قال: إنها جبلٌ محيط بالأرض، وقد أحسن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إذ جنح إلى أن هذا الأخير من خرافات بني إسرائيل، فقد قال قولًا في هذا المقام جديرٌ به أن ينقل، وذلك للاحتياج إليه حيث أن مثل هذه الخرافات تتكرر في تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ وحريٌّ بالمفسرين، أن يُضربوا عنها ويعرضوا عنها حفظًا للأوقات وصيانة للدين وللكتاب العزيز.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قٓ﴾: جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف. وكأن هذا -والله أعلم- من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تُحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل - والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من

الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ هذا قسم، فما جوابه؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن جوابه يأتي بعد ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾.

الثاني: أن جوابه مُضمَّن في الكلام الذي بعد القسم، وإن لم يُصرخ به لفظًا، وهو إثبات صحة ما جاء به الكتاب العزيز من إثبات النبوة، وإثبات البعث وغير ذلك.

فيكون المعنى والقرآن المجيد إن هذا القرآن لحق، وإنك لنبيٌّ وإن الساعة لآتية لا ريب فيها...

وهذا الذي اختاره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم متلقى لفظًا، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ١، ٢]، وهكذا قال هاهنا: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر كقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] أي: وليس هذا بعجيب؛ فإن الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن هؤلاء أهل الكفر ما كذبوك يا رسول الله فإنهم يعلمون أنك صادق، ولكنهم تعجبوا من إرسال رسولٍ من البشر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ما

السور، كتلك الحروف المقطعة: ﴿الٓمٓ - الٓمٓصٓ - كٓهيعٓصٓ﴾ ونحو ذلك، والعلم بهذه الأحرف وبما تضمنته لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ.

هذا، وقد قدمت أقوال أهل العلم في ذلك في مطلع تفسير سورة البقرة، وهذا هو الذي اختاره هاهنا أنها حرف بُدئت به السورة المباركة، والعلم به موكول إلى الله عزَّ وجلَّ.

ومن العلماء من قال إنها اسم من أسماء القرآن، ومنهم من قال: إنها اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وكل هذا لا دليل عليه.

هذا، وقد أبعد جدًّا من قال: إنها جبلٌ محيط بالأرض، وقد أحسن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إذ جنح إلى أن هذا الأخير من خرافات بني إسرائيل، فقد قال قولًا في هذا المقام جديرٌ به أن ينقل، وذلك للاحتياج إليه حيث أن مثل هذه الخرافات تتكرر في تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ وحريٌّ بالمفسرين، أن يُضربوا عنها ويعرضوا عنها حفظًا للأوقات وصيانة للدين وللكتاب العزيز.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قٓ﴾: جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف. وكأن هذا -والله أعلم- من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تُحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل - والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من

كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق، ولكنهم كذبوك تعجبًا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم، يعني: بشرًا منهم من بني آدم، ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله.

❁ ❁ ❁

س: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ...﴾ لماذا لم يقل: بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقالوا...؟

ج: أجاب على ذلك القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

ولم يقل: فقالوا بل قبَّح حالهم وفعلهم، ووصفهم بالكفر كما تقول: جاءني فلان فأسمعني المكروه، وقال لي الفاسق: أنت كذا وكذا.

❁ ❁ ❁

س: دومًا يستنكر المشركون إرسال رسولٍ من البشر، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قولهم الذي حكاه الله عزَّ وجلَّ عنهم إذ قالوا: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦].

وكذا قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وكذا قول قوم فرعون لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

إلى غير ذلك، وقد قدمنا كثيرًا من هذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: إلى ماذا الإشارة بقوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾؟

ج: الإشارة إلى إرسال الرسول من البشر فكأن المعنى، هذا الذي يحدث من إرسال رسولٍ من البشر شيءٌ عجيب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فقال المكذبون بالله

ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم ﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾: أي مجيء رجل منا من بني آدم برسالة الله إلينا، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧].

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قول الكفار: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ مع أنه لم يجر للبعث ذِكرٌ من قبل؟

ج: من العلماء من قال: إن الكلام الذي سبق هذه الآية فيه مُضمر، ومفاده أن الرسول الذي أُرسل إليهم منذر قد أنذرهم الساعة والبعث بعد الموت فقالوا متعجبين مُنكرين: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣...﴾ أي: كيف يُحيينا وقد صِرنا عظامًا ورفاتًا، فهذا أمرٌ مستبعد لا حدوث له.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال مخبرًا عنهم في تعجبهم أيضًا من المعاد واستبعادهم لوقوعه: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ أي: يقولون: أإذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا، وصرنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ أي: بعيد الوقوع، ومعنى هذا: أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه.

هذا، وقد أورد الطبري رحمه الله تعالى مثل هذا السؤال، واستفاض في الإجابة عليه فقال:

يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه، وجوابهم عما لم يسألوا عنه. قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فنذكر ما قالوا في ذلك، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى، فقال في ذلك بعض نحويي البصرة قال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾، لم يذكر أنه راجع، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ وقال بعض نحويي الكوفة قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ﴾ كلام لم يظهر قبله، ما يكون هذا جوابًا له، ولكن معناه مضمر، إنما كان والله أعلم: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ لتبعثن بعد الموت،

فقالوا: أإذا كنا ترابا بعثنا؟ جحدوا البعث، ثم قالوا: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ جحدوه أصلًا، قوله: ﴿بَعِيدٌ ۝٣﴾ كما تقول للرجل يخطئ في المسألة، لقد ذهبت مذهبًا بعيدًا من الصواب: أي أخطأت.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن في هذا الكلام متروكًا استغني بدلالة ما ذكر عليه من ذكره، وذلك أن الله دل بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ بقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدا ﷺ، فكأنه قال لهم: إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدًا ﷺ ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمدًا ﷺ، وإنكاركم نبوته، فقالوا مجيبين رسول الله ﷺ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نعلم ذلك، ونرى ما تعدنا على تكذيبك ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾: أي أن ذلك غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا، فاستغني بدلالة قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ من ذكر ما ذكرت من الخبر.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة على إنكار المشركين للبعث؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرةٌ جدًّا، منها:

قولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣].

وقولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النازعات: ١٠-١١].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨].

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب الحفيظ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم.

الثاني: أنه اللوح المحفوظ، وثمَّ أقوال أُخر أَوْلاها أَوَّلُها، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قد علمنا ما تأكله الأرض من أجسادهم ومن أبشارهم وجلودهم وعظامهم، ومع علمنا بذلك كله وبقدر ما أُكل من أجسادهم، عندنا أيضًا كتاب حافظ لذلك مثبت فيه كل ذلك.

كما في الآية الأخرى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان؟ وأين ذهبت؟ وإلى أين صارت؟ ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ أي: حافظ لذلك، فالعلم شامل، والكتاب أيضًا فيه كل الأشياء مضبوطة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾؟

ج: جمهور أهل العلم أن المراد به القرآن[1]، بل نُقل الإجماع على ذلك، وقد قيل: إن ذلك يتضمن الإسلام، ويتضمن رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى كلمة مريجٍ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

---

(١) قال القرطبي قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: القرآن في قول الجميع، حكاه الماوردي، وقال الثعلبي بالحق: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: محمد ﷺ.

أحدها: أن مريج معناها: مختلط، وملتبسٌ.

الثاني: أن مريج معناها: منكر وضلالة.

الثالث: أن معنى مريج مختلف كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات: ٨].

وفي الباب قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: ١٩].

وكذا الحديث: «مرجت عهودهم».

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكرًا، لأن المعروف واضح بيِّن، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة، لأن الهدى بيِّن لا لبس فيه.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: فهم في أمر ملتبس، ووجه هذا الالتباس والتشكك والتضارب أنهم لم يتفقوا في القرآن على شيء واحد بل منهم من قال: سحر، ومنهم من قال: كهانة، ومنهم من قال: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، ومنهم من قال عن الرسول ﷺ: شاعر، ومنهم من قال: مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال، وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه من كل شائبة تُشين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن هؤلاء الكفار ما أصابوا حين قالوا: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾، ولكنهم كذبوا بالحق عند مجيئه إليهم، فالتبست عليهم الأمور، وهذا شأن من يرفض الحق ويكذب به ويُعرض عنه، فإنه يبتلى باختلاط الأمور واتباع الباطل والشكوك والريب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ في قيلهم هذا ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، وهو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ من الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق، مهما قال بعد ذلك فهو باطل. والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٨، ٩].

❁ ❁ ❁

الحث على التدبر والتفكر في آيات الله

س: اذكر بعض الأدلة على الحث على التفكر والتدبر في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ للاستدلال بذلك على قدرة الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ...﴾ [ق: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الأنعام: ١١].

وقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث المشركون بالله إلى السماء فوقهم كيف بناها الله عزَّ وجلَّ، وجعلها متماسكة قوية ليس فيها ثقوب ولا شقوق ولا تصدعات ثم كيف زُيِّنت بالكواكب والنجوم، فيدفعهم هذا النظر إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ والإيمان به والإقلاع عما هم فيه من الغواية والكفر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ فسويناها سقفًا محفوظًا، وزيناها بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ يعني: وما لها من صدوع وفتوق.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾؟ أي: بالمصابيح، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾. قال مجاهد: يعني من شقوق. وقال غيره: فتوق. وقال غيره: من صدوع. والمعنى متقارب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٣، ٤] أي: كليل، أي: عن أن يرى عيبًا أو نقصًا.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تعظيم شأن كيفية بنائه تعالى للسماء وتزيينه لها وكونها لا تصدع ولا شقوق فيها جاء كله موضحًا في آيات أخر كقوله جل وعلا في بنائه للسماء: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله تعالى

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ:١٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون:١٧]، وقوله تعالى في أول الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، وقوله تعالى في لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠]، إلى غير ذلك من الآيات. وكقوله تعالى في تزيينه للسماء: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت:١٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات:٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر:١٦]، وكقوله تعالى في حفظه للسماء من أن يكون فيها فروج أي شقوق: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك:٣]، والفطور والفروج بمعنى واحد، وهو الشقوق والصدوع، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء:٣٢]، أما إذا كان يوم القيامة فإن السماء تتشقق وتتفطر، وتكون فيها الفروج كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان:٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ [الرحمن:٣٧]، وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ [الحاقة:١٥-١٦]. وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١-٢]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١] وقال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات:٨-٩].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رحل، بل هو في غاية السهولة، فينظرون ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيبًا، ولا فروجًا، ولا خلالًا ولا إخلالًا.

قد جعلها الله سقفًا لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفلم يروا الأرض وكيف بسطناها وثبتناها بالجبال وأنبتنا فيها من كل الأصناف، أصناف النباتات ذات المنظر الحسن البهيج فيستدلو بذلك على وحدانية الله عزَّ وجلَّ، وعلى قدرته وعلى البعث بعد الموت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وهي الجبال؛ لئلا تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنها مُقَرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقوله ﴿بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي: حسن نضر.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ يقول: والأرض بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يقول وجعلنا فيها جبالا ثوابت، رست في الأرض، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن، وهو البهيج.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه مد الأرض وألقى فيها الجبال الرواسي وأنبت فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، وهذا الذي تضمنت هذه الآية الكريمة جاء موضحا في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ إلى قوله ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد:٣]، وكقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان:١٠-١١]، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي من كل صنف حسن من أصناف النبات، وقوله: ﴿تَبْصِرَةً﴾ أي قدرنا الأرض

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفلم يروا الأرض وكيف بسطناها وثبتناها بالجبال وأنبتنا فيها من كل الأصناف، أصناف النباتات ذات المنظر الحسن البهيج فيستدلو بذلك على وحدانية الله عزَّ وجلَّ، وعلى قدرته وعلى البعث بعد الموت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وهي الجبال؛ لئلا تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنها مُقَرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقوله: ﴿بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي: حسن نضر.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ يقول: والأرض بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يقول: وجعلنا فيها جبالا ثوابت، رست في الأرض، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن، وهو البهيج.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه مد الأرض وألقى فيها الجبال الرواسي وأنبت فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، وهذا الذي تضمنت هذه الآية الكريمة جاء موضحا في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ إلى قوله ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد:٣]، وكقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان:١٠-١١]، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي من كل صنف حسن من أصناف النبات، وقوله: ﴿تَبْصِرَةً﴾ أي قدرنا الأرض

وألقينا فيها الرواسي وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة لأجل أن نبصر عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿و﴾ إلى ﴿ ٱلْأَرْضَ﴾ كيف ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ ووسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار والاستعداد لجميع مصالحه، وأرساها بالجبال، لتستقر من التزلزل، والتموج، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ أي: من كل صنف من أصناف النبات، التي تسر ناظريها، وتعجب مبصريها، وتقر عين رامقيها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم، وخص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة، من العنب والرمان والأترج والتفاح، وغير ذلك، من أصناف الفواكه، ومن النخيل الباسقات، أي: الطوال، التي يطول نفعها، وترتفع إلى السماء، حتى تبلغ مبلغًا، لا يبلغه كثير من الأشجار، فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها، ما هو رزق للعباد، قوتًا وأدمًا وفاكهة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواشيهم وكذلك ما يخرج الله بالمطر، وما هو أثره من الأنهار، التي على وجه الأرض، تحتها من حب الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بر وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن ما ذُكر من خلق السموات والأرض، والجبال وصنوف النباتات كل ذلك إيضاحًا وتذكير لكل عبد رجاع إلى الله تائبٍ يستوضح بها الدلالات على قدرة الله عزَّ وجلَّ وعلى وحدانيته ويبصر بها ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جُعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب، أي: خاضع خائف وجل رَجَّاع إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تَبْصِرَةً﴾ يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة

ربكم على ما يشاء، ﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ يقول: وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه، وتنبيها على وحدانيته ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألم ينظر هؤلاء المكذبون، وكذا أو لم ينظر عموم الخلق إلى الماء الذي أنزلناه من السماء، ذلكم الماء المبارك النافع، فقد نزلناه من السماء فأنبتنا به حدائق وبساتين كانت ميتة، وكذا أنبتنا به سائر الحبوب التي تؤكل وتكال وتوزن وتدخر كالشعير والبرُّ ونحو ذلك من الحبوب وغيرها كذلك.

وكذلك النخل الباسق الطويل الذي له طلع متراكب بعضه فوق بعض، وكذا ثماره بعضها فوق بعض.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ أي: نافعًا، ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: حدائق من بساتين ونحوها، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ وهو: الزرع الذي يراد لحبته وادخاره.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالًا شاهقات.

وقال في معنى: ﴿نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾، أي: منضود.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذه الجنات والبساتين، وما فيها من فواكه وخضراوات وثمار، وكذا حب الحصيد الذي هو البر والشعير وسائر الحبوب، وكذا ثمار النخيل، كل ذلك جعلناه منفعة للعباد وغذاء للعباد ومتاعًا للعباد، ولقد قيل: إن المراد بالعباد هنا الخلق الذين هم على الأرض.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماءِ، والأرضَ التي كانت ميتة لا ثمر فيها ولا نبات ولا خضرة فيها ولا بهجة، فأنبتنا في الأرض من كل زوجٍ بهيج حسن المنظر، فكذلك البعث يوم القيامة بعد أن أمتناكم في الدنيا، فكما أننا نخرج النبات من الأرض بعد موتها فكذلك نخرج الموتى يوم القيامة بعد دفنهم في الأرض، نخرجهم منها للبعث والحساب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وهي: الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى. وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبت.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأحييناها به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾، معناه أن الله تبارك وتعالى: يبين أن إحياء الأرض بعد

موتها بإنبات النبات فيها بعد انعدامه واضمحلاله، دليل على بعث الناس بعد الموت بعد كونهم ترابا وعظاما. فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ يعني أن خروج الناس أحياء من قبورهم بعد الموت كخروج النبات من الأرض بعد عدمه، بجامع استواء الجميع في أنه جاء بعد عدم، وهذا أحد براهين البعث التي يكثر الاستدلال عليه بها في القرآن.

❁ ❁ ❁

بعض الأدلة على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها. اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥-٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾...﴾ [يس: ٣٣] الآيات.

إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْأَيْكَةِ - وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾	الشجر الكثير الملتف
﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾	قوم شعيب عليه السلام

❁ ❁ ❁

س: من أصحاب الرس؟

ج: لم يرد في ذِكرهم - فيما علمت - خبرٌ ثابتٌ عن النبي ﷺ، وقد قال بعض أهل العلم إن الرسَّ بئرٌ وإنهم ألقوا نبيهم فيها، وقد قيل: إنه صاحب «سورة يس»، ولعلَّ الكلام يأتي في غير هذا الموطن باستيفاءٍ إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: من أصحاب الأيكة؟ وما معنى الأيكة؟

ج: أما الأيكة فهي الشجر الكثير الملتف.

أما أصحاب الأيكة فهم القوم الذين أرسل إليهم نبي الله شعيب عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: من قوم تُبع؟ ومن تبعُ؟

ج: لم أقف في ذلك على خبر ثابت عن النبي ﷺ، والأخبار الواردة في ذلك فيها مقال، وقد قيل إن تبع رجلٌ صالح كان باليمن، وقيل: إنه نبي.

أما قومه فهم قوم كانوا يعبدون الأصنام مكذبين بالبعث، والله أعلم.

هذا، وقد أخرج الطبري[(١)] في تفسيره بإسناده إلى سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تلعنوا تبعًا فإنه كان قد أسلم»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كذبت - قبل مشركي قريش - أقوام سبقتهم في الضلالة والغواية والعناد، وهم قوم نوحٍ وكذا أصحاب الرس وثمود (الذين هم قبيلة نبي الله صالح عليه السلام)، وعاد (وهم قبيلة نبي الله هود عليه السلام)، وفرعون، وأمره معلوم وإخوان لوط، الذين أرسل إليهم نبي الله لوط عليه السلام، وكذا كذب أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام، وكذا قوم تبع اليماني، كل هؤلاء كذبوا رسل الله الكرام فحق عليهم ما كتبه الله عليهم من الوعيد بالعذاب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كل هذه الأمم التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ، وذكر أنها كذبت رسلها كلها عُذِّبت وحلَّ بها ما كتب عليها من العذاب والعقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ يقول: فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله، وحل بهم العذاب والنقمة. وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيبًا منه بذلك مشركي قريش وإعلامًا منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ، أنه

---

(١) الطبري (٣١٨٤٦).

(٢) ضعيف جدًا: ففي سنده عمرو بن جابر، وهو كذاب.

محل بهم من العذاب، مثل الذي أحل بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة «الفرقان»، ﴿وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣﴾، وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو اليماني. وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته هاهنا، ولله الحمد.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله، ومن كذب رسولًا فكأنما كذب جميع الرسل، كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وإنما جاءهم رسول واحد، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ
يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى
ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ
قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾
۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟
لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

[ق: ١٥-٣٠]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَعَيِينَا - بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ - لَبْسٍ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ - ٱلْمُتَلَقِّيَانِ - قَعِيدٌ - مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ - رَقِيبٌ - عَتِيدٌ - سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ - بِٱلْحَقِّ - تَحِيدُ - ٱلصُّورِ - ٱلْوَعِيدِ - سَآئِقٌ - شَهِيدٌ - غَفْلَةٍ - غِطَآءَكَ - فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ - قَرِينُهُۥ - مَا لَدَيَّ - عَتِيدٌ - كَفَّارٍ - عَنِيدٍ - مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ - مُعْتَدٍ - مُّرِيبٍ - مَآ أَطْغَيْتُهُۥ - ضَلَٰلٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَعَيِينَا﴾	أفأعجزنا - أفأرهقنا - أفتعبنا
﴿بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾	ابتداء الخلق - خلق الإنسان أول مرة
﴿لَبْسٍ﴾	شك
﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	البعث بعد الموت
﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾	عرق من ابن آدم- حبل العاتق (ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه)
﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾	ملكان من الملائكة
﴿قَعِيدٌ﴾	قاعدٌ مترصد يرصد
﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾	ما يتكلم به من شيء
﴿رَقِيبٌ﴾	حافظ - متبع للأمور - شاهد
﴿عَتِيدٌ﴾	حاضرٌ لا يغيب - مُعدٌّ (للشهادة) مهيأ
﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	شدته وغلبته على فهم الإنسان (كالسكرة من النوم أو الشراب)
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	موضحة الحق مظهرةٌ له - مجيئها بالحق
﴿تَحِيدُ﴾	تميل - تروغ - تهرب
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرن يُنفخ فيه
﴿ٱلْوَعِيدِ﴾	اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه

﴿سَآئِقٌ﴾	سائق يسوقها إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة (وهو ملك من الملائكة)
﴿شَهِيدٌ﴾	من يشهد عليها يوم القيامة
﴿غَفْلَةٍ﴾	عدم رؤيا - عدم علم - عدم استيعاب الأمر على حقيقته
﴿غِطَآءَكَ﴾	ما كان يحجبك عن الرؤية الصحيحة والعلم الصحيح
﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾	بصرك اليوم - يوم القيامة نافذٌ وقوي وعلمك اليوم يقيني وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر إذا كان ذا علمٍ به وله بهذا الأمر بصرٌ
﴿قَرِينُهُۥ﴾	صاحبه
﴿مَا لَدَىَّ﴾	ما عندي
﴿عَتِيدٌ﴾	معدٌّ حاضرٌ
﴿كَفَّارٍ﴾	جاحد لوحدانية الله عزَّ وجلَّ
﴿عَنِيدٍ﴾	معاندٌ للحق معارض له
﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾	مناعٌ للزكوات الواجبة والصدقات
﴿مُعْتَدٍ﴾	ظالمٌ باغ
﴿مُّرِيبٍ﴾	شاك في أمر البعث
﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾	ما جعلته طاغيًا متجاوزًا للحد ما أضللته
﴿ضَلَٰلٍ﴾	بُعد عن الحق وانحراف عنه

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالخلق الأول، وما المراد بالخلق الجديد؟

ج: المراد بالخلق الأول خلق الإنسان في أول مرةٍ، أي لما كان نطفة ثم علقة ثم مضغة...

وقيل: المراد خلق آدم عليه السلام.

أما الخلق الجديد فهو البعث بعد الموت، والله أعلم.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

هذه الآية الكريمة من براهين البعث، لأن من لم يعي بخلق الناس ولم يعجز عن إيجادهم الأول لا شك في قدرته على إعادتهم وخلقهم مرة أخرى، لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البدء. والآيات الدالة على هذا كثيرة جدًّا، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ [الإسراء:٥١]، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفأعجزنا وأتعبنا وأرهقنا، وأصابنا العيُّ الذي هو التعبُ والإرهاق والنَّصبُ بسبب ابتدائنا الخلق، كلا بل ما أرهقنا الخلقُ الأول ولا أعجزنا ولا أتعبنا وأهل الشرك يعرفون ذلك، يعرفون أننا خلقناهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ولكنهم في شك من البعث بعد الموت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٣]، يقول لهم جل ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخلق الأول الذي خلقناه، ولم يكن شيئًا فنعيا بإعادتهم خلقًا جديدًا بعد بلائهم في التراب، وبعد فنائهم؛ يقول: ليس يعيينا ذلك، بل نحن عليه قادرون.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ما يشك هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق الأول، ولكنهم في شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم، وبلائهم في قبورهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي: أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ والمعنى: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، وقد تقدم في الصحيح: «يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يقول: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إنه آدم عليه السلام.

وقال آخرون: إنه آدم عليه السلام وعموم ذريته، وهذا أصح وأجمع، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الله سبحانه وتعالى أعلم بالذي توسوس به النفوس فهل يؤاخذ العبد على هذه الوساوس العارضة؟

ج: لا يؤاخذ على هذه الوساوس العارضة، وذلك لقول النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمته ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ونحن أعلم به، وبالذي تُوسوس إليه به نفسه.

الثاني: ونحن أقدر عليه وأملك به وأقرب في المقدرة عليه من حبل الوريد.

---

(١) البخاري (٤٩٧٤).

(٢) البخاري (٢٥٢٨).

الثالث: أن المراد ملائكتنا أقرب إليه من حبل وريده، وهذا الأخير هو اختيار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال مقررًا ما ذهب إليه واختاره:

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ يعني: ملائكته تعالى أقربُ إلى الإنسان من حبل وريده إليه. ومن تأوله على العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٥]، يعني ملائكته. وكما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، فالملائكة نزلت بالذكر -وهو القرآن- بإذن الله، عزَّ وجلَّ. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم على ذلك، فالملك لَمّة في الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1]، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

أما الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم يورد هذا القول أصلًا بل قال: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق، والوريد عرقٌ بين الحلقوم والعلباوين، والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به، وأقرب إليه في المقدرة عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ بالعلم بما توسوس به نفسه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه وهما وريدان عن يمين وشمال روي معناه عن ابن عباس وغيره وهو المعروف

---

(١) البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

في اللغة والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسن: الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهذا تمثيل للقرب أي نحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة وقيل: أي: ونحن أملك به من حبل وريده مع استيلائه عليه، وقيل: أي: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده الذي هو من نفسه؛ لأنه عرق يخالط القلب فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب روي معناه عن مقاتل قال: الوريد عرق يخالط القلب وهذا القرب قرب العلم والقدرة وأبعاض الإنسان يحجب البعض البعض ولا يحجب علم الله شيء.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، وتوسوس به نفسه وأنه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب إليه في جميع أحواله، فيستحيي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾.

ج: في ذلك وجهان:

❁ أحدهما: أن الآية الكريمة مرتبطة بما قبلها فيكون المعنى ونحن أقرب إليه من حبل وريده عندما يتلقى المتلقيان عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، أي: أننا أعلم به وإن كنا وكلنا به ملكين وإنما وكلناهما به إلزامًا للحجة وتوكيدًا للأمر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملكان، وهما المتلقيان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به أي نحن أعلم بأحواله فلا نحتاج إلى ملك يخبر ولكنهما وكلا به إلزامًا للحجة وتوكيدًا للأمر عليه.

* الوجه الثاني: أن الآية مستقلة في معناها عما قبلها، والمعنى واذكر إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد.

أي: واذكر دومًا هذا، اذكر أن هناك ملكين ملكًا عن اليمين وملكًا عن الشمال يتلقيان الأقوال والأعمال فيكتبانها على الدوام فكن ذاكرًا لهذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا لم يقل عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، وإنما قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾؟

ج: أجاب بعض العلماء بأن هذا هو الأفصح، وهو أشد اختصارًا كذلك مع أدائه للمعنى كاملًا ولهذا أمثلة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، كقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، أي: ونساءً كثيرات أو ونساء أكثر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد، وقد ذكر من قبل متلقيان، فقال بعض نحويي البصرة: قيل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ ولم يقل: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، أي أحدهما، ثم استغنى، كما قال: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، ثم استغنى بالواحد عن الجمع، كما قال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤]. وقال بعض نحويي الكوفة: ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ يريد: قعودًا عن اليمين وعن الشمال، فجعل فعيل جمعًا، كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦] لموسى وأخيه.

❁ ❁ ❁

س: ماذا يفعل القعيد الذي عن اليمين والقعيد الذي على الشمال؟

ج: يكتبان الأعمال والأقوال.

فالذي على اليمين يكتب الحسنات، والذي على الشمال يكتب السيئات، كذا قال كثيرٌ من أهل العلم.

أخرج الطبري[1] بإسنادٍ صحيح عن مجاهدٍ قال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات، وعنده أيضًا[2] بإسنادٍ صحيح عن إبراهيم التيمي قال: صاحب اليمين أمينٌ أو أميرٌ على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب.

❁ ❁ ❁

كتابة الأعمال

س: هل كل الأقوال تكتب أم أن الذي يكتب الخير والشر فقط؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، أظهرها وأشهرها وأقربها موافقة للدليل، والله أعلم، قول من قال: إن الأقوال كلها تُكتب.

ويشهد لهذا عموم قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

---

(١) الطبري (٣١٨٥٩).

(٢) الطبري (٣١٨٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يئن أحمد حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* الوجه الثاني: أن الذي يكتب الحسنات والسيئات.

ونُقل هذا القول عن عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشاهد هذا القول أن كثيرًا من العلماء قال في الملكين: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي: أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات، فمن الذي يكتب اللغو؟!

والشاهد الثاني الذي يستدل به لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، والثالث قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

الوجه الثالث: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل الأقوال تكتب ولكن آخر اليوم، وقيل: آخر الأسبوع (يوم الخميس) يُمحى ما لم يكن حسنات ولا سيئات، وتثبت الحسنات والسيئات فقط، ولكن هذا القول يفتقر إلى الدليل الصحيح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: وجاءت شدة الموت وغلبته على فهم الإنسان حاملة الحق ومبينةً له ومظهرةً له، ذلكم الحق الذي أخبر به الله عزَّ وجلَّ في كتابه وأخبر به نبيه ﷺ في سنَّته، جاءت سكرة الموت موضحة كل ذلك، وكذا من المعنى: وجاءت سكرة الموت ومجيئها حق لا مرية فيه ولا اختلاف.

والوجه الثاني: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت أو جاءت سكرة الموت ومجيئها حق.

هذا، ومن القراء من أورد قراءة أخرى وهي: (**وجاءت سكرة الحق بالموت**).

أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن واصل عن أبي وائل، قال: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي، قالت عائشة رضي الله عنها هذا، كما قال الشاعر:

إذا حشرجت يومًا وضاق بها

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عزَّ وجلَّ: (**وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد**).

قال الطبري عقب ذلك، وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود، ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان:

أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت، فيكون الحق هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها، كما قيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٩٥]. ويكون تأويل الكلام: وجاءت السكرة الحق بالموت.

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ فتفسيره مبني على تفسير ﴿مَا﴾ هل هي اسم موصول بمعنى: الذي؟ فيكون المعنى ذلك يابن آدم الموت الذي كنت منه تفرُّ وعنه تبتعد وتهرب فقد حلَّ بك.

والثاني: أن ﴿مَا﴾ نافية، فيكون المعنى: ذلك ما كنت تستطيع الفرار منه لا الهرب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ قولان:

أحدهما: أن ﴿مَا﴾ هاهنا موصولة، أي: الذي كنت منه تحيد -بمعنى: تبتعد وتنأى وتفر- قد حل بك ونزل بساحتك.

والقول الثاني: أن ﴿مَا﴾ نافية بمعنى: ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه.

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾؟

ج: قيل: إن المخاطب هو الإنسان الكافر.

وقيل: بل عموم بني آدم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ورد ذكر سكرة الموت في حديث عن رسول الله ﷺ. ما هذا الحديث؟

ج: ذلك عندما نزل برسول الله ﷺ مرض موته.

أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه رَكوة - أو علبة فيها ماء، يشك عمر - فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى. حتى قُبض ومالت يده[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وجاءت كل نفس يوم الوعيد - الذي هو يوم القيامة - معها سائق يسوقها إلى الله عزَّ وجلَّ وشاهد يشهد عليها بما عملته في دنياها.

❁ ❁ ❁

تفسير السائق والشهيد

س: ما المراد بالسائق؟ وما المراد بالشهيد؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن السائق ملك من الملائكة، وهذا رأي أكثر المفسرين.

أما الشهيد فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أن الشهيد ملك من الملائكة أيضًا، فقد كانت الملائكة في الدنيا تشهد أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

(١) البخاري (٦٥١٠)، ومسلم.

[الانفطار: ١٠-١٢].

وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤].

الثاني: أن الشهيد الإنسان نفسه وجوارحه، فهو شاهد على نفسه، وجوارحه شاهدة عليه يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البلد: ٧-٩].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

الثالث: أن الشهيد هو رسول الله ﷺ، وكذا الأنبياء شهداء على أممهم.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأقول، وبالله تعالى التوفيق: إن الأظهر هنا أن الشهيد ملك من الملائكة، وإن كانت الجوارح تشهد، وكذا إن كان الرسول ﷺ يشهد، لكن شهادة رسول الله ﷺ وشهادة الجوارح تكون في موطن آخر غير الذي ذُكرت فيه هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لقد ظهرت لك الآن الأمور على حقيقتها، تلك الأمور التي لم تكن تتصورها حق التصور في دنياك، فقد أريناكها ظاهرةً وواضحةً وجليَّةً تراها تمام الرؤية وتبصرها تمام الإبصار، فقد تحققت أمامك غاية التحقق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك.

❁ ❁ ❁

س: من المراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد عموم الإنسان، البر والفاجر على السواء، ودليل هذا القول عموم قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾، وكذا ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾.

والثاني: أن المراد الإنسان الكافر خاصة، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

ولقوله تعالى في آيات مشابهة: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨] أي: ما أشد سمعهم وما أشد بصرهم يوم يأتوننا.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

والثالث: أن المراد بهذا رسول الله محمد ﷺ، ولكن المراد أنه قبل أن يوحى إليه القرآن وقبل أن يبعث كان في غفلة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وكما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وأظهر الأقوال في هذا المقام هو القول الأول إذ سياق الآيات يقتضيه، وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ والإنسان في هذا الموضع بمعنى: الناس كلهم، غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ وإذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ وكذا الآيات التي في معناها كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، وبين قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]؟

ج: ذلك محمول على أحد أمرين، والله أعلم:

أحدهما: أن مواطن القيامة تتعدد فيحشرون عميانًا ثم بعد ذلك يرون ما يسؤوهم وما يكرهون زيادة في تعذيبهم والتنكيل بهم.

الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ المراد منه: تحقق العلم وتيقنه ووقوعه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقرين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾؟

ج: لأهل العلم في هذا القرين أقوال:

أحدها: أن هذا القرين هو السائق أي الملك الذي يسوق الإنسان يوم القيامة.

الثاني: أنه السائق والشهيد.

الثالث: أنه الملك الذي كان موكلًا بكتابة الأعمال في الدنيا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: في ذلك أيضًا أقوال:

أحدها: هذا العمل الذي عمله هذا العبد وقد كلفتني بكتابته قد كتبته وأحضرته بلا زيادة ولا نقصان فها هو عندي مُعتَدٌّ مُحضرٌ بلا زيادة ولا نقصان.

الثاني: هذا الذي كلفتني يا رب بإحضاره من بني آدم قد أحضرته فها هو بين يديك ومعه عمله قد كتبته عليه.

❁ ❁ ❁

س: لمن وجِّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه وجِّه للملكين السائق والشهيد.

وقال آخرون من أهل العلم: إنَّه موجه للقرين المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ ومن المخاطب؟ والجواب: أن المخاطب ملك واحد، ولكنه قال: ألقيا على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين.

قال الشاعر:

فإن تزجراني يابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

وقال آخر:

خليلي مرَّا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
ألم تراني كلما جئت طارقًا وجدت بها طيبًا وإن لم تطيب

وأراد بالخليلين الواحد. وكان الحجاج إذا أمر بقتل إنسان قال: يا حرسي اضربا. وقال المبرد: معنى قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ أي: ألق ألق، فلما ثنى خاطب كما يُخاطب اثنان.

عن بعضهم: أنه يقول لملكين حتى يلقياه في النار.

❁ ❁ ❁

س: إذا كان الخطاب وجه للقرين في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ فلماذا ثُني الضمير في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾؟

ج: ابتداءً من العلماء من قال: إن الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾ موجَّهٌ إلى السائق والشهيد فعليه فلا إشكال أما إذا قلنا: إن الخطاب موجه للقرين، فوجه التثنية في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ محمول على أحد أمرين.

أحدهما: أن يكون القرين يطلق على الاثنين كما أنه يطلق على الواحد كما في قول موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦].

والثاني: أن هذه التثنية لغةٌ لبعض العرب، أحيانًا يخاطبون الواحد بخطاب المثنى، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه، وهو: يقال ألقيا في جهنم، أو قال تعالى: ألقيا، فأخرج الأمر للقرين، وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين. وفي ذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون القرين بمعنى الاثنين، كالرسول، والاسم الذي يكون بلفظ الواحد في الواحد، والتثنية والجمع، فرد قوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ إلى المعنى. والثاني: أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول، وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين، فتقول للرجل: ويلك أرحلاها وازجراها، وذكر أنه سمعها من العرب؛ قال:

وأنشدني بعضهم:

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله واجتز شيحا

قال: وأنشدني أبو ثروان:

فإن تزجراني يا بن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسي، اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه اللغة قول الشاعر:

فإن تزجراني -يا ابن عفان- أنزجر وإن تتركاني أحم عرضا ممنعا

وقيل: بل هي نون التأكيد، سهلت إلى الألف. وهذا بعيد؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: لأهل العلم فيها وجوه:

أحدها: إنه كثير المنع للزكوات المفروضة فلا يؤديها، ومعتد على الخلق باغ عليهم ظالمٌ لهم شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره.

الثاني: أنه مناع للزكوات الواجبة وكذا لسائر ما أوجبه الله عليه وكذا فإنه مناع لما استحب له فعله ظالم للعباد، وكذا معتد في الإنفاق ينفق الأشياء في غير محلها ﴿مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ شاك في أمر الآخرة وفي البعث بعد الموت.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الذي أشرك بالله فعبد معه معبودًا آخر من خلقه ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى

ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ فألقياه في عذاب جهنم الشديد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الشيطان الذي كان مقارنًا للإنسان في الدنيا وتسبب في إغوائه فيها يقول يوم القيامة متبرأً كاذبًا: يا ربنا ما أضللت هذا الشخص ولا حملته على الطغيان ولا تسببت في كفره، ولكنه كان في طريق جائرٍ حائدٍ عن الصراط ومتجهٌ إلى الباطل، وقد كان ضالًّا في نفسه زائغًا قابلًا للباطل معاندًا للحق، وقد كان مختارًا للكفر مؤثرًا له على الإسلام.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقرين في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾؟

ج: قال فريقٌ من أهل العلم، بل جمهور المفسرين: إن القرين هنا هو الشيطان الذي كان موكلًا به في الدنيا كما في الحديث: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكِّل به قرينه».

❁ ❁ ❁

س: الشيطان يتبرأ من أتباعه يوم القيامة. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق: ٢٧].

❁ ❁ ❁

س: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾؟

ج: الخطاب موجه للإنسان الكافر وللشيطان (الذي هو القرين) الذي أضلَّه وأغواه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله تعالى ذِكره يقول لهؤلاء المشركين الذي وصفهم، وكذا يقول لقرناءهم من الشياطين: لا تختصموا عندي في هذا اليوم يوم القيامة، وقد قدمت إليكم في الدنيا قبل اختصامكم هذا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني، أي: وقد أعذرت إليكم في دنياكم بأن أرسلت إليكم رسلي تحذركم من مخالفة أمري وتأمركم بتوحيدي وعبادتي وتنهاكم عن عصياني وعن الشرك بي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، وصفة قرنائهم من الشياطين ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ اليوم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا قبل اختصامكم هذا، ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ لمن كفر بي، وعصاني، وخالف أمري ونهيي في كتبي، وعلى ألسن رسلي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ أي: قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: قال فريق من العلماء: إن المعنى، قد قضيت ما أنا قاضٍ.

أما قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾، فقد قيل في معناها: لست آخذًا أحدًا بذنب

أحد، وقيل أيضًا: لا أبخس أحدًا حقًّا وقيل: كذلك لا أعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه.

هذا، ومن العلماء من قال عند قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ إن المراد أنني قد أخبرت أن الحسنة بعشر أمثالها، وقد ورد نحو هذا في حادثة المعراج عند فرض الصلوات، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا وجَّه السؤال إلى النار في قوله تعالى: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم لأن الله عزَّ وجلَّ وعد من قبل بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: ١١٩]، فتُسأل جهنم هل امتلأت وتجيب بهذا الجواب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يتضح مما ذكره النبي ﷺ في حديثه إذ قال: «يُلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط»[(١)].

وأخرج البخاري[(٢)] ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تحاجَّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عزَّ وجلَّ من خلقه أحدًا. وأما الجنة فإن الله عزَّ وجلَّ ينشئ لها خلقًا».

فهذه الأحاديث مفادها أن قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ معناه: أنها تطلب

---

(١) البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

الزيادة، ولا تمتلئ حتى يضع رب العزة قدمه فيها.

وهناك قولٌ آخر حاصله: أن قولها ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ معناه: لم يَعدْ فيَّ مكانٌ للزيادة فقد امتلأت.

وهذا مُصيّرٌ إلى أن سؤالها ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ بعد أن يضع ربُّ العزة قدمه فيها.

❁ ❁ ❁

س: على أي أساسٍ نُصب قوله: ﴿يَوْمَ﴾ من قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن هذا مرتبط بما قبله، والمعنى: وما أنا بظلَّام للعبيد يوم نقول لجهنم.. أي: أن الله عزَّ وجلَّ لا يظلم العباد شيئًا يوم القيامة، وإن كان سبحانه لا يظلم على الدوام.

الوجه الثاني: أن هنا عاملٌ في قوله: ﴿يَوْمَ﴾ وهو فعل محذوف فيحتمل أن يكون المعنى وأنذر الناس يوم نقول لجهنم هل امتلأت.. أي حذرهم هذا اليوم وخوفهم به. ويحتمل أن يكون المعنى، واذكر يوم نقول لجهنم هل امتلأت، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل هذا الكلام الذي قاله القرطبي في تفسيره صحيح، ألا وهو قوله: قال علماؤنا رحمهم الله أما معنى: القدم (يعني في حديث حتى يضع رب العزة قدمه فيها) فهم قوم يقدمهم الله إلى النار،.... إلى آخر ما ذكره القرطبي؟

ج: هذا القول ليس بصحيح، وهو من التأويلات المردودة التي لا يوافق عليها القرطبي ولا غيره.

والصحيح: إثبات صفة القدم لله عزَّ وجلَّ على الوجه اللائق به عزَّ وجلَّ مع اعتقادنا أنه سبحانه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

قال الله تعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ
ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن
لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾
وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ
تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

[ق: ٣١- ٤٥]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَأُزْلِفَتِ - لِلْمُتَّقِينَ - غَيْرَ بَعِيدٍ - هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ - أَوَّابٍ - حَفِيظٍ - مُّنِيبٍ - بِسَلَٰمٍ - يَوْمُ ٱلْخُلُودِ - قَرْنٍ - بَطْشًا - فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ - مَّحِيصٍ - لِذِكْرَىٰ - قَلْبٌ - أَلْقَى ٱلسَّمْعَ - شَهِيدٌ - لُّغُوبٍ - وَسَبِّحْ - فَسَبِّحْهُ - وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ - ٱلصَّيْحَةَ - يَوْمَ ٱلْخُرُوجِ - ٱلْمَصِيرُ - تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا - حَشْرٌ - يَسِيرٌ - بِجَبَّارٍ - وَعِيدِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَأُزْلِفَتِ﴾	قرِّبت - أُدنيت
﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا الشرك، وجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه
﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	ليست بعيدة فهي في الآخرة، وأمر الآخرة قريب وقيل: قُرِّبت من قلوبهم في الدنيا فاستحضروها وأعدوا لها عدتها، وقيل: للتأكيد (تأكيد قربها)
﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾	هذا الذي وعدكم الله به في الدنيا من الجزاء الحسن وهو
﴿أَوَّابٍ﴾	رجَّاع من معصية الله إلى طاعته - مسبِّح - مكثرٌ من التسبيح - مستغفرٌ من ذنوبه
﴿حَفِيظٍ﴾	حافظ لذنوبه مُتذكرها عارف بها مستغفر منها حفيظ لكل ما يقربه من الله محافظ على حدود الله - حفيظ لكل ما ائتمن عليه
﴿مُّنِيبٍ﴾	سليم (من الشرك) - تائب من الذنوب - خاضع راجع مما يكرهه الله إلى طاعة الله - مقبل على الله
﴿بِسَلَٰمٍ﴾	بأمان (من الهموم والأحزان والتعب والنصب وسائر الأسقام) - بتسليم من الله والملائكة عليكم

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَأُزْلِفَتِ - لِلْمُتَّقِينَ - غَيْرَ بَعِيدٍ - هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ - أَوَّابٍ - حَفِيظٍ - مُّنِيبٍ - بِسَلَٰمٍ - يَوْمُ ٱلْخُلُودِ - قَرْنٍ - بَطْشًا - فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ - مَّحِيصٍ - لِذِكْرَىٰ - قَلْبٌ - أَلْقَى ٱلسَّمْعَ - شَهِيدٌ - لُّغُوبٍ - وَسَبِّحْ - فَسَبِّحْهُ - وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ - ٱلصَّيْحَةَ - يَوْمَ ٱلْخُرُوجِ - ٱلْمَصِيرُ - تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا - حَشْرٌ - يَسِيرٌ - بِجَبَّارٍ - وَعِيدِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَأُزْلِفَتِ﴾	قرِّبت - أُدنيت
﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا الشرك، وجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه
﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	ليست بعيدة فهي في الآخرة، وأمر الآخرة قريب وقيل: قُرِّبت من قلوبهم في الدنيا فاستحضروها وأعدوا لها عدتها، وقيل: للتأكيد (تأكيد قربها)
﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾	هذا الذي وعدكم الله به في الدنيا من الجزاء الحسن وهو
﴿أَوَّابٍ﴾	رجَّاع من معصية الله إلى طاعته - مسبِّح - مكثرٌ من التسبيح - مستغفرٌ من ذنوبه
﴿حَفِيظٍ﴾	حافظ لذنوبه مُتذكرها عارف بها مستغفر منها حفيظ لكل ما يقربه من الله محافظ على حدود الله - حفيظ لكل ما ائتمن عليه
﴿مُّنِيبٍ﴾	سليم (من الشرك) - تائب من الذنوب - خاضع راجع مما يكرهه الله إلى طاعة الله - مقبل على الله
﴿بِسَلَٰمٍ﴾	بأمان (من الهموم والأحزان والتعب والنصب وسائر الأسقام) - بتسليم من الله والملائكة عليكم

﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾	المكث الدائم (في الجنة) وكذا مكث أهل النار الدائم في النار - الخلود بلا موت
﴿قَرْنٍ﴾	جماعة من الناس جمعهم شيء واحد وكانوا في زمن واحد أو متقارب
﴿بَطْشًا﴾	قوة وعددًا وتأثيرًا
﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾	خرَّقوا في البلاد - طافوا فيها - توغلوا فيها إلى آخر شيء
﴿مَّحِيصٍ﴾	مفر - مهرب (من قضاء الله وأمره وقدره) منجى
﴿لَذِكْرَىٰ﴾	لعِظةٌ - لعبرةٌ
﴿قَلْبٌ﴾	عقل يعقل به ويفهم
﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾	استمع وأنصت وفهم
﴿شَهِيدٌ﴾	مقرٌ - موقن - شهيد على صحة ما جاءت به الرسل من عند ربها
﴿لُّغُوبٍ﴾	تعب - إعياء - سآمةٌ - نصب
﴿وَسَبِّحْ﴾	صلِّ
﴿فَسَبِّحْهُ﴾	فصلِّ له
﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾	الذكر بعد الصلاة - سنة المغرب البعدية
﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾	النفخة الثانية في الصور (نفخة البعث من القبور)
﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾	يوم الخروج من القبور
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	المرجع والمآب
﴿تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾	تنشق الأرض التي دفنوا فيها فيخرجون منها
﴿سِرَاعًا﴾	مسرعين (يخرجون مسرعين)
﴿حَشْرٌ﴾	جمعٌ (للأولين والآخرين)

﴿يَسِيرٌ﴾	سهل - غير شاق
﴿بِجَبَّارٍ﴾	بمجبر لهم على الهداية
﴿وَعِيدِ﴾	تخويف، أي: تخويفي الذي خوفته به

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

أن الجنة قربت وأدنيت للمؤمنين يوم القيامة، وهذا اليوم ليس ببعيد بل هو قريب لأن كل ما هو آت قريب، وقد قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١].

والثاني: قربت الجنة من قلوبهم في الدنيا فعملوا بها واستبشروا بقدومها.

الثالث: أن قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ لتأكيد قربها.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ أي قربت، وقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾: فيه معنى التوكيد لقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ سواء أعربت ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ بأنها حال أو ظرف، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إزلاف الجنة للمتقين جاء في مواضع أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: ١٢، ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: من خاف ربَّه عزَّ وجلَّ في حال عدم رؤية الناس له، أي: أنه يخشى الله عزَّ وجلَّ وإن كان الناس لا يرونه.

الثاني: أنه خاف ربَّه عزَّ وجلَّ في الدنيا قبل أن يلقاه يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖ﴾.

ج: المراد، والمعنى، والله أعلم.

ادخلوا الجنة سالمين آمنين من الهموم والأحزان والغضب والعذاب وما كنتم تلقونه في الدنيا.

وكذلك ادخلوا الجنة مصاحبين بالسلام من الله عزَّ وجلَّ، وكذا السلام من ملائكة الله الكرام ومن خلق الله أيضًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ذلك اليوم - يوم القيامة - هو يوم المكث الدائم في الجنة لكم يا أهل الجنة جعلنا الله من أهلها وكذا فهو المكث الدائم لأهل النار في النار أعاذنا الله منها.

وفي الحديث[1] عن رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح - زاد أبو كريب: «فيوقف بين الجنة والنار»، واتفقا فى باقي الحديث - فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت - قال: - ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت - قال: - فيؤمر به فيذبح - قال: - ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالمزيد في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المزيد هو رؤية الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة.

وقال آخرون: المراد بالمزيد: الزيادة فوق ما يريدونه وما يطلبونه، كما في الحديث: «أن العبد يتمنى ويتمنى فيقال له: لك ذلك وعشرة أمثاله»، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٤٩)، واللفظ له.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولقد أهلكنا قرونًا كثيرةً قبل مشركي مكة وغيرهم من أهل الشرك، قرونًا قد خربت الأرض وسارت فيها يمينًا وشمالًا فساروا إلى أقصى الأرض شرقًا وغربًا، فهل من منجي وهل من مهربٍ ومفر؟ لقد حاصوا حيصة فلم يجدوا ملتجأً يلتجوؤن إليه ولا مهرب يهربون إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيرًا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون، ﴿هُمْ أَشَدُّ﴾ من قريش الذين كذبوا محمدًا ﴿بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول: فخرقوا البلاد فساروا فيها، فطافوا وتوغلوا إلى الأقاصي منها؛ قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ يقول جل ثناؤه: فهل كان لهم بتنقبهم في البلاد من معدل عن الموت؛ ومنجى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا.

وأضمرت كان في هذا الموضع، كما أضمرت في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمد: ١٣] بمعنى: فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم. وقرأت القراء قوله: ﴿فَنَقَّبُوا﴾ بالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر عنهم. وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك (فنقِّبوا) بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد: أي طوفوا في البلاد، وترددوا فيها، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم.

وأورد بسندٍ صحيح عن قتادة قال: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ قد حاص الفجرة فوجدوا أمر الله مُتبعًا.

وبسندٍ صحيح عن زيد بن أسلم قال: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ هل من منجي؟

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن في إهلاكنا القرون المتقدمة وما أخبرناكم به من أمرها وأمر إهلاكها لعظة يتعظ بها من كان له عَقلٌ يعقل به وقلب حيٌّ يعي به.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبل قريش ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ يتذكر بها ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ يعني: لمن كان له عقل من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم، خوفًا من أن يحل بهم مثل الذي حل بهم من العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: استمع الكلام بدقةٍ فوعاه وتفهمه وتعقله وهو حاضر السمع والقلب.

الثاني: قاله قتادة بسندٍ حسنٍ عنه عند الطبري[1] قال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ قال: يعني بذلك أهل الكتاب، وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من بعث محمد ﷺ.

الثالث: أن المراد المؤمن يسمع القرآن وهو شهيد على ذلك.

الرابع: قاله ابن زيد ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم يُعاين من الأحاديث عن الأمم التي قد مضت كيف عذَّبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قال الله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته، وألف سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه، منه إليه. فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ

---

(١) الطبري (٣١٩٥٥).

أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه: تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وأدله على المراد.

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ههنا وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩-٧٠] أي: حي القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا هو شرط التأثر بالكلام.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب قال ابن قتيبة استمع لكتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله.

فإذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

فإن قيل: إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه فما وجه دخول أداة أو في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ والموضع موضع واو الجمع لا موضع أو التي هي لأحد الشيئين؟

قيل: هذا سؤال جيد. والجواب عنه أن يقال:

خرج الكلام بأو باعتبار حال المخاطب المدعو فإن من الناس من يكون حي القلب واعيه تام الفطرة فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دله قلبه على صحة القرآن وأنه الحق وشهد قلبه بما أخبر به القرآن فكان ورود القرآن على قلبه نورًا على نور الفطرة وهذا وصف الذين قيل فيهم: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ

ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وقال في حقهم: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: ٣٥]، فهذا نور الفطرة على نور الوحي وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.

فصاحب القلب الحي بين قلبه وبين معاني القرآن أتم الاتصال فيجدها كأنها قد كتبت فيه فهو يقرأها عن ظهر قلب.

ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل ولم تبلغ حياة قلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معانيه فيعلم حينئذ أنه الحق.

فالأول: حال من رأى بعينه ما دعى إليه وأخبر به.

والثاني: حال من علم صدق الخبر وتيقنه. وقال: يكفيني خبره، فهو في مقام الإيمان، والأول في مقام الإحسان. هذا قد وصل إلى علم اليقين، وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين. وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام.

فعين اليقين نوعان: نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة. فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب، كنسبة الشاهد إلى العين. وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار. وفي الدنيا بالبصائر. فهو عين يقين في المرتبتين.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يُستدل على البعث ويُشار إليه بخلق السموات والأرض. دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠].

وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ ...﴾ [الأحقاف: ٣٣]

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ إشارة إلى معنى متكررٍ. وضح هذا المعنى؟

ج: هذا المعنى حاصله أننا عند الشدائد نستعين بالصبر والصلاة كما أمرنا الله تبارك وتعالى، إذ قال جل ذِكره: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥].

وكما قال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧]، أي: اصبر واذكر صلاة عبدنا داود وعبادته.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالتسبيح في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذلك صلاة الفجر وصلاة العصر، وهما اللتان كانتا قد فُرضتا في أول الإسلام ودلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث جرير قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني: البدر - فقال: «إنكن سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٥٥٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذلك صلاة العشاء.

وقال آخرون: إنها نافلة الليل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾. ما معناه؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بذلك النافلة يتنفلها الشخص من الليل.

❁ ❁ ❁

المراد بقوله ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهو قول جمهور العلماء أن المراد بأدبار السجود الركعتان بعد المغرب (أي: سنة المغرب البعدية).

والثاني: أن المراد الذكر بعد الصلاة كالوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من أصحاب الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضلٌ من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون... الحديث، وفيه: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين..**»[1].

الثالث: أن المراد: النوافل، وقد صح هذا عن ابن يزيد عند الطبري وغيره، قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٥)، ومسلم (٥/ ٩٣ مع النووي).

أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عم أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معني به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة، سوى عاصم والكسائي: (وإدبار السجود) بكسر الألف، على أنه مصدر أدبر يدبر إدبارًا. وقرأه عاصم والكسائي وأبو عمرو (وأدبار) بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار.

والصواب عندي: الفتح على جمع دبر.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد في فضل الركعتين بعد المغرب خبرٌ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ؟

ج: لم أقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ في فضل الركعتين بعد المغرب على وجه الخصوص، وإن كان قد ورد أن النبي ﷺ كان يصليها.

هذا، والخبر الذي أورده الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره في هذا الصدد، وهو قول النبي ﷺ لابن عباس: «ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب أدبار السجود»، فهذا خبر غير صحيح ولا ثابت عن رسول الله ﷺ، والله أعلم. وفيه أكثر من علةٍ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واستمع يا رسول الله إلى نداء المنادي الذي ينفخ في الصور.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١﴾. ما هذا المكان القريب؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه صخرة بيت البيت.

ولا أعلم دليلًا على هذا، ولا مستندًا صحيحًا له من الكتاب والسُّنَّة.

إلا أن قتادة قال: كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض.

وهذا كما يبدو مأخوذٌ من الإسرائيليات كأقوال كعب الأحبار وغيره.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصيحة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، صيحة البعث والخروج من القبور، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم - على أن الآية مرتبطة بما قبلها - وإلينا المرجع والمآب يوم تتصدع الأرض وتنشق فيخرجون منها مسرعين، وهذا الجمع - جمع الخلائق بعد إخراجهم من القبور جمعٌ سهل ويسيرٌ علينا.

أما ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال:

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: وذلك أن الله تعالى ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله، عزَّ وجلَّ: وعزتي وجلالي، لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعًا، مبادرين إلى أمر الله، عزَّ وجلَّ، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٨].

ففي هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير نظر، وكثيرٌ منه يحتاج إلى دليل لإثباته، وليس ثمَّ دليلٌ، والله تعالى أعلم.

هذا، ثم قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٢]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» وقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨].

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الداعي، جاء موضحًا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي يسرعون، وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر: ٧، ٨] الآية، فقوله: ﴿مُّهْطِعِينَ ﴾، أي: مسرعين مادي أعناقهم على الأصح، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾. ما الذي يقولونه؟

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك قولهم عن الله عزَّ وجلَّ أن له شريكًا أو أن له صاحبة أو أن له ولدًا، وكذا قولهم -عن رسول الله ﷺ-: إنه مجنون وساحر، وإنه كذاب، وإنه كاهن، وإنه مفترٍ، وإنه يتلو أساطير الأولين، وأنه يعلمه بشرٌ، وكذا قولهم عن القرآن: إنه أساطير الأولين، وكذا إنكارهم للبعث والمعاد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، نحن يا رسول الله أعلم بالذي يقولونه ويفترونه ويدعونه لا يخفى علينا منه شيء وسنحاسبهم على ذلك.

س: في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ نوع مواساة لرسول الله ﷺ. وضح ذلك؟

ج: نعم، في ذلك نوع مواساة وتطييبٌ لخاطر رسول الله ﷺ، فإذا كان رسول الله ﷺ يؤذى وأُخبر أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما أصابه من أذى وحزنٍ وهمٍّ وغمٍّ، فإن ما به من أذى وحزنٍ وهمٍّ وغمٍّ كل ذلك يزول، وذلك لكونه يعلم أن الله مولاه وأنه ناصره وأنه قادر على هؤلاء الذين يؤذونه وينالون منه.

ولذلك فقد ذُكِّر النبي ﷺ بمثل ذلك مرارًا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ونحوه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

❁ ❁ ❁

س: لا يملك أحدٌ من البشر هداية أحدٍ ولا توفيقه ولا إجباره على الإيمان، ولا حتى رسول الله ﷺ. دلِّل على ذلك.

ج: نعم، هداية التوفيق لا يملكها أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ هو الذي يهدي وهو الذي يضل.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢].

❁ ❁ ❁

س: يستحب التذكير بكتاب الله عزَّ وجلَّ والإكثار من ذلك. دلِّل على ذلك.

ج: نعم، يستحب التذكير بكتاب الله عزَّ وجلَّ فهو أولى من القصص والخرافات والحكايات، وقد وردت الأدلة بذلك كثيرة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

فهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تفسير سورة الأحقاف

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢﴾.	٥

البيان لكون السموات والأرض لم تُخلقا عبثًا ٨

ضلال من دعا غير الله عزَّ وجلَّ ١٤

شهادة الشاهد الإسرائيلي للنبي محمد ٢٧

مناقب الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ۝٢٠﴾.	٣٧

المراد ببلوغ الأشد ٤١

ذكر نبي الله هود عليه السلام مع قومه ٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٢٨﴾.	٥٣

المشروع عند هبوب الرياح ورؤية الحب ٥٩

استماع الجن للقرآن ٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾.	٦٨

بعض استدلالات على البعث ٧٩

أولو العزم من الرسل ٨٠

الموضوع الصفحة

سورة محمد

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾.	٨٦

تفاوت الكفار في العذاب ٨٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾.	٩٣
تفسير قوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾.	١٠٧

وصف أنهار الجنة ١١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾.	١٢٣
تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾.	١٣٣

استغفار النبي وسائر الأنبياء لأنفسهم وأممهم ١٣٥

توجيه المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ١٣٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾.	١٣٩

بعض الوارد في التحذير من قطع الرحم ١٤٦

من ترك الحق ابتلي بالباطل ١٤٨

الموضوع	الصفحة

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.	١٥٢

الحث على تدبر القرآن ١٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.	١٦٥

سنة الابتلاء والاختبار ١٧١

سورة الفتح

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.	١٨٨

فضل سورة الفتح ١٩٠

المراد بالفتح ١٩٢

المراد بالذنب المتقدم والمتأخر ١٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾.	١٩٨

بعض الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه ٢٠١

بعض صور الظن السيئ ٢٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾.	٢٠٦

الموضوع	الصفحة
تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَمَن يَتَوَلَّىٰ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.	٢٠٨
تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.	٢٢٧

بعض الوارد في صلح الحديبية ٢٣٣

بعض المستفاد من صلح الحديبية ٢٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.	٢٥٧
تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.	٢٧١

بعض أوصاف أصحاب رسول الله في التوراة والإنجيل والأمثال المضروبة لهم ٢٧٨

سورة الحجرات

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.	٢٨٧

آداب حملتها سورة الحجرات ٢٨٨

ومن آداب التخاطب ٢٩١

النهي عن تقديم الآراء والأهواء على الكتاب والسنة والتحذير من ذلك ٢٩٣

تأدب الصحابة رضي الله عنهم بعد نزول الآية على رسول الله ٢٩٩

الموضوع	الصفحة

شيءٌ من فضل ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ٣٠٠

بعض محبطات الأعمال ٣٠١

توقير رسول الله والثناء عليه والحث على اتباع أمره ٣٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٨﴾.	٣١٢

التثبت من الأخبار ٣١٣

سبب نزول الآية الكريمة ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ...﴾ وبعض الأحكام المتعلقة بالفسق ٣٢٠

الخير في اتباع سنة رسول الله ٣٢٥

مسألة الوصال من السفر ٣٢٧

المهتدي من هداه الله ٣٣٢

الالتفات في الخطاب ٣٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾.	٣٣٨

بحث سريع في قتال الفئة الباغية ٣٤١

أُخوة أهل الإيمان ٣٥٠

الحثُّ على الإصلاح بين الناس ٣٥٦

الاستئناف في الأحكام ٣٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾.	٣٦٣

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ ٣٧٢

الموضوع	الصفحة
حكم من قال لأخيه: يا كافر أو يا منافق	٣٧٥
باب في الغيبة	٣٨٦
بعض الوارد في التحذير من الغيبة وبيان إثم المغتابين	٣٨٧
النميمة وإثم النمام	٣٨٩
الغيبة وإفطار الصائم	٣٩١
الغيبة والوضوء	٣٩١
بعض وسائل التخلص من الغيبة	٣٩١
ما يفعله من جلس مجلسًا يُغتاب فيه المسلمون	٣٩٤
ولا يغتاب الأموات	٣٩٨
وكذلك الصبي والمجنون لا يُغتابان	٣٩٩
حكم اغتياب الكافر والذمّي	٤٠٠
تحلل الشخص ممن اغتابه	٤٠٠
باب كفارة الغِيبة والتوبة منها	٤٠٢
الجائز من الاغتياب	٤٠٢
باب بيان ما يباح من الغِيبة	٤٠٤
باب النهي عن الألقاب التي يكرهها صاحبها	٤١١
طلب الإعانة لإزالة المنكر	٤١٥
أبواب في الكفاءة في النكاح	٤٢٤
تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨﴾.	٤٢٩

الموضوع | الصفحة

في الإيمان والإسلام ٤٣٢

إجراء الأحكام على الأغلب ٤٤٠

تعدد صور الجهاد في سبيل الله ٤٤٢

سورة ق

تفسير قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾.	٤٤٤

بداية المفصل ٤٤٦

التنبيه على بعض خرافات بني إسرائيل ٤٤٧

الحث على التدبر والتفكر في آيات الله ٤٥٥

بعض الأدلة على البعث ٤٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾.	٤٦٣
تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.	٤٦٦

كتابة الأعمال ٤٧٤

تفسير السائق والشهيد ٤٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ ....﴾. إلى قوله تعالى: ﴿....فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾.	٤٨٨

المراد بقوله ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ ٤٩٨

الفهرس ٥٠٥

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء الذاريات

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء الذاريات

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

جُزْءُ الذّارِيَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)

رقم الإيداع

(١٩٨٤١ / ٢٠٠٦)

مكتبة مكة بطنطا

١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - جوال : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذا تفسير الجزء السابع والعشرون من كتاب الله عز وجل ـ ألا وهو جزء الذاريات ـ في صورة سؤال وجواب، ضمن سلسلة التفسير الموسومة بـ **(التسهيل لتأويل التنزيل)** والتي قد صدر منها ـ ولله الحمد ـ إلى الآن سبعة عشر مجلدًا من سور متفرقة.

فأقدم ـ مستعينًا بالله عز وجل، مستهديًا إياه ـ هذا الجزء على غرار ما قد سبق، وقد تناولت فيه بعض المباحث بشيء من الاتساع.

من ذلك المباحث المتعلقة بالجنة والنار (في سورة الرحمن).

وكذا بعض المباحث الفقهية الأخرى، كمسألة مس المصحف لغير المتوضئ، ومس الجنب له، وذلك في سورة الواقعة.

وكذا ما يتعلق بالأعمال التي تنفع الميت ويصل ثوابها إليه، كما في سورة النجم.

إلى غير ذلك من الباحث الفقهية والعقائدية التي يجدها القارئ في ثنايا هذا الجزء.

أما عن سائر خطة العمل: فكما أسلفت فإنها المتبعة في تفسير السور التي صدرت من هذه السلسلة.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفعني به والإسلام

والمسلمين، كما أسأله سبحانه أن يوفقني لتفسير كتابه على الوجه الذي يرضى به عني، وأن يتجاوز عن خطئي وهفواتي وعمدي، وسري وجهري، وكل ذلك عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه.

هذا، وما كان من صواب في هذا العمل فمن الله عز وجل وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وسبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا، إنه هو العليم الحكيم.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

هذا، ومن له نصح من إخواني أهل العلم وطلبته فجزاه الله خيرًا على تفضله بتوجيه النصح.

وصلِّ اللهمَّ على نبينا محمد وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

تفسير سورة الذاريات

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾

اذكر معنى ما يلي:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ـ ذَرۡوٗا ـ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ـ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ ـ يُسۡرٗا ـ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ـ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ـ لَصَادِقٞ ـ ٱلدِّينَ ـ لَوَٰقِعٞ ـ ٱلۡحُبُكِ ـ مُّخۡتَلِفٖ ـ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ـ قُتِلَ ـ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ـ غَمۡرَةٖ ـ سَاهُونَ ـ أَيَّانَ ـ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ـ يُفۡتَنُونَ ـ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾

الكلمة	معناها
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾	الرياح[1] التي تذرو التراب ـ أي تُهيجه وتُطيّره. أما الواو فهي واو القسم.
﴿ذَرۡوٗا﴾	تهييجًا ـ تطييرًا ـ تذرية.
﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾	السحب التي تتحمل وقرها من المطر أوالسحب الممتلئة بالمياه. وقيل: الرياح الحاملة للسحب.

(١) وقد صح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال هي الرياح، فعند الطبري (٣٢٠١٣) بسند صحيح عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًّا يقول: لا تسألوني عن كتاب نافق ولا عن سنةٍ ماضية إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال: هي الرياح. ويشهد لقول علي رضي الله عنه ما ورد في الحديث: «اللهم رب الرياح وما ذرين..».

	والوقر: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن. والوقر أيضًا الحمل، وقد قيل في الحاملات وقرًا قول آخر بعيد ههنا وهو الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل.
﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾	السفن[١]
﴿يُسْرًا﴾	سهلًا ـ يسيرًا[٢] ـ جريًا ذا يُسر. فالمراد بالجاريات يسرًا: السفن التي تجري في البحر جريًا سهلًا يسيرًا.
﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾	الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه[٣] .
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾	إن الذي يعدكم الله به.
﴿لَصَادِقٌ﴾	لصدق ـ لكائن حق يقين ـ لمتحقق.
﴿ٱلدِّينَ﴾	الجزاء والحساب.
﴿لَوَٰقِعٌ﴾	لكائن
﴿ٱلْحُبُكِ﴾	الخلق الحسن ـ الطرائق ـ ذات الاستواء والحسن[٤] . البنيان المتقن ـ التماسك الشديد[٥] ـ الزينة.
﴿مُّخْتَلِفٍ﴾	متخالف متناقض.

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية﴾.

(٢) وفي جريها يُسرًا وجهان: أحدهما إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع، والثاني: هو سهولة تسييرها، قاله القرطبي.

(٣) صح ذلك عن علي رضي الله عنه (٣٢٠٢١).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٢٠٤٠)، (٣٢٠٤١)، وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم الكذاب المُضل، و إن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبكٌ» يعني بالحبك الجعودة.

(٥) ومنه هذا الشيء محبوك أي: مشدود بعضه إلى بعض.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	يُصرف عن هذا القرآن من صُرف. يُضَل عنه من ضل[١]. لا يؤمن به من قُدِّرت عيه الشقاوة. ويُضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمْر لا فهم له.
﴿قُتِلَ﴾	لُعن ـ هلك.
﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[٢]	المتكهنون ـ المرتابون ـ الكذابون ـ الذين يتكلمون كذبًا بناءً على الظنون الباطلة (الذين يقولون: لا نبعث)، الآخذون بالتخمين مع ترك الدلائل.
﴿غَمْرَةٍ﴾	ما يغمرهم من الضلال ـ (أي أنهم مغمورون في الضلالة والعمى التي غمرتهم)، والغمرة تطلق على ما ستر الشيء وغطَّاه، ومنه نهرٌ غمرٌ أي يغمر من دخله.
﴿سَاهُونَ﴾	لاهون ـ غافلون.
﴿أَيَّانَ﴾	متى.
﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	يوم المجازاة والحساب، والثواب والعقاب. (وهو يوم القيامة) اليوم الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم.
﴿يُفْتَنُونَ﴾	يعذبون بالإحراق بالنار[٣].
﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾	ذوقوا عذابكم وحريقكم[٤] ـ ذوقوا جزاء تكذيبكم.

❁❁❁

(١) وهناك قول آخر وهو: يُصرف عن هذا الاختلاف من صُرف.

(٢) روي عن قتادة (٣٢٠٦٩) بإسنادٍ حسن أنه قال: ﴿قتل الخراصون﴾ قال: أهل الظنون.

(قلت): ومن التخرص: قولهم إن محمدًا شاعرًا أو كاهن أو مجنون أو كذاب، ومن التخرص قولهم لا بعث ولا ثواب ولا عقاب.

(٣) ورد نحو ذلك عن عكرمة عند الطبري (٣٢٠٨٢).

(٤) روي ذلك عن قتادة عند الطبري (٣٢٠٩١، ٣٢٠٩٢) بإسنادٍ حسن.

س: وضح ـ بصورةٍ مجملةٍ ـ ما تضمنته هذه السورة المباركة «سورة الذاريات»؟

ج: افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بقسم من الله عز وجل، فقد أقسم الله عزَّ وجل فيها ببعض مخلوقاته العظيمة كالرياح والسحب المحملة بالماء والسفن الجارية بتيسير الله عز وجل لها، وكذا بالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه وتجري في الخلق ما قدره الله وقضاه، أقسم بكل ذلك على أن ما يعدنا الله به صدقٌ ومتحققٌ وأقسم بذلك أيضًا على أن البعث والحساب آتٍ وكائن لا محالة.

ثم أقسم الله عز وجل قسمًا آخر بالسماء ذات الحسن والاستواء وذات الطرائق، وذات التماسك الشديد على أن المشركين في قولٍ مختلف وآراء متعددة في شأن القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، يهتدي للحق في ذلك من هداه الله، ويُصرف عنه من صرفه الله.

ثم دعاءٌ باللعن على الكذابين الذين يتقولون بغير علم ويقذفون بالظنون ويصفون القرآن بغير أوصافه وكذا يصفون النبي ﷺ بغير أوصافه، ووعيدٌ شديدٌ لهم على هذا التخرص والكذب.

ثم في المقابل بيان حال المتقين وأعمالهم لعل متأسيًا أن يتأسى بهم وعاملاً أن يعمل بعملهم، وإرشاد وحثٌّ على النظر في آيات الله وتدبرها، ثم يقسم الله عزَّ وجل على صدق نبيه محمد ﷺ وأن ما أخبر به صدق وحق.

ثم تذكير بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع الملائكة وما حوته تلك القصة من الآداب والبشارات، ثم ذِكر طائفة من الأنبياء وأممهم المعاندين لهم وكيف كانت مصائرهم، ثم تذكير بعظيم المخلوقات كالسماء والأرض، ومنن الله على العباد في ذلك وحث على الرجوع إلى الله والفرار إليه والتحذير من الشرك وبيان أحوال المكذبين، وحث على التذكير وبيان الغاية التي من أجلها خُلِقَ بنو آدم، ألا وهي توحيد الله عزَّ

وجل وطاعته، وبيان غنى الله عزَّ وجل عن عباده ثم تحذير وتهديد ووعيد لأهل الكفر المصرين على التمرد والعناد المنكرين للبعث والنشور، وأنه سيحل بهم من النكال والعقاب مثل ما حل بأمثالهم. والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾؟

ج: هذا قَسَمٌ من الله تبارك وتعالى، فيُقسم ربنا تبارك وتعالى بالذاريات وهي الرياح وبالسحب، وبالسفن التي تمخر البحار، وبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن ربها، يُقسم ربنا سيحانه وتعالى بهذه المخلوقات العظيمة على أن البعث آتٍ وعلى أن القرآنَ حق.

قال السعدي رحمه الله:

هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع.

فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه فلم يكذب به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ هي: الرياح التي تذرو، في هبوبها ﴿ذَرۡوٗا﴾ بلينها، ولطفها، وقوتها، وإزعاجها.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ هي: السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به العباد والبلاد.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها

السموات، ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا والآخرة، لا يتعدى ما حُدَّ له وقُدِّر، وَرُسِم، ولا يُنقص منه.

❁❁❁

س: لماذا أقسم الله بهذه المخلوقات؟

ج: أقسم الله بهذه المخلوقات لشرفها، ولما فيها من الدلالات على عظيم قدرته وعجيب صنعته، فالذي صرَّف الرياح وخلق الملائكة، وكلفها بالذي كلفها به قادرٌ على البعث.

❁❁❁

س: أقسم الله تبارك وتعالى بالسماء ذات الحبك فأين جواب ذلك القسم؟

ج: جوابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

❁❁❁

س: ما الحكمة في تكرير القسم في الآيات السابقة؟

ج: قال الرازي رحمه الله (تفسير الفخر الرازي):

قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة والمطالب العظيمة في سورة والصافات، ونعيدها ههنا وفيها وجوه:

الأول: أن الكفار كانوا في بعض الأوقات يعترفون بكون النبي ﷺ غالبًا في إقامة الدليل وكانوا ينسبونه إلى المجادلة وإلى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله، وأنه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال، كما أن بعض الناس إذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة، يقول: إنه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزي عن ذلك، وهو في نفسه

يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين، فيقول: والله إن الأمر كما أقول، ولا أجادلك بالباطل، وذلك لأنه لو سلك طريقًا آخر من ذكر دليل آخر، فإذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الأول: إن ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى إلا السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان.

الثاني: هو أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع الديار بلاقع، ثم إن النبي ﷺ أكثر من الأيمان بكل شريف ولم يزده ذلك إلا رفعة وثباتًا، وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذبًا، وإلا لأصابه شؤم الأيمان ولناله المكروه في بعض الأزمان.

الثالث: وهو أن الأيمان التي حلف الله تعالى بها كلها دلائل أخرجها في صورة الأيمان، مثاله قول القائل لمنعمه: وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك، فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر، ويسلك مسلك القسم، كذلك هذه الأشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الإعادة، فإن قيل: فلم أخرجها مخرج الأيمان؟ نقول: لأن المتكلم إذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغي إليه أكثر من أن يصغي إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف وأدرج الدليل في صورة اليمين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين، والتبيان المتين في صورة اليمين، وقد استوفينا الكلام في سورة والصافات.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس مؤمنكم وكافركم مختلفون في هذا القرآن، فمنكم ـ وهم أهل الإيمان ـ من يصدِّق به، ومنكم ـ وهم أهل الكفر ـ من يُكذِّب به.

الثاني: إنكم يا أهل الكفر مختلفون في هذا القرآن فمنكم من يقول: هو قولُ

شاعرٍ، ومنكم من يقول: إنه قولُ كاهنٍ، ومنكم من يقول إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، ومنكم من يقول: أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلًا... إلى غير ذلك من الأقوال.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب القسم الذي هو ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ أي إنكم يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في محمد والقرآن فمن مصدّق ومكذّب.

وقيل: نزلت في المقتسمين.

وقيل: اختلافهم قولهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه بل هو مجنون، بل هو كاهن بل هو أساطير الأوّلين.

وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه.

وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة:

الأول: إنكم لفي قول مختلف، في حق محمد ﷺ، تارة تقولون: إنه أمين، وأخرى: إنه كاذب، وتارة تنسبونه إلى الجنون، وتارة تقولون: إنه كاهن وشاعر وساحر، وهذا محتمل لكنه ضعيف، إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا، لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد بيمين.

الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أي غير ثابتين على أمر، ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنًا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى: والسماء إنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم، وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي ﷺ: إنك تعلم أنك غير صادق في قولك، وإنما تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ أي: إنك صادق ولست معاندًا، ثم قال تعالى: بل أنتم والله جازمون بأني صادق فعكس الأمر عليهم.

الثالث: إنكم لفي قول مختلف، أي متناقض، أما في الحشر فلأنكم تقولون: لا حشر ولا حياة بعد الموت، ثم تقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت: فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموهم؟ وإنما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذابًا فلو علمنا شيئًا يكرهه الميت يبدي فلا معنى لقولكم: إنا لا ننسب آباءنا بعد موتهم إلى الضلال، وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الأكابر، وأما في التوحيد فتقولون: خالق السموات والأرض هو الله تعالى لا غيره، ثم تقولون: هو إله الآلهة وترجعون إلى الشرك، و أما في قول النبي ﷺ فتقولون: إنه مجنون، ثم تقولون له: إنك تغلبنا بقوة جدلك، والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز، إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة.

❁❁❁

س: هل من وجه للربط بين القسم بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: أشار بعض أهل العلم إلى مناسبة بينهما فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قسم بالسماء ذات التماسك الشديد والتناسق البديع، والطرائق والممرات والمسارات التي ليس بينها اختلاف، يقسم ربنا بذلك على أن هؤلاء القوم مختلفون فيما بينهم؛ فخلق السماء متناسق رغم اتساعها وكبر حجمها وعظمتها، وأنتم يا أهل الكفر في اختلاف وشقاق.

❁❁❁

س: المهتدي للإيمان والقرآن من هداه الله، والمنصرف من صرفه الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:١٢٧].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ هذا دعاء عليهم، وحكى الواحدي عن المفسرين جميعًا: أن المعنى لعن الكذابون، والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف، وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل: أجري مجرى اللعن، واستعمل بمعناه تشبيهًا للملعون. الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة، وكل نعمة، وقال ابن الأنباري: والقتل إذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك. قال الفراء معنى قُتِل: لُعِن، وفي القاموس ما يقتضي أن قتل يأتي بمعنى لعن، ونصه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧] أي: لعن ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون:٤] أي لعنهم، والخراصون الكذابون، الذين يتخرصون فيما لا يعلمون، فيقولون: إن محمدًا مجنون كذاب شاعر ساحر.

قال الزجاج: الخراصون هم الكذابون، والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرًا والخراص الذي يخرصها، وليس هو المراد هنا، قال ابن عباس في الآية: لعن المرتابون، وعنه قال: هم الكهنة وقيل: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة

ليصرفوا الناس عن الإسلام.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، الذين هم مغمورون في الضلالة غارقون فيها، ساهون ومتغافلون عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ، قد لَهوا عنه.

هذا، وقد أخرج الطبري[1] بسندٍ صحيح عن ابن زيدٍ في قوله: ﴿فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾... الآية [المؤمنون:٦٣]، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال ﴿سَاهُونَ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، هذا العذاب الذي تعذبون وهذه النار التي تصلون هو الذي كنتم تنكرونه في دنياكم وتسألون ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟

وكما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج:٤٧].

هذا، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي يُقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٠٧٥).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُتَّقِينَ - جَنَّٰتٍ - وَعُيُونٍ - ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ - يَهْجَعُونَ - وَبِٱلْأَسْحَارِ - يَسْتَغْفِرُونَ - لِّلسَّآئِلِ - وَٱلْمَحْرُومِ - ءَايَٰتٌ - لِّلْمُوقِنِينَ﴾ .

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم بطاعته واجتناب معاصيه.
﴿جَنَّٰتٍ﴾	بساتين.
﴿وَعُيُونٍ﴾	عيون ماء.
﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	قابلين ما رزقهم الله في الجنة، وما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات وراضين به.

﴿يَهْجَعُونَ﴾	ينامون[١]، والهجوع النوم ليلاً.
﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾	أواخر الليل.
﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾	يطلبون من الله المغفرة.
﴿لِلسَّائِلِ﴾	الذي يسأل الناس.
﴿وَالْمَحْرُومِ﴾	هو الذي حُرم المال ثم للعلماء في تعيينه أقوال منها: الذي ليس له في الإسلام سهم. الذي ليس له سهم في الغنيمة. المتعفف الذي لا يسأل ربه[٢]. الذي ذهب ثمره وزرعه[٣] وماله.
﴿آيَاتٌ﴾	عِبرٌ وعظات ـ دلالات.
﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾	أهل اليقين ـ الذين يوقنون بما أخبرهم به ربهم كأنهم يرونه رأي العين.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن هؤلاء المتقين كانوا في دنياهم عاملين بطاعة الله آخذين ما أمروا به بجدٍّ واجتهاد مقيمين للفرائض ليسوا بمضيعين لها.

وذلك كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] أي اقبله واعمل بما فيه

---

(١) والذي اختاره ابن جرير في (ما) أنها مصدرية وقوله: ﴿ما يهجعون﴾ أي هجوعهم أي نومهم كان قليلاً بالليل، وثمَّ قول آخر: أن ما نافية، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، قلَّما يرقدون ليلة حتى الصباح.

(٢) انظر الطبري رحمه الله (٤٥٩).

(٣) مستنده قول أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿بل نحن محرومون﴾.

بجدٍّ واجتهادٍ، ومبادرة وامتثال.

أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي كانوا أيضًا قبل أن تفرض عليهم الفرائض مطيعين لله محسنين في أفعالهم فاعلين النفل قبل الفرض.

هذا، وهناك قولٌ آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهو أقوى من القول الأول، وأولى منه، ألا وهو أن قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ منصوب على الحال فالمعنى في جناتٍ وعيونٍ في حال أخذ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم ربهم من الكرامات في الجنات، فقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي قابلين ما تفضل به عليهم ربهم راضين به شاكرين له حامدين.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرَّت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلًا، ولا يبغون عنه حولًا، وكلٌّ قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد.

والمعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، أن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم. وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع، والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من وجوه البر، وطرق الخيرات، حتى

إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين والإحسان إلى المماليك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؟

ج: صح[1] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء.

وصح عن مطرفٍ أنه قال: قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها، وفي رواية أخرى عنه: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله، إما من أوَّلها، وإما من وسطها.

وصح عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلًا. ونحوه صح عن الأحنف بن قيس.

وثَمَّ أقوال أُخر تدور في هذه المعاني:

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقرّبهم منه ويرضيه عنهم، أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

---

(١) الطبري (٣٢١٠١).

ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجوع: النَّوم بالليل دون النهار. وفي (ما) قولان:

أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: **أحدهما**: كانوا يسهرون قليلًا من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: وهو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلًا من الليل. واختار قومٌ الوقفَ على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلًا، ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى نفي النوم عنهم البتَّة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل.

والقول الثاني: أن (ما) بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلًا من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري. وعلى هذا يحتمل أن تكون (ما) زائدة.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل قيام الليل؟

ج: قد تقدم من ذلك شيءٌ كثير في تفسير سورة المزمل عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:٢] ، وإضافة إلى ما هنالك فقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] على قولٍ لبعض المفسرين.

وقال ﷺ: «**لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل...**» الحديث[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

وقال ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر»[١].

وقال ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»[٢].

وقال ﷺ: «**وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[٣].

وثَمَّ أدلة أخرى تأتي في موطنها إن شاء الله.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل الاستغفار عند السحر؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[٤].

❁❁❁

س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وقوله: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؟

ج: ذكر البعض مناسبةً لذلك حاصلُها أنهم يقومون من الليل يصلون، ويستغفرون لتقصيرهم في هذا القيام، قالوا: وهذا شأن أهل الإيمان يعملون صالحًا ويسألون ربهم المغفرة والقبول.

---

(١) أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح (حديث ١٤١٦).

(٢) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) مسلم (١١٦٣).

(٤) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٣٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ ومع ذلك يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآيات [البقرة:١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٥].

قال الرازي رحمه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به.

وفيه وجه آخر ألطف منه، وهو أنه تعالى لما بين أنهم يهجعون قليلًا، والهجوع مقتضى الطبع، قال: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي من ذلك القدر من النوم القليل، وفيه لطيفة أخرى تنبيهًا في جواب سؤال، وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوع، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا كثيرًا من الليل ما يسهرون، فما الحكمة فيه، مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع؟ نقول إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلًا، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهو الاستغفار في وجوه الأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار.

❁❁❁

س: ما المراد بهذا الحق؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه الزكاة المفروضة.

الثاني: أنه حق آخر جعلوه على أنفسهم غير الزكاة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة، وقيل: إنه حقّ سوى الزكاة يصل به رَحمًا، أو يَقري به ضيفًا، أو يحمل به كَلاًّ، أو يغني محرومًا، وقاله ابن عباس؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة، ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة «المعارج»: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بيَّن الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدَّر ولا مجنَّس ولا موقَّت.

❁❁❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث «للسائل حق وإن جاء على فرس»؟ ومن أخرجه؟

ج: هذا الحديث لا يثبت بوجه من الوجوه عن رسول الله ﷺ في كل الطرق التي وقفت عليها فكلها طرق ضعيفة الأسانيد وتالفة، وقد أخرج بعضها أبو داود[1] في سننه، وأحمد[2] في مسنده وابن عدي في الكامل وغيرهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وفي الأرض عبرٌ وعظاتٌ لأهل اليقين وأهل الإيقاظ وأهل الاعتبار، وذلك إذا ساروا في الأرض ونظروا نظر المعتبرين المتعظين.

---

(١) انظر سنن أبي داود (١٦٦٥، ١٦٦٦)،

(٢) وأحمد في المسند (١/ ٢٠١).

وكذا فيها دلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، وعظمتنا يستدل بها أهل اليقين الذين يوقنون بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا هم ساروا فيها ومشوا في مناكبها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عَظَمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقُوَى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحَلِّ الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَرَف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ لما ذكر أمر الفريقين بيّن أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فمنها عود النبات بعد أن صار هشيمًا، ومنها أنه قدَّر الأقوات فيها قوامًا للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذِّبة، والموقنون هم العارفون المحقّقون وحدانية ربهم، وصدق نبوّة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وفي أنفسكم أيها الناس عبرٌ وعِظاتٌ ودلالاتٌ على قدرتنا ووحدانيتنا وعظمتنا ومن هذه العِبر والعظات ما يراه الشخص في نفسه عند إرادته أن يبول.

وإذا نظر كذلك إلى خروج المني، وكذلك إذا انظر إلى عضلات التحكم في نفسه، وكيف يبزق وكيف يمتخط وكيف العطاس، وكذا إذا نظر إلى تراكيب جسمه، وإلى لونه وكيف يختلف فيه عن سائر الناس، وإلى بصماته، وإلى المحبة المقذوفة في قلبه لأشخاص، وإلى بعض أشخاصٍ آخرين وإلى عقله وكيف يفكر، وكذا إلى نومه واستيقاظه، وقيامه وقعوده، وعموم أحواله، إذا نظر إلى ذلك كله يوجد في ذلك عبرٌ وعظاتٌ، ودلالات على وحدانية الله عزَّ وجلَّ.

هذا، وقد صح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] قال: وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟

قال الطبري[1] رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضًا أيها الناس آيات وعبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل، فإنه خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، إلى أن ينفخ فيهم الروح، ثم تختلف بعد ذلك صورهم، وألوانهم، وطبائعهم، وألسنتهم، ثم نفس خلقهم على هذه الصورة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس

---

(١) الطبري (٣٢١٧٩).

ومجاري ومنافس، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها، دع الأسماع والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح، وتأتّيها لما خلقت له، وما سوى ذلك في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وقيل: يريد اختلاف الألسن والصور والألوان والطبائع، وقيل يريد سبيلي الغائط والبول، يأكل ويشرب، من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين، وقيل: المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات، ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء، بل اللفظ أوسع من ذلك.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: تنظرون بعين البصيرة والعبرة الأرض وما فيها، والأنفس وما فيها، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا ضد، ولا ند، وأن وعده الحق، وقوله الحق، وأن ما جاءت إليكم به رسله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين، وقال قتادة: المعنى: من سار في الأرض رأى آياتٍ وعبرًا، ومن تفكر في نفسه علم أنه خُلق ليعبد الله.

ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول، وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنًا محضًا لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس، وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

السدي: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهَرَم بعد الشباب، والضعف بعد القوّة، والشيب بعد السواد.

وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصُّوَر، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصَّت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتِّيها لما خُلِقت له، وما سَوَّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، وأنه إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنه نُجْح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار، وقد قدَّمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالَم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

❁❁❁

س: ما المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾؟

ج: قال عدد مِن العلماء: المراد بالرزق هنا المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض ثمرتها وتخرج للناس رزقهم وقُوتَهم من الطعام.

وقال آخرون: المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم.

ونُقل[1] هذا التأويل عن واصل الأحدب.

---

(١) وهو عند الطبري (٣٢١٨٦) بسندٍ فيه ابن حميد وفي ابن حميد ضعفٌ.

وثمَّ وجه آخر: ألا وهو أن الرزق مكتوب عند الله عزَّ وجل وقد استفاض في ذلك القرطبي فقال: قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق.

قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة فإنها من الثلج، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرَمونه بخطايكم.

وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إذا سقَط السماءُ بأرضِ قَوْمٍ رعيناه وإن كانوا غِضَابَا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى ربِّ السماء رزقكم؛ نظيره: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم.

وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خَرِبة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا فإذا هو في الثالثة بدوخلةٍ رُطبٍ، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرَّق الله بالموت بينهما، وقرأ ابن محيصن ومجاهد ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رَازِقُكُم﴾ بالألف وكذلك في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة.

وقيل: الشر خاصة، وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة. الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار.وقال ابن سيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة، وقاله الربيع.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ وفي السماء الذي توعدون به.

قال بعض العلماء: ما توعدون به من خيرٍ، وهو الجنة، فالجنة في السماء.

وقال غيرهم: وما توعدون به من خيرٍ أو شرٍّ.

وقال آخرون: وما توعدون من الجنة والنار.

والذي يظهر أن النار ليست في السماء إنما هي في سبع أرضين.

إلا أن الطبري ذهب إلى ما رُوي عن مجاهد من أن قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال: وما توعدون من خيرٍ أو شرٍّ فقال الطبري: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الذي قاله مجاهد لأن الله عمَّ الخبر بقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ عن كل ما وعدنا من خير أو شرٍّ، ولم يخصص بذلك بعضًا دون بعض فهو على عمومه كما عمه الله جل ثناؤه.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد[1]. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمر مجازه: عند مَنْ في السماء رزقُكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضْمر، قال نابغة ذبيان:

كأنَّكَ مِنْ جِمالِ بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

أراد: كأنك جملٌ من جمال بني أُقَيش.

❁❁❁

(١) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه، وكذا الأسانيد التي قبله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد فيها كلام.

س: أين الجنة؟ وما الدليل؟

ج: الجنة فوق السماء السابعة؛ قال الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤-١٥] وسدرة المنتهى رآها النبي ﷺ بعد أن تجاوز السماء السابعة[١].

ويستدل على أن الجنة في السماء بقوله أيضًا: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

❁❁❁

س: أقسم ربنا سبحانه وتعالى بنفسه في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعضها[٢]؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس:٥] أي والذي بناها، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ عائدٌ على ما أخبر الله به من أن رزقنا في السماء، وكذلك في السماء ما نُوعد.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تأكدوا أن ما أخبركم به حق كما أنكم متأكدون إذا

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تخريج الحديث بذلك في سورة النجم.

(٢) ورد في هذا الصدد خبرٌ مرسل (ضعيف السند لإرساله) عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا» أخرجه الطبري وغيره ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل وإن كان المتن في نفسه يصح، والله أعلم.

تكلمتم أنكم تتكلمون فإنكم إذا تكلمتم بألسنتكم خرج الكلام عن حد الهواجس والوساوس التي في النفس إلى شيءٍ واضح ظاهر جلي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أنَّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ ـ رضي الله عنه ـ إذا حَدَّث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أكَّد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحقٌّ ثم أكده بقوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ وخصَّ النطق من بين سائر الحواسّ؛ لأن ما سواه من الحواسّ يدخله التشبيه، كالذي يُرى في المرآة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدويّ والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يُعترَض بالصَّدَى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مَشُوب بما يشكل به، وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

❁❁❁

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ
سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ
ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا
مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً
لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

س: اذكر معنى ما يلي.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ - حَدِيثُ - ضَيْفِ - ٱلْمُكْرَمِينَ - سَلَٰمٌ - قَوْمٌ مُّنكَرُونَ - فَرَاغَ - بِعِجْلٍ - فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - عَلِيمٍ - فِى صَرَّةٍ - فَصَكَّتْ - عَقِيمٌ - فَمَا خَطْبُكُمْ - لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ - مُّسَوَّمَةً - لِلْمُسْرِفِينَ - ءَايَةً﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾	ألم يأتك - قد أتاك.
﴿حَدِيثُ﴾	قصة - خبر.
﴿ضَيْفِ﴾	ضيوفٌ - أضيافٌ.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	الذين أُكرموا (أكرمهم إبراهيم عليه السلام وأكرمتهم زوجته) ـ والمكرمين عند الله ـ بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦].
﴿سَلَٰمٌ﴾	سلام عليكم.
﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	قوم غير معروفين لدينا ـ قوم غرباء لا نعرفهم.
﴿فَرَاغَ﴾	عدل إلى أهله ـ رجع إلى أهله (في خفاء وسرعة)[١]. قال بعض العلماء: ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك.
﴿بِعِجْلٍ﴾	عجلٌ من البقر[٢].
﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	أحس في نفسه خوفًا منهم[٣] ـ أضمر خوفًا في نفسه.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم (إذا كبر) ذي علم كثير[٤].
﴿فِي صَرَّةٍ﴾	في صيحةٍ ـ رنةٍ[٥].
﴿فَصَكَّتْ﴾	ضربت جبهتها بيدها تعجبًا ـ لطمت.
﴿عَقِيمٌ﴾	لا تلد ـ ليس لها ولد.
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾	لننزل عليهم ـ لنرجمهم.

(١) قال القرطبي رحمه الله: ويُقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(٢) أورد الطبري (٣٢١٩٣) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر.

(٣) قال بعض العلماء: ومن أخلاق الناس أنهم إذا أكلوا عند قوم أمنوه، ولم يخشوه.

(٤) روى ذلك الطبري (٣٢١٩٨) بإسنادٍ حسن عن قتادة. وقد قيل إن هذه الصرخة هي قولها: ﴿يا ويلتا﴾، والله أعلم.

(٥) ومنه صرير الباب أي صوته.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾	مُعلَّمة ـ مختومة، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله ـ الكافرين ـ وقيل: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بإتيانهم الذكور.
﴿ءَايَةً﴾	عبرة

❁❁❁

س: ما الفائدة من إخبار الله عزَّ وجل نبيه محمدًا ﷺ بقصة ضيف إبراهيم وما بعدها من القصص؟

ج: الفائدة من ذلك ـ والله أعلم ـ تصبير النبي ﷺ على الأذى الذي يلاقيه من قومه فالله ناصره كما أنه سبحانه وتعالى نصر من كان قبله من الأنبياء والمرسلين.

وكذا من الفوائد تذكير قومه المكذبين له بما حلَّ بمن كذب المرسلين حتى يراجعوا أمرهم ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم.

فضلاً عن ذلك كله فثمَّ فوائد متناثرة بين ثنايا هذه القصص المباركة المذكورة، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محل بمن تمادى في غيه، وأصرّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبله من الأمم الخالية، ومذكرًا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم: هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.

❁❁❁

س: هل يجوز أن تتمثل الملائكة في صورة بشرٍ ويراها البشر؟

ج: نعم هذا جائز ووارد، فقد تمثلت الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وكذا تمثَّلت للوطٍ عليه السلام، وكذا تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشرًا سويًّا وكذا في حديث الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل أتاهم ملك في صورة رجل.

وكذا حديث عمر عند مسلم في قصة مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منهم أحدٌ...

إلى غير ذلك من الوقائع.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾؟

ج: المراد قال إبراهيم عليه السلام لهم: سلام عليكم.

❁❁❁

س: لماذا لم يرد إبراهيم بقوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ كما بدأته الملائكة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب فَرَدُّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

أما الرازي فقد فصَّل في ذلك تفصيلًا واسعًا على عادته في مثل هذه المواطن فقال:

لماذا اختلف إعراب السلامين في القراءة المشهورة؟ نقول: نبين أولًا وجوه

النصب والرفع، ثم نبين وجوه الاختلاف في الإعراب، أما النصب فيحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذ على المصدر تقديره نسلم سلامًا.

ثانيها: هو أن يكون السلام نوعًا من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسنًا سلموا من الإثم، وحينئذ يكون مفعولًا للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال: قال فلان كلامًا، ولا يكون هذا من باب ضربه سوطًا لأن المضروب هناك ليس هو السوط، وههنا القول هو الكلام فسره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ثالثها: أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلغك سلامًا، لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولا كان يقرب إليهم الطعام، ولمَّا قال: نكرهم وأوجس لأنا نقول: جاز أن يقال: إنهم قالوا: نبلغك سلامًا ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام ممن تبلغون لي السلام، وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيبتهم عظيمة، فلو ضموا إليه الأمر العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لانزعج إبراهيم عليه السلام، ثم إن إبراهيم عليه السلام اشتغل بإكرامهم عن سؤالهم وأخَّر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين السلام والسؤال عمن منه السلام هذا وجه النصب، وأما الرفع فنقول: يحتمل أن المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضًا، وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم، وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره قال: جوابه سلام، ويحتمل أن يكون المراد قولًا يسلم به أو ينبئ عن السلامة فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمري سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بيني وبينكم لأني لا أعرفكم، أو يكون المبتدأ

قولكم، وتقديره: قولكم سلام ينبئ عن السلامة وأنتم قوم منكرون فما خطبكم فإن الأمر أشكل علي، وهذا ما يحتمل أن يقال في النصب والرفع، وأما الفرق فنقول: أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين بمعنى التحية فنقول: الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

أما من حيث اللفظ: فنقول سلام عليك إنما جُوِّز واستُحْسِنَ لكونه مبتدأ وهو نكرة، من حيث إنه كالمتروك على أصله؛ لأن الأصل أن يكون منصوبًا على تقدير أسلم سلامًا وعليك يكون لبيان من أريد بالسلام، ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان. فيكون كالخارج عن الكلام، والكلام التام أسلم سلامًا، كما أنك تقول: ضربت زيدًا على السطح يكون على السطح خارجًا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية، فإذا كان الأمر كذلك وكان السلام والأدعية كثير الوقوع، قالوا: نعدل عن الجملة الفعلية إلى الإسمية ونجعل لعليك حظًّا في الكلام، فنقول: سلام عليك، فتصير عليك لفائدة لا بد منها، وهي الخبرية، ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب، إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع مأخوذ منه، والأصل مقدم على المأخوذ منه، فقال: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ قدم الأصل على المتفرع منه.

وأما من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الإسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلس زيد لا ينبئ عنه لأن الفعل لا بد فيه من الإنباء عن التجدد والحدوث.

ولهذا لو قلت: الله موجود الآن لأثبت العقل الدوام إذ لا ينبئ عن التجدد، ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل لما بينا فلما قالوا: سلامًا قال: سلام عليكم مستمر دائم، وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق، فإنهم قالوا قولًا ذا سلام، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الأمر علي، وإن قلنا المراد أمر مسالمة ومتاركة وهم سلموا عليه تسليمًا، فنقول

فيه جمع بين أمرين: تعظيم جانب الله، ورعاية قلب عباد الله، فإنه لو قال: سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز أن يكونوا على غير ذلك، فيكون الرسول قد أمنهم، فإن السلام أمان وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلًا للأمر من غير إذن الله نيابة عن الله فقال: أنتم سلمتم علي وأنا متوقف أمري متاركة لا تعلق بيننا إلى أن يتبين الحال .

ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال في مثل هذا المعنى للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ ولم يقل قل سلامًا، وذلك لأن الأخيار المذكورين في القرآن لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم.

وأما النبي ﷺ لو سلم عليهم لصار ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم، فقال: قل سلام أي أمري معكم متاركة تركناه إلى أن يأتي الله بأمر.

وأما على قولنا بمعنى نبلغ سلامًا فنقول هم لما قالوا نبلغك سلامًا ولم يعلم إبراهيم عليه السلام أنه ممن قال سلام أي إن كان من الله فإن هذا منه قد ازداد به شرفي وإلا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أتشرف بسلام غيره، وهذا ما يمكن أن يقال فيه. والله أعلم بمراده والأول والثاني عليهما الاعتماد فإنهما أقوى وقد قيل بهما.

❁❁❁

س: على أي أساس رفع قوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

ورُفِعَ ﴿مُّنكَرُونَ﴾ بإضمار أنتم.

❁❁❁

س: يؤخذ من قصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه مشروعية تعريف القادم بنفسه وضح ذلك مع مزيد من الأدلة إن وجدت؟

ج: إيضاحه من قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم فأنتم قوم منكرون فأحب أن تعرِّفوني بأنفسكم.

وفي الباب من الأدلة: مجيء القوم من ربيعة إلى النبي ﷺ وقولهم له إنَّا هذا الحي من ربيعة لا نستطيع أن نصل إليك إلا في الشهر الحرام، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من القوم؟ أو من الوفد؟».

❁❁❁

س: هل وردت لهؤلاء الملائكة أسماء؟

ج: لم ترد تسميتهم في كتابٍ أو في سُنةٍ فيما علمت وقد ذكر الحافظ ابن كثير وغيره أنهم جبريل وإسرافيل وميكائيل، قال: قدموا عيه في صور شباب حسان عليهم مهابة عظيمة.

وقوله هذا في تسميتهم يفتقر إلى الدليل، والله أعلم.

❁❁❁

س: ما صحة الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ في شأن البقرة: «لحومها داء»؟

ج: هذه اللفظة ضعيفةٌ منكرةٌ.

أما نكارتها: فلأن الله سبحانه وتعالى أنزل الأنعام الثمانية ومنها البقر للناس وأحلها لهم، والله يحل للبشر الطيبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزُّمَر:٦]، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ...﴾ [الأنعام:١٤٣]، وفيها: ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام:١٤٤].

أيضًا فقد قرَّب إبراهيم عليه السلام لأضيافه عجلًا سمينًا، وكذلك فإن النبي ﷺ ضحَّى عن نسائه بالبقر[١].

أما عن ضعف السند:

فقد أخرج الحديث الحاكم[٢] في المستدرك وفي سنده سيف بن مسكين وهو كذاب.

ووردت للحديث طريق أخرى فيها ضعف وجهالة.

❁❁❁

س: هل من فائدة في التقييد بقوله تعالى: ﴿سَمِينٍ﴾؟

ج: نعم، وفائدة ذلك بيان زيادة الإكرام.

❁❁❁

س: هل هناك تعارض بين قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾؟

ج: لا تعارض بين الآيتين، فقوله ﴿سَمِينٍ﴾ وصف للعجل وقوله ﴿حَنِيذٍ﴾ بيان لطريقة الطهي.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ كلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه وضح ذلك؟

ج: هذا الكلام المتروك ـ والله أعلم ـ هو فلم يأكلوا ـ أو فأمسكوا عن الطعام ـ. فيكون المعنى فقربه إليهم قائلاً ألا تأكلون فأمسكوا عن الطعام فأوجس منهم

---

(١) البخاري (٥٥٤٨)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).

(٢) الحاكم (٤/ ٤٠٤).

خيفة لكونهم أمسكوا عن الطعام.

❁❁❁

س: وضح الأدب المستفاد من قول الخليل إبراهيم عليه السلام للأضياف: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

ج: هذا تلطف في العبارة وحُسنٌ في العرض، فكأنه قال: ألا تتفضلون علينا بالأكل من طعامنا، فأكلكم من طعامنا يُسعدنا، والمنة منكم علينا إذا أكلتم طعامنا.

وهذا يختلف بلا شكٍّ عن رجل قال تعال أطعمك.

❁❁❁

س: لماذا أوجس إبراهيم عليه السلام في نفسه خيفة من الأضياف؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لكونه رآهم لا يأكلون ففي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠] ومن المعهود أن الرجل إذا دخل عند قومٍ فأكل عندهم اطمأنوا إليه واستأنسوا به، أما إذا دخل عندهم فلم يأكل فكأنه يُضمر لهم شرًّا، وعندنا في المثل المِصري: (أكلنا سويًّا عيشًا وملحًا) وهذا دالٌ فيما يبدو على أن الأكل سويًّا يستلزم وفاءً لا غدرًا.

ولكن الملائكة لم تكن تضمر شرًّا لإبراهيم عليه السلام، ولكن لكونهم ملائكة فإنهم لا يأكلون.

❁❁❁

س: من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يؤخذ أدب من آداب التعامل مع الناس، وضح هذا الأدب، مع مزيد من الاستدلالات له؟

ج: إيضاحه أن الشخص إذا وجد من أمامه خائفًا شُرع له أن يطمئنه ويجتهد في إذهاب الروع عنه فالملائكة لما رأوا إبراهيم عليه السلام وما حلَّ به من الخوف والروع،

طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بغلام عليم.

أما عن أدلةٍ أُخر في هذا الباب، فنحو ذلك في قصة الخِصْم الذين تسوروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

وقد ورد في الباب أيضًا نهيُ النبي ﷺ عن ترويع المؤمنين(١).

وورد أيضًا نهي النبي ﷺ عن المرور في الأسواق بالسيوف التي سُلَّت من غمدها(٢).

وورد أيضًا عنه ﷺ حديث: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادًّا ولا لاعبًا»(٣).

❁❁❁

س: من هذا الغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وما اسم امرأته هذه؟

ج: الظاهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنه إسحاق، وقد دلَّ على ذلك سياق القصة المذكور في سورة هود، فقد قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١].

وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وعلَّل ذلك بقوله: وإنما قلت عني به إسحاق لأن البشارة كانت بالولد من سارة وإسماعيل لهاجر لا لسارة.

أما امرأته فهي سارة عليها السلام.

❁❁❁

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بلفظ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥) من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا ـ أو في سوقنا ـ ومعه نبل فليمسك على نصالها ـ أو قال: فليقبض بكفِّه ـ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٥/ ٢٧٣) وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢١).

س: في بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام نوع إعجاز وضحه، ووضح المستفاد منه؟

ج: إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى بشَّر نبيه إبراهيم عليه السلام، وهو على الكبر، وزوجته كانت عاقرًا لا تلد طيلة شبابها ثم أصبحت عجوزًا فهي موانع ثلاث من الإنجاب كونها قد بلغت سنًّا لا تلد معه النساء، وكذلك فهي عقيم رحمها غير صالح للولادة، وزوجها شيخ كبير، ومع ذلك كله فقد بشرتهما الملائكة بالغلام العليم، وقد كان ما بشروهما به، فهذا دال على قدرة الله عزَّ وجل هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن الشخص منَّا لا ينبغي أن ييأس من رَوْح الله، ولا أن يقنط من رحمته، بل عليه أن يدعو ربه ويدعوه ويدعوه ويواصل الدعاء، فيستجاب لأحدنا ما لم يستعجل كما قال النبي ﷺ[1].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ إنه هو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن. قاله الطبري.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ هكذا قال ربك أي كما أخبرناك وقلنا لك قاله الطبري.

والمعنى أيضًا: أن الله الذي قدَّر ذلك وأمضاه فلا عجب في قدرة الله.

---

(١) أخرج البخاري في الدعوات باب (٢٢)، ومسلم (واللفظ له (جـ ١٧/ ٥١) مع النووي) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي».

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

فهو سبحانه حكيم في أقواله وفي أفعاله، فهذا الغلام الذي بُشرت به سارة عليها السلام هو إسحاق كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ فهذا النبي الكريم إسحاق رزق بيعقوب ويعقوب رزق بالأسباط الأحد عشر الذين هم إخوة يوسف عليه السلام وكان عموم الأنبياء بعد إسحاق من ذرية يعقوب كما قاله عددٌ من العلماء ـ باستثناء نبينا محمد ﷺ ـ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي جعل الله كلمة التوحيد باقية في نسل يعقوب عليه السلام.

أما قوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فالمراد ـ والله أعلم ـ: أنه عليم بكم وبنواياكم وبما تستحقون من الكرامة، وعليم بكل شيء. والله أعلم.

❁❁❁

س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف طائفة من الحِكم والفوائد والأحكام، وضح ذلك.

ج: ذَكر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) طائفة من هذه الفوائد والحِكم فقال:

منها: أن من الحكمة، أن قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بهم، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضيلة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الاهتمام بشأنها والاعتناء بها.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمدًا وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم. ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولًا وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في ابتداء السلام، فرد عليهم إبراهيم سلامًا، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى.

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى أضيافه.

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما منَّ الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا لديه، وفي بيته مُعَدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيد من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه. فلم يجعله في موضع ويقول لهم: (تفضلوا، أو ائتوا عليه) لأن هذا أيسر وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه. فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون) أو (تشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحو ذلك.

ومنها: أن من خاف من أحد، لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمّن روعه، ويسكِّن جأشه.

كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة، السارة، بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة ـ امرأة إبراهيم ـ حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها وصَرَّتها غير المعهود.

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولًا فقال: (نأتيكم بطعام؟) بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه. وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق، فافعل.

❁❁❁

س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف جملة من الثناءات على خليل الله إبراهيم عليه السلام، وضحها.

ج: ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «التفسير القيم» فقال:

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين: أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله. ولا تنافي بين القولين: فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم. ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم. فصار منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله. وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بالرفع. وهم سلموا عليه بالنصب. والسلام بالرفع أكمل. فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد. فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم. فإن قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ يدل على: سلمنا سلامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (إني أنكركم)، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنُزُلهم. والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به. وهذا من كرم رب المنزل المضيِّف: أن يذهب في اختفاء بحيث

لا يعشر به الضيف، فيشق عليه ويستحي. فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة. فدل على أن ذلك كان معدًّا عندهم مهيئًا للضيفان. ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه، أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ يدل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه. وهذا من تمام كرمه ﷺ.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمه بذلك.

الثاني عشر: أنه قربه إليهم، ولم يقربهم إليه. وهذا أبلغ في الكرامة: أن تُجْلِسَ الضيف ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذا عَرْض وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم ونحوها. وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه. ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولهذا أوجس منهم خيفة، أي أحسها

وأضمرها في نفسه، ولم يبدها لهم. وهو:

الوجه الخامس عشر: فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بالغلام الحليم.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم. وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا. فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما، وعلى سائر النبيين.

❁❁❁

س: ما فائدة ذِكر الطين هنا، وقد عُلم أن هناك ما هو أقوى من الطين؟

ج: قال بعض العلماء:

ذلك ليعلم أنها ليست حجارة الثلج والبرد النازلين من السماء، ولكنها حجارة من طين يتحجر كما قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢].

وقال آخرون من العلماء:

هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارةً بإحراق الشمس إياها على مر الدهور.

هذا، وقد قال بعض العلماء في تفسير السجيل:

إنه طين قد طُبخ بالنار حتى صار في صلابة الحجارة، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

ج: قال الرازي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه وجوه:

أحدها: مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به.

ثانيها: أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.

ثالثها: مرسلة للمجرمين لأن الإرسال يقال في السوائم يقال: أرسلها لترعى فيجوز أن يقول: سومها بمعنى أرسلها وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران:١٤] إشارة إلى الاستغناء عنها وأنها ليست للركوب ليكون أدل على الغنى، كما قال: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران:١٤].

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ إشارة إلى خلاف ما يقول الطبيعيون إن الحجارة إذا أصابت واحدًا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فإنها تنزل بطبعها يتفق شخص لها فتصيبه فقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي في أول ما خلق وأرسل إذا علم هذا فإنما كان ذلك على قصد إهلاك المسرفين.

فإن قيل: إذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين فكيف قالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ مع أن المسرف غير المجرم في اللغة؟ نقول: المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لأن الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره، والمسرف هو الآتي بالكبيرة، ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرمًا لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيرًا، ومن أجرم فقد أسرف لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتمعا فيهم.

لكن فيه لطيفة معنوية، وهي أن الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم بالأمور المستقبلة عند الله تعالى، يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم، وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمون فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ نعلمهم ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم من هذا علمنا بأنهم لو عاشوا سنين لتمادوا في الإجرام، فإن قيل اللام لتعريف

الجنس أو لتعريف العهد؟ نقول: لتعريف العهد أي: مسومة لهؤلاء المسرفين إذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة، فإن قيل ما إسرافهم؟ نقول ما دل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف:٨٠] أي لم يبلغ مبلغكم أحد.

❁❁❁

س: بيتُ من الذي ذكر الله في كتابه إذ قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: هو بيت نبي الله لوط عليه السلام ـ باستثناء امرأته ـ.

❁❁❁

س: الكفر والفسق والظلم إذا تفشوا حلَّ العذاب على القوم جميعًا، وإن كان في أوساطهم من يؤمن بالله، وفي المقابل إذا كان الأغلب أهل خيرٍ وصلاح لا يضرهم وجود قلة منحرفة في أوساطهم إذا كانت الغلبة لأهل الخير والصلاح دلِّل على ذلك.

ج: أما الدليل على الأول فمنه ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، فمن ثمَّ نزل العذاب عليهم وحلَّ البلاء بهم، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

وقول أم المؤمنين لرسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

ومن الدليل على الثاني: قول الله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

ثم إن قرن النبي ﷺ كان خير قرن رغم ما فيه من أهل النفاق، لكن لما كانت

الغلبة للخير قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الكفر إذا غلب والفسق إذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين، بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون، وقيل في مثاله إن العالم كبدن ووجود الصالحين كالأغذية الباردة، والحارة، والكفار والفساق كالسموم الواردة عليه الضارة، ثم إ ن البدن إن خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وإن خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشة ونما، وإن وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب. فكذلك البلاد والعباد.

والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة، والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سمي المؤمن مسلمًا لا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: (أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتًا من المسلمين)، ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون مخبرًا له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد.

❁❁❁

س: احتج بهاتين الآيتين من لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام فما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير:

احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

❁❁❁

س: هل هناك فارق بين الإسلام والإيمان في هاتين الآيتين: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: لا فارق بينهما ها هنا.

وقال آخرون: بل الإيمان هنا على بابه يطلق على تصديق القلب، والإسلام على الانقياد الظاهر، وقد قدمنا مزيدًا لهذا في تفسير سورة الحجرات عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجُرات:١٤].

قال القرطبي رحمه الله:

والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.

❁❁❁

س: أحيانًا يحل العذاب بالمؤمن المتواجد بين الظلمة، وأحيانًا يحفظه الله وينجيه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على الأول ـ وهو أن العذاب قد يحِلُّ بالمؤمن مع سائر الظلمة ـ ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقوله ﷺ، وقد سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث»[(١)].

وقوله ﷺ: «... يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[(٢)].

وعند الترمذي بسندٍ صحيح[(٣)] عن رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

أما الأدلة على إنجاء أهل الإيمان والانتقام من الظالمين فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك بالنسبة لمدائن قوم لوط قبل أن تُدمر، أخرج الله لوطًا وأهل بيته إلا امرأته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعل محلَّتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) أخرج البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء (وهي الأرض الملساء) من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»، قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال:...فذكر الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢١٦٨).

ذلك عبرة للمؤمنين الذين ﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي عبرةً وعلامةً لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، نظيره: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥].

وقال الرازي: وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: المنتفع بها هو الخائف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي في تلك القرى بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب. وهي تلك الأحجار أو صخر منضود أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فإنها ظاهرة بينة، وقيل: هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، فلا يفعل مثل فعلهم وإنما خص هؤلاء لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم، ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.

❁❁❁

س: كثيرًا ما تُترك للمجرمين الذين انتقم الله منهم آثارٌ حتى يعتبر بها من اعتبر ويتذكر بها من تذكر. اذكر جملة أدلةٍ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون ـ لما أغرقه وأهلكه ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم وببلادهم: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ

يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧، ١٣٨].

وقوله تعالى في شأن قوم ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة مع قوم لوط أيضًا: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وأيضًا فقد ترك الله سبحانه وتعالى سفينة نبي الله، نوح عليه السلام ذكرى يتذكرها من تذكر وعبرة يراها من اعتبر ويستفيد منها من استفاد، لقد تركت دليلًا على إنجاء الله أهل الإيمان وانتقامه من أهل الكفر والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر:١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١].

❁❁❁

س: ما عقوبة من فَعل فِعلَ قوم لوط؟

ج: أولًا: قد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأبو داود

والبيهقي[١] وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» لكنه معلول ومستنكر.

أما عن أقوال أهل العلم: فقد أوجزها الإمام الترمذي رحمه الله تعالى فقال: واختلف أهل العلم في حد اللوطيّ، فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالكٍ والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم: الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وغيرهم قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة.

وقال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

واختلفت الرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ في حده؛ فرُوي عنه، أنَّ حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا، وهذا قولُ عليّ، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن معمر، والزهريّ، وأبي حبيبٍ، وربيعة، ومالك، وإسحاق، وأحدُ قولي الشافعي. والروايةُ الثانية، أن حده حدُ الزاني. وبه قال سعيد بن المُسَيَّب، وعطاءٌ والحسنُ، والنَّخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسفَ، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهورُ من قولي الشافعي.

❁❁❁

(١) أبو داود (حديث ٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٥، ١٤٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٢).

(٢) ابن قدامة الحدود ص(٣٤٩).

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ
ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى
لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ - وَهُوَ مُلِيمٌ - ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ - كَٱلرَّمِيمِ -

فَعَتَوْا۟ ـ ٱلصَّٰعِقَةُ ـ لَمُوسِعُونَ ـ فَرَشْنَٰهَا ـ ٱلْمَٰهِدُونَ ـ نَذَكَّرُونَ ـ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ـ وَذَكِّرْ ـ ٱلرَّزَّاقُ ـ ٱلْمَتِينُ ـ ذَنُوبًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ ﴾	في قصة موسى وما حدث لموسى عبرةٌ وعظةٌ.
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	حجةٌ موضحةٌ مظهرةٌ.
﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾	أدبر بقومه وجنده وصحبه أعرض استكبارًا وعنادًا[1]. وقيل: (غلب قومه على ما يريد).
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾	قد فعل ما يُلام عليه ـ ملومٌ كافر جاحد فاجر معاندٌ ـ مُذنب.
﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾	الريح التي لا تُلقح الشجر ولا تثير السُّحب. وقيل: الريح التي ليس فيها بركة ـ لا تنبت الريح المُفسدة التي لا تنتج شيئًا.
﴿كَٱلرَّمِيمِ ﴾	الشيء الهالك المتفتت، كرميم الشجر.
﴿ فَعَتَوْا۟﴾	علوا، والعاتي: العاصي التارك لأمر الله.
﴿ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾	صاعقة العذاب ـ الموت ـ الصوت الشديد، وقيل: الصاعقة كل عذاب مهلك.
﴿ لَمُوسِعُونَ ﴾	لذو سعةٍ وقدرة بخلقها وخلق ما شئنا. (وأوسعها الله جل جلاله) ـ لقادرون على توسعتها ـ قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمدٍ حتى استقلت ـ لموسعون الرزق على عبادنا[2].

(١) وقوّى الحافظ ابن كثير هذا الوجه، وقال: هو كقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج:٩] أي معرض عن الحق مستكبر، والركن هو الجند والعشيرة ومنه: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾.

(٢) قال السعدي في تفسيره: ﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضًا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

﴿فَرَشْنَٰهَا﴾	جعلناها فراشًا للمخلوقات.
﴿ٱلْمَٰهِدُونَ﴾	الممهدون، جعلناها مهدًا لأهلها أي: ميسرة لساكنيها كالفراش.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون ـ تعتبرون.
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾	فأعرض عنهم.
﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	لا يلومك ربك على تفريط كان منك، فما فرطت بل أنذرت وبلغت ما أرسلت به[1]. لا نلومك على توليك عنهم.
﴿وَذَكِّرْ﴾	عِظ.
﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾	المتكفل برزق خلقه وأقواتهم.
﴿ٱلْمَتِينُ﴾	الشديد، وقيل الذي لا يُغلب ولا يقهر ولا يُهزم[2].
﴿ذَنُوبًا﴾	الذنوب يطلق على الدلو العظيمة. ولكن المراد هنا الحظ والنصيب من العذاب. وقيل سجلًا من العذاب[3].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

ج: المعنى، والمراد ـ والله أعلم ـ: وفي قبيلة عادٍ وما حلَّ بها عبرةٌ وعظةٌ وآية لمن أراد الاتعاظ والاعتبار.

❁❁❁

(١) قاله الطبري.

(٢) ذكر بعض العلماء فارقًا بين المتين، والعزيز في المعنى حاصله أن المتين الذي لا يُقهر ولا يهزم ولا يغلب أما العزيز فهو الذي يقهر ويهزم ويغلب. فالله أعلم.

(٣) صح ذلك عن قتادة وسعيد بن جبير وغيرهما. انظر الطبري (٣٢٢٧٢)، (٣٢٢٧٦).

س: ما اسم الريح التي أُهلكت بها قبيلة عادٍ؟

ج: اسمها (الدَّبُور) ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «نُصرت بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدبور»[١].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: وفي قبيلة ثمود، وما حلَّ بها عبرةٌ وعظة لمن اعتبر واتعظ.

أما قوله: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني ـ والله أعلم ـ: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى وقت فناء آجالكم وانتهاء أعماركم ووقت هلاككم، وهو ثلاثة أيام منذ أنذرهم هذا الإنذار كما في الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[هود:٦٥].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قيل لهم: تَمَتَّعوا في الدُّنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهديدًا لهم.

والثاني: أن صالحًا قال لهم بعد عَقْر النَّاقة: تمتَّعوا ثلاثة أيام: فكان الحِين وقتَ فناء آجالهم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

ج: أخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد[٢] قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدَت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٠)، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

وجُعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جُعلت لهم الدالة على نزوله في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ينتظرون حلوله بهم.

قال الرازي رحمه الله:

والصاعقة فيها وجهان ذكرناهما هنا:

أحدهما: أنها الواقعة.

والثاني: الصوت الشديد، وقوله: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إشارة إلى أحد معنيين: إما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع، كما يقول القائل للمضروب يضربك فلان وأنت تنظر. إشارة إلى أنه لا يدفع، وإما بمعنى أن العذاب أتاهم لا على غفلة بل أنذروا به من قبل بثلاثة أيام وانتظروه، ولو كان على غفلة لكان لمتوهم أن يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل المحتاج، كما يقول المبارز الشجاع أخبرتك بقصدي إياك فانتظرني.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن القوم لما حلَّ بهم ما حلَّ ما استطاعوا نهوضًا، وما كانت عندهم من قوةٍ يمتنعون بها من الله عزَّ وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي: من هربٍ ولا نهوض، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ولا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ قيل: معناه من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر

أي: لا أطيقه. وقال ابن عباس: أي: ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر.

وقال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لبيان عجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة، فإن من لا يقدر على قيام كيف يمشي فضلًا عن أن يهرب؟ وعلى هذا فيه لطائف لفظية:

إحداها: قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ فإن الاستطاعة دون القدرة، لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو ينبئ عن عدم القدرة والاستقلال، فمن استطاع شيئًا كان دون من يقدر عليه، ولهذا يقول المتكلمون: الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة مطلوبة من الله تعالى مأخوذة منه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على قراءة من قرأ بالتاء. وقوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ بزيادة من، وقد عرفت ما فيه من التأكيد.

ثالثها: قوله: ﴿قِيَامٍ﴾ بدل قوله هرب لما بينا أن العاجز عن القيام أولى أن يعجز عن الهرب.

الوجه الثاني: هو أن المراد (من قيام) القيام بالأمر، أي: ما استطاعوا من قيام به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ما استطاعوا الهزيمة والهرب، ومن لا يقدر عليه، يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين، وقد عرفت أن قول القائل: ما هو بمنتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله (ما انتصر) أي لشيء من شأنه ذلك، كما تقول: فلان لا ينصر أو فلان ليس ينصر.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ يحتمل وجوهًا:

أحدها: واذكر لهم قوم نوح الذين أرسلنا إليهم نوحًا.

الثاني: وأهلكنا هذه الأمم التي قدمنا ذكرها، وأهلكنا قوم نوحٍ من قبل هؤلاء أيضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فمعناه أنهم كانوا قومًا مخالفين أمر الله عزَّ وجل خارجين عن طاعته.

❁❁❁

س: استدل بعض العلماء ببعض الآيات من سورة الذاريات على أن الله عزَّ وجل يعذِّب بما قد يكون في أصله رحمة في الظاهر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجل عذب فرعون بالإغراق في الماء، والماء سبب عظيم من أسباب الحياة، وعذب قوم عادٍ بالريح والريح (التي هي الهواء) سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم لوط بحجارة من سجيل، والسجيل الطين، والطين سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم ثمود بالصاعقة التي هي من النار (على قولٍ) وهي سبب من أسباب الحياة كذلك.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ ﴾.

ج: أورد الطبري[1] ـ رحمه الله تعالى ـ بإسنادٍ صحيح عن منصور أنه قال في هذه الآية: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ قال: بقوة.

---

(١) الطبري (٣٢٢٤٨).

وكذا بإسنادٍ[١] صحيح عن ابن زيد قال: بقوةٍ.

ونحوه أيضًا بإسنادٍ[٢] حسن عن قتادة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾: أي بقوة.

وكذا من طريق[٣] ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: بقوة.

ونحوه بإسناد فيه بعض الضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بقوة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة وكل هذا الذي أوردوه لا ينفي صفة اليد عن الله عزَّ وجل فهي ثابتة من وجوه أُخر، ومن نُصوص أُخر، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾.

ج: قال السعدي في تفسيرها:

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أي: جعلناها فراشًا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث، وجلوس، وسلوك للسبل الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم. ولما كان الفراش، قد يكون صالحًا للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: المراد الشيئين المختلفين، قالوا: فمن ذلك الإيمان والكفر، والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار والسماء والأرض

---

(١) الطبري (٣٢٢٥١).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٧).

(٣) الطبري (٣٢٢٤٦).

والشمس والقمر، والإنس والجن إلى غير ذلك.

والقول الآخر: أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾[النجم:٤٥].

وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول فقال:

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيًا له مخالفًا في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نبه جلَّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة.

وهو الوجه الذي ذكره ابن كثير ولم يذكر رأيًا سواه فقال: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك له.

وإلى نحو ذلك ذهب القرطبي رحمه الله تعالى ، فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ أي: صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرًا وأنثى وحُلوًا وحامضًا ونحو ذلك. مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجنّ والإنس، والخير والشر، والبُكرة والعشيّ، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطُّعوم والأراييح والأصوات. أي: جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدَّر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: لعلكم تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. فلما دعا العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته، والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه. أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه، ظاهرًا وباطنًا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر. فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله، وزال عنه المرهوب، وحصل له غاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فرارًا، لأن في الرجوع إلى غيره، أنواع المخاوف والمكاره. وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز. فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه.

❁❁❁

س: جعل الله تبارك وتعالى للعباد أمورًا يتذكرون بها ويتعظون، بيِّن هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور ما يلي:

ما ذكره الله تعالى في هذه السورة إذ قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وما ذكره الله في سورة الواقعة إذ جعل نار الدنيا تذكرةً بنار الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:٧١-٧٣] أي تذكرة بنار الآخرة.

وما ذكره الله في سورة الفرقان إذ قال في شأن السحب والمطر: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان:٥٠] أي: ليتعظوا ويعتبروا بتصريف الأمطار.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الجئوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدَّم ما جرى من تكذيب

أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى: لنبيه ﷺ قل لهم يا محمد؛ أي: قل لقومك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: فِرُّوا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فِروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فِرُوا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اخرجوا إلى مكة. وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه. وقال أبو بكر الورَّاق: فِروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجُنَيد: الشيطان داعٍ إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففِرُّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فرّوا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضًا: فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فِرُّوا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: أنذركم عقابه على الكفر والمعصية.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مِن مَن نفر؟

ج: قيل الفرار من العذاب، وقيل: الفرار من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[يوسف:٥].

ولقد قال النبي ﷺ: «أَنذَرتُكمُ النارَ...».

وقيل: الفرار من كل ما سوى الله عزَّ وجل، فنفر إلى الله من كل عدوٍّ.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس

مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: إني لكم ـ أيها الناس ـ نذير من عقابه على عبادتكم إلهًا غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا تشركوا به شيئًا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وكما أن قريشًا كذَّبتك وقالت شاعر أو ساحر أو مجنون، فكذلك فعلت الأمم من قبلها فكلُّ أُمةٍ جَاءها رسول قالت له ساحر أو مجنون.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ نوع مواساة للنبي ﷺ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن النبي ﷺ إذا علم أن الذي أصيب به من قومه قد أُصيب به الأنبياء من قبله من أقوامهم وعلم أن العاقبة كانت للتقوى، فحينئذٍ سيصبر كما صبروا تأسيًا واقتداءً وامتثالًا.

ولذا فقد قال تعالى في آيات أُخر: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ ، وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أأوصى الكفار بعضهم بعضًا إذا جاءهم رسول

فعليهم أن يصفوه بأنه ساحر أو مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذِّبين من قريش محمدًا ﷺ ـ على ما جاءهم به من الحقّ ـ: أوائلُهم وآبائهم الماضون من قبلهم بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم؟

وأورد بأسانيد تصح عن قتادة[1] قال: أوصى أولاهم أُخراهم بالتكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب. وتواطئوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يوصِ بعضهم بعضًا بل جَمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدِّ في الكفر.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: أوْصى أوَّلُهم آخرَهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ وقال أبو عبيدة: أتواطئوا عليه فأخذه بعضُهم من بعض؟!

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحملُهم الطُّغيان فيما أُعطوا من الدُّنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة.

قال السعدي رحمه الله:

يقول الله ـ مسليًا لرسوله ﷺ ـ عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة، ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأبًا وعادة للمجرمين المكذبين للرسل فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم ـ الأولين والآخرين ـ هل هي أقوال

---

(١) الطبري (٣٢٢٥٥، ٣٢٢٥٦).

تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضًا؟.

فلا يستغرب ـ بسبب ذلك ـ اتفاقهم عليها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟

وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨] وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاةٌ تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم.

قلت ـ مصطفى ـ: والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ليس نفيًا لكون بعضهم قد أوصى بعضًا، وإنما المراد بيان أن هؤلاء قوم طاغون ـ والله أعلم ـ.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فأعرض يا نبي الله عن هؤلاء القوم المكذبين المعاندين

فلا لوم عليك، ولا عتب عليك، فقد أديت ما أُمرت به من البلاغ والإنذار.

قال الطبري رحمه الله: يقول جل ثناؤه: فما أنت يا محمد بملومٍ لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار فقد أنذرت وبلَّغت ما أُرسِلْتَ به.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملومٍ، قال: وكيف يلومه وقد أدى ما أمر به؟

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: أعرض عن مقابلتهم بالأسوأ، كقوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب:٤٨] وقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزّمل:١٠] ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: في إعراضهم، إذ لست عليهم بجبار ولا مسيطر، وما عليك من حسابهم من شيء.

❁❁❁

س: هل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ منسوخ أو محكم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنها محكمة ليست بمنسوخة، ومعناها فأعرض عنهم فلا لوم عليك ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ.

والثاني: أنها منسوخة، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بقتال المشركين بعد ذلك.

والظاهر أنها ليست بمنسوخة لأن الإعراض عنهم من بابٍ معين، وهو رفع اللوم عن النبي ﷺ إذا لم يؤمنوا، أما الأمر بالقتال فبابٌ آخر وتكليف آخر، فليس الأمر بالإعراض عنهم مستلزمًا النهي عن قتالهم، بل يمكن الإعراض عنهم في الخطاب والحديث والدعوة، وقتالهم مع هذا الإعراض أيضًا وإن كان ـ كما سلف ـ هناك من أهل العلم من ذهب إلى أنها منسوخة.

قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ فقد بلَّغْتَهم ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لأنَّك قد أدَّيت الرِّسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والثاني: آية السيف.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ﴾ ذَكِّر بماذا؟

ج: ذكِّر بالقرآن وما فيه، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وقيل: ذكِّر بالعقوبات وما حلَّ بالأمم من قبلنا، والأول أولى لأن التذكير بالقرآن يتضمن التذكير بالعقوبات.

❁❁❁

س: التذكير يكون بماذا؟

ج: التذكير يكون بالله عزَّ وجل وبأسمائه وصفاته، ويكون كذلك بكتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام:٧٠].

ويكون التذكير أيضًا بسنة رسول الله ﷺ ويكون التذكير بمصارع الأمم السابقة وما حلَّ بها.

قال السعدي في تفسيره:

والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول. فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك. فكل أمر ونَهْي من الشرع، فهو من التذكير. وتمام التذكير، أن يذكر ما في

المأمور، من الخير والحسن والمصالح وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير:تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذَكَّرُون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليُحدِث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

❁❁❁

س: هل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ اتصالٌ بما قبلها؟

ج: نعم لها اتصال، ذكره الرازي فقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهذه الآية فيها فوائد كثيرة، ولنذكرها على وجه الاستقصاء، فنقول أما تعلقها بما قبلها فلوجوه:

أحدها:أنه تعالى لما قال: ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم به وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان.

الثاني:هو أنا ذكرنا مرارًا أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخَلْق المطلق لها وليس الخَلْق المطلق للهداية، فما أنت بملوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها.

الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ج: في ذلك وجوه ذكرها العلماء، وبعضها متقاربٌ من بعض:

أحدها: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم لمعصيتي.

الثاني: وما خلقت الجن والإنس إلا ليذعنوا لي بالعبادة أي إلا ليقروا لي بعبوديتهم لي طوعًا أو كرهًا.

الثالث: وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي ولكن منهم من أطاعني ومنهم من خالف أمري وعصاني.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

واختار الطبري القول الثاني، وأورد على نفسه سؤالًا فقال:

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.

❁❁❁

س: لماذا لم تُذكر الملائكة مع أنها خلقت للعبادة كذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟

ج: ذلك لأن الخطاب لمن أُرسل إليهم رسول الله ﷺ وهم الجن والإنس، أما الملائكة فلم يرسل إليهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

هذا، وقد ذكر الرازي جملةً من الوجوه ها هنا فقال:

الملائكة أيضًا من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع أن المنفعة الكبرى في إيجاده لهم هي العبادة ولهذا قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦] وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: الجواب عنه من وجوه:

الأول: قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجن والإنس لأن الكفر في الجن أكثر، والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم.

الثاني: هو أن النبي ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن، فلما قال وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والإنس.

الثالث: أن عباد الأصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولم يذكر الملائكة لأن الأمر فيهم كان مسلَّمًا بين القوم فذكر المتنازع فيه.

الرابع: قيل الجن يتناول الملائكة لأن الجن أصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق، وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها.

الخامس: قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان:٥٩] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:٩]، وقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] إلى غير ذلك، وما لم يكن ذكره بلفظ الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

والملائكة كالأرواح من عالم الأمر أوجدهم من غير مرور زمان فقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ إشارة إلى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة، وهو باطل لقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢] فالمَلَك من عالم الخلق.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] هل بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ تعارض؟

ج: ليس بينهما تعارض، ولا يكون تعارض أبدًا بين آيات من كتاب الله عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

وإنما المعنى، ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] أي: أن الله جعلهم شعوبًا للتعارف، وخَلْقُهم إنما هو للعبادة.

قال الرازي في تفسيره:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، وقال: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ فهل بينها اختلاف؟ نقول ليس كذلك فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبًا بالتعارف، وههنا علل خلقهم بالعبادة، وقوله هناك: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ دليل على ما ذكره ههنا وموافق له، لأنه إذا كان أتقى كان أعبد وأخلص عملاً، فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم وأعز، كالشيء الذي منفعته فائدة، وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة، مثاله الماء إذا كان مخلوقًا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف من ماء آخر، فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ.

❁❁❁

س: ما العبادة التي خُلِقَ الإنس والجن لها؟

ج: هي ـ والله أعلم ـ: طاعة الله وتعظيمه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعمومًا فهي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، والقول بما يرضي الله، وكذا النوايا الحسنة

التي ترضي الله عزَّ وجل.

قال الرازي في تفسيره:

ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يعلم عقلًا لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة، وقيل: إن معناه ليعرفوني[1].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: أخبر أنه غير محتاجٍ إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

قلت: ولا يمنع أن يدخل في إيضاح المعنى قوله تعالى: «يا عبادي إنكم لن تَبْلُغُوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تَبلُغوا نَفعِي فتنفَعُوني..»[2].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

---

(١) وهذا الأخير لا أرى صحته في هذا المقام، والله أعلم.

(٢) حديث قدسي أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسِي...» الحديث.

أي: ما أُريدُ أن يرزقُوا أنفسهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا أحدًا من خَلْقي، لأنِّي أنا الرزَّاق، و إنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعمَ عِيالَ أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم، استَطْعمتُكَ فلم تُطْعِمني» أي: لم تُطعِم عبدي.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها.

﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة ـ السفلية والعلوية ـ وبها تصرف في الظواهر والبواطن ونفذت مشيئته في جميع البريات. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج على سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم.

ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلى وعصفت بهم الرياح وابتلعتهم الطيور والسباع وتمزقوا وتفرقوا في مهامه القفار ولجج البحار. فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

❁❁❁

س: كثيرًا ما يُحذِّر أهل الكفر بأنهم سينالهم نحوٌ من العذاب الذي حلَّ بأمثالهم دلّل على ذلك ووضحه.

ج: نعم هذا يتكرر كثيرًا في كتاب الله عزَّ وجل.

فعلى سبيل المثال: لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوطٍ بحجارة من سجيل

منضود، قال تعالى في شأن هذه الحجارة: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:٨٣] أي: أن الظالمين ـ غير قوم لوط ـ ليست هذه الحجارة عنهم ببعيدة بل نحن قادرون على قذفهم بها أيضًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢] أي: وهكذا يُجازي كل مفترٍ صنع كصنيعهم.

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي: من أهل مكة، وكذا كل ظالم.

﴿ مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ ﴾ أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.

❁❁❁

س: اذكر بإيضاح معنى الذنوب.

ج: الذنوب هي الدلو العظيمة[١]، ومنه قول الراجز:

لنا ذَنُوبٌ ولكم ذَنُوبٌ ... فإن أَبَيتُم فلَنا القَلِيبُ[٢]

ولكن المراد بالذنوب في الآية الكريمة: الحظ والنصيب العظيم من العذاب.

وقال الطبري في معنى الآية الكريمة:

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبًا وحظًّا نازلًا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به.

---

(١) وأصل إطلاق ذلك أن القوم كانوا يستخرجون الماء من الآبار بالدلو العظيمة فيقتسمون ذلك فيما بينهم كلٌ له دلو، فكذلك هم في العذاب لهم نصيب من العذاب كنصيب أسلافهم الذين صنعوا كصنيعهم، والله أعلم.

(٢) القليب: الحفرة العظيمة، وهي أكبر من الذنوب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فلا يستعجل هؤلاء الكفار نزول العذاب عليهم فإنه آت لا محالة، وذلك لأن أهل الكفر ـ هؤلاء ـ كانوا يستعجلون نزول العذاب على سبيل التحدي والسخرية والاستهزاء والإنكار، فكانوا يقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وكانوا يقولون كذلك: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، وقالوا أيضًا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

قال السعدي رحمه الله:

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب فإن سنة الله في الأمم واحدة.

فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والأغلال، فلا مغيث، ولا منقذ لهم من عذاب الله. نعوذ بالله منه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

قلت:واختار الطبري هنا أن الويل هو واد في جهنم، وقد قدمنا مرارًا أنه قد وردت في ذلك أحاديث عن رسول الله ﷺ قد تصح بمجموعها وقد لا يراها أحد صحيحة إلا أن من العلماء كمٌّ كبير قالوا: الويل هنا المراد به العذاب الشديد، والله أعلم.

❁❁❁

﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾
وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ
﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ
ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا
فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَٱلطُّورِ - مَّسۡطُورٖ - رَقّٖ - مَّنشُورٖ - وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ - وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ - ٱلۡمَسۡجُورِ - لَوَٰقِعٞ - دَافِعٖ - تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا - وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا - فَوَيۡلٞ - خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ - دَعّٗا - بِهَا تُكَذِّبُونَ - ٱصۡلَوۡهَا - سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱلطُّورِ﴾	جبل الطور المعروف (الذي كلم الله عز وجل عنده نبيه موسى عليه السلام). وقيل: الطور الجبل الذي ينبت. وقيل: الجبل عمومًا.
﴿مَّسۡطُورٖ﴾	مكتوب.

﴿رَقٍّ﴾	جلد رقيق يُكتب عليه (وكانوا في زمن النبي ﷺ يكتبون على جلد رقيق) ـ صحيفة ـ ورق.
﴿مَّنشُورٍ﴾	مفتوح ـ مبسوط.
﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾	بيت في السماء بحيال (بمحاذاة) الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. والمعمور: الذي يُعمَّر بكثرة من يدخلونه.
﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾	السماء (ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾). [الأنبياء:٣٢]
﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾	المُوقد ـ المُحمَّى ـ المتأجج نارًا [1](ومنه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] أي احترقت فصارت نارًا تتأجج). وقيل: المسجور المملوء ـ وقيل: الذي ذهب ماؤه.
﴿لَوَٰقِعٌ﴾	لكائنٌ ـ حالٌّ بالكافرين يوم القيامة ـ لنازل.
﴿دَافِعٍ﴾	مانع ـ صادٌّ يصده ـ دافع يدفعه.
﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾	تدور السماء دورانًا ـ تتحرك تحركًا شديدًا ـ تُكفأ.
﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾	تنسف نسفًا ـ تُزال عن أماكنها.
﴿فَوَيْلٌ﴾	الويل: له معنيان أحدهما: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، والثاني: عذاب شديدٌ.
﴿خَوْضٍ﴾	فتنة واختلاط وغفلة عن طاعة الله وعمَّا هم صائرون إليه من

(١) وقد ورد أثرٌ عن عليٍّ رضي الله عنه عند الطبري (٣٢٣٠٩) أنه سأل رجلاً من اليهود: أين جهنم؟ فقال البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿والبحر المسجور﴾، ﴿وإذا البحار سجرت﴾.

	العذاب.
﴿يَلْعَبُونَ﴾	يدفعون بإرهاق وإزعاج بشدةٍ وعُنف في القفا ـ يدفعون في أعناقهم ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢] أي: يدفعه ويطرده ويغلظ عليه.
﴿دَعًّا﴾	دفعًا ـ إزعاجًا.
﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	تجحدونها ـ تنكرونها.
﴿ٱصْلَوْهَا﴾	ذوقوا حرَّها ـ ادخلوها ذائقين حرَّها.
﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾	يستوي عندكم (أي: سواء أصبرتم وتحملتم أم سمع منكم الضجيج والصياح فكل ذلك لا يُخفف عنكم).

❁❁❁

س: اذكر بإيجاز واختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: أقسم الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة بأمورٍ عظيمة فأقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم عنده موسى عليه السلام، وكذا أقسم بالكتاب المسطور الذي كتبت فيه أعمال العباد.

وكذا أقسم بالبيت المعمور ـ وهو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون، وأقسم كذلك بالسقف المرفوع، وهي السماء، وكذا أقسم بالبحر المسجور.

أقسم بكل ذلك على أن عذاب الله عزَّ وجل الذي وعد به العصاة والمجرمين لا بد وأن يتحقق وأنه واقع، ولن يستطيع أحدٌ دفعه ولا منعه، ثم بين بعض مشاهد هذا اليوم ومقدماته وتوعد المكذبين المعرضين، وبيَّن أيضًا بعض ما أعده للمتقين، وبعض ما أكرمهم وأكرم ذريتهم به، وبعض أعمالهم وأحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ثم حثٌّ للنبي ﷺ على التذكير ودفاع عن هذا الرسول الكريم ونفيٌ للتهم عنه وتحذيرٌ

لأهل الكفر والزيغ والضلال، ولفت أنظارهم إلى ما تفيض ويستلزم توحيد الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به وبيان شدة عنادهم وإبائهم وامتناعهم عن الإيمان ثم وعيد شديد بعظيم العذاب وحث لرسول الله ﷺ على الصبر والثبات والاستعانة بذلك وبالصلاة على تبليغ الرسالة ومواجهة أعداء الله عزَّ وجل، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل ورد أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة بسورة الطور؟

ج: نعم قد ورد ذلك من وجوه:

أحدها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير [١].

الثاني: ما أخرجه البخاري [٢] ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

❁❁❁

س: ما وجه القسم بالطور؟

ج: كما سلف فالطور ـ على رأي لبعض أهل العلم ـ هو الجبل الذي كلَّم الله عنده نبيه موسى ﷺ، والقسم به تشريفٌ له وتكريمٌ وتذكيرٌ بما كان عنده من الآيات والمعجزات.

كما قال تعالى في آيات أُخر: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢].

❁❁❁

(١) البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب.

(٢) البخاري (٤٨٥٣).

س: ما المراد بالكتاب المسطور؟

ج: * قيل: المراد اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارًا، وذلك كالتوراة والإنجيل والقرآن، والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

* وقيل أيضًا: إنه الكتاب الذي كتبه الله لموسى عليه السلام.

* وقيل: صحائف الأعمال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣].

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح ما يتعلق بالبيت المعمور؟

ج: أخرج الإمام مسلم[١] في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق...» فذكر الحديث وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأخرج الطبري بسندٍ[٢] صحيح لغيره عن عليٍّ رضي الله عنه وقد سأله ابن الكواء: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يُقال له: الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالبيت المعمور: الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار والطائفين والعاكفين والمجاورين.

واستظهروا هذا القول ورجحوه لتناسب الآيات مع آيات سورة التين.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) الطبري (٣٢٢٩٠) وانظر الطبري كذلك (٣٢٢٩٠).

ففي سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون، قالوا: وهي البلاد التي ينبت فيها التين والزيتون، التي هي بلاد الشام، وكان فيها وحي إلى عيسى عليه السلام، ثم أقسم بالطور الذي عنده كلَّم موسى عيه السلام، ثم أقسم بالبلد الأمين، بلد رسول الله ﷺ.

وهنا أقسم الله بالطور، والبيت المعمور فحملهم ما تقدم على تفسير البيت المعمور بالكعبة، والله أعلم.

أشار إلى ذلك القاسمي في تفسيره.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى البحر المسجور؟

ج: قيل: هو بحرنا هذا، والمسجور معناه المملوء وهذا قول الجمهور.

وقيل: إنه هذا البحر، ولكنه يتأجج نارًا يوم القيامة تحيط بأهل الموقف.

❁❁❁

س: على أي شيء أقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة؟

ج: أقسم الله عزَّ وجل بهذه المخلوقات العظيمة على أن عذابه واقعٌ بأعدائه، لا دافع له عنهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وتسير الجبال فتنتقل عن أماكنها سيرًا فتصير هباءً منثورًا. قال نحوه القرطبي.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، وتطير في الهواء، ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي:

الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثًّا، كما دل عليه كلامه في سورة النمل، قيل: ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود، والحكمة في مور السماء، وسير الجبال: الإعلام والإنذار بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة، وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾؟

ج: هذه تحتمل معنيين:

أحدهما: فهلاكٌ ـ يوم تمور السماء مورًا ـ للمكذبين.

والثاني: وادٍ في جهنم للمكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للرسل.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾: ويل كلمة عذاب، يقال للهالك، واسم وادٍ في جهنم، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة أي: إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم أي شدة عذاب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ثم وصف المكذبين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، والمعنى: أنهم يخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، وقيل: يخوضون في أسباب الدنيا، ويعرضون عن الآخرة، والخوض من المعاني الغالبة، فإنه يصلح للخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الباطل، كالإحضار فإنه عام في كل شيء، ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب، قال تعالى:

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[الصافات:٥٧] ، ونظيره في الأسماء الغالبة، دابة فإنها غلبت في ذوات الأربع، والقوم غلب في الرجال أفاده الكرخي، أخذًا عن حواشي «الكشاف».

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن النار عرضت لهم فرأوها ثم قيل لهم: أفسحر هذه النار التي أمامكم؟ فقد كنتم تقولون عن القرآن الذي أخبرتم فيه عن النار أنه سحر، أفهذه النار التي ترونها سحرٌ هي الأخرى أم أنكم عميٌ عنها كما كنتم عميانًا في الدنيا عن الحق؟!

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع؛ أي يقال لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترون الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقيل: (أمْ) بمعنى بل؛ أي: بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حرَّ هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدَّتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم، أي: لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: تقول لهم الخزنة ذوقوا حرَّها بالدخول فيها. ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن فـ﴿سَوَآءٌ﴾

خبره محذوف، أي: سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أما الرازي فقد توسع فقال:

ثم قال تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إذا لم يمكنكم إنكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فاصلوها. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ فيه فائدتان:

إحداهما: بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فإن من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه إما بأن يدفع المعذب فيمنعه وإما بأن يغضبه فيقتلته ويريحه ولا شيء من ذلك يفيد في عذاب الآخرة فإن من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتلخص بالإعلام فإنه لا يقضي عليه فيموت، فإذن الصبر كعدمه، لأن من يصبر يدوم فيه، ومن لا يصبر يدوم فيه.

الثانية: بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا، فإن المعذب في الدنيا إن صبر ربما انتفع بالصبر إما بالجزاء في الآخرة، وإما بالحمد في الدنيا، فيقال له: ما أشجعه! وما أقوى قلبه، وإن جزع يذم، فيقال: يجزع كالصبيان والنسوان، وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر، ومبتدأه مدلول عليه بقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ كأنه يقول: الصبر وعدمه سواء، فإن قيل: يلزم الزيادة في التعذيب، ويلزم التعذيب على المنوي الذي لم يفعله، نقول فيه لطيفة، وهي أن المؤمن بإيمانه استفاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه، والشر الذي ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه، والكافر بكفره صار على الضد، فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه، والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم، فإن الله تعالى أخبره به، وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره، كأن الله تعالى قال: فإن من كفر ومات كافرًا أعذبه أبدًا فاحذروا، ومن آمن أثيبه دائمًا، فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعدما سمع ذلك، فإذا عاقبه المعاقب دائمًا تحقيقًا لما أوعده به لا يكون ظالمًا.

❁❁❁

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المستفاد أن الله عز وجلَّ لا يظلم أحدًا من الخلق بل يجازي كلًّا بعمله.

وفي هذا يقول تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وجَعَلْتُه بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:٤٦]، ويقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُتَّقِينَ - فَٰكِهِينَ - بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ - وَوَقَىٰهُمْ - عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ - هَنِيٓـًٔۢا - مُتَّكِـِٔينَ - مَّصْفُوفَةٍ - بِحُورٍ عِينٍ - أَلَتْنَٰهُم - رَهِينٌ - وَأَمْدَدْنَٰهُم - يَشْتَهُونَ - يَتَنَٰزَعُونَ - كَأْسًا لَّا لَغْوٌ - وَلَا تَأْثِيمٌ - مَّكْنُونٌ - يَتَسَآءَلُونَ - قَبْلُ - مُشْفِقِينَ - فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا - وَوَقَىٰنَا - عذاب السموم - ٱلْبَرُّ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم (بفعل الطاعات واجتناب النواهي وفعل الخيرات) - الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.
﴿فَٰكِهِينَ﴾	مُنعمين - مُعجبين - طيبوا المزاج مرتاحوا البال - متلذذين - عندهم فاكهة كثيرةٌ - يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب

	وغير ذلك.
﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	بالذي أعطاهم الله إياه.
﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾	وصرف عنهم ـ ونجَّاهم.
﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾	عذاب النار.
﴿هَنِيٓـًٔا﴾	لا تنغيص فيه ولا كدر ـ لا تخشون منه أذًى ولا غائلة بعد أكله ـ لا تتألمون بعد أكله[1].
﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾	الاتكاء هو الميل بأحد الشقين، وقيل: هو التربع عند الجلوس.
﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾	موصول بعضها إلى بعضٍ حتى تصير صفًّا. وقيل: مصفوفة متقابلة كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].
﴿بِحُورٍ﴾	شدة بياض مقلةُ العين في شدة سواد الحدقة.
﴿عِينٍ﴾	جمع عيناء وهي عظيمة العين في حُسن وسعةٍ.
﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم﴾	وما أنقصناهم ـ وما بخسناهم ـ وما ظلمناهم.
﴿رَهِينٌ﴾	مرتهن (محبوس ومرتبط) بعمله ـ يعاقب بذنب نفسه ـ لا يحمل ذنبه غيره من الناس[2].

(١) قال الرازي في تفسيره (٢٨/ ٢٤٨): وقوله تعالى: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ إشارة إلى خلوها عما يكون فيها من المفاسد في الدنيا، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام، ومنها أنه يخاف النفاد فلا يسخو بالأكل والكل منتفٍ في الجنة فلا مرض ولا انقطاع، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه، ولا إثم ولا تعب في تحصيله، فإن الإنسان في الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه، فلا يتهنأ، وكل ذلك في الجنة منتف.

(٢) قال الزمخشري: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحًا فكَّها وخلَّصها، وإلا أوبقها.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾	أتحفناهم ـ زدناهم وقتًا بعد وقتٍ.
﴿يَشْتَهُونَ﴾	يستطيبون.
﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾	يتعاطون بها ـ يتداولونها فيما بينهم.
﴿كَأْسًا﴾	كأسًا من خمر.
﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾	لا يصاحبها القول الباطل ـ لا تحملهم على الهذيان والجنون.
﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾	كذب ـ ما تجلبه من الإثم.
﴿مَّكْنُونٌ﴾	مصونٌ في كنٍّ ـ محفوظ.
﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾	يسأل بعضهم بعضًا[1] ـ يتحادثون.
﴿قَبْلُ﴾	من قبل (أي في الدنيا) ـ أي قبل لقاء الله.
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين من عذاب الله ـ أرقاء القلوب من خشية الله.
﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾	أنعم الله علينا.
﴿وَوَقَىٰنَا﴾	صرف عنا.
﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	عذاب النار، والسموم اسم من أسماء النار، والسموم في الأصل الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم.
﴿ٱلْبَرُّ﴾	اللطيف بعباده ـ المحسن بمن دعاه.

❁❁❁

(١) يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله التي عملها في الدنيا، وكانت سببًا في دخوله الجنة. وكذا يسأل بعضهم بعضًا عن أحوال الآخرين.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقال: رجل فاكه أي: ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى أنهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل: ذو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تقدم بيان معنى هذا. قرأ الجمهور: فاكهين بالألف والنصب على الحال، وقرئ بالواو على أنه خبر بعد خبر وقرئ فكهين، والفكهة: طيب النفس كما تقدم في الدخان، ويقال للأشر والبطر ولا يناسب التفسير به هنا، والمفاكهة الممازجة وتفكه تعجب وقيل: تندم قال تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:٦٥] أي: تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل: ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى إذ التفكه ليس بإعطاء الرب بل بالمعطى، وقيل: موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؟

ج: المعنى في ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ ما ذكره الطبري عن بعض أهل العلم إذ قال: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء.

* وأورد بسندٍ صحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ فقال: إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته،

---

(١) الطبري (٣٢٣٣٨).

وإن كانوا دونه في العمل، ليقر الله بهم عينه.

* وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملَهم، لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

❁❁❁

س: الولد ينتفع بصلاح أبيه فهل الأب ينتفع بصلاح الولد؟

ج: نعم، الأب ينتفع بصلاح الولد ودعائه، ففي الحديث[1]: «إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِه؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ».

وفي الحديث الآخر[2]: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

❁❁❁

س: هل المراد بالذرية في قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هم الكبار أم الصغار أم هم الكبار والصغار معًا؟

ج: فصَّل في هذه المسألة ابن القيم رحمه الله تعالى تفصيلًا واسعًا وانتهى إلى أن الأظهر اختصاص الذرية بالصغار، وفي ذلك بعض النظر.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩).

(٢) مسلم (١٦٣١).

فقال رحمه الله:

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبني على أن قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوابه ألحقناهم بهم في الدرجات. قالوا: ويدل على هذه قراءة من قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّٰتُهُمْ﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام:٨٤] وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣] وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٣] وهذا قول لكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ المؤْمِنِ إِلَى دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ في الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم. فبلَّغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية. وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان، رفعهم الله إلى درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعًا، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار. والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء. والذرية تتبع الآباء. وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من

الميراث، والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين.

ويكون قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: يدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم، ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ولكان أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا: أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة. كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان. ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا، بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين. وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم. وإن لم يكن لهم أعمال. كما تقدم.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل، بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت بهم أعمالهم.

وقالت فرقة ـ منهم الواحدي ـ: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار؛ لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي. فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] فلو أعتق صغيرًا جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجتهم، وإن كانوا دونه في العمل، لتقرّ بهم عيونهم. ثم قرأ هذه الآية.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، ويكون له الذرية، فيدخل الجنة، فيرفعون إليه، لتقرّ بهم عينه، و إن لم يبلغوا ذلك، وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له، كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء. وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا.

قال: ويدل على صحة هذا القول: أن القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكمًا. فدلت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر، لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ خاص بالكفار أم هو عام؟

ج: من العلماء من قال ذلك خاص بالكفار، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدّثر:٣٨ـ٣٩].

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كل امريء بما كسب رهين﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨].

وقيل: هو عام لكل إنسان مُرْتَهَن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذّرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مُرْتَهَنين بكفرهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، بل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبًا أو ابنًا، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدّثر: ٣٨ ـ ٤١].

❁❁❁

س: هل كل إنسان يرتهن بعمله أم أن هناك استثناءات؟

ج: قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ظاهره يفيد العموم، ولكن هناك ما يدل

على أن أصحاب اليمين يستثنون من هذا العموم.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[المدَّثر:٣٨ـ ٤٠].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل الجنة يتعاطون فيما بينهم كأس خمر، ولكنها ليست كخمر الدنيا التي يصاحبها اللغو واللغط والسباب والشتم والأفعال المحرمة التي تجلب الآثام وتحمل صاحبها على الكذب، وإنما هي خمرٌ غيرُ مصحوبةٍ بلغوٍ ولا بلغط، ولا بكذب ولا بفعل محرمٍ، والله تعالى أعلم.

وأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾. قال: أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأسًا أي: من الخمر؛ قاله الضحاك ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغٍ، أي: هَذيان وإثم أي: فُحْش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدَّهم بها غير الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره؛ فإذا فرغ لم يسم كأسًا.

وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل:

وشَـارب مُـرْبِح بالكـأس نَـادمني ... لا بالْحَصُـور ولا فيهـا بسَـوَّارِ

نَازَعْتُه طَيِّبَ الـرَّاحِ الشَّـمُولِ وَقَـدْ ... صَاحَ الدَّجَاجُ وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّـارِي

وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَـا الحـديثَ وأَسْـمَحَتْ ... هَصَرْتُ بغصنٍ ذِي شَـمَاريخَ مَيَّـالِ

وقد مضَى هذا في (والصافات): ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الكأس أي لا يجري بينهم لغو ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ ولا ما فيه إثم. والتأثيم تفعيل من الإثم؛ أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. قال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس محلَّه جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله! ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: ولا كذب؛ قاله ابن عباس. قال الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضًا. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والحمد لله.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يطوفون بماذا؟

ج: يطوفون بالفواكه والتحف والطعام والشراب والصحاف والأباريق والكئوس ونحو ذلك.

* قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزُّخرُف:٧١].

* وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات:٤٥].

* وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧ ـ ١٨].

❁❁❁

س: هل من فائدة في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾ عقب قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾؟

ج: قال الرازي في تفسيره:

وقوله: ﴿لَّهُمْ﴾ أي: ملكهم إعلامًا لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجهًا آخر وهو: أنه تعالى لما بين امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمخض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد.

❁❁❁

س: ما الفائدة في كون اللؤلؤ ﴿مَّكْنُونٌ﴾؟

ج: الفائدة إيضاح أن هذا اللؤلؤ نقيٌّ في غاية من النقاء صافٍ في غايةٍ من الصفاء، فكما كان مصونًا محفوظًا في كنٍّ كان ذلك أدعى لبياضه وصفائه.

❁❁❁

س: هل مِن فائدة لوصف هؤلاء الغلمان بهذا الوصف ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؟

ج: الفائدة من وجهين، والله أعلم:

أحدها: وصف النعيم الذي يعيشه أهل الجنة.

الثاني: الإشارة بالنعيم الذي فيه الخادم إلى عظيم النعيم الذي فيه المخدوم.

أي: فإذا كان الخادم من حاله أنه أبيض شديد البياض صافٍ في غايةٍ من الصفاء (كاللؤلؤ المكنون) فكيف بالمخدوم.

ولذلك أمثلة ونظائر في كتاب الله عزَّ وجل كما في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ

بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر.

وكقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] فإذا كان العرض هكذا فكيف يكون الطول، والله أعلم.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد خبرٌ مرفوع ضعيف الإسناد لإرساله من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمَا كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى النُّجُومِ»[1].

❁❁❁

س: هل يَذكر المؤمنون والكافرون في الآخرة ما كانوا عليه في الدنيا؟

ج: نعم يذكرون ذلك، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

* وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥١ ـ ٥٣].

* وكذا قول الكفار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. [ص:٦٢ ـ ٦٣]

قال الرازي رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من

---

(١) أخرجه الطبري (٣٢٣٦٩، ٣٢٣٧٠)، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل.

السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى السعة، ويزداد الكافر ألمًا حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم، ثم يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف، فيقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ وهو أنهم يكون تساؤلهم عن سبب ما وصلوا إليه فيقولون: خشية الله كنا نخاف الله ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ وفيه لطيفة وهو: أن يكون إشفاقهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ من هؤلاء؟ وعن أي شيء يتساءلون؟

ج: هؤلاء المؤمنون، وأما عن الذي يتساءلون عنه فقد أوضحته آياتٌ من سورة الذاريات، إذ الله قال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ ...﴾ [الصافات:٥٠ ـ ٥٢]. وكذا أوضحته الآيات في هذه السورة المباركة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نتضرع إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

قال السمعاني: في الآية دليل على أن هؤلاء أهل الجنة يجتمعون ويذكرون أموال الدنيا ويسأل بعضهم بعضًا عن ذلك.

س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل الإيمان يقولون يوم القيامة بعد أن منَّ الله عليهم بالسلامة والنجاة من النار، وتفضل عليهم بفسيح الجنان، وما فيها من النعيم المقيم قالوا: إنا كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا وذوينا خافين من عذاب الله وعقابه وبأسه وانتقامه.

ويُقال أيضًا: وجلين خائفين من أن لا تقبل منهم أعمالهم، والآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧].

❁❁❁

س: ما المراد بالدعاء في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؟

ج: قيل: المراد بالدعاء هنا العبادة والتوحيد.

قال السمعاني: أي نوحده ونعبده، والدعاء ههنا بمعنى التوحيد، وعليه أكثر المفسرين.

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال السمعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في إيضاح ذلك:

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أي: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم: أن البر الذي يصدق وعده لأوليائه.

❁❁❁

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ
رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ
أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ
﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ
ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ
يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ فَذَكِّرْ - بِنِعْمَتِ رَبِّكَ - بِكَاهِنٍ - مَجْنُونٍ - أَمْ - نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ - رَيْبَ ٱلْمَنُونِ - تَرَبَّصُوا۟ - أَحْلَٰمُهُم - أَمْ هُمْ - طَاغُونَ - تَقَوَّلَهُۥ - بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ - لَّا يُوقِنُونَ - ٱلْمُصَيْطِرُونَ - سُلَّمٌ - يَسْتَمِعُونَ فِيهِ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - مَّغْرَمٍ - مُّثْقَلُونَ - كَيْدًا - ٱلْمَكِيدُونَ - سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ - كِسْفًا - مَّرْكُومٌ - كَيْدُهُمْ - يُنصَرُونَ - عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ - لِحُكْمِ رَبِّكَ - بِأَعْيُنِنَا - وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَذَكِّرْ﴾	فعِظ (والتذكرة الموعظة).
﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾	بحمد ربك ـ من نعمة ربك عليك ـ من فضل الله عليك.
﴿بِكَاهِنٍ﴾	الكاهن الذي يأتيه الرِّئيُّ من الجن أي: صاحبه الذي يراه من الجن بالكلمة التي يزعم أنه تلقاها من خبر السماء.
﴿مَجْنُونٍ﴾	الذي ذهب عقله ـ أو الذي تخبطه الشيطان من المس.
﴿أَمْ﴾	بل.
﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾	ننتظر أن يُصيبه.
﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾	حوادث الدهر الذي تكفينا شره وتميته. وتريحنا منه أو تتلفه وتصيبه بالعطب[1].
﴿تَرَبَّصُوا۟﴾	انتظروا ـ تمهلوا.
﴿أَحْلَٰمُهُم﴾	عقولهم.
﴿أَمْ هُمْ﴾	بل هم.
﴿طَاغُونَ﴾	متجاوزون الحد في الطغيان والظلم والكفر.
﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾	اختلقه وافتراه من عند نفسه.
﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾	بقرآن مثله.

(١) أخرج الطبري عن قتادة (٣٢٣٧٨) بسندٍ حسنٍ: قوله: ﴿أم يقولون شاعرٌ نتربصُ به ريب المنون﴾ قال: قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.

ومن ذلك قول الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها ... تُطلق يومًا أو يموت حليلها

﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بوعيد الله.
﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾	الجبارون المتسلطون ـ المنزلون ـ الأرباب المسلطون، ومنه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢].
﴿سُلَّمٌ﴾	سلالم ـ مرقاة يصعدون عليها ـ درج.
﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾	يستمعون عليه، فـ﴿فِيهِ﴾ بمعنى عليه كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	حجة تبين أنه على حق.
﴿مَّغْرَمٍ﴾	غرامة ـ دين.
﴿مُّثْقَلُونَ﴾	يُحمَّلون بالدَّين ـ أثقلتهم الديون ـ مدينون دينًا باهظًا ـ يخافون أن يغرموا غرامة كبيرة.
﴿كَيْدًا﴾	مكرًا.
﴿ٱلْمَكِيدُونَ﴾	المكور بهم.
﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	تنزه الله عن شركهم.
﴿كِسْفًا﴾	قطعًا.
﴿مَّرْكُومٌ﴾	متراكم (بعضه فوق بعض).
﴿يُصْعَقُونَ﴾	يموتون بالصعقة ـ يغشى عليهم.
﴿لَا يُغْنِي﴾	لا يدفع ـ لا ينفع.
﴿كَيْدُهُمْ﴾	مكرهم.
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	ولا ينصرهم ناصر.
﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾	عذابًا قبل ذلك ـ عذابًا أقل من ذلك (يعني في الدنيا).
﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	لقضاء ربك.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾	على مرأى منا.
﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾	بعد غياب النجوم ـ وقيل: وقت إدبارها، وذلك بميلها إلى الغروب عن الأفق بانتشار ضوء الصباح.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ فعِظ يا رسول الله قومكَ فالحمد لله، فمن فضل الله عليك ومن نعمته عليك لست بكاهنٍ ولا مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه. ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوّله الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرِّئيّ من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.

❁❁❁

س: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الرازي بقوله:

المسألة الثالثة: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟ نقول فيه وجهان:

الأول: أن العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا لا نعارضه في الحال مخالفة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته.

الثاني: أنه ﷺ كان يقول: إن الحق دين الله، وإن الشرع الذي أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابي يتلى إلى قيام الساعة، فقالوا: ليس كذلك إنما هو شاعر، والذي يذكره في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتربص به ذلك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾؟

ج: المعنى تربصوا أيها الكفار، وانتظروا حتى يأتي أمر الله، ويحلَّ بي وبكم قضاء الله فإني منتظر قضاء الله وقدره.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ـ الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون ـ تربصوا: أي انتظروا وتمهلوا في ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: انتظروا فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ وهو يحتمل وجوهًا:

أحدها: إني معكم من المتربصين أتربص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الأيام هذا ما عليه الأكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوهًا وبيانها: هو أن قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ إن كان المراد من المنون الموت فقوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ معناه: إني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد، لعدم علمي بما قدمت يداه و إنما أنا نذير وأنا أقول ما قال ربي: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتوقعون بعدي، ويحتمل أن يكون كما قيل تربصوا موتي فإني متربص موتكم بالعذاب، و إن قلنا المراد من ريب المنون: صروف الدهر فمعناه إنكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول: أنا من المتربصين حتى أبصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكًا وماذا يصيبني منه، وعلى التقديرين فنقول: النبي ﷺ يتربص ما يتربصون، غير أن في الأول تربصه مع اعتقاد الوقوع، وفي الثاني تربصه مع اعتقاد عدم التأثير، على طريقة من يقول: أنا أيضًا أنتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكرًا عليه وقوع ما يتوقع وقوعه، وإنما هذا لأن ترك المفعول في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ لكونه مذكورًا وهو ريب المنون أولى من تركه وإرادة غير المذكور وهو العذاب.

الثاني: أتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثيرها فهو لم يتربص بهم شيئًا على الوجهين، وعلى هذا الوجه بتربص بقاءه بعدهم وارتفاع كلمته فلم يتربص بهم شيئًا على الوجوه التي اخترناها فقال: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ قال: كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا ـ أن يعبدوا أصنامًا بكمًا صمًّا، ويتركوا عبادة الله ـ فلم تنفعهم أحلامهم، حين كانت لدنياهم ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأوّل قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ بل تأمرهم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذب وزُور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

قال السمعاني:

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ أي: عقولهم، وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعي إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أي: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

---

(١) الطبري (٣٢٣٨٣).

وقوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم طاغون.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

ج: هذا تحدي، يتحدى ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن يأتي أهل الكفر ـ إن كانوا صادقين في دعواهم أن الرسول ﷺ افترى القرآن من عند نفسه ـ بحديث مثل هذا القرآن.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم: تَقَوَّله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور مثله، ولا بسورة من مثله.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي: من غير آباء ولا أمّهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء.

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين! وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتمروا

لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى لأنهم خلقوا السموات والأرض فكانوا بذلك أربابًا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدَّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا.

وأورد حديث البخاري [1] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جبير بن مُطعم، عن أبيه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول: أنهم إذا لم يدَّعوا أنهم تكوَّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغي أن يعبدوا معه غيره. والقول الثاني: أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] ومثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون ﴿مِّنْ﴾ بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة يعني: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضًا، والأول أظهر في المعنى.

❁❁❁

---

(١) البخاري (٤٨٥٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾؟

ج: قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التي يعبدونها.

وقوله: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يوقنون بما يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أي: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفي التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ بعد أن أورد جملةً من الأقوال في تفسيرها ـ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبَّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب: الجبار المتسلط، ومنه قول الله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] يقول: لست عليهم بجبار مسلط.

قال الرازي في تفسيره:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾، وفيه وجوه:

أحدها: المراد من الخزائن خزائن الرحمة.

ثانيها: خزائن الغيب.

ثالثها: أنه إشارة إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان.

رابعها: خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها، وهذه الوجوه

الأول والثاني منقول، والثالث والرابع مستنبط، وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ تتمة للرد عليهم، وذلك لأنه لما قال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بخزنة رحمة الله فيعلموا خزائن الله، وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفي العلم لجواز أن يكون مشرفًا على الخزانة، فإن العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب في الخزانة، فقال: لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها، ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزانة، لأن التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب، وقيل المسيطر المسلط وقرئ بالصاد، وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء، كما في قوله تعالى: ﴿بمسيطر﴾ وقد قرئ: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق، فهم بلك متمسكون بما هم عليه.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: فإن كانوا يدَّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه، بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنه حق، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله، والسُّلَّم في كلام العرب: السبب والمرقاة، ومنه قول ابن مقبل:

لا تُحْرِزِ المَرْءَ أحْجـاءُ الـبِلاد ولا ... تُبْنَى لـه في السَّـموات السَّـلاليمُ

ومنه قوله: جعلت فلانًا سلمًا لحاجتي: إذا جعلته سببًا لها.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: درج ومرقى.

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فليأت من ادَّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفي بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة في أنه قد سمع الوحي.

❁❁❁

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٢١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجَعْلِهم الملائكة إناثًا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾؟ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

وقد قال السمعاني في تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.

❁❁❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾؟

ج: **قال الطبري ـ رحمه الله ـ:**

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزى، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يقول ـ

تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابًا وعوضًا من أموالهم، فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرًا يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ قال: يقول: أسألتهم على هذا أجرًا، فأثقلهم الذي يُبْتغَى أخذه منهم.

❁❁❁

س: الداعي إلى الله لا يتقاضى على هداية الناس أجرًا دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [هود:٥١].

* وقوله: ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

* وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون:٧٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟، وضح معنى الآية.

ج: المراد بالغيب علمُ الغيب، ودليله قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥].

أما عن الآية الكريمة، فقد قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب،

فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا، ويخبرونهم بما أرادوا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو إلى ما يئول إليه أمره. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. **وقال القتبي**: يكتبون يحكمون والكتاب الحكم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله» أي: بحكم الله.

وقال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعونه، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زورًا وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أي: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾.

ج: قوله تعالى ـ هنا ـ: ﴿ أَمْ ﴾ معناه: بل، فالمعنى: بل يريد هؤلاء المشركون الكيد بك يا محمد والكيد لدين الله، ولكن ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ أي: أن أهل الكفر هم الممكور بهم دونك فثق بالله وامض لما أمرك الله. قاله الطبري.

ومن الكيد الذي كادوه للنبي ﷺ ما ذكره الله في كتابه الكريم إذ قال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: أمْ لهم معبود يستحق عليهم العبادة غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادة من جميع خلقه ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تنزيهًا لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم إله غير الله يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرزق ويحرم؟!

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، وما المراد منه؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: أن أهل الكفر والجحود، ممن سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر لن تجدي معهم الآيات ولن ينتفعوا بالمعجزات، فمهما آتيتهم به من آية التمسوا لها تفنيدًا وتكذيبًا كالذين رأوا انشقاق القمر فقالوا: سَحَرنا محمد ﷺ.

وهذا أيضًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥].

أما عن معنى الآية الكريمة، فبين يدي تفسيرها أقول: إن أهل الشرك قد طلبوا من رسول الله ﷺ ـ كي يؤمنوا به ويصدقوه ـ معجزات، وكان مما طلبوه إسقاط السماء

عليهم قطعًا كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٩٠ ـ ٩٢].

فأخبر الله تعالى: أنه مهما أمدهم به من آيات ومعجزات حتى ولو أسقط السماء عليهم قطعًا ما آمنوا بل لتمادوا ـ أيضًا ـ في غيِّهم.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ﴾ أي: الكفار: ﴿كِسْفًا ﴾ أي: قطعًا ﴿سَاقِطًا﴾ أي: ساقطة من السماء، ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ أي: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا ﴾ يقول: وإن يروا قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ يقول جل ثناؤه: يقولوا لذلك الكسْف الساقط من السماء: هذا سحاب مركوم، يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

وبإسناد صحيح عن[2] ابن زيد في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ قال: حين سألوا الكسف قالوا: أسقط علينا كسْفًا من السماء إن كنت من الصادقين، قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحاب مركوم.

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وإنما عني بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠]... إلى قوله: ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢]، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعاينوا كسفًا من السماء ساقطًا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٣٩١).

(٢) الطبري (٣٢٣٩٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ:

وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أيّ يوم هو، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، يعني: مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، فاليوم الثاني ترجمة عن الأول.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؟

ج: أما قوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فمن العلماء من قال: (أقل من ذلك)، ومنهم من قال: (قبل ذلك).

والمعنى: وإن لأهل الظلم قبل يوم القيامة عذابًا يعذبون به أدنى وأقل من عذاب

يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] ثم إن هذا العذاب من العلماء من قال: إن المراد به عذاب القبر، ومنهم من قال: إنه الجوع، وثَمَّ أقوال أُخر.

أخرج الطبري[1] بإسناد عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].. إلى آخر الآية.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يُراد بهم، بل إذا جَلّى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلِّغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك

---

(١) الطبري (٣٢٣٩٩).

بسوء من المشركين.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تُبَالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر منَّا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلا م: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] أي: بحفظي وحراستي وقد تقدَّم.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ **فمن العلماء من قال:** معناه أن نقول سبحان الله وبحمده.

وقال آخرون: معناها وصل بحمد ربك، أي: صلِّ، وصلاتك هذه يحمد عليها ربك فقد صليتها بحمد ربك.

أما قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فمن العلماء من قال: حين تقوم من كل منامةٍ، وقال آخرون: حين تقوم إلى الصلاة المفروضة.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عني صلاة الظهر.

وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنَّه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضَّحاك لكان فرضًا أن يقال، لأن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد، قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة أن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلًا لنا أنه أريد به الندب والإرشاد.

وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضًا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر، فلما أمر بعد قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم ـ وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلًا ـ عُلم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ حامدًا ربك، وعن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم: أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبيش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام من أي مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول: إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهو كفارة لكل مجلس جلسه الإنسان.

أما الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقد أورد جملة أقوال منها: حين تقوم إلى الصلاة، ومنها: إذا قام من الليل ومنها: إذا قام من المجلس، وأورد استدلالاته على ذلك.

ومما أورده حديث[1] عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من تَعارَّ مِن الليلِ فقالَ: لا إله إلَّا الله، وحْدَه لا شَريكَ لَه، له الملك وله الحمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدِير، سبحَان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ثم قال: رَبِّ اغفر لي ـ أو قال: ـ ثم دعا استُجيب له، فإن عَزَم فتوضَّأ ثُم صلَّى تُقبِّلتَ صلاتُه».

وحديث أبي هريرة[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن جَلَسَ في مَجلسٍ فَكَثُرَ فِيه لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِن مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَه مَا كَانَ فِي مَجْلِسِه ذَلكَ».

❁❁❁

س: اذكر بعض أذكار الاستيقاظ؟

ج: من ذلك ما ورد في الصحيحين[3] من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشُورُ».

* ومن ذلك أيضًا قراءة العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ـ أحيانًا ـ فقد فعلها النبي ﷺ. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قصة

---

(١) البخاري (حديث ١١٥٤).

(٢) الترمذي (٣٤٢٩)، وله طرق يشد بعضها بعضًا.

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١١٣)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٣٥).

مبيته عند خالته ميمونة قال:.. ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ثم قام إلى سنٍ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي[١].

وفي الباب حديث آخر يقوله من تَعارَّ من الليل، (وتعار أي: تقلب على الفراش ليلاً، وقيل: معناه انتبه، وقيل التقلب مع كلام)، ألا وهو حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من تَعَارَّ مِن الليلِ فَقَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه، لَه الملكُ وَلَه الحمدُ، وهُو عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ الحَمْدُ لله وَسُبْحَانَ الله وَلَا إِله إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِر لي أَو دَعَا اسْتَجِيْبُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُه»[٢].

وفي الصحيحين[٣] ـ كذلك ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهم لك الحمدُ أنت قيِّم السموات والأرض ومن فِيهنَّ، ولك الحمدُ لك مُلْكُ السَّموات والأرضِ ومَن فِيْهِنَّ، ولك الحمدُ أنتَ نُور السَّمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ أنتَ مَلِكُ السمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولُك حَقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللَّهم لكَ أَسْلَمْتُ، وبكَ آمَنْتُ، وعليك توكَّلْت، وإليك أَنَبْت، وبك خَاصَمْت، وإليك حاكَمت، فاغفر لي ما قَدَّمت وما أَخَّرت، ومَا أَسْرَرْت وما أعلَنْت، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لَا إِله إِلَّا أنتَ، أَو لَا إِلَه غَيرُكَ».

❁❁❁

(١) البخاري (مع الفتح٣/ ٧١)، ومسلم (٦/ ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٩).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٥٤).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: ومن الليل فعظِّم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاةُ المغرب وقيل: المراد صلاة الليل عمومًا.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: وسبح بحمد ربك عند إدبار النجوم، وقد قيل: إن المراد صلاة ركعتي نافلة الفجر وقيل: المراد صلاة الصبح.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ولم تقم حجة يجب التسليم لها أن قوله (فسبحه): على الندب، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في فضل نافلة الفجر؟

ج: من ذلك قول رسول الله ﷺ: «رَكْعَتا الفَجْرِ خَيرٌ مِن الدُّنيا ومَا فِيها».

وفي رواية: «لهما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا» أخرج الروايتين مسلم[١] في صحيحه.

وعند البخاري[٢] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ لم يكن يدعهما أبدًا.

وفي رواية عنها عند البخاري[٣] أيضًا قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر.

❁❁❁

(١) مسلم حديث (٧٢٥).

(٢) البخاري (١١٥٩).

(٣) البخاري (١١٦٣).

تفسير سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا
كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ
سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ
أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ
الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٣٢]

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿وَٱلنَّجۡمِ ـ هَوَىٰ ـ مَا ضَلَّ ـ وَمَا غَوَىٰ ـ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ـ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ـ ذُو مِرَّةٖ ـ فَٱسۡتَوَىٰ ـ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ـ دَنَا ـ فَتَدَلَّىٰ ـ قَابَ قَوۡسَيۡنِ ـ أَوۡ أَدۡنَىٰ ـ ٱلۡفُؤَادُ ـ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ـ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ـ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ـ جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ـ يَغۡشَى ـ مَا زَاغَ ـ وَمَا طَغَىٰ ـ ضِيزَىٰٓ ـ سُلۡطَٰنٍ ـ ٱلۡهُدَىٰٓ ـ فَأَعۡرِضۡ ـ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ـ بِٱلۡحُسۡنَى ـ ٱللَّمَمَ ـ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ـ أَتۡقَىٰٓ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾	قيل: المراد عموم النجوم التي نراها ـ وقيل نجم مخصوص وهو الثريا ـ وقيل القرآن إذا نزل مُنجمًا [1] (أي مفرقًا).
﴿هَوَىٰ﴾	سقط.
﴿مَا ضَلَّ﴾	ما حاد عن الطريق ـ ما زال عن الحق ولكن على استقامة وسدادٍ.
﴿وَمَا غَوَىٰ﴾	ما صار غويًّا، ولكنه رشيد سديد.
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾	ما ينطق عن هواه ـ ما ينطق بالهوى [2] ما يقول قولًا عن هوًى وغرضٍ.
﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾	شديد الأسباب ـ عنده من الأسباب ما يتوصل به إلى ما يريده (بإذن الله) ـ وهو جبريل عليه السلام.
﴿ذُو مِرَّةٖ﴾	ذو خَلْقٍ حسن ـ ذو منظرٍ حسن وقيل ذو قوةٍ [3].

(١) ومنه ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أي: مواطن نزول الآيات على قول.

(٢) كقوله ﴿فاسأل به خبيرًا﴾ أي: فاسأل عنه خبيرًا.

(٣) قال الطبري رحمه الله: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بالمرَّة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًّا، وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن المرَّة واحدة المرر، وإنما أريد به ذو مرة سوية وإن كانت المِرةُ صحيحة كان الإنسان صحيحًا، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى».

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾	أصبح في مستوى واحدٍ مع رسول الله ﷺ ـ ارتفع واعتدل.
﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	نواحي السماء (في اتجاه طلوع الشمس) الذي يأتي منه النهار.
﴿دَنَا﴾	اقترب.
﴿فَتَدَلَّىٰ﴾	فنزل.
﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾	قدر قوسين ـ على بُعدٍ يقدر بقوسين. وقيل القاب قدر نصف الإصبع.
﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾	أو أقرب.
﴿ٱلْفُؤَادُ﴾	القلب.
﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾	أفتجادلونه ـ أفتجحدونه.
﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	مرة أخرى.
﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾	سدرة السدر ـ شجرة النبق التي يُنتهى إليها، وهي شجرة عظيمة جدًّا فوق السماء السابعة.
﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾	الجنة التي يأوي إليها أهل الإيمان[1]، وقيل يأوي إليها الشهداء.
﴿يَغْشَىٰ﴾	يُغطي ـ يعتري.
﴿مَا زَاغَ﴾	ما مال بصر النبي ﷺ يمينًا ولا شمالًا عما رآه.
﴿وَمَا طَغَىٰ﴾	وما جاوز ما أُمر به ـ ما ارتفع عن الحد الذي حُدَّ له[2].
﴿ضِيزَىٰٓ﴾	جائرة ـ غير مستوية ـ ناقصة غير تامة عوجاء منقوصة ـ غير عادلة[3].
﴿سُلْطَٰنٍ﴾	حجة.
﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾	البيان لحقيقة ما هم عليه.

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ [السجدة:١٩].

(٢) أخرج الطبري (٣٢٥٢٥) بسندٍ رجاله ثقات عن ابن عباس قال في قوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ قال: ما زاغ يمينًا ولا شمالًا ولا طغى، ولا جاوز ما أمر به.

(٣) أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن قتادة (٣٢٥٤٧) قال: ﴿تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ يقول: قسمة جائرة.

﴿فَأَعْرِضْ﴾	دع ـ اترك.
﴿لا يغْنِي﴾ ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾	لا تفيد من ادعاها وتعلَّق بها ورجاها. منتهى علمهم.
﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة.
﴿ٱللَّمَمَ﴾	صغار الذنوب ـ ما يلم به الشخص من الذنوب عمومًا، تلك الذنوب التي تابوا منها.
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	فلا تبرئوا أنفسكم ـ لا تظهروا براءة أنفسكم ـ لا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. لا تمدحوها وتشكروها.
﴿ٱتَّقَىٰٓ﴾	خاف العقوبة فاجتنب المعاصي.

❁❁❁

س: اذكر إجمالاً ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بقسم من الله العظيم على تبرئة رسول الله ﷺ مما صنعه به الواصفون المشركون والمكذبون المعاندون، وتضمنت دفاعًا عن هذا النبي ﷺ أحسن الدفاع وأكمل الدفاع، وكذا تضمنت الدفاع عن الوحي المتضمن القرآن والسنة النبوية وبيان أنه من عند الله عزَّ وجل، وبتعليم جبريل الأمين عليه السلام لهذا النبي الكريم.

ـ ثم بيانٌ بعض ما أكرمه الله به نبيه ﷺ ليلة المعراج من رؤية جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، ورؤية سدرة المنتهى.

ـ ثم بيان لبطلان ما يعبده المشركون من الآلهة الباطلة المزعومة المفتراة.

ـ وكذلك جميل بيان لكون الأمور كلها مردها إلى الله عزَّ وجل، وأن أمر الخلق كلهم إليه وتصبيرٌ لهذا النبي الكريم وتوجيه له، وبيان عدل الله عزَّ وجل، وما أعده لأهل الإيمان، وبيان قدرته على الخلق.

ـ ثم بيان أمر رجل معاندٌ كافر جاحد.

ـ وبيانٌ لبعض ما في الصحف المنزلة قبل القرآن، ألا وهي صحف إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ.

ـ ثم تذكيرٌ بالأمم الهالكة الماضية كعادٍ وثمود وقوم نوحٍ وقوم لوطٍ.

ـ وتذكير بالآخرة واقترابها وتحقق وقوعها، وأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والسجود له والإذعان والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ما المراد بهذا الهَويِّ؟

ج: قال بعض العلماء: المراد إذا رُميت به الشياطين.

وقال آخرون من العلماء: إن المراد بالهويِّ السقوط (سقوط النجم) في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من الآيات العظيمة ما أوجب أن أقسم به. قاله السعدي رحمه الله.

وقال فريق ثالث من العلماء: إن قوله: ﴿هَوَىٰ﴾ انتثر، وذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار:٢].

❁❁❁

س: هل هناك مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة المباركة؟

ج: أشار السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره إلى ذلك بقوله: وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينةً للسماء فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث من الأنبياء لكان الناس في ظلمةٍ أشد من ظلمة الليل البهيم.

❁❁❁

س: من المَعْنيُّ بالصاحب في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾؟

ج: المعنيُّ بذلك هو رسول الله ﷺ.

❁❁❁

س: ما وجه التذكير بقوله: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: وذلك ـ والله أعلم ـ ليبين لهم أن هذا الرسول ليس بمجهولٍ عندهم بل معروف بصدقه وأمانته، وحسن خلقه وهدايته، فأمره لا يخفى عليهم وذلك أدعى للتصديق والإيمان به.

❁❁❁

س: على أي شيءٍ أقسم الله عزَّ وجل؟

ج: أقسم الله عزَّ وجل على أن النبي ﷺ ما ضل وما غوى، فالمقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه والغيِّ في قصده.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه بارٌّ راشد تابع للحق ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم. والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾، أي: ما يقول قولًا عن هوًى وغرض ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان.

❁❁❁

س: اذكر الأثر الوارد عن عتبة بن أبي لهب وكفرانه برب النجم وما مدى صحة هذا الأثر؟

ج: هذا الأثر أخرجه الطبري[١] عن قتادة أن النبي ﷺ تلا: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقال ابنٌ لأبي لهب حسبته قال: اسمه عتبة: كفرت برب النجم، فقال النبي ﷺ: «**احْذَرْ لَا يَأْكُلكَ كَلْبُ الله**»، قال: فضرب هامته.

قال: وقال ابن طاوس عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا تَخَاف أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبَه؟» فخرج ابن أبي لهب مع ناس في سفر حتى إذا كانوا في بعض الطريق سمعوا صوت الأسد، فقال: ما هو إلا يريدني، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه في وسطهم، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم.

إلا أن هذا الأثر مرسل، ومراسيل قتادة شديدة الضعف والله أعلم.

❁❁❁

س: ما الفرق بين الضلال والغواية؟

ج: ذهب بعض أهل العلم: إلى أن الضلال أعم من الغواية وأحيانًا يكون الضلال متعلقًا بالبعد عن القصد الصحيح عمومًا، والبعد عن الصواب، أما الغواية فالبعد عن طريق الإيمان فحسب، ولذلك جوَّز بعض العلماء أن نقول ضلَّ بعيري، وضلَّت ناقتي، ولا تقول غوى بعيري وغوت ناقتي.

ومن ثم فقد رأى بعض أهل العلم أن معنى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ أي ما كفر، ولا فعل أقل من ذلك وهو الفسق، أي ما كفر صاحبكم وما فسق.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٤١٩).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ما هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله تبارك وتعالى إلى رُسُله، وكذلك أفادت الآية أن السُّنة وحيٌ يوحى وأفادت أيضًا أن النبي ﷺ معصوم فيما يخبر به عن الله عز وجل وشرعه.

أخرج الطبري[1]: بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: يُوحِي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمدٍ ﷺ.

❁❁❁

س: هل السنة تنسخ القرآن؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: ذهب إلى ذلك عدد من العلماء، بل نقل هذا القول عن الجمهور ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

ومن أمثلة ذلك: قوله ﷺ: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» فقد ذهب عدد من العلماء إلى أنه ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...﴾ [البقرة:١٨٠] واستدل أيضًا بقول النبي ﷺ «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَد جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مَائَةٍ وَالرَّجْمُ، وَالبِكْرُ بِالبِكْرِ جَلدُ مَائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ» قالوا: إنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥].

❁❁❁

---

(١) الطبري (٣٢٤٢٠).

س: دافع الله عز وجلّ عن نبيه في مواطن كثيرة جدًّا اذكر بعضها؟

ج: من تلك المواضع ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٤١، ٤٢].

❁❁❁

س: من المراد بشديد القوى، وما فائدة التذكير بذلك؟

ج: أكثر العلماء على أنه جبريل ـ عليه السلام ـ.

وفائدة التذكير بذلك بيان أن الذي علَّم النبي ﷺ وجاءه بالوحي هو أفضل ملك من الملائكة وهو جبريل ـ عليه السلام ـ فهو سيد الملائكة، وهو المُطاع فيهم، ثم هو قويٌّ على تنفيذ ما أمره الله به، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، قوي في منع الشياطين من اختلاس الوحي قوي في منعهم من التخليط والتحريف.

ففي ما ذُكر فضيلة للرسول ﷺ إضافة إلى سائر فضائله فهو سيد الناس يوم القيامة نزل عليه خير كتاب بخير لغة في خير بقاع وفي خير أمة أخرجت للناس، وكذلك بواسطة خير ملَكٍ ـ والله أعلم ـ.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن جبريل عليه السلام أصبح في مستوى واحد مع رسول الله ﷺ، وذلك بالأفق الأعلى الذي هو اتجاه طلوع الشمس الذي يأتي منه النهار.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل ـ عليهما السلام ـ بمطلع الشمس الأعلى وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: «وهو» على ما في قوله: «فاستوى» من ذكر محمد ﷺ والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلّما يقولون استوى وفلان، وذكر الفراء عن بعض أنه أنشده:

ألَمْ تر أنّ النَّبعَ يصْلُبُ عودُهُ ولا يسْتَوي وَالخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ

فردّ الخروع على «ما» في يستوي من ذكر النبع، ومنه قول الله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل:٦٧] فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير إظهار نحن، فكذلك قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ﴾، وقد قيل: إن المستوي: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك، فلا مؤنة في ذلك، لأن قوله: «وهو» من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجّه معنى قوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: أي ارتفع واعتدل.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

تنبيهات

الأول: قدمنا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ما قاله المفسرون من الأقوال العديدة، ولا يخفى ما في بعضها من التكلف والتعسف، كتوجيه ابن جرير والرازي ومن وافقهما، وبعض أقوال حكاها القرطبيُّ.

والأقرب في معنى الآية ما ذكره الإمام ابن كثير، كما نقلناه عنه، لكثرة الأحاديث الواردة فيما يفسرها بذلك.

نحن نقول في تأييده إن القرآن يفسر بعضه بعضًا، لتشابه آياته الكريمة وتماثلها.

والآية هذه مشابهة لما في سورة التكوير تمام المشابهة، فقد قال تعالى ثمة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:١٩-٢٣] فترى هذه الآيات مشابهة للآيات هنا، وإن كان فيما هنا زيادة رؤية، وبيان دنوّ واقتراب لم يذكر في (التكوير).

وسر الزيادة هو ارتقاء النبي ﷺ في معارج الكمالات وقتًا فوقتًا.

وسورة النجم مما نزل بعد التكوير، كما حكاه في (الإتقان) عن ابن عباس وغير واحد من السلف، فلذلك كان في (النجم) زيادة هذا التكريم والتفضيل.

وحاصل المعنى: أن ما ينطق به من هذا القرآن ليس عن هواه، وإنما هو وحي علمه إياه ملك كريم، جمّ المناقب، لأنه شديد القوى، ذو مرة، رفيع المكانة بالأفق الأعلى.

ثم لما شاء تعالى إنزال وحيه على نبيه تنزل من الأفق، ودنا إليه، وكان في غاية القرب منه والتمكن من رؤيته، وتلقي الوحي عنه. وذلك كله حق وصدق لا مرية فيه. وكيف يماري من يرى ببصره ، ما يصدقه فؤاده فيه ولا يكذبه، لا سيما ولم تكن رؤياه له مرة واحدة، بل رآه نزلة ثانية، نزل إليه بالوحي في مكان معين لا يشتبه على رائيه، وهو سدرة المنتهى.

وبالجملة، فتوافق هذه الآيات لآيات (التكوير) وتفسير بعضها بعضًا، أمر لا خفاء به عند المتدبر، وكله رد على المشركين المفترين، وإقسام على حقيقة الوحي والتنزيل، وصدق ما يخبر به، لاسيما وهو صادق عندهم لا يكذبونه.

فما بقي بعد التعنت والجحد إلا انتظار سنة الله في أمثالهم من الأمم الكافرة

الجاحدة، كما أشار له في آخر السورة.

هذا ملخص معنى الآيات ـ وما عداه فتوسع ـ وحمل اللفظ على ما تجوّزه مادته. وكل ما يتسع له اللفظ هو المراد ـ والله الموفق ـ.

الثاني: ما قدمناه من رجوع الضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إلخ إلى جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذي عوَّل عليه عامة المفسرين، وقد أيدناه بما رأيت.

قال الإمام ابن تيمية: الدنوّ والتدلّي في سورة النجم هو دنوّ جبريل وتدلّيه ـ كما قالت عائشة وابن مسعود ـ والسياق يدل عليه، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القُوَى، وهو ذو المرة أي القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنا فتدلّى، فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى، وهو الذي رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، رآه على صورته مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى. انتهى.

وروى البخاري[1] في هذه الآيات عن ابن مسعود قال: «رأى جبريل له ستمائة جناح».

وروى الترمذي[2] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أنه ﷺ رأى جبريل، ولم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في جياد ـ مكان بمكة ـ له ستمائة جناح، قد سدّ الأفق».

وأما ما وقع في حديث شريك في (البخاريّ)[3] من قوله: «ودنا الجبّار رب العزة

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ١ ـ حدثنا يحيى بن وكيع، حديث رقم (١٥٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في: ٤٤ ـ كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ٣ حدثنا ابن أبي عمر.

(٣) أخرجه البخاري في: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٣٧ ـ باب قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وحديث رقم (١٦٨٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فتدلّى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، فإن لم يكن ذلك من زيادة شريك، على ما ذهب إليه الإمام مسلم وغيره، فهو دنوّ وتدلّ غير ما في سورة النجم، نؤمن به. ونفوِّض كيفيته إليه تعالى، كسائر أخبار الصفات.

قال ابن كثير: قد تكلّم كثير من الناس في رواية شريك، فإن صح فهو محمول على وقت آخر، وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض، لا ليلة الإسراء. ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض. انتهى.

هذا، وقد أطال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الكلام لتقرير أن الذي دنا فتدلى هو جبريل ـ عليه السلام ـ فقال رحمه الله تعالى (في التفسير القيم):

فالصحيح أن ذلك هو جبريل عليه السلام فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله (٥٣: ١٣، ١٤ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية؟ فقال: «ذَاكِ جِبْرِيلُ، لَمْ أُرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ».

ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه.

أحدها: أنه قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكرير فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠].

الثاني: أنه قال ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي حسن الخلق، وهو الكريم في سورة التكوير.

الثالث: أنه قال ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو ناحية السماء العليا. وهذا استواء جبريل بالأفق. وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه.

الرابع: أنه قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فهذا دنو جبريل وتدليه إلى الأرض، حيث كان رسول الله ﷺ.

وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله ﷺ فوق السموات. فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى. فالدنو والتدلي في الحديث غير الدنو والتدلي في الآية. وإن اتفقا في اللفظ.

الخامس: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ والمرئي عند السدرة هو جبرئيل قطعًا. وبهذا فسره النبي ﷺ فقال لعائشة: «ذَاكِ جِبْرِيلُ».

السادس: أن مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ واحدة. فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسَّر من غير دليل.

السابع: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين: الملكي، والبشرى. ونزّه البشرى عن الضلال والغواية، والملكي عن أن يكون شيطانًا قبيحًا ضعيفًا، بل هو قوي كريم حسن الخَلْق. وهذا نظير المذكور في سورة التكوير سواء.

الثامن: أنه أخبر هناك: أنه رآه بالأفق المبين، وههنا: أنه رآه بالأفق الأعلى وهو واحد وصف بصفتين، فهو مبين وأعلى، فإن الشيء كلما علا بان وظهر.

التاسع: أنه قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ والمرة: الخلق الحسن المحكم. فأخبر عن حسن خلق الذي علم النبي ﷺ، ثم ساق الخبر كله عنه نسقًا واحدًا.

العاشر: أنه لو كان خبرًا عن الرب تعالى لكان القرآن قد دل على أن رسول الله ﷺ رأى ربه سبحانه مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند السدرة. ومعلوم أن الأمر لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ لأبي ذر وقد سأله: هل رأيت ربك ـ قال «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟» فكيف يخبر القرآن أنه رآه مرتين، ثم يقول رسول الله ﷺ «أَنَّى أَرَاهُ؟» وهذا أبلغ من قوله: «لم أره» لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط.

وهذا يتضمن النفي وطرفًا من الإنكار على السائل، كما إذا قال لرجل: هل كان كيت وكيت؟ فيقول: كيف يكون ذلك؟

الحادي عشر: أنه لم يتقدم للرب جل جلاله ذكر يعود الضمير عليه في قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له، وإنما هو لعبده.

الثاني عشر: أنه كيف يعود الضمير إلى ما لم يذكر، ويترك عوده إلى المذكور، مع كونه أولى به؟

الثالث عشر: أنه قد تقدم ذكر «صاحبكم» وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده شديد القوى، ذا المرة. وأعاد عليه الضمائر التي تليق به.

والخبر كله عن هذين المفسّرين، وهما الرسول الملكي، والرسول البشري.

الرابع عشر: أنه سبحانه أخبر أن هذا الذي دنى فتدلَّى: كان بالأفق الأعلى وهو أفق السماء، بل هو تحتها، قد دنا من الأرض، فتدلى من رسول رب العالمين ﷺ، ودنو الرب تعالى وتدليه على ما في حديث شريك: كان من فوق العرش، لا إلى الأرض.

الخامس عشر: أنهم لم يماروه صلوات الله وسلامه عليه على رؤية ربه، ولا أخبرهم بها لتقع مماراتهم له عليها. وإنما ماروه على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها. ولو أخبرهم برؤية الرب تعالى لكانت مماراتهم له عليها أعظم من مماراتهم على رؤية المخلوقات.

السادس عشر: وأنه سبحانه قرر صحة ما رآه. وأن مماراتهم له على ذلك باطلة بقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ولو كان المرئي هو الرب سبحانه وتعالى والمماراة على ذلك منهم: لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج. والله أعلم.

❁❁❁

س: من الذي دنا فتدلى؟ وضح المعنى ولماذا دنا فتدلى؟

ج: الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام.

أما إيضاح المعنى:

فقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه. وهذا من المؤخّر الذي معناه التقديم، وإنما هو، ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله: «دنا»، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلي والتدلي على الدنوّ، كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني؛ لأن الإساءة هي الشتم، والشتم هو الإساءة.

أما كونه دنا فتدلى، فذلك ـ والله أعلم ـ لإيصال الوحي إليه.

وفائدة ذكر الدنو والتدلي لبيان أنه لا واسطة بين رسول الله ﷺ وبين جبريل ـ عليه السلام ـ.

❁❁❁

س: ما مدى صحة هذه اللفظة الواردة في حديث أنس من طريق شريك بن أبي نمر عنه، (ثم دنا الجبار فتدلى)؟

ج: هذه اللفظة استنكرت أشد الاستنكار على راويها، وقد تكلم في متنها كثير من العلماء.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى». ولهذا تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقيب قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقدى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين.

وأورد الطبري وجهًا[1] آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه قال عبدالله في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ «رَأَيْتُ جِبْرِيْلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ».

هذا، وقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

قلت: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧] فقد يقول قائل: أليس ربنا عليم بكل شيءٍ وبالأعداد عن وجه الدقة والتحديد، فالجواب بلى، ولكن قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي في أنظاركم أو أنظار بعضكم، وقال البعض إن «أو» بمعنى (بل).

❁❁❁

وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾؟

ج: الظاهر في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ فأوحى جبريل إلى النبي محمد ﷺ ما أوحاه الله إليه.

هذا، والتنكير في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ لبيان عظمة الشيء المُوحى به، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٤٤٥).

س: وضح معنى قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن قلب رسول الله ﷺ صدقه ولم يكذب عليه في إخباره بالذي رآه أي أن القلب لم يتوهم توهمات بل أخبر صاحبه الذي هو رسول الله ﷺ بالذي رآه، وصدقه في هذا الإخبار، وقد قال عدد من أهل العلم: إن النبي ﷺ رأى ربَّه بفؤاده مرتين.

وقال فريق آخر من العلماء: إن الذي رؤي هو جبريل ـ عليه السلام ـ فقد رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح .

أخرج الطبري بإسنادٍ[1] صحيح بمجموع الطرق عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن عبدالله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، أن النبي ﷺ قال: «رأيتُ جبريل عند سدرة المنتهى، له سِتُّمائة جَنَاحٍ، ينفَضُّ مِن رِيْشه التَّهاوِيلَ الدُّرَّ واليَاقوتَ».

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح» زاد الرفاعي في حديثه: فسألت عاصمًا عن الأجنحة، فلم يخبرني، فسألت أصحابي، فقالوا: كل جناح ما بين المشرق والمغرب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أفتجادلون أيها المشركون رسولنا محمدًا ﷺ فيما أراه الله من الآيات والمعجزات التي منها رؤية جبريل ـ عليه السلام ـ.

❁❁❁

(١) الطبري (٢٣٤٧٠، ٢٣٤٧١، ٢٣٤٧٢).

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟

ج: الذي رأى هو رسول الله ﷺ أما من الذي رآه النبي ﷺ؟ فلأهل العلم قولان:

أحدها: أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل ـ عليه السلام ـ رآه النبي ﷺ مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وهذا نحو قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ فعند الطبري[1] بإسناد صحيح عنها أنها قالت لمسروق: يا أبا عائشة من زعم أن محمدًا رأى ربه أعظم الفرية عليه، قال: وكنت متكئًا، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣] قالت: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرّة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية، قال: «هو جبريل عليه السلامُ».

ومن العلماء من قال: إن الذي رآه النبي ﷺ هو الله عزَّ وجل، وإلى مثل هذا جنح ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

❁❁❁

س: اذكر المرتين اللتين رأى فيهما رسول الله ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها؟

ج: المرة الأولى: التي رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل ـ عليه السلام ـ كانت ورسول الله ﷺ على الأرض[2]، وذلك في بدء الوحي رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح.

أما الثانية: فكانت عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء.

❁❁❁

(١) الطبري (أثر ٣٢٤٧٥).

(٢) البخاري (٦٩٨٢).

س: هل رأى النبي ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟

ج: لم أقف على نص صريح عن رسول الله ﷺ يُفيد ذلك، ولكنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سئل عن ذلك فقال: «رأيت نورًا»، وفي رواية أخرى «نور أنى أراه»[١].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام.. » فذكر الحديث وفيه: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٢].

أما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقد اختلفت أقوالهم في ذلك فنفت عائشة ذلك أشد النفي، فقد أخرج مسلمٌ من طريق مسروقٍ[٣] قال: قال كنت متكئًا عند عائشة. فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهنَّ فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئًا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنَّما هُوَ جبريلُ. لم أَرَهُ عَلى صورته التي خُلِقَ عَلَيْهَا غير هاتَيْن المرَّتينِ. رأيته مُنْهبِطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماءِ إلى الأرْضِ».

فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١] قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم

---

(١) مسلم (١٧٨).

(٢) مسلم (١٧٩).

(٣) مسلم (حديث ١٧٧) واللفظ له، والبخاري (٤٨٥٥).

على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

أما ابن عباس[١] ـ رضي الله عنهما ـ فقد أثبت ذلك فقد صح عنه أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ.

وأخرج مسلم[٢] عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

فالذي يبدو لي، والله تعالى أعلم أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه، وذلك لعدم وجود دليلٍ مرفوع صحيح بذلك، بل ولأن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١]. ولقوله ﷺ «حجابه النور لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل رأى النبي ﷺ ربه في رؤيا منامية؟

ج: ورد ذلك في حديث نوزع في تصحيحه، وهو ما أخرجه الإمام أحمد وغيره[٣] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة ـ أحسبه يعني في النوم ـ فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بَرْدها بين ثديّ ـ أو قال: نحري ـ فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ

٥٥١

(١) ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢) والنسائي في الكبرى (١١٥٣٩).

(٢) مسلم (حديث ١٧٦).

(٣) أحمد (١/ ٢٨٥)، وابن أبي عاصم (٤٦٩).

الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات، والدرجات. قال: وما الكفارات، والدرجات؟ قال: قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى ا لجمعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره. من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم، إني أسألك الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات بذلُ الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام».

❁❁❁

سدرة المنتهى

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن سدرة المنتهى؟

ج: من هذه الأحاديث:

ما أخرجه مسلم[١] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال... ثم ذهب[٢] بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها، وفي رواية ـ أن يصفها من حسنها.

وأخرج الإمام أحمد ـ بسندٍ حسن ـ: عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «بينا أنا عند البيت...» فذكر الحديث وفيه: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول. في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات».

❁❁❁

س: لماذا أطلق على سدرة المنتهى سدرة المنتهى؟

ج: أُطلق عليها ذلك لأمور ثلاث ذكرها العلماء:

أحدها: لكونها ينتهي إليها علم كلِّ عالم ملك مقرب أو نبي مرسل، ما خلفها

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) وذلك بعد أن عرج به إلى السماء السابعة وفتح له ورأى البيت المعمور.

غيب لا يعلمه إلا الله.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري[١] من طريق عن شمر بن عطية، عن هلال ابن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة على رءوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها.

وقيل: أطلق عليها سدرة المنتهى لأنها ينتهي ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها من أمر الله إليها.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود[٢] قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض فيها.

وقيل سدرة المنتهى: إليها ينتهي كل أحد كان على سنة رسول الله ﷺ.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء.

ـ وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى، لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها، كما قال كعب.

ـ وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما رُوي عن عبدالله.

ـ وجائز أن يكون قيل كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها.

---

(١) الطبري (٣٢٤٩١).

(٢) الطبري (٣٢٤٩٢).

ـ وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحّ من القول الذي قال ربنا جلّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

واختلف لم سُمِّيت سدْرة المنتهى على أقوال تسعة:

الأول: ما تقدم عن ابن مسعود، أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.

الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ابن عباس.

الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك.

الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب.

الخامس: سميت سدْرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس.

السادس: لأنها تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة.

السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه؛ قاله علي ـ رضي الله عنه ـ والربيع بن أنس أيضًا.

الثامن: هي شجرة على رءوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضًا.

قلت: يريد ـ والله أعلم ـ أن ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رءوس حملة العرش؛ ودليله على ما تقدّم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سُمِّيت بذلك لأن من رُفع إليها فقد انتهى في الكرامة.

❁❁❁

س: أين الجنة وما الدليل؟

ج: في السماء بعد السماء السابعة لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

❁❁❁

س: ما الذي غشى السدرة، وما فائدة التنكير في قوله تعالى: ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾؟

ج: قيل غشيها (أي غطاها) فراشٌ من ذهب.

وقد ورد في هذا المعنى خبرٌ ضعيف فيه: «رأيتها بعيني سدرة المنتهى حتى استثبتها ثم حال دونها فراش من ذهب»[1].

وقيل غشيها الله سبحانه، وقيل غشيها نور الله عزَّ وجل، وقيل غشيتها الملائكة.

وفي الحديث فغشيها من أمر الله ما غشيها.

وفائدة التنكير: إظهار عظمة الشيء الذي غشي هذه السدرة فلا يعلم وصفه إلا الله.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ثناءٌ على رسول الله ﷺ وضح صورة هذا الثناء؟

ج: إيضاحه بيان ما عليه رسول الله ﷺ من الخلق العظيم فبصره لم يتجاوز المسموح له بالنظر إليه فهذا من كمال الأدب وتمامه أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه ولا حاد عنه.

أشار إليه السعدي فقال:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة، عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: وما

---

(١) الطبري (٣٢٥١٥) بسندٍ ضعيف.

تجاوز البصر. وهذا كمال الأدب منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه، ولا حاد عنه. وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين. فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به. أو يقوم به على وجه التفريط. أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة، يمينًا وشمالًا وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ.

قلت: (**مصطفى**): وهذا يضاف إلى ما ورد من تزكية عقله وتزكية فؤاده وتزكية خُلُقه.

❁❁❁

س: ما المراد بالآيات الكبرى؟

ج: قيل: منها رفرف أخضر من الجنة قد سد الأفق.

وقيل: رأى جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته التي خُلق عليها.

وقيل: رأى الجنة والنار.

وقيل: ذلك يراد به الآيات التي رآها ليلة الإسراء.

❁❁❁

س: ما المراد باللات والعزى، ومن أي شيء اشتقت ومما اشتقت مناة؟

ج: اللات والعزى صنمان من الأصنام، كانت قريش تعبدهما وقد اشتق لهما المشركون اسمين من أسماء الله عزَّ وجل فاشتقوا (اللات) من لفظ الجلالة (الله) واشتقوا (العزى) من اسم (العزيز) واشتقوا (مناة) من اسم الله (المنان).

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات؟ وهي من الله أَلحقت فيه التاء فأُنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى

عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى؛ وزعموا أنهن بنات الله ـ تعالى الله عما يقولون وافتروا ـ فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بناتُ الله.

وقد صح عن ابن عباس عند البخاري، في اللات والعزى[1]، قال كان اللات رجلًا يلتُّ السويق، سويق الحجيج.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل ـ عند قُدَيد، بين مكة والمدينة ـ وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخَر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

وقد ذكروا أن اللات بيتًا كان بنخلة، وقال بعضهم: كان بالطائف تعبده قريش.

وقرأ بعض أهل العلم (اللاتَّ) بالتشديد، وذهبوا في معنى ذلك إلى أن اللات كان رجلًا يلتُّ السويق للحجيج فمات فعكفوا على قبره.

وقد قال بعضهم قولًا آخر في العُزى ـ أيضًا ـ: وأنها كانت شجيرات تُعبد من دون الله، وقال آخرون: كانت حجرًا أبيض يعبد من دون الله، وقيل ـ أيضًا ـ: كانت بيتًا بالطائف تعبده ثقيف.

أما مناة: فقالوا قد كانت بيتًا بالمشلل يعبده بنو كعب.

وقال بعض أهل العلم: إن مناة سميت مناة لأن دماء المناسك كانت تُمنى عندها، أي تُراق.

❁❁❁

---

(١) البخاري (٤٨٥٩).

س: اذكر بعض ما يدل على تعظيم المشركين للَّات والعزى؟

ج: مما يدل على ذلك قول أبي سفيان بن حرب يوم أُحد (لنا العزى ولا عُزى لكم) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[١].

ـ ومن ذلك: كونهم كانوا يحلفون بالعزى وقول رسول الله ﷺ ناهيًا عن ذلك «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أُقامرك فليتصدق»[٢].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وهذا محمول على من سبق لسانه إلى ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية.

قلت: وقد ورد في شأن العزى ما أخرجه النسائي[٣] من حديث أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السَّمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئًا» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة ـ وهم حجبتها ـ أمعنوا في الحيَل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى. فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها. ثم رجع إلى رسول الله، ﷺ، فأخبره،فقال: «تلك العزى».

❁❁❁

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ وما تقدمها من الآيات؟

ج: وجه ذلك إظهار الفارق العظيم بين من يستحق أن يعبد ويطاع وبين غيره.

---

(١) البخاري (٤٠٤٣).

(٢) البخاري (٤٨٦٠).

(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٤٧).

قال السعدي في تفسيره:

لما ذكر تعالى ماجاء به محمد ﷺ، من الهدى، ودين الحق، والأمر بعبادة الله، وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون، من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع، ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة من المعنى، سماها المشركون، هم وآباؤهم الجهال الضلال ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة، التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال.

فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة. وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها.

فسموا «اللات» من «الإله» المستحق للعبادة، و «العزى» من «العزيز»، و «مناة» من «المنان» إلحادًا في أسماء الله، وتجريًا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة من المعاني.

فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.

❁❁❁

قصة الغرانيق وبعض الكلام عليها

س: اذكر ما يتعلق بقصة الغرانيق، وهل هي صحيحة الإسناد أم لا؟

ج: حاصل الأمر في قصة الغرانيق ـ بغض النظر عن ثبوتها من عدمه ـ أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأدخل الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ثم واصل القراءة فمن أجل ذلك حمد المشركون الثناء على تلك الغرانيق، وسجدوا مع المسلمين في نهاية السورة عند قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ هذا الحاصل.

وقال الشوكاني مختصرًا هذه القصة بقوله (في تفسيره فتح القدير:

قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ لما شق عليه إعراض قومه عنه تمنّى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالسًا في ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة «والنجم إذا هوى» فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وكان ذلك التمني في نفسه، فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجي» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين، فتفرّقت قريش مسرورين بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فأتاه جبريل فقال: ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفًا شديدًا، فأنزل الله هذه الآية، هكذا قالوا.

أما الوارد في هذه القصة من آثار فمنها ما يلي:

أثر سعيد بن جبير رحمه الله:

قال الطبري[١] رحمه الله:

حدثنا بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجي، فسجد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥]. صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله.

أثر أبي العالية[٢] رحمه الله:

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: «قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فلما انتهى على هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩ ـ ٢٠] فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهنّ ترتجى، فلما فرغ منها سجد رسول الله ﷺ والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفًا من تراب وسجد عليه، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من

---

(١) الطبري أثر (٢٥٣٣١).

وقد روي متصلًا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند البزار، وفي وصله نظر.

(٢) الطبري (أثر ٢٥٣٣٠)، وله طريق آخر أيضًا عن أبي العالية.

المسلمين، أن قريشًا قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى آخر الآية [الحج:٥٢].

صحيح عن أبي العالية ـ رحمه الله ـ.

أثر أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ـ رحمه الله ـ:

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه سئل عن قوله: ﴿وما وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. الآية [الحج:٥٢]، قال ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث «أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ عليهم ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩ ـ ٢٠] قال: إن شفاعتهنّ ترتجى، وسها رسول الله ﷺ، فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، وفرحوا بذلك، فقال لهم: إنما ذلك من الشيطان، فأنزل الله: ﴿وما وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. حتى بلغ ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢].

أثر ابن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ:

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: أنزلت «سورة النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم، فكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله سورة النجم قال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ ألقى

الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت، فقال: «وإنهن لهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى».

وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته،فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه.

فلما بلغ رسول الله، ﷺ، آخر النجم؛ سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيرًا، فرفع على كفه ترابًا فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود، لسجود رسول الله ﷺ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ـ ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين ـ فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ـ عثمان بن مظعون وأصحابه ـ وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله، ﷺ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحُدِّثوا أن المسلمين قد أَمِنُوا بمكة، فأقبلوا سراعًا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه الله من الفرية، وقال الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣]، فلما بين الله قضاءه، وبرّأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين، واشتدوا عليهم.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وهذا أيضًا مرسل .

قلت (مصطفى): ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل، لكن قد تقدم مختصرًا عن الزهري عن أبي بكر بن الحارث بسندٍ صحيح.

أثر قتادة ـ رحمه الله ـ:

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: [1]

حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبي ﷺ، كان يتمنى أن لا يعب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرانيق العلى، فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته، أفرأيتم اللات والعزى، حتى بلغ ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣] قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج:٥٣].

في رواية معمر عن قتادة بعض الكلام.

ـ فهذه الآثار التي أوردناها مراسيل جآءت ـ كما رأيته من وجوهٍ عدة فمثلها تصحح به الأحاديث وتثبت به الوقائع.

ـ وثم كَمٌّ من الآثار في أسانيدها ضعف أعرضنا عن ذِكرها أوردها الطبري ـ رحمه الله ـ وكذا الطبراني ـ رحمه الله ـ وغيرهما، وضمنها الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

أما عن أقوال أهل العلم في هذه القصة: فها هي بعضها:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢] وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنًّا منهم أن

---

(١) وأورده الطبري من وجه آخر عن معمر.
انظر الطبري (٢٥٣٤٢) و (٢٥٣٤٣).

مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة.

ولم أرها مسندةً من وجه صحيح، والله أعلم.

أما الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: فأورد كما من الآثار ثم أورد بعض الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ حاصلها: أن التمني التلاوة والقراءة ثم قال:

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله ـ تعالى ذكره ـ أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلَّا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢] يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

قلت (مصطفى): وهذا من الطبري ـ رحمه الله ـ تعالى كأنه اعتماد لما تضمنته تلك الآثار في جملتها.

أما الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ (فتح القدير):

ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء:٧٤] فنفى المقاربة للركون فضلًا عن الركون.

ـ قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل.

ـ وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

ـ وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

ـ قال القاضي عياض في «الشفاء»: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا.

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها، وقد أسلفنا عن الحفاظ في أوّل هذا البحث ما فيه كفاية، وفي الباب روايات من أحبّ الوقوف على جميعها فلينظرها في «الدرّ المنثور» للسيوطي، ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة، فقد عرّفناك أنها جميعها لا تقوم بها الحجة.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد جنح إلى إثبات هذه القصة حيث قال عند حديثه[1] عن قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢].

وللناس فيها قولان مشهوران: بعد اتفاقهم على أن التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨] وأما من أول النهي على تمني القلب فذاك فيه كلام آخر؛ وإن قيل: إن الآية تعم النوعين.

لكن الأول هو المعروف المشهور في التفسير، وهو ظاهر القرآن ومراد الآية قطعًا، لقوله بعد ذلك: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [الحج:٥٢، ٥٣]. وهذا

---

(١) وذلك في بعض المواضع التي أورد فيها الآية المذكورة منها (ص١٤٢).

كله لا يكون في مجرد القلب إذا لم يتكلم به النبي؛ لكن قد يكون في ظنه الذي يتكلم به بعضه النخل ونحوها، وهو يوافق ما ذكرناه.

وإذا كان التمني لابد أن يدخل فيه القول ففيه قولان:

الأول: أن الإلقاء: هو في سمع المستمعين ولم يتكلم به الرسول، وهذا قول من تأول الآية بمنع جواز الإلقاء في كلامه.

والثاني: وهو الذي عليه عامة السلف ومن اتبعهم ـ أن الإلقاء في نفس التلاوة، كما دلت عليه الآية وسياقها من غير وجه، كما وردت به الآثار المتعددة، ولا محذور في ذلك إلا إذا أقرَّ عليه.

فأما إذا نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته فلا محذور في ذلك، وليس هو خطأ وغلطًا في تبليغ الرسالة، إلا إذا أقر عليه.

ولا ريب أنه معصوم في تبليغ الرسالة أن يقر على خطأ، كما قال: «فإذا حدثتكم عن الله بشيء فخذوا به، فإني لن أكذب على الله» ولولا ذلك لما قامت الحجة به، فإن كونه رسُل الله يقتضي أنه صادق فيما يخبر به عن الله، والصدق يتضمن نفي الكذب ونفي الخطأ فيه.

فلو جاز عليه الخطأ فيما يخبر به عن الله وأقر عليه لم يكن كل ما يخبر به عن الله.

والذين منعوا أن يقع الإلقاء في تبليغه فروا من هذا، وقصدوا خيرًا، وأحسنوْا في ذلك؛ لكن يقال لهم: ألقى ثم أحكم، فلا محذور في ذلك. فإن هذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه فإنه إذًا موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه.

أما الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: فقد أورد بعض طرقها في الفتح [1]

---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٩٣).

وأورد بعض أقوال من ضعفوها وتعقبهم، وجنح ـ رحمه الله ـ إلى تصحيحها، فقال بعد أن أورد بعض الطرق: وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه.

وكذا قول عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، قال وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه.

ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلًا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يَحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يُستنكر وهوقوله: «ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس منه، وكذا سهوًا إذا كان مغايرًا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته.

وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم

مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ الآية [إبراهيم:٢٢] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة.

وقيل: إن المشركين إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوًا.

وقد رد ذلك عياض فأجاد.

وقيل: لعله توبيخًا للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزًا، وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فُصِّلَت:٢٦] ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيًا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها.

قال: وهذا أحسن الوجوه. ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ بتلا.

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه.

قال: ومعنى قوله: ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن

سنته في رسله إذا قالوا قولًا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في: «أضواء البيان»:

اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعًا، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب.

أما الشيخ ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ:

فقد ذهب إلى تضعيف هذه القصة، وأسهب في ذلك جدًا في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» وكلامه في هذا الصدد أوسع كلام اطلعت عليه في هذه القصة لكن التعقب من وجهٍ حاصله أن كم المراسيل الصحيحة يُصحِح بمثلها العلماء عددًا كبيرًا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

قلت: (مصطفى): ولهذه القصة مزيدُ بحث نورده إن شاء الله تعالى في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ...﴾ [الحج:٥٢] وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم بالصواب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري في إيضاح ذلك: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ يقول أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون له الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهن.

❁❁❁

س: وضح وجه الظلم في تلك القسمة التي قال الله عنها ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؟

ج: وجه الظلم من وجوه:

أولها: أنهم نسبوا إلى الله ما لا يليق به سبحانه وتعالى، فقد نسبوا إليه ا لولد وقد قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[الأنعام:١٠١].

الثاني: أنهم زعموا أن الملائكة إناث.

الثالث: أنهم قسموا واختاروا لأنفسهم ما شاءوا فعجيب أمر من يقسم ويختار.

الرابع: أنهم اختاروا لأنفسهم الأفضل والأكمل من أمور الدنيا، وتركوا ما سوى ذلك لله، فاختاروا لأنفسهم الذكور، وزعموا أن الملائكة بنات وهي لله. تعالى الله عن شركهم علوًا كبيرًا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هذه الأسماء التي اختلقتموها وعبدتموها ليس لها واقع، وليس لها حقيقة إنما اختلقتموها وأطلقتموها على أحجار وأشجار ثم زعمتم أنها آلهة ثم عبدتموها وذلك، والله أعلم، كرجل يأكل بصلًا فأطلق على البصل لحمًا ثم أوهم نفسه وادَّعى أنه يأكل اللحم، وليس للحم أصلٌ في طعامه ولا وجود له على مائدته.

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون وآباؤكم من قبلكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، يعني بهذه الأسماء، يقول: لم يبح الله، وذلك لكم، ولا أذن لكم به.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾؟

ج: **قال الطبري ـ رحمه الله ـ:** وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حق لا اليقين ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ يقول: وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول لله أخبرهم به، وإنما هو اختراق من قِبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ولقد جاء هؤلاء المشركين البيانُ الحقُ من الله سبحانه وتعالى في شأن ما يعبدونه وأن ما يعبدونه باطلٌ لا أصل له ولا أساس وليس له أيّ حق في العبادة.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: [1] وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٥٥٢).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرَّمه بها من النبوة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه، فلله ما في الدار الآخرة والأولى وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

ثم قال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ليس كل من تمنى خيرًا حصل له، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودَّ شيئًا يحصل له.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ (في محاسن التأويل:

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ليس له ما يشتهيه من الأمور التي منها طمعه الفارغ في شفاعة الأنداد، وتعنته في دفاع اليقين بالظن، وتركه نفسه وهواها بلا شرع يقيده، ولا مهيمن يزعه. فإن ذلك من المحالات في نظر العقل السليم، كقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٣].

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: فليس الأمر تابعًا لأمانيهم ولا موافقًا لأهوائهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾، أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾؟ ووضح وجه ارتباطها بالآيات التي سبقتها؟

ج: أما وجه ارتباطها بما قبلها؛ فلنفي ما يتوهمه المشركون من أن آلهتهم ستشفع فيهم، فكأنه قيل لهم: هؤلاء الملائكة المقربون لن يشفعوا في أحدٍ إلا بإذن الله، وهم ملائكتي تفرغوا لعبادتي، ومع ذلك فهذا شأنهم، فمن باب أولى أن لا تملك آلهتكم الشفاعة، فقد كانوا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ يقول تعالى ذكره: وكم من ملك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله ـ لمن شفعوا له ـ شيئًا، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول: ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان، والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فقال الله ـ جلّ ذكره ـ لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي ـ الذين هم عندي ـ لمن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم. فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ في «محاسن التأويل»:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان، بإقناطهم عما علّقوا به أطماعهم من شفاعة أوثانهم، بأن ملائكته الكرام لا يتفوهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه.

فأنّى لهذه الطواغيت أن تفتات على هذا المقام، ولها من الذلة والصغار ما يبعدها عنه بألف منزل؟!

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!

❁❁❁

س: شفاعات الملائكة وغيرهم لا تقبل ولا تكون إلا بإذن الله. دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

❁❁❁

س: الشفاعات الأخروية مقيدةٌ بقيود، اذكر هذه القيود؟

ج: من هذه القيود ما يلي:

أولاً: أن يكون الميت قد مات على التوحيد فلا شفاعة في كافرٍ قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

ثانيا: أن يأذن الله للشافع في الشفاعة، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ثالثًا: أن يشفع الشافع فيمن ارتضاه الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ كما قاله الطبري ـ رحمه الله ـ إذ قال: يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله، ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي كتسمية الأنثى، أي: يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وما لهؤلاء المشركين الذين أطلقوا على الملائكة (إناث)

من علمٍ بحقيقةأمر الملائكة، ولا بكيفية خلقهم كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزُّخرُف:١٩].

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يعني: أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى، تجرءوا على ما تجرءوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادَّة لله ولرسوله، من قولهم: (الملائكة بنات الله). فلم ينزِّهوا ربهم عن الولادة، ولم يُكَرِّموا الملائكة، ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثًا.

والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك، الفطر والعقول، بل العلم كله، دال على نقيض قولهم، وأن الله منزه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وأن الملائكة، كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

والمشركون إنما يتبعون في ذلك، القول القبيح، وهو: الظَّن الذي لا يغني من الحق شيئًا، فإن الحق لابد فيه من اليقين، المستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الظن لا ينفع من الحق شيئًا، وأيضًا المعنى أن الظن لا يجدي شيئًا ولا يقوم مقام الحق بحال من الأحوال.

❁❁❁

س: ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: المراد بالذكر هنا: القرآن، والإيمان والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: فأعرض ـ يا رسول الله ـ عمن أعرض عن ذكر الله وتوحيده والإيمان به، ولم تكن له هِمَّةٌ ولا رغبةٌ إلا في الدنيا وما فيها من متاع وزينة فلم يلتمس رضا الله ولم يطلب مغفرته ولم يسأله فسيح جنته، والسلامة من عذابه، إنما همه الوحيد منصبٌ على دنياه مؤثرًا لها على أخراه، والله أعلم.

❁❁❁

س: وردت نصوص كثيرة في ذم من جعل الدنيا أكبر همِّه ومبلغ علمه اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة:٢٠٠].

ـ وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾.

ـ وقوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾؟

ج: ذلك يحتمل وجوهًا:

أحدها: ذلك القول المبني على الظن هو منتهى علمهم بالملائكة، وليس هو ـ في الحقيقة ـ بعلم إنما هو ضربٌ من ضروب الظن والتخمين.

الثاني: أن الحياة الدنيا والسعي فيها هي منتهى علمهم ومبلغ معرفتهم وغاية ماوصلوا إليه، فلا يعرفون شيئًا عن أمر الآخرة ولا شيئًا مما يتعلق بأمر الدين، وكما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

ـ قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يقوله هؤلاء ـ الذين لا يؤمنون بالآخرة ـ في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ يقول: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم.

وأورد أثرًا صحيح الإسناد عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قال: يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ﷺ، ومكايدتهم لما جآء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ مع بيان ارتباطه بما قبله؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: لا يحزنك ـ يا رسول الله ـ إعراض هؤلاء الـمُعرضين عن الآخرة، الذين ليس لهم همٌ إلا حياتهم الدنيا والإقبالُ عليها، فربك ـ عز وجل ـ يعلم من الذي انحرف عن الطريق السوي المستقيم طريق الإسلام ومن

الذي سلك هذا الطريق، وهُدي إليه.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك ـ يا محمد ـ هو أعلم بمن جَارَ عن طريقه في سابق علمه، فلا يُؤمِنُ، وذلك الطريق هو الإسلام: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه، وذلك الطريق أيضًا الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، أي: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قَدَره.

❁❁❁

س: ما وجه الارتباط بين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾؟

ج: الذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جملة كأنها اعتراضية.

فيكون المعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، وتكون اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ لام العاقبة فستكون عاقبة الذين أساءوا السُّوءى، وتكون عاقبة الذين أحسنوا الحسنى.

فإن سأل سائل: فلماذا هدى الله أقوامًا وأضلَّ آخرين؟ فجواب ذلك: أن الله ـ عزَّ وجل ـ له ما في السموات وما في الأرض وما فيهما يفعل مايشاء، ويقضي بما أراد،

فيهدي ويضل ويعذب ويرحم.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ مُلك ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من شيء، وهو يضلُّ من يشاء، وهو أعلم بهم ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ يقول: ليجزي الذين عصوْه من خلقه ـ فأساءوا بمعصيتهم إياه ـ فيثيبهم بها النار ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يقول: وليجزي الذين أطاعوه ـ فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا ـ بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها. وقيل: عُني بذلك أهل الشرك والإيمان.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دلّ عليه ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقيل: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معترض في الكلام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي.

وقيل: هي لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

❁❁❁

س: هل لزامًا أن يجازي الله كلًّا بما عمل؟ أم أنه قد يعفوا ويصفح؟

ج: بل قلد يعفو ربنا ويغفر ويصفح فهو أهل للتقوى وأهل للمغفرة، فكل الذنوب قد تغفر إلا الشرك إذا مات عليه العبد، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ: وصف للمحسنين ولأعمالهم فهم يجتنبون كبائر الإثم التي حرمها الله عليهم التي منها الشرك بالله، وكذلك يجتنبون المحرمات والفواحش كالزنا ونحوه، ولكن قد يصدر منهم الذنب الصغير بعد الذنب فهذا يغفره الله لهم إن هم اجتنبوا الكبائر، كما قال تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١] فعلى هذا فاللم المراد به: صغار الذنوب.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بَيَّناه في قوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١].

وقوله: ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حدًّا.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى «إلا» في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألـمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن

تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١]. وقال هاهنا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

❁❁❁

س: ما المراد باللمم؟

ج: قيل المراد باللمم: صغار الذنوب.

وقيل المراد باللمم ما يلم به الشخص من الذنوب،أي: ما يفعله الشخص من الذنوب عمومًا ـ صغارها وكبارها ـ ثم يتوب منها.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس في تفسير اللمم ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالةَ فزنى العينين النظرُ، وزنا اللسان النطقُ والنفس تمنَّى وتشتهي والفرجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يكذِّبه».

وفي بعض الروايات «والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْلُ زناها الخُطا».

ـ وأورد الطبري بإسناد صحيح[٢] عن الشعبي قال:

هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: «زنى العينين: ما نظرتْ إليه، وزنى اليد: ما لمستْ، وزنى الرجل: ما مشتْ والتحقيق بالفرج».

وبإسنادٍ صحيح عن مجاهد[٣]: أنه قال في هذه الآية (إلا اللمم).

---

(١) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) الطبري (٣٢٥٦٥).

(٣) الطبري (٣٢٥٦٨).

قال: الذي يُلِمُّ بالذنب ثم يدعه.

وصح عن الحسن: [١] في قول الله ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللمَّةُ من الزنى أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وبإسناد حسنٍ عن قتادة قال: [٢] واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حدَّ الدنيا، ولا حدَّ الآخرة، مُوجِبَةً قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشةُ يقام عليها الحد في الدنيا.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال «إلا بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفوٌّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء:٣١] فوعد جل ثناؤه: باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللممُ الذي قال النبي ﷺ: «**العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»، وذلك أنه لا حد فيما دون وُلُوجِ الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوى عن النبي ﷺ.

واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لمم القتل، يريدون ضربًا مقاربًا للقتل.

قال: وسمعت من آخر: ألمّ يفعل في معنى: كاد يفعل.

❁❁❁

---

(١) الطبري (٣٢٥٧٠)، (٣٢٥٧٢).

(٢) الطبري (٣٢٥٨٧).

س: قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلم بكم مِن مَن؟

ج: أعلم بكم من أنفسكم، وأعلم بكم من غيره.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ربكم أعلم بكم في كل وقتٍ وحينٍ، أعلم بكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وأعلم بكم وأنتم أجنةٌ في بطون الأمهات.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما صرتم رجالاً ونساء.

❁❁❁

س: اذكر بعض ما يتعلق بتزكية النفس من الفقه؟

ج: إجمالًا لا يجوز لأحد أن يزكي نفسه ولا أن يكثر من الثناء عليها إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

وكذلك شأنه مع الأشخاص لا يبالغ في الثناء عليهم وإطرائهم إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

فقد قال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فإذا دعت الحاجة الضرورة فعل، وقد قال النبي ﷺ: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلبْ.

ـ وقال ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي...

ـ وأثنى النبي على طائفة من أصحابه.

وذكَّر عثمان رضِي الله عنه عندما أرادوا قتله ببعض أفعاله ومناقبه لعلهم يعرضون عن قتله ويعتبرون ويتعظون.

وفي معرض المنع قول النبي ﷺ «احثوا في وجوه المدَّاحين التراب».

وقد تقدمت بعض مباحث ذلك في تفسيري لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء:٤٩].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله أعلم بالمتقين، وذلك لأن التقوى محلها القلب، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ حيث أشار إلى صدره قائلًا: التقوى ها هنا فلما كان القلب لا يطلع عليه إلا الله، ولا يعلم ما فيه إلا الله فمن ثم كان الله أعلمَ بالتقى منا دون من سواه.

❁❁❁

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ
﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ
وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ
﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ
وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن
نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ
رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن
قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ
لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ
﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ [النجم:٣٣ ـ ٦٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَوَلَّىٰ ـ وَأَكْدَىٰٓ ـ يُنَبَّأْ ـ صُحُفِ مُوسَىٰ ـ وَفَّىٰٓ ـ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ـ مَا سَعَىٰ ـ ٱلْأَوْفَىٰ ـ ٱلْمُنتَهَىٰ ـ تُمْنَىٰ ـ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ـ أَغْنَىٰ ـ وَأَقْنَىٰ ـ ٱلشِّعْرَىٰ ـ فَمَآ أَبْقَىٰ ـ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ـ أَهْوَىٰ ـ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ـ ءَالَآءِ ـ تَتَمَارَىٰ ـ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ـ كَاشِفَةٌ ـ سَٰمِدُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَوَلَّىٰ﴾	أدبر ـ أعرض عن الإيمان بالله وأعرض عن الدين.
﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾	انقطع عطاؤه ـ بخل.
﴿يُنَبَّأَ﴾	يُخبر.
﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾	التوراة، وقيل الألواح.
﴿وَفَّىٰٓ﴾	قام بما أُمر به ـ وفَّى لله بالبلاغ أدى رسالة الله إلى خلقه[1] .
﴿أَلَّا تَزِرُ﴾	لا تحمل.
﴿وَازِرَةٌ﴾	حاملةٌ.
﴿وِزْرَ﴾	حمل.
﴿أُخْرَىٰ﴾	نفس أُخرى.
﴿مَا سَعَىٰ﴾	ما عمل.
﴿ٱلْأَوْفَى﴾	الأكمل ـ الذي وفاه الله به. لأن الله كان قد وعده بذلك فوفاه الله ما وعده.
﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾	المرجع والمآب.
﴿تُمْنَىٰ﴾	تُهراق.

(١) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى﴾ قال سعيد ابن جبير، والثوري: أي بلَّغ جميع ما أمر به. وقال ابن عباس: وفَّى لله بالبلاغ. وقال سعيد بن جبير: وفَّى ما أمر به. وقال قتادة: وفَّى طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين﴾.

﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾	البعث بعد الموت.
﴿أَغْنَىٰ﴾	صيره غنيًّا ـ جعله ذا مال.
﴿وَأَقْنَىٰ﴾	جعله مقتنيًا لأشياء (أصولًا وأموالًا). وقيل: المعنى أَخْدَمَ (جعل لهم خَدَمًا) وقيل: المعنى أرضى، وقيل أفقر[1].
﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾	النجم الذي يسمى بالشعرى، وقد قيل إن من أهل الجاهلية من كان يعبده.
﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾	فما تركها تعيث في الفساد.
﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾	قرية سدوم التي كان يسكنها قوم لوط ائتوفكت فقُلب أعلاها فجعل سافلها وقد قيل إن جبريل ـ عليه السلام ـ رفعها إلى السماء السابعة بجناحه ثم أهواها فقلبها ثم ابتعث بأحجار[2].
﴿أَهْوَىٰ﴾	أهواها من السماء إلى الأرض.
﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾	فأصابها ما أصابها، وحلَّ بها ما حلَّ بها.
﴿ءَالَآءِ﴾	نِعَمْ.
﴿تَتَمَارَىٰ﴾	تتجادل ـ ترتاب ـ تشك.
﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾	اقتربت القيامة ـ (وأطلق على القيامة آزفة لاقترابها).
﴿كَاشِفَةٌ﴾	كاشف يكشفها ـ دافعٌ يدفعها ـ صارفٌ يصرفها.
﴿سَٰمِدُونَ﴾	لاهون ـ غافلون ـ مغنون ـ مُبرطمون

❁❁❁

(١) ومستنده ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾.

(٢) أورد الطبري (٣٢٦٤٩) بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ قال: قرية لوط، أهواها من السماء من أتبعها ذاك الصخر، اقتلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء، ثم قُلبت.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾؟

ج:المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ:

* أن هذا رجلٌ قد تولى وأعرض عن الإيمان بالله، وكان قد قدَّم خيرًا ثم انقطع عطاؤه ولم يستمر فيه، وجائز أن يكون الخير الذي أعطاه أولًا إظهاره للإيمان، وثناؤه على القرآن، ثم كفره ووصفه بأنه شعر وسحر وأساطير الأولين، أي: أنه لم يستمر على إيمانه وثناءه على القرآن.

* وجائزٌ أيضًا أن يكون أعطى بعض الناس مالاً على كفره ثم انقطع عن هذا العطاء.

أما عن أقوال العلماء في ذلك فقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلًا من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخل عليه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسولَ الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئًا من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له.

وأورد الطبري[1] أثرًا صحيح الإسناد إلى ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾... إلى قوله: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ قال: هذا رجل أسلم، فلقيه بعض من يُعَيِّرُهُ فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار! كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بآبائك؟ فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئًا، وأنا أحمل كلّ عذاب عليك عنك، فأعطاه شيئًا، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئًا، وكتب له كتابًا،

---

(١) الطبري (٣٢٥٩٦).

وأشهد له، فذلك قول الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ عاسره ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ نزلت فيه هذه الآية.

وقال الطبري رحمه الله:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدى، من كدية الركية، وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء، فيقال حينئذ بلغنا كُدْيتها.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد.

قال عكرمة، وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا، فيجدون في أثناء الحفر صخرةً تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: أكْدَيْنا، ويتركون العمل.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ قبح حالة من أُمِر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك، وأعرض عنه؟

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدي ويمنع. فإن الإحسان ليس سجية له وطبعًا، بل طبعه التولِّي عن الطاعة وعدم الثبوت على فعل المعروف. ومع هذا، فهو يزكِّي نفسه، وينزلها غير منزلتها، التي أنزلها الله بها.

س: اذكر بعض الوارد في الحث على مواصلة البر، والمداومة على الخير وإن كان قليلًا، فالقليل المتصل خيرٌ من الكثير المنقطع؟

ج: من ذلك قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وقد سُئلتْ عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم[1].

---

(١) البخاري (١١٣٢)، ومسلم (٧٤١).

* وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أَدْوَمُها وإن قلَّ»[١].

وفي بعض الروايات «كان عمله ديمةً»[٢].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾؟

ج: تفسير هذه الاية الكريمة مبني على تفسير ما سبقها فإذا حملناها على ما ورد في قصة الوليد بن المغيرة التي أشار إليها الطبري فيكون المعنى على ما ذكره الطبري إذ قال: وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضَمِن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفاءه بما وعده.

أما إذا حملناها على الوجه الآخر فقد قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه، فهو يرى ذلك عيانًا؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟ ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره، وكفى بهذا جهلًا وحمقًا.

وهذه الرؤية هي المتعدية إلى مفعولين، والمفعولان محذوفان؛ كأنه قال: فهو يرى الغيب مثلَ الشهادة.

---

(١) مسلم (طرف حديث ٧٨٣).

(٢) البخاري (٦٤٦٦)، ومسلم (٧٨٣).

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ الغيب، فيخبر به، أم هو متقول على الله، متجرِّئٌ عليه، جامع بين المحذورين، الإساءة، والتزكية، كما هو الواقع، لأنه قد علم، أنه ليس عنده علم من الغيب، وأنه لو قدر أنه ادعى ذلك، فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب، التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، وذلك دليلٌ على بطلانه.

❁❁❁

س: اذكر بعض الآيات الدالة على نفي علم الغيب عن العباد؟

ج:من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [القلم:٤٧].

* وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم:٧٨].

* وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦]

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾؟

ج:المعنى ـ والله أعلم ـ أم لم يُخبر هذا الذي ادعى أنه سيحل أوزار الآخرين، وحثهم على الكفر ووعدهم أنه سيغني عنهم، أفلم يخبر بالذي جاء في صحف موسى التي هي التوراة، وكذلك ما جاء به إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى! أي: لا تحمل نفس حِمْلَ نفسٍ أُخرى، ولا يُؤَاخذُ أحدٌ بذنب غيره.

قال بعض العلماء: وخُصَّت صحف إبراهيم وموسى بالذكر لأنه كان ما بين نوحٍ وإبراهيم يؤاخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى ﴿وَفَّىٰٓ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وَفَّى بالذي كُلِّف بتبليغه فقد أمره الله بالبلاغ فبلغ حق البلاغ، وأتم ما كُلِّف به من تبليغ الرسالات إلى الخلق.

الثاني: وفَّي بما رآه في الرؤية من الأمر بذبح ولده.

الثالث: وفَّى ربه جميع شرائع الإسلام، وقام بما فرضه الله عليه.

الرابع: وفَّى ربه عمل يومه.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفّى شرائع الإسلام وجميع ما أمر به من الطاعة، لأن الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر عنه أنه وفَّى فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخصص بعضًا دون بعض.

فإن قال قائل: فإنه خصّ ذلك بقوله وفّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فإن ذلك مما أخبر الله جل ثناؤه أنه في صحف موسى وإبراهيم، لا مما خص به الخبر عن أنه وفى.

وأما التوفية فإنها على العموم، ولو صحّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله ﷺ، لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله.

❁❁❁

س: ما الذي في صحف موسى وإبراهيم الذي وفَّى من المذكور في هذه السورة؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾.

❁❁❁

س: اذكر من الأدلة ما يفيد أن نفسًا لن تحمل إثم نفس أُخرى؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر:١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢، ١٣].

❁❁❁

س: وضِّح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن من الموجود في صحف إبراهيم وموسى من الأخبار وأمور الشريعة ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أي: لا يجازي عاملٌ إلا بعمله خيرًا كان ذلك أو شرًّا.

ومن العلماء من قال إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١].

بينما ذهب أكثر أهل التأويل ـ كما نقل عنهم القرطبي ـ إلى أن الآية محكمة.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: روى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويُشَفِّع الله تعالى الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء:١١] وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدًا عمل أحد، وأجمعوا أن لا يصلي أحد عن أحد.

وقال أيضًا:

قلت: ويُحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ خاص في السيئة؛ بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبْتُها له حسنة فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئةً واحدة**».

❁❁❁

س: اذكر وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]؟

ج: جمع الشنقيطي بين ذلك فقال:

والجواب من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره، لأنه لم يقل: وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ﴾، وبين الأمرين فرق ظاهر، لأن سعي الغير ملك لساعيه إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه.

وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والحج عنه ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني: أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم، إذ لو كانوا كفارًا لما حصل لهم ذلك. فإيمان العبد وطاعته سعى منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين، كما وقع في الصلاة في الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفردًا، وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾.

الثالث: أن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد كما هو نص قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ولكن مِنْ سعي الآباء، فهو سعي للآباء أقرَّ الله عيونهم بسببه، بأن رفع إليهم أولادهم فيتمتعوا في الجنة برؤيتهم.

فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها، لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين، والخلق الذين ينشئهم للجنة والعلم عند الله تعالى. اهـ منه.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ:

من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور، يَسْقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: الْـمَدِين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: «أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه؟»». فقد حصل له فضل الجماعة بعمل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تَبْرَأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع

بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات، كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يُرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح:٢٥] إلخ. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١] إلخ. فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشروها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره، ممن يُموِّنه الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها.

حادي عشريها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعي له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة؟ انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

❁❁❁

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ قرآنًا ويهب ثوابه للأموات؟

ج: لا أعلم شيئًا من ذلك واردًا عن رسول الله ﷺ.

وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية:

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم.

ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»[1]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به» فهذه الثلاثة ـ في الحقيقة ـ هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾... الآية [يس:١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده، هو أيضًا من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقُص من أجورهم شيئًا»[2].

❁❁❁

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) مسلم (٢٦٧٤).

س: اذكر بعض ما يلحق الميت بعد وفاته من أعمال البر؟

ج: من ذلك ما يلي:

الاستغفار له: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

* وقال ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك»[١].

* الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به والولد الصالح الذي يدعو له: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[٢].

* أداء الدين عن الميت والحج عنه: أخرج البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن امرأة من جهنية جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «نعم حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دَيْن أكنت قاضيته؟! اقضوا الله فالله حق بالوفاء»[٣].

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها، وأُراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها»[٤].

* الصوم: وذلك لقول رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيام صامَ عنه وليُّه»[٥].

---

(١) أحمد في المسند (٢/ ٥٠٩) بسندٍ حسن.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ١٦٧) (حديث ١٦٣١).

(٣) البخاري (١٨٥٢).

(٤) البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (٤/ ١٦٦).

(٥) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

* قضاء النذر: أخرج البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن سعد بن عباده استفتى رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت أمه قبل أن تقضيه فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سُنَّةً بعد[١].

* العمرة عنه: ففي الحديث: «احجج عن أبيك واعتمر»[٢].

* صلة من كان الميت يصلهم: ففي الحديث: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»[٣].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن عمل العامل سوف يُرى يوم القيامة إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌ.

أما من الذي سيراه، فقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وسيراه صاحبه أيضًا، قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨].

وقال تعالى ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ..﴾ [الإسراء:١٣، ١٤] هذا، وقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ: وأن عمل كل

---

(١) البخاري (٦٦٩٨).

(٢) أحمد (٤/ ١٠).

(٣) مسلم (٢٥٥٢).

عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازي عليه، خيرًا كان أو شرًّا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره.

وإنما عُني بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يغني عنه يوم القيامة شيئًا، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ.

وقد قيل: إن الذي يرى هو جزاء العمل، يُرى يوم القيامة.

❁❁❁

س: لماذا وصف الجزاء بالأرض؟

ج: قيل: لأن الله أوفى بما وعد خلقه، فقد وعدهم أن يثيبهم على الطاعات فوفى لهم بذلك.

وقيل الأوفى: الأكمل. الذي ليس بناقصٍ وقيل الأوفى: الأوفر.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمنتهى ها هنا المرجع والمآب، وهو المجازي للعباد على أعمالهم.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه، ﷺ: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جمع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم.

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: إليه تنتهي الأمور: وإليه تصير الأشياء

والخلائق، بالبعث والنشور. وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم، والحكم، والرحمة، وسائر الكمالات.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾؟

ج: المعنى والله تعالى ـ أعلم ـ أن الضحك والبكاء كلاهما من عند الله عزَّ وجل، فضَحِكَ الضاحك، وبكاء الباكي كلُّ ذلك من عند الله، فلا تنذرف دمعةٌ ولا تنفرج شفاة إلا بإذن الله.

بينما حمل آخرون من أهل العلم هذا الضحك وذاك البكاء على الضحك يوم القيامة، والبكاء يوم القيامة، فقال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار، بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى، فلا فاعل إلا هو؛ وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لا والله ما قال رسول الله قطُّ إنّ الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: (إنّ الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابًا وإن الله لهو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخري).

وعنها قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقول لك: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾.

فرجع إليهم فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: إيتِ

هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: قضى أسباب الضحك والبكاء.

ـ وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء.

ـ وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. وقد تقدّم هذا المعنى في «النمل» و «التوبة».

ـ قال الحسن: أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

ـ وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرَّه وأبكى من شاء بأن غَمَّه.

ـ الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر.

ـ وقيل: أضحك الأشجار بالنَّوَّار، وأبكى السحاب بالأمطار.

ـ وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته.

ـ وقال سهل بن عبدالله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط.

ـ وقال محمد بن علي الترمذيّ: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا.

ـ وقال بسام بن عبدالله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السِّنُّ تَضحَكُ والأحشاءُ تحترقُ ... وإنما ضِحْكُها زَورٌ ومُختَلَقُ

يا رُبَّ باكٍ بعَينٍ لا دموعَ لها ... وربَّ ضاحك سنٍّ ما به رَمَقُ

وقيل: إن الله تعالى خصّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان. من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

ـ وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما

ضحكوا ولا كلّ من دون العرش منذ خلقت جهنم.

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير، والشر، والفرح، والسرور، والهم، والحزن، وهو سبحانه، له الحكمة البالغة في ذلك.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله عزَّ وجل هو الذي جعل الحياة تدب في الأجساد، فهو الذي نفخ الروح فيه أو أمر الملك بنفخ الروح فيها ـ فدبت فيها الحياة وأمر ملك الموت ـ إذا أراد إماتتها ـ بقبض تلك الأرواح عن الأجساد.

فلا يموت ميت إلا بإذن الله، ولا تحيا نفس زمنًا أكثر من الذي قدره الله لها.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى ذكره: وأنه هو أمات من مات من خلقه، وهو أحيا من حيي منهم. وعني بقوله: ﴿وَأَحۡيَا﴾ نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصييره الروح فيها.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ أي: قضى أسباب الموت والحياة.

ـ وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢] قاله ابن بحر.

ـ وقيل: أمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ الآية [الأنعام:١٢٢].

ـ وقال: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٣٦] على ما تقدّم، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله.

ـ وقول من قال: أمات بالمنع والبخل وأحيا بالجود والبذل.

ـ وقيل: أمات النطفة وأحيا النَّسَمة.

ـ وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء.

ـ وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب.

ـ وقيل: أنام وأيقظ.

ـ وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث.

❁❁❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة:٣٦ـ٣٩].

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٧].

❁❁❁

س: على أي شيء يستدل بخلق الزوجين الذكر والأنثى؟

ج: استدل بذلك على أمرين:

الأول: الاستدلال بذلك على البعث، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ ثم قوله بعد ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.

الثاني: الاستدلال بذلك على أن الإنسان خلق للتكليف، ومن ثمّ للعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة:٣٦ـ٣٩].

❁❁❁

س: لماذا خُصَّت الشعرى بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ مع أن الله عزَّ وجل رب كل شيءٍ؟

ج: قال بعض العلماء، ذلك، والله أعلم، لأن هذا النجم كان مما يعبد من دون الله في الجاهلية، فأخبر الله تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مخلوق، فكيف بمن يتخذ مع الله آلهة أخرى.

❁❁❁

س: هل هناك عادٌ أولى وعادٌ أخرى؟

ج: قال ذلك بعض العلماء، وإليه جنح الطبري إذ قال:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عني بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر:٦ ـ ٧].

ثم قال: وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى، لأن بني لُقَيم بن هَزَّال بن هُزَيل بن عَبيل بن ضِدٍّ بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانًا بمكة مع إخوانهم من العمالقة، وَلَدِ عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه أُطلق على عادٍ (عادًا الأُولى) لكونها من أوائل الأمم. والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يَبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرّدها على ربها مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها فأهلكها.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله عزَّ وجل أهلك قبل عادٍ وثمود قومَ نوح فقد كان قوم نوح أشد ظلمًا وطغيانًا من قوم عاد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلمًا لأنفسهم، وأعظم كفرًا بربهم، وأشدّ طغيانًا وتمرُّدًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانًا من غيرهم من الأمم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة [1] قال:

قوله: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ﷺ نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بني إن أبي قد مشي بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذٍ؛ تتابعًا في الضلالة، وتكذيبًا بأمر الله.

---

(١) (٣٢٦٤٣).

قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى، أي: أشد ظلمًا وطغيانًا من غيرهم، قد بينه تعالى في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح:٢١، ٢٢] إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧].

وقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود:٣٨].

ومن أعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] لأن قومًا لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل، لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم.

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ ؟

ج: المعنى: أن مدائن قوم لوط، وهي المُسماة بالمؤتفكات أهلكها الله، وصورة الإهلاك أنها رفعت إلى السماء ثم هويت إلى الأرض، وقد قُلب أعلاها فأصبح أسفلها.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: في كتابه «أضواء البيان» قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

المؤتفكة، مفتعلة من الإفك، وهو القلب والصرف، والمراد بها: قرى قوم لوط بدليل قوله في غير هذا الموضع: والمؤتفكات. بالجمع؛ فهومن إطلاق المفرد وإرادة الجمع كما أوضحناه مرارًا، وأكثرنا من أمثلته في القرآن وفي كلام العرب وأحلنا عليه مرارًا، وإنما قيل لها: مؤتفكة، لأن جبريل أفكها فأتفكت، ومعنى أفكها: أنه رفعها نحو

السماء ثم قلبها جاعلًا أعلاها أسفلها، وجَعْلُ عاليها أسفلها، هو ائتفاكها وإفكها.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة هود في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ الآية [هود:٨٢].

وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤].

وقد بينا قصة قوم لوط في هود والحجر، وقوله في هذه الآية الكريمة: أهوى. تقول العرب: هوى الشيء إذا انحدر من عال إلى أسفل.

وأهواه: غيره إذا ألقاه من العلو إلى السفل، لأن الملك رفع قراهم ثم أهواها أي: ألقاها تهوى إلى الأرض، منقلبة أعلاها أسفلها.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فأصابها الذي أصابها وذلك أنها أُتبعت بحجارةٍ من سجيل منضود.

والتنكير في قوله تعالى ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ لبيان عظيم العذاب الذي قد حلَّ بها، فإنه لا يمكن وصفه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله في تفسيرها:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: فبأيّ نعم الله وفضله، تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة، لا تقبل الشك، بوجه من الوجوه. فما بالعباد من نعمة، إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم، إلا هو.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: هذا رسول الله ﷺ نذير من النذر الأولى، منذرٌ محذرٌ كما أنذرت الرسلُ من قبله، أي: من جنس النذر الأولى.

أخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: إنما بعث محمد كما بعث الرسل قبله.

وفي رواية عن قتادة قال: أنذر محمدٌ كما أنذرت الرسل من قبله، هذا وثمَّ قول آخر ألا وهو: هذا (الذي بينته لكم في هذه السورة المباركة) نذير مما أنذرت بمثله الأمم من قبلكم وحذرتهم منه كذلك.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقال آخرون: معنى ذلك غير هذا كله، وقالوا: معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي، محمد بن عبدالله، ليس ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه.

فلأي شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلى أخلاق الرسل الكرام؟ أليس يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٦٥٦)، (٣٢٦٥٧١).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن الساعة التي هي يوم القيامة قد اقتربت واقترب موعدها، وليس هناك صارف يصرفها ولا دافعٌ يدفعها.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها مَلَكًا مقربًا، ولا نبيا مرسلًا.

وقيل: كاشفة، فأنثت، وهي بمعنى الانكشاف؛ كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨] بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء؛ وكما قيل: العاقبة وما له من ناهية، وكما قيل: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢] بمعنى تكذيب، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣] بمعنى خيانة.

وقيل في معناها: لا يطلع على علمها أحدٌ سواه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون؟ أن نزل على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دع عنا سمودك، يراد به: دع عنا لهوك؛ يقال

منه: سَمَد فلانٌ يَسْمُد سُمُودًا.

❁❁❁

س: هل يجوز البكاء عند قراءة القرآن؟

ج:نعم يجوز البكاء عند قراءة القرآن.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء:١٠٩].

وقد تقدم بعض ذلك في تفسير سورة المائدة.

❁❁❁

س: أهل الكفر كانوا دائمًا يشوشون على الناس حتى لا يستمعون القرآن دلِّل على ذلك؟

ج:من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَت:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾، وبين لماذا خُصَّ السجود دون غيره من أركان الصلاة؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكًا في عبادتكم إياه.

قال السعديُّ ـ رحمه الله ـ:

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ الأمر بالسجود لله خصوصًا، يدل على فضله وأنه سر العبادة ولُبها.

فإن روحها، الخشوع له، والخضوع له.والسجود أعظم حالة يخضع بها العبد، فإنه يُخْضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة، موضع وطء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عمومًا، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال، والأقوال الظاهرة، والباطنة.

❁❁❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ سجد عند هذه الآية؟

ج: نعم قد ثبت ذلك، وثبت أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ولم يسجد كذلك أما عن سجوده فيها.

❁❁❁

سورة القمر

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١ـ ١٧].

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ـ ٱلسَّاعَةُ ـ وَٱنشَقَّ ـ ءَايَةٗ ـ مُّسۡتَمِرّٞ ـ مُّسۡتَقِرّٞ ـ ٱلۡأَنۢبَآءِ ـ مُزۡدَجَرٌ ـ بَٰلِغَةٞ ـ ٱلنُّذُرُ ـ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ ـ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ـ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ ـ ٱلۡأَجۡدَاثِ ـ مُّهۡطِعِينَ ـ عَسِرٞ ـ وَٱزۡدُجِرَ ـ مُّنۡهَمِرٖ ـ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ـ قُدِرَ ـ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ـ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ـ كُفِرَ ـ مُّدَّكِرٖ ـ لِلذِّكۡرِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾	دَنَتْ ـ قربت.
﴿ٱلسَّاعَةُ﴾	الساعة التي تقوم فيها القيامة.
﴿وَٱنشَقَّ﴾	انفلق ـ انقسم، وقد انشق.
﴿ءَايَةً﴾	معجزةً.
﴿مُّسۡتَمِرٌّ﴾	ذاهبٌ ـ متواصلٌ ـ باطل مضمحل لا دوام له.
﴿مُّسۡتَقِرٌّ﴾	له منتهى واستقرار.
﴿ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾	الأخبار.
﴿مُّزۡدَجَرٌ﴾	زاجر ـ رادع.
﴿بَٰلِغَةٌ﴾	واصلة ـ كاملة.
﴿ٱلنُّذُرُ﴾	جمع نذير.
﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾	فأعرض عنهم.
﴿شَيۡءٍ نُّكُرٍ﴾	شيء منكر وفظيع، وهو يوم القيامة وموقف الحساب.
﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾	ذليلة أبصارهم.
﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾	القبور.
﴿مُّهۡطِعِينَ﴾	مسرعين ـ عامدين ـ ناظرين مسرعين بنظرهم.
﴿عَسِرٌ﴾	شاق ـ شديد الأهوال ـ عبوس قمطرير.
﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾	انْتُهر ـ زُجِرْ ـ زجره قومه.
﴿مُّنۡهَمِرٍ﴾	متدفق.
﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾	أسلنا الأرض عيونًا فجَّرناها كلها فكانت عيونًا تتدفق منها المياه.
﴿قُدِرَ﴾	قدَّره الله عزَّ وجل.

﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾	سفينة لها ألواح.
﴿وَدُسُرٍ﴾	مسامير ـ قيل جوانب السفينة وقيل: مقدمتها.
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	تجري بمرأى منا ـ وقيل: بحفظنا ـ وقيل: (بأمرنا) والأول أولى.
﴿كُفِرَ﴾	جُحد.
﴿مُّدَّكِرٍ﴾	معُتبر ـ متذكر.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكر ـ لاعتبار ـ للاتعاظ.

❁❁❁

س: اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الطيبة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بالإخبار باقتراب الساعة، والإنباء بمعجزة حدثت زمن رسول الله ﷺ ألا وهي انشقاق القمر، ومع اقتراب الساعة وانشقاق القمر فأهل الكفر في إدبار وإعراض مستمر مع مجيء الأنباء ووصول أخبار الأمم المتقدمة إليهم، ثم يحث الله عز وجل نبيه ﷺ على الإعراض عنهم وعدم المبالاة بهم ما داموا على كفرهم ما داموا لم يستجيبوا ولم يقبلوا والتذكير بمجيء يوم القيامة وبيان لأحوال الناس فيه.

ثم مواساة رسولنا محمد ﷺ بتذكيره بإخوانه من الأنبياء من قبله وما حدث لهم مع أممهم وكيف وأن الله عزَّ وجل انتقم من الظالمين وأحلَّ بهم بأسه ونقمته، وكيف وأن العاقبة دومًا للتقوى!

فسيقت لذلك قصصٌ، وضُربت لذلك أمثلة ثم بيان أن ما حل بهؤلاء الظلمة ليس ببعيد أن يحلَّ أيضًا بكفار قريش المعرضين المكذبين ولكن ذلك بقدر وأجل، وكل عملٍ يعمله العاملون محسوب ومكتوب ومسطر، ثم ختام السورة الكريمة ببيان مآل المتقين، وأنهم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر جعلنا الله منهم.

❁❁❁

س: ورد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسورة القمر في بعض المواطن، اذكر الحديث الوارد في ذلك.

ج: الحديث بذلك أخرجه مسلم[1] في صحيحه من حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ في الأَضْحَى وَالفِطْرِ بـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١] و ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ..﴾.

❁❁❁

س: اذكر بعض الأدلة على اقتراب يوم القيامة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

وقوله ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**».

❁❁❁

س: كيف قيل اقتربت الساعة، وذلك من قبل ألف ورأبعمائة عام وأكثر، وللآن لم تقم الساعة؟

ج: وجه الجواب أن يقال: إن هذه المدة الزمنية من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن لا تكاد تُذكر بالنسبة لما قد مضى قبلها من الزمان. والله تعالى أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: أي: ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة، ويمكن أن يقال: أنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة، فكل آتٍ قريب.

❁❁❁

---

(١) مسلم (حديث ٨٩١).

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي[١] بسندٍ صحيح عن أنس قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً: فَانْشَقَّ القَمْرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزلتْ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ أي: ذَاهبٌ.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت (مصطفى): ولكني في ريبٍ من سبب النزول هذه فالحديث في الصحاح وغيرها من حديث أنس بدون قول فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بانشقاق القمر، ومتى كان هذا الانشقاق؟

ج: المراد بذلك انفلاقه إلى قطعتين، وكان هذا الانشقاق زمن رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمان رسول الله، ﷺ، كما ثبت ذلك[٢] في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «**خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر**».

وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ومن العلماء من قال: إن انشقاق القمر سيأتي مع مجيء الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية، قلت: ولا دليل على هذا القول.

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أن الساعة وهي: القيامة، ٱقۡتَرَبَتِ، وآن أوانها، وحان وقت مجيئها.

---

(١) الترمذي (حديث ٣٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٠).

ومع هـذا، فهـؤلاء المكذبون، لم يزالـوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها. ويريهم الله، من الآيات العظيمة، الدالة على وقوعها، ما يؤمِنُ على مثله، البشر.

فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبدالله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات، ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار ﷺ، إلى القمر، فانشق بإذن الله، فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان. والمشركون وغيرهم، يشاهدون هذه الآية العظيمة، الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها، والتخييل. فشاهدوا أمرًا، ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره. فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرًا. ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم وقالوا: سحرنا محمد. ولكن علامة ذلك، أنكم تسألوان من ورد عليكم من السفر، فإنه إن قدر على سحركم، لم يقدر أن يسحر من ليس مشاهدًا مثلكم. فسألوا كل من قدم، فأخبروهم بوقوع ذلك فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. سحرنا محمد، وسحر غيرنا. وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل.

❁❁❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في انشقاق القمر؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[1].

* وحديث أنس[2] ـ رضي الله عنه ـ قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية: فآراهم انشقاق القمر مرتين.

---

(١) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

وحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[1]: «**إنّ القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا.**

❁❁❁

س: ما وجه الربط بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر؟

ج:

قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقديمٌ وتأخير فالمعنى: انشق القمر وٱقْتَرَبَتِ الساعة، وذلك لأن انشقاق القمر يكون في عهد النبي ﷺ وزمن بعثته، وعهدُهُ وزمنُ بعثته دليلان على اقتراب الساعة.

وقال آخرون: إن الآية على ظاهرها بلا تقديم ولا تأخير والمعنى: أن الساعة ٱقْتَرَبَتِ، ودليلٌ على اقترابها انشقاق القمر، فالله أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن هؤلاء المشركين الذين طلبوا معجزة من رسول الله ﷺ، ما انتفعوا بالمعجزات لما أتتهم فهاهم قد سألوا رسول الله ﷺ آيةً فأراهم انشقاق القمر، فما انتفعوا بذلك، بل تمادوا في غيهم وكفرهم وتكذيبهم، وقالوا سحرنا محمد، وقالوا أيضًا هذا الذي يصنعه محمد ﷺ ويأتي به من المعجزات إنما هو سحر ذاهب، وسيئول أمره إلى زوال.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا

---

(١) البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٣٨٠٣).

عنها، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقًّا يقينًا، ويقولوا تكذيبًا منهم بها، وإنكارًا لها أن تكون حقًّا: هذا سحر سحَرَنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقًا باثنين بسحره، وهو سحر مستمرّ، يعني يقول: سحر مستمرّ ذاهب، من قولهم قد مرّ هذا السحر إذا ذهب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن أهل الكفر كذبوا الرسل، وكذَّبوا بالآيات والمعجزات ووصفوها بأنها سحرٌ ذاهب باطل مضمحل، واتبعوا في ذلك ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم. وضلالاتهم واختياراتهم .

قال السعدي رحمه الله:

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠] فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعًا، واتبعوا محمد ﷺ، لأن الله أراهم على يديه، من البينات والبراهين، والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: وكل أمرٌ له نهايةٌ واستقرار فالأمور مهما بلغت يأتيها وقت تركد فيه وتنتهي إليه والخير ينتهي بأهله إلى الجنة، والشر ينتهي بأهله إلى النار أيضًا وقد صح عن قتادة أنه قال قوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر[1].

---

(١) الطبري بسند حسن (٢٣٧٢٥).

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقرأ شيبة «مُسْتَقَر» بفتح القاف؛ أي: لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدّم وتأخر.

وقد روي عن أبي جعفر بن القَعْقَاع «وَكُلُّ أَمْرٍ مَسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء جعله نعتًا لأمر «وكُلُّ» على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أمّ الكتاب كائن.

ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة؛ المعنى: اقْتَرَبَتِ الساعة وكل أمرٍ مستقر؛ أي: اقترب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبرًا عن «كلّ».

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: ولقد جاء هؤلاء المشركين المكذبين لنبينا محمد ﷺ من أنباء الأمم السابقة أنباء كافيه لزجرهم ولوعظهم ولنهيهم عما هم فيه من الشرك والكفر والغي والضلال، فقد ذُكِّروا بقوم عادٍ وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين والمؤتفكات، وقوم فرعون، وغيرهم ممن طغوا وبغوا، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال والدمار.

ووجه آخر: ولقد جاء هؤلاء القوم من الأنباء أصدقها وأحسنها وأجملها، وهو القرآن الذي يحمل أصدق الأنباء، وأجمل المواعظ، وأروع القصص.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذي كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، يزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهم مفْتَعلٌ من الزّجْر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، ما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾، أي: من الأنباء؛ فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما اقتص علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه.

وأصله مُزْتَجَر فقلبت التاء دالًا؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالًا توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر.

و«مُزْدَجر» من الزجر وهو الانتهاء، يقال: زجره وازدجره فانزجر وازدجر،

وزجرته أنا فانزجر أي: كففته فكف، كما قال:

فأصبح ما يطلبُ الغانيا تُ مُزْدَجَرًا عن هواه ازدجارا

وقريء «مُزّجرٌ» بقلب تاء الافتعال زايًا وإدغام الزاي فيها؛ حكاه الزمخشري.

أما قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ فالمراد بالحكمة البالغة القرآن.

أما ابن كثير رحمه الله فقد قال: وقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه، وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ يعني القرآن وهو بدل من «ما» من قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ أي: هو حكمة. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ إذا كذّبوا وخالفوا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١] فـ «ما» نفي أي: ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى التوبيخ؛ أي: فأي شيء تغني النذر عنه وهم معرضون عنها و «النُّذُرُ» يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»: وهنا جمع النذر في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾، وللعلماء عن هذا أجوبة:

أحدها: أن أقل الجمع اثنان كما هو المقرر في أصول مالك بن أنس رحمه الله، وعقده صاحب مراقي السعود بقوله:

أقل معنى الجمع في المشتهر لاثنان في رأى الإمام الحمير

قالوا: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤] ولهما قلبان فقط وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١] والمراد بالإخوة اثنان فصاعدًا كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافًا لابن عباس، وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وله طرفان ومنها: ما ذكره الزمخشري وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. ومنها أن النذر مصدر بمعنى الإنذار.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

التحقيق في الجواب: أن من كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيرًا واحدًا فقد كذب جميع النذر، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزُّخرُف:٤٥].

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء:١٥٠، ١٥١].

وأشار إلى ذلك في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء:١٥٢] الآية.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء: أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] ثم بيَّن أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحًا وحده، حيث فرد ذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٠٦] إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء:١١٧] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، ثم بيَّن أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث فرده بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٢٤] ونحو ذلك. في قوله تعالى في قصة صالح وقومه، ولوط وقومه، وشعيب وأصحاب الأيكة، كما هو معلوم، وهو واضح لا خفاء فيه، ويزيده إيضاحًا قوله ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» يعني: أنهم كلهم متفقون في الأصول وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع.

❁❁❁

س: أهل الكفر الذين كُتبت عليهم الشقاوة لا تنفعهم الآيات ولا تُجدي معهم المعجزات دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

* وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩].

* وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣].

❁❁❁

س: هل قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخ؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، وقالوا إنه منسوخ بآية السيف.

وقال آخرون: بل هو محكم، قالوا: وهو من تمام الكلام.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم.

قيل: هذا منسوخ بآية السيف.

وقيل: هو تمام الكلام.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المكذبين المعاندين الذين تمادوا بالكفر ولم ينتفعوا بالآيات والمعجزات، ووصفوها بأنها سحرٌ مستمر، وانتظر بهم إلى أن يأتي يوم يدع فيه الداع إلى شيء نُكر.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحْر مستمرّ، فإنهم يوم يدعو داعي الله إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النُّكُر ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارُهم خاشعة، لا ضرر بها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدَث، وهي القبور،وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصارَ دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع.

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين، لا حيلة في هداهم، فلم يبق، إلا الإعراض عنهم فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وانتظر بهم يومًا عظيمًا وَهَوْلاً جسيمًا.

وذلك ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ وهو: إسرافيل عليه السلام ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: إلى أمر فظيع، تنكره الخليقة، فلم تر منظرًا أفظع ولا أوجع منه.

فينفخ إسرافيل، نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة.

❁❁❁

س: وصف الناس عند خروجهم من القبور بأنهم كالجراد المنتشر وفي آيات أُخر وصفوا بغير ذلك، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ فكيف الجمع؟

ج:

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤] فهما صفتان في وقتين مختلفين.

أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزِعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها.

الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها.

❁❁❁

س: هل العُسر في هذا اليوم على الكافرين فقط أم أنه عام؟

ج: قال بعض العلماء: عسيرٌ على الجميع لكن عسره وشدته تزول عن المؤمنين وتتواصل على الكافرين كما قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدَّثر:١٠].

❁❁❁

س: ما فائدة التذكير بقوم نوح وما حلَّ بهم؟

ج: ذلك لأمور، منها: تصبير النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وكذلك تذكير القرشيين المشركين بما حلَّ بالأمم المكذبة من قبلهم.

قال الطبري رحمه الله:

هذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسل إليه رسوله محمدًا ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم يُنيبوا من تكذيبهم إياه، أنه مُحِلٌّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصَّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجٍ نبيه محمدًا والمؤمنين به، كما نجّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلَّها بأممهم، فقال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: «**كذّبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ، قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحًا إذ أرسلناه إليهم، كما كذبتك قريش إذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر، وهو افْتُعِل من زجرت، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زايًا صيروا تاء الافتعال منه دالًا؛ من ذلك قولهم: ازدجر من زجرت، وازدلف من زلفت، وازديد من زدت.**

❁❁❁

س: ما وجه التكرير في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: أي كذبوه تكذيبًا عقب تكذيب، وقيل لما كانوا مكذبين للرسالات جاحدين للنبوات كذبوا نوحًا لأنه من جملة المرسلين.

❁❁❁

س: هل من دعاء آخر دعا به نوح على قومه؟

ج: نعم فقد دعا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

❁❁❁

س: ما صور الزجر الذي زجر به قومُ نوحٍ نبيهم ﷺ؟

ج: من صور الزجر التي زُجر بها نوحٌ عليه السلام ما يلي:

قولهم عنه مجنون.

تهديدهم له بالرجم والشتم، وذلك كما قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدًا وعتوًّا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: إني ضعيفٌ عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَانتَصِرْ﴾ أنت لدينك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وإنما قيل: فالتقى الماء على أمر قد قدر، والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعدا، لأن الماء قد يكون جمعًا وواحدًا، وأريد به في هذا الموضع: مياه السماء ومياه الأرض، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع.

وقيل: التقى الماء على أمر قد قدر، لأن ذلك كان أمرًا قد قضاه الله في اللوح المحفوظ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾.

قال السدى هو الكثير. ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾، أي نبعت جميع أرجاء الأرض، حتى التنانير التي هي محالّ النيران نبعت عيونًا، ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾، أي: أمر مقدر.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾؟

ج: المعنى والله تعالى أعلم: وحملنا نوحًا عليه السلام ومن آمن به ـ على سفينة صنعت من الألواح (ألواح الخشب) وربطت تلك الألواح وضُمت إلى بعضها بالدُّسر.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فعلنا بهم ما فعلنا انتصارًا لنبينا نوحٍ عليه السلام، الذي جُحد وجُحدت نبوته وكُذِّب.

الثاني: فعلنا بهم ما فعلناه لكفرهم بالله عزَّ وجل وجحودهم إلهيته ووحدانيته.

الثالث: فعلنا بهم ذلك جزاءً لهم على كفرهم بالله وانتصارًا لنوحٍ عليه السلاح وهذا الأخير قول الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أما الطبري رحمه الله فقال:

والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجَّرنا الأرض عيونًا، فغرَّقنا قوم نوح ونجينا نوحًا، عقابًا من الله وثوابًا للذي جُحِد وكُفِر، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣] ومن ذهب به إلى هذا التأويل، كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا لله ولكفرهم به.

ولو وجّه مُوَجّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جعلنا ذلك ثوابًا وجزاءً لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به؛ فاللام في «لِمَنْ» لام المفعول له؛ وقيل: «كُفِرَ» أي: جحد؛ فـ «من» كناية عن نوح.

وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب؛ أي: عقابًا لكفرهم بالله تعالى.

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كَفَرَ﴾ بفتح الكاف والفاء بمعنى: كان الغرق جزاءً وعقابًا لمن كفر بالله.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد تركنا سفينة نوحٍ عليه السلام التي أنجيناه عليها هو ومن معه دون تلفٍ زمنًا طويلاً كدلالة على قدرتنا وعلى إنجائنا لعبادنا المؤمنين وانتقامنا من أهل الكفر والعناد.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحًا ومن كان معه آية، يعني: عِبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾، قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة.

والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤١، ٤٢].

وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١١، ١٢]. ولهذا قال هاهنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي: فهل من يتذكر ويتعظ؟

❁❁❁

س: كثيرًا ما تترك للظالمين الهالكين آثار كي يتعظ بها من اتعظ ويعتبر بها من اعتبر، ويتذكر بها من تذكر دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن سفينة نوح التي أنجى الله عليها أهل الإيمان، وأغرق من سواهم: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقوله تعالى في شأن جسد فرعون بعد أن أهلكه الله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس:٩٢].

وقوله تعالى في شأن ديار ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وديارهم: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات:١٣٧، ١٣٨].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح، وكذّبوا رسوله نوحًا، إذ تمادوا في غيِّهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله نوحًا، صلوات الله عليه.

وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حلّ بقوم نوح من العذاب.

وقوله: ﴿وَنُذُرِ﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحًا، وكذّبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يحلّ به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمدًا ﷺ، مثل الذي حلّ بهم، فينيب إلى التوبة، ويراجع الطاعة.

وأصل مدّكر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال وتاء، وهي بعد

الذال، فصيرتا دالًا مشدّدة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالًا يتبعها تاء الافتعال يجعلونها جميعًا دالًا مشدّدة، فيقولون: ادّكرت ادّكارًا، وإنما هو اذتكرت اذتكارًا، وفهل من مذتكر، ولكن قيل: ادّكرت ومدّكر لما قد وصفت، قد ذُكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك: مذّكر، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالًا مشددة.

وذُكر عن الأسود بن يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مدّكر، أو مذّكر، فقال: أقرأني رسول الله ﷺ: «مُذّكر» يعني بذال مشددة.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد سهلنا القرآن على من أراد تلاوته وحفظه، وسهلناه لمن أراد الاتعاظ به والاعتبار، وبيناه وفصلناه.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾، أي: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس.

كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مُتَّعظ خائف، وأصله مُذْتَكِر مُفْتَعِل من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالًا لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري؛ قال الفرّاء: إنذاري؛ قال: مصدران: وقيل: «نُذُر» جمع نذير ونذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر مأخوذ من يسَّر ناقته للسفر: إذا رَحَلها ويَسَّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه؛ قال:

وقُمْتُ إِلَيْــه بِاللِّجــام ميســرًا هُنَالك يجْزِيني الذي كنتُ أصْــنَعُ

وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرًا إلا القرآن؛ وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل: ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرًا، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت؛ على ما تقدّم بيانه في سورة «**التوبة**» فيسرّ الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذّكروا ما فيه؛ أي يفتعلوا الذّكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب. فيهم: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قارئ يقرؤه.

وقال أبو بكر الوراق وابن شوْذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرّر في هذه السورة للتنبيه والإفهام.

وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عُقبى أمورهم وأمور المرسلين؛ فكان في كل قصة ونبأ ذكْرٌ للمستمع أن لو ادّكر، وإنما كرّر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ لأن «هَلْ» كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم؛ فاللام من «هَلْ» للاستعراض والهاء للاستخراج.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: ولقد يسرنا وسلهنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظًا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرًا.

فكل من أقبل عليه، يسَّر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه.

والذكر، شامل لكل ما يتذكر به العاملون، من الحلال، والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ، والعبر، والعقائد النافعة، والأخبار الصادقة.

ولهذا كان علم القرآن، حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق. وهو العلم النافع، الذي إذا طلبه العبد، أُعِينَ عليه.

وقال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فَيعَانَ عليه؟

ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

❁❁❁

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٨ ـ ٢٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿عَادٌ ـ وَنُذُرِ ـ صَرْصَرًا ـ يَوْمِ نَحْسٍ ـ مُّسْتَمِرٍّ ـ تَنزِعُ ـ أَعْجَازُ ـ مُّنقَعِرٍ ـ يَسَّرْنَا ـ لِلذِّكْرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَادٌ﴾	هي قبيلة نبي الله هود عليه السلام، وقومه الذين أُرسل إليهم.
﴿وَنُذُرِ﴾	إنذاري.
﴿صَرْصَرًا﴾	شديدة الهبوب والعصوف[1] ـ شديدة البرد[2] بردها شديد مُحرق ـ مسموعٌ لها صوت.
﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾	يوم شؤمٍ ـ يوم شرٍّ وقيل: يوم شديد[3].

(١) قال بعض العلماء: لشدتها سُمع لها صرير، فقال لها صَرْصَرْ، كما في قوله تعالى ﴿فكبكبوا﴾ أي: فكبوا.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿ريح فيها صرٌّ﴾، وأخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ﴿صرصر﴾ الصرصر الباردة.

(٣) وهذا الأخير مبنيٌّ على قراءة ﴿يومٍ﴾ أي: بتنوين يوم مع خفضها، وقد قيل إن هذا اليوم هو يوم الأربعاء، وقال بعضهم إنه يوم نحس، وقد ورد بذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا يصح.

﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾	متواصل ـ متمادى بهم ـ مستمرٌ بهم إلى نار جهنم[1] وقيل: مستمر بهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا.
﴿تَنزِعُ﴾	تقتلع.
﴿أَعْجَازُ﴾	بقايا ـ فِلَق.
﴿مُّنقَعِرٍ﴾	منقلعٌ من أصله، ومنه: قعر الشيء أي: أصله وقعر الإناء أي: قاعه.
﴿يَسَّرْنَا﴾	سهَّلنا ـ هوَّنا.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكُّر ـ للاتعاظ.

❁❁❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]؟

ج: لذلك وجوه:

أحدها: تذكير القرشيين بما حدث للأمم المكذبة من قبلهم، وتحذيرهم من أن يحلَّ بهم مثلُ ما حلَّ بالأمم من قبلهم من العقاب والبلاء والنكال، إذا هم فعلوا مثل فعلهم واستمروا على التكذيب والعناد كما استمر أولئك.

الثاني: تصبير أهل الإيمان وتذكيرهم بأن العاقبة للتقوى، وبأن الله ينتقم من أهل الظلم والشرك.

الثالث: مواساة النبي محمد ﷺ، فإن كنت كُذبت، فقد كُذب من هو قبلك من إخوانك الأنبياء والمرسلين، فاصبر كما صبروا فإن الله سينتقم ممن عاداك وخالفك. والله أعلم.

❁❁❁

(١) صح ذلك عن الطبري عن قتادة.

س: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ على عذاب القبر فما وجه الدلالة؟

ج: وجه الدلالة أن قوله (مستمر) معناه. كما تقدم يتواصل أي: أن عذاب الدنيا تواصل بعذاب الآخره، فمنذ أن حلَّ بهم العذاب لم يفارقهم لا في قبورهم ولا في أُخراهم، وذلك كما قال تعالى في شأن قوم نوحٍ عليه السلام ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾[نوح:٢٥] والله أعلم.

❁❁❁

س: كيف وصف اليوم بأنه (يوم نحس) وقد نهينا عن سبِّ الدهر في حديث رسول الله ﷺ؟

ج: هذا (أي قوله تعالى ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ ليس بسبٍ للدهر، إنما هو وصف لذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فُصِّلَت:١٦].

هذا، وقد أورد القرطبي كلامًا لا تعويل عليه لعدم ثبوت الخبر فيه فقال:

فإن قيل فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر.

وقد مضى في «البقرة» حديث جابر بذلك.

فالجواب ـ والله أعلم ـ ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: (أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر)[1] ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين؛ كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن؛ نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أوّل يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة

(١) هذا ضعيف لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسًا على الظالم؛ ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه: «**لم ينزل بي أمر غليظ**» إشارة إلى هذا. والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رءوسهم فتندق رقابهم وتبين من أجسامهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح أي: تَقْلعهم من مواضعهم.

قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصبحون ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم، مثل جذوع النخل الخاوي الذي اقتلعته الريح فسقط على الأرض. فما أهون الخلق على الله، إذا عصوا أمره!.

❁❁❁

س: لماذا قيل ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ ولم يقل منقعرة؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكَّر ويؤنث، وأورد القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري قال: سُئل المبرِّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء:٨١] و ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:٢٢]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] و ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؟ فقال: كُلَّ ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرًا، أو إلى المعنى تأنيثًا.

وقيل: إن النخل بمعنىً يذكّر ويؤنث كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدّم.

❁❁❁

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٣ ـ ٣٢].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿ثَمُودُ ـ ضَلَٰلٍ ـ وَسُعُرٍ ـ أَءُلْقِىَ ـ ٱلذِّكْرُ ـ أَشِرٌ ـ مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ـ فِتْنَةً ـ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ـ وَنَبِّئْهُمْ ـ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ـ فَتَعَاطَىٰ ـ فَعَقَرَ ـ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ـ مُّدَّكِرٍ﴾:

ج:

الكلمة	معناها
﴿ثَمُودُ﴾	قبيلة نبي الله صالح عليه السلام، وقومه الذين أُرسل إليهم.
﴿ضَلَٰلٍ﴾	بُعدٌ عن الحق والصواب ـ ذهاب عن الحق بعيد.
﴿وَسُعُرٍ﴾	جمع سعير ـ عناءٌ وتعبٌ ومشقةٌ وعذاب. وقيل: جنون، من قولهم ناقة سعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونه.
﴿أَءُلْقِىَ﴾	أأُنزل.
﴿ٱلذِّكْرُ﴾	الوحي ـ النبوة.

﴿ أَشِرٌ ﴾	قرح ـ ذا تجبرٍ وكبرياء ـ متكبر متجبرٌ نشطٌ في دعواه ـ لا يبالي بما قال ـ يكذب ولا يبالي.
﴿ مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾	باعثوا الناقة.
﴿ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾	ابتلاءً واختبارًا.
﴿ فَٱرْتَقِبْهُمْ ﴾	فانتظرهم، وانظر ماذا سيصنع بهم وماذا سيحلُّ بهم.
﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾	اصطبر على ارتقابهم ولا تعجل.
﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾	أخبرهم.
﴿ شِرْبٍ ﴾	الشيء المشروب، إما اللبن وإما الماء، (فإذا غابت حضروا الماء) وإذا جآءت حضروا اللبن.
﴿ مُّحْتَضَرٌ ﴾	محضورٌ ـ مشهودٌ (يحضرون الماء إذا غابت الناقة، وإذاجاءت حضروا اللبن.
﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾	تناول الناقة بيده، وقيل: انقاد لما أمروه به
﴿ فَعَقَرَ ﴾	عقر الناقة.
﴿ كَهَشِيمِ ﴾	اليابس من ورق الشجر، ومن النبات وقيل الهشيم كلُّ شيءٍ كان رطبًا فيبس. وقيل: الذي ادخر في الحظيرة كالتبن ونحوه وقيل الشوك الذي يحظر به العرب حول مواشيها. وقيل: الورق المتناثر من خشب الحطب.
﴿ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾	صاحب الحظيرة ـ المُحترق وقيل: التراب الذي يتناثر من الحائط.
﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾	متعظ ـ معتبر.

س: ما النذر التي كذبت بها ثمود؟

ج: هي العقوبات التي أحلَّها الله بقوم نوحٍ وقوم عاد.

وقيل: المراد رسول الله صالح الذي أنذرهم وخوفهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قولهم ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن قوم صالح عليه السلام استنكروا ما يدعوهم إليه من وجهين:

أولهما: كونه بشرٌ مثلهم، وهذا الاستنكار مطردٌ من أمثالهم، فمن أمثالهم من قال ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن:٦] وقول الآخرين ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:٤٧].

الثاني: كونه فردٌ واحد وهم جماعةٌ كبيره أي وكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس بجماعة.

قال ابن كثير رحمه الله:

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾، يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلنا قيادنا لواحد منا! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله ﷺ «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن من مات ولم يكن دخل في جماعة المسلمين وانقاد لإمامهم مات كما يموت أهل الجاهلية، فقد كانوا يستنكفون أن ينقادوا لشخصٍ واحد وإمام واحدٍ.

وقد يستل هذا المعنى من قول قوم ثمود ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقولهم ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون ويردون به دعوة الرسل.

وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١١].

فالرسل منَّ الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم، والاختصاص بوحيه.

ومن رحمته وحكمته، أن كانوا من البشر. فلو كانوا من الملائكة، لم يكن البشر أن يتلقوا عنهم. ولو جعلهم من الملائكة، لعَاجَل المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

والمقصود من هذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: كثير الكذب والشر.

قلت: (مصطفى): وهذا الذي قاله المشركون ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ يتضمن حسدًا منهم لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

❁❁❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾؟

ج: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لهؤلاء القوم الذين عاندوا رسولهم ووصفوه

بأنه كذاب أشر.

وكذلك فهو تصبير للنبي ﷺ أي: لا يحزنك ما قالوه لك فستستبين الأمور غدًا، وسيعلم المحقُّ من المبطل، والمصيب من المخطئ.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى ﴿غَدًا﴾:

ج: المراد يوم القيامة، وقيل: المراد بغدٍ اليوم الذي سينزل فيه عليهم العذاب في الدنيا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، إنا مجيبون هؤلاء القوم، قوم ثمود إلى ما سألوه وطلبوه، فقد سألوا نبيهم صالحًا أن يخرج لهم ناقةً عظيمة من بطن صخرةٍ يكفيهم لبنها كحجةٍ ودليلٍ وبرهان على صدق نبوته فسنجيبهم إلى ما سألوه وطلبوه لنعلم أيتبعون نبيهم ويصدقون نبوته أم لا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قوله: مرسلوا الناقة: أي: مخرجوها من الهضبة، فتنة لهم أي: ابتلاء واختبارًا، وهو مفعول من أجله، لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن خرجت لهم منها آمنوا به واتبعوه، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم أي: ابتلاء واختبارًا، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه.

والمفسرون يقولون: إنهم قالوا له: إن أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء

عشراء اتبعناك.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحانًا واختبارًا، وأنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكهم، جاء موضحًا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣]، وقوله تعالى في سورة هود عن صالح: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٤، ٦٥]، وقوله تعالى في الشعرآء: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٥٥، ١٥٦].

وقد بين تعالى: أنهم عقروا الناقة فجاءهم العذاب المستأصل في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأعراف: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف:٧٧] إلى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ الآية [الشمس:١٤].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، وأخبر قومك يا نبي الله، يا صالح عليك السلام، أن (ماء البئر) قسمةٌ بينهم.

قيل في ذلك قولان:

أحدهما: أن قبيلة ثمود تقسم الماء فيما بينها، وذلك في اليوم المخصص لهم، فلا يعتدي قومٌ منهم على آخرين، بل لكل منهم قدرٌ معين من الماء.

والوجه الثاني: أن الماء قسمةٌ بين القبيلة وبين الناقة فللناقة يومٌ، ولهم يومٌ كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥].

وقد يرْدِ على هذا القول تعقب حاصله: إن كلمة (بينهم) تعني أبناء القبيلة والقوم فما الذي جعلكم تحملونه على القبيلة والناقة، فجواب ذلك: أن هذا أطلق تغليبًا كما تقول بين كل أذانين صلاة، وتريد بذلك الأذان والإقامة، وكما تقول الشمسان، وتريد الشمس والقمر وتقول العُمَران، وتريد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: أخبر يا صالح ثمود أن الماء ـ وهو ماء البئر التي كانت تشرب منها الناقة ـ قسمة بينهم، فيوم للناقة ويوم لثمود، فقوله: بينهم أي: بين الناقة وثمود، وغلب العقلاء على الناقة.

كل شرب محتضر أي: يحضره صاحبه، فتحضر الناقة شرب يومها وتحضر ثمود شرب يومها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في آية أخرى وهي قوله تعالى في الشعرآء: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥] وشرب الناقة هو الذي حذرهم منه صالح لئلا يتعرضوا له في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣].

قال القرطبي رحمه الله: وإنما قال (بينهم) لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فنادت قبيلة ثمود صاحبها (الذي هو عاقر الناقة)، وهو أشقى رجل في قبيلة ثمود، وكما قال رسول الله ﷺ «**انبعث لها رجلٌ شرير عارمٌ**».

وقد قيل إن اسمه قِدار بن سالف، فدعته قبيلته وحرَّضته على هذا الفعل حتى [illegible] الذي هو قتل الناقة ـ.

(قيل: تناول الناقة بيده فعرقها.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

قوله: فتعاطى، قال أبو حيان في البحر: فتعاطى هو مطاوع عاطا، وكأن هذه القبيلة تداولوا الناس وعاطلها بعضهم بعضًا، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده. انتهى محل الغرض منه.

والعرب تقول: تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله، ومنه قول حسان رضي الله عنه:

تَلْقَاهُما حَلَبَ العَصيرَ **فَعَاطِني** بِزُجاجَةٍ أرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ

وقوله: فعقر أي: تعاطى عقر الناقة فعقرها، فمفعولًا الفعلين محذوفان تقديرهما كما ذكرنا، وعبر عن عاقر الناقة هنا بأنه صاحبهم، وعبر عنه في الشمس بأنه أشقاهم وذلك في قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢].

❁❁❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فدلَّ ذلك على أن العاقر واحدٌ، وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ فدلَّ هذا على أن العاقرين القبيلة كلها؟

ج: ذلك بأن يقال: إن القبيلة لما كانت متواطئة مع العاقر، ومقرّةً له على فعله وصنيعه نُسب إليها جميعها الفعل.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (في «أضواء البيان»):

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية، وإيضاح ذلك أن الله

تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة، لأنه قال: فتعاطى فعقر، بالإفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الآية، وقوله تعالى في هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥] وقوله في الشعرآء: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ [الشعراء:١٥٧]، وقوله في الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤].

ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة، فنادوا واحدًا منهم لينفذ ما اتفقوا عليه، أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره.

ومعلوم أن المتمالئين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضًا إلى الجميع، لأنهم متمالئون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله: فتعاطى فعقر على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: فنادوا صاحبهم أي: نادوه ليعقرها.

وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر، وهو أن إطلاق المجموع مرادًا به بعضه أسلوب عربي مشهور، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب.

وقد قدمنا في سورة الحجرات أن منه قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة:١٩١] بصيغة المجرد في الفعلين، لأن من قتل ومات لا يمكن أن يؤمر بقتل قاتله، بل المراد في إن قتلوا بعضكم فليقتلهم بعضكم الآخر، ونظيره قول ابن مطيع:

فَإِنْ تَقْتُلونَا عِنْدَ حَرَّةِ وَاقِمٍ ... فَإِنَّا عَلَى الإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ

أي: فإن تقتلوا بعضنا، وأن منه أيضًا: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحُجُرات:١٤] لأن هذا في بعضهم دون بعض.

بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى

قوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

وقد قدمنا في الحجرات وغيرها، أن من أصرح الشواهد العربية في ذلك قول الشاعر:

فَسيفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدي وَرْقَاء عَن رَأسِ خَالِدِ

وقوله تعالى: فعقر: أي قتلها. والعرب تطلق العقر على القتل والنحر والجرح.

ومنه قول امرئ القيس:

تَقُول وَقَد مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا عَقَرتَ بَعِيْرِي يَامرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

ومن إطلاق العقر على نحر الإبل لقرى الضيف قول جرير:

تعدون عقر الذيب أفضل مجدكم بني ضوطرا لولا الكمي المقنعا

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، انظروا كيف كانت عقوبتي لمن عاند رسلي وكذَّب أنبيائي، لقد كانت عقوبة شديدة، ولقد كان عذابًا أليمًا.

أما قوله تعالى: ﴿وَنُذُرِ﴾ فالمعنى أيضًا، وكذا فانظروا كيف كان إنذاري لمن سلك طريقتهم، لقد أنذرت من سلك طريقتهم إنذارًا واضحًا لا غموض فيه وذلك ببيان ما حلَّ بمن كان قبله.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول جل ثناؤه لقريش: فكيف كان عذابي إياهم معشر قريش حين عذبتهم ألم أهلكهم بالرجفة؟

ونُذر: يقول: فكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة؟

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٣٣ ـ ٤٠].

س: وضح معنى ما يلي:

حَاصِبًا ـ ءَالَ لُوطٍ ـ بِسَحَرٍ ـ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ـ أَنذَرَهُم ـ بَطْشَتَنَا ـ فَتَمَارَوْا ـ بِٱلنُّذُرِ ـ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ ـ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ـ بُكْرَةً ـ مُّسْتَقِرٌّ :

ج:

الكلمة	معناها
﴿حَاصِبًا﴾	حجارة ـ ريحًا شديدة ترميهم بالحصباء وهي الحصا .
﴿ءَالَ لُوطٍ﴾	الذين صدقوه واتبعوه على دينه ممن هم (وقيل لم يؤمن به إلا بناته) على دينه وطريقته.
﴿بِسَحَرٍ﴾	آخر الليل إلى طلوع الفجر.
﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾	كرامة أكرمناهم بها ـ نعمةً أنعمناها عليهم
﴿أَنذَرَهُم﴾	خوَّفهم.
﴿بَطْشَتَنَا﴾	انتقامنا الذي انتقمنا ـ عقوبتنا
﴿فَتَمَارَوْا﴾	فكذبوا ـ تشككوا ـ تجادلوا.
﴿بِٱلنُّذُرِ﴾	بالرسل ـ بالآيات ـ بصور العذاب.

﴿ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ ﴾	طلبوا منه فعل الفاحشة مع أضيافه والمراودة من الإرادة.
﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ ﴾	أعميناهم ـ صيَّرنا أعينهم كسائر الوجه لا يُرى لها شِقٌّ[1] ، وليس لها فتحات.
﴿بُكۡرَةً ﴾	صباحًا ـ عند البكور ـ عند الفجر.
﴿مُّسۡتَقِرٌّ ﴾	ملازمٌ لهم لا يفارقهم ـ استقر بهم إلى نار جهنم.

❁❁❁

س: ما النذر التي كذبت بها قومُ لوط؟

ج: هذه النذر منها: الآيات التي خوفهم بها وذكَّرهم بها ومنها: صور العذاب التي حلَّت بالأمم من قبلهم ومنها: نبي الله لوط عليه السلام، وجمعت النذر لأن من كذب نبيًّا فقد كذب الأنبياء جميعًا لأن دعوتهم واحدة.

❁❁❁

(١) قال الطبري: ومنه طمست الريح الأعلام إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، وقد أورد أثر قتادة وفيه (بإسناد حسن) قال: وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطًا وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه فصفعهم بجناحه وتركهم عميًا يترددون.

وأثر ابن زيد (٣٢٨٠٧) بسند صحيح، وفيه أن ابن زيد قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تُنزل أحدًا أو تضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنه لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشقّ، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قط أحسن وجوهًا منهم، ولا أحسن ثيابًا، ولا أطيب أرواحًا منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعنّ هذا الأمر سرًّا، وليكوننّ فيه بلاء؛ قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحًا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: ﴿فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾.

س: اذكر باختصار أمر قوم لوط؟

ج: أوجز الحافظ ابن كثير القول في ذلك فقال:

يقول تعالى مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يهلكُه أمةً من الأمم. فإنه تعالى أمرجبريل ـ عليه السلام ـ فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾، وهي: الحجارة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾، أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسسه سوء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾، وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنةً من الله بهم، فأضافهم لوط وبعثت امرأته العجوزُ السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط ـ عليه السلام ـ يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود:٧٨] يعني: نساءهم، ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ [هود:٧٩]، أي: ليس لنا فيهن إرَبٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩]، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل ـ عليه السلام ـ فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم.

يقال: إنها غارت من وجوههم.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾، أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقال السعدي رحمه الله:

أي: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة، التي ما سبقهم بها أحد من العالمين.

فكذبوه، واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف، حين سمع بهم قومه، جاءوا مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم.

فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين.

ونجى الله لوطًا وأهله، من الكرب العظيم، جزاءً لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠] مفهوم ذلك، أنه يسير سهل على المؤمنين.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وكما أنجينا لوطًا ومن معه فدومًا ننجي من شكر نِعَمَنَا عليه، وَحَمِدَنَا على ما مننا به عليه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا.

وأجرى قوله بسحر، لأنه نكرة، وإذا قالوا: فعلت هذا سحر بغير باء لم يجروه.

❁❁❁

س: في كثير من الأحيان يخرج الخبر من حيزّ الخصوص إلى العموم، وذلك لتعميم الأحكام والجزاءات حتى لا تفهم القصص أنها خاصة بمن حدثت لهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾. أي: وكما جازينا آل لوط بالإنجاء فكل من شكر نعمنا نجازيه أيضًا.

وقوله تعالى: بعد ذكر نبيين كريمين، يوسف وموسى عليهما السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام:٨٤].

وقوله تعالى في شأن نبيه أيوب وما حلَّ به ثم ما مَنَّ الله عليه بها من الشفاء ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤] أي: ذِكرى يتذكرها العباد.

❁❁❁

س: ما البطشة التي أنذر لوطٌ قومه بها؟

ج: قيل: هي البطشة التي أحلَّها الله عزَّ وجل بمن هم قبل قوم لوط كعادٍ وثمود.

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن البطشة هي طمس أعين فريق منهم، وهم الذين راودوا

لوطًا عليه السلام عن ضيفه فلم يرتدع الباقون، ولم يتوبوا، ولم يقلعوا عن ذنوبهم، بل تمادوا في الغيِّ والضلال.

❁❁❁

س: كيف طُمِست أعينهم؟

ج: قيل: إن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، فذوقوا عذابي الذي حلَّ بكم ونزل عليكم ثم إني جعلتكم عبرةً يعتبر بها غيركم، وموعظةً يتعظ بها غيركم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط.

❁❁❁

س: لماذا تكرر قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى: العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير.

❁❁❁

س: هل النذر يذاق، إذ الله قال: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: وجه ذلك، والله أعلم، أن الشخص إذا جُعل عبرةً لغيره ومُثِّل به لغيره، فإنه يتألم بذلك التمثيل بلا شك فإن قيل: إنهم قد ماتوا، فجواب ذلك أن العذاب مازال يلازمهم حتى بعد موتهم، سواء في القبر أو في الآخرة والله أعلم.

❁❁❁

س: العذاب إذا حلَّ بالكفار فماتوا تمادى بهم بلا انقطاع دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥].

قوله تعالى في شأن قوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾.

قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

قوله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٤١ ـ ٥٥].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ ـ بِـَٔايَٰتِنَا ـ مُّقْتَدِرٍ ـ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ـ بَرَآءَةٌ ـ ٱلزُّبُرِ ـ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ـ ٱلْجَمْعُ ـ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ـ ٱلسَّاعَةُ ـ أَدْهَىٰ ـ وَأَمَرُّ ـ ضَلَٰلٍ ـ وَسُعُرٍ ـ سَقَرَ ـ بِقَدَرٍ ـ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ـ أَشْيَاعَكُمْ ـ ٱلزُّبُرِ ـ مُّسْتَطَرٌ ـ وَنَهَرٍ ـ مَقْعَدِ صِدْقٍ ـ مَلِيكٍ ـ مُّقْتَدِرٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾	أتباع فرعون.
﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾	بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا.
﴿مُّقْتَدِرٍ﴾	قادر على فعل ما يشاء، غير عاجزٍ ولا ضعيف. شديدٌ لا يُغلب ـ

	عزيزٌ في نقمته إذا انتقم.
﴿أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾	يعني الكفار الذين ذهبوا ومضوا وهلكوا.
﴿بَرَآءَةٌ﴾	نجاة من النار.
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب المنزلة من عند الله.
﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾	نحن مجتمعون لن نغلب ولن نُهزم، بل سننتصر على من يريد بنا سوءًا.
﴿ٱلْجَمْعُ﴾	جمع كفار قريش ـ كفار مكة.
﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	يفرون (أمام المؤمنين) ويهربون .
﴿ٱلسَّاعَةُ﴾	الساعة التي تقوم فيها القيامة.
﴿أَدْهَىٰ﴾	أعظم، والداهية هي الأمر العظيم ـ أشق.
﴿وَأَمَرُّ﴾	أشق عليهم من الهزيمة التي هُزموها يوم بدر.
﴿ضَلَٰلٍ﴾	ذهاب عن الحق ـ بُعدٌ عن الحق.
﴿وَسُعُرٍ﴾	احتراق من شدة العناء ـ جنون.
﴿سَقَرَ﴾	جهنم ـ وقيل: اسم باب من أبوابها.
﴿بِقَدَرٍ﴾	بمقدار قدرناه وقضيناه.
﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾	إلا قولةً واحدة (كن فيكون) [1] ـ لا مراجعة فيها.
﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾	أمثالكم وأشباهكم فيما أنتم عليه من الكفر من الأمم الماضية.
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب التي كتبتها الملائكة الحفظة وقيل: المراد (اللوح المحفوظ).
﴿مُّسْتَطَرٌ﴾	مُسطرٌ ـ مكتوبٌ ـ محفوظ [2] .

(١) كقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ قال: مكتوب، وقرأ: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦] وقرأ ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨] إنما هو مفتعل من سطرت: إذا كتبت سطرًا.

﴿وَنَهَرٍ﴾	أنهار، وقيل: (في سعةٍ وضوءٍ يوم القيامة)[١] .
﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾	مجلس حقٍ لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة دار كرامة الله عزَّ وجل ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه[٢] .
﴿مَلِيكٍ﴾	ذي مُلك ـ الملك العظيم الخالق.
﴿مُّقْتَدِرٍ﴾	قادر على فعل ما يشاء.

❁❁❁

س: ما المراد بالنذر التي أتت قوم فرعون؟

ج: هذه النذر نبي الله موسى وأخوه هارون عليهما السلام ومن النذر أيضًا التذكير بمصارع الغابرين ومنها: ما ذكره الله إذ قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[الأعراف:١٣٣].

ومنها ما ذكره الله تعالى إذ قال: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٣٠] أي: بسنوات الشدة.

ولقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ [الإسراء:١٠١].

ومن العلماء من قال: النذر موسى وهارون عليهما السلام أما ما ذكر فهو الآيات التي عناها الله بقوله ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾.

❁❁❁

---

(١) قال الطبري رحمه الله: ووحد النهر في اللفظ ومعناه الجمع كما وحد الدبر ومعناه الأدبار في قوله: ﴿ويولون الدبر﴾.

(٢) وقد أورد بعض المفسرين عند تفسير الآية الكريمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين».

س: اذكر من الأدلة ما يدل على أن قوم فرعون كذبوا بكل الآيات؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات:٢٠، ٢١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٣-١٤].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أكفاركم يا معشر قريش خير من الكفار السابقين الذين أحللتُ بهم نقمتي وأنزلت بهم عقوبتي، بل كلكم يا أهل الكفر سواء في حلول العقوبات عليكم على كفركم وشرككم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي؟ يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾، أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب: أأنتم خير أم أولئك؟

والمفاد: أن قريشًا كانوا لا يتوقعون عذابًا فقيل لهم لِمَ لا تتوقعون هذا العذاب. أأنتم خيرٌ ممن نزل عليهم العذاب، أم أن عندكم كتاب من عند الله مكتوبٌ فيه أن النار لن تمسكم، أو ستنجون من عذاب الله إن أراد بكم العذاب؟

أم أنكم تظنون أنكم ستنصرون ممن يريدكم بسوء ومكروه؟

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها:

﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم أعطاكم الله عهدًا وميثاقًا، في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ، أنكم الناجون بأخبار الله ووعده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن، عقلًا وشرعًا، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية، المتضمنة للعدل والحكمة.

فليس من الحكمة، نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها فأخبر تعالى، أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾.

❁❁❁

س: متى هُزِمَ الجمع وولوا الأدبار؟

ج: كانت هذه الهزيمة يوم بدر.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميعٌ منتصر ممن قصدنا بسوءٍ ومكروه، وأراد حربنا وتفريق جمعنا. فقال الله جل ثناؤه. ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يعني: جمع كفار قريش ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ يقول: ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه.

وقيل: الدبر فوحَّد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرءوس؛ إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه.

ثم إن الله ـ تعالى ذكره ـ صدّق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدُّبر.

وأورد الطبري جملة آثار عن السلف أن هذا الجمع ـ جمع المشركين ـ هزم يوم بدر وولوا الأدبار.

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: وهو في قُبَّة له يوم بدر: «**أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا**».

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك. فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

❁❁❁

س: أين نزلت هذه الآيات: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾؟

ج: نزلت بمكة، وذلك لما أخرجه البخاري[1] من حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذِكرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٩٣).

الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لاندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعبُ: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرُّ.

وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السُّور.

❁❁❁

س: هل لذكر السَّحْبِ على الوجه في النار من فائدة؟

ج: نعم ذلك يفيد بيان الإهانة التي يتعرضون لها والذل الذي هم فيه.

قال السعدي رحمه الله:

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من غيرها، فيهانون بذلك، ويخزون ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: ذوقوا ألم النار وأسفها، وغيظها ولهبها.

❁❁❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه مسلم[1].

من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

❁❁❁

(١) مسلم (٢٦٥٦).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يخبر بأن قدر الأشياء عند خلقها، فهذا ابن آدم له طول معين ولكل عضو من أعضاءه طول مثلًا، فهذا الطول قدَّره الله.

وهذا الماء من السماء لا ينزل إلا بقدر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون:١٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر:٢١] وهكذا كل الأشياء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وكقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣] أي: قدَّر قدرًا، وهدى الخلائق إليه.

ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفِرْقة القَدَرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة.

قال القرطبي رحمه الله:

الذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدّر الأشياء؛ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره؛ كما نص عليه القرآن والسنة، لا كما قالت

القدريّة وغيرهم من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن أمر الله لا يرد، بل ينفذ في الحال، وكذا فإذا أراد الله أمرًا نُفِّذ هذا الأمر بقولةٍ واحدة لا تتكرر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ . وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدره فيهم، فقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعرآء:

إذَا مـــا أرَادَ الله أمْـــرًا فَإنَّمـــا يقُـــولُ لـــهُ: كُـــنْ، قَولَـــةً فَيكُـــونُ

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إلا مرةً واحدة.

﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ أي: قضائي في خلْقي أسرع من لَمح البصر.

❁❁❁

س: اذكر بعض ما يدل على أن الأمور مقدرة؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر:٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨] .

ونحوها من الآيات التي ذُكر فيها أن الأمور مقدرة مكتوبة.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وقوله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[١] .

وقوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[٢] .

وقول آدم عليه السلام لموسى عليه السلام: «أتلومني على أمرٍ قد قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق»[٣].

وقوله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة...»[٤].

وقوله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره» [٥] .

وقوله ﷺ[٦] «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

---

(١) مسلم (٢٦٥٥).

(٢) مسلم (٢٦٥٣).

(٣) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٤) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

مسلم (حديث ٨).

(٦) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وقول النبي ﷺ[1] : «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا و كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل**» والأحاديث في هذا كثيرة جدًا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾؟

ج: هذا والله أعلم يحتمل معنيين:

أحدهما: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة الكتبة عليهم السلام.

الثانية: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم اللوح المحفوظ قبل أن يفعلوه.

قال الشنقيطي «في أضواء البيان»:

الصحيح في معنى الآية أن كل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الزبر، التي هي صحف الأعمال، وكل صغير و كبير مستطر، أي: مكتوب عليهم لا يترك منه شيء.

وهذا المعنى جاء موضحًا في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب. والمستطر معناه المسطور، أي: المكتوب، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

❁❁❁

---

(١) مسلم (٢٦٦٤).

س: اذكر ما يدل على أن الأعمال تكتب وتُسطر على ابن آدم؟

ج: على ذلك جملة أدلة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار:١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان ورضا الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾.

فلا تسأل بعد هذا، عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته.

جعلنا الله منهم، ولا حرمنا خير ما عنده، بشر ما عندنا.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾.

أي: في جنات وأنهار كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد:١٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

❁❁❁

تفسير سورة الرحمن

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ
ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾
خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن
نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ
عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

س : وضّح معنى مايلي :

(ٱلْبَيَانَ - بِحُسْبَانٍ - وَٱلنَّجْمُ - ٱلْمِيزَانَ - أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ - وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ - وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ - وَضَعَهَا - لِلْأَنَامِ - ٱلْأَكْمَامِ - وَٱلْحَبُّ - ذُو ٱلْعَصْفِ - وَٱلرَّيْحَانُ - ءَالَآءِ - صَلْصَٰلٍ - مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ - مَرَجَ - بَرْزَخٌ - لَّا يَبْغِيَانِ - ٱللُّؤْلُؤُ - وَٱلْمَرْجَانُ - ٱلْجَوَارِ - ٱلْمُنشَـَٔاتُ - كَٱلْأَعْلَٰمِ - فَانٍ - ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) .

ج :

الكلمة	معناها
﴿ٱلْبَيَانَ﴾	بيان الحلال والحرام ، بيان الخير والشر بيان ما يفعل وما يترك ـ الكلام ـ النطق [١] ـ وقيل من البيان أيضًا تعليم الكتابة .
﴿بِحُسْبَانٍ﴾	بحساب ومنازل لهما يجريان ولا يعدوانها يمشيان في مسارات لا يتخطيانها ـ بحساب وأجل [٢] يمشيان بأجل ، ويسيران إلى أجل لا يتعدياه .
﴿وَٱلنَّجْمُ﴾	قيل: النجم الذي في السماء [٣] ـ وقيل: النبات الذي ليس له ساق [٤] ، والشجر ماله ساق .
﴿ٱلْمِيزَانَ﴾	العدل بين الخلق [٥]
﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾	لا تتجاوزوا الحد ـ لا تظلموا ولا تبخسوا .
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾	أقيموا لسان الميزان بالعدل .

(١) وهذا اختيار الحافظ ابن كثير فقال : هذا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها

(٢) الطبري (٢٣٨٦٢) بإسنادٍ حسن عن قتادة .

(٣) بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (٣٢٨٧٤)

(٤) هذا اختيار الطبري فقد قال :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عُنِي بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه ، فكان بأن يكون معناه لذلك : ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله ، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه ، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره . وأما قوله ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل .

وهذا ، وإن رجحه الطبري لا يمنع من كون النجوم تسجد لله ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ [الحج:١٨].

(٥) كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾	ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس ولا تظلموهم .
﴿وَضَعَهَا﴾	وطأها ـ سهلها ـ بسطها .
﴿لِلْأَنَامِ﴾	للخلق ـ كل شيء فيه روح ـ للإنس والجن .
﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾	الليف الذي يكون عليها ـ الرُّفات ـ الطلع المتكمم في كمامه [١] .
﴿وَٱلْحَبُّ﴾	حب الشعير ، وحب البُرِ .
﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾	ذو الورق ومنه(فجعلهم كعصف مأكول) ، وقيل: ذو التبن، وهو ورق الزرع الأخضر [٢] إذا يبس . وقيل: العصف هو الحب نفسه .
﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾	الرزق [٣] ـ وقيل: الريحان الذي يشمُّ [٤] وقيل: خضرة الزرع .
﴿ءَالَآءِ﴾	نِعم
﴿صَلْصَٰلٍ﴾	الصلصال الطين الذي لم يطبخ (أي: لم يدخل النار) وأطلق عليه

(١) أورد الطبري بإسناد صحيح(٣٢٩٠٣) عن ابن زيد قال :
في قوله : ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ وقيل له : هو الطلع ؟ قال نعم ، وهو في كم منه حتى ينفتق عنه ؛ قال : والحبّ أيضًا في أكمام . وقرأ ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] .
قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام ، وهي متكممة في ليفها ، وطلعها متكمم في جُفِّهِ ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه ، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :
ومعنى هذا ، والله أعلم ، أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف ، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها .

(٣) ومنه الحديث عن الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقول النبي ﷺ فيهما: «هما ريحانتان من الدنيا» ، وقال الطبري : وأولى الأقوال قول من قال عُني به الرزق ، وهو الحب الذي يؤكل منه .

(٤) وفي الحديث: من عُرض عليه ريحان فلا يردّه .

(٥) قال الطبري رحمه الله : فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار يعني أنه من يبسه ، وإن لم يكن مطبوخًا كالذي قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار هو الذي قد طبخ من الطين

	صلصال لسماع صلصلةٍ له إذا احتك ببعضه [٥] ، وقيل: الصلصال التراب المدقق وقيل: ما عُصر فخرج من بين الأصابع .
﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾	الطين الذي أدخل النار .
﴿مَّارِجٍ﴾	المارج المختلط بعضه ببعض [١] والمارج من النار هو النار التي اختلط بعضها ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر ، من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط . وقيل: المارج من النار هو طرف النار ولسانها وهذا اللهب من أحسن النار وأخلصها وأصفاها .
﴿مَرَجَ﴾	أرسل ـ خلَّى ـ أهمل .
﴿بَرْزَخٌ﴾	حاجز .
﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾	لا يبغي أحدهما على الآخر ـ لا يختلطان [٢] لا يبغيان على اليبس .
﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾	ما عَظُم من الدُّر (الدر الكبير)
﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾	ما صغر من الدر . وقيل: المرجان أجود اللؤلؤ وقيل: المرجان حجرٌ ، وقيل: نوع من الجواهر أحمر اللون .
﴿ٱلْجَوَارِ﴾	السفن العظيمة الجارية في البحار .
﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾	الظاهرات في مسيرها ، السائرات مرفوعات القلاع، وقيل: المنشآت يعني المخلوقات للجري .
﴿كَٱلْأَعْلَامِ﴾	كالجبال الطويلة .
﴿فَانٍ﴾	هالك .

بالنار .

(١) وفي الحديث: «مرجت عهودهم».

(٢) قال القرطبي رحمه الله : وقيل: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي: بينهما مدةٌ قدَّرها الله ، وهي مدة الدنيا فهما لايبغيان ، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئًا واحدًا ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣].

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾	قيل: ذو العظمة والكبرياء ـ صاحب الجلال (أهلٌ لأن يُجلّ فلا يُعصَ، وأن يُطاع فلا يُخالف فالجلال اسمٌ من جلّ أي: عَظُم ، ومنه أجللته أي: عَظَّمته .
﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾	الإكرام عما لا يليق به من الشرك ـ أهلٌ لأن يكرم عما يليق به .

❁❁❁

س: اذكر إجمالًا ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة بالتذكير بـ (اسم الله) الرحمن ، ثم ببيان بعض مننه ونعمه على خلقه ومن أعظمها تعليمه القرآن ثم ببيان سائر النعم والمنن وإشارة إلى قدرة الله عزَّ وجلَّ على الخلق ، والتذكير بأن الخلق سيفنى ، ويبقى وجه ربنا عزَّ وجلَّ ذو الجلال والإكرام .

ثم يبين في السورة الكريمة ضعف الإنسان وكذا الجآن وعجزهما عن الخروج عن سلطان الله وملكه ثم بيان سريع لبعض العقوبات التي يُعاقب بها المجرمون ، ثم بيانٌ لبعض ما أعده الله عزَّ وجلَّ من فسيح الجنان لأهل الإيمان ، للمقربين الذين هم في الدرجات العلى ثم الذين يلونهم وهم أصحاب اليمين، جعلنا الله والقارئين من السابقين المقربين. والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

س : اذكر بعض الوارد في اسم الله الرحمن.

ج : وردت في هذا الاسم جملة من الآيات والأحاديث ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥] . وقال تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ: « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن »[١] .

س: هناك من أهل الشرك من كان يثبت اسم (الرحمن) لله عزَّ وجلَّ ومنهم من كان ينكره ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج : أما الذين أنكروه، فقد قال تعالى في شأنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠].

ومن ذلك أيضًا قول سهيل بن عمرو ـ يوم الحديبية ، وكان يومها كافر ـ لرسول الله ﷺ لما قال رسول الله ﷺ: «اكتب باسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله ماأدري ما هي [٢] .

أما الذين أثبتوه ، فقد قال تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ .

❁❁❁

س: ما وجه التذكير باسم الله (الرحمن) في هذا المقام ؟

ج : قال الطبري رحِمه الله:

يقول تعالى ذكره : الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن . فأنعم بذلك عليكم ، إذ بصَّركم به ما فيه رضا ربكم ، وعرّفكم ما فيه سخطه ، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم ، وعملكم بما أمركم به ، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم ، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه ، وتنجوا من أليم عقابه .

قال القرطبي رحِمه الله:

فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته خرج إليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

---

(١) مسلم (٢١٣٢)

(٢) البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وانظر مسلم كذلك (١٢ / ١٣٨ مع النووي) .

وقال السعدي رحِمه الله:

هذه السورة الكريمة الجليلة ، افتتحها باسمه « الرحمن » الدال على سعة رحمته ، وعموم إحسانه ، وجزيل بره وواسع فضله . ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها ، الذي أوصله الله إلى عباده، من النعم الدينية والدنيوية والأخروية .

❁❁❁

س : قوله تعالى: ﴿علَّم القرآن﴾ فيه ردٌّ على الكفار وضّح هذا الرد.

ج : هذا الرد يتمثل في نفي التهمة عن رسول الله ﷺ فقد كان الكفار يزعمون أن هذا القرآن من تعليم بشرٍ للنبي محمد ﷺ ، ويقول : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾.

فمن ثمَّ قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ .

قال الشنقيطي رحِمه الله تعالى : « في كتابه أضواء البيان »:

وقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾:

أي: علَّم نبيه ﷺ القرآن فتلقته أمته عنه ، وهذه الآية الكريمة تتضمن رد الله على الكفار في قولهم: إنه تعلم هذا القرآن من بشر كما تقدم في قوله : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ أي: يرويه محمد عن غيره.

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان:٤ ـ ٥].

فقوله تعالى هنا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ أي: ليس الأمر كما ذكرتم من أنه تعلم القرآن من بشر ، بل الرحمن جل وعلا هو الذي علمه إياه ، والآيات الدالة على هذا كثيرة جدًّا ، كقوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١].

وقوله تعالى : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [فُصِّلَت:١ ـ ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [طه:١١٣].

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣] .

وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧ ـ ١٨] .

وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] .

وقوله تعالى : ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣].

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء:١١٣] ومن أعظم ذلك هذا القرآن العظيم .

❁❁❁

س : ذكر بعض أهل العلم أن أول المُفصل في مصحف ابن مسعود (سورة الرحمن) اذكر ما يدل لهم على ذلك .

ج : الدليل على ذلك ما أخرجه [1] أحمد بسندٍ حسن عن زرٍّ أن رجلًا قال لابن مسعود : كيف تعرف هذا الحرف : (ماء غير ياسن) أو آسن ؟ فقال : كل القرآن قد قرأتُ . قال : إني لأقرأ المفصل أجمعُ في ركعة واحدة . فقال : أهذا كهذا الشعر . لا أبًا لك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقْرُنُ قرينتين قرينتين من أول المُفصل ،

(١) أحمد (١ / ٤١٢) .

وقال أول من فصل ابن مسعود ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾.

❁❁❁

س : قوله تعالى : (علَّم القرآن) علَّم من ؟ وما المراد بقوله : ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؟

ج : علَّم من شاء من خلقه.

وقوله علَّم القرآن أي: سهله لأن يُذكر ويُقرأ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٧].

قال السعدي رحِمه الله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: علم عباده ، ألفاظه ومعانيه، ويسرها على عباده . وهذا أعظم منة ورحمة ، رحم بها العباد، حيث أنزل عليهم قرآنًا عربيًّا، بأحسن الألفاظ ، وأوضح المعاني، مشتمل على كل خيرٍ زاجر عن كل شر.

❁❁❁

س : من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ ؟

ج : قيل: المراد بالإنسان آدم عليه السلام وقيل: المراد الناس عمومًا .

قال الطبري رحِمه الله: والقولان كلاهما غير بعيدٍ عن الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما .

❁❁❁

س : اذكر أطوار خلق الإنسان .

ج : اتضحت تلك الأطوار من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢ـ١٤].

فبين الله عزَّ وجلَّ أصل خلق الإنسان ، وهو آدم عليه السلام ثم خلق سائر الخلق .

❁❁❁

س : هل من وجهٍ للتذكير بقوله تعالى :﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ عقب قوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾؟

ج : نعم ، وجه ذلك نهي الإنسان الذي خلقه الله عن الجدل في آيات الله، والإلحاد في أسماء الله. فأنت أيها الإنسان قد خلقك الله عزَّ وجلَّ وسوَّاك ثم علمك النطق شيئًا فشيئًا ثم لما اكتمل معك النطق إذا أنت تخاصم وتجادل أفلا ذكرت خلقك وأصل منشئك قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:٤] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٧٧].

❁❁❁

س : اذكر بعض صور البيان .

ج : من صور البيان بيان باللسان ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد:٨]، ومنه بيان بالقلم (أي: بالكتاب) قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق:١ ـ ٤].

ومنه بيان بالإشارة ، قال تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران:٤١].

وقال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم:٢٩].

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى:﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ، أي : يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب، ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٤٠] وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام:٩٦].

❁❁❁

س: كيف يسجد النجم؟ وكيف يسجد الشجر ؟

ج : قيل: ذلك سجود لا يعلم كيفيته إلا الله، كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقيل: الذي يسجد ظلهما، كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥] أي: وظلالهم تسجد .

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ فإنه عُنِي به سجود ظلهما ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

ج : **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:** أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل .

أما السعدي رحمه الله فقال : ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي : العدل بين العباد ، في الأقوال والأفعال . وليس المراد به ، الميزان المعروف وحده ، بل هو كما ذكرنا ، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء، والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات ، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات ويقام بها العدل بينهم.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾.

ج : قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها :

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ أي : أنزل الله الميزان ، لئلا تتجاوزوا الحد في الحقوق والأمور . فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم لحصل من الخلل ما الله به عليم . ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ، أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومَهَدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ، لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها .

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ : أفرده بالذكر لشرفه ونفعه ، رطبًا ويابسًا . والأكمام قال ابن جريج: عن ابن عباس ـ : هي أوعية الطلع .

وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسرًا ، ثم رطبًا ، ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه .

قال السعدي رحمه الله :

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ : أي: ذات الوعاء ، الذي ينفلق عن القنوان ، التي تخرج شيئًا فشيئًا حتى تتم ، فتكون قوتا يدخر، ويؤكل ، ويتزود منه المقيم والمسافر ، وفاكهة لذيذة من أحسن الفواكه .

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى الريحان .

ج : قال السعدي رحمه الله :

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ يحتمل أن المراد به جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون . فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص ، ويكون الله، قد امتن على عباده بالقوت

والرزق، عمومًا وخصوصًا . ويحتمل أن المراد بالريحان المعروف ، وأن الله امتن على عباده ، بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة ،والمشام الفاخرة ، التي تسر الأرواح ، وتنشرح لها النفوس .

❁❁❁

س : اذكر بعض ما ورد في الريحان من السنة .

ج : من ذلك مايلي :

قول النبي ﷺ :« **مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ** »[١] . وقول النبي ﷺ : «**من عُرض عليه ريحان فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل**[٢] ». وقول النبي ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما: «**هما ريحانتان من الدنيا**»[٣].

❁❁❁

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، أي : فبأي الآلاء ـ يامعشر الثقلين ، من الإنس والجن ـ تكذبان ؟ قاله مجاهد ، وغير واحد . ويدل عليه السياق بعده ، أي : النِّعَمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها ، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون : اللَّهم ؛ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد. وكان ابن عباس يقول : لا بأيها يارب . أي : لانكذب بشيء منها .

❁❁❁

(١) البخاري (حديث ٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧).
(٢) مسلم (حديث ٢٢٥٣)
(٣) البخاري (٥٩٩٤)

س : هل ورد عن رسول الله ﷺ ذِكرٌ يقال عند تلاوة أو سماع قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

ج : لا أعلم في ذلك خبرًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ وقد ورد عن ابن عباس عند الطبري من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال : لا بأيتها يارب [1]

وأخرج الطبري بسنده إلى عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :

إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن ، أو قُرئت عنده ، فقال : « ما لِي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم »؟ قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « ما أتيت على قول الله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلَّا قالت الجن : لا بشيء من نعمة ربنا نكذب » .

وأخرج الترمذي من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ:

عن جابر؛ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم : «سورة الرحمن»، من أولها إلى أخرها، فسكتوا فقال : « **لقد قرأتها على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مَردُودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قالوا: لا بشيء من نعمك ـ رَبَّنا ـ نكذب، فلك الحمد**».

❁❁❁

س: لماذا ثنى الخطاب في قوله تعالى : ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟

ج: قيل: لأن الخطاب موجه للجن والإنس [2] .

قال الطبري رحمه الله:

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فخاطب اثنين ، وإنما ذكر في أول الكلام واحد، وهو الإنسان ؟ قيل : عاد بالخطاب في قوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى الإنسان والجانّ.

---

(١) الطبري (٣٢٩٢٨) .

(٢) روى الطبري (٣٢٩٣٠) بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول للجن والإنس . بأي نعم الله تكذبان؟

ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا الكلام ، وهو قوله : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

وقد قيل : إنما جعل الكلام خطابًا لاثنين ، وقد ابتدئ الخبر عن واحد ، لما قد جرى من فعل العرب ، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الإثنين، فيقولون : خلياها ياغلام ، وما أشبه ذلك مما قد بيناه في كتابنا هذا في غير موضع .

❁❁❁

س: من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني: آدم عليه السلام .

❁❁❁

س : لماذا وصف الصلصال بأنه كالفخار ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار .

❁❁❁

س: استدل بعض العلماء على فضيلة آدم على الحجة بهاتين الآيتين : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ...﴾ ما وجه الدلالة في ذلك ؟

ج : وجه الدلالة عند من ذهبوا إلى ذلك أن الطين أفضل من النار .

قال السعدي رحمه الله : ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي : من لهب النار الصافي ، أو الذي قد خالطه الدخان . هذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب ، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع . بخلاف عنصر الجان ، وهو النار ، التي هي محل الخفة والطيش ، والشر والفساد .

❁❁❁

س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ وبين ما ورد من خلق الإنسان من طين لازب ومن حمأٍ مسنون ؟

ج : وجه الجمع بأن يقال: هذه مراحل الطين ، فالتراب يخلط بالماء فيصبح طينًا ثم يترك فيصبح طينًا لازبًا أي منتنًا متغيرًا ثم يترك فينشف ويتجمد ويصبح كالفخار والله أعلم .

وأحب أن أنقل هنا ما أورده الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى : «في أضواء البيان» إذ قال :

الصلصال : الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة ، أي: صوت إذا قرع بشيء ، وقيل: الصلصال المنتن ، والفخار الطين المطبوخ ، وهذه الآية بيَّن الله فيها طورًا من أطوار التراب الذي خلق منه آدم ، فبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج:٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر:٦٧] وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه:٥٥].

وقد بينا في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وقوله : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها ، لأنه أصلهم وهم فروعه ، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طينًا ، ولذا قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] وقال تعالى : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ﴾ [الصافات:١١]. وقال تعالى : ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١] .

ثم خمر هذا الطين فصار حمأً مسنونًا ، أي طينًا أسود متغير الريح ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦] الآية .

قال تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ .

وقال عن إبليس : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٣٣] والمسنون قيل: المتغير وقيل: المصور وقيل: الأملس، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالا. كما قال هنا : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ وقال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

فالآيات يصدق بعضها بعضًا، ويتبين فيها أطوار ذلك التراب كما لا يخفى .

❁❁❁

س: اذكر ما ورد من الحديث عن رسول الله ﷺ في شأن خلق آدم عليه السلام.

ج : من ذلك مايلي :

قول رسول الله ﷺ : «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجآن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم**» [١] . ومن ذلك قوله ﷺ : « **خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا...**» [٢] . وقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وتقدمت بعض الأمور المتعلقة به وذُكر ﷺ في سورة البقرة.

❁❁❁

س : ما المراد بالجآن الذي خلق من مارج من نار ؟

ج : قال بعض العلماء: هو إبليس ، وقال آخرون: إبليس وذريته وهو الصواب، والله أعلم .

❁❁❁

س: في بعض الآيات ذكرت المشارق ، وفي بعضها ذُكر المشرقين وفي أخرى ذكر المشرق فما المعنى ؟ وما المراد ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالمشرق والمغرب مشرق الشمس ومغربها.

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٦).

(٢) البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

والمشرقين والمغربين للشمس والقمر.

والمشارق والمغارب للشمس والقمر والنجوم .

وقال آخرون : تلك مشارق الشمس ومغاربها ففي كل يوم تشرق من مشرق غير الذي أشرقت منه وكذا الغروب .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾، يعني مشرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء .

وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها منه إلى الناس .

وقال في الآية الأخرى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزّمل:٩]، وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب .

❁❁❁

س : ما المراد بالمشرقين والمغربين ؟

ج : قال بعض أهل العلم: مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف.

ومغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف .

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذا المقام.

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول : فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دائبة بمرافقكما ، ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذبان .

قال الحافظ ابن كثير حمه الله : ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

❁❁❁

س: ما المراد بالبحرين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : بحر في السماء ، وبحر في الأرض يلتقيان (والله أعلم أين يلتقيان؟) .

الثاني : أن المراد بحر فارس والروم .

الثالث : البحر المالح والنهر العذب ، وأطلق البحر على النهر تغليبًا، واختار ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ الرأي الأول .

لكن تعقبه الحافظ ابن كثير بقوله :

والمراد بقوله : ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: الملح والحلو ، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس. وقد قدمنا الكلام على ذلك في « سورة الفرقان » عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]. وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض. وهو يروى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وابن أبزى.

قال ابن جرير : لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض.

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد ما ذهب إليه ؛ فإنه لايساعده اللفظ ، فإنه تعالى قد قال : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ، أي : وجعل بينهما برزخًا ، وهو : الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيُفسد كل واحد منهما الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخًا وحجرًا محجورًا .

❁❁❁

س : ما المراد بالبرزخ ؟

ج : البرزخ: هو الحاجز ، وقيل: المراد به هذه الأرض التي بين البحرين ، قال نحوه قتادة [1].

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: والبرزخ هذه الجزيرة ، هذا اليبس .

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : بينهما حاجز وبعدٌ ، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه . وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ .

ونقل قول من قال: لا يبغيان على اليبس .

وقول آخرين : لا يبغيان أن يلتقيا .

ثم قال وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان ، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء ، بل عمّ الخبر عنهما بذلك ، فالصواب أن يعَمَّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : إنهما لا يبغيان على شيء ، ولا يبغي أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما ؟

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذّبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مَرْجه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك .

❁❁❁

س: كيف قيل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، وقد ذكر البعض أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح فقط؟!

ج : أولًا ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من العذب والمالح، وإن لم يكتشف الناس ذلك الآن.

أما الذين ذهبوا إلى أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المالح فقط ، فقد أجابوا على ذلك بما حاصله أن هذا الإطلاق في قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ إطلاق أغلبي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ، أي : من مجموعهما ، فإذا وُجِدَ ذلك لأحدهما كفى، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠]. والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الإطلاق .

وقال أيضًا : وأما قوله : ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢] فاللحم من كلٍّ من الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من الملح دون العذب.

قال الشنقيطي رحمه الله : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقوله في هذه الآية يخرج منهما أي: من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب. وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه ، لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢] فالتنوين في قوله: من كل تنوين عوض أي: من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان ، وهذا مما لا نزاع فيه.

وقد أوضحنا هذا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠] الآية واللؤلؤ الدر ، والمرجان الخرز الأحمر . وقال بعضهم : المرجان صغار الدر واللؤلؤ كباره.

❁❁❁

س : وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم بإجرائه الجواري المنشئآت في البحر جارية بمنافعكم تكذّبان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ يعني : السفن التي تجري في البحر ، قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي مُنْشأة ، وما لم يرفع قلعه

فليس بمنشأة . وقال قتادة : ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ : يعني المخلوقات . وقال غيره : المنشآت ـ بكسر الشين ـ : يعني البادئات.

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ، أي : كالجبال في كبرها ، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

ج: **قال الطبري رحمه الله:** كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك .

قلت : ومن المعنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

❁❁❁

س : اذكر بعض الفوائد من الإخبار بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

ج : في ذلك من الفوائد ما يلي:

ـ الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها فيها ، وذلك لكونها زائلةٌ وفانية .

ـ الصبر على الضرّ في الأبدان والأموال والأولاد .

ـ الحث على فعل الباقيات الصالحات ، والحث على العبادة عمومًا

ـ الحث على التوحيد وإخلاص العمل لله ، فكل ما خلا الله باطل وهذه الآلهة المعبودة مع الله عزَّ وجل ستزول وتنتهي وتفنى .

❁❁❁

س : قوله تعالى : ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ هل هي وصف للوجه أم ماذا ؟

ج : نعم هي هنا وصف للوجه ، فلذلك قيل (ذو)..

. **وبنحوه قال الطبري :** قال : وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه ، فلذلك رفع (ذو).

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

وكقوله إخبارًا عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩].

قال السعدي رحمه الله: ويبقى الحي الذي لا يموت: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: ذو العظمة والكبرياء، والمجد الذي يعظم ويُبجل، ويُجل لأجله.

والإكرام، الذي هو سعة الفضل، والجود، الذي يكرم أولياءه، وخواصِ خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه.

❁❁❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «ألظّوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام»؟[1] وما معناه؟

ج: الحديث ثابت صحيح.

ومعنى ألظوا أي: ألحُّوا، والإلظاظ الإلحاح والمعنى: قولوا داعين الله، وسائلين: ياذا الجلال والإكرام. والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح وجه إيراد قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عقب قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ...﴾

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

❁❁❁

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أحمد (٤ / ١٧٧) وغيره. وانظر كذلك الترمذي (٣٥٢٣).

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ
ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ
﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ
﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى
وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

س : وضح معنى ما يلي :

(﴿ سَنَفْرُغُ - ٱلثَّقَلَانِ - يَٰمَعْشَرَ - أَقْطَارِ - بِسُلْطَٰنٍ - شُوَاظٌ - وَنُحَاسٌ - فَلَا تَنتَصِرَانِ - وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ - بِسِيمَٰهُمْ - بِٱلنَّوَٰصِى - وَٱلْأَقْدَامِ - يَطُوفُونَ بَيْنَهَا - حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾)

ج :

الكلمة	معناها
﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾	سنحاسبكم.
﴿ٱلثَّقَلَانِ ﴾	الجن والإنس.
﴿ يَٰمَعْشَرَ ﴾	المعشر؛ أي : الأهل، الجماعة، القوم. وقيل: كل جماعة أمرهم واحد.

﴿أَقْطَارِ﴾	أطراف
﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾	بحجةٍ ـ ببينةٍ ـ هلك
﴿شُوَاظٌ﴾	لهبٌ ، وقيل: هو اللهب الأخضر المتقطع.
﴿وَنُحَاسٌ﴾	وقيل: النحاس المعروف (يصهر ويصب فوق الرءوس) ـ وقيل: الدخان .
﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾	فلا تستنقذان .
﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	وردةً كلون الدهن ـ مشرقة لونها صافية يتغير لونها كما يتغير لون الدهن إذا سخِّن .
﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾	بعلاماتهم.
﴿بِالنَّوَاصِي﴾	جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس (شعر الرأس) .
﴿وَالْأَقْدَامِ﴾	جمع قدم.
﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾	أي تارة يُعَذَّبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم.
﴿حَمِيمٍ آنٍ﴾	ماء سُخِّن وبلغ منتهى الغليان ، وبلغ أعلى درجات غليانه ـ بلغ نضجه واستواءه [1] ـ . وقيل: آن بمعنى حاضر مُعدٌّ جاهز.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ج : المعنى، والله تعالى أعلم أن كلَّ من في السموات والأرض من إنسٍ وجنٍ وملائكة ، وسائر المخلوقات من دواب وطيور وحشرات وحيتان ، وسباع ، وكل ماله نفس يسأل ربه أن يقضي حاجته لا يستغنون عنه، بل كلهم في احتياج إليه، وهو يسمعهم جميعًا ويجيبهم إن شاء، ويقضي حاجة من أراد أن يقضي حاجته ، لا يملُّ من

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي: غير منتظرين نضجه واستواءه .

سؤالهم ولا يعجز عن إجابة دعائهم .

وهذا بلا شك دالٌ على عظمة الله عزَّ وجل وقدرته وكرمه وواسع عطائه ، ودالٌ على احتياج العباد إليه . فالفقير يسأله سعة الرزق ، والمريض يسأله العافية والشفاء ، والمبتلى يسأله العافية ، وذو الحاجة يسأله قضاء حاجته .

قال السعدي رحمه الله :

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يغني فقيرًا ، ويجبر كسيرًا ، ويعطي قومًا ، ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين . فسبحان الكريم الوهاب ، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات . وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات . وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه .

وهذه الشئون التي أخبر أنه كل يوم هو في شأن ، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها ، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها ، التي اقتضتها حكمته . وهي أحكامه الدينية ، التي هي الأمر والنهي . والقدرية ، التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار . حتى إذا تمت هذه الخليقة وأفناهم الله تعالى، وأراد أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء ، ويريهم من عدله وفضله ، وكثرة إحسانه ، ما به يعرفونه ، ويوحدونه ، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان ، إلى دار الحيوان .

❁❁❁

س : ما الذي يسأله أهل السموات ربهم عزَّ وجل ؟

ج : قال بعض أهل العلم: أهل السموات يسألون ربهم المغفرة والعون على العبادة ، ويسألونه أيضًا للصالحين من بني آدم المغفرة ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا

وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩]. وكذلك يسألونه كلَّ ما يحتاجون إليه.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

ج : **قال كثير من العلماء:** أي: في تدبير شئون خلقه ، يفرج كرب ذي الكرب، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين يفك عانيًا (أي: أسيرًا وسجينًا) ويجيب داعيًا ومضطرًا ، يحيي ويميت - يعز ويذل ، يرفع ويخفض - يهين ويكرم.

أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحيي حَيًّا، ويُميت ميتًا ويربي صغيرًا ، ويذلّ كبيرًا ، وهو مَسْأل حاجات الصالحين ، ومنتهى شكواهم ، وصريخ الأخيار .

❁❁❁

س : ما مدى صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قالوا يا رسول الله ، وما ذلك الشأن قال : « يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين» ؟

ج : أخرج ذلك الطبري [(١)] في تفسيره من طريقٍ عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا : يا رسول الله، وما ذلك الشأن ؟ قال : « يَغْفِرُ ذَنْبًا ، وَيفَرِّجُ كَرْبًا ، وَيرْفَعُ أَقْوَامًا ، وَيضَعُ آخَرِينَ» [(٢)] .

❁❁❁

(١) الطبري (٣٣٠١٢).
(٢) إسناده ضعيف جدًّا .

س: كيف قيل يرفع أقوامًا ويخفض آخرين ، وقد قُدِّرت المقادير من قبل ؟

ج : قيل في الإجابة على ذلك أنه سبحانه قدر الأمور من قبل بلا شك ، ولكن يفعل ما قدره في الوقت الذي أراد فيه وقوع الشيء ، والله أعلم .

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الوارد عقب قوله : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم ، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان .

❁❁❁

س: هل هناك قراءات في قوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾؟

ج : هناك قراءتان ، ذكرهما العلماء **إحداهما** (سَنَفْرُغُ) **والأخرى** (سَيفْرُغُ) أي: إحداهما بالنون ، والأخرى بالياء .

قال الطبري رحمه الله :

اختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة « سَيفْرُغُ لَكُمْ » بالياء وفتحها ردًّا على قوله : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل : يسألنا من في السموات، فأتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب .

❁❁❁

س : هل الله عزَّ وجل مشغول عن خلقه حتى قيل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾؟

ج : ورد بسندٍ[1] فيه ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ قال: وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغلٌ ، وهو فارغ .

أما الطبري رحمه الله تعالى فقد قال :

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدّد ، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه: لأتفرغن لك، وسأتفرّغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل الذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي، أي: أخذت فيه وأقبلت عليه، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم ، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجنّ ، فنعاقب أهل المعاصي ، ونثيب أهل الطاعة .

❁❁❁

س : لماذا أطلق على الجن والإنس ثقلان ؟

ج: نقل القرطبي عن جعفر الصادق قوله : سُمِّيَا ثقلان لأنهما مثقلان بالذنوب، والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ﴾.

ج : هذا الخطاب للجن والإنس يتضمن تهديدًا لهم ويتضمن أيضًا تحديا ، وإظهارًا لضعفهم وعجزهم .

أما عن معناه فللعلماء فيه وجوه :

أحدهما: أن ذلك يوم القيامة ، يقال لهم: هذا أمر الله قد حلَّ بكم فإن كان لكم

---

(١) أخرجه الطبري (٣٣٠١٤) ، وفي سنده أبو صالح وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو ضعيف ، وفيه أيضًا الخلاف في سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس.

سبيل إلى الفرار والهروب من أية ناحية من السماء والأرض كي تهربوا من عذاب الله وحسابه فاهربوا وفروا إن استطعتم .

وحجة أصحاب هذا القول أن الآية الكريمة سُبقت بقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

الثاني: أن المراد بقوله : ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في الدنيا إذا حلَّ بكم الموت فإن استطعتم الفرارمنه والهرب ففروا واهربوا فإن الموت مُدرككم ولن تستطيعوا الفرار منه ، وكما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] فلو هربتم إلى أي مكانٍ كان لكنتم في سلطان الله.

الثالث : قال بعض العلماء: إن المعنى إن استطعتم أن تتجاوزوا أطراف السموات والأرض فتعلموا ما في السموات والأرض وما ورائها من علم فانفدوا واعلموا ، ولن تستطيعوا علم ذلك إلا بإذن الله ، وببينةٍ من الله عزَّ وجل .

ولخص الطبري هذا المعنى فقال: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ ، أي : لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره ، بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ، ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم .

وهذا في مقام المحشر ؛ الملائكة مُحدقةٌ بالخلائق ، سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب. ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ ، أي : إلا بأمر الله، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١٠].

وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧]؛ ولهذا قال : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

قوله تعالى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ الآية . ذكر ابن المبارك : وأخبرنا جويبر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ، فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفًّا من خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ، فينزل الملَك الأعلى في بهائه وملكه ومجنّبته اليسرى جهنم ، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قُطْرًا من أقطارها إلا وجدوا صفوفًا من الملائكة ، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ والسلطان العذر. وقال الضحاك أيضًا: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء ، ونزلت الملائكة، فتهرب الجنّ والإنس ، فتحدق بهم الملائكة ، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ ذكره النحاس .

قلت: فعلى هذا يكون في الدنيا ، وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الآخرة ، وعن الضحاك أيضًا : إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا .

وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله تعالى. وعنه أيضًا أن معنى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم.

قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك. وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان ، الباء بمعنى إلى، كقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ ﴾ [يوسف : ١٠٠] أي: إلي . قال الشاعر :

أَسِيئي بِنَا أو أحسِني لا ملولةٌ لدَينا ولا مَقْلِيةٌ إن تَقَلَّتِ

وقوله : ﴿فَٱنفُذُواْ ﴾ أمر تعجيز .

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي : لاتجدون مسلكًا ومنفذًا ، تخرجون به عن ملك الله وسلطانه.

﴿فَٱنفُذُوٓاْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ أي : لا تخرجون منه إلا بقوة ، وتسلط منكم، وكمال قدرة ، وأنّى لهم ذلك ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ، ولا موتًا ولا حياة ، ولا نشورًا ؟!.

ففي ذلك الموقف، لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسًا. وفي ذلك الموقف ، يستوي الملوك والمماليك ، والرؤساء والمرءوسون ، والأغنياء والفقراء .

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾

ج:قيل المعنى: لن تعلموا ما في السموات والأرض إلا ببينةٍ من الله ـ عزَّ وجل ـ.

وقيل المعنى : لا تنفذون إلا بمُلكٍ منكم وليس لكم ملك وقيل: إلا بقدرة وقوة ولا قدرة ولا قوة لكم إلا بالله .

وقيل المعنى : لا تخرجوني من سلطاني . وانظر ماتقدم أيضًا .

قال الرازي في تفسيره :

ما معنى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ ؟

نقول: ذلك يحتمل وجوهًا (أحدها) أن يكون بيانًا بخلاف ما تقدم أي: ما تنفذون ولا تنفذون إلا بقوة وليس لكم قوة على ذلك .

(ثانيها) أن يكون على تقدير وقوع الأمر الأول ، وبيان أن ذلك لا ينفعكم ، وتقديره ما تنفذوا وإن نفذتم ما تنفذون إلا ومعكم سلطان الله . كما يقول خرج القوم بأهلهم أي معهم .

(ثالثها) أن المراد من النفوذ ما هو المقصود منه ؟ وذلك لأن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال : لا تنفذون من أقطار السموات . لاتتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك . لا إنك إن صدقت فينفعك البكاء.

(رابعها) أن هذا إشارة إلى تقرير التوحيد ، ووجهه هو كأنه ـ تعالى ـ قال : ياأيها الغافل لا يمكنك أن تخرج بذهنك عن أقطار السموات والأرض فإذا أنت أبدًا تشاهد دليلًا من دلائل الوحدانية ، ثم هب أنك تنفذ من أقطار السموات والأرض ، فاعلم أنك لا تنفذ إلا بسلطان تجده خارج السموات والأرض قاطع دال على وحدانيته تعالى والسلطان هو القوة الكاملة .

❁❁❁

س : متى هذا الإرسال للشواظ والنحاس ؟

ج : قيل هذا يوم القيامة، وقد قيل: إنه في الدنيا ، واستدل له بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص:١٠ ـ ١١].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

والمعنى على كل قول : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللَّهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

❁❁❁

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

يقول: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يوم القيامة ، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناه؛ كقوله : ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥]. وقوله : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١ ـ ٢] .

وقوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في

السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

ذكر ـ جلا وعلا ـ في هذه الآية الكريمة أن السماء ستنشق يوم القيامة ، وأنها إذا انشقت صارت وردة كالدهان، وقوله : وردة: أي حمراء كلون الورد ، وقوله كالدهان: فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما : أن الدهان هو الجلد الأحمر ، وعليه فالمعنى: أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه .

والثاني : أن الدهان هو ما يدهن به ، وعليه ، فالدهان ، قيل : هو جمع دهن ، وقيل : هو مفرد ، لأن العرب تسمي ما يدهن به دهانًا ، وهو مفرد ، ومنه قول امرئ القيس :

كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهني بدهان

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر ، يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد . وحمرة الأديم الأحمر .

قال بعض أهل العلم : إنها يصل إليها حُرُّ النار فتحمر من شدة الحرارة .

وقال بعض أهل العلم : أصل السماء حمراء إلا أنها ـ لشدة بعدها وما دونها من الحواجز ـ لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته ، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها.

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به ، فإن الله وقد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما: حمرة لونها ، والثاني: أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن .

أما على القول الأول ، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية ، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر .

وأما على القول الثاني ـ الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة ـ فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع، وذلك في قوله تعالى في «المعارج»: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ، والمهل شيء ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره ، أو قلنا: إنه الذائب من حديد أو نحاس أو نحوهما .

وقد أوضح تعالى في «الكهف» أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

والقول بأن الوردة تشبيه بالفرس الكميت وهو الأحمر لأن حمرته تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل ، وتميل إلى الصفرة في فصل ، وإلى الغبرة في فصل .

وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تتلون بألوان مختلفة واضح البعد عن ظاهر الآية ، وقول من قال : إنها تذهب وتجيء معناه له شاهد في كتاب الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ الآية ، ولكنه لا يخلو عندي من بعد .

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة ، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] وقوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥] الآية، وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة «ق» في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾؟

ج : في ذلك أقوال لأهل العلم :

الأول : لا تسأل الملائكةُ المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم وأحصاها ، كما قال : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

الثاني : لا يسأل الله سبحانه بعضهم عن ذنوب بعض، إنما يسأل كل شخص عن ذنبه الذي اقترف.

الثالث : أنهم لايسألون عن ذنوبهم لأنها ظاهرة بادية على وجوههم ، كما قال تعالى : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي بالعلامات التي عُلِّموا بها ووسموا بها، وكما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [1] وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقيل: لأن الأيدي تتكلم ، وكذا الجوارح تتكلم، وكذا فقد أحصاها الله.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وهذه كقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥] فهذا في حال ، وثم حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم ، قال الله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢]. ولهذا قال قتادة : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ ، قال: قد كانت مسألة ، ثم ختم على أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ هذا مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص : ٧٨] وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم ، فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض ، وهذا قول عكرمة . وقيل : المعنى لا يسألون إذا استقروا في النار . وقال الحسن وقتادة : لا يسألون عن ذنوبهم ، لأن الله حفظها عليهم، وكتبتها عليهم الملائكة ، رواه العوفي عن ابن عباس . وعن الحسن ومجاهد أيضًا : المعنى لا تسأل الملائكة عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم ، دليله ما بعده . وقاله مجاهد عن ابن عباس ، وعنه أيضًا في قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢] وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وقال : لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ . وقال أبو العالية : لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم . وقال قتادة : كانت المسألة قبل ، ثم ختم على أفواه

---

(١) زرق العيون سود الوجوه .

القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ:

ذكر ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة ، أنه يوم القيامة لا يسأل إنسًا ولا جانًّا عن ذنبه، وبين هذا المعنى في قوله تعالى في «القصص»: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ .

وقد ذكر جل وعلا ـ في آيات أخر ـ أنه يسأل جميع الناس يوم القيامة الرسل والمرسل إليهم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وقد جاءت آيات من كتاب الله مبينة لوجه الجمع بين هذه الآيات ، التي قد يظن غير العالم أن بينها اختلافًا، اعلم أولًا أن للسؤال المنفي في قوله هنا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أخص من السؤال المثبت في قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، لأن هذه فيها تعميم السؤال في كل عمل ، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة ، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء.

الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن ، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا ، هو أن السؤال نوعان: **أحدهما**: سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب ، **والثاني**: هو سؤال الاستخبار والاستعلام .

فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام ، لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى : ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦].

وعليه فالمعنى لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، سؤال استخبار واستعلام، لأن الله أعلم بذنبه منه.

والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع ، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب ، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا

ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ [الطور:١٣ ـ ١٥] الآية، قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠].

أما سؤال الموءودة في قوله : ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨] فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الندب ، لأنها سئلت عن أي ذنب قتلت وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه ، لأنها هي تقول لا ذنب لي ، فيرجع اللوم على من قتلها ظلمًا.

وكذلك سؤال الرسل ، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه ، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلَّغته، وباقي أوجه الجمع بين الآيات لا يدل عليه قرآن ، وموضوع هذا الكتاب بيان القرآن بالقرآن، وقد بيَّنا بقيتها في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في أول سورة «الأعراف».

وقد قدمنا طرفًا من هذا الكتاب المبارك في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى : ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦].

وذكر الرازي ـ رحمه الله ـ وجهين في هذه الآية فقال:

(**أحدهما**) لايسأله أحد عن ذنبه ، فلا يقال له أنت المذنب أو غيرك ، ولا يقال من المذنب منكم بل يعرفونه بسواد وجوههم وغيره ، وعلى هذا فالضمير في ذنبه عائد إلى مضمر مفسر بما يعده ، وتقديره لا يسأل إنس عن ذنبه ولا جان يسأل ، أي عن ذنبه.

(**وثانيهما**) معناه قريب من المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥] كأنه يقول : لا يسأل عن ذنبه مذنب إنس ولا جان . وفيه إشكال لفظي ، لأن الضمير في ذنبه إن عاد إلى أمر قبله يلزم استحالة ما ذكرت من المعنى بل يلزم فساد المعنى رأسًا لأنك إذا قلت لا يسأل مسئول واحد أو إنسي مثلًا عن ذنبه فقولك بعد إنس ولا جان ، يقتضي تعلق فعل بفاعلين وإنه محال.

والجواب عنه من وجهين:

(أحدهما) أن لايفرض عائدًا وإنما يجعل بمعنى المظهر لا غير ويجعل عن ذنبه كأنه قال عن ذنب مذنب .

(ثانيهما) وهو أدق وبالقبول أحق أن يجعل ما يعود إليه الضمير قبل الفعل فيقال تقديره فالمذنب يومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان.

❁❁❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾؟

ج : أجاب على ذلك الرازي بقوله :

كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وبينه وبين قوله تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؟[الصافات:٢٤] نقول على الوجه المشهور جوابان:

(أحدهما) أن للآخرة مواطن . فلا يسأل في موطن ، ويسأل في موطن.

(وثانيهما) وهو أحسن لا يسأل عن فعله أحد منكم ، ولكن يسأل بقوله لم فعل الفاعل فلا يسأل سؤال استعلام ، بل يسأل سؤال توبيخ ، وأما على الوجه الثاني، فلا يرد السؤال ، فلا حاجة إلى بيان الجمع.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل الإجرام يعرفون بالعلامات التي عُلِّموا بها والتي رُسموا بها ، وذلك لكونهم زرق العيون سود الوجوه ، وعلى وجوههم غبرة، وترهق وجوههم قترة فتأخذ الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم وتقذفهم فيها .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

قوله بسيماهم: أي بعلامتهم المميزة لهم ، وقد دَلَّ القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس:٤٠ ـ ٤٢]؛ لأن معنى قوله ترهقها قترة أي يعلوها ويغشاها سواد كالدخان الأسود .

وقال تعالى في زرقة عيونهم: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه:١٠٢] ولا شيء أقبح وأشوه من سواد الوجوه وزرقة العيون ، ولذا لما أراد الشاعر أن يقبح علل البخيل بأسوأ الأوصاف وأقبحها ، فوصفها بسواد الوجوه وزرقة العيون حيث قال:

وللبخيلِ على أموالِهِ علَلٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ

ولا سيما إذا اجتمع مع سواد الوجه اغبراره ، كما في قوله : ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس:٤٠-٤١] فإن ذلك يزيده قبحًا على قبح .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾، وقد قدمنا تفسيره والآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:١٣].

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ: يطوف هؤلاء المجرمون ـ الذين وصف صفتهم ـ في جهنم بين أطباقها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ يقول : وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حرّه وأنى طبخه، وكل شيءٍ قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قول: ﴿غَيْرَ

نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذبيان:

وَيَخْضَبْ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ بأحْمَرَ مِنْ نَجيعِ الجَوْفِ آني

يعني: مدرك.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقال قتادة: قد أنى طبخه منذ خلق الله السماوات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرّكُ بناصيته في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحمُ ويبقى العظمُ والعينان في الرأس، وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧٢]. والحميم الآن: يعني: الحار. وعن القرظي رواية أخرى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضًا، والحاضر، لا ينافي ما روي عن القرظي أولًا أنه الحار، كقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٥]، أي: حارّة شديدة الحر لا تستطاع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾؛ يعني استواءه ونضجه. فقوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، أي: حميم حار جدًّا.

❁❁❁

بحثٌ موسع عن النار وأهلها الأشرار

س : اذكر بمزيد من التفصيل أوصاف النار وأهلها الأشرار، وما أعد لهم من أليم العقاب ، وكذا شيئًا كثيرًا مما يتعلق بها والتحذير منها ؟

ج : ابتداءً فقد حذر الله ـ عزَّ وجل ـ من النار أشد التحذير وأمر نبيه ﷺ أن يحذر منها ، ويذَكِّر ، وتوالت النصوص المحذرة من هذا الخطر العظيم ـ خطر النار ـ حذَّر اللهُ من النار ، وأنذر ، فقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦]، وقال تعالى : ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل : ١٤]

وحذَّرَ النبي ﷺ منها وكرَّر التحذير :

فقد أخرج الإمام أحمد[١] بسند حسن عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**» حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مَقَامِي هذا .

قال : حتى وقعت خَمِيصَةٌ كانت على عَاتِقِهِ عند رجليه .

وقال رسول الله ﷺ: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »[٢] .

وفي الحديث: « **ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار** »[٣] .

وفي الصحيح[٤] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : لما أُنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء :٢١٤] دعا رسولُ الله ﷺ قُريشًا. فاجتمعوا. فعمَّ وخصَّ، فقال: « **يابني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار . يابني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس ! أنقذوا أنفسكم من النار . يابني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني هاشم! أنقذوا أنفسكم من**

---

(١) أحمد (٤ / ٢٧٢)

(٢) البخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (١٠١٦) .

(٣) البخاري (٦٤٦٩) .

(٤) مسلم (حديث ٢٠٤) .

النار . يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النار . فإني لا أملك لكم [١] من الله شيئًا . غير أن لكم رحمًا يأبلها ببلالها» [٢].

أما عن أسماء النار. أعاذنا الله منها

للنار عدة أسماء ، منها :

جَهَنَّمُ : قال تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [عم : ٢١]

الجَحِيمُ : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير : ١٢].

السَّعِيرُ: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

سَقَرُ: قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢].

الحُطَمَةُ: قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة:٤ ـ ٦].

الهَاوِيَةُ: قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:٩ ـ ١١].

سِجِّينُ: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧، ٨].

لَظَى: قال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج:١٥].

ولقد وُصف عذابها بأنه: أليمٌ، وعظيم، ومهين، وكذلك وصف بأنه شديد!!

إن صبغةً في النار تُنسي الشخص كل نعيم الدنيا الذي تمتع به :

ففي الصحيح [٣] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بأنعَمِ أهلِ الدُّنْيَا، مِن أهلِ النارِ، يَومَ القِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ:

---

(١) فإني لا أملك لكم : معناها لا تتكلوا على قرابتي ، فإني لا أقدر على دفع مكروهٍ يريده الله تعالى بكم .

(٢) (سأبلها ببلالها) : بفتح الباء الثانية وكسرها . وهما وجهان مشهوران ، ذكرهما جماعات من العلماء ، والبلال : الماء . ومعنى الحديث : سأصلها . شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . ومنه : بلوا أرحامكم ، أي : صلوها . قاله النووي .

(٣) مسلم (٢٨٠٧).

يا بْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا والله يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا بنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لا، واللهِ يَا ربِّ! ما مرَّ بِي بُؤْسٌ قطُّ. ولا رأيتُ شِدَّةً قطُّ».

وإذا أردت بعض الاطلاع على عظيم عذابها: فاقرأ قول رسول الله ﷺ: «نارُكم جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّم» قيل: يارسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بتسعةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا كُلُّهُنَّ مِثلُ حَرِّهَا»[1].

وقال الله ـ عز وجل ـ عنها: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٢٥]. وقال عنها: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج:١٥، ١٦].

ولقد حُفَّت النارُ بالشَّهَوات

أخرج الترمذي[2] بسندٍ حسنٍ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجنةَ والنَّارَ، أرسَلَ جِبريلَ إلى الجنَّةِ، فَقَال: انظُر إِلَيْهَا وإِلَى مَا أَعْدَدتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَجَاءَها، فنظرَ إليهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فانْظُر إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيْهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّت بالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إليهِ فَقَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا يَدْخُلُهَا أَحَد. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يركب بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَر بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

وفي صحيح مسلم من حديث أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُفَّت الجنةُ بالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ»[3].

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) الترمذي (٧/ ٢٨١).

(٣) مسلم (٢٨٢٢). قال النووي ـ رحمه الله ـ: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامعه التي

ونحوه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا بلفظ: «حُجِبَت النارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَت الجنةُ بالمَكَارِهِ»[1].

أبواب النار

للنار أبواب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا..﴾ [الزمر:٧١].

أما عن عدد هذه الأبواب، فهي سَبْعَةٌ:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر:١٥].

ولهذه الأبواب خزنة:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ...﴾ [الزمر:٧١]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [تبارك:٨].

وعدد هؤلاء الخزنة لا يعلمهم إلا الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

أما كبارهم وقادتهم فهم تسعة عشر:

قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠].

وكبير هؤلاء جميعًا هو مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وكذلك محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.

(١) البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣).

ولقد رأى النبي ﷺ مالكًا خازن النار كَرِيهَ المرآةِ كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآة وإذا عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها[١].

والنار دركات

ثم إن هذه النار ـ أعاذنا الله منها ـ دركات:

فهناك قومٌ يعذبون عذابًا أشد من قوم آخرين:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وقال تعالى في شأن من يكفر بالمائدة بعد نزولها: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٨٥].

وهذه منازل الناس في النار، أعاذنا الله منها:

أخرج مسلم في صحيحه[٢] من حديث سَمُرَة بن جُنْدَب أن النبي ﷺ قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ».

وهذا أهون أهل النار عذابًا

في الصحيح[٣] من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ، لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله.

(٢) مسلم (٢٨٤٥).

(٣) مسلم (٢١٣).

وفي رواية: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِن نارٍ. يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا».

وفي الصحيح[١] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

وفي الصحيح[٢] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

أخرج مسلم[٣] من حديث عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنَّه كان يحوطُك[٤] ويغضب لك؟ قال: «نَعَم، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[٥] من نارٍ، ولَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ[٦] الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

أما عن سعة النار

أخرج الإمام أحمد[٧] بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه، مسيرة سبعين خريفًا، تجري فيها أودية القيح والدم؟ قلت: أنهارًا؟ قال: لا بل أودية. ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧] فأين الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّم».

---

(١) مسلم (حديث ٢١١).

(٢) مسلم (٢١٢).

(٣) مسلم (حديث ٢٠٩).

(٤) (يحوطك): قال أهل اللغة: يقال: حاطه يحوطه حوطًا وحياطة إذا صانه وحفظه وذب عنه وتوفر على مصالحه.

(٥) (ضحضاح) الضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

(٦) (الدرك) فقال جميع أهل اللغة والمعاني والغريب وجماهير المفسرين: الدرك الأسفل قعر جهنم، وأقصى أسفلها. قالوا: ولجهنم أدراك، فكل طبقة من أطباقها تسمى دركًا. نقلاً عن النووي.

(٧) أحمد (٦/ ١١٦).

امتلاء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وفي «الصحيحين»[١] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ.. قَطْ وعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

أما عن عمق نار جهنم:

فالنار عميقةٌ جدًّا!!

أخرجَ مسلم[٢] في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذِا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا. فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٨، ٩].

وفي الصحيحين[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا في النَّارِ أَبْعد مَا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ».

أما عن وقودها:

فوقودها الناس والحجارة، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ

---

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) مسلم (٢٨٤٤).

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠].

أمورٌ في الدنيا تُذكِّر بنار الآخرة

ولقد جعل الله في الدنيا أمورًا تُذَكِّر بنار الآخرة.

فنار الدنيا تذكر بنار الآخرة:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٣].

أي: جعلنا نار الدنيا تُذكر بنارالآخرة، مع أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة، ففي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «نارُكُم جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قيل: يا رسول الله، إنْ كانت لَكَافِية؟! قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

وهذا الحر الشديد الذي نجده في الدنيا إنما هو من حر جهنم، ومن فَيْحِ جهنم، ففي الصحيح[٢] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِن فَيْحِ جَهَنَّم».

في الصحيح[٣] كذلك من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحرِّ، وأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

---

(١) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٢) البخاري (٣٢٥٩) وله عدة طرق عن النبي ﷺ، ومسلم (حديث ٦١٥).

(٣) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

وكذا الحمَّى التي يُصاب بها الناس في الدنيا، فإنها من فيح جهنم.

فقد ورد من عدة طرق[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ».

وأهل النار يرون مقاعدهم فيها قبل دخولها

ففي الصحيحين[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وفي الصحيحين[٣] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال نبي الله ﷺ: «إنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قال: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ» قال: «فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ» قال: «فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ. قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ» قال نبي الله ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

وأخرج ابن ماجه[٤] بسندٍ حسنٍ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الميِّتَ يَصيرُ إلى القبرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ ولا مَشْعوف، ثم يُقَالُ لهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيقولُ: كنتُ في الإسلامِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُل؟ فَيَقُولُ: محمد رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّم، جاءَنَا بالبيناتِ مِنْ عِندِ الله فصَدَّقْنَاهُ. فيقالُ لَهُ: هَلْ رأيتَ اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأحدٍ أنْ يَرَى اللهَ. فيفرجُ لَهُ فرجةً قِبَلَ النارِ، فينظرُ إليها يحطِّمُ بَعضُها بعضًا، فيقالُ له: انظر إلى ما وقاك اللهُ. ثم يُفرجُ له قِبَلَ الجنةِ، فينظُرُ إلى زَهْرَتِهَا وما فيها، فيقالُ له: هَذَا مقعدكَ. ويُقَالُ: عَلَى اليقينِ كُنْتَ، وعليهِ مِتَّ، وعليهِ

---

(١) انظر البخاري (٣٢٦١ـ٣٢٦٢ـ٣٢٦٣ـ٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩).

(٢) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) البخاري (حديث ٢٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٤).

(٤) ابن ماجه (٢/ ١٤٢٦).

تُبْعَثُ إنْ شَاءَ اللهُ. ويجلسُ الرَّجُلُ السُّوء فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مشعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كنتَ؟ فيقولُ: لا أدْرِي. فيقالُ: ما هَذَا الرَّجُل؟ فيقولُ: سَمِعتُ النَّاسَ يَقولونَ قولًا فقُلْتُهُ. فيُفرجُ له قِبَلَ الجنةِ، فينظرُ إلَى زَهْرَتِهَا ومَا فِيها، فيُقَالُ له: انظُرْ إِلَى مَا صَرَفَهُ اللهُ عَنْكَ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقعدكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى».

وأخرج الإمام أحمد[1] في مسنده من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة... فذكر الحديث وقال: «وإنَّ العَبْدَ الكافرَ إذَا كَانَ فِي انْقطاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّماءِ مَلَائكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمْ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِندَ رَأسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إلى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ» قال: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَع السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الملائكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ، بِأَقْبَحِ أسمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا، فيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] فَيَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتُبُو كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، في الأرضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طرْحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، ويَأتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاأدْرِي، فيقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذي بُعِثَ فيكُم؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لهُ مِنَ النَّارِ، وافْتَحُوا له بابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمومِهَا،

---

(١) أحمد (٣/ ٢٨٧) بسند حسن.

ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ، ويَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبيحُ الوجهِ، قَبِيحُ الثِّيابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَومُكَ الَّذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وفي النار منازل ومقاعد فلكل منزلٌ في النار ولكن!!

وأخرج الإمام ابن ماجه[1] بسندٍ صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠]». وفي صحيح مسلم[2] من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ».

وهذا بعض العلم عن جهنم أيضًا

إنها تتكلم!! ، إنها تتغيظ على أهلها!!

إنها تتوعد!!

يُسْمَعُ لَهَا شهيق!! يُسمع لها زفير!!

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك:٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج:١٥ـ١٧].

---

(١) ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣).

(٢) مسلم (٢٧٦٧)

أما عن أهلها

فلقد أعدت للكافرين: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

أعدت للمكذبين بالآيات: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩].

أعدت للمرتدين عن دينهم أيضًا: قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

يدخلها أيضًا كفرة الجن: فقد قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف:١٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ...﴾ [الأنعام:١٢٨].

بعث النار

في الصحيحين[1] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ: يا آدَمُ، فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ! والخيرُ في يَدَيْكَ! قال: يقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ[2]. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ» قال: فاشتدَّ ذَلك عليهم. قالوا: يا رسول الله، أيُّنا ذلك الرَّجُلُ؟ فقال: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ألفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».

---

(١) البخاري (١٣٨، ١٦٩)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) أي المبعوثين الموجهين إلى النار، وقوله: «أخرج بعث النار» أي: ميز أهل النار عن غيرهم.

ومن أهل النار ، بل ومن أشدهم عذابًا فرعون وآله، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

منهم هامان وقارون، ومنهم أبو لهب وامرأته، وعاقر ناقة نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ، وأبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي بن خلف، وأمية بن خلف، ورأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

وغير هؤلاء من أئمة الكفر والضلال.

والنساء أكثر أهل النار: ففي الصحيح[١] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنِّي رأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ...**» الحديث.

وهؤلاء أيضًا قوم رآهم النبي ﷺ في النار

أخرج مسلم[٢] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: كَسَفَت الشمس على عهد رسول الله ﷺ في يومٍ شديد الحرِّ، فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه، فأطال القيام، حتى جعلوا يخرُّون. ثم ركع فأطال. ثم رفع فأطال. ثم ركع فأطال. ثم رفع فأطال. ثم سجد سجدتين، ثم قام فصنع نحوًا من ذاك. فكانت أربع ركعات وأربع سجدات، ثم قال: «**إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شيءٍ تُولَجُونَهُ. فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ حتَّى لو تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ[٣] (أو قال: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا) فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ. وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ. فَرَأَيْتُ فِيهَا امرَأَةً مِنْ بَنِي إسرائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا[٤]. رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. وَلَمْ تَدَعْهَا تأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ[٥]. ورأيتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ[٦] فِي**

---

(١) مسلم (حديث ٧٩).

(٢) مسلم (حديث ٩٠٤).

(٣) (لو تناولت منها قطفًا لأخذته): معنى تناولت، مددت يدي لأخذه، والقطف العنقود، وهو فعل بمعنى مفعول. كالذبح بمعنى المذبوح.

(٤) (في هرة لها) أي:بسبب هرة لها.

(٥) (خشاش الأرض) هي هوامها وحشراتها،وقيل: صغار الطير، وحكى القاضي فتح الخاء وكسرها وضمها، والفتح هو المشهور.

(٦) (يجر قصبه) القصب هي الأمعاء.

النَّارِ. وإنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَخْسِفَانِ إلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ. وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آياتِ الله يُرِيكُمُوهُمَا فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ. وذلِكُم حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرتُ مَخَافَةَ أن يُصيبَنِي من لَفْحِهَا. وَحَتَّى رأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. كَانَ يَسرقُ الحاجَّ بِمِحْجَنِهِ[1] فَإنْ فُطِنَ لهُ قَالَ: إنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وإنْ غُفِلَ عَنهُ ذَهَبَ بِهِ. وحتَّى رأيتُ فِيها صاحبَةَ الهِرَّة التي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. ولَمْ تَدَعْهَا تأكُلْ مِنْ خَشَاشِ الأرضِ. حتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بالجنةِ، وذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمتُ حتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي. وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ. ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إلَّا قد رَأَيتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ».

وَهذا رجلٌ حُرِّمت عليه الجنة

أخرج مسلم[2] من طريق جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ رَجُلًا مِمَّن كانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ[3]، فَلَمَّا آذتْهُ انتَزَعَ سَهْمًا من كِنَانَتِهِ[4]، فَنكَأَهَا[5]، فَلَمْ يرقأ الدَّمُ[6] حتَّى مات. قال ربُّكم: قَدْ حَرَّمتُ عَلَيْهِ الجنَّةَ» ثم مدَّ يده إلى المسجد فقال: إي والله لقد حدَّثني بهذا الحديث جُنْدَبٌ، عن رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

يدخلها أيضًا مرتكبو الكبائر الذين لم تغفر لهم كبائرهم، ولكنهم إذا كانوا من أهل التوحيد فإنهم يخرجون بعد ذلك منها

فالقتلة، قال الله فيهم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[7] [النساء:٩٣].

---

(١) المحجن: عصا معقوفة الطرف.

(٢) مسلم (حديث ١١٣).

(٣) خَرَجَت به قرحة: القرحة واحدة القروح، وهي حبات تخرج في بدن الإنسان.

(٤) (كنانته): الكنانة هي جَعبة النشاب. سميت كنانة لأنها تكنّ السهام أي تسترها.

(٥) (فنكأها): أي قشرها وخرقها وفتحها.

(٦) (لم يرقأ الدم): أي لم ينقطع، يقال: رقأ الدم والدمع يرقأ رقوءًا، مثل ركع يركع ركوعًا، إذا سكن وانقطع.

(٧) وهذا في المستحلّ (أعني الخلود للمستحل) أما مجرد القتل فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

وأكلة الربا[١] كذلك إذا لم يغفر الله لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١].

وكذلك الزناة والزواني والظلمة وأكلة أموال الناس بالباطل، والطاعنون في الأعراض، والمفلسون عمومًا الذين أخذت حسناتهم لغيرهم فلم تبق لهم حسنات، ثم قذفوا في النار، وكذلك الذين أُخذ من سيئات غيرهم فطرحت عليهم ثم طرحوا في النار.

يدخلها أيضًا تاركو الصلاة وتاركو الزكاة، والمطففون، وآكلو أموال الناس بالباطل، والكذبة على الله وعلى رسوله ﷺ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن حلف يمينًا فاجرةً عند منبر رسول الله ﷺ، ومن جر ثوبه خيلاء، والمتألي على الله[٢].

إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم الله ورسوله أنهم من أهل النار، أو يدخلونها.

ولقد أوثرت النار بالمتكبرين والمتجبرين

أخرج البخاري ومسلم[٣] في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ. فَقَالَتِ النارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، والْمُتَجَبِّرِينَ، وقالت الجنةُ: فَمَا لِي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفَاءُ الناسِ وسَقَطُهُم وَغِرَّتُهُم. قَالَ اللهُ للجنةِ: إنَّمَا أنتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِن عِبَادِي، وقَالَ للنَّارِ: إنَّمَا أنتِ عَذَابِي، أُعَذِّب بكِ مَنْ**

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(١) وآكل الربا لا يخلد في النار إذا كان من أهل التوحيد.

(٢) أما المتألي على الله فيتضح بما أخرجه أبو داود (١٣/ ٢٤٣) بسندٍ حسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر. فقال خلني وربي، أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك» أو «لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».
قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

(٣) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم في طرق حديث (٢٨٤٦).

أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. ولكُلِّ واحدةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ. ويُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. وَلا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الجنةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

وفي صحيح مسلم[1] من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «وأَهْلُ النّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُم فِيكُم تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أهلًا ولا مالًا والخائِنُ الذِي لا يَخْفَى له طَمَعٌ ـ وَإِنْ دَقَّ ـ إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وذَكَرَ البُخْلَ أوِ الكَذِبَ «والشِّنظِيرُ الفَحَّاشُ».

وفي صحيح مسلم[2] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ من أهلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُميلاتٌ مَائِلاتٌ. رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيْحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وفي الصحيحين[3] من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كلُّ ضَعِيفٍ[4] مُتَضعِّفٍ لَو أقسَمَ عَلَى الله لأبرَّه، ألا أُخْبِركُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ[5] جوَّاظ[6] مُسْتكبِر».

وينبغي التفطن إلى أمرٍ ألا وهو أن عصاة الموحدين سيخرجون من النار، وذلك لقول الله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «أَخْرِجوا مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وفي قلبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ زَرَّة...» الحديث.

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٢١٢٨).

(٣) البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) يَبدو ـ والله أعلم ـ أن المراد به المتواضع، وإلا فالنبي ﷺ يقول المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

(٥) العتل شديد الخصومة ـ المعرض عن الإيمان والخير.

(٦) الجواظ: كثير اللحم، الفاجر المختال.

الحشر إلى النار وبعض مشاهده

إن النار تتربص بأهلها وتنتظرهم، وتتوعدهم وتتغيظ عليهم ويؤتى بها تعرض، وقد قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣].

وفي الحديث: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١].

وفي الحديث[2]: «فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بعضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...».

إن النار ـ عياذًا بالله منها ـ تأتي مستقبلةأهلها متغيظة عليهم تقذف الشرر العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:٣٢، ٣٣] وهم الآخرون يدفعون إليها دفعًا شديدًا ويساقون إليها سوقًا عنيفًا فلا مفر، ولا محيص.

يدفعون إليها دفعًا شديدًا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور:١٣] أي يدفعون إليها دفعًا شديدًا.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩].

يساقون إليها وقد حملوا أحمالًا ثقيلة على ظهورهم، وهي تلك الذنوب التي عملوها في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) وبه علةٌ، فقد زعم قوم أنه موقوف.

(٢) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١].

إنهم من ثِقل هذا الحمل الذي على ظهورهم ينادون من يظنونه سيساعدهم في حمل شيء عنهم فلا مجيب، قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر:١٨].

إن الأب ينادي ولده كي يحمل عنه شيئًا من وزره ولكن لا مجيب.

وكذا الولد ينادي والده، والأم تنادي ولدها، والبنت تناشد أباها أن يحمل عنها شيئًا من هذا الوزر، ولكن لا مجيب، فكلٌّ مُنشغلٌ بما هو فيه.

إن أهل النار يُساقون إليها عميًا وبكمًا وصمًّا، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[1] [الإسراء:٩٧].

إنهم يساقون إليها عطاشًا كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦].

إنهم يُسحبون إليها سحبًا كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر:٧١].

بل ويسحبون على وجوههم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٣٤].

إنهم يصنفون كل صنف مع قرنائه ونظرائه وأمثاله، كل صنف وفريق يتقدمه إمامه في الضلال، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١].

وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨].

---

(١) في الصحيحين [البخاري (٤٧٦)، ومسلم (٢٨٠٦)] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أَلَيسَ الذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيهِ فِي الدُّنيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَومَ القِيَامَةِ؟!!» قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يُنادِي مُنادٍ يومَ القِيامةِ لِتَتْبَع كُلُّ أمةٍ مَا كانتْ تَعْبُدُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، ويَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ..» الحديث[1].

إنهم يُحضرون حول النار جُثاةً على الركب، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨].

ويُبدأ بكبيرهم وإمامهم في الضلال فيلقى في النار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٦٩].

وهؤلاء أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة

وقد قيل: إنهم أول من تسعر بهم النار

أخرج مسلم[2] في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأتَ القُرآنَ لِيُقَالُ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَّادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وأهل النار يُلقون فيها أفواجًا بعد أئمتهم في الضلال قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) مسلم (١٩٠٥).

فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

وانظر إلى طريقة الإلقاء

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٤٧].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥].

وهنالك يُستقبلوا بأسوأ استقبال:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [ص:٥٥-٦٠]. وقوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ إلى شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مردٍّ يُردون إليه. وقوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغساق البارد أشد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذاك، فتخيل ماذا يحدث لأسنانهم وأفواههم إذا تناولوا البارد بعد الحار. وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أي: وصور أخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

أما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ..﴾ فأحاول تقريب المعنى بما يحدث في الدنيا بما حاصله أن الشخص في الدنيا قد يبتلى بسجن ضيقٍ مظلمٍ وهو فيه يكاد أن يختنق فينتظر من يفتح الباب كي يتنفسوا أو يخرجوا أو يخرج بعضهم ليخفف على الآخرين فإذا بالباب يفتح، وإذا بقوم آخرين يدخلون عليهم يزيدونهم ضيقًا إلى ما هم فيه من الضيق، وبلاءً إلى ما هم فيه من بلاء، فيقال لهم: هذا فوج مقتحم معكم، فيردون قائلين: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ فالسجناء الجدد ينتظرون مواساة ممن سبقهم، فإذا

بمن سبقهم يدعو عليهم وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨] فيرد الداخلون الجدد على من سبقوهم إلى النار بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾. أي أنتم الذين تسببتم لنا في هذا العذاب، وفي هذا النكد فبئس المستقر تستقرون فيه.

فهنالك يدعو الجميع على من كان السبب، فيقولون ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص:٦١]. نعوذ بالله من النار، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

ضيافة أهل النار

إن ضيافتهم في جهنم مباشرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٢].

ضيافتهم الأكل من شجرة الزقوم، ثم شرب الحميم بعده.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة:٥١-٥٦].

أما عن أوصاف أهل النارفها هي بعض أوصافهم:

أما عن وجوه أهل النار:

فوجوهٌ سوداء مُظلمة علاها الغبارُ، وأرهقها الذلُّ، ملأتها البُسور والتجاعيد.

لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس:٤٠-٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس:٢٧].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤، ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥].

إنها وجوه قد علاها الذلُّ، وأبصارٌ قد خشعت وذلَّت:

قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٢ـ٤].

إنها وجوه قد علاها الخزي وغشيها السوء:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك:٢٧].

فهكذا الوجوه.

أما الأعين فزرقاء قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه:١٠٢] أي: زرق العيون، وكأنها عيون لا ترى، فهم لا يرون إلا ما يسوءُهم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

فهذه الصفات المتقدمة صفات الوجوه والأعين.

وأما ما يحل بها من العذاب فاقرأ هذه الآيات

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦].

وكذا قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠].

وكذا قوله ـ جل ذِكره ـ : ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]. وكذا قوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٩٠].

فهكذا يُصنع بتلك الوجوه.

إن العبد في الدنيا إذا قاتله آخر فإنه يحرص على دفع العذاب والضربات عن

وجهه، فكيف به يوم القيامة وهو يستقبل العذاب أسوأ العذاب.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٢٤]. وقال سبحانه: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء:٣٩].

فهكذا يصنع بالوجوه.

وكذلك الأنوف التي أبت أن تسجد لخالقها وباريها، توسم بمياسم من نار قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦].

وعموم مكارم الوجوه تُهان وتزل، فقد قال سبحانه عن سقر أنها: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٩].

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أنها تلفح الجلد فتدعه أسود كالليل البهيم، وقال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج:١٦].

أما عن الرقاب والأعناق:

ففيها الأغلال، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨].

فالطوق الذي في العنق طوق كبير بلغ الذقن، فلم يعد الشخص يستطيع أن يُنزل ذقنه إلى أسفل، فدومًا بصره شاخص إلى أعلى، وذلك بسبب الغلِّ الذي وُضع في رقبته.

ولقد قال تعالى في شأن امرأة أبي لهب: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد:٥] أي في عنقها حبل من نارٍ قد طُوِّقَتْ به.

ولقد قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد:٥].

إن أمعاء أهل النار تتقطع، بل وبطون الكثير منهم تنفجر:

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

وعند البخاري[١] من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بالرَّجُل يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعَ أهلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهُ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيه».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمرو بنَ لُحَيٍّ بنِ قَمْعَة بنِ خِندف أبا بَنِي كَعبٍ هَؤلاءِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ».

وفِي رواية: «رأيتُ عمرو بن عامر الخُزاعي يجرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ وَكَانَ أَوَّل مَنْ سَيَّبَ السّيوب» وفي روايةٍ السوائب[٢].

وفي الصحيح من حديث[٣] أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إبراهيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أبوهُ: فاليومَ لا أعْصِيكَ. فَيَقُولُ إبراهيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أنْ لا تُخْزِنِي يومَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَد؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلتَطِخٍ، فَيُؤخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

وهذا مزيد من أوصاف أهل النار

أخرج مسلم[٤] في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ضِرْسُ الكَافِرِ، أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ»[٥].

أخرج الإمام الترمذي[٦] بسندٍ صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي

---

(١) البخاري (٣٢٦٧).
(٢) مسلم (٢٨٥٦)، والبخاري (٣٥٢١).
(٣) البخاري (٣٣٥٠).
(٤) مسلم (٢٨٥١).
(٥) قال بعض العلماء: وذلك حتى تنزل عليه صنوف العذاب ويزداد له في النكال.
(٦) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٣٠١).

ﷺ قال: «إنَّ غِلَظَ جِلدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرسَهُ مِثلُ أُحُدٍ، وإنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَينَ مَكَّةَ والمَدِينةِ».

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه ـ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ».

أما طعام أهل النار فمنه ما يلي:

الضريع: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ[2] ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦، ٧].

الغسلين: وهو صديد أهل النار، كذا قال بعض العلماء، قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٦].

شجر الزقوم: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٣ـ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥١ ـ ٥٥].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥].

إن من طعام أهل النار طعامٌ يَنشَبُ بالحلوق، يتعلق بها فلا يدخل إلى الجوف، ولا يخرج خارج الفم، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل:١٢، ١٣].

أما شرابهم:

فالماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

---

(١) البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) أي أنهم في وقت من الأوقات طعامهم طعام واحد لا يتغير، وهو الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وفي أوقات آخر يثبتون على طعام واحد آخر وهو الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم:١٦، ١٧]. وقال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٥] أي: من عين حارة شديدة الحرارة، قد بلغت أعلى درجات غليانها.

ثم إن هذا الماء الذي يشربونه من شدة حرارته يخرج منه بخار، هذا البخار يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلى الشفاه.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

أما عن طريقة شربهم: فإنهم يشربون بكثرة وشراهة، قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥٥] أي: شرب كما تشرب الإبل العطاش الظماء، المصابة أيضًا بمرض يجعلها تشرب ولا تروى فتشرب وتشرب وقيل كما يوضع الماء في الرمال، فإن الرمال تمتصه ولا يثبت عليها، بل تبتلع وتبتلع.

فإن قال قائل: ولماذا يُقدمون على هذا الشراب مع كونه يقطع الأمعاء ويشوي بخاره الوجوه؟

فجواب ذلك أن ما يدور في بطونهم من الألم وما يعتصرها من سيئ الطعام يدفعهم إلى هذا الشراب ظانِّين أنه يغني عنهم شيئًا.

ثم إنهم بعد هذا الشراب الحار الشديد الحرارة يشربون شرابًا باردًا شديد البرودة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٧، ٥٨].

فالشخص في دنيانا إذا شرب كوبًا من الشاي الساخن، ثم أعقبه بكوبٍ من الماء البارد تكاد أسنانه أن تتساقط ولسانه أن يحترق، فما ظنك بعذاب الآخرة: حميم وغساق!!

أما عن ثياب أهل النار: فثيابهم من نار، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ...﴾ [الحج:١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ[1] وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:١٤].

وقال النبي ﷺ: «والنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[2].

أما عن غُسل أهل النار:

قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:١٩-٢١].

أما عن فراش أهل النار:

ففراشهم من نارٍ وغطاؤهم من نار، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٥].

أما عن ظلِّهم الذي يستظلون به، فإنه ظلٌّ من دخان أسود شديد السواد، حار شديد الحرارة، فليس على الحقيقة بظلٍّ، بل نوع من أنواع العذاب هو الآخر، قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات:٢٩-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٣، ٤٤].

شدة الحصار الذي فيه أهل النار

إن أهل النار في حصار شديد، لا يستطيعون بحالٍ الخروج منه، فإنهم أولًا مقيدون بقيود شديدة.

---

(١) القطران هو الزفت.

(٢) مسلم (حديث ٩٣٤).

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥، ٢٦].

فوثاقهم شديد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان:١٣]. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم:٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤]. ثم انظر إلى هذا القيد الغريب العجيب الفظيع المؤلم الشديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٢].

ثم قال بعض أهل العلم: إن هذه السلسلة تدخل من أنوفهم فتخرج من أدبارهم.

ثم إن هذه النار على أهلها مغلقة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة:٨، ٩].

قال بعض العلماء في تفسير العمد الممددة ما حاصله: إن أهل الكفر موضوعون في أعمدة محيطة بهم، كما تسقط شخصًا في عمود يحيط به من كل جانب.

وقال آخرون: إنهم في النار التي أغلقت أبوابها بعمدٍ ممددة، كما كانوا يغلقون المحلات في الدنيا بأعمدة طويلة تأتي على الباب بكامله حتى لا ينفتح ، مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ومع ذلك كله فالنار قد أحاطت بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩، والعنكبوت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].

فنعوذ بالله من النار، ومن حرِّ النارِ، ومن عذابِ النارِ.

ومن صور العذاب

الكي بالنار: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥].

الحر الشديد جدًّا، وكذا السموم:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

وقال أهل الإيمان: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧].

ومن ذلك إرهاق أهل النار بالصعود:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

قال بعض العلماء: هذا جبل يكلف بصعوده، وقيل غير ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

وفيها أيضًا الذلُّ، والخزي والمهانة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧].

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢].

وكم من آية فيها وصف للعذاب بأنه مهين، وأليم وعظيم:

وقال تعالى في شأن بعض أهل النار: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩].

ولقد توعد الله قومًا بالويل، وتوعد أقوامًا بالغي، فكم من آية فيها (ويلٌ)... (للمطففين ـ لكل همزة لمزة ـ يومئذ للمكذبين).

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقد قيل في الويل: إنها توعدٌ بالعذاب الشديد، وقيل: إنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار.

إن أهل النار يهملون فيها ويُنسون فيها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

الشجاع الأقرع[١] يوم القيامة

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن آتاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤدِّ زَكاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يومَ القِيامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُه يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزَمَتَيْهِ ـ يَعْنِي : شِدْقَيهِ ـ ثُمَّ يقولُ: أَنَا مَالُكَ، وَأَنَا كَنْزُكَ**» ثُم تَلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ...﴾ [آل عمران:١٨٠].

وهؤلاء قوم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم:

أخرج مسلم[٣] في صحيحه من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ[٤] وَلَا يُزَكِّيهِمْ[٥] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٦]**» قال: فقرأها رسولُ الله ثلاثَ مِرارٍ. قال أبو ذرٍّ: خابُوا وخسروا، مَنْ هُمْ يَا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «**المُسْبِلُ[٧]، والمَنَّانُ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ**».

---

(١) هو حية عظيمة ضخمة، تساقط شعر رأسها من شدة السم الذي بها.

(٢) البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨).

(٣) مسلم (حديث١٠٦).

(٤) (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم): معناه: الإعراض عنهم.

(٥) (ولا يزكيهم): لا يطهرهم من دنس ذنوبهم.

(٦) (ولهم عذاب أليم): أي: مؤلم. قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه.

(٧) (المسبل): هو المرخي إزاره، الجارّ طرفه خيلاء.

وفي الصحيح[1] من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

ومن أهوال النار أيضًا

إنهم في النار مقمحون جعلت في رقابهم أغلالٌ كبيرة بلغت إلى الأذقان، فدومًا أبصارهم شاخصة إلى أعلى ورقابهم منثنيةٌ.

إنهم جثاةٌ على الركب، قال تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢].

وقبل ذلك فإنهم حضور حول النار، جثاةً على الركب كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٦٨، ٦٩].

لهم فيها زفير ولهم أيضًا شهيق، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٦].

يسمع لهم الجؤار والصياح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤، ٦٥].

إنهم يُسحبون في النار على وجوههم يُقال لهم ذوقوا مس سقر!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٧، ٤٨].

---

(١) مسلم (حديث ١٠٨).

إنهم يطوفون بين جهنم وبين الحميم الآن (الماء الحار الشديد).

قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٣، ٤٤].

إن النار من شدتها تقذف بهم أحيانًا إلى أعلى، فهنالك يطرقون بمطراق من حديد تردهم مرة ثانية إلى قاع الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج:٢١، ٢٢].

وهذا أيضًا مشهدٌ من المشاهد:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧].

أي: ولو ترى أهل النار وهم وقوف عليها لرأيت منظرًا عظيمًا وكربًا شديدًا، وهولًا فظيعًا، فكلهم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، والإيمان بالله وتصديق آياته.

ولكن ـ ومع رؤيتهم النار وما فيها ـ ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

وهذا حديث عظيم في رؤيا رآها النبي ﷺ يبين صورًا من العذاب:

أخرج البخاري[1] من حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هَلْ رَأَى أحدٌ مِنْكُم من رُؤيا؟**» قَال: فيقصُّ عليه ما شاء الله أن يقص. وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنَّه أَتَانِي الليلةَ آتِيانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انطَلَقتُ مَعَهُمَا، وَإِنَا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِع، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بالصَّخْرَةِ لِرَأسِهِ فيَثْلَغُ رَأسَهُ فيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا، فيتبعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلا يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعودُ عَلَيْهِ فيفْعَلُ بِهِ مثلَ مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَى**». قَالَ: «**قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ، مَا هَذَانِ؟**» قَالَ:

(١) البخاري (٧٠٤٧).

«قَالَا لِي: انطَلِقْ انْطَلِق، فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَر قَائِمٌ عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أحدَ شِقَّي وَجهِهِ فيُشرشِر شِدقه إلى قَفَاهُ، ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وعَينَه إلى قَفَاهُ، قَالَ: وربُّما قال أبو رجاء فيشُقُّ. قال: ثمَّ يتحوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخرِ فيفعَلُ بِهِ مِثلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حتَّى يَصحَّ ذَلِكَ الجانِبُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يعودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مثلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى». قَالَ: «قلتُ: سُبحانَ الله! مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثلِ التَّنُّورِ» قَالَ: وَأَحْسَبُ أَنَّه كانَ يقولُ: «فَإِذَا فيهِ لَغَطٌ وَأصْواتٌ». قَالَ: «فاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذَا فيهِ رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وَإِذَا هُم يأتيهم لَهَبٌ مِنْ أسفلَ مِنهُم، فإذَا أَتَاهُم ذلِكَ اللهبُ ضَوْضَوا». قَالَ: «قُلتُ لهُما: مَا هؤلاءِ؟» قَال: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ». قَالَ: «فانطلَقْنَا فأتَيْنَا على نَهرٍ حَسِبْتُ أنَّه كَانَ يقولُ أحمرُ مِثلُ الدَّمِ، وإذَا فِي النَّهرِ رجلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَط النَّهرِ رجلٌ قد جَمَعَ عندَهُ حجارةً كثيرةً، وإذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثمَّ يَأتِي ذَلِكَ الَّذِي قَد جَمَعَ عندَهُ الحِجَارةَ فَيَفغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فألْقَمَهُ حَجَرًا»، قَالَ: «قُلتُ لهُمَا: مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ». قَالَ: «فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المِرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أنتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرآةً، وَإِذَا عندَهُ نار يَحُشُّهَا ويَسْعَى حَوْلَهَا». قالَ: «قُلتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِق، فانطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوضَةٍ مُعْتِمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَينَ ظَهرَي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَولَ الرَّجُلِ مِنْ أكثرِ ولدانٍ رَأَيْتُهُم قَطُّ»، قَالَ: «قلتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هؤلاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِق. فانْطَلَقْنَا فانْتَهَيْنَا إِلَى روضَةٍ عَظِيمةٍ لَمْ أَرَ روضَةً قَطُّ أَعْظَمُ مِنْهَا وَلَا أحسَنَ». قَالَ: «قَالَا لِي: ارقَ، فارْتَقَيْتُ فِيهَا». قَالَ: «فارْتَقَيْنَا فِيهَا فانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّة، فَأَتَيْنَا بابَ المَدِينَةِ فاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فتَلَقَّانَا فِيهَا رِجالٌ، شَطرٌ مِنْ خَلْقِهِم كَأَحْسَنِ مَا أنتَ رَاءٍ وَشَطرٌ كأَقْبَحِ مَا أنتَ رَاءٍ»، قَالَ: «قَالَا لهُم: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهرِ»، قَالَ: «وَإِذَا نَهرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ مِنَ البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَد ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُم فَصَارُوا فِي أحسَنِ صورةٍ». قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جنةُ عَدْنٍ وهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثلُ الرَّبَابةِ البيضاءِ»، قَالَ: «قَالَا لِي:

هَذَاكَ مَنْزِلُكَ»، قَالَ: «قُلتُ لهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فأدْخُلُه! قَالَا: أَمَّا الآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ». قَالَ: «قُلْتُ لهُمَا: فَإِنِّي قَد رأَيْتُ مُنذُ الليلةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذِي أتيتَ عليه يُثْلَغَ رأسُهُ بالحجرِ فإنَّه الرجلُ يأخُذُ بالقُرآنِ فيرفُضَهُ وينامُ عنِ الصلاةِ المَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أتيتَ عليهِ يشرشَرُ شِدقُه إلَى قَفَاهُ ومِنخَرُهُ إلى قَفَاهُ وعَينهُ إلى قَفَاهُ فإنَّه الرجلُ يَغْدو منْ بَيْتِهِ فيكذِبُ الكذبةَ تَبْلُغُ الآفاقَ. وأمَّا الرجالُ والنِّساءُ العُراةُ الذين فِي مثلِ بناءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ والزَّوانِي. وأمَّا الرَّجُلُ الذي أتيتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهرِ ويُلْقَمُ الحجرَ فإنَّه آكِلُ الرِّبَا. وأمَّا الرجلُ الكريهُ المرآةِ الذِي عندَ النَّارِ يَحُشُّهَا ويَسْعَى حَوْلَهَا فإنَّه مَالكٌ خَازنُ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطويلُ الذي فِي الرَّوضةِ فإنَّه إبراهيمُ ﷺ، وأمَّا الوِلْدانُ الذِين حَولَهُ فكلُّ مولودٍ مَاتَ علَى الفِطْرَةِ». قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولادُ المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ. وأمَّا القومُ الَّذينَ كَانُوا شَطرٌ مِنْهُم حَسَنًا وشطرٌ قَبِيحًا فإنَّهم قومٌ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُم».

كلام أهل النار

إنهم أحيانًا يتكلمون، ولكن لا نفع من وراء هذا الكلام، كلامهم كله طلبًا للخروج أو تخفيف العذاب، أو الاعتذار.

يكلمون ربهم يسألونه الخروج مما هم فيه، ولكن هيهات هيهات.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ

مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٦ ـ ١١٠].

وهذا أيضًا كلامٌ لأهل النار مع الخزنة، وكلام الخزنة معهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك:٨، ٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

أما عن خطاب أهل النار مع أهل الجنة:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

كلامهم مع آلهتهم التي كانوا يعبدون:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٦ ـ ٩٨].

كلام الشيطان مع أهل النار:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

كلام أهل النار مع بعضهم:

إنهم يتلاعنون فيما بينهم ويتخاصمون أشد الخصومة ويتعادون أشد العداوة.

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٥].

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص:٥٩، ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١].

دعاء أهل النار على أنفسهم بالويل والهلاك:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان:١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١٠، ١١].

ومع كل نداءات أهل النار، ومع كل هذه الاستغاثات فلا مجيب، ولا نصير ولا شافع.

قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، وقال

تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٧، ١٨].

بل إن اللوم ينصب على أهل النار من كل جانب

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

إن الخزنة تقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨].

إن الرجل من أهل الجنة ينادي من كان يحاول إغواءه في الدنيا قائلًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٦، ٥٧].

وكذلك لو افتدى بأي فديةٍ فلن تقبل منه:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣].

ففي الصحيحين[1] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَنَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَم. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ ـ أحسِبُهُ قَال: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ ـ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».

حرمان أهل النار من رؤية ربهم يوم القيامة:

إن أهل النار يحرمون من رؤية ربهم ـ عزَّ وجلَّ ـ، ويحرمون من تكليمه لهم، إلا

(١) مسلم (٢٨٠٥)، والبخاري (٣٣٣٤).

كلامًا يزيدهم عذابًا، ويحرمون من نظره إليهم، ومن تزكيته لهم وتطهيرهم، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

خلود أهل النار، وبقاؤهم فيها وعدم تخفيف العذاب عنهم، وبقاء النار وعدم فنائها:

قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٤ـ٧٧].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]. وقال سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم:١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل:٨٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:٧٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٢، ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]. وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥].

ومن الدليل على خلود أهل النار فيها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بِالمَوْتِ يومَ القِيامَةِ

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ـ زَاد أبو كُرَيب : فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (واتفقا في باقي الحديث) ـ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوتُ» قال: «وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» قال: «فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الموتُ» قال: «فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ» قَال: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلا مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوتَ» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وأشار بيدِه إلى الدُّنيا.

وفي الصحيحين[1] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجنَّةِ الجَنَّةَ، ويُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجنَّةِ، لَا مَوتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوتَ. كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ».

أما من احتج على فناء النار بقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣] وذلك أنه قال (أعني المستدل على فنائها): إنهم بعد هذه الأحقاب يخرجون أو أنها تفنى.

فذلك مردود بالنظر إلى الآيات التي تلتها، فإن الله قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا...﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٢٣ ـ ٣٠].

فليس بعد الأحقاب إلا زيادة في العذاب ـ عياذًا بالله من النار ومن كل عذاب.

وكذا الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦، ١٠٧].

فلا يتم الاستدلال بها على فناء النار؛ وذلك لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بيَّن في آيات أُخر مشيئته في عدم خروجهم، وذلك في الآيات التي أوردناها.

ثم إن من أهل العلم من قال: إن هذه الآيات في عصاة الموحدين الذين أدخلوا النار، فهؤلاء سيأتي عليهم يوم يخرجون منها في الوقت الذي قدَّره الله وقضاه.

وفي ذلك أقوال أُخر أيضًا لأهل العلم، ليس هذا موضعها.

---

(١) البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).

وهذه طينة الخبال، عصارة أهل النار، لمن شرب المُسكر في الحياة الدنيا.

أخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إنَّ عَلَى الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ**» قَالُوا: يا رسولَ الله! ومَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**».

وفي الصحيح[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ**[٣] **فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا. وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ**[٤] **فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ**[٥] **خالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**».

قلت: وعمومًا فمن قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة كما ورد في الصحيح[٦] عن رسول الله ﷺ.

وهذا رجلٌ غَلَّ مِن الغنيمةِ (سرق من الغنيمة شيئًا قبل قسمتها) تشتعل عليه نارًا

أخرج مسلم[٧] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبرَ، ففتحَ الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا وَرِقًا، غنمنا المتاع والطعامَ والثِّيابَ. ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، وَهَبَه رجلٌ من جُذام يُدعى رِفاعة بن زيد، من بني الضُّبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحُلُّ رحلَهُ[٨]، فرُمِي بسهم، فكان فيه حَتفُه[٩]. فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله! قال رسول الله ﷺ: «**كَلَّا، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ**

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٠٢).

(٢) مسلم (حديث١٠٩).

(٣) يتوجأ: يطعن.

(٤) يتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه.

(٥) يتردى: ينزل، يسقط هاويًا.

(٦) مسلم (حديث١١٠).

(٧) مسلم (حديث١١٥).

(٨) يحل رحله: الرحل هو مركب الرجل على البعير.

(٩) فكان فيه حتفه: أي موته، وجمعه حتوف، ومات حتف أنفه أي من غير قتل ولا ضرب.

بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ[١] لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نارًا، أَخَذَهَا من الغَنَائِمِ يومَ خَيْبَرَ. لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ» قال: ففزعَ الناسُ، فجاء رجلٌ بشراكٍ[٢] أو شِراكين، فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ[٣] يومَ خيبر. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نارٍ أَوْ شِرَاكَينِ مِنْ نَارٍ».

وهذا مشهد مُروِّع[٤] من المشاهد

أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ النَّاسَ. فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ[٥] لَهُمُ الجنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله. قَالَ: فَيَقُولُ إبرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[٦]. اعمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ[٧]، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ[٨] يمينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالبَرْقِ» قَالَ قُلْتُ: بأبي أنتَ وأمي! أي شيء كَمَرِّ البرقِ؟ قَال: «أَلَمْ تَرَوا إِلَى البرقِ كَيْفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثم كَمَرِّ الريحِ. ثُمَّ كَمَرِّ الطَّير وشدِّ الرِّجَال[٩]. تجرِي بِهِم

---

(١) الشملة: كساء صغير يؤتزر به.

(٢) بشراك: الشراك هو السير المعروف الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

(٣) أصبت يوم خيبر: فيه حذف المفعول أي: أصبت هذا.

(٤) مسلم (حديث١٩٥).

(٥) تزلف: أي تقرب. كما قال الله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قربت.

(٦) من وراءَ وراء: قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه، وقال: الفتح صحيح. وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ، وشَغَرَ بَغَرَ، نسَقطوا بَيْنَ بَيْنَ، فرَكبها وبناهما على الفتح.

(٧) وترسل الأمانة والرحمن: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

(٨) جنبتي الصراط: معناهما جانباه، ناحيتاه اليمنى واليسرى.

(٩) وشد الرجال: الشد هو العدو البالغ والجري.

أَعْمَالُهم[١]. ونَبِيُّكُم قائمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّم سَلِّم. حتَّى تَعْجِزَ أعْمَالُ العِبَادِ. حتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا». قَالَ: «وَفِي حَافَّتَي الصِّرَاطِ[٢] كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ. مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ. فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ[٣] فِي النَّارِ».

والذي نفسُ أبي هريرة بيده، إنَّ قعرَ جهنَّم لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي هذا الخبر المتقدم أمرٌ مهم ألا وهو أن الرحم والأمانة تقفان بجنبتي الصراط، قال بعض العلماء: إنهما تستوقفان من قطعهما وخانهما، فالرحم إذا مرَّ بها قاطعٌ قالت: يا رب هذا قطعني، وإذا وصلها واصلٌ وشهدت له بذلك ودعت له بالسلامة والأمان.

وكذلك الأمانة تقف على جانب الصراط تستوقف من خانها، فتقول: يا رب هذا قد خان الأمانة فانتصر لي منه، وإذا كان قد أدى الأمانة شهدت له بخير، ودعت له بخير، وساعدته في المرور على الصراط.

وهذه أخبار في وصف الصراط والنار وفيها بيان لخروج الموحدين من النار

وفي الصحيح[٤] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيئًا فَلْيَتْبَعهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتُ[٥] الطَّوَاغِيتَ. وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا

---

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٢) حافتي الصراط: هما جانباه.

(٣) ومكدوس: قال في النهاية: أي مدفوع، وتكدَّس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائِه فسقط.

(٤) مسلم (١٨٢)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومطلعه أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب...».

(٥) الطواغيت جمع طاغوت، وهو كل مَن عُبد من دون الله ورضي بذلك.

رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم. فَيَقُولُونَ: أنتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ(١)، فأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ(٢). ولا يَتَكَلَّمُ يومَئذٍ إِلَّا الرُّسُلُ. ودَعْوَى الرُّسُلِ يومَئذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ(٣). هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قالوا: نعم، يا رسول الله. قَالَ: «إِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ» غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم. فَمِنهُمُ المُؤمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ(٤). ومِنْهُمُ المُجَازَى حتَّى يُنَجَّى، حتَّى إذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبادِ، وَأَرادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أهلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لا إِلَه إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُم فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُم بِأَثَرِ السُّجودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ. حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا(٥). فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الحياةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنهُ(٦) كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٧). ثُمَّ يَفرُغُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، ويَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَد قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا(٨)، فَيَدْعُو اللهَ مَا

---

(١) يُضرب: أي يُمد.

(٢) أكون أول من يمر عليه ويمضي عليه ويتجاوزه.

(٣) وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان: أما الكلاليب فجمع كلُّوب، وهي حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور، قال صاحب المطالع: هي خشبة في رأسها عُقَافَةٌ حديد، وقد تكون حديدًا كلها، ويُقال لها أيضًا: كلاب، وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

(٤) بقي بعمله: ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه: أحدها المؤمن بقي، والثاني الموثق، والثالث الموبق يعني بعمله.

(٥) قد امتحشوا: معناه: احترقوا.

(٦) فينبتون منه: معناه ينبتون بسببه.

(٧) كما تنبت الحبة في حميل السيل: الحبة هي بذر البقول والعشب، تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها حِبَب. وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل. والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

(٨) قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها: قشبني معناه سمّني وآذاني وأهلكني، كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب، وقال الداودي: معناه غيَّر جلدي وصورتي. وأما «ذكاؤها» فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها. والأشهر في اللغة «ذكاها» مقصور. وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان.

شاءَ اللهُ أن يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقولُ اللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعالى ـ: هَلْ عَسَيْتَ[١] إن فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فَيقولُ: لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِن عُهُودٍ وَمَواثِيقَ مَا شاءَ اللهُ. فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ. فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجنةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أي ربِّ قَدِّمْنِي إلى بَابِ الجنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَواثِيقَكَ لا تَسأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ. وَيْلَكَ يَابنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللهَ حتَّى يَقُولَ لَه: فَهَلْ عَسَيْتَ إنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أنْ تَسأَلَ غَيْرَهُ؟! فيقولُ: لا. وَعِزَّتِكَ! فيُعطِي ربهُ مَا شَاءَ اللهُ منْ عُهُودٍ ومواثِيقَ. فَيُقَدِّمُهُ إلى بَابِ الجنةِ. فَإِذَا قامَ عَلَى بابِ الجنَّةِ انْفَهَقَتْ[٢] لَهُ الجنةُ. فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الخَيرِ والسُّرُورِ. فيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يقولُ: أي ربِّ! أدْخِلنِي الجنَّةَ. فيقولُ اللهُ ـ تبَارَكَ وتَعَالَى ـ لَهُ: أليسَ قد أَعْطَيتَ عهودَكَ وَمَواثِيقَكَ أنْ لا تَسْأَلَ غيْرَ ما أُعطِيتَ؟. ويلَكَ يا بْنَ آدَمَ! ما أغْدَرَكَ! فَيقُولُ: أيْ رَبِّ! لا أكونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حتَّى يَضْحَكَ اللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْهُ. فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ له: تَمَنَّهْ. فَيَسأَلُ ربَّهُ ويَتَمَنَّى. حتَّى إنَّ اللهَ لَيُذكِّرُهُ مِنْ كَذَا وكَذَا[٣] حتّى إذا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ ومِثْلُهُ مَعَهُ».

وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذَا كانَ يَومُ القِيامةِ أَذَّنَ مؤذِّنٌ: لِيَتْبَعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ والأَنْصَابِ، إلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أهلِ الكِتَابِ**[٥]. **فيُدعَى اليهودُ فَيُقَالُ لهُم: مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ؟**

---

(١) هل عسيت: لغتان بفتح السين وكسرها. قال في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا. والشرط فاصل بينهما، والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا، يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون: أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهمًا عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه.

(٢) انفهقت: معناه انفتحت واتسعت.

(٣) ليذكره من كذا وكذا: معناه يقول له: تمنّ من الشيء الفلاني، ومن الشيء الآخر، يسمي له أجناس ما يتمنى.

(٤) مسلم (حديث ١٨٣).

(٥) وغبر أهل الكتاب: معناه بقاياهم، جمع غابر.

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بنَ الله. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا! فاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ[١] يَحطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى. فَيُقَالُ لهُم: مَا كُنْتُم تَعْبُدُون؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ بنَ الله. فَيُقَالُ لهُم: كَذَبْتُم. مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يا رَبَّنَا فاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِم: أَلا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّها سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا[٢]، فيتسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أدنَى صُورَةٍ مِنَ التي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تنتَظِرونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كانت تعبدُ. قَالُوا: يا رَبَّنا، فارَقْنَا الناسَ في الدنيا أفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِم[٣] وَلَمْ نُصاحِبهُم. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم . فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ. لا نُشْرِكُ بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتَّى إنَّ بَعْضَهُم لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ[٤] . فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُ وبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم. فَيُكْشَفُ عِنْ ساقٍ[٥]، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إلا أَذِنَ اللهُ لَهُ بالسُّجُودِ. وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً ورِياءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدةً[٦] كُلَّما أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءوسَهُم، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ التِي رَأَوْهُ فِيهَا

---

(١) كأنها سراب: السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعًا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

(٢) يحطم بعضها بعضًا: معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها. والحطم الكسر والإهلاك، والحطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها.

(٣) فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم:
معنى قولهم التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم، وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم.

(٤) لَيَكاد أن ينقلب: هكذا هو في الأصول بإثبات أن، وإثباتها مع كاد لغة، كما أن حذفها مع عسى لغة، ومعنى ينقلب: أن يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى.

(٥) فيكشف عن ساق: ضبط يكشف بفتح الياء وضمها، وهما صحيحان، وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي يُكشف عن شدة وأمر مهول.

(٦) طبقة واحدة: قال الهروي وغيره: الطبق فقار الظهر، أي صار فقارة واحدة كالصفيحة، فلا يقدر على السجود لله تعالى.

أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ[١]، ويَقُولونَ: اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم» قيل: يا رسول الله، وما الجِسرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ[٢] فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكٌ[٣]، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ، فَيَمُرُّ المؤمِنُونَ كَطَرْفِ العينِ وكَالبَرْقِ وكالرِّيحِ، وكالطَّيرِ، وكأَجَاوِيدِ الخَيْلِ، والرِّكَابِ[٤]، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومَكْدوسٌ فِي نارِ جهنَّمَ[٥]، حتّى إذَا خَلَصَ المؤمنينَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفسِي بيَدِهِ مَا مِنْكُم مِن أحدٍ بأَشَدَّ مُناشدةً لله، في استقصَاءِ الحقِّ[٦]، مِنَ المؤمنينَ لله يومَ القيامةِ لإخوانِهِمُ الذينَ فِي النَّارِ. يَقُولُونَ: ربَّنا، كانُوا يصُومُونَ مَعَنَا ويُصلُّونَ ويحجُّونَ. فَيُقَالُ لهم: أخرِجُوا مَنْ عَرَفْتُم. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُم عَلَى النَّارِ. فَيُخرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا قد أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثم يقولون: ربَّنا ما بَقِيَ فِيهَا أحدٌ ممنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارجِعُوا، فَمَن وَجَدْتُم فِي قلبِهِ مثقالَ دِينَارٍ مِن خيرٍ[٧] فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أحدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يقولُ: ارجِعُوا. فَمَنْ وَجَدتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ.

---

(١) ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة: الجسر بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان، وهو الصراط، ومعنى تحل الشفاعة: بكسر الحاء وقيل بضمها: أي تقع ويؤذن فيها.

(٢) دحض مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر. ومنه: دحضت الشمس أي مالت، وحجة داحضة أي: لا ثبات لها.

(٣) فيها خطاطيف وكلاليب وحسك: أما الخطاطيف فجمع خطاف، بضم الخاء في المفرد، والكلاليب بمعناه، وقد تقدم بيانهما، وأما الحسك فهو شوك صلب من حديد.

(٤) وكأجاويد الخيل والركاب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، قال في النهاية: الأجاويد جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الجيد الجري من المطيّ. والركاب أي: الإبل، واحدتها راحلة من غير لفظها، فهو عطف على الخيل، والخيل جمع الفرس من غير لفظه.

(٥) فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم. قال في النهاية: وتكدس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط. ويروى بالشين المعجمة، من الكدش وهو السوق الشديد، والكدش: الطرد والجرح أحيانًا.

(٦) في استقصاء الحق: أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه.

(٧) من خير: قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: قيل: معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح إن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة.

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلْبِهِ مِثقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنا، لَنْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»(١).

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤] «فَيَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المؤمِنونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ(٢) فَيُخرِجُ مِنْهَا قومًا لَم يَعْمَلُوا خيرًا قطُّ قَد عادُوا حُمَمًا(٣). فَيُلقيهم في نَهَرٍ فِي أَفْواهِ الجَنَّةِ(٤) يُقَالُ لَهُ نَهرُ الحَيَاةِ. فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحبةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ(٥)، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ. وما يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ(٦)؟»

فقالوا: يا رسول الله، كأَنَّكَ كُنتَ تَرعَى بالباديةِ. قالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَواتِمُ(٧)، يَعْرِفُهُم أهلُ الجنَّةِ هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ اللهِ(١) الذِين أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجنةَ بِغَيرِ

---

(١) لم نذر فيها خيرًا: هكذا هو خير بإسكان الياء، أي: صاحب خير.

(٢) فيقبض قبضة من النار: معناه يجمع جماعة.

(٣) قد عادوا حممًا: معنى عادوا صاروا، وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم فهو الفحم، واحدته حممة، كحطمة.

(٤) في أفواه الجنة: الأفواه جمع فُوَّهة، وهو جمع سمع من العرب على غير قايس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها، قال صاحب المطالع: كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها.

(٥) الحبة في حميل السيل: الحبة بالكسر بذور البقول وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحميل السيل هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول. فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض: أما يكون في الموضعين الأولين فتامة. ليس لها خبر. معناها ما يقع. وأصيفر وأخيضر مرفوعان. وأما يكون أبيض فيكون فيه ناقصة، وأبيض منصوب وهو خبرها.

(٧) فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم: الخواتم جمع خاتَم، بفتح التاء وكسرها، قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يُعرفون بها، قال: معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ.

عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجنةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَارَبَّنَا! أيُّ شيءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله: «أما أهلُ النَّارِ الذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَونَ، وَلَكِنْ ناسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِم (أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً. حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًا، أُذِنَ بالشَّفَاعةِ. فجيءَ بِهِم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ[٣]. فَبُثُّوا عَلَى[٤] أنهارِ الجنَّةِ. ثُمَّ قِيلَ: يَا أهلَ الجنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيهم. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقالَ رجلٌ مِنَ القومِ: كَأَنَّ رسولَ الله ﷺ قَد كَانَ بِالبادِيةِ.

وأخرج مسلم[٥] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يخرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى الله. فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ! إذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا».

وفي الصحيحين[٦] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ من النارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً. ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً».

ونجتزئ بهذا البحث ونسأل الله أن يعيذنا من النار.

❁❁❁

---

(١) هؤلاء عتقاء الله: أي يقولون: هؤلاء عتقاء الله.

(٢) مسلم (حديث ١٨٥).

(٣) ضبائر: أي جماعات في تفرقة.

(٤) فبثوا: معناه فُرِّقوا.

(٥) مسلم (حديث ١٩٢).

(٦) مسلم في طرق حديث (١٩٣).

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن
كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ
﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ - ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ - عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ - مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ - بَطَآئِنُهَا - إِسْتَبْرَقٍ - وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ - دَانٍ - قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ - لَمْ يَطْمِثْهُنَّ - ٱلْيَاقُوتُ - وَٱلْمَرْجَانُ - وَمِن دُونِهِمَا - مُدْهَآمَّتَانِ - نَضَّاخَتَانِ - خَيْرَٰتٌ - حِسَانٌ - حُورٌ - مَّقْصُورَٰتٌ - ٱلْخِيَامِ - رَفْرَفٍ - وَعَبْقَرِىٍّ - ذِى ٱلْجَلَٰلِ - وَٱلْإِكْرَامِ﴾)

ج :

الكلمة	معناها .
﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾	قيام العبد بين يدي ربه في الآخرة ، وقيل: مقام العبد بين يدي ربه في الدنيا ، وقيل: اضطلاع الله عليه .
﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾	ذواتا ألوانٍ. وقيل: المراد ألوان الفاكهة أي: صنوف من الفاكهة، وقيل: ذواتا أغصان[1] ، وقيل: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما .
﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾	عينا ماءٍ تجريان .
﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾	من كل صنف من أصناف الفاكهة نوعان، كل صنف له لذةٌ ولون ليس للنوع الآخر.
﴿بَطَآئِنُهَا﴾	حشوها الداخلي .
﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾	غليظ الديباج .
﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾	ثمر البساتين ـ ثمر الحديقتين
﴿دَانٍ﴾	قريب منهم[2] يناله القائم والقاعد والمضطجع .
﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	النساء اللواتي قد قُصر طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال ، ولا يردن غير الأزواج[3] .

(١) قيل يمس بعضها بعضًا كالمعروشات .

(٢) قال الطبري: لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها لاجتناء ثمرها ولكنهم يجتنونها من قعودٍ بغير عناء ، وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة (٣٣١٠٩) قوله (وجنى الجنتين دان) قال: ثمارهم دانية لا يرد أيديهم عنه بُعد ولا شوك . ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرًا منها ».
والجزء المرفوع من هذا الحديث ضعيف لإرساله .

(٣) أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد (٣٣١١٤) قال في قوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئًا أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلك زوجي ، وجعلني زوجك.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾	لم يجامعهن ـ لم يمسهن ، وقد قيل: إن الطمث هو النكاح بالتدمية (أي فض غشاء البكارة بالجماع) .
﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾	صفاء الياقوت في بياض المرجان.
﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾	أقل منهما درجة ومنزلة وفضلًا ، وذلك لأصحاب اليمين ، والأول للمقربين[1] .
﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾	سوداوان من شدة الخضرة، خضراوان من شدة الرِّي (كثرة ما أخذته الأشجار من الماء) ناعمتان.
﴿نَضَّاخَتَانِ﴾	فوَّارتان ـ ينتضخان الماء ـ ممتلئتان لا تنقصان.
﴿خَيْرَٰتٌ﴾	خيرات الأخلاق.[2]
﴿حِسَانٌ﴾	حسان الوجوه .
﴿حُورٌ﴾	حور العين (جمع حوراء) ـ بيض.
﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	قصرن النظر على أزواجهن .
﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾	محبوسا ت في الحجال ـ لا يغادرن الخيام بمحض إرادتهن ـ لسن بطوافات في الطرقات . البيوت ـ الدر المجوف[3] ـ بيوت اللؤلؤ

(١) أخرج الطبري (٣٣١٣٨) بسندٍ عن ابن عباس في قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] قال: كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها جنة أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وهي التي لا تعلم ، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاءً، بما كانوا يعملون . قال : وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيهما ، أو ما فيها ، يأتيهم كلّ يوم منها أو ومنهما تحفة .

(٢) قاله قتادة بسندٍ حسن عنه (عند الطبري ٣٣١٦٧).

(٣) وفي الحديث الخيمة درة مجوفة ، ففي الصحيح (٣٢٤٣) من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :« إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلًا ، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون » . ورواه أيضًا من حديث أبي عمران به ، وقال : « ثلاثون ميلًا» . وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلوة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا ، للمؤمن فيها أهله ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا » ومسلم (٢٨٣٨) .

﴿رَفْرَفٍ﴾	الرفرف رياض الجنة ـ المجالس والبُسُط (السجاجيد) وقيل المرافق .
﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾	الطنافس الثخان ـ السجاجيد السميكة ـ الديباج .
﴿ٱلْجَلَٰلِ﴾	العظمة
﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾	من له الإكرام من جميع خلقه ـ الكبرياء .

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن الشخص يهم بالذنب والمعصية ، فيذكر الله فيدعها مخافة الله .

الثاني: أنه يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيستغفر لله وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح[1] عن إبراهيم النخعي قال في هذه الآية : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله.

وبإسناد حسن[2] عن قتادة قال : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ، ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

هذه الآية الكريمة فيها وجهان معروفان عند العلماء ، كلاهما يشهد له قرآن.

أحدهما : أن المراد بقوله : مقام ربه : أي قيامه بين يدي ربه ، فالمقام اسم مصدر بمعنى القيام ، وفاعله على هذا الوجه هو العبد الخائف ، وإنما أضيف إلى الرب لوقوعه بين يديه ، وهذا الوجه يشهد له قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، فإن قوله : ونهى النفس عن الهوى:

---

(١) الطبري (٣٣٠٨٤).

(٢) الطبري (٣٣٠٨٥) .

قرينة دالة على أنه خاف عاقبة الذنب، حين يقوم بين يدي ربه، فنهى نفسه عن هواها.

والوجه الثاني : أن فاعل المصدر الميمي الذي هو المقام ، هو الله تعالى: أي خاف هذا العبد قيام العبد قيام الله عليه ومراقبته لأعماله وإحصاءها عليه ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحصائه عليهم أعمالهم كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد:٣٣]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١] الآية . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى في شأن الجن : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٣١] الآية ، أن قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنس والجن في قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام ربهم من الجن يدخلون الجنة.

أما قوله: (جنتان) أي: بستانان . هذا ، وقد أورد الطبري بإسناد صحيح [1] عن ابن زيد قال في قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ قال : جنتا السابقين ، فقرأ ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ثم رجع إلى أصحاب اليمين ، فقال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ فذكر فضلهما وما فيهما.

❁❁❁

س : هل صح عن رسول الله ﷺ حديث في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

ج : ابتداءً فقد أخرج الطبري [2] من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رغِمَ أنْف أبي الدرداء** ».

---

(١) الطبري (٣٣٠٩٣).

(٢) الطبري (٣٣٠٨٧).

س : هل ورد في وصف الجنتين شيءٌ من سنة رسول الله ﷺ ؟

ج : ورد في ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : أن رسول الله ﷺ قال : « **جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ـ عزَّ وجل ـ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** » .

❁❁❁

(١) البخاري (٤٨٧٨).

بحثٌ موسع حول الجنة جعلنا الله من أهلها

س: اذكر بمزيد من التفصيل شيئًا مما يتعلق بالجنة وأسمائها وأهلها وما أُعد فيها من النعيم ؟

تعريف بالجنة وأسمائها وما وصفت به في كتاب الله عزَّ وجلَّ

أما عن معنى الجنة ، فالجنة الحديقة ذات الشجر والنخل ، وقد قال بعض أهل اللغة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنب ، وقال بعض العلماء : سميت جنةٌ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها ، والجنة التي نتناول ذِكرها ها هنا إن شاء الله هي دار النعيم في الآخرة.

أما عن أسماء الجنة وما أطلق عليها :

دار السلام: قال تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس : ٢٥] .

قال بعض أهل العلم : سميت بذلك ، لأنها دار السلامة من كل بلية وكل آفة وكل مكروه .

وقيل أيضًا: هي دار الله[1] لأن الله هو السلام، فالسلام اسم من أسماء الله عزَّ وجل.

ـ ولأن أهل الجنة دائمًا يُلَّقون فيها التحية والسلام، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، وكما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٥، ٢٦].

---

(١) وفي الحديث: فاستأذن على ربي في داره. أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

وهي أيضًا جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان:١٥]، وسميت بهذا الاسم؛ لأن أهلها يُخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها، ولا يبغون عنها حولاً (أي: تحولاً).

ولأن نعيمهم فيها لا ينقطع ولا يفنى ولا يبيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وتسمى أيضًا جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤، ١٥].

قيل: لأن أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين تأوي إليها.

ومن أسمائها دار المقامة:

قال أهل الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٤، ٣٥].

وقيل عنها دار المقامة ـ والله أعلم ـ؛ لكون أهلها يقيمون فيها ويستوطنونها ولا يخرجون منها.

ومنها أيضًا جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٣].

وقوله عدن أي: إقامة.

ومنها مقعد صدق: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥].

ومنها قدم صدق: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

ويطلق عليها أيضًا: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

لكونه آمن من كل آفةٍ وسوء ومكروه.

وهي جنات النعيم أيضًا: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨].

وذلك لما فيها من صنوف النعيم.

والفردوسُ جنةٌ من الجنان وهي أفضلها وأعلاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧].

وقد قال النبي ﷺ لأم حارثة: «إِنَّها جِنَانٌ وإِنَّ ابْنَكِ قَد أَصَابَ الفِرْدَوْسَ مِنْهَا»[١]. وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الجنَّةِ مِائَةَ دَرَجةٍ أعدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ والأرضِ، فإِذَا سَألتُم اللهَ فَاسْألُوهُ الفِردَوسَ فَإِنَّه أَعْلَى الجنَّةِ وَأَوسَطُ الجنَّةِ وَمِنهُ تُفَجَّرُ أَنهَارُ الجنَّةِ وَفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ»[٢].

وصفٌ موجَزٌ للجنة وما فيها من النعيم المقيم وبيان عظمتها:

إن الواصف للجنة مهما وصف، بل والمتخيل لها مهما تخيل فلن يأتي على شيء مما فيها، فضلاً عن بعضه، وفضلاً عن كله، فليس الخبر كالمعاينة، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ففي الصحيحين[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ

---

(١) البخاري بنحوه (٣٩٨٢)، وأحمد (٣/ ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥) وغيرهم من حديث أنس ولفظه عند البخاري: قال: أصيب حارثةُ يوم بدر وهو غُلام، فجاءت أُمُّه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عَرَفْتَ منزلةَ حارثةَ مني، فإن يكن في الجنة أصْبِر وأحْتَسب وإن تكن الأخرى تَرى ما أصنع، فقال: «ويحك ـ أوَ هَبِلْتِ ـ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس».

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ١١).

(٣) البخاري (حديث ٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] ».

وأخرج مسلم[١] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهِدْتُ من رسولِ الله ﷺ مجلسًا وصفَ فيه الجنَّة. حتَّى انتهى. ثُمَّ قالَ ﷺ في آخِرِ حديثِه: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم اقْتَرَأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [٣٢/ السجدة: ١٦، ١٧].

وفي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، وله فيها أيضًا ما تشتهيه نفسه وتلذُّ به عينُه.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

وقد تقفُ على شيءٍ من عظيم قدر الجنة إذا علمت حديث رسولك محمد ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيرٌ مِن الدُّنيَا وَمَا فِيْهَا»[٢].

وكذلك تعرف شيئًا من عظيم قدرها إذا علمت ما أُعد لأدنى أهل الجنة من المنازل:

فقد روى مسلمٌ[٣] في صحيحه من طريق الشعبي عن المغيرة بن شعبةَ قال: سمعتُه على المنبرِ، يرفَعُه إلى رسول الله ﷺ قال: وحدَّثني بشر بنُ الحكم، «واللفظُ له». حدَّثنا سفيانُ بنُ عيينةَ، حدَّثنا مُطَرِّفٌ وابنُ أبجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يقُولُ: سمِعْتُ المغيرةَ بنَ شعبةَ يُخْبِرُ به الناسَ على المنبرِ، قال سفيانُ: رفَعُه أحدُهما (أُراهُ ابنَ أَبْجَرَ) قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّه: مَا أدْنَى أهلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ فَيُقَالُ لَه: ادْخُلِ الجنَّةَ. فيقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيفَ؟ وَقَد نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَـهُم وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِم؟ فيُقَالُ لَه: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيَا؟ فَيقُولُ:

---

(١) مسلم (٢٨٢٥).

(٢) البخاري (حديث ٣٢٥٠).

(٣) مسلم (١٨٩).

رَضِيتُ، ربِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثلُهُ وَمِثلُهُ وَمِثلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشرَةُ أمثَالِه. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُك. فيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلَاهُم مَنزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْها. فلَمْ تَرَ عَيْنٌ ولَم تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ» قال: ومِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآيَةَ.

أما عن وصف الجنة إجمالاً فأقول وبالله التوفيق:

إن الجنة عالية القدر عالية المكان كذلك، فقد قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وهي فوق السماء السابعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾، [النجم:١٤، ١٥]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى سدرة المنتهى بعد تجاوز السماء السابعة ثم إن رائحة هذه الجنة تُشَم عن بُعد وتشتاق إلى أهلها وأهلها يشتاقون إليها وتقترب منهم ويقتربون منها ويشمون رائحتها عن بُعد ويُزفون إليها معززين مكرمين، يتقدمهم رسول الله ﷺ إذ الجنة لا تفتح لأحدٍ قبله، فيطرق الباب فيستأذن فيؤذن له فيدخل.

أما عن أبواب الجنة فهي ثمانية أبواب.

أما بناؤها فلبنةٌ من ذهب، ولبنةٌ من فضةٍ، وهناك أيضًا جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

أما عن عَرْضِ الجنة وطولها، فعرضها كعرض السماء والأرض.

وأما طولها فلا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا دخلها النبيُّ ﷺ ـ كما أسلفنا ـ فأمته أول الأمم بعده دخولاً صلوات الله وسلامه عليه فإذا دخلوها وجدوا تربتها مسكًا خالصًا أبيض وزعفرانًا، أما الحصباء (الحصى) فقطع اللؤلؤ الكبيرة التي هي في الغاية من الروعة والجمال.

إذا دخلوها سلمت عليهم الملائكة عند دخولها، وأعظم من ذلك وأجل فتحيتهم يوم يلقون ربهم سلام.

أما عن صفاتهم عند دخولها فوجوههم بيضاء مسفرة ضاحكةٌ مستبشرة،

وجوههم كالقمر ليلة البدر، نزع من صدورهم الغل، أزيل عنهم التشاحن والتباغض والاختلاف، قلوبهم متآلفة كأنها قلب رجلٍ واحدٍ، طولهم عند دخولها ستون ذراعًا في السماء.

والجنةُ درجات، ودخولها جماعات جماعات، أي على دفعات في أوقات.

وأعلى درجاتها الوسيلة، وهي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله يرجوها رسولنا محمد ﷺ لنفسه، ثم بعد ذلك الفردوس الذي فوقه عرش الرحمن، ثم سائر الجنان.

في الجنة سادة وشيوخ ـ بعد الأنبياء والمرسلين ـ: شيوخ كأبي بكر وعمر رضي الله عنه سيدا شيوخ أهل الجنة ما خلا الأنبياء والمرسلين ـ، وسيدا الشباب حسنٌ وحسينٌ ـ رضي الله عنهما ـ وسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، وسيدة النساء فاطمة رضي الله عنها.

وأهل الجنة في الجملةِ قسمان:

﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والقسم الثاني: أصحاب اليمين، وكل قسم ينقسم إلى أقسام عديدة.

إذا دخلوها وجدوا فيها أنهارًا كثيرة، وجدوا فيها أنهارًا من ماءٍ غير آسن، وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، وأنهارًا من عسلٍ مصفى!!!

وجدوا فيها كذلك النيل والفرات وسيحان وجيحان!!

وجدوا كذلك فيها نهر الحياة، الذي يلقى فيه من خرج من النار مسودًا محترقًا فيُلقى في النهر فيرجع أجمل ما كان وأحسن ما كان.

وجدوا كذلك الحوض والكوثر، وجدوا حوض النبي محمد ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وعدد آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

وجدوا الترع والعيون الجارية، والعيون الفوارة.

وجدوا روضات الجنات، وجدوا الجدائق، وجدوا روحًا وريحانًا وجنة نعيم.

وجدوا القصور التي لا يعلم حسنها وجمالها إلا الله فقد بنيت بالذهب والفضة، آنيتها وصحافها وقدورها وقواريرها وما فيها من ذهب وفضة.

وكذلك فهنالك المساكن والبيوت والغرف والخيام الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون لا يراهم الآخرون.

ثم هم على تفاوت في الدرجات: فأقوام في أعلى عليين، وأقوام دون ذلك في الفضل والنعيم كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

أما شجر الجنة:

فكبير وطويل وظله ممدود.

شجرة من شجرها يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها!!

ظل دائم لا يُفسح ولا يزول ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥] فاكهة الجنة قريبة من أهلها دانية منهم.

أما عن سُررها:

فمرفوعة عالية، سرر منسوجة بالذهب مرصعةٌ بالجواهر، الحشو الذي حُشيت به فُرُشها من استبرق، فإذا كانت البواطن من استبرق (وهو الحرير الخالص) فكيف بالظواهر!!

إن أمرها لعجيب، وإن شأنها لعظيم. هناك الأرائك التي يتكئون عليها والسرر التي ينامون عليها منها سررٌ في الحجال (أي: السرير فوقه خيمة تستر مَن يجلس عليه ويتكئ).

الأرضيات قد فُرشت بأبهى وأفخر الحرير وأجمله، أما الزرابي فمبثوثة منتشرة وهنالك الرفارف الخضر والعبقري الحسان.

إن سألت عن لباس أهل الجنة:

فمن حرير، سندس وإستبرق، ثياب خضر من أجمل الثياب وأحسن الثياب لونًا.

أما عن الحلي:

فلقد قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

أما صنوف الفاكهة:

فكلها هنالك بالجنة يتنعم بها أهلها كيف شاءوا، كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وكما قال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧]، فكل صنوف الفاكهة موجودة التي عرفناها والتي لم نعرفها.

وكذلك كل صنوف الحلوى وما يستلذ به من الطعام والشراب فهنالك بالجنة، إذ الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢].

أما عن سائر طعام أهل الجنة:

فأولُ طعام يأكلونه زيادة كبد النون، والنون الحوت ففي الكبد زيادات هي أحب الطعام تؤخذ من الكبد ويكرم بها أهل الجنة، ثم ينحر لهم ثور الجنة الذي أكل من أطرافها.

وهنالك اللحم: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١].

وهناك النسوة الحسناوات: حور العين: واسعة العين، شديدة البياض، مع شدة سوادٍ مع اتساعٍ وحسنٍ وبهاءٍ وجمالٍ.

إنهن بيضاوات كاللؤلؤ المكنون.

إن مخ سوقهن يُرى من وراء اللحم من الحسن.

إنهن متحببات للأزواج عاشقات للأزواج.

قاصرات الطرف، لا تنظر إلا إلى زوجها.

قد جعلهن الله أبكارًا، وإن كن في الدنيا صرن عجائز لكنهن في الآخرة أبكارًا، عُربًا: محببات للأزواج مدلَّلات سعيدات بالأزواج، أترابًا: في سن واحدة كذلك فهن

كواعب: لم يتدلَّ منهن الثدي؛ كالبنات، بل الثدي مستدير.

أما عن الجماع والشهوة: فقد أُعْطِيَ الواحد من أهل الجنة قوة مائة شخص في الجماع والشهوة، والحمل والإنجاب ممكن إن أراده الشخص واشتهاه ولكن ليس كحمل الدنيا، ولا وقته كوقته إنما كل ذلك على وجه حسنٍ وجميل وسريعٍ.

وكذلك هنالك مراضع لمن يشاء الله لها ذلك.

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتنخمون ولا يتغوطون ولا يبزقون بل تخرج منهم فضلاتهم كعرق رائحته رائحة المسك.

أما عن خدم أهل الجنة: فكاللؤلؤ المكنون في حسنهم وجمالهم وعددهم في غاية من الكثرة يلبوون كل الطلبات ولا يتأخرون، وكما وصفهم ربي ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

لا يتسرب إليهم المشيب، ولا تتقدم بهم الأعمار ولا يتغيرون عن حالتهم لسنٍ تقدم بهم.

أما عن سماعهم وكلامهم: فلا لغوٌ في الجنة، ولا تأثيم فإذا سمعوا سمعوا كل خير، وإذا تكلموا تكلموا بكل خير، بالهم هادي، قلوبهم مطمئنة أذهب الله عنهم الحزن، ورزقهم الله الأمن والأمان.

هناك أماكن وأسواق للفسح والزيارات: يأتونها كل جمعة فيرجعون إلى أهاليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيجدون أهاليهم قد ازدادوا أيضًا من بعدهم حسنًا وجمالاً.

يتحادثون فيما بينهم بما كان منهم في دنياهم ويطلعون أحيانًا على أهل النار ليزدادوا شكرًا على ما امتن الله به عليهم: من السلامة والنجاة وفسيح الجنان وواسع المنازل.

إن نعيمهم لا يزول ولا يتحول: وهم الآخرون لا يبغون عن الجنة حولاً، ولا يريدون عنها تحولاً.

لقد حببت إليهم الجنة وأحبتهم هي الأخرى، لقد رضوا عن معيشتهم فهم في

عيشة راضية.

إنهم في نعيم مقيم لا موت ولا شيخوخة ولا هرم، ينعمون بتكليم الله لهم، أجل تنعم ويسعدون بذلك أعظم سعادة.

يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وتلك أعظم لذةٍ وأتمها وأكملها.

يُحلل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

فنسأل الله أن يُحلل علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا، ونسأله سبحانه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس، وإلى التفصيل لما قد ذُكر، وبالله التوفيق.

أين الجنة؟

أما عن مكان الجنة فهي فوق السماء السابعة، وذلك لما تقدمت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ رآها ليلة المعراج بعد أن تجاوز السماء السابعة، فقد رأى سدرة المنتهى[1]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤، ١٥].

ـ فوق الجنة عرش الرحمن كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد تقدم، ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الفردوس: «... **وفَوقهُ عَرشُ الرَّحمَنِ**».

ورائحة الجنة توجد عن بُعد وتُشمّ كذلك عن بُعد:

ففي الحديث: «**وإنَّ رِيحَهَا ليُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَربَعِينَ عَامًا**»[2]

ولقد قال أنس بن النضر يوم أحد: واهًا لريح الجنة أجده دون أحد[3]. وهناك روايات أخرى.

---

(١) ففي الحديث: ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرَّت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، (مسلم، حديث ١٦٢)، والبخاري (٧٥٠٧).

(٢) البخاري (٣١٦٦).

(٣) البخاري (٢٨٠٥).

فمن الناس من يشم رائحة الجنة عن بُعدٍ، ومنهم من يشمها عن مسافة أقرب وأقرب.

وأهل الجنة يعرفونها قبل دخولها:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤ ـ ٦].

وقال رسول الله ﷺ[1]: «إذا خَلُصَ المؤمنونَ مِن النَّارِ حُبِسوا بِقنْطَرةٍ بَينَ الجنَّةِ والنَّارِ فَيَتقاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَينهَمْ في الدُّنيَا حَتى إذا نُقُّوا وَهُذِّبوا أُذِنَ لهم بِدُخُولِ الجنَّةِ، فَوَالَّذي نَفسُ محمَّدٍ بِيدِهِ لَأحَدُهُم بِمَسْكَنِهِ في الجنَّةِ أَدلُّ بِمَنزِلِه كَانَ فِي الدُّنيَا».

وفي الصحيحين[2] من حديث عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا مَاتَ أَحدُكُم فَإنَّهَ يُعْرَضُ عَلَيهِ مَقعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإنَّ كَانَ مِن أَهلِ الجنَّةِ فَمِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَإنْ كَانَ مِنْ أَهلِ النَّارِ فَمِنْ أَهلِ النَّارِ».

ويُحشرون إليها وفودًا مكرمين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

ويُساقون إليها جماعات جماعات:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣].

ثم إن الجنة تقترب من أهلها وتشتاق إليهم وتفتح لهم أبوابها وتستقبلهم الخزنةُ بحفاوةٍ وترحيبٍ، فقد قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١] أي: أنها أُدنيت وقُرِّبت.

وقال تعالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

---

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٢٨٦٦).

أما عرض الجنة وطولها:

فطولها لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، أما عرضها فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١].

فإذا كان هذا العرض فما ظنك بالطول.

أما عن بناء الجنة:

فلبنةٌ من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك جنتان بناؤهما كله من ذهب، وأخريان بناؤهما كله من فضة، ففي الحديث وسيأتي: « **جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِما وجَنَّتَانِ مِن فِضَّةٍ آنيتهُما وَمَا فِيهِمَا**».

وعند ابن راهويه[1] بسندٍ قد يُحسَّن مثله عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله ما بناء الجنة؟ قال: «**لَبِنَةٌ مِن ذَهَبٍ، وَلَبِنةٌ مِن فِضَّةٍ، وَمِلاطُها المِسْكُ، وتُربَتُها الزَّعْفَرَانُ، وَحَصْبَتُها اللؤلؤُ، مَن يَدخُلْهَا يَنعمْ لا يَبأسُ، ولا يخرِقُ ثِيَابَه، ولا يَبْلى شَبابَه**».

أما عن أبوابها فهي ثمانية أبواب، ففي الصحيح[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «**في الجنَّةِ ثَمانِيةُ أَبوَابٍ**»، وفي صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ يَتَوضأُ فَيُبلغُ الوُضُوءَ (أو فيسبغُ الوُضُوءَ) ثُمَّ يقولُ أَشْهَدُ ألا إلهَ إلا اللهَ وأنَّ مُحمدًا عبدُ الله وَرَسُولهِ إلا فُتِحَتْ لَه أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شَاءَ**»[3].

ومنها باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للصلاة وباب للصدقة وغير ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَن أَنْفَقَ زَوجَينِ مِن شيءٍ مِن الأشيَاءِ في سَبِيلِ الله دُعِيَ مِن أبوَابِ ـ يَعني الجنةَ ـ يا عَبدَ الله هَذا خَيرٌ فَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلاةِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ**

(١) مسند إسحاق (١/ ٣١٧).
(٢) البخاري (٣٢٥٧).
(٣) مسلم (٢٣٤).

الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّدقةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقةِ، وَمَن كَان مِن أَهلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِن بَابِ الصِّيامِ وَبَابِ الرَّيانِ». فقال أبو بكرٍ: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورةٍ، وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسولَ الله؟ قال: «نَعَم، وَأَرجُو أَن، تَكُونَ مِنهُم يَا أَبَا بَكرٍ»[١].

أما عن سعة أبواب الجنة:

فقد روى الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أَنتُم تُوفونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُم آخِرهَا وَأَكرَمُهَا عَلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا بَينَ مِصرَاعين مِن مَصَارِيعِ الجنَّةِ مَسِيْرَة أَرْبَعِينَ عَامًا، ولَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيْظٌ»[٢].

ونبينا محمد ﷺ أول من تفتح له الجنة

والجنة لا تفتح أبوابها لأحد قبل هذا النبي الكريم ﷺ، أخرج مسلم[٣] في صحيحه من حديث أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتِي بَابَ الجنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَاسْتَفتِحُ. فَيقُولُ الخَازِنُ: مَن أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحدٍ قَبلَكَ».

وفي صحيح مسلم[٤] أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيْعٍ فِي الجَنَّةِ».

أما عن أهل الجنة فأهلها أهل الإسلام:

أهل الإيمان أهل التوحيد فالجنة لا يدخلها إلا نفس مُسلمة كما قال النبي ﷺ، فقد أمر بلالاً أن ينادي في الناس: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلا نَفسٌ مُسْلِمَةٌ»[٥].

ولقد قال أهل الجنة لأهل النار لما سألوهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

---

(١) البخاري (حديث: ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

(٢) أحمد (٥/ ٣).

(٣) مسلم (١٩٧).

(٤) مسلم (حديث ١٩٦).

(٥) البخاري (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١)، وفي بعض الروايات: إلا المؤمنون.

[الأعراف:٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

إن أهل الجنة هم المتقون[١]:

وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

ألا فليصبر الفقراء:

ففي الصحيح[٢] من حديثِ عمْرَانَ بن حُصَينٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أكثرَ أهْلِها النِّسَاءَ».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الـمُسْلِمِينَ الجنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِم بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمائَةُ عَامٍ»[٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فُقَرَاءُ الـمُهَاجِرينَ يَسْبِقونَ الأغنياءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيْفًا»[٤].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه[٥]: «وَأَهْلُ الجنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

وفي الصحيحين[٦] من حديث حارثة ابن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلا أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ الجنَّةِ: كُلُّ ضَعِيْفٍ مُتَضَعِّفٍ لَو أَقْسَمَ عَلى اللهِ لَأَبَرَّهُ».

---

(١) الذين اتقوا الشرك بالله.

(٢) البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).

(٣) إسناده صحيح، رواه الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٤) مسلم (٢٩٧٩).

(٥) مسلم (٢٨٦٥).

(٦) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

وقد جاءت نصوص في أمور من فعلها دخل الجنة: وذلك فيمن قال: لا إله إلا الله، مخلصًا من قلبه، ومن حافظ على الصلواتِ الخمس مع تحسين الوضوء والحج المبرور، ومن مات لها اثنان من الولد فاحتسبت، والذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، ومن خاف ربه فله جنتان، والمتحابون في الله والشهداء، ومن حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه، ومن تورع عن سؤال الناس شيئًا، ومن بنى لله مسجدًا، وأمورٍ شتى ـ أعاننا الله على كل خير ـ.

وأمة محمد ﷺ أول الأمم دخولاً الجنة بعد نبيهم ﷺ، ففي صحيح مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحنُ الآخِرونَ الأَوَّلونَ يَومَ القِيَامةِ، وَنَحنُ أَوَّلُ مَن يَدخُل الجنَّةَ، بِيْدَ أَنَّهُم أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِنا وأُوتينَاهُ مِن بَعدِهِم. فَاختَلَفُوا فَهدَانَا اللهُ لما اختَلَفوا فِيهِ مِن الحقِّ، فَهَذا يَومُهُم الذِي اختَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهَ (قالَ: يومُ الجُمُعَةِ) فاليَومُ لَنا، وَغَدًا لِلِيَهُود، وَبَعدُ غَدٍ للنَّصَارَى**».

ومن هذه الأمة سبعون ألفًا، وفي بعض الروايات سبعمائة ألفٍ يدخلون الجنة بغير حساب:

وانظر إلى صفتهم أثناء الدخول، ففي الصحيحين من حديث سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ ألفًا ـ أو سَبعُمائةِ ألفٍ ـ لا يدْخُلُ أوَّلُهم حَتَّى يَدْخُلَ آخرُهُم، وجُوهُهُم عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ**»[2].

وفي روايةٍ: «**آخِذُ بعضُهُم بعضًا**»[3].

إن أهل الجنة يتفاضلون تفاضلاً كبيرًا فيما بينهم، ويتفاوتون في الدرجات تفاوتًا أعظم بكثير من ذلك التفاوت في درجات الدنيا.

قال تعالى: ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا**﴾ [الإسراء:٢١].

---

(١) مسلم (حديث ٨٥٥)، واللفظ له، وأصله عند البخاري (٣٤٨٦).

(٢) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٥٤٨).

(٣) مسلم (٢١٩)، والبخاري (٦٥٥٤).

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤].

وأهل الجنة في الجملة ينقسمون إلى قسمين السابقين المقربين، وأصحاب اليمين:

ولقد ذُكر هذا القسمان في عدة سور من كتاب الله عزَّ وجل فقد قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:٧ ـ ١١].

وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨ ـ ٩٤].

أما عن أول زمرةٍ تدخل الجنة فلا اختلاف بينهم ولا تباغض، ففي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أولُ زُمْرَةٍ تَلجُ الجنَّةَ صورَتُهُمْ عَلى صُورةِ القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيها وَلا يَمْتَخِّطُونَ ولا يتغوَّطُونَ، آنيتُهُم فِيهَا الذَّهَبُ، أَمشَاطُهُم مِن الذَّهَبِ والفضَّةِ، وَمجامرُهُم الألُوَّةُ، ورشْحُهُمْ المسْكُ، ولكُلِّ واحدٍ منهم زَوجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوْقِهِمَا مِن وراءِ اللحمِ مِن الحُسْنِ. لا اختِلافَ بَينَهُم وَلا تَباغُضَ، قلُوبُهُم قَلبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ الله بُكرَةً وَعشيًّا**».

والغلُّ منزوع من صدورهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

وطولهم عند دخول الجنة ستون ذراعًا:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**خَلقَ الله عزَّ وجلَّ آدَمَ عَلى صُورَتِه، طُولُه سِتُونَ ذِراعًا، فلمَّا خلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلِّمْ عَلى أولئِكَ النَّفَرِ، وهُمْ نَفَرٌ مِنَ الملائكةِ جُلُوسٌ، فاسْتَمِعْ ما يُجيبُونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ وتَحِيَّةُ**

(١) البخاري (حديث ٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

ذُرِيَّتِكَ، قَالَ: فذَهَبَ فقالَ: السَّلامُ عَليكُم. فَقالُوا: السلامُ عليكَ وَرحمةُ الله. قَالَ: فزادُوهُ: ورحمةُ الله. قال: فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلى صورةِ آدَمَ. وطُولُه سِتُّونَ ذِراعًا. فلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بعْدَه حتَّى الآن»[١].

ووجوه أهل الجنة ناضرة بيضاء:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وكما هو معلوم فإنها قلوب أهل الإيمان.

وجوههم مسفرةٌ ضاحكة مستبشرة.

وفي الجنة سادة وسيدات:

فسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[٢].

وسيدا شبابها الحسن والحسين رضي الله عنهما[٣].

وسيدة نسائها فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٤].

عتقاء الله:

في الصحيحين[٥] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:... فذكر حديثًا طويلاً فيه: «فَيقُولُ الله عزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملائِكَةُ وشَفَعَ النَّبيونَ وشفَعَ المؤمِنُونَ. وَلم يَبقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فيَقْبِضُ قَبضَةً مِن النَّارِ فَيخرُجُ مِنهَا قَومًا لم يَعمَلوا خَيرًا قَطُّ، قَد عَادُوا حُمَمًا، فَيلقيهُم فِي نَهرٍ في أَفوَاهِ الجنَّةِ يُقالُ لَه نَهرُ الحَياةِ. فَيخرجُونَ كَما تخرجُ الحَبةُ في حَميلِ السَّيلِ. ألا تَرونَها تَكونُ إلى الحجرِ أَو إلى الشَّجَرِ. مَا

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٣٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) حسن بمجموع طرقه: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥)، وغيره، وانظر كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: انظر «مسند أحمد» (٣/ ٣)، والترمذي (٣٧٦٨).

(٤) صحيح انظر البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠)، و الحاكم في المستدرك (٣/ ١٥١)

(٥) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له.

يكونُ إلى الشَّمسِ أُصيفِرُ وأُخَيضرُ. وَما يَكونُ مِنها إلى الظِلِّ يَكونُ أَبيَضَ؟»

فقالوا: يا رسول الله! كأنَّكَ كنتَ ترعَى بالباديةِ.

قالَ: «فَيخرُجُونَ كاللُّؤلُؤِ في رِقَابِهِمُ الخواتِمُ، يعْرِفُهُم أَهلُ الجنَّةِ. هؤلاءِ عُتقاءُ الله الذينَ أدخَلَهُمُ الله الجنَّةَ بِغيرِ عَملٍ عَملُوهُ وَلا خَيرٍ قدَّمُوه. ثُم يَقولُ: ادخُلُوا الجنَّةَ فمَا رأَيتُمُوهُ فَهُوَ لكُمْ. فَيقُولُونَ: ربَّنَا! أعطيتَنَا ما لم تُعْطِ أَحدًا مِن العَالمينَ. فيقُولُ: لَكُم عِندِي أَفضَلُ مِن هَذا. فَيقولُونَ: يَا ربَّنَا! أيُّ شيءٍ أَفضَلُ منَ هَذا؟ فيقُولُ: رِضَايَ. فلا أَسْخَطُ عَليكم بَعْدَهُ أبدًا».

وهناك خلقٌ يُنشئهم الله عزَّ وجل للجنة فيدخلهم إيَّاها؛ ففي الحديث: «.... وَأمَّا الجنَّةُ فَإنَّ اللهَ يُنْشِيءُ لها خَلْقًا»[1].

أما عن عدد الجنات، فالذي وقفت عليه بالدليل أنها في الجملة أربع، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢].

ولقول النبي ﷺ: «جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنيتُهُما وَمَا فِيهِما، وَجَنَّتَانِ مِن فِضةٍ آنيتُهُما وَمَا فِيهِما، وَمَا بَينَ القَومِ وَبَينَ أَن يَنظرُوا إِلَى رَبهم إلا رِدَاءُ الكِبرِيَاءِ عَلى وَجهِهِ فِي جَنَّةِ عَدنٍ»[2].

قال ابن القيم ـ رحِمه الله تعالى ـ في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»:

وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين: فقالت طائفة: من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما تحتهما قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا أي دونه في المنزلة، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).

(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

قال: ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدهما: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخة: هي الفوارة والجارية السارحة، وهي أحسن من الفوارة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب، وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش، وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي قريبٌ سهلٌ يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصر

أطراف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الأخريين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون، وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنه أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين، وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري، فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين:

أحدهما: من جهة النقل.

الثاني: من جهة المعنى، فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هُمَا بُسْتَانَانِ فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ**» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال في ذكر النساء «فيهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال «فيهما»؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى، والله أعلم.

أما عن عدد درجات الجنان فهذا أمر لا يعلمه إلا الله:

ومما وقفت عليه من الأدلة ما يلي:

قول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»(١).

وقوله ﷺ: «فَإِنَّكَ لَنْ تَسجُدَ لله سَجدَةً إِلا رَفعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً»(٢).

وقوله ﷺ: «يُقالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ اقرَأ وارتَقِ ورَتِّل فَإِنَ مَنزِلَتُكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَؤهَا»(٣).

وقولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:٧٦].

وفي الجنة منزلةٌ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه، ألا وهي الوسيلة؛ ففي الحديث: «إِذَا سَمِعتُم المؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله بِها عَلَيهِ عَشرًا ثُمَّ سَلُوا الله لِي الوَسِيلَةَ فإِنَّها مَنزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنبَغِي إِلا لِعَبدٍ مِن عِبَادِ الله، وَأَرجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةُ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٤).

وإذا دخل أهل الجنة الجنة وجدوا تربتها (ترابها) مسكًا خالصًا أبيض؛ ومنها مواطن تربتها زعفران؛ أما الحصى الذي بها فهو قطعٌ كبيرةٌ من لؤلؤ، فلقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ»(٥)، وفي بعض الروايات أن الذي سأل هو ابن صياد، والذي أجاب هو رسول الله

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) مسلم (٤٨٨).

(٣) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٨/ ٢٣٢)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مسلم (مع النووي ٤/ ٨٥)، وجاء ذكر الوسيلة أيضًا عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩).

(٥) مسلم (٢٩٢٨).

ﷺ، والأمر في ذلك قريب.

ووجدوا فيها أيضًا قطع اللؤلؤ الكبيرة العظيمة:

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**أُدْخِلْتُ الجنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ**[1] **اللؤلؤِ، وَإِذَا تُرَابُها المِسْكُ**»[2].

ووجدوا فيها أنهارًا لا يعلم عددها إلا الله ـ عزَّ وجل ـ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

ومن هذه الأنهار: أنهارٌ من ماء غير أسنٍ، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهارٍ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مصفى.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

وفي الحديث[3] عن رسول الله ﷺ: «**إنَّ فِي الجنَّةِ بَحْرُ المَاءِ وَبَحْرُ**[4] **العَسَلِ وَبَحْرُ اللبَنِ وَبَحَرُ الخَمْرِ ثُمَّ يُشَقِّقُ الأنهارَ بَعدَهُ**».

قال ابن القيم ـ رحِمه الله تعالى ـ في كتابه «حادي الأرواح»:

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

---

(١) يعني، والله أعلم قطع اللؤلؤ الكبيرة، فالجنابذ جمع جنبذة وهي كل شيء مرتفع مستدير، وفي الحديث الخيمة درة مجوفة.

(٢) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٣) **صحيح لشواهده**: وأخرجه الترمذي (٢٥٧١).

(٤) والبحر يطلق أحيانًا على النهر، وذلك لاتساعه، فالبحر يطلق على الشئ الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس (وإن وجدناه لبحرا أي واسع الخطو سريع.

وهذا من آيات الرب تعالى أن، تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها؛ بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانيين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابًا من الخير وفتحت له بابًا من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ شَرِبَ الخَمرَ فِي الدُّنْيَا لم يَشْرِبْهَا فِي الآخِرةِ**» لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

وهذه الأنهار تتفجر من الفردوس:

ففي الصحيح [١] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ فَإِنَّه وَسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحمَنِ، وَمِنهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ**»[٢].

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان:

ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ والفُرَاتُ والنيلُ كلٌّ مِنْ أنهارِ الجنَّةِ**»[٣].

وهذان النهران الظاهران والنهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهى:

ففي الصحيحين[٤] من حديث مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ البَيْتِ...**» فذكر الحديث وفيه: «**... وَرُفِعَت لِيَ سِدرَةُ المنتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّه قِلالُ هَجَرَ، ووَرَقُهَا كَأَنَّه آذَانُ الفِيُولِ، فِي أَصلِها أربَعَةُ أَنهَارٍ: نَهرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهرَانِ ظَاهِرَانِ. فَسَأَلْتُ جِبرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ**».

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله «حادي الأرواح»: وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلةً إلى أقصى درجاتها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٩).

(٤) البخاري (٣٢٠٧).

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ... فذكر الحديث وفيه: «فَيَشفَعُ النَبِيُّونَ والمَلائِكَةُ والمؤمِنُونَ، فَيقُولَ الجبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقبِضُ قَبضَةً مَن النَّارِ فيُخرِجُ أقوَامًا قَد امتُحِشُوا فيُلقَوْنَ في نَهرٍ بِأفوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَه مَاءُ الحَيَاةِ فَيَنبتُونَ في حَافَّتَيه كَمَا تَنبُتُ الحَبةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَد رَأيتمُوهَا إلى جَانِبِ الصَّخْرةِ وَإلى جَانبِ الشَّجَرةِ فَما كَانَ إلى الشَّمسِ مِنهَا كَانَ أَخضَرَ، وَمَا كَانَ مِنهَا إلى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخرُجُونَ كَأَنَّهُم اللؤلؤُ فيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ فَيَدخُلُونَ الجنَّةَ فَيَقُولُ أَهلُ الجنَّةِ هَؤلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحمَنِ أَدخَلَهُمُ الجنَّةَ بِغَيرِ عَمَلٍ عَمِلُوه وَلَا خَيرٍ قَدَّمُوهُ، فيُقَالُ لَهم: لَكُم مَا رَأَيتُم وَمِثلُهُ مَعَهُ».

وفيها كذلك الحوض والكوثر:

أخرج البخاري[٢] من حديث أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجنَّةِ، إِذْ أَنَا بنَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبرِيْلُ؟ قَالَ: هَذا الكَوثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ ربُّكَ، فإذَا طِيْبُه ـ أَوْ طِيْنُه ـ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

ومما ورد في وصف الكوثر:

ما أخرجه مسلم[٣] في صحيحه من حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بينَ أظهُرِنا، إذ أُغْفِي إغفاءةً، ثمَّ رفَعَ رأْسَهُ مُتَبسِّمًا، فقلنا: ما أضحَكَكَ يا رسولَ الله؟! قال: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:١ ـ ٣] ثمَّ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الكَوثَرُ؟» فقلنا: الله ورسولُهُ أعلمُ. قالَ: «فإنَّهُ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبي عَزَّ وَجَلَّ، عَليه خَيرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوضٌ تَرِدُ عَليه أُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ، آنيتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فيُخْتَلَجُ العَبدُ مِنهُم، فأَقُولُ: رَبِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فيَقُولُ: مَا تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟».

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) البخاري (٦٥٨١).

(٣) مسلم (٤٠٠).

وفي الجنة ترعُ كذلك:

فعند أحمد بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال: «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرعَةٍ مِن تُرَعِ الجَنَّةِ»(١).

وفي الجنة عيونٌ كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥] من هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم ومنها الكافور، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾ [الإنسان:١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥، ٦].

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة (تسنيم وسلسبيل وعين الكافور) كلها معدة للمقربين، ولكنها تخلط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون يشربون منها صرفًا خالصة صافية لم تُشب (أي لم تخلط) بغيرها.

أما أصحاب اليمين فتمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودلَّ على ذلك ما ذكر من الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٢ ـ ٢٧] أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم ما هي؟ وجدت جوابًا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٨] أي يشرب منها المقربون.

فهي تمزج لأصحاب اليمين ـ الذين هم ها هنا الأبرار ـ مزجًا ويشرب بها المقربون صرفًا.

هذا، ومما ورد في ذِكر العيون أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦].

---

(١) أحمد بسند حسن (٨٧٠٦).

وفي الجنة روضات:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢]، وقال النبي ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجنَّةِ»[١].

وشجر الجنة كبير وظله ممدود:

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء:٥٧].

وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجنَّةِ لَشجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لا يَقْطعها» واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠].

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجنَّةِ شَجَرةً يَسِيرُ الرَاكِبُ الجَوادَ المُضمرَ السَّريعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقطَعُهَا»[٣].

وفي هذا الباب عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ.

فاكهة الجنة وثمرها

أما عن فاكهة الجنة وثمرها، فالجنة فيها من كل صنوف الفاكهة ما علمنا منها وما لم نعلم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥١] قيل: آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢، ٣٣] أي: لا

---

(١) البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٣) البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٨)، وقوله المُضمر (بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية) صفة للخيل المعلوف بطريقة معينة، وهي أنه تعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتًا لتخف.

تكون في وقتٍ دون وقتٍ، ولا تمنع ممن أرادها فثمارها قريبة دانية يقطفون منها كيف شاءوا.

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن:٥٤] أي أن ثمر الجنتين متدلٍ وقريب.

في الجنة السدر المخضود، والمخضود الذي قد خضد[1] شوكه أي نُزع شوكه وقطع فلا شوك فيه، والطلح المنضود (وهو الموز)، فيها ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام:٩٩].

فيها زرع ونخيل، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢].

وعمومًا ففيها من كل الثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

قال ابن القيم رحِمه الله:

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز، قال: مجاهد أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٩] وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالا غدًا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها

(١) وقيل: مخضود بمعنى موقر حملاً، أي أن الشجر قد امتلأ ثمارًا.

تجري في غير أخدود».

وقال الليث: «الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا» قال أبو إسحاق: «يجوز أن يعني به شجر أو غيلان لأن له نَوْرًا طيب الرائحة جدًا فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي ـ والله أعلم ـ».

والجنةُ بها غرفٌ وبيوت ومساكن وقصور، وكذلك بها خيام:

أما الغرف فقد قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر:٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٥].

وفي الحديث[١] عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَونَ أَهْلَ الغُرَفِ كَمَا تَرَاءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ[٢] الغَابِرَ[٣] مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ».

أما البيوت فقد قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] ولقد قال النبي ﷺ: «مِنْ بَنَى لله بَيْتًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»[٤]، وفي رواية مَسْجِدًا، والحديث بهذا متواتر[٥].

أما المساكن فقد قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢].

---

(١) مسلم (٢٨٣١)، والبخاري (٣٢٥٦).

(٢) الدري: العظيم شديد الإضاءة.

(٣) الغابر: الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٥) أعني أنه في أعلى درجات الصحة.

أما القصور ففي الصحيح[١] من حديث أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: بينا نحنُ عندَ النبيِّ ﷺ إذ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي فِي الجَنَّة، فَإِذَا امرَأَةٌ تَتَوضَّأُ إِلى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيرَتَهُ، فوَلَّيْتُ مُدْبرًا**»، فبَكَى عُمُرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله؟

وقد أُمر النبي[٢] ﷺ أن يُبشر خديجة ببيت في الجنة قصب لا صخب فيه ولا نصب.

أما الخيام فقد قال تعالى: ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ**﴾ [الرحمن:٧٢].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للمُؤمِنِ فِي الجنَّةِ لَخَيْمَةٌ مِن لُؤلُؤةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفةٍ طُولُها سِتُّونَ مِيلاً للمُؤمنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَليهِم المؤمِنُ فَلا يَرَى بَعضُهُم بَعضًا**»[٣].

وأهل الجنة: ينزلون منها حيث شاءوا ويتبوَّءون منها حيث أرادوا: ﴿**وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ**﴾ [الزمر:٧٤].

وفي الجنة كنوز لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كما في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد قال له النبي ﷺ: «**أَلا أَدُلُّك عَلَى كَلِمَةٍ مِن كُنُوزِ الجنَّةِ، أَوْ قَالَ عَلى كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجنَّةِ؟**» قال: فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوْةَ إِلا بالله**»[٤].

سُرر الجنة وفرشها ووسائدها

أما عن السُّرر والفرش، فالسُّرر مرفوعة عالية، قال تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ**﴾ [الغاشية:١٣].

وهي مصفوفةٌ كذلك، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا عن بعض، قال تعالى: ﴿**مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾ [الطور:٢٠].

---

(١) البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).
(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٤) اللفظ لمسلم (مع النووي ١٧/ ٢٧)، وللحديث طرقٌ أُخر.

وهي موضونة أيضًا (أي منسوجة) وقيل: مرصعةٌ بالجواهر.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح» ـ في تفسير الموضونة ـ:

ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة: النضيد والنسيج المضاعف يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه، ويقال درع موضونة مقاربة النسج، وقال رجل من العرب لامرأته: ضنى متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع، ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرًا فعيرًا

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

وهناك أيضًا الأرائك، وهي الأسرة (جمع سرير) في الحجال، وأشبه ما يرى في زماننا به (مع الفارق بين متاع الدنيا والآخرة) السرير الذي مع ناموسية.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الأرائك: فهي جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريرًا بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لمكن أريكة قال: ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك، وقال أبو إسحاق الأرائك: الفرش في الحجال.

قلت ههنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، والثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه، والثالث: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفي الحديث: «أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة»[1] وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

أما النمارق، وهي الوسائد فهي كثيرة مصفوفة كما قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية:١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ في تفسير الرفرف ـ:

وأما الرفرف فقال الليث: هو ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد: رفرفة وقال أبو عبيد: الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل:

وإنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف هاهنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد وقالوا: الرفرف المحابس وقالوا: فضول المحابس للفرش وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره قال الواحدي وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفًا. وقال أيضًا: قال ابن الأعرابي: الرفرف ها هنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفًا.

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف فهو رفرف في حديث ابن مسعود، في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قال: «**رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ الأُفُقَ**» وهو في الصحيح[2].

---

(١) البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).

(٢) البخاري (٤٨٥٨).

أما عن الفُرش:

فالفُرش بطائنها (أي حشوها من الداخل كالمراتب المحشوة من داخلها) من استبرق أي من حرير، فإذا كانت البطائن من حرير فكيف بالظواهر، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤].

أما السجاجيد المفروشة على الأرضيات:

فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ[1] خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وهذه هي البُسط.

قال ابن القيم في تفسير العبقري:

وأما العبقري فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري، قال: ويرون أنها أرض توشي فيه، وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال: كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَهُ»[2] وإنما أصل هذا فيما يقال أنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوبًا إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

نخال عليها جبة عبقرية ... جديرون يومًا أن ينالوا فيستعلوا

قال أبو الحسن الواحدي: وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جن الندا رواسيا أقدامها

وقال آخر يصف امرأة:

جنية ولها جن يعلمها ... رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم

---

(١) ولقد ورد في الصحيح (البخاري ٤٨٥٨)، أن النبي ﷺ في قصة رؤيته لجبريل أنه صلوات الله وسلامه عليه (رأى رفرفًا قد سدَّ الأفق).

(٢) رواه البخاري (١٩، ٧٠)، ومسلم (٢٣٩٢).

وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسمًا ونعتًا لكل ما بولغ في صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقريًا وروى سلمة عن الفراء قال: العبقري السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان، والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

قال ابن عباس: وعبقري يريد البسط والطنافس.

وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي وقال مجاهد: الديباج الغليظ وعبقري جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائمًا ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت، والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٦].

وذكر هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة و(العبقري) عتاق الزرابي وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هي البسط قال: وأهل المدينة يقولون: هي البسط، وأما النمارق فقال الواحدي: هي الوسائد في قول الجميع

واحدها: نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وقال مقاتل: هو الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي: بمعنى البسط والطنافس، واحدها: زربية في قول جميع أهل اللغة والتعبير (ومبثوثة): مبسوطة منشورة.

أما عن آنية الجنة وقدورها وصحافها.

ففيها الآنية والصحاف، وفيها الأكواب والأباريق والكؤوس، ففيها آنية من ذهب، وآنية من فضة.

وقد تقدم الحديث عن رسول الله ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِن فِضَّةٍ آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِما**»[1].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُم فِي الدُّنيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ**»[2].

ولقد قال تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ**﴾ [الزخرف:٧١]، وقال تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِءَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾ [الإنسان:١٦]، ويقول تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾ [الواقعة:١٧، ١٨].

أما عن لباس أهل الجنة وثيابهم:

فقد قال تعالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج:٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿**وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ [الإنسان:١٢]، وقال ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**»[3].

فدلَّ ذلك على أن هناكِ من يلبس في الآخرة وقد قال تعالى أيضًا: ﴿**يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ**﴾ [الدخان:٥٣]، فالسندس هو الرقيق من الديباج

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٣) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).

والاستبرق هو الغليظ من الديباج، وقال بعض أهل العلم هي نوعان من الحرير.

أما عن ألوان الثياب فمنها الأخضر:

قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ [الإنسان:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا﴾ [الكهف:٣١].

وفي الجنة مناديل:

أخرج البخاري[١] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قالَ: أُهْدِيَ للنبيِّ ﷺ جُبَّةُ سُندُس، وكانَ يَنْهى عن الحريرِ، فعَجِبَ الناسُ منها، فقالَ: «وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لمَنَادِيلُ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجنَّةِ أَحسَنُ مِن هَذَا».

وفي رواية عند البخاري[٢] من حديث البراء ابن عازبٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُتي رسولُ الله ﷺ بثَوْبٍ من حريرٍ: فجَعلُوا يَعْجَبُونَ من حُسْنه ولينه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لمَنَادِيلُ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجنَّةِ أَفضَلُ مِن هَذَا».

حلية أهل الجنة

أما عن حليتهم التي يتحلون بها فمنها أساور الذهب والفضة، وكذا فيها اللؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ [الحج:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان:٢١].

طعامُ أهل الجنة وشرابهم:

اعلم أنه ليس في الجنة جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا حر قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه:١١٨، ١١٩].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون:

وفي الصحيح[٣] أن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكُلُهُ أَهلُ الجنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حوتٍ».

---

(١) البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٢) البخاري (٣٢٤٩).

(٣) البخاري (٣٣٢٩).

وفي صحيح مسلم[١] أن يهوديًا سأل النبي ﷺ فقال فما تحفتهم[٢] حين يدخُلونَ الجنَّةَ؟ قال: «زيادةُ كبدِ النونِ» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لهم ثَورُ الجنَّةِ الذِي كَانَ يَأكُلُ مِن أطرَافِهَا» قال: فما شرابُهُمْ عليه؟ قال: «مِن عَينٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً» قال: صدقْتَ.

وفيها لحمٌ، ولحم طير كذلك:

قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١]، وتقدم أن فيها أسماك وحيتان، فتقدم أنهم يأكلون أول ما يأكلون زيادة كبد النون، وبعد ذلك ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها.

وعمومًا فلهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، وكما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

والأرض تكون خبزةً واحدة يوم القيامة نزلاً لأهل الجنة ففي الصحيحين[٣] من حديث أبي سعيدٍ الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «تكونُ الأرضُ يومَ القِيامَةِ خُبزَةً وَاحِدَةً، يَكفؤُهَا الجَبَّارُ بِيدِهِ، كَمَا يَكفَأُ أَحَدُكُم خُبزَتَه في السَّفرِ، نُزُلاً لأهلِ الجنَّةِ» قال: فأَتَى رجلٌ من اليهودِ. فقالَ: باركَ الرحمنُ عليك، أبا القاسم! ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أهْلِ الجنَّةِ يومَ القيامَةِ؟

قال: «بلَى» قال: تكُونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدةً (كما قالَ رسول الله ﷺ) قالَ: فنظَرَ إلينا رسولُ الله ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حتَّى بدت نواجِذُه. قالَ: ألا أُخْبِرُكَ بإدَامِهِمْ؟ قال: بلَى قالَ: إدَامُهُم بلامُ ونونٍ. قالُوا: وما هذا؟ قال: ثورٌ ونونٌ. يأكُلُ من زائدةِ كبدِهما سبعُونَ ألفًا.

وأهل الجنة يتلذذون بطعامهم وشرابهم، فقد قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ [الحاقة:٢٤].

---

(١) مسلم (٣١٥).

(٢) قبلها في المتن فمن أول الناس إجازةً قال فقراء المهاجرين.

(٣) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) واللفظ له.

ورزق أهل الجنة يأتيهم فيها بكرةً وعشيًا، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]، ويأتيهم كذلك في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧].

أما عن نساء أهل الجنة

فقد جاء في شأنهن ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قيل: مطهرة من الحيض والنفاس والمذي والمني والبول والتغوط والنخامة والبزاق.

وقيل: مطهرةٌ من الإثم والأذى، وقيل: مطهرات من الغلِّ والحقد والحسد والغرور.

وجاء في وصفهن أنهن حورٌ عين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٦].

قال ابن القيم رحمه الله:

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه، واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللذة بالحور العين، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك: أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي حار فيها الطرف، وعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة:

الحور البيض وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه، وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحوير التبييض والصحيح: أن الحور مأخوذة من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وفي الصحاح: الحور شدة بياض العين في شدة سوادها، امرأة حوراء: بينة الحور وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين؛ لأنهن شبهن الظباء والبقر وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين؟ قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد؛ والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والحور في العين: معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر وعين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين: جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين .

والصحيح: أن العين اللائي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها وما هناك.

وتستحب السعة منها في أربعة مواضع: وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها .

ويستحب البياض منها في أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها.

ويستحب القصر منها في أربعة: وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٥٦]، وقوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ أي: غاضات البصر إلا على الأزواج، فلا ينظرن إلى غير الأزواج.

وقوله: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ أي: لم يفض بكارتهن بجماع إنس قبلهم ولا جان.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] أي: مقيمات في الخيام لا يحببن كثرة الخروج[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله:

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع:

أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالى في الصافات: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ﴾ [الصافات: ٤٨].

والثالث: قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ﴾ [ص:٥٢].

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.

وقال أيضًا:

قال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم ذكره الفراء.

«قلت»: وهذا معنى ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله تعالى: في الخيام على هذا القول: صفة الحور أي هنَّ في الخيام.

وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا من أن يكنَّ محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى

وجاء في وصفهن أيضًا:

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨].

قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»:

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨] ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

وجاء في وصفهن:

أنهن ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قيل في تفسيرها (خيرات الأخلاق، حسان الوجوه).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح»:

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥] قيل: المعنى خلقناهن خلقًا جديدًا.

وقيل ذلك بعد أن كُنَّ في الدنيا عُجزًا شمطًا أنشأنهن الله إنشاءً بعد الكبر والهرم الذي كان في الدنيا فأصبحن أبكارًا بعد أن كُنَّ ثيبات في الدنيا، وأصبحن حسناوات بعد أن كنَّ دميمات، وأصبحن شابات بعد أن كن عُجزًا.

الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أكمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٦] أي: فصيرناهن أبكارًا بعد أن كن ثيبات.

وقال تعالى في وصفهن أيضًا **عربًا أترابًا**؛ أي: متحببات إلى أزواجهن، محسنات للتبعل، مطيعات للأزواج، وقوله: ﴿أترابًا﴾ أي: في سنٍّ واحدة.

قال ابن القيم رحمه الله:

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن، قال ابن الأعرابي: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قلت: يزيد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك ألفاظهم، وقال البخاري في صحيحه: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة، وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة.

«والعرب» المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب «بدء الخلق» وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضًا.

قال ابنُ القيم رحمه الله:

وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق أقران: أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد: أتراب أمثال، قال أبو إسحاق: أي: هن في غاية الشباب والحسن وسمي سن الإنسان وقرنه تربه؛ لأنه سن تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم.

وجاء في وصفهن كذلك:

أنهن ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣٣] والكواعب: هن النواهد جمع ناهد، قيل: والناهد والكاعب هي التي تكعب ثديها وتفلك واستدار فأصبح كالرمان ليست متدلية إلى أسفلٍ.

وجاء في وصفهن أيضًا:

من سنة رسول الله ﷺ: «**لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوسِ أَحَدِكُم مِنَ الجَنَّة أَوْ مَوضِعُ قَيْدٍ ـ يَعْنِي سَوْطَه ـ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أن امرأةً من أهلِ الجنَّةِ اطَّلعَتْ إلى أهلِ الأَرْضِ لأضاءتْ ما بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَـنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيرٌ من الدُّنيا وما فيهَا**»[1].

أما عن عدد زوجات الرجل من أهل الجنة:

فقد ورد فيها مما وقفت عليه ما يلي:

أولاً قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، وقوله ﷺ: «**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُم زَوْجَتَانِ**»[2].

---

(١) البخاري (٢٧٩٦).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

وقوله ﷺ: «**للشَّهيدِ عِندَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ.... مِنْهَا: ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِن حُورِ العِينِ**»(١).

وقوله ﷺ: «**إنَّ لِلعبدِ المُؤمنِ لَخَيْمَةً فِي الجنَّةِ مِنْ لُؤْلُؤةٍ مُجَوَّفةٍ طُولُها سِتُّونَ مِيْلاً لِلعَبْدِ المُؤمنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيهِم لا يَرَى بَعضُهُم بَعْضًا**»(٢).

وقد ورد أن الرجل في الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، ففي المسند وعند عبد بن حميد وغيره من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟

قال: «**نَعَم وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُم لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالـجِّمَاعِ والشَّهْوَةِ**».

قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال: «**تَكُوْنُ حَاجَةُ أَحَدِهِم رَشْحًا يَفِيْضُ مِن جِلُودِهِم كَرَشْحِ المِسْكِ فَيُضْمِرُ بَطْنَهُ**»(٣).

أما عن الجماع:

فقد تقدم أن الرجل من أهل الجنة ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وأخرجه البزار بسندٍ صحيح عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «**إِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ**»(٤).

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ**﴾ [يس:٥٥] إن منها جماع العذارى.

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) صحيح، أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٢٦٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧).

(٤) «كشف الأستار» (٤/ ١٩٨).

وهل تحمل النساء في الجنة؟

في الجملة ليس هناك حملٌ إلا إذا اشتهاه أهل الجنة، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**المُؤمِنُ إِذَا اشْتَهَى الوَلَدَ فِي الجَنَّةِ، كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ، كَمَا يَشْتَهِي**»[١].

وأخرج هناد ابن السري في «الزهد»[٢] بسند حسنٍ إلى أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر سدرة المنتهى، فقال: «**يَسِيْرُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ الرَّاكِبُ مِائَةَ سَنَةٍ**»، أو قال: «**يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مِائَةُ رَاكِبٍ**» شك يحيى «**فِيْهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّمَا ثَمَرُهَا القِلالُ**».

وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون:

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يأكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ**[٤]، **وَلَا يَتْفُلُونَ**[٥] **وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ**» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «**جُشَاءٌ**[٦] **وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**».

وفي رواية عن مسلم أيضا من حديث جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيْهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِن**

---

(١) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٢٨٥) بسندٍ حسن.

(٢) (١/ ٤٨)، وأخرجه الترمذي أيضًا (٧/ ٢٤٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٥).

(٤) (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها، تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون، وقد دلت دلائل القرآن والسنة، في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره؛ أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا.

(٥) (ولا يتفِلُون) بكسر الفاء وضمها، حكاهما الجوهري وغيره، أي لا يبصقون.

(٦) (جشاء) هو تنفس المعدة من الامتلاء.

طَعَامَهُم ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

خدم أهل الجنة:

أما عن خدم أهل الجنة فهم ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩].

عددهم كثير جدًا، بيضٌ شديدو البياض، لا يتغير شكلهم بتغير الزمان.

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ[1] إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

وهل في الجنة مراضع للأطفال؟

أخرج البخاري[2] في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال لما مات إبراهيم: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ».

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «حادي الأرواح»:

قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد ابن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخلود عام لكل من في الجنة فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن في هذا كاف ـ وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل ـ قال: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم التغير والهرم وفي آذانهم القرطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا في مكان واحد.

(٢) البخاري (٣٢٥٥).

وهل يتزاور أهل الجنة؟

نعم يتزاورون، ويزور بعضهم بعضًا ويتحدثون معًا بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٧].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه، يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه؟.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران: **أحدهما**: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: إنه من قول الله عز وجلَّ لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟ والصحيح القول الأول، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقوله: فاطلع، أي: أشرف، قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير، فعندها قال: تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي: إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥ـ٢٨].

وفي حديث النبي ﷺ، وإن كان به بعض الضعف: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا... ثم قال: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها[1].

وهل يخرجون من بيوتهم للفسحة والزيارة والاجتماع في أماكن أُخر ثم يرجعون إلى بيوتهم؟

فنعم إن ذلك لكائن إن شاء الله ففي الجنة مكانًا يجتمعون فيه، وهو سوق الجنة، ففي صحيح مسلم[2] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا[3] يَأْتُونَهَا كلَّ جُمعةٍ[4]، فَتَهُبُّ رِيْحُ الشَّمَالِ[5] فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابَهُم، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِم وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُم أَهْلُوهُم: وَاللهِ! لَقَدْ ازْدَدتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُم، وَاللهِ! لَقَدْ ازْدَدتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً».

أما عن سماع أهل الجنة:

فأهل الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة:٢٥] أي: باطلاً من القول، ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا أي قولٍ يجلب الآثام ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦] أي: ما يسمعونه هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

---

(١) رواه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٤٤٤)، وانظر ابن أبي شيبة (١٠٤٧٤) جـ١١ ص٤٣، ٤٢، والطبراني (٣٣٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٣٣).

(٣) (لسوقًا): المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.

(٤) (يأتونها كل جمعة) أي في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار، والسوق يذكر ويؤنث، وهو أفصح.

(٥) (الشمال) هي التي تأتي من دبر القبلة، قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب. كانت تهب من جهة الشأم وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحاب الشامية.

ويسمعون أيضًا السلام الذي يلقى عليهم، سلام من ربهم كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس:٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وسلامًا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال عددٌ من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] قالوا: الحبرة اللذة والسماع، ويحبرون أي: يسمعون ما تلذ الأذن بسماعه وتنعم بسماعه.

قال ابن القيم رحمه الله:

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلكم حين يسمعون كلام الرب جلَّ جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يُعطى أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من ذلك.

وليس فيها حرٌ ولا زمهرير:

قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ [الإنسان:١٣].

وهذه منزلة آخر أهل الجنة:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا؛ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِن النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّـةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجدتَهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّـةَ، فإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِـهَا ـ أَو إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَو تَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنتَ الـمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَة».

وفي صحيح مسلم[1] من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «آخرُ مَن يدْخُلُ الجنةَ رَجُلٌ، فهو يَمْشِي مَرةً وَيَكبُو مَرةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَها التَفَتَ إِلَيْها، فَقَال: تَبَارَكَ الَّذي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي الله شَيْئًا مَا أَعْطَاه أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فتُرْفَعُ لَهُ شَجرةٌ. فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَدْنِني مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِن مَائِهَا، فَيَقُولُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : يا ابنَ آدمَ! لعلِّي إِن أَعْطَيتُكَهَا سَألتَنِي غَيْرَها، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! وَيعاهِدُهُ أَن لَا يَسْأَلَه غَيْرَها، وَرَبُّه يعذرُهُ؛ لِأَنَّه يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فيُدْنِيْهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِن مَائِهَا، ثمَّ تُرفعُ لَه شَجَرَةٌ هِي أَحْسَنُ مِن الأُوْلَى. فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَدْنِني مِن هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِن مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غيرَها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ! ألم تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَني غيرَها؟ فَيَقُولُ: لِعَلِّي إِن أَدْنَيتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، وَرَبُّه يعذرُهُ؛ لِأَنَّه يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرفعُ لَه شَجَرةٌ عِندَ بابِ الجنَّةِ هِي أَحْسَنُ مِن الأُولَيَيْنِ. فيقولُ: أي ربِّ! أدْنِني مِن هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بظلِّها وأشْرَبَ من مائِهَا. لا أسْأَلُكَ غيرَها، فيقُولُ: يا ابنَ آدمَ! ألم تُعَاهِدْنِي أن لا تَسْأَلَني غَيْرَهَا؟ قال: بلَى يا ربِّ! هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَربُّه يعذرُهُ؛ لأنَّ يرَى مَا لَا صَبْرَ لَه عَلَيْه، فيُدْنيه مِنْهَا، فَإِذَا أَدْناهُ مِنْهَا، فيَسْمَعُ أصْوَاتَ أهلِ الجنَّةِ؛ فيقولُ: أي ربِّ! أدْخِلْنِيْهَا، فَيَقولُ: يَا ابنَ آدمَ! ما يَصريني منكَ؟ أيُرضيكَ أن أُعطيَكَ الدُّنْيَا ومثلَها معَها؟ قال: يا ربِّ! أتَسْتَهزئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العَالَـمِين؟». فضحِكَ ابنُ مسعُودٍ فقالَ: ألا تَسْأَلُوني مِمَّ أضْحَكُ؟ فقالوا: ممَّ تَضحَكُ؟ قال: هكذا ضحِكَ رسولُ الله ﷺ

(١) مسلم (١٨٧).

فقالوا: ممَّ تضحَكُ يا رسولَ الله؟ قالَ: «**مِنْ ضِحْكِ ربِّ العالمين حينَ قال: أَتَسْتَهزِئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العالمين؟ فيقولُ: إنِّي لا أَسْتَهزِئُ منكَ، ولكني على ما أشاءُ قادرٌ**».

وهل في الجنة دواب؟

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] قال بعض أهل العلم: أي: ركبانًا على الإبل، وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.

حب أهل الجنة للجنة ورضاهم بها:

وأهل الجنة يحبونها حبًا عظيمًا ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف:١٠٧، ١٠٨].

وأخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالَ: «**ما مِن عبدٍ يموتُ له عندَ الله خيرٌ يسرُّهُ أن يرجعَ إلى الدُّنيا وأنَّ له الدُّنيا وما فيها، إلاَّ الشهيدُ لِـمَا يرَى من فضلِ الشهادةِ، فإنَّه يسُرُّه أن يرْجِعَ إلى الدُّنيا فيُقْتَلَ مرَّةً أُخْرَى**».

فهم راضون بما هم فيه:

قال تعالى: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ولقد تقدم قولهم لربهم لما سألهم هل رضيتم فقالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك.

ولقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ ـ ٣٠].

وأهل الجنة في هدوء بالٍ:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٤، ٥].

دوام النعيم والعافية لأهل الجنة:

---

(١) البخاري (٢٧٩٥).

وأهل الجنة في صحة وعافية دائمًا ففي صحيح مسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُم أَن تَصِحُّوا فلا تسْقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعمُوا فلا تبْأَسُوا أبدًا» فذلِك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

ونعيم الجنة دائم لا يزول ولا يفنى ولا يبيد:

قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [البينة:٨].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤].

وفي الحديث أن مناديًا ينادي: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إِنَّ لَكُم أَنْ تَصْحُوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشُبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيَوا فِيهَا فَلا تَمُوتُوا أبدًا».

وكذلك ففي الحديث[٢] عن رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بالموتِ يَومَ القِيَامَةِ كأنَّه كبشٌ أملحُ زادَ أبو كُريبٍ فيُوقَفُ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ (واتَّفقا في باقي الحديث) فيُقَالُ: يا أهْلَ الجنَّةِ! هل تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَشرئبُونَ وينظُرُونَ ويقولُونَ: نعم هذا الموتُ قال: ويقالُ: يا أهلَ النار! هل تَعرِفُونَ هذا؟ قال: فيشرَئبُونَ وينظُرُونَ ويقولُونَ: نعم هذا الموتُ قال: فيُؤمَرُ به فيُذبَحُ. قالَ: ثُمَّ يُقَال: يا أهْلَ الجنَّةِ! خلودٌ فلا موتَ ويا أهْلَ النارِ! خلودٌ فلا موتَ» قال: ثُمَّ قرأَ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وأشَارَ بيدِه إلى الدُّنيا.

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

أما الاستثناء الواقع في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن هذا الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فإنما هم في مشيئته كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤]، فهذا دال على أن الأمور كلها بمشيئة الله.

ولا موت في الجنة:

ففي الصحيحين[١] من طريق نافع أن عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ قالَ: «يُدْخلُ اللهُ أهلَ الجَنَّةِ الجنَّةَ، ويُدْخِلُ أهلَ النَّارِ النَّارَ، ثمَّ يَقومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم فيقولُ: يا أهْلَ الجنَّةِ لا مَوتَ، وَيَا أهلَ النَّارِ لا مَوتَ، كلٌّ خَالدٌ فيما هُوَ فِيهِ».

وفي رواية في الصحيح[٢] كذلك عن عبدِ الله بن عمرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذَا صَارَ أَهْلُ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ، وَصَارَ أهلُ النَّارِ إلى النَّارِ، أُتي بالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بين الجنةِ والنارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي منادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ لا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ لا موتَ، فَيَزْدَادُ أهلُ الجَنَّةِ فَرحًا إلى فَرحِهِم وَيَزْدَادُ أَهلُ النَّارِ حُزنًا إلى حُزْنِهِم».

تكليم الله لأهل الجنة

ونعمةٌ من الله عزَّ وجل على أهل الجنة أنه يكلمهم وقد تقدمت بذلك بعض الأحاديث كقوله سبحانه: «أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أبدًا»، وكقوله ﷺ: «مَا مِنكُم مِنْ أحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يومَ القيامةِ لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَان».

ولقد قال تعالى في شأن أقوام من أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧]، فدلَّ هذا بالمفهوم على أن أهل الجنة يكلمهم الله عزَّ وجل.

وكذا فإنه سبحانه ينظر إليهم.

---

(١) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٦٥٤٤).

(٢) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٢٥٤٨).

وربهم في الجنة يُحيهم والملائكة تُحيِّهم:

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أهل الجنة، وشيئًا مما أعده لهم في جنات النعيم ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

وأفضل ما يرونه ويتلذذون برؤيته على الإطلاق رؤية وجه ربهم ذو الجلال والإكرام:

أخرج مسلم[1] من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجنَّةَ، قالَ: يقولُ الله تباركَ وتعالى: تُريدونَ شيئًا أزيدُكُم؟ فيقولونَ: ألم تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّـةَ وتُنْجِنا من النَّارِ؟ قال: فيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إلى رَبِّهِم عزَّ وجلَّ».

وفي زيادة للحديث ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

أما الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ولقاءهم به فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] قال عددٌ من أهل العلم: تنظر إلى ربها نظرًا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث[2].

---

(١) مسلم (١٨١)، وقد انتقد هذا الحديث على الإمام مسلم انتقده الدارقطني في كتابه التتبع.

(٢) حادي الأرواح.

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وقد جاء في تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وقد تقدم قريبًا.

وقوله ﷺ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم عِيَانًا».

وذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] في صحيحهما من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عند النبيِّ ﷺ فنظَرَ إلى القمرَ ليلةً ـ يعني البدرَ ـ فقال: «إِنَّكُم سَتَرَوْنَ ربَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤيتِهِ، فإنِ اسْتَطَعْتُم أَن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثمَّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم أيضًا: قوله تعالى في شأن أهل الكفر: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فالمفهوم المخالف لها أن أهل الإيمان لن يحجبوا عن رؤية ربهم عزَّ وجل.

قال ابن القيم رحمه الله:

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبَدَ الله عزَّ وجلَّ.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون.

قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عزَّ وجلَّ.

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَت صَحْوًا؟**» قلنا: لا، قال: «**فَإِنَّكُم لَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ رَبِكُم يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَتِهِما**».

وفي الباب أيضًا حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عند البخاري وغيره، وفيه: «**وَلَيلْقِيَنَّ الله أَحَدَكُم يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنهُ وَبَيْنه تُرْجُمَان يُتَرجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَم أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُوْلًا فَيُبَلِغُكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَم أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضُلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَن يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَن يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ...**» الحديث[2].

ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خيرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذا كَانَتِ الوَفَاةُ خيرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ**

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).
(٢) البخاري (٣٥٩٥).

وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةِ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَا وَالقَصْدِ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوقُ إِلَى لِقَائِكَ...» الحديث[١].

ومن الآيات الدالة على لقاء المؤمنين بربهم عزَّ وجل أيضًا ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[٢] [الانشقاق:٦].

وتكليم الله عزَّ وجل عبد الله والد جابر، فعند الإمام أحمد[٣] بسندٍ يصح لشواهده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا جَابِرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أَحْيَا أَبَاكَ» فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عليَّ، فقال أردُّ إلى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى، فقال: إِنِّي قَضَيْتُ الحُكْمَ أَنَّهُم إِلَيْها لا يُرْجَعُونَ».

وفي صحيح مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيْرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ رَبِّكُم إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أَي فُل! ألم أُكرمْكَ، وأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلى. قال فيقولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: فإني أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي، ثُم يَلْقَى الثاني فيقولُ: أَي فُل! أَلَم اكرِمْكَ،

---

(١) صحيح لغيره أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤).

(٢) وهل يرى أهل النفاق ربهم عزَّ وجل؟ الأدلة تقتضي ذلك، فقد قال تعالى في شأن أهل النفاق: ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ وفي الحديث الطويل: «.... فيأتيهم ربهم...» حديث بخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أحمد (٣/ ٣٦١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ١٠٣٧)، وانظر كذلك الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠).

(٤) مسلم (٢٩٦٨).

وَأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّر لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذْرُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بَلَى. أَي رَبِّ! فَيقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيقُولُ لَه مِثْلَ ذَلِكَ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ! أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيرٍ مَا استَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا». قَالَ: «ثمَّ يُقَالُ لَه: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَن ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عليَّ، فيُخْتَمُ عَلَى فِيْهِ، وَيُقَالُ لفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخْذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعذِرَ مِن نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المنَّافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ الله عَلَيْهِ».

وقد حكم ابن القيم رحمه الله على الأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بأنها متواترة (أي في أعلى درجة الصحة) قال رحمه الله: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة[1].

هذا، وقد احتج قوم من أهل البدع على عدم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ببعض الأدلة:

منها: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وأجيب على هذا الاستدلال بأن الإدراك غير الرؤية، فقد تحدث الرؤية ولا يحدث الإدراك، قال تعالى في شأن قوم فرعون مع قوم موسى ـ على موسى السلام ـ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك[2].

---

(١) «حادي الأرواح».

(٢) وقد استدل ابن القيم رحمه الله بهذه الآية نفسها على إثبات الرؤية فقال في كتابه «حادي الأرواح»: والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآيةٍ أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن

واستدل بعضهم على منع الرؤية كذلك بقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام لما سأله موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف:١٤٣].

قالوا: فقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ دال على عدم الرؤية وأجيب على ذلك بأن ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فقد تقدمت الأدلة التي تثبت الرؤية في الآخرة.

بيد أن ابن القيم رحمه الله تعالى استدل بالآية ذاتها على الرؤية فقال:

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيالله

كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿وما يعزب عن ربكم من مثقال ذرة﴾ أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾ أنه كامل العدل وفي قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إنا لمدركون﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كلا﴾، وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريق في البحر يبسًا لا تخاف دركًا ولا تخشى﴾ [طه: ٧٧].

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية الفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهًا له منه!!!

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦، ٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل إني لا أرى ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

ويوضحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

إحلال الرضوان على أهل الجنة:

ومن أفضل ما يعطاه المؤمنون في الجنة أن الله يُحِلُّ عليهم رضوانه؛ فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

ففي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ الله يَقُولُ لِأهلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لم تُعْطِ أَحَدًا مِن**

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

خَلقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُم أَفْضَلَ مِن ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ! وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِن ذَلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُم رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُم بعَدَهُ أبدًا».

العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ يصف جنات النعيم:

ولقد أوجز العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف الجنة، فقال في كتابه «حادي الأرواح»[1]:

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته، ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهي اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستقر بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد

---

(١) وهو كتاب قيم في وصف الجنة إلا أنه قد اعتراه كمٌ كبير من الأحاديث الضعيفة والتالفة، بل والموضوعة وكذا كمٌ كبير من الآثار التي لا تثبت بالسند عن قائليها.

السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، و إن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منه سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللائي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو

اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء، ريحًا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، فإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثها السحر الحلال وأنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طـال لم يملـل وإن هـي حـدثت ود المحـدث أنهـا لم تـوجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعًا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي أحدًا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم، وحاشاهم أن يكون فيهم دني على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار ـ جل جلاله ـ وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني: فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك

ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥].

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

وختامًا فهذا غيض من فيض في وصف جنات النعيم أجتزئ به سائلاً الله أن يجعلني وقارئي هذه الرسالة من أهل الفردوس ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا، إن ربي سميع قريب.

وما كان فيها من صواب فمن الله، فلله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل ما لا يرضيه سبحانه وتعالى.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

أشعار منتقاة
في وصف جنات النعيم

قالها ابن القيم رحمه الله تعالى

يا خاطبَ الحور الحسان لوصالهن بجنة الحيوانِ
لو كنتَ تدري من خطبتَ ومَن طَلَبْـ ـتَ بذلتَ ما تحوي من الأثمانِ
أو كنتَ تدري أين مسكنُها جَعَلْـ ـتَ السعي منك لها على الأجفانِ
ولقد وصفتُ طريق مسكنِها فإنْ رُمْتَ الوصالَ فلا تكن بالواني
أسْرِعْ وحُثَّ السير جهدك إنما مسراك هذا ساعةٌ لزمان
فاعشق وحدِّث بالوصالِ النفس وابْـ ـذُل مَهْرَها ما دُمت ذا إمكانِ

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسْمَع إذًا أوصافَها وصِفَاتِ هَا تيكَ المنازلِ ربَّةِ الإحْسانِ
هي جنةٌ طابَت وطابَ نعيمُها فنعيمها باقٍ وليسَ
دار السلامِ وجنةُ المأوى ومَنْـ ـزِلُ عسكرِ الإيمانِ
فالدار دارُ سلامةٍ وخِطابُهُم فيها سلامٌ واسمُ ذي الغفرانِ

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

دَرجاتُها مِائةٌ وما بينَ اثْنَتَيْـ ـنِ فذاكَ في التَّحقيقِ للحُسْبَانِ
مثلُ الذي بينَ السماءِ وبينَ هَا ذي الأرض قولُ الصَّادقِ البُرْهَانِ
لَكِنَّ عَالِيها هُوَ الفردَوسُ مُسْـ ـتوفٍ بِعَرْشِ الخالقِ الرَّحمنِ

فصل

في أبواب الجنة

أبوابُهَا حـــــقٌّ ثمانيـــــةٌ أتَـــتْ ... في النصِّ وهـــيَ لصـــاحبِ الإحســـانِ
بابُ الجهادِ وذاكَ أعلاهـــا وبَـــــا ... بُ الصـــومِ يُـــدْعَى البـــابُ بالريَّـــانِ
ولكلِّ ســـعـــيٍ صـــالحٍ بـــابٌ وربْ ... الســـعـــي منْـــهُ داخـــلٌ بأمـــانِ
ولسوفَ يُـــدعى المـــرءُ مـــن أبوابِهَـــا ... جَمْعًا إذا وفَّـــى حُـــلَـــى الإيمـــانِ
منهُم أبو بكـــرٍ هـــــو الصـــديقُ ذا ... كَ خـــلـــيـــفـــةُ المَبعـــوثِ بـــالقرْآنِ

فصل

في مفتاح باب الجنة

هـــذا وفَـــتْحُ البـــابِ لـــيس بمُمكِـــنٍ ... إلاَّ بِـــمفتـــاحٍ علـــى أسنـــانِ
مفتَاحُـــهُ بشـــهادَةِ الإخـــلاصِ والتَّـــ ... ـــوْحيدِ تلـــكَ شـــهادةُ الإيمـــانِ
أسنانُهُ الأعمـــالُ وَهِـــيَ شـــرائعُ الـــ ... إســـلامِ والمِـــفْـــتَـــاحُ بالأسْـــنَانِ
لا تُلْغِيَنْ هـــذا المثَـــالَ فَكَـــمْ بِـــهِ ... مِن حَلِّ إشْـــكالٍ لِـــذي العِرْفَـــانِ

فصل

في صفوف أهل الجنة

هـــذا وأن صفوفَهم عِشرونَ مَـــعْ ... مِائـــةٍ وهـــذي الأمـــةُ الثُّلُثَـــانِ
يَرْويهِ عنـــهُ بُرَيـــدْةٌ إســـنـــادُهُ ... شـــرطُ الصحـــيـــحِ بِمُسندِ الشَّـــيباني

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمـــرةٍ فوجـــوهـــهُـــم ... كالبدرِ ليـــلَ السِّتِّ بـــعـــدَ ثَمـــانِ
السَّابقونَ هـــمُ وقَـــد كـــانُوا هُـــنـــَا ... أيضًا أولِـــي ســـبقٍ إلـــى الإحسَـــانِ

فصل

في تفاضل أهل الجنةِ في الدرجاتِ العلا

ويرَى الـذين بـذَيلها مَـن فوقَهُـم مثلَ الكواكـبِ رُؤيـةٌ بعِيـانِ
مـا ذاكَ مُختصًّـا برُسـلِ اللهِ بَـلْ لهُم وللـصِّـدِّيـقِ ذي الإيمـانِ

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهُم

هذا وأعلاهُـم فـنـاظِـرُ ربِّـه في كل يـومٍ وقتُـهُ الـطـرَفَانِ
لكِـنَّ أدنـاهُمْ ومـا فـيهم دَنـي إذْ ليسَ في الجنات مِـن نُقصـانِ
فهـوَ الـذي تُلْفَـي مسـافةُ مُلْكِـه بسـنينَنا ألـفانِ كاملَتَـانِ
فيرى بهَـا أقصَـاهُ حَقًّـا مثـلَ رُؤ يَتِه لأدْنَـاهُ الـقـريـبُ الـدَّاني
أو مَـا سَـمِعْتَ بـأنَّ آخِـرَ أهلِـها يُعطيـه ربُّ العـرشِ ذو الغُفْـرانِ
أضعافَ دُنيانـا جَميعًـا عَشْـرَ أمْـ ـثَالٍ لَهَـا سُـبْحَانَ ذي الإحسَـانِ

فصل

في أنهار الجنة

أنهارُهَا في غـيرِ أخـدودٍ جَـرَتْ سُـبـحـانَ ممسكها عَنِ الفَيَضانِ
مِنْ تَحْتهم تجري كما شـاءُوا مُفَجْـ جَـرَةً ومَـا للنَّهْرِ مِـن نُقْصَـانِ
عَـسَـلٌ مُصفًى ثم مـاءٌ ثمَّ خَمْـ ـرٌ ثـم أنهارٌ مِـنَ الألبـانِ
واللهِ مـا تلـكَ المـوادُ كَهَـذه لـكـنْ هُمَا في اللَّفظ مُجْتَمعَـانِ
هَـذَا وبينـهُمَا يَسـيرُ وَهْـوَ اشْـتِراكٌ قـامَ بالأذْهَـانِ

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجه الكريم

ويرونـــه سبحانَهُ من فوقِـهـــم ... نظر العِيـــانِ كما يُـرى القَمَـرانِ
هَـذَا تـواتَرَ عـن رسـولِ الله لَـم ... يُنكره إلا فـاسِـــدُ الإيمـانِ
وأتى بـــه القـرآنُ تصـريحًا وتعْـ ... ـريضًا هُمَا بسياقِـــه نـوعانِ
وهيَ الـزيـادةُ قـد أتَتْ في يُـونُس ... تفسيرَ مَـن قـد جـاء بـالقرآنِ
ورواهُ عنـهُ مسـلمٌ بصحيحـه ... يـروي صُهيـبٌ ذا بلا كِـتمانِ
وهو المزيدُ كـذاك فسّـره أبُـو ... بَكْـرٍ هـو الصِّدِّيقُ ذو الإيقـانِ
وعليـه أصحابُ الرسـولِ وتَـابِعُو ... همْ بَعْـدَهُم تـبَـعِـيَّـةَ الإحسـانِ
ولقد أتـى ذِكـرُ اللقـاءِ لرَبِّنَـا الـرْ ... رَحْمـنِ في سـورٍ مـن الفُرقَـانِ
ولقـاؤهُ إذ ذاكَ رُؤيتُـهُ حكـى الـ ... ـإجْماعَ فيـه جماعَـةٌ ببيَـانِ
وعليهِ أصحـابُ الحـديثِ جميعُهُم ... لُغَةً وَعُـرْفًـا لـيسَ يَختَلفَـانِ
هـذا ويكفِـي أنَّـه سبحانـهُ ... وصفَ الوجـوهَ بنظـرَةٍ بجِنـانِ
وأعـاد أيضًا وصفَـهَـا نظـرًا وذا ... لا شكَّ يُفهـمُ رؤيـةً بعيـانِ
وأتت أداةُ إلى لرفْعِ الوَهْـمِ مِـنْ ... فِكـرٍ كـذاكَ تَرَقُّـبُ الإنسـانِ

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ مَـا عـلـمـتَ بأنهُ سُبحانـهُ ... حقًـا يُكلـم حِـزبَهُ بجنـانِ
فيـقـولُ جلَّ جلاله: هـل أنـتُمُ ... راضـونَ؟ قـالوا: نحـن ذو رِضـوانِ
أم كيـفَ لا نرضـى وقـد أعطيتنـا ... ما لم يَنَلْهُ قطُّ مِـنْ إنسـانِ؟
هَلْ ثَم شيءٌ غيرُ ذا يكـونُ أفْـ ... ـضَلَ منـهُ نسـألُهُ مِـنَ المَنَّـانِ؟

فيقولُ أفضلُ منهُ رِضواني فلا ... يغشاكمُ سخط مِنَ الرحمنِ
ويذكر الرحمن واحدهم بما ... قدْ كان منهُ سالفَ الأزمانِ
منهُ إليه ليسَ ثمَّ واسطةٌ ... ما ذاكَ توبيخًا من الرحمنِ
لكن يُعَرِّفُهُ الذي قد نالَهُ ... مِن فضلِهِ والعفوِ والإحسانِ
ويُسَلِّمُ الرحمنُ جل جلالُهُ ... حقًّا عليهم وهوَ في القرآنِ
وكذاكَ يُسمعهم لذيذ خِطابِهِ ... سبحانهُ بتلاوة الفُرقانِ
فكأنَّهم لم يسمعوهُ قبلَ ذا ... هذا رواهُ الحافظُ الطبراني
هذا سماعٌ مُطلقٌ وسماعُنا الـ ... ـقُرآنَ في الدُّنيا فنوع ثاني
واللهُ يُسمَعُ قولُهُ بوساطَةٍ ... وبدونِهَا نوعانِ معروفَانِ
فسماعُ موسى لَمْ يكنْ بوساطَةٍ ... وسماعُنا بتوسُّطِ الإنسانِ
مَن صيَّر النوعينِ نوعًا واحدًا ... فمُخالِفٌ للعقلِ والقرآنِ

فصل

في سوق الجنةِ الذي ينصرفون إليه من ذلكَ المجلسِ

فيقولُ جلَّ جلالُه قوموا إلى ... ما قَد ذَخَرتُ لكُم منَ الإحسانِ
يأتُونَ سوقًا لا يُباعُ ويُشترى ... فيهِ فخُذ مِنهُ بلا أثمانِ
قد أسلفَ التُّجارُ أثمانَ المبيـ ... ـعِ بعقدهم في بيعةِ الرِّضوانِ
للهِ سوقٌ قد أقامتهُ الملا ... ئكةُ الكرامُ بكلِّ ما إحسانِ
فيها الذي واللهِ لا عَيْنٌ رأتْ ... كلا ولا سمعت بهِ أذُنانِ
كلا ولم يخطرْ على قلبِ امرئٍ ... فيكونَ عنهُ مُعبِّرًا بلسانِ
فيرى امرأً من فوقِهِ في هيئةٍ ... فَيَروعُه ما تنظُرُ العَينَانِ
فإذَا عليه مثلُها إذ لَيْس يَلْـ ... ـحَقُ أهْلَهَا شَيءٌ مِن الأحْزانِ
واهًا لذا السُّوقِ الذي مَنْ حَلَّهُ ... نالَ التهانيَ كُلَّها بأمَانِ
يُدعَى بسوقِ تَعَارُفٍ ما فِيهِ مِنْ ... صَخَبٍ ولا غِشٌّ ولا أيْمَانِ

وتجارةٌ مَنْ ليسَ تُلْهيه تجَا ... رَاتٌ ولا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمنِ
أهلُ المُرُوَّةِ والفُتُوَّة والتُّقَى ... والذِّكْرِ للرحمنِ كلُّ أوانِ
يا مَن تعوَّضَ عنهُ بالسوقِ الذي ... رُكِزَتْ لديه رايةُ الشيطانِ
لو كنتَ تدري قدرَ ذاك السوقِ لَم ... تَرْكَنْ إلى سوقِ الكَسَادِ الفَانِي

فصل

في خلود أهل الجنةِ ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم، واستحالة الموتِ والنومِ عليهم

هذا وخاتمةُ النعيمِ خلُودُهُم ... أبدًا بدارِ الخُلدِ والرضوانِ
أو مَا سمعتَ مُنادِيَ الإيمانِ يُخْـ ... ـبِرُ عَنْ مُنَادِيهم بحُسنِ بَيَانِ
لكَمُ حياةٌ ما بِهَا موتٌ وعا ... فِيَةٌ بلا سَقَمٍ ولا أحزانِ
ولَكُم نعيمٌ ما بهِ بُؤسٌ وَمَا ... لِشَبَابِكُمْ هرَمٌ مَدَى الأزْمَانِ
كلاَّ ولا نومٌ هُنَاكَ يكونُ ذَا ... نومٌ وموتٌ بيننَا أخوانِ
هذا علِمْنَاهُ اضطرارًا من كِتَا ... بِ اللهِ فافْهَمْ مُقْتَضَى القرآنِ
والجهمُ أفْنَاهَا وأفنى أهْلَهَا ... تَبًّا لذاك الجاهلِ الفَتَّانِ
طردًا لنَفْيِ دوامِ فعلِ الربِّ في الـ ... ـماضِي وفي مُستقبلِ الأزْمَانِ
وأبو الهُذَيْل يقولُ يَفْنَى كلُّ مَا ... فِيهَا منَ الحرَكَاتِ للسُّكَّانِ
وتصيرُ دارُ الخُلْدِ مع سُكَّانِهَا ... وثِمَارِهَا كحجَارةِ البُنيانِ
قالوا ولولا ذاكَ لم يَثْبُتْ لنا ... ربٌّ لأجْلِ تسلسُلِ الأعيانِ
فالقومُ إما جاحدونَ لربِّهِم ... أو مُنْكِرُونَ حقائقَ الإيمانِ

وبهذا القدر من وصف الجنة نجتزى ... جعلنا الله من أهل الفردوس

❁❁❁

س: اذكر بعض الأدلة على التنبيه بالأدنى على الأعلى، من الكتاب والسنة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] فإذا كان هذا عرضها، فكيف بطولها؟!

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] فكيف بالذي لا يصلي.

وقوله ﷺ لمن يتوضأ ولا يحسن الوضوء: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» فكيف بالذي لا يتوضأ من الأصل!

وكذا الذي يصلي في جماعة، ولكنه يرفع رأسه قبل الإمام ورد فيه: «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه إلى وجه حمار**». فكيف بالذي لا يصلي.

❁❁❁

س: هل يجامع الجنُّ النساء؟

ج: لم أقف في ذلك على شيءٍ صريح في الكتاب والسنة ولكن قد يفهم من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أن الجن قد يطمث.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الرجل إذا جامع ولم يسمِّ انطوى الجن على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**أما إن أحدكم إذا رأى أهله فقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقدر بينهما ولد ولم يضرُّه شيطان**»[1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها

---

(١) البخاري مع الفتح (٩/ ٢٢٨) ومسلم (ج ١٠/ ٥).

جنِّيات . قال ضمرة : للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين ، فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجن . وقيل: أي: لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جنٌّ، ولم يطمث ما وهب الله للمومنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس ، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا . ذكره القشيري .

ثم قال القرطبي رحمه الله : وأنه جائز أن تطأ (أي الجن) بنات آدم .

قال الطبري رحمه الله :

فإن قال قائل : وهل يجامع النساءَ الجنّ؟ فيقال :﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾؟ فإن مجاهدًا روى عنه ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا يحيى بن يعْلَى الأسلمي عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : إذا جامع الرجل ولم يسمّ ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ .

❁❁❁

س : هل الجن يدخلون الجنة ؟

ج : نعم وهناك من الأدلة ما يشعر بذلك ، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ..﴾ [الكهف:١٠٧].

وهذا عام في كل مؤمن وعمل الصالحات.

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢].

❁❁❁

س : لماذا شبهت الحور العين بالياقوت ؟

ج : شبهت بالياقوت لصفائهن وبياضهن وحسنهن .

❁❁❁

س: هل ورد شيء من الأثر في وصف الحور العين ؟

ج : أورد الطبري جملة من الآثار في ذلك ، وها هي مع بعض الكلام على أسانيدها ، قال رحمه الله : حدثني محمد بن حاتم ، قال: ثنا عبيدة ، عن حُميد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : «**إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومُخُّها ، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أما الياقوت فإنه لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه**»[١] .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : ثنا ابن علية، عن عطاء بن السائب، عن عمرو ابن ميمون، قال : قال ابن مسعود : إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر»[٢] .

قال: ثنا ابن علية، قال : ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ في بياض المرجان[٣] .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : « إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة ، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء »[٤]

وعن قتادة ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذُكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ قال: «**من دخل الجنة فله فيها زوجتان يُرى مخُّ سُوقِهما من وَرَاءِ ثيابهما**»[٥] .

---

(١) أُعل بالوقف ، فالموقوف الذي بعده أصح منه .

(٢) موقوف صحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) صحيح عن الحسن .

(٤) صحيح عن عمرو بن ميمون .

(٥) حسن عن قتادة .

عن قتادة ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ في صفاء الياقوت وبياض المرجان[١] .

وعن ابن زيد، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال : كأنهنّ الياقوت في الصفاء ، والمرجان في البياض ، الصفاء : صفاء الياقوتة ، والبياض : بياض اللؤلؤ[٢] .

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ يقول تعالى ذكره : هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله ، وأطاع ربه ، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربُّهُ ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ... إلى قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ .

قال السعدي رحمه الله :

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده ، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل ، والفوز الكبير ، والنعيم ، والعيش السليم .

❁❁❁

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ؟

ج : قال بعض العلماء: المعنى، وأقل من الجنتين المذكورتين في الفضل جنتان أخريان، وقيل: ومن دونهما في الدرج.

❁❁❁

(١) صحيح بمجموع طرقه عن قتادة .

(٢) صحيح عن ابن زيد .

س : ما الفرق بين الجنتين الأوليين والجنتين الأخيرتين المذكورتين؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: ومن دونهما في الدَّرَج. ابن زيد: ومن دونهما في الفضل . ابن عباس: والجنات لمن خاف مقام ربه ، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط. الماوردي : ويحتمل أن يكون ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحور العين، والأخرى للولدان المخلّدين ، ليتميز بهما الذكور عن الإناث ، وقال ابن جريج : هي أربع : جنتان منها للسابقين المقرّبين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢] و﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وجنتان لأصحاب اليمين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨] و﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] ، وقال ابن زيد : إن الأوليين من ذهب للمقرّبين، والأُخريين من ورِق لأصحاب اليمين.

قلت : إلى هذا ذهب الحَلِيمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب «منهاج الدين له» ، واحتج بما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] إلى قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال : تانك للمقرَّبين ، وهاتان لأصحاب اليمين . وعن أبي موسى الأشعري نحوه . ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦] أي: فوّارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري . وقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢] فعمّ ولم يخصّ ، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨] ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] وهو الديباج، وفي الأخريين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن : ٧٦] والعبقري الوَشْي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرفرف كِسَر الخِباء ، ولا شك أن الفرش المعدّة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخِباء .

وقال في الأوليين في صفة الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وفي الأخريين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان. وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الأخريين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: خضراوان كأنهما من شدّة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان، والأخريين بالخضرة وحدها، في هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر. فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى. ومذهب الضحاك أن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والأخريين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأوليين.

وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: ومن أمامهما ومن قِبلهما. وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» فقال: ومعنى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: دون هذا إلى العرش، أي: أقرب وأدنى إلى العرش، وأخذ يفضلهما على الأوليين بما سنذكره عنه. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى.

❁❁❁

س: ما المراد بالعينين؟

ج: من العلماء من قال: العينان إحداهما سلسبيل والأخرى تسنيم.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾؟

ج: قيل: معناه فوّارتان، وقيل: المعنى نضاختان بالخير والبركة، وقيل نضاختان بالمسك والكافور والعنبر وسائر أنواع الطيب.

❁❁❁

س : لماذا ذُكر النخل والرمان مع أنهما من الفاكهة ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك لبيان أهمية ذلك الخاص .

قال الطبري رحمه الله :

وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ؛ وقد ذُكر قبل أن فيهما الفاكهة ، فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة.

وقال آخرون : هما من الفاكهة ؛ وقالوا : قلنا هما من الفاكهة؛ لأن العرب تجعلهما من الفاكهة ، قالوا : فإن قيل لنا: فكيف أعيد وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه ؟ قلنا : ذلك كقوله ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة ، ثم أعاد العصر تشديدًا لها ، كذلك أعيد النخل والرمَّان ترغيبًا لأهل الجنة. وقال : وذلك كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:١٨]، ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج:١٨]، وقد ذكرهم في أوّل الكلمة في قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

ج : قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ « حُورٌ » جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وقد تقدم . ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ محبوسات مستورات « في الخيام » في الحجال لسن بالطوّافات في الطرق .

❁❁❁

تفسير سورة الواقعة

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ
عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

س : وضّح معنى ما يلي:

﴿وَقَعَتِ ـ ٱلْوَاقِعَةُ ـ كَاذِبَةٌ ـ خَافِضَةٌ ـ رَّافِعَةٌ ـ رُجَّتِ ـ رَجًّا ـ وَبُسَّتِ ـ بَسًّا ـ هَبَآءً ـ مُّنۢبَثًّا ـ أَزْوَٰجًا ـ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ـ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ـ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ـ ٱلْمُقَرَّبُونَ ـ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ـ ثُلَّةٌ ـ سُرُرٍ ـ مَّوْضُونَةٍ ـ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا ـ مُتَقَٰبِلِينَ ـ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ـ بِأَكْوَابٍ ـ وَأَبَارِيقَ ـ وَكَأْسٍ ـ مَّعِينٍ ـ لَّا يُصَدَّعُونَ ـ وَلَا يُنزِفُونَ ـ يَتَخَيَّرُونَ ـ يَشْتَهُونَ ـ وَحُورٌ عِينٌ ـ ٱلْمَكْنُونِ ـ لَغْوًا ـ تَأْثِيمًا ـ قِيلًا ـ سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَعَتِ﴾	نزلت ـ حلّت.

﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾	صيحة القيامة ـ (اسم من أسماء يوم القيامة) كما قال تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:١٥].
﴿كَاذِبَةٌ﴾	نفسٌ تكذبها، تنكرها ـ تكذيب ـ ردٌ رجعةٌ (أي لارجوع فيها بل هي لا بد كائنة).
﴿خَافِضَةٌ﴾	مُهبطة ، خافضة لأقوام كانوا في الدنيا أعزاء .
﴿رَّافِعَةٌ﴾	رافعة لأقوامٍ كانوا في الدنيا وضعاء.
﴿رُجَّتِ﴾	زلزلت ـ اهتزت ـ اضطربت.
﴿رَجًّا﴾	زلزلةً ـ اهتزازًا ـ اضطرابًا ـ زلزالًا.
﴿وَبُسَّتِ﴾	فُتِّتت ـ صارت كالدقيق المبسوس. (١)
﴿بَسًّا﴾	تفتيتًا.
﴿هَبَآءً﴾	شعاع الشمس الذي يدخل من الكوَّة كهيئة الغبار ، وقيل: وهج الدواب ـ وقيل ما تطاير من شرر النار وليس له تأثير. يبس الأشجار الذي تذروه الرياح يمينًا وشمالًا .
﴿مُّنۢبَثًّا﴾	متفرقًا.
﴿أَزْوَٰجًا﴾	أصنافًا ـ أنواعًا ـ منازل الناس يوم القيامة.
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾	أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يتلقون كتبهم باليمين كذلك.
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾	أصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وهم أيضًا الذين يتلقون كتبهم بالشمال.
﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾	السابقون إلى الإيمان بالله ورسوله ، والسابقون إلى الجمع والجماعات وفعل الخيرات، ومنهم المهاجرون الأولون ـ وقيل: هم أهل القرآن ، وقيل: هم الأنبياء عليهم السلام.

(١) كما في الآية الكريمة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾	الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.
﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	بساتين النعيم المقيم.
﴿ثُلَّةٌ﴾	جماعة.
﴿سُرُرٍ﴾	جمع سرير.
﴿مَّوْضُونَةٍ﴾	منسوجةٌ بالذهب ـ متداخلةٌ (أُدخل بعضها في بعض)، وقيل: موضونةٌ لأنها مشبكة بالذهب والجوهر ، مُرمَّلة بالذهب والدُّر والياقوت وقيل: مصفوفة.
﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾	أي: على تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار.
﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾	ينظر بعضهم إلى وجه بعض (لا إلى القفا).
﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾	في سنٍّ واحدةٍ لا يتغيرون ـ لا يشيبون لا يموتون ـ مُقرَّطون (أي لابسوا القُرط والخاتم، والقرط هو الحلق) ـ مسورون (لابسوا الأساور).
﴿بِأَكْوَابٍ﴾	جمع كوب ، وهو ما اتسع رأسه ولم يكن له خرطوم ، ولا يد ، ولا آذان.
﴿وَأَبَارِيقَ﴾	هي التي لها آذان [1].
﴿وَكَأْسٍ﴾	كأس خمرٍ.
﴿مَّعِينٍ﴾	شراب معين أي ظاهر العين جار ، وقوله : ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي كأس من عين خمر جاريةً ظاهرةً .
﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾	لا تصاب رءوسهم بالصداع فيسكرون.
﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾	لا تستنزف عقولهم ـ لا تذهب بعقولهم، وقيل: لا ينفذ شرابهم. [2]
﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾	يختارون لأنفسهم.

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : قوله : ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ والأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم ، وهي أصغر من الأباريق.

(٢) أخرج الطبري أيضًا بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ قال: لا يغلب أحد على عقله.

﴿يَشْتَهُونَ﴾	تشتهيه نفوسهم.
﴿وَحُورٌ﴾	الحور جمع حوراء ، وهي ذات العين الشديدة السواد النقية البياض، وقيل: أطلق عليها (حور) لكون الطرف يحار فيها من شدة حسنها.
﴿عِينٌ﴾	جمع عيناء ، وهي النجلاء العين (واسعة العين) في حُسن .
﴿ٱلْمَكْنُونِ﴾	المحفوظ في كنٍّ .
﴿لَغْوًا﴾	باطلًا من القول
﴿تَأْثِيمًا﴾	شيئًا يجلب الإثم.
﴿قِيلًا﴾	قولًا.
﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾	أمانًا ـ أسلم ما تكره.

❁❁❁

س : اذكر باختصار ما تضمنته سورة الواقعة ؟

ج : هذه السورة الكريمة فيها الحديث عن القيامة وبعض أحوالها وأهوالها وأحوال الناس فيها وأنهم في الجملة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، أهل الجنة قسمان : أعلاها وأفضلها المقربون جعلنا الله منهم ، ثم أصحاب اليمين.

أما أهل النار فهم قسم واحد وهم أصحاب الشمال المكذبون الضالون فانتظمت السورة الكريمة هؤلاء الأصناف الثلاثة وبينت بعض أحوالهم وما أُعد لهم.

وفي ثنايا هذه السورة المباركة الكريمة استدلالات على البعث والنشور وأنه آت لا محالة ، وبيان لقدرة الله عزَّ وجلَّ وبعض مظاهرها وآثارها ، ثم قسم عظيم من الله العظيم على أمرٍ عظيم ألا وهو أن هذا القرآن كريم وأنه محفوظ في كتاب مكنون لا تناله أيدي عابثة ولا تقربه الشياطين ، ثم ختام ببيان حال المرء عند الاحتضار وعجز من حوله عن نفعه بشيء ثم ختام بمثل ما بُدئت به من بيان أحوال الناس ومراتبهم ومنازلهم يوم القيامة. سلّمنا الله من كل شر ومكروه وجعلنا الله من السابقين المقربين.

❁❁❁

س : ما مدى صحة هذه الأحاديث ؟

١ ـ شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات ...

٢ ـ من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقةٌ أبدًا.

٣ ـ كان ﷺ يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور.

ج : أما حديث شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات... فكل طرقه ضعيفةٌ ، ولا أراه يثبت عن النبي ﷺ وكذلك حديث من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقةٌ أبدًا فهو حديث ضعيف كذلك ، أما حديث كان يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور فأخرجه أحمد [1] في مسنده بسندٍ حسن من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « الواقعة » ونحوها من السور.

❁❁❁

س : لماذا أُطلق على يوم القيامة « الواقعة » ؟

ج : قال بعض العلماء : أطلق عليها ذلك لتحقق وقوعها.

وقال آخرون : ذلك لكثرة ما يقع فيها من الشدائد والأهوال.

قال السمعاني في تفسيره : قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ معناه : إذا كانت القيامة ، وهذا قول عامة المفسرين . وسميت القيامة واقعة ؛ لأنه لا بد من وقوعها . والعرب تسمي كل متوقع لابد منه واقعًا ، وقال الضحّاك: الواقعة ها هنا هي الصيحة لموت الخلائق . وقيل : سميت القيامة واقعة ؛ لكثرة ما يقع فيها من الشدة . وعن بعضهم : لأنها تقع على غفلة من الناس.

❁❁❁

س : في قوله تعالى :﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ مقدر محذوف، وضّحه.

ج : قال بعض أهل العلم ، هو قوله : ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ فالمعنى اذكروا إذا وقعت الواقعة ، أي تذكروا يوم تقوم القيامة.

(١) أحمد (٥/ ١٠٤).

س : أين جواب قوله تعالى :﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم جواب ذلك في قوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : إذا قامت القيامة فإنها ترفع أقوامًا وتخفض آخرين.

وقال آخرون ، بل جواب ذلك قوله : ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ...﴾ فيكون المعنى إذا وقعت الواقعة فهناك أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة وهناك السابقون السابقون.

❁❁❁

س : متى تقع الواقعة ؟

ج : ذلك حين ينفخ في الصور يوم القيامة.

❁❁❁

س : اذكر بعض أسماء يوم القيامة؟

ج : من تلك الأسماء ما يلي :

الصاخة ـ الواقعة ـ الحاقة ـ الطامة الكبرى ـ الآزفة ـ القارعة ـ يوم الدين ـ يوم الفصل ـ يوم التلاق ـ يوم الجمع ـ الساعة ـ القيامة.

❁❁❁

س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى :﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله : ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي : [ليس] لوقوعها إذا أراد الله كونها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٧] ، وقال : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج:١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣].

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان): وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ فيه أوجه من التفسير معروفة عند العلماء كلها حق ، وبعضها

يشهد له قرآن.

الوجه الأول : أن قوله كاذبة مصدر جاء بصفة اسم الفاعل ، فالكاذبة بمعنى الكذب كالعافية بمعنى المعافاة ، والعاقبة بمعنى العقبى ، ومنه قوله تعالى عند جماعات من العلماء : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] قالوا معناه لا تسمع فيها لغوًا ، وعلى هذا القول ، فالمعنى ليس لقيام القيامة كذب ولا تخلف بل هو أمر واقع يقينًا لا محالة. ومن هذا المعنى ، قولهم : حمل الفارس على قرنه فما كذب ، أي ما تأخر ولا تخلف ولا جبن.

ومنه قول زهير :

ليثُ يَعْثُرَ يَصْطَادُ الرِّجالَ إذَا ... مَا كذب الليثُ عن أقرانه صَدَقَا

وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء:٨٧] الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج:٧] ، وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٩] ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧].

الوجه الثاني : أن اللام في قوله : لوقعتها ظرفية ، وكاذبة اسم فاعل صفة لمحذوف أي ليس في وقعة الواقعة نفس كاذبة بل جميع الناس يوم القيامة صادقون بالاعتراف بالقيامة مصدقون بها ليس فيهم نفس كاذبة بإنكارها ولا مكذبة بها . وهذا المعنى تتشهد له في الجملة آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء:٢٠١] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥] . وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦] ، وباقي الأوجه قد يدل على معناه قرآن ولكنه لا يخلو من بعد عندي ، ولذا لم أذكره ، وأقربها عندي الأول.

❁❁❁

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله :﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

ج : قال ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ، أي : تخفض أقوامًا إلى

أسفل السافلين إلى الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى علّيين إلى النعيم المقيم ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء .

قال الشنقيطي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾:

خبر مبتدأ محذوف أي: هي خافضة رافعة ، ومفعول كل من الوصفين محذوف .

قال بعض العلماء : تقديره هي خافضة أقوامًا في دركات النار ، رافعة أقوامًا إلى الدرجات العلى إلى الجنة ، وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [طه:٧٦] وقوله تعالى : ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٢١] ، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة. **وقال بعض العلماء** : تقديره خافضة أقوامًا كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقوامًا كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. **وقال بعض العلماء** : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢] . رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف:٤٧] ، فقوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل:٨٨] . وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن. وقد صرح تعالى بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضًا يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ [الحاقة:١٣ ـ ١٤] الآية .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب

الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا ، وقد قدمنا مرارًا أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع.

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى :﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾: قال عِكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعتْ من نأى، يعني أسمعت القريب والبعيد . وقال السُّدِّي : خفضت المتكبّرين ورفعت المستضعفين. وقال قتادة : خفضت أقوامًا في عذاب الله ، ورفعت أقوامًا إلى طاعة الله . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خفضت أعداء الله في النار ، ورفعت أولياء الله في الجنة . وقال محمد بن كعب : خفضت أقوامًا كانوا في الدنيا مرفوعين ، ورفعت أقوامًا كانوا في الدنيا مخفوضين . وقال ابن عطاء : خفضت أقوامًا بالعدل ، ورفعت آخرين بالفضل . والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة ، والعز والمهانة . ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسُّعًا ومجازًا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل ، يقولون : ليلٌ نائمٌ ونهار صائم . وفي التنزيل : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده ، فرفع أولياءه في أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه في أسفل الدركات . وقرأ الحسن وعيسى الثقفي﴿خَافِضَةً رَّافِعَةً ﴾ بالنصب . الباقون بالرفع على إضمار مبتدإ ، ومن نصب فعلى الحال . وهو عند الفراء على إضمار فعل ، والمعنى : إذا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. لَيسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ـ وقعت : خَافِضَةً رَافِعَةً . والقيامة لا شك في وقوعها ، وأنها ترفع أقوامًا وتضع آخرين على ما بيناه.

وقال السعدي رحمه الله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾:

أي : خافضة لأناس في أسفل سافلين ، رافعة لأناس في أعلى عليين . أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب ، ورفعت ، فأسمعت البعيد.

❁❁❁

س : اذكر ـ بمزيد من الإيضاح ـ معنى قوله تعالى :﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾؟

ج : قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان): وقوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ

بَسًّا﴾ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضًا وكلها حق، وكلها يشهد له قرآن. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها أوجه كلها حق وكلها يشهد له قرآن، فنذكر جميع الأوجه وأدلتها القرآنية.

قال أكثر المفسرين: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فتت تفتيتًا حتى صارت كالبسيسة ، وهي دقيق ملتوت بسمن ، ومنه قول لص من غطفان أراد أن يخبز دقيقًا عنده فخاف أن يعجل عنه ، فأمر صاحبيه أن يلتاه ليأكلوه دقيقًا ملتوتًا ، وهو البسيسة.

لا تخبزا خبزًا وبسابسا ولا تطيلا بمناخ حبسا

وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[المزّمل:١٤] فقوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي رملًا متهايلًا. ومنه قول امرئ القيس:

وَيوْمًا عَلى ظَهْرِ الْكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ عَلَي وَآلَتْ حلْفَةً لَمْ تحلل

ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة ، فقوله: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ مطابق في المعنى لتفسير﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ بأن بسّها هو تفتيتها وطحنها كما ترى. وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق ، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن ، كقوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥] ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج:٨ ـ ٩] وأصل العهن أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة ؛ ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلّقته :

كَأَنَّ فتَاةَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يحْطَمِ

وقال بعضهم: الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ،فإذا بست وفتتت يوم القيامة وطيرت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح في الهوى ، وهذا الوجه يدل عليه ترتيب كينونتها هباء منبثًّا بالفاء على قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ لأن الهباء هو ما ينزل من الكوة من شعاع الشمس إذا قابلتها: ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ أي متفرقًا ، ووصفها بالهباء المنبث أنسب لكون البس بمعنى التفتيت والطحن.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي سيرت بين السماء

والأرض ، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسييرها من قول العرب : بست الإبل أبسها ، بضم الباء وأبسستها أبسها بضم الهمزة وكسر الباء ، لغتان بمعنى سقتها ، ومنه حديث : « **يخرج أقوام من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** ». وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ [الكهف:٤٧] الآية ، وقوله: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور:١٠]. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل:٨٨] .

الوجه الثالث : أن معنى قوله : ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ نزعت من أماكنها وقلعت ، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة ، وأطوارها ، بالآيات القرآنية ، وفي سورة طه في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه:١٠٥] ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ:٢٠] ، والهباء إذا انبث ، أي تفرق ، واضمحل وصار لا شيء ، والسراب قد قال الله تعالى فيه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩]

❁❁❁

س : الناس في الآخرة ـ على وجه الإجمال ـ ثلاثة أصناف ، وضحها مع الدليل؟

ج : الأصناف الثلاثة هم: السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال (وهم أصحاب المشأمة).

فالصنفان الأولان من أهل الجنة ، والثالث أهل النار، عياذًا بالله من أهل النار.

وقد قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾. ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾. ونحوه في سورة الإنسان ، وفي سورة المطففين.

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : وقوله : أزواجًا : أي أصنافًا ثلاثة ، ثم بين هذه الأزواج الثلاثة بقوله : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ

ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أما أصحاب الميمنة فهم أصحاب اليمين ، كما أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ الآيات ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ الآيات.

❁❁❁

س : من المعنيون بأصحاب الميمنة ؟

ج :هم أكثر أهل الجنة ، وهم أهل المرتبة الثانية من أهل الجنة وقبلهم السابقون المقربون.

قال الشنقيطي رحمه الله: قال بعض العلماء : قيل لهم أصحاب اليمين لأنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم. وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات اليمين إلى الجنة. وقيل : لأنهم عن يمين أبيهم آدم ، كما رآهم النبي ﷺ كذلك ليلة الإسراء . وقيل سموا أصحاب اليمين، وأصحاب الميمنة لأنهم ميامين ، أي مباركون على أنفسهم ، لأنهم أطاعوا ربهم فدخلوا الجنة ، واليمن البركة.

قال ابن الجوزي (في زاد المسير) : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ قال الفراء : عجَّب نبيه ﷺ منهم ؛ والمعنى: أي شيء هُمْ ؟! قال الزجاج : وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب ، ومجراه من الله عزَّ وجلَّ في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم ، ومثلُه ،﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ ؛ قال ابن قتيبة : ومثلُه أن تقول : زَيدٌ ما زَيدٌ أي رجُل هو.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله :﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ ؟

ج : هذا تعجّبٌ لبيان ما هم فيه من عظيم الثواب وجميل الأجر.

يعجِّب الله نبيه ﷺ مما أُعد لهؤلاء من الفضل والكرامة .

قال الشنقيطي رحمه الله : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ما أصحاب الميمنة، وقوله : ما أصحاب المشأمة ، استفهام أريد به التعجب من شأن هؤلاء في

السعادة ، وشأن هؤلاء في الشقاوة ، والجملة فيهما مبتدأ وخبر ، وهي خبر المبتدأ قبله، وهو أصحاب الميمنة في الأول وأصحاب المشأمة في الثاني. وهذا الأسلوب يكثر في القرآن نحو الحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة . والرابط في جملة الخبر في جميع الآيات المذكورة هو إعادة لفظ المبتدأ في جملة الخبر كما لا يخفى ، وقوله : والسابقون لم يذكر فيه استفهام تعجب كما ذكره فيما قبله ، ولكنه ذكر في مقابلة تكرير لفظ السابقين.

والأظهر في إعرابه أنه مبتدأ وخبر على عادة العرب في تكريرهم اللفظ وقصدهم الإخبار بالثاني عن الأول ، يعنون أن اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف ومنه قول أبي النجم :

أنا أبو النجم وشعري شعري للّه دري ما أجن صدري

فقوله: وشعري شعري يعني شعري هو الذي بلغك خبره ، وانتهى إليك وصفه.

❁❁❁

س : لماذا أطلق على أصحاب المشأمة أصحاب المشأمة ؟

ج : أما أصحاب المشأمة فهم أصحاب الشمال وقيل عنهم أصحاب المشأمة لأنهم مشائيم على أنفسهم جلبوا لها العار وأحلوا بها الشنار وأورثوها الجحيم.

قال الشنقيطي رحمه الله : قيل : لأنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم. وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمي الشمال شؤمًا ، كما تسمي اليمين يمينًا، ومن هنا قيل لهم أصحاب المشأمة أو لأنهم مشائيم على أنفسهم : فعصوا الله فأدخلهم النار ، والمشائيم ضد الميامين ، ومنه قول الشاعر :

مَشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعب إلا بين غِرَابها

❁❁❁

س : لماذا كرر قوله :﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ؟

ج : **قال ابن الجوزي رحمه الله في (زاد المسير)** :وفي إعادة ذِكْرِهم قولان:

أحدهما :أن ذلك للتوكيد.

والثاني : أن المعنى : السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمة الله ، ذكره الزجاج.

❁❁❁

س : ما المراد بالأولين والآخرين في قوله تعالى :﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالأولين الأولون من أمة محمد ﷺ والآخرين: آخر هذه الأمة.

الثاني : أن المراد بالأولين الأمم المتقدمة والآخرين هم أمة محمد ﷺ.(١)

الثالث : أن المراد بالأولين الأولون من كل أمةٍ والمراد بالآخرين الآخرون من كل أمةٍ.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

وقد اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلة من الأولين ، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا ، كما اختلفوا في الثلتين المذكورتين في قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ . فقال بعض أهل العلم : كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة ، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة. وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﷺ: « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الحديث . والذين قالوا : هم كلهم من هذه الأمة ، قالوا : إنما المراد بالقليل ، وثلة من الآخرين ، وهم من بعد ذلك إلى قيام الساعة. وقال بعض العلماء : المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة ، والمراد بالآخرين فيهما هو هذه الأمة . قال مقيده عفا الله عنه ، وغفر له : ظاهر القرآن في هذا المقام : أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية ، والآخرين فيهما من هذه الأمة ، وأن قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ في السابقين خاصة ، وأن قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ في أصحاب اليمين خاصة. وإنما قلنا: هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم ، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين ، وكون ثلة من الآخرين

---

(١) واحتج لهذا بقوله ﷺ :« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ».

في خصوص أصحاب اليمين لأنه واضح من سياق الآيات.

أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة ، لأن قوله : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ إلى قوله ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة ، وأن الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء. فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ عام في جميع أهل المحشر ، فظهر أن السابقين وأصحاب اليمين منهم من هو من الأمم السابقة ، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلى هذا ، فظاهر القرآن ، أن السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة ، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة ، لأنه عبر في السابقين من هذه الأمة بقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وعبر عن أصحاب اليمين من هذه الأمة﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾. ولا غرابة في هذا ، لأن الأمم الماضية أمم كثيرة . وفيها أنبياء كثيرة ورسل ، فلا مانع من أن يجتمع من سابقيها من لدن آدم إلى محمد ﷺ أكثر من سابقي هذه الأمة وحدها.

أما أصحاب اليمين من هذه الأمة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم ، لأن الثلة تتناول العدد الكثير ، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أنهما كلاهما كثير. ولهذا تعلم أن ما دل عليه ظاهر القرآن واختاره ابن جرير ، لا ينافي ما جاء من أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة.

فأما كون قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ﴾ دل ظاهر القرآن على أنه في خصوص السابقين ، فلأن الله قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ثم قال تعالى ـ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين ـ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

وأما كون قوله : ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ في خصوص أصحاب اليمين ، فلأن الله تعالى قال: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ ، والمعنى: هم ـ أي أصحاب اليمين ـ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، وهذا واضح كما ترى.

قال السمعاني في تفسيره : قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي : جماعة من الأولين ،

ولفظ الثلة مأخوذ من الثل وهو القطع. وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ اختلف أهل التفسير فيه على القولين : أحدهما: أن المراد من الأولين هم أتباع الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ هم من أمة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أنهما جميعًا من هذه الأمة ، وقد روى هذا في خبر مرفوع ، وهو قول الحسن وابن سيرين . فإن قيل على القول الأول : كيف يستقيم هذا ، وأتباع الرسول من المؤمنين أكثر من أتباع الأنبياء ؟ والجواب : أن المراد من الأولين: هو مَنْ رأى جميع الأنبياء وآمن بهم ، ومن الآخرين: مَنْ رأى محمدًا ﷺ وآمن به ، وعلى القطع يعلم أن أولئك ممن رأى نبينا وآمن به ، فإن الله تعالى قال في يونس عليه السلام : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧] هذا في نبي واحد ، فكيف في جميع الأنبياء ؟ وإنما كثرت هذه الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ.

❁❁❁

س : هل أوائل هذه الأمة أفضل أم أواخرها ؟

ج : لا شك أن أولها أفضل ، وذلك للآتي ذكره:

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد:١٠]. وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

وقوله ﷺ: « **خير أمتي قرني** ». وقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[1] . أما الأحاديث الواردة في الباب كحديث : «**لِمِثْلِ المتَمَسِّك بِما أَنْتُم عَلَيْه أَجْرُ خَمْسِينَ مِنكم..**» فهذا ضعيف الإسناد ، وكذلك الحديث : « مثل أمتي مثل الغيث لا يدري أوله خير أم آخره ». فهو ضعيف أيضًا.

❁❁❁

س: اذكر مجموع أوصاف الولدان المخلَّدون في الجنة ؟

ج : وصف هؤلاء بما يلي :البياض الشديد ، قال تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

---

(١) البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).

لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]. عدم تسرب المشيب إليهم ، وعدم المرض وعدم التغير ، وذلك من قوله: ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾. كثرتهم ، فقد قال تعالى : ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

❁❁❁

س: ذهب بعض أهل العلم إلى جواز التخيّر والانتقاء من الفاكهة والأكل منها على صفة التخير لها. وضح وجه ذلك ؟

ج : إيضاحه من قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ وأورد الإمام [1] أحمد ما يدل على ما ذُكر من التخير من الفاكهة وذلك من طريق ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ﷺ ، تعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل رؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أُثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وَجْبة انتحبت لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثني عشر رجلًا ، كان النبي ﷺ، قد بعث سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طُلْس تشخب أوداجُهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ ، أو : البيذخ] قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلتُ معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا ، وأصيب فلان وفلان . حتى عد اثني عشر رجلًا ، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : «**قُصِّي رؤياك**». فقصتها . وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال.

❁❁❁

س : هل هناك قراءة (وحورٍ) بالخفض وما وجهها ؟ .

ج : **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:** وقوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون الإعراب على الإتباع بما قبله ، كقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾ ، كما قال : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

---

(١) أحمد (٣/ ١٣٥ ، ٢٥٧).

وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة:٦] وكما قال : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان:٢١] . والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضًا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين ، والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : اختلف القرّاء في قراءة قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ بالخفض إتباعًا لإعرابها إعراب ما قبلها من الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لا يُطاف به ، ولكن لما كان معروفًا معناه المراد أتبع الآخر ، الأوّل في الإعراب ، كما قال بعض الشعراء.

إذَا مـا الغانيـاتُ بَـرَزْنَ يومًـا وَزَجَّجْـن الْحَوَاجِـبَ والعُيونـا

فالعيون تكَحَّل . ولا تزجَّج إلا الحواجب ، فردّها في الإعراب على الحواجب ، لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر:

تَسْـمَعُ للأَحْشـاءِ مِنْـهُ لَغَطَـا وللْيَـدَينِ جُسـأةً وَبَـدَدَا

والجسأة : غلظ في اليد ، وهي لا تُسمع. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ على الابتداء ، وقالوا : الحور العين لا يطاف بهنّ ، فيجوز العطف بهنّ في الإعراب على إعراب فاكهة ولحم ، ولكنه مرفوع بمعنى : وعندهم حور عين ، أو لهم حور عين. والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان. قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء مع تقارب معنييهما ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب . والحور جماعة حَوْراء، وهي: النقية بياض العين، الشديدة سوادها . والعين: جمع عيناء ، وهي: النجلاء العين في حُسن.

❁❁❁

س: ما وجه تشبيههن باللؤلؤ المكنون ؟

ج : ذلك ، والله أعلم ، لبيان شدة بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد صنته في كنٍّ.

❁❁❁

س : هل صح عن رسول الله ﷺ شيءٌ في تفسير قوله تعالى :﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾؟

ج : ورد شيء من ذلك عند الطبري لكنه ضعيف الإسناد، فعنده من حديث أم سلمة بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ قال : «**صفاؤهن كصفاء الدُّر الذي في الأصداف الذي لا تمسّهُ الأيدي** ».

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ ؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان معنى ذلك :

وقوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ يقول: لا يسمعون فيها باطلًا من القول ولا تأثيمًا، يقول: ليس فيها ما يؤثمهم. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ والتأثيم لا يُسمع، وإنما يُسمع اللغو، كما قيل: أكلت خبزًا ولبنًا، واللبن لا يُؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل.

وقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ يقول : لا يسمعون فيها من القول إلا قيلًا سلامًا : أي اسلم مما تكره. وفي نصب قوله﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ وجهان : إن شئت جعلته تابعًا للقيل، ويكون السلام حينئذ هو القيل؛ فكأنه قيل . لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا ، إلا سلامًا سلامًا، ولكنهم يسمعون سلامًا سلامًا. **والثاني**: أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه ، فيكون معناه حينئذ: إلا قيلَ سلامٍ فإن نوّن نصب قوله: (سَلامًا سَلامًا) بوقوع قِيلٍ عليه.

❁❁❁

س : وضّح المعنى الاجمالي لقوله تعالى :﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ج : قال بعض أهل العلم: قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ معناه أن أهل الجنة لا يسمعون في الجنة إلا تسليمًا من بعضهم على بعض وتسليمًا من ربهم عليهم ، وتسليمًا من الملائكة عليهم . وهناك معنى آخر ألا وهو: أن كلامهم أيضًا سالمٌ من اللغو والإثم.

❁❁❁

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾

[الواقعة: ٢٧ ـ ٤٠] .

س : وضّح معنى ما يلي :

(﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ـ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ـ سِدْرٍ ـ مَّخْضُودٍ ـ وَطَلْحٍ ـ مَّنضُودٍ ـ مَّمْدُودٍ ـ مَّسْكُوبٍ ـ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ـ أَبْكَارًا ـ عُرُبًا ـ أَتْرَابًا﴾ .

ج :

الكلمة	معناها
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	هم الذين يُؤخذ بهم ذات اليمين. وقيل: هم الذين يُعْطَونْ كتبهم بأيمانهم يوم القيامة.
﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	أيّ شيء هم أصحاب اليمين ، وماذا أُعد لهم من النعيم.
﴿سِدْرٍ﴾	ثمر السدر ، شجرة سدر ممتلئة ثمارًا عظيمة الحجم.
﴿مَّخْضُودٍ﴾	ذهب شوكه ، خُضِّد من الشوك فلا شوك فيه وقيل: هو الموقر حملًا وثمرها أعظم من القلال.
﴿وَطَلْحٍ﴾	موز.
﴿مَّنضُودٍ﴾	بعضه متراكم فوق بعض، نُضِّد فكان بعضه فوق بعض.
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾	دائم لا تنسخه الشمس ، ولا تذهبه الشمس .

﴿مَّسْكُوبٍ﴾	مصبوب ـ سائل في غير أخدود يجري في غير أخدود.
﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾	خلقناهن خلقًا ، فقد كنّ في الدنيا عجائز عمشًا فصرن في الآخرة أبكارًا، وقيل إنهن ينشأن في السن على قدر بنات آدم ثلاثة وثلاثين سنة.
﴿أَبْكَارًا﴾	عذارى (لم تفض بكارتهن) بعد أن كُنَّ عجائز.
﴿عُرُبًا﴾	غنجات ـ متحببات إلى الأزواج ـ حسنات التبعل، تشتهي زوجها ـ عشيقةً لزوجها ـ تُحِبُّ الزوج حبًّا شديدًا.
﴿أَتْرَابًا﴾	في سنٍّ واحدة ـ أمثالًا ـ.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :
وقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاءً ولا صيفًا ، بل أكلها دائم مستمر أبدًا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم ـ بقدرة الله ـ شيء.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ .

ج : قال بعض العلماء: إن الفرش هنا هي السُرر وماعليها، وقال آخرون: إن المراد بالفرش النساء، والأصوب أنها: الفرش وما عليها ، أما قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ ، فالأكثر أنها مرفوعة المكان ، وقيل: إنها مرفوعة القدر.

❁❁❁

س : هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى :﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

ج : لم أقف على شيءٍ صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد.

وقد أخرج الطبري بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، في قوله ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «إِنَّ ارْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَمَسِيْرَةَ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ».

❁❁❁

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾؟

ج: لم أقف على شيءٍ صحيح في هذا الصدد، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ ضعيف عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ، في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «مِنْهُنَّ العَجائِزُ اللاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشًا رُمْصًا».

❁❁❁

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ مع مزيد من الإيضاح لمعناها؟

ج: لم أقف على شيءٍ صحيح في ذلك، وقد أخرج الطبري بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: «عُرُبًا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبباتٍ، أتْرَابًا على ميلادٍ وَاحِدٍ».

أما عن مزيد من الإيضاح فقد قال السعدي رحمه الله: كما أن كونهن ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ملازم لهن في كل حال. والعروب هي: المرأة المتحببة إلى بعلها، وحسن هيئتها ودلالها، وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سَبَت العقولَ، وودَّ السامعُ أن كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهنَّ بتلك الأصوات الرخيمة، والنغمات المطربة. وإن نظر إلى أدبها وسمتها، ودلها، ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن انتقلت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحًا طيبًا نورًا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

والأتراب: اللاتي على سنٍّ واحدةٍ ـ ثلاث وثلاثين سنة ـ التي هي غاية ما يتمنى أكمل سن الشباب، فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يَحزَنَّ ولا يُحزِنَّ، بل هنَّ أفراح النفوس، وقرة العيون، وجِلاء الأبصار.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ .

ج : أمّا ثُلّةٌ فمعناها: جماعة.

أما المراد بالأوّلين فقيل: إنهم الأولون قبل أمة محمد ﷺ ، وثلة من الآخرين: جماعة من أمة محمد ﷺ.

وقيل: المراد بالأولين: أوائل أمة محمد ﷺ والآخرين: هم آخر هذه الأمة.

أما الطبري ـ رحِمه الله تعالى ـ فقد اختار الأول إذ قال :يقول تعالى ذكره : الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثُلَّتان ، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ .﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ، يقول :وجماعة من أمة محمد ﷺ.

❁❁❁

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾؟

ج : لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ ، وقد أورد الطبري أحاديث بذلك لكن أسانيدها ضعيفة.

❁❁❁

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا
بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾
فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ
﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤١-٧٤]

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿سَمُومٍ - وَحَمِيمٍ - يَحْمُومٍ - مُتْرَفِينَ - يُصِرُّونَ - ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ - ٱلْحَمِيمِ - ٱلْهِيمِ - هَٰذَا

نُزُلُهُمْ - يَوْمَ ٱلدِّينِ - مَا تُمْنُونَ - بِمَسْبُوقِينَ - وَنُنشِئَكُمْ - فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ - ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ - فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ - حُطَٰمًا - فَظَلْتُمْ - تَفَكَّهُونَ - لَمُغْرَمُونَ - مَحْرُومُونَ - ٱلْمُزْنِ - أُجَاجًا - تُورُونَ - أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ - وَمَتَٰعًا - لِّلْمُقْوِينَ﴾ .

ج :

الكلمة	معناها
﴿سَمُومٍ﴾	سموم جهنم (حر جهنم) - الهواء الحار.
﴿وَحَمِيمٍ﴾	ماء يغلي (قد بلغ أعلى درجات غليانه) - الماء الحار.
﴿يَحْمُومٍ﴾	دخان أسود شديد - ظِلّ الدخان الأسود الشديد.
﴿مُتْرَفِينَ﴾	مُنعمين.
﴿يُصِرُّونَ﴾	يستمرون - يتمادون - مقيمون - يدمنون لا يتوبون ولا يستغفرون ولا يقلعون - يصمِّمون.
﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾	الذنب العظيم (قيل هو الشرك وعبادة الأوثان) وقال بعض العلماء: أنهُ اليمين الغموس [1].
﴿ٱلْحَمِيمِ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه.
﴿ٱلْهِيمِ﴾	الرَّمل - الإبل التي أصابها داءٌ فأصبحت ظِماء لا تشبع ، فلا تزال تشرب حتى تهلك.
﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾	هذه ضيافتهم - هذا المكان مكان استضافتهم - هذا رزقهم.
﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾	يوم القيامة.

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: قال: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون.
وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : الذنب العظيم.

أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: قال: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون.
وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : الذنب العظيم.

﴿مَّا تُمْنُونَ﴾	النطف التي تقذفونها في أرحام نسائكم (المني الذي تُمنونه ويخرج منكم) فقوله ﴿تُمْنُونَ﴾ أي: تقذفون في رحم النساء.
﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾	بمغلوبين على الأمر الذي نريده ـ بعاجزين .
﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾	نحولكم ـ نخلقكم .
﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	على حالٍ وعلى صورةٍ لا تعلمونها ، وصفةٍ لا تدركونها.
﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾	الخلق الأول من منيٍّ يُمنى ـ وقيل بداية الخلق.
﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾	فلولا تتعظون وتعتبرون.
﴿حُطَٰمًا﴾	هشيمًا لا ينتفع به في مطعمٍ وغذاءٍ ـ متكسرًا مُحطّمًا.
﴿فَظَلْتُمْ﴾	استمررتم ـ أقمتم.
﴿تَفَكَّهُونَ﴾	تتعجَّبون ـ تلاومون ـ وقيل: تفكَّهون: تنوِّعون في المقالة ، فتارة تقولون: إنا لمغرمون ، وتارة تقولون: بل نحن محرومون ـ تندمون ـ وقيل: تحزنون.
﴿لَمُغْرَمُونَ﴾	لمعذبون ـ لمولعٌ بنا ـ لملقون إلى الشر غرمنا الحب الذي بذرناه وذهب زرعنا.
﴿مَحْرُومُونَ﴾	لا حظ لنا ـ حُرمنا ما طلبنا من الربح.
﴿ٱلْمُزْنِ﴾	السحاب.
﴿أُجَاجًا﴾	شديد الملوحة ـ مُرًّا.
﴿تُورُونَ﴾	تستخرجون من زندكم ، ومنه: فالموريات [1].
﴿أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾	خلقتم شجرتها ـ اخترعتموها.
﴿وَمَتَٰعًا﴾	منفعةً
﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾	المسافرين ـ المُستمتعين وهم عموم من يستمتع بها من المسافرين أو الحاضرين.

(١) وهي الخيول المحاربة التي تجري بشدة فتحدث شررًا أثناء جريانها بحوافرها.

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ .

ج : قال الطبري رحِمه الله :

وقوله﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ يقول تعالى ذكره معجبًا نبيه محمدًا من أهل النار﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : أي: ماذا لهم ، وماذا أعد لهم.

وقال القرطبي رحِمه الله : قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال؛ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم ، ثم عظَّم ذِكرهم في البلاء والعذاب فقال : ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ﴾ والسموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى :﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ .

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الظلَّ الذي يستظل به أهل النار إنما هو ظل دخان أسود شديد السواد ، وهذا في الحقيقة ليس بظلٍّ ينتفع به إنما هو ظل يُعذب به.

وقد قال تعالى : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات٢٩ ـ ٣٣].

قال القرطبي رحِمه الله :﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ أي: يفزعون من السَّموم إلى الظلّ كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلًّا من يحْمُوم ، أي: من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وكذلك اليحموم ـ في اللغة ـ: الشديد السواد وهو يفْعول من الحَمّ وهو الشَّحْم المسودّ باحتراق النار . وقيل : هو مأخوذ من الحُمَم وهو الفحم.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن هذا الظل الذي هو ظل الدخان الأسود ﴿لَّا

بَارِدٍ ﴾ ، أي: لا يحمل بردًا يخفف عنهم ما هم فيه من حرِّ النار ، ولا كريم المنظر. وكذلك ليس بطيب الهبوب ، ولا حسن المنظر. وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [المرسلات٢٩ ـ ٣١].

قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ يقول تعالى ذكره : ليس ذلك الظلّ ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حارّ ، لأنه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظلّ به ، والعرب تتبع كلّ منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه ، فتقول : ما هذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة.

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ليس بطيب الهبوب ولاحسن المنظر.

❁❁❁

س : قوله تعالى :﴿ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ قبل ماذا ؟

ج : قبل البعث ، وقبل الممات أي أنهم كانوا في الدنيا.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن هؤلاء المكذبين للرسل كانوا في الدنيا مُنَعَّمين غارقين في الحرام مقبلين على لذات أنفسهم ، حملهم الترفُ الذي هم فيه والنعيم الذي هم فيه على تكذيب الرسل وإنكار البعث والجزاء وحملهم على الطغيان ، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٣].

❁❁❁

س : اذكر بعض الأدلة على إنكار المشركين للبعث.

ج : من الأدلة على ذلك مايلي :

قولهم: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٢].

وما ذكره الله تعالى عنهم إذ قال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨]. وقول قائلهم : ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فُصِّلَت:٥٠]. وقولهم﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:١٠].

❁❁❁

س : وضّح المعنى الإجمالي لقوله تعالى :﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾.

ج : المعنى الإجمالي: أن أهل الكفر كانوا يستبعدون وقوع البعث وينكرونه ويقولون أئذا متنا وتمزقت أجسادنا وتفتت عظامنا وأصبح ترابًا وعظامًا باليةً متفتتةً، أَنُبْعَثُ مرة أخرى!!!.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

ج :المعنى ـ والله أعلم ـ أن أهل الكفر يتعجبون من إخبارهم بالبعث ويسألون سؤال المستنكر المستبعد أئنا لمبعوثون أحياء بعد الممات ، وآباؤنا كذلك يبعثون ؟

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ قال أبو عبيدة : الواو متحركة لأنها ليست بواو وإنما هي « وآباؤنا » فدخلت عليها ألف الاستفهام فتُركتْ مفتوحة . وقرأ أهل المدينة ، وابن عامر: « أَوْ آباؤنا » بإسكان الواو.

❁❁❁

س : اذكر بعض لآيات والأحاديث الدالة على البعث!

ج:أما الآيات فمنها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود:١٠٣].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان:٤٠].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ:١٧].

س: قوله تعالى: ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ مكذبون بماذا ؟

ج: مكذبون بيوم القيامة، ومكذبون بوعد الله ووعيده.

❁❁❁

س: ورد لشجرة الزقوم ذِكر في مقام آخر من كتاب الله عزَّ وجلَّ بَيِّنْ هذا الموطن ؟

ج: ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣ ـ ٤٦].

❁❁❁

س: لماذا يأكلون من شجرة الزقوم مع مرارتها وما فيها ؟

ج: قال بعض أهل العلم إنهم يجوعون جوعًا شديدًا وهم في النار فيضطرون إلى الأكل من شجر الزقوم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ: وذلك أنهم يُقْبَضون ويُسْجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملئوا منها بطونهم.

❁❁❁

س: لماذا ذُكِّرَ الشجر في قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ وأُنِّث في قوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم إن الشجر يؤنث ويذكَّر. وقال بعضهم إن الشجر ذُكِّر للفظ، وأُنِّث للمعنى.

قال الطبري رحِمه الله: واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: من الشجر، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ لأن الشجر تُؤنَّث وتُذكَّر، وأُنِّث لأنه حمله على الشجرة؛ لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع، فتقول العرب: نبتت قبلنا شجرة مرّة وبقلة رديئة، وهم يعنون الجميع، وقال بعض نحويِّي الكوفة: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾، وفي قراءة عبد الله: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ على واحدة، فمعنى شجر وشجرة واحد، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء، فإن نويت واحدة أو أكثر من ذلك، فهو جائز، ثم قال: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ يريد من الشجرة؛ ولو قال: (فمالئون منه) إذا

لم يُذكِّر الشجر كان صوابًا يذهب إلى الشجر في منه ، ويُؤنِّث الشجر ، فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنَّث ويذكَّر ، مثل التمر يؤنث ويذكر.

والصواب من القول في ذلك عندنا القول الثاني ، وهو أن قوله: ﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا ﴾ مراد به من الشجر أنّثَ المعنى ، وقال: ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ مُذكِّرًا للفظ الشجر.

❁❁❁

س : هل هناك نهي عن الشرب بعد الأكل ؟

ج : لا أعلم نهيًا عن ذلك ، بل قد قال تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور:١٩].

❁❁❁

س : اذكر نُزُل الكفار ونُزُل الأبرار يوم القيامة .

ج : أما نزل الكفار (أي: ضيافتهم) فهي الأكل من شجرة الزقوم حتى تمتلئ منها البطون ، ثم إنهم شاربون عليها من الماء الذي يغلي غليانًا شديدًا ، ويشربون بشراهة شديدة شربًا عظيمًا كما تشرب الإبل العطاش التي أصابها الداء الذي يحملها على أن تشرب فلا تُروى. أما نزل الأبرار ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف:١٠٧].

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

ج : قال الطبري رحِمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لكفار قريش والمكذّبين بالبعث : نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئًا ، فأوجدناكم بشرًا ، فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم : إنه يبعثكم بعد مماتكم وبِلاكم في قبوركم ، كهيأتكم قبل مماتكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحِمه الله : يقول تعالى مُقرِّرًا للمعاد ، ورَدًّا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ . وقولهُم ذلك صَدَرَ منهم على وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال: ﴿ نَحْنُ

﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾، أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، أفليس الذي قدر على البَداءَة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؟ فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، أي: فهلا تصدقون بالبعث.

❁❁❁

س: كثيرًا ما يسْتَدل على البعث بالخلق الأول، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]. وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٥١]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ...﴾ [الحج:٥]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ [الروم:٢٧]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ...﴾ [الأنبياء:١٠٤].

❁❁❁

س: اذكر ـ بمزيد من الإيضاح ـ معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحِمه الله: يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث: أفرأيتم ـ أيّها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم ـ النطف التي تمنون في أرحام نسائكم، أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: نحن قَدَّرنا بينكم الموت أي: كتبناه عليكم أجمعين، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧].

وقال آخرون: صرّفناه بينكم أي: هذا يرى أخاه قد مات وصديقه وقريبه وزوجه وأخته وأخاه وغير هؤلاء فيحدث له بذلك الادِّكار والاتعاظ.

وقال آخرون من أهل العلم: سوينا في الموت بين أهل السماء والأرض والإنس

والجن ، أي أن الكلَّ سيموت. والله أعلم.

قال الطبري رحِمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره : نحن قدّرنا بينكم ـ أيها الناس ـ الموت ، فعجَّلناه لبعض ، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى.

قال الشنقيطي رحِمه الله : قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير ابن كثير (قَدَّرنا) بتشديد الدال ، وقرأه ابن كثير بتخفيفها ، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها وجهان أو أكثر من التفسير ، ويكون كل ذلك صحيحًا ، وكله يشهد له قرآن ، فنذكر الجميع وأدلته من القرآن ، ومن ذلك هذه الآية الكريمة.

وإيضاح ذلك أن لقوله: ﴿قَدَّرْنَا﴾ وجهين من التفسير وفيما تتعلق به (على أن نبدل) وجهان أيضًا ، فقال بعض العلماء : وهو اختيار ابن جرير أن قوله : ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ أي: قدرنا لموتكم آجالًا مختلفة وأعمارًا متفاوتة فمنكم من يموت صغيرًا ومنكم من يموت شابًّا ، ومنكم من يموت شيخًا.

وهذا المعنى دلّت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج:٥] وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر:٦٧] وقوله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١] وقوله : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج:٤١] أي: ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول: سبقه على كذا أي: غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه، أي: وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلًا أخّرناه ولا يؤخر أجلًا قدّمناه.

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤] الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ ليس متعلقًا بمسبوقين بل بقوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم ، أي نبدل من الذين ماتوا أمثالًا لهم نوجدهم.

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذي ماتوا، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات. وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة (قَدَّرْنَا) بالتشديد مناسبة لهذا الوجه، وكذلك لفظة بينكم.

الوجه الثاني : أن قدّرنا بمعنى: قضينا وكتبنا أي: كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧]، وقوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وعلى هذا القول فقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ : متعلق بمسبوقين أي ما نحن بمغلوبين، والمعنى: وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلًا منكم.

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣]، وقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام:١٣٣]، وقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:١٩]، وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقد قدمنا هذا في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء:١٣٣] الآية . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فيه للعلماء أقوال متقاربة. وقال بعضهم : ننشئكم بعد إهلاككم فيما لا تعلمونه من الصور والهيئات، كأن ننشئكم قردة وخنازير، كما فعلنا ببعض المجرمين قبلكم. وقال بعضهم : ننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات ، فنغير صفاتكم ونجعل المؤمنين ببياض الوجوه ، ونقبح الكافرين بسواد الوجوه وزرقة العيون . إلى غير ذلك من الأقوال.

س : وضّح معنى قوله تعالى ﴿نُبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ .

ج : قال بعض أهل العلم: المعنى: نغير خلقكم يوم القيامة، وقال آخرون: المعنى: نذهب بكم في الدنيا ونأتي بمثلكم من جنسكم، بشرٌ من أمثالكم لكن يعبدون ربهم عبادة خيرًا منكم.

❁❁❁

س : اذكر ـ بمزيدٍ من الإيضاح ـ معنى قوله : ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ ونحولكم إلى صورٍ لا تعلمونها.

❁❁❁

س : هل يمكن أن يُمسخ أقوامٌ في الدنيا إلى صور أُخر ؟

ج : نعم، ذلك ممكن ، وقد قال تعالى : ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ..﴾ [النساء:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٦].

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ...﴾ [المائدة:٦٠].

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؟

ج : أما النشأة الأولى فهي: خلقهم من مَنِيٍّ يُمْنَى، وقيل: إنها خلق آدم عليه السلام من تراب.

قال الطبري رحِمه الله : يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم ـ أيها الناس ـ الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال :هو خلق آدم.

ثم قال الطبري رحِمه الله : وقوله﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا

تَذَكّرون أيها الناس ، فتعلمون أن الذي أنشأكم النشأة الأولى ـ ولم تكونوا شيئًا ـ لا يتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . أي : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة ـ وهي البَدَاءة ـ قادر على النشأة الأخرى ـ وهي الإعادة ـ بطريق الأولى والأحرى.

❁❁❁

س : كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول ، اذكر من الأدلة ما يفيد ذلك.

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:١٥]. وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾.

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٨ ـ ٧٩]. وقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة:٣٦ ـ ٣٧].

❁❁❁

س : وضّح معنى الآية الكريمة : ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أفلا نظرتم ـ أيها الناس ـ إلى الأرض التي تحرثونها ، تشقونها وتثيرونها وتبذرون البذور فيها.

قال الطبري رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : أفرأيتم ـ أيها الناس ـ الحرث الذي تحرثونه ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ يقول : أأنتم تصيرونه زرعًا ، أم نحن نجعله كذلك؟.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ هذه حجة أخرى ، أي: أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البَذر ، أنتم تنبتونه وتحصّلونه زرعًا فيكون فيه السُّنْبل والحبّ أم نحن نفعل ذلك؟، وإنما منكم البذر وشقّ الأرض،

فإذا أقررتم بأن إخراج السُّنْبل من الحبّ ليس إليكم ، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم ؟!، وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ والمستفاد منه.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أأنتم تخرجون النبات من الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أم نحن الذين أنبتنا نباتها من الأرض؟، فجواب ذلك: أن الله هو الذي أنبت ذلك وأقر قراره وأنبت نباته.

قال السعدي ـ رحِمه الله ـ في «تيسير الكريم المنان»: وهذا امتنان منه على عباده ، يدعوهم به ، إلى توحيده ، وعبادته ، والإنابة إليه ، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار . فتخرج من ذلك ، من الأقوات ـ والأرزاق ، والفواكه ـ ما هو من ضروراتهم ، وحاجاتهم ، ومصالحهم ، التي لا يقدرون أن يحصوها ، فضلًا عن شكرها ، وأداء حقها ، فقررهم بمنته فقال: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي : أنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض ؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره ، حتى صار حبًّا حصيدًا ، وثمرًا نضيجًا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده ، وأنعم به عليكم ؟ . وأنتم غاية ما تفعلون ، أن تحرثوا الأرض وتشقوها ، وتلقوا فيها البذر . ثم لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك ، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك . ومع ذلك ، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار ، لولا حفظ الله وإبقاؤه بلغة لكم ، ومتاعًا إلى حين.

❁❁❁

س: ما صحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ زَرَعْتُ ...»؟.

ج : الحديث ضعيف الإسناد جدًّا ، ولا يثبت عن رسول الله .

❁❁❁

س : كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك :

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فُصِّلَت:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [فاطر:٩].

وقوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠].

❁❁❁

س : هل هناك ذِكر يقال عند تلاوة قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يقال: (بلى أنت يارب) ، نقله الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن حجر المدري.

ولكن لم أقف في ذلك على شيءٍ عن رسول الله ﷺ.

❁❁❁

س : قوله تعالى :﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ على ماذا ؟

ج : قيل: هو عائد على الزرع.

❁❁❁

س: ما وجه التعجب في قوله :﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه.

وقال آخرون : معنى ذلك : فظلتم تلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة ربكم ـ

جلّ ثناؤه ـ حتى نالكم ما نالكم من إهلاك زرعكم.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تندمون على ما سلف منكم في معصية الله التي أوجبت لكم عقوبته ، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم.

وقال آخرون : بل معنى ذلك: فظلتم تعجبون.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿ فَظَلْتُمْ﴾: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه، ويلهى به ، فكذلك ذلك . وكأن معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون ـ يعجِّب بعضكم بعضًا ـ مما نزل بكم.

❁❁❁

س : اذكر بعض المستعاد من النظر في الحرث الذي نحرث ، والزرع الذي يُزْرع.

ج : **قال الشنقيطي رحِمه الله:** اعلم أنه يجب على كل إنسان أن ينظر في هذا البرهان الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة؛ لأن الله ـ جلَّ وعلا ـ وجَّه في كتابه صيغة أمر صريحة عامة في كل ما يصدق عليه مسمى الإنسان بالنظر في هذا البرهان العظيم المتضمن للامتنان ، لأعظم النعم على الخلق ، وللدلالة على عظم الله وقدرته على البعث وغيره ، وشدة حاجة خلقه إليه مع غناه عنهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس:٢٤].

والمعنى : انظر ـ أيها الإنسان الضعيف ـ إلى طعامك كالخبز الذي تأكله ولا غنى لك عنه ، من هو الذي خلق الماء الذي صار سببًا لإنباته هل يقدر أحد غير الله على خلق الماء؟

أي: إبرازه من أصل العدم إلى الوجود. ثم هَبْ أن الماء خلق ، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله على هذا الأسلوب الهائل العظيم الذي يسقي به الأرض من غَيْر هَمٍّ ولا غرق؟

ثم هَبْ أن الماء نزل في الأرض من هو الذي يقدر على شق الأرض عن مسار الزرع ؟ ثم هب أن الزرع طلع ، فمن هو الذي يقدر على إخراج السنبل منه؟

ثم هَبْ أن السنبل خرج منه ، فمن هو الذي يقدر على إنبات الحب فيه وتنميته حتى يدرك صالحًا للأكل؟ ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩]

والمعنى : انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفًا لا يصلح للأكل، وانظروا إلى ينعه، أي: انظروا إليه بعد أن ثار يانعًا مدركًا صالحًا للأكل ، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه قادر على كل شيء منعم عليكم عظيم الإنعام ، ولذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ .

فاللازم أن يتأمل الإنسان وينظر في طعامه ويتدبر قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ أي: عن النبات شقًّا إلى آخر ما بيناه. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ يعني: لو نشاء تحطيم ذلك الزرع لجعلناه حطامًا ، أي: فتاتًا وهشيمًا ، ولكنا لم نفعل ذلك رحمة بكم ، ومفعول فعل المشيئة محذوف للاكتفاء عنه بجزاء الشرط ، وتقديره كما ذكرنا.

وقوله : ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾:

قال بعض العلماء : المعنى فظلتم تعجبون من تحطيم زرعكم.

وقال بعض العلماء : تفكهون بمعنى: تندمون على ما خسرتم من الإنفاق عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف:٤٢].

وقال بعض العلماء : تندمون على معصية الله التي كانت سببًا لتحطيم زرعكم ، والأول من الوجهين في سبب الندم هو الأظهر.

❁❁❁

س: في قولهم: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ محذوف مفهوم من السياق، وضّح هذا المحذوف.

ج : المحذوف هو قوله : (قائلين) فيكون المعنى فظلتم تفكهون قائلينك: إنا لمغرمون. أي: قائلين ـ أثناء تعجبكم ـ إنا لمغرمون.

❁❁❁

س : استحب بعض أهل العلم أن يأكل الشخص قبل أن يشرب، ما الدليل على ذلك ؟

ج : استدل بعضهم لذلك بقوله تعالى : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ وبأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ...﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ...﴾.

قال القرطبي رحِمه الله: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم ، وتسكنوا به عطشكم ، لأن الشراب إنما يكون تبعًا للمطعوم ، ولهذا جاء الطعام مقدمًا في الآية قبلُ، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه . الزمخشري : ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء :

إذا سُقِيتْ ضُيوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أضيافَهمْ شَبِمًا زُلالا

وسُقي بعضُ العرب فقال : أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلة.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ .

ج : قال الطبري رحِمه الله : وقوله : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم ، وصلاح معايشكم ، وتركه أن يجعله أجاجًا لا تنتفعون به.

وقال ابن كثير ـ رحِمه الله ـ: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالًا .

قال الشنقيطي رحِمه الله : تضمنت الآية الكريمة امتنانًا عظيمًا على خلقه بالماء الذي يشربونه ، وذلك يضمنه من آياته الدالة على عظمته وجل قدرته وشدة حاجة خلقه إليه ، والمعنى : أفرأيتم الماء الذي تشربون الذي لا غنى لكم عنه لحظة ولو أعدمناه لهلكتم جميعًا في أقرب وقت : ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ ؟

والجواب الذي لا جواب غيره هو أنت يا ربنا هو منزله من المزن، ونحن لا قدرة لنا على ذلك . فيقال لهم : إذا كنتم في هذا القدر من شدة الحاجة إليه تعالى فلِمَ تكفرون به وتشربون ماءه وتأكلون رزقه وتعبدون غيره؟

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء، وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكرًا لنعمة هذا الماء، كما أشار له هنا بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ جاء في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٤٨ـ ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقوله هنا: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: لو نشاء جعله أجاجًا لفعلنا، ولكن جعلناه عذبًا فراتًا سائغًا شرابه، وقد قدمنا في سورة الفرقان أن الماء الأجاج هو الجامع بين الملوحة والمرارة الشديدتين.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾!

ج: يقرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقه بنعمه التي أنعم بها عليهم ويلفت نظرهم إليها فيقول تعالى: أفرأيتم هذه النار التي لا غنى لكم عنها؟ تلك النار التي توقدونها تستدفئون بها وتنتفعون بها لطهي طعامكم وصهر معادنكم وسائر حاجاتكم، أأنتم أنشأتم شجرتها أي: الخشب الذي أشعلتموه فتولدت منه تلك النيران أم نحن الذين أنشأناه وأنشأنا الشجر الذي استخرج منه هذا الخشب؟ فبلا شك أن الذي أنشأه هو الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠].

قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: توقدونها من قولهم: أورى النار إذا قدحها وأوقدها، والمعنى: أفرأيتم النار التي توقدونها من الشجر أأنتم أنشأتم شجرتها التي توقد منها؟ أي: أوجدتموها من العدم.

والجواب الذي لا جواب غيره: أنت ياربنا هو الذي أنشأت شجرتها، ونحن لا قدرة لنا بذلك فيقال: كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء؟ وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث، وجاء موضحًا في (يس) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فقوله في آخر

(يس): ﴿تُوقِدُونَ﴾ هو معنى قوله في الواقعة: ﴿تُورُونَ﴾ وقوله في (يس): ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ بعد قوله ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث . وقوله هنا ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أي: الشجرة التي توقد منها كالمرخ والعفار؛ ومن أمثال العرب: في كل شجر نار، واستنجد المرخ والعفار؛ لأن المرخ والعفار هما أكثر الشجر نصيبًا في استخراج النار منهما ، يأخذون قضيبًا من المرخ ويحكمون به عودًا من العفار فتخرج من بينهما النار . ويقال: كل شجر فيه نار إلا العناب.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى :﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً ﴾!

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: إنا جعلنا هذه النار ـ نار الدنيا ـ تذكرة بنار الآخرة. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «**نَارُكُم هَذِه الَّتِي يُوقِدُ ابنُ آدمَ جُزءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهنّم** »، **قالوا: والله إن كانت لكافية يارسول الله ! قال :«فَإِنَّها فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْنَ جُزْءًا كُلّها مِثْل حَرِّهَا»**. [1].

❁❁❁

س : يُذكِّر الله عزَّ وجلَّ الخلق بأمورٍ حتى يتَّعظوا ويعتبروا ، اذكر بعض هذه الأمور .

ج : من ذلك: نار الدنيا جعلها الله تذكرة بنار الآخرة.

ومن ذلك السحب التي في السماء ، والكل يتطلع إليها كي تُمطر وينزل ماؤها في أرضه ، فيصرفها الله من أرض قوم إلى أرض قوم آخرين ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان:٥٠]. وكذلك الأمثال التي يسوقها الله في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزُّمَر:٢٧].

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾.

ج : ذكر العلماء وجهين في تفسير المقوين: أحدهما: أن المراد بهم المسافرين.

---

(١) البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣).

والآخر: أن المراد بهم عموم المستمتعين بها من الحاضر والمسافر والباد، والناس أجمعين.

واختار الحافظ ابن كثير هذا فقال: وقال ابن نجيح عن مجاهد قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المستمتعين، الناس أجمعين، وكذا ذكر عن عكرمة. وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره فطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات. فلهذا أفردَ المسافرون وإن كان ذلك عامًّا في حق الناس كلهم.

قال الطبري رحِمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُنِي بذلك للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها؛ كما قال الشاعر:

أَقْوَى وأَقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ بِهَابِي التُّرْبِ مَوَّارِ

يعني بقوله «أقوى»: خلا من سكانه، وقد يكون المقوى: ذا الفرس القوي، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾!

ج: قال الطبري رحِمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته.

قال ابن كثير رحِمه الله: وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة. وخَلَق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجرًا لهم في المعاد.

❁❁❁

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ
كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن
لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ
﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ
بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٥ـ٩٦]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ - بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ - مَّكۡنُونٖ - ٱلۡمُطَهَّرُونَ - تَنزِيلٞ - مُّدۡهِنُونَ - رِزۡقَكُمۡ - ٱلۡحُلۡقُومَ - حِينَئِذٖ - لَّا تُبۡصِرُونَ - غَيۡرَ مَدِينِينَ - ٱلۡمُقَرَّبِينَ - فَرَوۡحٞ - وَرَيۡحَانٞ - وَجَنَّتُ نَعِيمٖ - أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ - فَسَلَٰمٞ لَّكَ - ٱلۡمُكَذِّبِينَ - ٱلضَّآلِّينَ - فَنُزُلٞ - حَمِيمٖ - وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ - حق اليقين﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾	أقسم.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	مطالع النجوم ومساقطها [١] ـ منازل القرآن (المواطن التي نزلت فيها الآيات ، وأوقات نزولها) ـ انتثار النجوم عند قيام الساعة.
﴿مَّكْنُونٍ﴾	محفوظ ـ مصون ، لا يمسه أذى ولا غُبار .
﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾	قيل: هم الملائكة ـ وقيل المطهرون من الذنوب ـ . وقيل: الملائكة والأنبياء والرسل [٢] .
﴿تَنزِيلٌ﴾	منزلٌ.
﴿مُّدْهِنُونَ﴾	مُليّنون القول ـ مكذِّبون.
﴿رِزْقَكُمْ﴾	حظّكم ـ شُكركم.
﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾	الحلق.
﴿حِينَئِذٍ﴾	عند خروج الروح من الجسد وبلوغها الحلق.
﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾	لا ترون.
﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾	غير مجزيين ـ غير محاسبين ـ غير مبعوثين .
﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾	السابقون بالخيرات ـ المقربون من الله في جنته.
﴿فَرَوْحٌ﴾	بردٌ ـ راحةٌ ـ فرحٌ ـ رحمةٌ ـ مغفرةٌ.
﴿وَرَيْحَانٌ﴾	رزق واسع ـ استراحة (أي من تعب الدنيا ونكدها [٣]) وقيل الريحان المعروف ذو الرائحة الطيبة.
﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾	بستان نعيمٍ يتنعم فيه.
﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾	الذين يؤخذون إلى الجنة من ذات اليمين ـ الذين يتلقون كتبهم باليمين.
﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾	فتحيةٌ لك ـ فأمانٌ لك ـ فدعائي لك.

(١) وهذا اختيار الطبري «رحِمه الله تعالى».

(٢) أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ذاكم عند ربّ العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرَّجِس.

تنبيه : لم يحكِ الطبري المطهرين من الحدثين الأصغر والأكبر.

(٣) كما في الحديث: «مستريحٌ ومستراحٌ منه...».

﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾	المكذبين بآيات الله.
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	الضالين عن طريق الله.
﴿فَنُزُلٌ﴾	ضيافةٌ.
﴿حَمِيمٍ﴾	الماء الذي قد انتهى حرُّه وبلغ أعلى درجات غليانه.
﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾	حريق النار يصلاه يحترق به.
﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾	الحق اليقين الذي لا شك فيه ـ الخبر اليقين .[1]

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ !

ج : قال جمهور العلماء معناه: أُقسم.

وقيل معناه: ليس الأمر كما تظنون ، ثم استأنف القسم فقال أقسم.

قال الطبري رحِمه الله:

وقوله : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ . فقال بعضهم: عُنِي بقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: أقسم.

وقال بعض أهل العربية: معنى قوله ﴿فَلَآ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فقيل أقسم وقوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن ، وقالوا : أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجومًا متفرّقة.

قال ابن كثير رحِمه الله: ثم قال بعض المفسرين : «لا» هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وقال آخرون : ليست «لا» زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي ، كقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : لا ، والله مَا مَسَّتْ يَد رسول الله ﷺ يد امرأة قطّ. وهكذا ها هنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم.

---

(١) قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب.

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم.

قلت (مصطفي): ومما يؤيد أن قوله: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ يُعدّ قسمًا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

❁❁❁

س : ما وجه عظمة هذا القسم؟ وما فائدة الإخبار بذلك ؟

ج : وجه عظمته أن الذي أقسم هذا القسم عظيم وهو الله سبحانه وتعالى ، والمُقسم به عظيم وهو مواقع النجوم ، والمقسم عليه عظيم وهو بيان عظمة هذا القرآن وفضله وكرامته وفائدة الإخبار بذلك: الحَثّ على تعظيم هذا القرآن وتوقيره وإجلاله.

قال السعدي رحِمه الله : وإنما كان القسم عظيمًا ، لأن في النجوم وجريانها ، وسقوطها عند مغاربها ، آيات وعبرًا ، لا يمكن حصرها. وأما المقسم عليه ، فهو إثبات القرآن ، وأنه حق لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه . وأنه كريم أي : كثير الخير ، غزير العلم ، وكل خير وعلم ، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه.

❁❁❁

س : اذكر بعض الأوصاف الجميلة التي وُصف بها هذا القرآن ؟

ج : من هذه الأوصاف ما يلي :

مجيد : قال تعالى : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق:١].

كريم : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾.

عظيم : قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧].

مبارك : قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء:٥٠].

عزيز : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ [فُصِّلَت:٤١].

حكيم : قال تعالى : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس:١ ـ ٢].

❁❁❁

س : ما المراد بالكتاب المكنون هنا ؟

ج : هو الكتاب المحفوظ عند الله في السماء.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن هذا القرآن الكريم معظّمٌ في كتاب معظمٍ محفوظ موقّر.

❁❁❁

س : ما وجه الإخبار بقوله تعالى :﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أن فائدة ذلك نفي ما يزعمه المبطلون من أهل الشرك وغيرهم إذ قد زعموا أن الشياطين تنزلت به على رسول الله ﷺ فأخبرهم الله عزَّ وجلَّ أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١ ـ ٢١٢].

وكما قال أيضًا: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

وكما قال كذلك : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٧] أي ملائكة يحفظونه من الشياطين ومن غيرهم.

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت:٤١ ـ ٤٢].

❁❁❁

س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أن معنى ذلك أن هذا القرآن الكريم محفوظ في كتاب معظمٍ مُوقرٍ لا تناله أيدي البشر، ولا يعبث به العابثون من الشياطين بل الذين يمسّونه هم المطهرون من الذنوب وهم الملائكة.

وإلى مثل هذا القول جنح الطبري في تفسيره ، لكنه ذهب إلى أن ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يقتصرون على الملائكة بل كل مطهرٍ من الذنوب ، فقال رحِمه الله :

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخصص بعضًا دون بعض ؛ فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرًا من الذنوب ، فهو ممن استثنى ، وعُنِي بقوله : ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

وأورد بإسنادٍ يصح عن قتادة [١] قال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ ذاكم عند رب العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس.

هذا ومما يُلفت النظر إليه أن الطبري ـ رحِمه الله تعالى ـ لم يورد في ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إلا المطهرون من الذنوب ، ولم يذكر الطبري ـ رحِمه الله تعالى ـ المطهرون من الحدث الأكبر أو الأصغر.

قلت (مصطفى): ومما يتأيد به القول القائل بأن ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هم الملائكة ، قوله تعالى : ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس:١٣ ـ ١٦]. والسفرة هم الملائكة. والله أعلم. وقد أخرج الدارقطني [٢] من طريق عبدالرحمن بن يزيد قال : كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته ثم جاء فقلت: يا أبا عبدالله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات، فقال: إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون فقرأ علينا ما يشاء. وفي رواية: فقرأ علينا قبل أن يتوضأ. وفي ثالثة: أنه قرأ بعد الحدث. وورد بإسناد حسن عن سعيد بن جبير قال: الملائكة الذين في السماء [٣]. وورد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : المطهرون الملائكة [٤]. وقد صح عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان لا يمسّ المصحف إلا وهو طاهر [٥].

---

(١) الطبري عند تفسير الآية المذكورة.

(٢) الدارقطني في «السنن» (١ / ١٢٣ ، ١٢٤).

(٣) الطبري (١١ / ٦٦٠).

(٤) عزاه ابن القيم في «بدائع الفوائد» إلى سعيد بن منصور في «سننه».

(٥) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٣٦١).

قال الإمام مالك في «الموطَّأ»[1]:

أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إنما هي بمنزلة هذه الآية التي في (عبس وتولى)، قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١١-١٦].

هذا وقد انتصر ابن القيم ـ رحِمه الله تعالى ـ لهذا القول القائل بأن المطهرون هم الملائكة من عدة وجوهٍ.

فقال ـ رحِمه الله تعالى ـ في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى ـ جلَّ ذكره ـ: (٥٦ : ٧٩) ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

والصحيح في الآية: أن المراد به: الصحف التي بأيدي الملائكة لوجوه عديدة:

منها: أنه وصفه بأنه مكنون، والمكنون المستور عن العيون، وهذا إنما هو في الصحف التي بأيدي الملائكة.

ومنها: أنه قال: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة، ولو أراد المؤمنين المتوضئين لقال: لا يمسه إلا المتطهرون، كما قال تعالى (٢: ٢٥١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] فالملائكة مطهرون، والمؤمنون المتوضئون متطهرون.

ومنها: أن هذا إخبار، ولو كان نهيًا لقال: لا يمسسه، بالجزم. والأصل في الخبر، أن يكون خبرًا صورة ومعنى.

ومنها: أن هذا رَدٌّ على من قال: إن الشيطان جاء بهذا القرآن، فأخبر تعالى: أنه في كتاب مكنون لا تناله الشياطين، ولا وصول لها إليه، كما قال تعالى في آية (الشعراء) (٢٦: ٢١٠-٢١٢): ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ وإنما تناله الأرواح المطهرة، وهم الملائكة.

ومنها: أن هذا نظير الآية التي في سورة (عبس) (٨٠: ١٢ ـ ١٦) ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ قال مالك في «موطّئه»: أحسن ما سمعت في تفسير قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أنها مثل هذه

---

(١) «الموطأ» (١/ ١٩٩).

الآية في سورة (عبس).

ومنها : أن الآية مكية ، وفي سورة مكية ، تتضمن تقرير التوحيد ، والنبوة والمعاد، وإثبات الصانع ، والرد على الكفار ، وهذا المعنى أليق بالمقصود من فرع عملي ، وهو حكم مَسّ المحدث المصحف.

ومنها : أنه لو أريد به الكتاب الذي بأيدي الناس لم يكن في الإقسام على ذلك ـ بهذا القسم العظيم ـ كثير فائدة ، ومن المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب، حقًّا أو باطلًا، بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله ، لا يصل إليه شيطان ، ولا ينال منه ، ولا يمسه إلا الأرواح الطاهرة الزكية.

فهذا المعنى أليق وأجل وأخلق بالآية بلا شكّ.

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ يقول : لكن تدل الآية وإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر . لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون ، لكرامتها على الله . فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر.

القول الثاني: ما ذهب إليه آخرون من أهل العلم من أن قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ المراد به ها هنا المصحف الذي بين أيدينا، والمطهرون هم المطهرون من الجنابة والحدث.

قال الحافظ ابن كثير رحِمه الله :

وقال آخرون : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي: من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو؛ واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطّئه»، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ، أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم ؛ أن: «لا يمسّ القرآنَ إلا طاهر». وروى أبو داود في المراسيل ، من حديث الزهري ؛ قال : قرأت في صحيفةٍ عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ؛ أن رسول الله ﷺ ، قال: « ولا يمسّ القرآن إلا طاهر». وهذه وجادة جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم ، وعبدالله بن

عمر ، وعثمان بن أبي العاص ، وفي إسناد كلٍّ منها نظر ، والله أعلم.

قلت (مصطفى): وكل هذه الأخبار ـ التي مفادها: (لا يمس القرآن إلا طاهر) ـ لا تخلو من مقالٍ في أسانيدها. والصواب في هذه الصحيفة التي ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ أنها مرسلة.

القول الثالث: ما ذهب إليه بعض أهل العلم: من أن المراد بالمطهرين: المطهرون من الشرك ، وهم المؤمنون فيكون المعنى لا يمس هذا القرآن إلا مسلم ، وأما الكافر واليهودي والنصراني فلا يمسونه. واعتل القائلون بهذا القول بأن النبي ﷺ نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار مخافة أن يناله العدو.

القول الرابع: قول من قال : لا يجد طعم هذا القرآن ولا يتذوق حلاوته ولا يفهم ما فيه إلا المطهرون ، وهم المؤمنون به المصدقون له.

❁❁❁

س : هل يجوز مَسَّ المصحف على غير وضوء ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها: المنع من ذلك ، وحجة القائلين به أمران **أولهما**: الآية الكريمة، وهي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ على تفسير للمطهرين بأنهم المطهرون من الأحداث ، وقد تقدم ما فيه. **وثانيهما** :حديث : « لا يمس القرآن إلا طاهر » وقد تقدم بيان ضعفه ، ثم أيضًا أنه مُوجه، فقد قيل في تأويله لا يمس القرآن إلا مؤمن. هذا ، ومع ضعف الاستدلالات التي استدلوا بها إلا أن هذا الرأي عليه أكثر العلماء ، فقد ذهب إليه أصحاب المذاهب الأربعة.

قال النووي في «المجموع»[1]: ومذهبنا تحريمها ، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد وجمهور العلماء ، وعن الحكم وحماد وداود يجوز مسه وحمله ، واحتج أصحابنا بقول الله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

وقال ابن عبد البر [2] في «الاستذكار» : وأجمع فقهاء الأمصار الذين تدور

---

(١) «المجموع» للنووي (٢ / ٧٢).

(٢) «الاستذكار» (٨ / ١٠).

عليهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصحف لا يمسه إلا الطاهر ، وهو قولُ مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد ، وهؤلاء أئمة الرأي والحديث في أعصارهم.

القول الثاني: جواز مسّ المصحف للمحدث، وحجة القائلين به البراءة الأصلية، أي: أنه لم يرد عندهم خبرٌ صحيح ينهى عن ذلك.

وأجابوا عن الآية الكريمة: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ بأنه ليس المراد بها المصحف إنما الكتاب المكنون، وأجابوا عن حديث: «لا يمس القرآن إلا طاهر» بأنه ضعيف الأسانيد ، وفي حال صحته فالطاهر ـ عندهم ـ المؤمن.

ومن الذين ذهبوا إلى جواز [1] مَسّ المصحف على غير طهارة فمنهم ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال في «المحلى»:

وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائزٌ كل ذلك بوضوء ، وغير وضوء للجنب والحائض فإنها أفعال خير مندوبٌ إليها مأجورٌ فاعلها فمن ادعى المنع فيها في بعض الأحوال كُلِّف أن يأتي بالبرهان. وقال أيضًا [2] : وأما مس المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يُجِز للجنب مسه فإنه لا يصح منها شيء؛ لأنها إما مرسلة ، وإما صحيفة لا سَند، وإما عن مجهول، وإما عن ضعيف.

القول الثالث: قول من قال يمسه بحائل ، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن هذا القرآن تنزيلٌ من رب العالمين، نزّله من الكتاب المكنون المحفوظ عنده أي: أن القرآن من ذلك الكتاب المكنون.

أشار إلى هذا المعنى الطبري ـ رحِمه الله تعالى ـ.

ولمزيدٍ انظر «بدائع الصنائع» (١ / ٣٣) «والمدونة» (١ / ١٠٧) و«المغني» لابن قدامة (١ / ٣٠٢) و«مجموع الفتاوى» (٢١ / ٢٦٦).

(١) «المحلى» (١ / ٧٧).

(٢) «المحلى» (١ / ٨١).

وقال آخرون من أهل العلم : إن المعنى أن هذا القرآن منزلٌ من عند الله ، لا من الشياطين.

قال الحافظ ابن كثير رحِمه الله : وقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ يحتمل أمرين:

أولهما : أن يكون الخطاب للمسلمين ، فيكون المعنى: أتداهنون ـ أيها المسلمون ـ أهلَ الكفر بهذا القرآن الذي أُنزل على نبيكم ﷺ.

أي: أتُلَيِّنون الخطاب مع أهل الكفر وأهل التكذيب بهذا القرآن ، ممالاةً منكم للكفار على التكذيب بهذا القرآن والكفر به.

الثاني : أن يكون الخطاب للكفار ، فيكون المعنى: أفبهذا الحديث أيها الكفار أنتم مكذبون ؟! أي: هل أنتم يا أهل الكفر مكذبون بهذا القرآن؟.

قال السعدي رحِمه الله :

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي : أفبهذا الكتاب العظيم ، والذكر الحكيم ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي : تختفون ، وتدلون خوفًا من الخلق وعارهم ، وألسنتهم ؟ هذا لا ينبغي ولا يليق ، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه . وأما القرآن الكريم ، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب ، إلا غلب، ولا يصول به صائل ، إلا كان العالي على غيره . وهو الذي لا يداهن به ويختفي ، بل يصدع به ويعلن.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ !

ج : هذه أيضًا تحتمل أمرين:

أحدهما: أن هذا الخطاب موجَّهٌ للكفار فيكون المعنى وتجعلون حظكم من هذا

القرآن هو التكذيب به.

الثاني: أن يكون موجّهًا للمسلمين ، ففريق منهم جعل شكره عند نزول المطر مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، فأُمروا أن يقولوا مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

فقد ورد في الصحيح: «أصبح من عبادي...»، وحديث: «أصبح من الناس شاكر وكافر...» (مسلم ٢/ ٦٠) سبب نزول: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾.

قال السعدي رحِمه الله : وقوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي : تجعلوا مقابلة منّة الله عليكم بالرزق والتكذيب والكفر لنعمة الله ، فتقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وتضيفون النعمة لغير مسديها ومواليها . فهلا شكرتم الله على إحسانه ، إذ أنزله إليكم ، ليزيدكم من فضله . فإن التكذيب والكفر ، داع لرفع النعم، وحلول النقم.

❁❁❁

س : العبد إذا أنعم الله عليه بنعمةٍ، عليه أن يقدم لها شكرًا، خلافًا لأهل الباطل . وضّح ذلك بأدلته!

ج : نعم على العبد أن يؤدّي شكرًا لنعم الله عليه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧] ولا يكون كأهل الغفلة وأهل الباطل الذين يجعلون شكرهم للهِّ تكذيبًا به وإنكارًا لفضله وجحودًا لمعروفه. قال تعالى في شأن أقوام : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

❁❁❁

س : هل صح لقوله تعالى :﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ سبب نزول ؟

ج : نعم قد صح لها سبب نزول ، وهو ما أخرجه مسلم (١) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : مُطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا » فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم..﴾ حتى بلغ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

---

(١) مسلم (حديث ٧٣).

س : ما التي بلغت الحلقوم ؟

ج : تلك هي النفوس عند خروجها من الأجساد كقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:٢٦].

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: وأنتم يامن حضرتم الميّت وشهدتموه وهو يحتضر (وهو في طريقه إلى الموت) تنظرون إليه لا تستطيعون دفع الموت عنه، لا تستطيعون إرجاع نفسه إليه.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾!

ج : قال كثيرون من أهل العلم (من أهل التفسير): المعنى: وملائكتنا أقرب إلى المحتضر منكم يا من تجالسونه ولكنكم لا تبصرونهم.

قال الطبري رحِمه الله :

ورسلنا الذين يقبضون روح المحتضر أقرب إليه منكم ولكنكم لا تبصرونهم.

قلت (مصطفى): وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]. قال عدد من العلماء: أي من حبل الوريد.

قلت (مصطفى): ويوضح معنى الآية الكريمة أيضًا حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ[1] عند أحمد وغيره ففيه: « أن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السِّقاء،

---

(١) أحمد بسندٍ صحيح (٤ / ٢٨٧).

فيَأخُذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط». ويوضحه أيضًا قوله ﷺ : « إذا حَضَرتم الميِّتَ ـ أو المريض ـ فقُولُوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون »[1].

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ فهلا يا من تنكرون البعث وتقولون لن نُبعَث ولن نُحاسَب ولن نُجَازى، صادقين في قولكم هذا الذي قلتموه فامنعوا النفوس من الخروج من الأجساد ، ولن تستطيعوا ذلك ،فدلّ عدم استطاعتكم على كذبكم في مقولتكم.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : ترجعونها قال : لتلك النفوس ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

قال الطبري:

وقوله : ﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يقول : تردّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرّها من الأجساد إن كنتم صادقين ، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة ،وجواب قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ ، وجواب قوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ جواب واحد وهو قوله: ﴿ تَرْجِعُونَهَآ ﴾ وذلك نحو قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة:٣٨] جعل جواب الجزاءين جوابًا واحدًا.

❁❁❁

س : من المراد بالمقربين ؟

ج : هم السابقون بالخيرات ، الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في مطلع هذه السورة المباركة الكريمة إذ قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾.

---

[1] مسلم (حديث ٩١٩).

وقال الطبري رحِمه الله :

هم الذين قرَّبهم الله من جواره في جناته.

قلت (مصطفى): وهذا القول ليس ببعيد ، وذلك لأن الفردوس وهو أعلى درجات الجنة فوقه عرش الرحمن كما قد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رحِمه الله:

﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم: الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدّم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

❁❁❁

س : اذكر بمزيد من الإيضاح المراد بقوله تعالى :﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: أن هذا السابق بالخيرات ـ الذي هو المقرب ـ له روحٌ وريحان أما عن الروح والريحان فقد تقدم بعض الكلام عليهما بما حاصله أن من العلماء من قال:

الروح والريحان: الراحة واستراحة أي: أن المؤمن يكون فيما هو مقبلٌ عليه في راحة وكذا فقد استراح من تعب الدنيا ونَصَبها.

وقيل أيضًا: فروح وريحان أي: أن المؤمن يكون في (روح) أي: في مغفرةٍ ورحمة (وريحان) أي رزق واسع.

وقيل أيضًا : إنه يكون في (روح) أي فرح وسعادة (وريحان) أي رزق واسع .

وقيل كذلك: إن المؤمن يكون عند موته في فرح ومغفرة ورحمة تخرج روحه في ريحانةٍ أي: في رائحة طيبة كرائحة الريحان (مع الفارق بين ريحان الدنيا وريحان الآخرة).

ويشهد لهذا المعنى ما ورد في حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ أن

رسول الله ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة مِن فِيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عَيْنٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرّون ـ يعني بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب».

وصحَّ عن الحسن عن الطبري أنه قال : تخرج روحه في ريحانة.

وقال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال قول من قال: عُني بالروح...

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ:

وكل هذه الأقوال صحيحة ، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور، والرزق الحسن﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه.

❁❁❁

س : لماذا قيل عن الجنة إنها جنة نعيم ، مع العلم بأن الجنة يتنعم بها ؟

ج : قال بعض أهل العلم ، لما كانت الجنة في الدنيا قد يتنعم بها ، وقد يؤخذ ثمرها للاتجار به ، وذلك بخلاف الجنة في الآخرة فإنها للنعيم دون غيره فمن ثم وصفت جنة الآخرة بأنها جنة نعيم.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ !

ج : ذلك ـ والله أعلم ـ يحتمل أمورًا :

أحدها : فسلام لك يا من جُعلت من أصحاب اليمين . أمانٌ لك ، ودعائي لك.

الثاني : فسلامٌ واصل إليك أيضًا من أصحاب اليمين الذين هم معك في الجنة ، وهم أيضًا الملائكة الذين أخذوك بيمينك لسوقك إلى الجنة.

قال القرطبي رحمه الله :

﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبّ من السلامة فلا تهتم لهم ، فإنهم يسلمون من عذاب الله . وقيل : المعنى سلام لك منهم ، أي أنت سالم من الاغتمام لهم . والمعنى واحد . وقيل : أي: إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلّي الله عليك ويسلم . وقيل : المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد . وقيل : معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين ، فحذف إنك . وقيل : إنه يحيا بالسلام إكرامًا ، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل : أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلّم عليه مَلَك الموت ، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود : إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام . وقد مضى هذا في سورة « النحل» عند قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٢] . الثاني: عند مساءلته في القبر يسلّم عليه منكر ونكير . الثالث: عند بعثه في القيامة تسلّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت : وقد يحتمل أن تسلّم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام . والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله :

﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين.

الثالث : فمسلمٌ لك أنك من أصحاب اليمين.

الرابع: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين أي: فَسَلِمْتَ من عذاب الله وسلمت مما تكره فإنك من أصحاب اليمين.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هذا الذي أخبرتكم به وعموم ما ذُكر في هذه

السورة الكريمة ومن الإخبار عن مصير المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين الضآلين ، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ولا اختلاف فيه ولا شك ولا ارتياب.

قال الطبري رحِمه الله :

يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقربين وأصحاب اليمين ، وعن المكذبين الضآلين ، وما إليه صائرة أمورهم ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ يقول لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: إن الله تعالى ليس تاركًا أحدًا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن ، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه.

❁❁❁

س : الحق هو اليقين ، فكيف قيل إن هذا لهو حق اليقين ؟

ج : قال بعض العلماء ذلك لمزيد من التأكيد.

وقال غيرهم : اليقين وصف للحق كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف:١٠٩]، كقوله: ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأعراف:١٦٩].

قال القرطبي رحِمه الله تعالى :

واختلف أهل العربية في وجه إضافة الحق إلى اليقين ، فقال بعض نحويِّي البصرة: قال: حق اليقين فأضاف الحق إلى اليقين كما قال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥] أي ذلك دين الملّة القيمة وذلك حق الأمر اليقين.

ثم قال: وقال بعض أهل الكوفة: اليقين نعتٌ للحق ، كأنه قال الحق اليقين والدين القيم ، فقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾والدار الآخرة ، قال فإذا أضيف توهم به غير الأول.

قال القرطبي رحِمه الله :

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه . وجاز إضافة الحقّ إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما . قال المبرِّد : هو كقولك: عين اليقين ومحض اليقين ، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين . وعند

البصريين حقّ الأمر اليقين أو الخبر اليقين . وقيل: هو توكيد . وقيل : أصل اليقين أن يكون نعتًا للحقّ فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩] وقال قتادة في هذه الآية : إن الله ليس بتاركٍ أحدًا من الناس حتى يقِفه على اليقين من هذا القرآن ، فَأَمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: نَزِّه الله عزَّ وجلَّ عمّا وصفه به الواصفون المشركون ، وتنزيهه يكون بأن تسميه بأسمائه الحسنى التي وصف بها نفسه والتي فيها اسم الله العظيم ، والله أعلم.

قال الشنقيطي رحِمه الله : وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ التسبيح : أصله الإبعاد عن السوء ، وتسبيح الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، وذلك التنزيه واجب له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والظاهر أن الباء في قوله﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ داخلة على المفعول ، وقد قدمنا في سورة (مريم) في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] أدلة كثيرة من القرآن وغيره على دخول الباء على المفعول الذي يتعدى إليه الفعل بنفسه ، كقوله : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ والمعنى : وهزي جذع النخلة . وقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج:٢٥] أي: إلحادًا إلى آخر ما قدمنا من الأدلة الكثيرة ، وعليه ، فالمعنى : سبح اسم ربك العظيم كما يوضحه قوله في (الأعلى): ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

وقال القرطبي: الاسم هنا بمعنى المسمى ، أي سبح ربك ، وإطلاق الاسم بمعنى المسمى معروف في كلام العرب ، ومنه قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

ولا يلزم في نظري أن الاسم بمعنى المسمى هنا لإمكان كون المراد نفس الاسم ، لأن أسماء الله ألحد فيها قوم ونزَّهها آخرون عن كل ما لا يليق ، ووصفها الله بأنها بالغة غاية الحسن ، وفي ذلك أكمل تنزيه لها لأنها مشتملة على صفاته الكريمة ، وذلك في

قوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله تعالى : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

❁❁❁

س : هل صح أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم»؟

ج : نعم ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود [1] وغيره من حديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ.

❁❁❁

(١) أبو داود (١ / ٥٤٢)، وأحمد (٤ / ١٥٥)، وابن ماجه (١ / ٢٢٥) وغيرهم.

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ
وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ
بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ
مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن
قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١-١٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(سَبَّحَ لِلَّهِ - وَٱلظَّٰهِرُ - وَٱلْبَاطِنُ - عَلِيمٌ - ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ - يَلِجُ - يَعْرُجُ - يُولِجُ - بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ - مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ - أَجْرٌ كَبِيرٌ - لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ - ءَايَٰتٍ - بَيِّنَٰتٍ - ٱلظُّلُمَٰتِ - ٱلنُّورِ - لَرَءُوفٌ - رَّحِيمٌ - ٱلْحُسْنَىٰ - يُقْرِضُ ٱللَّهَ - قَرْضًا حَسَنًا - يَسْعَىٰ نُورُهُم - بَيْنَ أَيْدِيهِمْ - وَبِأَيْمَٰنِهِم - بُشْرَىٰكُمُ - خَٰلِدِينَ فِيهَا - ٱنظُرُونَا - نَقْتَبِسْ - بِسُورٍ - بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ - وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ - فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ - وَتَرَبَّصْتُمْ - وَٱرْتَبْتُمْ - وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ - أَمْرُ ٱللَّهِ - وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ - فِدْيَةٌ - مَأْوَىٰكُمُ - هِيَ مَوْلَىٰكُمْ - وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾	نزَّه الله عن السوء - شهد لله بالوحدانية - مجَّد لله - صلَّى لله.
﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾	المطلع على كل شيء - ليس فوقه شيء.
﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾	الذي لا يخفى عليه شيء - الذي ليس دونه شيء.
﴿عَلِيمٌ﴾	ذو علم.
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	ثم استوى على عرشه فارتفع عليه وعلا.
﴿يَلِجُ﴾	يدخل.
﴿يَعْرُجُ﴾	يصعد.
﴿يُولِجُ﴾	يُدخل - يأخذ من طول هذا فيدخله في هذا - يأخذ ساعات من الليل فيدخلها في ساعات النهار، ويأخذ ساعات من النهار فيدخلها في ساعات الليل.
﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	الأمور المخفيةُ في الصدور.
﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	خلفاء فيه من بعد غيركم.
﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	ثواب عظيم.
﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	لا تقرون بوحدانية الله.
﴿ءَايَٰتٍ﴾	حُجج.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾	مفصّلات ـ واضحات.
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	ظلمات الكفر والضلال.
﴿ٱلنُّورِ﴾	نور الهدى والإيمان.
﴿لَرَءُوفٌ﴾	ذو رأفة.
﴿رَّحِيمٌ﴾	ذو رحمة.
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة.
﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾	يتصدق، وينفق في سبيل الله.
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾	نفقةً حلالًا طيبةً يبتغي بها وجه الله.
﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾	يضيء نورهم ـ يمضي نورهم ـ يتقدمهم.
﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾	أمامهم.
﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾	وبأيمانهم كتبهم، وقد تناولوا كتبهم بأيديهم اليمنى.
﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾	بشارتكم التي تبشرون بها اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها.
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾	ماكثين فيها، أي: في الجنات لا يتحولون عنها ولا يرغبون في التحول عنها.
﴿ٱنظُرُونَا﴾	انتظرونا وقيل أمهلونا.
﴿نَقْتَبِسْ﴾	نستضيء بنوركم، والقبس الشعلة.
﴿بِسُورٍ﴾	حاجز بين أهل الجنة وأهل النار (كما في الآية الكريمة وبينهما حجاب).
﴿ٱلرَّحْمَةُ﴾	الجنة وما فيها.
﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾	ظاهره من ناحية النار.
﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	صرفتموها عن الحق إلى الباطل. وعن الإيمان إلى الكفر ـ فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي فصرفتموها بذلك عن طاعة الله.
﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾	تلبثتم بالإيمان ـ انتظرتم حلول المصائب بأهل الإيمان ـ أخرتم التوبة من وقت إلى وقتٍ.

﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾	شككتم في توحيد الله عزَّ وجلَّ وفي نبوة رسول الله ﷺ وشككتم في البعث بعد الموت.
﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾	خدعتكم أماني نفوسكم فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم ـ قلتم سيغفر لنا ـ غرتكم الدنيا.
﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾	قضاء الله (بموتكم) ـ الموت.
﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾	خدعكم بالله الشيطان.
﴿فِدۡيَةٞ﴾	عوضٌ وبدلٌ .
﴿مَأۡوَىٰكُمُ﴾	مثواكم ومسكنكم الذي تسكنون فيه.
﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾	هي أولى بكم.
﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	بئس المكان الذي تصيرون إليه وهي النار.

❁❁❁

س : اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بالإخبار عن تسبيح كل ما في السموات والأرض لله عزَّ وجلَّ ثم ببيان ملك الله عزَّ وجلَّ للسموات والأرض وما بينهما وعلمه بما يجري فيهما وتدبيره للأمر فيهما وبينهما ، ثم حثٌّ لأهل الإيمان وحضٌّ لهم على مزيدٍ من الإيمان بالله والإنفاق في سبيله ، وإقامة الدلائل على لزوم ذلك وبيان فضيلة السابق إلى ذلك وما أُعد له من عظيم الأجر وجميل الثواب، ثم بيانٌ لبعض مشاهد القيامة ، عُقِّب بتذكير لأهل الإيمان كي يبادروا بالرجوع إلى ربهم وكي يصلحوا من شأن أنفسهم وقلوبهم ، وتنفيرٌ لهم عن سلوك مسالك أهل الكتاب قُساة القلوب واتباع طرائقهم.

ولفتةٌ إلى كتاب الله وما فيه من خير ، وأن الوحي يحيي الله به القلوب كما يحيي الأرض الهامدة بالماء ومزيدٌ من التذكير ثانيةً بالإنفاق وفضله والإيمان وفضله ، ثم بيان حال الحياة الدنيا وأنها زائلة وأن العاقبة للتقوى ، وبيانٌ لجزاء المحسنين وعقوبة المعاندين.

ثم تذكيرٌ بسابق علم الله عزَّ وجلَّ ، وأن الأمور مقدرة ومكتوبة . كل ذلك لحمل المرء على الإنفاق فإنفاقه لن يتسبب له في فقرٍ فالأمور قد قدرها الله عزَّ وجلَّ .

ثم تذكير بالأنبياء والكتب التي أنزلها الله عليهم والحق الذي جاءوا به، والعدل، وفضيلة من ناصرهم وآزرهم ، فكما أن من أممهم من ناصرهم وعاونهم فكونوا أنتم يا أصحاب محمد ممن ناصر نبيه وعاونه ورفع راية لا إله إلا الله، وتذكير بعيسى عليه السلام ومن أرسل إليهم وكيف كانوا وما أحوالهم ، وحثٌّ وحضٌّ لأهل الكتاب على الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبيان ما أُعد لهم من جميل الأجر إن هم اتبعوه وناصروه ووازروه .

ثم ختامٌ للسورة ببيانٍ كريم مفاده أن الله عزَّ وجلَّ بيده الفضل العظيم يتفضل به على من يشاء ، فمن ثمَّ لا ينبغي لأهل الكتاب أن يحسدوا أهل الإسلام، ولا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فالذي يتفضل بالنبوة والهداية هو الله عزَّ وجلَّ وكذا الذي يتفضل بمزيد من الأجر والثواب على من يشاء هو الله عزَّ وجلَّ فالأمر أمره والملك ملكه.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله عزَّ وجلَّ يخبر بأن كل ما في السموات والأرض من خلق الله من إنس وجن وملائكة وجمادات وغير ذلك يسبح لله ، كما قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

وأما تسبيح أهل الإيمان: فتنزيه الله عزَّ وجلَّ من كل ما لا يليق به مما وصفه به الواصفون المشركون ، وكذا تسبيحهم تعظيمًا له وإقرارًا منهم له بالربوبية ، وإذعانًا منهم له بالطاعة.

أما أهل الكفر فأمر الله فيهم ماضٍ ، شاءوا ذلك أم رفضوه.

وكذا يمكن صياغة المعنى بأن يقال إن كلَّ ما في السموات والأرض أذعن لله بالطاعة ونفذ فيه أمر الله ، وأقرَّ لله بالربوبية والتعظيم.

قال الشنقيطي رحِمه الله تعالى في « أضواء البيان»:

قد قدمنا مرارًا أن التسبيح هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، وأصله في اللغة: الإبعاد عن السوء، من قولهم سبح. إذا صار بعيدًا ، ومنه قيل للفرس: سابح ، لأنه إذا جرى يبعد بسرعة، ومن ذلك قول عنترة في معلقته:

إذْ لا أزَالُ عَلَى رحالةِ سَابِحٍ نَهدٌ تُعَاوِرُه الكماةُ مُكَلَّمِ

وقول عباس بن مرداس السلمي:

لَا يَغْرِسُون فسيل النَّخْلِ حولهمُ ولا تُخَاوِرُ فِي مشتاهمُ البقر

إلا سوابحُ كالعقبان مقرَبة في دارةٍ حولها الأخطار والفكر

وهذا الفعل هو سبح قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦]، وقد يتعدى باللام كقوله هنا : سبح لله ، وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له . وشكره وشكر له ، وذكر بعضهم في الآية وجهًا آخر ، وهو أن المعنى : سبح ما في السموات والأرض ، أي: أحدث التسبيح لأجل الله أي ابتغاء وجهه تعالى . ذكره الزمخشري وأبو حيان ، وقيل : سبح لله أي: صلّى له.

وقد قدمنا أن التسبيح يطلق على الصلاة ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أهل السموات والأرض يسبحون لله ، أي: ينزهونه عما لا يليق ، بينه الله جلَّ وعلا في آيات أخر من كتابه كقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١] وقوله في الصف : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف:١] أيضًا ، وقوله في الجمعة : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١] ، وقوله في التغابن : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١].

وزاد في سورة بني إسرائيل أن السموات السبع والأرض يسبحن لله مع ما فيهما من الخلق، وأن تسبيح السموات ونحوها من الجمادات يعلمه الله ونحن لا نفقهه أي: لا نفهمه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسبيح الجمادات المذكور فيها وفي قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء:٧٩] ونحو ذلك تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه.

والآية الكريمة فيها الرد الصريح على من زعم من أهل العلم ، أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها على قدرة خالقها ، لأن دلالة الكائنات على عظمة خالقها يفهمها كل العقلاء ، كما صرح الله تعالى بذلك في قوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ـ إلى قوله ـ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤] وأمثال ذلك من الآيات كثيرة في القرآن.

وقد قدمنا إيضاح هذا في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [الرعد:١٥]، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الآية [الكهف:٧٧] ، وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ وفي غير ذلك من المواضع.

وقد عبر تعالى هنا في أول الحديد بصيغة الماضي في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ ، وكذلك هو في الحشر، والصف، وعبر في الجمعة والتغابن، وغيرهما بقوله: يسبح، بصيغة المضارع.

قال بعض أهل العلم : إنما عَبَّر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله ، هو شأن أهل السموات وأهل الأرض ، ودأبهم في الماضي والمستقبل ذكر معناه الزمخشري وأبو حيان.

وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قد قدمنا معناه مرارًا وذكرنا أن العزيز ، هو الغالب الذي لا يغلبه شيء، وأن العزة هي الغلبة، ومنه قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨] وقوله : ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] أي: غلبني في الخصام ، ومن أمثال العرب عزَّ بزّ ، يعنون من غلب استلب ، ومنه قول الخنساء :

كَأَنْ لم يَكونُوا حمًى يُحْتَشَى	إذ النَّاسُ إذْ ذاكَ مَن عَزَّ بَزَّا

والحكيم ، هو من يضع الأمور في مواضعها ، ويوقعها في مواقعها.

قال السعدي ـ رحِمه الله ـ:

يخبر ـ تعالى ـ عن عظمته وجلاله ، وسعة سلطانه ، أن جميع ما في السموات والأرض ، من الحيوانات الناطقة وغيرها ، والجوامد ، تسبح بحمد ربها ، وتنزهه عما لا يليق بجلاله.

وأنها قانتة لربها ، منقادة لعزته ، قد ظهرت فيها آثار حكمته ، ولهذا قال : ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهذا بيان عموم افتقار المخلوقات ـ العلوية والسفلية ـ لربها ، في جميع أحوالها ، وعموم عزته وقهره للأشياء كلها ، وعموم حكمته في خلقه وأمره.

ثم أخبر عن عموم ملكه فقال : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ . أي : هو الخالق للمخلوقات ، الرازق المدبر لها ، بقدرته : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

❁❁❁

س : ما وجه ختام الآية بقوله : ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؟

ج : وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن يقال إنه جلَّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه فلا يُغلب على شيءٍ أراده بل أمره نافذ في خلقه ، ومع أنه عزيز فهو أيضًا حكيم في تدبيره أمور الخلائق ، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحب.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن السموات والأرض ملك لله يتصرف فيها كيف يشاء ويفعل فيها ما يريد، فأمره نافذٌ فيهما، وفيمن فيهن وبينهن.

وكذا له خزائن السموات والأرض ، من مطر ونبات وسائر الأرزاق.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يحيي من يشاء ممن أراد أن يخلقهم ، وذلك بنفخ الروح فيهم وهم في بطون الأمهات.

ويميت من يشاء أن يميته من خلقه بعد بلوغهم الأجل الذي قدّره الله لهم، وقيل: يميت الأحياء في الدنيا ويحيي الأموات للبعث.

وهناك معنى آخر أيضًا:

يحيي بالإيمان من أراد له الهداية ويميت بالإضلال من شاء له الغواية.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؟

ج: يوضحه قول النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1].

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بغير حدّ ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

❁❁❁

س: هل ورد أن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ذِكرٌ يذكر في بعض المواطن؟

ج: ما وقفت في ذلك على شيء إلا أثر على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقد سأله أبو زميل قال:

ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال

---

(١) مسلم (حديث ٢٧١٣).

(٢) أبو داود (٥١١٠) وسنده حسن.

لي: أشيء من شك ؟ قال : وضحك ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ...﴾ الآية [يونس:٩٤]. قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

❁❁❁

س : ما الذي يلج في الأرض؟ وما الذي يخرج منها ؟

ج : يلج في الأرض: المطر النازل من السماء ، والحب الذي يُبذر في الأرض وما يدفن في الأرض من حيوان وإنسان وغير ذلك، ومما يخرج منها النبات ، والمعادن والشجر ، وحيوانات كذلك كعقارب وديدان ونحو ذلك ، وكذلك البشر الذين يخرجون من الأجداث يوم القيامة.

❁❁❁

س: ما الذي ينزل من السماء؟ وما الذي يعرج فيها ؟

ج : من النازل من السماء الملائكة والأقدار والأرزاق من مطرٍ ونحوه، وكذلك ما يرسله الله من الصواعق وأنواع العذاب وصور الرحمة وغير ذلك.

والذي يعرج فيها ، منه الملائكة ، فقد قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤].

وكذلك الأرواح ، فقد وردت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ.

أخرج الإمام أحمد [١] بسند صحيح عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنّ على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من

---

(١) أحمد (٤/ ٢٨٧).

السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيُشَيِّعُهُ من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

وكذلك تعرج (تصعد) الأدعية، وكذلك الكلم الطيب والعمل الصالح الـمُتَقَبَّل وغير ذلك.

كما في الحديث: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل»[1].

❁❁❁

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؟

ج: المعنى، أنه معنا يسمعنا ويرانا كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] وكذا يدبر أمورنا ويعلم متقلبنا ومثوانا.

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٨] يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ، وطاعة

(١) مسلم (١٧٩).

ومعصيةٍ، ذو بصر ، وهو لها محصٍ، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته يوْمَ تُجْزَى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية : ٢٢].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. أي : رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم.

كما قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود:٥]. وقال: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠] فلا إله غيره ولا رب سواه.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ـ لما سأله عن الإحسان ـ: «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ:

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خَلوتَ الدهرَ يومًا فـلا تَقُـلْ: خَلَوتُ، ولكن قُـل: عَلـيّ رقيـبُ
ولاَ تَحْسَـبَنَّ الله يغفُـلُ سَـاعَةً ولا أن مـا يخْفـى عليـه يغيـبُ

❁❁❁

س: المعيةُ معيتان ، وضحهما ؟

ج : نعم المعية معيتان: معية علم واطلاع، ومنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وكما قال تعالى : ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧].

ومعية نصر وتأييد وحفظ ونحو ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

---

(١) مسلم (حديث ٨).

ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ وقوله ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهما في الغار : « لا تحزن إن الله معنا ».

وكذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

❁❁❁

س: [illegible] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾؟

ج: المعنى ، والله أعلم ، أنه يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيءٌ منها.

❁❁❁

س: [illegible] كُرِّر قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم . كُرِّر ذلك للتأكيد.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ له سلطان السموات والأرض ، وأمره نافذٌ فيهن ، وفيما بينهن من خلقه.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ . أي : هو المالك للدنيا والآخرة. كما قال : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ [الليل:١٣] وهو المحمود على ذلك كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [القصص:٧٠] وقال : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [سبأ:١] فجميع ما في السماوات والأرض ملك له ، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه . كما قال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [مريم:٩٥].

❁❁❁

س: وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم أن أمور الخلائق وما فعلوه تُرجع إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ويحتمل أن يكون المعنى أيضًا ، وإلى الله يرجع تدبير الأمور .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

ولهذا قال : ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

❁❁❁

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ ؟

ج : المعنى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل أي يطوِّل الليل أحيانًا فيأخذ من النهار أوقاتًا ويطوِّل النهار أحيانًا فيأخذ من الليل أوقاتًا ، هو القادر على ذلك وحده لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ ، أي : هو المتصرف في الخلق ، يُقَلِّب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه.

وقال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يعني بقوله﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخِل ما نقص من ساعات الليل في النهار ، فيجعله زيادة في ساعاته﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يقول : ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل ، فيجعله زيادة في ساعات الليل.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ وهو ـ عزَّ وجلَّ ـ ذو علم بما هو مستكن ومُستقرٌ في صدور العباد ، أبدوه وأعلنوه ! أم أخفوه وأضمروه ، كما قال : ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء:١١٠].

❁❁❁

س: كيف وُجِّه إليهم الأمر بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهم مؤمنون ؟

ج : قد يقال إن هذا الأمر مُوجهٌ لمن لم يؤمن وعليه فلا إشكال وأما في حالة توجيهه إلى أهل الإيمان فيحتمل ذلك أمورًا:

أحدها : اثبتوا على إيمانكم بالله ورسوله.

الثاني : صدِّقوا بالله وبرسوله وبما أخبركم به.

الثالث : ازدادوا إيمانًا بالله ورسوله.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أنفقوا مما جعلكم الله خلفاء لمن كان قبلكم على هذا المال ، فهذا المال كان بأيدي غيركم ثم ماتوا وتركوه لكم ، فجعلكم الله خلفاء فيه من بعدهم فأنفقوا منه في طاعة ربكم.

وفيه إشارة إلى أنكم كما استخلفتم فيه سيستخلف فيه غيركم ، أي إنكم ستموتون وتتركونه لغيركم .

قال ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

أمر الله تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحثَّ على الإنفاق ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي : مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى

استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وقوله : ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ : إشارة إلى أنه سيكون مخلفًا عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يُعصى الله به فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يقول ـ جلّ ثناؤه ـ وأنفقوا مما خوَّلكم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله.

❁❁❁

س: ما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ؟

ج : المراد بهذا الاستفهام التوبيخ ، فالمعنى ، ومالكم لا تصدقون بوحدانية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقد جاءتكم الرسل يدعونكم للإيمان به ، وأُخذ عليكم الميثاق وأنتم في بطون الأمهات ، وأخذ عليكم الميثاق على ألسنة الأنبياء أن تؤمنوا به ، فأي عذر يمنعكم إذن من الإيمان وقد أزيحت عنكم العلل ، وجاءتكم الرسل.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾؟

ج : قال الطبري رحِمه الله تعالى ـ في تفسيرها ـ:

يقول ـ تعالى ذكره ـ: وما لكم لا تؤمنون بالله ، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ، ما قطع عذركم ، وأزال الشكّ من قلوبكم ،﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قيل : عني بذلك : وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صُلب آدم ، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه.

❁❁❁

س : ما المراد بالميثاق ، ومن الذي أخذه ؟

ج: الميثاق هو المأخوذ على بني آدم وهم في صلب أبيهم آدم والذي أخذه هو الله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

وقال بعض العلماء : ويعني بذلك بيعة رسول الله ﷺ التي بايع عليها أصحابه سواء يوم العقبة أو عموم البيعات.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؟

ج : قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول : إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يومًا من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم.

وقال القرطبي رحِمه الله: وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تقرون بشرائط الإيمان.

❁❁❁

س : ما المراد بالآيات البينات ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ وأعظمها القرآن ، ثم سائر المعجزات كانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر، ونحو ذلك.

والآيات البينات معناها الحجج الواضحات الجليات.

❁❁❁

س : يفترض أن الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ يُذكِّرون الناس دومًا بالآيات فتلك أعظم سبل الهداية دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، وقوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦] ، وقوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، وقوله تعالى : ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]. فالتذكير بالقرآن أو لى بلا شك من أي تذكير ، وكذلك فالتذكير بسنة رسول الله ﷺ أولى من أي تذكير غير الكتاب والسنة.

ولقد قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: في تفسير قوله تعالى : ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ قال : بالقرآن ، وقيل بالرسول وقيل: بالدعوة.

❁❁❁

س: اذكر بعض ما يدل على أن هذا القرآن نور؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، وقوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى:٥٢].

❁❁❁

س : ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ؟

ج : وجه ذلك أن من رأفة الله ورحمته قد أنزل على عبده الذي هو رسول الله محمد ﷺ آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ج : هذا ـ والله أعلم ـ حثٌّ على الانفاق في سبيل الله وتحريضٌ عليه.

والمعنى ، وما لكم أيها الناس ، وما لكم يا أهل الإيمان تبخلون بالمال ولا تنفقون

في سبيل الله وأنتم توقنون أنكم ستموتون، وغيركم سيموت ، وسيرث الله الأرض ومن عليها. فأنفقوا حتى يُدَّخر لكم ذلك عند ربكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

ولما أمرهم أولًا بالإيمان والإنفاق ، ثم حثَّهم على الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، حثَّهم أيضًا على الإنفاق فقال : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، أي : أنفقوا ولا تخشوا فقرًا وإقلالًا ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنهما ، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩] وقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦] فمن توكل على الله أنفق ، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا، وعلم أن الله سَيُخْلِفُه عليه.

قال القرطبي ـ رحِمه الله ـ:

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله ، وفيما يقرِّبكم من ربكم وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى : فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق لله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إنهما راجعتان إليه بآنقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له.

❁❁❁

س: ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ..﴾ ؟

ج : قال أكثر [1] أهل العلم: المراد به: فتح مكة وقال آخرون المراد به صلح الحديبية.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن أبي سعيد الخدري:

قال : قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية : « يوشك أنْ يأتي قوْمٌ تحقُرون أعمالكمْ

(١) قال القرطبي رحمه الله: أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة.

مع أعمالهمْ ، قلنا : من هم يارسول الله ، أقريش هم ؟ قال : لا ، ولكنْ أهْلُ اليمنِ أرقُّ أفئدةً وألين قلوبًا ، فقُلنا : هم خيرٌ منّا يا رسول الله ؟ فقال : لوْ كان لأحدهمْ جبلٌ منْ ذهب فأنْفقه ما أدْرك مدّ أحدكمْ ولا نَصِيفَهُ ، ألا إنّ هذا فصل ما بيننا وبين النَّاسِ ، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ ... الآية ، إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

❁❁❁

س: عقب قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ مقدر محذوف مفهوم من السياق وضحه ؟

ج : إيضاحه: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل.

❁❁❁

س: النفقة في أوقات الشدة ، وعلى من هم أشد احتياجًا أجرها أعظم دلِّل على ذلك .!

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام وفعلُ ذلك كان على المنفقين حينئذٍ أشق والأجر على قدر النصب . والله أعلم.

قلت (مصطفى) ومن الأدلة أيضًا على ما ذُكر ، قوله تعالى : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١١ـ١٦] فالمعنى: أن من الأسباب التي تسبب اقتحام العقبة المساهمة في عتق الرقاب أو الإطعام في يوم ذي مجاعة شديدة ، وذلك الإطعام يطعمه يتيمٌ قريب، أو مسكين شديد المسكنة قد أسكنه الفقر، وأسكنته الحاجة والعوز كأنّ يده لاصقة بالتراب من شدة الفقر.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

ثم ذكر تعالى ، تفاضل الأعمال ، بحسب الأحوال والحكمة الإلهية فقال : ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ المراد بالفتح هنا هو: فتح الحديبية حين جرى من الصلح بين الرسول، وبين قريش، مما هو أعظم الفتوحات، التي حصل فيها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض. فدخل الناس من ذلك الوقت، في دين الله أفواجًا، واعتز الإسلام عزًا عظيمًا. وكان المسلمون قبل هذا الفتح، لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها ، كالمدينة وتوابعها. وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها ، من ديار المشركين، يُؤذى ويخاف. فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وقاتل ، أعظم درجة وأجرًا وثوابًا ، ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك ، كما هو مقتضى الحكمة . ولهذا كان السابقون ، وفضلاء الصحابة ، غالبهم أسلم قبل الفتح.

❁❁❁

س: اذكر بعض هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا.!

ج : من هؤلاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وعمر، وعثمان، وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

ومن هؤلاء البدريين عمومًا أي: من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، وكذا من شهد أحدًا والأحزاب وغير هؤلاء ممن أسلموا قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا.

❁❁❁

س: السابقون بالإيمان والخيرات لهم قدرٌ وينبغي أن يعرف لهم قدرهم وأن ينزلوا منازلهم ، دلِّل على ذلك ؟)

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وقول النبي ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب**

الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جبرٌ للخاطر، وضّحه؟

ج: إيضاحه: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذكر عظيم الأجر الذي أعده للسابقين الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا عقَّب ذلك بذكر الأجر الذي أعده لغيرهم من المؤمنين المنفقين المقاتلين أيضًا، فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ونحو هذا في المعنى قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٨، ٧٩] ثم قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٧٩] فأو ضح الله أيضًا فضل نبيه داود ـ عليه السلام ـ فإن كان الله عزَّ وجلَّ أفهم سليمان مسألةً، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ بعض فضله على نبيه داود ـ عليه السلام ـ كذلك!

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؟

ج: المعنى، أن المنفقين من قبل الفتح والمقاتلين من قبل الفتح، وكذا المنفقين من قبل الفتح والمقاتلين كل هؤلاء وعدهم الله الجنة على تفاوتٍ في الدرجات فيها.

قال القرطبي رحِمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعًا الجنة مع تفاوت الدرجات.

❁❁❁

---

(١) مسلم (حديث ٦٧٣).

س : قَدْرُ كم هذا التضعيف ؟

ج : التضعيف لا يعلم قدره إلا الله فهنالك ما يدل على أن التضعيف إلى عشرة أضعاف قال تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، وهنالك ما يدل على أن التضعيف إلى سبعمائة ضعف قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]. وهنالك ما يدل على أن التضعيف أكثر من ذلك كما في الحديث: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه فيربيها كما يربي أحدُكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**»[1]، ولقد قال تعالى أيضًا : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

وأَوْرَدَ هنا ما أخرجه عبد بن حميد في المنتخب[2] بسندٍ صحيح

أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله إن لفلان نخلة وإنما أُقيم حائطي بها ، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها . فقال له النبي ﷺ : « **أَعطِهَا إياهُ بِنَخلَةٍ في الجنَّة**» فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال : بعني نخلتك بحائطي قال : ففعل قال : فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي ، فاجعلها له وقد أعطيتكها فقال رسول الله ﷺ: «**كَم مِن عِذق رَوَّاح لأَبي الدَّحْدَاح في الجنَّة**» قالها مرارًا. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح أخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها.

وقد ورد نحو هذا الحديث[3] عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بسندٍ ضعيف ، وفيه لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ ..﴾ [البقرة:٢٤٥] قال أبو الدحداح يا رسول الله وإنَّ الله ليريد منا القرض ؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يارسول الله قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط[4] فيه ستمائة نخلة.

❁❁❁

---

(١) البخاري بنحوه (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٣٢).

(٣) انظر البزار (٥/ ٤٠٢) وسنده ضعيف كما أشرنا.

(٤) المراد بالحائط الحائط البستان.

س: وضّح بعض ما يمتاز به القرض الحسن ؟

ج : يمتاز القرض الحسن بالآتي ذِكره :

أولًا: أن يكون من مالٍ حلال ورزق حلال.

ثانيًا: أن يبتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ دون الرياء والسمعة.

ثالثًا: أن يستر فيه على الفقير ولا يفضح.

رابعًا: أن يكون من الجيد ولا يكون من الخبيث.

خامسًا : أن تكون النفس طيبة عند إخراجه.

سادسًا : ألا يتبع بالمن والأذى.

سابعًا : أن يسأل فاعله ربه القبول.

❁❁❁

س : ما المراد بالأجر الكريم ؟

ج : المراد به ، والله أعلم ، الجنة.

❁❁❁

س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ؟

ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فالمعنى: وله أجرٌ كريم في يومٍ ترى المؤمنين والمؤمنات.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ ؟

ج: قال بعض العلماء : ، المعنى يضيء لهم نورهم ، ويتقدمهم بحسب درجات إيمانهم ، ويكون عن يمينهم أيضًا، وبأيمانهم كذلك هذا النور فمنهم من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، ومنهم أكثر من ذلك ومنهم أقل من ذلك.

وقال آخرون : يسعى نورهم ، أي: يسعى إيمانهم وهداهم وبأيمانهم كتبهم أي: وكتبهم قد تلقونها بأيمانهم واختاره الطبري.

وأخرج ابن أبي حاتم [(١)] بسندٍ عن سليم بن عامرٍ قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أُمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أُمامة: أيها الناس؛ إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا ـ يشير إلى القبر ـ بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمرٌ من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا، ويُترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور:٤٠] إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾. وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم وقد ضُرب بينهم بسور له باب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ...﴾ الآيات. يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ مقدرٌ محذوف وضّحه.؟

ج: المقدر ـ والله أعلم ـ هو: يقال لهم، أي: يقال لهم بشراكم اليوم.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أنهار ماذا؟

ج: أنهارٌ من ماء غير آسنٍ، وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفى. وكذلك هنالك سيحان وجيحان والنيل والفرات وكذلك فهنالك الحوض والكوثر وكذلك فهنالك نهر الحياة.

---

(١) نقلًا عن تفسير ابن كثير.

س : قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ عائدٌ على ماذا ؟

ج : عائدٌ على الجنات والخلود فيها.

❁❁❁

س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ ؟

ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فالمعنى ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون.

❁❁❁

س : هل في قوله تعالى : ﴿ٱنظُرُونَا﴾ قراءات أُخر ؟ وما المعنى ؟

ج : أما قولهم (انظرونا) أي انتظرونا وهنا قراءة أخرى أَنظِرونا بمعنى أَخرونا ومنه : ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤].

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ٱنظُرُونَا﴾ فقرأت ذلك عامةُ قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ موصوله بمعنى : انتظرونا ، وقرأته عامة قراء الكوفة: «أَنْظِرُونا» مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى: أخرونا، وذكر الفرّاء أن العرب تقول: أنظرني وهم يريدون : انتظرني قليلًا، وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم :

أبـا هِنْـدٍ فَـلا تَعْجَـلْ عَلينَـا وأنْظِرْنَـا نُخَبِّـرْكَ اليقِينَـا

قال: فمعنى هذا: انتظرنا قليلًا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع كقولك للرجل : اسمع مني حتى أخبرك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا ، وليس للتأخير في هذا الموضع معنى ، فيقال : أنظرونا ، بفتح الألف وهمزها.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أنه قد قيل لهؤلاء المنافقين الذين طلبوا من أهل الإيمان أن ينتظروهم ـ ارجعوا وراءكم حيث كان يقسم النور فالتمسوا نورًا.

وأورد الطبري: بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورًا؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور.

❁❁❁

س: من القائل: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن القائلين هم الملائكة، وقيل: إن القائلين هم المؤمنون.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن أهل النفاق ينادون أهل الإيمان ألم نكن مسلمين في الدنيا معكم كما كنتم مسلمين، نشهد معكم الجماعات ونتزوج منكم ونجالسكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾. قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللّذات والمعاصي والشهوات، ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾، أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بالحق وأهله. ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، أي: بالبعث بعد الموت، ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾، أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت، ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾، أي: الشيطان.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: أنكم كنتم معنا بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا.

قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحوهم ويعينونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتًا ، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويُماز بينهم حينئذٍ.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، وجعل بين أهل الإسلام والإيمان وأهل الكفر والنفاق حائط له جانبان جانب من جوانبه عنده أهل الإيمان، والآخر عنده أهل الكفر والنفاق كما قال تعالى : ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف:٤٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ: وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرائيلياته وتُرَّهاتِه . وإنما المراد بذلك سُورٌ يضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

قال الرازي في تفسيره: الباء في قوله ﴿بِسُورٍ﴾ صلة وهو للتأكيد ، والتقدير : ضرب بينهم سور كذا، قاله الأخفش، ثم قال ﴿لَّهُۥ بَابٌ﴾ أي لذلك السور باب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: في باطن ذلك السور الرحمة ، والمراد من الرحمة: الجنة التي فيها المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني وخارج السور﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي من قبله يأتيهم العذاب، والمعنى: أن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة ، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب ، والحاصل أن بين الجنة والنار حائط وهو السور ، ولذلك السور باب ، فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور ، والكافرون يبقون في العذاب والنار.

❁❁❁

س : ما المراد بفتنتهم لأنفسهم ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ صرفهم لها عن الحق.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة: ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فتنتم أنفسكم، فنافقتم. وفِتْنَتهم أنفسَهم في هذا الموضع كانت النفاق.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ فيوم القيامة لا تقبل منكم يا أهل الكفر أية فديةٍ إن افتديتم بها، فمهما بذلتم من مال ـ ولن يوجد ـ فلن يقبل منكم هذا المال.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام:٧٠].

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ...﴾ [المعارج:١١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨].

وفي الحديث: «أن الله عزَّ وجلَّ يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم أن لاتشرك، ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك»[1].

وفي رواية يقال للكافر يوم القيامة: «أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك»[2].

❁❁❁

(١) مسلم (٢٨٠٥)، والبخاري (٣٣٣٤).

(٢) مسلم طرف حديث (٢٨٠٥)، والبخاري (٢٨٠٥).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٦ـ١٩].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَلَمْ يَأْنِ ـ ءَامَنُوٓاْ ـ تَخْشَعَ ـ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ـ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ـ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ـ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ـ فَٰسِقُونَ ـ ٱلْمُصَّدِّقِينَ ـ قَرْضًا حَسَنًا ـ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾	ألم يحِنْ ـ ألم يأت الوقت
﴿ءَامَنُوٓاْ﴾	صدقوا الله ورسله.
﴿تَخْشَعَ﴾	تلين ـ تخضع وتطبع.
﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾	الذي نزل من الحق (وهو القرآن)
﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾	اليهود والنصارى، والكتاب (التوراة والإنجيل) اليهود أوتوا التوراة ، والنصارى أوتوا الإنجيل.
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾	الأمد هو الدهر، والزمن، وطال عليهم الأمد أي: ابتعدوا كثيرًا عن التذكير والوعظ ، أي: ابتعدوا عن الزمن الذي كان فيه تذكيرٌ ووعظ ونبوات ، وقيل: طال عليهم الأمد في

	النعيم ، أي: نُعِّموا زمنًا طويلًا.
﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	فسدت قلوبهم ـ ثبتت على المعاصي ـ امتنعت عن قبول الخير ، وتأبَّت على ذلك [1].
﴿فَٰسِقُونَ﴾	خارجون عن الطاعة.
﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾	المنفقين من أموالهم (صدقة الفرض وصدقة النفل).
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾	صدقة من الحلال الطيب يبتغى بها وجه الله.
﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾	ثواب من الله عظيم.

❁❁❁

س: من الذين عناهم الله بقوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ؟

ج : هم الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ ، أي: آمنوا برسول الله ﷺ وبالذي أُنزل عليه.

❁❁❁

س: متى نزلت هذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلا أربع سنين [2].

قلت : وإسلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان متقدمًا فعلى هذه فالآية مكية ، والله أعلم.

❁❁❁

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذي حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد.

(٢) مسلم (حديث ٣٠٢٧).

س : ذكر بعض العلماء أن هذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ..﴾ كانت سببًا لزهد ابن المبارك وتوبة الفضيل بن عياض رحمهما الله ، فهل لذلك من أصل ؟

ج : أورد القرطبي في تفسيره شيئًا من هذا فقال :

وهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما ـ الله تعالى ـ ذكر أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القَلاَنسيُّ قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق ، قال حدّثنا علي بن يعقوب الزيات ، قال حدثنا إبراهيم بن هشام ، قال حدثنا زكريا بن أبي أبان ، قال حدثنا الليث بن الحرث قال حدّثنا الحسن بن داهر ، قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال : كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا ، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه ، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا ، وكنت مولعًا بضرب العودِ والطُّنبور ، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السَّحَر ، وأراد سنان يغنِّي ، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة ، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد ، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان ـ يعني العود الذي بيده ـ ويقول : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قلت : بلى والله! وكسرت العود ، وصرفت من كان عندي ، فكان هذا أوّل زهدي وتشميري . وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود :

أَلَمْ يأنِ منك أن تَرْحَمَا ... وتَعْصِ العَوَاذِلَ واللُّوَّما
وتَرْثِي لصَبٍّ بكم مُغْرَمٍ ... أقام على هجركم مَأْتَمَا
يبيتُ إذا جَنَّهُ لَيلُهُ ... يراعِي الكَواكِبَ والأَنْجُمَا
وماذا على الظَّبي لَوْ أنَّهُ ... أحَلَّ مِن الوَصْلِ ما حَرَّمَا

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلًا ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئًا يقرأ : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن! فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة ، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلًا يقطع الطريق . فقال الفضيل: أوّاه! أراني

بالليل أسعى في معاصي الله ، قوم من المسلمين يخافونني اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾؟

ج : أمّا الأمد فهو الدهر والزمن.

والآية في معناها وجوه :

أحدها : طال عليهم الزمن في البعد عن الرسالات والمواعظ ، فلما ابتعدت اليهود عن نبيهم موسى عليه السلام وابتعدت النصارى عن عيسى ـ عليه السلام ـ وترك هؤلاء وأولئك استماع العلم والمواعظ تسربت القسوة إلى قلوبهم ، فالبعد عن العلم والوعظ يقسي القلوب ، ولذا اسْتُحِب للشخص أن يتعاهد نفسه باستماع المواعظ ، ومن ثمَّ فقد كان النبي ﷺ يعظ أصحابه ويتخولهم بالمواعظ

❁❁❁

س: من الذين عناهم الله بقوله : ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وما الكتاب الذي أوتوه ؟

ج : أما الذين أوتوا الكتاب فهم اليهود والنصارى أما الكتاب الذي أوتوه ، فقد أوتي اليهود التوراة وأوتي النصارى الإنجيل، والله أعلم.

❁❁❁

س: اذكر ما يدل على كثرة الفاسقين من أهل الكتاب ؟

ج : من الدليل على ذلك ما يلي: قوله تعالى : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣].

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ ؟

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجلَّ يحيي الأرض بالماء الذي ينزله عليها فتنبت النبات وتُخرج ثمرتها بعد أن كانت ميتة. وكذلك القلوب الميتة التي ليس فيها إيمان يحييها الله بالإيمان وبالقرآن، فتهتدي بعد الضلالة، وتُبصر بعد العمى.

قال الطبري ـ رحِمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ذكره: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الميتة التي لاتنبت شيئًا ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسدِّده للإيمان حتى يصير مؤمنًا من بعد كفره، ومهتديًا من بعد ضلاله.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ: وقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحَيارى بعد ضَلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحَكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قراءتان وضِّحهما ؟

ج: القراءتان هما:

الأولى: المُصَّدِّقين والمُصَّدِّقات بتشديد الصاد والدال. وهي كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزّمل:١] أي: ياأيها المزمل فالمعنى: إن المتصدقين والمتصدقات أي المتصدقين من أموالهم والمتصدقات من أموالهن صدقة الفرض أو صدقة النفل.

والقراءة الثانية: المُصَدِّقين والمُصَدِّقات بتخفيف الصاد وتشديد الدال.

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، صحيح معنى كل واحدة منهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ وأنفقوا في سبيل الله لنصرة دينه ، وفي وجوه الخير التي أمر بها ، نفقةً حلالًا طيبةً بها نفسه.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل النفقة في سبيل الله ؟

ج : من ذلك ما يلي: قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقول النبي ﷺ: «مَنْ تَصدَّق بعَدْل تَمْرةٍ من كَسْبِ طيبٍ ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فُلُوَّه ، حتى تكونَ مثلَ الجبلِ»[١] وقول النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ »[٢]، وقول النبي ﷺ: «سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجلٌ تصدَّقَ أَخْفَى حتى لا تعلم شِمالُهُ ما تنفق يمينه »[٣].

وقول النبي ﷺ : « ما نَقَصتْ صدقةٌ من مال »[٤]. وقد سبقت في سور أُخر أدلة كثيرة في هذا الباب فليراجعها من شاء في مواطنها وبالله التوفيق.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾؟

ج : قال الطبري ـ رحِمه الله ـ: والذين أقروا بوحدانية الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته وإرساله رسله فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به من عند ربهم أولئك هم الصديقون.

---

(١) البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).
(٢) البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).
(٤) مسلم (٢٥٨٨).

س: هل كل من آمن بالله ورسله يعد صديقًا ؟

ج : نعم يعدُّ صديقًا، ولكن ذلك على قدر إيمانه وتصديقه فإذا كان تصديقه تامًا وإيمانه كاملاً دخل في عداد الصديقين بحسب إيمانه وتصديقه وإذا كان دون ذلك فمنزلته من الصديقية دون ذلك.

❁❁❁

س: أيهما أعلى منزلةً الصديقون أم الشهداء ؟

ج : اعلم أولًا أن الشخص قد يجمع بين الدرجتين الصديقية والشهادة أما إذا لم يجمع بينهما ، وكان المراد بالشهداء القتلى في سبيل الله ، فالصديقون أعلى منهم رتبة يوم القيامة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] فَقُدِّم الصديقون على الشهداء في السياق.

قال القرطبي: فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين ، والصالحون يتلون الشهداء.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد يجمع الشخص بين ما ذُكر وقد يجمع بعض ما ذُكر. ولقد قال نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩] فيكون الصلاح هنا مرتبة عليا أيضًا.

هذا ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن أهل الجنة يتَراءَيونَ أَهلَ الغُرَفِ مِنْ فَوقِهِمْ كَمَا يتَرَاءَوْنَ الْكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ في الْأُفْقِ مِنَ الْمَشْرِق أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ ما بَينَهُمْ. قَالُوا: يا رَسُولَ الله ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِياءِ لاَيَبْلُغُهَا غَيرَهُمْ؟ قَالَ: بَلى وَالَّذِى نَفْسِي بِيدِهِ، رِجالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْـمُرْسَلِين».[1]

❁❁❁

س : من المعنيون بالشهداء في هذه الآية الكريمة ؟

ج : قيل: إن المراد بالشهداء الرسل يشهدون على أممهم يوم القيامة ، وشاهد

---

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

هذا القول قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]. وقيل: إنهم عموم من يشهد يوم القيامة ، وهم أمة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣]. وذكر بعض العلماء أن الشهداء هم القتلى في سبيل الله وهذا أقرب الأقوال ـ في نظري ـ إلى الصحة ، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل الوقف في الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ عند قوله: ﴿الصِّدِّيقُونَ ﴾ أم عند قوله: ﴿وَنُورُهُمْ ﴾؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما : أن الوقف عند قوله الصديقون فيكون المعنى، والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ، ويكون المعنى قد انتهى ثم ابتُدأ معنى جديدًا ألا وهو بيان أجر الشهداء في قوله تعالى : ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾. وقد ورد هذا القول عن ابن عباس بسندٍ ضعيف [(١)] عند الطبري ، فقال ابن عباس في قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ قال هذه مفصولة ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾. ولكنه قد صح عن مسروق [(٢)] نفس المعنى فقال : ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ قال: هي للشهداء خاصة.

الثاني : أن الوقف عند قوله ونورهم ، فيكون المعنى أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم أيضًا الشهداء على الخلق عند ربهم ، ويكون أيضًا ادخر لهم أجرهم ، ونورهم.

وأورد الطبري في ذلك حديثًا [(٣)] من طريق البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مُؤْمِنُوا أُمَّتِي شُهَدَاءُ . قال : ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ».

---

(١) وذلك لأنه من سلسلة العوفيين عن ابن عباس، وهي سلسلة ضعيفة جدًا.

(٢) وذلك عند الطبري في تفسير الآية المذكورة.

(٣) الطبري (٣٣٦٥٣)، وفي سنده إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف.

قلت (مصطفى): وفي سنده ضعف.

وأثرًا آخر من طريق شعبة [١] قال :أخبرنا أبو قيس أنه سمع هذيلًا يحدّث: قال : ذكروا الشهداء ، فقال عبد الله : الرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل للدينا ، والرجل يقاتل للسمعة ، والرجل يقاتل للمغنم ؛ قال شعبة شيئًا هذه معناه : والرجل يقاتل يريد وجه الله ، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد ، وقرأ عبد الله هذه الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا ، وقد قال الطبري في تفسيره : وقوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله ، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله ، متناه عند قوله ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ مرفوعون بقوله : هم ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله : ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

ثم قال أيضًا : وقال آخرون : بل قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ من صفة الذين آمنوا بالله ورسله ؛ قالوا : إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدئ الخبر عما لهم، فقيل : لهم أجرهم ونورهم.

ثم قال الطبري : والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : الكلام والخبر عن الذين آمنوا ، متناه عند قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ وإن قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ عن الشهداء.

وإنما قلنا : إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر ، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره ، إلا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه ، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعض البعد ، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه ، إذا أطلق بغير وصل ، فتأويل قوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ إذن والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله ، أو هلكوا في سبيله عند ربهم ، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم.

❁❁❁

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبري (٣٣٦٥١).

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠ ـ ٢٤].

س: اذكر معنى مايلي:

(﴿وَزِينَةٌ ـ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ـ وَتَكَاثُرٌ ـ غَيْثٍ ـ ٱلْكُفَّارَ ـ يَهِيجُ ـ مُصْفَرًّا ـ حُطَٰمًا ـ وَرِضْوَٰنٌ ـ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ـ نَّبْرَأَهَآ ـ تَأْسَوْاْ ـ ءَاتَىٰكُمْ ـ مُخْتَالٍ ـ فَخُورٍ ـ يَبْخَلُونَ ـ يَتَوَلَّ ـ ٱلْحَمِيدُ﴾)

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَزِينَةٌ﴾	ما تتزينون به.
﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾	تفاخر بعضكم على بعض (تَعَالى بعضكم على بعض).
﴿وَتَكَاثُرٌ﴾	تباهى بالكثرة.

﴿غَيْثٍ﴾	مطر
﴿ٱلْكُفَّارَ﴾	الزراع (وهم هنا ـ والله أعلم ـ الذين يبذرون البذرة ويغطونها في الأرض).
﴿يَهِيجُ﴾	يجف بعد خضرته.
﴿مُصْفَرًّا﴾	متغيرًا إلى الصفرة بعد الاخضرار.
﴿حُطَٰمًا﴾	متهشمًا ـ محطمًا مكسرًا متفتتًا ـ
﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾	رضى من الله عزَّ وجلَّ.
﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	متاع يتمتع به، وينتفع به، ولا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة.
﴿نَّبْرَأَهَآ﴾	نخلقها (نخلق الأنفس)
﴿تَأْسَوْاْ﴾	تحزنوا ـ تندموا
﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾	أعطاكم ـ (جاءكم منها).
﴿مُخْتَالٍ﴾	متكبر أوتي من الدنيا.
﴿فَخُورٍ﴾	مفتخر على الناس بما أوتي.
﴿يَبْخَلُونَ﴾	يمنعون الواجب عليهم إخراجه.
﴿يَتَوَلَّ﴾	يعرض عن الموعظة.
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾	الحميد إلى خلقه بما أنعم عليهم.

❁❁❁

س: ما وجه الاتصال بين قوله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ ...﴾ وبين الآية التي تتقدمها ؟

ج: قال القرطبي ـ رحِمه الله ـ: قوله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفًا على نفسه من القتل ، وخوفًا من لزوم الموت ، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى.

❁❁❁

س: هل كل لهب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر حرام؟

ج: ليس كل اللعب حرام، بل من اللعب ما هو مباح وحلال كملاعبة الرجل أهله وفرسه واللهو المباح في الأفراح (ففي الحديث ماذا كان معكم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو)[1]

والزينة التي أباحها الله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] وكذا التفاخر بالخير الموصل إلى مرضات الله كما كانت الأوس والخزرج يتفاخرون بمناقبهم في الخير، وكذا قد قال النبيﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[2].

❁❁❁

س: وضّح معنى الآية الكريمة: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ..﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به، وزينة تتزينون بها، وتفاخر بينكم يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠] يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضًا بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يبس ذلك النبات ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزُّمَر:٢١] بعد أن كان أخضرَ نضرًا.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ يقول تعالى ذكره:ثم يكون ذلك النبات حطامًا، يعني به أنه يكون نبتًا يابسًا متهشمًا﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).

(٢) أبو داود (حديث ٢٠٥٠) بسند صحيح.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

يقول تعالى مُوهّنًا أمر الحياة الدنيا، ومحقّرًا لها: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾. أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران:١٤].

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن التفاخر؟

ج: أخرج مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد ولا يفخر أحدٌ على أحد»[(١)].

ثم إن هذا التفاخر من أمر الجاهلية، قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت...»[(٢)].

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة؛ فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾[الشورى:٢٨].

وقوله: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾. أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم

---

(١) مسلم في طرف حديث (٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٩٣٤).

أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ ، أي : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًّا بعدما كان خضرًا نَضرًا ، ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بعد ذلك كله إلى أن : يصير يبسًا متحطمًا ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزًا شوهاء ، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًّا طريًّا لين الأعطاف ، بهي المنظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويَنْفَدُ بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة ، يعجزه الشيء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤] . ولما كان هذا المثل دالًّا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حَذّر من أمرها ، ورغَّب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا ؛ إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ، أي : هي متاع فإن غارّ لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها ، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

أما سائر أقوال العلماء فمنها:

قول القرطبي ـ رحمه الله ـ:

إذ قال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أي مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ الكفّار هنا : الزرَّاع لأنهم يغطّون البذر . والمعنى: أن الحياة كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشِيمًا كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن . وقد مضى معنى هذا المثل في « يونس» و « الكهف» . وقيل : الكفّار هنا الكافرون بالله عزَّ وجلَّ ، لأنهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين . وهذا قول حسن ، فإن أصل الإعجاب لهم وفيهم ، ومنهم يظهر ذلك ، وهو التعظيم للدنيا وما فيها . وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم ، وتتقلل عندهم وتدق إذا ذكروا الآخرة . وموضع الكاف رفع على الصفة .﴿ثُمَّ

يَهِيجُ﴾ أي يجف بعد خضرته ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ أي متغيرًا عما كان عليه من النضرة. ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي فُتاتًا وتِبْنًا فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر. ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي للكافرين. والوقف عليه حسن، ويبتدئ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي للمؤمنين. وقال الفراء: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ تقديره: إما عذاب شديد وإما مغفرة، فلا يوقف على «شَدِيدٌ». ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ هذا تأكيد ما سبق، أي تغر الكفار، فأما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ إلى الجنة. وقيل: العمل للحياة الدنيا متاع الغرورِ تزهيدًا في العمل للدنيا، وترغيبًا في العمل للآخرة.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وفي الآخرة إما عذاب شديد لأهل الكفر وإما مغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؟

ج: المعنى: سابقوا إلى عملٍ صالحٍ تُغفر به ذنوبكم قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ بعد أن فسَّر قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ ...﴾ وأورد حديث رسول الله ﷺ: «لَلْجَنَّةُ أقربُ إلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[1]. قال ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك، فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات، من فعل الطاعات، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات، فقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمراد جنس السماء والأرض، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

❁❁❁

(١) إسناده صحيح: وأخرجه أحمد (١/ ٤٤٢).

س: وردت جملة من الأدلة في الحث على المسارعة إلى الخيرات والتسابق إليها اذكر بعضها؟

ج : من ذلك ما يلي :

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

❁❁❁

س: إذا كان عرض الجنة السموات والأرض فما طولها ، وأين تكون حينئذٍ؟

ج : الطول ـ والله أعلم ـ لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، وذِكْرُ عرضها فيه تنبيه وإشارة إلى عظيم طولها ، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، كماقال تعالى : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت بطائن الفُرُشِ (الحشو الداخلي) من إستبرق وهو الحرير ، فكيف بالظواهر.

ونحوه من التنبيه بالأدنى على الأعلى قوله تعالى : ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] فإذا كان الذين يصلون بعض الصلوات ويتركون بعضًا توعدهم الله بالويل فكيف بالذين لا يصلون.أما أين تكون الجنة حينئذٍ ، وطولها أطول من السموات والأرض ؟ فالأرض هنالك غير الأرض، والسموات غير السموات قال تعالى : ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾؟

ج : في ذلك قولان :

أحدهما : تلك الجنة التي عَرْضها السموات والأرض يتفضل الله بها على من يشاء من عباده المؤمنين به وبرسله.

الثاني: تلك المسابقة إلى الخيرات والمسابقة إلى ما تغفر به الذنوب فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ يتفضل الله به على من يشاء من عباده.

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة:٤] يقول جلّ ثناؤه : هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، فضل الله تفضل به على المؤمنين ، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه ، وهو ذو الفضل العظيم عليهم ، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا ، ووهب لهم من النِّعم ، وعرَّفهم موضع الشكر ، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم.

قال القرطبي ـ رحِمه الله ـ:

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة:٥٤] أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله.

وأورد الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ:

حديث رسول الله ﷺ: «لَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»(١) ثم قال: ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات، فقال تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمراد جنس السماء والأرض، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]. وقال هاهنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمنا في «الصحيح»(٢) أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٢)، وانظر البخاري (٦٤٨٨).

(٢) انظر البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٤٢/ ٥٩٥).

العلا والنعيم المقيم . قال : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولانُعتق . قال :«أَفَلا أَدُلُّكُم عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُم مَن بَعْدَكُم ، ولَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَل مِنكُم إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُم : تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وتحمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلاثِينَ». قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فَعَلنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ، ﷺ : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بالمصيبة في الأرض ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ فساد الأرض ، وجدبها وذهاب زرعها وقحطها وقلة نباتها وثمارها وقيل الجوائح التي تُصاب بها الزروع.

❁❁❁

س: ما المراد بالمصيبة في النفس ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ الأوجاع والأمراض والأسقام والحوادث التي تصاب بها الأنفس. وقيل: إقامة الحدود ، وقيل ضيق المعاش.

❁❁❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ ؟

ج : المراد به: اللوح المحفوظ ، الذي هو أم الكتاب.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ أن المصائب التي تحل بالبلاد والعباد قدَّرها الله وكتبها في كتاب عنده (وهو اللوح المحفوظ) قبل أن يخلق الأنفس.

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم[1] في صحيحه أن النبي ﷺ قال : «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ».

---

(١) حديث (٢٦٥٣).

وقد أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ قال: من قبل أن نخلقها قال: المصائبُ والرزقُ والأشياءُ كلها مما تحبّ وتكره، فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ ردٌّ على القدرية، وضّح هذا الرد بمزيدٍ من الاستدلالات؟

ج: نعم في هذه الآية الكريمة ردٌّ على نفاة القدر، فالآية الكريمة تفيد أن الأمور مقدّرة كما أفادتها غيرها من الآيات كقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ [الحشر:٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤]، وكقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيءٌ من المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك، أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، لأن قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥] قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له جلّ وعلا قبل وقوعها، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها، ونقص الأموال والثمرات مما أصاب من

مصيبة ، ونقص الأنفس في قوله : والأنفس ، مما أصاب من مصيبة في النفس ، وقوله في آية الحديد هذه : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي بينا لكم أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق ، وأن ما كُتِبَ واقعٌ لا محالة لأجل ألا تحزنوا على شيء فاتكم ، لأن فواته لكم مقدر ، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، أي : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها ، سَهْلٌ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

❁❁❁

س : ما فائدة الإخبار بقوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾؟

ج : ذلك حتى تطمئن القلوب ، فلا تجزع لمصابٍ ألمَّ بها ولا تفرح ولا تبطر ولا تطغى لنعمةٍ حلَّت بها، فالغني إذا أدرك أن غناه مقدر له ما طغى وما بغى، والفقير إذا أدرك أن ما هو فيه مُقدر لم يحزن ولم يأسف.

والمبتلى في نفسه بحادث أو بمرض لو أدرك أن كل ذلك مقدرٌ عليه ما ندم. فقد يخرج الخارج من بيته فيصاب بحادث فيقول ـ إذا لم يكن مؤمنًا ـ (ليتني ما خرجت) ويندم أشد الندم على ما حدث له لكنه إذا كان مؤمنًا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وكما قال تعالى : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]. هذا ، وقد ورد عن ابن عباس [١] ـ رضي

(١) عند الطبري. وإن كان في سنده ضعف.

الله عنهما ـ أنه قال : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ قال: ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرًا ومن أصابه خير فجعله شكرًا.

وقال القرطبي رحِمه الله:

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق ، وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم يأسوا على ما فاتهم منه .

وقال ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، أي : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ، أي : جاءكم ، ويقرأ ﴿آتَاكُمْ﴾ ، أي أعطاكم . وكلاهما متلازم ، أي : لاتفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا ، تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، أي : مختال في نفسه ، متكبر﴿فَخُورٍ﴾ ، أي : على غيره.

❁❁❁

س : قوله تعالى: ﴿يَبْخَلُونَ﴾ يبخلون بماذا ؟

ج : يبخلون بإخراج ما أوجبه الله عليهم من الزكوات المفروضات وغيرها.

هذا ، ومن العلماء من حمل البخل هنا على ما هو أعم من الزكوات والصدقات ، فحمله على البخل بالطاعات عمومًا ، وإلى هذا أشار الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه.

وقيل المراد بالبخل ، البخل بتعليم الناس وإخبارهم بما ينفعهم ويقربهم من ربهم ، ومن ذلك بخل اليهود بإخبار الناس بصفة النبي محمد ﷺ.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الطبري إذ قال :

وقوله : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدْبرْ مُعْرِضًا عن عظة الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدبر معرضًا عن عظة الله ، تاركًا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله ، فرِحًا بما أوتي من الدنيا مختالًا به فخورًا بخيلًا ، فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته ، وعن غيره من سائر خلقه ، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نِعمه.

❁❁❁

س: قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ أين جوابه؟

ج : من العلماء من قال جوابه محذوف لكنه محذوف من السياق ، واستفيد المعنى من آيات أخر وحذف الجواب كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾ [الرعد:٣١] أي لكان هذا القرآن.

وكذلك المعنى ، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ جوابه، أولئك الأئمة الظلمة المعذبون يوم القيامة.

هذا ، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ لا يحتاج إلى جواب لأنه وصف لقوم تقدم ذكرهم فيكون المعنى ، والله لا يحب كل مختال فخور وهذا المختال الفخور هو هو الذي يبخل ويأمر الناس بالبخل ، والله لا يحبه ، والله أعلم.

❁❁❁

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٥ـ ٢٩].

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِالْبَيِّنَاتِ ـ الْكِتَابَ ـ وَالْمِيزَانَ ـ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ـ بَأْسٌ شَدِيدٌ ـ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ـ بِالْغَيْبِ ـ عَزِيزٌ ـ وَالْكِتَابَ ـ مُّهْتَدٍ ـ فَاسِقُونَ ـ قَفَّيْنَا ـ عَلَىٰ آثَارِهِم ـ رَأْفَةً ـ وَرَهْبَانِيَّةً ـ ابْتَدَعُوهَا ـ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ـ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ـ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ـ كِفْلَيْنِ ـ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ـ غَفُورٌ ـ رَّحِيمٌ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾	المُعجزات ـ الحجج الباهرات ـ الدلالات الواضحات.
﴿الْكِتَابَ﴾	الكتب المنزلة من عند الله.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾	العدل ـ الحق الذي تشهد العقول السليمة بصحته ، وقيل الميزان المعروف الذي يزن به الناس.
﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾	ليحكم الناس بالعدل.
﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾	قوةٌ شديدةٌ ـ السيوف والأسلحة التي يقاتل بها الناس والدروع التي يتقون بها السهام [1].
﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	ينتفعون بذلك في معايشهم كالفأس والقدّوم والمنشار والأزميل.
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	أي وهم لايرون ربهم عزَّ وجلَّ.
﴿عَزِيزٌ﴾	غالب ـ منيع السلطان عظيمُ الجناب.
﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾	المراد الكتب المنزَّلة من عند الله عمومًا ، ومنها (صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والزبور والإنجيل).
﴿مُّهْتَدٍ﴾	مستبصر مؤمن.
﴿فَٰسِقُونَ﴾	ضلال خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.
﴿قَفَّيْنَا﴾	اتبعنا.
﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾	من بعدهم ـ على نهجهم.
﴿رَأْفَةً﴾	مودةً ـ خشيةً ، وقيل الرأفةُ أشد الرحمة.
﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾	انقطاع للعبادة وترك العمل وترك الملذات.
﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾	أحدثوها ـ اختلقوها.
﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾	ما افترضناها عليهم ـ ما شرعناها لهم.
﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾	طلب مرضاةِ الله.
﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾	فما قاموا بها حق القيام ، فما التزموا ما ألزموا أنفسهم به.
﴿كِفْلَيْنِ﴾	ضِعْفَيْنِ من الأجر [2] ـ حظين.
﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾	يصفح عن ذنوبكم فيسترها عليكم.

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: البأس الشديد السيوف والسلاح الذي يُقاتل الناس به ﴿ومنافع للناس﴾ بعد يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك.

(٢) قال الطبري رحمه الله: وأصل الكفل الحظ، وأصله ما يكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه عن السقوط، ويقول يحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من السقوط.

﴿غَفُورٌ﴾	ذو مغفرةٍ.
﴿رَّحِيمٌ﴾	ذو رحمةٍ.

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله عزَّ وجلَّ أرسل الرسل وأنزل إليهم الكتب لهداية الناس وللحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ولتقربهم إلى ربهم وتبين لهم ما يرضيه عنهم وما يسخطه عليهم ، وأنزل كذلك الميزان ليعدل الناس فيما بينهم ويعطي لكل ذي حق حقه ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ ولا يظلمُ أحدٌ أحدًا.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيدٍ قال: في قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون ، فالكتاب للآخرة ، والميزان للدنيا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح فمن دونه إلى محمد ﷺ . ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابن زيد : هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله : ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف وقال قوم : أراد به العدل.

قال القشيري : وإذا حملناه على الميزان ، فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب: عَلَفْتُهَا تِبْنًا ومَاءً باردًا، ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن :٧] ثم قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن : ٩].

❁❁❁

س : وضّح لماذا أُنزل الحديد ؟ وكيف أنزل ؟

ج : أما كيف أُنزل ـ فالله أعلم ـ بكيفية إنزاله ، وقد ذكر بعض العلماء: أنه نزل مع آدم ـ عليه السلام ـ وقيل أنزلنا بمعنى أنشأنا وخلقنا كقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزُّمَر:٦].

أما لماذا أنزل ؟ فذلك ، والله أعلم ـ لأمور ثلاثة:

أحدها: فيه بأس شديد تصنع به السيوف وأدوات القتال ، وبه يرتدع من يخالف ويعتدي.

الثاني: فيه أيضًا منافع للناس تصنع منه آلات ينتفع بها فمنه مصانع ومنه ماكينات ، ومنه آلات الحفر وتقطيع الصخور ، وغير ذلك.

الثالث: يعلم أيضًا من يستخدم الحديد في طاعة الله وقتال الأعداء ونصرة دين الله وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله.

❁❁❁

س: من العلماء من يربط بين قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وضح وجه هذا الربط ؟

ج : إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى أرسل المرسلين ، وأنزل معهم كتبًا فيها شرائع وأحكام ، وتذكيرٌ ووعظ فمن لم يَقْبِل على الشرائع والأحكام ، ومن لم ينتفع بالتذكير والوعظ، واستمر على حربه وعناده ، وفسقه وضلاله وعدوانه فهذا يردعه الحديد ، فهو له مناسب ، وهو به جديرٌ، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ:

وقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ، أي : وجعلنا الحديد رَادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة على من خالف منهم ، شرَّع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

بين الله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة والتي قبلها، أن إقامة دين الإسلام تنبني على أمرين: أحدهما هو ما ذكر بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق، وبين الحجة وإيضاح الأمر والنهي والثواب والعقاب، فإذا أصر الكفار على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد أي خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام، وعلى هذا فقوله هنا: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ توضحه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢]، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ [الرعد:١٧] لأن مما يوقد عليه في النار ابتغاء المتاع الحديد.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ من نيته من حمل السلاح نصرة الله ورسله وهم لا يرون ربهم عزَّ وجلَّ.

❁❁❁

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ إن الله قوي لا يغلب ولا يمنعه مما أراد مانع، بل أمره نافذ في خلقه ولا يحتاج إلى أحدٍ ينصره، بل هو الناصر، فقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ لا يفيد أن الله في حاجة إلى نصرة أحد له، بل الله قوي عزيز وإنما شرَّع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

قال الطبري ـ رحِمه الله ـ: وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره : «إن الله قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة ، وخالف أمره ونهيه ، عزيز في انتقامه منهم ، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة».

❁❁❁

س: لماذا خُصَّ نوحٌ وإبراهيمُ ـ عليهما السلام ـ بالذكر بعد أن ذُكر الرسل عمومًا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لفضلهما ، ولتقدمهما في الزمن، وأيضًا فهما من أولي العزم من الرسل ، ونوح أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وإبراهيم هو خليل الله عزَّ وجلَّ.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ؟

ج : قال القرطبي ـ رحِمه الله ـ:

(جعلنا بعض ذريتهما الأنبياء ، وبعضهم أممًا يتلون الكتب المنزلة من السماء ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان).

❁❁❁

س : في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ دليل أن البشر لا يملكون لأحدٍ الهداية مهما بلغت مراتبهم وضِّح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن نوحًا عليه السلام ـ وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ـ وكذا خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ من ذريتهما المهتدي ، وكثيرٌ منهم فاسقون فلم يملك نوحٌ عليه السلام ولم يملك إبراهيم عليه السلام لعموم ذريتهما الهداية.

❁❁❁

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى ـ عليه السلام

ـ وصاروا على نهجه وشريعته ودينه رأفة (وهي أشد الرحمة)، وقيل: مودة ورحمة وفي قلوب بعضهم رحمة ، ولكنهم ـ أي الذين اتبعوه ـ أحدثوا رهبانيةً وألزموا أنفسهم بها ، ألزموا أنفسهم أن يترهبوا ويتفرغوا لعبادة الرب على طريقة معينة وأخذوا ذلك على أنفسهم قربة إلى الله وطلبًا لمرضاته؛ ولكنهم لم يفوا بما أخذوه على أنفسهم وبما قطعوه عليها بل فرطوا في ذلك تفريطًا وأخل بعضهم بذلك إخلالاً. فقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله قذف الله في قلوبهم الرأفة والرحمة.

أما الترهب ، فلم يكلفهم الله به ولم يأمرهم الله به، بل هم الذين افترضوا ذلك على أنفسهم ، كالذي يأخذ على نفسه عهدًا ، أو ينذر نذرًا ولا يفي به.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال:

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تُكتب عليهم ، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها ، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ قال :فلم ؟ قال: ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعًا، فما رعوها حق رعايتها.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله ـ: وقوله : ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ، أي : فما قاموا بما التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ؛ أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وقال القرطبي ـ رحِمه الله ـ: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها ، قاله ابن زيد . قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أمرناهم إلا بما يرضي الله ، قاله ابن مسلم، وقال الزجاج : ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ معناه لم نكتب عليهم شيئًا البتّة . ويكون : ﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ بدلاً من الهاء والألف في ﴿كَتَبْنَٰهَا﴾ والمعنى : ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله . وقيل : ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ الاستثناء منقطع ، والتقدير

ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بها حق القيام. وهذا خصوص، لأن الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] وهذا في قوم أدّاهم الترهب إلى طلب الرياسة في آخر الأمر.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحِمه الله تعالى ـ: عقب إيراد هذا الأثر المطول عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذا السياق فيه غرابة.

❁❁❁

س: الرحمة الموجودة في القلوب هي من الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، وقوله تعالى في شأن يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٣].

ولقد قال النبي ﷺ للأقرع بن حابس: «وما أملك لك إن كان الله نزع الرحمة من قلبك».

❁❁❁

س: ما حكم النذر؟ وما معناه؟

ج: أما عن معنى النذر، فقد قيل في معناه: إنه النحب (كالمذكور في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب:٢٣] أما النحب فقيل هو العهد، أما تعريفه الشرعي فهو إلزام الشخص نفسه بفعل شيءٍ إما معلقًا على حدوث شيءٍ أو منجزًا كأن يقول: لله علي إن نجح ولدي أن أفعل كذا، أو أن يقول: لله عزمتُ أن أفعل كذا (دون تعليق على نجاح الولد).

أما عن حكمه فهو في الجملة مكروه لقول النبي ﷺ: «لا تنذروا فإن النذر لا يُغني من القدر شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل»[1].

---

(١) مسلم (١٦٤٠).

وهذا النذر يبدو أنه نذر المجازاة أو ما يسميه البعض بالعِوض أو المقابلة ، أما نذر الابتداء وهو قول القائل: لله علي أن أفعل كذا ، دون التعليق على حدوث شيءٍ، فهذا أخف في الكراهة والله أعلم. لكن من نذر لزمه الوفاء ما دام النذر ليس في معصية، وذلك لقوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧].

❁❁❁

س: اذكر بعض صور تلك الرهبانية ؟ ومن الذين ابتدعوها؟

ج : أما الذين ابتدعوها فهم النصارى، أما هذه الرهبانية فمن صورها أنهم حرّموا على أنفسهم بعض المطاعم والمشارب والمناكح. ومنها أنهم اعتزلوا الناس وعاشوا في الصوامع والفيافي والقفار.

وذهب بعضهم إلى الاختصاء فاختصى حتى لا يغشى النساء.

❁❁❁

س : هل الرهبانية جائزة في شريعتنا ؟

ج : لم يشرع في ديننا هذا الترهب، ولا تلك الرهبانية وقد ردَّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل (أي: لما أراد الاختصاء والانقطاع للعبادة ردَّ النبي ذلك عليه ومنعه منه).

وهؤلاء النفر الثلاثة الذين أتوا بيوت النبي ﷺ وسألوه عن عبادته ، وكأنهم تقالوها (رأوها قليلة) فقال أحدهم: أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج، وقال الرابع: أما أنا فأقوم ولا أنام، فردَّ النبي ﷺ كلَّ ذلك عليهم والحديث بذلك في الصحيحين من حديث أنس ابن مالك [1] ـ رضي الله عنه ـ قال : « جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها ، فقالوا : وأينَ نحنُ منَ النبي ﷺ ؟ قد غفرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذنبهِ وما تأخَّر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبدًا . وقال آخر : أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزلُ النساء

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (حديث ١٤٠١).

فلا أتزوَّجُ أبدًا . فجاء رسولُ الله ﷺ فقال : أنتمُ الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلِّي وأرقدُ ، وأتزوجُ النساء ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ منِّي».

❁❁❁

س : أيهما أفضل ، الاختلاط بالناس أم اعتزالهم ؟

ج : في الجملة فالاختلاط بالناس في الخير ومشاركتهم فيه أفضل من الانفراد والعزلة فشهود الجنائز وإرشاد الضال وشهود الجماعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وعيادة المريض وغير ذلك من أعمال البر ، كلها فيها خير.

أما إذا لم يستطع الشخص فعل معروف أو إرشاد ضال أو النهي عن المنكر، بل كان هو نفسه سيقع في منكراتٍ، فالأَولى له حينئذ الاعتزال.

أما الأدلة على ما ذكر فمنها قول رسول الله ﷺ: « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1].

وأيضًا فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقال الحافظ ابن حجر « فتح الباري» (١٣ / ٤٢) :

(وقد اختلف السلف في أصل العزلة ، فقال الجمهور : الاختلاط أولى ؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك . وقال قوم : العزلة أولى لتحقق السلامة ، بشرط : معرفة ما يتعين).

وقال النووي: (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . وقال غيره : يختلف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر،

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٥٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٦٥) وغيرهما.

فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة ، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحظور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمَّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥]

قلت : وقد ورد في الباب حديث : « **المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[(١)] .

هذا وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٤٢٥) :

هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة ؟

فأجاب : هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًّا ، وإما حاليًّا ، فحقيقة الأمر: « الخلطة» تارة تكون واجبة ، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة ، وجماع ذلك : أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء ، ونحو ذلك ، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين ، وإن كان أئمة ذلك فجَّارًا وإن كان في تلك الجماعات فجَّار ، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به ، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُد للعبدِ من أوقاتٍ ينفر بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره ، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه ، إما في بيته كما قال طاووس : (نعم صومعةَ الرجل بيته ؛ يكف

---

(١) سبق تخريجه.

بها بصره ولسانه) وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسانٍ من هذا وهذا، وما هو الإصلاح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظرٍ خاصٍّ كما تقدَّم.

❁❁❁

س: هل الذين ابتدعوا الرهبانية هم الذين لم يرعوها حق رعايتها أو أن غيرهم ممن أراد السير على طريقهم هم الذين ما رعوها حق رعايتها؟

ج: الظاهر، ـ والله أعلم ـ أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها، وذلك لقوله تعالى﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ثم قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولا يمنع أن يكون هناك قوم من الذين جاءوا من بعدهم وأرادوا الاقتداء بهم لم يرعوها حق رعايتها ومع ذلك فلأهل العلم قولان، واللغة قد تقويهما:

أحدهما: أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها كما قدمنا.

والثاني: أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم قومٌ جاءوا من بعد الذين ابتدعوها، وأرادوا السير على نهج الذين ابتدعوا تلك الرهبانية، ولكنهم فشلوا في ذلك، وما استطاعوا القيام به، ولا السير على ما ألزموا أنفسهم به، بل كان أكثرهم فسقة يظهر للناس أنه راهب ومترهب ثم هو يخون تلك الرهبانية التي فرضها على نفسه.

فهذان الوجهان المذكوران في تفسير الآية الكريمة.

قال الطبري رحِمه الله تعالى:

واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها، فقال بعضهم: هم الذين ابتدعوها، لم يقوموا بها، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى: فتنصروا وتهوّدوا.

وقال آخرون: بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حقّ رعايتها؛ لأنهم كانوا كفارًا، ولكنهم قالوا: نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أوّليًا،

فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

وأخرج الطبري بسندٍ حسن عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

كانت ملوكٌ بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقيل لملكهم: ما نجد شيئًا أشدّ علينا من شتم يشتُمناه هؤلاء أنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] هؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا به . قال : فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدّلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك فدعونا ؛ قال : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا ، فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح في الأرض ، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، فلا نردّ عليكم ، ولا نمرّ بكم ، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فأنزل الله جلّ ثناؤه : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ الآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ؛ قال : فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل ، انحطّ رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وجاء صاحب الدار من داره ، وآمنوا به وصدّقوه ، فقال الله جلّ ثناؤه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال : أجرين لإيمانهم بعيسى ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم به . قال : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ القرآن ، واتباعهم النبي ﷺ ؛ قال : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. واختار الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ أن من الذين لم يرعوها حق رعايتها طائفة من الذين ابتدعوها ، ولا يمنع أن يكون غيرهم

أيضًا ممن أراد الاقتداء بهم لم يرعها حق رعايتها.

قال الطبري رحِمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها ، بعض الطوائف التي ابتدعتها ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم ؛ قال : فدلّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حقّ رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ﴾ إلا أن الذين لم يرعوها حقّ رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها ، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم ، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها ، فجائز في كلام العرب أن يقال : لم يرعها القوم على العموم . والمراد منهم البعض الحاضر ، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب.

وقال الرازي رحِمه الله :

أما قوله تعالى : ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ ففيه أقوال: (أحدها): أن هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها حق رعايتها ، بل ضموا إليها التثليث والاتحاد ، وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدًا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فهو قوله : ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

(وثانيها): أنا ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية إلا ليتوسلوا بها إلى مرضاة الله تعالى، ثم إنهم أتوا بتلك الأفعال ، لكن لا لهذا الوجه . بل لوجه آخر ، وهو طلب الدنيا والرياء والسمعة .

(وثالثها): أنا لما كتبناها عليهم تركوها ، فيكون ذلك ذمًّا لهم من حيث إنهم تركوا الواجب .

(ورابعها): أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين أدركوا محمدًا عليه الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا به.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحِمه الله في تفسيره:

وقوله : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله ، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة ، وكثير منهم أهل معاصٍ، وخروج عن طاعته والإيمان به.

❁❁❁

س: مَن الذين عناهم الله بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ...﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ أهل الكتاب الذين آمنوا بأنبيائهم، فقيل لهؤلاء: اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ. ومما يدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وبضميمه قوله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ... » الحديث [1]

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما:

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال : أجرين : إيمانهم بمحمد ﷺ ، وإيمانهم بعيسى ﷺ ، والتوراة والإنجيل.

أما الشنقيطي ـ رحِمه الله ـ فقد قال :

(قد قدمنا أن التحقيق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة ، وأن سياقها واضح في ذلك ، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط ، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين كما قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الآية [القصص:٥٢ـ٥٤].

---

(١) مسلم (حديث ١٥٤).

وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم أن إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ، وزادهم بقوله : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾).

هذا ، وقد أخرج الطبري بسندٍ فيه ضعفٌ لإرساله من طريق سعيد بن جبير قال: (بعث النبي ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به ؛ فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلًا : ائذن لنا ، فنأتي هذا النبي ، فنسلم به ، ونساعد هؤلاء في البحر ، فإنا أعلم بالبحر منهم ، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ ، وقد تهيأ النبي ﷺ لوقعة أُحُد؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدّة الحال، استأذنوا النبي ﷺ، قالوا : يا نبي الله إن لنا أموالًا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة ، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجئنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ... [القصص:٥٢] إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٤] فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين ؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص:٥٤] فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا ، فله أجره مرتين ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فما فضلكم علينا ، فأنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النور والمغفرة ، ثم قال: «لكيلا يعلم أهل الكتاب» وهكذا قرأها سعيد بن جبير«لكيلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء»).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

في معنى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي آمنوا بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ بمحمدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمد ﷺ ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم

مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص:٥٤].

❁❁❁

س: ما هذا النور المذكور في قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها: أن النور الكتاب والسُّنة.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن ابن عباس قال : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ قال : الفرقان واتباعهم النبي ﷺ.

قال آخرون: هو الهدى.

قال الطبري رحِمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورًا يمشون به ، والقرآن ، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدّقهما وهدى ، لأن من آمن بذلك ، فقد اهتدى.

قال القرطبي رحِمه الله :

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾ أي: بيانًا وهدًى، عن مجاهد. وقال ابن عباس : هو القرآن. وقيل: ضياء ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ في الآخرة على الصراط ، وفي القيامة إلى الجنة. وقيل تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونون رؤساء في دين الإسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها. وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام . وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله، لا الرياسة الحقيقية.

❁❁❁

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله ـ في معناها : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد

ﷺ من أهل الكتاب: يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي أتاكم وخصكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضَّلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ، ما لم يؤتهم ، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فقال الله عزَّ وجلَّ : فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وذهب بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة مذهبًا آخر، حاصله (ليعلم اليهود) أن النبوة والهداية ليست بأيديهم إنما هي فضل الله يؤتيه من يشاء.

وذلك أن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، يهود المدينة كانوا يقولون للكفار من الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ: سيخرج نبي نتبعه نقاتلكم نحن وهو قتل عادٍ وثمود ، وكانوا يتعالون على الأوس والخزرج بهذا ويتعاظمون، فلما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ كفر اليهود إلا القليل، وآمنت الأوس والخزرج.

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾!

ج: معناها ليعلم .

قال الطبري رحمه الله: وقيل﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ إنما هو ليعلم: وذُكر أن ذلك في قراءة عبدالله: (لَكِيْ يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون) لأن العرب تجعل «لا» صلة في كلّ كلام دخل في أوّله أو آخره جحد غير مصرّح ، كقوله في الجحد السابق، الذي لم يصرّح به﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] ، قوله : ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] ، وقوله : ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ ... الآية [الأنبياء:٩٥]، معنى ذلك : أهلكناها أنهم يرجعون.

قال السعدي رحمه الله :

وقوله : ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أي : بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيمانًا عامًّا ، واتقى الله ، وآمن برسوله، لأجل أن يكون عند أهل

الكتاب علم، بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، أي: لا يحجرون على الله ، بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة ، فيقولون : ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ ، ويتمنون على الله الأماني الفاسدة . فأخبر الله تعالى المؤمنين برسوله، محمد ﷺ ، المتقين لله أن لهم كفلين من رحمته ، ونورًا ، ومغفرة ، رغمًا على أنوف أهل الكتاب.

وليعلموا : ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٧٣] ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي لا يقادر قدره.

❁❁❁

س : وضّح قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن الإكرام والجزاء الحسن يتفضل الله به على من يشاء من خلقه ، وهو الذي قد تفضل على هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ بأن جعلها خير أمةٍ أُخرجت للناس .

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه يؤتيه من يشاء جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]. وقد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

❁❁❁

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تفسير سورة الذاريات	٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ إلى قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾	٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	١٨
تفسير الآيات من قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾	٣٤
طائفة من الفوائد والحكم والأحكام في قصة إبراهيم عليه السلام	٤٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾	٦٠
تفسير سورة الطور	٨٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٨٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	٩٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾	١١١

تفسير سورة النجم ١٣٥

تفسير الآيات من قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

إلى قوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنۡ أَتۡقَىٰٓ﴾ ١٣٥

سدرة المنتهى ١٥٧

قصة الغرانيق ١٦٥

تفسير الآيات من قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾

إلى قوله: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ﴾ ١٩٢

تفسير سورة القمر ٢٢١

تفسير الآيات من قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾

إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ٢٢١

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾

إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ٢٤٥

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾

إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ٢٥٠

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾

إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ٢٦٠

تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾

إلى قوله: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ﴾ ٢٦٧

تفسير سورة الرحمن ٢٨٠

تفسير الآيات من قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾

إلى قوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ ٢٨٠

تفسير الآيات من قوله: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

إلى قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ ٣٠٣

بحث موسع عن النار وأهلها الأشرار ٣٢١

أمور في الدنيا تذكر بنار الآخرة ٣٢٨
الحشر إلى النار وبعض مشاهده ٣٣٧
ومن صور العذاب ٣٤٨
خلود أهل النار وبقاؤهم فيها ٣٥٨
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾
إلى قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ٣٦٩
بحث موسع حول الجنة ـ جعلنا الله من أهلها ـ ٣٧٥
وصف الجنة ٣٧٩
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول من تفتح له الجنة ٣٨٧
فاكهة الجنة وثمرها ٤٠١
سرر الجنة وفرشها ووسائدها ٤٠٤
نساء أهل الجنة ٤١٢
تكليم الله لأهل الجنة ٤٢٧
أشعار منتقاة في وصف جنات النعيم ٤٤٠
تفسير سورة الواقعة ٤٥٣
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾
إلى قوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ ٤٥٣
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾
إلى قوله: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ٤٧٢
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾
إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٤٧٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾
إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٤٩٧

تفسير سورة الحديد

تفسير الآيات من قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾
إلى قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ٥١٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾
إلى قوله: ﴿...وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ٥٤٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾
إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ ٥٥٥
تفسير الآيات من قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾
إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٥٦٨

دار الصحيفة
٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٢

التَّسهيلُ لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير

جزء قد سمع

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

التَّسهيل لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير جزء قد سمع

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء قد سمع

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٣/٨٧٢٤

مكتبة مكة

مَكْتَبَة مَكَّة

طنطا: ١٠٠ شارع طه الحكيم أمام أستوديو فينوس
ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ / ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب اللّه ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد...

فهذا تفسير جزء قد سمع في سؤال وجواب، وهو امتداد لعملي في تفسير القرآن في سؤال وجواب، ذلكم العمل الموسوم بـ:

«التسهيل لتأويل التنزيل»

وقد صدر منه حتى الآن: تفسير «الفاتحة» و«البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«يوسف» و«النور» و«القصص» و«الحجرات» و«جزء تبارك» و«جزء عم» في ثلاثة عشر مجلداً، تقوم بنشر أغلبها مكتبة مكة بطنطا، جزىٰ الله أصحابها خيراً ونفع بهم.

وهذا الجزء الذي بين أيدينا ـ جزء قد سمع ـ تتناول سوره المباركات أموراً هامة في غاية الأهمية، منها:

* التذكير بالله، وبأسمائه وصفاته، وقضائه وقدره، وحدوده، وأوامره ونواهيه، وبيان سننه سبحانه وتعالىٰ في خلقه، وما صنع بالمكذبين به والمحادين لرسوله.

* ويتناول أيضًا الحث علىٰ مكارم الأخلاق: من الجود، والكرم، والإنفاق.

* وبيان أمورٍ هامة من أمور الموالاة، فبين لنا فيه مَن نوالي، ومَن نعادي، ومَن نجالس، ومن نفارق.

* وكذا بيان لكثير من أحوال اليهود وخصالهم، وخصال أهل النفاق وأعمالهم.

* وكذا بعض الأحكام المتعلقة بالهجرة، فضلاً عن كثير من أحكام الظهار، والطلاق، والتحريم، والجمعة.

* وفي ثنايا ذلك كله تذكير بفضل العلم والتقوىٰ، ومنزلة أهل العلم والإيمان.

* وكذا حث المسلمين علىٰ الاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف، مع التذكير ببعض الصالحين والصالحات.

وقد سقنا ذلك في صورة السؤال والجواب، سائلاً الله عزوجل أن ينفعني به والمسلمين يوم يقوم الأشهاد، وأن يهذب به أخلاقنا، ويجُمِّل به خصالنا في الحياة الدنيا، وأن يتقبله منا بقبول حسن.

ثم ما كان فيما أوردته من صواب فالفضل فيه لله سبحانه وتعالىٰ فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيه من خطأٍ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

هذا وصلِ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي شلباية
مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ
فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن
قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ
لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ٤

س: اذكر معنى ما يلي:

(تجادلك ـ في زوجها ـ تشتكي ـ تحاوركما ـ يظاهرون منكم من نسائهم ـ إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ـ منكراً من القول ـ زوراً ـ فتحرير رقبة ـ يتماسا ـ تُوعظون به ـ حدود اللَّه).

ج:

الكلمة	معناها
تجادلك	تسائلك ـ تراجعك الكلام.
في زوجها	في شأن زوجها، والذي قاله لها، وحكم ذلك.
تشتكي	تُظهر ما بها من مكروه.
تحاوركما	ترجيعكما الكلام.
يظاهرون منكم من نسائهم	يقولون لأزواجهم: أنتن علينا كظهور أمهاتنا. ومظاهرة الرجل لامرأته أن يقول لها: أنت عليَّ كظهر أمي.
إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم	ما الأمهات إلا الوالدات.
منكراً من القول	قولاً منكراً لا تُعرف صحته ـ شنيعًا من القول ـ قولاً تنكره العقول ـ فظيعًا في فحشه لا يعرف في السماع.
زوراً	باطلاً ـ كذبًا.
فتحرير رقبة	فالواجب عليه عتق رقبة.
يتماسا	يُجامعها ـ وقيل: إن المساس هنا عام؛ فيشمل الجماع،

الكلمة	معناها
تُوعظون به حدود اللَّه	والقُبلة وغير ذلك. تؤمرون به[1] - تزجرون به. ما حدَّه اللَّه لكم، ومنعكم من تجاوزه. ومن العلماء من قال: إن حدود اللَّه هنا أحكامه وشرائعه.

(١) أمرًا مصحوبًا بالترهيب.

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

ج: سبب ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالىٰ[1]، وأخرجه غيره أيضًا بسندٍ صحيحٍ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: الحمد للَّه الذي وسع سمعه الأصوات؛ لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلىٰ آخر الآية.

* * *

س: اذكر بعض الروايات الموضحة لآيات الظهار هذه، مع بيان الحكم على إسناد كل منها.

ج: من ذلك ما أخرجه الترمذي[2] بسندٍ حسن لغيره من طريق أبي سلمة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان[3] أن سلمان بن صخر الأنصاري

---

(١) أحمد في المسند (٦/ ٤٦)، والنسائي (٦/ ١٦٨)، وابن ماجه (٢٠٦٣)، والبخاري معلقًا (مع الفتح ١٣/ ٢٧٢).

(٢) الترمذي (حديث ١٢٠٠)، وقال: هذا حديث حسن، والعمل علىٰ هذا الحديث عند أهل العلم في كفارة الظهار.
(قلت): وأخرجه أيضًا البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٣٩٠).

(٣) وظاهر ذلك الإرسال؛ لأن أبا سلمة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان لم يدركا القصة، إلا أن له شاهدًا عند أبي داود رقم (٢٢١٣)، وابن ماجه (٢٠٦٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر البياضي قال: كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيري، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئًا يتَّابع بي حتىٰ أصبح، فظاهرت منها حتىٰ ينسلخ شهر رمضان، فبينا هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشَّف لي منها شيء، فلم ألبث أن نزوت عليها، فلما أصبحت خرجت إلىٰ قومي فأخبرتهم الخبر، وقلت: امشوا معي إلىٰ =

أحد بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه حتىٰ يمضي رمضان، فلما مضىٰ نصف من رمضان وقع عليها ليلاً، فأتىٰ رسول اللَّه ﷺ فذكر ذلك له، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**أعتق رقبة**»، قال: لا أجدها. قال: «**فصم شهرين متتابعين**». قال: لا أستطيع. قال: «**أطعم ستين مسكينًا**» قال: لا أجد. فقال رسول اللَّه ﷺ لفروة ابن عمرو: «**أعطه ذلك العرَق**» ـ وهو مكتل يأخذ خمسة عشر صاعًا أو ستة عشر صاعًا ـ فقال: «**أطعم ستين مسكينًا**».

* **وأخرج أبو داود**[1] **بإسناد ضعيف** من طريق يوسف بن عبد اللَّه بن سلام، عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت؛ فجئت رسول اللَّه ﷺ أشكو إليه، ورسول اللَّه ﷺ يجادلني فيه ويقول: «**اتَّقِي اللَّه فإنه ابن عمك**» فما برحت حتىٰ نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ

= رسول اللَّه ﷺ. قالوا: لا واللَّه. فانطلقت إلىٰ النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «أنت بذاك يا سلمة» قلت: أنا بذاك يا رسول اللَّه ـ مرتين ـ وأنا صابر لأمر اللَّه؛ فاحكم فيَّ ما أراك اللَّه، قال: «حرر رقبة» قلت: والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها، وضربت صفحة رقبتي. قال: «فصم شهرين متتابعين» قال: وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام. قال: «فأطعم وسقًا من تمر بين ستين مسكينًا» قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا طعام. قال: «فانطلق إلىٰ صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينًا وسقًا من تمر وكُل أنت وعيالك بقيتها» فرجعت إلىٰ قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند النبي ﷺ السَّعة وحسن الرأي، وقد أمرني أو أمر لي بصدقتكم.

وفي هذا الشاهد علتان: الأولىٰ: عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، والثانية: قال البخاري (كما نقل عنه في «التهذيب» وغيره): سليمان بن يسار لم يسمع من سلمة بن صخر.

أما بالنسبة للعلة الأولىٰ (فقد توبع ابن إسحاق كما عند أبي داود ٢٢١٧) تابعه ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن سليمان بن يسار فذكر نحوه.

أما العلة الثانية فلم تندفع، وعلىٰ كلٍّ فهو يصلح شاهدًا لحديث الباب، واللَّه أعلم.

(١) أبو داود (حديث ٢٢١٤).

اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقبة» قالت: لا يجد، قال: «فيصوم شهرين متتابعين» قالت: يا رسول اللَّه، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكينًا» قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأُتي ساعتئذ بعَرَق من تمر. قلت: يا رسول اللَّه، فإني أعينه بعرَق آخر، قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينًا، وارجعي إلى ابن عمك» قال: والعرقَ ستون صاعًا.

* وأورد أبو داود عقب هذا الحديث رواية[1] أخرى له، وفيها: والعَرق مكتل يسع ثلاثين صاعًا. وقال: وهذا أصح.

وكما بينَّا، فسند الروايتين المذكورتين يدور على معمر بن عبد اللَّه بن حنظلة، وهو مجهول، لكن للحديث شواهد تقدم بعضها، ومنها أيضًا شاهد ثان مرسل عند البيهقي (٧/ ٣٨٩) من طريق محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار أن خويلة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت فتظاهر منها، وكان به لمم، فجاءت رسول اللَّه ﷺ فقالت: إن أوسًا تظاهر مني، وذكرت أن به لممًا فقالت: والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا رحمة له أن له فِيَّ منافع، فأنزل اللَّه عز وجل فيهما القرآن، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مُريه فليعتق رقبة» فقالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة، ولا يملكها، فقال: «مريه فليصم شهرين متتابعين» فقالت: والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع ـ وكان الحر ـ، فقال: «مريه فليطعم ستين مسكينًا» فقالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: «مُريه فليذهب إلى فلان بن فلان فقد أخبرني أنه عنده شطر تمر صدقة فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على

(١) أبو داود (٢٢١٥).

ستين مسكينًا».

قال البيهقي رحمه اللَّه: هذا مرسل، وهو شاهد للمرفوع قبله، واللَّه أعلم.

وحديث الترمذي المتقدم قريبًا يشهد لبعضه أيضًا.

وثمة شاهد مرسل عند ابن سعد في «الطبقات» أشار إليه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الإرواء» (٧/ ١٧٤)، (الطبقات ٨/ ٢٧٥) واللَّه أعلم.

* * *

س: ما المراد بالسماع في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؟

ج: المراد، واللَّه أعلم: سماع الإجابة، فالمعنى: سمع قولها فأجابها.

* * *

س: من هذه المجادلة في زوجها؟ ومن زوجها؟

ج: أما المجادلة في زوجها فهي - على أرجح الأقوال - خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت[1].

* * *

(١) وقد أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة كلام أبي عمر إذ قال: روينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس، فمر بعجوز فاستوقفته فوقف، فجعل يحدثها وتحدثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس على هذه العجوز؛ فقال: ويلك، أتدري من هي؟ هذه امرأة سمع اللَّه شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التي أنزل اللَّه فيها: ﴿قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى اللَّه واللَّه يسمع تحاوركما﴾... الآيات، واللَّه لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة =

س: قوله تعالى: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ تشتكي ماذا؟

ج: تشتكي فاقتها وفقرها وحاجتها، وتشتكي ضعف أولادها وضياعهم، وتشتكي حال زوجها الضعيف الضائع أيضًا.

* * *

س: ما معنى الظهار، وما حكمه، وما حقيقته؟

ج: أما معنى الظهار: فهو قول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي.

أما حكمه: فهو حرام بالكتاب والإجماع.

* أما من كتاب اللَّه: فلقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾.

* أما الإجماع: فقد نقل الصنعاني ـ رحمه اللَّه ـ الإجماع على تحريمه وإثم فاعله[1].

= ثم أرجع إليها.

وأورد الحافظ نقلاً عن أبي عمر بن عبد البر بسندٍ ضعيف، أن عمر خرج من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام فقالت: هيها يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ ترع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق اللَّه في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع اللَّه قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق واللَّه أن يسمع لها.

قال أبو عمر: هكذا في الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة، وهو وهم يعني في اسم أبيها وزوجها، وخليد ضعيف سيئ الحفظ.

قلت (مصطفى): وإضافة إلى ما ذكره الحافظ من ضعف خليد، فإن الأثر منقطع بين قتادة وعمر رضي اللَّه عنه.

(١) سبل السلام (ص١١٠٦).

أما حقيقته: فتشبيه ظهرٍ بظهر، والموجب للحكم منه تشبيه ظهرٍ مُحلَّل بظهرٍ محرَّم.

* * *

س: إذا قال الرجل لامرأته: «أنت عليَّ كظهر ابنتي» فهل هذا يُعدُّ ظهاراً؟

ج: ذهب إلىٰ ذلك أكثر أهل العلم كما نقل عنهم القرطبي رحمه اللَّه، فقد قال:

وأكثرهم علىٰ أنه إذا قال لها: أنتِ عليَّ كظهر ابنتي أو أختي أو غير ذلك من ذوات المحارم[1] أنه مظاهر.

* **وقال القرطبي أيضًا:** ومتىٰ شبهها بأمِّه أو بإحدىٰ جداته من قِبل أبيه أو أمه فهو ظهار بلا خلاف.

* * *

س: ما الحكم إذا استبدل الظهر بعضوٍ كالبطن، فقال: «أنتِ عليَّ كبطن أمي»؟

ج: جمهور العلماء علىٰ أنه يكون مظاهراً أيضًا وتلزمه كفارة المظاهر، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما حكم نداء الرجل لامرأته: «يا أمي»، أو «يا أختي»؟

ج: هذا مكروه؛ لأنه يشبه المحرم.

---

(١) ونقله أيضًا ابن قدامة في «المغني» (٧/ ٣٤٠) عن أكثر أهل العلم.

قال السعدي رحمه اللَّه: ويكره للرجل أن ينادي زوجته ويدعوها باسم محارمه كقوله: «يا أمي»، «يا أختي» ونحو ذلك؛ لأن ذلك يشبه المحرم.

* * *

س: هل لامرأةٍ من النساء ظهار؟ وهل هناك ظهار من الأمة المملوكة؟

ج: ليس لامرأة من النساء ظهار، وإذا ظاهرت المرأة من زوجها لا يُعد ظهاراً، فإذا قالت المرأة لزوجها هو عليها كأبيها مثلاً فلا شيء عليها من الكفارات.

هذا الذي نراه ونرتضيه، وقد نُقل ذلك عن ابن جريج والحسن البصري[١].

وأخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح أن عائشة بنت طلحة ظاهرت من المصعب ابن الزبير إن تزوجته، فاستفتى لها فقهاء كثيرة بالمدينة فأمروها أن تُكفِّر فأعتقت غلامًا لها ثمن ألفين[٢].

واختُلف فيمن ظاهر من الأمة المملوكة له.

فذهب جمهور أهل العلم (كما نقل عنهم الحافظ في «الفتح»[٣]) إلى أنه لا يصح الظهار منها لقول اللَّه تعالى: ﴿مِّن نِّسَائِهِم﴾، وليست الأمة من النساء، بينما ذهب مالك[٤] إلى أنه يصح الظهار من الأمة لعموم لفظ النساء، واللَّه أعلم.

* * *

(١) انظر «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ٤٣٣)، وسعيد بن منصور (١٨٤٨).

(٢) سعيد بن منصور (١٨٤٨).

(٣) الفتح (٩/ ٤٣٤).

(٤) «سبل السلام» (ص١١٠٦).

س: ما حكم من ظاهر من امرأة أجنبية؟

ج: لا اعتبار بظهار من ظاهر من امرأة أجنبية، ولا كفارة؛ لأن اللَّه تعالىٰ: قال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؟

ج: وجه ذلك: بيان سعة عفو اللَّه ومغفرته إذ جعل الكفارة التي ذكرها في كتابة مُخلِّصة لهم من هذا القول المنكر الزور، فبدلاً من أن يُحرِّموا نساءهم علىٰ أنفسهم أبد الدهر، وبدلاً من أن يتحملوا إثم هذا القول المنكر وهذا الزور؛ شرعت لهم الكفارة تخليصًا لهم من هذا وذاك، فأحلَّت لهم نساؤهم إذا هم فعلوا الكفارة، وكذا ارتفع عنهم الإثم إذا هم فعلوا الكفارة، هذا وجه.

وثمَّ وجه آخر: ألا وهو أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ ختم الآيات بقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لفتح باب التوبة أمام التائبين كما هو الحال في عموم الذنوب والكبائر التي تُذكر عقوباتها فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ يفتح أبواب التوبة بعد ذكر العقوبات؛ حتىٰ لا ييأس شخص من رَوح اللَّه، ولا يقنط أحدٌ من رحمته سبحانه وتعالىٰ.

فمن ذلك علىٰ سبيل المثال: قوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾.

ونحو ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾؛ فالمفهوم إذا تابوا ارتفع عنهم العذاب.

وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

* * *

س: ما المراد بـ(العود) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد إرادة الرجل جماع زوجته بعد قوله لها: «أنت عليَّ كظهر أمي».

أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن قتادة: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ قال: يريد أن يغشىٰ بعد قوله، وفي رواية: حرَّمها ثم يريد أن يعود لها فيطأها.

* وهذا المذكور[1] إحدىٰ الروايات عن مالك رحمه اللَّه.

الثاني: أن المراد بالعود هو إمساكها بعد الظهار، وهو قول الشافعي رحمه اللَّه[2].

الثالث: أن المراد بالعود الوطء بعينه بشرط أن يقدم عليه الكفارة.

الرابع: وهو قول ابن حزم رحمه اللَّه[3]، وتبعه عليه أهل الظاهر فذهبوا إلىٰ أن المراد بالعود هنا هو تكرير لفظ الظهار مرة أخرىٰ، فمن ظاهر من امرأته فليس عليه شيء إلا أن يعيد لفظ الظهار مرة أخرىٰ، وأيد أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه رأيه بما روي من طريق سليمان بن حرب ومحمد بن الفضل عارم

---

(١) أي أن المراد بالعود العزم علىٰ الوطء.

(٢) كما نقله عنه ابن القيم في «زاد المعاد» (٥/ ٣٣٣)، وابن حجر في «الفتح» (٩/ ٤٣٥).

(٣) كما في «المحلىٰ» (١٠/ ٤٩).

كلاهما عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين، أن جميلة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت، وكان به لمم فكان إذا اشتدَّ لمه ظاهر منها، فأنزل اللَّه عزَّ وجل فيه كفارة الظهار، وهذا الحديث أخرجه أبو داود رقم (٢٢١٩) من طريق هشام بن عروة أن جميلة . . . فذكره مرسلاً.

وكذلك أخرجه (٢٢٢٠) من طريق هشام، عن عروة، عن عائشة متصلاً، وعلىٰ كلٍّ فللفظ (كان به لمم) شاهد عند البيهقي (٧/ ٣٨٩) تقدَّم قريبًا.

قال أبو محمد (معقبًا علىٰ قولها : كان به لمم . . .) : هذا يقتضي التكرار ولابد، ثم ضعف أبو محمد الأحاديث الواردة في الظهار غير هذا وغير خبر أبان بن الحكم عن عكرمة عن ابن عباس.

أما تضعيفه للأخبار الواردة في الظهار فهو مردود عليه، وقد قدمنا تحسين بعضها، أما تصحيحه لخبر أبان عن عكرمة عن ابن عباس، فأبان متكلَّم فيه، وأعل الحديث بالإرسال، وصوَّب النسائي إرساله.

*** هذا وقد أورد القرطبي جملة الأقوال بإيجاز، فقال في تفسيره للعَوْد:**

وهذا حرف مشكل اختلف فيه الناس علىٰ أقوال سبعة :

الأول: أنه العزم علىٰ الوطء، وهو مشهور قول العراقيين أبي حنيفة وأصحابه. وروي عن مالك : فإن عزم علىٰ وطئها كان عَوْدًا، وإن لم يعزم لم يكن عَوْدًا.

الثاني: العزم علىٰ الإمساك بعد التظاهر منها، قاله مالك.

الثالث: العزم عليهما، وهو قول مالك في موطئه، قال مالك في قول اللَّه عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ قال: سمعت أن تفسير ذلك أن يظاهر الرجل من امرأته ثم يجمع على إصابتها وإمساكها، فإن أجمع على ذلك فقد وجبت عليه الكفارة، وإن طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على إمساكها وإصابتها فلا كفارة عليه. قال مالك: وإن تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفِّر كفارة التظاهر.

القول الرابع: أنه الوطء نفسه، فإن لم يطأ لم يكن عَوْدًا، قاله الحسن ومالك أيضًا.

الخامس: وقال الإمام الشافعي رضي اللَّه عنه: هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق؛ لأنه لما ظاهر قصد التحريم، فإن وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما ابتدأه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه، وإن أمسك عن الطلاق فقد عاد إلى ما كان عليه، فتجب عليه الكفارة.

السادس: أن الظهار يوجب تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة، و معنى العَوْد عند القائلين بهذا: أنه لا يستبيح وطأها إلا بكفارة يقدمها، قاله أبو حنيفة وأصحابه، والليث بن سعد.

السابع: هو تكرير الظهار بلفظه، وهذا قول أهل الظاهر النافين للقياس.

* * *

س: لماذا غُلِّظت كفارة الظهار؟

ج: لأن الظهار منكرٌ من القول وزور كما قال سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن الكفارات زواجر عن تعاطي الجنايات وارتكاب المحرمات؛ فلمَّا

عظم ذنب الظهار عظمت الكفارة حتى تكون رادعة لمن سوَّلت له نفسه القيام بهذا العمل.

* * *

س: ما الحكمة من إخراج الكفارات قبل المسيس؟

ج: ذلك والله أعلم كي يبادروا بإخراج الكفارة.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس أن ذلك أدعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يُمكَّن من ذلك إلا بعد الكفارة بادر إلى إخراجها.

* * *

س: ما الحكم لو جامع المظاهر امرأته قبل أن يكفِّر؟

ج: إذا جامع المظاهر زوجته قبل أن يُكفِّر فقد عصى وأَثِم، ولكن لا تسقط عنه الكفارة، وهذا قول أكثر أهل العلم.

* * *

س: ما الحكم لو جامع زوجته أثناء صيام الشهرين المتتابعين؟

ج: من قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ أخذ اشتراط التتابع.

قال الصنعاني في سبل السلام[1]: قوله: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ دالٌّ على وجوب التتابع، وعليه دلَّت الآية، وشرطت أن تكون قبل المسيس، فلو مسَّ فيهما استأنف، وهو إجماع إذا وطئها نهاراً متعمداً.

* * *

س: ما الحكم لو مرض الرجل أثناء صيام التتابع؟

ج: الظاهر من أقوال العلماء أن أصحها قولُ من قال: إنه بعد شفائه من مرضه يواصل الصوم بناءً على ما سبق، والله تعالى أعلم.

* * *

س: كم قدر الإطعام لكل مسكين؟

ج: الظاهر أنه الطعام الذي يكفي المسكين، ولم أقف على خبر ثابتٍ هنا يحدده بالأمداد.

* * *

س: هل إذا أطعم شخصٌ شخصًا واحدًا ستين وجبة هل يجزؤه عن إطعام الستين مسكينًا؟

ج: لا يجزؤه ذلك؛ لأن الله قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

فلو جمع طعام ستين مسكينًا ودفعه لواحدٍ أو أكثر من ذلك دون الستين لم يَجُزْ ذلك؛ لأن الله قال: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.

قلت (مصطفى): وإذا لم يجد ستين مسكينًا جاز له أن يدفع طعام الستين مسكينًا للأعداد المتيسرة أمامه، وذلك لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ولحديث المجامع في نهار رمضان لمَّا أمره النبي ﷺ أن يخرج الكفارة في أهله[1]، ويبعد أن يكون عدد أهله ستين شخصًا.

* * *

(١) أخرج البخاري (حديث ١٩٣٦)، ومسلم (ص٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ: ذلك الحكم لتصدقوا أن اللَّه أمر به، وأيضًا ذلك لتكونوا مطيعين للَّه تعالىٰ، وقَّافِين عند حدوده، ولا تتعدوه لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكم منكرٌ من القول وزور.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جل ثناؤه: هذا الذي فرضت علىٰ من ظاهر منكم ما فرضت في حال القدرة علىٰ الرقبة، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم، ومع فَقْدِ الاستطاعة علىٰ الصوم بالإطعام.

وإنما فعلته كي تقرّ الناس بتوحيد اللَّه ورسالة الرسول محمد ﷺ، ويصدقوا بذلك، ويعملوا به، وينتهوا عن قول الزور والكذب.

وقال القرطبي:

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: ذلك الذي وصفنا من التغليظ في الكفارة «لِتُؤمنوا» أي: لتصدقوا أن اللَّه أمر به، وقد استدل بعض العلماء

= عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول اللَّه، هلكت. قال: «ما لك؟» قال: وقعت علىٰ امرأتي وأنا صائم.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟» قال: لا.

قال: فسكت النبي ﷺ، فبينا نحن علىٰ ذلك أُتي النبي ﷺ بعَرَقٍ فيها تمر ـ والعرق: المكتل ـ قال: «أين السائل؟» فقال: أنا. قال: «خُذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: علىٰ أفقر مني يا رسول اللَّه، فواللَّه ما بين لابتيها(*) ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك».

(*) أي: لا بتي المدينة

على أن هذه الكفارة إيمان بالله سبحانه وتعالى، لما ذكرها وأوجبها قال: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها، فسمَّي التكفير؛ لأنه طاعة ومراعاة للحد إيمانًا، فثبت أن كل ما أشبهه فهو إيمان.

فإن قيل: معنى قوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور.

وقيل له: قد يجوز أن يكون هذا مقصوداً والأول مقصوداً، فيكون المعنى: ذلك لئلا تعودوا للقول المنكر والزور، بل تَدَعُونَهُمَا طاعة لله سبحانه وتعالى إذ كان قد حرمهما، ولتجتنبوا المظاهر منها إلى أن تُكفِّروا، إذ كان الله منع من مسيسها، وتكفروا إذ كان الله تعالى أمر بالكفارة، وألزم إخراجها منكم، فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله، لأنها حدود تحفظونها، وطاعات تؤدُّونها، والطاعة لله ولرسوله ﷺ إيمان، وبالله التوفيق.

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ
ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى
ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟
يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(يحادون ـ كُبتوا ـ بينات ـ مُهين ـ أحصاه اللَّه ـ شهيد ـ ألم تر ـ نجوى ـ الإثم ـ العدوان ـ معصية الرسول ـ حسبهم ـ تناجيتم ـ البر ـ التقوى ـ تحشرون ـ تفسحوا ـ انشزوا).

ج:

الكلمة	معناها
يحادون	يُعاندون ـ يخالفون ـ يشاقُّون[1] .
كُبتوا	أُذلوا ـ أهينوا ـ غيظوا ـ عُذِّبوا ـ لُعنوا .
بينات	واضحات .
مُهين	مُخزٍ ـ مُذل .
أحصاه اللَّه	جمعه عليهم في صحائف أعمالهم ـ كتبه عليهم في اللوح المحفوظ ـ حفظه عليهم ـ أمر الملائكة بكتابته كما قال: ﴿وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين﴾ .
شهيد	مطلع ـ ناظر ـ لا يخفىٰ عليه شيءٌ ـ شاهد علىٰ الظواهر والسرائر .
ألم تر	ألم تعلم .
نجوى	سِرار ـ محادثتهم سرًا ـ تسارر .
الإثم	الكذب .

(١) وأصله تجاوز حدود اللَّه التي حدَّها، ومعاندتهم هنا بالأمور العظيمة كالكفر ومحاربة أولياء اللَّه، ومعاداة رسله عليهم الصلاة والسلام.

الكلمـــة	معنـاهـــا
العدوان	الظلم .
معصية الرسول	مخالفة الرسول .
حسبهم	كافيتهم[١] .
تناجيتم	تساررتم .
البر	الطاعة ، والبر : اسم جامع لكل طاعة وخير ، وقيام بحق اللَّه وحق عباده .
التقوى	العفاف عما نهىٰ اللَّه عنه ـ ترك المعصية ، والتقوىٰ : اسم جامع لترك جميع المحارم والمآثم .
تحشرون	تجمعون .
تفسحوا	توسعوا .
انشزوا	انهضوا ـ قوموا ـ بادروا بالقيام .

(١) أي : كافية لتعذيبهم ، فقد جمعت عليهم كلَّ عذاب وشقاءٍ وكربٍ وبلاء .

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؟

ج: هم المشركون، والمنافقون، وأهل الكتاب، وكل من عاند اللَّه ورسوله.

* * *

س: كيف قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ بلفظ المضارع، ثم قال: ﴿كُبِتُوا﴾ بلفظ الماضي؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن كُبتوا هنا بمعنى سيكبتون.

* * *

س: من المعنيون بـ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؟

ج: الذين من قبلهم هم كفار الأمم السابقة الذين كذبوا الرسل، وعاندوهم.

وقيل أيضًا: هم كفار قريش الذين كبتهم اللَّه وأذلهم، وأخزاهم يوم بدرٍ ويوم الأحزاب.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: وقد أنزلنا آيات بينات موضحات للعقوبات التي عوقب بها من حادَّ اللَّه ورسوله، ومظهرات لما فعلناه بهم من العذاب.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وعنىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بمعنىٰ: أنه مشاهدهم بعلمه، وهو علىٰ عرشه.

وقال أيضًا: يسمع سرهم ونجواهم، لا يخفىٰ عليه شيء من أسرارهم.

وقال القرطبي:

يعلم ويسمع نجواهم، يدل عليه افتتاح الآية بالعلم، ثم ختامها بالعلم أيضًا.

* * *

س: ما المراد بالمعيَّة في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسروه فيما بينهم، فهو مطلع عليهم يسمع كلامهم، ويرىٰ مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

*وقد نقل الحافظ ابن كثير عن الإمام أحمد قوله: افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم.

* * *

س: اذكر مثالاً للمعيَّة العامة، ومثالاً للمعيَّة الخاصة.

ج: أما مثال المعية العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾.

أما مثال المعية الخاصة ومنها معية النصر والتأييد والحفظ، ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. والله أعلم.

* * *

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ سبب نزول؟

ج لم أقف لها علىٰ سبب نزولٍ صحيح.

* * *

س: مَن هؤلاء الذين نُهوا عن النجوى، ثم عادوا لما نُهُوا عنه؟

ج: الظاهر أنهم اليهود، وهذا خلقٌ سيئٌ منهم، فقد كانوا يتناجون مناجاةً ليس لهم بها حاجة، ولكنهم يريدون بها قذف الشكوك في قلوب المسلمين.

وقد دلَّ على أنهم اليهود قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ**﴾، فقد كانوا يأتون النبي ﷺ يقولون له: «السام عليك» يريدون بالسام: الهلاك والموت واللعنة، ويوهمون الرسول ﷺ أنهم يقولون: السلام عليك[1].

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى: لا خلاف بين النقلة أن المراد بها اليهود.

* * *

س: اذكر بعض آداب التناجي.

ج: من ذلك: أن يقلل الشخص من التناجي قدر المستطاع، وإن كان ثمَّ تناجٍ فيكون بالبر والتقوى، ولا يكن بالإثم والعدوان، وقد ذكرنا طرفًا من ذلك في تفسير سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ...**﴾ فليرجع إليه.

وكان مما ذكرنا هنالك قول النبي ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان**

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٢٥٦)، ومسلم (حديث ٢١٦٥) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: دخل رهطٌ من اليهود على رسول اللَّه ﷺ فقالوا: السَّامُ عليك. ففهمتُها؛ فقلت: عليكم السامُ واللعنة.
فقال رسول اللَّه ﷺ: «مهلاً يا عائشة، فإن اللَّه يُحبُّ الرفق في الأمر كله».
فقلت: يا رسول اللَّه، أو لم تسمع ما قالوا؟
قال رسول اللَّه ﷺ: «فقد قلتُ: عليكم».

دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه».

وقد قال القرطبي في شرح هذا الحديث:

فبيَّن في هذا الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثالث من يتحدث معه، كما فعل ابن عمر، وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه حتىٰ دعا رابعًا، فقال له وللأول: تأخرا، وناجىٰ الرجل الطالب للمناجاة. خرجه في «الموطأ». وفيه أيضًا التنبيه علىٰ التعليل بقوله: (من أجل أن يحزنه) أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله. وذلك بأن يقدّر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلىٰ غير ذلك من أُلْقِيات الشيطان وأحاديث النفس.

وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمِن ذلك، وعلىٰ هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجىٰ أربعة دون واحدٍ ولا عشرة ولا ألف مثلاً، لوجود ذلك المعنىٰ في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولىٰ.

وإنما خص الثلاثة بالذكر؛ لأنه أوَّل عددٍ يتأتىٰ ذلك المعنىٰ فيه. وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوالِ، وإليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور. وسواء أكان التناجي في مندوبٍ أو مباح أو واجب، فإنّ الحزن يقع به.

وقد ذهب بعض الناس إلىٰ أن ذلك كان في أول الإسلام؛ لأن ذلك كان في حال المنافقين فيتناجىٰ المنافقون دون المؤمنين، فلمَّا فشا الإسلام سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاص بالسفر في المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه، فأما في الحضر وبين العمارة فلا، فإنه يجد من يعينه، بخلاف

السفر فإنه مظنة الاغتيال وعدم المغيث. والله أعلم.

وينبغي أن يحفظ المتناجي سرَّ صاحبه إذا استدعىٰ الأمر ذلك، ففي الصحيحين[1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كُنَّ أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي. ما تُخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئًا. فلمَّا رآها رحَّب بها، فقال: «**مرحبًا بابنتي**» ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمَّ سارَّها فبكتْ بكاءً شديدًا، فلمَّا رأىٰ جزعها سارَّها الثانيةَ فضحكت.

فقلتُ لها: خصَّكِ رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار، ثمَّ أنتِ تبكين؟! فلمَّا قام رسولُ الله ﷺ سألتُها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنتُ أفشي علىٰ رسول الله ﷺ سرَّه.

قالت: فلما تُوفي رسول الله ﷺ قلت: عزمتُ عليك بما لي عليكِ من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟

فقالت: أمَّا الآن فنعم. أمَّا حين سارَّني في المرة الأولىٰ، فأخبرني أنَّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، «**وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري، فإنه نعمَ السلف أنا لك**» قالت: فبكيتُ بُكائي الذي رأيتِ. فلمَّا رأىٰ جزعي سارَّني الثانية فقال: «**يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيتِ.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (حديث ٢٤٥٠).

س: أهل الجهل يتصورون أن تأخر نزول العذاب عليهم إقرارٌ لهم على باطلهم، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن اليهود كانوا يؤذون رسول اللَّه ﷺ ويقولون: لو كان نبيًا من عند اللَّه حقًا لعذبنا اللَّه على إيذائنا له، فلما تركنا ربنا بلا تعذيب ونحن نسبُّه ونشتمه (أي: رسول اللَّه ﷺ) دلَّ ذلك على عدم نبوَّته.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾.

فأجابهم ربنا بقوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ونحوه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾.

فوجه الطعن في الدين أنهم كانوا يصفون رسول اللَّه ﷺ بالرعونة، ويتعللون بعدم تعذيبهم على التشكيك في نبوة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيًا لعذبنا اللَّه بما نقول له في الباطن؛ لأن اللَّه يعلم ما نسره، فلو كان هذا نبيًا حقًا لأوشك أن يعاجلنا اللَّه بالعقوبة في الدنيا، فقال اللَّه تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كافيتهم في الدار الآخرة ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٤٤١).

س: ماذا قال رسول اللَّه ﷺ في النجوى يوم القيامة؟

ج: أخرج البخاري[1] في صحيحه من طريق صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عُمر رضي اللَّه عنهما آخِذٌ بيده إذ عرضَ رجلٌ فقال: كيف سمعتَ رسول اللَّه ﷺ في النجوىٰ؟ فقال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّه يُدْنِي المؤمنَ فيضعُ عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرفُ ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم أي ربِّ. حتى إذا قرَّرهُ بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافقون فيقولُ الأشهادُ: هؤلاءِ الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنةُ اللَّهِ على الظالمين**».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: إن الحامل علىٰ النجوىٰ هو الشيطان، فهو المُزيِّن لها، والمشير بها لإدخال الحزن علىٰ أهل الإيمان.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: وليس التناجي بضارّ أهل الإيمان شيئًا إلا بإذن اللَّه.

* * *

س: أي مجالس هذه التي أمرهم اللَّه أن يتفسحوا فيها؟

ج: هي عموم المجالس؛ كمجالس طلب العلم، والصفوف الأولىٰ في

القتال، ومجالس الذِّكر، ونحو ذلك.

قال بعض العلماء: كان القوم يُصفُّون في القتال، وكلٌّ يحرص على أن يكون في الصف المتقدم؛ حرصًا على الفضيلة، وكان آخرون يحرصون على أن يكونوا في مقدمة المجلس عند رسول اللَّه ﷺ؛ فأمروا بالتفسح لبعضهم.

* * *

س: اذكر بعض آداب المجالس.

ج: من آداب المجالس ما يلي:

* أن تكون مجالس خير ليس فيها خوض في آيات اللَّه، قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**.

وقال تعالى: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾**.

ومن ذلك: أداء حق الطريق، ففي الصحيحين[1] عن رسول اللَّه ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» قالوا: يا رسول اللَّه، ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حقُّه؟ قال: «**غَضُّ البصر، وكفُّ الأذى، ورَدُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

ومن ذلك: ألا يقيم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه، ففي الصحيحين[2]

---

(١) البخاري (٦٢٢٩)، و مسلم (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٢) البخاري (حديث ٦٢٧٠)، ومسلم (حديث ٢١٧٧).

من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه نهىٰ أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا، وكان ابن عمر يكره يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه.

ومن ذلك: أن يتفسح في المجلس لإخوانه إذا طلب منه التفسح ما لم يكن في هذا مشقة، لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

ومن ذلك: ألا يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما، وخاصة يوم الجمعة، ففي الصحيح من حديث سلمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة...**» فذكر الحديث، ومنه: «**ثم راح فلم يُفرِّق بين اثنين... غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**»[1].

ومن ذلك: أن تتخلل المجلس صلاة وسلام علىٰ رسول اللَّه ﷺ.

ومن ذلك: أن الرجل أحق بمجلسه إذا قام منه ورجع إليه.

ومن ذلك: الحرص علىٰ التقدم في مجالس الخير، ففي الصحيحين[2] من حديث أبي واقدٍ الليثي، أن رسول اللَّه ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجدِ والناس معه، إذ أقبل نفرٌ ثلاثة، فأقبل اثنان إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا علىٰ رسول اللَّه ﷺ، فأما أحدهما فرأىٰ فُرجةً في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلمَّا فرغ رسول اللَّه ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوَى إلى اللَّه؛ فآواه اللَّه، وأما الآخر فاستحيا؛ فاستحيا اللَّه منه. وأمَّا الآخر فأعرض؛ فأعرض اللَّه عنه**».

ومن ذلك: أن تختم المجالس بالاستغفار، ففي سنن أبي داود[3] من حديث أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن

---

(١) البخاري (حديث ٩١٠). (٢) مسلم (حديث ٢١٧٦)، والبخاري (حديث ٦٦).
(٣) حسن بمجموع الطرق، أخرجه أبو داود (٥/ ١٨٢) والدارمي (٢/ ٢٣٢).

يقوم من المجلس: «**سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**». فقال رجل: إنك لتقول قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضىٰ يا رسول اللَّه؟! فقال: «**كفارة لما يكون في المجلس**».

ومن ذلك: ألا يجلس المرء في مجلس فيه لغو ولغط، وجدال واختلاف، وقد قال تعالىٰ في شأن عباد الرحمن: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾.

ففي تفسير شهادة الزور أقوال أحدها: لا يحضرون مجالس الباطل.

وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

ومن ذلك: أن يكثر من ذكر اللَّه عزَّ وجلّ في مجلسه، والصلاة والسلام علىٰ رسول اللَّه ﷺ؛ فإن الملائكة تتنزل عند ذكر اللَّه وتلاوة كتابه، والشياطين تخنس عند ذلك.

ومن ذلك: أنه إذا وجد منكراً؛ كاغتياب، أو كذب، أو نميمة، فليُزل ذلك المنكر، أو يزول عنه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات في الآخرة إذا كانوا يعملون بعلمهم، وذلك كما في الحديث عن رسول اللَّه ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[1].

---

(١) أبو داود (٢/ ١٥٣) بسند حسن.

ويكرم اللَّه أهل العلم والإيمان في الدنيا كذلك؛ فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم، فيكون ترتيبهم بحسب فضائلهم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يرفع المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع اللَّه الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، واللَّه معطي كل ذي فضل فضله. وكان مطرف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير يقول: فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا فَسَح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصًا في حقه، بل هو رفعة ومزية عند اللَّه، واللَّه تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر اللَّه رفَعَ اللَّه قدره، ونشر ذِكْرَه؛ ولهذا قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه.

ومن العلماء من قال: إن الرفعة هنا بالامتثال لأمر اللَّه وأمر رسوله ﷺ،

فيرفع اللَّه المؤمنين الممتثلين لأوامر اللَّه أو رسوله ﷺ على غير الممتثلين، يرفع اللَّه المتفسحين في المجالس لإخوانهم على الذين لا يتفسحون فيها.

* * *

س: هل يُقرِّب شخص في الدنيا ويكرم لحمله القرآن، أم أن أمره يترك إلى اللَّه عزَّ وجل؟

ج: نعم، يُقرَّب، ويُكرم لحمله كتاب اللَّه عزَّ وجل، ولعمله به، وهذه بعض الأدلة على ذلك:

* **أخرج مسلم**[1] **في صحيحه**، من طريق عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قالْ: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب اللَّه عزَّ وجل، وإنَّهُ عالمٌ بالفرائض. قال عمر: أما إنَّ نبيكم قد قال: «**إنَّ اللَّه يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**».

* وأهل الشورى الذين كانوا عند عمر رضي اللَّه عنه كانوا من حملة كتاب اللَّه عزَّ وجل، ففي الصحيح[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قَدِم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شُبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يابن الخطاب، فواللَّه ما تُعطينا الجَزل، ولا تَحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر

(١) مسلم (حديث ٨١٧). (٢) البخاري (حديث ٤٦٤٢).

حتىٰ همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن اللَّه تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإنَّ هذا من الجاهلين، واللَّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب اللَّه.

* وابن عباس رضي اللَّه عنهما كان يُقربه عمر من مجلسه لفقهه في كتاب اللَّه، ففي الصحيح[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟

فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم فما رئيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم، قال: ما تقولون في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أُمرنا نحمد اللَّه ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا.

فقال لي: أكذاك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول اللَّه ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر اللَّه والفتح ـ وذلك علامة أجلك ـ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا.

فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

* وقد زوَّج النبي ﷺ المُعسر الذي لم يجد خاتمًا من حديد بما معه من القرآن، فقال له: «**اذهب، فقد أنكحتكها بما معك من القرآن**»[2].

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٩٧٠).

(٢) البخاري (حديث ٥١٤٩)، ومسلم (ص٥٨٤) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ
فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ
تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ
نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا
مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا
شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ
فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ
أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ
وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾

ٱسْتَحْوَذَ

عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟
ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ
ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

اذكر معنى ما يلي:

(ناجيتم - بين يدي نجواكم - أأشفقتم - ألم تر - أيمانهم - جُنةً - مهين - استحوذ - حزب الشيطان - الأذلين - كتب اللَّه - يوادون - أيدهم - روح منه - حزب اللَّه).

ج:

الكلمة	معناها
ناجيتم	سارررتم.
بين يدي	قبل المناجاة.
نجواكم	
أأشفقتم	أخِفتم[1] - أبخلتم.
ألم تر	ألم تعلم - ألم تنظر بعين قلبك.
أيمانهم	جمع يمين، وهو ما يحلف به.
جُنةً	وقاية.
مهين	مُذل - مُخزٍ.
استحوذ	غلب - استعلىٰ - استولىٰ عليهم[2] - قوي عليهم - أحاط بهم.
حزب الشيطان	جنده وأتباعه.
الأذلين	الأذلاء - أعظم الناس ذلاً - الحقيرين - الأشقياء - المبعدين

(١) والإشفاق الخوف من المكروه، والمراد هنا - واللَّه أعلم - أخشيتم الفقر؟!

(٢) أي: بوسوسته.

الكلمـــة	معنـاهـــا
	ـ المطرودين .
كتب اللَّه	قضىٰ اللَّه ـ كتب اللَّه في اللوح المحفوظ .
يوادون	يحبون ويوالون .
أيدهم	قوَّاهم .
روح منه	نصرٍ منه ـ نور وإيمان وهدىٰ منه[1] ـ برهان منه .
حزب اللَّه	عباد اللَّه وأهل كرامته .

(١) وقيل أيضًا : إن المراد بالروح جبريل عليه السلام ، كما في الآية الكريمة : ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ .

س: هل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ منسوخة؟ وما الناسخ؟

ج: نعم، منسوخة، وعلىٰ ذلك جُلُّ العلماء، لا أعلم بينهم اختلافًا في كونها منسوخة، أما الناسخ فهو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

* * *

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها علىٰ سبب نزول صحيح، وثمَّ أسباب نزول ذكرها القرطبي وغيره، ولا يصح منها شيء، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أطهر من ماذا؟

ج: أطهر من إمساكها، وأطهر للقلوب من المعاصي، أي: أطهر للقلوب من بقائها ملوثة بالمعاصي.

* * *

س: وضح المعنى العام لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره السعدي رحمه اللَّه تعالى حيث قال:

يأمر تعالىٰ المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد ﷺ، تأديبًا لهم وتعليمًا، وتعظيمًا للرسول ﷺ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين، وأطهر.

أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول ﷺ، والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانًا لمن كان حريصًا على العلم والخير، فلا يبالي بالصدقة. ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة فإن اللَّه لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

ثم لمَّا رأى تعالى شفقة المؤمنين، ومشقة الصدقات عليهم، عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله، لم ينسخ؛ لأن هذا من باب المشروع لغيره، ليس مقصودًا لنفسه، وإنما المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له.

وقال صديق حسن خان في فتح البيان كذلك:

المناجاة المساررة، والمعنى: إذا أردتم مساررة الرسول في أمرٍ من أموركم ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ أي: مساررتكم له ﴿صدقة﴾. في هذا الأمر تعظيم لرسول اللَّه ﷺ وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال، والميز بين المخلص والمنافق، ومحب الدنيا والآخرة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: من كان منكم فقيرًا فلم يجد تلك الصدقة التي

يقدمها قبل مناجاته رسول اللَّه ﷺ فلا حرج عليه في النجوىٰ بدونها، وهذا كان قبل نسخ الآية الكريمة، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ استفهام، ما المراد منه؟

ج: المراد منه التقرير، واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ: إذا لم تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، وضنَّت نفوسكم بذلك، وعجزت طاقاتكم عن ذلك، وتاب اللَّه عليكم، ورخص لكم في عدم فعله، فلا تفرطوا في سائر ما أوجبه اللَّه عليكم، فلا تفرطوا في الصلاة، والزكاة، وسائر الطاعات.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: فإذ لم تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، ورزقكم اللَّه التوبة من تركككم ذلك، فأدّوا فرائض اللَّه التي أوجبها عليكم ولم يضعها عنكم من: الصلاة، والزكاة، وأطيعوا اللَّه ورسوله فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه.

* * *

س: هل ورد شيء عند تفسير هذه الآيات يبين فضلاً لعلي رضي اللَّه عنه؟

ج: ورد عند الطبري وغيره ـ بأسانيد لا تخلو من مقال ـ ما يفيد أن لعليٍّ

رضي اللَّه عنه فضلاً.

* فعند الطبري[1] والترمذي، وغيرهما من طريق سفيان الثوري عن عثمان ابن أبي المغيرة عن سالم ابن أبي الجعد، عن عليّ بن علقمة الأنماريّ، عن عليّ قال: قال النبي ﷺ: «ما ترى؟ دينار؟» قال: لا يطيقون، قال: «نصفُ دينار؟» قال: لا يطيقون، قال: «ما ترى؟» قال: شعيرة، فقال له النبي ﷺ: «إنَّك لزهيد» قال علي رضي اللَّه عنه: فبي خفَّف اللَّه عن هذه الأمة. وقوله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ فنزلت: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾.

* وأخرج الطبري[2] من طريقين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال: نُهُوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، قدَّم ديناراً فتصدَّق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك.

* وعند الطبري وغيره من طريق ليث، عن مجاهد قال: قال علي رضي اللَّه عنه: آية من كتاب اللَّه لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي.

والضعف في الأسانيد السابقة ضعف قريب، فالظاهر لي - واللَّه تعالى أعلم - أنها تُحَسَّن بمجموع طرقها.

* * *

(١) الطبري (٣٣٧٩٦)، وفي سنده ابن حميد، وهو ضعيف.

(٢) الطبري (٣٣٧٨٨)، (٣٣٧٩٠)، ورواية ابن أبي نجيح عن مجاهد فيها كلام، ثم الخبر مرسل.

س: من الذين تولوا قومًا غضب اللَّه عليهم، ومن هؤلاء المغضوب عليهم؟ وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾.

ج: أما الذين تولوا قومًا غضب اللَّه عليهم فهم المنافقون تولوا المغضوب عليهم وهم اليهود.

* ويتأيد هذا بقوله تعالىٰ: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ أي أن المنافقين ما هم منكم يا أهل الإيمان، ولا هم من اليهود، كما قال تعالىٰ: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ﴾.

* وقد صحَّ عن قتادة عند الطبري أنه قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ هم المنافقون تولوا اليهود وناصَحُوهم.

* أما قوله تعالىٰ: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ فقال السعدي رحمه اللَّه:

فليسوا بمؤمنين ظاهرًا وباطنًا لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهرًا وباطنًا؛ لأن ظاهرهم مع المؤمنين.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ: يعلمون بطلان ما هم عليه، ومع ذلك يحلفون بأنه صحيح.

ومعنىٰ آخر: يكذبون ويحلفون علىٰ كذبهم وافترائهم الذي كذبوه وافتروه.

وأيضًا يحلفون أنهم ما نقلوا أخبارًا لليهود وقد نقلوها.

* * *

س: هل صحَّ لقولـه تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، صحَّ لذلك سبب نزول وهو ما أخرجه أحمد[1] وغيره من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان ـ أو بعين شيطان**» فدخل رجل أزرق فقال: يا محمد، علام سببتني ـ أو شتمتني أو نحو ذلك ـ قال: وجعل يحلف؛ فنزلت هذه الآية في المجادلة ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والآية الأخرى[2].

* * *

س: وضح كيف ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ج: أقسموا أيمانًا كاذبة باللَّه عزَّ وجل يتقون بها القتل ويتقون بها العتاب، ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فإذا اكتشفت بعض أمرهم، وظهر النفاق منهم حلفوا للمؤمنين باللَّه إنهم لمنهم.

* كما قال تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾.

* وكما قال تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ**﴾.

* وكما قال تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ**﴾.

---

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠) بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، والطبري (٣٣٨٠٥).

(٢) في بعض الروايات: ونزلت: ﴿يحلفون باللَّه ما قالوا. . .﴾.

* أما وجه صدهم عن سبيل اللَّه بهذه الأيمان، فذلك واللَّه أعلم أنهم إذا أقسموا باللَّه صدقهم الناس واعتقدوا صحة إسلامهم، فإذا اعتقدوا صحة إسلامهم أدخلوا في الدين ما ليس فيه، وطعنوا في رسول اللَّه ﷺ وصحابته الكرام.

* وهذه بعض أقوال العلماء في الآية بصفة عامة:

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يقول جل ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل، ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وذلك أنهم إذا اطلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين باللَّه إنهم لمنهم.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: فصدوا بأيمانهم - التي اتخذوها جُنة - المؤمنين عن سبيل اللَّه فيهم، وذلك أنهم كفرة، وحكم اللَّه وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل.

فالمنافقون يصدون المؤمنين عن سبيل اللَّه فيهم بأيمانهم أنهم مؤمنون، وأنهم منهم، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان باللَّه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، واتقوا بالأيمان الكاذبة، فظن كثيرٌ ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقَهم فاغتَّر بهم، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل اللَّه لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم اللَّه العظيم في

الأيمان الكاذبة الخاطئة.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ قرأ الجمهور أيمانهم جمع يمين وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين، توقيًا من القتل، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم، كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من أن يصاب بسهم أو رمح، وقرئ إيمانهم بكسر الهمزة أي: جعلوا تصديقهم جُنَّة من القتل، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم، وقيل: المعنى فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب إظهارهم الإسلام.

وقال الشنقيطي رحمه اللَّه في «أضواء البيان»:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين اتخذوا أيمانهم جُنَّة، والأيمان جَمْعُ يمين، وهي الحلف، والجُنَّةُ هي الترس الذي يتقي به المقاتل وقع السلاح، والمعنى أنهم جعلوا الأيمان الكاذبة، وهي حلفهم للمسلمين أنهم معهم، وأنهم مخلصون في باطن الأمر، ترسًا لهم يتقون به الشر الذي ينزل بهم لو صرحوا بكفرهم.

وقوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الظاهر أنه من صَدَّ المتعدية، وأن المفعول محذوف، أي: فصدوا غيرهم ممن أطاعهم؛ لأن صدودهم في أنفسهم دلَّ عليه قوله ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ والحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد، كما أوضحناه مرارًا.

وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية الكريمة، وهما كون المنافقين

يحلفون الأيمان الكاذبة لتكون لهم جُنَّة، وأنهم يصدون غيرهم عن سبيل اللَّه جَاءَا مَوْضَّحَيْنِ في آيات أخر من كتاب اللَّه، أما أيمانهم الكاذبة فقد بينها اللَّه جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالىٰ في هذه السورة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وأما صدهم من أطاعهم عن سبيل اللَّه فقد بينه اللَّه في آيات من كتابه، كقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾.

* * *

س: اذكر شيئًا من هذا العذاب المهين الذي يلحق بالكافرين.

ج: من ذلك: وأعظم ذلك كونهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

* * *

س: استنبط العلماء من قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أن الجزاء من جنس العمل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن أهل النفاق لما امتهنوا اسم اللَّه عزَّ وجل، وأقسموا به كاذبين؛ فلذلك يُهانوا ويُمتهنوا، ويلحقهم العذاب المُذل المُخزي.

* * *

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ...﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، فاللَّه أعلم.

* * *

س: هل يحلف أهل النفاق يوم القيامة لربهم عزَّ وجل؟

ج: نعم، يحلف أهل النفاق لربهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، وكما أخبر اللَّه عن أضرابهم إذ قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: ويحسبون أن أيمانهم تنفعهم وتدفع عنهم الضر، ويحسبون أنهم على شيءٍ من الحق.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد بذكر اللَّه: أوامره ونواهيه.

س: ما المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد بالنسيان هنا: الترك، أي: فحملهم على ترك ذكر اللَّه عزَّ وجل، وهذا كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وكما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه:

النسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا.

* * *

س: لماذا قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ فذكر ﴿أَنَا﴾ فكان يمكن أن يُقال: كتب اللَّه لأغلبن ورسلي؟

ج: ذلك للتأكيد، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر نظيراً لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

* * *

س: كيف قال تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ومن الرُّسُل مَنْ قُتل؟

ج: جواب ذلك أن الذي أُرسل وكلِّف بالقتال نصره اللَّه عزَّ وجل على أعدائه، والذي بعث وكلِّف بالبلاغ ولم يكلَّف بالقتال نصره اللَّه عزَّ وجل بالحُجَّة.

قال الشنقيطي رحمه اللَّه في «أضواء البيان»:

قد دلت هذه الآية الكريمة على أن رسل اللَّه غالبون لكل من غالبهم، والغلبة نوعان: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميع الرسل، وغلبة بالسيف والسِّنَّان، وهي ثابتة لمن أُمر بالقتال منهم دون من لم يُؤمر به.

وقد دلَّت هذه الاية الكريمة وأمثالها من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أنه لن يقتل نبي في جهاد قط؛ لأن المقتول ليس بغالب؛ لأن القتل قسم مقابل للغلبة كما بينه تعالى في قوله: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية، وقد نفى عن المنصور كونه مغلوبًا نفيًا باتًا في قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

وبهذا تعلم أن الرسل الذين جاء القرآن أنهم قُتلُوا، كقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ ليسوا مقتولين في جهاد، وأن نائب الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ على قراءة قتل بالبناء للمفعول، هو ربيون لا ضمير النبي.

* * *

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزولٍ صحيح، وقد ورد لها سبب نزول في إسناده ضعف لانقطاعه أخرجه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن الكبرى»[1] وغيرهم من طريق: عبد اللَّه بن شوذب قال: جعل

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥)، والبيهقي (٩/ ٢٧).

أبو أبي عبيدة بن الجراح يحيد عنه، فلما أكثر الجَرَّاح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل اللَّه عزَّ وجل فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ. . .﴾ قال البيهقي: وهذا منقطع.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ . . .﴾.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنا. . . . . الكافرين﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً. . .﴾

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: جعل في قلوبهم التصديق، ثبت في قلوبهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
(١) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٤)

س: اذكر معنى ما يأتي:

(سبَّح للَّه ـ ما في السموات وما في الأرض ـ العزيز ـ الحكيم ـ الحشر ـ فأتاهم اللَّه ـ لم يحتسبوا ـ الرُّعب ـ اعتبروا ـ يا أولي الأبصار ـ الجلاء ـ شاقُّوا).

ج:

الكلمة	معناها
سبَّح للَّه	صلَّى للَّه ـ سجد للَّه ـ مجَّد اللَّه ونزهه عن العيب والنقص والمكروه والسوء.
ما في السموات وما في الأرض	كل شيء في السموات والأرض.
العزيز	منيع الجناب ـ عظيم السلطان، لا يُمنع من شيءٍ أراده.
الحكيم	الحكيم في قدره وشرعه، يفعل كل شيءٍ بحكمة.
الحشر	الجمع[1].
فأتاهم اللَّه	أتاهم أمر اللَّه[2] ـ أتاهم عذاب اللَّه.
لم يحتسبوا	لم يظنوا ولم يتوقعوا.
الرعب	الخوف الشديد، والهلع، والجزع.
اعتبروا	اتعظوا.

(١) وأرض المحشر هي الشام.

(٢) ومنه: ﴿فأتى اللَّه بنيانهم من القواعد﴾، وأيضًا قوله: ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا﴾.

الكلمـــة	معنـاهـــا
يا أولي	يا أصحاب العقول الكاملة، والبصائر النافذة.
الأبصار	يا من عاين ذلك ببصره ورآه.
الجلاء	الطرد والإخراج والنفي من الديار.
شاقُّوا	عصوا ـ عاندوا ـ خالفوا.

س: هل صح حديثٌ في فضل سورة الحشر؟

ج: لم أقف على حديث صحيح في هذا الباب.

* * *

س: ما وجه الافتتاح بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم لبيان عظمته وقدرته، وأنه سبحانه وتعالى لا يستعصي عليه شيء ولا يمنع من نفاد قدره مانعٌ، فهو القادر على كل شيءٍ، وهو الذي يُعز ويُذل، ويقبض ويبسط، ويرفع ويخفض.

قال السعدي رحمه الله:

فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السموات والأرض، تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لعظمته؛ لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه عسير، الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته.

ومن ذلك: نصره لرسوله ﷺ على الذين كفروا من أهل الكتاب، من بني النضير، حين غدروا برسوله، فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم التي ألفوها وأحبوها، وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم، على يد رسوله محمد ﷺ إلى خيبر.

* * *

س: لماذا عبَّر بقوله (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ولم يقل (من)؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لكثرة غير العقلاء وزيادتهم على العقلاء.

* * *

س: هل الجمادات تسبح؟

ج: نعم، الجمادات تسبح، وهذا هو الذي تشهد له الأدلة، ومن هذه الأدلة ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ . . .﴾.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾.

سادسًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ فدلَّ ذلك على أن لها إدراكًا.

سابعًا: قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

ثامنًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

تاسعًا: قصة حنين الجذع لرسول اللَّه ﷺ[١]، وهي متواترة.

عاشرًا: قول النبي ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن**»[٢].

حادي عشر: قول النبي ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ، ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة**»[٣].

ثاني عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾.

ثالث عشر: قول النبي ﷺ: «**أحدٌ جبل يُحبنا ونحبه**»[٤].

* * *

(١) لها عن رسول اللَّه ﷺ طرقٌ في غاية الكثرة.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٦٠٩)، وقال الحافظ ابن حجر هناك: ظاهره يشمل الحيوانات والجمادات، فهو من العام بعد الخاص، ويؤيده ما في رواية ابن خزيمة: «لا يسمع صوته شجرٌ ولا مدرٌ، ولا حجر، ولا جنٌّ، ولا إنس إلا شهد له».
قلت (مصطفىٰ): هو عند ابن خزيمة (رقم ٣٨٩)، ولأبي داود والنسائي من طريق أبي يحيىٰ عن أبي هريرة بلفظ: «والمؤذن يغفر له مدىٰ صوته، ويشهد له كل رطب ويابس...».
قلت (مصطفىٰ): هو عند ابن خزيمة أيضًا رقم ٣٩٠).
قال: ونحوه للنسائي وغيره من حديث البراء وصححه ابن السكن، فهذه الأحاديث تبين المراد من قوله في حديث الباب (ولا شيء)... إلىٰ آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالىٰ هناك، فراجعه إن شئت.

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه، منها (حديث ٢٨٨٩)، ومسلم (حديث ١٣٦٥).

س: قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ جاء عامًا، اذكره بشيء من التفصيل.

ج: ذكر بعض التفصيل في ذلك الشيخ محمد بن عطية سالم في تتمته لأضواء البيان فقال:

وبهذا شمل إسناد التسبيح لكل شيء في نطاق السموات والأرض، عاقل وغير عاقل. وقد أكد هذا الشمول بصريح قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وكلمة «شيء» أعم العمومات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿اللَّه خالق كل شيء﴾، فشملت السموات والأرض والملائكة والإنس والجن والطير والحيوان والنبات والشجر والمدر، وكل مخلوق للَّه تعالىٰ.

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة إثبات التسبيح من كل ذلك، كل علىٰ حدة.

أولاً: تسبيح اللَّه تعالى نفسه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

ثانيًا: تسبيح الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وقوله ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، و﴿يسبحون اللَّه والنهار لا يفترون﴾.

ثالثًا: تسبيح الرعد: ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾.

رابعًا: تسبيح السموات السبع والأرض: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ﴾.

خامسًا: تسبيح الجبال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾.

سادسًا: تسبيح الطير: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾.

سابعًا: تسبيح الإنسان: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

فهذا إسناد التسبيح صراحة لكل هذه العوالم مفصلة ومبينة واضحة.

وجاء مثل التسبيح ونظيره وهو السجود مسنداً لعوالم أخرىٰ وهي بقية ما في هذا الكون من أجناس وأصناف في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾. ويلاحظ هنا أنه تعالىٰ أسند السجود أولاً لمن في السموات ومن في الأرض، و«من» هي للعقلاء أي: الملائكة والإنس والجن، ثم عطف علىٰ العقلاء غير العقلاء بأسمائهن من الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، فهذا شمول لم يبق كائن من الكائنات ولا ذرة في فلاة إلا شمله.

* * *

س: مَنْ المعنيون بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ﴾؟

ج: هم يهود بني النضير.

*أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق سعيد بن جبير قال: «قلت لابن

(١) البخاري (حديث ٤٨٨٢).

عباس: سورةُ التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة؛ ما زالت تَنزل: ومنهم، ومنهم، حتىٰ ظنوا أنها لم تُبقِ أحداً منهم إلا ذُكِرَ فيها. قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النَّضير[1]».

* * *

س: اذكر باختصار ما ذكره بعض العلماء في شأن مطلع هذه السورة، وما يتعلق ببني النضير.

ج: قال السعدي رحمه اللَّه تعالى في تفسيره:

هذه السورة تسمىٰ «سورة بني النضير» وهم طائفة كبيرة من اليهود، في جانب المدينة، وقت بعثة النبي ﷺ. فلما بعث النبي ﷺ وهاجر إلىٰ المدينة، كفروا به في جملة مَنْ كَفَرَ من اليهود، فهَادَن النبي ﷺ طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة. فلما كان بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي ﷺ وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين، الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ههنا، حتىٰ نقضي حاجتك. فخلا بعضهم ببعض، وسوَّل لهم الشيطان الشقاء الذي كُتِبَ عليهم.

فتآمروا علىٰ قتله ﷺ، فقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحا فيصعد فيلقيها علىٰ رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فواللَّه ليُخبرنَّ بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذي بيننا

---

(١) قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته لأضواء البيان: أجمع المفسرون علىٰ أنها في بني النضير، إلا قولاً للحسن أنها في بني قريظة، ورُدَّ هذا القول بأن بني قريظة لم يخرجوا، ولم يُجلوا، ولكن قُتلوا.

وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به.

فنهض مسرعًا، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت، ولم نشعر بك. فأخبرهم بما همت يهود به.

وبعث إليهم رسول اللّه ﷺ: «**أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرًا، فمَنْ وجدتُ بعد ذلك ضَرَبْتُ عنقه**» فأقاموا أيامًا يتجهَّزون، وأرسل إليهم المنافق عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين، يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

وطمع رئيسهم حُيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول اللّه ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبَّر رسول اللّه ﷺ وأصحابه، ونهضوا إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء: وأقاموا على حصونهم يرمون بالنبال والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أُبيّ وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول اللّه ﷺ وقطع نخلهم وحرَّق.

فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح.

وقبض رسول اللّه ﷺ الأموال والسلاح.

وكانت بنو النضير خالصة لرسول اللّه ﷺ لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يخمسها؛ لأن اللّه فاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها، بخيل ولا ركاب. وأجلاهم إلى خيبر، وفيهم حُيَيُّ بن أخطب كبيرهم، واستولى على أرضهم وديارهم، وقبض السلاح، فوجد من السلاح خمسين درعًا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفًا. هذا حاصل قصتهم، كما ذكرها أهل السير.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

ذكر أهل العلم بالتفسير والسير: أن رسول اللّه ﷺ خرج إلىٰ مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، فصلّىٰ فيه، ثم أتىٰ بني النضير، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما، فقتلهما عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم. فقالوا: نفعل، وهمُّوا بالغدر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر علىٰ البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلام حق بن مشكم: لا تفعلوا، واللّه ليُخبرن بما هممتم به، وجاء رسول اللّه ﷺ الخبر، فنهض سريعًا، فتوجه إلىٰ المدينة.

فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر؟! فقال: هَمَّتْ يهودُ بالغدر، فأخبرني الله بذلك، فقمت.

وبعث إليهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدتي، فلا تساكنوني، وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجَّلتكم عشرًا، فمن رئي بعد ذلك ضربتُ عنقه، فمكثوا أيامًا يتجهزون، فأرسل إليهم ابنُ أُبيٍّ: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتَمُدُّكُمْ قريظة، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع حُيَي فيما قال ابن أُبَيٍّ، فأرسل إلىٰ رسول الله ﷺ، إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله ﷺ، فكبر المسلمون لتكبيره، وقال: «**حاربت يهود**»، ثم سار إليهم في أصحابه.

فلما رأوْه، قاموا علىٰ حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظةُ، وخذلهم ابن أُبَيٍّ وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلىٰ مكة فعاقد المشركين علىٰ التظاهر علىٰ رسول الله ﷺ وقطع نخلهم.

فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فأجلاهم عن المدينة، فمضىٰ بعضهم

إلىٰ الشام، وبعضهم إلىٰ خيبر، وقَبَضَ أموالهم وسلاحهم، فوجد خمسين درعًا وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفًا.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، لأول الجمع في الحياة الدنيا، فكانوا أول من حُشر وأخرج من داره وكذا قال بعض أهل العلم ثم قالوا أيضًا والحشر الثاني يوم القيامة.

وقال بعضهم: إن هذا الحشر كان إلىٰ الشام[1].

وقال آخرون: إن هذا الحشر كان إلىٰ خيبر.

وقالوا في الحشر الثاني إنه يكون لنارٍ تحشر الناس من المشرق إلىٰ المغرب.

وقال آخرون: إنه يوم القيامة، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم، ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرج هؤلاء اليهود من بني النضير من حصونهم وديارهم لقوتهم وشدة تمكنهم واجتماع كلمتهم، وعظم أمرهم، وهم أنفسهم قد ظنوا أن حصونهم ستمنعهم من

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٨٨٥٠) من طريق أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: من شك في أن أول الحشر ها هنا يعني الشام، ليتل هذه الآية ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلىٰ أين؟ قال: «إلىٰ أرض المحشر».

أمر الله عزَّ وجل، وتدفع عنهم أذىٰ المسلمين.

* * *

س: الطمأنينة والسكينة من أسباب النصر على الأعداء والرعب سبب من أسباب الهزيمة. دلِّل على ذلك.

ج: أما كون السكينة والطمأنينة من أسباب النصر، فقد قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾.

* أمّا كون الرعب من أسباب الهزيمة، فقد قال تعالىٰ في شأن اليهود: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

* وكان من أسباب انتصار النبي ﷺ علىٰ أعدائه أن الله عزَّ وجل قذف في قلوب الأعداء الرعب وقد قال النبي ﷺ «نُصرت بالرعب مسيرة شهرٍ».

* * *

س: لماذا خربوا بيوتهم بأيديهم، ولماذا خربها المؤمنون؟

ج: خربوا بيوتهم بأيديهم لأمور:

منها: كي لا يدخلها المؤمنون ويأخذونها، وذلك منهم حسدٌ لأهل الإيمان.

ومنها: أنهم خربوا بيوتهم بأيديهم لأخذ ما أعجبهم منها قبل أن يأخذها المسلمون، فكان اليهودي إذا رأىٰ خشبة في البيت أعجبه حسنها استخرجها وأخذها.

أما المؤمنون فخربوا علىٰ اليهود ديارهم كي يتسع المكان للقتال وكي

يجبرونهم على الخروج من ديارهم، وكي يدخلونها عليهم.

* * *

س: بماذا يعتبر أولوا الأبصار؟

ج: يعتبرون بأحوال بني النضير الأقوياء، وكيف قذف الله الرعب في قلوبهم وأُجْلُوا وأُبعدوا عن ديارهم، وقد كانوا متمكنين فيها فلا تغتروا بقواكم، وانتبهوا فلا تظلموا ولا تغرنكم قوتكم المادية ولا كثرتكم ولا عُدَدُكم.

واعتبروا فلا تشاقوا الله ورسوله فها هي عقوبة من حادَّ الله ورسوله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولولا أن الله عزَّ وجل قدَّر وقضى وكتب في اللوح المحفوظ أنه سبحانه وتعالى سيُجلي هؤلاء ويخرجهم من ديارهم، لولا ذلك لعذبهم الله في الدنيا بالقتل والسبي، ولكنه رفع عنهم العذاب في الدنيا وجعل عذابهم فيها الجلاء عن الديار ومفارقة الأوطان.

* * *

س: المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم. دلّل على ذلك بدليل من سورة الحشر.

ج: الدليل في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

* * *

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ
عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ
وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(لينة ـ قائمة على أصولها ـ فبإذن اللَّه ـ أفاء ـ أوجفتم ـ ركاب ـ ذي القربى ـ اليتامى ـ المساكين ـ ابن السبيل ـ دُولةً).

ج:

الكلمة	معناها
لِينةٍ	نخلة، وقال بعض العلماء: إن النخل كله، بل والأشجار كلها، كل واحدةٍ منها لينة. وقال آخرون: إن اللينة تطلق على كل النخيل إلا العجوة.
قائمة على أصولها	قائمة لم تقطع.
فبإذن اللَّه	فبأمر اللَّه.
أفاء	ردَّ ـ أرجع.
أوجفتم	أسرعتم المسير، والإيجاف: الإيضاع في السير، والمراد به الإسراع.
ركاب	إبل.
ذي القربى	قرابة رسول اللَّه ﷺ، وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب.
اليتامى	أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم دون البلوغ، وليس عندهم ما يكفيهم، ولا ما يقتاتون به.
المساكين	الجامعون بين الفاقة (الفَقْر) وذل المسألة.
ابن السبيل	المنقطع بهم من المسافرين (في غير معصية).
دُولةً	متداولاً.

س: اذكر سبب نزول قول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ج: سبب نزولها فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة - فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

* * *

س: هل يجوز تخريب دور العدو وتحريقها وقطع ثمارها؟

ج: أجاب على ذلك القرطبي رحمه الله فقال:

واختلف الناس في تخريب دار العدوّ وتحريقها وقطع ثمارها علىٰ قولين:

الأول: أن ذلك جائز، قاله في «المدوّنة».

الثاني: إن علم المسلمون أن ذلك لهم لم يفعلوا، وإن يئسوا فعلوا؛ قاله مالك في «الواضحة». وعليه يناظر أصحاب الشافعي ابن العربي. والصحيح الأوّل، وقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بني النَّضير له؛ ولكنه قَطع وحَرَّق ليكون ذلك نكاية لهم ووَهْنًا فيهم حتىٰ يخرجوا عنها، وإتلافُ بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعًا، مقصودة عقلاً.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٨٨٤)، ومسلم (حديث ١٧٤٦).

س: هل ثبت أن الرسول ﷺ قطَّع نخل بني النضير وحرَّق؟

ج: نعم ثبت ذلك في الصحيحين[١] وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضيرِ وَقَطَّعَ، وَهِيَ البُوَيْرَةُ، وَلَها يَقُولُ حَسَّانُ:

لَهانَ عَلَى سَراةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

* * *

س: الإذن في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ إذن قدريٌ أم إذنٌ شرعي؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنه إذن قدريٌ، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قدّره وقضاه (بغض النظر هل هو أمرٌ مأمور به في الشرع أم لا).

قالوا: وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ من مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾.

بينما ذهب علماء آخرون: إلى أنه إذن شرعيٌ أي أنه عمل مأذون فيه من الله عزَّ وجل، قالوا فالحصار نوع من أنواع القتال.

وهذا النوع من الإذن كقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وقد لا يذكر قوم اسم الله في المساجد.

هذا وقد قال الشيخ محمد بن عطية سالم رحمه الله في تتمته لأضواء البيان: وعلى هذه الأقوال، قال ابن كثير وغيره: إن قوله تعالى:

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٢٦)، ومسلم (حديث ١٧٤٦).

﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي الإذن القدري والمشيئة الإلهية، أي كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾.

والذي يظهر ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن الإذن المذكور في الآية، هو إذن شرعي، وهو ما يؤخذ من عموم الإذن في قوله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، لأن الإذن بالقتال إذن بكل ما يتطلبه بناء علىٰ قاعدة الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به.

والحصار نوع من القتال، ولعل من مصلحة الحصار قطع بعض النخيل لتمام الرؤية، أو لإحكام الحصار، أو لإذلال وإرهاب العدو في حصاره وإشعاره بعجزه عن حماية أمواله وممتلكاته، وقد يكون فيه إثارة له ليندفع في حمية للدفاع عن ممتلكاته وأمواله، فينكشف عن حصونه ويسهل القضاء عليه إلىٰ غير ذلك من الأغراض الحربية، والتي أشار الله تعالىٰ إليها في قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي بعجزهم وإذلالهم وحسرتهم، وهم يرون نخيلهم يقطع ويحرق فلا يملكون له دفعًا.

وعلىٰ كل فالذي أذن بالقتال وهو سفك الدماء وإزهاق الأنفس وما يترتب عليه من سبي وغنائم لا يمنع في مثل قطع النخيل إن لزم الأمر، ويمكن أن يقال: إن ما أذن فيه رسول الله ﷺ، فبإذن الله أَذِن.

وبهذا يمكن أن يقال: إذا حاصر المسلمون عدوًا، ورأوا أن من مصلحتهم أو من مذلة العدو إتلاف منشآته وأمواله، فلا مانع من ذلك. والله تعالىٰ أعلم. وغاية ما فيه: أنه إتلاف بعض المال للتغلب علىٰ العدو وأخذ جميع ماله، وهذا له نظير في الشرع، كعمل الخضر في سفينة المساكين لما خرقها، أي أعابها بإتلاف بعضها ليستخلصها من اغتصاب الملك إياها،

وقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

وقد جاء اعتراض المشركين على المسلمين في قتالهم في الأشهر الحرم، كما اعترض اليهود على المسلمين في قطع النخيل، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

فقد تعاظم المشركون قتل المسلمين لبعض المشركين في وقعة نخلة، ولم يتحققوا دخول الشهر الحرام، واتهموهم باعتداء على حرمة الأشهر الحرم، فأجابهم الله تعالى بموجب ما قالوا بأن القتال في الشهر الحرام كبير، ولكن ما ارتكبه المشركون من صد عن سبيل الله وكفر بالله، وصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه ـ وهم المسلمون ـ أكبر عند الله، والفتنة عن الدين هو أكبر من القتل، أي الذي استنكروه من المسلمين.

وهكذا هنا، لئن تعاظم اليهود على المسلمين قطع بعض النخيل، وعابوا على المسلمين إيقاع الفساد بإتلاف بعض المال، فكيف بهم بغدرهم وخيانتهم ونقضهم العهود، وتمالئهم على قتل رسول الله ﷺ؟ وقد سجل هذا المعنى كعب بن مالك ـ يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف ـ:

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب ... عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معًا فهمًا وعلمًا ... وجاءهم من الله النذير

إلى أن قال:

فلما أشربوا غدرًا وكفرًا ... وجذبهم عن الحق الثغور
أرى الله النبيَّ برأي صدق ... وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصير

فقد أشار إلىٰ أن خزي بني النضير بسبب غدرهم وكفرهم بربهم، فكان الإذن في قطع النخيل هو إذن شرعي، ويمكن أن يقال عنه: هو عمل تشريعي إذا ما دعت الحاجة، ليمثل ما دعت الحاجة هنا إليه، والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: ما المراد بالفيء؟

ج: الفيء كلُّ مال أُخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾؟

ج: هؤلاء بنو النضير.

* * *

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾؟

ج: (ما) في قوله تعالىٰ: ﴿فما﴾ نافية، و(أوجفتم) بمعنىٰ أسرعتم فالمعنىٰ لم تسرعوا إليها بخيولكم، ولا بإبلكم، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ منَّ بها علىٰ نبيه ﷺ، من غير قتال منكم ولا سرعة انقضاض، بل الله قذف في قلوب الأعداء (من بني النضير) الرعب فاستسلموا وسلّموا.

أي أن هذا الفيء المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ ليس عن قتال منكم ولا كرٍ ولا فرٍ، ولكنه فضل من الله علىٰ نبيه ﷺ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذِكْرُه: والذي ردّه الله علىٰ رسوله منهم، يعني من أموال بني النضير، يقال منه: فاء الشيء علىٰ فلان: إذا رجع إليه، وأفأته أنا عليه، إذا رددته عليه، وقد قيل: إنه عني بذلك أموال قريظة ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: فما أوضعتم فيه من خيل ولا في إبل وهي الركاب، وإنما وصف جل ثناؤه الذي أفاءه علىٰ رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا في ذلك حربًا، ولا كلفوا فيه مئونة، وإنما كان القوم معهم، وفي بلدهم، لم يكن فيه إيجاف خيل ولا ركاب.

وأورد الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة:

قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ الآية: يقول ما قطعتم إليها واديًا، ولا سرتم إليها سيرًا، وإنما كان حوائط لبني النضير أطعمها اللهُ رسولَه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقي الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله علىٰ رسوله.

وقال السعدي رحمه الله: أي ما أجلبتم ولا حشدتم، أي لم تتعبوا بتحصيلها، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأتتكم صفوًا عفوًا.

* * *

(١) الطبري (٣٣٨٥٥).

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ أي: سنته تعالىٰ جارية علىٰ أن يسلطهم علىٰ من يشاء من أعدائه تسلطًا غير معتاد، من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب، وفي هذا بيان أن تلك الأموال كانت خاصة لرسول الله ﷺ، دون أصحابه، لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، بل مشوا إليها مشيًا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يسلط من يشاء علىٰ من أراد، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، فلا حق لكم فيه ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة علىٰ ما كان يقسمه.

* * *

س: هل هذه الآية الكريمة ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ والآية التي تلتها وهي قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ حكمهما ومعناهما واحد، أم أن هذه تحمل معنى والأخرى تحمل معنى آخر؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الآيتين حكمهما واحد وأمرهما واحد، وإنما حملت الآية الثانية مزيدًا من البيان لما أجمل في الآية الأولىٰ، وكذا مزيدًا من التفصيل.

وهذا هو المنقول عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ.

قال القرطبي رحمه الله تعالى، وقال قوم منهم ـ الشافعي ـ :

أن معنى الآيتين واحد، أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم، أربعة منها للنبيّ ﷺ، وكان الخمس الباقي على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ﷺ أيضًا وسهم لذوي القربى ـ وهم بنو هاشم وبنو المطلب ـ لأنهم مُنِعوا الصدقة فجعل لهم حق في الْفَيْء، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ، فالذي كان من الْفيْء لرسول الله ﷺ يصرف عند الشافعي في قولٍ إلى المجاهدين المترصِّدين للقتال في الثغور، لأنهم القائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي قول آخر له: يصرف إلى مصالح المسلمين من سدّ الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر، يقدّم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس الفيء، فأما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته ﷺ بلا خلاف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم**» وقد مضى القول فيه في سورة «الأنفال»، وكذلك ما خلفه من المال غير موروث، بل هو صدقة يصرف عنه إلى مصالح المسلمين، كما قال عليه السلام: «**إنا لا نورث ما تركناه صدقة**»، وقيل: كان مال الفيء لنبيّه ﷺ، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ**﴾ فأضافه إليه، غير أنه قال لا يتأثّل مالاً، إنما كان يأخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: بعد أن ذكر حكم أموال بني النضير.

﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ**﴾ أي جميع البلدان التي تُفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ**

الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ إلىٰ آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان أنه لرسول الله ﷺ، خاصة والتكرير لقصد التقرير والتأكيد، ووضع أهل القرىٰ موضع منهم أي من بني النضير للإشعار بأن هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم بل هو حكم علىٰ كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ، صلحًا ولم ويوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب قيل: والمراد بالقرىٰ بنو النضير وقريظة وهما بالمدينة وفدك وهي علىٰ ثلاثة أميال من المدينة وخيبر وقرىٰ عرينة وينبع وقد تكلم أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما متفق أو مختلف؟ فقيل: متفق. كما ذكرنا وقيل: مختلف. وفي ذلك كلام طويل لأهل العلم.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن الفيء المذكور في الآية الأولىٰ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ...﴾ غير الفيء المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ...﴾ قالوا فالفيء في الآية الأولىٰ خاص برسول الله ﷺ، والفيء في الآية الثانية للأصناف المذكورة في الآية الكريمة.

وهذا قول الطبري رحمه الله تعالى واختياره:

ويردُ في هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق مالك بن أوس قال: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار، إذا رسول عمر بن

(١) البخاري (حديث ٣٠٩٤)، ومسلم عقب حديث (١٧٥٧).

الخطاب يأتيني فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتىٰ أدخل علىٰ عمر، فإذا هو جالس علىٰ رمال سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ علىٰ وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت له غيري، قال: فاقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون، قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في علي وعباس، قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا، فسلما فجلسا فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان، فيما أفاء الله علىٰ رسوله من مال بني النضير، فقال الرهط ـ عثمان وأصحابه ـ يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: تَيْدَكُم، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركناه صدقة؟**» يريد رسول الله ﷺ نفسه، قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر علىٰ علي وعباس فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ، قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك.

قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء، بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**قَدِيرٌ**﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموه وبثها فيكم حتىٰ بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق علىٰ أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك

حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟

قال عمر: ثم توفى اللهُ نبيَّه ﷺ فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسولِ الله ﷺ فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق، بار، راشد، تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليُّ أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق، بار، راشد، تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلِمَتُكُما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا ـ يريد عليًّا ـ يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكما بالله، هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على علي وعباس: فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ، فإني أكفكماها».

وقال القرطبي رحمه الله تعالى بعد أن طرح نحو هذا السؤال وأورد أقوالاً: قال القاضي أبو بكر ابن العربي لا إشكال أنها ثلاثة معان في ثلاث آيات.

أما الآية الأولى: فهي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ يعني من أهل الكتاب معطوفًا عليهم، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يريد كما بيّنا؛ فلا حق لكم فيه، ولذلك قال عمر: إنها كانت خالصة لرسول الله ﷺ، يعني بني النضير وما كان مثلها، فهذه آية واحدة ومعنىٰ متحد.

الآية الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وهذا كلام مبتدأ غير الأول لمستحق غير الأول، وسمىٰ الآية الثالثة آية الغنيمة، ولا شك في أنه معنىٰ آخر باستحقاق ثان لمستحق آخر، بَيْدَ أن الآية الأولىٰ والثانية، اشتركتا في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئًا أفاءه الله علىٰ رسوله، واقتضت الآية الأولىٰ أنه حاصل بغير قتال واقتضت آية الأنفال أنه حاصل بقتال.

وعريت الآية الثالثة: وهي قوله تعالىٰ: ﴿ما أفاء على رسوله من أهل القرى﴾ عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال؛ فنشأ الخلاف من ها هنا:

فمن طائفة قالت: هي ملحقة بالأولىٰ، وهو مال الصلح كله ونحوه.

ومن طائفة قالت: هي ملحقة بالثانية وهي آية الأنفال.

والذين قالوا إنها ملحقة بآية الأنفال اختلفوا، هل هي منسوخة ـ كما تقدم ـ أو محكمة؟ وإلحاقها بشهادة الله بالتي قبلها أولىٰ، لأن فيه تجديد فائدة ومعنىٰ، ومعلوم أن حمل الحرف من الآية فضلاً عن الآية علىٰ فائدة متجددة أولىٰ من حمله علىٰ فائدة معادة.

وروىٰ ابن وهب عن مالك في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ بني النضير، لم يكن فيها خمس ولم يُوجف عليها بخيل ولا ركاب، كانت صافية لرسول الله ﷺ، فقسمها بين المهاجرين وثلاثة من

الأنصار، حسب ما تقدّم.

وقوله: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ هي قريظة، وكانت قريظة والخندق في يوم واحد، قال ابن العربي: قول مالك إن الآية الثانية في بني قُريظة، إشارة إلىٰ أن معناها يعود إلىٰ آية الأنفال، ويلحقها النسخ، وهذا أقوىٰ من القول بالإحكام، ونحن لا نختار إلا ما قسمنا وبيّنا أن الآية الثانية معنىً مجدّد ما دلّلنا عليه. والله أعلم.

قلت: ما اختاره حَسَن، وقد قيل إن سورة «الحشر» نزلت بعد الأنفال، فمن المحال أن ينسخ المتقدّمُ المتأخر، وقال ابن أبي نَجيح: المال ثلاثة: مَغْنم، أوْ فَيْءٌ، أوْ صَدَقة، وليس منه درهم إلا وقد بيّن الله موضعه، وهذا أشبه.

وانظر السؤال الآتي وجوابه ففيه مزيدٌ من التفصيل والإيضاح.

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال، أوردها الطبري، ونوردها ملخصة فمن هذه الأقوال ما يلي:

أولاً: أن المراد بالفيء هنا هو الجزيةُ والخراج اللذان يؤخذان من أهل الكتاب.

ثانيًا: الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عُنوةً.

الوجه الثالث: ذكره الطبري فقال:

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب، وأخذت بالغلبة، وقالوا كانت الغنائم في بدوّ الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في هذه الآيات دون المرجفين عليها، ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال.

وأورد أثر قتادة بإسناد حسن عنه في قوله ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: كان الفيء في هؤلاء، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي علىٰ خمسة أخماس، فخمس لله وللرسول، وخمس لقرابة رسول الله ﷺ في حياته، وخمس لليتامىٰ، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ وجّه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله ﷺ، وسهم قرابته، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله ﷺ.

الرابع: ما صالح عليه المسلمون أهل الحرب، وأخذه المسلمون من أموال الحربيين.

* * *

س: وضح المراد بقوله ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾.

ج: أما المراد بقوله ﴿فلله﴾ أي فللجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله أما

قوله ﴿وللرسول﴾ فلقيامه بأمر الأمة، وكان ﷺ يأخذ منها نفقة أهل سنة ثم يرد ما بقي في سبيل الله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿كي لا يكون دولةْ بين الأغنياء منكم﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم أننا قسمنا الفيء بالقسمة التي بيناها لكم حتىٰ لا يتداوله الأغنياء خاصة فيما بينهم ويستأثرون به لأنفسهم دون غيرهم من أهل الفقر والحاجة والمسكنة.

فَسَنَنَّا الذي سننَّاه من قسمة الفيء سُنةً منا لا يغيرها الأغنياء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم: وما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وما منعكم منه فامتنعوا.

ومعنى آخر: ائتمروا بأوامر الرسول وانتهوا عما نهاكم عنه، فإنه يأمركم بكل خيرٍ وينهاكم عن كل شرٍ وقد استدل ابن مسعود رضي الله عنه بالمعنىٰ العام للآية الكريمة، ففي الصحيحين[1] عن عبد الله[2] قال: «لَعنَ الله الواشِمات والموتشماتِ والمتَنَمِّصات والمتفَلِّجات للحُسْن، المغيِّراتِ خَلقَ الله».

(١) البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

فبلغَ ذلك امرأةً من بني أسدٍ يقال لها أم يعقوبَ، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنكِ لَعنتَ كيتَ وكيت، فقال: «ومالِيَ لا ألعنُ من لَعنَ رسولُ الله ﷺ ومن هوَ في كتاب الله»، فقالت: لقد قرأتُ ما بينَ اللوحين، فما وَجدتُ فيه ما تقول، قال: «لَئن كنتِ قرأتيه لقد وَجَدتيه، أما قرأتِ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾» قالت: بَلىٰ، قال: «فإنه قد نهىٰ عنه»، قالت: فإني أرىٰ أهلك يَفعلونه، قال: «فاذهبي فانظري»، فذَهبتُ فنظرت فلم تر من حاجتها شيئًا، فقال: «لو كانت كذلك ما جامَعتها».

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله في تتمته لـ«أضواء البيان»:

وجاء الشافعي وقام في أهل مكة، فقال: سلوني يا أهل مكة عما شئتم أجبكم عنه من كتاب الله، فسأله رجل عن المحرم يقتل الزنبور، ماذا عليه في كتاب الله، فقال: يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» الحديث، وحدثني فلان عن فلان، وساق بسنده إلىٰ عمر بن الخطاب، سئل: المُحْرِم يقتل الزنبور ماذا عليه؟ فقال: لا شيء عليه.

فقد اعتبر سعيد بن المسيب السنة من كتاب الله، والشافعي اعتبر سنة الخلفاء الراشدين من سنة رسول الله ﷺ، وسنة رسول الله ﷺ من القرآن، واعتبر كل منهما جوابه من كتاب الله بناء علىٰ هذه الآية الكريمة.

وهذا ما عليه الأصوليون، يخصصون بها عموم الكتاب، ويقيدون مطلقه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول وخافوا الله، واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدم على ما نهاكم عنه، ومعصيتكم إياه، ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يقول: إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله ﷺ.

* * *

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا
وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو
ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى
قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(يبتغون ـ فضلاً ـ رضوانًا ـ ينصرون اللَّه ـ تبوءوا ـ الدار ـ يؤثرون على أنفسهم ـ خصاصة ـ يُوق ـ شحّ ـ غلاً ـ رءوف).

ج:

الكلمة	معناها
يبتغون	يطلبون.
فضلاً	غنيمة.
رضوانًا	مرضاةً من ربهم في الآخرة.
ينصرون اللَّه	ينصرون دين اللَّه.
تبوءوا	سكنوا.
الدار	المدينة، دار الهجرة.
يؤثرون على أنفسهم	يقدمون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في أمور الدنيا؛ ابتغاءً لثواب اللَّه عزَّ وجل.
خصاصة	حاجة وفاقة.
يُوق	يَسلم.
شح	بخل، والشح: منع الفضل من المال. والشح أيضًا: أكل أموال الناس بغير حق.
غلاً	ضغينة ـ بغضًا ـ حسدًا.
رءوف	ذو رأفة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾.

ج: المعنى، أن هذا الفيء للفقراء المهاجرين، وهم الذين تركوا الديار والأموال والأهل والعشيرة، وخرجوا حبًا لله ولرسوله ﷺ، واختاروا الإسلام وآثروا ما عند الله عزَّ وجل.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ معطوف على ما قبله أم أنه يحمل معنى مستقلاً؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾ وهم الأنصار معطوف على ما قبله، أي أن لهؤلاء من الفيء نصيب.

وقد ورد نحو ذلك عن عمر بسندٍ فيه كلام[1] عند الطبري فهو من طريق معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]. الآية ثم قال: هذه الآية لهؤلاء، ثم قرأ ﴿ما أفاء على رسوله من أهل القرى﴾ حتى بلغ ﴿للفقراء الذين تبوءوا الدار والذين جاءوا من بعدهم﴾ ثم قال استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، فليس أحد إلا له حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو يُسَيِّر حُمُرَهُ نصيبَه، لم يعرق فيها جبينه.

---

(١) ولكنه من طريق معمر عن أيوب، وفي رواية معمر عن أيوب كلام.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة يعني: ﴿**والذين جآوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له من مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قوله ﴿**ربنا اغفر لنا...**﴾. وهذا مُصَيِّرٌ من مالك إلىٰ أن الآية معطوفة علىٰ ما قبلها في الحكم بينما ذهب بعض العلماء إلىٰ أن الآية الكريمة ﴿**والذيٍّ تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم...**﴾ يحمل معنىٰ جديداً.

فقال القرطبي رحمه الله:

واختلف أيضًا هل هذه الآية مقطوعة مما قبلها أو معطوفة فتأول قوم أنها معطوفة علىٰ قوله: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ**﴾ وأن الآيات التي في الحشر كلها معطوفة بعضها علىٰ بعض ولو تأملوا ذلك وأنصفوا لوجدوه علىٰ خلاف ما ذهبوا إليه، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا**﴾ إلىٰ قوله ﴿**الْفَاسِقِينَ**﴾ [الحشر: ٣] فأخبر عن بني النضير وبني قَيْنُقاع، ثم قال: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ**﴾ فأخبر أن ذلك للرسول ﷺ، لأنه لم يُوجف عليه حين خَلّوه، وما تقدّم فيهم من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا رجعُوا عنه وانقطع ذلك الأمر.

ثم قال: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ وهذا كلام غير معطوف علىٰ الأول، وكذا ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**﴾ ابتداء كلام في مدح الأنصار والثناء عليهم،

فإنهم سلّموا ذلك الفَيْءَ للمهاجرين؛ وكأنه قال؛ الفِيء للفقراء المهاجرين، والأنصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صَفَا لهم من الْفَيْء، وكذا ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ابتداء كلام؛ والخبر ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ .

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وهل الأنصار آمنوا قبل المهاجرين؟

ج: المراد بقوله ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي من قبل هجرة النبي ﷺ والمهاجرين إليهم، وليس المراد أنهم (في جملتهم) آمنوا قبل المهاجرين وإن كان هذا لا يمنع أن يكون هناك من الأنصار من أسلم قبل بعض المهاجرين، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين تبوءوا الدار والإيمان، وهم الأنصار سكان مدينة رسول الله ﷺ آمنوا بالله ورسوله يحبون إخوانهم المهاجرين إليهم ولا يحقدون عليهم ولا يحسدونهم على ما خصهم الله به من الفضل والفيء.

* * *

س: من هؤلاء الذين تبوءوا الدار والإيمان؟

ج: هؤلاء هم الأنصار.

* * *

س: اذكر بعض صور الإيثار التي آثر فيها الأنصار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم.

ج: أولاً يكفي الأنصار ثناءُ ربنا عليهم إذ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

ثم ها هي بعض مواقفهم الرائعة:

* أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود فأرسل إلىٰ بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلىٰ أخرىٰ فقالت: مثل ذلك، حتىٰ قُلْن كُلُّهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء! فقال: «**من يضيف هذا الليلة، رحمه الله**» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلىٰ رحله، فقال لامرأته، هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوىٰ ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ، فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

* ومنها ما أخرجه البخاري [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا»، فقالوا تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا وأطعنا.

* وفي «الصحيح» [٣] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «قدم

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٩٨)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري (حديث ٢٣٢٥). (٣) البخاري (حديث ٣٧٨١).

علينا عبد الرحمن بن عوف وآخىٰ النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتىٰ إذا حلَّت تزوجتَها...».

وهذا أيضًا مثلٌ رائعٌ من أبي الدَّحْدَاح:

* أخرج عبد بن حميد بإسناد صحيح[1] من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وإنما أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطني إياها حتىٰ أقيم حائطي بها: فقال النبي: «**أعطها إياه بنخلة في الجنة**» فأبىٰ، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل قال: فأتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخل بحائطي فاجعلها له وقد أعطيتكها، فقال رسول الله ﷺ: «**كم من عذق رواح لأبي الدحداح في الجنة**» قالها مراراً، قال: فأتىٰ امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخْرُجي من الحائط مالي قد بِعْتُه بنخلة في الجنة فقالت: رَبِحَ البيع أو كلمة تشبهها.

وهذا مثل رائع من أمثلة مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين:

* أخرج البخاري[2] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخىٰ رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي أمرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه

---

(١) المنتخب (حديث١٣٣٢)، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٢٧١).

(٢) البخاري حديث (٣٧٨٠).

علىٰ سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقطٍ وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: «مَهْيَم؟» قال: تزوجتُ، قال: «كم سقت إليها» قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب.

* * *

س: اذكر بعض مقامات الإنفاق والإطعام.

ج: من هذه المقامات ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وأعلىٰ هذه المراتب أُخراها، وذلك لأن الرجل قد ينفق مما رزقه الله مما هو زائدٌ عن حاجته.

وقد يطعم الطعام مع كونه يحبه لكنه ليس له به كبير حاجة.

أما الأخيرة فهو يعطي غيره مع احتياجه الشديد إليه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج علىٰ حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلىٰ ذلك.

* وقد ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أفضل الصدقة جهد المقل**» وهذا المقام أعلىٰ من حال الذين وَصَفَ الله بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾، وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء

آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه.

من هذا المقام تصدق الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم اللهَ ورسولَه.

وهذا الماء الذي عُرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل، أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لذلك سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة؛ أن رجلاً من الأنصار بَاتَ به ضيفٌ، فَلَم يكن عنده إلا قوته وقوتُ صبيانه، فقال لامرأته: نوِّمِي الصِّبْيَةَ وَأَطْفِيء السِّرَاجَ وَقَرِّبِي لِلضَّيْف مَا عِنْدَكِ، قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم الشح.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(١) البخاري (حديث ٤٨٨٩)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) والسياق لمسلم.

وقوله تعالىٰ ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

* وقول النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[١] : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

* وأخرج أبو داود [٢]وغيره بسندٍ صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «شرُّ ما في رجل شحٌ هالع وجبنٌ خالع».

* وعند النسائي[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا «ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبدٍ أبدًا».

* وعند الطبري[٤] بإسنادٍ حسن عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول اللهم قني شحَّ نفسي، لا يزيد علىٰ ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شحَّ نفسي لم أسرق، ولم أزنِ، ولم أفعل شيئًا، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.

* * *

س: هل يصح الإيثار من كل أحدٍ ويستحب له؟

ج: لذلك مقامات بلا شك:

*فأحيانًا يفضل إيثار الآخرين علىٰ النفس، ومحل ذلك إذا لم يكن المرء سيضيع أولادًا وأهلاً، وكذا إذا أمن علىٰ نفسه سؤال الناس بعد ذلك.

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٨).

(٢) أبو داود (٢٥١١).

(٣) النسائي (٦/ ١٣) وفي سنده بعض الضعف.

(٤) الطبري (أثر ٣٣٨٨٢).

* أما إذا كان سيضيع أولاده وأهله، أو سيسأل الناس ويمدُّ يده إليهم فحينئذٍ فالأولىٰ أن يسد حاجته وحاجة أولاده.

وهذا سؤال حول هذا الموضوع أورده الشيخ محمد عطية سالم رحمه الله في تتمته لأضواء البيان، قال رحمه الله:

وهل يصح الإيثار من كل إنسان ولو كان ذا عيال أو تلزمه نفقة غيره أم لا؟ وما علاقته مع قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ ؟

والجواب علىٰ هذا كله في كلام الشيخ رحمه الله علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في أول سورة البقرة.

قال رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، عبَّر في هذه الآية الكريمة بمن التبعيضيَّة الدالة علىٰ أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله، ولم يبين هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه، والذي ينبغي إمساكه، ولكنه بيَّن في مواضع أخرىٰ أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد علىٰ الحاجة، وسد الخلَّة التي لابد منها، وذلك كقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾، المراد بالعفو: الزائد علىٰ قدر الحاجة التي لابد منها علىٰ أصح التفسيرات، وهو مذهب الجمهور ومنه قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أي كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم.

وقال بعض العلماء: العفو نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع.

ومنه قول الشاعر:

خذى العفو مني تستديمى مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وهذا القول راجع إلىٰ ما ذكرنا، وبقية الأقوال ضعيفة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فنهاه عن البخل بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، ونهاه عن الإسراف بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فيتعين الوسط بين الأمرين، كما بينه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

فيجب على المنفق أن يفرق بين الجود والتبذير وبين البخل والإقتار، فالجود غير التبذير، والاقتصاد غير البخل فالمنع في محل الإعطاء مذموم، وقد نهىٰ الله عنه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ والإعطاء في محل المنع مذموم أيضًا، وقد نهىٰ الله عنه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

وقد قال الشاعر:

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت ... يداه كالمزن حتى تخجل الديما
فإنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا

وقد بين تعالىٰ في مواضع أخرىٰ أن الإنفاق المحمود لا يكون كذلك إلا إذا كان مصرفه الذي صرف فيه مما يرضي الله كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ الآية، وصرح في أن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة علىٰ صاحبه في قوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ الآية.

وقد قال الشاعر:

إن الصنيعة لا تعد صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

فإن قيل: هذا الذي قررتم يقتضي أن الإنفاق المحمود هو إنفاق ما زاد عن الحاجة الضرورية، مع أن الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلىٰ ما أنفقوا، وذلك في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

فالظاهر في الجواب والله تعالىٰ أعلم: هو ما ذكره بعض العلماء من أن لكل مقام مقالاً، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعًا، وذلك كما إذا كانت علىٰ المنفق نفقات واجبة كنفقة الزوجات ونحوها.

فتبرع بالإنفاق في غير واجب، وترك الفرض لقوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول»، وكأن يكون لاصبر عنده عن سؤال الناس فينفق ماله، ويرجع إلىٰ الناس يسألهم مالهم، فلا يجوز له ذلك والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقة واجبة، وكان واثقًا من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال.

وأما علىٰ القول بأن قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني به الزكاة، فالأمر واضح، والعلم عند الله تعالىٰ. انتهىٰ منه.

والواقع أن للإنفاق في القرآن مراتب ثلاث:

الأولى: الإنفاق من بعض المال بصفة عامة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ .

الثانية: الإنفاق مما يحبه الإنسان ويحرص عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ وهذا أخص من الأول، وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الآية.

الثالثة: الإنفاق مع الإيثار علىٰ النفس كهذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فهي أخص من الخاص الأول.

وتعتبر المرتبة الأولىٰ هي الحد الأدنىٰ في الواجب، حتىٰ قيل: إن المراد بها الزكاة، وهي تشمل النافلة، وتَصْدُقُ علىٰ أدنىٰ شيء ولو شق تمرة،

وتدخل في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

وتعتبر المرتبة الثالثة هي الحد الأقصىٰ، لأنها إيثار للغير علىٰ خاصة النفس، والمرتبة الثانية هي الوسطىٰ بينهما، وهي الحد الوسط بين الاكتفاء بأقل الواجب، وبين الإيثار علىٰ النفس وهي ميزان التوسط لعامة الناس، كما بينه تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وكما امتدح الله تعالىٰ قومًا بالاعتدال في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

* * *

س: من المعنيون بـ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؟

ج: في ذلك أقوال منها:

١ ـ أن المعنين بقوله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم التابعون وكل من دخل الإسلام.

٢ ـ أنهم المهاجرون يستغفرون للأنصار.

* * *

س: في الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ردٌّ على الرافضة وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره القرطبي حيث نقل عن الشعبي قوله:

تَفَاضلت اليهود والنصارىٰ علىٰ الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: مَنْ خير أهل مِلتكم؟ فقالوا: أصحاب موسىٰ. وسئلت النصارىٰ: من خير أهل مِلَّتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسىٰ، وسئلت الرافضة من شر أهل مِلتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، أُمِروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم. فالسيف عليهم

مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي حِقْداً وحسداً ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ونقل القرطبي رحمه الله تعالى قول مالك رحمه الله:

من كان يُبْغِض أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ، فليس له حق في فَيْء المسلمين؛ ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ﴾ أي غشاً وحقداً وبغضاً وحسداً ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي كثير الرأفة والرحمة، بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك، أمر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغلّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوليًا؛ لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم.

فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان، يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه بالالتجاء أو باللجإ إلى الله سبحانه، والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طوّقه من الغل لخير القرون، وأشرف هذه الأمة.

فإن جاوز ما يجده من الغل إلىٰ شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه.

وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة، الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة، والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ، المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدىٰ، واستبدلوا الخسران العظيم، بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلىٰ منزلة، ومن رتبة إلىٰ رتبة، حتىٰ صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخير أمته وصالحي عباده، وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط.

قالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها في الآية: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم، ثم قرأت هذه الآية، وقيل لسعيد بن المسيب: ما تقول في عثمان وطلحة والزبير؟ قال: أقول ما قولنيه الله، وتلا هذه الآية.

*وأخرج ابن مردويه، عن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾، ثم قال: هؤلاء المهاجرون أفمنهم أنت؟ قال: لا ثم قرأ عليه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا ثم قرأ عليه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: ليس من هؤلاء من سبَّ هؤلاء.

* * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى

ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا
أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ
أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن
نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ
أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ
بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ
ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ
خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

وضح معنى ما يلي:

(لئن أخرجتم ـ لا نطيع فيكم أحدًا ـ ليولن الأدبار ـ رهبةً ـ قرى محصنة ـ من وراء جدر ـ بأسهم بينهم شديد ـ تحسبهم جميعًا ـ قلوبهم شتى ـ كمثل ـ أليم).

ج:

الكلمة	معناها
لئن أخرجتم	لئن أجبرتم على الخروج من الديار والبلاد.
لا نطيع فيكم أحدًا	لا نطيعه إذا أمرنا بقتالكم أو بأذاكم، أو طلب منا المعونة عليكم.
ليولن الأدبار	ليفرّن منهزمين.
رهبةً	خوفًا شديدًا ـ خشية.
قرى محصنة	قرىٰ محصنة بالحيطان والدور والأسوار.
من وراء جدر	خلف حوائط قوية.
بأسهم بينهم شديد	عداوتهم فيما بينهم شديدة (عداوتهم شديدة لبعضهم البعض).
	قول آخر: إذا تحدثوا فيما بينهم عن قوتهم فإنهم يصفون أنفسهم بشدة البأس، ويصورون أنهم أقوياء، فإذا حصل القتال ظهر ضعفهم وجُبنهم.
	قول ثالث: لا آفة في أبدانهم، ولا في قوتهم، ولكن جبنهم أضعَفَهم.

الكلمـــة	معنـاهـــا
تحسبهم جميعًا	تظن أنهم مجتمعون على قلب رجل واحد .
قلوبهم شتى	آراؤهم ونواياهم مختلفة ـ يُكنُّون لبعضهم العداوات والبغضاء .
كمثل	كشبه .
أليم	مُؤلِم ـ مُوجع .

س: ما موقع اللام في قوله تعالى ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ ؟

ج: اللام هي الموطئة للقسم.

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ .

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل النفاق[1] يقولون لإخوانهم من اليهود[2] نحن حلفٌ معكم وأولياء لكم فإذا أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولنسيرن مسيركم وإذا أمَرنا أحدٌ أن نقاتلكم فلن نقاتلكم ولن نطِيعه أبدًا في أمرٍ يسوؤكم ولئن قوتلتم لنقفن صفًا واحدًا معكم ولننصرنكم على من أرادكم بسوء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ يقول: لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم، وأجليتم عنها لنخرجنّ معكم، فنجلي عن منازلنا وديارنا معكم.

وقوله: ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ يقول: ولا نطيع أحدًا سألنا خذلانكم، وترك نصرتكم، ولكنا نكون معكم: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ يقول: وإن قاتلكم محمد ﷺ ومن معه لننصرنكم معشر النضير عليهم.

* * *

(١) وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول.

(٢) من يهود بني النضير.

س: في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ...﴾ دليل من دلائل النبوة وضح هذا الدليل.

ج: إيضاحه أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر عن أحوال المنافقين وموقفهم مع اليهود، وأخبر أن اليهود إذا أخرجوا من ديارهم لن يخرج معهم أهل النفاق، ولئن قوتلوا فلن يقاتل معهم أهل النفاق وقد كان الأمر كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ، فأخرج اليهود، ولم يخرج معهم المنافقون، فكان هذا إخباراً عن أمورٍ لم تكن وقعت، فوقعت كما أخبر الله عزَّ وجل علىٰ لسان نبيه ﷺ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾.

ج: أخبر الله عزَّ وجل قبل هذه الآية الكريمة أن أهل النفاق لن ينصروا اليهود إذا قوتل اليهود، ثم قال ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي وعلىٰ فرض أنهم حاولوا نصرهم لما استطاعوا ولهربوا وولوا الأدبار منهزمين.

قال القرطبي رحمه الله: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أي علم الله منهم ذلك، ثم قال: ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ فأخبر عما قد أخبر أنه لا يكون كيف كان يكون لو كان؟ وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وقيل معنىٰ ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أىٰ ولئن شئنا أن ينصروهم وزيَّنا ذلك لهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفقهون ماذا؟

ج: لا يفقهون قدر عظمة الله عزَّ وجل.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ الآية.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: لا يقاتلكم هؤلاء اليهود - بنو النضير - مجتمعين إلا في قرىً محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز، ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يقول: أو من خلف حيطان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يعني أنهم من جُبنهم وهَلَعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة، بل إما في حصون أو من وراء جدار محاصرين، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

ثم قال: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم بينهم شديدة، كما قال: ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾؛ ولهذا قال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم، إن هؤلاء هم أهل النفاق واليهود فتظن أن أهل النفاق واليهود في اجتماع ووئام واتفاق وسلام، وكل منهم يحمل الحقد

على الآخر والضغينة للآخر، فلا يَخلُصُ يهوديٌ لمنافق، ولا يَخلُصُ منافق ليهودي.

وقول آخر: أن المراد اليهود أنفسهم، فتحسب اليهود فيما بينهم في ائتلاف ووئام، وإنما هُم في حقيقة الأمر في شقاقٍ وخصام، وقلوبهم مختلفة متشتتة متشعبةٌ.

ومما يؤيد الأخير، قوله تعالى: ﴿**وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**﴾ والله أعلم.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى....**﴾ الآية قال: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: مثل اليهود والمنافقين في تكذيبهم لنبينا ﷺ كمثل المكذبين له من الكفار الذين مضوا منذ زمنٍ قريب، ومثلهم فيما سيصنعه الله بهم من الانتقام كالذي صنعه الله بهؤلاء الكفار الذين مضوا قريبًا.

ثم من المعنيون بالذين من قبلهم.

قال فريقٌ من العلماء إنهم المشركون من أهل مكة الذين أحلَّ الله بهم بأسه ونقمته وعقوبته يوم بدر.

وقال آخرون: إنهم يهود بني قينقاع.

وقال السعدي رحمه الله:

وعدم نصر من وعدهم بالمعاونة: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً﴾ وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ﴾ فغرتهم أنفسهم، وغرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم، ، ولم يدفعوا عنهم العذاب، حتىٰ أتوا «بَدْرًا» بفخرهم وخيلائهم، ظانين أنهم مدركون برسول الله والمؤمنين أمانيهم، فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وَفَرَّ مَن فَرَّ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ : أن مثل هؤلاء المنافقين، في خداعهم لليهود وتخليهم عنهم عند الشدائد، وتوليهم عنهم عند المُلمّات والمصائب، ومثلهم أيضًا معهم في تحريضهم علىٰ الشر كمثل الشيطان.

فشبه أهل النفاق هنا بالشيطان الذي يزين للناس الكفر والفواحش ويعدهم ويُمنيهم وشُبِّه اليهود بالإنسان.

فلما استمع الإنسان أمر الشيطان وأجابه وكفر وجاء وقت حلول العذاب تخلىٰ عنه الشيطان وقال إني برئ منك وكذا أَمْرُ أهل النفاق مع اليهود، لما حلَّ باليهود ما حلَّ من أمر الله عزَّ وجل تولىٰ عنهم أهل النفاق وأنكروهم.

ونحو ذلك قول الله تبارك وتعالىٰ في شأن مشركي مكة مع الشيطان يوم بدر ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ

لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضير النصرة، إن قاتلوا، أو الخروج معهم إن أخرجوا، ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدّة حاجتهم إليهم، وإلىٰ نُصرتهم إياهم، كمثل الشيطان الذي غرّ إنْسانًا، ووعده علىٰ اتباعه وكفره بالله النصرة عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلىٰ نُصرته أسلمه وتبرأ منه، وقال له: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في نُصرتك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ ثم لما حقت الحقائق وجَدّ بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان ـ والعياذ بالله ـ الكفر، فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

* * *

س: هل الإنسان في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ﴾ إنسان بعينه أم أُريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به؟

ج: ابتداء، سواء كان هذا مثلٌ ضرب لإنسان بعينه وكيف وأن الشيطان

قد سوَّل له الكفر ومنَّاه ثم خدعه وأرداه، وتخلىٰ عنه ورماه، أو كان مثلاً عامًا لكل من أغواه الشيطان وتخلىٰ عنه فالعبرة حاصلة بكل حال، ولم يصح عن رسول الله ﷺ شيءٌ من الأخبار في هذا الباب.

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أن المراد إنسان بعينه ذُكر ليعتبر به عموم الناس.

وها هي بعض الآثار بذلك:

* أخرج الطبري[1] من طريق عبد الله بن نهيك قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: «إن راهبًا تعبَّد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه، فعمد إلىٰ امرأة فأجنَّها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها، فجاءوا بها، قال: فداواها، وكانت عنده؛ فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، أنك أعييتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعتُ بك، اسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

* وثمَّ آثار أُخر فيها ضعف وكلام كأثر ابن مسعود[2] رضي الله عنه قال: كانت امرأة ترعىٰ الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلىٰ صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدَّق يسمع كلامك،

---

(١) الطبري (أثر ٣٣٩٠٣)، وعبد الله بن نهيك لم يوثقه معتبر فالأثر ضعيف.

(٢) عند الطبري (٣٣٩٠٣).

فقتلها ثم دفنها؛ قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قُصَّها علينا، قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك؛ قالوا: فما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدَوْا مَلِكَهُمْ على ذلك.

فأتَوْه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوْقَعْتُك فيه؛ قال: فسجد له؛ فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأُخِذ فقتل».

*وأثر آخر هو أضعف ألا وهو أثر ابن عباس[1] رضي الله عنهما عند الطبري أيضًا.

كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يُؤتى من كل أرض فيسئل عن الفقه، وكان عالمًا، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس، وإنهم أرادوا أن يسافروا، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها؛ فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه.

فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أحدًا أوثق في أنفسنا، ولا أحفظ لما وُلِّيَ منك لما جعل عندك، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك، فإنها ضائعة شديدة الوجع، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فأصلح إليها حتى

(١) الطبري (٣٣٩٠٤).

نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله، فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرِئت، وعاد إليها حسنها، فاطلع إليها فوجدها متصنعة، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها؛ قال إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها.

فلما قدم إخوتها سألوه ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا: قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويُخْبَرُون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا، فعمدوا الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوها، فقال له الشيطان: أنا زيَّنت لك الزنا وقتلها بعد الزنا، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفتطيعني؟ قال: نعم، قال: فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ الآية.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ عاقبة من؟

ج: الظاهر هنا أن المراد عاقبة الشيطان وعاقبة الذي أطاعه، وعمومًا عاقبة الآمر بالكفر ومن أطاعه.

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ
فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

اذكر معنى ما يلي:

(اتقوا اللَّه ـ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ـ نسوا اللَّه ـ فأنساهم أنفسهم ـ الفاسقون ـ الفائزون ـ متصدعًا ـ عالم الغيب والشهادة ـ القدوس ـ السلام ـ المؤمن ـ المهيمن ـ العزيز ـ الجبار ـ المتكبر ـ البارئ ـ المصور ـ الحكيم).

ج:

الكلمة	معناها
اتقوا اللَّه	اتقوا عقاب اللَّه وغضب اللَّه، وذلك بفعل ما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه.
ولتنظر نفس ما قدمت لغد	لتنظر أي شيء من الأعمال قدمته ليوم القيامة، وأطلق على يوم القيامة: «غد» تقريبًا له.
نسوا اللَّه	تركوا أداء حق اللَّه عزَّ وجل الذي أوجبه عليهم.
فأنساهم	أنساهم حظوظ أنفسهم من الخيرات.
أنفسهم	أنساهم العمل الصالح الذي ينفعهم.
الفاسقون	الخارجون عن طاعة اللَّه إلى معصيته.
الفائزون	الناجحون ـ الظافرون بالمطلوب.
متصدعًا	متشققًا.
عالم الغيب والشهادة	عالم ما غاب عن الإحساس والنظر، وما حضر.
القدوس	المبارك ـ الطاهر ـ ذو السلامة.

الكلمة	معناها
السلام	سلم من كل عيب ونقص ـ الذي يسلم خلقه من ظلمه ـ والسلام اسم من أسماء اللَّه عزَّ وجل أيضًا .
المؤمن	الذي يؤمن خلقه من ظلمه .
المهيمن	الشهيد ـ الرقيب ـ القائم على خلقه برزقه ـ المصدق ، واللَّه أعلم .
العزيز	الذي لا يقهر ولا يُغلب ـ الشديد في انتقامه ـ الذي عزَّ كل شيء فغلبه وقهره .
الجبار	المُصلح أمور خلقه (من قولهم جُبر الشيء) . جبر خلقه على ما يشاء من أمره (من الإجبار) .
المتكبر	تكبَّر عن كل شرٍّ وكل سوء .
البارئ	برأ الخلق[1] فأوجدهم ـ الموُجِد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير .
المصور	يصور خلقه كيف يشاء على الصورة التي أوجدهم عليها .
الحكيم	في تدبير أمر خلقه ، وصرفهم كيف يشاء .

(١) الخلق هو التقدير ، البرء هو الفري ، وهو التنفيذ وإبراز ما قدِّر .
وكتوضيح من دنيانا ـ وللَّه المثل الأعلى ـ هناك مهندس يصمم وآخر ينفذ ما قد صُمِّم ، وفي الدنيا يمكن لشخص أن يصمم ولكن لا يمكنه تنفيذ ما صمم ، ولا يمكنه إبراز ما صممه .
وفي هذا قول الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

س: تلا رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ في مواطن اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما أخرجه مسلم[١] في صحيحه من طريق المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار[٢] أو العباء[٣] متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعَّر[٤] وجه رسول الله ﷺ لما رأىٰ بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلىٰ ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلىٰ آخر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتىٰ قال) ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتىٰ رأيت كومين[٥] من طعام وثياب حتىٰ رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل[٦] كأنه مذهبة[٧]، فقال

---

(١) مسلم (حديث١٠١٧).

(٢) النمار جَمع نمرة، ومجتابي النمار أي: لابسيها خارقين أوساطها مقورين، والنمار: هي ثياب صوف فيها تنمير، وقيل: هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض، أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف. ذكره النووي رحمه الله.

(٣) العباء جمع عباءة. (٤) تمعر: أي تَغير.

(٥) كومين: مثنىٰ كوم، والكوم: الشيء العظيم المرتفع. (٦) يتهلل أي يستنير فرحًا.

(٧) قال النووي رحمه الله: ذكر القاضي وجهين في تفسيره: أحدهما معناه فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود، وجمعها مذاهب، وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطًا مذهبة يرىٰ بعضها إثر بعض.

رسول الله ﷺ «مَنْ سَنَّ في الإسْلام سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيء، وَمَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِم شَيْء».

* * *

س: لماذا كُرر الأمر بالتقوى في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؟

ج: كُرِّر ذلك للتأكيد وقال بعض العلماء التقوىٰ الأولىٰ التوبة فيما مضىٰ من الذنوب، والثانية: اتقاء المعاصي في المستقبل.

* * *

س:اذكر بعض منافع التقوى في العاجل والآجل؟

ج: ذكر طرفًا من ذلك الشنقيطي في «أضواء البيان»، ونقله عنه وأضاف تلميذه محمد بن عطية سالم في «تتمة الأضواء»، فهنالك قال رحمه الله تعالى:

وقد بينت آيات عديدة آثار التقوىٰ في العاجل والآجل:

منها في العاجل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

أما في الآجل وفي الآخرة، فإنها تصحب صاحبها ابتداء إلىٰ أبواب الجنة كما في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، فإذا ما دخلوها آخت بينهم وجددت روابطهم فيما بينهم وآنستهم من كل خوف، كما في

قوله تعالىٰ : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ إلي قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ إلىٰ أن تنتهي بهم إلىٰ أعلىٰ عليين، وتحلهم مقعد صدق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ .

فتبين بهذا كله منزلة التقوىٰ من التشريع الإسلامي وفي كل شريعة سماوية، وأنها هنا في معرض الحث وعليها تكرارها، وقد جعلها الشاعر السعادة كل السعادة كما في قوله، وهو لجرير:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد

والتقوىٰ دائمًا هي الدافع علىٰ كل خير، الرادع عن كل شر، وروىٰ ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد في مجئ قوم من مضر، مجتابىٰ النمار والعباء؛ حفاة عراة متقلدي السيوف، فيتمعَّر وجه رسول الله ﷺ، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا ينادي للصلاة، فصلَّىٰ ثم خطب الناس وقرأ قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلىٰ آخر الآية، وقرأ الآية التي في سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية، تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره حتىٰ قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت ثم تتابع الناس إلىٰ قوله: حتىٰ رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سن في

الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» الحديث.

فكانت التقوىٰ دافعًا علىٰ سن سنَّة حسنة تهلل لها وجه رسول الله ﷺ، كما أنها تحول دون الشر، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾، وقوله: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، فإن التقوىٰ مانعة من بخس الحق ومن ضياع الأمانة، وكقوله عن مريم، في طهرها وعفتها لما أتاها جبريل وتمثل لها بشراً سويا: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ وكما في حديث النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار ومنهم الرجل مع ابنة عمه لما قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام عنها وترك لها المال.

وهكذا في تصرفات العبد كما في قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

* * *

س: ما الفائدة من التذكير بأنه ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ مع أن هذا أمرٌ معلوم بداهة؟

ج: أجاب على ذلك الشيخ محمد عطية سالم رحمه الله في تتمته لـ«أضواء البيان» فقال:

دلت هذه الآية الكريمة علىٰ عدم استواء الفريقين: أصحاب النار وأصحاب الجنة وهذا أمر معلوم بداهة، ولكن جاء التنبيه عليه لشدة غفلة الناس عنه، ولظهور أعمال منهم تغاير هذه القضية البديهية، كمن يسيء إلىٰ أبيه فتقول له: إنه أبُوك، قاله بعض المفسرين.

وهذا في أسلوب البيان يراد به لازم الخبر؛ أي يلزم من ذلك التنبيه أن يعملوا ما يبعدهم عن النار ويجعلهم من أصحاب الجنة، ولينالوا الفوز.

وهذا البيان قد جاءت نظائره عديدة في القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وكقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ أي في الحكم عند الله، ولا في الواقع في الحياة أو في الآخرة.

كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وهنا كذلك ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ في المرتبة والمنزلة والمصير.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ مع ذكر بعض الآيات في معناها؟

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ:

لا يستوي من كفر وأشرك وعمل السيئات فآلت به أعماله السيئة إلىٰ النار، مع من آمن وعمل صالحًا فأدخله الله الجنة، فلا يستويان في الرتبة ولا في المنزلة ولا في الفضل.

أما الآيات التي في معنى ذلك فمنها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

إلى غير ذلك من الآيات.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لوأَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

ج: هذا، والله تعالى أعلم لبيان أمرين:

أحدهما: عظمة هذا القرآن، وأنه لو نزل على الجبال مع قسوتها وصلابتها للانت وتصدعت وتشققت من خشية الله عزَّ وجل مما حمله هذا القرآن من التذكير والوعيد.

الثاني: بيان قسوة قلوب بعض بني آدم فهي أشد قسوة من الحجارة، إذ الحجارة تتأثر لو نزل عليها القرآن، بل ومنها ما يهبط من خشية الله.

أما بعض قلوب بني آدم فلا تتأثر ولاتتحرك من هذا القرآن، ولا تتعظ ولا تعتبر.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر لرأيته يا محمد خاشعًا: يقول: متذللاً متصدعًا، من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدّي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من عِبَر الذكر مُعْرِض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا.

وأخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قال:

قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾ الآية، يعذر الله الجبل الأصم، ولم يعذر شقيّ ابن آدم، هل رأيتم أحدًا قطّ تصدّعت جوانحه من خشية الله ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيمًا لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ حث على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشققة من خشية الله والخاشع: الذليل، والمتصدع: المتشقق. وقيل: «خاشعًا» لله بما كلّفه من طاعته، «متصدعًا»

(١) الطبري (٣٣٩١٣).

من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه، وقيل: هو على وجه المثل للكفار.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿لوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ أي من شأنه وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوة مبانيه وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض، وجعل فيه تمييز كالإنسان على قساوته، ثم أنزلنا عليه القرآن.

﴿لَّرَأَيْتَهُ وجعل فيه﴾ مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة، وضخامة الجرم.

﴿خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ أي متشققًا.

﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ سبحانه حذرًا من عقابه، وخوفًا من أن يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل وتخييل، يقتضي علو شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب، قال ابن عباس في الآية: يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل وحملته إياه لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة، والتخشع والخاشع الذليل المتواضع.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى معظّمًا لأمر القرآن ومبينًا علوَّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكيد.

﴿لوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غلظه وقساوته، لو أفهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله ـ عز وجل ـ فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين

قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

س: ما مدى صحة الحديث الوارد في فضل قراءة آخر ثلاث آيات من سورة الحشر؟

ج: هذا حديث ضعيف لا يصح عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: ما عدد أسماء الله الحسنى؟

ج: أولاً، قد ورد في هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم[1] وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها**[2] **دخل الجنة**».

وهذا الحديث ظاهره قد يُفهم منه أن أسماء الله عز وجل تسعة وتسعون فقط، لكن بتدقيق النظر في متنه يفهم أن هذا الحديث يحمل فضيلة لمن أحصى تسعة وتسعين اسمًا مخصوصة من أسماء الله عز وجل، ومما يدل على ذلك ما أخرجه أحمد[3] في مسنده، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك**

---

(١) البخاري حديث (٧٣٩٢) ومسلم ص (٢٠٦٣).

(٢) أشار النووي رحمه الله تعالى إلى تفسير معنى الإحصاء بقوله: أحصيناه: حفظناه.

(٣) أحمد في «المسند» (١/ ٣٩١) بسندٍ صحيح.

أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجًا قال» فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها».

ومن ثمَّ قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم[١]:

واتفق العلماء على أن الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها، والله أعلم.

وأما تعيين هذه الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف: وقيل: إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم، وليلة القدر ونظائرها.

وأما قوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»، فاختلفوا في المراد بإحصائها:

فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها.

وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى «من حفظها».

وقيل: أحصاها عدها في الدعاء بها.

وقيل: أطاقها أي أحسن المراعاة لها، والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها.

---

(١) وانظر أيضًا «فتح الباري» شرح حديث (٦٤١٠) الذي أخرجه البخاري.

وقيل: معناه العمل بها والطاعة بكل اسمها، والإيمان بها لا يقتضي عملا.

وقال بعضهم: المراد حفظ القرآن وتلاوته كله؛ لأنه مستوف لها، وهو ضعيف والصحيح الأول.

قلت: فعليه لا تنحصر الأسماء في تسعة وتسعين اسمًا والله أعلم.

* * *

س: لماذا أُطلق على أسماء الله أنها حسنى؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى:

سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى لأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه ورحمته وإفضاله، والحسنى مصدرٌ وصف به ويجوز أن يقدّر (الحُسنى) فُعلى مؤنث الأحسن كالكبرى تأنيث الأكبر، والجمع الكُبرَ والحُسنَ، وعلى الأول أُفرد كما أُفرد وصف ما لا يعقل كما قال تعالى ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾، و﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ
أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ
يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ
لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

وضح معنى ما يلي:

(أولياء ـ تلقون إليهم بالمودة ـ الحق ـ يخرجون الرسول وإياكم ـ أن تؤمنوا باللَّه ربكم ـ ابتغاء مرضاتي ـ تسرون إليهم بالمودة ـ أعلنتم ـ من يفعله منكم ـ ضل ـ سواء السبيل ـ يثقفوكم ـ يبسطوا إليكم أيديهم ـ وألسنتهم بالسوء ـ وودوا لو تكفرون ـ أرحامكم ـ يفصل بينكم ـ بصير).

ج:

الكلمة	معناها
أولياء	أنصاراً.
تلقون إليهم بالمودة	توادونهم ـ ترسلون إليهم الأخبار بسبب المودة التي بينكم وبينهم ـ تخبرونهم بأسرار المسلمين وتنصحون لهم.
الحق	القرآن ـ الإيمان والهدىٰ.
يخرجون الرسول وإياكم	يخرجون الرسول ويخرجونكم.
أن تؤمنوا باللَّه ربكم	لإيمانكم باللَّه ربكم.
ابتغاء مرضاتي	طلبًا لرضاي عنكم.
تسرون إليهم بالمودة	تتوددون إليهم سراً ـ بعضكم يتودد للكفار ويخفي ذلك عن المؤمنين.
أعلنتم	أظهرتم.

الكلمة	معناها
من يفعله منكم	من يُسر منكم بالمودة للمشركين .
ضل	جار عن ـ حاد عن ـ أخطأ .
سواء السبيل	الطريق الوسط المعتدل ـ طريق الحق والصواب .
يثقفوكم	يدركوكم ـ يلقوكم ـ يصادفوكم ـ يتمكنوا منكم .
يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء	يمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل ـ يضربونكم ويقتلونكم . يسبوكم ـ يشتموكم ـ يواجهوكم بما تكرهون من الأقوال .
وودوا لو تكفرون	أحبوا كفركم ، ورغبوا في تكفيركم .
أرحامكم	أقاربكم .
يفصل بينكم	يُفرِّق بينكم ـ يدخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ .
بصير	ذو علم وبصر .

س: هل اسم هذه السورة الممتحِنة، بالكسر؟ أم الممتَحنة بالفتح؟ وضح ذلك.

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنها (الممتحِنة) بالكسر، أي المختبرة وذلك لما فيها من الأمر بالاختبار والامتحان في قوله تعالىٰ: ﴿**إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾.

بينما ذهب آخرون أنها (الممتحَنة) بالفتح نسبة إلىٰ المرأة التي امتُحنت.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

الممتحِنة (بكسر الحاء) أي المختبرة، أضيف الفعل إليها مجازاً، كما سُمِّيت سورة «التوبة» المبعثرة والفاضحة، لما كشفت من عيوب المنافقين، ومن قال في هذه السورة: الممتحنة (بفتح الحاء) فإنه أضافها إلىٰ المرأة التي نزلت فيها، وهي أمّ كُلْثُوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيْط، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية: وهي أمرأة عبد الرحمن بن عَوْف، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن.

* * *

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

ج: أخرج البخاري (واللفظ له) ومسلم[1] من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: بعَثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد قال: «**انطَلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإن بها ظَعينةٌ معها كتابٌ فُخذوهُ منها**»، فذهَبْنا تَعادَىٰ بنا خيلُنا

(١) البخاري (حديث ٤٨٩٠) ومسلم (حديث ٢٤٩٤).

حتىٰ أتينا الرَّوضة، فإذا نحنُ بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتابَ أو لنُلقِيَنَّ الثياب، فأخرجتْهُ من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ ﷺ فإذا فيه مِن حاطب بن أبي بَلْتعةَ إلي أناس من المشركين ممن بمكةَ يُخبرهُم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: النبيُّ ﷺ: «**ما هذا يا حاطبُ**»؟ قال: لا تعْجَل عليَّ يا رسولَ الله، إني كنتُ امرءًا من قُريش ولم أكنْ من أنفُسهم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قَرابات يَحمُون بها أهليهم، وأموالَهم بمكة، فأحبَبتُ إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يَدًا يحمون قَرابتي، وما فعلتُ ذلك كُفرًا ولا ارتدادًا، عن دِيني، فقال النبيُّ ﷺ: «**أنهُ قد صدَقَكم**»، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عُنقَه، فقال: «**إنهُ شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ اللَّه عزَّ وجلَّ اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غَفَرتُ لكم**».

قال عمرو: ونَزلت فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ قال: لا أدري الآيةَ في الحديثِ أو قولِ عمرو.

قال البخاري(١): حدّثنا عليّ قال: «قيلَ لسفيانَ في هذا فنزلَت ﴿**لا**

---

(١) أشار الحافظ رحمه الله تعالىٰ في «فتح الباري» (٨/ ٥٠٤) أن سبب النزول هذا مدرجٌ فقال رحمه الله: وقد بين سياق عليٍّ أن هذه الزيادة مدرجة، وأخرجه مسلم أيضًا عن إسحاق بن راهويه عن سفيان، وبين أن تلاوة الآية من قول سفيان، ووقع عند الطبري من طريق أخرىٰ علىٰ الجزم بذلك، لكنه من أحد رواة الحديث حبيب بن أبي ثابت الكوفي أحد التابعين، وبه جزم إسحاق في روايته عن محمد بن جعفر عن عروة في هذه القصة، وكذا جزم به معمر عن الزهري عن عروة، وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: «لما أراد رسول الله ﷺ المسير إلىٰ مشركي قريش كتب إليهم ابن أبي بلتعة يحذرهم» فذكر الحديث إلىٰ أن قال: «فأنزل الله فيه القرآن»: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآية قال الإسماعيلي في آخر الحديث أيضًا: «قال عمرو - أي ابن دينار - وقد رأيت ابن أبي رافع وكان كاتبًا لعلي».

تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية؟ قال سفيان: هذا في حديث الناس حَفِظته من عمرو، ما تركتُ منه حَرفًا، وما أرَىٰ أحدًا حَفِظهُ غيري».

قلت: أما رواية مسلم من طريق عمرو الناقد عن سفيان عن عمرو بسند هذا الحديث ومتنه وفي نهايته. . . «**وما يدريك لعل الله اطلع علي أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» فأنزل الله عزَّ وجل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾.

* هذا وقد أخرج الحاكم[1] في مستدركه من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلىٰ كفار قريش يحذرونهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿**إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ**﴾ نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين.

وقوله تعالىٰ: ﴿**رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء علىٰ الحق ما أصابهم.

قلت (مصطفى): وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

* * *

(١) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٥)، وقال الحاكم هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قلت (مصطفىٰ): والحاكم رحمه الله معروف بالتساهل في التصحيح.

س: لماذا قيل: ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ ولم يُكتف بقوله: ﴿عَدُوِّي﴾ فإن عدو الله هو عدو المؤمنين؟

ج: هذا ـ والله تعالىٰ أعلم ـ لإزالة لبسٍ قد يقع فيه البعض فقد يظن ظآن من حسن المعاملة التي يواجه بها من بعض الكفار أنهم علىٰ خير، فبيَّن ربنا سبحانه أن عدو الله عدوٌ للمؤمنين، ثم أيضًا قد تكون هناك عداوة بين مؤمن ومؤمن آخر فلا تتم حينئذٍ المقاطعة التامة ولا يُدعىٰ إلىٰ التباغض حتىٰ تكون عداوة لله ولشرعه والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: المودة والمحبة يتنافيان مع العداوة، فكيف يمكن أن تكون هناك مودة ومحبة من مسلم لكافر ـ مع أن الكافر عدو للمسلم؟

ج: أجاب علىٰ ذلك بعض أهل العلم بما حاصله أن لا يبعد أن تكون العداوة بالنسبة إلىٰ أمرٍ، والمحبة والمودة بالنسبة إلىٰ أمرٍ آخر.

وأزيد ذلك إيضاحًا: قد يكون ثمَّ رجل مسلم فتزوج بامرأة نصرانيةٍ يحبها لجمالها ولكونه يقضي وطره منها ومع ذلك يبغض ما هي عليه من الدين أشد البغض، والله أعلم.

* * *

س: كلمة (العدو) مفردة، ولكنها تطلق على المفرد، وتطلق على الجمع أيضًا. دلِّل على ذلك.

وقوله: ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ جمع أم مفرد؟

ج: أما مجيئها مفردة فكما في قوله: ﴿يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾.

أما مجيئها تحمل معنى الجمع، فكما في قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء مِن دوني وهم لكم عدو﴾.

أما قوله تعالى: ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ فهو بمعنى الجمع، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾.

* * *

س: هل يسوغ ـ من ناحية المعنى ـ إسقاط الباء من قوله تعالى ﴿بالمودة﴾؟

ج: ذهب إلى جواز ذلك بعض أهل العلم باعتبار، أن الباء زائدة كما في قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾، قالوا: فالمعنى تلقون إليهم المودة.

بينما ذهب آخرون إلى أنها لا تسقط، قالوا: ومعنى الآية تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، للمودة التي بينكم وبينه أو التي بينكم وبينهم، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ يقول جل ثناؤه: تلقون إليهم مودتكم إياهم، ودخول الباء في قوله ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ وسقوطها سواء، نظير قول القائل: أريد بأن تذهب وأريد أن تذهب، سواء، وكقوله ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾، والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، ومن ذلك قول الشاعر:

فلمّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزّ لها العَصا ... شَحيحٌ لَهُ عِنْدَ الإِزاء نَهِيمُ

بمعنى: فلما رجت الشرب.

* * *

س: هل أخرج أهل الكفر رسول الله ﷺ من مكة؟

ج: أهل الكفر اضطروا رسول الله ﷺ للخروج وألجؤوه إليه فالخروج في قوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هو الإلجاء إلىٰ الخروج، وإلا فهم كانوا يريدون قتله ﷺ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ مع تعلقها بما قبلها.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ أن أهل الكفر يخرجون الرسول ويخرجونكم، وليس لكم عندهم كبير ذنب إلا أنكم آمنتم بالله ربكم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وكما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ هذا، وقوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ استئناف لبيان كفرهم، أي أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، ومن توابع ذلك أنهم أخرجوكم من دياركم لإيمانكم بالله ربكم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وتعلقها بما قبلها.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: إن كنتم قد ها جرتم لإعلاء كلمتي وطلبًا لثوابي فلا تتخذوهم أولياء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حَنَقًا عليكم وسخطًا لدينكم.

وقال القرطبي رحمه الله: وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي، وقيل في الكلام حذفٌ والمعنى: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة، وقيل: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي، شرطٌ، وجوابه مقدَّم، والمعنى: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي؛ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

* * *

س: ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه قال ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً واحداً وثلاثة، وخمسة وسبعة، وتسعة، وأحد عشرة ـ قال: فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرها: قال: «إن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعدد، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فَعَمَدوا إلى عَدوهم فاستعملوهم وسلّطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»؟

ج: في سنده ضعف، ففيه الأجلح بن عبد الله بن حجية وهو إلى الضعف أقرب، والحديث عند أحمد في «المسند»[1].

* * *

(١) هو في «المسند» من حديث حذيفة رضي الله عنه، وفي سنده أجلح المذكور (٥/ ٤٠٧).

س لماذا قال ﴿وأنا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ ولم يقل بما أسررتم، مع أن قوله تعالى ﴿تسرون إِلَيْهِم﴾ قد يتناسب مع كلمة (أسررتم)؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حاصله أن الإخفاء قد يكون في بعض المواطن أبلغ من الإسرار، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ والله أعلم.

* * *

س: من تتبع عورات المسلمين وأفشى أسرارهم للكفار هل يكفر بذلك؟ وهل لإمام المسلمين أن يقتله؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

مَن كَثُر تطلّعه على عورات المسلمين وينبّه عليهم ويعرّف عدوّهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لَغَرَض دُنيَوِي واعتقاده على ذلك سليم؛ كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليَدِ ولم يَنْوِ الرِّدّة عن الدِّين.

ثم قال رحمه الله: إذا قلنا لا يكون بذلك كافراً فهل يقتل بذلك حدا أم لا؟ اختلف الناس فيه؛ فقال مالك وابن القاسم وأشهب، يجتهد في ذلك الإمام، وقال عبد الملك: إذا كانت عادته تلك قُتل، لأنه جاسوس، وقد قال مالك بقتل الجاسوس ـ وهو صحيح لإضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض، ولعل ابن الماجِشُونَ إنما اتخذ التكرار في هذا لأن حاطبًا أخذ في أوّل فعله، والله أعلم.

* * *

س: ماذا يُصنع بالجاسوس الكافر؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى:

فإن كان الجاسوس كافراً فقال الأوزاعيّ: يكون نقضًا لعهده. وقال أَصْبَغ: الجاسوس الحربي يقتل، والجاسوس المسلم والذميّ يعاقبان إلا إن تظاهرا على الإسلام فيقتلان وقد روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ أُتِيَ بعَيْنٍ للمشركين اسمه فُرات بن حيّان، فأمر به أن يُقتل، فصاح: يا معشر الأنصار، أُقْتَلُ وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأمر به النبيّ ﷺ فخلّى سبيله، ثم قال: «**إنّ منكم من أَكِلُه إلى إيمانه منهم فُرَات بن حَيَّان**».

* * *

س: من سبب النزول يظهر أن عثرات ذي الفضل ينبغي أن تُقال، وضح ذلك.

ج: نعم ينبغي أن تُقال عثرات أهل الفضل والإحسان فرسول الله ﷺ ما نسي لحاطب سابقة الخير التي كانت له، من كونه، كان بدريًا فقال لعمر: «**أليس من أهل بدر؟**» على ما ورد في الحديث وقد تقدم الحديث بذلك وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] في «صحيحيهما» من حديث علي رضي الله عنه قال وفيه: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنا والزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «**ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخ[2] فإنَّ بهَا ظَعينَةً[3]، معَهَا كتَابٌ، فَخُذُوهُ منْهَا...**».

«**... إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ:**

(١) البخاري (حديث ٣٩٨٣) ومسلم (٣٤٩٤) واللفظ له.

(٢) روضة خاخ مكان بين مكة والمدينة. (٣) ظعينة أي جارية.

اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَأَنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

وها هي آيات تتلى لحث المؤمنين على العفو عن من لهم سوابق خير، وذلك في شأن أبي بكر مع مسطح رضي الله عنه، فبعد أن طعن مسطح في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقذفها مع من قذفوها ونزلت براءة عائشة رضي الله عنها، يُقسم أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح بعد ذلك، فتنزل الآية الكريمة: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فقال أبو بكر حينئذ: والله لا أمنع النفقة عن مسطح أبداً[1] !.

* * *

س: اذكر آية في معنى قول الله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

ج: في معناها قول الله تعالى ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ

---

(١) انظر حديث الإفك بتمامه في البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (حديث ٢٧٧٠) ففيه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿لا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾.

قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كانت ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ .

* * *

س: أهل الكفر يرغبون في إغواء أهل الإيمان دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي :

* قوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ .

* قوله تعالى : ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ .

* وقوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ .

* وقوله تعالى : ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ .

* وقوله تعالى : ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ .

* * *

س: هل كل الأرحام يُفصل بينها يوم القيامة؟

ج: ليست كل الأرحام يفصل بينها ، فأهل الإيمان مع أقربائهم المؤمنين لا يفصل بينهم ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ج: نعم ، لن تنفع الأرحام الكافرة أقرباءهم يوم القيامة ، ولن تنفع

الأرحام المسلمة قراباتها من الكفار أيضًا، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلىٰ الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودّة، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به.

وقوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصيه والكفر به النار.

لكن قد ينتفع مؤمن بشفاعة إخوانه المؤمنين وقراباته المؤمنين وقد قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

* * *

س: اذكر ما يدل على التفريق بين أهل الإيمان وأهل الكفر يوم القيامة.

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾.

*وقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يصدعون﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾.

* * *

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا

وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ

هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ

عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ

ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ

ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ

إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

اذكر معنى ما يلي:

(أسوة ـ برآء ـ كفرنا بكم ـ بدا ـ وما أملك لك من اللَّه من شيء ـ توكلنا ـ أنبنا ـ المصير ـ يتول ـ مودةً ـ تبروهم ـ تقسطوا إليهم ـ المقسطين ـ قاتلوكم في الدين ـ ظاهروا على إخراجكم ـ تولوهم).

ج:

الكلمة	معناها
أسوة	قدوة (تقتدون به).
برآء	متبرءون.
كفرنا بكم	أنكرناكم ـ أنكرنا أن تكونوا على حق ـ جحدنا أفعالكم وكذبناها ـ كفرنا بما تعبدون من الأوثان.
بدا	ظهر ـ بان.
ما أملك لك من اللَّه من شيء	ما أدفع عنك من عذاب اللَّه من شيء ـ لا أغني عنك شيئًا.
توكلنا	اعتمدنا.
أنبنا	رجعنا عما كنا فيه من الكفر والمعاصي.
المصير	المرجع والمآب.
يتول	يُعرض عن الإسلام والإيمان، ويوالي الكفار.
مودةً	محبةً وولاء.
تبروهم	تحسنوا إليهم بأنواع البر والمعروف.

الكلمـــة	معنـاهـــا
تقسطوا إليهم	تعطوهم قسطًا من المال على وجه الصلة[١] ـ تعدلوا فيهم وتنصفوهم ـ تعاملوهم بالعدل .
المقسطين	المنصفين[٢] ـ أهل العدل .
قاتلوكم في الدين	حاربوكم من أجل دينكم .
ظاهروا على إخراجكم	عاونوا غيرهم على إخراجكم .
تولوهم	تتولوهم .

(١) واختاره القرطبي ورجحه بقوله : وليس يريد به العدل ؛ فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل .

(٢) وعلى اختيار القرطبي السابق يكون المراد المحسنين المنفقين الواصلين .

س: من المعنيون بـ﴿الذين مع إبراهيم﴾ عليه السلام؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
وقال آخرون: إنهم أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه.

* * *

س: وضح معنى قولهم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

ج: إيضاحه ـ والله أعلم ـ جحدناكم وأنكرنا كونكم على صواب وأنكرنا وجحدنا ما أنتم عليه من الكفر والشرك، وظهرت عداوتنا لكم واستبنا أيضًا عداوتكم لنا ولن نودكم ولن نحبكم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك والكفر.

قال الطبري: وقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ يقول جل ثناؤه مخبرًا عن قول أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لكم أسوة حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إلا في قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، فلا تتأسوا بإبراهيم في ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينته الكفار، ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فلأنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله، فلما تبين أنه عدّو الله تبرأ منه، يقول تعالىٰ ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتىٰ يؤمنوا بالله وحده ويبرءوا عن عبادة ما سواه و أظهروا لهم العداوة والبغضاء.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ[1] عن قتادة قال: ائتسوا به في كل شيءٍ ما خلا قوله لأبيه ﴿لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فلا تأتسوا بذلك منه فإنها كانت عن موعدةٍ وعدها إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا علىٰ الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ وقال تعالىٰ في هذه

---

(١) الطبري (٣٣٩٤٣).

الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة، أي في الاستغفار للمشركين. هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل بن حبان، والضحاك، وغير واحد.

وقال عطية بن سالم في تتمته لـ«أضواء البيان»:

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فهذا القول من إبراهيم ليس موضع التأسي، وموضع التأسي المطلوب في إبراهيم عليه السلام هو ما قاله مع قومه المتقدم جملة، وما فصله تعالى في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ وهذا التبرُّؤ جعله باقيًا في عقبه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ الآية، لم يبين هنا سبب هذا الاستثناء، وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا؟

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ فكان قد وعده ووفَّى بعهده، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه، لما تبين له أنه عدو لله.

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه

السلام كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وفي هذه الآية وما قبلها أقوىٰ دليل علىٰ أن دين الإسلام ليست فيه تبعية أحد لأحد، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ.

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ فلما تبين له أمره من قوله تعالىٰ: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ الآية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية، فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه.

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية.

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فتبرأت الزوجة من زوجها، وهذا التأسي قد بين تمام البيان معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ أي ولا آباؤكم ولا أحد من أقربائكم، يوم القيامة يفصل بينكم، وقول إبراهيم لأبيه: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ بينه ما قدمنا من أن الإسلام ليس فيه تبعية، وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ، وكل نفس بما كسبت رهينة.

وقـوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، وقـوله: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

* * *

س: هل شرع من قبلنا شرعٌ لنا؟

ج: فليعلم ابتداءً أن الأمر في العقائد ومسائل التوحيد واحد، قال تعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّا معشر الأنبياء إخوة لعلات؛ ديننا واحد، وأمهاتنا شتى».

أما بالنسبة للشرائع فقد ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم نُنه عنه، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن الآيات المذكورة إنما هي في العقائد، أما في الشرائع فقد قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال الشيخ محمد عطيه سالم في تتمته لـ «أضواء البيان»:

(مسألة) جعل بعض المفسرين هذه الآية دليلاً علىٰ أن شرع من قبلنا شرع لنا بدليل التأسي بإبراهيم عليه السلام والذين معه، وتحقيق هذه المسألة في كتب الأصول، وهذه الآية وإن كانت دالة في الجملة علىٰ أن شرع من قبلنا

شرع لنا، إلا أنها ليست نصًا في محل النزاع.

وقد قسم الشيخ ـ رحمة الله تعالىٰ عليه ـ حكم المسألة إلىٰ ثلاثة أقسام:

قسم هو شرع لنا قطعًا، وهو ما جاء في شرعنا أنه شرع لنا كآية الرجم، وكهذه الآية في العداوة والموالاة.

وإما ليس بشرع لنا قطعًا كتحريم العمل يوم السبت، وتحريم بعض الشحوم، إلخ.

وقسم ثالث: وهو محل النزاع، وهو ما ذكر لنا في القرآن ولم نؤمر به ولم نُنه عنه فالجمهورعلىٰ أنه شرع لنا لذكره لنا، لأنه لو لم يكن شرعًا لنا لما كان لذكره لنا فائدة، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وبهذه الآية أيضًا، والشافعي يعارض في هذا القسم ويقول: الآية في العقائد لا في الفروع، ويستدل بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وعلىٰ هذا التقسيم المذكور، فالآية ليست نصًا في محل النزاع، لأننا أمرنا بالتأسي به في معين جاء في شرعنا الأمر به في أول السورة.

تنبيه: يظهر لي في هذه المسألة والله تعالىٰ أعلم: أن الخلاف بين الشافعي والجمهور يكاد يكون شكليًا، وكل محجوج بما حج به الآخر، وذلك كالآتي:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يدل علىٰ وجود شرعة وعلىٰ وجود منهاج، فإذا جئنا لاستدلال الجمهور، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ لم نجد فيه ذكر المنهاج، ونجد واقع التشريع، أن منهاج ما شرع لنا يغاير منهاج ما شرع لمن قبلنا كما في مشروعية الصيام،

قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهذا يتفق في أصل الشرعة، ولكن جاء ما يبين الاختلاف في المنهاج في قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ ومعنىٰ ذلك أنه كان محرمًا، وهو ضمن منهاج من قبلنا وشرعتهم فاتفقنا معهم في الشرعة واختلف منهجنا عن منهجهم بإحلال ما كان منه حراما، وهذا ملزم للجمهور، وهكذا بقية أركان الإسلام في الصلاة فهي مشروعة للجميع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ وقوله عن عيسىٰ: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

وفي الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، وقوله: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا﴾ الآية، فجميع الأركان، وهي فروع لا عقائد مشروعة في جميع الأديان علىٰ جميع الأمم، فاشتركنا معهم في المشروعية، ولكن هل كانت كلها كمنهجها عندنا في أوقاتها وأعدادها وكيفياتها، لقد وجدنا المغايرة في الصوم واضحة، وهكذا في غيرها، فالشرعة عامة للجميع والمنهاج خاص كما يقول الشافعي، والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: وضح معنى قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

ج: من معاني ذلك ما يلي:

المعنى الأول: لا تنصرهم علينا فيظنوا أنهم علىٰ حقٍّ ونحن علىٰ باطل فيصرفوا عن الإسلام، ويقولون: لو كان هؤلاء علىٰ حقٍّ ما انتصرنا عليهم.

المعنى الثاني: لا تظهرهم علينا فيفتنوننا بذلك ويصرفوننا عن ديننا.

المعنى الثالث: لا تعذبنا بعذاب من عندك فيشمتوا فينا.

* * *

س: لماذ كُرر قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ؟

ج: هذا التكرار للتأكيد، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾.

ج: المعنىٰ، والله أعلم، لمن كان يرجو لقاء الله وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾.

ج: المعنىٰ: والله أعلم، عسىٰ الله أن يجعل عداوتكم لهم وبغضكم إياهم سببًا في هدايتهم للإسلام ومن ثمَّ حصول المودة بينكم وبينهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ: عسىٰ الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا أولياء وأحزابًا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ قال هؤلاء المشركون: قد فعل قد أدخلهم في

السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح.

ثم قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها.

وقال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿عَسَى اللَّهُ﴾ وعسى وعد من الله على عادات الملوك، حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل، فلا تبقى شبهة المحتاج في تمام ذلك، أو أريد به إطماع المؤمنين ﴿أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ وذلك بأن يسلموا فيصيروا من أهل دينكم، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الإسلام مودة، وجاهدوا وفعلوا الأفعال المقربة إلى الله، وقيل: المراد بالمودة هنا تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، فصار معاوية خال المؤمنين قاله ابن عباس، ولا وجه لهذا التخصيص، وإن كان من جملة ما صار سببًا إلى المودة، فإن أبا سفيان بعد ذلك ترك ما كان عليه من العداوة لرسول الله ﷺ، ولكنها لم تحصل المودة إلا بإسلامه يوم الفتح وما بعده.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغْضَة، ومودة بعد النَّفرة، وألفة بعد الفرقة، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي: على ما يشاء من الجمع

بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالىٰ: ممتنًا علىٰ الأنصار: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا...﴾ الآية.

وكذا قال لهم النبي ﷺ، «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟».

وقال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وفي الحديث: «أحببْ حبيبَكَ هونًا ما، فعسى أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما، وأبغِض بغيضَك هونًا ما، فعسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[1].

* * *

س: المودة والمحبة من الله عزَّ وجل، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

---

(١) خبرٌ معلول، وقد أخرجه الترمذي (حديث ١٩٩٧) وذكر علته فقال: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر، وهو حديث ضعيف أيضًا بإسنادٍ له عن علي عن النبي ﷺ والصحيح عن علي موقوف قوله.

قول النبي ﷺ في شأن خديجة رضي الله عنها: «**إني قد رُزقت حبها**»[١].

وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله عبدًا نادَى جبريلَ إن الله يُحبُّ فلانًا فأحبّه، فيحبُّه جبريل، فُينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يُحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماء، ثم يوضعُ له القَبولُ في أهلِ الأرض**».

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري[٣] في صحيحه من حديث أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما: قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألتُ النبيَّ ﷺ: أأصِلها؟ قال: «**نعم**»، قال ابن عُيينَةَ: فأنزل الله تعالىٰ فيها: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾.

وكما هو واضح مما ذكره البخاري رحمه الله أن سبب النزول معضل فقد ذكره ابن عيينة إذ قال: فأنزل الله فيها...

وابن عيينة بينه وبين رسول الله ﷺ بونٌ شاسع، ولسبب النزول طرقٌ أُخر لا تخلو من مقالٍ.

* * *

(١) لفظ مسلم (ص ١٨٨٨).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٤٠)، ومسلم (بسياق قريب ٢٦٣٧).

(٣) البخاري (حديث ٥٩٧٨).

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؟ ومن المعنيون بـ ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، الكفار غير المحاربين.

أما الذين قاتلوا فهم مشركو مكة والآية تعم جميع من كان على شاكلتهم أيضًا.

قال الطبري رحمه الله تعالى ـ بعد أن أورد أقولاً:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، لأن الله عز وجل عمَّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها.

* * *

س: هل البر والإقساط والصلة بالمال تستلزم المودة والمحبة؟

ج: البر والإقساط لا يستلزم المودة والمحبة، فقد يكون الرجل برًا بوالديه محسنًا إليهما ولكنه يبغض ما هما عليه من الكفر أشد البغض.

قال الشيخ محمد بن عطية سالم رحمه الله:

وفي تفسير آيات الأحكام للشافعي رحمه الله مبحث هام نسوقه أيضًا بنصه لأهميته:

قال الله عز وجل: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية، قال: يقال ـ والله أعلم ـ إن بعض المسلمين تأثر من صلة المشركين أحسب ذلك لما نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينهم وبينهم ونزل ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، فلما خافوا أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال الشافعي رحمه الله: وكانت الصلة بالمال والبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين، وذلك لأنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم إذ كان الولاية غير البر والإقساط، وكان النبي ﷺ فادى بعض أسارى بدر، وقد كان أبو عزة الجمحي ممن منّ عليه، وقد كان معروفًا بعداوته والتأليب عليه بنفسه ولسانه، ومن بعد بدر على ثمامة بن أثال، وكان معروفًا بعداوته، وأمر بقتله ثم منَّ عليه بعد أسره وأسلم ثمامة وحبس الميرة عن أهل مكة فسألوا رسول الله ﷺ أن يأذن له أن يميرهم فأذن له فمارهم.

وقال الله عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

والأسرىٰ يكونون ممن حاد الله ورسوله. اهـ. منه.

وهذا الذي صوَّبه ابن جرير وصححه الشافعي رحمه الله الذي تقتضيه روح التشريع الإسلامي، أما وجهة النظر التي وعدنا بتقديمها فهي أن المسلمين اليوم مشتركة مصالحهم بعضهم ببعض ومرتبطة بمجموع دول العالم من مشركين وأهل كتاب، ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش منعزلة عن المجموعة الدولية لتداخل المصالح وتشابكها، ولا سيما في المجال الأقتصادي عصب الحياة اليوم، من إنتاج أو تصنيع أو تسويق.

فعلىٰ هذا تكون الآية مساعدة علىٰ جواز التعامل مع أولئك المسالمين ومبادلتهم مصلحة بمصلحة علىٰ أساس ما قاله ابن جرير وبينه الشافعي، وذكره الشيخ رحمة الله تعالىٰ عليه في حقيقة موقف المسلمين اليوم من الحضارة الغربية في عدة مناسبات من محاضراته ومن الأضواء نفسه، وبشرط ما قاله الشيخ رحمة الله تعالىٰ عليه من سلامة الداخل أي عدم الميل بالقلب، ولو قيل بشرط آخر وهو مع عدم وجود تلك المصلحة عند المسلمين أنفسهم، أي أن العالم الإسلامي يتعاون أولا بعضه مع بعضه، فإذا أعوزه أو بعض دوله حاجة عند غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم ولم يظاهروا عدوا علىٰ قتالهم فلا مانع من التعاون مع تلك الدولة في ذلك، ومما يؤيد كل ما تقدم عمليًا معاملة النبي ﷺ وخلفائه من بعده لليهود في خيبر.

فمما لا شك فيه أنهم داخلون أولا في قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ ومنصوص علىٰ عدم موالاتهم في قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

ومع ذلك لما أخرجهم ﷺ، من المدينة وحاصرهم بعدها في خيبر وفتحها

الله عليه وأصبحوا في قبضة يده فلم يكونوا بعد ذلك في موقف المقاتلين، ولا مظاهرين على إخراج المسلمين من ديارهم، عاملهم الرسول ﷺ بالقسط، فعاملهم على أرض خيبر ونخيلها وأبقاهم فيها على جزء من الثمرة كأجراء يعملون لحسابه وحساب المسلمين، فلم يتخذهم عبيداً يسخرهم فيها، وبقيت معاملتهم بالقسط كما جاء في قصة ابن رواحة رضي الله عنه لما ذهب يخرص عليهم وعرضوا عليه ما عرضوا من الرشوة ليخفف عنهم، فقال لهم كلمته المشهورة:

والله لأنتم أبغض الخلق إليّ وجئتكم من عند أحب الخلق إليّ، ولن يحملني بغضي لكم، ولا حبي له أن أحيف عليكم، فإما أن تأخذوا بنصف ما قدرت، وإما أن تكفوا أيديكم ولكم نصف ما قدرت، فقالوا له: بهذا قامت السماوات والأرض أي بالعدالة والقسط، وقد بقوا على ذلك نهاية زمنه ﷺ وخلافة الصديق وصدراً من خلافة عمر حتى أجلاهم عنها.

ومثل ذلك المؤلفة قلوبهم أعطاهم ﷺ بعد الفتح وأعطاهم الصديق حتى منعهم عمر رضي الله عنه.

وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة لأهميتها ومسيس الحاجة إليها اليوم.

وفي الختام: إن أشد ما يظهر وضوحًا في هذا المقام ولم يدَّع أحد فيه نسخا قوله تعالى: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾.

فهذه حسن معاملة وبر وإحسان لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ولم يقاتل المسلمين، فكان حق الأبوة مقدمًا ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك.

* * *

س: هل هذه الآية ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...﴾ منسوخة أم محكمة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أنها منسوخة بآية السيف.

بينما ذهب أكثر أهل التأويل[١] إلىٰ أنها محكمة، واستدلوا لذلك بقصة مجيء أسماء إلىٰ رسول الله ﷺ واستئذانه في صلة أمها، وإذن النبي ﷺ لها بذلك.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم، أن الله غني فلا يحتاج إلىٰ عبادة أحدٍ.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ وكما في الحديث القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا**»[٢].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي ومن يُعرض عن أمر الله وعن التأسي بإبراهيم عليه السلام فإن الله غنيٌ عنه عن وعبادته.

ثم إن من امتثل أمر الله عزَّ وجل فإن الله يحمد له صنيعه ويشكره له

* * *

(١) حكاه عنهم القرطبي رحمه الله تعالىٰ.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالىٰ.

يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا
هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ
وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ
وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ
وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ
ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

اذكر معنى ما يلي:

(فامتحنوهن ـ آتوهم ما أنفقوا ـ تنكحوهن ـ أجورهن ـ عصم الكوافر ـ فآتوا ـ مثل ما أنفقوا ـ فعاقبتم ـ ببهتان ـ استغفر لهن اللَّه ـ يئسوا من الآخرة ـ يئس الكفار من أصحاب القبور)

ج:

الكلمة	معناها
فامتحنوهن	فاسألوهن عن سبب هجرتهن ـ استحلفوهن باللَّه .
آتوهم ما أنفقوا	أعطوهم الصداق الذي أعطوه للمؤمنات .
تنكحوهن	تتزوجوهنَّ .
أجورهن	جمع أجر ، وهو الصداق .
عصم	عصم : جمع عصمة ، وهي ما اعتصم به من العقد .
الكوافر	جمع كافرة (من غير أهل الكتاب)[1] .
فعاقبتم	أصبتم غنيمة ، والعقب : هو ما بقي من صداق نساء الكفار حين آمنَّ وهاجرن ، كانت لكم عقبى خير فغنمتم .
فآتوا	فأعطوا .
مثل ما أنفقوا	مثل الصداق الذي دفعوه .
ببهتان	بكذب يكذبنه في شأن مولود بين أيديهن وأرجلهنَّ ، والمعنى أيضًا : لا يلحقنَ بأزواجهنَّ غير أولادهم ، وهذا

(١) لأن اللَّه تبارك وتعالى قال في شأن الكتابيات : ﴿اليوم أحل لكم الطيبات . . . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ .

الكلمة	معناها
	قول الجمهور[١] . وقال آخرون : (بين أيديهن) ألسنتهن بالنميمة ، و(أرجلهن) : الفروج .
استغفر لهن الله	سل اللَّه أن يصفح عن ذنوبهنَّ ، وأن يغفرها لهنَّ
يئسوا من الآخرة	يئسوا من ثواب اللَّه في الآخرة ـ يئسوا أن يُبعثوا .
(يئس الكفار من أصحاب القبور)	يئس الكفار من رجوع الأموات إليهم . يئس الكفار الذين ماتوا وأصبحوا أصحابًا[٢] للقبور من رحمة اللَّه عزَّ وجل لهم .

(١) قال السمعاني رحمه اللَّه في «تفسيره» :
وقوله : ﴿يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ﴾ قال ذلك ؛ لأن الولد إذا سقط من المرأة سقط بين يديها ورجليها . وقيل : لأن الثدي بين يدين ، والفرج بين الرجلين ، والمرأة تضع وترضع . وقيل : إن ذكر اليدين والرجلين على طريق التأكيد ، مثل قوله تعالى : ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ يعني : بما كسبتم ، وذكر الأيدي على طريق التأكيد .

(٢) فعلى هذا القول (مِن) بيانية ، كقوله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ .

س: هل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ...﴾ صلة بما قبله من الآيات؟

ج: نعم وجه الصلة ظاهر مما ذكره القرطبي رحمه الله، إذ قال:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ لما أمر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكان التناكح من أوْكد أسباب الموالاة؛ فبيّن أحكام مهاجرة النساء.

* * *

س: قوله تعالى ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ من أين؟

ج: من دار الكفر إلى دار الإسلام.

* * *

س: لماذا كانت النسوة تمتحن؟

ج: ابتداء لأن الله أمر بذلك، ثم إن من أهل العلم من ذكر أن المرأة كانت إذا أرادت الإضرار بزوجها قالت له: سأهاجر إلى محمد ﷺ، فلذلك أمر الله بامتحانهن، والله تعالى أعلم.

* * *

س: كيف كانت النسوة يُمتحن؟

ج: كان الامتحان أنهن يُستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز ولا بغض زوجٍ ولا حب في رجل، ولا كراهية البلاد، ولا التماس دنيا، إنما خرجن

حبًا لله ولرسوله ﷺ.

وأخرج الطبري[١] من طريق أبي نصر الأسدي قال:

سُئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلىٰ أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبًا لله ورسوله.

ومن العلماء من قال: كانت المحنة أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ومن العلماء من قال: إن الاختبار هو المذكور في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ إلىٰ آخر الآية، أخرج الطبري[٢] بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلىٰ رسول الله ﷺ يمتحنّ بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ... إلىٰ آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات، فقد أقرّ بالمحبة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهن: «**انطلقن فقد بايعتكنّ**»، ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قطّ، غير أنه بايعهنّ بالكلام، قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ علىٰ النساء قطّ إلا بما أمره الله عزّ وجلّ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهنّ: «**قد بايعتكنّ**»، كلامًا.

* * *

(١) الطبري (٣٣٩٥٧).

(٢) الطبري (٣٣٩٦٠).

س: هل كان الرجال يمتحنون عند هجرتهم؟ ولماذا؟

ج: لم يكن ثمَّ امتحانٌ للرجال، وذلك ابتداء لعدم ورود الأمر بامتحان الرجال المهاجرين، ثم أيضًا المهاجر كان يعلم أن عليه تَبِعة الجهاد والنصرة، فلا يُهاجر - في الغالب - إلا وهو صادق في إيمانه، فمن ثمَّ فهجرته - لكونها شاقة - تحمل دليلاً على إيمانه، فاستغنى بذلك - والله أعلم - عن الامتحان.

* * *

س: اذكر بعض النسوة اللواتي هاجرن إلى رسول الله ﷺ ؟

ج: ذكر العلماء بعض هؤلاء النسوة، منهن أم كلثوم بنت عقبة[1] بن أبي مُعيط، وذكروا أيضًا سعيدة بنت الحارث الأسلمية، والله أعلم بصحة ذلك.

* * *

س: ما فائدة التذكير بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ ؟

ج: فائدة ذلك - والله تعالى أعلم -، حث من يمتحن على سؤال الله التوفيق لمعرفة الحق والصواب في أمر المهاجرات وشأنهن، فقد يمتحنهن شخصٌ ويظن أنه وقف على الصواب في أمرهن، والحقيقة غير ذلك، فمن ثمَّ يحثُّ الممتحن على سؤال الله التوفيق أثناء اختباره للناس، وأيضًا فلأن الله تعالى متولي السرائر.

ونحو هذا التذكير في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ فقوله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ - والله أعلم - فيه تذكير للصالحات على سؤال الله التوفيق لحفظ غيب الأزواج، فالحافظة منهن، حفظها لغيب زوجها بعون الله لها وتوفيق الله إياها، فلتسأل ربها التوفيق لذلك.

---

(١) قالوا: جاءت فارَّة من زوجها عمرو بن العاص (قبل أن يُسلم عمرو).

ونحوه في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ...﴾ فهذا أيضًا فيه تذكيرٌ لمن سينكح الأمة، فإنه ينبغي أن يختار الأمةَ المؤمنةَ، وأن يستعين بالله ـ عز وجل ـ في هذا الاختيار ولا يستقل بأمر نفسه، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول[1]، وهو ما أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان ـ يُصدق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه ـ قالا: «خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية...» فذكرا الحديث وفيه: والله لا تتحدث العرب أنَّا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلىٰ أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان علىٰ دينك ـ إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلىٰ المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سُهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين أظهر المسلمين.

فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّا لم نقض الكتاب بعد**»، قال: فوالله إذًا لم أصالحك علىٰ شيء أبدًا، قال النبيُّ ﷺ: «**فأَجزه لي**»، قالَ: ما أنا بمجيزه لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل:

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

أي معشر المسلمين، أُرَدُّ إلىٰ المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبيَّ الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًا؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟! قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري**».

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، **فأخبرتك أنَّا نأتيه العام**»؟ قال: قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، قال: فأتيت أبا بكرٍ: فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلىٰ، قلت: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟ قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه علىٰ الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به.

قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ، لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج: ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج، فلم يكلم أحدًا منهم حتىٰ فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه فلما، رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضا غمًّا، ثم جاءه نسوةٌ مؤمنات، فأنزل الله تعالىٰ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ**

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتىٰ بلغ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ .

* وعند البخاري[١] عقب طريق آخر لهذا الحديث من طريق عروة عن مروان والمسور بن مخرمة أيضًا . . . قال عروة : فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلىٰ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرَّ بهذا الشرط منهن؟ قال لها رسول الله ﷺ : «قَدْ بَايَعْتُك» كلامًا يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ، وما بايعهن إلا بقوله» .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

ج: المعنىٰ ، والله أعلم ، إن ظهر لكم بعد امتحان هؤلاء النسوة المهاجرات أنهن حقًا مؤمنات ، وأنهن خرجن حبّاً لله ورسوله ، وطلبًا للدار الآخرة ، فلا ترجعوهن إلىٰ الكفار ، فلم يُحل الله مؤمنةً لكافرٍ ولا كافرًا لمؤمنةٍ ، فالذي أوجب الفرقة هنا هو إسلام الزوجة لا هجرتها .

قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ يقول : فإن أقررن عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهنّ ، والدخول في الإسلام ، فلا تردّوهنّ ، عند ذلك إلىٰ الكفار ، وإنما قيل ذلك للمؤمنين ؛ لأن العهد كان جرىٰ بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلىٰ المشركين من جاءهم مسلمًا ، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا

(١) البخاري (حديث ٢٧١٣) .

جئن مؤمنات مهاجرات فامتُحِنّ، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات، وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل، وأُمروا أن لا يردّوهنّ إلىٰ المشركين إذا علم أنهنّ مؤمنات، وقال جلّ ثناؤه لهم: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يقول: لا المؤمنات حلّ للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات.

* * *

س: هل يُمكن أن تُنسخ السنةُ بالقرآن؟ اذكر مثالاً.

ج: نعم يُمكن أن تُنسخ السُّنةُ بالقرآن، فالسنةُ وحيٌ، والله تبارك وتعالىٰ يقول عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ ولما كان القرآن ينسخ بعضه بعضا، فكذا ينسخ السنة.

أما مثال نسخ السُّنة بالقرآن فمثاله هذه الآية الكريمة: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ...﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

فهي ناسخة لما كان قد تم[1] في صلح الحديبية[2]، فقد كان في صلح الحديبية فيما اشترط سهيل بن عمرو علىٰ النبي ﷺ: أن لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان علىٰ دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه .... الحديث وفيه.. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ...﴾ حتىٰ بلغ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

---

(١) ومن العلماء من قال: هي مخصصةٌ له، وذكروا من صور تخصيص السنة بالقرآن قوله ﷺ: «ما أبين من حيٍّ فهو ميت» أي محرم، قالوا خُصص هذا العموم بقوله تعالىٰ: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ أي ليس ذلك محرمًا.

(٢) البخاري (حديث ٢٧١١، ٢٧١٢).

وقال القرطبي رحمه الله: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشًا، من أنه يرد إليهم من جاءه منهم مسلمًا؛ فنسخ من ذلك النساء، وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أعطوا المشركين الذين هم أزواج للمؤمنات المهاجرات الصداق الذي أنفقوه.

وأخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ حتى بلغ **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** هذا حكم حكمه الله عز وجل بين أهل الضلالة، كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله ﷺ فتزوّجوهنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ عهد، وإذا فررن من أصحاب نبيّ الله ﷺ إلى المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ عهد بعثوا بمهورهن إلى أزواجهنّ من أصحاب نبيّ الله ﷺ.

* * *

س: هل تتزوج المسلمةُ التي فرت إلى ديار الإسلام وزوجها ما زال مشركًا لم يطلقها؟

ج: نعم لها أن تتزوج، لقوله تعالى: **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا**

---

(١) أثر (٣٣٩٧١).

آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: بشرط إعطائها المهر[١].

* * *

س: امرأة أسلمت وهاجرت ثم بعد ذلك أسلم زوجها وهاجر، ويريد أن يتزوجها، هل يتزوجها بعقدٍ جديد وصداق جديد أم ماذا يصنع؟

ج: ورد في هذه المسألة بعض الآثار في كل منها مقال، من هذه الآثار ما أخرجه أحمد، وأبو داود[٢] والترمذي، وابن ماجه وغيرهم من طريق داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: رد النبي ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بعد ست سنين بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحًا.

وهذا الحديث إسناده ضعيف إذ أن رواية داود عن عكرمة فيها ضعف، أما الأثر الآخر فأخرجه الترمذي[٣] وابن ماجه من طريق حجاج بن أرطأة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بنكاح جديد.

وهذا الحديث ضعيف أيضًا، إذ أن حجاج بن أرطاة مدلس وقد عنعن.

وقد جزم غير واحد من أهل العلم بأن حجاجًا لم يسمع هذا الحديث من عمرو بن شعيب ولكنه سمعه من العرزمي (محمد بن عبد الله) وهو ضعيف، وثمة آثار أخرى وفيها ضعف.

وذكر ابن القيم في «الزاد»[٤] أقوالاً قيمة وقال:

ولا نعلم أحدًا جدَّد للإسلام نكاحه البتة، بل كان الواقع أحد أمرين: إما

---

(١) أو كونه في الذمة، والله أعلم.

(٢) أبو داود (٢٢٤٠)، والترمذي (١١٤٣)، وابن ماجه (٢٠٠٩).

(٣) الترمذي (١١٤٢)، وابن ماجه (٢٠١٠). (٤) زاد المعاد (٥/ ١٣٧).

افتراقهما ونكاحها غيره، وإما بقاؤها عليه، وإن تأخر إسلامها أو إسلامه، وأما تنجيز الفرقة أو مراعاة العدة، فلا نعلم أن رسول الله ﷺ قضىٰ بواحدة منهما مع كثرة من أسلم في عهده من الرجال وأزواجهن وقرب إسلام أحد الزوجين من الآخر وبعده منه. . . ثم قال رحمه الله: وجواب من أجاب بتجديد نكاح من أسلم في غاية البطلان ومن القول علىٰ رسول الله ﷺ بلا علم، واتفاق الزوجين علىٰ التلفظ بكلمة الإسلام معًا في لحظة واحدة معلوم الانتفاء. . . إلىٰ آخر ما ذكره رحمه الله.

وقول ابن القيم رحمه الله هو الذي نرتضيه، وقد رجحه الصنعاني رحمه الله.

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»[1]: وهذا كلام في غاية الحسن والمتانة، والله أعلم.

هذا، ولا يحل لرجل أسلم وزوجته باقية علىٰ شركها أن يبقيها معه، بل واجب عليه أن يطلقها إلا إذا كانت كتابية.

هذا وذاك لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.

ولقوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

وجمهور أهل العلم علىٰ أن آية المائدة مخصصة لآية البقرة، والله أعلم.

* * *

س: هل ثبت أن أحدًا من الصحابة طلق أمرأته لبقائها على الشرك؟

ج: نعم ثبت ذلك، فقد طلق عمر امرأتين له لبقائهما علىٰ الشرك،

---

(١) نيل الأوطار (٦/ ١٦٤).

ففي الصحيح[١] من حديث المسور بن مخرمة ومروان، في قصة صلح الحديبية . . . وفيه: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ . . .﴾ حتىٰ بلغ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرىٰ: صفوان بن أمية.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، وطالبوا أيها الأزواج المسلمون، يا من تركتهم نساؤهم وذهبن إلىٰ أهل الشرك، طالبوا أهل الشرك بالصداق الذي دفعتموه إلىٰ النسوة، اللواتي تركنكم وذهبن للمشركين، وكذلك فليطالب أهل الشرك الذين تركتهم أزواجهم وأتين إليكم، فليطالبوا بالصداق الذي دفعوه للأزواج اللواتي أتين إليكم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ يقول تعالىٰ ذِكْرُه لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلىٰ مكة من كفار قريش: واسئلوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين، ما أنفقتم علىٰ أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوّجهن منهم، وليسألكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تَزَوّجن فيكم من تزوّجها منكم ما أنفقوا عليهنّ من الصداق.

---

(٢) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار - إن ذهبن - وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

* * *

س: أمر الله عزَّ وجل بإعطاء من ذهبت زوجته إلى المشركين الصداق الذي دفعوه إليهن، فمن أي صنوف المال يُعطى الزوج هذا المال؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن هذا العطاء للزوج يكون من الصداق الذي يفترض أن يُدفع لأهل الشرك، إذا لم يدفع أهل الشرك صداق المسلمين إليهم، بمعنى لو أتتنا عشر نسوة مؤمنات يُفترض أننا نرد الصداق إلى أزواجهن، وإذا ذهبت مثلاً خمس نسوة لأزواج مؤمنين، ذهبت هؤلاء النسوة الخمس إلى المشركين، فيفترض أن يرد إلينا المشركون صداق النسوة الخمس اللواتي ذهبن إليهم، فإذا لم يردوا لنا ذلك اقتطعناه من صداق المشركين الذي يُفترض أن ندفعه إليهم.

هذا هو القول الأول، أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن الزهري قال: أقرَّ المؤمنون بحكم اللَّه، وأدَّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى

(١) الطبري (٣٣٩٩٤).

المشركين، ردّ المؤمنون إلىٰ زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أُمروا أن يردّوه علىٰ المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلىٰ المشركين فضلاً، إن كان بقي لهم، والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن هذا العطاء الذي يعطاه الأزواج يعطىٰ لهم من الغنيمة.

خرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] قال:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ كن إذا فررن من أصحاب النبيّ ﷺ إلىٰ الكفار ليس بينهم وبين نبيّ الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله ﷺ غنيمة، أعطي زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يقتسمون غنيمتهم.

أما الطبري رحمه الله فذهب إلى التعميم،فقال:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصَواب أن يقال: أمر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلىٰ أهل الكفر إذا هم كانت لهم علىٰ أهل الكفر عُقْبىٰ، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا علىٰ الفارّة منهم إليهم، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها.

* * *

(١) الطبري (أثر ٣٤٠٠٠).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: إن لحقت امرأةٌ مؤمنةٌ بالكفار ـ الذين ليس بينكم وبينهم عهد ـ ولها زوج مسلمٌ فغنمتم غنيمة من الغنائم فأعطوا هذا الزوج من الغنيمة مثل نفقته عليها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ قال مجاهد، وقتادة: هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئًا، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها.

وقال السمعاني رحمه الله:

أي إن التحقت واحدةٌ من أزواجكم إلى الكفار، يعني النساء ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي غنمتم، قال القتيبي: معناه كانت لكم عقبى خير في الغنيمة والظفرة، وقرئ ﴿فعقبتم﴾ وهو بذلك المعنى أيضًا.

وقوله: ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ أي: مثل الذي أعطوا من المهر، ومعنى الآية: أن امرآة المسلم إذا التحقت بالمشركين ولم يردوا المهر، وظفر المسلمون بهم وغنموا، يردون من الغنيمة التي أخذوا مهر الزوج الذي أعطاه.

* * *

س: اذكر بعض النسوة المبايعات؟

ج: منهنَّ فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، فعند الإمام أحمد في «المسند» بسند صحيح، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها: ﴿أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ﴾ الآية، قال: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقرِّي أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذًا، فبايعها، بالآية.

ومن هؤلاء أميمة بنت رقيقة، وقد تقدم حديثها في ذلك.

* * *

س: لماذا قيل ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ فوصفن بالإيمان ثم قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ فوصفهن بالإيمان لنطقهن بالشهادتين، أما قوله ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي ظهر لكم بعد الامتحان صدقهن في دعوى الإيمان. والله أعلم.

* * *

س: هل تجوز مصافحة النساء عند البيعة؟

ج: لا تجوز مصافحة الرجال للنساء، لا في البيعة ولا في غيرها.

فعند البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (مع الفتح ٨/ ٦٣٦).

النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «**قد بايعتك**» كلامًا، ولا والله ما مسَّت يَدُه يَد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**».

وعند مالك في الموطأ وأحمد في «المسند» والترمذي[1] وغيرهم، من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوةٍ بايعنه علىٰ الإسلام فقلن: يا رسول الله! نبايعك علىٰ أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نَزْنِي ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعتُنَّ وأطقتُنَّ**»، قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسِنَا، هلم نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة ـ أو مثل قولي لامرأة واحدة**».

وعند الطبراني[2]: بسندٍ حسن من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**لأن يُطعن في رأس أحدِكم بمخيط من حديد خير له من أن يَمَسَّ امرأة لا تحل له**».

* * *

س: متى أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة على النساء؟

ج: أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة علىٰ النساء يوم العيد، ففي «الصحيح»[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدتُ الصلاةَ

(١) مالك في «الموطأ» (ص٩٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، والترمذي (١٥٩٧).
(٢) الطبراني (٢٠/ ٢١١).
(٣) البخاري (حديث ٤٨٩٥).

يومَ الفطرِ معَ رسولِ الله ﷺ، وأبي بكر وعمرَ وعثمان رضي الله عنهم، فكلهم يُصلِّيها قبلَ الخطبة ثمَّ يخطب بعدُ، فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظرُ إليه حينَ يُجلِّس الرِّجالَ بيده، ثم أقبلَ يَشُقُّهم حتىٰ أتىٰ النساء معَ بلال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتىٰ فرغ من الآية كلّها، ثم قال حين فرغ: «**أنتُنَّ على ذلك؟**» وقالت امرأة واحدة لم يجبهُ غيرها: نعم يا رسول الله.

ولا يمتنع أن يكون أخذ مثل تلك البيعة في مواطن أُخر كذلك، والله أعلم.

وأخذ النبي ذلك أيضًا عند دخول بعضهم في الإسلام، ففي «مسند» الإمام أحمد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال[1]: جاءت أميمة بنت رقيقة إلىٰ رسول الله ﷺ تبايعه علىٰ الإسلام، فقال: «**أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى**».

* * *

س: هل ورد أن النبي ﷺ أخذ نحو هذه البيعة على الرجال؟

ج: نعم قد ورد نحو ذلك، ففي «الصحيحين»[2] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ**

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٦) وسنده حسن.

(٢) البخاري حديث (١٨)، ومسلم (حديث ١٧٠٩).

تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدينا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.

* * *

س: ما صورة قتل الأولاد المنهي عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

* * *

س: هل يجوز لامرأةٍ أن تأخذ من مال زوجها بغير إذنه وهو لا يعلم؟

ج: لا يجوز لها ذلك، فقد قال النبي ﷺ[1]: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا...» الحديث.

ولقول النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ جداً، أما إذا شحَّ الزوج على زوجه فلم

(١) مسلم (ص١٣٣٩).

يُعطها ما يكفيها وولدها كما يُفعل بنظرائها فلها أن تأخذ ما يكفيها وولدها بالمعروف.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! والله! ما كان علىٰ ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يذلهم الله من أهل خبائك، وما علىٰ ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يعزهم الله من أهل خبائك، فقال النبي ﷺ: «**وأيضًا، والذي نفسي بيده!**» ثم قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل ممسك، فهل عليَّ حرج أن أنفق علىٰ عياله من ماله بغير إذنه؟ فقال النبي ﷺ: «**لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف**».

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم: لا يعصينك في أمرٍ تأمرهن به، وكل ما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ فهو معروف، والقيد بالمعروف هنا للبيان، قال بعض العلماء: ولا مفهوم له؛ لأن كل ما يأمر به ﷺ فهو معروف.

وقال كثيرٌ من أهل العلم: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ لا يَنُحْنَ.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم النياحة؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي مالك الأشعري أن النبيَّ ﷺ قال: «**أربعٌ في أمتي من أمْرِ الجاهليةِ لا يتركونهن: الفَخْرُ في الأحساب والطعنُ في**

(١) مسلم (حديث ٩٣٤).

الأنْساب والاستسقاء بالنجوم والنياحةُ» وقال: **«النائحةُ إذا لم تتبْ قبلَ مَوْتها تُقام يوم القيامةِ وعليها سِرْبال من قطران ودرعٌ[١] من جَرَب»**.

وعند مسلم[٢] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة قلتُ غريبٌ وفي أرضِ غربة[٣] لأبكين بُكاءً يُتحدث عنه، فكنتُ قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقْبَلَت امرأةٌ مِنَ الصَّعِيد تُريد أن تُسعدني[٤] فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: **«أتريدين أن تُدْخلي الشيطانَ بيتًا أخْرَجَهُ الله منه؟»** مرتين، فكففتُ عن البكاءِ فلم أبك.

* * *

س: لماذ أُعيد النهي عن موالاة الكفار في قوله تعالى: ﴿لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وقد قال تعالى في أول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ؟

ج: أعيد ذلك لتأكيد النهي عن الموالاة وقطعها.

ومن العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نهي عن موالاة اليهود، أما الآية الأولى: ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فنهي عن موالاة الكفار عموماً، والله أعلم.

* * *

(١) الدرع هو القميص.

(٢) مسلم (حديث ٩٢٢).

(٣) تعني أنه من أهل مكة ومات بالمدينة.

(٤) تسعدني أي: تساعدني في البكاء، أو تجاملني ببكائها معي.

س: إذا قلتم: إن المراد بقوله تعالى: ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، فكيف يوصفون بأنهم ﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾، مع أن اليهود يقرون بالبعث لقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾؟

ج: المراد بقوله: ﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ على هذا التأويل هو: اليأس من ثواب الله في الآخرة[1]، لعلمهم وتيقنهم بكذبهم وافترائهم.

قال السمعاني رحمه الله:

وقوله: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ أي: يئسوا من البعث بعد الموت، وهذا في المشركين ظاهر؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ وكذلك في المنافقين ظاهر، وأما إذا حملنا على اليهود، فالمراد من الآية هم اليهود الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ، ويعلمون أنه نبي الله، وينكرون نبوته حسداً وبغيًا، ومعنى إياسهم من الآخرة هو اليأس من الثواب؛ لأنهم إذا عرفوا الحق وأنكروه متعنتين عرفوا حقيقة أنهم في النار في الآخرة، وقيل: إن المعنى على هذا القول هو أن اليهود كانوا يقولون: ليس في الجنة أكل ولا شرب ولا استمتاع، فمعنى اليأس هو يأسهم عن هذه النعم لمكان اعتقادهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾؟

ح: في ذلك وجهان:

---

(١) وعزا القول للجمهور ابن الجوزي في «زاد المسير»، فقال: والمعنى: قد يئسوا من ثواب الآخرة. هذا قول الجمهور وهو الصحيح.

أحدهما: أن الكفار الذين هم أصحاب القبور، أي الكفار الذين قد ماتوا وأصبحوا من أصحاب القبور، قد يئسوا من الرجوع إلىٰ الدنيا ومن استدراك ما قد فاتهم.

الثاني: أن الكفار الأحياء قد يئسوا من رجوع الأموات ـ الذين هم أصحاب القبور ـ إليهم مرة ثانيةً بعد موتهم.

قال السمعاني رحمه الله تعالى:

وقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما يئس الكفار من أصحاب القبور عن إصابتهم الثواب، ووصولهم إلىٰ الجنة؛ لأنهم عاينوا الأمر، وعرفوا أنهم أهل النار قطعًا.

والقول الثاني: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أنهم لا يعودون إليهم، فعلىٰ القول الأول المراد من الكفار هم الكفار الذين ماتوا، وعلىٰ القول الثاني: المراد من الكفار هم الأحياء منهم، والله أعلم.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ
مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

اذكر معنى ما يلي:

(سبَّح للَّه ـ كَبُر ـ مقتًا ـ في سبيله ـ صفًا ـ مرصوص).

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــا
سبَّح للَّه	نزَّه اللَّه ـ مجَّد اللَّه وعظَّمه
كَبُر	عَظُمَ
مقتًا	بغضًا[1] (والمقت أشدُ البغض).
في سبيله	في طريقه ودينه لإعلاء كلمته[2].
صفًا	مصطفين، وقيل المراد متحدين على قلب رجل واحد.
مرصوص	متلاصق بعضه في بعض ـ متساوي ـ متلاحم بالرصاص لشدة قوته ـ مثبت لا يزول.

(١) والمعنى أن اللَّه يبغض من يقول ولا يعمل.

(٢) وفي الحديث: «من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه».

س: هل صح لهذه الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه الدارمي وأحمد[1]، وهو عند الدارمي من طريق محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ: فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أيَّ الأعمال أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ لعملناه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا﴾ حتىٰ ختمها، قال عبد اللَّه: فقرأها علينا رسول اللَّه ﷺ حتىٰ ختمها. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام قال يحيىٰ: فقرأها علينا أبو سلمة وقرأها علينا يحيىٰ وقرأها علينا الأوزاعي وقرأها علينا محمد.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: لِمَ تتمنون معرفة أعمالٍ تقربكم إلىٰ الله فإذا عرفتموها قصرتم في عملها، وذلك أن أُناسًا تمنوا معرفة أفضل العمل، فلما عرفوه قصروا في فعله، بل لم يفعلوه.

الثاني: لِمَ تقولون فعلنا كذا وكذا علىٰ سبيل الافتخار وطلب الثناء وأنتم لم تفعلوا ذلك، وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

الثالث: أن الآية في قوم من أهل النفاق شهدوا أن لا إله إلا الله بألسنتهم

---

(١) أحمد (٥/ ٤٥٢) والدارمي (٢/ ٢٠٠).

ووعدوا المسلمين النصرة والمؤازرة، فلما جَدَّ الجد تخلوا عنهم وتركوهم، كما صنعوا على سبيل المثال يوم أحد من رجوعهم بين يدي القتال وتخلفهم عن رسول الله ﷺ.

الرابع: أن هذا إنكارٌ عام على كل من خالف قوله فعله وفعلُه قولَه.

الخامس: إنه إنكار عام على من قال قولاً لم يعمل به، أو وعد وعداً لم يفِ به. والله تعالى أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

وقول شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

وقد قدمنا مزيداً في سورة البقرة فارجع إليه.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على إثبات صفة المحبة لله عزَّ وجل.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿واللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

ومن الأحاديث قول رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني أحب فلانًا فأحبه**»، وقد تقدم.

وفي «صحيح» مسلم[1] من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد[2] الله له، على مدرجته[3]، ملكًا، فلمَّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه**

(١) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٢) أرصد: أي أقعده يرقبه.

(٣) مدرجته: أي طريقه.

القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

* * *

س: هل يلزم الاصطفاف عند القتال في كل الأحوال؟

ج: قد لا يحتاج الأمر إلى اصطفاف الصفوف، بل طبيعة المعارك وما فيها من الكرِّ والفرِّ والإقبال والإدبار، والميمنة والميسرة، والطلائع والوسط والمؤخرات، كل هذه أمور لا تتفق مع الاصطفاف، ومن ثمَّ فقد يُحمل في كثيرٍ من الأحيان قوله تعالى: ﴿صفا﴾ على اتحاد الكلمة واجتماع الرأي ومن ثمَّ:

قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته لـ «أضواء البيان»:

اختلف علماء التفسير في المراد بالبنيان المرصوص، فنقل بعضهم عن الفراء: أنه المتلاحم بالرصاص، لشدة قوته، والجمهور، أنه المتلاصق المتراص المتساوي.

والواقع أن المراد بالتشبيه هنا هو وجه الشبه، ولا يصح أن يكون هنا هو شكل البناء لا في تلاحمه بالرصاص، وعدم انفكاكه، ولا تساويه وتراصه، لأن ذلك يتنافى وطبيعة الكر والفر في أرض المعركة، ولكل وقعة نظامها حسب موقعها.

والذي يظهر والله تعالى أعلم: أن وجه الشبه المراد هنا هو عموم القوة والوحدة.

قال الزمخشري: يجوز أن يريد استواء بنائهم في الثبات، حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. اهـ.

ويدل لهذا الآتي:

أولا: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فالمقاعد هنا هي المواقع للجماعات من الجيش، وهي التعبئة حسب ظروف الموقعة، كما فعل ﷺ في وضع الرماة في غزوة أحد حماية لظهورهم من التفاف العدو بهم لطبيعة المكان، وكما فعل في غزوة بدر ورصهم وسواهم بقضيب في يده أيضًا لطبيعة المكان.

وهكذا، فلابد في كل وقعة من مراعاة موقعها، بل وظروف السلاح والمقاتلة.

وقد ذكر صاحب «الجمان في تشبيهات القرآن» أجزاء الجيش وتقسيماته بصفة عامة من قلب وميمنة وميسرة وأجنحة، ونحو ذلك، فيكون وجه الشبه هو الارتباط المعنوي والشعور بالمسئولية والإحساس بالواجب، كما فعل الحباب بن المنذر في غزوة بدر حين نظر إلىٰ منزل المسلمين من الموقع فلم يرقه، وسأل رسول الله ﷺ، وأجابه فأبدىٰ خطة جديدة فأخذ بها ﷺ وغيَّر الموقع من مكان المعركة.

وثانيًا: قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فذكر تعالىٰ من عوامل النصر: الثبات عند اللقاء، وذكر الله والطاعة، والامتثال، والحفاظ عليها بعدم التنازع والصبر عند الحملة والمجالدة، فتكون حملة رجل واحد، وكلها داخلة تحت معنىٰ البنيان المرصوص في

قوته وحمايته وثباته، وقد عاب تعالىٰ علىٰ اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالىٰ: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾، وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدتهم كأنهم بنيان مرصوص.

وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله ﷺ: «**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

فهو يبين المراد من وجه الشبه في البنيان المرصوص هنا، وقد أُثر عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قوله لأصحابه: الزموا الطاعة فإنها حصن المحارب.

وعن أكثم بن صيفي: أقلُّوا الخلاف علىٰ أمرائكم، وإن المسلمين اليوم لأحوج ما يكونون إلىٰ الالتزام بهذا التوجيه القرآني الكريم، . إزاء قضيتهم العامة مع عدوهم المشترك، ولا سيما، وقد مرَّ العالم الإسلامي بعدة تجارب في تاريخهم الطويل، كان لهم منها أوضح العبر، ولهم في هذا المنهج القرآني أكبر موجب لاسترجاع حقوقهم والحفاظ علىٰ كيانهم، فضلا عن أنه العمل الذي يحبه الله من عباده، وبالله تعالىٰ التوفيق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، كأنهم في اصطفافهم وتساويهم واجتماع كلمتهم كالبنيان القوي المتماسك المستوي الذي صُفَّ بعضه إلىٰ بعض واجتمع بعضه إلىٰ بعض.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ يقول: يقاتلون في سبيل الله صفًا مصطفًا، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبينة قد رصَّ، فأحكم

وأتقن، فلا يغادر منه شيئًا، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص.

وأورد الطبري رحمه الله[1] بإسناد حسن عن قتادة:

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحبّ أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفِّهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به.

* * *

(١) الطبري (٣٤٠٥٠).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى
وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ
لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ
تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً
فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ
كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۚ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت
طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

اذكر معنى ما يلي:

(زاغوا ـ أزاغ ـ إسرائيل ـ مصدقًا لما بين يدي ـ التوراة ـ البينات ـ ومن أظلم ـ افترى ـ يُدعى إلى الإسلام ـ نور اللَّه ـ الهدى ـ دين الحق ـ ليظهره ـ الدين كله ـ عدن ـ الحواريون ـ ظاهرين).

ج:

الكلمة	معناها
زاغوا	مالوا ـ حادوا ـ جاروا عن قصد السبيل.
أزاغ	أمال ـ صرف عن الحق.
إسرائيل	يعقوب عليه السلام
مصدقًا لما بين يدي	مصدقًا للتوراة التي سبقتني وتقدمتني، وأخبرت بقدومي ووصفتني، وذكرت ما معي، فمجيئي تصديق لها، وأيضًا فأنا أُخبر بالأخبار التي فيها، فأنا أصدقها بما أخبر من أخبار فيها، وهي تصدقني لكونها أخبرت بقدومي.
البينات	الدلالات على نبوته وصدقه، ومنها الإنجيل، ومنها كلامه في المهد، ومنها إبراء الأكمه والأبرص وإحياءالموتى بإذن اللَّه، ومنها كونه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن اللَّه، ومنها إخباره بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم.
التوراة	الكتاب الذي أنزله اللَّه على موسى عليه السلام.
ومن أظلم	ومن أشد ظلمًا.

الكلمة	معناها
افترى	اختلق
يُدعى إلى الإسلام	يُنسب إلى الإسلام - يدعوه غيره إلى الإسلام - يدَّعي الإسلام .
نور اللَّه	القرآن - الإسلام[1] .
الهدى	العلم النافع - القرآن
دين الحق	الملة الحقة وهي الإسلام - الدين الذي لم يُحرف ، ولم يُدخل فيه غيره .
ليظهره	ليرفعه ويجعل له الغلبة .
الدين كله	الأديان كلها .
عدن	إقامة دائمة
الحواريون	الأصفياء ، والخُلَّص من أصحاب عيسى عليه السلام ، وأول من آمن به منهم .
ظاهرين	غالبين - قاهرين - منتصرين بالحجج والبراهين .

(١) وفي ذلك أقوال أُخر ذكرها القرطبي رحمه اللَّه :
منها : أنه محمد ﷺ يريدون إهلاكه بالأراجيف .
ومنها : حُجج اللَّه ودلائله يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم .
وقيل : إنه مثلٌ مضروب لما أراد أن يطفئ نور الشمس بفيه فوجده مستحيلاً ممتنعًا .

س: ما فائدة التذكير بموسى عليه السلام؟

ج: في هذا التذكير تسليةٌ لرسول الله ﷺ حتى يصبر كصبر موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

* * *

س: ما وجه التذكير بقوله: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم لأن الرسول من حقه التكريم والإجلال والتعظيم والتوقير واستماع أوامره وابتدار أحكامه. وكذا فأذيته تجلب أعظم الآثام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

س: مَنْ المعنيون بقوم موسى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾؟

ج: قوم موسى هم بنو إسرائيل.

* * *

س: اذكر بعض صور الأذى الذي أُوذي به موسى ﷺ؟

ج: من صور ذلك ما يلي:

إيذاؤهم له لكونه كان حييّاً ولا يغتسل عريانًا معهم، فوصفوه بأنه آدر، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ وقد أخرج البخاري[1] من حديث أبي

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٤)، وبنحوه عند مسلم (حديث ٣٣٩) بسياق قريب.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسىَ كان رجلا حييًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيءٌ استحياء منهُ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدره، وإما آفة. وإن الله أرادأن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلاَ يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاهُ وطلب الحجر فجعلَ يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسنَ ما خلق الله وأبرأه مما يقولون: وقامَ الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًايَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.

ومن ذلك: تكذيبهم له، ومخالفتهم أوامره، وتعنتهم في سؤاله، فنذكر من صور ذلك قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

* وتبديلهم أمرالله ثم أمرنبيهم لما قال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فدخلوا يزحفون علي استاهم، وبدلا من أن يقولوا حطة قالوا: حبة في شعرة، وقالوا: حنطة.

ومن ذلك: عبادتهم العجل، وقولهم: ﴿هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾.

ومن ذلك: أيضًا قولهم لما أتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم: ﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.

ومن ذلك: قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

من ذلك: إلصاقهم التهم به ـ كما في بعض الموقوفات والإسرائيليات أنهم اتهموه بقتل هارون، وقذفوه أيضًا بامرأة بغيٍّ.

وفي الجملة: فصور إيذائهم له لا تكاد تُحصى، ومن ثمَّ فقد كان النبي ﷺ يقول لما أوذي: «**رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

* * *

س: لماذا قيل: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ ولم يُقل: (وأنتم تعلمون)؟

ج: ذلك، والله أعلم، للتأكيد، أي وأنتم تعلمون علمًا يقينيًا.

* * *

س: سلوك طريق الكفر والتكذيب يؤدي إلى شقاء صاحبه وحلول مزيد من الزيغ به. دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

*قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾.

* وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾.

*وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

*وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ؟

ج: المعنى، والله أعلم، والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين خرجوا عن الإسلام، واختاروا طريق الكفر على طريق الإسلام ماداموا قائمين على فسقهم وعنادهم.

قال السعدي رحمه الله:

﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، ليس لهم قصد في الهدى، وهذه الآية الكريمة، تفيد أن إضلال الله لعبيده، ليس ظلمًا منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك، بالإضلال والزيغ، وتقليب القلوب، عقوبة لهم وعدلا منه بهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

* * *

س: كيف قيل: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وقد هدى الله قومًا من الفاسقين؟

ج: الجواب من وجهين.

أحدهما: والله لا يهدي القوم الذين سبق في علم الله أنهم سيموتون على الفسق، أي الذين سبقت لهم الشقاوة.

الثاني: والله لا يهدي القوم الفاسقين ما داموا قائمين على فسقهم، والله أعلم.

* * *

س: هل (أحمد) من أسماء رسول الله ﷺ؟

ج: نعم، أحمد من أسماء رسول الله ﷺ، ففي «الصحيحين»[١] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ لي أسماءَ، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشرُ الذي يحشرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقبُ»**[٢].

* * *

س: لماذا ذكر الرسول ﷺ باسم أحمد، وضح معنى أحمد ومحمد؟

ج: ذكر الرسول ﷺ باسم أحمد لكون أحمد من أسمائه ﷺ، ثم إن الله سماه به أيضًا، ولا مانع من تعدد أسماء الشخص.

وقد سماه الله أيضًا بمحمد فقال تعالى: ﴿**محمد رسول الله...**﴾.

وقال بعض العلماء: لأن اسم النبي ﷺ في الإنجيل أحمد، وقال غيرهم: لأنه أحمد الناس لربه.

قال السمعاني رحمه الله في تفسيره:

وأما معنى اسم أحمد على وجهين:

أحدهما: لأن الناس حمدوه في فعاله.

الثاني: لأنه كان يحمد الله كثيرًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

و«أحمد» اسم نبيّنا ﷺ، وهو اسم عَلَمٍ منقول من صفة لا من فعل؛

---

(١) البخاري (حديث ٤٨٩٦) ومسلم حديث (٢٣٥٤).

(٢) العاقب: الذي ليس بعده نبيٌّ.

فتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل، فمعنىٰ «أحمد» أي أحْمَدُ الحامدين لربِّه، والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبيُّنا أحمدُ أكثرهم حمداً.

وأما محمد فمنقول من صفة أيضًا، وهي في معنىٰ محمود؛ ولكن فيه معنىٰ المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي حُمِد مَرّةً بعد مرةً، كما أن المُكَرَّم من الكرم مرة بعد مرة، وكذلك الممدَّح ونحو ذلك، فاسم محمد مطابق لمعناه.

والله سبحانه سمّاه قبل أن يُسَمِّيَ به نفسه، فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوّته، إذ كان اسمه صادقًا عليه؛ فهو محمود في الدنيا لما هدىٰ إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنىٰ الحمد كما يقتضي اللفظ.

ثم إنه لم يكن مُحَمَّدًا حتىٰ كان أحمد، حَمِد ربَّه فَنبّأه وشرّفه، فلذلك تقدّم اسم أحمد علىٰ الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسىٰ عليه السلام.

فقال: «اسْمُهُ أحْمَدُ» وذكره موسىٰ عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد، فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد؛ لأن حَمْدَه لربّه كان قبل حمد الناس له، فلما وُجد وبعث كان محمد بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه، ثم يشفع فيحمد علىٰ شفاعته، وروي أن النبي ﷺ قال: **«اسمي في التوراة أحيد؛ لأني أحيد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي؛ محا الله بي عَبَدة الأوثان واسمي في الإنجيل أحمد، واسمي في القرآن محمد؛ لأني محمود في أهل السماء والأرض»**، وفي «الصحيح»: **«لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قَدَمي وأنا العاقب»**.

* * *

س: ما مدى صحة حديث: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أن نوراً خرج منها أضاءت له بُصرى»؟

ج: هذا الحديث يصح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الطبري والحاكم[1] من طريق ابن إسحاق قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب النبي ﷺ.

وله طرقٌ انظرها في مسند أحمد، والطبري وغيرهما.

* * *

س: الذين قالوا ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قالوه لمن؟

ج: من العلماء من قال: إنهم قالوا ذلك لعيسىٰ عليه السلام ومنهم من قال إنهم قالوا ذلك لأحمد عليه السلام، (وهو رسول الله ﷺ) ولا مانع من أن يكونوا قالوه لعيسىٰ وللنبي محمد ﷺ.

فقد قال تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

* * *

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ ونحوها من الآيات؟

ج: الجمع من وجهين:

أحدهما: أن الكل في الظلم سواء (في الدرجة العليا منه).

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٠)، وانظر الطبري (٢٠٧٥، ٢٠٧٦، ٢٠٧٧، ٢٠٧٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٢).

الثـاني: أن ينزل على الاختصاص، فالمعنى ليس من الكذابين المفترين أظلم ممن افترى على الله الكذب، وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، والله أعلم.

* * *

س: ما هذا الكذب الذي افتروه على الله عزَّ وجل؟

ج: هذا الكذب المفترى هو دعواهم الشريك لله عزَّ وجل، وقولهم: اتخذ الله ولدًا، وقولهم: اتخذ الله صاحبة، وكذا وصفهم آيات القرآن بأنها سحرٌ، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ﴾؟

ج: هذا، والله أعلم تعجبٌ من كُفر من كفر. واتضحت له الآيات وظهرت له البينات، ودُعي للدخول في الإسلام، ومع ذلك يفتري على الله الكذب، ويصف آيات الله بأنها سحرٌ وكهانة، وجعل لله أندادًا وشركاء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، يريدون إبطال الحق الذي بُعث به النبي ﷺ وذلك بقولهم ساحر، وشاعر، ومجنون، وكذا بوصف الآيات بأنها سحرٌ، وأساطير الأولين اكتتبت.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ؟

ج: المعنى، والله أعلم، والله مظهر دينه ومُعلي كلمته وناصرٌ نبيه ﷺ، وناصر أولياءه.

* * *

س: ما المراد بظهور هذا الدين؟

ج: المراد بظهور هذا الدين غلبته على ما سواه.

وقد غلب، وما زال غالبًا بالحجة والبيان.

ومن الظهور أيضًا انتصاره في زمن نبينا ﷺ على ما سواه.

ومن ذلك أيضًا ظهوره حين نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ أي محمداً بالحق والرشاد، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي بالحجج، ومن الظهور الغلبَّةُ باليد في القتال، وليس المراد بالظهور ألا يبقى دين آخر من الأديان، بل المراد يكون أهل الإسلام عالين غالبين، ومن الإظهار ألاّ يبقى دين سوى الإسلام في آخر الزمان، قال مجاهد: وذلك إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلاّ دين الإسلام، وقال أبو هريرة: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بخروج عيسى، وحينئذ لا يبقى كافر إلا أسلم، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لينزلنّ ابن مريم حكَمًا عادلاً، فَلَيَكْسِرَنّ الصليب وَلَيَقْتُلَنْ الخنزير وَلَيَضَعَنّ الجزْيَةَ، وَلَتُتْرَكنّ القلاص فلا يُسْعَى عليها، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ والتّباغُضُ والتّحاسُد، وَلَيَدْعُونَّ إلى المال فلا يَقْبَلُهُ أحدٌ**».

* * *

س: متى هذا الظهور لهذا الدين على الأديان كلها؟

ج: من العلماء من قال: إن ذلك كان زمن النبي ﷺ وزمن خلفائه الراشدين المهديين رضي الله عنهم.

ومن أهل العلم من قال: إن ذلك زمن نزول نبي الله عيسىٰ عليه السلام. وحين تصير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام؛ ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد[1] بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لعَلاَّت[2]، أمهاتهم شتىٰ، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لَم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليبَ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزيةَ، ويدعو الناسَ إلى الإسلام، فيُهلك الله في زمانه الملَلَ كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيحَ الدجال، وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسودُ مع الإبل، والنِّمار مع البقرِ، والذئابُ مع الغنمِ، ويلعب الصبيانُ بالحياتِ لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون**».

* * *

س: كيف قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ...﴾ ثم قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ فيكف قيل لهم: تؤمنون بالله وقد خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا؟

ج: للعلماء علىٰ ذلك أجوبة:

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/٤٠٦) وأبو داود (٢٣٢٤) مختصرًا، والطبري في «التفسير» (١٠٨٣٠).

(٢) هم الأخوة لأب، وأمهاتهم شتىٰ، يعني أن أصل دينهم واحد وشرائعهم متنوعة.

أحدها: أن المراد الثبات على الإيمان والإخلاص، بل الازدياد من ذلك.

الثاني: تخلصون في جهادكم عدوكم، وتبتغون بذلك مرضاة ربكم، وتصدقون بوعده ووعيده تصديقًا أشد وأعظم.

هذا، وقد تقدمت أجوبة على سؤال مشابه لذلك في تفسيرنا لسورة النساء، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا....﴾ فارجع إليه هنالك.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وأزيدكم زيادةً أُخرى تحبونها، ألا وهي: نصرٌ من الله وفتح عاجل قريب.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله في تفسيره في إيضاح ذلك:

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ أي: بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على تنفيذه على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه، من العلم، ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه، ومن نصر دين الله، تَعَلُّمُ كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* * *

س: لماذا قال عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أليس الله بكاف عبده؟

ج: بلىٰ، فالله تبارك وتعالىٰ كاف عبده، ولكن قوله ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من باب الأخذ بالأسباب، هذا من ناحية، وقد عُلم أن الأنفس تطمئن أيضًا بالأسباب الظاهرة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

وقال الحواريون لعيسىٰ عليه السلام: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

فهذا سبب من أسباب الطمأنينه.

وثَم وجه آخر، وهو اتخاذ شهداء من هؤلاء، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

* * *

س: هل قال رسول الله ﷺ نحو مقالة عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾؟

ج: نعم قد قال رسول الله ﷺ نحو هذه المقالة، فقد قال: «من يؤويني، من ينصرني حتى أُبلغ رسالات ربي عزَّ وجل وله الجنة»[1].

س: من حواري النبي ﷺ؟

ج: حواري رسول الله ﷺ هو الزبير. ففي «الصحيحين»[2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حواريٌّ وحواريّ الزبير».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، فقوَّينا الذين آمنوا بعيسى عليه السلام من بني إسرائيل على من كفر به منهم، وذلك ببعثة النبي محمد ﷺ، فكان في مبعث النبي ﷺ تعزيزٌ لهم ودفاع عنهم وتصديقٌ لقولهم وإظهار لحججهم، فأصبحوا غالبين لعدوهم بالحجة، وأصبحوا أيضًا غالبين لعدوهم بالسنان.

وهذا هو اختيار الطبري رحمه الله تعالى، فقال رحمه الله:

وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ يقول: فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم، الذين كفروا منهم بمحمد ﷺ

---

(١) ذلك في حديث طويل أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٩) بسندٍ حسنٍ.

(٢) البخاري (حديث ٤١١٣) ومسلم (٢٤١٤).

بتصديقه إياهم أن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال: هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالىٰ ذكره، فأصبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين علىٰ عدوهم الكافرين منهم.

وأورد الطبري[1] بإسناد صحيح:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أراد الله أن يرفع عيسىٰ إلىٰ السماء خرج إلىٰ أصحابه، وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء؛ قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يلقىٰ عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنًا، قال: فقال: أنا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، قال: نعم، أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسىٰ، ورُفع عيسىٰ من روْزنة في البيت إلىٰ السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه، فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، فتفرقوا ثلاث فرق:

فقالت فرقة: كان الله فينا ماشاء، ثم صعد إلىٰ السماء، وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون.

---

(٢) الطبري (٣٤٠٦٦).

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن
قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو
ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا
كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ
ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ
ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ
ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا
قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ
وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ
لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ
وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

اذكر معنى ما يلي:

(القدوس ـ الأميين ـ يتلو ـ آياته ـ يزكيهم ـ الكتاب ـ الحكمة ـ ضلال ـ مبين ـ لما يلحقوا بهم ـ حُمِّلوا ـ لم يحملوها ـ أسفاراً ـ لا يهدي ـ الذين هادوا ـ بما قدمت أيديهم ـ الشهادة ـ نودي للصلاة ـ فاسعوا ـ ذكر اللَّه ـ ذروا ـ فضل اللَّه ـ لهواً).

ج:

الكلمة	معناها
القدوس	الطاهر من كل ما يضيفه إليه المشركون مما ليس من صفاته، وقيل أيضاً: القدوس المبارك.
الأميين	العرب كلهم، من قرأ منهم ومن لم يقرأ. قالوا: وأطلق عليهم أميون لكونهم ليس لهم كتاب[1]، وقيل الأميون الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، وهم العرب أيضاً؛ فإن أغلبهم كان لا يقرأ ولا يكتب[2]. قال بعض العلماء: سمي أمياً نسبةً إلى أمه يوم ولدته لا يعرف القراءة ولا الكتابة.
يتلو	يقرأ.

(١) أي: ليس لهم كتاب كالتوراة والإنجيل.

(٢) وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّا أُمة أمية لا نقرأ ولا نكتب»، ومما يدل على أن الأميين هم العرب قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة...﴾ إلى قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك...﴾ وقال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾.

الكلمة	معناها
آياته	آيات القرآن .
يزكيهم	يطهرهم .
الكتاب	القرآن .
الحكمة	السنة ـ الفقه في الدين ـ الإصابة في القول والعمل .
ضلال	جَوْر ـ بُعد عن الطريق المستقيم ـ ذهابٌ عن الحق .
مبين	مُظهرٌ لجهلهم ـ مبين لمن تأمله وتدبره .
لما يلحقوا بهم	لم يجيئوا ، وسيجيئون بعد ـ لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم .
حُمِّلوا	كلفوا العمل بها .
لم يحملوها	لم يعملوا بما فيها .
أسفارًا	كتبًا كبيرة .
لا يهدي	لا يوفق .
الذين هادوا	اليهود .
بما قدمت أيديهم	بما اكتسبوا من الآثام ، وبما اقترفوا من السيئات .
الشهادة	ما شوهد فظهر للأعين ولم يغب عن أبصار الناظرين .
نودي للصلاة	أذن للصلاة .
فاسعوا	فامضوا ـ فاذهبوا ـ والمراد بالسعي : العمل .
ذكر اللَّه	الصلاة ـ الخطبة والموعظة .
ذروا	اتركوا
فضل اللَّه	رزق اللَّه ـ تجارة .
لهوًا	طبلاً ـ وقيل المزامير .

س: هل ورد أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة؟

ج: نعم قد صح ذلك عند مسلم[١] من حديثِ ابن عباس رضي الله عنهما قال: . . . وأن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين[٢].

* * *

س: لماذا خُصَّ الأميون بالذكر؟

ج: خُص الأميون بالذكر؛ لأن المنة عليهم أعظم وأبلغ.

* * *

س: مَن الرسول المشار إليه بقوله تعالى: ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾؟

ج: هذا الرسول هو محمد ﷺ.

* * *

س: اذكر دليلاً على أن النبي ﷺ كان أُمِّيًا؟

ج: الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ...﴾

* * *

س: هل رسول الله ﷺ بُعِث للأميين فقط؟

ج: بُعث رسول الله ﷺ للناس كافة.

---

(١) مسلم (حديث ٨٧٩).

(٢) قد كان النبي ﷺ يقرأ بغيرهما أيضًا.

* قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾.

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾.

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «وبعثت للناس كافة».

* * *

س: ما وجه الامتنان بكون الرَّسُول ﷺ بُعث أمِّيًّا؟

ج: وجه الامتنان بذلك من وجوه ذكرها العلماء:

أحدها: لنفي التهم والظنون عنه ﷺ وقد قال تعالىٰ: ﴿ **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** ﴾ فقد كانوا يتهمون رسول الله ﷺ، بأنه يتلقىٰ القرآن من رجلٍ أعجمي، كما حكىٰ الله عنهم ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ وكان آخرون يقولون: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ فلنفي ذلك عن النبي ﷺ بُعث أمِّيًّا.

الثاني: لكون العرب في الجملة كانوا أميين، فإذا جاء الرسول أميًا مثلهم كان ذلك أدعىٰ لقبول قوله، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾.

فمشاكلة حال الرسول ﷺ لأحوال قومه أدعىٰ لموافقتهم له واتباعهم له.

الثالث: لموافقة ما أخبرت به الكتب السابقة، فقد أخبرت الكتب السابقة بأن النبي ﷺ سيكون أمِّيًا، فمجيئه أميًا تصديقٌ له، كما قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

* * *

س: لماذا خُفضت ﴿آخَرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ ولم يُقل: «وآخرون»؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لأنها معطوفة على الأميين، أي: بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم.

* * *

س: من الذين عناهم الله عزَّ وجل بقوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾؟

ج: قيل: الآخرون هم العجم ـ ومنهم سلمان الفارسي رضي الله عنه ـ وفي هذا حديث عن رسول الله ﷺ، ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا عندَ النبيِّ ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قلت: مَن هم يا رسول الله؟ فلم يُراجعْه حتى سأل ثلاثًا ـ وفينا سَلمانُ الفارسيُّ ـ وضعَ رسولُ الله ﷺ يدهُ على سلمان ثمَّ قال: «لو كان الإيمانُ عند الثُّريّا لنالهُ رجالٌ ـ أو رجلٌ ـ من هؤلاء».

وقيل: هم التابعيون الذين يأتون بعد الصحابة.

وقيل: هم جميع من دخل الإسلام إلى يوم القيامة.

وقيل: هم الأطفال.

---

(١) البخاري (حديث ٤٨٩٧)، ومسلم (حديث ٢٥٤٦).

أما الطبري رحمه الله تعالى فاختار تعميم القول، فقال:

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس، لأن الله عزَّ وجل عمّ بقوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعًا دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله.

* * *

س: إلى ماذا أُشير بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ ؟

ج: ذلك - والله أعلم - إشارة إلى النبوة التي منَّ الله بها على نبيه محمد ﷺ وعلى العرب إذ بعث فيهم رسولاً منه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: لشرفٌ لك ولقومك.

وأيضًا: ذلك فضل الله على الآخرين منهم الذين لم يلحقوا.

وذلك الانقياد ودخول الناس في الإسلام فضل الله يؤتيه من يشاء.

وذلك أيضًا فضلٌ من الله على عموم المؤمنين، ودليله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب وفي آخرين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضّل به على هؤلاء دون

غيرهم، ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحق الذمّ ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقًا كان له قبله، ولا ظلمه في صرفه عنه إلىٰ غيره، ولكنه علم من هو له فضل فأودعه إياه وجعله عنده.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾؟

ج: هذه طائفة من أقوال أهل العلم لإيضاح هذا المثل:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارىٰ، فحملوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذّبوا بمحمد ﷺ وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل علىٰ ظهره كتبًا من كتب العلم لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا فيها علم فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها.

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:

لما ذكر تعالىٰ منَّته علىٰ هذه الأمة الذين بعث فهم النبي الأمي، وما خصهم الله من المزايا والمناقب التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية، الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتىٰ أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون، والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود والنصارىٰ، وأمرهم أن يتعلموها ويعملوا بها فلم يحملوها ولم

يقوموا بما حُمِّلُوا به؛ أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً من كتب العلم.

فهل يستفيد الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل تلحقه فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء أهل الكتاب، الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه، الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل، مطابق لأحوالهم.

وقال الشيخ عطية سالم في تتمته لـ«أضواء البيان»:

قال الشيخ[1] رحمة الله تعالىٰ علينا وعليه في إملائه: هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بما فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة: بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة علىٰ ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة، من العلوم النافعة؛ لأنهم كلفوا باتباع محمد ﷺ وإظهار صفاته للناس، فخانوا وحرَّفوا وبدلوا، فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم ا. هـ.

فأشار الشيخ رحمة الله تعالىٰ علينا وعليه، إلىٰ أن وجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد ﷺ، وقد أوضح الله تعالىٰ هذا في موضع آخر في قوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾

---

(١) المراد بالشيخ: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب «الأضواء».

فقد جحدوا رسالة محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلم ينفعهم علمهم به.

وهذه الآية أشد ما ينبغي الحذر منها، وخاصة لطلاب العلم وحملته، كما قال تعالىٰ: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أي تشبيههم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم طلبة العلم وحملته الذين لا يعملون بعلمهم؟ بل ويخالفون ما يعلمون؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله[1] ﷺ أنه قال: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥).

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل: ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد، فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار».

* * *

س: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، كيف ذلك وقد هدى الله أقوامًا من الكفار فدخلوا في الإسلام؟

ج: لذلك وجهان سبق ذكرهما مرارًا، وهما:

أحدهما: والله لا يوفق لإصابة الحق شخصًا مقيمًا على ظلمه .

الثاني: والله لا يوفق لإصابة الحق من كتبت عليه الشقاوة. والله أعلم.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

* * *

س: كيف زعموا أنهم أولياء لله؟

ج: ذلك بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

ج: إيضاحه فيما ذكره الطبري رحمه الله إذ قال:

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لليهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ﴾ سواكم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قيلكم إنكم أولياء لله من دون الناس، فإن الله لا يعذب أولياءه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلىٰ روح الجنان ونعيمها بالموت.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم علىٰ هدىً، وأن محمداً وأصحابه علىٰ ضلالة، فادعوا بالموت علىٰ الضال من الفئتين ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وقد قدمنا في سورة «البقرة» الكلام علىٰ هذه المباهلة لليهود، حيث قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بالظَّالمينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وقد أسلفنا الكلام هناك، وبينا أن المراد أن يدعوا على الضال من أنفسهم أو خصومهم، كما تقدمت مباهلة النصارىٰ في «آل عمران»: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ومباهلة المشركين في سورة «مريم»: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالىٰ: ﴿أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ﴾.

* * *

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؟

ج: المخاطب هو كل مؤمن بالغ عاقل حرًا أو عبدًا صحيح مقيم.

قال الشيخ عطية سالم في لـ:«تتمته أضواء البيان»:

(مسألة) من المخاطب بالسعي هنا؟ أي: من الذي تجب عليه الجمعة تستهل الآية الكريمة بقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو نداء عام لكل مؤمن ذكر، وأنثىٰ، وحر وعبد، صحيح ومريض، فشمل كل مكلف علىٰ الإطلاق كقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَاسْعَوْا﴾ الواو فيه للجمع، وإن كانت للمذكر إلا أنها عائدة إلىٰ الموصول السابق وهو عام كما تقدم، فيكون طلب السعي متوجهًا إلىٰ كل مكلف، إلا ما أخرجه الدليل.

وقد أخرج الدليل من هذا العموم أصنافًا: منها: المتفق عليه، ومنها المختلف فيه.

فمن المتفق عليه: ما أخرج من عموم خطاب التكليف كالصغير والنائم والمجنون لحديث «**رفع القلم عن ثلاثة...**».

وما خرج من خصوص الجمعة، كالمرأة إجماعًا فلا حجة علىٰ النساء.

وكالمريض فلا حجة عليه اتفاقًا كذلك. وهو من يشق عليه أو يزيد مرضه، ومن يمرض تابع له، وقد اختلف في المسافر والمملوك، ومن في حكم المسافر وهم أهل البوادي قال القرطبي: قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمكلفين بإجماع، ويخرج منه المرضىٰ، والزمنىٰ، والعبيد، والنساء بالدليل، والعميان، والشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد عند أبي حنيفة.

* * *

س: لماذا أطلق على يوم الجمعة يوم الجمعة؟

ج: لأنها مشتقة من الجمع، والمسلمون يجتمعون فيها كل أسبوع.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على فرضية الجمعة.

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ

ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

*وقوله عليه الصلاة والسلام: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبعٌ: اليهود غداً، والنصارى بعد غد**[١]»

وقوله عليه الصلاة والسلام «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجُمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»[٢].

وقد نقل عددٌ من أهل العلم الإجماع على وجوبها[٣].

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل يوم الجمعة؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدُخل الجنة، وفيه أُخرج منها**»، وفي رواية عند مسلم: «**ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**».

وما أخرجه أحمد[٥] وأبو داود وغيرهما من حديث أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة؛ فإن صلاتكم**

(١) البخاري (حديث ٨٧٦)، ومسلم (حديث ٨٥٥).

(٢) مسلم (حديث ٨٦٥).

(٣) انظر «الإجماع» لابن المنذر، و«المغني» لابن قدامة وغيرهم.

(٤) مسلم (حديث ٨٥٤).

(٥) أحمد في «المسند» (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤) وغيرهما، وسنده صحيح.

معروضة عليّ» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرَمْتَ؟ يعني: وقد بَليت.. قال: «**إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم**».

وهذا حديثٌ آخر في هذا الباب.

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذَكَر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يُصلي يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه** ـ وأشار بيده يُقللها».

وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**» وفي رواية: «**المقضي بينهم**».

* * *

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من التهاون في صلاة الجمعة؟

ج: من ذلك ما تقدم ذكره[٣] من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**».

---

(١) البخاري (حديث ٩٣٥)، ومسلم (حديث ٨٥٢).

(٢) مسلم (حديث ٨٥٦).

(٣) مسلم (حديث ٨٦٥).

وفي «الصحيحين»[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يخطب قائما يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها، حتىٰ لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

* * *

س: هل من دليلٍ على أن المراد بالسعي هنا المشي؟

ج: نعم هناك ما يؤيد ذلك، ألا وهو قول رسول الله ﷺ: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وائتوها تمشون، عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»[٢].

وعند عبد الرزاق في «المصنف»[٣] من طريق ابن جريج قال قلت لعطاء: قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؟ قال: الذهاب المشي.

وذهب مالك في «الموطأ» إلىٰ أن المراد بالسعي العمل والفعل، قال مالك: وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، يقو ل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ وقال ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[٤].

وقال الطبري رحمه الله:

... وأصل السعي في هذا الموضع العمل.

---

(١) البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٩٠٨)، ومسلم (حديث ٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) «المصنف» (٥٣٤٧) وسنده صحيح.

(٤) «الموطأ» (١/ ١٠٧)، وقال مالك هنالك: فليس السَّعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي علىٰ الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنىٰ العمل والفعل.

وفي الباب آثار عدة منها:

ما أخرجه الطبري[١] بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ: «**إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله**».

وبإسنادٍ حسن[٢] عن قتادة قال: والسعي يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المُضيّ إليها.

وثمَّ آثار أُخر كثيرةٌ جدًا في الباب.

* * *

س: هل السعي عند النداء فقط؟

ج: كلا، بل هذا آخر وقتٍ للترخيص، فإذا أذن المؤذن أصبح الذهاب عزيمةً لا رخصة، أي يجب عليك أن تذهب، وأما التبكير ففيه من الفضل ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اغتسَلَ يومَ الجُمعة غُسلَ الجَنابةِ ثم راحَ فكأنَّما قرَّب بَدنةً، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّبَ كَبْشًا أقْرنَ، ومن راحَ في الساعة الرَّابعة فكأنما قرَّبَ دَجاجةً، ومن راحَ في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضةً، فإذا خرجَ الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكرَ**»[٣].

* * *

(١) «الطبري» (أثر ٣٤١٠٧).

(٢) «الطبري» (أثر ٣٤١٠٢).

(٣) «البخاري» (حديث ٨٨١)، ومسلم (حديث ٨٥٠).

س: اذكر بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها من أتى الجمعة؟

ج: يستحب له أن يغتسل، وأن يتطيب[١]، وأن يستاك، وأن يلبس من أحسن ثيابه، وأن يجتنب ما تتأذىٰ به الملائكة ويتأذىٰ به المصلون، ولا يُفرق بين اثنين، وأن يقترب من الإمام.

ومن الأدلة علىٰ ما ذُكر ما يلي:

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**غُسل يوم الجمعة على كل مُحتلم، وسواكٌ، ويمُس الطيبِ ما قَدَرَ عليه**»[٣].

وأخرج البخاري[٤] من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اغتسلَ يومَ الجُمعة وتطهر بما استطاع من طهر، ثم ادَّهن أو مس من طيب، ثم راح فلم يفرق بينَ اثنين فصلَّى ما كُتب له، ثمَّ إذا خرجَ الإمام أنْصَتَ، غُفِرَ له ما بَينهُ وبَينَ الجُمعةِ الأُخرى**».

وأخرج[٥] أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن: عمر بن الخطاب رأىٰ حلة سِتراء عند باب المسجد فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ: إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة: ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حُلَلٌ، فأعطىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها حلةً، فقال عمر: يا رسولَ الله، كسوتنيها

---

(١) أما المرأة فلا تتطيب عند شهودها الجمعة، وكذا المُحرم.

(٢) البخاري (حديث ٨٨٠)، ومسلم (حديث ٨٤٦).

(٣) وفي بعض الروايات «ولو من طيب المرأة».

(٤) البخاري (حديث ٩١٠).

(٥) البخاري (٨٨٦).

وقد قلت في حلَّةِ عُطارِد ما قلت: قال رسول الله ﷺ: إني لم أكسكها لتلبسها، فكساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخًا له بمكة مشركًا».

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرَّاث، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: «**منْ أكلَ منْ هذهِ الشجرةِ المنتنةِ فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تأذَّى ممَّا يتأذَّى منه الإنسُ**».

* * *

س: هل تصح الجمعة بلا خطبة؟

ج: نقل القرطبي عن جمهور العلماء أن الجمعة لا تصح بلا خطبة.

* * *

س: ما حكم البيع والشراء بعد الأذان الثاني[2] يوم الجمعة؟

ج: البيع والشراء بعد الأذان الثاني حرام، وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله اتفاق العلماء علىٰ تحريم البيع والشراء بعد الأذان الثاني.

* * *

س: إلى ماذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؟

ج: هذا إشارة إلىٰ السعي وترك البيع، ، فالمعنىٰ: سعيكم إذا نودي للصلاة ـ إلىٰ الصلاة وإلىٰ ذكر الله، وترككم البيع خيرٌ لكم.

* * *

(١) البخاري حديث (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

(٢) يعني: بعد صعود الإمام المنبر.

س: هل يجب الانتشار بعد صلاة الجمعة، إذ الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ ؟

ج: الظاهر أن هذا ليس بواجب، إنما الأمر في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ أمر إباحة، فبعد أن كان البيع محظوراً، وكذا الشراء، فقد أُبيحا، ورخِّص فيهما بعد الصلاة.

ومما يدل علىٰ ذلك قول النبي ﷺ: «**والملائكة تُصلي على أحدكم ما دام في مُصلاه ما لم يُحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة**[1]».

قال الطبري رحمه الله:

فإذا قضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصةٌ من الله لكم في ذلك.

وأورد عن عدد من أهل العلم قولهم: هي رخصة يعني: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾.

* * *

س: ما سبب نزول قول الله تعالي: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع النبيِّ ﷺ إذ أقبلت عيرٌ تحملُ طعامًا،

---

(١) البخاري (حديث ٦٥٩)، ومسلم (حديث ٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٩٣٦)، ومسلم (حديث ٨٦٣).

فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبيّ ﷺ قائمًا على المنبر، وينفضون إليها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

* * *

س: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ولماذا لم يقل: انفضوا إليهما؟

ج: لم يقل انفضوا إليهما لدلالة الآخر عليه، ولذلك نظائر متعددة في كتاب الله عزَّ وجل.

منها قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ولم يقل وإنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ولم يقل: آيتين.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ ولم يقل: وسرابيل تقيكم البرد.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولم يقل ولا ينفقونهما.

---

(١) الطبري أثر (٣٤١٤٥).

قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته لـ «أضواء البيان»:

في عود الضمير على التجارة وحدها مغايرة لذكر اللهو معها:

وقال الزمخشري: حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وذكر قراءة أخرى «انفضوا إليه» بعود الضمير إلى اللهو، وهذا توجيه قد يسوق لغة كما في قول نابغة ذبيان:

وقد أراني ونعما لاهيين بهـــا والدهر والعيش لم يهمم بإمرار

فذكر الدهر والعيش، وأعاد عليهما ضميراً منفرداً اكتفاءً بأحدهما عن الآخر للعلم به، وهو كما قال ابن مالك: وحذف ما يعلم جائز.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله لهذا نظائر في غير عود الضمير، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، فالتي تقي الحر تقي البرد، فاكتفى بذكر أحدهما لدلالته على الآخر، ولكن المقام هنا خلاف ذلك.

وقد قال الشيخ عن هذه الآية في «دفع إيهام الاضطراب»:

لا يخفى أن أصل مرجع الضمير هو الأحد الدائر بين التجارة واللهو، بدلالة لفظة «أو» على ذلك، ولكن الضمير رجع إلى التجارة وحدها دون اللهو، فبينه وبين مفسره بعض منافاة في الجملة، والجواب: أن التجارة أهم من اللهو وأقوى سبباً في الانفضاض عن النبي ﷺ؛ لأنهم انفضوا من أجل العير، واللهو كان من أجل قدومها، مع أن اللغة يجوز فيها رجوع الضمير لأحد المذكورين قبله، أما في العطف بـ «أو» فواضح، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾.

وأما الواو فهو فيها كثير كقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ

عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ا . هـ.

أي أن هذه الأمثلة كلها يُذكر فيها أمران، ويعود الضمير على واحد منهما.

وبناءً على جواب الشيخ رحمة الله تعالى عليه، يمكن القول بأن عود الضمير علي أحد المذكورين، إما لتساويهما في الماصدق، وإما لمعنى زائد فيما عاد عليه الضمير.

فمن المتساويين قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ لتساويهما في النهي والعصيان، ومما له معنى زائد قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ وإنها - أي الصلاة - لأنها أخص من عموم الصبر، ووجود الأخص يقتضي وجود الأعم دون العكس، ولأن الصلاة وسيلة للصبر، كما في الحديث: «كان ﷺ إذا حزبه أمر همّ فزع إلى الصلاة».

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا﴾، أي الفضة، لأن كنز الفضة أوفر، وكانزوها أكثر، فصورة الكنز حاصلة فيها بصفة أوسع، ولدى كثير من الناس، فكان توجيه الخطاب إليهم أولى.

ومن ناحية أخرى لما كانت الفضة من الناحية النقدية أقل قيمة، والذهب أعظم، كان في عود الضمير عليها تنبيه بالأدنى على الأعلى، فكأنه أشمل وأعم. وأشد تخويفًا لمن يكنزون الذهب.

أما الآية هنا، فإن التوجيه الذي وجهه الشيخ رحمة الله تعالى عليه لعود الضمير على التجارة، فإنه في السياق ما يدل عليه، وذلك في قوله تعالى بعدها: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ فذكر السببين المتقدمين لانفضاضهم عنه ﷺ، ثم عقبه بقوله تعالى، بالتذييل المشعر بأن التجارة هي

الأصل، بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ والرزق ثمرة التجارة، فكان هذا بيانًا قرآنيًا لعود الضمير هنا على التجارة دون اللهو، والعلم عند الله تعالى.

* * *

س: هل تجوز الخطبة جالسًا؟

ج: أما رسول الله ﷺ فلم أقف على أنه خطب جالسًا، بل في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويُذكِّر الناس.

وفي رواية أخرى أيضًا من طريق سماك ـ عند مسلم ـ قال: أنبأني جابر بن سمرة فقال إنَّ رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائمًا، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب، فقد ـ واللهِ ـ صليت معه أكثر من ألفي صلاةٍ.

وعند مسلم أيضًا[2] من طريق أبي عبيدة عن كعب بن عُجْرة؛ قال: دخل المسجد وعبد الرحمن ابن أم الحكم يخطب قاعدًا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة قائمًا ثم يجلس ثم يقوم، قال: كما يفعلون اليوم.

---

(١) مسلم (حديث ٨٦٢).

(٢) مسلم (حديث ٨٦٤).

(٣) البخاري (حديث ٩٢٠)، ومسلم (حديث ٨٦١).

لكن إذا دعت الحاجة إلى الخطبة جالسًا لمرضٍ ونحوه جازت الخطبة جالسًا، فالصلاة أعظم من الخطبة، والصلاة تجوز جالسًا لعذر، فكذا الخطبة من باب أولى.

أخرج البخاري[1] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**».

* * *

(١) البخاري (حديث ١١١٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ
هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ
رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى
ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا
رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ
أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

اذكر معنى ما يلي:

(نشهد ـ أيمانهم ـ جُنَّةً ـ فصدوا عن سبيل اللَّه ـ طُبع على قلوبهم ـ لا يفقهون ـ خُشُب مُسنَّدة ـ أنى يؤفكون ـ لوَّوْا رؤوسهم ـ يصدون ـ لا يهدي ـ الفاسقين ـ ينفضوا ـ الأعزُّ ـ العزة).

ج:

الكلمة	معناها
نشهد	نحلف.
أيمانهم	حلفهم.
جُنَّة	وقاية يتقون بها ـ سترة يستترون بها. والجنة: المجن الذي تتقىٰ به السيوف والنبال والسهام في الحرب.
فصدوا عن سبيل اللَّه	أعرضوا عن دين اللَّه وشرعه. صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم اللَّه عليهم (أي: عن قتلهم). صدوا الناس عن الدخول في الدين.
طُبع على قلوبهم	ختم عليها بالكفر ـ جعل عليها ختمًا، وغطَّاها عن الإيمان.
لا يفقهون	لا يتدبرون ـ لا يتفقهون.
خشب مُسنَّدة	الخُشب جمع خشبة، و«مُسندة» أي: مُسندة إلىٰ الحوائط، وقيل: مُسندة؛ لأنها قد تآكلت، فهي مُسندة بغيرها لا

الكلمـــة	معنـاهـــا
	يعلم ما في باطنها أحدٌ[1] .
أنى يؤفكون	إلىٰ أي وجهٍ يُصرفون عن الحق .
لوَّوا رؤوسهم	حركوها وهزوها استهزاءً برسول اللَّه ﷺ وباستغفاره .
يصدون	يعرضون (عن الاستغفار) .
لا يهدي	لا يوفق للإيمان .
الفاسقين	الخارجين عن الطاعة .
ينفضوا	يتفرقوا عنه .
الأعزُّ	الأشد والأقوىٰ .
العزة	الشدة والقوة .

(١) قال بعض العلماء: وُصفوا بالخشب المسندة لكونهم صوراً بلا أحلام، وأشباحًا بلا عقول، لا خير عندهم، ولا فقه لهم، ولا علم معهم.

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ...﴾؟

ج: أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت معي عمي فسمعتُ عبدَ الله بن أبيّ بن سلولَ يقول: لا تنفقوا على من عندَ رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمي، فذكره عمي للنبي ﷺ وصدقهم، فدعاني: فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا: وكذبني النبي ﷺ، فأصابني غمٌّ لم يصبني مثله قطُّ، فجلست في بيتي، وقال عمّي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك النبي ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، وأرسل إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأها وقال: «إنَّ الله قد صدَّقك».

* * *

س: هل قول: «أشهدُ بالله» تُعدُّ يمينًا؟

ج: نعم تُعَدُّ يمينًا، وقد نفى القرطبي الخلاف في ذلك، فقال لا خلاف أنها يمين.

* * *

س: لماذا كذّب الله عز وجل المنافقين مع أن خبرهم مطابق للواقع، فالذي قالوه ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بقولهم: كذبهم الله لكونهم لا

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٠٤)، وانظر «صحيح مسلم» (٢٧٧٢، ص٢١٤٠).

يعتقدون ذلك، فشهد الله على المنافقين بأنهم كاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون من قلوبهم إنك لرسول الله، والحقيقة أنهم كاذبون في هذا الادعاء؛ وذلك لأنهم لا يعتقدون ذلك ولايؤمنون به، فهم كاذبون في إخبارهم عن أنفسهم، وهم كاذبون لأنهم أظهروا غير الذي أضمروه .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: في شهادتهم التي زعموا أنها من صميم القلب، وخلوص الاعتقاد، لا في منطوق كلامهم، وهو الشهادة بالرسالة، فإنه حق، يعني أنهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم، من التأكيد الدال على أن شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص اعتقاد، وطمأنينة قلب، وموافقة باطن لظاهر، أو إنهم كاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: إنك لرسول الله كذب، وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.

* * *

س: لماذا كذبوا وقالوا قولاً غير الذي يضمرونه في صدورهم؟

ج:قال ذلك خوفًا من القتل واتقاءً للَّوم والتأنيب والمقاطعة والعتاب.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾؟

ج:المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أنهم أقسموا أيمانًا وعقَّدوها كي يُظهروا للناس إسلامهم وإيمانهم، حتى يدفعوا بهذه الأيمان عن أنفسهم القتل وعن نسائهم وذراريهم السبي والأسر وعن أموالهم المصادرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحَلَفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جليَّة أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدىٰ بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهم ضرر كبير علىٰ كثير من الناس، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

س: اذكر بعض أعمال المنافقين السيئة؟

ج: من ذلك ما يلي:

خداعهم - بزعمهم - لله وللمؤمنين؛ بإظهارهم الإسلام وإسرارهم الكفر.

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

* وكما قال تعالىٰ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

* وكذا قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

* تخلفهم عن الجهاد ونكولهم عنه، والمسلمون في أشد الاحتياج إلىٰ المعونة والنصر، كما صنعوا يوم أحد، وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾.

وقد قالوا يوم الأحزاب: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ وكما قالت طائفة منهم: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾.

وكقولهم: ﴿لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾.

وقولهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾.

وكقولهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾.

* * *

س: لماذا كانت أجسامهم تعجبه؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لحُسن صورهم واستواء خلقهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾؟

ج: المعنىٰ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ، أن أهل النفاق لجبنهم وخبث معتقدهم وسوء صنيعهم، يحسبون كل صيحة يصيح بها قوم أنها صيحة للانتقام منهم ولإنزال العذاب بهم ولقتلهم ولتشريدهم.

وقوله تعالىٰ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ فيها وجهان أحدهما أن أهل النفاق يحسبون كل صيحة إنما هي صيحة العدو الذي أتاهم ليدهمهم.

والوجه الثاني: أن قوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ تحذير للنبي ﷺ منهم، فالمعنىٰ: هؤلاء المنافقون هم أعداؤك الحقيقيون، فاحذرهم ولا تأمنهم، ولا تركن إليهم، ولا تخبرهم بسرِّك وأمورك.

وهذه بعض الأقوال في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون - من خُبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم - كلّ صيحة عليهم، لأنهم علىٰ وَجَل أن يُنْزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم، ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي علىٰ رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم، يقول جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ: هم العدوّ يا محمد فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي كل أهل صيحة عليهم هم العدو، فـ «هم العدو» في موضع المفعول الثاني؛ علىٰ أن الكلام لا ضمير فيه، يصفهم بالجُبْن والخَوَر، قال مقاتل والسُّدِّي: أي إذا نادىٰ منادٍ في العسكر أن انفلتت دابة أو أنشِدت ضالّة ظنوا أنهم المرادون؛ لما في قلوبهم من الرعب، كما قال الشاعر - وهو الأخطل:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تَكُرّ عليهمُ ورجالاً

وقيل: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ كلام ضميره فيه لا يفتقر إلىٰ ما بعد؛ وتقديره: يحسبون كلّ صيحة عليهم أنهم قد فُطن بهم وعُلم بنفاقهم، لأن للرِّيبة خوفًا، ثم استأنف الله خطاب نبيّه ﷺ فقال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وهذا معنىٰ قول الضحاك: وقيل: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم، وأن النبيّ ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبداً وَجِلون من أن ينزل الله فيهم أمراً يبيح به دماءهم، ويهتك به أستارهم، وفي هذا

المعنى قول الشاعر:

فلو أنها عَصْفُورةٌ لحَسِبتُها مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْدًا وأَزْنَمَا

بطن من بني يَرْبُوعَ.

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»: أي لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً تدعوها بين القبيلتين.

وقال السمعاني رحمه الله:

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: إذا سمعوا نداءً أو سمعوا من ينشد ضالة أو أي صوت كان، ظنوا أنهم المقصودون بذلك الصوت، وأن سرائرهم قد ظهرت للمسلمين، وهو وصف لجبنهم وخوفهم من المسلمين، وفي بعض التفاسير أن معناه: هو أن كل من سارَّ النبي ﷺ بشيء كانوا يظنون أن ذلك في أمرهم وشأنهم، وقيل: كان كلما نزلت آية أو سورة من الخوف أنها نزلت فيهم، قاله ابن جريج. وأنشدوا لجرير في الجبن:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

وقال غيره:

لقد خفت حتى لو تمر كمامةٌ لقلت عدوًا وطليعة معشر

* * *

س: قوله تعالى: ﴿هم العدو﴾ يفيد أن هؤلاء أشد عداوةً من غيرهم؛ فهل أهل النفاق أشد عداوة من الكفار؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بيانه أن هؤلاء المنافقين لكونهم يبطنون

الكفر ويظهرون الإسلام، فهم بهذا الصنيع خطرهم أشد وضررهم أعظم، فلزم التنبيه والتحذير، أما الكفار فعداوتهم ظاهرة، وأمرهم واضح.

* * *

س: تجويع الشعوب، واصطناع المجاعات أمرٌ يسلكه أهل الكفر لصرف الناس عن دينهم. دلِّل على ذلك مع شيءٍ من الإيضاح اليسير؟

ج: إيضاحه، والله تعالىٰ أعلم، أن شغل الناس بالتفكير في لقمة العيش والحصول عليها منهجٌ مسلوك من قبل لصرف الناس عن دينهم، ومستند ذلك قول أهل النفاق ـ يوصون بعضهم ـ: ﴿**لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾.

وهذا المسلك يسلكه الشيوعيون في زماننا لحمل الناس علىٰ التفكير في لقمة العيش.

* * *

س: لماذا لم يقتل رسول الله ﷺ المنافقين؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ حتىٰ لا يتحدث الناس أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه، وقد ورد هذا في صريح الحديث عن رسول الله ﷺ.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كنا في غزاة ـ وفي رواية: في جيش ـ فكسعَ رجل من المهاجرين رجلاً منَ الأنصار، فقال: الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية**»، قالوا: يا رسول

(١) البخاري (حديث ٤٩٠٥)، ومسلم (حديث ٢٥٨٤).

الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «**دعوها فإنها منتنة**».

فسمع بذلك عبد الله بن أُبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخرجَن الأعز منها الأذل.

فبلغ النبيَّ ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنقَ هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ: «**دعه، لايتحدثُ الناس أنَّ محمداً يقتلُ أصحابه**».

وكانت الأنصار أكثرَ من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إنّ المهاجرين كثروا بعدُ، قال سفيان: فحفظته من عمرو، قال عمرٌو: «سمعت جابراً: كنَّا مع النبيِّ ﷺ . . .».

* * *

س: ما المراد بخزائن السموات والأرض؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ عموم الخزائن في السموات والأرض.

كما قال تعالىٰ: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾.

فالمطر من خزائن السموات، والنبات من خزائن الأرض، وللعلم خزائن وللحكمة خزائن وكذا ففي الأرض المعادن والذهب والفضة، ولكل شيءٍ خزائن، وكل تلك الخزائن لله سبحانه وتعالىٰ، ينزل منها بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبيرٌ بصير.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ ومن يُلهه ماله وولده عن ذكر الله ﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ**

الْخَاسِرُونَ﴾ أي المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالىٰ؛ قال بنحوه الطبري رحمه الله.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تحث على المبادرة إلى العمل الصالح قبل الممات؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾.

* * *

س: ما وجه الاقتصار على التأخير في قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ مع أن الله لن يُقدم نفسًا عن أجلها أيضًا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لأن المقام هنا مقام طلب التأخير، فالقائل يقول: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

أما كون النفس لن تقدم أيضًا عن أجلها فمأخوذٌ من نصوص أخر كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ
ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ
كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟
وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن
يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ
أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟
وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ
أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

اذكر معنى ما يلي:

(أحسن صوركم ـ المصير ـ ذات الصدور ـ نبأ ـ وبال أمرهم ـ تولوا ـ استغنى اللَّه ـ حميد ـ زعم ـ لتبعثن ـ لتنبؤن ـ يسير ـ يوم التغابن ـ يكفر عنه سيئاته ـ بإذن اللَّه ـ يهدِ قلبه ـ توليتم ـ البلاغ المبين ـ فتنة ـ شح نفسه ـ قرضًا حسنًا ـ شكور ـ حليم ـ الغيب ـ الشهادة ـ العزيز ـ الحكيم).

ج:

الكلمة	معناها
أحسن صوركم	أحسن أشكالكم.
المصير	المرجع والمآب.
ذات الصدور	ما تكنه الصدور، وما تخفيه الأمور الملاصقة للصدور لا تفارقها.
نبأ	خبر.
وبال أمرهم	عاقبة كفرهم وتكذيبهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبات، وذاقوا وبال أمرهم، مسهم العذاب كجزاءٍ وعاقبةٍ لكفرهم.
تولوا	أعرضوا ـ انصرفوا عن الحق.
استغنى اللَّه	استغنى اللَّه بعزه ومُلكه وسلطانه عن عبادتهم له وعن طاعتهم[1].

(١) كما في الحديث القدسي: «لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا».

الكلمة	معناها
حميد	محمود عند جميعهم بجميل أياديه، وكريم فعاله.
زعم	ظن - والزعم هو القول بالظن.
لتبعثن	لتخرجن من قبوركم.
لتنبؤن	لتخبرن.
يسير	سهل.
يوم التغابن	يوم فيه يغبن المؤمنون الكافرين، ويغبن أهل الجنة أهل النار، وغبن فلانٌ فلانًا أي: أخذ منه الشيء بدون قيمته؛ وذلك أن لكل شخص مقعدين، مقعد في الجنة ومقعد في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ورث أهل الجنة المقاعد التي أعدت في الجنة لأهل النار لو كانوا أسلموا، وورث أهل النار المقاعد التي في النار. فغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم في الجنة، وترك منازل النار للكفار.
يكفر عنه سيئاته	يُغطي على ذنوبه وآثامه ولا يؤاخذه بها.
بإذن اللَّه	بقضاء اللَّه وتقدير اللَّه.
يهدِ قلبه	يقذف في قلبه اليقين فيعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.
توليتم	أعرضتم.
البلاغ المبين	البلاغ الواضح المظهر.
فتنة	بلاء واختبار.

الكلمـــة	معنـاهـــا
شح نفسه	هوىٰ نفسه، والشح: منتهىٰ البخل، والشح أخص من البخل، فالبخل: أن تضنَّ بمالك، والشح أن تضن بمال غيرك، وهذا وجه، وثمَّ وجوه أُخر.
قرضًا حسنًا	قرضًا حلالاً طيبًا ـ طيبة به النفس ـ خالصًا لوجه اللَّه.
شكور	ذو شكرٍ لأهل الإنفاق في سبيله، يحسن الجزاء لهم علىٰ ما أنفقوا في سبيله، ويحمد لهم إنفاقهم.
حليم	لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبات رغم كثرة ذنوبهم
الغيب	ما لا تراه العيون ـ ما يغيب عن الأبصار.
الشهادة	ما يُشاهد بالعيون.
العزيز	الذي لا يغالِب ولا يُمانع، الذي قهر جميع الأشياء.
الحكيم	الذي يضع كل شيءٍ في مكانه اللائق به ـ الذي يصنع كل شيء بحكمةٍ ولحكمة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ ؟

ج: المعنى - والله أعلم - له حمد كل ما فيها من خلق لأن الخير الذي هم فيه إنما هو منه وحده سبحانه وتعالى، ليس لهم رازقٌ سواه، وليس لهم خالقٌ سواه، وليس لهم شاف سواه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؟

ج: من معنى ذلك - والله أعلم - ما ذكره الطبري رحمه الله حيث قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على كل شيء قدير، ذو قدرة يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء، ويعزُّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، لا يتعذّر عليه شيء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم، منها ما يلي:

أولاً: إن الله خلقكم وقدَّر على فريقٍ منكم الكفر، وعلى فريق منكم الإيمان، ولابد من وجود هذا.

ويشهد لهذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وقول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناها النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناهما البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ويصدِّق ذلك الفرجُ ويكذبه**»[٣].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٤]: «**يا غلام! إني**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٥٥)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.
قال النووي رحمه الله نقلاً عن عياض: ويحتمل أن العجز هنا علىٰ ظاهره، وهو عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وتأخيره عن وقته.
قال: ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة، والكيس ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور، ومعناه: أن العاجز قد قُدِّر عجزه، والكيس قد قدر كيسه، والله أعلم.

(٣) الحديث بهذا اللفظ عند مسلم (ص٢٠٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وله لفظ آخر من حديث أبي هريرة أيضًا مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (حديث: ٢٦٥٧)، وفيه «إن الله كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنّىٰ وتشتهي، والفرج يُصدِّق ذلك أو يكذّبه».

(٤) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٦)، بإسناد يصح لشواهده، وقد ذكر شواهده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وقال الترمذي عقب إخراجه: هذا حديث حسن صحيح.

أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحفُ».

وقال النبي ﷺ: «.... **فوالله إن أحدكم ـ أو الرجل ـ ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باعٍ ـ أو ذراع ـ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع ـ أو ذراعين ـ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»**[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرةٌ. فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبتْ شقية أو سعيدة**» قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟! فقال: «**من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة**».

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤)، ومسلم (حديث٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه ـ (وفي رواية: يجمع خلقه) ـ أربعين يومًا، ثم علَقَة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع، برزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم . . . .» الحديث واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٤٨)، ومسلم (حديث ٢٦٤٧)، واللفظ لمسلم.

فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيسرٌ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾.

وأخرج مسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله، وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**».

وأخرج مسلم [٢]، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله! بَيِّنْ لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟

قال زهير [٣]: ثم تكلم أبو الزبير بشيءٍ لم أفهمه فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيسرٌ**».

واستدلوا أيضًا بما ورد عن النبي ﷺ: «**خلق الله فرعون في بطن أمه كافرًا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٦٤).

(٢) مسلم (٢٦٤٨).

(٣) زهير: هو أبو خيثمة أحد رواة الحديث عن أبي الزبير عن جابر.

وإلى هذا المعنى أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال: وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلابد من وجود مؤمن وكافر.

ثانيًا: المعنى: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه، ومنكم من يُصدِّق ويُوقن أن الله خلقه.

أي أنه سبحانه خلقكم، ثم إن منكم من كفر بخالقه ومنكم من آمن وصدق.

واستدل قائلوا هذه المقالة بقوله عليه السلام: «**كل مولود يولد على الفطرة**».

وفسروا الفطرة بأنها الإسلام[1]، وقالوا: ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ...﴾ الآية.

أي أنه خلقكم ثم كان مآلكم إلى أن مشى أحدكم على بطنه... قالوا: فالله خلقكم ثم إن منكم من آمن ومنكم من كفر.

ثالثًا: قال بعض العلماء: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب، ومنكم كافر بالكوكب مؤمن بالله.

رابعًا: قال بعض أهل العلم: هو الذي خلقكم فمنكم كافر في حياته مؤمن عند مماته، ومنكم مؤمن في حياته كافر عند الممات.

وأرجح الأقوال عندي في ذلك، والله أعلم، هو القول الأول لكثرة الأدلة عليه، والله أعلم.

* * *

(١) ومما يرد على هذا المعنى قول النبي ﷺ: «الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا».

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ تذكير العباد باطلاع الله عليهم ومعرفته بإيمان المؤمن منهم وعمله الصالح، وكذلك علمه بكفر الكافر منهم وعمله السيِّئ.

فإذا علم هؤلاء وأولئك بأن أعمالهم معروضة على الله واصل المؤمنون عملهم الصالح، وانكف الكفار عن عملهم السيِّئ، إذا أراد الله لهم الهداية.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ خلق السموات والأرض حقًّا يقينًا لا ريب فيه وفي أنه خلقها، وقيل: خلقها بالحكمة، ولغاية مقصودة.

ووجه آخر: خلق السموات والأرض للحق، وهو أن يجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، وكيف أحسن صورهم؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وأحسن صورهم بأن جعلهم منتصبين غير منكبين، وجعل لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة، والله أعلم.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين علم الله بالسرائر والخفيات؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

وقول لقمان لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾.

والآيات في هذا الباب كثيرة متعددة.

* * *

س: من المعنيون بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن المعنيين بذلك كل الأمم الكافرة التي أهلكها الله قبل مبعث النبي ﷺ.

ومن العلماء من قال: إنهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ فهم إذن قوم نوحٍ وعاد وثمود والذين من بعدهم.

* * *

س: قوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ماذا؟

ج: إشارة - والله أعلم - إلىٰ الوبال والنكال والعذاب.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؟

ج: ذلك لبيان غنىٰ الله عن عبادة خلقه، وفي ذات الوقت حمده لمن استقام من خلقه، والله أعلم.

* * *

س: لماذا قيل ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، ولم يقل (يهدينا)؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأن البشر وإن كان بلفظ الواحد لكنه في معنىٰ الجمع.

* * *

س: أهل الكفر دائما يستنكرون إرسال رسولٍ من البشر؛ دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾.

وقوله تعالىٰ : ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ .

وقولهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ .

وقولهم : ﴿ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ .

وقولهم : ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾

وقولهم : ﴿ مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ .

وقولهم : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ .

* * *

س: أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على وقوع المعاد في ثلاث مواطن من كتابه الكريم، اذكر هذه المواطن؟

ج: أحد هذه المواطن قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ .

الثاني: قوله تعالىٰ : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ .

الثالث: قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ .

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على أن العبد يرى أعماله يوم القيامة؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

وقوله لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾.

وقول النبي ﷺ في النجوىٰ[1]:

«يُدنى المُؤْمنُ يَوْمَ القيَامَة منْ ربِّه عزَّ وَجلَّ، حتَّى يَضَعَ عَلَيْه كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبه، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ! أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى صَحيفَةَ حَسَنَاته، وأمَّا الكُفَّارُ وَ المُنَافِقُونَ فَيُنادَى بِهِمْ عَلَى رُؤوسِ الخَلائق: هَؤُلاءِ الَّذينَ كَذَبُوا عَلَى الله».

* * *

س: ما المراد بالنور في قوله تعالى: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾؟

ج: المراد به ـ والله أعلم ـ القرآن الذي أنزله الله علىٰ نبيه محمد ﷺ.

* * *

س: هل يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية، مع بعض الإيضاح للغبن؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغبن الفاحش لا يجوز؛ لكونه من أنواع الغش، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من غشنا فليس منا»، فعلىٰ سبيل المثال: علبة من التمر قيمتها عشرة جنيهات بيعت بألف جنيه، فهذا بلا شك

---

(١) البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨) واللفظ له.

غبن، وبيضة دجاج مثلاً قيمتها عشرة قروش بيعت ـ بلا سبب ولا امتيازات ـ بمائة جنيه، فهذا نوع من أنواع الغبن الذي يحمل غشًا، وهذا فيما أرىٰ، والله أعلم: لا يجوز.

قال القرطبي رحمه الله: قال ابن العربي:

استدل علماؤنا بقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ علىٰ أنه لا يجوز الغَبْن في المعاملة الدُّنْيَوية، لأن الله تعالىٰ خصّص التغابن بيوم القيامة فقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، وهذا الاختصاص يُفيد أنه لا غَبْن في الدنيا، فكل من اطلع علىٰ غَبْن في مَبيع فإنه مردود إذا زاد علىٰ الثلث.

واختاره البغداديون واحتجوا عليه بوجوه:

منها قوله ﷺ لحبَّان بن مُنْقِذ: «**إذا بايعت فقُلْ: لا خلاَبة، ولك الخيارُ ثلاثًا**» وهذا فيه نظر طويل بيّناه في مسائل الخلاف، نكتته أن الغَبْن في الدنيا ممنوع بإجماع في حكم الدين، إذ هو من باب الخداع المحرَّم شرعًا في كل ملّة، لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لأحد، فمضىٰ في البيوع، إذ لو حكمنا بردّه ما نفذ بيع أبدًا، لأنه لا يخلو منه، حتىٰ إذا كان كثيراً أمكن الاحتراز منه فوجب الردّ به.

والفرق بين القليل والكثير أصل في الشريعة معلوم، فقدّر علماؤنا الثلث لهذا الحدّ، إذ رأوه في الوصية وغيرها، ويكون معنىٰ الآية علىٰ هذا: ذلك يوم التغابن الجائز مطلقًا من غير تفصيل، أو ذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك أبدًا؛ لأن تغابن الدنيا يستدرك بوجهين، إما بردٍّ في بعض الأحوال، وإما بربح في بيعٍ آخر وسِلْعةٍ أخرىٰ، فأما مَنْ خَسِر الجنة فلا درك له أبدًا.

* * *

س: المصائب التي تصيب العباد مُقدرةٌ ؛ دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

إلي غير ذلك من الأدلة.

* * *

س: ما فائدة الإخبار بأن المصائب مقدرة؟

ج: من ذلك ـ والله أعلم ـ حتى يطمئن قلب المؤمن ويعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، كما قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

وحتي لا يندم العبد، فالله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ ؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ ومن يصدق بالله وأنه قدر المقادير، وأن المصائب بإذنه، وكذا وجوه النفع بإذنه، يطمئن قلبه بذلك، ويهدأ باله لذلك.

وكذا من يصدق بثواب الله في الآخرة، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، كما في حديث رسول الله ﷺ[1]: **«عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ أي يصدق ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله، ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للصبر والرضا، وقيل: يُثَبِّته على الإيمان.

وقال أبو عثمان الجيزي: من صح إيمانه يهد الله قلبه لاتباع السُّنة، وقيل: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ عند المصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، قاله ابن جبير.

وقال ابن عباس: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقال الكَلْبيّ: هو إذا ابْتُلِيَ صَبَر، وإذا أُنْعِمَ عليه شَكَر، وإذا ظُلم غَفر، وقيل: يَهْدِ قلبه إلى نيل الثواب في الجنة.

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٩).

س: هل هناك ارتباط في المعنى بين قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾ الآية، وبين الآية التي تلتها، وهي ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؟

ج: الربط ظاهر - فيما يبدو لي، والله أعلم - وذلك أن الآية الأولى حملت تذكيراً بأن المصائب قدرها الله سبحانه وتعالى، فإذا حلت بشخص مصيبة فلا ينبغي أن يتسخط قضاء الله وقدره، ويعترض على أمر ربه، فيقول: يا رب لما أصبتني بكذا؟ أو يقول: ما دام ربي قد أصابني بالمصيبة فلن أصلي له ولن أشكره، فلذا جاء الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى، وطاعة رسوله ﷺ حتى في أوقات المصائب والمحن والشدائد، والتحذير من الإعراض عن الطاعة، والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ خبرٌ ما المراد منه؟

ج: المراد منه - والله أعلم - الأمر والطلب، فالمعنى وحدوا الله واعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف على سبب نزول صحيح لهذه الآية الكريمة.

وقد أخرج الطبري[1]: بإسناد فيه ضعف من طريق سماك عن

---

(١) الطبري (أثر ٣٤١٩٨).

عكرمة[١] عن ابن عباس قال: سأله رجل عن هذه الآية ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبىٰ أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ، فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ﴾ الآية.

وفي رواية أخرى: عن ابن عباس[٢] بسندٍ أضعف من الذي تقدم، قال: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلىٰ المدينة تمنعه زوجته وولده، ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك، فقال الله: إنهم عدّو لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا، وامضُوا لشأنكم، فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنع وثُبط مرّ بأهله وأقسم ـ والقسم يمين ـ لبفعلنّ وليعاقبنّ أهله في ذلك، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

س: هل الأزواج والأولاد عداوتهم ظاهرة؟

ج: في الغالب أن عداوتهم ليست ظاهرة، إنما يفعلون فعل العدو، فيجلبون الضرر كما يجلبه العدو، فأيُّ ضررٍ أعظم من الضرر في الدين.

* * *

(٢) رواية سماك عن عكرمة فيها ضعف.

(٣) الطبري(٣٤٢٠٠).

(١) «المصنف» (حديث ١٢٢٣٧).

س: فيم تتمثل عداوة الأزواج والأولاد؟

ج: تتمثل في أمورٍ، منها:

* أن الشخص قد يُشغل بهم عن طاعة الله عزَّ وجل وعن شهود الجُمع والجماعات.

* وأنهم قد يُبخلونه ويمنعونه من أداء ما أوجبه الله عليه من النفقات، وما استحبه الله له منها أيضًا.

* وأنهم قد يُجبنونه (أي يحملونه على الجبن) خشية عليهم وشفقةً بهم وحبًّا لهم، فيتخلف عن الجهاد في سبيل الله وعن قول كلمة الحق، حيث يحتاج الأمر إلى بيانها.

* أو أنهم قد يحملونه على قطع الأرحام وعقوق الوالدين.

* وقد يحملونه أيضًا على الكسب المحرم لإشباع رغباتهم وتحصيل مرادهم وإمضاء شهواتهم.

* وكذا يصدونهم عن الهجرة في سبيل الله.

* * *

س: وضح المراد بالعفو والصفح في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره الطبري رحمه الله تعالى حيث قال:

وقوله: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ يقول: وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسلام والهجرة، وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها.

* * *

س: ثبت أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ في موطن من المواطن؛ فأيُّ موطن قرأ فيه النبي ﷺ هذه الآية؟

ج: هذا الخبر والموطن الذي قرأها فيه رسول الله ﷺ أخرج ابن أبي شيبة[1] في «مصنفه» بسند حسن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «**صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر**» ثم أخذ في خطبته.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله: ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ التحريض على عدم الافتتان بالأموال والأولاد، فمن أنفق الأموال في طاعة الله، ومن ضبط أمره مع أولاده على ما يحبه الله فله أجر عظيم، فليصبر طلبًا لهذا الأجر، ولا يُصرف عن الحق، أما الأجر العظيم، فالمراد به ـ والله أعلم ـ الجنة وما فيها من النعيم المقيم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: والله عنده ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عزّ وجل،

---

(١) المصنف (حديث ١٢٢٣٧).

وأديتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهي الجنة.

* * *

س: اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ؟

ج: في معنى ذلك قول النبي ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**».

* * *

س: كيف توفق بين قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ؟

ج: ذهب قتادة رحمه الله تعالى، مع طائفة من أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

فقد أخرج الطبري[1] بسندٍ حسن عن قتادة قال:

هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وحقُّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفَّف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ فبما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطعتم.

أما الطبري رحمه الله فقال:

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا

---

(١) «الطبري» (٣٤٢١٢).

الموضع، وليس في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ دلالة واضحة على أنه لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ناسخ، إذ كان محتملاً قوله اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله ﷺ، فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب استعمالهما جميعًا على ما يحتملان من وجوه الصحة.

وقال القرطبي رحمه الله:

فإن قيل: فإذا كانت هذه الآية محكمة[1] غير منسوخة فما وجه قوله في سورة «التغابن»: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؟ وكيف يجوز اجتماع الأمر باتقاء الله حقّ تقاته، والأمر باتقائه ما استطعنا، والأمر باتقائه حقّ تُقاته إيجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل بشرط، والأمر باتقائه ما استطعنا أمرٌ باتقائه موصولاً بشرط؟

قيل له: قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بمعزل مما دل عليه قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وإنما عنى بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه، فيما جُعل فتنة لكم من أموالكم، وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم، وتصدّكم عن الواجب لله عليكم، من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، فتتركوا الهجرة ما استطعتم - بمعنى وأنتم للهجرة مستطيعون.

وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان عَذَر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٩٧].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾.

فأخبر أنه قد عفا عمن لا يستطيع حيلةً ولا يهتدي سبيلاً بالإقامة في دار الشرك؛ فكذلك معنىٰ قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ في الهجرة من دار الشرك إلىٰ دار الإسلام، أن تتركوها بفتنة أموالكم وأولادكم، ومما يدل علىٰ صحة هذا أن قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ عقيب قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾؟

ج: لذلك ارتباط بأول الآية، فأول الآية الكريمة: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾، فقوله: ﴿شَكُورٌ﴾؛ أي أنه سبحانه مع مضاعفته لكم يشكر لكم هذا الصنيع أيضًا.

وقوله ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعاجلكم بالعقوبة علىٰ ذنوبكم التي اقترفتموها.

وثمَّ وجه آخر؛ وهو أن للختام ارتباط بما تقدم في بعض الآيات المتقدمة المتعلقة بالحذر من الافتتان بالأهل والأبناء.

أشار إليه الشيخ عطية سالم في تتمته لـ «أضواء البيان» حيث قال:

وقوله: ﴿حليم﴾ أي لايعجل بالعقوبة بل يستر ويتجاوز عن الذنوب، ومجيء هذا التذييل هنا يشعر بالتوجيه في بعض نواحي إصلاح الأسرة، وهو أن يقبل كل من الزوجين عمل الآخر بشكر، ويقابل كل إساءة بحلم ليتم معنىٰ حسن العشرة، ولأن الإنفاق يستحق المقابلة بالشكر والعداوة تقابل بالحلم.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟
ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا
يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن
يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ
لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ
ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن
نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ
وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل
لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ

حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ

أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ

﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ

مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ

فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا

وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا

يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا

يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ

أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

اذكر معنى ما يلي:

(فطلقوهن لعدتهن ـ أحصوا العدة ـ يتعد حدود اللَّه ـ بلغن أجلهن ـ ذوي عدل ـ أقيموا الشهادة للَّه ـ يرزقه من حيث لا يحتسب ـ حسبه ـ إن اللَّه بالغ أمره ـ قدرًا ـ يئسن من المحيض ـ إن ارتبتم ـ أولات الأحمال ـ يعظم له أجرًا ـ مِن وجدكم ـ أولات حمل ـ ائتمروا بينكم بمعروف ـ إن تعاسرتم ـ سعة ـ قُدر ـ آتاها ـ عتت ـ نُكرا ـ وبال أمرها ـ يا أولي الألباب ـ ذكرًا ـ مبينات ـ الظلمات ـ النور ـ يتنزل الأمر بينهن ـ أحاط بكل شيء علمًا).

ج:

الكلمة	معناها
فطلقوهن لعدتهن	طلقوهن في طهرٍ لم تجامعوهنَّ فيه[1] ـ طلقوهن لقُبُل عدتهن[2] .
أحصوا العدة	احفظوا وقت العدة وزمنها، واعرفوا ابتداءها وانتهاءها .

(١) أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه ﴿فطلقوهنَّ لعدتهنَّ﴾ قال: بالطهر في غير جماع.
وبإسناد صحيح أيضًا عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: في قُبُل عدتهنَّ.

(٢) وصحَّ ذلك عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عند النسائي في «السنن» (٦/ ١٣٩، ١٤٠).
* وأخرج عبد الرزاق (١٠٩٢٤) بسندٍ صحيح عن ابن المسيب قال: يُطلقها لِقُبل عدتها طاهرًا، وإن أحب تركها حتى تخلو عدتها، وإن شاء طلقها عند كل طهر تطليقة.
* وأخرج سعيد بن منصور في «سننه» (١/ ٢٦١) بسندٍ صحيح عن ابن سيرين قال: الطلاق للعدة أن يطلقها طاهرًا من غير جماعٍ أو حملٍ تبين. وثمَّ آثار أُخر في الباب.

الكلمـــة	معنـاهـــا
يتعد حدود اللَّه	يتجاوز الحدود التي حدَّها اللَّه لخلقه فيقع في المحرمات .
بلغن أجلهن	قاربن انقضاء العدة .
ذوي عدل	عدلان يرتضىٰ دينهما وترتضىٰ أمانتهما .
أقيموا الشهداة للَّه	إشهدوا بالحق إذا استُشهِدتم ، واجعلوا ذلك خالصًا للَّه .
يرزقه من حيث لا يحتسب	يأتيه بالرزق من حيث لا يدري ، ولا يشعر ، ولا يعلم ، ولا يأمل ، ولا يرجو .
حسبه	كافيه وحافظه .
إن اللَّه بالغ أمره	إن اللَّه بالغ أمره في كل حال ، سواء توكل عليه العبد أم لم يتوكل . والمعنىٰ أيضًا : إن اللَّه منجزٌ أمره .
قدرًا	أجلاً ـ منتهىٰ ـ حدًّا .
يئسن من المحيض	انقطع عنهنَّ الحيض ـ ارتفع ـ طمعهنَّ في المحيض فلا يرجون أن يحضن .
إن ارتبتم	إن شككتم .
أولات الأحمال	النسوة الحوامل .
يعظم له أجرًا	يعطيه عظيم الأجر ، وجزيل الثواب في الدنيا وهو الجنة والخلود فيها .
مِن وجدكم	من سعتكم[1] التي تجدون ـ من مقدرتكم .

(١) أخرج الطبراني (٣٤٣٢٧) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿أسكنوهنَّ من حيث سكنتم من وُجدِكُم﴾ قال : من مقدرتك حيث تقدر ، فإن كنت لا تجد شيئًا وكنت في مسكن ليس لك ، فجاء أمر أخرجك من المسكن ، وليس لك من مسكن تسكن فيه ، وليس تجد فذاك ، وإذا كان به قوة علىٰ الكراء فذاك وُجْدُهُ ، لا يخرجها من منزلها . وإذا لم يجد ، =

الكلمـــة	معنـاهـــا
أولات حمل	حوامل .
ائتمروا بينكم بمعروف	وليقبل بعضكم أمر بعض إذا أمره بالمعروف .
إن تعاسرتم	إن لم تتفقا ـ إن لم يتراض الوالدان على شيءٍ، ولم يتفقا على أجرة الرضاعة .
سعة	غنى .
قُدر	ضُيِّق .
آتاها	أعطاها .
عتت	عصت ـ تمردت ـ كفرت ـ غيَّرت
نُكرًا	عظيمًا منكرًا
وبال أمرها	عاقبة عملها السيِّئ، من الكفر والتكذيب، العذاب الذي أعقب أمرهم .
يا أولي الألباب	يا أصحاب العقول والأفهام المستقيمة .
ذكرًا	رسول اللَّه ﷺ ـ قرآنا .
مبينات	مظهرات موضحات لمن سمعها وتدبرها .
الظلمات	ظلمات الكفر .
النور	نور الإيمان والهداية .
يتنزل الأمر بينهن	يتنزل أمر اللَّه من السماء السابعة إلى الأرض السابعة .
قد أحاط بكل شيء علمًا	قد علم كل شيء .

= وقال صاحب المسكن : لا أنزل هذه في بيتي ، فلا ، وإذا كان يجد ، كان ذلك عليه .

س: لماذا خوطب النبي ﷺ بلفظ الجماعة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ولم يقل: إذا طلقت؟

ج: ذلك تشريفًا وتعظيمًا للنبي ﷺ وتكريمًا له.

* * *

س: الخطاب لرسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه فيما ذكره الشيخ عطيه سالم في تتمته لـ«أضواء البيان» حيث قال:

والواقع أن الخطاب الموجه للنبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

الأول: قد يتوجه الخطاب إليه ﷺ ولا يكون داخلاً فيه قطعًا، وإنما يراد به الأمة بلا خلاف، من ذلك قوله تعالى في بر الوالدين: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

فكل صيغ الخطاب هنا موجهة للنبي ﷺ، وهو قطعًا ليس مرادًا بذلك لعدم وجود والدَيْنِ، ولا أحدهما عند نزولها كما هو معلوم.

الثاني: أن يكون خاصًا به لا يدخل معه غيره قطعًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

والثالث: هو الشامل له ﷺ ولغيره، بدليل هذه الآية وأول السورة التي بعدها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، فهذا كله خطاب موجه له ﷺ.

وجاء بعدها مباشرة ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بخطاب الجميع ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فدل أن الآية داخلة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وهذا باتفاق.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على إباحة الطلاق؟

ج: من ذلك ما يلي:

قول الله عز وجل: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٤).

«أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أُم إسماعيل اتخذت منطقًا لتُعفِّي أثرها على سارة. . .» فذكر الحديث وفيه: «فجاء إبراهيم بعدما تزوَّج إسماعيل يُطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيأتهم فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهدٍ وشدة قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليكم السلام ويقول: غيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أُفارقك، الحقي بأهلك، فطلَّقها. . .» الحديث.

وقد ثبت أيضًا أن النبي ﷺ طلَّق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها[١].

* * *

س: هل يُكره الطلاق لغير حاجة؟

ج: نعم يكره الطلاق لغير حاجة، وذلك للأدلة التالية:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

وما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضعُ عرشه على الماء ثم يَبْعثُ سراياه فَأدناهم منه منزلةً أعظمهُمْ فتنةً، يجيءُ أَحَدُهُم فيقولُ: فعلت كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا. قال: ثم يجيء أحدُهُم فيقول: ما تركتُهُ حتى فرَّقت

(١) أبو داود (٢٢٨٣).
(٢) مسلم (حديث ٢١٦٧).

بينه وبين امرأته، قال: فيُدنيه منه ويقول: نِعْمَ أَنْتَ».

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ واللفظ للبخاري رحمه الله ـ عن النبي ﷺ قال: «... **واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خُلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**».

وفي لفظٍ للإمام مسلم رحمه الله: «**إن المرأة خُلقت من ضِلَع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها**»[٢].

وفي الباب حديث: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» لكنه ضعيف.

* * *

س: اذكر المعنى الإجماليّ لقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ ؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المراد بالآية الكريمة أن من أراد أن يطلِّق زوجته المدخول بها فليطلقها في طهر لم يجامعها فيه، وبهذا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ، قراءة قرأ بها الآية وهي: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ** ﴾ وهذا حديثٌ بذلك: أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عُمر بن الخطاب رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**مُره فليراجعها ثم ليمسكها**

---

(١) البخاري (حديث ٥١٨٥)، ومسلم (حديث ١٤٦٨).

(٢) مسلم (ص١٠٩١).

(٣) البخاري (حديث ٥٢٥١)، ومسلم (٣/ ٦٥٩، ٦٦٠).

حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر[١] ، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلَّق قبل أن يمسَّ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلَّق لها النساء».

* * *

س: هل صح عن أحدٍ من الصحابة أنه كان يقرأ: ﴿فطلقوهن لِقُبُلِ عِدتهن﴾؟

ج: نعم صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرج ذلك عبد الرزاق وسعيد بن منصور[٢] بسندٍ صحيح عنه.

* * *

س: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ على أن طلاق الثلاث دفعةً واحدة غير مشروع، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه فيما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في كتابه «إغاثة اللهفان» حيث أورد أدلةً للقائلين بأن طلاق الثلاث في دفعة واحدة غير مشروع، فقال:

قالوا ويدل عليه أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن

---

(١) هكذا في رواية نافع عن ابن عمر، أنه يمسكها حتىٰ تطهر من حيضتها التي طُلقت فيها، ثم تحيض مرة أخرىٰ ثم تطهر ثم يُطلِّق - إن بدا له - وهي طاهر طهراً لم يجامعها فيه.
وقد توبع نافع علىٰ هذه الرواية، تابعه سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه كما عند البخاري في «التفسير» مع «الفتح» (٨/ ٦٥٣)، ومسلم مع «النووي» (٣/ ٦٦٣).

(٢) عبد الرزاق «المصنف ٦/ ٣٠٣»، وسعيد بن منصور «السنن» (١٠٥٨)، والنسائي (٦/ ١٣٩، ١٤٠).

يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ و وجه الاستدلال بالآية من وجوه:

أحدها: أنه سبحانه إنما شرع أن تطلَّق لعدتها، أي: لاستقبال عِدَّتها. فتطلّق طلاقًا يعقبه شروعها في العدة، . ولهذا أمر النبي ﷺ عبد الله بن عمر لما طلق امرأته في حَيْضها أن يراجعها، وتلا هذه الآية تفسيراً للمراد بها، وأن المراد بها الطلاقُ في قُبُلِ العِدَّة، وكذلك كان يقرأها عبد الله بن عمر، ولهذا قال كل من قال بتحريم جمع الثلاث: إنه لا يجوز له أن يُرْدِف الطَّلْقة بأخرىٰ في ذلك الطُّهْر، لأنه غير مطلِّق لِلعدَّة، فإنّ العدة قد استُقْبِلت من حين الطلقة الأولىٰ، فلا تكون الثانية للعدة.

ثم قال الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، ومن وافقه: إذا أراد أن يطلقها ثانية طلقها بعد عَقْدٍ أو رَجْعةٍ، لأن العدة تنقطع بذلك، فإذا طلّقها بعد ذلك أخرىٰ طلقها للعدة.

وقال في رواية أخرىٰ عنه: له أن يطلقها الثانية في الطُّهْرِ الثاني ويطلقها الثالثة في الطهر الثالث وهو قول أبي حنيفة، فيكون مطلقًا للعدة أيضًا، لأنها تبنىٰ علىٰ ما مضىٰ، والصحيح هو الأول، وأنه ليس له أن يُردِف الطلاق قبل الرّجعة والعقد؛ لأن الطلاق الثاني لم يكن لاستقبال العدة، بل هو طلاق لغير العدَّة، فلا يكون مأذونًا فيه، فإن العدة إنما تُحسب من الطلقة الأولىٰ، لأنها طلاق العدة، بخلاف الثانية والثالثة.

ومن جعله مشروعًا قال: هو الطلاق لتمام العدة، والطلاق لتمامها كالطلاق لاستقبالها، وكلاهما طلاق للعدة.

وأصحاب القول الأول يقولون: المراد بالطلاق للعدة: الطلاق

لاستقبالها، كما في القراءة الأخرىٰ التي تفسر القراءة المشهورة: ﴿فطلقوهن في قُبُل عدَّتهن﴾.

قالوا: فإذا لم يُشْرَع إرْداف الطلاق إلىٰ طلاق قَبل الرجعة أو العقد فأن لا يُشْرع جمعُه معه أولىٰ وأحْرَىٰ، فإن إرداف الطلاق أسهلُ من جمعه، ولهذا يُسَوِّغ الإرداف في الأطهار مَنْ لا يُجوز الجمعَ في الطهرُ الواحد.

وقد احتج عبد الله بن عباس علىٰ تحريم جمع الثلاث بهذه الآية.

قال مجاهد: كنت عند ابن عباس!! فجاءه رجل فقال: إنه طلّق امرأته ثلاثًا، فسكَت حتىٰ ظننت أنه رَادُّها إليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأحْمُوقة، ثم يقول يابن عباس!! وإن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ فما أجد لك مخرجًا، عَصَيت ربك، وبانت منك امرأتك، وإن الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ في قُبُلِ عِدّتهِن، وهذا حديث صحيح.

ففهمَ ابنُ عباس من الآية أن جمعَ الثلاثِ محرّمٌ، وهذا فَهْمُ من دَعا له النبيُّ ﷺ أن يُفَقِّهه الله في الدِّين، ويُعَلِّمه التأويل، وهو من أحسن الفهوم.

الوجه الثاني: من الاستدلال بالآية: قوله تعالىٰ: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾ وهذا إنما هو في الطلاقِ الرّجعي، فأما البائن فلا سُكْنَىٰ لها ولا نفقة، لسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، التي لا يُطْعنَ في صحتها، الصريحة التي لا شبهة في دلالتها، فدلَّ علىٰ أن هذا حكم كل طلاق شرعه الله، ما لم تَسْبِقه طلقتان قبله، ولهذا قال الجمهور: إنه لا يشرع له ولا يملك إبانتها بطلقة واحدة بدون العوَض.

وأبو حنيفة قال: لا يملك ذلك، لأن الرجعة حَقُّه، وقد أسقطها.

و الجمهور يقولون: ثبوتُ الرجعة، وإن كان حقًا له، فلها عليه حقوق

الزوجية، فلا يملك إسقاطها إلا بمخالعة أو باستيفاء العَدد، كما دل عليه القرآن.

الوجه الثالث: أنه قال: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ فإذا طلقها ثلاثًا جملة واحدة، فقد تعدَّىٰ حدود الله، فيكون ظالمًا.

الوجه الرابع: أنه سبحانه قال: ﴿ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ وقد فهم أعلم الأمَّة بالقرآن ـ وهم الصحابةُ ـ أن الأمر هاهنا هو الرجعة، قالوا: وأي أمر يحدث بعد الثلاث؟

الوجه الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ فهذا حكم كل طلاق شرعه الله، إلا أن يُسبق بطلقتين قبله، وقد احتجَّ ابن عباس علىٰ تحريم جمع الثلاث بقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ ﴾ كما تقدم.

وهذا حقٌّ، فإن الآية إذا دلَّت علىٰ منع إرداف الطلاقِ الطلاقَ في طُهْر أو أطهار قَبْلَ رجعة أو عَقْدٍ، كما تقدم، لأنه يكون مطلقًا في غير قُبُل العدَّة، فَلأَنْ تدُلَّ علىٰ تحريم الجمع أولىٰ وأحْرَىٰ.

قالوا: والله سبحانه شرَعَ الطلاق علىٰ أيْسَر الوجوه وأرْفَقها بالزوج والزوجة، لئلاَّ يتسارع العبدُ في وقوعه، ومفارقة حبيبته، وَمَدّ له وقت العدة أجلاً، لاستدراك الفارِط بالرجعة، فلم يُبح له أن يُطلِّق المرأة في حال حيضها، لأنه وقتَ نُفْرَته عنها، وعدم قدرته علىٰ استمتاعه بها، ولا عقيبَ جماعها؛ لأنه قد قَضىٰ غرضَه منها، وربما فتَرَتْ رَغْبته فيها، وزهِد في إمساكها لقضاء وَطَرِه، فإذا طلقها في هاتين الحالتين ربَّما يَنْدَم بعد هذا، مع ما في الطلاق في الحيض من تطويل العِدَّة، وعقيب الجماع من طلاقا مَنْ لعَلَّها قد اشتمل رَحمها علىٰ وَلدٍ منه، فلا يريد فراقها، فأما إذا حاضت ثم

طهرت، فنَفْسُه تَتُوق إليها، لطول عَهْدِه بجماعها، فلا يُقدِم على طلاقها في هذه الحال إلا لحاجته إليه، فلم يُبح له الشارع أن يطلقها إلا في هذه الحال، أو في حال استبانة حملها، لأن إقدامه أيضًا على طلاقها في هذه الحال دليلٌ على حاجته إلى الطلاق.

وقد أكَّدَ النبيُّ ﷺ هذا بمنْعِه لعبد الله بن عمر أن يطلق في الطهر الذي يَلِي الحيْضَةَ التي طلَّق فيها، بل أمره أن يراجعها، حتى تطهُر، ثم تحيضَ، ثم تطهرَ، ثم إن بدا له أن يُطلقها، فلْيُطَلِّقها، وفي ذلك عدّة حكم:

منهـا: أن الطهر المتصل بالحيضة هو وهي في حكم القُرْءِ الواحد، فإذا طلقها في ذلك الطهر فكأنه طلقها في الحيضة، لاتصاله بها، وكونه معها كالشيء الواحد.

الثانية: أنه لو أُذن له في طلاقها في ذلك الطهر فيصير كأنه راجعَ، لأجل الطلاق، وهذا ضدٌّ، مقصود الرجعة، فإن الله تعالى إنما شرع الرجعة للإمساك ولَمَّ شَعَثِ النكاح، وعَوْدِ الفِراش، فلا يكون لأجل الطلاق فيكون كأنه راجع لِيطلّق، وإنما شرعت الرجعة ليُمْسِك، وبهذا بعينه أبطلنا نكاحَ المحلِّل فإن الله سبحانه شرع النكاح للإمساك والمعاشرة، والمحلِّل تزوج ليطلق، فهو مضاد لله في شرعه ودينه.

الثالثة: أنه إذا صبرَ عليها حتى تحيض، ثم تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، زال ما في نفسه من الغضَب الحامل له على الطلاق، وربما صلَحت الحال بينهما، وأقْلَعتْ عمّا يدعوه إلى طلاقها، فيكون تطويل هذه المدة رحمةً به وبها، إذا كان الشارعُ ملتفتًا إلى مثل هذه الرحمة والشفقة على الزوج، وشرَعَ الطلاقَ على هذا الوجه، الذي هو أبعدُ شيء عن الندَمِ، فكيف يليق

بشرعه أنْ يَشرع إبانتها، وتحريمها عليه بكلمةٍ واحدةٍ، يجمعُ فيها ما شرعه متفرقًا، بحيث لا يكون له سبيل إليها؟ وكيف يجتمع في حِكْمَة الشارع وحُكمه هذا وهذا؟

فهذه الوجوه ونحوها مما بيّن بها الجمهورُ أن جمعَ الثلاث غيُر مشروع، هي بعينها تبَين عدمَ الوقوع وأنه إنما يقع المشروع وحده وهي الواحدة.

قالوا: فتبين أنّا بأصول الشرع وقواعده أسعدُ منكم، وأن قياس الأصول وقواعد الشرع من جانبنا، وقد تأيّدت بالسنة الصحيحة التي ذكرناها.

وقولكم: إن المطلق ثلاثًا قد جمع ما فُسح له في تفريقه، هو إلىٰ أن يكون حجة عليكم أقرب، فإنه إنما أذن له فيه، ومَلَكه متفرقًا لا مجموعًا، فإذا جمع ما أُمر بتفريقه فقد تعدَّىٰ حدود الله، وخالف ما شرعه، ولهذا قال من قال من السلف: رجلٌ أخطأ السُّنة، فيردُّ إليها، فهذا أحسنُ من كلامكم وأبينُ، وأقرب إلىٰ الشرع والمصلحة.

ثم هذا ينتقضُ عليكم بسائر ما ملَّكه الله العبدَ، وأذن فيه متُفرقًا فأراد أن يجمعه، كرَمْي الجمار الذي إنما شرع له مفرّقًا، واللِّعان الذي شرع كذلك، وأيمان القَسامة التي شرعت كذلك، ونظير قياسكم هذا: أنّ له أن يُؤخِّر الصلوات كلها ويصليها في وقت واحد، لأنه جمع ما أُمر بتفريقه، علىٰ أن هذا قد فهمه كثير من العوام، يؤخرون صلاةَ اليوم إلىٰ الليل، ويصلون الجميع في وقت واحد، ويحتجون بمثل هذه الحجة بعينها، ولو سَكَتُّم عن نُصرة المسألة بمثل ذلك لكان أقوىٰ لها.

* * *

س: هل كل المزوجات اللواتي يَراد تطليقهن يطلقن لعدتهن؟

ج: ليست كل المزوجات كذلك، فالنسوة اللواتي يطُلقن قبل المسيس لا بأس أن يُطلقن وهن حُيَّض أو في طُهرٍ جُومعن فيه.

* * *

س: منْ المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

وفيه ثلاثة أقوال:

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، يعني: في المدخول بها؛ لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة، ويكون بعدها كأحد الخطاب، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

وقال أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، معناه: احفظوها أي: احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى إذا انفصل المشروط عنه ـ وهو الثلاثة قروء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ـ حلَّت للأزواج.

وقال أيضًا: مَن المخاطب بأمر الإحصاء؛ وفيه ثلاث أقوال:

أحدها: أنهم الأزواج.

الثاني: أنهن الزوجات.

الثالث: أنهم المسلمون.

ونقل عن ابن العربي قوله:

والصحيح: أن المخاطب بهذا اللفظ الأزواج، لأن الضمائر كلها من ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ و﴿أَحْصُوا﴾، و﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ على نظام واحد يرجع إلى الأزواج، ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق بالزوج، لأن الزوج يحصي ليراجع، وينفق أو يقطع، وليُسكن أو يُخرج، وليلحق نسبه أو يقطع، وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة، وتنفرد المرأة دونه بغير ذلك، وكذلك الحاكم يفتقر إلى الإحصاء للعدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها، وهذه فوائد الإحصاء المأمور به.

قلت (القائل مصطفى): الذي يبدو لي أن المخاطب هو الزوج والزوجة والشهود إذ هؤلاء أطراف الطلاق، والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل على المطلقة قبل المسيس (قبل الدخول) عدة؟

ج: لا عدة على المطلقة قبل الدخول، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً**﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلِّقت قبل الدخول بها لا عدة عليها، فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً.

* * *

س: اذكر باختصار تعريف طلاق السُّنة وطلاق البدعة؟

ج: حاصل تعريف طلاق السُّنة: هو ما كان موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وصورته: أن يطلق الرجل امرأته في طهرٍ لم يجامعها فيه، وزاد بعض أهل العلم إشهاد شاهدين.

أما طلاق البدعة: فهو ما كان مخالفًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وله صورٌ منها: أن يُطلِّق الرجل امرأته وهي حائض، أو يطلقها في طهر جامعها فيه ولم يتبين أمرها أحملت أم لا، وهذا الطلاق البدعي حرام.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى في «المغني» (٧/ ٩٧):

فالطلاق في الحيض أو في طهرٍ جامعها فيه أجمع العلماء في جميع الأمصار، وكل الأعصار على تحريمه، ويسمى طلاق البدعة، لأن المطلِّق خالف السنة، وترك أمر الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿**فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾، وقال النبي ﷺ: «**إن شاء طلَّق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء**».

* * *

س: إذا طلَّق الزوج زوجته طلقةً رجعية، فماذا يرى منها؟

ج: إذا طلق الزوج امرأته طلقة له فيها عليها رجعة فله ـ فيما يظهر لي والله تعالى أعلم ـ أن ينظر منها إلى كل شيء ما دامت في العدة، وذلك لأنها ما زالت زوجته، وقد قال تعالى: ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا**﴾، فسمى الله تبارك وتعالى الزوج في العدة أنه بعل لامرأته، وعليه فلا دليل يمنع أو يحدد رؤية شيء من المرأة، والله تعالى أعلم.

* * *

س: رجل طلق زوجته طلاقًا رجعيّاً ثم أراد إرجاعها في العدة هل لها أن تمتنع؟

ج: ليس لها أن تمتنع، فقد أجمع[١] العلماء على أن الزوج يملك رجعة زوجته في الطلاق الرجعي، ما دامت في العدة من غير اعتبار رضاها ورضا وليها، إذا كان الطلاق بعد المسيس، وكان الحكم بصحة الرجعة مُجمعًا عليه، لا إذا كان مختلفًا فيه.

* * *

س: إذا طلقت الزوجة طلاقًا بائنًا وهي ما زالت في العدة كيف تصنع؟

ج: قال ابن قدامة رحمه الله تعالى[٢]:

وإن مات مطلق البائن في عدتها بنت على عدة الطلاق إلا أن يطلقها في مرض موته فإنها تعتد أطول الأجلين من عدة الوفاة أو ثلاثة قروء، نص على هذا أحمد، وبه قال الثوري وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن، وقال مالك والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور، وابن المنذر، تبني على عدة الطلاق لأنه مات وليست زوجة له لأنها بائن من النكاح فلا تكون منكوحة، ولنا أنها وارثة له فيجب عليها عدة الوفاة كالرجعية، وتلزمها عدة الطلاق لما ذكروه في دليليهم.

* * *

س: إذا مات الزوج في العدة كيف تصنع زوجته؟

ج: قال ابن قدامة رحمه الله تعالى[٣]:

فصل: وإذا مات زوج الرجعية استأنفت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً

---

(١) نقل الإجماع الصنعاني رحمه اللّه «سبل السلام» (ص١٠٩٩).

(٢) المغني (٧/ ٤٧٢). (٣) المغني (٧/ ٤٧١).

بلا خلاف، وقال ابن المنذر، أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على ذلك، وذلك لأن الرجعية زوجة يلحقها طلاقه وينالها ميراثه فاعتدت للوفاة لغير المطلقة.

وقال القرطبي في التفسير[1]:

أجمع العلماء على أن من طلق زوجته طلاقًا يملك رجعتها ثم توفي قبل انقضاء العدة أن عليها عدة الوفاة وترثه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا تخرجوا نساءكم المطلقات الرجعيات أيها الأزواج من بيوتكم ما دمن في العدة، ولا يجوز لهن أيضًا أن يخرجن من بيت الأزواج ما دمن في العدة.

فلا الزوج يخرج زوجته، ولا الزوجة تخرج من بيت زوجها وهذه في عدتها من الطلاق.

* * *

س: هل يجوز للمطلقة أن تخرج من بيت زوجها، وهي ما زالت في العدة؟

ج: في الأمر تفصيل حاصله ما يلي:

أولاً: بالنسبة للمطلقة الرجعية: فلا يجوز لها الخروج من بيت مطلقها إلا إذا انتهت العدة وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا

(١) القرطبي (٣/ ١٨٢).

تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

فلا يجوز لها أن تخرج إلا إذا أتت بفاحشة مبينة، ومن العلماء من قال: إن هذه الفاحشة المبينة هي الزنا، ومنهم من قال: هي بذاءتها على أهل زوجها وسبهم وشتمهم.

ثانيًا: المطلقة المبتوتة: فالصحيح في أمرها: أنه يؤذن لها بالخروج نهاراً لقضاء حوائجها، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: طلِّقت خالتي، فأرادت أن تجدَّ نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ فقالت: «**بلى، فجُدِّي نخلك فإنك عسى أن تصدَّقي أو تفعلي معروفًا**».

* * *

س: إن خرجت المرأة المطلقة الرجعية من بيت الزوجية أثناء عدتها هل تنقطع العدة؟

ج: العدة لا تنقطع، بل تأثم المرأة فقط.

* * *

س: ما المراد بالفاحشة المبينة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾؟

ج: من العلماء من قال، إنها الزنا.

فإن قيل: كيف تُخرج إذا زنت وإنما حكمها الرجم، فجواب ذلك أن خروجها لإقامة الحد عليها.

* ومن العلماء من قال: إن الفاحشة المبينة هي البذاءة على أهل الزوج،

والأحماء.

* وقال آخرون: إن الفاحشة المبينة هنا النشوز على أمر الزوج.

* وقال قتادة ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ إلا أن يطلقها على نشوز، فلها أن تُحوَّل من بيت زوجها.

* * *

س: ما المراد بالأمر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ؟

ج: قال كثير من العلماء: هذا الأمر هو الرجعة، أي أن الزوج قد يندم على ما صدر منه من طلاق، وتندم الزوجة على ما صدر منها من نشوز أو عصيان فتحدث بينها مراجعةٌ.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، من الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه؛ فيراجعها، وقال جميع المفسرين: أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة، ومعنى القول: التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث؛ فإنه إذا طلَّق أضرّ بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع، فلا يجد عند الرجعة سبيلاً، وقال مقاتل: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد طلقة أو طلقتين ﴿أَمْرًا﴾ أي المراجعة من غير خلاف.

* * *

س: كيف قيل: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾وبلوغ الأجل يعني إتمامه، وانقضاءه، ومن ثم تكون المرأة قد بانت من زوجها؟

ج: بيَّنا من قبل أن المراد ببلوغ الأجل في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾

مقاربة الانقضاء وليس الانقضاء على حقيقته.

قال الشيخ عطية سالم في تتمته لـ«أضواء البيان»:

ظاهره أن الإمساك بمعروف إذا بلغن أجلهن، مع أنهن إذا بلغن إلى ذلك الحد خرجن من العدة وانتهى وجه المراجعة، ولكن المراد هنا إذا قاربن أجلهن ولم يتجاوزنه أو يصلن إليه بالفعل، والقاعدة أن ما قارب الشيء يعطى حكمه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

ومثل الآية الحديث في قوله ﷺ: «**إذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» مع أنه عند الإتيان أو أثنائه لا يحق له أن يقول ذلك، وإنما يقوله إذا قارب دخوله، فكذلك هنا.

* * *

س: ما المراد بالإمساك بالمعروف في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وما المراد بالفراق بالمعروف؟

ج: المرادُ ـ والله تعالى أعلم ـ بالإمساك المراجعةُ، فيكون المعنى فارجعوهن إلى عصمتكم مع الإحسان إليهن في صحبتهن، أما الفراق بالمعروف فهو تركهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أمر أنفسهن، ويدخل فيه أيضًا الفراق مع ترك ذكر المساوئ وعدم التقبيح والذم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنّ في عدة أجلهنّ، وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول: فأمسكوهنّ برجعة تراجعوهنّ، إن أردتم ذلك بمعروف،

يقول: بما أمرك الله به من الإمساك؛ وذلك بإعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه من النفقة والكسوة والمسكن وحُسن الصحبة، أو فارقوهنّ بمعروف، أو اتركوهنّ حتىٰ تنقضي عددهنّ، فتَبِين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة علىٰ ما أوجب عليه لها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي قاربن انقضاء العدّة، كقوله تعالىٰ: ﴿وإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي قربن من انقضاء الأجل، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني المراجعة بالمعروف، أي بالرغبة من غير قصد المضارّة في الرجعة تطويلاً لعدّتها، كما تقدّم في «البقرة»، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي اتركوهنّ حتىٰ تنقضي عدّتهنّ فيملكن أنفسهنّ.

* * *

س: هل تكون المراجعة بالقول فقط، أو يجوز أن تكون بالفعل وحده أيضًا؟

ج: يوضح ذلك ما ذكره الصنعاني رحمه الله «في سبل السلام»[1]: واتفقوا علىٰ الرجعة بالقول، واختلفوا إذا كانت الرجعة بالفعل، فقال الشافعي والإمام يحيىٰ: إن الفعل محرم، فلا تحل به؛ ولأنه تعالىٰ ذكر الإشهاد ولا إشهاد إلا علىٰ القول، وأجيب بأنه لا إثم عليه؛ لأنه تعالىٰ قال: ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ وهي زوجة، والإشهاد غير واجب كما سلف، وقال الجمهور: يصح بالفعل، واختلفوا هل من شرط الفعل النية، فقال مالك: لا يصح بالفعل إلا مع النية كأنه يقول لعموم «**الأعمال بالنيات**»،

(١) «سبل السلام» (ص١٠٩٩).

وقال الجمهور: يصح لأنها زوجة شرعًا داخلة تحت قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ ولا يشترط النية في لمس الزوجة وتقبيلها وغيرهما إجماعًا.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على ماذا؟

ج: قال بعض العلماء: الإشهاد علىٰ الإمساك الذي هو الرجعة وقال آخرون: بل الإشهاد هنا علىٰ الطلاق وعلىٰ الرجعة أيضًا.

* * *

س: ما فائدة الإشهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؟

ج: من فوائده ـ والله تعالىٰ أعلم ـ حتىٰ لا يقع جحود ولا إنكار من أحد الزوجين، وحتىٰ لا يرث أحدهما الآخر وهما مفترقان، وحتىٰ لا يدعي أحدٌ من الناس عدم المراجعة لإضاعة حقوق شخصٍ ما.

* * *

س: ما حكم الإشهاد على الطلاق والرجعة؟

ج: أولا ـ وقبل يدي الجواب ـ فإذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق «بالضوابط المصاحبة لذلك»[1] فسواءٌ أشهد أم لم يشهد فالطلاق واقع، ولكنه يتحمل الإثم إذا خالف أمر الله ولم يُشهد[2].

ثمَّ بالنسبة للجواب علىٰ السؤال فقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ وجوب

---

(١) كان يكون عاقلاً... إلىٰ آخر ما بيناه في كتابنا «جامع أحكام النساء»، بل وكما هو مبسوط في أبواب الطلاق.

(٢) وهذا عند من يقول بوجوب الإشهاد علىٰ الطلاق.

الإشهاد على الطلاق والرجعة مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ من هؤلاء: أبو محمد بن حزم رحمه الله فقال في «المحلى»[١]: فرَّق عز وجل بين المراجعة والطلاق والإشهاد؛ فلا يجوز إفراد بعض ذلك عن بعض، وكل من طلّق ولم يشهد ذوي عدل، أو راجع ولم يشهد ذوي عدل؛ متعد لحدود الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

ونقل ابن كثير[٢] ذلك عن عطاء أيضًا قال:

لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل، كما قال الله عز وجل، إلا أن يكون من عذر.

بينما فرق بعض أهل العلم بين الطلاق والرجعة، فقالوا: لا يجب الإشهاد في الطلاق، ويجب في الرجعة، نقله الشوكاني في «فتح القدير»[٣] عن الشافعي وأحمد، ونص قول الشافعي رحمه الله هناك: الإشهاد واجب في الرجعة، مندوب إليه في الفرقة، وعزاه صاحب «عون المعبود»[٤] إلى مالك أيضًا، ويشهد لهؤلاء ورود الطلاق في غير آية، وورده في غير حديث غير مقيد بالإشهاد.

وذهب كثير من العلماء إلى أن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أمر ندب لا إيجاب، ويشهد لهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعمر رضي الله عنه، «**مره فليراجعها**»، ولم يذكر

---

(١) «المحلى» (٩/ ٢٥١).

(٢) «ابن كثير» (٤/ ٣٧٩)، ومسلم (حديث ١٧١٨).

(٣) «فتح القدير» (٥/ ٢٤١)

(٤) «عود المعبود» (٦/ ٢٥٤).

الإشهاد، من هؤلاء أبو حنيفة وأصحابه، وقد أخرج البيهقي في «سننه»[١] بسند صحيح إلىٰ ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلّق امرأته صفية بنت أبي عبيد تطليقة أو تطليقتين، فكان لا يدخل عليها إلا بإذن، فلما راجعها أشهد علىٰ رجعتها ودخل عليها.

هذا والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لهذه الآية علىٰ سبب نزولٍ صحيح، وقد وردت جملة آثار مرسلة في هذا الصدد منها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق.

جاء مالك الأشجعي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: أُسِر ابني عوف، فقال له رسول الله ﷺ: **«أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»**، وكانوا قد شدوه بالقدّ فسقط القِدُّ عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم، فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا شدوه فصاح بهم، فأتبع أولها آخرها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عَوفٌ ورب الكعبة، فقالت أمه: وا سوأتاه، وعوف كيف يقدم؟! لما هو فيه من القد، فاستبقا الباب والخادم، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقص علىٰ أبيه أمره وأمر الإبل، فقال أبوه: قفا حتىٰ آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) البيهقي (٧/ ٧٣٧).

«اصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعًا بمالك»، ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

وله أسانيد عند الطبري فيها ضعف، ومنها المطول ومنها المختصر.

* * *

س: ما المراد بتقوى الله والرزق من حيث لا يحتسب الشخص، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، معناه ومن يتق الله في شؤونه كلها وفي أمر طلاقه ومراجعته، فيمسك بمعروف أو يُسرح بإحسان، ويشهد على طلاقه وإرجاعه، ولا يخرج زوجته - وهي معتده - من بيتها، ولا يبخسها حقها يجعل الله له مخرجًا من أمر طلاقه، فإذا طلّق علي السنه وحفظ العدة، اندفعت عنه الوساوس والشكوك، وجعل لنفسه سبيلاً إلى إرجاع زوجته، ومخرجًا من الضوائق التي تصاحب الطلاق، بل وتصاحب غيره أيضًا، فمخرجٌ من الندم، ومخرج من الطلاق، ومخرج من الشك، ومخرج من الظلم، ورزقه الله من حيث لا يدري ولا يحتسب رزقًا حلالاً طيبًا وفرجًا من المشكلات والضوائق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، قد جعل الله لكل شيءٍ حدًا لا يتعداه ولا يتخطاه.

فالأرزاق مقدرةٌ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾

وقال تعالىٰ في شأن الأقوات: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، وعمومًا فقد قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ وكذا فزمن العِدة مقدرٌ، سواء عدة الحمل، أو عدة الوفاة، أو عدة الطلاق، كل ذلك له أجل وقدر قدّره الله سبحانه وتعالىٰ.

وكذا الحيض له قدر، وكذا الشدة والرخاء لكل منهما حدٌّ وأجل ينتهي بانتهائه.

وكذا الشمس لجريانها أجلٌ معلوم، قال تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وكذا القمر، قال تعالىٰ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

والأعمار مقدرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ والأعمار مقدرة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهكذا فكل شيءٍ مقدر، وله مقدار.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ ارتبتم في ماذا؟

ج: في ذلك وجهان عند أهل العلم.

أحدهما: ارتبتم في الدم النازل منها لِكبرها، أمِنَ الحيض هو أم هو استحاضة.

الثاني: إن ارتبتم في حكمهن، فلم تدروا ما الحكم فيهن.

وقد اختار الطبري هذا القول الثاني فقال:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِي بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ وذلك أن معنىٰ ذلك لو كان كما قاله من قال: إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض، أو استحاضة لقيل: إن ارتبتنّ لأنهنّ

إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ، وفي قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهن؛ وأخرى وهو أنه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ واليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضًا للكبر، ومحال أن يقال: واللائي يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهنّ، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجوّ لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا، فبين أن تأويل الآية: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ، وفي عددهنّ، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهنّ إذا طُلقن، وهنّ ممن دخل بهنّ أزواجهنّ، فعدّتهنّ ثلاثة أشهر ﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يقول: وكذلك عِدَد اللائي لم يحضن من الجواري الصغار إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول.

* * *

س: ما عدة المرضع التي ينقطع عنها الحيض طيلة مدة الرضاع؟

ج: تلك، فيما يبدو لي، والله أعلم، تأخذ حكم اللائي لم يحضن أو اللائي يئسن من المحيض، لأن حيضتها قد انقطعت هذه الشهور الطويلة، بل وقد تصل إلى السنوات، فالذي يبدو لي، والله أعلم أنها تعتد بثلاثة أشهر.

ولبعض أهل العلم قول آخر في المسألة:

فقد أورد القرطبي نحو هذه المسألة في تفسيره، فقال:

وأمّا من تأخر حَيْضها لمرض؛ فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن أصْبَغ: تعتدّ تسعة أشهر ثم ثلاثة، وقال أشهب: هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض أو بالسَّنة، وقد طلّق حبّان بن مُنْقِذ امرأته وهي تُرضِع؛ فمكثت

سنة لا تحيض لأجل الرضاع، ثم مرِض حبّان فخاف أن ترثه فخاصمها إلىٰ عثمان وعنده عليّ وزيد، فقالا: نرىٰ أن تَرِثه، لأنها ليست من القواعد ولا من الصغار؛ فمات حبّان فورِثته واعتدّت عِدّة الوفاة.

* * *

س: ما عدة المطلقة المدخول بها الآيسة من المحيض، وما عدة اللائي لم يحضن؟

ج: عدة كل منهما ثلاثة أشهر، قال الله عز وجل: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾.

فهذه الآية الكريمة توضح حكم الآيسة من المحيض ـ أي: التي انقطع عنها دم الحيض لكبرها ـ وكذلك حكم الصغار اللائي لم يبلغن سن المحيض ولم يحضن فتعتد هذه وتلك ثلاثة أشهر مكان الثلاثة قروء إذ لا قروء في حقهن.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ فيه لأهل العلم قولان:

أولهما: إن ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر.

الثاني: إن ارتبتم في دم يخرج منهن هل هو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك، وبكلٍّ قد قال طائفة من السلف. هذا والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: مَن المَعْنِيَّات بقوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾؟

ج: المعنيات بذلك هن الأبكار اللواتي تزوجن وهن دون سن البلوغ فمُسسن (أي فجامعهن الأزواج) وهن ما زلن لم يحضن، فهؤلاء أيضًا

عدتهن ثلاثة أشهر.

أي أن اللواتي لم يبلغن المحيض، وقد مُسسن، فعدتهن ثلاثة أشهر.

س: متى تنقضي عدة الحامل وتحل للأزواج؟

ج: تشتمل هذه المسألة على أمرين:

الأول: إذا كانت المرأة حاملاً وطلِّقت.

الثاني: إذا كانت المرأة حاملاً ومات عنها زوجها.

أما بالنسبة للأمر الأول فلا أعلم خلافًا في أن الحامل إذا طُلِّقت ووضعت حملها فإنها تحل للزواج وتنقضي عدتها، ويدل على صحة هذا الرأي قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار على أن المطلقة الحامل تنقضي عدتها بوضع حملها.

فالحامل إذا طُلِّقت ووضعت حملها انقضت عدتها وحلت للتزويج.

أما بالنسبة للأمر الثاني: فالصحيح فيه أيضًا أن المتوفى عنها زوجها وهي حامل تنقضي عدتها أيضًا بوضع حملها.

فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق أبي سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالسٌ عنده فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد[2] زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس: آخر الأجلين، قلت أنا: ﴿وَأُوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتِل

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٠٩)، ومسلم (٣/ ٧٠٥).

(٢) عند مسلم بعد وفاة زوجها بليالٍ.

زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلىٰ فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخُطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها.

وفي رواية لمسلم[١] من حديث سبيعة أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو في بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدراً، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلَّت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، رجل من بني عبد الدار، فقال لها: مالي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح؟! إنك والله ما أنت بناكح حتىٰ تمر عليك أربعة أشهرٍ وعشر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي.

وأخرج مالك[٢] في «موطئه» بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر أنه سئل عن المرأة يتوفىٰ عنها زوجها وهي حامل؟ فقال عبد الله بن عمر إذا وضعت حملها فقد حلت، فأخبره رجل من الأنصار كان عنده أن عمر بن الخطاب قال: لو وضعت وزوجها علىٰ السرير لم يُدفن بعدُ لحلَّت.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[٣]:

وقد قال جمهور العلماء من السلف وأئمة الفتوىٰ في الأمصار: أن الحامل إذا مات عنها زوجها تحل بوضع الحمل وتنقضي عدة الوفاة، وخالف في ذلك عليٌّ فقال: تعتد آخر الأجلين، ومعناه أنها إن وضعت قبل مضي

(١) مسلم (مع النووي ٣/ ٧٠٣).
(٢) موطأ مالك (٢/ ٥٨٩).
(٣) فتح الباري (٩/ ٤٧٤).

أربعة أشهرٍ وعشراً تربصت إلىٰ انقضائها، ولا تحل بمجرد الوضع، وإن انقضت المدة قبل الوضع تربصت إلىٰ الوضع، أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد عن عليٍّ بسند صحيح، وبه قال ابن عباس كما في هذه القصة، ويقال: إنه رجع عنه، ويقويه أن المنقول عن أتباعه وفاق الجماعة في ذلك، وقد تقدم في تفسير الطلاق أن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ أنكر علىٰ ابن سيرين القول بانقضاء عدتها بالوضع وأنكر أن يكون ابن مسعود قال بذلك.

وقد ثبت عن ابن مسعود من عدة طرق أنه كان يوافق الجماعة حتىٰ كان يقول: (ما شاء لاعنته علىٰ ذلك) ويظهر من مجموع الطرق في قصة سبيعة أن أبا السنابل رجع عن فتواه أولاً أنها لا تحل حتىٰ تمضي عدة الوفاة لأنه قد روىٰ قصة سبيعة، ورد النبي ﷺ ما أفتاها أبو السنابل به من أنها لا تحل حتىٰ يمضىٰ لها أربعة أشهر وعشر، ولم يرد عن أبي السنابل تصريح في حكمها لو انقضت المدة قبل الوضع هل كان يقول بظاهر إطلاقه من انقضاء العدة أولا؟

لكن نقل غير واحد الإجماع علىٰ أنها لا تنقضي في هذه الحالة الثانية حتىٰ تضع، وقد وافق سحنون من المالكية عليًا، نقله المازري وغيره، وهو شذوذ مردود لأنه إحداث خلاف بعد استقرار الإجماع.

والسبب الحامل له الحرص علىٰ العمل بالآيتين اللتين تعارض عمومها، فقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ عام في كل من مات عنها زوجها يشمل الحامل وغيرها، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عام أيضًا يشمل المطلقة والمتوفىٰ عنها، فجمع أولئك بين العمومين بقصر الثانية علىٰ المطلقة

بقرينة ذكر عدد الطلقات كالآيسة والصغيرة قبلهما.

ثم لم يهملوا ما تناولته الآية الثانية من العموم، لكن قصروه على من مضت عليها المدة ولم تضع، فكان تخصيص بعض العموم أولى وأقرب إلى العمل بمقتضى الآيتين من إلغاء بعضهما في حق بعض من شمله العموم.

قال القرطبي: هذا نظر حسن، فإن الجمع أولى من الترجيح باتفاق أهل الأصول، لكن حديث سبيعة نص بأنها تحل بوضع الحمل، فكان فيه بيان للمراد بقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أنه في حق من لم تضع، وإلى ذلك أشار ابن مسعود بقوله: إن آية الطلاق نزلت بعد آية البقرة، وفهم بعضهم منه أنه يرى نسخ الأولى بالأخيرة، وليس ذلك مراده وإنما يعني أنها مخصصة لها، فإنها أخرجت منها بعض متناولاتها.

* * *

س: إذا ارتابت المرأة في الحمل كيف تصنع؟

ج: تتمهل المرأة ولا تعجل بالزواج حتى تتأكد مما في بطنها، أخرج عبد الرزاق[1] في «مصنفه» بسند صحيح عن عطاء قال: أيما امرأةٍ مطلقة أو متوفى عنها تجد في بطنها كالحشة لا تدري أفي بطنها ولد أم لا وهي تجد كالحركة تشكُّ قال: فلا تعجل بنكاح حتى تستبين أنه ليس في بطنها ولد.

* * *

س: المرأة التي أسقطت كيف تكون عدتها؟

ج: قال ابن حزم رحمه الله «المحلى» (١٠/ ٢٦٦):

---

(١) المصنف (١٢٠١٣).

مسألة: وقد قلنا: إن أسقطت الحامل المطلقة أو المتوفى عنها زوجها، أو المعتقة المتخيرة فراق زوجها حلَّت، وحد ذلك: أن تسقطه علقة فصاعداً، وأما إن أسقطت نطفة دون العلقة فليس بشيء ولا تنقضي بذلك عدة، برهان ذلك ما روينا من طريق مسلم، نا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، قالا جميعًا: نا أبو معاوية ووكيع، قالا جميعًا: نا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة...**» وذكر باقي الخبر، ومن طريق مسلم نا أبو الطاهر أحمد بن عمرو ابن سرح، أنا ابن وهب، أنا عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير المكي، أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع حذيفة بن أسيد الغفاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مرت بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى**»[2] وذكر باقي الخبر.

* * *

(١) حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللَّه ملكًا فيؤمر بأربع: برزقه، وأجله، وشقي أو سعيد...» الحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٥) من طريق عامر بن واثلة حدثه، أنه سمع عبد اللَّه بن مسعود يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعِظ بغيره، فأتى رجلاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يُقال له: حذيفة بن أسيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى الرجل بغير عمل؟! فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟! فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث اللَّه إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟...». =

س: ما صفة الحمل الذي بوضعه تنقضي العدة؟

ج: فصَّل في ذلك ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ في المغني عند شرحه لقول الخرقي (والحمل الذي تنقضي به العدة ما يتبين فيه شيءٌ من خلق الإنسان حرةً كانت أو أمة)

وجملة ذلك أن المرأة إذا ألقت بعد فرقة زوجها شيئًا، لم يخل من خمسة أشياء:

أحدها: أن تضع ما بان فيه خلق الآدمي من الرأس واليد والرجل، فهذه تنقضي به العدة بلا خلاف بينهم، قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم علىٰ أن عدة المرأة تنقضي بالسقط إذا علم أنه ولد، وممن نحفظ عنه ذلك الحسن وابن سيرين وشريح والشعبي والنخعي والزهري والثوري ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

قال الأثرم قلت لأبي عبد الله: إذا نكس في الخلق الرابع؟ يعني تنقضي به العدة فقال: إذا نكس في الخلق الرابع فليس فيه اختلاف، ولكن إذا تبين خلقه هذا أدل وذلك لأنه إذا بان فيه شيء من خلق الآدمي علم أنه حمل، فيدخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿**وَأُوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾.

الحال الثاني: ألقت نطفة أو دمًا لا تدري هل هو ما يخلق منه الآدمي أو لا، فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام؛ لأنه لم يثبت أنه ولد لا بالمشاهدة ولا بالبينة.

= قال أبو محمد (وهو ابن حزم): معناه: خلق الجملة التي تنقسم بعد ذلك سمعًا وبصرًا وجلدًا ولحمًا وعظامًا، فصحَّ أن أول خلق المولود علقة لا كونه نطفة وهي الماء.

الحال الثالث: ألقت مضغة لم تبن فيها الخلقة، فشهد ثقات من القوابل أن فيه صورة خفية، بان بها أنها خلقة آدمي، فهذا في حكم الحال الأول لأنه قد تبين بشهادة أهل المعرفة أنه ولد.

الحال الرابع: إذا ألقت مضغة لا صورة فيها فشهد ثقات من القوابل أنه مبتدأ خلق آدمي فاختلف على أحمد، فنقل أبو طالب أن عدتها لا تنقضي به، ولا تصير به أم ولد؛ لأنه لم يبن فيه خلق آدمي فأشبه الدم، وقد ذكر هذا قولاً للشافعي وهو اختيار أبي بكر.

ونقل الأثرم عن أحمد أن عدتها لا تنقضي به، ولكن تصير أم ولدٍ؛ لأنه مشكوك في كونه ولدًا، فلم يحكم بانقضاء العدة المتيقنة بأمرٍ مشكوك فيه، ولم يجز بيع الأمة الوالدة له مع الشك في رقها، فيثبت كونها أم ولد احتياطًا، ولا تنقضي العدة احتياطًا، ونقل حنبل أنها تصير أم ولد ولم يذكر العدة فقال بعض أصحابنا على هذا: تنقضي به العدة، وهو قول الحسن وظاهر مذهب الشافعي؛ لأنهم شهدوا بأنه خلقة آدمي أشبه ما لو تصور، والصحيح أن هذا ليس برواية في العدة؛ لأنه لم يذكرها ولم يتعرض لها.

الحال الخامس: أن تضع مضغة لا صورة فيها ولم تشهد القوابل بأنها مبتدأ خلق آدمي، فهذا لا تنقضي به عدة ولا تصير به أم ولد؛ لأنه لم يثبت كونه ولدًا ببينة ولا مشاهدة فأشبه العلقة، فلا تنقضي العدة بوضع ما قبل المضغة بحال سواء كان نطفة أو علقة وسواء قيل: إنه مبتدأ خلق آدمي أو لم يقل. نص عليه أحمد فقال: أما إذا كان علقة فليس بشيء، إنما هي دم لا تنقضي به عدة ولا تعتق به أمة، ولا نعلم مخالفًا في هذا إلا الحسن فإنه قال: إذا عُلم أنها حمل انقضت به العدة وفيه الغرة، والأول أصح وعليه الجمهور، وأقل ما تنقضي به العدة من الحمل: أن تضعه بعد ثمانين يومًا منذ

أمكنه وطؤها؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه فيكون نطفة أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك**» ولاتنقضي العدة بما دون المضغة، فوجب أن تكون بعد الثمانين. فأما ما بعد الأربعة أشهر فليس فيه إشكال؛ لأنه منكس في الخلق الرابع.

ولمزيد انظر كتابنا «جامع أحكام النساء».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾؟

ج: إيضاحه أن من يتقي الله فيما أمُر به يُسهِّل اللَّه عليه ويوفقه لعمل الطاعات، ويسهِّل عليه أمر الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ومن ذلك: من يتق الله في طلاق السنة يجعل له من أمره يُسراً في الرجعة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومن يخف الله فرهبه، فاجتنب معاصيه، وأدّىٰ فرائضه، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسراً، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها، وإن انقضت عدتها ثم دعته نفسه إليها قدر علىٰ خطبتها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ إلى متى هذا الإسكان؟

ج: هذا، والله تعالىٰ أعلم، أمرٌ من الله عز وجل للرجال الذين طلقوا

نساءهم، ونساؤهم ما زلن في العدة، فأمر الله الرجل أن يسكن زوجته ما دامت في عدتها في مسكن على قدر سعته ووجده، وذلك حتى تنقضي عدتها وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: يقول: من سعتكم التي تجدون، وإنما أمر الرجال أن يعطوهنّ مسكنًا يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عددهنّ.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾؟

ج: من معاني ذلك، والله أعلم، لا تضيقوا عليهن في المساكن حتى يخرجن منها وقت العدة، فيضقن ذرعًا بضيق المسكن فيتركن البيوت ويخرجن.

ووجه آخر: لا تتعمدوا الإضرار بهن ولا أذاهن حتى يخرجن من البيوت.

ووجهٌ ثالثٌ: أن من صور الإضرار أن يطلقها، فإذا بقي من عدتها يومان راجعها ثم طلقها.

* * *

س: هل المطلقة ثلاثًا لها نفقة سُكنى أم أنها ليست بداخلة في قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾؟

ج: المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ولا سُكنى، وليست بداخلةٍ في الآية الكريمة،

وذلك لما أخرجه مسلم[١] من حديث فاطمة بنت، قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البَتَّةَ[٢] وهو غائبٌ فَأَرْسَلَ إليها وَكِيلهُ بشعيرٍ فَسَخِطَتْهُ[٣] فقال: والله مالك علينا من شيءٍ. فجاءت رسولَ الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «**ليس لك عليه نفقة**».

وفي رواية أخرىٰ لمسلم عن فاطمة بنت قيس أيضًا أنه طلقها زوجها في عَهْد النبيِّ ﷺ وكان أَنْفَقَ عليها نفقةً دونٍ، فلما رأتْ ذلك قالت: والله لأُعلمن رسولَ الله ﷺ، فإن كان لي نفقةٌ أَخَذْتُ الذي يُصلحني، وإن لم تكن لي نفقةٌ لم آخذ منه شيئًا، قالت: فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال: «**لا نَفَقَةَ لك ولا سُكْنَى**».

قال ابن القيم رحمه الله[٤]:

فأمر الله سبحانه الأزواج الذين لهم عند بلوغ الأجل الإمساك والتسريح بأن لا يُخرجوا أزواجهم من بيوتهم، وأمر أزواجهن ألا يخرجن، فدل علىٰ جواز إخراج من ليس لزوجها إمساكها بعد الطلاق، فإنه سبحانه ذكر لهؤلاء المطلقات أحكامًا متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض.

أحدها: أن الأزواج لا يخرجوهن من بيوتهن.

والثاني: أنهن لا يخرجن من بيوت أزواجهن.

والثالث: أن لأزواجهن إمساكهن بالمعروف قبل انقضاء الأجل وترك الإمساك فيسرحوهن بإحسان.

---

(١) مسلم (حديث ١٤٨٠).

(٢) في رواية أنه طلقها ثلاثًا.

(٣) سخطته: أي رأته قليلاً.

(٤) زاد المعاد (٥/ ٥٢٦).

والرابع: إشهاد ذوي عدل وهو إشهاد على الرجعة، إما وجوبًا وإما استحبابًا، وأشار سبحانه إلى حكمة ذلك، وأنه في الرجعيات خاصة بقوله: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ والأمر الذي يرجى إحداثه ها هنا هو المراجعة، هكذا قال السلف ومن بعدهم.

قال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية عن داود الأودي عن الشعبي: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال: لعلك تندم، فيكون لك سبيل إلى الرجعة، وقال الضحاك: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال: لعله أن يراجعها في العدة، وقاله عطاء وقتادة والحسن، وقد تقدم قول فاطمة بنت قيس أي أمرٍ يحدث بعد الثلاث؟ فهذا يدل على أن الطلاق المذكور هو الرجعي الذي ثبتت فيه هذه الأحكام، وأن حكمة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين اقتضته؛ لعل الزوج أن يندم ويزول الشر الذي نزغه الشيطان بينهما، فتتبعها نفسه فيُراجعها كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو أن الناس أخذوا بأمر الله في الطلاق ما تتبع رجل نفسه امرأة يطلقها أبدًا.

ثم ذكر سبحانه الأمر بإسكان هؤلاء المطلقات، فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾، فالضمائر كلها يتحد مفسرها، وأحكامها كلها متلازمة، وكان قول النبي ﷺ: «**إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة**» مشتقًا من كتاب الله عز وجل ومفسرًا له وبيانًا لمراد المتكلم به منه فقد تبين اتحاد قضاء رسول الله ﷺ وكتاب الله عز وجل، والميزان العادل معهما أيضًا لا يخالفهما، فإن النفقة إنما تكون للزوجة فإذا بانت منه صارت أجنبية حكمها حكم سائر الأجنبيات، ولم يبق إلا مجرد اعتدادها منه، وذلك لا يوجب لها نفقة، كالموطوءة بشبهة أو زنى، ولأن النفقة إنما تجب في مقابلة التمكن من الاستمتاع، وهذا لا يمكن استمتاعه بها بعد

بينونتها، ولأن النفقة لو وجبت لها عليه لأجل عدتها لوجبت للمتوفى عنها من ماله، ولا فرق بينهما البتة، فإن كل واحد منهما قد بانت عنه، وهي معتدة منه قد تعذَّر منهما الاستمتاع، ولأنها لو وجبت لها السكنى لوجبت لها النفقة ـ كما يقوله من يوجبها ـ فأما أن تجب لها السكنى دون النفقة فالنص والقياس يدفعه وهذا قول عبد الله بن عباس وأصحابه وجابر بن عبد الله، وفاطمة بنت قيس إحدى فقهاء نساء الصحابة، وكانت فاطمة تناظر عليه، وبه يقول أحمد بن حنبل وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأصحابه وداود بن علي وأصحابه، وسائر أهل الحديث.

وللفقهاء في هذه المسألة ثلاثة أقوال، وهي ثلاث روايات عن أحمد أحدها: هذا، والثاني: أن لها النفقة والسكنى، وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود وفقهاء الكوفة، والثالث: أن لها السكنى دون النفقة، وهذا مذهب أهل المدينة وبه يقول مالك والشافعي.

* * *

س: الحامل المطلقة ثلاثًا هل لها نفقة؟

ج: نعم الحامل المطلقة ثلاثًا لها نفقة، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال القرطبي رحمه الله عن تفسير هذه الآية من سورة الطلاق:

لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثًا، أو أقل منهن حتى تضع حملها.

وقال في «تفسير البقرة»[1] أجمع أهل العلم على أن نفقة المطلقة ثلاثًا أو

(١) (٣/ ١٢٢)

مطلقة للزوج عليها رجعة وهي حامل واجبة لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ﴾ الآية.

وقال ابن تيمية رحمه الله[1]: في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فأوجب نفقة حملاً ورضيعًا بواسطة الإنفاق علىٰ الحامل والمرضع، فإنه لا يمكن رزقه بدون رزق حامله ومرضعه.

* * *

س: المطلقة البائن إذا أرضعت لزوجها هل تأخذ منه أجرًا؟

ج: نعم لها أن تأخذ منه أجرًا، لقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وقد نقل بعض العلماء الإجماع علىٰ أن أجرة الرضاع علىٰ الزوج إذا خرجت المطلقة من العدة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بنَّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالبًا إلا به، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه علىٰ ما ينفقان عليه من أجرة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارة، كما قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٤/ ١٠٦).

أُخْرَىٰ﴾ أي وإن اختلف الرجل والمرأة، فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلىٰ ذلك أو بذل الرجل قليلاً، ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها، وقوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أي لينفق علىٰ المولود والده ووليه بحسب قدرته ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ ؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات؛ أي ولْيَقْبَل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل، والجميل منها إرضاع الولد من غير أجرة. والجميل منه توفير الأجرة عليها للإرضاع، وقيل: ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتىٰ لا يلحق الولد إضرار، وقيلَ: هو الكسوة والدِّثار، وقيل: معناه لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ ؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه فامتنعت من رضاعه، فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها علىٰ إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائنة منه.

وقال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي في أجرة الرضاع فأبىٰ الزوج أن يعطي الأمّ رضاعها. وأبت الأمّ أن ترضعه فليس له إكراهها، وليستأجر مرضعة غير أمّه، وقيل: معناه وإن تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها؛ وهو خبر في معنىٰ الأمر، وقال الضحاك: إن أبت الأم أن ترضع استأجر لولده أخرىٰ، فإن لم يقبل أجبرت أمّه علىٰ الرضاع بالأجر.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ طرف من العتب على المرأة وضح هذا العتب؟

ج: وجه هذا العتب من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ فكأن فيه إشارة إلىٰ المرأة المستقلة لأجرة الرضاع ـ التي تراها قليلة ـ، إلىٰ أن تقبل هذا القليل ما دام كافيًا، فإنكِ أيتها الأم إن لم تقبلي فسترضع له أخرىٰ، كما تقول لشخصٍ: افعل هذا، وإلا فعله غيرك.

* * *

س: إذا طلَّق الرجل زوجته فمن أحق بالولد؟

ج: ذهب أهل العلم إلىٰ أن الأم أحق بالطفل من الأب ما لم تتزوج، وذلك لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، وفيه أن النبي ﷺ قال للمرأة: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**»[1] ونقل غير واحد من أهل العلم الإجماع علىٰ ذلك.

---

(١) أخرج أبو داود (حديث ٢٢٧٦)، واللفظ له، وأحمد (٢/ ١٨٢)، والبيهقي (٨/ ٤، ٥) والدارقطني (٣/ ٣٠٤، ٣٠٥) والحاكم وصححه (٢/ ٢٠٧) من حديث عمر بن شعيب =

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/ ٣٢٩)، قوله: «**أنت أحق به**»، فيه دليل على أن الأم أولى بالولد من الأب ما لم يحصل مانع من ذلك بالنكاح؛ لتقييده ﷺ للأحقية بقوله: «**ما لم تنكحي**» وهو مجمع على ذلك، كما حكاه صاحب «البحر».

ونقل الخطابي ـ في «معالم السنن» ـ الاتفاق على ذلك أيضًا.

وقال الصنعاني في «سبل السلام» (ص١١٧٥): والحكم الذي دل عليه الحديث لا خلاف فيه.

هذا إذا لم تتزوج الأم.

أما إذا تزوجت: فذهب الجمهور إلى أن الأم إذا نكحت سقط حقها من الحضانة. نقل ذلك عنهم الصنعاني في «سبل الإسلام» (ص١١٧٥).

وذهب ابن حزم إلى أن حقها في الحضانة لا يسقط حتى إذا نكحت، وضعَّف الحديث.

= عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وِعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلَّقني وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله ﷺ: «أنتِ أحق به ما لم تنكحي»، وإسناده حسن.

وأخرج أبو داود (٢٢٧٧) بإسناد حسن من طريق أبي ميمونة سُلمى ـ مولى من أهل المدينة رجل صدق ـ قال: بينما أنا جالس مع أبي هريرة جاءته امرأة فارسية معها ابن لها، فادعياه، وقد طلقها زوجها، فقالت: يا أبا هريرة ـ ورطنت بالفارسية ـ زوجي يريد أن يذهب بابني، فقال أبو هريرة: استهما ـ ورطن لها بذلك ـ فجاء زوجها فقال: من يُحاقني في ولدي؟ فقال أبو هريرة: اللهم إني لا أقول هذا إلا أني سمعت امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده، فقالت: يا رسول الله إن زوجي يريد أن يذهب بابني، وقد سقاني من بئر أبي عنبة، وقد نفعني، فقال: رسول الله ﷺ: «استهما عليه»، فقال زوجها: من يُحاقني في ولدي؟ فقال النبي ﷺ: «هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت» فأخذ بيد أمه فانطلقت به.

والحديث حسن، فلا عبرة بما قاله ابن حزم رحمه الله.

أما الاستدلالات التي استدل بها ـ رحمه الله ـ فقد رد عليها الصنعاني رحمه الله في «سبل الإسلام» (١١٧٦).

أما الغلام الذي استغنى عن الحضانة فإنه يُخيَّر عملاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قدمناه، وذلك على الراجح من أقوال أهل العلم رحمهم الله.

وأدخل بعض أهل العلم اعتبار مصلحة الصبي في دينه مع الاختيار، مستدلين بعمومات مثل قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

قال ابن حزم رحمه الله «المحلى» (١٠/ ٣٢٣):

فمن ترك الصغير والصغيرة حيث يدربان على سماع الكفر ويتمرنان على جحد نبوة رسول الله ﷺ، وعلى ترك الصلاة والأكل في رمضان وشرب الخمر والأُنس إليها، حتى يسهل عليهما شرائع الكفر، أو على صحبة من لا خير فيه، والانهماك على البلاء، فقد عاون على الإثم والعدوان، ولم يعاون على البر والتقوى، ولم يقم بالقسط ولا ترك ظاهر الإثم وباطنه، وهذا حرام ومعصية، ومن أزالهما عن المكان الذي فيه ما ذكرنا إلى حيث يُدرَّبان على الصلاة والصوم وتعلم القرآن وشرائع الإسلام والمعرفة بنبوة رسول الله ﷺ، والتنفير عن الخمر والفواحش، فقد عاون على البر والتقوى، ولم يعاون على الإثم والعدوان وترك ظاهر الإثم وباطنه وأدى الفرض في ذلك.

هذا وقد استثنى أبو محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ مدة الرضاعة من ذلك، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، لينفق كل منكم يا من طلقتم النساء، وبانت امرأة أحدكم منه، وكانت ترضع له، لينفق عليها وعلى ولدها لكونها ترضع ولدها، على قدر سعته، فمن كان غنيًا فليوسع ومن كان فقيرًا فلينفق على قدر استطاعته، فإن الله عز وجل لا يكلف نفسًا إلا ما آتاها، فلا يكلف ربنا الفقير بما يكلف به الغني، ولا المعسر كما يكلف الموسر.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾: يقول تعالى ذكره: لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال وغنى من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ يقول: ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطي منه.

وقال أيضًا: وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ يقول: لا يكلف الله أحدًا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدورًا عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته، لا يكلف الفقير نفقة الغني، ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ﴾ أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير

على قدر وُسعه حتى يوسّع عليهما إذا كان مُوسَّعًا عليه، ومن كان فقيراً فعلى قدر ذلك، فتقدّر النفقة بحسب الحالة من المنفِق والحاجة من المنفَق عليه بالاجتهاد على مجرى حياة العادة؛ فينظر المفتي إلى قدر حاجة المنفَق عليه، ثم ينظر إلى حالة المنفِق، فإن احتملت الحالة أمضاها عليه، فإن اقتصرت حالته على حاجة المنفق عليه ردّها إلى قدر احتماله.

وقال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه وأصحابه: النفقة مقدّرة محدّدة، ولا اجتهاد لحاكم ولا لِمُفتٍ فيها، وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يُسْره وعُسْره، ولا يعتبر بحالها وكفايتها، قالوا: فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس، فإن كان الزوج مُوسِراً لزمه مُدّان، وإن كان متوسطًا فَمُدّ ونصف، وإن كان معسِراً فَمُدّ.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ الآية، فجعل الاعتبار بالزوج في اليُسر والعُسْر دونها، ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره؛ فيؤدّي إلى الخصومة؛ لأن الزوج يدّعِي أنها تلتمس فوق كفايتها، وهي تزعم أن الذي تطلب قدر كفايتها؛ فجعلناها مقدّرة، قطعًا للخصومة، والأصل في هذا عندهم قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ ـ كما ذكرنا ـ، وقوله: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾.

والجواب أن هذه الآية لا تعطي أكثر من فرق بين نفقة الغنيّ والفقير، وإنها تختلف بعُسْر الزوج ويُسره، وهذا مُسَلَّم، فأمّا إنه لا اعتبار بحال الزوجة على وجهه فليس فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وذلك يقتضي تعلّق المعروف في حقهما؛ لأنه لم يخص في ذلك واحداً منهما، وليس من المعروف أن يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة، وقد قال رسول الله ﷺ لِهند: «خُذِي ما يكْفِيكِ وولدكِ

بالمعـــروف»، فأحالها على الكفاية حين علم السّعة من حال أبي سفيان الواجب عليه بطلبها، ولم يقل لها لا اعتبار بكفايتك، وأن الواجب لك شيءٌ مُقدر، بل ردها إلى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم، ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج إلى توقيف، والآية لا تقتضيه.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ خاص بانفاق الرجل على امرأته التي ترضع له أم هو هدي عام؟

ج: بل هو هدي عام، فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وقال النبي ﷺ: «إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا»، وقال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وقال تعالى أيضًا: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة أثرٌ في إسناده ضعف ـ أخرجه الطبري[1] بإسناده إلى أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبي عبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها، فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال رحمه الله: تأول هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾.

* * *

(١) الطبري (٣٤٣٥٢)، في سنده ابن حميد وهو ضعيف، وفيه أيضًا الانقطاع بين أبي سنان، وهو سعيد بن سنان، وعمر رضي الله عنه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، لا يكلف الله نفسًا إلا على القدر الذي أعطاها، فلا يكلف الله نفسًا فوق طاقتها، أي لا يكلفها إلا ما تطيق وتحتمل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ يقول: لا يكلف الله أحدًا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدورًا عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته، لا يكلف الفقير نفقة الغني، ولا أحدًا من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه.

وأورد عن ابن زيد[1] أيضًا أثرًا فيه: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ قال لا يكلفه الله أن يتصدق، وليس عنده ما يتصدق به، ولا يكلفه أن يُزكي وليس عنده ما يُزكي.

* * *

س: على المؤمن أن يأمل الفرج وينتظر اليسر، ولا ييأس من رحمة الله، فالعسر يتبعه يسرٌ، والشدة يتبعها فرج والفقر يتبعه غنى، دلِّل على ذلك.

ج: كون المؤمن لا ييأس من رحمة الله، فلقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ أما كون العسر يتبعه يسر، والضيق يتبعه فرج فلقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ولقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ولقول النبي ﷺ: «..وأن الفرج مع الكرب»[2].

---

(١) أثر رقم (٣٤٣٥٦).

(٢) عند أحمد (١/ ٣٠٧)، وله شواهد يُصحح بها.

فلا ينبغي أن ييأس المؤمن من فرج الله، ولا أن يقنط من رحمة الله، فإن هذا من شأن الكفار، لا تحل بهم بلية إلا وأصابهم الهلع، وظنوا أن لا انكشاف لها.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

* * *

س: حفظ البلاد والعباد وأمنهم وسلامتهم، كل ذلك يكون بطاعة الله عزَّ وجل، ودمار البلاد والعباد، بل والعالم أجمع من أعظم أسبابه معصية الله عزَّ وجل ومخالفة أمره، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن

كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

والآيات في الباب كثيرة جداً.

* * *

س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ...﴾ في سورة الطلاق؟

ج: وجه ذكرها، والله أعلم، تحذير كل من خالف أمر الله عز وجل وعاند المرسلين، وتذكيره بأن هذا مصيره، وهو الحساب الشديد والعذاب النُكر إن هو استمر على ما هو فيه.

ويدخل في ذلك ضمناً كل من خالف أمر الله في الطلاق، وعبث بحدود الله وطلَّق مراراً ولم يُبال وراجع ولم يُبال، بل لم يُبال ولم يهتم بطلاقٍ ولا برجعة، فهؤلاء الذين لا يبالون بمحرمات الله ويعيشون مع نسائهم في الحرام، وقد طلقوا نساءهم فبانت منهم النساء، ولم يهتموا لذلك ولم يهتشوا، بل جامعوهن ونالوا منهن ـ وهن لسن لهم بأزواج ـ ما يناله الزوج من زوجته، فهذا مصيرهم العذاب الشديد والعذاب النكر وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه، وعن أمر رسل ربهم، فتمادوا في طغيانهم وعتوّهم، ولجوا في كفرهم.

وأورد عن ابن زيدٍ أثراً[١] بإسناد صحيح في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ قال: العتوّ هاهنا الكفر والمعصية، عتواً: كفراً، وعتت عن أمر ربها، تركته ولم تقبله، وقيل: إنهم كانوا قومًا خالفوا أمر ربهم في الطلاق، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك.

* * *

س: كيف وصفت القرية بالعتو في قوله تعالى: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾؟

ج: وصفت القرية بالعتو، والمراد أهلها كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمراد أهلها.

* * *

س: ما المراد بالحساب الشديد، والعذاب النُّكر؟

ج: أما الحساب الشديد، فالمراد، والله أعلم، حساب لا عفو فيه ولا تجاوز معه، ولا رحمة فيه ولا هوادة، وقيل إن المراد بذلك الأخذ بالشدة والعذاب في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب.

وأورد الطبري[٢] بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ لم نعف عنها، الحساب الشديد ليس فيه من العفو شيء.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ يقول فحاسبناها على نعمتنا عندها،

---

(١) الطبري أثر (٣٤٣٥٩).

(٢) الطبري أثر (٣٤٣٦١)

وشكرها حسابًا شديدًا، يقول: حسابًا استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيءٍ ولم نتجاوز فيه عنهم.

أما العذاب النكر: فهو العذاب العظيم الشديد المُنكر، وهو عذاب جهنم.

* * *

س: ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ولماذا نصبت (رسولاً) ومن المعنى بالرسول؟

ج: أما المراد بالذكر فهو ـ على رأي كثير من العلماء ـ القرآن، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾.

وقال آخرون إن الذكر هنا هو الرسول ﷺ، وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى.

فقال رحمه الله: والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة.

فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكرًا من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزل الله عليه (مبينات) يقول: مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله. أما: لماذا نصبت (رسولاً)؟ فمن قال إن الذكر هو الرسول فلا إشكال، فيكون (رسولاً) بدلاً من (ذكرًا).

وقال آخرون: هناك إضمار، فالمعنى قد أنزلنا إليكم ذكرًا وأرسلنا إليكم رسولاً. أما الرسول فهو محمدٌ ﷺ.

* * *

س: هل (الأرضون) سبعٌ؟

ج: نعم (الأرضون) سبعٌ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «من ظلم شبرًا من الأرض طوِّقه من سبع أرضين»(١).

وفي رواية: «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقِّه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»(٢).

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم:

ذكرنا لكم خلق السموات السبع، والأرضين السبع، وتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن ربكم عليكم قادر، فمن قدر علىٰ هذا الملك العظيم فهو علىٰ ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكن.

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٤٥٢) ومسلم (حديث ١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٢٤٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ
مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ
حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ
بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا
خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ
ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ
ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا
تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا
يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ
وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ
يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ
﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ
وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

اذكر معنى ما يلي:

(تبتغي ـ فرض اللَّه لكم ـ تحلة أيمانكم ـ مولاكم ـ نبأت به ـ أظهره اللَّه عليه ـ عرَّف بعضه ـ نبأها ـ إن تتوبا إلى اللَّه ـ صغت قلوبكما ـ تظاهرا عليه ـ ظهير ـ مسلمات ـ مؤمنات ـ قانتات ـ تائبات ـ سائحات ـ ثيبات ـ أبكارًا ـ وقودها ـ غلاظ ـ نصوحًا ـ يُكفر ـ نورهم يسعى ـ المصير ـ أحصنت فرجها ـ روحنا ـ نفخنا فيه من روحنا ـ صدقت بكلمات ربها ـ القانتين).

ج:

الكلمة	معناها
تبتغي	تطلب ـ تلتمس.
فرض اللَّه لكم	بين اللَّه لكم ـ أوجب اللَّه عليكم
تحلة أيمانكم	ما تتحللون به من اليمين، ويزول به الإثم عنكم.
مولاكم	متولي نصركم، ومتولي أمركم ـ حافظكم.
نبأت به	أخبرت به.
أظهره اللَّه عليه	أطلعه اللَّه عليه ـ أخبره اللَّه به.
عرَّف بعضه	تحدث ببعضه (مع زوجته) ـ عاتبها وجازاها على بعضه.
نبأها	أخبرها.
إن تتوبا إلى اللَّه	توبا إلى اللَّه (فهو حثٌّ على التوبة).
صغت	مالت قلوبكما (إلى محبة ما كرهه رسول اللَّه ﷺ).
قلوبكما	أثمت قلوبكما، ومن الإصغاء بمعنى الميل؛ «أصغى الإناء

الكلمة	معناها
	للهرة» أي: أماله لها لتشرب.
تظاهرا عليه	تتعاونا عليه.
ظهير	ظهير هنا بمعنى ظهراء، أي: أعوان، وهو كقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقًا﴾ أي: رفقاء. ومنه قول الشاعر: إن العواذل ليس لي بأمير، أي: بأمراء.
مسلمات	مستسلمات ـ خاضعات لأمر اللَّه.
مؤمنات	مصدقات باللَّه ورسوله.
قانتات	مطيعات للَّه.
تائبات	راجعات إلى ما يحبه اللَّه ورسوله منهنّ من طاعة.
سائحات	صائمات ـ مهاجرات ـ ويدخل فيها أيضًا المسافرات للاتعاظ والاعتبار.
ثيبات	تزوجن وذهبت بكارتهن.
أبكارًا	اللوتي لم يجامعهن أحد.
وقودها	حطبها.
غلاظ	نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين.
نصوحًا	صادقة ـ جازمة.
يُكفر	يمحو.
نورهم يسعى بين أيديهم	نورهم يتقدمهم.
وبأيمانهم	أي: كتبهم بأيمانهم ـ مصابيح النور بأيمانهم، ونورهم[1]

(١) على أن حروف الجر تتناوب، فتأتي الباء بمعنى عن.

الكلمـــة	معنـاهـــا
	عن أيمانهم.
المصير	المرجع والمآب.
أحصنت فرجها	حفظت فرجها ـ عفت عن الحرام.
روحنا	جبريل.
نفخنا فيه من روحنا	قال بعض العلماء: إن جبريل نفخ في جيب درعها (فتحة الثوب من أعلى) فتسربت النفخة إلى الفرج؛ فحملت بعيسى عليه السلام.
صدقت	آمنت وأقرت بعيسى (فعيسى كلمة اللَّه).
بكلمات ربها	آمنت وأقرت بشرائع ربها التي نزلت على الأنبياء عمومًا[1]. صدقت بكلمة «كن» التي خلق اللَّه بها عيسى، كما قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند اللَّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.
القانتين	المطيعين.

(١) وقد قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾، والكلمة هنا هي قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض. . .﴾ الآية.
وفي الباب كذلك قوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته﴾.
وفي الباب أيضًا قوله تعالى: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾، أي: بأوامر، ونواهٍ، وشرائع، وسنن.

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وهل يمكن أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة؟

ج: أما كون أسباب النزول قد تتعدد لآية واحدةٍ: فذلك واردٌ، فتحدث نازلةٌ من النوازل ثم تحدث نازلةٌ أخرىٰ ثم ثالثةٌ، فتنزل الآية في كل ذلك.

أما سبب نزول الآية الكريمة، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يَمكُثُ عند زينبَ ابنة جحشٍ ويَشرَبُ عندَها عسلاً، فتواصَيتُ أنا وحَفصة أنَّ أيتنا دخلَ عليْها النبيُّ ﷺ فلْتَقل: إني لأجِدُ منك ريحَ مَغافير، أكلتَ مغافير؟ فدخل علىٰ إحداهما فقالت له ذلك، فقال: لا بأس، شربتُ عَسَلاً عند زينب ابنةِ جَحش، ولن أعود له، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصةَ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقولهِ: بل شرِبتُ عسلاً».

وأخرج النسائي[2] بسندٍ صحيح عن أنس رضي الله عنهْ أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتىٰ حرمها، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ إلىٰ آخر الآية.

قلت (مصطفى): والجمع بين السببين ممكن كما قدمنا، بأن تكون الحادثتان قد حدثتا ثم نزلت الآية الكريمة فيهما معًا، وإلىٰ هذا أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ «في الفتح»، وكذا الشوكاني وغيرهما.

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٦٧) ومسلم (مع النووي ١٠/ ٧٥).

(٢) «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٩٥) أثر (١١٦٠٧/ ١).

وقال الطبري رحمه الله تعالى بعد أن أورد أسباب نزول للآية الكريمة:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه شيئًا كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شرابًا من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان حلالاً له، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبيّن له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه.

* * *

س: ما الذي حرَّمه رسول الله ﷺ على نفسه فعاتبه الله على ذلك؟

ج: حرَّم رسول الله ﷺ على نفسه العسل، وحرَّم أيضًا على نفسه جاريته مارية.

* * *

س: ما حكم من قال لزوجته أنتِ عليَّ حرام؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال متعددة، وصل بها القرطبي إلى ثمانية عشر قولاً، وجلّها لا ترتكن إلى دليل ثابت صحيح صريح.

وأورد كمّاً من هذه الأقوال ابن حزم في «المحلى»[1]، والنووي في «شرح مسلم» نقلاً عن عياض.

وأقوى هذه المذاهب والآراء فيما يبدو لي ـ والله أعلم ـ، مذهب من قال إن التحريم لغو لا كفارة فيه، ويقاربه في القوة رأي من قال: إنها يمين تُكفَّر، ودليل ذلك أن الله عز وجل قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا

(١) المحلى لابن حزم (١٠/ ١٢٤) ومسلم في «شرح النووي» (٣/ ٦٧٠) ط الشعب.

أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

وسبب نزول الآية: تحريم النبي ﷺ ما فعله عند بعض نسائه من الاحتباس عندها وشرب العسل، وها هو الحديث بذلك:

أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: «**لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود**[2]، **وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا**».

* * *

س: حب النساء قد يحمل الشخص أحيانا على اختيار المفضول وترك الفاضل دلِّل على ما تقول؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

* وقول عمر رضي الله عنه: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار. فصخبت يومًا على امرأتي فراجعتني. . . . الحديث[3].

---

(١) البخاري (حديث ٤٩١٢) ومسلم (ص١١٠٠).

(٢) عند البخاري «مع الفتح ٩/ ٣٧٤»، فنزلت: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك. . .﴾.

(٣) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١١١١).

وقصة ابن عمر[١] مع أبي أيوب الأنصاري في «ستر الجدران»، فقد أخرج البخاري معلقًا:

أن ابن عمر دعا أبا أيوب الأنصاري فرأىٰ في البيت سترًا علىٰ الجدار، فقال ابن عمر غلبنا عليه النساء، فقال: من كنت أخشىٰ عليه فلم أكن أخشىٰ عليك، والله لا أطعم لكم طعامًا». وعزاه الحافظ في «الفتح» إلىٰ أحمد في «الورع» و«مُسدد» في مسنده والطبراني.

وقصة جابر في زوجته في «الأنماط»، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**هل لكم من أنماط؟**» قلت: وأنىٰ يكون لنا الأنماط؟ قال: «**أما وإنها ستكون لكم الأنماط**»، فأنا أقول لها ـ يعني امرأتُهُ ـ أخِّري عنا أنماطَك فتقول: ألم يَقُل النبيُّ ﷺ إنها ستكون لكم الأنماط فأدَعُهَا.

وقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿**لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ**﴾.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج: وجه هذا الختام أن فيه حث علىٰ الاستغفار وطلب رحمة الله عزَّ وجل، وهذا أمر يكاد أن يكون مضطردًا عند ذكر الأخطاء، أو الذنوب، بل والكبائر كذلك، فإذا ذُكر خطأ، أو ذكر ذنب وعقوبته، أو كبيرة وعقوبتها تفتح أبواب التوبة، حتىٰ لا ييأس أحدٌ من رحمة الله عز وجل، ولا يقنط أحدٌ.

وقد بيّنا ذلك في أكثر من موطن منها في سورة المجادلة فارجع إليه إن شئت.

* * *

(١) البخاري مع الفتح (٩/ ٢٤٩). (٢) البخاري مع الفتح (٦/ ٦٢٩)، ومسلم (٤/ ٧٩٢).

س: ما تحلة الأيمان هذه المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ ؟

ج: تلك هي المذكورة في سورة المائدة، في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

* * *

س: ما هذا السر الذي أسره النبي ﷺ إلى بعض أزواجه؟

ج: الله أعلم، فقد يكون هذا السر هو قوله ﷺ: «**قد شربتُ عسلاً ولن أعود، وقد حلفتُ فلا تخبري بذلك أحدا**».

وقد يكون هذا السر هو قوله ﷺ في شأن مارية: «**لن أعود**» أي: إلى جماعها.

وقد يكون غير ذلك.

وقد ذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال، فقال في «زاد المسير»:

وفي هذا السِّرِّ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قال لها: إني مُسِرٌّ إليك سراً فاحفظيه، سرّيتي هذه عليَّ حرام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي.

والثاني: أنه قال لها: أبوك، وأبو عائشة، واليا الناس من بعدي، فإياك أن تخبري أحداً. ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أنه أسرَّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي، قاله ميمون بن مهران.

* * *

س: من تلك الزوجة التي أسر إليها النبي ﷺ حديثًا فنبأت به؟

ج: ذهب كثير من العلماء إلى أنها حفصة رضي الله عنها بل وقد قال ابن الجوزي هي حفصة من غير خلاف علمناه.

قلت: وقد وردت بذلك جملة آثار عند الطبري وغيره[1].

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ أدبٌ ينبغي أن نتحلى به في التعاملات، وضح هذا الأدب؟

ج: من المستفاد من ذلك أن الشخص ينبغي أن يتعامل مع الناس على قدر عقولهم فالعاقل يتعامل معه بما يقتضيه عقله، ومن كان دون ذلك فبحسبه، وكذا يعامل الصغير بحسب عقله، والكبير كذلك، وأيضًا فالنساء كذلك، فالمرأة لما كانت ناقصة عقل ودين عُوملت بمقتضى نقص عقلها ودينها، فإذا أخطأت في أمور عشرة - على سبيل المثال - تؤاخذ في خمسٍ منها مثلاً ويعفى لها عن خمس، فها هي أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ يُسر إليها النبي ﷺ بحديث، ويقول لها فيه لا تخبري بذلك أحداً، فخرجت ونبأت به، فماذا كان من رسول الله ﷺ؟!! كان منه عليه الصلاة والسلام ما ذكره الله في كتابه: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

ومن ثمَّ فينبغي أن تكون هناك تجوزات وعفو وصفح عن تلك الأمور التي لا يضر معها العفو والصفح.

وكما هو معلوم، فيندر أن تجتمع خصال الخير في شخصٍ، فإذا كان ذلك كذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها**

---

(١) انظر الطبري (٣٤٣٩٧، ٣٤٣٩٥، ٣٤٣٨٦).

راحلة»[١] وهذا في الناس عمومًا، فلا تكاد تجد رجلاً شجاعًا مغوارًا مقدامًا كريمًا سخيًّا عالمًا محسنًا متصدقًا كاظمًا للغيظ عاف عن الناس، صبورًا يقوم الليل ويصوم النهار واصلاً للأرحام بارًّا بوالديه. . . نادرًا ما تجد خصال الخير تجتمع في رجل، كالإبل في المائة واحد تجده صبورًا على الجوع والعطش مريحًا في المشي هادئ الطبع لبنه كثير، نادرًا ما تجد في الإبل كهذا.

فإذا كان هذا هو الشأن، الشأن في الناس أنهم كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، فالنساء اللواتي خلقن من ضلع من باب أولى ألا تجتمع فيهن خصال الخير، فقد تكون المرأة جميلة حسناء ولكنها بذيئة اللسان، وقد تكون جميلة حسناء لسانها طيب وقولها جميل، لكنها مبذرة في الإنفاق، ومتوسعة فيه وغير مقتصدة في معيشتها، وقد تكون مقتصدة في معيشتها لكن لا تجيد الطهي والخبيز[٢]، وقد تكون جميلة حسنة الخلق حسنة التبعل متقنة لعمل البيت لكنها شديدة الغيرة، وقد يكون فيها ما ذُكر من جمال وبهاء وحسن تبعل واتقان للعمل إلا أنها ضعيفة في العبادة. . . إلى غير ذلك.

الشاهد: أن المرأة بها عوج كما قال النبي ﷺ كالضلع وكالعود، عودٌ في آخره عوج، تريد أن تقوِّمه وتعدله، فإذا ذهبت تقوِّمه كُسر منك، وإن تركته بقي أعوجًا، فكذلك المرأة إن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) وأسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين العاقلة الرشيدة تقول عن نفسها: ولم أكن أحسن الخبيز، انظر البخاري (٩/ ٣١٩) ومسلم (٥/ ٢٦) وزينب بنت جحش أم المؤمنين كانت عابدة متصدقة جميلة، لكن تعتريها حدةٌ أحيانًا.

وأمنا عائشة رضي الله عنها كانت غيورًا مع فضلها وعلمها رضي الله عنها ولم ينجب منها رسول الله ﷺ.

استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج.

فلا بد أن يكون في المرأة عيب وعوج، وكما قال النبي ﷺ «**فدارها تعش بها**».

لا نقول لك اتركها بعيوبها، ولكن قوِّمها برفق ولين قدر الاستطاعة، وسدد وقارب ولن تستطيع أن تصل إلى التمام لقول النبي ﷺ: «**وإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج**» فليكن منك هذا الحديث على بال والله المستعان وعليه صلاح الأحوال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يفرك مؤمن مؤمنةً إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»[1] وقال الله تبارك وتعالى في شأن النساء: ﴿**فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾.

فقد ترزق منها الولد، وقد تكون عونًا لك على طاعة الله بحسن تربية أولادها، وبحسن تذكيرها بالله، وبحدوده ومحارمه.

* * *

س: من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله فيهما ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾.

ج: هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما، ففي «الصحيحين»[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عُمرَ بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبيِّ ﷺ اللتَين قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ حتى حجَّ وحَجَجْت معه، وعدَل وعدلت

(١) مسلم (٣/ ٦٥٧).

(٢) البخاري (حديث ٥١٩١) ومسلم (حديث ١١١١).

معه بإداوَةٍ، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أميرالمؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟

قال: واعجبا لك يا ابن عباس، هما عائشةُ وحَفصة ـ ثم استَقبل عمر الحديث يَسوقه ـ قال: كنت أنا وجَارٌ لي من الأنصار في بني أميةَ بن زَيد وهم من عَوالي المدينة، وكنا نَتَاوبُ النزول على النبي ﷺ فينزِل يوما وأنزل يومًا، فإذا نزلت جِئتُه بما حَدَث من خبر ذلك اليوم من الوَحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك؛ وكنا معشر قريش نَغلبُ النساء، فلما قدِمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفِقَ نساؤنا يأخذنَ من أدَب نساء الأنصار فصخِبت علي امرأتي فراجَعتني، فأنكَرت أن تراجعني؛ قالت: ولمَ تُنكر أن أراجعك؟ فو الله إن أزواج النبي ﷺ لَيراجعنه، وإن إحداهن لَتهجُرهُ اليوم حتى الليل، فأفزَعني ذلك، فقلت لها: قد خَاب من فعل ذلك منهن، ثم جَمعت عليَّ ثيابي، فنزلتُ فَدخلت على حفصةَ فقلت لها: أي حفصة، أتُغاضِب إحداكن النبي ﷺ اليومَ حتى الليل؟ قالت: نعم.

فقلت: قد خبتِ وخسرت، أفتأمَنين أن يغضَب الله لغضبِ رسول الله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبيَّ ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسَليني ما بَدا لكِ، ولا يَغرنَّكِ أن كانت جارتُك أوضأ منكِ وأحَبَّ إلى النبي ﷺ ـ يُريدُ عائشةَ.

قال عُمر: وكنا قد تحدثنا أن غسَّان تُنعلُ الخيل لتَغْزونا، فنزل صاحبي الأنصاريُّ يوم نوبتِه، فرجع إلينا عِشاء، فضرَب بابي ضربًا شديدًا وقال: أثم هو؟ ففزعتُ فَخرجَت إليه، فقال: قد حَدَثَ اليوم أمر عظيم، قلت ما هو؟ أجَاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلِك وأهولُ، طلقَ النبي ﷺ

نساءهُ، وقال عبيد بن حنين سمع ابن عباس عن عمر فقال: اعتزل النبي ﷺ أزواجه ـ فقلت خابت حفصةُ وخسِرت، وقدكنت أظن هذا يُوشك أن يكون. فجمعت عليَّ ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبيُّ مشربةً له فاعتزل فيها؛ ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت ما يُبكيك، ألم أكن حذَّرتُكِ هذا، أطلقكنَّ النبيُّ ﷺ؟ قالت لا أدري، ها هو ذا معتزلٌ في المشربة، فخرجتُ فجئت إلى المِنْبر فإذا حوله رهْطٌ يَبكي بعضهم، فجلَسْت معهم قليلا، ثمَّ غلبني ما أجد، فجئت المشربةَ التي فيها النبيُّ ﷺ فقلت لغلام له أسودَ: استأذِن لِعمر.

فدخل الغلام فكَلَّم النبيَّ ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبيَّ ﷺ وذكرتُك له فَصَمتَ. فانصرفت حتي جلستُ مع الرهطِ الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجِدُ، فجئت فقلت للغلام استأذِن لِعُمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت. فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجَع إليّ فقال: قد ذكرتك له فصَمَت.

فلما وليت منصرفا، قال: إذا الغلام يدعُوني، فقال: قد أذِن لك النبيُّ ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حَصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرِّمال بجنبه متكئًا على وسادة من أدَمٍ حشوُها ليف، فسلمت عليه ثم قلت، وأنا قائمٌ: يا رسول الله أطلقت نِساءك؟

فرفع إليَّ بصَرَه، فقال: «لا». فقلت: الله أكبرُ، ثم قلت ـ وأنا قائم أستأنِسُ ـ: يا رسُول الله، لو رأيتني وكنَّا معشرَ قريشٍ نغلبُ النساء فلما قدمنا المدينة إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم، فتبسَّم النبيُّ ﷺ، ثم قلتُ: يا رسول الله، لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلتُ لها: لا يغرنك أن كانت جارتُكِ

أوضأ منك وأحبَّ إلىٰ النبي ﷺ - يُريد عائشة.

فتبسم النبيُّ ﷺ تبسُّمَةً أخرىٰ، فجلستُ حين رأيتهُ تَبَسم، فرفَعتُ بصري في بيته فو الله ما رأيتُ في بيتهِ شيئًا يردُّ البصر غير أهَبَةٍ ثلاثةٍ، فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسع علىٰ أُمَّتك، فإن فارسَ والرُّوم قد وُسِّعَ عليهم وأعْطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله.

فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: «**أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قومٌ قد عُجلوا طيِّباتهم في الحياة الدنيا**»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي، فاعتزل النبيُّ ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصةُ إلىٰ عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: «**ما أنا بداخل عليهنّ شهرًا**» من شِدَّة مَوجدَتِهِ عليهنَّ حين عاتبه الله عز وجل، فلما مضَت تسع وعشرون ليلة، دخل علىٰ عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدُّها عدًا. فقال: «**الشهر تسع وعشرون ليلة**»، فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالىٰ آية التَّخَيُّر فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة.

* * *

س: ما جواب الشرط لقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾؟

ج: من العلماء من يذهب إلىٰ أن المعنىٰ هنا تام، فالمعنىٰ توبا إلىٰ الله ومنهم من يقول: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ جوابه: فذلك واجب عليكما.

* * *

س: لماذا قال: (قلوبكما) ولم يقل: قلباكما مع أنهما اثنتان (حفصة وعائشة رضي الله عنهما)؟

ج: لذلك أجوبة عند أهل العلم.

منها: أن المثنى أخف من الجمع خاصة عند الإضافة فما دام المعنى معلومًا فلا بأس أن يستعمل الجمع مكان المثنى كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

الثاني: ذكره من يرى من العلماء أن أقل الجمع اثنان كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾.

هذا، وقد قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ أي: قلباكما. قال الفراء: هو مثل قول العرب: ضربت ظهوركما، وهشمت رءوسكما أي: رأسيكما وظهريكما. ويقال: إن أكثر ما في الإنسان من الجوارح اثنان اثنان، وإذا هي تذكر باسم الجمع، فما كان واحدا جرى ذلك المجرى، مثل: الرأس والقلب وغير ذلك، ذكره النقاش.

* * *

س: لماذا خُصَّ جبريل بالذكر من بين الملائكة؟

ج: ذلك، والله أعلم، لكونه سيدهم وكبيرهم كما قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾

أي أن جبريل عليه السلام قوي، وله مكانة عند الله سبحانه وتعالى ذي العرش، ثم إنه مطاع هنالك في الملأ الأعلى يطيعه أهل السموات.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾.

وفي الحديث المتفق عليه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء...**» الحديث.

ونحوه في حديث: «**لما خلق الله الجنة قال لجبريل[2] اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لايسمع بها أحدٌ إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفَّها بالشهوات ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها**».

* * *

س: الله سبحانه وتعالى كاف عبده، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فلماذا إذن قيل: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾؟

ج: نعم الله سبحانه وتعالىٰ كافٍ عبده، وهو حسبنا ونعم الوكيل. لكن ضعفنا نحن البشر يحملنا أحيانًا علىٰ التماس أسباب ظاهرة لزيادة الطمأنينة، وقد قال الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠) ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود بسند حسن (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠) وغيرهما.

قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وقال النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى».

ومن ثم سيقت آيات عدة لجلب هذه الطمأنينة وزيادتها قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ونحو ذلك قول عيسىٰ عليه السلام للحواريين: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ وفي الحديث. «مَنْ يُؤويني حتى أُبلغ رسالةَ ربِّي عزَّ وجل»[1].

* * *

س: اذكر بعض موافقات عمر رضي الله عنه ربه عزَّ وجل؟

ج: من ذلك ما يلي:

موافقته لربه لما قال لحفصة: عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيراً منكن. فنزلت الآية بذلك.

وموافقته لربه في قوله: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ. فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وموافقته في آية الحجاب، وفي أسارىٰ بدر، وفي النهي عن الصلاة علىٰ المنافقين، وها هي بعض الأحاديث بذلك.

أخرج البخاري[2] من حديث عمر: «وافقت ربي في ثلاث[3] فقلت:

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٩) بسندٍ حسن من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (٤٠٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ١/ ٥٠٥): وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، من مشهورها قصة أسارىٰ بدر، وقصة الصلاة علىٰ المنافقين، وهما في الصحيح، وصحح الترمذي =

يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزاوجًا خيرًا منكن فنزلت هذه الآية.

وها هي موافقة أخرى:

أخرج البخاري ومسلم من حديث[1] ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لما تُوفِّي عبد الله بن أُبَيّ جاء ابنه عبد الله إلىٰ رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تُصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟

قال: «إنما خيرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾» فقال: «سأزيده على سبعين». قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وموافقة خامسة:

ففي صحيح مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في وصف

= من حديث ابن عمر أنه قال: «ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن فيه علىٰ نحو ما قال عمر» وهذا دالٌّ علىٰ كثرة موافقته.

(١) البخاري (حديث ٤٦٧٢) ومسلم (حديث ٢٤٠٠).

(٢) مسلم (حديث ١٧٦٣).

غزوة بدر قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلىٰ المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارىٰ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرىٰ أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة علىٰ الكفار، فعسىٰ الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرىٰ الذي رأىٰ أبو بكر ولكني أرىٰ أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان ـ نسيبًا لعمر ـ فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوىٰ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علىَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾ فأحل الله الغنيمة لهم.

* * *

س: هل هناك في زمن النبي ﷺ نسوة خير من نساء رسول الله ﷺ حتى يُقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾؟

ج: جواب هذا أن نساء النبي ﷺ إذا عصينه وخالفن أمره فطلقهن فإن مرتبتهن تنزل عن مرتبة غيرهن، ومن ثم تكون غيرهن خيرٌ منهن.

أو أن الله يَمُنُّ على نسوة أخريات بهداية وإيمان حتى تعلو مرتبتهن على غيرهن.

ثم أيضًا إنني لم أقف على نصٍ يُفيد أنهن من الكوامل اللواتي كملن من النساء، اللهم إلا أنهن رضي الله عنهن (أمهات للمؤمنين) ثم إن الله عز وجل أعلم بقلوب العباد، وقد يزوج الله سبحانه نبيه ﷺ في الجنة ـ إضافة إلى نسائه ـ نسوةً أخريات ممن كُن في زمانه، والله أعلم.

* * *

س: هل نكاح الأبكار أفضل أم نكاح الثيبات؟

ج: نكاح الأبكار في الجملة أفضل للأدلة الآتية:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة فتعجلت على بعير لي قطوف، فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعَنَزَة كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبي ﷺ فقال: «**ما يعجلك؟**» قال كنت حديث عهد بعرس قال: «**أبكرًا أم ثيبًا؟**» قلت: ثيبًا قال: «**فهلا جارية[2] تلاعبها وتلاعبك**»، قال: فلما ذهبنا لندخل قال: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً**ـ أي عشاءً ـ

(١) البخاري (حديث ٥٠٧٩) ومسلم (ص١٠٨٨).

(٢) في روايته البخاري (٥٢٤٧) فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك.

لكي تمتشط الشعثة وتستحد المُغيبة».

وما أخرجه البخاري[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: **في التي لم يرتع منها** يعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها.

* * *

س: لماذا قدّمت الثيبات على الأبكار في قوله تعالى ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ مع أن نكاح الأبكار أفضل كما قررتم؟

ج: ذلك لأمرين:

أحدهما: لكون نساء النبي ﷺ كلهن - باستثناء عائشة - رضي الله عنها - كُنَّ ثيبات.

الثاني: لأن نكاح الأبكار، وإن كان في العموم أفضل، لكن في بعض الأوقات يفوقه نكاح الثيبات إذا كانت هناك علةٌ تدعو لذلك.

فقد يكون العارض والعلة اللذان يجعلان زواج الثيب أفضل كون الثيب تعول أيتامًا

فيريد الرجل أن ينال أجر تربية هؤلاء الأيتام والقيام عليهم.

وقد يكون العارض جبر خاطر امرأة مات زوجها، كما ذكره بعض العلماء في تزوج النبي ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها.

وقد يكون العارض هودين الثيب القوي ورجاء الانتفاع بها في الدين والدنيا.

---

(١) البخاري (حديث ٥٠٧٧).

وقد يكون العارض طلب مصاهرة أقوام صالحين، أو لهم جاه ينفع اللَّه به في أمور الدنيا والدين. إلىٰ غير ذلك من العوارض، والله تعالىٰ أعلم.

وفي رواية في الصحيحين[1] لحديث جابر المتقدم قريبًا أنه قال: هلك أبي وترك سبع بناتٍ ـ أو تسع بنات ـ فتزوجت امرأة ثيبًا فقال لي رسول الله ﷺ: **«تزوجت يا جابر؟»**.

فقلت: نعم، فقال: **«بكرًا أم ثيبًا؟»**، قلت: بل ثيبًا قال: **«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟»** قال فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بناتٍ، وإني كرهت أن أجيئن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: **«بارك الله لك، أو خيرًا»**.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤/ ٣٧٦):

وقوله تعالىٰ: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي منهن ثيبات ومنهن أبكارًا ليكون ذلك أشهىٰ إلىٰ النفس؛ فإن التنوع يبسط النفس، ولهذا قال: ثيبات وأبكارًا.

وقال محمد عطية سالم (تتمة أضواء البيان):

وفي تقديم الثيبات علىٰ الأبكار هنا في معرض التخيير ما يُشعر بأولويتهن، مع أن الحديث: **«هلا بكرًا تداعبها وتداعبك»**، ونساء الجنة لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ففيه أولوية الأبكار.

وقد أجاب المفسرون بأن هذا للتنويع فقط، وأن الثيبات في الدنيا والأبكار في الجنة كمريم ابنة عمران.

والذي يظهر ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أنه لما كان في مقام الانتصار لرسول الله ﷺ وتنبيههن لما يليق بمقامه عندهن ذكر من الصفات العالية دينًا وخلقًا،

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٦٧) ومسلم (ص١٠٨٧).

وقدم الثيبات ليبين أن الخيرية فيهن بحسب العشرة ومحاسن الأخلاق.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تبين مسئولية الرجل عن أهل بيته؟

ج: من ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾.

وقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته**»

وها هو رسولنا محمد ﷺ يقول: «**من يوقظ صواحب الحجرات** ـ يريد أزواجه ـ **كي يصلين، يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**».

ويقول رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ ومن مقتضيات تلك القوامة أنه يأمر وينهى حسب ما تقتضيه المصلحة وحسب ما يُرشد إليه الشرع.

* * *

س: أية حجارة هذه التي هي وقود النار؟

ج: قال بعض أهل العلم إن هذه الحجارة هي حجارة الكبريت. وقال آخرون: إنها الأصنام التي كانت تعبد والأحجار التي كانت تُعبد من دون الله، واستدلوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

* * *

س: لماذا لا يعتذرون؟

ج: لأن الأعذار لا تقبل، أو لأنهم ليست لهم أعذار أصلاً.

* * *

س: ما المراد بالتوبة النصوح؟

ج: سئل عن ذلك أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فأجاب بقوله: التوبة النصوح أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً[١]. وإسناده صحيح[٢] إلى عمر عند الطبري وغيره، وفي إسناد صحيح آخر عن عمر أيضًا قال: التوبة النصوح أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه، أو لا تريد أن تعود. وأورد الطبري[٣] نحوه أيضًا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال التوبة النصوح: الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه.

وأورد الطبري بإسناد حسنٍ[٤] عن قتادة قال: هي الصادقة الناصحة. وأورد بإسنادٍ صحيح[٥] عن ابن زيد في قول الله تعالى ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: التوبة النصوح: الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحب الرجوع إلى طاعته فهذه النصوح.

وقد أورد ابن أبي حاتم أيضًا في تفسيره حديثًا في تفسير التوبة النصوح وحكم عليه بالضعف، وهو من حديث أُبي بن كعب قال سألت النبي ﷺ

---

(١) الطبري (٣٤٤٤٣).

(٢) الطبري (٣٤٤٤٤).

(٣) الطبري (٣٤٤٥٠)، وقد روي هذا الحديث مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ بسندٍ ضعيف، وقال ابن كثير: والموقوف أصح.

(٤) الطبري (٣٤٤٥٤).

(٥) الطبري (٣٤٤٥٥).

عن التوبة النصوح فقال: «**هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك عند الحافر ثم لا تعود إليه أبدًا**».

وأورد القرطبي رحمه الله عن أهل العلم ثلاثة وعشرين قولاً في التوبة النصوح.

وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله بعض الأقوال ثم قال: فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها، فإنها تَجُبُّ ما قبلها من الخطيئات، كما ثبت في الصحيح: «**الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها**».

وأورد الحافظ ابن كثير سؤلاً فقال:

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات، كما تقدم في الحديث وفي الأثر: «لايعود فيه أبدًا»؟ أو يكفي العزم على أن لايعود في تكفير الماضي، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لايكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم، لعموم قوله عليه السلام: «**التوبة تجب ما قبلها**»؟ وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضًا: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**» فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة، فالتوبة بطريق الأولى، والله أعلم.

ولا يفهم من تعريف التوبة النصوح أن الشخص لا يقع في الذنب أبدًا، أو أنه إذا وقع في الذنب فتوبته الأولى لا تكون نصوحًا، بل قد يتوب ويعزم أشد العزم على عدم العود، ثم يُقدِّرُ الله عز وجل عليه الوقوع في نفس الذنب مرة أخرى، ولذا فإنني أرى أن اللفظة الثانية التي أشرت إليها عن أمير المؤمنين عمر وهو قوله (ولا تريد أن تعود) أقرب، فكم من شخص يذنب ويعزم على عدم العود ثم يعود، مع سلامة نيته الأولى وصدق عزيمته.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ[١] فيما يحكي عن ربه ـ عز وجل ـ قال: **«أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال ـ تبارك وتعالى ـ: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي فقال ـ تبارك وتعالى ـ أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت، فقد غفرت لك»**.

وها هو رجل يُكثر من شرب الخمر، فيؤتى به إلى رسول الله ﷺ، فأخرج البخاري[٢] من حديث عمر أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه: عبد الله وكان يلقب: حمارًا، وكان يُضحك رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جلَدَه في الشراب، فأُتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم الْعنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تلعنوه، فوالله ما[٣] علمت أنه يحب الله ورسوله»**[٤].

وفي رواية: أن رجلاً قال: ماله أخزاه الله! فقال رسول الله ﷺ: **«لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ. (٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٣) نقل الحافظ ابن حجر في (ما) هنا أقوال، أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في إعراب الجمع أنه قال: «ما» زائدة، أي: فوالله علمت أنه. والهمزة على هذا مفتوحة. قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا، أي: علمت عليه أو فيه سوء، ثم استأنف فقال: «إنه يحب الله ورسوله».

(٤) عند أبي يعلى (١/ ١٦١) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر: أن رجلاً كان يلقب حمارًا، وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكَّةَ من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يتبسَّم ويأمر به فيُعطى... فذكر الحديث وفي آخره: «لا تلعنوه؛ فإنه يحب الله ورسوله» وإسناده حسن.

(٥) هي عند البخاري (٦٧٨١).

فجدير بالعبد أن لا يقنط أبداً من رحمة الله ـ عز وجل ـ ، بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثم أحد بمعصوم من الذنب، وقد قال تعالىٰ في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. فذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. فحتىٰ التَّقي قد تصدر منه كبيرة!!، قد تزل قدمه ويقع في فاحشة!! ولكنه يُقلع عنها وينيب إلىٰ ربه ويستغفر.

وها هم المرسلون، قال تعالى: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وموسىٰ الكليم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وعلىٰ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ـ قتل نفساً فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وهؤلاء الذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به، قال الله عنهم: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ففيه دليل علىٰ أنهم عملوا شيئًا من السوء.

* * *

س: هل كل الذنوب تكفى لمحوها كلمة أستغفر الله، بيِّن ووضح كيف تتم التوبة؟

ج: كلمة «أستغفر الله» لا تكفي لمحو الذنب في كل الأحيان، بل يستلزم الأمر انضمام أشياء إليها في كثير من المواطن سواء منها المتعلقة ببعض العبادات والحدود والكفارات أو المتعلقة منها بالعباد. فمثلاً: رجل ارتكب ما يوجب حداً، فكلمة «أستغفر الله» لا تسقط هذا الحد. ورجل حنث في يمينه، فلا تسقط الكفارة بقوله: «أستغفر الله» وكذا بالنسبة للذنوب.

قال القرطبي رحمه الله:

في الأشياء التي يُتاب منها وكيف التوبة منها: قال العلماء: الذنب الذي تكون منه التوبة لايخلو، إما أن يكون حقًّا لله أو للآدميين. فإن كان حقًّا لله كترك صلاة، فإن التوبة لا تصح منه حتىٰ ينضم إلىٰ الندم قضاء ما فات منها. وهكذا إن ترك صومًا أو تفريطًا في الزكاة. وإن كان ذلك قتل نفس بغير حق فأن يُمكن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوبًا به. وإن كان قذفًا يوجب الحدّ فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوبًا به. فإن عُفي عنه كفاه الندم والعزم علىٰ ترك العود بالإخلاص. وكذلك إن عُفي عنه في القتل بمال، فعليه أن يؤديه إن كان واجدًا له، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾. وإن كان ذلك حدًا من حدود الله ـ كائنًا ما كان ـ فإنه إذا تاب إلىٰ الله تعالىٰ بالندم الصحيح سقط عنه.

وقد نص الله تعالىٰ علىٰ سقوط الحد عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم. وفي ذلك دليل علىٰ أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم؛ حسب ما تقدم بيانه.

وكذلك الشُّراب والسُّراق والزُّناة إذا أصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم، ثم رُفعوا إلىٰ الإمام فلاينبغي له أن يحدّهم. وإن رفعُوا إليه فقالوا: تُبنا، لم يتركوا، وهم في هذه الحالة كالمحاربين إذا غُلبوا. هذا مذهب الشافعي.

فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا بردِّه إلىٰ صاحبه والخروج عنه ـ عينًا كان أو غيره ـ إن كان قادرًا عليه، فإن لم يكن قادرًا فالعزم أن يؤدِّيه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه. وإن كان أضر بواحد من المسلمين، وذلك الواحد لا يشعر به أو لا يدري من أين أتىٰ، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه، ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له، فإذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه. وإن أرسل من يسأل ذلك له، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه ـ عرفه بعينه أو لم يعرفه ـ فذلك صحيح.

وإن أساء رجل إلىٰ رجل بأن فزّعه بغير حق، أوغَمّه أو لطمه، أو صفعه بغيرحق، أو ضربه بسوط فآلمه، ثم جاءه مستعفيًا نادمًا علىٰ ما كان منه، عازمًا علىٰ ألا يعود، فلم يزل يتذلل له حتىٰ طابت نفسه فعفا عنه، سقط عنه ذلك الذنب. وهكذا إن كان شَانَهُ بشتم لا حدّ فيه.

قلت (مصطفى): وكما بيّنا فبالنسبة للذنوب والمعاصي والجرائم التي ارتكبها الشخص في حق المؤمنين والمظالم التي ظلمهم بها: فيجب عليه أن يتحلل منهم في ذلك قدر استطاعته ويرد إليهم المظالم التي ظلمهم بها.

فها هو الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدَّيْن[1]، وفي «صحيح مسلم»[2] أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فُيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح في النار**».

فإذا سرق رجل مالاً من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله» بل عليه أن يرد المال إلىٰ صاحبه. كذلك إذا أفتىٰ عالم من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله»: بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا. يدل علىٰ هذا وذاك قوله تعالىٰ: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾.

وقول النبي ﷺ عن المؤمنين: «**إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨٨٦) من حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص، أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدين».

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨١).

الجنة والنار فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا»[١] .

وقال النبي ﷺ: «لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٢].

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: «استغفر الله» فالله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

* * *

س: متى يقول أهل الإيمان: ربنا أتمم لنا نورنا؟

ج: ذلك، والله أعلم، حينما يُطفأ نور أهل النفاق، وذلك، والله أعلم، أنه ثم نورٌ يعطى لمن شهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فينطلقون به إلى حيث شاء الله ـ لدخول الجنان وتجاوز الصراط ونحو ذلك ـ فيطفأ نور المنافقين وهم في أشد الاحتياج إليه، فيقولون لأهل الإيمان: انظرونا نقتبس من نوركم، فيحسبونهم يقولون: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فيرجعون فلا يجدون شيئًا فيأتون مسرعين لحاق أهل الإيمان فيضرب بينهم ﴿بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾. فعندما يطفأ نور المنافقين، يسأل المؤمنون ربهم أن يتمم لهم نورهم والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خَلَص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

هذا، وقد قال ابن الجوزي في تفسيره:

﴿ يقولون رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وذلك إذا رأىٰ المؤمنون نور المنافقين يُطفأ سألوا الله تعالىٰ أن يتمم لهم، ويبلغهم به الجنة، قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يُعطىٰ نوراً يوم القيامة. فأما المنافق فُيطفأ نوره، والمؤمن مُشْفِق مما رأىٰ من إطفاء نور المنافق، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

وقال السمعاني رحمه الله: إنهم يقولون ذلك حين يُخمد وينطفئ نور المنافقين، فيقولون ذلك إشفاقًا علىٰ أنفسهم.

س: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾؟

ج: وجه الجمع، أن الشدة لها مواطن، والرفق واللين له مواطن، فإذا لم يُجْدِ الرفق واللين، وإذا لم تنفع المواعظ، واستمر المفسدون في الأرض في فسادهم، فحينئذ يتنزل قوله تعالىٰ: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

* * *

س: العلاقات الزوجية لا تنفع مع الكفر بشيء يوم القيامة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

كون نبي الله نوح ونبي الله لوط عليهما السلام لم يغنيا عن أزواجهما من الله شيئًا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. قوله تعالىٰ: ﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾

أي أسباب التواصل التي كانوا يتواصلون بها في دنياهم. قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قوله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

* * *

س: ما المراد بخيانة امرأة نوح وامرأة لوط؟

ج: قال كثير من أهل العلم: إن المراد بخيانة امرأة نوح ما كانت تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل علىٰ الأضياف. وقد ورد بذلك أثر عند الطبري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وقالوا أيضًا: ليس المراد ﴿فخانتاهما﴾ في فاحشة، بل في الدين.

قال الحافظ ابن كثير: فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

* * *

س: ما وجه المثل المضروب لامرأة نوح وامرأة لوط؟

ج: **وجهه:** أن صلاح الأزواج لم ينفع الزوجات.

ووجه آخر: أن أحدًا لا يملك لأحد هداية وإيمانًا إنما كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ووجه ثالث: قد يرد أيضًا، وهو أن الأنبياء لايعلمون الغيب، وذلك لأن الخيانة تكون عن غير علم في كثير من الأحيان.

ووجه رابع: أن المثل ضُرب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما؛

(١) الطبري (٣٤٤٦١).

لتحذيرهما من مخالفة أمر رسول الله ﷺ، وبيان أن كونهما من أزواج النبي ﷺ، فإن ذلك لن يرفع عنهما العقاب إذا هما خالفتا أمر الله ورسوله، اللهم إلا أن يغفر الله لهما.

* * *

س: الهداية لا يملكها إلا الله عز وجل، دلّ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾. وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾

ثم ها هو رسول الله ﷺ لم يملك هداية عمه أبي طالب وإبراهيم عليه السلام لم يملك لأبيه الهداية. ونوح عليه السلام لم يملك لولده ولا لزوجته الهداية. ولوط عليه السلام لم يستطع هداية زوجته.

وقد قال تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.

* * *

س: كيف، وقد قال تعالى﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ ونوح عليه السلام وكذا لوط عليه السلام كلاهما نبي، وامرأة كل منهما كافرة من أهل النار؟

ج: يبدو فيما يبدو، والله أعلم، أن النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام كانا يريان الزوجتين في ظاهر أمرهما على خير ولكنهما خانتاهما.

أو أن المراد بقوله تعالى الطيبات للطيبين الكلمات الطيبة تصدر من الأشخاص الطيبين، وقدمنا وجوهاً أُخر في سورة النور فارجع إليها إن شئت.

س: ما اسم امرأة فرعون؟ واذكر شيئًا من فضلها؟

ج: اسم امرأة فرعون آسية، أخرج الإمام أحمد[١] بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال: «**تدرون ما هذا؟**» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين**».

وعند الترمذي[٢] بسندٍ صحيح أيضًا، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**».

* * *

س: اذكر شيئًا من ثبات امرأة فرعون مما أورده السلف رحمهم الله؟

ج: أورد الطبري بإسناد صحيح[٣] عن القاسم بن أبي بزة قال:

كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسىٰ وهارون، فتقول: آمنت برب موسىٰ وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت علىٰ قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلىٰ السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت علىٰ قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة علىٰ جسد ليس فيه روح. ولكن بين القاسم وبين زمن القصة بونٌ شاسع، ولم يذكره مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) أحمد (١/ ٢٩٣) وغيره.

(٢) الترمذي (٣٨٧٨) وقال هذا حديث صحيح. (٣) الطبري (أثر ٣٤٤٧٣).

س: ما وجه الاستفادة من المثل المضروب لامرأة فرعون؟

ج: **وجه ذلك:** بيان أن أحداً لا يملك إغواء أحد إلا بإذن الله، فها هو فرعون من أكبر الطغاة الذين عرفهم التاريخ، مع كونه يذبح الأبناء ويسوم الناس سوء العذاب، إلا أنه لم يملك قلب امرأته ولا تحويلها ولا صرفها عما هي عليه من إيمان وهدىٰ.

ووجه آخر: أن التذكير بامرأة فرعون فيه حثٌ للمؤمنين علىٰ الصبر كما صبرت، فهي امرأة ضعيفة في بيت جبار من الجبابرة، وصبرت بتصبير الله لها.

* * *

س: ما المستفاد من قوله ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾؟

ج: ذكر بعض العلماء بعض المستفاد من ذلك، وهو الحرص علىٰ اختيار الجار قبل الدار، فإذا ذهبت لشراء بيت أو استئجاره فانظر إلىٰ الجار هل هو من الصالحين أم من الأشرار الفجار، فهو الذي سيستدعىٰ عند المصائب، وهو الذي يؤذي أو يسعد بإذن الله، فهل ستستمع منه إلىٰ الأغاني والموسيقىٰ، وإلىٰ الإثم والفسوق والعصيان، أم ستستمع منه إلىٰ قرآن يتلىٰ وصلوات تقام، وهدىٰ ونور وتُقىٰ. فلا ينبغي من ثمَّ أن تذهب وتنظر إلىٰ أسقف الغرف كيف هي، قبل نظرك إلىٰ الجيران وكيف أخلاقهم، وقد عُلم أن الصالحين لا يشقىٰ بهم جليسهم، والموفق من وفقه الله.

* * *

س: من شأن الصالحين اللجوء إلى الله في كل أمورهم، وخاصة عند الشدائد والمحن كي يفرج الله عنهم ما هم فيه، وينجيهم مما حلَّ بهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلىٰ:

قول الله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾.

وقول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

وقول لوط عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

وقول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقول يونس عليه السلام مناديًا في الظلمات ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

* * *

س: ما وجه الاستفادة من المثل المضروب لمريم عليها السلام؟

ج: وجه ذلك، والله أعلم، تنبيه النساء علىٰ أن من أحصنت فرجها وتعففت عن الحرام، فإن الله يكرمها ويجزل لها الأجر والمثوبة.

وأورد القاسمي في محاسن التأويل وجهًا آخر فقال: قال يحيىٰ بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة. ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما علىٰ التمسك بالطاعة. وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم اعتبار آخر: وهو أنها لم يضرها عند الله شيئًا، قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلىٰ ما برأها الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرىٰ المصطفاة علىٰ نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه. وفي هذا تسلية

لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون، إن كانت قبلها. كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ. فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن، والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه. وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه، ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون. انتهى.

* * *

س: لماذا ورد: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ ولم يقُل القانتات؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن خطاب الذكور[1] يشمل الذكور والإناث، ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

وقال آخرون: إن المعنى: وكانت من القوم القانتين، فقد قال لها قومها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

* * *

(١) وهذا مبحث واسع وفيه نوع من التفصيل ليس هذا محله.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تفسير سورة المجادلة	٩
تفسير سورة الحشر	٦١
تفسير سورة الممتحنة	١٣٦
تفسير سورة الصف	١٩٦
تفسير سورة الجمعة	٢٢٣
تفسير سورة المنافقون	٢٥٠
تفسير سورة التغابن	٢٦٣
تفسير سورة الطلاق	٢٩١
تفسير سورة التحريم	٣٤٥
الفهرست	٣٨٤

مطابع
دار الصحافة
القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤

التَّسهِيلُ لِتأوِيلِ التَّنزِيلِ

تفسير

جزء تبارك

في سؤال وجواب

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

دار بلنسية

دار بلنسية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ٥٧٢٤٢ - الرمز البريدي: ١١٥٧٤

هاتف وفاكس: ٤٥٤٧٥٤٩

التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير
جزء تبارك
في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسیر جزء تبارک

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت
السميع العليم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٥٨٨/ ٢٠٠٢

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فبين أيدينا تفسير جزء تبارك في صورة السؤال والجواب من عملنا

الموسوم بـ(التسهيل لتأويل التنزيل)، وهو تفسير القرآن في صورة السؤال والجواب، وقد صدر منه للآن ـ ولله الحمد ـ اثنا عشر مجلداً تشمل سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، ويوسف، والنور، والقصص، والحجرات، وجزء عمّ.

وبالنسبة لخطة عملي فيه فقد قدمتها في الأجزاء الأُول، فاللّه أسأل أن ينفعنا بها والمسلمين، وأن يجعل ذلك حجةً لنا لا علينا إن ربي سميع قريب.

أما بالنسبة لهذا الجزء المبارك (جزء تبارك) ومحتواه على وجه السرعة والاختصار والإيجاز فقد صُدِّر هذا الجزء المبارك بتمجيد اللّه عز وجل، والثناء عليه، فاللّه سبحانه أهل الثناء والمجد، ثم أتبع ذلك ببيان قدرة اللّه على الخلق والإيجاد، وبيان الحكمة من الخلق، وبيان ما أُعد للمطيعين المتقين، وكذلك ما وُعد به العصاة الظالمون، وما أُعد لهم من عذاب السعير، مع لفت النظر إلى آيات اللّه عزَّ وجل في الكون، ثم ثناء اللّه عز وجل على نبيه الكريم محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، مع بيان عموم رسالته للإنس والجن وإيضاح موقف الجن من القرآن، وحث هذا النبي الكريم على الدعوة إلى اللّه عز وجل، وبيان ما ينبغي أن يتسلح به الدعاةُ إلى اللّه عز وجل من الصبر والصلاة، وحسن الخلق، وتحذيرات متكررة من طاعة المشركين، كما قال تعالى: ﴿**فلا تطع المكذبين**﴾، وكما قال: ﴿**فلا تطع كل حلاف مهين**﴾، وكما قال تعالى: ﴿**ولا تطع منهم آثما أو كفورا**﴾.

وحمل هذا الجزءالمبارك أيضًا تهديداً شديداً ووعيداً أكيداً لمن كفر باللّه

ورسله، وأعرض عن الآيات والذكر، فقال تعالىٰ: ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا**﴾، وقال: ﴿**وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا**﴾، وقال تعالىٰ: ﴿**فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾.

وبينت في هذا الجزء الكريم مصارع الظالمين من الأمم السابقة الكافرة بالله المكذبة لرسله.

ثم أيضًا حمل هذا الجزء تذكير بمشاهد القيامة والجنة والنار، والحث علىٰ توحيد الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له، الشأن في ذلك شأن عموم السور المكية، فأغلب سور هذا الجزء الكريم مكيٌّ.

فصغنا ذلك كله في صورة السؤال والجواب، سائلين الله عز وجل أن ينفعنا بها والمسلمين، وأن يتجاوز عن زلاتنا وتقصيرنا، وخطئنا، وعمدنا، وأن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أسرفنا وما هو أعلم به منَّا، هو المقدم والمؤخر لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وصلِّ اللَّهُمَّ علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

مصر - الدقهلية - منية سمنود

سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

س : اذكر معنى ما يلي:

تبارك ـ ليبلوكم ـ أحسن عملاً ـ العزيز ـ الغفور ـ طباقًا ـ تفاوت ـ فارجع البصر ـ فطور ـ كرتين ـ خاسئًا ـ حسير.

ج:

الكلمة	معناها
تبارك	تفاعل من البركة، فالمعنى: تكاثرت البركات، والخيرات من قِبله. زاد عطاؤه وكثر. دام إنعامه وثبت. تقدس ـ تعالى ـ تعاظم ـ باسمه يتبرك. والبركة أيضًا تطلق على النمو والازدياد، وعلى الدوام والثبات.
ليبلوكم	ليختبركم.
أحسن عملاً	أخلصه وأصوبه، أي: أوفقه للكتاب والسنة وأخلصه لوجه الله.
العزيز	القوي الشديد المنتقم ممن عصاه وخالف أمره، منيع الجناب عظيم السلطان، لا يحول بينه وبين ما يريده حائل، وهو الغالب على أمره، والغالب لغيره.
الغفور	غفور لذنوب عباده، غفور لمن تاب ورجع.
طباقًا	أطباقًا ـ طبقًا فوق طبق ـ بعضها فوق بعض.
تفاوت	اختلاف[1] ـ عدم تناسب.

(١) فالسماوات مستوية لا تنافر بينها، ولا اختلاف، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، ولا اعوجاج.

الكلمـــة	معنـاهـــا
فارجع البصر	فَرُدَّ البصر ـ كَرِّرِ النظر .
فطور	شقوق ـ تصدعات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ** ﴾ [مريم: ٩٠] .
كرتين	مرتين ـ مرة بعد مرة ، وقال بعض العلماء : إن المراد تكرير النظر .
خاسئًا	مُبعدًا ـ صاغرًا ـ ذليلاً ـ راجعًا لم ينل مطلبه .
حسير	كليل ـ متعبٌ ـ مرهق ـ بلغ الغاية في التعب ـ والإعياء ؛ لأنه بعد طول البحث والنظر لم يجد فطورًا ولا ثقوبًا ولا تشققات .

س ـ يعظم ربنا نفسه الكريمة ويمجدها وينزهها بقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾، وبقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ونحو ذلك من الآيات، فهل للبشر أن يمجدوا أنفسهم أو يعظموها؟

ج: ليس لهم ذلك، قال تعالىٰ: ﴿فلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾. [النجم: ٣٢]

* * *

س ـ ما فائدة التقديم بقوله: ﴿تبارك﴾؟

ج: فائدة ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ: بيان عظمة الله عزَّ وجل الذي بيده ملكوت كل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣]، فالتقديم بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحمل معنىٰ التنزيه، تنزيه الله عز وجل الذي بيده ملكوت كل شيء عن كل عيبٍ ونقصٍ. والتقديم بقوله: تبارك يحمل معاني هذه الكلمة، فالمعنىٰ: ازداد خيره، وتقدس وتعالىٰ، وباسمه يتبرك الذي بيده الملك، وهو الله سبحانه وتعالىٰ. والله أعلم.

هذا وفي «أضواء البيان» للشنقيطي رحمه الله بعد ذكر أقوالٍ لأهل العلم في تفسير ﴿تَبَارَكَ﴾.

قال مقيده ـ عفا الله عنه وغفر له ـ: الأظهر في معنىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾ بحسب اللغة التي نزل بها القرآن: أنه تفاعل، من البركة، كما جزم به ابن جرير الطبري، وعليه؛ فمعنىٰ ﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، وذلك يستلزم عظمته وتقدسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، لأن من تأتي من قِبَلِه البركات والخيرات ويدرّ الأرزاق علىٰ الناس هو وحده المتفرد

بالعظمة، واستحقاق إخلاص العبادة له، والذي لا تأتي مِن قِبَلِه بركة ولا خير، ولا رزق كالأصنام، وسائر المعبودات من دون الله لا يصح أن يعبد وعبادته كفر مخلد في نار جهنم، وقد أشار تعالىٰ إلىٰ هذا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله تعالىٰ: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨] وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٣-١٤].

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ﴾ ملك ماذا؟

ج: ملك السموات والأرض وما بينهما، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

ملك الدنيا والآخرة وملك كل شيء.

يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالملك هنا: السلطان.

وقال آخرون: إن المراد بالملك نفوذ المقدور الذي قدره الله في كل شيءٍ، فيتصرف في كل شيء بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

وهذه أقوال متقاربة المعاني.

وكل ذلك المذكور داخلٌ في الملك. والله أعلم.

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ج: إيضاحه ـ والله أعلم ـ: والله على فعل ما يشاء ذو قدرةٍ لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل من عجزٍ ونحو ذلك، فهو سبحانه ينعم على من يشاء ويتفضل، وينتقم ممن يشاء ويخذل.

* * *

س ـ ما المراد بقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: أوجد الموت والحياة، وجعل الدنيا دار حياةٍ، ودار فناء، فأحيا من شاء إلى أجل مسمى وأمات من شاء.

ومعنى آخر: خلقكم للموت والحياة، وأذل ابن آدم بالموت.

ومعنى ثالث: يعني بالموت: الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ومعنى رابع: أوجد الخلائق من العدم، والآية كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول ـ وهو العدم ـ موتًا وسمى هذه النشأة حياة. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا قدم الموت على الحياة؟

ج: قال بعض أهل العلم: لأن الموت إلى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين في قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

وقال آخرون: قدم الموت؛ لأنه أقدم؛ لأن الأشياء كانت في حكم الموت

كالنطفة، والتراب ونحوه.

وقال غيرهم: لأن التذكير بالموت يحفز على العمل.

وقال غيرهم: إن المراد بالموت النطفة، والعلقة، والمضغة. والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ليختبركم فينظر أيكم له أطوع، ولرسله أتبع، وإلى طلب رضاه أسرع.

ليختبركم أيكم أشد له إخلاصًا، ولنبيه اتباعًا وسلوكًا.

ليختبركم أيكم أكثر ذكرًا للموت واستعدادًا له.

* * *

س ـ لماذا قال سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ولم يقل: (أكثر عملاً)؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن كثرة الأعمال ليست هي ميزان الفضل في كل الأعمال، فليست العبرة بالكثرة، وإنما بحسن العمل وصحته وسلامته من الرياء.

فحسنه يتأتى بموافقته للكتاب والسنة، سواء كان قليلاً أو كثيرًا، وسلامته تتأتى بالإخلاص لله عزَّ وجل.

* * *

س ـ ما وجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾؟

ج: وجه ذلك: أنه يحمل ترهيبًا وترغيبًا.

أي: أنه يفعل ما يريد، ويقضي بما يشاء، لا مانع له من شيء أراده، ومع ذلك فهو غفورٌ لمن تاب إليه وأناب.

* * *

س ـ لماذا خلقت السموات والأرض؟

ج: خلقت لأمور منها: ليبلونا الله أينا أحسن عملاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧] وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فانظر يا بن آدم إلىٰ السماء تتبين قدرة الله فيها علىٰ الخلق والإيجاد، وتتبين عظمة الله فيها. انظر إليها، هل ترىٰ فيها من تشققات وتصدعات، ثم أعد النظر مرتين، بل ومرات، حتىٰ تتأكد من ذلك، فإنك مهما كررت النظر، ومهما أعدت البصر لا تجد فيها تفاوتًا ولا اختلافًا ولا فطورًا ولا شقوقًا ولا تصدعات.

بل سيرجع إليك بصرك بعد طول بحثٍ وعناء وهو متعبٌ وكليل، لم ير تشققاتٍ ولا تصدعاتٍ ولا اختلافات.

* * *

س ـ لماذا أُمر العبد أن يرجع البصر كرتين؟

ج: ليتأكد هل في السماء من شقوق وتصدعات وخلل؟

س ـ السماء الآن لا ثقوب فيها ولا شقوق ولا فروج ولكنها يوم القيامة تتشقق، وتنفطر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾.

[المرسلات: ٨ـ٩]

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٥ـ١٦]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

* * *

س ـ اذكر آية أُخرى تدل على أن السماء لا ثقوب فيها ولا شقوق.

ج: من ذلك: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ

ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟

بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا

فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ

أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

س: اذكر معنى ما يلي:

السماء الدنيا ـ مصابيح ـ رجومًا للشياطين ـ أعتدنا ـ السعير ـ بئس المصير ـ شهيقًا ـ تفور ـ تميّز ـ فوجٌ ـ خزنتها ـ ضلال كبير ـ فسحقًا.

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــا
السماء الدنيا	السماء القريبة من الخلق، (السماء الأولىٰ من السموات السبع).
مصابيح	المراد بها هنا: النجوم.
رجومًا للشياطين	قذائف ترجم بها الشياطين وتقذف.
أعتدنا	أعددنا.
السعير	النار الشديدة المستعرة ـ أشد الحريق.
بئس المصير	بئس المرجع والمآب الذي يرجعون إليه يوم القيامة.
شهيقًا	صوتًا شديداً منكراً.
تفور	تغلي.
تميِّز	تتقطع ـ تتمزق ـ ينفصل بعضها عن بعض.
فوج	جماعة.
خزنتها	حراسها ـ القائمون عليها المكلفون بها.

الكلمـــة	معنـاهـــا
ضلال كبير	ذهاب عن الحق بعيد .
فسحقًا	بُعـدًا . والسـحـيق : البـعـيـد ـ والمراد : أبعـدهم الله عن رحمته .

س ـ لماذا أُطلق على النجوم مصابيح؟

ج: أُطلق عليها مصابيح لإضاءتها، وكذلك الصبح إنما أطلق عليه صبح لأنه يضيء للناس من النهار.

* * *

س ـ اذكر بعض الفوائد التي من أجلها خُلقت النجوم.

ج: ذكر الله تبارك وتعالىٰ ـ في كتابه الكريم ـ للنجوم فوائد ثلاث:

أولاً: لرجم الشياطين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ثانيًا: الاهتداء بها، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[النحل: ١٦]

ثالثًا: لإضاءة السماء الدنيا وزينتها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥].

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾:

إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يهتدىٰ بها؛ فمن يتأوّل منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به.

* * *

س ـ هل النجوم نفسها هي التي يُرمى بها أم شهبها؟

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ: أن الذي يرمىٰ به هو الشهب التي تخرج من

النجوم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

[الصافات: ١٠]

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أي: جعلنا شهبها، فحذف المضاف، دليلهُ: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وعلىٰ هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها. وقيل: إن الضمير راجع إلىٰ المصابيح علىٰ أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكبُ نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته. قاله أبو عليّ جوابًا لمن قال: كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقىٰ؟!

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ علىٰ جنس المصابيح لا علىٰ عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهبٍ من دونها، وقد تكون مستمدةً منها؛ والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ وجعلناها لرجم الشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٦ـ٨].

وكما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

* * *

س ـ هل هذه النجوم رجومٌ لكل الشياطين؟

ج: هي رجومٌ للشياطين التي تحاول استراق السمع، أي: التي تحاول الاستماع إلى حديث الملائكة في السماء، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

* * *

س ـ قال تعالى في شأن النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ فلماذا هي متغيظة، وعلى من هذا التغيظ؟

ج: هي متغيظة على أهلها تريد البطش بهم والانتقام منهم، وذلك لشركهم وكفرهم وافترائهم على الله عز وجل وتمردهم على أوامره وارتكابهم ما نهى عنه.

وذلك كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ـ٩٢].

* * *

س ـ النار مخلوقة تغضب على أهل الشرك ويشتد نكيرها عليهم. دلِّل على ذلك

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

[الفرقان: ١٢]

* * *

س ـ ما وجه سؤال الخزنة للقوم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟

ج: هذا سؤال توبيخ.

* * *

س ـ من القائلون: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾؟ ولمن قالوه؟

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: أن القائلين بذلك هم الكفار، قالوا ذلك لرسلهم عليهم السلام، فكذبوا الرسل وقالوا لهم: ما نزل الله من شيء، ثم وصفوهم بالضلال في قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾.

الثاني: أن القائلين هم الخزنة من الملائكة، قالوا ذلك للكفار، فلما سألوهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] فقالت لهم الملائكة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾.

وأكثر العلماء على الوجه الأول، والله أعلم.

* * *

س ـ هل الكفار لم يكونوا يسمعون حتى يقولوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؟

ج: بل كانت لهم آذان، ولكنهم لم يسمعوا سماع المنتفع وسماع المتعقل المتدبر المتأمل، والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أُفرد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾؟

ج: **قال الطبري رحمه الله**: ووحَّد الذنب وقد أُضيف إلىٰ الجمع؛ لأن فيه معنىٰ فعل، فأدىٰ الواحد عن الجميع كما يقال: خرج عطاءُ الناس، وأعطيةُ الناس. والله أعلم.

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ
﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾
أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ
كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

يخشون ـ مغفرة ـ أسروا ـ ذات الصدور ـ اللطيف ـ ذلولاً ـ مناكبها ـ النشور ـ تمور ـ حاصبًا ـ كيف نذير ـ كيف كان نكير؟

ج:

الكلمة	معناها
يخشون	يخافون خوفًا شديدًا.
مغفرةٌ	عفو من الله عن ذنوبهم.
أسروا	أخفوا.
ذات الصدور	ما يضمرونه ويخفونه في صدورهم.
اللطيف	الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها ـ البر بعباده الرحيم بهم.
ذلولاً	سهلةً ميسرةً مذللةً ـ سهلة المسالك.
مناكبها	فجاجها وطرقها وجوانبها[1]، وقيل: جبالها. والأول أولى.
النشور	الخروج من القبور بعد الموت.
تمور	تتحرك وتضطرب وتذهب.
حاصبًا	ريحٌ فيها حجارةٌ صغيرة، وتراب فيه الحصباء الصغيرة.

(١) لأن «المناكب» من الإنسان: جوانبه، أخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة عن بشير بن =

الكلمـــة	معنـاهـــا
كيف نذير	كيف كانت عاقبة إنذاري .
كيف كان نكير	كيف كان إنكاري عليهم لما كذبوا وكفروا .

س ـ وضح المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

منها: أنهم يخشون ربهم وهم لم يروه، كما في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وآخر: أنهم يخشون ربهم في حالة غيابهم عن أعين الناس، كما قال ﷺ في الحديث: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**».

* * *

س ـ كلما ازدادت خشية العبد من الله وحده كلما ازداد قربًا من الله، ومن منازل الصالحين دلِّل على ذلك.

ج: دليله: أن الله سبحانه وتعالىٰ قال عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

= كعب أنه قرأ هذه الآية: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ فقال لجارية له: إن دَرَيْتِ ما مناكبها فأنت حرة لوجه اللَّه، قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سُفع في وجهه، ورغب في جاريته. فسأل فمنهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء فقال: الخير في طمأنينة، والشر في ريبة، فذَر ما يَريبك إلىٰ ما لا يَريبك.

ووجه آخر عند الطبري، عن قتادة أيضًا بسند صحيح: أن بشير بن كعب العدوي قرأ هذه الآية: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها، فأنت حرة، فقالت: نواحيها. فأراد أن يتزوجها، فسأل أبا الدرداء فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشر في ريبة، فدع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* * *

س: اذكر بعض الأدلة في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ألا يعلم السرَّ والجهر من خلق الخلق؟!

وذلك المعنىٰ يظهر ويتضح بالنظر إلىٰ الآية التي سبقتها: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الثاني: ألا يعلم الله سبحانه وتعالىٰ مخلوقاته التي خلقها؟!

وهذا التفسير أعم من الأول؛ فالأول داخل فيه.

الثالث: ألا يعلم المخلوق مَن خلقه، ويتفكر ويتدبر في قدرته وسعة علمه؟!! والله أعلم.

* * *

س ـ ما وجه ارتباط الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾ بالآية التي قبلها؟

ج: ذكر ذلك الفخر الرازي[1] رحمه الله وعفا عنه، فقال:

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه تعالىٰ بين بالدلائل كونه عالمًا بما يسرون وما يعلنون، ثم ذكر بعده هذه الآية علىٰ سبيل التهديد، ونظيره: من قال لعبده الذي أساء إلىٰ مولاه في السر: يا فلان، أنا أعرف سرك وعلانيتك فاجلسْ في هذه الدار التي وهبتها منك، كل هذا الخير الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي، فإني إن شئت جعلت هذه الدار التي هي منزل أمنك ومركز سلامتك منشأً للآفات التي تتحير فيها، ومنبعًا للمِحَن التي تهلك بسببها، فكذا ههنا، كأنه تعالىٰ قال: أيها الكفار، اعلموا أني عالم بسركم

(١) ذكرنا ذلك للرازي لرؤيتنا أنه أصاب في هذا المقام، وإلا فله في مواطن كثيرة زلات كبيرة؛ فليُقرأ كلامه علىٰ حذر، والله أعلم.

وجهركم، فكونوا خائفين مني محترزين من عقابي، فهذه الأرض التي تمشون في مناكبها، وتعتقدون أنها أبعد الأشياء عن الإضرار بكم، أنا الذي ذللتها إليكم وجعلتها سببًا لنفعكم، فامشوا في مناكبها؛ فإنني إن شئت خسفت بكم هذه الأرض، وأنزلت عليها من السماء أنواع المحن، فهذا هو الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها.

* * *

س ـ هل الشخص ينبغي أن لا يأمن ويعيش خائفًا، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾؟

ج: الأمن الذي ينكره الله على الناس هو الأمن الذي تصاحبه الغفلة عن طاعة الله وعن انتقامه، فيقدمون على فعل المعاصي ولا يبالون بغضب الله وأليم عقابه وشديد انتقامه، ويتركون أوامر الله ولا ينظرون إلى ما حولهم من سنن الله في خلقه. فيحملهم هذا الأمان على مزيدٍ من التمرد والعصيان، ونحو هذا الأمان هو المذكور في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٧: ٩٩].

ونحوه: قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨].

أما المؤمن فمع أنه يخاف عقوبة معاصيه، إلا أنه أيضًا يطمئن إلى رحمة

الله وجميل كرمه وسعة عفوه وواسع رحمته، وهذا الاطمئنان لا يحمله على الغفلة والنسيان ولا يحمله على الجحود والنكران، بل يحمله على مزيد من الطاعة والإمتثال للرحيم الرحمن.

* * *

١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ
لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنْ
هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ٢١
أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ٢٢ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤

س ـ اذكر معنى ما يلي:

صافات ـ يقبضن ـ ما يمسكهن ـ جندٌ لكم ـ غرور ـ لجوا ـ عتو ـ نفور ـ مكبًا على وجهه ـ سويًا ـ على صراط مستقيم ـ الأفئدة ـ قليلاً ما تشكرون ـ ذرأكم ـ تحشرون.

ج:

الكلمة	معناها
صافات	باسطات أجنحتها.
يقبضن	يقبضن الأجنحة.
ما يمسكهن	ما يمنعهن من السقوط.
جندٌ لكم	معينٌ لكم وناصر لكم.
غرور	غرور من الشيطان بأنهم لن يعذبوا.
لجوا	تمادوا ـ أصروا.
عتوٍ	طغيان ـ ضلال.
نفورٍ	انصراف عن الحق ـ كفور ـ تولٍّ وإعراض.
مكبًا على وجهه	منكسًا رأسه لا يلتفت عن يمينه ولا عن شماله، ولا يبصر ما بين يديه، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ويمشي في الضلالة والغواية والشرك والكفر.
سويًا على صرط مستقيم	مستقيمًا على طريق الحق.

الكلمـــة	معنـاهـــا
الأفئدة	العقول .
قليلا ما تشكرون	شكركم على نعم الله قليل .
ذرأكم	خلقكم ـ نشركم بثكم .
تحشرون	تجمعون من قبوركم للحساب .

س ـ ماوجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؟

ج: وجهه: أن الله سبحانه وتعالىٰ بصير بالخلق كلهم فيعطيهم ما يليق بهم ويسويهم بحسب مشيئته، ويُودع فيهم ما يحتاجون إليه فيعطي الطير ما تحتاج إليه في طيرانها، ويعطي الدواب ما تحتاج إليه في سيرها وكلٌّ بحسبه، والله أعلم.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾.

ج: **المعنى ـ والله أعلم ـ:** مَن هؤلاء الأعوان والجنود والأنصار الذين يعاونونكم ويؤازرونكم ويناصرونكم من دون الرحمن إن أراد الرحمن بكم ضرًا أو أراد بكم سوءًا؟!

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾.

ج: **المعنى ـ والله أعلم ـ:** ما الكافرون إلا في غرور من الشيطان، غرَّهم شيطانهم وخدعهم وسوَّل لهم أن آلهتهم ـ التي عبدوها مع الله ومن دون الله ـ ستنصرهم وتحفظهم وتقربهم من الله زلفىٰ.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]

وقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]

وقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[الشورىٰ: ١٩]

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ج: قال الإمام الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿أَفَمَن يَمْشِي﴾ أيها الناس ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ لا يبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله ﴿أَهْدَىٰ﴾: أشد استقامة علىٰ الطريق، وأهدىٰ له ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مَشْي بني آدم علىٰ قدميه ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقول: علىٰ طريق لا اعوجاج فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبًا علىٰ وجهه، أي يمشي منحنيًا لا مستويًا علىٰ وجهه، أي: لا

يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، بل تائه حائر ضال، أهذا أهدىٰ ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾، أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: علىٰ طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة.

هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة:

فالمؤمن يحشر يمشي سويًا علىٰ صراط مستقيم، مُفْضىٰ به إلىٰ الجنة الفيحاء.

وأما الكافر فإنه يحشر يمشي علىٰ وجهه إلىٰ نار جهنم ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٦].

ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله؛ كيف يحشر الناس علىٰ وجوههم؟ فقال: «**أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم؟!**»(١).

س: متى هذا الانكباب على الوجه؟

ج: من أهل العلم من قال: هذا الانكباب علىٰ الوجه في الدنيا، وهو مثلٌ مضروب للكافر الذي يتخبط في الضلالة والعمىٰ والشرك والكفر.

وقال بعض أهل العلم: إن هذا الانكباب إنما هو في الآخرة، لقوله

(١) أحمد (٣/ ١٦٧)، والبخاري (٤٧٦٠)، ومسلم حديث (٢٨٠٦).

تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] . والله أعلم .

* * *

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ
زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن
يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ
أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الوعد ـ زلفةً ـ سيئت ـ تدَّعون ـ أهلكني ـ رحمنا ـ يجير ـ توكلنا ـ غوراً ـ معين؟

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــا
الوعد	المراد: الوعد بالبعث والثواب والعقاب والحساب.
زلفة	قريبًا ـ حاضراً.
سيئت	تبين وظهر فيها السوء والخزي والسواد.
تدعون	تسألون ـ تطلبون ـ تستعجلون.
	تدعـون الأباطيل والأكـاذيب ـ تدعـون أنكم إذا مـتم لن تعذبوا.
أهلكني	توفاني ـ أماتني بعذاب.
رحمنا	أخَّر في آجالنا ـ لم يعذبنا.
يجير	يمنع ـ يحفظ.
توكلنا	اعتمدنا.
غوراً	غائراً لا تناله الأيدي ولا الدلاء.
معين	ظاهر على وجه الأرض تراه العيون ـ عذبٌ.

س ـ أهل الكفر كانوا يستعجلون نزول العذاب عليهم، وهذا الاستعجال منهم لاستبعادهم واستنكارهم وقوعه وتحديًا منهم للأنبياء أيضًا، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

* * *

س ـ ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾؟

ج: المراد بالعلم هنا: العلم بالساعة ووقت نزول العذاب.

* * *

س ـ الضمير في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ عائد على ماذا؟

ج: هذا عائدٌ على العذاب الذي وعدوا به.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ج: وضح ذلك الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لما

قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريبًا؛ لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بالٍ ولا حسابٍ، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٧-٤٨]؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، أي: تستعجلون.

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ج: قال السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن):

ولما كان المكذبون للرسول ﷺ الذين يردون دعوته ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: إنكم إن حصلت لكم أمنيتكم، وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافعٍ لكم شيئًا؛ لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب؛ فمن يجيركم من عذابٍ أليمٍ قد تحتم وقوعه بكم؟!

فإذًا تعبكم وحرصكم على هلاكي غير مفيد، ولا مُجْدٍ لكم شيئًا. ومن قولهم: إنهم على هدىً، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه، وقاتلوا. فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله، وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم.

س ـ اذكر آية تدل على التذكير بنعمة الله في رزق الله لعباده بالماء كهذه الآية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾.

ج: نحوها قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

[الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠]

* * *

س ـ اذكر أدلة من سورة تبارك على ما يلي:

أ ـ العذر بالجهل.

ب ـ الأخذ بالأسباب والسعي على المعاش.

ج: أما الدليل على العذر بالجهل: فمأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨ ـ ٩].

أما الدليل على مشروعية الأخذ بالأسباب والسعي على المعاش فمن قوله تعالىٰ: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

* * *

س ـ دلّل على أن الله عز وجل في السماء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

[الملك: ١٦ ـ ١٧]

وقوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله ﷺ: «**ألا تأمَنوني وأنا أمين من في السماء؟!**»(١).

وشهادة النبي ﷺ بالإيمان للجارية التي سألها: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء(٢).

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا، وقد أوردت قدرًا كبيرًا منها في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فليرجع إليه هنالك من شاء(٣).

* * *

س ـ اذكر بعض الوارد في فضل سورة تبارك من أحاديث أو آثار مع بيان درجة هذه الأحاديث من الصحة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أحمد(٤) والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم من طريق عباس الجشمي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجلٍ حتى غُفِرَ له، وهي سورة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**».

وفي سند هذا الحديث عباس الجشمي ما روىٰ عنه إلا راويان، ولم يوثقه

(١) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (ص٧٤٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا مصحوبًا بقصة.

(٢) مسلم (٥٣٧).

(٣) «التسهيل» (البقرة ج١ ص٣١٣).

(٤) أحمد في المسند (٢/ ٢٩٩، ٣٢١)، والترمذي (٢٨٩١)، وقال: هذا حديث حسن، =

إلا ابن حبان، وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل. فجريًا على القواعد العامة فالحديث لا يثبت عن النبي ﷺ، وانظر التعليق.

وأخرج الترمذي [(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر**».

= وابن ماجه (حديث ٣٧٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وهؤلاء العلماء الذين صححوا الحديث يبدو لي - والله أعلم - أنهم تساهلوا في تصحيحه لكونه في فضائل الأعمال، ولكون عباس الجشمي من طبقة التابعين، والجهالة في التابعين ضررها أقل من الجهالة في غيرهم؛ لقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم».

وأيضًا؛ فثم شاهد موقوف عند الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رِجْلاه فتقول رِجْلاه: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك. ثم يُؤتى من قِبَل صدره - أو قال بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على مَا قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. قال: فهي المانعة؛ تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة: سورة الملك. من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب.

وثَمَّ آثار كثيرة في هذا الباب، أوردها الدارمي في «سننه» (٢/ ٤٥٥)، فلعل الحديث يصح بمجموع ما ذُكر، والله أعلم.

(١) الترمذي (٢٨٩٠) وسنده ضعيف؛ ففيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري، وهو ضعيف.

أما الترمذي فقد حسنه ووصفه بالغرابة.

ومنها: ما أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي[١] وغيرهم من طريق ليث (وهو ابن أبي سليم) عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. وعلة هذا الإسناد ليث بن أبي سليم، فهو ضعيف لاختلاطه، وأيضًا ففي السند أبو الزبير محمد بن مسلم المكي وهو مدلس وقد عنعن، فالسند أراه ضعيفًا، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) الترمذي (حديث ٢٨٩٢)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، والدارمي (٢/ ٤٥٥) وغيرهم.
وقد أشار الترمذي إلى أن أبا الزبير لم يسمع هذا الحديث من جابر، ونقل عن بعض العلماء إثبات واسطة وهو صفوان أو ابن صفوان بين أبي الزبير وجابر.

سورة القلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾
فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

ن ـ يسطرون ـ بنعمة ربك ـ أجراً ـ غير ممنون ـ خلق عظيم ـ فستبصر ويبصرون ـ بأيكم المفتون ـ تدهن؟

ج:

الكلمة	معناها
ن	حوت[١] ، وقيل: إن المعنى: الدواة[٢] ، وقيل: لوح من نور، وقيل: حرفٌ أقسم الله به، كقوله تعالى: ﴿ص﴾، و: ﴿ق﴾، وقيل: اسم من أسماء السورة.
يسطرون	يكتبون ـ يخطون.
بنعمة ربك	بحمد ربك ـ من فضل الله عليك.
أجرًا	ثوابًا.
غير ممنون	غير مقطوع[٣] ـ غير منقوص ـ غير محسوب ـ غير مُكدر بالمن.
خلق عظيم	أدب عظيم، وهو الأدب الذي أدبه ربُّه سبحانه وتعالى (أدب القرآن) وقيل: المراد: دين عظيم.

(١) وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا حوت تُحمل عليه الأرض. ولكن لم يصح في هذا خبرٌ عن النبي ﷺ.

(٢) وهي وعاء المداد (الحبر).

(٣) أي: أنه دائمٌ ومستمر، فالنبي ﷺ دعا إلى هدى فله أجر من تبعه إلى يوم القيامة.
وأيضًا: فأجره عليه الصلاة والسلام لما قدمه من الأعمال الصالحة، ولما تحلى به من الأخلاق الكريمة، وقبل كل شيء فهذا من فضل اللّه عليه.

الكلمـــــة	معنـــاهـــــا
فستبصر ويبصرون	فستعلم ويعلمون ـ فسترىٰ ويرون .
بأيكم	في أي الفـــريقين منكم الجنون ـ من منكم المجنون؟ من منكم المعذب؟ من منكم الذي به الشيطان؟
تدهن فيدهنون	تكفر فيكفرون ـ تميل إلىٰ آلهتهم فيميلون إلىٰ إلهك ـ تلين فيلينون ـ تترك الحق فيميلون إليك . والإدهان : التليين لمن لا ينبغي له التليين .

س ـ ذهب بعض العلماء إلى أن القلم هو أول شيءٍ خلقه الله، اذكر مستندهم لذلك.

ج: مستندهم: حديث رسول الله ﷺ: «**أول شيء خلقه الله القلم**»، وهو حديث له عن رسول الله ﷺ عدة طرق يصح بمجموعها. من هذه الطرق: ما أخرجه الطبري[1] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله خلق القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب القدَر، قال: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد**».

وما أخرجه الطبري[2] أيضًا بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**أول شيء خلقه الله القلم، وأمره فكتب كل شيءٍ**».

* * *

(١) الطبري (حديث ٣٤٥٤٣)، ونحوه بإسناد آخر عن عبادة مرفوعًا، كذلك عند الطبري (٣٤٥٤٨)، والطيالسي (حديث ٥٧٧)، والترمذي (حديث ٣٣١٩)، وقال: حسن غريب، وأبو داود (حديث ٤٧٠٠).

(٢) الطبري (٣٤٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٣)، وقد ورد نحو هذا الخبر عند الطبري (٣٤٥٤٦) من طريق آخر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما موقوفًا، وهو مما لا يُقال من قبيل الرأي، ولهذا الحديث عدة طرق أورد كمًا كبيراً منها ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٢) فما بعده.

س ـ أي قلم هذا الذي أقسم الله به؟

ج: **من أهل العلم من قال:** أن المراد بالقلم عموم الأقلام التي يُكتب بها، وفي هذا حثٌ وثناءٌ على العلم كما قال تعالى: ﴿الذي علم بالقلم﴾.

[العلق: ٤]

ومن العلماء من قال: إن المراد بالقلم هنا القلم الذي كتبت به المقادير، وهو القلم الذي أمره الله بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

* * *

س ـ من هم الذين يسطرون؟

ج: **من العلماء من قال:** إنهم الملائكة الذين يكتبون المقادير التي أمرهم بها الله سبحانه وتعالى.

ومن العلماء من قال: هم عموم الذين يكتبون من الملائكة وبني آدم وكل من يكتب، والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؟

ج: الواو هي واو القسم، فأقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم وبالذي يكتبونه بالقلم ويخطُّونه به.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يقول: والذي يخطُّون ويكتبون: وإذا وُجِّه التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم.

وقد يحتمل الكلام معنى آخر، وهو أن يكون معناه: وسطرهم ما

يسطرون، فتكون «ما» بمعنى المصدر.

وإذا وجه التأويل إلى هذا الوجه، كان القسم بالكتاب، كأنه قيل: «ن والقلم والكتاب».

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: وما يخطون.

* * *

س ـ هل كان المشركون يصفون رسول الله بالجنون حتى أقسم الله تعالى على براءة نبيه ﷺ من الجنون، وبيَّن سبحانه تمام عقل نبيه ﷺ وخلقه العظيم؟

ج: نعم، كان أهل الشرك يصفون النبي بذلك صراحةً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] فمن ثمَّ نفى الله عن نبيه هذا الوصف المشين الذي وصفوه به، فأقسم على أن نبيه ﷺ ليس بمجنون.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾؟

ج: **المعنى ـ والله أعلم ـ:** ما أنت من فضل الله عليك بمجنون، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩] أي: فما أنت ـ من فضل الله عليك ومن نعمه عليك ـ بكاهن ولا مجنون.

* * *

س ـ كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟

ج: كان خلقه القرآن صلوات ربي وسلامه عليه.

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ، قالت: فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

ومعنىٰ هذا: أنه ـ عليه السلام ـ صار امتثال القرآن ـ أمراً ونهيًا ـ سجيةً وخلقًا تطبَّعه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح، والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في «الصحيحين»[٢] عن أنس قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفًا قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريراً ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقال البخاري[٣]: حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق؛ قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خَلْقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسىٰ الترمذي في هذا كتاب «الشمائل».

---

(١) مسلم (حديث ٧٤٦).

(٢) انظر البخاري (٦٠٣٨، ٦٩١١)، ومسلم (حديث ٢٣٠٩).

(٣) البخاري (حديث ٣٥٤٩).

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عُرْوة ، عن عائشة ؛ قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتىٰ يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتىٰ إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل .

قلت (مصطفى) : وكتاب فقه الأخلاق بيَّنت فيه كثيراً من مكارم أخلاقه صلوات ربي وسلامه عليه فلينظره من يشاء .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾.

ج: ابتداءً فمن أهل العلم من قال : إن (الباء) في قوله تعالىٰ : ﴿ بِأَيِّكُمُ ﴾ زائدة ، فالمعنىٰ : أيكم المفتون؟! وأتىٰ لذلك بشواهد :

منها : قوله تعالىٰ : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي : تنبت الدهن .

وقوله تعالىٰ : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] أي : يشربونها أو : يشربون منها .

ومن ذلك قول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

ومن العلماء من قال: إن «الباء» بمعنىٰ «في» فالمعنىٰ : في أيكم؟

(١) صحيح: وهو عند أحمد (٦/ ٢٣٢) .

أما المفتون: فلأهل العلم أقوال في تفسيره:

أحدها: المجنون.

الثاني: المعذب.

الثالث: الشيطان.

الرابع: المصروف عن الحق إلى الباطل.

وعليه؛ فالمعنى: أيكم المجنون؟ أيكم المعذب؟ أيكم به الشيطان؟ أيكم المصروف عن الحق إلى الباطل؟

أو المعنى: في أي الفريقين منكم المجنون؟

بأي الفريقين منكم يحل العذاب؟. والله تعالى أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾؟

ج: المعنى المراد ـ والله أعلم بمراده ـ: إن ربك يا محمد هو أعلم بالمهتدين عمومًا، وبأهل الزيغ والضلال كذلك، ويعلم يا محمد أنك على الهدى، ويعلم أن قومك من كفار قريش على ضلال، فامضِ يا محمد على ما أنت فيه من الحق والهدى والنور، ولا تلتفت إلى ضلال هؤلاء المشركين.

وهذا كقوله تعالى: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾ [النمل: ٧٩ـ٨٠].

* * *

س ـ عن أي شيء من أمور الطاعة نهى الله نبيه إذ قال له: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾؟

ج: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه عن طاعة المشركين فيما يدعون إليه من الشرك ومن أمور دينهم الخبيثة، وعقائدهم المنحرفة، وأخلاقهم الرذيلة. والله أعلم.

* * *

وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

حلاّف ـ مهين ـ همَّاز ـ مشاء بنميم ـ منَّاع للخير ـ معتد ـ أثيم ـ عتل ـ بعد ذلك ـ زنيم ـ ذا مال ـ أساطير ـ سنسمه على الخرطوم.

ج:

الكلمة	معناها
حلاّف	كثير الحلف بالباطل.
مهين	حقير ـ ذليل ـ ضعيف ـ كذاب[1].
همَّاز	عيَّاب ـ طعَّان ـ مُغتاب.
مشاء بنميم	ماشٍ بين الناس بالنميمة.
مناعٍ للخير	بخيل بالمال ضنين به لا يؤدي حقوقه وأيضًا يمنع الناس من الإيمان.
معتد	ظالم للناس معتدٍ عليهم.
أثيم	مرتكب للآثام ـ متناول للمحرمات.
عتل	جافٍ شديدٌ في كفره[2] ـ معافىٰ في بدنه فاحشٌ في خُلُقه، شديد الخَلق، رحيب الجوف، أكول شروب، ظلوم للناس، فظ غليظ.

(١) قال الطبري ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: غير أن بعضهم وجَّه معنىٰ المهين إلىٰ الكذاب، وأحسبه قال ذلك؛ لأنه رأىٰ أنه إذا وُصف بالمهانة، فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه، وكذلك صفة الكذوب إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

(٢) قال القرطبي: وكلُّ شديدٍ قويٍّ فالعرب تسميه عُتُلاً.

الكلمـــة	معنـاهـــا
بعد ذلك	مع ذلك .
زنيم	لئيم ـ دَعِيٌّ (مُلحق بغير أبيه) مريب[١] .
ذا مال	صاحب مال .
أساطير	قصص وخرافات .
سنسمه على الخرطوم	سنعلمه بعلامةٍ على أنفه يُعرف بها[٢] .

(١) قال ابن كثير : والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلى ما قلناه وهو : أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس .

وأورد الطبري بيت شعر فيه :

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم

(٢) ومنه قولهم : وسم الشخص ميسم سوء ، أي : ألصق به عارٌ لا يُفارقه .

س ـ لماذا نهينا عن طاعة الحلاف المهين؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

قلت: وقد قال تعالى في شأن أهل النفاق: ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المجادلة: ١٦]. أي: وقاية يتقون بها.

* * *

س ـ اذكر بعض الوارد في عقوبة النمام.

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبةً فشقها نصفين، فغرز في كل قبرٍ واحدةً.

قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟! قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

وما أخرجه البخاري ومسلم[٢] أيضًا من حديث حذيفة رضي الله عنه

---

(١) البخاري (حديث ٢١٨)، وفي غير موضع من «صحيحه»، ومسلم (١١١/ ٢٩٢).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٥٦)، ومسلم (١٦٨ـ١٦٩ـ١٧٠/ ١٠٥) كتاب الإيمان.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى:

قوله: (قتات): بقاف ومثناة ثقيلة وبعد الألف مثناة أخرى، هو: النمام، ووقع بلفظ: «نمام» في رواية أبي وائل عن حذيفة عند مسلم، وقيل: الفرق بين القتات والنمام أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به، ثم ينقل ما سمعه.

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قتَّاتٌ**» والقتات هو: النمام، وقد ورد ذلك صريحًا في رواية لمسلم وقد ورد في الباب حديث آخر في إسناده ضعف قريب[1]، وهو ما أخرجه أحمد وغيره من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**».

* * *

= قال الغزالي ما ملخصه: ينبغي لمن حملت إليه نميمة أن لا يصدق من نمَّ له، ولا يظن بمن نم عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر له، وأن ينهاه ويقبح له فعله، وأن يبغضه إن لم ينزجر، وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فينم هو على النمام فيصير نمامًا.

قال النووي: وهذا كله إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية، وإلا فهي مستحبة أو واجبة، كمن اطلع من شخص أنه يريد أن يؤذي شخصًا ظلمًا فحذره منه. وكذا من أخبر الإمام أو من له ولاية بسيرة نائبه مثلاً، فلا منع من ذلك.

وقال الغزالي ما ملخصه: النميمة في الأصل: نقل القول إلى المقول فيه، ولا اختصاص لها بذلك، بل ضابطها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهما، وسواء كان المنقول قولاً أم فعلاً، وسواء كان عيبًا أم لا، حتى لو رأى شخصًا يخفي ماله فأفشى كان نميمة.

واختلف في الغيبة والنميمة هل هما متغايرتان أو متحدتان؟ والراجح التغاير، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا، وذلك لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان بعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركتا فيما عدا ذلك، ومن العلماء من يشترط في الغيبة أن يكون المقول فيه غائبًا، والله أعلم.

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٩)، وفي إسناده شهر بن حوشب متكلمٌ فيه.

س ـ ما معنى ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ في قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾؟

ج: كلمة ﴿بَعْدَ﴾ معناها هنا: مع، أي: مع المذكور من أوصافه الخبيثة السيئة من كونه حلافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنميمٍ مناع للخير معتد أثيم، فهو مع ذلك كله عتل زنيم كما يُقال: «فلان ـ على سبيل المثال ـ رجل مغتاب وظالم وباغٍ، ويفسد بين الناس ويعتدي عليهم بالضرب والسباب» فتقول أنت: وهو بعد ذلك يقتل ويسرق ويزني. أي: مع المذكور كله فهو يقتل ويسرق ويزني.

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في ذم العُتل.

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعِّفٍ لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُل جوَّاظ مستكبر»**

* * *

س ـ هل ورد عن رسول الله ﷺ شيءٌ في تفسير «العُتل الزنيم»؟

ج: قد وردت في ذلك أحاديث لكنها لا تخلو من مقال منها:

ما أخرجه الإمام أحمد[1] في «مسنده» من طريق عبد الرحمن بن غنم قال: سئل رسول الله ﷺ عن العُتُل الزنيم؟ فقال: **«هو الشديد الخَلْق**

(١) البخاري (حديث ٤٩١٨)، ومسلم (حديث ٢٨٥٣).

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٧)، وفي سنده ضعف وإرسال.

المصحح، الأكول الشروب، الواجِدُ للطعام والشراب، الظَّلُومُ للناس، رحب الجوف».

وأخرج الطبري [١] بإسنادٍ مرسل من طريق القاسم ـ مولىٰ معاوية ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن العُتلِّ الزنيم؟ قال: «الفاحش اللئيم».

وأخرج أيضًا من مرسل زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مِقضمًا، فكان للناس ظلومًا، فذلك العتل الزنيم».

* * *

س ـ متى هذا الوسم المذكور في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن هذا الوسم في الدنيا، قالوا: فقد وُسم بالسيف علىٰ أنفه يوم بدر.

ومن العلماء من قال: إنه في الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

س ـ المال والبنون ـ يحملان في كثيرٍ من الأحيان على الطغيان، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] أي:

(١) الطبري (٣٤٥٩٨، ٣٤٦٠٢).

إن رأىٰ نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣، وفصلت: ٥١]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ألِكَونه من أصحاب الأموال والأولاد يُكذِّب بآياتنا ويقول عنها: إنها أساطير الأولين؟!!

الثاني: أتطيع هذا الهماز المشاء بالنميم لكونه ذا مال وبنين؟!!

الثالث: لا تطع هذا الهماز المشاء بالنميم وإن كان ذا مال وبنين.

الرابع: أهكذا يقابل نعم الله بالكفر بآيات الله والإعراض عنها؟!

الخامس: أيمشي بين الناس بالنميمة لكونه ذا مال وبنين؟!

* * *

قصة أصحاب الجنة

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا
مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

بلوناهم ـ أصحاب الجنة ـ ليصرمنها ـ مصبحين ـ ولا يستثنون ـ طائف ـ الصريم ـ فتنادوا مصبحين ـ اغدوا ـ إن كنتم صارمين ـ يتخافتون ـ غدوا ـ حردٍ ـ ضالون ـ أوسطهم ـ تسبحون ـ يتلاومون ـ طاغين ـ راغبون.

ج:

الكلمة	معناها
بلوناهم	اختبرناهم ـ امتحناهم.
أصحاب الجنَّة	أصحاب الحديقة (البستان).
ليصرمنها	ليجدُّنها ـ ليقطعن ثمرها، والجداد قطع الثمر.
مصبحين	في الصباح.
لا يستثنون	لا يقولون: إن شاءالله، فالاستثناء هنا هو قول: إن شاء الله. ومن العلماء من قال: لا يخرجون حق الفقراء المساكين.
طائف	شيءٌ من عند الله، نار أحرقتها. بلاء حلَّ بها فذهب بثمارها. طارقٌ طرقها. فدمرها.
الصريم	الليل الأسود شديد الظلمة ـ الرماد الأسود: البستان الذي صُرم ثمره وقُطع.
فتنادوا مصبحين	نادىٰ بعضهم بعضًا في الصباح.
اغدوا	اخرجوا إلىٰ حديقتكم صباحًا مبكرين.
إن كنتم صارمين	إن كنتم تريدون اجتناء الثمر.
يتخافتون	يُحدث بعضهم بعضًا سرًا حتىٰ لا يسمعهم الناس.

الكلمـــة	معنـاهـــا
غدوا	خرجوا صباحًا مبكرين .
حردٍ	جدٍ ـ غيظ وحنق (على الفقراء والمساكين)[١] ـ قصدٍ وتعمدٍ وحرصٍ (لحرمان الفقراء) .
ضالون	تائهون ـ مخطئون للطريق .
أوسطهم	أعقلهم ـ أعدلهم ـ أرجحهم عقلاً[٢] .
تسبحون	تقولون : إن شاء الله ـ تسبحون الله وتنزهونه عن الظلم .
يتلاومون	يلوم بعضهم بعضًا .
طاغين	متجاوزين الحد في الظلم .
راغبون	لاجئون ـ راجعون ـ طامعون في فضل الله .

(١) ومنه قول الشاعر :

أُسُودُ شرًى لاقَتْ أُسودًا خفيةً تَسَاقوا على حردٍ دماء الأساود

وأسود الشرى هي أشد الأسود ضراوةً .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ [البقرة : ١٤٣] .

س ـ من هم أصحاب الجنة المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾؟

ج: هم أصحاب حديقة ـ بستان ـ عزموا على حرمان الفقراء والمساكين حقهم، فانتقم الله منهم وابتلاهم بما ذكره في كتابه.

ومن العلماء من قال: إنهم كانوا قومًا من أهل اليمن وكان أبوهم صالحًا، وكان يعمل في حديقته بأمر الله ويتقي الله في ثمرته، فلما مات اجتمع أبناؤه وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين.

قلت: أما كونهم من أهل اليمن وكون أبيهم كان يعمل فيها بالصلاح؛ فلم أقف له على شيء مُسندٍ صحيح من سنة رسول الله ﷺ.

وعلى كلٍّ فالعبرة مأخوذةٌ من القصة بلا شك.

* * *

س ـ ما فائدة التذكير بأصحاب الجنة؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ ليتخذ أهلُ الإيمان منها طريقًا إلى الشكر والصبر شكرًا لله على ما أنعم عليهم ببعثة نبيهم ﷺ، وصبرًا على ما يلحقهم من المشركين من أذى، فالله ينتقم من الظالم.

وذلك أيضًا: ليتخذ أهل الإيمان من ذلك طريقًا لإحسان النوايا والإخلاص لله عز وجل.

ولتذكير أهل الكفر أيضًا بما حل بكل كفور، وبكل من لم يقدم شكرًا لله على ما أنعم به عليه. والله أعلم.

س ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ من هؤلاء الذين ابتلاهم الله عزَّ وجل؟ وما وجه الشبه بين ابتلائهم وابتلاء أصحاب الجنة؟

ج: هؤلاء الذين ابتلاهم الله هم المشركون من أهل مكة.

ووجه الشبه بين ابتلائهم وابتلاء أصحاب الجنة من ناحية كونه ابتلاء بالنعم فأصحاب الجنة ابتلاهم الله ببستان أثمر من كل زوج بهيج فلم يقدموا لذلك شكراً، فذهب الله بثمرته ودمره تدميراً.

وأهل مكة ابتلاهم الله ببعثة النبي محمد ﷺ فيهم هاديًا ومبشراً ونذيراً، وابتلاهم بالقرآن، وابتلاهم أيضًا بما أنعم به عليهم من المال والجاه والولد والسيادة، فلم يقدموا لذلك شكراً فانتقم الله منهم أيضًا، وحل بهم من البلاء ما حلَّ يوم بدر.

وحل بهم ما حل من الجوع ونقص الثمرات ما حل، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وهذه سنة لله مطردة في العباد في كثير من الأحيان يبتليهم بالسراء لعلهم يشكرون، فإذا لم يقدموا شكراً ابتلاهم بالضراء والعكس أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وكما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾.

[الأعراف: ٩٤-٩٥]

وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أقسموا ليصرمنها مصبحين؟

ج: ذلك لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ولا مسكين، ليتوفر ثمرها لهم ولا يتصدقوا منه بشيء.

* * *

س ـ الله سبحانه وتعالى يثيب على النوايا الحسنة ويعاقب على النوايا السيئة دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ في شأن أهل الإيمان: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال النبي ﷺ: «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم** ـ وفي رواية: **إلا شركوكم في الأجر** ـ **حبسهم العذر**»، وفي رواية: «**حبسهم المرض**»[1].

(١) البخاري (حديث ٤٤٢٣)، ومسلم (حديث ١٩١١) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وقال النبي ﷺ أيضًا: «المرء مع من أحب»[١]، والحُب مَحَلّه القلب.

وفي المقابل يقول تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. والإرادة محلها القلب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، والحب محله القلب كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وبالاتفاق فالحاسد مذمومٌ وآثم.

وأيضًا: فقد قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]

وهاهم أصحاب الجنة (الحديقة) لما أضمروا الشر وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين، طاف على جنتهم طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم.

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنةً، وإذا أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عَمِلها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**».

أما بالنسبة لحديث النفس العابر غير المستقر بالقلب فإن هذا لا مؤاخذة عليه؛ لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) البخاري (حديث ٧٥٠١)، ومسلم (حديث ١٢٨).

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم**»[١].

قال النووي رحمه الله (١ / ٣٣٦) بعد أن ذكر الأحاديث:

«قال الإمام المازري رحمه الله: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب رحمه الله أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لا يوطن نفسه على المعصية، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمَّى هذا همًا، ويفرق بين الهمّ والعزم. هذا مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث.

قال القاضي عياض رحمه الله:

عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي همَّ بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشيةً لله تعالى كتبت حسنة، كما في الحديث: «**إنما تركها من جرَّاي**»، فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمَّارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم، وذكر بعض المتكلمين خلافًا فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى، بل لخوف الناس هل تكتب حسنة؟ قال: لا؛ لأنه إنما حمله على تركها الحياء، وهذا ضعيف لا وجه له.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث٢٥٢٨)، ومسلم (حديث ١٢٧).

هذا آخر كلام القاضي وهو ظاهر الحسن لا مزيد عليه.

وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] والآيات في هذا كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾، قادرون على ماذا؟

ج: قادرون بزعمهم على اجتناء ثمرة بستانهم، ظانين أنهم قادرون على ذلك لا يحول بينهم وبين ذلك حائل.

* * *

س ـ وضح المراد بقولهم: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

ج: **ذلك ـ والله أعلم ـ** أنهم لما سلكوا طريق جنتهم ووجدوها قد حلَّ بها ما حل، ونزل بها ما نزل ظنوا أنها ليست بجنتهم، وأنهم قد أخطأوا الطريق ثم استفاقوا فقالوا: بل هذا هو الطريق، وهذه هي جنتنا ولكنها احترقت، وقد حُرمنا لعزمنا على حرمان المساكين.

* * *

س ـ وضح معنى قول أوسطهم لهم: ﴿لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾.

ج: هذا ـ والله أعلم ـ معناه: لولا تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أنكم تقدرون على جني ثمرة حديقتكم، وتستطيعون ذلك بمعزلٍ عن إرادة ربكم.

ومن ذلك أيضًا: ظنكم أن الله ظلمكم إذ أمركم بإخراج حق الفقراء والمساكين. والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا أُطلق الاستثناء وهو قوله: ﴿إن شاء الله﴾ على التسبيح؟

ج: ذلك لأن المعنى متقارب: فالتسبيح تنزيه الله عن النقص والعجز والسوء والمكروه، والاستثناء تعظيم الله عز وجل والإقرار بأن أحدًا لا يستطيع فعل شيءٍ إلا بإذنه، فمن ثَم قولنا: «إن شاء الله» متضمِّنٌ لإثبات قدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه، وأن أحدًا لا يستطيع فعل شيء إلا إذا أراده الله وأعانه الله عليه. والله أعلم.

* * *

س ـ ما وجه قولهم بعد أن ذهبت جنتهم ودمِّرت: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾؟

ج: وجه ذلك: أنهم نزَّهوا ربهم عزَّ وجل عن الظلم، فكأنهم قالوا: تنزيهًا لربنا عن أن يكون ظالمًا فيما فعل بنا بل نحن الظالمون.

* * *

س ـ عند الجِد وظهور الحق يتنصل كل صاحب من صاحبه. دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]وذلك لما دُمرت جنتهم وذهب ثمرها.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة متعددة.

* * *

س ـ وضح معنى قولهم: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾.

ج: كأن المعنىٰ: أنهم نادوا الويل؛ فقالوا: يا ويلنا تعال فهذا وقت حضورك.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله عزَّ وجل لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا؛ لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهالٌ لا يعلمون.

* * *

س ـ هل أصحاب الجنة هؤلاء من أهل النار أم من أهل الجنة؟

ج: الله أعلم بهم وبمآلهم، والظاهر: أنهم تابوا إذ قالوا: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] والتوبة تجبُّ ما قبلها وتُقبل من العبد ما لم يغرغر.

* * *

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ
ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ
﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

تدرسون ـ تخيرَّون ـ بالغةٌ ـ زعيم ـ شركاء

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــا
تدرسون	تقرأون .
تخيرَّون	تختارون ـ تشتهون .
بالغةٌ	مؤكدة ـ واصلة .
زعيم	كفيل ـ ضامن ـ قائم بالحجة والدَّعوىٰ .
شركاء	شـركـاء لله أرباب تـفـعل مـعـهم هذا، وقـيل: شـهـداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه .

س ـ لا يستوي المحسن والمسيء، ولا يستوي المسلم مع المجرم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾. [القلم: ٣٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كلاَّ، ما الله بفاعل ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أتجعلون المطيع لله من عبيده والعاصي له منهم في كرامته سواء؟! يقول جلّ ثناؤه: لا تسوّوا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

وكان صناديد قريش يرون وفور حظّهم من الدنيا وقلّة حظوظ المسلمين منها؛ فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صحَّ أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كالكفار.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: ألكم يا أهل الشرك ـ يا من سوَّيتم بين المسلمين والمجرمين في الأجر والمثوبة ـ ألكم يا هؤلاء كتاب درستم فيه أن المسلم يستوي مع المجرم؟

ألكم يا أهل الشرك كتابٌ نزل من عند الله درستم فيه، ووجدتم فيه (إن لكم لما تخيرون) إن لكم الشيء تختارونه وتهواه نفوسكم. والآية كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[الصافات: ١٥٦ـ١٥٧]

وكقوله تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ألكم عهودٌ على الله تعالى حلف لكم بها

علىٰ ما تدعونه؟!

وهذه العهود (الأيمان) بالغة إلىٰ يوم القيامة مؤكدةٌ أن لكم الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم.

ووجه آخر: هل حلف لكم ربكم؟ أو: هل وعدكم ربكم وأقسم لكم أيمانًا مؤكدة بأن لكم يوم القيامة ما تحكمون به لأنفسكم من السعادة؟!

وقوله: ﴿بَالِغَةٌ﴾ قد قدمنا معناه.

ووجه آخر: مؤكدةٌ لما عاهدناكم بها عهودًا لا تنقطع، وأخذتم بذلك منا مواثيق لا تنقطع أن لكم يوم القيامة ما تختارونه.

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم: هل لكم يا أهل الشرك أيمانٌ أقسمنا لكم بها، وعهود عهدنا بها إليكم تنتهي بكم إلىٰ يوم القيامة بأن لكم حكمكم، وبأنكم لن تعذبوا، وبأنكم أفضل من المؤمنين؟!

وهذا ظن أهل الشرك، ظنهم مع كفرهم بأنه إن كان هناك بعثٌ، فهم أيضًا خيرٌ من أهل الإيمان، كما قال قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، وقال الآخر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

* * *

س ـ على أي وجه يحمل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾؟

ج: هذا الاستفهام ـ والله أعلم ـ للتقريع والتوبيخ.

* * *

س ـ اسم الإشارة «ذلك» في قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ إشارةً إلى ماذا؟

ج: ذلك إشارةً إلى الأيمان، فالمعنى: سل هؤلاء المشركين أيهم كفيل بأن لهم علينا أيمانا بأن لهم الجنة وبأنهم يستوون مع المؤمنين؟

والمعنى أيضًا: سلهم: من الذي يضمن لهم الحكم الذي حكموا به لأنفسهم، من أنهم سيعطون في الآخرة أفضل مما يُعطاه المؤمنون؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أم لهم شركاء يتكفلون لهم بأن يعطوهم مرادهم ومطلبهم؟ فليأتوا بهؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين في دعواهم.

وقيل: المعنى: أم لهم شهداء يشهدون لهم بصدق ما ادَّعوه ويوافقونهم على أقوالهم؟

وقيل: المعنى: أم لهم شركاء يظنونهم شركاء لله يكشفون عنهم الضر يوم القيامة ويحفظونهم في دنياهم من أمرنا. (والشركاء قيل: هي الأصنام).

عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى
لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ
﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن
رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ
إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

خاشعة أبصارهم ـ ترهقهم ذلة ـ سالمون ـ سنستدرجهم ـ أملي لهم ـ كيدي متين ـ مغرم ـ صاحب الحوت ـ نادى ـ مكظوم ـ تداركه نعمة ـ نبذ بالعراء ـ مذموم ـ فاجتباه ـ ليزلقونك ـ الذِّكْر؟

ج:

الكلمة	معناها
خاشعة أبصارهم	ذليلة أبصارهم.
ترهقهم ذلة	تعلوهم وتغشاهم الذلة ـ يغشاهم ذلُّ الندامة والحسرة، وكما في الآية الكريمة: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [يس: ٤٠-٤١]
سالمون	آمنون ـ معافون ـ أصحاء.
سنستدرجهم	سنجرهم إلى العذاب ـ سنقربهم ـ سنأخذهم على غفلةٍ وهم لا يعرفون. والاستدراج: الإدناء على التدريج.
أُملي لهم	أؤخرهم ـ أمهلهم ـ أُنظرهم.
كيدي متين	تدبيري عظيم قويّ لمن خالف أمري وكذَّب رسلي واجترأ على معصيتي.
صاحب الحوت	هو يونس ـ عليه السلام.
نادى	دعا.
مكظوم	مكروب ـ ممتلئ كربًا وهمًا وغمًا ـ مغموم.
تداركه	تداركته نعمة ربه ولحقه فضله وثوابه.
نُبذ	طُرح بأرض الفضاء.
مذموم	ملوم ـ مذنب.

الكلمـــة	معنـاهـــا
اجتباه	اختاره واصطفاه .
ليزلقونك	لينفذونك (كما ينفذ السهم من الرمية) ـ ليصرعونك ـ يركزون البصر إليك فيهلكونك ـ يغتالونك .
الذّكر	القرآن .

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؟

ج: أولاً: قد ورد في «الصحيحين»[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال: «ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبراتٌ من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سرابٌ، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا؛ فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا. فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعةً، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٩)، ومسلم (حديث ١٨٣).

وقد رواه البخاري[١] مختصراً من حديث أبي سعيد أيضـًا ولفظه:

سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا**».

ثانيـًا: قد وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما روايات متعددة عنه تصح بمجموعها مفادها: أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ أنه الأمر الشديد، وإن اختلفت الألفاظ عنه بذلك، وأورد جملة من الآثار عنه بذلك الطبري ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» ففي بعضها: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ قال: هو يوم حربٍ وشدة[٢]، وفي بعضها: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ قال: عن أمر عظيم[٣]، كقول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق

وفي أخرىٰ[٤] هو: الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

وفي بعضها هو: شدة الأمر[٥] وجده، وفي بعضها: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة[٦]، وفي بعضها: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة[٧].

وعند البيهقي في «**الأسماء والصفات**»: عن ابن عباس أيضًا أنه قرأ:

---

(١) البخاري (حديث ٤٩١٩).

(٢) الطبري (٣٤٦٦٩)، وهو صحيح لشواهده، وانظر الشواهد المشار إليها.

(٣) الطبري (٣٤٦٧٠).

(٤) (٣٤٦٧٣) الطبري.

(٥) الطبري (٣٤٦٧٤).

(٦)، (٧) الطبري (٣٤٦٧٥).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريد: القيامة والساعة لشدتها[١].

وصح عن قتادة[٢] أنه قال: عن أمرٍ فظيع جليل.

* * *

س ـ وضح العامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن العامل فيه هو فعل: (اذكر).

فيكون المعنى: واذكر يوم يكشف عن ساق.

الثاني: أن العامل في ﴿يَوْمَ﴾ هو: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ أي: أن المعنى: فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم.

* * *

س ـ هل هناك سجود يوم القيامة؟

ج: نعم هناك سجود يوم القيامة.

فأهل الإيمان ـ كما ورد في الحديث المتقدم ـ يسجدون لله سبحانه وتعالى عندما يكشف ربنا عزَّ وجل عن ساقه، وكذلك فرسولنا محمد ﷺ يسجد لله ـ كما في حديث الشفاعة الطويل، ففيه: «**فيأتوني فاستأذنُ على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسمعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تُعط...**» الحديث[٣].

---

(١) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٨)، وانظر ما حولها من أسانيد هنالك.

(٢) الطبري (٣٤٦٧٧)، وإسناده حسن.

(٣) هو في نفس حديث أبي سعيد المتقدم (البخاري (٧٤٣٩).

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

ج: هذه حال وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة، إذْ يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، فحينئذٍ تخشع أبصارهم، أي تُذل وتهان، وكذلك فأثر الذل يرهق الوجوه ويعلوها، كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١]، وكما قال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، و لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب ـ عز وجل ـ فسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وقد كان هؤلاء الكفار يدعون في الدنيا إلى الصلاة ويسمعون المؤذن ينادي: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، ولا يمنعهم من إجابته مانعٌ من مرضٍ ولا خوفٍ ولا سفرٍ ولا غير ذلك، ومع

ذلك لا يجيبونه، بل ولا يُصلُّون بالكُلِّية ولا يجيبون داعي الله إذا دعاهم إلىٰ طريق الله.

* * *

س ـ ما المراد بالحديث في قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، وضح معنى الآية الكريمة؟

ج: المراد به: القرآن الكريم.

أما إيضاح الآية الكريمة: فالآية بهذا السياق تحمل معنىٰ التهديد الشديد والوعيد الأكيد للمكذِّب بالقرآن، الذي يزعم أنه سحر وشعرٍ وكهانة وكذب.

فالمعنى: دعني وهذا المكذب، فأنا أكفيكه وأنتقم منه، وأعاقبه أشد العقاب، وأستدرجه من حيث لا يعلم حتىٰ أوقعه في أشد العذاب.

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً﴾ [المزمل: ١١-١٢].

وكقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر: ١١].

قال القاسمي رحمه الله تعالى في (محاسن التأويل):

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: كِلْهُ إليّ فإني أكفيكه، وهذا من بليغ الكناية. كأنه يقول: حسبك انتقامًا منه أن تكل أمره إليّ، وتخلّي بيني وبينه، فإني عالم بما يجب أن يفعل به، قادر علىٰ ذلك. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: سنكيدهم بالإمهال وإدامة الصحة، وزيادة النعم،

من حيث لا يعلمون أنه استدراج، وسبب لهلاكهم. يقال: «استدرجه إلىٰ كذا» أي: استنزله إليه درجة فدرجة حتىٰ يورّطه فيه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: سنستدرجهم إلىٰ العذاب وهم لا يعلمون أنه عذاب بل يظنون أنهم إلىٰ خير، فيسرعون إلىٰ ما فيه هلاكهم وحتفهم وعذابهم، وهم يظنون أنهم سائرون إلىٰ ما فيه صلاحهم. وذلك كما في ملاحقة فرعون لموسىٰ، ففرعون يسرع وجندُه للحاق بموسىٰ ﷺ، حتىٰ تراءىٰ الجمعان، فقال أصحاب موسىٰ: إنا لمدركون، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] أي: وقربنا هنالك ـ من البحر ـ فرعون وجنده فأغرقناهم.

ففرعون كان يُسرع للحاق بموسىٰ وهو لا يشعر أنه يسرع لهلاكه وغرقه.

وكما اجتهد صاحب الجنتين ـ الذي ذكر أمره في سورة «الكهف» ـ في الإنفاق علىٰ جنتيه وتحسينهما وهو لا يشعر أنه ينفق للزوال والهلاك. وكما خرج قارون في زينته فخسف به وبداره الأرض.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه. أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر؛ ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن

مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥] وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥] أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ علىٰ معصيتي.

وفي «الصحيحين» (١) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**. ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وأؤخر الكفار وأمهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة، وذلك حتىٰ يغتروا بما هم عليه من الكفر والجرائم والذنوب والآثام، فمن ثمَّ يقترفوا ما هم مقترفون ويرتكبوا ما هم مرتكبون ويزدادوا إثمًا، فيستحقوا عذابًا أشد وأعظم فحينئذٍ أُنزل بهم بأسي الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، فأخذي ومكري وعذابي وانتقامي شديد، والآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٨٣).

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أَفَهمُ مدينون دينًا كبيرًا قد تحملوه فأثقلهم ولم يستطيعوا أداءه، وأنت تطلب منهم أجرًا آخر على هدايتهم؟!

وكإيضاحٍ آخر: أتطلب منهم أجرًا على هدايتهم فيخشون إن هم اتبعوك أن تثقلهم الديون فيغرموا ولا يستطيعوا الأداء؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

ج: من العلماء من فسَّر الغيب هنا بـ: اللوح المحفوظ، فعليه؛ فالمعنى: ما المانع لهؤلاء الكفار من اتباعك؟ أعندهم اللوح المحفوظ الذي تكتب فيه المقادير من سعادة وفلاح وبؤس وشقاء، وغير ذلك، فهم يكتبون لأنفسهم ما شاءوا من حظوظ وأرزاق، ومن ثَمَّ لا فائدة لهم في اتباعك؟!

وقد يُفسر الغيب أيضًا بكل ما غاب، فعليه؛ فالمعنى: أفعند هؤلاء الكفار الذين كذبوك وعاندوك علمُ الغيب؟ فهم يختارون ما شاءوا ويتقون ما شاءوا، ويستكثرون من الخير ويتقون السوء والمكروه؟ والآية كقوله تعالى: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ [النجم: ٣٥].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

هذا وقد قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟!

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾.

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: فاصبر لما حكم به ربك عليك وقضى به عليك وقدَّره مِن تبليغ الرسالة والأذى الذي ينالك من جرَّاء ذلك.

الثاني: اصبر انتظاراً لقضاء ربك الذي يقضي به بينك وبين قومك الذين عاندوك وحاربوك.

* * *

س ـ من صاحب الحوت؟

ج: هو نبي الله يونس ﷺ، وهو: يونس بن متَّى، وهو: «ذو النون».

* * *

شيءٌ من قصة نبي الله يونس عليه السلام

س ـ وضح بشيء من الإسهاب أمرَ صاحب الحوت؟

ج: أما صاحب الحوت فهو نبي الله يونس بن متىٰ ﷺ، وقد أرسله الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أهل بلدة يُقال لها: «نينوىٰ»[1] من أرض «الموصل» بالعراق، فدعاهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وحذَّرهم من عاقبة كفرهم الذي هم عليه وحذَّرهم من مغبة عصيانهم فأبوا عليه وتمردوا علىٰ أمره وخالفوه وعصوه، فغضب منهم وتعجل وخرج من بلادهم من غير إذن من الله له بالخروج، وترك لهم بلادهم واتجه إلىٰ ساحل البحر، ظنًا منه أن لن يُعاتب علىٰ هذا الضجر والغضب والعجلة في الخروج.

أما قومه فآمنوا بعد خروجه، كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ [يونس: ٩٨]

فاتجه يونس إلىٰ سفينة واستوقفها وركبها؛ كي يسافر بعيداً عن قومه الذين عاندوه وخالفوه، وكانت السفينة مليئة ومشحونة بالبضائع والركاب والأمتعة كما قال تعالىٰ: ﴿**إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ [الصافات: ١٤٠] فلعبت الأمواج بالسفينة وخشي أهلها الغرق، فبدأوا يتخففون من الأحمال التي معهم بإلقائها في اليمِّ متاعًا تلو متاع، وبضاعة تلو بضاعة.

ولكن كل هذا لم يُجْدِ ولم ينفع، فبدأوا في أمرٍ آخر، وهو التفكير في

---

(١) وهذا رأي جمهور المفسرين.

التخفف من الأشخاص حتى تسلم لهم سفينتهم ويسلم جلُّ الركاب وإن غرق بعضهم، فبدأوا بالفعل في التفكير الجاد في إلقاء بعضهم في اليم لتخفيف الأحمال والأثقال، ولكن من يُلقى أولاً، فاتفقوا على أن يستهموا فيما بينهم لمعرفة من يُلقى، فوقع السهم على يونس ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ **فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ** ﴾ [الصافات: ١٤١] فأُلقي يونس ﷺ في اليم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولكن الله سبحانه وتعالى ـ وهو على كل شيء قدير ـ سخَّر ليونس عليه السلام حوتًا عظيمًا جاء يشق البحر، فابتلع يونس ﷺ، ولم تتناوله أسنانُه بأذىً لأمرٍ يريده الله ولأمرٍ قد قدَّره الله.

اتجه الحوت ويونس ﷺ في بطنه إلى قاع البحار، فهناك تراكمت على يونس ظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة قاع البحر، وظلمات الليل البهيم، فضلاً عما هو فيه من كربٍ وهمٍّ ونكدٍ وغمٍّ لكونه ذهب مغاضبًا وخرج بغير إذن من الله له بالخروج ولكنه حاول الحركة فبدأ يتحرك، فكان أول من كان من أمره أن قال مناديًا في الظلمات: ﴿ **أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧] تلك الدعوة التي ما دعى بها مكروب إلا وفرَّج الله همَّه، وكشف الله كربه بدأ عليه الصلاة والسلام في التسبيح: ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الصافات: ١٤٣ـ ١٤٤]، فسبحَّ وسبح وتاب واستغفر.

وهكذا المؤمنون لا يقنطون من رحمة الله، ولا ييأسون من روحه، فقد علموا عن الله عز وجل أنه غافر الذنب وقابل التوب، وعلموا عن رحمة الله عزَّ وجل أنها وسعت كل شيء، وعلموا أنه سبحانه كان للأوَّابين غفورًا، فاستغفرَ يونس واستغفرَ، وهلَّل ووحَّد وأخلص في الدعاء والله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، سبح يونس واعترف

بالذنب، ونادىٰ ربَّه موحداً: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فعل ذلك في مكان لم يصل إليه بَشَرٌ حيٌّ بحالٍ من الأحوال، فحينئذ تداركته نعمة من ربه ولاقته رحمة ربه، فلكثرة تسبيحه وتهليله واستغفاره أنجاه الله تبارك وتعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

أنجاه الله سبحانه بأن اتجه الحوت إلىٰ جانب البر فقذف يونس عليه السلام ونبذه - أي طرحه - بالعراء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، أي: وهو مريض، ومن فضل الله علىٰ هذا النبي الكريم أنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم، ولكنه نُبذ وهو سقيم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]، ولكن ربنا سبحانه وتعالىٰ اجتباه واختاره واصطفاه فجعله من الصالحين.

ثم إن ربنا سبحانه وتعالىٰ حفظه وأنبت عليه شجرة من يقطين (شجرة من القرع) فأظلته وسترته واستدفأ بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦] ثم أنعم الله عليه بإرساله ثانيةً، ومنَّ عليه بالدعوة إلىٰ الله عزَّ وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨] فصلوات الله وسلامه علىٰ هذا النبي الكريم وعلىٰ نبينا محمد ﷺ أفضل صلاة وأزكىٰ تسليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى[1]:

﴿وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، يعني: ذا النون، وهو يونس بن متىٰ - عليه السلام - حين ذهب مغاضبًا علىٰ قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في

(١) «التفسير»: «سورة القلم».

البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعليِّ القدير، الذي لا يُرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذٍ نادىٰ في الظلمات: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وقال هاهنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم.

وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك: مكروب. وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: خرجت الكلمة تحف حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة! فقال الله تعالىٰ: أما تعرفون هذا؟! قالوا: لا! قال: هذا يونس. قالوا: يا رب، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح، ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقال أيضًا[1]:

قال أهل التفسير: بعث الله يونس ـ عليه السلام ـ إلىٰ أهل نينوىٰ، من أرض الموصل فدعاهم إلىٰ الله عز وجل، فكذبوه وتمردوا علىٰ كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

---

(١) «قصص الأنبياء» (ص٢٦٥).

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف: فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رءوسهم كقطع الليل المظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا** ﴾ [يونس: ٩٨] أي: هلاَّ وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها، فدلَّ على أنه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقوله: ﴿ **إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ [يونس: ٩٨] أي: آمنوا بكمالهم.

وقال أيضًا:

واختلفوا: هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده؟ أو هما أُمتان؟ على ثلاثة أقوال هي مبسوطة في «التفسير».

والمقصود: أنه ـ عليه السلام ـ لما ذهب مغاضبًا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجت بهم، واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون، قالوا: فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا

فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس، فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية، فوقعت عليه أيضًا، فشمر ليخلع ثيابه، ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثمَّ أعادوا القرعة ثالثة، فوقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢]. وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر وبعث الله - عز وجل - حوتًا عظيمًا من البحر الأخضر، فالتقمه، وأمره الله - تعالى - أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا؛ فليس لك برزق، فأخذه فطاف به البحار كلها، وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه. قالوا: ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه، فتحركت فإذا هو حيٌّ فخرَّ لله ساجدًا وقال: يا رب، اتخذتُ لك مسجدًا في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه، فقال مجالد عن الشعبي: التقمه ضحىً ولفظه عشيةً. وقال قتادة: فمكث فيه ثلاثًا. وقال جعفر الصادق: سبعة أيام.

ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت:

وأنت بفضلٍ منك نجيت يونسًا وقد بات في أضعاف حوت لياليا

وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يومًا، واللهُ أعلم كم مقدار ما لبث فيه.

والمقصود: أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية ويقتحم به

لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن، وحتىٰ سمع تسبيح الحصىٰ لفالق الحب والنوىٰ ورب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرىٰ. فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوىٰ، ويكشف الضر والبلوىٰ سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين المنزل علىٰ رسوله الأمين ـ وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين ـ: ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ** ﴾ أي: إلىٰ أهله ﴿ **مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧ـ٨٨] ﴿ **فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ** ﴾ أن نضيق عليه. وقيل معناه: نقدر من التقدير، وهي لغة مشهورة، قدَر وقدِر وقدَّر كما قال الشاعر:

فلا عائدٌ ذاكَ الزمانُ الذي مضى ... تَبارَكْتَ ما تَقْدِرْ يَكُنْ فَلَكَ الأمرُ

﴿ **فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ** ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك: ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل.

وقال سالم بن أبي الجعد: ابتلع الحوتَ حوتٌ آخر فصارت ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر. وقوله تعالىٰ: ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ قيل: معناه: فلولا أنَّه سبَّح الله هنالك وقال ما قال من التهليل والتسبيح، والاعتراف لله بالخضوع، والتوبة إليه والرجوع إليه؛ للبث هنالك إلىٰ يوم القيامة، ولبعث من جوف ذلك الحوت. هذا معنىٰ ما رُوي عن سعيد بن جبير في إحدىٰ الروايتين عنه. وقيل: معناه: ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ**

كَـانَ﴾ من قبل أخـذ الحـوت له ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: المطيـعين المصلين الذاكرين الله كثيراً.

* * *

س ـ النهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ نهيٌ عن مشابهته في ماذا؟

ج: النهي هنا ـ والله أعلم ـ: نهيٌ عن مشابهته في الضجر والعجلة والغضب على قومه، ذلكم الأمر الذي آله به إلى أن تركهم وركب السفينة فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم، ذلكم الأمر الذي ملأه همًا وغمًّاوكربًا وحزنًا.

وليس المراد ولا تكن كصاحب الحوت في دعائه وندائه.

وذلك لأن الدعاء والنداء فضل وبرٌّ وعملُ خيرٍ، وهما اللذان تسببا في نجاته، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

أي: لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة. وقال قتادة: إن الله تعالى يعزي نبيه ﷺ، ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت.

وقال صديق حسن خان (فتح البيان):

﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يعني: يونس عليه السلام، أي: لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة حتى لا تُبتلى ببلائه، ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: لا يكن حالك كحاله، أو قصتك كقصته في وقت ندائه.

* * *

س ـ ما المراد بالنعمة في قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن المراد بالنعمة هنا: النبوة، فالمعنى: لولا أن الله قد جعله نبيًا.

ومنهم من قال: هو فضل الله عليه ونعمته عليه بعبادته السابقة، أي: فلولا عبادته السابقة التي تفضل الله بها عليه.

ومنهم من قال: هو نداؤه في بطن الحوت: ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ووجه آخر: وهو أن المعنى: لولا أن رحمه ربه.

* * *

س ـ وضح معنى قول النبي ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى» وبيِّن بعض ألفاظه.

ج: أما ألفاظ الحديث: فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى**» ونسبه إلى أبيه.

ومنها: ما أخرجه البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متَّى**».

---

(١) البخاري (حديث ٣٤١٣)، ومسلم (حديث ٢٣٧٧).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٦).

وفي رواية لمسلم[١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ـ يعني: الله تبارك وتعالىٰ ـ «**لا ينبغي لعبدٍ لي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى عليه السلام**».

وفي رواية عند البخاري[٢] «**ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى**» وعند البخاري[٣] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقولن أحدكم: إني خيرٌ من يونس بن متى**».

وعند البخاري[٤] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متى فقد كذب**».

وثمَّ ألفاظ أُخر لهذا الحديث.

أما معنىٰ الحديث ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: فإن حملنا قوله: «**أنا**» علىٰ رسول الله ﷺ؛ فيكون المعنىٰ: لا ينبغي لعبدٍ أن يفاضل بين النبي محمد ﷺ وبين نبي الله يونس عليه السلام وينتقص نبي الله يونس عليه السلام لكونه خرج مغاضبًا، ولكونه ساهم فكان من المدحضين.

ويحتمل أيضًا: أن هذا قد قاله النبي ﷺ تواضعًا ومن باب: «**لا تخيروني من بين الأنبياء**»، وفي لفظ: «**لا تفضلوا بين أولياء الله**»[٥]، وذلك محمولٌ علىٰ التفضيل المفضي إلىٰ الشقاق، وإلىٰ انتقاص بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) مسلم (حديث ٢٣٧٦).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٥).

(٣) البخاري (حديث ٣٤١٢).

(٤) البخاري (حديث ٤٨٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤١٤).

أو: يكون النبي قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ﷺ.

فهذه بعض الوجوه، أما إذا حملنا قوله: «أنا» على العبد نفسه.

فالمعنى: لا ينبغي لعبدٍ أن يقول عن نفسه: أنا خيرٌ من يونس بن متى؛ لكون يونس عليه السلام ضجر وخرج من قومه مغاضبًا، وذلك لأن يونس عليه السلام نبي كريم، وقد اجتباه ربه فجعله من الصالحين، ومنَّ عليه بإرساله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، فله أجر هؤلاء ﷺ.

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك ـ وبالله التوفيق ـ:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]: قال العلماء: إنما قال ﷺ ذلك تواضعًا، إن كان قاله بعد أن أُعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال. وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيصٌ له، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة.

قوله ﷺ: « **ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى**» وفي رواية: «**إن الله تعالى قال: لا ينبغي لعبد لي يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، وفي رواية عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، قال العلماء: هذه الأحاديث تحتمل وجهين:

أحدهما: أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك قال: أنا سيد ولد آدم ولم يقل هنا: إن يونس أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والثاني: أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا زجرًا عن أن يتخيل أحد من

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٢١).

الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ، من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، قال العلماء: وما جرىٰ ليونس ﷺ، لم يحطه من النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر لما ذكرنا من ذكره في القرآن بما ذكر، وأما قوله ﷺ: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس**» فالضمير في «**أنا**» قيل: يعود إلىٰ النبي ﷺ، وقيل: يعود إلىٰ القائل، أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادةٍ أو علمٍ أو غيرِ ذلك من الفضائل فإنه لو بلغ من الفضل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل الرواية التي قبله وهي قوله تعالىٰ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى**». والله أعلم.

* * *

س ـ ما هذا النداء الذي نادى به يونس عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؟

ج: هذا مفسرٌ بقوله تعالىٰ: ﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* * *

س ـ كيف تدفع ما قد يَرِدُ من إشكال على البعض من قوله تعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾؟

ج: الإشكال الذي قد يرد علىٰ البعض هو: أن الآية الأولىٰ تفيد أن يونس عليه السلام نُبذ بالعراء، والثانية قد تُفيد أنه لم يُنبذ بالعراء وهو مذموم.

فرفع الإشكال باختصار يتمثل في: أن يونس عليه السلام نُبِذ بالعراء،

لكنه لم يُنبذ وهو مذموم، بل نُبذ وهو سقيم (أي مريض) فعليه لا إشكال بين الآيتين.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

بيَّن تعالى أنه لم ينبذ بالعراء على صفة مذمومة، بل إنه تعالى أنبت عليه شجرة تظله وتستره، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

[الصافات: ١٤٦]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ج: بعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى على نبيه يونس ﷺ وأنجاه من بطن الحوت منَّ عليه بمزيدٍ من الاجتباء والاصطفاء والاختيار، فقبل الله توبته وعُذْره، واستخلصه واصطفاه وجعله من الكاملين في الصلاح، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا، كما قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٥ـ١٤٨].

* * *

بعض الفوائد المستنبطة
من قصة نبي الله يونس عليه السلام

س ـ اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة نبي الله يونس ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

أولاً: منزلة هذا النبي الكريم، وبيان أن الله اجتباه وجعله من الصالحين، وأرسله إلىٰ مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله علىٰ يديه.

ثانيًا: التأنِّي، والصبر في الدعوة إلىٰ الله وعدم العجلة والضجر، إذ الله قال: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ**﴾ [القلم: ٤٨] يعني: لما ضجر وذهب مغاضبًا.

ثالثًا: الفضيلة العظمىٰ لقول: ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، وكيف كانت هذه الكلمة الطيبة سببًا في نجاة نبي الله يونس ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ[1] أنه قال: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيءٍ قط إلا استجاب الله له بها**».

رابعًا: يُستفاد من هذه القصة: دفع ظن خاطئ قد يظنه المسلم والمؤمن، فقد يتسرب إلىٰ المؤمن ظنٌ أنه لن يعاقب علىٰ ذنب لكونه قد آمن، وقد يظن

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا، وهو صحيح لشواهده، وقد سُقتُ شواهده في كتابي: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

أنه لن يضيق عليه لكونه قد أسلم، ولكن المتأمل للأحوال والمتدبر للكتاب والسنة يرىٰ أن المؤمن قد يُعاقب وقد يُعفىٰ عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

ونبي الله يونس ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي: ظن أن الله لن يضيق عليه، فخرج فكان من أمره ما كان، كان أن التقمه الحوت وهو مليم.

وآدم ﷺ وزوجه لما أكلا من الشجرة حل بهما ما حل، فبعد أن كانا في نعمة وعافية وستر، فكان في الجنة لا يجوع فيها ولا يعرىٰ، ولا يظمأ فيها ولا يضحىٰ! فماذا كان بعد أن أكل من الشجرة؟! كان أن نزع عنه وعن زوجته لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، كان أن أُخرجا من الجنة وأهبطا إلىٰ الأرض حيث التعب والمشقة والنكد والأحزان، لولا أن تداركتهما نعمة الله ورحمته.

وأصحاب النبي ﷺ لما خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحدٍ حلَّ بهم ما حلَّ ونزل بهم ما نزل.

فجديرٌ بالمؤمن أن يتفطن لشؤم المعصية ويحذرها أشد الحذر ويحذر مغبتها وسوء عاقبتها.

خامسًا: نأخذ من سيرة هذا النبي الكريم وقصته أن الذي يُسير الأمور ويدبرها هو الله سبحانه وتعالىٰ، فمن الذي ساق الحوت في هذا التوقيت الذي أُلقي فيه يونس عليه السلام في اليم؟!

ومن الذي حفظ يونس عليه السلام من أسنان الحوت فلم تخدشه ولم يصب معها بمكروه وسوءٍ؟!!

وكيف وأن أمعاء الحوت وبطن الحوت لم تضر يونس عليه السلام بأدنىٰ ضرر؟!!

ثم كيف غاص به الحوت إلىٰ قاع البحار حيث الظلمات، فنادىٰ هنالك نداءه المذكور؟

ثم من الذي دفع الحوت إلىٰ جانب البر كي يقذف وينبذ يونس ﷺ؟

وتتعجب كيف ينبت الله عزَّ وجل عليه شجرة من يقطين في نفس الوقت والحين؟! فليطمئن المؤمنون إلىٰ تدبير ربهم عز وجل.

ليطمئن أولياء الله بوعد الله، وليثقوا بنصر الله فإن الله قال: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ** ﴾[الأنبياء: ٨٨]، ثم قال: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

سادسًا: نأخذ من قصة يونس ﷺ جواز الاستهام ومشروعيته، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ **فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ** ﴾ [الصافات: ١٤١] وقد قدمنا لذلك أدلة في سورة آل عمران عند تفسيرنا لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾ [آل عمران: ٤٤].

سابعًا: نأخذ من قصة نبي الله يونس ﷺ: أن أهل الفضل والصلاح قد تصدر منهم زلات وهنات، ولكن ربنا كان للأوابين غفوراً.

ثامنًا: نأخذ من قصة نبي الله يونس ﷺ: أن الشخص لا ينبغي أن ييأس من رحمة الله، ولا يقنط من روح الله، فمهما ارتكب من آثام عليه أن يعلم أن رحمة الله قريب من المحسنين. فها هو يونس عليه السلام يقع فيما وقع فيه ولا يقنط بل يسبح ويقر بالذنب ويهلل ويوحد قائلاً: ﴿ **لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

تاسعًا: نأخذ من قصة هذا النبي الكريم أن الهادي هو الله سبحانه وتعالىٰ، وهو الذي ينعم بالإيمان، ويمنُّ بالرسالة علىٰ من يشاء.

* * *

س ـ لماذا كادوا أن يُزلقوا الرسول ﷺ بأبصارهم ويغتالوه بأعينهم لما سمعوا الذكر؟

ج: كادوا أن يفعلوا ذلك لكراهيتهم الشديدة للقرآن الكريم، والآية كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [الحج: ٧٢].

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾.

ج: قال الرازي رحمه الله:

فيه وجوه:

أحدها: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك، من قولهم: «نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني» أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله، قال الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزل مواطئ الأقدام

وأنشد ابن عباس لما مرَّ بأقوام حدوا النظر إليه:

نظروا إليَّ بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

وبيَّن الله تعالى أن هذا النظر كان يشتدّ منهم في حال قراءة النبي ﷺ للقرآن وهو قوله: ﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ [القلم: ٥١].

الثاني: منهم من حمله على الإصابة بالعين.

* * *

بعض الأدلة على أن العين حقٌّ

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن العين حق؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]

وقول يعقوب ـ عليه السلام ـ: ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

ومن ذلك أيضًا: ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**العين حقٌّ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا**»(١).

وأخرج مالك في «الموطأ»، وأخرج غيره أيضًا بسندٍ صحيحٍ عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف(٢) أنه قال: رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم؛ ولا جلد مخبأةٍ!؛ فَلُبِطَ سهل، فَأُتِيَ رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيفٍ؛ والله ما يرفع رأسه؟

---

(١) مسلم (ص١٧١٩).

(٢) وأبو أمامة بن سهل بن حنيف: من أكابر الأنصار وعلمائهم وثقاتهم، وجزم عددٌ من أهل العلم أنه ولد علىٰ عهد النبي ﷺ، إلا أنَّ روايته عن النبي ﷺ مرسَلَة، وعلىٰ كلٍّ فمرسله من أحسن المراسيل، وخاصةً أنه يحكي هنا قصة حدثت لأبيه.

وقد جاء في بعض الطرق عند أحمد (٣/ ٤٨٦) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن أباه حدثه...؛ فثبت بذلك الاتصال وكذلك عند الطبراني «المعجم الكبير» (٥٥٧٨): عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه.

فدلَّ ذلك علىٰ أن أبا أمامة أخذ الحديث عن أبيه، وعند الطبراني أيضًا (٥٥٧٩) من طريق =

فقال: «**هَل تَتَّهِمُونَ لـه أحدًا**»، قالوا: نتهم عامر بن ربيعة. قال: فدعا رسول الله ﷺ عامرًا، فتغيظ عليه. وقال: «**عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُم أَخَاهُ؟! ألا بَرَّكْتَ؟! اغتسل له**»، فغسل عامرٌ وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره، في قدح، ثم صب عليه، فراح سهلٌ مع الناس، ليس به بأسٌ.

وفي الباب عدة أحاديث عن النبي ﷺ ذكرناها في تفسير سورة الفلق من تفسيرنا: «التسهيل لتأويل التنزيل».

* * *

س ـ اذكر كلمة عامة عن هذه السورة وما ورد فيها بإيجاز واختصار.

افتتحت هذه السورة الكريمة بحرف من الحروف المقطعة، شأنها في ذلك شأن كثير من السور وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في عدة سور من كتاب الله عز وجل التي تناولناها بالتفسير، ولكن هذا الحرف هنا قد يكون له مدلول ألصق بالسورة الكريمة، وبعض ما ذكر فيها، فقد ذكر فيها ذو

= أبي أمامة أن عامر بن ربيعة أخبره.

هذا، وإن كنا نرى أن الأصوب رواية من رووه مرسلاً، إلا أن القرائن المذكورة تقوي أمر الحديث، ثم إن لمعناه شواهد صحيحه، أشرنا إليها في الأصل.

هذا، وبالنسبة لمن أخرجوا الحديث فمنهم: مالك في «الموطأ» (ص ٩٣٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه «السنن» (٣٥٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٧٨) فما بعدها.

وقد أورده الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٤ ط. المعرفة)، وذكر عدداً من ألفاظه التي روي بها، فليراجعه هناك من شاء.

النون وهو نبي الله يونس عليه السلام، فلعل في هذا شيئا من الربط. والله أعلم.

ثم قسمٌ من الله عز وجل أقسمه ربنا سبحانه على سلامة نبيه ﷺ مما رماه به المكذِّبون الضالون من كونه ﷺ مجنونا، ثم أثبت الله الأجر الدائم العظيم الذي لاينقطع وأثنى على خلقه غاية الثناء، ثم يطمئن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه ﷺ، وينفي ما قد يتسرب إلى نفسه مما يرميه به المفترون الأفَّاكون، وفي الوقت الذي يطمئن الله فيه نبيه ﷺ، يتوَعَّد ربنا أهل الكفر والتكذيب بالوعيد الشديد وينهى نبيه ﷺ عن طاعتهم واتباعهم، ويحذره من خطواتهم ومكرهم ومداهنتهم، كل ذلك مع بيان مساوئ أخلاقهم وما هم عليه من الأيمان الكاذبة الفاجرة التي يتترسون بها ويستترون من ورائها، وما هم عليه كذلك من الهمز واللمز والسعي بالنميمة بين الناس، في الوقت الذي هم فيه أيضًا منَّاعون للخير معتدون على العباد ظلمةٌ لهم، وأثمةٌ في أنفسهم، كل ذلك مع جلافتهم، وغلظتهم وجفائهم وسوء منابتهم، مع اغترارهم بأموالهم وأولادهم وتكذيبهم للآيات، ووصفها بأنها أساطير الأولين.

ثم تهديد شديد ووعيد أكيد لهؤلاء بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ثم يذكر ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه والمؤمنين بأصحاب الجنة الذين تآمروا على حرمان الفقراء والمساكين حقوقهم، وعَقَدُوا العزم على ذلك وأقسموا وأكدوا الحرمان بالأيمان الغليظة التي لا يصاحبها حتى قول إن شاء الله، وكيف كان عاقبة صنيعهم وعاقبة تفكيرهم ونواياهم الخبيثة؟! وكيف حلَّ بهم ما حل ونزل بحديقتهم وبستانهم وثمرهم ما نزل، وما تبع ذلك من ندمهم، وتلاومهم ورجوعهم إلى الله عزَّ وجل، ثم بيان

بعض ما أعده الله للمتقين، ونفي المساواة بينهم وبين أهل الإجرام، ثم طائفة من الآيات لتبكيت المشركين وبيان بطلان مدعاهم وما هم عليه من الباطل.

ثم بيان بعض مشاهد القيامة، وما فيها من كراماتٍ وإهانة.

ثم تذكيرٌ بقصة نبي كريم وهو نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ وما فيها من العِبَرِ والعِظَات.

ثم تحذير من أعين الظلمة، وبيان ضيق صدورهم وضجرهم عند سماع الذكر، ووصفهم لقائله بالجنون.

ثم ختام أيضًا بالدفاع عن النبي ﷺ كما بدأت السورة، وبيان أن هذا القرآن ذكرٌ للعالمين وبهذا يلتئم المطلع والختام.

ففي الجملة؛ فكلُّ مبتلىً ومهمومٍ يجد في كتاب ربه تسليةً وتذكيراً وعبرةً وعظة، ويوقن أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، وأن العاقبة للتقوىٰ. والحمد لله رب العالمين.

* * *

سورة الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ
فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن
قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الحاقة ـ ما الحاقة ـ ثمود ـ عادٌ ـ القارعة ـ الطاغية ـ ريح صرصر ـ عاتية ـ سخرها عليهم ـ حسومًا ـ صرعى ـ أعجاز نخل ـ خاويةً ـ ومن قبله ـ المؤتفكات ـ الخاطئة ـ رابية ـ طغا الماء ـ الجاريةً ـ تذكرة ـ تعيها ـ أذن واعية.

ج:

الكلمة	معناها
الحاقة	اسم من أسماء يوم القيامة[1] ، عظّمه الله وحذَّر عباده منه .
ما الحاقة	أي شيءٍ هي الحاقة؟ وهو استفهام لتعظيم شأنها والتعجب مِن أمرها، ومن إحقاقها للحق .
ثمود	هم قوم نبي الله صالح عليه السلام .
عاد	هم قوم نبي الله هود عليه السلام .
القارعة	القيامة ـ الساعة التي تقرع قلوب العباد لأهوالها وشدتها .
الطاغية	الصيحة الشديدة التي أهمدتهم وأخمدتهم وأسكنتهم وقيل : الطاغية : طغيانهم وبغيهم إذ أنهم قد طغوا وبغوا .
ريح صرصرٍ	ريح شديدة البرد، شديدة العصوف .
عاتية	شديدَة الهبوب عتت على الخُزَّان «والخزان» جمع «خازن»[2] .
سخرها عليهم	أرسلها عليهم ـ سلَّطها عليهم .

(١) قال ابن زيد ـ كما عند الطبري ـ (٣٤٧١٦) بإسناد صحيح عنه : ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ و﴿القارعة ما القارعة﴾ والواقعة، والطامة، والصاخة، هذا كله يوم القيامة .

(٢) قال بعض أهل العلم : وهو منسوب إلى ابن عباس، لكن بسندٍ ضعيف عند الطبري =

الكلمة	معناها
حسومًا	تباعًا ـ متتابعة متواصلة بلا انقطاع ولا فتور ـ قاطعة لهم فلم تُبق منهم أحدًا، كقول القائل: حسمت الأمر.
صرعى	هلكىٰ ـ موتىٰ.
أعجاز نخل	أصول نخل.
خاوية	فارغة، قال بعض العلماء: كانت الريح تدخل من أفواههم فتُخرج ما في أجوافهم.
ومن قَبلَهُ	والذين مِنْ قبله: كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم. وهناك قراءة أخرىٰ «ومَنْ قِبَلَه»، أي: من معه من أهل مصر من الأقباط، ومن عنده في زمانه.
المؤتفكات	مدائن قوم لوط، سميت بـ «المؤتفكات» لأنها ائتفكت بهم. أي: انقلبت بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿والمؤتفكة أهوىٰ﴾ [النجم: ٥٣].
الخاطئة	الفعْلة الخاطئة.
رابية	شدَيدة ـ زائدة مهلكة ـ عظيمة وأليمة.
طغا الماء	ازداد وكثر وتجاوز حده المعهود تجاوزًا شديدًا، فأصبح كما قال تعالىٰ: ﴿وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال﴾. وطغيان الماء هذا كان زمن نبي الله نوح عليه السلام وقد قال تعالىٰ: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونًا فالتقىٰ الماء علىٰ أمرٍ قد قُدر﴾.

= (٣٤٧٢٧) ما أرسل اللَّه من ريح قط إلا بمكيال، ولا أنزل قطرةً قط إلا بمثقال إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء طغىٰ علىٰ خُزَّانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: ﴿إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] وإن الريح عتت علىٰ خُزَّانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بريح صرصر عاتية﴾ [الحاقة: ٦].

الكلمـــة	معنـاهـــا
الجارية	السفينة التي صنعها نبي الله نوح عليه السلام التي تجري على الماء وهي الفلك الذي قال الله فيه: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ [هود: ٣٧].
تذكرة	عبرةً وموعظةً.
تعيها	تفهمها، وتفهم الحكمة منها ومما حدث للناس.
واعية	حافظة ـ سامعة مستفيدة بسماعها.

س ـ لماذا أطلق على يوم القيامة «حاقة»؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن الأمور تتحقق فيها، فيتحقق ما وعد به الناس من خير أو شرٍ، ومن ثواب للمطيعين ومن عقاب للمسيئين، فيتحقق فيها الوعد والوعيد، ويُحَقُّ فيها الحقُّ، ويُبطل فيها الباطل.

وقيل أيضًا: أطلق عليها الحاقة؛ لكونها تتحقق من غير شك.

* * *

س ـ اذكر بعض صور إحقاق الحاقة للحق.

ج: من ذلك: أن كل عاملٍ يومها يُوافىٰ بعمله قلَّ أو كثر، كبر أو صغُر، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاةِ الجلحاء من الشاة القرناء**»(١).

* * *

(١) صحيح: أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وأي شيء أعلمك بالحاقة وعرفك بها؟! وهذا أيضًا تعظيمٌ لشأنها(١).

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ استفهام أيضًا أي: أيّ شيء أعلمك ما ذلك اليوم؟! والنبي ﷺ كان عالمًا بالقيامة ولكن بالصفة. فقيل تفخيمًا لشأنها: وما أدراك ما هي؟!؛ كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها.

وقال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه إياه وعلمه، وكل شيء قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فهو مما لم يعلمه.

وقال سفيان بن عُيينة: كل شيء قال فيه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإنه لم يخبر به.

* * *

س ـ كيف كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة؟

ج: كان أنبياؤهم عليهم السلام، يخوفونهم بالقيامة ويحذرونهم منها، وهم يكذبون وقوع ذلك ولا يصدقونه، بل ويتحدون الأنبياء ويطلبون التعجيل بما وُعدوا به من العذاب، كما قالوا ـ وهذا في غير موطنٍ من كتاب الله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه الطبري (٣٤٧١٨) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وما أدراك ما الحاقة) تعظيمًا ليوم القيامة كما تسمعون.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾.

ج: ذكرنا قبل أن القارعة هي القيامة، وسميت القيامة «قارعة»؛ لأنها تقرع قلوب العباد بأهوالها وشدائدها.

ومن العلماء من قال: إن القارعة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] المراد بها: العذاب الذي وُعدوا به في الدنيا.

وذلك لأن عاداً وثمود قد وُعدوا نزول العذاب عليهم فكذبوا بذلك كله.

قال قوم عاد لنبيهم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقالوا لنبيهم أيضًا لما قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦ـ١٣٨].

وكذا قالت ثمود لنبيها صالح عليه السلام بعد أن عقروا الناقة: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

وقالوا له أيضًا: ﴿مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، فمن ثم قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] أي: بالعذاب الذي وعدهم به أنبياؤهم.

لكن هذا وإن كان صحيحًا، إلا أن إطلاق القارعة على القيامة أولى. قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١ـ٤] ففي هذا دليل على أن القارعة هي القيامة؛ والله أعلم.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى: (الطاغية) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

ج: الظاهر من السياق ـ والله تعالى أعلم ـ: أن المراد بالطاغية هنا: صورة العذاب التي أُهلكوا بها، وهي أنهم أهلكوا بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها فقط صيحة واحدة أهمدتهم وأسكنتهم وأخمدتهم.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالطاغية هنا: الفعلة الطاغية التي فعلوها، وهي الشرك والتكذيب وذنوبهم الكبيرة التي ارتكبوها.

فعلى ذلك فالباء في قوله بالطاغية سببيةٌ؛ فالمعنى: أهلكوا بسبب طغيانهم الذي صدر منهم من الشرك والتكذيب وارتكاب الكبائر.

ومن العلماء من قال: إن قوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ أي: أهلكوا بسبب إقرارهم للطاغية الذي عقر الناقة.

وأقرب الوجوه من ذلك إلى الصواب ـ والله أعلم ـ الوجه الأول؛ وذلك لأن الله قال بعد ذلك: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، فبيَّن الصفة التي أهلك بها قوم عاد، وكذلك فليكن الأمر في ثمود. والله أعلم.

وهذا الذي اختاره الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فقال:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي

أهلكها من أجله، كان الخبر أيضًا عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت.

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصوف مع شدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ يقول: عتت على خزانها في الهبوب. فتجاوزت في الشدّة والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد.

* * *

س ـ ما اسم الريح التي أهلكت بها قبيلة عاد؟

ج: هذه الريح هي الدَّبور، كما قال النبي ﷺ: «**نُصرت بالصَّبَا وأُهلكت عادٌ بالدَّبُور**»(١)

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾.

ج: **المعنى ـ والله أعلم ـ** فهل ترى لهم من فئة باقية؟ أي: فهل ترى أحدًا قد بقي منهم؟!، والآية كقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٠٣٥)، ومسلم (حديث ٩٠٠). قال الحافظ في «الفتح»: (بالصَّبا) بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يُقال لها: «القبول» بفتح القاف؛ لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدَّبور، وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة: كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار.

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: وجاء فرعون وهو يحكم مصر بالكفر والتكذيب والشقاق والعناد فالخاطئة التي أتى بها فرعون هي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، هذا فضلاً عن جرائمه من ذبح الأطفال واستحياء النساء وتسخير الرجال.

أما الخاطئة التي أتى بها قوم عاد، فكما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وأما الخاطئة التي أتى بها قوم ثمود فكما قال تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] إضافة إلى سائر ما ذكره الله عنهم وعن من قبلهم في كتابه الكريم، أما الخاطئة التي أتت بها المؤتفكات (قرى قوم لوط) فهي إتيان الذكران من العالمين. والله تعالى أعلم.

* * *

س ـ هل الرسول الذي أرسل إلى فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول واحد حتى يُقال: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؟

ج: كلا، بل هم رسلٌ، فالرسول الذي أرسل إلى فرعون هو: موسى عليه السلام وأخوه هارون، والرسول الذي أرسل إلى المؤتفكات هو: لوط عليه السلام، والرسول المرسل إلى عاد هو: هود عليه السلام، والمرسل إلى ثمود هو. صالح عليه السلام.

* * *

س ـ إذا كان الأمر كذلك والرسل الذين أرسلوا متعددون، فكيف قيل: ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾؟

ج: لذلك وجوه من الأجوبة:

أحدها: أن (رسول) هنا اسم جنس، والمراد به الرسل عمومًا، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [الحديد: ٢٥].أي: الكتب.

الثاني: أن دعوة الرسل لما كانت واحدة، وهي الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات بل ومن الأحاديث كما قال النبي ﷺ: «**والأنبياء إخوة لعلاَّت**[(١)]، **دينهم واحد وأمهاتنا شتى**»[(٢)]، فمن ثمَّ مَنْ كذب رسولاً فقد كذَّبهم جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣] وكما قال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١] وثمود كذبت صالحًا، وعادٌ كذبت هودًا.

وأورد القرطبي وجهًا آخر، وهو: أن الرسول بمعنى الرسالة، وأورد قول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

* * *

(١) الإخوة لعلاَّت هم الإخوة لأب، أي: أن أصل ديننا واحد وهو عبادة اللَّه وحده لا شريك له.

(٢) البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (ص١٨٣٧).

س ـ اذكر مما تقدم من الآيات ما يدل على أن المعاصي والكفر والتكذيب كل ذلك يجلب العذاب والانتقام.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]، فكانت عقوبة التكذيب كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٥ ـ ٦].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ [الحاقة: ٩]، فماذا كان لما جاءوا بالخاطئة؟ وماذا كان لما عصوا رسول ربهم)؟!!

قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠].

* * *

س ـ قال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، كيف ذلك ولقائل أن يقول أنا لم أحمل في الجارية ولم أرها؟

ج: جوابه: أن حمل الآباء وإنجاء الآباء يُعد إنجاءً للأبناء وحملاً لهم، كما قال تعالى لبني إسرائيل، والخطاب موجه للذين كانوا زمن النبي ﷺ يسكنون مدينته وما حولها: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، والذين أنجاهم إنما هم المعاصرون لفرعون، وهم أجداد من كانوا زمن النبي ﷺ.

أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ والجارية: سفينة نوح التي حملتم فيها؛ وقيل:

(١) الطبري (٣٤٧٦٣).

﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحًا وولده؛ لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملاً لذرّيتهم على ما قد بينا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا.

* * *

س ـ الضمير في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج. من العلماء من قال: عائدٌ على السفينة ـ سفينة نوح ﷺ ـ، قالوا: فقد أبقاها الله عزَّ وجل حتى رآها أوائل هذه الأمة.

أخرج الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ فأبقاها الله تذكرةً وعِبرةً وآيةً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينةٍ كانت بعد سفينة نوح قد صارت رماداً!

ولهذا المعنى ـ معنى إبقاء بعض آثار الظالمين للاتعاظ والاعتبار ـ شواهد كثيرة من كتاب الله عز وجل، منها ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى في شأن فرعون لما أغرقه الله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] وقول الله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٦ ـ ١٣٨] وكذا قوله تعالى فيهم أيضًا وفي بلدتهم: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦] أي: بطريق ثابت يراها المارة.

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨ ـ ٧٩]، وقوله تعالى في شأن

(١) الطبري (٣٤٧٦٤).

ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]. والأدلة في هذا المعنى والباب كثيرةٌ جداً.

فعلى هذا:

فالقول الأول: في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ عائدٌ على السفينة ـ سفينة نوح التي هي الجارية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

والقول الثاني: إن الضمير في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ عائدٌ على جنس السفينة لدلالة المعنى عليه، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، فقد قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه، أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢ـ١٣] وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١ـ٤٢] وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة، والأول أظهر؛ ولهذا قال: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية.

قلت (مصطفى): وكلا المعنيين له وجهٌ، وثمَّ وجه ثالث: لنجعل عقوبتنا لأهل الظلم بإغراقهم والانتقام منهم، ولنجعل إنجاءنا لأهل الإيمان وحفظنا لهم لنجعل ذلك كله تذكرة وموعظة وعبرة والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وتفهم هذه النعمة ـ نعمة إنجائنا لأهل الإيمان وإغراقنا وإهلاكنا لأهل الكفر والعصيان ـ وتعقلها أذن سامعة عاقلة منتفعة بسماع الأخبار ومنتفعة بالوعظ والتذكير.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال: ﴿وَاعِيَةٌ﴾ يحذرون معاصي الله أن يعذبهم الله عليها، كما عذب من كان قبلهم، تسمعها فتعيها، إنما تعي القلوبُ ما تسمع الآذان من الخير والشر من باب الوعي.

وقال السعدي في «تفسيره»:

وقوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي: يعقلها أولو الألباب، ويعرفون المقصود منها، ووجه الآية بها، وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله، لعدم وعيهم عن الله وتفكرِهم بآياته.

* * *

س ـ هل ورد لهذه الآية الكريمة: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سبب نزول صحيح؟ وهل وُرد فيها من أخبار عن رسول الله ﷺ؟

ج: ورد لها سبب نزول، وورد فيها خبر لكن في أسانيد ذلك ضعف.

من ذلك: ما أخرجه الطبري[1] من طريق مكحول قال: قرأ رسول الله

(١) الطبري (٣٤٧٧١)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

ﷺ ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ثم التفت إلى عليٍّ فقال: «**سألت الله أن يجعلها أُذنك**»، قال عليٌّ رضي الله عنه: فما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا فنسيتهُ»

وهذا الخبر مرسلٌ، فمكحولٌ لم يدرك النبي ﷺ.

وورد في ذلك أيضًا: ما أخرجه الطبري[١] من حديث بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ: «**يا عليُّ، إن الله أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك وأن أعلِّمك، وأن تعي، وحق على الله أن تعي**»، قال: فنزلت: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ وهذا ضعيف أيضًا، ففي سنده عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري وهو ضعيفًا[٢].

وأورد الطبري له سندًا آخر ضعيف أيضًا من طريق أبي داود الأعمى وهو ضعيف.

* * *

(١) الطبري (٣٤٧٧٢)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) ترجمته في «اللسان»، وفي «الميزان».

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾
وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ
ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ
أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ
تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ
فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ
فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾
كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا
حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾
هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي
سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا
حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾
فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ
كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ
قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

الصور ـ دكتا دكةً واحدة ـ وقعت الواقعة ـ انشقت السماء ـ واهية ـ الملك ـ أرجائها ـ أُوتي ـ بيمينه ـ هآؤم ـ كتابيه ـ ظننت ـ ملاق حسابيه ـ راضية ـ جنة عالية ـ قطوفها ـ دانية ـ هنيئًا ـ أسلفتم ـ الخالية ـ لم أدر ما حسابيه ـ القاضية ـ هلك عني سلطانيه ـ غُلُّوه ـ صلُّوه ـ ذرعها ـ فاسلكوه ـ لا يحض ـ حميم ـ غسلين ـ الخاطئون ـ قليلاً ما تؤمنون ـ قليلاً ما تذكرون.

ج:

الكلمة	معناها
الصور	قرنٌ يُنفخ فيه.
دُكتا دكةً واحدةً	زلزلتا زلزلةً واحدة.
وقعت الواقعة	قامت القيامة.
انشقت	انصدعت ـ تفطرت ـ تشققت.
واهية	ضعيفة متمزقة.
الملك	الملائكة.
أرجائها	أطرافها ـ حافاتها حين تشقق ـ نواحيها بقاياها ـ الأجزاء التي لم تتساقط منها[1].
أوتي	أُعطي.
بيمينه	بيده اليمنى.

(١) قيل: إذا صارت السماء قطعًا فالملائكة تقف على تلك القطع التي لم تتشقق.

الكلمـــة	معنـاهـــا
هآؤم	تعالوا ـ هلموا .
كتابيه	كتاب أعمالي (الكتاب الذي كتبت فيه أعمالي) .
ظننت	أيقنت[١] ـ علمت .
ملاق حسابيه	ملاق جزاء أعمالي ـ محاسب علىٰ عملي ومثابٌ عليه .
راضية	مرضية ـ قد رضيها .
جنة عالية	بُستانٌ عالٍ رفيع .
قطوفها	ثمارها .
دانية	قريبة ـ سهلة التداول، ينالها أهلها قيامًا وقعودًا ومتكئين[٢] .
هنيئًا	لا يُتأذىٰ بأكله ولا بشربه .
أسلفتم	عملتم ـ قدمتم .
الخالية	الماضية ـ أيام الدنيا الفانية[٣] .
لم أدر ما حسابيه	لم أعلم شيئًا حسابي وجزاء عملي .
القاضية	التي ليست بعدها حياة .

(١) أخرج الطبري (٣٤٨٠٣) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه﴾ قال: إن الظن من المؤمن يقين، وإن عسىٰ من اللّٰه واجب ﴿فعسىٰ أن يكون من المهتدين﴾ [التوبة: ١٨].

(٢) صحَّ عن البراء عند الطبري (٣٤٨٠٦) أنه قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم.

(٣) أخرج الطبري (٣٤٨٠٨) بإسناد حسن عن قتادة قال: إن أيامكم هذه أيام خالية، هي أيام فانية، تؤدي إلىٰ أيامٍ باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا فيها خيراً إن استطعتم، ولا قوة إلا باللّٰه.

وأخرج (٣٤٨٠٩) بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿الأيام الخالية﴾ أيام الدنيا بما عملوا فيها.

الكلمـــة	معنـاهـــا
هلك عني سلطانيه	ذهبت عني حُـجـجي، فلم تعـد هناك حُجة أحـتج بها، فـالسلطان هنا الحجة، وقال آخرون: السلطان: ما كان في الدنيا من منصب وجاه[1].
غلُّوه	شدُّوه بالأغلال، ضَعوا الأغلال في عنقه، وذلك كما قال تعالىٰ: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ [غافر: ٧١]. ضعوا يده إلىٰ عنقه واربطوهما معًا.
صلُّوه	أدخلوه ـ أوردوه ـ قلِّبوه علىٰ جمرها ولهيبها.
ذرعها	طولها بالذراع (لكن هل هو ذراع الملائكة أم غيرهم؟ فالله أعلم).
فاسلكوه	أدخلوه ـ تدخل من فمه وتخرج من دبره وتدخل في دبره وتخرج من منخريه.
لا يحض	لا يرغِّب ـ لا يحثُّ ـ لا يشجع.
حميم	قريب (يدفع عنه أو يرقُّ لحاله).
غسلين	الغسلين هو ما يسيل من صديد أهل النار، وكل جرح غسلته فخرج منه شيءٌ فهو غسلين. والغسلين: شر الطعام وأخبثه.
الخاطئون	المذنبون، الذين كانت ذنوبهم كفرٌ بالله وتكذيبٌ بآياته.
قليلاً ما تؤمنون	إيمانكم قليل.
قليلاً ما تذكرون	تذكركم قليل ـ اتعاظكم قليل.

(١) ووجه ترجيح الأول ـ أن السلطان هو الحجة ـ: أنه ليس كل الناس في الدنيا لهم منصبٌ وجاه.

س ـ اذكر بعض الوارد في النفخ في الصور.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو يعلىٰ[١] من طريق الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ؟!**» قيل: قلنا: يا رسول الله، ما نقول يومئذٍ؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**».

هذا، وقد ورد ذكر إسرافيل في طرقٍ، منها:

ما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان (تعني: رسول الله ﷺ) إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة...**» الحديث.

وفي الباب أيضًا: قول النبي ﷺ لعليٍّ ولأبي بكر يوم بدر: «**مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال**» أو قال: «**يشهد الصف**»[٣].

---

(١) أبو يعلىٰ «المسند» (١٠٨٤)، وسنده صحيح باستثناء عنعنة الأعمش وهو مدلس، لكنه مكثر عن أبي صالح.

إلا أن الذي يساورني هو أن الحديث مروي من طرق (ومنها طريق الأعمش) عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا، وعطية العوفي ضعيف.

فالذي أخشاه أن يرجع أحد السندين للآخر، والله أعلم.

وانظر: «سنن الترمذي» (٢٤٣٣)، ومسند أحمد (٣/ ٧٣).

(٢) مسلم (حديث ٧٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٤٧) بسندٍ صحيحٍ.

هذا، وقد ورد عند الترمذي[١] أيضًا بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرن يُنفخ فيه».

* * *

س ـ أي نفخة هذه المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟

ج: من العلماء من قال: هي النفخة الأولى لقيام الساعة.

أما الحافظ ابن كثير ففصَّل فقال:

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد.

وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، أي: فمدت مدّ الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض.

قلت (مصطفى): ومما يؤيد القول بأنها النفخة لقيام الساعة: قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].

* * *

(١) الترمذي (حديث ٢٤٣٠).

س ـ لماذا أُكِّد على النفخة بأنها واحدة؟

ج: ذلك لبيان أن أمر الله لا يُخالف ولا يُمانع، ولا يحتاج إلى تكرير وتأكيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

* * *

س ـ من الذي حمل الأرض والجبال؟

ج: قال بعض العلماء: حملها ملك من الملائكة بأمر ربه سبحانه وتعالى.

* * *

س ـ الأرض مفردةٌ، والجبال جمعٌ، فإذا ضمت الجبال إلى الأرض فذلك جمعٌ أيضًا، فلماذا قيل: ﴿فدكتا﴾ بالتثنية؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لأن الجبال عُوملت كالشيء الواحد فلما أضيفت إلى الأرض أصبحت مع الأرض مثنى، ولذا قيل: ﴿فَدُكَّتَا﴾.

ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالسموات عوملت كالشيء الواحد، فلما ضمت إلى الأرض أصبحت مثنى، ومن ثمَّ قال تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾، والله أعلم.

* * *

س ـ السماء يوم القيامة تتشقق وتكون واهيةً فهل هي الآن قوية؟

ج: نعم، هي الآن قوية، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾.

[الذاريات: ٧]

وقال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

س ـ الملائكة على أرجائها يصنعون ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم ينتظرون أمر الله لهم.

قال القرطبي رحمه الله:

وقال سعيد بن جبير: المعنى: والملك على حافات الدنيا؛ أي: ينزلون إلى الأرض ويحرسون أطرافها.

وقيل: إذا صارت السماء قطعًا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في أنفسها.

وقيل: إن الناس إذا رأوا جهنم هالتهم؛ فيندُّوا كما تندّ الإبل، فلا يأتون قطرًا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا.

وقيل: ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ ينتظرون ما يؤمرون به في أهل النار من السوق إليها، وفي أهل الجنة من التحية والكرامة. وهذا كله راجع إلى معنى قول ابن جبير.

* * *

س ـ ما المراد بالثمانية في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم ثمانية من الملائكة، وهم حملة العرش.

وقال آخرون: هم ثمانية صفوف من الملائكة.

ومن حجتهم: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

قالوا: ولا يعلم عدد كلِّ صف إلا الله تبارك وتعالى.

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن حملة العرش الآن أربعة ويوم القيامة يتضاعف عددهم إلى ثمانية.

س: هل من حديث ورد في صفة حملة العرش؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو داود[١] بسند صحيح من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أُذن لي أن أُحدِّث عن مَلَك من ملائكة اللَّه من حملة العرش، إن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**».

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ يعرضون على من؟

ج: يُعرضون على ربهم كما قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾.

[الكهف: ٤٨]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لا يخفى على الله منكم شيء، لأنه عالمٌ بكم ومحيطٌ بكم.

* * *

س ـ لماذا يُنادي المنادي: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾؟

ج: ينادي فرحًا بالإسلام وسرورًا بالنجاة، ثُم إن اليمين عند العرب من دلائل الفرح وعلاماته، والشمال من دلائل الغم، قاله القرطبي، وأورد قول الشاعر:

أبيني أفي يُمنى يديك جعلتني ... فأفرح أم صَّيرتني في شمالِكِ

---

(١) أبو داود (حديث ٤٧٢٧).

س ـ هل كونهم في جنة عالية يعني أن هناك جنة أسفل منها؟

ج: الجنان كلها عالية، لكن هناك درجات أعلى من درجات، وجنات أعلى من جنات كما في الحديث: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة**» أراه قال[1]: «**وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[2].

والجنان كلها فوق السماء السابعة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٤-١٥].

وسدرة المنتهى قد رآها النبي ﷺ في رحلة المعراج بعد أن جاوز السماء السابعة.

هذا؛ وإن أريد بالعلو في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠] علو القدر والشرف والرتبة والدرجة والمنزلة فلا إشكال.

* * *

س ـ ما مدى صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُعطى المؤمن جوازًا على الصراط: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنةً عاليةً قطوفها دانية».

ج: هذا لا يصح[3] عن رسول الله ﷺ، ففي سنده عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم، وهو ضعيف.

---

(١) هذا قول بعض الرواة.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٩٠).

(٣) وهو عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٧٢).

س ـ كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، وبين قول الرسول ﷺ «واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عملهُ الجنة...» الحديث؟

ج: ابتداءً فالحديث له طرق عن رسول الله ﷺ منها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة**»(١).

وفي رواية أنهم قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**»(٢).

أما وجه الجمع فمن وجوه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ يُقال لهم على سبيل الامتنان والتفضل عليهم والإنعام والإحسان.

الثاني: أن دخول الجنة ابتداء برحمة الله عز وجل، والترقي في الدرجات من أسبابه الأعمال الصالحة.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قول الكافر: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: يا ليت الموتة التي مِتُّها من قبل كانت هي نهاية كل شيءٍ، ولم يكن بعدها حساب ولا ثواب ولا عقاب.

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

وقال بعض العلماء: إنه بقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ تمنىٰ الموت.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يقول: ليت الموتة التي متها في ألدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياةٌ ولا بعثٌ، والقضاء هو الفراغ.

وقيل: إنه تمنىٰ الموت الذي يقضي عليه فتخرج منه نفسه.

ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ قال: تمني الموت ولم يكن في الدنيا شيءٌ أكره عنده من الموت.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ قال: الموت.

* * *

س ـ الخطاب في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ موجهٌ لمن؟

ج: هذا موجه للملائكة الذين هم خزنة جهنم، والله أعلم.

* * *

س ـ ذكر الله عزَّ وجل سببين أوصلا الكافر إلى ما هو فيه من العذاب وهما ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ وضح ذلك مع بيان الغرض من ذكرهما.

ج: أول السببين هو: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

والثاني هو: ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

قال السعدي رحمه الله:

فإن السبب الذي أوصله إلىٰ هذا المحل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ بأن كان كافراً بربه، معانداً لرسله، راداً ما جاءوا به من الحق.

﴿ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله، ولا يحض غيره علىٰ إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه.

وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلىٰ الخلق بجميع وجوه الإحسان، التي من أعظمها دفع ضرورة المحتاجين، بإطعامهم ما يتقوتون به.

وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا.

* * *

س ـ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ما يفيد أن الجزاء من جنس العمل، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه لما كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يقوم بحق الله عليه من الطاعة والعبادة، فمن ثمَّ لم يكن له هناك حميم يشفع له عند الله، ولما كان لا يحض علىٰ طعام المسكين، فكذلك ليس له يوم القيامة طعام إلا من غسلين، وهو صديد أهل النار.

* * *

س ـ دلالة الاقتران لا تفيد ـ في بعض الأحيان ـ التساوي في الأحكام دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

فعدم الإيمان بالله العظيم لا يستوي في عقوبته مع عدم الحض على طعام المسكين.

فالأول: كفرٌ ـ والعياذ بالله ـ والثاني: معصية أو كبيرة[١].

وفي الحديث أيضًا: «**الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

ولا شك أن حكم تارك الشهادتين يختلف عن حكم تارك الصيام[٢].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن (لا) متعلقة بما سبق، فالمعنى: ليس الأمر كما تقولون وتظنون يا أهل الكفر والتكذيب من أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب، بل سيكون هناك حساب وثواب وعقاب، أُقسم على ذلك بما ترون وما لا ترون.

---

(١) وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء اللّه.

(٢) ما لم يكن تارك الصيام جاحدًا لفرضيته.

الثـــاني: أن (لا) هنا نفي للقسم على الظاهر المتبادر منها، فالمعنى: لا يحتاج المقام إلى قسم، وذلك لوضوح الحق وجلائه.

الثالث: أن (لا) صلة (لتقوية الكلام).

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1].

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مقسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم: إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾، يعني محمدًا ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل؛ ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملكي: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، وهذا جبريل عليه السلام.

* * *

(١) وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ قال: أُقْسِمُ بالأشياء حتى أُقْسِم بما تبصرون وما لا تبصرون.
وقال الطبري رحمه اللَّه: يقول تعالى ذكره: ﴿فلا﴾ ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب اللَّه ورسوله، أُقسِم بالأشياء كلها التي تبصرون منها والتي لا تبصرون.

س ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ما مرجع الضمير في قوله: (إنه) ومن الرسول الكريم؟

ج: أما قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ فالمراد به: القرآن.

أما الرسول الكريم: فلأهل العلم فيه قولان:

أحدهما: أن الرسول الكريم هو: جبريل ﷺ، والاستدلال لهذا القول بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾. فهذا جبريل عليه السلام.

أما القول الثاني: أن الرسول الكريم هو: النبي محمد ﷺ، وذلك بدليل قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] ولا تعارض ولا تضاد بين القولين، فإن الله قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هذا القرآن ليس بقول شاعر ولا باختلاقه ولا تقوُّله، ولكن إيمانكم قليل.

أما المراد بقلة الإيمان: ففي ذلك وجوه. والله أعلم بالصواب:

أحدها: أن المراد بالإيمان القليل أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ليقولن الله، ثم هم مع ذلك يشركون بالله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الثـــاني: أنهم وإن قالوا عن القرآن: إنه قول شاعر لكنهم لا يكادون يصدقون أنفسهم بما وصفوا به القرآن، أي: أن إيمانكم بأنه قول شاعر إيمان قليل ولكن تجادلون وتكابرون.

الثالث: أن المنتفع منهم بالقرآن إذا تُلي عليه نفرٌ قليل. والله أعلم.

* * *

بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ
﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ
﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي: تقوَّل علينا ـ لأخذنا منه باليمين ـ الوتين ـ حاجزين ـ لتذكرة للمتقين ـ لحسرة ـ لحق اليقين ـ سبح باسم ربك العظيم

ج:

الكلمة	معناها
تقوَّل علينا	افترىٰ علينا ـ كذب علينا ـ أتىٰ بقولٍ من عند نفسه ونسبه إلينا.
لأخذنا منه باليمن	لانتقمنا منه باليمين (لأنها أشد في البطش)[1] لأخذناه بيمينه لنقتله ـ لأهناه وأذللناه بقوة.
الوتين	نياط القلب[2] ـ عرقٌ في القلب.

(١) قال الطبري رحمه اللَّه: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ يقول: لأخذنا منه بالقوة والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب. وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها.
وقد قيل: إن معنىٰ قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾: لأخذنا منه باليد اليمنىٰ من يديه، قالوا: وإنما ذلك مثل، ومعناه: إنا كنا نذله ونهينه، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين، قالوا: وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه، وافعل به كذا وكذا. قالوا: وكذلك معنىٰ قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾: أي: لأهناه كالذي يفعل بالذي وصفنا حاله.

(٢) وقد صح ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٤٨٣٢، ٣٤٨٣٣) وغيرهما.
وقال القرطبي رحمه الله:
قوله تعالىٰ: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل﴾: ﴿تقوَّل﴾ أي: تكلفَ وأتىٰ بقولٍ من قِبَل نفسه.
وقرئ: ﴿ولو تقُول علينا﴾ علىٰ البناء للمفعول. ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي: بالقوة والقدرة، أي: لأخذناه بالقوة، و «من» صلة زائدة، وعبر عن القوّة والقدرة باليمين؛ لأن قوّة كل شيء في ميامنه. قاله القُتبيّ. وهو معنىٰ قول ابن عباس ومجاهد. ومنه قول الشّماخ:

الكلمة	معناها
حاجزين	مانعين (ليس منكم من أحدٍ يستطيع أن يمنعه مما أردناه به).
تذكرةٌ للمتقين	عظةٌ واعتبارٌ للمتقين الذي يتقون عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.
حسرة	ندامة.
حق اليقين	الحق اليقيني الذي لا شك فيه ولا مرية ولا ريب. فلا شك أن القرآن من عند الله، لم يتقوله محمدٌ ﷺ.
سبح باسم ربك العظيم	سبح ربك العظيم ـ سبح بذكر ربك. نزِّه ربك عن السوء والنقائص ـ صل لربك.

= إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلّقاها عرابة باليمين

أي: بالقوّة. «عرابة»: اسم رجل من الأنصار من الأوس.

وقال آخر:

ولما رأيتُ الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيميني

وقال السدي: والحكم: ﴿باليمين﴾ بالحق. قال:

تلقاها عرابة باليمين

أي: بالاستحقاق. وقال الحسن: لقطعنا يده اليمين. وقيل: المعنى: لقبضنا بيمينه عن التصرف. قاله نفطويه.

وقال أبو جعفر الطبري: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب، كما يقول السلطان لمن يريد هوانه: خذوا يديه. أي: لأمرنا بالأخذ بيده وبالغنا في عقابه.

قلت (مصطفى): وكل هذا المذكور لا يعارض إثبات (اليمين) لله سبحانه وتعالى، فقد قال تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وفي الحديث: «وكلتا يدي ربي

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: إننا وبعد هذا البيان والإيضاح، وقبله أيضًا نعلم أن منكم من سيكذب بهذا القرآن وهذا البيان والإيضاح، ولن ينتفع به، فالآيات إنما ينتفع بها أهل الإيمان، ولا ينتفع بها أهل الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦].

* * *

س ـ كيف يكون القرآن حسرة على الكافرين يوم القيامة؟

ج: ذلك التحسر والندم عندما يرى الكافرون أهل الإيمان وهم يُثابون ويُنعمون ويساقون مساقًا حسنًا إلى جنة الخلد التي وعد المتقون، فعند ذلك تحل الحسرات على أهل الكفر، فيندمون لفوات ذلك منهم أشد الندم ويتحسرون غاية التحسر.

وتزداد حسرتهم ويزداد ندمهم عندما تسوقهم الملائكة إلى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار، والله تعالى أعلم.

* * *

سورة المعارج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ
ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ
مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ
بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ
ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ
ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ
﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـَٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾
كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾
وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

واقع ـ دافع ـ المعارج ـ تعرج ـ الروح ـ صبراً جميلا ـ يرونه بعيداً ـ نراه قريبًا ـ المهل ـ العهن ـ حميمٌ ـ يبصرونهم ـ المجرم ـ يفتدي ـ صاحبته ـ فصيلته ـ تؤويه ـ لظى ـ نزاعة للشوى ـ أدبر وتولى ـ أوعى.

ج:

الكلمة	معناها
واقع	كائن ـ حاصل ـ نازل.
دافع	مانع، ليس له من يمنعه إذا أراد الله وقوعه.
المعارج	الدرجات ـ الفواضل ـ النعم ـ السموات.
تعرج	تصعد.
الروح	جبريل عليه السلام، وقيل: إن المراد بها خلق من خلق الله، الله يعلمهم.
صبراً جميلاً	صبرا لا جزع فيه، ولا شكوىٰ لغير الله[1].
يرونه بعيدًا	يرونه مستبعداً غير واقع ـ لا يعتقدون وقوعه، لا يعتقدون أن الساعة قائمة.
نراه قريبًا	نعلم أنه قريب.
المهل	النحاس المنصهر ـ الرصاص المنصهر ـ دُرْدِيُّ الزيت وعكَره.

(١) قال بعض العلماء: ومن ذلك أن يكون صاحب البلوىٰ بين الناس ولا يعلم الناس شيئًا عن بلواه، وأن يكون صاحب المصيبة في الناس لا يدري من هو. والله أعلم.

الكلمـــة	معنـاهـــا
العهن	الصوف المصبوغ[١]، وهو أضعف الصوف.
حميمٌ	قريبٌ.
يبصرونهم	يرونهم.
المجرم	الكافر ـ المذنب ذنبًا يستحق عليه النار.
يفتدي	يفدي نفسه.
صاحبته	زوجته.
فصيلته	عشيرته الأقربون.
تؤويه	تضمه إليها ـ وتنصره عند الشدائد.
لظى	لهب خالص ـ ملتهبة ـ دركة من دركات النار واسم من أسماء النار.
نزاعة للشوى	نزاعة للأطراف ـ تنزع جلدة الرأس ـ تنزع مكارم الوجه[٢]

(١) قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي: كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف: «عهن» إلا إذا كان مصبوغًا.

قال الحسن: تكون الجبال كالصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف، وقيل: العهن: الصوف ذو الألوان، فشبَّه الجبال به في تكوِّنها ألوانًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ [فاطر: ٢٧]، فإذا بست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، وهذه الأقوال في معنىٰ «العهن» في اللغة، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم عهنًا منفوشًا، ثم هباءً منثورًا.

(٢) قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿نزاعة للشّوىٰ﴾ يقول تعالىٰ ذكره مخبرًا عن لظىٰ: إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن. والشَّوىٰ: جمع شواة، وهو من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، =

الكلمـــة	معنـاهـــا
أدبر وتولى	انصرف وأعرض.
أوعى	جمع المال وجعله في وعاء ولم يخرج حق الله منه جمع المال وعدَّده ولم يؤد زكاته[1].

= يقال: رمىٰ فأشوىٰ: إذا لم يصب مقْتلاً، فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشىٰ:

قالـت قُتيْلـةُ مـا لـهُ قدْ جُلِّلَتْ شيْبًا شواتُهْ

وربما وصف بذلك الساق، كقولهم في صفة الفرس: «عبلُ الشَّوىٰ نهْدُ الجُزارة».

يعني بذلك قوائمه.

(١) ومنه قول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها: «أنفقي ولا تحصي فيحصي اللَّه عليك، ولا توعي فيوعىٰ عليك» أخرجه البخاري (حديث٢٥٩١)، وأخرجه مسلم (١٠٢٩) من حديث أسماء رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: سأل سائل ـ (من الكفار) ـ عن عذاب الله: بمن هو واقع؟ أي: بمن سيقع ويحل؟

فالجواب في الآية التي تلتها: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: أي: أنه واقع على الكافرين.

الثاني: سأل سائل عن عذاب الله: متى هو واقع ونازل؟ ويكون هذا أحيانًا على سبيل التكذيب والاستعجال، كقول الكفار: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨].

الثالث: دعا داعٍ بعذاب الله (أي: دعا على نفسه ومن معه بالعذاب) ظنًا منه أن ذلك لن يقع، والعذاب واقع لا محالة بهم إذا ماتوا على كفرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وبسياق آخر: طلب طالبٌ عذابًا هو واقع لا محالة (سواء طلب أو لم يطلب)، إذ هو نازلٌ بهم يوم القيامة لا يدفعه عنهم أحدٌ.

الرابع: وهو قولٌ مبنيٌّ على اختلاف في القراءة، فقرأ بعضهم ﴿سال﴾ (بلا همز) ﴿سائل﴾، والسائل هنا ليس هو المستفسِر وما على شاكلته، إنما السائل ضد الجامد، والمعنى: سال هنا السائل (وقد يكون هذا السائل هو صديد أهل النار، وقد يكون ماءً كالمهل، وقد يكون غير ذلك).

ومنهم من قال: إن السائل وادٍ في جهنم.

وهذا السائل سال حاملاً للعذاب على من سال عليهم وهم الكفار.

هذا الوجه الرابع، والوجوه التي قبله أرجح منه بلا شك.

الخامس: أن هذا السائل مسلم من المسلمين ويسأل: متى هذا العذاب الذي يحل بالكافرين؟

والعذاب الواقع إما في الدنيا كالغرق، أو يوم بدر، وإما العذاب الأخروي وهو عذاب النار.

* * *

س ـ ما فائدة تكرير قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ مع أن معناه موجود في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ كدليل على تأكيد وقوعه؛ لأن ما ليس له دافع لابد من وقوعه.

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾.

[الطور: ٧]

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

ج: أما «المعارج» فهي الدرجات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] ومن ورود العروج بمعنى الصعود قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ

الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]، ومنه: ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ** ﴾ [الحجر: ١٤].

أما وصف الله سبحانه وتعالىٰ بأنه ذو المعارج، فمن العلماء من قال: الذي يُعرج إليه من السموات فالدرجات: (المعارج) هي السموات، علىٰ ما ورد في حديث المعراج فقد صعد النبي ﷺ من سماء إلىٰ سماء حتىٰ جاوز السماء السابعة، وبعدها فرضُت عليه الصلوات.

فالمعارج: السموات التي تصعد فيها الملائكة إلىٰ ربها.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالمعارج: وجوه الإنعام والإفضال علىٰ الخلق، فالخلق في ذلك علىٰ درجات:

منهم من يوسع الله عليه في المال والبنين. ومنهم: من يكون فقيراً وعقيماً.

ومنهم: الصحيح المعافىٰ في بدنه. ومنهم: المريض المبتلىٰ.

ومنهم: صاحب الوجاهة والسلطان. ومنهم: من دون ذلك.

ومنهم: الوسيم الجميل. ومنهم: الدميم.

ومنهم الصالح ومنهم الطالح، ومنهم المطيع ومنهم العاصي، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر

ومنهم القوي ومنهم الضعيف.

إلىٰ غير ذلك من صور الإفضال والإنعام علىٰ الخلق.

* * *

س ـ هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في تلبيته: لبيك ذا المعارج؟

ج: لم أقف على سندٍ يثبت أن النبي ﷺ قال ذلك، وإنما وقفت على أن الناس كانوا يقولونها والنبي ﷺ يسمع ذلك فلم يقل لهم شيئًا[١].

وعن أحمد[٢] من طريق عبد الله بن أبي سلمة: أن سعدًا سمع رجلاً يقول: لبيك ذا المعارج. فقال: إنه لذو المعارج، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ لا نقول ذلك.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فيه عطف للخاص على العام، وضح ذلك واذكر لذلك مزيدًا من الأمثلة.

ج: إيضاحه: أن الروح ـ على قول بعض العلماء ـ هو جبريل عليه السلام، ومما يدل عليه: قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

فإذا كان الروح هو جبريل، وهو ملك من الملائكة فهو داخل في قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ﴾، ولكن أُعيد ذكره بقوله تعالى: ﴿وَالرُّوحُ﴾ لبيان عظيم منزلته وكريم مرتبته.

ومن أمثلة عطف الخاص على العام: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

---

(١) أخرج ذلك أحمد (٣/ ٣٢٠) بسند صحيح من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٢) وفي سماع عبد اللَّه بن أبي سلمة من سعد نظر فليحرر، ويبدو لي أنه لم يسمع منه، فلا يعارض هذا الأثر الأثر المتقدم.

مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم داخلون في النبيين المذكورين في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ ولكن نُص عليهم وخُصُّوا بالذِّكر لبيان كريم منزلتهم وعظيم شرفهم فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أُولي العزم من الرسل.

ونحوه أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فذكر الأنبياء بأسمائهم لبيان فضلهم أيضًا، وإن كان بعضهم من أولي العزم من الرسل وبعضهم ليس كذلك.

ومن هذا الباب أيضًا: قوله تعالىٰ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] فـ «الرمان» من الفاكهة. والله أعلم.

* * *

س ـ ما المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن هذا اليوم هو يوم القيامة.

ومنهم من قال: هو يوم تعرج فيه الملائكة والروح إلىٰ ربها الله أعلم به.

ومن العلماء من قال: إن الملائكة تعرج إلىٰ ربها مسافةً كبيرةً (وذلك عندهم من منتهىٰ أمره من فوق السموات إلىٰ منتهىٰ أمره أسفل الأرض) هذه المسافة لو قطعها أحدكم لقطعها في خمسين ألف سنة.

ومما يؤيد أن اليوم هو يوم القيامة:

ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح، فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقرٍ كأوفر ما كانت تستن عليه، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. وما من صاحب غنمٍ لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاعٍ قرقرٍ. كأوفر ما كانت، فتطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

* * *

(١) مسلم (حديث ٩٨٧)، (ص٦٨٢).

دفْعُ إشكالٍ وجمعٌ بين آيتين

س ـ إذا قلنا: إن المراد «باليوم» هو يوم القيامة، فكيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]؟

ج: ابتداءً: فمن العلماء من توقف عن الخوض في التأويل والجمع وقال: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما.

وممن نقل عنه هذا القول: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج الطبري[١] من طريق ابن أبي مليكة: أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني. قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

ثم هذه أقوال أُخر للعلماء:

أحدها: أن هذا اليوم يختلف في طوله على الكافر عن المؤمن، فيطوَّل هذا اليوم على الكافر ويخفف على المؤمن، وكلاهما يوم القيامة، فهو كألف سنة[٢]، وهو خمسون ألف سنة أيضًا.

---

(١) الطبري (٣٤٨٦٨) بسندٍ صحيح.

(٢) وقد ورد هذا الباب خبرٌ فيه: «يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم بخمسمائة عام».

ومما يؤيد أن هذا اليوم يطول ويشق على الكافر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقد ورد في هذا الباب خبرٌ ضعيفٌ عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا! فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا**»(١).

الثاني: أن اليوم المذكور في سورة «الحج»: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ويوم الألف في سورة «السجدة» هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الخمسين ألفًا هو يوم القيامة.

الوجه الثالث: أن عُمر الدنيا خمسون ألف سنة، لا يدري كم مضى وكم بقي؟ أما الألف سنة فهو يوم القيامة.

الرابع: أن المراد باليوم الذي هو كخمسين ألف سنة هو ما أشرنا إليه في السؤال السابق مسافة ما بين العرش إلى أسفل سافلين، فهذه المسافة تقطعها الملائكة في يوم، ولو قطعها أحدكم لقطعها في خمسين ألف سنة.

الوجه الخامس: أن ذلك ـ خمسين ألف سنة ـ قيل لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها.

* * *

(١) الطبري (٣٤٨٦٧) بسندٍ ضعيف.

س ـ قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾ على ماذا هذا الصبر؟

ج: هذا الصبر على تكذيب قومك لك، وأذاهم وسخريتهم منك.

* * *

س ـ لماذا لا يسأل حميمٌ حميمه؟

ج: ذلك لانشغال كُلٍّ منهم بنفسه وما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

* * *

س ـ ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ عن ماذا؟

ج: لا يسأله النصرة ولا النجاة، ولا أن يحمل من أوزاره شيئًا.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ ومن الذين يبصرونهم؟

ج: أما ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم، وفي هذا وجوهٌ:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى يُبصِّر الكفار بالذين أضلوهم في الحياة الدنيا من الرؤساء والقادة وأئمة الكفر، فيعرفونهم ثم يفرُّ كل منهم من الآخر، ويلعن كلٌّ منهم الآخر، ولا يستطيع أحدٌ منهم نفع الآخر.

الثاني: الملائكة ترى العباد، لا يخفى على الملائكة منهم شيء، وذلك بإذن الله.

الثالث: أن الكفار يرون المؤمنين ويعرفونهم، وينظرون إلى ما هم فيه من النعيم، فيزدادون حسرةً إلى حسرتهم، ونكدًا إلى ما هم فيه من النكد.

الرابع: أن القريب يرى قريبه يوم القيامة، دلَّ على ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، وهذا الأخير هو اختيار الطبري رحمه الله تعالىٰ، فقال رحمه الله:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: «معنىٰ ذلك: ولا يسأل حميم حميمًا عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وإنما قلنا ذلك أولىٰ التأويلات بالصواب، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ تلا قوله ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم.

* * *

س ـ إلى ماذا أشير بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾؟

ج: المراد والله أعلم: ثم ينجيه الافتداء.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن النار (التي هي لظىٰ) تدعو وتنادي من أدبر عن طاعة الله في الدنيا، وأعرض وتولىٰ عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فالتي تدعو هي النار[1]، مكّنها الله من ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه: =

مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، وكما قال النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا ربِّ، أكل بعضي بعضًا»(١) وكما في الحديث المتفق عليه: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار»(٢).

وقول آخر: أن الذي يدعو هم الملائكة خزنة النار.

وقول ثالث فيه ضعف: أن المراد بتدعو: تُهلك. والله أعلم بالصواب.

❊ ❊ ❊

= وقوله: ﴿تدعو من أدبر وتولىٰ وجمع فأوعىٰ﴾ [المعارج: ١٨]، أي: تدعو النار إليها أبناءَها الذين خلقهم اللَّه لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال اللَّه عز وجل: كانوا ممن ﴿أدبر وتولىٰ﴾، أي: كذب بقلبه، وترك العمل بجوارحه.

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٢٦٠) ومسلم (حديث ٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إلىٰ ربها، فقالت: يا ربِّ، أَكلَ بَعْضي بَعْضًا؟ فأَذنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونفَسٍ في الصَّيْفِ؛ فَهُوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحرِّ؛ وَأَشَدُّ مَا تَجِدونَ منَ الزَّمْهَرِيرِ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٨٥٠) ومسلم (٢١٨٦-٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تحاجَّت الجنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: أُوثِرتُ بالمُتكبِّرين والمُتَجبِّرين. وَقالتِ الجنَّةُ: فَمَا لي لا يَدْخُلُني إلا ضُعفاءُ النَّاس وسَقَطُهُم وغِرَّتهم؟ قال اللَّه للجنَّة: إنَّما أنت رحمتي أرحَمُ بِكِ مَن أشاءُ مِنْ عِبادي. وقال للنَّارِ: إنَّما أنت عَذابي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشاءُ مِنْ عِبادي؛ ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤُها. فأمَّا النار فلا تَمتلئُ حتىٰ يضع اللَّهُ تبارك وتعالىٰ رِجْلَهُ، تقولُ: قَطْ قطْ قطْ. فهنالك تَمتلئ، ويزوي بعضها إلىٰ بعضٍ، ولا يَظلِمُ اللَّهُ مِنْ خلقِهِ أحدًا، وأمَّا الجنَّةُ فإنَّ اللَّه يُنشِئُ لَهَا خَلْقًا».

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا
﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ
﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ
﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾
كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ
إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ
ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

هلوعًا ـ مسَّه ـ جزوعًا ـ منوعًا ـ دائمون ـ المحروم ـ يصدقون ـ يوم الدين ـ مشفقون ـ غير مأمون ـ غير ملومين ـ ابتغى ـ وراء ذلك ـ العادون ـ راعون ـ قائمون ـ قِبلك ـ مهطعين ـ عزين ـ بمسبوقين ـ الأجداث ـ سراعًا ـ نصب ـ يوفضون ـ خاشعة ـ ترهقهم ـ ذلة.

ج:

الكلمة	معناها
هلوعًا	شديد الجزع، وشديد البخل وشديد الحرص وشديد الضجر. إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا، إذا قلَّ ماله وأصابه الفقر والعدم فلا صبر له على ذلك، بل فَزِعَ وجزع وضجر وانخلع[1] قلبه من شدة الرعب. وإذا أصابه الخير والغنى والخصب والسعة وكثر ماله فهو بخيل كثير المنع والإمساك، لا يصبر ولا يحتسب ولا يزكي ولا يعطي.
مسَّه	أصابه.
جزوعًا	كثير الجزع ـ كثير الخوف، قليل الصبر، كثير الضجر والقلق.
منوعًا	كثير المنع، شديد الإمساك والبخل.

(١) وفي الحديث: «شرُّ ما في رجل: جبن خالع، وشح هالع». أخرجه أبو داود (حديث ٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا بسند صحيح.

الكلمـــة	معنـاهـــا
دائمون	مقيمون (لا يضيعون منها شيئًا) محافظون (على أدائها في أوقاتها بأركانها) .
	ساكنون (الدائم : الساكن ، ومنه الماء الدائم) ، أي : ساكنون في صلاتهم .
	وقيل : المراد : إذا عملوا عملاً داوموا عليه[1] .
المحروم	الذي لا مال له ولا حرفة له ولا يُهدىٰ إليه .
يصدقون	يُقرُّون ـ يعترفون (يُقرُّون بالبعث والجزاء والحساب والثواب والعقاب) .
يوم الدين	يوم القيامة .
مشفقون	خائفون .
غير مأمون	لا يأمنه أحدٌ على نفسه (إلا بأمانٍ من الله تعالىٰ) .
غير ملومين	غير معاتبين ـ غير محاسبين .
ابتغى	طلب ـ التمس .
وراء ذلك	غير ذلك .
العادون	المتجاوزون ما أحلَّه الله إلىٰ ما حرَّمه الله عزَّ وجل .
راعون	حافظون ـ مؤدون .
قائمون	مؤدون (يؤدونها علىٰ أكمل وجه) .
قبلك	ناحيتك .
مهطعين	مديمين النظر إليك (المهطع : الذي لا يطرف) ناظرين إليك تعجبًا ـ عامدين ـ نافرين ـ منطلقين .

(١) كما في الحديث : «أحب الأعمال إلىٰ اللَّه أدومها» .

الكلمـــة	معنـاهـــا
عزين	متفرقين[١] .
بمسبوقين	بمغلوبين ـ لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمرٌ .
الأجداث	القبور .
سراعًا	مسرعين .
نصبٍ	صنم منصوب يُعبد .
يوفضون	يسرعون .
خاشعة	ذليلة ـ خاضعة (لا تُرفع لما يتوقعونه من العذاب) .
ترهقهم	تغشاهم .
ذلة	هوانٌ .

(١) ومنه قول النبي ﷺ: «ما لي أراكم عزين؟!» وهو حديث أخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديث سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ فرآنا حَلَقًا فقال: «مالي أراكم عزين؟!» . . . الحديث .
قال النووي رحمه اللَّه: أي جماعات في تَفْرِقةٍ .

س ـ ما دواء الهلع؟

ج: دواؤه هو المذكور عقب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]وهو: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

فأول علاج له هو: الصلاة، ثم ما ذكر عقبها من الصفات، وقد قال تعالىٰ: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

* * *

س ـ ما المراد بالصلاة هنا؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالصلاة هنا في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ هي الصلاة المكتوبة، فهم مديمون لها قائمون بها.

ومنهم من قال: كانوا إذا عملوا عملاً أثبتوه وحافظوا عليه، ومن ثمَّ فكانت لهم نوافل يحافظون عليها ويداومون. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بالحق المعلوم هنا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالحق المعلوم هنا هي الزكاة المفروضة، إذ هي معلومة المقدار، ثمَّ إنها اقترنت بالصلاة المكتوبة. وثمَّ علماء آخرون قالوا: هذا حق آخر سوىٰ الزكاة وهذا الحق الآخر سوىٰ الزكاة إما لأن هناك في المال حقا سوىٰ الزكاة ـ علىٰ رأي بعض العلماء، وإما لأن هؤلاء المحسنين خصَّصوا من أموالهم حقًا معلومًا ـ غير الزكاة ـ للسائلين والمحرومين، كالوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند «مسلم»[1]

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٤).

عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة[١]، فإذا شرجة[٢] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائمٌ في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان. لاسمك. فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرُدُّ فيها ثلثه».

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى (المحروم).

ج: عمومًا المحروم هنا هو: الذي لا مال له، أي المحروم من المال.

وهذا الحرمان من المال قد يكون لوجوه:

إما لأنه مُحارف ـ أي لا سهم له ولا نصيب في الإسلام، سواء من الغنائم أو من الفيء أو شيء ثابت من بيت مال المسلمين، كالذي يعطي للبدريين مثلاً أو لغيرهم أو ليست له وظيفة تدر عليه دخلاً. ولا عملاً يُدر له دخلاً، ولا تكاد مهنته توفر له مالاً يكفيه.

وإما لكون ماله قد أصابته جائحة فذهبت بماله، ومما يؤيد ذلك قول أصحاب الجنة المذكورين في سورة القلم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧ـ٢٨].

---

(١) الحرة: أرض بها حجارة سُود كثيرة.

(٢) شرجة: هي مكان سيل الماء.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

[الواقعة: ٦٣ ـ ٦٧]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

ج: يثني الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين المصلين فيقول في شأنهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي: أنهم يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فيما حرمه الله عليهم، فلا يطئون بها وطئًا محرمًا من زنًا أو لواطٍ أو وطءٍ في دبرٍ أو حيضٍ ونحو ذلك، ويحفظونها أيضًا من النظر إليها ومن مسها، ويحفظونها أيضًا من الاستمناء الذي يفعله شرار الشباب، والفاسقات من الفتيات من كل ذلك يحفظون الفروج، وعن كل ذلك يمنعون إلا علىٰ الأزواج، فمباح لهم وطء الأزواج، والنظر إلىٰ العورات منهن، وكذا علىٰ ملك اليمين من النساء، فللرجل أن يطأ أَمَتَهُ وأن ينظر إلىٰ عورتها.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

ج: إيضاحه: فمن التمس لفرجه منكحا سوىٰ زوجته أو ما ملكت يمينه فهولاء هم المتجاوزون لحدود الله المنتهكون لحرماته.

* * *

حكم الاستمناء

س ـ ما حكم الاستمناء؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى تحريم الاستمناء مستدلين بقول الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦ـ٧]

احتج الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ بهذه الآية على تحريم الاستمناء.

فقد نقل عنه البيهقي (٧ / ١٩٩) أنه ذكر هذه الآية وقال: فلا يحل العمل بالذكر إلا في زوجة أو ملك يمين فلا يحل الاستمناء. والله أعلم.

قلت: وقد ورد في المسألة حديث ضعيف ذكره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (سورة المؤمنون: ٣ / ٢٣٩) وعزاه إلى الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجزري، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده...**» ثم ذكر الحديث) قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لا يعرف لجهالته.

قلت: وكذا قال الذهبي في مسلمة بن جعفر «ميزان الاعتدال» فقال الذهبي في مسلمة: مجهول هو وشيخه. فالحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

وقد ذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ هذه المسألة عند تفسيره لهذه الآية وقال:

وأحمد بن حنبل على ورعه يجوِّزه، ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة، أصله الفصد والحجامة، وعامة العلماء على تحريمه.

وقال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه، وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة، وياليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها، فإن قيل: إنها خير من نكاح الأمة. قلنا: نكاح الأمة ـ ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء ـ خير من هذا وإن كان قد قال به قائل أيضًا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل عارٌ بالرجل الدنيء فكيف بالرجل الكبير؟!

انتهى ما قاله القرطبي ـ رحمه الله.

* * *

س ـ ما المراد بالأمانات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾؟

ج: **المراد:** عموم الأمانات، سواء تلك الأمانات التي بين العبد وربِّه، أو تلك الأمانات التي بينه وبين العباد[1]، هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون، يرقبون ذلك، ويحفظونه فلا يضيعونه، ولكنهم يؤدّونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها.

---

(١) وقد أوضحنا ذلك باستفاضة في «تفسير سورة النساء».

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها، والوفاء بها. وهذا شامل لجميع الأمانات، التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد الخلق عليه، فإن العهد يسأل عنه العبد: هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه، فلم يقم به؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم: أنهم يؤدون الشهادة كما أمرهم ربهم سبحانه وتعالى، لا يخافون من أدائها لومة لائم، ولا يجاملون فيها غنيًا لغناه، ولا فقيراً شفقةً عليه، ولا يجاملون قريبًا لقرابته، ولا يظلمون بعيداً لغربته، إنما أمرهم كما قال ربهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الطبري رحمه الله:

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ يقول: والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدّلة.

قال صديق حسن خان في (فتح البيان):

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي: يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الأداء، ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريبٍ

أو بعيدٍ، أو رفيعٍ أو وضيعٍ، بلا ترجيح للقوي على الضعيف، ولا يكتمونها ولا يغيرونها إظهاراً للصلابة في الدين، ورغبةً في إحياء حقوق المسلمين.

* * *

س ـ لماذا افتتح صفات المؤمنين بذكر الصلاة في قوله: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ وختمها بذكر الصلاة أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لبيان أهمية الصلاة، ولمزيدٍ من الاعتناء بها.

ووجه آخر من الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: أي: أنهم لا يفعلون ما ينقضها ولا يبطلها بعد فعلها.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى «مهطعين».

ج: «المهطع» له معانٍ، منها:

الذي لا تطرف عينه، فعليه فمعنى مهطعين: مديمين النظر إليك، (إما تعجبًا من قولك، وإما استنكارا له، وإما حقداً وحسداً وسوء أدب)

ومن معناه: مسرعين، فعليه فالمعنى: فمال الذين عندك من الكفار مسرعين في النفور عنك، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

أو يكون المعنى: مسرعين للاستماع منك للسخرية منك ومما جئت به، ولتبليغه لغيرهم على وجه الاستهزاء، كما قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١].

ومن معناها أيضًا: عامدين أي: قاصدين.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾؟

ج: المعنى: أنهم عن يمينك وعن شمالك متفرقين فِرقًا فِرقا وجماعاتٍ جماعاتٍ، منصرفين عنك، صارفين غيرهم عنك أيضًا.

* * *

س ـ كيف قيل: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ وهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً؟

ج: هذا القول منهم تنزلاً على رأي غيرهم، فكأنهم يقولون: لا بعث ولاجزاء ولا ثواب ولا عقاب، وعلى فرضِ أن هناك بعثا وثوابا وعقابا، فنحن أحق بالجنة وأولى بها، فالذي أكرمنا في الدنيا يكرمنا في الآخرة كقول قائلهم: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: المعنى: إنا خلقناهم من هذه النطفة المعلومة لديهم في حقارتها وتفاهتها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وكما قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧]، وكما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧].

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٩].

يقول جلَّ وعز: إنا خلقناهم من مني قذر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرة؟!

* * *

س ـ لماذا أبهم المني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: أبهم ـ والله أعلم ـ: لبيان حقارة منشئهم، فلا ينبغي لهم التكبر، وقد خُلقوا من شيءٍ لا يكاد يُذكر.

وهذا استدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى.

وثَمَّ قول آخر ـ ولكني أراه ضعيفًا ـ وهو: ما ذكره صديق حسن خان في (فتح البيان) حيث قال:

وقيل: المعنى: إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو امتثال الأمر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل، وتعريضهم للثواب والعقاب، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* * *

س ـ ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ عقب قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ: لزجرهم عن الكبر والتعالي والغرور من ناحية.

ومن ناحيةٍ أُخرى: لبيان أن الجنة التي يكرم الله بها من يكرم إنما هي بفضله لا بعملهم ولا بخلقهم.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة.

فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يدعيه من الشرف على غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة.

والثاني: إنا خلقناهم من أقذار، فبما يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟!

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾.

ج: أما المراد بقوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾: (فلا) نفي لكلام متقدمٍ أو لظن ظنه المشركون، والمعنى: أقسم.

أما المشارق والمغارب: فمن العلماء قال:

هي مشارق الشمس ومغاربها، قالوا: فللشمس في كل يوم مشرق ومغرب.

وقال آخرون: هي مشارق الشمس والقمر ومغاربهما.

أخرج الطبري بإسناد صحيح: من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] قال: إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين كوّة، لا ترجع إلى تلك الكوّة إلى ذلك اليوم من العام المقبل، ولاتطلع إلا وهي كارهة، تقول: ربّ لا تطلعني على عبادك، فإني أراهم يعصونك، يعملون

(١) الطبري (أثر/ ٣٤٩٧١).

بمعاصيك. قال: أو لم تسمعوا إلىٰ قول أمية بن أبي الصلت:

حتى تجر وتجلدا

قلت: يا مولاه، وتجلد الشمس؟ فقال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الرويّ إلىٰ الجلد.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ مع بعض الإيضاح لمعناها؟

ج: في معنى ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولإيضاح معناها:

قال صديق حسن خان رحمه الله:

لقادرون علىٰ أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوه، ونهلك هؤلاء أو نبدلهم بتحويل الوصف، فيكونوا أشد بطشًا في الدنيا وأكثر أموالاً وأولادًا، وأعلىٰ قدرًا، وأكثر حشمًا وجاهًا وخدمًا، فيكونوا عندك علىٰ قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك، والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير، وكل ما يضيق به صدرك.

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

ج: هذا على وجه التهديد والوعيد، فالمعنى كما قال القرطبي رحمه الله:

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم ـ على جهة الوعيد ـ، واشتغل أنت بما أمرت به ولا يعظمنّ عليك شركهم؛ فإن لهم يومًا يلقون فيه ما وعدوا.

وقرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد: ﴿حَتَّىٰ يلقوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

ج ذلك ـ والله أعلم ـ: وصف لحال المشركين يوم القيامة، إذ ينادي المنادي يوم القيامة ويدعو الداعي فيخرجون من قبورهم مسرعين، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦ـ٧].

فهؤلاء المشركون يخرجون من قبورهم مسرعين متجهين إلى الداعي الذي يدعوهم لا يستطيعون التواءً، ولا يتمكنون من الاستعصاء والامتناع، بل يأتون أذلاء مقهورين بين يدي رب العالمين.

وهذا الإسراع وتلك الإجابة منهم في الآخرة مع ما يصاحبها من الذلة

والانكسار بين يدي العزيز الجبار، جزاء ما كانوا يصنعون في دنياهم، فقد كانوا في دنياهم يوفضون إلىٰ النصب أي: يُسرعون إليها، «والنُّصُب»: كل ما نُصب للعبادة من دون الله عز وجل، فيدخل فيه الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، والتي كان يُذبح عندها ويتقرب عندها لغير الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] ويدخل في النُّصب أيضًا: الأحجار التي كانوا يوقِّرونها ويجتهدون في الوصول إليها، ويتنافسون من يصل إليها أولا، ومن يستلمها قبل الآخر.

ومن العلماء من قال: «النُّصب» هنا: العلامات التي كانوا يستبقون إليها ويسعون نحوها. والله أعلم.

* * *

سورة نوح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا
٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي
دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩
فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم
مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ
أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ
إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ
يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن
دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نذيرٌ ـ اتقوه ـ فراراً ـ استغشوا ثيابهم ـ استكبروا استكباراً ـ أصروا ـ جهاراً ـ أعلنت لهم ـ أسررت لهم إسراراً ـ مدراراً ـ لا ترجون لله وقاراً ـ أطواراً ـ طباقًا ـ سراجًا ـ بساطًا ـ سبلاً ـ فجاجًا ـ كُبَّاراً ـ لا تذرُن ـ مما خطيئاتهم ـ تذرهم ـ ديَّاراً ـ فاجراً ـ كفاراً ـ تباراً ؟

ج:

الكلمة	معناها
نذيرٌ	من يُنذر عذاب الله ويُحذر منه .
اتقوه	اتقوا عقابه واحذروه .
فراراً	إدباراً وهربًا .
استغشوا	تغشوا في ثيابهم وتغطوا بها ـ غطوا وجوههم لئلا يروه
ثيابهم	ولئلا يسمعوه .
أصروا	ثبتوا على ما هم عليه من الكفر ، واستمروا على ما هم فيه من الشرك .
استكبروا استكباراً	امتنعوا عن قبول الحق امتناعًا ، واستنكفوا استنكافًا .
جهاراً	ظاهراً في غير خفاء معلنًا بدعوتي لهم .
أعلنت لهم	صحت بهم .
أسررت لهم اسراراً	أسررت لهم فيما بيني وبينهم .
مدراراً	متتابعًا .
لا ترجون لله وقاراً	لا تخافون عظمة الله وقدرته ـ لا تعظمون الله حق عظمته ـ لا تعملون بطاعة الله ـ لا تُؤمِّلون من الله توقيراً لكم بأن

الكلمـــة	معنـاهـــا
	تؤمنوا فتصيروا موقرين عنده ـ لا تعرفون له حقًا ولا تشكرون له نعمةً .
أطوارًا	حالاً بعد حال (من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغة ، ثم تخرجون طفلاً ، ثم بلوغ الأشد ، ثم الشيخوخة) وأيضًا : (فقراء وأغنياء ومرضىٰ وأصحاء ، ومن به منكم دمامة ومن هو وسيم . . .) .
طباقًا	أطباقا بعضها فوق بعض (أَدْوارًا) .
سراجًا	مصباحًا .
بساطًا	كالبساط تستقرون عليها وتتمهدونها .
سبلاً	طرقًا .
فجاجًا	طرقًا واسعة ـ طُرقًا بين جبلين .
كُبارًا	كبيرًا ـ عظيمًا .
لا تذرن	لا تتركن .
مما خطيئاتهم	بخطيئاتهم (بسبب خطيئاتهم) ، والخطايا كبار الذنوب .
ديارًا	ساكن الديار (الذي يدور فيها) .
تذرهم	تتركهم أحياء .
فاجرًا	فاجرًا في أعماله مخالفًا فيها أمر ربه سبحانه وتعالىٰ تاركًا للطاعات .
كفارًا	كافر القلب ـ يكفر بالنعم ـ شديد الكفر .
تبارًا	هلاكًا ـ خسارًا .

س ـ اذكر شيئًا عن نبي الله نوح ﷺ.

ج: نبي الله نوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، سمَّاه الله عبداً شكوراً كما قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، ثم هو مِن أُولي العزمِ من الرسل.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله: ﴿أَنِ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

ج: قال صديق حسن خان في (فتح البيان):

﴿أَنِ﴾ هي التفسيرية لنذير أو هي المصدرية كأختها السابقة، أي: بأن اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره، واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه، وأطيعوني فيما آمركم به؛ فإني رسول إليكم من عند الله، وإنما أضاف الإطاعة إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة.

* * *

س ـ لماذا قيل: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ولم يقل: (يغفر لكم ذنوبكم)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن «مِن» زائدة، فعليه: قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ معناه: يغفر لكم ذنوبكم.

الثاني: أن المراد: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعد بالانتقام ممن ارتكبها، أما سائر الصغائر فهي مغفورة كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا

تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١].

الثـــالث: يغفر لكم ذنوبكم التي بينكم وبين ربكم، أما حقوق العباد فعليكم أن تؤدوها لهم، وهذا كما في الحديث: «**يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين**».

الرابع: يغفر لكم ذنوبكم التي صدرت في جاهليتكم، فالإسلام يجُبُّ ما قبْله، وبعد الإسلام يُجازىٰ الشخص بالسيئات والحسنات، ـ إلا أن يغفر الله ـ، وتوضع الموازين القسط ليوم القيامة.

* * *

شيءٌ من الكلام على تأخير الآجال

س ـ كيف قال سبحانه: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل إذ قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾؟

ج: على ذلك أجوبة:

أحدها: أن هذا من باب الأسباب والمسببات، الشأن في ذلك شأن جميع الأمور المقدرة.

فكما أنّا نعلم أن الرزق مقدرٌ، لكنا نسعىٰ في الأخذ بأسبابه، فنضرب في الأرض ونبتغي من فضل الله، ونعلم أن الشفاء مقدرٌ لكنا نسعىٰ في التداوي ونسأل الله الشفاء.

ونعلم أن الآجال مُقدَّرة، لكنا نفرُّ من الأسود ونتقي النار والغرق والشرور، ونمنع من الانتحار.

فكذا فلنعلم أن الآجال مُسماة ومقدرة، ولكن نطيع الله حتىٰ يبلغنا آجالاً، كما نضرب في الأرض ليرزقنا أرزاقًا، كما أنا نتداوىٰ، ليتمم علينا ربنا الشفاء.

الثاني: أن المراد بالتأخير في الآجال البركة في الأعمار.

الثالث: أن المراد بالتأخير تأخير العذاب، أو منع نزوله، فقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يمنع عنكم العذاب فلا يعذبكم بالطوفان ولا بالصيحة، ولا بالرجفة ولا بالحجارة ولا بالخسف ولا بغير ذلك، فتعيشوا آمنين حتىٰ تموتوا بآجالكم.

الرابع: أن الطاعات وصلة الأرحام تزيد في الأعمار حقيقة، وقد وردت

بذلك عدة أحاديث منها: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه وينْسأَ له في أثره فليصل رحمه**»[١].

ومنها: «**صلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار تزيدان في الأعمار، وتعمران الديار...**»[٢].

الخامس: أن الأجل أجلان، فإذا عمل العبد طاعة فله أجل، وإذا لم يعملها فله أجل، والله أعلم بما سيختاره العبد، وأعلم بما قضاه على العبد، وأثبته عنده، فكأنه سبحانه يقول لملائكته: إذا عمل عبدي كذا فزيدوه من العمر كذا، وإذا لم يعمل فلا تزيدوه، وهو سبحانه أعلم بما سيكون.

ونحو ذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ كأن تقول لعامل عندك: إذا بقيت للساعة العاشرة في العمل فلك كذا وكذا من الأجر، وأنت قد تعرف أنه سيبقى أو لا يبقى من عموم سيرته ومن جده ونشاطه، ولكن بلا شك؛ فعلمُ الله أوسع.

وها هي بعض أقوال العلماء في هذا الباب:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ يقول: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغرق ولا غيره ﴿**إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ يقول: إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه في أمّ الكتاب.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد (٦/ ١٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا بسندٍ صحيح وبه علة، وله شواهد يصح بها.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال ابن عباس: أي ينسئ في أعماركم، ومعناه: أن الله تعالىٰ كان قضىٰ قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك في أعمارهم، وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب.

وقال مقاتل: يؤخركم إلىٰ منتهىٰ آجالكم في عافية؛ فلا يعاقبكم بالقحط وغيره. فالمعنىٰ علىٰ هذا: يؤخركم من العقوبات والشدائد إلىٰ آجالكم. وقال الزجاج: أي: يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب. وعلىٰ هذا قيل: ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ عندكم تعرفونه، لا يميتكم غرقًا ولا حرقًا ولا قتلاً؛ ذكره الفرّاء.

وعلىٰ القول الأول ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ عند الله. ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ أي: إذا جاء الموت لا يؤخر بعذا ب كان أو بغير عذاب. وأضاف الأجل إليه سبحانه لأنه الذي أثبته. وقد يضاف إلىٰ القوم، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [النحل: ٦١] لأنه مضروب لهم، و«لو» بمعنىٰ «إن» أي إن كنتم تعلمون.

وقال الحسن: معناه: لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخّر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم.

قال: وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد

بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»[١].

وقال الرازي رحمه الله:

كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل؟ وهل هذا إلا تناقض؟

(الجواب): قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم الله ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة، فقيل لهم: آمنوا: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت سماه الله وجعله غاية الطول في العمر، وهو تمام الألف، ثم أخبر أنه إذا انقضى ذلك الأجل الأطول لابد من الموت.

وقال السمعاني في «تفسيره»:

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الموت.

فإن قيل: هذه الآية تدل على أنه يجوز أن يكون للإنسان أجلان، وأن العقوبة تقع قبل الأجل المضروب للموت؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجوز أن يقال: إن الأجل أجلان:

أحدهما: إلى سنة أو سنتين إن عصوا الله.

والآخر: إلى عشر سنين أو عشرين سنة إن أطاعوا الله، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ أي: في حالتي الطاعة والمعصية.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨٠١٤) (جـ٨/ ص ٣١٢) ومن شواهده ما تقدم قريبًا.

والوجه الثاني: أن الأجل واحد بكل حال.

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يميتكم غير ميتة الاستئصال والعقوبة، وهو الموت الذي يكون بلا غرق ولا قتل ولا حرق. وقيل: ﴿يؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ﴾، أي: عندكم، وهو الأجل الذي تعرفونه، وذلك موت من غير هذه الوجوه. وهذا القول أقرب إلىٰ مذهب أهل السنة، فعلىٰ هذا قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ هو الأجل المسمىٰ المضروب لكل إنسان.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وما المراد بأجل الله؟

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: لو علمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لأنبتم إلىٰ طاعة ربكم ولامتثلتم أمره.

أما المراد بأجل الله في هذا الموطن: فللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الأجل الذي قدره الله لهم في الدنيا ذلكم الذي ينتهي بالموت.

الثاني: البعث.

الثالث: نزول العذاب، والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا نُسب الأجل إلى الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾؟ وهل ينسب الأجل للقوم أحيانًا؟ وما وجه ذلك؟

ج: نُسب الأجل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لأنه الذي قدَّره وأثبته.

وقد يُنسب الأجل إلى القوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ لأنه مضروبٌ لهم ومُحدَّد.

* * *

س ـ قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ دعاهم إلى ماذا؟

ج: دعاهم إلى العبادة والتوحيد والطاعة، فقد أمره الله بذلك.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: دعوتهم ليؤمنوا ويطيعوا فتغفر لهم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: اطلبوا مغفرة ذنوبكم من ربكم عزَّ وجل، وألا يؤاخذكم عليها يغفرها لكم ربكم ويتجاوز عنكم ويصفح.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه، وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم، إنه كان غفاراً لذنوب من أناب إليه وتاب إليه من ذنوبه.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات الدالة على أن الاستغفار سببٌ لاستدرار الأرزاق.

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقول نبي الله هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

* * *

الترغيب في الاستكثار من الذرية

س ـ كثرة البنين والذرية نعمة من الله، وقد رغب الله في ذلك وسأل الصالحون ربهم كثرة الذرية دلّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ في معرض الامتنان والتفضل: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [الإسراء: ٦].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقوله أيضًا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]

وقوله ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقول عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾. [الفرقان: ٧٤]

وقول النبي ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٥٦) وغيرهما، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا.

وقوله عليه السلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: .. ولد صالحٍ يدعو له**»(١).

وقول النبي ﷺ: «**إن الله عزَّ وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»(٢).

وقد يكون الولد شهيداً فيشفع في سبعين من أهل بيته(٣).

وقد يكون حاملاً لكتاب الله فيُكسى والده حلتين لا تقوم لهما الدنيا(٤).

وقد يموت في الصغر مع أخٍ له فلا تمسُّ النارُ والديه إلا تحلة القسم(٥).

* * *

س ـ هل ضوء الشمس والقمر ونورهما في السماء الثانية والثالثة وسائر السموات؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم:

فقال الطبري:

وقوله: ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً**﴾ يقول: وجعل القمر في السموات

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد (٢/ ٥٠٩) وسنده حسن.

(٣) أخرج الترمذي (حديث ١٦٦٣) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: . . . ويُشفَّع في سبعين من أقاربه». وهو صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨) بسند حسن من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٥١) ومسلم (٢٦٣٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يموت لأحدٍ من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم.

السبع نوراً وجعل الشمس فيهن سراجًا.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن قتادة[١]: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن شئتم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا...﴾ إلى آخر الآية.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاءً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يقول: ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابًا، فيصيِّركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يقول: ويخرجكم منه إذا شاء أحياء كما كنتم بشراً من قبل أن يعيدكم فيها، فيصيِّركم ترابًا إخراجًا.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن قوم نوح عصوه وتبعوا المترفين من

---

(١) هو صحيح عن قتادة عند الطبري (٣٥٠١٩)، ولكنه منقطع بين «قتادة» و«عبد الله بن عمرو» وله طريق آخر عند الطبري (٣٥٠٢٠) عن قتادة أيضًا.

أصحاب الأموال والأولاد الذين لم ينتفعوا بأموالهم ولا أولادهم إلا في الشر والفساد، فهؤلاء المترفون المفسدون أصبحوا أئمة لسائر قوم نوح، اقتدوا بهم في الشر والفساد والكفر والشبهات والشهوات.

قال الطبري رحمه الله:

﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ يقول: واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلىٰ ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزده كثرة ماله وولده إلا خسارًا، بُعدًا من الله، وذهابًا عن محجة الطريق.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نوح ـ عليه السلام ـ: إنه أنهىٰ إليه ـ وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء ـ أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة علىٰ الترغيب تارة والترهيب أخرىٰ: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ **وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ يعني: كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وهلاكًا في الآخرة. وقرأ أهل المدينة والشام وعاصم ﴿ **وَوَلَدُهُ** ﴾ بفتح الواو واللام. الباقون «وُلْده» بضم ا لواو وسكون اللام، وهي لغة في «الولد». ويجوز أن يكون جمعًا للولد، كالفُلك فإنه واحد وجمع.

* * *

س ـ ما هذا المكر الكبار الذي مكروه؟

ج: من ذلك قولهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

* * *

س ـ ما المراد بـ «ود» و«سواع» و «يغوث» و «يعوق» و «نسرًا»؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أن هؤلاء كانوا رجالاً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر؛ فعبدوهم.

وفي هذا أثر ابن عباس عند البخاري[1] ففيه: من طريق ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودٌّ: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعٌ: فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمرادٍ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان. وأما نسرٌ: فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع. أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت».

(١) البخاري (٤٩٢٠)، وهذا الأثر مُنتقد علىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ من جهة أن عطاء هو الخراساني ولم يسمع ابن جريج من عطاء الخراساني، ولمزيد انظر «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧) ومقدمة الفتح في الأحاديث المنتقدة.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن هذه الأسماء هي أسماءٌ لأصنامٍ كان قوم نوح يعبدونها.

وقد أخرج الطبري بإسناد حسن[١] عن قتادة قال:

قوله: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كان «ود» لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت «سواع» لهذيل برياط، وكان «يغوث» لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ، وكان «يعوق» لهمدان ببلخع، وكان «نسر» لذي كلاع من حمير، قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجراً.

بينما ذهب بعض العلماء إلىٰ أن هذه أسماء أولادٍ لآدم عليه السلام.

* * *

س ـ أهل الكفر يتواصون فيما بينهم بالثبات على الكفر، وأهل الإيمان يتواصون بالثبات على الحق والإيمان دلِّل على هذا وذاك.

ج: من الأدلة علىٰ تواصي أهل الكفر فيما بينهم بالثبات علىٰ الكفر والاستمرار فيه ما يلي:

قولهم لبعضهم: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

وقولهم لبعضهم: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وقول قوم

---

(١) الطبري (أثر ٣٥٠٢٩).

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري (٣٥٠٣١) أنه قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوحٍ. لكن السند إلىٰ ابن عباس هنالك ضعيف.

فرعون لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

[الأعراف: ١٢٧]

ومن الأدلة على تواصي أهل الإيمان بالحق: قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ٣-٤].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾.

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى: أن الذين أضلوا كثيراً هم المترفون الكفار الفساق من قوم نوح، فقد أضل هؤلاء المترفون أقواماً كثيرين، وصرفوهم عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان إلى الكفر.

بينما ذهب آخرون إلى أن الذين أضلوا كثيراً المراد بهم الأوثان والأصنام ضلَّ بسببها أقوام كثيرون.

وهاهي بعض أوقوال العلماء في ذلك:

قال الإمام الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قوم نوح: وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس، فنسب الضلال إذ ضل بها عابدوها إلى أنها المضلة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾، يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقًا كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم.

وقد قال الخليل ـ عليه السلام ـ في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ هذا من قول نوح؛ أي: أضلّ كبراؤهم كثيراً من أتباعهم؛ فهو عطف على قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾. وقيل: إن الأصنام ﴿أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ أي: ضلّ بسببها كثير؛ نظيره قول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] فأجرى عليهم وصف ما يعقل؛ لاعتقاد الكفار فيهم ذلك. ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ أي: عذاباً؛ قاله ابن بحر. واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]. وقيل: إلا خسراناً. وقيل: إلا فتنةً بالمال والولد. وهو محتمل.

* * *

بعض الأدلة على إثبات عذاب القبر لأقوام أعاذنا الله منه

س ـ اذكر بعض الأدلة على إثبات عذاب القبر.

ج: من ذلك من الآيات ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[1] [نوح: ٢٥].

وقوله تعالىٰ في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أما سُنَّةُ رسول الله ﷺ فمنها:

ما أخرجه البخاري ومسلم[2]: من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم! فقال:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: نقلوا من تيار البحار إلىٰ حرارة النار.

(٢) البخاري (حديث ٦٣٦٦) ومسلم (حديث ٥٨٦).

«**صدقتا؛ إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم**» قالت: فما رأيته بعد في صلاةٍ إلا يتعوذ من عذاب القبر.

ومن ذلك: جملة التعوذات الواردة من عذاب القبر، وهي جملة كثيرة جدًا ومنها:

ما أخرجه مسلم[1]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**».

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[2]: من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائطٍ لبني النجار على بغلةٍ له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أَقْبُرٌ ستة أو خمسةٌ أو أربعة ـ قال: كذا كان يقول الجريري ـ فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجلٌ: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل علينا بوجهه فقال «**تعوَّذوا بالله من عذاب النار**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «**تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن**» قالوا: نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قال:

---

(١) مسلم (حديث ٥٨٨).

(٢) مسلم (حديث ٢٨٦٧).

«**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿**ثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «**نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمدٌ ﷺ فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]».

ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله**»، قال: فدعا بعسيب رطبٍ فشقه باثنين. ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: «**لعله أن يُخفَّف عنهما، ما لم ييبسا**».

ومن ذلك: الحديث الوارد في فضل الشهيد، وأنه يُجار من عذاب القبر.

والأحاديث في عذاب القبر كثيرة جداً، وقد جُمعتْ في مصنَّفات.

وفي «صحيح مسلم»[٣]: من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر**».

ومن ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد[٤] في «مسنده»، وأخرجه غيره أيضاً

---

(١) البخاري (حديث ١٢٦٩) ومسلم (حديث ٢٨٧).

(٢) البخاري (حديث ٢١٨)، ومسلم (حديث ٢٩٢).

(٣) مسلم (حديث ٢٨٦٨).

(٤) أحمد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩).

بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض. فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملكُ الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني: بها على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدُهم، ومنها أُخرجهم تارةً أخرى**». قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى**

أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة».

* * *

س ـ الكفر والعصيان سبب لخراب العالم ـ دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح: ٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ـ٩١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٣ـ٥٤]:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

[الطلاق: ٨]

والأدلة علىٰ هذا كثيرة جداً.

❊ ❊ ❊

س ـ كيف أُغرقوا؟

ج: قال تعالىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١، ١٢] فصار الموج كالجبال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، فأغرقهم الله جميعًا بذلك، وأنجىٰ نوحًا والمؤمنين به.

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: لم يجدوا من دون الله أنصاراً ينصرونهم ولا وجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله ولا يدفعه عنهم.

* * *

س ـ هل يجوز الدعاء على الكافرين؟

ج: نعم، يجوز الدعاء علي الكافرين.

قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقال أيضاً: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وقال نبي الله موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

وقال النبي ﷺ[1]: «اللهم عليك بقريش».

* * *

س ـ هل استجاب الله دعاء نبيه نوح عليه السلام؟

ج: نعم، قد استجاب الله دعاء نبيه نوح عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٠ـ١٢].

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (حديث ١٧٩٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

* * *

س ـ كيف عرف نوح أن القوم لن يلدوا إلا فاجرًا كفَّارًا؟

ج: الله أخبره بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] وعرف ذلك أيضًا باستقراء أحوالهم وخبرته بهم.

* * *

س ـ لماذا دعا نبي الله نوح عليه السلام على قومه؟

ج: ذلك لأمرين:

أحدهما: قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

الثاني: أن هؤلاء القوم سيضلون غيرهم، قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

هذا، وقد أخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أما والله ما دعا عليهم حتىٰ أتاه الوحي من السماء: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] ثم دعاه

(١) الطبري أثر (٣٥٠٣٧).

دعوة عامة فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ . . . إلى قوله ﴿تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]

* * *

س ـ ما المراد بالبيت في قوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالبيت هنا: المسجد والمُصلَّى.

* * *

شيء من المستفاد من دعوة نبي اللَّه نوح عليه السلام

س ـ ينبغي أن يستفيد الدعاةُ إلى اللَّه من طريقة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لقومهم، فما الذي يستفاد من طريقة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام في دعوته لقومه؟

ج: يستفاد من ذلك أمور:

أحدها: صبر نبي الله نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قومه، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا.

الثاني: تذكير نوح لقومه بأهم الأمور: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾. [نوح: ٣]

الثالث: تنويع سبل الدعوة إلى الله، فمن الناس من قد تنفعه دعوة السر، وآخر ينتفع بالدعوة في العلن.

الرابع: الترغيب والترهيب، وبيان فضل الإيمان والطاعات وعاقبة الكفر والمعاصي والمخالفات.

الخامس: التذكير بنعم الله وآلائه وعظمته وقدرته، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٥ ـ ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وكل هذا مما ينبههم به نوح ـ عليه السلام ـ على قدرة الله وعظمته في خلق

السماوات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً، والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد، لأنه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير.

السادس: تقريب أهل الإيمان وعدم طردهم، سواءً كانوا فقراء أو أغنياء.

* * *

سورة الجن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا
عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ
وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ
مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا
وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ
ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نفرٌ ـ قرآنًا ـ عجبًا ـ يهدي إلى الرشد ـ فآمنا ـ لن نشرك بربنا أحدًا ـ جدُّ ربنا ـ تعالى جد ربنا ـ صاحبة ـ سفيهنا ـ شططا ـ يعوذون ـ رهقًا ـ لمسنا السماء ـ حرسًا ـ شُهبًا ـ مقاعد للسمع ـ شهابًا رصدًا؟

ج:

الكلمة	معناها
نفرٌ	جماعة (من الثلاثة إلى العشرة).
قرآنًا	كلامًا مقروءًا (وهو القرآن الكريم).
عجبًا	ذو عجبٍ (في فصاحته وبلاغته ومواعظه وأمره ونهيه وبركته وفي كل شيء) مُعجب ـ عظيمًا.
يهدي إلى الرشد	يدل على الحق والصواب ـ يهدي لأرشد الأمور وأفضلها.
فآمنا به	فصدقنا به وأيقنا أنه من عند الله عزَّ وجل.
لن نشرك بربنا أحدًا	لن نتخذ معه إلهًا آخر.
جدُّ ربنا	عظمة ربنا ـ جلال ربنا ـ أمر ربنا.
تعالى جدُّ ربنا	تعالى جلاله وتعالت عظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد ـ تنزه جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد (أي: أن منزلة ربنا وجلال ربنا وعظمة ربنا لا تتناسب أبدًا بحالٍ من الأحوال أن يتخذ زوجة أو ولدًا).
صاحبة	زوجة.

الكلمة	معناها
سفيهنا	جاهلنا ـ (وهو الشيطان) .
شططا	ظلمًا وافتراءً وشدة في الافتراء والكذب . بُعدًا شديدًا عن الحق، وبعدًا عن التوحيد إلى الشرك، ودليله : آية مشابهة في شأن الفتية أصحاب الكهف : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤] .
يعوذون	يستجيرون .
رهقا	إثمًا ـ طغيانًا ـ خوفًا .
لمسنا السماء	طلبنا خبرها ـ قصدناها واتجهنا إليها واقتربنا منها .
حرسًا	حُرَّاسًا ـ حفظةً ـ ملائكة يحرسونها ويحفظونها .
شُهبًا	جمع «شهاب»، وهي أجزاء من النجوم ترمى بها الشياطين، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافات: ٦ـ٨]
مقاعد للسمع	مجالس للاستماع والتصنت على حديث الملائكة وهم يتحدثون .
شهابًا رصدًا.	شهابًا قد أُعد له وأُرصد له .

س ـ الخطاب في قوله: ﴿قُلْ﴾ موجهٌ لمن؟ ولمن أُمر أن يقول؟ ولماذا أمر بهذا الأمر؟

ج: الخطاب مُوجَّهٌ للنبي ﷺ وأُمر أن يقول ذلك للناس؛ وذلك كي يعلم الناس أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن أنصتوا له وآمنوا به وعرفوا أنه من عند الله.

وذلك أيضًا: كي يعلم الناس أن النبي ﷺ مرسل للثقلين (الإنس والجن).

وفي هذا أيضًا توبيخٌ للكفار من بني آدم، حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس، لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرارًا متعددة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة، مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم، لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون.

ذكر ذلك صديق حسن خان رحمه الله في «فتح البيان».

* * *

س ـ لمن قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾؟

ج: قالوا ذلك لقومهم، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ**﴾.

[الأحقاف: ٢٩]

* * *

س ـ اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾؟

ج: سبب النزول هذا هو: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهُب. قالوا: ما ذاك إلا من شيءٍ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغار بها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنخل، عامدين إلى سوق عكاظٍ. وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ـ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٩٢١) ومسلم (حديث ٤٤٩) والحديث عند البخاري لفظه: «ما قرأ رسول الله على الجن وما رآهم».

وعند البخاري من الزيادة بعد قوله: «وأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ زيادة: «وإنما أوحى الله إليه قول الجن».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري»:

قوله: «وإنما أوحى إليه قول الجن» هذا كلام ابن عباس، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولاً أنه ﷺ لم يجتمع بهم، وإنما أوحى الله إليه أنهم استمعوا، ومثله قوله تعالى: ﴿وإذ =

س ـ هل رأى النبي ﷺ هؤلاء النفر من الجن؟

ج: الظاهر أنه في هذه المرة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] لم يرهم النبي ﷺ، وذلك للأدلة التالية:

الدليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، فالمعنىٰ: قل يا محمد لأمتك: إنه أوحي إليَّ ـ أي علىٰ لسان جبريل عليه السلام ـ أنه استمع نفرٌ من الجن.

فكون النبي علىٰ ذلك إنما هو بطريق الوحي إليه، فدلَّ ذلك علىٰ عدم رؤيته لهم له هذه المرة.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فأوحىٰ الله إليك بذلك أيضًا، وفيه إشارة إلىٰ أنه لم يكن رآهم.

الثالث: ما ثبت في «الصحيح»: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم»(١).

* * *

= صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩]. ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك كما تقدم تقريره.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمىٰ واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند البخاري بدون ذكر هذه اللفظة.

وهذا المذكور من قول ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو علىٰ قدر علمه في هذا الباب، فإذا ورد عن صحابي آخر غير ذلك عملنا به وسيأتي إن شاء الله.

س ـ هل قرأ الرسول ﷺ على الجن وهو يعلم أنهم يستمعون إليه؟

ج: هذا في مواطن دون مواطن، فقد قرأ عليهم أحيانًا وهو يعلم استماعهم له، وقرأ أحيانًا أُخَرَ وهو لا يعلم، فالوقت الذي قرأ عليهم فيه وهو لا يعلم أخبره الله به في قوله: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ**﴾ [الجن: ١]، أما الوقت الذي قرأ عليهم فيه وهو يعلم باستماعهم، ففيما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من طريق عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا؛ ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب[٢]؛ فقلنا: استطير[٣] أو اغتيل[٤]. قال فبتنا بشر ليلةٍ بات بها قومٌ. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلةٍ بات بها قومٌ. فقال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

* * *

س ـ ما مدى صحة تسمية الجن بالأرواح السفلية؟

ج: ليس على هذا دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فيما

---

(١) مسلم (حديث ٤٥٠).

(٢) «الشِّعب» جمع شعب، وهو الطريق (وقيل: الطريق في الجبل).

(٣) «استطير» أي طارت به الجن.

(٤) «اغتِيل»: قتل سِرًا.

علمت، ولكن الذي علمته أن الفلاسفة ـ من آمن منهم بالجن ـ[١] يطلقون على الجن الأرواح السفلية، وهذا إطلاق ليس عليه دليل كما قدمت.

* * *

بعض الأدلة على وجود الجن

س ـ اذكر بعض الأدلة على وجود الجن من الكتاب والسنة.

ج: الأدلة على هذا في غاية الكثرة، نذكر منها فقط ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾. [الأحقاف: ٢٧]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أما الأحاديث: فمنها أيضًا على سبيل التذكير ببعضها فقط:

ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] (واللفظ لمسلم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «...**أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**».

---

(١) وإلا فمعظم الفلاسفة ينكرون وجود الجن.

(٢) البخاري (حديث ٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

- وقول النبي ﷺ: «... فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»(١).

وقول النبي ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة..» الحديث(٢).

* * *

س - اذكر ما يدل على أن الرسول ﷺ بُعث للثقلين (الإنس والجن).

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٣-١٥].

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

[الفرقان: ١]

وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري (حديث ٤٦١) ومسلم (حديث ٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قول الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: تعالت عظمة ربنا وتعالىٰ مقامه عن اتخاذ الزوجة والولد، فإن اتخاذ الصاحبة يكون لاستئناس بها ولإشباع شهوة ورغبة، واتخاذ الولد يكون لضعف ولطلب عِزْوة، وكل ذلك غير موجود في حق الله سبحانه وتعالىٰ؛ فهو العزيز الواحد الأحد الفرد الصمد.

هذا والجد يطلق علىٰ الحظ، والمعنىٰ: إن الله سبحانه وتعالىٰ بكمال قدرته وبما له من الملك والسلطان والقدرة والعظمة والأمر النافذ في الخلق، تعالىٰ من كانت هذه صفته، وكانت تلك منزلته عن اتخاذ الصاحبة والولد.

هذا ومن إطلاق الجد علىٰ الحظ قوله ﷺ: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1].

قال الطبري رحمه الله:

وهذا المعنىٰ الذي قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا**﴾ إن شاء الله؛ وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطرّه الشهوة الباعثة إلىٰ اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلىٰ الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجنّ: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خَلْقه الذين تضطرّهم الشهوةُ إلىٰ اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيءٍ يكون منه ولدٌ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٤) وهو في ذكرٍ يقال بعد الركوع.

س ـ وضح معنى قول الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

ج: المعنى: وأنا حسبنا أن الإنس والجن سيصدقون في نقلهم عن الله سبحانه وتعالىٰ، ولن يفتروا علىٰ اللَّه الكذب، ولكنا فوجئنا بأنهم يكذبون علىٰ الله ويتمالئون علىٰ ذلك، وينسبون لله الولد ويدَّعون له الصاحبة، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون علىٰ الله عزَّ وجل.

* * *

س ـ هل هناك من يكذب على الله وينسب إليه ما لم يقله؟ دلِّل على ما تقول.

ج: نعم هناك من يفتري ويكذب علىٰ الله وينسب إليه الله ما لم يقله.

يوضح ذلك ويدل عليه ما يلي:

قوله تعالىٰ في شأن أقوام: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

[آل عمران: ٧٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ﴾ [الصف: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

[الأنعام: ١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧]

وقوله الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥].

فقد كانوا يظنون فيهم الأمانة ولكن وجدوهم كذبة.

وقال تعالىٰ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ

لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

[البقرة: ٧٩]

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن رجالاً من الإنس كان يلجأون إلى الجن يطلبون منهم حمايتهم وحفظهم، ومنعهم ممن أرادهم بسوء، فلما رأت الجن منهم هذا الصنيع، ظهر للجن أن لهم فضلاً على هؤلاء الإنس فزادوهم إرعابًا وإخافة وذعرًا؛ حتى يستمروا في اللجوء إليهم والعوذ بهم.

فقوله: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: زادت الجنُ الإنسَ ﴿ رَهَقًا ﴾ أي: خوفًا وذعرًا ورعبًا، وكذا زادتهم آثامًا بلجوئهم إليهم.

ويحتمل أيضًا أن يكون قوله: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: زادوهم إثمًا وطغيانًا، أي: أن الجن ازدادت طغيانًا وارتكبت آثامًا بسبب استعاذة الإنس بهم، وكذا زادوهم استحلالاً لمحارم الله عزَّ وجل.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقوله: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجلٍ كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي:

خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: ازدادت الجن عليهم جرأة. وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجنّ الأذىٰ عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم[1]: حدثنا أبو سعيد يحيىٰ بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخرّيت، عن عكرمة قال: كان الجن يفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

* * *

(١) هذا سند صحيح إلىٰ عكرمة، لكني في ريب من سماع ابن أبي حاتم من يحيىٰ بن سعيد القطان رحمه الله، وفي بعض النسخ: أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد. ولا أعرف ليحيىٰ ابن سعيد ولدًا كنيته أبو سعيد، إنما «أبو سعيد» كنية يحيىٰ بن سعيد.

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ: حدثنا أبو سعيد، عن يحيىٰ بن سعيد. وأبو سعيد هو الأشج، وهو: عبد الله بن سعيد الأشج شيخ ابن أبي حاتم، وهو ثقة.

ولا دليل على الاستعانة بالجن المسلم

س ـ هل يجوز الاستعانة بالجن المسلم والتعوذ بهم؟

ج: لا يجوز هذا.

ومن الأدلة على عدم الجواز ما يلي:

أولاً: وجود الجن زمن النبي ﷺ، ولم يرد أن النبي ﷺ استعان بهم في شيء من أمره، فقد غزا غزوات، وحفر الخندق، وفقدت منه أشياء، واحتاج إلى أشياء، ولم يرد في خبرٍ ثابتٍ ـ فيما وقفت عليه ـ أن النبي ﷺ استعان بالجن في شيءٍ من ذلك.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨ـ١٢٩].

أما ما ورد عن نبي الله سليمان عليه السلام، وقوله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، إلى غير ذلك من الآيات، فهذا خاصٌّ بسليمان عليه السلام، فقد قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن الجن ظنت كما ظن كفار الإنس أن الله لن يبعث رسولاً.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسًا شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرىٰ من الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز؛ ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩] أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾... حتىٰ بلغ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

فلما وجدوا ذلك رجعوا إلىٰ إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قطّ إلا علىٰ أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله

على أهل الأرض بغتة، وإما نبيّ مرشد مصلح، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

* * *

س ـ هل الجن الآن يستطيعون خطف شيءٍ من حديث الملائكة؟

ج: ورد من ظواهر بعض النصوص أنهم قد يخطفون الكلمة فيلقونها على أفواه الكهان، فيكذب الكهان مع الكلمة مائة كذبة، لكن الجن يحترقون بعد ذلك الإلقاء أو قَبْله كما في «صحيح البخاري»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ: قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان[2] بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا كذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**».

* * *

س ـ هل الجن تحاول الاستماع الآن مع الحراسة الشديدة؟

ج: نعم، هي تحاول الاستماع إلى أحاديث الملائكة، لكن ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ

---

(١) حديث (٤٨٠٠).

(٢) «سفيان» هو أحد رجال الإسناد.

الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

[الصافات: ٦ ـ ١٠]

بينما ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الجن لا تستطيع السماع الآن بحالٍ من الأحوال، ولا تستطيع أن تخطف أية كلمة بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]. والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1]:

فإن قيل: إذا كان الرمي بها غلظ وشدد بسبب نزول الوحي فهل انقطع بانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ ونحن نشاهدها الآن يرمىٰ بها؟

فالجواب: يؤخذ من حديث الزهري المتقدم، ففيه عند مسلم قالوا: كنا نقول: وُلِد الليلة رجلٌ عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمرًا أخبر أهل السماوات بعضهم بعضًا، حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا، فيخطف الجن السمع فيقذفون به إلى أوليائهم**».

فيؤخذ من ذلك: أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لما يتجدد من الحوادث التي تلقىٰ بأمره إلىٰ الملائكة، فإن الشياطين مع شدة التغليظ عليهم

(١) «فتح الباري» (شرح حديث ٤٨٠٠).

في ذلك بعد المبعث لم ينقطع طمعهم في استراق السمع في زمن النبي ﷺ فكيف بما بعده؟!

وقد قال عمر[١] لغيلان بن سلمة لما طلق نساءه: «إني أحسب أن الشياطين فيما تسترق من السمع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك... الحديث»، أخرجه عبد الرزاق وغيره.

فهذا ظاهر في أن استراقهم السمع استمر بعد النبي ﷺ، فكانوا يقصدون استماع الشيء مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك. إلا إن اختطف أحدهم بخفة حركته خطفة، فيتبعه الشهاب، فإن أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه فاتت وإلا سمعوها وتداولوها، وهذا يرد على قول السهيلي المقدم. اهـ.

* * *

(١) أخرج عبد الرزاق (١٢٢١٦) بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: طلَّق غيلان بن سلمة الثقفي نساءه، وقسّم ماله بين بنيه قال: في خلافة عمر، فبلغ ذلك عمر فقال: طلقتَ نساءك وقسمتَ مالك بين بنيك؟ قال: نعم، قال: والله إني لأرى الشيطان فيما يسرق من السمع سمع بموتك فألقاه في نفسك، فلعلك أن لا تمكث إلا قليلاً، وايم الله لئن لم تراجع نساءك، وترجع في مالك لأورثهن منك إذا مت، ثم لآمرن بقبرك فليرجمنَّ، كما رجم قبر أبي رغال.

وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ
ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي
ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ
فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا
﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟
عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ
عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

رشداً ـ الصالحون ـ دون ذلك ـ طرآئق قددا ـ لن نعجز الله ـ لن نعجزه هربا ـ الهدى ـ بخسًا ـ رهقًا ـ القاسطون ـ أسلم ـ تحروا رشدا ـ حطبا ـ الطريقة ـ ماء غدقًا ـ لنفتنهم ـ يسلكه ـ صعداً.

ج:

الكلمة	معناها
رشداً	خيراً ـ صلاحًا.
الصالحون	المسلمون العاملون بطاعة الله.
دون ذلك	غير ذلك.
طرائق قدداً	«الطرائق» جمع «طريقة» (أي: طريقة الشخص ومذهبه) وقدداً جمع (قدَّة) وهي الضروب والأجناس المختلفة. والمعنى: كنا فِرقًا مختلفة الأهواء متشعبة الآراء[1].
لن نعجز الله	لن يعجز عنا ربنا إذا أرادنا[2]، ولن نستطيع الهرب منه ـ لن نفوته ولن نغلبه إذا طلبنا.

(١) فكما قال بعض العلماء: منهم الكافر والمسلم، والظالم والعادل، والسنُّي والمبتدع وصاحب الكبيرة والتواب، والداعي إلى الله والداعي إلى الشر، والعالم والجاهل و.... وروى الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿كنا طرائق قددا﴾: كان القوم على أهواء شتى.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح قال: صالح وكافر.

(٢) أي: أنهم اعترفوا بقدرة الله عليهم وبعجزهم عن الفرار منه.

قال السعدي في تفسيره: «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا﴾ أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا =

الكلمة	معناها
لن نعجزه هربًا	لن نفوته هاربين، إذا أردنا الهرب فلن يعجز ربنا عن الإتيان بنا.
الهدى	القرآن.
بخسًا	نقصًا من حسناته.
رهقًا	إثمًا (يُحمل عليه من سيئات غيره) ـ زيادة في سيئاته (أي: لن يُرهق بحمل سيئات غيره).
القاسطون	الجائرون عن الإسلام، المنحرفون عن الحق ـ الظالمون.
أسلم	خضع واستسلم، وانقاد وأطاع.
تحروا رشدًا	طلبوا لأنفسهم النجاة ـ تعمدوا الرشد والصواب في دينهم والتمسوه وبحثوا عنه وعملوا به.
حطبًا	وقودًا.
الطريقة	طريق الاستقامة والإسلام والإيمان وقيل: طريق الكفر)[1].
ماءً غدقًا	ماءً كثيرًا طاهرًا، وقيل: مالاً[2] كثيرًا حلالاً ـ لوسعنا

= كمال قدرة الله، وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله، فلن نعجزه في الأرض، ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا﴾ أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه قادر، لا يعجزه أحدٌ منا.

(١) وسيأتي الكلام عليه باتساع ـ إن شاء الله.

(٢) ورد عن عمر بإسنادٍ ضعيف أنه قال: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة».

الكلمـــة	معنـاهـــا
	عليهم في الأرزاق وبسطنا عليهم من الدنيا ـ عيشًا رغدًا
لنفتنهم	لنختبرهم ونبتليهم .
يسلكه	يُدخله
صعدًا	شديدًا شاقًا ـ وقيل : جبل في جهنم[1] عذابًا لا راحة فيه ـ مؤلمًا

(١) ورد ذلك عند الطبري (٣٥١٢٣) عن ابن عباس بإسناد ضعيف فيه سماك عن عكرمة ، ورواية سماك عن عكرمة ضعيفة .

س ـ في قول الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أدبٌ في النقل عن الله سبحانه وتعالى، وضح الأدب مع التدليل عليه بأدلة أُخر.

ج: هذا الأدبُ يتمثل في:

التأدُّب في الألفاظ مع الله عز وجل؛ فأسند الشر إلى غير فاعل، أما الخير فأضافوه إلى الله عزَّ وجل، هذا مع أن الأمور كلها خيرها وشرها قدَّرها الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] وكما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، لكن من أدب الجن أنهم ـ كما بينا ـ نسبوا الشر إلى غير فاعل فقالوا: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾، أما الرَّشَدُ والخيرُ فنسبوه إلى الله بقولهم: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

ومن الأدلة على هذا المعنى:

قول الخضر لموسى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب عيب السفينة إلى نفسه مع أنه فعل ذلك بوحيٍ لقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

ونحوه في قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] ثم قال: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وكذلك في الجدار قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا

كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

مع أنه ـ كما قدمنا ـ فعل كل ذلك بوحي.

ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ـ٨٠] ونحو ذلك في الحديث: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»(١).

* * *

س ـ هل يدخل مؤمنو الجن الجنَّة؟

ج: هذا هو الظاهر من العمومات الواردة في كتاب الله عزَّ وجل، أن مؤمني الجن وعاملي الصالحات منهم يدخلون الجنة

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن غاية الأمر بالنسبة لمؤمني الجن أن الله ينجيهم من النار؛ لعدم وجود دليل صريح يفيد دخولهم الجنة، أما الدليل

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٧١) من حديث عليّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين...» فذكر الحديث، وفيه: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشرّ ليس إليك».

الصريح ففي نجاتهم من النار فحسب كما قال تعالىٰ: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وكقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

لكن النصوص العامة التي قدمناها مع نظيراتها من النصوص تدل على دخول مؤمني الجن الجنة، والله أعلم.

* * *

س ـ أي طريقة هي التي عناها الله بقوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أولهما وأشهرهما: أن المراد بالطريقة طريقة الحق والاستقامة والإيمان، ومما يتأيد به هذا: أن الاستقامة سببٌ لسعة الأرزاق، ومن ثمَّ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

ومما يدل على هذا المعنى أيضًا ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

ونحوه: قول نوح عليه السلام: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقول نبي الله هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

القول الثاني (في تفسير الطريقة): أنها طريقة الكفر، فالمعنىٰ: وأن لو استقاموا علىٰ طريقتهم التي هم عليها في الكفر لوسعنا عليهم في الأرزاق، نستدرجهم بذلك كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وكما قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦].

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

* * *

س ـ ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؟

ج: المراد بالذكر هنا: القرآن، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ
ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ
يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ
بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

يدعوه ـ لبدا ـ لن يجيرني ـ مُلتحدا ـ أمدًا ـ الغيب ـ يُظهر ـ ارتضى ـ رصَدًا ـ أحاط بما لديهم ـ أحصى كل شيءٍ عددًا.

ج:

الكلمة	معناها
يدعوه	يدعو إلى سبيله وتوحيده بقول: «لا إله إلا الله» وبتلاوة كتابه.
	يسأله وحده، ولا يسأل أحدًا سواه.
لِبدًا	جماعات كثيرة (بعضها فوق بعض)، ومنه: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾ أي كثيرًا، وهذا أيضًا من قولهم تلبد الشيء على الشيء.
لن يجيرني	لن يدفع عني العذاب إن أراد بي عذابًا.
مُلتحدًا	ملجأ (ألجأ إليه) ـ نصيرًا ينصرني.
أمدًا	غاية معلومة (قد تطول مدتها) ـ أجلاً.
الغيب	ما غاب عن الخلق.
يُظهر	يُطلع ـ يخبر.
ارتضى	اصْطفى واختار.
رصدًا	يرصدون ويتابعون من يريد إدخال شيءٍ في القرآن فيمنعونه ـ حفظةً يحفظونه.

الكلمـــة	معنـاهـــا
أحاط بما لديهم	علم بكل ما عندهم .
أحصى كل شيء عدداً	علم عدد الأشياء كلها فلم يخف عليه منها شيء .

س ـ ما وجه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؟

ج: ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ: لأن اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا الكنائس والبِيع أشركوا بالله فيها؛ فأمر الله المؤمنين إذا دخلوا المساجد أن يوحدوه وأن يخلصوا له العبادة والدعاء.

ومِن ثمَّ تضافرت النصوص التي تنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

وأيضًا؛ حتىٰ ينصرف الشخص عن الرياء.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالمساجد هنا مواضع السجود، فالمعنىٰ: لا تسجدوا إلا لله..

* * *

س ـ الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ من أي أنواع الإضافة؟

ج: هي إضافةُ ملكٍ وإضافةُ تشريفٍ.

* * *

س ـ اذكر أمثلة أُخر لإضافات التشريف.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ في شأن ناقة صالح: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤].

فكل النوق لله، لكن وسمت ناقة صالح بأنها ناقة الله لبيان شرفها وعلو منزلتها.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ هل يجوز أن يُقال: مسجد فلان أو مسجد بني فلان؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى جواز ذلك، ومما يستدل لهم به ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وأمَدُها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريقٍ، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها.

بينما منع من ذلك بعض العلماء مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

والظاهر: التفصيل بين ما إذا كان هذا الإطلاق والتسمية للتعريف وبين ما إذا كان طلبًا للشهرة والسمعة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث المتقدم: «ويستفاد منه: جواز إضافة المساجد إلى بانيها أو المصلي فيها، ويلتحق به جواز إضافة أعمال البر إلى أربابها، وإنما أورد المصنف الترجمة بلفظ الاستفهام لينبه على أن فيه احتمالاً، إذْ يحتمل أن يكون ذلك قد علمه النبي ﷺ بأن تكون هذه الإضافة وقعت في زمنه، ويحتمل أن يكون ذلك مما حدث بعده، والأول أظهر، والجمهور على الجواز، والمخالف في ذلك إبراهيم النخعي فيما رواه ابن أبي شيبة عنه: أنه كان يكره أن يقول: مسجد بني فلان، ويقول: مُصلَّى بني فلان، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾.

وجوابه: أن الإضافة في مثل إضافة تمييز لا ملك». اهـ.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٢٠).

س ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ معطوفٌ على ماذا؟

ج: من العلماء من قال: معطوف على قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وقل أوحي إليَّ أيضًا: ﴿أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

ومن أهل العلم من قال: هو معطوف على قول مؤمني الجن لإخوانهم فإنهم قالوا لهم . . . . ، وقالوا واصفين رسول الله ﷺ وأصحابه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] وقد قدَّمنا أقوالاً للعلماء في ذلك، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ مَنِ الذين كادوا يكونون عليه لبدا؟ ولماذا كادوا يكونون عليه لبدًا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الذين كادوا يكونون عليه لبدًا هم الجن كادوا يكونون على رسول الله ﷺ لبدًا أي جماعات يركب بعضهم بعضًا من شدة الزحام على رسول الله ﷺ للاستماع منه حين يقرأ القرآن.

الثاني: أن الذين كادوا يكونون عليه لبدًا هم أصحابه رضي الله عنهم، كادوا من حرصهم على استماع القرآن منه أن يركب بعضهم بعضًا من شدة الزحام، فالجن تصف أصحاب رسول الله ﷺ بذلك.

الثالث: أن الذين كادوا يكونون عليه لبدا هم كفار الإنس والجن، وتلبدوا عليه واجتمعوا عليه محاولين إبطال الحق وإطفاء نور الله الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، والتشويش على القرآن.

الرابع: أن الجن أخبرت قومها بالذي رأته من رسول الله ﷺ وأصحابه، فقد عجبوا من صلاته وصلاة أصحابه وهم يأتمون به، ويركعون بركوعه ويسجدون بسجوده[1].

هذا وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى قولاً نحواً من القول الثالث فقال:

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعًا في إطفاء نور الله.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب؛ لأن قوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن: ١٩] عقيب قوله: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**﴾ وذلك من خبر الله، فكذلك قوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن: ١٩].

وأخرى: أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨] فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة» اهـ.

---

(١) أخرج الطبري (٣٥١٣٣) عن ابن عباس، قال: قول الجن لقومهم: ﴿وأنه لمّا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: ١٩] قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم: لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الحسن[١] قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله»، ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد[٢] قال: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: جميعًا.

وفي رواية صحيحة[٣] عنده عن ابن زيد أيضًا قال: واللبد: الشيء الذي بعضه فوق بعض.

وبإسناد حسن عن قتادة قال[٤]: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾.

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: لا أقدر على دفع ضُرٍّ عنكم ولا سوق خيرٍ إليكم.

الثاني: لا أقدر على دفع الكفر والضلال عنكم، ولا أملك هداية لكم، إنما ذلك موكولٌ إلى الله سبحانه.

---

(١) الطبري (٣٥١٣٨)

(٢) الطبري (٥٣١٤٣).

(٣) الطبري (٣٥١٤٤).

(٤) الطبري (٣٥١٣٥).

الثالث: لا أملك لكم عذابًا ولا نعيمًا.

الرابع: لا أملك لكم موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: بلاغي عن الله ما كلفني به وبتبليغه هو الذي ينجيني من عذابه ويحفظني، وكذا عملي برسالاته.

وقول آخر: ولن أجد من دونه ملتحدًا إن لم أُبلغ ما أمرت به.

* * *

س ـ قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ مستثنى من ماذا؟

ج: هذا يحتمل وجهين:

أولهما: أنه مستثنىً من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾. [الجن: ٢١]

فيكون المعنى ـ كما قال الطبري رحمه الله:

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢٣] يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم، فأما الرشد والخذلان فبيد الله، هو مالكه دون سائر خلقه يهدي من يشاء ويخذل من أراد» اهـ.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: قوله: ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢٣] فذلك الذي أملك بلاغًا من الله ورسالاته.

والثاني: أنه مستثنىٰ من قوله ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢] فيكون المعنىٰ: قل: إني لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

ذكر ذلك الأخير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

* * *

س ـ هل كل من يعصي الله ورسوله له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا؟

ج: ليس الأمر كذلك، إلا إذا أُريد بالمعصية المعصية في التوحيد والعبادة، فالذي يعصي ويشرك بالله له الخلود في النار والعياذ بالله.

وقول آخر ـ إذا حملنا المعصية على عمومها ـ: خالدين فيها أبدًا إلا أن تلحقهم شفاعة.

قال القرطبي رحمه الله:

ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا علىٰ الإيمان يلحقهم العفو.

قلت: ونحو هذا المعنىٰ في آية النساء أيضًا: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

فلزامًا من الجمع بين هذا وبين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، وهذا الجمع يتمثل فيما قدمناه، والله أعلم.

* * *

س ـ لماذا قيل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: خالداً فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

وجمع (خالدين) لأن المعنى لكل من عقل ذلك، فوحَّد أولاً للفظ ﴿مَن﴾ ثم جمع للمعنى.

* * *

س ـ ما المراد بالذي يوعدون في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: العذاب في الدنيا أو القيامة، كما فُسر ذلك في آية أخرى، إذ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الرسول ﷺ لا يعلم متى الساعة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾.

[الجن: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ـ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ

حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقول النبي ﷺ، وقد سئل عن الساعة: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»(١).

* * *

س ـ اذكر بعض أمور الغيب التي أخبر الله بها نبيه ﷺ.

ج: من ذلك أمور شتىٰ من كتاب الله عزَّ وجل؛ فإخباره بالجنة والنار والثواب والعقاب وكل ما هو آت داخل في أمور الغيب.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢، ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

أضف إلىٰ ذلك: عموم الأشراط الكبرىٰ والصغرىٰ للساعة التي بينها النبي ﷺ في عدة أحاديث؛ وكذا أحاديث الفتن والملاحم.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٥٠) ومسلم (حديث ١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وهو عند مسلم أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا [حديث ٨].

وهذا وذاك في جواب النبي ﷺ علىٰ سؤال جبريل عليه السلام: «متىٰ الساعة؟» أو: «فأخبرني عن الساعة؟».

س ـ هل تفسير الغيب بقوله تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ بيوم القيامة فقط؛ هل هو تفسير صحيح؟

ج: قصر تفسير الغيب هنا على يوم القيامة ليس بصحيح، بل الغيب هنا عامٌّ، فيدخل فيه يوم القيامة وكل ما غاب عن علم البشر.

والدليل على خطأ قصر التفسير على يوم القيامة: أن الله تعالى قال: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ومن المعلوم أن الله لم يطلع المرسلين على وقت قيام الساعة بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ على أنه سبحانه أطلع بعض الرسل على بعض الغيب.

فلما لمن يكن قد أطلعهم على وقت القيامة، فقد أطلعهم على بعض الغيوب.

فعليه، فلزامًا أن يتسع تفسير الغيب في قوله تعالى: ﴿**عالم الغيب**﴾ حتى يخرج منه القدر الذي أخبر الله به بعض رسله، والبعض الذي استأثر الله بعلمه ومنه يوم القيامة، والله أعلم.

أما الذي فسر الغيب هنا بيوم القيامة فقط فهو الرازي ـ عفا الله عنه ـ وقد تعقبه كثير من العلماء، فقال عفا الله عنه:

والذي تدل عليه ـ يعني الآية الكريمة ـ أن قوله: ﴿**على غيبه**﴾ ليس فيه صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه، فنحمله على وقت وقوع القيامة، فيكون المراد من الآية: أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد، فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر

شيئًا من الغيوب لأحد، والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالىٰ إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٦] يعني: لا أدري وقت وقوع القيامة، ثم قال بعده: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ أي: وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد.

وبالجملة: فقوله ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ لفظ مفرد مضاف، فيكفي في العمل به حمله علىٰ غيب واحد، فأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه.

فإن قيل: فإذا حملتم ذلك علىٰ القيامة، فكيف قال: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله؟

قلنا: بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة، وأيضًا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا، كأنه قال: عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيب المخصوص وهو قيام القيامة أحدًا، ثم قال بعده لكن من ارتضىٰ من رسول ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن، لأنه تعالىٰ إنما ذكر هذا الكلام جوابًا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة علىٰ سبيل الاستهزاء به والاستحقار لدينه ومقالته.

واعلم أنه لابد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يُطلع أحدًا علىٰ شيء من المغيبات إلا الرسل، والذي يدل عليه وجوه:

أحدها: أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن «شقًا» و«سطيحًا» كانا كاهنين يخبران بظهور نبينًا محمد ﷺ قبل زمان ظهوره، وكانا في العرب

مشهورين بهذا النوع من العلم، حتىٰ رجع إليهما كسرىٰ في تعرف أخبار رسولنا محمد ﷺ، فثبت أن الله تعالىٰ قد يطلع غير الرسل علىٰ شيء من الغيب.

وثانيها: أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون علىٰ صحة علم التعبير، وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل، ويكون صادقًا فيه.

وثالثها: أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان «سنجر بن ملك شاه» من بغداد إلىٰ خراسان، وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل فذكرت أشياء، ثم إنها وقعت علىٰ وفق كلامها.

قال مصنف الكتاب ـ ختم الله له بالحسنى ـ:

وأنا قد رأيت أناسًا محققين في علوم الكلام والحكمة، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخبارًا علىٰ سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع علىٰ وفق خبرها، وبالغ أبو البركات في كتاب «المعتبر» في شرح حالها، وقال: لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتىٰ تيقنتُ أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا.

ورابعها: أنا نشاهد ذلك في أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًا بالأولياء، بل قد يوجد في السحرة أيضًا من يكون كذلك نرىٰ الإنسان الذي يكون سهم الغيب علىٰ درجة طالعه يكون كذلك في كثير من أخباره، وإن كان قد يكذب أيضًا في أكثر تلك الأخبار، ونرىٰ الأحكام النجومية قد تكون مطابقة وموافقة للأمور، وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها، وإذا كان ذلك مشاهدًا محسوسًا، فالقول بأن القرآن يدل علىٰ خلافه مما يجر الطعن إلىٰ القرآن، وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما

ذكرناه، والله أعلم.

وتعقب الشوكاني رحمه الله تعالى هذا بقوله:

قلت: أما قوله: «إذ لا صيغة عموم في غيبه» فباطل، فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرّح به أئمة الأصول وغيرهم. وأما قوله: «أو هو استثناء منقطع» فمجرّد دعوىٰ يأباها النظم القرآني. وأما قوله: «إن شقًا وسطيحًا...» إلخ، فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه إلىٰ الكهان، فيخلطون الصدق بالكذب، كما ثبت في الحديث الصحيح. وفي قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الصافات: ١٠] ونحوها من الآيات، فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة، وأنه كان طريقًا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتىٰ منعوا ذلك بالبعثة المحمدية وقالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩] فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بأدلته، فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم، فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة علىٰ هذه الآية.

وأما حديث المرأة الذي أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد في الحديث: «**إن في هذه الأمة محدثين، وإن منهم عمر**» فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا انقضاء لها، وأما من اجترأ به علىٰ اللّٰه وعلىٰ كتابه من قوله في آخر كلامه. فلو قلنا: «إن القرآن يدل علىٰ خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلىٰ القرآن» فيقال له: ما هذه بأوّل زلة من زلاتك، وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه ونظائر نبض بها عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك! يا عجبًا لك، أيكون ما بلغك من

خبر هذه المرأة ونحوه موجبًا لتطرق الطعن إلىٰ القرآن؟ وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا:

وإذا رامت الذبابة للشمـ ـس غطاء مدّت عليها جناحا

وقلت من أبيات:

مهب رياح سده بجناح وقابل بالمصباح ضوء صباح

فإن قلت: إذن قد تقرّر بهذا الدليل القرآني أن الله يظهر من ارتضىٰ من رسله علىٰ ما شاء من غيبه، فهل للرسول الذي أظهره الله علىٰ ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته؟

قلت: نعم ولا مانع من ذلك. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ من هذا ما لا يخفىٰ علىٰ عارف بالسنة المطهرة.

فمن ذلك: ما صحّ أنه قام مقامًا أخبر فيه بما سيكون إلىٰ يوم القيامة. وما ترك شيئًا مما يتعلق بالفتن ونحوها، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول اللّٰه ﷺ بما يحدث من الفتن بعده حتىٰ سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا إليه.

وثبت في «الصحيح» وغيره: «أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر، فقال: إن بينك وبينها بابًا، فقال عمر: هل يفتح أو يكسر؟ فقال: بل يكسر. فعلم عمر أنه الباب، وأن كسره قتله»، كما في الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة: هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة.

وكذلك ما ثبت من إخباره لأبي ذرّ بما يحدث له، وإخباره لعليّ بن أبي طالب بخبر ذي الثدية، ونحو هذا مما يكثر تعدده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل.

وإذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الأمة بشيء من أخبار الغيب التي أظهرها الله لرسوله، وأظهرها رسوله لبعض أمته، وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الرّباني بواسطة الجناب النبويّ.

* * *

س ـ وضح معنى قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

ج: إيضاح ذلك: بالنظر إلى الآيات السابقة فالتي سبقتها قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، فالمعنى: إلا من اصطفاه الله واختاره من المرسلين، فإن الله يظهره على ما شاء من أمور الغيب تأييداً له وتثبتاً.

قال الطبري رحمه الله:

إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما شاء من ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: فإنه يصطفيهم ويُطلعهم على ما شاء من الغيب.

وبإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد قال: ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء، أنزل على رسول الله ﷺ الغيب القرآن، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة.

وأورد بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن عباس: فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي، وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الجن لا يعلمون الغيب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الجن: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]

وقوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

ج: في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالىٰ عند إنزال القرآن علىٰ رسوله يرسل ملائكة من أمامه ومن خلفه يحرسونه، ويحفظونه من إدخال الشياطين شيئًا عليه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم النخعي في قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [ال٢٨٩ه)٢٧٠] قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: الملائكة.

وبإسنادٍ فيه ضعف عن ابن عباس: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتىٰ يتبين الذي أُرسل به إليهم، وذلك حين يقول: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨].

الثاني: أن المراد: إن الملائكة يحرسون الرسول ويدافعون عنهم.

* * *

س ـ كيف التوفيق بين قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وبين ما هو معلوم لدى الكثيرين الآن من أوقات كسوف الشمس وخسوف القمر قبل حدوثها؟ وكذا بين بعض الرُّؤى التي تتحقق؟

ج: أما معرفة أوقات كسوف الشمس وخسوف القمر ونحو ذلك مما يتوقع من برودة الجو وحرارته: فهذه أمور تدرك بالحس والمشاهدة والتجربة والعقل فلا تدخل في علم الغيب. كرجل يقول: «إني سآكل سمكًا غدًا»، أو «ستلد امرأتي ـ في الغالب ـ بعد شهر».

فالذي تيسر للناس معرفته بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ونحو ذلك لا يُعد من علم الغيب.

أما الرؤيا: فهي: «**جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[1] كما ورد عن النبي ﷺ.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخاري (حديث ٦٩٨٧) ومسلم (٢٢٦٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا. وللحديث طرق أُخر عن النبي ﷺ، وألفاظ أُخر ووجوه للجمع بين الألفاظ، راجع كل هذا في أبواب الرؤيا من «الصحيحين» وغيرهما.

س ـ اذكر آيات أُخر تدل على أن الله أطلع بعض أنبيائه على بعض الغيب.

ج: من ذلك: قول عيسىٰ عليه السلام لقومه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقول يوسف عليه السلام: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

* * *

س ـ لماذا يطلع الله بعض أنبيائه ورسله على بعض الغيب؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لتأييدهم فيما يدعون إليه، وللاستدلال علىٰ نبوتهم ورسالتهم.

* * *

س ـ في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ دليلٌ على بطلان التنجيم، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره القرطبي رحمه الله تعالىٰ حيث قال:

قوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ «عالم» رفعًا نعتًا لقوله: ﴿ربي﴾. وقيل: أي هو «عالم الغيب» والغيب ما غاب عن العباد. وقد تقدّم بيانه في أول «سورة البقرة»، ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يظهره علىٰ ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال ابن جبير: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هو:

جبريل عليه السلام. وفيه بُعد، والأولىٰ أن يكون المعنىٰ: أي: لا يظهر علىٰ غيبه إلا من ارتضىٰ، أي: اصطفىٰ للنبوة، فإنه يُطلعه علىٰ ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالاً علىٰ نبوته.

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل علىٰ أنه لا يعلم الغيب أحدٌ سواه، ثم استثنىٰ من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة علىٰ نبوّتهم.

وليس المنجّم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصىٰ وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه علىٰ ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان علىٰ اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟

فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون علىٰ مقتضىٰ ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها علىٰ اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبداً في عمل المواليد، ولا دلالة فيها علىٰ شقيّ ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه علىٰ هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجم أن طالع مولدي ... يقضي عليّ بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ... وُلد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟! وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلىٰ هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد علىٰ من يقول بالتنجيم والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له علي رضي الله عنه: ولِمَ؟ قال: إنك إن سرتَ في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال عليّ رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده ـ من كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل ـ فمن صدّقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً أو ضداً، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك. ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها.

ثم أقبل علىٰ الناس فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلُّم النجوم إلاّ ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في «الصحيح» لمسلم.

ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرىٰ وقيصر وسائر البلدان ـ ثم قال: يا أيها الناس،

توكَّلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي ممن سواه.

* * *

س ـ اذكر بعض الوارد في ذم إتيان الكهان؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافًا**[٢] **فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلةً**».

ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[٣] من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله، أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية: كنا نأتي الكهان[٤]؟

---

(١) مسلم (حديث ٢٢٣٠).

(٢) «عرَّافًا»: العرَّاف من جملة أنواع الكهان. قال ابن الأثير: العراف: المنجِّم أو الحازي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به.

وقال الخطابي وغيره: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

(٣) مسلم (حديث ٥٣٧).

(٤) «الكهان»: قال القاضي رحمه الله: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان وليّ من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني: أه يخبره بما يطرأ، أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون. وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه، لبعض الناس قوة ما. لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها، وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم.

قال: «**فلا تأتوا الكهان**» قال: قلت: كنا نتطير؟ قال: «**ذاك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه**[١]، **فلا يصدنكم**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا فنجده حقًا؟ قال: «**تلك الكلمة الحق، يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة**».

وفي رواية أخرى عند مسلمٍ أيضًا: قالت عائشة: سأل أناسٌ رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليسوا بشيء**»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقًا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الجن**[٣] **يخطفها الجني، فيقرها**[٤] **في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس[٥] رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رمي بنجمٍ فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا

---

(١) «ذاك الشيء يجده أحدكم في نفسه» معناه: أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه، ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا.

(٢) مسلم (حديث ٢٢٢٨).

(٣) أي: المسموعة من الجن.

(٤) قال الخطابي وغيره: معناه: أن الجن يقذف الكلمة إلى وليِّه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب.

نقول: وُلد الليلة رجلٌ عظيم، ومات رجلٌ عظيمٌ، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمرًا سبح حملة العرشِ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال».

قال: «فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون[1] فيه ويزيدون».

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل من قبله قد أبلغت عن الله رسالاته، وأن الله حفظها ودافع عنها.

الثاني: ليعلم محمدٌ ﷺ أن الملائكة قد بلغت رسالات ربها.

الثالث: ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغت رسالات ربها.

الرابع: ليعلم الله عز وجل أن الرسل قد بلغت رسالات ربها علمًا ظاهرًا يجب به الثواب، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وإن كان الله عزَّ وجل يعلم الأشياء قبل وقوعها وعند وقوعها

(٥) مسلم (حديث ٢٢٢٩).

وبعد وقوعها بلا شك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ذاكراً هذا الوجه:

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلىٰ الله ـ عز وجل ـ وهو قول حكاه ابن الجوزي في «زاد المسير» ويكون المعنىٰ في ذلك: أنه يحفظ رسله بملائكته؛ ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحي، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله: ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾ [العنكبوت: ١١]، إلىٰ أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿**وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾ [الجن: ٢٨].

أما الطبري رحمه الله تعالى فقد اختار الوجه الأول فقال:

وأولىٰ هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: «ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم»، وذلك أن قوله ﴿**وَلِيَعْلَمَ**﴾ من سبب قوله ﴿**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾ [الجن: ٢٧] وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه.

وأورد عن قتادة بإسنادين يصحان عنه ما حاصله: ليعلم رسول الله ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحُفظت.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة لسورتي المزمل والمدثر

هذه السورة الكريمة سورة المزمل مع سورة المدثر اشتركتا في كونهما من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن، ومن ثمَّ فقد اشتركتا في أمورٍ تهمُّ رسول الله ﷺ في بداية دعوته، وكذلك تهمُّ المؤمنين.

فاشتركتا في الحث على الصبر والصلاة، فنرى في سورة المزمل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، ونرى أيضًا ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ وكذلك نرى فيها ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ وأيضًا ففي سورة المدثر ﴿قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ونرى أيضًا الوعيد لتارك الصلاة في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

فنعم ما يُستعان به في بداية الاستقامة، بل وفي نهايتها على السواء استعانةٌ بالصبر، واستعانة بالصلاة، فنعم هذا الزاد المبارك.

حملت السورتان تهديدات لمن حارب الدعاة إلى الله ولمن كذبهم، وفي ذلك تصبيرٌ للنبي ﷺ، ولأهل الإيمان ممن معه، ففي سورة المزمل يقول تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ وفي سورة المدثر يقول تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

حملت السورتان تذكيرًا باليوم الآخر، وبيان بعض ما فيه من الأهوال، والشدائد، والكربات، ففي سورة المزمل: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ وفي سورة المدثر: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

ذكَّرت السورتان الكريمتان باثنين من أئمة الضلال وكيف كان مصيرهما؟ فُذكر فرعون الطاغية وكيف كان مآله، ومصيره؟ قال تعالىٰ: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾.

وفي سورة المدثر تذكيرٌ بقوله تعالىٰ في شأن طاغية من طغاة قريش: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

ثم إن كل سورة من السورتين تُذكر بعمومها، وخصوصها كما قال تعالىٰ في سورة المزمل: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

وقال في سورة المدثر: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

هذا فضلاً عما في ثنايا السورتين الكريمتين من أوجه التشابه، والتطابق فيما يدعوان إليه ويَحُضان عليه، ثم تختم السورتان بخير ختام ألا وهو: الحث علىٰ الاستغفار إيماءً أو تصريحًا ففي سورة المزمل صراحةً في ختامها ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي سورة المدثر: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾. وهذا وإن كان خبراً عن الله عز وجل إلا أنه يحمل معنىٰ الحث علىٰ طلب مغفرته وعافيته.

فإلىٰ السورتين الكريمتين، وبالله التوفيق وهو وحده المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

سورة المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى
ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المزمل ـ رتل ـ ترتيلا ـ سنلقي ـ قولاً ـ ناشئة ـ أشد وطئًا ـ أقوم قيلا ـ سبحًا ـ تبتل إليه تبتيلا ـ اتخذه وكيلا ـ هجرًا جميلاً ـ ذرني ـ أولي النعمة ـ مهلهم

ج:

الكلمة	معناها
المزمل	المتلفف في ثيابه ـ والتزمل أيضًا: التغطي في الليل. وقيل: المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة.
رتِّل	بيِّن ـ ترسّل.
ترتيلاً	تبينًا ـ ترسلاً.
سنلقي	سنوحي ـ سننزل.
قولاً	قرآنًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.
ناشئة	ساعات الليل ـ قيام الليل. ومن العلماء من قال: ناشئة الليل: أول الليل وقال بعضهم: من المغرب للعشاء. وقال آخرون: ناشئة الليل ما كان من قيام بعد نوم.
أشد وطأ	أشد موافقة[1] (يتوافق فيها القلب، واللسان، والسمع علىٰ فهم القرآن، وتدبر آياته، ومعانيه) ـ أثبت للحفظ

(١) ومنه تواطأ فلان مع فلان، أي: اتفق فلان مع فلان. ومنه: ﴿ليواطئوا عدة ما حرم اللَّه﴾، ومنه حديث: «أرىٰ رؤياكم قد تواطأت» أي: قد اتفقت.

وصح عن مجاهد عند الطبري أنه قال: أن تواطأ سمعك وقلبك وبصرك.

الكلمـــة	معنـاهـــا
	وأدعىٰ للفهم ـ وقيل : أثقل علىٰ المصلي[1] .
أقوم قيلا	أصوب قراءةً ـ أخلص للقول ، وأسمع له أقرب للتفقه ، والفهم .
سبحًا	فراغًا ـ متسعًا ـ متقلبًا .
	وقتًا واسعًا تقضي فيه حوائجك حتىٰ تتفرغ لقيام الليل وتنام فيه وتستريح للمعونة علىٰ قيام الليل .
تبتل إليه تبتيلاً	انقطع إليه انقطاعًا ـ أخلص له إخلاصًا انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله عزَّ وجل .
اتخذه وكيلاً	أفرده بالتوكل عليه وحده لا شريك له .
	فوض أمورك كلها إليه ـ ارض به قائمًا بأمورك وكفيلاً بما وعدك .
اهجرهم هجرًا جميلا	الهجر : الترك ، واهجرهم هجرًا جميلاً أي : هجرًا لا جزع معه ولا عتاب فيه بعض العلماء : إن الهجر الجميل هو الهجر في الله كما قال تعالىٰ : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره﴾ .
ذرني	دعني .
أولي النعمة	أهل التنعم في الدنيا ، وأهل الرفاهية ، والملذات أرباب الغنىٰ ، والسعة ، والوجاهات .
مهلهم	أخرهم ـ أنظرهم .

(١) من قولهم اشتدت وطأة السلطان ، ومنه : اللّهم اشدد وطأتك علىٰ مضر .

س ـ هل المزمل من أسماء النبي ﷺ ؟ وما الفائدة من خطابه بـ: ﴿يا أيها المزمل﴾؟

ج: ليس المزمل من أسماء النبي ﷺ.

قال القرطبي رحمه الله: قال السُّهيلي: ليس «المزمّل» باسْمٍ من أسماء النبي ﷺ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدُّوه من أسمائه عليه السلام، وإنما «المزمّل» اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب.

وكذلك المدثّر. وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما: الملاطفة؛ فإنّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها؛ كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب، فقال له: «**قم يا أبا تراب**» إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفةً له. وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة: «**قم يا نومان**» وكان نائماً ملاطفةً له، وإشعاراً لترك العتب، والتأنيب. فقول الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ**﴾ فيه تأنيسٌ وملاطفةً؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلىٰ قيام الليل وذكر الله تعالىٰ فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

* * *

س ـ لماذا نودي النبي ﷺ بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟

ج: لأنه كان يتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فَرَقًا منه فقد رجع إلىٰ خديجة رضي الله عنها وقال: زملوني زملوني.

س ـ قوله تعالى: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ لماذا هذا القيام؟

ج: هذا القيام للصلاة وتلاوة القرآن.

* * *

س ـ ما حدُّ الليل (بدايته ونهايته)؟

ج: يبدأ الليل من غروب الشمس ويمتد إلى طلوع الفجر.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ يقول لنبيه ﷺ: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ يا محمد كله ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ منه ﴿ نِّصْفَهُ ﴾ يقول: قم نصف الليل ﴿ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ يقول: أو زد عليه، خيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ، وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في رمضان فيما ذُكر حتى خُفف ذلك عنهم».

وسيأتي أثر لعائشة رضي الله عنها في ذلك إن شاء الله.

* * *

س ـ هل صح لآخر سورة المزمل سبب نزول؟

ج: نعم قد صح، فعند أبي داود[1] بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة».

---

(١) أبو داود (حديث ١٣٠٥).

بحث مختصرٌ في قيام الليل

س ـ اذكر بعض الوارد في الحث على قيام الليل وشيئًا من صفة هذا القيام؛ وأحب هذا القيام؟ وهل صلاة الليل أفضل من صلاة النهار؟ دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة الواردة في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ـ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ [الإنسان: ٢٦]

وقوله تعالى: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [المزمل: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦].

وأخرج مسلم في صحيحه[١]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرم**

(١) مسلم (حديث ١١٦٣).

وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وقال النبي ﷺ في شأن ابن عمر رضي الله عنهما: «**نعم الرجال عبد الله لو كان يصلي من الليل**»[١].

وأخرج أبو داود وغيره بإسناد حسن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم اللهُ رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[٢].

أما أحب هذا القيام ففي الصحيحين[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيامُ داود عليه السلام، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا ويُفطر يومًا**».

وبالنسبة لشيءٍ من صفة هذا القيام، فيستحب طول القنوت (أي: ألقيام في الصلاة) خاصة إذا كنت منفرداً، لقول النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[٤].

وأيضًا فإن حذيفة رضي الله عنه صلى خلف رسول الله ﷺ فقال حذيفة: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها.

---

(١) البخاري (حديث ١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٥)، وغيرهما.

(٣) البخاري (حديث ١١٣١)، ومسلم (ص٨١٦).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٧٥٦) من حديث جابر رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وقال النووي رحمه اللَّه تعالى: المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمتُ.

ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً: إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مر بسؤالٍ سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. ثم ركع، فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعه نحواً من قيامه. ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قام طويلا، قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجوده قريبًا من قيامه[١].

وفي الباب أيضًا قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتىٰ هممت بأمر سوءٍ، قيل: وما هممتَ؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعه[٢].

فالأولىٰ للشخص المستطيع إذا كان يُصلي النافلة (قيام الليل) في البيت منفردًا أن يطيل الصلاة للنصوص المتقدمة.

وأن يُغلِّب[٣] صلاة إحدىٰ عشرة ركعة لما في الصحيحين من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة: يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله؛ أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**».

---

(١) مسلم (حديث ٧٧٢).

(٢) البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) البخاري (حديث ١١٤٧)، ومسلم (حديث ٧٣٨).

وإذا زاد على إحدى عشرة ركعة فلا بأس، وذلك للآتي:

قول النبي ﷺ: «**صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدةً تُوتر له ما قد صلى**»(١).

ولقول النبي ﷺ: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة**»(٣).

وقد ثبت من عدة وجوه أن النبي ﷺ صلى من الليل ثلاث عشرة ركعة، من ذلك حديث عائشة أيضاً(٤)، وابن عباس(٥)، وزيد بن خالد(٦).

ثم إن قيام الليل العبرة فيه بزمن القيام، لقوله تعالى: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾.

وكذلك فقد تقدم قول النبي ﷺ: «أحب القيام قيام داود كان يقوم ثلث الليل».

وكذلك فقد قال النبي ﷺ: «**ليصلِّ أحدكم نَشَاطهُ فإذا فتر فليقعد**»(٧).

وقد ثبت من غير وجه أن عمر رضي الله عنه جمع الناس على أُبي بن

---

(١) البخاري (حديث ١١٣٧، ٩٦٠)، ومسلم (حديث ٧٤٩)، وفي رواية لمسلم: قيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ قال: أن تُسلِّم في كل ركعتين.

(٢) مسلم (حديث ٤٨٩).

(٣) مسلم (حديث ٤٨٨).

(٤) البخاري (حديث ١١٧٠)، وانظر صحيح مسلم (حديث ٧٣٧ ص٥٠٨).

(٥) البخاري (حديث ١١٣٨)، ومسلم (حديث ٧٦٤).

(٦) مسلم (حديث ٧٦٥).

(٧) البخاري (حديث ١١٥٠)، ومسلم (حديث ٧٨٤).

كعب رضي الله عنه، وقد صلىٰ بهم أبيّ أحيانًا إحدىٰ عشرة ركعة[١] وأحيانًا عشرين ركعة[٢].

وكل ذلك صحيح، وقد أوضحناه تمام الإيضاح في كتابنا «عدد ركعات قيام الليل»، وكتابنا «الترشيد» وعلىٰ هذا أكثر أهل العلم.

وقد صح عند أبي شيبة عن عطاء قال: «أدرك الناس وهم يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة بالوتر»[٣]. وعطاءٌ تابعي، فأي الناس أدركهم عطاءٌ؟! إنهم صحابة رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] في «المصنف» بإسنادٍ صحيح من طريق نافع بن نافع قال: «كان ابن أبي مليكة يصلي بنا في رمضان عشرين ركعة».

وابن أبي مليكة من التابعين.

وهذا مزيدٌ من الآثار وأقوال العلماء في هذا الباب.

* * *

أثر علي بن ربيعة ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا الفضل بن دكين عن سعيد بن عبيد: «أن علي بن ربيعة كان يُصلي في رمضان خمس ترويحات ويوتر بثلاث». صحيح عن علي بن ربيعة.

---

(١) الموطأ (١/ ١١٥).

(٢) مسند علي بن الجعد (٢٩٢٦)، والبيهقي (٢/ ٤٩٦).

(٣) المصنف (٢/ ٣٩٣).

(٤) المصنف بسند صحيح (٢/ ٣٩٣).

أثر أبي البختري ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا غندر، عن شيبة، عن خلف، عن ربيع ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبي البختري: «أنه كان يُصلي خمس ترويحات في رمضان ويوتر بثلاث». صحيح عن أبي البختري[١].

* * *

فِعلُ عبد الرحمن بن الأسود ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا حفص عن الحسن ابن عبيد الله قال: «كان عبد الرحمن بن الأسود يُصلِّي بنا في رمضان أربعين ركعة ويوتر بسبعٍ». صحيح عن عبد الرحمن.

* * *

فعل الناس زمن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ

قال ابن أبي شيبة «المصنف» (٢ / ٣٩٣): حدثنا ابن مهدي، عن داود بن قيس: أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، وأبان بن عثمان يصلون ستة وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث»[٢].

* * *

(١) واعتمدت في توثيق الربيع على ما في هذا السند.

(٢) وعند ابن نصر في قيام رمضان (ص٦٠): وأمر عمر بن عبد العزيز القُراء في رمضان أن يقوموا بستٍ وثلاثين ركعة يوترون بثلاث، ويقرأوا في كل ركعة عشر آيات.

قول مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله تعالى وغيرهم من أهل العلم

أورد الحافظ أبو عبد الله بن نصر المروزي في كتاب «قيام رمضان» جملة من الآثار، قدمنا ذكر كثير منها، وأذكر هنا ما نقله عن الأئمة الثلاثة: (مالك، والشافعي، وأحمد ـ رحمهم الله تعالىٰ).

قال رحمه الله:

وعن ابن القاسم: سمعت مالكًا يذكر أن جعفر بن سليمان أرسل إليه يسأله: أَنَنْقُصُ من قيام رمضان؟ فَنَهَاه عن ذلك؛ فقيل له: قد كُرِهَ ذلك؟ قال: نعم، وقد قام الناس هذا القيام قديمًا، وحديثًا. قيل له: فكم القيام؟ قال: تسع وثلاثون ركعة بالوتر.

وعن ابن أيمن قال: قال مالك: أستحبُّ أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة، وهذا العمل بالمدينة قبل الحرَّة منذ بضع ومائة سنة إلىٰ اليوم.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: كم من ركعة تصلىٰ في قيام شهر رمضان؟ فقال: قد قيل ألوان نحواً من أربعين، إنما هو تطوع، قال إسحاق: نختار أربعين، وتكون القراءة أخف.

وعن الزعفراني: عن الشافعي: رأيت الناس يقومون بالمدينة تسعًا وثلاثين ركعة، قال: وأحبُّ إليَّ عشرون. قال: وكذلك يقومون بمكة. قال: وليس في شيء من هذا ضيق ولا حدٌ ينتهي إليه؛ لأنه نافلة، فإن

أطالوا القيام، وأقلوا السجود فحسن ـ وهو أحب إليَّ ـ وإن أكثروا الركوع والسجود فحسن.

قال البغوي ـ رحمه الله ـ «شرح السنة» (٤ / ١٢٠):

اختلف أهل العلم في قيام شهر رمضان، روي ذلك عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبيَّ بن كعب، وتميمًا الداريّ أن يقوما للناس بإحدىٰ عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حىٰ كنا نعتمد علىٰ العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وقال مالك، عن يزيد بن رُومان: كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة في رمضان.

ورأىٰ بعضهم أن يُصلِّي إحدىٰ وأربعين ركعة مع الوتر، وهو قول أهل المدينة، والعمل علىٰ هذا عندهم، وهو اختيار إسحاق.

وأما أكثر أهل العلم فعلى عشرين ركعة، يُروىٰ ذلك عن عمر، وعلي، وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ وهو قول الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأصحاب الرأي، قال الشافعي: وهكذا أدركت ببلدنا بمكة يصلُّون عشرين ركعة، ولم يقض أحمد فيه بشيء.

وفي «المدونة» (١ / ١٩٣):

قال مالك: بعث إليَّ الأمير، وأراد أن ينقص من قيام رمضان الذي يقومه الناس بالمدينة، قال ابن القاسم: وهو تسعة وثلاثون ركعة بالوتر، ست وثلاثون ركعة والوتر ثلاث. قال مالك: فنهيته أن ينقص من ذلك شيئًا،

وقلت له: هذا ما أدركت الناس عليه وهذا الأمر القديم الذي لم تزل الناس عليه.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد»[١]:

فلا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود، وأنها نافلة وفعل خير وعمل برٍّ، فمن شاء استقل، ومن شاء استكثر.

قال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

والمختار عند أبي عبد الله ـ رحمه الله ـ فيها[٣] عشرون ركعة، وبهذا قال الثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وقال مالك: ستة وثلاثون، وزعم أنه الأمر القديم وتعلَّق بفعل أهل المدينة، فإن صالحًا مولىٰ التوأمة قال: أدركت الناس يقومون بإحدىٰ وأربعين ركعة يوترون منها بخمس.

ولنا (القائل ابن قدامة) أن عمر ـ رضي الله عنه لما جمع الناس علىٰ أبيّ ابن كعب كان يصلي لهم عشرين ركعة.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ «فتح الباري» (٣ / ٣٧):

وسئل الإمام الشافعي عن قيام جميع الليل، فقال: لا أكرهه إلا لمن خشي أن يضر بصلاة الصبح.

---

(١) «فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر» (٦/ ١٤٣).

(٢) «المغني» (٢/ ١٦٧).

(٣) يعني: صلاة التراويح، فقد قال ذلك في شرح مسألة الخرقي (وقيام شهر رمضان عشرون ركعة يعني: صلاة التراويح).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله[١]:

كما أن نفس قياس رمضان لم يوقت النبي ﷺ فيه عدداً معيناً؛ بل كان هو ﷺ لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمر على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة، ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات، لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة، ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين، وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن.

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام، فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين ركعة هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير و احد من الأئمة كأحمد وغيره.

ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه، كل ذلك سائغ حسن، وقد ينشط الرجل فيكون الأفضل في حقه تطويل العبادة، وقد لا ينشط فيكون

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

الأفضل في حقه تخفيفها.

وكانت صلاة رسول الله ﷺ معتدلة: إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا خفف القيام خفف الركوع والسجود. هكذا كان يفعل في المكتوبات، وقيام الليل، وصلاة الكسوف، وغير ذلك.

وقد تنازع الناس: هل الأفضل طول القيام؟ أم كثرة الركوع والسجود؟ أو كلاهما سواء؟ على ثلاثة أقوال:

أصحها أن كليهما سواء؛ فإن القيام اختص بالقراءة، وهي أفضل من الذكر والدعاء، والسجود نفسه أفضل من القيام، فينبغي أنه إذا أطال القيام أن يطيل الركوع والسجود وهذا هو طول القنوت الذي أجاب به النبي ﷺ لما قيل له: أي الصلاة أفضل؟ فقال: «**طول القنوت**». فإن القنوت هو إدامة العبادة، سواء كان في حال القيام، أو الركوع أو السجود، كما قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا** ﴾ [الزمر: ٩]، فسمّاه قانتًا في حال سجوده، كما سمّاه قانتًا في حال قيامه.

وقال شيخ الإسلام أيضًا[١]:

ويشبه ذلك من بعض الوجوه تنازع العلماء في مقدار القيام في رمضان، فإنه قد ثبت أن أبيّ بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان، ويوتر بثلاث، فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة؛ لأنه أقامه بين المهاجرين والأنصار، ولم ينكره منكر.

واستحب آخرون: تسعة وثلاثين ركعة؛ بناء على أنه عمل أهل المدينة

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١١٢-١١٣).

القديم، وقال طائفة: قد ثبت في «الصحيح» عن عائشة: «أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة»، واضطرب قوم في هذا الأصل لما ظنوه من معارضة الحديث الصحيح لما ثبت من سنة الخلفاء الراشدين، وعمل المسلمين.

والصواب: أن ذلك جميعه حسن، كما قد نص على ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه وأنه لا يتوقت في قيام رمضان عدد، فإن النبي ﷺ لم يوقت فيها عدداً، وحينئذ فيكون تكثير الركعات، وتقليلها بحسب طول القيام، وقصره.

فإن النبي ﷺ كان يطيل القيام بالليل، حتى إنه قد ثبت عنه في «الصحيح» من حديث حذيفة: «أنه كان يقرأ في الركعة بالبقرة والنساء وآل عمران»، فكان طول القيام يغني عن تكثير الركعات. وأبيّ بن كعب لما قام بهم ـ وهم جماعة واحدة ـ لم يمكن أن يطيل بهم القيام، فكثر الركعات ليكون ذلك عوضًا عن طول القيام، وجعلوا ذلك ضعف عدد ركعاته، فإنه كان يقوم بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة، ثم بعد ذلك كان الناس بالمدينة ضعفوا عن طول القيام فكثَّروا الركعات حتى بلغت تسعًا وثلاثين.

* * *

س ـ هل كان قيام الليل فرضًا في أول الأمر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال ثلاثة:

أحدها: كان فرضًا على النبي ﷺ وحده.

الثاني: كان فرضًا عليه وعلى سائر الأنبياء قبله.

الثالث: كان فرضًا عليه وعلىٰ عموم الأمة.

واختار القرطبي الثالث وصححه واستدل له بما في صحيح مسلم[١] من طريق سعد بن هشام بن عامرٍ: أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلىٰ. قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة. فقام نبي الله ﷺ، وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتىٰ أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضةٍ. قال: قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ؟ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوَّك ويتوضأ ويصلي تسع ركعاتٍ لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعدٌ، فتلك إحدىٰ عشرة ركعةً يا بني، فلما سنَّ نبيُّ الله ﷺ، وأخذه اللحم، أوتر بسبعٍ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول، فتلك تسعٌ يا بني. وكان نبي الله ﷺ إذا صلىٰ صلاةً أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ عن قيام الليل صلىٰ من النهار ثنتي عشرة ركعةً. ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلةٍ، ولا صلىٰ ليلةً إلىٰ الصبح.

* * *

(١) مسلم (حديث ٧٤٦).

س ـ ما معنى قوله تعالى: ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾؟

ج: انقص من النصف قليلاً، لقوله تعالىٰ: ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾ أي: انقص من النصف. والله أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

ج: **المعنى، والله أعلم**: اقرأه قراءةً بيِّنةً، ترسل فيه ترسلاً بعضه علىٰ إثر بعض في تؤدة، وليس هذًّا كهذ الشعر.

والمعنىٰ أيضًا اقرأه في مهلٍ وبيان مع تدبرٍ للمعاني.

وقد أخرج البخاري[1] من طريق أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن مسعود، فقال: قرأتُ المفصَّل الليلة في ركعة، فقال هَذًّا كهذ الشِّعر! لقد عرفتُ النظائر التي كان النبي ﷺ يقرِنُ بينهن.

فذكر عشرين سورةً من المفصَّل، سورتين في كلِّ ركعة.

ومن معاني ذلك أيضًا: الوقوف عند معانيه وعجائبه وتحريك القلوب به ولا تكن الهمة الوصول إلىٰ آخر السورة، بل الهمة في فهم مراد الله عز وجل من آياته وقد كان النبي ﷺ في صلاة الليل إذا مرَّ بآية فيها رحمة سأل وبآية فيها عذاب تعوَّذ[2].

---

(١) البخاري (حديث ٧٧٥).

(٢) هو عند مسلم (حديث ٧٧٢) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة... فذكر الحديث وفيه: يقرأ مُترسلاً إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعَوّذ تَعوَّذ.

وقال صديق حسن خان في فتح البيان: والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان!!!

وقال أيضًا: وإيجاب الأمر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة، وأنه لابد منه للقارئ.

* * *

س ـ بيِّن شيئًا من كيفية قراءة النبي ﷺ وشيئًا من الوارد في الحث على تحسين الصوت بالقرآن.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري[1]: من حديث أنس رضي الله عنه، وقد سئل عن كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال كانت مدًّا. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ ببسم الله ويمدُّ بالرحمن ويمدُّ بالرحيم.

وعند الإمام أحمد[2]: من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن أبي

(١) البخاري (حديث ٥٠٤٦).

(٢) هذا الحديث رجال إسناده ثقات، لكن ابن جريج وإن كان ثقة إلا أنه مدلس وقد عنعن.
ثم إن الترمذي أخرجه (رقم ٢٩٢٧)، وأشار إلى علة أخرى وهي أن هذا الحديث مروي أيضًا من طريق الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك عن أم سلمة، أي: بإدخال واسطة بين ابن أبي مليكة وأم سلمة، والواسطة هو يعلى بن مملك.
قلت (مصطفى): ويعلى بن مملك هذا مجهول ـ على الراجح ـ، فالحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ من هذا الوجه، والله أعلم.
هذا وقد أخرجه أيضًا أبو داود (حديث ٤٠٠١)، وغيره.

مليكة، عن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان يقطع قراءته آيةً آيةً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وعند الإمام أحمد وأبي داود[١] وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «**يُقال لصاحبِ القرآن: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنتَ تُرتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها**».

وأخرج الإمام أحمد[٢] من حديث البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**».

وقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[٣] وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**».

وأخرجه ابن ماجة[٥] بسندٍ رجاله ثقات من حديثِ عائشة رضي الله عنها قال: أبطأت على عهد رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ثم جئت فقال: «**أين**

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٢)، وأبو داود (٢/ ١٥٣) وسنده حسنٌ.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣)، وأبو داود (٥/ ٣٥٦)، والنسائي (١/ ٣٤٠)، وابن ماجه في الصلاة (٢١٥) وغيرهم، وله طرق أُخر، انظرها في كتابنا «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٩٢)، ومسلم (٦/ ٨٠)، وغيرهما.

(٤) البخاري (مع الفتح ٩/ ٦٨)، وفي غير موطن من صحيحه، ومسلم (٦/ ٧٩).

(٥) ابن ماجه (حديث ١٣٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٥-٢٢٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١).

كنُت؟» قلت: كنت استمع قراءة رجلٍ من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتىٰ استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**».

* * *

س ـ كيف كان القرآن ثقيلاً على رسول الله ﷺ؟

ج: ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

أحدها: أنه ثقيل عند نزوله.

ففي صحيح البخاري[1] من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.

وأخرج البخاري[2] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أملىٰ عليه: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان رجلا أعمىٰ ـ فأنزل الله تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ وفخذُهُ علىٰ فخذي، فثقلت عليّ حتىٰ خفت أن تُرضَّ فَخِذِي،

(١) البخاري (حديث ٢).

(٢) البخاري (حديث ٢٨٣٢).

ثم سري عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾.

الثاني: ثقيل في تكاليفه إلا على من يسرها الله عليه، كما قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

أخرج الطبري[١] بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن في قوله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ قال: العمل به. قال: إن الرجل ليُهذُّ السورة، ولكن العمل به ثقيل.

وأخرج الطبري[٢] أيضًا بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ ثقيل والله فرائضه وحدوده.

وثمَّ وجوه أُخر، منها: ثقيلٌ في الميزان، كما في الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

ومنها ثقيل بمعنى: مهيبٌ وعظيم، ليس كسفاسف الأقوال.

* * *

س ـ كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ وبين ما ورد من نهي النبي ﷺ عثمان بن مظعون عن التبتل[٤]؟

ج: لذلك وجوه:

أحدها: أن يحمل التبتل المأمور به على معنى معيَّن والتبتل المنهي عنه

---

(١) الطبري (أثر ٣٥١٩٠).

(٢) الطبري (أثر ٣٥١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/ ٥٣٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ١٩).

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص =

على معين آخر.

فالتبتل المأمور به هو: الإخلاص.

وأيضًا: الانقطاع عن عبادة الأوثان والأصنام، وعمومًا عن عبادة غير الله عزَّ وجل.

وأيضًا: الانقطاع له وحده لا شريك له بدعائه وحده، وسؤاله وحده.

* وأما التبتل المنهي عنه فهو: الانقطاع عن الأزواج، والامتناع من طيبات الحياة الدنيا وما أباحه الله فيها.

الثاني: أن التبتل المأمور به محمول على وقت معين بمعنى معين أي: بعد أن فرغت من قضاء حوائج الدنيا وخصصت وقتًا من الأوقات لعبادة ربك، فتفرغ في هذا الوقت وانقطع عن المشاغل لعبادة ربك عزَّ وجل، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٧-٨].

فإذا أقبلت على صلاتك ففرِّغ لها قلبك، وابتعد عما يشغلك، وأنت في صلاتك عن التفكر فيها وتدبرها.

أما التبتل المنهي عنه فعلى الوجه الذي قدمناه.

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله:

ولكن معنى الآية: انقطع عن الأوثان، والأصنام، وعن عبادة غير الله.

= رضي اللَّه عنه قال: لقد ردّ ذلك - يعني: النبي ﷺ - على عثمان بن مظعون، ولو أجاز له التبتل لاختصينا.

وفي لفظ مسلم: رد رسول اللَّه ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.

وفي لفظ آخر عند مسلم: أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه رسول اللَّه ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا.

وكذلك قال مجاهد: معناه: أخلص له العبادة. ولم يرد التبتل، فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهياً عنه في السنة، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي؛ فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم؛ فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح، والترهب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتبع بها شغف الجبال، ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]. أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال. قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

ج: المعنى: إذا علمت أنه رب المشرق والمغرب، وأنه لا إله إلا هو فمن ثمَّ ينبغي أن تتخذه وكيلاً، وينبغي ألا تعبد أحداً غيره وأيضاً اتخذه قائماً بأمورك في كل مكان، وفي كل زمان. والله أعلم.

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والآيات التي تقدمتها؟

ج: نعم هذا التعلق ظاهر، ووجه ذلك أن يُقال . . . لما اتخذتني وكيلاً ـ فأنا رب المشرق والمغرب لا إله إلا أنا ـ فاصبر على أذاهم فأنا أكفيكهم وأُدبِّر لك أمرك خير تدبيرٍ وأحسن تدبير.

* * *

س ـ هل قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ منسوخ؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية وما في معناها من الآيات منسوخ بآيات المجاهدة وبآية السيف، ومن الذين ذهبوا إلى ذلك قتادة رحمه الله، فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عنه أنه قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ براءةُ نسخت ما هاهنا، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يقبل منهم غيرها.

بينما رأى آخرون من أهل العلم أن هذه الآية وما في معناها ليس بمنسوخ، ولكنهم وجهوا الهجر الجميل إلى معانٍ توائم الأحوال، وتناسبها.

* * *

س ـ اذكر بعض هؤلاء المكذبين من أولي النعمة.

ج: ذكر بعض أهل العلم فريقًا من هؤلاء المكذبين منهم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وآخرون.

* * *

س ـ ما المراد بالمهلة القليلة في قوله تعالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد انقضاء الحياة الدنيا.

الثاني: أن المراد المدة القليلة الباقية من أعمارهم ومن العلماء من قال: أَمَدُ ذلك إلىٰ يوم بدر.

* * *

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ
كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ
أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ
أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ
شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

لدينا ـ أنكالاً ـ جحيما ـ طعامًا ذا غصة ـ أليما ـ ترجف ـ كثيبًا ـ مهيلاً ـ وبيلاً ـ منفطرٌ به ـ وعده ـ مفعولاً ـ تذكرة.

ج:

الكلمة	معناها
لدينا	عندنا.
أنكالاً	قيودًا[1].
جحيمًا	نارًا تُسعر وتتأجج.
طعامًا ذا غُصة	طعامًا له غصة أي يُغص به آكلهُ فيتعلق بالحلق لاينزل إلى الجوف ولا يخرج من الفم، كأن به شوكا يأخذ بالحلق.
	مؤلمًا ـ مُوجعًا.
أليما	تضطرب.
ترجف	رملاً.
كثيبا	المهيل: الذي أُهيل أي: حُرِّك من أسفله، فانهال من أعلاه.
مهيلاً	شديدًا.
	متشققةٌ لشدته ـ متصدعة لهوله ـ متقطعة فيه.
وبيلا	وعده بالقيامة، والثواب والعقاب.
	كائنًا لا خلف له، ولا مفرَّ منه.
	عظةٌ وعبرةٌ لمن اتعظ واعتبر.

(١) نقل القرطبي عن الشعبي قوله: أترون أن هذه الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم.

الكلمـــــة	معنـــاهـــــــا
منفطرٌ به	متشققةٌ لشدته ـ متصدعة لهوله ـ متقطعة فيه .
وعدُهُ	وعده بالقيامة ، والثواب والعقاب .
مفعولاً	كائنًا لا خلف له ، ولا مفرَّ منه .
تذكرة	عظةٌ وعبرةٌ لمن اتعظ واعتبر .

س ـ لماذا قال تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ مع أن ذلك لم يحدث للآن؟

ج: عُبرٍّ عن ذلك بصيغة الماضي لتحقق وقوعه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ يقول: مثل إرسالنا من قبلكم إلىٰ فرعون مصر رسولاً بدعائه إلىٰ الحق، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الذي أرسلناه إليه ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ يقول: فأخذناه أخذًا شديدًا، فأهلكناه ومن معه جميعًا، وهو من قولهم: كَلأٌ مستوبل، إذا كان لا يستمرأ، وكذلك الطعام.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾.

ج: أورد الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كيف تتقون يومًا وأنتم قد كفرتم به ولا تصدقون به.

أما قوله: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ فمعناه: أن الصغار يشيبون في هذا

(١) الطبري أثر (٣٥٢٧٧).

اليوم لشدة الكرب فيه ولكثرة الأهوال والشدائد[١].

هذا، وقد قال السعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة يوم القيامة، اليوم المهول أمره العظيم خطره، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام، فتتفطر السماء وتنتثر نجومها؟!

* * *

س ـ السماء قد تُذَكَّر وقد تُؤَنَّث، اذكر دليلاً على مجيئها مذكرةً.

ج: قوله تعالىٰ: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارةٌ إلى ماذا؟

ج: إشارةً إلىٰ الآيات التي ذُكرت فيها القيامة، وذكرت فيها صنوف

---

(١) وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه عند البخاري (حديث ٤٧٤١)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٩٧)، قال: قال النبي ﷺ: «يقول اللَّه ـ عز وجل ـ يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك ربنا وسَعدَيك. فينادي بصوت: إن اللَّه يأمرك أن تُخرج من ذرِّيتكَ بعثًا إلىٰ النار. قال: يا ربِّ، وما بَعثُ النار؟ قال: من كل ألفٍ ـ أراه قال: ـ تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذٍ تضع الحاملُ حَمْلَها، ويشيب الوليد، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، ولكنَّ عذاب اللَّه شديد. فشقَّ ذلك علىٰ الناس حتىٰ تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جَنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبَّرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة. فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبَّرنا.

العذاب وأليم العقاب، وما أعده الله فيها للكفرة والمكذبين والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: فمن شاء اتخذ طريقًا يتقرب به إلى الله عزَّ وجل، وذلك بطاعة الله سبحانه وتعالى، والعمل بما شرع.

* * *

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ
وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟
مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

أدنى ـ يقدر الليل والنهار ـ لن تحصوه ـ تاب عليكم ـ يضربون في الأرض ـ أقرضوا الله قرضًا حسنًا.

ج:

الكلمة	معناها
أدنى	أقرب.
يُقدر الليل والنهار	يعلم مقادير ساعات الليل والنهار، ويعلم أوقات الليل والنهار.
لن تحصوه	لن تطيقوا قيامه كما أمرناكم به. لن تستطيعوا تحديد زمن القيام، لكونهم لم يكن عندهم ساعات ـ فلن تستطيعوا تحديد ثلث الليل ونصفه[1].

(١) أخرج الطبري (٣٥٢٩٦) وغيره من طريق يعقوب قال: ثنا ابن علية قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خلتان لا يُحصيهما رجلٌ مسلمٌ إلا أدخلتاه الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليلٌ: يُسبح اللَّه في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا ويكبره عشرًا، قال: فأنا رأيت رسول اللَّه ﷺ يعقدها بيده، قال: فتلك خمسون ومائة باللسان، وألفٌ وخمسمائة في الميزان، وإذا أوىٰ إلىٰ فراشِهِ سبح وحمد وكبَّر مائة، قال: فتلك مائة باللسان، وألفٌ في الميزان، فأيُّكُمْ يَعْملُ في اليوم الواحد ألفين وخمسمائة سيِّئة؟ قالوا: فكيف لا نحصيهما؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا حتىٰ ينفتِلَ، ولعلَّه لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال يُنَوِّمه حتىٰ ينام».

حدثنا أبو كريب: قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن عمرو، عن النبي ﷺ نحوه.

وهذا سند حسنٌ.

الكلمـــة	معنـاهـــا
تاب عليكم	خفف عنكم.
يضربون في الأرض	يسافرون لطلب الرزق.
أقرضوا الله قرضًا حسنًا	أنفقوا في سبيل الله من خالص أموالكم في وجوه الخير عمومًا.

س ـ هل قيام الليل واجب أم لا؟ وما الدليل؟

ج: قيام الليل ليس بواجب، ولكنه مستحب والدليل على عدم وجوبه ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يَفْقَهُ ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**».

* * *

س ـ ما الناسخ للأمر بقيام الليل؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ...** ﴾ إلى آخر الآية.

الثاني: أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿ **عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ** ﴾.

الثالث: قوله تعالى ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾.

الرابع: إنه منسوخ بحديث «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال (السائل) هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع».

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ الآية؟

ج: قال الطبري رحمه الله: «وقوله: ﴿ **عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ**

(١) البخاري (حديث ٤٦)، ومسلم (حديث ١١).

وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: علم ربكم - أيها المؤمنون - أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ﴾ في سفر ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضًا عن قيام الليل ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: وآخرون أيضًا منكم يجاهدون العدوّ فيقاتلونهم في نصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم، ووضع عنكم فرض قيام الليل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يقول: فاقرءوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسَّر من القرآن. والهاء في قوله: «منه» من ذكر القرآن». وتقدم أثر عائشة رضي الله عنها في هذا الباب.

* * *

س - في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دليلٌ من دلائل النبوة وضح هذا الدليل.

ج: إيضاحه أن القتال لم يكن نزلت فرضيته علىٰ رسول الله ﷺ وأخبر به النبي قبل فرضيته، ثم فرض بعد فهذا إخبار بأمور لم تكن وقعت فوقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل، من مرضىٰ لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب، والمتاجر، وآخرين مشغولين

بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية ـ بل السورة كلها ـ مكية، ولم يكن القتال شُرع بَعدُ، فهي من أكبر دلائل النبوة؛ لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة؛ ولهذا قال: ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾، أي: قوموا بما تيسر عليكم منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ مع بيان أقل قدر ممكن من القراءة في صلاة الليل.

ج: أما قوله تعالى ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾ فمعناه: اقرءوا في الصلاة بما أمكن من القرآن.

أما أقل ما يمكن قراءته ففاتحة الكتاب لحديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(١).

ومن العلماء من قال: مع الفاتحة آية.

ومنهم من قال: آيتان. لما في الصحيحين من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»(٢).

* * *

س ـ ما الفرق بين إيتاء الزكاة، والقرض الحسن؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن إيتاء الزكاة المراد به الزكاة المفروضة، والقرض الحسن: صدقة التطوع.

(١) البخاري (حديث ٧٥٦)، ومسلم (حديث ٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا.
(٢) البخاري (مع الفتح ٩/ ٥٥)، ومسلم (٦/ ٩١).

س ـ لماذا نسب الإقراض إلى الله في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

ج: ذلك، والله أعلم: لئلا يُمَنَّ على الفقير فيما يتصدق به عليه؛ وهذا لأن الفقير معاونٌ له في تلك القربة، فلا تكون له مِنةٌ عليه، بل المنَّة للفقير؛ لأنه عاون الغني على التقرب إلى الله.

* * *

س ـ كيف يكون القرض حسنًا؟

ج: ذلك، والله أعلم، بألا يُتبع بمنٍ ولا بأذى.

وأن يكون من كسبٍ حلال طيب، وعن نفسٍ طيبة، وأن يُستر فيه على المُتصدق عليه قدر الإمكان.

ويكون عن احتساب وطلبٍ للأجر، والثواب من الله عز وجل ويقصد به وجه الله، ولا يُقصد به وجه أحدٍ سواه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ يقول: وما تقدموا ـ أيها المؤمنون ـ لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هوخيراً لكم مما

قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا: أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدمتموه ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، واطلبوا المغفرة من ذنوبكم يغفرها لكم ربكم؛ فهو واسع المغفرة والرحمة.

قال السعدي رحمه الله:

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفي الأمر بالاستغفار، بعد الحث على أفعال الطاعة، والخير، فائدة كبيرة. وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

تمت سورة المزمل ولله الحمد

* * *

سورة المدثر

مقدمة لهذه السورة المباركة

هذه السورة الكريمة سورة المدثر من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ، وقد حملت هذه السورة آدابًا يتأدب بها الدعاة إلى الله، ويحملونها أثناء دعوتهم إلى الله عز وجل، فضلاً عن الترغيب في الدعوة إلى الله، والحث على ذلك، والحث على تعظيم الله وتمجيده، وخشيته وحده لا شريك له، وتهديد المعاندين للدعاة إلى الله أشد التهديد، وبيان كيف وأن الآيات والأخبار التي يخبر الله عزّ وجل بها يفتن بها أقوام ويهتدي بها آخرون، ثم بيان عظيم شأن النار، ومن هم أهلها، ووصف المعرضين عن التذكرة بشرِ وصفٍ، وبيان تعنت الكافرين وتشددهم، وبعض مطالبهم كي يؤمنوا بالله عزَّ وجل، ثم بيان الحامل لهم على كفرهم، ثم الختام بخير ختام ألا وهو: الحث على التقوى والتماس العفو والمغفرة من الله عز وجل.

هذا على وجه الإجمال، أما بشيء من التفصيل: فيأمر الله نبيه محمداً ﷺ في ثاني سورة من سور الكتاب العزيز نزلت بعد سورة العلق، يأمره الله عز وجل بالقيام بجدٍ واجتهادٍ وعزم وإصرار للدعوة إلى الله عز وجل والإنذار، إنذار من هم في تيهٍ وجهلٍ وضلال. إنذار من هم في طريقهم إلى الجحيم، وليصاحبه في هذا الإنذار تكبير الله عزَّ وجل وتمجيده والخشية منه وحده لا شريك له، ذلك مع تطهير الثياب، ذلك التطهير المتضمن تطهيرها من مظالم العباد، فلا تدع إلى الله وأنت ملوثٌ بمظالم العباد، لا ترفع الأيدي إلا وهي طاهرة من المظالم، لا تغدر لا تغش، لا تخادع، ذلكم التطهير المتضمن تطهيرها من النجاسات والأوساخ.

ثم حث على هجران الأصنام والأوثان، وكل ما يجلب العذاب ويتسبب فيه، مع عدم المنَّ والابتعاد عنه أشد الابتعاد؛ فلا تمن - وأنت داع إلى الله - على الناس بعطاياك، ولا تمن عليهم بعلمك ولا بذكائك فالفضل من الله عزَّ وجل، وكذلك لا تهدي هدية ولا تعطي عطية ترجو من ورائها ثوابًا أعظم منها، فليس هذا من مكارم الأخلاق، وكذلك لا تعدد أعمال البر التي تقوم بها على الله عز وجل، وكذا فاصبر على أذى قومك وما يلحقك من أذى منهم.

ثم حملت السورة الكريمة تذكيراً باليوم الآخر، فإن التذكير باليوم الآخر يحمل على العمل الصالح، فإذا أيقن الشخص أن أمامه يومًا يُجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ عمل لهذا اليوم وجدَّ واجتهد وصدَّق وآمن.

ثم بعد أن أمر الله نبيه بالدعوة إلى سبيله وذكَّر وأمر بالآداب التي يتأدب بها الداعي إلى الله حذَّر أشد التحذير، وتوعد أشدَّ الوعيد هذا المستكبر المتعالي الذي حمله ماله وجاهه وثراؤه وبنوه على التكذيب والعناد والجحود والكفران.

ثم بيَّن الله عز وجل شيئًا من أمر النار وأمر خزنتها وموقف أهل الإيمان وغيرهم منها، ثم بيَّن سبحانه أن كل نفسٍ مرتهنة بعملها إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشرٌ.

ثم كيف وأن أهل الجنة يرون أهل النار ويخاطبونهم وينادونهم ويسألونهم: ماسكلكم في سقر؟ فيجيبونهم بالذي تسبب لهم في سلوك سقر؛ حتى يحذر مُحاذِر، ويتقي مُتقي، ثم وصف المعرضين بشرٍ وصف فالكافر المعرض عن الدعوة إلى الله شبِّه بالحمار الفار من القناصين، وكيف

وأن أهل الكفر يريدون أن يكونوا أنبياء تنزل عليهم صحف!! يريدون أن تأيتهم صحفٌ من رب العالمين بأسمائهم وأسماء آبائهم تحضهم على الإيمان والإسلام، كل ذلك منهم على سبيل التعنت والعناد وإلا فقد قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [الأنعام: ٧].

فمهما سألوا من شيءٍ وآتاهم الله إياه ما آمنوا ولا استقاموا، فقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] فالحامل لهم على التكذيب عدم إيمانهم بالآخرة.

ثم بيان مهمة الرسول ﷺ، وأمر هذا القرآن الكريم وأنه للتذكرة، فمن شاء أن يتذكر تذكر، ومن أراد أن يعتبر اعتبر، لكن دومًا الموفق من وفقه الله، والمهتدي من هداه الله.

ثم ترغيب في ختام طيب وجميل، ترغيب في التقوىٰ وحضُ عليها ثم التماس المغفرة من الله عزَّ وجل ذلكم الرب الرحيم الغفور نسأله سبحانه أن يجعلنا من المتقين، وأن يفيض علينا من بركاته، وأن يمن علينا بستره وعفوه وجميل إحسانه، فإلىٰ هذه السورة المباركة نطرح عليها الأسئلة ونتبعها بالإجابة.

وما كان فيها من صواب فمن الله عز وجل، وما كان فيها من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

* * *

سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا
نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا
﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ
﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المدثر ـ فأنذر ـ وربك فكبر ـ وثيابك فطهر ـ الرجز ـ اهجر ـ لا تمنن تستكثر ـ ولربك فاصبر ـ نقر ـ الناقور ـ عسير ـ غير يسير ـ ذرني ـ خلقتُ وحيداً ـ ممدوداً ـ شهوداً ـ مهدت له تمهيداً ـ كلا ـ عنيداً ـ سأرهقه صعوداً ـ فكَّر ـ قدَّر ـ قُتل ـ نظر ـ عبس ـ بسر ـ أدبر واستكبر ـ يؤثر ـ إن هذا إلا قول البشر ـ سأصليه سقر ـ لا تبقي ولا تذر ـ لواحة للبشر ـ عليها تسعة عشر.

ج:

الكلمة	معناها
المدثر	النائم في ثيابه المتلفف فيها ـ المتلفف في ثياب النوم تغطى بها ونام.
قم فأنذر	قم من مضجعك وخوِّف الناس وحذرهم.
	قم قيام عزمٍ وتصميم ـ شمر عن ساعد الجد وأنذر الناس.
وربك فكبر	عظم ربك بعبادته وباللجوء إليه وحده لا شريك له وخشيته وحده لا شريك له ـ اعتقد أنه أكبر من أن يكون له شريك ـ لا تعبد سواه.
وثيابك فطهر	لا تلبسها على معصية ولا على غدرةٍ.
	طهر الثياب من النجاسات.
الرجز	الأصنام[1] ـ الإثم والمعصية[2].

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾.

(٢) والرجز يطلق على العذاب، ومنه: «الطاعون رجز عذب به الأمم قبلكم»، ومنه: ﴿لئن =

الكلمـــة	معنـاهـــا
اهجر	اترك وابتعد .
ولا تمنن	لا تعطي عطية تطلب أكثر منها ـ لا تمن على العباد بنبوتك
تستكثر	وتطلب منهم المال لتستكثر به ـ لا تستكثر عملك الصالح على ربك .
ولربك	اصبر على ما كلفك الله به ابتغاء وجه الله وثوابه .
فاصبر	اصبر على ما تلقى من المكروه والأذى انتظاراً لثواب الله . اصبر على عطيتك التي تعطيها للناس ، واطلب ثوابها من الله .
	نُفخ .
نُقر	الصور .
الناقور	شاق ـ شديد .
عسير	غير سهل ولا لين .
غير يسير	دعني .
ذرني	خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد .
خلقت	خلقته وحيداً لا مال له ولا ولد ، ولا يُعرف من أبوه .
وحيداً	واسعًا كثيراً .
ممدوداً	حضوراً[1] ـ لا يسافرن ـ لا يغيبون .
شهوداً	يشهدون معه المحافل والاجتماعات والمناسبات .

= كشفت عنا الرجز﴾. والإثم ، والمعصية تؤديان إلى العذاب .

(١) ووجه الامتنان بذلك أن الذي يسافر للعمل هو المحتاج إلى المال ، أما إذا كان المال بحوذته فلا حاجة له إلى الأسفار ، فمثلاً إذا كان المسافر سيسافر ويتقاضى في الشهر خمسة آلاف ، ولكنه ببلده تأتيه خمسون ألفًا في الشهر ، فلماذا إذن السفر ؟!

الكلمة	معناها
مهدت له تمهيداً	بسطت له من الجاه والعيش والرياسة والمال بسطًا كبيراً، ووسعت عليه توسعة عظيمة ومكنته من صنوف المال والأثاث.
كلا	حقًا ـ (وكلا كلمة نفي مصحوب بالزجر) أي لن أزيده (هذا الأثيم المعاند).
عنيداً	معانداً للحق مجانبًا للصواب. والعناد أيضًا: الكفر بنعمة الله بعد العلم.
سأرهقه	سأكلفه مشقةً من العذاب لا راحة له منها.
صعوداً	وقال البعض: إن الصعود جبل في النار يُكلَّف صعوده[1].
قدَّر	قدَّر الأقوال التي سيقولها في القرآن. تروَّىٰ.
قُتل	لُعن ـ قُهر ـ غُلب.
نظر	تأمَّل ـ تروَّىٰ.
عبس	قبض ما بين عينيه.
بسر	كلح وجهه وتغيرَّ لونه[2].

(١) لكن الخبر الوارد في ذلك ضعيف، فهو عند الطبري (٣٥٤١٣)، وغيره من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصَّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك منه أبدًا» وفي سنده ضعف.

(٢) ومن ذلك قول الشاعر:

وقد رابني منها صدودٌ رأيته ... وإعراضها عن حاجتي وبُسُورها

الكلمـــة	معنـاهـــا
أدبر	أعرض عن الحق .
استكبر	رفض الانقياد للقرآن وتعاظم عن قبول الحق .
يُؤثر	يُنقل عن الآخرين (ممن كانوا قبله) .
إن هذا إلا قول البشر	ما هذا قول الله إن هو إلا قول المخلوقين .
سأصليه	سأدخله كي يصلي بحرِّها .
سقر	جهنم ـ دركة من دركات النار .
لا تبقي ولا تذر	لا تبقي من كان فيها حيًا بل تأكل لحمه وعظامه وجلده ودمه ، ولا تتركه ميتًا ، بل كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها . وقال بعض العلماء : إن قوله لا تبقي في معنىٰ قوله ولا تذر ، ولكن ذلك للتأكيد .
لواحةٌ للبشر	تلفح الجلد فتدعه أسود كالليل البهيم (فالبشر هو الجلد) . أجسادهم تلوَّح عليها . حرَّاقةٌ للبشر ـ غيرَّ جلودهم فاسودت . لفاحةٌ للجلد . وقيل : تلوح لهم النار فيرونها عن بُعد ، من قولهم : لاح كذا أي ظهر .
عليها تسعة عشر	خزنتها القائمون عليها عددهم تسعة عشر خازنًا .

س ـ هل صح لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، صح في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من طريق ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن جابر بن عبد الله الأنصاري (وكان من أصحاب رسول الله ﷺ) كان يحدث. قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي[٢] (قال في حديثه): «**فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسي بين السماء والأرض**» قال رسول الله ﷺ: «**فجئثت**[٣] **منه فرقًا. فرجعت فقلت: زملوني زملوني. فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** [المدثر: ١-٥] **وهي الأوثان قال: ثم تتابع الوحي.**

* * *

س ـ يقال: إن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أول ما نزل من القرآن، فما مدى صحة ذلك ومن القائلون به؟

ج: ذهب إلى ذلك أبو سلمة بن عبد الرحمن، ونقله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فأخرج البخاري ومسلم[٤] من طريق يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر: فقلت: أو اقرأ. فقال:

(١) البخاري (حديث ٤٩٢٥)، ومسلم (حديث ١٦١).

(٢) فترة الوحي أي: فتوره أي: تأخره واحتباسه وعدم نزوله.

(٣) جئثت أي: فزعت ورعبت.

(١) البخاري (حديث ٤٩٢٢)، ومسلم (حديث ١٦١ ص١٤٤).

سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر. فقلت: أو اقرأ؟ قال جابرٌ: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ. قال: «**جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري**[1] **نزلت فاستبطنت بطن الوادي**[2] **فنوديتُ، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديتُ، فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش**[3] **في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفةٌ شديدةٌ، فأتيت خديجة فقلت: دثروني فدثروني. فصبوا علي ماء. فأنزل الله عز وجل:** ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ١-٤].

بينما ذهب جمهور العلماء إلى أن أول ما نزل من القرآن ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم**﴾.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[4] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراءٍ فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراءٍ، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ**». قال: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا**

---

(١) جواري أي: مجاورتي واعتكافي.

(٢) استبطنت الوادي: صرت في باطنه.

(٣) المراد بالعرش هنا الكرسي (الكرسي بين السماء والأرض كما تقدم).

(٤) البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).

بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع. . . . الحديث.

ووجه الجمع بين ما ذُكر عن أبي سلمة وجابر رضي الله عنه أن يُقال: إن سورة المدثر أول سورة نزلت بعد فترة الوحي.

أي أن القدر المذكور من سورة العلق نزل أولاً، ثم حصل فتور في الوحي، فمكث الوحي فترة لا ينزل، ثم نزلت سورة المدثر. وبهذا قال الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر ـ رحمهما الله تعالى.

* * *

س ـ ما صحة الوارد من أن النبي ﷺ لما فتر الوحي حزن حزنًا شديدًا فجعل يعدو إلى شواهق رؤوس الجبال ليتردى منها؟

ج: هذا ضعيف، فقد روي مرسلاً عند الطبري[1] من طريق الزهري قال: فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة، فحزن حزنًا، فجعل يعدو إلى شواهق رؤوس الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبي الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه، فكان النبي ﷺ يحدث عن ذلك، قال: بينما أنا أمشي يومًا إذا رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا، فرجعت إلى خديجة فقلت: زملوني، فزمّلناه، أي فدثرناه فأنزل الله: ﴿يَا

(١) الطبري (٣٥٣١٠) وهو مرسل.

أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال الزهري: فكان أول شيء أنزل عليه: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١]... حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥].

وهذا الحديث أصله عند البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فذكر الحديث... وفي بعض طرقه: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ «فيما بلغنا حُزنًا غدا منه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال. فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذورة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك».

* * *

س ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ منقبةٌ لنبينا محمد ﷺ وضحها.

ج: إيضاحها أن الله عز وجل ما نادى نبيه ﷺ بقوله: يا محمد، كما نادى غيره من الأنبياء، فقد نادى نوحًا عليه السلام فقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: ٤٨].

ونادى إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾. [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]

ونادى موسى بقوله: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي

(١) البخاري (حديث ٦٩٨٢) وهذا القدر المشار إليه مرسل (من قوله فيما بلغنا...).

وَبِكَلامِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ونادىٰ عيسىٰ بقوله: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]

ولكنه سبحانه لم ينادِ نبيه محمداً ﷺ في آية من القرآن باسمه يا محمد، بل ناداه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ملاطفة في الخطاب من الكريم إلىٰ الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة «المزمل». ومثله قول النبي ﷺ لعليّ إذ نام في المسجد: «**قم أبا تراب**» وكان خرج مغاضباً لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه وأصابه تراب؛ خرجه مسلم. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق: «**قم يا نومان**».

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ أنذر من؟ وأنذرهم بماذا؟

ج: أنذر الكفار والعصاة والمجرمين، وحذرهم النار وعقاب الله عز وجل.

وابدأ في الإنذار بقومك كما قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾.

[الشعراء: ٢١٤]

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١].

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال:

أولها: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة ولا ذنوب ولا آثام، والعرب تقول للنقي من الذنوب والآثام: طاهر الثياب وفي هذا يقول شاعرهم:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبستُ
ولا من غَدرة أتقنعُ

وأنشدوا في ذلك أيضًا:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداءٍ يرتديه جميل

فعليه فهذا الوجه الأول حاصله: كن طاهرًا من المعاصي والذنوب والآثام والغدر، فلا تدع وأنت غادرٌ مذنب عاص ملوث بالآثام.

الثاني: اغسل ثيابك وطهرها من النجاسات، فقد كان المشركون لا يتطهرون من النجاسات.

الثالث: لا تلبسها من كسب خبيث.

الرابع: أصلح عملك.

الخامس: أصلح قلبك ونيتك.

وثمَّ أقوال أُخر، وأشهر الأقوال القول الأول والثاني، والذي عليه أكثر السلف هو القول الأول، نقله عنهم الطبري ولكنه استظهر القول الثاني.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدللِ
وإنْ كُنْتِ قَد أَزْمَعْتِ هجري فَأَجْمِلي
وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ
فسُلِّي ثِيَابي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي، والحسن البصري: وخُلقك فَحسّن.

* * *

س ـ هل قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يُفيد أن النبي ﷺ كان لا يهجر الرجز؟

ج: لا يفيد ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن أورد الوجهين في تفسير الرجز (وهما الأصنام، والمعصية): وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسُهُ بشيءٍ من ذلك كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ

سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

ج: قدمنا بعض أقوال العلماء في ذلك، فمنها: لا تعطي عطية تريد بها أكثر منها، وهذا هو الربا المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

ومن مجيء المن بمعنى العطية قوله تعالىٰ: ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

ومن الأقوال أيضًا: لا تمن علىٰ العباد بنبوتك تطلب منهم مالاً وأجراً علىٰ هدايتهم؛ فتستكثر بهذا المال.

وقول ثالث: لا تمنن بعملك الصالح علىٰ ربك، وتقول: فعلت وفعلت، وصبرت وأوذيت ونحو ذلك من أثقال النبوة، وأعباء الدعوة إلىٰ الله، فنعم الله عليك أوسع وأعظم مما تتحمله وتلاقيه وتعاني منه.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ لأسماء: «**تصدقي ولا تحصي فيحصى عليك**».

وقريب من هذا المعنىٰ: لا يكثر عملك في عينيك.

القول الرابع: لا تضعف ولاتتوان عن العمل، بل جِد واجتهد وواصل العمل والدعوة والعطاء. ومن المن بمعنىٰ الضعف قولهم: حبلٌ منين أي ضعيف.

القول الخامس: لا تُعدد مآثرك ونعمك علىٰ من تفضلّت عليه بعطاء.

هذا، وقوله تعالىٰ: ﴿**ولا تمنن تستكثر**﴾، قال بعض العلماء معناه: ولا

تمنن أن تستكثر، أي ولا تمنن طالبًا أن تستكثر، وأوردوا في ذلك بيت الشعر:

ألا أيهذا الزاجـري أحضُـرَ الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي

فالمعنى: ألا أيها الزاجري أن أحضر الوغى بدليل عطف و«أن أشهد» منصوبًا على الفعل» أحضر» وهو منصوب بأن المضمرة، وهو بعيد، فالفعل «تستكثر» مرفوع، ولم ترد قراءة فيه بالنصب. والله أعلم.

* * *

س ـ ما صحة أثر ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾؟

ج: أما الأثر فهو ما أخرجه الطبري[1] وغيره من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستسمع متى يؤمر ينفخ فيه؟**» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نقول؟ فقال: تقولون: «**حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**».

قلت: وعطيه العوفي ضعيف.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ألم يكن بكافٍ عنه ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لتأكيد عسره على الكافرين، وأيضًا لبيان أن عسره زائل عن المؤمنين إن شاء الله.

* * *

(١) الطبري (٣٥٣٧٤).

س ـ هل يلحق أهل الإيمان كربٌ وخوف يوم القيامة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن أهل الإيمان لا يلحقهم خوف ولا كربٌ يوم القيامة، لقوله تعالى ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ولقوله تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. ونحو ذلك من الآيات.

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الكرب يعتري الجميع ثم يزول عن أهل الإيمان ويرزقهم الله الأمن والأمان وذلك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

ولقول آدم عليه السلام: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**».

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

ج: أما قوله: ﴿ذَرْنِي﴾ فمعناها: دعني، وهي كلمة تحمل معنى التهديد الأكيد والوعيد الشديد، كقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ وكقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤].

فالمعنى: دعني مع هؤلاء، وكِلْ أمر هؤلاء إليَّ؛ فأنا أكفيكهم وأنتقم منهم أشد الانتقام.

ونحوه: «ذرني ومن خلقت وحيداً» أي: دعني مع هذا وكِلْ أمره إليَّ فأنا أكفيكه وأنتصر لك منه وأنتقم منه.

س ـ اذكر بعض الوارد في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾؟ مع بيان درجته من الصحة؟

ج: من ذلك ما أخرجه الطبري[1] من طريق عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: يعطونكه؛ فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَله. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنَّكَ مُنكر لما قال، وأنك كاره له. قال: فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى. قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ قال قتادة، خرج من بطن أمه وحيداً، فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

قلت: (وهذا ضعيف مرسل).

وثمَّ ما هو أضعف منه في الإسناد عند الطبري عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾... إلى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش، فقال: يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما

(١) الطبري (٤٥٣١٩).

سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأن قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: ألست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل علىٰ ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي؟ فلا يقصر عن سائر بني قصيّ، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله علىٰ نبيه ﷺ: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾ . . . إلىٰ ﴿ **لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ** ﴾.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ** ﴾.

ج: هذا محتملٌ لأمرين:

أحدهما: يطمع أن أزيده في الدنيا زيادة علىٰ ما هو فيه من المال والبنين.

الثاني: يطمع أن أزيده في الآخرة، فمع كونه لا يقر بالآخرة، إلا أنه يقول: وعلىٰ فرض أن هناك آخرة، فالذي أكرمني في الدنيا سيكرمني في الآخرة، يقول ذلك مع كفره وعتوه وظلمه وهذا كقول نظيره صاحب الجنتين: ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** ﴾ [الكهف: ٣٤].

وكقول الله عز وجل في العاص بن وائل السهمي: ﴿ **أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ [مريم: ٧٧].

وقيل: ثم يطمع أن أزيد أي: أُبقي له ذلك الثراء والجاه والمال في ذريته وعقبه.

* * *

س ـ ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: معناها التعجب، كقولك لرجل: أدخلتك داري وأكرمتك وأطعمتك وكسوتك ثم أنت تشتمني؟!

قال بعض العلماء: ونحوه قول الله تبارك وتعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾.

[الأنعام: ١]

* * *

س ـ لماذا قيل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لتعظيم شأنها وتهويل أمرها، وبيان فظاعتها وشدتها.

* * *

(٣٠) وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١)
كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا
لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

س ـ اذكر معنى ما يلي:

أصحاب النار ـ عدتهم ـ فتنة ـ ليستيقن ـ الذين أوتوا الكتاب ـ ولا يرتاب ـ مرض ـ أدبر ـ أسفر ـ إحدى الكبر.

ج:

الكلمـــة	معنـاهـــا
أصحاب النار	المراد بهم هنا خزنة النار.
عدتهم	عددهم.
فتنة	بلاء.
ليستيقن	ليوقن ـ ليتيقن ـ ليتأكد.
الذين أوتوا الكتاب	اليهود والنصارىٰ.
ولا يرتاب	ولا يشك.
مرض	شك ونفاق.
أدبر	وليَّ ـ ذهب وقيل: أظلم.
أسفر	أضاء.
إحدى الكبر	إحدىٰ الأمور العظيمة.

س ـ وضح وجه قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾.

ج: وجه ذلك للرد على المشركين الزاعمين أنهم يستطيعون مغالبة خزنة النار، فكجواب عليهم قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أي ليسوا بشراً تستطيعون مغالبتهم. وثمَّ وجوه أُخر.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾أي لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة ولا يستروحون إليهم؛ ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم؛ ولأنهم أشدّ خلق الله بأسًا وأقواهم بطشًا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ ﴾، أي: خُزَّانها ﴿ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أي: غلاظًا شداداً. وذلك ردٌّ على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم؟ فقال الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أي: شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون.

* * *

س ـ ما وجه افتتان الكفار بعدد الملائكة؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ كما نُقل عن بعض الكفار أنهم لما سمعوا أن عدد الملائكة (الخزنة) تسعة عشر قالوا: نحن قادرون على قتلهم واحتلال الجنة بالقوة، أو إخماد النار فافتتنوا بذلك، وازدادوا تكذيبًا وسخرية ممن ذكرهم بالله وبجنته وبناره.

س ـ ما وجه استيقان الذين أوتو الكتاب؟

ج: وجه ذلك: أن أهل الكتاب إذا سمعوا قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وافق ذلك ما هو ثابت عندهم في التوراة والإنجيل من عدد خزنة النار، فحينئذ يتيقنون من صدق رسول الله ﷺ إذ هو نبيٌ أميٌ لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يخبرهم بعدد الملائكة.

* * *

س ـ ما وجه ازدياد الذين آمنوا إيمانًا؟

ج: يزداد الذين آمنوا إيمانًا لكون نبيهم ﷺ أتىٰ بما وافق الثابت في التوراة والإنجيل.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على زيادة الإيمان.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًا، وقد أوردناها في عدة مواطن من كتابنا التسهيل.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

ج: إيضاحه: أن أمر الهداية أو الإضلال موكول إلى الله سبحانه وتعالى، وهو أعلم بخلقه يضل منهم من يشاء ويهدي من يشاء، أي يصرف عن الحق والإيمان من يشاء، ويوفق للحق والإيمان من يشاء.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدّة خزنة جهنم: أي شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوّفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانًا ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ فيخذله عن إصابة الحق ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ منهم فيوفقه لإصابة الصواب.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على كثرة الملائكة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث مالك بن صعصعة وفيه: أن النبي ﷺ قال: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان... فذكر الحديث وفيه فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يُصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

ومن ذلك ما أخرجه الطبراني، وغيره بإسناد يصح لشواهده وفيه: أن

(١) البخاري (حديث ٣٢٠٧) ومسلم (حديث ١٦٤).

النبي ﷺ قال: «**إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبرٍ إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»(١).

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾.

ح: أي من كثرة جنود ربك وتنوعهم فلا يعلمهم إلا هو لا يعلم عددهم، ولا يعلم وصفهم، ولا يعلم أصنافهم؛ فلله جندٌ من الملائكة، وجندٌ من البشر، وجند من غير هؤلاء(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾، أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونايين، ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها، وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهِمُوا صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ وما هذه الحجج والبينات والدلائل والآيات التي نسوقها إلا موعظة للبشر يتعظون بها ويعتبرون.

---

(١) الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٠١) وله شواهد عند أحمد (٥/ ١٧٣) وغيره.

(٢) كالريح الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، والطير الأبابيل، . . . وغير ذلك.

وقال آخرون من العلماء: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي نار الدنيا تذكر بنار الآخرة.

وقال غيرهم: وما التذكير بعدد الملائكة إلا تذكيرٌ للبشر.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

ج: في ذلك أقوال:

يتقدم من الإيمان فيؤمن أو يتأخر فيكفر.

يتقدم في طاعة الله أو يتأخر فيعصي.

يتقدم فيما يقربه من الجنة أو يتأخر عنها. وثمَّ أقوال أُخر.

* * *

﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى
جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾
قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا
نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا
ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ
مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ
يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا
يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

رهينة ـ المجرمين ـ ما سلككم ـ سقر ـ نخوض مع الخائضين ـ يوم الدين ـ اليقين ـ قسورة ـ صحفًا ـ مُنشرة.

ج:

الكلمة	معناها
رهينة	مرهونة ـ حبيسة ـ مأخوذة بعملها ـ مسجونة بفعلها .
المجرمين	الكفار، ويطلق الإجرام أيضًا على من عمل عملاً استوجب بسببه النار ولم يغفر له .
ما سلككم	ما أدخلكم .
سقر	دركة من دركات النار ـ اسم من أسماء جهنم .
نخوض مع الخائضين	نخالط أهل الباطل ونشاركهم في باطلهم وفي شركهم، كلما غوىٰ غاوٍ غوينا معه .
يوم الدين	يوم الجزاء والحساب ـ يوم القيامة .
اليقين	الموت .
قسورة	الرماةُ والقنَّاصون ـ الأسد . أصوات الرجال ـ النبال .
صحفًا	كتبًا .
مُنشرة	مفتوحة .

س ـ هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟

ج: ذهب إلى ذلك فريق من أهل العلم، وإن كانت المسألة محل خلاف، أما الذين ذهبوا إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فمن أدلتهم قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١-٣٢].

أما الذين قالوا: إن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة، فمن حججهم: أن الشرك يحبط جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وكما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

* * *

س ـ هل يرى أهل الجنة أهل النار يوم القيامة؟

ج: نعم يرونهم في بعض الأحيان إذا أراد الله ذلك دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فبينما هم يتساءلون ويسأل بعضهم بعضاً إذ يطلعهم الله عليهم فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

ونحوه في قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٦].

مبحثٌ مختصرٌ في حكم تارك الصلاة

س ـ اذكر بعض الأدلة التي استدل بها القائلون بتكفير تارك الصلاة وأدلة القائلين بعدم تكفيره، وكيف وجَّه القائلون بعدم كفر تارك الصلاة مع ذكر أدلة القائلين بكفره؟

ج: بعض أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة:

أولاً: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

قال ابن القيم رحمه الله (في كتابه الصلاة وحكم تاركها):

فلا يخلو إما أن يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذي سلكهم في سقر وجعلهم من المجرمين أو مجموعها، فإن كان كل واحد منها مستقلاً بذلك فالدلالة ظاهرة، وإن كان مجموع الأمور الأربعة فهذا إنما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم، وإلا فكل واحد منها مقتضٍ للعقوبة، إذ لا يجوز أن يضم ما لا تأثير له في العقوبة إلى ما هو مستقل بها.

ومن المعلوم: أن ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطًا في العقوبة على التكذيب بيوم الدين، بل هو وحده كاف في العقوبة. فدل على أن كل وصف ذكر معه كذلك، إذ لا يمكن لقائل أن يقول: لا يعذب إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة، فإذا كان كل واحد منها موجبًا للإجرام ـ وقد جعل الله سبحانه المجرمين ضد المسلمين ـ كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين

في سقر. وقد قال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩]، فجعل المجرمين ضد المؤمنين.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]

رابعًا: قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فالمفهوم المخالف إذا لم يتوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا بإخوانٍ لنا في الدين.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦].

سادسًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥].

سابعًا: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

ثامنًا: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن

ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

تاسعًا: قول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(١).

عاشرًا: قول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢).

حادي عشر: قول النبي ﷺ: «**ومن لم يحافظ عليها** (أي على الصلاة) **لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**»(٣).

ثاني عشر: قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج**»(٤).

ثالث عشر: قول النبي ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم**»(٥).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (ص ٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (حديث ١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) في سنده عيسى بن هلال الصدفي، ولا أرى حديثه يرتقي للحسن، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩) والدرامي (٢/ ٣٠١) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

(٤) صحيح، أخرجه البخاري (حديث رقم ٨) ومسلم (حديث ١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٥) صحيح، أخرجه البخاري (حديث ٣٩١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.. وتمامه: الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تُخفروا الله في ذمته.

رابع عشر: قول عبد الله بن شقيق: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[١].

أدلة القائلين بعدم كفر تارك الصلاة:

أولاً: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

ثانيًا: قول النبي ﷺ: «**خمس صلوات افترضهن من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له؛ ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»[٢] قالوا: فما دام دخل تحت المشيئة فقد خرج من دائرة الكفر.

ثالثًا: قول النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله (ابتغاء وجه الله) ختم له بها دخل الجنة**»[٣].

رابعًا: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حقٌ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٢٢) من طريق بشر بن المفضل عن الجرير، مختلط، وهو سعد بن إياس، وهذا الأثر يحتاج مني لمزيد من التحرير.

(٢) صحيح لطرقه وشواهده، أخرجه البيهقي (السنن الكبرى ٢/ ٢١٥) وله شواهد انظر الموطأ (ص١٢٣) وأحمد (٥/ ٣١٥).

(٣) حسن، أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٩١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤٣٥) ومسلم حديث (٢٨).

خامسًا: حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري ومسلم[١] وفيه أن النبي ﷺ ومعاذ بن جبلٍ رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال «**يا معاذ**» قال: لبيك رسول الله وسعديك قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا حرمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يَتَّكِلُوا**» فأخبر بها معاذٌ عند موته، تأثمًا.

سادسًا: قول النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[٢].

سابعًا: حديث عتبان بن مالك وفيه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٣].

ثامنًا: حديث الشفاعة وفي بعض طرقه: وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله»[٤].

تاسعًا: حديث البطاقة[٥] وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً**

---

(١) البخاري (حديث ١٢٨) ومسلم (حديث ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥) ومسلم (حديث ٣٣) ولفظ مسلم: «لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار، أو تطعمه».

(٤) مسلم (حديث ١٨٤) والبخاري (حديث ٧٥١٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وأحمد (٢/ ٢١٣) وغيرهم بسندٍ حسن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعًا.

وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفةٍ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

عاشرًا: أخرج البخاري ومسلم[1] حديث الشفاعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّة في حميل السيل قد رأيتموها إلىٰ جانب الصخرة وإلىٰ جانب الشجرة فما كان إلىٰ الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلىٰ الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه.

أما كيف وجه هذا الفريق من العلماء أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة فكما نقله عنهم ابن القيم فقد قالوا: يجب حمل هذه الأحاديث وما شاكلها علىٰ كفر النعمة دون كفر الجحود . . .

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (ص ١٧٠) حديث ١٨٣، واللفظ للبخاري.

وأورد ابن القيم لهم جملة أدلة على ذلك[١] ثم قال:

قالوا: وقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني، والسارق، وشارب الخمر، والمنتسب، ولم يوجب زوال هذا الاسم عنهم كفر الجحود والخلود في النار، فكذلك كفر تارك الصلاة ليس بكفر جحود ولا يوجب التخليد في الجحيم، وقد قال النبي ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، فنفى عنه الإيمان، ولا يوجب ترك أداء الأمانة أن يكون كافراً كفراً ينقل من الملة. وقد قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤] ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، وقال طاوس: سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: هو به كفر، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال أيضًا: كفر لا ينقل عن الملة، وقال سفيان عن ابن جريج عن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

* * *

(١) منها حديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

مبحثٌ في دلالة الاقتران

س ـ دلالة الاقتران هل تفيد التساوي في الأحكام أم لا؟ وضح ذلك؟

ج: الظاهر أن دلالة الاقتران لا تفيد التساوي في الأحكام، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

فالتكذيب بيوم الدين كفرٌ بالاتفاق، وترك الصلاة كفرٌ على خلاف، وعدم إطعام المسكين ليس بكفر عند الجمهور ـ إلا في حالة جحود الزكوات المفروضة ـ والخوض مع الخائضين حكمه بحسب هذا الخوض وكذلك في حديث رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

هذا وأورد هاهنا شيئًا مختصراً يتعلق بدلالة الاقتران أورده الزركشي في البحر المحيط[1] عند مبحث دلالة الاقتران فقال: قال بها المزني وابن أبي هريرة والصيرفي منا، وأبو يوسف من الحنفية، ونقله الباجي عن نصّ المالكية. (قال): ورأيت ابن نصر يستعملها كثيراً. وقيل: إن مالكًا احتج في سقوط الزكاة عن الخيل بقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] فقرن في الذكر بين الخيل والبغال والحمير، والبغال والحمير لا زكاة فيها إجماعًا، فكذلك الخيل.

---

(١) ج ٦ ص (١٠١).

وأنكرها الجمهور فيقولون: القِران في النظم لا يوجب القِران في الحكم، وصورته أن يدخل حرف الواو بين جملتين تامتين، كل منهما مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، بلفظ يقتضي الوجوب في الجميع أو العموم في الجميع، ولا مُشاركة بينهما في العلة، ولم يدل دليل على التسوية بينهما، كقوله تعالى: ﴿**كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله: ﴿**فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وآتوهم**﴾ [النور: ٣٣]، وكاستدلال المخالف في أن استعمال الماء ينجسه بقوله عليه السلام: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة**» لكونه مقرونًا بالنهي عن البول فيه، والبول فيه يفسده، فكذلك الاغتسال فيه.

وهو غير مرضي عند المحققين، لاحتمال أن يكون النهي عن الاغتسال فيه لمعنى غير المعنى الذي مُنع من البول فيه لأجله. ولعل المعنى في النهي عن الاغتسال لا ترتفع جنابته، كما هو مذهب الحصري من أصحابنا.

واحتج القائلون بها بأن العطف يقتضي المشاركة، وقياسًا على الجملة الناقصة إذا عطفت على الكاملة.

وأجيب بأن الشركة إنما وجبت في الناقصة لافتقارها إلى ما تتم به، فإذا تمت بنفسها لا تجب المشاركة إلا فيما يفتقر إليه. ويدل على فساد هذا المذهب قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ [الفتح: ٢٩] فإن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، ولا تجب للثانية الشركة في الرسالة. وقوله تعالى: ﴿**كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ والإيتاء واجب دون الأكل، والأكل يجوز في القليل والكثير، والإيتاء لا يجب إلا في خمسة أوسق؛ ولأن الأصل في كل كلام تام أن ينفرد بحكمه ولا يشاركه فيه الأولُ، فمن ادعى خلاف هذا في بعض المواضع فلدليل من

خارج لا من نفس النظم. أما إذا كان المعطوف ناقصاً، بأن لم يذكر فيه الخبر فلا خلاف في مشاركته للأول، كقولك: زينب طالق وعمرة، لأن العطف يوجب المشاركة، وأما إذا كان بينهما مشاركة في العلة فيثبت التساوي من هذه الحيثية، لا من جهة القران، احتجاج أصحابنا أن اللمس حدث بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] ومثله عطف المفردات، واحتجاج الشافعي علىٰ إيجاب العمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قال البيهقي: قال الشافعي رضي اللَّه عنه: الوجوب أشبه بظاهر القرآن؛ لأنه قرنها. وقال القاضي أبو الطيب: قول ابن عباس: «إنها لقرينتها» إنما أراد بها لقرينة الحج في الأمر، وهو قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ والأمر يقتضي الوجوب، فكان احتجاجه بالأمر دون الاقتران.

وقال الصيرفي في «شرح الرسالة»، في حديث أبي سعيد: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم، والسواك، وأن تمس الطيب**»: فيه دلالة علىٰ أن الغسل غير واجب، لأنه قرنه بالسواك والطيب وهما غير واجبين بالاتفاق. وقال غيره: احتج الشافعي علىٰ أن الصلاة الوسطىٰ الصبح من حيث قِرانها بالقنوت في قوله: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ولم يحرم الأصحاب خطبة النكاح علىٰ المحرم مع أنها مقارنة للنكاح في قوله ﷺ: «**لا ينكح المحرم ولا يخطب**».

قال صاحب «الوافي»: ولأصحابنا في الأصول وجه أن ما ثبت من الحكم لشيء ثبت لقرينه، ولا يبعد أن قائله يحرِّم الخِطبة. والمذهب أنه لا يثبت الحكم للقرين إلا بأن يساويه في اللفظ أو يشاركه في العلة. وقد بيّنا مفارقة الخِطبة للعقد. وهكذا إذا قرن بينهما في اللفظ ثم ثبت لأحدهما حكم بالإجماع لم يثبت أيضًا للآخر ذلك الحكم إلا بدليل يدل علىٰ

التسوية، كاستدلال المخالف بأنه لا يجب غسل النجاسة بالماء، بل يجوز بالخل ونحوه بقوله: «**حتّيه ثم اقرصيه بالماء**» فقرن بين الحتّ والقرص والغسل بالماء، وأجمعنا على أن الحتّ والقرص لا يجبان، فكذلك الغسل بالماء.

وقال بعضهم: يقوى القول به إذا وقعت حادثة لا نص فيها كان ردُّها إلى ما قرن معها من الأعيان في بعض الأحوال أولى من ردّها إلى غير شيء أصلاً.

* * *

س ـ من المعنيون بأصحاب اليمين هنا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم أطفال المسلمين الذين ماتوا دون البلوغ فلم تجر عليهم الأقلام ولم تُسجل عليهم سيئات.

الثاني: أنهم الملائكة إذ هم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الثالث: المسلمون المخلصون الذين تابوا من ذنوبهم وغفرها الله لهم، والله أعلم.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة التي تنفي الشفاعة عن الكافرين.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ**

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، فما لهؤلاء الكفار الذين هم حولك يعرضون عنك كلما حاولت تذكيرهم بالقرآن وبالحق كأنهم ـ في إعراضهم عنك ـ حمير فرت ممن أراد اصطيادها.

وهذا تشبيه لإمعان الكفار في الفرار من التذكرة بإمعان الحمير في الفرار ممن أراد صيدها.

* * *

س ـ شُبه العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار، وشبه المدعو الذي يفر من الدعوة إلى الله ومن التذكرة بالحمار دلِّل على ذلك؟

ج: أما الدليل على الأول فقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

أما الدليل على الثاني فقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ بيان لتعنت الكافرين وشدة نفورهم عن الحق، فكل منهم يطلب لنفسه أن يكون نبيًا ينزل عليه وحيٌ، أو يطلب كتابًا من الله فيه اسمه وما أمره الله به بخصوصه.

أو يطلب أوراقًا وألواحًا نازلة من السماء على رسول الله ﷺ وصحائف فيها براءات من النار، ووعود بالجنة.

أو تأتي صحف عند باب أحدهم كل يوم مكتوب فيها الذنب الذي أذنب والجرم الذي ارتكب وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا... وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾.

وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه لو أنزل عليهم كتابًا كما طلبوا، ما آمنوا، ولا صدقوا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

* * *

س ـ العقيدة الفاسدة لها تأثير على العمل بإفساده دلِّل على ذلك.

ج: كدليل عليه قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ فعدم خوفهم من الآخرة حملهم على أن يطلبوا الصحف المنشرة، وحملهم على الكفر بالله وتكذيب المرسلين.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أي لما قالوا ـ أي اليهود ـ: ليس علينا إثم إذا ظلمنا الأميين، وهم العرب حملهم هذا المعتقد الفاسد على ظلم العرب وأكل أموالم ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فالمعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ليوم عظيم ما طففوا المكاييل ولا الموازين.

ونحوه أيضًا قول أهل الكتاب: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فهذا

الأميين، وهم العرب حملهم هذا المعتقد الفاسد على ظلم العرب وأكل أموالم ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فالمعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ليوم عظيم ما طففوا المكاييل ولا الموازين.

ونحوه أيضًا قول أهل الكتاب: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فهذا المعتقد الخاطئ حملهم على قتل الأنبياء بغير حق، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك، والله أعلم، إشارة إلى القرآن.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: هو أهل لأن يتقي المتقون غضبه ويحذر المتقون عذابه، وهو أهل لأن يغفر ذنوب المذنبين وجرائم العاصين.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويُسارعوا إلى طاعته ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها.

وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله حديثًا ضعيفًا عند تفسير هذه الآية فقال:

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني سهيل أخو حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك؛ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، وقال: «**قال ربكم: أنا أهل أن أُتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلاً أن أغفر له**»ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافي بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القُطَعي به.

وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي. رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدَبَة بن خالد، عن سُهيل به.

وهكذا رواه أبو يعلىٰ، والبزار، والبغوي، وغيرهم من حديث سُهيل القُطعي به.

* * *

(١) أحمد (٣/ ١٤٢) والترمذي (٣٣٢٥) والنسائي في الكبرىٰ (١١٦٣٠) وغيرهم، وفي سنده سهيل وليس بالقوي.

سورة القيامة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ
يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ
يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ
﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ
عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا
بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ
أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾
وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ
ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ
ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ
﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ
﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ
﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

لا أقسم ـ يوم القيامة ـ اللوّامة ـ نجمع عظامه ـ نسوي بنانه ـ ليفجر أمامه ـ أيان ـ برق البصر ـ خسف القمر ـ المفر ـ لا وزر ـ المستقر ـ ينبأ ـ قدَّم ـ أخَّر ـ بصيرة ـ ألقى ـ معاذيره ـ ولو ألقى معاذيره ـ جمعه ـ قرآنه ـ اتبع قرآنه ـ علينا بيانه ـ العاجلة ـ تذرون ـ الآخرة ـ ناضرةٌ ـ ناظرة ـ باسرة ـ تظن ـ فاقرة ـ كلا ـ التراقي ـ من راق ـ ظن ـ الفراق ـ التفت الساق بالساق ـ المساق ـ كذب وتولى ـ يتمطى ـ أولى لك فأولى ـ سدى ـ نطفة ـ يُمنى ـ علقة.

ج:

الكلمة	معناها
لا أقسم	أقسم[1] .
يوم القيامة	يوم البعث والخروج من القبور للحساب والثواب أو العقاب .
اللوامة	التي تلوم صاحبها .
نجمع عظامه	نجمع العظام بعد تفرقها وتشتتها وبعد أن أصبحت رميما .
نسوي بنانه	نسوي بين أصابع يديه ورجليه ونلصقها فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير ، أو كحافر الحمار ، فلا يستطيع أن يعمل الأعمال اللطيفة كالكتابة ونحوها .
ليفجر أمامه	ليكذب بما أمامه ، أي بما هو آت من البعث والنشور أي أن المعنى ، والله أعلم أن الإنسان لا يجهل قدرة الله على خلق الخلق وإعادتهم ، ولكنه يريد بكلامه هذا أن يمهد لنفسه

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير : اتفقوا على أن المعنى قسم .

الكلمـــة	معنـاهـــا
	طريقًا للفجور فيما هو آت[1] ولا يقلع عن معاصيه مُعللاً ذلك بأن لا بعث ولا حساب ولا عقاب ولا ثواب. والمعنى أيضًا يسوف في التوبه، يقول سوف أتوب.
أيان	متى.
برق البصر	فزع البصر، وشُق، وتحيرَّ من هول القيامة وفزع الموت شخص البصر. وقيل المعنى ـ حار ولم يستقر على حال.
خسف القمر	ذهب ضوؤه فلا ضوء له.
المفر	الملجأ ـ الخلاص ـ المكان الذي يهرب إليه.
لا وزر	لا مفر يفرُّ إليه ـ لا حصن يتحصن به ـ لا جبل يأوي إليه.
المستقر	المرجع والمصير والمنتهى.
يُنبأ	يُخبر.
قدَّم	عمل قبل موته من الطاعات.
أخَّر	عمل من المعاصي ـ تخلف عن الطاعة وضيع من الحقوق.
على نفسه	شاهد على نفسه ـ محاسبٌ لنفسه.
بصيره	كما قال تعالى ﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾.
ألقى	قال ـ تكلم ـ أرخى.
معاذيره	اعذاره ـ اعتذاراته ـ ستوره.
ولو ألقى معاذيره	لو اعتذر بلسانه وتكلم وبيَّن لكن اعضاؤه تكذبه وتشهد

(١) أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: قوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ قال: قال الحسن: لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُمًا قُدُمًا إلا من قد عصم الله.

الكلمـــة	معنـاهـــا
	عليه، فهي معاذيرٌ لا تقبل. ووجه آخر لو أرخىٰ عليه ستوره وكان وحده حيث لا يراه أحدٌ من الناس، لكن الله يراه ثم حواسه شاهدة عليه.
جمعه	أن نجمعه لك في صدرك.
قرآنه	قراءته أي نعينك علىٰ قراءته.
اتبع قرآنه	استمع لقراءته.
علينا بيانه	علينا أن نبينه للناس.
العاجله	الدنيا.
تذرون	تتركون (أي تتركون العمل للآخرة).
الآخرة	يوم القيامة
ناضرة	حسنة ـ جميلة ـ مسرورة ناعمة ـ بهيّةٌ.
إلى ربها ناظرة	تنظر إلىٰ ربها. وقول آخر (تنتظر ثواب ربها).
باسرة	متغيرة الألوان مسودةٌ كالحة ـ كاشرة ـ عابسة مقطبة.
تظن	تعلم وتؤمن.
فاقرة	مصيبةٌ كبرىٰ ـ داهية عظيمة تكسر فقار ظهرها.
كلا	كلمة نفي وردع وزجر، أو معناها حقًا.
التراقي	جمع ترقوة، وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من أعلىٰ الصدر موضع الحشرجة.
من راق	من الذي يرقيه ليشفيه مما نزل به، هل من طبيب يُداويه، هل من شافٍ ومُعالج[1] من يرقي ليصعد مع الروح أو يصعد بها.

(١) قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا.

الكلمة	معناها
	وقول آخر: أن هذا من قول الملائكة لبعضهم، مَنْ يَرقىٰ (أي: من يصعد) مع الروح؟ هل ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب[1]؟
ظن	أيقن - تأكد وعلم.
الفراق	فراق الدنيا والأهل والمال والولد.
التفت الساق بالساق	اجتمعت عليه الشدائد (شدائد الدنيا مع شدائد الآخرة) آخر يوم من الدنيا مع أول يوم من الآخره، أهل الدنيا يجهزون الكفن والملائكة يجهزون الكفن للروح.
	معنىٰ آخر: الفت إحدىٰ ساقيه بالأخرىٰ في الكفن.
المساق	المرجع والمآب والمنتهىٰ.
كذب وتولى	جحد، وأنكر، وأعرض.
يتمطى	يختال ويفتخر - يتبختر في مشيته.
أولى لك	وَلِيَكَ المكروه وهو أولىٰ بك.
فأولى	الويل لك ثم الويل. الويل لك حيًا والويل لك ميتًا، والويل لك عند البعث والويل لك في النار[2].

(١) أخرج الطبري عن ابن عباس ﴿كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق﴾ قال: إذا بلغت نفسه يرقىٰ بها قالت الملائكة من يصعد بها؟ ملائكة الرحمة؟ أو ملائكة العذاب» «أثر» (٣٥٦٨٢).

(٢) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿أولىٰ لك فأولىٰ ثم أولىٰ لك فأولىٰ﴾: تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي فهو وعيد أربعة لأربعة، كما رُوي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربّه فقال: ﴿فلا صدق ولا صلىٰ ولكن كذب وتولىٰ﴾ أي لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يديّ فصلّىٰ، ولكن كذّب رسولي، وتولّىٰ عن التصلية بين يدي. =

الكلمـــة	معنـاهـــا
	تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد.
يُترك سدى	يُخلَّى مهلاً - لا يُؤمر ولا يُنهى - لا يعاتب ولا يعاقب ولا يحاسب.
نطفة	قطرة ماءٍ (منيّ) - ماء قليل من صلب الرجل.
يُمنى	يراق.
علقة	دمًا متعلقًا.

* * *

= فترك التصديق خَصْلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولّي عن الله تعالى خَصْلة؛ فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ خَصْلة خامسة، فإنّا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولّي، فأخبر عنها. وذلك بَيِّنٌ في قول قتادة على ما نذكره، وقيل: إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فهزّه مرَّةً أو مرتين ثم قال: ﴿أولى لك فأولى﴾ فقال له أبو جهل: أتهددُني؟ فوالله إني لأعَزُّ أهل الوادي وأكرمه. ونزل على رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل. وهي كلمة وعيد.

س ـ قال تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فنفى ها هنا القسم بيوم القيامة وقال تعالى ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ فأقسم هنا باليوم الموعود وهو يوم القيامة، فكيف نجمع بين الآيتين؟

ج: إذا قلنا إن معنىٰ ﴿لا أُقْسِمُ﴾ هو أقسم فعليه سيكون معنىٰ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أقسم بيوم القيامة، ومن ثمَّ فلا تعارض أما قوله ﴿لا﴾ فمن العلماء من قال هي للتوكيد كما يقول القائل لا، والله.

ومنهم من قال هي زائدة كقوله تعالىٰ: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩].

وكما قال ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

ومنهم من قال إن كلمة ﴿لا﴾ ردٌ لكلامٍ قد مضىٰ من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ثم ابتدأ القسم، فكأن المعنىٰ ليس الأمر كما تظنون من أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، أقسم علىٰ ذلك بيوم القيامة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إن ﴿لا﴾ صلة، وجاز وقوعها في أول السورة؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض، فهو في حكم كلام واحد؛ ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرىٰ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. وجوابه في سورة أخرىٰ: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]. ومعنىٰ الكلام: أقسم بيوم القيامة؛ قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة؛ ومثله قول الشاعر:

تذكرتُ ليلى فاعترتني صبابةٌ ... فكاد صميمُ القلب لا يتقطع

وحكىٰ أبو الليث السمرقنديّ: أجمع المفسرون أن معنىٰ ﴿لا أُقْسِمُ﴾:

أقسم. واختلفوا في تفسير: ﴿لا﴾ قال بعضهم: ﴿لا﴾ زيادة في الكلام للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة ﴿لا﴾ كما قال في آية أخرىٰ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن لا تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]. يعني أن تسجد، وقال بعضهم: ﴿لا﴾: ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفرّاء؛ قال الفرّاء: وكثير من النحويين يقولون ﴿لا﴾ صلة، ولا يجوز أن يبدأ بجحد ثم يُجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد علىٰ الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردّ عليهم [في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ] وذلك كقولهم لا والله لا أفعل فـ«لا» ردٌّ لكلام قد مضىٰ، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحقّ، كأنك أكذبت قومًا أنكروه. وأنشد غير الفرّاء لامرئ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامِرِ ... يِّ لا يَدَّعي القومُ أني أفِرّ

وقال غُوَيّة بن سلمي:

ألا نادتْ أمامةُ باحتمالِ ... لتحزُنني فلا بِكِ ما أبالي

* * *

س ـ أقسم الله تبارك وتعالى بيوم القيامة فهل أقسم أيضًا بالنفس اللوامة أم لم يقسم بها؟

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ أقسم بالنفس اللوامة أيضًا، قال قتادة قوله ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أقسم بهما جميعًا، وهو اختيار الطبري رحمه الله أما الحسن البصري رحمه الله فيرىٰ أنه لم يقسم بالنفس اللوّامة.

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى النفس اللوَّامة.

ج: النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها، أما هل هذه النفس نفس مؤمنة؛ أم نفس مذمومة؟ أم أن المراد عموم الأنفس؟ فبكلٍ قال فريق من أهل العلم قالوا فكل الأنفس تلوم صاحبها، الأنفس المؤمنة تلوم صاحبها لمَ لم تستكثر من الخير؟ والأنفس الكافرة تلوم صاحبها لم كفرت ولم عصيت وهل هذا في الآخرة أم في الدنيا والآخرة كذلك؟ فقال بعض العلماء إن ذلك في الدنيا أيضًا، فنفس المؤمن تلومه، فإذا تكلم قال ما أردت بكلامي هذا وإذا أكل تقول له ماذا أردت بأكلتك هذه وهكذا، فتلومه لعدم استكثاره من الخير وتلومه لفعله الشر.

أما نفس الكافر فتلومه في الآخرة.

أما من قال إنها (المذمومة) فهي التي تلوم صاحبها حيث لا ينفع الندم لكن قول الأكثرين على الوجه الأول والله أعلم.

* * *

س ـ ما مناسبة الجمع في القسم بين يوم القيامة، والنفس اللوَّامة؟

ج: أشار بعض العلماء إلى أن ذلك مفاده أن النفس اللوَّامه تلوم صاحبها يوم القيامة.

* * *

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾؟

ج: هو الإنسان الكافر.

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر علىٰ جمع عظامه بعد تفرقها؟ بلىٰ قادرين علىٰ أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرَّق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط فحسن خلقه.

* * *

س ـ ما وجه سؤالهم أيان يوم القيامة؟

ج: هذا السؤال منهم علىٰ سبيل الاستهزاء والتكذيب والاستبعاد كما ـ كانوا يقولون ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الملك: ٢٠].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم أن الإنسان شاهد علىٰ نفسه يوم القيامة تشهد عليه أعضاؤه وجوارحه مهما قدم بلسانه من اعتذارات ومهما جادل بالباطل فإن أعضاءه تكذبه وكما قال تعالىٰ ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

وفي صحيح مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قالوا: يا رسول الله! هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟**» قالوا: لا. قال «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟**» قالوا: لا. قال: **فوالذي نفسي بيده! لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول: أي فل[٢]! ألم أكرمك، وأسودك[٣]، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس[٤] وتربع[٥]؟ فيقول: بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني[٦]. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل! ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب! آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخيرٍ ما استطاع. فيقول: ههنا إذًا[٧]**.

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٨).

(٢) أي فُل: أي فلان.

(٣) أسوِّك: أجعلك سيدًا علىٰ قومك.

(٤) (ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم.

(٥) (تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها. يقال: ربعتهم، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا.

قال القاضي، بعد حكايته نحو، ما ذكرته: عندي أن معناه تركتك مستريحًا لا تحتاج إلىٰ مشقة وتعب. من قولهم: اربع علىٰ نفسك، أي ارفق بها.

(٦) (فإني أنساك كما نسيتني) أي أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي.

(٧) (ههنا إذا) معناه قف ههنا حتىٰ يشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت منكرًا.

قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه. ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر[1] من نفسه.

وذلك المنافق. وذلك الذي يسخط الله عليه».

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم[2] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «**هل تدرون ممَّ أضحك؟**» قال قلنا: الله ورسوله أعلمُ. قال **من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب! ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى. قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني: قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً. وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال فيُختَمُ على فيه. فيقال لأركانه انطقي. قال فتنطق بأعماله. قال ثم يخلى بينه وبين الكلام. قال فيقول: بعداً لَكُنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أناضل**».

قلت: وثمَّ معنىٰ آخر: بل إن الإنسان شاهدٌ علىٰ نفسه بما عمل من ذنوب وبما ارتكب من محارم وآثام، وإن أغلق عليه الغرف والأبواب، وأرخىٰ علىٰ نفسه الستور.

* * *

(١) (ليعذر) من الإعذار. والمعنىٰ ليزيل الله عذره من قِبَل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه، بحيث لم يبق له عذر يتمسك به.

(٢) مسلم (٢٩٦٩).

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ مع بيان سبب نزولها.

ج: المعنى، والله أعلم، أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه شيءٌ عجَّل به يريد حفظه من شدة حرصه عليه وخشيته من ذهابه، فكان يحرك اللسان ليحفظ، فقيل له ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...﴾ الآيات.

وأخرج البخاري[1] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفيته، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ـ فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

* * *

س ـ في قوله تعالى ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أدبٌ لأخذ العلم الشرعي، وضح هذا الأدب.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

وفي هذه الآية، أدب لأخذ العلم، أنّ لا يبادر المتعلم للعلم، قبل أن يفرغ المعلم، من المسألة، التي شرع فيها، فإذا فرغ منها، سأله عما أشكل

(١) البخاري (حديث ٥).

عليه. وكذلك إذا كان في أول الكلام، ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما، يتمكن فيه من الكلام فيه، على وجه الصواب.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾، أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم ـ أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ وتوضح حب الناس للدنيا وتهاونهم بالآخرة.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وقوله تعالىٰ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

* * *

س ـ هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

ج: نعم، يرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة قال تعالىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقد سئل النبي ﷺ من أصحابه هذا السؤال فقالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟!**» قلنا: لا. قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»... فذكر الحديث.

وفيه أيضًا: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا...**» الحديث[1].

هذا، وثم أدلة أُخر كثيرة في الباب أوردناها في تفسير سورة المطففين عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فالكفار يحجبون عن رؤية ربهم، والمؤمنون في المقابل يرونه.

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

س ـ ما التي بلغت التراقي؟

ج: هي النفس، كقوله تعالىٰ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالىٰ ذكره: فلم يصدق بكتاب الله، ولم يُصل له صلاة ولكنه كذَّب بكتاب الله، وتولىٰ فأدبر عن طاعة الله.

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ هل قاله الرسول ﷺ لأحد؟

ج: قد قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم نزل القرآن بذلك.

أخرج النسائي[1] في السنن الكبرىٰ بسندٍ صحيح عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قاله رسول الله ﷺ وأنزله الله عزَّ وجل؟ قال قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله.

وانظر إن شئت تفسير عبد الرزاق[2] وتفسير ابن أبي حاتم[3] ففيهما تسمية أبي جهل.

* * *

(١) السنن الكبرىٰ (١١٦٣٨/ ٢).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣٤٢٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٦٩) و(١٩٠٧٠).

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

ج: من ذلك، والله أعلم، قوله تعالىٰ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقة حتىٰ صيره إنسانًا سويًا، له أولادٌ ذكورٌ وإناث، بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ من مماتهم، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم. يقول: معلوم أن الذي قدر علىٰ خلق الإنسان من نطفة من مني يمنىٰ، حتىٰ صيره بشراً سويًا، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته. وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك قال: بلىٰ.

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال شيئًا؟

ج: أخرج أبو داود[1] بسندٍ صحيح عن موسىٰ بن أبي عائشة قال كان

(١) أبو داود حديث (٨٨٤).

لكن لهذا الحديث علة، وهي أن الحديث روي من طريق موسىٰ بن أبي عائشة أن رجلاً حدثهم قال أمهم رجلٌ يومًا . . . . فذكر الحديث ففي هذا السند واسطة بين موسىٰ بن =

رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك فبلىٰ، فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو داود أيضًا من طريق أعرابي قال قال رسول الله ﷺ «**من قرأ منكم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، فليقل: بلى ومن قرأ ﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل آمنا بالله**»[1].

وعند الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلىٰ.

وهذا، وإن كان حسنًا إلىٰ قتادة، لكنه مرسل وعند ابن أبي حاتم وعبد الرزاق[2] وغيرهما عن ابن عباس أنه مرَّ بهذه الآية ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن

= أبي عائشة وبين الصحابي، وهذه الواسطة رجل لم يُسم، وهذه الرواية عند عبد الرزاق في التفسير (٣٤٢٢) وعند ابن أبي حاتم (١٩٠٧٣).

(١) أبو داود حديث (٨٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٧٤) وعبد الرزاق في المصنف (٤٠٥١) من طريق أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وأبو إسحاق وإن كان مدلسًا إلا أن نزول الإسناد هنا يقوي القول بعدم تدليسه، ذلك لأن وبين ابن عباس راويان.

﴿يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك، وبلىٰ.

فبهذه الأحاديث والآثار مع الاتفاق[١] الذي نقله بعض العلماء علىٰ مشروعية ذلك، يظهر لنا من هذا صحة قول من قال: سبحانك، وبلىٰ؛ إذ قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ واللَّه تعالىٰ أعلم.

تم تفسير سورة القيامة بحمد اللَّه.

* * *

(١) انظر آخر تفسير سورة التين تتمة من تفسير أضواء البيان. ط

سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا
خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا
﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ
ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

هل أتى ـ حينٌ ـ شيئًا مذكورا ـ نطفة ـ أمشاجٍ ـ نبتليه ـ سميعًا ـ بصيرا ـ هديناه السبيل ـ شاكرًا ـ كفورًا ـ أعتدنا ـ سلاسل ـ أغلالاً ـ سعيرًا ـ الأبرار ـ كأس ـ مزاجها كافورًا ـ يشرب بها ـ يفجرونها تفجيرا ـ النذر ـ يخافون يوما ـ مستطيرًا ـ على حبه ـ مسكينًا ـ أسيرًا ـ جزاءًا ـ عبوسًا ـ قمطريرا .

ج:

الكلمة	معناها
هل أتى	قد أتى .
حينٌ	زمنٌ ـ مدةٌ .
شيئًا مذكورا	شيئًا له ذِكرٌ وشأنٌ وقيمة .
نطفة	ماء الرجل وماء المرأة ـ والنطفة الماء القليل[1] .
أمشاجٍ	أخلاط (اختلاط ماء الرجل بماء المرأة أي : ماء الرجل

(١) وكل ماءٍ قليل في وعاء فهو نطفة ، وأوردوا في ذلك قول ابن رواحة رضي الله عنه :

ما لي أراك تكرهين الجنة وهل أنت إلا نطفةٌ في شنَّة

وقال الطبري رحمه الله :

وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى ذلك ﴿من نطفة أمشاج﴾ نطفة الرجل ونطفة المرأة ، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج ، وهي إذا انتقلت فصارت علقة ، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجًا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا : إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد ، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة ، وإذا كانت لونًا واحدًا لم تكن ألوانًا مختلفة ، وأحسب أن الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى .

الكلمة	معناها
	يُمشج بماء المرأة).
	قول آخر: أمشاج ألوان وأطوار (مراحل) ينتقل إليها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم تكسىٰ العظام لحمًا.
	وقيل ألوان النطفة حمراء ـ صفراء ـ بيضاء.
	وقيل العروق التي في النطفة.
نبتليه	نختبره.
سميعًا	ذا سمعٍ.
بصيراً	ذا بصرٍ.
هديناه السبيل	بيَّنا له الطريق وأوضحناه له، ومنه ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، ومنه ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.
	وأيضًا المعنىٰ: عرفناه طريق الخير والطريق الشَّر.
إما شاكراً وإما كفوراً	إما شقيًا وإما سعيداً[1].
أعتدنا	أعددنا.
سلاسل	يسحبون بها إلىٰ النار ـ قيوداً.
أغلالاً	تغل بها الأيدي إلىٰ الأعناق.
سعيراً	حريقًا ـ لهيبًا.
الأبرار	الذين بروا بطاعتهم لربهم وأداء فرائضه واجتناب معاصيه.
	ومن العلماء من قال الأبرار هنا هم أصحاب اليمين.

(١) وفي صحيح مسلم حديث (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . . . . كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.

الكلمـــة	معنـاهـــا
كأس	كل إناء فيه شراب (خمر) فهو كأس .
مزاجها	رائحتها ، فالكافور صفةٌ للشراب شوبها وخلطها .
كافوراً	الكافور عينٌ في الجنة .
	الكافور هو الكافور المعروف مع الفارق بين كافور الدنيا وكافور الآخرة فالمعنى أنها كالكافور في رائحتها .
يشرب بها	يشرب منها
يفجرونها تفجيراً	يفجرون تلك العين ، يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا في منازلهم وقصورهم ، ويعني بالتفجير هنا الإسالة والإجراء (الجريان) ، يوجهونها حيث شاءوا ويسوقونها حيث أرادوا .
النذر	العهد ، ويراد به هنا كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من الأفعال .
يخافون يوماً	يخافون عقاب الله في يوم .
مستطيرا	ممتداً ـ طويلاً فاشياً منتشراً .
على حبه	مع حبهم له ورغبتهم فيه ـ ومعنى آخر : مع حبهم لله .
مسكيناً	المسكين الذي أسكنته الحاجة والفقر .
أسيراً	المسجون ـ المحبوس ـ الحربي من أهل الحرب يؤخذ قهراً بالغلبة .
جزاءً	ثواباً .
عبوساً	تعبس فيه الوجوه من شدة المكاره وطول البلاء .
قمطريرا	شديداً ـ عصيباً ـ القمطرير المقبض بين عينيه .

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾؟

ومن المراد به في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾؟ وما المراد بالحين من الدهر؟

ج: قال كثير من العلماء: إن الإنسان في قوله تعالىٰ ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ**﴾ هو آدم عليه السلام، أما الحين من الدهر فقالوا: هو المدة بين خلقه إلىٰ أن نُفخت فيه الروح (وذكر بعضهم أنها أربعون سنة ولا دليل علىٰ ذلك) ففي هذه المدة كان شيئًا مهملاً ليس له ذكرٌ ولا شأنٌ، ولا يدري به ولا يُعرف عنه كبير شيءٍ ولم يكن له قدر ولا شرف آنذاك.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالإنسان عموم الإنسان، أتىٰ عليه وقتٌ وهو في بطن أمه لا يلتفت إليه كبير التفات لحقارته وضعفه فيُخبر ربنا أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا، ومنه قوله تعالىٰ ﴿**أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٦٧].

أما الإنسان في قوله تعالىٰ ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾ فالمراد به عموم الإنسان (باستثناء آدم وزوجه عليهما السلام).

قال القرطبي: هم بنو آدم من غير خلاف.

أما الحين علىٰ هذا التفسير فهو القدر الذي مكثه في بطن أمه.

* * *

س ـ هل ورد أن النبي ﷺ كان يقرأ بسورة الإنسان في صلاته؟

ج: نعم ورد ذلك، فقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في فجر يوم الجمعة في الركعة الثانيه.

ففي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر «ألم تنزيل، وهل أتىٰ علىٰ الإنسان».

وفي روايةٍ لمسلم أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة بألم تنزيل في الركعة الأولىٰ، وفي الثانية هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا.

* * *

س ـ من الذي نُسب إليه أنه قرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فقال ياليتها تمتْ؟

ج: نسب ذلك إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه، ونُسب إلىٰ عمر كذلك ولم أقف لذلك علىٰ سندٍ صحيح، والله أعلم.

* * *

س ـ هل في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ تقديم وتأخير؟

ج: قال بذلك بعض العلماء، فقالوا إن المعنىٰ إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاج فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه فننظر هل يصرف سمعه وبصره إلىٰ الآيات ويتدبرها ويعمل بطاعة الله أم أنه سيصرف سمعه وبصره إلىٰ مساخط الله عز وجل وإلىٰ ارتكاب الفواحش والمحرمات.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٧٧) ومسلم (مع النووي ٦/ ١٦٨).

س ـ لماذا خُصَّ السمع والبصر بالذكر من بين سائر الحواس؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأنهما أهم الحواس.

* * *

س ـ ما وجه قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؟

ج: وجه ذلك التذكير بنعم الله عزَّ وجل على العبد.

* * *

س ـ لماذا لم يقل الله عزَّ وجل إما شكوراً وإما كفوراً، بل قال إما شاكراً؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: وجمع اللَّه بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيًا للمبالغة في الشكر وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدي، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقلَّ شكره، لكثرة النعم عليه وكثرة كفره وإن قلّ مع الإحسان إليه. حكاه الماورديّ.

قلت (مصطفى): وقد يتأتى الشكور في حق بعض أهل الصلاح قال تعالى في شأن نبيه نوح عليه السلام ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [الإسراء: ٣].

لكن الأغلب كما قدم القرطبي رحمه الله.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾؟

ج: هنا قول لأهل العلم له قوته ووجاهته ينبني على أن المراد بالأبرار هنا

أصحاب اليمين، والمراد بـ ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ المقربون فالمعنى على هذا أن الأبرار يشربون من كأسٍ ممزوجة بالكافور، وهذا الكافور يأتي من عينٍ يشرب منها المقربون.

أي أن الأبرار (أصحاب اليمين) يشربون من الكافور ممزوجًا بغيره، أما المقربون فيشربون من الكافور خالصًا غير مخلوط.

* * *

س ـ اذكر بعض الأدلة على استحباب الوفاء بالنذر.

ج: من ذلك قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. وقوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه**»[١].

وقوله تعالى في ذم الذين لا يفون بالنذر ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

وكذا ذم رسول الله ﷺ الذين ينذرون ولا يفون[٢] وذلك بذكره لهم في القرون التي ترد بعد القرون المفضلة.

* * *

(١) البخاري حديث (٦٦٩٦).

(٢) انظر البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥).

س ـ هل صح لقوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف على سبب نزولٍ صحيح لهذه الآية.

* * *

س ـ هل قول أهل الإيمان ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ كان قولاً ظاهراً منهم في وجوه المُطعمين؟ أم شيء علمه الله في قلوبهم فأخبر الله به حتى يتأس بهم غيرهم في هذا القول؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أن أهل الإيمان لم يتكلموا بذلك، ولكن شيءٌ علمه الله في قلوبهم فأخبر به كتأسيس لمبدءٍ ينبغي أن يُسلك عند الإطعام، قالوا: ولو تلفظوا بهذا اللفظ لأحرجوا الفقراء وكسروا خواطرهم.

* * *

س ـ الإطعام، شأنه شأن سائر الأعمال ـ ينبغي أن يبتغى به وجه الله حتى يثاب عليه العبد دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ١٨ ـ ٢٠].

* * *

س ـ هل يجوز إطعام الكفار؟

ج: نعم يجوز ذلك، لقوله تعالىٰ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

ولقول النبي ﷺ «في كل كبدٍ رطبة أجر»[1].

* * *

(١) البخاري حديث (٢٣٦٣) ومسلم حديث (٢٢٤٤).

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ
نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ
كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا
كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ
رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ
وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا
كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

اذكر معنى ما يلي:

فوقاهم ـ لقاّهم ـ نضرة ـ سروراً ـ بما صبروا ـ متكئين ـ الأرائك ـ زمهريرا ـ دانية ـ ذُلِّلت ـ قطوفها ـ قدروها تقديرا ـ كأسًا ـ مزاجها ـ زنجبيلا ـ سلسبيلا ـ ولدان ـ مخلدون ـ ثمَّ ـ ملكًا ـ عاليهم ـ سندس ـ استبرق ـ حُلّوا ـ شرابًا طهوراً ـ سعيكم مشكوراً.

ج:

الكلمة	معناها
فوقاهم	فدفع عنهم وصرف عنهم.
لقاّهم	أعطاهم ـ منحهم.
نضرةً	حُسنًا وبهاءً في وجوههم.
سروراً	فرحًا وسعادةً وابتسامةً وسروراً في قلوبهم.
بما صبروا	بسبب صبرهم.
متكئين	الاتكاء الميل بأحد الشقين ـ وقيل الاتكاء جلسة التربع.
الأرائك	الأسرةُ (جمع سرير) في الحجال والعرب تسمى السرير الذي في الحجلة أريكة، والحجلة شبه الخيمه (أو الناموسية) على السرير.
زمهريرا	برداً شديداً.
دانية	قريبة ـ دنت منهم ثمارها فيتناولوها كيف شاءوا.
ذللت	سُخِّرت، ذُلِّل اجتناء ثمرها فيجتنوا ثمرها كيف شاءوا (قياماً ـ قعوداً ـ متكئين).
قطوفها	ثمارها.

الكلمـــة	معنـاهـــا
قدَّروها تقديراً	جعلوها على قدر الشراب بلا زيادة ولا نقصان (فالشراب يأتي في الكأس على قدر ما يشربه الإنسان بلا زيادة ولا نقصان).
كأسًا	إناءً فيه خمر.
مزاجها	خليطها[1].
زنجبيلا	هو الزنجبيل المعروف (مع الفارق بين زنجبيل الدنيا وزنجبيل الآخرة).
سلسبيلاً	اسمٌ للعين، من قولهم سلسة (أي منقادٌ ماؤها يصرفونها كيف شاءوا) وقيل شديدة الجريان.
ولدان	غلمان (وقيل: هم أطفال المؤمنين الذين ماتوا في الصغر) وقيل غلمان ينشئهم الله عز وجل لخدمة أهل الجنة).
مُخلدون	لا يهرمون (لا يكبر سنهم) - لا يشيبون - لا يموتون دائمٌ شبابهم - باقون على ما هم عليه من الحسن ونضارة الوجه.
ثمَّ	هناك (في الجنة).
مُلكًا	مملكة عظيمة وسلطانًا باهراً.
عاليهم	فوقهم حجالهم المثبتة عليهم.
سندس	ديباجٌ رقيقٌ حسنٌ (السندس: ما رقَّ من الديباج)
استبرقٌ	ما غلظ مِن الديباج.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة يُمزج بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وأما المقربون فإنهم يشربون من كلٍ منهما صرفًا (أي خالصًا).

الكلمـــة	معنـاهـــــا
حُلُّوا	كُسوا ـ زُيِّنوا
شرابًا طهورًا	يُطهر البواطن من الحسد والحقد والغل والأذىٰ وسائر الأخلاق الرديئة ومن طهره لا يصير بولاً نجسًا، ولكنه يصير رشحًا كالمسك ـ طاهرًا ومُطهرًا.
سعيكم مشكورًا	عملكم محمودًا ـ شكركم عليه ربكم وحمدكم عليه ورضيه منكم فأثابكم عليه.

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ صبروا على ماذا؟

ج: صبروا على التكاليف التي كلفهم الله بها، والابتلاءات التي ابتلاهم الله بها.

* * *

س ـ لماذا جمعت الأكواب بين كونها قوارير وكونها من فضة؟

ج: ذلك لمزيد بيان لحسنها، فصفاؤها صفاء الزجاج وبياضها بياض الفضة.

أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ أي صفاء القوارير في بياض الفضة.

* * *

س ـ هل يجوز الشرب في آنية الفضة في الحياة الدنيا؟

ج: لا يجوز ذلك، لقول رسول الله ﷺ «**الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[1]. ولقول النبي ﷺ: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[2].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إذا رأيت يا

(١) البخاري (٥٦٣٤) ومسلم حديث (٢٠٦٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) البخاري (٥٦٣٣) ومسلم حديث (٢٠٦٧).

محمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين، تحسبهم في حسنهم، ونقاء وبياض وجوههم، وكثرتهم، لؤلؤًا مبددًا، أو مجتمعًا مصبوبًا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا.

ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

وقال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وفي كيفية التشبيه وجوه:

(أحدها): شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كان صفًا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه تعالى قال ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

(وثانيها): أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماءً.

(وثالثها): قال القاضي هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفًا للمجتمع منه.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إذا رميت ببصرك هنالك في الجنة رأيت نعيمًا واسعًا ومملكة عظيمة جدًا، وفرحًا وسروًا وسعادة وابتهاجًا، فأدنى أهل الجنة منزلة من له عشرة أمثال مُلك ملك من ملوك الدنيا كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم أنهم يلبسون ثيابًا من سندسٍ خُضرٍ أحيانًا، وثيابًا من استبرقٍ أحيانًا أُخر.

أو أنهم يلبسون هذه وتلك في آنٍ واحد.

* * *

س ـ ورد أن أهل الجنة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ وهنا قال تعالى ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ فكيف يكون الجمع بين هذه الآية، وتلك؟

ج: الجمع من وجهين:

أحدهما: أن يقال إنهم يلبسون هذه تارة وتلك تارةً أخرى. أو يلبسونهما معًا.

الثاني: أن يُقال إن السابقين يحلون فيها من أساور من ذهب، وأصحاب اليمين حلوا أساور من فضةٍ والله أعلم بالصواب.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ
ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ
أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى
رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

نزلنا ـ تنزيلا ـ حكم ربك ـ آثمًا ـ كفورًا ـ بكرة ـ أصيلا ـ العاجلة ـ يذرون ـ وراءهم ـ يوما ثقيلا ـ شددنا أسرهم.

ج:

الكلمة	معناها
نزلنا	أنزلنا ـ أوحينا ـ فرقنا في الإنزال (لم ننزله جملة واحدة بل أنزلناه مفرقًا (بحسب الأسباب والوقائع والحاجات).
تنزيلاً	تفريقًا (نزولاً مفرقًا).
حكم ربك	قضاء ربك ـ ما امتحنك به ربك (من تبليغ الرسالة وأداء الفرائض).
آثما	مرتكب المآثم والمعاصي.
كفوراً	جحودًا لنعم الله.
بكرةً	صباحًا (قيل صلاة الصبح) ـ أول النهار.
أصيلاً	آخر النهار، (وقيل صلاة الظهر والعصر).
العاجلة	الدنيا.
يذرون	يتركون.
وراءهم	قيل المراد أمامهم.
يومًا ثقيلاً	يوم القيامة (ثقيل لثقل الحساب وشدته وعُسره).
شددنا أسرهم	شددنا خلقهم ـ قوينا مفاصلهم وشددنا إلى بعضها من ذلك تقوية عضلة فتح الشرج فلو لم تكن قوية لانساب الغائط، وتقوية عضلة البول، وتقوية سائر الأعضاء. وقيل شددنا أسرهم، أحكمنا وثاقهم.

س ـ هل هناك ربطٌ بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؟

ج: نعم هناك ربط بين هذا، وذاك، إيضاحه كما أنعمت عليك وأنزلت عليك القرآن تنزيلاً، فاشكر هذه النعمة، واصبر على قضاء الله وما قدره الله عليك، واصبر على أذى قومك منتظراً حكم الله عزَّ وجل فيهم، واصبر على ما امتحنك الله به من تبليغ رسالته وتنفيذ أوامره.

* * *

س ـ ما الفرق بين الآثم والكفور؟

ج: قال الرازي في تفسيره[1]:

ما الفرق بين الآثم والكفور؟ (الجواب) الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت، والكفور هو الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، أما ليس كل آثم كفوراً، وإنما قلنا إن الآثم عام في المعاصي كلها لأنه تعالى قال ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] فسمى الشرك إثماً، وقال ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقال ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وقال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] فدلت هذه الآيات على أن هذا الإثم شامل لكل المعاصي، واعلم أن كل من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان، لأنه لما عبد غيره، فقد عصاه وجحد إنعامه.

* * *

(١) بينا مراراً أن للرازي زلات كبيره في تفسيره فلتُتقى ويلتمس ما أصاب فيه.

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: ادعه به في صلاة الصبح وفي أول النهار، وفي صلاتي الظهر والعصر، وفي آخر النهار.

* * *

س ـ كثُر الحثّ على الاستعانة بالصبر والصلاة في عدة سور من كتاب الله عزَّ وجل، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها هذا التذكير.

ج: من ذلك في سورة الإنسان، قوله تبارك وتعالى ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وقوله ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾.

ومن سورة البقرة قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾.

ومن سورة الطور ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

ومن سورة الحجر قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

ومن سورة ص قوله تعالى ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ أي اذكره واذكر صلاته وقيامه فقيامه خير قيام كما قد ذكر النبي ﷺ في شأنه.

ومن سورة المزمل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ إلى قوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾. وثم آياتٌ أُخر في سورٍ أُخر.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾.

ج: قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿إِنَّ هَـؤُلاءِ﴾ يعني كفار مكة ومن هو موافق لهم ﴿يُحِبُّونَ﴾ الدار ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ وهي دار الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ أي يتركون ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وأمامهم يومًا شديدًا عسيرًا وهو القيامة، وسمي ثقيلاً لما فيه من الشدائد والأهوال، ووصفه بالثقل على المجاز لأنه من صفات الأعيان لا المعاني، ومعنى كونهم يذرونه وراءهم أنهم لا يستعدون له ولا يعبأون به، فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاونًا به واستخفافًا بشأنه، وإن كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾.

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: إذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلناهم فأعدناهم وبعثناهم خلقًا جديدًا.

الثاني: إذا شئنا أمتناهم وأهلكناهم وأتينا بآخرين غيرهم، أطوع لنا منهم وأشد امتثالاً، كما قال تعالى ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

وكما قال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وكما قال ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٦، ١٧].

* * *

س ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: إشارة إلى هذه السورة، وما ورد فيها من الآيات ففيها تذكرة لمن تذكر، وعظةٌ لمن اتعظ واعتبر، والله أعلم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول: يدخل ربكم من يشاء منكم في رحمته، فيتوب عليه حتى يموت تائبًا من ضلالته، فيغفر له ذنوبه، ويدخله جنته ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعدّ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا وهو عذاب جهنم، ونصب قوله ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ لأن الواو ظرف لأعدّ، والمعنى: وأعد للظالمين عذابًا أليمًا. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وللظالمين أعدَّ لهم» بتكرير اللام، وقد تفعل العرب ذلك، وينشد لبعضهم:

أقول لها إذا سألت طلاقًا ... إلامَ تُسارعين إلى فراقي؟

ولآخر:

فأصبحن لا يسألنه عن بما به ... أصعد في غاوي الهوى أم تصوبا

بتكرير الباء، وإنما الكلام لا يسألنه عما به.

تمَّ تفسير سورة الإنسان، والحمد للَّه.

* * *

سورة المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ
نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ
نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي:

المرسلات ـ عرفا ـ العاصفات عصفا ـ الناشرات نشرا ـ الفارقات فرقا ـ الملقيات ذكراً ـ عذراً أو نذراً ـ لواقع ـ طمست ـ فرجت ـ نسفت ـ أُقِّتت ـ يوم الفصل ـ ماء مهين ـ قرار ـ مكين ـ قدر معلوم ـ فقدرنا ـ كفاتا ـ رواسي ـ شامخات ـ فراتا ـ ثلاث شعب ـ لا ظليل ـ كالقصر ـ جمالات صفر ـ كيدٌ ـ فكيدون ـ هنيئًا؟

ج:

الكلمة	معناها
المرسلات	الرياح[1] ـ الملائكة.
عُرفا	متتابعة أي الرياح تأتي متتابعه يتبع بعضها بعضا أو الملائكة تُرسل بالعرف، وهو أمر الله ونهيه وهو المعروف عموماً.
العاصفات عصفا	الرياح التي تعصف عصفًا شديداً ـ أي الرياح شديدة الهبوب.
الناشرات نشراً	الرياح التي تنشر السحب، وتنشر المطر.
الفارقات فرقا	الملائكة تنزل بما يفرق به بين الحق والباطل الرياح تفرق السحاب.
الملقيات ذكراً	الملائكة (بإجماع العلماء تُلقىٰ الذكر علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام ـ الملقيات وحي الله إلىٰ رسله.

(١) ومنه كان رسول الله ﷺ إذا لقيه جبريل في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة.

الكلمة	معناها
عذراً	إعذاراً من الله لخلقه (لقطع أعذارهم فلا تكن لهم بعد ذلك حجة).
نذراً	إنذاراً للناس وتحذيراً لهم مما أمامهم من المخاطر والمخاوف.
لواقع	لكائنٌ وحاصلٌ.
طمست	ذهب ضوؤها فلم يعد لها نور ولا ضوء.
فرجت	شققت وتصدعت.
نُسفت	ذُهب بها من أصلها.
أُقتت	أُجِّلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة ـ أُوعدت جمعت في الوقت المحدد لجمعها يوم القيامة.
يوم الفصل	يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد.
ماءٍ مهين	نطفةٌ ضعيفة حقيرة في غاية الحقارة تخرج من بين الصلب والترائب.
قرار	مستقر (وهو رحم المرأة).
مكين	يعني أن النطفة متمكنة من رحم المرأة.
قدر معلوم	زمن معلوم.
فقدرنا	فملكنا ـ قدّرنا ودبرنا ذلك الجنين (نقلناه من نطفة إلى علقة إلى مضغة)، (قدَّرنا السعادة والشقاوة) ـ (قدرنا الطول والقصر)، (والجمال وضده).
كِفاتًا	وعاء ـ بطنها للأموات وظهرها للأحياء تكفتهم أحياءاً وأمواتًا يسكن فيها حيهم ويدفن فيها ميتهم[1].

(١) ورد ذلك بإسنادٍ حسن عن قتادة عند الطبري.

الكلمة	معناها
رواسي شامخات	جبال راسية ثابته أرسى الله بها الأرض لئلا تميد وتضطرب ـ مشرفات عاليات .
فراتا	عذبًا .
ذي ثلاث شعب	الدخان العظيم يرتفع يتشعب ثلاث شعب ، وذلك من شدته .
لا ظليل	لا يُظلهم من حرها ـ لا راحة فيه ولا طمأنينة .
كالقصر	القصر مفرد قصور (والمراد القصر العظيم) . وقيل أيضًا المراد الغليظ من الخشب كأصول النخيل وأصول الأشجار العظيمة .
جمالاتٌ صُفر	إبلٌ سود ـ إبلٌ صُفر . وقيل قلوس السفن تجمع فتوثق بها السفن ـ الحبال .
كيدٌ	حيلةٌ وتدبير .
فكيدون	فدبروا لي واحتالوا للهرب مني إن استطعتم .
هنيئا	لا تنغيص عليكم ، ولا ضرر عليكم ، بل مستلذًا مستطابًا .

س ـ أين نزلت سورة المرسلات؟

ج: نزلت هذه السورة الكريمة على رسول الله ﷺ وهو في غارٍ بمنىٰ.

ففي الصحيحين[١] من حديث عبد الله[٢] رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في غارٍ. وقد أنزلت عليه: والمرسلات عرفًا. نأخذها من فيه رطبةً. إذ خرجت علينا حيةٌ. فقال «**اقتلوها**» فابتدرناها لنقتلها. فسبقتنا. فقال رسول الله ﷺ «**وقاها الله شركم كما وقاكم شرها**».

* * *

س ـ هل ثبت أن رسول الله ﷺ قرأ بسورة المرسلات في صلاته؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ قرأ بسورة المرسلات في بعض صلاته ففي الصحيحين[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا**﴾ فقالت يا بني والله لقد ذكَّرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

* * *

س ـ الواو في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ أين جوابه؟

ج: جواب ذلك في قوله تعالىٰ إنما توعدون لواقع.

* * *

(١) أخرجه البخاري حديث (١٨٣٠) ومسلم حديث (٢٢٣٤).

(٢) عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري حديث (٧٦٣) ومسلم حديث (٤٦٢).

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الذي يعدكم الله به سوف يقع ومن ذلك الوعد بيوم القيامة والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك مما وعدكم الله به.

* * *

س ـ ما وجه الاستفهام في قوله تعالى ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؟

ج: هذا الاستفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل.

* * *

س ـ لماذا أُطلق على يوم القيامة يوم الفصل؟

ج: ذلك لكونه يُفصل فيه بين العباد.

* * *

س ـ لماذا قال تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟

ج: في هذا تعظيمٌ لذلك اليوم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ والمراد منه.

ج: قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ فيه تهديد لأهل الإجرام فبعد أن ذكر الله إهلاك المتقدمين والمتأخرين لوَّح بتهديد أهل الإجرام، وأن مصيرهم كمصير سابقيهم في الانتقام منهم، كما قال تعالى ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ وكما قال تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

قال السعدي رحمه الله:

أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين. وهذه سنته السابقة واللاحقة، في كل مجرم لابد من عقابه، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ ولماذا تكررت؟

ج: إيضاحه، والله أعلم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بربهم بعد أن علموا أن الله خلقهم من ماءٍ مهين.

قال السعدي رحمه الله: يا حسرتهم وشدة عذابهم وسوء منقلبهم أخبرهم الله وأقسم لهم فلم يصدقوه فلذلك استحقوا العقوبة البليغة.

قلت: أما كونها تكررت فلأن النعم فيها تكررت، وكذلك تكرر التذكير بالعذاب، فأتبع كل أمرٍ بقوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بذلك الأمر الذي أخبر الله به فعلىٰ سبيل المثال قال تعالىٰ ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ثم قال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي بذلك الظل ذي الثلاث شعب. والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بالقدر المعلوم؟

ج: المراد بالقدر المعلوم: إلىٰ خروج النطفة من الرحم.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا انطلقوا إلى العذاب الذي أُعد للكافرين، فها هو فانطلقوا إليه.

* * *

س ـ لماذا قيل (كالقصر) ولم يقل (كالقصور)؟

ج: ذلك، والله أعلم، لأن القصر في معنى القصور، كما قال تعالى ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي يولون الأدبار وكقوله تعالى ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أي الأطفال.

* * *

س ـ كيف قال تعالى ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ﴾ وقد قال تعالى ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠]؟

ج: وجه الجمع بين هذا وذاك أن الأحداث تتنوع في ذلك اليوم تنوعًا شديداً، فوقت لا ينطقون فيه، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ووقت يُقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ إن كانت لكم حيلة للفرار أو وسيلةٌ للخلاص، أو شيءٌ تكيدون به ربكم عز وجل فافعلوا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن

قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجُوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقد قال تعالى: ﴿ولا تضرونه شيئاً﴾ [هود: ٥٧].

وفي الحديث[1]: «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضرّي فتضروني».

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً﴾، أي: مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، أي: [ثم تساقون] إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وقال تعالى: ﴿قل إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

وقال السعدي رحمه الله:

هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم، وإن أكلوا في الدنيا، وشربوا وتمتعوا باللذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه

---

(١) مسلم حديث (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.

المجرمون، فتنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. ومن إجرامهم، أنهم إذا أمروا بالصلاة، التي هي أشرف العبادات وقيل لهم: ﴿ارْكَعُوا﴾ امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟!!

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

ج: الآية كقوله تعالى ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بعد الله وآياته يؤمنون**﴾ فقوله تعالى بعده أي غير القرآن، أي إذا لم يؤمنوا بالقرآن ويصدقوا بما أخبر به مع ما فيه من التهديد والوعيد والبشارة والنذارة فبأي حديث يؤمنون.

قال القاسمي رحمه الله (في محاسن التأويل):

﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ أي بعد هذا القرآن إذ كذبوا به مع وضوح برهانه وصحة دلائله في أنه حق منزلٌ من عنده تعالى، وفيه تنبيه على أنه لا حديث يساويه في الفضل أو يدانيه، فضلاً عن أن يفوقه ويعلوه فلا حديث أحق بالإيمان منه.

تم تفسير سورة المرسلات

في سؤال وجواب

ولله الحمد

* * *

الفهارس العامة

١ ـ فهرست أطراف الأحاديث.

٢ ـ فهرست الموضوعات.

١ـ فهرست أطراف الأحاديث

حرف الهمزة

اشتكت النار إلىٰ ربها ١٦٨
اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ١٣٧
اللهم عليك بقريش ٢١٣
أتاني داعي الجن، فذهبت معه ٢٢٤
أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها ١٧١
أحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود عليه السلام ٢٧٩
أحب القيام قيام داود ٢٨١
أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ٢٩٤
إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ٢٠٨
إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ٢٣٣
إذا مات ابن آدم انقطع عمله ٢٠٠
أذن لي أن أحدث عن ملك ١٤١
أرىٰ رؤياكم قد تواطأت ٣٧٤
أسعد الناس بشفاعتي ٣٤٩
أعني علىٰ نفسك بكثرة السجود ٢٨١
أفضل الصلاة طول القنوت ٢٧٩
أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ٢٧٨
ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف ٦٣
ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة ٦٢
ألا تأمنوني وأنا أمين ٥٣
أليس الذي أمشاهم علىٰ أرجلهم ٣٨
أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ٢٠٩
أنت الحي الذي لا يموت ٢٢٥
أن تعبد الله كأنك تراه ٢٨

أنفقي ولا تحصي ١٥٧
أول شيء خلقه الله القلم ٥١
أول شيء خلقه الله القلم، وأمره ٥١
إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ٢١٠
إن الله تجاوز لي عن أمتي ٧٣
إن الله تعالىٰ قال: لا ينبغي لعبد لي ١٠٦
إن الله سيخلص رجلاً من أمتي علىٰ رءوس الخلائق ٣٤٩
إن الله عز وجل ليرفع الدرجة ٢٠٠
إن الله قد حرم علىٰ النار ٣٤٩
إن الله ليملي للظالم ٩٣
إن أول ما خلق الله خلق القلم ٥١
إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً ٧١
إن سورة من القرآن ثلاثون آية ٤٥
إن عفريتًا من الجن تفلت علي ٢٢٦
إن في الجنة مائة درجة ١٤٢
إن في هذه الأمة محدثين ٢٥٩
إنك لن تسجد لله سجدة ٢٨١
إنما تركها من جرَّاي ٧٣
إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها ٢٠٨
إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير ٦١
إني لأسمع أطيط السماء ٣٤٠
الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله ١٤٦، ٣٥٢
الأنبياء أخوة لعلات، دينهم واحد ١٢٧

حرف الباء

بني الإسلام علىٰ خمس ٣٤٧
بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ٣٣٩

بينا رجل بفلاة من الأرض ١٧٤
بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ٣٤٧

حرف التاء

تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه ٦٤
تحاجت الجنة والنار، فقالت النار ١٦٨
تزوجوا الودود الولود ١٩٠
تصدقي ولا تحصي فيحصىٰ عليك ٣٢٩
تلك الكلمة الحق يخطفها الجني ٢٦٨
تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني ٢٦٨

حرف الجيم

جاورت بحراء شهراً ٣٢٣
جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ٢٦٣

حرف الحاء

حتيه ثم اقرصيه بالماء ٣٥٥

حرف الخاء

خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا أدخلتاه الجنة ٣٠٧
خمس صلوات افترضهن من أحسن وضوءهن ٣٤٨
خمس صلوات في اليوم والليلة ٣٠٩
خير الناس قرني ٤٦

حرف الدال

دعوة ذي النون إذ دعا ١٠٩

حرف الذال

الذي يشرب في إناء الفضة ٣٩٣

حرف الراء

رحم الله رجلاً قام من الليل فصلىٰ ٢٧٩

حرف الزاي

زينوا القرآن بأصواتكم ٢٩٣

حرف السين

سألت الله أن يجعلها أذنك ١٣٢
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٣٥١
سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ١٧٦
سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل ١٤٣

حرف الشين

شر ما في الرجل : حين خالع ١٧٠

حرف الصاد

صدقتا ، يعذبون عذاباً تسمعه البهائم إنهم . . . ٢٠٧
الصود جبل من نار ٣٢٠
صلاة الليل مثنى مثنى ٢٨١
صلة الرحم تزيد في العمر ١٩٥
صلة الرحم وحسن الخلق ١٩٣

حرف الطاء

الطاعون رجز عذب به الأمم قبلكم ٣١٨
طول القنوت ٢٨٨

حرف العين

العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ٣٤٣
علام يقتل أحدكم أخاه؟ ١١٤
العين حق ولو كان شيء سابق ١١٣

حرف الغين

غسل الجمعة واجب على كل محتلم ٣٥٤

حرف الفاء

الفاحش اللئيم ٦٤
فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدىٰ صوت المؤذن ٢٢٦
فإنها لا ترمي لموت أحد ولا لحياته ٢٣٤
فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء ٣٢٢
فلا تأتوا الكهان ٢٦٨
فيأتوني فأستأذن علىٰ ربي في داره ٨٩
في كل كبد رطبة أجر ٣٨٨

حرف القاف

قال ربكم: أنا أهل أن أتقىٰ ٣٥٩
قرن ينفخ فيه ١٣٨
قم يا أبا تراب ٢٧٦، ٣٢٦

حرف الكاف

كل الناس يغدو، فبائع نفسه ٣٨١
كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ٢٩٥
كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم ١٣٧
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ٢٩٨

حرف اللام

لا إيمان لمن لا أمانة له ٣٥١
لا تخيروني من بين الأنبياء ١٠٥
لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ٣٩٣
لا تفضلوا بين أولياء الله ١٠٥
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ٣١١
لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ٣٥٣
لا يدخل الجنة قتات ٦٢

لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله ٣٤٩
لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس ١٠٥
لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة ٢٠٠
لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ١٠٤، ١٠٧
لا ينبغي لعبد لي أن يقول: أنا خير من يونس ١٠٥
لا ينكح المحرم ولا يخطب ٣٥٤
لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة ١٢١
للشهيد عند الله ست خصال ٢٠٠
لولا أن تدافنوا لدعوت الله ٢٠٩
ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد ٢٨١

حرف الميم

ما المسئول عنها بأعلم من السائل ٢٥٥، ٢٥٦
ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن ٢٩٣
ما أنا بقارئ ٣٢٣
ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ ٢٦٨
ما لي أراكم عزين ١٧٢
ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته ١٦٣
ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ٣٤٩
ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ١٠٧
ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس ١٠٤
ما ينبغي لعبد يقول ١٠٦
المرء مع من أحب ٧٢
مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ١٣٧
من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء ٢٦٧
من أحب أن يبسط له في رزقه ١٩٣
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ٣٤٨

من صلىٰ صلاتنا واستقبل قبلتنا ٣٤٧
من قال: أنا خير من يونس ١٠٥
من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ٣٤٨
من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة ٣١١
من قرأ منكم والتين والزيتون ٣٧٧
من نذر أن يطيع الله فليطعه ٣٨٦

حرف النون

نصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدبور ١٢٥
نعم الرجال عبد الله ٢٧٩

حرف الهاء

هذا سالم مولىٰ أبي حذيفة ٢٩٤
هل تدرون مم أضحك ٣٧١
هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ٣٧٠
هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ٨٧، ٣٧٤
هو الشديد الخَلْق المصحح ٦٣
هي المانعة هي المنجية ٤٦

حرف الواو

واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة ١٤٣
والخير كله في يديك والشر ليس إليك ٢٤١
والذي نفسي بيده، إنه ليخفف ١٦٥
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي ٣٤٩
ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ٢٨
وقاها الله شركم كما وقاكم شرها ٤٠٧
ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس ١٠٥، ١٠٦
ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله ١٤٣

ولا ينفع ذا الجد منك الجد ٢٢٧
ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ٣٤٧

حرف الياء

يا أبا موسىٰ لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود ٢٩٣
يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ٢٨٠
يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ٤١١
يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي ٤١١
يا علي إن الله أمرني أن أدنيك ١٣٢
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال: نزلت في ٢٠٩
يدخل فقراء المهاجرين الجنة ١٦٤
يعطىٰ المؤمن جوازاً علىٰ الصراط ١٤٢
يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين ١٩١
يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ٢٩٣
يقول الله إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة ٧٢
يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة: يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك ٣٠٤
يكشف ربنا عن ساقه ٨٨

٢ـ فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تفسير سورة الملك	٨ ـ ٤٧
تفسير سورة القلم	٤٨ ـ ١١٦
قصة أصحاب الجنة	٦٦
تفسير سورة الحاقة	١١٧ ـ ١٥٣
تفسير سورة المعارج	١٥٤ ـ ١٨٥
تفسير سورة نوح	١٨٦ ـ ٢١٧
تفسير سورة الجن	٢١٨ ـ ٢٧٠
تفسير سورة المزمل	٢٧١ ـ ٣١٣
تفسير سورة المدثر	٣١٤ ـ ٣٥٩
تفسير سورة القيامة	٣٦٠ ـ ٣٧٨
تفسير سورة الإنسان	٣٧٩ ـ ٤٠١
تفسير سورة المرسلات	٤٠٢ ـ ٤١٢
الفهارس العامة	٤١٣

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة
طنطا - جمهورية مصر العربية
ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

التَّسهيلُ لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

الجزء الأول

من سورة النبأ إلى سورة التين

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٨٣٦٤ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة مكة

طنطا : ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

وبعد .. فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد

ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . . . **أما بعد** :

فبين أيدينا تفسير جزء عم في صورة سؤال وجواب ، قدمته ضمن مشروعي العام (تفسير القرآن في سؤال وجواب)الموسوم بـ (التسهيل لتأويل التنزيل)راجيًا من اللَّه سبحانه وتعالى أن ينفعني به وإخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات في الدنيا والآخرة .

● وقد قدمت الخطة العامة لهذا العمل في الأجزاء الأُول التي تناولت فيها سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران .

● هذا ويتسم (جزء عم)على وجه الخصوص ـ وقد جمع بين أول سورة نزلت من القرآن (وهي العلق) وآخر سورة نزلت كاملة وهي (النصر) ـ بأنه تعرض في أكثر سورهِ لذكر البعث واليوم الآخر ، ومقدماتهما من الموت وأشراط الساعة العظمى وأيضًا ما يتعلق بالجنان وأهلها ـ جعلنا اللَّه منهم ـ وما يتعلق بالنار أجارنا اللَّه منها وأعاذنا .

● وقد أفردت في هذا الجزء صفحات لعدة مباحث فقهية أيضًا تتعلق بسور هذا الجزء حتى لا يخلو الكتاب من الفوائد الفقهية لمريدها ومُبتغيها .

● هذا وقد اقتصرت على الصحيح من أسباب النزول وتركت جملة أسبابٍ للنزول أوردها المفسرون في تفاسيرهم لضعف أسانيدها .

وقد اتجهت إلى الإسهاب كلما احتاج الأمر إلى إسهاب واختصرت كلما احتاج الأمر إلى اختصار ، وأوردت عدة معاني للكلمة

الواحدة التي تحتمل تعدد المعاني .

هذا ، وما كان من صواب في هذا الكتاب فمن اللَّه وحده سبحانه وتعالىٰ فمنه النعم وله الفضل وله الثناء الحسن ، وهو أعلم بكتابه وأعلم بتأويله وما توفيقي إلا باللَّه ، وما كان من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان واللَّه ورسوله بريئان من ذلك ، وشكر اللَّه لمن أسدىٰ إلينا وللمسلمين نصحًا وستر لنا عيبًا ونصح للَّه ورسوله ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كتبه أبو عبد اللَّه

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

عمَّ ـ يتساءلون ـ النبأ ـ مهادًا ـ أوتادًا ـ سباتًا ـ سراجًا وهاجًا ـ المعصرات ـ ثجاجًا ـ حبًّا ـ نباتًا ـ جنات ـ ألفافًا .

ج

الكلمة	معناها
عمَّ	عن ماذا ـ عن أي شيء
يتساءلون	يسأل بعضهم بعضًا
النبأ	الخبر

الكلمة	معناها
مهـــادًا	ممهدة للخلائق ـ مستوية كفراش الطفل ـ مبسوطة مذللة للخلائق ثابتة وساكنة
أوتـــادًا	جمع وتد[١] وهو الشيء الذي يدق في الأرض وتُربط فيه الأشياء
سباتًـــا	السُّبات : السكون والراحة
سراجًـــا	المراد به هنا الشمس
وهاجًـــا	مضيئًا ـ منيرًا ـ متلألأ [٢]
المعصرات	السُّحب
ثجاجًـــا	منصبًّا كثيرًا متتابعًا ـ والثج: هو الصب الكثير المتتابع[٣]

---

(١) المراد أن الجبال للأرض كالأوتاد للأشياء ، فكما أن الشيء يربط في الوتد فكذلك جعل اللَّه الجبال أوتادًا للأرض أرساها بها وثبتها وقررها وسكنها فسكنت ولم تضطرب .

(٢) فالمعنى : وجعلنا شمسًا مضيئة متلألئة .

ومن العلماء من قال: نبه بقوله: (سراجًا) على نعمته على عباده بنورها وضوئها ، ونبه بقوله: (وهاجًا) على نعمته بحرارتها لما في حرارتها من المنافع في كثير من الأحيان .

(٣) ومنه ما روي عن النبي ﷺ «**أفضل الحج العج والثج**» أخرجه الترمذي (٢٩٩٨) ، وابن ماجة (٢٨٩٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك ـ وله طرق أخرى مرفوعة إلى النبي ﷺ لكنها ضعيفة ، انظر «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٠) وقد روي موقوفًا بإسناد صحيح عن ابن عباس عند ابن أبي شيبة في «المصنف» .

ويعني بالثج : كثرة صب دماء الهدي والبدن ، ومنه قول الصحابية التي استحيضت ـ تصف =

الكلمة	معناها
حبًّا	الحب هو : ما يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما
نباتًا	النبات هو : ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن والكلأ وسائر النبات
جنات	بساتين وحدائق ، وقال بعض العلماء : إن المراد بقوله تعالى : ﴿وجنات﴾ أي : ثمر جنات
ألفافًا	ملتفة ـ مجتمعة[1]

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؟ وما المراد من الاستفهام هنا ؟

ج : معناها ـ واللَّه أعلم ـ : عن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا ، وأصل (عم) عن ما ، فحذفت الألف للاستفهام كقوله: (فيم ، مِمَّ) ، وأدغمت النون في الميم ومعنى قوله تعالى : ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا .

= قدر دمها ـ : (إنما أثج ثجًا) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٩) ، وأبو داود (٢٨٧) ، والترمذي في «الطهارة» (باب ٩٥) ، وابن ماجه (٦٢٢) من حديث حمنة بنت جحش رضي اللَّه عنها وفي إسناده عبد اللَّه بن محمد بن عقيل والراجح ضعفه .

(١) نقل الطبري إجماع أهل التأويل على أن ألفافًا معناه ملتفة ، وأورد بإسنادين يصح أحدهما بالآخر عن قتادة أن معناه : التف بعضها على بعض ، ونحوه بإسناد صحيح عن ابن زيد .

● والتساؤل أحيانًا يطلق على الحديث والكلام وإن لم يكن هناك سؤال ، قال اللَّه تعالى : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ....﴾[1] [الصافات: ٥٠، ٥١] .

● أما المراد من الاستفهام تعظيم الأمر الذي يتساءلون عنه ، وليس المراد ـ واللَّه أعلم ـ حقيقة الاستفهام ، وذلك لأن اللَّه سبحانه يعلم الذي يتساءلون عنه .

* * *

س ـ من هم الذين يتساءلون ؟

ج : الذين يتساءلون هم المشركون ، وقيل : الناس .

ومستند القائلين بأن الذين يتساءلون هم المشركون هو التهديد الوارد لهم في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤، ٥] والتهديد لا يكون إلا للكفار .

لكن يوجه للقائلين بهذا الرأي سؤال ، وهو: إن اللَّه قال: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ٣] فهل كان الكفار مختلفين في أمر البعث ؟ فالمعهود أنهم ينكرون البعث ؟ ! فيُجاب على هذا السؤال بأن من

---

(١) وقد يكون هذا مضمن لمعنى السؤال أيضًا بمعنى أن بعضهم أقبل يسأل بعضًا عن قرينه الذي كان يقول له : ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٢، ٥٣] أين ذهب به .. ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] (أي : في وسط الجحيم) .

الكفار من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارىٰ ، وأما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكًّا فيه كما قال : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وكقولهم : ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] وكما قال الآخر : ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] فمنهم من كان شاكًّا في البعث ، ومنهم من كان جازمًا بعدم وقوعه كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

● أما وجه القائلين بأن الذي يتساءلون هم عموم الناس فيقال : إن المسلم يتساءل ليزداد بصيرة ويقينًا في دينه ، وأما الكافر فيسأل علىٰ سبيل السخرية والاستهزاء وإيراد الشكوك والشبهات .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي يتساءلون عنه ؟

ج : الذي يتساءلون عنه هو النبأ العظيم .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالىٰ : ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ : ٢] ؟

ج : وجه إيراده : أنه إخبار من اللَّه تبارك وتعالىٰ لنبيه ﷺ عن الشيء الذي يتساءل عنه المشركون ، فالمعنىٰ : إذا سألت يا محمد عن

الشيء الذي يتساءل عنه المشركون فاعلم أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم.

● ويحتمل أن يقال أيضًا : أتدري يا محمد عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون ؟ (أي : يسأل بعضهم بعضًا) إنهم يتساءلون عن النبأ العظيم .

وهذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] .

* * *

س ـ ما المراد بالنبأ العظيم ؟

ج : **قال بعض أهل العلم** : إن المراد بالنبأ العظيم (القرآن) وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] .

وقال آخرون : إن المراد بالنبأ العظيم البعث بعد الموت [(١)] ، وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى استدل عليهم بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ ... إلى أن قال : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ

---

(١) صح عن قتادة (عند ابن جرير الطبري) في قوله: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وهو البعث بعد الموت وكذلك صح عن ابن زيد (عند الطبراني أيضًا) أنه قال في قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ... ﴾ [النبأ: ١] قال يوم القيامة ، قال : قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا ، قال : فهم فيه مختلفون ، لا يؤمنون به، فقال اللَّه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] يوم القيامة لا يؤمنون به .

كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ٦ - ١٧] فذكرت براهين البعث والدلائل عليه ثم عقبها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧] والله تعالى أعلم .

• وثمَّ قول ثالث : أن المراد بالنبأ العظيم نبوة محمد ﷺ لأنهم تعجبوا من بعثته ومجيئه بالتوحيد ، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤] ، وكما حكى سبحانه مقالتهم : ﴿.. أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] .

* * *

س ـ ما هو وجه اختلافهم في النبأ العظيم ؟

ج : اختلاف الناس في النبأ العظيم على النحو التالي :

• إن حُمل ﴿النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢] على البعث ، فاختلاف الناس فيه بين مصدق بوقوعه وبين مكذب[1] .

• وإن فُسر (النبأ العظيم) بالقرآن ، فوجه اختلافهم فيه : فريق منهم يقول : إنه قول شاعر ، وفريق يقول : إنه قول كاهن ، وفريق يقول : هو من عند الله ، وفريق يقول : ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ

---

(١) أخرج الطبري بأسانيد تصح عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى : ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ٣] : صار الناس فيه رجلان ، مصدق ومكذب ، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم لمعاينتهم إياه ، واختلفوا في البعث بعد الموت .

تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥] ، . . . . . إلى غير ذلك من الأقوال .

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿كَلاَّ﴾ [النبأ: ٤] ؟

ج : ● **قال بعض العلماء:** إنها للردع والزجر[1]، والمعنى هنا: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث اللَّه إياهم أحياء بعد مماتهم ، وليس الأمر كما يزعمون أن القرآن ليس من عند اللَّه .

● **وقال بعض أهل العلم:** ﴿كَلاَّ﴾ لفظة وضعت لرد شيء قد تقدم.

● **وقال بعض أهل العلم** : إن ﴿كَلاَّ﴾ بمعنى حقًّا .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤] سيعلمون ماذا ؟ ومتى سيعلمون ؟

ج : ● سيعلمون أن البعث واقع لا محالة ، وكائن لا مفر منه ولا محيص عنه .

● وسيعلمون أيضًا أن القرآن حق وما أخبر به صدق وسيعلمون عاقبة تكذيبهم .

● أما متى سيعلمون فسيعلمون عند موتهم واستخراج أرواحهم من

---

(١) في هذا دليل للقائلين بأن المختلفين هم الكفار .

أجسادهم ، وسيعلمون كذلك في قبورهم وسيعلمون عند خروجهم من القبور للحساب أيضًا ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ ما فائدة التكرار في قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥]؟

ج : ● فائدته : التأكيد علىٰ وقوعه وإعلامهم بوقوعه .

● **ومن العلماء من قال** : ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤] أي : الكفار سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، وقوله: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥] المؤمنون سيعلمون جزاء تصديقهم .

● **ومن العلماء من قال** : ويحتمل أن يريد بالأول سيعلمون وقوع الحشر والحساب والثاني سيعاينون العذاب إذا شاهدوه .

* * *

س ـ ما المراد بالأزواج في قوله تعالىٰ : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ: ٨] ؟

ج : ● **قال بعض أهل العلم** : إن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي : ذكرانا وإناثًا ، وشاهده من التنزيل قوله تعالىٰ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ...﴾ [الروم: ٢١] وقوله تعالىٰ : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]

● **ومن أهل العلم من قال** : إن معنى أزواجًا : أصنافًا ، والمعنى أيضًا : منكم الذكر ومنكم الأنثى ومنكم الطويل ومنكم القصير ، ومنكم الدميم ومنكم الجميل ، ومنكم القوي ومنكم الضعيف ، ومنكم الغني ومنكم الفقير ، و . . و . . وهكذا ، واللَّه تعالى أعلم .

س ـ ما المراد بكون اللَّيْل لِبَاسًا ؟ وما هو وجه الامتنان بجعل الليل لباسًا ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : جعلناه لكم كاللباس فالليل يغشى الناس بسواده وظلامه كما يغطي الثوب لابسه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا** ﴾ [الشمس: ٤] ، وقيل : المراد باللباس هنا السكن واللَّه تعالى أعلم .

ووجه الامتنان والإنعام في جعل الليل لباسًا أي : ساترًا يستر عن العيون : أن من أراد عبادة ربه حيث لا يراه أحد من الناس فليقم من الليل يصلي فالليل يستره عن عيون الناس ، ومن أراد هربًا من عدوٍّ أو تبييتًا لعدوٍ فالليل يصلح فيه ذلك كما قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ** ﴾ [القمر: ٣٤] ، ومن أراد الراحة والستر على نفسه فيه ففيه الراحة والسكون والستر على النفس ، وأيضًا يندفع عن الشخص بالليل أذى التعب الجسماني ، وأذى انتقادات البشر له ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بكون النَّهَار مَعَاشًا ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : جعلناه وقتًا مهيئًا للمعاش فجعلناه مشرقًا منيرًا مضيئًا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتماس الأرزاق وابتغاء الفضل من اللَّه سبحانه وتعالىٰ ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالسبع الشداد ؟ ولماذا وصفت بأنها شداد ؟

ج : المراد بالسبع الشداد : السموات السبع ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٧] ووصفت بأنها شداد ـ أي : قوية محكمة ـ لكونها لا تصدع فيها ولا انفطار ولا شقوق بل هي مشدودة بعضها لبعض محكمة قوية كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** ﴾ [الذاريات: ٧] .

* * *

س ـ وضح معنىٰ ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ [النبأ: ١٤] بشيء من التفصيل ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أنها الرياح التي تعصر السحب بهبوبها ، وقد روىٰ الطبري بإسناد صحيح إلىٰ ابن زيد في قوله : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ** ﴾ [النبأ: ١٤] قال : المعصرات : الرياح ، وقرأ قول اللَّه : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..** ﴾ [الروم: ٤٨] إلىٰ آخر الآية .

وأورد الطبري أيضًا بإسناد حسن إلى قتادة قال : هي في بعض القراءات ﴿وأنزلنا بالمعصرات﴾ : الرياح .

الثاني : أنها السحب التي حملت بالماء وأوشكت أن تُمطر ، كالمرأة المعصر التي دنا حيضها ولم تحض .

الثالث : أنها السموات ، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى الحسن قال : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤] قال : من السماء .

وبإسناد يصح عن قتادة قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال : من السموات .

واختار ابن جرير الطبري رحمه اللَّه القول القائل بأن المراد بالمعصرات السحاب ، ودلل على ذلك بما حاصله أن الرياح لا ماء فيها فلا يقال : وأنزلنا من الرياح .

وقال أيضًا ما حاصله : إنه وإن صح أن يقال وأنزلنا من السماء ماء ثجاجًا إلا أن الأغلب أن الماء إنما ينزل من السحاب، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

براهين البعث :

س ـ ما هي براهين البعث المذكورة في هذه السورة ؟

ج : **البراهين على البعث في هذه السورة أربعة ، وهي :**

١ـ **الاستدلال على البعث بخلق السموات والأرض** ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ٦ - ١٢] .

وهذا يدل على البعث فاللَّه عز وجل يقول : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] .

٢ ـ **الاستدلال على البعث بإحياء الأرض بعد موتها** ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [النبأ: ١٤ - ١٧] .

فإحياء الأرض بعد موتها دليل على البعث كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [فصلت: ٣٩] .

٣ ـ **الاستدلال على البعث بخلق الإنسان** ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ: ٨] فالذي خلق الإنسان قادر على إعادته وإحيائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩] .

٤ ـ **الاستدلال على البعث بإحياء الموتى في الدنيا** كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ: ٩] ، والنوم هو الموتة الصغرى ، وكان النبي ﷺ يقول إذا استيقظ من نومه : «**الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا**

وإليه النشور»[١].

فإحياء الأنفس بعد موتها من أدلة البعث، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١١/١١٣) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٣٥) من حديث حذيفة رضي اللّه عنه مرفوعًا .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

ميقاتًا ـ أفواجًا ـ سرابًا ـ مرصادًا ـ للطاغين ـ مآبًا ـ لابثين ـ أحقابًا ـ بردًا ـ حميمًا ـ غساقًا ـ وفاقًا ـ لا يرجون ـ كذابًا .

ج :

الكلمة	معناها
ميقاتًا	مؤقتًا بأجل معدودٍ لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته إلا اللَّه ـ وقيل: ميقاتًا لاجتماع كل الخلائق ـ وقيل: ميقاتًا لما وعد اللَّه من الثواب والعقاب
أفواجًا	جماعات جماعات

الكلمة	معناها
سرابًا	السراب : هو ما يراه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء
مرصادًا	ذات رصد وترقب ـ رصد الشيء : ترقبه وتطلع إليه
للطاغين	الطاغون: هم الذين طغوا في الدنيا وتجاوزوا حدود اللَّه استكبارًا على اللَّه
مآبًا	مرجعًا ومنزلاً ومأوى[1]
لابثين	ماكثين
أحقابًا	الحقب : مدة زمنية طويلة[2]
بردًا	هو ما يبرد أجوافهم وقلوبهم ، وقيل : هو برد الريح ، وقيل : المراد بالبرد : النوم[3]، وقيل : لا يتنفسون هواءً باردًا يبرد أجوافهم
حميمًا	الحميم هو الشراب الذي انتهى حره وحموه وبلغ أعلى درجات حرارته

(١) روي الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿للطاغين مآبًا﴾ أي : منزلاً ومأوى .

(٢) وسيأتي الكلام عليه في سؤال مستقل .

(٣) قال الشاعر : **بردت مراشفها علي فصدني .. عنها وعن قبلاتها البرد**

قال الطبري رحمه اللَّه : والنوم إن كان يبرد غليل العطش فقيل له من أجل ذلك : البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب اللَّه على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره .

الكلمة	معناها
غساقًا	غسالة أهل النار[١] ـ ما يسيل من صديد أهل النار ـ وقيل : إنه الزمهرير ـ وقيل : هو المنتن
وفاقًا	موافقًا لأعمالهم[٢] ، كما قال تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾
لا يرجون	لا يخافون ـ لا يتوقعون
كذابًا	تكذيبًا كبيرًا

* * *

س ـ ما المراد بيوم الفصل ؟ ولماذا أطلق عليه يوم الفصل ؟

ج : المراد بيوم الفصل : يوم القيامة ، وأطلق عليه يوم الفصل لأن اللّه يفصل فيه بين خلقه بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل

---

(١) صح عند الطبري عن إبراهيم وأبي رزين أنهما قالا : (غسالة أهل النار) ، وفي لفظ : ما يسيل من صديدهم ، وروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة : ما يسيل من بين جلده ولحمه ، وقال الطبري رحمه اللّه : الغساق الفعال ، من قولهم : غسقت عين فلان إذا سالت دموعها ، وغسق الجرح إذا سال صديده .

وصح عن ابن زيد عند الطبري أنه قال : الحميم : دموع أعينهم في النار يجتمع في خنادق فيسقونه ، والغساق : الصديد الذي يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه .

(٢) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء ، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : عملوا شرًا فجزوا شرًا ، وعملوا حسنًا فجزوا حسنًا ثم قرأ : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] .

فيأخذ فيه من بعضهم لبعض .

* * *

س ـ ما المراد بالصور ؟

ج : الصور هو قرن يُنفخ فيه .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالصور الخَلق[١] .

* * *

س ـ كيف تجمع بين قوله تعالىٰ : ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] ؟

ج : الظاهر لي ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ : أن إتيانهم أفواجًا[٢] إنما هو فور النفخ في الصور وعند خروجهم من القبور ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة ، قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النبأ: ١٨] والصور: الخلق ، والمراد على هذا التأويل بالنفخ في الصور نفخ الأرواح في الأجساد .

(٢) والمراد بإتيانهم أفواجًا ، أي : فوجٌ يتلوه فوج أو فوج معه فوج ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالأفواج الجماعات المختلفة فمنهم فوج يحشر أعمىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] ، ومنهم فوج يأتي أصم وأبكم وأعمىٰ كما قال تعالىٰ : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] ، ومنهم من يحشر أمثال الذر كالمتكبرين ، ومنهم من يحشر له لواء عند استه وهو الغادر . . . . إلىٰ غير ذلك من الأوصاف .

يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] .

● أما مجيئهم فرادىٰ فذلك عند لقاء اللَّه للسؤال والحساب .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ؟

ج : معناه ـ واللَّه أعلم ـ : أن السماء بعد أن كانت متماسكة ومحبوكة ومجتمع بعضها إلىٰ بعض كما قال تعالىٰ : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] ، وليس فيها فروج ولا ثقوب كما قال تعالىٰ : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] ، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣]، بعد ذلك كله ويوم القيامة تتفتح السماء فتكون أبوابًا أي : طرقًا ومسالكَ [1] لنزول الملائكة كما قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] وكما قال تعالىٰ : ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] .

وقال بعض أهل العلم : تقطعت السماء فكانت كالأبواب ، واللَّه أعلم .

* * *

(١) ولكثرة هذه الأبواب وتلك الطرق والمسالك عُبر عن السماء كلها بأنها أبواب في قوله تعالىٰ : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩] ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] أي : كأنها كلها صارت عيونًا تتفجر .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] .

ج أما السراب فهو الشيء الذي ينظر إليه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء ، وكذلك تكون الجبال فتصبح الجبال كالعهن ، وهو الصوف كما قال تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] ، وتزاح عن أماكنها كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ، وتنسف نسفًا كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧] .

ويخيل إلى الرائي أن هذا جبل ولكن ليس ثمَّ جبال كما قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [1] [النمل: ٨٨] .

● **قال صديق حسن خان رحمه اللَّه** [2]: ذكر اللَّه سبحانه وتعالى أحوال الجبال بوجوه مختلفة ، ويمكن الجمع بينها بأن نقول :

أول أحوالها : الاندكاك وهو قوله : ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] .

---

(١) على بعض التأويلات .

(٢) «فتح البيان» (١٥/ ٣٥) .

• **وثاني أحوالها** : أن تصير كالعهن المنفوش ، كما في قوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥] .

وثالث أحوالها : أن تصير كالهباء ، وهو قوله : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴾ [الواقعة: ٥، ٦] .

ورابع أحوالها : أن تنسف وتحملها الرياح ، كما في قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] .

وخامس أحوالها : أن تصير سرابًا ، أي : لا شيء ، كما في هذه الآية .

قلت (مصطفى): ونظير هذا الكلام قد ذكره الرازي في «تفسيره» ، ولا دليل على هذا الترتيب ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : أن جهنم تترقب أهلها وترصدهم فالناس يمرون عليها وهي تعرف أهلها فتحبسهم فيها ومن لم يكن من أهلها مرَّ عليها [1] وانصرف ، وذلك كالوارد في حديث المرور

(١) صح عن الحسن رحمه الله عند ابن جرير الطبري في قوله : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] قال : لا يدخل الجنة أحدٌ حتى يجتاز النار . وروى الطبري أيضًا بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] يُعلمنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يقطع النار .

على الصراط[١].

ويحتمل أيضًا أن يكون المعنى : أن جهنم تنتظر أهلها وتتهيأ لهم عياذًا بالله .

● وأورد الرازي وجهًا آخر وهو : أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم لقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها .

* * *

س ـ ما المراد بالأحقاب في قوله تعالى : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] ؟

ج : الأحقاب : جمع حُقْب وهو : المدة الزمنية ، قال موسى عليه السلام لفتاه : ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠] .

وقال الشاعر :

وعِشْنَا كنَدَمَانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ∴ من الدَّهْرِ حتى قيل لن يتصدعا [٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه : «.. فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ...» وفيه : «.. وفي جهنم كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو ...» الحديث ، وقد قدمته بطوله في «التسهيل» (تفسير سورة البقرة) (١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) عند بحث الشفاعة .

(٢) هذا من قصيدة متمم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة ، وفيها :

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ∴ أصاب المنايا رهط كسرى وتُبَّعا

وكُنا كنَدَمَانَيْ جذِيمةَ برهةً ∴ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

واختلف في تحديد هذه المدة الزمنية ، فروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : قال اللَّه : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] وهو ما لا انقطاع له ؛ كلما مضى حقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقب ثمانون سنة .

وقال آخرون من العلماء : إن الحقب سبعون ألف سنة .

وقال آخرون : هو ثلاثمائة سنة ، وقيل غير ذلك ، واللَّه أعلم .

* * *

بقاء النار وبيان أنها لا تفنى :

س ـ هل في هذه الآية الكريمة دليل على فناء النار ؟ فقد يقول قائل: إن الآية الكريمة تفيد أن الكفار يلبثون في النار أحقابًا ثم يرفع عنهم العذاب أو يخرجون منها ، فكيف يوجه هذا الفهم ؟

ج :الآية ليس فيها دليل على فناء النار ، وليس فيها أن الكفار يخرجون منها بعد دخولهم فيها ، فالآية الكريمة فيها : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣ - ٣٠] ، فأفادت الآيات الكريمات أنهم ـ أي : الكفار ـ يلبثون فيها أحقابًا ليس لهم طعام ولا شراب إلا الحميم والغساق ، ثم ماذا بعد هذه الأحقاب ؟ ، ليس في الآية أنهم يخرجون أو أنها تفنى إنما في

الآية الكريمة ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] . هذا هو وجه توجيه هذا الرأي عندي[١] .

وقد قال فريق من أهل العلم كقتادة رحمه اللَّه تعالى : إن هذه الأحقاب لا انقطاع لها ولا انقضاء لها .

● ومن أهل العلم من قال : إن هذه الآية في أهل القبلة (أي : المسلمين الذين قضي عليهم بنوع من العذاب) فإنهم يمكثون فيها إلى ما شاء اللَّه ثم يخرجون .

وهذا الوجه ضعيف ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٢٨] ، والوجه الأول أقوى الأوجُه ، واللَّه تعالى أعلم .

هذا وقد تضافرت الأدلة على أن النار لا تفنى وأهلها الذين هم أهلها لا يخرجون منها ، ومن هذه الأدلة ما يلي : ـ

● قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

● قول اللَّه تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا . . .﴾ [السجدة: ٢٠] .

---

(١) وإلى هذا المعنى أشار الطبري رحمه اللَّه بقوله : وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : لابثين فيها أحقابًا في هذا النوع من العذاب هو أنهم ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] ، فإذا انقضت تلك الأحقاب صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال جل ثناؤه في كتابه : ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٥ - ٥٨] وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية .

● قول اللَّه عز وجل : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .

● قول النبي ﷺ « .. ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت .. »[١] .

● قول اللَّه عز وجل : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] ؟

ج قال بعض أهل العلم : إن المراد أنهم كانوا لا يخافون حسابًا[٢] ، وهو كقول نوح عليه السلام لقومه : ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] .

● وقال بعضهم : لا يرجون ثواب الحساب .

● وقال بعض العلماء : إن قوله : ﴿لا يَرْجُونَ ..﴾ معناه : لا يتوقعون .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) روى ذلك الطبري رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن عن قتادة .

• وقال آخرون : إن المعنى : إنهم لا يؤمنون بالبعث[1]، فروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] قال : لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وكيف يرجو الحساب من لا يوقن أنه يحيا ولا يوقن بالبعث ، وقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٣] ، وقرأ : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] فقال بعضهم لبعض : ماله ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨] الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا .

• هذا وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ تنبيه على أنهم فعلوا كل شرٍّ وتركوا كل خير ، وذلك أن من لا يرجو الحساب لا يفعل الخيرات ولا يحجم عن المنكرات ، واللَّه أعلم .

* * *

---

(١) لإيضاح ذلك بعض الشيء أذكر قول الرازي في هذا فقد قال : إن المؤمن لابد وأن يرجو رحمة اللَّه لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر فقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين .
قلت (مصطفى) : وهذا لا يخلو من نظرة إرجائية من قائله ، وكيف ذلك وأهل الإيمان يخافون الحساب الأخروي ، ومعلوم يقينًا أن من أهل الشهادتين من يدخل النار كالزناة والمرابين والمفلسين (الذين ورد ذكرهم في حديث المفلس . . . .) وغيرهم !!!

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ: ٢٩] مع ذكر بعض الآيات في معناها ومعنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن كل عمل وكل قول عمله العباد قد أحصيناه وأعددناه وكتبناه عليهم في الصحف حتى يلقوا ربهم عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وكما قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] ، وقال : ﴿ ... وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، والذين كتبوا هم الملائكة كتبوا بأمر الله لهم بذلك، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] ، وذكر بعض العلماء أن وجه انتصاب كتابًا : لأنه

مصدر لأحصينا ، والمعنى : وكل شيء أحصيناه إحصاءً ، والإحصاء في معنى الكتاب والله أعلم .

* * *

س ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] ، فذكر الله سبحانه أنه لا يكلمهم ، وفي هذه السورة يقول الله تعالى : ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] ، فقد كلمهم الله ، فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : **الجمع من وجوه :**

أولها : أن يقال : إن قول الله تعالى : ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمْ﴾ محمول على الكلام الذي ينفعهم ، أي : لا يكلمهم كلامًا ينفعهم .

الثاني : أن مواقف القيامة تتعدد ، فأحيانًا يحدث عدم التكليم ، وأحيانًا يحدث التكليم للتوبيخ والتأنيب والتبشير بالعذاب .

الثالث : أن في الآية مقدر ، والمعنى : فيقال لهم : فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا .

والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة : ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ

عَذَابًا ﴾[1] [النبأ: ٣٠] ؟

ج : في معناها : قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .

(١) ورد عند ابن جرير الطبري من طريق قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال : لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] قال : فهم في مزيد من العذاب أبدًا .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

س ـ ما معنى كل ما يلي : ـ

مفازًا ـ حدائق ـ كواعب ـ أترابًا ـ دهاقًا ـ لغوًا ـ كذابًا ـ حسابًا ـ خطاباً ـ صوابًا ـ أنذرناكم ـ ما قدمت يداه ؟

الكلمة	معناهـــا
مفـــــازًا	فوزًا وظفرًا بالمطلوب ، ونجاة من المرهوب [1] ـ

(١) صح عن قتادة عند الطبراني أنه قال : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١] قال : إي والله مفازًا من النار إلى الجنة ، ومن عذاب الله إلى رحمته .

ومن أهل العلم من قصر تفسير المفاز على الفوز بالمطلوب ، وقال : إن هذا المفاز هو ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٣٢ - ٣٥] .

الكلمة	معناهـــا
	منجى من النار إلى الجنة ـ مخلصًا من النار إلى الجنة
حـــــدائق	جمع حديقة، وهي: البساتين من النخيل والأعناب والأشجار المحوَّط عليها بالحيطان المحدقة بها[1]
كواعـــــب	الكواعب هن : النساء ، ولكنهن ذات صفة معينة وهي كونهن كواعب ، أي : نواهد ، أي: أن ثديهن لم يتدلى لكونهن أبكارًا [2] ، ومن العلماء من قال : الكواعب هن العذارى
أترابًـــــا	أي: في سن واحدة، فلانة تربة فلانة، أي: في سنها، وقيل : المتصافيات ، وقيل : الأتراب المتآخيات
دهاقًـــــا	ممتلئة ـ صافية ـ متتابعة
لغـــــوًا	اللغو: هو الكلام الذي لا فائدة فيه ـ وقيل: الباطل،

(١) قاله الطبري ، وقال : لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة ، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة لم يقل لها حديقة .

(٢) صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] يعني بذلك : النساء أترابًا لسنٍّ واحدة ، وصح عن ابن زيد في قوله : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] قال : الكواعب التي قد نهدت وكعب ثديها ، وقال : أترابًا مستويات ، فلانة تربة فلانة ، قال : الأتراب اللدات .

● قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» في تفسير الكواعب : . . . والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواعب .

الكلمة	معناها
كذابًا	وقيل : الشتم[١] تكذيبًا من بعضهم لبعض، فلا يكذب بعضهم بعضًا، وقيل : إثمًا ، كما قال تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]
حسابًا	أي: كافيًا ـ كافيًا وزائدًا على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وقيل: محاسبة لهم على أعمالهم في الدنيا
خطابًا	كلامًا
صوابًا	حقًّا ـ لا إله إلا اللَّه[٢]
أنذرناكم	حذرناكم
ما قدمت يداه	ما عمل من خيرٍ أو شرٍّ

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ..﴾ [النبأ: ٣٥] ؟

ج : فيها قولان حكاهما الماوردي في «تفسيره» :

أحدهما : أن الضمير يرجع إلى الجنة . قلت : والمعنى : لا يسمعون في الجنة .

---

(١) أي: أن خمر الآخرة لا تسبب لأهلها وشاربيها ذهاب العقل الذي يحدث معه الشتم والسباب، واللَّه أعلم .

(٢) أي : كان يقول : لا إله إلا اللَّه في الدنيا .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى الخمر .

قلت : والمعنى: لا يسمعون أثناء شربهم للخمر لغوًا ولا كذابًا ، فلا تسبب لهم الخمر ذهاب العقل الذي يصحبه اللغو والتكذيب والسباب والشتائم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ: ٣٧] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أنه لا يقدر أحدٌ على مخاطبة اللَّه عز وجل إلا إذا أذن اللَّه له بذلك ، وقال بعض أهل العلم: أي: لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه[1] . ، كما قال تعالى : **﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾** [هود: ١٠٥] ، وكما قال تعالى : **﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾** [البقرة: ٢٥٥] .

والضمير في قوله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ ﴾ إلى من يرجع ؟

قال بعض العلماء : إنه راجع إلى المشركين ومنهم من قال : راجع إلى المؤمنين لعلمهم بأن اللَّه عدلٌ لا يجور ، فلا يُترك شيء لهم يتكلمون فيه . والصواب في ذلك أنه عام، فأهل السموات والأرض جميعهم لا يملكون عنده خطابًا [2] .

* * *

---

(١) صح عن ابن زيد رحمه اللَّه تعالى (كما عند الطبري) أنه قال : لا يملكون أن يخاطبوا اللَّه ، والمخاطب : المخاصم الذي يخاصم صاحبه .

(٢) إلا لمن أذن له .

س ـ ما المراد بالروح في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا ...﴾ [النبأ: ٣٨] وما المراد بالصف في الآية الكريمة ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، ومستند هذا القول : قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وعلى ذلك فقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ ...﴾ [النبأ: ٣٨] من باب عطف العام على الخاص فالملائكة على العموم وجبريل داخل فيهم ، عطف على الروح وهو جبريل .

الثاني : أن المراد بالروح القرآن ، لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

الثالث : أن المراد بالروح أرواح بني آدم .

الرابع : أن المراد بالروح بنو آدم .

الخامس : أن المراد بالروح خلق من خلق اللَّه على صورة بني آدم .

السادس : أنه ملك في السماء الرابعة . .

وثم أقوال أُخر .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه تعالى : والصواب من القول أن يُقال : إن اللَّه تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابًا يوم يقوم الروح ، والروح خلق من خلقه ، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء

التي ذكرت ، واللَّه أعلم أي ذلك هو ، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له ، ولا حجة تدل عليه وغير ضائر الجهل به .

● أما المراد بالصف في قوله تعالى : ﴿صفًّا﴾ فيحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم يقومون فيصطفون صفًّا واحدًا .

الثاني : أنهم يُصفون صفوفًا على حسب مراتبهم ومنازلهم كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ، وكما قالت الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤، ١٦٥] .

وكما قال النبي ﷺ : **«ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها»**[1] .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وبين كذب المشركين في قولهم : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ؟

ج : الإجابة ـ واللَّه أعلم ـ من وجوه :

● **أحدها** : أن معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي : قال: لا إله إلا اللَّه في الدنيا ، أو كان من المسلمين الذين قد قالوا في دنياهم قولاً صوابًا .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

أما كذب المشركين وقولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، فهذا في بعض مواقف القيامة ، فمواقف القيامة تتعدد ـ فأحيانًا يتكلم أهل الشرك كي يسمعوا ما يسيئهم ، وأحيانًا لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، فلما يرى أهل الشرك أهلَ الإيمان وقد غفر لهم يقولون : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ولكن في مواطن أخر لا يتكلمون إلا بالذي فعلوه كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] والله أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه وصف اليوم بأنه حق في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] ؟

ج : وجه ذلك ـ والله أعلم ـ : أن هذا اليوم هو اليوم الحقيقي الذي يستحق أن يُقال له يوم ، ففيه تبلى السرائر ، وتنكشف الضمائر ، ويبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، ويظهر وينتصر فيه كل حق ، ويزهق فيه كل باطل .

وقيل : إن معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] : أي : الحق وجوده ووقوعه .

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [النبأ: ٣٩]

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فمن شاء من العباد اتخذ إلى ربه

مرجعًا حسنًا ، وهذا المآب الحسن يكون بالتصديق باليوم الآخر الذي قال اللَّه فيه : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] ويكون أيضًا بالأعمال الصالحة ، وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ قال : اتخذوا إلى اللَّه مآبًا بطاعته وما يقربهم إليه ، وقال بعض العلماء : مآبًا أي : سبيلا وطريقًا والآية هنا وإن كان ظاهرها التخيير إلا أنها أقرب إلى الحث والتهديد ، كما قال تعالى : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ، ومما يدل على أنها للتهديد قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ...﴾ [النبأ: ٤٠] عقب قوله : ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] .

* * *

س ـ ما المراد بالعذاب القريب في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] ؟ اذكر بعض الآيات الدالة على قرب الساعة ؟

ج : المراد بالعذاب القريب عذاب يوم القيامة ، بدليل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] أما الآيات الدالة على قرب الساعة فمنها :

- قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] .
- قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] .

● قوله تعالىٰ : ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] .

* * *

س ـ من المراد بالمرء في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالمرء هو المرء المؤمن ، روي ذلك من عدة طرق عن الحسن البصري[1] .

ويتأيد هذا القول بدلالة ذكر الكافر بعد ذكر المرء في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] .

ولقائل آخر أن يقول : إن المراد بالمرء هنا أعم من المؤمن ، فكل امرئ ينظر ما قدمت يداه ، وعند ذلك يحدث الافتراق ، فالمؤمن يقول : ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ...﴾ [الحاقة: ٩] ، والكافر يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ .

ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن المراد بالمرء : الكافر ، وهو ضعيف في هذا المقام عندي ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ... وَيَقُولُ الْكَافِرُ

---

(١) كما عند الطبري رحمه اللَّه .

يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا المعنى : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] .

● وقول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧] .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا
خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات على رأي أكثر المفسرين : ـ

النازعات ـ الناشطات ـ السابحات ـ السابقات ـ المدبرات أمرًا ـ الراجفة ـ الرادفة ـ واجفة ـ خاشعة ـ الحافرة ـ نخرة ـ كرة ـ زجرة ـ الساهرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
النازعات	الملائكة المختصون بنزع أرواح الكفار
الناشطات	الملائكة المختصون بإخراج أرواح المؤمنين
السابحات	ملائكة تسبح بين السماء والأرض

الكلمة	معناها
السابقـــات	ملائكة تسبق بالوحي من اللَّه إلى رسله
المدبرات أمراً	ملائكة تدبر أعمال العباد بإذن اللَّه
الراجفـــة	النفخة الأولى
الرادفـــة	النفخة الثانية
واجفـــة	خائفة [١] ـ مضطربة
خاشعـــة	ذليلة [٢] حقيرة
الحافـــرة	الحياة التي كانوا عليها قبل الموت
نخـــرة	متفتتة بالية
كـــرة	رجعة
زجـــرة	نفخة وصيحة [٣]
الساهـــرة	وجه الأرض

* * *

(١) قال القرطبي : وعليه عامة المفسرين ، والمعنى : أنها خائفة من عظيم الهول النازل بها .

(٢) المراد أنها تظهر عليها علامات الذل والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ [الشورى: ٤٥] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات: ١٣] : نفخة واحدة يقومون معها من قبورهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: ٧٧] .

س ـ ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ... ﴾ [النازعات: ١] ؟

ج : الواو هنا هي واو القسم .

* * *

س ـ وضح المراد بالنازعات وماذا تنزع ؟ وما هي الناشطات وما عملها كذلك ؟

ج : **النازعات والناشطات** ملائكة [١] وهم ملك الموت وأعوانه ، ولكن النازعات: ملائكة موصوفون بوصف معين وهو النزع ، والناشطات موصوفة بأنها تُنشط [٢]. ولإيضاح ذلك نقول : إن النازعات هي الملائكة المختصة بنزع أرواح الكفار تنزعها من أجسادهم نزعًا شديدًا .

أما معنى غرقًا : فالمراد به المبالغة في شدة النزع فهو نزع تشعر معه النفس أنها تغرق ، ومن العلماء من قال : إنها تنزع ثم تفرق في النار ، ومنهم من قال : إن غرقًا من الإغراق بمعنى المبالغة في الشيء والاستطراد فيه ، وهذا راجع إلى شدة النزع أيضًا .

● **أما الناشطات** : فهي الملائكة المختصة بنزع أرواح المؤمنين وتقوم هذه الملائكة بتنشيط روح المؤمن حتى تخرج من الجسد نشيطة وتجذبها الملائكة برفقٍ ولين من الجسد .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ [النازعات: ١] قال : الملائكة ، وأخرج أيضًا بإسناد صحيح عن مسروق أنها الملائكة .

(٢) ومن قولهم : قام فلان كأنما أنشط من عقال .

ومن العلماء من قال : والذي ينشطها (أعني : روح المؤمن) أنها ترى ما أعده اللَّه لها في الجنة من الحبرة والسرور ، وما أعده اللَّه لها من الأزواج وحور العين فتنشط الروح فتخرجها الملائكة بسهولة ويُسر من الجسد. وهذا وذاك واضحان فيما أخرجه الإمام أحمد [١] رحمه اللَّه تعالى بإسناد صحيح من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : خرجنا مع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحد فجلسَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطيرُ وفي يده عودٌ ينكتُ في الأرض ، فرفع رأسه فقال : **«استعيذوا باللَّه من عذاب القبر»** مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : **«إن العبدَ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشَّمسُ ، معهم كفن من أكفانِ الجنة وحَنُوط [٢] من حنوط الجنة حتى يَجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام [٣] حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من اللَّه ورضوان»** قال : **«فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويَخرجُ منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض»** قال : **«فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧ و ٢٩٥ و ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) والطيالسي (٧٥٣) والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠) .

(٢) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة (انظر «اللسان») .

(٣) لم نقف على دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل .

فيقولون : فلانَ ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال : «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللَّه ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» قال : «فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» قال : «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من اللَّه وغضب» قال : «فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه

الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابنُ فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له » ثم قرأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] «فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا» ثم قرأ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشربالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشرِّ، فيقول : أنا عملك الخبيث، فيقول : ربِّ لا تقم الساعة».

● هذا ، وأكثر أهل العلم على تفسير النازعات والناشطات بما فسرناه ولكن ثمَّ أقول أخر أيضًا ، منها :

أن المراد **النجوم** تنزع من أفق إلى أفق .

ومنها : أن المراد **القسي** التي تنزع بالسهم .

ومنهم من قال : إنها **النفوس** حين تُنزع .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن اللَّه تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقًا ولم يُخصص نازعة دون نازعة ، فكل نازعةٍ غرقًا فداخلة في قسمه ، ملكًا كان أو موتًا أو نجمًا أو قوسًا أو غير ذلك .

والمعنى : والنازعات إغراقًا كما يغرق النازع في القوس[١] .

وبنحو ذلك قال في الناشطات فقال : .. بل عمَّ القسم بجميع الناشطات ، والملائكة تنشط من موضع إلى موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم والأوهاق[٣]، وبقر الوحش أيضًا تنشط ...

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِحَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أن السابحات : هي الملائكة ، وللعلماء في هذا تأويلان أيضًا .

الأول : أن المراد ملائكة قبض الأرواح تسبح في جسد المؤمن لاستخراج روحه بلطفٍ ورفقٍ ولين[٢] .

---

(١) إغراق النازع في القوس أن يمده غاية المد حتى ينتهي به إلى النصل .

(٢) **قال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»** : هي الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الأرواح كما يسبح الغواص في البحر لإخراج شيء منه، يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلُّونها سلاًّ رفيقًا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفقٍ ولطافة.

(٣) وهي الحبال التي تُشَدُّ بها المواشي .

الثاني :أن المراد عموم الملائكة ، تسبح عند نزولها من السماء مسرعين لأمر اللّه .

ثانيها : أن المراد بالسابحات النجوم التي تسبح في أفلاكها ، وقد صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : هي النجوم .

ثالثها : أن المراد السفن .

وثمَّ أقوال أخر .

واختار ابن جرير الطبري القول بالعموم أيضًا ، وأن كل ما ذكر داخل في الآية الكريمة ، واللّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِقَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

● **فجمهورهم** [1] على أن المراد بالسابقات الملائكة .

فمن العلماء من قال : هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، ومنهم من قال : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أي : يسبق بعضهم بعضًا بأرواح المؤمنين .

● ومن العلماء من قال : إن السابقات هي النجوم يسبق بعضها بعضا .

---

(١) نقله عن الجمهور صديق حسن خان في «فتح البيان» .

• ومنهم من قال : هي الخيل تسبق إلى الجهاد .

• ومنهم من قال : هي أرواح المؤمنين تسبق أجسادهم إلى الجنة وأرواح الكفار تسبق أجسادهم إلى النار .

والقول الذي عليه الجمهور أنهم الملائكة كما قدمنا .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ٥] ؟

ج : **المدبرات** : هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها عز وجل ، قال ابن كثير : ولم يختلفوا في هذا ، وقال القشيري [1]: أجمعوا على أن المراد الملائكة .

وقال الطبري : وقوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ٥] يقول : فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر اللَّه ، وكذلك قال أهل التأويل .

* * *

س ـ وضح باختصار مجمل القول في تأويل قوله جل وعلا : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ١ - ٥] ؟

ج : مجمل القول في هذه الفقرات أن من أهل العلم من حملها كلها ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ١ - ٥] على

(١) نقله عنه القرطبي .

شيء واحد ثم اختلفوا في تحديد هذا الشيء ما هو .

فذهب الجمهور إلى أن هذا الشيء الموصوف بهذه الصفات هم الملائكة .

وذهب فريق إلى أنها النجوم .

وفريق ثالث إلى أنها الأرواح .

وفريق رابع إلى أنها صفات خيل الغزاة .

وفريق خامس أنها صفات الغزاة .

ومن العلماء من قال بالعموم .

وثمَّ أوجه أُخر للعلماء في ذلك .

● ومن العلماء من حمل هذه الصفات على أشياء مختلفة .

وقد قدمنا رأي الجمهور ومزيدًا في التفصيل في ذلك والعلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ لماذا جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث وهي أوصاف للملائكة مع أن الملائكة ليسوا إناثًا ؟

ج : أجاب على ذلك صديق حسن خان بقوله : لأن المقسم به طوائف من الملائكة ، والطوائف جمع طائفة ، وهي مؤنثة .

* * *

س ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالنازعات والناشطات .... فأين جواب القسم ؟

ج : من أهل العلم من ذهب إلى أن جواب القسم محذوف ، ومنهم من ذهب إلى أنه مذكور في السورة .

● أما الذين ذهبوا إلى أن جواب القسم محذوف ، فأشهر أقوالهم في تقديره أنه (لتبعثن) ، فالمعنى : والنازعات . . . لتبعثن .

● أما الذين ذهبوا إلى أنه مذكور في السورة فهو عند فريق منهم قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ...﴾ [النازعات: ٨] فالمعنى : والنازعات . . إن القلوب ستكون واجفة يوم ترجف الراجفة .

وقد أورد الرازي رحمه اللَّه أقوال العلماء في ذلك فقال :

المسألة الأولى : جواب القسم المتقدم محذوف أو مذكور فيه وجهان: **الأول** : أنه محذوف ، ثم على هذا الوجه في الآية احتمالات:

الأول : قال الفراء : التقدير : لتبعثن ، والدليل عليه ما حكى اللَّه عنهم ، أنهم قالوا : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] أي : أنبعث إذا صرنا عظامًا نخرة **الثاني** : قال الأخفش والزجاج : لننفخن في الصور نفختين ودل على هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان **الثالث** : قال الكسائي: الجواب المضمر هو أن القيامة واقعة ، وذلك لأنه سبحانه وتعالى قال : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١] ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ

عُرْفًا ﴿١﴾ ... إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ [المرسلات: ١ - ٧] فكذلك ههنا فإن القرآن كالسورة الواحدة **القول الثاني** : أن الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالات : **الأول** : المقسم عليه هو قوله : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨، ٩] ، والتقدير : والنازعات غرقًا إن يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وأبصارها خاشعة **الثاني** : جواب القسم هو قوله : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [النازعات: ١٥] ، فإن (هل) ههنا بمعنى قد ، كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] ، أي : قد أتاك حديث الغاشية **الثالث** : جواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] .

* * *

س ـ اذكر المراد بالراجفة والرادفة بشيء من التفصيل ؟

ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد **بالراجفة** : **النفخة الأولى والرادفة** : **النفخة الثانية** ، فصح عن الحسن البصري [1] أنه قال : هما النفختان ، أما الأولى فتميت الأحياء ، وأما الثانية فتحيي الموتى ، ثم تلا الحسن : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] .

• وصح عن قتادة [2] أيضًا أنه قال : هما الصيحتان أما الأولى

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح .

(٢) أخرجه الطبري أيضًا بإسناد صحيح .

فتميت كل شيء بإذن اللَّه وأما الأخرىٰ فتحيي كل شيء بإذن اللَّه .

● هذا وثم أقوال أُخر للعلماء فمنهم من قال : إن الراجفة : الأرض لقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤] ، والرادفة : الساعة [١] ، ومنهم من قال : إن الراجفة : الأرض ، والرادفة : السماء ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٦] ومن العلماء من قال: إن الراجفة: هي الصوت الهائل المزعج ، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: ٣٧] ، والرادفة : الزلزلة . والقول الأول عليه الأكثرون ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا أضيفت الأبصار إلىٰ القلوب في قوله تعالىٰ : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨ - ٩] ؟

ج : أضيفت الأبصار إلىٰ القلوب ، والمراد بالقلوب: أصحابها ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] .

* * *

س ـ لماذا نُكِّرت قلوب في قوله تعالىٰ : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] ولم يُقل : القلوب يومئذ واجفة ؟

---

(١) صح ذلك عن ابن زيد عند الطبري .

ج : لأن المراد ـ واللَّه أعلم ـ : قلوب فريق من الناس وهم الكفار، وقلوبهم واجفة لأنهم كانوا ينكرون البعث ، وذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات: ١٠، ١١] ، أما قلوب أهل الإيمان فمطمئنة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيءٍ من التفصيل أقوال العلماء في الحافرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالحافرة الحالة الأولى التي كانوا عليها قبل الممات** ، والمعنى : أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنرجع أحياء كما كنا قبل مماتنا ؟!!

وهو من قولهم رجع فلان على حافرته ، أي : رجع من حيث جاء ، ومنه قول الشاعر :

أحافرةٌ على صلعٍ وشَيبٍ ∴ معاذ اللَّه من سفهٍ وعار

● وقد أخرج الطبري بإسناد يصح بمجموع طريقيه إلى قتادة أنه قال : أئنا لمردودون في الحافرة ؟ أئنا لمبعوثون خلقا جديدًا ، وفي رواية : مردودون خلقًا جديدًا .

● ومن العلماء من قال : إن الحافرة : الأرض ، والحافرة بمعنى المحفورة (أي : التي حفرت فيها قبورهم) وهذا كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، وكقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١] : أي : مرضية ، ومنهم من قال : إن الحافرة هي

القبور ، والمعنى على هذين القولين : أئنا لمردودون بعد المصير إلى القبور .

ومن العلماء من قال : الحافرة هي النار ، صح هذا عن ابن زيد عند الطبري ، والقول الأول عليه أكثر العلماء . وهو الأصح عندي لقولهم عقبها : ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] أي : رجعة خاسرة ، والله أعلم .

* * *

س ـ من هم القائلون: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]، ومتى يقولون هذا القول ؟

ج : القائلون بذلك هم مشركو قريش ومن قال بقولهم في إنكار البعث . ومقالتهم هذه إنما يقولونها في الدنيا ، كما ذكر الله سبحانه عنهم قيلهم : ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩] وكما قال سبحانه : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] .

* * *

س ـ اذكر مزيدًا من الأدلة التي توضح إنكار المشركين للبعث ؟

ج : من هذه الأدلة قول قائلهم : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠]، ومنها قولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

* * *

س ـ ما المراد بالساهرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها.**

● وقال الواحدي : المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها في قول الجميع .

قلت : ولعل مراده بالجميع الأكثر ، أو من يُعتد به عنده.

● وعند الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال : على الأرض ، قال : فذكر شعرًا قاله أمية بن أبي الصلت فقال :

عندنا صيد بحرٍ وصيد ساهرةٍ .

● وصح عن الحسن أيضًا عند الطبري أنه قال : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] : فإذا هم على وجه الأرض .

● وبإسناد يصح بطريقيه عن قتادة قال : لما تباعد البعث في أعين القوم قال اللَّه : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] ، يقول : فإذا هم بأعلى الأرض بعدما كانوا في جوفها .

وكذلك صح عن عددٍ من السلف أنهم قالوا : مثل هذا القول ومن العلماء من قال : الساهرة : مكان مخصوص من الأرض ، ومنهم من قال : إنما هي جهنم . وما قدمنا أولاً أصح ، واللَّه أعلم .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات :

المقدس ـ طوىٰ ـ طغىٰ ـ تزكىٰ ـ أهديك إلىٰ ربك ـ حشر ـ فأخذه اللَّه ـ نكال ـ عبرة ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
المقدس	المبارك المطهر
طـــــوىٰ	من العلماء من قال : طوىٰ اسم للوادي [1] ، ومنهم من قال : إنه قدس طوىٰ ، أي : قُدس

(١) روي ذلك عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه (وقد تكلم في رواية ابن أبي نجيح للتفسير عن مجاهد) ، وورد بإسناد حسن عن قتادة وصح عن ابن زيد أنهم قالوا: طوىٰ اسم للوادي .

الكلمة	معناهـــا
	مرتين أي : بورك فيه مرتين ، ومنهم من قال : إن معناه : طأ الأرض بقدمك حافيًا ، وقيل : مطوي كطي البئر [١]
طغـــــــى	عتا وتجاوز الحد في العدوان والتكبر على الخلق والافتراء على اللَّه
تزكـــــــى	تتطهر من دنس الكفر والمعاصي وتؤمن ـ تسلم فتطهر من الذنوب
أهديك إلى ربك	أدلك وأرشدك إلى عبادة ربك وما يرضيه عنك
حشـــــــر	جمع
فأخـــــذه اللَّه	عاقبه اللَّه ـ أهلكه اللَّه
نكـــــــال	النكال : العقوبة العظيمة على الذنب ، التي تمنع من سمع بها مِن ارتكاب مثل هذا الذنب ، ويطلق التنكيل أيضًا على ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به غيره . واللَّه أعلم .
عبـــــــرة	عظة يتعظ بها ، وزاجر ينزجر به من يخشى

* * *

(١) والبئر المطوية : هي البئر التي بُطنت حافتها بأحجار حتى لا تنهار ، والوادي واد متسع على جوانبه صخور (على هذا التأويل الأخير) .

س ـ وضح معنى قول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : هل لك رغبة في أن تتطهر من الشرك والمعاصي وتُسلم وتصلح العمل، وأرشدك إلى عبادة الله وتوحيده فيحصل لك العلم وتحصل لك المعرفة بالله سبحانه وتكون من العلماء ومن ثم تخشى الله عز وجل وتخشى عقوبته فإنما يخشى الله من عباده العلماء ؟ !!

* * *

س ـ ما المراد بالآية الكبرى ؟

ج : المراد بالآية الكبرى عند جمهور المفسرين [1] : هي العصا واليد ، كما قال تعالى : ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٢، ٣٣] .

هذا وقد أوتى موسى عليه السلام تسع آيات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢]، لكن أكبر هذه الآيات التسع هي العصا واليد كما ذكرنا ، والله أعلم .

* * *

(١) نقله عنهم غير واحد من أهل العلم منهم ابن الجوزي في «زاد المسير» وغيره من العلماء ، وقد صح هذا عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهما كما عند الطبري .

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ..﴾ [النازعات: ٢٢، ٢٣] ؟

ج : في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ وجوه من المعاني :

أحدها: أنه لما رأىٰ الحية أدبر مرعوبًا مسرعًا في مشيه هاربًا منها.

الثاني : أنه لما جاءته البينات أعرض عنها ، واتجه للعمل بالفساد في الأرض، وجمع ما يستطيع من كيدٍ وأدلة وبراهين لدحض حجة موسىٰ عليه السلام ، كما قال عن نظيره : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فسعيه في الأرض كان بالفساد.

أما قوله : ﴿فحشر﴾ أي : فجمع ، أي : جمع جنوده للقتال والمحاربة ، وجمع السحرة لمواجهة موسىٰ بسحرهم ، وجمع الناس للحضور ومشاهدة ما يقع من السحرة مع موسىٰ .

ونادىٰ في هؤلاء جميعًا : أنا ربكم الأعلىٰ .

* * *

س ـ ما المراد بالآخرة والأولىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :ـ**

أحدها : أن المراد بالآخرة والأولىٰ : الآخرة والدنيا [1] (قال ابن

---

(١) وقد صح ذلك عن قتادة وروي بإسناد حسن عن الحسن البصري أيضًا كما عند الطبري وغيره. =

كثير : وهو الصحيح الذي لا شك فيه) .

الثاني : أن المراد بالأولى : قوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، والمراد بالآخرة: قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤].

الثالث : أن المراد بالآخرة والأولى كفره وعصيانه .

الرابع : أن المراد بالآخرة والأولى آخر أعماله السيئة وأولها

= قلت : والمراد بنكال الدنيا على هذا التأويل تعذيبه بالغرق وإظهاره أمام الناس عبرة لمن يخشى كما قال تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] .

والمراد بنكال الآخرة تعذيبه في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

سمكها ـ سواها ـ أغطش ـ أخرج ضحاها ـ دحاها ـ أخرج منها ماءها ـ ومرعاها ـ أرساها ـ متاعًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
سمكها	بنيناها ـ سقفها
سواها	خلقها خلقًا مستويًا لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور
أغطش	أظلم أي : جعل ليلها مظلمًا
أخرج ضحاها	أبرز نهارها ، وعبر عن النهار بالضحى لأن الضحى أشرف أوقات النهار وأطيبها [1] ـ أخرج ضياءها ـ نوَّرها

(١) قاله صديق حسن خان في «فتح البيان» .

الكلمة	معناهـا
دحاهـــــا	بسطها ـ جعلها صالحة للإنبات ، ومن العلماء من قال: دحاها معناه: أخرج منها ماءها ومرعاها . . . . أي : أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال
مرعاهـــــا	النبات الذي ترعاه الأنعام ، وقيل أيضًا : والنبات الذي يأكله الناس
أرساهـــــا	أثبتها ، وفي الكلام محذوف ، والمعنى : أرساها في الأرض
متاعًـــــا	منفعة

* * *

س ـ لماذا أضيف الليل إلى السماء ؟ ولماذا أضيف الضحى إليها كذلك ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : فأضاف الليل إلى السماء لأن الليل غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها فأضيف إليها لمَّا كان فيها ، كما قيل : نجوم الليل إذ كان فيه الطلوع والغروب .

وأيضًا فإضافة الضحى إليها في قوله تعالى : ﴿ **وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا** ﴾

[النازعات: ٢٩] ، لأن الضحىٰ يظهر بظهور الشمس ، والشمس منسوبة إلىٰ السماء .

* * *

س ـ كثيرًا ما يستدل علىٰ البعث بخلق السموات والأرض فما هو وجه ذلك ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ بيَّن أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالذي خلق السموات والأرض قادر علىٰ خلق الناس ، وقادر علىٰ بعثهم أحياءً بعد موتهم ، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨ - ٨١].

وكما قال تعالىٰ : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ [الصافات: ١١] .

* * *

س ـ أيهما خلق أول الأرض أم السماء ؟

ج : قد قدمنا في ذلك بحثا موسعًا في تفسيرنا لسورة البقرة عند

تفسير قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ...﴾ [البقرة: ٢٩] وهنا نورد باختصار قول العالمين ابن جرير وابن كثير رحمهما اللَّه تعالىٰ .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه :

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن اللَّه تعالىٰ خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ولم يدحها ، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها وأرسىٰ فيها جبالها أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل .

وقال ابن كثير رحمه اللَّه :

وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنىٰ أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلىٰ الفعل ، وهذا معنىٰ قول غير واحد واختاره ابن جرير .

* * *

س ـ ما معنىٰ (بعد) في قوله تعالىٰ : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ؟

ج : من العلماء من قال هي علىٰ بابها أي : أنها بخلاف معنىٰ (قبل) ومن العلماء من قال : إن (بعد) في هذا الموقع معناها (مع) فقوله عندهم : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] معناه :

والأرض مع ذلك دحاها [١] ، كقوله تعالى : ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي : عتل ومع كونه عتل فهو زنيم أيضًا . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالخلق في قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [النازعات: ٢٧] وضح المعنى باختصار ؟

ج : **المراد بالخلق** هنا ـ على رأي بعض المفسرين ـ **البعث بعد الموت** ، فالمعنى : أبعثكم أحياءً بعد إماتتكم أشد في ظنكم وتقديركم أم خلق السماء وبناء السماء ؟!!

وثمَّ معنى آخر وهو : أأنتم أشد خلقًا من فرعون الذي قصصنا عليكم قصته وأوردنا لكم ذكره وجعلناه عبرة ونكالاً ؟!!

وإن زعم منكم زاعمٌ أنه أشد خلقًا من فرعون فهل هو أشد خلقًا من السماء وأشد خلقًا من الأرض . . . ؟ !!

---

(١) وصح عن مجاهد أنه قال في معناها : والأرض عند ذلك دحاها ، أخرجه الطبري .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الطامة الكبرىٰ ـ سعىٰ ـ بُرِّزت ـ طغىٰ ـ آثر ـ المأوىٰ ـ مرساها ـ منتهاها ـ عشية ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الطامة الكبرىٰ	القيامة، وقيل: هي النفخة الثانية التي يكون معها البعث، وأطلق عليها الطامة لأنها تطم (أي : تغطي) علىٰ كل هول قبلها وهي داهية تغطي علىٰ جميع الدواهي
سعـــــىٰ	فعل من خيرٍ أو شر

الكلمة	معناها
بُـــرِّزت	ظهرت
طغـــى	تجاوز الحد في الكفر والمعاصي
آثـــر	قدم ـ فضَّل
المـــأوى	المنزل الذي يأوي إليه وينزل فيه
مرساهـــا	قيامها
منتهاهـــا	منتهى علمها ، لا يعلم وقت قيامها إلا اللَّه
عشيـــة	العشية ما بين الزوال إلى الغروب

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ؟

ج : من العلماء من قال : ظهرت الجحيم كي يراها كل الخلائق (مؤمنهم وكافرهم) ، كما قال تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] ، فالمؤمنون يمرون عليها ثم يصدرون عنها ، أما الكفار فتكون النار مأوى لهم ومنزلاً .

● ومن العلماء من قال : برزت للكفار فقط بدليل قوله تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ [النازعات: ٤٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، كما قاله الطبري رحمه الله . والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] ؟

ج : معنى قوله تعالى : **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾** [النازعات: ٤٢] : أي : يسألك الناس عن وقت قيام الساعة ، متى تقوم ؟ وهذا السؤال من المشركين إما على سبيل الاستهزاء ؛ فإنهم لما سمعوا أوصاف القيامة وأنها الطآمة الكبرى وأنها الصآخة والواقعة والغاشية ، . . إلى غير ذلك من الأوصاف فحينئذ سألوا رسول الله ﷺ مستهزئين متى تقع هذه الأوصاف التي تذكرها .

● وقد يكون سؤالهم عنها استعجالاً لوقوعها كما قال تعالى : **﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾** [الشورى: ١٨] .

● ومن المسلمين من كان يسأل عنها أيضًا لكن سؤال المستفسر المستخبر لا سؤال المستهزئ ولا سؤال الجاحد، ففي «صحيح البخاري»[1]

---

(١) البخاري حديث (٥٩) .

من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يُحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول اللَّه ﷺ يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : **«أين أراه السائل عن الساعة ؟»** قال : ها أنا يا رسول اللَّه ، قال : **«فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»** قال : كيف إضاعتها ؟ قال : **« إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»** .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٣] **وبيِّن سبب نزوله ؟**

ج : كان المشركون يكثرون من سؤال رسول اللَّه ﷺ عن الساعة ورسول اللَّه ﷺ بدوره يكثر من سؤال ربه عز وجل عن الساعة فقيل له: لماذا أنت مكثر من السؤال عن الساعة ، فإنك لست في شيء من علمها وذكرها ، والمعنى : أنك لا تعلمها .

وقيل قول آخر : وهو ﴿فِيمَ﴾ أي : فيم هذا السؤال الذي يسألونه ، فقوله : ﴿فِيمَ﴾ إنكار على السائلين هذا السؤال ثم قال تعالى : ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أي : بعثتك إليهم من أشراط الساعة فإنك خاتم النبيين ، كما قال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] .

• **أما سبب نزول الآية الكريمة** فقد أخرج الطبري[1] بإسناد صحيح عن عائشة قالت : لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل اللّه عز وجل : ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] وهل للعشية ضحى حتى قال سبحانه : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللّه** : يقول جل ثناؤه : كأن هؤلاء المكذبين بالساعة يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يومٍ أو ضحى تلك العشية ، والعرب تقول : آتيك العشية أو غداتها ، وآتيك الغداة أو عشيتها فيجعلون معنى الغداة بمعنى أول النهار والعشية آخر النهار ، فكذلك قوله إلا عشيةً أو ضحاها إنما معناه إلا آخر يوم أو أوّله ، وينشد هذا البيت :

نحن صبحنا عامراً في دارها ∴ عشية الهلال أو سرارها

---

(١) الطبري (٣٠/٣١) ، وإسناده صحيح إلا أنه قد أُعل بالإرسال فقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/٦٨) ونقل عن أبي زرعة قوله : (الصحيح مرسل) .

قلت: لكن له شاهد عند الطبري من طريق طارق بن شهاب قال كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٥] . وهو شاهد مرسل قوي .

يعني : عشية الهلال أو عشية سرار العشية .

ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

* * *

س ـ الكفار حين يرون الساعة يستقلون مدة بقائهم في الدنيا اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤] .

وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] .

سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

عبس ـ تولىٰ ـ أن جاءه الأعمىٰ ـ يُدريك ـ يزكىٰ ـ يذكر فتنفعه الذكرىٰ ـ استغنىٰ ـ تصدىٰ ـ تلهىٰ ـ سفرة ـ بررة .

ج :

الكلمة	معناها
عبس	قبض وجهه ـ قطب جبينه تكرهًا ـ كلح بوجهه
تولىٰ	أعرض بوجهه
أن جآءه الأعمىٰ	لمجيء الأعمىٰ
يدريك	يعلمك
يزكىٰ	يتطهر من ذنوبه ومعاصيه ـ يزداد تقوىٰ

الكلمة	معناها
يذكر فتنفعه الذكرىٰ	يعتبر ويتعظ فتنفعه الموعظة
استغنىٰ	استغنىٰ عن الإسلام وعن الإيمان بما آتاه اللَّه من أموال وأولاد وجاهٍ ورياسة [1]
تصدىٰ	تصغي إليه ـ تقبل عليه ـ تتعرض له رجاء أن يُسلم
تلهىٰ	تتشاغل وتتغافل عنه
سفرة	الملائكة
بررة	مطيعون

* * *

س ـ من الذي ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] ومن هو الأعمىٰ ؟

ج : قال الرازي في «تفسيره» : أجمع المفسرون علىٰ أن الذي عبس وتولىٰ هو الرسول ﷺ ، وأجمعوا علىٰ أن الأعمىٰ هو ابن أم مكتوم .

* * *

(١) فغالبًا الاستغناء يولد الطغيان ، كما قال تعالىٰ : ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

س ـ ما هو سبب نزول هذه الآيات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . . .﴾ [عبس: ١]؟

ج ـ **سبب نزول هذه الآيات** : ما أخرجه الترمذي [١] وغيره من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول : يا رسول اللَّه أرشدني ، وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول اللَّه يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول : أترى بما تقول بأسًا ؟ فيقال : لا ، ففي هذا أنزل .

● في رواية عند أبي يعلى [٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه :

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٣٣١) ، والطبري عند تفسير الآية الكريمة (جـ ٣٠ / ص ٣٢) ، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٨٤٨) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٤) .

قال الترمذي : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي قال : هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت . . . . فذكر الحديث ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب .

وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة قال : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة .

وفي «العلل الكبير» للترمذي : سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال : يروى عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً («العلل الكبير» ٦٦٧ / ص ٣٥٨) .

● أما الحاكم فقال عقب إخراجه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة .

وقال الذهبي في تعليقه على «المستدرك» : هكذا رواه يحيى بن سعيد الأموي مرفوعًا عن هشام وأرسله جماعة عن هشام وهو الصواب .

(٢) حديث أنس عند أبي يعلى من طريق محمد بن مهدي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس ، وفي هذا الطريق أمور :

أولها : ابن مهدي لا أعرفه .

جاء ابن أم مكتوم الأعمى إلى النبي ﷺ وهو يكلم أُبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل اللَّه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ قال : فكان النبي ﷺ يكرمه .

وثمَّ طرق أخرى كلها تدل على المعنى المذكور وفي أسانيدها ضعف[1] .

وحديث الترمذي رحمه اللَّه قد أُعل بالإرسال وكذا حديث أنس رضي اللَّه عنه ، وهذه الطرق ، وإن كان لا يثبت منها إسناد بدون علة إلا أنها تنجبر بسياق الآيات الكريمات ، وتنجبر أيضًا بأن عددًا من أهل العلم نقل الإجماع على أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا وُصف ابن أم مكتوم بـ (الأعمى) ورب العزة سبحانه يقول : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] ؟

ج : أجاب على ذلك بعض العلماء بأجوبة منها :

= **الثاني** : أن الحديث عند عبد الرزاق (الذي رواه عنه ابن مهدي هذا) في التفسير من طريق قتادة مرسلاً ، وكذا هو عند الطبري من طريق ابن ثور عن معمر عن قتادة مرسلاً ، وكذلك أيضًا عند الطبري من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً .

الثالث : أن في رواية معمر عن قتادة كلام .

فالصواب في رواية أنس الإرسال أيضًا .

(١) منها ما أخرجه الطبري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وإسناده تالف .

لكن بالجملة فالحديث يصح لأمور : منها : أن سياق الآيات يؤيده ، والثاني أن الإجماع قد نقله غير واحد على أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، ومن الذين نقلوا الإجماع على ذلك القرطبي في «تفسيره» والشوكاني في «فتح القدير» وصديق حسن خان في «فتح البيان» وعطية سالم في «تتمة أضواء البيان» ، واللَّه أعلم .

الأول : أنه وصف بالأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول ﷺ ، لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه .

الثاني : أن الشخص إذا اشتهر بشيء ولم يُعلم من حاله أنه يتضايق بهذا الوصف الذي وصف به فلا بأس والحالة هذه أن يُنادَى بهذا الوصف ، ولا يكون هذا داخلاً في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** ﴾ ، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ : **«أكما يقول ذو اليدين»**[1] لرجلٍ كان في يديه طُول ..

وقد بوَّب البخاري لبعض طرق هذا الحديث في كتاب الأدب بباب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم : الطويل والقصير ، وقال النبي ﷺ : **«ما يقول ذو اليدين»** وما لا يراد به شين الرجل .

• **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه**[2]: هذه الترجمة معقودة لبيان حكم الألقاب وما لا يعجب الرجل أن يوصف به مما هو فيه ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢) وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ٥٧٣) من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة قال : صلى بنا رسول اللَّه ﷺ إحدى صلاتي العشي ـ قال ابن سيرين ـ : سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا ، قال : فصلى بنا ركعتين ثم سلَّم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليُسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى وخرجت السُّرعان من أبواب المسجد فقال : قُصِرت الصلاة ، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يُكلماه ، وفي القوم رجل في يديه طول يُقال له ذو اليدين قال : يا رسول اللَّه أنسيتَ أم قُصِرت الصلاة ؟ قال : **«لم أنس ولم تقصر»** ، فقال : **«أكما يقول ذو اليدين ؟»** فقالوا : نعم .... الحديث .

(٢) «فتح الباري» (١٠/٤٦٨) .

وحاصله: أن اللقب إن كان مما يعجب الملقب ولا إطراء فيه مما يدخل في نهي الشرع فهو جائز أو مستحب ، وإن كان مما لا يعجبه فهو حرام أو مكروه ، إلا إن تعيَّن طريقًا إلى التعريف به حيث يشتهر به ولا يتميز عن غيره إلا بذكره ومن ثمَّ أكثر الرواةُ من ذكر الأعمش والأعرج ونحوهما ، وعارم وغُندر وغيرهم ، والأصل فيه قول النبي ﷺ لما سلم من ركعتين من صلاة الظهر : **«أكما يقول ذو اليدين»** . . ثم قال الحافظ رحمه اللَّه : وإلى ما ذهب إليه البخاري من التفصيل في ذلك ذهب الجمهور .

قلت : وكما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه فقد أطبق المحدثون على جواز ذكر مثل هذه الألفاظ كالأعمش والأعرج والأعور والدراوردي [١] وابن دقيق العيد [٢]، والخرقي، والمقبري [٣] والحذاء [٤] والفقير [٥] وغير ذلك .

* * *

س ـ من هو هذا المستغني ؟

---

(١) ذكر بعض العلماء أن الدراوردي أصلها أن عبد العزيز (صاحب هذا اللقب) كان من أهل بلدة يقول أهلها لمن أرادوه أن يدخل عليها (اندر) فلما قدم المدينة وجاء الناس يستئذنون عليه قال لهم (اندروا) فلقب بالاندراوردي ثم خففت فقيل الدراوردي ، واللَّه أعلم .

(٢) ذكر بعض العلماء أنه لُقب بابن دقيق العيد لشدة بياضه .

(٣) لأن بيته كان قريبًا من المقابر .

(٤) لأنه كان يُجالس الحذائين .

(٥) لأنه كان يشتكي فِقار ظهره .

ج : قال بعض أهل العلم : إنه أبي بن خلف على ما جاء في الحديث وقيل : صناديد مشركي قريش ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس: ٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ليس عليك إثم من عدم تزكيهم وتطهرهم وإسلامهم فـ ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد: ٧] ، و ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [الرعد: ٤٠] ، و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، و ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] .

* * *

س ـ ما الرأي فيما قاله القرطبي رحمه الله حيث قال : قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني .. ؟

ج : هذا الكلام قد سُبق القرطبي إلى نحوه سَبَقه الرازي وبالغ في القول فقال: إن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر ، وعلل ذلك بما حاصله : أنه (أي : ابن أم مكتوم) كان يسمع مخاطبة النبي ﷺ للقوم ، وهو كان أعمى إلا أنه يسمع ما يجري ويدور ، وأيضًا فهو كان قد أسلم وتعلم دينه أما هؤلاء فلم يسلموا . . . إلى آخر ما قال رحمه الله ولنا على هذا القول تحفظات :

أولها : أن هذا القول بجملته لا نوافق عليه فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أثنىٰ علىٰ ابن أم مكتوم بقوله : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] .

الثاني : أن ابن أم مكتوم مرفوع عنه الحرج لقوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] .

والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه ـ : أن هذا تأديب لهذه الأمة في شخص رسول اللَّه ﷺ وتعليم لها في شخص نبيها الكريم ، كما قال اللَّه تبارك وتعالىٰ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] . واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض مناقب عبد اللَّه بن أم مكتوم رضي اللَّه عنه ؟

ج : من هذه المناقب ما يلي :

- ما تقدم من أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ قال في شأنه : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] فوصفه اللَّه سبحانه وتعالىٰ بأنه جاء يسعىٰ وهو يخشىٰ .

- ومن ذلك: أنه كان مؤذنًا لرسول اللَّه ﷺ كما أخرج ذلك مسلم[١]

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٨٠) .

من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : كان لرسول اللَّه ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم .

● وأخرج البخاري[١] من حديث زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أملى عليه : ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه**﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها عليَّ قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل اللَّه على رسوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم وفخذوه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي ثم سرى عنه فأنزل اللَّه : ﴿**غير أولي الضرر**﴾ .

وفي رواية للبخاري [٢] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « **ادعوا فلانًا** » فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال : «اكتب» ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٩٥] وخلف النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم فقال : يا رسول اللَّه أنا ضرير فنزلت مكانها : ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٩٥] .

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٢) .

(٢) البخاري (٤٥٩٤) .

س ـ ينبغي أن يُقبل المؤمن على أهل الإيمان وإن كانوا ضعفاء أو فقراء ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ [(١)] يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: فيَّ نزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تُدني هؤلاء !!

وفي رواية لمسلم أيضًا من حديث سعد قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ٥ - ١١] .

وأخرج مسلم [١] من حديث عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا : واللَّه ما أخذت سيوف اللَّه من عُنق عدو اللَّه فأخذها ، قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال : «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : يغفر اللَّه لك يا أُخي .

● ومن هذا الباب: قوله تعالى في شأن نوح عليه السلام مع قومه (في سورة هود) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

---

(١) مسلم حديث (٢٥٠٤) ، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٧٢) ، وأحمد (٥/ ٦٤) .

الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٢٥ - ٣١] .

وقد سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال له : (فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم) [١] قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم فقال له هرقل : وهم أتباع الرسل .

- قال بعض العلماء : لأن الضعفاء والفقراء ليس لديهم حرصٌ على منصب يضيع ولا جاه يُهدر ، ولأنهم أهل تواضع ومسكنة .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿كَلاَّ﴾ عند قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] ؟

ج : كلا : كلمة ردع وزجر ، والمراد بها هنا : أي : ليس الأمر كما تفعل يا محمد من الإقبال على الكافر المستغني والإلحاح عليه والإعراض عن الفقير الضعيف الذي جاءك يسعى وهو يخشى .

وقال آخرون من أهل العلم : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم ، فهي على ما هي عليه من تكريم ورفعة وطهارة وصيانة ، وما عليها من حفظة سفرة كرام بررة أحرى بأن يسعى إليها والخير لمن أتاها يطلبها .

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] للتخيير أم للتهديد؟

---

(١) انظر الحديث بذلك في البخاري (حديث ٧) ومسلم (١٧٧٣) .

ج : الصواب ـ والعلم عند اللَّه ـ : أنها للتهديد ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ . وهي كقوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] ؟

ج : الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا﴾ يرجع إلىٰ الموعظة التي وعظ اللَّه به نبيه ﷺ في معاملة من جاء يسعىٰ وهو يخشىٰ ، وفي معاملة من استغنىٰ ، أي : الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم للشريف والوضيع والغني والفقير .

● **ومن العلماء من قال** : إن الضمير يرجع إلىٰ هذه السورة .

● أما الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] فللعلماء فيه قولان :

أحدهما : أنه يرجع إلىٰ اللَّه عز وجل ، فالمعنىٰ : فمن شاء ذكر اللَّه .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ القرآن ، فالمعنىٰ : فمن شاء قرأه وعمل به واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف المكرمة ؟

ج : هي اللوح المحفوظ ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ مُطَهَّرَةٍ ﴾ [عبس: ١٤] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الدنس ، ومطهرة من الزيادة والنقص ، ومطهرة من الشرك ، ومطهرة من النزول على المشركين .

وقال البخاري رحمه اللَّه : والصحف مطهرة لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن حملها أيضًا .

* * *

س ـ ما هي التي في الصحف المكرمة ؟

هي التذكرة ، فالمعنى : كلا إنها تذكرة في صحف مكرمة ، وقوله : ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ [عبس: ١٢] جملة اعتراضية ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالسفرة ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن المراد بالسفرة هم الملائكة ، ثم بعد ذلك اختلفوا في تخصصات هذه الملائكة الذين وصفوا بأنهم سفرة.

فمن العلماء من قال : إنهم الكتبة ، ومنهم من قال : إنهم القراء

لقول النبي ﷺ : «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**»[1] ومنهم من قال : هم السفراء بين اللَّه عز وجل وبين الرسل عليهم السلام .

قال البخاري في « صحيحه » (كتاب التفسير عند تفسير سورة عبس) : الملائكة واحدهم سافر ، سفرت أصلحت بينهم ، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي اللَّه وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الملائكة الذين يسفرون بين اللَّه ورسله بالوحي وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، يُقال: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ، ومنه قول الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي ∴ وما أمشي بغشٍ إن مشيت

وإذا وجه التأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكتبة والذي قاله القائلون أنهم القراء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب وتسفر بين اللَّه ورسله .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا .

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قُتل ـ أقبره ـ أنشره ؟

ج :

الكلمة	معناها
قُتِلَ	لُعِن
أقبره	صيَّره ذا قبر [1]
أنشره	أحياه بعد موته ، ومنه قولهم : البعث والنشور

* * *

(١) قال الطبري رحمه اللَّه : يعني بقوله أقبره : صيَّره ذا قبر ، والقابر : هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :

لو أسندت ميتًا إلى نحرها .:. عاش ولم يُنقل إلى قابر

والمقبر : هو اللَّه الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته فصيره ذا قبر .

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : المراد : الإنسان الكافر .

* * *

س ـ وضح أقوال العلماء في قوله تعالى ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : من هذه الأقوال ما يلي :

- ما أشد كفره [(١)] .
- ما الذي حمله على الكفر .
- المراد : التعجب من كفره مع إحسان اللَّه إليه .

* * *

س ـ ما معنى قوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن اللَّه عز وجل خلق هذا الإنسان من نطفة ثم قدره ، وفي قدره أقوال : أحدها : قدره نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كسيت العظام لحمًا ثم أنشئ خلقًا آخر .

- وقيل : قدره قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه .
- وقيل: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكل هذا محتمل.

* * *

---

(١) ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] .

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [عبس: ١٨] عقب قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : وجه ذلك : إظهار التعجب من حال الكافر وتبكيته فهو مع كونه مخلوقًا من نطفة ، ثم قدره اللَّه عز وجل ، ثم يسر له السبيل ، ثم أماته فأقبره.. مع هذه الحال من الضعف ، ومع هذه النعم من اللَّه عليه : إذا هو شديد الكفران لنعم اللَّه عليه .

ففائدة ذكر الآيات عقب قوله: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] تذكير للكافر لعله يتعظ ، وبيان لحاله من الضعف ، وبيان نعم اللَّه عليه وقدرته سبحانه عليه .

● وكما قال القائل : ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفةٌ مذرةٌ ، وآخره جيفةٌ ، قذرةٌ وهو بينهما حامل عذرة .

* * *

س ـ ما المراد بالسبيل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بالسبيل سبيل الخروج من بطن أمه [(١)].

---

(١) اختار ابن جرير الطبري رحمه اللَّه هذا الوجه فقال : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسره ، وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من اللَّه قبلها وبعدها عن صفة خلقه وتدبيره جسمه وتصريفه إياه في الأموال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده .

الثاني : أن المراد بالسبيل طريق الدين ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] .

* * *

س ـ هل في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١] وجه إكرام لابن آدم؟

ج : نعم فيه وجه إكرام حاصله : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أمر بدفن ابن آدم إذا مات ولم يجعله مما يلقىٰ علىٰ وجه الأرض تأكله السباع والطير .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : ليس الأمر كما يقول الكافر من أنه قد أدىٰ حق اللَّه عليه في نفسه وماله وما افترضه اللَّه عليه ، بل إنه لم يقض ما أمره اللَّه به ، أي : لم يؤد ما فرضه اللَّه عليه ، وقيل : لم يف بالميثاق الذي أخذه اللَّه عليه وهو في صلب أبيه . واللَّه أعلم .

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قضبًا ـ غُلبًا ـ أبًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
قضبًا	هو البرسيم، وقيل: عموم العلف الذي تأكله الدواب، وقيل : هو جميع البقول التي تقطع فينبت أصلها
غلبًا	الأغلب: هو عظيم الرقبة [1]، فالغلب: العظام الغلاظ الرقاب ، وقيل : الطوال ، وقيل : النخل الكرام
أبًّا	هو ما تأكله الأنعام [2] ولا يأكله الناس

* * *

(١) **قال الطبري** : والغُلب جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة من الرجال ، ومنه قول الفرزدق :

عوى فأثار أغلب ضيغميا .: فويل ابن المراغة ما استثارا

● أما الحدائق فالحديقة ما التف شجرها واجتمع ، روى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : الحدائق ما التف واجتمع .

(٢) واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣١، ٣٢] =

س ـ ما هي صلة هذه الآيات ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] بما قبلها ؟

ج : هذه الآيات تفسيرية لما قبلها ، فالمعنى : هذه كيفية صنع الطعام للإنسان كانت أولاً بصب الماء ، ثم شق الأرض ثم بإنبات حبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلاً وحدائق غلبًا وفاكهة وأبًّا .. والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالماء المذكور في قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] ؟

ج : المراد : الغيث النازل من السماء ، كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ...﴾ [الحج: ٦٣] .

* * *

= فقال بعض العلماء : إن الفاكهة متاع لنا والأب لأنعامنا .

هذا وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عدة طرق صحيحة إليه بلا ريب (عند الطبري والحاكم وأبي عبيد القاسم بن سلام وابن سعد وسعيد بن منصور في التفسير وغيرهم) أنه قرأ : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال : أما الفاكهة فقد عرفناها فما الأب ؟ ومعه عصا في يده ، ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ، وألقى العصا من يده .

وورد عن أبي بكر عند أبي عبيد وغيره من طريق إبراهيم التيمي عنه أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .. ، لكن هذا الأثر ضعيف لانقطاعه بين إبراهيم التيمي وأبي بكر رضي الله عنه فإبراهيم لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه .

س ـ ما هي فائدة توجيه الإنسان إلى النظر إلى طعامه ؟

ج : حتى يتبين له وجه الإعجاز في طعامه وكيف تيسر له هذا الطعام وكيف هيئ له ؟ !!

ومن أهل العلم من قال : إن المراد توجيه نظر الإنسان إلى مدخل طعامه ومخرجه ، كيف دخل وكيف كانت حالته عند الدخول ، وكيف خرج وكيف كانت حالته عند الخروج [1] ؟ !!!

هذا والمراد بالنظر النظر المصحوب بالتفكر والتدبر، والله أعلم.

* * *

س ـ هناك أوجه تطابق بين قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠] وبين قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ... ﴾ الآيات [عبس: ٢٥ - ٢٧] وضح أوجه التطابق هذه ؟

ج : أوجه هذا التطابق تتمثل في أن كيفية خلق الإنسان تشابه كيفية خلق الطعام .

● فقذف المني في الرحم المذكور في قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٩] يطابق صب الماء من السماء إلى الأرض المذكور في قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] .

---

(١) ومن هذا خروج الناس عند قدوم المولود وابتهاجهم به وإقبالهم عليه ، ثم بعد دفنه تظهر منه الرائحة الكريهة ويظهر النتن ويفرون منه أيما فرار !!!

● وتيسيير سبيل الخروج له من بطن أمه المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠] يطابق خروج النبات من الأرض المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦].

● وتقدير خلق الإنسان وكتابة أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكذلك تقديره ذكرًا أو أنثى، وتقدير النطفة هل هي مخلقة أو غير مخلقة، وتقدير صورته وطوله وقصره، ونحو ذلك كله المذكور في قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ يطابق أصناف الطعام التي نبتت من الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا ...﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨] والله أعلم.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

الصآخة ـ مسفرة ـ غبرة ـ ترهقها ـ قترة ـ الفجرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
الصآخة	قال بعض العلماء : إنها اسم من أسماء يوم القيامة وقال آخرون : اسم للنفخة في الصور وسميت صآخة لأنها تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصم الأسماع ، وقال آخرون : تورث الصمم وإنها لمسمعة
مسفرة	مشرقة مضيئة
غبرة	غبار ودخان وكدر (من الغبار)
ترهقها	تغشاها ـ تعلوها
قترة	كسوف وسواد ـ ذلة

الكلمة	معناهـــا
الفجـــــرة	الفاجر: هو الكاذب المفتري على اللَّه ـ وقيل: الفاسق وقيل : الفاجر المائل عن الحق ومن العلماء من قال: الكفر في الاعتقاد والفجور يكون في الأعمال ، واللَّه أعلم

* * *

س ـ لماذا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يوم القيامة؟

ج : ذكر بعض العلماء لذلك أسبابًا منها ما يلي : ـ

الأول : انشغال كل امرئ منهم بأمر نفسه والاهتمام به دون غيره كما قال اللَّه تعالى : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] .

وقد ورد في «الصحيحين» [١] وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» قلت : يا رسول اللَّه النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ : «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**» .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٨) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) واللفظ له .

الثاني : يفر كل امرئ منهم حتى لا يرونه ويرون ما يحل به .

الثالث : يفرُّ منهم حتى لا يطالبوه بالمظالم التي كانت لهم عنده .

الرابع : لعلمه أنهم لا ينفعونه بشيء كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١] .

* * *

س ـ من هم أصحاب الوجوه المسفرة ؟ اذكر بعض مبيضات الوجوه يوم القيامة ؟

ج : أصحاب الوجوه المسفرة : هم أهل الإيمان .

ومما يبيض الوجوه : الوضوء فأهل الوضوء يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء [(١)].

وأيضا حملة سنة رسول اللَّه ﷺ ، قال النبي ﷺ : **«نضَّر اللَّه امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها»** [(٢)].

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] ضاحكة لماذا ومستبشرة بماذا ؟

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٣٦) ، ومسلم (حديث ٢٤٦ ص ٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء»** .

(٢) صحيح متواتر .

ج : ضاحكة لما نالها من السرور والكرامة والنعيم .

مستبشرة لما ترجوه من الزيادة والرحمة والرضوان .

* * *

س ـ وجوه مَنْ التي ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] ؟

ج : هي وجوه الكفار .

* * *

س ـ ما هو وجه فجور الكفار في الدنيا ؟

ج : وجه ذلك : أنهم كانوا لا يبالون بما اقترفوه من معاصي للّه ولا بما ارتكبوه من محارمه ، واللّه أعلم .

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كوِّرت ـ انكدرت ـ سيِّرت ـ العشار ـ عُطِّلت ـ حشرت ـ سُجِّرت ـ زوِّجت ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
كـوِّرت	جمع بعضها إلى بعض ثم لُفَّت فرمي بها فإذا فعل بها ذلك فقد ذهب ضوؤها [1]

(١) هذا هو حاصل القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ، ومن العلماء من قال : كوِّرت معناها : ذهب ضوؤها ـ وقال آخرون : رُمي بها ـ وقال آخرون : ذهبت .
وما قدمناها هو أجمع الأقوال .
وروى الطبري بإسناد حسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ست آيات قبل يوم =

الكلمة	معناهـــا
انكـدرت	تناثرت ـ رُمي بها ـ تغيَّرت ، وقيل: الانكدار طمس النور
سيـــرت	ذهبت ـ قلعت عن وجه الأرض وأُبعدت .
العشـــار	الإبل العشار، وهي الحوامل التي قد مرَّ على حملها عشرة أشهر
عطِّلـــت	تركت مـن شدة الهول النازل بأهلها ـ أهملها أهلها وانشغلوا عنها لشدة ما حل بهم مع أنها كانت من أنفس وأحب الأشياء إليهم
حشـــرت	جُمعتْ [(١)] ـ ماتت [(٢)] ـ اختلطت (وأولى الأقـوال عنـدي

= القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماجوا بعضهم في بعض ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] قال : اختلطت ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] قال : أهملها أهلها ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] قال : قالت الجن للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، قال : فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج قال : فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا قال : فبينما هم كذلك إذ جآءتهم الريح فأماتتهم .

● وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال : ذهب ضوؤها فلا ضوء لها .

(١) صح ذلك عن قتادة فقال ـ كما عند الطبري ـ : إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي اللَّه فيها ما يشاء .

(٢) صح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عند الطبري وغيره أنه قال : حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة .

الكلمة	معناها
	قول من قال : جمعت) [١]
سجرت	اشتعلت نارًا [٢] ـ أحميت ـ فاضت ـ ملئت بالماء ـ أرسل عذبها على مالحها ـ ذهب ماؤها
زوِّجت	ألحق كل إنسان بشكله وصنفه الصالح مع الصالح والطالح مع الطالح [٣]

* * *

(١) ووجه هذا الترجيح عندي لقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] .
وقول النبي ﷺ : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه مرفوعًا .
● وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى حُشرت: جمعت فأميتت لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] يعني : مجموعة ، وقوله : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣] ، وإنما يُحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله لا على الأنكر المجهول .

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ مخففة.
● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة .
قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء ماءً مسجورًا ومنه قول لبيد :
فتوسطا عرض السريِّ وصدَّعا .: مسجورة متجاورًا أقلامها
ويعني بالمسجورة : المملوءة ماءً .

(٣) وهذا أصح الأقوال أي : أنه قرن بين الضرباء والأمثال كما قال تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ =

س ـ متى تكوَّر الشمس ؟ وهل يكور القمر أيضًا ؟

ج : تكوَّر الشمس يوم القيامة ، والقمر يكوَّر أيضًا لما أخرجه البخاري [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

= ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].
وكما قال عليه الصلاة والسلام : «.. يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ...» .
الحديث أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
وفي لفظ آخر عند البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا : «ينادي منادي يوم القيامة ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ...» .
• وثمَّ قول آخر وهو قول الشعبي ، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال : زوِّجت الأرواح بالأجساد .
والقول الأول أصح ، وهو قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه .
فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن أنه قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار .
وفي رواية عنه أيضًا وهو يخطب قال : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧ - ١١] ، ثم قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : أزواج في الجنة وأزواج في النار .
• وروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : لحق كل إنسان بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى .
واللَّه تعالى أعلم .

[١] أخرجه البخاري (حديث ٣٢٠٠) .

«الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» .

= **لطيفة :**

قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وقرأ قارئ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] وفي الحاضرين أبو الوفا ابن عقيل فقال له قائل : يا سيدي هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب ، وزوَّج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلمَ هدم الأبنية وسيَّر الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكوِّرت الشمس؟ فقال : إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع ، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار . والتفكر والاستدلال عليه : لحسن التأمل والتذكر . فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خرَّبها، لانتقال الساكن منها . فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معمورًا بهم . وفي إحالة الأحوال ، وإظهار تلك الأهوال ، وبيان المقدرة بعد بيان العزة ، وتكذيب لأهل الإلحاد ، وزنادقة المنجمين ، وعُبَّاد الكواكب والشمس والقمر والأوثان ، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت ، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت ، ومحالَّها قد تشققت : ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم ، وظهر أن العالم مربوب محدَث ، مدبَّر ، له رب يصرفه كيف يشاء ، تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم .

فكم للَّه من حكمة في هدم هذه الدار ، ودلالة على تعظيم عزته وقدرته ، وسلطانه ، وانفراده بالربوبية ، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره ، وإذعانها لمشيئته . فتبارك اللَّه رب العالمين.

وَإِذَا
ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الموءودة ـ نشرت ـ قشطت ـ سعِّرت ـ أزلفت ؟

ج :

الكلمة	معناها
الموءودة	المدفونة وهي حية
نشرت	فتحت
قشطت	أزيلت عن أماكنها ـ جُذبت ـ نُزِعت وطويت ـ كشطت كما يكشط الجلد عن الكبش
سعِّرت	أوقد عليها فأحميت ـ أججت
أزلفت	أُدنيت ـ قُرِّبت [1]

* * *

(١) أي : قربت من المتقين

س ـ لماذا تُسأل الموءودة ؟

ج : تُسأل الموءودة لتبكيت قاتلها وإظهار الغيظ عليه حتى كأنه لا يستحق أن يُخاطب ، وأيضًا لتوبيخ قاتلها أشد التوبيخ ، كما ورد من تبكيت للنصارى في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ...﴾ [المائدة: ١١٦] .

وكما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا: ٤٠] .

● ومن العلماء من قرأها ﴿وإذا الموءودة سألت﴾ أي : سألت قتلتها عن سبب قتلهم لها ، وطالبت بدمها .

* * *

س ـ لماذا كانوا يئدون البنات في الجاهلية ؟

ج : كان لذلك عندهم أسباب : منها : خوف العار اللاحق بهم من البنات ، ومنها : خشية أن يسبيها العدو ، ومنها : خشية الإملاق ، ومنهم من يرى أنه لن ينتفع من ابنته بشيء .

● ومن غريب أمرهم: أنهم كانوا يئدون البنات ويغذون الكلاب[1].

* * *

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاب الله ذلك عليهم .

س ـ ما هو الوأد الخفي ؟

ج : الوأد الخفي هو العزل ، وهو أن يجامع الرجل امرأته فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج .

والدليل على أن العزل هو الوأد الخفي : ما أخرجه مسلم [١] من حديث جذامة بنت وهب رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : «ذلك الوأد الخفي» وسيأتي .

* * *

س ـ ما حكم العزل ؟

ج : الحاصل في مسألة العزل أنه مكروه ، وهذه بعض الأدلة الواردة في الباب وحاصل أقوال العلماء فيه :

• أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : كنا نعزل والقرآن ينزل ، وفي رواية : كنا نعزل على عهد رسول اللَّه ﷺ والقرآن ينزل .

• وأخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) أخرجه مسلم (٣/٦١٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٠٨) ومسلم (٣/٦١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (١٠/٥٢) ومسلم (٣/٦١٣) .

وللحديث طرق كثيرة عند مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وكذلك له ألفاظ منها : «لا عليكم ألا تفعلوا ما كتب اللَّه خَلْقَ نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون» .

ومنها : « لا عليكم ألا تفعلوا فإنما هو القدر » . =

رضي اللَّه عنه قال : أصبنا سبيًا فكنا نعزل فسألنا رسول اللَّه ﷺ فقال: **«أو إنكم لتفعلون ؟»** ـ قالها ثلاثًا ـ **«ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة»** .

وقال مسلم رحمه اللَّه في «صحيحه»[1] : حدثنا عبيد اللَّه بن سعيد ومحمد بن أبي عمر قالا حدثنا المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة عن جذَامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول اللَّه ﷺ في أناس وهو يقول : **«لقد هممت أن أنهى عن الغِيلَة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا»** ، ثم سألوه عن العزل فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ذلك الوأد[2] الخفي»** . زاد عبيد اللَّه في حديثه عن المقرئ : وهي : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨] .

● وأخرج مسلم[3] من طريق عامر بن سعد أن أسامة بن زيد أخبر والده سعد بن أبي وقاص أن رجلاً جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : إني

= (قال محمد بن سيرين ـ عند مسلم ـ : لا عليكم أقرب إلى النهي) .

ومنها : **«ولم يفعل ذلك أحدكم فإنه ليست نفس مخلوقة إلا اللَّه خالقها»** .

ومنها : أنّ النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : **«ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد اللَّه خلق شيء لم يمنعه شيء»** .

(١) مسلم (٣/٦١٩) وأبو داود (٣٨٨٢) والترمذي (٢٠٧٧) والنسائي (٦/١٠٦ ـ ١٠٧) وابن ماجة (٢٠١١) .

(٢) الوأد : هو دفن البنت وهي حية .

(٣) مسلم (٣/ ٦٢٠) .

أعزل عن امرأتي فقال له رسول اللَّه ﷺ : **«لمَ تفعل ذلك ؟»** فقال الرجل: أشفق على ولدها أو على أولادها فقال رسول اللَّه ﷺ : **«لو كان ذلك ضارًّا ضرَّ فارس والروم»** ، وقال زهير في روايته : **«إن كان لذلك فلا ، ما ضار ذلك فارسَ ولا الرومَ»** .

● وأخرج مسلم [1] أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي وأنا أعزل عنها ، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«إن ذلك لن يمنع شيئًا أراده اللَّه»** ، قال : فجاء الرجل فقال : يا رسول اللَّه إن الجارية التي كنت ذكرتها لك حملت فقال رسول اللَّه ﷺ : **«أنا عبد اللَّه ورسوله»** .

أما بالنسبة لحاصل أقوال أهل العلم في المسألة :

فهناك خلاف بين الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ في إباحة العزل، وكراهيته ، وتحريمه ، والتابعون وأتباعهم كذلك بينهم خلاف .

فالذين ذهبوا إلى التحريم احتجوا بحديث جذامة بنت وهب حيث قال عليه السلام في العزل : **«إنه الوأد الخفي»** .

والذين ذهبوا إلى الإباحة احتجوا بخبر جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ كنا نعزل والقرآن ينزل .

وبعد إمعان النظر في الأدلة لا نراها ترتقي إلى التحريم ، كما أن القول بإباحته يعكر عليه الأحاديث الأخرى التي ظاهرها التحريم

---

(١) مسلم (٣/٦١٦) .

والزجر، فالأمر كما قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ : أن الجمع بين هذه الأحاديث يتم بأن يُحمل ما ورد في النهي على كراهة التنزيه ، وما ورد في الإذن يحمل على أنه ليس بحرام ، وليس معناه نفي الكراهة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل كان هناك من أهل الجاهلية من لا يئد البنات ؟

ج : نعم كان هناك من لا يئد البنات ، ومنهم كما ذكر عدد من أهل العلم : صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المشهور ، وبه كان يفتخر الفرزدق ويقول :

ومنا الذي منع الوائدات .:. وأحيا الوئيد فلم يُوأَدِ

وفي بيت آخر :

ومنا الذي أحيا الوئيدَ وغالبٌ .:. وعمرو ومنا حاجبٌ والأقارع

* * *

س ـ ما حكم وأد البنات ؟

ج : وأد البنات كبيرة من أعظم الكبائر إذ هو قتل نفس بغير حق قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] .

وتقدم [١] حديث رسول اللَّه ﷺ ـ لما سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : «**أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك**» ، قيل : ثم أي ؟ قال : «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ...** » الحديث .

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن اللَّه حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات**» .

* * *

---

(١) في تفسير سورة البقرة .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٠٥) ومسلم (٤/ ٣٠٨) .

ملحقات :

قال ابن كثير رحمه اللَّه (٤/ ٤٧٧) : هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ .

قال النووي رحمه اللَّه : وأما وأد البنات بالهمز فهو دفنهن في حياتهن ، فيمتن تحت التراب، وهو من الكبائر الموبقات لأنه قتل نفس بغير حق ، ويتضمن أيضًا قطيعة الرحم ، وإنما اقتصر على البنات لأنه المعتاد الذي كانت الجاهلية تفعله .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٤٠٦) : قوله : (ووأد البنات) بسكون الهمزة هو دفن البنات بالحياة ، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهن ، ويقال : إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم =

. . . . . .

= حصل بينهم صلح فخير ابنته فاختارت زوجها فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك ، وكان من العرب فريق ثان يقتلون أولادهم مطلقًا ، إما نفاسة منه على ما ينقصه من ماله، وإما من عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكر اللَّه أمرهم في القرآن في عدة أيات ، وكان صعصعة بن ناجية التميمي أيضًا وهو جد الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أول من فدى الموءودة ، وذلك أنه يعمد إلى من يريد أن يفعل ذلك فيفدي الولد منه بمال يتفقان عليه وإلى ذلك أشار الفرزدق بقوله :

وجدي الذي منع الوائدا ∴ ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهذا محمول على الفريق الثاني، وقد بقي كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الإسلام ولهما صحبة ، وإنما خص البنات بالذكر لأنه كان الغالب من فعلهم لأن الذكور مظنة القدرة على الاكتساب ، وكانوا في صفة الوأد على طريقين : أحدهما : أن يأمر امرأته إذا قرب وضعها أن تطلق بجانب حفيرة فإذا وضعت ذكرًا أبقته ، وإذا وضعت أنثى طرحتها في الحفيرة ، وهذا أليق بالفريق الأول ، ومنهم من كان إذا صارت البنت سداسية قال لأمها طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها ، ثم يبعد بها في الصحراء حتى يأتي البئر فيقول ، لها انظري فيها ويدفعها من خلفها ويطمها ، وهذا أليق بالفريق الثاني واللَّه أعلم .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٠٧١) :

تنبيه :

قال السيوطيّ في «الإكليل» : في الآية تعظيم شأن الوأد ، وهو دفن الأولاد أحياءً . وأخرج مسلم أنه ﷺ سئل عن العزل فقال : **«الوأد الخفيّ»** . وهي : ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨] . انتهى .

وقد روى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب في هذه الآية قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ! إني وأدت بنات لي في الجاهلية . قال : **«أعتق عن كل واحدة منهم رقبة»** . قال : يا رسول اللَّه ! إني صاحب إبل . قال : **«فانحر عن كل واحدة منهن بَدَنَة»** .

وروي الدارميّ [(١)] في أوائل مسنده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه! إنا كنا أهل =

(١) أخرجه في مقدمة «مسنده» في : ١ ـ باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبيّ ﷺ من الجهل والضلالة وإسناده ضعيف .

. . . . . .

= جاهلية وعبادة أوثان . فكنا نقتل الأولاد . وكانت عندي ابنة لي . فلما أجابت ، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها . فدعوتها يومًا فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرًا من أهلي غير بعيد فأخذت بيدها فرديتها في البئر . وكان آخر عهدي بها أن تقول : يا أبتاه يا أبتاه . فبكى رسول اللّه ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال له رجل من جلساء رسول اللّه ﷺ : أحزنت رسول اللّه ﷺ . فقال له رسول اللّه ﷺ : **«كف . فإنه يسأل عما أهمه»** . ثم قال له : **«أعد عليّ حديثك»** . فأعاده . فبكى رسول اللّه ﷺ حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته . ثم قال له : **«إن اللّه قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عملك»** .

وكان للعرب تفنن في الوأد . فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها : طيّبيها وزيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها . وقد حفر لها بئرًا في الصحراء . فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها . ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع ، حفر حفرة لتتمخّض على رأس الحفرة . فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة . وإن ولدت ابنًا حبسته . وقد اشتهر صعصعة بن ناجية بن عقال ، جد الفرزدق بن غالب ، بأنه كان ممن فدى الموءودات في الجاهلية ، ونهى عن قتلهن. قيل: إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل: دون ذلك . وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله[(١)] :

ومنا الذي منع الوائدات ... وأحيا الوئيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

وفي قوله أيضًا[(٢)] :

أنا ابنُ عِقالٍ وابن ليلى وغالبٍ ... وفَكَّاكُ أغلال الأسير المكفَّر[(٣)] =

---

(١) من قصيدته التي مطلعها :

عرفت المنازلَ من مَهْدَدِ ... كوحي الزبور لدى الغرقدِ

الوحي : الكتاب . والغرقد : ضرب من الشجر دائم الاخضرار .

(الديوان ١/ ٢٠٢) . نقلاً من تعليق محقق تفسير القاسمي

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

بني نهشل أبقُوا عليكم ولم تروا ... سوابقَ حامٍ للذِّمار مُشَهَّرِ

(الديوان ٢/ ٤٧٤) .

(٣) المكفر : هو الذي كفر وكبل بالحديد .

. . . . . .

= وكان لنا شيخان ذو القبر منهما [١] وشيخٌ أجار الناسَ من كل مَقْبَرِ
على حينِ لا تُحْيَى البناتُ وإذ همُ عُكُوف على الأصنام حولَ المدوَّرِ
أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ وما حسبٌ دافعتُ عنه بمُعْوِرِ
أبي أحَدُ الغَيْثَيْن صعصعةُ الذي متى تُخْلِفِ الجوزاءُ والنجمُ يُمْطِرِ
أجارَ بنات الوائدين ومن يُجِرْ على القبر ، يعلمْ أنه غير مُخْفَرِ
وفارق ليلٍ [٢] من نساء أتت أبي تُعالج ريحًا ليلها غير مُقْمِرِ
فقالت أجر لي ما ولدتُ فإنني أتيتك من هَزْلي الحمولة مُقْتِرِ
رأى الأرض منها راحة فرمى بها إلى خُدَد منها وفي شر مَحْفَرِ
فقال لها نامي فأنت بذمتي لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ [٣]

وروى أبو عبيدة : أن صعصعة ـ هذا ـ وفد على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم . قال : وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية ، فلم يدع تميمًا تئد وهو يقدر على ذلك . فجاء الإسلام وقد فدى ـ في بعض الروايات ـ أربعمائة موءودة ، وفي أخرى : ثلاثمائة ، فقال للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ! أوصني . فقال : «أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك» . فقال: زدني . فقال عليه الصلاة والسلام : «احفظ ما بين لحييك ورجليك» . ثم قال عليه الصلاة والسلام : «ما شيء بلغني عنك فعلته ؟» فقال : يا رسول الله ! رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب ، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ، فرأيتهم يئدون بناتهم، فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم ، ففديت ما قدرت عليه . ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يومًا عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا . فقال الفرزدق : أنا ابن محيي الموتى . فقال له سليمان : أنت ابن محيي الموتى ؟ فقال : إن جدي أحيا الموءودة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] =

(١) ذو القبر : غالب كان يستجار بقبره . والذي أجار الناس من القبر وأحيا الوئيدة صعصعة .

(٢) فارق ـ يعني امرأة ماخضًا . شبهها بالفارق من الإبل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق الإبل وتمضي على وجهها حتى تضع .

(٣) القنور : السيئ الخلق .

. . . . . .

= وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موءودة ، فتبسم سليمان . وقال : إنك مع شعرك لفقيه . نقله المرتضى في «أماليه» . وبالجملة ، فكان الوأد عادة من أشنع العوائد في الجاهلية ، مما يدل على نهاية القسوة وتمام الجفاء والغلظة .

قال الإمام : انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار ، كيف استبدلت بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب ؟ فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها بمحوه هذه العادة القبيحة . انتهى .

ومن أثر نعمته أن صار أدباء الصدر الأول يصوغون في مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان؛ فمن ذلك قول معن بن أوس [(١)] :

رأيت رجالاً يكرهون بناتِهِمْ ... وفيهن ، لا نُكْذَبْ ، نساء صوالحُ
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... خوادِمُ لا يَمْلَلْنَهُ ونوائحُ

وقال العلويّ الجمانيّ ، في صديق له ولدت له بنت فسخطها ، شعرًا .

قالوا له ماذا رُزِقْتَا ... فأصاخ ثُمَّتَ قال : بنتا
وأجلْ من ولد النساء ... أبو البنات . فلمْ جزعتا
إن الذين تودّ من ... بين الخلائق ما استطعتا
قالوا بفضل البنت ما ... كَبَتُوا به الأعداء كبتا

وحكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته . فقال : من هذه يا معاوية ؟ فقال: هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف . فقال : أمِطْها عنك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنهن يلدن الأعداء . ويقربن البعداء ، ويُورِثْن الشحناء ، ويُثِرْن البغضاء . قال : لا تقل ذلك يا عمرو! فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الزمان، ولا أذهب جيش الأحزان مثلهن ، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنيه . فقال: يا معاوية ! دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إليّ منهن . وإني لأخرج من عندك وما عليها شيء أحب إليّ منهن . وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت : أهلاً وسهلاً بعقيلة =

(١) انظر «أمالي القالي»، الصفحة رقم ١٩٠ من الجزء الثاني (طبعة الدار) . نقلاً عن محقق «تفسير القاسمي» .

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة ، في فضل تربية النبات والإحسان إليهن ؟

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أم المؤمنين

= النساء وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون[1] :

فلو كان النساء كمن وَجَدْنا ... لفُضِّلَت النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ ... وما التذكيرُ فَخْرٌ للهلالِ

واللَّه تعالى يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها ، فادّرع اغتباطًا ، واستأنف نشاطًا. فالدنيا مؤنثة . والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية . وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب . والنفس مؤنثة وهي قوام الأبدان وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون . فهنيئًا لك هنيئًا بما أوتيت ، وأوزعك اللَّه شكر ما أعطيت .

ونسختُ رقعة لأبي الفرج الببغاء : اتصل بي خبر المولودة المسعودة كرم اللَّه عرقها ، وأنبتها نباتًا حسنًا . وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وإنكارك ما اختاره اللَّه لك في سابق القدر. وقد علمت أنهن أقرب من القلوب ، وأن اللَّه بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩] وما سماه اللَّه تعالى هبة، فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى . فهناك اللَّه بورود الكريمة عليك ، وثمرتها إعداد النسل الطيب لديك .

والنوادر في هذا لا تحصى . وكلها من بركة الإسلام وفضله .

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/٤٢٦) ومسلم (ص ٢٠٢٧)

---

(١) قائله المتنبي ، من قصيدته التي مطلعها .

نعدّ المشرفيةَ والعَوالي ... وتَقْتُلُنَا المَنُونُ بِلاَ قِتَالِ

نقلاً من محقق القاسمي .

عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تَسألني فلم تجدْ عندي غير تمرةٍ واحدة فأعطيتها فقسمتْها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم فحدَّثْتُهُ ، فقال : «مَن يلي[1] من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» .

● وأخرج مسلم في «صحيحه»[2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدةٍ منهن تمرة ورفعت إلىٰ فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول اللَّه ﷺ فقال : «إن اللَّه قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار» .

● وأخرج مسلم[3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «من عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضمَّ أصابعه .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف وكيف تنشر ؟ ولماذا تنشر ؟

---

(١) في بعض الروايات : «من ابتلي» ، قال النووي رحمه اللَّه : إنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة ، وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] .

(٢) مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٠٢٧) .

(٣) مسلم (٥/٤٨٦) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (حديث ١٣٧٦) .

ج : المراد بالصحف : الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد ، ونشرها فتحها بعد أن كانت مطوية كما قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ...﴾ [الكهف: ٤٩] .

أما لماذا تنشر فتنشر لتقريع العاصي وتبشير المطيع .

● هذا ومن العلماء من قال : نشرت أي فرقت بين العباد وأخذ كل منهم كتابه ، والله أعلم .

* * *

س ـ كل نفس يوم القيامة تعلم ما أحضرت ، فلماذا عُبر بقوله : ﴿علمتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] ولم يقل : علمت كل نفس ما أحضرت ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي بقوله : **الجواب من وجهين :**

الأول : أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط ، وإن كان اللفظ موضوعًا للقليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] كمن يسأل فاضلاً مسألة ظاهرة ويقول : هل عندك فيها شيء ؟ فيقول : ربما حضر شيء ، وغرضه الإشارة إلى أن عنده في تلك المسألة ما لا يقول به غيره فكذا ههنا .

الثاني : لعل الكفار كانوا يتعبون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها

طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية .

* * *

س ـ ما هو جواب قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... ﴾ [التكوير: ١] ؟

ج : هو قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤] ؟

ج : أي : علمت كل نفس[1] ما فعلت من خير وما فعلت من شر وأُحضر لها عملها الذي عملته ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] .

---

(١) ومن العلماء من أشار إلى أن ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه : (لعلك ستندم على ما فعلت ، وربما ندم الإنسان على فعله) . «فتح البيان» .

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

الخنس ـ الجوار ـ الكُنس ـ عسعس ـ تنفس ـ مكين ـ ثمَّ ـ الأفق المبين ـ بضنين ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الخنـس	النجوم التي تخنس أي : ترجع إلى مجراها وتختفي[1]، ومنه : قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس : ٤]

(١) ومن العلماء من قال : إن النجوم عند طلوعها خنس ، وعند جريانها في أفلاكها جواري ، وفي حال غيبوبتها كنس .

الكلمة	معناهـــا
	أي: الذي يخنس عند ذكر اللَّه، ومنه: قول أبي هريرة (لما لقي الرسول وهو جنب) : فانخنست منه ، ومن العلماء من قال : الخنس : هي بقر الوحش ، ومنهم من قال : هي الظباء[١]
الجـــوار	أي : التي تجري ، فالنجوم تجري في فلكها
الكُنَّـــس	التي تستتر في بيوتها ـ الغُيَّب
عسعـــس	أدبر[٢]
تنفـــس	أقبل وتبين ـ ظهر ـ أضاء
مكيـــن	له مكانة وجاه ، فيعطي إذا سأل

---

(١) واختار الطبري العموم ، أي : أن المراد بالخنس النجوم وبقر الوحش والظباء ، بينما ذهب الجمهور إلى أن ذلك خاص بالنجوم ، وجنح إلى ذلك الرازي وأيد ذلك بأمرين :

الأول : أنه تعالى قال بعد ذلك : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] ، وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش .

الثاني : أن محل قسم اللَّه كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى ، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش .

(٢) وهذا رأي أكثر العلماء أن معنى عسعس هنا : (أدبر) ، بل قد نقل الفراء الإجماع على ذلك، ولا نوافقه على نقل الإجماع فقد قال بعض أهل العلم : إن معنى عسعس : أقبل بظلامه ، وقال بعضهم : إن (عسعس) من الأضداد (أي : التي تحمل المعنى وضده) ، فمن معانيها : (أدبر) ، ومن معانيها : (أقبل) ، لكن القول الأول عليه الأكثرون ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٢ - ٣٤] .

واختار الطبري رحمه اللَّه تعالى أن معنى عسعس : (أدبر) .

الكلمة	معناها
ثَـــــمَّ	هناك ـ أي : في الملإ الأعلى ـ أو في السموات
الأفق المبين	أقطار السموات ونواحيها ـ مكان طلوع الشمس
بضنيـــــن	بمتهم ـ ببخيل

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل (لا) من قوله تعالى : ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن (لا) زائدة كقوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني : أن تسجد ، وكقوله تعالى : ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] .

• ومنهم من قال : إنها نفي لكلام قد تقدم ولمعنى قد تقدم كقول القائل : لا والله فقوله : (لا) رد لكلامٍ قد تقدمها ، وعلى كل حال فمعنى ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] : أقسم ، وهذا رأي الجمهور [1] من العلماء .

---

[1] بل ادعى بعضهم الإجماع على ذلك ، نقل صديق حسن خان في «فتح البيان» تفسير سورة القيامة عن السمرقندي قوله : أجمع المفسرون أن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١] : أقسم ، واختلفوا في تفسير (لا) . ثم أورد أوجه اختلافهم في ذلك .

س ـ ما المراد بالقول المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩] ومن هو الرسول الكريم ؟

ج : المراد بالقول : القرآن ، وقد نقل الإجماع علىٰ هذا محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» ـ والرسول الكريم هو : جبريل عليه السلام .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالىٰ :﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : أن جبريل عليه السلام ذو قوة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ ... ﴾ [النجم: ٥، ٦] أي: أنه شديد الخلق والبطش والفعل ، فهو قادر بإذن اللَّه علىٰ القيام بما يكلفه اللَّه عز وجل به .

أما قوله : ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] أي : له مكانة عند اللَّه عز وجل .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢١] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أنه مطاع هناك في الملإ الأعلىٰ أو في السماوات يطيعه أهل السماء كما في حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه في

«صحيح البخاري»[1] عن النبي ﷺ قال : «إذا أحب اللَّه عبدًا نادىٰ جبريل إن اللَّه يحب فلانًا فأحبَّه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن اللَّه يحب فلانًا فأحبُّوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض» .

* * *

س ـ من هو الأمين ، وأمين علىٰ ماذا ؟

ج : الأمين : هو جبريل عليه السلام كما قال تعالىٰ : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وهو أمين علىٰ كل ما استؤمن عليه ، وأمين علىٰ الوحي والرسالات ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالصاحب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير : ٢٢] ؟

ج : المراد بالصاحب هو محمد ﷺ .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] مَن رأىٰ مَن ؟ وما المراد بالأفق المبين ؟

ج : رأىٰ محمدٌ ﷺ جبريلَ عليه السلام علىٰ صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٠) ، وقد أخرج مسلم نحوه من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أيضًا

قال ابن كثير رحمه اللَّه : وهي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله تعالىٰ : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥ - ١٠] .

أما المراد بالأفق المبين ، فالمراد به : المكان الذي يُبين الأشياء (أي : يظهرها) وتُرىٰ بوضوح في ناحيته ، قال بعض العلماء : وذلك من ناحية المشرق لأن من جهته تُرىٰ الأشياء ، وقيل : الأفق المبين : أقطار السماوات ونواحيها .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في كل مما يأتي :

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، و ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤] ؟

ج : الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، وفي قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧] يرجعان إلىٰ القرآن .

والضمير في قوله : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ [التكوير: ٢٣] : ولقد رأىٰ محمدٌ جبريلَ .

والضمير في قوله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤]

يرجع إلى رسول اللَّه ﷺ ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير : ٢٤] ؟

ج : أما المراد بالغيب فهو هنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص وأخبار الجنة وما يقرب منها وأخبار النار وما يباعد عنها .

أما قوله : بضنين فله معنيان :

أحدهما : بمتهم ، **والثاني** : ببخيل .

فالمعنى الأول : وما محمد بمتهم فيما ينقله لكم ويبلغه لكم عن اللَّه سبحانه وتعالى وعن جنته وناره وكافة ما يأمره اللَّه به .

وما محمد ببخيل عليكم ولا كاتم عنكم ما علمه اللَّه إياه وأمره بتبليغه لكم من أمر الوحي ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير : ٢٦] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : إلى أين تذهبون بعقولكم وتفرّون من هذا القرآن وتعدلون عن طاعة ربكم .

وقيل : المعنى: أي الطرق أهدى كي تسلكونها غير هذا الطريق.

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي :

انفطرت ـ انتثرت ـ فجرت ـ بعثرت ؟

ج :

الكلمة	معناها
انفطرت	تشققت ، ومنه : قوله تعالى : ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]
انتثرت	تساقطت وتفرقت
فُجِّرت	فُجِّر بعضها في بعض فملأت جميعًا ، فجر مالحها في عذبها وعذبها في مالحها وأزيل البرزخ الذي كان بينها (المذكور في قوله تعالى) : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] ، ومن العلماء من قال : فجرت

الكلمة	معناهـــا
بُعثـــرت	ذهب ماؤها ، والأول أولى أُثيرت وقلبت فاستخرج ما بداخلها ، وقلب ترابها الذي أهيل على الأموات وأخرج الموتى منها

* * *

س ـ لماذا تنفطر السماء ؟

ج : تنفطر لأمر اللَّه عز وجل ، ولهيبة اللَّه عز وجل .

وتنفطر لنزول الملائكة منها كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

* * *

س ـ لماذا كررت كلمة إذا في قوله : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ ... ﴾ [الانفطار: ١، ٢] ؟

ج : كُررت لتهويل الدواهي المذكورة وتعظيم شأنها .

* * *

س ـ ما الذي قدِّم وأخر في قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن الذي قدّم هو العمل الصالح الذي عملته النفس والذي أُخر هو السنة التي تركتها بعد موتها يُعمل بها ويذهب أجرها إليها .

الثاني : أن الذي قُدِّم هو الفرائض التي أُديت والذي أُخِّر هو الفرائض التي ضيعت .

الثالث : (وهو راجع إلى الثاني) أن الذي قدم هو الخير الذي عُمِل والذي أخر هو المعاصي .

واختار ابن جرير القول الأول مؤيدًا له بقوله : وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه[1] لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه، وأن ما ضيَّع من حق اللَّه عليه وفرط فيه فلم يعمله فهو مما قدَّم من شرٍّ ، وليس ذلك مما أخر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدَّمها ، فلذلك قلنا : ما أخَّر هو ما سنه من سنةٍ حسنة أو سيئة مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .

(١) ونص عند ابن جرير : علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه وأخرت وراءه من شيء سنة فعمل به .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

غرَّك ـ سواك ـ عدلك ؟

ج :

الكلمة	معناها
غـــرَّك	خدعك ـ سوَّل لك حتى أضعت ما وجب عليك ـ أمَّنك من عقابه
ســـوّاك	جعلك سويًّا سليم الأعضاء تسمع وتبصر
عـــدلك[1]	جعلك معتدلاً معدَّل الخلق مقومًا ـ عدَل أعضاءك فلم تفضل يدٌ على يدٍ ولا رجلٌ على رجل

* * *

(١) وقرئت (عدَّلك) بالتشديد ، ومعناها : أمالك إلى أي صورة ما شاء إما إلى صورة حسنة أو قبيحة، أو إلى صورة العم أو الخال و . . .

س ـ من المراد بالإنسان المذكور في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦] ؟

ج : قيل : المراد الإنسان الكافر بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩] .

وقيل : المراد عموم الإنسان ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما الذي غرَّ الإنسان بربه الكريم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : أن الذي غره بربه الكريم هو الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] .

الثاني : أن الذي غره هو جهله وحمقه .

الثالث [١] : أن الذي غره بربه الكريم هو ستر اللَّه عز وجل عليه وعدم معاجلته بالعقوبة ، كما ورد عن الفضيل بن عياض أنه قال ـ وقد قيل له ـ : لو أقامك اللَّه تعالى يوم القيامة بين يديه فقال لك : ما غرك بربك الكريم ؟ ماذا كنت تقوله له ؟ قال : كنت أقول : غرَّني ستورك المرخاة .

الرابع : غرَّه عفو اللَّه .

---

(١) والثالث والرابع والخامس إنما هي في حق المسلم ، والأول والثاني لا تمتنع عن المسلم أيضًا .

الخامس : غره كرمُ الكريم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]؟

ج : قال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره» : يقول تعالى معاتبًا الإنسان المقصر في حقه المتجرئ على معاصيه : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] أتهاونًا منك في حقوقه ؟!! أم احتقارًا منك لعذابه ؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ [الانفطار: ٧] في أحسن تقويم .

● وقال الشوكاني في « فتح القدير » : هذا خطاب للكفار ، أي : ما الذي غرَّك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلاً فاهمًا ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها .

* * *

س ـ لماذا أُتي بصفة الكريم عقب قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ [الانفطار: ٦] مع أن الكرم يقتضي أن يغتر الشخص ؟

ج : الإجابة أن الكرم الزائد يستدعي الحياء من المكرم وعدم الإقدام على عصيانه ، فكان من اللائق بك ، وقد أكرمك اللَّه : أن تستحي منه ولا تغتر به ولا تعصه .

● وثم جواب آخر وهو أنه سبحانه وتعالى لكرمه لم يعاجلك

بالعقوبة بل تركك مدة تتذكر فيها إن شئت أن تتذكر فتركت التوبة طيلة دنياك ، وكان الأولى أن تقابل كرم اللَّه بالخوف منه وقبول مدة الإمهال ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] للتوبة والإنابة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

الأول : أنه سبحانه ركبك في الصورة التي يريدها ، فمنهم الطويل ومنهم القصير ، ومنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الذكي ومنهم الغبي، ومنهم النحيف ومنهم السمين ، و . . . .

الثاني : أنه سبحانه قادر على خلقك في صورة قريب لك كعَمٍّ أو خال أو أب أو جد أو أخ . . . ، وقادر على تصويرك في صورة رجل بعيد لا تجمعك به قرابة .

الثالث : أنه سبحانه قادر على تصويرك في أي صورة شاءها فإن شاء صورك في صورة كلب أو خنزير لفعل ، ولا ممانع له سبحانه .

واللَّه سبحانه قادرٌ على كل ما ذُكِرَ .

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الدين ـ حافظين ـ كاتبين ـ الأبرار ـ يصلونها ؟

ج :

الكلمة	معناها
الدين	الجزاء والحساب
حافظين	ملائكة يحفظون الأعمال ويحصونها
كاتبين	ملائكة يكتبون الأعمال
الأبرار	المطيعون الذين يؤدون ما فرض اللّه عليهم ويجتنبون معاصيه
يصلونها	يلزمونها مقاسين حرها

* * *

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : كلا ، أي: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب ، قاله الطبري رحمه الله .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] ؟

ج : وجه ذلك : الحث على الحياء والبعد عن المعاصي ، فالمعنى : وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . كما قاله ابن كثير رحمه الله .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] ؟ وما معناه ؟

ج : يرجع إلى النار (الجحيم) ، والمعنى : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ، فلن يغيبوا عن النار لحظة بل هم فيها دائمين.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧] ، وما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ... ﴾ ؟

ج : الاستفهام المراد به التنبيه على عظمة ذلك اليوم وعلى قدره وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧] تعظيمًا ليوم القيامة يوم تدان فيه الناس بأعمالهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨] يقول : ثم أي شيء أشعرك أي شيء يوم المجازاة والحساب يا محمد تعظيمًا لأمره ، ثم فسَّر جل ثناؤه بعض شأنه فقال : ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : ذلك اليوم يوم لا تملك نفس ، يقول : يوم لا تغني نفس عن نفس شيئًا فتدفع عنها بلية نزلت بها ولا تنفعها بنافعة وقد كانت في الدنيا تحميها وتدفع عنها من بغاها سوءًا فبطل ذلك يومئذ لأن الأمر صار للَّه الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر واضمحلت هنالك الممالك وذهبت الرياسات وحصل الملك للملك الجبار ، وذلك قوله : ﴿ وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : والأمر كله يومئذ ـ يعني الدين للَّه دون سائر خلقه ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي . ذكر ذلك الطبري رحمه اللَّه .

* * *

س ـ ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨] ؟

ج : كرر يوم الدين تعظيمًا لشأنه وتفخيمًا لقدره وتهويلاً لأمره

كما قال تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] .

* * *

س ـ هل ينفع شخصٌ شخصًا يوم القيامة ؟

ج : ذلك كائن بإذن اللَّه ، فإذا أذن اللَّه لشخص أن يشفع في شخص شفع فيه وانتفع المشفَّع فيه بالشفاعة بإذن اللَّه ، قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[١] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «يشفع الشهيد في سبعين من أقاربه»[٢] إلى غير ذلك من الأدلة .

* * *

س ـ الأمر في الدنيا وفي الآخرة للَّه ، فلماذا قال تعالى : ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] في الآخرة مع أنه في الدنيا للَّه أيضًا ؟

---

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه ، وقد أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) وأبو داود (٤٧٣٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقدمنا بعض الكلام عليه في تفسيرنا لسورة البقرة (من كتاب «التسهيل» جـ١/ ٤٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي وغيره من حديث المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «للشهيد عند اللَّه ست خصال .... ويشفع في سبعين من أقاربه» وقد قدمناه في البقرة وآل عمران من كتابنا «التسهيل» .

ج : صحيح أن الأمر في الدنيا والآخرة للَّه سبحانه وتعالى لا شك في ذلك ولا ريب ، ولكن في الدنيا قد ينازع ملك فاجر أو سلطان غشوم فيدعي أن الملك له ، أما في الآخرة فلا منازع ينازع ولا مُدَّعٍ يدعي ، فلا إله إلا اللَّه ولا رب سواه ، ولا ملك معه ، ولا مستكبر هناك ، بل كما قال تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، وكما قال تعالى ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكما قال تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] .

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ويلٌ ـ المطففين ـ اكتالوا على الناس ـ يستوفون ـ كالوهم ـ وزنوهم ـ يخسرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
ويـــــــلٌ	عذابٌ شديد ـ واد في جهنم يسيل إليه من صديد أهل النار
المطففيـــــن	الذين يبخسون المكيال والميزان
اكتالوا على الناس	اكتالوا من الناس، أي : طلبوا من الناس أن يكيلوا لهم
يستوفـــــون	يأخذون حقهم وافيًا

الكلمة	معناهـا
كالوهـــــم	كالوا لهم
وزنوهـــــم	وزنوا لهم
يخســـــرون	ينقصون ـ يبخسون

* * *

س ـ ما معنى التطفيف ، ومن هم المطففون ؟

التطفيف هو البخس ، وهو نقص شيء من المكيال والميزان على سبيل الخفية ، وبعض أهل العلم قال : إن التطفيف خاص بالشيء القليل ، أي: نقص شيء قليلٍ من المكيال والميزان على سبيل الخفية، فإن كان الذي يطفف (أي : يبخس شيئًا قليلاً من المكيال والميزان) قد توعده اللَّه عز وجل بالويل فما الظن بالذي يبخس الكثير ؟!!

وما الظن بالذي يأكل أموال الناس بالباطل أصلاً .

أما المطففون فقد وصفهم اللَّه بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢، ٣] إذا اشتروا من الناس فكال لهم الناس استوفوا حقهم (أي : أخذوا حقهم كاملاً مستوفًا بل قد يزيدون عليه) من الناس وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم بخسوا الناس حقوقهم .

قال الطبري رحمه اللَّه : الذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك : من الشيء الطفيف ، وهو القليل النزر ، والمطفِّف المقلِّل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن ، ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حسبة أو عدد : هم سواء كطفّ الصاع ، يعني بذلك كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ؟

ج : تقدم الكلام عليها قريبًا ، ولمزيد قال الطبري رحمه اللَّه : يقول تعالى ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قِبلهم من حق يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا ، و«على» و«مِن» في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اكتلت منك يُراد به استوفيت منك .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات الناهية عن التطفيف في المكيال والميزان والمحذرة من ذلك والآمرة بإقامة الكيل والميزان بالقسط ؟

ج : من هذا ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ - ٣] ؟

● قوله تعالى : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣] .

● قوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

● وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٥] .

● وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

● وقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

س ـ من هو النبي الذي أرسل إلى قومه وهم يطففون المكيال

والميزان ليحذرهم من ذلك ؟

ج : هو نبي اللَّه شعيب ﷺ . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٦] .

* * *

س ـ ما المراد بالظن في قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤] ؟

ج: المراد بالظن هنا ـ واللَّه أعلم ـ : اليقين، فالمعنىٰ: أفلا يوقن هؤلاء المطففون بالبعث ، وأنهم موقوفون بين يدي ربهم عز وجل ؟!

● ومجيء الظن بمعنىٰ اليقين في مواطن كثيرة من كتاب اللَّه عز وجل ، ومنه قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٠] ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٦].

* * *

س ـ اذكر بعض أحوال الناس عند قيامهم لرب العالمين ؟

ج: ● من ذلك: ما أخرجه البخاري[١] ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : « ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] **حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه** » .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا**» .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو اللَّه حفاة عراة غرلاً**» .

● وفي رواية في «الصحيحين» [٤] أيضًا من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قام فينا رسول اللَّه ﷺ خطيبًا بموعظةٍ فقال : «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى اللَّه حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٨) واللفظ له ، ومسلم (حديث ٢٨٦٢) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ، قال : «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**» .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٢) ومسلم (حديث ٢٨٦١) واللفظ له .

(٣) البخاري (حديث ٦٥٢٥) ومسلم (٢٨٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (ص ٢١٩٥) واللفظ له .

وعداً علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] قال : فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم» .

● ومن ذلك : ما في «الصحيحين»[١] أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا نبي اللَّه كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه ؟ قال : «أليس الذي أمشاه علىٰ الرجلين في الدنيا قادر علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة ؟ » .

● ومن ذلك ما في «الصحيحين» [٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «يعرق الناس يوم القيامة حتىٰ يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم» .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قلنا : يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال : «هل تضارُّون في رؤيةِ الشمس والقمر إذا كانت صَحواً ؟»

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٣) ومسلم (حديث ٢٨٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

قلنا: لا . قال : «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال : «يُنادي مُناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثانِ مع أوثانهم وأصحابُ كل آلهةٍ مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بَرٍّ أو فاجر وغُبَرات من أهلِ الكتابِ ثم يُؤتى بجهنَّم تعرضُ كأنها سَرابٌ فيقالُ لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبدُ عزيرًا ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنَّصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من برٍّ أو فاجرٍ فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وإنا سمعنا مناديًا يُنادي ليلحق كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربَّنا قال : فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه ؟ فيقولون : الساق ، فيكشفُ عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد للَّه رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» . قلنا : يا رسول اللَّه وما الجسر ؟ قال : «مدحَضَةٌ مَزِلةٌ عليه خطاطيف وكلاليبُ وحسكة مُفلطَحَةٌ لها شوكة عُقيفاء تكون بنجد يُقال لها : السعدانُ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل

والرِّكاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نارِ جهنَّم حتىٰ يمر آخرهم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحقِّ قد تبينَ لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانِهم يقولون : ربَّنا إخواننا الذينَ كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول اللَّه تعالىٰ : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأَخْرِجُوه ويحرِّم اللَّه صورَهم علىٰ النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلىٰ قدمه وإلىٰ أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأَخْرِجوه فيُخْرِجون من عرفوا» قال أبو سعيد : فإن لم تصدقوني فاقرءوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبارُ : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضته من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل قد رأيتموها إلىٰ جانب الصخرة وإلىٰ جانب الشجرة فما كان إلىٰ الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلىٰ الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاءُ الرحمن أدْخَلَهم الجنةَ بغير عملٍ عَمِلوه ولا خير قدَّموه فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه» .

● ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه البخاري ومسلم [1] من حديث

---

(١) اخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) .

أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «يقولُ اللَّه تعالىٰ[١]: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخيرُ في يديك فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النارِ قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيبُ الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] قالوا: يا رسول اللَّه وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف» ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة»، فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أَسْوَد».

● وما أخرجه أحمد[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يؤتىٰ بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول اللَّه عز وجل: يا ابن آدم هل رأيتَ بؤسًا قط أو شيئًا تكرهه؟ فيقولُ: لا وعزتك ما رأيتُ شيئًا أكرهه قط ثم يؤتىٰ بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزَّتك ما رأيتُ خيرًا قط ولا قُرَّةَ عين قط».

---

(١) ورد في بعض الروايات أن ذلك يوم القيامة وهو صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه «المسند» ٣/ ٢٥٣) ومسلم في «صحيحه» (٧ ـ ٢٨).

● ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[١] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالوا: يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا قال: «فهل تُضَارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ ليس في سَحَابة؟» قالوا: لا قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» قال: «فَيَلقىٰ العبدَ فيقول: أي فل[٢] ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ[٣] وأزوِّجكَ وأُسخِّر لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترأسُ[٤] وتَرْبَعُ[٥] فيقول: بلىٰ» قال: «فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يَلقَىٰ الثاني فيقول: أي فُل ألم أكْرِمْكَ وأُسوِّدْك وأُزَوِّجك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْك ترأسُ وتربَعُ؟ فيقول: بلىٰ أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقىٰ الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وصمتُ وتصدقتُ ويثنىٰ بخير ما استطاع فيقول ههنا إذًا»[٦] قال: «ثم يقالُ له: الآن نبعثُ شاهدَنا عليك ويتفكَّر في نفسهِ من ذا الذي يشهد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) معناه: يا فلان وهو ترخيم علىٰ خلاف القياس

(٣) أسودك أي: أجعلك سيدًا على غيرك.

(٤) ترأس أي: تكون رئيسًا للقوم.

(٥) تربع بفتح التاء والباء الموحدة تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال: ربعتهم، أي: أخذت ربع أموالهم، ومعناه: ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا، وفيها أقوال أخر.

(٦) معناه: قف ههنا حتىٰ يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرًا.

عليَّ فيُختم على فيه ويُقالُ لفَخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فَخذُهُ ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعْذِرَ من نفسه . وذلك المنافق وذلك الذي يَسْخَطُ اللَّه عَلَيه» .

● وما أخرجه مسلم أيضًا[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنا عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فضحك فقال: «هل تدرون مما أضحك ؟ » قال : قلنا : اللَّه ورسوله أعلم قال : «من مُخاطبةِ العبدِ ربَّه يقول : يا رب ألم تُجِرْني من الظُّلم ؟» قال : «يقول : بلى» قال : «فيقول : فإني لا أجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني» قال : «فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودًا» قال : «فيُخْتَمُ على فيه فيقالُ لأركانه : انطقي» قال : «فتنطق بأعماله» قال : «ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام» قال : «فيقول : بُعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أُناضل» .

● ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي[2] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : «يُؤتَى بالعبد يومَ القيامة فيقولُ اللَّه له : أَلَمْ أَجْعَلْ لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسخَّرتُ لك الأنعامَ والحرثَ وتركتُك تَرْأَسُ[3] وتَرْبَعُ[4] فكنتَ تظنُّ أنك مُلاقي يومكَ هذا ؟»

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩) .

(٢) الترمذي (٢٤٢٨) وإسناده حسن .

(٣) قال المباركفوري في شرحه للترمذي «تحفة الأحوذي» (٧/ ١١٥) : قوله تراس: بوزن تفتح : رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم .

(٤) تربع : أي : تأخذ ربع الغنيمة ، يقال : ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أي : ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ، ويسمى ذلك الربع : المرباع .

قال : «فيقول لا فيقول له : اليوم أنساكَ كما نسيتني»[١] .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب ، ومعنى قوله اليوم أنساك يقول : اليوم أتركك في العذاب هكذا فسروه .

قال أبو عيسى : وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٥١] قالوا : إنما معناه : اليوم نتركهم في العذاب .

* * *

حكم القيام للقادم :

س ـ وضح حكم القيام للشخص القادم مع بيان الأدلة الصحيحة

---

(٥) وتفسير من فسر النسيان بأنه الترك له وجه قوي وهو أحد أقوال أهل التفسير ، فاللّه عز وجل لا ينسى كما قال سبحانه: ﴿ فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] ، أما النسيان الوارد في هذا الحديث وفي قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [الأعراف: ٥١] ، وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه: ١٢٦] فهو محمول على أحد محامل :

الأول : الترك كما نقل الترمذي عن بعض أهل العلم .

الثاني : نسيهم اللّه من الخير ولم ينسهم من الشر وهي كقول من قال : نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم .

الثالث : يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه .

فالنسيان في حق الرب لابد وأن يصرف عن ظاهره لاستحالته في حق اللّه تبارك وتعالى .

وكذلك النسيان في حق بني آدم مصروف عن ظاهره لأن اللّه عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان كما قال المعصوم صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم واللّه تعالى أعلم .

الواردة في ذلك وطرفًا من أقوال أهل العلم في هذا الباب ؟

ج : **في هذه المسألة بعض التفصيل :ـ**

● فإذا كان القيام للقادم لعلة من العلل كقدومه من سفر أو الترحيب به لطول عهدٍ به ، أو لإكرامه حيث يحتاج المقام إلى إكرام ، إما لكبر سنه ، أو لإمضاء حكمه في الناس ونحو ذلك ففي هذه الحالة فالقيام مستحب .

وذلك لقول النبي ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم**»[1] ، وقد قام طلحة ابن عبيد اللَّه يهرول فصافح كعب بن مالك وهنأه بتوبة اللَّه عز وجل عليه[2] ، وكان النبي ﷺ إذا ذهب إلى فاطمة رضي اللَّه عنها قامت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول اللَّه ﷺ ، وكان قريبًا منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول اللَّه ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم**» فجاء فجلس إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : «**إن هؤلاء نزلوا على حكمك**» ، قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذُّرية ، قال : «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك**» .

(٢) أخرج البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) وغيرهما من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه قال : لم أتخلف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدر . . . فذكر الحديث وفيه: وانطلقت إلى رسول اللَّه ﷺ فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنؤني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة اللَّه عليك، قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول اللَّه ﷺ جالس حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد اللَّه يهرول حتى صافحني وهنأني ، واللَّه ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة .

فقبلته وأجلسته ، وإذا ذهبت إليه قام إليها فقبلها وأجلسها [١] .

وللعمومات الواردة في خفض الجناح للمؤمنين ، وفي إنزال الناس منازلهم ، وفي توقير الكبير .

● أما قيام الناس للشخص كلما دخل عليهم فهذا مكروه ، فقد روى البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد في «مسنده» والترمذي في «السنن» وفي «الشمائل» وابن أبي شيبة في «المصنف» وغيرهم من طريق حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم رؤية من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك[٢] .

---

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٧) وأبو داود (٥٢١٧) والترمذي (٣٨٧٢) والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٦٤) وغيرهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت : ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلامًا ولا حديثا ولا جلسة من فاطمة قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته . . . الحديث . ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٦) وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٤ ـ ١٥١ ـ ٢٥٠) والترمذي (٧٥٤) و«الشمائل» (٣٣٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس رضي اللّه عنه به .

وهذا هو الصحيح عن حماد بن سلمة فقد رواه الجمهور عنه على هذا الوجه ، وهذا إسناد نظيف لا يشوبه شيء سوى عنعنة حميد عند من اعتبرها من العلماء .

وقد روي الحديث من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، كما عند أحمد (٣/ ١٣٤) ، وروي من طريق حماد بن سلمة كما عند أحمد (٣/ ١٣٢) عن أنس مباشرة ، والصحيح : حماد عن حميد عن أنس كما قدمناه إذ هي رواية الجمهور عن حماد ، واللّه أعلم .

وأيضًا فإن هذا القيام المستمر للشخص كلما دخل قد يقذف في قلبه العجب ، وقد يتبرم ويتضايق إذا لم يقم له الناس فيقع في المحظور ، فإن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه قال : «**من سره أن يَمْثُل**[1] **له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»[2].

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال البغوي رحمه اللَّه في «شرح السنة» (١٢/ ٢٩٥) :

(بعد ذكره لحديث معاوية) .

قال : وهذا فيمن سلك فيه طريق التكبر فأما القيام على وجه الاحترام فغير مكروه ، فقد قال النبي ﷺ لبني قريظة حين أقبل سعد : «**قوموا إلى سيدكم**» .

وقال ابن العربي رحمه اللَّه «أحكام القرآن» (٣/ ١١٠٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] :

---

(١) يمثل أي : يقوم وينتصب .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧) وأحمد (٤/ ٩١ و ٩٣ و ١٠٠) وأبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وعبد بن حميد (٤١٣) وغيرهم بإسناد صحيح من طريق أبي مجلز قال : إن معاوية خرج وعبد اللَّه بن عامر وعبد اللَّه بن الزبير قعود فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أوزنهما ، فقال معاوية : قال النبي ﷺ : «**من سره أن يمثل له عباد اللَّه قيامًا فليتبوأ بيتًا من النار**» .

وانظر : «مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ٣٨) .

وفي رواية عند الحاكم بإسناد صحيح «المستدرك» (١/ ٩٤) : «**ما من رجل يكون على الناس فيقوم على رأسه الرجال يحب أن تكثر الخصوم عنده فيدخل الجنة**» .

يجوز القيام للرجل الكبير بداءة إذا لم يؤثر ذلك في نفسه كما قال النبي ﷺ لجلسائه حين جاء سعد : «**قوموا إلى سيدكم**» فإن أثر فيه لم يَجُزْ عونه على ذلك لما روي : «**من سره أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**» .

وقال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (٤/ ٣٨٣) طبعة الشعب :

قوله ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**» فيه : إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهي عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه، قلت (القائل النووي) : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزءٍ وأجبت فيه عما توهم النهي عنه ، واللَّه أعلم .

• وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٧٤) :

عن النهوض والقيام الذي يعتاده الناس ، من الإكرام عند قدوم شخص معين معتبر ، هل يجوز أم لا ؟ وإذا كان يغلب على ظن المتقاعد عن ذلك أن القادم يخجل ، أو يتأذى باطنًا ، وربما أدى ذلك إلى بغض وعداوة ومقت ، وأيضًا المصادفات في المحافل وغيرها ، وتحريك الرقاب إلى جهة الأرض والانخفاض ، هل يجوز ذلك أم

يحرم ؟ فإن فعل ذلك الرجل عادة وطبعًا ليس فيه له قصد ، هل يحرم عليه أم لا يجوز ذلك في حق الأشراف والعلماء ، وفيمن يرىٰ مطمئنًا بذلك دائمًا هل يأثم علىٰ ذلك أم لا ؟ وإذا قال : سجدت للَّه هل يصح ذلك أم لا ؟

فأجاب : ـ

الحمد للَّه رب العالمين . لم تكن عادة السلف علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين : أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قد قال أنس بن مالك : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهته لذلك ، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له ، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة ، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ : «قوموا إلىٰ سيدكم» ، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة لأنهم نزلوا علىٰ حكمه .

والذي ينبغي للناس : أن يعتادوا اتباع السلف علىٰ ما كانوا عليه علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ ، فإنهم خير القرون ، وخير الكلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورىٰ ، وهدي خير القرون إلىٰ ما هو دونه . وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه ، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد . وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحوه تلقيًا له فحسن .

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن

ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له ، لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء ، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة : فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : **«من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»** فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ؛ ولهذا فرقوا بين أن يقال قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام ، بخلاف القائم للقاعد .

وقد ثبت في «صحيح مسلم» : أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدًا في مرضه صلوا قيامًا أمرهم بالقعود : وقال : **«لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا»** ، وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد ، لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود .

وجماع ذلك كله الذي يصلح : اتباع عادات السلف وأخلاقهم ، والاجتهاد عليه بحسب الإمكان . فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٩)[1] في تعليقه على قول النبي ﷺ : «قوموا إلى سيدكم» :

---

(١) ولمزيد بحث انظر : ما كتبه الحافظ ابن حجر في الموطن المشار إليه فقد أفاد وأجاد رحمه الله .

قال ابن بطال : ـ

في هذا الحديث أمر الإمام الأعظم بإكرام الكبير من المسلمين ومشروعية إكرام أهل الفضل في مجلس الإمام الأعظم والقيام فيه لغيره من أصحابه وإلزام الناس كافة بالقيام إلى الكبير منهم . باختصار من «الفتح» .

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٨/ ٣٢) :

أما قيام الرجل لإنزال المريض عن مركوبه أو القادم من سفر أو للتهنئة لمن حدثت له نعمة أو لتوسيع المجلس فهو جائز بالاتفاق .

* * *

س ـ الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، وضح ذلك ؟

ج : نعم يُفترض أن الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، فلو أيقن هؤلاء المطففون أنهم موقوفون بين يدي رب العالمين ، ومحاسبون عما قدموه من عمل وعما طففوه من كيل أو وزن لما طففوا المكيال والميزان ، والله أعلم .

وكذلك الاعتقاد الفاسد يحمل على العمل الفاسد ، فاليهود لما اعتقدوا أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات ، وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل ـ سواء عملوا صالحًا أم لم يعملوا ، وسواء أكثروا من الفساد أم لم يُكثروا ـ جرأهم هذا الاعتقاد الفاسد على قتل الأنبياء بغير حق ، وأعرضوا عن التحاكم إلى كتاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤] .

وقد قدمنا مزيدًا من ذلك في آل عمران .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كتاب الفجار ـ سجين ـ مرقوم ـ أساطير الأولين ـ ران ـ صالوا الجحيم ؟

ج :

الكلمة	معناها
كتاب الفجار	كتاب أعمالهم (الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم)
سجين	الأرض السابعة السفلى ـ سجن في الأرض السلفى
مرقوم	مكتوب
أساطير الأولين	ما كتبه الأولون وسطروه

الكلمة	معناهـا
ران	غطى
صالوا الجحيم	داخلوا النار وذائقوها ومصْليِّين بحرها

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿كَلاَّ﴾ في قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] ؟

ج : تقدم أن ﴿كَلاَّ﴾ تطلق للردع والزجر ، ولنفي شيء متقدم ، فالمعنى هنا : ليس الأمر كما يظن هؤلاء المطففون من أنهم غير مبعوثين ولا معذبين .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧ - ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال الفجار موضوع في سجين في الأرض السابعة .

وثمَّ وجه آخر ، وهو : أن كتاب بمعنى مكتوب ، والمعنى : مكتوب كقوله : ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، فالمعنى : مكتوب على الفجار أنهم في سجين .

وليس قوله : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ تفسير لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ .

بل قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [١] جملة اعتراضية ، فالمعنى : كلا إن كتاب الفجار ـ وهو كتاب مرقوم ، أي : مكتوب ـ في سجين وما أدراك ما سجين .

وقد أخرج أحمد في «مسنده»، والطبري في «تفسيره» حديث البراء في الاحتضار بإسناد صحيح ، وفيه أن رسول اللّه ﷺ قال : «... وذكر نفس الفاجر وأنه يُصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ قال : فيقولون : فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له» ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: « ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول اللّه : اكتبوا كتابه في أسفل الأرض في سجين في الأرض السفلى» . لفظ الطبري .

* * *

س ـ اذكر حديثًا يفسر قوله تعالى : ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ؟ اذكر مزيدًا من الإيضاح للآية الكريمة ؟

ج : هو ما أخرجه أحمد والطبري[٢] وغيرهما بإسناد حسن عن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه : وقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩] ليس تفسيرًا لقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨] ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) والطبري (٣٠٤) وغيرهما .

أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «إذا أذنب العبد نُكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظُم في قلبه فذلك الران الذي قال اللَّه : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] » .

• ولمزيد إيضاح فقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] أعمال السوء، إي واللَّه ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودَّ .

• وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام اللَّه ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ، والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» :

قول اللَّه تعالى ذكره : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] .

قال : هو الذنب بعد الذنب . وقال الحسن : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب .

وقال غيره : لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم .

وأصل هذا : أن القلب يصدأ عن المعصية ، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا ، ثم يغلب حتى يصير طبقًا وقفلاً وختْما . فيصير القلب في غشاوة وغلاف ، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتُكِسَ ، فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ، ويسوقه حيث أراد، والمعافى من عافاه اللَّه .

وقال في «شفاء العليل» :

وأما الران : فقد قال اللَّه تعالى : ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤] قال أبو عبيدة : غلب عليها . والخمر ترين على عقل السكران ، والموت يرين على الميت ، فيذهب به ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة وقول عمر : «فأصبح قد رِينَ به» أي : غُلب عليه ، وأحاط به الرَّين .

وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع : أن يطبع على القلب . وهو أشد من الرين . والأقفال أشد من الطبع . وهو أن يقفل على القلب .

وقال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصي منهم ، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها .

وقال أبو إسحاق : ران غَطّى ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين رينًا : أي : غشيه . قال : والرين كالغشاء يغشى القلب. ومثله الغين.

قلت : أخطأ أبو إسحاق . فالغين ألطف شيء وأرقه . قال رسول اللَّه ﷺ : «**وإنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة**» وأما الرين والران : فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها .

وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب ، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه ، فيموت القلب .

وقال مقاتل: غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة، وفي «سنن النسائي» والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء . فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه . وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . وهو الران الذي ذكر اللَّه ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** » قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال عبد اللَّه بن مسعود : «كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود القلب كله» فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينًا على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم . وهو خلق اللَّه فيهم ، فهو خالق السبب ومسببه ، لكن السبب باختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

* * *

رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة :

س ـ هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ، وهل يرى الكفار ربهم ؟ اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : نعم يرىٰ المؤمنون ربهم عز وجل ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ، وقال النبي ﷺ : «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٤) ومسلم (حديث ٦٣٣) من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر قال : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٥) هذا الحديث بلفظ آخر أيضًا وهو : «إنكم سترون ربكم عيانًا» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٧) ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن ناسًا قالوا : يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟» قالوا : لا يا رسول اللَّه ، قال : «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟» قالوا : لا يا رسول اللَّه . قال : «فإنكم ترونه كذلك ...» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن ناسًا في زمن رسول اللَّه ﷺ قالوا : يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول اللَّه ﷺ : «نعم» قال : «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول اللَّه . قال : «ما تضارون في رؤية اللَّه تبارك وتعالىٰ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ...» وذكر النبي ﷺ الحديث مطولاً وفيه : «حتىٰ لا يبقىٰ إلامن كان يعبد اللَّه تعالىٰ من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنىٰ صورة من الصورة التي رأوه فيها قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ باللَّه منك لا نشرك باللَّه شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتىٰ إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقىٰ من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود ، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل ظهره طبقة واحدةً كلما أرد أن يسجد خرَّ علىٰ قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا =

أما الكفار فلا يرون ربهم عز وجل ، قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] .

ربكم ، فيقولون أنت ربنا...» الحديث .

• وأخرج مسلم (١٨١) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك تعالى : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجل» .

وفي زيادة عن مسلم . . . ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد انتقد الدارقطني هذا الحديث على الإمام مسلم رحمه الله .

وحاصل الانتقاد : أن حماد بن زيد ومعمر بن راشد وحماد بن واقد وسليمان بن المغيرة رووه عن ثابت عن ابن أبي ليلى قوله لم يبلغ به صهيبًا ولا النبي ﷺ .

انظر «التتبعات» للدارقطني .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ

س ـ وضح معنى ما يلي :

كلا ـ كتاب الأبرار ـ عليين ـ المقربون ؟

ج :

الكلمة	معناها
كـــــلا	كلا هنا بمعنى حقًّا
كتاب الأبرار	الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار
عليـــــين	السماء السابعة[1]
المقربـــون	الملائكة المقربون

* * *

(١) قال الطبري رحمه اللَّه: والصواب أن يقال في ذلك كما قال جل ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدٍّ قد علم اللَّه جل وعز منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

قلت : وفي حديث البراء الذي أخرجه أحمد بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال . . . فذكر «روح العبد المؤمن فقال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا =

لفتة طيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ :

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : يشهد ذلك الكتاب بأمان الله للبرِّ من عباده من النار وفوزه بالجنة المقربون من ملائكة كل سماء من السماوات السبع . قاله الطبري .

قلت (مصطفى) : وهنا نلفت النظر إلى فائدة طيبة وقيمة تتعلق بهذه الآية الكريمة ولتقريب هذه الفائدة أقول ، وبالله التوفيق :

إن أهل الدنيا إذا كان لأحدهم ابن أو بنت تدرس في المدارس أو الجامعات وكان الولد متفوقًا وكانت البنت كذلك متفوقة ، ثم نجحا في الامتحان وحصلا على أعلى الدرجات فإن الأب يفتخر بذلك غاية الفخر ويحمل شهادة ابنه أو ابنته ويطوف بها على الأصدقاء والجيران قائلاً : انظروا إلى درجات ولدي وابنتي في الاختبار ، فهذه مادة الرياضيات قد أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه مادة اللغة العربية كذلك أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه اللغة الإنجليزية أتى فيها بالامتياز و . . . وهكذا سائر المواد ، فتجد الأب يطير فرحًا بذلك ويعمد إلى هذه

= الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ...» الحديث .

الشهادة فيضعها معلقةً في غرفة استقبال الأضياف !

•• فما ظنك بكتاب الأبرار ، ذلك الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار وأثبتت فيه أقوالهم وكتبت فيه خطاهم وآثارهم ، ترى من يُباهي به ، يباهي به رب العزة سبحانه وتعالى ملائكته المقربين ، فيشهد المقربون هذا الكتاب ويطلعون على ما فيه ، فينظروا إلى ما فيه من صلوات خشع فيها العبد وأحسن فيها القيام وأتم الركوع والسجود .

• وينظروا إلى ما فيها من صيام كيف صام العبد ، ويتعجبون من حفظه لصومه وعدم خوضه في القيل والقال واغتياب المؤمنين والمؤمنات وتركه الرفث والفسوق والصخب ، وكيف كان يصوم الفرض ثم يتبعه بالنفل ، وكيف لا تمر عليه الأيام إلا وإذا شئت أن تراه صائمًا رأيته .

• وينظروا إلى ليل هذا الصيام كيف عُزِّز بالقيام ومُلئ به فينظرون إلى ترتيل العبد واستغفاره بالأسحار وسؤاله ودعائه !!!

• وينظروا إلى ما سُجِّل من دمعات العين حينما ذكر العبد ربَّه خاليًا ففاضت عيناه .

• ينظروا إلى فريضة الحج فيجدون العبد قد أدى الفرض ، بل والنفل كذلك قد تنفَّل !!! وليس الحج فحسب بل والاعتمار كذلك أكثر العبد منه .

• يشهد المقربون ما كتب من آثار الخطا إلى المساجد والإصلاح

بين الناس واتباع الجنائز وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمشي في حوائج المسلمين .

• يشهد المقربون مجالس العلم التي حضرها العبد ، ودروس العلم التي بثها ، ومجالس الذكر التي ذكر العبد فيها ربه عز وجل ، وثواب الآيات التي تليت وأحاديث النبي ﷺ التي بُثت .

• يشهد المقربون آثار الخطا إلى الجهاد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه والثواب الذي أثبت لهذه الأقدام التي اغبرت .

• يشهد المقربون كظمًا للغيظ وعفوًا عن الناس ، بل والإحسان إليهم .

يشهد المقربون كل هذا الخير فيحمدوا اللَّه عز وجل على ما وفق وهدى وعلى ما امتن به وأسدى وعلى ما تفضَّل به وأكرم .

هؤلاء أيها المقربون من ذرية من قلتم : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام في صحف هؤلاء المؤمنين الأبرار من يسبح بحمد اللَّه ويُقدِّس له ؟ !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام أقوامًا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟ !!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام مقربين أمثالكم لم يستنكفوا عن عبادة ربهم والسجود له والخضوع ؟ !!

ألم تجدوا قومًا أيها المقربون لاحت في جباههم آثار السجود ؟!!

ألم تروا الغرَّة والتحجيل بادية على الأيدي والأرجل والجباه من آثار الوضوء ؟ !!

ها هي أيها المقربون دماء شهداء قد سالت في سبيل اللَّه لإعلاء كلمته ونشر دينه ونصرة رسله !!!

ها هي أيها المقربون أموالٌ قد أنفقت في سبيلي وابتغاء مرضاتي!!!

انظروا واشهدوا أيها المقربون إلى ما أُثبت في هذه الصحف والكتب من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة آي الذكر الحكيم!!

يشهد المقربون كل هذا في كتب الأبرار الموضوعة في عليين فيحمد المقربون ربهم عز وجل على ما من به على أوليائهم من المؤمنين فيدعون بهم بتمام النعمة قائلين : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٨ - ٩] .

لا يكاد يجد الملائكة المقربون شيئًا يُشين صحف الأبرار ، وإن وجدوا بادروا بالاستغفار طلبًا لمحوه وإزالته حتى تبقى الكتب ـ كتب الأبرار ـ ناصعة بيضاء إلى يوم التلاق ، إن وجدوا ذنبًا زلت فيه قدم البر المتقي قالوا كما ذكر اللَّه سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] ، وكما أخبر سبحانه بقوله : ﴿.. وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

- فياله من فضل ! وياله من أجر ! وياله من خير ! ويالها من سعادة ! وياله من نعيم !

- ما أجمل العمل الصالح الذي يرضي اللَّه عن صاحبه !

- ما أفضل التواضع الذي يزيد صاحبه رفعة !

- ما أسعد العبد إذا مات موحدًا للَّه رب العالمين ، قد اجتنب الرجس من الأوثان واجتنب قول الزور .

هنيئًا ثم هنيئًا لمن أسلم وحسنت سريرته ومات على الإسلام محبًّا لأهل الإسلام ولدين الإسلام وللنبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين .

نسأل اللَّه أن لا يحرمنا الأجر ، ونسأله أن لا يحملنا الوزر ونسأله سبحانه أن يقبل كتبنا في عليين وأن يلحقنا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

* * *

س ـ لماذا خصَّ كتاب الأبرار بشهود المقربين ؟

ج : قال ابن القيم رحمه اللَّه [1] :

أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية . وخص تعالى كتاب الأبرار : أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين . ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار ، تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهارًا له وإظهارًا لمكانتهم بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة ، تنويهًا باسم المكتوب له ، وإشهارًا بذكره . وهذا نوع من صلاة اللَّه سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

«التفسير القيم» .

﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الأرائك ـ نضرة النعيم ـ رحيق ـ مختوم ـ مزاجه ـ تسنيم ـ يشرب بها ؟

ج :

الكلمة	معناها
الأرائك	الأريكة هي السرير الموضوع في الحجلة، والأرائك الأسرة في الحجال ، والحجلة بالتحريك بيت مربع من الثياب الفاخرة يسمى في عرف الناس بالناموسية
نضرة النعيم	حسن النعيم ـ بريقه وتلألؤه ـ النور ـ الحسن ـ البياض ـ البهجة ـ أثر النعيم
رحيق	الرحيق المراد به الخمر، وقيل: هي الخمر البيضاء، لقوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ﴾ [الصافات: ٤٥، ٤٦] .

الكلمة	معناها
مختوم	ممزوج ـ مغلق عليه خاتم (يعني : مغلق تمامًا لم يقربه أحد) ـ آخره مختوم بالمسك
مزاجه	خليطه
تسنيم	عين يأتي منها شراب هو أفضل الشراب الذي يشربه المقربون
يشرب بها	يشرب منها

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] بشيء من التفصيل .

ج : إيضاحه : أن الرحيق وهو الخمر مختوم ، وفي مختوم جملة أقوال :

أحدها : أنه مخلوط ، خليطه مسك ، أي : أنهم يشربون من الخمر المخلوط برائحة المسك لا خمر كريه الرائحة .

الثاني : أنه مختوم مغلق فيؤتى إليهم بكئوس الخمر وزجاجات الخمر مغلقة لم يقربها أحد غلقها بمسك .

لكن يرد على هذا الوجه قوله تعالى : ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ

لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] والأنهار لا تغلق ولا تختم ، لكن وجه الإجابة على ذلك : أنهم يشربون الخمر أنواعًا فمنه خمر في زجاجات مختومة ومنه خمر من أنهار .

الثالث : أنه مختوم ، أي : نهايته مختومة برائحة المسك ، أي : أن شاربه بعد أن ينتهي من شربه تبقى فيه رائحة المسك تصاحبه .

الرابع : أنه مختوم غير مخلوط بشيء يفسده إنما فقط ختم بالمسك والله أعلم .

* * *

س ـ وضح بمزيد من التفصيل قوله تعالى : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن هذا الرحيق الذي يشربه الأبرار مزاجه أي : خليطه ، من تسنيم ، أي : أن خمر الأبرار يخلط لهم بشيء من تلك العين التي هي التسنيم ، وهي عين خاصة بالمقربين فيشرب منها المقربون صرفًا (أي : صافية خالصة غير ممزوجة) ، كما قال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] وتمزج لأصحاب اليمين (الذين هم الأبرار) مزجًا أي : تمزج بغيرها لأصحاب اليمين ، وهي إنما تُمزج بالرحيق لقوله تعالى في الرحيق المختوم : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ، والآية كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦] ، فالأبرار يشربون من كأس

خليطها من الكافور ، والكافور عين يشرب بها عباد اللَّه (الذين هم المقربون) صرفًا أي خالصة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ؟

ج : الآية في معنى قوله تعالى : ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] ، أي : ليجتهد المجتهدون ويسعى الساعون في عمل القربات والطاعات التي تقربهم من اللَّه تعالى وليحذورا من التطفيف الذي يبعدهم عن مثل هذا الفضل والنعيم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وبين أول السورة ؟

ج : قال عطية سالم حفظه اللَّه في تتمته لأضواء البيان :

وفي هذه الآية الكريمة لفت لأول السورة إذا كان أولئك يسعون لجمع المال بالتطفيف فلهم الويل يوم القيامة ، وإذا كان الأبرار لفي نعيم يوم القيامة، وهذا شرابهم فهذا هو محل المنافسة لا في التطفيف من الحب أو أي مكيل أو موزون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

س ـ وضح معاني هذه الكلمات :

يتغامزون ـ انقلبوا ـ فكهين ـ ثوِّب ؟

ج :

الكلمة	معناها
يتغامزون	يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم ـ يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به
انقلبوا	رجعوا
فكهين	معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية ونعيم الدنيا يتفكهون بذكر أهل الإيمان والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم
ثوِّب	جُوزي

* * *

س ـ عادة أهل الكفر والنفاق السخرية من أهل الإيمان وإيذاؤهم دلّل على ذلك ببعض الأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٢] .

● وقوله تعالى في شأن قوم نوح : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨].

● وكذلك قولهم : ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] .

● وقول أهل الكفر في شأن أهل الإيمان : ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

● وقوله تعالى في شأن أهل النفاق : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ.. ﴾ [التوبة: ٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ [البقرة: ٢١٢] .

● وقول أهل الكفر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] .

• ويقول تعالى للكفار يوم القيامة : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١٠] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١] .

ومن ذلك أيضًا :

• ما أخرجه البخاري [١] ومسلم من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزورٍ [٢] فقذفه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ، فقال النبي ﷺ : «اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤) ومسلم (١٧٩٤) والنسائي (١/ ١٦٢) .

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٥٠) : «والجَزور من الإبل ما يجزر أي : يقطع ، وهو بفتح الجيم ، والسَّلى مقصور بفتح المهملة ، هي الجلدة التي يكون فيها الولد ، يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الآدميات فالمشيمة . وحكى صاحب «المحكم» أنه يقال فيهن أيضًا سلى» .

هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ـ أو أبي بن خلف» ـ شعبة الشاك [١] ـ فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، فألقوا في بئرٍ غير أمية بن خلف أو أُبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر .

● وأخرج البخاري [٢] أيضًا من طريق عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ؟! .

● وأخرج البخاري [٣] من طريق عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : «لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب [٤]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني، فقال : إن اللَّه قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اللَّه إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليَّ ، ثم

---

(١) شعبة هو أحد رواه الحديث .

(٢) البخاري حديث (٣٨٥٦) وأشار البخاري عقب إخراجه إلى بعض الوجوه في سند الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١) .

(٤) هو مكان ، وهو ميقات أهل نجد .

قال: يا محمد ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [١]» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج اللَّه من أصلابهم من يعبد اللَّه وحده لا يشرك به شيئًا» .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٣٢] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن الكفار إذا رأوا أهل الإيمان وما هم عليه من الإيمان باللَّه والتصديق برسول اللَّه ﷺ وإيثارهم الآخرة على العاجلة وصفوهم بأنهم ضُلَّال في تركهم الشرك وتركهم نعيم الدنيا ورغبتهم فيما عند اللَّه .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ [المطففين: ٣٣] ؟

---

(١) قال الحافظ «فتح الباري» (٦/٣١٦) : قوله : (الأخشبين) بالمعجمتين هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله ، وكأنه قعيقعان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال : هو ثور كالكرماني ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يراد أنهما يصيران طبقًا واحدًا .

قلت : وفي الحديث أن الابتلاء النفسي أشق على الإنسان من الابتلاء البدني ، فالنبي ﷺ شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته ، ومع ذلك فما لقيه من ابن عبد ياليل بن عبد كلال من عدم إجابته إياه أشق مما حل به يوم أحد ، صلوات اللَّه وسلامه عليه .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هؤلاء المجرمين كانوا إذا رأوا أهل الإيمان وصفوهم بالضلال فقالوا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢] فنقم الله عليهم هذه المقولة وقال: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي: إنكم معشر المجرمين ما أرسلتم رقباء على عبادي ولا حفظة لأعمالهم ولا كتبة لهم، إنما كلفتم الإيمان بي والعمل بطاعتي وليس لكم شيء وراء ذلك، فلماذا شغلتم أنفسكم بعبادي وجعلتموهم نصب أعينكم تحكمون عليهم بما شئتم وتصفونهم بما أردتم !!، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] ينظرون إلى ماذا؟

ج: ينظرون إلى الكفار وهم يعذبون في النار فيضحكون منهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٥].

* * *

س ـ في الآيات الكريمة ما يفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ وضح ذلك واذكر عدة أدلة توضح أن الجزاء من جنس العمل؟

ج: إيضاحه: أن المجرمين لما سخروا من أهل الإيمان في الدنيا وضحكوا منهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] ، كانت العقوبة في الآخرة أن أهل الإيمان وهم في الجنة يضحكون يوم القيامة من أهل الكفر وهم يعذبون في النار، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ .. ﴾ [المطففين: ٣٤].

● ومن الأدلة على أن الجزاء من جنس العمل :

● قول نوح عليه السلام : ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨] .

● وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] .

● وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] .

● وقوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٩) والترمذي (٢٤٩٢) بإسناد حسن ، وقد تقدم بطوله انظر تفسير سورة البقرة (٣/ ٥٣٤) .

• وقوله عليه السلام : «من يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا و الآخرة»[١].

• وقوله تعالى في الحديث القدسي : «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»[٢].

* * *

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : هو استفهام تقريري .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : هل جوزي الكفار وحوسبوا على ما كانوا يفعلونه ويسخرون به من المؤمنين ويقابلونهم به من الاستهزاء

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس اللَّه عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل اللَّه له به طريقًا إلى الجنة..» الحديث .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٤٩٧) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «قال اللَّه : ....» فذكره .

والتنقيص أم لا ؟ فالمعنى أنهم قد جوزوا أوفر الجزاء وأتم الجزاء وأكمل الجزاء .

والمعنى بتعبير آخر: هل رأيتم يا أهل الإيمان بعد أن أسكنكم اللّه الجنان وأضحككم من الكفار أن الكفار قد جوزوا بما يستحقوه أم لم يُجازوا ؟ !

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

انشقت ـ أذنت ـ حقت ـ مدت ؟

ج :

الكلمة	معناها
انشقت	تصدعت ـ تقطعت فكانت أبوابًا [1]
أذنت	سمعت وأطاعت ، والأذن بمعنى الاستماع ، ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ .. ﴾ [التوبة: ٦١] أي : سمّاع لما يقال له ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن» ، وقول الشاعر : صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بسوءٍ عندهم أذنوا

(١) قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

الكلمة	معناها
حقت	حقق اللَّه عليها الاستماع ـ حقيق بها أن تستمع ، أي: جدير بها أن لا تمتنع مما أراده اللَّه بها
مدت	بسطت وزيد في سعتها ودكت جبالها ودك كلٌّ أمت عليها فأصبحت كما قال تعالى : ﴿لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَتْ ما فيها وتخلَّت﴾ [الانشقاق: ٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن الأرض لما مدت وبسطت ألقت أثقالها وما فيها من الموتى على ظهرها وتخلت عنهم ، فألقت الأموات الذين دفنوا فيها على ظهرها كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤] .

● وتلقي أيضًا ما بداخلها من المعادن وغيرها كما في «صحيح مسلم» [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٣) .

رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا» .

فتخلت الأرض عنهم بعد أن كانت لهم كفاتًا أحياء وأمواتًا ، وبعد أن كانت لهم مهادًا لفظتهم وتخلت عنهم ، وهذا ـ كما قال بعض العلماء ـ مما يزيد في رهبة الموقف وشدته والتضييق على العباد ، وأن لا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى الله ، كما قال تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١١، ١٢] .

* * *

س ـ ما هو جواب قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] مؤخر ، والمعنى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ...﴾ [الانشقاق: ٦] ، إذا السماء انشقت ، أي : عند انشقاق السماء .

● ومن أهل العلم من قال : إن الجواب محذوف ، وقد فهم من آيات أخر ، فالمعنى : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدم وأخر من خيرٍ أو شر .

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

كادح ـ كدحًا ـ ينقلب ـ يدعو ثبورًا ـ يحور ؟

ج :

الكلمة	معناها
كادح	عامل
كدحًا	عملاً
ينقلب	يرجع
يدعو ثبورًا	يدعو على نفسه بالثبور وهو الهلاك
يحور	يرجع

* * *

س ـ ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه . . ﴾ [الانشقاق : ٧] ؟

ج : المراد بالكتاب كتاب الأعمال .

* * *

س ـ ما المراد بالحساب اليسير في قوله تعالى : ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ [الانشقاق : ٨] ؟

ج : المراد بالحساب اليسير : العرض ؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة [١] رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ليس أحد يحاسب إلا هلك» ، قالت : قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قال: «ذاك العرض ، يُعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك» .

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها : أن المراد بالعرض : عرض الناس على الميزان . ومنها : أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها .

وأصحها : عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له ، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن عمر

---

(١) وأخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩) ومسلم (حديث ٢٨٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ أي رب أعرف ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الخلائق : الذين[1] كذبوا على ربهم» .

* * *

س ـ من المراد بالأهل في قوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق : ٩] ؟

ج : هم أهله الذين أعدهم اللَّه له في الجنان من الحور العين وأهله من أهل الصلاح الذين كانوا معه في الدنيا وسبقوه إلى الجنة من زوجات وأولادٍ وآباء وأمهات وعشيرة وأصدقاء .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى في شأن الكافر : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة : ٢٥] ، وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق : ١٠] ؟

ج : لا تعارض فالكافر يؤتى كتابه بشماله ويده وراء ظهره .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم

---

(١) في مسلم ترتيب محمد فؤاد (هؤلاء الذي . . .) والصواب ما أثبتناه .

بشمائلهم وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهروهم .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق: ١٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أن هذا الكافر كان في دنياه وسط أهله مسرورًا بكفره وضلاله وخلافه لأمر اللَّه وارتكاب المعاصي .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ ﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٥] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : بلىٰ ليحورن وليرجعن إلىٰ ربه وليبعثن.

فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

س ـ وضح معنى ما يأتي :

الشفق ـ وسق ـ اتسق ـ طبقًا عن طبق ـ يوعون ـ ممنون ؟

ج :

الكلمة	معناها
الشفق	الحُمرة التي تبقى في السماء بعد غروب الشمس من ناحية غروب الشمس إلى وقت العشاء[1]

(١) ويؤيد ذلك حديث رسول الله ﷺ : « وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق » أخرجه مسلم (ص ٤٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .
وقال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : هو النهار .. ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرًا والليل مقبلاً ، وأما الشفق الذي تحل به صلاة العشاء فإنه للحمرة عندنا .

الكلمة	معناها
وسق	جمع وحوى ـ ضم ـ لف ـ آوى
اتسق	اكتمل ـ تمَّ واستوى ـ تكامل نوره ، ويكون ذلك ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وست عشرة
طبقًا عن طبق	حالاً بعد حال
يوعون	يكتمون ـ يُسرون
ممنون	مقطوع

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] ؟

ج : أولاً وباختصار فمعنى قوله تعالى : ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي : حالاً بعد حالٍ ، ولكن ما المراد بالحال الأولى وما المراد بالحال الثانية فلأهل العلم في ذلك أقوال مبنية على القراءة في قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فمن القراء من قرأها بفتح التاء (المثناة الفوقانية) وفتح الباء (الموحدة التحتانية) لتَركبَن ، والذين قرأوها على هذا النحو لهم فيها تأويلات :

● أحدها : أن هذا خطاب لرسول اللّه ﷺ ، والمعنى على هذا له وجوه :

الوجه الأول : لتركبن يا محمد حالاً بعد حال[1]، أي: أن الأحوال ستمر بك يا محمد من حال فقرٍ إلى حال غنى ، ومن حال ضعف إلى حال قوة وظفرٍ وغلبةٍ على المشركين المكذبين بالبعث ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ...﴾ [الضحى: ٦ - ٨] .

الوجه الثاني : أن المراد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، وقد فعل اللّه ذلك به ليلة المعراج ، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥] .

الوجه الثالث : لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب إلى اللّه عز وجل ..

● التأويل الثاني : أن المراد بقوله : لتركبن : هي السماء ، فالمعنى : أن السماء تتغير أحوالها فمرة تكون كالدهان ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] ، ومرة تَشَقَّقُ بالغمام ، كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ، ومرة تنفطر ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ...﴾ [الانفطار: ١] ، وتتغير السماء من لونٍ إلى لون .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ . يعني نبيكم ﷺ حالاً بعد حال . وبإسناد صحيح عنه أيضًا ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال : محمد ﷺ .

• وقرأ فريق آخر من العلماء لتركبُن بفتح التاء (المثناه الفوقانية) وضم الباء (الموحدة التحتانية) وهذا الخطاب في قوله : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ للناس ، والمعنى الإجمالي أولاً : لتمرن بك أيها الإنسان وأيها الناس جملة أمور وأحوال ، وفي بيان هذه الأمور والأحوال جملة أقوال :

• القول الأول : لتمرن بك أيها الإنسان شدائد وأهوال الموت والبعث والعرض والميزان والصراط والجنة أو النار .

• القول الثاني : أن الإنسان يمر بجملة أطوار نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يكسى عظمه لحمًا ثم ينشأ خلقًا آخر ويخرج من بطن أمه ضعيفًا ثم يتقوى ثم يضعف ويشيب ثم يموت ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] .

• القول الثالث : أن المراد أن أحوال الإنسان تتغير بين الدنيا والآخرة فقد يكون وضيعًا في الدنيا ويرفعه اللَّه في الآخرة وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويخفضه اللَّه عز وجل في الآخرة كما قال تعالى في شأن الآخرة : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] ، وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويزداد رفعة كما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] ، وقد يكون وضيعًا في الدنيا ويزداد إذلالاً في الآخرة .

• القول الرابع : أن أحوال الإنسان تتغير في الدنيا من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، ومن غنى إلى فقر ، ومن فقر إلى غنى،

كما قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

● القول الخامس : أن المراد بقوله : لتركبن طبقًا عن طبق : أي: لتتبعن أحوال اليهود والنصارى حالاً من أحوالهم بعد حال ، كما جاء عن رسول اللَّه ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه وراءهم» ، والمعنى أيضًا : لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة .

● قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء ، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد ، وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة ، وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، فالصواب من التأويل قول من قال: (لتركَبَن) أنت يا محمد حالاً بعد حال ، وأمرًا بعد أمرٍ من الشدائد والمراد بذلك، وإن كان الخطاب إلى رسول اللَّه ﷺ موجهًا ، جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أهوالاً .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

قول اللَّه تعالى ذكره : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] .

أي حالاً بعد حال . فأول أطباقه : كونه نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم جنينًا ، ثم مولودًا ، ثم رضيعًا ، ثم فطيمًا ، ثم صحيحًا أو مريضًا ، غنيًا أو فقيرًا ، معافى أو مبتلًى ـ إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت ، ثم يبعث ، ثم يوقف بين يدي اللَّه ، ثم يصير إلى الجنة أو النار .

فالمعنى: لتركبن حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل، وأمرًا بعد أمر.

قال سعيد بن جبير وابن زيد : لتكونن في الآخرة بعد الأولى ، ولتصيرنَّ أغنياء بعد الفقر ، وفقراء بعد الغنى .

وقال عطاء : شدة بعد شدة .

والطبق والطبقة: الحال. ولهذا يقال: كان فلان على طبقات شتَّى. قال عمرو بن العاص: «لقد كنت على طبقات ثلاث» أي: أحوال .

قال ابن الأعرابي : الطبق الحال على اختلافها .

وقد ذكرنا بعض أطباق الجنين في البطن من حين كونه نطفة إلى وقت ميلاده . ثم نذكر الطبقات بعد ولادته إلى آخرها .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥] ؟

ج : هو استثناء منقطع ، وإلا بمعنى لكن ، فالمعنى : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله : ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] ؟

ج : يقول الطبري رحمه اللَّه : يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء

المشركين لا يصدقون بتوحيد اللَّه ولا يقرون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقًا عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده .

• والاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] استفهام إنكاري كما هو واضح .

* * *

س ـ ما هي السجدات التي ثبت بالسند الصحيح أن النبي ﷺ سجد فيها ، اذكر الأدلة في ذلك ؟

ج : الذي وقفت عليه بإسناد صحيح إلى رسول اللَّه ﷺ في ذلك ما يلي :

• سجدة الانشقاق ، فقد أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فقلت : فقال : سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه .

• سجدة النجم ، فقد أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًا من حصى أو تراب ، وقال : يكفيني هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا .

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٢/ ٢٥٠) ومسلم (٥/ ٧٨ مع النووي) .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٥١) ومسلم (٥/ ٧٤ مع النووي) .

● سجدة ص . فقد أخرج البخاري[١] من طريق العوام قال سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ فقال أو تقرأ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠] .

فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ .

● سجدة العلق ، فقد أخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٨/ ٥٤٤) وأبو داود (٢/ ١٢٢) والنسائي (٢/ ١٥٩)

(٢) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) .

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

البروج ـ اليوم الموعود ـ قُتِلَ ـ الأخدود ـ شهود ؟

ج :

الكلمة	معناها
البروج	الكواكب العظيمة [1] ـ القصور ـ النجوم ـ منازل الشمس والقمر [2]

(١) سميت بروجا لظهورها .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يُقال : معنى ذلك والسماء ذات منازل الشمس والقمر ، وذلك أن البروج جمع برج ، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض =

الكلمة	معناها
اليوم الموعود	يوم القيامة[1]
قتل	لُعِن
الأخدود	حفرة مستطيلة تحفر في الأرض
شهود	حضور مشاهدين

* * *

س ـ ما المراد بالشاهد والمشهود ؟

ج لأهل العلم في ذلك ما يقارب أربعة وعشرين قولاً ذكرها ابن الجوزي في « زاد المسير » وذكرها غيره أيضًا ، ومبني كثير منها على حقيقة الشاهد ما هو هل هو الشاهد الذي تثبت به الدعاوي والحقوق أم أن الشاهد بمعنى الحاضر والرائي والمُبصر ؟ .

= مرتفعة ومن ذلك : قول الله : ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] وهي منازل مرتفعة عالية في السماء وهي اثنا عشر برجًا ، فمسير القمر في كل برجٍ منها يومان وثلث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ثم يستسر ليلتين ، ومسير الشمس في كل برجٍ منها شهر .

(١) نقل عدد من العلماء الإجماع على أن المراد باليوم الموعود يوم القيامة .

هذا واليوم الموعود هو الذي وعده الله عز وجل عباده لفصل القضاء وذلك يوم القيامة ، وقد كانوا يوعدونه في الدنيا مؤمنهم وكافرهم قال تعالى في شأن أهل الإيمان : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الانبياء: ١٠٣] .

وكذلك الكفار قال تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ ... هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] .

• فمن العلماء من بنى تفسيره على أن الشاهد بمعنى الحاضر والمُبصر والرائي ، وجاءت تفاسيرهم على هذا المنوال وها هي بعض أقوالهم في ذلك :

الأول : الشاهد هم الخلائق الذي يشهدون [١] يوم القيامة (أي : يحضرون) ، والمشهود يوم القيامة .

الثاني : الشاهد : المصلون الذين يصلون الجمعة ، والمشهود : يوم الجمعة[٢].

الثالث : الشاهد: هم الحجيج الذين يشهدون الحج، والمشهود: يوم عرفة .

---

(١) واستدل لهذا القول بأنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور ؛ فإن الله يجمع فيه الاولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس وسائر الخلائق .

• ويدل عليه أيضًا قوله تعالى في شأن يوم القيامة : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] .

• ويؤيده أيضًا أن الله عز وجل ذكر ﴿الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ثم عقبه بقوله : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] ، قال الرازي : وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر ذلك اليوم من الخلائق ، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب .

(٢) وهذا يتأيد بأن الملائكة تشهد الجمعة ، وذلك كما في البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ...» الحديث وفيه : «فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاءوا يستمعون الذكر» .

الرابع : الشاهد : هم الحجيج ، والمشهود : هو يوم النحر .

الخامس : أن الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : القيامة .

السادس : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وثمَّ أقوال أخر :

● أما الذين قالوا : إن الشاهد من الشهادة التي تثبت بها الحقوق والدعاوىٰ فلهم في التفسير ضروب منها :

● الأول : الشاهد : هو اللَّه سبحانه وتعالىٰ [١] ، والمشهود : هو التوحيد والنبوة[٢] .

● الثاني : الشاهد : محمد ﷺ [٣] ، والمشهود عليه : أمته وسائر الأنبياء والأمم .

---

(١) استدل له بقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، وبقوله تعالىٰ : ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ ، وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] .

(٢) وذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] .

(٣) ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨] ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «يُدعي نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت فيقول : نعم ...» الحديث وفيه : «فيقول : من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا » . أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

● الثالث : أن الشاهد : الأنبياء ، والمشهود عليه : الأمم[١].

● الرابع : أن الشاهد: هم الملائكة ، والمشهود عليه: الأنفس[٢].

● الخامس : الشاهد: هي الجوارح، والمشهود عليه: الإنسان[٣].

هذا وثمَّ أقوال أخر ، وثمَّ أيضًا أقوال ملفقة من القولين معًا .

منها: أن الشاهد: هو اللَّه سبحانه وتعالى، والمشهود: يوم القيامة.

ومنها : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : القيامة ، وثم أقوال أُخر.

● لكن اختار عدد كبير من أهل العلم التعميم منهم الطبري والقاسمي والرازي والسعدي وغيرهم .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إن اللَّه أقسم بشاهد شَهِدَ ومشهود شُهِدَ ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهدٍ وأي مشهود أراد ، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هذا المعنى مما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود .

● **وقال القاسمي في «محاسن التأويل»** : وشاهد وهو كل ما له حس يشهد به ومشهود وهو كل مُحسٍّ يشهد بالحس ، فيدخل فيه العوالم المشهودة كلها ، وتخصيص بعض المفسرين بعضًا مما يتناوله

---

(١) يشهد له أيضًا قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] .

(٢) دليله: قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] .

(٣) دليله : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ..﴾ [فصلت: ٢١] .

لفظهما لعله لأنه الأهم أو الأولى أو الأعرف والأظهر لقرينةٍ عنده وإلا فاللفظ على عمومه حتى يقوم برهان على تخصيصه .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ... ﴾ [البروج: ١] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن جواب القسم مذكور في نفس السورة ، ومنهم من قال : محذوف ويفهم من السياق .

● أما الذين قالوا : إنه مذكور في السورة ، فلهم في تحديده وجوه :

أحدها : أنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] .

الثاني : هو قوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] .

الثالث : هو قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] .

● أما الذين قالوا : إنه محذوف فلهم فيه تقديرات :

أحدها : هو أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود .

الثاني : أن الأمر حق وأنه لابد من الجزاء على الأعمال .

الثالث : لتبلون بأنواع من الابتلاءات كما ابتلي أصحاب الأخدود ولينتقمن اللّه ممن فتنكم أيها المؤمنون ، كما انتقم من الذين فتنوا

المؤمنين والمؤمنات وخدوا لهم الأخاديد .

* * *

س ـ من هم أصحاب الأخدود ؟

ج : هم قوم مجرمون كفار خدوا الأخاديد، أي: حفروا الحفر لأهل الإيمان، وأشعلوا فيها النيران، وألقوا فيها المؤمنين، وقد ورد حديث في هذا المعنى أخرجه مسلم [١] من حديث صهيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه قال : «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم . وكان لهُ ساحرٌ . فلما كبر قال للملك : إني قد كبرتُ . فابعث إليَّ غلامًا أعلمهُ السحرَ . فبعث إليه غلامًا يعلمهُ . فكان في طريقه ، إذا سلكَ ، راهبٌ . فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه . فإذا أتى الساحر ضربهُ. فشكا ذلك إلى الراهب . فقال : إذا خشيت الساحرَ فقلْ : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك فقلْ : حبسني الساحرُ . فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس . فقال : اليوم أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم ! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة . حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها . ومضى الناسُ. فأتى الراهب فأخبره . فقال لهُ الراهبُ : أي بُنيَّ ! أنت اليوم أفضل منيٍّ . قد بلغ من أمركَ ما أرى . وإنك ستبتلى . فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلامُ يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس منْ سائر الأدواءِ . فسمع

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٥) .

(٢) الأكمه الذي وُلد أعمى .

جليسٌ للملك كان قد عمى . فأتاهُ بهدايا كثيرة . فقال : ما ههنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدًا . إنما يشفي اللَّه . فإن أنت آمنت باللَّه دعوتُ اللَّه فشفاكَ . فآمن باللَّه . فشفاهُ اللَّهُ . فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلسُ . فقال له الملكُ : من ردَّ عليك بصركَ ؟ قال : ربِّي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربي وربك اللَّهُ . فأخذهُ فلم يزل يعذبهُ حتى دل على الغلام . فجيءَ بالغلامِ. فقال لهُ الملكُ : أي بنيَّ ! قد بلغ من سحرك ما تُبرئُ الأكمه والأبرص وتفعلُ وتفعلُ . فقال : إنِّي لا أشفي أحدًا . إنَّما يشفي اللَّهُ . فأخذه فلم يزل يعذبهُ حتى دلَّ على الراهب . فجيءَ بالراهبِ . فقيل لهُ : ارجعْ عن دينك . فأبى . فدعا بالمئشار[1]. فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى . فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ به حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا . فاصعدوا به الجبل . فإذا بلغتم ذروته[2]، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوهُ . فذهبوا به فصعدُوا به الجبل . فقال : اللهمَّ ! اكفينهمْ بما شئت . فرجفَ بهم الجبلُ[3] فسقطوا . وجاء يمشي إلى الملكِ . فقال لهُ الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللَّهُ . فدفعهُ إلى نفر من أصحابه

---

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين : ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء . وروي : المنشار ، بالنون . وهما لغتان صحيحتان .

(٢) (ذروته) : ذروة الجبل أعلاه ، وهي بضم الذال وكسرها .

(٣) (فرجف بهم الجبل) : أي : اضطرب وتحرك حركة شديدة .

فقال : اذهبُوا به فاحملوهُ في قرقور [١]، فتوسطوا به البحر . فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به . فقال : اللهمَّ ! اكفنيهم بما شئت . فانكفأتْ بهم السفينة [٢] فغرقوا . وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهمُ اللَّهُ . فقال للملكِ : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمعُ الناس في صعيدٍ [٣] واحدٍ . وتصلبُني على جذعٍ . ثم خذُ سهمًا من كنانتي . ثم ضع السهم في كبدِ القوس [٤]. ثم قل: باسْم اللَّهِ ، رب الغلام . ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمعَ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ . وصلبه على جذعٍ . ثمَّ أخذ سهمًا من كنانته . ثمَّ وضع السهمَ في كبدِ القوسِ ثُمَّ قالَ : باسْم اللَّهِ ، ربِّ الغلامِ . ثمَّ رماهُ فوقع السهم في صدغه . فوضع يده في صدغه في موضع السهمِ . فماتَ . فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . فأتي الملكُ فقيل لهُ : أرأيْت ما كنتَ تحذرُ ؟ قدْ واللَّه نزل بك حذرك [٥].قدْ آمن الناسُ فأمر بالأخدود [٦] في أفواه السكك [٧] فخدَّتْ . وأضرم النيران. وقال : من لم

---

(١) (قرقور) : القرقور : السفينة الصغيرة . وقيل : الكبيرة . واختار القاضي الصغيرة ، بعد حكايته خلافًا كثيرًا .

(٢) (فانكفأت بهم السفينة) : أي : انقلبت .

(٣) (صعيد) : الصعيد هنا : الأرض البارزة .

(٤) (كبد القوس) : مقبضها عند الرمي .

(٥) (نزل بك حذرك) : أي : ما كنت تحذر وتخاف .

(٦) (بالأخدود) الأخدود : هو الشق العظيم في الأرض ، وجمعه أخاديد .

(٧) (أفواه السكك) : أي : أبواب الطرق .

يرجع عن دينه فأحموه فيها [١]. أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها فتقاعستْ [٢] أن تقع فيها . فقال لها الغلام: يا أمَّه ! اصبري . فإنَّك على الحقِّ» .

فوائد متعلقة بهذا الحديث :

ذكر هذا الحديث في «تتمة أضواء البيان» (٩/ ١٤١) وقال صاحب التتمة ما نصُّه :

وقد سقنا هذه القصة وهي من أمثل ما جاء في هذا المعنى ، والتي يمكن أن يستفاد منها بعض الأحكام حيث إن ابن كثير عزاها للإمام أحمد بن حنبل ومسلم ، أي لصحة سندها مرفوعة إلى النبي ﷺ، من ذلك الآتي :

● الأول : أن السحر بالتعلم ، كما جاء في قصة الملكين ببابل هاروت وماروت يعلمان الناس السحر .

● الثاني : إمكان اجتماع الخير مع الشر إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر .

---

(١) (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ : فأحموه ، بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة . ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا . ووقع في بعض نسخ بلادنا . فأقحموه ، بالقاف . وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرهًا . ومعنى الرواية الأولى : ارموه فيها . من قولهم : أحميت الحديدة وغيرها ، إذا أدخلتها النار لتحمى .

(فتقاعست) : أي : توقفت ولزمت موضعها ، وكرهت الدخول في النار .

● الثالث : إجراء خوارق العادات على أيدي دعاة الخير لبيان الحق والتثبت في الأمر ، كما قال الغلام : اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى اللَّه أم أمر الساحر ؟

● الرابع : أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب ، إذ قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك ، فسأل عن أمر الراهب ولم يسل عن أمر الساحر .

● الخامس : اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه كاعتراف الراهب للغلام .

● السادس : ابتلاء الدعاة إلى اللَّه ، ووجوب الصبر على ذلك ، وتفاوت درجات الناس في ذلك .

● السابع : إسناد الفعل كله للَّه ، إنما يشفي اللَّه .

● الثامن : رفض الداعي إلى اللَّه الأجر على عمله وهدايته ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣] .

● التاسع : بيان ركن أصيل في قضية التوسل ، وهو أن مبناه على الإيمان باللَّه ، ثم الدعاء وسؤال اللَّه .

● العاشر : غباوة الملك المشرك المغلق قلبه بظلام الشرك حيث ظن في نفسه أنه الذي شفى جليسه ، وهو لم يفعل له شيئًا ، وكيف يكون وهو لا يعلم ؟ .

● الحادي عشر : اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهلة والجبابرة[١].

● الثاني عشر : منتهى القسوة والغلظة في نشر الإنسان بدون هوادة.

● الثالث عشر : منتهى الصبر وعدم الرجوع عن الدين ، وهكذا كان في الأمم الأولى ، وبيان فضل اللّه على هذه الأمة إذ جار لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها مطمئن بالإيمان .

وقد جاء عن الفخر الرازي قوله : الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى به أن يصبر على ما خوف منه ، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك ، وقال : وروى الحسن أن

---

(١) ومن ذلك : مناقشة فرعون مع موسى أول الأمر بقوله : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩] .

فلما لم يأت بحجة على موسى عليه السلام بدأ في التهديد بالسجن .

ولما فشل فرعون فيما أتى به من سحر ، وألقي السحرة سجدًا ، قال فرعون : ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩] .

وهؤلاء قوم نوح لما عجزوا عن إثنائه عن رأيه وأفحمهم بالحجة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وكذلك قوم لوط : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ ، فقال لأحدهما : تشهد أني رسول اللَّه ؟ فقال : نعم ، فتركه ، وقال للآخر مثله ، فقال : لا ، بل أنت كذاب ، فقتله ، فقال النبي ﷺ : «**أما الذي ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه ، وأما الذي قتل فأخذ بالأفضل فهنيئًا له**»[1] .

وتقدم بحث هذه المسألة للشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه .

● الرابع عشر : إجابة دعوة الغلام ونصرة اللَّه لعباده المؤمنين : اللهم اكفنيهم بما شئت .

● الخامس عشر : التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة حيث دل الغلام الملك على الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان باللَّه ، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو .

● السادس عشر : إبقاء جسمه حتى زمن عمر رضي اللَّه عنه[2] إكرامًا لأولياء الله والدعاة من أن تأكل الأرض أجسامهم .

● السابع عشر : إثبات دلالة القدرة على البعث .

● الثامن عشر : حياة الشهداء لوجود الدم وعودة اليد مكانها بحركة مقصودة .

● التاسع عشر : معرفة تلك القصة عند أهل مكة حيث حُدِّثوا بها

---

(١) هذا الحديث مرسل، ومواسيل الحسن من أضعف المراسيل.

(٢) ولم نقف على مستند صحيح لذلك.

تخويفًا من عواقب أفعالهم بضعفة المؤمنين كما هو موضح في تمام القصة .

● العشرون : نطق الصبي الرضيع بالحق .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : لُعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخاديد التي أشعلوا فيها النار .

* * *

س ـ لماذا وصفت النار بأنها ذات الوقود ؟

ج : وصفت تعظيمًا لشأنها وبيان لشدة وقودها وقوته ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج: ٦] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن الكفار قعود على حافة الأخاديد ينظرون ويشاهدون ما يحدث من عذاب للمؤمنين ويستمتعون بالنظر إليهم وهم يُعذبون .

* * *

س ـ ما هو الذنب الذي اقترفه أهل الإيمان حتى أُلقي بهم في النار؟

ج : ليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا باللّه العزيز الحميد . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

وهذا شيء مطرد ، يُعذب أهل الإيمان وليس لهم ذنب إلا الإيمان.

● قال اللّه سبحانه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] .

● وقال قوم شعيب لشعيب عليه السلام : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ...﴾ [الأعراف: ٨٨] .

● وقال سحرة فرعون لفرعون : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] .

● وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ...﴾ [المائدة: ٥٩] .

● وقال قول لوط : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] .

● وقال قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وقال قوم لوط للوط عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

وقال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ [١] : يا ليتني فيها جَذَعًا ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « أو مُخرجي هم؟ » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي . .

* * *

س ـ اذكر بعض صور الابتلاءات والفتن التي ابتلي بها من كان قبلنا ؟

ج : من ذلك ما يلي :

النشر بالمياشير والتمشيط بأمشاط الحديد .

أخرج البخاري [٢] من حديث خباب بن الأرت رضي اللَّه عنه قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ ـ وهو مُتوسد بَردة له في ظلِ الكعبة ـ قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو اللَّه لنا ؟ قال : **«كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

(٢) البخاري حديث (٣٦١٢) وأبو داود (٢٦٤٩) .

من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، واللَّه ليتمن هذا الأمر[١] حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه أو[٢] الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون» .

● ومن ذلك : الإلقاء في النار والتعذيب النفسي بإلقاء الأولاد في النار أمام أعين آبائهم وأمهاتهم .

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه بسند صحيح لغيره[٣] من

---

(١) الأمر ، المراد به الإسلام .

(٢) في رواية : والذئب على غنمه .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٦٧) : «تنبيه : قوله : «والذئب» هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه لا المستثنى ، كذا جزم به الكرماني ، ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى ، والتقدير : ولا يخاف إلا الذئب على غنمه ؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية ، لا للأمن من عدوان الذئب ، فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى» .

(٣) فله شاهد عند ابن ماجه (٤٠٣٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول اللَّه ﷺ ببعض معناه .

● هذا ، وقد ذكر عدد من أهل العلم أن حماد بن سلمة قد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط انظر : «الكواكب النيرات في معرفة المختلطين من الرواة الثقات» لابن الكيال . وعلى هذا فلا تعويل على ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» تحت رقم (٨٨٠) جـ ٢ ص ٢٧٣ حيث قال : «وقد علمت مما سبق ـ كذا قال ـ أن حماد بن سلمة سمع منه في اختلاطه أيضًا ولا يمكن تمييز ما سمعه في هذا الحال عن ما سمعه قبلها فلذا يتوقف عن تصحيح روايته عنه» . كذا قال . وقد علمت مما أوردناه أن كثيرًا من أهل العلم ذكروا أن حمادًا سمع من عطاء قبل الاختلاط .

حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها ، أتت عليَّ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرىٰ من يديها ، فقالت : بسم اللَّه ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟! قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك اللَّه . قالت : أُخبره بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة ، وإن لك ربًّا غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك اللَّه ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها . قالت له : إن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا . قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله . قال : يا أمه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت» .

● وأُلقي الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فأنجاه اللَّه منها قال تعالىٰ : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

ومن ذلك : الطرد من البلاد ، والإخراج من الدُّور :

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] .

وذكر سبحانه وتعالى مقولة قوم لوط إذ قالوا : ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] .

وقال سبحانه في شأن قوم شعيب : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] .

وقد أُخْرِجَ النبي ﷺ مع أصحابه من مكة ، قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] .

وأخرج الإمام أحمد[1] بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن عدي ابن الحمراء رضي اللَّه عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : «واللَّه إنك لخير أرض اللَّه ، وأحب أرض اللَّه إلى اللَّه عز وجل ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» .

ومن ذلك : فتنة أصحاب الأخدود :

وقول اللَّه عز وجل : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ

---

(١) أحمد «المسند» (٤/ ٣٠٥) والترمذي (٥/ ٧٢٢) وابن ماجة (٣١٠٨) والدارمي (ص ٢٣٩) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (رقم ٤٩٠) .

الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠] .

أقوال أهل العلم في الآية :

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٩٢) : وقوله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين باللَّه عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم ، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٤ - ٧] أي : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] ، أي: وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم باللَّه العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وإن كان قدر على عباده هؤلاء الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال تعالى:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البروج: ٩] من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية .

ثم أورد ابن كثير اختلاف المفسرين في أهل هذه القصة ، وهذا الاختلاف في أصحابها لا يضر فالعبرة قائمة على كل حال .

● وفي «أضواء البيان» (٩/ ١٣٧) :

قال أبو حيان : وجواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قيل : محذوف ، فقيل : لتبعثن ونحوه ، وقيل : مذكور ، فقيل : إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه ، وقيل : قتل ، وهذا نختاره ، وحذفت اللام ، أي : لقتل ، وحسن حذفها كما حسن في قوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ، ثم قال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] أي : لقد أفلح ، ويكون الجواب دليلاً على لعنة اللَّه على من فعل ذلك ، وتنبيهًا لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم .

وإذا كان (قتل) هي الجواب فهي جملة خبرية ، وإذا كان الجواب غيرها فهي جملة إنشائية دعاء عليهم .

وقرئ: قتَّل بالتشديد، قرأها الحسن وابن مقسم، وقرأها الجمهور بالتخفيف. (والأخدود) جمع خد: وهو الشق في الأرض طويلاً. وقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: ٥] الوقود بالضم وبالفتح، والقراءة بالفتح

كالسحور والوضوء فبالفتح ما توقد به كصبور والماء المتوضأ به والطعام المتسحر به ، وبالضم المصدر ، والفعل الوقود بالضم ما توقد به .

ذكر صاحب «القاموس» ، والنار ذات الوقود بدل من الأخدود . وقيل : معناها عدة أقوال ، حتى قال أبو حيان : كسلت عن نقلها » .

● **ومن ذلك : التجويع والتخويف والتهديد :**

قال اللَّه سبحانه : ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾ [المنافقون: ٧] وهذا بالمدينة من فعل أهل النفاق بها ، وقد حُوصر النبي ﷺ بمكة في شعب أبي طالب .

وأخرج أحمد من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**لقد أُوذيتُ في اللَّه عز وجل وما يُؤذىٰ أحدٌ ، وأُخفْتُ في اللَّه وما يخافُ أحد ، ولقد أَتَتْ عليَّ ثلاثةٌ من بين يومٍ وليلةٍ ومالي ولعيالي طعام يَأكُلُهُ ذُو كبدٍ ، إلا ما يُواري إبطُ بلالٍ**» .

● **ومن ذلك : إذلال العباد وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم :**

● قال اللَّه سبحانه : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٤] .

وثمَّ أنواع وصُور أخر من الفتن والابتلاءات قدمناها في مواطنها .

* * *

س ـ وضح وجه ختام الآية بصفتي العزيز الحميد في قوله تعالىٰ :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] ؟

ج : أما الختام بصفة العزيز فلبيان أنه سبحانه قادر على الانتقام ممن ظلم أولياءه المؤمنين إذ هو عزيز لا يغالب ، وإنما أمهل اللَّه سبحانه أهل الظلم استدراجًا لهم من حيث لا يعلمون واتخاذ شهداء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٤، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ... ﴾ [آل عمران: ١٤١] .

أما ختام الآية بالحميد فإشارة إلى أن اللَّه سبحانه يحمد للمؤمنين أفعالهم ويحمد لهم ثباتهم ، وإشارة أيضًا إلى الكفار كي لا ييأسوا من سعة رحمته سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ [البروج: ١٠] فقد أعطاهم المهلة وهذا من صفة الحميد سبحانه وتعالى .

* * *

س ـ اذكر بعض الأمثلة للمدح الذي يأتي بما يشبه الذم ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

ولذلك أيضًا شواهد من أقوال الشعراء .

منها قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ لهن فُلول من قراع الكتائب

وقول الآخر :

ما نقموا من بني أمية إلا ∴ أنهم يحلمون إن غضبوا

وقول الثالث :

ولا عيب فيها غير شكلةِ عينها ∴ كذاك عناق الطير شكلاً عيونها

إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

فتنوا المؤمنين والمؤمنات ـ بطش ـ يُبدئ ـ الودود ـ المجيد*؟

ج :

الكلمة	معناها
فتنوا المؤمنين والمؤمنات	ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بأن عذبوهم بالنار ليصرفوهم عن دينهم ـ عذَّبوا ـ حرَّقوا
بطش	انتقام ـ الأخذ بالعذاب بشدة وعنف [1] ـ

(١) كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] .

الكلمة	معناها
يُبدئ	يبتدئ
الودود	ذو المحبة للتائبين والمطيعين
المجيد	الكريم

* * *

س ـ باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه ولكل من أذى العباد وقتل منهم وشرد ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] فمفهوم الآية الكريمة أنهم إذا تابوا لم يُعذبوا [(١)].

● وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

---

(١) قال الرازي في تفسيره : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠] يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد ، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل عمدًا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس .

● ونقل الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الحسن البصري قوله : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١] .

● وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠] .

● وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] .

● وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥] ففتح لهم باب التوبة بقوله : والله غفور رحيم .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا [١] وفيه : «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا ..» الحديث وفيه : «فغفر له» .

● وأخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ قال : «إن عبدًا أصابَ ذنبًا ـ وربما قال : أذنب ذنبًا ـ فقال: ربِّ أذنبتُ ذنبًا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر فقال ربُّه : أعلمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنبَ ويأخُذُ به ؟ [٣] غفرتُ لعبدي . ثم مكث ما شاء اللَّه ، ثم أصاب ذنبًا ـ أو أذنب ذنبًا ـ فقال : رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخرَ فاغفره فقال: أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذُ به ؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء اللَّه ثم أذنب ذنبًا ـ وربما قال : أصاب ذنبًا ـ فقال: رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال : أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء» [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقد تقدم في البقرة (٢/ ٣٨٨) .

(٢) البخاري حديث (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٣) يأخذ به : أي : يعاقب به .

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧٢) : معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك .

قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربه بالمعاصي ويقول : سيغفر لي ، بل في حق التائب الوجل الخائف من ربه .

● وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث أخر منها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لولا أنكم تذنبون لخلق اللَّه خلقًا يذنبون فيغفر لهم** » أخرجه مسلم [١] ونحوه عنده مسلم أيضًا [٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

● وأخرجه مسلم أيضًا [٣] من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» .

● وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**اللَّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة** » ، وفي لفظ لمسلم: «**للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح**» . ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٨) .

(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٩) .

(٣) مسلم (حديث ٢٧٥٩) .

(٤) البخاري (حديث ٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) .

ونحوه عند البخاري ومسلم[١] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه وعند مسلم[٢] من حديث النعمان بن بشير وله طرق أخرىٰ عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم .

وفي «الصحيحين» ـ وسيأتي تخريجه في هذا الكتاب ـ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم : «**ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ...**» الحديث .

● وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال اللَّه : فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني**» .

* * *

س ـ وضح المراد بعذاب جهنم وعذاب الحريق المذكورين في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن عذاب جهنم وعذاب الحريق كلاهما في الآخرة ، وعذاب جهنم حل بالكفار لكفرهم ، وعذاب الحريق حلَّ بهم لتحريقهم المؤمنين والمؤمنات، فهناك عذاب للكفر (وهو عذاب جهنم) وعذاب علىٰ إيذاء العباد (وهو عذاب الحريق) ، كما قال تعالىٰ : ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**

(١) البخاري (حديث ٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) .

(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٥) .

(٣) «المسند» (٣/ ٢٩) .

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨] فهناك عذاب للكفر ، وعذاب للصد عن سبيل اللَّه ، وكما قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣] .

● **وقال بعض العلماء** : وقيل : إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير ، وقيل : إنهم يعذبون في جهنم بالزمهرير ، ثم يعذبون بعذاب الحريق ، فالأول عذاب ببردها ، والثاني عذاب بحرِّها .

● بينما ذهب فريق من العلماء إلى أن عذاب جهنم في الآخرة وعذاب الحريق إنما حلَّ بهؤلاء الكفار في الدنيا ، وذلك أنهم ـ على حد قول أصحاب هذا الرأي ـ بعد أن حرقوا المؤمنين والمؤمنات في النار التي أوقدوها وأشعلوها في الأخاديد تطايرت النار إليهم (أي : إلى هؤلاء االكفار الذين كانوا قعوداً يستمتعون بلذة النظر إلى المؤمنين وهم يعذبون) فأحرقتهم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ المكره على التلفظ بكلمة الكفر هل الأولى له أن يصبر ولو أدى الصبر إلى القتل أم الأولى أن يتكلم بكلمة الكفر ؟

ج : من العلماء من قال : إن الصبر أولى وإن أدى بالشخص إلى القتل، وذلك لأن أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات صبروا حتى أُلقوا

في النار ولكن يبقى وارداً على هذا القول سؤال وهو هل كان مرخصًا لمن قبلنا في التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه أم أن هذا خاص بأمة محمد ﷺ أعني قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وعلى كل فمن العلماء من قال أيضًا : إن الصبر أولى لأن بلالاً صبر ولم يطاوعهم . وإن كان التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه جائزا ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد من الخبر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ؟

ج : هو بمثابة التسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وكذلك فهو تحذير لأهل الكفر والعناد والفساد . والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] ؟

ج الجمهور من العلماء على أن معنى ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ هو أن الله سبحانه وتعالى يخلق الخلق في الدنيا ثم يُعيدهم أحياء بعد الموت .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] .

وقال سبحانه : ﴿ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [العنكبوت: ١٩] .

• ومن العلماء من قال في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] : أي : يبدأ العذاب ثم يكرره عليهم ، وفي هذا وجهان :

الأول : أن ذلك في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : **«ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس»**[1] .

الثاني : أنهم يعذبون في الدنيا ثم يكرر عليهم العذاب في الآخرة وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل القول الذي ذكرناه عن ابن عباس[2]،وهو أنه يُبدئ العذاب أهل الكفر به ويعيد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] في الدنيا فأبدأ ذلك لهم في الدنيا وهو يعيده لهم في الآخرة .

وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب لأن اللَّه أتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ، فكان للبيان عن معنى شدة بطشه

---

(١) اخرجه مسلم (حديث ٩٩٠) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) قلت : الأثر الذي ذكره عن ابن عباس إسناد واهٍ .

الذي قد ذكره قبله أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحًا وصحة قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكره خبره عن عذابه وشده عقابه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿الْمَجِيدُ﴾ هل هي صفة للَّه سبحانه أم صفة للعرش ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ؟

ج : من العلماء من ضبط المجيد بالرفع على أنها صفة للَّه سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ، ومن العلماء من ضبطها بالكسر على أنها صفة للعرش ، وهما قراءتان معروفتان فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

* * *

س ـ من هم الجنود المذكورين في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧] ؟

ج : هم فرعون وثمود ، والمراد بفرعون : هو وجنوده ، والمراد بثمود : قوم صالحٍ المعروفون ، والمراد بحديثهم : ما وقع منهم من كفرٍ وعناد وضلال وظلمٍ وما وقع بهم من العذاب والنكال .

* * *

س ـ لماذا مُثل بفرعون وثمود دون غيرهما في هذا المقام ؟

ج : قال عطية سالم رحمه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» : قوله

تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٧، ١٨].

بعد عرض قصة أصحاب الأخدود تسلية للمؤمنين وتثبيتًا لهم، وزجرًا للمشركين وردعًا لهم، جاء بأخبار لبعض من سبق من الأمم وفرعون وثمود بدل من الجنود، وهم جمع جند، وهم الكثرة وأصحاب القوة، وحديثه ما قص اللَّه من خبره مع موسى وبني إسرائيل.

وفي اختيار فرعون هنا بعد أصحاب الأخدود لما بينهما من المشاكلة والمشابهة، إذ فرعون طغى وادَّعى الربوبية، كملك أصحاب الأخدود الذي قال لجليسه: ألك رب غيري؟ ولتعذيبه بني إسرائيل بتقتيل الأولاد واستحياء النساء، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم، ولتقديم الآيات والبراهين على صدق الداعية، إذ موسى عليه السلام قدَّم لفرعون من آيات ربه الكبرى فكذَّب وعصى، والغلام قدَّم لهذا الملك الآيات الكبرى: إبراء الأكمه والأبرص بإذن اللَّه، وعجز فرعون عن موسى وإدراكه، وعجز الملك عن قتل الغلام إذ نجاه اللَّه من الإغراق والدهدهة من قمة الجبل، فكان لهذا أن يرعوي عن ذلك ويتفطن للحقيقة، ولكن سلطانه أعماه كما أعمى فرعون.

وكذلك آمن السحرة لما رأوا آية موسى وخروا للَّه سجدًا.

وهكذا هنا آمن الناس برب الغلام، فوقع الملك فيما وقع فيه فرعون. إذ جمع فرعون السحرة ليشهد الناس عجز موسى وقدرته، فانقلب الموقف عليه، وكان أول الناس إيمانًا هم أعوان فرعون على

موسى ، وهكذا هنا كان أسرع الناس إيمانًا الذي جمعهم الملك ليشهدوا قتله للغلام .

فظهر تناسب ذكر فرعون دون غيره من الأمم الطاغية السابقة ، وإن كان في الكل عظة وعبرة ، ولكن هذا منتهى الإعجاز في قصص القرآن وأسلوبه ، والله تعالى أعلم .

وكذلك ثمود لما كان منهم من مظاهر القوة والطغيان ، وقد جمعهما الله أيضًا معًا في سورة الفجر في قوله : ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ٩، ١٠] ، وهكذا جمعهما هنا ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٨] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩] ؟ وما وجه الاستفادة للرسول ﷺ من إطلاعه على حديث الجنود ؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ : ولا يظن ظان أن هؤلاء الكفار لم يأتهم حديث الجنود وما أحله الله بهؤلاء الجنود من العذاب ، وما أنزل بهم من النكال ، بل قد جاءتهم أخبار الجنود وغير الجنود أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] ، وكما قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] : أي : بطريق واضح للمارة الذين يمرون عليه ،

فقد جاءت هذه الأخبار وبلغت الذين كفروا ، ولكنهم مع ذلك كله في تكذيب مستمر وعناد دائم ومخالفة ظاهرة ، كما قال تعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾ [الانشقاق: ٢٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** ﴾ [ص: ٢] ، فهذا شأنهم وذاك دينهم منذ زمن بعيد .

• **ووجه الاستفادة لرسول اللَّه ﷺ من حديث الجنود أن فيه** تسلية لرسول اللَّه ﷺ وجهها أن يُقال : فإن كنت يا محمد قد كذبت من هؤلاء الكفار ، فهذا شأن الكفار مع غيرك أيضًا فهم في تكذيب دائم للرسل : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [الأنعام: ٣٤] ، والأمر الذي يلزمك إذن أن تصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : واللَّه من ورائهم محيط بأعمالهم محصي لها لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها ، وهذا قول الطبري رحمه اللَّه .

الثاني : أن المراد أن اللَّه سبحانه وتعالى قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يُعجزونه ؛ وهذا قول ابن كثير رحمه اللَّه .

الثالث والله من ورائهم محيط ، أي : أنه سبحانه مهلكهم ومعذبهم ، كما قال تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن القرآن الذي تتلوه يا محمد ليس بشعر ولابسجع ولا بكهانة كما وصفوا وزعموا بل هو قرآن مجيد، أي: كريم ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ...﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، والله أعلم .

* * *

س ـ في قوله تعالى : ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢] محفوظ من ماذا ؟ وما المراد باللوح ؟

ج : أما اللوح فمن العلماء من قال : هو أم الكتاب ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ، ومنهم من قال : إنه الكتاب المكنون ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، وهو راجع إلى الأول أما كونه محفوظ ، فمحفوظ من الزيادة والنقصان .

وقيل : محفوظ ، أي : مثبت في اللوح .

وقيل : محفوظ من الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

• وقيل : محفوظ في جبهة إسرافيل ، وقد ورد في ذلك أثر عن أنس رضي اللّه عنه عند الطبري . واللّه أعلم .

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي : ـ

الطارق ـ الثاقب ـ لما عليها ـ دافق ـ الصلب ـ الترائب ـ تبلى السرائر ـ الرجع ـ الصدع ـ فصل ـ بالهزل ـ يكيدون كيدًا ـ أمهلهم ـ رويدًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
الطـــارق	النجم [1]

(١) هذا هو المراد بالطارق هنا ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ =

الكلمة	معناها
الثاقب	المضيء [١]
لَمَّا عليها	إلا وعليها
دافق	مدفوق (أي : مصبوب في الرحم)
الصلب	المراد صلب الرجل وهو فقرات الظهر (ويسميه الناس سلسلة الظهر)
الترائب	صدر المرأة ، وقيل موضع القلادة من صدرها [٢]

= [الطارق: ٢ - ٣] والغالب في إطلاق الطارق أنه يطلق على الآتي ليلاً ، وأُطلق على النجم أنه طارق لأنه يطرق السماء ليلاً (أي : يظهر فيها ليلاً) ، ومن ذلك : قول النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري (٥٢٤٤) من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً**» .

أما ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ وفيه : «**أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**» فهو من باب المجاز عند فريق من أهل العلم .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٤٠) : قال أهل اللغة : الطروق بالضم المجيء بالليل من سفرٍ أو من غيره على غفلة ، ويقال لكل آتٍ بالليل : طارق ، ولا يقال بالنهار إلا مجازاً . . . ثم قال : وسُمي الآتي بالليل طارقًا لأنه يحتاج غالبًا إلى دق الباب ، وقيل : أصل الطروق السكون ، ومنه : أطرق رأسه ، فلما كان الليل يسكن فيه سمي الآتي فيه طارقًا .

● وهل المراد بالنجم نجم واحد معلوم أم جنس النجوم التي تظهر في السماء ليلاً ، للعلماء في ذلك قولان .

(١) **قال بعض أهل العلم** : وأطلق عليه الثاقب لأنه يثقب ظلمة الليل فينفذ فيها ، وقيل : لأنه يثقب الشياطين إذا أُرسل عليها .

(٢) **قال ابن القيم رحمه اللَّه** («التفسير القيم» ص ٥١٠) :

قال الزجاج : قال أهل اللغة أجمعون: التربة، موقع القلادة من الصدر، والجمع : ترائب. =

الكلمة	معناها
تبلى السرائر	تظهر الأمور التي كان صاحبها يُسر بها في الدنيا ، وتبدو واضحة فيعلن السر ويشتهر المكنون
الرجع	السحاب فيه المطر ـ المطر وذلك لأن السماء كل عام تأتي بالسحاب فيه ، والمراد بالرجع الرجوع ، والمعني بالرجوع : رجوع السماء كل عام بالسحاب فيه المطر
الصدع	التشقق ، والمعنى : أن الأرض تتشقق بالنبات
فصل	حق
بالهزل	الهزل اللعب واللهو والباطل

= وقال أبو عبيدة : الترائب معلق الحلق من الصدر ، وهو قول جميع أهل اللغة ، وقال عطاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما : يريد صلب الرجل وترائب المرأة . وهو موضع قلادتها ، وهو قول الكلبي ومقاتل وسفيان وجمهور أهل التفسير وهو المطابق لهذه الأحاديث ، وبذلك أجرى اللّه العادة في إيجاد ما يوجده من أصلين ، كالحيوان والنبات وغيرهما من المخلوقات. فالحيوان ينعقد من ماء الذكر وماء الأنثى ، كما ينعقد النبات من الماء والتراب والهواء . ولهذا قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ، فإن الولد لا يكون إلا من بين الذكر وصاحبته .

ولا ينقض هذا بآدم وحواء أبوينا ، ولا بالمسيح ، فإن اللّه سبحانه خلط تراب آدم بالماء حتى صار طينًا ، ثم أرسل اللّه الهواء والشمس عليه حتى صار كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح ، وكانت حواء مُستَلة منه ، وجزءًا من أجزائه . والمسيح خلق من ماء مريم ، ونفخ الملك . فكانت النفخة له كالأب لغيره .

الكلمة	معناها
يكيدون كيدا	يمكرون مكرًا
أمهلهم	أنظِرْهُم واصبر عليهم
رويدًا	قليلاً

* * *

س ـ لماذا أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالسماء والطارق ؟

ج : أقسم بهما سبحانه ـ والعلم عند اللَّه ـ لِكبَرِ حجمهما وعِظَم أمرهما .

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قوله تعالى : ﴿وما أدراك﴾ ، وبين قوله تعالى : ﴿وما يدريك﴾ ؟

ج : نقل القرطبي عن سفيان قوله: كل ما في القرآن «وما أدراك» فقد أخبره به ، وكل شيء قال فيه : «وما يدريك» لم يخبره به .

ونقل عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» هذا الكلام ثم قال : والواقع أنه الغالب ، فقد جاءت : وما أدراك ثلاث عشرة مرة ، كلها أخبره بها إلا واحدة ، وهي في الحاقة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] وما عداها ، فقد أخبره بها ؛ وهي : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي

وَلا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨] .

وفي المرسلات : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٤] .

وفي الانفطار : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩] .

وفي المطففين : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٨، ٩] .

وفي البلد : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٢، ١٣].

وفي القدر : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

وفي القارعة : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣] .

وأيضًا : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩ - ١١] .

وفي هذه السورة : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢، ٣] ، فكلها أخبره عنها إلا في الحاقة .

وقال رحمه اللَّه أيضًا :

تنبيـــه :

يلاحظ أنها كلها في قصار السور من الحاقة وما بعدها ، أما ما يدريك ، فقد جاءت ثلاث مرات فقط : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٣] ، فلم يخبره فيها صراحة، إلا أنه في الثالثة قد يكون أخبره لأنه قال : ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ فهو وإن لم يصرح هل هو تزكى أم لا ، إلا أن لعل من اللَّه تعالى للتحقيق ، كما هو معلوم.

* * *

س ـ ما المراد بالحافظ في قوله تعالى : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن الحافظ هو اللَّه سبحانه وتعالى .

الثاني : أن الحافظ ملك من الملائكة ، ولأهل العلم في ذلك أيضًا قولان :

أولهما : أن هذا الحافظ ملك يحفظ على العباد أعمالهم ويسجلها عليهم ويكتبها لهم ، كما قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] .

ثانيهما : أن الحافظ ملائكة يحفظونه من أمر اللَّه كما قال تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] .

وهم أيضًا يحفظون على العبد عمله ورزقه وأجله فإذا استوفاه قُبض، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ [الطارق: ٥] ولماذا وجه إليه الأمر بالنظر إلى أصل خلقة ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، ووجه الأمر إليه بالنظر في خلقه ليتعرف على قدرة اللّه سبحانه وتعالى في الخلق والبعث والإحياء .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالإنسان عموم بني آدم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه : وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥] تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال تعالى : **﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾** [الروم: ٢٧] .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ رَجْعِهِ ﴾ راجع إلى ماذا ؟

ج : الجمهور[1] من العلماء على أن المراد بقوله : **﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ**

---

(١) **قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» :**

قوله تعالى : **﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾** [الطارق: ٨] .

إنه هنا أي : إن اللّه على رجعه ، الضمير فيه ، قيل : راجع للماء الدافق ، أي : أنه سبحانه قادر على رجع هذا الماء من حيث خرج ، كرد اللبن إلى الضرع مثلاً ، ورد الطفل إلى الرحم ، وهذا مروي عن عكرمة ومجاهد .

وقيل : على رجع الإنسان بعد الموت ، وهذا وإن كان في الأول دلالة على القدرة ، ولا يقدر عليه إلا اللّه ، إلا أن في السياق ما يدل على أن المراد ، هو الثاني لعدة أمور : =

رَجْعِهِ﴾ [الطارق: ٨] أن اللَّه سبحانه وتعالى قادر على إرجاع الإنسان حيًّا بعد إماتته ، بدليل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] .

● ومن العلماء من قال : الضمير راجع إلى الإنسان أيضًا لكن المراد : إرجاعه من حال الكبر إلى الشباب ، ومن حال الشباب إلى حال ، الصبا ، ومن حال الصبا إلى النطفة .

● ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلى المني (الماء الدافق) والمعنى : أن اللَّه عز وجل قادر على إرجاع المني إلى الإحليل

= **الأول** : أن رد الماء لم يتعلق به حكم ولا أمر آخر سوى إثبات القدرة بخلاف رجع الإنسان بعد الموت ، فهو قضية الإيمان بالبعث ، ويتعلق به أحكام يوم القيامة .

الثاني : مجيء القرآن بالخلق الأول ، دليل على الإعادة بعد الموت ، كقوله تعالى في يس : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ـ أي : من ماء دافق ـ ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] ، أي : من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب .

الثالث : أن الأول يحتاج معه إلى تقدير عامل ليوم تبلى السرائر ، نحو اذكر مثلاً ، بخلاف الثاني ، فإن العامل فيه : هو لقادر ، أي : لقادر على رجعه يوم تبلى السرائر .

ونقل أبو حيان عن ابن عطية قوله : وكل من خالف ذلك إنما فر من أن يكون (لقادر) هو العامل في الظرف ، لأنه يوهم أن قدرته على رجعه مقيدة بذلك .

ولكن بتأمل أسلوب العرب يعلم جوازه ، لأنه قال : إنه على رجعه لقادر على الإطلاق أولا وآخرًا ، وفي كل وقت ثم ذكر تعالى : وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار ، لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب للتحذير منه اهـ .

فظهر بذلك أن الضمير في رجعه عائد للإنسان أي: بعد موته بالبعث ، وأن العامل هو لقادر.

وقال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك أن اللَّه على ردِّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا كهيئته قبل مماته لقادر ، وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب لقوله : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] فكان في =

(الذكر) وقادر على إرجاعه إلى الصلب والترائب أيضًا .

ويشهد لهذا القول ما تقدمته من آيات .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] ؟

ج : تقدم شيء من ذلك وقال الطبري رحمه اللَّه :

وعنى بقوله : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تختبر سرائر العباد فيظهر منها يومئذٍ ما كان في الدنيا مستخفيًا عن أعين العباد من الفرائض التي كان اللَّه ألزمه إياها وكلفه العمل بها .

قلت: ومن العلماء من قال: السرائر هي ما في القلوب يجزي اللَّه بها العباد ، ومنهم من قال : من السرائر الصيام والصلاة والوضوء والحيض والنفاس ونحو ذلك ، فإذا أظهر الشخص شيئًا وأسرّ غيره أو على العكس من ذلك ظهر ذلك يوم القيامة ، ويظهر على الوجوه زينًا في الوجوه إن كان خيرًا ، وشينًا في الوجوه إن كان شرًّا ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ١٠] ؟

= اتباعه قوله إنه على رجعه لقادر نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه ، ومنه : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته يوم تبلى السرائر لقادر .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ليس له قوة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله عز وجل وأليم عقابه ، ولا ناصر ينصره .

● **قال القاسمي في «محاسن التأويل»** : يعني أنه فقد ما كان يعهده في الدنيا إذ يرجع إلى قوةٍ بنفسه أو بعشيرته يمتنع بهم ممن أراده بسوء. وناصر حليف ينصره على من ظلمه واضطهده ، ولم يبق له إلا انتظار الجزاء على ما تقدم .

* * *

س ـ وضح المراد بكيد الكفار للمسلمين وكيد الله عز وجل لهم ؟

ج : من ذلك: ما ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» حيث قال : وهكذا الكيد هنا ، أنهم يكيدون للإسلام والمسلمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله يكيد لهم بالاستدراج حتى يأتي موعد إهلاكهم ، وقد وقع تحقيقه في بدر ، إذ خرجوا محادة لله ولرسوله ، وفي خيلائهم ومفاخرتهم وكيد الله لهم أن قلل المؤمنين في أعينهم ، حتى طمعوا في القتال ، وأمطر أرض المعركة ، وهم في أرض سبخة، والمسلمون في أرض رملية فكان زلقًا عليهم وثباتًا للمؤمنين ، ثم أنزل ملائكته لقتالهم . والله تعالى أعلم .

قلت : ومن ذلك كيدهم بإلقاء الشبهات والشكوك وإنكار الحقائق كقولهم : ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقولهم : ﴿ **مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ [يس: ٧٨] ، وطعنهم في رسول الله ﷺ بقولهم : ﴿**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً**

وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥] ، ووصفهم لرسول اللَّه ﷺ بأنه شاعر وكاهن ومجنون ، وتآمرهم على رسول اللَّه ﷺ لقتله ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

• ومن كيد اللَّه لهم : أن اللَّه يمهلهم ليزدادوا إثمًا ثم يأخذهم بشدة ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ، وهو سبحانه يخادعهم كما قال : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ونحو ذلك .

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سبِّح ـ سوَّى ـ المرعى ـ غثاءً ـ أحوى ـ نيسرك لليسرى ـ فذكِّر ـ سيذكَّر ؟

ج :

الكلمة	معناها
سبِّح	عظِّم ـ نزِّه ـ مجِّد
سوَّى	سوَّى الخلق وعدله[1]

(١) قال عطية سالم في « تتمته لأضواء البيان » (٩/ ١٧٦) : والتسوية التقويم والتعديل ، وقد =

الكلمة	معناها
المرعى	النبات الذي تأكل منه الأنعام
غثاءً	هو ما جفَّ من النبات ويَبُس فطارت به الريح
أحوى	أحوى من الحوَّة وهي السواد بعد البياض وبعد الأخضرار من شدة اليبس
نيسرك لليسرى	نسهلك لعمل الخير
فذكر	فعظ
سيذكر	سيتعظ ويعتبر

* * *

خلق الله كل مخلوقٍ مستوٍ على أحسن ما يتناسب لخلقته وما خلق له فخلق السموات فسواها في أقوى بناء ، وأعلى سمك ، وأشد تماسك ، لا نرى فيها من تشقق ولا فطور ، وزيَّنها بالنجوم ، وخلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها وجعلها فراشًا ومهادًا ، وخلق الأشجار فسوَّاها على ما تصلح له من ذوات الثمار ووقود النار وغير ذلك .

وهذه الحيوانات في خلقتها وتسويتها آية ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] .

أما الإنسان فهو في أحسن تقويم ، كل ذلك مما يستوجب حقًّا له سبحانه أن يسبح اسمه في ذاته ، وجميع صفاته ، حيث جمع بين الخلق والتسوية ، فلكمال القدرة والتنزيه عن كل نقص .

س ـ ما هي الصلوات التي كان النبي ﷺ يُكثر فيها من قراءة سبح اسم ربك الأعلى ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرأ سبح اسم ربك الأعلى في الجمعة والعيدين في كثير من الأحيان ، وفي الركعة الأولى من ركعتي الوتر ، وكان يحث أصحابه على القراءة بها أحيانًا في صلاة العشاء ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث النعمان بن بشير قال : كان رسول اللّه ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يومٍ واحدٍ يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين .

وفي «الصحيحين»[2] أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي اللّه عنه ـ لما صلى معاذ بالناس صلاة العشاء وأطال فيها ـ واللفظ لمسلم : **«أتريدُ أن تكون فتانًا يا معاذ إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها ، وسبح اسم ربك الأعلى ، واقرأ باسم ربك ، والليل إذا يغشى»** .

● وأخرج أحمد[3] في مسنده من حديث ابن عبد الرحمن بن أبزى

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٧٨) .

هذا وقد كان النبي ﷺ يقرأ بغيرها أيضًا ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥) ومسلم حديث (٤٦٥) ص ٣٤٠ من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما ، واللفظ المذكور تفرد به مسلم ، أما لفظ البخاري ففيه . . . **«فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى»** .

(٣) أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠٦) بإسناد صحيح ، ورواه أبو داود (٢/ ١٣٧ و ١٣٣) وابن ماجة مختصرًا (١١٧١) والنسائي (٣/ ٢٣٦) من حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبي بن كعب .

عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو اللَّه أحد ، فإذا سلَّم قال : «**سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس**» ورفع بها صوته .

* * *

س ـ هل ورد عن أحدٍ من السلف أنه كان يُسبح إذا قرأ : (سبحان ربي الأعلى) ؟

ج : نعم ورد ذلك بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما فأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه كان يقرأ سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوَّى ، قال:[1] وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣] بمزيد من التفصيل ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قدَّر أقدارًا ثم هدى الخلائق إليها .

● فمن ذلك : أنه سبحانه وتعالى قدر الشقاوة على أقوام والسعادة لأقوام ، ثم هدى أهل السعادة إلى عمل السعداء ، وهدى أهل الشقاوة إلى عمل الشقاوة ، فهدى المؤمنين للإيمان والرشاد ، وهدى الكافرين

---

(١) هذا إسناد الطبري : حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرني أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عمر . . .

إلى الكفر والضلال .

● ومن ذلك : أنه سبحانه قدَّر أرزاقًا وهدى الخلائق إلى أسباب طلب تلك الأرزاق والحصول عليها .

● ومن ذلك : أنه قدَّر العباد ذكرانًا وإناثًا ، ثم هدى الذكر إلى إتيان الأنثى (أي : علمه كيف يجامع أهله) إلى غير ذلك .

والقول بالتعميم أولى .

● **قال الطبري رحمه اللَّه:** والصواب من القول في ذلك عندنا: أن اللَّه عمَّ بقوله (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم السبيل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى الإناث ، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة دال على خصوصه .

● **وقال الشنقيطي «في أضواء البيان»** [1] في تفسير سورة طه عند تفسير قوله تعالى : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] فيه للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضًا ، وكلها حق ، ولا مانع من شمول الآية لجميعها . منها : أن معنى ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] : أنه أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة ، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجًا . وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجًا ؛ فلم يعط الإنسان خلاف خلقه

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩) .

فيزوجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هدى الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء ، كيف يأتيه ، وهدى الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك .

وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما من طريق علي ابن أبي طلحة ، وعن السدي وسعيد بن جبير ، وعن ابن عباس أيضًا ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي : هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطى كل شيء صلاحه ثم هداه إلى ما يصلحه ، وهذا مروي عن الحسن وقتادة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطى كل شيء صورته المناسبة له ؛ فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة ، ولا البهيمة في صورة الإنسان ، ولكنه خلق كل شيء على الشكل المناسب له فقدره تقديراً ، كما قال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة ∴ وكذاك اللَّه ما شاء فعل

يعني بالخلقة : الصورة ، وهذا القول مروي عن مجاهد ومقاتل وعطية وسعيد بن جبير ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل صنف إلى رزقه وإلى زوجه .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع . وكذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها ، كل واحد منها

مطابق لما علق به من المنفعة غير نابٍ عنه . وهذا القول روي عن الضحاك . وعلى جميع هذه الأقوال المذكورة فقوله تعالى : ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو المفعول الأول لـ «أعطى» و «خلقه» هو المفعول الثاني .

وقال بعض أهل العلم : إن «خلقه» هو المفعول الأول ، و«كل شيء» هو المفعول الثاني . وعلى هذا القول ، فالمعنى : أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه ، ثم هداهم إلى طريق استعماله. ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب كسا ، ومنه «أعطى» في الآية لا مانع من تأخيره وتقديم المفعول الأخير إن أمن اللبس ، ولم يحصل ما يوجب الجري على الأصل كما هو معلوم في علم النحو ؛ وأشار له في «الخلاصة» بقوله :

ويلزم الأصل لموجب عرا .. وترك ذاك الأصل حتمًا قد يرى

قال مقيده عفا اللَّه عنه : ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ؛ لأنه لا شك أن اللَّه أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به . ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع . وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به . فسبحانه جل وعلا ! ما أعظم شأنه وأكمل قدرته ؟!

وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] .

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رحمه اللَّه في رسالته في علوم القرآن : أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافًا حقيقيًّا متضادًّا يكذب بعضه بعضًا ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضًا ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله ، وأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة رضي اللَّه عنهم ، وعزاه لجماعة من خيار أهل المذاهب الأربعة . والعلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] ؟

ج : للخوض في تأويل ذلك نورد تساؤلاً آخر ثم نبين بمشيئة اللَّه أقوال العلماء في الإجابة عليه ، ألا وهو : هل المراد سبح اسم ربك الأعلى ؟ أو سبح ربك الأعلى (بدون ذكر اسم) ؟ .

فالآية الكريمة فيها سبح اسم ربك الأعلى ، أي : أن الذي يُسبح هو (اسم ربنا) في هذه الآية الكريمة ، والمعنى: **نزه اسم ربك** يا محمد عن أن تسمى به شيئًا من الأشياء سواه ، ولا تفعل كما يفعل أهل الشرك إذ يشتقون لأسمائهم أسماءً من أسماء اللَّه سبحانه وتعالى فيقولون : اللات ، ويقولون : العزى ، وكما يقول كذاب اليمامة مسيلمةُ عن نفسه : إنه رحمن اليمامة .

ويلتحق بذلك تنزيه اسم اللَّه عن اللهو والباطل كمن يعبث

بأسماء اللَّه ويلهو بها ، أو كمن ينقش أسماء اللَّه على نعال أو على ثياب ممتهنة أو يلقي الأوراق التي فيها ذكر اللَّه على الأرض توطأ بالأقدام ونحو ذلك .

وتسبيح الاسم كما في قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] .

ومن العلماء من قال: إن (اسم) صلة كبيت الشعر المنسوب للبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

● والمعنى عند بعض العلماء: (إلى الحول ثم السلام عليكما)[1].

والمعنى على هذا التأويل : سبح ربك الأعلى : **أي : عظِّم ربك الأعلى الذي لا رب أعلى منه ولا أعظم** ، وقد ورد الأمر بتسبيح اللَّه في قوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ويقال أيضًا : والمراد بتسبيحه هنا : تنزيهه عن كل ما لا يليق به ، فمن ذلك : تنزيهه عن اتخاذ الولد ، كما قال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...﴾ [البقرة: ١١٦] ، وكما قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

---

(١) انظر كلامنا على هذا البيت في سورة الفاتحة .

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

وتنزيهه عن الشريك :

كما قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

● وكما قال تعالى : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] .

● ومن العلماء من قال : إن معنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] : **هو قل : سبحان ربي الأعلى** ، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» إلى الجمهور ، ويُستدل لهذا القول بأن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال : «**اجعلوها في سجودكم**» ، وبأن عددًا من الصحابة كانوا يقولون إذا قرأوا : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] : سبحان ربي الأعلى .

● ومن العلماء من قال : سبح اسم ربك الأعلى : أي صلِّ وأنت له ذاكر .

● ومنهم من قال : كذلك له واخشع له عند ذكره .

● ومنهم من قال : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ : أي : اذكره بالتسبيح كما تذكره بالحمد والتكبير والتهليل ونحو ذلك ، وكل ذلك محتمل ، العلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : سنقرؤك يا محمد هذا القرآن ونعلِّمه لك ونجمعه لك في قلبك فتحفظه فلا تنساه إلا إذا شاء الله .

* * *

س ـ ذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] أوجهًا لإعجاز ، بيِّن هذه الأوجه ؟

ج : من هذه الأوجه ، أن النبي ﷺ كان رجلاً أميًّا ، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ، ومع ذلك حفظ هذا القرآن الكريم بهذا الطول الذي هو عليه فهذا شيء خارق للعادة فيكون ذلك مُعجزًا .

● ومن هذه الأوجه : أن الله عز وجل أخبر بأمرٍ فوقع كما أخبر سبحانه وتعالى، فهذه السورة سورة مكية من أوائل ما نزل بمكة أخبر الله فيها أنه سيقرئه فأقرأه كما أخبر ، وأنزل عليه القرآن كما وعد ، فوجه الإعجاز أنه إخبار بالغيب فوقع كما أُخبر به ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأسباب المعينة على حفظ القرآن وعدم نسيانه ؟

ج : من هذه الأسباب ما يلي :

● تعاهد القرآن ومداومة قراءته ومراجعته ، قال النبي ﷺ [(١)]:

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وفي رواية لمسلم: «... **وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار** =

«إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» .

وقال عليه الصلام والسلام [١]: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها» .

● ومن ذلك : التخفف من الذنوب والمعاصي ، فإن الذنوب والمعاصي تزيل النعم ، وحفظ كتاب اللَّه من أعظم النعم ، وضياعه وذهابه مصيبة من المصائب الكبرى ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

● ومن ذلك أيضًا : التخفف من الهموم والأحزان والتعوذ منها ، فإن الهموم والأحزان تذهب بالذاكرة ، ورب العزة سبحانه وتعالى يقول : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] .

● ومن ذلك : شكر اللَّه عز وجل على هذه النعمة ، فإن الشكر يزيد النعم ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .

● ومن ذلك : طلب الثبات من اللَّه ، فهو سبحانه قادر على إذهابه بعد حفظه ، قال تعالى : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ...﴾ [الإسراء: ٨٦] .

* * *

= ذكره وإذا لم يقم به نسيه» .

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٧٩) مع «الفتح» ومسلم (٦/ ٧٨) مع النووي من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

س ـ هل صح حديث فيما يفعله من أراد أن لا ينسى القرآن بعد حفظه ؟

ج : لا أعلم في هذا الباب حديثًا صحيحًا إلا ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»** ، وفي رواية لمسلم : **«وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه»** .

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها»** .

فاستفيد من هذين الحديثين أن خير وسيلة لتثبيت القرآن في الصدور ـ بعد توفيق اللَّه سبحانه وتعالى ـ هو استذكاره وتعاهده ومراجعته في الصلوات وغيرها .

أما الأحاديث الواردة في أفعال مخصوصة لتثبيت القرآن في الصدور من صلوات وأدعية ونحو ذلك ، ففيها ضعف[٣] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٩) والبخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) .

(٢) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٨) وأحمد (٢/ ٣٩٧) .

(٣) انظر : «تنزيه الشريعة» للكناني (المجلد الثاني/ ١١١) ، و« الموضوعات » لابن الجوزي (٢/ ١٣٨) .

س ـ اذكر آية في معنى قولـه تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج : الآية التي معناها قوله تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ .. ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] .

ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان رسول اللَّه ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يُحرِّك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول اللَّه ﷺ يُحرِّكهما، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه، فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧] ، قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٨] قال : فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه

* * *

س ـ ما هو المعني بالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعلى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد بعضها :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٥) ومسلم (حديث ٤٤٨) .

القول الأول : أن المستثنى هنا هو ما نسخه اللَّه من القرآن فرفع حكمه وتلاوته .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام ينسى بعض الآيات لتعليم أمته ماذا يصنعون إذا نسوا آية ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**»[1] .

القول الثالث: أن النسيان هنا بمعنى الترك، والمعنى: إلا ما شاء اللَّه أن تترك العمل به مما ننسخه .

القول الرابع: أن اللَّه ما أنسى نبيه شيئا، ولكنه سبحانه بيَّن لنبيه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه إذا أراد أن ينسيه أنساه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..** ﴾ [الإسراء: ٨٦] ، والآية كقوله تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [هود:١٠٨] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» : وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء: أن اللَّه تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل اللَّه وإحسانه لا من قوته .

* * *

س ـ المعهود أن يقال : (ونيسر عليك اليسرى) فلما قيل :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٨) ومسلم (حديث ٧٨٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : سمع رسول اللَّه ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : «**يرحمه اللَّه قد أذكرني ...**» .

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] أي : نسهلك للعمل ، ونحو ذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ..﴾ [الليل: ٥ - ٧] ؟ .

ج : الظاهر لي ـ والله أعلم ـ : أن قوله : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] ، أولى بلا شك من قوله (ونيسر عليك اليسرى) ، وذلك لأمور أولها ابتداء : أن الله عز وجل ذكر : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] فهي الأولى لذلك ، ثم يظهر لي أيضًا أن الشخص إذا يُسر للعمل أقبل عليه بانشراح صدر وطيب خاطرٍ فيعمله وهو قرير العين ، فكأن هذا العمل من جبلته[1] وفطرته وليس عملاً تكلفه وعُهد إليه به وأُريد منه أداؤه والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] ؟

ج : أما معنى نيسر ، نسهل ، ونيسرك نسهلك ، ومن العلماء من قال : نسهل عليك .

● أما اليسرى فمن العلماء من قال: هي الجنة ، فيكون المعنى : نسهلك (أو نسهل عليك) للعمل الصالح المؤدي إلى الجنة .

● ومن العلماء من قال: اليسرى الطريقة اليسرى ، أي : التي هي

---

(١) كما أن الملائكة من جبلتها أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

أيسر وأسهل ، ومن العلماء من قال : إن المعنى : نسهلك للطريقة السهلة الميسرة لحفظ كتاب اللَّه وهذا بالنظر إلى الآيات التي قبلها ، فقال تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦ - ٨] : أي : سنوفقك إلى الطريقة اليسرى لحفظ القرآن .

• ومن العلماء من قال قولاً قريبًا من هذا القول ، وهو : سنهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتؤديه .

• ومن العلماء من قال : سنوفقك للشريعة السمحة السهلة ، فنشرع لك شرعًا سمحًا مستقيمًا عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج . واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] ؟

ج : مدار التأويل والتذكير على معنى (إن) في الآية الكريمة ، فلأهل العلم فيها أقوال :

أحدها : أن (إن) بمعنى (حيث) وهذا اختيار ابن كثير رحمه اللَّه فإنه قال : وقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] : أي : ذكِّر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه : ما أنت

بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[١].

وقال علي رضي اللَّه عنه : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّب اللَّه ورسوله[٢].

قلت : فعلى هذا القول ينبغي أن ينظر المُذكر إلى الحالة التي أمامه : هل يُرجى من وراء تذكيرها انتفاع أو لا يرجى ، وهل التذكير سيأتي بمفسدة أعظم أم أن وجه الانتفاع أرجى وأظهر ، ومن ثمَّ يقرر هل يُقدم على التذكير أو لا يُقدم .

● ويشهد لهذا القول العمومات الواردة في اختيار أخف الضررين والمفاسد والمصالح ونحو ذلك .

الثاني : هو أن (إن) بمعنى قد ، فالمعنى فذكر فقد تنفع الذكرى .

الثالث : أن في الآية محذوف دل عليه السياق ، فالمعنى : فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع ، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] : أي : وتقيكم البرد كذلك ، ولكن حذف البرد لدلالة السياق عليه ، فذكر سبحانه أشرف الحالين وهو الانتفاع بالتذكرة ونبه على الأخرى .

● ونقل القرطبي عن الجرجاني قوله : التذكير واجب وإن لم ينفع.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ص ١١ وفي إسناده انقطاع .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٢٧) من طريق معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن عليٍّ بذلك.

• ونقل الشوكاني في «فتح القدير» عن الواحدي قوله : إن نفعت وإن لم تنفع ، لأن النبي ﷺ بُعث مبلغًا للإعذار والإنذار ، فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع .. واختار الشوكاني هذا القول الذي ذهب إليه الواحدي والجرجاني وقال : وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس .

قلت : ويتأيد هذا بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

وقول قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢] .

وقول نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ... ﴾ [نوح: ٥ - ٩] .

• وقال بعض أهل العلم ما حاصله : إن تخلف قوله: (إن نفعت الذكرى) لا تأثير له في التذكير، فالمعنى: (فذكر)، أما قوله: (إن نفعت الذكرى) فهو كقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] في قوله

تعالى : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] .

● ومن هذا الباب : قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: ١٠١] ، فإن القصر جائز[١] وإن لم يوجد الخوف .

وقوله : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ، والرهن جائز مع الكتابة ، وقوله تعالى : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ، والمراجعة جائزة بدون هذا الظن.

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٢] [البقرة: ١٧٢].

● ومن العلماء من فصَّل في مسألة النصح فقال : **إن المدعوين من الناس على أقسام :**

● **القسم الأول** : قسم يترجح لدى الناصح أنهم ينتفعون بالذكرى وهم أهل الإيمان ، فهؤلاء يُذكروا ، كما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] .

● **القسم الثاني** : قسم مقطوع بعدم نفعه كمن بُيِّن له مرارًا وتكرارًا فما وُجد منه إلا السخرية والاستهزاء من الدين ومحاربة أهله ومحاربة الواعظين ، فهذا لا نفع في تذكيره[٣].

---

(١) وقد أوجبه بعض العلماء .

(٢) أشار إلى ذلك الرازي .

(٣) وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي =

● القسم الثالث : قسم يظن أنه قد يتعظ وقد لا يتعظ ، فهذا أيضًا يذكر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى: ١١] يرجع إلى ماذا ؟

ج : الضمير يرجع إلى الذكرى ، فالمعنى : ويتجنب الأشقى الذكرى ، أي : يبتعد عنها ولا ينتفع بها .

* * *

س ـ من المراد بالشقي في قوله تعالى : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى: ١١] ؟

ج : هو الذي كتبت عليه الشقاوة وهو في بطن أمه ، وكتب عليه أنه سيموت على الكفر ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾ [الأعلى: ١٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها

= الْحَيَاةَ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨] .

(أي: في النار الكبرى) في حلقه فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا ، وقيل : لا يموت فيها فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه .

وقال آخرون : قيل ذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوعٍ في شدةٍ شديدة قالوا : لا هو حي ولا هو ميت ، فخاطبهم اللَّه بالذي جرى به ذلك من كلامهم .

ومما يؤيد أنهم لا يموتون فيها ولا يستريحون قوله تعالى : ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وما ورد عن رسول اللَّه ﷺ في ذبح الموت على قنطرة بين الجنة والنار[1] .

---

(١) أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه (٢٨٤٩) قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : ويُقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، =

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «وأما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون .. »[١] .

= قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» ، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا .

(١) أخرج مسلم (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمَّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية .

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : أفلح ـ تزكى ـ تؤثرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
أفلح	فاز ونجح وأدرك مطلبه ونجى من المخاطر
تزكَّى	أسلم وتطهر من الكفر والمعاصي ووحد اللَّه وعمل بشرائعه ـ تكثَّر من التقوى ـ طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة واتبع ما أنزل على الرسول ﷺ ـ أدى ذكاة ماله ـ أدى زكاة الفطر[1] .
تؤثرون	تقدِّمون وتفضلون

* * *

(١) هذه جملة أقوال للعلماء في تفسير تزكَّى ، وبعضها أرجح من بعض فَرُجِّح القول الأول بأن زكاة الفطر لم تكن فرضت بمكة ، والسورة مكية .

س ـ ما المراد بالذكر ، وما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى : ١٥] ؟

ج : أما المراد بقوله : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها : وحد اللَّه سبحانه وتعالى .

الثاني : ذكر اللَّه ودعاه ورغب إليه .

الثالث : ذكر ربه فخافه فعبده وصلى له .

● **أما المراد بالصلاة** هنا فللعلماء فيه أقوال :

أحدها : أن المراد صلى الصلوات الخمس .

الثاني : أن المراد صلى صلاة تطوع .

الثالث : أن المراد صلى صلاة العيدين[1] .

الرابع : أن المراد بالصلاة الدعاء . واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .. ﴾ [الأعلى : ١٦] ومن المخاطب بها ؟

ج المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أنكم لا تقبلون على التزكي وذكر اسم ربكم والصلاة ، بل تؤثرون اللذات الفانية الموجودة في الدنيا وتحبونها ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ

---

(١) واعترض على الأخير بأن السورة مكية وصلاة العيد فرضت بالمدينة .

الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] .

أما المخاطب بالآية الكريمة فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : أن المراد بالآية الكفرة والمراد بإيثار الحياة الدنيا الرضا بها والاطمئنان إليها والإعراض عن الآخرة وترك العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨] .

الثاني : أن المراد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، والمراد بإيثارهم الحياة الدنيا أعم مما ذكر فيدخل فيه التوجه إلى الدنيا وتحصيل منافعها والاهتمام بها اهتمامًا زائدًا أكثر من الاهتمام بالطاعات ، كالظاهر من حال كثير من الناس ترى الرجل يهتم بعمله الدنيوي ويحرص على الاستيقاظ مبكرًا له أكثر من حرصه على الصلاة المكتوبة ، وآخر يحرص على جمع المال أكثر من حرصه على جمع الحسنات . . . هكذا ، والله أعلم .

* * *

س ـ المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ إن هذا﴾ [الأعلى : ١٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : من العلماء من قال : إنه يرجع إلى السورة كلها ، أي : إن هذا الذي ذُكر في هذه السورة موجود في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

• ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٧] .

• ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧] .

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : الغاشية ـ خاشعة ـ عاملة ـ ناصبة ـ تصلى ـ آنية ـ ضريع ؟

ج :

الكلمة	معناها
الغاشية	القيامة ـ الساعة ـ النار
خاشعة	ذليلة
عاملة	من العمل أي : أنها تعمل
ناصبة	متعبة ، أرهقها العمل وأتعبها
تصلى	تدخل ـ تَرِدُ ـ تذوق
آنية	بلغ حرها أعلاه ونهايته ومنتهاه[1] ـ استوت ـ نضجت

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غير ناظرين إناه﴾ أي : نضجه واستواؤه .

الكلمة	معناها
ضريع	نبات ذو شوكٍ يقال له: الشّبرق وهو سم من السموم، وهو طعام من شر وأخبث أنواع الطعام فإذا يبس قيل له الضريع

* * *

س ـ من المخاطب بقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية : ١] ، اذكر معناها بمزيد من الإيضاح ؟

ج : المخاطب هو رسول اللّه ﷺ ، وقيل : إن المخاطب عموم الإنسان .

أما معناها فمن العلماء من قال : هل هنا بمعنى قد ، فالمعنى : قد أتاكِ حديث الغاشية .

ومنهم من قال : إن الاستفهام هنا للفت النظر وشدة التعجب .

ومنهم من قال : إن المعنى إن لم يكن وصل إلى علمك حديث الغاشية فها هو حديث الغاشية، وبعض ما يكون عند القيامة واللّه أعلم.

* * *

س ـ لماذا سميت الغاشية بالغاشية ؟

ج : تقدم أن من العلماء من ذهب إلى أن الغاشية هي القيامة ، ومنهم من قال : إنها النار ، أما الذين قالوا : إن الغاشية القيامة ،

فقالوا : قد أطلق عليها الغاشية لأنها تغشى الناس بالأهوال .

وأما الذين قالوا : إنها النار فقالوا : لأنها تغشى وجوه الناس كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أي : تغطي وجوههم بلفحها ولهيبها .

كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] .

● **واختار الطبري رحمه اللَّه التعميم** ، أي : أن النار والقيامة كلاهما غاشية ، فقال رحمه اللَّه : لأن اللَّه سبحانه لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة ولا أنه عنى غاشية النار ، وكلتاها غاشية هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب ، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه والشُّواظ والنحاس فلا قول في ذلك أصح من أن يُقال كما قال جل ثناؤه ويعم الخبر بذلك كما عمه . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ الذي لا يخشع للَّه في دنياه يخشع رغمًا عنه في أخراه ، وضح ذلك .

ج : إيضاحه : أن الذي يخشع للَّه ويخضع له ويذل نفسه للَّه في دنياه يؤمنه اللَّه في أخراه ، والذي لا يخشع للهً ولا يركع له ولا يسجد يكون ذليلاً في أُخراه ، كما قال تعالى عن أهل النار : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٢ - ٤] .

* * *

س ـ متى هذا العمل والنصب المذكوران في قوله تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية : ٣] .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن هذا العمل والنصب (أي : التعب) يوم القيامة [(١)] ،

---

(١) وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورجحه من وجوه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

وقوله: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية : ٣] العمل معروف، والنصب: التعب ، وقد اختلف في زمن العمل والنصب هذين ، هل هو كان منها في الدنيا أم هو واقع منهم فعلاً في الآخرة، وما هو على كلا التقديرين: فالذين قالوا: هو كان منهم في الدنيا، منهم من قال: عمل ونصب في العبادات الفاسدة كعمل الرهبان والقسيسين والمبتدعة الضالين ، فلم ينفعهم يوم القيامة ، أي : كما في قوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ومنهم من قال: عمل ونصب والتذ، فيما لا يرضي الله ، فعامله الله بنقيض قصده في الآخرة، ولكن هذا الوجه ضعفه ظاهر، لأن من هذه حالهم لا يعدون في عمل ونصب بل في متعة ولذة. والذين قالوا : سيقع منهم بالفعل يوم القيامة ، اتفقوا على أنه عمل ونصب في النار من جر السلاسل ، عياذًا بالله . وصعودهم وهبوطهم الوهاد والوديان، أي : كما في قوله: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]، وقوله: ﴿ مَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧] .

وقد ذكر الفخر الرازي تقسيمًا ثلاثيًا ، فقال : إما أن يكون ذلك كله في الدنيا أو كله في الآخرة ، أو بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة، ولم يرجح قسمًا منها إلا أن وجه القول بأنها في الدنيا وهي في القسيسين ، ونحوهم . فقال : لما نصبوا في عبادة إله وصفوه بما ليس متصفًا به ، وإنما تخيلوه تخيلاً ، أي : بقولهم ثالث ثلاثة وقولهم : ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] ، فكانت عبادتهم لتلك الذات المتخيلة لا لحقيقة الإله سبحانه .

ولا يبعد أن يقال على هذا الوجه : إن من كان ممن لا ينطق [(١)] بالشهادتين ويعمل على =

---

(١) صوابه : (ممن ينطق) ، لما ذكر بعده من مثلٍ له وهو المسيء صلاته وأثر حذيفة رضي الله عنه .

. . . . . .

= فيما لا يعذر بجهله أن يخشى عليه من هذه الآية ، كما يخشى على من يعمل على علم ، جهالة ولكن في بدعة وضلالة.

ومما يشهد للأول حديث المسيء صلاته ولأثر حذيفة «رأى رجلاً يصلي فطفق فقال له : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال له : ما صليت منذ أربعين سنة ولو مت على ذلك ، مت على غير فطرة محمد ﷺ» .

والأحاديث الواردة في ذلك على سبيل العمومات مثل قوله ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه امري فهو رد»** أي : مردود .

وحديث الحوض : **«فيذَاد أقوام عن حوضي ، فأقول : أمتي أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك إنهم غيَّروا وبدَّلوا»** .

ونحو ذلك مما يوجب الانتباه إلى صحة العمل وموافقته لما جاء به النبي ﷺ .

وكذلك القسم الثاني كما في قوله : ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] .

أما الراجح من القولين في زمن عاملة ناصبة أهو في الدنيا أم في الآخرة ؟ فإنه القول بيوم القيامة ، وهو مروي عن ابن عباس وجماعة . والأدلة على ذلك من نفس السياق .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد جدًا في هذا الترجيح ، ولم أقف على قول لغيره أقوى منه، نسوق مجمله للفائدة :

قال في «المجموع» في تفسير هذه السورة بعد حكاية القولين : الحق هو الثاني لوجوه ، وساق سبعة وجوه :

الأول : أنه على القول الثاني يتعلق الظرف بما يليه ، أي : وجوه يوم الغاشية ، خاشعة عاملة ناصبة صالية .

أما على القول الأول فلا يتعلق إلا بقوله : تصلى . ويكون قوله: خاشعة صفة للوجوه ، قد فصل بينها وبين الموصوف بأجنبي متعلق بصفة أخرى . والتقدير : وجوه خاشعة عاملة ناصبة يومئذ تصلى نارًا حامية . والتقديم والتأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه ، والتقديم والتأخير ، إنما يكون مع قرينة .

والثاني : أن الله ذكر وجوه الأشقياء ووجوه السعداء في السورة بعد ذلك ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾ الغاشية : ٨ - ١٠] ، أي: في ذلك =

. . . . . .

= اليوم ، وهو يوم الآخرة : فالواجب تناظر القسمين أي في الظرف .

الثالث : أن نظير هذين القسمين ما ذكر في موضع آخر في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥] ، وفي موضع آخر في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢] ، وهذا كله وصف للوجوه في الآخرة .

الرابع : أن المراد بالوجوه أصحابها لأن الغالب في القرآن وصف الوجوه بالعلامة ، كقوله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ [محمد: ٣٠] ، وهذا الوجه لم تتضح دلالته على المقصود .

الخامس : أن قوله : ﴿ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية ٢ ، ٣] ، لو جعل صفة لهم في الدنيا لم يكن في هذا اللفظ ذم ، فإن هذا إلى المدح أقرب ، وغايته أنه وصف مشترك بين عباده المؤمنين وعباده الكافرين ، والذم لا يكون بالوصف المشترك ولو أريد المختص ، لقيل : خاشعة للأوثان مثلاً ، عاملة لغير اللّه ، ناصبة في طاعة الشيطان ، وليس في القرآن ذم لهذا الوصف مطلقًا ولا وعيد عليه ، فحمله على هذا المعنى خروج عن الخطاب المعروف في القرآن ، وهذا الوجه من أقواها في المعنى وأوضحها دلالة .

وقد يشهد له أن هؤلاء قد يكون منهم العوام المغرورون بغيرهم ، ويندمون غاية الندم يوم القيامة على اتباعهم إياهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] .

السادس : وهو مهم أيضًا ، أنه لو جعل لهم في الدنيا لكان خاصًّا ببعض الكفار دون بعض، وكان مختصًّا بالعباد منهم ، مع أن غير العباد منهم يكونون أسوأ عملاً ويستوجبون أشد عقوبة.

السابع : أن هذا الخطاب لو جعل لهم في الدنيا لكان مثله ينفر من أصل العبادة والتنسك ابتداء ، أي : وقد جاءت السنة بترك أصحاب الصوامع والمتنسكين دون التعرض لهم بقتل ولا قتال ، كما أنها أقرت أصحاب الديانات على دياناتهم ، مما يشعر باحترام أصل التعبد لعموم الجنس ، كما أشار رحمة اللّه تعالى عليه . =

والمراد أن أصحاب هذه الوجوه الخاشعة يعملون وينصبون في النار ، أي : أنهم قد أرهقهم العمل وأتعبهم في النار ، فإن قال قائل : فما هو هذا العمل الذي يعملونه في النار ، قلنا :

إن منه ما ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] ، وفي قوله سبحانه : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] ، فيصعد ويهبط في النار ويرفعه لهيبها إلى أعلاها ثم يغمر فيها ، وهكذا ويصعد على جبال من نار في النار .

ومن هذا العمل : كثرة دعائهم على أنفسهم بالثبور (وهو الهلاك) ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] .

= وقد أوردنا مجمل كلامه رحمه اللَّه ، لئلا تتخذ الآية على غير ما هو الراجح فيها ، أو يحمل السياق على غير ما سيق له ، وقد ختم كلامه بتوجيه لطيف بقوله : ثم إذا قيد ذلك بعبادة الكفار والمبتدعة ، وليس في الخطاب تقييد ، كان هذا سعيًا في إصلاح الخطاب بما لم يذكر فيه . اهـ .

ومن الذي يعطي نفسه حق إصلاح الخطاب في كلام رب العالمين ، إنها لفتة إلى ضرورة ومدى أهمية تفسير القرآن بالقرآن ، الذي نهجه الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» .

وقد بدا لي وجه آخر ، وهو لو جعل هذا لعمل الكفار والمبتدعة ، لكان منطوقه أن العذاب وقع عليهم مجازاة على عملهم ونصبهم في عبادتهم تلك ، والحال أن عذاب الكفار عمومًا إنما هو على ترك العمل للَّه وحده ، وعقاب المبتدعة فيما ابتدعوه من ضلال ، فإذا كان ما ابتدعوه لا علاقة له بأركان الإسلام ولا بالعقيدة ، وإنما هو في فروع من العبادات ابتدعوها لم تكن في السنة ، فإنهم وإن عملوا ونصبوا فلا أجر لهم فيها ، ولا يقال إنهم يعذبون عليها بطل ذلك المذكور مع سلامة العقيدة في التوحيد والقيام بالواجب في أركان الإسلام إذ العذاب المذكور ليس مقابلاً بالعمل والنصب المذكور ، واللَّه أعلم .

ومن هذا العمل: محاججتهم لبعضهم البعض في النار ولعن بعضهم البعض في النار ، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

الثاني : أن هذا التعب والنصب في الدنيا ، والآيات في الكفار الذين يتعبون وينصبون في الدنيا في غير طاعة اللَّه وعلى غير بينةٍ وهدي من كتاب اللَّه وهم مشركون به فهم يتعبون في الدنيا هذا التعب ويذهب عملهم وثواب عملهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

الثالث : أن هذا في النصارى على وجه الخصوص وفي الكفار على وجه العموم الذين ينصبون ويعملون في الدنيا ، وهم في نصبهم وعملهم وسعيهم في ضلال ، كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم**

بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] .

الرابع : أن هذا في القوم الذين يعملون في الدنيا بالمعاصي ويعذبون في النار ويتعبون فيها لما عملوه في دنياهم ، فهي عاملة في الدنيا بالمعصية ناصبة (أي : متعبة) في الآخرة في النار . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٦] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٦] ، فكيف يجمع بين الآيتين ؟

ج : وجه الجمع يتلخص في أن النار دركات فمن أهلها قوم ليس لهم طعام إلا من ضريع ، وقوم آخرين ليس لهم طعام إلا من غسلين.

والقول في الطعام كالقول في الشراب؛ فمنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد .

* * *

س ـ قد يقول قائل ملحد : إن الله قال : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٦] ، فكيف ينبت الضريع في النار ؟ فكيف تكون الإجابة على مثل هذا الملحد ؟

ج : الإجابة أن اللَّه على كل شيء قدير ، فهو الذي خلق النار وهو قادر على أن يجعلها لا تأكل الضريع ، كما قال لها : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] ، فهو سبحانه قادر على أن يجعلها تحرق الكفار ولا تحرق الضريع .

• وهو سبحانه أيضًا قادر على أن يخلق نوعًا من الضريع يُعذِّب به الكفار لا تأكله النار .

• والاعتراض كاعتراض الكفار الموجودين على عهد رسول اللَّه ﷺ إذ تعجبوا من قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢] ، فبين اللَّه سبحانه أن هذه الشجرة جعلها اللَّه فتنة لهم فقال سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٣ - ٦٥] الآيات .

فإجابتنا أهل الإيمان : أن اللَّه على كل شيء قدير ، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه سبحانه وتعالى .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني الكلمات :

ناعمة ـ لسعيها راضية ـ لاغية ـ أكواب ـ نمارق ـ مصفوفة ـ زرابي ـ مبثوثة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ناعمة	ذات حسن وبهجة ونضارة من النعومة (والشيء الناعم معروف) ـ وناعمة أيضًا بمعنى متنعمة (من النعيم) ، كما قال تعالى : ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] .
لسعيها راضية	راضية عن عملها الذي عملته في الدنيا .
لاغية	كلمة لغو ، كما قال تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥ ، ٢٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا

الكلمة	معناها
	إلاَّ سَلامًا﴾ [مريم: ٦٢] ، واللغو يطلق على أمور منها الباطل والكذب والشتم والشرك و . . . . وكل ما لا فائدة فيه
أكـواب	جمع كوب وهو مثل كوب الزجاج ، لكن قيده بعض العلماء بما ليس له عروة ولا خرطوم
نمـارق	الوسائد والمرافق التي يُرتفق عليها
مصفوفة	أي : متجاورة بعضها إلى بعض
زرابـي	الطنافس ، وهي البُسُط (جمع بساط) والسجاجيد والفرش التي لها خمل رقيق ، وهي العبقري الحسان أيضًا
مبثوثـة	منتشرة ـ متفرقة ـ موزعة ـ مبسوطة ومنه : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

* * *

س ـ الغاشية هل هي عامة على الناس جميعًا تغشاهم ؟

ج : نعم هي عامة على الناس جميعًا ، ولكن تغشى أقوامًا بالعذاب ، وتغشى أقوامًا بالرحمة .

قال الشيخ عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» في تفسير قوله

تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] الآيات :

وهذا هو قسيم القسم الأول في بيان حال أهل الجنة ، ولم يعطف بالواو إيذانًا بكمال تباين مضمونيهما . ويومئذ : هو يوم الغاشية المتقدم ، وهذا يقتضي أن الغاشية عامة في الفريقين . وإن اختلفت أحوالها مع مختلف الناس ، وعليه فمنهم من تغشاه بهولها، ومنهم من تغشاه بنعيمها . وهي بالنسبة لكل منهما متناهية فيما تغشاهم به ، وهي صادقة على الفريقين .

ومعلوم أن الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر ، بمعنى الشمول والإحاطة التامة. ومن إطلاقها على الخير ما جاء في الحديث: **«ما جلس قوم مجلسًا يذكرون اللَّه تعالى فيه إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم اللَّه فيمن عنده»** أخرجه مسلم .

وبيان ذلك وتحقيقه في حق كلا القسمين كالآتي :

أما الأول منهما : وهو الغاشية في حق أهل النار فقد غشيهم العذاب حسًّا ومعنىً ظاهرًا وباطنًا أولاً خشوع في ذلة ، وهي ناحية نفسية ، وهي أثقل أحيانًا من الناحية المادية ، فقد يختار بعض الناس الموت عنها ، ثم مع الذلة : العمل والنصب حسًّا وبدنًا ، ومع النصب الشديد تصلى نارًا حامية ، وكان يكفي تصلى نارًا . ولكن إتباعها بوصفها حامية فهو زيادة في إبراز عذابهم وزيادة في غشيان العذاب لهم، ثم يسقون من عين آنية متناهية في الحرارة ، فيكونون بين نار حامية من الخارج وحميم من الداخل تصهر منه البطون ، فهو أتم

في الشمول للغاشية لهم من جميع الوجوه ، وفي حق القسم المقابل تعميم كامل وسرور شامل كالآتي : وجوه ناعمة مكتملة النعمة ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم .

وهذا في شموله من الناحية المعنوية كمقابله في القسم الأول ، بدلاً من خاشعة في ذلة : ناعمة في نضرة لسعيها راضية الذي سعته في الدنيا ، والذي تسعى لتحصيله أو ثوابه في جنة عالية بدلاً من عمل ونصب ، لا تسمع فيها لاغية : منزلة أدبية رفيعة حيث لا تسمع فيها كلمة لغو ولا يليق بها ، فهو إكرام لهم حتى في الكلمة التي يسمعونها، كما في قوله: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] ، فيها عين جارية : ومعلوم أنها عيون وأنهار تجري ، كقوله : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان: ٥٢] ، ومن لوازم العيون والأنهار ، هو كمال النعيم ، فأشجار ورياحين ، فروح وريحان وجنة نعيم . وهذا في التعميم يقابل العين الآنية في الحميم للقسم الأول ، فيها سرر مرفوعة وهم عليها متكئون بدل من عمل الآخرين في نصب وشقاء . وأكواب موضوعة لإتمام التمتع وكمال الخدمة والرفاهية ونمارق مصفوفة متكأً ، وزرابي مبثوثة مفروشة في كل مكان ، فاكتمل النعيم من كل جانب ، حيث اشتمل ما تراه العين ، وما تسمعه الأذن ، وما يتذوقون طعمه من شراب وغيره .

فيكون بذلك قد غشيتهم النعمة ، كما غشيت أولئك النقمة . وتكون الغاشية بمعنى الشاملة ، وعلى عمومها للفريقين ، وهي صالحة

لغة وشرعًا للمعذبين بالعذاب ، وللمنعمين بالنعيم . وباللَّه تعالىٰ التوفيق .

* * *

س ـ وضح بمزيد من التفصيل معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٩] ؟

ج : **قال الرازي**[1] **في «تفسيره»** : وفيه تأويلان :

أحدهما : أنهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل للَّه لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة ، كالرجل يعمل العمل فيجزىٰ عليه بالجميل ويظهر له منه عاقبة محمودة ، فيقول : ما أحسن ما عملت ، ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني علىٰ عمل نفسه ويرضاه .

الثاني : المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية إذا شاهدوا ذلك الثواب (قال الرازي) : وهذا أولىٰ إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتىٰ لا يريدون أكثر منه . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا كانت السرر مرفوعة ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : مرفوعة ليرىٰ المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربه من النعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره .

* * *

(١) ينبغي أن لا يقرأ في «تفسير الرازي» إلا مَنْ له إلمام عام بأصول أهل السنة والجماعة حتىٰ يميز الصحيح منه من السقيم ، والسنة من قوله من البدعة فيه .

س ـ أين وضعت هذه الأكواب التي قال اللَّه عنها : ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤] ؟

ج : من العلماء من قال: إنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب .

● ومنهم من قال : موضوعة ، أي : مُعدة حاضرة بين أيديهم إذا احتاجوا إليها وجدوها .

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سطحت ـ بمسيطر ـ العذاب الأكبر ـ إيابهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
سطحت	بُسطت ـ مُدت ـ مُهدت
بمسيطر	بجبار تجبرهم على الهداية والإيمان، كقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ، وكقوله : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، فسلوك الهداية إلى قلوبهم موكول إلى الله سبحانه .
العذاب الأكبر	عذاب جهنم
إيابهم	رجوعهم

* * *

س ـ من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] ؟

ج : هم منكرو البعث والثواب والعقاب ، **قال الطبري رحمه اللَّه:** يقول تعالى ذكره لمنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعده لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التي أعدها لأهل ولايته : أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة اللَّه على هذه الأمور إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذللَّها وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به ، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار ، يقول جل ثناؤه : أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على خلقها لن يعجزه خلق ما شابهها .

* * *

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] ؟ اذكر مزيداً من الإيضاح للآية .

ج : هو استفهام للتوبيخ والتقريع .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» : والمعنى : ينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه ، أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشهدونه من المخلوقات : كيف خلقت معدولاً [1] عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع

(١) صوابه : خلقت خلقًا معدولاً به ـ كما يأتي في كلام القاسمي قريبًا .

من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها .

• هذا وقد سئل الحسن (كما نقل عنه القرطبي وغيره) عنها وقالوا : الفيل أعظم في الأعجوبة ، فقال : العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يُركب ظهره ولا يحلب درّه .

* * *

س ـ هل هناك تعارض بين قوله تعالى : ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] ، وبين قول من قال : إن الأرض كروية ؟

ج : **قال السعدي في «تفسيره» :**

واعلم أن تسطيحها ، لا ينافي أنها كرة مستديرة ، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دل على ذلك النقل والعقل ، والحس ، والمشاهدة كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس ، خصوصًا في هذه الأزمنة ، التي وقف فيها الناس على أكثر أرجائها ، بما أعطاهم اللّه من الأسباب المقربة للبعيد . فإن التسطيح ، إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًّا ، الذي لو سطح، لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض ، الذي هو كبير جدًّا ، وواسع ، فيكون كرويًّا مسطحًا ، ولا يتنافى الأمران ، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة .

• **وقال الرازي في «تفسيره»** : ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بِكُرة ، وهو ضعيف لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح .

* * *

س ـ ما هو وجه التمثيل بالمذكورات (الإبل والسماء والجبال والأرض) دون غيرها ؟

ج : **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :**

توجيه الأنظار إلى تلك المذكورات الأربعة ، لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة وعلى البعث وثم الإقرار للَّه تعالى بالوحدانية ، والألوهية ، نتيجة لإثبات ربوبيته تعالى لجميع خلقه .

أما الإبل فلعلها أقرب المعلومات للعرب وألصقها بحياتهم : في مطعمهم من لحمها ، ومشربهم من ألبانها ، وملبسهم من أوبارها وجلودها ، وفي حلهم وترحالهم بالحمل عليها مما لا يوجد في غيرها في العالم كله لا في الخيل ولا في الفيلة، ولا في أي حيوان آخر، وقد وجه الأنظار إليها مع غيرها في معرض امتنانه تعالى عليهم في قوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣] .

وكذلك في خصوصها في قوله : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ - ٧] .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها البتة ، وكل منها

دليل على القدرة بذاته .

أما الجبال فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت ويشغل تفكيرهم في كل حين ، لقربها من حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها ، والمقيل في كهوفها وظلها ، والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها . وقد وجه الأنظار إليها أيضًا في موطن آخر في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] ثوابت ، كما بين تعالى أنها : رواسي للأرض أن تميد بكم والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم . فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا.

أما السماء ورفعها ، أي : ورفعتها في خلقها وبدون عمد ترونها ، وبدون قطور أو تشقق على تطاول زمنها ، فهي أيضًا محط أنظارهم ، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم .

ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات اللَّه الدالة على البعث، كما تقدم مرارًا . وتقدم للشيخ عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية . بيان كونها آية .

أما الأرض وكيف سطحت ، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] . وقوله: ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] آية ثابتة ، لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها ، فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر ، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها ، لأن الجرم

المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حدًّا بعيدًا يكاد سطحه يرى مسطحًا من نقطة النظر إليه ، وفي كل ذلك آيات متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق ، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم .

وتقدم للشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه التنبيه على هذا المعنى، عند الكلام على قوله تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] الآية .

تنبيه :

التوجيه هنا بالنظر إلى الكيفية في خلق الإبل ونصب الجبال ، ورفع السماء ، وتسطيح الأرض ، مع أن الكيف للحالة ، واللَّه تعالى لم يشهد أحدًا على شيء من ذلك كله ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] . فكيف يوجه السؤال إليهم للنظر إلى الكيفية وهي شيء لم يشهدوه .

والجواب واللَّه تعالى أعلم : هو أنه بالتأمل في نتائج خلق الإبل، ونصب الجبال إلخ . وإن لم يعلموا الكيف ، بل ويعجزون عن كنهه وتحقيقه ، فهو أبلغ في إقامة الدليل عليهم ، كمن يقف أمام صنعة بديعة يجهل سر صنعتها ، فيتساءل : كيف تم صنعها ؟ وقد وقع مثل ذلك وهو الإحالة على الأثر بدلاً من كشف الكنه والكيف ، وذلك في سؤال الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ربه ، أن يريه كيف يحيي الموتى. فكان الجواب : أن أراه الطيور تطير ، بعد أن ذبحها بيده

وقطعها ، وجعل على كل جبل منها جزءًا . فلم يشاهد كيفية وكنه وحقيقة الإحياء ، وهو دبيب الروح فيها وعودة الحياة إليها . لأن ذلك ليس في استطاعته ، ولكن شاهد الآثار المترتبة على ذلك ، وهي تحركها وطيرانها وعودتها إلى ما كانت عليه قبل ذبحها . مع أنه كان للعزير موقف مماثل وإن كان أوضح في البيان حيث شاهد العظام وهو سبحانه ينشزها ، ثم يكسوها لحمًا . واللَّه تعالى أعلم .

أما قوله تعالى بعد ذلك : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] فإن مجيء هذا الأمر بالفاء في هذا الموطن ، فإنه يشعر بأن النظر الدقيق والفكر الدارس ، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الاستدلال على وجود اللَّه وعلى قدرته ، كما نطق مؤمن الجاهلية قس بن ساعدة في خطبته المشهورة : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراه . فقد ذكر السماء والجبال والأرض .

وكقوله زيد بن عمرو بن نفيل ، مؤمن الجاهلية المعروف :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ∴ سواء وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له المزن تحمل عذبًا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة ∴ أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الريح تصرف حالاً فحالا

فكان على هؤلاء العقلاء أن ينظروا بدقة وتأمل ، فيما يحيط بهم عامة . وفي تلك الآيات الكبار خاصة ، فيجدون فيها ما يكفيهم . كما قيل :

وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه واحد

فإذا لم يهدهم تفكيرهم ولم تتجه أنظارهم . فذكِّرهم إنما أنت مذكر . وهذا عام ، أي : سواء بالدلالة على القدرة من تلك المصنوعات ، أو بالتلاوة من آيات الوحي . والعلم عند اللَّه تعالى .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] قال أبو السعود: استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية ، وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون ، بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره . والهمزة للإنكار والتوبيخ . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . وكلمة (كيف) منصوبة بما بعدها ، معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من (الإبل) أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ، ويستبعدون وقوعه من قدرة اللَّه عز وجل، فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين ، إلى أنها كيف خلقت خلقًا بديعًا معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات ، في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة ، كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال

الفادحة إلى الأقطار النازحة . وفي صبرها على الجوع والعطش، حتى أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدًا . واكتفائها باليسير ، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك ، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم . وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض ، حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ، ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي : رفعت كواكبها رفعًا سحيق المدى ، وأمسك كل منها في مداره إمساكًا لا يختل سيره ولا يفسد نظامه ، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ أي : التي ينزلون في أقطارها ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي : أقيمت منتصبة لا تبرح مكانها ، حفظًا للأرض من الميَدان ، ﴿وَإِلَى الأَرْضِ﴾ أي : التي يضربون فيها ويتقلبون عليها ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي : بسطت ومهدت ، حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق .

قال الزمخشريّ : والمعنى : أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق ، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث ، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه .

لطيفة :

ذكر السكاكيّ في « المفتاح » في بحث الجامع الخياليّ ؛ أن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال . وأنه لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر، أنى يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم

الدلائل ناسقًا ذلك النسق ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] الآيات ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ، ثم لبعده في خياله عن السماء ، وبعد خلقه عن رفعها . وكذا البواقي . لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم ، جاء الاستحلاء. وذلك إذا نظر أن أهل الوبر ، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي ، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعًا ، وهي الإبل . ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب ، كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يُؤويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لنا جبلٌ يحتلُّه مَن نجيرهُ ∴ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها ؟ ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل ـ ومَن لأصحاب مواشي بذاك ـ كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور . فعند نظره هذا ، أيرى البدويّ إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له ، لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة ، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما ، أو لا تَنصّ إليه صورة الأرض تليها بعدهن ؟ لا . وإنما الحضريّ ، حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه وإذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ، ظن النسق بجهله معيبًا، للعيب فيه . انتهى .

وقال الرازي في «تفسيره» :

قوله تعالى: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] .

اعلم أنه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيامة ، وقسم أهل القيامة إلى قسمين : الأشقياء والسعداء ، ووصف أحوال الفريقين ، وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ ﴾: وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد أنها تدل على وجود الصانع الحكيم ، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد . **أما الأول** : فلأن الأجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لأجله امتاز على الآخر، لابد وأن يكون لتخصيص مخصص وإيجاد قادر، ولما رأينا هذه الأجسام مخلوقة على وجه الإتقان والإحكام علمنا أن ذلك الصانع عالم ، ولما علمنا أن ذلك الصانع لابد وأن يكون مخالفًا لخلقه في نعت الحاجة والحدوث والإمكان علمنا أنه غني ، فهذا يدل على أن للعالم صانعًا قادرًا عالمًا غنيًّا ، فوجب أن يكون في غاية الحكمة ، ثم إنا نرى الناس بعضهم محتاجًا إلى البعض ، فإن الإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه ، بل لابد من بلدة يكون كل واحد من أهلها مشغولاً بمهم آخر حتى يتنظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم ، وذلك الانتظام لا يحسن إلا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد، ذلك لا يحصل إلا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار ، فثبت أن إقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة ،

فلهذا السبب ذكر اللَّه دلالة التوحيد في آخر هذه السورة ، فإن قيل: أي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ، ثم لِمَ بدأ بذكر الإبل ؟ قلنا: فيه وجهان: **الأول:** أن جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة، وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها، وأي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا السؤال عائدًا ، فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال على جميع التقادير ، وأيضًا فلعل الحكمة في ذكر الأشياء التي هي غير متناسبة التنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع ، بل هو عام في الكل على ما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ [الإسراء : ٤٤] ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك ، لا جرم ذكر اللَّه تعالى أجسامًا غير متناسبة بل متباعدة جدًّا ، تنبيهًا على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم، فهذا وجه حسن معقول وعليه الاعتماد .

الوجه الثاني : وهو أن نبين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع المدبر ، ثم نبين إنه كيف يجانس بعضها بعضًا .

أما المقام الأول : فنقول : الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافًا شتى: فتارة يقتني ليؤكل لحمه، وتارة ليشرب لبنه، وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار، وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد، وتارة ليكون له به زينة وجمال، وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل، وقد أبان اللَّه عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا**

لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٧١، ٧٢] ، قال : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ [النحل: ٥ - ٧] ، وإن شيئًا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال ، فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب . **وثانيها** : أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير ، وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير ، وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر ، وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزئ حيوان آخر ، وإن جعلت حملة استقلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ، ومنها : أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعًا في قلب العرب ، ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً ، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير ، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل : ٦] ، ومنها : أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملاً وتبعوه ، فكان ذلك الجمل ينعطف من تل ، إلى تل ومن جانب إلى جانب ، والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل ، فتعجبنا

من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذي عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه ، ومنها : أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها من الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير ، ومباينة لغيرها أيضًا في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم ، فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها ، ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافع ومضارها ، فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها .

* * *

س ـ هل مهمة الرسول التذكير فقط ؟

ج : ليست مهمة الرسول التذكير فقط ، بل قد أُمر بالجهاد كذلك، قال اللَّه سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التحريم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٥٧] .

● وقد يتوهم متوهم أن مهمته التذكير فقط لقوله تعالى : ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾ [الشورى: ٤٨] ولقوله : ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: ٥٤] ، ولقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ** ﴾ [ق: ٤٥]، ولقوله تعالى : ﴿ **لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، والذي يظهر لي

لدفع هذا التوهم وجهان :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] ، وقوله : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ، وقوله : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] ونحوها من الآيات محمولة على أن اللَّه سبحانه وتعالى لن يؤاخذ نبيه على عدم هدايتهم، فأمر الهداية موكول إلى اللَّه.

الثاني : أن هذه الآيات منسوخة[1] بآيات القتال كقوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣] ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

أحدهما : **أنه استثناء صحيح** ، وفي ذلك ثلاثة أوجه أيضًا :

الوجه الأول : أنه استثناء من قوله فذكر ، فالمعنى : فذكر لكن من تولى وكفر وأعرض عنك فلا تذكره .

الوجه الثاني : أنه استثناء من قوله : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾

---

(١) وقد نقل الرازي هذا عن أكثر المفسرين بل عن جميعهم

[الغاشية: ٢١] : أي : فذكر فإن الناس ينتفعون بتذكيرك ، لكن من تولى وكفر منهم فلن ينتفع بتذكيرك .

الوجه الثالث : أنه استثناء من ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، فالمعنى : لست عليهم بمسلط ، لكن من تولى وكفر فإنك مسلط عليه فقاتله .

والثاني : **أنه استثناء منقطع**[1]، والمعنى : فذكر ومن أعرض عن الذكرى فتولى وكفر فيعذبه اللَّه العذاب الأكبر .

---

(١) **قال الرازي في «تفسيره»** : قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعًا حُسن دخول أن في المستثنى ، وإذا كان الاستثناء متصلاً لم يحسن ذلك ، ألا ترى أنك تقول عندي مائتان إلا درهمًا ، فلا تدخل عليه أن ، وههنا يحسن أن ، فإنك تقول : إلا أن من تولى وكفر فيعذبه اللَّه .

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : يَسْرِ ـ لذي حجر ؟

ج :

الكلمة	معناها
يســـــر	يذهب ـ يمضي
لذي حجر	لصاحب عقل

* * *

س ـ ما المراد بالفجر ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها: أنه وقت الفجر ، وهو وقت الصبح ، أي : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار ، وقيل له : الفجر ؛ لانفجار الظلمة عن النهار .

الثاني : أن المراد به صلاة الفجر .

الثالث : أن المراد بالفجر النهار كله ، وعُبِّر عنه بالفجر لأن الفجر أول النهار .

ثم هل المراد فجر ليلة معينة أو يومٍ مُعين أم هو عام ؟

فمن العلماء من قال : هو عموم الفجر ، ومنهم من قال : هو خاص ، ولهم في تحديده أقوال منها : أنه فجر ليلة العاشر من ذي الحجة (أي : فجر يوم النحر الذي يكون الناس فيه بمزدلفة) ، ومنهم من قال : إنه فجر أول يوم من محرم ، ومنهم من قال : إنه فجر أول ليلة من ذي الحجة .

* * *

س ـ ما هي أحرف القسم ؟ اذكر مثالاً لكل منها ؟

ج : أحرف القسم ثلاثة وهي : الواو والباء[1] والتاء[2] .

أما مثال القسم بالواو ؛ فكما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ومثال القسم بالباء ؛ فكما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النمل: ٤٩] .

ومثال القسم بالتاء ؛ فكما في قول الخليل إبراهيم : ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ...﴾ [الأنبياء: ٥٧] .

* * *

---

(١) الباء الموحدة التحتانية .

(٢) التاء المثناة الفوقانية .

س ـ ما المراد بالليالي العشر ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بالليالي العشر : هي ليالي العشر الأُول من ذي الحجة .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

* * *

س ـ هل ورد في فضل العشر أيام الأول من ذي الحجة خبر عن رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : نعم ، ورد في ذلك : ما أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : **«ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه»** قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : **«ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»**[1] .

ولفظ أبي داود[2] بإسناد صحيح من حديث ابن عباس أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **« ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللَّه من هذه الأيام »** يعني : أيام العشر، قالوا : يا رسول اللَّه ولا الجهاد في سبيل اللَّه ؟ قال : **«ولا الجهاد في سبيل اللَّه إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»** .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩٦٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٣٨) .

س ـ أيهما أفضل العشر الأول من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان ؟

ج : فصَّل بعض أهل العلم في ذلك بين الأيام والليالي ؛ فقال بعضهم : إن أيام العشر الأول من ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان ، وقال قائل هذا القول : وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي العشر الأُول من ذي الحجة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالشفع والمراد بالوتر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ما يزيد على العشرين قولاً ذكرها الرازي في «تفسيره» ، وابن الجوزي في «زاد المسير» وغيرهما ، نذكر منها ما يلي :

الأول : الشفع هو الخلق كلهم [(١)] ، والوتر هو اللَّه سبحانه وتعالى[(٢)] .

الثاني : الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة .

الثالث : الشفع اليومان بعد يوم النحر [(٣)] ، والوتر الثلاث

---

(١) قال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] .

(٢) قال النبي ﷺ : «إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ لمسلم بالزيادة .

(٣) أي : الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

عشر [١] من ذي الحجة .

الرابع : الشفع من الخلق [٣] ، والوتر من الخلق أيضًا .

الخامس : الشفع هو الصلاة المكتوبة التي هي مثنى أو رباع [٤] ، والوتر هي صلاة المغرب .

السادس : الشفع العدد الذي هو شفع (أي : مثنى) ، والوتر العدد المُفرد .

السابع : الشفع أبواب الجنان فهي ثمانية والوتر ، أبواب النار فهي سبعة .

وثمَّ أقوال أُخر .

● **وقال الطبري رحمه اللَّه**: والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن اللَّه تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ولم يخصص نوعًا من الشفع ولا من الوتر دون نوعٍ بخبرٍ ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا العموم قسمه بذلك .

● **وقال الرازي رحمه اللَّه** : واعلم أن الذي يدل عليه الظاهر أن الشفع والوتر أمران شريفان أقسم اللَّه تعالى بهما، وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتمل، والظاهر لا إشعار له بشيء من هذه الأشياء على التعيين

---

(١) المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

(٢) قال أهل هذه المقالة : إن الخلق منهم شفع ومنهم وتر .

(٣) كالصبح والظهر والعصر والعشاء .

فإن ثبت في شيء منها خبر عن رسول اللَّه ﷺ أو إجماع من أهل التأويل حكم بأنه هو المراد ، وإن لم يثبت فيجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز لا على وجه القطع ، ولقائل أن يقول أيضًا : إني أحمل الكلام على الكل لأن الألف واللام في الشفع والوتر تفيد العموم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : هل في هذه الأيمان التي أقسمت بها كفاية وقناعة لصاحب عقل ، والمراد : أن في هذه الأمور التي أقسمت بها كفاية للعقلاء الذين يعقلون عن اللَّه سبحانه وتعالى أمره .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم لقوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ و ..﴾ [الفجر: ١، ٢] .

ج : جوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] ؟

ومن العلماء من قال : جوابه محذوف ، وتقديره : لنعذبن الكافرين واللَّه أعلم .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي: ألم تر ـ إرم ـ ذات العماد ـ جابوا ـ الأوتاد؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم ـ ألم تر بعين قلبك ـ ألم يبلغك
إرم	بلدة من البلدان ـ قبيلة من القبائل ـ أمة من الأمم
ذات العماد	ذات الطول
جابوا	خرقوا ـ قطعوا ، ومنه : جاب فلان البلدة قطعها
الأوتاد	جمع وتد

* * *

س ـ وضح بمزيد من التوضيح أقوال العلماء في ﴿إِرَمَ﴾ [الفجر: ٧]؟

ج: **لأهل العلم في ذلك أقوال منها:**

- أن إرم أمة من الأمم .
- أن إرم المراد بها القديمة .
- أن إرم بلدة من البلدان .
- أن إرم جدٌّ عادٍ .
- أن إرم معناه الهالك .

وصوَّب الطبري رحمه اللَّه أنها إما بلدة من البلدان أو قبيلة من القبائل . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا وصفوا بأنهم ذات عماد ؟

ج: **وصفوا بذلك لأنهم كانوا طوال الأجسام ، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾** [القمر: ١٨ - ٢٠] .

- **وقيل: لشدة أجسامهم وقوتهم ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾** [فصلت: ١٥] .
- **وقيل: لأن لهم بناء شيدوه بأعمدة .**

• وقيل : لأن لهمُ عُمد وهي أعمدة تكون في وسط الخيمة تبنى عليهم الخيمة وينتقلون بها إلى موطن الكلأ حيث كان .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأشبه الأقوال في ذلك بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : عُني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ؛ لأن المعروف من كلام العرب من العماد ما عمل به الخيام من الخشب السواري التي يحمل عليها البناء ، ولا يُعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح بل وجه أهل التأويل قوله : ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] إلى أنه عُني به طول أجسامهم وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خيالهم ، أما عماد البنيان فلا يُعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه ، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وُجد إلى ذلك سبيل دون الأنكر .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [الفجر: ٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : قال بعض العلماء: لم يخلق مثل قوتهم وشدتهم في البلاد، كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقال بعضهم : لم يخلق مثل أطوالهم في البلاد ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ألم تر كيف فعل ربك بثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، أي : خرقوه ، ودخلوا فيه واتخذوه بيوتًا ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] .

وجابوا الصخر أي : قطعوه أيضًا .

* * *

س ـ لماذا وصف فرعون بأنه ذو أوتاد ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه كانت عنده أوتاد يُعذب عليها الناس، وقد تكون هذه الأوتاد من خشب أو من جذوع النخل ، كما قال لمن آمن من قومه : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] .

- ومن العلماء من قال : كانت له أوتاد تحمل مظلات يلعب تحتها ويُلعب له تحتها .
- وقال بعض العلماء: إن معنى ذي الأوتاد: ذي الملك والرجال.
- وذهب بعض المعاصرين إلى أن الأوتاد منها أهرامات مصر[1].

* * *

---

(١) قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

س ـ ما المراد بـ ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣] ؟ ولماذا عُبر بسوط العذاب ؟

ج : المراد بسوط العذاب : العذاب الذي عذبوا به ، وعبر بسوط العذاب ؛ لأن المخاطبين كانوا يعرفون ألم التعذيب بالسياط فعبر عن العذاب الذي حل بالأمم بما يعرفه العرب من أليم العذاب ، قاله الطبري .

قلت : ومن العلماء من فسر سوط العذاب بما ذكر في سورة الحاقة إذ قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٤ - ١٠] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن ربك يا محمد لهؤلاء الظالمين بالمرصاد ، يرصد أعمالهم ، ويحصيها عليهم حتى يوفيهم إياها ، ويعطيهم جزاءها ، ويحل بهم عقوبتها .

* * *

س ـ المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :ـ

● قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٢، ١٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ إلى قوله : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٧ - ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ إلى قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ... ﴾ [الحاقة: ٩، ١٠] إلى غير ذلك من الآيات :

فَأَمَّا
ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

س ـ وضح المعنى الإجمالي لما يلي :

ابتلاه ـ قدر ـ تحآضون ـ التر اث ـ لمًّا ـ جمًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ابتلاه	اختبره ـ امتحنه
قدر	ضيق ـ قتَّر
تحاضون	يحض بعضكم بعضًا ـ يأمر بعضكم بعضًا ـ يحث بعضكم بعضًا
التراث	الميراث
لمًّا	شديدًا ـ ذريعًا
جمًّا	كثيرًا

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ... ﴾ [الفجر: ١٥] الآية ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى فأكرمه بالمال وأفضل عليه ونعّمه بما أوسع عليه من فضله فيقول: ربي أكرمن؛ فيفرح بذلك ويسرُّ به، ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة .

●● ثم قال: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر فقدر عليه رزقه، يقول : فضيق عليه رزقه وقتره فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه، فيقول: ربي أهانن يقول: فيقول ذلك الإنسان: رب أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر اللَّه على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه من العافية في جسمه .

ونقل الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** ﴾ [الفجر: ١٦] : ما أسرع ما كفر ابن آدم يقول اللَّه جل ثناؤه : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأُهين من أهنت بمعصيتي.

* * *

س ـ الابتلاء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشر ، وقد يكون بالغنى، وقد يكون بالفقر ، دلّل على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك ما يلي :**

قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ..﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩] .

* * *

س ـ ما هو وجه الإنكار في قوله تعالى : ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ..﴾ [الفجر: ١٧] ؟

ج : هذا إنكار للفهم الأعوج الذي فهمه الإنسان ، فليس الأمر أيها الإنسان كما زعمت أنك إذا أكرمك اللَّه ونعَّمك تظن أن اللَّه راضٍ عنك ، وأنه سبحانه إذا ضيق عليك في الرزق أنه غير راضٍ عنك ، فليس الأمر على هذا الفهم الذي فهمته فاللَّه عز وجل يبتلي العباد بالسراء والضراء ، وجدير بالإنسان أن يكون صابرًا عند البلاء شاكرًا في

في السراء ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[1] .

* * *

س ـ ميراث مَن الذي يؤكل ؟

ج : كانوا يأكلون ميراث اليتامى والنساء وسائر الضعفاء ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿كَلاَّ .. ﴾ من قوله عز وجل : ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ما هكذا ينبغي أن تكون أخلاقكم ، لا ينبغي أن تأكلوا ميراث الضعفاء وميراث اليتامى وميراث النساء وسائر الميراث الذي لا يحل لكم بهذه الصورة ، ولا ينبغي أن تتكالبوا هذا التكالب الشديد على المال .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

دكت ـ دكًّا دكًّا ـ الملك ـ صفًّا صفًّا ـ المطمئنة ؟

ج :

الكلمة	معناها
دكت	زلزت فدك بعضها بعضًا ، والدك : الكسر والدق ، والدك : حط المرتفع بالبسط
دكًّا دكًّا	رجًّا رجًّا ـ زلزلةً زلزلةً ـ تحريكًا تحريكًا
الملك	الملائكة
صفًّا صفًّا	صفوفًا صفوفًا

الكلمة	معناها
المطمئنة	المطمئنة إلى وعد اللَّه الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا من أنه سيكرمهم في الآخرة ـ المصدقة بأن اللَّه ربها ـ المطمئنة بذكر اللَّه ـ الراضية بقضاء اللَّه وقدره .

* * *

س ـ ما هو المعنى بقول اللَّه جل ثناؤه : ﴿ كَلاَّ ﴾ من قوله سبحانه : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] .

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ بقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ : أن الأمر ليس كما صنعتم من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا ، فما ينبغي أن تكون الأمور هكذا فإذا دكت الأرض دكًّا دكًّا ، وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ، وجيء يومئذ بجهنم ، فيومئذ يتذكر الإنسان أن مسلكه مع الأمور وتصرفه الذي كان يتصرفه مع الأحداث من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على إطعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا كان خطأ واضحًا .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ؟

ج : في معناها : قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ؟

* * *

س ـ كيف يؤتى بجهنم يوم القيامة ؟

ج : ورد في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال : «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[1]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فيومئذ ـ أي : يوم القيامة ـ يتذكر الإنسان ويتعظ ويعتبر ، لكن ومن أي وجه يحدث له الانتفاع بهذه التذكرة وبهذا الاتعاظ والاعتبار فلا وجه لانتفاعه به فقد قضي الأمر ، ولا ينفع الظالمين يومئذ معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد انتقد هذا الحديث على مسلم رحمه الله ، فالحديث مروي عند مسلم من طريق حفص بن غياث عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره وأعله الدارقطني كما في « التتبعات » بقوله : « رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفًا » «الإلزامات والتتبع» (ص ٣٢٩) .

ودافع النووي عن مسلم فقال : وحفص ثقة حافظ إمام فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين ا.هـ .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن له حكم الرفع لأنه لا يُقال من قبيل الرأي ، والله أعلم .

س ـ ما المراد بقول الإنسان : ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤]؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: يا ليتني قدمت لحياتي ـ الأبدية التي لا موت بعدها ـ من الأعمال الصالحة ما ينفعني وينجيني من غضب اللَّه ويورثني رضوانه .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : فيومئذ لا يعذِب كعذاب اللَّه أحدٌ ، ولا يوثِق كوثاقه أحد ، فعذاب اللَّه يوم القيامة لمن أراد له العذاب ليس كعذاب بعضكم لبعضٍ في الدنيا .

ووثاق اللَّه عز وجل يوم القيامة ليس كوثاق بعضكم لبعض في الدنيا .

● ومن العلماء من قال : لا يُعذب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد لتناهيه في الكفر والفساد .

وقيل : المعنى : لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد ، فلا تؤخذ منه فدية كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴾ [الزمر: ٧] .

* * *

س ـ متىٰ يقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧] ؟

ج : قال بعض العلماء : هذا عند الموت والخروج من الدنيا

- وقال آخرون هذا عند البعث .
- وقال غيرهم هذا عند دخول الجنة ، واللَّه أعلم

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٨] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المعنىٰ : ارجعي إلىٰ اللَّه عز وجل ومنهم من قال : ارجعي إلىٰ جسد عبدي ، فحمل الرب هنا علىٰ الصاحب، فالمعنىٰ: ارجعي إلىٰ جسد صاحِبك ، وهذا اختيار الطبري.

واستدل له بأن في بعض القراءات ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ واللَّه أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ [الفجر: ٢٩] ؟

ج : لأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : فادخلي أيتها الأنفس المطمئنة إلىٰ أجساد عبادي .

الثاني : فادخلي أيتها النفس المطمئنة في زمرة عبادي الصالحين وجملتهم وفيما أعددته لهم ، وانضمي إليهم ، وانتظمي في سلكهم .

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

حلٌّ ـ كبد ـ لُبدا ـ هديناه النجدين ؟

ج :

الكلمة	معناها
حـــلٌّ	بريء من الإثم والحرج ، ولا تؤاخذ بما يؤاخذ به غيرك إذا حملت السلاح فيها أو قتلت من تشاء من الكفار فيها ـ لست بآثم ـ وقال آخرون : حلال الدم (أي : الكفار يستحلون دمك)
كبـــد	مشقة ـ عناء ـ تعب ـ نصب من قولهم : كابد فلان

الكلمة	معناها
	الأمور ، وعلى هذا الأكثرون وقال آخرون : إن المراد بالكبد : انتصاب القامة
لُبـــــــدًا	كثيرًا مجتمعًا
هديناه النجدين	أوضحنا له طريق الخير والشر ، وبيناهما له

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن (لا) ردٌّ لشيء قد تقدم ، فكأنهم أنكروا البعث ، وقالوا في ذلك أقاويل فنفاها اللَّه بقوله : لا ، ثم قال سبحانه : أقسم بهذا البلد .

ومن العلماء من قال : إن (لا) زائدة كما في قوله تعالى : ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [الحديد: ٢٩] ، والمعنى : ليعلم ، وكما في قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، وكما في قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صبابةٌ ∴ وكاد صميمُ القلب لا يتقطع

أي : وكاد صميم القلب يتقطع .

● ومن العلماء من قال : إن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم

بهذا البلد أثناء وجودك فيه وإقامتك به . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد ؟

ج : البلد هي مكة ، وقد نقل الرازي والقرطبي وغيرهما الإجماع على ذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] ؟

لأهل العلم في ذلك أقوال :

القول الأول وهو الذي عليه الأكثرون : أن المعنى : وأنت حلال بهذا البلد ، أي : في الوقت الذي أُحلت لك فيه هذه البلدة تصنع فيها ما تشاء من قتل أو استحياء .

ولمزيد إيضاح ؛ فإن مكة بلد حرام ـ كما قال النبي ﷺ ـ لا يحل لأحد أن يحمل فيها سلاح ولا يعضد فيها شجر ولا يُنفر فيها صيد ، لكنها أُحلت لرسول الله ﷺ ساعة من النهار يعمل فيها ما يشاء من قتل أو استحياء، وكان ذلك ساعة من النهار كما في «الصحيحين»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة : «إن

---

(١) البخاري حديث (١٥٧٨) ومسلم (حديث ١٣٥٣) .

هذا البلد حرمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول اللَّه : إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : **«إلا الإذخر»** .

● فأقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالبلد أثناء إجلاله لرسول اللَّه ﷺ ، فالمعنى : أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيه ، وقد أُحلت لك .

وهذا القول عليه أكثر المفسرين .

وسيرد على هذا الوجه سؤال وجوابه حاصله: أن هذه السورة مكية نزلت قبل الهجرة وإحلال البلدة لرسول اللَّه ﷺ إنما كان عام الفتح .

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه في تفسير قوله تعالى : ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ [البلد: ٢] : يعني في المستقبل ، مثل قوله تعالى : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ ، ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهو في كلام اللَّه واسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعًا على أنه للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة باتفاقٍ مكية قبل الفتح فروى منصور عن مجاهد ﴿**وأنت حل**﴾ قال : ما صنعت فيه من شيء فأنت في حلٍّ ، وكذا قال ابن عباس : أُحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء . . . .

القول الثاني : أي : وأنت حلال الدم عندهم ، يستحلون دمك ، ويستحلون قتلك وإيذاءك مع أنهم يحرمون البلدة .

القول الثالث : مبني على أن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم بهذا البلد أثناء حلولك فيها وإقامتك بها .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] على التأويل الذي ذكرتموه [١] وبين كون هذه السورة مكية ؟

ج : قال الرازي في «تفسيره» : فإن قيل هذه السورة مكية وقوله : ﴿ وأنت حل ﴾ إخبار عن الحال ، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة فكيف الجمع بين الأمرين ؟ قلنا : قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وكما إذا قلت لمن تَعِدُه الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهذا من اللَّه أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع.

وعلى هذا فيكون في الآية الكريمة إخبارٌ بالمستقبل ووعدٌ بفتح مكة ، وأنها ستحل له بعد أن كانت حرامًا ، فيقاتل أهلها وينتصر عليهم ، أو أنه تسلية له وأن اللَّه عالم بما يفعلون وسينصره عليهم . قال هذا الأخير عطية سالم .

* * *

(١) أي : الوجه الأول الذي ذُكر .

س ـ اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة ؟

ج : الإجابة على هذا السؤال قد تقدمت في تفسير سورة البقرة (٢/ ٢٧٢) ، ولكننا رأينا أن وضعها هنا أليق إذ السورة سورة البلد فأقول مكررًا ما ذُكر هناك .

من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

● قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

● وقوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

● وقوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] .

● وقد أقسم اللَّه عز وجل بمكة ؛ فقال سبحانه : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] .

● وقول اللَّه تبارك وتعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : «إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : «إن هذا البلد حرَّمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلي خلاها» فقال العباس : يا رسول اللَّه إلا الإذخر فإنه لقينهم

ولبيوتهم فقال : «إلا الإذخر»[١].

● وقال أبو شريح العدوي رضي اللَّه عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول اللَّه ﷺ الغد من يوم الفتح ـ سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ـ إنه حمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال : « **إن مكة حرمها اللَّه ولم تحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه ﷺ فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب**»[٢].

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن المراد بذلك الوالد وولده ثم جاءت لهم أقوال في تحديد من الوالد ومن ولده .

● فقال بعضهم : الوالد : آدم ، وما ولد : هم ذريته .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٢) ومسلم (١٣٥٤) .

● وقال آخرون: الوالد: إبراهيم ، وما ولد المراد به: إسماعيل .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : ذريته .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : محمد ﷺ .

● واختار قومٌ التعميم ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : إن اللَّه أقسم بكل والد وولده ؛ لأن اللَّه عمَّ كل والد وما ولد ، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه ، فهو على عمومه كما عمّه .

● ونحى آخرون من أهل العلم منحًى آخر فقالوا : الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يلد ، واللَّه أعلم .

* * *

●س ـ اذكر طرفًا من هذا الكبد الذي خلق الإنسان فيه ؟

ج : هذا الكبد كما قدمنا هو العناء والمشقة والجهد ، وقد لخص القرطبي ذلك فقال : قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سُرَّته ، ثم إذا قُمِط قِماطًا ، وشُدَّ رباطًا ، يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرّك لسانه ، ثم يكابد الفِطام ، الذي هو أشدّ من اللّطام ، ثم يكابد الختان ، والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المُعَلِّم وصَولَته ، والمؤدّب وسياسته ، والأستاذ وهَيبته ، ثم يكابد شغل التَّزْويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد

شُغْل الأولاد ، والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور ، وبناء القصور ، ثم الكِبَرَ والهَرَم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادُها ، ونوائب يطول إيرادُها ، من صُداع الرأس ، ووجع الأضراس، ورمد العين ، وغَمّ الدَّين ، ووجع السنّ ، وألم الأذن . ويكابد مِحَنًا في المال والنفس ، مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم إلاّ يقاسي فيه شدّة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة المَلَك ، وضَغْطة القبر وظلمته ؛ ثم البعث والعرض على اللَّه ، إلى أن يستقرّ به القرار ، إما في الجنة وإما في النار؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد . ودلّ هذا على أن له خالقًا دَبَّره ، وقضى عليه بهذه الأحوال ؛ فليمتثل أمره .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أيحسب ذلك الإنسان أن لن يغلبه ويقهره ويعاقبه أحد .

وقال بعض العلماء : أيحسب أن لن يستطيع أحد أن يغير أحواله وما عليه من القوة والشدة إلى الضعف والخور ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه قوله : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾[البلد: ٦] ؟

ج : الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ : أن لذلك وجهان :

أحدهما : أن الكافر يزعم لإخوانه الكفرة أنه أنفق الكثير في عداوة محمد ﷺ .

الثاني : أن المنافق يزعم أنه أنفق أموالاً كثيرة لنصرة الدين ، فليدرك هذا وذاك أن اللَّه يراهما ويحاسبهما على ما صنعا وفيما أنفقا .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أيظن هذا الذي يزعم أنه أنفق مالاً كثيرًا أن أحدًا لم يطلع عليه ويعلم ما يصنع ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه إتباع قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: ٨] ؟

ج : لذلك وجهان :

أحدهما : أنه إن أنفق فقد أعطيناه نعمًا أوسع مما أنفقه ، فقد جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين . . . .

الثاني : أننا جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين تشهد عليه يوم القيامة

بما صنع وتكلَّم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أوضحنا له طريق الخير وطريق الشر [١] ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] والنجد هو الطريق المرتفع أو الآخذ في الارتفاع .

(١) هذا القول عليه أكثر أهل العلم ، ومن العلماء من قال المراد: بالنجدين: الثديان ، فالمعنى: ألهمناه أن يمص الثديين ، وهذا قول بعيد ، وإن كان صحيحًا في نفسه ، فرب العزة ألهم الطفل مص الثديين ، لكن كون ذلك تفسيرًا للآية ففي ذلك نظر ، والله أعلم .

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

العقبة ـ فك رقبة ـ مسغبة ـ ذا مقربة ـ ذا متربة ـ تواصوا بالصبر ـ تواصوا بالمرحمة ـ أصحاب الميمنة ـ أصحاب المشأمة ـ مؤصدة ؟

ج :

الكلمة	معناها
العقبة	عقبة في جهنم ـ جبل في جهنم
فك رقبة	عتق رقبة وفكها من الرِّق وأسر العبودية
مسغبة	مجاعة، والساغب هو الجائع، ومنه قول الشاعر: فلو كنت جاراً يابن قيس لعاصمٍ لما بت شبعانًا وجارك ساغبًا
ذا مقربة	ذا قرابة ـ قرب لك
ذا متربة	ذا فقر شديد قد ألصق الفقر بالتراب ، وهو ذو

الكلمة	معناها
	العيال الكثيرين الذين لصقوا بالتراب من الضر وشدة الحاجة
تواصو بالصبر	أوصى بعضهم بعضًا بالصبر (أي : بالصبر على طاعة اللَّه ، وعن معاصيه ، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد) .
تواصوا بالمرحمة	أوصى بعضهم بعضًا برحمة الناس وحث بعضهم بعضًا على ذلك
أصحاب الميمنة	أصحاب اليمين ـ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم
أصحاب المشأمة	أصحاب الشمال ـ الذين يؤتون كتبهم بشمالهم
مؤصـــــــدة	مغلقة ـ مطبقة

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ [البلد: ١١] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن هذا الإنسان الذي تقدم ذكره ، وأنه خلق في كبدٍ : لم يقتحم العقبة ولم يعمل أعمالاً تجعله يقطعها ويمر بها مرورًا سريعًا ويتجاوزها وينجو منها .

ومعنى آخر : أفلا اقتحم هذا الإنسان العقبة، أي : أفلا عمل عملاً

ينجيه من هذه العقبة ، وهذا العمل الذي ينجيه من هذه العقبة هو فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبةٍ.

ومعنى ثالث : فلا اقتحم العقبة: لا فك رقبة ولا أطعم في يوم ذي مسغبة ، ولا كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة .

* * *

س ـ ما هو وجه الرفع في قوله تعالى : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] ؟

ج : رفع ﴿فَكُّ﴾ على أنه خبر ، والمعنى : اقتحام العقبة فكُّ رقبة ، ففك الرقبة خبر عن اقتحام العقبة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح المراد بالفقير والمسكين ، وأيهما أشد حاجة من الآخر ؟

ج : قال بعض أهل العلم في الفقير : إنه الذي لا يجد شيئًا أو شيئًا قليلاً ، والمسكين الذي يجد شيئًا ولكن لا يكفيه ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ﴾ [الكهف : ٧٩] .

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن اصطلاح المسكين والفقير إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، ومعنى هذا : أنه إذا جاء ذكر الفقير والمسكين في سياق واحد فيكون للفقير معنى وللمسكين معنى آخر ، فيكون الفقير أشد حاجة من المسكين ، أما إذا ورد ذكر المسكين في

سياق ليس فيه ذكر الفقير فيدخل في معناه الفقير ، وكذلك إذا ورد ذكر الفقير في سياق ولم يرد فيه ذكر المسكين دخل المسكين في معنى الفقير، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ الإيمان شرط لقبول العمل فلا يقبل العمل من مشرك فلماذا أُخر العمل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .... ﴾ [البلد: ١٧] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن (ثم) للترتيب في الذكر لا للترتيب في الزمن كما قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ∴ ثم قد ساد قبل ذلك جده

فلم يرد ـ بقوله : ثم ساد ـ أبوه التأخر في الوجود والزمن ، وإنما المعنى : ثم اذكر أنه ساد أبوه .

● وهي بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى : **﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾** [طه: ١١٢] .

ففك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة من الصالحات ، وقوله : ثم كان من الذين آمنوا .... من الإيمان .

● وكقوله تعالى : **﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾** [الإسراء: ١٩] .

● وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... ﴾ [غافر: ٤٠] .

الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .... ﴾ [البلد: ١٧] أنه ختم له بالإيمان ومات على الإسلام ، أي : أنه فك رقبة وأطعم الفقراء والمساكين ، ثم مات على الإسلام ولم يرتد ولم يغير ولم يبدل وتواصى بالحق وتواصى بالصبر مبتغيًا بذلك وجه اللَّه .

الثالث : أنه كان في جاهلية يعمل أعمالاً صالحة من عتق الرقاب وإطعام الفقراء والمساكين ، ثم لما جاء الإسلام أسلم وحسن إسلامه وتواصى بالحق وتواصى بالصبر[1] .

الرابع : أن المراد من قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [البلد: ١٧] : تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة ؛ لأن ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال ، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات التي تحث المؤمنين على التواصي بالصبر؟

ج من ذلك : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) وهذا (الثالث) على قول من يرى أن الكافر ينتفع بالأعمال الصالحة التي عملها في جاهليته وأسلم بعدها .

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وقول لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧] .

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ضحاها ـ تلاها ـ جلاها ـ يغشاها ـ بناها ـ طحاها ـ سواها ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ زكاها ـ دساها ـ بطغواها ـ انبعث ـ دمدم ؟

ج :

الكلمة	معناها
ضحاها	ضوؤها ـ النهار كله ـ حرُّها
تلاها	تبعها
جلاَّها	أظهرها وأوضحها ـ جلَّى الظلمة عنها

الكلمة	معناها
يغشاها	يغطيها حتى تغيب
بناها	جعلها للأرض سقفًا ـ خلقها
طحاها	بسطها يمينًا وشمالاً ومن كل جانب (وهذا رأي أكثر المفسرين)
سوَّاها	عدلَّ خلقها
فألهمها فجورها وتقواها	بيَّن لها ما تكون به فاجرة وما تكون به تقية ـ عرَّفها ، وقال بعض العلماء : جعل فيها فجورها أو تقواها
زكَّاها	طهرها من الكفر والمعاصي وأصلحها بالأعمال الصالحة وبطاعة اللَّه
دسَّاها	أخفاها عن الخير وأبعدها عن الصلاح وخذلها وصدها عن الهدى حتى وقع في المعاصي وترك طاعة اللَّه
بطغواها	بسبب طغيانها (أي: أن طغيانها حملها على التكذيب)
انبعث	نهض ـ خرج ـ انتُدب ـ (أي : نهض أشقى القبيلة لقتل الناقة)
دمدم	دمر ـ أطبق عليهم العذاب ـ أَهْلَكَ

* * *

س ـ من العلماء من قال : إن قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [الشمس: ١] فيه مقدر محذوف والتقدير : (ورب الشمس وضحاها) ، فهل هذا الكلام مستقيم ؟

ج الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ : أنه لا يستقيم ، إذ الأصل عدم التقدير ، ثم إن رب العزة سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته .

ومما يعكر على هؤلاء القائلين بتقدير محذوف قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [الشمس: ٥] ، فإذا قدرت فستقول : ورب السماء ورب ما بناها ، فهذا سيكون خطأ واضح ، فالذي بناها هو ربها ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ جَلَّاهَا ﴾ [الشمس: ٣] راجع إلى ماذا ؟

ج : جمهور المفسرين على أن المراد بـ ﴿ جَلَّاهَا ﴾ أي : جلى الظلمة ، فالضمير راجع إلى الظلمة .

• ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلى الشمس : أي: والنهار إذا جلى الشمس وأظهرها .

• ومنهم من قال : والنهار إذا جلالها : أي : إذا جلَّى البسيطة ، وهي الأرض ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا استعملت ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ [الشمس: ٥] ولم تستعمل مَنْ ؟

ج : من العلماء من قال : إن ﴿ مَا ﴾ هنا بمعنى (مَنْ) ، وذلك كقوله تعالى : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] ، أي : ووالد ومن ولد ، وكقوله تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] ، أي : من طاب لكم .

ومن العلماء من قال : إن إيراد ﴿ مَا ﴾ على (من) لإرادة الوصفية لقصد التفخيم ، كأنه قال : والقادر العظيم الذي بناها ، والله أعلم.

* * *

س ـ الواو في قوله تعالى: ﴿والشَّمْسِ وضحاها﴾ [الشمس: ١] واو القسم ، فأين جواب القسم ؟

ج : جواب القسم هو : قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] ؟

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ من زكّاها ﴾ [الشمس: ٩] يرجع إلى من ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أنه يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، ويشهد لذلك أدلة

منها : قوله تعالىٰ : ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

وقول النبي ﷺ : «اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها....»[1] .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ العبد ، والمعنىٰ : قد أفلح من زكَّىٰ نفسه وطهرها من الذنوب والمعاصي ، ويشهد لهذا القول : قوله تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨] ، وقوله تعالىٰ : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٣] .

● والجمع بين الوجهين ممكن .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

والذي يظهر واللَّه تعالىٰ أعلم : أن الجمع بين تلك النصوص كالجمع في التي قبلها ، وأن من يتزكىٰ به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية . فإنه بفضل من اللَّه ، كما في قوله تعالىٰ المصرح بذلك : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وكل النصوص التي فيها عود الضمير أو إسناد التزكية إلى العبد ، فإنها بفضل من اللَّه ورحمة ، كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان، فهو الذي يتفضل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح . وترك المعاصي ، كما في قولك : «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» وقوله : ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩] ، إنما هو بمعنى المدح والثناء ، كما في قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ، بل إن في قوله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩] الجمع بين الأمرين ، القدري والشرعي ، بل اللَّه يزكي من يشاء بفضله ، ولا تظلمون فتيلاً بعدله . واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قد خاب من خذل نفسه وأخفاها وأبعدها عن الطاعات والهدى حتى وقع في المعاصي واختفى فيها وغمرته .

وقيل : إن المعنى : قد خاب من دسس اللَّه له نفسه وخذَّله عن طاعة ربه وبارئه .

وأصل التدسيس الإخفاء .

قال الرازي في «تفسيره» :

أما قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠] فقالوا : ﴿دَسَّاهَا﴾ أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأبدلت إحدى السينات ياء ، فأصل دسى دسس ، كما أن أصل تقضى البازي : تقضض البازي ، وكما قالوا لبيت والأصل لبيت ، وملبى والأصل: ملبب ، ثم نقول : أما المعتزلة فذكروا وجوهًا توافق قولهم: **أحدها** : أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم ، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية ، كما أن أجواد العرب ينزلون الربا حتى تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم عن الطالبين. **وثانيها** : ﴿خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أي : دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم . **وثالثها** : ﴿مَن دَسَّاهَا﴾ في المعاصي حتى انغمس فيها . **ورابعها** : ﴿مَن دَسَّاهَا﴾ من دس في نفسه الفجور ، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها . **وخامسها** : أن من أعرض عن الطاعات ، واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكًا منسيًّا ، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول . وأما أصحابنا فقالوا : المعنى : خابت وخسرت نفسٌ أضلها اللَّه تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿دَسَّاهَا﴾، قال الواحدي رحمه اللَّه : فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح مَنْ طهره وخسار مَنْ خذله ، حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وأصل التدسية الإخفاء ، ومنه : قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾ [النحل: ٥٩] ، فالعاصي يدُّس نفسه بالمعصية ، ويخفي مكانها ، ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به ، قد انقمع عند نفسه ، وانقمع عند اللَّه ، وانقمع عند الخلق ، فالطاعة والبر تُكبر النفس وتعزها وتُعليها حتى تصير أشرف شيءٍ وأكبره وأزكاه وأعلاه ، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره للَّه تعالى .

وبهذا الذل للَّه حصل لها العز والشرف والنمو فما صغَّر النفس مثل معصية اللَّه ، وما كبرها وشرَّفها ورفعها مثل طاعة اللَّه .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح أقوال العلماء في تأويل قوله تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**﴾ [الشمس: ١١] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : كذبت قبيلة ثمود بمعصيتها للَّه ، أي : أن طغيانهم وعصيانهم حملهم على التكذيب ، وهذا القول عليه أكثر أهل العلم .

الثاني : من العلماء من قال : إن الطغوى هي العذاب الذي عُذب به قوم صالح (أي : قبيلة ثمود) ، فلما وعدهم صالح هذا العذاب كذبوا به ، واستدل القائلون بهذا القول بقوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٥] .

الثالث : أن قوله : بطغواها ، معناه: بأجمعها ، أي: كذبت ثمود كلها ، وهذا القول ضعيف عندي أيضًا ، وأقواها أولها ، والله أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] ، ما هو الشيء الذي كذبت به ثمود ؟

ج : كذبت ثمود بالعذاب الذي وعدهم به نبيهم صالح ، كما قال تعالى : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧] .

● وكذبوا بالبعث والقيامة ، كما قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] ، وكذبوا برسالة صالح عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦] .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله : ﴿أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢] ؟

ج : أشقى قبيلة ثمود كما جاء في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ : «إذ انبعث أشقاها : انبعث لها رجل عارمٌ عزيز منيع في

رهطه كأبي زمعة ...»[١].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن رسول اللَّه صالح عليه الصلاة والسلام حذر قومه فقال لهم : احذروا الناقة ـ ناقة اللَّه ـ فلا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم ، واحذروا سقياها ، أي : الماء الذي تشرب منه في اليوم الذي لها ، فقد كان للناقة يوم تشرب منه من البئر ، وهم يشربون اليوم الآخر ، كما قال تعالى : ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦] .

* * *

س ـ كل الأرض للَّه ، وكل النوق للَّه ، فلماذا خصت الناقة بأنها (ناقة اللَّه) ؟

ج : الإضافة في قوله تعالى : ﴿ناقة اللَّهِ﴾ [الشمس : ١٣] إضافة تشريف للناقة ، وإن كانت كل النوق للَّه .

وكذلك فالمساجد كلها للَّه لكن قيل عن البيت الحرام :

---

(١)أخرجه البخاري (حديث ٤٩٤٢) ومسلم (حديث ٢٨٥٥) من حديث عبد اللَّه بن زمعة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(بيت اللَّه) تشريفًا للبيت الحرام .

والأرض كلها للَّه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ، لكن قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] تشريفًا للمساجد وتعظيمًا لشأنها ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ إذا ارتكب شخص معصية فأقره قومه نُسب إليهم الفعل وحلَّ بهم العقاب ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] فنسب العقر إليهم جميعًا مع أن الذي عقرها واحد ، لكن لما أقروه على فعله ولم يمنعوه منه كانوا مشاركين له في الفعل ونسب العقر إليهم جميعًا .

- ومن الأدلة أيضًا : قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] .

- وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ....» الحديث[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقها ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه»[١]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس: ١٥] .

ج : جمهور المفسرين على أن المراد : أن اللَّه سبحانه وتعالى لا يخاف عاقبة الذي صنعه بقبيلة ثمود من إنزاله العذاب عليهم .

● ومن العلماء من قال : إن المراد أن صالحًا عليه السلام لا يخاف من أحد عاقبة ما أحله اللَّه بثمود .

● والقول الثالث : أن أشقى ثمود وهو الذي عقر الناقة عقرها وهو لا يخشى اللَّه ولا يخاف العقوبة من قتلها .

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩) وأبو داود في «الملاحم» (٤٣٣٨) وابن ماجة (٤٠٠٥) والترمذي مع «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٨) وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم ١) بإسناد صحيح من حديث أبي بكر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ .
وقد روي الحديث موقوفًا ومرفوعًا ، ولمزيد من الكلام عليه انظر تعليقي على حديث رقم (١) من «المنتخب» لعبد بن حميد .

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

يغشى ـ تجلى ـ إن سعيكم لشتى ـ فسنيسره لليسرى ـ فسنيسره للعسرى ـ تردى ـ الآخرة ـ الأولى ـ تلظى ـ يصلاها ـ سيجنبها ـ الأتقى ـ يؤتي ـ يتزكى ؟

ج :

الكلمة	معناها
يغشى	يغطي (أي : يغطي النهار بظلمته)

الكلمة	معناها
تجلـــــــى	أضاء فأنار وظهر للأبصار ـ انكشف
إن سعيكم لشتى	إن عملكم لمختلف[١]
فسنيسره لليسرى	سنهيئه لعمل الخير وعمل أهل السعادة[٢]
فسنيسره للعسرى	سنهيئه لعمل الشر وعمل ما يجب له النار وعمل أهل الشقاوة
تـــــــردى	سقط (أي : سقط في جهنم)
الآخـــــرة	الدار الآخرة ، وقيل : إن المراد الجنة
الأولـــــى	الدنيا
تلظـــــى	تتوهج
يصلاهـــــا	يدخلها فيصلى سعيرها ـ يدخلها دخولاً فتحيط

---

(١) أي : أن منكم من يعمل الصالحات ، ومنكم من يفعل المحرمات ، ومنكم الشقي ، ومنكم التقي ، ومنكم المطيع ، ومنكم العاصي .

(٢) ومما يدل على أن الحسنى هي عمل أهل السعادة ما أخرجه البخاري (٤٩٤٨) من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : «**ما منكم من أحد ، وما من نفس منفوسة إلا كُتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة**» ، قال رجل: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : «**أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء**» ، ثم قرا ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ**﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية .

الكلمة	معناها
	به من كل جانب
سيجنبها	سيُبعد عنها
الأتقى	التقي
يؤتى	يُعطى
يتزكى	يتطهر

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : والذي خلق الذكر والأنثى .

وقال آخرون : إن الله سبحانه وتعالى أقسم بخلق الذكر والأنثى ، فالمعنى : وخلق الذكر والأنثى . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ هل صح الإسناد بأن النبي ﷺ قرأ : ﴿ والذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] أي بدون ذكر وما خلق ؟

ج : نعم صح الإسناد بذلك ففي «الصحيحين»[1] من طريق علقمة

(١) البخاري (حديث ٤٩٤٣) ومسلم (٨٢٤) .

قال : دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد اللَّه الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا : نعم ، قال: فأيُّكم أقرأ ؟ فأشاروا إليَّ فقال : اقرأ فقرأت ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَالذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [الليل: ١ - ٣] قال : أنت سمعتها من فيّ صاحبك ؟ قلت : نعم . قال : وأنا سمعتها من فيِّ النبي ﷺ ، وهؤلاء يأبون علينا [(١)].

* * *

س ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] فما هو جواب القسم ؟

ج : جوابه هو : قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] أعطىٰ ماذا واتقىٰ ماذا ؟

ج : أعطىٰ المال في سبيل اللَّه ، واتقىٰ اللَّه ، واجتنب محارمه .

* * *

س ـ ما المراد بالحسنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥، ٦] ؟

---

(١) في رواية البخاري (٤٩٤٤) : وهؤلاء يريدونني أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] ، واللَّه لا أتابعهم .

ج : لأهل العلم في تحديدها أقوال :

أحدها : أن المراد بالحسنى وعد اللَّه عز وجل بأنه سيخلف على المنفق ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ، وكما قال رسول اللَّه ﷺ : «ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا»(١).

الثاني : أن المراد بالحسنى الجنة ، لقول اللَّه تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] .

الثالث : أن المراد بالحسنى : قول لا إله إلا اللَّه .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

فائدة : قال القرطبي رحمه اللَّه :

مسألة : قال العلماء : ثبت بهذه الآية وبقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] ، وقوله : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى غير ذلك من الآيات ـ أن الجود من مكارم الأخلاق ، والبخل من أرذلها . وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء ، ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع ، لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء ، والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء ، فكل من استفاد بما يعطي أجرًا وحمدًا فهو الجواد . وكل من استحق بالمنع ذمًّا أو عقابًا فهو البخيل . ومن لم يستفد بالعطاء أجرًا ولا حمدًا ، وإنما استوجب به ذمًّا فليس بجواد ، وإنما هو مسرف مذموم ، وهو من المبذِّرين ، الذين جعلهم اللَّه إخوان الشياطين ، وأوجب الحجْر عليهم . ومن لم يستوجب بالمنع عقابًا ولا ذمًّا ، واستوجب به حمدًا ، فهو من أهل الرشد ، الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم ، بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم .

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل: ٨] بخل بماذا واستغنىٰ عن ماذا ؟

ج : بخل بالزكاة وبخل بحق اللَّه عليه ، وبخل بأعمال البر ، واستغنىٰ عن ربه وعما أعده اللَّه للمطيعين .

* * *

س ـ ما المراد بالتكذيب بالحسنىٰ ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : التكذيب بوعد اللَّه بالخلف علىٰ الإنفاق ، والتكذيب برسالة اللَّه ، والتكذيب بالجنة ، والتكذيب بالتوحيد .

* * *

س ـ المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفق ماله في طاعة اللَّه عز وجل اذكر بعض الأدلة علىٰ ذلك ؟

ج : من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] .

● وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] .

● وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ١١] .

● وقول الكافر : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي

سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] .

● وقول النبي ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[١] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[٢] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ..»[٣] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٠٣٦) .

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن علينا بيان طريق الهداية وطريق الغواية ، أي : أن المراد بالهداية هنا هداية الدلالة كما قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ ، وكما قال سبحانه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالهداية هنا هداية التوفيق ، فالمعنى: أن الأمر في الهداية موكول إلينا، وكذلك الأمر في الإضلال ، فلن يهتدي أحد إلا إذا هداه الله ، ولن يضل أحد إلا إذا أضله الله ، كما قال تعالى : ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، وكما قال تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] ، وكما قال تعالى : ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات .

فإن قيل : من أين أتيتم بالإضلال والآية ليس فيها إلا الهدى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢] ؛ فالإجابة : أن ذلك كقوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ، أي : وتقيكم البرد ، ولكنه حذف البرد لمعرفة العرب له ، والله أعلم .

* * *

س ـ من المراد بـ ﴿الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] في الآية الكريمة ؟

ج : المراد : بالأشقى : المشرك ، بدليل قوله تعالى : ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٦] .

* * *

س ـ هل النار لا يدخلها إلا المشرك لقوله تعالى : ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] ؟

ج : كلا ، بل يدخلها مسلمون أسرفوا على أنفسهم ولم تغفر لهم ذنوبهم أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] .

● وكما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١] .

● وقال تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] .

وكما ورد في حديث المفلس[1] وغيره من الأحاديث .

* * *

(١) أخرج مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون ما المفلس ؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» .

س ـ كيف توجه إذن قوله تعالى : ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ [الليل: ١٥] ما دمتم قد حملتم الأشقى على المشرك ؟

ج : توجيهه : أن يُقال : لا يصلاها مخلدًا فيها إلا الأشقى .

قال الزمخشري : الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل: الأشقى ، وجعل مختصًّا بالصَّلى ، كأن النار لم تخلق إلا له ، وقيل : الأتقى ، وجعل مختصًّا بالجنة كأن الجنة لم تخلق إلا له . وقيل : هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي اللَّه عنه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [الليل: ١٦] كذب بماذا وتولى عن ماذا ؟

ج : كذب بآيات اللَّه وكذب باليوم الآخر ، وتولى عن كتاب اللَّه وعن رسول اللَّه ﷺ .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ [الليل: ١٩] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن هـذا التقي الذي ينفق مالـه في سبيل اللَّه لا ينتظر من أحد من الخلق أن يجازيه على معروفه الذي يصنعه ، لكن فقط يريد بذلك وجه اللَّه ، كما ذكر اللَّه سبحانه وتعالى

ذلك في آيات أخر فقال : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩] :

* * *

س ـ فعل الطاعة ييسر لفعل طاعة أخرىٰ ، وفعل المعصية يدفع إلىٰ معصية أخرىٰ ، دلل علىٰ ذلك ؟

ج : من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

- قوله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨] .
- وقوله تعالىٰ :- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ...﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الضحى ـ سجى ـ ودَّعك ـ قلى ـ آوى ـ عائلاً ـ تقهر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الضحى	من العلماء من قال : المراد به هنا النهار كله[1] ـ ومنهم من قال : هو ساعة من ساعات النهار وهو صدر النهار

(١) والذين اختاروا هذا القول استدلوا له بمقابلة النهار لليل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ٢] ، قالوا : فأقسم اللّه بالنهار وبالليل بقوله : ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ [الضحى: ١] أي : النهار ﴿ وَاللَّيْلِ .. ﴾ [الضحى: ٢] .

الكلمة	معناها
سجى	غطى[1] ـ أقبل بظلامه ـ سكن بالخلق
ودَّعك	تركك
قلى	أبغض ، وقوله تعالى : ﴿وما قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] : أي : وما قلاك يعني : وما أبغضك ربك منذ أحبك
آوى	جعل لك مأوى تأوي إليه
عائلاً	فقيرًا، ومنه قول الشاعر: وما يدري الفقير متى غناه ∴ وما يدري الغني متى يعيل
تَقْهَرْ	تسئ المعاملة

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في الحث على صلاة الضحى وبيان فضلها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل

(١) ومنه قول النبي ﷺ في قصة موسى مع الخضر : « فوجد رجلاً مسجًى » .

تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[١] .

وما أخرجه أبو داود [٢] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة**» قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبي اللَّه؟ قال : «**النخاعة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك**» .

● ومن ذلك: ما أخرجه أحمد من حديث نعيم بن همار الغطفاني أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : «**قال اللَّه عز وجل : يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**»[٣] .

● وفي «صحيح مسلم» [٤] من حديث زيد بن أرقم قال : خرج رسول اللَّه ﷺ على أهل قباء وهم يصلون فقال : «**صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال**» .

● وقد جاء الحث على صلاة الضحى في عدة أحاديث منها :

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤٢) وأحمد (٥/ ٣٥٤ و ٣٥٩) وابن حبان «موارد الظمآن» (٦٣٣ و ٨١١) والطحاوي «مشكل الآثار» (١/ ٢٥) .

(٣) أخرجه أحمد «المسند» (٥/ ٢٨٦) والدارمي (١/ ٣٣٨) والبيهقي (٣/ ٤٨) وابن حبان «موارد» (٦٣٤) وهو حديث حسن .

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وفي إسناده القاسم بن عوف الشيباني وقد تكلم في القاسم بعض أهل العلم .

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيامٍ من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونومٍ على وتر .

● وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء[٢] رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وبأن لا أنام حتى أوتر .

وأخرج أحمد[٣] رحمه اللَّه من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبي بثلاث لا أدعهن إن شاء اللَّه أبدًا : أوصاني بصلاة الضحى ، وبالوتر قبل النوم ، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

* * *

س ـ كيف يوجَّه قول من قال : إن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ؟

ج : ابتداءً يجاب عليه بأن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه صلى الضحى .

● فأخرج مسلم من طريق معاذة أنها سألت عائشة رضي اللَّه عنها كم كان رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة الضحى ؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما شاء[٤] ، وفي رواية : ما شاء اللَّه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٧٨) ومسلم (حديث ٧٢١) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣) وهو صحيح وله شواهد أيضًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٧١٨) .

● وأخرج ابن خزيمة[١] من حديث علي رضي اللَّه عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي الضحى .

● وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنت أصلي لقومي . . . فذكر الحديث ، وفيه : فغدا عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر رضي اللَّه عنه بعد ما اشتد النهار فاستأذن رسول اللَّه ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال : «**أين تحب أن أصلي من بيتك ؟** » فأشرت لـه إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه ، فقام رسول اللَّه ﷺ فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلَّم وسلمنا حين سلَّم .

● وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أم هانئ رضي اللَّه عنها ذكرت أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل في بيتها فصلى ثمان ركعات . .

● هذا يجاب به ابتداء على من أنكر أن الرسول ﷺ صلى الضحى .

● **ويجاب عليه ثانية** : بأن النبي ﷺ قد حث عليها ، وسنته عليه الصلاة والسلام إما قولية أو فعلية أو تقريرية .

● **ويجاب ثالثةً** : بأن من أثبت من الصحابة أن النبي ﷺ صلى الضحى قوله أولى من قول من نفى ، فالمثبت مقدم على النافي ، ومن علم حجة على من لم يعلم .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٢٣٣) من طريق عاصم بن ضمرة عن علي رضي اللَّه .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣/ ٦٠) ومسلم (١/ ٤٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٧٨) ومسلم (١/ ٦٦) ، ٤٩٧) .

● ويلتمس لقائل هذا القول ـ بأن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ـ العذر لما ورد من نفي بعض الصحابة صلاة رسول اللَّه ﷺ للضحى فيقال له : إنه إما أن يقال : إن المثبت مقدم على النافي ، أو أن الصحابي أراد أن الرسول ﷺ لم يحافظ عليها ، وذلك لكونه عليه الصلاة والسلام كان يحافظ على صلاة الليل ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ما هو عدد ركعات صلاة الضحى ؟

ج : ثبت ما تقدم أن النبي ﷺ حث على صلاة ركعتين ، وثبت أنه حث على أربع كذلك ، وثبت أنه صلى أربعًا وزاد ما شاء اللَّه ، وثبت أنه صلى ثمانية عليه الصلاة والسلام ، وكل ذلك تقدم .

* * *

س ـ هل يجوز أن تصلى الضحى في جماعة ؟

ج : نعم يجوز ذلك أحيانًا ولا يكثر منه ، أما جوازه أحيانًا فلما ثبت ـ وقد تقدم ـ من حديث عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قام فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا [1] .

● أما عدم الإكثار من صلاتها في جماعة لأن النبي ﷺ لم يكثر من ذلك، ولأن الأفضل للمرء أن يكثر من صلاة النفل في بيته لحديث:

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

«خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»[١]، والله أعلم .

* * *

س ـ متى يبدأ وقت صلاة الضحى ومتى ينتهي ؟

ج : يوضح ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عمرو بن عبسة السلمي قال : كنت وأنا في الجاهلية . . . فذكر الحديث ، وفيه : قلت : يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال : «**صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة**[٢] **محضورة حتى يستقل الظل بالرمح**[٣] **، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصلِ فإن الصلاة مشهودة محضورة**» . . . الحديث[٤] .

هذا وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .
والبخاري (حديث ٧٣١) ولفظ البخاري : «... **فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» .

(٢) أي : تشهدها الملائكة وتحضرها .

(٣) **قال النووي** : أي : يقوم مقابله من جهة الشمال مائلاً إلى المغرب لا إلى المشرق وهذه حالة الاستواء ، وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية ، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم في الأرض ثم نظروا إلى ظلها وهو آخر وقت الضحى .
قلت : وهذا يعني أن وقتها ينتهي عند الزوال ، أي : قبيل الظهر .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨٣٢) .

الشمس[١]، فعلى ذلك يبدأ وقت الضحى بعد طلوع الشمس، والتأكد من طلوعها يكون بارتفاعها قليلاً حتى نتقي مشابهة الكفار الذين يسجدون لها ، وينتهي وقتها عند الزوال ، وقد ذكر بعض أهل العلم كالنووي في «المجموع» : أن وقتها يبدأ من ارتفاع الشمس إلى الزوال .

وفي «الروضة» : روى عن أصحاب الشافعي أن وقتها يدخل بطلوع الشمس ، ولكن يستحب تأخيرها إلى ارتفاع الشمس .

قلت : وقد ثبت فيما تقدم أن النبي ﷺ قال : **«قال الله عز وجل: ابن آدم اركع لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره»** ، وذهب بعض العلماء إلى استحبابها عند اشتداد النهار ، أي : بعد طلوع الشمس واشتدادها ، وذلك لأن النبي ﷺ صلاها في بيت عتبان بعد ما اشتد النهار كما ذكرناه آنفًا . والله تعالى أعلم .

* * *

(١) ثبت ذلك من عدة طرق عن النبي ﷺ منها ما يلي :

● حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس»** أخرجه البخاري (٥٨٦) ومسلم (٨٢٧) وفي لفظ : **«لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس»** .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صلاتين : بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس . أخرجه البخاري (٥٨٨) ومسلم من طريق آخر عن أبي هريرة (حديث ٨٢٥) .

● حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب . أخرجه البخاري (٥٨١) ومسلم (٨٢٦) .

وثمَّ أحاديث أخر في الباب .

س ـ ما هو سبب نزول قوله تعالىٰ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ٢] ؟

ج : سبب نزولها هو : ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث جندب بن سفيان رضي اللَّه عنه قال : اشتكىٰ رسول اللَّه ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ؛ فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو إن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا ؛ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣] .

* * *

س ـ ما المراد بالآخرة في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] ؟

ج : المراد بالآخرة : الدار الآخرة .

والمراد بالأولىٰ : الحياة الدنيا ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما هو العطاء الذي أُعطاه نبينا محمد ﷺ ؟

ج : من ذلك : ما أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٥٠) ومسلم حديث (١٧٩٧ ص ١٤٢٢) .

من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[١].

● ومن ذلك : القرآن والسبع المثاني[٢]، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] .

● ومن ذلك : الكوثر ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] .

● ومن ذلك : شهادة الرسول ﷺ على أمته وشهادة أمته على سائر الأمم . قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

● ومن ذلك : كونه ﷺ جُعل سيد ولد آدم .

● ومن ذلك : المقام المحمود والحوض المورود .

* * *

س ـ ما هو وجه إيواء اللَّه لنبيه ﷺ ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى قيَّد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراده بسوء ، ويحنو عليه ويدافع عنه .

وكذلك قيَّد اللَّه له غير أبي طالب أيضًا ، فقيَّد اللَّه له المطعم بن

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢١) .

(٢) وهي فاتحة الكتاب .

عدي فنزل النبي ﷺ في جواره .

وقيد اللَّه له العموم من حفظه بإذن اللَّه، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

* * *

س ـ اذكر الحكمة من قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : الحكمة من ذلك ـ واللَّه أعلم ـ : كي لا ينسىٰ الإنسان نفسه فيقع في العجب والغرور ، والحكمة من ذلك أيضًا : الحث علىٰ الخير وأعمال البر . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيء من التفصيل بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، ذكر الرازي منها عشرين قولاً .

وأشهر هذه الأقوال ما يلي :

القول الأول : أنه عليه الصلاة والسلام كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده اللَّه سالمًا .

القول الثالث : أنه سبحانه وجده في قومٍ ضلال فهداهم اللَّه به ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه الغنى الذي أغنى اللَّه به نبيه ﷺ ؟

ج : من العلماء من قال : إن هذا الغنى يتمثل فيما فتحه اللَّه عليه من الفتوحات والكنوز ، وما منَّ اللَّه به عليه من الغنائم وتحليلها له ، لكن هذا القول قد ردَّه بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة .

- ومن العلماء من قال : إن المراد بالغنى هنا غنى النفس والقناعة، فقد قنعه اللَّه بما آتاه .

- ومن أهل العلم من قال : إن اللَّه عز وجل أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من طريق الحث على المعروف في بعض الأحيان أن تذكر الشخص بما كان فيه قبل أن ينعم اللَّه عليه ، ومن ثم تطلب منه الذي تريد، وضح ذلك ؟

ج - إيضاحه : أن اللّه سبحانه وتعالى ذكّر نبينا عليه الصلاة والسلام بما كان فيه من يتم وضلال وفقر ، وذكّره بما منّ به عليه من إيواء وهداية وغنى ، ثم حثه على إكرام اليتيم (كما أُكْرِم وهو يتيم) ، والرفق بالسائل الضال والسائل الفقير (فقد كان ضالاً وكان فقيرًا) .

ونحو هذا ورد في حديث الأعمى والأقرع والأبرص[1] إذ قد ذكّرهم المَلَك بما كانوا فيه من فقرٍ وعمى ، وفقرٍ وقرع ، وفقرٍ وبرص، وسألهم بالذي أعطاهم الشكل الحسن بعد أن كانوا في دمامة على ما ورد في الحديث .

* * *

س - اذكر - على وجه الإجمال - بعض الآيات المتعلقة باليتيم ؟

ج : من هذه الآيات : آيات تحث على إكرام اليتيم ، وتحذر من إهانته .

- قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩] .
- وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ١، ٢] .
- وقال تعالى : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ - ١٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (حديث ٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا وفيه : ... رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا باللّه ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري .... الحديث .

• وقال تعالى : ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨] .

• وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] .

• وقال تعالى : ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] .

• وقال تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [الأنفال: ٤١] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ومنها : آيات تحذر من أكل مال اليتيم وتحث على إصلاحه له قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] .

وقال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] .

• وقال تعالى : ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .... ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

● وقال تعالىٰ : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] .

● وقال تعالىٰ : ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] .

● وقال تعالىٰ : ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦] .

* * *

س ـ هل يجوز ضرب اليتيم لتأديبه والجزم معه ؟

ج : نعم يجوز ضربه لتأديبه إذا كان لا يجدي معه إلا الضرب ما دام الشخص يريد بذلك الإصلاح ، فاللَّه يعلم المفسد من المصلح ، واللَّه لا يحب الفساد .

* * *

س ـ من المراد بالسائل المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] .

ج : من العلماء من قال : إن السائل هنا هو السائل عن المال (أي : المحتاج) ، أو السائل عن الطعام .

ومنهم من قال : إن السائل هنا السائل عن العلم والدين ، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه ، فإن في ذلك معونة له علىٰ مقصده ، وإكرامًا لمن كان يسعىٰ في

نفع العباد والبلاد ، والصواب في ذلك عندي أن الآية عامة .

فيدخل في السائلِ السائلُ عن المال، والسائل عن العلم والدين ، والسائل عن الطريق ، والسائل عن كل ما ينتفع به ويحتاج إليه ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالنعمة في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالنعمة هنا النبوة ، ولا شك أن النبوة من أعظم النعم ، ولكن قصر الآية عليها يحتاج إلى دليل ، والصواب عندي ـ واللَّه أعلم ـ : أن المراد بالنعمة هنا عموم نعم اللَّه على شخص .

* * *

س ـ كيف يُحدث الشخص بنعمة اللَّه عليه ؟

ج : لذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تذكر للناس ما أنعم اللَّه به عليك ، فتقول : لهم لقد أنعم اللَّه عليَّ بكذا وكذا .

الوجه الثاني: أن تعمل بمقتضى هذه النعمة، فتحسن كما أحسن اللَّه إليك ، وتعلم الناس كما علمك اللَّه ، وتأوي الأيتام كما آواك اللَّه . . .

* * *

س ـ هل يحدث الشخص بنعم اللَّه عليه في كل الأحوال ؟

ج يستحب للشخص أن يحدث بنعم اللَّه عليه ما لم يخش حسد حاسد ولا كيد كائد ، فقد قال النبي ﷺ : «**إن اللَّه يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**» ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١].

● أما إذا خشي حسد الحاسدين فله أن يكتم ، وذلك لقول يعقوب عليه السلام ليوسف ﷺ : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ﴾ [يوسف: ٥] ولقول النبي ﷺ : «**إذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ...**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٤) ومسلم (ص ١٧٧٢) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ .. به .

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

نشرح ـ وزرك ـ أنقض ظهرك ـ العسر ـ يسرًا ـ فانصب ـ فارغب .

ج :

الكلمة	معناها
نشـــرح	نفسح (أي : نجعله فسيحًا رحيبًا) ـ نوسع ـ نفتح ـ ننور ، وقيل : إن المراد هو الشرح الذي حدث له ليلة الإسراء صلوات اللَّه وسلامه عليه
وزرك	ذنبك[1]
أنقض ظهرك	أتعب ظهرك وأثقله حتى سُمِع له نقيض ـ أثقلك حمله

(١) فمعنى قوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] : حططنا عنك ذنبك بغفرانه لك أو غفرنا لك ما سلف من ذنوبك .

الكلمة	معناها
العسر	الضيق ـ الشدة ـ الكرب
يسرًا	سعة وغنى ومخرجًا
فانصب	اجتهد ـ اتعب[1] في العبادة وسل اللَّه حاجتك
ارغب	الجأ واتجه[2]

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] ؟

ج : أما الهمزة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] فهي همزة الاستفهام وفيها معنى النفي، ولم نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فعلى ذلك فقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] معناه : قد شرحنا ، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فمعناه : أن اللَّه كاف عبده ، وكقوله : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] فمعناه : قد

---

(١) ومنه قول جبريل لرسول اللَّه ﷺ : بشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب. أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) ، وليس المراد التعب المخرج عن النشاط والجالب للملل فقد قال النبي ﷺ : «ليُصَلِّ أحدكم نشاطه» . أخرجه البخاري (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس مرفوعًا .

(٢) فقوله : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨] : أي : اجعل رغبتك وحاجتك إليه دون من سواه .

ربيناك فينا وليدًا .

● ومن ذلك : قول الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا .:. وأندى العالمين بطون راحِ

● **أما المراد بشرح الصدر** ؛ فمن العلماء من قال : إنه شق صدره ﷺ الذي تم ـ على ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه ـ وهو صغير ، وأيضًا ليلة الإسراء ، ومن العلماء من قال : إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذى وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان ؛ ومن المعلوم : أن الصدر إذا كان منشرحًا لشخصٍ مثلاً فإن كل أقواله تدخل فيه ، وإذا كان الصدر متبرمًا متضايقًا من شخص فلا يكاد يصل أيُّ قول من قوله إلى الصدر ، بل يرد الصدر كل ما يصدر من هذا الشخص فعليه إن كان اللَّه سبحانه وتعالى قد شرح صدر شخصٍ للإسلام فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهي إلى صدر هذا الشخص وهو مرتاح لها متسع لقبولها ، كما قال عز وجل : ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥] . وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر ، ومن ثم دعاء موسى ﷺ ـ لما كلفه اللَّه بالذهاب إلى فرعون ـ ربه عز وجل فقال: ﴿ .. **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] .

* * *

س ـ كم مرة شُرِح صدر رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : الذي وقع لي من ذلك بسند صحيح أن صدر الرسول ﷺ شُرح مرتين :

الأولى منهما : وهو صغير يلعب مع الغلمان كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ[٢] ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني : ظئره)[٣] فقالوا : إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٤].

قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

والثانية : ليلة المعراج كما في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطستٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ...**» الحديث[٥]

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٤٧) .

(٢) لأَمَهُ : ضمه وجمع بعضه إلى بعض .

(٣) ظئره : أي مرضعته .

(٤) منتقع اللون : أي متغير اللون .

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٩) ومسلم (حديث ١٦٣)

س ـ لماذا أتى في الآية الكريمة بلفظ لك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] ، ولم يُقل (ألم نشرح صدرك) ؟

ج : أجاب على ذلك بعض أهل العلم بما حاصله : أن نفع انشراح الصدر راجع إليك يا محمد لا إلى اللّه فهو ، نعمة ومنة منا عليك .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] .

* * *

س ـ هل كانت عند النبي ﷺ ذنوب قبل نبوته عليه الصلاة والسلام؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، فروي عن قتادة بإسناد يصح بمجموع طريقيه[1] في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ١ - ٣] كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها اللّه له .

● وروى الطبري أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ١، ٢] قال :

---

(١) أخرجهما الطبري في «تفسيره» .

شرح له صدره وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن يُنبأ فوضعه .

وتأيد هذا القول بقوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...﴾ [الفتح: ٢] ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل كانت هذه الذنوب كبيرة وثقيلة إلى حد أن توصف بأنها أنقضت الظهر ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما وصفت الذنوب بأنها ثقيلة أنقضت الظهر مع كونها مغفورة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها ، كما قال الخليل إبراهيم ﷺ عندما طلبت منه الشفاعة : «نفسي نفسي إني كذبت ثلاث كذبات ..» وذكر الحديث[1] .

* * *

س ـ كيف رفع ذكر نبينا محمد ﷺ ؟

ج : رفع الله سبحانه وتعالى ذكر النبي محمد ﷺ بأمور منها ما يلي :

● إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس ، فقد قال تعالى عن القرآن : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي : شرف لك ولقومك .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة .

● وأخذ اللَّه الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به إذا بعث وهم أحياء قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢] .

● ولا ينعقد لأحد إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله : أشهد ألا إله إلاَّ اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ، فجاء ذكر النبي ﷺ والشهادة برسالته من أركان الإسلام .

● ويُدوِّي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺ خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان ، وكذلك عند إقامة الصلاة .

● ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

● وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام ، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

● وأُعطي الشفاعة العظمى صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وجُعل سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام .

● ويأتي شهيدًا على أمته يوم القيامة وعلى سائر الأمم وكذلك أمته تشهد على سائر الأمم عليه الصلاة والسلام .

● وهو صاحب الحوض والكوثر ﷺ .

● وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم .

● واسمه يُذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك .

● وأمر اللَّه بطاعته وتوقيره وتعظيمه ، قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢] ، وقال تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ - ٣] .

فانظر إلى الذي يجهر لرسول اللَّه ﷺ بالقول ويرفع صوته فوق صوته وكيف أن عمله يحبط وهو لا يشعر ؟ !!!

وانظر إلى المتخلق بالخلق الحسن مع رسول اللَّه ﷺ وكيف تغفر له ذنوبه ويثبت له الأجر العظيم ؟!!

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأرضين ، وجعل اللَّه له لسان صدق في الأولين والآخرين ، وجعلت أمته ـ كما أسلفنا ـ خير الأمم وأكثر أهل الجنة ، فصلوات ربي وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه ، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضي اللَّه عنه حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه :

أغرٌّ عليه للنبوة خاتم .:. من اللَّه مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي مع اسمه .:. إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله .:. فذو العرش محمود وهذا محمد

* * *

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ؟

ج : فائدة هذا التكرير التأكيد ، أي : تأكيد أن مع العسر يسراً .

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الشدة يتبعها الفرج ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول اللَّه تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] .

● وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : إذا فرغت من أعمال الدنيا وأمورها فاجتهد في العبادة ، وأقبل على العبادة وأنت نشيط فارغ البال[1] .

الثاني : إذا فرغت من الصلاة فانصب أي : فاجتهد في الدعاء .

الثالث : إذا فرغت من تبليغ الرسالة وجهاد العدو فاجتهد في

---

(١) كما قال النبي ﷺ : «إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء فابدءوا بالعشاء ..» ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : «لا صلاة بحضرة طعام» .

الحمد والاستغفار والتسبيح ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل يشرع الدعاء بعد الصلاة ؟

ج ـ لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : لا يشرع الدعاء بعد الصلاة .

الثاني : وهو الأشهر ـ أن الدعاء بعد الصلاة مشروع بل مستحب .

• **أما القائلون بالقول الأول** فاستدلوا بما في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : **«اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»**[1] .

وقال القائلون بهذا : إن اللائق بحال المصلي أن يدعو ربه وهو مقبل عليه يناجيه فكيف يترك سؤاله وهو بين يديه ثم يسأله إذا انصرف عنه .

وقالوا أيضًا : إن الأحاديث التي وردت فيها أدعية دبر الصلاة إنما تفعل داخل الصلاة لأن دبر الشيء منه ، فدبر الرجل من الرجل ، فدبر الصلاة من الصلاة أي قبل التسليم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٥٩٢) .

وبالغ هؤلاء فقالوا : إنه لم يثبت عن النبي ﷺ الدعاء بعد السلام.

● **أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فاستدلوا بأدلة منها :** قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] ، وقد ورد في تفسيرها أثر ابن عباس رضي اللَّه عنهما بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال : فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل اللَّه وارغب إليه وانصب له ، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها ـ عند الطبري ـ أنه قال : أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه .

● واستدلوا أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي اللَّه عنهما: **«أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[١] .

● واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث علي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا سلَّم قال : **«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»**[٢] .

● وبما أخرجه مسلم[٣] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠) والنسائي (٣/ ٥٣) وابن السني (١١٦) وأحمد (٥/ ٢٤٥ و ٢٤٧) وابن حبان (٢٣٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) ص ٥٣٦ .

(٣) أخرجه مسلم (٧٠٩) .

عنهما قال : كنا إذا صلينا خلف رسول اللَّه ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه ، قال فسمعته يقول : «**رب قني عذابك يوم تبعث (أو تجمع) عبادك**» .

● وما أخرجه البخاري من طريق عمرو بن ميمون الأودي أنه قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة : «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[1] .

● واستدلوا أيضًا بحديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال : قيل : يا رسول اللَّه أي الدعاء أسمع ؟ قال : «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[2] ، إلا أن هذا الحديث ضعيف خاصة قوله : «**ودبر الصلوات المكتوبات**» فهو من طريق عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة ولم يسمع من أبي أمامة رضي اللَّه عنه ، وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، ومن طرق أخرى عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، وكل هذه الطرق عن عمرو ابن عبسة فيها مقال ، ومع ذلك ليس فيها «**ودبر الصلوات المكتوبات**» .

● واستدلوا أيضًا بعمومات ألا وهي : أن الدعاء يشرع بعد

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥) والترمذي (مع «التحفة» ١٠/ ١٤) والنسائي (جـ ٧ باب التعوذ) .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٤٩٩) والنسائي «في عمل اليوم والليلة» (١٠٨) .

الأعمال الصالحة ، ومنها الصلاة وذلك كدعاء الاستخارة وغيره .

● وقد أجاب قائلو هذا القول على أدلة المانعين للدعاء بما حاصله أن حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : «**اللهم أنت السلام ....**» الحديث[1] المراد منه نفي الجلوس على هيئة المصلي قبل أن يسلم ، فهو يجلس على هيئة المصلي هذا القدر «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام ...** » ثم يلتفت إلى أصحابه . .

● وأجابوا على القول القائل بأن دبر الشيء منه بما حاصله : أن دبر الشيء قد يكون منه أحيانًا ، وأحيانًا أُخر يكون خارجًا عنه ؛ فالنبي ﷺ لما علَّم أصحابه التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثًا وثلاثين دبر كل صلاة يعلم الجميع أن المراد بعد انتهاء الصلاة والتسليم منها ، وكذلك حثه عليه الصلاة والسلام على قراءة آية الكرسي[2] دبر كل صلاة ـ عند من صححه ـ فإنما المراد منه بعد الصلاة .

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فمنهم الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى فقد قال في «الأم»: وأستحب للمصلي منفردًا وللمأموم أن يطيل الذكر بعد الصلاة ويكثر الدعاء رجاء الإجابة بعد المكتوبة .

وقال النووي في «المجموع» : ويستحب أن يدعو أيضًا بعد السلام بالاتفاق .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٤١٤) حديث (٥٩٢) .

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ١٢١) .

قلت : ويظهر لي أنه أراد اتفاق الشافعية واللَّه أعلم .

وقال ابن قدامة في «المغني» : ويستحب ذكر اللَّه والدعاء عقيب سلامه ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر .

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى تفصيل آخر ، وهو أن الدعاء لا يشرع بعد الصلاة مباشرة ، إنما يشرع بعد الأذكار التي تقال عقب الصلاة، ومن هؤلاء ابن القيم رحمه اللَّه تعالى ، والعلم عند اللَّه سبحانه وتعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٨] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : اجعل رغبتك فيه دون من سواه من خلقه ، واجعل ملتجأك إليه وعملك خالصًا لوجهه رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى .

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

س ـ وضح معنى ما يلي : ـ

طور ـ سينين ـ الأمين ـ أحسن تقويم ـ أسفل سافلين ـ ممنون ـ الدين ـ أحكم الحاكمين ؟

ج :

الكلمة	معناها
طـــور	الطور هو كل جبل ينبت ـ وقيل : المراد به هنا طور سيناء لقوله تعالى : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ وهو الجبل الذي كلم اللّه سبحانه عنده موسى عليه السلام
سينيـــن	مبارك حسن[1] ـ وقيل : المراد (سيناء)

(١) ومنه قول النبي ﷺ لأم خالد : «هذا سناه» .

الكلمة	معناها
الأميـــــن	الآمن
أحسن تقويـم	أعدل خلق وأحسن صورة وقوام واعتدال خلق واستواء
أسفل سافلين	أرذل العمر ، وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة ـ وقيل : النار
ممنـــــون	مقطوع ـ منقوص
الديـــــن	الجزاء ـ الحساب
أحكم الحاكمين	أتقن الحاكمين صنعًا لكل ما خلق

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ قرأ في صلاته بسورة التين ؟

ج : نعم ثبت ذلك ، ففي «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ كان في سفرٍ فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون[1].

وفي رواية : سمعت النبي ﷺ يقرأ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ في العشاء وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة[2].

---

(١) لفظ البخاري (حديث ٤٩٥٢) ومسلم (٤٦٤) .

(٢) لفظ البخاري (٧٦٩) .

س ـ ما المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وما المراد بـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] ؟

ج : لأهل العلم في تحديد المراد بالتين والزيتون أقوال :

أحدها : أن المراد بالتين هو التين المعروف الذي يؤكل ، والمراد بالزيتون الزيتون الذي يُعصر[١].

الثاني : أن المراد بالتين والزيتون المكان الذي ينبت فيه التين والزيتون وهما جبلان ، أما التين فهو الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس[٢].

---

(١) وصح هذا عن الحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم كما عند الطبري .

هذا وقد ذكر الرازي من فوائد التين جملة فوائد فقال : أما التين فقالوا إنه غذاء وفاكهة ودواء ، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه وأحمدها . . إلى آخر ما ذكره رحمه اللّه .

قلت : أما الزيتون فذكره اللّه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] .

(٢) نقل القاسمي في «محاسن التأويل» عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : فقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] : إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن .

قلت (مصطفى) : فالذين اختاروا أن المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] جبلان أيدوا قولهم بدليل الاقتران في قوله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٢ - ٣] قالوا : فأقسم اللّه بمواطن ثلاثة من الأنبياء وهم عيسى وموسى ومحمد صلى اللّه عليهم جميعًا وسلم ، واللّه أعلم .

الثالث : أن المراد بالتين مسجد دمشق وبالزيتون بيت المقدس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والأكثرون على أن المراد بالتين التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون المعروف الذي يُعصر .

وهذا هو الذي صوَّبه الطبري في تفسيره حيث قال : والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال : التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يُسمى تينًا ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون ، والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبًا ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابت التين وبيت المقدس منابت الزيتون .

وصحح القرطبي أن المراد بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يُعصر ويؤكل، فقال: لأنه الحقيقة ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل.

قلت : أما طور سينين فالأكثرون من أهل العلم على أنه طور سيناء الذي ناجى اللَّه سبحانه وتعالى عنده موسى ﷺ ، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ [مريم:٥٢] .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد الأمين ؟ ولماذا وصُف بأنه أمين ؟

ج : المراد بالبلد الأمين مكة، ووصف بأنه أمين أي: آمن لأن من دخله كان آمنًا، كما قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ**

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢] وهي مكة ، فكان الرجل يلتقي بقاتل أبيه وبقاتل أخيه في الحرم ولا يتعرض له بسوء ولا يناله بأذى ، بل وهذا البلد الأمين لا ينفر صيده ولا يعضد شوكه ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها .

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٥، ٦] ؟

ج : تقدم أن أهل العلم لهم قولان في تأويل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] .

أحدهما : أن المراد ثم رددناه إلى أرذل العمر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] ، وكما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] .

والثاني : رددناه إلى النار على وجهه في أقبح صورة بعد أن كان في أحسن تقويم ، وذلك بسبب كفره .

وعلى كل قول ينشأ للآية الكريمة تفسير .

فعلى القول الأول : فالمراد برددناه عموم الإنسان ، فالمعنى :

لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدل قوام وأتم عقل وقوة ذاكرة ، وصلنا به إلى ذلك بعد أن كان ضعيفًا في صغره ، وبعد أن وصل إلى هذه الحال من الاعتدال وحسن القوام رجع كرة أخرى يُنكس في الخلق ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨] فبدأ في الضعف والخور وذهاب العقل شيئًا فشيئًا وترك العمل شيئًا فشيئًا فينقطع أجره إذ لا عمل صالح يعمله ، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وقوتهم فهم وإن ردوا ـ كسائر الخلق ـ إلى أرذل العمر وانقطعوا عن كثير من العمل الصالح لضعفهم وقلة حيلتهم فأجرهم ما زال يكتب لهم غير مقطوع ولا منقوص كما قال النبي ﷺ : «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[1] .

فعلى ذلك فالاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦] استثناء منقطع، فالمعنى: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وإن ردوا إلى أرذل العمر ـ لم ينقطع ثواب عملهم .

● وعلى القول الثاني فالمراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، والمعنى : ثم رددنا الكافر أسفل سافلين في جهنم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي وانظر الكلام على هذا الحديث في «المنتخب» لعبد ابن حميد (بتحقيقي ٥٣٣) و«علل الدارقطني» (٢/ ١٦٧) و«التتبع» للدارقطني أيضًا ، و«هدي الساري» (مقدمة «فتح الباري») ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي والكلام على الحديث الثاني والأربعين في مقدمة «الفتح»

ورجح الطبري رحمه اللَّه القول الأول بقوله :

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال : معناه ثم رددناه إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وضعنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] إلى أرذل العمر .

قلت : وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» منتصراً لهذا القول :

واستدل لهذا الوجه من نفس السورة . وذلك لأن اللَّه تعالى قال في آخرها : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] أي : بعد هذه الحجج الواضحة ، وهي بدء خلق الإنسان وتطوره إلى أحسن أمره ، ثم رده إلى أحط درجات العجز أسفل سافلين ، وهذا هو المشاهد لهم ، يحتج به عليهم .

أما رده إلى النار فأمر لم يشهدوه ولم يؤمنوا به ، فلا يصلح أن يكون دليلاً يقيمه عليهم ، لأن من شأن الدليل أن ينقل من المعلوم إلى المجهول والبعث هو موضع إنكارهم ، فلا يحتج عليهم لإثبات ما ينكرونه بما ينكرونه ، وهذا الذي ذهب إليه واضح .

ومما يشهد لهذا الوجه: أن حالة الإنسان هذه في نشأته من نطفة، فعلقة ، فطفلاً ، فغلامًا ، فشيخًا ، فهرم ، وعجز . جاء مثلها في النبات وكلاهما من دلائل البعث ، كما في قوله : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ـ إلى قوله ـ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] .

فكذلك الإنسان ، لأنه كالنبات سواء كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨] .

ويكون الاستثناء إلا الذين آمنوا فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر ، لأن المؤمن مهما طال عمره ، فهو في طاعة ، وفي ذكر اللَّه فهو كامل العقل ، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب اللَّه المداوم على تلاوته ، لا يصاب بالخرف ولا الهذيان .

وقد شاهدنا شيخ القراء بالمدينة المنورة الشيخ حسن الشاعر ، لا زال على قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر تجاوز المائة بكثير ، وهو لا يزال يقرئ تلاميذه القرآن ، ويعلمهم القراءات العشر ، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرءون في أكثر من موضع وهو يضبط على الجميع .

وقد روى الشوكاني مثله ، عن ابن عباس أنه قال ذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾

[التين: ٧] ؟ ومن المخاطب بالآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المخاطب هو الكافر[١]، والمعنى : إذا عرفت أيها الإنسان أن اللّه خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر وينقلك من حالٍ إلى حال فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء وقد أخبرك به محمد ﷺ بما أوحي إليه .

الثاني : أن المخاطب هو رسول اللّه ﷺ ، والمعنى : فمن يقدر يامحمد على تكذيبك بالبعث والجزاء والثواب والعقاب بعد ما بينا قدرتنا في خلقه وتقلبه في الأطوار من طورٍ إلى طورٍ .

* * *

س ـ هل ورد أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ؟

ج : ورد بأسانيد فيها كلام منها حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» .

وفي إسناده رجل مبهم .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن منصور قال : قلت لمجاهد : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] أعنى به النبي ﷺ ؟ قال : معاذ اللّه عنى به الإنسان .

وقد ورد نحوه عن قتادة مرسلاً

وورد نحوه عن ابن عباسٍ موقوفًا عند الطبراني وفي إسناده مقال .

* * *

س ـ اذكر بمزيد إيضاح معنى قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ؟

ج : تقدم[1] أن همزة الاستفهام تحمل معنى النفي ، وليس نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فالمعنى : اللَّه أحكم الحاكمين ، وعليه فننقل قول عطية سالم في «**تتمته لأضواء البيان**» ، قال رحمه اللَّه :

قوله تعالى : ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ [التين: ٨] .

السؤال كما تقدم في (ألم نشرح) أي : للإثبات ، وهو سبحانه وتعالى بلا شك أحكم الحاكمين ، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا قرأها قال : «**اللهم بلى**» كما سيأتي .

وأحكم الحاكمين ، قيل : أفعل تفضيل من الحكم أي : أعدل الحاكمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقيل : من الحكمة ، أي : في الصنع والإتقان والخلق ، فيكون اللفظ مشتركًا ، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معًا ، وإن كان هو في الحكم أظهر ، لأن الحكيم من الحكمة يجمع على الحكماء .

---

(١) وذلك في تفسير سورة الانشراح .

فعلى القول بالأمرين : يكون من استعمال المشترك في معنييه معًا، وهو هنا لا تعارض بل هما متلازمان ، لأن الحكيم لابد أن يعدل ، والعادل لابد أن يكون حكيمًا يضع الأمور في مواضعها .

وقد بين تعالى هذا المعنى في عدة مواطن كقوله تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] ، الجواب : لا ، وكقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ، وفي قوله : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بيان لعدم عدالتهم في الحكم ، وبعده عن الحكمة .

ومعلوم أن عدم التسوية بينهم في ممانهم أنه بالبعث والجزاء ، فهو سبحانه أحكم الحاكمين في صنعه وخلقه . خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأعدل الحكام في حكمه لم يسوِّ بين المحسن والمسيء .

وقد اتفق المفسرون [1] على رواية الترمذي لحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا : «**من قرأ والتين والزيتون ، فقرأ أليس اللّه بأحكم الحاكمين ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين**» .

ومثله عن جابر مرفوعًا ، وعن ابن عباس قوله : «**سبحانك اللهم ، فبلى**» . والعلم عند اللّه تعالى .

---

(١) قد قدمت الكلام على هذا الحديث .

• وقال السعدي في تفسيره « تيسير الكريم الرحمن .. » :

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فهل تقتضي حكمته ، أن يترك الخلق سدىً ، لا يؤمرون ، ولا ينهون ، ولا يثابون ، ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق بني الإنسان أطواراً ، بعد أطوار ، وأوصل إليهم من النعم ، والخير ، والبر ، ما لا يحصونه ، وربَّاهم التربية الحسنة ، لابد أن يعيدهم إلى دار ، هي مستقرهم ، وغايتهم التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون ؟ .

مطابع
القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنكال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧١

التَّسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة
طنطا - جمهورية مصر العربية
ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

التَّسهيل لِتأويلِ التَّنزيلِ

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

الجزء الثاني

من سورة العلق إلى سورة الناس

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٨٣٦٤ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة مكة

طنطا : ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

سُورَةُ العَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ
ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

علق ـ يطغى ـ أن رآه استغنى ـ الرجعى ـ لنسفعًا ـ بالناصية ـ ناديه ـ الزبانية ؟

ج :

الكلمة	معناها
علق	العلق جمع علقة وهي القطعة من الدم المتماسك سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه
يطغى	يتجاوز الحد في ظلم العباد ويستكبر على ربه

الكلمة	معناها
أن رآه استغنى	أن رأى نفسه مستغنيًا عن الخلق بالمال والولد والعشيرة
الرجعى	المرجع والمآب
لنسفعًا	لنأخذن[1] ـ لنلطمن وجهه ـ والسفع هو الجذب الشديد ، والمعنى : لنأخذن ولنضمن ولنذلن ـ لنسودن وجهه
الناصية	شعر مقدم الرأس
ناديه	أهل مجلسه وأنصاره من عشيرته وقومه ، والنادي هو المجلس الذي يجتمع فيه الناس .
الزبانية	ملائكة العذاب

* * *

س ـ ما هي أول سورة نزلت من كتاب اللَّه ؟ وهل نزلت هذه السورة بتمامها مرة واحدة ؟

ج : هي سورة العلق ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري[2]

---

(١) دليله قوله تعالى : ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ، وقيل : يؤخذ بناصيته وتطوى مع قدميه ويطرح في النار ، وقيل : إن معنى ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] لنَسِمَنَّ (أي : لنعلمن) ناصيته بعلامة .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠) .

ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : «**اقرأ . قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتىٰ بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾** [العلق: ١ - ٣] **فرجع بها رسول اللَّه ﷺ يرجف فؤاده ...**» الحديث وهذا القدر من السورة إلىٰ قوله : ﴿**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٥] هو المذكور في الحديث .

قال القرطبي في «تفسيره» : ويجوز أن يكون خمس آيات من أولها أول ما نزلت ثم نزلت البقية في شأن أبي جهل وأُمر النبي ﷺ بضم ذلك إلىٰ أول السورة لأن تأليف السور جرىٰ بأمرٍ من اللَّه ألا ترىٰ أن قوله تعالىٰ : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل ثم هو مضموم إلىٰ ما نزل قبله بزمنٍ طويل .

---

(١) في رواية البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ... إلىٰ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١ - ٥]

قلت : ويتأيد قول القرطبي رحمه اللَّه بأنه لم يكن هناك صلاة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ أمام أبي جهل عند نزول أول هذه السورة فكيف يُقال إن قوله : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ٩، ١٠] أول ما نزل ؟!! اللهم إلا أن يُقال إنه إخبار عن غيب سيقع ، ولكن ليس هناك ما يحوجنا إلىٰ هذا الاتجاه واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحًا باسم ربك .

* * *

س ـ ما المراد بالأكرم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الأكرم هو الذي يُعطي بدون مقابل ولا انتظار مقابل .

* * *

س ـ وضح وجه الامتنان في قوله تعالىٰ : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ « مفتاح دار السعادة »** [1] :

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

فنعمةُ اللَّه عزَّ وجلَّ بتعليمِ القَلَمِ بعدَ القرآنِ من أجلِّ النِّعَمِ ، والتَّعليمُ به ـ وإنْ كانَ ممَّا يَتَخَلَّصُ إليهِ الإنسانُ بالفِطْنَةِ والحيلَةِ ـ فإنَّ الذي بَلَغَ به ذلكَ وأوصَلَهُ إليهِ عطيَّةٌ وهبها اللَّهُ منهُ ، وفَضلٌ أعطاهُ اللَّهُ إيَّاهُ ، وزيادَةٌ في خَلقه وفَضله ، فهو الذي علَّمهُ الكتابَةَ ، وإنْ كانَ هو المُتعلِّمَ فَفعلهُ فعلُ مُطاوعٍ لتعليمِ الذي علَّمَ بالقَلمِ ، فإنَّه علَّمهُ فتعلَّمَ ، كما أنَّهُ علَّمهُ الكلامَ فتكلَّمَ .

هذا : ومَن أعطاهُ الذِّهْنَ الذي يعي به ؟ واللسانَ الذي يُتَرجِمُ به ؟ والبنانَ الذي يَخُطُّ به ؟

ومَن هيَّأ ذهْنَهُ لقَبُولِ هذا التَّعليمِ دونَ سائرِ الحيواناتِ ؟ ومنَ الذي أنطَقَ لسَانَهُ ، وحرَّكَ بنانهُ ؟ ومنِ الذي دَعَمَ البنانَ بالكفِّ ، ودعَمَ الكفَّ بالسَّاعدِ ؟ فكم للَّهِ من آيَةٍ نحنُ غافلونَ عنها في التَّعليمِ بالقَلمِ !

فَقف وَقْفَةً في حالِ الكتابَةِ ، وتأمَّلْ حالَكَ وقَد أمسكتَ القَلمَ وهو جمادٌ ووَضَعْتَهُ على القِرْطاسِ وهو جمادٌ فيتولَّدُ من بينهما أنواعُ الحكَمِ ، وأصنافُ العلومِ ، وفنونُ المراسلاتِ والخُطَبِ ، والنَّظمِ والنَّثرِ ، وجواباتِ المسائلِ ؛ فمَن الذي أجرى فَلَكَ المعاني على قَلبكَ ؟ ورَسَمها في ذهنكَ ؟ ثمَّ أجرى العباراتِ الدَّالَّةَ عليها على لسانكَ ، ثمَّ حرَّكَ بها بنانَكَ حتى صارَت نَقشًا عجيبًا ، معناهُ أعجبُ من صورته ، فَتَقضي بهِ مآرِبَكَ ، وتبلُغ به حاجةً في صَدركَ ، وتُرسلُه إلى الأقطارِ النَّائيَةِ والجهاتِ المُتباعدَةِ ، فيقومُ مقامَكَ ، ويُترجمُ عنكَ ، ويتكلَّمُ على لسانكَ ، ويقومُ مقامَ رسولِكَ ، ويُجدي عليكَ ما لا يُجدي مَن

تُرسِلُهُ سوىٰ من علَّمَ بالقَلَمِ ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم .

والتَّعليمُ بالقَلَمِ يستلزمُ المراتبَ الثَّلاثَةِ :

مرتبَةَ الوجودِ الذِّهْنيِّ .

والوجودِ اللفظيِّ .

والوجودِ الرَّسميِّ :

فَقَد دلَّ التَّعليمُ بالقَلَمِ علىٰ أنَّهُ سبحانهُ هو المُعْطي لهذه المراتبِ، ودلَّ قولهُ : ﴿خَلَقَ﴾ علىٰ أنَّهُ يعطي الوُجودَ العَينيَّ ، فدلَّت هذه الآياتُ ـ مع اختصارها ووَجازَتها وفَصاحتها ـ علىٰ أنَّ مراتبَ الوجودِ بأسْرِها مُسنَدَةٌ إليهِ تعالىٰ خَلقًا وتَعليمًا .

وَذَكَرَ خَلْقين وتعليمين ، خَلْقًا عامًّا ، وخَلقًا خاصًّا ، وتَعليمًا عامًّا ، وتعليمًا خاصًّا ، وذكرَ من صفاته ها هُنا اسمَ ﴿الأكرَم﴾ الذي فيه كلُّ خيرٍ وكلُّ كمالٍ ؛ فله كُلُّ كمالٍ وَصْفًا ، ومنهُ كلُّ خَيرٍ فعلاً ، فهو الأكرمُ في ذاتهِ وأوصافهِ وأفعاله ، وهذا الخَلْقُ والتَّعليمُ إنَّما نَشَأَ من كَرَمهِ وبرِّهِ وإحسانهِ ، لا من حاجَةٍ دَعْتهُ إلىٰ ذلكَ ، وهو الغنيُّ الحميدُ .

وقوله تعالىٰ : ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤] ، دلَّت هذه الكلماتُ علىٰ إعطائهِ سبحانهُ مراتبَ الوجودِ بأسْرِها ، فقولهُ: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] إخبارٌ عن الإيجادِ الخارجيِّ العَينيِّ ، وخَصَّ الإنسانَ بالخَلْقِ لِمَا تَقدَّم .

س ـ امتن اللَّه على الخلق بتعليمهم بالقلم فلماذا لم يتعلم النبي ﷺ الكتابة ؟

ج : ذلك حتى تكون بعثته أكمل في الإعجاز فهو نبي أمي ومع ذلك يتلو عليهم هذا الكتاب العزيز مما علمه اللَّه وجمعه له في صدره كما قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة: ٢] .

• وذلك أيضًا لدفع الشبه والشكوك التي قد تتسرب إليهم فقد يقولون ـ إذا لم يكن أميًّا ـ لعله نقل هذا عن غيره أو أرسله له غيره في رسالة ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩] .

وأيضًا فرسول اللَّه ﷺ مع كونه أميًّا لم يغفل حث أمته على تعليم الكتابة فقد قال النبي ﷺ : «**ارقيها وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة**» وقال : «**اكتبوا لأبي شاه**» . . إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ذكر بعض العلماء أن الأقلام ثلاثة وزاد بعضهم رابعًا ما هي هذه الأقلام التي ذكروها ؟

ج : ذكر العلماء منها ما يلي :

الأول : القلم الذي خلقه اللَّه أول ما خلق فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة .

الثاني : القلم الذي مع الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد كما قال تعالى : ﴿ **بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠] ، إذا صح أنهم يكتبون بأقلام .

الثالث : القلم الذي بأيدي العباد يكتبون به .

ومن العلماء من ذكر أيضًا القلم الذي تكتب به مقادير العباد وهم في بطون أمهاتهم ، وهو القلم الذي في يد الملك الموكل بالرحم واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ إذا رأى الإنسان نفسه مستغنيًا [1] عن الخلق بدأ في الكبر والطغيان دلّل على ذلك ؟

---

(١) هذا في الغالب ، وإلا فهناك من أهل الصلاح قوم أغناهم اللَّه وازدادوا تواضعًا له سبحانه كسليمان ﷺ ، فقد قال لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده : ﴿ **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٤٠] ، وقال لما أفهمه اللَّه لغة النملة : ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النمل: ١٩] .

وقال سبحانه في شأن بعض أهل الصلاح : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** =

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

● قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

● قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] .

● قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] .

● قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] .

● قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ...﴾ [القصص: ٧٦] .

● قوله تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً

= وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥] .
وكان من الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالمال بعد الفقر رجل أعمى شاكرًا لأنعم الله عليه معترفًا بفضل الله له .

مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩] .

وفرعون لما أغناه اللَّه وملّكه مصر قال : ﴿ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١] .

وقارون لما أنعم اللَّه عليه قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨] .

والأبرص والأقرع لما آتاهما اللَّه مالاً جحدا نعم اللَّه عليهما .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ [العلق: ٩، ١٠] ؟

ج : هذه الآية تحمل معنى التعجب من هذا الظالم المكذب المعرض الذي ينهى العبد عن صلاته مع العلم بأن هذا العبد الذي يُصلي رجل مهتدي آمر بالتقوى ، فالمعنى : اعجبوا من أمر هذا المفسد المكذب المتولي المعرض الذي ينهى المصلين عن صلاتهم .

* * *

س ـ من هو هذا الذي كان ينهى العبد إذا صلى ومن هو العبد ؟

ج : الناهي هو أبوجهل ، والآية تعم كل ناهي ، والمنهي هو محمد ﷺ والآية تعم كل منهي .

وقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يُصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال : «**لو فعل لأخذته الملائكة**» .

● وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال :

قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل: نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال فقيل له : مالك ؟ فقال : «**إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة**» ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**» . قال فأنزل اللَّه عز وجل لا ندري[٣] في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ [العلق: ٦ - ١٣] - يعني أبا جهل - ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ** ﴾ [العلق: ١٤ - ١٩] .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٩٥٨) .

(٢) مسلم مع النووي (١٧/١٣٩) .

(٣) لهذا التردد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث ، وصححه فريق منهم لشواهده .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ [العلق: ١١، ١٢] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أرأيت عبدًا مستقيمًا على استقامة وسداد وهدى من ربه عز وجل يأمر الناس بتقوى الله ويأتيه آخر فينهاه عن الصلاة وينهاه عن الاستقامة والسداد ، وهذا العبد المهتدي هو محمد ﷺ ، أما الذي ينهاه فهو أبو جهل .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ألم يعلم هذا المجرم الأثيم الذي ينهى العبد المهتدي الآمر بالتقوى والخوف من الله المحافظ على الصلاة أن الله يراه فينزجر عن نهيه لهذا العبد عن الصلاة وينكف عن أذاه ؟ !!

* * *

س ـ هل الناصية تكذب وتخطئ ؟

ج : وصفت الناصية والمراد صاحبها .

* * *

س ـ هل صح لهذه الآية سبب نزول ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨] ؟

ج: نعم، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان رسول اللَّه ﷺ يُصلي عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعده فأغلظ له رسول اللَّه ﷺ وانتهره فقال: يا محمد أي شيء تهددني أما واللَّه إني لأكثر هذا الوادي ناديًا فأنزل اللَّه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]، قال ابن عباس: لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته.

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله: ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]؟

ج: نعم فالظاهر لي أن هناك تعلقًا بينهما فالسجود يقرب من اللَّه عز وجل كما قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[1].

ويحتمل أيضًا أن يُقال: ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: ١٩] أي: صلِّ وتقرب إلى اللَّه سبحانه وتعالى بسائر أنواع الطاعات، واللَّه أعلم.

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة (العلق)؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة فقد أخرج

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (مع النووي ٤/ ٢٠٠) وأحمد (٢/ ٤٢١) وأبو داود (١/ ٥٤٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

الإمام مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ و ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ .

(١) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) وأبو داود (١٤٠٧) وغيرهما .

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

القدر ـ تنزَّل ـ الروح ؟

ج :

الكلمة	معناها
القدر	الحكم[1] والتقدير ـ العِظم والشرف[2]
تنزَّل	تهبط من السماء
الروح	جبريل[3] .

* * *

(١) قالوا لأن الله عز وجل يقدر فيها أمور السنة من الآجال والأرزاق وغير ذلك .

(٢) ومنه قولهم: فلان ذو قدر وشرف ، وقيل لأن للعبادات فيها قدرًا عظيمًا .

(٣) قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال سبحانه : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] ، هذا وعطف جبريل على الملائكة من باب عطف الخاص على العام لبيان أهمية الخاص وشرفه وفضله .

س ـ في قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٢] ما يدل علىٰ أن القرآن نزل علىٰ رسول اللَّه ﷺ مفرقًا، وهذا الظاهر بلا شك فإن السور منها المكي ومنها المدني ، ومنها ما نزل أولاً ومنها ما نزل آخرًا فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] فهذه الآية الأخيرة وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] تفيد أن القرآن نزل جملة واحدة فكيف الجمع بين هذا وذاك ؟

ج : لأهل العلم في ذلك وجهان :

أحدهما : أن القرآن نزل جملة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل مفرقًا من السماء الدنيا علىٰ النبي ﷺ[1] .

الثاني :أن أول القرآن هو الذي نزل في ليلة القدر أي أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر .

والجمع بين الوجهين ممكن بأن يقال : إن القرآن نزل جملة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ، ونزل أوله من السماء الدنيا علىٰ النبي ﷺ في ليلة القدر أيضًا ، واللَّه أعلم .

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] قال : أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا فكان بموقع النجوم فكان اللَّه ينزله علىٰ رسوله بعضه في إثر بعض ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ =

س ـ لماذا سميت ليلة القدر بليلة القدر ؟

ج : في تسميتها بليلة القدر وجوه :

أحدها : أن معنى القدر الشرف والرفعة كما تقول العرب : «فلان ذو قدر» أي: رفعة وشرف، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

الثاني : أنها سميت ليلة القدر لأن اللّه عز وجل يقدر فيها وقائع السنة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] وتقدر فيها الآجال والأرزاق .

الثالث : أن المراد بالقدر الضيق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ...﴾ [الفجر: ١٦] والمراد : أن الأرض تضيق بالملائكة لكثرة من ينزل من الملائكة في هذه الليلة .

والوجه الأول والثاني أقرب في سبب التسمية من الوجه الأخير ، واللّه أعلم .

* * *

= تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] .

وفي لفظ آخر عند الطبري عن ابن عباس بإسناد صحيح قال : نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان اللّه إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه .

س ـ أي ليلة هي ليلة القدر ؟

ج : ابتداءً فهي في رمضان لقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وجمهور العلماء على ذلك .

والجمهور أيضًا على أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لحديث أبي سعيد الخدري في « الصحيحين »[١] عن رسول اللّه ﷺ فذكر الحديث وفيه : «... فابتغوها في العشر الأواخر» .

والجمهور أيضًا على أنها في الوتر من العشر الأواخر لقول النبي ﷺ : «وابتغوها في كل وتر»[٢] ، ولحديث عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ قال : «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[٣] .

والأكثرون[٤] أيضًا على أنها في ليلة السابع والعشرين من رمضان لحديث أبي بن كعب في «صحيح مسلم» بذلك .

لكنه لم يحصُل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط أي ليلة هي .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٥]: وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا .

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٧) .

(٤) نقله عنهم عدد من العلماء منهم القرطبي رحمه اللّه تعالى .

(٥) «الفتح» (٤/ ٣٠٩) .

أربعين قولاً كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة ، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما . . ثم ذكر الحافظ رحمه اللَّه تعالىٰ أقوال أهل العلم في ذلك وأدلتهم علىٰ ما ذهبوا إليه فليرجع إليه من شاء.

* * *

س ـ اذكر بعض علامات ليلة القدر ؟

ج : لخص ذلك الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» فقال :

قوله: (باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر) في هذه الترجمة إشارة إلىٰ رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة منه بعينها ، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها . وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي ، منها في «صحيح مسلم» عن أبيّ بن كعب : **«أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها»** ، وفي رواية لأحمد من حديثه : **«مثل الطست»** ، ونحوه لأحمد من طريق أبي عون عن ابن مسعود وزاد : **«صافية»** ، ومن حديث ابن عباس نحوه ، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعًا : **«ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة»** ، ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا : **«إنها صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ، ولا يحل لكوكب يرمىٰ به فيها ، ومن أماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج**

مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ» ، ولابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود أيضًا : «أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان ، إلا صبيحة ليلة القدر» ، وله من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا : «ليلة القدر ليلة مطر وريح» ، ولابن خزيمة من حديث جابر مرفوعًا في ليلة القدر : «وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة ، تتضح كواكبها ولا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها» ، ومن طريق قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة مرفوعًا : «وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى» ، وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد : «لا يرسل فيها شيطان ، ولا يحدث فيها داء» ، ومن طريق الضحاك : «يقبل اللَّه التوبة فيها من كل تائب ، وتفتح فيها أبواب السماء، وهي من غروب الشمس إلى طلوعها» ، وذكر الطبري عن قوم أن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلى الأرض ثم تعود إلى منابتها . وأن كل شيء يسجد فيها . وروى البيهقي في «فضائل الأوقات» من طريق الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة أنه سمعه يقول : إن المياه المالحة تعذب تلك الليلة ، وروى ابن عبد البر من طريق زهرة بن معبد نحوه .

* * *

س ـ لماذا أخفيت ليلة القدر ؟

ج : الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أنها أخفيت ليجتهد العباد في العبادة في عموم الليالي ، وقد فصَّل الرازي في ذلك فقال رحمه اللَّه :

المسألة الخامسة : أنه تعالى أخفى هذه الليلة لوجوه : **أحدها** :

أنه تعالى أخفاها ، كما أخفى سائر الأشياء ، فإنه أخفى رضاه في الطاعات ، حتى يرغبوا في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل ، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء ، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل ، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة ، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان . **وثانيها** : كأنه تعالى يقول : لو عينت ليلة القدر ، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية ، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية ، فوقعت في الذنب ، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك ، فلهذا السبب أخفيتها عليك ، روي أنه عليه السلام دخل المسجد فرأى نائمًا ، فقال : يا علي نبهه ليتوضأ ، فأيقظه علي ، ثم قال علي : يا رسول اللَّه إنك سباق إلى الخيرات ، فلم لم تنبهه ؟ قال : لأن رده عليك ليس بكفر ، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو أبى ، فإذا كان هذا رحمة الرسول ، فقس عليه رحمة الرب تعالى ، فكأنه تعالى يقول : إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر ، وإن عصيت فيها اكتسبت عقاب ألف شهر ، ودفع العقاب أولى من جلب الثواب . **وثالثها** : أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها ، فيكتسب ثواب الاجتهاد . **ورابعها** : أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر ، فإنه يجتهد في

الطاعة في جميع ليالي رمضان ، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر ، فيباهي اللَّه تعالى بهم ملائكته، ويقول : كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء . فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له ! فحينئذ يظهر سر قوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] .

● **وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :**

قال الإمام : ثم الأخبار الصحيحة متضافرة على أنها في شهر رمضان . ولا نعيّنها من بين لياليه . فقد اختلفت فيها الروايات اختلافًا عظيمًا . وكتاب اللَّه لم يعينها . وما ورد في الأحاديث من ذكرها ، إنما قصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة ، شكرًا للَّه تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ اللَّه إفاضته فيهم ، في أثنائها . ولهم أن يعبدوا اللَّه فيها أفرادًا وجماعات . فمن رجح عنده خير في ليلة أحياها ، ومن أراد أن يوافقها على التحقيق ، فعليه أن يشكر اللَّه بالفراغ إليه بالعبادات في الشهر كله . وهذا هو السر في عدم تعيينها . وتشير إليه آية البقرة فإنها تجعل الشهر كله ظرفًا لنزول القرآن ، ليذكر المؤمنون نعمة اللَّه عليهم فيه . فهي ليلة عبادة وخشوع ، وتذكر لنعمة الحق والدين . فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد اللَّه مضامير للرياء ، يتسابق إليها المنافقون ، ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون . كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام . فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن تكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها

بما لا ينظر اللَّه إليه . ويسمعون شيئًا من كتاب اللَّه لا ينظرون فيه ولا يعتبرون بمعانيه . بل إن أَصْغَوْا إليه ، فإنما يصغون لنغمة تاليه . ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره ، ولم يحمد في الآخرين ولا الأولين أثره . ولهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال ، فضلاً عن الراشدين من الرجال . انتهى .

وقال الطبريّ : إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة . إذ لو كان ذلك حقًّا ، لم يخف على كل من قام ليالي السنة ، فضلاً عن ليالي رمضان.

* * *

س ـ هل تستتبع ليلة القدر ، بمعنى هل يلحقها في الفضل يومها ؟

ج : الظاهر لي أنها لا تستتبع ، وذلك للتنصيص على كونها ليلة ولقوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل ليلة القدر في كل عام من رمضان أم كانت على عهد النبي ﷺ فقط ؟

ج : نعم جمهور أهل العلم على أنها في رمضان من كل عام ،

وليست مختصة بعام واحد .

* * *

س ـ ما هو الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر ؟

ج : الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر هو : «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

وذلك لما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي [1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : يا رسول اللَّه أرأيت إذا وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟ قال : «**تقولين : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

* * *

س ـ اذكر طرفًا مما ورد في فضل ليلة القدر ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قوله تعالىٰ في هذه السورة التي نزلت باسم هذه الليلة تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ...**﴾ [القدر: ١ - ٥] إلىٰ آخر السورة فانتظمت السورة جملة فضائل لهذه الليلة :

أحدها : أن اللَّه عز وجل أنزل القرآن في هذه الليلة .

الحديث أخرجه أحمد (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) والترمذي (٩/ ٤٩٥ مع «تحفة الأحوذي») وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣٨٥٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (حديث ٨٧٣) . وإسناده صحيح .

الثاني : أن اللَّه عز وجل عظم شأنها بذكرها وبقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢] .

الثالث :أن العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

الرابع :أن الملائكة ومعهم جبريل يتنزلون في هذه الليلة .

الخامس :أن الأمن والسلام يحل في هذه الليلة على أهل الإيمان وتسليم الملائكة يتوالى عليهم فيها (على ما قد بيناه من قبل) .

• هذا وقد وصف اللَّه سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة في سورة أخرى فقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣ - ٦] .

وفي «الصحيح»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» .

* * *

س ـ ما المراد بكون ليلة القدر خير من ألف شهر ؟

ج : أي أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٤) .

القدر . وقال بعض العلماء : أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لأن العرب تذكر الألف في كثير من الأشياء على طريق المبالغة .

وقيل : وجه ذكر ألف شهر أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدًا حتى يعبد اللَّه ألف شهر فجعل اللَّه لأمة محمد ﷺ عبادة ليلة خير من عبادة ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

وثمَّ أقوال أُخر ، وأصح هذه الأقوال وأشهرها القول الأول الذي قدمنا ذكره ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بتنزل الملائكة والروح ، في هذه الليلة ليلة القدر ؟

ج : **في ذلك أقوال** :

أحدها : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بالرحمات والبركات والسكينة كما تتنزل مثلاً عند تلاوة القرآن .

وقال بعض العلماء : إنها تتنزل للسلام على أهل المساجد .

الثاني : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بكل أمر قضاه اللَّه وقدره لهذه السنة فاللَّه سبحانه يقول : ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: ٤، ٥] واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] ؟

ج : **هنا للعلماء قولان :**

أحدهما : أن معنى الآية الكريمة مرتبط بما قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح في هذه الليلة بإذن ربهم بكل أمر قضاه اللَّه وقدره في هذه السنة كما قال تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤] ، فقوله: ﴿ **مِّن كُلِّ أَمْرٍ** ﴾ [القدر: ٤] معناه: بكل أمر فـ (من) بمعنى (بـ) .

الثاني : أن معنى الآية مرتبط بما بعده ، والمعنى: من كل أمر وشر هي سالمة ، أي : أن ليلة القدر آمنة من كل شرٍّ وكل مكروه ففيها تتنزل الرحمات وتحل البركات وتغشى السكينات ، فهي خير كلها على المؤمنين تنزل الملائكة تسلم عليهم حتى مطلع الفجر . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن قوله : (سلام) متعلق بما قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام ، فالمعنى : أن الملائكة تتنزل بالسلام ومنه التحية والتسليم ، ومنه الأمن والسلامة . ثم بُين وقت انتهائها بقوله تعالى : ﴿ **هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ [القدر: ٥] .

وقال آخرون: إن قوله: ﴿ **سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ [القدر: ٥] مرتبط ببعض ، فالمعنى : أنها سالمة آمنة من أولها حتى مطلع الفجر .

هذا وقد فصَّل الرازي في «تفسيره» في بيان ذلك فقال :

أنها من أولها إلى مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الأوقات والأجزاء . **وثامنها** : سلام هي ، أي : جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام أي : الجنة المصوغة من السلامة .

المسألة الثانية : المطلع : الطلوع ، يقال : طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا، والمعنى : أنه يدوم ذلك السلام إلى طلوع الفجر ، ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع ، وكذا مكان الطلوع مطلع ، قاله الزجاج، أما أبو عبيدة والفراء وغيرهما فإنهم اختاروا فتح اللام لأنه بمعنى المصدر ، وقالوا : الكسر اسم نحو المشرق ، ولا معنى لاسم موضع الطلوع ههنا ، بل إن حمل على ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح ، قال أبو علي : ويمكن حمله على المصدر أيضًا ، لأن من المصادر التي ينبغي أن تكون على المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز ، وقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فكذلك كسر المطلع جاء شاذًّا عما عليه بابه . واللَّه سبحانه وتعالى أعلم، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الوجه الثالث : من فضائل هذه الليلة . قوله تعالى : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] . وفيه مسائل :

المسألة الأولى : في قوله : ﴿سَلَامٌ﴾ وجوه . **أحدها** : أن ليلة القدر إلى طلوع الفجر سلام ، أي : تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجًا فوجًا من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة السلام . **وثانيها** : وصفت الليلة بأنها سلام ، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا ، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صارت نار نمروذ عليه بردًا وسلامًا ، أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا بردًا وسلامًا، لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلاً مشويًّا وهم يريدون منه قلبًا مشويًا، بل فيه دقيقة ، وهي إظهار فضل هذه الأمة ، فإن هناك الملائكة نزلوا على الخليل ، وههنا نزلوا على أمة محمد ﷺ . **وثالثها** : أنه سلام من الشرور والآفات ، أي : سلامة ، وهذا كما يقال : إنما فلان حج وغزو أي هو أبدًا مشغول بهما ، ومثله :

« فإنما هي إقبال وإدبار »

وقالوا : تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام، أي : سلامة ونفع وخير . **ورابعها** : قال أبو مسلم : سلام أي : الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك . **وخامسها** : سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءًا . **وسادسها** : أن الوقف عند

قوله: (من كل أمر سلام) فيتصل السلام بما قبله ومعناه : أن تقدير الخير والبركة والسلامة يدوم على طلوع الفجر ، وهذا الوجه ضعيف .

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾
جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

منفكين ـ البينة ـ قيمة ـ مخلصين له الدين ـ حنفاء ـ القيمة ـ البرية ؟

ج :

الكلمة	معناها
منفكين	منتهين عما هم فيه ـ تاركين ـ متروكين

الكلمة	معناها
البينة	القرآن ـ محمد ﷺ وما يتلوه من القرآن
قيمة	عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ
مخلصين له الدين	مفردين له الطاعة يطيعونه دون من سواه ـ لا يخلطون طاعة ربهم بشرك
حنفاء	مائلين عن الشرك إلى التوحيد
القيمة	العادلة المستقيمة ، ودين القيمة ، أي : دين الملة القيمة
البرية	الخلق

* * *

س ـ اذكر فضيلة لأبي بن كعب ذكرها المفسرون عن تفسير هذه السورة وبين ما يستفاد من السياق الواردة فيه ؟

ج : الفضيلة تكمن في أمر اللَّه لنبيه ﷺ أن يقرأ سورة البينة على أبي بن كعب وذكر اللَّه عز وجل اسم أبي بن كعب لرسوله ﷺ ففي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بن كعب : «**إن اللَّه أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** » ، قال : وسماني ؟ قال : «**نعم**» فبكى[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٣٤) =

وفي السياق من الفوائد والفقه : قراءة العالم على المتعلم ، قال بعض العلماء : إنما قرأ النبي ﷺ على أُبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه من المنزلة .

* * *

س ـ من هم الذين كفروا من أهل الكتاب ومن هم المشركون ، وما هو الكتاب المذكور ؟

ج : أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والكتاب المراد به هنا التوراة والإنجيل ، فالتوراة كتاب اليهود ، والإنجيل كتاب النصارى .

- أما المشركون فهم عبدة الأوثان .

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ...﴾ [البينة: ١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : لم يكن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى ، وهم أهل التوراة والإنجيل ، والمشركين بتاركي ما هم عليه من الكفر حتى يأتيهم كتاب من عند الله .

- وقول آخر : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم

= والترمذي (٣٨٩٢) ولمزيد انظر تخريجه في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٢٩٧) .

المشركون ـ منفكين أي : تاركين صفة محمد ﷺ التي في كتابهم حتى بعث فلما بعث تفرقوا .

فالمعنى ـ على هذا التأويل ـ : أنهم كانوا متمسكين بصفة محمد ﷺ الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل ، فلما بعث وفيه هذه الصفة تفرقوا .

وبصياغة ثانية : لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الشرك مفترقين ولا مختلفين في صفة محمد ﷺ حتى تأتيهم البينة ، وهي إرسال اللَّه سبحانه وتعالى محمداً رسولاً .

ومعنى ثالث : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين هملاً وسُدًى بدون إرسال رسول إليهم بل لابد لهم من رسول، والآية على هذا التأويل كقوله تعالى : ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [القيامة: ٣٦] أي: هملاً لا يُؤمر ولا يُنهى ، وكقوله تعالى: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ**﴾ [الزخرف: ٥] ، أي : هل نترك إنزال الذكر لأجل إسرافكم ونعرض عن إرسال الرسل لذلك ؟!

* * *

س ـ ما هو وجه شرك اليهود والنصارى ؟

ج : من وجوه شركهم : أن اليهود جعلوا عزيرًا ابنًا للَّه والنصارى جعلت المسيح ابنًا للَّه .

قال اللَّه سبحانه : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

ومن وجوه كفرهم أيضًا : جحودهم نبوة محمد ﷺ ، وتكذيبهم بالقرآن .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الباطل واللغو ، وأيضًا فكما قال تعالىٰ : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وما تفرَّقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ إلاَّ من بعْدِ ما جاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أن أهل الكتاب كانوا متفقين في صفة محمد ﷺ ونعته لم يختلفوا في ذلك حتىٰ بعث رسول اللَّه ﷺ فلما بعث عليه الصلاة والسلام كذبوه وكفروا به وجحدوا نبوته عليه الصلاة والسلام .

* * *

س ـ لماذا تفرَّق الذين أوتوا الكتاب بعد مجيء البينة إليهم .. ؟ اذكر آية في معنى هذه الآية .

ج : تفرقوا بعد مجيء البينة إليهم حسدًا منهم لمحمد ﷺ وللعرب على ما آتاهم اللَّه من فضله كما قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠] .

والآية كقوله تعالى : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الجاثية: ١٧] .

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

* * *

س ـ من هو خير البرية ؟

ج : أخرج مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا خير البرية! فقال رسول اللَّه ﷺ : «ذاك إبراهيم عليه السلام»[1] .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٣٦٩) ، وللمختار بن فلفل بعض الأوهام .

• وتقدم أن النبي ﷺ قال : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[١] ، فإما أن يعمل ما قاله النبي ﷺ في شأن إبراهيم على أن النبي ﷺ قال ذلك تواضعًا ، وإما أنه عمل على أن النبي قال ذلك قبل أن يُعلمه ربه أنه سيد ولد آدم ، ومن ناحية الترجيح للروايات : فرواية : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» أصح من رواية : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**» .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة : ٨] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : رضوا بما أعطاهم الله من الثواب على طاعتهم ربهم في الدنيا .

---

(١) تقدم في تفسير سورة البقرة عند إيراد آيات الشفاعة ، وهو عند مسلم أيضًا (حديث ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

س ـ وضح معنى ما يلي : ـ

زلزلت ـ أثقالها ـ يصدر ـ أشتاتًا ـ ذرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
زلزلت	حركت حركة شديدة سريعة[1]

(١) والآية كقوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴾ [الواقعة: ٤] .
قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : ولذا فإن الزلزال أشد ما شهد العالم من حركة ، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية فدمَّر مدنًا وحطم قصورًا ، ولذا فقد جاء وصف هذا الزلزال بكونه شيئًا عظيمًا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] ويدل على هذه الشدة تكرار الكلمة في ﴿ زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة: ١] ، وفي =

الكلمة	معناها
أثقالها	الموتى الذين دفنوا فيها [١] ـ وقيل : كنوزها [٢]
يصدر	يرجع [٣]
أشتاتًا	متفرقين ـ فرقًا
ذرة	نملة حمراء لا وزن لها ـ وقيل : ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء وقيل: الذرة أن يضرب الرجل بيده فما علق من التراب فهو ذرة

* * *

س ـ متى هذه الزلزلة المذكورة في السورة الكريمة ؟

ج : من العلماء من ذهب إلى أن هذه الزلزلة في الدنيا وهي من أشراط الساعة، واستدل لهذا القول بما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «تقيء

﴿ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١] كما تشعر به هذه الإضافة .

(١) ومنه قوله تعالى في شأن الإنس والجن : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴾ [الرحمن: ٣١] .

(٢) ومنه قول النبي ﷺ : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قُتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعتُ رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا» أخرجه مسلم (١٠١٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٣) ومنه قول اللَّه تعالى : ﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣] .

الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون شيئًا»[1] .

• ومن أهل العلم من قال : إن هذه الزلزلة زلزلة يوم القيامة وذلك لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦] وعلى هذا القول الأخير يمكن توجيه قوله عليه الصلاة والسلام : « تقيء الأرض أفلاذ كبدها ... الحديث » بأن ذلك قريب الساعة فمن أشراط الساعة كثرة الزلازل ، ولا يستلزم أن يقع مع زلزلة الساعة ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] ؟

ج : **في ذلك قولان لأهل العلم :**

أحدهما : أنها تتحدث بلسان الحال ، أي : لسان حالها وما حدث لها من زلازل وإخراج للأثقال ينبئ ويخبر أن الله أمرها بذلك .

الثاني : أنها تتحدث بلسان المقال ، أي : أنها تتكلم ، وفي هذا الكلام وجهان :

الوجه الأول : أنها تجيب الإنسان على سؤاله فإذا قال الإنسان :

---

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه قريبًا .

مالها ؟ وسأل عن سبب زلزلتها وإخراجها ما في بطنها ، فتجيبه قائلة : إن اللَّه أمرني بهذا وأوحى إلي به وأذن لي فيه ، وتخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وأمر الآخرة قد أتى .

الوجه الثاني :أنها تتكلم وتخبر بما حدث عليها من خير أو شر وقد ورد في هذا الباب من حديث أبي هريرة[1] رضي اللَّه عنه قال قرأ رسول اللَّه ﷺ : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال : « **أتدرون ما أخبارها ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال : فهذه أخبارها**» .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] ؟

ج : في ذلك وجهان أيضًا للعلماء :

أحدهما: أن الناس (يصدرون) أي: يرجعون من موضع الحساب إلى الجنة أو إلى النار يرجعون وبعضهم آمن وبعضهم خائف، بعضهم قد تلقى كتابه بيمينه يقول: هآؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت إني ملاق حسابيه، وبعضهم تلقى الكتاب بشماله يقول: يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، ياليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩) بإسناد ضعيف ففيه يحيى بن أبي سليمان وهو ضعيف .

يرجعون من موقف الحساب بعضهم أبيض الوجه وبعضهم أسود بعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم سار في درب أصحاب الشمال إلى غير ذلك من أنواع الفرقة بين أهل اليمين وأهل الشمال ، كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٣، ٤٤] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] أي : ليروا جزاء أعمالهم من ثواب أو عقاب .

الثاني :أن الناس يصدرون من قبورهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم التي عملوها في دنياهم ويحاسبون عليها ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا عُبر بلفظ المضارع في قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] ولم يُعبر بلفظ الماضي ؟

ج : هذا نوع من أنواع الالتفات في الخطاب فسار الخطاب بلفظ الماضي في قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ ... ﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَأَخْرَجَتِ ... ﴾ [الزلزلة: ٢] ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ ... ﴾ [الزلزلة: ٣] ، ثم حوّل إلى المضارع بلفظ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] وذلك على سبيل

التنبيه والتحذير ، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شرًّا يره في الآخرة . والله أعلم .

* * *

س ـ هل يرىٰ الكفار مثاقيل ذرات الخير الذي عملوه في الدنيا ؟

وهل يرىٰ المؤمنون مثاقيل ذرات الشر التي عملوها في الدنيا ؟

ج : من أهل العلم من قال بذلك ، فقال : إن الكافر يرىٰ أعمال الخير التي عملها في الدنيا لكنها تحبط ويذهب ثوابها ويغطي عليها شركهم وكفرهم بالله عز وجل كما قال تعالىٰ : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان: ٢٣] وكما قال سبحانه : ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم: ١٨] وكما قال تعالىٰ : ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

• والمؤمن كذلك يرىٰ مثاقيل ذرات الشر التي عملها لكن يغفرها الله سبحانه وتعالىٰ له ـ إذا أراد ـ كما قال تعالىٰ : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] .

• **وثمَّ قول آخر ألا وهو** : أن الكافر ينال جزاء حسناته في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة لم يكن له حسنات ، والمؤمن يُكفر عنه من سيئاته بما يصيبه من بلاء في الدنيا ، وفي الآخرة يستره الله سبحانه وتعالىٰ ،

وإذا أراد اللَّه سبحانه للمؤمن عذابًا في الآخرة لكبائر اقترفها عذبه ربه ثم أخرجه من النار إلى الجنة على ما ورد في ذلك من أحاديث .

* * *

س ـ وصف الرسول ﷺ هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] بأنها فاذة جامعة ففي أي المناسبات كان ذلك ؟

ج : كان ذلك لما سئل رسول اللَّه ﷺ عن الحُمُر [١] فقال : «**ما أنزل اللَّه فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨] » أخرجه البخاري ومسلم [٢].

* * *

س ـ قد يقول قائل : إن الذرة اعتبرت في القرآن الكريم أصغر شيء، ولكن العلم الحديث قد فُتِّتَتْ الذرة إلى (إليكترونات وبروتونات ونيوترونات ..) وهذه أجزاء الذرة فهي أصغر منها فكيف يجاب على ذلك ؟

ج : الجواب يتمثل في القول بأن اللَّه سبحانه وتعالى خاطب العرب بأصغر شيء كانوا يعرفونه وهو الذرة ، وأشار سبحانه في القرآن

---

(١) أي عن حكم الحمير إذا ربطت واقتنيت .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٢ و ٤٩٦٣) ومسلم (حديث ٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

الكريم إلى أن هناك ما هو أصغر منها بقوله سبحانه : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] .

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ
لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

العاديات ـ ضبحًا ـ الموريات ـ قدحًا ـ المغيرات صبحًا ـ فأثرن ـ نقعًا ـ فوسطن به جمعًا ـ كنود ـ الخير ـ بُعثر ـ حصِّل ؟

ج :

الكلمة	معناها
العاديات	هي الخيول[1] التي تعْدو نحو العدو في الغزو ، والعدو هو المشي بسرعة ويطلق على الجري ـ وقيل : المراد بالعاديات الإبل والعاديات جمع عادية

(١) وأكثر أهل العلم على أن المراد بالعاديات الخيول .

الكلمة	معناها
ضبحًا	التي تضبح ضبحًا [١]، والضبح هو صوت أنفاس الخيول إذا جرت ، وقال البعض : تضبح ، أي : تحمحم ، وقال آخرون : تتنفس
الموريات	الخيل التي توري (أي : توقد النار) [٢] بحوافرها عند الجري إذا أصابت بحوافرها الحجارة فتوقد النار [٣]
قدحًا	القدح هو الاستخراج ، والمراد به هنا : استخراج النيران من الأحجار عند احتكاك حوافر الخيل بها ، على رأي جمهور العلماء
المغيرات	هي الخيل التي تغير على العدو صباحًا
فأثرن	رفعن
نقعًا	النقع التراب والغبار
فوسطن به جمعًا	من التوسط ، أي : توسطت الخيل براكبها جموع العدو

(١) قال بعض العلماء : إن الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، كانت تكمم لئلا تصهل فيعلم العدو ، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة .

أما ضبحًا (على رأي من قال : إن العاديات هي الإبل) فبمعنى ضبعًا ، وهو مد الإبل أعناقها أثناء السير .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة : ٧١] .

(٣) ومن العلماء من قال : إن الموريات هي الإبل ، ومنهم من قال : إن المراد الأنفس الموريات بمعنى : أن من الرجال من له مكر ودهاء يوري به الحروب بين الناس ، وثم أقوال أخر ، واختار الطبري التعميم أي القول بعموم ما ذُكر .

الكلمة	معناها
كنود	كفور ـ جحود لنعم اللَّه عليه يذكر المصائب وينسى النعم
الخير	المال[١]
بُعْثر	أثير واستخرج ما فيها من الموتى
حُصِّل	مُيِّز وبُيِّن[٢]

* * *

س ـ اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١ - ٥] .

ج : أشهر الأقوال في العاديات والموريات والمغيرات هذه

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] قال : الخير: الدنيا ، وقرأ ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة: ١٨٠] قال : فقلت له (القائل ابن وهب) : إن ترك خيرًا : المال ؟ قال : نعم ، وأي شيء هو إلا المال ؟ قال : وعسى أن يكون حرامًا ولكن الناس يعدونه خيرًا فسماه اللَّه خيرًا لأن الناس يسمونه خيرًا في الدنيا وعسى أن يكون خبيثًا ، وسمى القتال في سبيل اللَّه سوءًا وقرأ ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] قال : لم يمسسهم قتال قال : وليس هو عند اللَّه بسوء ولكنه يسمونه سوءًا .

(٢) أي : مُيِّز وبُيِّن ما فيها من الخير والشر ، وقيل : أُبرز ، قال بعض أهل العلم : والمعنى : أخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خيرٍ وشرٍ مما يظن مضمرّه أنه لا يعلمه أحد أصلاً وظهر مكتوبًا في صحائف الأعمال . «فتح البيان» .

الأقوال الثلاثة :

الأول : أنها الخيل وعليه جمهور العلماء .

الثاني : أنها الإبل .

الثالث : العموم أي الخيل والإبل وغيرها .

فعلى القول الأول : أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالخيل العاديات التي تعدو مسرعة نحو العدو ، ومن شدة سيرها وجريها تضبح وتسمع لها حمحمات ويسمع صوت أنفاسها ، ومع جريها واحتكاك حوافرها تظهر النيران من الأحجار ، وسير هذه الخيول الذي أقسم اللَّه به إنما هو في الصباح حيث وقت الإغارة على العدو ، وهذه الخيول تثير الغبار عند سيرها وتحمل راكبها إلى منتصف جموع العدو كي يقاتل .

فأقسم اللَّه عز وجل بالخيل أثناء عدوها وسماع صوت أنفاسها ، وأقسم بها سبحانه وقت جريها واصطكاك حوافرها بالأحجار وقدح النار، وذكر إغارتها على العدو صباحًا وإثارتها للتراب وتوسطها لصفوف العدو .

وعلى القول أنها الإبل : أقسم اللَّه عز وجل بالإبل التي تسرع في مشيها ، ومعنى ضبحًا ـ على هذا التأويل ـ : مادةً أعناقها أثناء المسير ، فأقسم اللَّه بالإبل وهي متجهة من عرفات تحمل الحجيج وتقدح النيران أثناء مشيها [1] وتثير الغبار كذلك حتى تتوسط بالحجيج جمعًا وهو

(١) ومما يضعف هذا القول أي القول بأن المراد الإبل أن الإسراع من عرفات إلى مزدلفة حتى يسمع للإبل ضبح ليس بمحمود ، فقد قال النبي ﷺ : «ليس البر بالإيضاع» .

مزدلفة ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا أقسم الله عز وجل : بـ ﴿ الْعَادِيَاتِ .. ﴾ [العاديات: ١] وهي الخيول ؟

ج : قال بعض أهل العلم : وإنما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيهًا على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات: ٧] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن الضمير في قوله : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ راجع إلى الله سبحانه وتعالى فالمعنى على هذا : وإن الله عز وجل على كفران العبد لنعم ربه بل وكفرانه ربه لشهيد .

والمعنى الثاني : أن الضمير يرجع إلى الإنسان ، فالمعنى : وإن الإنسان لشهيد يشهد على نفسه بأنه كنود ، ولسان حاله يؤيد ذلك ، واستدل لهذا القول بالضمير الذي يليه في قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] ومن شهادة الحال قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ... ﴾ [التوبة: ١٧] .

س ـ أليس اللَّه خبيرًا بالعباد في كل حال ؟ فلما خُصَّ ذلك اليوم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات: ١١] ؟

ج : الذي يبدو لي من أقوال المفسرين في ذلك : أن المعنى : إن ربهم بهم لخبير وسيجازيهم يومئذ على أفعالهم وهذا حاصل كلام بعض المفسرين ، وقد طرح ابن الجوزي في « زاد المسير » نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله : المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ ، ومثله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [النساء: ٦٣] معناه : يجازيهم على ذلك ، ومثل : ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾ [غافر: ١٦] .

وقال الزجاج : اللَّه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ، ولكن المعنى أن اللَّه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم .

• وقال الطبري في تأويلها : إن ربهم بأعمالهم ، وما أسروا في صدورهم وأضمروه فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها عليم لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميع ذلك .

• وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات: ١١] ذكر الظرف هنا يُشعر بقصر الوصف عليه مع أنه سبحانه خبير بهم في كل وقت في ذلك اليوم وقبل ذلك اليوم ، ولكنه في ذلك اليوم يُظهر ما كان خفيًّا فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية .

ولكن ذكر الظرف هنا للتحذير مع الوصف بخبير أخص من عليم كما في قوله : ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] .

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

القارعة ـ المبثوث ـ العهن ـ المنفوش ـ عيشة راضية ـ حامية ؟

ج :

الكلمة	معناها
القارعة	القيامة والساعة[1]

---

(١) **قال القرطبي** : كذا قال عامة المفسرين ، وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ، وأهل اللغة يقولون : تقول العرب : قَرَعَتْهُمُ القارعة ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة ؛ إذا وقع بهم أمر فظيع .
قال ابن أحمر :

وقارعةٍ مِنَ الأيام لَوْلاَ ... سبيلهم لزاحت عنك حِينا

الكلمة	معناها
المبثـــوث	المتفرق ـ المنتشر
العهـــن	الصوف ، ومن العلماء من قال : إنه الصوف الملون
المنفـــوش	النفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض[1]
عيشة راضية	عيشة مرضية[2] قد رضيها صاحبها في الجنة
حاميـــة	بلغت أعلى درجات حرارتها ، وبلغت في الشدة إلى غايتها

= وقال آخر : متى تقرع بمروتكم نسؤكم ولم توقد لنا في القدر نار

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدة من شدائد الدهر .

• وقال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره : ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولُها وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لا ليل بعدها .

• وقال أبو السعود : القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ، وهي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حالٍ إلى حال : السماء بالانشقاق والانفطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار ، والأرض بالزلزال والتبديل ، والجبال بالدك والنسف .

(١) قال الرازي رحمه الله : واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ، ثم إنه سبحانه يفرِّق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشًا .

(٢) قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

وقوله : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] قالوا: مرضية، وراضية أصلها مرضية ، =

كما في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨، ٩] ، إسناد الرضى للعيشة ، على أنها هي فاعلة الرضى ، لأن كلمة العيشة جامعة لنعيم الجنة وأسباب النعيم ، راضية طائعة لينة لأصحاب الجنة ، فتفجر لها الأنهار طواعية ، وتدفق الثمار طواعية، كما في قوله : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] .

فالقول الأول : هو المعروف في البلاغة بإطلاق المحل وإرادة الحال ، كقوله تعالى : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] .

والنادي : مكان منتدى القوم ، أي : ينادي بعضهم بعضًا للاجتماع فيه .

والمراد : من يحل في هذا النادي ، ويكون هنا أطلق المحل وهو محل العيشة ، وأراد الحال فيها .

وعلى الثاني : فهو إسناد حقيقي من إسناد الرضى لمن وقع منه أو قام به ؛ ومما هو جدير بالذكر أن حمله على الأسلوب البياني ليس متجهًا كالآية الأخرى ، لأن العيشة ليست محلاً لغيرها بل هي حالة ، والمحل الحقيقي هو الجنة والعيشة حالة فيها ، وهي اسم لمعاني النعيم كما تقدم ، فيكون حمل الإسناد على الحقيقة أصح .

وقد جاءت الأحاديث : أن الجنة تحس بأهلها وتفرح بعمل الخير ، كما أنها تتزين وتبتهج في رمضان ، وأنها تناظرت مع النار وكل يدلي بأهله وفرحه بهم ، حتى وعد اللّه كلاً بملئها .

ونصوص تلقى الحور والولدان والملائكة في الجنة لأهل الجنة بالرضى والتحية معلومة .

وقوله : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] أي : لا يتأخر عنهم شيء .

وقوله : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وقوله : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقاصرات الطرف عن رضى بأهلهن . ومنه : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي : على أزواجهن .

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤] ونحو ذلك ، مما يشعر بأن نعيم الجنة بنفسه راض بأهل الجنة . واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢] ؟ ولماذا سميت بالقارعة ؟

ج : المعنى : وأي شيء هي القارعة ، استفهام لبيان عظيم شأنها وشدة هولها وفظاعتها فما أفظعها وما أعظمها وما أهولها وسميت بالقارعة ، لما تقدم من أنها تقرع الناس بأهوالها وشدتها والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣] : وما أعلمك وما أشعرك يا محمد أي شيء القارعة وما شأنها ؟

* * *

س ـ لماذا شبه الناس بالفراش المبثوث ؟

ج شبهوا بالفراش المبثوث لانتشارهم وتفرقهم وحيرتهم وذهابهم ومجيئهم ولكثرتهم وتطايرهم إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجلٍ استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها**»[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] وبين قوله تعالىٰ : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] ؟ ففي الآية الأولىٰ وصف الناس بالفراش ، وفي الثانية وصفوا بالجراد المنتشر ؟

ج : جمع بعض أهل العلم بين ذلك فقالوا : إن أول حال الناس أنهم يكونون كالفراش يتحيرون ذهابًا وإيابًا وفي كل إتجاه لا وجهة لهم ثم يكونون كالجراد لأن للجراد وجهة تقصدها ، فكل منهم يقصد وجهة معينة ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالموازين في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦] وفي قوله سبحانه : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨] ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : موازين الحسنات ، فمن ثقلت كفة موازين حسناته فهو في عيشة راضية ، ومن خفت موازين حسناته فأمه هاوية .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بأمه ، أم رأسه ، أي : رأسه ، وهاوية من قوله هوى يهوي ، فالمعنى : أنه يهوي برأسه في النار .

الثاني : أن معنى أمه ، أي : مسكنه[1] ، وهاوية هي النار لأنه يهوي إليها وأطلق على النار أنها أمه لأنه يهوي إليها كما يهوي الشخص إلى أمه فالنار مسكنه لا مسكن له غيرها ، ويؤيد هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] .

الثالث : أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا : هوت أمه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٨، ٩] .

وقع الخلاف في المراد من قوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩] هل المراد بأمه مأواه وهي النار ، وأن هاوية من أسمائها ، أم المراد بأمه رأسه وأن هاوية من الهوي ، فيلقى في النار منكسًا رأسه يهوي في النار .

وقد بحث الشيخ رحمة اللّه تعالى علينا وعليه ذلك في «دفع إيهام الاضطراب» ، ولا يبعد من يقول إنه لا تعارض بين القولين .

---

(١) وقد ورد في هذا الباب حديث عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : «إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين ، فتقول له : ما فعل فلان فإذا [قال مات] قالوا : ذُهب به إلى أمه الهاوية» .

فتكون أمه هاوية ، وهي النار ، ويلقى فيها منكسًا تهوي رأسه والعياذ باللَّه .

وحكى القرطبي على أن الأم بمعنى قول لبيد :

فالأرض معقلنا وكانت أُمنًا فيها مقابرنا وفيها نولد

وعلى معنى الهاوية : البعيدة والداهية ، قول الشاعر :

يا عمرو لو نالتك رماحنا ∴ كنت كمن تهوي به الهاويه

والهاوية : مكان الهوي .

كما قيل :

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ∴ بعيدة مهوى القرط مياسة القد

أو طيبة النشر .

وفي الحديث : **«إن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أربعين خريفًا»** .

نسأل اللَّه السلامة .

وقد فسر الهاوية بما بعدها : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] .

وقد فسر الهاوية بأنها أسفل دركات النار . عياذًا باللَّه .

وقد جاء قوله تعالى : ﴿ **كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ** ﴾ [الهمزة: ٤ - ٦] .

والنبذ : الطرح ، مما يرجح ما قلناه من إمكان إرادة المعنيين كون أمه هي الهاوية ، أي : النار ، يهوي فيها على أُم رأسه ، وذلك بالنبذ في الهاوية بعيدة المهوى ، وعادة الجسم إذا ألقى من شاهق بعيدًا يسبقه إلى أسفل أثقله ، وأثقل جسم الإنسان رأسه . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الدالة على عظمة نار جهنم ؟

ج : من ذلك ما يلي : ـ

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»** .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[2] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»** ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : **«فُضِّلَت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كلهن مثلُ حرِّها»** .

● وأخرج مسلم[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا

---

(١) البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

مع رسول اللَّه ﷺ إذ سمع وجبةً [١] فقال النبي ﷺ : «**تدرون ما هذا ؟**» قال : قلنا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : «**هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**» .

وقد تقدم حديث ابن مسعود عند مسلم[٢] قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» .

وقد تقدمت أحاديث أُخر في هذا الباب .

---

(١) وجبة أي سقطة .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي : ـ

ألهاكم ـ التكاثر ـ علم اليقين ـ عين اليقين ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألهاكم	شغلكم ـ والإلهاء التباهي بكثرة المال والولد والجاه، والإلهاء الانصراف إلى اللهو
التكاثر	المكاثرة من قولهم نحن أكثر من بني فلان وبني فلان مالاً وولدًا [1]

(١) أخرج مسلم من طريق مطرف (وهو ابن عبد الله بن الشخير) عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر : ١]، قال: «يقول ابن آدم مالي مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» (مسلم حديث ٢٩٥٨).

الكلمة	معناها
علم اليقين	علمًا يقينيًّا [١]
عين اليقين	يقينًا بأعينكم لا تغيبون عنها [٢] ـ رؤية مشاهدة ومعاينة

* * *

س ـ في أي شيء كانت المكاثرة التي ألهتهم ؟

ج : الغالب أن التكاثر يكون بالمال والولد والجاه والأنصار كما ذكر اللَّه سبحانه صاحبَ الجنتين لما افتخر على صاحبه بقوله : ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ [الكهف: ٣٤]، ولكن التكاثر أُجْمِلَ في الآية الكريمة ليعم كل نوعٍ مما يتكاثر به الناس .

قال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم» ص ٥١٣ ـ ٥١٤) :

● ولم يعين سبحانه وتعالى المتكاثر به ، بل ترك ذكره إما لأن

---

(١) **قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾** [التكاثر: ٥] : يقول تعالى ذكره ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر أيها الناس ، لو تعلمون أيها الناس علمًا يقينًا أن اللَّه باعثكم يوم القيامة ـ من بعد مماتكم ـ من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة ربكم ولسارعتم إلى عبادته والانتهاء إلى أمره ونهيه ورفض الدنيا إشفاقًا على أنفسكم من عقوبته .

ثم ساق الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن اللَّه باعثه بعد الموت .

(٢) وبنحو ذلك قال الطبري في «تفسيره» .

المذموم هو نفس التكاثر بالشيء ، لا المتكاثر به ، كما يقال : شغلك اللعب واللهو ، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به ، وإما إرادة الإطلاق[١] وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء أو غراس أو علم لا يبتغي به وجه اللَّه أو عمل لا يقربه إلى اللَّه فكل هذا من التكاثر الملهي عن اللَّه والدار الآخرة ، وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد اللَّه بن الشخير أنه قال : «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ؟** » .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه أيضًا (ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣) :

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك: توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غِنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة

---

(١) **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : ويعني رحمه اللَّه بالأول ذم الهلع والنهم .
وبالثاني : ليعم كل ما هو صالح للتكاثر به ، مال وولد وجاه وبناء وغراس .

حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها. وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يلزم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة . فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد .

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلْهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٌّ إلى غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرى ، وهو قادر على المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره .

وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين

لعمر مدىٰ سبق أبي بكر له قال : «واللَّه لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا» .

وقال السعدي في «تفسيره» : ولم يذكر المتكاثر به ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون من الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر ، وليس المقصود منه وجه اللَّه .

* * *

س ـ عن أي شيء ألهاهم التكاثر ؟

ج : ألهاهم التكاثر عن عبادة ربهم وعن العمل للآخرة وعن علم ما ينفعهم في أُخراهم .

وقال الرازي في «تفسيره» : إنه تعالىٰ لم يقل : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] عن كذا وإنما لم يذكره لأن المطلق أبلغ في الذم لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله الموضع، أي ألهاكم التكاثر عن ذكر اللَّه وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتدبر والتفكر أو نقول : إن نظرنا إلىٰ ما قبل هذه الآية فالمعنىٰ : ألهاكم التكاثر عن التدبر في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت ، وإن نظرنا إلىٰ الأسفل فالمعنىٰ : ألهاكم التكاثر فنسيتم القبر حتىٰ زرتموه .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» : أخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن اللَّه والدار الآخرة .

س ـ ما المراد بزيارة المقابر في الآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بزيارة المقابر : الذهاب إليها ، وذلك أنهم استمروا في التكاثر والتباهي بالأشخاص حتى عددوا من مات منهم وذهبوا إلى القبور يتباهون حتى بالموتى .

الثاني : أن المراد بزيارة المقابر : الموت ، فقوله : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] معناه : حتى متم وصرتم إليها ودفنتم فيها .

* * *

س ـ لماذا عُبر بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] ؟

ج : ذلك تمشيًا مع أصول اعتقادنا أهل الإسلام من أن هناك بعثًا ، فالمعنى : حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زورًا ثم ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار .

• **قال ابن القيم رحمه الله** : وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت إيذانًا بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور وأنهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها ودار القرار هي الجنة أو النار[1] .

* * *

(١) **قال ابن القيم رحمه الله** (التفسير القيم ص ٥٢٤) :

وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين ، بل هم =

س ـ اذكر بصورة مجملة معنى قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : شغلكم التكاثر بحطام الدنيا الفاني من أموال وأولاد وجاه وأنصار وقبائل وعشائر وثراء وخدم وعبيد وسائر الشهوات عن الله عز وجل وعن طاعته وعبادته حتى وافاكم الموت وأدرككم وأنتم على هذه الحال .

* * *

الأدلة على إثبات عذاب القبر :

س ـ استدل بعض العلماء بقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] على إثبات عذاب القبر فما وجه استدلالهم ؟ وهل من أدلة أصرح من ذلك تبين أن عذاب القبر كائن لمن يستحقه ؟

ج : استدل بذلك الطبري رحمه الله تعالى فقال : وقوله : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] يعني حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها، وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر لأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون إذا

مستودعون في المقابر مدة ، وبين أيديهم دار القرار. فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار ؟ فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة ، ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر .

فهنا ثلاثة أمور : عبور السبيل في هذه الدنيا ، وغايته زيارة القبور ، وبعدها النقلة إلى دار القرار .

هم زاروا القبور وعيدًا منه لهم وتهددًا ، ثم ساق بأسانيده من طريق حجاج عن المنهال عن زر عن علي رضي اللَّه عنه قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه الآية : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١ - ٣] في عذاب القبر ، وفي لفظ : نزلت ألهاكم التكاثر في عذاب القبر .

أما الأدلة الأصرح من ذلك في إثبات عذاب القبر فمنها ما يلي :

● قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] .

● **ومن السنة جملة أحاديث في ذلك ، منها ما يلي :**

● حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما مرفوعًا عند الإمام أحمد ، وقد تقدم بتمامه في تفسير سورة النازعات من هذا الكتاب ، وفيه : «.. **فينادي منادٍ من السماء أن كذب**[1] **فأفرشوا له من النار وافتحوا**

---

(١) وذلك في شأن الكافر .

له بابًا إلىٰ النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه ...» الحديث .

وقد استدل البخاري رحمه اللَّه لإثبات عذاب القبر بجملة أدلة من الكتاب والسُّنة .

● منها : قول اللَّه تعالىٰ : ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الهُون : هو الهوان .

● ومنها : قول اللَّه تعالىٰ : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] .

● وقول اللَّه تعالىٰ : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] .

● واستدل غير البخاري أيضًا بقول اللَّه تعالىٰ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧] .

● واستدل البخاري أيضًا بحديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم قال : «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه» فذلك قوله : ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) .

● واستدل أيضًا بحديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : اطلع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على أهل القليب فقال : «**وجدتم ما وعد ربكم حقًّا**» فقيل له : تدعو أمواتًا ؟ فقال : «**ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون**» البخاري (١٣٧٠) ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث عمر وأنس (٢٨٧٣) ، (٢٨٧٤) وله طرق أخرى .

● وبحديث عائشة رضي اللَّه عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك اللَّه من عذاب القبر فسألت عائشة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى أله وسلم عن عذاب القبر فقال : «**نعم عذاب القبر**» قالت عائشة : فما رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر (١٣٧٢) .

● وبحديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها (١٣٧٣) قالت : قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة .

● وحديث أنس (١٣٧٤) وفيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وإنه يسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت**

ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» .

● وعند مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت قالت : إن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : **«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»** .

وهناك جملة كبيرة في «الصحيحين» في هذا الباب غير ما ذكرنا .

ولهذا قال النووي رحمه اللَّه («شرح مسلم» ٥/ ٧١٩) :

اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ [غافر: ٤٦] الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل أن يعيد اللَّه تعالى الحياة في جزء من الجسد ، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده ، وقد ذكر مسلم أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، وسماع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم صوت من يعذب فيه، وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لأهل القليب وقوله : **«ما أنتم بأسمع منهم»** ، وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما، والفسح له في قبره، وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، وسبق معظم شرح هذا في كتاب الصلاة وكتاب الجنائز (أي : عند مسلم) والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة

وبعض المرجئة نفوا ذلك ، ثم المعذَّب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير وعبد اللَّه بن كرام وطائفة فقالوا : لا يشترط إعادة الروح قال أصحابنا : هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي قال أصحابنا : ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك ، فكما أن اللَّه تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان ، فإن قيل : فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟ فالجواب : أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها ، وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جالسوه منه ، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جلي ، قال أصحابنا : وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أن يكون مختصًّا بالمقبور دون المنبوذ ، ومن أكلته السباع والحيتان ، وأما ضربه بالمطارق فلا يمنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويُضرب واللَّه أعلم .

قلت : ولمزيد في هذا الباب انظر «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣) فما بعدها .

* * *

حكم زيارة القبور :

س ـ ما حكم زيارة الرجال والنساء للقبور ؟

ج : زيارة القبور بالنسبة للرجال مستحبة ، فقد كان النبي ﷺ يزور القبور ، ويحث على زيارتها ، قال عليه الصلاة والسلام : «.. **فزوروا القبور فإنها تُذكر الموت**» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» إلى غير ذلك من الأحاديث ، وستأتي إن شاء اللَّه .

أما زيارة النساء للقبور فمحل خلاف بين أهل العلم ، والراجح فيه لدينا أن زيارتهن للقبور مستحبة أيضًا ما لم يُصاحب ذلك مخالفات شرعية ، وهذه بعض الأدلة في ذلك وأقوال أهل العلم :

أولاً : أدلة المانعين :

● أخرج الإمام أحمد[١] رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن لشواهده من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ لعن زورات القبور[٢] .

الدليل الثاني للمانعين : أخرج أبو داود والنسائي [٣] من حديث

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٧) والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٦) والبيهقي (٤/ ٧٨) ، وانظر تخريجه في كتابنا «جامع أحكام النساء» .

(٢) نقل الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٣/ ١٤٩) عن القرطبي قوله : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة .

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي (٤/ ٢٧ ـ ٢٨) وإسناده ضعيف . =

عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال : قَبَرنا مع رسول اللَّه ﷺ ـ يعني ميتًا ـ فلما فرغنا انصرف رسولُ اللَّه ﷺ وانصرفنا معه فلما حاذىٰ بابه وقف فإذا نحن بامرأة مُقْبِلة ـ قال : أظنه عرفها ـ فلما ذهبتُ إذا هي فاطمةُ عليها السلام فقال لها رسول اللَّه ﷺ : «**ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟**» فقالت : أتيت يا رسول اللَّه أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به ، فقال لها رسول اللَّه ﷺ : «**فلعلك بلغت معهم الكدىٰ**» قالت : معاذ اللَّه !! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر ، قال : «**لو بلغت معهم الكدىٰ ...** » فذكر تشديدًا في ذلك فسألت ربيعة عن الكدىٰ فقال : القبور فيما أحسب .

ثانيًا : أدلة المجيزين :

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قَبْرٍ فقال : «**اتقي اللَّه**

= ● وقد ضعف النووي في «المجموع» (٥/ ٢٧٨) هذا الحديث .

● أما معنىٰ الكدىٰ فقال الخطابي : جمع كدية وهي القطعة الصلبة من الأرض ، والقبور إنما تحفر في المواضع الصلبة لئلا تنهار ، والعرب تقول : ما هو إلا ضب كدية إذا وصفوا الرجل بالدهاء والأرب ، ويقال : أكدىٰ الرجل إذا حفر فأفضىٰ إلىٰ الصلابة ، ويضرب به المثل فيمن أخفق فلم ينجح في طلبته .

● هذا وقد استدل المانعون من زيارة النساء للقبور بحديث أم عطية المتقدم (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) وليس بصريح في بابه ، وأيضًا فالنهي واضح أنه في هذا الحديث للتنزيه وليس للتحريم واللَّه أعلم .

(١) البخاري (حديث ١٢٨٣) ومسلم (ص ٦٣٧) وأبو داود (٣١٢٤) والترمذي (حديث ٩٨٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

واصبري»، قالت : إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي ولم تَعْرِفْهُ فقيل لها : إنه النبيُّ ﷺ فأتت النبيَّ ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لَمْ أَعْرِفْك فقال : «**إنما الصبرُ عند الصَّدْمَةِ الأُولى**»[١].

الدليل الثاني للمجيزين :

أخرجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : زار النبيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وأبكى من حَوْلَه فقال : «**استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تُذَكِّر الموتَ**»[٣].

الدليل الثالث للمجيزين :

أخرجه مسلم[٤] وأحمد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه

---

(١) موضع الدلالة من هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة . قاله الحافظ .

وقال أيضًا : وفيه جواز مخاطبة الرجال للنساء في مثل ذلك بما هو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو موعظة أو تعزية وأن ذلك لا يختص بعجوز دون شابة لما يترتب عليه من المصالح الدينية .

وقال النووي رحمه اللَّه : فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كل أحد .

قلت : ومحل ذلك كله إذا أمنت الفتنة واللَّه أعلم .

أما قوله : «**إنما الصبر عن الصدمة الأولى**» فقد نقل الحافظ («الفتح» ٣/ ١٥٠) عن الخطابي قوله : والمعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو .

(٢) مسلم (حديث ٦٧١) .

(٣) ووجه الاستشهاد منه قوله : «**فزوروا القبور**» وهذا عام يدخل فيه النساء والرجال .

(٤) أخرجه مسلم (٦٦٩) وأحمد (٦/ ٢٢١) وعبد الرزاق (٦٧١٢) .

عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه ﷺ ؟ قلنا : بلى ، قال: قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رِدَاءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبَسَطَ طَرَفَ إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قَدْ رقدتُ فأخذ رِدَاءه رُويدًا وانتَعل رُويدًا وفتح الباب فَخَرَجَ ثم أَجَافه[1] رُويدًا فجعلت دِرْعي[2] في رَأْسي واختمرتُ وتَقَنَّعتُ إزاري ثم انطلقت على إثْرِهِ حتى جاء البقيع فقام فَأَطَال القيام ثم رَفَعَ يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفتُ فأسرعَ فأسرعتُ فهرول فهرولتُ فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرتُ[3] فسبقْتُهُ فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعتُ فَدَخَلَ فقال : « **مَالَكَ يا عائشُ حَشْيًا رابيةً** » قالت: قلتُ : لا شيء ، قال : «**لَتُخْبِرِيني أو لَيُخْبرني اللطيفُ الخبيرُ**» قالت : قلت : يا رسول اللَّه ! بأبي أنت وأمي فَأَخْبَرْتُهُ قال : «**فأنتِ السَّوادُ الذي رأيتُ أمامي ؟**» قلتُ : نعم فلهدني في صَدْرِي لهدةً أوجعتني ثم قال : «**أَظَنَنْتِ أن يَحيف اللَّه عليك ورسوله ؟**» قالت : مهما يكتم الناسُ يعلمه اللَّه . نعم قال : «**فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَكِ وظننتُ أن قد رَقَدْتِ فكرهتُ أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال : ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم** » قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول اللَّه[4] قال :

---

(١) أجافه أي أغلقه .

(٢) درعي أي قميصي .

(٣) فأحضر فأحضرت أي عدا فعدوت فالإحضار هنا هو العَدْوُ .

(٤) فيه دليل على أن المرأة تأتي المقبرة وتسلم على الأموات بقولها : السلام على أهل الديار . . وقد استدل به عدد من أهل العلم على ذلك . =

«قولي : السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون» .

رأي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها :

أخرج الحاكم في «المستدرك»[١] بإسناد صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها أنها أقبلت ذات يومٍ من المقابر فقلتُ لها : يا أم المؤمنين : من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقلت لها: أَلَيس كان رسولُ اللَّه ﷺ نهى عن زيارةِ القبور؟ قالت : نعم ، كان نهى ثم أَمَرَ بزيارتها .

وأخرج الترمذي[٢] بإسناد صحيح عنْ عبد اللَّه بن أبي مليكة قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحُبْشِي قال : فَحُمِلَ إلى مكةَ فَدُفِنَ فيها فلما قَدِمَتْ عائشةُ أَتَتْ قَبْرَ عبدَ الرحمن بن أبي بكر فقالت :

وكنا كَنَدَمَاني جَذِيمةَ حِقْبَةً .:. مِن الدَّهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكًا .:. لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معًا [٣]

تنبيه : ورد في «سنن البيهقي» (٤/٧٨) في معرض الجواز ـ أن فاطمة رضي اللَّه عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده . وهذا الحديث ضعيف لا يثبت عنها رضي اللَّه عنها ، وقد قال الحاكم رحمه اللَّه : هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات فتعقبه الذهبي بقوله : هذا منكر جداً سليمان (أحد رواته) ضعيف وقال البيهقي : إنه منقطع .

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/٣٧٦) والبيهقي (٤/٧٨) .

(٢) الترمذي (حديث ١٠٥٥) .

(٣) فيه بيت شعر أسقط ، وذكره الصنعاني في «السبل» (٥٧٩) .

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا .:. أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا =

ثم قالت : لو حضرتُك ما دُفِنْتَ إلا حيثُ مُتَّ ولو شهدتُكَ ما زُرْتُكَ .

الدليل الرابع للمجيزين : أخرجه مسلم [١] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : **«نهيتكم عن زيارة القبور فَزُورُوها ونهيتُكم عن لحومِ الأضاحي فوق ثلاث فَأَمْسِكُوا ما بَدَا لكم ونهيتكُم عن النبيذ إلا في سِقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تَشْرَبوا مُسْكِرًا»** .

بعض أقوال أهل العلم في الباب

تقدم أن عائشة رضي اللَّه عنها كانت ترى جواز زيارة النساء للقبور بل وقد زارت هي نفسها أيضًا قبر أخيها .

قال الترمذي رحمه اللَّه (عقب حديث ١٠٥٦) :

وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء ، وقال بعضهم : إنما يكره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

= والأبيات لتميم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد ، وخزيمة كان ملكًا بالعراق والجزيرة وضم إليه العرب وهو صاحب الزباء ، وفي القاموس : الزباء : ملكة الجزيرة ، وتعد من ملوك الطوائف ، أي كنا كنديمي جذيمة وجليسيه ، ومالك هو ابن نويرة انتهى بتصرف من «تحفة الأحوذي» (٤/ ١٦٢) .

(١) مسلم (حديث ٩٧٧) .

• **وقال البيهقي رحمه اللَّه (٤/ ٧٨ «السنن الكبرىٰ») :**

وقد روينا في الحديث الثابت عن أنس بن مالك : أن رسول اللَّه ﷺ مر بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها: **«اتقي اللَّه واصبري»**، وليس في الخبر أنه نهاها عن الخروج إلىٰ المقبرة ، وفي ذلك تقوية لما روينا عن عائشة رضي اللَّه عنها ، إلا أنه أصح ما روىٰ في ذلك صريحًا حديث أم عطية[1] وما يوافقه من الأخبار ، فلو تنزهن عن اتباع الجنائز والخروج إلىٰ المقابر وزيارة القبور أبرأ لدينهن ، وباللَّه التوفيق .

• **وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٣١١) :**

ومما يدل علىٰ أن زيارتهن ليست حرامًا حديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر فقال: **«اتقي اللَّه واصبري»** رواه البخاري ومسلم ، وموضع الدلالة أنه ﷺ لم ينهها عن الزيارة ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كيف أقول يا رسول اللَّه ـ يعني إذا زرت القبور ـ قال : **«قولي : السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء بكم للاحقون»** .

وانظر مزيدًا هناك أيضًا .

• **وقال ابن حزم رحمه اللَّه («المحلىٰ» ٥/ ١٦٠) :**

ونستحب زيارة القبور ، وهو فرض[2] ولو مرة ولا بأس بأن يزور

---

(١) يعني بحديث أم عطية : (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) .

(٢) قول ابن حزم رحمه اللَّه بأن ذلك فرض مما ينازع فيه، فهو راجع إلىٰ مسألة الإباحة بعد الحظر، وقد قدمنا الكلام علىٰ هذه المسألة في أبواب الطهارة من كتابنا «جامع أحكام النساء» وكذلك =

المسلم قبر حميمه المشرك الرجال والنساء سواء .

• **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٣/ ١٤٨) :**

واختلف في النساء فقيل: دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر، ومحله ما إذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث : (مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر . . .) .

• **قال الشوكاني رحمه اللَّه («نيل الأوطار» ٤/ ١١١) في خاتمة بحثه :**

قال القرطبي : واللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثِرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة (يعني زوَّارات) من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك ، وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . انتهى .

قال الشوكاني :

وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر واللَّه أعلم .

• **وقال ابن القيم رحمه اللَّه (مع «عون المعبود» ٩/ ٥٨) :**

وقد اختلف في زيارة النساء للمقابر على ثلاثة أقوال :

أحدها : التحريم لهذه[1] الأحاديث .

= عند تفسير قول اللَّه تعالى : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

(١) يعني حديث «لعن اللَّه زورات القبور» وحديث فاطمة ، المتقدمين . =

الثاني : يكره من غير تحريم ، وهذا منصوص أحمد في إحدى الروايات عنه وحجة هذا القول حديث أم عطية المتفق عليه : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا .

وهذا يدل على أن النهي للكراهة لا للتحريم .

الثالث : أنه مباح لهن غير مكروه وهو الرواية الأخرى عن أحمد .. ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ أدلة هذا القول ثم جنح إلى القول بالمنع في خاتمة بحثه واللَّه أعلم .

فائدة :

قال القرطبي رحمه اللَّه[1] : قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه ، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ومَوتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضِرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين . فهذه ثلاثة أمور ، ينبغي لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه ؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت ، وانجلت به قساوة قلبه فذاك ، وإن عظم عليه ران قلبه ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ؛ فإن مشاهدة المحتضرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير . وفي مشاهدة من احتُضِر ، وزيارة قبر من مات من المسلمين مُعايَنَةٌ ومشاهدة ؛ فلذلك كان أبلغ من الأوّل ؛ قال ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة» . رواه ابن عباس . فأما الاعتبار بحال المحتَضَرِين ، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات . وأما زيارة القبور فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر . فينبغي لمن عزم على الزيارة ، أن يتأدّب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط ؛ فإن حاله تشاركه فيها بهيمة . ونعوذ باللَّه من ذلك . بل يقصدر بزيارته وجه اللَّه تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع =

---

(١) القرطبي في «التفسير» (٢٠/١١٧) .

حاصل القول في هذا الباب والعلم عند الله تعالى

بالنظر في أدلة المجيزين والمانعين نرى الآتي :

أولاً : أحاديث الجواز أصح من أحاديث المنع فلا يثبت من أحاديث المنع إلا حديث : «لعن اللَّه زوارات القبور» على ما فيه .

ثانيًا : تقدم التنبيه على أن لفظ «زوارات» يقتضي كثرة الزيارة فلا يدخل فيه من زارت مرة بعد مرة كل حين .

= الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء ، ويتجنب المشي على المقابر ، والجلوس عليها ويُسلم إذا دخل المقابر ، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضًا ، وأتاه من تلقاء وجهه ، لأنه في زيارته كمخاطبته حيًّا، ولو خاطبه حيًّا لكان الأدب استقباله بوجهه ؛ فكذلك ها هنا . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ؛ فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه . فليتأمّل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودَرَج من أقرانه الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ؛ كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمّل من بعدهم نساؤهم، وشَمِل ذل اليتم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم . وليتذكر تردّدهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع ، والهلاك السريع ، كغفلتهم ، وأنه لابدّ صائر إلى مصيرهم ، وليُحضر بقلبه ذِكر من كان متردّدًا في أغراضه ، وكيف تهدّمت رجلاه . وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خُوِّلَه وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله . وعند هذا التذكُّر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه .

ثالثًا : حديث : «**لعن اللَّه زوارات القبور**» ذكر بعض أهل العلم أنه منسوخ بحديث : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» . والنساء يحتجن إلى تذكر الآخرة كالرجال .

رابعًا : ما فهمته عائشة رضي اللَّه عنها فهي إحدى النساء ـ بل هي أمهن وأمنا ـ اللواتي يعنيهن الأمر وكون رسول اللَّه علمها ما تقول إذا أتت المقبرة وكونها زارت قبر أخيها بعد موته ، كل هذا يدل على جواز زيارة النساء للقبور ويقوي القول القائل بهذا ، واللَّه أعلم .

تنبيهات

١ ـ إذا علم من حال النساء وأنهن ـ بذهابهن إلى القبور ـ يصحن وينحن ويعددن على الأموات ويفعلن البدعة والمحرمات ، فتحرم حينئذ زيارتهن للقبور فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٢ ـ إذا علم من أحوالهن كذلك أنهن يذهبن إلى قبور بعض ما يطلقون عليهم الصالحين أو أولياء اللَّه يلتمسون عندهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات وكشف الغمات فهذا شرك وتحرم عندئذ الزيارة بلا شك .

٣ ـ إذا ذهبت النساء متبرجات متعطرات فكذلك يحرم خروجهن .

٤ ـ إذا خصصت النساء يومًا لزيارة القبور فيه ـ كما يحدث من تخصيص أيام الجمع والأعياد ونحو ذلك فهذا من البدع التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان .

وفقنا اللَّه لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ .

* * *

س ـ وضِح المراد بقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣] ؟

ج : (كلا) كلمة تحمل معنىٰ النفي والردع والزجر كما قدمناه مرارًا من قبل .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم») :

ومن تأمل حسن موقع ﴿ كَلاَّ ﴾ في هذا الموضع ، فإنها تضمنت ردعًا لهم ، وزجرًا عن التكاثر ، ونفيًا وإبطالاً لما يؤملونه ، من نفع التكاثر لهم ، وعزتهم وكمالهم به ، فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا ، وأخبرهم سبحانه أنهم لابد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علمًا بعد علم ، وأنهم لابد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا التي ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية ، وأنه سبحانه لابد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم : من أين استخرجوها ؟ وفيم صرفوها ؟

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣] تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون نتيجة انشغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة اللَّه عز وجل .

* * *

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] ؟

ج : كرر قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] لإرادة التغليظ في التخويف والتهديد والردع والزجر ، والعرب إذا أرادوا التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلام ، كما قال النبي ﷺ : «ألا وقول الزور ..» فما زال يكررها حتى قال الصحابة : ليته سكت .

• ومن العلماء من قال : قوله : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] أيها الكفار ، وقوله : ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] أنتم أيضًا يا مؤمنون .

• ومن العلماء من قال : قوله تعالى : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] هذا عند الموت وفي القبر ، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤] عند قيام الساعة .

• ومن العلماء من قال : العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله («التفسير القيم» ص ٥١٦ ـ ٥١٨) :

ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه :

أحدها : أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل . وقد أمكن اعتباره ، مع فخامة المعنى وجلالته ، وعدم الإخلال بالفصاحة .

الثاني : توسط «ثم» بين العلمين ، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبين زمانًا وخطرًا .

الثالث : أن هذا القول مطابق للواقع . فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علمًا يقينيًا ، هو فوق العلم الأول . =

. . . . . .

الرابع : أن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر. قال الترمذي : حدثنا أبو كريب حدثنا حكام بن سليم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج بن منهال بن عمرو عن زر عن علي رضي اللّه عنه قال : «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ » قال الواحدي : يعني أن معنى قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] في القبر .

الخامس : أن هذا مطابق لما بعده من قوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين : إطلاق الأولى ، وتقييد الثانية بعين اليقين ، وتقدم الأولى ، وتراخي الثانية عنها .

ثم ختّم السورة بالإخبار المؤكد بواو القسم ولام التأكيد ، والنون الثقيلة عن سؤال النعيم . فكل أحد يسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا : هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال ، سئل سؤالاً آخر : هل شكر اللّه تعالى عليه ، فاستعان به على طاعته أم لا ؟

فالأول سؤال عن سبب استخراجه .

والثاني : عن محل صرفه . كما في «جامع الترمذي» من حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن شبابه : فيما أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ؟ وفيما ذا عمل فيما علم ؟» .

وفيه أيضًا : عن أبي برزة قال : قال رسول اللّه ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن علمه : فيما عمل فيه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه وفيما أبلاه ؟» وقال : هذا حديث صحيح .

وفيه أيضًا : من حديث أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : «إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ـ يعني من النعيم ـ أن يقال له : ألم نُصِحَّ جسمك ؟ ونرويك من الماء البارد ؟» .

وفيه أيضًا : من حديث الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال : لما نزلت ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] قال الزبير : يا رسول اللّه ، فأي النعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان : التمر والماء ؟ قال : «أما إنه سيكون» وقال : هذا حديث حسن . =

. . . . . .

= وعن أبي هريرة نحوه . وقال : إنما هو الأسودان : العدو حاضر ، وسيوفنا على عواتقنا . فقال : «إن ذلك سيكون» .

وقوله ﷺ : «إن ذلك سيكون» إما أن يكون المراد به : أن النعيم سيكون ويحدث لكم ، وإما أن يرجع إلى السؤال ، أي : إن السؤال يقع عن ذلك ، وإن كان تمرًا وماء ، فإنه من النعيم .

ويدل عليه : قوله ﷺ في الحديث الصحيح ـ وقد أكلوا معه رُطبًا ولحمًا ، وشربوا من الماء البارد ـ «هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة» فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه .

وفي الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : «يجاء بالعبد يوم القيامة ، كأنه بِذْج فيوقف بين يدي اللَّه تعالى ، فيقول اللَّه : أعطيتك وخَوَّلتك ، وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقول: يارب جمعته ، وثمرته ، فتركته أوفر ما كان ، فارجعني آتيك به . فإذا أعيد لم يقدم خيرًا ، فيمضى به إلى النار» .

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : «يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول اللَّه : ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً ، وولدًا ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ، أفكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني» وقال : هذا حديث صحيح .

● وقبل هذا الكلام نقل ابن القيم رحمه اللَّه تعالى كلامًا فيما يجدر بنا ذكره فقال رحمه اللَّه ص ٥١٤ :

ثم توعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيدًا مؤكدًا ، إذا عاين تكاثره قد ذهب هباء منثورًا ، وعلم أن دنياه التي كاثر بها إنما كانت خدعًا وغرورًا ، فوجد عاقبة تكاثره عليه لا له ، وخسر هنالك تكاثره . كما خسره أمثاله . وبدا له من اللَّه ما لم يكن في حسابه ، وصار تكاثره الذي شغله عن اللَّه والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه ، فعذب بتكاثره في دنياه ، ثم عذب به في البرزخ ، ثم يعذب به يوم القيامة . فكان أشقى الناس بتكاثره . إذ أفاد منه العطب ، دون الغنيمة والسلامة . فلم يفز من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ، ولم يحظ من علوه به في الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين .

فياللَّه تكاثرًا ما أثقله وزرًا ، وما أجلبه من غنًى جالبًا لكل فقر ، وخيرًا توصل به إلى كل شر، يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه : يا ليتني قدمت لحياتي ، وعملت فيه بطاعة اللَّه =

. . . . . .

= قبل وفاتي ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقيل له : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ تلك كلمته يقولها . فلا يعول عليها . ورجعته يسألها، فلا يجاب إليها .

وتأمل قوله أولاً : ﴿رَبِّ﴾ استغاث بربه ، ثم التفت إلى الملائكة الذين أمروا بإحضاره بين يدي ربه تبارك وتعالى ، وقال : ﴿ارْجِعُونِ﴾ ثم ذكر سبب سؤال الرجعة . وهو أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته وأسبابه ، فيقال له : ﴿كَلَّا﴾ لا سبيل لك إلى الرجعة ، وقد عُمِّرت ما يتذكر فيه من تذكر .

ولما كان شأن الكريم الرحيم أن يجيب من استقاله ، وأن يفسح له في المهلة ليتذكر ما فاته ـ أخبر سبحانه أن سؤال هذا المفرط الرجعَة كلمة : هو قائلها ، لا حقيقة تحتها ، وأن سجيته وطبيعته تأبى أن تعمل صالحًا . لو أجيب . وإنما ذلك شيء يقوله بلسانه ، وإنه لو رُدَّ لعاد لما نهي عنه ، وإنه من الكاذبين .

فحكمة أحكم الحاكمين ، وعزته وعلمه وحمده ، يأبى إجابته إلى ما سأل . فإنه لا فائدة من ذلك . ولو رد لكانت حاله الثانية مثل حاله الأولى ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨] .

وقوله : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] جوابه محذوف ، دل عليه ما تقدم ، أي: لما ألهاكم التكاثر ، وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لَمَّا فُقد منكم علم اليقين ، وهو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حد الضروريات ، التي لا يشك ولا يماري في صحتها وثبوتها . ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه شيء عن موجبه، ولترتب أثره عليه . فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي في تركه . فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد . فإذا صار عين يقين ، كجملة المشاهدات ، كان تخلُّف موجبه عنه أنذر شيء .

وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت رضي اللّه عنه في أهل بدر :

سرنا ، وساروا إلى بدر ، لحتفهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

س ـ اذكر بمزيد إيضاح المراد بـ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] ؟

ج : أوجز القول في ذلك عطية سالم حفظه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» بقوله : وقد قدمنا مراتب العلم الثلاث : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

فالعلم : ما كان من دلائل .

وعين اليقين : ما كان من مشاهدة .

وحق اليقين : ما كان عن ملابسة ومخالطة ، كما يحصل العلم بالكعبة، وجهتها فهو علم اليقين ، فإذا رآها فهو عين اليقين بوجودها. فإذا دخلها وكان في جوفها فهو حق اليقين بوجودها . واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] ، ولماذا كرر ذكر الرؤية ؟

ج : كرر للتأكيد على أن الرؤية واقعة ، وكرر للتهديد ، وثم أوجه أُخر .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] جواب قسم محذوف ، وفيه

زيادة وعيد وتهديد أي واللَّه لترون الجحيم في الآخرة ، قال الرازي : وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيًّا وهذا مثبت ، ولأنه عطف عليه ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وهو مستقبل لابد من وقوعه ، قال وحذف جواب ﴿لو﴾ كثير ، والخطاب لكفار ، وقيل عام كقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] .

قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيًّا للفاعل وقرئ بضمها مبنيًّا للمفعول ، والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت إلى مفعول واحد .

ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] أي : ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين ، وهي المشاهدة والمعاينة ، وقيل : المعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب ، وقيل : المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها، وبالثاني رؤيتها حال دخولها ، وقيل: هو إخبار عن دوام بقائهم في النار أي : هي رؤية دائمة متصلة ، وقيل: المعنى : لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها .

قال الرازي رحمه اللَّه تعالى :

في تكرار الرؤية وجوه : أحدها : أنه لتأكيد الوعيد أيضًا لعل القوم كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ، ونون التأكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية ، يعني لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها لكنكم تحملون على رؤيتها شئتم أم أبيتم . وثانيها أن أولهما الرؤية من

البعيد ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ، والرؤية الثانية إذا صاروا إلى شفير النار. **وثالثها** : أن الرؤية الأولى عند الورود ، والثانية عند الدخول فيها ، وقيل : هذا التفسير ليس بحسن لأنه قال : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [التكاثر: ٨] والسؤال يكون قبل الدخول . **ورابعها** : الرؤية الأولى الوعد ، والثانية المشاهدة . **وخامسها** : أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم ، على جهة الوعيد: لئن كنتم اليوم شاكّين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك ، وهو كقوله : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ـ إلى قوله ـ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٣، ٤] بمعنى لو أعدت النظر فيها ما شئت لم تجد فطورًا ولم يرد مرتين فقط ، فكذا ههنا ، إن قيل : ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين ؟ قلنا : لأنهم في المرة الأولى رأوا لهبًا لا غير ، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى ، والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التقريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة .

* * *

س ـ من هم الذين سيرون الجحيم ؟

ج : قيل : هم الكفار ، بدليل قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

[التكاثر: ١] وقيل : عموم الخلق (المؤمنون والكفار) لقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] فهي للكفار مقر ، وللمؤمنين ممر ، والله أعلم .

* * *

س ـ من هم الذين سيُسأَلون عن النعيم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الذين يُسألون عن النعيم هم الكفار ، بدليل قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] .

وقال آخرون: إن عموم الخلق سيُسألون عن النعيم[1] بدليل ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . . . وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة» .

وانتصر ابن القيم رحمه الله تعالى لهذا القول الأخير بشدة فقال رحمه الله :

فكل أحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالاً آخر: هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته أم لا؟ . . ثم قال رحمه الله: وقد زعم طائفة من المفسرين : أن هذا الخطاب خاص بالكفار ، وأنهم هم المسئولون عن النعيم . وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل . واختار

---

(١) نقل القرطبي عن القشيري قوله : والجمع بين الأخبار أن الكل يُسألون ، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف .

الواحدي ذلك . واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية ، قال رسول اللَّه ﷺ: أرأيت أكلة أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم، وبسر قد ذَنَّب، وماء عذب أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ذلك للكفار**» ، ثم قرأ : ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور**﴾ [سبأ: ١٧] .

وقال الواحدي : والظاهر يشهد بهذا القول . لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم . والمعنى أيضًا يشهد بهذا القول ، وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم ، حيث أشركوا بربهم وعبدوا غيره، فاستحقوا أن يسألوا عما أنعم به عليهم ، توبيخًا لهم ، هل قاموا بالواجب فيه ، أم ضيعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم .

قال : وهذا معنى قول مقاتل ، وهو قول الحسن . قال : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار .

قلت : ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ، ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار ، بل ظاهر اللفظ ، وصريح السنة والاعتبار : يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر . فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك .

ويدل على ذلك : قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت**» ـ الحديث وهو في «صحيح مسلم» . وقائل ذلك قد يكون

مسلمًا. وقد يكون كافرًا .

ويدل عليه أيضًا : الأحاديث التي تقدمت ، وسؤال الصحابة النبي ﷺ ، وفهمهم العموم ، حتى قالوا له : وأي نعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان، فلو كان الخطاب مختصًّا بالكفار لبين لهم ذلك. وقال: مالكم ولها ؟ إنما هي للكفار . فالصحابة فهموا العموم ، والأحاديث صريحة في التعميم . والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم .

وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول . فحديث لا يصح . والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه . ونحن نسوقه بلفظه .

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : خرج رسول اللَّه ﷺ ذات يوم أو ليلة . فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : «**ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة ؟** » قالا: الجوع، يا رسول اللَّه. قال : «**وأنا والذي نفسي بيده ، لأخرجني الذي أخرجكما ، قوما**» ، فقاما معه . فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته . فلما رأته امرأته قالت : مرحبًا وأهلاً . فقال لها رسول اللَّه ﷺ : «**أين فلان؟**» قالت : ذهب ليستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه ، فقال : الحمد للَّه ما أجد اليوم أكرم أضيافًا مني . قال: فانطلق فجاءهم بعِذْق فيه بُسْر وتمر ورطب فقال : كلوا من هذا. فأخذ المدية ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : «**إياك والحلوبة**» . فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا . فلما أن شبعوا ورووا

قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر : «**والذي نفسي بيديه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتّى أصبتم هذا النعيم**» .

فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب ، وأنه غير مختص بالكفار .

وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه ، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع بين المسلمين كثيرًا ، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر . وخطاب القرآن عام لمن بلغه ، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول اللَّه ﷺ ، فهو متناول لمن بعدهم . وهذا معلوم بضرورة الدين ، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين .

فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ [البقرة: ١٨٣] ونظائره ، كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين .

فقوله : ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر: ١] خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف . وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا اللَّه .

فإن قيل : فالمؤمنون لم يلههم التكاثر . ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه .

قيل: هذا هو الذي أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار ،

لأنه لم يمكنهم حمله على العموم ، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد ، فخصوهم به .

وجواب هذا : أن الخطاب للإنسان كقوله : ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١] ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] ونظائره كثيرة .

فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع ، والعمل الصالح ، وإنما اللَّه سبحانه هو الذي يكمله بذلك ، ويعطيه إياه . وليس له ذلك من نفسه . بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل ، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه ، لا من نفسه . فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته ، التي هي له من نفسه . ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية اللَّه له ، وجعله مريدًا للآخرة ، مؤثرًا لها على التكاثر بالدنيا . فإن أعطاه ذلك وإلا فهو ملتهٍ بالتكاثر في الدنيا ولابد .

أما احتجاجهم بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار . فيقال :

الوعيد المذكور مشترك ، وهو العلم عند معاينة الآخرة . فهذا أمر يحصل لكل أحد ، لم يكن حاصلاً له في الدنيا . وليس في قوله : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ما يقتضي دخول النار ، فضلاً عن التخليد فيها . وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها . فإن أهل

الموقف يرونها ، ويشاهدونها عيانًا. وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أن لابد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] .

فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها .

وأما ما ذكروه عن الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار . فباطل قطعًا . إما عليه وإما منه . والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده. وباللَّه التوفيق .

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها ، وما تضمنته من تحذير الإنسان عن التكاثر الملهي ، وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار ، ولا يليق ذلك بها . ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها . واللَّه أعلم .

وتأمل ما في هذا العتاب الراجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها ، إلى أن زار القبور ، ولم يستيقظ من نوم الإلهاء ، بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات .

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتعين لك أن العموم مقصود.

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد

بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك: توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غِنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها . وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة : فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد.

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٌّ إلى غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . وصاحب هذا التكاثر لا

يهون عليه أن يرىٰ غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأىٰ غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرىٰ ، وهو قادر علىٰ المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين لعمر مدىٰ سبق أبي بكر له قال : «واللَّه لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا» .

* * *

س ـ ما هو النعيم المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] ؟

ج : يُسأل العبد يوم القيامة عن عموم النعم التي أنعم اللَّه بها عليه.

- فيُسأل عن نعمة الطعام والشراب كما ورد في حديث رسول اللَّه ﷺ مع أبي بكر وعمر .

- ويسأل عن الصحة كما قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] وكما قال عليه الصلاة

والسلام : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» .

• ويسأل عن نعمة الأمن كما قال تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ ، ٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ .. ﴾ [المائدة: ١١] .

• ويُسأل عن نعمة المال والجاه والسلطان والزوجات والولدان والعمران .

• ويُسأل عن سائر النعم كنعمة العلم ونعمة العقل وعموم النعم ، وقد ذكر القرطبي عشرة أقوال في هذا الباب، واختار القول بأن المسئول عنه عموم النعم ، قال : لأن اللفظ يعم ، والله أعلم .

* * *

س ـ أين يكون السؤال عن النعيم ؟

ج : **أجاب على ذلك الرازي رحمه الله تعالى بقوله :**

المسألة الثالثة : اختلفوا في أن هذا السؤال أن يكون ؟

فالقول الأول : أن هذا السؤال إنما يكون في موقف الحساب ، فإن قيل : هذا لا يستقيم ، لأنه تعالى أخبر أن هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم بقوله : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [التكاثر: ٨] وموقف السؤال متقدم على مشاهدة جهنم ؟ قلنا : المراد من قوله : ﴿ثُمَّ﴾ أي : ثم أخبركم أنكم تسألون يوم القيامة ، وهو كقوله : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٣ - ١٧].

القول الثاني : أنهم إذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخًا لهم ، كما قال : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الملك: ٨] وقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ولا شك أن مجيء الرسول نعمة من اللَّه ، فقد سئلوا عنه بعد دخولهم النار ، أو يقال : إنهم إذا صاروا في الجحيم وشاهدوها ، يقال لهم : إنما حل بكم هذا العذاب لأنكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ، ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة الفائزين بالدرجات ، فيكون ذلك من الملائكة سؤالاً عن نعيمهم في الدنيا ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

العصر ـ خسر ـ تواصوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
العصر	الدهر (الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم) ـ عمر ابن آدم ـ وقت العصر ـ صلاة العصر ـ وقت العشي[1]
خسر	هلكة ونقصان[2]
تواصوا	أوصى بعضهم بعضًا

* * *

(١) واختار الطبري القول بالتعميم ، أي : أن كل ما ذكر يدخل فيما أقسم اللّه به .

(٢) نقل القرطبي عن إبراهيم قوله : إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف =

س ـ اذكر بشيء من التوسع بعض أقوال العلماء في تفسير العصر ؟ وما هو وجه القسم بالعصر ؟

ج : لأهل العلم أقوال في المراد بالعصر تتلخص في الآتي:

الأول : أن المراد بالعصر : اسم للزمن كله .

الثاني : أن المراد بالعصر : الليل والنهار .

الثالث : أن المراد بالعصر : عمر الإنسان .

الرابع : أن المراد بالعصر : الغداة والعشي

الخامس : أن المراد بالعصر : وقت العصر (أي : وقت صلاة العصر) .

السادس : أن المراد بالعصر : صلاة العصر ، لكونها الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء .

السابع : أن المراد بالعصر : عصر النبي ﷺ .

= وتراجع إلا المؤمنين ، فإنهم تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ، نظيره قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين: ٤، ٥] .

كذا قال إبراهيم رحمه الله .

والصواب : أن الأمر أعم مما ذُكر ، فمن معاني الخسران دخول النار يوم القيامة والعياذ بالله .

الثامن : أن العصر : ما بعد زوال الشمس إلى غروبها .

التاسع : أن المراد : العموم ، فكل ما ذكر يدخل في العصر الذي أقسم اللَّه به .

● **قال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ، والعصر اسم للدهر ، وهو العشي والليل والنهار ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه .

● **أما وجه القسم بالعصر** ، فعلى قول من قال إنه الزمن كله أو جزءٍ منه فلما في الدهر من الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر .

● وأن اللَّه عز وجل أقسم بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة .

● **قال الرازي في بيان سبب القسم بالعصر** :

والسبب فيه وجوه : **أحدها** : أنه أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة فإن كل بكرة كأنها القيامة يخرجون من القبور وتصير الأموات أحياء وتقام الموازين وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت ، وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ، ثم إذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرًا ،

فكذا الإنسان الغافل عنهما في خسر . **وثانيها** : قال الحسن رحمه اللَّه . إنما أقسم بهذا الوقت تنبيهًا على أن الأسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها ، فإذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك يسألك كل أحد ما هو حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين ، فكذا نقول : والعصر ، أي : عصر الدنيا قد دنت القيامة و[أنت] بعد لم تستعد وتعلم أنك تسأل غدًا عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك، وتسأل في معاملتك مع الخلق وكل أحد من المظلومين يدعي ما عليك فإذا أنت خاسر ، ونظيره : ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء: ١] . **وثالثها** : أن هذا الوقت معظم ، والدليل عليه قوله عليه السلام : «**من حلف بعد العصر كاذبًا لا يكلمه اللَّه ولا ينظر إليه يوم القيامة**» ، فكما أقسم في حق الرابح بالضحى ، فكذا أقسم في حق الخاسر بالعصر ، وذلك لأنه أقسم بالضحى في حق الرابح وبشر الرسول أن أمره إلى الإقبال ، وههنا في حق الخاسر توعده أن أمره إلى الإدبار ، ثم كأنه يقول بعض النهار باقٍ فيحثه على التدارك في البقية بالتوبة ، وعن بعض السلف : تعلمت معنى السورة في بائع الثلج كان يصيح ويقول : ارحموا من يذوب رأس ماله ، ارحموا من يذوب رأس ماله ، فقلت : هذا معنى ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ٢] يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر .

أما وجه القسم عند من قال : إن المراد صلاة العصر فلكونها أفضل الصلوات إذ هي الصلاة الوسطى ، وقد قال فيها النبي ﷺ :

«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهله وماله» [١] وقال عليه الصلاة والسلام : «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» [٢] إلى غير ذلك مما ورد فيها من فضائل واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ النجاة معلقة بأربعة أمور مذكورة في سورة العصر وضحها باختصار ؟

ج : هذه الأمور الأربعة هي : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال الرازي رحمه اللَّه : هذه الآية فيها وعيد شديد وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور ، وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور ، منها : الدعاء إلى الدين ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى اللَّه ، والثاني الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف ، والثاني النهي عن المنكر ، ومنه قوله : ﴿ **وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان: ١٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢) ومسلم (حديث ٦٢٦) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ (في «مفتاح دار السعادة») [١] : ـ

قولُه تعالىٰ : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، قال الشافعي رضي اللَّه عنه : لو فكَّرَ النَّاسُ كلُّهم في هذه الشورةِ لكفَتهُم .

وبيانُ ذلك أنَّ المراتب أربعٌ ، وباستكمالِها يحصُلُ للشخصِ غايةُ كمالِه :

إحداها : معرفةُ الحقِّ .

الثَّانية : عملُهُ به .

الثَّالثة : تعليمُهُ مَن لا يُحسِنُهُ .

الرَّابعَة : صَبرُهُ على تعلُّمِه ، والعَملِ به ، وتَعليمِه .

فَذَكَرَ تعالىٰ المراتبَ الأربعَ في هذه السُّورَة ، وأقسَمَ سُبحانهُ في هذه السُّورَةِ بالعَصرِ أنَّ كُلَّ أحدٍ في خُسرٍ ، إلاَّ الَّذينَ آمَنوا وعَملوا الصَّالحاتِ ، وهم الذينَ عَرفوا الحقَّ ، وصدَّقوا به .

فهذه مرتبةٌ .

وعملوا الصَّالحات ، وهم الذين عَمِلوا بما عَلِمُوه من الحقِّ .

فهذه مرتبةٌ أُخرىٰ .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

وتَواصَوْا بالحقِّ ؛ وصَّى به بعضُهُم بعضًا ؛ تعليمًا وإرشادًا .

فهذه مرتبةٌ ثالثةٌ .

وتَواصَوْا بالصَّبرِ ؛ صَبَروا على الحقِّ ، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصَّبرِ عليه ، والثَّباتِ .

فهذه مرتبةٌ رابعةٌ .

وهذا نهايَةُ الكمالِ ؛ فإنَّ الكمالَ أنْ يكونَ الشخصُ كاملاً في نفسه، مُكمِّلاً لغيرِه ، وكمالُه بإصلاحِ قُوَّتيه العلميَّةِ والعَمليَّةِ ، فصلاحُ القُوَّةِ العلميَّةِ بالإيمانِ ، وصلاحُ القوَّةِ العَمليَّة بعملِ الصَّالحاتِ ، وتكميلِه غَيرَهُ ، وتعليمِه إيَّاهُ ، وصبرِه عليهِ ، وتوصيتِه بالصَّبرِ على العلمِ والعملِ .

فهذه السورَةُ على اختصارها هي من أجمع سُوَرِ القرآن للخيرِ بحذافيرِه ، والحمدُ للَّهِ الذي جَعلَ كتابَهُ كافيًا عن كلِّ ما سواهُ ، شافيًا من كلِّ داءٍ ، هاديًا إلى كلِّ خيرٍ .

* * *

س ـ لماذا عقب الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالتواصي بالصبر ؟

ج : لأن العمل بالحق والتمسك به يتبعه ابتلاء ، والابتلاء يلزمه صبر ، ومن هذا قول لقمان لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] .

س ـ ما هو وجه تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بعد قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر : ٣] ؟

ج : تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بالذكر مع أنهما داخلان في العمل الصالح للدلالة على أهميتهما ،وعظيم شأنهما .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

الرابع تخصيص التواصي بالحق والصبر ، مع اندارجهما في الأعمال الصالحة ، لإبراز كمال الاعتناء بهما .

قال الإمام : من تلك الأعمال الدعوة إلى الحق والوصية بالصبر. لكنه أراد تخصيص هذين الأمرين بالذكر ، لأنهما حفاظ كل خير ورأس كل أمر . والحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة. وهو ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة . فشرط النجاة من الخسران ، أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكّنوه من قلوبهم، ثم يحمل الناس بعضهم بعضًا عليه ، بأن يدعو كلٌّ صاحبَه إلى الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، التي لا ينازع فيها العقل ولا يختلف فيها النقل . وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات ، التي لا قَرَارَ للنفوس عليها ، ولا دليل يهدي إليها . ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان ، حتى تستطيع النفس دفع ما يرد عليها من باطل الأوهام . وهذا إطلاق العقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق في النظر . لا الذهاب مع الطيش والانخداع للعادة والوهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه فهو

من الخاسرين . كما ترى في الآية بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل. والصبر قوة للنفس على احتمال المشقة في العمل الطيب ، واحتمال المكروه من الحرمان من اللذة ، إن كان في نيلها ما يخالف حقًّا أو ما لا تأذن به الشريعة الصحيحة التي لا اختلاف فيها . واحتمال الآلام إذا عرضت المصائب بدون جزع ولا خروج في دفعها عن حدود الحق والشرع . فشرط النجاة من الخسران أن تصبر ، وأن توصي غيرك بالصبر ، وتحمله على تكميل قواه بهذه الفضيلة الشريفة ، التي هي أم الفضائل بأسرها ، ولا يمكنك حمله على ذلك ، حتى تكون بنفسك متحليًا بها . وإلا دخلت فيمن يقول ولا يفعل كما يقول . فلم تكن ممن يعمل الصالحات . انتهى .

* * *

س ـ على ماذا الصبر المذكور في قوله تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] ؟

ج : الصبر على العمل بطاعة اللَّه ، والصبر على نوائب الدهر ، وعلى أقدار اللَّه سبحانه وتعالى ، ومن ذلك أيضًا : الصبر على أذى من يؤذي من يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] أي : أوصي بعضهم بعضًا بما أنزل اللَّه في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه من معاصيه ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي : على ما يبلو اللَّه به عباده ، أو على الحق فإن

الوصول إلى الحق سهل ، وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة والجهاد لأجله فذاك الذي يظهر به مصداق الإيمان وحقيقته .

* * *

س ـ هل ثبت أن الصحابة كانوا إذا التقوا وتفرقوا لم يتفرقوا إلا بعد قراءتهم سورة العصر ؟

ج : أخرج الطبراني في «الأوسط»[1] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي مدينة ، وكانت له صحبة ـ قال : كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] ثم يُسلم أحدهما على الآخر .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٢٠) و (٥٠٩٧) والبيهقي في «الشعب» (٩٠٥٧) وقال رواه غيره عن حماد عن ثابت عن عتبة بن عبد الغافر ، فأبدل أبو مدينة بعتبة بن عبد الغافر وأبو مدينة مختلف في صحبته ، وإن أثبت الطبراني أن له صحبة ، وعلى كل حال فإنه يحكي عن الصحابة الذين رآهم فقط ، مع أن في نفسي شيء من هذا الإسناد ، والله أعلم .

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى هذه الكلمات :

ويلٌ ـ همزة ـ لمزة ـ عدَّده ـ أخلده ـ ينبذن ـ الحطمة ـ تطلع ـ الأفئدة ـ مؤصدة ـ عمد ممددة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ويـــلٌ	الويل كلمة عذاب وهلاك أو توعد بالعذاب والهلاك ، وقيل : إن الويل واد في جهنم[1]

(١) وقد ورد في أن الويل واد في جهنم أحاديث لا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ ، هذا ونورد هنا ما ذكر عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» ، فقد قال رحمه الله :
قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] .
اختلف في معنى كلمة ويل .

الكلمة	معناها
همـــزة	الذي يهمز الناس ويعيبهم بالقول
لمـــزة	الذي يلمز الناس ويعيبهم بالفعل

= فقيل : هو واد في جهنم :

وقيل : هي كلمة عذاب وهلاك .

وتقدم للشيخ رحمة اللّه تعالى علينا وعليه ، ذكر هذين المعنيين في سورة الجاثية عند قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] ، وبين أنها مصدر لا لفظ له من فعله، وأن المسوغ للابتداء بها مع أنها نكرة كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك .

وقد استظهر رحمه اللّه تعالى هذا المعنى .

ومما يشهد لما استظهره رحمه اللّه ، ما جاء في حق أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم ، أنهم قالوا عند رؤيتهم إياها : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] فهي كلمة تقال عند نزول المصائب ، وعند التقبيح .

وقال الفخر الرازي : أصل الويل نصبه السخط والذم ، وأصلها وي لفلان ، ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام ، ويقال : ويح بالحاء للترحم . اهـ .

ومما يدل لقول الرازي أيضًا قول قارون : ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] .

ومثله للتعجب في قوله : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] .

وقوله : ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] .

فالظاهر : أنها كلمة تقال عند الشدة والهلكة ، أو شدة التعجب مما يعد المستبعد .

والذي يشهد له القرآن : هو هذا المعنى ، وسبب الخلاف قد يرجع لمجيئها تارة مطلقة كقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] وهنا ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] . =

الكلمة	معناها
عـــدَّده	أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل اللَّه[١]
أخلـــده	جعله يُخلد في الدنيا ، أي : يعيش بلا موت
ينبـــذن	يقذفن ـ يطرحن ، وكلمة النبذ تفيد التحقير والإهمال والتصغير
الحطـــمة	اسم من أسماء النار[٢]
تطلـــع	يطلع ألمها ووهجها إلى القلوب ـ تصعد
مؤصـــدة	مغلقة ـ مقفلة ـ مطبقة
عمد ممددة	أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وممددة أي : مطوَّلة

❊ ❊ ❊

= ويجيء مع ذكر ما يتوعد به كقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] ، وقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥] ، فذكر النار والعذاب الأليم .

وكذلك قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] ، فهي في هذا كله للوعيد الشديد ، مما ذكر معها من النار والعذاب الأليم ومشهد يوم عظيم ، وليست مقصودة بذاتها دون ما ذكر معها ، والعلم عند اللَّه تعالى .

(١) وقيل : عدَّه كل وقتٍ وآخر تحفظًا عليه ، وقيل : عدده أي : كنزه ، وقيل : أعده للحاجة في دنياه متغافلاً عن الآخرة .

(٢) قال بعض العلماء : سميت الحطمة بالحطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها .

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الهمزة اللمزة الطعان المعياب (أي : الذي يطعن في الناس ويعيبهم) .

وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» جملة أقوال فقال رحمه اللَّه :

قوله [عز وجل] : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] اختلفوا في الهُمَزَة واللُّمَزَة هل هما بمعنى واحد ، أم مختلفان ؟ على قولين .

أحدهما : أنهما مختلفان . ثم فيهما سبعة أقوال :

أحدها : أن الهُمَزَة : المُغْتَاب ، واللُّمَزَة : العيَّاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الإنسان في وجهه . واللُّمَزَة : يَلْمِزُه إذا أدبر عنه ، قاله الحسن ، وعطاء ، وأبو العالية .

والثالث : أن الهُمَزَة : الطعَّان في الناس ، واللُّمَزَة : الطعَّان في أنساب الناس ، قاله مجاهد .

والرابع : أن الهُمَزَة : بالعين ، واللُّمَزَة : باللسان ، قاله قتادة .

والخامس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللُّمَزَة : الذي يَلْمِزهم بلسانه ، قال ابن زيد .

والسادس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز بلسانه ، واللُّمَزَة : الذي يلمز

بعينه ، قاله سفيان الثوري .

والسابع : أن الهُمَزة : المغتاب ، واللُّمَزة : الطاعن على الإنسان في وجهه ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الهُمَزة : العَيَّاب الطعان ، واللُّمَزَة مثله . وأصل الهمز واللمز : الدفع قاله ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : الهُمَزَة اللُّمَزَة : الذي يغتاب الناس ويعضههم قال ابن فارس : والعضيهةَ الكذب والبهتان قال الشاعر :

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني ∴ وإن تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَة

وقال الطبري رحمه اللَّه : (لكل همزة) يقول : لكل مغتاب للناس يغتابهم ويغضبهم كما قال زياد الأعجم :

تُدلى بودِّي إذا لاقَيْتني كَـذِبا ∴ وإن أُغَيَّبْ فأنتَ الهامز اللمزة

ويعني باللمزة الذي يعيب الناس ويطعن فيهم .

• **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بعد أن ذكر كلام الطبري رحمه اللَّه :**

وقد جاء في القرآن كل من الكلمتين مفردة عن الأخرى ، بما يدل على المغايرة .

ففي الهمزة قوله : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١] مما يدل على الكذب والنميمة .

ففي الهمزة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] .

وقوله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] مما يدل على أنها أقرب للتنقص والعيب في الحضور لا في الغيبة ، فتغاير الهمز في المعنى ، وفي الصفة ، والجمع بينهما جمع بين القبيحين ، فكان مستحقًّا لهذا الوعيد الشديد بكلمة ويل .

وقد قيل : الهمز باليد ، وقيل : باللسان في الحضرة ، والهمز في الغيبة .

وقيل : الهمز باليد ، واللمز باللسان ، والغمز بالعين ، وكلها معانٍ متقاربة تشترك في تنقص الآخرين .

وذكر الرازي جملة وجوه في تفسير الآية نحو ما ذُكر ثم قال :

واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ثم هذا على قسمين فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد ، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك ، وكل واحد من القسمين ، إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين ، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي ، أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة ، ثم إظهار العيب في هذه الأقسام الأربعة قد يكون لحاضر ، وقد يكون لغائب ، وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ ، وقد يكون بإشارة الرأس والعين وغيرهما ، وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر ، إنما البحث في أن اللفظ بحسب اللغة موضوع لماذا ،

فما كان اللفظ موضوعًا له كان منهيًّا بحسب اللفظ، وما لم يكن اللفظ موضوعًا له كان داخلاً تحت النهي بحسب القياس الجلي ، ولما كان الرسول أعظم الناس منصبًا في الدين كان الطعن فيه عظيمًا عند اللَّه ، فلا جرم قال : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه ، والأول أولى .

* * *

س ـ لماذا ذُكر من خصال الهمزة اللمزة (أنه جمع مالاً وعدده) مع أن هناك من الخصال ما هو أسوأ من ذلك ؟

ج : **قال القاسمي في محاسن التأويل :**

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢] أي : أحصى عدده ولم ينفقه في وجوه البر .

قال الإمام : أي : أن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعديده ، أي : عده مرة بعد أخرى ، شغفًا به وتلذذًا بإحصائه . لأنه لا يرى عزًّا ولا شرفًا ولا مجدًا في سواه . فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذي فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلمزه . ثم لا يخشى

أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتمزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت ، وصرف عنه ذكر المآل فهو ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي : يظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، مخلده في الدنيا ، فمزيل عنه الموت .

قلت : ويؤيد هذا التأويل : قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

● وقال القاسمي أيضًا :

تنبيه : قال القاشانيّ في بيان آفات رذيلتي الهمز واللمز اللتين نزلت في وعيدهما السورة ، ما مثاله: الهمز ، أي: الكسر من أعراض الناس واللمز، أي: الطعن فيهم، رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر. لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والرذيلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية .

ثم قال: وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة:٢] إشارة أيضًا إلى الجهل . لأن الذي جعل المال عدة للنوائب ، لا يعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب ، لاقتضاء حكمة اللَّه تفريقه في النائبات ، فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي:

لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل : أن الجهل الذي هو رذيلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه ، المغمور فيها ، العذاب الأبديّ المستولي على القلب المبطل لجوهره .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [الهمزة: ٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أيظن صاحب المال أن ماله سيخلده في الدنيا .

* * *

س ـ لماذا خصت الأفئدة بالذكر في قوله تعالى : ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ [الهمزة: ٧] ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وخص الأفئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة .

● أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها لأن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشد تألمًا بأدنى أذى يمسه ، أي : أنهم في حال من يموت

وهم لا يموتون كما قال تعالى : ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وقيل : المعنى : أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب ، وذلك بأمارات عرفها اللّه بها [١] .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] ؟

ج : قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] : من العلماء من قال : إن (في) هنا بمعنى الباء فالمعنى : بعمد ممدة ، والعمد جمع عمود ، والممد هو الطويل ، فالمعنى : أنها (أي : النار) على أهلها مؤصدة (أي : مغلقة مطبقة) بأعمدة طويلة .

● أو أن النار أغلقت عليهم وأطبقت ثم أُحكم قفلها بأعمدة طويلة ونحو هذه يفعله أصحاب بعض المحلات في دنياهم ، فبعد أن يغلقوا الأبواب بالمفاتيح يحكمون الغلق بأعمدة حديدية مستعرضة لحماية الأبواب من اللصوص .

● **وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» :**

قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، و (في) بمعنى الباء ، والمعنى : مطبقة بعمد .

● وقول آخر : إن أهل الكفر موضوعون في عمدة ممددة ، أي :

---

(١) وعامة هذا الكلام منقول من «تفسير الرازي» .

داخل أعمدة طويلة داخل النار .

● ومن العلماء من قال : إنهم موضوعون في أعمدة طويلة وقد مُدَّت هذه الأعمدة حتى سُدت بها أبواب النار ، والعياذ باللَّه .

● ومنهم من قال : إن النار عليهم مغلقة ، ومع كونها مغلقة عليهم فهم مربوطون (موثقون) في أعمدة داخل النار ، ولتقريب الفهم فقد يكون الرجل سجينًا في الدنيا داخل غرفة ، فالغرفة مغلقة عليه من الخارج ، وهو بداخلها أيضًا مقيد في أوتاد وفي أعمدة ، فهي قيود من بعد قيود ، وسجون داخل سجون أجارنا اللَّه منها .

ولخص عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» نحو ما ذُكر بقوله :

قيل : مؤصدة في عمد ، بأن العمد صارت وصدًا للباب كالقفل والغلق له ، وقيل : في عمد : أنهم يدخلون في عمد كالقصبة مجوفة الداخل ، وقيل : في عمد : أي: توضع أرجلهم في العمد على صورة القيد في الخشبة الممتدة يشد فيها عدد من الأشخاص في أرجلهم .

وكنت سمعت[1] من الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في ذلك أن العمد بمعنى القصبة المجوفة تضيق عليهم ، كما في قوله : ﴿ **وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا** ﴾ [الفرقان: ١٣] ، وقد نص عليه في إملائه رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه .

وقال الطبري رحمه اللَّه تعالى : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك

---

(١) يعني شيخه محمد الأمين الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى وهو مؤلف «أضواء البيان» .

قول من قال : معناه أنهم يعذبون بعمد في النار ، واللَّه أعلم كيف تعذيبه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وضع لنا عليها دليل تدرك به صفة ذلك ، فلا قول فيه غير الذي قلنا يصح عندنا ، واللَّه أعلم .

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ألم تر ـ كيدهم ـ تضليل ـ أبابيل ـ سجيل ـ عصف ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تنظر بعين قلبك ـ ألم تعلم ـ ألم تُخبر
كيدهم	مكرهم ـ تدبيرهم
تضليل	إبطال وتضييع وخسارة وهلاك
أبابيل	جماعات جماعات ، فرق يتبع بعضها بعضًا ـ كثيرة ـ شتى متتابعة (جماعة من ههنا وجماعة من ههنا)
سجيل	طين (والمراد به الطين المتحجر شديد القوة)
عصف	التبن[1] ـ الروث

(١) من العلماء من قال : العصف هو التبن الذي أكل منه ، ومنهم من قال : إنه التبن (أو =

الكلمة	معناها
مأكـــول	أُكل منه ـ أُكل وأصبح روثًا

❊ ❊ ❊

= ورق الزرع) إذا أكلته البهائم فصار روثًا يبس الروث فتفرقت أجزاؤه .

قال الطبري رحمه اللَّه :

وقوله: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [الفيل: ٥] يعني تعالى ذكره: فجعل اللَّه أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبَّه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرُّق آراب أبدانهم بها بتفُّرق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع، وكان بعضهم يقول: العصف هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة من خارج كهيئة الغلاف لها .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

أما قوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [الفيل: ٥] ففيه مسائل :

المسألة الأولى : ذكروا في تفسير العصف وجوهًا ذكرناها في قوله : ﴿ **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ** ﴾ [الرحمن : ١٢] وذكروا ههنا وجوهًا :

أحدها : أنه ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكله المواشي .

وثانيها : قال أبو مسلم : العصف : التبن ، لقوله : ﴿ **ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ** ﴾ [الرحمن: ١٢] لأنه تعصف به الريح عند الذر فتفرقه عن الحب ، وهو إذا كان مأكولاً فقد بطل ولا رجعة له ولا منفعة فيه .

وثالثها : قال الفراء : هو أطراف الزرع قبل أن يدرك السنبل .

ورابعها : هو الحب الذي أكل لبه وبقي قشره .

المسألة الثانية : ذكروا في تفسير المأكول وجوهًا :

أحدها : أنه الذي أكل ، وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان :

أحدهما : أن يكون المعنى كزرع وتبن قد أكلته الدواب ، ثم ألقته روثًا ، ثم يجف وتتفرق أجزاؤه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، إلا أن العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن ، كقوله : ﴿ **كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة: ٧٥] وهو قول مقاتل ، وقتادة وعطاء عن ابن عباس . =

س ـ ما المراد بالاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ؟ وفي قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ؟

ج : المراد بالاستفهام : التقرير ، أي : تقرير علمه ﷺ بما حدث لأصحاب الفيل ، فالمعنى : قد علمت يا محمد وقد علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغهم من الأخبار المتواترة ، قد علمتم الذي حدث لأصحاب الفيل والعقوبة التي أنزلها اللَّه سبحانه وتعالى بهم .

* * *

س ـ ما هو السبب الذي من أجله حلَّت عقوبة اللَّه تعالى بأصحاب الفيل ؟

ج : السبب هو مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل إلى بيت اللَّه الحرام لتخريبه وهدم الكعبة التي فيه حتى تنصرف وجوه الناس إلى بلاده ، والأسانيد بذلك وإن كانت منقطعة إلا أن أهل السير تلقفوها

= **والاحتمال الثاني** : على هذا الوجه أن يكون التشبيه واقعًا بورق الزرع إذا وقع فيه الأكال، وهو أن يأكله الدود .

الوجه الثاني : في تفسير قوله : ﴿مَّأْكُولٍ﴾ هو أنه جعلهم كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، وعلى هذا التقدير يكون المعنى : كعصف مأكول الحب ، كما يقال : فلان حسن ، أي : حسن الوجه ، فأجرى مأكول على العصف من أجل أنه أكل حبه ، لأن هذا المعنى معلوم ، وهذا قول الحسن .

الوجه الثالث : في التفسير : أن يكون معنى ﴿مَّأْكُولٍ﴾ : أنه مما يؤكل ، يعني : تأكله الدواب يقال لكل شيء يصلح للأكل : هو مأكول ، والمعنى : جعلهم كتبن تأكله الدواب ، وهو قول عكرمة والضحاك .

ونقلوها في كتبهم وكذلك كثير من المفسرين .

قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره» :

وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما حدثنا ابن حميد[١] قال ثنا سلمة بن الفضل قال : ثنا ابن إسحاق[٢]: أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء وكان نصرانيًّا ، فسماها القُلَّيْس ، لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لمْ يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حاجّ العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي ، غضب رجل من النَّسأةً أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال: من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة ، لما سمع من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أي : إنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزَاعِي بن حِزَابة الذَّكواني ، ثم السُّلَمى ، في نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي ؛ فبينما هم عنده ، غَشيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغذائه ، وكان يأكل الخُصَى ؛ فلما أتى القوم بغذائه ، قالوا : واللَّه لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد

---

(١) ابن حميد فيه كلام لكن الأثر عند ابن إسحاق والآفة من إعضال الأثر .

(٢) وانظر «سيرة ابن إسحاق» أيضًا (١/ ٤٠) طبعة دار الفكر .

ابن خزاعِي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك إن هذا يوم عيد لنا لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدي ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتكم بغذائي لمنزلتكم عندي .

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعِي ، وأمَّره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَّيس كنيسته التي بناها ، فسار محمد ابن خزاعِي حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهلها تهامة أمره . وما جاء له ، بعثوا إليه رجلاً من هُذَيل يقال له : عُرْوة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله ؛ وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحنقًا ، وحلف ليغزون بني كنانة ، وليهدمنّ البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهَّزت ، وخرج معه بالفيل ، وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفُظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت اللَّه الحرام ، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت اللَّه ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعَرَض له وقاتله ، فهُزم وتفرَّق أصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرًا ، فلما أراد قتله ، قال ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خير لك من قتلي ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليمًا .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعميّ في قبيلَتي خثعم : شَهران ، وناهس ، ومن معه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخِذ له أسيرًا ؛ فأُتِي به ، فلما همّ بقتله ، قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني ، فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم : شهران ، وناهس ، بالسمع والطاعة ؛ فأعفاه وخلَّى سبيله ، وخرج به معه يدله على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرَجَمت العرب قبره ، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمِّس .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها ، وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك

يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرِد حربي فأتني به .

فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، قال له عبد المطلب : واللَّه ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت اللَّه الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه فهو بيته وحرَمه ، وإن يُخْلِ بينه وبينه، فواللَّه ما عندنا له من دافع عنه ، أو كما قال ؛ فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فيسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقًا ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه فقال : يا ذا نفر هل عندك غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر ، وكان له صديقًا : وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيًّا ، ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسًا سائق الفيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، قال حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس إن عبد المطلب سيِّدُ قريش ، وصاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مئتي بعير ، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلَّم أنيس أبرهة ، فقال : أيها الملك ، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك ، فليكلمك بحاجته ، وأحسن إليه . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب رجلاً عظيمًا وسيمًا جسيمًا ؛ فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكرِه أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، فأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال له عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي ؛ فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلَّمتَني ، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه ، قال : ما كان ليُمنَع مني ، قال : فأنت وذاك ، اردد إليّ إبلي .

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيِّد بني كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذَليّ وهو يومئذ سيد هُذَيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموالِ تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، واللَّه أعلم .

وكان أبرهة ، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ،

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شعف الجبال والشعاب تخوّفًا عليهم من مَعَرة الجيش ؛ ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلْقة الباب ، باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون اللَّه ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب : وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكـا
يـا رَبِّ فامْنَـعْ مِنْهُمْ حِماكـا
إنَّ عَـدُوَّ الْبَيْـتِ مَـنْ عاداكا
امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُراكـا (١)

وقال أيضًا :

لا هُمَّ إنَّ الْعَبْدَ يَمْنَـــــعُ رَحْلَهُ فامْنَع حِلالكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُـمْ ومحَالُهُـمْ غَـدْوا محَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا أوْلـى فأمُـرْ مـا بَـدَا لَـكْ
وَلَئِنَ فَعَلْتَ فَإنَّـهُ أمْـرٌ تُتِـمُّ بِـهِ فِعَالَـكْ (٢)

---

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ زعموا أنه قالهما في حرب الفيل . وقد ذكرها الثعلبي المفسر في «العرائس» المعروف بقصص الأنبياء (طبعة الحلبي (٤٤٢) .

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة ، وهدم الكعبة . وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات وهي : =

وقال أيضًا :

وكُنْتُ إذَا أتى باغٍ بِسَلْمٍ ∴ نُرَجِّى أن تَكُونَ لَنا كَذلكْ
فَوَلَّوْا لَمْ يَنالُوا غَيْرَ خِزْيٍ ∴ وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالكْ
ولَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رجالٍ ∴ أرَادُوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ ∴ والْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيالَكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبأ جيشه ؛ وكان اسم الفيل محمودًا ، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجَّهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعميّ ، حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود ، وارجع راشدًا من حيث جئت فإنك في بلد اللَّه الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فَبرَكَ الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل ، وضربوا

= لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامْنَع حلالكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومحَالُهُمْ غَدْوا محَالكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وقال السهيلي في «الروض الأنف» تعليقًا على قول عبد المطلب هذا : وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل ، وهو قوله :

وانْصُرْ على آلِ الصَّلِيبِ وعابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ

وقوله : حلالك : هم القوم الحالون في المكان . اهـ . وقيل : إن البيت الثالث مما رواه الواقدي ، ولم يروه ابن إسحاق . اهـ . من حاشية المعلق .

الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم ، فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه ، فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجَّهوه راجعًا إلى اليمن ، فقام يهرول ووجَّهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى المشرق ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل اللَّه عليهم طيرًا في البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل اللَّه بهم من نقمته .

أَيْنَ المَفَرُّ والإِلَهُ الطَّالِبْ ∴ والأَشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الغالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ منهل ، فأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها مِدّة تمُثُّ فيحًا ودمًا ، حتى قدَموا به صنعاء . وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث ، أن أوّل ما رُؤيت الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أوّل ما رؤي بها مُرار الشجر الحرملُ والحنظلُ والعُشرُ ذلك العام .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بيت اللَّه ليهدمه من أجلّ بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن ، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصَّفَّاح برك ، فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت اللَّه ألقى بجرانه على الأرض وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْولة ، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث اللَّه عليهم طيرًا بيضًا أبابيل . والأبابيل : الكثيرة ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم اللَّه عزّ وجلّ كعصف مأكول، قال : فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة ، فجعل كلما قدم أرضًا تساقط بعض لحمه ، حتى أتى قومه . فأخبرهم الخبر ثم هلك .

* * *

س ـ من المعلوم أن النصارى أهل كتاب ، وأن أهل مكة كانوا أهل شرك ، وأهل الكتاب خير من أهل الشرك ، وكانت الكعبة مملوءة بالأصنام ، فكيف أهلك اللَّه سبحانه وتعالى النصارى الذين هم أهل كتاب ولم يسلطهم على الوثنيين ؟

ج : ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن هؤلاء النصارى إنما أرادوا تدمير بيت اللَّه الحرام وتوجيه الناس إلى بلادهم ، فهمتهم ووجهتهم كانت للنيل من الكعبة البيت الحرام وتدميرها وصرف الناس عن تلك الكعبة التي حرمها اللَّه سبحانه وتعالى وجعلها قيامًا للناس .

• وسبب آخر لذلك أن إهلاك أصحاب الفيل كانت تقدمة لمبعث رسول اللَّه ﷺ ، فقد ولد النبي ﷺ في هذا العام .

• **وذكر الرازي وجهًا آخر فقال :**

السؤال السابع : أليس أن كفار قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان من قديم الدهر ، ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب جدران الكعبة ، فلم سلط اللَّه العذاب على من قصد التخريب ، ولم يسلط العذاب على من ملأها من الأوثان ؟ .

والجواب : لأن وضع الأوثان فيها تعد على حق اللَّه تعالى ، وتخريبها تعد على حق الخلق، ونظيره قاطع الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع أنهم مسلمون ، ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة ، وإن كانوا كفار، لأنه لا يتعدى ضررهم إلى الخلق.

* * *

س ـ في أي مناسبة ذكر رسول اللَّه ﷺ حابس الفيل ؟

ج : ذكر النبي ﷺ حابس الفيل عندما امتنعت ناقته من دخول مكة فقال الصحابة : خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**» .

وذلك واضح فيما أخرجه البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول اللَّه

---

(١) اخرجه البخاري (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) .

ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : «**إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريشٍ طليعة فخذوا ذات اليمين**» فواللَّه ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يُهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس : حل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي ﷺ : «**ما خلأت القصواء** ... » الحديث .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

لإيلاف ـ إيلافهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
لإيلاف	قال بعض العلماء: إن الإيلاف من التأليف أي الاجتماع فالمعنى: لاجتماع قريش ، وقال آخرن : إنه من الإلف والتعود
إيلافهم	تعودهم

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [قريش ١، ٢] ؟

ح : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي : ـ

الأول : أن اللَّه عز وجل أنعم على قريش بنعم لإلفتهم وعدم تفريق جماعتهم ، من هذه النعم إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، أي : كونهم يألفون رحلة الشتاء والصيف ، فالمعنى : لتأليف قريش وجمعها وعدم فرقتها أنعمنا عليهم بأنهم يألفوا رحلة الشتاء والصيف ويتعودونها ولا تشق عليهم ولا يعترضهم أحد بسوء لكونهم أهل الحرم ، كما قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

الثاني : أن السورة مرتبطة بما قبلها ، والمعنى: أننا أهلكنا أصحاب الفيل لإيلاف قريش حتى تجتمع كلمتها، وذلك لأن قريشًا كانت تخرج في تجارتها فلا يُغار عليها في الجاهلية ويقولون هم أهل بيت اللَّه عز وجل ، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فأهلكه اللَّه سبحانه وتعالى لإيلاف قريش ، أي : لجمع كلمتهم وليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم أحد .

والمعنى : فجعل اللَّه أصحاب الفيل كعصف مأكول لتبقى قريش ويبقى لها ما قد ألفته من رحلة الشتاء والصيف .

الثالث : أن المراد : التعجب ، فالمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش

وتعودهم لرحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت .

* * *

س ـ ما المراد برحلة الشتاء والصيف ؟

ج : جمهور العلماء على أن الرحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام .

* * *

س ـ يشرع تذكير العبد بنعم اللَّه عليه بين يدي حثِّه على العبادة دلِّل على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي : ـ

● قوله تعالى : ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٤] ثم قال

تعالىٰ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨] .

● وقوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٦ - ١١] .

ومن ذلك حديث الأقرع والأبرص والأعمىٰ الذين ابتلاهم اللَّه عز وجل[1] .

* * *

س ـ ما هو الخوف الذي حفظ اللَّه سبحانه وتعالىٰ قريشًا منه وجعلهم في مأمنٍ ؟

ج : من ذلك أن بلادهم كانت آمنة مطمئنة لها حرمتها ولا يعتدىٰ عليها كما قال سبحانه : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] وكما قال عز وجل : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي فعله اللَّه عز وجل لتأليف قريش ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

---

(١) الحديث في «الصحيحين» ، وقد تقدم .

أحدهما : أنه سبحانه أهلك أبرهة وأصحاب الفيل الذين معه حتى يزداد العرب والناس توقيرًا لقريش وهيبة لها .

الثاني : أنه سبحانه جعل القرشيين يألفون رحلة الشتاء الصيف ويتعودونها . والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في فضل قريش ؟

ج : **من ذلك ما يلي :**

١ ـ ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**لا يزال هذا الأمر[٢] في قريش ما بقي منهم اثنان**» .

٢ ـ وأخرج مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**» .

٣ ـ وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «**إن الله اصطفى كِنَانةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كِنَانة ، واصطفى من**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠١) ومسلم (١٨٢٠) .

(٢) يعني : أمر الخلافة .

(٣) مسلم (حديث ١٨١٩) .

(٤) مسلم (حديث ٢٢٧٦) وأحمد (٤/١٠٧) والترمذي (٣٦٠٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» .

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فسمعته يقول : **«إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»**[٢] قال : ثم تكلم بكلام خفيَ عليَّ . قال فقلت لأبي ما قال ؟ قال : **«كلهم من قريش»** .

وفي «صحيح البخاري»[٣] من طريق الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديثَ ليست في كِتَابِ اللَّه ، ولا تُؤْثَرُ عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فأولئك جهالُكم ، فإياكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَهَا ، فإني سمعتُ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول: **«إن هذا الأمرَ في قريشٍ ، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه اللَّه على وجْهِهِ ما أقاموا الدِّين»** .

وأخرج الطيالسي[٤] بإسناد صحيح لغيره من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ ، قال : **«الأئمة من قريش إذا حكموا عدلوا ، وإذا**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٢١) .

(٢) في بعض روايات مسلم : «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعًا إلى اثنى عشر خليفة» .

(٣) حديث (٣٥٠٠) .

(٤) مسند الطيالسي (حديث ١٣٣) .

عاهدوا وفوا ، وإن استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل» .

وأخرج الطيالسي[١] أيضًا من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم»** فقيل للزهري : بم ذاك ؟ قال : بنبل الرأي .

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم : **«قريش والأنصار وجهينة ومُزينة وأسلم وغِفار وأشجع مواليَّ ليس لهم مولى دون اللَّه ورسوله»** .

ولنساء قريش أيضًا فضيلة .

فقد أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولدٍ في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده»** .

* * *

س ـ اللَّه سبحانه وتعالى يدافع عن أوليائه عمومًا ويدافع عن نبيه محمد ﷺ خصوصًا وضح ذلك ؟

ج : نعم فرب العزة سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا ، قال

---

(١) الطيالسي (٩٥١) وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٥٠٨) وأحمد (٤/ ٨١ و ٨٣) وغيرهم ، وإسناد صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٢) ومسلم (٢٥٢٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٨٢) ومسلم (٢٥٢٧) وأحمد (٢/ ٢٦٩ و ٢٧٥) .

سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: ١١] وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] إلى غير ذلك من الآيات .

ويدافع سبحانه عن نبيه ﷺ على وجه الخصوص ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات ، ونسوق هنا ما ذكره الرازي رحمه اللَّه ، قال رحمه اللَّه :

المسألة الثالثة : الكفار لما شتموه ، فهو تعالى أجاب عنه من غير واسطة، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وهكذا سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه ، فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم ، وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧ ، ٨] فقال سبحانه : ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] ، وحين قالوا هو مجنون أقسم ثلاثًا ، ثم قال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] ، ولما قالوا : ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] أجاب فقال : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣] فصدقه ، ثم ذكر وعيد خصمائه ، وقال : ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨] ، وحين قال حاكيًا : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ [الطور: ٣٠] قال : ﴿وَمَا

عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩] ، ولما حكي عنهم قولهم : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] سمَّاهم كاذبين بقوله : ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤] ، ولما قالوا : ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] أجابهم فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] فما أجل هذه الكرامة .

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

الدين ـ يدع ـ يحض ـ يراءون ـ الماعون ؟

ج :

الكلمة	معناها
الديـــن	المعاد ـ الجزاء والثواب والحساب
يـــدع	يدفع[٢] ـ يقهر ـ يظلم ـ يطرد ـ يُبعد
يحـــض	يأمر ـ يحث غيره
يـراءون	يعمل الأعمال كي يراه الناس ، فيحسن سمته ويظهر عمله طلبًا للرياء والسمعة والشهرة

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٣] .

(٢) أي : يدفع اليتيم عن حقه ويدفعه عن بابه .

الكلمة	معناها
الماعون	هو ما يستعين به الناس ويستعيرونه من بعضهم ، فيدخل فيه الدلو والقدر والفأس ومتاع البيت ، وعموم ما ينتفع به الناس وقيل : المراد به الزكاة

* * *

س ـ هل هناك علاقة بين التكذيب بيوم الدين وبين دع اليتيم وترك الحض على إطعام المسكين ؟

ج ـ نعم هناك علاقة بينهما تتلخص في أن المكذب بيوم الدين يحمله تكذيبه على عدم إكرام اليتيم ويحمله تكذيبه على طرد الأيتام عن بابه ويحمله تكذيبه على عدم إطعام المساكين .

أما المؤمن بيوم الدين فيحمله إيمانه على إكرام اليتيم وإطعام المسكين كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٩، ١٠] .

• **وقد أورد عطية سالم رحمه اللَّه** نحو هذا الكلام في «تتمته لأضواء البيان» ثم طرح سؤالاً آخر فقال :

وهنا سؤال : **لما خصَّ المكذبين بيوم الدين عمن يرتكب هذين**

الأمرين دع اليتيم ، وهو دفعه وزجره وعدم الحض على إطعام المساكين وبالتالي عدم إطعامه هو من عنده ؟

وأجاب على ذلك بقوله :

والجواب أنهما نموذجان فقط ، ومثالان فقط .

والأول منهما : مثال للفعل القبيح .

والثاني : مثال للترك المذموم .

ولأنهما عملان إن لم يكونا إسلاميين فهما إنسانيان قبل كل شيء .

وفي الآية الأخرى توجيه للجواب ، وهو أن المؤمن يخاف من اللَّه يومًا عبوسًا ، وعبر بالعبوس في حق يوم القيامة ، لئلا يعبس هو في وجه اليتيم والمسكين لضعفهما .

ومن جانب آخر فإن كان التكذيب بيوم الدين ، يحمل على كل الموبقات ، إلا أنها قد تجد ما يمنع منها ، كالقتل والزنى والخمر لتعلق حق الآخرين ، وكذلك السرقة والنهب .

أما إيذاء اليتيم وضياع المسكين ، فليس هناك من يدفع عنه ، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما ، وليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم .

وجبلت النفوس على ألا تبدل إلا بعوض ، ولا تكف إلا عن خوف ، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين ، والجزاء غير

مأمول منهما ، فلم يبق دافع للإحسان إليهما ، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء ، فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير .

وقيل : إن دع اليتيم : هو طرده عن حقه ، وعدم الحض على طعام المسكين : عدم إخراج الزكاة .

ولكن في الآية ما يمنع ذلك ، لأن الزكاة إنما يطالب بها المؤمن والسياق فيمن يكذب بيوم الدين فلا زكاة .

* * *

س ـ هل كل من يدع اليتيم يكفر ؟

ج : ليس كل من يدع اليتيم يكفر ، وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ، ولكن المراد بيان خصال الكفار ، وأن منها : أن الكافر يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فالكافر لما كان غير مقرٍّ بالحساب وبالمعاد فليس له حاجة في إكرام اليتيم وليس عنده خوف من نهره ودفعه وإهانته ما دام لا يطمع في ثواب اللَّه ولا يخاف عقابه .

ولما كان من خصال أهل الكفر أنهم يدعون اليتيم ويدفعونه عن الأبواب كان من اللائق بأهل الإيمان أن لا يتشبهوا بهم في هذا ، بل على أهل الإيمان إكرام اليتيم والحث على ذلك وعليهم إطعام المسكين كذلك .

س ـ ما المراد بالسهو عن الصلاة[١] في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] ؟ ومن هم الذين توعدهم اللَّه بالويل؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد تضييع الأوقات ، فالمعنى : أنهم يؤخرونها عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها .

الثاني : أن المراد بالسهو عن الصلاة تركها .

الثالث : أن المراد الغفلة واللهو عنها ، فلا يبالون صلوا أم لم يصلوا ولا يبالون دخل الوقت أم لم يدخل .

وعلى ذلك فالذين توعدهم اللَّه بالويل هم[٢] أهل النفاق ، الذين يصلون أمام الناس فإذا خلوا تركوا الصلاة وضيعوها ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٤٢] .

وهم أيضًا الغافلون عن الصلاة اللاهون عنها الذين لا يبالون

---

(١) قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله : ﴿ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] لاهون يتغافلون عنها ، والتشاغل بغيرها وتضييعها أحيانًا وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال عني بذلك ترك وقتها ، وقول من قال عني به تركها لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت .

(٢) وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : اختلف في المصلين الذين توجه إليهم الوعيد بالويل هاهنا ، والجمهور على أنهم الذين يسهون عن أدائها ويتساهلون في أمر المحافظة عليها وقيل عن الخشوع فيها وتدبر معانيها ، ولكن الصحيح أنه الأول .

أصلوا أم لم يصلوا ، وهل خرج وقت الصلاة أم لم يخرج ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قول : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] وقول : (الذين هم في صلاتهم ساهون) ؟

ج : نعم هناك فرق بينهما ، ومن ثمَّ جاء عن بعض السلف أنهم قالوا : الحمد للَّه الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم . ووجه الفرق : أن السهو عن الصلاة تركها بالكلية أو تأخيرها ـ على ما قدمنا ـ أما السهو في الصلاة فلم يسلم منه أحد ، بل قد سها النبي ﷺ في صلاته، وعقد الفقهاء في كتب الفقه أبوابًا للسهو في الصلاة وشرع سجود السهو لمن سها في صلاته .

* * *

بحث مختصر في الرياء

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦] ؟ واذكر بعض الأدلة الواردة في ذم الرياء ؟ وما حكم الرياء في العمل ؟

ج : قال الطبري رحمه اللَّه : وقوله : الذين هم يراءون ، يقول : الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم

منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

أما الوارد في ذم الرياء فمنه ما يلي :ـ

- قوله تعالى : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

- وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٤٢] فأفادت الآية الكريمة أن الرياء من صفات المنافقين .

- وقال تعالى : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٤٧] .

- وقوله تعالى : ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠] .

فنهى اللّه فيها عن الشرك بعمومه ، ويدخل فيه الرياء .

- قوله تعالى في الحديث القدسي[1]: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه تبارك وتعالى : «أنا أغنى الشركاء ...» الحديث .

قال النووي رحمه اللّه : هكذا وقع في بعض الأصول «وشركه» وفي بعضها «وشريكه» وفي =

وأخرج الإمام أحمد [١] رحمه اللَّه من حديث محمود بن لبيد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه ؟ قال : «**الرياء ، يقول اللَّه عز وجل لهم يوم القيامة ـ إذا جزىٰ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جندب رضي اللَّه عنه قال :

= بعضها «وشركته» ومعناه : أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ، ويأثم به .

قلت: وفي معنىٰ هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري ـ وكان من الصحابة ـ قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم يقول : «**إذا جمع اللَّه الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادىٰ مناد : من كان أشرك في عمل عمله للَّه أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير اللَّه فإن اللَّه أغنىٰ الشركاء عن الشرك**» . وزياد بن ميناء قال فيه ابن المديني : مجهول ، إلا أنه ـ أعني ابن المديني ـ قال عن إسناد الحديث : إسناد صالح يقبله القلب . هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال .

قال تعالىٰ : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

وقال تعالىٰ بعد أن ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام : ﴿**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨] .

(١) أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨) وإسناده صحيح .

(٢) البخاري (حديث ٦٤٩٩) ومسلم (حديث ٢٩٨٧) .

قال النبي ﷺ : «من سمَّع سمع اللَّه به ، ومن يُرائي يرائي اللَّه به»[١] .

---

(١) قال النووي : قال العلماء : معناه من راءىٰ بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع اللَّه به يوم القيامة الناس وفضحه ، وقيل : معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه ، وقيل : أسمعه المكروه ، وقيل : أراه اللَّه ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه ، وقيل : من أراد بعمله الناس أسمعه اللَّه الناس وكان ذلك حظه منه .

● والحديث أخرجه البخاري تحت باب (الرياء والسمعة) ، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع «الفتح» ١١/٣٣٦) : الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد ، وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها ، والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع ، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر .

وقال الغزاليّ : المعنىٰ : طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة ، والمرائي هو العامل .

وقال ابن عبد السلام : الرياء أن يعمل لغير اللَّه ، والسُّمعة أن يخفي عمله للَّه ثم يحدث به الناس .

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابيّ قوله في شرح الحديث : معناه من عمل عملاً علىٰ غير إخلاص ، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي علىٰ ذلك بأن يشهره اللَّه ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه ، وقيل : من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه اللَّه فإن اللَّه يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ، ولا ثواب له في الآخرة ، ومعنىٰ يُرائي يطلعهم علىٰ أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] إلىٰ قوله : ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] .

● وقيل: المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد وكان ذلك جزاؤه علىٰ عمله ولا يُثاب عليه في الآخرة ، وقيل : المعنىٰ : من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه وسمعه المكروه ، وقيل : المعنىٰ : من نسب إلىٰ نفسه عملاً صالحًا لم يفعله وادعىٰ خيرًا لم يصنعه فإن اللَّه يفضحه ويظهر كذبه ، وقيل : المعنىٰ : من يُرائي الناس بعمله أراه اللَّه ثواب ذلك العمل وحرمه إياه ، وقيل: معنىٰ «سمَّع اللَّه به»: =

● ومن ذلك ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من طريق سليمان ابن يسار قال : تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام : أيها الشيخ حدثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ ، قال: نعم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «إن أوَّل الناس يُقْضَىٰ يوم القيامة عليه رجلٌ استُشْهِدَ فَأُتِيَ به فعرَّفه نعمَهُ فَعَرَفها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتىٰ استُشْهِدْتُ قال : كَذَبْتَ ولكنَّك قاتلتَ لأَن يُقَالَ جَرِيءٌ فقد قيل ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلْقِيَ في النَّار ، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعَمَهُ فعَرفها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيكَ القرآن قال : كذبت ولكنَّك تعلَّمت العلْمَ ليقال عالم وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئٌ فقد قِيلَ ثـم أُمِرَ بـه فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلْقِي في النَّار ، ورجل وسع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه فأُتي به فعرَّفه نعَمَهُ فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنْفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هوَ جَوَادٌ فقد قيلَ ، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه ثم أُلْقِيَ في النَّار»[٢] .

= شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. قلت (الحافظ): ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتمد.

● وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما في حديث (الوليمة في اليوم الأول ، والثاني والثالث سمعة ، ومن سمع سمع به) فالرياء مرجعه إلىٰ الرؤية ، والتسميع مرجعه إلىٰ السماع .

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) .

(٢) قال النووي رحمه اللَّه :

وقولـه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهـم علىٰ فعلهم ذلك =

وأخرج الترمذي[١] بإسناد صحيح[٢] لغيره من طريق عقبة بن مسلم أن شُفيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ،

= لغير اللَّه ، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة. ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد اللَّه تعالى بذلك مخلصًا ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك للَّه تعالى مخلصًا .

قلت : وقد أخرج البخاري (٢٨٩٨) تحت باب لا يقول فلان شهيد ، في كتاب الجهاد ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم التقي هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ اليوم منا أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : **«أما إنه من أهل النار»** فقال رجل من القوم : أنا صاحبه قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه قال : فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : أشهد أنك رسول اللَّه قال : **«وما ذاك ؟»** قال : الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك : **«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»** .

(١) الترمذي (٢٣٨٢) ، وانظر «سنن النسائي» (٦/ ٢٣) .

(٢) فيشهد له حديث أبي هريرة المتقدم .

فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ، ثم نشغ [١] أبو هريرة نشغةً ، فمكث قليلاً ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرىٰ ، ثم أفاق فمسح وجهه فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرىٰ ثم أفاق ومسح وجهه فقال : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدةً ، ثمَّ مال خارًّا علىٰ وجهه فأسندته عليَّ طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول اللَّه ﷺ «أن اللَّه تبارك وتعالىٰ إذا كان يوم القيامة ينزل إلىٰ العباد ليقضي بينهم وكل أمةٍ جاثيةٌ، فأول من يدعو به رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ يقتتل في سبيل اللَّه ، ورجل كثير المال ، فيقول اللَّه للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت علىٰ رسولي ؟ قال : بلىٰ يا رب . قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول اللَّه له : كذبت . وتقول له الملائكة: كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال إن فلانًا قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتىٰ بصاحب المال فيقول اللَّه له : ألم أوسع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحد ؟ قال : بلىٰ يا رب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول اللَّه له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول اللَّه تعالىٰ : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك . ويؤتىٰ بالذي

---

(١)نشغ نشغة : أي : شهق حتىٰ كاد يغمىٰ عليه .

قتل في سبيل اللَّه ، فيقول اللَّه له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول اللَّه تعالى له كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال فلان جريءٌ فقد قيل ذاك ، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي فقال : **«يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تسعر بهم النار يوم القيامة»** . وقال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة بن مسلمٍ أن شفيًّا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا : قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاءِ هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدًا حتى ظننا أنه هالكٌ ، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال : صدق اللَّه ورسوله : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

أما حكم الرياء في العمل فيتلخص في الآتي :

● ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الرياء محبط للعمل الذي هو فيه فقط فإن راءى في الصلاة أحبطها ولا يتعدى ذلك إلى الصوم ، وإن راءى في صلاة نافلةٍ لا يتعدى إحباطها إلى صلاة فريضة وهكذا .

واستدل هولاء بالحديث القدسي : **«من عمل عملاً أشرك فيه معي**

غيري تركته وشركه» .

ومن أهل العلم من قال : إن الرياء لا يخلو من ذم ، وذلك للذم الوارد في المرائين ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ إذا بدأ الرجل عمله خالصًا للَّه ثم طرأ عليه شبح الرياء فهل يسلم له عمله أو يحبطه ما طرأ عليه من الرياء ؟

ج : **أجاب علىٰ ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال :

فقالوا : إن كان خاطرًا ودفعه عنه فلا يضره ، وإن استرسل معه . فقد رجح أحمد وابن جرير ، عدم بطلان العمل نظرًا لسلامة القصد ابتداء .

ودليلهم في ذلك : ما روىٰ أبو داود في «مراسيله» عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، إن بني سلمة كلهم يقاتل ، فمنهم من يقاتل للدنيا ، ومنهم من يقاتل نجدة ، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه اللَّه تعالىٰ قال : **«كلهم إذا كان أصل أمره ، أن تكون كلمة اللَّه هي العليا»** .

وذكر عن ابن جرير : أن هذا في العمل الذي يرتبط آخره بأوله ، كالصلاة والصيام .

أما ماكان مثل القراءة والعلم، فإنه يلزمه تجديد النية الخالصة للَّه، أي لأن كل جزء من القراءة ، وكل جزء من طلب العلم مستقل بنفسه،

فلا يرتبط بما قبله .

* * *

س ـ إذا بدأ الشخص عملاً للَّه سبحانه وتعالىٰ فرآه الناس علىٰ هذا العمل ففرح برؤيتهم نه علىٰ هذه الحال ، هل يدخل هذا في باب الرياء ؟

ج : **لا يدخل هذا في الرياء ، بل هو من عاجل بشرىٰ المؤمن، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال : قيل لرسول اللَّه ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال : «تلك عاجل بشرىٰ المؤمن»**[1] .

* * *

س ـ هل يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ؟

ج **لا يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ، فإذا كان العمل الصالح فريضة فلا بأس بإظهاره بل ويجب إظهار الفريضة في عدة أحيان ففرض الصلاة يظهر وكذلك الحج والنطق بالشهادتين وغير ذلك .**

قال القرطبي رحمه اللَّه : ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها .

قلت : وإذا أُظهر العمل الصالح بقصد التأسي بالعامل فلا بأس بذلك ، وقد قال تعالىٰ : ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) .

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

* * *

س ـ هل يلزم أن يكون المرائي في صلاته منافقًا ؟

ج : **أجاب على ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بقوله :**

والمرائي في صلاته قد يكون منافقًا ، وقد يكون غير منافق .

فالرياء أعم من جهة ، والنفاق أعم من جهة أخرى ، أي قد يرائي في عمل ما ، ويكون مؤمنًا بالبعث والجزاء وبكل أركان الإيمان ، ولا يرائي في عمل آخر ، بل يكون مخلصًا فيه كل الإخلاص .

والمنافق دائمًا ظاهره مخالف لباطنه في كل شيء ، لا في الصلاة فقط .

ولكن جاء النص: بأن المراءاة في الصلاة ، من أعمال المنافقين.

وجاء النص أيضًا . بأن منع الماعون من طبيعة الإنسان إلا المصلين، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢] .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧] بشيء من الإيضاح ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي :**

أحدها : أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة .

الثاني : أن المراد المتاع الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويستعيرونه من بعضهم كالدلو والقدر والفأس ونحو ذلك .

الثالث : أن المراد عموم ما ذكر فيدخل فيه منع الزكاة المفروضة ويدخل فيه أيضًا منع العارية التي تستعار .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان اللَّه قد أخبر عن هؤلاء القوم وأنهم يمنعونه الناس خبرًا عامًا من غير أن يخص من ذلك شيئًا أن يُقال: إن اللَّه وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب اللَّه لهم في أموالهم من الحقوق لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض .

* * *

س ـ ما حكم العارية (الشيء الذي يُعار) ؟

ج : أكثر أهل العلم على أنه مستحب لما فيه من التعاون على الخير وعلى البر ، ولما يجلبه ذلك من مودة بين المسلمين .

أما من استدل للوجوب بقوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [الماعون: ٦ ، ٧] فأجيب على استدلاله بأن الوعيد في الآية الكريمة منصبٌ على الصفات الثلاث : السهو عن الصلاة ،

والرياء في العمل ، ومنع الماعون ، والله تعالى أعلم .

* * *

أهمية العمل بمجموع النصوص وجملتها والتحذير من الأخذ بدليل واحد وترك باقي الأدلة :

س ـ يستفاد من هذه السورة منهج علمي يتمثل في جمع النصوص عند إرادة البحث في مسألة ، وضح ذلك ، ومثل له من هذه السورة ومن غيرها ؟

ج : أما المثال من هذه السورة **فقد ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال رحمه الله :

في هذه السورة بيان منهج علمي يلزم كل باحث ، وهو جمع أطراف النصوص وعدم الاقتصار على جزء منه ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٦] وهي آية مستقلة ، ولو أخذت وحدها لكانت وعيدًا للمصلين .

كما قال الشاعر الماجن في قوله :

دع المساجد للعباد تسكنها .:. وسر إلى خانة الخمار يسقينا

ما قال ربك ويل للألى سكروا .:. وإنما قال ويل للمصلينا

ولذا لابد من ضميمة ما بعدها للتفسير والبيان ، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] ، ثم فسر هذا التفسير أيضًا بقوله :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦ - ٧] .

ومثل هذه الآية من الحديث ، ما جاء عند ابن ماجه ما نصه بسنده عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قيل للنبي ﷺ : إن مسيرة المسجد تعطلت : فقال النبي ﷺ : «من عمّر مسيرة المسجد كتب له كِفلان من الأجر» .

هذا الحديث وإن كان في الزوائد ، قال عنه : في إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف ، إلا أنه نص فيما تمثل له لأن من اقتصر على وجوبه ﷺ اعتبر مسيرة المسجد أفضل ، ومن جمع طرفي الحديث عرف المقصود منه .

ويتفرع على هذا ما أخذه مالك رحمه اللَّه في باب الشهادة : أن الشخص لا يحق له أن يشهد على مجرد قول سمعه ، إلا إذا استشهدوه عليه ، وقالوا : اشهد عليه ، أو إلا إذا سمع الحديث من أوله مخافة أن يكون في أوله ما هو مرتبط بآخره ، كما لو قال المتكلم للآخر : لي عندك فرس ، ولك عندي مائة درهم ، فيسمع قوله : لك عندي مائة درهم ، ولم يسمع ما قبلها ، فإذا شهد على ما سمع كان إضراراً بالمشهود عليه ، وهذه السورة تدل لهذا المأخذ ، واللَّه تعالى أعلم .

ونورد هنا أمثلة أخرى للشذوذ الناجم عن الأخذ ببعض الأدلة وترك البعض الآخر في مجالات متنوعة .

• ففي مجال العقائد :

• الخوارج والمرجئة :

عَمَد الخوارج إلى جملة أدلة من الكتاب والسنة وفهموها على غير وجهها ، وأهدروا آيات وأحاديث أُخر فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تضليل المسلمين وتكفيرهم والابتداع في الدين ، وإذا جآء المناظر يناظرهم أوردوا له الآيات والأحاديث التي تشهد في ظاهرها لمنهجهم وتركوا ما سواها وها هي بعض الأدلة التي يستندون عليها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] . إلى غير ذلك من الآيات .

أما الأحاديث : فاحتجوا بقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات»[١] .

• وقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة قاطع»[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٧٢) ، ومسلم (ص ١٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عمر : قال سفيان : يعني قاطع رحم .

● وقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[١].

● وقوله ﷺ : «من ادّعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»[٢].

● وقوله ﷺ : «من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها حرم اللّه عليه الجنة»[٣].

● وقوله ﷺ : «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»[٤]، إلى غير ذلك من الأحاديث فبنوا على ذلك قواعدهم الباطلة في تكفير المسلمين .

فكفروا مرتكب المعصية المُصرَّ عليها !!!

وكفَّروا القتات !!! وكفَّروا قاطعَ الرحم !!!

وكفَّروا قاتل النفس المعاهدة بغير حقٍّ !!!

وكفَّروا من لا يأمن جارُهُ بوائِقَهُ !!!

وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . !!!

● وتركوا قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي بكرة رضي اللّه عنه مرفوعًا ، والبخاري من حديث سعد مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري من حديث عبد اللّه بن عمرو مرفوعًا .

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه مرفوعًا .

ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

● وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «يخرجُ من النَّارِ من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»[١] .

وتركوا غير ذلك من الأحاديث والآيات فضلُّوا وأَضَلُّوا !!!!

● أما المرجئة فعمدوا إلى حديث رسول اللَّه ﷺ : «من شَهِدَ أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه حرَّمه اللَّه على النار»[٢] .

● وحديث عثمان رضي اللَّه عنه في «صحيح مسلم» : «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة»[٣] .

● وإلى قول النبي ﷺ : « ... فإن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه»[٤] .

● وحديث : «من صلى البردين دخل الجنة»[٥] .

● وحديث : «من اغبرَّت قدماه في سبيل اللَّه حرمه اللَّه على النار»[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢١) من حديث عثمان رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري من حديث محمود بن الربيع في قصة عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه وذهاب الرسول ﷺ إليه ليصلي في بيته .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي عبس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

• وقوله ﷺ : «**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا**»[١] .

وغير ذلك من الأحاديث التي على هذا النحو والمنوال !!!

وأخذوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [المائدة: ٨٥] .

فقالوا : إن اللَّه عزَّ وجل قال : فأثابهم اللَّه بما قالوا ، واقتصر هنا على القول إلى غير ذلك من الآيات التي على هذا النحو .

• فحكموا لمن اقتصر على قول لا إله إلا اللَّه بالإيمان والنجاة من النيران وإن لم يعمل خيرًا قط !!!

• وبالغ بعضهم مبالغة شديدة وقال : إن من قالها فهو على إيمان كإيمان جبرائيل وإسرافيل !!!

• وضل آخرون منهم ضلالاً بعيدًا إذ قال : إن من قال لا إله إلا اللَّه فهو مؤمن وإن اعتقد التثليث بقلبه !!!

وهذا نوع من أنواع الكفر الصُّراح .

وتغافلوا عن قوله تعالى في جُلِّ آيات الكتاب : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الكهف: ١٠٧] .

فردف الإيمان بالعمل .

وتركوا قول اللَّه جل ذكره : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٥] .

فالآية الكريمة تفيد أنهم يصلون ولكنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، ويزكون إلا أنهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤] .

● وتركوا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] .

فنسوا أن هؤلاء مجاهدون خرجوا للجهاد في سبيل اللَّه إلا أن زحف الكفار أرهبهم وشعاع السيوف أزعجهم فرجعوا وولوا الأدبار فجاء فيهم الوعيد الشديد !!

● نسوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[1] فها هو قد طرح في النار وقد قال لا إله إلا اللَّه

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وأتى بصلاة وصيام وزكاة ولكن ولات حين ..... !!! .

● وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[1] .

وتركوا الوعيد الذي جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية لأكلة الربا والزناة وأكلة السحت والمصورين والمسبلين والغشاشين وقطاع الأرحام وقطاع الطرق والمتبرجات وأكلة أموال اليتامى ظلمًا وشهود الزور والمغتابين واللصوص و ... و ... و ..... !!!! .

فضَلَّت المرجئة وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ! .

وهذا مصير من أخذ بجانب من الأدلة وترك جانبًا آخر !! .

هذا مصير المتميع الذي أخذ أحاديث ظن أنها توافق تميعه !! .

وذاك مصير المتشدد الذي أخذ أحاديث ظن أنها تزكي تشدده !!.

ولكن أهل السنة والجماعة ـ وفقهم اللَّه وسدد على الطريق خطاهم ـ أخذوا بهذه النصوص وتلك وجمعوا بينها ووفِّقوا ، وألفوا بينها وسُدِّدوا ، فرفعوا الإِشكال للمسلمين ، وأزالوا الشُّبَه ، وكشفوا الحُجب ، فجزاهم اللَّه خيرًا ورفعهم اللَّه قدرًا .

فهب أن هناك قاطعًا للرحم يقول : لا إله إلا اللَّه ، فهل نطبق عليه رأي الخوارج ونقول : إن الجنة عليه حرام !! أم قول المرجئة : إنه من أهل الإِيمان في فسيح الجنان !! هل نأخذ بحديث : «**من قال لا**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

إله إلا اللَّه دخل الجنة» ونترك حديث : «لا يدخل الجنة قاطع» كما فعلت المرجئة ؟ !! أو نعكس كما فعلت الخوارج ؟!! أو نأخذ بهما معًا .

لا شك أننا مأمورون بالأخذ بهما معًا .

ولنوضح كيف يجتهد أهل السنة في ذلك ، وإن كان الباب ليس بباب ذلك .

وقبل أن نشرع في الجمع بين هذه الأدلة نقرر قواعد بأدلتها :

● **القاعدة الأولى** : ألا وهي أن الجنة درجات وكذلك النار دركات، ولتقرير هذه القاعدة نسوق ما ييسره اللَّه تبارك وتعالى من أدلة، وإن أصبنا فمن اللَّه وحده فله الفضل وله الثناء الحسن ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ .. **وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى** ﴾ [طه: ٧٥، ٧٦] .

● قال تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] .

وقال سبحانه في آخر السورة : ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١] .

● وقال النبي ﷺ : «**من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام**

رمضان كان حقًّا على اللَّه أن يدخله الجنة جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي وُلِدَ فيها» ، فقالوا : يا رسول اللَّه ! أفلا نبشر الناس ؟! قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال ـ وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[1] .

● وقول النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدّري في أفق السماء وإن أبا بكر وعُمر منهم وأنعما»[2] .

وأما الأدلة على أن النار دركات فمنها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

٣ ـ قوله تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥] .

٤ ـ قول العباس بن عبد المطلب لرسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : «نعم

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه بسند حسن لشواهده .

هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب .

● **القاعدة الثانية** : ألا وهي أن هناك من يدخل الجنة قبل غيره ومن أدلة ذلك ما يلي :

● قول اللَّه تعالى : ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩] .

● وقول اللَّه تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١] .

● وقول رسول اللَّه ﷺ : «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة .. »**[٢] .

● حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ﷺ الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد[٣] وهو حديث طويل جاء فيه : «...

---

(١) أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (وجوه يومئذ ناضرة . .) .

ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً لها» .

● قول رسول اللَّه ﷺ : **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»**[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

فمما تقدم يتبين لنا أن قول رسول اللَّه ﷺ : **«لا يدخل الجنة من فعل كذا .. وكذا»** وقوله : **«لا يدخل النار من فعل كذا وكذا و ..»** إذا كان المقول فيه من أهل التوحيد فقد يحمل على أحد وجهين :

أولهما : أنه لا يدخل مع الداخلين الأولين بل يأخذ حظه من العذاب ـ إلا إذا عفا اللَّه عنه ـ ثم يدخل الجنة .

ثانيهما : أنه قد لا يدخل نوعًا من الجنان التي أعدت لمن ترك هذا الفعل ، وقد جاء ما يشهد لذلك في حديث : **«من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة»**[٢] .

وكذلك الحال بالنسبة لجهنم أعاذنا اللَّه منها برحمته فقوله ﷺ : **«حرم على النار من قال : لا إله إلا اللَّه»** قد يحمل على نار مخصوصة ألا وهي نار المشركين .

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى إمرار هذه الأحاديث على ظاهرها حتى تكون أبلغ في الزجر ، واللَّه تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه بإسناد حسن .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا : **«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب»** وله ألفاظ أخر .

• وفي أبواب الشفاعة :

يعمد قوم إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ .. وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ... ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] .

والآيات التي على هذه الشاكلة فيفهمون منها بفهمهم الرديء أنه لا شفاعة في الآخرة ويقررون ذلك وينتصرون له بنحو قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] .

وبنحو قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

والآيات والأحاديث التي على هذا النحو .

• ويغفلون عن مثل قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فأثبتت الآية الشفاعة وإن كانت مقيدة بإذن اللَّه سبحانه وتعالى .

• وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦] .

• وقوله تعالى : ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

• وقوله تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٨، ١٠٩] .

إلى غير ذلك من الآيات ، وكذلك الأحاديث الواردة عن رسول اللَّه ﷺ في بيان أنواع الشفاعات كالشفاعة العظمى ، والشفاعة لأهل الكبائر ، والشفاعة لخروج أقوامٍ من النار ، والشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض أهل النار، والشفاعة لرفعة درجات بعض أهل الجنة، وشفاعة الذين ماتوا صغارًا لآبائهم وأمهاتهم ، وشفاعة المؤمنين ، وشفاعة القرآن ، وشفاعة الشهداء و . . . و . . .[1].

• أما أهل السنة والجماعة ـ زادهم اللَّه رشدًا ـ فيوفقون بين تلك الأخبار كلها ، ويعملون بالآيات والأحاديث جميعها ، فيضعون الضوابط لمسألة الشفاعة ، من هذه الضوابط لهذه المسألة : أنه لا شفاعة في كافر[2]، لقوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا

(١) وكل ذلك قد صحت فيه أحاديث عن رسول اللَّه ﷺ .

(٢) اللهم إلا ما جاء في أبي طالب ، وقول العباس له : يا رسول اللَّه أبو طالب كان يحوطك ويمنعك من الناس فهل نفعته بشيء ؟ فقال النبي ﷺ : «**نعم هو في ضحضاح من نارٍ يغلي منهما دماغه ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» ، إن جاز أن تسمى هذه الشفاعة ، وإلا فالكفار متفاوتون في العذاب على ما تقدم ، فالكافر الداعي إلى كفره يعذب أكثر من غير =

شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] .

وإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذن اللَّه ولا يُشَفَّعُ إلا فيمن شاء اللَّه له أن يشفع فيه ، إلى غير ذلك من الضوابط التي وضعها أهل السنة والجماعة ـ نصرهم اللَّه وقوى شوكتهم وأظهر حجتهم ـ في ذلك .

- **وفي مجال الفقه :**

- **ففي مجال الصوم :**

يقوم شخص بالنظر فيما ورد عن رسول اللَّه ﷺ حيث قال عليه السلام : **«لا تصوموا يوم السبت إلا فيما فرض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحاء شجرة فليمصه»**[1] ، فيحرم صوم يوم السبت ويغفل عن النظر في سائر الأحاديث التي وردت في هذا الباب نحو قول النبي ﷺ : **«لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده»**[2] .

= الداعي ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] ، فعذبوا لكفرهم وعذبوا لصدهم عن سبيل اللَّه .
وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣] ، فحملوا أثقالاً لكفرهم وأثقالاً لافترائهم على اللَّه عز وجل .

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٥٠٧) وغيره من حديث عبد اللَّه بن بسر رضي اللَّه عنه ، وروى عنه عن أخته الصماء مرفوعًا أيضًا وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

● وقول النبي ﷺ لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما: «**صم يومًا وأفطر يومًا فإن ذلك أحب الصيام إلى اللَّه عز وجل**»[١].

وهذا وذاك يستلزم أن يوافق السبت وهذا وذاك أيضًا من ناحية الصحة أصح من حديث: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم**» وإن كان الأخير غير مدفوع عن الصحة.

وفي الباب أيضًا: صوم رسول اللَّه ﷺ من غرة كل شهر ثلاثة أيام[٢].

والأحاديث الواردة في فضل صوم يوم عاشوراء وقول النبي ﷺ: «**إني أحتسب على اللَّه أن يكفر السنة التي قبله**»[٣].

والحديث الوارد في فضل صوم يوم عرفة وأنه يكفر السنة التي قبله والتي بعده[٤].

فكيف يصنع هذا الذي أخذ بحديث: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم**» مع هذه النصوص؟ هل يقول: نترك صوم يوم عاشوراء وصوم يوم عرفة إذا وافقا يوم السبت؟ أم ماذا يصنع صاحب هذا الفقه السقيم؟!!.

أظن أولى له ثم أولى أن يجمع بين الأحاديث ويؤلف بينها على ما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن

(٣) أخرجه أبو داود.

(٤) أخرجه مسلم أيضًا.

جمع وألف سلفه الصالح رحمهم اللَّه وجعل الجنان مثواهم .

● **وفي مجال الأشربة مثلاً :**

● يعمد شخص إلى ما ورد في «صحيح مسلم» عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا [١] .

● وحديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه ، وفيه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا [٢] . والأحاديث التي في هذا المعنى .

● ويترك ما ورد من حديث علي رضي اللَّه عنه ، أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أُتي بماء فشرب وغسل وجهه ويديه ـ وذكر رأسه ورجليه ـ ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا ، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت [٣] .

وما ورد من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : شرب النبي ﷺ من زمزم وهو قائم [٤] ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب ، ولا يحاول التوفيق بينها فيقع في إجحاف وعدم إنصاف ولا حول ولا قوة إلا باللَّه [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٦) .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) وأوجه الجمع قد أوردها ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٨٤) وغيره فراجعها إن شئت ، والذي اختاره هو وجنح إليه أن أحاديث النهي تحمل على كراهة التنزيه ، وأحاديث الجواز =

• وكذلك يحدث الخلل في جوانب فقه الآداب والأخلاق[١] والتعاملات بين الناس إذا أخذ الشخص بجانب من الأدلة وترك جانبًا .

• **ففي أبواب الحياء مثلاً :**

ينظر شخص في الباب فيرى حديث رسول اللَّه ﷺ : **«الحياء من الإيمان»**[٢]، وقوله ﷺ : **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[٣]، وكون النبي ﷺ : **«كان أشد حياءً من العذراء في خدرها»**[٤]، وقول النبي ﷺ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[٥]، وثناء النبي ﷺ على عثمان لحيائه[٦]، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب ، فيكتسى المطلع عليها بجلباب الحياء ، وما أجمله من جلباب وما أحسنه من رداء، إلا أنه يبالغ في هذا حتى يصده حياؤه عن طلب العلم والتفقه في الدين فيُحرم العلم والفقه ، كما قال قائل السلف رحمهم اللَّه : «لا

= على بيانه ، وقال : وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها من الاعتراض .

(١) فقه الآداب والأخلاق من المسائل التي لم نرها خُدمت للآن خدمة نستحقها كما خدمت أبواب فقه العبادات ، وإنا إن شاء اللَّه نجهز للخوض في هذا الباب وخدمته بما يعين اللَّه في مرجع كبير مستقل إن شاء اللَّه يتعرض لفقه الأخلاق (حياء ـ صدق ـ هجر ـ صلة رحم ـ آداب عامة ـ . . .) إلى غير ذلك بمشيئة اللَّه تبارك وتعالى ونسأل اللَّه أن ييسر ذلك .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا

(٥) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٦) في صحيح مسلم (حديث ٢٤٠١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان : **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**

ينال العلم مستحي ولا مستكبر»[١] وينسى ما أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي اللَّه عنها [٢] أنها قالت : يا رسول اللَّه إن اللَّه لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**نعم ، إذا رأت الماء**» .

وما أخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت له ـ وعائشة عنده ـ : يا رسول اللَّه المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ، فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : «**بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أمَّ سليم إذا رأت ذاك**» .

وفي الباب أيضًا: ما أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٩٢) من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هناك ـ وهو عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ وهو صائم فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم . وإسناده صحيح . فعائشة أم المؤمنين العالمة الفقيهة لم يمنعها الحياء أن تعلم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

وفي الباب أيضًا : ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي اللَّه

---

(١) انظر البخاري مع «الفتح» (١/ ٢٢٨) .

(٢) ما دمنا ذكرنا من أخرج الحديث في الأصل فلا معنى لإعادته في الحاشية .

عنها قالت : إن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**» فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

ونحوه في مسلم من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال : اختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك، فقمت فاستأذنت على عائشة فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك فقالت : لا تستح أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل**» . فها هي أم المؤمنين عائشة الفقيهة تعلم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك ، وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من الفقه في الدين .

فهكذا لا ينبغي أن يفهم شخص أن الحياء يصد عن الفقه في الدين، وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بشخص مسائله حتى يخرج إلى الخير المذموم ، فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين .

• **وفي مجال الحب والبغض :**

يعمد الروافض البُعداء البغضاء إلى حديث لرسول اللَّه ﷺ قاله عليه السلام في شأن علي رضي اللَّه عنه وفيه : «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[١] .

• وقول علي رضي اللَّه عنه : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيِّ الأمي ﷺ إليَّ : «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[٢] وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب فيبغضون كل من كان بينه وبين عليٍّ شيء من أصحاب النبي ﷺ ، وينسون الأحاديث التي وردت في فضل هؤلاء الصحابة ، كقول النبي ﷺ : «**من حفر رومة فله الجنة**»[٣] . وحفرها عثمان ، وقول النبي ﷺ : «**من جهز العسرة فله الجنة**» وجهزه عثمان .

وقول النبي ﷺ : «**إن لكل نبي حواريّ وحواريَّ الزبير**»[٤] .

وقول النبي ﷺ : «**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[٥] .

وقول النبي ﷺ في شأن أبي بكر وعمر وعثمان لما صعد بهم

---

(١) أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح لشواهده .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري معلقًا ، وهو صحيح لشواهده .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ومن حديث عليٍّ أيضًا .

(٥) أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما وغيره وله طرق أخرى عن رسول اللَّه ﷺ .

أحدًا ، فرجف أحد فقال النبي ﷺ : «**اثبت أحدُ فإن عليك نبي وصديق وشهيدان**»[١] .

إلى غير ذلك من الأحاديث .

ويجهلون أن المحبة الواردة في حديث رسول اللَّه ﷺ : «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**» ، إنما هي المحبة الشرعية والبغض الشرعي ، بمعنى أنه لا يحبك لنصرتك رسول اللَّه ﷺ وجهادك معه إلا مؤمن ، ولا يبغضك لذلك إلا منافق ، ونحو هذا .

- **كذلك في مجال التحدث بالنعم أو ترك ذلك :**

يأخذ شخص بالعمومات الواردة في الحسد ، وبقول يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥] .

وبما ورد عن رسول اللَّه ﷺ : «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود**» وبنحو ذلك فيمتنع عن تحديث الناس بأوجه الخير والنعم التي هو فيها ، سترًا لها ، وينسى في الباب قوله تعالى : ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى: ١١] وحديث رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» .

والفقيه هو من آتاه اللَّه رشده ، وعلم متى يتحدث بالنعم ومتى يكتمها ، يعلم أنه يتحدث بالنعم عند من يدعو له بالبركة ، ويكتمها

---

(١) أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

عند الحساد ذوي القلوب المريضة .

وثمَّ أبواب أُخر ، وقد أوضحنا ذلك في رسالتنا «مفاتيح الفقه في الدين» .

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

س ـ وضح معنى ما يلي : ـ

الكوثر ـ انحر ـ شانئك ـ الأبتر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الكوثر	الكوثر نهر أعطاه اللَّه لنبيه محمد ﷺ في الجنة وقال بعض العلماء : إن المراد بالكوثر الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ ، ويدخل في هذا الخير النهر والحوض
انحر	النحر هو بمثابة الذبح للإبل ، فالذبح للبقر والغنم والنحر للإبل[1] ، والنحر هو طعن الإبل في اللبة عند

(١) ولمزيد انظر تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] في تفسيري «التسهيل لتأويل التنزيل» .

الكلمة	معناها
شانئك	المنحر ملتقى الرقبة بالصدر عدوك ـ مبغضك[١]
الأبتـــر	المنقطع (والمراد هنا : الأذل المنقطع دابره بعد موته) والأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره

* * *

س ـ ما المراد بالكوثر (ببعض التفصيل) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر : نهر في الجنة أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ ، وستأتي الأحاديث صريحة في ذلك .

● ومن العلماء من قال : إن الكوثر هو حوض رسول اللَّه ﷺ وهذا القول قول قوي أيضًا ويجمع بينه وبين الأول أن النهر حوض[٢] كما في «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي اللَّه عنه . . . وفيه أن النبي ﷺ قال : «**أتدرون ما الكوثر ؟**» فقلنا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ..**» الحديث[٣] .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾ [المائدة: ٨] .

(٢) وقد جمع الرازي بأن قال: ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع .

(٣) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

● وقد صحح القرطبي رحمه اللَّه القول القائل بأن الكوثر هو النهر أو الحوض ، قال : لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر .

وقال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر جملة أقوال للعلماء في الكوثر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هو اسم للنهر الذي أعطيه رسول اللَّه ﷺ في الجنة ، وصفه اللَّه بالكثرة لعظم قدره ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ بأن ذلك كذلك .

قلت : وقد ذكر بعض العلماء أقوالاً أخر في الكوثر[1] ، فمنهم من قال : إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة وتخفيف الشرائع و . . . . إلى غير ذلك ، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر وهو الذي فسره به رسول اللَّه ﷺ .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» ـ بعد أن أورد جملة أحاديث تبين أن الكوثر نهر أُعطِيَه النبي ﷺ في الجنة ـ : فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها ، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب ، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي ﷺ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي .

* * *

(١) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولاً .

س ـ وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] .

ج : أصح الأقوال في ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يصلي ويجعل صلاته خالصة للَّه سبحانه وتعالى ، وبأن ينحر البدن والغنم ويجعل نحره خالصًا للَّه على اسم اللَّه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ولأهل العلم أقوال أُخر في ذلك منها ما يلي :

- أن المراد : وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة .
- ومنها : أن المراد : أن يرفع يديه إلى النحر عند افتتاح الصلاة.
- ومنها : أن المراد : بالصلاة صلاة الغداة (أي : الفجر) بمزدلفة ونحر البدن بمنى .
- ومنها : أن المراد : صلاة العيد ونحر النسك بعد الصلاة .

ومنها : ما قدمناه أن المراد : عموم الصلاة وعموم النحر ، والمعنى : اجعل صلاتك للَّه ونحرك للَّه لا كمن يكفر ويشرك باللَّه وينحر لغير اللَّه، وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى .

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى :

- وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ،

وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له ، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه من عطيته وكرامته ، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] فكان معلومًا بذلك أنه خصه بالصلاة له ، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائه إياه الكوثر ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثًّا على الشكر على النِّعم .

فتأويل الكلام إذن : إنا أعطيناك يا محمد الكوثر ، إنعامًا منا عليك به ، وتكرمة منا لك ، فأخلص لربك العبادة ، وأفرد له صلاتك ونسكك ، خلافًا لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحر للأوثان .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى :

وقوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ـ ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته ـ فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ، فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ونقل ابن كثير نحو هذا القول عن عدد من السلف ثم قال : وهذا

بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير اللَّه والذبح على اسمه كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

ثم نقل ابن كثير رحمه اللَّه أقوالاً أخر في تأويل قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] ، ولكنه صحح القول الأول الذي ذكرناه عنه .

* * *

س ـ اذكر بشيء من الإيضاح معنى ﴿الْأَبْتَرُ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] ؟

ج : الأبتر هو المنقطع ، والبتر هو القطع ، ومن ذلك قول النبي ﷺ : «**اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر**» ، يعني قصير الذيل ، فالأبتر هو المنقطع ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] والعلم عند اللَّه تعالى ـ كما ذكر بعض المفسرين ـ : أن القرشيين كانوا يصفون الرسول بأنه أبتر لكونه لم يولد له ولد ولم يعش له ولد فكانوا يقولون: إذا مات محمد انقطع ذكره وانتهى أمره ، فكذبهم اللَّه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي : إن مبغضك يا محمد وعدوك هو الأقل والأذل والمنقطع دابره والذي لا عقب له .

● قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي: إن مبغضك

يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره . . . ثم قال رحمه اللَّه : فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقىٰ اللَّه ذكره علىٰ رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد مستمرًا علىٰ دوام الآباد إلىٰ يوم المحشر والمعاد وصلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التناد .

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

س ـ هل صح حديث في فضل سورة الكافرون ؟

ج : وردت عدة أحاديث من عدة طرق عن النبي ﷺ تُفيد أن سورة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن لكن في كل هذه الأحاديث مقال ، ولا نرى شيئًا منها ثابتًا عن رسول اللَّه ﷺ . وقد تساهل بعض أهل العلم في تحسينها بمجموع طرقها ، فاللَّه أعلم .

* * *

س ـ كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقرأ سورة الكافرون في الصلاة اذكر بعض المواطن التي كان النبي ﷺ يقرأها فيها ؟

ج : كان عليه الصلاة والسلام يقرأ بها في ركعتي الفجر[1] وفي

(١) أي في الركعة الأولى من ركعتي الفجر (النافلة) (كما في «صحيح مسلم» ٧٢٦) من حديث أبي هريرة ، والركعة الثانية من ركعتي الوتر (اللتين قبل الركعة الأخير كما في «المسند» ٣/٤٠٦) ، وكذلك في الركعة الأولى من ركعتي الطواف كما في مسلم (ص ٨٨٦) .

ركعتي الوتر وفي ركعتي الطواف وفي ركعتي المغرب .

* * *

س ـ لماذا قُدِّم قِسم الكفار ونصيبُهم في قوله : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] على قسم النبي ﷺ ونصيبه في قوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] ؟

ج: أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» بقوله :

وأما المسألة العاشرة : وهي تقديم قسمهم ونصيبهم على قسمه ونصيبه ، وفي أول السورة قدم ما يختص به على ما يختص بهم .

فهذا من أسرار الكلام ، وبديع الخطاب الذي لا يدركه إلا فحول البلاغة وفرسانها ، فإن السورة لما اقتضت البراءة واقتسام ديني التوحيد والشرك بينه وبينهم ، ورضى كل بقسمه ، وكان المحق هو صاحب القسمة ، وقد أبرز النصيبين وميَّز القسمين ، وعلم أنهم راضون بقسمهم الدون ، الذي لا أردأ منه ولا أدون ، وأنه هو قد استولى على القسم الأشرف والحظ الأعظم ، بمنزلة من اقتسم هو وغيره سمًّا وشفاء ، فرضي مقاسمه بالسم ، فإنه يقول له : لا تشاركني في قسمي ، ولا أشاركك في قسمك ، لك قسمك ، ولي قسمي .

فتقدم ذكر قسمه هنا أحسن وأبلغ ، كأنه يقول : هذا هو قسمك الذي آثرته بالتقديم وزعمت أنه أشرف القسمين ، وأحقهما بالتقديم ، فكان في تقديم ذكر قسمه من التهكم بهم ، والنداء على سوء

اختيارهم، وقبح ما رضوه لأنفسهم من الحسن والبيان ، ما لا يوجد في ذكر تقديم قسم نفسه ، والحاكم في هذا هو الذوق . والفَطِن يكتفي بأدنى إشارة ، وأما غليظ الفهم فلا ينجع فيه كثرة البيان .

ووجه ثان : وهو : أن مقصود السورة براءته ﷺ من دينهم ومعبودهم ، هذا هو لبها ومغزاها ، وجاء ذكر براءتهم من دينه ومعبوده بالقصد الثاني ، مكملاً لبراءته ومحققًا لها ، فلما كان المقصود براءته من دينهم بدأ به في أول السورة ، ثم جاء قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] مطابقًا لهذا المعنى ، أي لا أشارككم في دينكم ، ولا أوافقكم عليه ، بل هو دين باطل تختصون أنتم به ولا أشارككم فيه أبدًا. فطابق آخر السورة أولها ، فتأمل .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] .

* * *

س ـ كيف قيل : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] وقد أسلم قوم منهم ؟

ج : هذا محمول على من كتب عليه أنه سيموت على الكفر ، فالخطاب في قوله : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣] متنزل على من سبق في علم اللَّه أنه يموت على الكفر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦] ، وكما قال تعالى في شأن أبي لهب : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد : ٣] ، وقد كان فقد مات أبو لهب على الكفر واللَّه تعالى أعلم .

● ومن العلماء من قال : إن الخطاب عام للكفار جميعهم لكنه خطاب لهم ما داموا كفارًا ، فالمعنى : لا أنتم عابدون ما أعبد ما دمتم على كفركم .

● **وهناك وجه أثاره عطية سالم رحمه اللَّه** «في تتمته لأضواء البيان» فحواه : أن (ما) إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر فقال رحمه اللَّه :

وقد ذكر أبو حيان وجهًا عن الزمخشري : أن ما يتعلق بالكفار خاص بالحاضر ، لأن ما إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر .

وناقشه أبو حيان ، بأن ذلك في مغالب لا على سبيل القطع .

والذي يظهر من سياق السورة ، قد يشهد لما ذهب إليه الزمخشري ، وهو أن السورة تتكلم عن الجانبين على سبيل المقابلة جهة الرسول ﷺ ، وجهة الكفار في عدم عبادة كل منهما معبود الآخر .

ولكنها لم تساو في اللفظ بين الطرفين ، فمن جهة الرسول ﷺ جاء في الجملة الأولى ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] عبر عن كل منهما بالفعل المضارع الدال على الحال : أي : لا أعبد الآن ما تعبدون الآن بالفعل . ثم قال : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] فعبر عنهم بالاسمية وعنه هو بالفعلية ، أي : ولا أنتم متصفون بعبادة ما أعبد الآن .

وفي الجملة الثانية قال : ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . فعبر عنه بأنه ليس متصفًا بعبادة ما يعبدون ولا هم عابدون ما يعبده فكان وصفه هو ﷺ في الجملتين بوصفين مختلفين بالجملة الفعلية تارة وبالجملة الاسمية تارة أخرى ، فكانت إحداهما لنفي الوصف الثابت ، والأخرى لنفي حدوثه فيما بعد .

أما هم فلم يوصفوا في الجملتين إلا بالجملة الاسمية الدالة على الوصف الثابت ، أي : في الماضي إلى الحاضر ، ولم يكن فيما وصفوا به جملة فعلية من خصائصها التجدد والحدوث ، فلم يكن فيها ما يتعرض للمستقبل فلم يكن إشكال ، واللَّه تعالى أعلم .

فإن قيل : إن الوصف باسم الفاعل يحتمل الحال والاستقبال ، فيبقى الإشكال محتملاً .

قيل : ما ذكره الزمخشري من أن دخول ما عليه تعينه للحال ، يكفي في نفي هذا الاحتمال ، فإن قيل : قد ناقشه أبو حيان .

وقال : إنها أغلبية وليست قطعية .

قلنا : يكفي في ذلك حكم الأغلب ، وهو ما يصدقه الواقع ، إذ آمن بعضهم وعبد معبوده ﷺ .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

السؤال الثالث : قوله ههنا : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ [الكافرون: ١] خطاب مع الكل أو مع البعض ؟ .

الجواب : لا يجوز أن يكون قوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من يعبد اللَّه كاليهود والنصارىٰ فلا يجوز أن يقول لهم : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] ولا يجوز أيضًا أن يكون قوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٣] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد اللَّه ، فإذن وجب أن يقال إن قوله : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون: ١] خطاب مشافهة مع أقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة ، والحاصل : أنا لو حملنا الخطاب علىٰ العموم دخل التخصيص ، ولو حملنا : علىٰ أنه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك ، فكان حمل الآية علىٰ هذا المحمل أولىٰ .

* * *

س ـ لماذا جاء النفي في حق الكفار باسم الفاعل كما في قوله : ﴿عَابِدُونَ﴾ في المرتين وفي حق النبي ﷺ بالفعل مرة كما في قوله : ﴿لا أَعْبُدُ﴾ وباسم الفاعل مرة أخرىٰ كما في قوله : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ ؟

ج : **أورد ذلك ابن القيم فقال :**

وأما **المسألة الرابعة** وهي : أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل تارة ، وباسم الفاعل أخرىٰ .

فذلك ـ واللَّه أعلم ـ لحكمة بديعة وهي : أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت . فأتىٰ أولاً بصيغة الفعل الدالة علىٰ الحدوث والتجدد ، ثم أتىٰ في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل في الثاني : أن هذا ليس وصفي ولا شأني ، فكأنه قال : عبادة غير اللَّه لا تكون فعلاً لي ولا وصفًا لي . فأتىٰ بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فإنما أتىٰ بالاسم الدال علىٰ الوصف والثبوت دون الفعل . أي : إن الوصف الثابت اللازم العائد للَّه منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتًا لكم ، وإنما ثبت لمن خص اللَّه وحده بالعبادة، ولم يشرك معه فيها أحدًا . وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبدوه في بعض الأحيان ، فإن المشرك يعبد اللَّه ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الكهف: ١٦] أي : اعتزلتم معبوديهم ، إلا اللَّه ، فإنكم لم تعتزلوه . وكذا قال المشركون عن معبوديهم : ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣] فهم كانوا يعبدون معه غيره ، فلم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفىٰ الوصف لأن من عبد غير اللَّه لم يكن ثابتًا علىٰ عبادة اللَّه موصوفًا بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه

عابد للَّه ، وأنه عبده المستقيم على عبادته : إلا من انقطع إليه بكليته ، وتبتل إليه تبتيلاً ، ولم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك معه غيره ، فليس عابدًا للَّه ، ولا عبدًا له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة ، التي هي إحدى سورتي الإخلاص ، التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن. وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه اللَّه فهمًا من عنده . فله الحمد والمنة .

* * *

س ـ لماذا كرر الفعل بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه بلفظ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم في قوله ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه بقوله :**

وأما **المسألة الثالثة** ، وهي : تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم .

ففي ذلك سر ، وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة اللَّه لنبيه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده ، والاستبدال به غيره ، وأن معبوده الحق واحد في الحال والمآل على الدوام ، لا يرضى به بدلاً ، ولا يبغي عنه حولاً ، بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم ، ويتبعون شهواتهم في الدين وأغراضهم . فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودًا ، وغدًا غيره . فقال : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] يعني : الآن

﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] أي : الآن أيضًا . ثم قال : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] يعني : ولا أنا فيما يستقبل يصدر مني عبادة لما عبدتم أيها الكافرون ، وأشبهت «ما» هنا رائحة الشرط ، فلذلك وقع بعدها الفعل بلفظ الماضي ، وهو مستقبل في المعنى ، كما يجيء ذلك بعد حرف الشرط ، كأنه يقول : مهما عبدتم من شيء فلا أعبده أنا .

فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها وهي موصولة . فما أبعد الشرط منها ؟

قلنا : لم نقل : إنها نفسها شرط ، ولكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين وإبهامها في المعبودات وعمومها . وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديًا على صفحاته . فإذا قلت لرجل مّا ـ تخالفه في كل ما يفعل ـ : أنا لا أفعل ما تفعل . ألست ترى معنى الشرط قائمًا في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله ؟

وتأمل ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] كيف تجد معنى الشرطية فيه ؟ حتى وقع الفعل بعد «من» بلفظ الماضي ، والمراد به : المستقبل ، وأن المعنى : من كان في المهد صبيًّا كيف نكلمه ؟ وهذا هو المعنى الذي حام حوله من قال من المفسرين والمعربين : أن «كان» نبيًّا . بمعنى «يكون» لكنهم لم يأتوا إليه من بابه ، بل ألقوه عطلاً من تقدير وتنزيل ، وعزب فَهْم

غيرهم عن هذا ، للطفه ودقته . فقالوا : «كان» زائدة .

والوجه ما أخبرتك به . فخذه عفوًا ، لك غنمه ، وعلى سواك غرمه . هل على «من» في الآية قد عمل فيها الفعل وليس لها جواب ، ومعنى الشرطية قائم فيها فكذلك في قوله : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] وهذا كله مفهوم من كلام فحول النحاة كالزجاج وغيره .

فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] بخلاف قوله: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] لبعد «ما» فيها عن معنى الشرط ، تنبيهًا من اللَّه على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه ، وأن يتنقل في المعبودات تنقل الكافرين .

* * *

س ـ لماذا جاء التعبير بلفظ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] وما توضع لغير العاقل ؟

ج : ﴿مَا﴾ قد تأتي بمعنى (من) كما في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧] هذا وجه **ووجوه أُخر ذكرها الرازي بقوله :**

المسألة الثانية : في الآية سؤال وهو أن كلمة (ما) لا تتناول من يعلم فهب أن معبودهم كان كذلك ، فصح التعبير عنه بلفظ (ما) لكن معبود محمد عليه الصلاة والسلام هو أعلم العالمين فكيف قال : ﴿وَلا

أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] ؟ أجابوا عنه من وجوه :

أحدها : أن المراد منه الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل وأنتم لا تعبدون الحق .

وثانيها : أن (ما) مصدرية في الجملتين كأنه قال : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في المستقبل ، ثم قال ثانيًا : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال .

وثالثها : أن يكون (ما) بمعنى الذي ، وحينئذ يصح الكلام .

ورابعها : أنه لما قال أولاً : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] حمل الثاني عليه ليتسق الكلام كقوله :- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] .

أما ابن القيم رحمه اللَّه فقد استفاض في هذا فقال رحمه اللَّه :

«ما» على بابها لأنها واقعة على معبوده ﷺ على الإطلاق ، لأن امتناعهم من عبادة اللَّه ليس لذاته ، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون اللَّه ، ولكنهم كانوا جاهلين به . فقوله : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] أي : لا أنتم تعبدون معبودي . ومعبوده هو كان ﷺ عارفًا به دونهم ، وهم جاهلون به . هذا جواب بعضهم .

وقال آخرون: إن «ما» هنا مصدرية. لا موصولة ، أي : لا تعبدون عبادتي . ويلزم من تبرئتهم من عبادته تبرئتهم من المعبود ، لأن العبادة متعلقة به ، وليس هذا شيء . إذ المقصود: براءته من معبوديهم ،

وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى . فالمقصود المعبود لا العبادة .

وقيل : إنهم كانوا يقصدون مخالفته ﷺ حسدًا له ، وأنفة من اتباعه . فهم لا يعبدون معبوده لا كراهية لذلك المعبود ، ولكن كراهية لاتباعه ﷺ ، وحرصًا على مخالفته في العبادة . وعلى هذا لا يصح في النظم البديع والمعنى الرفيع إلا لفظ «ما» لإبهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية .

وقيل في ذلك وجه رابع ، وهو : قصد ازدواج الكلام في البلاغة والفصاحة مثل قوله : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] و ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فكذلك ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] ومعبودهم لا يعقل . ثم ازدواج مع هذا الكلام قوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] فاستوى اللفظان ، وإن اختلف المعنيان ، ولهذا لا يجيء في الأفراد مثل هذا ، بل لا يجيء إلا «من» كقوله : ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [النمل: ٦٣] ، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [النمل: ٦٣]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ، ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [النمل: ٦٤] إلى أمثال ذلك .

وعندي فيه وجه خامس ، أقرب من هذا وهو : أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقًّا لها ، فأتى بـ «ما» الدالة على هذا المعنى . كأنه قيل : ولا أنتم عابدون معبودي

الموصوف بأنه المعبود الحق . ولو أتى بلفظة «من» لكانت إنما تدل على الذات فقط ، ويكون ذكر الصلة تعريفًا ، لا لأنه هو جهة العبادة .

ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد ، وبين أن يكون تعريفًا محضًا أو وصفًا مقتضيًا لعبادته . فتأمله فإنه بديع جدًّا . وهذا معنى قول النحاة إن «ما» تأتي لصفات من يعلم .

ونظيره ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٣] لما كان المراد الوصف ، وأن السبب الداعي إلى الأمر بالنكاح ، وقصده ـ وهو الطيب ـ فتنكح المرأة الموصوفة به : أتى بـ «من» ، وهذا باب لا ينخرم ، وهو من ألطف مسالك العربية .

* * *

س ـ ما فائدة تكرير قوله تعالى : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن ذلك للتأكيد [١] كما في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦] وكما في قوله تعالى : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] .

● وكما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

---

(١) قال بعض العلماء : ومن فوائد التأكيد هنا أن تنقطع أطماعهم في إيمان النبي ﷺ بآلهتهم .

تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] .

• وكما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤، ٥] .

• وكما في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩] وتكرارها مرارًا في نفس السورة .

• وكما في قول النبي ﷺ «فلا آذن ثم لا آذن» .

• **أما من الشعر فذكر عطية سالم رحمه اللَّه عدة أمثلة لذلك فقال رحمه اللَّه :**

ونظيره في الشعر أكثر من أن يحصر ، من ذلك ما أورده القرطبي رحمه اللَّه :

هل لا سألتِ جموع كندة .:. يوم ولو أين أبنا

قول الآخر :

يا علقمة يا علقمة يا علقمة .:. خير تميم كلها وأكرمه

وقول الآخر :

يا أقرع بن حابس يا أقرع .:. إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقول الآخر :

ألا يا سلمى ثم اسلمي ثمت اسلمي .:. ثلاث تحيات وإن لم تكلم

وقد جاءت في أبيات لبعض تلاميذ الشيخ رحمه اللَّه تعالى ،

ضمن مساجلة له معه قال فيها :

تاللَّه إنك قد ملأت مسامعي ∴ درًا عليه قد انطوت أحشائي

زدني وزدني ثم زدني ولتكن ∴ منك الزيادة شافيًا للداء

فكرر قوله : زدني ثلاث مرات .

الثاني : أن قوله : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾** ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] في الماضي ، وقوله : ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ [الكافرون: ٤، ٥] (في المستقبل) .

• **قال الطبري رحمه اللَّه تعالى :**

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا اللَّه سنة على أن يعبد نبيّ اللَّه ﷺ آلهتهم سنة فأنزل اللَّه معرفة جوابهم في ذلك : قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة على أن يعبدوا إلهك سنة : يا أيها الكافرون باللَّه لا أعبد ما تعبدون من الآلهة والأوثان الآن ولا أنتم عابدون ما أعبد الآن ، ولا أنا عابد فيما أستقبل ما عبدتم فيما مضى ولا أنتم عابدون فيما تستقبلون أبدًا ما أعبد أنا الآن وفيما

أستقبل ، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الخطاب من اللَّه كان لرسول اللَّه ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبدًا وسبق لهم ذلك في السابق من علمه فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه وحدثوا به أنفسهم وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات ، وآيس نبي اللَّه ﷺ من الطمع في إيمانهم ومن أن يفلحوا أبدًا فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافرًا .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

فائدة تكرار الأفعال فقيل فيها وجوه :

أحدها : أن قوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ٢] نفي للحال والمستقبل ، وقوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴿٣﴾﴾ [الكافرون: ٣] مقابلة ، أي : لا تفعلون ذلك . وقوله : ﴿**وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ [الكافرون: ٤] أي : لم يكن مني ذلك قط قبل نزول الوحي ، ولهذا أتى في عبادتهم بلفظ الماضي فقال : «ما عبدتم» فكأنه قال : لم أعبد قط ما عبدتم . وقوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٥] مقابلة ، أي : لم تعبدوا قط في الماضي ما أعبده أنا دائمًا .

وعلى هذا فلا تكرار أصلاً . وقد استوفت الآيات أقسام النفي ماضيًا وحالاً ومستقبلاً عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصره وأبينه ، وهذا إن شاء اللَّه أحسن ما قيل فيها . فلنقتصر عليه ولانتعداه إلى غيره . فإن الوجوه التي قيلت في مواضعها ، فعليك بها .

قال الرازي رحمه اللَّه :

المسألة الأولى : في هذه الآية قولان : **أحداهما** : أنه لا تكرار فيها والثاني : أن فيها تكرارًا . **أما الأول** : فتقريره من وجوه . أحدها : أن الأول للمستقبل والثاني للحال ، والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ، ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا ، وقال الخليل في لن أصله لا أن ، إذا ثبت هذا فقوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، ثم قال : ﴿**وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ [الكافرون: ٤] أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي . الوجه الثاني : أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال والثاني للاستقبال والدليل على أن قول : ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ** ﴾ [الكافرون: ٤] للاستقبال أنه رفع لمفهوم قولنا : أنا عابد ما عبدتم ، ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال أنا قاتل زيدًا فهم منه الاستقبال . الوجه الثالث : قال بعضهم : كل واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال ، ولكنا نخص أحداها بالحال ، والثاني بالاستقبال دفعًا للتكرار ، فإن قلنا : إنه أخبر عن الحال ، ثم عن الاستقبال ، فهو الترتيب ، وإن قلنا : أخبر أولاً عن الاستقبال ، فلأنه هو الذي دعوه إليه ، فهو الأهم فبدأ به ، فإن قيل : ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلومًا أنه ما كان يعبد الصنم ، وأما الكفار فكانوا يعبدون اللَّه في بعض

الأحوال ؟ قلنا : أما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرًّا خوفًا منها أو طمعًا إليها وأما نفيه عبادتهم . فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً . الوجه الرابع : وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأولين المعبود وما بمعنى الذي ، فكأنه قال لا أعبد الأصنام ولا تعبدون اللَّه ، وأما في الآخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر ، ولا أنتم تعبدون عبادتي المبنية على اليقين ، فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهي ، كان ذلك باطلاً لأن العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه ، وغير مأمور به . الوجه الخامس : أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه ، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنه أولاً قال : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ [الكافرون:٢] رجاء أن تعبدوا اللَّه ، ولا أنتم تعبدون اللَّه رجاء أن أعبد أصنامكم ، ثم قال ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض ، ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ﴿ **وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ [الكافرون: ٥] بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات ، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعيم ، فيقول لا أظلم لغرض التنعيم بل لا أظلم أصلاً لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض . القول الثاني : وهو أن نسلم حصول التكرار ، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه : **الأول** : أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن ، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع ، لأن أولئك الكفار رجعوا إلى رسول اللَّه ﷺ في هذا المعنى مرارًا ، وسكت رسول اللَّه عن الجواب ، فوقع

في قلوبهم أنه عليه السلام قد مال إلى دينهم بعض الميل ، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال .

الوجه الثاني : أنه كان القرآن ينزل شيئًا بعد شيء ، وآية بعد آية جوابًا عما يسألون فالمشركون قالوا استلم بعد آلهتنا حتى تؤمن بإلهك فأنزل اللَّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ثم قالوا بعد مدة تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا فأنزل اللَّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملاً لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرًّا البتة الوجه الثالث : أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافًا واستحقارًا لقوله.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه تعالى : وقوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [الكافرون: ٦] يقول تعالى ذكره : لكم دينكم فلا تتركونه أبدًا لأنه قد ختم عليكم وقضى أن لا تنفكوا عنه وأنتم تموتون عليه ، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه أبدًا لأنه قد مضى في سابق علم اللَّه أني لا أنتقل

عنه إلى غيره .

قلت (مصطفى) : وهذا مُصيِّر من الطبري رحمه اللَّه إلى أنه اختار أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لمن سبق في علم اللَّه أنهم يموتون على الكفر .

أما الرازي رحمه اللَّه تعالى فقال :

أما قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] ففيه مسائل :

المسألة الأولى : قال ابن عباس : لكم كفركم باللَّه ولي التوحيد والإخلاص له ، فإن قيل : فهل يقال إنه أذن لهم في الكفر ؟ قلنا : كلا فإنه عليه السلام ما بعث إلا للمنع من الكفر فكيف يأذن فيه، ولكن المقصود منه أحد أمور : أحدها : أن المقصود منه التهديد ، كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] . وثانيها : كأنه يقول : إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة ، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني إلى الشرك. وثالثها ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] فكونوا عليه إن كان الهلاك خيرًا لكم ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ لأني لا أرفضه .

القول الثاني في تفسير الآية : أن الدين هو الحساب أي: لكم حسابكم ولي حسابي ، ولا يرجع إلى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة .

أن يكون على تقدير حذف المضاف أي : لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالاً وعقابًا كما حسبك جزاء دينك تعظيمًا وثوابًا . القول الرابع : الدين العقوبة ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم

بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٢] يعني : الحد ، فلكم العقوبة من ربي ، ولي العقوبة من أصنامكم ، لكن أصنامكم جمادات ، فأنا لا أخشى عقوبة الأصنام ، وأما أنتم فيحق لكم عقلاً أن تخافوا عقوبة جبار السموات والأرض. القول الخامس : الدين الدعاء، ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤] ، أي لكم دعاؤكم ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [غافر: ٥٠] ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤] ثم ليتها تبقى على هذه الحالة فلا يضرونكم ، بل يوم القيامة يجدون لسانًا فيكفرون بشرككم ، وأما ربي فيقول : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الشورى: ٢٦] ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] . القول السادس : الدين العادة، قال الشاعر :

يقول لها وقد دارت وضيني ∴ أهذا دينها أبدًا وديني

معناه لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين ، ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي ، ثم يبقى كل واحد منا على عادته ، حتى تلقوا الشياطين والنار ، وألقى الملائكة والجنة .

قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [الكافرون: ٦] يفيد الحصر ، ومعناه : لكم دينكم لا لغيركم ، ولي ديني لا لغيري ، وهو إشارة إلى قوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] ، ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٨] أي : أنا مأمور بالوحي والتبليغ ، وأنتم مأمورون بالامتثال والقبول ، فأنا لما فعلت ما كلفت به خرجت

عن عهدة التكليف ، وأما إصراركم على كفركم ، فذلك مما لا يرجع إليَّ منه ضرر البتة .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وأما المسألة التاسعة : وهي : ما هي الفائدة في قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] وهل أفاد هذا معنى زائدًا على ما تقدم ؟

فيقال : في ذلك من الحكمة ـ واللَّه أعلم ـ أن النفي الأول أفاد البراءة وأنه لا يتصور منه ، ولا ينبغي له : أن يعبد معبوديهم ، وهم أيضًا لا يكونون عابدين لمعبوده ، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضًا فقال له : لا تدخل في حدي ، ولا أدخل في حدك ، لك أرضك ، ولي أرضي ، فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا ، فأصابنا التوحيد والإيمان ، فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لا تشركونا فيه ، وأصابكم الشرك باللَّه والكفر به ، فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصون به لا نشرككم فيه ، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه .

وهذه المعاني ونحوها إذا تجلت للقلوب . رافلة في حللها ، فإنها تسبي القلوب وتأخذ بمجامعها ، ومن لم يصادف من قلبه حياة فهي خود تُزفُّ إلى ضرير مقعد ، فالحمد للَّه على مواهبه التي لا منتهى

لها ، ونسأله إتمام نعمته

* * *

س ـ هل في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] إقرار للمشركين على دينهم الذي هم عليه ؟

ج : ليس فيها إقرار لهم ، وإنما هي كقوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴾ [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ هل هذا الإخبار الموجود في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] هل هو إقرار فتكون الآية منسوخة أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

ج : طرح هذا السؤال ابن القيم في «بدائع الفوائد» وفي «التفسير القيم» وأجاب عليه ، فقال :

وأما المسألة الحادية عشرة ، وهي : أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه . هل هو إقرار ؟ فيكون منسوخًا ، أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة ، وقد غلط في السورة خلائق وظنوها منسوخة بآية السيف ، لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن

يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة ، وعمومها نص محفوظ ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه ، وهذه السورة أخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم .

ومنشأ الغلط : ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم ، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف ، فقالوا : هو منسوخ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار ، وهم من لا كتاب لهم . فقالوا : هذا مخصوص بأهل الكتاب .

ومعاذ اللَّه أن تكون الآية اقتضت تقريرًا لهم أو إقرارًا على دينهم أبدًا ، فلم يزل رسول اللَّه ﷺ من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم ، وعيب دينهم ، وتقبيحه والنهي عنه ، والتهديد والوعيد لهم كل وقت ، وفي كل ناد ، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم . وعيب دينهم ، ويتركونه وشأنه ، فأبى إلا مُضيًّا على الإنكار عليهم وعيب دينهم ، فكيف يقال : إن الآية اقتضت تقريره لهم ؟ معاذ اللَّه من هذا الزعم الباطل ، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم ، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا ، فإنه دين باطل، فهو مختص بكم ، لا نشارككم فيه ، ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق . وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم ، فأين

الإقرار ؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص ؟

أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ؟ بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر اللَّه منهم عباده وبلاده .

وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع رسول اللَّه ﷺ أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به ، الداعين إلى غير سنته ، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته : لكم دينكم ولنا ديننا . لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم ، بل يقولون لهم هذا : براءة منهم ومن بدعتهم . وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان .

فهذا ما فتح اللَّه العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة ، والنبذة المثيرة إلى عظمة هذه السورة ، وجلالتها ومقصودها ، وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير ، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه ، بل هي استجلاء مما علمه اللَّه وألهمه ، بفضله وكرمه ، واللَّه يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها ، وبالغت في استحسانها . وعسى اللَّه ، المانُّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين : أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب .

* * *

س ـ **مسألة** الحلول الوسط وأنصاف الحلول في أبواب العقائد لا

تجوز ولا تقبل فهل يُستدل بشيء من هذه السورة لهذا المعنى ؟

ج : نعم استنبط ذلك بعض العلماء من قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] .

قال عطية سالم رحمه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» :

في هذه السورة منهج إصلاحي ، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول ، لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة ، يعتبر في مقياس المنطق حلاً وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين ، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة ، لأن فيه أي فيما عرضوه مساواة للباطل بالحق ، وفيه تعليق المشكلة ، وفيه تقرير الباطل ، إن هو وافقهم ولو لحظة .

* * *

س ـ لماذا أطلق بعض العلماء على هذه السورة سورة الإخلاص ، وقالوا : إن من قرأها كتبت له براءة من الشرك مع أن هناك سورة الإخلاص الأخرى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه بقوله :**

وأما المسألة السادسة ، وهي : اشتمال هذه السورة على النفي المحض ، فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة ، فإنها سورة البراءة من الشرك ، كما جاء في وصفها : أنها براءة من الشرك . فمقصودها الأعظم : هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى

بالنفي في الجانبين ، تحقيقًا للبراءة المطلوبة . وهذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحًا . فقوله : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ٢] براءة محضة ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] إثبات أن له معبودًا يعبده وحده ، وأنتم بريئون من عبادته ، فتضمنت النفي والإثبات ، وطابقت قول إبراهيم إمام الحنفاء ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] وطابقت قول الفئة الموحدة ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] فانتظمت حقيقة « لا إله إلا اللَّه» ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في سنة الفجر وسنة المغرب .

فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص ، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه اللَّه عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد ، وأنه إله (أحد صمد لم يولد) فيكون له فرع (ولم يولد) فيكون له أصل ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فيكون له نظير . ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها .

فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشرك أصلاً وفرعًا ونظيرًا . فهذا توحيد العلم والاعتقاد .

والثاني : توحيد القصد والإرادة وهو : ألا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود .

وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مشتملة على هذا التوحيد .

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له ، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر ، ويختتمه بهما في سنة المغرب . وفي السنن «أنه كان يوتر بهما» فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار .

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

أفواجًا ـ استغفره ؟

ج :

الكلمة	معناها
أفواجًا	فوجًا فوجًا أي جماعات جماعات
استغفره	سَلْه أن يغفر لك ذنوبك

* * *

س ـ ما هي آخر سورة نزلت في كتاب اللَّه عز وجل ؟

ج : ذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أن آخر سورة نزلت من القرآن هي سورة النصر ، وذلك لما أخرجه مسلم[1] من طريق عبيد اللَّه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢٤) .

ابن عبد اللَّه بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن ، نزلت جميعًا ؟ قلت : نعم . إذا جآء نصر اللَّه والفتح قال : صدقت

* * *

س ـ ما الفرق بين النصر والفتح ؟

ج : **طرح الرازي في تفسيره هذا السؤال وأجاب عليه فقال** رحمه اللَّه :

السؤال الأول : ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف الفتح على النصر ؟ **الجواب من وجوه** : **أحدها** : النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب ، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقًا ، وظاهر أن النصر كالسبب الفتح ، فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه . **وثانيها** : يحتمل أن يقال : النصر كمال الدين ، والفتح الإقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة: ٣] . **وثالثها** : النصر هو الظفر في الدنيا على المنى ، والفتح بالجنة ، كما قال : ﴿**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: ٧٣] وأظهر الأقوال في النصر أنه الغلبة على قريش أو على جميع العرب .

● **وأورد صديق حسن خان في «فتح البيان»** طرفًا من هذا الكلام وقال : ويقال الأمر أوضح من هذا وأظهر ، فإن النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم ، والفتح هو فتح مساكن

الأعداء ودخول منازلهم .

قلت (مصطفى) : والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه تعالى ـ أن المراد بالنصر : النصر على الأعداء في المعارك والفتح تحصيل ثمرة هذا النصر واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر : ١] ؟

ج : المراد بالفتح هنا : فتح مكة ، **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:** والمراد بالفتح ههنا : فتح مكة قولاً واحدًا [١] ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح اللَّه عليه مكة دخلوا في دين اللَّه أفواجًا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام وللَّه الحمد ، وقد روى البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول اللَّه ﷺ وكانت العرب تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي [٢] .

---

(١) تبين لي أن هناك أقوالاً أخر ، منها : أن المراد عموم الفتوحات التي فتح اللَّه لنبيه ﷺ ، وإن كان ما ذكره الحافظ ابن كثير أولى .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٠٢) فقال : حدّثنا سليمانُ بن حرب حدَّثنا حمادُ بن زيد عن أيوب عن أبي قلابةَ عن عمرو بن سَلَمَةَ قال : «قال لي أبو قلابةَ : الا تَلقاهُ فتسألَهُ ؟ قال : فلقيتُهُ فسألتهُ فقال : كنّا بما ممرٌ الناسِ ، وكان يَمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما للناس ، ما للناس ؟ ما هذا الرجلُ ؟ فيقولون : يَزعمُ أنَّ اللَّه أرسلَهُ ، أوحى إليه ، أو أوحى اللَّه بكذا ،=

س ـ متى كانت غزوة الفتح ؟

ج : كانت غزوة الفتح في رمضان[١] سنة ثمان من الهجرة ففي «الصحيح»[٢] من طريق عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة أن ابن عباس أخبره أن رسول اللَّه ﷺ : «غزا غزوة الفتح في رمضان» قال : وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك .

وأخرج البخاري بإسناده[٣] إلى عبيد اللَّه بن عبد اللَّه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد ، وهو ماءٌ بين عُسفان وقُديد ـ أفطروا .

* * *

= فكنتُ أحفظُ ذاك فكأنما يقرُّ في صدري ، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم، وبدَر أبي قَومي بإسلامِهم ، فلما قدِمَ قال : جئتُكم واللَّه من عندِ النبيِّ ﷺ حقًّا ، فقال : صلُّوا صلاةَ كذا في حين كذا ، وصلّوا صلاةَ كذَا في حينِ كذا ، فإذا حَضرَت الصلاةُ فليؤذِنْ أحدُكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآنًا ، فنظَروا ، فلم يكن أحدٌ أكثرَ قرآنًا مني ، لما كنتُ أتلقَّن من الرُّكبان ، فقدَّمُوني بينَ أيديهم وأنا ابنُ ست أو سبع سِنينَ ، وكانت عليَّ بُردةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقَلصَت عني ، فقالتِ امرأةٌ منَ الحيّ : ألا تغَطون عنّا استَ قارِئكم ، فاشتَروا ، فقطعوا لي قميصًا ، فما فرحت بشيء فَرحي بذلك القميص» .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٤/ ٢١٤) : والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٦) .

س ـ وضح المراد بحديث رسول اللَّه ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» وبيِّن من أخرجه ؟

ج : أما قول النبي ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد بالهجرة : الهجرة إلى المدينة ، والمراد بقوله : «لا هجرة» أي : لا هجرة واجبة أو لا بيعة على الهجرة إلى المدينة بعد الفتح أو قد ذهب الذين هاجروا قبل الفتح بثواب الهجرة ومن هاجر إلى المدينة بعد الفتح فثوابه دون ثواب من هاجر قبل الفتح ، والمراد بالفتح : فتح مكة ، وهذه بعض الأقوال في ذلك :

أخرج البخاري[1] من طريق عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى اللَّه وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه فأما اليوم فقد أظهر اللَّه الإسلام فالمؤمن يعبد ربَّه حيث شاء ولكن جهاد ونيَّة[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١١) .

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٧/ ٢٧٠) .

قوله : (كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه : أن من قدر على عبادة اللَّه في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي : إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في «باب وجوب النفير» في الجمع بين حديث ابن عباس «لا هجرة بعد الفتح» وحديث عبد اللَّه بن السعدي «لا تنقطع الهجرة»، وقال الخطابي : كانت الهجرة أي: إلى النبي ﷺ في =

.....

= أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد اللَّه ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] ، فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في «شرح السنة» : يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله: «لا هجرة بعد الفتح» أي من مكة إلى المدينة ، وقوله: «لا تنقطع» أي : من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام ، قال : ويحتمل وجهًا آخر وهو أن قوله: «لا هجرة» أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن ، وقوله : «لا تنقطع» أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . قلت : الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، وبالشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول اللَّه ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي: ما دام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها واللَّه أعلم . وأطلق ابن التين أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بغير عذر كان كافرًا ، وهو إطلاق مردود ، واللَّه أعلم .

وقال (الحافظ رحمه اللَّه الفتح ٦/ ٢٢٠) :

قوله : (باب لا هجرة بعد الفتح) : أي: فتح مكة ، أو المراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون ، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة : الأول قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة ، الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم، الثالث عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر .

وقال أيضًا (٦/ ٤٦) :

قوله: (لا هجرة بعد الفتح) أي: فتح مكة، قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضًا في أول =

وأخرج البخاري من حديث مجاشع رضي اللَّه عنه قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت : يا رسول اللَّه جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال : «ذهب أهل الهجرة بما فيها» ، فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : «أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد» فلقيت معبدًا بعدُ ـ وكان أكبرهما فسألته ، فقال : «صدق مجاشع» .

قلت : أما الهجرة من مواطن الفساد إلى مواطن الصلاح فماضية إلى يوم القيامة .

قال اللَّه سبحانه : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

• وقال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

= الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح اللَّه مكة دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى . وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه ، وفيهم نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] الآية ، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها ، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعًا : «لا يقبل اللَّه من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين» ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعًا : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» وهذا محمول على من لم يأمن على دينه .

إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين[١] الذي قتل الراهب فأتم به المئة فذهب إلى العالم فأفتاه بأن يترك أرضه أرض السوء ويذهب إلى أرض أهلها صالحون فيعبد اللَّه معهم .

● وقال النبي ﷺ : «**أنا بريء من المسلم يعيش بين ظهراني المشركين**»[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «**المهاجر من هجر ما نهي اللَّه عنه**»[٣].

● ويوحي اللَّه عز وجل إلى عيسى عليه السلام بين يدي الساعة إني أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم[٤].

وقوله ﷺ : «**لا هجرة بعد الفتح**»[٥] أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦) (حديث ١٦٠٥) وأبو داود (٣/ ١٠٥) والنسائي (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) والبيهقي (٨/ ١٣٠) وغيرهم ، والراجح فيه أنه مرسل ، وقد صوَّب الإرسال عددٌ من أهل العلم ، انظر : «العلل الكبير» للترمذي (٢٦٤ ـ ٢٦٥) و«التلخيص الحبير» (٤/ ١١٩) وأبو حاتم في «العلل» (٩٤٢) .

(٣) حديث «**المهاجر من هجر ما نهى اللَّه عنه**» أخرجه البخاري (حديث ١٠) من حديث عبد اللَّه ابن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) من حديث النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه .

(٥) البخاري حديث (٢٨٢٥) ومسلم (١٨٦٤) .

س ـ هل أذنب النبي ﷺ ذنبًا حتى يؤمر بالاستغفار ؟

ج: **طرح القرطبي رحمه اللَّه تعالى هذا السؤال، وأجاب عليه فقال:**

فإن قيل : فماذا يغفر للنبيّ ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار ؟ قيل له : كان النبيّ ﷺ يقول في دعائه : «**رَبِّ اغفر لي خَطيئَتي وجَهْلي ، وإسْرافِي في أمْرِي كُلِّه ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي خَطَئي وعَمْدِي ، وجهلي وهَزْلي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرتُ ، وما أعلَنْت وما أسْرَرْت ، أنت المقدِّم وأنت المُؤَخر ، إنكَ على كلِّ شيءٍ قَدِير**» . فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم اللَّه به عليه ، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذُنُوبًا . ويحتمل أن يكون بمعنى : كُنْ متعَلقًا به ، سائلاً راغبًا ، متضرعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق ، لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال. وقيل : الاستغفار تَعَبُّد يجب إتيانه ، لا للمغفرة ، بل تعبدًا . وقيل: ذلك تنبيه لأمته، لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار . وقيل: ﴿**وَاسْتَغْفِرْهُ**﴾ أي : استغفر لأمتك ﴿**إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ٣] أي: على المسبحين والمستغفرين ، يتوب عليهم ويرحمهم ، ويقبل توبتهم . وإذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار ، فما الظن بغيره ؟ روى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يُكثر من قول: «**سُبحانَ اللَّه وبِحَمْدِه ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إليه**» . فقال : «**خَبَّرَنِي ربِّي أني سأرى علامة في أمتي ، فإذا رأيتها أكثرت من قول سُبْحان اللَّه وبِحَمْدِه ، أستغفر اللَّه وأتوب إليه ، فقد رأيتها : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** [النصر: ١] ـ فتح مكة ـ ﴿**وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**

وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٢ - ٣] » .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

المسألة الخامسة : في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وجوه: **أحدها** : لعله عليه السلام كان يتمنى أن ينتقم ممن آذاه ، ويسأل اللَّه أن ينصره ، فلما سمع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر: ١] استبشر ، لكن لو قرن بهذه البشارة شرط أن لا ينتقم لتنغصت عليه تلك البشارة ، فذكر لفظ الناس وأنهم يدخلون في دين اللَّه وأمره بأن يستغفر للداخلين، لكن من المعلوم أن الاستغفار لمن لا ذنب لا يحسن ، فعلم النبي ﷺ بهذا الطريق أنه تعالى ندبه إلى العفو وترك الانتقام ، لأنه لما أمره بأن يطلب لهم المغفرة فكيف يحسن منه أن يشتغل بالانتقام منهم ؟ ثم ختم بلفظ الثواب كأنه يقول إن قبول التوبة حرفته فكل من طلب منه التوبة أعطاه ، كما أن البياع حرفته بيع الأمتعة التي عنده فكل من طلب منه شيئًا من تلك الأمتعة باعه منه ، سواء كان المشتري عدوًّا أو وليًّا ، فكذا الرب سبحانه يقبل التوبة سواء كان التائب مكيًّا أو مدنيًّا، ثم إنه عليه السلام امتثل أمر الرب تعالى فحين قالوا له: أخ كريم وابن أخ كريم قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي : أمرني أن أستغفر لكم فلا يجوز أن يردني . **وثانيها** : أن قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] إما أن يكون المراد واستغفر اللَّه لنفسك أو لأمتك ، فإن كان المراد هو الأول فهو يتفرع على أنه هل صدرت عنه معصية أم لا ؟ فمن قال صدرت المعصية عنه ذكر في فائدة الاستغفار وجوهًا : **أحدها** :

أنه لا يمتنع أن تكون كثرة الاستغفار منه تؤثر في جعل ذنبه صغيرة . **وثانيها** : لزمه الاستغفار لينجو عن ذنب الإصرار . **وثالثها** : لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار جابرًا للذنب الصغير فلا ينتقض من ثوابه شيء أصلاً . وأما من قال: ما صدرت المعصية عنه فذكر في هذا الاستغفار وجوهًا : **أحدها** : أن استغفار النبي جارٍ مجرى التسبيح وذلك لأنه وصف اللَّه بأنه غفار . **وثانيها** : تعبده اللَّه بذلك ليقتدي به غيره إذ لا يأمن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته ، وفيه تنبيه على أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه. **وثالثها** : أن الاستغفار كان عن ترك الأفضل. **ورابعها** : أن الاستغفار كان بسبب أن كل طاعة أتى بها العبد فإذا قابلها بإحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة ، فليستغفر اللَّه لأجل ذلك . **وخامسها** : الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك لأن السائر إلى اللَّه إذا وصل إلى مقام في العبودية ، ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرًا فيستغفر اللَّه عنه ، ولما كانت مراتب السير إلى اللَّه غير متناهية لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية . أما الاحتمال **الثاني** : وهو أن يكون المراد واستغفره لذنب أمتك فهو أيضًا ظاهر ، لأنه تعالى أمره بالاستغفار لذنب أمته في قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فههنا لما كثرت الأمة صار ذلك الاستغفار أوجب وأهم ، وهكذا إذا قلنا: المراد ههنا أن يستغفر لنفسه ولأمته .

* * *

س ـ مزيد الفضل يستلزم مزيدًا من الشكر دلل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك :

قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ١ -٣] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] .

وقولـه تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٦ - ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ... ﴾ [سبأ: ١٠] إلى قوله : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] .

وقد صلى النبي ﷺ بمكة يوم الفتح ثمان ركعات[1] .

* * *

س ـ يشرع الاستغفار عند انتهاء الأعمال ، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

---

(١) انظر تفسير سورة الضحى .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

١ ـ أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا [١].

٢ ـ قوله سبحانه : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] مع قول النبي ﷺ بعد نزولها : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[٢] .

٤ ـ ومن ذلك دعاء ختام المجلس وفيه : «أستغفرك وأتوب إليك»[٣] .

* * *

س ـ ماذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده بعد نزول هذه السورة عليه ؟

ج : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده[٤] بعد نزول هذه

---

(١) أخرجه مسلم (٥/٨٩ مع النووي) والنسائي (٣/٦٨) والترمذي (مع «التحفة» ٢/١٩٥) وأبو داود (٣٦١) وأبو عوانة (٢/٢٦٤) وابن ماجة (٩٢٨) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) أخرجه أبو داود (٥/١٨٢) والدارمي (٢/٢٨٣) وغيرهما من حديث أبي بزرة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا وإسناده حسن .

(٤) ولا يمتنع أنه كان يقول غير ذلك أيضًا صلوات الله وسلامه عليه، والحديث أخرجه البخاري =

السورة : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» .

ففي «الصحيح»[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يُصل صلاة إلا دعا، أو قال فيها : «سبحانك ربي وبحمدك اللهم اغفر لي» .

* * *

س ـ من الذي فهم أن هذه السورة نعت إلى النبي ﷺ نفسه (أي : أن أجل النبي ﷺ قد اقترب) وهل من وجهٍ آخر في تفسير هذه السورة ؟

ج : فهم ذلك عبد اللَّه بن عباس وأمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنهم ففي «الصحيح»[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : «كان عمرُ يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضُهُم : لِمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنهُ ممن قد علمتم . فدعاهم ذاتَ يوم ودَعاني معهم ، قال : وما رأيتُهُ دعاني يومئذ إلا ليريَهم مني ، فقال : ما تقولنَ في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] ؟ حتى خَتم السورة . فقال بعضُهم : أمِرْنا أن نحمدَ اللَّه ونستغفرَهُ إذا نصرنا وفتحَ علينا . وقال بعضهم : لا ندري ، أو لم يقلْ بعضُهم شيئًا . فقال لي : يا ابن عباس أكذاك تقول ؟ قلت : لا ، قال : فما تقولُ ؟ قلتُ : هو أجَلُ رسولِ اللَّه

= (مع الفتح ٢/٢٨١) ومسلم (٤/٢٠١) .

(١) لفظ مسلم ص ٣٥١ ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٩٤) .

ﷺ أعلَمهُ اللَّه لهُ إذا جاء نصرُ اللَّه ، والفتحُ فتح مكةَ فذاكَ علامة أجَلِكَ ، فسبِّحْ بحمد ربِّكَ واستغفِرْهُ ، إنهُ كان تَوّابًا . قال عمرُ : ما أعلمُ منها إلاّ ما تعلم» .

ونعم هناك وجه آخر في تفسير السورة ألا وهو تفسير السورة على ظاهرها ، فالمعنى : إذا فتح اللَّه عليك يا محمد الفتوحات ، ومنها فتح مكة، وجاء الناس يدخلون في دين اللَّه جماعات جماعات فسبح بحمد ربك واستغفره أي : فصلِّ وقل : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي اللَّه عنهم أجمعين من أنه قد أُمرنا إذا فتح اللَّه علينا المدائن والحصون أن نحمد اللَّه ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمان ركعات فقال قائلون : هي صلاة الضحى ، وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا لم ينو الإقامة بمكة ؟

---

(١) أي : كما كان النبي ﷺ يقول بعد نزول هذه السورة عليه .

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

تبت ـ ذات لهب ـ جيدها ـ مسد ؟

ج :

الكلمة	معناها
تبت	هلكت[1] ـ خسرت[2]
ذات لهب	لها لهب وشرر وإحراق شديد ـ ذات اشتعال وتوقد
جيدها	عنقها ـ رقبتها
مسد	نار ـ ليف ـ حديد ، وقال البعض : إنها السلسلة التي قال الله فيها : ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة : ٣٢]

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر : ٣٧] .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود : ١٠١] أي : تخسير .

س ـ ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على الصفا فجعل ينادي : «**يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟** » قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال : «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا . فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢] .

* * *

س ـ لماذا خُصت اليدان بالتباب في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : وخص اليدين بالتباب لأن أكثر العمل يكون بهما ، وقيل : المراد باليدين نفسه ، وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله تعالى : ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] أي نفسك .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/١١٨) ومسلم (٣/٨٣) وأحمد (١/٢٨١) .

وإذا كان المعنى قد تعين بنص القرآن في الهلاك والخسران ، فما معنى إسناد التب لليدين ؟

الجواب : أن ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ ﴾ [العلق: ١٦] مع أن الكاذب هو صاحبها .

وقد قدمنا هناك أن مثل هذا الأسلوب لابد فيه من زيادة اختصاص للجزء المنطوق في المعنى المراد .

فلما كان الكذب يسوِّد الوجه ويذل الناصية ، وعكسه الصدق يبيّض الوجه ويعز الناصية ، أسند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلاً .

ولما كان الهلاك والخسران غالبًا بما تكسبه الجوارح واليد أشد اختصاصًا في ذلك أسند إليها التب .

ومما يدل على أن المراد صاحب اليدين ، ما جاء بعدها ، قوله تعالى : ﴿وَتَبَّ﴾ أي أبو لهب نفسه .

وسواء كان قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] على سبيل الإخبار أو الإنشاء ، فإنه محتمل من حيث اللفظ .

ولكن قوله تعالى بعده : ﴿وَتَبَّ﴾ فهو إخبار ، فيكون الأول للإنشاء كقوله : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] .

ثم جاء الثاني تصديقًا له، وجاءت قراءة ابن مسعود (وقد تب) .

س ـ ما اسم أبي لهب ؟ وما اسم امرأته ؟

ج : اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وهو عم النبي ﷺ واسم امرأته العوراء بنت جميل .

* * *

س ـ هل الاسم أفضل أم الكنية ؟

ج : الظاهر أنهما على العموم يستويان ، لكن إذا كان الأحب إلى شخصٍ من المسلمين أن يُدعى بالكنية دُعي بها فهو أفضل ، وإذا كان الأحب له أن يدعى باسمه فالأفضل أن يدعى به .

وقد ذهب البعض إلى أن الاسم أفضل من الكنية لأن اللَّه سبحانه وتعالى ما ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا بأسمائهم ، ولم يذكر الكنية إلا لرجل كافر وهو أبو لهب ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي ، وذلك لأن اللَّه عز وجل ذكر بعض الكفار بأسمائهم أيضًا ، قال سبحانه : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ، ووجه آخر : أن من الصحابة من لم يكد يعرف إلا بكنيته كأبي هريرة وأبي بكر وأبي ذر وأبي أمامة رضي اللَّه عنهم ، ومنهم من اشتهر باسمه كعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم .

وكذلك رسولنا ﷺ كنيته أبو القاسم واسمه محمد ﷺ فالظاهر لي ما قدمت ذكره ، واللَّه أعلم .

س ـ ما فائدة تكرار قوله : ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : **قال بعض العلماء** : إن التب الأول دعاء عليه ، والتب الثاني خبر، فالمعنى: أهلكه اللَّه وقد هلك، أو خسرت يداه وقد خسر ، أي: وقد تحققت خسارته ، أو أن المعنى : خسر أبو لهب وخسرت يداه .

وقال بعض العلماء : كلاهما إخبار أراد بالأول هلاك عمله ، وبالثاني هلاك نفسه .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :ـ

والسؤال الثاني : وهو مجيء قوله تعالى ﴿وَتَبَّ﴾ بعد قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] مع أنها كافية سواء كانت إنشاءً للدعاء عليه أو إخبارًا بوقوع ذلك منه .

والجواب ، واللَّه تعالى أعلم : أن الأول لما كان محتملاً الخبر، وقد يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت ، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] ، أو يحمل على الذم فقط والتقبيح ، فجاء ﴿وَتَبَّ﴾ لبيان أنه واقع به لا محالة ، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك ليأس ﷺ والمسلمون من إسلامه ؛ وتنقطع الملاطفة معه ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : قال بعض العلماء : إنها استفهامية ، والمعنى : ماذا أغنى ماله وكسبه ؟ أو ما هو الشيء الذي أغناه عنه ماله وكسبه ؟ . وقال آخرون : إنها نافية ، فالمعنى : لم يُغْنِ عنه ماله ولا كسبه شيئًا .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : أما المال فمعروف ، وأما قوله : ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] فذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بذلك بنوه أي أولاده ، فالمعنى ما أغنى ماله ولا أغنى عنه ولده ، وقد ورد عن ابن عباس تفسير الكسب بالأولاد .

ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ : **«يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»**[1] .

وقد روت عائشة عن رسول اللّه ﷺ : **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»**[2] .

● ومن العلماء من قال : إن الكسب عام فيدخل فيه الولد ويدخل فيه كل ما اكتسبه من زرع وماشية وميراث وتجارات .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٢ و ٢٢٠) بإسناد صحيح ، وانظر «علل ابن أبي حاتم» (١/ ٤٧٢) و«إرواء الغليل» (٦/ ٦٥) .

● ومنهم من قال : إن المراد بالكسب هنا العمل أي : لم ينفعه العمل السيئ الذي عمله معاديًا به رسول اللَّه ﷺ ، أو العمل الذي ظن أنه منه على شيء كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

* * *

س ـ لقد كان رسول اللَّه ﷺ مع قومه ملاطفًا حليمًا فكيف دعا على عمه بهذا الدعاء ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : طرح هذا السؤال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» وأجاب عليه بقوله :

والجواب : أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم ، فلما يئس من ذلك ، كان هذا الدعاء في محله ، كما وقع من إبراهيم عليه السلام ، كان يلاطف أباه ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ [مريم: ٤٤] . ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم: ٤٣] ، فلما يئس منه ، تبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤] .

* * *

س ـ في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١ - ٣] دليل من دلائل النبوة ، وضح ذلك ؟

ج : **إيضاحه** : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أخبر أن أبا لهب سيصلىٰ نارًا ذات لهب ، وقد مات أبو لهب وزوجته علىٰ الكفر ولم يُسلما فحقت عليهما النار ، فوجهه أن اللَّه عز وجل أخبر عنهما بخبرٍ وهو (أنهما سيصليان النار) وقد فعلا ما يوجب لهما ذلك بموتهما علىٰ الكفر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح علىٰ النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالىٰ : ﴿ **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ [المسد: ٣ - ٥] ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنًا ولا ظاهرًا ، لا مُسرًّا ولا معلنًا ، فكان هذا من أقوىٰ الأدلة الباهرة الباطنة علىٰ النبوة الظاهرة .

● **وقال السعدي في «تيسير الكريم الرحمن»** : في هذه السورة آية باهرة من آيات اللَّه فإن اللَّه أنزل هذه السورة ، وأبو لهب وأمرأته لم يهلكا وأخبر أنهما سيعذبان في النار ، ولابد ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة .

* * *

س ـ لماذا وصفت امرأة أبي لهب بأنها حمالة الحطب ؟

ج : **في ذلك عدة أقوال ، منها ما يلي : ـ**

الأول : أنها كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ .

الثاني : أنها كانت تُعيِّر النبي ﷺ بالفقر وكانت تحتطب فَعُيِّرَتْ بذلك .

الثالث : أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمة[1] .

الرابع : أن المراد بحمل الحطب حمل الخطايا والذنوب كما قال تعالىٰ : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣١] .

الخامس : أنها حمالة حطب في النار ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بحبل المسد المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن امرأة أبي لهب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر تلبسها في عنقها فأقسمت باللات والعزىٰ لتنفقنها في أذىٰ النبي ﷺ ، فتوعدها اللَّه عز وجل بحبل من نار مكان هذه القلادة .

---

(١) **قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٢٩٢)** .

قال الزمخشريّ : ويقال للمشَّاء بالنمائم المفسد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أي : يوقد بينهم ويورث الشر ، قال :

من البيض لم تُصْطَدْ على ظهر لأمة .:. ولَمْ تَمْشِ بين الحيّ بالحَطَبِ الرَّطبِ

يمدحها بأنها من البيض الوجوه وأنها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن أن تمشي بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة الشر. ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرىٰ به .

الثاني : أنها كانت تحتطب وتجعل حبلاً من ليف في عنقها فخنقها اللَّه به فماتت .

الثالث : أنه كانت تحتطب وتربط الحبل في عنقها وتأخذ الحطب فتجعله في طريق الرسول ﷺ فتوعدها اللَّه مكان هذا الحبل حبلاً من نار .

أما المسد ؛ فقال بعض العلماء : إنه الليف ، وقال آخرون : إنه حبل من جلود الإبل أو من أوبارها ، وقال آخرون : إنه حبل من نارٍ (يوم القيامة) ، وقال آخرون : إنه السلسلة التي ذكرها اللَّه سبحانه بقوله : ﴿ **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ [الحاقة: ٣٢] .

وقال الرازي في «تفسيره» :

قوله تعالى : ﴿ **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ [المسد: ٥] : قال الواحدي : المسد في كلام العرب القتل ، يقال : مسد الحبل يمسده مسدًا إذا أجاد فتله ، ورجل ممسود إذا كان مجدول الخلق ، والمسد ما مسد أي فتل من أي شيء كان ، فيقال لما فتل من جلود الإبل ، ومن الليف والخوص مسد . ولما فتل من الحديد أيضًا مسد ، إذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوهًا : **أحدها** : في جيدها حبل مما مسد من الحبال لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون ، والمقصود : بيان خساستها تشبيهًا لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها . **وثانيها** : أن يكون المعنى : أن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت

تحمل الحزمة من الشوك ، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار .

فإن قيل : الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى أبدًا في النار ؟ قلنا : كما يبقى الجلد واللحم والعظم أبدًا في النار .

ومنهم من قال : ذلك المسد يكون من الحديد ، وظن من ظن أن المسد لا يكون من الحديد خطأ ، لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد للَّه رب العالمين .

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

س ـ اذكر بعض المواطن التي يشرع ويستحب فيها قراءة سورة قل هو اللَّه أحد ؟

ج : من هذه المواطن ما يلي :

الركعة الثانية : من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب ، وذلك بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الأخيرة من الوتر بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الثانية : من ركعتي الطواف (بعد قراءة الفاتحة) .

دبر الصلوات .

عند النوم .

عند المرض .

في عموم الصلوات .

أذكار الصباح والمساء .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل سورة قول هو اللَّه أحد؟

ج : من ذلك ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو اللَّه أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟** » فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : «**أخبروه أن اللَّه يحبه**» .

● وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها فقال رسول اللَّه ﷺ : «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» .

● وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟** » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ «**قال : «قل هو اللَّه أحد تعدل ثلث القرآن»**[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٥) ومسلم (حديث ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٤) .

(٣) **قال النووي في «شرح مسلم»** : قال القاضي : قال المازري : قيل : معناه أن القرآن على =

وفي رواية لمسلم : «**إن اللَّه جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو اللَّه أحد جزءًا من أجزاء القرآن**» .

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ «**احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**» فحشد من حشد ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقرأ قل هو اللَّه أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقال : «**إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**» .

* * *

= ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات للَّه تعالى ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ متمحضة للصفات فهي ثلث ، وجزء من ثلاثة أجزاء .

قلت : والحديث أخرجه مسلم (حديث ٨١١) .

(١) الحديث عند مسلم (٨١٢) .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٣٠١) :

وقد ذكروا في ذلك وجوهًا ـ منها ما قاله أبو العباس بن سريج : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام . ثلث منها الأحكام ، وثلث منها وعد ووعيد ، وثلث منها الأسماء والصفات . وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات .

وقال الغزاليّ في (جواهر القرآن) : مهمات القرآن هي معرفة اللَّه ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم . فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة ، والباقي توابع ، وسورة الإخلاص تشتمل على واحدة من الثلاث : وهي معرفة اللَّه وتقديسه وتوحيده عن مشارك في الجنس والنوع ، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ .

قال : والوصف بالصمد يشعر بأنه السيد الذي لا يقصد في الوجود للحوائج سواه . نعم ، ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم . فلذلك تعدل ثلث القرآن أي ثلث الأصول من =

. . . . . .

= القرآن كما قيل (الحج عرفة) أي هو الأصل والباقي تبع .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) : كان النبيّ ﷺ يقرأ في سنة الفجر والوتر الإخلاص والكافرون وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل ، وتوحيد المعرفة والإرادة ، وتوحيد الاعتقاد والقصد . فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة ، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه . والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم الصمدية وغناه وأحديته . ونفيُ الكفؤ المتضمن لنفي التنبيه والتمثيل والتنظير : فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له ، ونفي كل نقص عنه ، ونفي إثبات شبيه أو مثل له في كماله ونفي مطلق الشريك عنه . وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلميّ الاعتقاديّ الذي يباين صاحبه جميع فوق الضلال والشرك . ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن . فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء. والإنشاء ثلاثة : أمر ، ونهي ، وإباحة . والخبر نوعان : خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وخبر عن خلقه ـ فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن . وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلميّ . كما خلصت سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العملي الإراديّ القصديّ . ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله ، كانت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ، والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر . و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن ، وفي الترمذي: من رواية ابن عباس رضي اللّه عنهما ، يرفعه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن . رواه الحاكم في «المستدرك» ، وقال : صحيح الإسناد .

ولما كان الشرك العمليّ الإراديّ أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها ، وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه ، لما لها فيه من نيل الأغراض . وإزالتُه وقلعُه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلميّ وإزالته . لأن هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه ، بخلاف شرك الإرادة والقصد ، فإن صاحبه يرتكب ما يدلّه العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه . فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العمليّ ما لم =

س ـ هل صح لهذه السورة سبب نزول ؟

قد ورد لهذه السورة عدة أسباب للنزول ولا يصح منها شيء.

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الصمد ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بالصمد ذكر في الآيات التي تليها ألا وهي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] ، فالصمد هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

الثاني : أن الصمد : هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم ، أي : يقصده الخلق في حوائجهم ومسائلهم إذ لا يقدر على قضائها لهم غيره سبحانه وتعالى .

الثالث : أن الصمد : المصمت الذي لا جوف له .

الرابع : أن الصمد : هو السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل

= يجئ مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

ولما كان القرآن شطرين : شطرًا في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والأمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها . وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها . وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر ، فلم يذكر فيها إلا الآخرة ، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها ، كانت تعدل نصف القرآن . فأحْرِ بهذا الحديث أن يكون صحيحًا . والله أعلم .

شيء فلا سيد فوقه ، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كلم في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو اللَّه سبحانه وتعالى ، هذه صفته لا تنبغي إلا له .

الخامس : أن الصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب .

السادس : أن الصمد : الباقي بعد فناء خلقه .

السابع : أن الصمد : الذي لا تصلح العبادة إلا له .

الثامن : أن الصمد : هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد .

التاسع : أن الصمد : الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وثمَّ أقوال أخر ، والجمع بين هذه الأقوال ممكن .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى (بعد إيراده جملة من هذه الأقوال) :

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «كتاب السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يُصمد إليه في الحوائج ،

وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه ، وقال البيهقي نحو ذلك .

* * *

س ـ اذكر جملة من الأدلة التي تنزه اللَّه سبحانه وتعالى عن الولد ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٣٥].
- قوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢] .
- قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢] .
- قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] .
- قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] .
- قوله تعالى : ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

• قوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

• قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

• قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦] .

• قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [يونس: ٦٨] .

• قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١ - ٥] .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] .

وقولـه تعالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ١، ٢] .

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**قال اللَّه تعالىٰ : كذَّبني ابنُ آدم ، ولم لكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يُعيدني كما بدأني وليس أولُ الخلق بأهوَنَ عليَّ من إعادته ، وأما شَتْمُهُ إياي فقوله اتخذ اللَّه ولدًا ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ لم أَلِدْ ولم أُولَد ، ولم يكُن لي كُفوًا أحدٌ**» .

* * *

س وضـح معنـىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ؟

ج : الكفؤ هو المثيل والشبيه والنظير ، والمعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : ولم يكن له أحدٌ شبيهًا ولا مثيلاً ولا نظيرًا أي لم يكافئه أحد ولم يشابهه أحد سبحانه وتعالىٰ .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (٨/ ٧٣٩) والنسائي (٤/ ١١٢) .

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

أعوذ ـ الفلق ـ غاسق ـ وقب ـ النفاثات ـ العقد ؟

ج :

الكلمة	معناها
أعوذ	ألجأ ـ أستجير ـ أعتصم ـ ألوذ
الفلق	الصبح [1] ـ كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى [2]

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وقول عائشة : كان النبي ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] .

ومن العلماء من قال : إن الفلق سجن في جهنم ، ولكن لا يثبت في ذلك خبر عن النبي ﷺ.

الكلمة	معناها
غاسق	مظلم ـ وقيل : الغاسق القمر ، وقيل : الليل[١]
وقب	دخل ـ أقبل بظلامه
النفاثات	السواحر اللواتي ينفثن (أي: يتفلن عند سحرهن) في العقد
العقد	عقد الخيط

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في فضل المعوذتين والمواطن التي تقرءان فيها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»**[٢] .

وفي لفظ آخر عند مسلم : **«أُنزل أو أُنزلت عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط المعوذتين»** .

وعند أبي داود والنسائي من حديث عقبة بن عامر أيضًا : قال أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة[٣] .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ [الإسراء: ٧٨] .

(٢) مسلم مع النووي (٦/ ٩٦) .

(٣) أبو داود (٢/ ١٨١) والنسائي (٣/ ٦٩) بإسناد حسن .

وأخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي[١] من حديث عبد اللَّه بن خبيب قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة نطلب النبي ﷺ ليصلِّي لنا فأدركناه فقال : «قل» فلم أقل شيئًا ثم قال : «قل» فلم أقل شيئًا ثم قال: «قل» قلت : يا رسول اللَّه ما أقول ؟ قال : «قل هو اللَّه أحد» .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نفث في كفيه بقل هو اللَّه أحد والمعوذتين جميعًا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده ، قالت عائشة : فلما اشتكىٰ كان يأمرني أن أفعل ذلك به .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي[٣] .

* * *

س ـ اذكر علىٰ وجه الإجمال أنواع الشرور المستعاذ باللَّه منها في هاتين السورتين (الفلق والناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :**

الفصل الثالث: في أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأبو داود (٥٠٨٢) والنسائي (٨/ ٢٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/ ٢٠٩) ومسلم في الطب (٥ : ٣) .

(٣) مسلم (حديث ٢١٩٢) .

الشر الذي يصيب العبد لا يخلو من قسمين :

إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها . فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه . ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها . وهو أعظم الشرين وأدومهما ، وأشدهما اتصالاً بصاحبه .

وإما شر واقع به من غيره . وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره ، وهو الإنسان ، أو ليس نظيره ، وهو الجني . وغير المكلف : مثل الهوام وذوات الحُمَة وغيرها .

فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه ، وأدله على المراد ، وأعمه استعاذة ، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيهما .

ثم قال رحمه اللَّه :

والشر المستعاذ منه نوعان .

أحدهما : موجود ، يطلب رفعه ، والثاني : معدوم ، يطلب بقاؤه على العدم ، وأن لا يوجد . كما أن الخير المطلق نوعان . أحدهما : موجود فيطلب دوامه وثباته وأن لا يسلبه . والثاني : معدوم فيطلب وجوده وحصوله . فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين . وعليها مدار طلباتهم .

وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء

عباده في آخر آل عمران في قولهم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا الطلب لدفع الشر الموجود . فإن الذنوب والسيئات شر ، كما تقدم بيانه . ثم قال : ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا طلب لدوام الخير الموجود وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه . فهذان قسمان . ثم قال : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه . ثم قال : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم ، وهو خزي يوم القيامة .

فانتظمت الآيتان المطالب الأربعة أحسن انتظام ، مرتبة أحسن ترتيب ، قدُم فيها النوعان اللذان في الدنيا ، وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت ، ثم أتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة ، وهما أن يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله ، وأن لا يخزيهم يوم القيامة .

فإذا عرف هذا . فقوله ﷺ في تشهد الخطبة : «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**»[1] يتناول الاستعاذة من شر النفس ، الذي هو معدوم لكنه فيها بالقوة . فيسأل دفعه وأن لا يوجد .

---

(١) هذا اللفظ جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حينما علمه رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فعلمه إياها وفيها «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**» وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ١١٠٥ وابن ماجة ١٨٩٢ وعندهما الاستعاذة من شرور الأنفس وسيئات الأعمال، وأخرجه أبو داود رقم ٢١١٨ وق ٦/٨٩ وحمَ ١/٢٩٢ مقتصرين على الاستعاذة من شرور الأنفس .

وأما قوله : «من سيئات أعمالنا» ففيه قولان .

أحدهما : أنه استعاذة من الأعمال السيئة التي قد وجدت . فيكون الحديث قد تناول نوعي الاستعاذة من الشر المعدوم الذي لم يوجد ، ومن الشر الموجود . فطلب دفع الأول ورفع الثاني .

والقول الثاني : أن سيئات الأعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها . وعلى هذا يكون من استعاذة الدفع أيضًا دفع المسبب . والأول دفع السبب . فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه .

وعلى الأول : تكون إضافة السيئات إلى الأعمال من باب إضافة النوع إلى جنسه . فإن الأعمال جنس وسيئاتها نوع منها .

وعلى الثاني: تكون من باب إضافة المسبب إلى سببه ، والمعلول إلى علته . كأنه قال : من عقوبة عملي . والقولان محتملان .

فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به . فإن مع كل واحد منهما نوعًا من الترجيح . فيترجح الأول بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس . فشر النفس يولد الأعمال السيئة ، فاستعاذ من صفة النفس ، ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة . وهذان جماع الشر ، وأسباب كل ألم . فمتى عوفي منهما عوفي من الشر بحذافيره .

ويترجح الثاني بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء

العامل ، وأسبابها شر النفس . فاستعاذ من العقوبات والآلالم وأسبابها .

والقولان في الحقيقة متلازمان ، والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر .

* * *

س ـ قال اللَّه سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] وقال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] فعند امتثالنا للأمر هل نقول : أعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس أو نقول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] ؟

ج : بل نقول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] وقد أخرج البخاري [(١)] من طريق ذر قال : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول : كذا وكذا فقال أبي : سألت رسول اللَّه ﷺ فقال لي : **«قيل لي فقلت»**[(٢)] قال : فنحن نقول كما قال رسول اللَّه ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٧٤١) .

(٢) **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى :**

قلت : مفعول القول محذوف ، وتقديره : قيل لي قل ، أو قيل لي هذا اللفظ . فقلت كما قيل لي .

وتحت هذا من السر : أن النبي ﷺ ليس له في القرآن إلا إبلاغه ، لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه ، بل هو المبلغ له عن اللَّه . وقد قال اللَّه له : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] فكان مقتضى البلاغ التام أن يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] كما قال اللَّه . =

س ـ اذكر معنى الفلق بمزيل من الإيضاح ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :**

واعلم أن الخلق كله فلق . وذلك أن «فلقا» فَعَل بمعنى مفعول ، كقَبَض وسَلَب وقنص : بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص . واللَّه عز وجل : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، و ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥] ، وفالق الأرض عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحاب عن المطر ، والأرحام عن الأجنَّة ، والظلام عن الإصباح . ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة : فلقًا وفَرَقًا . يقال : هو أبيض من فَرَق الصبح وفلقه .

وكما أن في خلقه فلقًا وفَرَقًا . فكذلك أمره كله فُرقان ، يفرق بين الحق والباطل . فيفرق ظلام الباطل بالحق ، كما يفرق ظلام الليل بالإصباح ، ولهذا سمي كتابه «الفرقان»[1] ونَصْره فرقانًا ، لتضمنه الفرق بين أوليائه وأعدائه . ومنه فَلْقه البحر لموسى ، وسماه فلقًا .

= وهذا هو المعنى الذي أشار النبي ﷺ إليه بقوله : «قيل لي ، فقلت» أي إني لست مبتدئًا ، بل أنا مبلغ ، أقول كما يقال لي ، وأبلغ كلام ربي أنزله إليّ .

فصلوات اللَّه وسلامه عليه ، لقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وقال كما قيل له . فكفانا من المعتزلة والجهمية وإخوانهم ممن يقول : هذا القرآن العربي وهذا النظم كلامه ابتدأ هو به . ففي هذا الحديث أبين الرد لهذا القول ، وأنه ﷺ بلغ القول الذي أمر بتبليغه على وجهه ولفظه ، حتى إنه لما قيل له : «قل» قال هو : «قل» لأنه مبلغ محض . وما على الرسول إلا البلاغ .

(١) وذلك في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

فظهرت حكمة الاستعاذة برب الفلق في هذه المواضع . وظهر بهذا إعجاز القرآن ، وعظمته وجلالته ، وأن العباد لا يقدرون قدره ، وأنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

* * *

س ـ ما هو السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :**

فصل : ومن ههنا : تعلم السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع .

فإن الفلق : هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور ، وهو الذي يطرد جيش الظلام ، وعسكر المفسدين في الليل . فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سِرْب أو كِنٍّ أو غار ، وتأوي الهوام إلى أجحرتها ، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها . فأمر اللَّه عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ، ويقهر عسكرها وجيشها . ولهذا ذكر سبحانه في كل كتاب : أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور ، ويدع الكفار في ظلمات كفرهم . قال اللَّه تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، وقال في أعمال الكفار : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ**

مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] ، وقد قال قبل ذلك في صفات أهل الإيمان ونورهم : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] .

فالإيمان كله نور ، ومآله إلى نور ، ومستقره في القلب المضيء المستنير ، والمقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة . والكفر والشرك كله ظلمة ، ومآله إلى الظلمات ومستقره في القلوب المظلمة ، والمقترن بأهل الأرواح المظلمة .

فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ، ومن شر ما يحدث فيها ونَزِّل هذا المعنى على الواقع يشهد بأن القرآن ، بل هاتان السورتان، من أعظم أعلام النبوة ، وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ، ومضادته لما جاء به الشياطين من كل وجه ، وأن ما جاء به ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون فما فعلوه . ولا يليق بهم ، ولا يتأتى منهم ، ولا يقدرون عليه .

وفي هذا أبين جواب وأشفاه لما يورده أعداء الرسول عليه من الأسئلة الباطلة التي قَصَّر المتكلمون غاية التقصير في دفعها ، وما شفوا في جوابها . وإنما اللَّه سبحانه هو الذي شَفَى وكفى في جوابها . فلم يحوجنا إلى متكلم ، ولا إلى أصولي ، ولا إلى نَظَّار . فله الحمد

والمنّة . لا نُحصي ثناء عليه .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظرًا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبًا لطلوع صباح النجاح ، وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير .

* * *

س ـ لماذا يستعاذ من الفاسق إذا وقب ؟

ج : لأن الشياطين تنتشر ليلاً كما قال عليه الصلاة والسلام : «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم اللّه**» . . الحديث وفيه : «**فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ**»[1] .

وكذلك الهوام والسباع تخرج من أماكنها ، وأهل الشر والفساد ينبعثون كذلك .

وعلى قول من قال : إن الفاسق إذا وقب هو الثريا ، فقالوا : إن الثريا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين . واللّه أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/٨٨) ومسلم (١٣/١٨٣) من حديث جابر رضي اللّه عنهما مرفوعًا .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :

والسبب الذي لأجله أمر اللَّه بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب هو : أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة. وفيه تنتشر الشياطين. وفي «الصحيح» : أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت انتشرت الشياطين ، ولهذا قال : **«فاكفِتوا صبيانكم ، واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فَحْمة العشاء»** [(١)] ، وفي حديث آخر : **«فإن اللَّه يبث من خلقه ما يشاء»**[(٢)] .

والليل هو محل الظلام . وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار . فإن النهار نور ، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات

---

(١) أخرج البخاري (فتح ٦/ ٣٣٦ و ٣٥٥ و . . .) ومسلم ص ١٥٩٤ .

من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا استجنح الليل ـ أو كان جنح الليل ـ فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخَلُّوهم وأغلق بابك واذكر اسم اللَّه وأوكِ سقاءك واذكر اسم اللَّه وخمِّر إناءك واذكر اسم اللَّه ولو أن تعرض عليه شيئًا»** .

وفي بعض ألفاظه : **«واكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشاراً وخطفة»** .

وفي لفظ عند مسلم عن النبي ﷺ : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»** .

(الفواشي : كل شيء منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها ، وهي جمع فاشية لأنها تفشو ، أي : تنتشر في الأرض) .

تنبيه : هذا الحديث غفل عن العمل به كثير من الناس فحري أن يقوم به أهل السنة .

(٢) في أحد ألفاظ الحديث عند أحمد (٣/ ٣٠٦) : **«فإن اللَّه عز وجل يبث في ليلة من خلقه ما شاء»** ، وسندها صحيح لغيرها . ولها شاهد عند أحمد (٣/ ٣٥٥) .

وفي «صحيح مسلم» : **«فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»** .

والمواضع المظلمة ، وعلى أهل الظلمة .

وروي أن سائلاً سأل مسيلمة : كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ فقال : في ظلماء حِنْدس . وسئل النبي ﷺ : «كيف يأتيك ؟» فقال : «في مثل ضوء النهار»[1] ، فاستدل بهذا على نبوته ، وأن الذي يأتيه ملك من عن اللَّه ، وأن الذي يأتي مسيلمة شيطان .

ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون النهار ، فالسحر الليلي عندهم : هو السحر القوي التأثير . ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم ، والشياطين تجول فيها، وتتحكم كما يتحكم ساكن البيت فيه . وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع ، وهو فيه أثبت وأمكن .

---

(١) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٢) من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة ثمان سنين أو سبع يرى الضوء ويسمع الصوت وثمانيًا أو سبعًا يوحى إليه وأقام بالمدينة عشرًا . وإسناده صحيح ، وقد رواه عفان عن حماد بن سلمة عن عمار مرسلاً . ورواه عفان متصلاً أيضًا (١/ ٢٧٩) .

تنبيه : في البخاري (فتح ١/ ١٨) : سئل رسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» .

قال الحافظ في («الفتح» ١/ ١٩) : وأورد على ما اقتضاه الحديث وهو أن الوحي منحصر في الحالتين حالات أخرى إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل والنفث في الروع والإلهام والرؤيا الصالحة والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة ، وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق. والجواب منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب أو حمل ما =

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ؟

ج : ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] اسم موصول بمعنى الذي ، فالمعنى : من شر الذي خلق .

قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وقد دخل في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر : من حيوان ، أو غيره ، إنسيًّا كان أو جنيًّا ، أو هامة أو دابة أو ريحًا ، أو صاعقة ، أي نوع كان من أنواع البلاء .

فإن قلت : فهل في «ما» ههنا عموم ؟

قلت : فيها عموم تقييدي وصفي ، لا عموم إطلاقي . والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر . فعمومها من هذا الوجه . وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه اللَّه . فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر . وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض : والخير كله حصل على أيديهم ، فالاستعاذة من شر ما خلق : تعم شر كل مخلوق فيه شر . وكل شر في الدنيا والآخرة ، وشر شياطين الإنس والجن وشر السباع والهوام ، وشر النار والهواء ، وغير ذلك . وفي «الصحيح» : عن النبي ﷺ أنه قال : **«من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر**

= يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال . . . . » .

ولمزيد راجع «الفتح» .

ما خلق . لم يضره شيء ، حتى يرتحل منه»[١] رواه مسلم . وروى أبو داود في «سننه» عن عبد اللَّه بن عمر قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل ، قال : **«يا أرض ، ربي وربك اللَّه ، أعوذ باللَّه من شرك ، وشر ما فيك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يَدُبُّ عليك ، أعوذ باللَّه من أسَد وأسْود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»**[٢] .

وفي الحديث الآخر : **«أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر : من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر ما نزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»**[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سنده ضعيف أخرجه أبو داود رقم (٢٦٠٣) وأحمد (٢/ ١٣٢ ، ٣/ ١٢٤) وفي إسناده الزبير ابن الوليد لم يذكر في الرواة عنه إلا شريح بن عبيد ولم يوثقه إلا ابن حبان ، فعلى هذا فهو مجهول ، وقد قال الحافظ في «التقريب» فيه : مقبول ، ومعناه : إذا توبع وإلا فلين .

(٣) أخرجه مالك بسند ضعيف لإرساله ، فروى مالك في «الموطأ» (كتاب الشعر باب ما يؤمر به من التعوذ ص ٩٥٠) عن يحيى بن سعيد أنه قال : أسري برسول اللَّه ﷺ فرأى عفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول اللَّه ﷺ رآه فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وَخَرَّ لفيه ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : «بلى» فقال جبريل : فقل أعوذ بوجه اللَّه الكريم وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن .

وأخرج مالك أيضًا (ص ٩٥١) عن سمي مولى أبي بكر عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حمارًا فقيل له وما هي فقال : أعوذ بوجه اللَّه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، =

س ـ أمر اللَّه سبحانه وتعالى بالاستعاذة من كل ما خلق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] فما فائدة الاستعاذة بعد ذلك من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك تنبيهًا على أهمية هذا الخاص وبيان عظم شره ، فالمراد التنبيه على أن هذه الشرور من أعظم أنواع الشرور .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] ؟

ج : **أجمل العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى القول في هذا فقال**[1] :

الشر الثاني : شر الغاسق إذا وَقَب . فهذا خاص بعد عام . وقد قال أكثر المفسرين : إنه الليل .

قال ابن عباس : الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ، ودخل في كل شيء وأظلم ، والغسق: الظلمة . يقال: غسق الليل ، وأغسق: إذا أظلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، وكذلك قال الحسن ومجاهد: الغاسق إذا وقب: الليل إذا

وبأسماء اللَّه الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ . وهذا مقطوع من كلام كعب .

(١) «التفسير القيم» .

أقبل ودخل . والوقوب : الدخول ، وهو دخول الليل بغروب الشمس . وقال مقاتل : يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار .

وفي تسمية الليل غاسقًا قول آخر : أنه من البرد ، والليل أبرد من النهار ، والغسق : البرد . وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى : ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] ، وقوله : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] قال : هو الزمهرير يحرقهم ببرده . كما تحرقهم النار بحرها . وكذلك قال مجاهد ومقاتل : هو الذي انتهى برده .

ولا تنافي بين القولين . فإن الليل بارد مظلم . فمن ذكر برده فقط، أو ظلمته فقط : اقتصر على أحد وصفيه .

والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة . فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل . ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور : من شر الغاسق ، الذي هو الظلمة . فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة . كما سنزيده تقريرًا عن قريب إن شاء اللّه .

فإن قيل : فما تقولون فيما رواه الترمذي من حديث ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت : أخذ النبي ﷺ بيدي ، فنظر إلى القمر ، فقال : «يا عائشة ، استعيذي باللّه من

شر هذا . فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»[١] قال الترمذي : هذا حسن صحيح . وهذا أولى من كل تفسير . فيتعين المصير إليه ؟

قيل : هذا التفسير حق ، ولا يناقض التفسير الأول ، بل يوافقه ، ويشهد لصحته . فإن اللَّه تعالى قال : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] ، فالقمر هو آية الليل ، وسلطانه فيه . فهو أيضًا غاسق إذا وقب ، كما أن الليل غاسق إذا وقب ، والنبي ﷺ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب . وهذا خبر صدق . وهو أصدق الخبر ، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب. وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره .

ونظير هذا : قوله في المسجد الذي أسس على التقوى ـ وقد سئل عنه ـ فقال : «هو مسجدي هذا»[٢] ، ومعلوم أن هذا لا ينفي كون مسجد قباء[٣] مؤسسًا على التقوى مثل ذاك .

ونظيره أيضًا : قوله في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي اللَّه

---

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي (٩/ ٣٠٢) وأحمد (٦/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢٣٧) وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٨/ ٧٤١) .

(٢) أخرج مسلم (ص ١٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلت يارسول اللَّه أي المسجدين الذي أسس على التقوى قال : «فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٣١ ، ٣٣٥ و ١١٦ ، ٣/ ٨ و ٢٣ ، ٢٤ و ٨٩ و ٩١) .

(٣) ورد في مسجد قباء من الفضل : ما أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٦٩) ومسلم (ص ١٠١٦ ـ ١٠١٧) أن رسول اللَّه ﷺ كان يأتيه راكبًا وماشيًا وذلك كل سبت .

عنهم أجمعين : «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[١] فإن هذا لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت ، ولكن هؤلاء أحق من دخل في لفظ أهل بيته .

ونظير هذا قوله : «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس شيئًا ، ولا يُفطَن له فيتَصدَّق عليه**»[٢] وهذا لا ينفي اسم المسكنة عن الطواف ، بل ينفي اختصاص الاسم به ، وتناول المسكين لغير السائل أولى من تناوله له .

ونظير هذا قوله : «**ليس الشديد بالصُّرَعة ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٣] ، فإنه لا يقتضي نفي الاسم عن الذي يصرع الرجال ، ولكن يقتضي أن ثبوته للذي يملك نفسه عند الغضب أولى .

ونظيره : الغسق ، والوقوب ، وأمثال ذلك .

فكذلك قوله في القمر : «**هذا هو الغاسق إذا وقب**» لا ينفي أن

---

(١) صحيح .

أخرجه أحمد وغيره من عدة طرق عن النبي ﷺ انظر «مسند أحمد» (١/ ١٨٥ ، ٤/ ١٠٧ ، ٦/ ٢٩٢ و ٣٠٤) ، و«تفسير ابن كثير» عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

(٢) صحيح .

أخرجه البخاري في مواضع من «صحيح» (انظر «الفتح» ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ومسلم (ص ٧١٩).

(٣) صحيح .

أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٥١٨) ومسلم (ص ٢٠١٤) .

يكون الليل غاسقًا ، بل كلاهما غاسق .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن المراد به القمر إذا خُسف واسْوَدَّ . وقوله : «وقب» أي دخل في الخسوف ، أو غاب خاسفًا ؟

قيل : هذا القول ضعيف . ولا نعلم به سلفًا . والنبي ﷺ لما أشار إلى القمر ، وقال : «هذا الغاسق إذا وقب» لم يكن خاسفًا إذ ذاك . وإنما كان مستنيرًا ، ولو كان خاسفًا لذكرته عائشة . وإنما قالت : نظر إلى القمر ، وقال : «هذا هو الغاسق» ، ولو كان خاسفًا لم يصح أن يحذف ذلك الوصف منه . فإن ما أطلق عليه اسم الغاسق باعتبار صفة لا يجوز أن يطلق عليه بدونها ، لما فيه من التلبيس .

وأيضًا : فإن اللغة لا تساعد على هذا . فلا نعلم أحدًا قال : الغاسق : القمر في حال خسوفه .

وأيضًا : فإن الوقوب لا يقول أحد من أهل اللغة . إنه الخسوف ، وإنما هو الدخول ، من قولهم : وقبت العين : إذا غارت ، ورُكية وَقْباء : غار ماؤها . فدخل في أعماق التراب . ومنه الوَقْب للثقب الذي يدخل فيه المحور ، وتقول العرب : وَقَب يَقِب وُقُوبًا إذا دخل .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن الغاسق هو الثريا إذا سقطت ، فإن الأسقام تكثر عند سقوطها وغروبها، وترتفع عند طلوعها ؟

قيل : إن أراد صاحب هذا القول اختصاص الغسق بالنجم إذا غرب فباطل . وإن أراد : أن اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما : فهذا يحتمل أن يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه . وأما أن يختص اللفظ به فباطل .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] .

الغاسق : قيل الليل ، لقوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] .

ووقب : أي دخل .

وعليه قول الشاعر :

إن هـذا الليـل قـد غسقـا :. واشتكيـت الهـم والأرقـا

وقول الآخر :

يا طيف هند قد أبقيت لي أرقا :. إذ جئتنا طارقًا والليل قد غسقا

قال القرطبي : وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم .

وقيل : الغاسق : القمر إذا كان في آخر الشهر ، لحديث عائشة عند الترمذي أن الرسول ﷺ قال لهما : **«تعوَّذي من هذا فإنه الغاسق إذا وقب»** ، أي : القمر .

وقائل هذا القول يقول : إنه أنسب لما يجيء بعده من السحر ، لأنه أكثر ما يكون عندهم في آخر الشهر .

ونقل القرطبي عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر ، أي سقوطه وغيوبته .

وأنشد قول الشاعر :

أراحني اللَّه من أشياء أكرهها

منها العجوز ومنها الكلب والقمر

هـذا يبـوح وهـذا يستضاء بـه

وهــذه ضمــرز قوامــة السحـــر

والضمرز : الناقة المسنة ، والمرأة الغليظة .

والصحيح الأول ، الذي هو الليل بشهادة القرآن .

والثاني : تابع له ، لأن القمر في ظهوره واختفائه مرتبط بالليل ، فهو بعض ما يكون في الليل ، وفي الليل تنتشر الشياطين وأهل الفساد، من الإنسان والحيوان ويقل فيه المغيث إلا اللَّه .

هذا وقد قال الطبري رحمه اللَّه تعالى بعد أن ذكر جملة أقوال لأهل العلم في تفسير ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال : إن اللَّه أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق ، وهو الذي يُظلم ، يقال : قد غسق

الليل يغسق غسوقًا إذا أظلم ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني إذا دخل في ظلامه ، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق ، ولم يخصص بعض ذلك بل عمَّ الأمر بذلك ، فكلٌّ غاسق ، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد ، بـ ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :**

الشر الثالث : شر النَّفاثات في العُقد .

وهذا الشر هو شر السِّحْر . فإن النفاثات في العُقد : هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط ، وينفثن على كل عقدة ، حتى ينعقد ما يردن من السحر . والنفث : هو النفخ من ريق : وهو دون التَّفْل . وهو مرتبة بينهما .

والنفث : فعل الساحر . فإذا تكيَّفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفَس ممازج للشر والأذى ، مقترن بالريق الممازج لذلك . وقد تَساعَد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور . فيقع فيه السحر بإذن اللَّه الكوني القدري . لا الأمري الشرعي .

فإن قيل : فالسحر يكون من الذكور والإناث ، فلم خص الاستعاذة من الإناث دون الذكور ؟ .

قيل في جوابه : إن هذا خرج على السبب الواقع ، وهو أن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ .

هذا جواب أبي عبيدة وغيره ، وليس هذا بسديد . فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم ، لا بناته ، كما جاء في «الصحيح» .

والجواب المحقق : أن النفاثات هنا : هن الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات : لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة ، والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها . فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث ، دون التذكير والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا عرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه ؟

ج : **قال الرازي في «تفسيره»**: عرَّف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكَّر غاسقًا لأنه ليس كل غاسقٍ شريرًا ، وأيضًا ليس كل حاسد شريرًا، بل رب حسد يكون محمودًا ، وهو الحسد في الخيرات .

* * *

سَ ـ هل ثبت أن النبي ﷺ سُحر ؟ اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على هذا وكيف ثم دفعها ؟

ج : نعم قد ثبت ذلك في «الصحيحين» وفي غيرهما ، وقد قدمنا

شيئًا من ذلك في تفسيرنا لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وهذا مزيدٌ من القول في هذا الباب .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :

ففي« الصحيح»[1] : عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة «أن النبي ﷺ طُبَّ ، حتى إنه ليُخيَّل إليه أنه صنع شيئًا وما صنعه ، وإنه دعا ربه . ثم قال: «**أشعُرت أن اللَّه قد أفتاني فيما أستفتيه فيه ؟**» فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول اللَّه ؟ قال : «**جاءني رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ فقال أحدهما لصاحبه : ما وَجَعُ الرجل ؟ قال الآخر: مطبوب . قال : من طَبَّه ؟ قال : لَبيد بن الأعصم . قال : فيماذا ؟ قال : في مِشْط ومِشاطة ، وجَفٍّ طَلْع ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في ذَرْوان ، بئر في بني زُريق**» . قالت عائشة رضي اللَّه عنها : فأتاها رسول اللَّه ﷺ ، ثم رجع إلى عائشة فقال : «**واللَّه لكأن ماءها نُقاعة الحِنَّاء ، ولكأن نخلَها رءوس الشياطين**» . قالت : فقلت له : يا رسول اللَّه ، هلاَّ أخرجته ؟ قال : «**أما أنا فقد شفاني اللَّه ، وكرهت أن أثير على الناس شرًّا ، فأمر بها ، فدُفنت**» قال البخاري : وقال الليث وابن عيينة عن هشام «في مِشْط ومِشاقة» .

ويقال : إن المشاطة : ما يخرج من الشعر إذا مُشِط ، والمشاقة: من مشاقة الكتان .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٢٣١) ومسلم (ص ١٧١٩) .

قلت : هكذا في هذه الرواية : أنه لم يخرجه ، اكتفاء بمعافاة اللَّه له ، وشفائه إياه .

وقد روى البخاري من حديث ابن عيينة قال : «أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثني آل عروة عن عروة . فسألت هشامًا عنه ؟ فحدثنا عن أبيه عن عائشة : كان رسول اللَّه ﷺ سُحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا ، فقال : **«يا عائشة ، أعلمت أن اللَّه قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طَبَّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، رجلٌ من بني زريق حليف اليهود . وكان منافقًا. قال : وفيم ؟ قال في مشط ومشاقة . قال : وأين ؟ قال : في جَفٍّ طَلْع ذكر ، تحت راعوفَة في بئرِ ذَروان»** . قال : فأتى البئرَ حتى استخرجه . فقال : **«هذه البئر التي أُريتها ، وكأنَّ ماءها نُقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين»** . قال : فاستخرج . قالت . فقلت : أفلا ـ أي تَنَشَّرت ـ ؟ قال : **«أمَّا اللَّه فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا»**[1] .

ففي هذا الحديث : أنه استخرجه . وترجم البخاري عليه : باب هل يُستخرج السحر . وقال قتادة[2]: قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طَبٌّ ، ويؤخذَ عن امرأته أيُحَلَّ عنه ويُنْشَر ؟ قال : لا بأس به ، إنما

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٢٣٢).

(٢) ذكره البخاري معلقًا (فتح ١٠/ ٢٣٢) وذكر الحافظ هناك من وصله .

يريدون به الإصلاح . فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه[١].

---

(١) أخرج أحمد (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (حديث ٣٨٦٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : سئل رسول اللَّه ﷺ عن النشرة فقال : «**هو من عمل الشيطان**» وسنده حسن .

قال الخطابي (النشرة) : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يُظن به مس الجن ، وحسن الحافظ ابن حجر سند هذا الحديث وقال : قال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال : لا بأس به ، وهذا هو المعتمد ، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله النشرة من عمل الشيطان إشارة إلى أصلها ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا وإلا فهو شر .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه ما يؤيد النشرة منها حديث جابر عند مسلم مرفوعًا : «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**» .

ثم ذكر رحمه اللَّه أشياء يفعلها من حبس عن امرأته وهي أشياء لم ترد في سنة رسول اللَّه ﷺ، ولكنها تدخل تحت باب من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

قال رحمه اللَّه(فتح ١٠/ ٢٢٣) : وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله .

ثم ذكر عن حماد بن شاكر في ذلك أيضًا أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا ما حمى الفأس استخرجه من النار ، وبال على حره فإنه يبرأ بإذن اللَّه .

وأما النشرة فإنه يجمع في أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماءً عذبًا ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن اللَّه .

قلت : وهذه الأفعال كلها ليست واردة عن رسول اللَّه ﷺ فمن جربها فنفعته فذلك الفضل من اللَّه .

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (الفتح ١٠/ ٢٣٥) عن ابن القيم قوله : من أنفع الأدوية =

فهذان الحديثان قد يظن في الظاهر تعارضهما . فإن حديث عيسى عن هشام عن أبيه : الأول فيه : أنه لم يستخرجه . وحديث ابن جريج عن هشام فيه «أنه استخرجه» ولا تنافي بينهما . فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه ، ثم دفنه بعد أن شفي . وقول عائشة : «هلا استخرجته ؟» أي هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه ؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك ، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك ، فيقع الإنكار ، ويغضب للساحر قومه ، فيحدث الشر . وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة. فأمر بها فدُفنت ، ولم يستخرجها للناس . فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة .

والذي يدل عليه : أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه . ولم يجئ لينظر إليها ثم ينصرف . إذ لا غرض له في ذلك . والله والله أعلم .

وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقًى بالقبول

= وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .

قال : وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما ينابسها . انتهى ملخصًا.

قال الحافظ ابن حجر : ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده .

ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب ، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم .

بينهم . لا يختلفون في صحته . وقد اعتاصَ على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار . وقابلوه بالتكذيب ، وصنف بعضهم فيه مصنفًا مفردًا ، حمل فيه على هشام . وكان غاية ما أحسن القول فيه: أن قال : غلط ، واشتبه عليه الأمر ، ولم يكن من هذا شيء . قال : لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يُسْحَر . فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الفرقان: ٨] .

قالوا : وهذا كما قال فرعون لموسى : ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وكما قال قوم صالح له : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] ، وكما قال قوم شعيب له : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥] .

قالوا : فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا . فإن ذلك ينافي حماية اللَّه لهم ، وعصمتهم من الشياطين .

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم . فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم ، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه . فما للمتكلمين وما لهذا الشأن ؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة . وقد اتفق أصحاب «الصحيحين» على تصحيح هذا الحديث ، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة . والقصة مشهورة عن أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء . وهؤلاء أعلم بأحوال رسول اللَّه وأيامه من المتسكلمين[1] .

---

(١) صوابه: المتكلمين .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حباب[١] عن زيد بن أرقم قال : سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا . قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك ، وعقدَ لذلك عقدًا . فأرسل رسول اللَّه ﷺ عليًّا . فاستخرجها . فجاء بها ، فجعل كُلَّما حلَّ عقدة وجد لذلك خِفَّة . فقام رسول اللَّه ﷺ كأنما نَشِط من عقال . فما ذكر ذلك لليهودي ، ولا رآه في وجهه قط[٢]. وقال ابن عباس وعائشة : كان غلام من اليهود يخدم رسول اللَّه ﷺ . فدنت إليه اليهود . فلم يزالوا حتى أخذ مِشاطة رأس النبي ﷺ ، وعِدَّة أسنان من مشطه . فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها ، وتولَّى ذلك لبيدُ بن الأعصم : رجلٌ من اليهود . فنزلت هاتان السورتان فيه[٣].

قال البغوي : وقيل : كانت مغروزة بالإبر . فأنزل اللَّه عز وجل هاتين السورتين . وهما أحد عشر آية : سورة الفلق خمس آيات ، وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت القد

---

(١) صوابه : حيان .

(٢) صحيح ، وأخرجه النسائي رقم (٤٠٨٠) .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في «تفسيره» وعزاه إلى تفسير الثعلبي بدون ذكر إسناد ، وذكره مطولاً وقال في آخره هكذا أورده بلا إسناد فيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم واللَّه أعلم .

قلت : ولم أقف في شيء من الطرق الصحيحة على أن سحر النبي ﷺ كان سببًا لنزول المعوذتين واللَّه أعلم .

كلها . فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال[١]، قال : وروي أنه لبث فيه ستة أشهر[٢]، واشتد عليه ثلاثة أيام فنزلت المعوذتان[٣].

قالوا : والسحر الذي أصابه كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه اللَّه منه . ولا نقص في ذلك ، ولا عيب بوجه ما . فإن المرض يجوز على الأنبياء. وكذلك الإغماء . فقد أغمي عليه ﷺ في مرضه[٤]،

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٥) : وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا فيه إحدى عشرة عقدة ، وأنزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .
وأخرج ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن عليًا وعمارًا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة .. فذكر نحوه .

(٢) أخرج أحمد بإسناد صحيح (٦/٦٣) عن عائشة رضي اللَّه عنهما قالت : لبث رسول اللَّه ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان ... الحديث .
قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٦) .. ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي «فأقام أربعين ليلة» وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد «ستة أشهر» . ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يومًا من استحكامه .
تعليق على حديث السحر : قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٦) : قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .
قال المازري : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما بلغه عن اللَّه تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ... إلى آخر ما ذكره فليراجعه من شاء .

(٣) سبق أن نبهنا على أن سحر النبي ﷺ لم يكن سببًا لنزول المعوذتين .

(٤) أخرج البخاري في قصة وفاة النبي ﷺ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها (فتح ٨/١٣٦) =

ووقع حين انكفَّت قدمه وجُحِش شقَّه[١]، وهذا من البلاء الذي يزيده اللَّه به رفعة في درجاته ، ونيل كرامته . وأشد الناس بلاء الأنبياء[٢]. فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به : من القتل ، والضرب ، والشتم ، والحبس . فليس ببدْع أن يُبتلَى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر ، كما ابتلي بالذي رماه فشجَّه[٣]. وابتلي بالذي ألقى على ظهره السَّلا وهو ساجد[٤]، وغير ذلك . فلا نقص عليهم . ولا عار في ذلك ، بل هذا من كمالهم ، وعلو درجاتهم عند اللَّه .

قالوا: وقد ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري: أن جبريل

= ومسلم (١٨٩٤) وفيه : فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة رضي اللَّه عنها غشي عليه . . الحديث .

(١) أخرج البخاري (فتح ١/ ١٧٣) ومسلم (ص ٣٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ ركب فرسًا فصرع عنه فجحش شقه الأيمن . . . الحديث» .

(٢) إسناده حسن وأخرجه الترمذي رقم (٢٣٩٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح قلت : وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة انظر : «الفتح» (١٠/ ١١١) .

(٣) أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه « **اشتد غضب اللَّه على قوم دمَّوا وجه نبي اللَّه ﷺ**» «فتح» (٧/ ٣٧٢) .

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا (ص ١٤١٧) .

وأخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول : «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى اللَّه عز وجل**» فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ مسلم (ص ١٤١٧) .

(٤) أخرج البخاري (فتح ١٠/ ٣٤٩) ومسلم (١٤١٨) الحديث وفيه : أن المشركين قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه .

أتى النبي ﷺ فقال : « **يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . فقال : باسم اللَّه أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، اللَّه يشفيك، بسم اللَّه أرقيك**»[1] فعوَّذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد، لما اشتكى . فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ ، وإلا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره .

وقالوا : وأما الآيات التي استدللتم بها فلا حجة لكم فيها .

أما قوله تعالى عن الكفار : إنهم قالوا : ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ [الفرقان: ٨] وقول قوم صالح وشعيب لهما : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٥٣] فقيل : المراد به من له سَحْر ، وهي الرِّئة ، أي إنه بشر مثلهم ، يأكل ويشرب ، ليس بملك ، وليس المراد به السحر .

وهذا جواب غير مرضٍ . وهو في غاية البعد . فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات. وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر ، فقالوا : ﴿**مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾ [يس: ١٥] و ﴿**أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا**﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿**أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً**﴾ [الإسراء: ٩٤] . وأما المسحور فلم يريدوا به ذا السَّحْر ، وهي الرئة . وأيُّ مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع ؟

ثم كيف يقول فرعون لموسى : ﴿**إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً**﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٧٠) وله شاهد من حديث عائشة (١٤/ ١٦٨) .

[الإسراء: ١٠١] أفتراه ما علم أن له سَحْرا ، وأنه بشر ؟

ثم كيف يجيبه موسى بقوله : ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢] ولو أراد بالمسحور : أنه بشر لصدَّقه موسى ، وقال : نعم ، أنا بشر أرسلني اللَّه إليك ، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] فقالوا : ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] ولم ينكروا ذلك .

فهذا الجواب في غاية الضعف .

وأجابت طائفة ، منهم ابن جرير وغيره : بأن المسحور هنا هو معلَّم السحر الذي قد علمه إياه غيره . فالمسحور عنده : بمعنى ساحر، أي عالم بالسحر .

وهذا جيدٌ إن ساعدت عليه اللغة . وهو أن من عُلِّم السحر يقال له مسحور . ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال ، ولا في اللغة . وإنما المسحور من سَحَره غيره ، كالمطبوب والمضروب والمقتول وبابه . وأما من عُلِّم السحر فإنه يقال له : ساحر ، بمعنى أنه عالم بالسحر ، وإن لم يسحر غيره . كما قال قوم فرعون لموسى : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ففرعون قذفه بكونه مسحوراً ، وقومه قذفوه بكونه ساحراً .

فالصواب : هو الجواب الثالث. وهو جواب صاحب «الكشاف» وغيره : أن «المسحور» على بابه . وهو من سُحر حتى جُنَّ . مسحور، مثل مجنون أي زائل العقل ، لا يعقل ما يقول . فإن

المسحور الذي لا يُتَّبع : هو الذي فسد عقله ، بحيث لا يدري ما يقول. فهو كالمجنون . ولهذا قالوا فيه : ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤] فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس ، فإنه لا يمنع ذلك من اتِّباعه . وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان ، وإنما قذفوهم بما يُحذِّرون به سفهاءهم من اتباعهم. وهو أنهم قد سُحروا ، حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون ، بمنزلة المجانين . ولهذا قال تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٩] مثَّلوك بالشاعر مرة ، والساحر أخرى ، والمجنون مرة ، والمسحور أخرى . فضلوا في جميع ذلك ضلال مَنْ يطلب في تِيهه وتحيُّره طريقًا يسلكه ، فلا يقدر عليه . فإنه أيَّ طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة . فهو متحير في أمره ، لا يهتدي سبيلاً ، ولا يقدر على سلوكها . فهكذا حال أعداء رسول اللَّه ﷺ معه ، حتى ضربوا له أمثالاً ، بَرَّأه اللَّه منها . وهو أبعد اللَّه عنها[1]. وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان .

وأما قولكم : إن سحر الأنبياء ينافي حماية اللَّه لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم ، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته ، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس ، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا ، وتأسّوا بهم ، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أُعدَّ

---

(١) الذي يظهر «وهو أبعد واللَّه عنها» .

لهم من النكمال[1] العاجل ، والعقوبة الآجلة ، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانهم ، فيعجل تطهير الأرض منهم . فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم . وله الحكمة البالغة ، والنعمة السابغة لا إله غيره ، ولا رب سواه .

وقد دل قوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر ، وأن له حقيقة .

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم .

فصل

وقالوا : إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ، ولا قتل ، ولا حَلٍّ ، ولا عقد .

قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث . وما يعرفه عامة العقلاء .

والسحر الذي يُوثر مرضًا وثقلاً وعَقْدًا وحُبًّا وبغضًا ونزيفًا وغير ذلك من الآثار موجود ، تعرفه عامة الناس . وكثير منهم قد علمه ذوقًا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرًا ، كما يقوله هؤلاء . لم يكن

---

(١) صوابه النكال .

للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه .

وأيضًا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به ، مع أن هذا تغيير في إحساسهم ، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم ؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن ؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركًا ، والمتصل منفصلاً ، والميت حيًّا . فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضًا، والبغيض محبوبًا، وغير ذلك من التأثيرات . وقد قال تعالى عن سَحَرَة فرعون إنهم : ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] فبين سبحانه أن أعينهم سحرت . وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي ، وهو الحبال والعِصِيّ ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها ، وهي الشياطين . فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جَرَّ من لا تراه حصيرًا أو بساطًا فترى الحصير والبساط ينجر ، ولا ترى الجار له ، مع أنه هو الذي يجره ، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين ، فقلبتها كتقليب الحية . فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها ، والشياطين هم الذين يقلبونها . وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها . ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا ، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه ، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها .

وأما ما يقوله المنكرون : من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها ، مثل الزئبق وغيره ، حتى سَعَتْ فهذا باطل من وجوه كثيرة . فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً ، بل حركة حقيقية . ولم يكن ذلك سحرًا لأعين الناس ، ولا يسمى ذلك سحرًا، بل صناعة من الصناعات المشتركة . وقد قال تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ولو كانت تحركت بنوع حيلة ـ كما يقوله المنكرون ـ لم يكن هذا من السحر في شيء . ومثل هذا لا يخفى .

وأيضًا لو كان ذلك بحيلة ـ كما قال هؤلاء ـ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزيبق . وبيان ذلك المحال ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها .

وأيضًا : فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة ، بل يكفي فيها حذاق الصُّنَّاع . ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة ، وخضوعه لهم ، ووعدهم بالتقريب والجزاء .

وأيضًا : فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها .

وبالجملة : فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف رده ، فلنرجع إلى المقصود .

* * *

س ـ ما معنى الحسد ؟

ج ـ الحسد هو تمنى زوال النعمة عن صاحبها [١].

* * *

س ـ هل هناك من الحسد ما هو مباح ؟

ج : نعم هناك من الحسد ما هو مباح ، وهو الذي يسميه العلماء الغبطة وهو أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي أنعم اللَّه بها على غيرك من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت في أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت في أمور الطاعات فهي مستحبة ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٍ علَّمه اللَّه القرآن فهوَ يتْلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار فسمعه جارٌ لـه فقال : ليتني أُتيت مثلما أُوتِيَ فلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مـا يعمل ، ورجلٍ آتاه اللَّه مالاً فهو يُهلكه في الحق ، فقال رجلٌ ليتني أُوتيت مثل ما أوتي فلانٌ، فعمِلْتُ مثل ما يَعْمل**» .

ومـا أخرجه البخاري ومسلم [٣] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**لا حَسَدَ إلا على اثْنَتين : رجلٌ آتاه اللَّه الكتابَ وقامَ به آناءَ الليل ، ورجلٌ أَعْطَاه اللَّه مالاً فهو**

---

(١) وقد سبق لنا إيراد مزيد من الأقوال في تعريف الحسد وما يتعلق به في كتابنا «التسهيل» تفسير سورة البقرة (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ فما بعدها) فراجعه إن شئت .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٢٦) .

(٣) البخاري حديث (٥٠٢٥) ومسلم (حديث ٨١٥) .

يَتَصَدَّقُ به آناءِ الليلِ وآناءَ النهار» .

وما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : «لا حسد [٢] إلا في اثنتين : رجل آتاه اللَّه مالاً فسُلِّط [٣] على هلكته في الحق [٤] ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها» .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ومسلم (حديث ٨١٦) .

(٢) قوله : «لا حسد» أي : لا حسد محمود إلا في خصلتين ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه ، وقال النووي رحمه اللَّه (٢/ ٤٦٤) : والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ١/ ١٦٧) : وعُبِّر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح .

(٤) أي : إنفاقه في الطاعات قاله النووي رحمه اللَّه .

قلت (مصطفى) : وفي هذا الحديث ما يدل على جواز التصدق بالمال كله وإنفاقه في وجوه الطاعاتُ ، وقد ورد أيضًا ـ مما يؤيد ذلك ـ مجيء أبي بكر بماله كله إلى رسول اللَّه ﷺ وقول النبي ﷺ : «ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟» قال : أبقيت لهم اللَّه ورسوله ، وهو حديث صحيح تقدم تخريجه ، وأيضًا قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] فهذا وغيره يشعر بجواز التصدق بالمال كله ، لكن كيف يلتئم هذا مع قول رسول اللَّه ﷺ لسعد ـ لما ساله يا رسول اللَّه أوصي بمالي كله ؟ قال : «لا» قلت : فالشطر ؟ قال : «لا» قلت : الثلث ؟ قال : «فالثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم» .

فوجه الجمع بين هذا وذاك ـ واللَّه أعلم ـ أن الإنفاق إنما يختلف باختلاف أحوال الناس ، فإذا كان المسلمون حيث يحتاج إلى إنفاق كل المال أُنفق كله ، وإن كان الورثة سيتكففون الناس فحينئذ يتنزل حديث سعد رضي اللَّه عنه . =

. . . . . .

= وإما أن يقال إن إبقاء الثلثين للورثة وإنفاق الثلث كل هذا تسليط على الإنفاق في الحق فللورثة حق أيضًا والله تعالى أعلم .

(١) **قيل في الحكمة جملة أقوال منها :**

١) القرآن وذلك لما ورد في روايات الأحاديث الأخرى . . **«ورجل آتاه الله الكتاب»** .

٢) السّنة .

٣) القرآن والسنة معًا والفقه في الدين ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه .

٤) السداد في القول والفعل .

٥) مواعظ القرآن لقوله تعالى : ﴿ ... **وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣١] .

٦) الفهم والعلم لقول الله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ [مريم: ١٢] . ولقول النبي ﷺ لابن عباس : **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** وفي رواية : **«اللهم علمه الحكمة»** .

٧) النبوة لقول الله تعالى : ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [النساء: ٥٤] .

٨) وقيل : كل ما يمنع من القبيح ، ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم .:. إني أخاف عليكمو أن أغضبا

٩) وقيل : الحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١/ ١٦٧) :**

وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازًا ، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه ﴿ **فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٦] وإن كان في المعصية فهو مذموم ، ومنه **«ولا تنافسوا»** وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم ـ أو أفضل ـ من الغبطة في هذين الأمرين . ووجه الحصر : أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما ، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها ، ولفظ حديث ابن عمر **«رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»** والمراد بالقيام به العمل به مطلقًا أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ، ومن تعليمه ، والحكم والفتوى بمقتضاه فلا تخالف بين لفظي الحديثين ، ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي : =

وسائل دفع الحسد :

س ـ ما هي وسائل دفع الحسد عن المحسود ؟

ج : من وسائل دفع الحسد عن المحسود ما يلي :

أولاً : التوكل على اللَّه وقول : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ .

فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن اللَّه حسبه أي كافيه ، ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا

= «رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه» . ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته على أن الاستثناء منقطع ، والتقدير نفي الحسد مطلقًا لكن هاتان الخصلتان محمودتان ولا حسد فيهما فلا حسد أصلاً .

● وقال النووي رحمه اللَّه : المراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

● وفي «اللسان» (ص ٨٦٨): وسئل أحمد بن يحيى عن معنى هذا الحديث فقال : معناه: لا حسد لا يضر إلا في اثنتين .

● قال القرطبي رحمه اللَّه (٤/ ٧٠) : وهذا الحسد (يعني الوارد في حديث : لا حسد إلا في اثنتين . . .) معناه الغبطة وكذلك ترجم عليه البخاري باب «الاغتباط في العلم والحكمة» وحقيقتها أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ومنه قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] .

يضره إلا أذىٰ لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا .

وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفىٰ به منه ، قال بعض السلف : جعل اللَّه لكل عمل جزاءً من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد علىٰ اللَّه حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره .

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل تكفي من كل شيء سواء من أذىٰ ظاهر أو من عدوٍّ خفي أو من شر حاسدٍ أو إضلال شيطان أو غير ذلك .

ثانيًا :تقوىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ :

● قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

---

(١) تقدم تخريجه .

فالصبر وتقوى اللَّه سبحانه وتعالى يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما : «**احفظ اللَّه يحفظك احفظ اللَّه تجده تجاهك ..**»[١] .

وكما قال ابن القيم رحمه اللَّه : فمن حفظ اللَّه حفظه اللَّه ووجده أمامه أينما توجه ومن كان اللَّه حافظه وأمامه فمن يخاف ومن يحذر ؟!!

● فإذا نزلت بالمؤمن مصيبة وحل به بلاء من اللَّه سبحانه وتعالى وصبر واتقى ابتغاء وجه اللَّه زالت شماتة الحاسد وازداد الحاسد حسرات وتمزقت نفسه وذهبت سدًى لما يراه من تجلد المؤمن وصبره.

ثالثًا : التعوذ باللَّه من شرِّ هذا الحاسد وكل حاسدٍ :

وذلك بقراءة المعوذات ففي سنن الترمذي والنسائي من حديث معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب عن أبيه قال : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللَّه ﷺ يُصلي لنا قال فأدركته فقال : «**قل**» . فلم أقل شيئًا ثم قال : «**قل**» فلم أقل شيئًا قال : «**قل**» فقلت : ما أقول قال: «**قل هو اللَّه أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**»[٢] .

فما أعظم من التحصن بكتاب اللَّه وسنة مصطفاه ، واللجوء إلى اللَّه رب العالمين لدفع شر هذا الحاسد اللعين .

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) صحيح ، وقد تقدم .

قال ابن القيم رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الفلق ـ :

فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد فإنها تتضمن التوكل على اللَّه والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة ، فهو مستعيذ بولي النعم ومموليها كأنه يقول يا من أولاني نعمته وأسداها إليَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني ، وهو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير ، وهو نعم المولى ونعم النصير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكلِّيته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر ، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فلا تستبطئ نصره وزرقه وعافيته فإن اللَّه بالغ أمره ، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر ومن لم يخفه أخافه من كل شيء ، وما خاف أحد غير اللَّه إلا لنقص خوفه من اللَّه ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠] وقال : ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي : يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم .

رابعًا : عدم إخبار الحاسد بنعمة اللَّه عليك :

ولذلك قال يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يوسف: ٥] .

ومن هذا الباب وصية رسول اللَّه ﷺ لمن رأىٰ رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا علىٰ من يحب ؛ ففي «الصحيحين» من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**الرؤيا الحسنة من اللَّه فإذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ..**»[1] .

قلت : وذلك لأنه إذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضًا وإما حسدًا فقد تقع عن تلك الصفة ، فتُرك تحديث الحاسدين سدًّا لباب الشر الوارد منهم .

خامسًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود **فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد** والفكر فيه ، قاله ابن القيم ، وقال رحمه اللَّه : وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية وأقوىٰ الأسباب المعينة علىٰ اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه ، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر وهكذا الأرواح سواء فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٤٣٠) ومسلم (ص ١٧٧٢) .

علق روحه وشَبَّثَها به ، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومنامًا لا يفتر عنه ، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما فإذا جبذ روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به وأن لا يخطره بباله فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضًا فإن الحسد كالنار فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضًا .

وهذا باب عظيم النفع لا يُلَقَّاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية ، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وَطيبه نعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به ، ولا يرى شيئًا آلم لروحه من ذلك ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التي رضيت بوكالة اللَّه لها وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها فوثقت باللَّه وسكنت إليه واطمأنت به ، وعلمت أن ضمانه حق ووعده صدق وأنه لا أوفى بعهده من اللَّه ، ولا أصدق منه قليلاً ، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا إلا بالسبب الآتي ألا وهو :

سادسًا : **الإِقبال على اللَّه والإِخلاص له** ، وجعل محبته ورضاه والإِنابة إليه في محل خواطر نفسه ، وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره

وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يستطيع قلبه انصرافًا عن ذكره ولا روحه انصرافًا عن محبته ، فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه مغمورًا بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه ؟! هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة اللَّه وإجلاله وطلب مرضاته ، بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه : إياك وحمى الملك اذهب إلى بيوت الحانات التي كل من جاء حل فيها ونزل بها ، ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليَزَك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور ، قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وقال : ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] ، وقال في حق الصديق يوسف ﷺ : ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٤] .

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل اليزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ، ولا ضيعة على من آوى إليه ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ**

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] .

سابعًا : الصبر على الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه (في بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود) :

الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً ، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على اللَّه ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر ، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه ، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] فإذا كان اللَّه قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه، بل بُغي عليه وهو صابر؟ وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم ، وقد سبقت سنة اللَّه : أنه لو بغى جبل على جبلٍ لجعل الباغي منهما دكًّا .

ثامنًا : الإِحسان إلى الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه : وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من اللَّه ، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي ، والمؤذي بالإِحسان إليه فكلما ازداد أذىً وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقةً، وما أظنك تُصدق بأن

هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه ، فاسمع الآن قوله عز وجل : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦] وقال : ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] ، وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «اللهم اغفر[1] لقومي فإنهم لا يعلمون» ، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه .

أحدها : عفوه عنهم ، والثاني: استغفاره لهم ، والثالث: اعتذاره

---

(١) ليس المراد مغفرة الشرك فإن اللّه عز وجل قال : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وإنما المراد ـ واللّه أعلم ـ مغفرة ما فعلوه به من جرح . أو يكون هذا قبل نزول الآية .

وانظر تحقيقنا لرسالة «تفسير المعوذتين» .

والذي في البخاري (مع «الفتح» ٦/ ٥١٤) ، ومسلم (ص ١٤١٧) وأحمد (١/ ٣٨٠) من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

ليس فيها أن النبي ﷺ قال : «اللهم اغفر لقومي» .

ورواية «اللهم اغفر لقومي» عزاها الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٣١) إلى ابن حبان في «صحيحه» من رواية سهيل بن سعد ، قال ابن حبان : معنى هذا الدعاء الذي قاله يوم أحد لما شُجَّ وجهه أي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقًا ، إذ لو كان كذلك لأجيب ، ولو أجيب لأسلموا ، كذا قال ، وكأنه بناه على أنه لا يجوز أن يتخلف بعض دعائه على بعض أو عن بعض ، وفيه نظر لثبوت : «أعطاني اثنتين ومنعني واحدة» .

عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال : «اغفر لقومي» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به : هذا ولدي ؛ هذا غلامي ؛ هذا صاحبي فهبه لي ، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به .

اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين اللَّه تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإِحسان فوق ما تؤمله ، فإذا كنت ترجو هذا من ربك وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ؟ ليعاملك تلك المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل اللَّه معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقًا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان وكما تفعل من عباده يفعل معك .

فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإِحسان إلى من أساء إليه وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر اللَّه ومعيته[1] الخاصة

---

(١) المعية معيتان عامة وخاصة ؛ فالمعية العامة : كما في قوله تعالى : ﴿ ... مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].
أما المعية الخاصة : كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] ، وكقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] .

كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال : «**لا يزال معك من اللَّه ظهير ما دمت على ذلك**»[1] .

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجه قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر اللَّه عليه عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدام عسكرًا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعًا ولا خبزًا .

هذا مع أنه لابد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين ؛ إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه ، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة ، واللَّه هو الموفق والمعين بيده الخير كله لا إله غيره وهو المسئول أن يستعملنا في ذلك بمنه وكرمه .

قلت : ومن هذا الباب لو أن هناك رجلاً وسع اللَّه عليه وأعطاه أصناف المال والأولاد ذكورًا وإناثًا ، وله جار ضُيق عليه وأولاده محاويج فإذا رأى هذا الجار المحتاج جاره الموسع عليه كل يوم يدخل بصنوف الفاكهة وأنواع الطعام والشراب وأفخر اللباس على أولاده وزوجته ولا يُعطي هذا الفقير المحتاج شيئًا سيتجه بصره تلقائيًّا إلى

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويُسيئون إليَّ وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال : «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ ولا يزال معك من اللَّه ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» .

حسده ، وخاصة إذا رأى أولاده ينظرون إلى أولاد ذلك الغني وإلى ما في أيديهم ، أما إذا وقى اللَّه هذا الغني شحَّ نفسه وتصدق على جاره وأكرمه فلا شك أن هذا الجارَ الفقير ـ في الغالب ـ سيشكر له صنيعه ويدعو اللَّه له بزيادة ما فيه من خير ، فحينئذ يندفع شر الحاسد بإكرامه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه في بيان أسباب دفع الحسد :

● الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له العاقبة الحميدة ؛ فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من اللَّه جنةٌ واقية وحصن حصين، وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها ، ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره لا أطفأها اللَّه ، فما حرس العبد نعمة اللَّه عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي اللَّه، وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه ، وإن تأخرت مدة الظفر ، واللَّه المستعان .

تاسعًا : تجديد التوبة إلى اللَّه من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه :

قال ابن القيم رحمه اللَّه، وقال: فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠] وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥] فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**»[1].

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف ما يعلمه فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب .

ولقي بعضَ السلف رجل فأغلظ له ونال منه فقال له : قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك فدخل فسجد للَّه وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج إليه فقال له : ما صنعت ؟ فقال : تبت إلى اللَّه من الذنب الذي سلطك به عليَّ ، وسنذكر ـ إن شاء اللَّه ـ أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه واللَّه يتولى

---

(١) الراجح لدينا ضعفه .

نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد ، فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلةٍ نزلت به وما أحسن أثرها عليه ، ولكن التوفيق والرشد بيد اللَّه لا مانعَ لما أعطى ولا معطي لما منع فما كل أحدٍ يوفق لمعرفة هذا ولا إرادة له ولا قدرة عليه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

عاشرًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود **اغتسال الحاسد** (أعني : غسل بعض أعضائه على ما سيرد) **وصب مائه على المحسود** .

● ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا**»[1] .

● وفي «سنن أبي داود» بإسناد صحيح عن عائشة قالت : كان يؤمر بالعائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين .

● وأيضًا قد تقدمت قصة عامر بن ربيعة من سهل بن حنيف وفيها: أن عامرًا غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة[2] إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه . فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

● **قال النووي في «شرح مسلم»**: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) قال عياض : المراد بداخلة الإزار ما يلي الجسد منِ الإزار ، وقيل : أراد موضع الإزار من الجسد ، وقيل : أراد وركه لأنه معقد الإزار . ، وقال المازري : المراد بداخلة الإزار الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، نقله الحافظ في «الفتح» .

بها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك في القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإِزار كناية عن الفرج ، وجمهور العلماء على ما قدمناه ، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه ، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه .

الحادي عشر : الرقية :

ومن أسباب دفع الحسد الرقية :

● ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟ فقال : «نعم» قال : باسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسدٍ[2] اللَّه يشفيك باسم اللَّه أرقيك . .

● وفيه من[3] حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : كان إذا

---

(١) مسلم (١٤/ ١٧٠) .

(٢) في رواية للترمذي: وعين حاسدةٍ بسم اللَّه أرقيك واللَّه يشفيك ، قال النووي في «شرح مسلم» : وقوله : (من شر كل نفس) قيل يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمي ، وقيل يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين ، وقال : رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه كما قال في الرواية الأخرى (من شر كل ذي عين) ويكون قوله : (أو عين حاسد) من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شكًا من الراوي في لفظه ، واللَّه أعلم .

(٣) مسلم (١٤/١٦٨) .

اشتكى رسول اللَّه ﷺ رقاه جبريل قال : باسم يبريك ومن كل داءٍ يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين .

● وتقدم حديث عائشة رضي اللَّه عنها وفيه : أن رسول اللَّه ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[١] .

● وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : **«إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة[٣] ومن كل عين لامة[٤] »** .

ثاني عشر : تجريد التوحيد :

ومن أسباب دفع الحسد تجرير التوحيد .

وقد ختم به ابن القيم رحمه اللَّه بحثه في أسباب دفع الحسد عن المحسود ، وقال : وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذي يحسن عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه ، قال تعالى : ﴿وإن

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/١٩٩) ومسلم (١٤/١٨٣) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٨٨) .

(٣) الهامة : واحدة الهوام من ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة تهم بسوء . قاله الحافظ .

(٤) نقل الحافظ عن الخطابي قوله : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال النبي ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما : «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه اللَّه لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه اللَّه عليك»[١] فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه ، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه من اللَّه بل يفرد اللَّه بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد للَّه محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل واللَّه يتولى حفظه والدفع عنه فإن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمنًا باللَّه يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع اللَّه عنه فإن كمل إيمانه كان دفع اللَّه عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فاللَّه له مرة ومرة ، كما قال بعض السلف: من أقبل على اللَّه بكليته أقبل اللَّه عليه جملة ، ومن أعرض عن اللَّه بكلِّيته أعرض اللَّه عنه جملة[٢]، ومن كان مرة ومرة فاللَّه له مرة ومرة ، فالتوحيد حصن اللَّه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين ، قال بعض السلف : من خاف اللَّه خافه كل شيء ، ومن لم يخف اللَّه أخافه من كل شيء .

● هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له

---

(١) تقدم .

(٢) هذا الأخير يحتاج إلى دليل ، وإن كان حديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد . . . وفيه قول رسول اللَّه ﷺ : «أما الآخر فأعرض فأعرض اللَّه عنه» ما يشهد لهذا المعنى .

أنفع من التوجه إلى اللَّه وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به ، وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه ، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخذل من جهته فمن خاف شيئًا غير اللَّه سلط عليه ومن رجا شيئًا سوى اللَّه خذل من جهته وحُرِم خيره، هذه سنة اللَّه في خلقه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين الحاسد والساحر ؟

ج : يتفق الساحر والحاسد في أشياء ويفترقان في أشياء أخرى .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

● والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما .

● ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم اللَّه عنهم ، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى له يسجد له حسدًا ، فالحاسد من جند إبليس .

● وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه وربما يعبده من دون اللَّه حتى يقضي له حاجته وربما يسجد له .

● **وقال ابن القيم في موطن آخر** : وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو فيكون

ذبحًا لغير اللَّه وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق ، والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سماه بما سماه فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه ، فمن سجد لمخلوق وقال ليس هذا بسجودٍ له ، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة كما أقبلها بالنعم أو هذا إكرام لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير اللَّه فليسمه بما شاء ، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يُسم ذلك عبادة بل يسميه استخدامًا ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به .

والمقصود : أن هذا عبادة منه للشيطان وإنما سماه استخدامًا قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] .

فهؤلاء وأشباههم عباد الجن والشياطين ، وهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة ولبئس المولى ولبئس العشير فهذا أحد النوعين .

● والنوع الثاني : من يعينه الشيطان ، وإن لم يستعن هو به وهو الحاسد لأنه نائبه وخليفته لأن كليهما عدو نعم اللَّه ومنغصها على عباده .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين العائن والحاسد ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه :**

والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء .

فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته .

والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضًا .

ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال ، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين .

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللَّه ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته ، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه: خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها فما تبرح حتى تقع فتنحر ، وأورد رحمه اللَّه جملة أقوال ثم قال : والمقصود أن العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد ، ولهذا واللَّه أعلم إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولابد ، وليس كل حاسد عائنًا ، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن ، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته .

• **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه** : والعين تكون مع الإِعجاب ولو بغير حسدٍ ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح ، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ، ويكون ذلك رقية منه .

قال ابن القيم رحمه اللَّه ، في المستعاذ منه في سورة الفلق :

الشر الرابع : شر الحاسد إذا حسد ، وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود ، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه فإن اللَّه تعالى قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] فحقق الشر منه عند صدور الحسد ، والقرآن ليس فيه لفظة مهملة .

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسدًا إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك ، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك فإن لم يستعذ باللَّه ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى اللَّه والإِقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على اللَّه وإلا ناله شر الحاسد ولابد فقوله تعالى : ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل .

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ

وفيها : « **بسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد اللَّه يشفيك**» فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد .

ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئًا ، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسمَّت واحتدت فصارت نفسًا غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة فأثرت في المحسود تأثيرًا بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد فربما أعطبه وأهلكه بمنزلة من فوَّق سهمًا نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلاً وربما صرعه وأمرضه ، والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر .

وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضَّت واحتدت فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث فتحدث فيها تلك الكيفية السمَّ فتؤثر في اللديغ ، وربما قويت تلك الكيفية ، واشتدت في نوع منها حتى تؤثر بمجرد نظرة فتطمس البصر وتسقط الحبل كما ذكره النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين منها فقال : «**اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل**» فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية وانسمت وتوجهت إلى المحسود بكيفيتها ؟ فاللَّه كم من قتيل ؟ وكم من سليب ؟ وكم من معافى عاد مضني على فراشه ، يقول طبيبه : لا أعلم داءه ما هو ؟ فصدق ليس هذا الداء من علم الطبائع ، هذا من علم الأرواح وصفاتها ، وكيفياتها ومعرفة

تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها .

وهذا علم لا يعرفه إلاخواص الناس ، والمحجوبون منكرون له ، ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه إلا من له نصيب من ذوقه ، وهل الأجسام إلا كالخشب الملقى ؟ وهل الانفعال والتأثر وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة والآثار الغريبة إلا من الأرواح ، والأجسام آلتها بمنزلة الصانع ؟ فالصنعة في الحقيقة له ، والآلات وسائط في وصول أثره إلى الصنع ، ومن له أدنى مظنة وتأمل لأحوال العالم وقد لطفت روحه وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام وانفعالها عنها ، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم خالق الأسباب والمسببات رأى عجائب في الكون وآيات دالة على وحدانية اللَّه وعظمة ربوبيته ، وأن ثمَّ عالمًا أخر تجري عليه أحكام أخر تشهد آثارها وأسبابها غيب عن الأبصار .

فتبارك اللَّه رب العالمين وأحسن الخالقين الذي أتقن ما صنع وأحسن كل شيء خلقه ولا نسبة لعالم الأجسام إلى عالم الأرواح بل هو أعظم وأوسع وعجائبه أبهر وآياته أعجب . وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل ، وتلك الصنائع الغريبة ، وتلك الأفعال العجيبة ، وتلك الأفكار والتدبيرات ؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقي الهيكل سواء هو والتراب ؟ وهل يخاطبك من الإِنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ويخفَّ عليك أو يثقل

ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذي هو وراء الهكيل المشاهَد بالبصر ؟

● فربَّ رجل عظيم الهيولي كبير الجثة خفيفٌ على قلبك حلو عندك ، وآخر لطيف الخلقة صغير الجثة أثقل على قلبك من جبل ، وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها ، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها .

وبالجملة فالعُلَق والوُصَل التي بين الأشخاص والمنافرات والبُعد إنما هي للأرواح أصلاً والأشباح تبعًا .

* * *

س ـ رجل حاسد للناس يريد أن يتخلص من الحسد الذي في قلبه ما هو الدواء المزيل لذلك ؟

ج : أما الدواء المزيل للحسد على الحاسد نفسه فيتلخص في العلم والإيمان ، فللحسد أضرار على الحاسد نفسه في الدنيا والآخرة إذا علمها ، وكان مؤمنًا باللَّه ولقائه ، مصدقًا بوعده ووعيده لانكف عن حسده ، وها نحن نبين بعض أضرار الحسد على الحاسد نفسه لعله يعرفها فينكف عن حسده ويدعو لإِخوانه بالبركة وازدياد النعم .

أضرار الحسد على الحاسد في الآخرة :

الحاسد معترض على أقدار اللَّه :

● إذا علم الحاسد أنه بحسده لأخيه المسلم إنما يعترض على

أقدار اللَّه ويكره حكم اللَّه وينازع ربه في قسمته التي قسمها لعباده فهو سبحانه الذي جعل هذا غنيًّا وجعل هذا ذكيًّا وجعل هذا عالمًا وأعطى هذا المال ورزق هذا العيال ، ووهب هذا الجاه ومكَّن هذا من السلطان، ورفع منصب هذا ، وكتب القبول لذاك و . . . فهو سبحانه الذي قدَّر المقادير وخلق كل شيء بقدر كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ، وكما قال نبيه ﷺ : «كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» [(١)] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[(٢)] ومن هذا قول اللَّه عز وجل للمشركين الذين قالوا : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] قال اللَّه سبحانه : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] .

فإذا علم الحاسد أنه بحسده معترض على أقدار اللَّه ، دفعه إيمانه - إن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر والقدر خيره وشره - إلى ترك الحسد والاستعاذة باللَّه منه .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما . (مسلم ٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ، ومعنى الكيس : هو النشاط والحذق بالأمور وهو ضد العجز . (الحديث عند مسلم ٦٥٥) .

الحاسد متشبه بالمشركين :

● وإذا علم الحاسد أنه متشبه بالمشركين وبالمنافقين في تمنيهم الشر للمسلمين وزوال النعم عنهم كما قال تعالى : ﴿**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا**﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وكما قال سبحانه : ﴿**وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ**﴾ [آل عمران: ١١٨] ، وإذا علم المسلم أنه منهي عن التشبه بالمشركين في معتقداتهم وسمتهم ودينهم لترك حسد إخوانه المؤمنين منعًا لنفسه من أن يتورط مع من تشبه بهم في أخراه حيث سوء المصير .

الحاسد جندي من جند إبليس :

● وإذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يكون جنديًّا من جند إبليس يسخره إبليس لإمضاء ما يريد في عباد اللَّه الصالحين لانكف عن حسده ، فمن ذا الذي يريد أن يكون جنديًّا لإبليس اللعين ، وعدوًّا للَّه رب العالمين معترضًا على قدره وشرعًا مسخطًا له مرضيًا لأوليائه الشياطين ؟ !!!

الحاسد مفارقٌ للمؤمنين :

● إذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يفارقهم في حبهم الخير بعضهم لبعض كما قال تعالى : ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩] وأنه بمفارقتهم في الدنيا يوشك أن يفارقهم في الآخرة فمن أحب قومًا حشر معهم ، إذا علم ذلك لانزجر عن حسده .

الحاسد معذبٌ في الآخرة :

● إذا علم الحاسد ما سيحل به من عذاب اللَّه سبحانه في الآخرة ومن عقاب عظيم من جراء ما تقدم لانزجر وانكف عن حسده للناس واستغفر ربه من كل ما اقترفه على نفسه وجرَّه على المسلمين .

حسنات الحاسد تذهب للمحسود :

● وإذا علمت أيها الحاسد أن المحسود ينتفع بحسدك له في الآخرة فهو مظلوم منك فيأخذ من ديوان حسناتك ويُضم إلى ديوان حسناته ويطرح من ديوان سيئاته ويُحط على ديوان سيئاتك ، ولا سيما إذا أخرجت الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره فهي هدايا تهديها إليه وأنت لا تشعر والموفق من وفقه اللَّه .

أما الأضرار على الحاسد في الدنيا فمنها - كما لخصه أهل العلم - :

الحاسد دائمًا في الهم والحزن :

● أن الحاسد بسبب الحسد لا يزال في الهم والحزن والنكد والكمد والناس ينعم اللَّه عليهم بأنواع من النعم دائمًا فلا يزال الحاسد يعذب بكل نعمة يراها على الناس ويتألم بكل بلية تنصرف عنهم فيبقى أبدًا مغمومًا مهمومًا ، فاللَّه ينعم على العباد وقلبه يتمزق غيظًا ، واللَّه يصرف البلايا عن العباد وعقله يتشتت كمدًا ونفسه تذهب حسرات على ما فات الناس من البلايا، فهو بهذا قد حصل له ما أراد حصوله لأعدائه

المحسودين فلم يتأثروا بشيء مما أراده لهم بفضل اللَّه وارتد كيده على نفسه وجاء تدميره في تدبيره .

● ثم إن هذا الغم والهم إذا استولى عليه أمرض بدنه وأزال الصحة عنه وأنزله في الوساوس وأوقعه في شراكها ونغص عليه لذة الطعام والشراب .

الحاسد قد يتمنى لنفسه البلاء :

● ثم إن الحاسد ـ وهو لا يدري ـ قد يتمنى لنفسه البلاء بحسده للناس فقد تكون النعمة التي يعيش الناس في كنفها ابتلاء من اللَّه سبحانه وتعالى لهم ، وقد عافاه اللَّه من ذلك الابتلاء فيتمناه لنفسه ، وأيضًا إذا رزق هو هذه النعم وزفت إليه وجوه الإحسان لم ينفك عن حاسدٍ يحسده فلو أذهب اللَّه النعمة عنك لحسده لك فقد زالت عنك نعم في الدين والدنيا، نعم الدين زالت عنك لحسدك الناس ونعم الدنيا زالت عنك لحسد الناس لك ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .

الحاسد تنزل عليه البلايا :

● ثم إن الحاسد تنزل عليه البلايا في الدنيا لهذه الكبيرة قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

الحاسد مكروه عند الخلق :

● ثم إن الحاسد يكون مذمومًا عند الخلق مكروهًا بينهم لما

يعلمون من كراهيته لهم .

مثال للحاسد مع المحسود :

● ومن مضار الحسد كما ذكره الرازي حيث قال : إنك عساك تحسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين اللَّه وتكشف خطأه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك ، وأي مرتبة أخس من هذه ، وقد ظهر من هذه الوجوه أيها الحاسد أنك بمثابة من يرمي حجرًا على عدوٍ ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ويرميه ثانيًا أشد من الأول فيرجع الحجر على عينه الأخرى فيعميه فيزداد غيظه ويعود ثالثًا فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل الأحوال ، والوبال راجع إليه دائمًا وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه ، بل حال الحاسد أقبح من هذا لأن الحجر العائد لم يفوت إلا العين ولو بقيت لفاتت بالموت ، وأما حسده فإنه يسوق إلى غضب اللَّه وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن يبقى له عين ويدخل بها النار فانظر كيف انتقم اللَّه من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فما أزالها عنه ثم أزال نعمة الحاسد تصديقًا لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] فهذه الأدوية العلمية ، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد ، وأما العمل النافع فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلَّف لسانه المدح له ،

وإن حمله على التكبر عليه كلَّف نفسه التواضع له ، وإن حمله على قطع أسباب الخير عنه كلف نفسه السعي في إيصال الخيرات إليه ، فمهما عرف المحسود ذلك طاب قلبه وأحب الحاسد ، وذلك يفضي آخر الأمر إلى زوال الحسد من وجهين :

الأول : أن المحسود إذا أحب الحاسد فعل ما يحبه الحاسد فحينئذ يصير الحاسد محبًّا للمحسود ويزول الحسد حينئذ .

الثاني : أن الحاسد إذ أتى بضد موجبات الحسد على سبيل التكلف يزيل ذلك بالآخرة طبعًا له فيزول الحسد عنه .

* * *

س ـ اذكر بعض أسباب الحسد وأسباب اشتداده ؟

ج : **أما أسباب الحسد** فقد ذكرناها في تفسير سورة البقرة بالتفصيل عند تفسير قوله تعالى : ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ...**﴾ [البقرة: ١٠٩] ، وهي على وجه الاجمال ما يلي :

١ ـ العداوة والبغضاء .

٢ ـ حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح .

٣ ـ الشح بالخير على العباد .

٤ ـ ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه .

٥ ـ خوف المزاحمة وفوت المقاصد .

٦ ـ حب تسخير البشر للنفس .

وفصلنا القول فيها هناك .

أما أسباب اشتداد الحسد فمنها ما يلي :

(١) **المجاورة والمخالطة** سواء في المعاشرة المنزلية أو في الأعمال المهنية أو في الرواتب الوظيفية أو الكوادر التنظيمية أو غير ذلك .

فترى التاجر يحسد التاجر ، ويزداد حسد التاجر للتاجر الذي يتاجر في نفس سلعته ، فرب رجل يبيع الطيب مثلاً يكسب في اليوم خمسمائة ريال مثلاً وبجانبه تاجر السيارات المرسيدس يكسب في اليوم الواحد مثلاً خمسمائة ألف ريال فلا يتجه نظره كثيراً إليه ولا ينصب حسده في الغالب عليه لكنه ينصب على تاجرٍ للطيب يكسب في اليوم الواحد ألف ريال .

وكذلك الطبيب يحسد الطبيب ويزداد حسده للطبيب الذي هو في نفس تخصصه فينظر إلى عدد المرضى المقبلين عليه للعلاج ويعدهم عليه عداً وينظر كم شُفي على يديه وكم باء بالفشل في علاجه وهكذا .

وكذلك الزراع مع بعضهم ينظر إلى أرض صاحبه وكم أدخلت ، وكذلك سائر الصناع ، حتى الإِسكاف (الذي يصلح للناس نعالهم) يحسد الإِسكاف مثله ، ويكون بجواره مثلاً صاحب صيدلية يكسب ألف

ضعف ما يكسبه الإِسكاف ويتحصل عليه لكن لا يتجه بصر الإِسكاف بالدرجة الأولى إلا لمن هو مثله .

وكذلك الزوجة تحسد أم زوجها (حماتها) لأنها ترى أنها تأخذ قسطًا من حنان زوجها لكن إذا تزوج الزوج بثانية سرعان ما يتحول الحسد إلى الضرة الجديدة[1] لأنها تنازع في شيء لا تنازع فيه أم الزوج ألا وهو الجماع وسائر متعلقات الزوجية .

وكذلك الجار يحسد جاره وينظر إلى بنيانه هل ارتفع فوقه أم لا ، وعلى قدر النعمة التي أنعم اللَّه بها على الجار يزداد حسد الآخر له (إلا من رحم ربي) .

وكذلك بعض من أوتي علمًا (إذا كان لا يريد بعلمه الدار الآخرة) يحسد من منَّ اللَّه عليه بعلم ، ومن هذا حسد أهل الكتاب لرسول اللَّه ﷺ فترى العالم يحسد العالم (إلا من رحم اللَّه) وكذلك العابد يحسد العابد (وذلك في أوساط العباد) .

وكذلك سائر أنواع المخالطات ، خطاط يحسد خطاطًا ، نجار يحسد نجارًا ، حداد يحسد حدادًا .

وهكذا كلما اشتدت المجاورة كلما اشتد لهيب الحسد عند كثير

---

(١) قالت أم رومان رضي اللَّه عنها لعائشة ابنتها أم المؤمنين رضي اللَّه عنها ـ كما في حديث الإفك : فواللَّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، وفي رواية الترمذي ـ وسندها صحيح ـ ، إلا حسدنها ، وفي «سنن الترمذي» من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : ما حسدت أحدًا ما حسدت خديجة . . .

ممن لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر .

٢ ـ ومن أسباب اشتداد الحسد **شدة البغي وكثرة التطاول على العباد** فكلما اشتد بغي الباغي وازداد كبره وتطاوله كلما تمنى له المظلوم زوال النعمة وتحولها عنه وكلما رأى الناس في شخص من الأشخاص زيادة في الكبر والترفع عليهم رغبوا في تحول النعمة عنه ونزول البلايا به دفعًا لغطرسته عليهم .

٣ ـ ومن أسباب اشتداده أيضًا **شدة البخل** ، فإذا رأى الناس في الرجل بخلاً وعدم إحسان إليهم رغبوا في زوال النعمة وتحولها عنه ، وإن لم تحصل لهم ، فهب أن جارًا وسع اللَّه عليه وكان بخيلاً على الناس وكل يوم يدخل على أولاده بأصناف الفاكهة ، وأولاد الجيران ينظرون إليه ولا يهمه إلا بطنه وأولاده ؛ فيتأذى جاره لأذى أولاده المحرومين الناظرين إلى جارهم الثري البخيل عليهم ، فمن ثم يتمنى الجار لجاره زوال النعمة وتحولها عنه ، أما إذا دخل الرجل بيته فوجد جاره الثري وقد أرسل إليه بهدية له ولأولاده فمن ثم سيدعو له بالبركة وبالسعة والزيادة والحفظ ، ولكن ما يعقل ذلك إلا العالمون .

* * *

س ـ هل يحسد المؤمن ؟

ج : نعم قد يحسد المؤمن أخاه ، ومن ثم قال نبي اللَّه الكريم يعقوب لولده يوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ**

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ ... لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩] .

وتقدم حديث عامر بن ربيعة وكيف اتجه بعينه إلىٰ سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه قائلاً : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، وفي رواية : ولا جلد عدراء ، وما نزل بسهل من وراء ذلك ، وكلاهما صحابي رضي اللَّه عنهما .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها تأثير الحسد والعين ؟

ج : من ذلك ما ورد في «مسند الإمام» أحمد و«سنن النسائي» و«موطأ مالك» و«سنن ابن ماجة» وغيرها بإسناد صحيح إلىٰ أبي أمامة ابن سهل بن حنيف قال : رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل [(١)] فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلُبِطَ سهل فأُتي رسول اللَّه ﷺ فقيل : يارسول اللَّه هل لك في سهل بن حنيف ، واللَّه ما يرفع رأسه [(٢)] فقال : «هل تتهمون له أحدًا» قالوا : نتهم عامر بن ربيعة قال : فدعا

---

(١) هذا وإن كان ظاهره الإرسال لأن أبا أمامة تابعي لم يشاهد الواقعة إلا أنه في بعض الطرق عند النسائي وأحمد صرح بأنه أخذ ذلك عن أبيه فثبت الاتصال وصح الحديث والحمد للَّه .

(٢) في بعض الروايات.. واللَّه ما يرفع رأسه وما يفيق ، وفي رواية : أدرك سهلاً صريعًا ، وفي رواية: أن عامر بن ربيعة قال: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال فوعك سهل مكانه واشتد =

رسول اللَّه ﷺ عامرًا فتغيظ عليه وقال : «علام يقتل أحدكم أخاه ألا برَّكت[١] ؟! اغتسل له» فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ رأى بوجهها سفعة [٣] فقال : «بها نظرة فاسترقوا لها» يعني : بوجهها صفرة .

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين[٤].

● وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : رخص النبي ﷺ لآل حزمٍ في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس : «ما لي أرى أجسام بني أخي[٥] ضارعة[٦] تصيبهم الحاجة ؟ » قالت : لا ولكن العين تسرع إليهم قال : «ارقيهم» قالت : فعرضت

= وعكه فأتي رسول اللَّه ﷺ فأخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يا رسول اللَّه . .

(١) وفي رواية : «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة» .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧) .

(٣) السفعة : التغير والسواد ، أو لون يخالف لون الوجه .

وقد انتقد الدارقطني رحمه اللَّه هذا الحديث .

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٩) ومسلم (١٤/ ١٨٤) .

(٥) يعني أبناء جعفر .

(٦) ضارعة أي نحيفة ، والحديث عند مسلم (١٤/ ١٨٥) .

عليه فقال : «ارقيهم» .

● وفي «الصحيحين» [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «العين حق» .

* * *

س ـ هل ورد شيء عن رسول اللَّه ﷺ في النهي عن الحسد ؟

ج : نعم قد ورد ذلك فقد نهى رسول اللَّه ﷺ أمته عن التحاسد ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا** [٢] **ولا تجسسوا ولا تنافسوا** [٢] **ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا»** .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٢٠٣) ومسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه** : التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم ، وبالجيم البحث عن العورات وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشر ، والجاسوس : صاحب سر الشر ، والناموس : صاحب سر الخير ، وقيل بالجيم أن تطلبه لغيرك ، وبالحاء أن تطلبه لنفسك . قال النووي رحمه اللَّه : وأما المنافسة والتنافس فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به ونافسته منافسةً إذا رغبت فيما رغب فيه ، وقيل معنى الحديث : التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها .

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

إله ـ الوسواس ـ الخفاش ـ يوسوس ؟

ج :

الكلمة	معناها
إلـــــه	معبود (الذي له العبادة الحقة دون من سواه)
الوسواس	الوسواس هو الشيطان ، والوسوسة هي الحديث الخفي وهي الحديث سرًّا في الأُذن أيضًا ، ومنه وسوسة الحلي ، والوسواس أيضًا كثير الوسوسة
الخنـــاس	الشيطان يخنس عند ذكر اللَّه عز وجل أي يختفي ، والخناس كثير الاختفاء

الكلمة	معناها
يوسوس	يحدث في النفس

* * *

س ـ ما هو الشر المستعاذ منه في هذه السورة (سورة الناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :**

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها . وهو الشر الداخل في الإنسان ، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة .

فسورة الفلق : تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد . وهو شر من خارج .

وسورة الناس : تضمنت الأستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل .

فالشر الأول : لا يدخل تحت التكليف ، ولا يطلب منه الكف عنه . لأنه ليس من كسبه .

والشر الثاني في سورة الناس : يدخل تحت التكليف ، ويتعلق به النهي . فهذا شر المعائب . والأول شر المصائب . والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما .

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات . وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة .

* * *

س ـ لماذا قيل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] مع أنه رب الخلق أجمعين ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم[1] ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم .

وانظر ما قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

وطرح ابن الجوزي هذا السؤال في «زاد المسير» فقال :

فإن [قيل] : لم خص الناس هاهنا بأنه ربُّهم ، وهو ربُّ كل شيء ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : لأنهم معظَّمون متميزون على غيرهم .

والثاني : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شَرِّهم أعلم أنه ربهم ، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم . ولما كان في الناس ملوك قال [عز وجل] : ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٢] ولما كان فيهم من يعبد غيره قال [عز وجل] : ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣] .

---

(١) كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

س ـ وضح معنى هذه الإضافات الثلاث ﴿رَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إله النَّاسِ﴾ بشيء من التفصيل ؟

ج **أفاد في ذلك وأجاد ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في «التفسير القيم» ، فقال رحمه اللَّه :**

وأما المستعاذ به : فهو اللَّه ﴿رَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ فذكر ربوبيته للناس ، وملكه إياهم ، وإلهيته لهم ، ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، كما تقدم .

فنذكر أولاً معنى هذه الإضافات الثلاث . ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة فنقول :

الإضافة الأولى : إضافة الربوبية المتضمنة لحقهم وتدبيرهم ، وتربيتهم ، وإصلاحهم ، وجلب مصالحهم ، وما يحتاجون إليه ، ودفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم . هذا معنى ربوبيته لهم . وذلك يتضمن قدرته التامة . ورحمته الواسعة ، وإحسانه ، وعلمه بتفاصيل أحوالهم ، وإجابة دعواتهم ، وكشف كرباتهم .

الإضافة الثانية : إضافة الملك : فهو ملكهم المتصرف فيهم : وهم عبيده ومماليكه ، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء ، النافذ القدرة فيهم ، الذي له السلطان التام عليهم ، فهو ملكهم الحق: الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب ، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم . فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره فليس لهم ملك غيره

يهربون إليه إذا دهمهم العدو ، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم.

الإضافة الثالثة : إضافة الإلهية : فهو إلههم الحق ، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره . فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم ، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكًا في إلهيته ، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه .

وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة .

وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا . فلا مفزع لنا في الشدائد سواه . ولا ملجأ لنا منه إلا إليه . ولا معبود لنا غيره . فلا ينبغي أن يُدْعَى ولا يخاف ولا يرجى ، ولا يُحَب سواه ، ولا يُذَلُّ لغيره ، ولا يخضع لسواه ، ولا يتوكَّل إلا عليه ، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه : إما أن يكون مُربِّيك والقيم بأمورك ، ومتولي شأنك وهو ربك ، فلا رب سواه ، أو تكون مملوكه وعبده الحق ، فهو ملك الناس حقًّا ، وكلهم عبيده ومماليكه ، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين ، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك ، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه .

فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ، ولا يلجأوا إلى غير حماه ، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم ،

فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة : من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة ، وأشدهم ضررًا ، وأبلغهم كيدًا .

ثم إنه سبحانه كرر الاسم الظاهر ، ولو يوقع المضمر موقعه ، فيقول : رب الناس وملكهم وإلههم : تحقيقًا لهذا المعنى ، وتقوية له. فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه ، ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة .

والمقصود : الاستعاذة بمجموع هذه الصفات ، حتى كأنها صفة واحدة .

وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب .

وأخر الإلهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إله مَنْ عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهًا . فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه . وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه ، ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره باطلاً .

ووسَّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره . فهو المطاع إذا أمر . وملكه لهم تابع لخلقه إياهم . فملكه من كمال ربوبيته . وكونه إلههم الحق من كمال ملكه . فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه ، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها ، فهو الرب

الحق، الملك الحق ، الإله الحق ، خلقهم بربوبيته ، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته .

فتأمل هذه الجلالة ، وهذه العظمة ، التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام ، وأحسن سياق ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ .

وقد اشتملت هذه الإِضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان ، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى .

أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى: فإن الرب هو القادر الخالق، البارئ المصور ، الحي القيوم ، العليم السميع البصير ، المحسن المنعم ، الجواد المعطي . المانع ، الضار النافع ، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويسعد من يشاء ، ويشقي من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ـ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى .

وأما الملك : فهو الآمر الناهي ، المعز المذل ، الذي يصرِّف أمور عباده كما يحب ، ويقلِّبهم كما يشاء . وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى ، كالعزيز ، الجبار المتكبر ، الحسيب المجيد ، الوالي المتعالي ، مالك الملك المقسط الجامع ـ إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك .

وأما الإله : فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال . فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى . ولهذا كان القول

الصحيح : أن «اللَّه» أصله الإله . كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم ، وأن اسم اللَّه تعالىٰ هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ . فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنىٰ . فكان المستعيذ بها جديرًا بأن يعاذ ويحفظ . ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه .

وأسرار كلام اللَّه أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر . وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها علىٰ ما وراءه ، وأن نسبة باديه إلىٰ الخافي يسير .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

فجاء بالملك والإِله للدلالة علىٰ العموم ، في معنىٰ رب الناس ، فهو سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ، ولكن إضافته هنا إلىٰ خصوص الناس إشعار بمزيد اختصاص ، ورعاية الرب سبحانه لعبده الذي دعاه إليه ليستعيذ به من عدوه ، كما أن فيه تقوية رجاء العبد في ربه بأنه سبحانه بربوبيته سيحمي عبده لعبوديته ويعيذه مما استعاذ به منه.

ويقوي هذا الاختصاص إضافة الرب للرسول ﷺ في جميع أطواره منذ البدأين : بدء الخلقة وبدأ الوحي ، في قوله : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾**﴾ [العلق: ١، ٢]، ثم في نشأته ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ـ إلىٰ قوله ـ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ**﴾ [الضحى: ٣ - ٨] .

وجعل الرغبة إليه في السورة بعدها : ﴿**وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾

[الشرح: ٨] بعد تعداد النعم عليه من شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، ثم في المنتهى قوله : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [العلق: ٨] .

قوله تعالى : ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [الناس: ٢] في مجيء ملك الناس بعد رب الناس ، تدرج في التنبيه على تلك المعاني العظام ، وانتقال بالعباد من مبدإ الإيمان بالرب لما شاهدوه من آثار الربوبية في الخلق والرزق ، وجميع تلك الكائنات ، كما تقدم في أول نداء وجه إليهم ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] .

كل هذه الآثار لمسوها وأقروا بموجبها ، بأن الذي أوجدها هو ربهم ، ومن ثم ينتقلون إلى الدرجة الثانية ، وهي أن ربه الذي هذه أفعاله هو ملكه وهو المتصرف في تلك العوالم ، وملك لأمره وجميع شئونه ، ومالك لأمر الدنيا والآخرة جميعًا .

فإذا وصل بإقراره إلى هذه الإدراك ، أقر له ضرورة بالألوهية وهي المرتبة النهاية . إله الناس أي مألوههم ومعبودهم وهو ما خلقهم إليه ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وفي إضافة الملك إلى الناس من إشعار الاختصاص ، مع أنه سبحانه ملك كل شيء، فيه ما في إضافة الرب للناس المتقدم بحثه، فهو سبحانه مالك الملك كما في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ [التغابن: ١] .

وقوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢] وقوله : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالملك لا شريك له في ملكه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] فبدأ بالحمد أولاً .

ومثله قوله : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يس: ٨٣] بدأ بتسبيح نفسه وتنزيهه لعموم الملك ومطلق التصرف ونفي الشريك لأن ملكه ملك تصرف وتدبير مع الكمال في الحمد والتقديس .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

وبهذه النصوص يعلم كمال ملكه تعالى ، ونقص ملك ما سواه من ملوك الدنيا ، ونعلم أن ملكهم بتمليك اللَّه تعالى إياهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ومن المعلوم أن ملوك الدنيا ملكهم ملك سياسة ورعاية ، لا ملك تملك وتصرف ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

والجدير بالتنبيه عليه بهذه المناسبة أن «بريطانيا» تحترم نظام الملكية إلى هذا الوقت الحاضر ، بدافع من هذا المعتقد ، وأنه لا مالك إلا بتمليك اللَّه إياه ، وأن ملوك الدنيا باصطفاء من اللَّه .

والآية تشير إلى ما نحن بصدد بيانه ، من أن ملوك الدنيا لا يملكون أمر الرعية لأن طالوت ملكًا [1]، وليس مالكًا لأموالهم .

بينما ملك اللَّه تعالى ملك خلق وإيجاد وتصرف ، كما في قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] .

وعليم قدير هنا من خصائصه سبحانه وتعالى ، فيتصرف في ملكه بعلم وعن قدرة كاملين سبحانه ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وتظهر حقيقة ذلك إذا جاء اليوم الحق ، فيتلاشى كل ملك قلَّ أو كثر ، ويذل كل ملك كبر أو صغر ، ولم يبق إلا ملكه تعالى يوم هم بارزون ، لا يخفى على اللَّه منهم شيء ، لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار .

---

(١) صوابه : ملكٌ .

وفي سورة الفاتحة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

والقراءة الأخرىٰ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

في القراءتين معًا إشعار بالفرق بين ملك اللَّه وملك العباد ، كالفرق بين الملك المطلق والملك النسبي ، إذ الملك النسبي لا يملك. والملك المطلق فهو الملك القدوس ، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الخلائق كلهم .

ومن كانت هذه صفاته ، فهو المستحق لأن يعبد وحده سبحانه ، ولا يشرك معه أحد ، وهذا هو شعار العبد في الركن الخامس من أركان الإسلام ، حين يهلّ بالتلبية : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

* * *

س ـ بدأ باسم الرب سبحانه وتعالىٰ في قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ .. ﴾ [الناس: ١] والرب اسم لمن قام بتدبير الأمور وإصلاحها ولمن قام بالتربية والحفظ إلىٰ غير ذلك من مدلولات كلمة الرب ومعانيها فلماذا لم يقتصر علىٰ ذكر بِرَبِّ النَّاسِ وقال سبحانه : ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢ - ٣] ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وقوله : ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] عطف بيان جيء به لبيان أن رتبته سبحانه ليست كرتبة سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم

بـل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر ، وقد أجمع جميع القـراء في هذه السورة على إسقاط الألف بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى .

﴿ إِلَهِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٣] هو أيضًا عطف بيان لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد والإعدام .

وأيضًا الرب قد يكون ملكًا وقد لا يكون ملكًا كما يقال رب الدار، ورب المتاع ، ومنه قوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] فبين أنه ملك الناس ، ثم المالك قد يكون إلهًا وقد لا يكون فبين أنه إله لأن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد .

* * *

س ـ وضح معنى الوسواس ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :**

إذا عرف هذا ، فالوسواس : فَعْلال من وَسْوَسَ .

وأصل الوسوسة : الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس ، فيحترز منه .

فالوسواس : الإلقاء الخفي في النفس ، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه ، وإما بغير صوت ، كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا : وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن .

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنها سميت وسوسة لقربها ، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس . وهو الأُذن . فقيل : وسوسة الحلي . لأنه صوت مجاور للأُذن ، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أُذن من يوسوس له .

ولما كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس ، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها . فقالوا : وسوس وسوسة . فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه .

ونظير هذا : ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، والغليان ، والنزوان ، وبابه .

ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك ، وقلقل ، وكبكب الشيء ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، وكذلك الدكدكة ، والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء : إذا كبه في مكان بعيد ، فهو يُكَبُّ فيه كبًّا بعد كب كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٤] ومثله : رَضْرَضَهُ إذا كرر رَضَّه مرة بعد مرة . ومثله : ذَرْذَرَهُ ، إذا ذره شيئًا بعد شيء . ومثله : صَرْصَرَ الباب : إذا تكرر صريره ، ومثله : مَطْمَطَ الكلام : إذا مططه شيئًا بعد شيء ، ومثله : كفكف الشيء : إذا كرر كفَّه ، وهو كثير .

وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب ، لأن الثلاثي لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعي المكرر،

فإذا قلت : ذَرّ الشيء وصر الباب ، وكفَّ الثوب ، ورض الحبَّ : لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف ذرذر ، وصرصر ، ونحوه .

فتأمله ، فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني ، وقد تقدم التنبيه على ذلك ، فلا وجه لإعادته .

وكذلك قولهم: عَج العجل: إذا صوت. فإن تابع صوته، قالوا : عجعج . وكذلك ثَجَّ الماء إذا صُبَّ . فإن تكرر ذلك قيل ثجثج.

والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها ، قيل: وسوس .

* * *

س ـ لماذا وصف الشيطان بالخناس ؟

ج : قال بعض أهل العلم : ووصف الشيطان بالخناس لأنه كثير الاختفاء (أي : عند ذكر اللَّه عز وجل) ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] يعني : النجوم لاختفاها بعد ظهورها . وقيل : الخناس اسم لإبليس كالوسواس . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر معنى الخناس بشيء من التفصيل ؟

ج : **أحسن ابن القيم رحمه اللَّه تعالى القول في هذا الباب** [1]

---

(١) التفسير القيم .

فقال رحمه اللَّه :

وأما الخناس : فهو فعَّال ، من خنس يخنس: إذا توارىٰ واختفىٰ.

ومنه قول أبي هريرة : لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة ، وأنا جنب . فانخنست منه[1].

وحقيقة اللفظ : اختفاء بعد ظهور ، فليست لمجرد الاختفاء . ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] قال قتادة : هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار ، فتختفي ولا ترىٰ . وكذلك قال علي رضي اللَّه عنه : هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترىٰ .

وقالت طائفة الخنَّس : هي الراجعة التي ترجع كل ليلة إلىٰ جهة المشرق ، وهي السبعة السيارة .

قالوا : وأصل الخنوس : الرجوع إلىٰ وراء . و «الخناس» مأخوذ من هذين المعنيين . فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر . فإن العبد إذا غفل عن ذكر اللَّه جثم علىٰ قلبه الشيطان ، وانبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به ، انخنس وانقبض ، كما ينخنس الشيء ليتوارىٰ . وذلك

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١/ ٣٩٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب فانخنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال : « أين كنت يا أبا هريرة ؟» قال : كنت جنبًا فكرهت أن أجالسك وأنا علىٰ غير طهارة فقال: «سبحان اللَّه إن المؤمن لا ينجس» . وأخرجه مسلم (ص ٢٨٣) بلفظ (فانسل) بدلاً من «فانخنس» .

الانخناس والانقباض : هو أيضًا تجمُّع ورجوع ، وتأخر عن القلب إلى خارج . فهو تأخر ورجوع معه اختفاء .

وخنس وانخنس : يدل على الأمرين معًا . قال قتادة : الخناس : له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان . فإذا ذكر العبد ربه خنس . ويقال : رأسه كرأس الحية . وهو واضع رأسه على ثمرة القلب يُمَنِّيه ويحدثه . فإذا ذكر اللَّه خنس . وإذا لم يذكره عاد ، ووضع رأسه يوسوس إليه ويمنيه .

وجيء من هذا الفعل بوزن فعَّال الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس : إيذانًا بشدة هروبه ورجوعه ، وعظم نفوره عند ذكر اللَّه . وأن ذلك دأبه وديدنه لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر اللَّه أحيانًا . بل إذا ذكر اللَّه هرب وانخنس وتأخر ، فإن ذكر اللَّه هو مقمعته التي يُقمَع بها، كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياط وحديد وعِصي ونحوها ، فذكر اللَّه يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه ، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها . ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلاً ضئيلاً مُضنًى ، مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر اللَّه وطاعته .

وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن يُنضي شيطانه كما يُنضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر، والتوجه والاستغفار والطاعة . فشيطانه معه في عذاب شديد. ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة . ولهذا يكون قويًّا عاتيًا شديدًا .

فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر اللَّه تعالى وتوحيده

واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار . فلابد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه .

وتأمل كيف جاء بناء «الوسواس» مكررًا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارًا ، حتى يعزم عليها العبد ، وجاء بناء «الخناس» على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر اللَّه انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة ، فجاء بناء اللفظين مطابقًا لمعنييهما .

* * *

س ـ كيف يوسوس شيطان الإنس في صدور الناس ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال تعالى : ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

* * *

س ـ لماذا قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل : في قلوب الناس ؟

ج : التمس بعض العلماء وجوهًا لذلك **فقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :**

---

(١) من العلماء من قال : إن المراد بالصدور هنا القلوب .

فصل

وتأمل السر في قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل: في قلوبهم، والصدر: هو ساحة القلب وبيته. فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب. فهو بمنزلة الدهليز له. ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود. ومن فهم هذا فهم قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته، فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو موسوس في الصدر. ووسوسته واصلة إلى القلب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠] ولم يقل «فيه» لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك، وأوصله إليه. فدخل في قلبه.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»: وقال الإمام: إنما جعل الوسوسة في الصدور على ما عهد في كلام العرب من أن الخواطر في القلب، والقلب مما حواه الصدر عندهم وكثيراً ما يُقال (إن الشك يحوك في صدره) وما الشك إلا في نفسه وعقله وأفاعيل العقل في المخ، وإن كان يظهر لها أثر في حركات الدم وضربات القلب وضيق الصدر أو انبساطه.

* * *

س ـ اذكر طرفًا من وسوسة الشيطان وشيئًا من شروره؟

ج: وفِّق في إيراد ذلك العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى إذ قال في التفسير القيم:

فصل

وقوله : ﴿الذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] صفة ثالثة للشيطان . فذكر وسوسته أولاً . ثم ذكر محلها ثانيًا ، وأنها في صدور الناس ثالثًا .

وقد جعل اللَّه للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذًا إلى قلبه وصدره . فهو يجري منه مجرى الدم . وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات .

وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن علي بن حسين عن صفية بنت حُيَي ، قالت : كان رسول اللَّه ﷺ معتكفًا ، فأتيته أزوره ليلاً . فحدثته ثم قمت ، فانقلبت ، فقام معي ليقلبني . وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا . فقال النبي ﷺ : «**على رِسلكما ، إنها صفية بنت حيي**» . فقالا : سبحان اللَّه يا رسول اللَّه فقال : «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم . وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا** ـ أو قال ـ **شيئًا**»[1] .

وفي «الصحيح» أيضًا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط . فإذا قضي أقبل. فإذا ثُوب بها أدبر . فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول : اذكر كذا اذكر كذا ـ لما لم يكن يذكر ـ حتى لا يدري : أثلاثًا صلى أم أربعًا ؟ فإذا لم يدر : أثلاثًا صلى أم أربعًا ؟ سجد سجدتي السهو**»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٤/ ٢٧٨) ومسلم (١٤/ ١٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح (٣/ ١٠٣) ومسلم (ص ٣٩٨) .

ومن وسوسته : ما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق اللَّه ؟ فمن وجد ذلك فليستعذ باللَّه ولينته»**[(١)] .

وفي «الصحيح»: أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ قالوا: يا رسول اللَّه إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يَخِرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليه من أن يتكلم به ، قال : **«الحمد للَّه الذي رد كيده إلى الوسوسة»**[(٢)] .

ومن وسوسته أيضًا : أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله . ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه . قال تعالى حكاية عن صاحب موسى أنه قال : ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ [الكهف: ٦٣] .

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه ﴿**الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس: ٤، ٥] ولم يقل : من شر وسوسته : لتعم الاستعاذة شره جميعه، فإن قوله : ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ**﴾ [الناس: ٤] يعم كل شره. ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرًّا ، وأقواها تأثيرًا وأعمها فسادًا . وهي الوسوسة التي

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/ ٣٣٦) ومسلم (ص ١٢٠) .

(٢) إسناده صحيح .

أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥) وأبو داود (٥١١٢) من طريق منصور عن ذر بن عبد اللَّه الهمداني عن عبد اللَّه بن شداد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أتكلم به قال : فقال النبي ﷺ : **«اللَّه أكبر اللَّه أكبر اللَّه أكبر الحمد للَّه الذي رد كيده إلى الوسوسة»** .

هي مبادئ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ، ويُخطر الذنبَ بباله ، فيصوره لنفسه ويمنيه ، ويشهيه ، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خياله ، حتى تميل نفسه إليه، فيصير إرادة . ثم لا يزال يمثل له ويخيل ويمني ويشهي وينسي علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها . فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط. وينسى ما وراء ذلك . فتصير الإرادة عزيمة جازمة . فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود في الطلب. فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا . فإن فتروا حرَّكهم. وإن ونَوا أزعجهم . كما قال تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ [مريم: ٨٣] أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا . كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزَّتهم وأثارتهم . فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة. وقد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم . وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم . فلا بتلك النخوة والكبر ولا برضاه أن يصير قوادًا لكل من عصى اللَّه . كما قال بعضهم :

عجبت من إبليس في تيهه ∴ وقبح ما أظهر من نخوته

تاه على آدم في سجدة ∴ وصار قوادًا لذريته

فأصل كل معصية وبلاء : إنما هو الوسوسة . فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه . وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضًا .

فمن شره : أنه لص سارق لأموال الناس . فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم اللَّه عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف[١]. وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم اللَّه ، فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ، ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ، فيدخل سارقًا ويخرج مغيرًا . ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومنامًا أنه فعل كذا وكذا[٢].

ومن هذا : أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس ، فيصبح والناس يَتحدثون به ، وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبه ، ثم وسوس إلى الناس بما فعل وألقاه إليهم ، فأوقعه في الذنب، ثم فضحه به . فالرب تعالى يستره والشيطان يجهد في كشف ستره وفضيحته . فيغتر العبد ويقول : هذا ذنب لم يره إلا اللَّه . ولم يشعر بأن عدوه ساعٍ في إذاعته وفضيحته . وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة .

ومن شره : أنه إذا نام العبد عقد على رأسه عقدًا تمنعه من

---

(١) أخرج مسلم من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللَّه عليه**» (ص ١٥٩٧) .

وأخرج مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه (ص ١٥٩٨) قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر اللَّه عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء !!!**» .

(٢) ومن هنا لزم اتقاء مواطن الشبهات ، ولنا في فعل النبي ﷺ مع أصحابه في قصة صفية بنت حيي حين قال : «**إنها صفية**» أسوة حسنة .

اليقظة. كما في «صحيح البخاري» عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ـ إذا هو نام ـ ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليلٌ طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلَّت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة . فإن صلى انحلت عقده كلها . فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[1].

ومن شره : أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده رجل نام ليله حتى أصبح . فقال : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو قال : في أذنه**» رواه البخاري[2].

ومن شره : أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها . فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه . فإن خالفه وسلكه ثَبَّطه فيه وعَوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع . فإن عمله وفرغ منه قَيَّض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته .

ويكفي من شره : أنه أقسم باللَّه ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم. وأقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم.

ولقد بلغ شره : أن أعمل المكيدة وبالغ في الحيلة حتى أخرج آدم من الجنة . ثم لم يكفه ذلك حتى استقطع من أولاده شُرْطة للنار ، من

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٤ ، ٦/ ٣٣٥) ومسلم (٦/ ٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

كل ألف : تسعمائة وتسعة وتسعين[1] . ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة في إبطال دعوة اللَّه من الأرض وقصد أن تكون الدعوة له ، وأن يُعبَد هو من دون اللَّه . فهو ساع بأقصى جهده على إطفاء نور اللَّه ، وإبطال دعوته ، وإقامة دعوة الكفر والشرك ، ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض .

ويكفي من شره : أنه تصدى لإبراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق في النار . فرد اللَّه كيده عليه . وجعل النار على خليله بردًا وسلامًا .

وتصدى للمسيح ﷺ حتى أراد اليهود قتله وصلبه . فرد اللَّه كيده . وصان المسيح ورفعه إليه .

وتصدى لزكريا ويحيى حتى قتلا .

واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم في الأرض ، ودعوى أنه ربهم الأعلى .

وتصدى للنبي ﷺ وظاهرَ الكفار على قتله بجهده . واللَّه تعالى يُكْبته ويرده خاسئًا .

---

(١) وذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه (عند البخاري «فتح» ٨/ ٤٤١) ومسلم (٣/ ٩٧) مرفوعًا وفيه: «يقول اللَّه عز وجل: يا آدم ، فيقول: لبيك ربنا وسعديك فيقول : إن اللَّه يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ! فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد» فشق ذلك على الناس حتى تَغيَّرت وجوههم فقال النبي ﷺ : «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ..» الحديث .

وتفلَّت على النبي ﷺ بشهاب من نار ، يريد أن يرميه به . وهو في الصلاة . فجعل النبي ﷺ يقول : «**ألعنك بلعنة اللَّه**»[١] .

وأعان اليهود على سحرهم للنبي ﷺ .

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر ، فكيف الخلاص منه إلا بمعونة اللَّه وتأييده وإعاذته ؟

ولا يمكن حصر أجناس شره ، فضلاً عن آحادها . إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه . ولكن ينحصر شره في ستة أجناس[٢] . لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدًا منها أو أكثر .

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (ص ٣٨٥) من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال : قام رسول اللَّه ﷺ فسمعناه يقول : «**أعوذ باللَّه منك**» ثم قال : «**ألعنك بلعنة اللَّه**» ثلاثًا وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول اللَّه قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال : «**إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ باللَّه منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة اللَّه التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه واللَّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**» .

(٢) لعل مما يشهد لهذه التقسيمات قول الرسول ﷺ الذي أخرج مسلم (ص ٢١٦٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئًا قال : ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت**» .

وهذا يدل على أن إبليس إنما يحرض على الإغواء بصورة أكبر وقد تقدم أنه يأتي ابن آدم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول : من خلق اللَّه !! نسأل اللَّه العافية والثبات ونعوذ باللَّه من شر الشيطان وشركه .

الشر الأول : شر الكفر والشرك ، ومعاداة اللَّه ورسوله . فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه . وهو أول ما يريد من العبد . فلا يزال به حتى يناله منه . فإذا نال ذلك صيَّره من جنده وعسكره ، واستنابه على أمثاله وأشكاله . فصار من دعاة إبليس ونُوَّابه . فإن يئس منه من ذلك ، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية من الشر . وهي البدعة ، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي . لأن ضررها في نفس الدين . وهو ضرر متعد . وهي ذنب لا يتاب منه ، وهي مخالفة لدعوة الرسل ، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به . وهي باب الكفر والشرك . فإذا نال منه البدعة ، وجعله من أهلها صار أيضًا نائبه ، وداعيًا من دعاته .

فإن أعجزه من هذه المرتبة ، وكان العبد ممن سبقت له من اللَّه موهبة السنة ، ومعاداة أهل البدع والضلال ، نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر . وهي الكبائر على اختلاف أنواعها . فهو أشد حرصًا على أن يوقعه فيها . ولا سيما إن كان عالمًا متبوعًا . فهو حريص على ذلك ، لينفر الناس عنه ، ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس ، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينًا وتقربًا بزعمه إلى اللَّه تعالى وهو نائب إبليس ولا يشعر . فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها . فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها ، لا نصيحة منهم ، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه . كل ذلك لينفر الناس عنه ، وعن الانتفاع به .

وذنوب هذا ـ ولو بلغت عنان المساء ـ هي أهون عند اللَّه من ذنوب هؤلاء ، فإنها ظلم منه لنفسه ، إذا استغفر اللَّه وتاب إليه قبل اللَّه توبته ، وبَدَّل سيئاته حسنات .

وأما ذنوب أولئك : فظلم للمؤمنين ، وتتبع لعوراتهم ، وقصد لفضيحتهم . واللَّه سبحانه بالمرصاد ، لا تخفى عليه كمائنُ الصدر ، ودسائس النفوس .

فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة : وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها . كما قال النبي ﷺ : **«إياكم ومُحقَّرات الذنوب ، فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض»** وذكر حديثًا معناه : أن كل واحد منهم جاء بعود حطب ، حتى أوقدوا نارًا عظيمة فطبخوا واشتووا [1] .

ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها . فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة : وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها .

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح (٥/ ٣٣١) فقال : ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»** .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة ، وكان حافظًا لوقته[1]، شحيحًا به . يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها ، وما يقابلها من النعيم والعذاب : نقله إلى المرتبة السادسة وهي : أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ، ليزيح عنه الفضيلة ، ويفوته ثواب العمل الفاضل ، فيأمره بفعل الخير المفضول ، ويحضه عليه ، ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه . وقلَّ من يتنبه لهذا من الناس . فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة . فإنه لا يكاد يقول : إن هذا الداعي من الشيطان . فإن الشيطان لا يأمر بخير ، ويرى أن هذا خير ، فيقول : هذا الداعي من اللَّه . وهو معذور . ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير ، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر ، وإما ليفَوِّت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل .

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من اللَّه يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند اللَّه، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة للَّه ولرسوله ، ولكتابه ، ولعباده المؤمنين ، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف

---

(١) لكن للأسف قد غفل كثير من الناس عن قيمة الوقت وتغافلوا عن حسابهم الأخروي عن ضياع أوقاتهم كما صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع ومنها عن عمره فيما أفناه»** أو كما قال عليه السلام .

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»** أخرجه البخاري في أول كتاب الرقاق من «صحيحه» .

هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة ، وخلفائه في الأرض . وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك . فلا يخطر ذلك بقلوبهم. واللَّه يَمُنُّ بفضله على من يشاء من عباده .

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيي عليه : سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع ، والتحذير منه ، وقصد إخماله وإطفائه ليشوش عليه قلبه . ويشغل بحربه فكره ، وليمنع الناس من الانتفاع به . فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه ، لا يفتر ولا يني . فحينئذ يلبس المؤمن لأمَةَ الحرب ، ولا يَضعُها عنه إلى الموت ، ومتى وضعها أُسِر أو أصيب ، فلا يزال في جهاد حتى يلقى اللَّه .

فتأمل هذا الفصل . وتدبر موقعه ، وعظيم منفعته ، واجعله ميزانك تَزِن به الناس ، وتزن به الأعمال . فإنه يُطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق . واللَّه المستعان ، وعليه التكلان .

ولو لم يكن في هذا التعليق إلا هذا الفصل لكان نافعًا لمن تدبره ووعاه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] تفسير لماذا ؟

ج : في ذلك قولان لأهل العلم :

أحدهما : أنه تفسير للذي يوسوس في صدور الناس ، فالمعنى: أن الذي يوسوس في صدور الناس هم الجنة والناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

الثاني : أنه تفسير للناس الذين يُوسوس إليهم ، فالمعنى أن الموسوس إليهم هم الجنة والناس ، فالوسواس الخناس يوسوس في صدورهما جميعًا ، إذ من الجن أقوام مؤمنون وهؤلاء المؤمنون لا ينجون من وسوسة الشيطان أيضًا .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ... ﴾ [الجن: ١، ٢] إلى قولهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ... ﴾ [الجن: ١١] وقولهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ .. ﴾ [الجن: ١٤] .

فإن قال قائل : وهل توصف الجن بأنها من الناس ؟ فالإجابة على ذلك أنهم قد وصفوا بأنهم رجال كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] .

أو يُقال: إنهم دخلوا مع الناس تغليبًا ، والله أعلم .

قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] اختلف المفسرون

في هذا الجار والمجرور : بم يتعلق ؟

فقال الفراء وجماعة : هو بيان للناس الموسوس في صدورهم . والمعنى : يوسوس في صدور الناس الذين هم من الجن والإنس ، أي الموسوس في صدورهم قسمان : إنس وجن . فالوسواس يوسوس للجني ، كما يوسوس للإنسي .

وعلى هذا القول : فيكون ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] نصب على الحال . لأنه مجرور بعد معرفة ، على قول البصريين . وعلى قول الكوفيين : نصب بالخروج من المعرفة . هذه عبارتهم . ومعناها: أنه لما لم يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة انقطع عنها . فكان موضعه نصبًا.

والبصريون يقدرونه حالاً . أي كائنين من الجنة والناس . وهذا القول ضعيف جدًّا ، لوجوه :

أحدها : أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني. ويدخل فيه ، كما يدخل في الإنسي ، ويجري منه مجراه من الإنسي : فأي دليل يدل على هذا ، حتى يصح حمل الآية عليه ؟

الثاني : أنه فاسد من جهة اللفظ أيضًا . فإنه قال : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] فكيف يبين الناس بالناس . فإن معنى الكلام على قوله : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] الذين هم ، أو كائنين ، من الجنة والناس . أفيجوز أن يقال : في صدور الناس الذين

الذين هم من الناس وغيرهم ؟ هذا ما لا يجوز ، ولا هو في الاستعمال فصيح .

الرابع : أن «الجنة» لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه ، لا أصلاً ولا اشتقاقًا ولا استعمالاً . ولفظهما يأبى ذلك . فإن الجن إنما سمو جِنًّا من الاجتنان ، وهو الاستتار . فهم مستترون عن أعين البشر . فسموا جِنًّا لذلك ، من قولهم جَنَّه الليل وأجَنَّه : إذا ستره . وأجن الميت : إذا ستره في الأرض . قال :

ولا تبك ميتًا بعد ميت أجنه .:. علي وعباس وآل أبي بكر

يريد النبي ﷺ . ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه . قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] ومنه المجن : لاستتار المحارب به من سلاح خصمه. ومنه الجنة: لاستتار داخلها بالأشجار. ومنه الجنة ـ بالضم ـ لما يقي الإنسان من السهام والسلاح . ومنه المجنون : لاستتار عقله .

وأما الناس : فبينه وبين الإنس مناسبة في اللفظ والمعنى ، وبينهما اشتقاق أوسط . وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

والإنس والإنسان : مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس . ومنه قوله : ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ [القصص: ٢٩] أي : رآها ، ومنه : ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي : أحسستموه ورأيتموه .

فالإنسان سمي إنسانًا لأنه يونس ، أي بالعين يُرَىٰ . والناس فيه قولان .

أحدهما : أنه مقلوب من أنس، وهو بعيد. والأصل عدم القلب.

والثاني : وهو الصحيح ، أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة. فسمىٰ الناس ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمىٰ الرجل حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء كما قال النبي ﷺ : «**أصدق الأسماء : حارث وهمام**»[1] ، لأن كل أحد له هم وإرادة ، هي مبدأ ، وحرث

---

(١) أسانيده ضعيفة وهاك تفصيل ذلك .

أخرج أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٤٥) وأبو داود رقم (٤٩٥٠) من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «**تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلىٰ اللّٰه عبد اللّٰه وعبد الرحمن وأصدقها الحارث وهمام ، وأقبحها حرب مرة**».

وهذا السند ضعيف فيه عقيل بن شبيب وهو مجهول .

وأخرج مسلم في «صحيحه» (ص ١٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال : قال رسول اللّٰه : «**إن أحب أسمائكم إلىٰ اللّٰه عبد اللّٰه وعبد الرحمن**» .

هكذا أخرجه مسلم مقتصراً علىٰ هذا اللفظ .

وللحديث شاهد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠٤٠) عند ابن وهب في «جامعه» (ص ٧) من طريق داود بن قيس عن عبد الوهاب بن بخت مرفوعًا بلفظ: «**خير الأسماء عبد اللّٰه وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام وحارث ، وشر الأسماء حرب ومرة**» وقال الشيخ ناصر عقبه : وهذا إسناد مرسل صحيح رجاله رجال مسلم .

قلت : وليس الأمر كما قال فعبد الوهاب بن بخت لم يخرج له مسلم ، وقد وصف أيضًا بأنه كثير الأوهام راجع «الميزان» .

وأيضًا فإن هذا الإسناد المرسل الأقرب أنه معضل إذ إن عبد الوهاب من صغار التابعين ويقال إن روايته عن أنس وأبي هريرة مرسلة . =

وعمل، هو منتهى . فكل أحد حارث وهمام ، والحرث والهم : حركتا الظاهر والباطن . وهو حقيقة النَّوَس .

وأصل ناس : نوس ، تحركت الواو ، وقبلها : فتحة . فصارت ألفًا . هذان هما القولان المشهوران في اشتقاق «الناس» .

وأما قول بعضهم : إنه من النسيان ، وسمي الإنسان إنسانًا لنسيانه. وكذلك الناس سموا ناسًا لنسيانهم : فليس هذا القول بشيء . وأين النسيان، الذي مادته ن س ي إلى الناس الذي مادته ن و س ؟ وكذلك أين هو من الأنس الذي ماته أ ن س ؟

وأما إنسان فهو فعلان من أ ن س . والألف والنون في آخره زائدتان ، لا يجوز فيه غير هذا البتة . إذ ليس في كلامهم : أنس ، حتى يكون إنسانًا إفعالاً منه . ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين ، إذ ليس في كلامهم : انفعل . فيتعين أنه فعلان من الأنس .

= ثم ذكر له الشيخ طريقًا أخرى وهي رواية مرسلة فقال : وقد أخرجه ابن وهب أيضًا من رواية عبد اللَّه بن عامر اليحصبي عن النبي ﷺ مرسلاً قال : وإسناده صحيح أيضًا .

لكن الشيخ نفسه قد بيَّن أن هذا لا يصلح شاهدًا لذلك فقال في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٠٤) بعد أن ذكر رواية ابن بخت : وإسناده مرسل صحيح أيضًا لكن ابن بخت كان قد سكن الشام ، فمن الجائز أن يكون تلقاه عن اليحصبي فلا يتقوى أحدهما بالآخر كما هو ظاهر، وذكر له الشيخ شاهدًا آخر مرسل وهو ضعيف رغم إرساله إذ إن الحسن بن جابر لم يُوَثَّقه معتبر ولم يذكر في الرواة عنه سوى راويان فهو مجهول .

فحاصل الأمر : أن هناك رواية عقيل بن شبيب وهو مجهول ، والرواية المرسلة .

ولا نرى هذه تشهد لتلك فالحديث ضعيف باستثناء «أحب الأسماء إلى اللَّه عبد اللَّه وعبد الرحمن» فهي في مسلم كما بيناه . واللَّه أعلم .

ولو كان مشتقًّا من نسي لكان نسيانًا لا إنسانًا .

فإن قلت : فهلا جعلته إفعلالاً . وأصله إنسيان ، كليلة إضحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفًا فصار إنسانًا ؟

قلت : يأبي ذلك عدم إفعلال في كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوىٰ ما لا نظير له . وذلك كله فاسد ، علىٰ أن «الناس» قد قيل : إن أصله الأناس . فحذفت الهمزة . فقيل : الناس . واستدل بقول الشاعر :

*** إن المنايا يطلعن علىٰ الأناس الغافلينا ***

ولا ريب أن أناسًا فعال . ولا يجوز فيه غير ذلك البتة . فإن كان أصل ناس أناسًا ، فهو أقوىٰ الأدلة علىٰ أنه من أنس ، ويكون الناس كالإنسان سواء في الاشتقاق .

ويكون وزن ناس ـ علىٰ هذا القول ـ: عال . لأن المحذوف فاؤه.

وعلىٰ القول الأول : يكون وزنه : فعل . لأنه من النوس .

وعلىٰ القول الضعيف : يكون وزنه : فلع . لأنه من نسي . فنقلت لامه إلىٰ موضع العين ، فصار ناسًا وزنه فلعًا .

والمقصود : أن «الناس» اسم لبني آدم . فلا يدخل الجن في مسماهم فلا يصح أن يكون «من الجنة والناس» بيانًا لقوله : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] وهذا واضح لا خفاء فيه .

فإن قيل : لا محذور في ذلك . فقد أطلق على الجن اسم الرجال. كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإذا أطلق عليهم اسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم : الناس ؟

قلت : هذا هو الذي غَرَّ من قال : إن الناس اسم للجن والإنس في هذه الآية .

وجواب ذلك : أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعًا مقيدًا في مقابلة ذكر الرجال من الإنس . ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقًا .

وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك : لم يلزم من ذلك : وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب .

وأيضًا فلا يلزم من إطلاق اسم الرجل على الجني أن يطلق عليه اسم الناس . وذلك لأن الناس والجنة متقابلان . وكذلك الإنس والجن. فاللَّه سبحانه يقابل بين اللفظين كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الرحمن: ٣٣] وهو كثير في القرآن . وكذلك قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] يقتضي أنهما متقابلان . فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بخلاف الرجال والجن . فإنهما لم يستعملا متقابلين . فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال : الجن والإنس .

وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ «الناس» لأنه قابل بين الجنة والناس . فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر .

فالصواب : القول الثاني : وهو أن قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، وأنهم نوعان إنس وجن . فالجني يوسوس في صدور الإنس ، والإنسي أيضًا يوسوس في صدور الإنس .

فالموسوس نوعان : إنس وجن فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب . وهذا مشترك بين الجن والإنس ، وإن كان إلقاء الإنسي ووسوستهُ إنما بواسطة الأذن ، والجني لا يحتاج إلى تلك الواسطة . لأنه يدخل في ابن آدم ، ويجري منه مجرى الدم . على أن الجني قد يتمثل له ، ويوسوس إليه في أذنه كالإنسي ، كما في البخاري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الملائكة تحدث في العنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في الأرض ، فتستمع الشياطين الكلمة ، فتقرها في أذن الكاهن ، كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/ ٣٣٨) .

وأخرج البخاري (فتح ٨/ ٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن نبي اللّه ﷺ قال : «**إذا قضى اللّه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**» ، ووصف سفيان بكفّه =

فهذه وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن .

ونظير اشتراكهما في هذه الوسوسة : اشتراكهما في الوحي الشيطاني . قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] .

فالشيطان يوحي إلى الإنسي باطله ، ويوحيه الإنسي إلى إنسي مثله. فشياطين الإنس والجن يشتركان في الوحي الشيطاني . ويشتركان

= فحرفها وبدد بين أصابعه : «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، على أنه ضربان : ضرب من الجِنّة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ، وإنما نجد في أنفسنا أثرًا ينسب إليهم ، وضرب من الإنس كالمضللين من أفراد الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] . وإيحاؤهم هو وسوستهم .

قال ابن تيمية : فإن قيل : فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس ، فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس ، فإنه تابع لوسواس الجن . قيل : بل الوسوسة نوعان : نوع من الجن ، ونوع من نفوس الإنس . كما قال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] فالشر من الجهتين جميعًا . والإنس لهم شياطين كما للجن شياطين .

وقال أيضًا : الذي يوسوس في صدور الناس نفسه لنفسه ، وشياطين الجن وشياطين الإنس . فليس من شرط الموسوس أن يكون مستترًا عن البصر ، بل قد يُشَاهَد .

في الوسوسة .

وعلى هذا : تزول تلك الإشكالات والتعسفات التي ارتكبها أصحاب القول الأول . وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعي الشياطين : شياطين الإنس ، وشياطين الجن .

وعلى القول الأول : إنما تكون استعاذة من شر شياطين الجن فقط . فتأمله فإنه بديع جدًّا .

فهذا ما منَّ اللَّه به من الكلام على بعض أسرار هاتين السورتين . وله الحمد والمنة . وعسى اللَّه أن يساعد بتفسير على هذا النمط . فما ذلك على اللَّه بعزيز . والحمد للَّه رب العالمين .

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» :

قوله [عز وجل] : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] الجنَّة : الجن : وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم ، فسمي الجن هاهنا ناسًا ، كما سمَّاهم رجالاً في قوله [عز وجل] : ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ﴾ [الجن: ١] هذا قول الفراء . وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوسًا للجن ، كما يوسوس للإنس .

والثاني : أن الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجِنَّة ، وهم من الجن . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجن . ثم عطف قوله [عز وجل] : ﴿وَالنَّاسِ﴾ على

﴿الوسواس﴾ والمعنى من شر الوسواس ، ومن شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس ، وهذا قول الزجاج .

* * *

جملة من الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان :

س ـ اذكر بعض الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان ؟

ج . من هذه الحروز ما يلي : ـ

الحرز الأول : ذكر اللَّه عز وجل :

فقد أخرج الإمام أحمد[1] رحمه اللَّه بسند صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي اللَّه عنه أن نبي اللَّه ﷺ قال : «**إن اللَّه عزَّ وجل أمَرَ يحيى بنَ زكريا عليهما السلام بخمسِ كلماتٍ أن تَعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يَعملوا بهن ...**» فذكر الحديث وفيه : «**وآمركم بِذِكْرِ اللَّه عزَّ وجلَّ كثيرًا ، وإن مثل ذلك كمثل رجلٍ طَلَبَهُ العدوُّ سِراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فَتَحَصَّنَ فيه وإن العبدَ أحْصَنَ من الشيطان إذا كان في ذِكْرِ اللَّه عزَّ وجل**» .

الحرز الثاني : الإيمان باللَّه والتوكل عليه :

قال اللَّه سبحانه : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ**[2] **عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ**

---

(١) أحمد (٤/ ١٣٠ و ٢٠٢) .

(٢) قال بعض العلماء: معناه ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه بل كلما =

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

فمن توكل على اللَّه كفاه اللَّه شر كلِّ شيءٍ وإن كادته السموات والأرض ، وجعل له ربه من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل همٍّ فرجًا .

● ومن هذا الباب ما ورد عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كُنْتُ خلف رسولِ اللَّه ﷺ يومًا فقال : **«يا غلامُ إني أعلمك كلمات : احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده تُجاهك ، إذا سَأَلْتَ فاسأل اللَّه ، وإذا استعنتَ فاستعن باللَّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعتْ على أن يَنفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّه لك ولو اجتمعوا على أن يَضُروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّه عليك رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصحفُ»**[1] .

الحرز الثالث : ذكر اللَّه والوضوء والصلاة عند الاستيقاظ لحل عقد الشيطان :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [2] من حديث أبي هريرة

= أذنبوا تابوا ، وقيل : المعنى لا حجة له عليهم .

(١) وفي بعض الروايات «... واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج من الكرب وأن مع العسر يسرًا» .

وفي بعضها : «تعرف إلى اللَّه في الرخاء يعرفك في الشدة» . وهذه والتي قبلها تحتاج إلى مزيد نظر في إسنادها .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٢٤) ومسلم (مع النووي ٦/ ٦٥) .

رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رَأسِ أحَدِكُم ـ إذا هو نام[١] ـ ثلاثَ عُقَدٍ يَضرب على كلِّ عُقدةٍ مكانها : عليك ليلٌ طويلٌ ، فارقد ، فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلتْ عُقدة ، فإن توضأ انحلت عُقدة ، فإن صلى انحلتْ عُقَدُهُ كلها فأصبح نشيطًا طَيِّبَ النَّفسِ ، وإلا أصْبَحَ خبيثَ النَّفسِ كسلانَ»[٢].

الحرز الرابع : الاستنثار[٣] عند الاستيقاظ :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبيَّ ﷺ قال : «إذا استيقظَ أحَدُكُم من مَنامِهِ فليستَنْثِر ثلاثَ مراتٍ

---

(١) استثنى بعض أهل العلم من ذلك من قرأ آية الكرسي عند النوم قالوا : لأن قائلها لا يقربه شيطان فقد قال الشيطان لأبي هريرة : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وقال رسول اللَّه ﷺ لأبي هريرة : «صدقك وهو كذوب» ، بينما أبى ذلك بعض أهل العلم لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : «على قافية رأس أحدكم» وأجابوا على حديث آية الكرسي بأن يحمل عقد الشيطان على الأمر المعنوي ، والقرب (في حديث لا يقربك شيطان) على الأمر الحسي أو العكس ، قالوا : إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه ، كما لا يلزم من مماسته أن يقربه بسرقةٍ أو أذى في جسده ونحو ذلك ، واللَّه أعلم.

● واستثنى بعض العلماء من ذلك أيضًا من صلى العشاء في جماعة لما أخرجه مسلم وغيره من حديث عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» . واللَّه تعالى أعلم .

(٢) ومن هنا يتضح لك سبب ما تراه من كآبة تعلو وجوه الكثيرين الذين يسهرون ليلهم أمام الملاهي من سينما ومسارح وتلفزيونات وغيرها ، ويصبحون فيما هم فيه لا يذكرون اللَّه إلا قليلاً ، نسأل اللَّه العافية .

(٣) الاستنثار هو إدخال الماء في الأنف ثم نثره .

فإن الشيطانَ يبيتُ على خَيَاشِيمِه»[١].

الحرز الخامس : ترك النوم إلى الصباح :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نام[٢] ليلةً حتى أصْبَح قال: «ذاك رجلٌ بال[٣] الشيطانُ في أُذُنَيْهِ ، أو قال : في أُذُنِه»[٤].

الحرز السادس : وهو حرز عند دخول الخلاء :

أخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال : «اللهم إني أَعُوذُ بِك من الخُبُثُ[٦] والخبائثِ» .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٩) ومسلم (٣/ ١٢٧) .

(٢) ذكر بعض العلماء أن معناها أنه نام عن صلاة الليل ، وبوَّب لها النووي بقوله : باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، وذكر آخرون أنه نام عن المكتوبة .

(٣) ذكر بعض أهل العلم أن بول الشيطان بول حقيقي فكما أن الشيطان يأكل ويشرب ويجامع فكذلك هو يبول . وقال آخرون : بل المراد بذلك أن الشيطان استخف به وجعله كالكنيف موطنًا للبول ، وقيل : إن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر ، وقيل غير ذلك واللَّه أعلم .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٤٢) ومسلم (٣٧٥) .

(٦) الخبث بضم الباء وبتسكينها أيضًا ، والمراد بالخبث : ذكران الشياطين ، والمراد بالخبائث: إناثهم . قاله عدد كبير من أهل العلم .

تنبيهان : الأول : إذا كان الشخص يقضي حاجته في أماكن لم تعد لذلك كالفضاء مثلاً فمتى يقول هذا الدعاء ؟ ذهب جمهور العلماء إلى أنه يقول عند تشمير الثياب .

الثاني : من نسي هذا الذكر حتى دخل الخلاء فمتى يقوله ؟ الذي يظهر واللَّه أعلم أنه يقوله =

الحرز السابع : الأذان :

فقد أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إذا نُودي للصلاة أدْبَر الشيطانَ وله ضُراط**[٢] **حتى لا يَسمعَ التأذينَ ، فإذا قُضي النداء أقبل ، حتى إذا ثُوِّبَ بالصلاة أَدْبرَ ، حتى إذا قُضي التثويب أَقْبل حتى يخطر بين المرءِ ونفسه يقول : اذكر كذا اذكر كذا لِما لم يكن يَذْكُر حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى»**[٣] .

وعن جابر رضي اللَّه عنه قال[٤] : سمعت النبي ﷺ يقول : **«إن الشيطانَ إذا سَمِعَ النداءَ بالصلاة ذَهَبَ حتى يكون مكانَ الروحاء**[٥] **»** (*) .

= أيضًا ـ إذا كان نسيه ـ إذا دخل ما لم يجلس لقضاء حاجته فإذا جلس لقضاء حاجته فيستعيذ بقلبه لا بلسانه ، ففي «صحيح مسلم»: أن رجلاً مرَّ ورسول اللَّه ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه .
وهذا من باب الكراهية وليس من باب التحريم لحديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يذكر اللَّه على كل أحيانه .

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤) ومسلم (ص ٢٩١) .

(٢) وفي رواية لمسلم: **«إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس»** .

(٣) في بعض الروايات عند مسلم زيادة : **«فهنَّاه ومنَّاه وذكَّره من حاجته ما لم يكن يذكر»** .

(٤) مسلم (٣٨٨) .

(٥) الروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(*) **قال ابن الجوزي رحمه اللَّه :**

على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به . . . .

وإذا لم يكن هناك وقت أذان وأذَّن الشخص هل ينصرف الشيطان أيضًا ؟ فهم ذلك بعض أهل العلم، فذكر مسلم في «صحيحه» بإسناده إلى أبي صالح قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة قال ومعي غلام لنا (أو صاحب لنا) فناداه منادٍ من حائط باسمه ، قال : وأشرف الذي =

الحرز الثامن : الاستعاذة من همزات الشياطين وأن يَحضرون :

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] .

عن الوليد بن الوليد رضي اللَّه عنه أنه قال : يا رسول اللَّه إني أجد وَحْشَةً ، قال : «**فإذا أخذت مضجعك فقل : أعُوذُ بكلمات اللَّه التامة من غَضَبِه وعقَابِه وشرِّ عِبَادِه ومن همزاتِ الشياطين وأن يَحْضُرُون ، فإنه لا يضرُّكَ وبالحرِّىٰ أن لا يقربك**»(١) .

الحرز التاسع : الاستعاذة من همز الشيطان ونفخه ونفثه :

وذلك لما أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٢) لشواهده من حديث

= معي على الحائط فلم ير شيئًا فذكر ذلك لابي فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «**إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولَّى وله حُصاصٌ**» .

(١) أخرجه أحمد بإسناد مرسل لكن له شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : «**بسم اللَّه أعوذ بكلمات اللَّه التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» ، وأخرجه أحمد أيضًا وكذلك الترمذي وقال : حسن غريب .

(٢) فقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة فقال : «**اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا ، والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا وسبحان اللَّه بكرة وأصيلاً . «ثلاثًا» أعوذ باللَّه من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه**» ، قال : «**نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبرياء ، وهمزه : الموتة**» . وفي بعض طرقه عند أحمد : «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**» .

قلت : أما همزُهُ ففسر في الحديث بأنه الموتة ، وقال أبو عبيد ـ كما في اللسان ـ الموتة : الجنون ، قال : وإنما سماه همزًا لأنه جعله من النخس والغمز .

وقال أبو عبيد أيضًا : وإنما سمي النفث شعرًا لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه مثل الرُّقية .

عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الشيطان من هَمْزِهِ ونَفْثِهِ ونَفْخِهِ. قال: وهمزه الموتة، ونفثه الشِّعْر، ونفخه الكبرياء.

الحرز العاشر: الاستعاذة باللَّه عند قراءة القرآن:

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

قال ابن كثير رحمه اللَّه: والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر.

الحرز الحادي عشر: التفل عن اليسار لدفع شيطان الصلاة:

فقد أخرج مسلم من طريق أبي العلاء[١] أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ[٢] فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوَّذ باللَّه منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه اللَّه عني»

الحرز الثاني عشر: ترك الالتفات في الصلاة:

وذلك لما أخرجه البخاري[٣] من حديث أم المؤمنين عائشة

---

(١) ظاهر الحديث هنا الإرسال إلا أن مسلمًا عقبه بالرواية الموصولة والحديث أخرجه مسلم (١٤/١٨٩).

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه**: ومعنى (حال بيني وبينها): أي: نكدني فيها ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها.

وقال رحمه اللَّه أيضًا: وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثًا.

(٣) في رواية: «**يختلسه**»، والحديث في البخاري (٧٥١).

رضي اللَّه عنها قالت : سألت النبي ﷺ عن التفاتِ الرَّجُلِ في الصلاةِ فقال : «هو اختلاسٌ يَخْتَلِسُ[١] الشيطانُ من صلاةِ أَحَدِكُمْ» .

الحرز الثالث عشر : منع المرور بين يدي المصلي :

وذلك لما في « الصحيحين »[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : «إذا مرَّ بين يدي أحدِكُم شيءٌ وهو يُصلِّي فليمنعه فإن أَبى فليمنعه فإن أَبى فليُقاتله فإنما هو شيطان»[٣] .

الحرز الرابع عشر : السجود :

وذلك لما في «صحيح مسلم»[٤] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إذا قَرَأَ ابنُ آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي يقول : يا ويله (وفي رواية : يا ويلي) أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فَسَجَدَ فله الجنةُ وأُمرتُ بالسجود فأبيتُ فليَ النارُ» .

= أما الاختلاس فهو الاختطاف بسرعة ، فالمصلي يقبل عليه الرب سبحانه وتعالى والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه ، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة .
انظر : «الفتح» (٢/ ٢٢٤) .

(٢) البخاري (٣٢٧٤) ومسلم (٥٠٥) .

(٣) في بعض روايات مسلم من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما : «.. فإن معه القرين» .
قال النووي رحمه اللَّه : قوله : «فإنما هو شيطان» قال القاضي : قيل : معناه : يفعل فعل الشيطان ؛ لأن الشيطان بعيد من الخير وقبول السنة . وقيل : المراد بالشيطان . القرين ، كما جاء في الحديث الآخر : «فإن معه القرين» ، واللَّه أعلم .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨١) .

الحرز الخامس عشر : سجود السهو :

فقد أخرج مسلم [١] «في صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا شكَّ أحَدُكُم في صلاته فلم يَدْرِ كم صلى ؟ ثلاثًا أم أربعًا ؟ فليطرح الشك وليبنِ على ما استيقن ثم يَسجد سجدتين قبل أن يُسلِّم، فإن كان صلى خمسًا شَفَعْن لَه صلاته ، وإن كان صلَّى إتمامًا لأربع كانتا ترغيمًا [٢] للشيطان»** .

الحرز السادس عشر: ترك الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها:

وذلك لما في «الصحيحين»[٣] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان»**[٤] .

---

(١) مسلم (حديث ٥٧١) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه :** قوله: **«ترغيمًا للشيطان»** : أي: إغاظة له وإذلالا مأخوذ من التراب ، ومنه : أرغم اللَّه أنفه ، والمعنى : أن الشيطان لبس عليه صلاته وتعرض لإفسادها ونقصها فجعل اللَّه تعالى للمصلي طريقًا إلى جبر صلاته وتدارك ما لبَّسه عليه وإرغام للشيطان ورده خاسئًا مبعدًا عن مراده وكملت صلاة ابن آدم وامتثل أمر اللَّه تعالى الذي عصى به إبليس من امتناعه من السجود واللَّه أعلم .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٥) ومسلم (حديث ٨٢٨) .

(٤) وجه ذلك واضح مما ذكره النووي رحمه اللَّه حيث قال : قيل : المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه وقيل : قوته وغلبته وانتشار فساده ، وقيل : القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى ، قالوا : ومعناه أنه يدلي رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصلاة حينئذٍ صيانة لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان .

الحرز السابع عشر : حرز عند الصباح وفي المساء :

فقد صح عن عثمان بن عفان[١] رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول : **«من قال : بسم اللَّه الذي لا يَضُرُّ مع اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليم ثلاثَ مراتٍ لم تصبه فجأة بلاءٍ حتىٰ يُصبح ، ومن قالها حين يُصبح لم تُصِبْهُ فجأةُ بلاءٍ حتىٰ يُمسي»** .

ومن ذلك أيضًا : ما روي في « الصحيحين »[٢] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : **«من قال : لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له لهُ الملكُ وله الحمد وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مرة كانت له عدل عَشْرِ رقابٍ ، وكُتِبَ له مائةُ حسنة ومُحيت عنه مائةُ سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطانِ يَومَهُ ذلك حتىٰ يُمسي ، ولم يأتِ أَحَدٌ بِأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك»** .

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه مسلم[٣] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : كان رسولُ اللَّه ﷺ إذا أَمْسىٰ قال : **«أمسينا وأمسىٰ الملكُ للَّه ، والحمدُ للَّه ، لا إله إلا اللَّه وَحْدَهُ لا شريك له له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيءٍ قدير ، اللهم أسألك خيرَ هذه الليلة[٤] وأعوذ**

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٩/ ٣٣٧) وأحمد (٤/ ١٢٢ و ١٢٥) والنسائي (الاستعاذة ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٨) ومسلم (١٧/ ١٧) .

(٣) مسلم (١٧/ ٤١) .

(٤) في رواية **«رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها»** .

وفي نفس الرواية : . . . . **«إذا أصبح قال ذلك أيضًا : وأصبحنا وأصبح الملك للَّه»** .

بك من شرِّ هذه الليلة وشرِّ ما بعدها ، اللهم إني أعوذ بك من الكَسَلِ وسُوء الكِبَرِ ، اللهم إني أعوذ بك من عذابٍ في النَّارِ وعذابٍ في القبرِ» .

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه أبو داود والترمذي [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال أبو بكر : يا رسول اللَّه مُرْني بشيءٍ أَقُوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ ؟ قال : «قل : اللهم فَاطِرَ السموات والأرضِ عالمَ الغَيب والشهادة ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه أشهدُ أن لا إله إلا أنت أعُوذُ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشيطان وَشركه [٢] قال : قُلها إذا أَصْبَحْتَ وإذا أمسيتَ وإذا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ» .

الحرز الثامن عشر : قل هو اللَّه أحد والمعوذات :

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي [٣] من حديث عبد اللَّه بن خبيب رضي اللَّه عنه قال : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللَّه ﷺ يصلي لنا فأدركته فقال : «قل» : فلم أقل شيئًا ، ثم قال : «قل» فلم أقل شيئًا ، قال : «قل» فقلت : ما أقول ؟ قال : «قل هُو اللَّه أحدٌ والمعوذتين حين تُمْسِي وتُصبح ثلاثَ مراتٍ تكفيك من كلِّ شيءٍ» .

● وعن عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه قال: بينا أنا أقود برسول اللَّه

---

(١) أخرجه الترمذي (٩/ ٣٣٥) وأبو داود (٥٠٦٧) بإسناد صحيح .

(٢) قال المباركفوري : الشرك : بكسر الشين وسكون الراء أي ما يدعو إليه من الإشراك باللَّه ، ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس .

(٣) النسائي (٨/ ٢١٩) والترمذي (مع التحفة ١٠/ ٢٨) وإسناده حسن .

ﷺ راحلته في غزوةٍ إذ قال : « يا عقبة قل » . فاستمعت ، ثم قال : «يا عقبة قُلْ» فاستمعت ، فقالها الثالثة ، فقلتُ : ما أقول ؟ فقال : «قل هو اللَّه أحد» فقرأ السورة حتى ختمها ، ثم قرأ : قل أعُوذُ برب الفلق وقرأتُ معه حتى ختمها ، ثم قَرَأَ : قل أعوذ بربِّ النَّاس فقرأت معه حتى ختمها ثم قال : «ما تعوَّذ بمثلهِن أحَدٌ» .

وفي رواية : «ما سأل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما» .

الحرز التاسع عشر : صلاة أربع ركعات أول النهار :

فأخرج أحمد بإسناد[1] حسن من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «قال ربكم تبارك وتعالى : ابن آدم صلِّ لي أربعَ ركعاتٍ أول النهار أكْفِكَ آخره» .

الحرز العشرون : تعويذ الصبيان :

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم : ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : «إن أباكما كما يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة [2] ومن كل عين لامة»[3]

---

(١) انظر : «المستدرك» (٥/ ٢٨٦) وأبو دواد (٢/ ٦٣) .

(٢) الهامة : واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة تهم بسوء قاله الحافظ .

(٣) قال الخطابي : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

أخرجه البخاري[١].

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا كان جُنْحُ[٣] الليل ـ أو أَمْسَيْتُم ـ فكفُّوا صبيانكم فإن الشيطانَ[٤] ينتشرُ حينئذ ، فإذا ذَهَبَ ساعةٌ من الليل فَخَلُّوهم[٥] وأَغْلِقُوا الأبوابَ واذكروا اسمَ اللَّه ، وخمِّروا[٦] آنيتكم واذكروا اسم اللَّه ولو أن تَعرضوا عليها شيئًا ، وأطفِئوا مصابيحكم»**[٧].

---

(١) البخاري (٦/٤٠٨) .

(٢) صحيح ، وقد تقدم تخريجه .

(٣) أجنح الليل إذا أقبل بظلامه .

(٤) في رواية : **«الشياطين»** .

(٥) في رواية : **«فحلوهم»** ، وفي رواية : **«فخلوهم»** بالخاء المعجمة .

(٦) خمروا : أي غطوا .

(٧) هذا الحديث من الأحاديث التي غفل عنها وعن العمل بها كثير من صالحي المسلمين فضلاً عن عوامهم ، ولو أمعنوا النظر فيه وأقبلوا على العمل به لنجوا من أخطار كثيرة هم وذرياتهم وأموالهم ، ولعافاهم اللَّه في أبدانهم وأسماعهم وأبصارهم فلا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلاً ولا على أولادهم . . . وفي بعض طرق الحديث : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس»** .

قال النووي رحمه اللَّه : هذا الحديث فيه جمل من آداب الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا ، فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان ، وجعل اللَّه عز وجل هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب .

وقال ابن الجوزي : إنما خيف على الصبيان في تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالبًا ، والذكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالبًا والشياطين =

وفي بعض روايات مسلم : «**فإن الشيطان لا يحل سقاءً ولا يفتح بابًا ولا يكشف إناءً**».

الحرز الحادي والعشرون : اتقاء مواطن الشبهات :

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ معتكفًا فَأَتَيْتُهُ أزورُه ليلاً ، فحدثته ثم قمتُ فانقلبتُ [١] فقام معي ليقلبني [٢] ـ وكان سكنها في دارِ أسامةَ بن يزيد ـ فمرَّ رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبيُّ ﷺ : «**على رِسْلِكُما إنها صفيةُ بنت حيي**» ، فقالا : سبحان اللَّه يا رسول اللَّه ، قال : «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يَقْذِفَ في قلوبكما سوءًا ، أو قال : شيئًا**» [*].

= عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت ، والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار ، لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وكذلك كل سواد ، ولهذا قال في حديث أبي ذر فما يقطع الصلاة ؟ قال : «**الكلب الأسود شيطان**» . أخرجه مسلم .

(١) فانقلبت : أي : رجعت .

(٢) ليقلبني : أي : ليردني أو ليرجعني إلى منزلي .

(*) وهذا من كمال شفقة النبي ﷺ بأمته ، وهكذا ينبغي للمسلم أن يفعل لا يضع نفسه في موضع الظنون ومواطن الريب والتهم . ومن ثم يجعل للشيطان سبيلاً على إخوانه في تسرب الوساوس إليهم ليظنوا بأخيهم ظن السوء ، ويكون هو قد تسبب فيما يلحق به وبإخوانه من أذى نسأل اللَّه المغفرة والهداية إلى سبيل الرشاد .

- والحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٤/٢٧٨) ومسلم (١٤/١٥٦) .

الحرز الثاني والعشرون : ترك النجوىٰ :

قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [1] [المجادلة: ١٠] .

● عن عبد اللَّه بنِ مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىٰ رجُلان دون الآخر حتىٰ تَخْتلطوا بالناس أَجْلَ أن ذلك يُحزنه»** [2] .

الحرز الثالث والعشرون : إقالة عثرة من زلت قدمه :

ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ قَدْ شَرِبَ [3] قال : **«اضربوه»** ، قال أبو هريرة رضي اللَّه عنه : فمنا الضاربُ بيده والضاربُ بنعله والضاربُ بثوبه فلما انصرف قال بعضُ القوم: أَخْزَاكَ اللَّه، قال: **«لا تقولوا هكذا لا تُعينوا** [4]

---

(١) المراد ـ واللَّه أعلم ـ : أن هـذا التناجي يصـدر عن المتناجيين بتزيين الشيطان وتسويله لهم بذلك كي يحزن المسلمين الآخرين فيتوهموا إنما وقع التناجي في حقهم وإنما يدور الحديث في شأنهم ، فمن أحس مـن ذلك شيئًا فليستعذ باللَّه وليتوكل علىٰ اللَّه فإنـه لا يضره شيء بإذن اللَّه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠) ومسلم (٢١٨٤) .

(٣) أي : قد شرب خمرًا ففي بعض الروايات : أُتي النبي ﷺ بسكران .

(٤) **قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه** : ووجه عونهم للشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي ، فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان .

قلت : وعند أبي داود زيادة في آخره : **«ولكن قولوا اللهم اغفر له وارحمه»** .

تعليق : وهكذا ينبغي لكل مؤمن ألا يكون عونًا للشيطان علىٰ إخوانه المؤمنين فإذا زلَّت قدم أحدهـم فليقوِّموه ما استطاعوا إلىٰ ذلـك سبيلاً ، والنصح حق لكل مسلم ، والستر من خير =

عليه الشيطان»[١] .

الحرز الرابع والعشرون : ترك قول لو المصحوبة بالاعتراض على القدر :

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه مِن المؤمنِ الضعيف ، وفي كلٍّ خير . احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه ولا تعجز ، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قل : قَدَّرَ اللَّه وما شاء فعل ، فإن لو تَفْتَحُ عملَ الشيطان»**[٢] .

- الأبواب والمؤمن أخو المؤمن .

(١) البخاري (حديث ٦٧٧٧) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه** : قال القاضي عياض : قال بعض العلماء : هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدًا ذلك حتمًا ، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعًا ، فأما من رد ذلك إلى مشيئة اللَّه تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء اللَّه فليس من هذا ، واستدل بقول أبي بكر رضي اللَّه عنه في الغار (لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا) .

قال القاضي : وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدرٍ بعد وقوعه ، قال : وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب (ما يجوز من اللو) كحديث : **«لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم»** و **«لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه»** و **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»** وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده . فيما كان يفعل لولا هذا المانع وعما هو في قدرته فأما ما ذهب فليس في قدرته ، قال القاضي : فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه ويدل عليه قوله ﷺ : **«فإن لو تفتح عمل الشيطان»** أي يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان . هذا كلام القاضي .

قلت : وقد جاء من استعمال كلمة (لو) في الماضي قوله ﷺ : **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى »** وغير ذلك فالظاهر أن النهي إنما هو على إطلاق ذلك فيما لا =

الحرز الخامس والعشرون : التعوّذ باللّه عند وسوسة الشياطين والمُلحدين :

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسولُ اللّه ﷺ : «يأتي الشيطانُ أَحَدَكُم فيقول : مَن خَلَقَ كذا ؟ مَنْ خَلَقَ كذا ؟ حتى يقولَ : من خَلَقَ ربَّكَ ؟ فإذا بَلَغَهُ فليستعذْ باللّه ولينْتَه»(١) .

وفي بعض طرقه : «فمن وجد في ذلك شيئًا فليقل آمنت باللّه» ، وفي بعضها : «فليقل : آمنت باللّه ورسله» .

= فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم ، فأما من قاله تأسفًا على ما فات من طاعة اللّه تعالى أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث واللّه أعلم .

• والحديث أخرجه مسلم (١٦/ ٢١٥) .

(١) هذا هو الواجب على المسلم ، واجب عليه ألا يتمادى في التفكير في ذلك ولا يدع للشيطان على نفسه سبيلاً ، وعليه أيضًا أن يتفكر في مخلوقات اللّه تعالى فقد وصف اللّه سبحانه أولي الألباب بأنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

قال الحافظ قوله : (ولينته) أي عن الاسترسال في ذلك بل يلجأ إلى اللّه في دفعه ، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها .

قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص باللّه منه وكف عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال : وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور ، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة نعوذ باللّه من ذلك .

• والحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٦) ومسلم (٢/ ١٥٤) .

الحرز السادس والعشرون : التعوُّذ باللَّه عند الغضب :

قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٦] .

وفي «الصحيحين»[١] من حديث سليمان بن صرُد رضي اللَّه عنه قال : كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان فأحدهما احْمَرَّ وجهُهُ وانتفختْ أَوْدَاجُهُ فقالَ النبيُّ ﷺ : «إني لأَعْلَمُ كلمةً لو قالها ذَهَبَ عنه ما يَجد ، لو قال : أَعُوذُ باللَّه من الشيطان الرجيم ذَهَبَ عنه ما يجد» ، فقالوا له: إن النبيَّ ﷺ قال : تَعَوَّذ باللَّه من الشيطانِ ، فقال : وهل بي جنونٌ.

الحرز السابع والعشرون : التعوذ باللَّه عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير :

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا سمعتُم صِياحَ الدِّيكَة فاسألوا اللَّه من فَضْلِه فإنها رأت مَلَكًا ، وإذا سمعتم نَهِيقَ الحمار فتعوذوا باللَّه من الشيطان فإنه رأىٰ شيطانًا» .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا باللَّه فإنها ترىٰ ما لا ترون»[٣] .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٦٥) ومسلم (١٦/ ١٦٣) .

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٤٦) .

(٣) أحمد (٥/ ١٩٣) وأبو داود (٥/ ٣٣١) وهو صحيح لشواهده .

الحرز الثامن والعشرون : قراءة سورة البقرة :

ففي «صحيح مسلم» [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه قال : **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»** .

الحرز التاسع والعشرون ، وهو حرز يُحفظ به البيت ويُحفظ به الطعام من الشيطانَ :

ألا وهو ذكر اللَّه عند دخول البيت وعند الطعام :

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : **«إذا دَخَلَ الرَجلُ بَيْتَه فَذَكَرَ اللَّه عند دُخُوله وعنْدَ طَعَامه قال الشيطانُ : لا مبيتَ لكم ولا عَشَاءَ ، وإذا دَخَلَ فلم يَذْكُرِ اللَّهَ عند دُخُوله قال الشيطانُ : أَدْرَكْتُم المبيتَ وإذا لم يذكر اللَّه عند طَعامه قال : أَدْرَكْتُمُ المبيتَ والعَشَاءَ»** .

وعن حذيفة [٣] رضي اللَّه عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ اللَّه ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ ، وإنا حضرنا معه مرةً طعامًا فجاءت جاريةٌ كأنها تُدْفع[٤] فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يدها في

---

(١) مسلم (مع النووي ٦/٦٨) .

(٢) مسلم (١٣/ ١٩٠ مع النووي) .

(٣) مسلم (مع النووي ١٣/١٨٧) .

(٤) في رواية : كأنه (تطرد) يعني لشدة سرعتها قاله النووي . وعند مسلم رواية من حديث جابر مرفوعًا : **«إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ** =

الطعامِ فَأَخَذَ رسولُ اللَّه ﷺ بيدها ثم جاء أعرابيٌّ كأنما يُدْفع فَأَخَذَ بيده فقال رسولُ اللَّه ﷺ : **«إن الشيطان يستحلُّ الطعامَ أن لا يُذكر اسمُ اللَّه عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذتُ بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به فأخذتُ بيده ، والذي نفسي بيده إن يَدَهُ في يَدي مع يدها»** .

الحرز الثلاثون : وهو حرز يقوله من نزل منزلاً ، ألا وهو قول : (أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق) .

فأخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«إذا نَزَلَ أَحَدُكُم منزلاً فليقل : أَعُوذُ بكلماتِ اللَّه التاماتِ من شرِّ ما خلق فإنه لا يضرُّه شيءٌ حتى يرتحلَ منه»** .

الحرز الحادي والثلاثون : (حرز يقوله من سقط عن دابته) :

أخرج أحمد وأبو داود[2] من حديث رجل[3] قال : كُنْتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابتُه فقلت : تعس الشيطان فقال : **«لا تَقُلْ تَعِسَ**[4]

= **فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»** .

قال النووي رحمه اللَّه : فيه التحذير من الشيطان والتنبيه على ملازمته للإنسان في تصرفاته فينبغي أن يتأهب له ويحترز منه ولا يغتر بما يزينه له .

(١) مسلم (مع النووي ١٧/ ٣١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٦٠) وأحمد (٥/ ٥٩ و ٧١) .

(٣) هذا الرجل صحابي لقوله : كنت رديف النبي ﷺ ، ولا يضر الجهل باسمه فالصحابة كلهم عدول .

(٤) تعس: أي: هلك ، ومثل هذا الكلام يوهم أن للشيطان دخلاً في مثل ذلك. «عون المعبود».

الشيطان فإنك إذا قُلْتَ ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بِقُوتي ، ولكن قُلْ بسم اللَّه فإنك إذا قُلْتَ ذلك تَصاغر حتى يكونَ مثلَ الذباب» .

الحرز الثاني والثلاثون : رد التثاؤب :

أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن اللَّه يحب العطاس ويَكْرهُ التثاؤبَ فإذَا عَطَسَ أَحَدُكُم وَحمدَ اللَّه كان حقًّا على كِل مُسلمٍ سمعه أن يقولَ له : يَرْحَمُكَ اللَّه ، وأما التثاؤبُ فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليردُّه ما استطاع ، فإن أَحَدَكُمْ إذا تثاءب ضَحِكَ منه الشيطان**» .

وفي رواية لمسلم[2]: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم**[3] **ما استطاع فإن الشيطان يدخل**» .

وفي رواية : «**فليمسك بيده**» .

الحرز الثالث والثلاثون : ترك الخلوة بالنساء :

أخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **... ولا يخلون رجل بامرأة**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٦١١) .

(٢) مسلم (١٨/ ١٢٢) .

(٣) **قال النووي رحمه اللَّه** : قوله: «فليكظم» الكظم هو الإمساك، قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه، وضحكه منه.

فإن الشيطان ثالثهما»[١] .

الحرز الرابع والثلاثون : (حرز يُقال عند الجماع) :

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«لو أن أحَدَهُم إذا أرَادَ أن يَأتِيَ**[٢] **أهْلَهُ قال : بسم اللَّه اللهم جنبنا**[٣] **الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره**[٤] **شيطانٌ أبدًا»** .

الحرز الخامس والثلاثون: قراءة الآيتين الآخيرتين من سورة البقرة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[٥] .

---

(١) انظر تخريجه بتوسع في «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي رقم ٢٣) وهو صحيح لغيره .

(٢) أي : يجامع أهله .

(٣) في رواية : «جنبني» .

(٤) قيل : المعنى : لم يفتنه عن دينه ويرده إلى الكفر وليس المراد عصمته من المعصية فإن كل بني آدم خطاء ، وقيل : لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه ، وقيل : المراد لم يطعن في خاصرته عند ولادته ، قلت : ويرد الأخير قول رسول اللَّه ﷺ : **«ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان ... إلا ما كان من مريم وابنها»** .

• وفي الحديث الإشارة إلى ذكر اللَّه ودعائه من الشيطان والتبرك باسم اللَّه والاستعاذة به من جميع الأسواء ، وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه ، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر اللَّه .

والحديث عند البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٨) ومسلم (١٠/ ٥ مع النووي) .

(٥) قيل في معنى الحديث جملة أقوال ، منها : أنهما كفتاه شر الشيطان ، والحديث أخرجه البخاري (٩/ ٥٥) ومسلم (٦/ ٩١) .

وأخرجه الحاكم[١] بإسنادٍ صحيح من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن اللَّه تبارك وتعالى كتب كتابًا قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرض بألفي عام وأنْزَل منه آيتين خَتَمَ بهما سورةَ البقرةِ ولا تُقرآن في دارٍ فيقربها شيطانٌ ثلاث ليالٍ» .

الحرز السادس والثلاثون (حروز عند النوم) :

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا أَخَذَ مَضْجعه نَفَثَ في يديه وقَرَأَ بالمعوذات[٢] ومَسَحَ بهما جَسَدَه .

وفي بعض روايات البخاري[٣] ومسلم : كان إذا اشتكى نفث في يديه بالمعوذات ومسح بهما جسده .

حرز آخر عند النوم :

آية الكرسي

عن أبي هريرة[٤] رضي اللَّه عنه قال : وكلني رسول اللَّه ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فَأَخَذْتُهُ وقلت : واللَّه لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ، قال : إني محتاج وعليَّ عيالٌ ولي

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي صحيح .

(٢) المراد بالمعوذات قل هو اللَّه أحد والمعوذتان ، والحديث عند البخاري (مع «الفتح» ١١/ ١٢٥).

(٣) انظر البخاري (مع الفتح ٨/ ١٣١) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٣) .

(٤) أخرجه البخاري معلقًا (مع الفتح ٤/ ٤٨٧) .

حاجةٌ شديدة قال : فخليتُ عنه فَأَصْبَحتُ فقال النبيُّ ﷺ : «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟**» قال : قلت : يا رسول اللَّه شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخليتُ سَبِيلَهُ قال : «**أما إنه قد كَذَبَكَ وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول رسول اللَّه إنه سيعود فَرَصَدْتُهُ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ اللَّه ﷺ قال : دَعْني فإني محتاج وعليَّ عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فَأَصْبَحتُ فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ : «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرُكَ ؟**» قلتُ : يا رسول اللَّه شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخليتُ سبيله . قال : «**أما إنه قد كَذَبَكَ وسيعود**» فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فَأَخَذْتُهُ فقلتَ : لأرفعنك إلى رسول اللَّه ﷺ وهذا آخر ثلاث مراتٍ تَزْعُم أنك لا تعود ثم تعود قال: دَعْنِي أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بها قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويتَ إلى فِراشك فاقرأ آيةَ الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تَخْتِمَ الآيةَ فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تُصبح ، فخليتُ سبيله فأصبحت فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة ؟**» قلت : يا رسول اللَّه زعم أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني اللَّه بها فخليت سبيله قال : «**ما هي ؟**» قلت قال لي : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكُرسي من أوَّلها حتى تختم الآية ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي : لن يَزَال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح . وكانوا أَحْرَص شيءٍ على الخير ، فقال النبيُّ ﷺ «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب مُذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟**» قال : لا قال : «**ذاك شيطان**» .

الحرز السابع والثلاثون (حروز للرؤيا) :

● عن أبي قتادة[١] رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : «**الرُّؤيا الصالحة من اللَّه ، والحُلم من الشيطان ، فإذا خَلَمَ أَحَدُكُم حُلمًا يخافه فليبصق عن يسارِهِ وليتعوذ باللَّه من شرِّها فإنها لا تَضُرُّهُ**» .

● وفي رواية في «الصحيحين» من طريق أبي سلمة قال[٢]: كنت أرىٰ الرؤيا فتمرضني حتىٰ سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرىٰ الرؤيا تمرضني حتىٰ سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «**الرؤيا الحسنة من اللَّه فإذا رأىٰ أَحَدُكُم ما يحب فلا يُحَدِّثُ به إلا من يُحب ، وإذا رأىٰ ما يكره فليتعوذ باللَّه من شرِّها ومن شرِّ الشيطان ، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره**» .

● وعن أبي سعيد[٣] الخدري رضي اللَّه عنه أنه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقول : «**إذا رأىٰ أَحَدُكُم الرؤيا يُحبها فإنها من اللَّه فليحمد اللَّه عليها وليُحدث بها وإذا رأىٰ غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحدٍ فإنها لن تضره**» .

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «**إذا رأىٰ أَحَدُكُم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يسارِهِ ثلاثًا وليستعذْ باللَّه**

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٥/ ٢٠) .

(٢) البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٤٣٠) ، وقد تقدم .

(٣) البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٣٦٩) .

من الشيطان ثلاثًا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»[١].

● وعن أبي هريرة[٢] رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «إذا اقتربَ الزمانُ لم تكَدْ رؤيا المُسلم تَكْذِبُ ، وأصْدَقُكُم رؤيا أصْدَقُكُم حديثًا ورؤيا المسلم جزء من خمسٍ وأرْبعين جزءًا من النبوة ، والرؤيا ثلاثةٌ فرؤيا الصالحةُ بُشرىٰ من اللَّه ورؤيا تَحزينٌ من الشيطانِ ورؤيا مما يُحدِّثُ المرءُ نَفْسَه فإن رأىٰ أحَدُكُم ما يكره فليَقُم فليُصلِّ ولا يُحَدِّث بها الناسُ» .

الحرز الثامن والثلاثون : الاستعاذة من تخبط الشيطان عند الموت:

● عن أبي اليسر[٣] رضي اللَّه عنه قال: كان رسولُ اللَّه ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحريق ، وأعوذُ بك أن يَتَخَبَّطَنِيَ الشيطانُ عِنْدَ الموتِ ، وأعوذُ بِكَ أن أموتَ في سبيلك مدبرًا وأعوذُ بك أن أموتَ لديغًا» .

الحرز التاسع والثلاثون : اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ :

● عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : لا يجعل أحَدُكُمْ للشيطانِ شيئًا من صَلاَتِه يرىٰ أن حقًّا عليه أن لا ينصرفَ إلا عن يمينه ، لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ كثيرًا ينصرفُ عن يساره[٤].

---

(١) مسلم (مع النووي ١٥/ ٢٠) .

(٢) مسلم (١٥/ ٢٠) .

(٣) النسائي (٨/ ٢٤٩) وأبو د اود في الصلاة (٣٦٨ : ١٤) .

(٤) اخرجه البخاري (٨٥٢) ومسلم (حديث ٧٠٧) .

الحرز الأربعون (ذكره ابن القيم رحمه اللَّه تعالى[١] واستفاض فيه في «التفسير القيم» ، فقال) :

الحرز العاشر : إمساك فضول النظر والكلام والطعام ، ومخالطة الناس . فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم ، وينال منه غرضه : من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب ، والاشتغال به ، والفكرة في الظفر به .

فمبدأ الفتنة من فضول النظر ، كما في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال : «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن غَضَّ بصره للَّه أورثه اللَّه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه**»[٢] أو كما قال ﷺ .

---

(١) سنده ضعيف .

(٢) وبعد بحث طويل لم نقف على الحديث في «المسند» ، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣) إلى الطبراني فقال : رواه الطبراني وفيه عبد اللَّه بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف .
قلت : فلعل كلمة (المعجم) تصحفت على الشيخ رحمه اللَّه أو على الناسخ إلى (المسند) وقد وهم الهيثمي أيضًا في قوله عبد اللَّه بن إسحاق بل هو عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف .
والحديث عزاه ابن كثير رحمه اللَّه (تفسير سورة النور ٣/ ٣٤٣) إلى الطبراني من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد اللَّه بن مسعود مرفوعًا به .
وفي إسناده علة أخرى وهي الكلام في سماع عبد الرحمن بن مسعود من أبيه فقد أثبته بعض أهل العلم ونفاه آخرون ، وحمل بعضهم سماعه على أحاديث معينة ليس هذا منها واللَّه أعلم.
هذا وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في ذم النظر إلى ما حرم اللَّه أحاديث كثيرة فليراجعها من شاء . (تفسير ٣/ ٢٤٣) .

فالحوادث العظام إنما هي كلها من فضول النظر ، فكم من نظرة أعقبت حسرات لا حسرة ؟ كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ∴ ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ∴ فتك السهام بلا قوس ولا وتر ؟

وقال الآخر :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا ∴ لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كُلَّه أنت قادر ∴ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي :

وأنا الذي جلب المنية طرفه ∴ فمن المطالب ، والقتيل القاتل ؟

ولي من أبيات :

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا ∴ أنت القتيل بما ترمي ، فلا تصب
وباعثَ الطرف يرتاد الشفاء له ∴ تَوقَّه ، إنه يرتد بالعطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ∴ فهل سمعت ببرء جاء من عطب ؟
ومفنيًا نفسه في إثر أقبحهم ∴ وصفًا للطخ جمال فيه مستلب
وواهبًا عمره في مثل ذا سفها ∴ لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
وبائعًا طيب عيش ماله خطر ∴ بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت واللَّه غبنًا فاحشًا فلو اسـ ∴ ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
ووارِدًا صفو عيش كله كدر ∴ أمامك الورد صفوًا ليس بالكذب

وحاطب الليل في الظلماء منتصبًا ∴ لكل داهية تدني من العطب
شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب ∴ وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ∴ والضي في الأفق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت ∴ عن أفقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ∴ ورسل ربك قد وافتك في الطلب
ما في الديار وقد سارت ركائب من ∴ تهواه للصب من سكنىٰ ولا أرب
فأفرش الخد ذياك التراب ، وقل ∴ ما قاله صاحب الأشواق في الحقب
ما ربع مية محفوفًا يطوف به ∴ غيلان أشهىٰ له من ربعك الخرب
ولا الخدود إن أدمين من ضرج ∴ أشهىٰ إلىٰ ناظري من خدك الترب
منازلَ كان يهواها ويألفها ∴ أيام كان منال الوصل عن كثَب
فكلما جليت تلك الربوع له ∴ يهوي إليها هوىٰ الماء في صبب
أحيا له الشوق تذكار العهود بها ∴ فلو دعا القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل في الأرض يألفه ∴ وما له في سواها الدهر من رغب
ما في الخيام أخو وجد يريحك إن ∴ بثثته بعض شأن الحب ، فاغترب
وأسر في غمرات الليل مهتديًا ∴ بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخي جبن ومَعجزة ∴ وحارب النفس لا تلقيك في الحرب
وخذ لنفسك نورًا تستضيء به ∴ يوم اقتسام الورىٰ الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس يقطعه ∴ إلا بنور ينجي العبد في الكرب

والمقصود : أن فضول النظر أصل البلاء .

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان ، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها . وكم من حرب جرتها كلمة واحدة . وقد قال النبي ﷺ لمعاذ : **«وهل يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»**[1] ، وفي الترمذي : أن رجلاً من الأنصار تُوفِّي فقال بعض الصحابة : طوبى له . فقال النبي ﷺ : **«فما يدريك ؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه»**[2] .

وأكثر المعاصي : إنما يولدها فضول الكلام والنظر . وهما أوسع مداخل الشيطان . فإن جارحتيهما لا يملان ، ولا يسأمان ، بخلاف شهوة الباطن . فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام .

وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام ، فجنايتهما متسعة الأطراف ، كثيرة الشعب ، عظيمة الآفات .

وكان السلف يحذرون من فضول النظر ، كما يحذرون من فضول الكلام ، كانوا يقولون : ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان.

وأما فضول الطعام : فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر ، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ، ويثقلها عن الطاعات . وحسبك بهذين شرًّا.

---

(١) صحيح لشواهده .

أخرجه أحمد من طرق عن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه مرفوعًا (٥/ ٢٣١ و ٢٣٦ و ٢٣٧) والترمذي (٢٦١٦) وقال هذا حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهم .

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٣١٦) من طريق الأعمش عن أنس وقال : هذا حديث غريب قلت : وسنده منقطع إذ إن الأعمش لم يسمع من أنس رضي اللّه عنه .

فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها؟ .

فمن وقي شر بطنه فقد وقي شرًّا عظيمًا .

والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام . ولهذا جاء في بعض الآثار : «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم» ، وقال النبي ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن»[1] .

---

(١) صحيح .

أخرجه أحمد (٤/١٣٣) فقال : ثنا أبو المغيرة قال ثنا سليمان بن سليم الكناني قال ثنا يحيى ابن جابر الطائي قال : سمعت المقدام بن معدي كرب الكندي قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنَفَسه» .

وأخرجه الحاكم من هذه الطريق (٤/٣٣١) وقد صرح فيه يحيى بالسماع من المقدام وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

قلت : وهذا الإسناد صحيح ، وقد تكلم بعض أهل العلم في سماع يحيى بن جابر من المقدام، ولكن هذه الرواية ترد قولهم إذ أنه قد صرح بالسماع منه والسند إليه صحيح واحتمال السماع قائم إذ إن بين الوفاتين (وفاة يحيى ووفاة المقدام) نحو ٣٩ سنة (انظر : ترجمتيهما في التقريب) .

والحديث أخرجه أيضًا الترمذي (٢٣٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن حبان رقم (١٣٤٩) .

والحاكم (٤/١٢١) وسكت عنه هناك وقال الذهبي : صحيح ، وهؤلاء الذين ذكرناهم مؤخرًا رووه من طريق يحيى بن جابر عن المقدام بالعنعنة . ولا يضر ذلك .

وقد جاء الحديث من طرق أخرى فعزاه المزي في «الأطراف» (٨/٥٠٩) إلى النسائي في «السنن الكبرى» في الوليمة من طريق صالح بن يحيى عن جده وصالح هذا ضعيف ولا نوافق الحافظ ابن حجر على قوله فيه إنه (لين) هو أنزل درجة من هذا فقد قال البخاري (فيه نظر) =

ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر اللَّه عز وجل ، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ، ومَنَّاه وشهاه ، وهام به في كل واد . فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت ، وطافت على أبواب الشهوات ، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت .

وأما فضول المخالطة : فهي الداء العضال الجالب لكل شر . وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة . وكم زرعت من عداوة . وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات ، وهي في القلوب لا تزول ، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة . وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة .

ويجعل الناس فيها أربعة أقسام : متى خلط أحد الأقسام بالآخر ،

انظر : «التهذيب» ولا تغتر كذلك بقول الحافظ في أبيه إنه مستور .

فهذه الطريق ضعيفة .

وقد أخرجه أيضًا ابن ماجة (رقم ٣٣٤٩) من طريق محمد بن حرب عن أمه عن أمها أنها سمعت المقدام .

والأم وأمها مجهولتان .

ونقل الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف على تحفة الأشراف» أن البيهقي أخرجه من طريق محمد بن حرب عن أبيه عن جده .

فالذي يظهر أن سند البيهقي سقط منه صالح بن يحيى بن المقدام فيرجع الإسناد إلى إسناد النسائي وابن حبان الذي هو محمد بن حرب عن صالح بن يحيى بن المقدام عن أبيه عن جده وقد تكلمنا عليه . ثم إنه يبدو لنا أن قوله عن أمه عن أمها تصحف عن قوله (عن أبيه عن جده) واللَّه أعلم .

وعلى كل فسند أحمد صحيح واللَّه أعلم .

ولم يميز بينهما دخل عليه الشر .

أحدها : من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة . فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر ، وهم العلماء باللَّه وأمره ، ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون للَّه ولكتابه ولرسوله ولخلقه . فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح .

القسم الثاني : من مخالطته كالدواء ، يحتاج إليه عند المرض . فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته ، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش ، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من .

القسم الثالث : وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه .

فمنهم من مخالطته كالداء العضال ، والمرض المزمن ، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا . ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما . فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت ، فهي مرض الموت المخوف .

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك ، فإذا فارقك سكن الألم .

ومنهم من مخالطته حمى الروح . وهو الثقيل البغيض العقل ، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها ، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين ، مع إعجابه بكلامه وفرحه به . فهو يُحدِث من فيه كلما تحدث ، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس . وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض . ويذكر عن الشافعي رحمه اللَّه أنه قال : ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر .

ورأيت يومًا عند شيخنا قدس اللَّه روحه رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله ، وقد ضعفت القوى عن حمله ، فالتفت إليّ وقال : مجالسة الثقيل حمى الربع . ثم قال : لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى ، فصار لها عادة . أو كما قال .

وبالجملة : فمخالطة كل مخالف حمى للروح ، فعرضية ولازمة. ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب . وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف ، حتى يجعل اللَّه له من أمره فرجًا ومخرجًا .

القسم الرابع : من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم. فإن اتفق لآكله ترياق ، وإلا فأحسن اللَّه فيه العزاء . وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم اللَّه . وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول اللَّه ﷺ ، الداعون إلى خلافها ، الذين يصدون عن

سبيل اللَّه ويبغونها عوجًا ، فيجعلون البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والمعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا .

إن جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء والصالحين .

وإن جردت المتابعة لرسول اللَّه ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين .

وإن وصفت اللَّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين .

وإن أمرت بما أمر اللَّه به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى اللَّه عنه ورسوله من المنكر ، قالوا : أنت من المفتنين .

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين .

وإن انقطعت إلى اللَّه تعالى ، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا ، قالوا : أنت من الملبسين .

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم ، فأنت عند اللَّه من الخاسرين ، وعندهم من المنافقين .

فالحزم كل الحزم: التماس مرضاة اللَّه تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بأعتابهم ، ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم. فإنه عين كمالك كما قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ∴ فهـي الشهادة لـي بأنـي فاضـل

وقال آخر :

وقـد زادني حبًّا لنفسي أنني ∴ بغيض إلىٰ كل امرئٍ غير طائل

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم ، وهي فضول النظر ، والكلام ، والطعام ، والمخالطة . واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان : فقد أخذ بنصيبه من التوفيق . وسد علىٰ نفسه أبواب جهنم ، وفتح عليها أبواب الرحمة ، وانغمر ظاهره وباطنه . ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء . فعند الممات يحمد القوم التقي . وفي الصباح يحمد القوم السُّري . واللَّه الموفق لا رب غيره ، ولا إله سواه .

الخاتمـــة

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وبعد ...

فإلى هذا القدر ينتهي تفسير جزء عم في سؤال وجواب ، وما كان فيه من توفيق وصواب فمن اللَّه وحده ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه ، ومن كانت له نصيحة أو فائدة فليقدمها وليسدها وجزاه اللَّه خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته .

نسأل اللَّه أن ينفع بهذا السِّفر الإسلام والمسلمين وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد اللَّه / مصطفى بن العدوي

منية سمنود ـ ـ أجا ـ دقهلية

الفهارس العامة

١ - فهرس الفوائد .
٢ - فهرس أطراف الحديث .
٣ - فهرس الموضوعات .

١ ـ فهرس الفوائد

الموضوع | الصفحة

١ ـ الفوائد الحديثية

١ ـ ضعف حديث «أفضل الحج العج والثج» ..... ٩ هـ

٢ ـ ضعف قول من استحيضت : (إنما أثج ثجًا) ..... ١٠ هـ

٣ ـ حديث عائشة : لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل اللّه عز وجل ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ الصحيح إرساله وله شاهد .... ٧٧ هـ

٤ ـ حديث هشام بن عروة عن عائشة : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى ..... الصواب إرساله عن هشام وكذلك حديث أنس وغيره من الطرق لا تخلو من علة إلا أنها تنجبر بالآيات والإجماع ..... ٨١ ـ ٨٢

٥ ـ ضعف ما جاء من طريق إبراهيم التيمي عن أبي بكر قال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ..... ٩٩ هـ

٦ ـ تواتر حديث «نضر اللّه امرءًا سمع مقالتي فوعاها ....» ١٠٤

٧ ـ انتقاد الدارقطني لحديث صهيب عند مسلم : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ...» ... ١٧٣هـ

٨ ـ ضعف حديث : أن مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي فقال لأحدهما ٢٢١

٩ ـ انقطاع سند قول ابن مسعود : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم .... ٢٧٥ هـ

١٠ ـ انتقاد الدارقطني لحديث «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ...» ٣٣٧

١١ ـ ضعف حديث أبي هريرة قال : قرأ رسول اللّه ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة : ٤] قال : «أتدرون ما أخبارها ؟» ٤٦٥

١٢ ـ ضعف حديث «لعن اللّه زوارات القبور» ٤٩٨

١٣ ـ ضعف حديث أن فاطمة كانت تزول قبر عمها حمزة كل جمعة ٥٠٢

١٤ ـ عدم الاطمئنان لحديث قراءة الصحابة لسورة العصر عند انصرافهم ٥٣٦

١٥ ـ انقطاع أسانيد قصة أبرهة وهدم الكعبة ٥٥١

١٦ ـ ضعف كل ما ورد أن سورة الكافرون تعدل ربع القرآن ٦١٩

١٧ ـ ضعف ما جاء أن الفلق سجن في جهنم ٦٨٢

١٨ ـ ضعف حديث ابن عمر : كان رسول اللّه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : «يا أرض ربي وربك اللّه .....» ٦٩٦

١٩ ـ الكلام في حديث «أصدق الأسماء حارث وهمام» ٧٩٢

الموضوع	الصفحة

٢٠ ـ ضعف حديث «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس» ٨٢٥
٢١ ـ ضعف ما جاء في قوله ﷺ في رجل من الأنصار مات : «فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه» ٨٢٨

٢ ـ فوائد في الجرح والتعديل

١ ـ إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك ..... ٩ هـ
٢ ـ عبد اللّه بن محمد بن عقيل الراجح ضعفه ..... ١٠ هـ
٣ ـ تُكلم في رواية ابن أبي نجيح للتفسير عن مجاهد ٦٢
٤ ـ إبراهيم التيمي لم يسمع من أبي بكر رضي اللّه عنه ٩٩هـ
٥ ـ مراسيل الحسن البصري من أضعف المراسيل ٢٢١
٦ ـ سماع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب قبل اختلاطه ..... ٢٢٥ هـ
٧ ـ القاسم بن عوف الشيباني تكلم فيه بعض أهل العلم ..... ٣٨٢ هـ
٨ ـ يحيى بن أبي سليمان ضعيف ..... ٤٦٥ هـ
٩ ـ أبو مدينة مختلف في صحبته وأثبت له الطبراني الصحبة ٥٣٦
١٠ ـ زياد بن ميناء قال ابن المديني : مجهول ..... ٥٧٩ هـ
١١ ـ الزبير بن الوليد لم يذكر في الرواة عنه إلا شريح بن عبيد ولم يوثقه إلا ابن حبان ..... ٦٩٦ هـ
١٢ ـ عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف ٨٢٥
١٣ ـ اختلاف القول في سماع عبد الرحمن بن مسعود من أبيه ٨٢٥
١٤ ـ الأعمش لم يسمع من أنس ٨٢٨
١٥ ـ صالح بن يحيى ضعيف ..... ٨٢٩ هـ
١٦ ـ عبد الوهاب بن بخت لم يخرج له مسلم ووصف بأنه كثير الأوهام ٧٩٢

٣ ـ فوائد بلاغية ونحوية وإملائية

١ ـ (عمَّ) أصلها (عَنْ ما) فحذفت الألف للاستفهام وأدغمت النون في الميم، مثل (فِيمَ ، مِمَّ) ..... ١٠ هـ
٢ ـ ما جاء في معنى كلاَّ ..... ١٥ ، ٩٠ ، ١٦٧ ، ٣٣٤
٣ ـ من فوائد التكرار : التأكيد على وقوع المكرر ١٦
٤ ـ العرب تجعل معنى الغداة أول النهار والعشية آخر النهار ٧٧

الموضوع	الصفحة
٥ ـ المعروف عند العرب من معنى الحشر الجمع	١٠٨ هـ
٦ ـ العرب تقول للنهر أو للركي المملوء : ماءٌ مسجورًا	١٠٨ هـ
٧ ـ لماذا عُبر بقوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ [التكوير : ١٤] ولم يقل : علمت كل نفس ؟	١٢٤
٨ ـ مجيء الظن بمعنى اليقين في مواطن كثيرة من كتاب اللّه عز وجل	١٤٩
٩ ـ مثال لاستفهام تقريري	١٨٨
١٠ ـ مثال لاستفهام إنكاري	٢٠٧
١١ ـ معنى (إن) في قوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾	٢٧٥
١٢ ـ علامة الاستثناء المنقطع حُسن دخول أن في المستثنى وإذا كان متصلاً لم يحسن	٣١٧ هـ
١٣ ـ مثال على نوع من أنواع الالتفات في الخطاب	٤٦٦
١٤ ـ مثال على إطلاق المحل وإرادة الحال	٤٧٩
١٥ ـ مثال يسوغ الابتداء بالنكرة	٥٣٨

٤ ـ الإجماع

١ ـ نقل الطبري إجماع أهل التأويل على أن ﴿ ألفافًا ﴾ معناه ملتفة	١٠ هـ
٢ ـ نقل الرازي إجماع المفسرين على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ﷺ وأن الأعمى هو ابن أم مكتوم	٨٠
٣ ـ نقل الفراء الإجماع على أن ﴿ عسعس ﴾ : أدبر ، ولم يوافَق لمخالفة بعض أهل العلم في ذلك	١٢٧ هـ
٤ ـ قول السمرقندي : أجمع المفسرون أن معنى (لا أقسم) : أقسم	١٢٨ هـ
٥ ـ نقل عدد من أهل العلم الإجماع على أن المراد باليوم الموعود يوم القيامة	٢١٠ هـ
٦ ـ نقل الزجاج إجماع أهل اللغة على أن التربة : موقع القلادة من الصدر والجمع : ترائب	٢٤٩ هـ

٥ ـ (الجمع بين ما يوهم التعارض)

١ ـ كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ : ١٨]	٢٥
٢ ـ كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] فذكر اللّه سبحانه أنه لا يكلمهم مع قوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠] فقد كلمهم ؟	٣٥

٣ ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وبين كذب المشركين في قولهم : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] ؟ ٤٢
٤ ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة : ٢٥] وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق : ١٠] ١٩٩
٥ ـ الجمع بين قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية : ٦] ، وكيف ينبت الضريع في النار ؟ ٢٩٤
٦ ـ الجمع بين قوله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» وجوابه عن سؤال : من خير البرية ؟ : «ذاك إبراهيم عليه السلام» ٤٦١
٧ ـ الجمع بين قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة : ٤] وبين قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر : ٧] ٤٨١

٢ . فهرس أطراف الحديث

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الألف)		
ـ «الأئمة من قريش إذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا ..»	أنس	٥٦٨ ، ٥٦٧
ـ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ..	أنس بن مالك	٤٠١
ـ «أتدرون ما الكوثر ؟ »	أنس بن مالك	٦١٣
ـ «أتدرون من المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ..	أبو هريرة	٣٧٨ هـ ، ٥٩٥
ـ «أتريد أن تكون فتانًا يا معاذ ، إذا أممت الناس ...»	جابر بن عبد اللَّه	٢٦١
ـ أُتي برجل قد شرب قال : «اضربوه» ، قال : فمنا الضارب ..	أبو هريرة	٨١٣
ـ أتيت ـ انتهيت إلى ـ النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾	أنس بن مالك	٤٨٦هـ
قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل ...»	عبد اللَّه بن	٤٨٨ ، ٥١٨
ـ «اثبت أحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان ...»	الشخير	٦١٠
ـ «احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ... »	أبو هريرة	٦٧٥ ، ٦٧٦
ـ «احفظ اللَّه يحفظك احفظ اللَّه تجده تجاهك»	ابن عباس	٧٢٥ ، ٧٣٨
ـ «إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهط....»	عبد اللَّه بن زمعة	٣٦٦
ـ «إذا أحب اللَّه عبدًا نادى جبريل : إن اللَّه يحب فلانًا فأحبه..»	أبو هريرة	١٣٠
ـ «إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل ..»	أبو هريرة	١٦٩
ـ «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان...»	أبو هريرة	٨٠١
ـ «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً»	جابر بن عبد اللَّه	٢٤٩ هـ
ـ «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا..»	أبو هريرة	٨٢٤
ـ «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه» ...	البراء بن عازب	٤٩٤
ـ «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء ...»		٤٠٧ هـ
ـ «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان ...»	أبو موسى	٦٠٨
ـ «إذا جمع اللَّه الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد ..»	أبو سعد بن فضالة	٥٧٩
ـ «إذا دخل الرجل بيته فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه ...»	جابر بن عبد اللَّه	٧٨١ ، ٨١٧

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول اللّه تبارك وتعالى : تريدون شيئًا...»	صهيب	١٧٣ هـ
ـ «إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا ...»	جابر بن عبد اللّه	٨٢٣
ـ «إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث إلا من يحب»	أبو قتادة الأنصاري	٣٩٧
ـ «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من اللّه فليحمد اللّه عليها..»	أبو سعيد	٨٢٣
ـ «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا اللّه من فضله فإنها رأت ...»	أبو هريرة	٨١٦
ـ «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا باللّه..»	جابر بن عبد اللّه	٨١٦
ـ «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ؟ ثلاثًا أم أربعًا..»	أبو سعيد	٨٠٧
ـ «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ...»	أبو هريرة	٨٠٦
ـ «إذا قضى اللّه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها ...»		٧٩٦
ـ «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم اللّه...»	جابر بن عبد اللّه	٦٩٢، ٨١١
ـ «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول ...»	أبو هريرة	٢١١ هـ
ـ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا..»	ابن مسعود	٨١٣
ـ «إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فتقول له : ما فعل فلان ...»		٤٨٢
ـ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ..»	أبو هريرة	٣٧٦
ـ «إذا مر بين يدي أحدكم شيء وهو يصلي فليمنعه ..»	أبو سعيد	٨٠٦
ـ «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»	أبو موسى	٤١٨
ـ «إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل : أعوذ بكلمات اللّه التامات ...»	خولة بنت حكيم	٨١٨
ـ أرأيت أكلة أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز..	أبو بكر الصديق	٥١٨
ـ «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير ...»	ابن عباس	٦٦٣
ـ أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا فناداه منادٍ ...	أبو صالح	٨٠٣ هـ
ـ «ارقيها وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة»		٤٣١

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ...»		٦١٠
ـ «أستغفرك وأتوب إليك» دعاء ختام المجلس	أبو برزة	٦٥٩
ـ اشتكى رسول اللّه ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا فجاءت امرأة ..	جندب بن سفيان	٣٨٩
ـ «أشعرت أن اللّه قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ ...»	عائشة	٧٠٦
ـ أصبنا سبيًا فكنا نعزل فسألنا رسول اللّه ﷺ فقال : ...	أبو سعيد الخدري	١١٤
ـ اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال : «وجدتم ما وعد ربكم حقًا ..»	ابن عمر	٤٩٥
ـ «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ..»	جابر بن عبد اللّه	٣٨٩
ـ «أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يارحمن ..»		٢٤٩ هـ
ـ «أفضل الحج العج والثج»	ابن عمر	٩ هـ
ـ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»	أبو هريرة	٤٣٧
ـ «اكتبوا لأبي شاه»		٤٣١
ـ «أكما يقول ذو اليدين ...»	أبو هريرة	٨٣
ـ «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»	عائشة	٦٠٦
ـ «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها»	جابر بن سمرة	٤٢
ـ «... ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قالوا : ليته سكت		٥١٠
ـ «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»	ابن عمر	٥٣١
ـ «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : قل أعوذ ...»	عقبة بن عامر	٦٨٣
ـ «اللّه أكبر كبيراً (ثلاثًا) والحمد للّه كثيراً (ثلاثًا) ...»	جبير بن مطعم	٨٠٤هـ
ـ «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكّاها ...»	زيد بن أرقم	٣٦٢
ـ «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحريق ...»	أبو اليسر	٨٢٤
ـ «اللهم هؤلاء أهل بيتي»		٧٠٠
ـ «أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ...»	أبو سعيد	٢٨١ هـ
ـ «أما إنه من أهل النار»	سهل بن سعد	٥٨٢
ـ أمرني أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة	عقبة بن عامر	٦٨٣
ـ أملى عليّ ﴿ لا يستوي القاعدون ... ﴾	زيد بن ثابت	٨٧

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «أنا بريء من المسلم يعيش بين ظهراني المشركين»		٦٥٤
ـ «أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ..»	ابن عباس	٤٠٠ هـ
ـ أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول اللّه.	عائشة	٨١
ـ «إنكم ملاقو اللّه حفاة عراة غرلاً ... »	ابن عباس	١٥٠
ـ أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا : .	عائذ اللّه بن عمرو	٨٩
ـ «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم ...»		٣٤٦
ـ «إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم..»	أبو سعيد الخدري	٢٣٨
ـ «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ..»	جابر بن عبد اللّه	٧٨٤ هـ
ـ «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار.»		٤٨٣
ـ «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»	محمود بن لبيد	٥٧٩
ـ «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»	عائشة	٦٦٧
ـ «إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ....»	واثلة بن الأسقع	٥٦٧، ٥٦٨
ـ «إن اللّه أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ ...»	أبي بن كعب	٤٥٦
ـ «إن اللّه تبارك وتعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض ...»	النعمان بن بشير	٨٢١
ـ «إن اللّه حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات»	المغيرة بن شعبة	١١٧
ـ «إن اللّه يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس ...»	أبو هريرة	٨١٩
ـ «إن اللّه عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ...»	الحارث الأشعري	٧٩٩
ـ «إن اللّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار..»	أبو موسى	٣٧
ـ «إن اللّه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»		٣٩٧، ٦١٠
ـ «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حُصاص»	أبو هريرة	٨٠٤، ٧٧٨ ٨٠٣
ـ «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون ...»	جابر بن عبد اللّه	٨٠٣
ـ «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه»		٧٣٧
	جابر بن عبد اللّه	٨١٧
ـ «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللّه عليه»	حذيفة بن اليمان	٧٨١

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ..»	أبو هريرة	١٧١
ـ «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك اللّه ..»	أبو بكر	٣٦٨
ـ «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء»	أبو هريرة	١٠٤ هـ
ـ «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ...»	أبو هريرة	٥٨٢
«إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ـ يعني من النعيم ـ أن يقال...»	أبو هريرة	٥١١ هـ
ـ «إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري»	أبو سعيد	٥٩٨
ـ «إن جبريل قال : يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم ...»	أبوسعيد الخدري	٧١٣، ٧١٤
ـ «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا...»	المسور بن مخرمة ومروان	٥٦١، ٥٦٢
ـ «أن رجلاً جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال: إني أعزل عن امرأتي. فقال . .	أسامة بن زيد	١١٤
أن رجلاً قال : يا نبيَّ اللّه كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال: «أليس ....»	أنس بن مالك	١٥١
ـ أن رجلاً قال : يا رسول اللّه إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان		١١٨ هـ
ـ أن رجلاً من الأنصار توفي فقال بعضهم : طوبى له فقال ﷺ:	أنس بن مالك	٨٢٨
ـ أن صعصعة وفد على رسول اللّه ﷺ في وفد بني تميم		١٢٠ هـ
ـ «أن عبدًا أصاب ذنبًا وربما قال : أذنب فقال : رب أذنبت ..»	أبو هريرة	٢٣٦
ـ أن عثمان بن أبي العاص قال : يا رسول اللّه إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي . . .	جبير بين مطعم	٨٠٤ هـ
ـ أن فاطمة رضي اللّه عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي		٥٠٢ هـ
ـ «إن لكل نبي حواري وحواري الزبير»	جابر بن عبد اللّه، علي	٦٠٩
ـ «إن للّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل ..»		٣٢١ هـ
ـ أن مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ فقال . .	الحسن	٢٢١
«إن مكة حرمها اللّه ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن باللّه...»	أبو شريح	٣٤٧
ـ «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح ...»	ابن مسعود	٦٠٦

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا وإن النبي ﷺ صنع مثل . . .	علي بن أبي طالب	٦٠٥
ـ «إن هذا البلد حرمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ...»	ابن عباس	٣٤٢، ٣٤٦
ـ «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»	جابر بن سمرة	٥٦٨
ـ «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم»	زيد بن ثابت	٤٩٦
ـ أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك اللَّه . . .	عائشة	٤٩٥
ـ «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ...»	ابن عمر	٢٦٩، ٢٧١
ـ «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت .»	أبو هريرة	٤٨٠
ـ «إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة»		١٧١
ـ «إني أحتسب على اللَّه أن يكفر السنة التي قبلها» لعاشوراء		٦٠٤
ـ «إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»	عائشة	٦٠٧
ـ أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت : صيام ثلاثة . . .	أبو الدرداء	٣٨٤
ـ أوصاني حبي بثلاث لا أدعهن إن شاء اللَّه أبدًا : أوصاني بصلاة . . .	أبو ذر	٣٨٤
ـ أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت، صوم ثلاثة أيام. . .	أبو هريرة	٣٨٤
ـ «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك ...»	معاذ بن جبل	٤٠٩
ـ «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ...»	أبو هريرة	٥٩٩
ـ أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم فكان. .	عائشة	٤٢٧
ـ «إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن وادٍ فجاء ذا بعود...»	سهل بن سعد	٧٨٦ هـ
ـ «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ ...»	أبو الدرداء	٦٧٤
(حرف الباء)		
ـ «بل أنت تربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ...»	أنس وعائشة	٦٠٧
ـ بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة . . .	ابن مسعود	١٨٧
ـ بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة . . .	ابن عمرو	١٨٨
ـ بينما رسول اللَّه ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: . . .	أبو هريرة	٧٦

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف التاء)		
ـ «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»	عائشة	٤٤٢
ـ «تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى اللَّه عبد اللَّه ...»	أبو وهب	٧٩٢
ـ «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا ...»	أبو موسى	٢٧٠، ٢٧١
ـ «تقيء الأرض أفلاذ أكبادها مثل الأسطوان ...»	أبو هريرة	١٩٥، ٤٦٣
ـ «تلك عاجل بشرى المؤمن»	أبو ذر	٥٨٦
ـ توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحبشى فحمل إلى مكة فدفن فيها فلما قدمت عائشة	ابن أبي مليكة	٥٠٢
(حرف الجيم)		
ـ جاء ابن أم مكتوم الأعمى إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف . . .	أنس	٨٢
ـ جاء رجل فقال : يا خير البرية فقال رسول اللَّه ﷺ : «ذاك إبراهيم ...»	أنس بن مالك	٤٦٠
ـ جاء رجل فقال : يا رسول اللَّه إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخرَّ . . .	ابن عباس	٧٧٩ هـ
ـ جاء قيس بن عاصم فقال : يا رسول اللَّه إني وأدت بنات لي في الجاهلية . . .	عمر بن الخطاب	١١٨ هـ
ـ جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة . .	عائشة	١٢٣
ـ جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات . . .	عائشة	١٢٣
(حرف الحاء)		
ـ حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب اللَّه ورسوله	علي بن أبي طالب	٢٧٦
ـ حديث الأعمى والأقرع والأبرص	أبو هريرة	٣٩٣
ـ ﴿حسبنا اللَّه ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم حين . . .	ابن عباس	١٨٤
ـ حضرته في أناس وهو يقول : «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة..»	جذامة بنت وهب	١١٤ ، ١١٨هـ
ـ «الحياء لا يأتي إلا بخير»	عمران بن حصين	٦٠٦
ـ «الحياء من الإيمان»	ابن عمر	٦٠٦

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الخاء)		
ـ خرج على أهل قباء وهم يصلون فقال : **«صلاة الأوابين ...»**	زيد بن أرقم	٣٨٣
ـ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف . . .	ابن عباس	١٥٠
ـ خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللّه ﷺ . .	عبد اللّه بن خبيب	٧٢٥، ٨٠٩، ٦٨٤
ـ خرجنا معه في جنازة رجل من الأنصار	البراء بن عازب	٥٠، ١٦٨، ١٧٤هـ، ٤٩٣
ـ **«خير الأسماء عبد اللّه وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام...»**	عبد الوهاب بن بخت	٧٩٢
ـ **«خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ...»**	زيد بن ثابت	٣٨٧
ـ **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه ....»**	أبو هريرة	٥٦٩
(حرف الدال)		
ـ دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد اللّه الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا . . .	علقمة	٣٧٣
(حرف الذال)		
ـ ذكر عنده رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : **«ذاك رجل بال الشيطان ...»**		٧٨٢، ٨٠٢
ـ **«ذهب أهل الهجرة بما فيها»**	مجاشع	٦٥٢
(حرف الراء)		
ـ رأى رجلاً يصلي فطفق فقال له حذيفة : منذ كم تصلي هذه . .		٢٩٠ هـ
ـ رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل	أبو أمامة بن سهل ابن حنيف	٧٥٦، ٧٥٧
ـ رخص لآل حزم في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس : **«مالي ...**	جابر بن عبد اللّه	٧٥٧
ـ **«الرؤيا الصالحة ـ الحسنة ـ من اللّه والحلم من الشيطان ...»**	أبو قتادة	٧٢٧، ٨٢٣

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الزاي)		
ـ زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . . .	أبو هريرة	٤٩٨، ٥٠٠
ـ زجر عن الشرب قائمًا	أبو سعيد الخدري	٦٠٥
(حرف السين)		
ـ سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي . . .	جابر بن عبد اللّه	١١٥
ـ سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب النبي ﷺ فقال له : فأشراف الناس . . .	ابن عباس	٩٠
ـ سألت عائشة رضي اللّه عنها : كم كان رسول اللّه ﷺ يصلي صلاة الضحى	معاذه العدوية	٣٨٤
ـ سألته عن التفات الرجل في الصلاة فقال : **«هو اختلاس يختلس الشيطان ...»**	عائشة	٨٠٦
ـ سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟	العوام بن حوشب	٢٠٨
ـ سئل عن العزل فقال : **«ذلك الوأد الخفي»**	جذامة بنت وهب	١١٣
ـ سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : **«أن تجعل للّه ندًا وهو خلقك»**	ابن مسعود	١١٧
ـ سئل عن الحُمُر فقال : **«ما أنزل اللّه فيها شيئًا إلا هذه الآية»**	أبو هريرة	٤٦٨
ـ **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**	ابن مسعود	٥٩٦
ـ **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك »** كان يقولها بعد نزول سورة النصر	عائشة	٦٥٩
ـ سجدنا مع النبي ﷺ **﴿ إذا السماء انشقت ﴾** و **﴿ اقرأ باسم ربك ﴾**	أبو هريرة	٢١٨، ٤٣٨
ـ **«سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ »**	عائشة	٦٧٤
ـ سمع ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : **«يرحمه اللّه ....»**	عائشة	٢٧٣هـ
(حرف الشين)		
ـ شرب من زمزم وهو قائم	ابن عباس	٦٠٥
ـ **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**	أنس بن مالك	١٤٣
ـ شكونا إليه ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة	خباب بن الأرت	٢٢٤
ـ **«الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»**	أبو هريرة	١١٠

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الصاد)		
ـ صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ فسجد	أبو رافع	٢٠٧
ـ «صم يومًا وأفطر يومًا فإن ذلك أحب الصيام ...»	ابن عمرو	٦٠٤
(حرف الضاد)		
ـ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول	ابن مسعود	٧٣١
(حرف العين)		
ـ «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذاك لأحد ...»	صهيب	٣٣٤
ـ علامات ليلة القدر		٤٤٣ ـ ٤٤٤
ـ عن عائشة أنها أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها : . .	ابن أبي مليكة	٥٠٢
ـ «العين حق ...»	ابن عباس	٧٥٨، ٧٣٦
(حرف الفاء)		
ـ «فابتغوها في العشر الأواخر»	أبو سعيد الخدري	٤٤٢
ـ «فإذا أخذت مضجعك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة ...»	الوليد بن الوليد	٨٠٤
ـ «فاكفتوا صبيانكم واحبسوا فواشيكم حتى تذهب فحمة ...»	جابر	٦٩٣
ـ «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي ...»	محمود بن الربيع	٥٩٣
ـ فوالله ما كانت امرأة قط وضيئة عند زوج ولها ضرائر إلا . . .	أم رومان	٧٥٤
ـ «في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق ...»	بريدة	٣٨٣
ـ «في مثل ضوء النهار .. »	ابن عباس	٦٩٤
ـ في نزلت ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾	سعد بن أبي وقاص	٨٨ هـ
ـ «فيذاد أقوام عن حوضي فأقول : أمتي أمتي فيقال : إنك لا تدري ...		٢٩٠ هـ
(حرف القاف)		
ـ قال أبو بكر : يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت . .	أبو هريرة	٨٠٩
ـ قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه . . .	ابن عباس	٤٣٥، ٤٣٧
ـ «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه ...»	أبو هريرة	٥٨٢

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «قال اللّه تعالى : أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»	أبو هريرة	١٩٢
ـ «قال اللّه تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ...»	أبو هريرة	٦٨١
ـ «قال اللّه عز وجل : يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار ...»	نعيم بن همار	٣٨٣، ٣٨٨
ـ «قال ربكم تبارك وتعالى : ابن آدم صلِّ لي أربع ركعات أول..	نعيم بن همار	٨١٠
ـ قال في الأبتر وذي الطفيتين : « اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر...»		٧٤٤
ـ قال لجارية في بيت أم سلمة رأى بوجهها سفعة	أم سلمة	٧٥٧
ـ قال للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم ويسيئون إليه ...	أبو هريرة	٧٣٣
ـ قال لي ابن عباس : تعلم آخر سورة نزلت من القرآن ؟	عبيد اللّه بن عبد اللّه	٦٤٨
ـ قال ورقة بن نوفل : ياليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًّا ...	عائشة	٢٢٤
ـ قالوا : يا رسول اللّه إن أحدنا ليجد في نفسه ...	أبو هريرة	٧٧٩
ـ قام رسول اللّه ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي ...	أسماء بنت أبي بكر	٤٩٥
ـ قام فسمعناه يقول : «أعوذ باللّه منك» ثم قال : ..	أبو الدرداء	٧٨٤ هـ
ـ قبرنا مع رسول اللّه ﷺ يعني ميتًا فلما فرغنا انصرف ...	عبد اللّه بن عمرو	٤٩٩
ـ قرأ رسول اللّه ﷺ ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ...	أبو هريرة	٤٦٥
ـ قرأ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ ...	ابن مسعود	٢٠٧
ـ قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة		٤١١
ـ قراءته سورة الكافرون في ركعتي الفجر	أبو هريرة	٦١٩
ـ «قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار ...»	أبو هريرة	٥٦٩
ـ قلنا : يا رسول اللّه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : «هل تضارون ....»	أبو هريرة ، أبو سعيد	١٥١، ١٥٥ ١٧٢
ـ «قوموا إلى سيدكم»	أبو سعيد	١٥٨
ـ قيل : أي الدعاء أسمع ؟ قال : « جوف الليل الآخر ودبر الصلوات ....»	أبو أمامة	٤١٠

(حرف الكاف)

ـ كان ـ ابن عمر ـ يقرأ ﴿ سبح اسم بك الأعلى ﴾ : سبحان

الحديث	الراوي	الصفحة
ربي الأعلى	سعيد بن جبير	٢٦٢
ـ كان إذا أخذ مضجعه ـ اشتكى ـ نفث في يديه وقرأ بالمعوذات.		٦٨٤، ٨٢١
ـ كان إذا أراد أن يدخل الخلاء قال : «اللهم إني أعوذ بك ..»	أنس بن مالك	٨٠٢
ـ كان إذا سلم قال : «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ..»	علي بن أبي طالب	٤٠٩
ـ كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال : باسم اللّه يبريك ومن كل داء. . .	عائشة	٧٣٨
ـ كانَ إذا أمسى قال : «أمسينا وأمسى الملك للّه ....»	ابن مسعود	٨٠٥ هـ
ـ كان إذا مرَّض أحدًا من أهله نفث عليه بالمعوذات . . .	عائشة	٦٨٤
ـ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها	أبو سعيد	٦٠٦
ـ كان الرجلان إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما . . .	أبو مدينة	٥٣٦
ـ كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات . . . ويقول كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا . . .	عمرو بن ميمون	٤١٠
ـ كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل . . .	ابن عباسَ	٦٦٠
ـ «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر قال للملك ....»	صهيب	٢١٥
ـ كان لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت ﴿يسألونك عن الساعة﴾ . . .	طارق بن شهاب	٧٧ هـ
ـ كان له مؤذنان بلال وابن أم مكتوم	ابن عمر	٨٧
ـ كان معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم . . .	صفية بنت حيي	٧٧٨، ٨١٢
ـ كان يؤمر بالعائن فيتوضأ ثم يغتسل فيه المعين	عائشة	٧٣٦
ـ كان يتعوذ من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه . . .	ابن مسعود	٨٠٥ هـ
ـ كان يصلي الضحى	علي بن أبي طالب	٣٨٥
ـ كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه . . .	ابن عباس	٢٧٢
ـ كان يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : «بسم اللّه أعوذ بك ...»	ابن عمرو	٨٠٤
ـ كان يعوذ الحسن والحسين ويقول : «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل ...»	ابن عباس، عائشة	٧٣٨، ٨١٠
ـ كان يقرأ في العيدين والجمعة بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية	النعمان بن بشير	٢٦٢
ـ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون. .	عبد الرحمن بن أبزى	٢٦١

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون	ابن عباس	٢٦١ هـ
ـ كان يقول إذا استيقظ من نومه : «الحمد للّه الذي أحيانا ...»	حذيفة بن اليمان	٢٠
ـ كنا إذا حضرنا معه طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ . . .	حذيفة بن اليمان	٨١٧
ـ كنا إذا صلينا خلفه أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا . . .	البراء بن عازب	٤١٠
ـ كنا جلوسًا عنده إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال . . .	جرير بن عبد اللّه	١٧٢ هـ
ـ كنا عند رسول اللّه ﷺ فضحك ، فقال : «هل تدرون مما أضحك ؟ »	أنس بن مالك	١٥٦
ـ كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول اللّه ﷺ فقعد وقعدنا	علي بن أبي طالب	٣٧١ هـ
ـ كنا مع رسول اللّه ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ . . .	أبو هريرة	٤٨٤
ـ كنا معه ستة نفر فقال المشركون له : اطرد هؤلاء . . .		٨٨ هـ
ـ كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه الآية : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾		٤٩٣ ،
ـ كنا نعزل والقرآن ينزل	علي بن أبي طالب	٥١١ هـ
ـ كنت أصلي لقومي . . . فغدا علي رسول اللّه ﷺ وأبو بكر . .	جابر بن عبد اللّه	١١٣
ـ كنت جالسًا معه ورجلان يستبّان فأحدهما أحمرّ وجهه . . .	عتبان بن مالك	٣٨٥، ٣٨٦
ـ كنت رديفه فعثرت دابته فقلت : تعس الشيطان ، فقال : «لا تقل ...»	سليمان بن صرد	٨١٦
ـ كنت وأنا في الجاهلية . . . قلت : يا نبي اللّه أخبرني عما علمك اللّه وأجهله . . .	رجل	٨١٨
ـ «كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة اللّه هي العليا»	عمرو بن عبسة	٣٨٧
ـ «الكلب الأسود شيطان»	عطاء الخراساني	٥٨٥
	أبو ذر	٨١٢ هـ
(حرف اللام)		
ـ «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين...»	ابن عمر	٨٠٧
ـ «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم ...»		٦٩٣
ـ «لا تزولا قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس ....»	ابن عمر ،	٥١١ هـ ،
	أبو برزة	٧٨٧
ـ «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم ....»	عبد اللّه بن بسر	٦٠٣
ـ «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا»		١٦٣

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه القرآن ...»	أبو هريرة ، ابن عمرو ، ابن مسعود	٧٢٦، ٧٢٠ ، ٧٢١
ـ «لا صلاة بحضرة الطعام ...»		٤٠٧ هـ
ـ «لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر..»	أبو سعيد	٣٨٨ هـ
ـ «لا هجرة بعد الفتح»	ابن عباس	٦٥١
ـ «لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً»	أبو هريرة	٥٩٤
ـ لا يجعل أحدكم للشيطان شيئًا من صلاته يرى أن حقًا عليه..	ابن مسعود	٨٢٤
ـ «لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ..»	عمر بن الخطاب	٨١٩
ـ «لا يدخل الجنة قتات»	حذيفة	٥٩١
ـ «لا يدخل الجنة قاطع»	جبير بن مطعم	٥٩١
ـ «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»	ابن مسعود	٥٩٢
ـ «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل ...»	أبو هريرة	٥٩٢
ـ «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»	ابن عمر	٥٦٧
ـ «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله ...»	أبو هريرة	٦٠٣
ـ «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو ...»		٢٠٥
ـ «لعن اللّه زوارات القبور»	أبو هريرة	٤٩٨
ـ «لقد أوذيت في اللّه وما يؤذى أحد وأخفت في اللّه وما يخاف..»	أنس	٢٣٠
ـ لقيني في بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه . . .	أبو هريرة	٧٧٤
ـ «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم ...»	عائشة	١٨٨
ـ «للشهيد عند اللّه ست خصال ... ويشفع في سبعين من أقاربه»	المقدام بن معديكرب	١٤٣هـ
ـ «للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم»	جبير بن مطعم	٥٦٩
ـ لم أتخلف عنه في غزوة إلا في غزوة تبوك . . .	كعب بن مالك	١٥٨ هـ
ـ لم يزل يسأل عن الساعة حتى أنزل اللّه ﴿فيم أنت من ذكراها﴾	عائشة	٧٧
ـ لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول اللّه ﷺ . .	عمرو بن سلمة	٦٤٩
ـ لما كان ليلتي التي كان رسول اللّه ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه . . .	عائشة	٥٠١، ٥٠٤
ـ « لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت عليّ رائحة		

الحديث	الراوي	الصفحة
طيبة فقلت...»	ابن عباس	٢٢٦
ـ لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ بعث إليه وكان..	أبو سعيد الخدري	١٥٨ هـ
ـ لما نزلت ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**﴾ قال : «**ادعوا فلانًا**» فجاءه . . .		٨٧
ـ لما نزلت ﴿**لتسألن يومئذٍ عن النعيم**﴾ قال الزبير : يا رسول اللَّه . . .	الزبير بن العوام ، أبو هريرة	٥١١ هـ ، ٥١٢ هـ
ـ لما نزلت هذه الآية ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ قال : «**اجعلوها في سجودكم**»		٢٦٨
ـ «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي**»	عائشة	٨١٤ هـ
ـ «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم اللَّه ...**»	ابن عباس	٨٢٠
ـ «**لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه**»	ابن عباس	٨١٤ هـ
ـ «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك**»	أبو هريرة	٨١٤ هـ
ـ «**لولا أنكم تذنبون لخلق اللَّه خلقًا يذنبون فيغفر لهم**»	أبو أيوب	٢٣٧
ـ «**لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد ..**»	عائشة	٨١٤ هـ
ـ «**ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك**» قلت : يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداك أليس . . .	عائشة	١٩٨
ـ «**ليس البر بالإيضاع**»		٤٧٣
ـ «**ليس الخبر كالمعاينة**»	ابن عباس	٥٠٦ هـ
ـ «**ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**»		٧٠٠
ـ «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ..**»		
ـ «**ليصل أحدكم نشاطه**»	أنس بن مالك	٣٩٩ هـ
(حرف الميم)		
ـ «**ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن**»		١٩٤
ـ «**ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه**»	ابن عباس	٣٢٠
ـ ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة	ابن مسعود	٢٧٥
ـ «**ما جلس قوم مجلسًا يذكرون اللَّه تعالى فيه إلا حفتهم الملائكة..**»		٢٩٨
ـ ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه به كلامًا ولا حديثًا ولا جلسة		

الحديث	الراوي	الصفحة
من فاطمة . . .	عائشة	١٥٩ هـ
ـ ما رأيته منذ نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يصلي صلاة إلا	عائشة	٦٦٠
ـ ما كان شخص أحب إليهم رؤية من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم . . .	أنس	١٥٩
ـ «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطن ... »	المقدام بن معديكرب	٨٢٩ هـ
ـ «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللَّه من هذه ...»	ابن عباس	٣٢٠
ـ «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت...»	أبو ذر	٢٤١
ـ «ما من مولود إلا ويطعن الشيطان في ... إلا ما كان من مريم وابنها»		٨٢٠ هـ
ـ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما ..»	أبو هريرة	٣٧٤
ـ «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ...»	النعمان بن بشير	٣٦٨
ـ «مرَّ بامرأةٍ تبكي عند قبر فقال : «اتقي اللَّه واصبري ...»	أنس	٥٠٠، ٥٠٤، ٥٠٥
ـ «من آمن باللَّه ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة»	أبو هريرة	٥٩٧، ٥٩٨
ـ «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة ..»	أبو بكرة ، سعد	٥٩٢
ـ «من اغبرت قدماه في سبيل اللَّه حرمه اللَّه على النار»	أبو عبس	٥٩٣
ـ «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»	بريدة الأسلمي	٥٣١
ـ «من جهز جيش العسرة فله الجنة»		٦٠٩
ـ «من حفر رومة فله الجنة»		٦٠٩
ـ «من حلف بالعصر كاذبًا لا يكلمه اللَّه ولا ينظر إليه يوم القيامة»		٥٣٠
ـ «من سره أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»	معاوية	١٦٠
ـ «من سمّع سمّع اللَّه به ومن يرائي يرائي اللَّه به»	جندب	٨٥٠
ـ «من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة»	ابن عمر	٦٠٠
ـ «من شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه حرمه اللَّه ..»	عبادة بن الصامت	٥٩٣
ـ «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»	أبو هريرة	٤٤٩

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «من صلى البردين دخل الجنة»	أبو موسى	٥٩٣
ـ «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ...»	عثمان بن عفان	٨٠١ هـ
ـ «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ...»	أنس بن مالك	١٢٣
ـ «من عمّر مسيرة المسجد كتب له كفلان من الأجر»	ابن عمر	٥٨٢
ـ «من عمل عملاً ليس عليه أمري فهو رد»	عائشة	٢٩٠ هـ
ـ «من قال : بسم اللّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض..»	عثمان بن عفان	٨٠٨
ـ «من قال : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك ...»	أبو هريرة	٨٠٨
ـ «من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها حرم اللّه عليه الجنة»	ابن عمر	٥٩٢
ـ «من كنت مولاه فعليّ مولاه»		٦٠٩
ـ «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللّه دخل الجنة»	عثمان بن عفان	٥٩٣
ـ «من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق ..»		٦٩٥، ٦٩٦
ـ «من يسر على معسر يسر اللّه عليه في الدنيا والآخرة ...»	أبو هريرة	١٩٢
ـ «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»	عائشة	٩٣
ـ «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف ..»	أبو هريرة	٨١٤
(حرف النون)		
ـ «ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم» قيل : يارسول اللّه: إن كانت كافية . . .	أبو هريرة	٤٨٤
ـ «نضر اللّه امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها ...»		١٠٤
ـ «نعم إذا رأت الماء»	أم سلمة	٦٠٧
ـ «نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل..»	العباس	٥٩٨، ٥٩٩
ـ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»		٥٢٥، ٧٨٧
ـ نهى أن يشرب الرجل قائمًا	أنس بن مالك	٦٠٥
ـ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر . .	عمر بن الخطاب	٣٨٨ هـ
ـ نهى عن صلاتين : بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر . .	أبو هريرة	٣٨٨ هـ
ـ نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا . .	أم عطية	٥٠٤ هـ ، ٥٠٦
ـ «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم ...»	بريدة	٤٩٨، ٥٠٣

الحديث	الراوي	الصفحة
ـ «الناس تبع لقريش في الخير والشر»	جابر	٥٦٧
ـ «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره لله ..»	ابن مسعود	٨٢٥
(حرف الهاء)		
ـ «هذا سناه»	أم خالد	٤١٣ هـ
ـ «هو مسجدي هذا»	أبو سعيد الخدري	٦٩٩
«هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ...»		٥١٢ هـ ، ٥١٧، ٥١٩
ـ «هو من عمل الشيطان»	جابر	٧٠٨
(حرف الواو)		
ـ «وابتغوها في كل وتر»	أبو سعيد الخدري	٤٤٢
ـ «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»	أبو سعيد	٦٧٤
ـ «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ..»	عبد الله بن عدي ابن الحمراء	٢٢٧
ـ «وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق»	ابن عمرو	٢٠١
ـ «وكلني بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام...»	أبو هريرة	٨٢١
ـ «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»	معاذ	٨٢٨
(حرف الياء)		
ـ «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ..»		٣٧٦
ـ «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ...»	ابن عباس	١٥٠
ـ يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟	عائشة	٤٤٨
ـ «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا . فإن هذا هو ...»	عائشة	٦٩٨، ٦٩٩
ـ «يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ ..»	أبو هريرة	٧٧٩، ٨١٥
ـ «يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول :..»	أنس بن مالك	١٥٤
ـ «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له : ألم أجعل لك سمعًا ..»	أبو هريرة ، أبو سعيد، أنس	١٥٦ ، ٥١٢ هـ
ـ «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام من كل زمام سبعون..»	ابن مسعود	٣٣٧، ٤٨٥
ـ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله ...»	أنس	٣٧٦، ٦٦٧

الحديث	الراوي	الصفحة
- «يجاء بالعبد يوم القيامة كأنه بذج فيوقف بين يدي اللّه تعالى..»	أنس	٥١٢ هـ
- «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال.»	أبو سعيد	٢٨٠ هـ
- «يجمع اللّه الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئًا ..»	أبو هريرة	١٠٩هـ
- «يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين ، واثنان ..»	أبو هريرة	١٥٠
- «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ...»	عائشة	١٠٣
- «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ...»		١٩١
- «يخرج من النار من قال لا إله إلا اللّه وكان في قلبه	أنس	٥٩٣
- «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ...»	أبو هريرة	٦٠٠
- «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع كنفه ..»	ابن عمر	١٩٩
- «يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ...	أبو سعيد	٢١٢
- «يشفع الشهيد في سبعين من أقاربه»	المقدام بن معديكرب	١٤٣
- «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ...»	أبو هريرة	١٥١
- «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ...»		٧٨٢، ٨٠١
- «يقول اللّه اللّه عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك.»	أبو سعيد	١٥٤، ٧٨٣
- «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول:.»		٢٣٨
- «ينادي منادي يوم القيامة : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون....»	أبو سعيد الخدري	١٠٩ هـ
- « ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى ...»	ابن عمر	١٥٠

٣ ـ فهرس السور والموضوعات

الموضوع | الصفحة

ـ المقدمة ٥

* تفسير سورة النبأ

ـ من قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ... وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [١ - ١٦] ٨

براهين البعث ١٩

ـ من قوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا .. وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [١٧ - ٣٠] ٢٢

بقاء النار وبيان أنها لا تفنى ٣٠

ـ من قوله تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ... وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [٣١ - ٤٠] ٣٧

* تفسير سورة النازعات

ـ من قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ... فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [١ - ١٤] ٤٧

ـ من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [١٥ - ٢٦] ٦٣

ـ من قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ... مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [٢٧ - ٣٣] ٦٨

من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ... كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [٣٤ - ٤٦] ٧٣

* تفسير سورة عبس

ـ من قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ... كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [١ - ١٦] ٧٩

بعض مناقب عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ٨٦

ـ من قوله تعالى : ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ... كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [١٧ - ٢٣] ... ٩٤

ـ من قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ... مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [٢٤ - ٣٢] ٩٨

ـ من قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [٣٣ - ٤٢] ١٠٢

* تفسير سورة التكوير

ـ من قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [١ - ٧] ١٠٦

لطيفة ١١٠هـ

الموضوع الصفحة

- من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [٨ - ١٤] ١١١
لماذا كانوا يئدون البنات في الجاهلية ؟ ١١٢
ما هو الوأد الخفي ؟ ١١٣
ما حكم العزل ؟ ١١٣
هل كان من أهل الجاهلية من لا يئد البنات ؟ ١١٦
بعض الأحاديث الواردة في فضل تربية البنات والإحسان إليهن ١٢٢
- من قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ... وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٥ - ٢٩] ١٢٦
* تفسير سورة الانفطار
- من قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [١ - ٥] ١٣٣
- من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ... فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [٦ - ٨] ١٣٦
- من قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ... وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [٩ - ١٩] ١٤٠
هل ينفع شخص شخصاً يوم القيامة ؟ ١٤٣
* تفسير سورة المطففين
- من قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ... يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١ - ٦] ... ١٤٥
بعض الآيات الناهية عن التطفيف في المكيال والميزان والمحذرة من ذلك والآمرة بإقامة الكيل والميزان بالقسط ١٤٧
من هو النبي الذي أرسل إلى قومه وهم يطففون الميزان ليحذرهم من ذلك ١٤٩
حكم القيام للقادم (بتفصيل) ١٥٧
الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح وضح ذلك ١٦٤
- من قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ... ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٧ - ١٧] ١٦٦
رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة ١٧١
- من قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ .. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [١٨ - ٢١] ١٧٤
لفتة طيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢١] ١٧٥
لماذا خص كتاب الأبرار بشهود المقربين ؟ ١٧٩

الموضوع	الصفحة

- من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ... عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢٢ ـ ٢٨] ١٨١
- من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ... هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢٩ ـ ٣٦] ١٨٥

عادة أهل الكفر والنفاق السخرية من أهل الإيمان وإيذاؤهم ١٨٦

الابتلاء النفسي أشد على الإنسان من الابتلاء البدني ١٨٩هـ

الجزاء من جنس العمل مع أدلة ١٩٠

* تفسير سورة الانشقاق
- من قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ... وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [١ ـ ٥] ١٩٤
- من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ... بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [٦ ـ ١٥] ١٩٧
- من قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ... إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [١٦ ـ ٢٥] ٢٠١

ما هي السجدات التي ثبت بالسند الصحيح أن النبي ﷺ سجد فيها ٢٠٧

* تفسير سورة البروج
- من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ... الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١ ـ ٩] ٢٠٩

فوائد متعلقة بحديث أصحاب الأخدود (الغلام والساحر والراهب والملك) ٢١٨

بعض صور الابتلاءات والفتن التي ابتلي بها من كان قبلنا ٢٢٤

بعض الأمثلة للمدح الذي يأتي بما يشبه الذم ٢٣١

- من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [١٠ ـ ٢٢] ٢٣٤

بعض الأدلة على أن باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه ولكل من آذى العباد وقتل منهم وشرد ٢٣٤

المكره على التلفظ بكلمة الكفر هل الأولى له أن يصبر ولو أدى الصبر إلى القتل أم الأولى أن يتكلم بكلمة الكفر ؟ ٢٣٩

* تفسير سورة الطارق
- من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ... فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [١ ـ ١٧] ٢٤٨

الموضوع	الصفحة

* تفسير سورة الأعلى
- من قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ... ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [١ ـ ١٣] ٢٥٩
بعض الأسباب المعينة على حفظ القرآن وعدم نسيانه ٢٦٩
هل صح حديث فيما يفعله من أراد أن ينسى القرآن بعد حفظه ؟ ٢٧١
- من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ... صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [١٤ ـ ١٩] . ٢٨٢
* تفسير سورة الغاشية
- من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ... لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [١ ـ ٧] ٢٨٦
من لم يخشع في دنياه بخشع رغمًا عنه في أخراه . وضح ذلك ٢٨٨
- من قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ... وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [٨ ـ ١٦] ٢٩٦
- من قوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ... ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾
[١٧ ـ ٢٦] ٣٠٢
لطيفة ٣١٠
* تفسير سورة الفجر
- من قوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ ... هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر : ١ ـ ٥] .. ٣١٨
- من قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ... إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [٦ ـ ١٤] . ٣٢٤
المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم ٣٢٩
- من قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ...
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [١٥ ـ ٢٠] ٣٣١
الابتلاء قد يكون بالخير وقد يكون بالشر ٣٣٢
- من قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ... وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [٢١ ـ ٣٠] . ٣٣٥
* تفسير سورة البلد
- من قوله تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ... وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١ ـ ١٠] ٣٤٠
بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة ٣٤٥
طرف من الكبد الذي خلق الإنسان فيه ٣٤٨
- من قوله تعالى : ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ... عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [١١ ـ ٢٠] ٣٥٢
وضح المراد بالفقير والمسكين وأيهما أشد حاجة من الآخر ٣٥٤
بعض الآيات التي تحث المؤمنين على التواصي بالصبر ٣٥٦

الموضوع	الصفحة

* تفسير سورة الشمس
- من قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ... وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [١ ـ ١٥] : ٣٥٨
إذا ارتكب شخص معصية فأقره قومه نُسب إليهم الفعل وحلَّ عليهم العقاب ٣٦٨
* تفسير سورة الليل
- من قوله تعالى: ـ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ... وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [١ ـ ٢١] ٣٧٠
المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفق ماله في طاعة اللَّه عز وجل ... ٣٧٥
فعل الطاعة ييسر لفعل طاعة أخرىٰ وفعل المعصية يدفع إلىٰ معصية أخرىٰ . ٣٨٠
* تفسير سورة الضحىٰ
- من قوله تعالى : ﴿وَالضُّحَىٰ ... وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [١ ـ ١١] ٣٨١
بعض الأحاديث الواردة في الحث علىٰ صلاة الضحىٰ وبيان فضلها ٣٨٢
كيف يوجه قول من قال : إن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحىٰ ؟ ٣٨٤
ما هو عدد ركعات الضحىٰ ؟ ٣٨٦
هل تجوز صلاة الضحىٰ في جماعة ؟ ٣٨٦
متىٰ يبدأ وقت الضحىٰ ومتىٰ ينتهي ؟ ٣٨٧
من طرق الحث علىٰ المعروف : أن تذكر الشخص بما كان فيه قبل أن
ينعم اللَّه عليه ومن ثم تطلب منه الذي تريد ٣٩٢
بعض الآيات المتعلقة باليتيم ٣٩٣
كيف يحدث الشخص بنعمة اللَّه عليه ؟ ٣٩٦
هل يحدث الشخص بنعم اللَّه عليه في كل الأحوال ؟ ٣٩٧
* تفسير سورة الشرح
- من قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [١ ـ ٨] ٣٩٨
هل كانت عند النبي ﷺ ذنوب قبل نبوته ؟ ٤٠٢
هل يشرع الدعاء بعد الصلاة ؟ ٤٠٨
* تفسير سورة التين
- من قوله تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ... أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [١ ـ ٨] ٤١٢
هل ثبت أن النبي ﷺ قرأ في صلاته بسورة التين ؟ ٤١٤
هل ورد قوله ﷺ بعد ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ « بلىٰ وأنا علىٰ ذلك

الموضوع	الصفحة

من الشاهدين » ؟ ٤٢١

* تفسير سورة العلق

- من قوله تعالىٰ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [١ ـ ١٩] ... ٤٢٥

ما هي أول سورة نزلت ؟ وهل نزلت بتمامها مرة واحدة ؟ ٤٢٦

إذا رأىٰ الإنسان نفسه مستغنيًا عن الخلق بدأ في الكبر ٤٣٢

هل ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة ؟ ٤٣٧

* تفسير سورة القدر

- من قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [١ ـ ٥] . ٤٣٨

أي ليلة هي ليلة القدر ؟ ٤٤١

بعض علامات ليلة القدر ٤٤٢

لماذا أخفيت ليلة القدر ٤٤٣

هل تستتبع ليلة القدر ... ؟ ٤٤٦

هل ليلة القدر في كل عام من رمضان أم كانت علىٰ عهد النبي ﷺ فقط ٤٤٦

الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر ٤٤٧

طرف مما ورد في فضل ليلة القدر ٤٤٧

* تفسير سورة البينة

- من قوله تعالىٰ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ... ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [١ ـ ٨] ٤٥٥

فضيلة لأبي بن كعب وما يستفاد من السياق الواردة فيه ٤٥٦

ما هو وجه إشراك اليهود والنصارىٰ ؟ ٤٥٨

من هو خير البرية ؟ ٤٦٠

* تفسير سورة الزلزلة

- من قوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ... وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [١ ـ ٨] ٤٦٢

* تفسير سورة العاديات

- من قوله تعالىٰ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ... إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [١ ـ ١١] ... ٤٧٠

بعض الأحاديث الدالة علىٰ عظمة نار جهنم ٤٨٤

الموضوع	الصفحة

* تفسير سورة التكاثر
- من قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ... ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [١ ـ ٨] ٤٨٦
الأدلة على إثبات عذاب القبر ٤٩٢
حكم زيارة القبور (للرجال والنساء) ٤٩٨
فائدة ٥٠٦
* تفسير سورة العصر
- من قوله تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ ... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [١ ـ ٣] ٥٢٧
النجاة معلقة بأربعة أمور مذكورة في سورة العصر ٥٣١
هل ثبت أن الصحابة كانوا إذا التقوا وتفرقوا لم يتفرقوا إلا بعد قراءتهم سورة العصر ؟ ٥٣٦
* تفسير سورة الهمزة
- من قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ... فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [١ ـ ٩] ٥٣٧
لما ذكر من خصال الهمزة اللمزة (أنّه جمع مالاً وعدده) مع أن هناك من الخصال ما هو أسوأ منها ٥٤٣
* تفسير سورة الفيل
- من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ... فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [١ ـ ٥] ٥٤٩
كيف أهلك اللّه سبحانه وتعالى النصارى الذين هم أهل كتاب ولم يسلطهم على الوثنيين من أهل مكة ؟ ٥٦٠
في أي مناسبة ذكر رسول اللّه ﷺ حابس الفيل ؟ ٥٦١
* تفسير سورة قريش
- من قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ... وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [١ ـ ٤] ٥٦٣
يشرع تذكير العبد بنعم اللّه عليه بين يدي حثه على العبادة ٥٦٥
بعض ما ورد في فضل قريش ٥٦٧
اللّه عز وجل يدافع عن أوليائه عمومًا ويدافع عن نبيه محمد ﷺ خصوصًا .. ٥٦٩

الموضوع | الصفحة

* تفسير سورة الماعون
- من قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [١ ـ ٧] ... ٥٧٢
هل كل من يدع اليتيم يكفر ؟ ٥٧٥
بحث مختصر في الرياء ٥٧٨
ما حكم العارية (الشيء الذي يُعار) ٥٨٨
همية العمل بمجموع النصوص وجملتها والتحذير من الأخذ بدليل واحد وترك باقي الأدلة ٥٨٩
● في مجال العقائد ٥٩١
● في أبواب الشفاعة ٦٠١
● في مجال الفقه ٦٠٣
● في أبواب الحياء ٦٠٦
● في مجال الحب والبغض ٦٠٩
● كذلك في مجال التحدث بالنعم أو ترك ذلك ٦١٠
* تفسير سورة الكوثر
- من قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ... إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [١ ـ ٣] ٦١١
* تفسير سورة الكافرون
- من قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [١ ـ ٦] ٦١٩
هل صح حديث في فضل سورة الكافرون ؟ ٦١٩
بعض المواطن التي كان النبي ﷺ يقرأ فيها سورة الكافرون ٦١٩
الحلول الوسط وأنصاف الحلول لا تقبل ولا تجوز في أبواب العقائد ٦٣٨
وصف السورة بسورة الإخلاص عند بعض العلماء بالرغم من وجود سورة الإخلاص ٦٤٤
* تفسير سورة النصر
- من قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ... إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [١ ـ ٣] ٦٤٧
ما هي آخر سورة نزلت في كتاب الله عز وجل ؟ ٦٤٧
ما الفرق بين النصر والفتح ؟ ٦٤٨

الموضوع	الصفحة

متى كانت غزوة الفتح ؟ ٦٤٨
وضح المراد بحديث رسول اللّه ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» ومن أخرجه .. ٦٥١
هل أذنب النبي ﷺ ذنبًا حتى يؤمر بالاستغفار ؟ ٦٥٥
مزيد الفضل يستلزم مزيداً من الشكر ٦٥٨
بعض الأدلة على مشروعية الاستغفار عند انتهاء الأعمال ٦٥٨
ماذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده بعد نزول هذه السورة عليه ٦٥٩
* تفسير سورة المسد
ـ من قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [١ ـ ٥] ٦٦٢
هل الاسم أفضل أم الكنية ٦٦٥
* تفسير سورة الإخلاص
ـ من قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [١ ـ ٤] ٦٧٣
بعض المواطن التي يشرع ويستحب فيها قراءة سورة قل هو اللّه أحد ٦٧٣
بعض الأحاديث الواردة في فضلها ٦٧٤
هل صح لهذه السورة سبب نزول ؟ ٦٧٧
جملة من الأدلة التي تنزه اللّه سبحانه وتعالى عن الولد ٦٧٩
* تفسير سورة الفلق
ـ من قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ... وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [١ ـ ٥] ... ٦٨٢
بعض ما ورد في فضل المعوذتين والمواطن التي تقرأان فيها ٦٨٣
أنواع الشرور المستعاذ منها في سورة الفلق والناس ٦٨٤
ما معنى الحسد ٧١٩
هل هناك من الحسد ما هو مباح ٧٢٠
وسائل دفع الحسد ٧٢٣
ما هو الفرق بين الحاسد والساحر ٧٤٠
ما هو الفرق بين العائن والحاسد ٧٤١
دواء من أراد أن يخلص نفسه من صفة الحسد ٧٤٦
أضرار الحسد على الحاسد في الآخرة ٧٤٦

الموضوع	الصفحة

أضرار الحسد على الحاسد في الدنيا ٧٤٩
مثال للحاسد مع المحسود ٧٥١
بعض أسباب الحسد وأسباب اشتداده ٧٥٢
هل يحسد المؤمن ؟ ٧٥٥
بعض الأحاديث الواردة في تأثير الحسد والعين ٧٥٦
بعض ما ورد في النهي عن الحسد ٧٥٨
* تفسير سورة الناس
- من قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ... مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [١ - ٦] ٧٥٩
ما هو الشر المستعاذ منه في هذه السورة ؟ ٧٦٠
طرف من وسوسة الشيطان وشيئًا من شروره ٧٧٧
جملة من الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان ٧٩٩
* الخاتمة ٨٣٥
* الفهارس العامة ٨٣٧
١ - فهرس الفوائد ٨٣٩
٢ - فهرس أطراف الحديث ٨٤٣
٣ - فهرس الموضوعات ٨٦٢

القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤